الإكليل

على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام النسفي

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي

المتوفى ١٣٣٣هـ

تصحيح وضبط

الشيخ محيي الدين أسامة البزقدار

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

DKI

بيروت - لبنان

الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام النسفي

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي

المتوفى ١٣٣٣هـ

اعتنى به وضبط نصه

الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار

الجزء الأول

من أول سورة الفاتحة إلى الآية ١٧٢ من سورة البقرة

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة

بحمد الله نبدأ متوكِّلين عليه بما وَهبنا من نِعَمٍ سابغات أسدل ستارها علينا في مسيرة أيامنا ووهبنا من العلم ما لم نعلم.

فقد أولى سبحانه وتعالى صفوةً من عباده بنِعمة الفتوح العلمي، وأنارَ لهم أبواب الطريق لتُفتَح على أيديهم لطالِبي العلم المُستَجدّين لفهم آيات الله سبحانه وكتابه الكريم. فقام هؤلاء بعون الله وتوفيقه ومَنِّهِ بتفسير كتابه المُنَزَّل على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ومن ثَمَّ لِعباده الصالحين فمنهم مَن أوجَزَ ومنهم مَن استفاض وأوضح فكانت كتبهم نبراسًا يهدي به الله مَن أراد له أن يستفيد من هذه العلوم الربانية والنفحات الروحانية التي تضمنتها آيات كتاب الله العزيز المحفوظ تحت العرش كنزًا من الكنوز الإلـٰهية، بالإضافة إلى العلوم الدينية الشرعية المفروضة على المؤمنين والمسلمين من عبادات شاملة لكل ما يحتاجه عباد الله في الأيام التي يحيونها على أرض الله المبسوطة لعباده من أول لحظة يرى فيها هذا العبد نور الحياة إلى آخر يوم يغمض فيه عينيه متجهًا إلى عالم آخر قد كتبه الله له سبحانه وتعالى.

وأيضًا العلوم التي تخصّ الحياة الدنيوية التي يعيشها العبد المسلم في كامل مُستَلزمات هذه الحياة وما يحتاج إليه من صِغَرِهِ حتى وفاته من معاملات ونكاح وطلاق وجهاد وعلاقات تخصّ الفرد والجماعة والدولة. . . . إلى آخر مُتَطلبات هذا الإنسان في طيّ أيام عمره ذَكَرًا كان أو أُنثى، صغيرًا كان أو كبيرًا. ومن كمال هذا الكتاب المُنَزَّه عن كل نقصٍ وتقصير فقد حوى على كثير من الغيبيات والقصص القديمة والعِبَر لهذا العبد الذي كرَّمه الله واجتباه على كثير ممّن خلق فتعالى الله أحسن الخالقين.

ومن خِيرة خلق الله الذين أنعمَ الله عليهم بشرح كتابه العزيز من عباده الصالحين: شيخ الإسلام والمسلمين وارِث علوم الأنبياء والمُرسَلين مولانا أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (المتوفى سنة ٧١٠ هـ = ١٣١٠م) رحمه الله تعالى وأسكَنه فسيح جنانه في الفردوس الأعلى مع نبيِّه الكريم ﷺ وجمعنا الله معهم في الدار الآخرة التي إليها المآل والمنتهى، ونفعنا بما قدّمه بين أيدينا من شرح لهذا المرجع القيِّم في تفسير كتاب الله العزيز والمسمى بـ «**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**». وقد أولاه الإمام العلّامة الشيخ محمد عبد الحق بن شاه محمد بن يار محمد الإله آبادي الهندي، الحنفي (١٢٥٢-١٣٣٣ هـ = ١٨٣٦-١٩١٥م) جزاه الله عن عباده الصالحين خير الجزاء ـ بشرح وتفصيل مُسهب لجميع ما ورد فيه من آيات وعبارات وأحاديث ومواضيع تحت عنوان «الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التاويل» وهو كتابنا هذا. وقد جاءت هذه التفاسير بلسمًا للجروح ومَقصدًا لكل مَن أراد أن يَنهلَ من ينابيع علوم كتاب الله تعالى ولآلىء كنوزه المسطورة بين دَفَّتي المصحف الشريف.

مخطط الكتاب:

ـ الجزء الأول	من سورة الفاتحة	إلى آية ١٧٣ من سورة البقرة
ـ الجزء الثاني	تتمة سورة البقرة	إلى نهاية سورة النساء
ـ الجزء الثالث	من سورة المائدة	إلى نهاية سورة الأنفال
ـ الجزء الرابع	من سورة التوبة	إلى نهاية سورة الإسراء
ـ الجزء الخامس	من سورة الكهف	إلى نهاية سورة الروم
ـ الجزء السادس	من سورة لقمان	إلى نهاية سورة الحجرات
ـ الجزء السابع	من سورة ق	إلى نهاية سورة الناس

ـ بعون الله قمنا بتقسيم الشرح إلى فقرات مع وضع علامات الترقيم والتشكيل والنقاط الغير موجودة في الأصل.

ـ الآيات الكريمة مع نص الإمام النسفي رحمه الله وهو متن الكتاب المميز باللون الأحمر.

ـ ثم التعقيب عليه وشرحه بالخط العادي للإمام (محمد عبد الحق) قدّس الله سرّه.

ـ تمييز أقوال الرسول ﷺ بين هلالين صغيرين بالخط الأسود.

ـ أقوال العلماء والفقهاء المنقولة والمفسّرة بين قوسين كبيرين بالخط العادي.

ـ ترويسة الصفحات المتتابعة ذُكِر فيها اسم السورة مع رقم الآية المفسّرة.

ـ عند الكلام عن الآية المفسّرة في السّياق لا يتم تخريجها إلا في بداية شرحها مرة واحدة.

ـ قمنا بتخريج جميع الآيات التي يُستَشهَد بها أثناء الشرح.

ـ هناك هامش شرحت به بعض الكلمات لغة وبيانًا إضافة إلى بعض التوضيحات والتعليمات الهامة من إعراب وغيره.

ـ فيما يلي جدول يبيّن بعض الرموز والمصطلحات الواردة في الكتاب والمعتمدة خشية الإطالة وهي كذا في الأصل:

راويان	وَرْش ج	قُنبُل ز	سُوْسِي ي	ابن ذَكَوان م	حفص ع	أبو عيسى خَلّاد ق	دوري ت
	قالُون ب	بزي هـ	دُوري ط	هشام ل	أبو بكر ص	خَلَف بزار ض	أبو الحارث س
قارئان	نافع مدني ا	ابن كثير مكي د	أبو عمرو بصري ح	ابن عامر شامي ك	عاصم كوفي ن	حمزة كوفي ف	كسائي كوفي ر

المصطلحات:

ـ حب: ابن حبان ـ ظ : الظاهر ـ فظ : فظاهر

ـ ج: جمع ـ رح: رحمه الله

ـ عد ابن عدي ـ خ : البخاري ـ ثنا : حدَّثنا

ـ نا: أخبرنا ـ ا. هـ. : انتهى ـ طب : الطبراني

ـ ب. د. ع: الثلاثة : أبو عمر بن عبد البر ب

ابن منده د

أبو نعيم ع

ـ إذا أطلقت عبارة (كذا في الكتاب): يقصد بها كتاب سيبويه.

خاتمة ودعاء:

وزيادة في نفع هذا الكتاب القيِّم فقد ذُكِر فيه آيات عديدة وأذكار مما هي كنز من كنوز الله تعالى المُودعة تحت عرش الرحمٰن فداوِمْ عليها أيها العبد المؤمن تكُن لك ملاذًا يوم لقاء الله، ورَوْحًا وريحانًا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فهي ودائع ثمينة تَسْتَردَّها مُضاعفة عند ذي العرش سبحانه.

وأخيرًا جزى الله عنّا نبيّنا محمدًا ﷺ كل خيرٍ، وجزى إمامنا ومولانا الشيخ النسفي رحمه الله، والشيخ محمد عبد الحق قدّس الله سرّه، وجزانا جميعًا عالِمِين وعامِلِين وطالِبِي علمٍ بكل خير وفضل ورحمة منه سبحانه.

والله وليُّ التوفيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الإمام النسفي

الحمد لله (المنزّه بذاته عن إشارة الأوهام، المقدَّس بصفاته) عن إدراك العقول (والأفهام)، المتّصف بالألوهية قبل كل موجود، الباقي بالنعوت (السرمدية) بعد (كلّ محدود)، (الملك) الذي (طمست سبحات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله الذي لا تُستَفتَح الكتب إلا بحمده، ولا تُستَمنَح النِّعَم إلا بواسطة كرمه ورفده، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيِّبين وأصحابه الطاهرين وجنده.

أما بعد. . . فهذه تقييدات لطيفة على مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، أسأل الله تعالى أن يمنّ بتمامها، وحُسْن اختتامها، وسمَّيتها **بالإكليل على مدارك التنزيل** وعلى الله أعتمد في كل حال، وأسأله الرِّضى والستر في الحال والمال. **قوله**: (المُنزَّه بذاته): الباء مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: الآية ٨١ وغيرها] (**عن إشارة الأوهام**) قيّد بالوهم لأن العقل أشار إليه حيث يحكم بوحدانيته وغير ذلك، والوهم لا يُدرَك أصلًا لأن الوهم لا يُدرك إلا المحسوسات. **قوله**: (المقدس بصفاته): الباء مزيدة للتأكيد. **قوله**: (والأفهام): أي العلوم. **قوله**: (السرمدية)، السَّرْمَدْ: الدائم. **قوله**: (كلّ محدود): بوقت معين. **قوله**: (الملك): أي ذي المُلْك التام، والمراد به القدرة على الإيجاد والاختراع من قولهم: فلان يملك الانتفاع بكذا إذا تمكن منه فيكون من أسماء الصفات كالقادر. وقيل: المتصرّف في الأشياء بالإيجاد والإفناء والإماتة والإحياء فيكون من أسماء الأفعال كالخالق. **قوله**: (طمَسَت): من باب ضرب، أي محت. **قوله**: (**سُبحات**

جلاله) الأبصار، **(المتكبر)** الذي **(أزاحت سطوات كبريائه)** الأفكار، القديم **(الذي تعالى عن مماثلة الحدثان، العظيم الذي تنزّه عن مماسّة المكان، المتعالي)** عن **(مضاهاة)** الأجسام، ومشابهة الأنام، **(القادر)** الذي لا يشار إليه بالتكييف، **(القاهر)** الذي لا يسأل عن التحميل والتكليف، **(العليم)** الذي (﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣﴾ [الرحمٰن: الآية ٣] و﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: الآية ٤]**الحكيم الذي نزّل القرآن)**

جلاله) بضم السين والباء: أي أنوار جلاله. **قوله: (المتكبِّر)**: أي المنفرد بالعظمة والكبرياء، أو البليغ فيهما بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه. **قوله: (أزاحت)**: أي أزالت. **قوله: (سطوات كبريائه)**، السطوة: القهر بالبطش، يقال: سَطَا به، والسَّطوَة: المرة الواحدة، والجمع السَّطَوات، كذا في الصحاح. والكبرياء يرجع إلى كمال الذات، والجلال إلى كمال الصفات، والعظمة إلى كمال الذات والصفات. **قوله: (الذي تعالى عن مماثلة الحدثان)**: في الصحاح الحدوث كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فحدَث أمر أي وقع، والحَدَث والحُدْثَى والحادثة والحدثان كله بمعنى، انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب حَدَثان مُحَرَّكة جيزى نوكه نبود انتهى، وفيه نفي لمذهب الاعتزال. **قوله: (العظيم)**: أي كبير القدر على الرتبة البالغ إلى أقصى مراتب العظمة هو الذي لا يتصوّره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة. **قوله: (الذي تنزّه عن مماسّة المكان)**: فيه نفي لمذهب الكرامية. **قوله: (المتعالي)**: بمعنى العليّ بنوع من المبالغة. وقيل: البالغ في العلى والمرتفع عن التناقض. **قوله: (مضاهاة)**: أي مُشاكَلَة يُهْمَزُ ولا يُهْمَزْ. **قوله: (القادر)**: أي ذي القدرة. **قوله: (القاهر)**: أي القادر الذي لا يُعجزه شيء. **قوله: (العليم)**: أي العالِم البالغ في العلم المحيط علمه السابق بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليّها كليّاتها وجزئيّاتها. **قوله**: (﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣﴾ [الرحمٰن: الآية ٣]): المراد به جنس الإنسان الشامل لجميع أصنافه وأفراده. **قوله**: (و﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: الآية ٤])[1] هو التعبير عمّا في الضمير. **قوله: (الحكيم)**: أي ذي الحكمة، وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي. **قوله: (الذي نزّل القرآن)**: الذي هو أعظم كتب الرحمٰن، العظيم

---

(١) قوله البيان هو اسم مصدر جعل اسمًا ما لم يظهر به الشيء كما أن اللفظ مصدر جعل اسمًا لما يظهر به المعنى. ١٢ منه.

شفاء للأرواح والأبدان. **(والصلاة والسلام على المستلّ من أرومة البلاغة والبراعة، المحتل)** في **(بحبوحة النصاحة والفصاحة)**، محمد المبعوث إلى **(خليقته)**، الداعي **(إلى الحق)** وطريقته، ﷺ وعلى آله **(وشيعته)**. **(قال مولانا الشيخ)** الإمام المعظّم،

الشأن، باهر البيان، الشافع المشفّع عند المنّان. **قوله**: **(والصلاة والسلام)**: أي صلوات الله والملائكة والناس وتحياتهم أجمعين. **قوله**: **(على المستلّ)**: الاستلال بيرون آوردن چيزي زچيزي، أي المخرج. **قوله**: **(من أرومة)**: بفتح الهمزة وتضم، أصل. **قوله**: **(البلاغة)**: هي أن يبلغ الرجل بلسانه كنه ما في جنانه مع الاحتراز من الإيجاز المُخِلّ والإطالة المُمِلّ، وأما الفصاحة فهي خلوص الكلام[١] من التعقيد.

قوله: **(والبراعة)**: بَرَعَ الرجل وبرُع بالضم براعة، أي فاق أصحابه في العلم وغيره. **قوله**: **(المحتل)**: احتل نزل، في منتهى الأرب: احتَلَّ المكان وبه فرود آمد درجاي، أي الثابت. **قوله**: **(بحبوحة)**: بالباء الموحدة من تحت وبعده حاء مهملة وبعده باء أيضًا وبعده واو وحاء، كذلك على وزن فُعْلُولة الشيء الوسط لا إفراط ولا تفريط. **قوله**: **(النَّصاحة)**: نصيحت كردن. **قوله**: **(والفصاحة)**: فصُح الأعجمي فصاحة فهو فصيح إذا خلصت، لغة من اللكنة. **قوله**: **(خليقته)**: أي خلائقه. **قوله**: **(إلى الحق)**: الحق الثابت الصدق. **قوله**: **(وشيعته)**: الشيعة الأتباع والأنصار. **قوله**: **(قال مولانا)**: أي مَن له علينا حق وِلاء نعمة العلم والإرشاد أو حق ولاء نعمة المصنفات التي ألّفها لنا، وهذا من هنا إلى قوله: قد سألني ملحقة من التلامذة إظهارًا لجلالة شأنه وعلو مكانه.

قوله: **(الشيخ)**: هو مَن استبانت فيه السن[٢] من أربعين أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين هذا على حقيقته، وقد يطلق الشيخ على مَن لم يبلغ هذا السنّ للتبجيل، ومنه يقال: شَيَّخْتُ الرجل على ما في الصحاح، أي وَصَفْته بالشيخ وإن لم يكن موصوفًا به للتعظيم باعتبار كونه موصوفًا

---

(١) قيل: الكلام المنطق الفصيح. ١٢ منه.
(٢) السِّن بالكسر، مقدار العمر، في الناس وغيرهم، ١٢ منه عُفِي عنه.

(والحَبْر الهمام) المقدم **(أُستاذ)** أهل الأرض، محيي السنّة والفرض، كشّاف حقائق أسرار التنزيل، مفتاح أسرار حقائق التأويل، **(ترجمان)** كلام الرحمٰن، **(صاحب علميّ المعاني والبيان)**، الجامع بين الأصول والفروع، المرجوع إليه في المعقول والمسموع، **(حافظ الملّة والدين)**، شيخ الإسلام والمسلمين، **(وارث علوم الأنبياء)** والمرسلين، أكمل **(فحول)** المجتهدين، قدوة **(قروم)** المحققين، ذو السعادات والكرامات، **(أبو البركات)** عبد الله بن أحمد بن محمود **(النسفي)** نفع

بأوصاف الشيوخ. **قوله**: **(والحَبْر)**: بالفتح والكسر، والكسر أفصح، أي العالِم الذي يزين الكلام بتقريره وتحريره، ومنه سُمِّي علماء التوراة المحقِّقون أحبارًا. **قوله**: **(الهُمام)**: أي الكبير. **قوله**: **(أستاذ)**: بذال معجمة مُعَرَّب استاد وجمع أساتذة وأستاذ بالضم مخفف اسْتَاوَدُچه استادرلغت فرس بمعنى كتابست ووَدُ بفتح واو ودال مهملة بمعنى دانا وتركيب مقلوبست ازعالم كلاب. **قوله**: **(تَرْجُمَان)**: تَرْجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر، أي مفسّر. **قوله**: **(صاحب علميّ المعاني والبيان)**: ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد علم المعاني وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان. **قوله**: **(حافظ الملّة والدِّين)**: الدين والشريعة والملّة والناموس متّحدة بالذات ومتغائرة بالاعتبار إذ الطريقة المخصوصة الثابتة بالنبي ﷺ يسمى من حيث الانقياد له دينًا، ويسمى من حيث يردها الواردون المتعطشون إلى زلال نيل الكمال شرعًا وشريعة ومن حيث يُملى ويكتب ويجتمع عليها الناس للقبول ملة من الإملاء أو من أمل بمعنى اجتمع، ومن حيث يأتي بها ملك اسمه ناموس ناموسًا. **قوله**: **(وارث علوم الأنبياء)**. . . الخ لوحظ فيه قوله عليه السلام: العلماء ورثة الأنبياء. **قوله**: **(فحول)** بالضم: جمع فحل، بمعنى نيك دانا. **قوله**: قدوة مُثَلَّثَة: ما تَسَنَّنْتُ به واقتديت به، يقال: فلانٌ قُدْوَةٌ يُقْتَدى به. **قوله**: **(قروم)**[1] بالضم: جمع قرم بمعنى مهتر قوم. **قوله**: **(أبو البركات)**: كنيته واسمه عبد الله بن أحمد بن محمود صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول منها كتاب الوافي وشرحه الكافي والمصفّى في شرح المنظومة والمستصفى في شرح النافع والمنار تفقه على شمس الأئمة الكردري وسمع منه الصغناقي دخل بغداد سنة عشر وسبعمائة ووفاته في العشر المذكور. **قوله**: **(النسفي)** نسبة إلى مدينة نسف

---

(١) القرم: السيد، ١٢ منه.

الله الإسلام بطول بقائه، والمسلمين **(بيمن لقائه)**، قد سألني من تتعين إجابته **(كتابًا وسطًا)** في التأويلات، جامعًا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمنًا لدقائق **(علمي البديع والإشارات)**، حاليًا بأقاويل أهل السنّة والجماعة، خاليًا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل **(الممل)**، ولا بالقصير المخلّ، **(وكنت أقدم فيه رجلًا وأؤخر أخرى استقصارًا لقوة البشر)**، عن درك هذا **(الوطر)**، و**(أخذًا)** لسبيل الحذر، عن ركوب متن **(الخطر)**، حتى شرعت فيه بتوفيق الله **(والعوائق كثيرة)**، وأتممته

وهو من بلاد الصغد من بلاد ما وراء النهر. قيل: هو بكسر السين، وفي النسبة تفتح كما يقال في النسبة إلى صدف صدفي بالفتح. **قوله: (بيمن لقائه)** يمن بالضم: بركة. **قوله: (كتابًا وَسَطًا)**: محركة، وفي نسخة وسيطًا، أي شريفًا. **قوله: (علمي البديع)**... الخ. علم البديع هو ما يُعرَف به وجوه التحسين، أي الطرق والأمور التي يحصل بها تحسين الكلام وكثير من الناس يسمي الجميع يعني المعاني والبيان والبديع علم البيان لأن البيان هو المنطق الفصيح المُعرِب عما في الضمير ولا شك أن العلوم الثلاثة لها تعلّق بالكلام الفصيح المذكور تصحيحًا وتحسينًا، وبعضهم يسمي الأول علم المعاني والأخيرين يعني البيان والبديع علم البيان لتعلقهما بالبيان أي المنطق الفصيح أو لتغليب الفن الثاني على الثالث وبعضهم يسمي الثلاثة علم البديع لبداعة مباحثها أي حسنها لأن البديع هو الشيء المستحسن لظرافته وغرابته وعدم وجود مثاله من جنسه ومباحث هذه العلوم كذلك أو لأنه يعرف بها أمور مبتدعة بالنسبة إلى تأدية أصل المراد الذي يعرفه الخاص والعام وتلك الأمور كالخصوصيات والمجاز والكناية والجناس والترصيع وغير ذلك. **قوله: (والإشارات)**: جمع إشارة وهي الإيماء، والمراد هنا ما دلَّ عليه القرآن المجيد بغير صريح العبارة من العلوم والمعارف والأسرار والأخبار والكوائن وغير ذلك. **وفي محيط المحيط علم الإشارة علم السلوك. انتهى. قوله: (الممل)**: الإملال بستوه آوردن. **قوله: (وكنت أُقدِّم فيه رجلًا وأُؤخر أخرى)** هذا كناية عن التردّد والتحيّر كما يفعل مَن يتردَّد ويتحيَّر في الطريق. **قوله: (استقصارًا لقوة البشر)**... الخ الاستقصار مقصر شمردن وبكوتاهي نسبت كردن. **قوله: (أخذًا)** العطف على استقصارًا. **قوله: (الوَطَر)**: أي الحاجة. **قوله: (الخطر)**: هو الإشراف على الهلاك. **قوله: (والعوائق كثيرة)**: أي الموانع والشواغل، إما

في مدة (يسيرة وسميته «بمدارك التنزيل، وحقائق التأويل») و(هو الميسر لكل عسير)، وهو على ما يشاء قدير (وبالإجابة جدير).

من جهة اشتغاله بتصنيف آخر وإلقاء الدروس، وإما من جهة الفترات التي لا يخلو عنها البلاد والفتن التي تزيل الأمن والقرار عن العباد. **قوله**: (يسيرة): أي قليلة. **قوله**: (وسمَّيته): أي الكتاب المذكور (**بمدارك التنزيل**)، أي آلة، أي موضع لإدراك معاني القرآن المنزَّل، فصيغة المدارك إما آلة أو ظرف، (**وحقائق التأويل**): أي آلة أو موضع لإدراك حقائق القرآن المؤوَّل، وهذا المعنى على تقدير أن يكون قوله حقائق التأويل معطوفًا على التنزيل، ويحتمل أن يكون عطفًا على قوله مدارك التنزيل وهو ظاهر. **قوله**: (**هو الميسّر**): أي المسهّل ويتوقف إطلاقه عليه سبحانه وتعالى على التوقيف وإن صحّ معناه على ما هو المشهور. **قوله**: (**لكل عسير**): أي لكل أمر صعب أو مشكل أو شديد أو مخوف يشمل كل نوع من أنواع العسر وأعظم أنواع العسر يوم الموت ويوم القبر وأشدّها يوم الحشر، ولذلك قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدّثر: الآية ٩]. **قوله**: (**وبالإجابة جدير**). قال في القاموس: الجدير: مكان بُنِي حواليه، والخليق والجمع جَدِيرون وجُدَراء. اهـ. والمراد هنا المعنى الثاني.

سورة (فاتحة الكتاب)

سورة الفاتحة

قوله: (**سورة فاتحة الكتاب**): السورة طائفة من القرآن مترجمة أقلها ثلاث آيات، والآية طائفة من القرآن أقلها ستة أحرف صورة نحو الرحمٰن فإنه آية أن جعل خبر مبتدأ محذوف ومعنى المترجمة هو المسماة باسم، فإن بعض القرآن قد لا يسمى باسم مخصوص إلا أنه يتناول الطائفة التي تسمى باسم مخصوص كالحزب والعشر والآية فاحترز عنها بقوله أقلها ثلاث آيات والسورة في الأصل اسم لكل منزلة من منازل البناء وطبقاتها وسمّيت الطائفة المذكورة سورة لكونها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى وأقصر السور سورة الكوثر لأنها أقل حروفًا من السور التي هي ثلاث آيات. والفاتحة في الأصل صفة، ثم نُقِلَت من الوصفية وجُعِلَت اسمًا لأول الشيء لأن فتح الشيء والدخول فيه إنما يكون بملابسة الجزء الأول منه فكان أول الشيء كالفاتح له بهذا الاعتبار فسُمِّيت السورة الأولى من الكتاب الكريم فاتحة الكتاب لذلك، والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية لا لتأنيث الموصوف المقدّر كالقطعة مثلًا إذ لا حاجة إلى تقديره وإضافة السورة إلى فاتحة الكتاب من قبيل إضافة فاتحة الكتاب لأميّة، كما في قولك جزء الشيء ويد زيد لا بمعنى من لأن المضاف إليه ليس كليًّا صادقًا على المضاف كما في خاتم فضة، وما أُضيف إليه الفاتحة هٰهنا وهو الكتاب ليس كليًّا صادقًا على الفاتحة بل هو كل مركب من الفاتحة وسائر السور لأن كون الفاتحة أول الكتاب إنما هو بالقياس إلى الكل لا إلى الكلي فوجد مصداق كون الإضافة لأمية وهو عدم كون المضاف إليه ظرفًا للمضاف ولا صادقًا محمولًا عليه كما في قولك يد زيد.

مكيّة وقيل: مدنية، والأصح أنها مكيّة ومدنية، نزلت بمكة حين فرضت الصلاة (ثم نزلت) بالمدينة (حين حوّلت القبلة) إلى الكعبة. (وتُسمى أم القرآن) للحديث قال ﷺ «لا صلاة لمَن لم يقرأ بأُم القرآن» (أو لاشتمالها على المعاني التي في القرآن)، وسورة الوافية والكافية (لذلك)، وسورة الكنز لقوله ﷺ حاكيًا عن الله تعالى: «فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي»، وسورة الشفاء والشافية لقوله ﷺ «فاتحة الكتاب شفاء (من كل) داء إلا السام»، وسورة المثاني (لأنها تُثنى)

قوله: (ثم نزلت)... الخ سبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها. **قوله:** (حين حُوِّلت القبلة) على المجهول إلى الكعبة وقد صلّى النبي ﷺ في المدينة إلى بيت المقدس سبعة أو ستة عشر شهرًا تأليفًا لليهود ثم حُوِّل إلى الكعبة. **قوله:** (وتسمى أم القرآن): عطف على ما يُفهَم مما سبق بحسب اقتضاء المعنى فإنه يُفهَم من قوله سورة فاتحة الكتاب أنها تسمى بهذا الاسم.

قوله: (أو لاشتمالها على المعاني التي في القرآن) من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبّد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد، والمراد من الثناء عليه بما هو أجلّ الصفات الكمالية له قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: الآيات ٢ ـ ٤]، والتعبّد الاستعباد، وهو تصيير الشخص كالعبد بتكليفه بالأمر والنهي، يقال: عبدني فلان تعبيدًا واعتبدني اعتبادًا وأعبدني إعبادًا وتعبّدني تعبّدًا، والكل بمعنى استعبدني. ومعنى التعبّد مفهوم من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] لأن عبادة المكلفين من لوازم تعبّده تعالى إياهم بأمره ونهيه. وأما بيان وعده لأهل الطاعة ووعيده للعصاة فهو مفهوم من قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧]، أو من قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٤] أي الجزاء المتناول للثواب والعقاب. **قوله:** (لذلك): أي لاشتمالها على ما ذكر.

قوله: (من كل) داء جسماني وروحاني إلا السَّام أي الموت. **قوله:** (لأنها تُثَنَّى) في كل صلاة، ويُقرَأ بها في كل ركعة. وقيل: لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة وادّخرها لهم لم يُنزلها على غيرهم. وقيل: لأنها أُنزلت مرتين.

في كل صلاة، وسورة الصلاة **(لما يروى ولأنها تكون واجبة أو فريضة، وسورة الحمد والأساس)** فإنها أساس القرآن. قال ابن عباس ﵄: إذا اعتللت أو اشتكيت **(فعليك)** بالأساس. **(وآيها سبع بالاتفاق)**.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

قوله: (**لِما يُرْوَى**): أراد قوله: قسمت الصلاة. **قوله**: (**ولأنها تكون واجبة**) كما عند الحنفيّة، (**أو فريضة**) كما عند الشافعية. **قوله**: (**وسورة الحمد**) لافتتاحها بالحمد لله. **قوله**: (**والأساس**)... الخ لأنها لمّا كانت كلها أصل القرآن كان ما عداها من القرآن، كأنه مبني عليها فكانت هي أساسًا لما عداها. **قوله**: (**فعليك**): أي فَاستَمْسِك بالأَسَاس، أي الفاتحة لأنها شفاء من كل داء.

قوله: (**وآيها سبع بالاتفاق**)، ذكر في التيسير أن هذه السورة ثمان آيات في قول الحسن البصريّ، وستُّ آيات في قول حسين الجعفي، وسبع آيات في قول الجمهور من أهل العلم. فالحسن رحمه الله عدَّ التسمية و﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آيتين وتركهما الجعفي، والباقون اتفقوا على أنها سبع آيات لكن أصحابنا عدّوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آية، وقالوا: ليست[1] التسمية من الفاتحة، والإمام الشافعي رحمه الله تعالى جعلها من الفاتحة ولم يجعل ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آية إلى هٰهنا كلامه. فلا بدّ أن يكون مراد المصنِّف ﵀ بالاتفاق على كونها سبع آيات اتفاق الجمهور، فإن مخالفة واحد أو اثنين للجمهور يسمَّى خلافًا لا اختلافًا فلا يخرج الحُكم به عن كونه متفقًا عليه.

(١) في البخاري باب غير المغضوب عليهم ولا الضالين... الخ. قال شارحه القسطلاني: وإنما جعل لها ترجمة لأنها آية مستقلة عند من قال: إن البسملة ليست من الفاتحة، وبعضهم جعل البسملة منها، وجعل غير المغضوب عليهم... الخ. ثامنة، وبعضهم جعلها ستّ آيات والبسملة ليست منها، انتهى. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية (**ليست بآية من الفاتحة**) ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت (**للفصل**) والتبرّك للابتداء بها، وهو مذهب (**أبي حنيفة**) ومَن تابعه رحمهم الله، ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقرّاء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه (**الشافعي**) وأصحابه رحمهم الله، ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه. وعن (**ابن عباس**) ﷺ: (**مَن تركها فقد ترك**) مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله. ولنا حديث أبي هريرة قال: سمعت النبيّ عليه السلام يقول: «قال الله تعالى: (**قسمت الصلاة ـ أي الفاتحة ـ بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالى: أثنى عَلَيَّ عبدي**.

قوله: (**ليست بآية من الفاتحة**): ولكنها آية في الصحيح ولهذا يحرم على الجنب قراءة التسمية على قصد قراءة القرآن. **قوله**: (**للفصل**) بين السور. **قوله**: (**أبي حنيفة**) النعمان بن ثابت أعلم أهل زمانه، وُلِد سنة ثمانين، ومات سنة خمسين ومائة رضي الله عنه. **قوله**: (**الشافعي**) محمد بن إدريس الإمام الأعلم، وُلِد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة أربع ومائتين رضي الله عنه. **قوله**: (**ابن عباس**): أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**مَن تركها فقد ترك**)... الخ، كأنه اعتقد كونها آية من سورة براءة أيضًا، أو اعتبر نزول الفاتحة مرتين مصدَّرة بالتسمية أو أراد الترك مطلقًا حتى في أثناء سورة النمل فإنه يستلزم ترك الآية أو أراد بالترك عدم الإتيان ولو في محل لا ثبوت فيه كسورة براءة وح يصير المتروك مائة وأربع عشرة آية وهذا ضعيف جدًا.

قوله: (**قسمت الصلاة: أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين**)؛ التنصيف ينصرف إلى آيات السورة لأنها سبع آيات؛ ثلاث ثناء وثلاث سؤال والآية المتوسطة نصفها ثناء ونصفها دعاء (**ولعبدي ما سأل**)، أي لذاتي ما وصف من الثناء ولعبدي ما سأل من الدعاء (**فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٢]، **قال الله تعالى: حَمِدَني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٣]) بالجر على الحكاية (**قال الله تعالى: أثنى عليَ عبدي**)،

وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال: **مجّدني عبدي**. **وإذا قال**: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قال: **هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال**: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» فالابتداء بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة، وإذا لم تكن من

ظاهره أن المراد بالحمد الشكر وأن الإثناء بجلائل الرحمة الآلية ودقائق العواطف الربانية التي أخرجت الخلق من ظلمة العدم إلى نور الوجود ليتسارعوا إلى مرضاته وليتزوّدوا في المسير إلى دار الجزاء ودرجات جنانه، (**وإذا قال**: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتِحَة: الآية ٤])، أي الجزاء (**قال: مجّدني**)، أي عظّمني (**عبدي**)، والتمجيد نسبة إلى المجد وهو الكرم أو العظمة. قال النووي: التمجيد الثناء بصفات الجلال ووجه مطابقته لقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتِحَة: الآية ٤] هو أنه تضمن أن الله تعالى هو المنفرد بالمُلْك فيه كما في الدنيا، وفي هذا الاعتراف من التعظيم والتفويض للأمر ما لا يخفى، (**وإذا قال**: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٥])، أي نخصك بالعبادة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٥]، أي نخصّك بالاستعانة على العبادة وغيرها (**قال: هذا بيني وبين عبدي**)، لأن العبادة لله تعالى والاستعانة من الله تعالى (**ولعبدي ما سأل**)، أي بعد هذا، (**فإذا قال**: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتِحَة: الآية ٦]) ثبّتنا على دين الإسلام أو طريق متابعة الحبيب عليه السلام ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٧] من النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وهذا يدلّ على مذهب البصريين في الوقوف من أن ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٧] آية بخلاف الكوفيين بناء على أن الفاتحة سبع آيات ولم يذكر البسملة في هذا الحديث (﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٧]): أي اليهود، (﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٧]): أي النصارى، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل أي غير هذا والمعنى هذا ونحو هذا فاندفع ما قاله بعض مَن لا علم عنده لا فائدة في الدعاء لأن المدعو إن قدر وقوعه فهو واقع وإن فقد الدعاء وإلا فهو غير واقع وإن وقع الدعاء وهذا يرشد إلى سرعة إجابته. قلت: وإلى الرجاء إلى إجابة سائر حاجة.

الفاتحة لا تكون من غيرها (**إجماعًا، والحديث مذكور في صحاح المصابيح**).

قوله: (**إجماعًا**) لعدم القائل بالفصل. **قوله**: (**والحديث**[١] **مذكور في صحاح المصابيح**)، أي مصابيح السُّنَّة للإمام محيي السُّنَّة قامع البدعة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء[٢] البغوي[٣] الشافعي المتوفَّى سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة، قيل: عدد أحاديثه أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة عشر حديثًا منها المختص بالبخاري ثلثمائة وخمسة وعشرون حديثًا وبمسلم ثمانمائة وخمسة وسبعون حديثًا، ومنها المتفق عليه ألف وإحدى وخمسون حديثًا والباقي من كتب أخرى أوله الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى... الخ. قيل: المؤلف لم يُسَمِّ هذا الكتاب بالمصابيح نَصًّا منه وإنما صار هذا الاسم علمًا له بالغلبة من حيث أنه ذكر بعد قوله: أما بعد... إن أحاديث هذا الكتاب مصابيح... الخ لكن ذكر أن عدد الأحاديث المذكورة فيه أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وثمانون حديثًا. منها ما هو من الصِّحاح ألفان وأربعمائة وأربعة وثلاثون حديثًا. ومنها ما هو من الحِسان وهو ألفان وخمسون حديثًا قاله ابن مالك. وقسم المؤلف رحمه الله تعالى أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان، وعنى بالصحاح ما رواه الشيخان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري[٤] في صحيحيهما أو أحدهما وبالحِسان ما رواه أبو داود وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي[٥] وغيرهما من الأئمة كالنَّسَائي[٦]

---

(١) في مشكاة المصابيح، رواه مسلم، انتهى، قال ميرك واللفظ له، رواه الأربعة، انتهى. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) أي صانع الفرو وبايعه، وهذا نعت لأبيه كان ذلك صنعته، وفرو بالفتح، منه عُفِي عنه.

(٣) منسوب إلى بغ، وقيل: منسوب إلى بغشور، قرية بين مرو وهرات في حدود خراسان، والاسم المركب تركيبًا مزجيًا ينسب إلى جزئه الأول كمعدي في معديكرب وبعلي في بعلبك، وإنما جاءت الواو في النسب إجراءً للفظة بغ مجرى محذوف العجز كالدموي لئلا يلتبس بالبغي بمعنى الزنى، وقيل: إنه منسوب على خلاف القياس، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٤) قوله القشيري بالتصغير، نسبة إلى بني قشير، قبيلة من العرب، ١٢ عُفِي عنه.

(٥) نسبة بمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٦) بفتح النون والمد كما في جامع الأصول وبالقصر كما في طبقات الفقهاء، نسبة إلى بلد بخراسان، ١٢ عُفِي عنه.

وما ذكروا لا يضرّنا لأن التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره (**فخر الإسلام في المبسوط**). وإنما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية في القرآن وتمام تقريره في «الكافي».

وتعلّقت الباء بمحذوف تقديره: باسم الله أقرأ (**أو أتلو، لأن الذي يتلو التسمية**) مقروء كما أن المسافر (**إذا حلّ أو ارتحل**) فقال باسم الله (**والبركات**) كان

والدارمي[١] وابن ماجه[٢] وما كان فيهما من ضعيف أو غريب أشار إليه وأعرض عن ذكر ما كان منكرًا أو موضوعًا هذا هو المشروط في الخطبة لكن ذكر في آخر باب مناقب قريش حديثًا وقال في آخره: منكر وقد ألحقه بعض المحدّثين قال النووي[٣] في التقريب وأما تقسيم البغوي إلى حِسان وصحاح مريدًا بالصحاح ما في الصحيحين وبالحِسان ما في السنن فليس بصواب لأن في السنن الصحيح والحسن والضعيف والمنكر. انتهى. وأُجيب بأنه اصطلح عليه في كتابه ولا مناقشة فيه.

قوله: (**فخر الإسلام**) علي بن محمد البزدوي المتوفّى سنة ٤٨٢ اثنين وثمانين وأربعمائة. **قوله**: (**في المبسوط**) هو في إحدى عشر مجلدًا. **قوله**: (**أو أتلو**) من التلاوة. **قوله**: (**لأن الذي يتلو التسمية**) أي الشيء الذي يتبع التسمية، أي يوجد بعدها مقروء في حاشية العلّامة الشهاب على تفسير البيضاوي رحمة الله عليهما مقروّ بتشديد الواو وتخفيفها قبل همزة لأنه يقال: صحيفة مقروّة ومقروءة ومقروية. اهـ. **قوله**: (**إذا حلّ**) في منزل (**أو ارتحل**)[٤] عن المنزل عطف على حل. **قوله**: (**والبركات**): أي مع البركات. **قوله**: كان. اهـ. جواب إذا. **قوله**:

---

(١) بكسر الراء نسبة إلى دارم بن مالك، بطن كبير من تميم، يعني أبا عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) يعني أبا عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه بإثبات الألف خطأ فإنه بدل من ابن يزيد ففي القاموس، ماجه لقب والد محمد بن يزيد صاحب السنن لا جده وفي شرح الأربعين أن ماجه اسم أُمه، القزويني بفتح القاف، نسبة إلى بلد معروف، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) أي الإمام محيي الدين يحيىٰ بن مشرف، في التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير والنذير في أصول الحديث، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٤) أي حاول الارتحال. ١٢ منه.

(المعنى باسم الله) أحلّ وباسم الله أرتحل، **(وكذا الذابح)** وكل فاعل **(يبدأ)** في فعله باسم الله **(كان مضمرًا)** ما جعل التسمية **(مبدأ له. وإنما قدّر المحذوف متأخرًا)** لأن الأهم من الفعل **(والمتعلق به)** هو المتعلق به، **(وكانوا)** يبدأون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزّ وجلّ بالابتداء **(وذو)** بتقديمه **(وتأخير الفعل)**. وإنما قدم الفعل في (﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) [العلق: الآية ١] **(لأنها أول سورة)** نزلت في قول، وكان الأمر بالقراءة أهم **(فكان تقديم الفعل أوقع)**. ويجوز أن يحمل ﴿ٱقْرَأْ﴾ على معنى افعل القراءة **(وحققها)** كقولهم **(فلان يعطي ويمنع غير متعدٍ إلى مقروء به**، وأن

(المعنى) أي المراد من قوله بسم الله. **قوله**: **(بسم الله)** أحُلّ من باب قعد. **قوله**: **(وكذا الذابح)** إذا قال: بسم الله، تقديره بسم الله أذبح. **قوله**: **(وكذا)**: أي مثل المسافر. **قوله**: **(يبدأ)**: صفة كل فاعل. **قوله**: **(كان)** كل واحد منهما. **قوله**: **(مُضْمِرًا)**: أي مقدّرًا. **قوله**: **(مبدأ له)**: أي لفعله. **قوله**: **(وإنما قدّر المحذوف)** وهو الفعل العامل **(متأخرًا)** عن المتعلق مع أن العامل واجب التقديم على المعمول غالبًا. **قوله**: **(والمتعلق به)** بكسر اللام. **قوله**: **(وحقّقها)** أمر من التفعيل بمعنى أثبتها. **قوله**: **(فلان يعطي)**: أي يفعل فعل الإعطاء، **(ويمنع)**: أي فلان يفعل فعل المنع.

قوله: **(غير مُتَعَدٍّ إلى مقروء به)**: أي حال كون فعل القراءة غير متعدٍّ إلى المقروّ به وهو ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١]. **قوله**: **(وأن يكون)** عطف على قوله أن يحمل ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١] المذكور بعد ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: الآية ١] الأول **(مفعول ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: الآية ٣])** الثاني **(الذي)** يذكر **(بعده)**، أي بعد المعمول وهو ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١]. **قوله**: **(وكانوا)**: أي المشركون. **قوله**: **(وذو)** أي الاختصاص بتقديمه أي بسم الله **(وتأخير الفعل)** لأن تقديم ما حقّه التأخير يوجِب الاختصاص. **قوله**: **(لأنها أول سورة)**... الخ أي لأن سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾ أول سورة نزلت من القرآن إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: الآيات ١ ـ ٥] على القول الأصح ولا يعارضه ما قيل من أن أول ما نزل من القرآن هو الفاتحة لأن المراد منه أن أول سورة نزلت بتمامها هي سورة الفاتحة ولا ينافيه بعض من سورة أخرى قبل الفاتحة فلما كان قوله تعالى: (﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: الآيات ١ ـ

يكون) ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (مفعول) ﴿ٱقْرَأْ﴾ (الذي بعده. واسم الله يتعلّق بالقراءة تعلّق الدهن بالإنبات في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠] (على معنى متبرّكًا باسم الله أقرأ) ففيه تعليم عباده كيف يتبرّكون باسمه وكيف يعظّمونه. وبنيت الباء على الكسر (لأنها تلازم الحرفية والجرّ) فكسرت لتشابه حركتها عملها، والاسم من الأسماء التي (بنوا) أوائلها على السكون كالابن والابنة (وغيرهما)؛ فإذا (نطقوا بها مبتدئين) زادوا همزة (تفاديًا) عن الابتداء بالساكن

٥] أول ما نزل من القرآن ليقرأ ويتدبر آياته كان الأمر بالقراءة أهم فيه والأهم أقدم فإن اسم الله تعالى من حيث إنه اسمه وإن كان أهم عند المؤمن على كل حال إلا أنه قد يكون شيء آخر أهم بحسب خصوصية المقام فيقدم عليه غيره لاقتضاء المقام تقديمه. **قوله**: (فكان تقديم الفعل أوقع): أي أحسن وقوعًا بالنسبة إلى تقديمه. **قوله**: (واسم الله يتعلق بالقراءة تعلّق الدّهن بالإنبات في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠]) أي تَنْبُتُ ملتبسًا بالدّهن ومستصحبًا له وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية ﴿تُنبِت﴾ وهو إمّا من أَنْبَتَ بمعنى نبت أو على تقدير تُنبِتُ زيتونها ملتبسًا بالدهن ـ يعني أن الباء[1] للمصاحبة ـ أي للملابسة، والتقدير ملتبسًا باسم الله اقرأ إلا أن المصنف رحمه الله تعالى أراد أن يبيّن أن ملابسة القراءة بالله تعالى إنما هي على وجه التبرّك به تعالى فلذلك قال: (على معنى متبرّكًا باسم الله اقرأ) فإن هذه العبارة بظاهرها تُشعِر أن الباء صلة التبرك المحذوف وأن الظرف لغو وليس كذلك بل هو مستقر متعلق بما هو من الأفعال العامة أي ملتبسًا باسم الله اقرأ والتبرّك إنما قُدِّر لبيان أن ملابسة القراءة باسم الله تعالى إنما هو على وجه التبرّك به.

قوله: (لأنها تلازم الحرفية والجر) احترز بالأول عن كاف التشبيه لأنه قد يكون اسمًا بمعنى المثل وبالثاني عن الواو لأنه يجيء للعطف أيضًا. **قوله**: (بنوا): أي العرب. **قوله**: (وغيرهما) كامرؤ وامرأة واثنين واثنتين وغيرهما. **قوله**: (نطقوا بها): أي بالأسماء. **قوله**: (مبتدئين): حال. **قوله**: (تفاديًا).اهـ. في القاموس تَفادَى منه تَحاماه.اهـ. أي تباعد أو احترز.

---

(١) هذا أَوْلى تحاشيًا عن جعل اسمه تعالى آلة. ١٢ منه.

تعذّرا، **(وإذا وقعت)** في الدرج لم يفتقر إلى زيادة شيء. **(ومنهم)** مَن لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال: («سم») و(«سم» **وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله** «سمو» **بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت. واشتقاقه من السمو)** وهو الرفعة لأن التسمية **(تنويه)** بالمسمّى **(وإشادة)** بذكره، وحذفت

قوله: (وإذا وقعت): أي الأسماء. **قوله: (ومنهم)**: أي من العرب. **قوله: (سُمٌّ وسِمٌّ)** بضم السين وكسرها. **قوله: (وهو من الأسماء[١] المحذوفة الأعجاز)**، أي التي حذفت أعجازها، أي أواخرها لكثرة الاستعمال. **قوله: (كيدٍ ودم)** فإن أصل دم دمو بفتحتين، وقال سيبويه: أصله دمي بسكون الميم لأنه يجمع علىً دِماء، مثل ظبي وظباء. وقال المُبَرّد: أصله فعل بالتحريك وإن جاء جمعه مخالفًا لنظائره الذاهب منها الياء بدليل قولهم: دمى يدمي، مثل رضي يرضى، وقولهم في التثنية: دميان. وبعض العرب يقول في تثنية دموان وأصل يد يدي على فعل ساكنة العين لأن جمعه أيدي، مثل فلس وأفلس، فكذا لفظ اسم من الأسماء التي حذفت أواخِرها عند البصريين لا من الأسماء التي حذفت أوائلها كما ذهب إليه الكوفيون. **قوله: (وأصله سمْوٌ)**، وقيل: سمْي. واختلف في وزن أصله أهو فعل بكسر الفاء أو فعل بضمها وكل واحد منهما يجمع على أفعال كجِذْع وأجذاع، وقفل وأقفال، فجمع اسم على التقديرين أسماء. **قوله: (بدليل تصريفه كأسماء)** جمعه (وسُمَيّ) تصغيره (وَسَمَّيْتُ)[٢] فعله فلو كان أصله وِسْمًا كما ذهب إليه الكوفيون لكان جمعه أوسامًا وتصغيره وُسَيْمًا وفعله وَسَّمْتُ. **قوله: (واشتقاقه من السُمُوّ)**[٣] مشددًا كالعلو وزنًا ومعنى عند البصريين ومن السِّمَة بكسر السين بمعنى العلامة عند الكوفيين. **قوله: (تَنْوِيْه)**: أي رفع إلى الأذهان. **قوله: (وإشادة)**: أي رفع الصوت.

---

(١) حذفوا عجزه، كما في يد ودم فبقي حرفان أولهما متحرك والثاني ساكن، فلما حرّك الساكن للإعراب أسكن المتحرّك للاعتدال فاحتيج إلى همزة الوصل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) أو سموت مثل عليت وعلوت وسليت وسلوت. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله إذ ليس إسكان السين ورُدَّ بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم، بل عهدت على محذوف العجز كابن والمعهود في محذوف الصدر إلحاق التاء كعدة. ١٢ منه عُفِي عنه.

الألف في الخط هنا وأثبتت في قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ **(لأنه)** اجتمع فيها ـ أي في التسمية ـ مع أنها تسقط **(في اللفظ كثرة الاستعمال)**، وطوّلت الباء عوضًا عن حذفها، وقال **(عمر بن عبد العزيز)** لكاتبه: **(طول الباء)** وأظهر السينات ودور

قوله: **(لأنه)** اجتمع فيها.اهـ. قال أبو البقاء: فلو قلت لاسم الله أو باسم ربّي أثبت الألف. **قوله**: **(في اللفظ)**: أي في الدرج. **قوله**: **(كثرة الاستعمال)** فاعل لقوله اجتمع، أي اجتمع فيها كثرة الاستعمال تلفّظًا وكتابة وكثرة الاستعمال تقتضي التخفيف من أيّ وجه كان مع أنها لم تترك بالكلية بل إنها لمّا حذفت بعد الباء طوّلوا هذا الباء ليدلّ طولها على الألف المحذوفة التي على صورتها الأصلية. وقيل: إنما طوّلوا الباء لأنهم ما أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله تعالى إلا بحرف أعظم. **قوله**: **(عمر بن عبد العزيز)** بن مروان بن الحكم القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو حفص وُلِد بالمدينة سنة ستين عام توفي معاوية بن أبي سفيان أو بعده بسنة كذا في مورد اللطافة وفي حياة الحيوان مولده بالبصرة سنة إحدى وستين أُمه أُم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو تابع جليل روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ﷺ. وروى عنه جماعة وكان رضي الله تعالى عنه صالحًا ورعًا زاهدًا فقيهًا. قال الشافعي رحمه الله تعالى: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم، توفي يوم الجمعة لخمس بقين، وقال أبو عمرو بن الضرير: لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان من أعمال حمص. وقال الذهبي: من أعمال قِنسرين وقبره ظاهر يزار وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر. وقال الذهبي: عمره أربعون سنة وخلافته سنتان وخمسة أشهر كأبي بكر الصّدّيق رضي الله تعالى عنه. وفي سيرة مغلطاي مدة مكثه في الخلافة ثلاثون شهرًا وصلّى عليه ابن عمّه يزيد بن عبد الملك الذي تخلّف بعده. قال الذهبي في تاريخه عن يوسف بن ماهك قال: بينما نحن نُسَوِّي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا كتاب رق من السماء فيه بسم الله الرحمٰن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار. **قوله**: **(طوّل الباء)**... الخ تعظيمًا لكتاب الله تعالى بل محافظة على تفخيم الاسم نظرًا إلى جلالة ما أُريد به من أسماء الله المعظّمة بعظمة مسمّاها. **قوله**: وأظهر السين: أي فرّق بين أسنانها، والمعنى وأظهر أسنان حرفي السين،

الميم، والله (**أصله الإلـه ونظيره الناس أصله الأناس، حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف**). والإلـه من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو

وفي نسخة وأظهر السِيْنَات، أي السنات تسمية للجزء الذي هو العمدة باسم الكل إذ ما عدا السنات يطرح في الدرج كذا أفاده سعد الملّة والدين التفتازاني رحمه الله.
قوله: (**أصله الإلـهَ**): أي بغير الألف واللام يدل عليه قوله وعوض منها... الخ.
قوله: (**ونظيره الناسُ أصله الأنَاسُ**) لما حذفت همزة أناس عوِّض عن الهمزة المحذوفة الألف واللام ولذا لا يجمع بينهما إلا بطريق الندرة والشذوذ كما في قوله:

إن المنايا يَطَّلِعن على الأناس الآمِنِيْنَا

فتذرهم شَتَّى وقد كانوا جميعًا وافرينا

والمعنى أن الموت يجيء حال غفلتهم وأمنهم منه يجعلهم متفرقين بعد أن كانوا مجتمعين وافرين لفظ البيت خبر ومعناه تحسر. **قوله**: (**حذفت الهمزة**)... الخ، أي حذفت على خلاف القياس لأن المحذوف قياسًا في حكم المثبت فلا يعوّض عنه بشيء. **قوله**: (**وعوّض منها حرف التعريف**): أي الألف واللام ولذلك قيل في النداء يَا اَللهُ بالقطع، أي ولكون الألف واللام عِوَضًا عن حرف أصلي وكون الألف جزءًا من العوض كانت بمنزلة الحرف الأصلي فقطعت لذلك وهذا الدليل يقتضيْ أن تكون همزة الجلالة همزة قطع مطلقًا أي حالتي النداء وغيرها وأن لا تسقط في الدرج أصلًا مع أنها تسقط في الدرج في غير النداء نقل عن الخليل أنه قال: أصل هذه الهمزة القطع لأنه إنما جيء بها لأجل التعويض لا للتعريف إلا أنها أُسقِطت في الدرج في غير النداء طلبًا للخفّة لكثرة استعمال اللفظ الشريف ولم تسقط حالة النداء لأن إسقاطها فيها يوهم كونها أداة التعريف وأن إثباتها فيها يستلزم اجتماع أداتي تعريف فأثبت حالة النداء رعاية لما هو الأصل فيها وهو كونها للقطع مع أن إسقاطها فيها طلبًا للخفة يُوهم خلاف الواقع وهو كونها أداة التعريف. **واعلم** أنه كما تحيَّرت الأوهام في ذات الله تعالى وصفاته كذلك تحيَّرت في اللفظ الدّالّ عليه أنه هل هو اسم أو صفة مشتق أو غير مشتق علم أو غير علم إلى غير ذلك، والمراد بكون لفظ الجلالة مشتقًا كونه مأخوذًا من

باطل **(ثم غلب على المعبود بالحق)**، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب

أصل بنوع تصرف فيه لا المشتق الذي يذكر فيه مقابلة أسماء الأعلام وأسماء الأجناس فإنه من قبيل الصفة كالضارب والمضروب وقد ذكر كونه اسمًا مشتقًّا منها في مقابلة كونه صفة مشتقة.

واعلم أيضًا أن الاسم المقابل للفعل والحرف ينقسم إلى اسم وصفة بأن يقال الاسم إما أن يكون موضوعًا لذات معينة بلا اعتبار معنى من المعاني المتعلقة بها كالفرس والعلم أو يكون موضوعًا لها باعتبار معنى كذلك كالرجل الموضوع للإنسان مع معنى الذكورة وكالأحمر إذا جعل علمًا لشخص فيه حمرة وكأسماء الزمان والمكان والآلة والإمام والكتاب، وإما أن يكون موضوعًا لذات مبهمة مع معنى معين كالضارب والمضروب والحسن والأحسن والأحمر لغير الأعلام. ويقال للقسم الأول: اسم، وللثاني: صفة، فإن الأمثلة المذكورة للقسم الأول موضوعة لذات اعتبر فيها نوع تعيّن بخلاف نحو الضارب والمضروب، فإن الذات الملحوظة في مفهومه ليس شائبة التعيّن بل هي معتبرة على وجه الإبهام بناء على أن الغرض الأصلي فيه الدلالة على المعنى المتعلّق بها واعتبار الذات المبهمة إنما هو لضرورة أن المعنى لا يقوم بذاته بخلاف نحو الإمام فإن المقصود فيه الدلالة على الذات المتعيّنة بما تعلق بها من المعنى، والمراد بالذات هٰهنا ما هو المستقل بالمفهومية سواء كان قائمًا بنفسه كالفرس، أو بغيره كالعلم، وبالمعنى ما لا يكون كذلك لاشتماله على نسبة مّا وبالذات المعينة ما اعتبر فيها تعين مّا شخصيًا كان أو نوعيًا أو جنسيًا وبالمبهمة خلافها والاسم جنس تحته أنواع ثلاثة أسماء الأعلام وأسماء الأجناس والأسماء المشتقة لأنه إما أن يكون نفس تصوّره معناه مانعًا من الشركة أو لا يكون. والأول هو العلم، والثاني إما أن يكون المفهوم منه نفس الماهية من حيث هي أو بشيء ما موصوفًا بالصفة الفلانية، والأول اسم الجنس، والثاني الاسم المشتق، ويقال له: الصفة، وهي ما دلّ على ذات مبهمة باعتبار بعض معانيه وأوصافه. **قوله: (ثم غلب[1] على المعبود بالحق)**: أي ثم غلب الإلٰه المعرّف باللام على ذات الواجب وجوده فصار علمًا له بالغلبة ينصرف إليه اللفظ

---

(١) ثم غلب آه بأن استعمل بإدخال لام العهد عليه في ذاته تعالى. ١٢ منه عُفِي عنه.

(على الثريا). وأما الله بحذف الهمزة فمختصّ بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره، وهو اسم غير صفة (لأنك تصفه) ولا تصف به، لا تقول شيء إلـه كما لا تقول شيء رجل، وتقول (الله واحد صمد، ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري) عليه (فلو جعلتها) كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف

عند إطلاقه كسائر الأعلام الغالبة ثم أُريد تأكيد اختصاص لفظ الإلـه به تعالى بتغييره فحذفت الهمزة منه ثم أدغم لام التعريف في لام الأصل فصار لفظ الله آكد اختصاصًا بالمعبود بحق بسبب حذف الهمزة والإدغام فالإلـه قبل حذف الهمزة وبعده علم للذات المقدس لكنه قبل الحذف أُطلق على غيره تعالى إطلاق النجم على غير الثريا، وبعدُ لم يطلق على غيره أصلًا فإن الأعلام الغالبة تخالف الأعلام القصدية من حيث إن علمية الأعلام الغالبة اتفاقية لم يكن اختصاصها بأشهر أفراد الجنس إلا لكثرة استعمالها فيه وذلك لا يُنافي جواز إطلاقها على غيره بخلاف الأعلام القصدية فإنها بسبب كونها موضوعة ابتداء لفرد معين من أفراد الجنس لا يجوز إطلاقها على غيره. قوله: (على الثريا): العرب تسمّي الثريا نجمًا وإن كانت في العدد نجومًا يقال إنها سبعة أنجم؛ ستة ظاهرة وواحدة خفيَّة يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عِياض أن النبي ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا. قوله: (لأنك تصفه): أي تورد له الوصف وتجعله موصوفًا به ولا تصف به بأن تجعلها صفة لشيء. قوله: (الله واحد صمد): أي مقصود في الحوائج على الدوام، أي فعل بمعنى مفعول وهو الموصوف به على الإطلاق، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع حالاته. قوله: (ولأن صفاته تعالى) عطف على قوله: لأنك... الخ (لا بد لها من موصوف تجري) أي الصفات عليه... الخ فإن قانون الوضع اللغوي واستعمالات العرب يقتضيان أن يسمَّى كل شيء من الأشياء المعتبرة باسم موضوع لذاته المخصوصة وأن يجري عليه ما فيه من المعاني والأوصاف القائمة به وإن لم يجب ذلك عقلًا لجواز أن يتصور الشيء بوجه ما من غير أن يتصور ذاته المخصوصة وتوضع ألفاظ دالّة على ما فيه من المعاني من غير أن يوضع ما يدلّ على ذاته المخصوصة ولا يصلح لأن يكون اسمًا لذاته المخصوصة من بين أسمائه تعالى سوى لفظ الجلالة لعدم ظهور معنى الوصفية فيه بخلاف سائر أسمائه الحسنى فإنها صفات مشتقة بلا خفاء. قوله: (فلو جعلتها): أي الأسماء

بها (وذا) لا يجوز. ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل.

وقيل: معنى الاشتقاق **(أن ينتظم الصيغتين)** فصاعدًا **(معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة)** قولهم: «أله» إذا تحيّر ينتظمهما **(معنى التحيّر والدهشة، وذلك أن الأوهام تتحيَر في معرفة المعبود)** وتدهش **(الفطن ولذا كثر الضلال وفشا)** الباطل وقلّ النظر الصحيح. وقيل: **(هو من قولهم اله)** يأله إلاهًا إذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: الآية ١١] أي مخلوقه. **(وتفخّم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، وترقق إذا كان قبلها كسرة.**

الإلٰهية كلها تأكيد للضمير المنصوب صفات مفعول ثانٍ للجعل. **قوله**: (وذا): أي عدم إجراء الصفات على الموصوف. **قوله**: **(أن ينتظم)** أي يشتمل **(الصيغتين)** لم يقل اللفظين ليشعر بأن المراد اعتبار التعدّد في مجرد الصيغة والهيئة دون المادة وجوهر الحروف كأنه قال: الصورتين اللتين لهما مادة واحدة، ألا ترى إلى قوله: وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم الروح لا يرد المترادفان ولا يحتاج إلى زيادة قيد الاتحاد في الحروف الأصول ولا إلى الجواب بأنه ترك لشهرته أو لأنه لم يقصد تعريف الاشتقاق بل ببيان ما يحتاج إليه في الدلالة على اشتقاق هذا الاسم. **قوله**: **(معنى واحد)** فاعل لقوله أن ينتظم. **قوله**: **(وصيغة هذا الاسم)**: أي إلٰه. **قوله**: **(وصيغة)** قولهم ألِهَ بكسر العين. **قوله**: **(معنى التحير والدهشة)**: أي التردّد عطف تفسير للتحيّر. **قوله**: **(وذلك أن الأوهام)**: أي العقول **(تتحيّر في معرفة المعبود)** أي الذي يُعبَد فاتخذ الناس آلهة شتّى وزعم أن الحق ما هو عليه. **قوله**: **(الفِطَن)** جمع الفطنة، وهو الفهم. **قوله**: **(ولذا)**: أي ولتحيّر الأوهام. **قوله**: **(كثر الضلال)** بين الناس. **قوله**: **(فشا)**: أي ظهر. **قوله**: (هو): أي اسم الله بدون لام التعريف إذ لا معنى لاشتقاقه مع لام التعريف مأخوذ **(من قولهم آلَه)** كعَبَدَ وزنا. ومعنى **قوله**: **(وتفخم لامه)** قد ذكر الزجّاج أن تفخيمها سُنَّةٌ أي طريقة مسلوكة متواترة من علماء القراءة. **قوله**: **(إذا كان قبلها فتحة)** نحو إن الله.

قوله: **(أو ضمة)** نحو: يضرب الله. **قوله**: **(وترقّق إذا كان قبلها كسرة)** كما في بسم الله والحمد لله فإن أكثر القرّاء على ترقيق لام الجلالة حينئذ لأنَّ

ومنهم مَن يرققها بكل حال، ومنهم مَن يفخّم بكل حال) والجمهور على الأول. **(والرحمٰن فعلان من رحم)** وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضبًا، **(وكذا)** الرحيم فعيل منه كمريض من مرض. وفي الرحمٰن من المبالغة ما ليس في الرحيم لأن في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمٰن زيادتين، **(وزيادة اللفظ تدلّ على زيادة المعنى، ولذا)** جاء في الدعاء «يا رحمٰن الدنيا» لأنه يعمّ المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» لأنه يخصّ المؤمن.

الانتقال من الكسرة إلى اللام المفخمة ثقيل لأن الكسرة تقتضي التسفّل واللام المفخمة تقتضي الاستعلاء ولا يخفى أن الانتقال من السفل إلى العلو ثقيل وإنما استحسنوا التفخيم في الموضعين فرقًا بين لفظة الله ولفظة اللام في الذكر ولأن التفخيم تشعر بالتعظيم المناسب لاسم الله فإنه يستحق أن يبالغ في تعظيمه ففخّم لامه إن لم يمنع منه مانع، والتفخيم يقال بالاشتراك على ضدّ الترقيق وهو التغليظ وعلى ضد الإمالة والمراد به هٰهنا المعنى الأول. **قوله: (ومنهم مَن يرقّقها بكل حال)** كذا يوجد في بعض النسخ دون بعض. **قوله: (ومنهم مَن يفخّم بكل حال)** سواء كان ما قبلها مفتوحًا أو مضمومًا أو مكسورًا فيفخم في نحو الله أيضًا. **قوله: (والرحمٰن فَعْلان من رَحِمَ)** بكسر العين، فإن قيل: رحم متعدٍّ فكيف يشتق منه الصفة المشبّهة ولا كذلك غضِب ومرِض، قلنا: المتعدّي قد يجعل لازمًا وينقل إلى فعُل بضم العين فيُبنَى منه الصفة المشبهة ذكره صاحب الكشاف في الفائق في فقير ورفيع ألا ترى أن رفيع الدرجات معناه رفيع درجاته لا رافع للدرجات، وكذلك الرب وغيره وليكن هذا على ذكر منك ورحمٰن دررسم الخط بدون ألف بأيدنوشت زيراكه رحمٰن يكي ازنامهاي مسيلمة الكذاب هم است بضم ميم وفتح سين وسكون تحتاني وكسر لام وآن كافري بوده كه بزمانه رسول الله ﷺ دعوى نبوت كرده بود. **قوله: (وكذا)**: أي مثل الرحمٰن. **قوله: (وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى)** غالبًا فلا يرد النقص بالصفة المشبهة فإن حروفه أقل من حروف اسم الفاعل كحذر وحاذِر مع أنها تدلّ على الدوام والثبوت ولا يدلّ اسم الفاعل عليه مع أنه زائد حروفًا. **قوله: (ولذا)**: أي ولكونه مشتملًا على زيادة المبالغة.

وقالوا: الرحمٰن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره، وعام معنى لما بينا. والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخصّ المؤمنين **(ولذا)** قدم الرحمٰن وإن كان أبلغ والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى. يقال: فلان عالم ذو فنون **(نحرير)** لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، ورحمة الله إنعامه على عباده **(وأصلها)** العطف، وأما قول الشاعر **(في مسيلمة)**:

(وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا)

قوله: **(ولذا)**: أي ولأنه خاص اللفظ. **قوله**: **(نِحْرِيْرٌ)**: أي بليغ في العلم. **قوله**: **(وأصلها)**: أي المعنى اللغوي لها العطف[1] أي الميل، والمراد هنا الميل النفساني وهو الشفقة والرقة التي هي من الكيفيات الانفعالية التابعة للمزاج الجسماني والله تعالى مُنَزَّه عن ذلك لكونه مقتضيًا للإمكان فينبغي أن لا يصحّ توصيفه تعالى بالرحمٰن الرحيم والرؤوف والعطوف والغضب ونحوها مما يقتضي مبدؤها أن يكون المتّصف به منفعلًا انفعالًا نفسانيًا ومتكيِّفًا بالكيفيّات النفسانية المستحيلة في حقه تعالى إلا أنه تعالى يُوصَف بذلك باعتبار غايات مأخذها فإن أسماء الله تعالى إنما تؤخَذ باعتبار الغايات التي هي أفعال وآثار يصحّ صدورها عنه تعالى فيُراد بالرحمٰن الرحيم المُحسِن المتفضّل بالإرادة والاختيار قضاءً لحاجة المحتاجين عناية بهم لا باعتبار مباديء تلك الأفعال التي هي انفعالات نفسانية لا يمكن اتّصافه تعالى بها، ولفظ المباديء والغايات إشارة إلى أن محصول الجواب أن إطلاق مثل هذه الأسماء عليه تعالى مجاز مُرسَل من قبيل إطلاق اسم السبب على المُسَبّب، فإن تلك الكيفيات الانفعالية أسباب ومباديء لتلك الأفعال التي هي غايات لها كالرحمة والرقّة اللّتين هما من أسباب الإحسان والتفضيل.

قوله: **(في مُسَيْلِمَة)** الكَذَّاب، وهو مسيلمة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث متبنّى بودد عهد النبي ﷺ. **قوله**:

(وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا)

---

(١) العطف أي التعطف والشفقة والميل الروحاني لا الجسماني. ١٢ منه.

فباب **(مَن تعنتهم)** في كفرهم. ورحمٰن غير منصرف عند مَن زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة، ومَن زعم **(أن الشرط وجود فعلى)** صرفه إذ ليس له فعلى، والأول الوجه.

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل على جهة التفضيل، وهو رفع بالابتداء وأصله النصب. **(وقد قُرىء به)** بإضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة **(في معنى الإخبار)** كقولهم **(شكرًا)** وكفرًا. **(والعدول عن النصب إلى الرفع)** للدلالة

وفي بعض النسخ: غوث الورى... البيت، وأوله:

سَمَوْتَ بالمجد يَا ابنَ أكرمين أبا

قوله: **(مَن تعنّتهم)** العَنَت: الإثم، أي تكلّفهم ومبالغتهم في الإثم، أي الكفر، فلا يلتفت إلى قولهم هذا. **قوله**: **(أن الشرط)** أي شرط منع صرف فَعْلان إذا كان صفة انتفاء فَعْلانةٍ يعني[1] امتناع دخول تاء التأنيث عليه. **قوله**: **(وجود فعلى)** كعطشى.

قوله: **(وقد قرىء به)** أي قُرِىء شاذًا بنصب الدال من الحمد على أنه مفعول مطلق حذف عامله وناب المصدر منابه بإضمار فعله تقديره نحمد الحمد لله ليوافق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] في كون الجملة فعلية، فالنون نون جماعة المتكلمين لأنه مقول على ألسنة العباد لا للتعظيم لأن المقام ليس مقام التعظيم بل إظهار العبودية والتذلّل والاستعانة. **قوله**: **(في معنى الإخبار)** متعلق بأفعال واحترز به عن الإنشاء كقولهم غفرانك لأنه في معنى اغفر لنا غفرانك. **قوله**: **(شكرًا)** أي شكرت شكرًا. **قوله**: **(والعدول عن النصب إلى الرفع)**... الخ لأن الرفع من باب المصادر التي هي أصلها النيابة عن أفعالها يدلّ على الثبوت والاستقرار بخلاف النصب فإنه يدل على التجدّد والحدوث المُستَفاد من عامله الذي هو الفعل فإنه موضوع للدلالة عليه بخلاف الجملة الاسمية فإنها موضوعة

---

(١) قوله يعني الخ فيه رمز إلى أن انتفاء خصوص فعلانة بفتح الفاء غير مقصود حتى يرد أن في عريان بضم العين تحقيق انتفاء فعلانة بفتح الفاء مع أنه منصوب بل المراد عدم قبوله لتاء التأنيث. ١٢ منه عُفِي عنه.

على ثبات المعنى واستقراره والخبر. ﴿لِلَّهِ﴾ واللام متعلق بمحذوف أي واجب أو ثابت. وقيل: (**الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة**) وغيرها. تقول: حمدت الرجل على إنعامه وحمدته (**على شجاعته وحسبه**)، وأما

للدلالة على مجرد الثبوت العادي عن قيد التجدّد والحدوث فناسب أن يقصد بها الدوام والثبات بقرينة المقام ومعونته. فإن قيل: قد تقرر في موضعه أن الجملة الاسمية أنها تفيد الدوام والثبات ولو بالقرينة إذا لم يكن خبرها فعلًا والخبر هٰهنا فعل عند البصريين، وأجيب بأن المختار هٰهنا مذهب الكوفيين وهو تقدير اسم الفاعل ولو سلم فما تقرر إنما يكون فيما إذا كان الخبر فعلًا صريحًا نحو زيد قام والفرق بينه وبين المقدّر ظاهر فظهر أن الثبوت يُستَفاد من الرفع وإخراج الكلام على صورة الاسمية. **قوله**: (الحمد والمدح أخوان)، أي مترادفان. **قوله**: (وهو الثناء) أي الذِّكر بالخير.

قوله: (والنداء) أي رفع الصوت بالثناء. **قوله**: (على الجميل) أي على الفعل الجميل الحَسَن. **قوله**: (من نعمة) بمعنى إنعام في الكشاف في تفسير سورة المُزَّمِّل النعمة بالفتح التنعّم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المَسَرَّة. **قوله**: (على شجاعته) شجاعة بالفتح پردلي ودليري درمخاوف وشدائد للذَّكَر والأُنثى، أو خاصٌّ بالرجال. **قوله**: (وحسبه) الحسب بفتحتين ما يُعَدّ من المآثر وهو مصدر حسب وزان شرف شرفًا وكرم كرمًا. قال ابن السِّكِّيت: الحسب والكرم يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، ورجل حسيب: كريم بنفسه. قال: وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص إلا إذا كانا فيه وفي آبائه. وقال الأزهري: الحسب: الشرف الثابت له ولآبائه. قال: وقوله عليه السلام: «**تُنكَح المرأة لحسبها**» أحوج أهل العلم إلى معرفة الحسب لأنه مما يعتبر في مهر المِثْل، والحسب الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عدّ المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه. ومما يشهد لقول ابن السِّكِّيت قول الشاعر:

ومَن كان ذا نسب كريم ولم يكن ... له حسب كان اللئيم المذمَّمَا

فجعل الحسب فِعال الشخص، مثل الشجاعة وحُسْن الخلق والجود ومنه قوله: حسب المرء دينه، كذا في المصباح المنير.

الشكر فعلى النعمة خاصة (**وهو بالقلب**) واللسان والجوارح قال:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

أي القلب، والحمد باللسان وحده (**فهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده»**) وجعله رأس الشكر لأن ذكر

قوله: (وهو بالقلب)... الخ وذلك أن يعتقد أن المُنعِم وليّ النعمة ويُثني عليه بلسانه ويُدْئب[١] نفسه في الطاعة له. وقد جمعها الشاعر في قوله: أفادتكم النَّعماء... البيت، فظهر أن المراد التمثيل لجميع شُعَب الشكر لا الاستشهاد والاستدلال على أن لفظ **الشكر** يطلق عليها يَدِي ومعطوفاه منصوبات على البدل ووصف الضمير بالمُحَجَّب، أي المستتر إشارة إلى الإخلاص وأنهم ملكوا الظاهر والباطن وفي جعل نفس الأعضاء جزاء الإنعام مبالغة ألا يخفى، ومعنى البيت: أفادتكم إنعاماتكم على ثلاثة أشياءٍ منّي: المكافأة باليد، ونشر المحامد باللسان، ووقف الفؤاد على المحبة والاعتقاد. **قوله**: (**فهو إحدى شُعَب الشكر**) أي أقسامه وفروعه من جهة المورد وإن كان أعمّ منه من جهة المتعلّق، ولهذا كان بينهما عموم من وجه فيكون الثّناء باللسان بمقابلة الإنعام مادة لاجتماع الحمد والشكر اللغويين[٢] يصدق كل واحد منهما عليه صدق الكليّ على جزئياته ويكون الثناء باللسان بمقابلة الفضيلة المختصّة بالمثنى عليه مادة تحقّق الحمد بدون الشكر ويكون الفعل الصادر من الجنان والجوارح على وجه تعظيم المُنعِم بمقابلة إنعامه مادة تحقّقِ الشكر بدون الحمد. **قوله**: (**ومنه الحديث الحمد رأس الشكر**)... الخ. هذا الحديث رواه عبد الرزاق من طريقة الديلمي عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **وقوله**: (**ما شكر الله عَبدٌ لم يحمده**) ـ يعني مَن لم يعترف

---

(١) الإدآب الإتعاب يقال دأب فلان في عمله أي جدّ وتعب. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) الشكر اللغوي فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، وهذا التعريف يصدق على كل واحد من فعل اللّسان وفعل القلب وفعل سائر الجوارح، فيكون كل واحد منها جزئيًّا من جزئيّات الشكر اللغوي والشكر الاصطلاحي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به وأولاه إلى ما خلق لأجله والشكر بهذا المعنى مجموع مركّب من مجموع الأفعال الواردة من الموارد الثلاثة التي هي اللّسان والقلب وسائر الجوارح، فيكون ما صدر من أحد هذه الموارد جزءًا من حقيقة الشكر لا جزئيًّا لها لعدم صدق المجموع المركب على شيء من أجزائه. ١٢ منه.

النعمة باللسان **(أشيع لها)** من الاعتقاد **(وإدْآب الجوارح)** لخفاء عمل القلب **(وما في عمل الجوارح من الاحتمال، ونقيض الحمد الذمّ)** ونقيض الشكر الكفران. وقيل: المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيًا قادرًا عالمًا **(أبديًا أزليًا)**، والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الإفضال والحمد يشملهما. **(والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافًا للمعتزلة)**، ولذا قرن باسم الله لأنه اسم

بالمُنعِم ـ ولم يحمد بالثناء عليه لم يُعَدُّ شاكرًا ولم يظهر منه ذلك وإن أتى بالعمل والاعتقاد وذلك لأن المُنبِيء عمَّا في الضمير وضعًا والمُظهِر له حقًّا هو النطق وحقيقة معنى الشكر إشاعة النعمة والإبانة عنها ونقيضه وهو الكفران يُنبِيء عن الستر والتغطية. **قوله**: **(أشيع لها)** لفظ أشيع تفضيل من المزيد فيه وهو من النوادر، والمعنى أشد إشاعة إظهار النعمة أو اللام للتعدية، فالمعنى بسيار آشكار اكننده نعمت است، وذلك لظهوره واطّلاع كل واحد عليه. **قوله**: **(وَإدْآب الجوارح)** بكسر الهمزة وسكون الدال المهملة وفتح الممدودة أي إتْعَابها. **قوله**: **(وما في عمل الجوارح من الاحتمال)** أي احتمال وقوعه لأمر آخر غير تعظيم المنعم فإن خدمته المنعم بالجوارح لا يتعيَّن كونها متفرّعة على نِعَمه الواصلة منه إليه جزاء لها، بل يحتمل أن تكون لغرض آخر.

قوله: **(ونقيض الحمد الذمّ)** أي مقابل له، وذلك لأن الحمد هو الثناء بذِكْر المحاسن فيقابل الذمّ الذي هو ذِكر القبائح وكذا الكفران نقيض الشكر لأن الشكر هو إظهار النعمة بإتيان الفعل الدّالّ على تعظيم المُنعِم فيقابله الكفران الذي هو ستر النعمة واحتقارها بإتيان ما يضادّ تعظيم مُنعِمها إما باللسان أو بالجنان أو بالجوارح كما في الشكر بعد أن يكون إتيان ذلك بمقابلة النعمة. **قوله**: **(أبديًا)** الأبدي معناه الذي لم يكن لبقائه نهاية ولا انقضاء. **قوله**: **(أزليًا)** الأزلي هو الأول الذي لا مُفتَتَح لوجوده، ولا بداية له، فهو بمعنى القديم.

قوله: **(والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافًا للمعتزلة)** فإنها عندهم للعهد إشارة إلى حمده تعالى لنفسه، أو إلى الحمد الكامل الذي صدر من المُكمل. اعلم أن اللام تنقسم إلى أربعة أقسام: لام الجنس، ولام الاستغراق، ولام العهد الخارجي، ولام العهد الذّهني. أما الأول فما يدلّ على نفس الجنس والماهية فقط، مثل الرجل خير من المرأة، يعني أن هذا الجنس خير من ذلك

ذات فيستجمع صفات الكمال **(وهو بناء على مسألة خلق الأفعال)** وقد حققته في مواضع. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الرب المالك **(ومنه قول صفوان)** لأبي سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. تقول ربه يربه ربًا فهو رب، **(ويجوز أن يكون وصفًا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل.**

الجنس والفرس خير من الحمار. وأما الثاني فما يدلّ على استغراق الأفراد بحيث لا يشذّ فرد منها، نحو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العَصر: الآية ٢]. وأما الثالث فما يدلّ على المعهود في الخارج نحو جاءني رجل وأكرمته، وأكرمت الرجل. وأما الرابع فما يدلّ على المعهود في الذِّهن، نحو قول المولى لعبده: ادخل السوق واشترِ اللحم، حيث لا عهد في الخارج. **قوله: (وهو بناء على مسألة خلق الأفعال)** فعندنا لمّا كانت أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى كانت جميع المحامد راجعة إليه، وعند المعتزلة لمّا كانت بخلق العباد كانت المحامد عليها راجعة إليهم فلم يكن جميع المحامد لله تعالى. **قوله: (ومنه قول صفوان[١])** وهو صفوان بن أمية الجُمحي أراد برجل من قريش محمدًا ﷺ، وبرجل من هوازن رئيسهم مالك بن عوف، قال ذلك حين استبشر أبو سفيان بانهزام المسلمين يوم حُنَين في أول القتال، فقال: غَلَبَت والله هوازن، ومعنى لأن يَرُبَّني يكون مالكًا لي مثل ساده كان له سيدًا وهوازن بالفتح قبيلة است از قيس، وقيس بالفتح لقب يدر قبيلة از بني مضر ونام أو الناس بن مضر بالنون وأورا قَيْسُ عَيْلان خوانند وبرا دراورا إلياس بن مضر بن نزاز واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي من مسلمة الفتح رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ويجوز أن يكون وصفًا بالمصدر)** يعني أنه على الأول كان وصفًا يعني صفة مشبهة بعد جعل المتعدّي لازمًا بالنقل إلى فعُل بالضم. **قوله: (للمبالغة كما وصف بالعدل)** يعني أن المصدر وإن كان اسم معنى حقه أن لا يطلق على الذات إلا أنه أُطلق هٰهنا على الذات بقصد المبالغة في اتّصافه به، مثل رجل عدل، أي عادل.

---

(١) عن سعيد بن المسيب عن صفوان أنه قال أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ، ولما رأى صفوان كثرة ما أعطاه رسول الله ﷺ، قال: والله ما طابت بهذا إلا نفس نبي فأسلم، وكان من المؤلفة وحَسُن إسلامه، كذا في أسد الغابة. ١٢ منه عُفِي عنه.

ولم يطلقوا) الرب إلّا في الله وحده **(وهو في العبيد)** مع التقييد (﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ

قوله: (ولم يطلقوا). . . الخ. أي لم يذكروه بدون الإضافة إلا في حق الله تعالى، يعني لفظ الرّبّ بخلاف الجمع كالأرباب، كما يقال: ربّ الأرباب، وفي التنزيل ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: الآية ٣٩] ولو أُطلِق الرّبّ في حق الغير فعلى سبيل النّدرة وظهور القرينة كقول الحارث بن حِلْزَة:

وهو الربّ والشهيد على يو   م الْحِيَارَيْنِ[١] والبَلاءُ بَلاءُ

أراد به الملك وهو منذر بن ماء السماء. **قوله: (وهو في العبيد)** مع التقييد، أي لا يطلق في اللغة بدون التقييد بالإضافة إطلاقًا مُستفيضًا على غيره تعالى. وأما في الشرع فإطلاقه مقيدًا بالإضافة إلى المُكَلَّف مكروه على ما رُوِيَ في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقل أحدكم: أطعِم ربّك**» بفتح الهمزة أمر من الإطعام، «**وضِّىء ربّك**» بكسر الضاد المعجمة أمر من وضأه يُوضِئه، أي اجعل مولاك ذا وضوء، اسقِ ربّك، بهمزة وصل ويجوز قطعها مكسورة، وفي نسخة مفتوحة تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج ويستعمل ثلاثيًا ورباعيًا أو من سقاه يسقيه ولا يقل أحدكم: هذا الخطاب للمماليك، والخطاب السابق في أحدكم للمُلاك. كذا قاله ابن الملك، وقال العلّامة القسطلاني في بيان الخطاب السابق: لا يقل أحدكم لمملوك غيره ربّي، وليقل سيدي ومولاي. وأما قول سيدنا يوسف على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: الآية ٥٠]، فكأنه مثل ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ [يوسف: الآية ١٠٠] مخصوص جوازه بزمانه ولا كراهية في إضافته إلى غير المُكَلَّف، كربّ الدار. فإن قيل فقد قال النبي ﷺ في أشراط الساعة: «**أن تَلِدَ الأَمَة ربّتها أو ربها**»، فالجواب من وجهين: أحدهما أن الحديث الثاني لبيان الجواز، وأن النهي في الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم. والثاني أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة ولم يَنهَ عن إطلاقها في نادر من الأحوال. وأما حديث «**حتى يلقاها ربّها**» في الضالّة فإنما استعمل لأنها غير مُكَلَّفة فهي كالدار والمال، ولا كراهة أن يقال ربّ المال والدار. **قوله:** (﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ

---

(١) الحِيَاران موضع ١٢ لسان العرب.

مَثْوَايَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: الآية ٥٠])، وقال (**الواسطي**: هو) الخالق ابتداء، والمربي (**غذاء**)، والغافر انتهاء. (**وهو**) اسم الله الأعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الأجسام والجواهر (**والأعراض**)، أو كل موجود سوى الله تعالى سُمِيَ به لأنه علم على وجوده. وإنما جمع بالواو والنون (**مع أنه**) يختصّ بصفات العقلاء (**أو ما في حكمها**) من الأعلام (**لما فيه**) من معنى

مَثْوَايَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]) أي إن الشأن والحديث أو إن الذي اشتراني ربّي سيدي ومالِكِي، يريد قِطْفِيرَ. أحسن مثواي، أي أحسن تَعَهُّدي، إذ قال لك: فِيَّ أكرمي مثواه، فما جزاؤه أَنْ أَخُونَه في أهله. قال ذلك سيّدنا يوسف على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام حين ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: الآية ٢٣] هي زُلَيْخا ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] أي طلب منه أن يُواقِعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٣] للبيت. قيل: كانت سبعة، ﴿وَقَالَتْ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] له ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] أي أقبِل وبادِر.

قوله: (﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٠]) أي قال سيدنا يوسف على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام حين جاءه الرسول من قِبَل ملك مصر ليُخَلِّصه من السجن: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٠] وأراد به ملك مصر. **قوله**: (**الواسطي**) بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين وبعدها طاء مهملة أبو بكر محمد بن موسى خراساني الأصل من فرغانة، صَحِبَ الجُنَيد والنوري عالِم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة رحمه الله. **قوله**: (**هو**) أي الرّبّ. **قوله**: (**غذاء**) مثل كتاب ما يغتذى به من الطعام والشراب مصباح. وفي منتهى الأرب غذاء بالكسر والمد خورش وپرورش كه بدان باليدگي وآراستگي جسم است. **قوله**: (**وهو**) أي الرّبّ. **قوله**: (**والأعراض**) جمع عرض، في المصباح، العرض بفتحتين في اصطلاح المتكلمين ما لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به وهو خلاف الجوهر. اهـ. **قوله**: (**مع أنه**) أي الجمع بهما. **قوله**: (**أو ما في حكمها**) أي حكم صفات العقلاء من الأعلام أي أعلام العقلاء بيان ما يعني إذا وقع فيه الاشتراك واحتيج إلى تثنيته أو جمعه فيُثَنَّى ويُجمَع حينئذ بأن يُؤَوَّل زيد مثلاً بالسمي بهذا اللفظ، فيقال: الزيدون يتناول المسمّون بزيد فيجمع بهذا الجمع في حكم صفات العقلاء وسَمِيّ كأميرهمنام. **قوله**: (**لما فيه**)

الوصفية وهي الدلالة (**على معنى العلم**). ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ذكرهما قد مرّ وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لما أعادهما لخلوّ الإعادة عن الإفادة.

(﴿مَٰلِكِ﴾ **عاصم وعليّ** ﴿ملك﴾: **غيرهما**) وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله: (﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾) [غافر: الآية ١٦] ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكًا، ولأن أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه. (**وقيل: المالك أكثر ثوابًا**) لأنه أكثر حروفًا. (**وقرأ أبو حنيفة**) والحسن ﵄ «ملك»

أي في العالم، تعليل بقوله وإنما جمع. **قوله**: (**على معنى العِلم**) بكسر العين وفتحها.

قوله: (﴿مَٰلِكِ﴾ **عاصمٌ وعليٌ**) أي مالك بإثبات الألف كسامع اسم فاعل من ملك ملكًا بالكسر والفتح بمعنى التملّك خداوند شدن قرأه عاصِمٌ أي عاصم بن النَّجُود الكوفي وعلي أي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي الأسدي كِسَائِي بكسر أول منسوبًا لقب علي بن حمزة يكي اذائمة قراءت ونحو كه أو أكثر كِساء، يعني گليم ميپوشيد. **قوله**: (﴿ملك﴾ **غيرهما**) أي مَلِكَ بحذف الألف من الملك بالضم بمعنى السلطنة والإمارة بادشاه شدن قرأه غيرهما. **قوله**: (﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾) يعني أن الآية تكون بهذه القراءة مناسبة لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [غافر: الآية ١٦] من حيث اشتراكهما في الدلالة على أنه تعالى وصف ذاته بأنه الملك يوم القيامة حيث قال على سبيل الاستفهام التقريري: ﴿لمَن الملك اليوم﴾، والقرآن تتناسب معانيه في الموارد. **قوله**: (**وقيل: المالك أكثر ثوابًا**) لزيادة عشر حسنات بالألف وكِلتا القراءتين متواترة فلا ترجيح بينهما. **قوله**: (**وقرأ أبو حنيفة**) النعمان بن ثابت أعلَم أهل زمانه، وُلِد سنة ثمانين وهو الصحيح، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة والحسن البصري كان من سادات التابعين وكُبرائهم. توفي بالبصرة سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنهما مَلَكَ يَوْم بلفظ الفعل أي الماضي المفتوح العين واللام، ونصب اليوم على أنه حذف الموصول أي الذي مَلَكَ أو على أنه حال. وفي نشر ابن الجزري القراءات المنسوبة لأبي حنيفة رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره لا أصل لها قال أبو العلاء الواسطي: إن

(﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **أي يوم الجزاء**) ويقال (**كما تدين تدان**) أي كما تفعل تجازى، (**وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع**) كقولهم:

(يـا سـارق الـلـيـلـة أهـل الـدار)

الخزاعي وضع هذا الكتاب ونسبه إلى أبي حنيفة فأخذت خطوط الدارقطني وجماعة على أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له. قلت: وقد رأيت الكتاب المذكور ومنه ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: الآية ٢٨] برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج[1] ذلك على أكثر المُفسِّرين ونسبوها إليه وتكلّفوا توجيهها وأبو حنيفة رضي الله عنه بريء منها. انتهى.

قوله: (﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **أي يوم الجزاء**) أي الدين بمعنى الجزاء. وفي اختيار يوم الدين على يوم القيامة وسائر الأسامي رعاية للفاصلة وإفادة للعلوم لأن الجزء يتناول جميع أحوال يوم القيامة إلى السرمد. **قوله**: (**كما تَدِيْنُ تُدَانْ**)، مثل مشهور وحديث مرفوع أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات بسند ضعيف وله شاهد مُرسَل، أي كما تفعل تُجازَى بفِعْلك سمَّى الفعل المبتدأ جزاء، والجزاء هو الفعل الواقع بعده ثوابًا كان أو عقابًا بالمُشاكلة كما سُمِّي جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[2] [الشورى: الآية ٤٠] مع أن الجزاء المماثل مأذون فيه شرعًا فيكون بحسب الأشياء. **قوله**: (**وهذه إضافة اسم الفاعل**) أي ﴿مالك﴾ (**إلى الظرف**) أي ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (**على طريق الاتّساع**) مُجرى مجرى المفعول به مَجرى الأول اسم مفعول من الإجراء وقع حالًا من الظرف، ومجرى الثاني مصدر له أو اسم مكان، وهذا الحال بيان لطريق الاتّساع إذ معناه جعل المفعول فيه بمنزلة المفعول به وهو مجاز حكمي حيث جعل يوم الدين مملوكًا. **قوله**:

(يا سارق الليلة أهل الدار[3])

---

(١) في القاموس: راج رواجًا نفق رَوَّجْتُه ترويجًا نفقته. اهـ. ١٢ منه.

(٢) أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكفار. ١٢ منه.

(٣) وقال بعض أرباب الحواشي: إن انتصاب أهل الدار بمقدر أي احذر فإنهم منتبهون. ١٢ منه.

(أي مالك الأمر كله في يوم الدين. والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده،

وجه الاستشهاد أنه جعل الليلة مسروقة وإنما هي مسروق فيها، وأهل الدار منصوب بسارق، يقال سرقه مالًا يَسْرِقه من باب ضرب، ويسرق منه مالًا يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بالحرف، وقد يُحذَف فيتعدى له بنفسه كما في المصباح لاعتماده على حرف النداء كما في قولك: يا ضاربًا زيدًا، أو يا طالعًا جبلًا.

والسرّ في كون الاعتماد على حرف النداء مُقَوِّيًا لعمل اسم الفاعل أن حقّ النداء أن يتعلق بالذات، واقتضى بذلك أن يقدّر قبله موصوف، مثل يا شخصًا ضاربًا كأنه اعتمد على صاحبه الذي هو الموصوف ونحو ما يقوِّي عمله، وذلك أن اسم الفاعل مثلًا موضوع لذات مبهمة قام بها الحدث الذي هو مأخذ اشتقاقه فلا يقتضي مفهومه بهذه الحيثية لا فاعلًا ولا مفعولًا، فاشترط لعمله تقويته بذكر ما يخصص تلك الذات المبهمة قبله سواء كان ذلك المُخَصَّص مبتدأ في التركيب نحو: زيد ضارب عمرًا، أو كان مبتدأ في الأصل نحو: كان زيد ضاربًا عمرًا، وأن زيدًا ذاهب أبوه أو موصوفًا نحو: جاءني رجل ضارب زيدًا، أو ذا الحال نحو: جاءني زيد راكبًا جملًا.

قوله: **(أي مالك الأمرِ كُلِّه في يوم الدين)** يعنى أن الظرف وإن أُجرِي مجرى المفعول به فهو ظرف في المعنى، والمفعول محذوف يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة خصوص. **قوله**: **(والتخصيص بيوم الدين)** أي بإضافة مالك إليه مع أنه تعالى مالك للأمور كلها في جميع الأيام والأوقات، أو بإضافة ملك إليه إن قُرِيء بدون الألف **(لأن الأمر فيه لله وحده)** فإنه تعالى منفرد بالمُلْك في ذلك اليوم لزوال تلك الملوك وانقطاع أمرهم ونهيهم، فهذا كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٦].

واليوم في اللغة الوقت مطلقًا ليلًا كان أو نهارًا طويلًا كان أو قصيرًا. وفي العُرْف هو المدة من طلوع الشمس إلى غروبها. وفي الشرع ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، والمراد في الآية مطلق الوقت لعدم الشمس.

وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل

قوله: **(وإنما ساغ وقوعه)** أي جاز وقوع مالك صفة للمعرفة... الخ إشارة إلى جواب ما يقال من أن قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ نكرة لكون الإضافة فيه لفظية لكونها من قبيل إضافة الصفة إلى معمولها، فالمضاف في مثله لا يتعرَّف بالإضافة بل يبقى نكرة على حاله فكيف يصحّ أن يقع صفة للمعرفة، ومحصول الجواب أن إضافة مالك ليست من معموله لأن المراد من عمل اسمي الفاعل والمفعول هو عملهما المشروط بكونهما للحال أو الاستقبال وذلك العمل هو عملهما في المفعول به ونحوه إذ لا يشترط ذلك في عملهما في المرفوع وفي الظرف وفي الجار والمجرور وفي الحال وفي المفعول المطلق فإنه يجوز عملهما في ذلك مطلقًا أي في أحد الأزمنة الثلاثة، والظرف الذي أُضيف إليه ﴿مالك﴾ إن أُجْرِي مجرى المفعول به كانت إضافة ﴿مالك﴾ إليه بمعنى اللام لا بمعنى في إلا أنها ليست من قبيل إضافة اسم الفاعل إلى معموله، فإنها إنما تكون كذلك لو لم تكن إضافة ﴿مالك﴾ إليه مبنية على الاتّساع في الظرف بأن كان الظرف متعلقًا بقوله مالك، وكانت الإضافة بمعنى اللام حقيقة وليس كذلك فإن كانت متعلقة عن اليوم فالتقدير ﴿مالك﴾ الأمر كله يوم الدين، والظرف هو المفعول فيه حقيقة، وقوة الإضافة أن تكون بمعنى في إلا أن أرباب المعاني يعدّون مثله من قبيل المجاز الحكمي والإسناد المجازي ويذهبون فيه إلى طريق الاتّساع في الظرف ولا يقدّرون كلمة في بلْ يجعلون الإضافة في جميع ذلك بمعنى اللام ويجعلون اليوم ضاربًا، والليل ماكرًا في ضرب اليوم ومكر الليل، ويجعلون الليلة مسروقة في قوله: يا سارق الليلة أهل الدار، وكذا يجعلون يوم الدين مملوكًا في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، ويجعلون النهار صائمًا والليل قائمًا في صام نهاره وقام ليله وجعل الإضافة في الأمثلة المذكورة بمعنى في إنما هو كلام النحاة وهو كلام صادر عمّن يقصر نظره على اعتبار المعاني الأول ويطبق اللفظ عليها. وأما المُحَقّقون الذين يرون ارتفاع بيان الكلام منوطًا برعاية الاعتبارات المناسبة للحال والمقام فإنهم لا يقدّرون في مثله كلمة في ويجعلون الإضافة بمعنى اللام، فالقول بأن اللام قد تكون بمعنى في كلام أهل الظاهر، ولمّا كانت إضافة اسم الفاعل إلى الظرف في نحو: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ مبنية على الاتّساع بإجرائه مجرى المفعول

(إضافة غير حقيقية لأنه أُريد به الاستمرار) فكانت الإضافة حقيقية، فساغ أن يكون صفة للمعرفة.

(وهذه الأوصاف) التي أُجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربًا أي مالكًا للعالمين ومنعمًا بالنعم كلها ومالكًا للأمر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ **(دليل)** على أن مَن كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ «إيا» **(عند الخليل)** وسيبويه اسم مضمر، والكاف حرف خطاب عند سيبويه

به لم تكن إضافة الاسم إليه من قبيل إضافة الصفة إلى معمولها الذي يشترط في عملها فيه كونها بمعنى الحال والاستقبال حتى تكون إضافتها إلى الظرف المذكور لفظية فلا تتعرف بالإضافة بل هي مضافة إليه غير مقيدة بشيء من الزمان الماضي والحال والاستقبال بل ملحوظة على الإطلاق بحيث يُستَفاد منها معنى الاستمرار، وعلى هذا التقدير لا يكون اسم الفاعل عاملًا تكون إضافته إلى معموله لفظية فتكون حقيقته أي معنوية مفيدة بتعرّف المضاف من المضاف إليه فلذلك صحَّ وقوعه صفة للمعرفة ولم يتعرَّض لإضافة ملك لعدم الاشتباه في أن إضافته معنوية لأنه من إضافة الصفة المشبَّهة إلى غير معمولها، فلذلك لا تعمل النصب أبدًا، ألا ترى إلى قولهم في تمثيل الإضافة اللفظية والصفة المشبهة إلى فاعلها، فقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ مثل ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية ٢] على القول بأن ربّ نعت في أن الإضافة بينهما معنوية، وإنما تكون لفظية إذا أُضيفت إلى فاعلها كما في حسن الوجه. **قوله: (إضافة غير حقيقية)** أي غير معنوية بل لفظية، وهي إضافة الصفة إلى معمولها وما عداها معنوية، وإضافة اللفظية لا تفيد التعريف بل التخفيف في اللفظ فقط. **وقوله: (لأنه)** أي الشأن متعلق بقوله: إنما ساغ **(أُريد به)** أي باسم الفاعل **(الاستمرار)**. **وقوله:** حقيقة أي معنوية لا لفظية. **قوله: (وهذه الأوصاف)** مبتدأ. **قوله: (دليل)** خبر لقوله هذه الأوصاف... الخ.

قوله: (عند الخليل) بن أحمد البصري وهو أُستاذ سيبويه إمام النحو أخذ عن أبي عمرو بن العلاء البصري وأحد مشائخ القراءات السبع. والخليل هو الذي قال صاحب إعراب الفاتحة في شأنه: لم يتقدم مثله، ولم يُخلَق مثله. وقال المحقِّق الشريف في حاشية الكشاف: وهو أعلى كعبًا من سيبويه، وسيبويه

ولا محل له من الإعراب، وعند الخليل هو اسم مضمر أُضيف «إيا» إليه لأنه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل. وقال للكوفيون: إياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، والمعنى **(نخصّك بالعبادة وهي)** أقصى غاية الخضوع والتذلّل، **(ونخصّك بطلب)** المعونة، وعدل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات، **(وهو قد يكون)** من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم **(كقوله تعالى)**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: الآية

مركب من سيب فارسي وهو التفاح، وويه وهو صوت لقب إمام النحاة عمرو بن عثمان الشيرازي، وإنما لُقِّب به لانتشار رائحته كما ينتشر رائحة التفاح. **قوله: (نخصك بالعبادة)**. . . الخ. أي نفردك ونميِّزك بها ونقصرها عليك ولا نعبد ولا نستعين بأحد غيرك على أن تكون الباء داخلة على المقصور، وقد تدخل على المقصور عليه كما في قوله: الجرّ مختصٌ بالاسم، فإن الجر مقصور والاسم مقصور عليه. **قوله: (وهي)** أي العبادة أقصى غاية الخضوع. أقصى بمعنى أبعد، والمراد بُعْد البُعْد المعنوي والغاية النهاية إضافة أقصى إلى الغاية للمبالغة في النهاية فإن للخضوع حدودًا ونهايات، ولفظ الغاية شاملة لها لكونه اسم جنس مضاف، والعبادة هي الطاعة مع التذلّل، والخضوع الذلّ، والتعبيد التذليل. يقال: طريق مُعَبَّد إذا كان مُذَلَّلا بالأقدام. المُذَلَّل هنا إما من الذلّ بالضم بمعنى الإهانة أو من الذلّ بالكسر وهو السهولة واللّين، ومعبد كمكرم بمعنى مذلّل لكثرة وطئه.

قوله: (ونخصّك بطلب) المعونة فيه إشارة إلى أن السين في نستعين للطلب. **قوله: (وهو قد يكون)**. . . الخ أنواعه ستة باعتبار الانتقال من كلٍّ من الطرق الثلاثة؛ أعني التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخرين، إلا أن المصنّف رحمه الله اقتصر على ذِكر الأشهر الأكثر. **قوله: (كقوله تعالى)**: . . . الخ. مقتضى الظاهر أن يقال: ﴿وَجَرَيْنَ﴾ [يونس: الآية ٢٢] بكم بالخطاب بدل ﴿بِهِم﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وأن يقال: فساقه بالغيبة بدل ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: الآية ٩] لأن المراد بضمير الخطاب في ﴿كُنتُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٢] وبالضمير المجرور في ﴿بِهِم﴾ [يونس: الآية ٢٢] واحد وكذا بضميري قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾ [فاطر: الآية ٩]، وقوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: الآية ٩] وهو ظاهر.

٢٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾ [فاطر: الآية ٩]، **(وقول امرىء القيس)**:

(تطاول ليلك) بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود

قوله: (وقول امرىء القيس)... الخ قائله امرؤ القيس بن عانس بالنون والسين المهملة ابن المنذر بن امرىء القيس بن السمط الكندي على الأصح المعروف عند الرواة وهو صحابي وَفَدَ على النبي ﷺ وكان نزل الكوفة. وفي الصحابة عدة رجال يُسَمَّون بامرىء القيس غيره. وقيل إن قائله امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف وهذا هو الثابت في كتاب أشعار الشعراء الستة، وعليه صاحب المفتاح وأكثر أهل المعاني. ونص ابن دريد على أنه وَهْم. ومعنى امرىء القيس رجل الشدّة لأن القيس في اللغة الشدة.

قوله: (تطاول ليلك) إلى آخره من البحر المتقارب ليلك بتذكير الخطاب وإن كان للنفس بتأويل المكروب يدلّ عليه تذكير لم ترقد(١) وبات، والأثمد بفتح الهمزة وضم الميم. ورُوِيَ فتحها أيضًا اسم موضع. وأما الإثمد بكسرهما فهو حجر يُكتَحَل به، كذا قيل. وقيل: إنهما لغتان بمعنى واحد وهو الموضع ولا ينافي كون الإثمد بكسرتين بمعنى الحجر الذي يُكتَحَل به وكونه موضعًا آخر. والخَلِيُّ: الخالي من الهَمِّ والحزن والخطاب في قوله: ليلك، ولم ترقد لنفسه والتفت من الخطاب إلى الغيبة حيث قال وبات والظاهر أن يقول وبت، وبات تامّة بمعنى أقام ونزل ليلًا سواء نام أو لم ينم وضميره راجع إلى النفس وباتت عطف على بات وفاعله ليلة على الإسناد المجازي والظرف أعني له حال منه وهي إما تامّة فقوله كليلة حال ثانٍ أو مفعول مطلق أي بيتوتة مثل بيتوتة ذي العائر وإما ناقصة فهو خبره فيفيد استغراق جميع زمان الليل فالمعنى كان بيتوتة ليلة مثل ليلة ذي العائر في جميع الليل في الزمان الماضي والعائر بمعنى العوار وهو القذى الرطب الذي تلفظه العين حين الوجع والأرمد مَن وجعته عينه، يقال: رمِد بالكسر

---

(١) فإنه تذكير وإلا قيل لم ترقدي، بإضمار الضمير. ١٢ منه.

فالتفت في الأبيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءك، والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل (من أسلوب) إلى أسلوب أدخل في القبول عن السامع وأحسن (تطرية

إذا هاجت عينه والمراد تشبيه نفسه في القلق والاضطراب بذي العائر وتشبيه ليلته في الوحشة والطول بليلته. وقوله وذلك أي ما ذكرته من المشاق لأجل نبأ جاءني وخُبِّرتُ ذلك النبأ عن أبي الأسود الذي هو أبو الشاعر، وذلك النبأ هو خبر قتل أبيه وكنيته أبو الأسود. وقيل: أبي أب مضاف لياء المتكلم، والأسود صفته وهو أفعل من السواد والقصيدة مرثية له وفي جاءني التفات من الغيبة إلى التكلّم فالبيت المذكور مشتمل على ثلاثة التفاتات: الأول في ليلك فإنه التفات من التكلّم إلى الخطاب إذ القياس ليلي وإن لم يسبق ضمير المتكلم عن نفسه بطريق التكلم به وعدل عنه إلى طريق الخطاب فإن مثله التفات عند السكاكي، والالتفات الثاني من بات فإنه التفات من الخطاب إلى الغيبة إذ القياس وبتّ على الخطاب، والثالث جاءني فإنه التفات من الغيبة إلى التكلم والقياس جاءه فهو باعتبار الالتفات الثاني نظير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وباعتبار الالتفات الثالث نظير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [فاطر: الآية ٩] الآية، فظهر أن المصنّف رحمة الله عليه اختار في الالتفات ما ذهب إليه السكاكي من أنه يكفي في الالتفات أن يكون التعبير بأحد الطرق الثلاثة عدولًا عن مقتضى الظاهر منْ حيث إن الظاهر أن يعبّر عنه بطريق آخر منها سبق التعبير بالطريق المعدول عنه تحقيقًا، بل يكتفي بالعدول عنه تقديرًا بأن يقتضي الظاهر التعبير به ولا يعبّر ويعدل عنه إلى طريق آخر في قوله: تطاول ليلك، فإن الشاعر خاطب نفسه مع أن الظاهر أن يقول ليلي وعدل عنه إلى طريق الخطاب ولم يسبق التعبير بطريق التكلم فهذا إنما يكون التفاتًا بالمعنى الأعمّ ولا التفات عند الجمهور لأنهم يشترطون سبق التعبير بالطريق المعدول عنه. **قوله**: (من أسلوب). . . الخ. الأسلوب بضم الهمزة الطريق والفن فيصحّ إرادة كل واحدة منهما. **قوله**: (تطريةً) بالياء دون الهمزة، أي تجديدًا واحدًا من طريت الثوب إذا عملت به ما يجعله كأنه جديد والتطرئة بالهمزة بمعنى الإيراد والإحداث من طرأ عليه إذا ورد وحدّث والأول أنسب بهذا الموضع وإن كان صحيحًا أيضًا.

لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه)، وقد تختصّ مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا **(للحذاق المهرة)** والعلماء **(النحارير وقليل ما هم)**. ومما اختصّ به هذا الموضع **(أنه)** لما ذكر **(الحقيق بالحمد والثناء، وأجرى)** عليه **(تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم)** عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات **(فخوطب)** ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إياك يا مَن هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك. **(وقدمت العبادة على الاستعانة**

والتطرية فائدة عامّة:

للالتفات من جهة المتكلم مع قطع النظر عن جانب السامع وهي تقرّره واتّساعه في إيجاد الكلام وإظهار قدرته عليه وتمكّنه منه وتنشيط السامع أي إحداث النشاط له في سماع الكلام واستجلاب حُسْن إصغائه إليه بلطف انعطافه.

فائدة أخرى عامّة له، إلاّ إنها من جهة السامع:

قوله: (لنشاطه) أي السامع فإن في كل جديد لذّة، وفائدة النشاط أن يصغي السامع إلى الكلام حقّ الإصغاء. **قوله**: **(وأَمْلَأ لاستلذاذ إصغائه)** الإصغاء گوش نهادن في المصباح، أصغيت الإناء بالألف أمَلْته، وأصْغَيت سمعي ورأسي كذلك. انتهى. **قوله**: **(للحذّاق)** جمع الحاذق، حذق الرجل في صنعته من باب ضرب وتَعِبَ حذقًا مهَر فيها وعرف غوامضها ودقائقها، كذا في المصباح. **قوله**: **(المَهَرَة)** جمع الماهر، مَهَر في العلم وغيره يَمْهَرُ بفتحتين مُهور أو مَهارة، فهو ماهِر أي حاذق عالِم بذلك، ومهَر في صناعته ومهر بها ومهَرها أتقنها معرفة، كذا في المصباح. **قوله**: **(النحارير)** جمع النحرير وهو الكامل في العلم. **قوله**: (﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صَ: الآية ٢٤]) أي وهم قليل، وما مزيدة للإبهام والتعجُّب من قلّتهم. **قوله**: (إنه) أي الشأن لما ذكر، أي العبد. **قوله**: **(الحقيقَ بالحمد والثناء)** وهو الله عزَّ وجلَّ. **قوله**: (وأجرى) أي العبد. **قوله**: **(تلك الصفات العِظام)** أي ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. **قوله**: **(تعلق العلم)** أي علم العبد. **قوله**: (بمعلوم)... الخ، هو الله سبحانه وتعالى. **قوله**: **(فخوطب)** أي أُريد به خطابه. **قوله**: **(وقدّمت العبادة على الاستعانة)** مع أن العبد لا يقدر على شيء من أفعاله الحميدة التي من جملتها أداء العبادات إلا بإعانة مولاه، فمن حقه أن يقدِّم طلب المعونة في جميع مهماته وهي أداء العبادة

لأن تقديم الوسيلة) قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة، **(أو لنظم الآية كما قدم الرحمن، وإن كان الأبلغ لا يقدم)**. وأطلقت الاستعانة **(لتتناول كل مستعان، فيه)**، ويجوز أن يراد الاستعانة به **(وبتوفيقه)** على أداء العبادات ويكون قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ بيانًا للمطوب من المعونة كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أي ثبتنا على **(المنهاج)** الواضح كقولك للقائم: قُم حتى **(أعود)** إليك أي أثبت على ما أنت عليه. أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال. وهدى يتعدّى بنفسه إلى مفعول واحد، فأما تعدّيه إلى مفعول آخر فقد جاء متعديًا إليه بنفسه كهذه الآية، وقد جاء متعديًا باللام وبإلى كقوله تعالى: ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وقوله: ﴿هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٦١]. والسراط: **(الجادة من سرط)** الشيء إذا ابتلعه **(كأنه)** يسرط السابلة إذا سلكوه. والصراط من قلب السين صادًا **(لتجانس الطاء في الإطباق**

بخصوصها ثم يذكر تخصيص العبادة به تعالى. **قوله: (لأن تقديم الوسيلة)**... الخ، ولذا قدَّم الثناء على الله تعالى على الدعاء. **قوله: (أو لنظم الآية)** أو نقول قدَّم العبادة ليطابق نظم الآي في قوله: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ مع قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. **(كما قدَّم الرَّحمن)** على الرحيم في الفاتحة ليطابق ما في البسملة **(وإن كان الأبلغ لا يقدّم)** بل العكس أولى لأن الترقّي من الأدنى إلى الأعلى شائع في استعمالهم. **قوله: (لتتناول كل مستعان فيه)**، أي عليه. **قوله: (وبتوفيقه)** عطف تفسير.

قوله: (المنهاج) أي الطريق. **قوله: (أعود)** أي أرجع. **قوله: (الجادّة)** شاه راه جواد جمع منتهى الأرب وفي المصباح المنير، الجادَّة وسط الطريق ومعظمه، والجمع الجواد مثل دابة ودواب. **قوله: (من سَرِط)** بكسر العين. **قوله: (كأنه)** أي الطريق يَسْرَط السابلة، السابلة: الطريق ومَن يسلكها، والمراد الثاني، أي يبتلع سالكي السُبُل من المسافرين، يعني لمّا قطعوا المسافة وغابوا صاروا كأنهم أكلتهم الطريق وابتلعتهم.

قوله: (لتجانس الطاء في الإطباق) يعني أن الصاد توافق الطاء في الاستعلاء والسين تباين الطاء لأن الطاء مُستَعلية ومجهورة، والسين منخفضة مهموسة، والصاد

لأن الصاد) والضاد والطاء والظاء من حروف الإطباق، **(وقد تشمّ)** الصاد صوت الزاي لأن الزاي إلى الطاء أقرب **(لأنهما مجهورتان**

وإن كانت مهموسة لكنها مُستَعلية تناسب الطاء. وحروف الاستعلاء سبعة انحصرت في خُصَّ ضَغطٍ قِظْ، وسُمِّيت مُستَعلية لاستعلاء اللسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى وما عداها مُسْتَفِلة لانخفاض اللسان عن الحنك عند لفظها.

قوله: (لأن الصاد)... الخ وهي من جملة الحروف المستعلية وأخص منها، سُمِّيت بها لإطباق ما يحاذي اللسان من الحنك على اللسان عند خروجها وهو لغة الالتصاق وضدّها المنفتحة وسُمِّيت بها لانفتاح ما بين اللسان والحنك وخروج الروح من بينهما عند النطق بها ولغة الافتراق.

قوله: (وقد تشمّ)... الخ. الإشمام هنا خلط[1] الصاد بالزاي وعرَّفه الفرّاء بخلط حرف بآخر وهو في الوقف أن تضمّ شفتيك بعد الإسكان إشارة إلى ضمة الحركة من الكلمة الموقوف عليها إذا كانت تلك الكلمة مرفوعة أو مضمومة وتترك بينهما بعض انفراج ليخرج النفس فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم أنك أردت بضمّها الإشارة إلى حركة آخر الكلمة الموقوف عليها فهو شيء يختص بإدراكه العين دون الأُذن لأنه ليس بصوت يسمع وإنما هو تحرّك عضو فلا يدركه الأعمى واشتقاقه من الشّمّ كأنك أشمَمْت الحرف رائحة الحركة بأن هيَّأت العضو للنطق بها، والمراد من الإشمام هو الفرق بين ما هو متحرّك في الأصل فأسْكِن للوقف، وبين ما هو ساكن في كل حال وله معانٍ أُخر سيأتي تفصيلها في سورة يوسف إن شاء الله تعالى والزاي اسم هذا الحرف المعجم بياء بعد الألف للفرق بينهما وبين الراء المهملة وقُرِىء بالزاي الخالصة أيضًا.

قوله: (لأنهما مجهورتان)، الجهر في اللغة الصوت القوي الشديد وسُمِّيت مجهورة لمنع النفس وحصره أن يجري معها لقوتها وقوة الاعتماد عليها عند

---

(١) أي خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان فيتولّد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي، والصاد هو الأصل، والأكثر كما يستفاد من الإشمام وهو شائبة رائحة الزاي وأصله من أشممته الطيب أي أوصلت إليه شيئًا يسيرًا مما يتعلّق به وهو الرائحة. ١٢ منه عُفِي عنه.

وهي **قراءة حمزة، والسين قراءة ابن كثير)** في كل القرآن وهي الأصل في الكلمة، والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش **(وهي الثابتة في)** المصحف **(الإمام)**، ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل، والمراد به طريق الحق وهو ملّة الإسلام.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ **(بدل من الصراط)** وهو في حكم تكرير العامل، **(وفائدته)** التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين

خروجها وضدّها المهموسة، والهمس في اللغة الخفاء وسُمّيت مهموسة لجريان النَّفَس معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها، والحروف المهموسة عشرة مجتمعة في فَحَثَّه شَخْصٌ سَكَتَ. **قوله: (وهي قراءة حمزة)** بن حبيب الزيّات الكوفي.

قوله: (والسين قراءة ابن كثير) هو عبد الله بن كثير المكي. **قوله: (وهي الثابتة في الإمام)** أي المثبتة كتابةً وخطًّا في مصحف الإمام كما في نسخة فيما قد وصل رسمه إلينا من طريق علمائنا الأعلام. وفي نسخة أخرى في المصحف الإمام، والمراد بمصحف الإمام هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه المُسَمَّى إمامًا عند القرّاء والمُفَسِّرين وغيرهم فإن الإمام لغة ما يُؤتَمّ ويُقتَدَى به فيتبع وإن لم يكن من العقلاء ولهذا أُطلِق على اللوح والكتاب كما قال تعالى ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةً﴾ [هُود: الآية ١٧]، وهو الذي اتخذه لنفسه يقرأ فيه كما قاله الشيخ زكريا وليس هو بخطه كما توهّمه بعضهم إذ هو أمر زيد بن ثابت كاتب الوحي وغيره بأن يكتبوا المصاحف المتعددة وأرسلها إلى مواضع مختلفة واختار واحدًا منها لنفسه ولأهل المدينة وما بقي منها شيء. والأظهر أن المراد بمصحف الإمام جنسه الشامل لما اتخذه لنفسه في المدينة ولما أرسل إلى مكة والشام والكوفة والبصرة وغيرها.

قوله: (بدل من الصراط) أي بدل كل من كل. **قوله: (وفائدته)** أي البدل التأكيد لما فيه من التثنية والتكرير كشاف.اهـ. **قوله:** على أبلغ وجه وآكده لأنه جعل كالتفسير والبيان له.

ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والأنبياء عليهم السلام (أو قوم موسى) قبل أن يغيروا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾)، يعني أن المنعم عليهم هم الذين

قوله: (أو قوم موسى) وعيسى قبل أن يغيّروا دينهم وقبل أن يحرّفوا التوراة والإنجيل وقبل أن تُنسَخ شريعتهم، وهذا منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وخصّا لشُهرة أمرهما وكثرتهما ووجودهما في عصر نبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام. والتحريف تغيير ما في الكتابين كذكر نبيِّنا ﷺ حيث أرادوا إخفاءه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٢].

واعلم أن التوراة والإنجيل اللذين عند اليهود والنصارى الآن اختُلِف فيهما هل هما مُبدلان ومُحَرَّفان لفظًا أو تأويلًا، فأما التوراة فأفرط فيها قوم وقالوا كلها أو جُلّها مُبدَّل حتى جوَّزوا الاستنجاء بها فليست المُنَزَّلة على موسى عليه الصلاة والسلام. وذهبت طائفة من الفقهاء والمحدِّثين إلى أن ذلك إنما وقع في التأويل فقط كما صرَّح به البخاري واختاره الفخر الرازي وغيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٣]، وهو أمر للنبي ﷺ بالاحتجاج بها والمُبدَل لا يُحتَجّ به ولما اختلفوا في الرَّجم لم يمكنهم تغيير آية وتوسّطت طائفة وهو الحق فقالوا: بُدِّل بعضٌ منها وحُرِّف لفظه وأُوِّل بعضٌ منها بغير المراد منه وإن لم يُعطِ منها موسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل غير سورة واحدة وجعل ما عداها عند أولاد هارون فلم تزل عندهم حتى قُتِلوا عن آخرهم في وقعة بخت نصَّر، وبعد ذلك جمع عُزَير بعضًا منها ممّن حفظها فهو الذي عندهم اليوم وليس أصلها وفيه زيادة ونقص واختلاف ترجمة وتأويل.

وأما الإنجيل ففيه تبديل وتحريف في بعض ألفاظه ومعانيه وهو مختلف النسخ. والأناجيل أربعة كما فصَّله بعضهم في كتاب عقده لذلك سمّاه: المفيد في التوحيد، كذا في عناية القاضي وكفاية الراضي. **قوله**: (بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾)، قدَّم البدلية إشارة لترجيحها لِما فيه من وجوه المبالغة وهو بدل كل من كل.

سلموا من غضب الله والضلال أو صفة للذين، يعني أنهم جمعوا بين النعمة **(المطلقة)** وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال. وإنما **(ساغ)** وقوعه صفة للذين وهو معرفة و﴿غَيْرِ﴾ لا يتعرّف بالإضافة **(لأنه إذا وقع بين متضادّين)** وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو «عجبت من الحركة غير السكون». والمنعم عليهم و(﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾) متضادان، ولأن «الذين» قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم و﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته، **(فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا.** **و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى محلها النصب على المفعولية، ومحل الثانية الرفع على الفاعلية.**

قوله: **(المطلقة)** الكاملة. **قوله**: **(ساغ)** أي جاز. **قوله**: **(لأنه إذا أُوقع بين متضادّين)**... الخ. تقريره أن غير إنما يكون نكرة إذا لم يقع بين ضدّين، وأما إذا وقع بين ضدّين فحينئذ يتعرَّف بالإضافة ويزول إبهامه من حيث إضافته ـ يعني أن المراد به ضدّ الآخر كقولك النقلة هي الحركة غير السكون فإن لفظ غير لمّا أُضيف إلى ما له ضدّ واحد علم أن المراد به هو الحركة والآية من هذا القبيل لوقوع «غير» فيها الشابين الضدّين فإن كل واحد من المؤمنين الكاملين و﴿(ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ضدّ الآخر فلما أُضيف غير إلى أحدهما تعيَّن أن المراد به الآخر فتعرف بالإضافة، فلذلك وُصِفت المعرفة به.

قوله: **(فكل واحد منهما فيه)** أي في كل واحد **(إبهام من وجه)** نظرًا إلى المعنى **(واختصاص)** أي تعريف **(من وجه)** نظرًا إلى لفظ الموصول وإضافة غير **(فاستويا)** الموصوف والصفة.

قوله: **(و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية)** على معنى الذين غضب عليهم ولا ضمير فيه إذ لا يتعدّى إلا بحرف جر كالمنظور إليهم والمرغوب فيهم ولذلك لم يجمع لأن اسم الفاعل والمفعول إذا عمل فيما بعده لم يُجمَع جمع السلامة لقيامهما مقام الفعل. وفي القرطبي وفي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عشر لغات قُرِىء بعامّتها ﴿عليهُم﴾ بضم الهاء وإسكان الميم و﴿عليهم﴾ بكسر الهاء وإسكان الميم و«عليهمي» بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة و«عليهِمُو» بكسر الهاء وضمّ الميم وزيادة واو بعد الضمة و﴿عليهُمُو﴾ بضم الهاء والميم وزيادة واو بعد الميم و﴿عليهُمُ﴾ بضم الهاء والميم من غير زيادة واو.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ﴾) إرادة الانتقام من المكذبين (**وإنزال العقوبة**) بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده.

(**وقيل**: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾) هم اليهود (**لقوله تعالى**: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٦٠]) والضالّون هم النصارى (**لقوله تعالى**: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: الآية ٧٧])، «ولا» زائدة عند البصريين (**للتوكيد**)،

وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة القرّاء وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القرّاء «عليهمي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم حكاها الأخفش البصري عن العرب و«عليهُمِ» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء و«عليهِمُ» بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو و«عليهِمِ» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم وكلها صواب، قاله ابن الأنباري. انتهى.

قوله: (﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ﴾ [النّساء: الآية ٩٣])... الخ. يعني لمّا تعذّر حمل الغضب على الله تعالى على الحقيقة لأنه تغيير يعتري الإنسان عند غليان الدم وجب حمله على إرادة الانتقام... الخ.

قوله: (**وإنزال العقوبة**) بكسر اللام عطف على الانتقام وكذا وإن يفعل والحاصل أنه إذا أُطلق على الباري ما هو حقيقة في الأعراض النفسانية المستحيلة عليه يحمل على ما هو غاية فيه كالترك في الاستحياء أو سبب كإرادة الانتقام في الغضب أو مسبّب عنه كالإنعام في الرحمة أو نحو ذلك. **قوله**: (**وقيل**: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾)... الخ. وقال ﷺ: «**إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالّين النصارى**» رواه ابن حبان وصحّحه. وإنما سمّى كل من اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضالّ لاختصاص كلٍّ منهما بما غلب عليه. **قوله**: (**لقوله تعالى**: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: الآية ٦٠])، كان اليهود يزعمون أن المسلمين مُستوجِبون العقوبة فقيل لهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: الآية ٦٠] شرٌّ عقوبةً في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات.

قوله: (**لقوله تعالى**: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ [المَائدة: الآية ٧٧]) أي قبل مَبعَث النبي ﷺ في شريعتهم. **قوله**: (**للتوكيد**) بالواو أفصح من التأكيد بالهمزة

وعند الكوفيين (هي بمعنى الغير. آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب) كما (أن «رويدًا») اسم لأمهل. (وعن ابن عباس) ﵄ سألت رسول الله ﷺ عن

والتأكيد بالألف أي لتوكيد معنى النفي المفهوم من «غير» لئلا يتوهّم عطف ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ على ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

قوله: (هي بمعنى الغير) وهذا قريب من كونها زائدة فإنه لو صرَّح بغير كانت للتأكيد أيضًا.

قوله: (آمين صوت)... الخ. أي لفظ بل كلمة بل اسم إلا أنهم يعبرون عن مثل هذه الأسماء التي لا تعرف لها تصرّف واشتقاق بالصوت.

قوله: (سُمّي به الفعل الذي هو اسْتَجِب) تحقيق لكونه اسمًا مع أن مدلوله طلب الاستجابة كاستجب يعني أن دلالته على معنى استجب ليست من حيث إنه موضوع لذلك المعنى ليكون فعلًا بل من حيث إنه موضوع لفعل دالّ على طلب الاستجابة وهو استجب كوضع سائر الأسماء لمدلولاتها فإن قيل كيف تكون أسماء الأفعال أسماء مع كونها دالّة على المعنى المقترن بأحد الأزمنة الثلاثة فإن آمين مثلًا يدل على طلب الاستجابة المقترنة بزمان الاستقبال وكذا شتّان وهيهات فإنهما يدلّان على الافتراق والبُعد المقترنين بزمان الماضي قلنا الأسماء المذكورة موضوعة بإزاء ألفاظ الأفعال الاصطلاحية نحو استجب وابتهل وأسرع وبعد، ونفس الألفاظ غير مقترنة بزمان فتكون الألفاظ الموضوعة بإزائها أسماء لكونها موضوعة بإزاء ألفاظ لم يعتبر اقترانها بزمان، وأما المعاني المقترنة بالزمان فهي مدلولة لتلك الألفاظ ودلالة اللفظ على المعنى المقترن بواسطة دلالة معناه الأصلي على ذلك المعنى لا تستدعي كونه فعلًا.

قوله: (أن رُوَيْدًا) اسم فعل لأمْهِل أي أنْظِر. **قوله**: (وعن ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما... الخ. قال الزيلعي رحمه الله تعالى في تخريج أحاديث الكشاف أن إسناده واهٍ جدًّا وأخرجه الثعلبي عن أبي صالح عنه.

معنى آمين (**فقال**: «**افعل**» **وهو مبني**) وفيه لغتان: مدّ ألفه وقصرها وهو الأصل والمد بإشباع الهمزة قال:

(**يا ربّ لا تسلبني حبها**) أبدًا ويرحم الله عبدًا قال (آمينا)

(**وقال**: **آمين فزاد الله ما بيننا بُعدًا**).

قوله: (**فقال**: «**افعل**») أي افعل فِعْل الاستجابة ليؤوّل إلى معنى استجب فهو تفسير بالمآل.

قوله: (وهو مبني) على الفتح كأيْنَ وكيفَ. **قوله**: (يا ربّ) الشعر رُوِيَ أنه لمّا اشتد أمر قيس المجنون ابن الملوّح في حبّ ليلى أشار الناس على أبيه الملوّح ببيت الله الحرام وإخراجه إليه والدعاء له في ذلك الموضع المُبارَك فعسى الله أن يُسْلِيه عنها، فذهب به أبوه إلى مكة وأراه المناسك وقال له تعلق بأستار الكعبة المعظَّمة وقل: اللّهمّ أرِحني من ليلى وحُبّها، فقال: اللّهمّ مُنّ عليّ بليلى وقُرْبها فضربه أبوه فبكى وأنشد هذا الشعر.

قوله: (**لا تسلبني**) أي لا تسلب عنّي بالحذف والإيصال أي لا تنزع عنّي (**حبّها**). **قوله**: (آمينا) بالمدّ هو الشاهد والألف الأخير للإشباع.

قوله: (**وقال**) أي شاعر آخر:

(أمين) بالقصر (**فزاد الله ما بيننا بُعدًا**)

تَباعَدَ عني فطحل إذ دعوتُه

ورُوِيَ لقيتُه، ورُوِيَ سألته وهو لجبير بن الأضبط قال حين سأل فطحلًا إبله فلم يعطه إياها، وفطحل بفتح الفاء وضمّها وسكون الطاء وفتح[1] الحاء كجعفر وقُنْفُذ[2] اسم رجل من بني أسد بن خزيمة، والمعنى تباعد لأن سألته وحق أمين أن يؤخَّر عن الدعاء وهو قوله: فزاد الله لأن طلب الاستجابة إنما يكون بعد الدعاء لكن الشاعر قدَّمه اهتمامًا بالإجابة. وما زائدة أو موصولة.

---

(١) رُوِي بضمّها. ١٢ منه.

(٢) في القاموس: القُنْفُذ وتفتح الفاء. ١٢ منه.

(قال عليه السلام: «لقنني جبريل) آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب». **(وقال: إنه كالختم على الكتاب. وليس من القرآن)** بدليل أنه لم يثبت في المصاحف.

قوله: (قال عليه السلام: «لَقَّنِيْ جبريل») الحديث كما رواه البيهقي وغيره.
قوله: (وقال) أي النبي ﷺ في خبر آخر: **(إنه كالختم على الكتاب)** كما رواه أبو داود في سننه. وقال أبو زهير: آمين مثل الطابع على الصحيفة، والطابع اسم لِما يطبع به الصحيفة، كالخاتم اسم لما يختم به وزنًا ومعنى. ووجه كون آمين كالختم على الكتاب أنه يمنع الدعاء من الفساد الذي يترتَّب عليه خيبة الداعي وحرمانه من الإجابة، كما أن الختم على الكتاب يمنعه من الفساد المتعلق به وهو ظهور ما فيه على غير مَن كتب إليه.

قوله: (وليس من القرآن). . . الخ، لأنه لم يُكتَب في الإمام ولم ينقل أحد من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أنه قرآن لكن يُسَنّ خَتْم السورة به، وينبغي أن يكون التلفّظ به بعد سكتة على نون ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ليتميَّز ما هو قرآن عن غيره. وأما كَتْبه في المصاحف فبِدعَة لا يُرضَى به.

تمَّ ما يتعلق بسورة الفاتحة بحمد الله، ومَنِّه،
نفع الله بأسرارها وأشرقَ في مِشكاة قلوبنا ساطِع أنوارها
وأعاد علينا شامل بركاتها إنه قريب مُجيب،
وحَسبنا الله ونِعْمَ الوكيل، والحمد لله أولًا وآخرًا،
والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء والمُرسَلين
وعلى آله وأصحابه أجمعين

ومن هٰهنا أشْرَع فيما يتعلق بسورة البقرة
مُستَعينًا بالله ومتوكِّلًا عليه

(سورة البقرة)

(مدنية) وهي مائتان (وست أو سبع وثمانون آية).............................

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البقرة

قوله: (**سورة البقرة**)... الخ، يؤخَذ من هذا أن تسميتها بما ذُكِر غير مكروهة خلافًا لمَن قال بذلك. وقال: لا يقال ذلك لِما فيه من نوع تنقيص، وإنما يقال السورة التي تُذكَر فيها البقرة والسورة قد يكون لها اسم واحد، وقد يكون لها اسمان أو أكثر، وأسماء السور توقيفية، أي تتوقف على نقلها عن النبي ﷺ، وكذا ترتيب السور، فكان إذا تمَّت السورة يقول جبريل للنبي ﷺ: اجعل هذه السورة عَقْب سورة كذا، وقبل سورة كذا وكذا ترتيب الآيات توقيفي، فكان جبريل يقول للنبي ﷺ: اجعل هذه الآية عقب آية كذا وقبل آية كذا وكون ترتيب الآيات والسور توقيفيًّا إنما هو على الراجح. وقيل[1]: إنه ثبت باجتهاد الصحابة وعلى كلٍّ من القولين فأسماء السور في المصاحف لم يثبتها الصحابة في مصاحفهم وإنما هو شيء ابتدعه الحَجَّاج[2]. **قوله**: (**مدنيَة**) في المكِّي والمدني خلاف كثير وأرجحه أن المكِّي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة، وأن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة أو عَرَفَة. **قوله**: (**وست أو سبع**)... الخ، مَنشَأ هذا الخلاف اختلاف المصحف الكوفي وغيره في رؤوس بعض الآي. **قوله**: (**وثمانون آية**)،

---

(١) قوله: وقيل إنه... الخ. والمختار أن الكل من النبيّ ﷺ. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي الأمير والظالم المبير. قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون. مات سنة خمس وتسعين. ١٢ منه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾

(﴿الٓمٓ ۝١﴾ **ونظائرها أسماء**) مسمياتها الحروف (**المبسوطة**) التي منها ركبت الكلم، فالقاف تدلّ على أول حروف قال، والألف تدلّ على أوسط حروف قال، واللام تدلّ على الحرف الأخير منه (**وكذلك ما أشبهها**). والدليل على أنها أسماء أن كلًا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرّف فيها (**بالإمالة والتفخيم**

قيل: أصلها أيية، كتمرة قُلِبَت عينها ألفًا على غير قياس، وقيل: آئية كقائلة حُذِفَت الهمزة تخفيفًا، وقيل غير ذلك وهي في العُرْف طائفة من كلمات القرآن متميِّزة بفصل، والفصل هو آخر الآية، وقد تكون كلمة مثل: والفجر والضحى والعصر. وكذا ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البَقَرَة: الآية ١] و﴿طه ۝١﴾ [طه: الآية ١] و﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: الآية ١] ونحوها عند الكوفيين وغيرهم لا يسمِّيها آيات بل يقول: هي فواتح السور. **قوله**: (﴿الٓمٓ ۝١﴾ **ونظائرها أسماء**) وليست حروفًا. **قوله**: (**المبسوطة**) أي المنشورة من بسط الشيء نشره، يعني أنها مفردة متفرقة تُجمَع فتُرَكَّب منها الكَلِم، ومنه البسيط في عُرْف الحكماء لِما يقابل المُرَكَّب أي المفردة. **قوله**: (**وكذلك ما أشبهها**) أي نظير حروف، قال مثلًا الضاد تدلّ على أول حروف ضرب، والراء على الأوسط، والباء على الأخير منه. **قوله**: (**بالإمالة**) الإمالة أن تُمال الفتحة جانب الكسرة وهي على ثلاثة أنواع: إمالة فتحة ما قبل الألف إلى الكسرة فيميل الألف نحو الياء كقولك: بِاتِا، وإمالة فتحة ما قبلها التأنيث في الوقف إلى الكسرة كما في رَحمة، وإمالة فتحة ما قبل الراء المكسورة إليها نحو: من الكِبْر، فإمالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة ويلزم من إمالة فتحة ما قبل الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء لأن الألف المَحْض لا يكون إلا بعد الفتح المَحْض، ويميل إلى جانب الياء بقدر إمالة الفتحة إلى جانب الكسرة ضرورة، فلما لزمتها لم يحتج إلى ذِكرها. **قوله**: (**والتفخيم**) هو هٰهنا إمالة الألف إلى مخرج الواو، وقد يجري في غير الألف

وبالتعريف والتنكير) والجمع **(والتصغير)** وهي معربة، وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يمسّها إعراب لفقد مقتضيه. وقيل: إنها مبنية كالأصوات (**نحو «غاق»**) في حكاية صوت الغراب، (**ثم الجمهور على أنها أسماء السور، وقال ابن عباس)** ﵄: أقسم الله بهذه الحروف. (**وقال ابن مسعود)** ﵁: إنها اسم الله الأعظم. (**وقيل: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله)**.

المنقلبة عن الواو كما سيجيىء في ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريَم: الآية ١] ويمكن أن يقال: أراد بالتفخيم ضدّ الإمالة كقولك: يا ها.

قوله: **(وبالتعريف والتنكير)** كقولك الألف وألف. **قوله**: **(والتصغير)** كقولك: أليْف. **قوله**: **(نحو: غاق)** قال ابنُ جِنِّي[1] حكاية صوت الغُراب غاقٍ غاقٍ، فكأنك قلت: بُعْدًا بُعدًا أو فِراقًا فراقًا، وإذا قلت: غاقِ غاقِ فكأنك قلت البُعد البُعد، فصار التنوين عَلَم التنكير وتركه عَلَم التعريف. **قوله**: **(ثم الجمهور على أنها أسماء السور)** وهو قول أكثر المتكلِّمين واختيار الخليل وسيبويه. **قوله**: **(وقال ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما أقسم الله بهذه الحروف. وقال الأخفش: إن الله تعالى أقسم بالحروف المعجمة إظهارًا لشرفها وفضلها من حيث إنها مبادىء كتبه المُنَزَّلَة بالألسنة المختلفة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العُلى وأصول كلام الأمم بها يتعارفون ويذكرون الله تعالى ويوحّدونه، ثم إنه تعالى اقتصر على ذِكر بعضها، والمراد هو الكل كما تقول: قرأت الحمد لله وقل هو الله أحد وتريد السورتين بتمامهما فكأنه قال: أُقسم بهذه الحروف التسعة والعشرين أن هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المُثبَت في اللوح المحفوظ. **قوله**: **(وقال ابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود من كبار العلماء من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قوله: **(وقيل: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله)** قال فخر الإسلام: لا شيء من المتشابهات إلا والرسول ﷺ يعلمه بتعليم الله تعالى إياه ذلك، ومعنى قول الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: استأثر الله

---

(١) الإمام أبو الفتح المشهور، وليس إلى الجنّ وإنما هو معرب كنى كما في شرح المغني. ١٢ منه.

تعالى بعلمه المتشابهات، أي استقل واستفرد به أنه لا يعلمها أحد بنفسه إلا الله لا أنه لا يعلمها أحد من البشر أصلًا لجواز أن يعلمها البعض ممَّن اصطفاه الله تعالى من خَلْقه بتعليمه وإلهام إيّاه كما في الغيب فإنه تعالى قد خصَّ بعلمه مع أن الأنبياء والأولياء يعلمونه بإلهامه تعالى وإن لم يعلموه بأنفسهم. وفي التفسير المظهري والحق عندي أنها من المتشابهات وهي أسرار بين الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقصد بها إفهام العامّة بل إفهام الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله ومَن شاء إفهامه من كُمَّل أتباعه. قال البغوي: قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه في كل كتاب سرّ، وسرّ الله تعالى في القرآن أوائل السور. وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي. وحكاه الثعلبي عن أبي بكر وعن علي وكثير، وحكاه السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وحكاه القرطبي عن سفيان الثوري والربيع بن الخيثم وأبي بكر بن الأنباري وابن أبي حاتم وجماعة من المُحَدِّثين، قال السجاوندي: المروي عن الصدر الأول في حروف التهجّي أنها سرٌّ بين الله وبين نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد يجري بين المجرمين كلمات مَعميات يشير إلى أسرار بينهما. وقيل إن الله تعالى استأثر بعلم المقطعات والمتشابهات ما فهمه النبي ﷺ ولا أحد من أتباعه وهذا بعيد جدًا فإن الخطاب للإفهام، فلو لم تكن مفهمة[1] كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل، والخطاب بالهندي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانًا وهدًى ويلزم أيضًا الخلف في الوعد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: الآية ١٩] يقتضي أن بيان القرآن محكمه ومتشابهه من الله تعالى للنبي ﷺ واجب ضروري. ورُوِيَ عن ابن عباس أنا من الراسخين في العلم وأنا ممَّن يعلم تأويله، وكذا عن مجاهد وادّعى المجدد للألف الثاني رضي الله تعالى عنه من الأمة المرحومة التي لا يدري أولها خير أم آخرها، ولعل آخرها فوجًا هي أعرضها عرضًا وأعمقها عمقًا

(١) قوله مفهمة على صيغة المجهول من باب الأفعال، أي معلومة المراد منها بحسب العلم بالوضع، فكأن الواضع أفهمنا المعنى المراد منها، وفي هذا التعبير تنبيه على أنه لا دخل للرأي في معرفتها، بل تجب استفادتها من الغير. ١٢ محمد عبد الحي عُفي عنه.

(وما سميت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها). وقيل: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد **(كالإيقاظ لمن تحدى بالقرآن. وكالتحريك)** للنظر في أن هذا المتلو عليهم **(وقد عجزوا)** عنه **(عن آخرهم)** كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم **(ليؤديهم)** النظر إلى أن يستيقنوا **(أن لم تتساقط مقدرتهم دونه)** ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله **(بعد المراجعات)** المتطاولة **(وهم أمراء الكلام إلا لأنه)** ليس من كلام البشر وأنه كلام **(خالق القوى والقدر)**، وهذا القول من **(الخلاقة)** بالقبول بمنزل.

وأحسنها حُسنًا إن الله تعالى أظهر عليه تأويل المقطعات وأسرارها لكنها مما لا يمكن بيانها للعامّة فإنه ينافي كونها سرًّا من أسرار الله تعالى، والله تعالى أعلم. انتهى. **قوله: (وما سُمِّيت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها)** على كل أحد هذا دليل من صاحب القيل على أنها من المتشابه لا يعلمها أحد غيره تعالى.

قوله: (كالإيقاظ لمن تُحدِّيَ بالقرآن) الإيقاظ مصدر أيقظه إذا نبّه من نومه، والتنبّه منه يقظة بفتحات وتسكين القاف وتُحدِّيَ بصيغة المجهول من التحدّي وهو طلب المعارضة أو المعارضة نفسها. **قوله: (وكالتحريك)** عطف على كالإيقاظ على معنى أنه قصد بورودها هكذا إيقاظهم وإزالة نومهم وغفلتهم عن حال القرآن وتحريكهم للنظر فيما يؤدّي إلى معرفة أنه كلام الله تعالى. **قوله: (وقد عجزوا)** حال إما من الضمير المجرور في عليهم أو المرفوع المُستَكِنّ في المتلو. **قوله: (عن آخرهم)** صفة مصدر محذوف، أي عجزًا صادرًا عن آخرهم وهو عبارة عن شمول العجز واستيعابه لجميعهم فإن العجز إذا صدر عن آخرهم يكون صادرًا عن جميعهم. **قوله: (ليؤدِّيهم)** تعليل للتحريك. **قوله: (أن لم تتساقط)** أن مخففة أنه والضمير للشأن. **قوله: (مقدُرتهم)** بضم الدال وفتحها وكسرها أي قدرتهم. **قوله: (دونه)** أي عند هذا المتلو. **قوله: (بعد المراجعات)** ظرف ليأتوا. **قوله: (وهم أمراء الكلام)** حال من المضاف إليه في عجزهم والعامل هو المضاف، أي عجزوا وهم على صفة ينافي عجزهم. **قوله: (إلا لأنه)** استثناء من قوله: لم تتساقط، وما عطف عليه. **قوله: (خالقِ القُوى والقُدَر)** في لسان العرب القوة نقيض الضعف والجمع قُوى وقِوَى وأيضًا فيه القدر والقُدرة والمقدار القُوة. **قوله: (الخلاقة)** سزاوا رشدن.

وقيل: إنما وردت السور **(مصدّرة بذلك ليكون أول ما يقرع)** الأسماع مستقلًا بوجه **(من الإغراب)** وتقدمة من دلائل الإعجاز، وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام **(الأميّون)** منهم **(وأهل الكتاب)** ـ بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصًا بمَن **(خط)** وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، **(وكان مستبعدًا)** من **(الأُمي)** التكلّم بها **(استبعاد الخط)** والتلاوة، فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار **(أنه)** لم يكن ممن **(اقتبس)** شيئًا **(من أهله حكم الأقاصيص)** المذكورة في القرآن **(التي لم تكن)** قريش ومَن **(يضاهيهم)** في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوّته.

واعلم أن المذكور **(في الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الألف**

قوله: (مصدّرة بذلك) أي أسماء الحروف. **قوله: (ليكون)** أي التصدير. **قوله: (أول ما يقرع)** نصب على الظرف أي في أوله. **قوله: (من الإعراب)** في الصحاح أغرب الرجل جاء بشيء غريب. **قوله: (الأُميون)** بدل من العرب. **قوله: (وأهل الكتاب)** أراد أهل الكتابة. **قوله: (خطّ)** أي كتب. **قوله: (وكان مستبعدًا)** قدَّم الخبر للاهتمام. **قوله: (الأُمّي)** الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى الأم لأنه خرج من بطن أمه أو نسبة إلى أُمة العرب لأنهم كانوا كذلك. **قوله: (استبعاد الخط)** أي مثل استبعاده. **قوله: (أنه)** أي النبي ﷺ. **قوله: (اقتبس)** أي استفاد. **قوله: (من أهله)** أي أهل الكتاب. **قوله: (حكم الأقاصيص)** خبر كان، أي وكان حكم النطق بأسامي الحروف مثل حكم النطق بالأقاصيص جمع القَصص. **قوله: (التي لم تكن)**... الخ صفة الأقاصيص. **قوله: (يُضاهيهم)** أي يشابههم. **قوله: (في الفواتح)** أي أوائل السور. **قوله: (نصف أسامي حروف المعجم)** في الصّحاح العَجْم النَّقْط بالسواد وغيره كالتاء عليها نقطتان، تقول: أعجمت الحرف وعجَّمته مشدّدًا ولا تقول عجمته مُخَفَّفًا. ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطّعة يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ومعناه حروف الخط المعجم، كما تقول: مسجد الجامع وصلاة الأولى، أي مسجد اليوم الجامع وصلاة الساعة الأولى وناس يجعلون المعجَم بمعنى الإعجام مصدرًا كالمدخل أي من شأن هذه الحروف أن تُعجَّم أي تُنَقَّط، وقد يقال إن الهمزة للسَّلب بمعنى إزالة العُجمَة كأنه لمّا نقط زالَ إبهامه والتباسه. **قوله: (وهي الألف**

واللام) والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون **(في تسع وعشرين سورة)** على عدد حروف المعجم. **(وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، من بعض الأنواع فمن المهموسة)** نصفها الصاد والكاف

واللام)... الخ راعى في هذا التعديد ترتيب السور. وأما في تعديد السور التي في فواتحها الألف واللام فقد ذكر أولًا ما هو (الٓمٓ) وهي[(١)] ستة ثم ما فيه مع (الٓمٓ) حرف آخر كالصاد في الأعراف والراء في الرعد ثم ما هو (الٓر) على الترتيب وهذه الأسماء الأربعة عشر نصف أسامي حروف الخط المعجم وهي الحروف المقطعة التي مجموعها ثمانية وعشرون حرفًا إن لم تعد الألف اللَّيِّنَة حرفًا برأسها بناء على أن الهمزة والألف حرف واحد بالذات إلا أنها إذا تحرَّكت يقال لها همزة وإلا فألف أو لأن الألف الليّنة ليست حرفًا أصليًا بل هي مقلوبة من الواو والياء.

قوله: (في تسع وعشرين سورة)... الخ هي بعدد الحروف البسيطة المقطَّعة إذا عَدَّ فيها الألف الليّنة حرفًا برأسها وإلا فهي ثمانٍ وعشرون حرفًا كما مرَّ ثمان سور من هذا السور التسع والعشرين مُفتَتَحَة بقوله: (الٓمٓ)، وخمس[(٢)] سور منها مُفتَتَحَة بقوله: (الٓر)، وواحدة بقوله: (يٓس)، وواحدة بقوله: (كٓهيعٓصٓ)، وواحدة بقوله: (طه)، وسورتان[(٣)] منها بقوله: (طسٓمٓ)، وواحدة بقوله: (طسٓ)، وواحدة بقوله: (صٓ)، وستُّ سور بقوله: (حٓمٓ)، وواحدة بقوله: (حمٓ عسٓقٓ)، وواحدة بقوله: (قٓ)، وواحدة بقوله: (نٓ)، ومجموع الأسامي المذكورة في أوائل هذه السور التسع والعشرين ثمانية وسبعون اسمًا وبعد إسقاط ما تكرَّر منها بقي أربعة عشر اسمًا وهي ما ذكره المصنِّف رحمه الله.
قوله: (وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف) أراد بالأنصاف ما هو أعمّ من التحقيقية والتقريبية لأن المذكور **(من بعض الأنواع)** نصفه تقريبًا مثل نصفه الأقل ونصفه الأكثر كما سيجيء إن شاء الله تعالى.

قوله: (فمن المهموسة)... الخ وهي عشرة أحرف ويجمعها قولك: سَتَشْحَثُكَ خَصَفَةُ، وخصفة بفتحات اسم امرأة، والشحث: الإلحاح في السؤال

---

(١) سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. ١٢ منه.
(٢) يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر. ١٢ منه.
(٣) الشعراء والقصص. ١٢ منه.

والهاء والسين والحاء، ومن المهجورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون، **(ومن الشديدة)** نصفها الألف والكاف والطاء والقاف، ومن

وضبطها ليسهل استحضارها كقولهم: فحثه شخص سكت ونحوه ذكر منها نصفها تحقيقًا وهي خمسة: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء. ويقابلها المجهورة وهي ثمانية عشر حرفًا وهي حروف قولك: ظل ربض إذا غزا جند مطيع. وذكر منها نصفَها تحقيقًا وهو تسعة أحرف يجمعها قولك: لن يُقْطَع أمرٌ. والمهموسة وهي ما يضعف[١] الاعتماد على مخرجه ويضعف اعتماده على مخرجه لا يقوى على منع النَّفَس فيجري معه النَّفَس، وجري النفس مع الحرف مما يُضعفه فظهر أن المهموسة حروف ضعيفة في أنفسها لضعف اعتمادها على مخارجها بخلاف المجهورة فإنها قوية في أنفسها لقوة اعتمادها على مخارجها فلذلك لا يجري النَّفَس مع النطق بها بل يحتبس فإن النَّفَس الخارج من أقصى الصدر يتكيَّف كله بكيفية الصوت في المجهورة فيحصل صوت قوي يمنع خروج النَّفَس مع النطق بها بخلاف المهموسة فإن النَّفَس الخارج لا يتكيَّف كله بكيفية الصوت بل يبقى شيء منه بلا صوت فيجري مع النطق بالحرف لكن هذا الجَري وعدمه إنما يكون أبين عند تحرّك الحرف، فلهذا قيَّد تعريف الجَهْر والهمس بالتحرّك ومثَّلوا[٢] بقَقَقَ وَكَكَكَ. وقالوا: إنك تجد النَّفَس محصورًا أي مُحتَبِسًا لا يجري مع النطق بالأول وتجده جاريًا غير مُحتَبِس مع النطق بالثاني. **قوله**: **(ومن الشديدة)**... الخ، والحروف الشديدة ما ينحصر جري صوتها في مخرجها فمدار الشدة

---

(١) قوله: وهي ما يضعف، أي لا ينقطع جري النفس معه بل يمكن أن يتلفظ به ويتنفس فيحصل بصوت ضعيف وهذا معنى عدم الاعتماد، ١٢ منه.

(٢) قوله ومثلوا بقفق وككك مكررات متحركات. أما التكرار، فلأنك إذا نطقت بواحد من المجهورة غير مكرر، فعقيب فراغك منه يجري النفس بلا فصل، فيظن أن النفس إنما خرج مع المجهورة لا بعده، فإذا تكرّر وطال زمان الحروف ولم يخرج مع تلك الحروف المكرّرة نفس عرفت أن الموجب لحبس النفس في المخرج هو تلك الحروف. وأما الحركة، فلتعذر النطق بها ساكنات، وكذا الكلام في المهموسة، فإنك إذا كرّرتها فإنّ جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النفس فيخرج النفس ويجري كما يجري الصوت بها، وإنما اختار الكاف والقاف للمثال؛ لأنه إذا علم التباين في المتقاربين كان ذلك في المتباعدين أظهر. ١٢ منه.

الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون، **(ومن المطبقة)** نصفها الصاد والطاء، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، **(ومن المستعلية)**

والرخاوة على الصوت كما أن مدار الجَهْر والهَمْس على النَّفَس الخارج، فالصوت المتكيِّف بكيفية الحروف إما أن ينحصر ولا يجري معها أو لا ينحصر، فإن انحصر تسمى الحروف شديدة، وإن لم ينحصر تسمى رخوة. ولمّا كان انحصار الصوت في المَخرَج وجَرْيه أظهَر عند السكون قدَّروه ساكنًا ومثَّلوه بالحج والبطش والظلّ. والشديدة ثمانية أحرف وهي حروف قولك: أَجَدْتَ طبقك من الإجادة وهي جعل الشيء جيدًا والطبق معروف والمذكور منها في الفواتح أربعة وهي حروف قولك: أَقِطُكَ، أي عليك أَقِطُكَ[1] أي خذه، والأقط طعام يُتَّخَذ من اللبن وما بقي بعد هذه الحروف الثمانية الحروف الرخوة وهي عشرون بناء على أن الألف الليِّنة ليست حرفًا برأسها والمذكور في الفواتح منها عشرة أحرف نصف العشرين وهي حروف قولك: حُمُسٌ على نصره، والحُمس بضم الحاء المهملة جمع أحمس مثل أحمر. يقال: حِمس بالكسر أي تشدّد وتصلَّب في الدِّين أو في القتال. والتحمّس: التشدّد والتعافي، والحماسة: الشجاعة، والأحمس: الشجاع.

قوله: **(ومن المطبقة)**... الخ، والمطبقة بفتح الباء أربعة أحرف: الصاد والضاد والطاء والظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى عند تلفظها والمنفتحة ما بقي وهي أربعة وعشرون ينفتح اللسان والحنك عند تلفّظها بل يتجافى كل واحد منهما عن الآخر عنده. والمذكور منها في الفواتح أيضًا نصفها وهو اثنا عشر حرفًا. **قوله**: **(ومن المستعلية)**... الخ. والمستعلية هي التي يتصعَّد الصوت بها في الحنك الأعلى، وسُمِّيت مستعلية لخروج صوتها من جهة العلو وهي سبعة أحرف: الصاد والضاد والطاء والظاء والخاء والغين والقاف، والثلاثة الأخيرة منها مُستَعلية غير مطبقة، والأربعة الأُوَل مستعلية ومطبقة. والمذكور في الفواتح من هذه السبع نصفها الأقل وهو الصاد والطاء والقاف وما سوى هذه السبعة وهو أحد

---

(١) بفتح الهمزة وكسر القاف وطاء مهملة بنير. ١٢ منه.

نصفها القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة نصفها واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، **(ومن حروف القلقلة)** نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الأجناس **(مكثورة)** بالمذكورة منها. **(وقد علمت)** أن معظم الشيء ينزل منزلة كله، فكأن الله تعالى عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى **(ما مر من التبكيت)** لهم وإلزام الحجة إياهم. وإنما

وعشرون حرفًا تسمى منخفضة لخروج صوتها من جهة السفل أو لانحطاط اللسان عند تلفّظها عن الحنك الأعلى والمذكور منها نصفها الأكثر لكثرتها وهو أحد عشر حرفًا. **قوله**: **(ومن حروف القلقلة)**... الخ، وحروف القلقلة حروف يضطرب اللسان ويتحرك عن صوتها وذلك أن حرف القلقلة لاجتماع وصفي الشدة والجهر فيها يحتاج المتكلم عند النطق بها ساكنة وضغط لسانه إلى مخرج الحرف والتصاقه به فلا يخرج صوتها عند النطق بها حالة الوقف إلا بقلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها لأن ما فيها من صفة الجهر يمنع النَّفس أن يجري معها وما فيها من صفة الشدة يمنع جريان صوتها، فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلّم عند النطق ساكنة فاحتاج المتكلّم إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه فسُمِّيت حروف القلقلة[١] وهي خمسة أحرف يجمعها قولك قد طَبج[٢] بالطاء المهملة والجيم، والمذكور منها في الفواتح حرفان وهما: القاف والطاء، ولمّا لم يكن لها نصف صحيح ذكر نصفها الأقل لقلة تلك الحروف في أنفسها وما بقي بعد حروف القلقلة وهو ثلاثة وعشرون حرفًا لمّا كثرت في أنفسها اعتبر نصفها الأكثر وهو اثنا عشر حرفًا.

قوله: **(مكثورة)** أي مغلوبة في الكثرة بالنسبة إلى التي ذكرت من كاثرته فكثرته أي غلبته في الكثرة فهو مكثور أي مغلوب، يعني أن النصف التي ذكر الله تعالى في أوائل السور أكثر استعمالًا في كلام العرب من النصف المتروكة في فواتح السور. **قوله**: **(وقد علمت)** بتاء الخطاب. **قوله**: (ما مرَّ) في قوله: وقيل: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد... الخ. **قوله**: **(من التبكيت)** وهو إسكات الخصم، وفي المصباح المنير بكّت زيد عمرًا تبكيتًا عَيّره وقبّح فِعْله، ويكون

---

(١) ويقال لها القلقة. ١٢ منه.

(٢) الطبج: الضرب على الشيء الأجوف. ١٢ منه.

جاءت مفرقة على السور (لأن) إعادة التنبيه على (المتحدى) به مؤلفًا منها **لا غير** (**أوصل**) إلى الغرض، (**وكذا كل تكرير**) ورد في القرآن فالمطلوب منه **تمكين** المكرر في النفوس وتقريره. ولم تجيء على (**وتيرة**) واحدة بل اختلفت **أعداد** حروفها مثل: «ص وق ون وطه وطس ويس وحم وآلم وآلر» وطسم وآلمص وآلمر «وكهيعص وحم عسق». فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة **كعادة** (**افتنانهم**) في الكلام. وكما أن أبنية كلماتهم (**على حرف وحرفين**) إلى **خمسة** أحرف (**سلك**) في الفواتح هذا المسلك. («**وآلم» آية حيث وقعت، وكذا** ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ آية) و(﴿الٓمٓرۚ﴾) لم تعد آية وكذا (﴿الٓرۚ﴾) لم تعد آية (**في سورها الخمس** و﴿طسٓمٓ ۝١﴾) آية (**في سورتيها**) و(﴿طه ۝١﴾) و(﴿يسٓ ۝١﴾) **آيتان** (و﴿طسٓۚ﴾) ليست بآية و(﴿حمٓ ۝١﴾ **آية في سورها كلها**) و(﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ **آيتان**) و(﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ **آية**) و(﴿صٓۚ﴾) و(﴿نٓۚ﴾) و﴿قٓۚ﴾ ثلاثها لم

التبكيت بلفظ الخبر كما في قول إبراهيم ﷺ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٣] هذا فإنه قاله تبكيتًا وتوبيخًا على عبادتهم الأصنام. **قوله**: (**لأن المُتحَدّى**) به أي القرآن. **قوله**: (**أوصل**) أي أشدّ إيصالًا. **قوله**: (**وكذا كل تكرير**).اهـ. سواء كان مع اتحاد اللفظ أو بدونه.

قوله: (وتيرة) أي طريقة. **قوله**: (**افتنانهم**) أي تنوُّعهم. **قوله**: (**على حرف**) واحد كباء الجر والكاف ونحو ذلك. **قوله**: (**وحرفين**) كما في الحروف والأسماء الغير المتمكِّنة منتهية إلى خمسة أحرف. **قوله**: (**سلك**) على صيغة المجهول أي أجري. **قوله**: (**والم آية حيث وقعت**) ذكر ﴿الٓمٓ﴾ في ست سور في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

قوله: (**وكذا** ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الآية ١] **آية**) في الأعراف. **قوله**: (﴿الٓمٓرۚ﴾ [الآية ١]) في الرعد. **قوله**: (**في سورها الخمس**) يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر. **قوله**: (**في سورتيها**) الشعراء والقصص. **قوله**: (و﴿طسٓۚ﴾ [الآية ١]) في النمل. **قوله**: (﴿حمٓ﴾ [الآية ١] **آية في سورها كلها**) ذكر ﴿حمٓ﴾ في ست سور في سورة المؤمن وحم السجدة والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف. **قوله**: (﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الآيتان ١، ٢]) في سورة الشورى. **قوله**: (﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [الآية ١]) في سورة مريم.

تعد آية وهذا عند الكوفيين ومَن عداهم لم يعد شيئًا منها آية، **(وهذا)** علم **(توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور)**.

(ويوقف على جميعها وقف التمام) إذا حملت على معنى مستقل **(غير محتاج**

قوله: (وهذا) علم **(توقيفي)** أي سمعي موقوف على السمع أي تعيَّن بعض هذه الفواتح آية دون بعض ليس مبنيًّا على اختيارنا حتى يقال: إنه ترجيح بلا مُرَجِّح بل هو مبني على التوقيف من قِبَل الشارع **(لا مجال للقياس فيه)** فإن قيل: وقوع الخلاف بين الأئمة يدلّ على أن للقياس مجالًا فيه أُجيب بأن مبنى الخلاف إنما هو صحة الرواية وعدمها، فمَن صحّ عنده رواية أن لفظ كذا آية قال بكونه آية، ومَن لا فلا أقول أما عدد الآيات ففيه مذاهب خمسة: مدني ومكّي وكوفي وبصري وشامي. فالمدني رواه شيبة المدني مولى أُم سلمة عنها ويزيد بن القعقاع المدني. والمكّي رواه ابن كثير وغيره من أهل مكة عن أُبَيّ وابن عباس رضي الله تعالى عنهم. والكوفي عن حمزة بن حبيب الزيَّات مسندًا إلى عليّ رضي الله تعالى عنه. والبصري عن المعلى بن عيسى عن عاصم. والشامي عن ابن ذكوان وابن عامر وأن مُوجِب اختلافهم في هذا التوقيف كالقراءة. قال أبو عمرو: وهذه الأعداد وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة فإن لها لا شك مادة تتصل بها وإن لم نعلمها إذ كل واحد منهم لقي غير واحد من الصحابة وسمع منه أو لقي مَن لقي الصحابة مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع بل إنها تمسك واتباع. وقال السخاوي رحمه الله: لو كان ذلك راجعًا إلى الرأي لعدَّ الكوفيون الراية كما عدّوا الّم ومثله كثير. **قوله**: **(كمعرفة السور)** ما روى أُبَيّ رضي الله تعالى عنه ما كنّا نعلم آخر السورة إلا إذا قال عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم. **قوله**: **(ويُوقَف على جميعها وقف التمام)** بفتح التاء وميمين هذا هو الصحيح الموافق للكشاف، وفي بعض النسخ بميم واحدة فإن صحَّت فالمعنى كوقف الكلام التام والوقف قطع الكلمة عمّا بعدها وهو إما تامّ أو كافٍ أو ناقص لأنه إما أن يكون على كلام غير مفيد إلا بانضمام ما بعده إليه فهو قبيح ناقص، وإما على كلام مفيد فهو حسن، ثم إن كان لِما بعده تعلّق بما قبله في الإعراب فهو الكافي وإلا فهو التامّ، فالوقف على بسم الله أو على بسم الله الرحمٰن الرحيم كاف، وعلى بسم الله الرحمٰن الرحيم تامّ، وإما على مجرد بسم فهو ناقص قبيح. **قوله**: (غير محتاج

إلى ما بعده)، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور **(ونعق)** بها كما ينعق بالأصوات، أو جعلت وحدها **(أخبار)** ابتداء محذوف كقوله: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآيتان ١] أي هذه الم ثم ابتدأ فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: الآية ١] ولهذه الفواتح محل من الإعراب **(فيمن جعلها)** أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام **(وهو الرفع على الابتداء، أو النصب أو الجر)** لصحة القسم بها وكونها بمنزلة (الله والله) على اللغتين، ومَن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصوّر أن يكون لها محل **(في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة)**.

إلى ما بعده) احتياج العامل إلى معموله. **قوله**: **(نعق)** أي صوّت. **قوله**: **(أخبار)** بالفتح جمع خبر ابتداء بمعنى المبتدأ. **قوله**: **(فيمن جعلها)** أي في قول مَن جعلها. **قوله**: **(وهو الرفع على الابتداء)** يتناول المبتدأ(١) والخبر فإن العامل فيهما هو الابتداء كما هو مذهب المُحَقِّقين.

قوله: **(أو النصب)** بتقدير فعل القَسَم على طريقة الله لأفعلنَّ بالنصب فإن تقديره أُقسم بالله لأفعلنَّ حذف الباء وأوصل الفعل فصار المُقسَم به منصوبًا ثم حذف الفعل أيضًا. **قوله**: **(أو الجر)** على إضمار حرف القَسَم. **قوله**: **(اللهَ واللهِ)** الواو للعطف أي يقال: (الله بالنصب) بنزع الخافض إذ أصله أُقْسِمُ بالله، واللهِ بالجر على إضمار حرف القَسَم أي واللهِ. **قوله**: **(في مذهبه)** أي في مذهب مَن لم يجعلها أسماء. **قوله**: **(كما لا محل للجملة المبتدأة)** أي التي وقعت في ابتداء الكلام فلم تقع موقع مفرد ليطرأ عليها ما يقتضي إعرابها في محلها.

قوله: **(وللمفردات المعدودة)** أي الواردة على نمط التعديد فلم تقع في تركيب ليعتور عليها ما يوجب إعرابها لفظًا أو محلًا والحاصل أن هذه الألفاظ إذا سُرِدَت على طريقة التهجّي لم يكن لها إعراب أصلًا لفَقْد المقتضى والعامل قيل أورد مثالين تنبيهًا على أن ما انتفى إعرابه لفَقْد مقتضيه قسمان: جملة ومفرد وربما يقال: بعض الفواتح كالجملة في تعدّد كلماته وبعضها كالمفرد في أنه كلمة واحدة.

---

(١) وخبرهما بعده وإنما جاز الإخبار عن السورة بالكتاب لأنه أُريد بها الكتاب أو بالكتاب البعض مجاز، كذا أفاده المحقّق التفتازاني. ١٢ منه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾

(﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي ذلك الكتاب الذي وعد به) على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، أو «ذلك» إشارة إلى «الم»، (وإنما ذكّر اسم الإشارة) والمشار إليه

قوله: (﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾) ذا اسم إشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بُعد المُشار إليه والكاف للخطاب. **قوله**: (أي ذلك الكتاب الذي وُعِد به)... الخ. فالمشار إليه بعيد حقيقة. **قوله**: (وإنما ذكر اسم الإشارة)... الخ. يعني أن تذكير اسم الإشارة إذا أُريد بالّم المؤلف أو القرآن ظاهر وأما إذا أُريد به السورة فإنما هو بالنظر إلى أن ما هو خبر أو صفة له مذكر وهو الكتاب فإن المبتدأ والخبر وكذا الموصوف والصفة لما كانا عبارتين عن شيء واحد ومتّحدين صدقًا جاز إجراء الخبر على المبتدأ وحُكْم الصفة على الموصوف في التذكير والتأنيث كما أُجْرِي حكم اسم كان على خبره في قولهم: مَن كانت أُمك فإنه أنّث اسم كان وهو الضمير الراجع إلى خبره لتأنيث خبره وهو أُمك. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: الآية ٧٨] ذكر المبتدأ نظرًا إلى كون الخبر مذكرًا فكذا ذكر لفظ ذلك مع كونه إشارة إلى السورة لتذكير الكتاب والظاهر أنه لا حاجة إلى العذر في تذكير ذلك لأن المُشار إليه بذلك لا يخلو إما أن يُراد به مسمَّى الّم، أو اسم الّم، وكل واحد منهما ليس بمؤنث، أما المُسَمَّى فظاهر لأنهْ هو البعض المخصوص من الكلام المُنَزَّل المُسَمَّى بسورة البقرة كما أنه مُسَمَّى بالّم ومعلوم أنه ليس فيه تأنيث أصلًا وأما اسم الّم فهو أيضًا ليس بمؤنث كما أنه ليس بمُشار إليه، نعم ذلك المُسَمَّى له اسم آخر وهو سورة البقرة وهو مؤنث إلا أن المذكور سابقًا ليس هذا الاسم حتى يتوهَّم كونه مُشارًا إليه بلفظ ذلك ويحتاج إلى الاعتذار في تذكير اسم الإشارة وبالجملة التذكير هٰهنا على مقتضى الظاهر فلا يرِد عليه شيء إلا أن لفظ ذلك لمّا كان إشارة إلى المسمّى بالّم وهو المُنَزَّل المُخَصَّص واشتهر بين الأمة عند إرادة تعيينه بخصوصه أن يُعَبَّر عنه بسورة البقرة لوحِظ كونه سورة في وضع العلم له فكان قوله: الّم في قوة هذه السورة فورد أن يقال ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث فاحتيج إلى الاعتذار لذلك.

مؤنث وهو السورة، لأن الكتاب (إن كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه) مسماه فجاز إجراء حكمه (عليه) بالتذكير والتأنيث، (وإن كان صفته فالإشارة به) إلى الكتاب صريحًا لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له، تقول: (هند ذلك الإنسان) أو ذلك الشخص فعل كذا، ووجه (تأليف) ذلك الكتاب مع «الم» إن جعلت «الم» اسمًا للسورة أن يكون «الم» مبتدأ و«ذلك» مبتدأ ثانيًا و«الكتاب» خبره (والجملة خبر للمبتدأ الأول، ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل) (كأن ما عداه) من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول: هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال (من مرضيات الخصال)، وأن يكون «الم» خبر مبتدأ محذوف أي هذه «الم» جملة و«ذلك الكتاب» جملة أخرى، وإن جعلت «الم» (بمنزلة الصوت) كان «ذلك» مبتدأ خبره «الكتاب» أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل.

قوله: (إن كان خبره) أي خبر ذلك، (كان ذلك) أي لفظ ذلك (في معناه) أي معنى الكتاب ومُسَمَّاه أي ذلك (مُسَمَّاه) أي مُسَمَّى الكتاب أي يصدقان على شيء واحد وإن تغايرا مفهومًا فجاز إجراء حكمه أي حكم الكتاب الذي هو الخبر (عليه) أي على ذلك الذي هو المبتدأ. **قوله**: (وإن كان) أي الكتاب (صفته) أي صفة ذلك (فالإشارة به) أي بذلك. **قوله**: (هند ذلك الإنسان)... الخ، في المصباح هِنْدٌ اسم امرأة يُصرَف ولا يصرف وإن شئت جمعته جمع التكسير فقلت: هُنُودٌ، وإن شئتَ جمع السلامة فقلت هِنْدَاتٌ. **قوله**: (تأليف) أي تركيب. **قوله**: (والجملة خبر للمبتدأ الأول) والعائد فيها هو اسم الإشارة القائم مقام الضمير. **قوله**: (ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل)... الخ، أُدخِل ضمير الفصل بَيْنَ المبتدأ والخبر إيذانًا بأن التركيب يفيد الحصر بناء على أن اللام للجنس حيث لا عهد ووصف الكتاب بالكامل تنبيهًا على أن المقصود من حصر الجنس حصر الكمال وإلا لم يكن الحصر صحيحًا. وقال: (كأنَّ ما عداه) تصريحًا لما يتضمنه حصر الكامل فيه من إثبات النقصان لِما يقابله من الكتب تأكيدًا له وفي لفظ كأنَّ نوع تأدّب مع سائر كتب الله سبحانه وتعالى.

قوله: (من مرضيات الخصال) بيان ما. **قوله**: (بمنزلة الصوت) لا يكون له محل من الإعراب.

﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك (وهو مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة). وحقيقة الريبة قلق النفس (واضطرابها ومنه) قوله (عليه السلام): «دع ما يريبك» إلى ما لا يريبك فإن

قوله: (وهو) أي الريب (مصدر رابني) يعني في الأصل وإلا فهو في مثل هذه المواضع بمعنى الشك والرِّيبة. **قوله**: (إذا حصل فيك الريبة) بكسر الراء وهي وإن اشتهرت في معنى الشك إلا أن معناها الأصلي قلق النفس واضطرابها، يعنى أن الريب في الأصل مصدر رابني الشيء أقلقني وجعلني مضطربًا، فالرّيب معناه تحصيل القلق وإفادة الاضطراب للنفس إلا أنه عدل عن معناه المصدري واستعمل في هذا الموضع ونظائره في معنى الشك لكونه سببًا لقلق النفس واضطرابها على طريق إطلاق اسم المسبّب وإرادة السبب والشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا ترجّح أحدهما على الآخر فتقع في الاضطراب والحيرة. **قوله**: (واضطرابها) عطف تفسير للقلق. **قوله**: (ومنه) أي مما ورد فيه الرّيبة على حقيقتها.

قوله: (عليه السلام دع) أي اترك (ما يريبك) بفتح الياء وضمّها، والفتح أشهر إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة استشهد بالحديث على أن الشك ليس معنًى أصليًا للريب والريبة بل لهما معنى أصلي غير الشك لأنه لو اتّحد معناهما لكان قوله عليه الصلاة والسلام: فإن الشك ريبة بمنزلة قولك: فإن الأسد[1] غضنفر[2] فإن معنى الحديث والله أعلم تعليل الأمر بترك ما يُقلِق النفس ذاهبًا إلى ما لا يُقلقها كأنه قيل: أمرتك بترك ما يُقلِق قلبك لأن قلق قلب المؤمن وعدم استقراره إنما ينشأ من كون الشيء مشكوكًا فيه غير حق وثابت في نفسه فمتى اضطرب قلبك في حق شيء كان ذلك أمارة كونه مشكوكًا فيه أي غير حق في نفسه وحكم عليه السلام بأن الشك ريبة للمبالغة في سببيّته لها فإن الريبة المذكورة في الحديث ليست بمعنى الشك وإن اشتهرت فيه بل المراد بها معناها الحقيقي الأصلي، وكما استشهد بالحديث على أن الريبة غير الشك وإلا لم يكن في الكلام فائدة استشهد بجعل الريبة مقابلة للطمأنينة في الحديث المذكور على أن ذلك

---

(١) قوله: فإن الأسد غضنفر وهو من لغو الحديث. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) في القاموس: الغَضَنْفَر الأسد. ١٢ منه عُفِي عنه.

الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة» أي فإن كون الأمر مشكوكًا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر، وكونه صحيحًا صادقًا مما تطمئن له وتسكن، **(ومنه)** ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس **(ويشخص بالقلوب من نوائبه)**. وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفي كونه متعلقًا للريب **(ومظنّة له)** لأنه من

المعنى المُغائر للشك قلق النفس واضطرابها وفي الحواشي الشريفية معنى الحديث دع ما يريبك أي يُقلقك ذاهبًا إلى ما يطمئن به قلبك، فإن كون الشك في نفسه مشكوكًا فيه غير صحيح ريبة، أي مما تقلق له النفس الزكية وتضطرب معه والصدق كونه صحيحًا صادقًا طمأنينة أي يطمئن القلب بسببه ويسكن أي إذا وجدت نفسك مضطربة في أمر فدعه وإذا وجدتها مطمئنة فيه فاستمسك به لأن اضطراب قلب المؤمن في شيء علامة كونه باطلًا محلًا لأن يُشَكّ فيه وطمأنينة فيه علامة كونه حقًا وصدقًا وهذا الأمر مخصوص بذوي النفوس الشريفة القدسية الطاهرة من أوضار[1] الذنوب وأوساخ الآثام. قيل إن المصنِّف رحمة الله عليه اعتمد في نقل متن الحديث على الزمخشري وإلا فالحديث في رواية الترمذي والنسائي هكذا فإن الصدق طمأنينة والكذب[2] ريبة ولا يخفى أن صحة أحد الروايتين لا تنافي صحة الأخرى. **قوله**: (ومنه) أي من قبيل إطلاق الريب الذي هو في الأصل مصدر بمعنى تحصيل القلق وإفادة الاضطراب على ما سيكون سببًا له مثل إطلاقه على الشك على طريق إطلاق لفظ المصدر وإيقاعه موقع اسم الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإن الريب في الأصل مصدر بمعنى قلق النفس واضطرابها وأُريد به الشك الذي يُورِث ذلك الاضطراب ويكون سببًا له. **قوله**: **(ويشخص بالقلوب)** أي يُقلقها من شخص به إذا ورد عليه أمر أقلقه كأنه يجعل شاخصًا بصره فلا يطرق من حَيْرته، وقيل: أي يذهب بالقلوب، يقال: شَخَصَ من بلد إلى بلد أي ذهب، فالباء للتعدية **(من نوائبه)** أي حوادثه. **قوله**: **(ومظنّة له)** ومظنَّة الشيء محله الذي يظنّ وجوده فيه.

---

(١) الوَضَر الدَّرَن كذا في الصحاح. ١٢ منه عُفي عنه.

(٢) بفتح الكاف وكسر الذال وفي نسخة اليد ضبطه بكسر الكاف وسكون الذال والأول هو الأفصح الواقع في القرآن والثاني لغة. ١٢ منه.

وضوح الدلالة **(وسطوع البرهان)** بحيث لا ينبغي لمرتاب **(أن يقع فيه)** لا أن أحدًا لا يرتاب، وإنما لم يقل «لا فيه ريب» كما قال (﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: **الآية ٤٧**]) لأن المراد **(في إيلاء الريب حرف النفي)** نفي الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار، **(ولو أولى)** الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد **(وهو أن كتابًا آخر فيه ريب لا فيه)** كما قصد في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: الآية ٤٧]، تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها **(لا تغتال العقول)** كما تغتالها هي. والواقف على «فيه» **(هو المشهور. وعن نافع وعاصم)** أنهما وقفا على «ريب». ولا بد للواقف **(من أن ينوي خبرًا)** والتقدير: لا ريب فيه.

قوله: **(وسطوع البُرهان)** أي ظهوره. **قوله**: **(أن يقع فيه)** الضمير للارتياب الذي دلّ عليه مُرتاب أي لا ينبغي لصاحب الارتياب أن يقع فيه، وقيل للقرآن على معنى أن يطعن فيه من قولهم: وقع في فلان إذا اغتابه وطعن فيه. **قوله**: **(﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصَّافات: الآية ٤٧])** أي ليس في الجنة بشرب الخمر ذهاب العقل وعرض الصداع كما في الدنيا. **قوله**: **(في إيلاء)** أي اتصال **(الريب حرف النفي)** أي جعله بحيث يلي حرف النفي أي يقرب منه ويعقبه بلا فصل. **قوله**: **(ولو أولى)** على صيغة الماضي المجهول أي لو اتصل الظرف بالرفع ويحتمل النصب على معنى ولو جعل حرف النفي بحيث يَلِي الظرف أي يقرب منه ويقدّمه بلا فصل. **قوله**: **(وهو أن كتابًا آخر فيه ريب لا فيه)** أي لا في القرآن بيان للمعنى البعيد عن المراد لا للمعنى المراد كما هو الظاهر.

قوله: **(لا فيها)** أي في خمور الجنة **(غَوْلٌ)** غائلة[1] كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله إذا أفْسَدَه. **قوله**: **(لا تغتال العقول)** أي لا تذهب بها. **قوله**: **(هو المشهور)** قيل على هذا يكون الكتاب نفسه هدى وعلى الآخر ظرفًا له والأول أبلغ فالمشهور أولى. **قوله**: **(وعن نافع)** بن عبد الرحمٰن المدني. **قوله**: **(وعاصم)** بن أبي النجود الكوفي. **قوله**: **(من أن ينوي خبرًا)** وذلك ليكون الموقوف عليه مفيدًا تامًا وإلا كان الوقف قبيحًا ناقصًا، ويسمى الوقف بينهما معانقة أو مراقبة يعني إن وقف على الأول وصل في الثاني وبالعكس كذا أفاده في

---

(١) الغوائل الدواهي. ١٢ قاموس.

﴿فِيهِ هُدًى﴾ **(فيه بإشباع كل هاء كناية مكي)** ووافقه حفص **(في فيه مهانًا وهو)** الأصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره. **(وكما لا يقال في داره ومن عنده)** وجب أن لا يقال فيه. وقال سيبويه **(ما قاله)** مؤدٍّ إلى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن: الياء قبل الهاء، والهاء إذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لأن الهاء خفية والخفي قريب من الساكن، والياء بعدها. والهدى مصدر على فعل **(كالبكي)** وهو الدلالة الموصلة **(إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته)** في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٦] وإنما قيل هدى ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مهتدون لأنه كقولك للعزيز المكرم: أعزّك الله وأكرمك، تريد

الجمالين. **قوله: (فيه بإشباع كل هاء كناية مكي)** أي قرأ عبد الله بن كثير المكي فيه بالإشباع في الوصل أي بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء ضمير للغائب قبلها ساكن يشبعها وصلًا بالياء إن كان الساكن ياء وإلا بالواو ونحو منه كما يشبع القرّاء كلهم كل هاء قبلها متحرّك مكسور ياء نحو به أو غير مكسور واوًا نحو يضربه له ما لم يلقها ساكن فإذا لقيها ساكن سقطت مُدَّة الإشباع لاجتماع الساكنين إجماعًا نحو عليه الكتاب وله الحكم غير أن الكلمة إذا كانت ناقصة حذفت آخرها لأجل الجزم نحو يودّه ونوله ونصله فاتّقه ويتّقه وبأنه ويرضه وبقي ما قبل الهاء متحركًا ففيها خلاف القرّاء نذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى فقرأ بعضهم بالإشباع نظرًا إلى تحرك ما قبلها، وبعضهم بالاختلاس[1] نظرًا إلى كون الحركة عارضية وتنبيهًا على الحرف المحذوف وبعضهم بالسكون لحلوله محل المحذوف. **قوله: (في** ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٩]**)** أي في قوله: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفُرقان: الآية ٦٩]. **قوله: (وهو)** أي الإشباع. **قوله: (وكما لا يقال في داره ومن عنده)** يعني بغير الإشباع. **قوله: (ما قاله)** أي المكي. **قوله: (كالبُكى)** يُمَدّ ويقصر إذا مددت أردتَ الصوت الذي يكون مع البكاء وإذا قَصَرت أردتَ الدموع وخروجها كذا في الصحاح. **قوله: (إلى البغْية)** أي المطلوب. **قوله: (بدليل وقوع الضلالة في مقابلته)**... الخ، يعني لأن الضلالة يقع في مقابلته استعمالًا وعدم الوصول إلى المطلوب معتبر في الضلالة فيجب أن يعتبر

---

(١) الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بثلثيها. ١٢ منه.

(طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه) واستدامته كقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، أو **(لأنه سماهم)** عند **(مشارفتهم لاكتساء)** لباس التقوى **(متقين كقوله** عَلَيْهِ السَّلَامُ «**مَن قتل قتيلًا فله سلبه**»[1]) وقول ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل **(فإنه يمرض المريض)**، فسمّى **(المشارف للقتل)** والمرض قتيلًا ومريضًا. ولم يقل: هدى للضالين. لأنهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى وهو هدى لهؤلاء **(فحسب)**، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل **(هدى للصائرين)** إلى الهدى بعد الضلال **(فاختصر الكلام)** بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل «هدى للمتقين» **(مع أن فيه)** تصديرًا للسورة التي هي أولى **(الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله)**. والمتقي في اللغة اسم

الوصول في مفهوم الهدى ليصحّ التقابل. **قوله: (طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه)** أي حال كونها منضمّة أي ما هو ثابت فيه. **قوله: (ولأنه سمّاهم)** أي غير المتقين. **قوله: (مُشارفتهم)** أي قربهم. **قوله: (لاكتساء)**... الخ متعلق بمشارفتهم. **قوله: (متقين)** أي سمّاهم متقين مجازًا باعتبار ما يؤول إليه **(كقوله عليه الصلاة والسلام: مَن قتل قتيلًا)** فعيل بمعنى مفعول . **قوله: (فله)** الضمير راجع إلى الموصول. **قوله: (سَلبه)** أي سلاحه سمّى الحي مقتولًا باعتبار ما يؤول إليه. **قوله: (فإنه)** أي الشأن . **قوله: (يُمْرِضُ المريض)** أي يطرأ المرض على الصحيح الذي يؤول أمره إلى كونه مريضًا. **قوله: (المشارف)** أي القريب. **قوله: (للقتل)** أي إلى القتل والمرض. **قوله: (فحسب)** أي فقط. **قوله: (هدى للصائرين)** أي للضالين الصائرين. **قوله: (فاختصر الكلام)** بإجراء الكلام على طريقة المجاز المذكور. **قوله: (مع أن فيه)** أي في ذكر المتقين.

قوله: (الزهراوين) أعني البقرة وسورة آل عمران والزهراوين تثنية الزهراء تأنيث الأزهر وهي المُضيء الشديد الضوء أي المُنيرتين لنورهما وهدايتهما وعظم أجْرهما فكأنهما بالنسبة إلى ما عداهما عند الله مكان القمرين من سائر الكواكب. وقيل لاشتهارهما شُبّهتا بالقمرين وسُمّيتا زهراوين لكثرة أنوار الأحكام الشرعية والأسماء الحسنى العَلِيَّة وتسميته البقرة وآل عمران بالزهراوين مما نطق به الحديث. **قوله: (وسَنام القرآن)** سُمّيت البقرة سنام القرآن لأنها أعظم سورة منه وأرفعها كما أن السَّنام أكبر أعضاء الإبل وأعلاها. **قوله: (بذكر أولياء الله)** أي

فاعل من قولهم: **(وقاه فاتقى)**، ففاؤها واو ولامها ياء، وإذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء الأخرى فقلت اتقى. **(والوقاية)** فرط الصيانة، وفي الشريعة **(مَن يقي)** نفسه **(تعاطى)** ما يستحق به العقوبة **(من فعل أو ترك)**. ومحل «هدى» الرفع لأنه **(خبر مبتدأ محذوف، أو خبر مع «لا ريب فيه» لذلك)**، أو النصب على الحال من الهاء في «فيه» **(والذي هو أرسخ عرقًا في البلاغة)** أن

بذكر اسم أولياء الله تعالى رعاية لحُسْن المَطلع. **قوله**: **(وقاه فاتقى)** أصله أو تقى. **قوله**: **(والوقاية)** في اللغة فرط الصيانة مطلقًا أي أيّ شيء كان ومنه فرس واقٍ إذا وقى حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤذيه.

قوله: **(مَن يقي)** أي يحفظ ويجتنب نفسه... الخ. حاصله أنه الذي يفعل الحسنات ويترك السيئات . **قوله**: **(تعاطى)** تناول وأخذ. **قوله**: **(من فعل أو ترك)** أي فعل معصية وترك طاعة. **قوله**: **(خبر مبتدأ محذوف)** أي هو هدى. **قوله**: **(أو خبرٌ[1] مع لا ريب فيه لذلك[2])** أراد المَعِيَّة في كون كلٍّ منهما خبرًا له.

قوله: **(والذي هو أرسخ)** أي أحكم **(عِرْقًا)** أي ثباتًا **(في البلاغة)**... الخ. لمّا كان ما ذكر من وجوه إعراب هذه الآية مبنيًّا على مجرد كون اللفظ محتملًا لها على وجه يصحّ به انتظام الألفاظ مع سداد المعنى في الجملة فلا بد في الكلام البليغ أن ينظر المتكلم عند نظمه إلى المعاني والأغراض المطلوبة له ويرتبها في ذِهنه ثم يرتِّب الألفاظ على حذوها فإن مدار البلاغة ومبناها إنما هو رعاية جانب المعنى وجزالته ثم تطبيق اللفظ على ما يقتضيه المقام فحق مَن يتصدى لكلام الله تعالى وتأويله أن يلاحظ حق المعاني بالاعتبار وأقربها محلًا ثم يكشف وجه انطباق ألفاظ على تلك الأغراض المطلوبة منها فلما ذكر من وجوه الإعراب ما ذكره ولاحظ أنه رُوعِي في تلك الوجوه جانب الألفاظ ووجه انتظامها على وجه الصحة مع سداد المعنى في الجملة وأن الاقتصار على هذا القدر لا وجه له في توجيه انتظام الكلام البالغ إلى أقصى مراتب البلاغة لم يرضَ بما ذكره أولًا لخلوّه عن رعاية جانب المعنى وجزالته واعتبار الدلالة العقلية والارتباطات المعنوية واختار

---

(١) قوله: أو خبر أي خبر ثان والأول لا ريب فيه. ١٢ منه.
(٢) قوله: لذلك، أي اللفظ ذلك. ١٢ منه.

(يقال): إن قوله: «الم»(جملة برأسها) أو طائفة من حروف المعجم (مستقلة بنفسها)، «وذلك الكتاب» جملة ثانية، «ولا ريب فيه» ثالثة، و«هدى للمتقين» رابعة. (وقد أُصيب بترتيبها مفصل البلاغة) حيث (جيء بها متناسقة هكذا) من غير حرف عطف (وذلك) لمجيئها متآخية (آخذًا بعضها بعنق بعض للتآخي)، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها (وهَلُمّ جرًا) إلى الثالثة والرابعة، بيان ذلك أنه

وجهًا آخر مشتملًا على ما هو مدار البَلاغة من رعاية جانب المعنى وجزالته أولًا فقال: والذي هو راسخ عرقًا أي أدخل فيها أن (يقال)... الخ.

وقوله: (جملة برأسها) مستقلة بنفسها أي مع قطع النظر عمّا بعدها. **وقوله**: (مستقلة بنفسها) أي غير مُحتاجة إلى غيرها في إفادة ما أُريد منها من الإيقاظ أو تقدمة الإعجاز فنزلت لذلك منزلة جملة لا محل لها. **وقوله**: (وقد أُصيب بترتيبها مَفْصِل البلاغة) بالنصب أي فعل ترتيبها مصيبًا إياه فإن الباء للتعدية وقد يرفع على أنها للسببية والآلة في المصباح ويأتيك بالأمر من مَفْصِله[1] أي من منتهاه. انتهى. **وقوله**: (جيء بها) أي بالجمل. **قوله**: (متناسقة) أي منتظمة متماثلة بحيث يرتبط بعضها ببعض. **وقوله**: (هكذا) مفعول مطلق، أي هذا النوع من التناسق.

وقوله: (وذلك) أي المجيء بها غير متعاطفة لمجيئها متآخية متناسبة غاية التناسب.

وقوله: (آخذًا بعضها بعنق بعض) تأكيد. **وقوله**: (للتآخي) وأقوى في الدلالة على كمال الاتصال مما يقدَّم من أخذ بعض الكلام بعجز بعض. **قوله**: (وهَلُمَّ جرًا) أي تعال على هينة وسهولة وهو من أمثال العرب وأصله من الجر في السوق وهو أن يترك الإبل يرعى في مسيرها وجرًّا مصدر جر يجر بمعنى جذب وقع حالًا أي جارًا ومنجرًا. وقيل منصوب على المصدرية لأن في هَلُمَّ معنى جرَّ وهَلُمَّ بفتح الميم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنّث ويُجمَع عند بني تميم وأصله عند البصريين هالم من لم إذا قصد حذفت الألف وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا

---

(١) وزن مسجد. اهـ مصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

نبّه أولًا (على أنه الكلام المتحدى به)، ثم أشير إليه بأنه الكتاب (المنعوت بغاية الكمال) فكان تقريرًا لجهة التحدي، ثم نفى عنه أن (يتشبث) به طرف من الريب فكان شهادة (وتسجيلًا بكماله) لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة.

وقيل لعالم: فيم لذتك؟ قال: في حجة تتبختر اتضاحًا وهي شبهة (تتضاءل) افتضاحًا. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينًا (لا يحوم) الشك حوله، (وحقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة)

تدخل الأمر فيكون متعديًا كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٠] ولازمًا كقوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨] وهو معطوف على مقدر فاحكم باتحاد الثانية بالأولى وهلُمَّ جرًا إلى ما بعدها.

قوله: (على أنه الكلام المتحدَى به) أما على تقدير كونها للتعديد والإيقاظ فظاهر وأما على تقدير كونها اسمًا للسور فلأن في ذلك إشعارًا بأن القرآن ليس إلا كلمات عربية معروفة التركيب من مُسَمَّيات هذه الألفاظ. **قوله**: (المنعوت بغاية الكمال) أي في نظمه ومعناه بحيث لا يستحق غيره أن يسمى كتابًا وفي ذلك تقرير وتحقيق لجهة التحدي وإنه الحقيق بأن يتحدى به. **قوله**: (يتشَبَّث) أي يتعلق. **قوله**: (وتسجيلًا بكماله) أي حُكمًا مقطوعًا بذلك فيكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تأكيدًا لذلك الكتاب كما أن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تأكيد لـ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وكل واحدة من هذه الجُمَل الثلاث مؤكِّدة ومقرِّرة معنًى لِما اتصلت به لفظًا فلا مجال للعاطف بينهما. **قوله**: (تتضاءل) أي تضعف. **قوله**: (لا يحوم) أي لا يدور. **قوله**: (وحقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا يتطرَّق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلًا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به، أي حتى راموا فيه أن يكون ليس حقًّا ثابتًا من عند الله وإبطالًا له لم يصلوا إليه ذكر أظهر الجهات وأكثرها في الاعتبار وهو جهة القدّام والخلف وأُريد الجهات بأسرها أو لا يأتيه الباطل فيما أخبر عمّا مضى ولا فيما أخبر عن الأمور الآتية أو الباطل، والشيطان لا يستطيع أن يغيِّره بأن يزيد فيه أو يُنقص منه أو لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب يُبطله أو ينسخه. **قوله**: (ثم لم تَخْلُ) عطف على قوله قد أُصيب (كل واحدة) لشمول النفي أي لم تَخْلُ واحدة منها من نكتة ذات جزالة

من الأربع (**بعد**) أن رتبت هذا الترتيب (**الأنيق**) ونظمت هذا النظم (**الرشيق**) من نكتة (**ذات جزالة. ففي الأولى الحذف والرمز إلى المطلوب بألطف**) وجه، (**وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف**)، وفي الرابعة الحذف، ووضع المصدر الذي هو «هدى» موضع الوصف الذي هو «هاد» كأن نفسه هداية وإيراده منكرًا ففيه إشعار بأنه هدى (**لا يكتنه كنهه**). والإيجاز في ذكر المتقين كما مرّ.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ (**في موضع رفع أو نصب على المدح**) أي هم الذين يؤمنون أو أعني الذين يؤمنون، أو هو مبتدأ وخبره «أولئك على هدى»، أو جرّ على أنه صفة للمتقين، وهي صفة واردة (**بيانًا**) وكشفًا للمتقين كقولك «زيد الفقيه» المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من الإيمان الذي هو (**أساس الحسنات**)،

بل اشتملت عليها كلٌّ منها. **قوله**: (**بعد**) ليس ظرفًا للخلو ولا لعدمه بل لما دلّ عليه سياق الكلام من اعتبار عدم الخلو بعد اعتبار ذلك الترتيب. **قوله**: (**الأنيق**) أي العجيب. **قوله**: (**الرشيق**) اللطيف. **قوله**: (**ذات جزالة**) أي عظمة أو كثرة. **قوله**: (**ففي الأولى الحذف**) أي حذف المبتدأ الذي هو هذه. **قوله**: (**والرمز**) أي الإشارة (**إلى المطلوب**) وهو أن المُتَحَدَّى به مُعجِز من الله تعالى. **قوله**: (**بألطف**) أي بأحسن. **قوله**: (**وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة**) أي العظمة فإن تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصر جنس الخبر في المبتدأ بناءً على أن المبتدأ يكون أكمل أفراد ذلك الجنس وهو تفخيم بليغ للمبتدأ. **قوله**: (**وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف**) وهو أنه يفيد نفي الريب عنه بالكلية من غير تعرّض لوجود ريب في غيره فإنه لو قدَّم الظرف وقيل لا فيه ريب لأوهم أن انتفاء الريب مختص بهذا الكتاب من بين سائر الكتب وهو وَهْم باطل إذ لا ريب في شيء من الكتب السمٰوية. **قوله**: (**لا يكتنه**) أي لا يعلم. **قوله**: (**كنهه**) أي غاية.

قوله: (**في موضع رفع أو نصب على المدح**)... الخ، أي في موضع رفع على المدح بتقديرهم أو نصب عليه بتقدير أعني. **قوله**: (**بيانا**) مفعول له. **قوله**: (**أساس الحسنات**) أي أصلها جعل الإيمان أساسًا إذ لا حسنة بدونه.

والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية **(وهما العيار)** على غيرهما، ألا ترى أن النبيّ ﷺ سمّى **(الصلاة عماد الدين)**، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة، وسمّى الزكاة قنطرة الإسلام فكان من شأنهما **(استتباع)** سائر العبادات، ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عدّ الطاعات بذكر ما هو **(كالعنوان)** لها مع ما في ذلك **(من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين، أو صفة مسرودة)** مع المتقين تفيد **(غير فائدتها)** كقولك: زيد الفقيه **(المتكلم**

قوله: (وهما العِيار) أي الشاهد، يريد أن مَن أتى بهما كان دالًّا على أنه يأتي بغيرهما ولم يقل العياران لأنه في الأصل مصدر، يقال عايرت المكائيل والموازين عيارًا أي قايستها ثم نقل إلى ما يُقاس به ويُغاير، ثم إلى الدليل على الأمر الذي به يعرف صحته من فساده. **قوله: (الصلاة عماد الدين)**، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا بسند فيه انقطاع. وقال الحافظ العراقي أخرجه الديلمي أيضًا في الفردوس عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وفي معناه حديث الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه رأس الأمر الإسلام وعَموده الصلاة. وأما حديث الزكاة قَنْطرة الإسلام فأخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعًا بسند ضعيف والعماد الدعامة من عمدت الحائط إذا دعّمته، والعمود معروف، والقَنْطرة الجسر وما ارتفع من الأرض. وفي كتب الفقه أن الجسر ما يُوضَع ويُرفَع، والقنطرة ما يحكم كما في فتاوى قاضيخان فكأنه معنى عُرْفي عندهم والدين الشريعة والإسلام والإيمان متقاربان، وكون الصلاة عماد الدين على التشبيه والاستعارة لأنها أشرف أعماله التي لا يسقط فرضيّتها إلا نادرًا، وكون الزكاة قنطرة لأن مُؤَدِّيها طهّر ماله ونفسه وبيَّن خلوصه. والقنطرة كالجسر مُستَعار للوصل. **قوله: (استتباع)** استجرار. **قوله: (كالعنوان)** عنوان الكتاب ظاهره الذي يدلّ عمّا في باطنه إجمالًا وكذلك عنوانه،وفي اشتقاقهما كلام طويل، والأكثر على أنهما من عنَّ وعلامته عنونت الكتاب وعَلْونته. **قوله: (من الإفصاح)** أي الإظهار. **وقوله: (عن فضل هاتين العبادتين)** حيث خُصَّتا بالذِّكر وقُرِنَتا بالإيمان وجُعِلَتا بمنزلة ذكر الكل. **قوله: (أو صفة مسرودة)** أي تابعة للموصوف ومخصصة إيّاه نحو زيد التاجر عندنا. **قوله: (غير فائدتها)** أي الصفة إذا كانت للبيان والكشف. **قوله: (المتكلم**

الطبيب)، ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون وهو إفعال من الأمن وقولهم: آمنه أي صدقه **(وحقيقته أمنة التكذيب)** والمخالفة، وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر **(واعترف)**. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عنهم مما أنبأهم به النبيّ ﷺ **(من أمر البعث والنشور)** والحساب **(وغير ذلك)**، فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك **(«غاب الشيء غيبًا»)**. هذا إن جعلته

الطبيب) أي عالِم بالكلام والطبّ. **قوله**: **(وحقيقته أَمَنَة التكذيب)**. . . الخ، يعني أن الأمن مُتَعَدٍّ إلى مفعول واحد فإذا نُقِل إلى باب الأفعال صار متعديًا إلى مفعولين. يقول: آمنت زيدًا عمرًا، بمعنى جعلته آمنًا منه، ثم نقل إلى معنى التصديق ووضع له لغة، ثم إنك إذا صدقت زيدًا فقد اعترفت به فعُدِّي بالباء على تضمين معنى الاعتراف والتضمين أن يُقصَد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدلّ عليه بذِكر شيء من متعلقاته كقولك: أحمد إليك فلانًا، فإنك لاحظت فيه مع الحمد معنى الإنهاء ودللت عليه بذِكر صلته، أعني كلمة إلى كأنك قلت: أُنهي حمدَه إليك وهو كثير في كلام العرب، حتى قال ابن جنّي: لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات. وفائدة التضمين اعتبار مجموع المعنيين، فالفعلان مقصودان معًا قصدًا وتبعًا. فإن قلت: اللفظ إن كان مستعملًا في المعنيين معًا كان جمعًا بين الحقيقة والمجاز، وإن كان مُستعملًا في أحدهما فلم يقصد به الآخر فلا تضمين. قلت: هو مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدلّ عليه ذِكْر ما هو من متعلقاته فتارة يجعل المذكور أصلًا في الكلام والمحذوف حالًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] كأنه قيل: ولتكبِّروا الله حامِدِين على ما هداكم. وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلًا والمذكور مفعولًا كما مرَّ من المثال أولاً كما فيما نحن فيه أي يعترفون به مؤمنين فإنه لمّا اعتبر يعترفون به ليكون متعلق الباء وجب اعتبار الحال أيضًا وإلا لكان يؤمنون مجازًا محضًا عن الاعتراف لا تضمينًا. **قوله**: **(واعترف)** عطف تفسير. **قوله**: **(من أمر البعث)** وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويُعيد الأرواح. **قوله**: **(والنشور)** بمعنى البعث. **قوله**: **(وغير ذلك)** أي من الصراط ونظائر الكتب والميزان ونظائرها. **قوله**: **(غاب الشيء غيبًا)** وهو بمعنى الغائب حال من الشيء.

(صلة) للإيمان، (وإن جعلته حالًا) كان بمعنى الغيبة (والخفاء) أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيبة، (والإيمان الصحيح) أن يقرّ باللسان ويصدق (بالجنان) والعمل ليس بداخل في الإيمان. (﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي يؤدونها) فعبّر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبّر عنه بالقنوت وهو

قوله: (صلة) ومتعلقًا. **قوله**: (وإن جعلته حالًا) قيل الفرق أن الإيمان على الأول يتضمن فيه معنى الإقرار أو مجاز عن الوثوق والغيبة في المعنى صفة للمؤمن به، أي يؤمنون بما هو غائب عنهم، وعلى الثاني بمعنى التصديق بلا تضمين، والغيبة صفة في المعنى للمؤمنين، والمؤمن به محذوف للتعميم أي يؤمنون في حال الغيبة كما يؤمنون في حال الحضور لا كالذين نافقوا. **قوله**: (والخفاء) عطف تفسير. **قوله**: (والإيمان الصحيح) أي المُعتَبَر شرعًا. **قوله**: (بالجَنان) بالفتح أي بالقلب (﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾) أصله يؤقومون حذفت همزة أفعل لوقوعها بعد حرف المضارعة فصار يقومون بوزن يكرمون فاستقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف ثم قُلِبَت الواو لانكسار ما قبلها. **قوله**: (أي يؤدّونها)... الخ، وجه دلالة لفظ الإقامة على هذا المعنى أن همزة أقام للصيرورة، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي يصيرون ذا قيام أي ذا صلاة بأن يُعَبَّر بلفظ القيام عن الصلاة لاشتمال الصلاة عليه لكونه بعض أركانها ومع ذلك هو محل لأشرف أركانها الذي هو القراءة، كما يُعَبَّر عنها بلفظ القنوت والركوع والسجود والتسبيح كما في قوله جلّ ذِكره: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: الآية ١٢] أي من المُصَلِّين، والقنوت في المشهور الدعاء والإضافة في قولهم دعاء القنوت بيانية وجاء بمعنى القيام أيضًا ويجيء بمعنى الطاعة كذا في المغرب وهو في الآية بمعنى القيام الذي عبَّر به عن الصلاة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٣] أي صلّوا معهم وهو مما يدلّ على أداء الصلاة مع الجماعة. وقال جلّ ذِكره: ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحِجر: الآية ٩٨] أي من المُصَلِّين، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٣]، وإذا جاز أن يعبّر عن الصلاة بالتسبيح لوجوده فيها من غير أن يكون ركنًا منها فجواز أن يعبّر عنها بما هو ركن من أركانها أولى فصحَّ أن يكون قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ بمعنى ويؤدونها ويصلونها بناء على أن يكون يقيمون بمعنى يصيرون ذا قيام، ويُعَبَّر بالقيام عن

القيام والركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها، **(أو أُريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها مَن أقام العود إذا قومه، أوْ الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت)**

الصلاة فيكون انتصاب الصلاة بعد قوله ﴿وَيُقِيمُونَ﴾ على أنه مفعول مطلق من غير لفظ فعله على طريق قعدت جلوسًا لأن يقيمون وحده بمعنى يصلّون والمفعول المطلق يجوز كونه مُنوَّنًا ومُعَرَّفًا باللام كما في قوله: أرسلها العراك، فإن العراك حال مصدر لفعله المضمر، والتقدير أرسلها تعترك العراك، والجملة حال من مفعول أرسلها أي أرسلها معتركة مزدحمة، وقد مرَّ أن الحمد في قراءة مَن قرأه منصوبًا مفعول مطلق لفعله المحذوف، أي نحمد الحمد فيكون قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على هذا الوجه أيضًا مجازًا مُرسَلًا من قبيل ذِكر الجزء وإرادة الكل.

قوله: **(أو أُريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها)** وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها خلل. **وقوله**: **(من أقام العود إذا قوّمه)** وسواه بحيث لم يَبْقَ فيه اعوجاج أصلًا. **وقوله**: **(أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت)** وكانت رائجة بحيث اجتمع فيها أنواع الأمتعة والراغبين فيها فعلى هذين الوجهين يكون يقيمون استعارة تبعية شبهت تسوية الصلاة التي هي من قبيل الأفعال بتسوية الأجسام وإقامتها فاستعمل لفظ الإقامة في تسوية الصلاة ثم اشتق منها يقيمون هذا على الوجه الأول، وأما على الوجه الثاني فقد شبهت المحافظة والمداومة على الصلاة بترويج السوق وإقامتها من حيث إن كل واحد منهما يُبنَى على الاهتمام بشأن متعلقه والرغبة فيه ثم أُطلق لفظ الإقامة على المواظبة والمداومة واشتق منه يقيمون فصار لفظ المشتق أيضًا استعارة تبعًا للمأخذ ثم اعلم أن كل واحد من تقويم العود وترويج السوق معنًى عُرفي للإقامة، ومعناه اللغوي جعل الشيء قائمًا على طوله غير ساقط على عرضه فإن القيام هو الانتصاب والإقامة أفعال منه والهمزة للتعدية، ثم نقل لفظ الإقامة تارة إلى تقويم العود فقيل أقام العود إذا قوّمه أي سوّاه وأزال اعوجاجه فصار شيئًا مستقيمًا شبّه القائم فكانت حقيقة عُرفية في تسوية الأجسام ثم استعير منها لتسوية الأفعال والمعنى كتعديل أركان الصلاة على ما هو حقّها ولو كانت مجازًا في تسوية الأجسام لما جاز أن يُستَعار منها لتسوية الأفعال إذ لا وجه للمجاز من المجاز وتارة لإنفاق السوق

لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشيء (**النافق**) الذي تتوجه إليه الرغبات، وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه، (**والصلاة فعلة من صلّى**) كالزكاة من زكى، (**وكتابتها بالواو على لفظ**) المفخم. (**وحقيقة صلّى حرك الصلوين**) أي

وترويجها، فقيل: قامت السوق أي نفقت وراجَت، وأقمتها أي جعلتها رائجة، فإن رواج السوق كانتصاب الشخص في حُسْن الحال والظهور التام فاستعمل لفظ القيام في رواجها ولفظ الإقامة في ترويجها فكانت الإقامة حقيقة عُرْفيّة فيه، ثم استعيرت منه للمُداومة على الشيء تشبيهًا لها به في أن كلًّا منها مبنيّ على الرغبة والاهتمام بشأن متعلقه. **قوله**: (النافق) الرائج.

قوله: (**والصلاة فعلة**) بتحريك العين[١] وسكونه[٢] يريد أن أصلها صلوة قُلِبَت الواو ألفًا. **قوله**: (**مَن صلَّى**) جعل الصلاة من صلَّى إشارة إلى أنه لم يستعمل الثلاثي المجرد منه كما أنه لم يستعمل التصلية مصدر المزيد في الصِّحاح هو اسم وُضِع موضع المصدر، يقال: صلَّى صلاة ولا يقال صلَّى تصلية. **قوله**: (**وكتابتها**) بالكسر في نسخة وكتابتها (**بالواو على لفظ**) المفخِّم بكسر الخاء من التفخيم، وهو هٰهنا إمالة الألف المنقلبة عن الواو إلى مخرج الواو كما هو المشهور عند بعض أهل العراق. قال صاحب المفتاح: التفخيم أن تكسو الفتحة ضمة فتخرج بين بين إذا كان بعدها ألف منقلبة عن الواو لتميل الألف إلى أصلها كما في الصلاة والزكاة فإن ألفهما منقلبة عن الواو بدليل جمعهما على صلوات وزكوات. وقد يطلق التفخيم على ما هو ضدّ الإمالة وهو تركها وعلى ضدّ الترقيق أيضًا وهو إخراج اللام من أسفل اللسان إذا انكسر ما قبلها كما في بسم الله والحمد لله فإن القرّاء يرقّقون اللام فيهما استثقالًا للانتقال من الكسرة السفلية إلى اللام المفخمة لا سيما أن ما بعدها مكسور بخلاف نحو إن الله وقل هو الله فإنهم استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها في مثلهما تعظيم اسم الله تعالى. **قوله**: (**وحقيقة صلَّى حَرَك الصلوين**)... الخ، يريد أن صلَّى حقيقة لغوية في تحريك الصَّلَوَين أي طرفي الألْيَتَيْن مجاز لغوي في الأركان المخصوصة استعارة في الدعاء تشبهًا

---

(١) على الظاهر المشهور. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) جوّزه بعضهم، فتكون حركة العين منقولة من اللام. ١٢ منه عُفِي عنه.

الأليتين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده. وقيل للداعي مصل تشبيهًا له في (تخشعه) بالراكع والساجد (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم. و«ما» بمعنى «الذي») ﴿يُنفِقُونَ﴾ يتصدّقون. أدخل «من» التبعيضية (صيانة) لهم (عن التبذير) المنهي عنه (وقدّم المفعول) دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة

للداعي بالراكع والساجد في التخشّع والمشهور بين الجمهور أن الصلاة حقيقة لغوية في الدعاء، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليُجِب فإن كان مفطرًا فليطعَم وإن كان صائمًا فَلْيُصَلِّ، أي فليَدْعُ له بالبركة والخير ثم نقل في عُرْف الشرع إلى الأركان المعلومة والعبادة المخصوصة لاشتمالها على الدعاء كما أن الزكاة في الأصل من التزكية بمعنى التطهير أو بمعنى التنمية، ثم نقلت إلى صرف مال مخصوص إلى المصرف المخصوص فعلى هذا تكون الصلاة حقيقة لغوية في الدعاء ومجازًا لغويًا في فِعل الهيئة المخصوصة، وحقيقة اصطلاحية فيه عند أهل الشرع منقولة من الدعاء لاشتمالها عليه. **قوله**: (تخشعه) أي تضرّعه.

قوله: (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾) بإسقاط نون من الجارّة خطًا كسقوطها لفظًا وهي تبعيضية. **قوله**: (أعطيناهم) أي ملّكناهم. **قوله**: (وما بمعنى الذي) وقوله: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ صِلتها فلا يكون له محل من الإعراب والعائد محذوف والتقدير وينفقون الذي رزقناهم إياه. **قوله**: (صيانة) ومنعًا. **قوله**: (عن التبذير) أي الإسراف.

قوله: (وقدّم المفعول)... الخ فيه إشارة إلى أنه صريح المفعول به بحيث لا مجال معه لتقدير مفعول إذ المعنى وبعض ما رزقناهم ينفقون، وحقيقة بعضًا مما رزقناهم على أنه واقع موقع موصوف محذوف وأما كونه أهم فلقصد معنى الاختصاص أعني حصر الإنفاق في بعض المال الحلال فإن من تبعيضية، فالمعنى بعض ما رزقناهم ينفقون لا كله، لا يقال من التبعيضية تُغني عن التقديم للتخصيص فإن إنفاق البعض يتبادر منه عدم الشمول فلذلك كان فيه صيانة وكفٌّ عن الإسراف لأنّا نقول: يجوز مع إنفاق البعض الشمول على أنه محتمل مرجوح فإذا قدِّم زال الاحتمال بالكليّة يرشدك إلى ذلك تأمّلك في الفرق بين قوليك: أنفق زيد بعض ماله، وبعض ماله أنفق، يعني لو أخّر المفعول وقيل ينفقون بعض ما رزقناهم

(التي هي أُختها) أو هي غيرها من النفقات في سبيل الخير (لمجيئه) مطلقًا، (وأنفق الشيء وأنفده أخوان) كنفق الشيء ونفد، وكل ما جاء (مما فاؤه نون وعينه فاء) فدال على معنى الخروج والذهاب. ودلّت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان (والعطف يقتضي المغايرة).

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب (كعبد الله بن سلام وأضرابه) من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانًا زال معه ما كانوا عليه

يكون تصريحًا بأنهم ينفقون بعض ما رزقوه مع السكوت عن الباقي فيكون إنفاق الباقي أيضًا محتملًا ولو كان ذلك الاحتمال احتمالًا مرجوحًا بخلاف ما إذا قدّم المفعول فإنه لإفادة التخصيص يدل على أن المتصدَّق به إنما هو بعض المال الحلال فيحصل المقصود وهو مدحهم بالتجنّب عن الإسراف المَنهي عنه وكفّ من بعدهم عنه فظهر أن إدخال من التبعيضية عليه لا يُغني عن التقديم لقصد لتخصيص. **قوله**: (التي هي أُختها) أي من حيث إنهما إما سائر العبادات البدنية والمالية ومن حيث إنهما يُذكَران في القرآن معًا نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: الآية ٤٣ وغيرها]. **قوله**: (لمجيئه) أي اللفظ وهو مما رزقناهم مطلقًا، أي غير مقيَّد بما يُعين الزكاة أو غيرها. **قوله**: (وأنفق الشيء وأنفده أخوان) أي مشتركًا في أصل المعنى وأكثر الحروف الأصول وهو معنى الاشتقاق الأكبر. **قوله**: (مما فاؤه نون وعينه فاء) نحو: نفر ونفي ونفع ونفض ونفث وأمثالها. **قوله**: (والعطف يقتضي المُغايرة) يعني أن الأصل في العطف المغايرة وإلا فقد يكون للتفسير.

قوله: (كعبد الله بن سلام) الصحابي (وأضرابه) أي أمثاله جمع ضرب بفتح الضاد وعليه أكثر الناس، وعند الزمخشري بكسرها أو جمع ضريب كشريف وأشراف الجوهري ضرب الشيء مثله وشكله وعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه من الأنصار وكان من أحْبار اليهود من بني قينقاع الإسرائيلي بفتح القاف الأولى وضمّ النون وبالعين المهملة وكان اسمه الحصين فسمّاه النبي ﷺ عبد الله بن سلام بتخفيف اللام.

من **(أنه لا يدخل الجنة** ﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ **وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات)**، ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين، وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل: هدى للمتقين، وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك، أو المراد به وصف الأولين **(ووسط العاطف)** كما يوسط بين الصفات في قولك: **(هو الشجاع والجواد)**، وقوله:

(إلى الملك القرم) وابن الهمام **(وليث الكتيبة في المزدحم)**

قوله: (إنه لا يدخل الجنة) أحد (﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾[1] [البقرة: الآية ١١١]) جمع هائد (﴿أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١١١]) جمع نصران ونصرانة كالندامى جمع ندمان وندمانة ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب كذا في المختار. وفي المصباح والنصارى جمع نصريّ كمهريّ ومهارى. اهـ. فتلخّص أن نصارى له مفردان نصريّ ونصران. قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لمّا تناظروا بين يدي النبي ﷺ أي قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود، وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى. **قوله: (وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات)** رُوِيَ أن بعضهم قالوا: نعذّب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يومًا، وبعضهم قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يومًا، وأصل أيام أيوام لأنه جمع يوم نحو: قوم وأقوام فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فوجب قلب الواو ياء وإدغام الياء في الياء مثل ميّن وميّت.

قوله: (ووُسّط العاطف)... الخ بيان لصحة العطف بين الموصولين مع اتحاد الذات بأنه باعتبار التغاير في المفهوم. **قوله: (هو الشجاع)** مثلثة ذليرويردل درشدائد ومخاوف. **قوله: (والجواد)** كسحاب وسخي يستوي فيه المذكر والمؤنث. **قوله: (إلى المَلِك القرم)** بفتح فسكون الفحل المكرم الذي لا يركب ولا يحمل عليه ثم سُمّي به سيد القوم وابن الهُمام، بضم الهاء اسم من أسماء الملوك الذين عظمت همتهم وكانوا بحيث إذا همّوا لا يقدر أحد على صرفهم عمّا همّوا به **(ولَيث)** أي أسد **(الكتيبة)** أي الجيش **(في المزدَحم)** موضع الازدحام من ازدحم القوم إذا وقع بعضهم على بعض. ومنه قيل للمعركة مزدحم لأنه موضع

---

(١) الهود بوزن العود اليهود. ١٢ منه.

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) يعني القرآن (**والمراد جميع القرآن**) لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم، لأنه الإيمان بالجميع واجب. وإنما عبّر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقبًا (**تغليبًا للموجود**) على ما لم يوجد، (**ولأنه**) إذا كان بعضه نازلًا وبعضه منتظر النزول

المزاحمة. ومعنى البيت إلى الملك الجامع للسيادة وشرف النسب وكمال الشجاعة.

قوله: (**والمراد جميع القرآن**) جواب يقال إن أُريد بما أنزل جميع القرآن فهو غير منزل وقت إيمانهم فكيف يصحّ التعبير عن إنزاله بلفظ الماضي وإن أُريد به المقدار المُنَزَّل وقت الإيمان، فالإيمان به إيمان ببعض المُنَزَّل مع أنه يجب الإيمان بجميع المُنَزَّل سواء تحقق إنزاله أو كان مترقّب الإنزال بعد بأن يصدق إجمالًا ويعترف بأن كل ما نزل وما سينزل شيئًا فشيئًا فهو حق لأنهم وصفوا بالإيمان بجميع ما يجب أن يؤمن به من الغيب ولا شك أن ما هو مترقّب النزول من جملة ما يجب أن يؤمن به إجمالًا فإن الإيمان بتفاصيل الترقّب إنما يجب عند تحقّق نزوله فينبغي أن يشار إلى اشتمال إيمانهم على الإيمان بما هو مترقّب النزول أيضًا، أي كما ذكر إيمانهم بالمقدار المُنَزَّل وقت الإيمان وتقرير الجواب أن نختار أن المراد (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) جميع القرآن ما نزل منه وما هو مُتَرَقَّب النزول. وقولك: ولا يصحّ حينئذ التعبير عن إنزاله بلفظ الماضي فالجواب عنه من وجهين: الأول تغليب ما وُجِد نزوله على ما لم يوجد، ثم أن يُعَبَّر عنهما بما يُعَبَّر به عمّا تحقَّق نزوله فصار الكل بذلك كأنه قد أُنزل فيكون قوله تعالى: (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) مجازًا مرسلًا من قبيل التعبير عن الكل بلفظ الجزء، والوجه الثاني أنه جعل كل القرآن مُنَزَّلًا وإن كان بعضه مُتَرَقَّب النزول تشبيهًا بما تحقق نزوله لكونه محقَّق النزول فاستُعير له اللفظ المستعمل فيما تحقّق نزوله.

قوله: (تغليبًا للموجود) يعني أن الوجه في التعبير عن الماضي والآتي بلفظ الماضي إما تغليب ما حصل له الوجود على ما لم يحصل وإما جعل المترقّب بمنزلة المتحقّق، فالأول مجاز باعتبار تسمية الكل باسم الجزء، والثاني استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقّق بالمتحقّق. **قوله**: (ولأنه) أي القرآن عطف على تغليبًا.

(جعل) كأن كله قد نزل ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ **(يعني سائر الكتب)** المنزلة على النبيين (﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ﴾) وهي تأنيث الآخر **(الذي هو ضد الأول وهي صفة)** والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾ [القصص: الآية ٨٣] وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا. **(وعن نافع)** أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام. (﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ **الإيقان إتقان العلم)** بانتفاء الشك والشبهة عنه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ (عَلَىٰ هُدًى)﴾ الجملة في موضع الرفع إن كان (﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾) مبتدأ **(وإلا)** فلا محل لها، ويجوز أن يجري الموصول الأول على

قوله: (جعل). اهـ. أي جعل القرآن النازل بعضه فقط مُشَبَّهًا بالنازل كله. **قوله: (يعني سائر الكتب)** في المصباح اتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلًا كان أو كثيرًا. قال الصغاني: سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم مَن قصر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام. انتهى. **قوله: (الذي هو ضد الأول)** هذه صفة كاشفة، أي معناه الآخر اسم فاعل من أخّر بمعنى تأخر وإن لم يستعمل كما أن الآخر بفتح الخاء أفعل تفضيل منه والأول أفعل أصله أوْأَلْ قُلِبَت الهمزة واوًا فأدغِمَت فيه الواو الأولى. **قوله: (وهي صفة)** غالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ولذا قلّ ذِكر الموصوف معهما مثل الدار الآخرة والدار الدنيا وقد يجريان مع تلك الغلبة مجرى الأسماء بترك موصوفهما حتى كأنهما ليستا من قبيل الصفات. **قوله: (وعن نافع)** بن عبد الرحمٰن المدني أنه خفّفها أي سلك في تلفّظ قوله تعالى: (﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾) سبيل التخفيف بأن حذف همزتها والتي حركتها على اللام كما في قوله: دابّة أرض. **قوله: (الإيقان إتقان العلم)** أي إحكامه. **قوله: (وإلا)** أي وإن لم يكن. وقوله: الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ بل صفة أو نصبًا أو رفعًا على المدح فلا محل لها من الإعراب ـ يعني على تقدير عطف (﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾) على المتقين أو (﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾) كما مرّ وأما على تقدير أجرا الموصول الأول على المتقين ورفع الثاني على الابتداء كما سيجيء فلها محل وكون (﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾) خبر المبتدأ مذكور فيما سبق وإنما كرر هٰهنا ليبني عليه وإلا فلا محل لها.

«المتقين» وأن يرتفع الثاني على الابتداء و«أولئك» خبره، ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضًا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوّة رسول الله ﷺ وهم ظانّون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله. **(ومعنى الاستعلاء في «على هدى» مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال مَن اعتلى الشيء وركبه ونحوه «هو على الحق وعلى الباطل»**

قوله: (ومعنى الاستعلاء في ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ مثل لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسّكهم به بحيث شُبِّهت حالهم بحال مَن اعتلى الشيء وركبه، ونحوه هو على الحق وعلى الباطل) يعني أن كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ في الآية ليست للاستعلاء الحقيقي لأن المتقين لا يستعلون على الهدى حقيقة كاستعلاء زيد مثلًا على الفرس أو على السطح بل هي استعارة تبعية شبّه تمسّك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء وقد تقرر في موضعه أن الاستعارة في الحرف تقع أولًا في متعلق معناه كالاستعلاء والظرفية والابتداء مثلًا، ثم تسري إلى الحرف بتبعية فيشبه شيء من المعاني بذلك المتعلق ثم يطلق اسم المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة الأصلية ثم يعبّر عن الاسم المستعار بلفظ الحرف فيكون استعارة تبعًا. قال صاحب المفتاح: المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبّر بها عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وفي معناها الظرفية وفي معناها الغرض فهذه ليست معاني الحروف وإلا لَما كانت حروفًا بل تكون هي أسماء لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها بمعنى أن هذه الحروف إذا أفادت معاني ردّت تلك المعاني إلى هذه المعاني المستقلة بالمفهومية بنوع استلزام لأن معاني الحروف معانٍ نسبية مخصوصة وهذه المعاني معاني مستقلة بالمفهومية عامة والخاص يستلزم العام، ولمّا كان المستعار أصالة في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ هو متعلق معنى كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ وهو الاستعلاء حيث عبَّر عن تمكّن المتقين من الهدى واستقرارهم على طريق التعبير باسم المشبه به عن المشبه بين أن المتقين وإن لم يستعلوا على الهدى حقيقة إلا أنه شبّه تمسكهم بالهدى وتمكّنهم منه باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكّن والاستقرار فأطلق اسم الاستعلاء على التمسك والاستقرار ثم عبَّر عن الاستعلاء المُستَعار بالحرف الموضوع للاستعلاء

وقد صرّحوا بذلك) في قولهم: **(جعل الغواية مركبًا)**، و**(امتطى الجهل)**، واقتعد

فسرت الاستعارة الواقعة في متعلقه إليه فكان استعارة تبعية، ومعنى المثل التمثيل والتصوير فإن المقصود من الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به إبرازًا لوجه الشبه فيه بصورته في المشبه به من غير أن يكون ناقصًا عن ما في المشبه به كما في صورة التشبيه، فإذا قلت: رأيت أسدًا يرمي فقد صوَّرت المشبه وشجاعته بصورة الأسد وجراءته فكذلك في الآية صوّر تمكّنهم من الهدى وتمسّكهم به واستقرارهم عليه بصورة استعلاء الراكب على مركوبه في التمسك والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء كما شبّه استعلاء المصلوب على الجذع واستقراره عليه باستقرار المظروف في الظرف فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية في قوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:الآية ٧١]، ولمّا كان تشبيه الهدى والجهل ونحوهما من المعاني والأوصاف القائمة بالنفس المركوب عليه الذي يعتلي عليه حقيقة مما يستبعد في بادىء النظر أراد إزالة استبعاده فقال: **(وقد صرَّحوا بذلك)** التشبيه أي تشبيه نحو الهدى بالشيء الذي يعتلى عليه ويركب وإن ذلك شائع مُتعارَف فيما بين الخلق إما في صورة التشبيه كقولهم: **(جعل الغواية مركبًا)** فإنه بمنزلة قولك الغواية مركب أي مثل المركب. وإما في صورة الاستعارة كقولهم: اقتعد غارب الهوى، حيث جعل الهوى مَطِيَّة استعارة بالكناية والاستعارة بالكناية أن يشبه شيء بشيء في النفس[1] فيسكت عن ذكر أركانه سوى المشبه، وأثبت له الغارب تخييلًا. والاستعارة التخييليّة أن يثبت للمشَبَّه من لوازم المشبَّه به. وذكر الاقتعاد ترشيحًا فإنه من اقتعد بمعنى ركب وهو في الأصل افتعال من القعود، والغارب له كما في كتب اللغة معانٍ ما بين السنام والعنق، ومنه استعير حبلك على غاربك ومقدّم السنام وما يعلوه راكب البعير من مطلق الظهر وهو المراد المناسب هنا. والترشيح أن يذكر شيء يلائم المشبه به. وأما قولهم: **(امتطى الجهل)** فإن جعل بمنزلة قولك ركب مطى[2] الجهل كان استعارة بالكناية وإن جعل في قوة قولك اتخذ الجهل مَطية كان تشبيهًا وأيًّا ما كان فتشبيه الجهل بالمطية مقصود منه كما في قوله إن الشباب مطية الجهل في رواية وهو المراد

(١) أي في نفس معنى، أو نفس المتكلم. ١٢ منه.
(٢) بمعنى الظهر. ١٢ قاموس.

غارب الهوى. ومعنى هدى ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي أوتوه من عنده. ونكر «هدى» ليفيد ضربًا مبهمًا **(لا يبلغ كنهه)** كأنه قيل على أي هدى **(ونحوه «لقد وقعت على لحم»)** أي على لحم عظيم.

بكونه مُصَرَّحًا به. **قوله: (لا يبلغ)** على صيغة المجهول **(كنهه)** أي نهايته. **قوله: (ونحوه لقد وَقَعْتِ على لحم)** أي ونحوه في كون التنكير للتعظيم قول أبي خِراش[1] خويلد بن مُرَّة الهُذَلي:

فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم

وأبو خراش كان من فرسان العرب وفصحاء شعرائها، وكان يعدو على قدميه فيسبق الخيل ثم أسلم وحَسُن إسلامه، ومات في زمن عمر رضي الله تعالى عنه من نهش حيّة يرثي به خالد بن زهير وكان رجلًا عظيم القدر في هذيل قد قتل وأقامت الطير عليه ولزمته تأكله فاستعظم الشاعر لحمه حيث نكره وبسبب تعظيم اللحم استعظم الطير الواقعة عليه ثم ما اكتفى بتعظيم الطير بل استعظم آباء الطير حيث أقسم بها وليس لأبيها شرف يستحق لأن يُقسَم به سوى كونه أبًا لها، فتعظيم أبيها راجع إلى تعظيم نفس الطير، وتعظيم نفس الطير راجع إلى تعظيم اللحم، وتعظيم اللحم راجع إلى تعظيم خالد وكلمة لا مثلها في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ [القِيامَة: الآية ١] يحتمل أن ﴿لَآ﴾ [القِيامَة: الآية ١] تكون زائدة بل تكون ردًّا لكلام سابق أي فليس الأمر كما زعمت. وقوله لقد وقعت جواب للقسم والخطاب في قوله: وقعت للطير على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وأصل أبي أبين في وأبي الطير على خلاف القياس سقطت نونه بالإضافة ولو لم يكن كذلك لكان الواجب أن يكتب وأب الطير بلا ياء وذكرها بالكنية مما يدلّ على التعظيم أيضًا والمُرِبة بضم الميم وكسر الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة والهاء بمعنى الواقعة المُلازمة من أربّ بالمكان بمعنى أقام به ولزمه، والباء وعلى في قوله بالضحى، وعلى خالد متعلقان بالمربة نقل عن صاحب الكشاف أنه كان يقول في حق بيت

---

(١) في تجريد أسماء الصحابة رضي الله عنهم للعلامة الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي رحمه الله أبو خراش الهذلي الشاعر له خبر منكر (ب). اهـ بحروفه. أي رواه ابن عبد البرّ، وفي أسد الغابة: وإنما ذكره في الصحابة؛ لأن أبا خراش أسلم في حياة رسول الله ﷺ. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا؛ فالفلاح درك البغية والمفلح (الفائز بالبغية كأنه) الذي انفتحت له وجوه الظفر، والتركيب دالّ (على معنى الشق) والفتح وكذا أخواته في الفاء والعين نحو «فلق وفلز وفلى»، وجاء العطف هنا بخلاف قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩] (لاختلاف الخبرين) المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثَمّ، فكانت الثانية مقرّرة للأولى (فهي من العطف بمعزل، وهم فصل. وفائدته الدلالة) على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد

الهُذَلي: ما أفصحك يا بيت. **قوله**: (الفائز بالبغية) أي بالمطلوب، هذا هو المعنى العُرفي المعروف في الاستعمال والشق والفتح معناه الحقيقي الأصلي. **قوله**: (كأنه)... الخ بيان للمُلابسة والمناسبة بينهما. وقوله: انفتحت يدل على أن همزة أفلح والمفلح للصيرورة واكتفى بذكر الفتح فيه لاشتماله على الشق في الغالب فلا يقال المناسب لما بعده أن يذكره لكنه لو صرَّح به كان أحسن والوجوه جمع وجه، ومعناه النوع أو الطريق، فقوله: وجوه الظفر أي أنواعها أو طرقها. **قوله**: (على معنى الشق)... الخ، يقال فَلَحْت الأرض أي شققتها للحرث، ومنه الفَلاحةِ للحراثة والحديد بالحديد يفلح أي يشقّ ويقطع، وفلق بمعنى شقّ، ومنه سُمِّي الصبح فلقًا، وفلذًا بالذال المعجمة بمعنى قطع وفلى من فليت الشعر إذا فتحته لتنظر ما تحته من الهوام أو من فلوته بالسيف إذا ضربته، وفي الضرب معنى الشق هنا، أو من فلوته عن أُمه إذا فطمته. **قوله**: (لاختلاف الخبرين) يعني ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾، و﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يعني أن بينهما تمايزًا في التعقّل والوجود إذ الهدى حاصل في الدنيا وإنما الفلاح في الآخرة مع ما بينهما من المناسبة، فالجملتان متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فلذا جاء الكلام مع العاطف وهذا بخلاف كالأنعام والغافلون فإنهما شيء واحد بحسب المقصود والمآل وإن تعدّد بحسب اللفظ والمفهوم إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة في الغفلة فكانت الجملة الثانية المشاركة للأولى في المحكوم عليه مؤكدة لها فلا مجال للعاطف بينهما. **قوله**: (فهي) أي الثانية (من العطف بمَعْزل) أي بمنزلة بعيدة في المصباح، فلان عن الحق بمعزل أي مُجانِب له.اهـ. **قوله**: (وهم فصل) أي ضمير فصل ويسمى عمادًا (وفائدته الدلالة) ذكر لضمير الفصل ثلاث فوائد: الأولى الدلالة على أن ما

(وإيجاب) أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره، أو هو مبتدأ «والمفلحون» خبره، والجملة خبر «أولئك» (فانظر كيف) قرّر الله عزّ وجلّ التنبيه على اختصاص المتقين (بنيل) ما لا يناله أحد (على طرق شتى) وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره، ففيه تنبيه على أنهم (كما ثبت) لهم (الأثرة) بالهدى (فهي) ثابتة لهم بالفلاح. (وتعريف المفلحون) ففيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانًا قد تاب من أهل بلدك (فاستخبرت مَن هو؟) فقيل: زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته. وتوسيط الفصل بينه وبين «أولئك» ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا. اللهم زيّنا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة مَن صدرت بذكرهم سورة البقرة.

بعده خبر لا نعت لأنه إنما يتوسط[1] بين المبتدأ والخبر لا بين الموصوف والصفة، وبهذا الاعتبار يسمى ضمير الفصل. الثانية توكيد الحكم لدلالة على ربط المسند بالمسند إليه، وقيل: توكيد المحكوم عليه لأنه راجع إليه فهو تكرير له. الثالثة الدلالة على حصر المسند في المسند إليه فعلًا كان أو اسمًا مُعَرَّفًا أو منكرًا فإن قولك زيد هو أفضل من عمرو، معناه زيد أوست كه أفضل است إذ عمرو. **قوله**: (إيجاب) أي إثبات. **قوله**: (فانظر كيف) لمّا كان النظر وسيلة إلى العلم كان متضمنًا لمعناه فجاز إيقاعه على الاستفهام. **قوله**: (بنيل) بوجدان متعلق باختصاص. **قوله**: (على طرق) وجوه (شتى) متعلق بكرَّرَ وشتى بمعنى متفرقة مفرد أو جمع شتيت كمريض ومرضى. **قوله**: (كما ثبت) في موقع المصدر لقوله ثابتة والفاء في (فهي) زائدة (والأثرة) بفتح الهمزة وفتح الثاء المثلثة وراء مهملة وهاء لغة بمعنى الاستيثار والاستبداد. وقيل: هي التقدم والاختصاص من الإيثار، ويجوز فيه ضمّ الهمزة وسكون المثلثة. **قوله**: (وتعريف المفلحون)... الخ، يعني فاللام للعهد الخارجي. **قوله**: (فاستخبرت مَن هو؟) الضمير في قولك: مَن هو راجع إلى التائب أي من التائب، فمن مبتدأ والتائب خبره كما هو مذهب سيبويه، والمعنى أزيد التائب أم عمرو أو غيرهما؟

---

(١) قوله: إنما يتوسّط... الخ. وهو أغلبي، لأنه قد يتوسّط بين غيرهما، كما ذكره النحاة. ١٢ منه عُفِي عنه.

لمّا قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقرّبة إليه، وبيَّن أن الكتاب هدى لهم **(قفّى على أثره بذكر أضدادهم)** وهم **(العتاة المردة)** الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الكفر ستر الحق بالجحود، والتركيب دالّ على الستر **(ولذا سمي الزارع كافرًا وكذا الليل)**. ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ [الانفطار: الآيتان ١٣، ١٤] لأن الجملة الأولى هنا مسوقة بيانًا لذكر الكتاب لا خبرًا عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا، فبيّن الجملتين تفاوت في المراد وهما **(على حد)** لا مجال للعطف فيه، وإن كان مبتدأ على تقرير **(فهو كالجاري)** عليه، **(والمراد بالذين كفروا أناس)**

قوله: (قفّى على أثره) أو ردّ على عقبه وفي الأساس قفيه وقفيته به على أثره إذا أتبعه إياه، وكذا عقّبته جئت على عقبه وعقبته بالشيء جئت بالشيء على عقبه **(بذكر أضدادهم)** الأضداد جمع ضد، والضدّان المتنافيان اللذان تحت جنس واحد كالبياض والسواد فإن لم يندرجا تحت جنس كالحلاوة والحركة لم يكونا متضادين. **قوله: (العُتَاة)** جمع عات من عتا إذا استكبر وجاوز الحدّ **(والمردة)** كفسقة جمع مارد وقد فسَّروه بالعاتي والظاهر أن يفسر بما هو شديد العلوّ حتى يكون من الترقّي.

قوله: (لذا سمي الزارع كافرًا) لأنه يغطي البذر بالتراب. **قوله: (وكذا الليل)** لأنه يستر بظلمته كل شيء. **قوله: (على حدّ)** من التفاوت في المراد. **قوله: (فهو كالجاري)** عليه يعني أن الذين يؤمنون بالغيب وإن جعل مبتدأ خبره أولئك على هدى وكان كلامًا تامًّا مبتدأ في اللفظ غير تابع لشيء لكنه في المعنى تابع للمتقين لأنها جملة استئنافية واقعة موقع الجواب عن سؤال ناشىء عن قوله: (﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢]) فيكون في حكم المتقين لأن الجواب مبني على السؤال، والسؤال مبني على منشئه وحينئذ لا يبقى فرق بين كون الذين يؤمنون كلامًا مبتدأ وبين كونه موصولًا بالمتقين صفة له مجرورًا أو مدحًا منصوبًا أو مرفوعًا وكما لا مجال للعاطف على تقدير الاتصال فكذا على تقدير الانقطاع والابتداء. **قوله: (والمراد بالذين كفروا أناس)**... الخ، يريد أن تعريف الموصول للعهد فإن

بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون (**كأبي جهل وأبي لهب**) وأضرابهما. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (**بهمزتين كوفي**)، وسواء بمعنى الاستواء، وصف به (**كما يوصف بالمصادر**) ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]، أي

الموصول كالمُعَرَّف باللام في استعماله الأربعة. **قوله**: (**كأبي جهل**) عمرو بن هشام بن المغيرة يُكَنَّى أبا الحكم فكنَّاه النبي ﷺ أبا جهل فغلبت هذه الكنية قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر (**وأبي لهب**) كُنِّي أولًا بهذه الكنية لتلهّب وجهه إشراقًا وحُمْرة ثم رجع أمره إلى أن صار من أهل النار ومُلازِمًا لها، وأضرابهما أي أمثالهما. **قوله**: (**بهمزتين كوفي**) أي بتحقيق الهمزتين أي إيقاعهما على حالهما من غير تغيير، والمراد تحقيقهما من غير توسيط الألف بينهما وهو للكوفيين ـ يعني عاصم بن أبي النَّجود وحمزة بن حبيب الزيَّات وأبا الحسن علي بن حمزة الكسائي ولعبد الله بن عامر الشامي برواية ابن ذكوان وباقي القرّاء السبعة وهم نافع بن عبد الرحمٰن المدني وعبد الله بن كثير المكّي وأبو عمرو بن العلاء البصري قرؤوا بتخفيف الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والألف إلا أن أبا عمرو ونافعًا في رواية قالون عنه يسهِّلان الثانية ويُدخِلان قبلها ألفًا لتفصل بينهما وتمنع من اجتماعهما لأن الثانية وإن سهّلت لا تخلو عن الثقل بخلاف ابن كثير فإنه يسهِّل الثانية ولا يدخل بينهما ألف الفصل لزوال ثقل الهمزة الثانية بتخفيفها بين بين فلم يحتج إلى ما يمنع اجتماعهما وإن ورشًا صاحب قالون في الرواية عن نافع اختلف أصحابه عنه في كيفية تخفيف الهمزة الثانية، فأما أصحابه البصريون رووا عنه إبدالها ألفًا وأصحابه البغداديون رووا عنه تسهيلها بين بين من غير إدخال ألف الفصل بين الهمزتين في كلتا الروايتين وأن هشامًا وهو أحد راويي ابن عامر قرأ الهمزة الثانية على وجهين لتسهيلها وتحقيقها مع إدخال ألف الفصل على التقديرين فهذه القراءات الخمس من السبعة وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بتوسيط ألف بينهما وبغير توسيطها وقلب الثانية ألفًا وهي لورش في رواية البصريين عنه.

ومعنى التسهيل جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها فإن كانت مفتوحة فبين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فبين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فبين الهمزة والواو فاحفظ هذه القاعدة فإنها كثيرة الفائدة. **قوله**: (**كما يوصف بالمصادر**) يعني كما أن المصادر أُجرِيَت على ما اتّصف بها، كذلك سواء أُجري

مستوية، وارتفاعه على أنه خبر لأن «أأنذرتهم أم لم تنذرهم» مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل: إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه. أو يكون «سواء» خبرًا مقدمًا و«أأنذرتهم أم لم تنذرهم» في موضع الابتداء أي سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لـ «إن» **(وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدًا)** لأنه من جنس الكلام **(المهجور فيه جانب اللفظ)** إلى جانب المعنى. **(والهمزة وأم)**

على ما يتصف بالاستواء أي يجعل وصفًا له معنويًا إما نعتًا نحويًّا كما في قوله تعالى: كلمة ﴿سَوَآءٌ﴾ وإما غيره كما نحن فيه فإن سواء في هذه الآية في موضع مستوٍ إما خبرًا عمّا قبل ومسندًا إلى ما بعده كما يسند الفعل إلى فاعله وح يجب توحيده وإما خبرًا عمّا بعده وإنما ترك لتثنيته رعاية لجهة المصدرية وكأنه نبّه على ما ذكر حيث قال في الأول مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه وفي الثاني سواء عليهم إنذارك وعدمه وهذا أرجح لأنه لمّا كان غير صفة فالأصل أن لا يعمل ولأن الغرض من الوصف بالمصدر هو المبالغة حتى يكون المعنى في رجل عدل أنه كان مجسم من العدل وإذا جعل بمعنى اسم الفاعل أو حمل على حذف المضاف فات ذلك. **قوله: (وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدًا)**... الخ. لما حكم بأن قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ مرتفع إما على أنه فاعل لـ ﴿سَوَآءٌ﴾، وإما على أنه مبتدأ قُدِّم عليه خبره اتجه عليه السؤال الأول أن الفعل وقع مخبرًا عنه ومسندًا إليه فاعلًا أو مبتدأ مع أنه لا يكون إلا خبر أو مسندًا، والثاني أن ما ذكرته يُبطِل تصدّر الاستفهام. الثالث أن الهمزة و﴿أَمْ﴾ موضوعان لأحد الأمرين وما يسند إليه سواء يجب أن يكون متعددًا فأجاب[1] عن السؤال الأول ثم عقبه بما هو جواب عن الأخيرين. **قوله: (المهجور فيه جانب اللفظ)** يريد أن الفعل إذا نظر إلى لفظه واعتبر معناه على ما يقتضيه ظاهره امتنع الإخبار منه لكن هجر فيما نحن فيه مقتضى لفظه وأوّل بمعنى مصدر مضاف إلى فاعله كما أُشير إليه آنفًا، فلذلك صحّ أن يخبر عنه. **قوله: (والهمزة و﴿أَمْ﴾)** هذا مع كونه بيانًا وتفسير للمنزل يتضمن فائدتين: الأولى تأكيد الجواب عن السؤال وذلك لأن تجريد الهمزة

(١) تقرير الجواب أن أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإن كان في اللفظ جملة فعلية استفهامية، لكنه في المعنى مصدر مضاف إلى الفاعل، أي إنذارك وعدمه، وهو مما يصح أن يخبر عنه. ١٢ منه.

مجردتان لمعنى الاستواء وقد **(انسلخ)** عنهما معنى الاستفهام **(رأسًا)**. قال **سيبويه**: جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك «**اللهم اغفر لنا أيتها العصابة**» يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء. **(والإنذار)** التخويف من عقاب الله **(بالزجر)** عن المعاصي **﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾** جملة مؤكدة للجملة قبلها **(أو خبر لـ«إن»، والجملة قبلها اعتراض)**

و﴿أَمْ﴾ لما ذكره من معنى الاستواء فيه هجر لجانب اللفظ، الثانية دفع السؤالين الباقيين وتقريره أن الهمزة و﴿أَمْ﴾ قد انسلخ عنهما معنى الاستفهام بالكلية حتى زال عنهما الدلالة على أحد الأمرين وصارتا لمجرد معنى الاستواء فإن اللفظ الحامل لمعنيين قد يُجَرَّد لأحدهما ويستعمل فيه وحده ونظيرهما في التمحّض للدلالة على بعض المعنى الأصلي، حرف النداء المقدَّر قبل كلمة أي الموصوفة بالمُعَرَّف باللام في قولهم: اللَّهمَّ اغفر لنا أيتها[1] العصابة فإن حرف النداء في الأصل متضمِّن لمعنيين طلب الإقبال وتخصيص المنادى وتعيينه للإقبال ثم إنّها تجرّدت هٰهنا عن طلب الإقبال وتمحَّضت لمجرد معنى التخصيص كأنه قيل: اغفر لنا ونعني هذه الجماعة التي هي نحن، وهٰهنا كما خولف في لفظ الفعل وأُريد به الحَدَث مضافًا إلى فاعله فصحَّ الإخبار عنه لذلك، كذلك خولف في الهمزة و﴿أَمْ﴾ حيث جرِّدا عن معنى الاستفهام واستعملتا لمعنى الاستواء فيبطل اقتضاء صدر الكلام وزال كونهما لأحد الأمرين.

قوله: **(انسلخ)** وتجرد. **قوله**: **(رأسًا)** أي بالكلية. **قوله**: **(والإنذار)** التخويف... الخ يعني أنه في اللغة مطلق التخويف والمراد هنا التخويف من عقاب الله سبحانه وتعالى على طريق استعمال المطلق في المقيد والتخويف منه لا يكون إلا بإعلام ما يؤدي إليه ويكون سببًا له. **قوله**: **(بالزجر)** أي المنع.

قوله: **(أو خبر لـ «إن» والجملة قبلها اعتراض)** واقع بين اسم إن وخبرها وكون ما قبلها جملة مبني على أن يكون قوله سواء خبرًا لما بعده لأنه إذا كان خبر إن وكان ما بعده مرفوعًا به على الفاعلية وكان المعنى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه لا يكون جملة فلا يكون اعتراضًا لأن الاعتراض عند

---

(١) قوله: أيّتها بضم التاء مؤنث أي. ١٢ منه.

أو خبر بعد خبر. والحكمة في الإنذار **(مع العلم)** بالإصرار **(إقامة الحجة)** وليكون الإرسال عامًا وليثاب الرسول.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾

(﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾) قال **(الزجاج)**: الختم التغطية لأن في **(الاستيثاق)** من الشيء يضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه. وقال **(ابن عباس)**: طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير. يعني أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان. **(وحاصل الختم والطبع)** خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه. وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير. **(وقال بعضهم)**: إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر، إلا أنه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكّنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب فيقال: بنى الأمير المدينة، لأن للفعل **(ملابسات)** شتى **(يلابس الفاعل)** والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب

الجمهور عبارة عن أن يورد في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإبهام وجوّز بعضهم كونه لدفع الإبهام، وبعضهم كونه في آخر الكلام وأما اشتراط كونه للتأكيد فمما لم يسمعه. **قوله**: **(مع العلم)** أي مع علم الله تعالى بالإصرار والدوام على الكفر بحيث لا ينفع الإنذار فيهم **(إقامة الحجة)** أي إلزام الحجة عليهم بأن دُعُوا ولم يجيبوا.

قوله: **(الزَّجَّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد توفي سنة عشر، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل سنة ست عشر وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. **قوله**: **(الاستيثاق)** الاستوا ركردن. **قوله**: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (وحاصل **الختم والطبع**) على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة. **قوله**: **(وقال بعضهم)** من المعتزلة. **قوله**: (ملابسات) بفتح الباء. **قوله**: (يلابس الفاعل) اقتصر في ملابسات الفعل على ما يصلح لإسناده إليه فلم يذكر المفعول معه والحال والتمييز والمراد بالفاعل في قوله يلابس الفاعل والمفعول به وغير ذلك هو الفاعل النحوي أعني اللفظ الذي أُسند إليه الفعل وكذا

له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة. وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازًا (**لمضاهاتها الفاعل**) في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ (**وحدّ السمع**) كما وحد البطن في قوله:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

البواقي. وفي قوله فإسناده إلى الفاعل حقيقة ما يكون محلًا للفعل والفعل وصفًا له قائمًا به كالفاعل في المبني للفاعل والمفعول في المبني للمفعول فإن في قولنا ضرب زيد عمروًا الفاعل للضاربية زيد وللمضروبية عمرو فالإسناد في ضُرِبَ عمرٌو مبنيًا للمفعول يكون حقيقة لكونه إسنادًا إلى الفاعل وفي نحو أُفْعِم السيلُ مبنيًا للمفعول يكون مجازًا لكونه إسنادًا إلى غير الفاعل وهو الوادي لأنه المتّصف بالمفعمية وكذا في رضيت العيشة مبنيًا للفاعل لأنه إلى غير الفاعل إذ الرضى لصاحب العيشة مع أن الإسناد في جميع ذلك بل في جميع صور الإسناد المجازي إلى الفاعل النحوي.

قوله: (**لمضاهاتها**) أي لمشابهة هذه الأشياء المذكورة (**الفاعل**) منصوب بنزع الخافض أي بالفاعل. **قوله**: (**وحدّ السمع**) جواب سؤال تقديره أن يقال إن السمع لفظ مفرد وقد أُضيف إلى ضمير الجمع والجماعة لا يكون لهم سمع واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال: وأسماعهم، ولا سيما أن ما قبله قلوبهم وما بعده أبصارهم وكلاهما جمع فالمناسب للطرفين صيغة الجمع وتقرير الجواب أن السمع في الأصل وإن كان مصدرًا كالسماع بمعنى إدراك القوة السامعة يقال: سمعت الشيء سمعًا وسماعًا إلا أنه قد يطلق على آلته التي هي الأُذُن السامعة وعلى القوة السامعة المودعة فيها مجازًا وإن الأقرب أن يكون المراد به في الآية نفس العضو لأنه جسم صالح للختم بخلاف المعنيين الآخرين فإنهما عَرَضان تابعان له. ومن المعلوم أن القوم المذمومين لهم آذان سامعة بعددهم وإن المعنى ختم الله على آذانهم فلا يصل إلى قلوبهم من جهتها إدراك فكان القياس أن يجمع السمع لكنه لم يجمع للأمْن من اللَّبس وهذا شائع مطّرد عند الأمن منه كما وحَّد الشاعر البطن في موضع الجمع حيث قال، شعر:

كلوا في بعض بطنكمو تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

(لأمن اللَّبس ولأنَّ السمع مصدر) في أصله يقال: سمعت الشيء سمعًا (وسماعًا)، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع (فلمح) الأصل. (وقيل: المضاف محذوف) أي وعلى مواضع سمعهم (وقرىء «وعلى أسماعهم»). (﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌۖ﴾) بالرفع خبر ومبتدأ، والبصر: (نور العين) وهو ما يبصر به الرائي، كما أن البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيها آلتين للإبصار والاستبصار. (والغشاوة:) الغطاء فِعالة من غشاه إذا غطّاه، وهذا البناء لما

يقال عفّ عن الحرام يعفّ عفًّا وعفافًا وعِفَّة، أي كفَّ عنه ولم يعترض لِما لا يحلّ، والمعنى اقنعوا بالقليل من الطعام تعفوا عن تناول الحرام فإن زمانكم من الضيق والجدب والخميص الجائع والمراد أن زمانكم ذو خمص كما في ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢١] أي ذات رِضى هذا إذا أمِن اللَّبس وأما إذا لم يؤمن بأن يكون مدلول اللفظ أمرًا منفصلًا عن الشخص كالثوب والفرس فلا يجوز حينئذ إطلاق اللفظ المفرد وإرادة الجمع فلا يقال ثوبهم وفرسهم عند إرادة الأثواب والأفراس حذرًا من اللَّبس فإنه يجوز اشتراك جماعة في ثوب واحد وفرس واحد. **قوله**: (لأمن اللَّبس) بإرادة المفرد بضمير الجمع فإنه لا يتوهم أن السمع الواحد يكون للجمع. **قوله**: (سماعًا) بالفتح. **قوله**: (فلمح) أي نظر. **قوله**: (ولأن السمع مصدر)... الخ، فهو وجه ثانٍ لتوحيد السمع مع أن المراد معنى الجمع أي وعلى آذانهم. **قوله**: (وقيل المضاف محذوف)... الخ. فعلى هذا الوجه يكون السمع بمعنى المصدر لا بمعنى العضو. **قوله**: (وقُرِىء) أي شاذًا (على أسماعهم) والقارىء ابن أبي عبْلة. **قوله**: (نور العين) أي القوة التي بها الإبصار كما أن البصيرة القوة بها التعقّلات والقول بأنهما جوهران مخلوقان كذلك قول بالظن والتخمين واستعمال لفظ كأنَّ فيه شائع من غير قصد إلى التشبيه ومعنى الجوهر القائم بذاته ذهابًا إلى أن القوى صور نوعية لا أعراض والظاهر أنه لم يقصد سوى أنه جسم لطيف نورانيّ(١). **قوله**: (والغشاوة)... الخ قال الزجّاج: كلما اشتمل على الشيء مبني على فعالة نحو العمامة والقلادة وكذا أسماء الصناعات مشتملة على كل ما فيها نحو الخياطة والقصارة، وكذلك ما استولى على

---

(١) أي الأجرام، ١٢ منه.

يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة. والأسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: الآية ٢٣]، (ولوقفهم) على سمعهم دون قلوبهم. (ونصب المفضل وحده «غشاوة» بإضمار «جعل» وتكرير الجار) في قوله: (و) على (سمعهم») دليل على شدّة الختم

أعمّ كالخلافة والإمارة. **قوله:** (ولوقفهم) أي القرّاء رضي الله تعالى عنهم. **قوله:** (وَنَصَبَ الْمُفَضَّلُ) اسم القارىء (وحده غشاوة) بكسر الغين المعجمة (بإضمار جعل) وقد صرَّح بهذا العامل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: الآية ٢٣] فيكون الكلام من قبيل قوله، شعر:

يا ليت زوجك قد غدا   متقلدًا سيفًا ورمحا

أي وحاملًا رمحًا، وقوله: علفتها تبنًا وماءً باردا، أي وسقيتها ماء باردًا. وقرىء بضم الغين المعجمة ورفع الآخر على أنه مبتدأ عند سيبويه وبفتح الأول ونصب الآخر على أنه مفعول بفعل مقدّر وضمّ الغين وفتحها لغتان في غشاوة بكسر الغين وقُرِىء غشاوة بكسر الغين المعجمة بلا ألف مرفوعة لما ذكر وبفتح الغين المعجمة بلا ألف أيضًا مرفوعة ومنصوبة للوجه السابق وعشاوة بفتح العين الغير المعجمة والرفع في آخره وجوَّز فيه كسر العين المهملة ونصب الآخر من العشا بالقصر وهو مصدر الأعشى وهو الذي لا يُبصِر بالليل ويُبصِر بالنهار والعشاء بالفتح والمدّ الطعام الذي يُؤكَل بعد الزوال والغداء ما يؤكل قبل الزوال وفي الحواشي الشريفية ولعل المعنى حينئذ أنهم يُبصِرون الأشياء إبصار غفلة لا إبصار عبرة. انتهى. أي يبصرونها كما يُبصر الأعشى في سواد الليل لا كما يبصر أُولو الأبصار السليمة في بياض النهار قيل هذه القراءات كلها شواذ سوى القراءة بكسر الغين مع الألف بعد الشين ورفع الآخر.

قوله: (وتكرير الجار)... الخ عبارة تفسير القاضي البيضاوي وكرر الجار ليكون أدلّ على شدة الختم في الموضعين واستقلال كلٍّ منهما بالحكم. انتهت. وعبارة حاشية شيخ زاده على التفسير المذكور قوله: وكرر الجار أي ذكرت كلمة على في قوله (﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾) ولم يكتفِ بذكرها في قوله: (﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾) مع أن كل واحدة منهما متعلقة بقوله: (﴿خَتَمَ﴾ **الله على قلوبهم وسمعهم**) لم يستفد

في الموضعين. قال (الشيخ) الإمام (أبو منصور) بن عليّ رحمه الله: الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد من صانع، جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة، وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة في حكم التغشية. والآية حجة لنا على المعتزلة (في الأصلح) فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك

من الكلام المعنى الحاصل بالتكرير، وذكر للتكرير فائدتين: الأولى أن تكريره أدلّ على شدة الختم في الموضعين وإن كان أصل الدلالة حاصلًا بدون التكرير بناء على أن ختم يستعمل متعديًا تارة بنفسه يقال ختم فهو مختوم، وأخرى بعلى يقال: ختم عليه فهو مختوم عليه فإذا استعمل بعلى يُراد الدلالة على شدة الختم لأن زيادة اللفظ مع حصول أصل المعنى بدونه تدلّ على زيادة المعنى، والمعنى المناسب للزيادة هٰهنا هو الشدة فإذا دخلَت كلمة على على القلوب وعطف السمع عليها بالواو حصلت الدلالة على شدة الختم فيهما وإذا كرر يراد زيادة الدلالة على شدته فيما دخلت هي عليه. والفائدة الثانية الأدلة على استقلال كل واحد من القلوب والأسماع بكونه مختومًا عليه وذلك لأن ملاحظة معنى الجار في كلٍّ من الموضعين تقتضي أن يلاحظ مع كل واحد منهما على معنى الفعل المتعدّى به فكأن الفعل مذكور مرتين وذلك يدلّ على أن كل واحد منهما مختوم عليه بختم على حدة وإن ختم القلوب ختم مغاير لختم السمع وقد فرّق النحويون رحمهم الله بين مررت بزيد وعمرو وبين مررت بزيد وبعمرو فقالوا في الأول هو مرور واحد وفي الثاني هما مروران. وهذا الوجه وهو كون ملاحظة معنى الجار في كل واحد من الموضعين مقتضيًا لملاحظة معنى الفعل مع كل واحد منهما كما يدلّ على استقلال كل واحد منهما بالختم يدل أيضًا على شدته فيهما وذلك لأن تكرير الجار لمّا كان في قوة تكرير الفعل المُعَدَّى به كان ذلك في قوة تأكيد الفعل وتأكيده يدل على شدته انتهت بحروفها. **قوله**: (**الشيخ أبو منصور**) كذا في بعض النسخ وفي أكثر النسخ الإمام أبو منصور بن علي رحمه الله وهو محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج العتّابي أبو منصور ولد في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ومات في خامس عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة. **قوله**: (**في الأصلح**) أي في أن فعل الأمر الأصلح في حق العباد لا يجب على الله تعالى.

الختم أصلح لهم. (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **العذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب**) عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه، والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. (**ويستعملان في الجثث والأحداث**) جميعًا تقول رجل عظيم وكبير (**تريد جثته أو خطره. ومعنى التنكير**) أن على أبصارهم نوعًا من

قوله: (**العذاب مثل النكال بناء ومعنى**) أي هما في الأصل متماثلان في الوزن والمعنى، أعني العقوبة الرادعة في تاج الأسامي النكال عقوبتي كه بآن عبرت گيرند فالعذاب مشتق من العذب بمعنى بازداشتن أو العذوب بمعنى بازماندن كلاهما من حد نصر على ما في التاج، وفي شمس العلوم أنه من حدّ ضرب والصفة عاذب وعذوب (**لأنك تقول أعذب**)... الخ استشهاد على تماثله وإنما أورد باب الأفعال لكثرة استعماله بالقياس إلى المجرد والأعذاب بازداشن وبازماندن وكذا النكول والإمساك على ما في التاج. **قوله**: (**ويستعملان**) أي العظيم والكبير في (**الجُثث والأحداث**) أي الأعيان والمعاني. **قوله**: (**تريد**) عظمة (**جثته**) أي أنه عظيم الجسم طويل القامة كبير الصورة (**أو خطَره**) في المصباح المنير خطر الرجل خطرًا وزان شرُف شرَفًا إذا ارتفع قدره ومنزلته فهو خَطِير ويقال أيضًا في الحقير حكاه أبو زيد والخاطر يخطِر في القلب من تدبير أمر يقال **خطر** ببالي وعلى بالي خَطْرًا وخُطورًا من باب ضرب وقعد وخطر البعير بذنبه من باب ضرب خَطَرًا بفتحتين إذا حرَّكه. انتهى. أي عظيم وكبير من حيث القدر والمرتبة لأنه أمير أو عالم مثلًا.

قوله: (**ومعنى التنكير**)... الخ يريد أن التنكير في كل واحد من غشاوة وعذاب للنوعية وإن احتمل كونه للتعظيم بأن يكون المعنى (﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾) أي غشاوة (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾) أيّ عذاب ويكون توصيفه بالعظيم للتأكيد كما في مضى أمس الدابر إلا أن حمل التنكير على النوعية في قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) أظهر من حمله على التعظيم بناء على أن التعظيم يُستَفاد من تصريح وضعه الدّالّ عليه بجوهر لفظه وصيغته وتنكيره أيضًا والوصف المشتمل على هذه الأمور الثلاثة كافٍ في تعظيم العذاب فينبغي أن يحمل تنكيره على التنويع ليفيد الكلام فائدة زائدة غير التعظيم وإذا حمل تنكير العذاب على التنويع حمل

التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب (**لا يعلم كنهه إلا الله**).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله (**وواطأت**) فيه قلوبهم ألسنتهم، ثم (**ثنى**) بالكافرين قلوبًا وألسنة، (**ثم ثلث بالمنافقين**) الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر (**استهزاءً**) و(**خداعًا ولذا**) نزل فيهم (**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**) [النساء: الآية ١٤٥]، وقال (**مجاهد**): أربع آيات من أول

تنكير الغشاوة، أيضًا عليه ليناسب العقوبة العاجلة والآجلة وذكر لفظ التعامي الدّالّ على أنهم باختيارهم أظهروا من أنفسهم العمى مع عدم اتّصافهم به في الواقع فإن نحو تمارض وتغافل معناه أنه أرى نفسه مريضًا وغافلًا وليس به ذلك والحال أنهم في الواقع عند تغطي الأبصار وختم القلوب والأسماع لا اختيار لهم في حدوث هذه الصفات فيهم تنبيهًا على أن ذلك من سوء اختيارهم وشؤم إصرارهم على الكفر والإنكار فكأنهم باختيارهم هذا المنكر اختاروا ما يترتّب عليه وأظهروه من أنفسهم. **قوله**: (**لا يعلم كُنهه إلا الله**) كأنه لفخامته ولإبهامه خفي جنسه وماهيّته حتى كان مما لا يُوقَف على كُنهه وحقيقته ولا يعلم ذلك إلا الله العلّام الغيوب وإفادة ذلك في حمله على التعظيم بعيد بمراحل.

قوله: (**واطَأَتْ**) أي وافقت. **قوله**: (**ثنى**) أي ذكر ثانيًا. **قوله**: (**ثم ثلَّث بالمنافقين**)... الخ بتشديد اللام أي أتى بهم ثالثًا. **قوله**: (**استهزاء**) كما قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٤]. **قوله**: (**خداعًا**) بكسر الخاء أي مخادعة كما قال الله تعالى: (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) الآية. **قوله**: (**ولذا**) أي ولكونه أخبث الكفَرَة. **قوله**: (﴿فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: الآية ١٤٥]) اختلف في الدرك فعاصم وحمزة والكسائي وخلف بإسكان الراء ووافقهم الأعمش والباقون بفتحها وهما لغتان أي في الطبق الذي في قعر جهنم والنارُ سَبْعُ دركات سُمّيت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة من كبار التابعين رحمة الله عليه.

السورة في نعت المؤمنين، وآيتان في ذكر الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين، (**نعى عليهم فيها نكرهم**) وخبثهم (**وسفههم، واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم**) صمًّا بكمًا عميًا، (**وضرب لهم الأمثال الشنيعة. وقصة المنافقين عن آخرها**) معطوفة على قصة الذين كفروا كما

قوله: (**نعى عليهم فيها نكرهم**) في منتهى الأرب في لغات العرب يقال هو ينعي على زيد ذنوبه يعنى أوشكار ميكندگناهاي زيدرا. اهـ. وأيضًا فيه نُكْر بالضم وبضمتين منكر أزهر چيزى وكار دشوار وزشت. اهـ. أي أظهر وبين على المنافقين في الآيات فسادهم كما قال: (﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢]). **قوله**: (**وسفّههم**) أي سمّاهم سفهاء بقوله: (﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣]). **قوله**: (**واستجهلهم**) أي جهلهم حيث قال في حقهم: ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: الآية ٩] (﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢])، ﴿**وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: الآية ١٣]. **قوله**: (**واستهزأ بهم**) حيث قال سبحانه وتعالى: (﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [**البقرة: الآية ١٥**]). **قوله**: (**وتهكم بفعلهم**) حيث قال سبحانه وتعالى: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦])، والتهكّم والاستهزاء بمعنى هنا. **قوله**: (**وسجّل بطغيانهم وعمههم**) أي حكم بهما حكمًا قطعيًا حيث قال: (﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥]) والعمه التحيّر والتردّد وهو في البصيرة كالعمى في البصر والمراد بالتسجيل الحكم القطعي وأصله كتابة السجل وهو الكتاب الحكمي. **قوله**: (**ودعاهم**)... الخ أي وسمّاهم صُمًّا بُكْمًا عميًا بقوله: (﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨]). **قوله**: (**وضرب**) أي جعل (**لهم الأمثال الشنيعة**) أي القبيحة حيث قال: (﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧])... الخ. وفي ضرب الأمثال التسجيل على خسرانهم والحرمان عن مقاصدهم وعلى عميهم وصممهم وغير ذلك من الأحوال العجيبة والأطوار الغريبة والأمثال: أُريد بها ما فوق الواحد.

قوله: (**وقصة المنافقين عن آخرها**) بمعنى إلى آخرها أي حال كونها ناشئة من أولها ممتدة إلى آخرها، والمعنى وقصتهم بتمامها معطوفة... الخ في الحواشي الشريفية ليس هذا العطف من عطف جملة على جملة لتطلب بينهما المناسبة المصحّحة لعطف الثانية على الأولى بل هو من قبيل عطف جملة متعددة

تعطف الجملة على الجملة. **(وأصل ناس أناس)** حذفت همزته تخفيفًا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الأُناس **(ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس، وسموا به)** لظهورهم **(وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سُمِيَ الجن لاجتنانهم)**.

مَسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى مَسُوقة لغرض آخر فيشترط فيه التناسب بين الغرضين دون آحاد الجمل الواقعة في المجموعين وهذا أصل عظيم في باب العطف لم يتنبّه له كثيرون فأشْكَل عليهم الأمر من مواضع شتى إلى هنا كلامه وبيان تناسب الغرضين في الآية الشريفة أن الجمل الأولى المعطوف عليها كانت مَسوقة لتقبيح حال الكفّار المُصِرِّين على الكفر ظاهرًا وباطنًا وأن الجُمَل المعطوفة كانت مَسوقة لتقبيح حال المنافقين المُصِرِّين على كُفرهم أيضًا، ولا خفاء في تناسب هذين الغرضين. **قوله**: **(وأصل ناس أُناس)** بضم الهمزة وزنه فعال بضم الفاء حذفت همزته... الخ لكن الحذف ليس بلازم فلذا جاء قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: الآية ٧١] الآية فنقصه وإتمامه جائزان في النكرة فإذا عُرِّف باللام فالأكثر حذفه ويجوز عدم حذفه على قلة. **قوله**: **(ويشهد لأصله إنسان وأُناس وأناسي وإنس)** أي يشهد لكونه أصله أُناسًا بالهمزة وجودها في مفرده وهو إنسان وأُناس وإنس وإنسي بكسر فسكون وأَنَسي بفتحتين بمعناه وفي جمعه أيضًا وهو أُناسي[١] فإن الجمع يردّ الألفاظ إلى أصولها. وقيل: الناس اسم جمع كما سيجيء كالقوم والرَّهط وواحده إنسان أو لا واحد له من لفظه ويرادف أُناسيّ إلا أنه جمع إنسان أو إنسيّ والإنس البشر واحده إنسي وإنسي أيضًا بالتحريك والجمع أناسي وإن شئت جعلت واحده إنسانًا ثم جمعته على أناسيّ **(فتكون)** الياء فيه عِوَضًا عن النون وهو حقيقة في الآدميين ويطلق على الجنّ مجازًا. **قوله**: **(وسمّوا به)**... الخ ولا يشترط الاطّراد في وجه التسمية فلا إشكال بأن سائر الحيوانات أيضًا كذلك. **قوله**: **(وأنهم يؤنسون أي يبصرون[٢])** من قوله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: الآية ٢٩] وآنس بالمد بمعنى أبصر إما من مفاعلة أو الأفعال. **قوله**: **(كما سُمّي الجنّ)** المقابل للإنسان جِنًّا **(لاجتنانهم)** أي لاستتارهم

---

(١) قوله: أناسي بفتح الهمزة وتخفيف الياء وتشديدها جمع إنسي أو إنسان، وأصله أناسين، فأبدلت نونه ياء وأدغمت. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) قوله: أي يبصرون إنما فسر لئلا يتوهم أنه من الأنس ضد الوحشة. ١٢ منه.

ووزن ناس فعال (**لأن الزنة على الأصول**) فإنك تقول وزن (**قه**) افعل وليس معك إلا العين، (**وهو من أسماء الجمع**) ولام التعريف (**فيه**) للجنس (**ومن موصوفة**) ويقول صفة لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا. وإنما خصّوا الإيمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حدّ له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع، وإنما سُمِيَ بالآخر (**لتأخره**) عن الأوقات المنقضية

عن البصر، وكل ما كان فاؤه جيمًا وعينه نونًا لا يخلو عن معنى الاستتار. **قوله**: (**لأن الزنة على الأصول**) فيما يرجع إلى الدلالة على الأصلي والزائد. وأما فيما يرجع إلى بيان ترتيب الحروف فالزنة على الفروع كما يقال في أيس[1] عفل وفي أشياء لفْعَاء على رأي. **قوله**: (**قه**) أمر من وقى يَقي أعل فيه واتصل الهاء به وقفًا.

قوله: (**وهو**) أي الناس (**من أسماء الجمع**) أي مفرد اللفظ جمع المعنى كرُخال وهو بالضم اسم جمع وبالكسر جمع رَخِل بكسر الخاء وهي الأُنثى من ولد الضأن والحمل الذكر والسخلة تقع عليهما وقد يقال للرُّخال بالضم أنه جمع إما تجوزًا وإما لقلب الكسر ضمة. قال في عناية القاضي وكفاية الراضي الفرق بين الجمع واسم الجمع أن اسم الجمع ما دلَّ على ما فوق الاثنين ولم يكن على أوزان الجموع سواء كان له مفردًا ولا يشترط فيه أن لا يفرّق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة، وبالياء كزنج وزنجي فإنه اسم جنس جمعيّ وقد يراد باسم الجمع الجمع الوارد على خلاف القياس وهذا عُرْف النحاة. وأما أهل اللغة فاسم الجمع عندهم يسمى جمعًا حقيقة. اهـ. باختصار. **قوله**: (**فيه**) أي في الناس. **قوله**: (**ومَنْ**) حينئذ (**موصوفة**) نكرة. **قوله**: (**لتأخره**) علّة لتسمية الأبد الدائم باليوم الآخر ومعناه على هذا الوقت الذي ليس بمحدود، وهو وقت الآخرة مِنْ حين ينقطع وقت الدنيا ويجوز أن يُراد آخر الأوقات المحدودة وهو وقت النشور والحساب إلى دخول الجنة والنار وبعد ذلك ليس وقت محدود في حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي. واليوم في العُرْف ما بين طلوع الشمس إلى غروبها من الزمان وفي الشَّرْع[2] ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس

---

(١) قوله: أيس مقلوب يأس. ١٢ منه.

(٢) وعند المنجمين من نصف النهار إلى نصف النهار. ١٢ منه.

(أو الوقت المعهود من النشور) إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنهم أوهموا في هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبي الإيمان أوله وآخره، وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع إلى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه، ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور **(والصراط والميزان)** وسائر أحوال الآخرة. **(وفي تكرير الباء)** إشارة إلى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام. وإنما طابق قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ **(وهو في ذكر شأن الفاعل)** لا الفعل، قولهم: آمنّا بالله وباليوم الآخر، **(وهو في ذكر شأن الفعل)** لا الفاعل **(لأن المراد إنكار ما ادّعوه ونفيه**

والمراد به هٰهنا إما الوقت الغير المحدود بمعنى أنه لا آخر له وإن كان له مبدأ وهو وقت الحشر وهو الأبد الدائم الذي لا قطع له ووصف بالآخر لكونه آخر الوقت المحدود من جهة طرفيه وهو وقت الدنيا، وأما آخر الوقتين المحدودين اللذين أحدهما وقت الدنيا وثانيهما ما بين وقت الحشر إلى أن يدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، وهذا الوقت آخر الأوقات المحدودة وما بعده هو الأبد الذي لا حدّ له. انتهت.

قوله: (أو الوقت المعهود) وفي بعض النسخ أو الوقت المحدود. **قوله**: (من النشور) أي من وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية. **قوله**: (والصراط) وهو جسر ممدود على متن جهنم أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف يعبره أهل الجنة وتزلّ به أقدام أهل النار. **قوله**: (والميزان)، الميزان عبارة عمّا يُعرَف به مقادير الأعمال. **قوله**: (وفي تكرير الباء) أي مع أنه لا حاجة إلى إعادة الجار في العطف على المظهر بخلاف العطف على المضمر المجرور فإنه يجب فيه إعادة الجار في المعطوف نحو مررت به وبزيد ومع ذلك أُعيد الجار لفائدتين الأولى ادّعاء الإيمان التفصيلي بكل واحد منهما، والثانية ادّعاء استحكام إيمانهم وتأكّده وذلك لِما مرَّ من أن ملاحظة معنى الجار في كل واحد منهما تقتضي أن يُلاحَظ مع كل واحد منهما معنى الفعل المتعدّى به فكأنه مذكور مرتين، وهذا يدلّ على استقلال كل واحد منهما بالإيمان واستحكامه. **قوله**: (وهو في ذكر شأن الفاعل) أي في بيان أنه بحيث لم يصدر عنهم ذلك. **قوله**: (وهو في ذكر شأن الفعل) أي في بيان أنه متحقّق صادر عنهم. **قوله**: (لأن المراد إنكار ما ادّعوه ونفيه) هو قولهم آمنا الظاهر

على أبلغ وجه) وآكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين، ونحوه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: الآية ٣٧]، فهو أبلغ من قولك «وما يخرجون منها». (وأطلق الإيمان في الثاني) بعد تقييده في الأول (لأنه) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه، (ويحتمل أن يُراد نفي أصل الإيمان وفي ضمنه) نفي المذكور أولًا. (والآية تنفي قول الكرامية): إن الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم، وتؤيد قول أهل السنّة إنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

أن آمنا إنشاء فإنهم أحدثوا الإيمان بحسب الظاهر بهذا اللفظ ولا دعوى في الإنشاء إلا أن يراد به الإخبار بأحداث الإيمان فالمراد دعوى أحداث الإيمان فيما مضى. **قوله**: (على أبلغ وجه)... الخ فذكر الملزوم وأُريد اللازم إذ نفى كونهم معدودين من زمرة المؤمنين مستلزم لنفي الإيمان عنهم وهو المختار في الكناية وإنما قلنا فذكر الملزوم... الخ فإن كون الإيمان ثابتًا لهم مستلزم لكونهم معدودين من طائفة المؤمنين ونفي اللازم مستلزم لنفي الملزوم فذكر نفي الملزوم هنا وأُريد نفي اللازم كناية ولا ريب في أن الكناية لكونها طريق برهان أبلغ من التصريح لأنها كإيراد شيء مع بيّنة إذ انتفاء اللازم أعدل شاهد على انتفاء الملزوم كأنه قيل في ردّهم وما آمنوا لكونهم خارجين عن صلاحية الإيمان، وعن زمرة أهل الإيقان، فأنّى لهم ثبوت الإذعان، فهذا الرد مطابق لقولهم في التصريح بالشأن. **قوله**: (وأطلق[1] الإيمان في الثاني) بأن لم يذكر المؤمن به. **قوله**: (لأنه) الشأن. **قوله**: (ويحتمل أن يراد نفي أصل الإيمان) أي ليسوا من الإيمان في شيء قطّ لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما. **قوله**: (وفي ضمنه[2]) أي نفي أصل الإيمان نفي المذكور أولًا فإن نفي الإيمان المطلق يستلزم نفي الإيمان المقيّد بالطريق الأولى. **قوله**: (والآية تنفي قول الكرامية) فرقة من الفِرَق الضالة ومعدودة من المشبهة إذ اعتقادهم أن الله تعالى على العرش من جهة العلو مماس له من الصفحة العليا ويجوز عليه الحركة والنزول وغير ذلك من تُرَّهات الكرامية بكسر الكاف وتخفيف الراء طائفة منسوبة إلى رئيسهم إلى عبد الله محمد بن الكرام

---

(١) قوله: وأطلق... الخ. عما قيّدوه من الإيمان بالله واليوم الآخر. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) قوله: وفي ضمته... الخ. إذ نفي المطلق لعمومه مستلزم لنفي المقيّد. ١٢ منه.

(ودخلت الباء في خبر «ما» مؤكدة للنفي) لأنه يستدل به السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام، (ومن موحد اللفظ) فلذا قيل يقول وجمع «وما هم بمؤمنين» نظرًا إلى معناه.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي رسول الله (فحذف المضاف) كقوله:

النيسابوري لأن أباه كان يحفظ الكرم ويقال لحافظه كرام، وفي شرح النخبة بتشديد الراء على اللغة المشهورة، وفي القاموس ضبط بفتح الكاف وتشديد الراء. وقال المطرزي أخبرني الثقاة أنه بفتح الكاف وتخفيف الراء بزِنَة حذام وقطام، وكذا صحّحه الذهبي وابن المرحل.

قوله: (ودخلت الباء في خبر «ما» مؤكدة للنفي) الباء مزيدة لتأكيد النفي غير متعلقة بشيء وهكذا كل حرف جرّ زيد في المبتدأ نحو بحسبك أن تفعل أو الخبر أو الفاعل نحو كفى بالله فاعرفه. **قوله: (وَمَنْ مُوحَّد اللفظ)**. . . الخ أي لفظ مفرد ويستوي فيها التذكير والتأنيث والتوحيد والتثنية والجمع والضمير الراجع إليها يجوز أن يُذَكَّر ويُفرَد حملًا على لفظها وأن يؤنَّث ويُثَنّى ويجمع حملًا على معناها كقوله عزَّ وجلّ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٥] فأفرد الضمير وقال في موضع آخر: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ﴾ [يونس: الآية ٤٢] ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٢] فجمع كما ترى. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٣١] فذكر حملًا على اللفظ وقُرِىء «ومن تقنت» بالتاء حملًا على المعنى. وكذا هنا قال: (﴿مَن يَقُولُ﴾) فأفرد الضمير ثم قال: (﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾) فجمع كما ترى ولا يجوز عكسه وإنما جوِّز أن يحمل أولًا على اللفظ فيفرد ثم يجمع حملًا على المعنى ولم يجوز عكس ذلك لأن الواحد قبل الجمع في الرتبة فاعرفه فإنه أصل من الأصول.

قوله: (فحذف[1] المضاف) أشار به إلى أن المجاز اللغوي غير جائز هنا فهو إما مجاز في الحذف أو مجاز في النسبة الإيقاعية وهذا هو المراد بقوله

---

(١) قوله: فحذف المضاف نبّه به على أنه لا يصح أن يراد بلفظ الله ورسوله مجازاً؛ لأنه لا يصح إطلاق لفظ الله على غيره، ولو مجازاً كما صرّحوا به. ١٢ منه.

(﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾) [يوسف: الآية ٨٢] **كذا قاله (أبو علي)** رحمه الله وغيره، أي يظهرون غير ما في أنفسهم. فالخداع إظهار غير ما في النفس، وقد رفع الله منزلة النبيّ ﷺ **(حيث جعل خداعه خداعه)** وهو كقوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾) [الفتح: الآية ١٠] وقيل: معناه يخادعون الله في زعمهم لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه، وهذا المثال يقع كثيرًا لغير اثنين نحو قولك («**عاقبت اللص**».

الآتي: وقد رفع الله منزلة النبي ﷺ **(حيث جعل خداعه)** أي النبي ﷺ **(خداعه)** أي الله تعالى لا بأن يطلق مجازًا لفظ الجلالة الكريمة على الرسول ﷺ لما عرفت من عدم صحته وجريان المجاز العقلي في النسبة الإيقاعية بل الإضافية مما صرّح به النحرير في المطوّل. **قوله**: (﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢]) يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فَسَلْهم عن كُنْه القصة. **قوله**: (**أبو علي**) الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار كان من أكابر أئمة النحو وإمام وقته. وُلِد بمدينة فسا من أعمال فارس ولذلك يقال له الفسوي أيضًا، توفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله**: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]) أي بيعة الرضوان (﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]) لأنه تعالى المقصود ببيعته ﷺ ولما جعلت المبايعة مع الرسول ﷺ مبايعة مع الله سبحانه وتعالى وشبّه تعالى بالمُبائع أثبت له تعالى ما هو من لوازم المُبايع حقيقة وهو اليد على طريق(١) الاستعارة التخييلية فإن المبايع لا بدَّ له عند مباشرة العقد من الصيغة عادة فلما قيل إن تلك المبايعة إنما هي مع الله سبحانه وتعالى أكد هذا المعنى بأن قيل: (﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية ١٠]) كأنه قيل: لا تظن أن الأمر على خلاف ذلك فإن يده ﷺ يد الله سبحانه وتعالى فلما شبّه الله سبحانه وتعالى بالمُبايع أثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل وإلا فهو تعالى مُنَزَّه عن الجوارح وصفات الأجسام. **قوله**: (**عاقبت اللَص**) في منتهى الأرب في لغات العرب لِصّ بالكسر ويُثَلَّثُ دُزد أي السارق والضم أجود عند الأصمعي لُصُوص وَأَلْصَاص جمع لَصَّة بالتاء مؤنث لَصَّات ولَصَائص جمع .اهـ.

---

(١) قوله: على طريق الاستعارة التخييلية أن يثبت للمُشَبَّه من لوازم المشبّه به. ١٢ منه عُفِي عنه.

وقد قرىء «**يخدعون الله**» (وهو) بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل: ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك؟ قيل: يخادعون الله، (**ومنفعتهم في ذلك متاركتهم**) عن المحاربة التي كانت مع مَن سواهم من الكفار وإجراء أحكام المؤمنين عليهم (**ونيلهم**) من الغنائم (**وغير ذلك**). قال صاحب الوقوف: (**الوقف لازم على** ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾) لأنه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين

قوله: (**وقد قُرِىء**) وإن شاذًّا (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) والقارىء أبو حَيوة. **قوله**: (**وهو**) أي (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) بيان[1] ليقول أو مُستأنَف، فإن يقول لا شك من جانب واحد وهو المنافقون فينبغي أن يكون فِعْل الخدع أيضًا من جانب واحد ليطابق البيان المبين والاستئناف أيضًا يفيد فائدة البيان لأنه في مَعرِض الجواب لما عسى أن يقال ما بالهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٨] فقيل (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) فلما كان هذا الكلام جوابًا لغرضهم كان الفعل المذكور من جانبهم فقط فكان يخادعون بمعنى يخدعون. **قوله**: (**منفعتهم في ذلك**) عطف على قوله ولِمَ يدعون بطريق التفسير.

قوله: (**متاركتهم**) أي متاركة المسلمين وإعفائهم للمنافقين. **قوله**: (**ونيلهم**) في القاموس نِلْتُه أَنِيْلُه وأَنالُه نيلًا ونالًا ونالة أَصَبْتُه. اهـ. **قوله**: (**وغير ذلك**) من الفوائد نحو اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التي كانوا حراصًا على إظهارها على الأعادي. **قوله**: (**الوقف لازم على** ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾)... الخ في الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد. فإن قلت هل يجوز أن يكون أي قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ في موضع جرّ على الصفة لقوله بمؤمنين، قلت: معاذ الله مما أوردت انتفى عنهم ما أثبت الله لهم إياك والعود إلى مثل هذا الإيراد في كتاب الله. اهـ. وفي إعراب القرآن العظيم لأبي البقا رحمه الله: ولا يجوز أن يكون أي قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ في موضع جرّ على الصفة لـ ﴿بمؤمنين﴾ لأن ذلك يُوجِب نفي خداعهم، والمعنى على إثبات الخداع. اهـ.

---

(١) قوله بيان: لخفائها بالنسبة إلى الغرض، والمراد عطف البيان، لكن المراد المنزل منزلة عطف البيان؛ لأنه لا يجرى كالبدل في الجمل عند النحاة وأرباب المعاني، ولذا اختير الفصل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(فينتفي الوصل) كقولك «ما هو برجل كاذب» والمراد نفي الإيمان عنهم وإثبات الخداع لهم. ومن جعل «يخادعون» حالًا من الضمير في يقول والعامل فيها «يقول» والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالًا من الضمير في «بمؤمنين» والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف (والوجه الأول): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يخادعون رسول الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإضمار الكفر. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم، لأن ضررها يلحقهم. وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع إليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم (وما يخادعون. أبو عمرو ونافع ومكي) للمطابقة (وعذر الأولين) أن خدع وخادع هنا

قوله: (فينتفي الوصل) وهو الخداع لأن الأصل أن النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد يتوجه إلى القيد. **قوله**: (والوجه) هو (الأول) أي الوقف لازم. **قوله**: («وما يخادعون» أبو عمرو ونافع ومكّي) أي يخادعون من المفاعلة قرأه أبو عمرو[١] بن العلاء البصري ونافع[٢] بن عبد الرحمٰن المدني وعبد[٣] الله بن كثير المكي وعبارة التفسير المظهري قراءة الحرمين وأبي عمرو ما يخادعون. انتهت. **قوله**: (وعذر الأولين) أي دليلهم، والمراد من الأولين مَن بقي من القرّاء السبعة غير ما ذكر أولًا وهم عبد الله بن عامِر اليَحْصَبِيّ[٤] الشامي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ويكنّى أبا عِمران وهو من التابعين وليس في القرّاء السبعة من العرب غيره وغير أبي عمرو والباقون هم مَوَالٍ توفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة وعاصم بن أبي النجود الكوفي ويكنى أبا بكر وهو من التابعين، توفي بالكوفة سنة ثمانٍ. وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة وحمزة بن حبيب الزيّات

---

(١) قيل: اسمه زبّان، وقيل: يحيىٰ، وقيل: اسمه كنيته، وقيل غير ذلك. توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. ١٢ منه.

(٢) أصله من أصفهان، ويكنى أبا رُوَيْم، وقيل: أبا حسن، وقيل: أبا عبد الرحمٰن، توفي بالمدينة سنة تسع وستّين ومائة. ١٢ منه.

(٣) يكنى أبا معبد، وهو من التابعين، توفي بمكّة سنة عشرين ومائة. ١٢ منه.

(٤) قوله: اليحصَبيّ بتثليث الصاد والفتح أخف، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير باليمن. ١٢ منه عُفِي عنه.

بمعنى واحد، (والنفس ذات الشيء وحقيقته. ثم قيل للقلب والروح

الكوفي ويكنّى أبا عمارة وتوفي بحُلْوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة، وعليّ بن حمزة النحوي الكسائي الكوفي ويكنّى أبا الحسن. وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في الكساء، وتوفي برَنْبوية قرية من قرى الريّ حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

قوله: **(والنفس**[١] **ذات الشيء وحقيقته)** والمراد بالشيء كل موجود جوهرًا كان أو عَرَضًا ذو روح أو جمادًا وللإشارة إلى ذلك عطف قوله حقيقته عليه ولا وجه للتخصيص بالحيوان إذ لكل شيء حقيقة وماهية يكون الشيء به هو هو والذات منقول من مؤنث ذو بمعنى الصاحب لأن المعنى القائم بنفسه بالنسبة إلى ما يقوم به أو إفراده يستحق الصاحبية والمالكية ولكون التاء للنقل دون التأنيث لم يتحاشوا من إطلاقها على الباري تعالى ذاته وجلَّ شأنه.

وأما النفس فلا يطلق عليه تعالى إلا مُشاكلة تحقيقية أو تقديرية، فالتعريف مختص بالممكن الموجود وهو حقيقة في الذات مجاز فيما عداه. ومن هٰهنا قال: **(ثم قيل للقلب)** وهو عضو صنوبري معروف، **(والروح)**[٢] سواء كان حيوانيًا وهو البخار اللطيف المنبعث[٣] من القلب عند الأطباء وإنسانيًا وهو النفس الناطقة التي يشير كل أحد إليها بقوله: أنا والحق إن الروح مما استأثره الله تعالى بعلمه وغاية علمنا به أنه الذي يحيى به بدن الإنسان ويموت حين مفارقته عنه قال الله تعالى:

---

(١) إطلاق النفس عليه من قبيل ذكر المسبَّب وإرادة السبب أو من إطلاق اللازم على ملزومه؛ لأن النفس وذات الشيء وذات الحيوان بالقلب تتقوّم؛ لأن القلب مبدأ الحياة ومحل الروح والحيوان، ولذلك خلق في وسط الصدر؛ لأنه أحرز المواضع في البدن، إذ العظام سور حصين له، والفضلات حرس له. ١٢ منه.

(٢) أطلق على الروح بناء على أن الروح بأي معنى كانت سبب لقوام النفس بمعنى ذات الشيء الحيّ على طريق إطلاق اسم المسبَّب. ١٢ منه.

(٣) قوله: المنبعث من القلب، فإنّ القلب له تجويف في جانبه الأيسر ينجذب إليه لطيف الدم، فيتحرّر بحرارته فذلك البخار هو المسمى بالروح عند الأطباء، ثم إنه يسري من القلب إلى جميع البدن ولما كان القلب منبعه، قيل: إنه محل الروح ١٢ منه.

النفس لأن النفس بهما، وللدم نفس لأن قوامها بالدم)، وللماء نفس **(لفرط حاجتها إليه، والمراد بالأنفس هـٰهنا ذواتهم)**، والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم **(لا يعدوهم)** إلى غيرهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ **(أن حاصل خداعهم يرجع إليهم)** والشعور علم الشيء علم حسّ من الشعار **(وهو ثوب يلي الجسد، ومشاعر الإنسان**

﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢] الآية **(النفس لأن النفس)** أي ذات الحيوان **(بهما وللدم)** أي وقيل للدم أيضًا **(نفس لأن قوامها بالدم)** حيث رُوِيَ أن بعض الأطباء ذهبوا إلى أن الروح هو الدم. ومنه قولهم لا نفس له سائلة، أي دم يجري، والقوام بكسر القاف ما يقوم به ويبقى والنفس تؤنَّث بمعنى الروح وتُذَكَّر بمعنى الذات أي الشخص، لكن المراد بالضمير في قوامها الذات لا الروح، فالفرق المذكور غير تام فالأولى أن النفس من المؤنث المعنوي بأي معنى أُريد بها، فهذا المجاز من قبيل ذكر المسبّب وإرادة السبب. وللماء أي وقيل للماء أيضًا نفس إطلاق النفس على الماء غير متعارف في اللغة. كما قال ابن الصائغ في حاشية الكشاف إنه لم يوجد في كتب اللغة والذي فيها النفس بفتحتين. انتهى. لكن هذا لا يضرّ المصنّف رحمه الله تعالى ولا الكشاف لأنها في بيان المجاز اللغوي ولا يضرّ عدم ثبوته في اللغة ولذلك قال: **(لفرط حاجتها إليه)**، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠] رُوِيَ أن قيصر بعث إلى معاوية رضي الله تعالى عنه بقارورة وقال له: اجعل فيها كل شيء، فسأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فقال له: اجعل فيها ماء ولو كان مراده بيان ما ثبت في اللغة لَما احتاج إلى ذلك، وهذا المجاز أيضًا من ذكر المُسبّب وإرادة السبب لأن بقاء المحتاج بسبب المحتاج إليه وإلا فنفس الاحتياج ليس معدودًا من العلاقة المعتبرة عند الثقات. **قوله: (والمراد بالأنفس هـٰهنا ذواتهم)** لأنها أصل معناها ولا مقتضى للعدول عنها. **قوله: (لا يعدوهم)** لا يتجاوز عنهم.

قوله: (إن حاصل خداعهم يرجع إليهم) أشار به إلى أن مفعول يشعرون محذوف للعلم به. **قوله: (وهو ثوب يلي الجسد)** لمماسة الشعر ويكون بمعنى العلامة وبمعنى ما يتنادى به في الحرب ليعرف بعضهم بعضًا. **قوله: (ومشاعر الإنسان)** جمع مشعر بفتح الميم وكسرها سُمِّيت به لكون كل حاسّة محلًا للشعور

حواسه) لأنها آلات الشعور، والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس (وهم، لتمادي غفلتهم كالذي لا حسّ له).

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد. (في الحديث «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة») والمريض متردد بين الحياة والموت، ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسمًا لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب. ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي ضعفًا عن الانتصار وعجزًا عن الاقتدار. وقيل: المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف في زيادة الإيمان. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ (فعيل بمعنى مُفْعَل)

(حواسه) والباطنة عند مُثبتيها، أو الظاهرة فقط، وكذا مشاعر سائر الحيوان حواسه إذ هي من القوى الحيوانية غير مختصّة بالإنسان وتخصيصه بالذكر هنا من مقتضيات المقام. **قوله**: (وهم لتمادي غفلتهم) أي لامتداد غفلتهم وبلوغها إلى مداها أي غايتها. **قوله**: (كالذي لا حسَّ له) فيه إشارة إلى أنهم أخسّ وأدنى حالًا من البهائم ومُلحَقون بالجمادات.

قوله: (في الحديث مثل المنافق) أي صفته العجيبة الشأن (كمثل الشاة العائرة) من عار ذهب وبعد أي الطالبة للفحل المتردِّدة (بين الغنمين) أي القطيعين فإن الغنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع لا تدري أيّهما تتبع وتمام الحديث (تعير) بفتح أوله أي تنفر وتشرد (إلى هذه) أي القطعة (مرة وإلى هذه) أي القطعة الأخرى (مرة) أخرى ليضربها فحلها فلا ثبات لها على حالة واحدة وإنما هي أسيرة شهوتها وهو تشبيه مركب محسوس بمعنى معقول تقريب إلى فهم المخاطب فشبّه عليه السلام تردّده بين الطائفتين أي المسلمين والكافرين تبعًا لهواه ومراداته وقصدًا إلى شهوته بتردّد الشاة العائرة التي لا تستقر على حال وبذلك وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: الآية ١٤٣] رواه مسلم عن ابن عمر وكذا أحمد والنسائي وزاد ألا تدري أيهما تَتْبَعُ. **قوله**: (فعيل بمعنى مُفْعَل) على لفظ اسم المفعول أي مؤلم بفتح اللام على أنه اسم مفعول من آلم إيلامًا، أي أوجع إيجاعًا، فالمؤلم هو المعذّب الذي

أي مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ كوفي. أي بكذبهم) في قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر، (فما مع الفعل بمعنى المصدر،

تعلق به الألم وصار محلًا له فهو بمعنى الأليم فإنه صفة مشبهة مشتق من الفعل اللازم وهو ألم يألم ألمًا فهو أليم، ومعنى ألم صار ذا ألم بأن تعلق به الألم فيكون ذا ألم وهو بعينه بمعنى المؤلم. وفي الفتوحات الإلٰهية قوله مؤلم بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي حيث أسند الألم للعذاب وهو في الحقيقة إنما يُسنَد إلى الشخص المعذّب، يقال ألم من باب طرب فهو أليم كوجع فهو وجيع أي متألم ومتوجِّع ولا يقال إنه بكسر اللام اسم فاعل على طريق الإسناد الحقيقي كسميع بمعنى مسمع لخلوّه عن دعوى المبالغة الحاصلة على كونه بفتح اللام حيث يقتضي أن العذاب لشدة إيلامه للمعذبين صار كأنه مؤلم أي معذّب فهو على حدّ جَدَّ جِدّه. انتهت. **قوله**: (﴿يَكْذِبُونَ﴾ كوفي) كوفي أي قرأها عاصم بن أبي النَّجُود الكوفي وحمزة بن حبيب الزيَّات الكوفي وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي رحمة الله تعالى عليهم أجمعين. **قوله**: (أي بكذبهم) الباء للسببية أو المقابلة. **قوله**: (فما مع الفعل بمعنى المصدر) في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلاّمة أبي السعود بن محمد العمادي، عليه رحمة الله الهادي. ﴿ما﴾ مصدرية داخلة في الحقيقة على ﴿يكذبون﴾ وكلمة ﴿كانوا﴾ مقحمة لإفادة دوام كذبهم وتجدّده أي بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين، فإنه إخبار بإحداثهم الإيمان فيما مضى لا إنشاء للإيمان ولو سلم فهو متضمن للإخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الإذعان والقبول قطعًا. ويجوز أن يكون محمولًا على الظاهر بناء على رأي مَن يجوز أن يكون لكان الناقصة مصدر كما صرَّح به في قول الشاعر:

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك إياه عليك يسير

أي لهم عذاب أليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار. انتهى بحروفه. وفي حاشية شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي وأما كلمة كان فهي للدلالة على الاستمرار في الأزمنة، كذا في الحواشي الشريفية والدلالة على الاستمرار والانقطاع ليست بمعتبرة بحسب الوضع في معنى كان الناقصة بل كل واحد منهما

والكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أي بتكذيبهم النبيّ عليه السلام) فيما جاء به.

مُستَفاد من القرينة وذهب إلى أن كان يدلّ على استمرار مضمون الخبر في الزمان الماضي مستدلًا بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النّساء: الآية ١٣٤]. وقال: الرَّضي الاستدلال منشأه الغفلة عن أن الاستمرار مستفاد من قرينة وجوب كون الله تعالى سميعًا بصيرًا إلا من لفظ كان الناقصة إذ هي موضوعة لمجرد الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي يدلّ عليه صيغة الفعل الناقص إما ماضيًا أو حالًا أو استقبالًا فكان للماضي ويكون للحال وللاستقبال وكن للاستقبال ومقصود الشريف الرَّضي رحمه الله بهذا الكلام دفع ما يتوهّم من المُنافاة بين لفظي كان ويكذبون من حيث إن لفظ كان أداة دالّة على أن الكذب مُنتَسِب إليهم في الزمان الماضي ولفظ يكذبون يدلّ على أن انتسابه إليهم في الحال أو في المستقبل، فالزمان الذي يدلّ عليه يكذبون بصيغة غير الزمان الذي تدلّ عليه الأداة فما وجه الجمع بينهما؟ وتقرير الدفع أن كلمة كان للدلالة على استمرار كذبهم في جميع الأزمنة بشهادة القرينة كما أن لفظ يكذبون يدل على الاستمرار التجدّدي. انتهت بحروفها وفي الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد، فإن قلت: هل يجوز أن تكون كان هنا مزيدة؟ قلت: لا يجوز ذلك لأن المزيدة تقع حشوًا أو آخرًا وهٰهنا واقعة أوّلًا أعني قبل اسمها. انتهى. **قوله**: (**والكذب إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به**) أي ما هو ملتبس به في الواقع ونفس الأمر أي الإعلام بالنسبة على خلاف الوجه الذي هي متحقِّقة به ومُتَلبِّسة بمعنى أن كل شيئين بينهما نسبة ثبوتية أو سلبية، فالإعلام بالنسبة الثبوتية على طريق الإثبات وبالسلبية على طريق السلب صدق وعلى خلاف ذلك كذب وهذا هو مذهب الجمهور وعند أهل السُّنَّة هو المشهور ولا يراد اعتقاد المخاطب لأنه مذهب المعتزلة ولا يسوغ اعتباره في كلام أهل السُّنَّة. **قوله**: (**يكذبون**) من كذبه بالتشديد نقيض صدقه والبناء للتعدية والمفعول مقدَّر أشار إليه بقوله الآتي أي بتكذيبهم النبي عليه السلام. **قوله**: (**غيرهم**) أي قرأها باقي السبعة. **قوله**: (**أي بتكذيبهم النبي عليه السلام**) بقلوبهم وتكذيب النبي عليه السلام مستلزم لتكذيب جميع ما يجب الإيمان لكونه مُبَلِّغًا له والتخصيص به مع أن تكذيب واحد من جميع المؤمن به مستلزم لتكذيب ما عداه لأن المخادعة

(وقيل: **هو مبالغة في كذب**) كما بولغ في صدّق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

(﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ **معطوف على** «يكذبون» **ويجوز أن يعطف على** «**يقول آمنا**») لأنك لو قلت ومن الناس مَن (**إذا قيل لهم** ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾) لكان

مع النبي عليه السلام والحمل على تكذيبه أوفق لذلك على أن تكذيب ما عدا شأنه تعالى وما سوى الرسول عليه السلام لا يستلزم تكذيب جميع المؤمن به بل يستلزم عدم الاعتداد به. **قوله**: (وقيل: **هو مبالغة في كذب**) أي زيادة في الكيفية بمعنى يكذبون كذبًا عظيمًا فإن بناء فعل بالتشديد قد يكون للمبالغة في فعل بالتخفيف بحسب الكيفية أي للدلالة على أن الفعل الصادر من الفاعل قوي شديد بالغ أقصى درجات الكمال فيكون لازمًا موافقًا لقراءة التخفيف والمخالفة باعتبار المبالغة وعدم اعتبارها (بيّن)[1] بمعنى بانَ وتبيَّن تبيّنًا تامًّا كاملًا. **قوله**: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾) قيل: أصله قُوِل كَضُرِبَ فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف بعد سلب حركتها فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهذا أصل مُطَّرِد في كل ما اعتلّت عينه من الأفعال وهذه أفصح اللغات والقائل هو الله تعالى والرسول أو بعض المؤمنين واللام متعلقة بقيل ومعناها الإنهاء والتبليغ. **قوله**: (**معطوف على** ﴿يكذبون﴾) وتقدير الكلام وبما كانوا (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا﴾)... الخ فيكون منصوب المحل لعطفها على خبر كان. **قوله**: (**ويجوز أن يعطف على** ﴿**يقول** آمنا﴾) فحينئذ لا محل لهذه الجملة لعطفها على الصفة والمعنى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨] الآية. **قوله**: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾) وما بينهما جملة معترضة ونكتتها تعداد منشأ قبائحهم ومن هٰهنا لم يقبح طول الفصل بين المتعاطفين وتأخير هذا الاحتمال يُشعِر بأن الأول أرجح وقد صرَّح في الكشاف وغيره أن الوجه الأول أوجه لخلوّه عن تخلّل البيان أو الاستئناف وبه ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩] وما يتعلق به بين أجزاء الصفة وإن لم يكن أجنبيًا مُخِلًّا بالفصاحة.

---

(١) أي: اتضح. ١٢ منه.

صحيحًا، (**والفساد خروج الشيء**) عن حال استقامته (**وكونه منتفعًا به، وضده الصلاح وهو الحصول**) على الحال المستقيمة النافعة. (**والفساد في الأرض هيج الحروب**) والفتن (**لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع**) والمنافع الدينية والدنيوية، وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار (**ويمالؤنهم**) على المسلمين (**بإفشاء أسرارهم إليهم**) وإغرائهم

قوله: (**والفساد خروج الشيء**) أي الموجود. **قوله**: (**وكونه منتفعًا به**) عطف تفسيري. **قوله**: (**وضدّه الصلاح**) بيّنه هنا مع أن محله بعد قوله: (﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾) لكونه ضدّه، ولتناسبهما بالتضادّ بينه عقيبه (**وهو الحصول**)... الخ، فحينئذ الضدّ اصطلاحي[1]. **قوله**: (**والفساد في الأرض هيّج الحروب**)، يقال هاجت الحرب هيجًا وهياجًا وهيجانًا إذا ثارت ووقع القتال وغيره مما يُفعَل بالعدو وهو لازم ولا يناسب المقام، ويقال هاجها أي أثارها وهو متعدٍّ وهو المناسب هنا لأن الغرض بيان فِعلهم وأحوالهم الباطلة فحينئذ الأولى أن الفساد بمعنى الإفساد قال المصنِّف رحمة الله عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المَائدة: الآية ٣٣] أي مفسدين إشارة إلى أن فسادًا بمعنى الإفساد إما لأن فسد فسادًا يستعمل بمعنى المتعدّي أو فسادًا مصدرًا فسد بحذف الزوائد وهذا هو الظاهر فحينئذ إضافة الهيج إلى الحروب إضافة المصدر إلى المفعول فافهم. والفتن جمع فتنة بمعنى المِحَن والبلايا لا بمعنى المعاصي والخطايا وعطف العام على الخاص يُراد به ما وراء الخاص. **قوله**: (**لأن في ذلك**) تعليل لإطلاق الفساد على هيج الحروب (**فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة**) عطف تفسيري (**عن أحوال الناس**) وفسادهم وقوع القتال بينهم ونقصان الأموال والأولاد والأعضاء وغير ذلك. **قوله**: (**والزروع**) وفسادها بحبس المطر وعدم وصولها إلى كمالها أو بنزول آفة سماوية فيُهلكها. **قوله**: (**يمالؤونهم**) أي يعاونونهم، يقال مالأه أي عاونه وهو مهموز اللام. قال الراغب يقال: مالأته أي عاونته في مهمه وساعدته عليه وصرت من ملئه وجمعه كما يقال شايعته أي صرت من شيعته. **قوله**: (**بإفشاء أسرارهم إليهم**) أي

---

(١) ومقتضى كلام البيضاوي: أن الصلاح عدم خروج الشيء عن الاعتدال، فالمراد بالضدّ ح لغوي، أي مطلق التقابل. ١٢ منه عُفِي عنه.

عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم. ﴿قَالُوٓاْ ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾﴾ بين المؤمنين والكافرين (**بالمداراة**) يعني (**إن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح**) فيها من وجه من وجوه الفساد، (**لأن «إنما» لقصر الحكم**) على شيء (**أو لقصر الشيء**) على حكم كقولك «إنما ينطلق زيد (**وإنما زيد كاتب**») و«ما» كافة لأنها (**تكفها عن العمل**).

بإظهار أسرار المسلمين إلى الكفّار المُجاهِرين. **قوله**: (**بالمداراة**) في لسان العرب المداراة في حُسْن الخلق والمُعاشرة مع الناس يكون مهموزًا وغير مهموز فمَن همزه كان معناه الاتّقاء لشرّه ومَن لم يهمزه جعله من دريت أي خلت الجوهري ومداراة الناس المُداجاة والمُلاينة. ومنه الحديث: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس، أي مُلاينتهم وحُسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك وداريت الرجل لاينته ورفعت به، وأصله من دريت الظبي اختلت له وختلته حتى أصيده.اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب مُدَارَأَة يكديگررا دفع كردن وخلاف نمودن وبنرمي وحُسْن أخلاق پيش أمدن يكديگررا ازلغات اضداد است يقال دَارَأْته وَدَارَيْته يُهْمَزُ ولا إذا اتقيته ولايَنْته. انتهى.

قوله: (**إن صفة المُصلِحين خلصت لنا وتمحضت**) من التمحّض بمعنى الخلوص من قولهم لبن محض أي لم يخالطه ماء ولا شيء يغايره. **قوله**: (**من غير شائبة قادح**) الشائبة وهو ما يخالط الشيء فيمنعه من الخلوص سواء كان حِسّيًا أو معنويًا كما فيما نحن فيه فإن الإصلاح حالة معنوية وخلوصها بعدم اختلاط الفساد إياه ولا يبعد كون استعمال الشائبة في المعقولات مجازًا تشبيهًا للمحسوس ويُشعِر به قول الجوهري: الشائبة واحدة الشوائب وهي الأدناس والأقذار.اهـ. وفي القاموس قَدَح فيه كَمَنَعَ طَعَنَ.اهـ.

قوله: (**لأن «إنما» لقصر الحكم**) أي المسند وإنما عبّر عن المسند بالحكم لأن الحكم ينزع منه ويحصل به. **قوله**: (**أو لقصر الشيء**) أي المسند إليه. **قوله**: (**إنما زيد كاتب**) أي ليس فيه من الفضيلة التي تُنسَب إليه سوى الكتابة ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: الآية ١١٠] لأنهم طلبوا منه ما لا يقدر عليه البشر فأثبت لنفسه صفة البشر ونفى عنه ما عداها. **قوله**: (**تكفّها**) أي تمنع أن (**عن العمل**) فيما بعدها.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾

(﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعمل به. («**ألا**» **مركبة من همزة الاستفهام**) وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققًا (**كقوله تعالى**: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة: الآية ٤٠])، ولكونها في هذا المنصب (**من التحقيق**) لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة (**بنحو ما يتلقّى به القسم، وقد ردّ الله ما ادّعوه**

قوله: (﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾) لفظ (لكن) في الآية الشريفة للاستدراك بالنفي بعد الإيجاب وقد يكون بالإيجاب بعد النفي أيضًا ووجه الاستدراك فيها أنه لمّا قيل: (﴿هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾) سبق إلى الوهم أنهم يفعلون ذلك من حيث يشعرون بناء على أنهم وُصِفوا بالإفساد وجعل ذلك وصفًا قائمًا بهم فيتبادر إلى الوهم أنهم يعلمون اتّصافهم بذلك إذ الظاهر أن يعلم الإنسان ما هو فيه من الصفات فدفع الوهم المذكور بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ مبالغة في جهلهم الجهل[1] المركَّب لا سيما إذا تعلق بما هو من أحوال النفس فيكون في غاية القباحة لا سيما عند قيام دلائل واضحة وبراهين قاطعة تبيِّن بها المُصلِح من المفسد والمُحِقّ من المُبطِل. **قوله**: (﴿أَلَآ﴾ مركبة من همزة **الاستفهام**) التي للإنكار وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقّق ما بعدها لأن إنكار النفي تحقيق الإثبات، وكذلك كلمة أَمَا فإنها أيضًا مركبة من همزة الاستفهام التي للإنكار وحروف النفي لإفادة التنبيه على تحقّق ما بعدها لكنهما بعد التركيب صارتا كلمة تنبيه وذهب كثير من النحاة إلى أنهما لا تركيب فيهما. **قوله**: (**كقوله تعالى**: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة: الآية ٤٠]) فإنه يفيد تحقيق قادريّته وتقريرها. **قوله**: (**من التحقيق**) بيان المنصب. **قوله**: (**بنحو ما يتلقى به القسم**) أي بنحو ما يُجابِ به، يقال: تلقاه بكذا واستقبله به أي أجابه به وما يُجاب القسم اللام وإن وحروف النفي نحو والله إن زيدًا قائم أو لزيد قائم أو ما قام زيد، وإنما أُجيب القسم باللام وإن لأنهما يفيدان التأكيد الذي لأجله جاء القَسَم فيدخلان لتقوية فائدة القسم. **قوله**: (**وقد رد الله**) تبارك وتعالى (**ما ادّعوه**

---

(١) قوله: الجهل المركب هو عبارة عن الاعتقاد الغير المطابق والجهل البسيط، وهو عدم العلم عمّا من شأنه ذلك. ١٢ منه.

من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ) وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف، وما في («ألا» و«إن») من التأكيد

من الانتظام في جمل المُصلِحين أبلغ ردّ) لمّا ادّعوا كونهم مُصلِحين وبالغوا فيه بإيراد الكلام على صورة الجملة الاسمية المُصَدَّرة بـ ﴿إِنَّمَا﴾ [البقرة: الآية ١١] الدَّالّة على تأكيد الحكم وقصرهم أنفسهم على الصَّلاح بُولِغ في ردّهم بوجوه متعددة، الأول سلك في ردّهم مسلك الاستئناف فإنه لكونه منساقًا إلى السامع بعد السؤال والطلب يكون أدلّ على تمكّن الحكم في ذِهنه من الذي سمعه ابتداء بلا تعب، والثاني تصدير تلك الجملة المستأنفة بكلمة (ألا) المركبة من همزة الإنكار وحرف النفي و(إنّ) المقررة للنسبة أي المؤكِّدة، والثالث تعريف الخبر فإنه وإن كان يفيد قصر المسند على المسند إليه كما ذكره صاحب المفتاح وشبّه به في الاستعمال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: الآية ٥٨] أي لا رزّاق سواه، فيكون ضمير الفعل حينئذ لتأكيد هذا القصر فإنه يؤكد ما يجده في الجملة من القصر وقد أفاد هذا الكلام قصر المسند على المسند إليه وأكّده ضمير الفصل إلا أن تعريف الخبر قد يفيد قصر المسند إليه على المسند أيضًا نحو الكرم هو التقوى والحسب هو المال أي لا كرم إلا التقوى ولا حسب إلا المال وضمير الفصل جيء به لتأكيد هذا القصر وقد ذكر في الفائق أن تعريف المسند يفيد قصر المسند إليه عليه فأكد الفصل إذ معنى التعريف الإشارة إلى الحقيقة كما ذكر في المُفلحين وتعريف المفسدون في هذه الآية ينبغي أن يُحمَل على قصر المسند إليه على المسند لأنه هو المناسب للمقام أي مقام ردّ دعواهم الباطلة فإنهم لمّا قصروا أنفسهم على محض الإصلاح قصر إفراد في جواب مَن اعتقد أنهم جمعوا بين صفتي الإصلاح والإفساد وسمعوا قول المسلمين لهم ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: الآية ١١] توهّموا أن المسلمين اعتقدوا فيهم أنهم جمعوا بين الوصفين فأجابوهم بأنهم مقصورون على الإصلاح لا يتجاوزون عنه إلى صفة الإفساد ولا يجمعون بينهما أصلًا وهو معنى قصر الإفراد فأجابهم الله تعالى بما يدلّ على قصر القلب وهو قوله تعالى: (﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾) فإنهم لمّا أثبتوا لأنفسهم صفة الإصلاح ونفوا الأخرى واعتقدوا ذلك قلب الله تعالى اعتقادهم هذا وأثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم ما أثبتوه فهو قصر قلب لكونه كلامًا مع مَن يعتقد

(وتعريف الخبر وتوسيط الفصل) وقوله: «لا يشعرون».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ) **قَالُوٓا۟** (أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ)﴾ نصحوهم من وجهين: أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجرّه إلى

العكس ولا يخفى أن المناسب لهذا المعنى أن يحمل التعريف على قصر المسند إليه على المسند ويكون المعنى أنهم مقصورون على الإفساد لا حظّ لهم في الإصلاح بوجه ما وتوسيط الفصل كما يفيد تأكيد القصر المذكور يفيد فائدة أخرى وهي ردّ ما في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١] من التعريض للمؤمنين بأنهم المفسدون[١] فإنه لو قيل: نحن مُصلحون بدون كلمة إنما وقصد به التعريض لجاز فكذلك إذا قالوا : نحن مقصورون على محض الإصلاح وقصدوا به ذلك فينبغي أن يكون الكلام المَسوق لردّ دعواهم الكاذبة مشتملًا على ردّ ما قصدوا فيها من التعريض للمؤمنين فيكون توسيط الفصل للفائدة المذكورة وجهًا رابعًا من وجوه الأبلغية، والوجه الخامس الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ووجه دلالته على أبلغية نفي علمهم بكونهم مُفسدين بنفي الإحساس عنهم للإشعار بأن إفسادهم في الظهور بمنزلة المحسوس الذي لا يخفى على مَن سلمت حواسه وعدم علمهم بذلك من حيث إنه لا إحساس لهم ولِما اشتمل هذا الكلام الوارد لردّ قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١] على هذه الأمور التي هي وجوه المبالغة وهي مفقودة في ذلك القول كان هذا الكلام أبلغ منه. **قوله: (وتعريف الخبر)** بلام الجنس لا للعهد فيه إشارة إلى أن (هم) ضمير فصل لا حظ له من الإعراب كما أشار بقوله: **(وتوسيط الفصل)**.

قوله: (﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾) جمع سفيه كفقيه وفقهاء وحكيم وحكماء.

---

(١) قوله: بأنهم المفسدون؛ لأنهم لما حصروا أنفسهم على الإصلاح والمسلمون على خلاف منهم، فهم المفسدون فردّ بهذا الكلام عليهم بأنهم المفسدون دون غيرهم من المؤمنين وهم المصلحون. ١٢ منه.

الفساد، وثانيهما تبصيرهم الطريق (الأسدّ) من اتباع (ذوي الأحلام)، فكان من جوابهم (أن سفهوهم لتمادي) جهلهم، وفيه تسلية للعالم مما يلقى (من الجهلة). وإنما صحّ إسناد «قيل» إلى «لا تفسدوا» و«آمنوا» (مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصح، لأنه إسناد إلى لفظ الفعل) والممتنع إسناد الفعل إلى معنى الفعل فكأنه

قوله: (الأَسَدّ) درست ومحكم. **قوله**: (ذوي الأحْلام) أي العقول في القاموس الحِلم بالكسر الأناةُ والعَقْل ج أحلام وحُلُوم، ومنه ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الطور: الآية ٣٢]. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب حلم بالكسر أهستگي وبردباري وعقل أحلام وحلوم جمع. ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الطُّور: الآية ٣٢]. اهـ. **قوله**: (أن سفَهُوهم) أي عدوا المؤمنين سفهاء أو نسبوهم إلى السفاهة. **قوله**: (لتمادي) وإفراط. **قوله**: (من الجَهَلَة) في منتهى الأرب في لغات العرب جاهل كصاحب نادان جهل بالضم وبضمتين وجُهَّل كركع وجُهّال كرُمّان وجُهَلَاء كعقلاء وجهلة مُحَرَّكة جمع. اهـ. **قوله**: (مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصحَ) إطلاق الفعل على الفعل مع الضمير المتصل شائع في عبارتهم وبالجملة الإسناد إلى غير الاسم ممتنع وفاقًا واغترّ بعض النحاة بهذه الشبهة فذهب إلى أن الفعل أعني قيل مسندًا إلى ضمير مصدره أو إلى لهم لا إلى آمنوا ولا تفسدوا، والجواب أن الممتنع هو الإسناد إلى معنى الفعل مُعَبّرًا عنه بمجرد لفظه وإما إلى مجرد لفظ مثل ضربَ مؤلّف من ثلاثة أحرف أو اللفظ باعتبار الدلالة على المعنى مثل ﴿قيلَ لهم آمنوا﴾ فلا امتناع لأنه في الحقيقة إسناد إلى الاسم فإن قيل قد أطبقوا على أنه إنما يُسنَد إلى الاسم دون الفعل وهما من أقسام اللفظ دون المعنى فينبغي أن يمتنع الإسناد إلى اللفظ الذي هو الفعل، قلنا: المقصود ما ذكره على ما قررناه. ويحتمل أن يُراد بمعنى الفعل الكلمة التي هي فعل كضرب المستعمل في الحديث مع الزمان لا كضرب الذي هو علم له فليتأمل فإن قيل الجملة بعد القول في موقع المفعول المطلق لكونه في معنى هذا القول، وح يجوز أن يكون المسند إليه هو الجار والمجرور أعني لهم دون (آمنوا) قلنا الصحيح أن القول مُتَعَدّ وأن المحكي بعده مفعول به لأنه مقول وتعقل القول موقوف عليه وإطلاق القول عليه من قبيل ضرب الأمير أي مضروبه والغلط إنما نشأ من هذا، كذا أفاده العلّامة التفتازاني عليه رحمة الله الغني. **قوله**: (لأنه إسناد إلى لفظ الفعل) فهو اسم وهو

قيل: وإذا قيل لهم هذا القول ومنه (**زعموا مطية الكذب. و«ما» في «كما» كافة كما في «ربما»، أو مصدرية كما في** ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾) [التوبة: الآية ٢٥] (**واللام في الناس للعهد**) أي كما آمن الرسول ومَن معه وهم ناس معهودون،

مفعول به سادّ مسدّ الفاعل وهو مقول القول فلا حاجة إلى ادّعاء أنه مسند لضمير المصدر والجملة بدل منه ولا إلى الجار والمجرور. **قوله**: (**زعموا مطية الكذب**) في القاموس المَطِيَّة الدَّابَّة تَمْطُوا[1] في سيرها ج مطايا ومَطِيٌّ وأمْطَاءٌ. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب مَطِيّة كغنية باركي يُذَكَّر ويؤنَّث مطايا بالفتح ومَطِيّ كغنيّ وإمطاء جمع ونيز مَطِيّ واحد وجمع. اهـ يعنى أن الوارد بعد الزعم وما يشتق منه كلام غير موثوق به لأن الزعم هو القول بغير تبيّن وتثبت.

قوله: (**وما في كما كافّة**) أي الكاف فيه حرف جرّ وما كافّة تكفّها عن العمل وتصحّ دخولها على الجملة الفعلية مع أن حق حرف الجرّ أن يختص بالاسم. **قوله**: (**كما في ربما**) كلمة ما فيه كافّة تكفّ رُبَّ عن العمل وتصحّ دخولها على الجملة. **قوله**: (**أو مصدرية**) أي أو الكاف في كما اسم بمعنى المثل منصوب المحل على أنه صفة مصدر محذوف وما مصدرية تقديره آمنوا إيمانًا مثل إيمان الناس فلما حذف الموصوف أُقيمت الصفة مقامه وأُعرِبَت وسُمِّيت باسمه تجوّزًا وفي الحواشي الشريفية أن لفظ ما في كما إن كانت كافّة عن العمل مصحّحة لدخولها على الجملة كانت للتشبيه بين مضمون الجملتين أي حقّقوا إيمانكم كما تحقّق إيمانهم وإن كانت مصدرية فالمعنى إيمانًا مشابهًا لإيمانهم. **قوله**: (**كما في ما رَحُبَتْ**) أي كما في قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: الآية ٢٥] ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رُحْبها أي سَعَتِها، والمعنى لم تجدوا موضعًا لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم. **قوله**: (**واللام في الناس للعهد**)... الخ أي للعهد الخارجي فلا بدّ أن يكون المشار إليه باللام حصة معهودة بين المتكلم والمخاطب تقدّم ذِكره صريحًا أو كناية بأن يذكر شيء من لوازمه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: الآية ٣٦] فإن لفظ الذكر إشارة إلى ما سبق كناية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي

---

(١) قوله: تمطُوا... الخ. في القاموس: مَطا جَدَّ في السَّيْرِ وأسرَع. ١٢ منه.

(أو عبد الله بن سلام) وأشياعه أي (كما آمن أصحابكم وإخوانكم، أو للجنس

﴿مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: الآية ٣٥] فإن لفظ ما وإن كان يعمّ الذُّكور والإناث لكن التحرير وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس إنما يكون للذكور دون الإناث فالتحرير قرينة مُخَصِّصَة للفظة ما بالذكور وقد يُستَغنَى عن تقدّم ذكره لعلم المخاطب به بالقرائن نحو خرج الأمير إذا لم يكن في البلد إلا أمير واحد. وكقولك لِمَن دخل البيت: أغلق الباب والحصة المعهودة في الآية سواء أُريد بها الرسول ومَن معه أو مَن آمن من أبناء جنسهم لم يتقدَّم ذكرها لا صريحًا ولا كناية لكنها كالمتقدِّم ذِكرها من حيث إن الرسول ﷺ ومَن معه من المؤمنين كانوا معهودين حاضرين في أذهانهم لا يغيبون عن خواطرهم أبدًا كما كانوا مُبغضين عندهم ويُقاسون منهم ما يقاسون من الأحزان حسدًا من ظهور أمرهم وقبول الناس دينهم ولما رأوا من تتابع المعجزات والبراهين القاطعات ونزول الوحي الناطق بالهدى والبيِّنات وكذا عبد الله بن سلام وأشياعه فإنهم[1] أيضًا مبغوضون عندهم من حيث إنهم كانوا من أبناء جنسهم ومُصاحِبيهم ثم خالفوهم واتبعوا الحق المُبين فانكسرت بذلك قوّتهم وتفرَّقت أعوانهم فهم أيضًا معهودون وحاضرون في أذهانهم من هذا الوجه وإن لم يتقدم ذكرهم صريحًا ولا كناية فحَسَن أن يُشار إليهم بلام العهد الخارجي الذي شرطه أن يكون المُشار إليه معلومًا للمخاطَب بأي وجه كان وأيّد بعضهم بأنه المأثور لأنه مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما أخرجه ابن جرير، ولعل لهذا قدمه المصنِّف رحمه الله وذهب صاحب البحر إلى أنه أولى. **قوله**: (أو عبد الله بن سلام) هو عبد الله بن سلام ابن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفًا لهم وكان من بني قينقاع بفتح القاف وسكون الياء وفتح النون من اليهود واسمه الحصين فغيَّر النبي ﷺ اسمه وسمّاه عبد الله لمّا أسلم أول ما قَدِم المدينة، وقيل تأخر إسلامه إلى سنة ثمانٍ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهو من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه أبو هريرة وغيره وله مناقب وأموره مع اليهود مشهورة في كتب الحديث، وتوفي بالمدينة في سنة ثلاث وأربعين من

---

(١) قوله: فإنهم أيضاً مبغوضون... الخ. والشيء إذا كان مبغوضاً أشدّ بغض كان حاضراً في الأذهان دائماً كما إذا كان الشيء محبوباً أشدّ حب لا يغيب عن الخواطر جزمًا. ١٢ منه.

أي **كما آمن الكاملون**) في الإنسانية، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة (**ومن عداهم كالبهائم**)، والكاف في «كما» في موضع النصب لأنه

الهجرة النبوية وسلام بفتحتين مخفَّف اللام وغيره من الأعلام مشدّد اللام وأشياعه أي أتباعه كما في نسخة جمع شيعة بكسر الشين وشيعة الرجل جماعته وأتباعه باعتبار مُشايعتهم له أي مُسايرتهم وموافقتهم له والمراد بأشياعه مَن آمن من بني إسرئيل أي (**كما آمن أصحابكم وإخوانكم**) فيكونون معهودين عندهم، وأما رسول الله ﷺ والمؤمنون فمعهودون على الإطلاق. **قوله**: (**أو للجنس**) المُعَرَّف بلام الجنس قد يُقصَد به نفس الحقيقة من حيث هي كالمحدودة المعرّفة باللام وقد يُقصَد به الجنس بأسره كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العَصر: الآية ٢] وشيء من هذين المعنيين لا يصحّ إرادته هٰهنا لأن الجنس من حيث هو ليس بمؤمن وكذا جميع أفراده، وقد يُقصَد به بعض أفراده من حيث إنه فرد منه مع قطع النظر عن اتّصافه بوصف زائد كما في قوله:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني

وهذا المعنى قليل الجدوى جدًا لا يُصار إليه إلا إذ تعذّر حمل اللام على العهد الخارجي وتعذّر أيضًا حمله على المعنيين الآخرين لتعريف الجنس فظهر بهذا أنه لا وجه لجعل اللام في الناس للجنس لتعذّر إرادة كل واحد من المعاني الثلاثة للمعرّف بلام الجنس إلا أن بعض أفراد الجنس مع كونه بعضًا منها في نفس الأمر قد يُدَّعَى انحصار الجنس فيه وكونه جميع أفراد الجنس لكماله واستجماعه جميع الخواص المطلوبة من ذلك الجنس والفضائل المقصودة من مثله فاستحق لذلك أن يحصر الجنس فيه ولا يُعَدّ ما عداه داخلًا في عداد ذلك الجنس وأفراده لانحطاط رتبته عن رتبة ذلك الجنس لخلوّه عن الخواص المطلوبة من ذلك الجنس في مثل هذا الفرد وكثيرًا ما يُنفَى عنه اسم جنسه ويقال ليس بإنسان مثلًا إذا لم يوجد فيه المعنى الذي خُلِق الإنسان لأجله، فقوله أو للجنس أي لاستغراق الجنس بادّعاء انحصاره في الأفراد الكاملين المُستَجمعين للخواص المطلوبة من ذلك الجنس والفضائل المقصودة من خلقه (**أي كما آمن الكاملون**) في الإنسانية هم الجامعون لما يُعَدّ من خواص الإنسان وفضائله فهم لذلك يستحقون أن يحصر فيهم الجنس كله فهذا الحصر بالنظر إلى كمالهم. **قوله**: (**ومن عداهم كالبهائم**) في فَقْد التمييز

صفة مصدر محذوف أي إيمانًا مثل إيمان الناس ومثله كما آمن السفهاء. **(والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ للإنكار، واللام في «السفهاء» مشار بها إلى الناس)، وإنما**

بين الحق والباطل. **قوله: (والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ للإنكار)** بمعنى أن ذلك لا يكون أصلًا، وقوله للإنكار أي مجازًا من قبيل ذكر المسبّب وإرادة السبب فإن الاستفهام عن الشيء مُسبّبًا عن الجهل المسبّب عن عدم توجّه الذّهن إليه المسبب عن إنكاره وهو قسمان: إنكار للوقوع ويسمى إبطالي بمعنى لم يقع ولم يوجد وإنكار للواقع ويسمّى توبيخي بمعنى أنه لا ينبغي أن يقع. والمراد هنا الأول ولذا فُسّر بلا يكون.

قوله: (واللام في السفهاء مُشار بها إلى الناس) أي المعهودين والكاملين أو الذين من عداهم في حكم العدم على ما ذكر وهذا عهد بلفظ آخر وباعتبار وصف آخر. وعبارة ابن تمجيد عليه رحمة الله الحميد **(إلى الناس)** أي الناس السابق ذكرهم فيكون اللام للإشارة إلى المعهود الخارجي. انتهت. وعبارة شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي واللام في السفهاء إما للعهد الخارجي والمعهود الحصة المعهودة المعينة التي تقدَّم ذكرها صريحًا في قوله تعالى: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ سواء أُريد بالناس المعهودون أو الجنس بأسره بناء على ادّعاء انحصاره في الكاملين فإن أُريد بالناس المعهودون وأشير بلفظ السفهاء إليهم تكون تلك الحقيقة معهودة بلفظين وباعتبار لفظين وُضِعا متغايرين وإما للجنس بأسره أي لاستغراق جنس السفيه أو جنس السفهاء بوصف الجمعية وأيًّا مّا كان يكون الناس المذكور سابقًا داخلًا في جنس المشار إليه بلفظ السفهاء على زعمهم الباطل وإما في نفس الأمر فهم عقلاء بل أكمل الناس عقلًا ذكر في التوسيط ومعالم التنزيل فإن قيل كيف يصحّ النفاق مع المُجاهرة بقولهم ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أُجيب بأنهم كانوا يُظهِرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ والمؤمنين بذلك عنهم. وقال الإمام: القائل ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ إمّا الرسول أو المؤمنون، ثم كان بعضهم يقول لبعض: أنؤمن كما آمن السفيه فلان ابن فلان السفيه ابن فلان والرسول وأصحابه لا يعرفون ذلك فأخبرهم الله تعالى بذلك ثم غلب عليهم هذا اللقب بقوله تعالى: (﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾). وفي التفسير كان المنافقون يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أن ينطقوا به بألسنتهم لكن

سفهوهم (**وهم العقلاء المراجيح**) لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل، ومَن ركب متن الباطل كان سفيهًا (**والسفه سخافة العقل**) وخفة (**الحلم**. ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ **وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ**﴾ أنهم هم السفهاء. وإنما ذكر هنا «لا يعلمون» وفيما تقدم «لا يشعرون» لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر

هتك الله تعالى أستارهم وأظهر أسرارهم عقوبة لهم على عداوتهم وبغضهم للحق المبين ففي الآية دلالة على حقية الرسالة من حيث إنه عليه الصلاة والسلام أخبر بما في قلوب المنافقين بإخبار ربّ العالمين إياه وكل واحد من هذه الوجوه محتمل لأن قوله تعالى: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾) ظرف لـ ﴿قَالُوٓاْ﴾ فيكون قولهم: (﴿أَنُؤۡمِنُ﴾) جوابًا للمؤمنين حين لاقوهم وقالوا لهم: (﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾) فالقول بأن المنافقين لا يتكلمون بهذا الكلام بألسنتهم وإنما يتكلمون به في أنفسهم أو يتكلمون به فيما بينهم لا عند المؤمنين بعيد جدًّا، فالظاهر في الجواب أن يقال قولهم: (﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾) ليس مجاهرة في الامتناع عن الإيمان إذ يمكن لهم أن يقولوا مرادنا بهذا القول دعوا الإخلاص في الإيمان بإنكار أن يكون إيماننا كإيمان السفهاء والعوامّ إن كان هذا التأويل منهم على وجه النفاق أيضًا كان قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨] كذلك. انتهت بحروفها فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

[illegible]: [illegible] جمع مرجاح صيغة مبالغة من الرجاحة في الأساس نخل مراجيح ومواقير ثقال الحمل وهو راجح العقل وفي عقله رجاحة وفي حلمه سجاحة وهم مراجيح. [illegible]: [illegible] أي خفته وعدم استحكامه. وفي المصباح سخف الثوب سخفًا وزان قرُب قربًا وسخافة[1] بالفتح رَقَّ لقلة غزله. ومنه قيل رَجُل سخيف وفي عقله سُخْفٌ أي نقص. وقال الخليل: السخف في العقل خاصة والسخافة عامّة في كل شيء. انتهى. [illegible]: [illegible] بكسر الحاء وسكون اللام هو الأناة[2] والوَقار.

---

(١) محركة. ١٢ في القاموس.

(٢) قوله: الأناة، في القاموس: الأنَاةُ كَقَناةٍ الحِلْمُ والوَقارُ.اهـ. وفي منتهى الأرب: أناة بالفتح تحمل ووقار.اهـ. ١٢ منه عُفي عنه.

العلم معه **(أحسن طباقًا له، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال)** حتى يكتسب الناظر المعرفة، أما الفساد في الأرض فأمر مبنيّ على العادات فهو كالمحسوس. والسفهاء خبر «إن» و«هم» فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبر «إن».

قوله: **(أحسن طباقًا له)** الطباق كالمطابقة من الأسماء المتضايفة وهو أن يجعل شيء فوق آخر وهو بقدره ومنه طابق النعل بالنعل لكونه فوقه يقابله ولكونه بقدره يوافقه فلذا أطلق في اللغة على الموافقة والمناسبة وأطلق في الاصطلاح البديعي على الجمع بين الضدّين والمراد هنا الثاني لأن السفه لا يخلو عن الجهل بل هو مستلزم له فكأنه هو فذكر العلم معه يكون جمعًا بين المتضادين في الجملة فالطباق بديعي. وقيل المراد الأول لتناسب عدم العلم والسفاهة فهو لغوي يرجع إلى مراعاة النظير وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضادّ. قال الطيبي: هو من باب المطابقة المعنوية إذ لو كانت لفظية لقيل لا يرشدون فإن الرشد مقابل للسفه أو قيل ألا إنهم الجهلاء ليقابل لا يعلمون. انتهى. وفيه نظر إلا أنه لا منافاة بينهما فإنه إن نظر للعلم والجهل من غير نظر لغيره فهو بديعي وإن نظر له منفيًّا فلغوي ولكلٍّ وجهة.

قوله: (ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال)... الخ وجه ثانٍ لتخصيص فاصلة ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٢] بمقام نفي إدراك المنافقين وإن ما هم عليه محض إفساد وتخصيص فاصلة ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بمقام نفي علمهم بـ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ وتقريره أن المقصود في الموضعين نفي الإدراك عن المنافقين بأن حالهم محض الإفساد بقوله ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾، والإدراك المتعلق بأن حالهم محض السفاهة بقوله: ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ للإشارة إلى الفرق بين الإدراكين بالجلاء والخفاء من حيث إن أحدهما إدراك جليّ منزل منزلة الإحساس والآخر خفيّ مفتقر إلى النظر والتفكّر فإن الإدراك المتعلق بأن ما في النفاق من تهييج الحروب والفتن ومعاداة من دعاهم إلى الصراط المستقيم المؤدّي إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد إفساد محض لا يشوبه شيء من الإصلاح إدراك جليّ مُنَزَّل منزلة الإحساس وإن كان المعلوم المدرك به أمرًا معقولًا مدركًا بالقوة العاقلة فناسب أن ينفي هذا الإدراك بأن يقال ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ تنبيهًا على أنه علم ضروري جارٍ مجرى الإحساس بالحس

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿(وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ و(قرأ أبو حنيفة رحمه الله ﴿وإذا لاقوا﴾ يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته) قريبًا منه. الآية الأولى في بيان مذهب المنافقين

الحيواني والمشاعر الظاهرة ولمّا كان حال المنافقين أن لا يحصل لهم هذا الإدراك الجاري مجرى الشعور لكفاية أدنى النظر والالتفات في حصوله وأريد بيان حالهم كان المناسب أن يسلب عنهم الشعور بذلك إشعارًا بأنهم أنزل مرتبة من البهائم بخلاف الإدراك المتعلق بأمر الدين والتمييز بين الحق والباطل فإنه خفيّ يفتقر حصوله إلى نظر وتفكّر فإذا أُريد بيان حالهم وسخافة رأيهم وقصر حالهم على السفاهة المحضة كان المناسب أن يُبيَّن ذلك بأن يقال ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ جريًا على مقتضى الظاهر لأنه علم استدلالي يحتاج إلى نظر وفكر ليس مُنَزَّلًا منزلة الإحساس حتى ينفي عنهم ذلك بأن يقال ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

قوله: (﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) لقوا أصله لَقِيُوا استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى القاف بعد حذف حركتها ثم حذفت الياء لسكونها وسكون واو الجمع بعدها وقيل بل حذفت حركة الياء حذفًا وضُمَّت القاف لِثَبَت الواو. **قوله**: (قرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه ﴿وإذا لاقوا﴾) وأصله لاقَيُوا فقُلِبَت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين وبقيت فتحة القاف تدل على الألف المحذوفة وقيل بل أُسكنت الياء استخفافًا ثم حذفت لما ذكرت، فإن قلت لِمَ حُذِفَت الواو في ﴿لقوا الذين﴾ من اللفظ حالة الوصل وأثبتت في ﴿لَاقَوُا الذين﴾ قلت: حذفت في ﴿لقُوا الذين﴾ لأن في الكلمة ما يدلّ عليه وهو ضمّ القاف وأثبتت في ﴿لاقوُا الذين﴾ لأنه ليس فيها ما يدلّ عليها فإن قلت لِمَ حرَّكت الواو من ﴿لاقوا الذين﴾ بالضم دون أختها؟ قلت: لخمسة أوجه أذكرهنّ عند قوله ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة: الآية ١٦] إن شاء الله تبارك وتعالى (**يقال لقيته ولاقيته**) بصيغة المتكلم (**إذا استقبلته**) بصيغة الخطاب ولو قيل بلفظة أي أيّ استقبلته لكان بصيغة المتكلم أيضًا وسرّه ما قيل في شرح الهادي من أنه قد يفسر الكلام بإذا لكنك إذا فسرت جملة مسندة إلى ضمير الحاضر بأي ضممت تاء الضمير فتقول

(والترجمة) عن نفاقهم، وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم (﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾

استكتمته الحديث أي سألته كتمانه بضم التاء فيهما وإذا فسرتها بإذا فتحت التاء الثانية فقلت إذا سألته ونظمه القائل:

إذا كنّيت بأي فعلًا تفسّره فضم تاءك فيه ضم معرّف
وإن يكن بإذا يومًا تفسره ففتحة التاء أمر غير مختلف

وسرّه كما في شرح المفصّل أن أي تفسيرية فينبغي أن يطابق ما بعدها ما قبلها والأول مضموم فالثاني مثله وإذا شرطية وإنما جعلت تفسيرية نظرًا إلى مآل المعنى فيتعلق قول المخاطب على فعله الذي ألحقه بالضمير فيستحيل فيه الضم وعبَّر بلفظ يقال مع أن الظاهر التعبير بتقول بصيغة الخطاب نظرًا إلى قوله إذا استقبلته بصيغة الخطاب حتى قال بعضهم إنه أي صيغة الغائب غير مستقيم والجواب أن صيغة الخطاب في صدر الإسلام جائز نظرًا إلى ظاهر قوله إذا استقبلته بصيغة الخطاب بل هو حسن، وصيغة الغائب في صدر الكلام جائز نظرًا إلى المعنى إذ الخطاب في مثل قوله إذا استقبلته لغير معيّن فيكون في المعنى كالغائب كأنه قيل يقال أي يقول أحد: لقيته أو لاقيته إذا استقبل شخصًا آخر ولا ريب في حُسْن هذا وكذا في حسن ما يقوم مقامه والنظر إلى المعنى شائع في كلام البلغاء، فإن قيل الخطاب لغير معيّن ليعمّ كل مُخاطَب لا لكونه في حكم الغائب قلنا معنى ليعمّ كل مخاطب ليعمّ كل مَن شأنه أن يخاطب فيكون في حكم الغائب، ولما كان الشرط والجزاء متغايرين تغاير السبب والمسبب جعلوا القول جوابًا دون المقول لإيجاده به مع عدم صحته إذا استقبلته لقيته بفتح التاء في الأول وضمّها في الثاني كما لا يصحّ إذا استقبلته أنت يقول غيرك لقيته أنا فإذا فتحت صحّ بتقدير إذا استقبلته يقول غيرك إنك لقيته أنت.

قوله: (والترجمة) أي البيان. **قوله**: (﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾) أصل خلوا خَلَوْوْا فاستثقلت الحركة على الواو فحذفت وحذفت الواو التي هي اللام لالتقاء الساكنين وقيل بل قُلِبَت ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف كراهية اجتماع الساكنين وبقيت الفتحة قبلها تدلّ عليها.

خلوت بفلان وإليه) إذا انفردت معه، وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء أي إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم، ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى. **(وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم)** وهم اليهود. **(وعن سيبويه)** أن نون الشياطين أصلية **(بدليل قولهم «تشيطن»)**، وعنه أنها زائدة **(واشتقاقه)** من «شطن»

قوله: (خلوت بفلان) الخلاء مصدره كالخلوة نقل عن الأساس أنه قال خلا المكان خلاء وخلا من أهله وعن أهله وخلوت بفلان **(وإليه)** ومعه خلوة وخلا بنفسه انفرد إذا انفردت معه أي إذا اجتمعت معه في خلوة وفيه إشارة إلى أنه بمعنى الانفراد يستعمل بالباء وإلى ومع، وفي التاج والخلوة تستعمل باللام وإلى والباء ومع بمعنى واحد. انتهى. لكن الاستعمال بالاعتبار مغاير للآخر فتعديته باللام لكونه غرضًا له في الأكثر وتعديته بإلى باعتبار أن انفراده مُنْتَهٍ إليه وتعديته بالباء لملابسة ذلك لفلان ومصاحبته واستعانته واستعماله بلفظ مع ظاهر وهذا ليس من باب التضمين ولا من جعل بعضها بمعنى الآخر. **قوله: (وشياطينهم الذين ماثلوا)** أي شابهوا **(الشياطين في تمرّدهم)** التمرّد العتو والتجبّر، ومنه مَرَدَة الشياطين فيكون لفظ الشياطين استعارة تصريحية حيث شبّه كل واحد منهما بالشياطين الماردين فاستعير لفظ المشبّه به للمشبه، وفيه إشارة إلى وجه الشبه وذلك التمرّد أظهر وأغلب في الشيطان وقرينة الاستعارة ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ وإضافة الشياطين إليهم و﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فإن ذلك ليس بجائز في الشيطان. **قوله: (وعن سيبويه)** مركب من سيب وهو التفاح وويه وهو صوت لقب إمام النحاة عمرو بن عثمان الشيرازي وإنما لُقّب لانتشار رائحته كما ينتشر رائحة التفاح. **قوله: (بدليل قولهم تشيطن)** لأنه لو لم تكن النون أصلية سقطت من فعله. **قوله: (واشتقاقه)**... الخ اختلف أهل اللغة في اشتقاق لفظ الشيطان فقال جمهورهم هو مشتق من شطن يشطن أي بعد لأنه بعيد من رحمة الله تعالى لبُعده عن طاعته ومنه بئر شطون أي بعيد القعر فوزنه على هذا فيعال فيكون منصرفًا وقيل هو مشتق من شاط يشيط أي هلك واحترق وبطل وجوده. وفي الصحاح شاطَ الرجل يشيط أي هلك وشاط فلان أي ذهب دمه هدرًا ولا شك أن هذا المعنى موجود فيه فلذلك قالوا إنه مشتق من هذه المادة فوزنه على هذا فعلان فهو غير منصرف إذا سُمّي به وأما إذا لم يُسَمّ فإنه منصرف البتة لأن من شرط امتناع فعلان الصفة أن لا يؤنث بالتاء وهذا يؤنّث بها، قالوا شيطانة.

إذا بعد لبعده من الصلاح والخير، أو من شاط إذا بطل **(ومن أسمائه)** البطل. (﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾) إنا مصاحبوكم **(وموافقوكم)** على دينكم. **(وإنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم)** بالإسمية محققة بـ«إن» لأنهم في خطابهم مع المؤمنين **(في ادعاء حدوث الإيمان)** منهم لا في ادعاء أنهم

قوله: (ومن أسمائه) أي ومن أسماء الشيطان الباطل أورده تأييدًا لكونه مشتقًا من شاط بمعنى بطل. قال العلامة إسماعيل القنوري رحمة الله عليه ولا يخفى ضعفه لأن القول الأول قول الجمهور لأنه بعيد من رحمة الله. اهـ. **قوله**: (﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾) الأصل في إنَّا إنَّنا بثلاث نوناتٍ ثم حذفت إحداهنَّ كراهة اجتماع الأمثال والمحذوفة هي الوسطى بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا[1] لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ﴾ [هُود: الآية ١١١] على قراءة مَن خفَّف النون[2] وقد أتى على الأصل والتمام في قوله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:الآية ٤٦]. **قوله**: **(وموافقوكم)**... الخ عطف تفسير.

قوله: **(وإنما خاطبوا المؤمنين)**... الخ جواب سؤال مقدّر وهو أن قولهم للمؤمنين ﴿ءَامَنَّا﴾ كلام مع المنكر وقد ترك التأكيد، وقولهم لشياطينهم ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ كلام مع غير المنكر وقد أكد بأن واسميّة الجملة مع أن مقتضى البلاغة عكس ذلك والجواب أن ترك التأكيد كما يكون لعدم الإنكار فقد يكون لعدم الباعث من جهة المتكلم ولعدم الرَّواج والقبول من جهة السامع، وكذلك التأكيد كما يكون لإزالة الشك ونفي الإنكار من السامع يكون لصدق الرغبة والنشاط من المتكلم ونيل الرَّواج والقبول من السامع. قوله: الدّالّ على الحدوث أي ﴿آمنا﴾. **قوله**: (وشياطينهم) **بالاسمية أي وخاطبوا شياطينهم بالجملة** الاسمية الدّالّة على الثبات أي أنا معكم. قوله: خبر

---

(١) ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ﴾ [هُود: الآية ١١١] اللام الأُولى مُوَطّئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس، وما مزيدة بينهما للفصل، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿لمَّا﴾ بالتشديد على أن أصله لمن ما فقُلِبت النون ميمًا للإدغام، فاجتمع ثلاث ميمات فحُذِفت أُولاهُنّ، والمعنى لمن الذين يوفينهم. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: من خفَّف النون قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارًا للأصل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(أوحديون في الإيمان)، إما لأن أنفسهم **(لا تساعدهم عليه)** إذ ليس لهم **(من عقائدهم)** باعث ومحرك، وإما **(لأنه)** لا يروج **(عنهم)** لو قالوه **(على لفظ التأكيد)** والمبالغة، وكيف يطمعون في رواجه وهم **(بين ظهراني المهاجرين والأنصار)**. وأما خطابهم مع إخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلًا منهم رائجًا عنهم فكان **(مظنّة للتحقيق ومئنة للتأكيد)**. وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾

إن. **قوله**: **(أوحديون في الإيمان)** جمع أَوْحَدٍ في منتهى الأرب في لغات العرب هو أوحدُ أهْلِ زمانِه أويگانه است ازاهل روزگارخود أي لا نظير له. **قوله**: **(لا تساعدهم)** المُساعدة المُوافقة. **قوله**: **(عليه)** أي على ادّعاء الأوحدية. **قوله**: **(من عَقَائدهم)** بيان باعث. **قوله**: **(لأنه)** أي ادّعاء الأوحديّة لا يُرَوَّج أي لا يقبل **(عنهم)** أي عن المنافقين يشهد بذلك أنهم لمّا قالوا ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: الآية ١] على سبيل التوكيد أُجيبوا بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: الآية ١] أي فيما ادّعوا أن تلك الشهادة من صميم قلوبهم لو قالوه **(على لفظ التأكيد)**... الخ. أي لو قالوا في خطاب المؤمنين إنّا مؤمنون كان ذلك منهم ادّعاء كمال في الإيمان بتمكّنه فيهم وثباتهم عليه ظاهرًا وباطنًا وهم لا يتوقعون رواج هذا الادّعاء على المؤمنين ولا قبول المؤمنين إياه منهم وكيف يقبل منهم ذلك وهم يخاطبون به المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله تعالى في التوراة والإنجيل بأوصاف دلّت على رجحان عقولهم وشدة ذكائهم وصلابتهم في دين الله تعالى فكيف يروج منهم ادّعاء الكمال في الإيمان عليهم بخلاف ما خاطبوا به الكفّار فلذلك تركوا التأكيد مع خطاب المؤمنين ولم يتركوه في خطاب الكفّار.

قوله: **(بين ظهراني المهاجرين والأنصار)** في الفائق أقام فلان بين أظهر قومه وبين ظهرانيهم، أي أقام بينهم وإقحام الأظهر وهو جمع ظهر ليدلّ على معنى أن إقامته فيهم على سبيل الاستظهار بهم وأما ظهرانيهم فأصله ظهريهم زِيدَت الألف والنون تأكيدًا وكان معنى التثنية أن ظهرًا منهم قدامه وآخر وراءه فهو مكنون من جانبيه ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقًا وإن لم يكن مكنوفًا أو على سبيل الاستظهار أو باختصار. اهـ. **قوله**: **(مَظِنَّة للتحقيق)** بكسر الظاء أي موضعه ومألَفِه التي يظن كونه فيه **(ومَئِنّة للتأكيد)** أي موضعه الذي يتحقق ثبوته فيه مَفْعِلة

(تأكيد لقوله: «إنا معكم») لأن معناه الثبات على اليهودية، وقوله: «إنما نحن مستهزئون» رد للإسلام ودفع لهم منهم (لأن المستهزىء) بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدًا به، (ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو استئناف) كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم إنا معكم إن كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا: إنما نحن مستهزئون. (والاستهزاء السخرية والاستخفاف

من معنى إن التأكيدية. قال أبو زيد إنه لمئنة من ذلك أي مَخْلَقَه وكل شيء دَلَّك على شيء فهو مئنة له وفي الأساس فلان مئنة للخير ومَعْساة أي موضع لأن يقال فيه إنه لخيرٌ وعسى أن يفعل خيرًا. وفي لسان العرب قال أبو عبيد: قال الأصمعي: سألني شعبة عن مئِنة فقلت هو كقولك علامته وخليق. قوله: (تأكيد[1] لقوله: إنا معكم)... الخ توجيه لعدم العطف. قوله: (لأن المستهزىء) دليل على قوله ردّ ودفع. قوله: (ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته) لئلا[2] يلزم ارتفاع النقيضين. قوله: (أو استئناف) الاستئناف أوجه وأحسن لزيادة الفائدة وكون المتحرّك للسؤال.

قوله: (والاستهزاء السخرية) تعريف لفظ ولجواز التعاكس فيه قد يُفَسَّر بالاستهزاء والاسم الهُزْء بضم الهاء وسكون الزاي وهو مهموز وقد تُقلَب الهمزة واوًا مع ضمّ الزاي فيقال ﴿هُزُوًا﴾ [البقرة: الآية ٦٧ وغيرها] وهو رواية حفص عن عاصم وسين (والاستخفاف) يجوز أن يكون للتأكيد وأن يكون للطلب أي طلب الخفّة ضدّ الثقل وهما في الحسِّيَّة حقيقيان ومجازيان في المعنوية والمراد الاستهانة والاستحقار سواء كان بالفعل أو بالقول أو بالإشارة والإيماء والمراد هنا الاستخفاف بالقول لكن في صورة التعظيم لتستّر نفاقهم بإظهار التفخيم فعلم أن الاستهزاء لا يشترط فيه علم المُستَهزَأ به الاستهزاء ولو في حضوره.

---

(١) قوله: تأكيد... الخ. ولما لم يكن ظاهر كونهم مستهزئين تكريرًا وتقريرًا، وهو أنه نفي ورد للإسلام، فيكون إثباتًا وقبولًا للكسر، فيكون تأكيدًا. ١٢ منه.

(٢) لئلا يلزم... الخ. وفيه تأمّل؛ إذ الكفر ليس بنقيض الإسلام، بل إما ضدّ أو تقابل العدم والملكة فارتفاعهما جائزان وإلا لم يجتمعا، إلا أن يقال: الكلام في المنافقين فإذا استخفّوا بالإسلام يلزم إصرارهم على اليهودية. ١٢ منه عُفِي عنه.

وأصل الباب الخفّة من الهزء وهو القتل السريع، وهزأ يهزأ مات على المكان).

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ **(أي يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه)** كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ

قوله: (وأصل الباب الخفَّة) أي المعنى الذي اعتبر في هذه المادة بحسب أصله المنقول الخفة فإن الاستهزاء **(من الهزء وهو القتل السريع)**، يقال وهو خفيف بالنسبة إلى القتل البطيء فبين المشتق والمشتق منه مناسبة تامّة. **قوله: (وهزأ يهزأ مات على المكان)** أي قتل قتلًا سريعًا فمات على مكانه أي فجأة كأنه لم يمهل حتى ينتقل عن مكانه إلى محل آخر فهو كناية عمّا ذكر.

قوله: (أي يجازيهم على استهزائهم) هذا بناء على أن الكفّار يُعاقَبون بارتكاب المناهي مما سوى الكفر أيضًا وهذا مذهب الإمام الشافعي والعراقيين من مشايخنا رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما المعنى على مذهب جمهور الحنفية رضي الله تعالى عنهم يجازيهم على ترك اعتقاد حُرمَة الاستهزاء لأن الكفَّار وإن لم يُؤاخَذوا بترك الفروع لكنهم مُؤاخذون بترك اعتقادها اتفاقًا كما في فصل في الأصول، معنى المجازاة المكافآت والمقابلة خيرًا كان أو شرًّا وإنما احتاج إلى هذا التوجيه لأن الاستهزاء مُحال على الله تعالى لكونه جهلًا بمعنى السّفَه فإن ارتكاب الذنب سَفَهٌ وتجاهل وهو المراد من قوله تعالى حكاية عن موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧] في جواب ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧] لا الجهل بالمعنى المعروف هذا مما ذهب إليه كثير من أهل السُّنَّة والجماعة إذ الاستهزاء لعِب ولهو يجب تنزيه الله تعالى عنه كالمُخادعة والمكر فحيث أطلق عليه تعالى يُراد به المعنى المجازي كما فصَّله المصنِّف رحمة الله عليه وذهب بعضهم إلى أن حقيقة الاستهزاء التحقير على وجه من شأنه يتعجّب منه ويضحك وأي استحالة في وقوع هذا من الله تعالى. انتهى. أقول منشأ الاستحالة كونه مشتملًا على اللعب واللهو بحيث يتعجب منه ويضحك كما اعترفوا به وفعل الله تعالى لا يكون بحيث يتعجب منه ويضحك بل يكون

عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٤] فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء سيئة واعتداء، وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من

بحيث يتعجب منه ويحصل الاعتبار والاستدلال على كمال قدرته فكلام هذا البعض مما يتعجب منه وتُسكَب العَبَرات لأجله إذ منشأ الضحك كيف يُسنَد إلى الله تعالى على طريق الوصف. نعم لو قيل: الاستهزاء حقيقة بمعنى الانتقام كما ذهب إليه البعض صرَّح به صاحب اللباب وقال: ولو قيل: أصله الانتقام لكان القول بأنه وصف له تعالى حقيقة لكان سديدًا وقائله سعيدًا وهذا مجمل ما نقل من علم الهدى في التأويلات وإلا فما اعتبر في معناه السخرية واللعب كما صرّح به في اللباب أيضًا فاستحالة وقوعه من الله تعالى من أجلى البديهِيَّات.

قوله: (فسمّى جزاء الاستهزاء باسمه) مجازًا على طريق تسمية جزاء الشيء باسمه وهو كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: الآية ١٩٤]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: الآية ١٤٢]، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٥٤] إما لمقابلة اللفظ باللفظ أي لقصد مقابلة اللفظ باللفظ المُجانِس له مع اختلاف المعنى المقصود فيكون مشاكلة وهي ذِكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير أو لكونه مُماثِلًا له في القدر وهذا وجه ثانٍ لتسمية جزاء الاستهزاء باسم الاستهزاء فإن الجزاء لمّا كان مُشابِهًا لأصل الفعل في القدر كما صرَّح به قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠] ونحو ذلك صحَّ أن يعبّر عن الجزاء باسم المشبه به فيكون لفظ يستهزىء (استعارة تبعية)(١).

---

(١) قوله: استعارة تبعية، الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمان؛ لأن اللفظ المستعار إن كان اسم جنس فالاستعارة أصلية كأسد وقتل، أي في نحو قولك: رأيت أسدًا في الحمام، أي رجلًا شجاعاً، فشبّه الرجل الشجاع بالحيوان المفترس بجامع الشجاعة في كل، وادعينا أن الرجل المذكور فرد من أفراد الحيوان المفترس، واسْتُعير اسم المشبّه به للمشبّه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأن اللّفظ المستعار وهو لفظ أسد اسم جنس، وفي نحو قولك: هذا قتل، أي ضرب عظيم، فشبّه الضرب الشديد بالفعل الجامع نهاية الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبّه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأن القتل=

حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه. قال (الزجاج): هو الوجه المختار. (واستئناف قوله: «الله يستهزىء بهم» من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه) أن الله تعالى هو الذي يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء (لما ينزل بهم من النكال والذلّ) والهوان. ولما كانت

قوله: (الزجّاج) فعال من زجَّ يزجّ إما لكونه صانِعًا للزجاج وإما لكونه بايعه كما يقال قدّار لصانِع القِدْر ولبايعه، وكذا خفّاف وبزّاز وهو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي كان يخرط الزجاج ثم تركه، صنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم.

قوله: (واستئناف قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة) أي العظمة حيث دلَّ على غاية شناعة ما ارتكبوه وتعاظمه على القلوب والأسماع بحيث يتوجه السامع أن يقول الذين شأنهم ذلك ما مصير أمرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله إيّاهم يعني ليس ترك العطف لمجرد رفع أن يتوهّم عطفه على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فيكون من مَقول المُنافقين أو على قالوا فيتقيّد بالظرف ـ يعني ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ ثم لم يصدر الاستئناف بذكر المؤمنين مع أنهم الذين يستهزىء المنافقون بهم وكان ينبغي أن يقابلوهم ويعارضوهم بل بذِكر الله تعالى الجامِع لصفات الكمال مع بناء الفعل عليه لإفادة الاختصاص فدلّ على أن الاستهزاء بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذي يضمحل في جنبه استهزاؤهم لصدوده عمَّن يضمحلّ في جنب علمه وقدرته علمهم وقدرتهم وعلى أن الله تعالى يكفي مؤنته المخلصين من عباده وينتقمْ لهم ولا يحوجهم إلى معارضة المنافقين باستهزاء هو مجرد سخرية واستخفاف وفيه تعظيم لشأن المؤمنين وهذا زيادة في فخامة الاستئناف وإنما تعرَّض في تقريره إفادة الاستهزاء الأبلغ بطريق الحصر جريًا على ما هو مدلول الكلام من أن بناء الفعل على المبتدأ مطلق الاختصاص.

قوله: (وفيه) أي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون قوله وفيه بيان فائدة أخرى سوى الجزالة والفخامة ويحتمل أن يكون بيان الجزالة والفخامة. **قوله**: (لما ينزل) أي الله تعالى (بهم من النكال) العذاب (والذلّ).

= اسم جنس للفعل الذي هو سبب لذهاب الحياة، وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس؛ فالاستعارة تبعية كالفعل وما يشقق منه والحرف. ١٢ منه عُفِي عنه.

(نكايات الله) وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل: «الله يستهزىء بهم» ولم يقل الله مستهزىء بهم ليكون (طبقًا) لقوله: «إنما نحن مستهزئون» (﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أي يمهلهم عن الزجاج والسماد بالفتح السرقين والرماد ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾) في غلوهم في كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حال أي يتحيّرون ويترددون (وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

(﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ خبره. (﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾

في منتهى الأرب في لغات العرب ذُلّ بالضم خواري ضد عزو لهَوَانِ بالفتح رَسْو أيئ وخواري. قوله: (نكايات الله) تعالى جمع نكاية، يقال نَكَا في العَدوّ نِكاية ككتابة إذا قتل فيهم وجرح. والمراد هنا العقوبات. قوله: (طِبْقًا) بالكسر أي موافقًا. قوله: (﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أي يمهلهم عن الزجّاج) أشار به إلى أنه من المدّ أي التطويل في العمر. وفي البيضاوي ﴿ويمدّهم﴾ من مدّ الجيش من باب ردّ وأمدّه إذا زاده وقوّاه. ومنه مددت السِّراج والأرض إذا أصلحتهما بالزيت والسماد. اهـ. قوله: (والسماد بالفتح السرقين والرماد) أي إذا أصلحت السِّراج بالزيت والأرض بالسماد وزِدْتَ فيهما ما تزداد به قوتهما فمعنى قوله تعالى: (﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾) يزيد طغيانهم ويعطيهم مزادًا فيه. وفي السمين والمشهور فتح الياء من يمدّهم وقُرِىء شاذًا بضمها فقيل الثلاثي والرباعيّ بمعنى واحد تقول مدّه وأمدّه بكذا. وقيل مدّ إذا زاده من جنسه وأمدّه إذا زاد من غير جنسه. وقيل مدّه في الشرّ كقوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: الآية ٧٩] أو أمدّه في الخير كقوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: الآية ١٢]، ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾ [الطُّور: الآية ٢٢]، ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [آل عِمران: الآية ١٢٤]. اهـ. قوله: (وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح) لأنهم قالوا: يقبح إيجاد القبيح وخلقه، وبوجوب الأصلح للعباد على الله تعالى والآية بظاهرها تُنافي ذلك.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ خبره (﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾) أولئك في محل الرفع على أنه مبتدأ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مع صلته خبره وقوله: (﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾) عطف على الجملة الواقعة صلة وهي اشتروا وأصل اشتروا اشتريوا فقُلِبَت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لسكونها وسكون واو الجمع بعدها وبقيت فتحة الراء قبلها تدلّ عليها. وقيل: بل أُسكِنَت الياء تخفيفًا ثم حذفت

أي استبدلوها به، واختاروها عليه). وإنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها في قوم آمنوا ثم كفروا، أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ فلما جاءهم كفروا به، أو جعلوا **(لتمكنهم منه)** كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة، وفيه دليل على جواز البيع تعاطيًا لأنهم لم يتلفظوا الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم، وسمي ذلك شراء فصار دليلًا لنا على أن مَن أخذ شيئًا من غيره ترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به. والضلالة **(الجور عن القصد وفقد الاهتداء)**، يقال: ضلّ منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين. (﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ **الربح الفضل)** على **(رأس المال)**، والتجارة **(صناعة التاجر)** وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وإسناد الربح إلى التجارة **(من الإسناد المجازي)**، ومعناه فما ربحوا في تجارتهم إذ التجارة لا

كما ذكرت آنفًا وحُرِّكَت الواو لالتقاء الساكنين بالضم وهو الأشيع، وبالكسر على أصل التقاء الساكنين وبالفتح للتعديل وقد قُرِىء بهنَّ، فإن قلت: لِمَ كان الضم أشيع؟ قلت: لأنها واو جمع فأرادوا الفرق بينهما وبين واو أو ولو. وقيل لأن الضم هنا أخفّ من الكسر لأنه من الواو عن ابن كيسان. وقيل حُرِّكت بحركة الياء المحذوفة عن الفرّاء، وقال الزجّاج: اختير الضم لأنها واو جمع فضُمَّت كما ضُمَّت النون في نحن. وقيل ضُمَّت لأنها ضمير فاعل فهي كالتاء في فعلتُ والباء في قوله تعالى: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ للعوض والمقابلة وهي تدخل على المتروك أبدًا كما هنا. **قوله**: **(أي استبدلوها به)** أشار بهذا إلى أن الشراء هنا مجاز المراد به الاستبدال **(واختاروها عليه)** مبني على ما تقرّر من أن الباء تصحب المتروك الذي كان في يده ثم أعرض عنه لتحصيل غيره وأن فِعل الاشتراء إنما يتعدّى بنفسه للمأخوذ المختار. **قوله**: (لتمكّنهم منه) أي من الهدى. **قوله**: **(الجور)** الميل **(عن القصد)** أي سواء السبيل **(وفَقْد الاهتداء)** في القاموس فقده يفقده فَقْدًا وفِقْدانًا وفُقُودًا عَدَمه. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب فَقَدَه فَقدًا بالفتح وفِقْدانًا بالكسر وبالضم وفُقُودًا بالضم كم كرد آنرا. اهـ. **قوله**: (الربح الفضل) أي الزيادة على **(رأس المال)** أي أصله والرأس مجاز فيه.

قوله: **(صناعة)** أي حِرْفَة **(التاجر)** في منتهى الأرب صِناعة بالكسر پيثة. **قوله**: **(من الإسناد المجازي)** وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبّس بالذي هو في

تربح، ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازًا أتبعه ذكر الربح والتجارة (**ترشيحًا له**)

الحقيقة له كما تلبَّست التجارة بالمشترى. **قوله**: (**ترشيحًا له**) أي للمجاز الترشيح في اللغة بمعنى التزيين وبمعنى التربية والتقوية والترشيح المجازي في الاصطلاح أن يؤتَى بصفة أو تنويع كلام يلائم المُستَعار منه الذي هو المعنى الحقيقي للفظ الاشتراء، وقد يوجد في المجاز المرسل[١] كما يقال لفلان يد طولى أي قدرة كاملة والفرق بينه وبين الاستعارة[٢] التخييلية[٣] مع أن في كل واحد منهما إثبات لوازم المُستَعار منه وملائمته للمُستعار له أن الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ولا شك أن التخييل في المَكنيَّة قرينة لها فلا يكون ترشيحًا وإن كان ملائمًا للمُستعار منه بل ما زاد عليه من ملائماته هو الذي يكون

---

(١) قوله: المجاز المرسل: المجاز مرسل إن كانت العلاقة المصحّحة لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له غير المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي كما إذا كانت مسبّبة أو سببية، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الأصلي سبباً لشيء ومسبّباً عن شيء، فينقل اسمه لذلك الشيء، وإلّا أي بأن لم يكن العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي غير المشابهة، بل كانت نفس المشابهة؛ فاستعارة وسمّي مرسلًا لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيد بادّعاء أن المشبَّه من جنس المشبّه به، والمرسل مطلق عن هذا القيد، وقيل: إنما سمّي مرسلًا لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ورد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري، فإنه مقيّد بعلاقة واحدة، وهي المشابهة والمراد بالعلاقة هنا الأمر الذي به الارتباط بين المعنى الحقيقيّ والمجازي، وبه الانتقال من الأول للثاني؛ كالمشابهة في المجاز الاستعارة، وكالسببية والمسببية في المجاز المرسل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله الاستعارة التخييليّة: قد يضمد التشبيه في النفس، أي في نفس المتكلّم، أي قد يستحضر المتكلم في نفسه تشبيه شيء بشيء على وجه المبالغة وادّعائه في نفسه أن المشبه داخل في جنس المشبّه به، فلا يصرّح بشيءٍ من أركانه، أي من أركان التشبيه المستحضر في النفس سوى المشبّه، ويدلّ على ذلك التشبيه المضمر في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختصّ بالمشبّه به، فيسمّى التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية أو مكنياً عنها. أمّا الكناية، فلأنه لم يصرّح به، بل إنما دلّ عليه بذكر خواصّه ولوازمه. وأمّا الاستعارة، فمجرّد تسميته خالية عن المناسبة، وسمّي إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبّه به للمشبه استعارة تخييلية لأنه قد استُعير للمشبه ذلك الأمر الذي يخصّ المشبّه به، وبه يكون كمال وجه الشبه في المشبه به أو قوام وجه الشبه في المشبّه به ليخيّل أن المشبّه من جنس المشبّه به. ١٢ منه.

(٣) قوله الاستعارة التخييلية: أن يثبت للمشبّه من لوازم المشبّه به. ١٢ منه.

كقولـه:

(ولـمـا رأيـت الـنـسـر عـز ابـن دأيـة وعشش في وكريه جاش له صدري)

ترشيحًا كذا أفاده العلّامة شيخ زاده عليه الرحمة. وعبارة أمير بادشاه على القاضي الترشيح إثبات ذكر بعض لوازم المعنى الحقيقي للمعنى المجازي لكنه إنما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة في التصريحية وبالتخييل في المَكنية وأكثر ما يكون في الاستعارة وقد يكون في المجاز المرسل نحو له اليد الطولى أي القدرة الكاملة. انتهت. **قوله**:

(ولـمَا رأيـت الـنـسـر عـز ابـنَ دأيـةٍ) (وعشش في وكريه جاش له صدري)

النسر في الأصل طائر أبيض معروف يقال له بالتركي كركس وابن دأية كنية الغراب الأسود سُمّي به لأنه يقع على دأية البعير فيأكل منها وهي فقاره فكأنها تغذوه كما تغذو الأم ولدها وهو علم جنس له ممنوع من الصرف وإنما صرفه الشاعر هنا للضرورة وعز أي غلب، ويقال عشش الطائر تعشيشًا وعشّ الطائر موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها للتفريخ فيه وهو في أفنان الشجر فإذا كان في جبل أو جدار ونحوهما فهو وكر ووكن وإذا كان في الأرض فهو أفحوص وأُوْحيّ، وقيل الوكر العش حيث كان في جبل أو شجر وضمير عز وعشش للنسر وضمير وكريه لابن دَأْيَةِ والمراد بتعشيشه في وكري الغراب حلوله ونزوله فيهما وقوله جاش.له صدري جواب لما وهو من جاشت القدر تجشّ أي غَلَت، والمراد بغليان الصدر اضطرابه استعار لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دأية للشعر الأسود ورشح الاستعارتين بأن أتبعهما بذكر التعشيش وبالوكرين لأن الغراب يكون له وكران؛ وكر للشتاء ووكر للصيف والوكران استعارتان للحية وللرأس أو للفودين وهما جانبا الرأس كما أن التعشيش استعارة للحلول والنزول وكون التعشيش والوكر ترشيحًا للمجاز لا ينافي كونهما استعارتين فإن كونهما ترشيحًا ليس باعتبار المعنى المقصود بهما بل باعتبار لفظيهما ومعناهما الأصلي فإن الترشيح قد يكون باقيًا على حقيقة تابعًا للاستعارة ولا يُقصَد بها إلا تقويتها كقولك رأيت أسدًا وافي البراثن لأنك لا تريد به إلا زيادة تصوير الشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تذهب بلفظ البراثن إلى معنى آخر. وقد يكون مستعارًا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار

لما شبه الشيب بالنسر والشعر (الفاحم) بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة) كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر. والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما، فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة، وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية (لأن الضالّ خاسر، ولأنه) لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح. وقيل: «الذين» صفة «أولئك» و«فما ربحت تجارتهم» إلى آخر الآية في محل الرفع خبر «أولئك».

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان، (ولضرب الأمثال) في إبراز خفيات المعاني ورفع

له كما في البيت فإن لفظ الوكرين كما ذكر استعير فيه من معناه الحقيقي للرأس واللحية أو للفودين ولفظ التعشيش للحلول والنزول فيهما مع كونهما مُستَعارين ترشيحًا لتينك الاستعارتين لا باعتبار المعنى المقصود بهما بل باعتبار لفظهما ومعناهما الأصلي. قوله: (الفاحم) الأسود.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة) قيد بذلك ليندفع أن عدم الاهتداء قد فهم من استبدال الضلالة بالهدى فيكون تكرارًا فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها أي على قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والأولى عطفها على ﴿ٱشْتَرَوُا۟﴾... الخ. وذلك أن كونه معطوفًا على قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت﴾ يقتضي كون عدم اهتدائهم لطريق التجارة مترتّبًا ومتفرّعًا على الاشتراء المذكور كما هو مقتضى كلمة الفاء الدّالّة على التعقيب وليس الأمر كذلك بل الاشتراء مترتّب على عدم الاهتداء وعلى تقدير عطفه على ﴿ٱشْتَرَوُا۟﴾ يندفع هذا المحذور وتكون العلّة مجموع الأمرين اللذين عطف أحدهما على الآخر بالواو. قوله: (لأن الضال خاسر) تعليل لقوله: لم يوصفوا بإصابة الربح. قوله: (ولأنه)... الخ عطف على قوله لأن الضالّ.

قوله: (ولضرب الأمثال)... الخ خبر مقدّم.

الأستار عن الحقائق (**تأثير** ظاهر، **ولقد كثر ذلك**) في الكتب السماوية (**ومن سور الإنجيل**) سورة الأمثال. (**والمثل في أصل كلامهم هو المثل**) وهو النظير. (**يقال**: مَثَل ومِثْل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، **ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل المضرب والمورد ولم يضربوا مثلًا إلا قولًا فيه غرابة**

قوله: (**تأثير ظاهر**) مبتدأ مؤخر. **قوله**: (**ولقد كثر ذلك**)... الخ. قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]. **قوله**: (**ومن سور الإنجيل**)... الخ. قيل: الإنجيل خمس وثلاثون سورة منها سورة الأمثال. وهذا بيان ضرب الأمثال (في غير القرآن). **قوله**: (**والمثل في أصل كلامهم**) أي العرب (هو المثل) بكسر فسكون. **قوله**: (**يقال: مثل ومثل**) بكسر فسكون (ومثيل) كقتِيْل (كشبَه وشِبْه وشبيه) يعني أن المثل والمثل في أصل اللغة بمعنى النظير كما أره الشبه، والشبه كذلك إلا أن الشَّبَه يكون بمعنى المشابهة أيضًا يقال بينهما شبه بالتحريك أي مشابهة. **قوله**: (**ثم قيل للقول السائر**[1] **الممثَّل**) أي المشبه (مَضربُهُ بموْرِدِه مثل ولم يضربوا) ولم يستعملوا (**مثلًا إلا قولًا فيه غرابة**) أي ثم نقل من معناه اللغوي إلى معنى آخر عُرْفي يتفرّع عليه معنى ثالث مجازي كما سيذكر والسائر الشائع المشهور بين الفصحاء وحقيقته قطع المسافة فشبَّه تداول الألسنة بتنقّل الأمكنة فكما أن المسافر ينتقل من موضع من الأمكنة إلى موضع آخر، كذلك ينقل القول المذكور من لسان إلى لسان آخر، وأيضًا السائر من السؤر بمعنى البقية وقد يستعمل بمعنى الجميع والمعنى حينئذ للقول السائر أي المتداوَل في جميع ألسنة البلغاء و(**المضرب**) بفتح الميم وكسر الراء ويجوز فتحها اسم مكان والمراد به الموضع الذي استعمل فيه بعد استعمال قائله الأول (**والمورد**) بكسر الراء لا غير الموضع الذي ورد فيه القول مرادًا به المعنى الحقيقي وفي اختيار القول إشارة إلى أنه يجب تركيبه إذ القول في العُرْف هو اللفظ المركّب تامًّا أو ناقصًا والمراد هنا المركَّب التامّ. وقد ذهب بعضهم إلى أن القول هو الركب التام لكنه غير مشهور، وكذا يعتبر فيه أن يكون استعماله على سبيل الاستعارة ويسمّى استعارة تمثيلية وفي كلامه إشارة إليه حيث

---

(١) قوله: (السائر) أي المشهور (الممثل) مضربه، أي ما يضرب له. ثانيًا: (بمورده) أي ما ورد فيه أوّلًا، أي المشبّه حال ضربه بحال وروده. ١٢ منه.

ولذا حوفظ عليه) فلا يغير. **(وقد استعير المثل للحال)** أو الصفة

قال: **(ولذا حوفظ)**... الخ فإن هذه العبارة في ألسنة أهل البيان شائعة في الاستعارة التمثيلية.

قوله: (ولم يضربوا مثلًا إلا قولًا فيه غرابة) بوجه من الوجوه إما بحسب معناه وإما بحسب خصوص ذلك اللفظ بأن يشتمل على ألفاظ نادرة لا تستعملها العامّة **(ولذا)** أي ولكون المثل العُرْفي بحيث يعتبر فيه كونه سائرًا مشهورًا في الصورة الأصلية المشبه بها حتى صار كأنه علم لها وكونه مشتملًا على نوع غرابة **(حُوفِظ عليه)** أي على المَثَل من التغيير وحمي لأن الأعلام لا تتغير ولأنه لو غير لربما انتفت الدلالة على تلك الغرابة في التركيب المغير إليه والأظهر أن الحفظ على الأمثال وعدم جواز تطرّق التغيّر لها من أجل أن المثل استعارة فيجب أن يكون عين اللفظ الدّالّ على المشبه به لأن اللفظ المُستَعار يجب أن يكون كذلك مثلًا لو قيل: الصيف ضيَّعت اللبن بفتح تاء الخطاب كان تغييرًا لأصله إذ هو بكسر تاء المخاطبة فلا يكون مثلًا بل مأخوذًا منه وإشارة إليه وقصته أن المرأة كانت تحت رجل وكان شيخًا فنشزت هي منه فطلَّقها الشيخ في وقت الصيف ثم تزوجها شاب فقير فأجدبت أي أصابها جدب وهو ضدّ الخصب فجاءت يومًا إلى زوجها الأول تطلب منه لبنًا فأجابها بقوله: الصيف ضيَّعت اللبن فاشتهر هذا القول بين الناس بحيث صار كأنه علم لحال تلك المرأة ثم ضرب مثلًا في كل مَن يطلب شيئًا فوَّته على نفسه في وقته تشبيهًا لحاله بحال تلك المرأة فلو كان المضروب مذكَّرًا وقيل له ضعيف بالتذكير لم يكن استعارة لأن الأمثال لا تغيّر. **قوله: (وقد[١] استعير المثل للحال)**... الخ لما ذكر أن للمثل مفهومًا لغويًا وهو النظير والشبيه ثم نقل منه إلى معنى عُرفي وهو قول السائر وكان لفظ المثل مستعملًا في موضع لا يصحّ أن يُحمَل فيه على أحد هذين المعنيين كما في هذه الآية. وفي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرّعد: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّحل: الآية ٦٠] احتاج إلى بيان استعماله في معانٍ أُخَر مشابهة لمعناه العُرفي من حيث كونها مشتملة على شأن وغرابة فيكون لفظ المثل في تلك المعاني استعارة

---

(١) وقوله: قد استعير المثل، أي من المعنى الثاني لمعنى ثالث. ١٢ منه.

(أو القصة إذا كان لها شأن) وفيها غرابة كأنه قيل: (حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارًا)، وكذلك قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ [الرعد: الآية ٣٥ أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن، (ثم أخذ في بيان عجائبها ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: الآية ٦٠]) أي الوصف الذي له

تصريحية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع. وقوله: (للحال) المراد بالحال ما يتركَّب من أمور عديدة متضامة كما أشار إليه بقوله: حالهم العجيبة... الخ. **وقوله**: (أو القصة) المراد بالقصة ما يُحكَى عنه.

وقوله: (إذا كان لها) أي لتلك الحال أو الصفة أو القصة (شأن) عجيب... الخ متعلق بقوله: قد استعير وذلك لأن لفظ كان لقوة دلالة على المضي لا يصير مستقبلًا بدخول كلمة إن مع عراقتها في الشرطية والاستقبال فكيف بدخول إذا مع تطفّله في ذلك على إن وما يقال: إن مثل آيتك إذا احمرّ البسر مجرد لمعنى الظرفية مُعَرَّى عن معنى الاستقبال فيه نظر كذا أفاده العلَّامة سعد الملة والدين التفتازاني. قوله: (حالهم العجيبة الشأن) مضافة إلى الشأن (كحال الذي استوقد نارًا) أي كحاله العجيبة الشأن اكتفى بذكره أولًا. قوله: (ثم أخذ في بيان عجائبها) أي ثم شرع في بيان عجائب تلك القصة بقوله: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ⁽¹⁾ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ﴾ [محمد: الآية ١٥] الآية. قوله: (﴿وَلِلَّهِ⁽²⁾ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: الآية ٦٠])... الخ مثال للصفة كما أن قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي﴾ [الرعد: الآية ٣٥] الآية مثال للقصة ومثال الحال هذه الآية ولذا لم يذكر لها مثالًا كذكره لأخويه بل قال: كأنه قيل حالهم ثم هذه الألفاظ متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار فإطلاق الحال باعتبار قابليتها للانتقال والتحوّل وإطلاق القصة لكونها محكيَّة حقيقة أو حُكمًا وإطلاق الصفة لقيامه بموصوفه ألا ترى أن المصنِّف رحمه الله قال في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ٨] وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة المصرين كما أطلق هنا حالهم العجيبة وتفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ [الرعد: الآية ٣٥] قال أي صفتها التي هي في غرابة المثل في سورة الرعد وفسَّره هنا

---

(١) قوله: غير آسن، أي غير متغيّر اللّون والريح والطعم، يقال: أَسَنَ الماء بالفتح إذا تغيّر طعمه وريحه. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: الآية ٦٠] هذا بطريق تعداد قوله، ولذا لم يعطف. ١٢ منه.

شأن (من العظمة والجلالة ووضع «الذي» موضع الذين كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: الآية ٦٩] فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد، أو قصد جنس المستوقدين)، أو أريد الفوج الذي (استوقد) نارًا (على أن ذوات المنافقين) لم

بالقصة فعلم استعمال كلٍّ منها في موضع الآخر وعدمه إطلاق الحال على صفة الملك المتعال لمانع آخر فجمع بينها بلفظ أو للتغاير الاعتباري لا للتغاير الذاتي. **قوله**: (من العظمة والجلالة) بيان الوصف. **قوله**: (ووضع الذي موضع الذين) يعني أن لفظة الذي يعمّ وضعًا للمفرد وغيره وبمعونة القرينة يتعيَّن المراد وهذا توجيه لتمثيل الجماعة بالواحد وهذا وإن كان تمثيل حال بحال وهو صحيح جائز مطلقًا كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٥] فإنه تمثيل لحال الجماعة بحال الواحد، وكقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾ [محَمَّد: الآية ٢٠] فإنه تشبيه لنظر الجماعة بنظر الواحد لكن كمال البلاغة يقتضي رعاية المطابقة بين الحالين في كونها للواحد أو للجماعة ولذلك تعرَّض لوجه وقوع صورة الواحد فيما أُضيف إليه الحال الممثَّل بها وهو لفظ الذي. **قوله**: (كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٩]) أي دخلتم في الباطل (﴿كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: الآية ٦٩]) التشبيه في مجرد كون الذي بمعنى الذين والداعي إلى ذلك كون الصلة جُمِعا في هذه الآية. **قوله**: (فلا يكون تمثيل الجماعة) أي المنافقين (بالواحد) أي المُستوقِد. **قوله**: (أو قصد جنس المستوقدين)... الخ. عطف على قوله: وُضِع الذي... الخ أي نظر فيه إلى معنى الجنسيّة العامّة إذ لا شُبهَة في أنه لم يَرِد به مستوقد مخصوص ولا جميع أفراد المستوقدين والموصول كالمُعَرَّف بالألف واللام يجري فيه وجوهها واسم الجنس وإن كان لفظه مفردًا قد يُعامَل معاملة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾[1] [الإنسان: الآية ٢١]، وقولهم: الدينار الصفر والدرهم البيض أو يقال إنه يقدّر له موصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى أي كمثل الفوج الذي استوقد نارًا. **قوله**: (على أن) أي مع أن (ذوات المنافقين) بكسر التاء قال في الصحاح

---

(١) قوله: خضر، قرأ ابن كثير وأبو بكر ﴿خُضْرٌ﴾ [الإنسان: الآية ٢١] بالجرّ حملًا على سندس بالمعنى، فإنه اسم جنس، فلا يقال: كيف وقع خضر الذي هو جمع صفة المفرد. ١٢ منه عُفِي عنه.

يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد. **(ومعنى استوقد أوقد)**، ووقود **(ووقود النار)** سطوعها، **(والنار جوهر)** لطيف مضيء حار محرق، **(واشتقاقها)** من نار ينوّر إذا نفر **(لأن فيها حركة)** واضطرابًا. ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: الآية ٥] **(وهي)** في الآية **(متعدية، ويحتمل أن تكون غير متعدية)** مسندة إلى ما حوله، والتأنيث للحمل على

مررت بنسوة ذوات مال ورأيت نسوةً ذواتِ مال ويا ذَوَاتِ الجمال فتُكسَر التاء في الجمع في موضع النصب كما تُكسَر تاء المسلمات لأن أصلها هاء لأنك لو وقفت عليها في الواحد لقلت ذاه بالهاء ولكنها لما وصلت بما بعدها صارت تاء. وعن بعضهم أن أصل ذات ذوات كنواة لقولهم في المثنى ذواتًا فحذفت العين لكثرة الاستعمال. **وقوله: (استوقد)** السين والتاء فيه زائدتان، ولذلك قال **(ومعنى استوقد أوقد)**. **قوله: (ووقود النار)** وهو بضم الواو مصدر وقدت النار تقد أي توقدت وسطعت أي ارتفعت واستعلت وأما بفتحها فما يُوقَد به قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤] الآية. **قوله: (والنار[1] جوهر)**... الخ يريد تفسير ما يطلق عليه لغة وبيان اشتقاقه وأما تحقيق أن ما ذكر ذاتيات أو عرضيات وأن النار[2] التي تحت الفلك هل هي كذلك فليس من وظيفة اللغة. **قوله: (واشتقاقها)** أي أخذها لا يخفى أن الاشتقاق لا يختصّ بالمشتقّ بل يجري في الجوامد وهو مراد المصنف (وهو الأخذ من أصل) بنوع من التصرف فيه فالاشتقاق هنا يرادف الأخذ مطلقًا. **قوله: (لأن فيها حركة)**... الخ بيان المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه المصحِّحة للأخذ. **قوله: (وهي)** أي الإضاءة. **قوله: (متعدّية)** مسندة إلى ضمير النار والمعنى فلما جعلت النار ما حول المستوقد منوّرًا مضيئًا. **قوله: (ويحتمل أن تكون غير متعدية)**... الخ والمعنى فلما أضاءت

---

(١) قوله: والنار جوهر... الخ. لا يتناول النار الأصلية التي تحت الفلك؛ لأنها شفافة لا لون لها والضوء ملوّن، فإنه مرئي. اللّهمّ إلّا أن يقال: الكلام في النار التي فيما بيننا ووضع اللفظ له بحسب اللغة، على أن النار التي تحت الفلك مذهب الفلاسفة ومن تبعهم من المتفلسفة، فلا نقص لها. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: النار التي تحت الفلك لا ثبوت لها من الشرع. ١٢ منه عُفِي عنه.

المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء. (**وجواب فلما** ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ **وهو ظرف زمان**) والعامل فيه جوابه مثل «إذا». و«ما» موصولة و«حوله» نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير: فلما أضاءت شيئًا ثابتًا حوله. (**وجمع الضمير وتوحيده**) للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى. والنور ضوء النار (**وضوء كل نير**)، ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبًا، ومعنى ذهب به استصحبه (**ومضى به**). والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه (**وما يمسك**) فلا مرسل له (**فكان أبلغ**) من الإذهاب.

وتنوَّرت الأماكن والأشياء التي حول المستوقد. **قوله**: (**وجواب فلما** ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾) والإضاءة المذكورة سبب[1] لذهابه تعالى بنورهم فإنها لو لم تتحقَّق الإضاءة لم يوجد الإذهاب المذكور والسببية في الجملة كافية في ذلك ولا يضرّه أن يكون له سبب آخر كريح ومطر، ولمّا ظرف بمعنى إذ يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماضٍ لفظًا أو معنى، ومن هذا قال سيبويه: لمّا لوقوع أمر لوقوع غيره، أي بحيث يكون وقوع الثاني مع الأول معيّة المسبّب مع السبب المُقتضي ولو في الجملة وإنما يكون مثل لو أي مثله في المضي واحتماله في عدم العمل أو في عدم الظرفية ضعيف وإضافته إلى الجملة رجحت القول بالظرفية. قال ابن مالك: إنه بمعنى إذ واستحسنه ابن هشام بأنه يختصّ بالماضي. **قوله**: (**وهو ظرف زمان**). . . الخ في الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد، لما هنا اسم للوقت بمعنى حين ويليها الفعل الماضي فإذا وليها الفعل الماضي اقتضت جوابًا وجوابها عامِلها، تقول: لما جئتَ جئتُ بمنزلة حين جئتَ جئتُ. **قوله**: (**وجمع الضمير**) في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ (**وتوحيده**) في قوله: ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾. **قوله**: (**وضوء كل نير**) وفي نسخة وضوء كل شيء نيِّر. **قوله**: (**ومضى به**) أذهب به بالكليّة. **قوله**: (**وما يمسك**) أي يمنع (الله). . . الخ. هذا كلام المصنِّف عليه الرحمة. **قوله**: (**فكان أبلغ**). . . الخ. أي فكان ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أبلغ من أذهب الله نورهم لما فيه من الأخذ

---

(١) قوله: سبب. . . الخ. السببية هـٰهنا ادعائية، فإنه لما ترتّب إذهاب النور على الإضاءة بلا مهملة جعل كأنه سبب له على أنه يكفي في الشرط مجرّد التوقف، نحو إن كان لي مال حججت، ولا شكّ أن الإذهاب متوقف على الإضاءة، كذا أفاده العلامة عبد الحكيم. ١٢ منه عُفِي عنه.

(ولم يقل ذهب الله بضوئهم) لقوله: «فلما أضاءت» (لأن ذكر النور) أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم (رأسا)، ولو قيل ذهب الله بضوئهم (لأوهم) الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورًا، ألا ترى كيف (ذكر عقيبه) ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ والظلمة عرض ينافي النور. (وكيف جمعها وكيف نكرها) وكيف أتبعها ما يدلّ على أنها (ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو) قوله: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ وترك بمعنى (طرح وخلى) إذا علق بواحد، فإذا علق بشيئين كان مضمنًا معنى صير (فيجري مجرى أفعال القلوب) ومنه «وتركهم في ظلمات» أصله «هم في ظلمات» ثم دخل «ترك» (لنصب الجزءين

والإمساك. قوله: (ولم يقل ذهب الله بضوئهم) ليكون من باب ردّ العجز إلى الصدر. قوله: (لأن ذكر النور) في قوله: (﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾).

قوله: (رأسا) أي بالكليّة. قوله: (لأوهم)... الخ والحاصل أن نفي القليل نفي الكثير دون العكس. قوله: (ذكر عقيبه) أي عقيب ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. قوله: (وكيف جمعها) لم يبيّن ما هو المراد من الجمع كما فسّره غيره بظلمة الليل وظلمتي الغمام وتطبيقه وتتابع القطر أو بظلمة متراكمة كأنها ظلمات إشارة إلى أنه لا يتعلق الغرض بالتعيين في بيان حال المشبّه به. قوله: (وكيف نكرها) تنبيهًا على أنها ظلمات لا يكنه بكنهها. قوله: (ظلمة لا يتراءى) التراءي بايكديگرديدن (فيها) أي تلك الظلمة (شبحان) أي شخصان أي بحيث لا يرى شيء فيها وإنما عبَّر بالتراءي وأتى بقوله شَبَحان مثنى شَبَحَ بشين معجمة وباء موحدة مفتوحتين وحاء مهملة الشخص الذي يرى ولا يدرك تشخّصاته لبعد وغيره مبالغة في عدم الرؤية لأن المراد بهما الرائي والمرئي من الشخصين المتقابلين ولذا عبَّر بالتفاعل إذ المراد أن يكون من شأنهما أن يرى أحدهما الآخر. وقيل إنه إشارة إلى أن الظلمة إذا كانت متراكمة فغاية ما يرى فيها مجرد الشبح فإذا لم يرَ فيها الشبح كانت الظلمة في أعلى مراتبها. قوله: (وهو) عائد إلى «ما يدلّ». قوله: (طرح) الطرح افگندن ويعدّى بنفسه وبالباء. قوله: (وخلى) التخلية دست بازداشتن. وفي القاموس خلى الأمر تركه. اهـ. باختصار إذا عُلّق بواحد أي بمفعول واحد. قوله: (فيجري مجرى أفعال القلوب) في الدخول على المبتدأ والخبر وعدم الاكتفاء على أحد المفعولين. قوله: (لنصب الجزءين) أي ﴿هم﴾ و﴿فِي ظُلُمَٰتٍ﴾.

والمفعول الساقط من ﴿وَلَا يُبْصِرُونَ﴾ **من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوي)** كأن الفعل غير متعدٍ أصلًا. وإنما شبهت حاله بحال المستوقد **(لأنهم غب الإضاءة)** وقعوا في ظلمة وحيرة، **(نعم)** المنافق **(خابط)** في ظلمات الكفر أبدًا ولكن المواد ما استضاؤوا به قليلًا **(من الانتفاع بالكلمة)** المجراة على ألسنتهم، **(ووراء)** استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم إلى ظلمة العقاب

قوله: (والمفعول الساقط من ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ **من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدّر المنوي)**. . . الخ. فإن الفعل المتعدّي قد يكون تعلّقه بالمفعول مراد بأن لا يقصد مجرد صدوره من فاعله بل يقصد بيان صدوره منه متعلقًا بمفعوله فحينئذ يكون عدم ذكر المفعول للاختصار اعتمادًا على القرينة الدّالّة عليه وقد ينزل منزلة اللازم بأن يكون المقصود بيان مجرد صدوره من الفاعل فلا يذكر له مفعول لا صريحًا ولا مقدّرًا بل يقتصر على بيان مجرد صدوره وفيما نحن فيه وإن جاز أن يكون المفعول مقدّرًا منويًا ويكون عدم ذكره للتعميم مع الإيجاز كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: الآية ٢٥] أي يدعو كل أحد ويكون تقدير هذه الآية أنهم لا يبصرون شيئًا مّا إلا أن المصنّف رحمه الله تعالى لم يلتفت إليه وجعل المقصود مجرد بيان انتفاء الإبصار عنهم كأنه قيل ليس لهم أبصار بناء على أنه أبلغ من نفي التعلّق لأن نفي أصل الفعل يستلزم نفي التعلق من غير عكس. **قوله: (لأنهم)** أي المنافقين **(غِبَّ)** بالكسر استعمله استعمال الظرف أي في أثر **(الإضاءة)** وعقيبها.

قوله: (نعم). . . الخ جواب عمّا يقال أين الإضاءة في حال المنافق؟ وهل هو أبدًا إلا حائر خابط في ظلماء الكفر. **قوله: (خابط)** في منتهى الأرب خَبَطَ فلانٌ استاده شد. اهـ. وأيضًا فيه ونيز خبط به غير نظام كاري كردن وكذلك القول ومنه يخبط خَبْط عَشْواء. اهـ. وأيضًا فيه عشواء كصحراء مؤني أعشى وشتر مادة كه پيش خودنه بيند وخبط خبطة عشواء يعني كردكاري داير غير بصيرت. ويقال ركب عشواء إذا خبط أمره على غير بصيرة وفلان خابط خبط عشواء كذلك. اهـ. وأيضًا فيه أعشى كأحمد شب كورو آنكه شب وروزكم بينديانابينا. اهـ. **قوله: (من الانتفاع)** بيان ما. **قوله: (بالكلمة)** لا إله إلا الله محمد رسول الله. **قوله: (ووراء)** أي بعد في منتهى الأرب وراء مثلثة الآخر مبنية سپس وپيش ازضدادا است

(السرمدي). وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة **(ما حول المستوقد، والضلالة)** التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات **(وتنكير النار)** للتعظيم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

(﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾) أي هم (**صُمٌّ، كانت حواسهم**) سليمة (**ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم**) وأن ينظروا (أو

ومؤنث آيد وُرَيَّة بشد الياء مصغران. اهـ. **قوله**: (السرمدي) الدائمي. **قوله**: **(ما حول المستوقد)** مفعول المضيئة. **قوله**: **(والضلالة)** أي وليمثل الضلالة. **قوله**: **(وتنكير النار)** في ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

قوله: (﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ صم) خبر مبتدأ محذوف أي هم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ خبر بعد خبر وقُرِىء صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا بالنصب على الحال من الضمير في تركتم أو في لا يبصرن أو على الذمّ أو على جعلهم صُمًّا في المصباح صُمَّت الأُذن صَمَمًا من باب تعب بَطُل سمعها هكذا فسّره الأزهريّ وغيره ويسند الفعل إلى الشخص أيضًا فيقال صُمَّ زيد يُصَمّ صَمَمًا، فالذَّكر أصمّ والأُنثى صمَّاء والجمع صُمٌّ مثل أحمر وحمراء وحمر. اهـ. وفي الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد، صُمٌّ جمع أصمّ، يقال أصَمَّ وصُمٌّ وصُمَّان، كما يقال: أسود وسود وسودان وسبيل أفعل إذا كان صفة أن يجمع على فُعْل فإن كان اسمًا جمع على أفاعل كأحمد وأحامد. اهـ. وفي المصباح بكم يبكم من باب تعب فهو أبكم أي أخرس وقيل: الأخرس الذي خُلِق ولا نطق له والأبكم الذي له نطق ولا يعقل الجواب والجمع بكم. اهـ. وأيضًا فيه عمى، عمى من باب صدى فقد بصره فهو أعمى والمرأة عمياء والجمع عمي من باب أحمر وعميان أيضًا. اهـ.

قوله: (كانت حواسهم) . . . الخ هذه من أحوال المنافقين خاصة دون المستوقد. **قوله**: (ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم) السد بالفتح ضد الفتح ثم الظاهر أنه حقيقة في المحسوسات مجاز متعارف في المعقولات وفيه إشارة إلى أنهم لانهماكهم في الكفر والخداع أحدث الله هيئته في قواهم تمنعهم

يتبصروا) بعيونهم **(جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم. وطريقته)** عند علماء البيان طريقة

عن قبول الحق وهي المراد بالسد هنا لكن المصنف رحمه الله تعالى أسند السد إليهم لكونهم سببًا لإحداث تلك الهيئة والإصاخة بصاد مهملة وألف بعدها خاء معجمة الاستماع المقرون بالقبول وهو مُنتَفٍ عنهم دون السمع مطلقًا وتعديته بإلى مع أنه مُعَدَّى باللام، يقال صاخ له وأصاخ لتضمّنه معنى الميل والمسامع جمع مسمع بكسر الميم كمنير وهو خرق الأُذُن كذا نقل عن الراغب وهو الأنسب بالسد والظاهر القوة السامعة وهي الملائم لقوله: كأنما إيفت مشاعرهم وهي آلة السمع وما قيل المسمع هنا محتمل لأن يكون مَسْمَع بالفتح وهو موضع السمع بمعنى القوة السامعة عدول عن المعروف في كلام العرب وكتب اللغة من غير داعٍ على أنه غير ملائم لكلام المصنّف رحمه الله تعالى **(وأبوا أن ينطقوا به)** منشأ آبائهم سدّ مسامعهم ولذا عطف عليه بالواو وينطقوا من الإنطاق كما في قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٢١] أي جعلنا ناطِقين، والنطق يُضاف للسان ولصاحبه يقال نطق زيد أو لسانه وكلاهما حقيقة لغة كذا في كفاية الراضي وإفادة العلّامة إسماعيل القنوي إسناد النطق إلى اللسان مجاز لكونه آلة. انتهى. وضمير به راجع إلى الحق أي وأبوا أن يجعلوا **(ألسنتهم)** ناطقة بالحق ولو جعل أن ينطقوا من النطق وألسنتهم بدلاً منهم بدل اشتمال أو نصب بنزع الخافض لم يبعد والألسنة كأرغفة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة وأن ينظروا أي وأبوا أن ينظروا **(أو يتبصروا)** من التعقّل والمعنى امتنعوا من أن ينظروا إلى الآيات الدّالّة على الحق سواء كانت عقلية أو نقلية لسدّ مسامعهم لأن مَن اختلّ قوته السامعة يكون محرومًا من أكثر الخير ولذا عدَّ السمع من أعظم النِّعَم. وللتنبيه على ذلك قدَّم السمع على البصر حيثما جمع بينهما في الذكر في أكثر المواضع من القرآن والأخبار وهنا أيضًا إشارة إلى ذلك حيث قدّم صُمٌّ على عُمْيٌ. ونبّه المصنّف رحمه الله على هذا بقوله في الأول لَمّا سدّوا مسامعهم وقوله ثانيًا وأبوا... الخ وإنما قال: إنهم أبوا أن ينطقوا بالحق مع أنهم ناطِقون به لأن نطقهم لعدم مواطئة قلوبهم لا يعبأ به كما لا يعبأ استماعهم الحق في مجلس الرسول عليه السلام والشيء عديم النفع ملحق بالعدم.

قوله: (جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم) جواب لما وإنما قال كأن لأنها ليست مؤفة لكنها لمّا لم تستعمل فيما خُلِقت له جُعِلَت بمنزلة المؤف **(وإيفت)** مجهول

قولهم: (**هم ليوث للشجعان**) وبحور للأسخياء إلا أن (**هذا**) في الصفات (**وذلك**) في الأسماء، وما في الآية (**تشبيه بليغ**) في الأصح لا استعارة (**لأن المستعار له**) مذكور وهم المنافقون، (**والاستعارة**) إنما تطلق حيث (**يطوى**) ذكر المستعار له (**ويجعل الكلام خلوًا**) عنه (**صالحًا**) لأن يراد به (**المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام**) ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

آف بوزن قال أي صارت ذات آفة وأصابتها آفة فهي مؤفة. وفي القاموس الآفة العاهة أو عرض مفسد لما أصابه وأيف الزرع فهو مأوف ومئيف على خلاف القياس لأن فعله لازم والمشاعر بمعنى آلات الشعور إن كان جمع مشعر بكسر الميم وبمعنى محال الشعور (إن كان) جمع مشعر بفتح الميم والمراد هنا الحواس الظاهرة وفيه تغليب إذ اللسان ليس من المشاعر.

قوله: (وطريقته)... الخ يعني أنه من أسلوب حمل المشبه به على المشبه بحذف أداة التشبيه. **قوله**: (هم ليوث) في المصباح الليث الأسد وبه سُمِّي الرجل وجمعه ليوث والأُنثى ليثة وجمعها ليثات. اهـ. **وقوله**: (للشجعان) بالكسر والضم. وقال ابن دريد الضم خطأ كذا في المصباح. وفي منتهى الأرب في لغات العرب شجاع مثلثة دلير وپردل درشد ائدومخاوف شجْعةَ مثلثة وشَجَعَةَ مُحَرَّكة وشجاع بالكسر وشجعان بالضم والكسر جمع. **قوله**: (هذا) أي قوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾. **قوله**: (وذلك) أي هم لُيوث وبحور. **قوله**: (تشبيه بليغ) تسميته تشبيهًا ظاهر ووصفهُ بالبلاغة لِما فيه من حمل المشبّه به على المشبه حتى كأنه هو بعينه في الأكثر.

قوله: (لأن المُستَعار له) أي المشبّه. **قوله**: (والاستعارة)... الخ يعني أن الاستعارة المُصَرَّحة لا المَكنيَّة فإنها بالعكس من ذلك يُطوَى فيها ذكر المُستَعار منه أي المشبه به. **قوله**: (يُطوَى) أي يُترَك. **قوله**: (ويجعل الكلام خِلْوًا) أي خاليًا في المصباح خِلْوٌ مثل حِمْلٌ. اهـ. عنه أي عن ذكر المستعار له لفظًا أو حكمًا (صالحًا) لأن يراد به أي بالكلام أي بلفظ المشبه به المذكور فيه معناه الحقيقي الذي (المنقول عنه) ومعناه المجازي (والمنقول إليه لولا دلالة الحال) متعلق بقوله صالحًا (أو فحوى الكلام) فحوى الشيء ما يُفهَم منه على سبيل القطع أي لولا دلالة القرينة الحالية أو المقالية الدّالّة على تعيين المعنى المجازي والمنقول إليه

(لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه)، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوّع

بحسب الإرادة أي وإطلاق ألفاظ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ على المنافقين كان على طريق التشبيه فيكون لفظ المشبه به مستعملًا في معناه الحقيقي لا على طريق الاستعارة حتى يكون مجازًا وذلك لأن شرط الاستعارة التصريحية أن يطوى ذكر المُستَعار له بحيث لا يكون مذكورًا أصلًا أي لا لفظًا كما قي قولك زيد أسد ولا مقدّرًا كما في قوله أسد عليّ بحذف المبتدأ أي أنت أسد عليّ، ولا منويًا كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]، فإن قوله تعالى من الفجر بيان للخيط الأبيض الذي شبّه به الفجر فلا يكون الخيط الأبيض استعارة لكون المشبه وهو الفجر مذكورًا صريحًا فكذا لا يكون الخيط الأسود استعارة لكون المشبّه الذي هو سواد آخر الليل مذكورًا نيّة كأنه قيل حتى يتبين لكم ما هو كالخيط الأبيض مما هو كالخيط الأسود من الفجر ومن سواد آخر الليل المُستَعار له وهو وإن وجب أن لا يكون مذكورًا أصلًا أي لا لفظًا ولا تقديرًا ولا نيّة إلا أن معناه يكون مرادًا بلفظ المُستَعار منه فحينئذ يكون لفظ المشبّه به مستعارًا للمشبه.

قوله: (لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه) فسّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ بثلاثة أوجه مبنى الجميع على أن ﴿يَرْجِعُونَ﴾ لازم بمعنى يعودون من معنى رجع بنفسه رجوعًا بمعنى عاد لا من رجعه غيره بمعنى أعاده وهذيل يستعملونه لازمًا البتّة وإنما يعدّونه بالهمزة ويقولون أرجعه غيره إرجاعًا ثم إن كان لازمًا في نفسه قد يُعَدَّى بكلمة إلى وقد يعدّى بكلمة عن ويقتصر على ذكر إحدى الصلتين بناء على أن الأخرى تعلم منها فإن المرجوع إليه يستلزم المرجوع عنه وبالعكس فإذا ذكرت إحداهما تعلم منها الأخرى وقد لا يعتبر تعلّقه بمفعوله الذي تعدّى إليه بواسطة حرف الجر فيكون معنى ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ حينئذ أنه لا يحصل منهم الرجوع والتحوّل ويجعل انتفاء الرجوع عنهم كناية عن تحيّرهم لأنه لازم للتحيّر كما أشار إليه بقوله أو أراد أنهم أي المستوقدين متحيّرون. وقوله بقوا خامدين... الخ. استئناف لبيان تحيّرهم لما بيَّن الله سبحانه وتعالى موضع المنافقين بقوله سبحانه وتعالى: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾) وضيّعوا ما آتاهم الله من الهدى الفطري واختاروا الضلالة بدله ورشح استعادة الاشتراء والاستبدال والاختيار بقوله

الرجوع إلى الشيء. وعنه أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا (**خَامدين**) في مكانهم (**لا يبرحون ولا يدرون**) أيتقدمون أم يتأخرون.

تعالى: (﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾) ثم مثّلهم بمُستوقِد أوقد نارًا بالسعي والطلب فحين ما أضاءت النار ما حول المُستَوقد ذهب الله تعالى بنورهم بالكلّيّة وصيَّرهم مستقرين في ظلمات لا يتراءون كأنهم غير مُبصِرين أصلًا ثم بيَّن فذلكة التمثيل ونتيجته بأن شبّههم بمَن اختلّت حواسهم وانتفت قُواهم فقال على طريق التشبيه البليغ هم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ بمعنى أنهم بمنزلة الصّمّ من حيث إنهم لا يسمعون قول النذير الصادق الأمين إلا أن صفقتكم خاسرة فارجعوا وبمنزلة البُكْم من حيث إنهم لا يقدرون أن ينطقوا بما ينفعهم وبمنزلة العمى من حيث إنهم لا يبصرون الآيات الدّالّة على صدق المنذر وحقيّته قوله فلما شبّههم بمَن اتّصف بهذه الأوصاف فرع عليه قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بالفاء الدّالّة على سببية ما قبلها لما بعدها أي فهم بسبب كونهم بمنزلة الصُمّ البُكْم العُمْي لا يرجعون إلى الهدى الذي باعوه وضيّعوه أو عن الضلالة التي اشتروها على أن يكون تعلّق فعل الرجوع بالمرجوع إليه أو المرجوع عنه مرادًا وإذا لم يكن تعلّقه بمفعوله الغير الصريح مرادًا بل كان المراد بيان انتفاء الرجوع والتحوّل عنهم يكون انتفاء الرجوع كناية عن التحيّر لكونه لازمًا للتحيّر كما مرَّ آنفًا وهذا مختص بمَن يصرّ على نفاقه حتى يموت وإن أُريد العام فيكون عامًّا خصَّ منه البعض وهو الذي آمن بعد نفاقه وكفره.

قوله: (**خامدين**) في لسان العرب خمدت النار تخمد خمودًا سكن لهبها ولم يُطفأ جمرها وهَمَدَت هُمودًا إذا أُطفيء جمرها البَتّة وأخمد فلان ناره وقوم خامدون لا تسمع لهم حِسًّا من ذلك، وفي التنزيل العزيز ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: الآية ٢٩]. قال الزَّجّاج فإذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد الهامد. اهـ.

قوله: (**لا يبرحون**) في منتهى الأرب في لغات العرب بَرِح بَرَاحًا زائل شديد يقال بَرِح مكانه أي زال عنه ومنه لا أبْرَحُ أفْعَله أي لا أزال أفْعَله. اهـ. **قوله**: (**ولا يدرون**)... الخ، ضمن لا يدرون معنى العلم وعلّق عمله حيث أتى بجملتين مصدّرتين بحرف الاستفهام.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح. شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارًا (**وإظهاره الإيمان بالإضاءة**) وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وهنا شبّه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به (**حياة الأرض**) بالمطر، (**وما يتعلّق**) به (**من شبه الكفار**) بالظلمات، (**وما فيه من الوعد والوعيد**) بالرعد والبرق، (**وما يصيبهم**)

قوله: (وإظهاره) أي المنافق (**الإيمان بالإضاءة**) اعترض عليه بأنه يخالف ما تقدَّم من أن المشبه بالإضاءة عدَّى الانتفاع بالكلمة المُجراة على ألسنتهم ولا يناسب ما تأخر من أن المشبه بانطفاء النار هو انقطاع الانتفاع بل يناسب أن يقال شبّه انقطاع الإظهار بالانطفاء وأُجيب عن الأول بأن المراد هٰهنا الإضاءة المتعدّية. وفي ثمّة الإضاءة اللازمة وعنهما معًا بأنه أراد بإظهار الإيمان أثره أعني الانتفاع به فمعنى كلامه أنه شبّه المنافق أي نفاقه وإظهار الإيمان بالمستوقد أي باستقاده وشبّه أثر الأول أي الانتفاع بأثر الثاني أي الإضاءة وشبّه انقطاع الانتفاع الإضاءة ولا يخفى أن ما اعتبره من تشبيه المفردات على الوجوه المختلفة بيان لمحتمل اللفظ أو حكاية لكلام الغير والمختار عنده رحمه الله أن التمثيلين من جملة التشبيهات المركبة التي لا يتكلّف فيها لتشبيه المفردات.

أيْ مثل حياة الأرض. وشبّه ما يتعلق به أي بدين الإسلام وتعلّق الشبهة بالشيء لا يقدح في حقِّيَّته. وفي المصباح الشبهة الالتباس.اهـ. وفي المصباح اشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر ومنه اشتبهت القبلة ونحوها والشبهة في العقيدة المأخذ الملتبس سُمِّيت شبهة لأنها شبه الحق والشبهة العُلقة والجمع فيها شُبَه وشبهات مثل غرفة وغرفات.اهـ. أي وشبه أي في دين الإسلام

أي كل واحد من الوعد والوعيد شبه بكلٍّ من الرعد والبرق لاشتمال كلٍّ منهما على خوف وطمع، فمن حيث تضمّنهما للخوف شبّه بهما الوعيد وليس الكلام على اللف كما ظنّ. قوله: (وما يصيبهم) أي وشبّه ما يصيب الكَفَرَة.

من الأفزاع والبلايا (من جهة أهل الإسلام) بالصواعق. والمعنى أو كمثل ذوي صيب فحذف «مثل» لدلالة العطف عليه «وذوي» لدلالة «يجعلون» عليه. (والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء) بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا، فهذا (تشبيه أشياء) بأشياء إلا أنه لم يصرّح بذكر المشبهات كما صرّح في قوله: ﴿(وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ) وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ [غافر: الآية ٥٨]، (وقول امرىء القيس):

(كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا لدى وكرها العناب والحشف البالي)

قوله: (من جهة أهل الإسلام) متعلق يصيب. **قوله**: (والمراد كمثل قوم)... الخ يعني أن حال المنافقين كحال قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة وهو أن يكون هناك مطر فيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق يخافونها غاية الخوف فجرى عليهم ما جرى من الخبط والضلال والدهش والحيرة. فإن قلت فيجب أن يكون المنافقون ذوي دين الإسلام تحيى به القلوب كالصَّيِّب يشتمل على الوعد والوعيد والأفزاع اللاحقة بالكفّار. قلت: نعم لكن لا على معنى اتّصافهم به وإيثارهم إياه بل على معنى أنهم مُكَلَّفون به مُشاهِدون إيّاه متلبّسون بظاهره متشبثون بأذياله كحال القوم بالنسبة إلى المطر وإلى هذا يشير بقوله: (والمراد كمثل قوم). **وقوله**: (أخذتهم السماء) أي المطر.

قوله: (تشبيه أشياء) مفردة بأشياء مفردة. **قوله**: (وما يستوي الأعمى)... الخ، فيه نشر على خلاف ترتيب اللف حيث شبّه المؤمن الصالح بالبصيرة والمُسِيء بالأعمى. وفي قول امرىء القيس نشر على ترتيبه. **قوله**: (وقول امرؤ القيس) بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المشهور من قصيدة طويلة:

(كأنّ قلوب الطير رطبًا ويابسًا لدى[1] وكرها العُنَّاب والحشف البالي)

---

(١) ظرف مكان بمعنى عند، وقد يستعمل لدى في الزمان، وإذا أضيفت إلى مضمر لم تُقلب الألف في لغة بني الحارث بن كعب تسوية بين الظاهر والمضمر، فيقال لداه، ولذاك، وعامّة العرب تقلبها ياء، فتقول: لديك ولديه، كأنهم فرّقوا بين الظاهر والمضمر بأن المضمر لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى ما يتّصل به، فتقلب ليتصل به والضمير لدى اسم جامد لا حظ له في التصريف والاشتقاق، فأشبه الحرف نحو إليه وإليك وعليه وعليك، كذا في المصباح. ١٢ منه.

(بل جاء به مطويًا ذكره على سنن الاستعارة). والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون **(المفرقة لا يتكلّف)** لواحد واحد شيء يقدر **شبهه (به. بيانه)** أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولًا بعضها من بعض لم **(يأخذ هذا**

قوله: (رطبًا ويابسًا) معًا حال من القلوب أي رطبًا بعضها ويابسًا بعضها والعامل فيها كان باعتبار معنى التشبيه وكذا لدى وكرهًا حال منها شبه رطب القلوب بالعناب ويابسها بالحشف البالي يصف عقابًا[1] بكثرة الاصطياد فإنه لا يأكل قلب الطائر قوله العناب في منتهى الأرب في لغات العرب عناب كرمان سنجد جيلان عنابه يكي بارييلو. اهـ. وفي لسان العرب العناب من التمر معروف الواحدة عنابة ويقال له السنجلان بلسان الفرس وربما ثمر الأراك عنابًا. اهـ. **قوله: (والحشف)** في منتهى الأرب في لغات العرب حشف محركة بدترين خرما وخرماي ضعيف بي خستة ياخشك تباه. اهـ. وفي المصباح الحشف أردأ التمر وهو الذي يجفّ من غير نضج ولا إدراك فلا يكون له لحم الواحدة حشفة. **قوله: (بل جاء به مطويًا ذكره على سُنَن الاستعارة)** أي على طريقة الاستعارة المصرّحة في الصحاح السنن الطريقة يقال استقام فلان على سنن واحد ويقال امضِ على سَنَنك وسُنَنك أي على وجهك وتَنَحَّ عن سنن الجبل أي عن وجهه وعن سَنَن الطريق وسُنُنه وسُنَنه ثلاث لغات. اهـ باختصار. وفي المصباح السنن الوجه من الأرض وفيه لغات أجودها بفتحتين والثانية بضمتين والثالثة وزان رطب ويقال تنح عن سنن الطريق وعن سنن الخيل أي عن طريقها وفلان على سنن واحد أي طريق. اهـ. يريد أن طريقة الاستعارة أن يطوي ذكر المشبه قطعًا ويجعل الكلام عنه خلوًا فلا يكون مذكورًا ولا مقدَّرًا في نظم الكلام. وأما التشبيه فقد يطوي فيه ذكره أيضًا كذلك والفرق بينهما أن المتروك في التشبيه منوي مراد وفي الاستعارة منسي بالكليّة.

قوله: (المفرقة). قوله: (لا يتكلف)... الخ خبر آخر لأن والعائد محذوف أي فيهما وفيه إشارة إلى أن الوجه الأول غير صحيح ويتكلف وضمير شبهه راجع إلى شيء وفي (به) إلى واحد. **قوله: (بيانه)** أي بيان وقوع التمثيل في كلامهم وأن التمثيل من التمثيلات المركّبة. **قوله: (لم يأخذ هذا)** أي البعض

---

(١) في منتهى الأرب: عقاب كغراب مرغى است. اهـ. ١٢ منه.

بحجزة ذلك فتشبيه) بنظائرها (كما فعل امرؤ القيس) وتشبه) كيفية حاصلة من مجموع أشياء (قد تضامت) وتلاصقت (حتى عادت) شيئًا واحدًا (بأخرى مثلها) كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: الآية ٥]. فالمراد تشبيه حال اليهود (في جهلها) بما معها (من التوراة) بحال الحمار (في جهله) يحمل (من أسفار الحكمة) (وتساوي الحالتين عنده) من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها (من الأوقار) (لا يشعر من ذلك) إلا بما يمر (بدفيه من الكد) والتعب. وكقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف:

(بحجزة ذلك) في المصباح احتجز الرجل بإزاره شدّه في وسطه وحجزة الإزار معقده وحجزة السروايل مجمع شده والجمع حجز مثل غرفة وغرف. انتهى. وفي لسان العرب أصل الحجزة موضع شدّ الإزار. ثم قيل للإزار حُجزة للمجاورة واحتجز بالإزار إذا شدّه على وسطه فاستعاره للالتجاء والاعتصام والتمسك بالشيء والتعلق به. انتهى باختصار. قوله: (فتشبيه) أي تلك الأشياء. **قوله:** (كما فعل امرؤ القيس) في قوله كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا. **قوله:** (وتشبه) عطف على قوله تأخذ. قوله: (قد تضامت)... الخ صفة أشياء. قوله: (حتى عادت) أي صارت الأشياء. قوله: (بأخرى) أي بكيفية أخرى (مثلها) أي حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت... الخ. قوله: (في جهلها) أي اليهود. قوله: (من التوراة) بيان ما. قوله: (في جهله) أي الحمار. **قوله:** (من أسفار الحكمة) بيان ما في الصحاح السفر بالكسر الكتاب والجمع الأسفار. قوله: (وتساوي الحالتين) عطف على قوله جهله. قوله: (عنده) أي الحمار. قوله: (من الأوقار) في لسان العرب الوقر بالكسر الثقل يحمل على ظهر أو على رأس يقال جاء يحمل وقره. وقيل: الوقر الحمل الثقيل والخفيف وما بينهما وجمعه أوقار.اهـ. قوله: (لا يشعر) مؤكد ومقرّر تساوي الحالتين عنده (من ذلك) إشارة إلى المذكور وهو حمل الأسفار وحمل ما عداها. قوله: (بدفيه) أي بجنبيه في الصحاح الدَّفُّ الجنب ودفا البعير جنباه.اهـ. وفي الصحاح الدف الجنب من كل شيء والجمع دفوف مثل فلس وفلوس وقد يؤنّث بالهاء فيقال الدفتر ومنه دفّتا المصحف للوجهين من الجانبين والدف الذي يلعب به بضم الدال وفتحها والجمع دفوف. انتهى. **قوله:** (من الكد) في لسان العرب

الآية ٤٥]، فالمراد (**قلّة بقاء**) زهرة الدنيا (**كقلّة بقاء الخضر**) فهو تشبيه كيفية بكيفية، فأما أن يُراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير (**منوط**) بعضها ببعض (**ومصيرة شيئًا واحدًا فلا. فكذلك**) لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم (**وما خبطوا**) فيه من الحيرة والدهشة، شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم (**بما يكابد**) من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك مَن أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق، والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدلّ على (**فرط الحيرة**) وشدة الأمر ولذا أخر، وهم يتدرجون في مثل هذا (**من الأهون إلى الأغلظ**). وعطف أحد التمثيلين على الآخر بـ «أو» لأنها في أصلها لتساوي شيئين فصاعدًا (**في الشك عند البعض**)، ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك:

الكدُّ الشدة في العمل وكدَّ الدابة والإنسان وغيرهما يُكدّه كدًّا أتعبه. انتهى. **قوله**: (**قلة بقاء**) مبتدأ خبره (**كقلة بقاء الخضر**) والجملة خبر المبتدأ الذي هو المراد على سبيل الحكاية. **قوله**: (**منوط**) أي متعلق. **قوله**: (**مصيرة**) على لفظ المبني للمفعول معطوف على منوط أي غير مجعولة (**شيئًا واحدًا**). **قوله**: (**فلا**) أما فلا يتحقق.

قوله: (**فكذلك**)[1] متعلق بشبهت أي إذا عرفت ما ذكر فمثل ذلك التشبيه المقدَّم شبّهت حيرتهم والمراد الحيرة الخاصة الناشئة من وقوعهم في الضلالة التي استبدلوها بالهدى. **قوله**: (**وما خبطوا**) أي سقطوا فيه في المصباح خبطت الورق في الشجر خبطًا من باب ضرب أسقطته فإذا سقط فهو خبط بفتحتين فعل بمعنى مفعول مسموع كثيرًا. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب خَبَط فلان أستاده شدَ. انتهى. **قوله**: (**بما يكابد**) في المصباح الكبد بفتحتين المشقّة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق على فعله. انتهى. **قوله**: (**فرط الحيرة**) أي كثرة الحيرة. **قوله**: (**من الأهون**) والأدون (**إلى الأغلظ**). **قوله**: (**في الشك**) أي الشك في النسبة المتعلقة بهما (**عند البعض**) وقال المحقّقون أن كلمة «أو» لأحد الأمرين مطلقًا وأما الشك من المتكلم وتشكيك السامع والتخيير والإباحة فليس

---

(١) قوله: فكذلك، أي فمثل تشبيه اليهود بحال الحمار تشبيه حال المنافقين بحال المستوقد، وبحال ذوي النصب. ١٢ منه عُفي عنه.

(«**جالس الحسن أو ابن سيرين**») تريد أنهما (**سيان**) في استصواب أن يجالسا.

شيء منها داخلًا في مفهومها بل كل واحد منها استفيد منها بمعونة المقام وفحوى الكلام فإن كلمة أو في قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: الآية ١٩] للشك من المتكلم. وفي قوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] لتشكيك السَّامع وإخفاء الحال عليه مع انتفاء الشك من المتكلم وإن وقعت في الأمر ولم يمتنع الجمع أفادت الإباحة وإن امتنع الجمع أفادت التخيير وزاد الكوفيون لها معنيين آخرين أحديهما كونها بمعنى الواو كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور: الآية ٣١]، وثانيهما كونها بمعنى بل كما في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٤] معناه بل أشد. **قوله**: (**جالس الحسن**) أي الحسن البصري رضي الله تعالى عنه هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ أبو سعيد **الحسن** بن أبي **الحسن** يسار التابعي البصري بفتح الباء وكسرها الأنصاري مولاهم مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جميل بن قطبة وأمه خيرة مولاة لأُم سلمة أُم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، وُلد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه قالوا: فربما خَرَجَتْ أُمه في شُغُل فيبكي فتعطيه أُم سلمة رضي الله تعالى عنها ثديها فيدرّ عليه فيرون أن تلك الفصاحة والحكم من ذلك، ونشأ الحسنُ بوادي القرى وكان فصيحًا رأى طلحة بن عبيد الله وعائشة رضي الله تعالى عنهما ولم يصحّ له سماع منهما، وقيل: إنه لقي عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولم يصحّ وسمع ابن عمر وأنسًا وسَمُرَة وأبا بكرة وقيس بن عاصم وجُنْدب بن عبد الله ومعقل بن يسار وعمر بن تغلب بالمثناة والغين المعجمة وعبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ وأبا برزة الأسلمي وعمران بن الحصين وعبد الله بن معقل وأحمر بن جَزْءٍ وعايد بن عمرو المزني الصحابيين رضي الله تعالى عنهم وسمع خلائق من كبار التابعين وروى عنه خلائق من التابعين وغيرهم وروينا عن الفُضَيل بن عياض رحمه الله قال: سألت هشام بن حسّان كم أدرك الحسنُ من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: مائة وثلاثين، قلت: فابن سيرين؟ قال: ثلاثين وروينا عن الحسن قال: غزونا غزوةً إلى خراسان معنا فيها ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان الرجل منهم يصلِّي بنا ويقرأ الآيات من السورة ثم يركع،

قال يحيىٰ بن معين وأبو حاتم وابن أبي خيثمة وغيرهم ولم يصحّ للحسن سماع من أبي هريرة فقيل ليحيىٰ يجيء في بعض الحديث عن الحسن قال: حدّثنا أبو هريرة قال: ليس بشيء، قيل له: فسالم الخيّاط؟ قال: سمعت الحسن يقول: سمعت أبا هريرة فقال سالم الخياط: ليس بشيء وأثنى علي بن المديني وأبو زرعة على مراسيل الحسن، روينا عن مَطَر الورّاق قال: كان الحسن كأنما كان في الآخرة فهو يخبر عمّا رأى وعايَنَ. وقال أبو بردة: لم أرَ مَن لم يصحب النبي ﷺ أشبه بأصحابه من الحسن، وروينا عن الربيع بن أنس قال: اختلفتُ إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله ما من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبله وروينا عن محمد بن سعد قال كان الحسن جامعًا عالِمًا رفيعًا فقيهًا ثقة مأمونًا عابِدًا ناسكًا كثير العلم فصيحًا جميلًا وسيمًا وقَدِمَ مكة فأجلسوه على سرير واجتمع الناس إليه فيهم طاؤس وعطاء ومجاهد وعمرو بن شعيب فحدّثهم فقالوا أو قال بعضهم: لم يرَ مثل هذا قطّ، وقال بكر بن عبد الله: الحسن أفقه مَن رأينا ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله عنه كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (أو ابن سيرين) هو أبو بكر محمد بن سِيْرِيْن الأنصاري مولاهم أبو بكر البصري التابعي الإمام في التفسير والحديث والفقه وتعبير الرؤيا والمقدم في الزهد والورع وأولاد سيرين ستة محمد ومعبد وأنس ويحيىٰ وحفصة وكريمة وكلهم رُواة ثقات. وروى محمد عن يحيىٰ عن أنس بن مالك حديثًا وهذا من المُستَطرَفات لكونهم ثلاثة إخوة روى بعضهم عن بعض وكان أبوهم سيرين من سبي عين التمر وهو مولى أنس بن مالك كاتبه على عشرين ألف درهم فأدّاها وعتق. قال ابن قتيبة في المعارف كانت أُم ابن سيرين اسمها صفية مولاة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه طيّبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريًا منهم أُبَيّ بن كعب يدعو وهم يؤمنون، وكان سيرين يكنَّى أبا عمرة، قال: وقد وُلِد لسيرين ثلاثة وعشرن ولدًا من أُمهات أولاد، دخل محمد بن سيرين على زيد بن ثابت وسمع ابن عمر قال: يحيىٰ بن معين سمع منه حديثًا واحدًا وفي تاريخ بغداد عن أيوب أنه سمع من ابن عمر حديثين وسمع أيضًا

جندب بن عبد الله البجلي وأبا هريرة وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وعديّ بن حاتم وسليمان بن عامر وأُم عطية الأنصارية وهؤلاء كلهم صحابة وسمع من التابعين عبيدة بفتح العين السلماني ومسلم بن يسار وشريحًا وقيس بن عباد بضم العين وتخفيف الباء وعلقمة والربيع بن خيثم وأخاه معبدًا وحُمَيد بن عبد الرحمٰن الحميري وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة وأُخته حفصة وخلائق قال أحمد بن حنبل: لم يسمع ابنُ سيرين ابنَ عباس وقال هشام بن حسّان أدرك الحسن البصري من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وعشرين وأدرك ابن سيرين ثلاثين منهم. وقال البخاري: حجّ ابن سيرين زمن الزبير فسمعه وسمع زيد بن ثابت وُلِد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وهو أكبر من أخيه أنس وروى عنه جماعات من التابعين منهم الشعبي وأيوب وقتادة وسليمان التيمي وخلائق منهم ومن غيرهم. قال ابن عون: كان ابن سيرين يحدِّث بالحديث على حروفه. وقال محمد بن سعد كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا كثير العلم ورعًا. وقال هشام بن حسان: حدّثني أصدق مَن أدركت محمد بن سيرين، وقال الخطيب في تاريخ بغداد: كان ابن سيرين أحد الفقهاء المذكورين بالورع في وقته. قال: وكان سيرين مولى لأنس بن مالك فكاتبه على أُلوف فعتق بالكنانة، وعن محمد قال: حججنا فدخلنا على زيد بن ثابت ونحن سبعة ولد سيرين فقال هذان لأُم وهذان لأُم وهذان لأُم وهذا لأُم فما أخطأ. وكان معبدًا أخاه لأُمه، وعن مورق العجلي قال: ما رأيت رجلًا أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين. وعن عبد الحميد بن عبيد الله بن مسلم بن يسار قال: لما حُبس ابن سيرين في السجن قال له السَّجَّان: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، وإذا أصبحت فتعالَ. فقال: لا والله لا أعينك على خيانة السلطان. قال الخطيب: وكان حبس في دَيْن ركبه لغريم له. وبإسناده عن المدائني قال: كان سبب حبس ابن سيرين أنه اشترى زيتًا بأربعين ألف درهم فوجد في زقّ منه فأرة فقال: الفأرة كانت في المعصَرَة، فصبَّ الزيت كله، وكان يقول عيَّرت رجلًا بشيء من ثلاثين سنة أحسبني عُوقِبتُ به. وكانوا يرون أنه عيّره بالفقر فابتُلِي به. وعن ابن عون كان ابن سيرين من أرجأ الناس لهذه الأمة وأشدّهم أزرًا على نفسه. وعن هشام بن حسّان قال: كنّا نُزُولًا مع ابن سيرين في الدار فكنّا

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الدهر: الآية ٢٤]، (أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان) فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعًا فكذلك. (والصيب): المطر الذي يصوّب أي ينزل ويقع يقال للسحاب صيب أيضًا. وتنكير «صيب» لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول، والسماء (هذه المظلة. وعن الحسن أنها موج مكفوف). والفائدة في ذكر السماء. والصيب لا يكون إلا من السماء أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام (آخذ بآفاق السماء) ونفى

نسمع بُكاه بالليل وضحكه بالنهار، ومرَّ ابن سيرين برواس قد أخرج رأسًا فغشي عليه وادّعى عليه رجل درهمين فأنكره فقال: تحلف؟ قال: نعم، قيل له: تحلف على درهمين؟ قال: نعم لا أطعمه حرامًا وأنا أعلم وعن عثمان البتّي قال: لم يكن بهذه البلدة أحدًا أعلم بالقضاء من محمد بن سيرين. قال ابن قتيبة: وُلِد لابن سيرين ثلاثون ولدًا من امرأة واحدة زوجة له عربيّة ولم يبقَ منهم غير عبد الله بن محمد وقضى عنه ابنه هذا ثلثين ألف درهم فما مات عبد الله حتى صار ماله ثلثمائة درهم واتفقوا على أن ابن سيرين توفي بالبصرة سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم. قال حمّاد بن زيد: مات الحسن أول رجب سنة عشر ومائة، وصلَّيت ومات ابن سيرين لتسع مضين من شوّال سنة عشر رضي الله تعالى عنهما كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (سيان) أي مستويان. **قوله**: (أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان) إنما قال في وجوب العصيان بناء على أن النهي عن الإطاعة مآله الأمر بالعصيان كأنه قال: اعصِ هذا وذاك فإنهما متساويان في وجوب العصيان. **قوله**: (والصيب)... الخ من صاب يصوب إذا نزل وأصله صيوب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قُلِبَت الواو ياء وأُدغِمَت الياء في الياء. ويقال لكل واحد من المطر والسحاب صيِّب لوجود معنى النزول فيهما. **قوله**: (هذه المظلة) في منتهى الأرب في لغات العرب مِظَلَّة بكسر وفتح خيمة بزرگ وسايه بان. انتهى. **قوله**: (وعن الحسن أنها موج مكفوف) أي إن السماء الدنيا موج مكفوف أي مدفوع ممنوع من أن يسيل وقد ورد ذلك في الحديث. **قوله**: (آخذ) بالمدّ اسم فاعل. **قوله**: (بآفاق السماء) الآفاق بالمدّ جمع أفق بضمتين

أن يكون من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، **(لأن كل أفق من آفاقها سماء)**، ففي التعريف مبالغة **(كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه، وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه، وقيل: إنه يأخذ من البحر ويرتفع)**.

(«ظلمات») مرفوع **(بالجار والمجرور)** لأنه قد قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء «فيه ظلمات» **(ففيه خلاف بين الأخفش**

تطلق على كل ناحية من نواحي الأرض وعلى كل ناحية وجانب من السماء. **قوله**: **(لأن كل أفق من آفاقها سماء)** يعني أنه يسمّى سماء مجازًا كما أن كل طبقة منها تسمى سماء حقيقة. **قوله**: **(كما في تنكير صيّب)** لأنه للتعظيم والتهويل كتنكير النار في التمثيل الأول. **قوله**: **(وتركيبه)** أي مادّته الأولى أعني الحروف التي يتركّب هو منها فإن الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة وقوة صيغة المادّة تدلّ وتُنبيء عن المبالغة في مدلول الكلمة ومادّته الثانية أعني مأخذ هذه الصيغة وهي الصوب فإنه نزول شديد له وَقْع وتأثير. **قوله**: **(وبنائه)** أي صورته فإن فيعلًا صفة مشبهة دالّة على الثبوت بخلاف الصائب فإنه يدل على الحدوث. **قوله**: **(وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر)** وينزل **(ومنها يأخذ ماءه، وقيل: إنه يأخذ من البحر)** للاتفاق **على** أنه من السماء أو من البحر من قول أحد بأن البعض من هذا والبعض من ذاك. وقوله ينحدر في منتهى الأرب في لغات العرب انحدار بنشيب فرود آمدن. انتهى. **قوله**: **(ويرتفع ظلمات بالجار والمجرور)** أي بالظرف على الاتفاق يعني الاتفاق على جواز ذلك. **قوله**: **(ففيه خلاف بين الأخفش)** الأوسط أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي **أحد** نحاة البصرة تلميذ سيبويه، وسيبويه فإن سيبويه لا يجعله مرفوعًا بالظرف بل بالابتداء فإذا قلت له مال ارتفع، مال بالابتداء وله خبر مقدَّم عليه. وعند الأخفش رحمه الله يرتفع بالفاعلية لأنه لا يجعل الاعتماد شرطًا لعمل الظرف وقوله الأخفش مشتق من الخفش بفتحتين في لسان العرب الخَفَش ضعف في البصر وضيق في العين وقيل صغرٌ في العين خِلْقَةً وقيل هو فساد في جَفْن العين واحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح خفش خَفَشًا فهو خَفِشَ وأخفشُ. قال الجوهري: قد يكون الخفش علّة وهو الذي يُبصر الشيء بالليل

وسيبويه. والرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه،

ولا يبصره بالنهار ويبصره في يوم غيم ولا يبصره يوم صاحٍ. انتهى باختصار. ومَسعدة بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبعدهن هاء ساكنة. والمجاشعي بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بطن من تميم، وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأصغر، فالأخفش الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أستاذ سيبويه، والأخفش الأصغر هو أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المبَرّد، وكان الأخفش الأوسط من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلا وعرضه عليَّ، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه، وكان أجلع والأجلع الذي لا ينضمّ شفتاه على أسنانه، وكان وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى، وكان يقال له الأخفش الأصغر فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضًا صار هذا وسطًا.

وقوله: (سيبويه) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقَّب سيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحّدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء البتّة وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما. والعجم يقولون: سيبويه بضم الباء الموحّدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة ويه لأنها للندبة. وقال إبراهيم الحربي سُمِّي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفّاحتان وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى. توفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة، وقيل سنة سبع وسبعين وعمره نيف وأربعون سنة. وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وقيل: ثمانٍ وثمانين، وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأنه توفي بمدينة ساوة. **قوله**: (**والرعد: الصوت الذي يُسمَع من السحاب لاصطكاك أجرامه**) هذا مسلك الحكماء الغافلين ولا عبرة به فإنهم قالوا: إن الشمس إذا أشرقت على الأرض اليابسة حلَّلَت منها أجزاء نارية يخالطها أجزاء أرضية فيتركَّب منهما دخان

أو ملك يسوق السحاب). والبرق الذي يلمع من السحاب (من برق) الشيء بريقًا إذا لمع، والضمير في «فيه» يعود إلى الصيب فقد جعل الصيب مكانًا للظلمات، فإن أريد به السحاب فظلماته ـ إذا كان (أسحم مطبقًا)، ظلمتا (سحمته

ويختلط بالبخار، والبخار وهو ما يحصل بتركّب أجزاء هوائية أو مائية ويتصاعدان معًا إلى الطبقة الباردة فينعقد ثم سحابًا ويحتقن الدخان فيه ويطلب الصعود إن بقي على طبعه الحار والنزول إن ثقل وبرد، وكان يمزّق السحاب بعنفه فيحدث منه الرعد، وقد تشتعل منه لشدة حركته وقوة التسخين فلطيفه ينطفىء سريعًا وكثيفه لا ينطفىء حتى يصل إلى الأرض وهو الصاعقة كذا في كتب الحكمة وهذا بناء على الأصول الفلسفية ولا يَعبأ به أصلًا كذا أفاده العلّامة الحافظ إسماعيل بن محمد بن المصطفى القنوي تغمَّدهم الله تعالى بغفرانه.

وقوله: (لاصطكاك أجرامه) الاصطكاك بمعنى الحركة العنيفة مطلقًا. **قوله**: (أو ملك يسوق السحاب) هذا ما أخبره الشرع وعليه التعويل وفيه روايات كثيرة منها ما رُوِيَ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: الرعد مَلَك وكّله الله سبحانه وتعالى بسياقة السحاب فإذا أراد الله أن يسوقه إلى بلد أمره فساقه فإذا تفرّق عليه زجره بصوته حتى يجتمع كما يردّ أحدكم ركابه ثم قرأ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: الآية ١٣] وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم أن الرعد اسم مَلَك يسوق السحاب. وقال مجاهد رحمه الله: الرعد اسم المَلَك، ويقال لصوته أيضًا: رعد، وقيل: زجر السحاب، وقيل: تسبيح المَلَك، وقيل: الرعد نُطْق المَلَك والبرق ضحكه، وقيل: البرق نار تخرج منه إذا غضب، وقيل: البرق مخراق من حديد أو من نار أو من نور يضرب به السحاب، وقيل: البرق لمعان السوط الذي يزجر به السحاب ويزجر بضم الجيم من باب نصر أي يسوقه ورُوِيَ أن الملك إذا اشتد غضبه على السحاب طارت من فِيْه النار وهي الصواعق. ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع الرعد وصواعقه قال: «**اللَّهمَّ لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك**».

قوله: (من برق) بابه دخل وبَرِقَ البصر من باب طرب إذا تحيّر فلم يطرف كذا في مختار الصحاح. **قوله**: (اسحم) بمعنى أسود. **قوله**: (مطبقًا) بضم الميم وكسر الباء مشددة ومخفَّفة بمعنى محيط وشامل. **قوله**: (سحمته) بضم السين أي

وتطبيقه) مضمومة إليهما ظلمة الليل. وأما ظلمات المطر فظلمة **(تكاثفه بتتابع القطر)** وظلمة **(إظلال)** غمامه **(مع ظلمة الليل)**. وجعل الصيب مكانًا للرعد والبرق **(على إرادة السحاب به ظاهر، وكذا إن أُريد به المطر)** لأنهما ملتبسان به في الجملة. ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران في الأصل، **(يقال: رعدت السماء رعدًا وبرقت برقًا)** فروعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما. ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات **(داجية ورعد قاصف)** وبرق

سواده في المصباح السحمة وزان غرفة السواد وسحم سحمًا من باب تعب وسحم بالضم لغة إذا اسودَّ فهو أسحم والأنثى سحماء مثل أحمر وحمراء. انتهى. **قوله:** **(وتطبيقه)** أي كونه طبقات بأن يكون بعضها فوق بعض. **قوله:** **(تكاثفه)** في منتهى الأرب في لغات العرب تكاثف برهم نشتن وسطبرشدن. انتهى. **قوله:** **(تتابع القطر)** لأن تقارب القطرات يقتضي قلة الهواء المتخلِّل المُستَنير. وقوله **القطر** في المصباح القطر المطر الواحدة قطرة مثل تمر وتمرة. انتهى. **قوله:** **(إظلال)** بكسر الهمزة. **قوله:** **(مع ظلمة الليل)** فيه إشارة إلى أن ظلمة الليل هي الأصل في الظلمات وظلمة الليل مُستَفادة من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠] الآية فلا وجه لما قيل من أن ظلمة الليل من أين يُستَفاد، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧] الآية. يدل عليه أيضًا. **قوله:** **(على إرادة السحاب به ظاهر)** لأن مكانهما هو **السحاب** لا المطر لأن الرعد صوت يُسمَع من السحاب والبرق ما يلمع منه. **قوله:** **(وكذا إن أُريد به المطر)**... الخ يعني أنهما وإن لم يكونا في المطر نفسه لكنهما في محل متصل بالمطر وهو أعلاه ومنحدره[1] أي مَصَبّه الذي هو السحاب فكانا مُلتبسين بالمطر فجعلا كأنهما فيه بناء على استعارة كلمة في للملابسة الشبيهة بمُلابسة الظرفيّة فاستعمل فيها ما وُضِعَ لمُلابَسَة الظرفية.

قوله: **(يقال: رعدت السماء رعدًا أو برقت برقًا)** كلاهما من باب نصر. **قوله:** **(داجية)** أي سابغة. **قوله:** **(رعد قاصف)** القاصف شديد الصوت في القصف وهو الكسر، وقيل القصيف هو الصوت القويّ كذا أفاده العلّامة السيد

---

(١) قوله: ومنحدره على صيغة اسم المفعول مكان الانحدار والانصباب. ١٢ منه عُفِي عنه.

(خاطف. ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ (الضمير لأصحاب الصيب) وإن كان محذوفًا (كما في قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤]) لأن المحذوف باقٍ معناه وإن سقط لفظه. ولا محل لـ«يجعلون» لكونه مستأنفًا (لأنه) لما ذكر الرعد والبرق (على ما يؤذن بالشدة) والهول فكأن قائلًا قال: (فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟) فقيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم. ثم قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك

الشريف رحمة الله تعالى عليه. وفي المصباح قصف الرعد قصيفًا: صوّت. انتهى. وفي لسان العرب رعد قاصف: شديد الصوت. قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا بلغ الرعد الغاية في الشدة فهو القاصف وقد قصف يقصف قصفًا وقصيفًا. انتهى. **قوله**: (خاطف) الخطف: الأخذ بسرعة. **قوله**: (الضمير لأصحاب الصيب) فيه إيجاز لطيف، وأصله لذوي الذي بمعنى أصحاب لأنه جمع ذو بمعنى صاحب وهو أشهر معانيه وهو جواب عمّا يقال من أنه كيف جمع الضمائر الثلاثة مع أن المذكور قبلها إنما هو لفظ صيِّب وهو مفرد فلا وجه لإرجاع ضمير الجمع إليه وتقرير الجواب أن الضمائر المذكورة راجعة إلى أصحاب الصيب لِما مرَّ من أن تقدير الكلام كمثل ذوي صيب والمضاف وإن كان محذوفًا لفظًا إلا أن معناه باقٍ فعوّل على بقاء معناه في إرجاع ضمير الجمع إليه. **قوله**: (كما في قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤]) أي كجمع الضمير في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤] لرجوعه إلى أهل القرية ولو رُوعِي حال اللفظ القائم مقام المضاف لأنّث هٰهنا، وأفرد ثمة في تفسير الجلالين في سورة الأعراف (وكم) خبرية مفعول (من قرية) أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الأعراف: الآية ٤] أردنا إهلاكها (﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: الآية ٤] عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ [الأعراف: الآية ٤]) ليلًا (﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤]) نائمون بالظهيرة، والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلًا ومرة جاءها نهارًا. انتهى. وفي الكشاف القيلولة. انتهى.

قوله: (لأنه) أي الشأن. **قوله**: (على ما يؤذن بالشدة) أي على الوجه الذي يؤذن بها وهو التنكير. **قوله**: (فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد) لا يقال الجواب لا يطابق هذا السؤال لأنه يبيِّن حالهم مع الصواعق دون الرعد لأنّا نقول: لمّا كانت الصاعقة قصفة رعد أي شدّة صوته ينزل معها قطعة من نار كان الجواب

البرق؟ فقال: يكاد البرق يخطف أبصارهم. **(وإنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل ورؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان (اتساعًا)** كقوله:

مطابقًا كأنه قيل ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ من أجل شدة صوت الرعد وانقضاض شقة من النار معها. **قوله:** (**وإنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل**)، الأنامل جمع أَنمُلة بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمّها. وابن قتيبة يجعل الضم من لَحْن العوامّ وبعض المتأخرين من النحاة حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم فيصير تسع لغات وهي العقدة من الأصابع وبعضهم يقول الأنامل رؤوس الأصابع وعليه قول الأظهري الأنمُلة المِفصَل الذي فيه الظفر (**ورؤوس الأصابع**) كذا في بعض النسخ وفي الصحيح كما في أكثر النسخ وَرُئَيْسُ الأصبع تصغير الرأس والواو للحال (**هي التي تجعل في الآذان**) كذا في الكشاف والأصبع مؤنثة وكذلك سائر أسمائها مثل الخنصر والبنصر وفي كلام ابن فارس ما يدلّ على تذكير الأصبع فإنه قال الأجود في أصبع الإنسان التأنيث. وقال الصغاني أيضًا: يُذَكَّر ويُؤَنَّث والغالب التأنيث. قال بعضهم: وفي الأصبع عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أصبوع وزان عصفور والمشهور من لغاتها كسر الهمزة وفتح الباء وهي التي ارتضاها الفصحاء كذا في المصباح (اتّساعًا) مفعول له لقوله: وإنما ذكر أي مجازًا لغويًّا يعني أن هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد العام يحصرها كقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٦]، ﴿فَاقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨] أراد البعض الذي هو المِرفَق في الغسل والذي إلى الرّسغ فالقرينة في أصابعهم عقلية و﴿أيديكم﴾ لفظية أعنى إلى المرافق وفي أيديهما شرعية. ثم هنا احتمالات ثلاثة مجاز لغوي: ذكر الكل وإرادة الجزء كما في كتب المعاني. أو مجاز عقلي: بإسناد ما للبعض إلى الكل. ومجاز في الحذف: أي يجعلون أنامل أصابعهم وخير الأمور أوساطها إذ المبالغة إنما يتأتّى إذا كانت الأصابع باقية على حقيقتها. وقد صرّحوا بأن المجاز العقلي أبلغ من المجاز اللغوي وإن كانت المبالغة متحقّقة في المجاز اللغوي المرسل باعتبار أن تبادر الذِّهن إلى المعنى الحقيقي قبل النظر إلى القرينة وعن هنا قال أهل البيان المجاز أبلغ من الحقيقة وهنا يتبادر الذِّهْن إلى الأصابع وأنهم جعلوها في آذانهم قبل الالتفات إلى القرينة المانِعة وكفى هذا في إفادة المبالغة.

(﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨] والمراد الكوع إلى الرسغ، ولأن في ذكر الأصابع)

قوله: (﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨]) في تفسير الجلالين في سورة المائدة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣٨] ال فيهما[1] موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨]) أي يمين كل منهما من الكوع. انتهى. قوله: (الكوع) في المصباح الكوع طرف الزَّنْد الذي يلي الإبهام والجمع أكواع مثل قفل وأقفال والكاع لغة قال الأزهري: الكوع طرف العظم الذي يَلِي رسغ اليد المُحاذي للإبهام وهما عظمان متلاصقان في الساعد أحدهما أدقّ من الآخر وطرفاهما يلتقيان عند مفصل الكفّ فالذي يَلِي الخنصر يقال له الكرسوع والذي يلي الإبهام يقال له الكوع وهما عظما ساعِد الذراع ويقال في البليد لا يفرّق بين الكوع والكرسوع. انتهى. قوله: (والمراد الكوع إلى الرسغ)[2] بالسين والصاد وبضم فسكون أو بضمتين أفاده في القاموس مفصل[3] الكفّ بين الكوع والكرسوع. وأما البوع ففي الرجل قال الشاعر:

وعظم يلي الإبهام كوع وما يلي
لخنصره[4] الكرسوع والرسغ في الوسط[5]

وعظم يلي إبهام رجل ملقب
ببوع فخذ[6] بالعلم واحذر من الغلط

قوله: (ولأن في ذكر الأصابع)... الخ يعني إنما استعملها موضع الأنامل للمبالغة في بيان شدة رعبهم إذ الأنامل جزء مخصوص من الأصابع

(١) قوله: ال فيهما موصولة، أي الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) الرسغ، في المصباح: الرسغ من الإنسان مفصل ما بين الكفّ والساعد والقدم إلى الساق، وضمّ السين للاتباع لغة، انتهى. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٣) قوله: مفصل الكفّ على وزن منبر ملتقى العظمين من الجسد. قاموس. ١٢ منه عفي عنه.
(٤) قوله: لخنصره، أي الشخص المعلوم من المقام. ١٢ منه.
(٥) قوله: في الوسط، في بعض النسخ: ما وسط أي ما توسّط بينهما. ١٢ منه.
(٦) فخذ بالعلم، الباء زائدة أو أصلية، والمفعول محذوف، أي خذ هذه المسائل بعلم لا بظنّ، لأنه قد يوقع في الغلط، أو ضمّن خذ معنى الظفر. ١٢ منه عُفِي عنه.

من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل. وإنما لم يذكر الأصبع الخاص الذي تسد به الأذن لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن، ولم يذكر المسبحة لأنها مستحدثة غير مشهورة.

﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ (متعلق بـ «يجعلون» أي من [illegible]) يجعلون أصابعهم في آذانهم. والصاعقة (قصفة رعد تنقض) معها (شقة) من نار. قالوا: [illegible] من السحاب إذا اصطكت أجرامه. وهي نار لطيفة (حديدة) لا تمرّ بشيء [illegible] عَلَيۡهِ﴾ [الذاريات: الآية ٤٢]) إلا أنها مع حدتها (سريعة الخمود). يُحكى أنها سقطت

والمعتاد إدخالها دون الأصابع بتمامها فعبَّر عنها بالأصابع إيذانًا بأنهم يبالغون في إدخال أناملهم لشدة الرعد فكأنهم يدخلون جميعًا مبالغة في السدّ ثم إن لم يحمل على انقسام الآحاد يحمل إضافة الجمع على الاستغراق فيفيد كمال المبالغة للإشعار بأن كل فرد منهم يجعل أصابعه العشرة في أُذُنَيه وهذا وإن كان مُحالًا لكن المراد التصوير والتمثيل وهذه مبالغة لا فوقها مبالغة لكن الظاهر أنه من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد، مثل ركب القوم دوابّهم. قوله: (متعلق بـ ﴿يَجۡعَلُونَ﴾) لا بالموت لأنه بعيد وتقديمه عليه ليس له وجه ظاهر. قوله: (أي من أجل الصواعق)... الخ إشارة إلى أن لفظة ﴿مِّنَ﴾ هٰهنا للسببية بمعنى لام الأجل كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَآ﴾ [مريم: الآية ٥٣] أي من أجل رحمتنا. وقوله: سبحانه وتعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: الآية ٢٥] أي من أجل خطيئاتهم فلفظة ﴿مِّنَ﴾ تعليلية بتقدير مضاف أي من أجل إصابتها إذ العلل المعاني لا الذوات. قوله: (قصفة رعد) بفتح القاف وسكون الصاد المهملة وبعدها فاء أي شدة صوته. قوله: (تنقض) أي تسقط في الكشاف في سورة الكهف انقضَّ إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضيضته وقيل افعلَّ من النقض كاحمرَّ من الحمرة. انتهى. قوله: (شقَّة) أي قطعة. قوله: (تنقدح) أي تخرج تلك النار. قوله: (حديدة) يعني تيز. قوله: (إلا ﴿أَتَتۡ[1] عَلَيۡهِ﴾ [الذاريات: الآية ٤٢]) أي غلبت عليه وأهلكته. قوله: (سريعة الخمود) في المصباح خمدت النار خُمُودًا من باب قعد ماتت

---

(١) لأن أتى المتعدى بعلى يكون بمعنى الغلبة، ولك أن تقول: تعديته بعلى لتضمينه معنى الغلبة. ١٢ منه عُفي عنه.

على نخلة فأحرقت نحو نصفها **(ثم طفئت)**. ويقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ **(مفعول له، والموت فساد بنية الحيوان)** أو عرض لا يصح معه إحساس **(معاقب)**

فلم يَبْقَ منها شيء وقد سكن لهبها وبقي جمرها. انتهى. **قوله**: (ثم طفئت) عطف على سقطت وفيه بيان الحدة بإحراق النصف وسرعة الخمود بالاقتصار على النصف. **قوله**: (مفعول له) أي للفعل[١] المعلّل بالصواعق أي لقوله: ﴿يَجْعَلُونَ﴾ بعد تعليله بقوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ لئلا يلزم تعدّد المفعول له بلا عطف قال العلامة الحافظ إسماعيل بن محمد بن المصطفى القنوي رحمه الله وهذا من قبيل ضربت تأديبًا له فهو غرض متأخر إذ المعنى احتراز الموت والصواعق باعث فتقدَّم ولعله لهذا ترك من هنا وذكر هنا. انتهى. وقال العلّامة الشيخ زاده رحمه الله وكل واحد منهما باعث مقدَّم على الفعل لا غرض مؤخر عنه. انتهى فافهم.

قوله: (والموت فساد[٢] بنية الحيوان) فعلى هذا يكون أمرًا عدميًا وقوله بنية في منتهى الأرب فيّ لغات العرب بنية الضمّ والكسر بناونهادو آفرينش چيزى يقال فلان صحيح البِنْيَة أي الفطرة بُنَى بالضم وكسر جمع. انتهى.

قوله: (معاقب) صفة عرض أي هو عرض مقابل للحياة مناوب لها أي لا يُجامعها بل يناوب بها فيكون أمرًا وجوديًا واستدلّ عليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [المُلك: الآية ٢] فإن الخلق إيجاد بمعنى إعطاء الوجود فيكون الموت موجودًا كالحياة، وأُجيب بأن المراد بالخلق التقدير[٣] أي تعيين المقدار

---

(١) يعني أن من الصواعق علّة ليجعلون أصابعهم في آذانهم، أي لمطلق الجعل وحذر الموت علّة الفعل المعلل، أي للفعل مع علّته، وهو كلام نفيس فليُحفظ. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) فإطلاق الموت على العدم السابق على الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨] مجاز. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) يعني لا نسلم بمعنى الإيجاد، فإنه معنى شرعي لا يجب اعتباره في كل موضع، بل بمعنى التقدير، وهو معنى لغوي له، وقد يعتبر عند قيام القرينة على عدم المعنى الشرعي؛ كقوله تعالى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٩] الآية، وهنا كذلك، فيكون بمعنى التقدير. ١٢ منه عُفِي عنه.

للحياة (﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **يعني أنهم لا يفوتونه**) كما لا يفوت المحاط به المحيط (**فهو مجاز وهذه الجملة اعتراضية**) لا محل لها.

بوجهٍ ما وهو حقيقة لغة وهو مما يوصف به المعدوم والموجود لأن العدم له مدة ومقدار معين عنده تعالى ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: الآية ٨] ولو سلم فالمراد بخلق الموت إحداث أسبابه فالمراد بخلق الموت والحياة خلق أسبابهما وهيأها. وما ورد في الحديث من أن الحياة فرسُ والموت كبش أملح حتى ذهب بعض الظاهرية إلى أنهما جسمان فهو من قبيل التمثيل، وقد صرَّح به شُرَّاح الحديث في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلّم يُؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح ليُذبَح. وفي قوله ﷺ على صورة كبش إشارة إليه فلا ينبغي أن يغفل عن إشاراته العلية وتلويحاته السَّنِيَّة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) أصل محيط محوط لأنه من حاطَ يحوط فاعل إعلال فتعين بأن نقلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها ثم قُلِبَت ياء لسكونها إثر كسرة. **قوله**: (يعني أنهم لا يفوتونه) كما لا يفوت المحاط به المحيط كذا في بعض النسخ وفي أكثر النسخ المحيط به والضمير المجرور في قوله المحاط به راجع إلى اللام في المحاط لأنه بمعنى الذي أحيط والظرف مرفوع محلًا على أنه فاعل أي وبه مرفوع المحل على أنه قائم مقام الفاعل للمُحاط ولا ضمير في المحاط لأنه إنما عُدِّي إلى المفعول بواسطة حرف الجر والضمير في المحيط راجع إلى اللام لأنه بمعنى الذي أحاط والضمير المجرور في قوله المحيط به راجع إلى المحاط والظرف منصوب المحل على المفعولية أي كما لا يفوت الذي أُحيط به من كل جانب من قصده وأحاط به.

قوله: (فهو مجاز) لما استحال كونه سبحانه وتعالى محيطًا بالكافرين حقيقة بأن يحصرهم من جميع جوانبهم وأطرافهم كما يحصر الحائط البستان جعل لفظ المحيط استعارة تبعية سارية إلى الصفة المشتقة من مصدرها بأن شبّه شمول قدرة الله سبحانه وتعالى إياهم ونفاذ مشيئته فيهم بحيث يتصرف فيهم كيف يشاء لا يتأبون عن مطاوعة قدرته وإرادته بوجه ما أصلًا بإحاطة المحيط.

قوله: (وهذه الجملة اعتراضية) وقعت مع واو بين كلامين متصلين معنى لأن الاستئناف الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

(﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾) الخطف الأخذ بسرعة، (وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدًا)، وموضع «يخطف» نصب لأنه خبر «كاد». ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾

(﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾) متصل بالاستئناف الأول وهو قوله سبحانه وتعالى: (﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾) من حيث إن الاستئناف الثاني وقع جوابًا عن السؤال الناشيء عن الاستئناف الأول كما يدل عليه قول المصنِّف رحمه الله تعالى فالواو فيه اعتراضية لا عاطفة ولا حالية كما بيّن في كتب العربية ثم إن كان المراد بالكافرين أصحاب الصيب فالنكتة في الاعتراض التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد وفي وضع المظهر موضع المضمر تنبيه على أن أصحاب الصيب كَفَرَة يستحقون الشدة لكفرانهم نِعَم الله، ومثل هذا التعميم في المشبه به عمّا يقوّي المقصود في التمثيل من المبالغة وإن كان المراد المنافقين كانت هذه الاعتراضية من أحوال المشبّه والمعنى أن المنافقين لا خلاص لهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة وإنما جاز وقوعها في أثناء المشبه به تنبيهًا على شدة الاتصال وفرط المناسبة بين المشبه والمشبه به وعلى أن المشبه مما يهتم بشأنه.

قوله: (﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾) واويّ العين فوزنه يَكوَد كيعلم نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها.ثم يقال تحركت الواو بحسب الأصل والفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفًا فصار ﴿يَكَادُ﴾ بوزن يخاف أو ماضيه كود بكسر العين كخوف ومصدره الكود كالخوف وهذا في كاد الناقصة وأما كاد التامّة فهي يائية العين المفتوحة في الماضي كباع ومصدره الكيد كالبيع ولذلك جاء المضارع في القرآن مختلفًا ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ [النور: الآية ٣٥]، ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: الآية ٥]. ومعنى التامّة المكر ومعنى الناقصة المقاربة. **قوله**: (وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدًا) أفعال المقاربة أفعال مخصوصة سمّاها النحاة بهذا الاسم وإن لم تكن كلها للمقاربة لأن منها ما هو للشروع كطفق ومنها ما هو للترجّي ومنها ما هو للمقاربة سُمِّيت بها تغليبًا لها لأنه أشهرها وأصلها كما في شرح التسهيل وقد يخصّ بكاد وأخواتها ويجعل ما عداها من الباب قسمًا آخر أو ملحقًا بها والمشهور الأول فتدخل فيها

(«**كل» ظرف و«ما» نكرة موصوفة**) معناها الوقت، والعائد محذوف أي كل وقت أضاء لهم فيه، والعامل فيه جوابها وهو ﴿مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول: كيف يصنعون (**في تارتي خفوق البرق وخفيته؟ وهذا تمثيل**) لشدة الأمر على المنافقينَ بشدته على أصحاب الصيب (**وما هم فيه**) من غاية التحيّر والجهل بما يأتون (**وما يذرون**

عسى والدلالة على الدنوّ والقرب مخصوص بكاد وأخواتها واعتبره الجزولي في جميع الباب من غير تغليب والمحقِّقون على خلافه لأن عسى وُضِع لرجاء الخبر مطلقًا لا لرجاء دنوّه كما زعمه وطفق يدلّ على الشروع وأخذ أول أجزاء الخبر والدنو إنما يكون قبل الشروع فيه فليس فيها مقاربة. انتهى شهاب. **قوله**: (**كل ظرف**) أي كل نصب على الظرف. **قوله**: (**وما نكرة موصوفة**)... الخ أو ما مصدرية والزمان محذوف أي كل زمان إضاءة. **قوله**: (**في تارتي خفوق البرق وخَفْيته**) خفوق البرق بضم الخاء المعجمة والفاء وفي آخره قاف لمعانه وأصله الاضطراب ومنه خفقت الراية والسراب وسُمِّي به اللمعان لاضطرابه وخفيته أي اختفائه كما هو شأن البرق، قال الشاعر:

وكأن البرق مصحف قار[1] فانطباقًا مرّة وانفتاحا

وخفيته بفتح الخاء المعجمة وسكون الفاء وياء مثناة تحتية وهاء تأنيث بزنة المرأة من خفي يخفى كعلم يعلم أو خفي يخفو كدخل يدخل إذا لمع لمعانًا ضعيفًا في نواحي الغيم كما في بعض الحواشي ولا وجه له فإنه تكرار غير مناسب للمراد، فالظاهر أنه أراد ظهوره واختفاءه ويجوز أن يكون من خفت البرق إذا سكن كما في الأساس وتارتي مثنى تارة وهي المرة والحالة أي في حالتي الظهور والخفاء والاستتار. **قوله**: (**وهذا تمثيل**) يعني قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ﴾ لا قوله: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ﴾ على ما وهم يعني أن بيان شدة الأمر على أصحاب الصيب وفرط تحيّرهم بيان لشدّته على المنافقين وفرط تحيّرهم لما أن حالهم كحالهم وهذه من جملة تفاصيل الأحوال. **قوله**: (**وما هم فيه**) عطف على شدّته كأنه تفسير لها. **قوله**: (**وما يذرون**) أي يتركون في المصباح وذرته أذره وذرًا تركته قالوا: وأماتت العرب ماضيه

---

(١) أصله قارىء فحذف الهمزة لمحافظة الوزن. ١٢ منه.

إذا صادفوا) من البرق (خفقة) مع خوف أن يخطف أبصارهم (انتهزوا تلك الخفقة فرصة) فخطوا (خطوات يسيرة)، فإذا خفي (وفتر) لمعانه بقوا واقفين. و«أضاء» متعدٍ (كلما نوّر لهم ممشى) ومسلكًا (أخذوه)، والمفعول محذوف. أو غير متعدٍ

ومصدره فإذا أُريد الماضي قيل ترك وربما استعمل الماضي على قلة ولا يستعمل منه اسم فاعل. انتهى. وفي لسان العرب قال الليث: العرب قد أماتت المصدر من يَذَرُ والفعل الماضي فلا يقال وذره ولا واذرٌ ولكن تركه وهو تاركٌ. قال: واستعمله في الغابر والأمر فإذا أرادوا المصدر قالوا ذره تركًا ويقال هو يَذَرُه تركًا. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب يقال: ذَرْهُ يعني بگذار انرا ويقال أيضًا يَذَره تركًا ولا يقال وَذْرًا يعني ميگذار وأصله وذِرَه يَذَرُه كوَسعه يَسَعُه كسَمِعَه لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل فلا يقال وذَرَهُ وَذْرًا فهو واذِر وقيل وَذرْتُه شَاذًا. انتهى. **قوله**: (إذا صادفوا) بيان لغاية التحيّر. وفي لسان العرب المصادفة الموافقة. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب صادفه مصادفة يافت اوراوديد. انتهى. **قوله**: (خَفْقَةً) من خفق البرق خفقًا أي لمع. **قوله**: (انتهزوا)[1] أي اغتنموا (تلك الخفقة فرصة) الفرصة واحد الفرص كغرفة وغرف وأصل معناها النوبة في شرب الماء القليل يقال جاءت فرصة فلان أي نوبته والانتهاز كالافتراض يتعدّى إلى مفعول واحد، فقوله: فرصة حال، وقيل: مفعول ثانٍ بتضمين الانتهاز معنى الاتخاذ أي اتخذوا الخفقة فرصة. وقيل: الخفقة مصدر مقدَّر بالزمان وفرصة مفعول أي انتهزوا في وقت تلك الخفقة فرصة. **قوله**: (خطوات يسيرة) قليلة مبني على قصر زمان الخفقة لا على ما قيل إن ازدياد الخطوات لا يكون مشيًا بل سعيًا أو عدوًا لأن ذلك إنما يكون بالشدة والسرعة لا بالازدياد والكثرة. **قوله**: (فتر) أي ضعف في لسان العرب الفترة الانكسار وفَتَرَ الشيء والحر وفلان يفتُرُ فُتُورًا وفتارًا سكن بعد حدة ولانَ بعد شدة. انتهى. **قوله**: (كلما نوَّر لهم ممشى) أي موضع مشي وهو المفعول المحذوف لأضاء بمعنى نوّر والمستتر في نور ضمير البرق ونكر ممشى لعدم تعيّنه وفيه إشارة إلى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم يمشون في أيّ ممشى ظهر لهم ولا يرومون ممشى سويًا ومسلكًا عطف تفسير. **قوله**: (أخذوه) أي ذلك المسلك ومشوا فيه أي

---

(١) لأن زمان الخفقة قصير جدًا. ١٢ منه عُفِي عنه.

أي كلما لمع لهم (**مشوا في مطرح نوره**). والمشي (**جنس الحركة**) المخصوصة (**فإذا اشتدّ**) فهو سعي (**فإذا ازداد**) فهو عَدْوٌ. ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ «أظلم» غير متعدٍ وذكر مع «أضاء» «كلما» ومع «أظلم» «إذا» لأنهم (**حراص**) على وجود (**ما همهم**) به معقود من إمكان المشي، فكلما (**صادفوا**) منه فرصة (**انتهزوها**

شرعوه وسلكوه ابتغاء للوصول إلى البغية والنجاة عن المهلكة وفيه إشارة إلى أن الضمير المجرور في قوله تبارك وتعالى فيه راجع إلى المحذوف بناء على أن المقدَّر في حكم الملفوظ فصحَّ رجوع الضمير إليه.

قوله: (مشوا في مطرح نوره) إشارة إلى أن ضمير فيه على أن تقدير أن يكون أضاء لازمًا راجع إلى البرق كضمير أضاء وإلى أن هناك مضافين مُقدَّرين والمعنى أن البرق كلما لمع لهم مشوا فيه في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف أبصارهم وقد مرَّ أن ضمير فيه على تقدير أن يكون أضاء متعديًا راجع إلى المفعول المحذوف. **قوله**: (جنس الحركة)... الخ، الجنس ضرب من الشيء في منتهى الأرب في لغات العرب جنس بالكسر كونه أزهر چيزى ازمردم وجزءان وهو أعمّ من النوع فالإبل جنس من البهائم أجْنَاس وجنوس جمع هذا عن أئمة اللغة والمتكلمون يقولون على العكس. انتهى. **قوله**: (فإذا اشتد) أي المشي فهو سعي (فإذا ازداد) أي اشتداده فهو عدو في المصباح عدا في مشيه عدوًا من باب قال.اهـ. **قوله**: (حراص) جمع حريص في المصباح حرص عليه حرصًا من باب ضربَ إذا اجتهد والاسم الحرص بالكسر وحرص على الدنيا من باب ضرب أيضًا ومن باب تعب لغة إذا رغب رغبة مذمومة فهو حريص وجمعه حراص مثل ظريف وظراف وغليظ وغلاظ وكريم وكرام. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب حريص كأمير آزمند حُرَّاص وحُرَصَاء جمع. انتهى. **قوله**: (ما همّهم) أي قصدهم به معقود أي مربوط هذا لا ينافي ما سبق من جهلهم بما يأتون ويذرون لأنه كناية عن شدة الأمر وتأكيد لفرط تحيّرهم ولأن معناه أنهم لا يدرون كيف يأتون ما يأتون وكيف يتركون ما يتركون مع حرصهم على المشي. **قوله**: (صادفوا) أي وجدوا. **قوله**: (انتهزوها) أي اغتنموها يقال: انتهز فلان الفرصة أي اغتنمها وقاربها والفرصة النوبة والحاصل أن كلما تدلّ على تكرار الفعل عند تكرار الشرط أبدًا وإذا لا تدلّ عليه والقوم لمّا كانوا متحيِّرين في الظلمات مدهوشين

ولا كذلك التوقف). ﴿قَامُواْۚ﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء (**إذا جمد**). ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ (**بقصيف الرعد**) ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾ (**بوميض البرق**). ومفعول «شاء» محذوف لدلالة الجواب عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم

بسببها وكانت جُلّ هِمَمهم مصروفة إلى الخلاص منها كانوا حِراصًا على المشي والهرب رجاء أن يتخلصوا من تلك الحيرة والدهشة العظيمة فلذلك قيل مع الإضاءة كلما حتى يدلّ على أنهم يعدّون فرصة إمكان المشي وتأتيه غنيمة فلا يضيِّعونها بخلاف التوقف والثَّبات فإنهم ليسوا حراصًا عليه بل هم واقفون اضطرارًا لعدم تأتّي المشي فلذلك قيل مع الإظلام إذ المجرد بيان أنهم يقفون وقت الإظلام من غير أن يتعرَّض لكون الوقوف مهمًا عندهم بحيث يتكرر ذلك منهم كلما تكرّر ما يؤدي إليه. **قوله**: (**ولا كذلك التوقف**)، التوقف معنى قوله قاموا. **قوله**: (**إذا جمد**) في المصباح جمد الماء وغيره جمدًا من باب قتل وجُمُودًا خلاف ذاب فهو جامد. انتهى. وفي لسان العرب جَمَد الماء والدم وغيرهما من السيّالات يَجْمُدُ جُمُودًا وجَمْدًا أي قام وكذلك الدم وغيره إذا يَبِسَ. انتهى.

قوله: (**بقصيف الرعد**) أي شدة صوته. **قوله**: (**بوميض البرق**) أي لمعانه والغرض من هذا التقرير بيان الربط المعنوي لهذه الجملة بالجملة الاستئنافية لظهور أنه عطف على (﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾) الظاهر أن لو هٰهنا لمجرد الشرط بمعنى أن لا بمعناه الأصلي من انتفاء الشيء لانتفاء غيره كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف وقال العلَّامة الشيخ زاده في حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي ولعل وجه ارتباط جملة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾ بما قبلها بيان شدة قصيف الرعد ووميض البرق والمعنى أنهما بحسب شدتهما كانا يقتضيان إذهاب قوَّتي سمعهم وأبصارهم فكان ينبغي أن تذهبا لتحقّق علّة ذهابهما لكن لم يتحقق الذهاب لعدم ارتفاع ما يمنع تحقّقه وهو عدم تعلق مشيئة الله تعالى بذهابهما فإن تحقّق العلة المُوجِبَة لوجود الشيء لا تنفي وجوده ما لم يرتفع مانع وجوده وقصيف الرعد وإن كان يوجِب ذهاب سمعهم بسبب شدته وكذا وميض البرق وإن كانت شدته بحيث توجِب ذهاب أبصارهم إلا أن عدم تعلّق مشيئة الله تعالى بذهابهما لما كان مانعًا من تأثير القصيف والوميض المذكورين في ذهابهما لم يتحقق ذهابهما. انتهى.

وأبصارهم لذهب بهما (ولقد تكاثر) هذا الحذف في «شاء» وأراد (لا يكادون يبرزون) المفعول (إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله):

(فلو شئت) أن أبكي دمًا لبكيته عليه ولكن (ساحة الصبر أوسع)

قوله: (ولقد تكاثر[1]) اللام لام الابتداء إذ لا وجه للقسم هنا وصيغة التفاعل للمبالغة هذا الحذف أي حذف المفعول في شاء وأراد متصرفاتهما إذا وقعت في حيِّز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف كما أشار إليه المصنّف رحمه الله بقوله: ولو شاء الله أن يذهب. **قوله**: (لا يبرزون) في المصباح برز الشيء بروزًا من باب قعد ظهر ويتعدّى بالهمزة فيقال أبرزته فهو مبروز وهذا من النوادر التي جاءت على مفعول من أفعل. انتهى. **قوله**: (إلا في الشيء المستغرب) فلا يكتفي فيه بدلالة الجواب بل يصرِّح به اعتناء بتعيينه ودفعًا لتوهم غيره لاستبعاد تعلق الفعل به لاستغرابه. **قوله**: (كنحو قوله)... الخ قائل هذا البيت أبو يعقوب[2] الخُزَيْمي يرثي بقصيدته خُزَيم بن عامر المرّي وفي شرح شواهد المعاني يرثي[3] بها ابنه ليثًا ثم قال: وما في بعض الحواشي من أنه للبُحْتُرِيّ[4] كأنه من تحريف الناسخ. **قوله**: (فلو شئت)... الخ، فلو قيل فلو شئت بكيت دمًا[5] لجاز توهّم قصدك لو شئت أن أبكي الدمع لبكيت الدم بدله بل هذا راجح لأن تعلق البكاء بالدم غريبٌ نادر فالمفعول هنا ليس البكاء مطلقًا بل بكاء الدم فلا يكون الجواب قرينة عليه قوية فإن المعنى لما كان محتملًا لما ذكرنا من أن قصدك لو شئت أن أبكي دمعًا على جريان العادة بكيت دمًا من غير قصد إما لعدم الدموع بكثرة البكاء وإما لفرط الحرارة ولاحتراق الكبد والمعدة فلا بدّ في مثل هذا من ذكر المفعول تنصيصًا على المقصود ودفعًا للتوهّم المردود. **قوله**: (ساحة الصبر أوسع) الساحة الموضع المتّسع فوصفها بالسّعة مبالغة والمراد سعة ساحته إما زيادة تجلّده لتلازم عظم الشيء وسعة مكانه أو كونه جميلًا محمودًا أو مستمرًا باقيًا.

---

(١) قوله: تكاثر، المراد به المبالغة في الكثرة لا التفاعل، وإن كان هو أصله. ١٢ منه.
(٢) إسحٰق بن حسان. ١٢.
(٣) قوله: يرثي بها... الخ. ويصف نفسه بشدّة الحزن وكمال الصبر عليه. ١٢ منه عفى عنه.
(٤) هو أبو عبادة الوليد بن عتيد. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٥) البيت من الطويل. ١٢ منه.

وقوله تعالى: (﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]. و﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: الآية ٤]) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ (عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)﴾ أي (**إن الله قادر على كل شيء شاءه**).

قوله: (﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]) في تفسيرالجلالين في سورة الأنبياء (**لو أردنا أن** نتخذ لهوًا) به من زوجة أو ولد ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: الآية ١٧] من عندنا من الحور العين والملائكة (﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]) ذلك لكنَّا لم نفعله فلم نرده. اهـ. **قوله**: (و﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية ٤]) في تفسير الجلالين في سورة الزمر (﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية ٤]) كما قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: الآية ٨٨]، ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الزمر: الآية ٤] واتخذه ولدًا غير مَن قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (**سبحانه**) تنزيهًا له عن اتخاذ الولد (﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: الآية ٤]) لخلقه. اهـ.

قوله: أي (**إن الله قادر**) فرَّق بين القادر والقدير بناء على أن صيغة الفعيل للمبالغة كالرحيم والعليم فيكون قدير أبلغ من قادر كما نقل الزجَّاج. وعن الهروي إنهما بمعنى **قوله**: (﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٠]) من تفسير الجلالين على كل شيء شاءه. انتهى. وفي الحاشية المسمّاة بالفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخَفِيَّة للعلَّامة الشيخ سليمان الجمل ﵀ (قوله على كل شيء شاءه) قيَّد بذلك الإخراج الواجب وهو ذاته وصفاته فإنهما من جملة الشيء إذ هو الموجود لكنهما ليسا من متعلقات الإرادة، فالمراد بقوله: شاءه إن من شأنه أن يشاءه وذلك هو الممكن. اهـ. شيخنا انتهت بحروفها وفي الجمالين للجلالين للعلَّامة علي القاريء ﵀ قوله شاءه احتراز عن المستحيل والممتنع فإن ما لم تتعلق به المشيئة لم تتعلق به القدرة. قال أهل التفسير: الشيء في الأصل (أي في أصل اللغة) مصدر شاء أطلق بمعنى (شاء أصله)[1] شأى تارة (بتقديم الهمزة فاعل إعلال قاضٍ أي مصدر أطلق على الفاعل) وحينئذ يتناول الباري تعالى (وتناوله الجمادات الموجودات حينئذ بطريق التغليب فلا إشكال بها) كما في قوله تعالى:

---

(١) أي بمعنى الفاعل.

(لمّا عدد الله فرق المكلفين) من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ﴾ [الأنعام: الآية ١٩] وبمعنى مشيء أخرى (أي تارة أخرى بفتح الميم وفي آخره همزة وقد تبدَّل ياء فتدغم[١] فحينئذ يتناول الجماد بلا تكلّف ولا يتناول الباري تعالى وقول أهل الكلام نسمي الله شيئًا لا كالأشياء مصروف على الإطلاق الأول فبين المعنيين عموم من وجه مادة الاجتماع الموجود العاقل ويتحقق الأول في الباري دون الثاني، والثاني في الجمادات دون الأول إن لم يحمل على التغليب وإلا فالأول أعمّ من الثاني مطلقًا) أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده (يريد أن معنى كونه قادرًا على المعدوم حال عدمه أنه تعالى إن شاء وجوده أوجده لا أن المعدوم الأزل حال عدمه يتعلق به المشيئة فأعدمه وإنما قال) فهو موجود في الجملة (لتعلق المشيئة به وعدم تخلّف المراد عن مشيئته تعالى فهو موجود في المستقبل لا محالة) وعليه (أي على أن الشيء بمعنى مُشيء وجوده ورد) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (والمعنى أن الله على مشيء وجوده أو عدمه فهو قدير على إيجاده أو على إعدامه). انتهى.

فعلى هذا لا يحتاج إلى قيد شاءه. انتهت عبارة الجمالين مع زيادة فهو على عمومه بلا مَثْنَوية[٢] أي بلا استثناء للواجب والممتنع إذ المُشيء لا يتناولهما أما الواجب تعالى فلأنه شيء بمعنى شاء لا بمعنى مُشيء وهو المراد هنا. وأما الممتنع بالذات كالشريك للباري تعالى واجتماع النقيضين فلأنه لا تتعلق به المشيئة قطعًا لإنشائه بالذات فلا يكون مشيئًا كما لا يكون شاء فلا يطلق عليه شيء أصلًا.

قوله: (لمّا عدّد الله فرق المكلّفين)... الخ، أشار بذلك إلى ارتباط هذه الآية بما قبلها والمراد بالفرق المؤمنون والكفّار والمنافقون والمُكَلَّفون الإنس والجن لا الملائكة فإنهم وإن كانوا مُكَلَّفين كما صرَّح به المصنّف رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الآية ٥٠] من سورة النحل لكنهم ليسوا بمُرادين هنا كما لا يخفى.

---

(١) اسم مفعول بوزن مبيع ومهيب. ١٢ منه.

(٢) كالمعنوية بمعنى الاستثناء صرّح به أهل اللغة، وورد في الحديث الشريف وفي كلام فصحاء العرب. ١٢ منه عُفِي عنه.

وأحوالهم وما اختصت به كل (فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها) عند الله (ويرديها أقبل عليهم) بالخطاب (وهو من الالتفات المذكور) فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾

(قال علقمة): ما في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (فهو خطاب لأهل مكة)، وما

وقوله: (فرقة) في منتهى الأرب في لغات العرب فِرْقَة كروه مردم فِرَق كعنب جمع ودر شعر برا فارقة جمع كرده أَفْراق جمع الجمع أَفارِيقْ جمع جمع الجمع. ومنه في الحديث أَفَارِيْقُ العَرَبِ. انتهى. قوله: (مما يسعدها يشقيها) المذكور صريحًا لفرقة المؤمنين هو المسعدات والمحظيات ولفرقتي الكافرين والمنافقين هو المشقيّات والمرديات ويفهم المقابل ضمنًا فيكون الكل مذكورًا ومبنى على كون من في مما يسعدها للبيان. قوله: (ويحظيها) في المصباح حظي عند يحظى من باب تعب حظه وزان عدة وحظوة بضم الحاء وكسرها إذا حيوه ورفعوا منزلته فهو حظيّ على فعيل والمرأة حظيئة إذا كانت عند زوجها كذلك. انتهى. وفي الصحاح رجل حظيّ إذا كان ذا حظوة ومنزلة وقد حظي عند الأمير واحتظى بمعنى وأحظيته على فلان أي فضَّلته عليه. انتهى. وفي لسان العرب وأحظيت فلانًا على فلان من الحظوة والتفضيل أي فضلته عليه. انتهى. قوله: (ويرديها) في لسان العرب الرّدى الهلاك رَدِيَ بالكسر يَرْدى ردًى هلك فهو رَدٍ والردي الهالك وأرداه الله وأرديته أي أهلكته. انتهى. قوله: (أقبل عليهم) المراد بالإقبال معنوي عبّر به فإنه مقتضى النداء بالخطاب ابتداء هذا الخطاب من قوله: يا أيها الناس فإن المنادى مخاطب بمنزلة ضمير الخطاب وإن كان في أصله للغيبة والمصنّف رحمه الله نظر إلى المعنى فقال: أقبل عليهم بالخطاب مع أن قوله: (اعبدوا ربكم) صريح في الخطاب على سبيل الالتفات فإن الفِرَق الثلاثة ذكرت بالغيبة وشرحت قصصهم ثم عدل عن الغيبة إلى خطابهم.

قوله: (وهو من الالتفات المذكور) من الغيبة إلى الخطاب عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: الآية ٥]. قوله: (قال علقمة)... الخ هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلَامَان بن كهيل بن بكر بن عوف بن النخع، ويقال بكر بن المنتشر بن النخع

فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهو خطاب لأهل المدينة، وهذا خطاب لمشركي مكة،

النخعي الكوفي التابعي الكبير الجليل الفقيه البارع وهو عَمُّ الأسود وعبد الرحمٰن ابني يزيد خالي إبراهيم النخعي سمع عمر بن الخطاب وعثمان وعليًا وابن مسعود وسلمان الفارسي وخَبَّابًا وحُذيفة وأبا موسى الأشعري وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين روى عنه أبو وائل وإبراهيم النخعي والشعبي وابن سيرين وعبد الرحمٰن بن يزيد وأبو الضحى[1] وغيرهم من التابعين وأجمعوا على جلالته وعظم محله ووفور علمه وجميل طريقته قال إبراهيم النخعي: كان علقمة يشبه ابن مسعود وقال أبو إسحٰق السبيعي: كان علقمة من الربانيِّين. وقال أحمد بن حنبل: علقمة ثقة من أهل الخير وقال أبو سعد السمعاني: كان علقمة أكبر أصحاب ابن مسعود وأشبههم هديًا ودلالة به. توفي سنة ثنتين وستين، وقيل: ثنتين وسبعين من الهجرة رضي الله تعالى عنه. كذا في تهذيب الأسماء وأخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله[2] قال ما كان يا أيها الذين آمنوا نزل بالمدينة وما كان يا أيها الناس في مكة وأخرجه أبو عبيد في الفضائل عن علقمة مرسلًا كذا في الإتقان.

واعلم أن النداء على سبع مراتب: نداء مدح، ونداء ذمّ، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء نسبة، ونداء تسمية، ونداء تصنيف. فالأول كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: الآية ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: الآية ٤١]. والثاني كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجمعة: الآية ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم: الآية ٧]. والثالث كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: الآية ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: الآية ٢١]. والرابع كقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: الآية ٥٦]. والخامس كقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٦]، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: الآية ٤٠]. والسادس كقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ [ص: الآية ٢٦]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [هود: الآية ٧٦]. والسابع كقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]. انتهى كرخي. **قوله: (فهو خطاب لأهل مكة)**

---

(١) بضم المعجمة العطار الكوفي مسلم بن صبيح بالضم مصغرًا وثقه ابن معين، وأبو زرعة. ١٢ منه.

(٢) يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ١٢ منه.

(و«يا» **حرف وضع لنداءِ البعيد،** وأي) والهمزة للقريب، ثم استعمل في (**مناداة**) مَن غفا (**وسها**) وإن قرب (ودنا) تنزيلًا له منزلة من بعد (**ونأى**)، فإذا نودي به القريب (**المفاطن**) فذاك للتوكيد

واعترض بأن سورة البقرة مدنية فكيف يكون هذه الآية مكيّة ولو سلّم فكونها مكية لا يوجِب اقتصار الخطاب على مُشرِكي مكة كما أن كونها مدنية لا يُوجِب اختصاصها بكفّار المدينة. والجواب أن مدلول ما نقل أن كل حكم وخطاب نزل فيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مكّي أي متعلق بمُشرِكِي مكة سواء نزلت الآية بمكة أو بالمدينة وبه يتم ما ذكر.

وفي تفسير المظهري قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٤] خطاب أهل المدينة، فإن أهل مكة لمّا كان أكثرهم كفّار أو المؤمنون كانوا هناك قليلًا خاطب بما يعمّ القبيلتين وأهل المدينة كان أكثرهم مؤمنين خاطبهم بعنوان أهل الإيمان إظهارًا لشرفهم. انتهى. **قوله**: (ويا **حرف**) فيه ردّ على مَن قال إنه اسم فعل على ما نقل بعضهم فحينئذ يظهر فائدة الخبر بأنها حرف (**وُضِع لنداء البعيد**) وهذا مختار الزمخشري ورضي به المصنِّف رحمه الله والشيخ ابن الحاجب رحمه الله ذهب إلى كونه موضوعًا لنداء مطلق المنادى والنداء في الوضع دون الاستعمال ولهذا قال ثم استعمل. . . الخ. **قوله**: (وأي) بفتح الهمزة وسكون الياء والهمزة أي وكذا الهمزة المفتوحة. **قوله**: (مناداة) أي نداء في المصباح ناديته مناداة ونداء من باب قاتل إذا دعوته. اهـ. وأيضًا فيه النداء الدعاء وكسر النون أكثر من ضمّها والمدّ فيها أكثر من القصر. اهـ. **قوله**: (**وسها**) في لسان العرب السهو والسهوة نسيان الشيء والغفلة عنه وذهاب القلب عنه إلى غيره. انتهى. **قوله**: (ودنا) في لسان العرب دنا الشيء من الشيء دنوًا ودناوة قرب. انتهى. **قوله**: (**ونأى**) عطف تفسير في لسان العرب النأي البُعد نأى ينأى بوزن نَعى ينعى. انتهى. **قوله**: (**المفاطن**) في لسان العرب الفِطْنة كالفهم والفِطْنة ضد الغَباوة ورجلٌ فَطِنٌ بَيِّنُ الفِطْنة والفَطْن وقد فطن لهذا الأمر بالفتح يفطُن فِطْنة ويفطن فَطْنًا وفَطَنًا وفَطِنًا وفُطونة وفِطانة وفَطانِيَة فهو فاطِنٌ له وفَطُون وفطين وفَطِن وفَطُن وفَطْن وفَطُونة وقد فطِن بالكسر فطنة وفطانة وفطانية والجمع فُطْن والأُنثى فَطِنة والمفاطنة مفاعلة منه. انتهى. وفي منتهى الأرب في

(**المؤذن**) بأن الخطاب الذي (**يتلوه معتنى به جدًا**). وقول الداعي «يا رب» (**وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضمًا**) **لنفسه وإقرارًا عليها** (**بالتفريط مع فرط التهالك**) على استجابة دعوته. (و«أي» **وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام**) كما أن «ذو» و«الذي» وصلتان إلى الوصف بأسماء

لغات العرب مفاطنة باهم زيركي نمودن. انتهى. **قوله**: (**المؤذن**) في لسان العرب آذنه الأمر وآذنه به أعْلَمَه. انتهى. **قوله**: (**يتلوه**) أي يتبعه، أي يأتي بعد النداء في المصباح تلوت الرجل أتلوه تلوًّا على فعول تبعته فأنا له تال وتلوًّا أيضًا وزان حمل وتلوت القرآن تلاوة. انتهى. **قوله**: (**معتنى به**) وفي نسخة مُعتَنَى به في المصباح عنيته عنها من باب رمى قصدته واعتنيت بأمره اهتممت واحتلفت وعنيت به أعني من باب رمى أيضًا عناية كذلك. انتهى. **قوله**: (**جدًا**) بالكسر أي نهاية ومبالغة. **قوله**: (**وهو أقرب إليه من حبل الوريد**) حال قال المصنّف في تفسير سورة قٓ (﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [ق: الآية ١٦]) المراد قرب علمه منه (﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [الآية ١٦]) هو مثل في فرط القُرْب والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق والإضافة للبيان كقولهم بَعِيْرٌ سانِيَةٍ. انتهى. وقوله سانية في المصباح السانية البعير يسنى عليه أي يستقي من البئر والسحابة تسنو الأرض أي تسقيها فهي سانية أيضًا. انتهى.

قوله: (**استقصار منه لنفسه واستبعاد لها**) في الصحاح استقصره عدّه مقصرًا واستبعده عدّه بعيدًا. **قوله**: (**عن مظان**) جمع مظِنَّة بكسر الظاء وهي موضع الشيء ومَعْدِنه. **قوله**: (**الزلفى**) في المصباح الزلفة، والزلفى القربة.اهـ. عن مواضع القربة. **قوله**: (**هضمًا**) أي كسرًا مفعول له للاستقصار والاستبعاد. **قوله**: (**بالتفريط**) في المصباح فرّط في الأمر تفريطًا قصر فيه وضيعه. انتهى. أي بالتفريط في جَنْبِ الله أي طاعته. **قوله**: (**مع فرط التهالك**) أي كمال الحرص في لسان العرب تَهَالَكَ الرجل على المتاع والفراش سقط عليه. انتهى. وهو حال من بعض الضمائر العائدة إلى الداعي يعني أن المتضرّع إلى الله تعالى يستعمل في دعائه الحرف الموضع لنداء البعيد إشارة إلى بُعْد المرتبة بين المدعو والداعي وإلى حرص الداعي إلى استجابة دعائه والاستماع لندائه كالاعتناء التام بشأن الخطاب فيما سبق. **قوله**: (**وأيّ وُصْلَة**) أي جُعل وسيلة (**إلى نداء ما فيه الألف واللام**) أي لفظة أيَّ وأيّه الواقعان في النداء أصلهما اسم نكرة موضوعة لبعض من كل أو لفرد

الأجناس ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه (**اسم جنس أو ما يجري مجراه**) يتصف به (**حتى يتضح المقصود بالنداء**). فالذي يعمل فيه «يا (أي)»، أي والتابع له صفته نحو («**يا زيد الظريف**» **إلا أن** «**أيا**») لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة، (**وكلمة التنبيه المقحمة**) بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أي من الإضافة. (**وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة**

من كل ثم تعرّفت بالنداء وتوصل بها النداء ما فيه حرف التعريف لأن يا لا تدخل عليها في غير يا الله إلا شذوذًا. **قوله**: (**اسم جنس**[1]) لأنه الدّال على تعيين الماهيّة. **قوله**: (**أو ما يجري مجراه**) ما يجري مجراه الذي ومثناه ومجموعه ومؤنثها وقد يجري مجراه اسم الإشارة الموصوف بذي اللام نحو يا أيهذا الرجل.

قوله: (**حتى يتضح المقصود بالنداء**) تنبيه على أن ذلك الاسم المُزيل للإبهام هو المقصود بالنداء ولهذا التزم رفعه. **قوله**: (**أيّ**) أي هو أيّ. **قوله**: (**يا زيد الظريف**) في منتهى الأرب في لغات العرب ظريف كأمير زيرك ودانا ظُرَفاء وظُرُف ككُتُب وظراف ككتاب وظَريفون وظروف جمع. انتهى. **قوله**: (**إلا أن أيا**)... الخ إشارة إلى أن وصفه لازم بخلاف يا زيد ويا هذا. **قوله**: (**وكلمة التنبيه المقحمة**) الزائدة... الخ الإقحام إدخال شيء في شيء بشدة وعنف وأشار بذكره إلى أن ما بين الصفة والموصوف ليس موضع تخلّل شيء أجنبي وتخصيص ها التنبيه بذلك للمناسبة بينهما وبين النداء لأن النداء أيضًا تنبيه وإيقاظ للمنادى فصحَّت مؤكدة للنداء.

قوله: (**وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة**) وهي أن يجعل حرف النداء لفظ يا الموضوعة لنداء البعيد وأن يجعل المنادى مُبهمًا موصوفًا باسم جنس كشفًا وبيانًا له وأن يقحم ها التنبيه زيادة إيقاظ للمنادى لاستقلال النداء على هذه الطريقة بأوجه من التأكيد وهو أن اختيار لفظ البعيد في نداء القريب يؤكد الحث على

---

(١) قوله: اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به كالناس والرجل والمرأة والقارىء والكاتب وعمر والعاقل وما أشبه هذا. ١٢ منه.

لأن ما نادى الله به عباده) من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده (أمور عظام وخطوب جسام)، يجب عليهم أن يتيقظوا لها (ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون)، فاقتضت الحال (أن ينادى بالآكد الأبلغ). ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وحدوه. (قال ابن عباس [illegible]: كل عبادة في القرآن فهي توحيد ﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمّون الآلهة أربابًا.

المدعوّ له ويقوّيه وكذلك حرف التنبيه يؤكد معنى حرف النداء وهو تنبيه المنادى وإيقاظه وأن المجيء بأيّ ثم بصفة الموضحة يتضمن أمرين كل واحد منهما يفيد تأكيد المنادى، وتقريره الأول تكرير ذكر المنادى حيث ذكر أوّلًا مبهمًا وثانيًا مُفَصَّلًا والثاني تدرّج الكلام من الإبهام إلى التوضيح ومن الإجمال إلى التفصيل فإنه أكثر تقريرًا للمراد وأثبت له في الذِّهن. قوله: (لأن ما نادى الله به عباده)... الخ تعليل للكثرة. قوله: (أمور عظام) خبر أن (وخطوب) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس. انتهى.

(جسام) في المصباح جسُم الشيء جسامة وزان ضخُم ضخامة وجَسِم جَسَمًا من باب تعب عظم فهو جسيم وجمعه جِسَام. انتهى. قوله: (ويميلوا بقلوبهم إليها) حتى يتهيؤوا لأدائها ولو مع تعب أولًا والشوق والذوق ثانيًا (وهم عنها غافلون) لعل مراده وهم أي العباد برُمَّتهم غافلون عنها لعدم نزولها من قبل هذا النداء، فمعنى الغفلة حينئذ عدم المعرفة وهذا حاصل لجميعهم وإن أُريد بها عدم الإجابة بأسرع الإجابة فلا بدّ من قيد الأكثر كما في تفسير البيضاوي وأكثرهم عنها غافلون. قوله: (أن ينادى بالآكد الأبلغ) وذلك ليستيقظوا عن رقدة غفلتهم ويتنبّهوا لِما نودوا لأجله وهذا المعنى راجع إلى ما ذكره بقوله ثم استعمل في مناداة مَن غفل وسَهَا.

قوله: (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)... الخ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، كُنّي بابنه العباس وهو أكبر أولاده وأُمه لبابة بنت الحارث الهلالية وكان يُقال لابن عباس حَبْر الأمة، والبحر لكثرة علمه دَعا له ﷺ بالحكمة وحنكه بريقه حين ولد وهم في الشعب وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشدّ

....

إليه الرِّحال ويقصد من جميع الأقطار ومشهور في الصحيحين تعظيم عمر بن الخطاب لابن عباس واعتداده به وتقديمه مع حداثة سِنِّه، وعاش بعده ابن عباس نحو سبع وأربعين سنة يُقصَد ويُستَفتى ويُعتَمَد، وهو أحد العبادلة الأربعة ابن عمرو، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وابن الزبير. وكان ابن عباس أحد الستة من الصحابة الذين هم أكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ وهم أبو هريرة ثم ابن عمر ثم جابر وابن عباس وأنس وعائشة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

روينا عن الإمام أحمد بن حنبل قال: ستة من أصحاب رسول الله ﷺ أكثروا الرواية عنه وعمّروا فذكرهم. وابن عباس أكثر الصحابة فتوى يُروَى كذا قاله أحمد بن حنبل وغيره. وقال علي بن المديني: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد له أصحاب يقومون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس. وقال سفيان بن عُيينة: كان الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه. وقال عبد الله بن طاهر: كان الناس أربعة: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه.

وذكر الأزرقي في كتاب مكة بإسناده الصحيح عن ابن جريج قال: كنّا مع عطاء في المسجد الحرام فتذاكر ابن عباس وفضله وكان ابن عبد الله بن عباس وابنه محمد في الطواف فعجبنا من تمام قامتهما وحُسْن وجوههما، فقال عطاء: وأين حُسنهما من حُسْن ابن عباس؟! ما رأيت القمر ليلة أربع عشر إلا ذكرتُ وجه ابن عباس. رُوِيَ لابن عباس عن النبي ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين.

روى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي في باب ما يستدلّ به على معرفته لصحة الحديث عن الشافعي قال: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث، روى عنه ابن عمر وأنس وأبو الطفيل وأبو أمامة بن سهل، وروى عنه خلائق لا يُحصَون من التابعين. وُلِد ابن عباس عام الشعب في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن

عشر وهو ضعيف، وقيل: ابن خمس عشرة ورجّحه أحمد بن حنبل وغيره وثبت في الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: مررت في حجة الوداع على أتان بين يدي الصف والنبي ﷺ يصلّي بالناس بمِنًى وأنا غلام قد ناهزت الاحتلام، وتوفي بالطائف سنة ثمانٍ وستين قاله الواقدي وابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن نمير، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة سبعين. وحكى ابن الأثير قولًا أنه سنة ثلاث وسبعين وضعَّفه وهو غريب ضعيف أو باطل وصلّى عليه محمد ابن الحنفية، وقال: اليوم مات ربّانيّ هذه الأُمة، روينا عن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة ابن عباس فلما وُضِعَ ليُصَلّى عليه جاء طائر أبيض فوقع على أكفانه فدخل فيها فالتُمِس فلم يوجد فلما سوّي عليه التراب سمعنا مَن يسمع صوته ولا يرى شخصه يقرأ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: الآيات ٢٧ - ٣٠].

وروينا نحوه عن سعيد بن جبير في تاريخ دمشق وكان قد كُفَّ بصره في آخر عمره، وكذلك العباس وجدّه عبد المطّلب وكان يخضّب لحيته بالصُّفرة، وقيل: بالحِنَّاء، وحجّ بالناس حين حصر عثمان وكان لموضع الدمع من خدّي ابن عباس أثر لكثرة بكائه واستعمله علي رِضى الله تعالى عنه على البصرة ثم فارقها قبل قتل عليّ وعاد إلى الحجاز وقال عبيد الله بن عبد الله عتبة: ما رأيت أحدًا أعلم من ابن عباس بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ولا أفقه منه ولا أعلم بتفسير القرآن وبالعربية والشعر والحساب والفرائض وكان يحبس يومًا للتأويل ويومًا للفقه ويومًا للمغازي ويومًا للشعر ويومًا لأيام العرب، وما رأيت عالِمًا قطُّ جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلًا سأله إلا وجد عنده علمًا وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ ضم ابن عباس إلى صدره وقال: «**اللّهمّ علّمه الكتاب**»، وفي رواية للبخاري علّمه الحكمة، وفي رواية لمسلم: «**اللّهمّ فقّهه**»، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه، كذا في تهذيب الأسماء وفي تفسير المظهري.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد، فالكفّار مأمورون بإتيانها، والمؤمنون بالثّبات عليها. انتهى.

والخلق إيجاد المعدوم **(على تقدير)** واستواء، **(وعند المعتزلة)**

قوله: **(على تقدير)** وهو تعيين المقدار واستواء عطف تفسير له إذ هو افتعال من المساواة وهي المعادلة المعتبرة بالذراع والوزن والكيل وهو عين تعيين المقدار لكن هذا لا يتناول ما لا مقدار له كالجزء الذي لا يتجزَّى إلا أن يقال هذا بيان أفراده المشهورة على أن إيجاد الجزء الذي لا يتجزّى منفردًا مما يمكن أن يناقش فيه، والمعنى إيجاد الشيء على تقدير مشتملًا على تعيين قُدِّر فيما من شأنه التعيين، كان ذلك التعيين قبل الإيجاد كما هو مقتضى أصل معناه اهـ. قنوي.

قوله: **(وعند المعتزلة)** هم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السُّنَّة وجرى عليه جماعة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في باب العقائد وذلك أن رئيسهم أبا حذيفة واصل بن عطاء اعتزل أي رجع عن مجلس الحسن البصري يقرّر أن مُرتَكِب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين أي بين الإيمان والكفر، فقال الحسن البصري: قد اعتزل واصل بن عطاء عنّا فسُمُّوا المعتزلة، كذا أفاده العلّامة التفتازاني في شرح العقائد النسفية وغيره ﵀ ويتبادر منه أن تسميتهم هذا القول الحسن اعتزل عنّا وقال العلّامة الموصوف في شرح الكشاف قال عبد القاهر البغدادي سُمِّي المعتزلة لأن الحسن طرده عن مجلسه حين قال المنزلة بين المنزلتين فاعتزل عنه إلى سارية من سواري مسجد البصرة وأظهر بدعته فقال الناس: إنه اعتزل الأُمة ونقل عن كتاب الغرر أنه لمّا قال واصل بالمنزلة بين المنزلتين قال عمرو بن عبيد: القول قولك وإني اعتزلت مذهب الحسن فسُمُّوا المعتزلة لذلك كذا في حاشية الفاضل العصام على شرح العقائد وفي كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للعلّامة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان عليه رحمة الله تعالى المنّان وذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة المعتزلي أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مُرتَكِب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأُمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون. انتهى. وأيضًا فيه وكان أبو الخطاب قتادة بن دعامة السَّدوسي البصري تابعيًّا وكان عالِمًا كبيرًا وكان يدور

إيجاد الشيء على تقدير واستواء، وهذا بناء على أن المعدوم

البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد فدخل مسجد البصرة فإذ بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري رضي الله تعالى عنه وحلقوا وارتفعت أصواتهم فأمّهم وهو يظن أنها حلقة الحسن فلما صار معهم عرف أنها ليست هي فقال: إنما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم فمذ يومئذ سُمُّوا المعتزلة. انتهى. وهم أي المعتزلة سمُّوا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي على الله تعالى ونفي الصفات القديمة عنه ثم إنهم توغّلوا في علم الكلام وتشبثوا أي تمسكوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول وشاع مذهبهم فيما بين الناس إلى أن قال الشيخ أبو الحسن الأشعري لأُستاذه أبي علي الجبائي ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مُطيعًا والآخر عاصيًا والثالث صغيرًا؟ فقال الجبائي: إن الأول يُثاب بالجنة، والثاني يعاقَب بالنار، والثالث لا يُعاقَب ولا يُثاب. قال الأشعري: فإن قال الثالث: يا ربّ لِمَ أمَتَّني صغيرًا وما أبقيتني إلى أن أبر فأُومن بك وأُطيعك فأدخل الجنة؟ فقال الجبائي: يقول الرّبّ: إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعَصَيتَ فدخلتَ النار وكان الأصلح لك أن تموت صغيرًا. قال الأشعري: فإن قال الثاني أي العاصي لِمَ لم تُمِتْني صغيرًا لئلا أعصي بك فلا أدخل النار، ماذا يقول الرّبّ؟ فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون فقال لا بل وقف حمار الشيخ في العقبة فبُهِتَ الجبائي، أي سكت وتحيَّر من غير اقتدار على التكلم وترك الأشعري مذهب الجبائي واشتغل هو أي الأشعري ومَن تبعه بإبطال رأي المعتزلة واشتغل أيضًا الشيخ أبو منصور الماتريدي بإبطال رأيهم وإثبات ما ورد به السُّنَّة ومضى عليه الجماعة فسُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة. وقوله: (واصل بن عطاء) هو أبو حذيفة المعتزلي وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول ﷺ، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة. وقوله: (عمرو بن عبيد) هو أبو عثمان وكان شيخ المعتزلة في وقته. وقوله: (أبو الخطاب قتادة بن دعامة السَّدوسي) هذه النسبة إلى سدوس بن شيبان وهي قبيلة كبيرة. توفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط. وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. وقوله: (أبو الحسن الأشعري) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحٰق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي

شيء عندهم لأن الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم،

موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وهو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السُّنَّة وإليه تُنسَب الطائفة الأشعرية وشُهرته تُغني عن الإطالة في تعريفه، وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين فجأة والأشعري بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء هذه النسبة إلى أشعر واسمه نبت بن أدد بن زيد بن يشجب، وإنما قيل له أشعر لأن أُمه ولدته والشعر في بدنه وكان أبو الحسن الأشعري أولًا معتزليًّا ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة رَقِيَ كرسيًّا ونادى بأعلى صوته مَن عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني فأنا أُعرِّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا تراه الأبصار وأن أفعال الشرّ أنا أفعلها وأنا تائب مُقلِع مُعتَقِد للرّدّ على المعتزلة مُخرِج لفضائحهم ومعائبهم.

وقوله: (أبي علي) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمران بن أبان مولى عثمان بن عفّان رضي الله عنه المعروف بالجبائي إمام المعتزلة. وقوله: (الجبائي) بضم الجيم وتشديد الباء الموحّدة هذه النسبة إلى قرية من قرى البصرة. وقيل: إنها كورة وبلد ذات قرى وعمارات من نواحي حوز بغداد. وقوله: (الشيخ أبو منصور الماتريدي) اسمه محمد بن محمد بن محمود كان من كبار العلماء وكان يقال له عَلَم الهدى، وله كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي وكتاب بيان وَهْم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَن سبقه في ذلك الفن، وله كتب شتَّى. مات رحمه الله تعالى سنة ٣٣٣ بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن علي الحنفي ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم ٣٢٣ كذا في الجواهر المضيئة في تاريخ الحنفية للشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفا محمد القرشي المصري الحنفي رحمه الله. وفي مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار الإمام أبو منصور الماتريدي نسبة إلى قرية ماتريد من قرى سمرقند وهو تلميذ أبي نصر العياض تلميذ أبي بكر الجرجاني تلميذ محمد بن الحسن الشيباني من أصحاب

(وعندنا هو اسم للموجود. خلقكم بالإدغام): أو عمرو. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ احتجّ عليهم بأنه خالقهم وخالق مَن قبلهم (لأنهم كانوا مقرّين بذلك) فقيل لهم: إن كنتم مقرّين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا (الأصنام. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا) فتنجوا بسببه من العذاب. (و«لعل» للترجي والإطماع) ولكنه إطماع من كريم فيجري مجرى وعده (المحتوم وفاؤه،

الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. انتهى. **قوله:** (وعندنا) أي عند أهل السُّنَّة والجماعة. **قوله:** (هو) أي شيء (اسم للموجود) ويدلّ على ما ادّعاه أهل السُّنَّة والجماعة قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريَم: الآية ٩] فإنه دليل على أن المعدوم ليس بشيء لأن الله تعالى نفى الشيئية في حال عدمه ولو جاز لَمَا صحّ النفي وقد صحّ. **قوله:** (﴿خَلَقَكُمۡ﴾ بالإدغام) قرأه أبو عمرو بن العلاء بن عمار البصري أحد القرّاء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وهو في النحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان رأسًا في حياة الحسن البصري مقدّمًا في عصره، توفي سنة أربع وخمسين، وقيل: تسع وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وقيل: ست وخمسين ومائة بالكوفة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (لأنهم كانوا مُقِرِّين بذلك) كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: الآية ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: الآية ٢٥]. **قوله:** (الأصنام) في المصباح الصنم يقال هو الوثن المُتَّخَذ من الحجارة أو الخشب. ويُروَى عن ابن عباس ويقال الصَّنم المُتَّخَذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن هو المُتَّخَذ من حجر أو خشب. وقال ابن فارس الصَّنم ما يُتَّخَذ من خشب أو نحاس أو فضة والجمع أصنام. انتهى.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا). . . الخ يعني أن قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ حال من الضمير في اعبدوا. **قوله:** (ولعلّ للترجّي) وهو الطمع في حصول أمر محبوب ممكن الوقوع. **قوله:** (والإطماع) أي الإيقاع في الطمع. **قوله:** (المحتوم[1] وفاءه) في المصباح حتم عليه الأمر حتمًا من باب

---

(١) في لسان العرب: الحتم إحكام الأمر. اهـ. ١٢ منه.

وبه قال سيبويه. وقال قطرب): هو بمعنى «كي» أي لكي تتقوا.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ **(أي صيّر)** ومحل «الذي» **(نصب على المدح**

ضرب أوجبه جزمًا وانحتم الأمر وتحتم وجوبًا لا يمكن إسقاطه وكانت العرب تسمِّي الغراب حاتمًا لأنه يحتم بالفراق على زعمهم أي يُوجِبه بنُعاقه وهو من الطِّيرة ونهي عنه. انتهى. **قوله**: **(وبه قال سيبويه)** هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمهم الله تعالى. **قوله**: **(وقال قطرب)** هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وكان حريصًا على الاشتغال والتعلّم وكان يُبكِّر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة فقال له يومًا ما أنت إلا قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب. وقطرب اسم دُوَيبة لا تزال تدبّ ولا تفتر وهو بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضمّ الراء وبعدها باء موحدة وكان من أئمة عصره وله من التصانيف كتاب معاني القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافي وكتاب النوادر وكتاب الأزمنة وكتاب الفِرَق وكتاب الأصوات وكتاب الصفات وكتاب العِلَل في النحو وكتاب الأضداد وكتاب خلق الفرس وكتاب خلق الإنسان وكتاب غريب الحديث وكتاب الهمزة وكتاب فعل وافعل وكتاب الرّدّ على المُلحِدين في تشابه القرآن وغير ذلك وهو أول مَن وضع المثلث في اللغة وكتابه وإن كان صغيرًا لكن له فضيلة السَّبْق. وتوفي سنة ست ومائتين رحمه الله تعالى ويقال إن اسمه أحمد بن محمد، وقيل: الحسن بن محمد والأول أصحّ والله أعلم بالصواب. والمُستنير بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء كذا في كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف القاضي أحمد الشهير بابن خلكان عليه رحمة الله تعالى المنّان.

قوله: **(أي صيَّر)** أي جعل بمعنى صيَّر فيتعدَّى إلى مفعولين وهما ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ و﴿فِرَٰشًا﴾ ومثله ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾. **قوله**: **(نصب على المدح)** على أنه مفعول محذوف كأنه قيل أعني الذي أو أمدح الذي أو أخصّ الذي جعل لكم الأرض

أو رفع بإضمار هو) ﴿فِرَٰشٗا﴾ بساطًا تقعدون عليها وتنامون **(وتتقلبون)** وهو مفعول ثانٍ لجعل، **(وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كروية**

فراشًا مستقرًا تستقرون عليها استقراركم على البساط المفروش. **قوله: (أو رفع)** على المدح **(بإضمار هو)** أي هو الذي. **قوله: (وتتقلبون)** في لسان العرب تقلب في الأمور وفي البلاد تصرّف فيها كيف شاء. انتهى. **قوله: (وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كروية)**. . . الخ في منتهى الأرب في لغات العرب تسطيح برابر وهموا ركردن ويهن نمودن. وأيضًا فيه كُرَة كثبة كوي أصلها كُرُوكِرْين بضم كاف وكسرها وكَرِي وكُرّى كَهُدّى وكرات جمع. انتهى. وفي غيار اللغات كرة بضم أول وتخفيف راء مهملة بمعنى كَوى كه بدان بازي كنندوهرچيز مدوروگرد كه مثل كوى بأشد. انتهى. وفي المصباح الكرة محذوفة اللام وعُوِّض عنها الهاء والجمع كرات يقال كروت بالكرة كروًا إذا ضربتها لترتفع، النسبة إليها كريّ وكرية على لفظها انتهى. قال الحافظ العلاّمة إسماعيل القنوي رحمه الله كونها مسطحة راجحة لأنها مختار ابن عباس عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم. وظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ [الحجر: الآية ١٩؛ وق: الآية ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: الآية ١٠٧]، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [النازعات: الآية ٣٠] يدل على كونها مسطحة وابن عباس وجمع كثير من أهل العلم أعلم باللسان وأدرى بالبيان فلا جرم أن الميل إليه مقبول لدى أُولي العرفان والكروية قول الفلاسفة. انتهى. وفي تفسير الجلالين في تفسير سورة الغاشية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [الغاشِيَة: الآية ٢٠]، قوله: ﴿سُطِحَتۡ﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠] ظاهر في أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع. انتهى. وفي الحاشية المُسَمَّاة بالفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحنفية للعلاّمة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله قوله: وإن لم ينقض أي ما قاله أهل الهيئة من القواعد التي بيَّنوها ركنًا أي قاعدة فإن ما قالوه لا ينقض من أركان الشرع شيئًا فهي كرة عند علماء الهيئة بطبعها وحقيقتها لكن الله تعالى أخرجها عن طبعها وحقيقتها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها فأخرجها عمّا يقتضيه طبعها. اهـ كرخي. انتهت. وفي حاشية العلاّمة شهاب على تفسير القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى:

إذ الافتراش ممكن) على التقديرين. ﴿وَٱلسَّمَآءَ (بِنَآءً)﴾ سقفًا كقوله تعالى: (﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢]، **وهو مصدر سُمِيَ به المبنى)**. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ (مَآءً)﴾ مطرًا ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ بالماء، نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سببًا في خروجها **(كماء الفحل)** في خلق الولد وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ **(نفوس الأسباب والمواد)**، ولكن

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠] بسطت، قوله: بسطت إما على نفي كرويتها كما عليه أهل الشرع أو هو بحسب ما يراه لعظمها. انتهت. وقال الحافظ العلّامة إسماعيل القنوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠] فيه دليل على أن الأرض مسطحة غير كروية، كما ذهب أهل الشرع ومَن ذهب إلى كرويتها يأول بأنها لعظمها ترى مسطحة فهذا بيان بحسب الحسّ ولا يخفى ضعفه. انتهى. **قوله: (إذ الافتراش ممكن)**... الخ لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها كالسطح(١) في افتراشه.

قوله: (﴿بِنَآءً﴾) البناء مصدر بنيت وإنما قُلِبَت الياء همزة لتطرّفها بعد ألف زائدة. **قوله:** (﴿سَقْفًا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢]) جاء التعبير به في آية أخرى فعبّر عنه هنا بالبناء إشارة إلى إحكامه. **قوله:** (﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢]) في تفسير الجلالين في سورة الأنبياء (وجعلنا السماء سقفًا للأرض) كالسقف للبيت **(محفوظًا)** عن الوقوع. انتهى. **قوله: (وهو)** أي البناء **(مصدر سمي به المبنى)** فإن الفعال بمعنى المفعول كثير ومنه المهاد بمعنى الممهود والبساط بمعنى المبسوط. **قوله: (ماء)** الأصل في مَاءٍ مَوَه لقولهم ماهت الركية تموه وفي الجمع أمواه فلما تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها قُلِبَت ألفًا ثم أبدلوا من الهاء همزة وليس بقياس. **قوله: (كماء الفحل)** في المصباح الفحل الذَّكر من الحيوان جمعه فحول وفحولة وفحال. اهـ.

قوله: (نفوس الأسباب) أي أعيانها وذواتها. **قوله: (والمواد)** في غياث اللغات مواد بفتح ميم وتشديد دال مگرفا رسيان بتخفيف خوانند جمع مادة كه بمعنى أصل هرچيزاست. انتهى باختصار.

---

(١) في إمكان الاستقرار عليه. ١٢ منه.

(له) في إنشاء الأشياء **(مدرجًا)** لها من حال إلى حال وناقلًا من مرتبة إلى مرتبة، **(حكمًا وعبرًا للنظار)** بعيون **(الاستبصار)**. و«من» في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض أو للبيان ﴿رِزْقًا﴾ مفعول **(له)** إن كانت «من» **(للتبعيض)**، ومفعول به لـ «أخرج» إن كانت **(للبيان. وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار)** وإن كان الثمر المخرج بماء

قوله: **(له)** خبر لقوله حكمًا قدِّم عليه. **قوله**: **(مُدَرِّجًا)** بكسر الراء على صيغة اسم الفاعل من التدريج حال من فاعل إنشاء الأشياء. **قوله**: **(حكمًا)** اسم لكن في غياث اللغات حكم بكسر الأول وفتح ثاني بمعنى حكمتها درينصورت جمع حكمت است. انتهى باختصار.

قوله: **(وعِبَرًا)** جمع عبرة وهي كالموعظة مما يتَّعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره والعبرة الاعتبار بما مضى وقيل العبرة الاسم من الاعتبار الفراء العَبَر الاعتبار قال والعرب تقول: اللَّهمَّ اجعلنا ممَّن يَعْبَرُ الدنيا ولا يعبُرُها أي ممَّن يَعتَبِر بها ولا يموت سريعًا حتى يُرْضِيَك بالطاعة. كذا في لسان العرب. **قوله**: **(للنُظّار)** بالضم جمع ناظر. في القاموس نظره كنَصَره وسَمِعه وإليه نَظَرًا تأمّله بعينه. اهـ. باختصار، وأيضًا فيه النَّظَر مُحَرَّكة الفكر في الشيء تُقَدِّرُه وتُقَيِّسُه. انتهى. وفي لسان العرب النظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني. انتهى. **قوله**: **(الاستبصار)** في المصباح الاستبصار بمعنى البصيرة. انتهى. **قوله**: **(للتبعيض)** لأن المُنكِرين أعني ﴿مَآءً﴾ و﴿رِزْقًا﴾ يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل: وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وعليه المعنى لأنه لم ينزل الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات. **قوله**: **(للبيان)** وحينئذ يكون اللام في ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للجنس دون الاستغراق.

قوله: **(وإنما قيل: الثمرات[1] دون الثمر والثمار)**... الخ جواب عمّا يقال إن لفظ الثمرات لكونه جمع السلامة من صيغ جمع القلّة كأفعل وأفعال وأفعلة،

---

(١) يعني أن الثمرات جمع الثمرة التي يراد بها الكثرة بناء على أن التاء للوحدة النوعية، فيتناول إفراد كثيرًا، فإنها إذا تلاحقت واجتمعت يطلق عليها الثمرة بناء على الوحدة النوعية الحاوية أفرادًا كثيرة، فالثمرات جمع الأنواع لا الأشخاص، فحينئذ يدلّ من الكثيرة ما لا يدل عليه=

السماء كثيرًا، لأن المراد جماعة الثمرة، ولأن الجموع **(يتعاور بعضها موقع بعض**

الحال أن الموضع موضع جمع الكثرة مثل الثمر والثمار لكثرة الثمار المُخرجة بماء السماء وجمع القلّة موضوع لأن يطلق على العشرة وما دونها، وجمع الكثرة لا يطلق بالحقيقة إلا على ما فوق العشرة وأجاب عنه بوجهين: الأول أن الثمرات جمع الثمرة الذي يستعمل بمعنى جماعة من أنواع الثمار وأصنافها وأجناسها فالثمرات مشتملة على إفراد كلٍّ منها ثمار فإذن يفيد الثمرات ما لا يفيده الثمار ولا أقل من أن يساويه وإن كانت جمع قلة. والوجه الثاني من الجواب أن الثمرات جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة كجنات في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدّخَان: الآية ٢٥] فإنه جمع قلّة استعمل في معنى جمع الكثرة إذ المراد الكثرة لأن كم للتكثير ولأن العيون لكونها جمع الكثرة تقتضيها وكلفظ قروء في قوله تعالى: ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨] فإنه جمع كثرة وهو ظاهر وقد وقع في موضع جمع القلة أي وقع موقع أقراء مجازًا مع وجود أقراء لأن مميز الثلاثة لا يكون إلا جمع قلة والنكتة فيه أن الثلاثة من القرء سواء بمعنى الحيض كما هو مذهبنا أو بمعنى الطهر كما هو مذهب الشافعي ﵀ لاشتمالها على أزمنة متطاولة لا سيما الطهر في حكم الكثير ولأنه في شأن المطلقات فالمدّة القليلة بالنسبة إليهنَّ فإن أيام الهموم طوال.

قوله: (**يتعاور**) ويستعمل (**بعضها موقع بعض**) التعاور من قولهم تعاور القوم كذا واعتوروه إذا تداولوه فأخذه مرّة هذا وتارة أخرى ذاك والمراد هنا أنه يقع كل منهما موقع الآخر أي يُستَعار أحدهما للآخر مع وجود ذلك الآخر فيكون جمع القلة للكثرة وجمع الكثرة للقلة والعلاقة التقابل فإن بين القليل والكثير تضايفًا هذا إذا كانا منكرين وأما إذا كانا معرِفَتين فلا مجاز. قيل: وهذا إذا لم يكن للَّفظ إلا جمعًا واحدًا ظاهر، وظاهر كلامهم فيه أنه حقيقة، وأما إذا كان له جمعان أو جموع فلا يقع أحدهما موقع الآخر منكرًا إلا مجازًا والداعي إلى المجاز هنا التنبيه على أن الخارج لكم وإن كان في نفسه كثيرًا لكنه بالنسبة إلى مقدرة الله تعالى قليل، وما أورد بلفظ جمع الكثرة كالثمار بالنظر إلى نفسه.

= الثمار. ١٢ منه عُفِي عنه.

لالتقائهما في الجمعية). ﴿لَكُمْ﴾ **(صفة جارية على الرزق إن أريد به العين، وإن جعل اسمًا للمعنى)** فهو مفعول به كأنه قيل رزقًا وإياكم. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ **(هو متعلق بالأمر)** أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادًا لأن أصل العبادة **(وأساسها)** التوحيد، وأن لا يجعل له ندّ ولا شريك، ويجوز أن يكون «الذي» رفعًا على الابتداء **(وخبره «فلا تجعلوا»)**. **ودخول الفاء)** لأن الكلام يتضمن الجزاء **(أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة)** والدلائل النيّرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء. المثل **(والندّ ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي)**، ومعنى

قوله: (لالتقائهما) واشتراكهما **(في)** معنى **(الجمعية)** وإن تفاوتا في القلة والكثرة. **قوله: (صفة جارية على الرزق إن أُريد به العين)** بمعنى المرزوق فيكون رزقًا مفعولًا به لـ ﴿أخرج﴾ ويكون لكم ظرفًا مستقرًا صفة له ويكون قوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ حالًا منه والمعنى أخرج مرزوقًا كائنًا لكم هو الثمرات فلما قدّم على المبين انتصب حالًا. **قوله: (وأن ﴿جعل﴾ اسمًا للمعنى)**... الخ أي إذا أُريد بالرزق المصدر كانت الكاف في لكم مفعولًا به واللام لتقوية العمل لتعدّي المصدر إليه لكونه عامِلًا ضعيفًا، وإليه أشار بقوله: ﴿رزقًا﴾ إياكم فحذف اللام وفصل الضمير تنبيهًا على زيادتها ومفعوليته وح يكون ﴿من الثمرات﴾ مفعولًا به لا على أن من اسم بمعنى بعض كما قيل بل على أن تقديره شيئًا من الثمرات، وما يقال من أن معناه فأخرج بعض الثمرات فهو حاصل المعنى ويكون رزقًا بمعناه المصدري مفعولًا له ولكم ظرفًا لغوًا مفعولًا به لـ ﴿رزقًا﴾ أي أخرج بعض الثمرات لأجل أن يرزقكم. **قوله: (وهو متعلق بالأمر)** المراد بالتعلّق التعلّق المعنوي كالعطف وغيره فهو مجرد ارتباط عنهما. **قوله: (وأساسها)** في المصباح أس الحائط بالضم أصله وجمعه أساس مثل قفل وأقفال وربما قيل أَسَاس مثل عُسّ وعِسَاس والأساس مثله وجمعه أُسُسٌ مثل عَنَاق وعُنُق. انتهى. **قوله: (وخبره ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾)** على تأويل مفعول فيه لا تجعلوا. **قوله: (ودخول الفاء)**... الخ عبارة تفسير القاضي البيضاوي والفاء للسببية أُدخِلَت عليه لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. انتهت. **قوله: (أي الذي حفَّكم بهذه الآيات العظيمة)** أي جعلكم مُحاطين بها من قولهم حفّوا حوله، أي أحاطوا به، وحفّه بالشيء أي أحاطه. **قوله: (والندّ ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي)** بضم

قولهم: (ليس لله ندّ ولا ضد نفي ما يسدّ مسدّه ونفي ما ينافيه ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) أنها لا تخلق شيئًا ولا ترزق والله الخالق الرازق، (أو مفعول «تعلمون») متروك (أي وأنتم من أهل العلم). وجعل الأصنام لله أندادًا غاية الجهل، والجملة حال من الضمير في «فلا تجعلوا».

ولما احتجّ عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك ـ لخلقهم أحياء قادرين وخلق الأرض التي هي (مثواهم) ومستقرهم، وخلق السماء التي هي (كالقبة

الميم وكسر الواو اسم فاعل من ناواه ومعناه المعادي وأصله من النوى وهو البُعد فكنّى به أو تجوّز عن المعاداة لأن العدو يتباعد عن عدوّه ويهوى بعده ومفارقته ولما فسّر أهل اللغة الندّ بالمثل كما قاله ابن فضالة وفسّره أبو عبيد بالضدّ حتى جعله بعضهم من الأضداد. أشار المصنِّف رحمه الله إلى اتحادهما وأنه مثل مخصوص فمنهم مَن أطلق ومنهم مَن قيّد. **قوله**: (ليس لله ندّ ولا ضدّ) فيه لف.

وقوله: (ند ولا ضد) في المصباح النِدّ بالكسر المثل والنديد مثله ولا يكون الند إلا مخالفًا والجمع أنداد مثل حمل وأحمال. وأيضًا فيه الضدّ هو النظير والكفؤ والجمع أضداد. قال أبو عمرو: الضد مثل الشيء، والضد خلافه. انتهى. **قوله**: (نفي ما يسُدُّ مَسَدَّه ونفي ما يُنافيه) فيه نشر. **وقوله**: (ما يسدّ مسدّه) وهو الند. **وقوله**: (ما ينافيه) وهو الضد. **وقوله**: (يَسُدَّ مَسَدَّه) أي يقوم مقامه في محيط المحيط سَدّ مسدّه أي قام مقامه. اهـ. وفي تاج العروس عن جواهر القاموس من المجاز هو يسدّ مسدّ أبيه ويسدّون مسدَّ أسلافهم. انتهى. **قوله**: (﴿وَأَنتُمْ﴾) الاسم من ﴿وَأَنتُمْ﴾ الألف والنون والتاء للخطاب لا موضع لها من الإعراب والميم للجمع. **قوله**: (أو مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾) متروك بالكلية بحيث لا يكون مقدّرًا ولا منويًا بأن لا يقصد تعلق الفعل به أصلًا بل ينزل منزلة اللازم ويقصد مجرّد قيامه بالفاعل واتّصافه به إيهامًا للمبالغة في ذلك الاتّصاف ولهذا قال: (أي وأنتم من أهل العلم)، وأهل العلم أصحابه من قام به والأهل في غير هذا يكون بمعنى المستحق.

قوله: (مثواهم) في المصباح المثوى بفتح الميم والعين المنزل، والجمع المثاوي بكسر الواو. انتهى. قوله (كالقبة) القبة هي المستديرة من الخيام. **قوله**: (المضروبة) في المصباح ضربت الخيمة نصبتها. انتهى.

المضروبة والخيمة المطنبة) على هذا القرار وما سوّاه عزّ وجلّ من شبه عقد النكاح **(بين المقلة والمظلة)** بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه **(النسل)** من الثمار رزقًا لبني آدم، فهذا كله دليل موصل إلى التوحيد مبطل للإشراك، لأن شيئًا من المخلوقات لا يقدر على إيجاد شيء منها، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوّة محمد ﷺ وما يقرر إعجاز القرآن فقال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

(﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ «ما» **نكرة موصوفة أو بمعنى الذي)** ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد عليه السلام، والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء، والمملوك موجود

قوله: (والخيمة المطنبة) في لسان العرب خباء مُطَنَّب ورِواق مُطَنَّبٌ أي مشدودة بالأطناب. انتهى. والأطناب جمع طنب بفتحتين وسكون الثانية لغة الحبل تُشَدّ به الخيمة، ونحوها مثل عنق وأعناق كذا في المصباح. **قوله:** (بين المقلة) بزنة اسم الفاعل من أقله إذا حمله هي الأرض لأنهم عليها وهي تحملهم. **وقوله:** **(والمظلة)** بزنته من قوله أظلّه إذا جعل عليه ظلّة والمراد بها السماء. **قوله:** **(النسل)** في المصباح النسل الولد. انتهى.

قوله: (﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾) ﴿إن﴾ حرف جزم ومعناه المُجازاة كقولك: إن تقم أَقُمْ، فَتَقُم مجزوم على أنه شرط بأن وأقم مجزوم بأنه جزاء فإن دخل على فَعَلَ قلب معناه إلى يفعل كما قلب لم معنى يفعل إلى فعل وأصل كنتم كونْتُم به منقول من فعَل إلى فعُل لأن الفاء منه مضموم وكان قبل اتصال التاء به مفتوحًا نحو كان فعلمنا أن الضمة ليست حركة الفاء وأنها حادثة فيها أو منقولة إليها من العين فلا معنى لأن تكون حادثة لأن الفعل يُضَمّ فاؤه إذا بُنِي للمفعول به نحو ضُرِبْتَ و﴿كُنتُمْ﴾ مبني للفاعل كما ترى وإذا بطل أن تكون حادثة على نفس الفاء كائنة له علمتَ أنها منقولة من العين وفيه كلام لا يليق ذكره هنا ثم نقلت حركة العين إلى الفاء فسكنت العين واللام بعدها ساكنة لاتصالها بالفاعل فحذفت العين لالتقاء الساكنين وبقيت الضمة في الفاء تدل عليها فاعرفه وقس عليه ما كان من الأفعال معتلّ العين من ذوات الواو في ريب في محل النصب بخبر كان متعلق

قهر بالاستيلاء. وقيل: نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول **(على سبيل التدريج والتنجيم وهو من محازّه لمكان التحدّي)** وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا

بمحذوف وكذلك كل ما وقع من الظروف خبرًا لكان وأخواتها ولأن وأخواتها أو مفعولًا لظننت وأخواتها نحو كان زيد في الدار، وإن زيدًا في الدار، وظننت زيدًا في الدار، فإنه يتعلق أبدًا بمحذوف فاعرفه فإنه أصل يُعتَمَد عليه.

قوله: **(ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي)** والعائد على كِلا القولين محذوف أي نزلناه. **قوله:** (**على سبيل التدريج**)، التدريج بمعنى الإتيان بالشيء قليلًا قليلًا. **قوله:** **(والتنجيم)** النزول قطعة قطعة آية أو آيتين. النجم في الأصل اسم للكوكب، ولما كانت العرب تُوَقِّت بطلوع النجوم لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب وإنما يحفظون أوقات السنة بالأنواع سمُّوا الوقت الذي يحلّ فيه الأداء نجمًا تجوّزًا ثم توسّعوا حتى سمّوا الوظيفة لوقوعها في الوقت الذي يطلع فيه النجم واشتقوا منه نجّمت الشيء إذا وزّعته وفرّقته، ومنه ما نحن فيه.

قوله: (وهو) أي التنزيل. **قوله:** (من **محازه**) أي من محاله جمع محز من قولهم أصاب المحز كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشية الكشاف وفي شرح القاموس المسمَّى تاج العروس من جواهر القاموس للإمام اللغوي محبّ الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزيل المصر المعزبة رحمه الله تعالى في فصل الحاء المهملة مع الزاء المحز موضع الحز أي القطع. ومنه قولهم قطع فأصاب المحز. انتهى.

قوله: **(لمكان التحدّي)** في منتهى الأرب في لغات العرب تحدّى برابري كردن دركاري وپيش خواندن خصم راو غلبه جستن. يقال تحدّيت فلانًا أي بَارَيْتُه في فعلٍ ونَازَعْتُه الغلبة. انتهى. أي هذا المقام من المواقع المناسبة لاعتبار النزول التدريجي واستعمال لفظ التنزيل لأن ذلك كان أحد أسباب طعنهم وارتيابهم في القرآن. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]، فقيل لهم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ على التدريج منجمًا مفصّلًا إلى السور والآيات ﴿فَأْتُواْ﴾ أنتم بسورة من سوره ونجم من نجومه فإنه أسهل من أن ينزل القرآن جملة واحدة ويتحدّى بها.

(من عند الله) لم ينزل (هكذا نجومًا سورة بعد سورة) وآيات (غبّ) آيات (على حسب النوازل وعلى سنن) ما نرى عليه (أهل الخطابة) والشعر من وجود ما يوجد منهم (مفرقًا حينًا فحينًا، شيئًا فشيئًا لا يلقي الناظم ديوان شعره) دفعة، ولا يرمي

قوله: (من عند الله) خبر كان. **قوله**: (هكذا) حال من فاعل لم ينزل. **قوله**: (نجومًا) بدل من الحال. **قوله**: (سورة بعد سورة) وما عطف عليه بيان لنجومًا. **قوله**: (غِبّ) بالكسر بمعنى بعد في محيط المحيط بعض كتّاب المولّدين يستعمل الغِبّ بمعنى بعد. انتهى. **قوله**: (على حسب) متعلق بمعنى نجومًا أي مفرّقًا منجمًا على حسب النوازل بالفتح أي على قدرها وعددها. **وقوله**: (النوازل) جمع النازلة في لسان العرب النازلة الشديدة تنزل بالقوم وجمعها النوازل «المحكم» والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس نسأل الله العافية. انتهى. **قوله**: (وعلى سَنَن) عطف على حسب والسَّنَنُ هو الطريق. **قوله**: (أهل الخطابة) في لسان العرب خطب الخاطِب على المنبر واختطب يخطب خطابة. انتهى. **قوله**: (مفرّقًا) حال من الموصول أعني ما يوجد والعامل فيها المصدر. **قوله**: (حينًا فحينًا) أي موزّعًا على الأحيان. **وقوله**: (شيئًا فشيئًا) أي متفرّق الأجزاء والثاني عطف على الأول وكلاهما معًا بيان لمفرّقًا. **قوله**: (لا يلقى الناظم) تأكيد وتقرير لقوله من وجود ما يوجد منهم إلى آخره. **قوله**: (ديوان) أصله دِوَّان فعُوِّض[1] من إحدى الواوين ياء لأنه يجمع على دواوين ولو كانت الياء أصلية لقالوا دياوين وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء وأول مَن دوَّن الديوان عمر رضي الله تعالى عنه وهو فارسي مُعرَّب. انتهى لسان العرب بالتقاط. وفي غياث اللغات ديوان بالكسر معرب ديوان كه بياء مجهول است بمعنى جاي جمع شدن مردم ومجازًا بمعنى دفتر محاسبة وكچهري وبمعنى دار العدالت ومكان نشتن ملوك وأمرا وصاحب دار العدالت وصاحب مسند وبمعنى داد وفرياد وما جرا وبمعنى كتاب غزلها. انتهى.

قوله: (شعره) في المصباح الشعر العربي هو النظم الموزون وحده ما تركّب تركّبًا متعاضدًا وكان مُقَفًّى موزونًا مقصودًا به ذلك فما خلا من هذه القيود أو من

---

(١) قوله: فعوّض للتخفيف. ١٢ منه عُفِي عنه.

الناثر (**بخطبه ضربة**)، **فلو** أنزله الله لأنزله جملة قال الله تعالى: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]، **فقيل**:) إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على تدريج (﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾) أي (**فهاتوا**) أنتم (**نوبة**) واحدة من

بعضها فلا يسمى شعرًا ولا يسمى قائله شاعرًا ولهذا ما ورد في الكتاب أو السُّنَّة موزونًا فليس بشعر لعدم القصد أو التقفية. وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد لأنه مأخوذ من شعَرْتُ إذا فَطِنْتُ وعلمت وسُمِّي شاعر الفطنة وعلمه به فإذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به. انتهى. **قوله**: (**بخطبه**) في لسان العرب الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب. انتهى. وأيضًا فيه وذهب أبو إسحٰق إلى أن الخطبة عند العرب الكلام المنثور المُسَجَّع ونحوه. انتهى. وأيضًا فيه والخطبة مثل الرسالة لها أول وآخر. انتهى. **قوله**: (ضربة) أي دفعة. **قوله**: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]) هَلَّا (﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢])، كالتوراة والإنجيل والزبور. **قوله**: (**فقيل**) عطف على كانوا يقولون. **قوله**: (﴿فَأْتُوا۟﴾) أصل ﴿فَأْتُوا۟﴾ ائتيوا مثل اضربوا فالهمزة الأولى همزة وصل أتى بها للابتداء بها لتعذّر الابتداء بالساكن والثانية فاء الكلمة قُلِبَت الثانية ياء لكسرة ما قبلها دفعًا لثقل المتكرَّر واستثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة فنقلت إلى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم حذفت لاجتماع الساكنين فصار ائتوا فلما اتصلت الكلمة بالفاء الجزائية استغني عن همزة الوصل فسقطت كما هو الأصل في همزات الوصل فعادت الهمزة التي هي فاء الكلمة لأنها إنما قُلِبَت ياء للكسرة التي كانت قبلها وقد زالت. وفي الجمالين قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟﴾ الأمر للتعجيز. انتهى. **قوله**: (فهاتوا[1]) في لسان العرب هات يا رجل بكسر التاء أي أعطني وللاثنين هاتيا مثل آتيا وللجمع هاتوا وللمرأة هاتي بالياء وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاتين. انتهى. وأيضًا فيه قال الخليل: أصل هاتِ من أتى يؤتى فقُلِبَت الألف هاء. انتهى. **قوله**: (نوبة) والجمع نُوَب مثل قرية وقرى كذا في المصباح وفي غياث اللغات نوبت بالفتح وقت چيزى وبمعنى مصيبت وكرت ومرتبه ازمنتحب. انتهى.

---

(١) قوله: فهاتوا، هات الشيء أعطني. ١٢ منه عُفِي عنه.

نوبه، **(وهلموا)** نجمًا فردًا من نجومه سورة من أصغر السور. **(والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات. وواوها)** إن كانت أصلًا فإما أن تسمى بسورة المدينة وهو حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة **(محوزة)** على **(حيالها)**

قوله: (وهلمّوا[(١)]**)** في المصباح هلمّ كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال تعال. قال الخليل: أصله لُمَّ من الضم والجمع ومنه لَمَّ الله شَعَثَه وكأنّ المنادى أراد لمّ نفسَك إلينا وها للتنبيه وحذفت الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال وجعلا اسمًا واحدًا وقيل أصلهما هَلْ أُمَّ أي قصد فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت ثم جُعِلا كلمة واحدة للدعاء وأهل الحجاز ينادون بها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨] وفي لغة نجد تلحقها الضمائر وتطابق فيقال هَلُمّي وهَلُمَّا وهَلُمُّوا وهَلْممن لأنهم يجعلونها فعلًا فيلحقونها الضمائر كما يلحقونها قم وقوما وقوموا وقمْنَ وقال أبو زيد استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عقيل وعليه قيس بعد وإلحاق الضمائر من لغة بني تميم وعليه أكثر العرب وتستعمل لازمة نحو: هلمَّ إلينا أي أقبِل ومتعدية نحو: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٠]، أي أحضروهم. انتهى.

قوله: (والسورة الطائفة من القرآن) الطائفة من الناس جماعة ومن الشيء قطعة وهذا هو المراد يريد تفسير سورة القرآن وإلا فلفظ السورة يطلق على الطائفة من سائر الكتب السماوية كما رُوِيَ أن من سور الإنجيل سورة الأمثال ورُوِيَ أيضًا أن سائر ما أوحى الله تعالى إلى أنبيائه سورة مترجمة **(المترجمة)** الترجمة تكون بمعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى والناقل ترجمان بفتح الجيم أو بضمّها وبمعنى مطلق التبليغ وبمعنى التسمية وهو المراد هنا أي المسماة والملقبة باسم مخصوص كسورة الفاتحة وسورة الإخلاص **(التي أقلها ثلاث آيات)** المراد به أن جنس تلك الطائفة المسماة بالسورة متفاوت **(قلة وكثرة)** في أفرادها وغاية قلتها ثلاث آيات. **قوله: (وواوها)** أي واو السورة. **قوله: (محوزة)** أي مجتمعة على **(حيالها)** أي انفرادها عن غيرها والحاصل أنها مستقلة

---

(١) قوله: وهلموا، هلمّ زيد، أي قربه وأحضره. ١٢ منه.

كالبلد المسور، أو لأنها (**محتوية على فنون من العلم**) وأجناس من الفوائد (**كاحتواء سور المدينة على ما فيها**)، وإما أن تُسمى بالسورة (**التي هي الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقّى فيها القارىء، وهي أيضًا في نفسها مرتبة**

ممتازة بحيِّز يخصّها. **قوله**: (**محتوية**) گرد اگرد گيرنده ومحيط شونده في منتهى الأرب احْتَوَاهُ واحتوى عليه كردكردن آنراوفراگرفت ازهرسوي وفرازآمدبروي. انتهى.

وقوله: (**على فنون**) أي أنواع (**من العلم**) نوع منه متعلق بالاعتقاد ونوع آخر بالعمليات ونوع آخر بالأخلاق وبالقصص والأمثال في المصباح الفن من الشيء النوع منه والجمع فنون مثل فلس وفلوس. اهـ. **قوله**: (**كاحتواء سور المدينة على ما فيها**) إشارة إلى وجه الشبه وهو الاحتواء المشترك بينهما وإن لم يكن بين المحتويين مناسبة. **قوله**: (**التي هي الرتبة**) في المصباح رتّب الشيء رتوبًا من باب قعد استقر ودام فهو راتب ومنه الرتبة وهي المنزلة والمكانة والجمع رتب مثلا غرفة وغرف. انتهى.

قوله: (**لأن السور**) بفتح الواو وجمع سورة مثل غرفة وغرف (**بمنزلة المنازل والمراتب يترقّى فيها القارىء**) تعليل لقوله وأما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة وبيان وجه المشابهة أي أن سورة القرآن كالمنازل المرتبة في العلو لكن لا في أنفسها بالنسبة إلى القارىء فإن القارىء يترقّى فيها بالقراءة فيترقّى من سورة إلى سورة، فالرتبة حسِّيَّة أو يترقّى من ظاهرها إلى باطنها ومن نكتة إلى نكتة أخرى أكبر من أختها بتصفية الباطن وتحصيل الحدّ المُطّلع فالرتبة معنوية وهذا ممكن في المنازل فإن السالك في قطع المنازل كلما ترقّى من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها حِسًّا ترقى العارف حين سيره حِسًّا من مرتبة العرفان إلى مرتبة أخرى بمشاهدة آثار القدرة وأسرار العناية ومائدة الهداية ويستوي لديه البداية والنهاية فإن أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين فيما يعنّ له في كل حين ويؤيده ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: الآية ١٠] من أن المراد هاديًا يهديني إلى أبواب الدين. **قوله**: (**وهي أيضًا في نفسها**) مع قطع النظر عن القارىء (مرتبة) (طوال وأوساط وقصار) **لأنها** في أنفسها منفصلة بعضها عن بعض متفاوتة في الطول والقصر والتوسط والفضل

طوال وأوساط وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين. وإن كانت) منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء. وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا فهي كثيرة، ولذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السورة، وبوّب المصنّفون في كل فن كتبهم أبوابًا (**موشحة**) الصدور بالتراجم. منها **(إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع**

والشرف والثواب فالرتبة ح حسِّيَّة ومتفاوتة أيضًا في الشرف والفضل باعتبار اشتماله التوحيد والعرفان وبيان صفاته العُلى كما ورد أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فلكل شرف وفضل بالنسبة إلى غيره واشتماله الفصاحة والبلاغة والإعجاز بعذوبة نظمه وجزالة معانيه لكن لبعض منه شرف وفضل بأكثرية الثواب على بعض منه بالاعتبار المذكور فلا محذوف فعلى هذا الرتبة معنوية. **وقوله:** (**طوال**) بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام والطوال بالضم الرجل الطويل وبالفتح المرأة الطويلة.

وقوله: (**وأوساط**) جمع وسط بفتح السين ما بين القصار والطوال. **وقوله:** (**وقصار**) بكسر القاف جمع قصيرة. **قوله:** (**أو لرِفعَة شأنها وجلالة محلها في الدين**) قال العلّامة السيد الشريف رحمه الله في حاشية الكشاف: ثم إن الرتبة إن جعلت حسِّيَّة فلأن السور كمنازل يترقّى فيها القارىء ويقف عند بعضها أو لأنها في أنفسها منازل منفصلة بعضها من بعض متفاوتة في الطول والقصر والتوسط وإن جعلت معنوية فليتفاوت رفع شأنها وجلالة محلها في الدين كأن واحدة منها رتبة من تلك المراتب. **قوله:** (**وإن كانت**) أي واو السورة. **قوله:** (**موشحة**)[1] بضم ميم وفتح واو وفتح شين معجمة مشددة وحاء مهملة زيورداده شده وآراسته صيغة اسم مفعول ازتوشيح وتوشيح درلغت وشاح درگردن انداختن است ووشاح بضم وكسر حمائل وگلوبند مرصع راگوبندكه نوعي اززيور زنان است كذا في غياث اللغات.

قوله: (**إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع**) في كتاب الكليات للعلّامة أبي البقاء الحسيني الكفوي الحنفي رحمه الله الجنس هو عبارة عن لفظ يتناول كثيرًا ولا

---

(١) أي: مزينة. ١٢ منه.

واشتمل) على أصناف كانٍ أحسن من أن يكون (بيانًا واحدًا)، ومنها أن القارىء

تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير كالجسم وإن تناول اللفظ كثيرًا على وجه تتم ماهيّته بفرد منه يسمى نوعًا كالإنسان ثم هذا الفرد الذي تتم به ماهية النوع يسمى فصلًا وهذا عند المتكلمين والمناطقة. انتهى. وأيضًا فيه والجنس الخاص ما يشتمل على كثيرين متفاوتين في أحكام الشرع كالإنسان والنوع الخاص هو ما يشتمل على كثيرين متفقين في الحكم كالرجل والعين الخاص هو ما له معنى واحد حقيقة كزيد والجنس العالي هو الذي تحته جنس وليس فوقه جنس كالجوهر على القول بجنسيته والجنس السافل هو الذي فوقه جنس وليس تحته جنس كالحيوان لأنه الذي تحته أنواع الأجناس والجنس المتوسط هو الذي فوقه جنس وتحته جنس كالجسم النامي والجنس المنفرد هو الذي ليس فوقه جنس ولا تحته جنس. قالوا: لم يوجد له مثال. انتهى. وأيضًا فيه والجنس ضرب من الشيء والنوع أخصّ منه يقال تنوّع الشيء أنواعًا فالإبل جنس من البهائم وعند الأصولي الجنس أخصّ من النوع. والنوع في عُرْف الشرع قد يكون نوعًا منطقيًا كالفرس وقد لا يكون كالرجل فإن الشرع يجعل الرجل والمرأة نوعين مختلفين نظرًا إلى اختصاص الرجل بالأحكام. والجنس عند النحويين والفقهاء هو اللفظ العامّ فكل لفظ عمّ شيئين فصاعدًا فهو جنس لما تحته سواء اختلف نوعه أو لم يختلف، وعند آخرين لا يكون جنسًا حتى يختلف بالنوع نحو الحيوان فإنه جنس للإنسان والفرس والطائر ونحو ذلك فالعامّ جنس وما تحته نوع وقد يكون جنسًا لأنواع ونوعًا لجنس كالحيوان فإنه نوع بالنسبة إلى الجسم وجنس بالنسبة إلى الإنسان والفرس، والجزء المحمول إن كان تمام المشترك لحقيقتين فهو الجنس وإلا فهو الفصل، والفصل قد يكون خاصًا بالجنس كالحسّاس للنامي مثلًا فإنه لا يوجد لغيره وقد لا يكون كالناطق للحيوان عند مَن يجعله مقولًا غير الحيوان كبعض الملائكة مثلًا. والجنس فيه معنى الجمع لكونه معروض الكثرة ذِهنًا أو خارجًا وكذا الجمع فيه معنى الجنس لأن كل فرد منه يتضمنه لكن الجنس ما يمكن أن يكون معروض الوحدة والكثرة وأما في الجمع ليس كذلك والجنس الجمعي إذا زِيدَ عليه التاء نقص معناه كتمر وتمرة وكل جمع جنس وليس كل جنس جمعًا. انتهى. **قوله**: (واشتمل) أي الجنس على أصناف مندرجة تحت أنواعه المنطوية فيه. **قوله**: (بيانًا واحدًا) أي ضربًا واحدًا.

إذا ختم سورة أو بابًا من الكتاب ثم أخذ في آخر (كان أنشط) له (**وأبعث على الدرس والتحصيل منه**) لو استمر على الكتاب بطوله، ومن ثم (جزّأ) القراء القرآن أسباعًا وأجزاء (**وعشورًا وأخماسًا**)، ومنها أن الحافظ إذا (**حذق السورة**) اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه (**ويجلّ**) في نفسه، (**ومنه حديث أنس** رضي الله عنه) كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران

قوله: (**كان أنشط وأبعث على الدرس والتحصيل منه**)... الخ الظاهر أن ضمير كان ومنه للقارىء أي كان القارىء على تقدير الختم ثم الأخذ أشدّ تنشيطًا لنفسه منه على تقدير الاستمرار على تمام الكتاب من غير ختم لشيء ثم أخذٍ في شيء أو أشد نشاطًا للآخر والأخذ فيه. **قوله**: (جزأ) في المصباح جزأته تجزيئًا جعلته أجزاء متميزة فتجزأ تجزئة وجزأته من باب نفع لغة. انتهى. الفراء في المصباح الفاعل قارىء وقرأة وقُرّاء وقارئون مثل كافر وكفرة وكفار وكافرون. انتهى. أسباعًا في المصباح السبع بضمتين والإسكان تخفيف جزء من سبعة أجزاء والجمع أسباع. انتهى. وأجزاء في المصباح الجزء من الشيء الطائفة منه والجمع أجزاء مثل قفل وأقفال. انتهى. (**وعشورًا**) في لسان العرب العُشُر والعشير جزء من عشرةٍ يطَّرِد هذان النبئان في جميع الكسور والجمع، أعشار وعشور وهو المعشار. انتهى. (**وأخماسًا**) في المصباح الخمس بضمتين وإسكان الثاني لغة. والخميس مثال كريم لغة ثالثة هو جزء من خمسة أجزاء والجمع أخماس. انتهى. **قوله**: (**حذق**[1] **السورة**) بزنة ضرب بحاء مهملة وذال معجمة وقاف أي أتمّها وقطّعها من قولهم حذّق السكين الشيء أي قطعه. قال الجوهري: يقال: حذق الصبي القرآن إذا مَهَرَ فيه. **قوله**: (**يجلّ**) في المصباح جلّ الشيء يجلّ بالكسر عظم. انتهى.

قوله: (**ومنه حديث أنس رضي الله عنه**) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بفتح الضادين المعجمتين ابن زيد بن حرام بالراء ابن جندب بضم الدّال وفتحها ابن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وإسكان النون ابن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي

---

(١) أي أتم قراءتها مجاز من قولهم: سكين حاذق، أي قاطع كما في الأساس وغيره. ١٢ منه.

(جلّ فينا). (ومن ثم) كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾

النجاري البصري خادم رسول الله ﷺ كان يُنمى بذلك ويفتخر به وحُقّ له ذلك كنّاه رسول الله ﷺ أبا حمزة ببقلة كان يحبّها وأُمه أُم سُلَيم خدم أنس النبي ﷺ عشر سنين وهي مدة إقامته بالمدينة ﷺ ثبت ذلك في الصحيح وحمل عنه حديثًا كثيرًا فروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثًا اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ومسلم بأحد وسبعين وكان أكثر الصحابة أولادًا لدعاءِ رسول الله ﷺ. روينا في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: دخل النبي ﷺ على أم سليم يعني أُمه فأتته بتمر وسمن فقال: أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه ثم قام إلى ناحية البيت فصلّى غير المكتوبة فدعا لأُم سليم وأهل بيتها فقالت: يا رسول الله إن لي خُوَيْجة، قال: «**وما هي**»؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به: «**اللّهمّ ارزقه مالًا وولدًا وبارك له**» قال فإني لمن أكثر الأنصار مالًا وحدَّثتني بنتي أمينة أنه دفن لصلبي إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة هذا لفظ البخاري واتفق العلماء على مجاوزة عمره مائة سنة والصحيح الذي عليه الجمهور أنه توفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين، وقيل: خمس وتسعين، وقيل: سبع وتسعين. وثبت في الصحيح أنه كان قبل الهجرة عشر سنين فعمره فوق المائة كما ترى وأما ما نقل عن حميد أن عمر أنس مائة إلا سنة فشاذ مردود، وتوفي بالبصرة خارجها على نحو فرسخ ونصف ودفن هناك في موضع هناك يُعرَف بقصر أنس رضي الله تعالى عنه وكان له بستان يحمل في سنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك وكان أحد الرّماة المُصيبين قال محمد بن عبد الله الأنصاري خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال ابن قتيبة في المعارف ثلاثة من أهل البصرة لم يموتوا حتى رأى كل واحد منهم مائة ذكر من صلبه أنس بن مالك وأبو بكرة وخليفة بن بدر روى البخاري في تاريخه عن قتادة لمّا مات أنس قال مورِّق: ذهب اليوم نصف العلم، قيل له: كيف ذلك؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا تَعَالَ إلى مَن سمعه من النبي ﷺ كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (جلّ فينا) أي عظم في أعيننا. **قوله**: (ومن ثم) في المصباح ثم بالفتح اسم إشارة

متعلّق بـ «سورة» صفة لها والضمير لما نزلنا (**أي بسورة كائنة من مثله**) يعني فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان والغريب (**وعلو الطبقة**) في حسن النظم، أو لعبدنا أي فأتوا بمَن هو على حاله من كونه (**أُميًا**) لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. (**ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك**). وردّ الضمير إلى المنزل أولى لقوله

إلى مكان غير مكانكم. انتهى. وفي لسان العرب ثم بفتح الثاء إشارة إلى المكان. انتهى. وأيضًا فيه ثم في المكان إشارة إلى مكان متراخٍ عنك وإنما منعت ثم الإعراب لإبهامها وأما هنا فهو إشارة إلى القريب منك وثم بمعنى هناك وهو للتبعيد بمنزلة هنا للتقريب قال أبو إسحٰق: ثم في الكلام إشارة بمنزلة هناك زيد وهو للمكان البعيد منك ومنعت الأعراب لإبهامها وبُنِيَت على الفتح لالتقاء الساكنين وثمة أيضًا بمعنى ثم. انتهى ملتقطًا. وفي حاشية العلّامة الصبّان على شرح العلّامة الأشموني على ألفيَّة ابن مالك في النحو وقد تلحقها وقفًا هاء السكت وقد يجري الوصل مجرى الوقف وقد تلحقها تاء التأنيث كربة كذا رأيته في غير موضع ومقتضى التشبيه بربة جواز فتح التاء وإسكانها. انتهت. **قوله**: (**أي بسورة كائنة من مثله**) يعني على تقدير كونه صفة كونه ظرف مستقر بخلاف ما إذا كان صلة فأتوا فإنه ظرف لغو. **قوله**: (**وعلو الطبقة**) في المصباح علا الشيء **علوًا** من باب قعد ارتفع. انتهى. وفي لسان العرب الطبقة الحال. انتهى. **قوله**: (**أُمّيًا**) في المصباح الأُميّ في كلام العرب الذي لا يُحسِن الكتابة، فقيل نسبته إلى الأم لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته أُمه من الجهل بالكتابة. وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أُمّيين. انتهى.

قوله: (**ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك**) يعني ليس القصد إلى أن هناك مثلًا محقّقًا يطلب الإتيان بسورة منه كما إذا قيل ائتوا بمسألة من مثل أبي حنيفة ويُراد أبو يوسف رضي الله تعالى عنهما بل المراد بالمثل ما هو على صفة القرآن في كمال البلاغة أو مَن هو مثل محمد ﷺ في كونه عربيًا أُمّيًا وهو وإن كان موجودًا محقّقًا إلا أنه لم يقصد به واحد بعينه بل قصد مَن هو على صفته أيًا كان. **وقوله**: (**إلى مثل**) أي شبيه. **وقوله**: (**ونظير**) في المصباح النظير المثل المساوي وهذا نظير هذا أي مُساويه والجمع نظراء. انتهى. **وقوله**: (**هنالك**) في منتهى الأرب في لغات العرب وهنا وهٰهنا بالضم إينجا وهما للقريب إذا أشَرْتَ إلى مكان وهُناك

تعالى: (﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]، ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾) [هود: الآيــة ١٣]. (﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾) [الإســراء: الآيــة ٨٨].

وهنالِك آنجا وهما للبعيد واللام زائدة والكاف للخطاب وفيها دليل على التبعيد يُفتَح للمذَكَّر ويُكسَر للمؤنث. انتهى. **قوله**: (﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) في تفسير الجلالين في سورة يونس (﴿أَمْ﴾ [الآية ٣٨]) بل (﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) اختلقه محمد ﷺ (﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي (﴿وَٱدْعُوا۟﴾ [يونس: الآية ٣٨]) للإعانة عليه (﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) أي غيره (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك. انتهى. **قوله**: (﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: الآية ١٣]) في تفسير الجلالين في سورة هود (﴿أَمْ﴾ [الآية ١٣]) بل (﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [هود: الآية ١٣] أي القرآن (﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: الآية ١٣]) في الفصاحة والبلاغة (﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: الآية ١٣]) فإنكم عربيون فصحاء مثلي. تحدّاهم بها أولًا ثم بسورة (﴿وَٱدْعُوا۟﴾ [هود: الآية ١٣]) للمعاونة على ذلك (﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ٣٨] **أي غيره** ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: الآية ١٣]) في أنه افتراء. انتهى. **قوله**: (﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الآية ٨٨]) في تفسير الجلالين في سورة بني إسرائيل (﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية ٨٨]) في الفصاحة والبلاغة (﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]) معينًا نزل ردًّا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا. انتهى. وفي السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير للشيخ الإمام الخطيب الشربيني قدّس الله روحه وعمَّ بالرحمة ضريحه في تفسير سورة يونس في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية ٣٨].

تنبيــه:

مراتب تحدّي رسول الله ﷺ بالقرآن ستة:

أولها: أنه تحدّاهم بكل القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

ولأن الكلام مع ردّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبًا. **(وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه)** فإن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزّل من عند الله فهاتوا أنتم **(نبذًا)** مما يماثله. وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودًا إلى رسول الله ﷺ أن يقال: وإن ارتبتم في أن محمدًا منزّل عليه فهاتوا قرآنًا من مثله، ولأن هذا التفسير **(يلائم)** قوله: ﴿(وَٱدْعُواْ) شُهَدَآءَكُم﴾ **(جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة**

[الإسراء: الآية ٨٨]. ثانيها: أنه تحدّاهم بعشر سور، فقال تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: الآية ١٣]. ثالثها: أنه تحدّاهم بسورة واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾. رابعها: أنه تحدّاهم بحديث مثله. خامسها: أن في تلك المراتب الأربعة كان يطلب منهم أن يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله ﷺ في عدم التلمذة والتعلّم، ثم في هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من أيّ إنسان سواء تعلَّم العلوم أم لم يتعلّمها. سادسها: أن في المراتب المتقدمة تحدّي واحد من الخلق وفي هذه المرتبة تحدّي جميعهم وجوَّز أن يستعين البعض بالبعض في الإتيان بهذه المعارضة كما قال تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: الآية ٣٨] وهٰهنا آخر المراتب فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في إثبات أن القرآن مُعجِز. انتهى. **قوله:** **(وذلك أن الحديث)** أي البحث **(في المنزَل لا في المنزل عليه وهو مَسوق إليه)** ومربوط به فحقه أن لا يفكّ عنه بردّ الضمير إلى غيره. **قوله:** **(نبذًا)** أي شيئًا قليلًا كذا في الصحاح. **قوله:** **(يلائم)** بهمزة بعد ألف وتبدل ياء كثيرًا أي يوافق ويناسب.

قوله: **(وادعوا**[1]**)** أصله ادعووا بواوين الأولى مضمومة وهي لام الكلمة والثانية ساكنة وهي واو الجماعة فاستثقلت الضمة على الواو الأولى فحذفت الضمة فاجتمع ساكنان فحذفت الواو الأولى التي هي لام الكلمة. **قوله:** **(جمع شهيد)** لا جمع شاهد. **قوله:** **(بمعنى الحاضر)** قدَّمه لأنه الأصل إذ التركيب أي تركيب لفظ الشهيد موضوع للحضور. **قوله:** **(أو القائم بالشهادة)** ولم يقل أو الشاهد لمكان الالتباس فإنه وإن كان شائعًا في معنى القائم بالشهادة لكنه محتمل بمعنى الحضور

---

(١) وزن ادعوا افعوا؛ لأن لام الكلمة محذوفة. اهـ سمين. ١٢ منه.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **أي غير الله وهو متعلّق بـ«شهداءكم» أي ادعوا)** الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق **(أو مَن يشهد لكم بأنه مثل القرآن** ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾) إن ذلك **(مختلق)** وأنه من كلام محمد ﷺ. وجواب الشرط محذوف يدلّ عليه ما قبله أي إن كنتم صادقين في دعواكم **(فأتوا أنتم بمثله)** واستعينوا بآلهتكم على ذلك.

والشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور فمعنى الحضور معتبر فيه أيضًا لكن الحضور فيه بالقلب لما أن الشهادة لا مساغ لها إلا عن قلب حاضر ويقين تام والأولى أن الحضور فيه تشخصه حين أداء الشهادة في مجلس الشهادة وتقابله بالحاضر تقابل الخاص بالعام أو تقابل المقيَّد بالمطلق. **قوله: (أي غير الله وهو متعلق بـ** ﴿شُهَدَآءَكُم﴾) أي إن دون مستعمل في معنى التجاوز على أنه ظرف مستقر حال من الشهداء وهذا معنى التعلق بـ ﴿شُهَدَآءَكُم﴾. **قوله: (أي**[1] **ادعوا)**. . . الخ أي ادعوا للاستظهار في معارضة القرآن أصنامكم الذين يزعمون أنهم يشهدون يوم القيامة أنكم على الحق، فالشهيد بمعنى القائم بالشهادة يوم القيامة لا في الدنيا، وزعم أنهم يشهدون لهم يوم القيامة إن كان يوم القيامة واقعًا. **قوله: (أو مَن يشهد لكم بأنه مثل القرآن)** أي أو ادعوا شهداءكم أي أشرافكم ورؤساءكم ليشهدوا أنكم أتيتم بمثل القرآن متجاوزين أولياء الله المؤمنين فإنهم لا شهادة لهم في ذلك - يعني أن أشرافكم أيضًا لا يشهدون بذلك لظهور بُطلانه. **قوله: (مُختَلق)** أي مُفتَرى. **قوله: (فأتوا أنتم بمثله)** فإنه لو جاء به فرد من أفراد البشر من قبله ومن عند نفسه لوجب أن تكونوا قادرين على إتيان مثله لا سيما عند استعانتكم بأعوانكم ومن المعلوم أنه ﴿لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨] وأن كون المتحدّى مُعجزًا دليل قطعي على أن المُنَزَّل عليه صادق في دعوى النبوّة وليس قوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ﴾ جوابًا للشرطين على سبيل التنازع لأن البصريين لا يجوِّزون تقدّم الجزاء على الشرط ويجعلون ما تقدم عليه دليل الجزاء بخلاف الكوفيين فإنهم يجوِّزون تقدّمه عليه.

---

(١) والمعنى: فادعوا للمعارضة الذين اتّخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتّخاذها كذلك. ١٢ منه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرّفون صدق النبيّ ﷺ، قال لهم: (**فإذا لم تعارضوه وبانَ عجزكم**) ووجب تصديقه (**فآمنوا وخافوا**) العذاب (**المعَدَّ**) لمن كذب (**وعاند. وفيه دليلان على إثبات النبوّة صحة**) كون المتحدّى به معجزًا، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله. ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالشكوك فيه (**لديهم**

قوله: (**فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم**) إشارة إلى معنى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ وفيه إيماء إلى أن كلمة (إن) في الآية وقعت موقع إذا لما سيجيء وإنها للاستمرار دون مجرد الاستقبال. **قوله**: (**بان**) في المصباح بان الأمر يبين فهو بيِّن وجاء بائن على الأصل وأبان إبانة وبيّن وتبيّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف والاسم البيان وجميعها يُستعمل لازمًا ومتعديًا إلا الثاني فلا يكون إلا لازمًا. انتهى. **قوله**: (**فآمنوا وخافوا**) إشارة إلى معنى قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾. **قوله**: (**المعدّ**) في المصباح أعددته إعدادًا هيّأته وأحضرته. انتهى.

قوله: (**عاند**) في لسان العرب عاند معاندة أي خالف وردّ الحق هو يعرفه فهو عنيد وعاند. انتهى. **قوله**: (**وفيه دليلان على إثبات النبوّة صحة**) أي في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ دليلان على صحة النبوة أحدهما ثبوت كون القرآن مُعجِزًا وثانيهما الإخبار بالغيب.

قوله: (**لديهم**) أي عندهم في المصباح لدن ولدى ظرفا مكان بمعنى عند إلا أنهما لا يستعملان إلا في الحاضر، يقال **لدُنْه** مال إذا كان حاضرًا ولَدَيْه مال كذلك وجاءه من لدُنَّا رسول أي من عندنا وقد يستعمل لَدَيْ في الزمان وإذا أُضيفت إلى مضمر لم تُقلَب الألف في لغة بني الحارث بن كعب تسوية بين الظاهر والمضمر فيقال لداه ولداك وعامة العرب تقلبها ياء فتقول لديك **ولديه** كأنهم فرّقوا بين الظاهر والمضمر بأن المضمر لا يستقلّ بنفسه بل يحتاج إلى ما يتصل به فتُقلَب ليتصل به الضمير ولدى اسم جامد لا حظ له في التصريف والاشتقاق فأشبه الحرف، نحو إليه وإليك وعليه وعليك وأما ثبوت الألف في نحو رماه وعصاه فعلًا واسمًا فلأنه

لاتكالهم على فصاحتهم وإعتمادهم على بلاغتهم، سيق) الكلام معهم **(على حسب حسبانهم فجيء)** بـ **(«إن» الذي للشك دون «إذا» الذي للوجوب)**، وعبَّر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الإفعال.

أعلّ مرة قبل الضمير فلا يعلّ معه لأن العرب لا تجمع إعلالين على حرف. انتهى. **قوله: (لاتّكالهم)** أي اعتمادهم **(على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم)** في المصباح توكّل على الله اعتمد عليه ووثق به واتّكل عليه في أمره، كذلك والاسم التّكلان بضم التاء. انتهى.

وقوله: (فصاحتهم) إلى قوله: بلاغتهم الفصاحة وهي في الأصل أي اللغة تُنبِىء عن الظهور والإبانة أي[1] البيان يوصف بها المفرد مثل كلمة فصيحة ويوصف بها الكلام مثل كلام فصيح وقصيدة فصيحة ويوصف بها المتكلم أيضًا، يقال كاتب أي ناثر أي مُنشىء النثر فصيح وشاعر أي مُنشىء الشعر فصيح والبلاغة وهي تُنبىء عن الوصول والانتهاء يوصف بها الأخيران فقط أي الكلام والمتكلم دون المفرد فالفصاحة في المفرد خُلُوصه[2] أي خلوص المفرد من تنافر الحروف والغرابة والمخالفة القياس. والمراد من الخلوص لازمه وهو عدم الاتّصاف وليس المراد أنه كان متّصفًا بها أولًا ثم خلص ووجه حصر فصاحة المفرد في الخلوص من الثلاثة أن كل مفرد له مادة هي حروفه وصورة هي صيغته، ودلالة على معناه فعيبه إما في مادته وهو التنافر أو في صيغته وهو مخالف عنه القياس الصرفي أو في دلالته على معناه وهو الغرابة فالتنافر وصف في الكلمة يوجِب ثِقلها[3] على اللسان وعُسْر النطق بها، نحو مستشزرات في قول امرىء القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا

---

(١) عطف تفسير. ١٢ منه.

(٢) ويمكن إجراء ذلك في الكلام أيضًا؛ لأن له مادة هي كلماته وصوره هي التآليف العارض لها ودلالة على معناه التركيبي، فعليه إما في مادته وهو تنافر الكلمات، وفي صورته وهو ضعف التأليف، وفي دلالته على معناه، وهو التعقيد. ١٢ منه.

(٣) أي الضابط المتقرر من استقرار استعمالات العرب كقولنا كلما تحركت الياء أو الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفًا، ١٢ منه.

....

قوله: (غدائره) أي ذوائبه[١] جمع غديرة والضمير عائد إلى الفرع وهو شعر الرأس في البيت السابق.

قوله: (مستشزرات) أي مرتفعات فالزاي مكسورة أو مرفوعات فالزاي مفتوحة يقال استشزره أي رفعه واستشزر أي ارتفع.

قوله: (إلى العلا) جمع العليا بضم العين تأنيث الأعلى أي إلى جهة العلى وهي السمٰوات والضابط المعوّل عليه في ضبط تنافر الحروف الذوق[٢] وهو قوة يدرك بها لطائف الكلام ووجوه تحسينه فكل ما عدّه الذوق ثقيلًا متعسِّر النطق به كان ثقيلًا وما لا فلا والغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى الموضوع له ولا مأنوسة الاستعمال في عُرْف الأعراب الخُلَّص نحو غرابة مسرّج في قول العجاج:

ومقلة وحاجبًا مزججا وفاحمًا ومرسنًا مسرّجا

قوله: (ومقلة) عطف على واضحًا في البيت السابق وهو:

أزمان أبدت واضحًا مفلجا

أي بين البرج بفتح الراء وهو أن يكون بياض العين محدقًا بالسواد كله والمقلة بياض العين مع سوادها وقد تستعمل في الحدقة وحاجبًا مزججًا أي مدققًا خلقته لا بفعل فاعل مطوّلًا مع تقوّس وفاحمًا أي شعر أسود كالفحم ومرسنًا بفتح الميم وكسر السين أو فتحها أي أنفًا مسرجًا كالسيف السريجي في الدقة والاستواء وسريج اسم قين أي حداد تُنسَب إليه السيوف أو كالسراج في البريق واللمعان والتفسير الأول لابن دريد والثاني لابن سيدة والمخالفة أن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة أعني على خلاف ما ثبت عن الواضع نحو اجلل بفكّ الإدغام في قول الفضل بن قدامة بن عبيد الله

(١) جمع ذؤابة، وهو الشعر المنسدل من الرأس إلى الظهر، أي الذي شأنه الانسدال، فلا ينافي أنه قد يكون فوق وسط الرأس كما هنا. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) الذوق قوّة للنفس بها كمال الإدراك وهو سليقي كما للعرب العرباء وكسبي كما للمولدين الممارسين كلامهم بلغاء العرب المزاولين لنكاتهم وأسرارهم. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

العجلي المكنَّى بأبي النجم:

الحمد[١] لله العليّ الأجلل

والقياس الأجلّ فنحو[٢] آل وماء وأبى يأبى وعور يعور فصيح لأنه ثبت عن الواضع كذلك. والفصاحة في الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها. فالضعف أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمور كالإضمار بل الذكر لفظًا ومعنى وحكمًا نحو ضرب غلامه زيدًا أو التنافر أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كان كلٌّ منها فصيحًا نحو:

وليس قرب[٣] قبر حرب قبر

ونحو قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى[٤] معي وإذا ما لمته لمته وحدي

---

(١) تمامه:

أنت مليك الناس ربا فاقبل

قال في الأصول: ربا بالألف يريد ربّي، فيا محذوف، وفي الألف بدل عن الياء، أي فاقبل الحمد، ابتهى. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) هذا تفريع على قوله: أعني، على خلاف ما ثبت عن الواضع وذلك لأن أصل أل أهل وأصل ماء موه أبدلت الهاء فيهما همزة، وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس، إلا أنه ثبت عن الواضع وقوله: أبى يأبى، أي بفتح الباء في المضارع والقياس كسرها فيه، لأن فعل بفتح العين لا يتأتّى مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كانت عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس، إلا أن الفتح ثبت عن الواضع. وقوله: عور يعور، فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح أي ما قبلها كزال يزال فتصحيح الواو خلاف القياس، إلا أنه ثبت عن الواضع. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) قوله: قرب ظرف متعلق بخبر ليس، أي ليس قبر كائناً قرب قبر حرب، أو بمعنى المتقارب والإضافة لفظية، فلم يلزم كون خبر ليس معرفة واسمها نكرة، أي الذي هو ممتنع. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٤) قوله: والورى الواو في الورى للحال هو مبتدأ وخبره قوله: معي. ١٢ منه.

....

وإنما مثل مثالين لأن الأول متناهٍ في الثقل والثاني دونه ولأن منشأ الثقل في الأول نفس اجتماع الكلمات وفي الثاني حروف من كلمتين وهما أمدحه أمدحه والمراد من الحروف[١] مجموع الحاءين والهاءين. والتعقيد أي كون الكلام معقدًا أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل واقع إما في النظم أي التركيب سواء كان نظمًا أو نثرًا بسبب تقديم أو تأخير أو حذف بلا قرينة واضحة أو غير[٢] ذلك مما يوجِب صعوبة فهم المراد. والفصاحة في المتكلم ملكة[٣] يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وكثيرًا ما يسمى[٤] ذلك الوصف المذكور فصاحة أيضًا كما يسمى بلاغة والبلاغة في المتكلم مَلَكَة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

قوله: (سيق) أي أورد. **قوله:** (على حَسَب حِسْبانهم) أي ظنهم الفاسد حيث قالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: الآية ٣١]. **قوله:** (على حسب) في لسان العرب الحَسَب والحسْب قدر الشيء كقوله الأجْر بحسب ما عملت وبحسبه. انتهى. **وقوله:** (حسبانهم) في المصباح حسبت المال حسبًا من باب قتل أحصيته عددًا وفي المصدر أيضًا حسبته بالكسر وحُسْبانًا بالضم وحسبت زيدًا قائمًا أحسبه من باب تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضًا على غير قياس حسبانًا بالكسر بمعنى ظننت. انتهى. **قوله:** (فجيء بإن الذي للشك) وعدم القطع بأحد طرفي النسبة. **قوله:** (دون إذا الذي للوجوب) أي للتحقّق والثبوت على ما هو مقتضى وضعه فإن إذا الشرطية تقتضي الجزم والقطع بمضمون الشرط ما لم يمنع مانع ولا مانع هنا.

---

(١) في عدا الهاء من الحروف مع كونه اسمًا تغليب. ١٢ منه.
(٢) كالفصل بين المبتدأ والخبر وبين الصفة والموصوف وبين البدل والمبدل منه بالأجنبي في الجميع. ١٢ منه.
(٣) اعلم أن الصفة الحاصلة للإنسان في أول أمرها تسمى حالًا، لأن المتّصف بها يقدر على إزالتها، فإذا ثبتت في محلّها وتقررت بحيث لا يمكن المتصف بها إزالتها تسمى ملكة. ١٢ منه.
(٤) وعلى هذا التقدير تكون الفصاحة والبلاغة مترادفين. ١٢ منه.

(**والفائدة فيه أنه جارٍ مجرى الكناية**) التي (**تعطيك**) اختصارًا (**إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيان**) إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال «فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله». (**ولا محل لقوله: «ولن تفعلوا» لأنها جملة اعتراضية**)، وحسّن هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله: «ولن تفعلوا» و«لا» و«لن» (**أختان**) في نفي المستقبل إلا أن في «لن» تأكيدًا. (**وعن الخليل**

قوله: (**والفائدة فيه أنه جارٍ مجرى الكناية**)... الخ يعني جريانه مجرى الكناية أنه إذا أُريد ذكر شيء جرى ذكره أولًا كان المناسب أن يعبّر عنه بالضمير الذي يسمّى كناية لكونه غير صريح في مدلوله لكن الكناية عن الشيء بالضمير إنما يكون في الأسماء فعبَّر عن الفعل الذي قصد إعادة ذكره بلفظ الفعل ليكون بمنزلة ذكر الاسم بضميره(١) فيفيد الإيجاز الذي عليه مبنى وضع الضمائر. **قوله**: (**تعطيك**) أي تفيد لك. **قوله**: (**إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيان**)... الخ في المصباح عدل عن الطريق عدولًا مال وانصرف. انتهى. **قوله**: (**ولا محل لقوله**: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ **لأنها جملة اعتراضية**(٢)) والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب لعدم وقوعها موقع ما يستحق الإعراب من المفردات والواو الداخلة عليها تسمى واوًا اعتراضية ليست حالية ولا عاطفة. **قوله**: (**أختان**) أي مثلان. **قوله**: (**وعن الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي كان إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحدًا وسمّاه الخبب، قيل إن الخليل دعا بمكة المعظمة زادها الله شرفًا أن يُرزَق علمًا لم يسبقه أحد إليه ولا يُؤخَذ إلا عنه، فلما رجع من حَجّه فتح عليه علم العروض وله معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض فإنهما متقاربان في المأخذ وكان الخليل رجلًا صالحًا عاقلًا حليمًا وقورًا ومن كلامه لا يعلم الإنسان خطأ معلم حتى يُجالس

---

(١) أي إذا ذكر شيء أولًا ثم أريد إعادته فحقه أن يعبر عنه بالضمير الذي مبناه على الاختصار ودفع التكرار، لكن التعبير عن الشيء بالضمير مختص بالأسماء. ١٢ منه.

(٢) أي جملة معترضة بين الشرط، وهو قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤]، وبين جزائه وهو قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤]. ١٢ منه.

أصلها «لا أن»، وعند الفراء «لا» أبدلت ألفها نونًا، وعند سيبويه) حرف موضوع لتأكيد نفي المستقبل، وإنما علم أنه إخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لأنهم لو عارضوه بشيء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عددًا **(من الذابين)** عنه؟ وشرط في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله لأنهم إذا لم يأتوا

غيره. وقال تلميذه النضر بن سهيل: أقام الخليل في خُص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال، ولقد سمعته يومًا يقول: إني لأغلق عليَّ بابي فما يجاوزه همِّي. وكان يقول أكمل ما يكون الإنسان عقلًا وذِهنًا إذا بلغ أربعين سنة وهي السن التي بعث الله تعالى فينا محمدًا ﷺ ثم يتغيَّر وينقص إذا بلغ ثلاثًا وستِّين سنة، وهي السن التي قبض فيها رسول الله ﷺ وأصفى ما يكون ذِهن الإنسان في وقت السحر وأخبار الخليل كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب ويقال إن أباه أحمد أول مَن سمّي بأحمد بعد رسول الله ﷺ كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلًا عن أحمد بن أبي خيثمة وكانت ولادته في سنة مائة وتوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة، وقيل: عاش أربعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. وقال ابن قانع في تاريخه المرتّب على السنين أنه توفي سنة ستين ومائة والفراهيدي بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة هذه النسبة إلى فراهيد وهي بطن من الأزد والفرهودي واحدها والفرهود ولد الأسد بلغة أزد شنوءة، وقيل: إن الفراهيد صغار الغنم، واليجمدي بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة نسبة إلى يحمد وهو أيضًا بطن من الأزد خرج منه خلق كثير ويُحكى أن الخليل كان ينشد كثيرًا هذا البيت وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

قوله: (أصلها لا أن) حذفت همزة أن لكثرتها في الكلام وسقطت الألف لالتقاء الساكنين فصارت لن. **قوله: (وعند الفراء)** هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسد، وقيل: مولى بني مِنقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وبعدها راء كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب حُكِي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لَمَا كانت عربية لأنه خلَّصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية

بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا **(العناد وأبوا)** الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع «فاتقوا النار» موضعه لأن اتقاء النار سبب ترك

لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل مَن أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وهو الأحمر من أشهر أصحابه وأخصّهم به. قال الخطيب: كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء وكان الفراء يومًا جالسًا عنده فقال الفراء: قلَّ رجل أنعم النظر في باب من العلم فأراد غيره إلا سهَّل عليه فقال له محمد: يا أبا زكريا قد أنْعَمْتَ النظر في العربية فأسألك عن باب من الفقه فقال: هات على بركة الله تعالى، قال: ما تقول في رجل صلّى فَسَها فسجد سجدتين للسهو فسَها فيهما ففكر الفراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه. فقال له محمد: ولِمَ؟ قال: لأن التصغير عندنا لا تصغير له وإنما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام. فقال محمد: ما ظننت آدميًا يَلِد مثلك وكان الفراء يميل إلى الاعتزال ومولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة المعظَّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفِراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب.
قوله: **(لا أبدلت ألفها نونًا)** كما يبدل النون الخفيفة ألفًا في الوقف وكذا التنوين التابع بحركة الفتح. **قوله**: **(وعند سيبويه)** هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمه الله. **قوله**: **(من الذّابّين)** أي الدافعين الذين يدفعون عنه المطاعن. **قوله**: **(العناد)** في المصباح عاند فلان عنادًا من باب قاتل إذا ركب الخلاف والعصيان. انتهى.

قوله: **(وأبوا)** في المصباح أبى الرجل يأبى إباء بالكسر والمد وإباية امتنع فهو آب وآبى على فاعل وفعيل وتأبى مثله وبناؤه شاذّ لأن باب فعل يفعل بفتحتين أن يكون حلقي العين أو اللام ولم يأتِ من حلقي الفاء إلا أبى يأبى وعض ويعض في لغة وأَث الشعر يأث إذا كثر والتفَّ وربما جاء في غير ذلك قالوا ودّ يودّ في

العناد **(وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة)**، وفائدته الإيجاز الذي هو من **(حلية القرآن. والوقود ما ترفع به النار)** يعني الحطب، وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح. **(وصلة الذي والتي يجب أن يكون معلومًا للمخاطب)** فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: الآية ٦]. وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن تلك الآية نزلت بمكة **(ثم)** نزلت هذه الآية بالمدينة مشارًا بها إلى ما عرفوه أولًا. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران أنها تتقد بالناس

لغة. انتهى باختصار. **قوله**: **(وهو**[١]**)** أي وضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد **(من باب الكناية وهي)** شعبة[٢] **(من شعب البلاغة)** أي فن من فنونها وأبلغ من التصريح فهذه فائدة عامة وفائدته الخاصة الإيجاز[٣] فقيل من حيث إن تلك الوسائط التي صرّح بها في توجيه ارتباط الجزاء بالشرط مرادة بحسب المعنى وإن لم تكن مقدّرة في العبارة كما عرفته ويرد عليه أنه لو قيل فاتركوا العناد لكانت تلك الوسائط مرادة أيضًا فلا إيجاز بسبب الكناية وقيل من حيث إنه أُريد بهذه الكناية مجموع المعنيين أعني اتّقاء النار وترك العناد معًا فيشمل الإيجاز في كل كناية أُريد بها معناها جميعًا. **قوله**: **(حلية القرآن)** أي زينته وحُسْنه. **قوله**: **(والوقود)** بالفتح **(ما ترفع به النار)** يعني أن الوقود بالفتح اسم لما يكون سببًا لاشتعال النار والتهابها من حطب ونحوه. **قوله**: **(وصلة الذي والتي يجب أن يكون معلومًا للمخاطب)**

---

(١) قوله: وهو من باب الكناية.. الخ. هكذا في الكشاف. وإطلاق الكناية على التعبير بالملزوم عن اللازم سائغ في كلام صاحب الكشاف. وأما التفرقة بأن التعبير باللازم عن الملزوم كناية وعكسه مجاز، فإنما هي لصاحب المفتاح. ١٢ منه.

(٢) في المصباح: الشعبة من الشجرة الغصن المتفرع منها، والجمع الشعب مثل غرفة وغرف، انتهى. ١٢ منه.

(٣) قوله: الإيجاز حيث طُويت الوسائط، أعني قولنا: إذا لم تفعلوا فقد صحّ عندكم صدقه، وإذا صح كان لزومكم العناد وترككم الإيمان والانقياد شيئًا لاستحقاقكم العقاب بالنار، فاتركوا ذلك واتّقوا النار، وليس المراد أن هناك حذفاً وإضمار شرط وجزاء، بل إن المعنى على ذلك، وإلى هذا يشير من يقول أنه يراد في الكناية معنى اللفظ ومعنى معناه. ١٢ منه.

(**والحجارة وهي حجارة الكبريت**)، فهي أشد (**توقدًا وأبطأ خمودًا وأنتن**) رائحة وألصق بالبدن أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسيرًا. وإنما (**قرن**) الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادًا (**ونحوه قوله تعالى**: ﴿إِنَّكُمْ (وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾

إما بالفعل أو بالتمكّن بالعلم ومع هذا إنه حكم أغلبي لا كلّي لأنه يجوز كون الصلة غير معلومة حين قصد التفخيم والتشديد. **قوله**: (ثم) أي في سورة التحريم. **قوله**: (**والحجارة**) جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس (**وهي حجارة الكبريت**) فإنه أخرج مسندًا في السنن وصحّح روايته عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم الطبراني والحاكم والبيهقي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وقد رجّحه كثير من المفسّرين وعلّلوه بأنه أشدّ حرًّا وأكثر التهابًا وأسرع إيقادًا مع نتن ريحه وكثرة دخانه وكثافته وشدة التصاقه بالأبدان فلتخصيصه وجه بل وجوه رواية ودراية والكبريت بكسر الكاف قال ابن دريد هو الحجارة الموقد بها ولا أحسبه عربيًّا صحيحًا وقال غيره: إنه معرب والكبريت الأحمر الياقوت أو الذهب. وفي منتهى الأرب في لغات العرب كبريت كقنديل گوگرد كه سنگ آتش گيراست يا جوهري معدني وآن بخارى بأشد دخاني كه بعض آن زيرزمين منجمد گردد وبغض آن ازشگافها برآيد ودركر أنها بسته گردد وگويند معدن آن دروادي النمل وراي تُبَّت وگويند جشمه است روان چون منجمد گردد كبريت شود وآن براصناف باشد سرخ وزردوسياه وتمامه آن كرم است درچهارم وياقوت سرخ وزر. انتهى. وفي غياث اللغات كبريت بالكسر وياء معروف وتاء فوقاني گوگردگه بهندي گندهك گويند وبمعنى زرونقره خالص نيزاز منتخب ولطائف. انتهى. **قوله**: (**توقدًا**) في منتهى الأرب في لغات العرب تَوَقُّد آتش افروختن وافروخته شدن آن. انتهى. **قوله**: (**أبطأ**) في المصباح أبطأ الرجل تأخر مجيئه وبطؤ مجيئه بُطْأ من باب قرب وبطاءة بالفتح والمد فهو بطيء. انتهى. **قوله**: (**خمودًا**) في غياث اللغات خمود بضمتين سردشدن اتش. انتهى. **قوله**: (**وأنتن**) في منتهى الأرب في لغات العرب نَتنُ نَتانة بدبوي كستت. انتهى. وأيضًا فيه نتن بالفتح بوي ناخوش. انتهى. **قوله**: (**قرن**) من باب قتل وفي لغة من باب ضرب جمع. **قوله**: (**ونحوه قوله تعالى**) أي في سورة الأنبياء (﴿إِنَّكُمْ﴾ [الآية ٩٨]) يا أهل مكة (﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

[الأنبياء: الآية ٩٨] أي حطبها، فقرنهم بها (محماة) في نار جهنم إبلاغًا في إيلامهم. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ هيئت لهم. وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافًا لما يقوله (جهم) سنة الله في كتابه أن يذكر

دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨]) أي غيره من الأوثان. **قوله**: (محماة) في المصباح حميت الحديدة تحمى من باب تعب فهي حامية إذا اشتد حرّها بالنار ويعدّى بالهمزة فيقال: أحميتها فهي محماة، ولا يقال حميتها بغير ألف. انتهى.

قوله: (جهم) هو جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهًا فنفى كونه حيًّا عالمًا وأثبت كونه قادرًا فاعلًا خالقًا لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق. ومنها إثباته علومًا حادثة للباري تعالى لا في محل قال: لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق انتفى علمه على ما كان أو لم يبقَ فإن بقي فهو جهل فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد وإن لم يبق فقد تغيّر والمتغيّر مخلوق وليس بقديم ووافق في هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرّر قال: وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى وذلك يؤدّي إلى التغيير في ذاته وأن يكون محلًا للحوادث وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفًا به لا الباري تعالى فيتعيّن أنه لا محل له وأثبت علومًا حادثة بقدر الموجودات المعلومة ومنها قوله في القدرة الحادثة أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يُوصَف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وينسب إليه الأفعال مجازًا كما ينسب إلى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيّمت السماء وأمطرت واهتزّت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا. ومنها أن حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما وتلذّذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بحميمها إذ لا يتصور بحركات لا يتناهى آخرًا كما لا يتصور حركات لا يتناهى أولًا وحمل قوله تعالى:

(الترغيب) مع **(الترهيب تنشيطًا)** لاكتساب **(ما يزلف وتثبيطًا عن اقتراف ما يتلف)**، فلما **(ذكر الكفار وأعمالهم)** وأوعدهم بالعقاب **(قفاه)** بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والمأمور بقوله: «وبشّر» الرسول

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٢] على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقول خلد الله ملك فلان واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود: الآية ١٠٧] فالآية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود والتأبيد لا شرط فيه استثناء. ومنها قوله: مَن أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزول بالجحد فهو مؤمن. قال: وإيمان الأمة على نمط واحد إذ المعارف لا تتفاضل وكان السلف كلهم من أشد الرّادّين عليه ونسبه إلى التعطيل المحض وهو أيضًا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع والشرع كذا في كتاب المِلَل والنِّحَل. **قوله**: **(الترغيب)** في منتهى الأرب في لغات العرب رَغَّبَه ترغيبًا راغب كرد اوراوخواهان گردانيد. انتهى. **قوله**: **(الترهيب)** بوزن تركيب بمعنى ترسانيدن كذا في غياث اللغات. **قوله**: **(تنشيطًا)** التنشيط التحريك والتحريض وذلك يحصل بالترغيب. **قوله**: **(ما يزلف)** في المصباح الزلفة والزلفى القربة وأزلفه قربه. انتهى. **قوله**: **(تثبيطًا)** التثبيط المنع والصرف وذلك يحصل بالترهيب والتخويف. **قوله**: **(عن اقتراف)** أي عن اكتساب. **قوله**: **(ما يتلف)** أي يهلك إهلاكًا لا منجى منه.

قوله: **(ذكر الكفار وأعمالهم)** هي اتخاذ الأنداد والارتياب في المنزل وما يتبع ذلك من المفاسد. **قوله**: **(قفاه)** منتهى الأرب في لغات العرب تقفية دريي فرستادن يقال قفَّيت على أثره بفلان وقفَّيته زيدًا وبه أي أتبعه إياه. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: الآية ٢٧] ومنه الكلام المقفّى وسمّيت قوافي الشعر لأن بعضها يتبع أثر بعض. انتهى. والضمير البارز في قفاه لذكر

عليه السلام (**أو كل أحدٍ، وهذا أحسن**) لأنه يؤذّن بأن الأمر (**لعظمه وفخامة**) شأنه (**محقوق بأن يبشّر به**) كلّ مَن قدر على البشارة به. وهو معطوف على «فاتقوا» كما تقول (**يا بني تميم**) احذروا عقوبة (**ما جنيتم**) وبشّر يا فلان (**بني أسد**) بإحساني إليهم. أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين

الكفّار. **قوله:** (**أو كل أحد**) يقدر على البشارة عالمًا كان أو لا لكن على العالم بالوجوب الكفائي وعلى غيره بالندب. **قوله:** (**وهذا**) الوجه (**أحسن**) لكونه مجازًا. **قوله:** (**لعظمه**) عِظَم بزرگي. **قوله:** (**وفخامته**) بالفتح بزرگي وبلندي. **قوله:** (**محقوق**)[1] أي لائق (**بأن يبشر به**) في الأساس أنت حقيق بكذا من حقق بالضم في التقدير كما قال سيبويه في فقير إنه من فقُر بالضم مقدرًا وفي شديد أنه شدُد ونظيره خليق وجدير من خلُق بكذا وجدُر به ولا يكون فعيلًا بمعنى مفعول أي محقوق لقولهم أنت حقيقة بكذا وهذه امرأة حقيقة بالحضانة وأما حُقِقْتَ بأن تفعل كذا وأنت محقوق به فبمعنى جعلت حقيقًا به وهو من باب فعلته ففعُل، كقولك قبُح وقبحه الله كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشية الكشاف وفي منتهى الأرب في لغات العرب محقوق سزاوار يقال هو محقوق به. انتهى. وأيضًا فيه حقيق كأمير سزاوار يقال هو حقيق به أحقاء جمع. انتهى.

قوله: (**يا بني تميم**) في منتهى الأرب في لغات العرب تميم كأمير نام ابن أدّ بن طابخة پدر قبيلة است ويُصْرَفُ. انتهى. **قوله:** (**ما جنيتم**) في المصباح جنى على قومه جناية أذنب ذنبًا يُؤاخذ به. انتهى. وفي لسان العرب الجناية الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة. انتهى. **قوله:** (**بني أسد**) في منتهى الأرب في لغات العرب أَسَد نام پدر قبيلة از مضركه پدرش خُزَيمة نام داشت ونام پسر ربيعة بن نِزاركه آن هم پدر قبيلة وبوده است. انتهى. وأيضًا فيه أسْد بسكون سين آزداست كه پدر قبيلة ازيمن بوده. انتهى. وأيضًا فيه أَزْد بالفتح پدر قبيلة است دريمن كه جميع أنصار إذ أولاد اويندو پدرش غوث نام داشت وسين بجاي ذا أفصح است واور أَزْدَشَنُوءَةَ وَأَزْد عُمان وأزد السَّراة نيزگويند. انتهى.

---

(١) أي خليق. ١٢.

كقولك: «زيد (**يعاقب بالقيد والإرهاق**) وبشّر عمرًا بالعفو (**والإطلاق**»). (**والبشارة**) الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء: إذا قال (**لعبيده**): أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حرّ. فبشروه (**فرادى عتق أولهم**) لأنه هو الذي أظهر (**سروره بخبره**) دون الباقين. ولو قال: «أخبرني» مكان «بشرني» (**عتقوا جميعًا، لأنهم**) أخبروه، ومنه (**البشرة**) لظاهر الجلد، وتباشير الصبح ما ظهر من

قوله: (**يعاقب بالقيد والإرهاق**) في منتهى الأرب في لغات العرب قيد بالفتح بند أقياد وقيود جمع. انتهى. وأيضًا فيه إرهاق تكليف دادن كسى را زائد از طاقت. انتهى. **قوله**: (**الإطلاق**) في منتهى الأرب في لغات العرب إطلاق رهاكردن بندي را ازبند. انتهى. **قوله**: (**والبشارة**) بكسر الباء والضم لغة.اهـ. مصباح. **قوله**: (**لعبيده**) في المصباح العبد خلاف الحرّ وهو عبد بين العبدية والعبودة والعبودية واستعمل له جموع كثيرة والأشهر منها أعبد وعبيد وعباد. انتهى. **قوله**: (**فرادى**) في المصباح الفرد الوتر وهو الواحد والجمع أفراد وأما فرادى فقيل جمع فرد على غير قياس وقيل كأنه جمع فردان وفردى مثل سُكارى في جمع سكران وسكرى والأُنثى فردة. انتهى.

قوله: (**عتق أولهم**) في منتهى الأرب في لغات العرب (ض) عَتَق العبدُ عتقًا بالكسر ويفتح أو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويفتح وعَتَاقًا وعَتَاقَةً بفتحهما آزادگرديد. انتهى. **قوله**: (**سروره بخبره**) مع كون المخبر به غافلًا عمّا أخبر به. **قوله**: (**عتقوا جميعًا**)... الخ سواء أخبروه فرادى أو جميعًا أو أخبروه بعد علم مولاهم أولًا خلافًا للإمام مالك رضي الله تعالى عنه فإنه قال مَن أخبرني عتق الأول فإن المراد البشارة كما يشهد به العُرْف. والجمهور قالوا: إن الإخبار في المتعارف ذكر الكلام[1] الخبري ويراد به معناه سواء أفاد العلم أو لا وإن كان في أصل اللغة بمعنى الإعلام.

قوله: (**لأنهم**) جميعًا. **قوله**: (**البَشَرة**) في المصباح البَشَرَةُ ظاهر الجلد والجمع البشر مثل قصبة وقصب ثم أطلق على الإنسان واحده وجمعه لكن العرب ثنوه ولم يجمعوه. وفي التنزيل قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: الآية ٤٧].

---

(١) أي أن يذكر الجملة الخبرية، ويراد بها معناها. ١٢ منه.

(أوائل) ضوئه. وأما «فبشرهم بعذاب أليم» **(فمن العكس في الكلام)** الذي يقصد به الاستهزاء **(الزائد في غيظ المستهزأ به)** كما يقول الرجل **(لعدوه)** أبشر **(بقتل ذريتك ونهب مالك)**.

انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب بَشَر محركة مردم مذكر ومؤنث واحد وجمع دروي يكسان است وقد يُثَنَّى ويُجمَع فيقال بشران وأبشار وروى پوست مردم وغيران بَشَرَة يكي أَبْشار جمع. انتهى.

قوله: **(أوائل)** جمع أول. **قوله**: **(فمن العكس في الكلام)** أي هو من قبيل استعارة أحد الضدَّين للآخر تهكمًا واستهزاء. **قوله**: **(الزائد في غيظ المستهزأ به)** مأخوذ من زاد المتعدي. يقال زاد في ماله بمعنى زاد شيئًا فيه. وقوله في غيظ في المصباح الغيظ الغضب المحيط بالكبد وهو أشدّ الحنق. انتهى.

قوله: **(لعدوه)** في المصباح العدّو خلاف الصديق الموالي والجمع أعداء وعدّى بالكسر والقصر قالوا ولا نظير له في النعوت لأن باب فعل وزان عنب مختص بالأسماء ولم يأتِ منه في الصفات إلا قوم عديّ وضم العين لغة ومثله سوى وسوى وطوى وطوى وتثبت الهاء مع الضم فيقال عداه ويجمع الأعداء على الأعادي. وقال في مختصر العين: يقع العدو بلفظ واحد على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع. قال أبو زيد: سمعت بعض بني عقيل يقولون: هنَّ وليّات الله وعدوّات الله وأولياؤه وأعداؤه. قال الأزهري: إذا أُريد الصفة قيل عدوة. ومن كلام العرب أن الجرب ليعدي أي يجاوز صاحبه إلى مَن قاربه حتى يجرب والاسم العدوى فيقال: أعداه. وقال في البارع: إذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه المذكر والمؤنث فلا يؤنَّث بالهاء سوى عدو فيقال فيه عدوة. انتهى.

قوله: **(بقتل ذريتك)** في المصباح الذرية فعلية من الذر وهم الصغار ويكون الذرية واحد أو جمعًا وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال وبها قرأ السبعة والثانية كسرها. ويُروَى عن زيد بن ثابت والثالثة فتح الذال مع تخفيف الراء وزان كريمة وبها قرأ أبان بن عثمان وتجمع على ذريات وقد تُجمَع على الذراريّ وقد أُطلِقَت الذرية على الآباء أيضًا مجازًا. انتهى. **قوله**: **(ونهب مالك)** النهب الغارة والسلب، كذا في لسان العرب.

(والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم. والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسُّنَّة واللام للجنس).

قوله: (والصالحة نحو الحسنة في جريها[1] **مجرى الاسم)** أي هي من الصفات التي غلبت عليها الاسمية حيث غلب استعمالها بلا قصد إلى موصوف تجري عليه فإن صالحة في الأصل صفة للدلالة على ذات مبهمة يقوم بها معنى الصلاح ثم غلب عليها الاسمية أي غلب استعمالها فيما يتقرَّب به إلى الله سبحانه وتعالى. **قوله: (والصالحات**[2] **كل ما استقام من الأعمال)** استعمال كلمة كل في مثل هذا المقام شائع في عبارة الأدباء وإن لم يحسن في التفسير لكن قصد هٰهنا تفسير جمع الصالحات فحسن وبهذا الاعتبار حسن في دليل الاستقامة عطف الكتاب والسُّنَّة على العقل بالواو وإذ المجموع دليل المجموع ومعنى الاستقامة الصلوح لترتيب الثواب فخرج ما لا يتعلق بذلك. **قوله: (بدليل العقل)** اعلم أن شرف العقل إنما هو لكونه سببًا للعلم المُنتِج للعمل المؤدي إلى السعادة الأبدية وسُمِّي عقلًا لأنه يعقل صاحبه عمّا لا ينبغي كما سُمِّي نهية لأنه ينهى عن الفحشاء والمنكر. وقال الراغب: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قيل: العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع إذا لم يكُ مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع وإلى الأول أشار بقوله عليه السلام: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من العقل وإلى الثاني أشار بقوله ما كسب أحد شيئًا أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويردّه عن ردي وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]، قلت: الظاهر أنه كما لا ينفع مسموع بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا مسموع ألا ترى أن الحكماء مع زعمهم أنهم أكبر العقلاء ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير متابعتهم للأنبياء وأقوالهم المسموعة. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: الآية ٢٣]، ونظيره المشاهد لكل أحد الأصم الخلقي

---

(١) قوله: في جريها مجرى الاسم يريد أن الصالحة من الصفات التي تستعمل من غير موصوف، فكأنها ليس لها موصوف فيجري مجرى الاسم كالحسنة. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: والصالحات كلّ ما استقام، أي صلح لترتب الثواب عليه، والمراد تفسير جميع الصالحات بمجموع المستقيم الصالح لما ذكر من ثمّة عطف الكتاب والسنة على العقل بالواو؛ لأن مجموعها دليل المجموع. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

فإنه ينفع بعقله المطبوع وليس له حظ من العقل المسموع كذا أفاده العلَّامة علي القارىء في شرح مشكاة المصابيح في باب الحذر والتأنّي عليه رحمة الله الغني المُغني.

قوله: (والكتاب) أي القرآن. **قوله**: (والسُّنَّة) المراد بالسُّنَّة هنا أقواله ﷺ وأفعاله وأحواله المُعَبَّر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة ولذا قال: «**بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارم الأخلاق**». **قوله**: (واللام للجنس[1]) المراد به لام الاستغراق أي جميع ما يسوّغ ويحسن أن يفعله المُكَلَّف بالنظر إلى حاله كالغِنَى والفقر والصحة والمرض والحَضَر والسفر والحرّ والعبد والذَّكَر والأُنثى وغير ذلك مثلًا فيفعل الغني جميع ما يجب عليه كالزكاة والحج مع الصلاة والصوم والفقير يفعل الصلاة والصوم وقِس عليه ما عداهما من المريض والصحيح والحرّ والعبد وبهذا يندفع كثير من الأشكال منها أن المراد بالصالحات ليس جنس الجمع مطلقًا وإلا لكفى الأقل وهو ثلثه من الأعمال أو الاثنان ولا الجنس كله لامتناع أن يُؤتَى به أحد وإن قصد التوزيع عاد المحذور وهو أن يكفي من كل ثلاثة أعمال أو اثنان بل أقلّ بناء على انقسام الآحاد على الآحاد وجه الاندفاع هو أنا نختار أن المراد الجنس كله لكن لا بالنسبة إلى كل فرد فرد بل إلى كل مكلّف بالنظر إلى حاله والقرينة على هذه الإرادة قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابُن: الآية ١٦] الآية وما ثبت في الشرع لا حرج في الدين فيجب على المُكَلَّف جميع ما يجب عليه بالنظر إلى حاله اليقين هذا في الوجوب الشامل للفرض وأما المندوب فلا حرج فيه والغني والفقير والأمراء

---

(١) أي لاستغراق ما يُطلق عليه لفظ الصالحات؛ لأن المجموع وأسماءها المحلات باللام للعموم حيث لا عهد، وليس منها معهود خارج من جنس الصالحة حتى يكون تعريف الصالحات للعهد الخارجي، إلا أنه لا يجوز أن يراد به جميع أفراد الأعمال الصالحة أن المبشّر بالجنة ليس يأتي بجميعها؛ إذ ليس في وسع أحد أن يأتي بكلّ ما يصدق عليه أنه عمل صالح، بل المراد به جميع ما يجب على كل مكلّف بالنظر إلى حاله، فيختلف باختلاف أحوال المكلّفين من الغنى والفقر والإقامة والسفر والصحة والمرض إلى غير ذلك، مثلًا تجب الزكاة والحجّ أو إتمام الصلوات أو تخيير الصوم على واحد دون آخر على حسب اختلاف حاله، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥] أنّ كل واحد عمل جميع ما يجب عليه من الأعمال على حسب حاله. ١٢ منه عُفِي عنه.

(والآية حجة على مَن جعل الأعمال إيمانًا) لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه. ولا يقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل

والعلماء سواء فيه فعلم أن الاستغراق المُشار إليه بالجنس عرفي لا حقيقي نحو جمع الأمير الصاغة والقول بأن إرادة البعض متعيِّن فيكون للعهد الذهني ضعيف لأنه إن أراد بالنسبة إلى كل فرد بالنسبة إلى حاله فلا يخفى فساده إذ المجموع بالنظر إلى حاله معتبر البَتَّة وإن أراد بالنسبة إلى كل مكلَّف بدون تقييد بالنظر إلى حاله فذلك البعض متفاوت في المكلَّفين فيؤول إلى الاستغراق العُرفي إذ لا أحد يجب عليه بعض الأحكام بدون ملاحظة حاله فإذا لوحظ حاله يكون ذلك البعض كُلًّا بالنظر إليه على أنه يجوز أن يوجد واحد من المكلَّفين يجب عليه كل الأحكام بأسرها فلا يتناول العهد الذِّهني له، والمؤمن الذي لم يعمل أصلًا أو عمل عملًا واحدًا أو آمن ومات قبل أن يعمل أو بلغ ومات قبل أن يعمل فمعرفة كونه مبشرًا من موضع آخر. **قوله: (والآية حجة على مَن جعل الأعمال إيمانًا)**... الخ قد اختلف أهل القِبلَة في مُسَمَّى الإيمان في عُرْف الشَّرع على أربع فِرَق: فرقة قالوا: الإيمان فعل القلب فقط وهؤلاء قد اختلفوا على قولين: أحدهما وهو مذهب المحقِّقين وإليه ذهب الأشعري وأكثر الأئمة كالقاضي عبد الجبار والأستاذ أبي إسحٰق الإسفرايني والحسين بن الفضل وغيرهم أنه مجرد التصديق بالقلب أي تصديق الرسول عليه السلام في كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقًا جازمًا مطلقًا سواء كان لدليل أو لا فقولهم مجرد التصديق إشارة إلى أنه لا يعتبر فيه كونه مقرونًا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة لإخراج ما لا يعلم بالضرورة أن الرسول عليه السلام جاء به كالاجتهاديات كالتصديق بأن الله عالِم بالعلم أو عالم بذاته والتصديق بكونه مرئيًا أو غير مرئي فإن هذين التصديقين وأمثالهما غير داخلة في مسمى الإيمان فلهذا لا يُكَفَّر مُنكِر الاجتهاديات بالإجماع والتقييد بالجازم لإخراج التصديق الظنِّي فإنه غير كافٍ في حصول الإيمان والتقييد بالإطلاق لدفع وَهْم خروج اعتقاد المقلِّد فإن إيمانه صحيح عند الأكثرين وهو الصحيح.

فإن قيل اقتصر النبي عليه السلام عند سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بذكر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فلم يزد عليه الإيمان بكل ما جاء به رسول

المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشّر بالجنة لمن آمن وعمل

الله ﷺ. قلت: لاشتمال الإيمان بالكتب عليه لأن من جملة الكتب القرآن ويدلّ على وجوب أخذ كل ما جاء به عليه السلام باعتقاد حقيقته والعمل به لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: الآية ٧]. والقول الثاني أن الإيمان معرفة الله تعالى وحده بالقلب والإقرار باللسان ليس بركن فيه ولا شرط حتى إن مَن عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقرّ به فهو مؤمن كامل الإيمان وهو قول جهم بن صفوان، وأما معرفة الكتب والرُسُل واليوم الآخر فقد زعم أنها غير داخلة في حدّ الإيمان وهذا بعيد من الصواب لمخالفة ظاهر الحديث والصواب ما حكاه الكعبي عن جهم أن الإيمان معرفة الله تعالى مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام. والفرقة الثانية قالوا إن الإيمان حيّ باللسان فقط وهم أيضًا فريقان الأول أن الإقرار باللسان هو الإيمان فقط، ولكن شرط كونه إيمانًا حصول المعرفة في القلب فالمعرفة شرط لكون الإقرار اللساني إيمانًا لأنها داخلة في مسمى الإيمان وهو قول غيلان بن مسلم الدمشقي والفضل الرقاشي. الثاني أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان وهو قول الكرامية وزعموا أن المنافق مؤمن الظاهر كافر السَّريرة فيثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة. والفرقة الثالثة قالوا إن الإيمان عمل القلب واللسان معًا أي في الإيمان الاستدلالي دون الذي بين العبد وبين ربّه، وقد اختلف هؤلاء على أقوال: الأول أن الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول أبي حنيفة وعامّة الفقهاء وبعض المتكلمين. الثاني أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معًا وهو قول بشر المريسي وأبي الحسن الأشعري. والثالث أن الإيمان إقرار باللسان وإخلاص بالقلب. فإن قلت ما حقيقة المعرفة بالقلب على قول أبي حنيفة رضي الله عنه، قلت: فسّروها بشيئين الأول بالاعتقاد الجازم سواء كان اعتقاده تقليديًا أو كان علمًا صادرًا عن الدليل وهو الأكثر والأصح ولهذا حكموا بصحة إيمان المقلّد، الثاني بالعلم الصادر عن الدليل وهو الأقل فلذلك زعموا أن إيمان المقلّد غير صحيح ثم اعلم أن لهؤلاء الفرقة اختلافًا في موضع آخر أيضًا وهو أن الإقرار باللسان هل هو ركن الإيمان أم شرط له في حق إجراء الأحكام، قال بعضهم: هو شرط لذلك حتى أن مَن صدَّق الرسول عليه السلام في جميع

صالحًا، لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان، ولا

ما جاء به من عند الله تعالى فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقرّ بلسانه. وقال حافظ الدين النسفي هو المروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه وإليه ذهب الأشعري في أصحّ الروايتين وهو قول أبي منصور الماتريدي. وقال بعضهم: هو ركن لكنه ليس بأصلي له كالتصديق بل هو ركن زائد ولهذا يسقط حالة الإكراه والعَجْز. وقال فخر الإسلام: إن كونه ركنًا زائدًا مذهب الفقهاء وكونه شرطًا لإجراء الأحكام مذهب المتكلّمين. والفرقة الرابعة قالوا: إن الإيمان فعل القلب واللسان مع سائر الجوارح وهم أصحاب الحديث ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي. وقال الإمام وهو مذهب المعتزلة والخوارج والزيدية. أما أصحاب الحديث فلهم أقوال ثلاثة: الأول إن المعرفة إيمان كامل وهو الأصل ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حِدَة وزعموا أن الجحود وإنكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حِدَة ولم يجعلوا شيئًا من الطاعات إيمانًا ما لم توجد المعرفة والإقرار ولا شيئًا من المعاصي كفرًا ما لم يوجد الجحود والإنكار لأن أصل الطاعات الإيمان، وأصل المعاصي الكفر والفرع لا يحصل دون ما هو أصله وهو قول عبد الله بن سعيد. القول الثاني أن الإيمان اسم للطاعات كلها فرائضها ونوافلها وهي بجملتها إيمان واحد وإن مَن ترك شيئًا من الفرائض فقد انتقص إيمانه ومَن ترك النوافل لا ينقص إيمانه. القول الثالث أن الإيمان اسم للفرائض دون النوافل. وأما المعتزلة فقد اتفقوا على أن الإيمان إذا عُدِّي بالباء فالمراد به في الشرع التصديق، يقال: آمن بالله أي صدّق فإن الإيمان بمعنى أداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية لا يقال فلان آمن بكذا إذا صلّى أو صام، بل يقال: آمن لله كما يقال صلّى لله، فالإيمان المعدّى بالباء مجرى على طريق اللغة وأما ما ذكر مطلقًا غير معدّى فقد اتفقوا على أنه منقول نقلًا ثانيًا من معنى التصديق إلى معنى آخر ثم اختلفوا فيه على وجوه أحدها أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الاعتقادات أو الأقوال والأفعال وهو قول واصل بن عطاء وأبي الهذيل والقاضي عبد الجبار. والثاني أنه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وهو قول أبي علي الجبائي وأبي هاشم. والثالث أن الإيمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد وهو قول

نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء غفر

النظام ومن أصحابه مَن قال شرط كونه مؤمنًا عندنا وعند الله اجتناب كل الكبائر. وأما الخوارج فقد اتفقوا على أن الإيمان بالله يتناول معرفة الله تعالى ومعرفة كل ما نصب الله عليه دليلًا عقليًا أو نقليًا ويتناول طاعة الله في جميع ما أمر به ونهى صغيرًا كان أو كبيرًا وقالوا مجموع هذه الأشياء هو الإيمان ويقرب من مذهب المعتزلة مذهب الخوارج ويقرب من مذهبهما ما ذهب إليه السلف وأهل الأثر أن الإيمان عبارة عن مجموع ثلاثة أشياء: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان إلا أن بين هذه المذاهب فرقًا وهو أن مَن ترك شيئًا من الطاعات سواء كان من الأفعال أو الأقوال خرج من الإيمان عند المعتزلة ولم يدخل في الكفر بل وقع في مرتبة بينهما يسمّونها منزلة بين المنزلتين وعند الخوارج دخل في الكفر لأن ترك كل واحدة من الطاعات كفر عندهم وعند السلف لم يخرج من الإيمان. وقال الشيخ أبو إسحٰق الشيرازي: وهذه أول مسألة نشأت في الاعتزال ونقل عن الشافعي ﷺ أنه قال: الإيمان هو التصديق والإقرار والعمل فالمُخِلّ الأول وحده مُنافِق وبالثاني وحده كافر، وبالثالث وحده فاسق ينجو من الخلود في النار ويدخل الجنة. قال الإمام في غاية الصعوبة لأن العمل إذا كان ركنًا لا يتحقّق الإيمان بدونه فغير المؤمن كيف يخرج من النار ويدخل الجنة؟ قلت: قد أُجيب عن هذا الإشكال بأن الإيمان في كلام الشارع قد جاء بمعنى أصل الإيمان وهو الذي لا يعتبر فيه كونه مقرونًا بالعمل كما في قوله عليه السلام: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبَعْث والإسلام أن تعبد الله ولا تُشرِك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» الحديث. وقد جاء بمعنى الإيمان الكامل وهو المقرون بالعمل كما في حديث وفد عبد القيس أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمْس والإيمان بهذا المعنى هو المراد بالإيمان المنفي في قوله عليه السلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث. وهكذا كل موضع جاء بمثله فالخلاف في المسألة لفظي لأنه راجع إلى تفسير الإيمان وأنه في أيّ المعنيين منقول شرعي وفي أيّهما مجاز ولا خلاف في

له وإن شاء عذّبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ (أي بأن لهم جنات). وموضع «أن» وما عملت فيه النصب بـ«بشّر» (**عند سيبويه خلافًا للخليل**) وهو كثير في التنزيل.

المعنى فإن الإيمان المُنجي من دخول النار هو الثاني باتفاق جميع المسلمين والإيمان المُنجي من الخلود في النار هو الأول باتفاق أهل السُّنَّة خلافًا للمعتزلة والخوارج ومما يدلّ على ذلك قوله عليه السلام في حديث أبي ذرّ «**ما من عبد قال لا إلـٰه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**». قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «**وإن زنى وإن سرق**». قال: وإن زنى وإن سرق، الحديث. وقوله عليه السلام: «**يخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» فالحاصل أن السلف والشافعي إنما جعلوا العمل ركنًا من الإيمان بالمعنى الثاني دون الأول وحكموا مع فوات العمل ببقاء الإيمان بالمعنى الأول وبأنه ينجو من النار باعتبار وجوده وإن فات الثاني فبهذا يندفع الإشكال كذا أفاده العلّامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفَّى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة في شرح البخاري المسمَّى بعمدة القاري رحمه الله.

قوله: (**أي بأن لهم جنات**) فحذف حرف الجر وهو حذف مطّرد مع أن ومع أن الناصبة للمضارع بسبب طولهما بالصلة فلما حذف حرف الجر اختلف النحاة فذهب الخليل والكسائي إلى أن كلمة إن مع ما في حيِّزها مجرور المحل بناء على أن حرف الجر وإن ذهب لفظًا فهو ملحوظ معنى فيكون موجودًا حكمًا والجر باقيًا كما في قولهم: الله لأفعلنَّ بجر لفظ الجلالة بإضمار الجار وذهب سيبويه والفرّاء إلى أنه منصوب المحل بناء على أن فصحاء العرب إذا حذفوا حرف الجر يجعلونه نسيًا منسيًّا ويوصِلون الفعل بنفسه إلى مدخوله فينصبونه كما في قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] وهو المختار لأن حذف حرف الجر وإبقاء عمله نادر قليل وجنات اسم أن ولهم خبرها مقدّمًا ولا يجوز تقديم خبر إن وأخواتها إلا ظرفًا أو حرف جر.

قوله: (**عند سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمه الله. **قوله**: (**خلافًا للخليل**) بن أحمد البصري وهو أستاذ سيبويه رحمه الله.

(والجنة البستان) من النخل **(والشجر المتكاثف، والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان، وسميت دار الثواب**

قوله: (والجنة البستان) البستان يطلق على الأرض التي فيها الأشجار وعلى الأشجار وحدها وورد في شعر الأعشى بمعنى النخلة خاصة كما ذكره الجواليقي في كتاب العرب وقد عرَّبته العرب قديمًا واستعملته بهذين المعنيين وأصله بالفارسية بوستان وبوي الرائحة الطيبة وستان بمعنى المكان والناحية فخفّف بحذف الياء والواو وخصَّ بأرض الأشجار التي تعطر بروض النسيم وطيب الأزهار ثم عرِّب ونقل بهذا المعنى ثم توسّعوا فيه فأطلقوه على الأشجار نفسها ومثل البستان في معنييه الجنة فتطلق على الأرض بأشجارها وعلى الأشجار وحدها من النخل في المصباح النخل اسم جمع الواحدة نخلة وكل جمع بينه وبين واحده الهاء قال ابن السكِّيت: فأهل الحجاز يؤنِّثون أكثره فيقولون هي التمر وهي البر[1] وهي النخل وهي البقر وأهل نجد وتميم يذكرون فيقولون: نخل كريم وكريمة وكرائم وفي التنزيل نخل منقعر ونخل خاوية وأما النخيل بالياء فمؤنثه قال أبو حاتم لا اختلاف في ذلك. اهـ.

(والشجر) في المصباح الشجر ما له ساق صلب يقوم به كالنخل وغيره الواحدة شجرة وتجمع أيضًا على شجرات وأشجار. اهـ. **(المتكاثف)** مُستَعار من الكثافة المقابلة للَّطافة والرقّة. **قوله**: **(والتركيب دائر على معنى الستر)** أي إن حروف جنّ تتضمن معنى الستر **(ومنه الجن)** في المصباح الجن والجنة خلاف الإنس. اهـ. وسُمِّي الجنّ جنًّا لاستتارهم واختفائهم عن أعين الناس **(والجنون)** سُمِّي جنونًا لما فيه من ستر العقل **(والجنين)** في المصباح الجنين وصف له ما دام في بطن أُمه والجمع أجنّة مثل دليل وأدلّة قيل: سُمِّي بذلك لاستتاره فيه فإذا وُلِد فهو منفوس. اهـ. **(والجنة)** في لسان العرب الجُنة بالضم ما واراك من السلاح واستتر به والجنة السترة والجمع الجُنن. اهـ.

(والجان) حيّة بيضاء كذا في الصحاح **(والجنان)** بالفتح القلب سُمِّي به لاستتاره في الصدر كذا في لسان العرب. **قوله**: **(وسُمِّيت دار الثواب**

---

(١) البُرّ ـ بالضمّ ـ القمح، الواحدة برّة. اهـ مصباح. وأيضاً فيه القمح عربي وهو البرّ والحنطة والطعام، والقمحة الحبّة. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

جنة لما فيها من الجنان). والجنة مخلوقة (**لقوله تعالى**: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) خلافًا لبعض المعتزلة. (**ومعنى جمع الجنة وتنكيرها**) أن

جنة[1]) دار الثواب هي الدار الآخرة وهي في مقابلة الدنيا التي هي دار التكليف والنار التي هي دار العقاب كذا أفاده العلّامة شهاب عليه رحمة الله الوهّاب وقال العلّامة إسماعيل القنوي رحمه الله دار الثواب أي دار النعيم ومقام كريم لا الدار الآخرة والتعبير بدار الثواب أي دار الجزاء للإشارة إلى كونها في مقابلة الإيمان والأعمال الصالحات بمقتضى وعده تعالى وإن كان تفضّلًا ورحمة منه تعالى في حدّ ذاته. انتهى فافهم (**لما فيها من الجنان**) بالكسر جمع جنة بالفتح بمعنى أرض ذات أشجار وحدائق[2] أو أشجار وهذا تعليل لتسمية دار الثواب الجنة مع أن فيها أنواعًا من النِّعَم سوى الأشجار المتكاثفة يعني سُمِّيت بها لكثرة جنانها كما أن دار العقاب سُمِّيت نارًا مع أن فيها أنواعًا من العذاب لكونها أعظم العقاب. **قوله**: (**لقوله تعالى**: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) قال القرطبي: لا خلاف أن الله تعالى أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنة وبعد إخراجه قال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: الآية ٣٥] أي لازِم الإقامة واتخذها مسكنًا وهو محل السكون وليس المراد به ضدّ الحركة بل اللَّبث والاستقرار (﴿وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) حوّاء يقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج أفصح كما في تفسير أبي الليث وإنما لم يخاطبهما أولًا تنبيهًا على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له (﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) هي دار الثواب بإجماع المفسّرين خلافًا لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا المراد بالجنة بستان كان في أرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانًا لآدم وأوّلوا الهبوط بالانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦١] وفيه نظر لأن الهبوط قد يُستَعار للانتقال إذا ظهر امتناع حقيقته واستبعادها وهناك ليس كذلك. **قوله**: (**ومعنى جمع الجنة وتنكيرها**)... الخ

---

(١) الجنّة ـ بالفتح ـ الحديقة ذات الشجر، وقيل: ذات النخل، والجمع جنّات على لفظها وجنان أيضاً، كذا في المصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) في المصباح: الحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة؛ لأن الحائط أحدق بها أي أحاط ثم توسّعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وإن كان بغير حائط، والجمع الحدائق. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ الجملة في موضع النصب صفة لجنات،

جواب عمّا يقال أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي دار واحدة فما معنى جمعها وتنكيرها وتقرير الجواب أن الجنة وإن كان اسمًا لدار الثواب كلها إلا أنها مشتملة على جنان كثيرة فجمعت لاشتمالها عليها وأما تنكيرها فليدلّ على تنوّعها فإنها أنواع مختلفة بحسب اختلاف العامِلِين واختلاف أنواع أعمالهم وهِمَمِهم ودرجات أعمالهم وعلومهم واختلافهم كأنه قيل لهم جنات شتّى مختلفة بحسب اختلاف أعمالهم ومراتبها في مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ﷺ قال ابن عباس: وهي ثمانية: دار الجلال، ودار القرار، ودار السلام، وجنة عدن وهي قصبة الجنة وهي مُشرِفَة على الجنان كلها، وباب جنة عدن مصراعان من زمرّد وياقوت ما بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، قال ابن عباس: دار الجلال كلها من نور مدائنها ومراقيها وقصورها وبيوتها وأبوابها وأعاليها وأسافلها وخيامها وأوانيها وحُلِيِّها وكل ما فيها، ودار القرار كلها من المرجان، ودار السلام كلها من الياقوت الأحمر، وجنة عدن من الزبرجد كلها، وجنة المأوى من الذهب الأحمر كلها، وجنة الخلد من الفضة كلها، وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لَبِنَة من ذهب ولَبِنَة من فضة ولَبِنَة من ياقوت ولَبِنَة من زبرجد وملاطها وهو ما يُجعَل بين اللبنين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وأرضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر، وجنة النعيم من الزمرد كلها. وقال مجاهد: أرض الجنة فضة وترابها المسك وأصول أشجارها ذهب وفضة وأفنانها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ انتهت. وفي تفسير روح البيان للفاضل الكامل الشيخ إسماعيل حقي أفندي ﷺ في الخبر أن المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة في كل حديقة سبعون ألف شجرة على كل شجرة سبعون ألف ورقة وعلى كل ورقة لا إلـٰه إلّا الله محمد رسول الله أُمة مذنبة وربٌّ غفور كل ورقة عرضها من مشرق الشمس إلى مغربها. انتهى.

(والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطيء الأنهار الجارية. وأنهار الجنة تجري في غير أخدود. وأنزه البساتين) ما كانت أشجارها مظلّة

قوله: (والمراد من تحت أشجارها) إشارة إلى أن الجنة عبارة عن مجموع العرصة والأشجار لا الأشجار وحدها وإن تقدير الأشجار أولى لأنها جزء المعنى المراد. **قوله: (كما ترى الأشجار النابتة على شواطيء الأنهار الجارية)** من تشبيه الحال بالحال والهيئة بالهيئة فلم يلزم أن يقال كما ترى الأنهار الجارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها[1] ثم لا خفاء في أن الأنهار إنما تجري من تحت الأشجار فيكون على حذف المضاف أن جعلت الجنة هي الأرض التي فيها الأشجار ولا يعلم من قوله الجنة البستان من النخل والشجر أنها نفس الأشجار الملتفّة أو الأرض التي فيها تلك أو مجموع الشيئين والشاطيء مهموز الآخر كالساحل وزنًا ومعنى وجمعه شواطيء. **قوله: (وأنهار الجنة تجري في غير[2] أخدود)** رواه مسروق وهذا أثر صحيح أخرجه ابن المبارك وهناد في الزهد وابن جرير والبيهقي في البعث والأخدود كما في الصحاح شقّ مستطيل في الأرض والأثر مؤيد لكون المعنى تجري من تحت أشجارها كذا في عناية القاضي وكفاية الراضي. وفي حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي وعلى ما ذكره مسروق يكون جريه تحت الأشجار على وجه غير معتاد وهو جريه على سطح الجنة حيث شاء أهلها منضبطًا بقدرة الله تعالى. انتهت.

ومسروق بزنة المفعول هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بالجيم ودال مهملة ابن مالك بن أميّة بن عبد الله الهمداني الكوفي التابعي المخضرم. روى عن أبي بكر الصدِّيق وعثمان وعليّ وسمع عمر بن الخطاب وابن مسعود وخباب بن الأرت وزيد بن ثابت وابن عمرو والمغيرة وعائشة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه أبو وائل وهو أكبر منه وسليمان بن مسعود وابن الضحى والشعبي والنخعي والسبيعي وعبد الله بن مرّة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وآخرون واتفقوا على جلالته وتوثيقه وفضيلته وإمامته. قال الشعبي: ما علمت أحدًا كان أطلب للعلم من مسروق. وقال مُرَّة ما ولدت همدانية مثل مسروق

---

(١) أي جوانبها. ١٢ منه.

(٢) أي في غير شقّ، والخدّ الشقّ. ١٢ خازن.

والأنهار في خلالها (**مطردة**) والجري الاطّراد. والنهر المجرى الواسع (**فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل: نهر مصر، واللغة العالية**) نهر (**ومدار التركيب على السعة،**

وقال علي بن المديني لا أقدّم على مسروق أحدًا من أصحاب ابن مسعود وصلّى خلف أبي بكر ولقي عمر وعليًا ولم يروِ عن عثمان شيئًا. وقال أبو داود: كان أبو مسروق أفرس فارس باليمن وهو ابن أُخت عمرو بن معديكرب. وقال عمر بن الخطاب لمسروق: ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال سمعت النبي ﷺ يقول: الأجدع شيطان وأنت مسروق بن عبد الرحمٰن قال الشعبي: فرأيته في الديوان مسروق بن عبد الرحمٰن وكان مسروق يصلي حتى تورَّمت قدماه. قال أبو سعد السمعاني كان مسروق سُرق في صغره فغلب عليه ذلك. توفي سنة ثنتين، وقيل: سنة ثلاث وستين كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (**وأنزه البساتين**)... الخ في مختار الصحاح نزّه النزهة معروفة ومكان نَزِه وقد نزهت الأرض بالكسر تَنْزَهُ نُزْهَةً أي تزيّنت بالنبات. انتهى. وفي غياث اللغات نزه بفتح أول وكسر زاء عربي وهاء ملفوظ پاك ازعيب ومجازًا بمعنى تازه وخوب ازلطائف. انتهى. **قوله**: (**مطّردة**) جارية في لسان العرب اطَّرَدَ الماء إذا تتابع سيلانه. انتهى. وفي المصباح اطّردت الأنهار جرَت. انتهى.

قوله: (**فوق الجدول ودون البحر**) الجدول أصغر الأنهار كالقناة والبحر أعظمها. **قوله**: (**يقال للنيل نهر مصر**) وهو نهر عظيم مشهور. **قوله**: (**واللغة العالية**) أي الفصيحة المشهورة التي يتكلم بها الأعلون[1] في الفصاحة نهر بفتح الهاء وهو اسم جنس وقد يُراد به معنى الجمع كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٥٤]. **قوله**: (**ومدار التركيب على السَّعة**[2]) أي تركيب ما أوله نون ثم الهاء ثم الراء لا يخلو من معنى السعة فإن النهار اسم لضوء واسع يمتَدّ من طلوع الشمس إلى غروبها ويقال أنهرت الطعنة إذا وسعتها واستنهر الشيء أي اتّسع وأنهرت الدم أي أسلته بكثرة وأما النهر بمعنى الزجر فالمراد به زجر بليغ كما فسره الراغب ففيه سعة معنوية قيل ومنه الرهن لأن فيه سعة للراهن والمرتهن فالمراد من

---

(١) أي الفصيح الأعلى. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) سعة ـ بالفتح ـ فراخى، والهاء عوض من الواو. منتهى الأرب.

وإسناد الجري إلى الأنهار مجازي). وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها **(فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى:** ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤]،

التركيب التركيب من هذه الحروف مطلقًا. **قوله: (وإسناد الجري إلى الأنهار مجازي)** من غير تجوّز[1] في الظرف ولا تقدير[2] فيكون لفظ الأنهار حقيقة لغوية وإسناد الجري إلى الأنهار مجازًا عقليًا على طريق إسناد الفعل إلى المحل الذي يلابسه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: الآية ٢] فإن الفاعل الحقيقي للإخراج هو الله تعالى وقد أسند إلى الأرض التي هي محل إخراج الله تعالى الأثقال. **قوله: (فعوّض التعريف باللام من تعريف الإضافة)** فيكون تعريف الأنهار تعريفًا لاميًا قائمًا مقام التعريف الإضافي لا أن يكون اللام عوضًا من المضاف إليه كما يراه[3] الكوفيون وبعض البصريين. **قوله: (كقوله تعالى:** ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤]) لم يُضِف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا يعني من جهة جعله خبرًا عن ﴿إِنِّي﴾ [مريم: الآية ٤] وعطفه على ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: الآية ٤] فظهر أن المعنى على الإضافة وصحَّ أن التعريف باللام بدل من تعريف الإضافة من غير أن يكون اللام بدلًا من المضاف إليه في تفسير الجلالين في سورة مريم في ذكر زكريا على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام قال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ [الآية ٤] ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ [الآية ٤] جميعه ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ [الآية ٤] مني ﴿شَيْبًا﴾ [الآية ٤] تمييز مُحَوَّل من الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب. انتهى. وفي الجمالين للجلالين للعلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري.

قوله: (ضعف) بضم العين. قوله: (جميعه) الأظهر جنسه وخصّ جنسه عمود البدن وأشدّ ما فيه. **قوله:** (﴿مِنِّي﴾ [مريم: الآية ٤]) ففيه إجمال وتفصيل أو

---

(١) على أن يكون لفظ الأنهار مجازًا لغويًا من حيث أنه كان موضوعاً للمجازي التي هي الأخاديد، وأريد به ما حلّ فيها من المد مجازًا مرسلًا. ١٢ منه.

(٢) على أن يكون الأصل تجري من تحتها مياه الأنهار، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢]، أي أهل القرية. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) أي كون اللام عوضاً عن المضاف إليه. ١٢ منه.

أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [محمد: الآية ١٥]، **الآية)** والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا **(قرن)** الله تعالى الجنّات بذكر الأنهار الجارية وقدمه **(على سائر نعوتها)**.

رأسي وهو الأظهر والمراد شعره وأسند إلى منبته مجازًا لإفادة الشمول. **قوله:** (شعره) أي الرأس. انتهى. **قوله: (أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى فيها:** ﴿أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [مُحَمَّد: الآية ١٥] **الآية)** فيكون اللام للعهد الخارجي والآية المذكورة من سورة القتال وهي مدنية[١] على الأصح وقيل إنها مكية[٢] ولهذا قال الشيخ بهاء الدين بن عقيل رحمه الله هذا يتوقف على تقدم نزول آية القتال على هذه وقد قال عكرمة: إن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة ولذا قال الفاضل التفتازاني: إنما يصحّ هذا لو ثبت سبقها في الذِّكْر ومع ذلك فلا يخفى بعد مثل هذا العهد وتبعه الفاضل الشريف قدّس سره. وفي حواشي ابن الصائغ هذا إنما يتمشَّى على تقدير أن يكون ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ﴾ [محمد: الآية ١٥] الآية سبقت في النزول هذه الآية وهو قول الضحاك وسعيد بن جبير في أنها مكية وأما على قول مجاهد إنها مدنية فإنما يتمشّى على تقدير أن يكون ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ﴾ [محمد: الآية ١٥]... الخ سبقت في النزول هذه الآية. **قوله: (في قوله تعالى:** ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [مُحَمَّد: الآية ١٥] **الآية)** في تفسير الجلالين في سورة القتال ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [مُحَمَّد: الآية ١٥] بالمد والقصر كضارب وحَذِر أي متغيِّر بخلاف ماء النهر فيتغيَّر لعارض (﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ [محمد: الآية ١٥]) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ﴾ [محمد: الآية ١٥] لذيذة **(للشاربين)** بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾ [محمد: الآية ١٥]) بخلاف عسل الدنيا فإنه يخرج من بطن النحل يخالطه الشمع وغيره[٣]. انتهى. **قوله:** (قرن) في لسان العرب قَرَنْتُ الشيء بالشيء وصلتُه. انتهى.

قوله: (على سائر نعوتها) في المصباح سئر الشيء سؤرًا بالهمزة من باب شرف بقي فهو سائر قاله الأزهري واتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلًا كان

---

(١) فح لا عهد. ١٢ منه. (٢) فح يكون قرينة على العهد. ١٢ منه.
(٣) قوله: وغيره من فضلات النحل علي قاري رحمه الله. ١٢ منه.

﴿(كُلَّمَا) رُزِقُوا﴾ (صفة ثانية لـ«جنات» أو جملة مستأنفة) لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل (خلد السامع) أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل: إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله. ﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي﴾ أي «كلما رزقوا» من الجنات، من أي ثمرة كانت من (**تفاحها**

أو كثيرًا قال الصغاني: سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام ولا يجوز أن يكون مشتقًّا من سور البلد لاختلاف المادتين ويتعدّى بالهمزة فيقال أسأرته ثم استعمل المصدر اسمًا للبقية أيضًا وجمع على أسْآر مثل قفل وأقفال. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب:

سائر كصاحب باقي وهمه قليلًا

ومنه قول الأحوص:

فجلتها لنا لبابة لَمَّا ... وَقَدَ النومُ سائر الحُرَّاس

أي جميعهم. انتهى وأيضًا فيه سار الشيء تمامه أن چيز لغة في سائر الشيء. انتهى. وأيضًا فيه سائر الناس تمامه مردم. انتهى. **قوله**: (كُلَّمَا) نصب على الظرفية وهذا بالاتفاق وناصبها قالوا الذي هو جوابه معنى وجاءتها الظرفية من جهة ما فإنها إما مصدرية أو اسم نكرة بمعنى وقت وكونها شرطية ليس بالوضع وإنما طرأ عليها في الاستعمال لأن ما المصدرية التوقيتية شرط من حيث المعنى فلذا احتاجت لجملتين مرتبة أحدهما على الأخرى ولا يجوز أن تكون ما شرطية كما فصّله في المغني وشرحه. **قوله**: (**صفة ثانية لجنات**) أي صفة مادحة لها كالصفة الأولى وهي تجري فيكون منصوب المحل ولم يتخلل العاطف بين الصفتين إشعارًا بأن الصفة الثانية أيضًا صفة مستقلة ولو عطف الثانية على الأولى ربما توهّم أنها صفة واحدة. **قوله**: (**أو جملة مستأنفة**) فلا يكون لها محل من الإعراب. **قوله**: (**خلد السامع**) الخلد بفتحتين البال والقلب والنفس وكلٌّ منها صحيح هنا. **قوله**: (**تفاحها**) في المصباح التفاح فعال فاكهة معروفة الواحدة تفاحة وهو عربي.اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب تُفّاح كرمّان سيب تُفّاحة يكي.

أو رمانها) أو غير ذلك، «رزقًا» قالوا ذلك. (فـ «من» **الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية)** لأن الرزق قد ابتدىء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدىء من ثمرة، ونظيره أن تقول: رزقني فلان فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه. فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من الرمان. وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة (**الفذة**) وإنما المراد نوع من أنواع الثمار. ﴿رُزِقْنَا﴾ أي رزقناه فحذف العائد ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل هذا، فلما قطع عن الإضافة بنى، والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ وهذا كقولك: («**أبو يوسف أبو حنيفة**») تريد أنه (**لاستحكام الشبه**) كأن ذاته ذاته.

انتهى. **قوله**: (**أو رمّانها**) في المصباح الرمّان فعال ونونه أصلية ولهذا ينصرف فإن سُمِّي به امتنع حملًا على الأكثر الواحدة رمانة. انتهى.

قوله: (**فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية**)... الخ يعني (إنهما) ظرفان لغوان متعلقان بـ ﴿رُزِقُوا۟﴾ إلا أن الأول متعلق به مطلقًا والثاني متعلق به مقيدًا بكونه من الجنات. **قوله**: (**الفَذّة**) أي الواحدة في المصباح **الفَذُّ** الواحد وجمعه فذوذ. انتهى. **قوله**: (**لاستحكام الشبه**) بينهما في العلم والاجتهاد. **قوله**: (**أبو يوسف وأبو حنيفة**) في كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للعلّامة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان، عليه رحمة الله تعالى المنّان، القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد ابن حبتة الأنصاري وسعد ابن حبتة أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو مشهور في الأنصار بأُمه وهي حبتة بنت مالك من بني عمرو بن عوف وأما أبو سعد ابن حبتة فهو عوف بن بجير بن معاوية بن سلمى بن بجيلة حليف بني عمرو بن عوف الأنصاري هكذا ساق نسب سعد ابن حبتة في الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادي فإنه قال في تاريخه هو سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي سامة بن شحمة بن سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة وهو صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان فقيهًا عالِمًا حافظًا سمع أبا إسحٰق الشيباني وسليمان التيمي ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري والأعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحٰق بن يسار وتلك الطبقة وجالس محمد بن

....

عبد الرحمـٰن بن أبي ليلى ثم جالس أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه النعمان بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وخالفه في مواضع كثيرة وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين في آخرين وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يُكرمه ويُجِلّه وكان عنده حَظِيًّا مَكينًا وهو أول مَن دُعِي بقاضي القضاة ويقال إنه أول مَن غيّر لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئًا واحدًا لا يتميَّز أحد عن أحد بلباسه ولم يختلف يحيىٰ بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سمّاه كتاب الانتهاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظًا وأنه كان يحضر المحدّث ويحفظ خمسين أو ستين حديثًا ثم يقوم فيُمليها على الناس، وكان كثير الحديث. وقال محمد بن جرير الطبري: وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غَلَبَة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلّده القضاء. وحكى أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقلّ رثّ الحال فجاءني أبي يومًا وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال: يا بني لا تمدّ رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خُبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخّري عنه قال لي: ما شغلك عنّا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع إليَّ صرّة وقال: استمتع بها فنظرت فإذا فيها مائة درهم، وقال لي الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إليَّ مائة أخرى ثم كان يتعهّدني وما أعلمته بخلّة قطّ ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتموّلت ثم قال الخطيب: وحُكِيَ أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلًا صغيرًا وأن أُمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ثم روى

....

الخطيب أيضًا بسند متصل إلى علي بن الجعد قال: أخبرني أبو يوسف القاضي قال: توفي أبي وخلفني صغيرًا في حِجْر أُمي فأسلمتني إلى قصَّار أخدمه فكنت أدع القصَّار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فأجلس أسمع فكانت أُمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصَّار وكان أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعنى بي لِما يرى من حضوري وحِرصي على التعلّم فلما كثر ذلك على أُمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وإنما أُطعمه من مِغزَلي وآمل أن يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مرّي يا رعناء[1] ها هو ذا يتعلّم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أُجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قَدِم إلى هارون الرشيد فالوذجة فقال لي: يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يُعمَل لنا مثلها، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت فقال لي: مِمَّ ضحكك؟ فقلت: خيرًا أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لتخبرني وألحَّ عليَّ فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فتعجّب من ذلك وقال: لعمري إن العلم لينفع دُنيا ودينًا وترحَّم على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه. وحكى علي بن المحسن التنوخي عن أبيه عن جدّه قال: كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قَدِم بغداد بعد موت أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فحنث بعض القوّاد في يمين فطلب فقيهًا يستفتيه فجيء له بأبي يوسف فأفْتاه أنه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له دارًا بالقرب منه ودخل ذلك القائد يومًا على الرشيد فوجده مغمومًا فسأله عن سبب غمّه فقال شيء من أمر الدين قد أحزنني فاطلب لي فقيهًا كي أستفتيه فجاءه بأبي يوسف. قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسنًا عليه أثر المُلْك وهو في حجرة محبوس فأومى إليّ بأصبعه مُستغيثًا فلم أفهم منه إرادته وأدخلت

---

(١) في القاموس: الأرعن الأهْوَج في منطقه والأحمق المسترخي، وقد رعن ـ مثلثة ـ رعونة ورعنا محرّكة. اهـ. وأيضًا فيه: الهوج محركة طولٌ في حمق. اهـ. ١٢ منه عُفي عنه.

....

إلى الرشيد فلما مَثَلْتُ بين يديه سلَّمت ووقفت فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين، قال: ما تقول في إمام شاهد رجلًا يزني هل يحدّه قلت: لا فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إليّ بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد: من أين قلت هذا؟ قلت: لأن النبي ﷺ قال: «**ادرءوا الحدود بالشُّبُهات وهذه شُبهة يسقط الحد معها**» قال: وأيّ شُبهة مع المعاينة؟ قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لأحد أخذ حقه بعلمه فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أُمه وجماعته وصار ذلك أصلًا للنعمة ولزمت الدّار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلَّدني القضاء، قلت: وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنه وَلِيَ القضاء لثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب. وقال طلحة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل وهو صاحب أبي حنيفة وأفقه أهل عصره ولم يتقدّمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وهو أول مَن وضع الكتب في أصول الفقه في مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبثّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، قال عمّار بن أبي مالك: ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو الذي نشر قولهما وبثّ علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضًا خِيفَ عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال: إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم مَن عليها وأومى إلى الأرض وقال أبو يوسف: سألني الأعمش عن مسألة فأجبته عنها فقال لي: من أين لك هذا؟ فقلت: من حديثك الذي حدَّثتناه أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن، وقال هلال بن يحيىٰ: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب

....

الجليس والأنيس عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: مضى أبو يوسف ليستمع المغازي من محمد بن إسحٰق أو من غيره وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أيامًا فلما أتاه قال أبو حنيفة: يا أبا يوسف مَن كان صاحب راية جالوت؟ فقال له أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيما كان أولًا وقعة بدر أو أُحُد فإنك لا تدري أيّهما كان قبل الآخر فأمسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضًا عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يومًا كتابًا وعلى يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه ففطن له أبو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له: هل وقفت على شيء من خطأ؟ فقال: لا والله ولا حرف واحد. فقال له أبو يوسف: جزيت خيرًا حيث كفيتنا مؤنة قراءته ثم أنشد:

كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب

وقال حماد بن أبي حنيفة: رأيت أبا حنيفة يومًا وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسألة فلا يقول أبو يوسف قولًا إلا أفسده زفر ولا يقول زفر قولًا إلا أفسده أبو يوسف إلى وقت الظهر فلما أذَّن المؤذِّن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال: لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف وقضى لأبي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر. وقال طاهر بن أحمد الزبيري: كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيُطيل الصمت فقال له أبو يوسف ألا تتكلم؟ فقال: بلى متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثَّل:

عجبت لإزراء الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت سترٌ للغبي وإنما صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

ومن كلام أبي يوسف صحبة مَن لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول: رؤوس النِّعَم ثلاثة: أولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغِنى التي لا يتم العيش إلا بها. وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى

تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر. وكان أبو يوسف راكبًا وغلامه يعدو وراءه فقال له رجل: أتستحلّ أن يعدو غلامك وراءك لِمَ لا تُركِبْه؟ فقال له: أيجوز عندك أن أسلم غلامي مكاريًا؟ قال: نعم. قال أبو يوسف: فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكاريًا. وقال يحيىٰ بن عبد الصمد: خُوصِم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبو يوسف في بستان وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك، فقال الهادي للقاضي أبي يوسف: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟ فقال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على الحق؟ فقال له الهادي: وترى ذلك؟ قال: فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال: ردّوا البستان عليه وإنما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يحلف. وقال بشر بن الوليد الكندي: قال لي القاضي أبو يوسف: بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي فإذا داقٌّ يدقّ الباب دقًّا شديدًا فأخذت عليَّ إزاري وخرجت فإذا هرثمة بن الأعين فسلّمت عليه فقال: أجِب أمير المؤمنين. فقلت: يا أبا حاتم لي بك حُرمَة وهذا وقت كما ترى ولست آمَن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور فإن أمكنك أن تدفع عني ذلك إلى غدٍ فلعله أن يحدث له رأي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، قلت: كيف كان السبب؟ قال: خرج إليَّ مسرور الخادم فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين، فقلت أتأذن لي أن أصبّ عليَّ ماء وأتحنّط فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأني وإن رزق الله العافية فلن يضرّني فأذِنَ لي فدخلت فلبست ثيابًا جديدة وتطيَّبت بما أمكَن من الطِّيب ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هارون الرشيد فإذا مسرور واقف فقال له هرثمة: قد جئت به، فقلت لمسرور: يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي وهذا وقت ضيق أفتدري لِمَ طلبني أمير المؤمنين؟ قال: لا، فقلت: فمَن عنده؟ قال: عيسى بن جعفر، قلت: ومَن قال ما عندهما ثالث ثم قال لي مر فإذا صرت في الصحن فإنه في الرّواق وهو ذاك جالس فحرِّك رِجلك في الأرض فإنه سيسألك فقل أنا قال أبو يوسف فجئت فقطعت ذلك فقال: مَن هذا؟ فقلت: يعقوب، فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلّمت فردّ السلام عليَّ وقال: أظنّنا روَّعناك؟ فقلت: أي والله وكذلك مَن خلفي، فقال:

....

اجلس، فجلست حتى سكن روعي ثم التفت إليَّ وقال: يا يعقوب أتدري لِمَ دعوتك؟ قلت: لا، قال: دعوتك لأُشهدك على هذا أن عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع وسألته أن يبيعها فأبى والله لئن لم يفعل لأقتلنّه. قال أبو يوسف: فالتفت إلى عيسى فقلت: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك في هذه المنزلة؟ فقال لي: عَجِلْتَ عليَّ في القول قبل أن تعرف ما عندي. قلت: وما هذا من الجواب؟ قال: إن عليّ يمينًا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها، فالتفت إليّ الرشيد فقال: هل له في ذلك من مخرَج؟ قلت: نعم، قال: وما هو؟ قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبع. فقال عيسى: ويجوز ذلك. قلت: نعم. قال: فأُشْهِدك أني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار. فقال له الرشيد: قَبلت الهِبَة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ثم طلب منه الجارية، فأتى بالجارية والمال فقال: خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها. فقال الرشيد: يا يعقوب بقيت واحدة. فقلت: وما هي؟ فقال: هي مملوكة ولا بدَّ أن تستبرأ ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إني لأظن أن نفسي ستخرج. فقلت: يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فإن الحرّة لا تستبرأ، قال: فإني قد أعتقتها فمَن يزوِّجنيها؟ فقلت: أنا، فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوّجته إياها على عشرين ألف دينار ودعا بالمال فدفعه إليها ثم قال لي: يا يعقوب انصرف ورفع رأسه إلى مسرور وقال: يا مسرور فقال: لبَّيك، قال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختًا[1] ثيابًا، فحمل معي ذلك. قال بشر بن الوليد: فالتفت إليَّ أبو يوسف وقال: هل رأيت بأسًا فيما فعلت؟ فقلت: لا، قال خذ حقك من هذا المال. قلت: وما حقي؟ قال: العشر. قال بشر فشكرته ودعوت له وذهبت لأقوم فإذا بعجوز قد دخلت فقالت: يا أبا يوسف إن ابنتك تُقرئك السلام وتقول لك: والله ما وصل إليَّ في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته وقد حملت إليك النصف منه وخلفت الباقي لما احتاج إليه، فقال: ردّيه فوالله لا

(١) التخت: وِعاء يُصان فيه الثياب. اهـ قاموس. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

قبلتها أخرجتها من الرقّ وزوَّجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا؟! قال بشر فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها وأمر لي منها بألف دينار وقال أبو عبد الله اليوسفي أن أُم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف ما ترى في كذا وأحبّ الأشياء إليَّ أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما أحبّت فبعثت إليه بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات في كل واحد لون من الطيب وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير فقال له جليس له: قال رسول الله ﷺ: «مَن أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها». فقال أبو يوسف: ذلك حين كانت الهدايا اللبن والتمر. وقال يحيىٰ بن معين: كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية أُم جعفر احتوت على تخوت ديبقي ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند[١] وغير ذلك فذاكرني رجل بحديث رسول الله ﷺ: «مَن أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاءه فيها»، فسمعه أبو يوسف فقال: أنّى تعرض ذلك؟ وإنما قاله النبي ﷺ والهدايا يومئذ الأقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام أشل[٢] إلى الخزائن ونقلت من كتاب اسمه اللفيف ولم يذكر فيه مَن هو مصنفه، قال: كان عبد الرحمٰن بن مسهر أخو علي بن مسهر قاضيًا على المبارك، (قلت) المبارك بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها كاف وهي بُلَيدة بين بغداد وواسط على شاطىء دجلة قال: فبلغ القاضي خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحرّاقة[٣] فقال عبد الرحمٰن القاضي لأهل المبارك اثنوا عليَّ عند أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف فأبوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانًا أسود وجاء إلى الشريعة فلما أقبلت الحراقة رفع صوته وقال: يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضينا قاضي صدق ثم مضى إلى شريعة أخرى، وقال مثل مقالته الأولى فالتفت هارون الرشيد إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب هذا شرّ قاضٍ في

---

(١) الندُّ: طيب، ويكسر أو العنبر. ١٢ قاموس.

(٢) في القاموس: أشَال الحجر وشال به وشاوله رفعه. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) في لسان العرب: الحَرّاقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدوّ في البحر. اهـ منه عُفِي عنه.

....

الأرض قاضٍ في موضع لا يُثني عليه إلا رجل واحد، فقال له أبو يوسف: وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي يثني على نفسه قال فضحك هارون وقال: هذا أظرف الناس هذا لا يُعزَل أبدًا وكان الرشيد إذا ذكره يقول: هذا لا يُعزَل أبدًا. وقيل لأبي يوسف: أتولّي مثل هذا القضاء؟ فقال إنه أقام ببابي مدة وشكى إليَّ الحاجة فولّيته. وقال أبو العباس أحمد بن يحيىٰ المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح: أخبرني بعض أصحابنا أن الرشيد قال لأبي يوسف: بلغني أنك تقول إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنّعة، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأن مَن صحَّ ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ومَن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنّعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره فتبسّم الرشيد وقال: صدقت. وقال محمد بن سماعة: سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول: اللَّهمَّ إنك تعلم أني لم أجر في حُكْم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمّدًا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسُنَّة نبيّك ﷺ وكل ما أشكل عليَّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممَّن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه. قلت: وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وقد رُؤِيَ يمسح على خُفَّيه فقيل له: أتجوّز المسح؟ قال: نعم، قد مسح عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومَن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكر هذا ابن قتيبة في ترجمة عليّ رضي الله تعالى عنه وأخبار أبي يوسف كثيرة وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ألفاظًا عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون ومحمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسن الدارقطني وغيرهم ينبو السمع عنها فتركت ذِكرها والله أعلم بحاله. وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد. وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة والأول أصحّ ووَلِيَ القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى. وأما ولده

يوسف فإنه كان قد نظر في الرأي وفقه وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحٰق السبيعي والسري بن يحيىٰ وغيرهما ووَلِي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه وصلّى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد ولم يزل على القضاء إلى أن مات في رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي أن أبا يوسف القاضي لمّا مات ولَّى الرشيد مكانه أبا البختري وهب بن وهب القرشي وكان أبو يعقوب الحزيمي الشاعر المشهور صديقًا لأبي يوسف ولابنه يوسف فلما توفي أبو يوسف سمع الحزيمي رجلًا يقول: اليوم مات الفقه فأنشد الحزيمي:

يا ناعِ الفقه إلى أهله ... إن مات يعقوب ولا تدري
لم يمت الفقه ولكنه ... حُوِّل من صدر إلى صدر
ألقاه يعقوب إلى يوسف ... فزال من صُلْبٍ إلى ظهر
فهو مقيم فإذا ما ثوى ... وحلَّ حلَّ الفقه في قبر

رحمهما الله تعالى وخُنيس بضم الخاء المعجمة تصغير أخنس وهو الذي تأخر أنفه عن وجهه مع ارتفاع قليل في الأرنبة فالرجل أخنس والمرأة خنساء وهذا التصغير يسمى تصغير ترخيم وحقيقته أن تُحذَف منه الحروف الزوائد ويُصَغَّر الباقي، كما قالوا أزهر وزهير وأسود وسويد وأحمد وحميد وغير ذلك. وحبته بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم في عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم أجده وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة، وقيل: هو بضم الباء وبالجيم المفتوحة والأول أصحّ والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه وسعد ابن حبته من جملة مَن استصغر يوم أُحُد، هو والبراء بن عازب وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم فردّهم النبي ﷺ ورآه النبي ﷺ يوم الخندق وهو يقاتل قتالًا شديدًا مع حداثة سِنّه فدعاه وقال له: مَن أنت؟ فقال سعد ابن حبته: فقال: أسعد الله جدّك ومسح على رأسه رضي الله عنه وخنيس هو صاحب جهار سوج خنيس بالكوفة وهو لفظ أعجمي تفسيره بالعربي أربع طرق لأن هذا المكان رحبة مربعة تفترق إلى أربع جهات والله تعالى أعلم. انتهى ما في كتاب وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان للعلّامة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان، عليه رحمة الله المنّان. وفي الجواهر المضيئة للشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفا محمد القرشي المصري الحنفي المتوفّى سنة خمس وسبعين وسبعمائة قال ابن أبي العوام: حدّثني محمد بن أحمد بن حمّاد، حدَّثني محمد بن شجاع سمعت الحسن بن أبي مالك وعباس بن الوليد وبشر بن الوليد وأبا علي الرازي يقولون: سمعنا أبا يوسف يقول: ما قلت قولًا خالفت فيه أبا حنيفة إلا وهو قول قاله ثم رغب عنه. انتهت. وأيضًا فيها أن أبا يوسف القاضي أوصى بمائة ألف لأهل مكة ومائة ألف لأهل المدينة ومائة ألف لأهل الكوفة ومائة ألف لأهل بغداد. انتهت باختصار. وأيضًا فيها بعث معروف الكرخي وكان موصوفًا بالعبادة رجلًا من أصحابه إلى دار أبي يوسف القاضي وكان عليلًا فقال له: أظنه قد مات فإن أُخرِج ليُدفَن فأعلِمني لأحضر جنازته، قال: فذهب الرجل فاستقبله جنازة أبي يوسف على باب داره وصلّى عليه في مسجده ودفن بقرب داره فلم يلحق الرجل أن يرجع إلى معروف قبل أن يُصَلّى عليه فلما فرغ من دفنه صار إلى معروف فأخبره الخبر فجعل معروف يترجّع لِما فاته من الصلاة عليه ويُظهِر الغَمّ لذلك. فقال له الرجل: يا أبا محفوظ أتتأسف على رجل من أصحاب السلطان يَلِي القضاء ويرغب في الدنيا أن لم تحضر جنازته؟! قال: فقال معروف: رأيت البارحة كأني دخلت الجنة فرأيت قصرًا قد فُرِشَت مجالسه وأُرخِيَت سُتُوره وقام ولدانه فقلت: لِمَن هذا القصر؟ فقالوا ليعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبي يوسف. فقلت: يا سبحان الله بِمَ استحقّ هذا من الله؟! فقالوا: بتعليمه الناس العلم وصبره على أذاهم. انتهت باختصار.

وفي تهذيب الأسماء للإمام محيي الدين بن شرف النووي الشافعي المتوفّى سنة ست وسبعين وستمائة أبو حنيفة الإمام، هو الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بضم الزاي وفتح الطاء[1]، قال الشيخ أبو إسحٰق في الطبقات: هو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماء مولى تيم الله بن ثعلبة. وُلد سنة ثمانين

(١) كموسى وفتحها كسلمى وسكرى. ١٢ منه.

من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة أخذ الفقه عن حمّاد بن أبي سليمان، قال: وكان في زمنه أربعة من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد وأبو الطفيل. ولم يأخذ عن أحد منهم. وقال الخطيب البغدادي في التاريخ: هو أبو حنيفة التيمي إمام أصحاب الرأي وفقيه أهل العراق، رأى أنس بن مالك وسمع عطاء بن أبي رَبَاح وأبا إسحٰق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصرّاف وقيس بن مسلم ومحمد بن المنكدر ونافعًا مولى ابن عمر وهشام بن عروة وبريد الفقير وسماك بن حرب وعلقمة بن مرثد وعطية العوفي وعبد العزيز بن رفيع وعبد الكريم أبا أمية وغيرهم، روى عنه أبو يحيىٰ الحمّاني وهشيم بن بشير وعباد بن العوّام وعبد الله بن المبارك ووكيع بن الجرّاح ويزيد بن هارون وعلي بن عاصم ويحيىٰ بن نصر وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وعمرو بن محمد العَبقَري وهودة بن خليفة وأبو عبد الرحمٰن المقري وعبد الرزاق بن همام وآخرون. قال الخطيب: وهو من أهل الكوفة نقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات ودفن بالجانب الشرقي منها في مقبرة الخيزران، وقبره هناك ظاهر معروف. ثم روى الخطيب بإسناده عن أحمد بن عبد الله بن صالح العَجَلي الإمام الحافظ قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: كوفيٌّ تَيْميٌّ من رهط حمزة الزيّات وكان خزَّازًا يبيع الخزّ وبإسناده عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى: فأما زوطى فإنه من أهل كابل[1] ووُلِد ثابت على الإسلام وكان زوطى مملوكًا لبني تيم الله بن ثعلبة فأُعتق فولاؤه لبني تيم الله بن ثعلبة. وكان أبو حنيفة خزّازًا ودُكّانهُ معروف في دار عمرو بن حريث. وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: أصل أبي حنيفة من كابل. وقال أبو عبد الرحمٰن المقري: كان أبو حنيفة من أهل بابل. وقال يحيىٰ بن النضر القرشي: كان والد أبي حنيفة من سباءٍ. وقال الحارث بن إدريس: أصل أبي حنيفة من ترمذ. وقال إسحٰق بن البهلول عن أبيه: قال ثابت والد أبي حنيفة من الأنبار وبإسناده عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: أنا إسماعيل بن حمّاد بن النعمان بن

(١) بضم الباء من إقليم المتأخر بالهند. ١٢ منه.

....

ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رقٌّ قطّ. وُلِد جدّي سنة ثمانين وذهب ثابت إلى عليّ بن أبي طالب وهو صغير فدعا له بالبركة في ذرّيّته ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب ذلك من عليّ بن أبي طالب فينا وبإسناده عن عبد الله بن عمرو الرقّي قال: كلّم ابن هبيرة أبا حنيفة أن يَلي له قضاءَ الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلمّا رأى ذلك خلّى سبيله. وكان ابن هبيرة عامِلًا على العراق في زمن بني أُمَيَّة وعن أبي بكر بن عياش قال: ضرب أبو حنيفة على القضاء وعن الربيع بن عاصم، قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقَدِمتُ بأبي حنيفة فأراده على بيت المال فأبى فضربه أسواطًا. وعن يحيىٰ بن عبد الحميد عن أبيه قال: كان أبو حنيفة كل يوم من الأيام يضرب ليدخل في القضاء فيأبى ولقد بكى في بعض الأيام فلمّا أطلق قال لي: كان عمر[1] والدتي أشدّ عليَّ من الضرب، وعن إسماعيل بن سالم البغدادي قال: أُكرِه أبو حنيفة على الدخول في القضاء فلم يقبل. قال: وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحّم على أبي حنيفة وبإسناده عن بشر بن الوليد الكندي قال: أشخص[2] المنصور أبو جعفر أمير المؤمنين أبا حنيفة ـ يعني من الكوفة إلى بغداد ـ فأراده على أن يولِّيه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلنَّ فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلنَّ فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فقال الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف؟ قال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفَّارة أيمانه أقدر مني على كفَّارة أيماني فأمر به إلى السجن في الوقت والصحيح أنه توفي وهو في السجن بإسناده عن معتب، قال: قال خارجة بن يزيد دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فأبى عليه فحبسه ثم دعا به فقال: أترغب عمّا نحن فيه؟ فقال أبو حنيفة: أصْلَح الله أمير المؤمنين لا أَصْلُحُ للقضاء. فقال له: كذبت، ثم عرض عليه الثانية فقال أبو حنيفة: قد حكم عليَّ أمير المؤمنين أني لا أصْلُحُ للقضاء لأنه نسبني إلى الكذب

---

(١) كذا بالأصل، ولعلّ صوابها: «عمى»، والله تعالى أعلم.

(٢) في المصباح: شخص يشخص بفتحتين شخوصًا خرج من موضع إلى غيره ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أشخصته. اهـ ١٢ منه عُفِي عنه.

....

فإن كنت كذابًا فلا أصلح للقضاء وإن كنت صادقًا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح فردّه في الحبس وبإسناده عن الربيع بن يونس قال: رأيت أمير المؤمنين المنصور يُنازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله ولا تشرك في أمانتك إلا مَن يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرِّضا فكيف أكون مأمون الغضب ولا أصلح لذلك؟! فقال له: كذبت أنت تصلح، فقال: قد حكمت على نفسك فكيف يحلّ لك أن تولِّي قاضيًا على أمانتك وهو كذاب؟! وقيل: إنه قعد في القضاء يومين وبعض الثالث فلما كان أبو حنيفة بعد يومين اشتكى فمرض ستة أيام ثم توفي وقال أبو نعيم: كان أبو حنيفة حَسَن الوجه حَسَن الثياب طيِّب الريح حَسَن المجلس كثير الكرم حَسَن المواساة لإخوانه. وقال أبو يوسف: كان أبو حنيفة رَبْعَة من الرجال ليس بالقصير ولا بالطويل وكان أحسن الناس منطقًا وأحلاهم نغمةً وأنبههم على ما تريد. وقال محمد بن جعفر بن إسحٰق بن عمر بن حماد بن أبي حنيفة: كان أبو حنيفة طوالًا تعلوه سُمرة، وكان لبّاسًا حسن الهيئة كثير التعطّر يُعرَف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله. وقال أبو حنيفة: قَدِمت البصرة وظننت أني لا أُسأل عن شيء إلا أجَبْتُ فيه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي أن لا أُفارق حمادًا حتى يموت فصحبته ثماني عشرة سنة. وقال أبو حنيفة: ما صلَّيت صلاة منذ مات حمّادٌ إلا استغفرت له مع والدي وإنّي لأستغفر لمَن تعلّمت منه علمًا أو علَّمته علمًا. وقال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي: يا أبا حنيفة عن مَن أخذت العلم؟ فقلت: عن حمّاد يعني ابن أبي سليمان عن إبراهيم يعني النخعي عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس فقال أبو جعفر: بخ بخ استوفيت يا أبا حنيفة ودخل أبو حنيفة يومًا على المنصور فقال المنصور: هذا عالم أهل الدنيا اليوم. وعن هشام بن مهران قال: رُئِيَ أبو حنيفة في النوم كأنه يَنْبُشُ قبر النبي ﷺ فبعث مَن سأل محمد بن سيرين فقال محمد بن سيرين: مَن صاحب هذه الرؤيا ولم يجبه عنها ثم سأله الثانية فقال مثل ذلك ثم سأله الثالثة فقال: صاحب هذه الرؤيا يثوِّر[1] علمًا لم يسبقه إليه أحد قبله وفي حديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

(١) في القاموس ثَوَّرَ القرآن بحث عن علمه. ١٢ منه.

قال: «**إن في أمتي رجلًا يقال له أبو حنيفة هو سراج الأمة**». قال الخطيب: هذا حديث موضوع، وكذا ذكره جماعة من الأئمة أنه موضوع وعن ابن عيينة قال: ما مقلَتْ عيني مثل أبي حنيفة. وعن ابن المبارك قال: كان أبو حنيفة آيةً، قيل له: في الخير أم في الشر؟ فقال: اسكت يا هذا فإنه يقال آية في الخير وغاية في الشر ثم تلا ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: الآية ٥٠]. وعن ابن المبارك قال: ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة كنّا يومًا في المسجد الجامع فوقعت حيّة فسقطت في حجر أبي حنيفة فهرب الناس غيره فما زاد على أن نفض الجُبَّة وجلس مكانه. وعن سهل بن مزاحم قال: بذلت الدنيا لأبي حنيفة فلم يردّها وضرب عليها بالسِّياط فلم يقبلها. وعن روح بن عبادة قال: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة فأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وتوجّع. وقال: أيّ علم ذهب؟ وعن مسعر بن كدام قال: ما أحسُدُ أحدًا بالكوفة إلا رجلين: أبا حنيفة في فقهه والحسن بن صالح في زهده. وعن الفضيل بن عِياض قال: كان أبو حنيفة فقيهًا معروفًا بالفقه مشهورًا بالورع وسيع المال معروفًا بالإفضال على مَن يطيق صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار كثير الصمت قليل الكلام حتى يردّ مسألة في حلال أو حرام وكان يحسن، يدلّ على الحق، هاربًا من السلطان. وعن أبي يوسف قال: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويّ، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحمّاد مع والدي وعن أبي بكر بن عياش قال: مات أخو سفيان الثوري فاجتمع الناس إليه لعزائه فجاء أبو حنيفة فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده مكانه وقعد بين يديه ولمّا تفرّق الناس قال أصحاب سفيان: رأيناك فعَلْت شيئًا عجيبًا، قال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسِنّه، وإن لم أقم لسِنّه قمت لِفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه. وعن ابن المبارك قال: ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة وعن ابن المبارك قال: رأيت مسعرًا في حلقة أبي حنيفة جالسًا بين يديه يسأله ويستفيد منه وما رأيت أحدًا قطّ تكلم في الفقه أحسن من أبي حنيفة. وعن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة صاحب غَوص في المسائل. وعن وكيع قال: ما لقيت أفقه من أبي حنيفة ولا أحسن صلاة منه.

وعن النضر بن شُمَيْل قال: كان الناس نيامًا عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبَيَّنه ولخَّصه. وعن الشافعي قال: الناس عِيالٌ على أبي حنيفة في الفقه. وعن جعفر بن الربيع قال: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صَمْتًا منه فإذا سُئِل عن الشيء من الفقه يفتح ويسال كالوادي. وعن إبراهيم بن عكرمة قال: ما رأيت أورع ولا أفقه من أبي حنيفة. وعن سفيان بن عيينة قال: ما قَدِمَ مكة في وقتنا رجل أكثر صلاة من أبي حنيفة. وعن يحيىٰ بن أيوب الزاهد قال: كان أبو حنيفة لا ينام الليل. وعن أبي عاصم النبيل قال: كان أبو حنيفة يسمّى الوتد لكثرة صلاته. وعن زفر بن سليمان قال: كان أبو حنيفة يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن. وعن أسد بن عمرو قال: صلَّى أبو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامّة الليل يقرأ القرآن في ركعة وكان يسمع بكاؤه حتى ترحمه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وعن الحسن بن عمارة أنه غسل أبا حنيفة حين توفي وقال: غفر الله لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسّد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، ولقد أتْعَبْتَ مَن بعدك. وعن ابن المبارك أن أبا حنيفة صلّى خمسًا وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد، وكان يجمع القرآن في ركعتين. وعن أبي يوسف قال: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة سمع رجلًا يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدّث عنّي بما لا أفعله فكان يُحيي الليل صلاةً ودعاءً وتضرّعًا. وعن مسعر بن كدام قال: دخلت ليلة المسجد فرأيت رجلًا يصلّي فاستَحْلَيْتُ قراءته فقرأ سبعًا، فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة فنظرت فإذا هو أبو حنيفة. وعن زائدة قال: صلّيت مع أبي حنيفة في مسجده العشاء وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد فأردت أن أسأله مسألة فقام فافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: الآية ٢٧] فلم يزل يردّدها حتى أذّن المؤذّن للصبح وأنا أنتظره. وعن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: الآية ٤٦] يردِّدها ويبكي ويتضرّع. وعن مكي بن إبراهيم قال: جالست الكوفيين فما رأيت

....

فيهم أورع من أبي حنيفة. وعن وكيع قال: كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله تعالى في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل إن حلف أن يتصدق بدينار فكان إذا حلف صادقًا في عرض كلامه تصدق بدينار فكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وكان إذا كسا ثوبًا جديدًا كسا بقدر ثمنه الشيوخ والعلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه ضعف ما يأكل فجعله على الخبز ثم يعطيه الفقير. وعن وكيع قال: كان أبو حنيفة عظيم الأمانة وكان يُؤثِر رِضا الله تعالى على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتملها. وعن ابن المبارك قال: ما رأيت أورع من أبي حنيفة قد جرّب بالسِّياط والأموال. وعن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة ورعًا فقيهًا كثير البرّ والصلة لكل مَن لجأ إليه كثير الإفضال على إخوانه. وكان يبعث البضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويجلب إلى الكوفة ويجمع الأرباح من سنة إلى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدِّثين وأثوابهم وكسوتهم وما يحتاجون إليه ثم يعطيهم باقي الدنانير من الأرباح ويقول: أنفقوها في حوائجكم فإنه هو والله ما يُجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حولٌ لغيره. وعن حفص بن حمزة القرشي قال: كان أبو حنيفة ربما مرَّ به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مُجالسة فإذا قام سأل عنه فإن كان به حاجة وصله وإن مرض عاده حتى يجرّه إلى مواصلته. وكان أكرم الناس مُجالسة. وعن أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة لا يكاد يُسأل حاجة إلا قضاها وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أن أبا حنيفة وهب لمعلم ابنه حمّاد خمسمائة درهم حين حذق حمّاد. وعن جعفر بن عون قال: أتت امرأة إلى أبي حنيفة تشتري منه ثوب خزّ فأخرج لها ثوبًا فقالت: أنا ضعيفة وإنها أمانة فبِعْني هذا الثوب بما يقوم عليك، فقال: خذيه بأربعة دراهم، فقالت: لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة، فقال: اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي هذا بأربعة دراهم. وعن ابن المبارك قال: قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدوًّا له قطّ، قال: هو والله أعقل من أن يسلّط على حسناته ما يذهب بها. وعن علي بن عاصم قال: لو وُزِنَ عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم. وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان عندنا طحّان رافضيٌّ له بغلان

فسمّى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه أحدهما فقتله فأخبر أبو حنيفة فقال: انظروا الذي رمحه الذي سمّاه عمر فنظروا فوجدوه كذلك. وعن عبد الواحد بن غياث قال: كان أبو العباس الطوسي يسيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على أمير المؤمنين المنصور وكثر الناس فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة فقال لأبي حنيفة: إن أمير المؤمنين يأمرنا بضرب عنق الرجل ما ندري ما هو فهل لنا قتله؟ فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟! قال: بالحق، قال: اتبع الحق حيث كان ولا تسأل عنه. ثم قال أبو حنيفة لمَن قرب منه إنَّ هذا أراد أن يوثقني فربطته. وعن وكيع قال: دخلت على أبي حنيفة فرأيته مُطرِقًا مُفَكِّرًا فرفع رأسه وأنشأ يقول:

إن يحسدوني فإني غير لايمهم   قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم   ومات أكثرنا غيظًا بما يجدُ

وعاب بعض الناس عند ابن عائشة أبا حنيفة فقال ابن عائشة: قال الشاعر:

أقلوا عليكم ويحكم لا أبا لكم   من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وُلِد أبو حنيفة سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائة هذا هو المشهور الذي قاله الجمهور. وكذا رواه الخطيب عن الجمهور. ثم رُوِيَ عن يحيىٰ بن معين رواية غريبة أنه توفي سنة إحدى وخمسين. وعن مكي بن إبراهيم أنه توفي سنة ثلاثة وخمسين والله أعلم. انتهى.

وفي الخيرات الحِسان في مناقب أبي حنيفة النعمان للشيخ الأجلّ أحمد بن حجر المكي الشافعي رحمهما الله في المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه اعلم أن أعظم ذلك وأجلّه وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه. والطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس**» ولفظه الشيرازي وأبو نعيم لو كان العلم معلقًا عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لناله رجال من أبناء فارس.

....

قال الحافظ المحقّق الجلال السيوطي: هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له نظير الحديث الذي في مالك رحمه الله وهو قوله ﷺ: «**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**». والحديث الذي في الشافعي رضي الله عنه وهو قوله ﷺ: «**لا تسبّوا قريشًا فإن عالِمها يملأ الأرض علمًا**» وهو حديث حسن له طرق كثيرة وزعم بعضهم وضعه وزيّفوه وشنّعوا على زاعمه ومُخترعه. قال العلماء: عالِم المدينة في الحديث الأول مالك، وعالِم قريش في الحديث الثاني الشافعي. قال بعض تلامذة الجلال: وما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لأنه لم يبلغ أحد في زمنه من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتي أن جدّ الإمام أبي حنيفة منهم على ما عليه الأكثرون. وفي خبر عن الديلمي خير العجم فارس. قال الجلال: وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي حنيفة. انتهت بحروفها. وأيضًا فيها في الفصل السادس فيمن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم صحّ كما قاله الذهبي أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وهو صغير. وفي رواية رأيته مرارًا وكان يخضب بالحمرة وأكثر المحدِّثين على أن التابعي مَن لقي الصحابي وإن لم يصحبه، وصحَّحه النووي كابن الصلاح وجاء من طرق أنه روى عن أنس أحاديث ثلاثة لكن قال أئمة الحديث: مدارها على مَن اتهمه الأئمة بوضع الأحاديث وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر أنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المُعاصرين له كالأوزاعي بالشام والحمادَيْن بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة والليث بن سعد بمصر. انتهى. وحينئذ فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠]. انتهت بحروفها. وأيضًا فيها في الفصل الثاني عشر في

....

الصفات التي تميّز بها على مَن بعده وهي كثيرة: منها أنه رأى جماعة من الصحابة كما مرّ، وقد صحّ من طرق أنه ﷺ قال: «**طوبى لمَن رآني ولمَن رأى مَن رآني ولمَن رأى مَن رأى مَن رآني**». ومنها أنه وُلِد في قرنه ﷺ الذي صحّ عنه من طرق كثيرة أنه قال فيه: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» وفي رواية لمسلم «**خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث**». ومنها أنه اجتهد وأفْتَى في زمن التابعين بل لمّا حجّ الأعمش أرسل إليه ليكتب له المناسك، وكان يقول: اكتبوا المناسك عنه فإني لا أعلم أحدًا أعلم بفرضها ونفلها منه فانظر هذه الشهادة له من مثل الأعمش. ومنها رواية أكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار ودخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين هذا عالِم الدنيا اليوم، فقال له الخليفة: عمّن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر رضي الله عنه وعن أصحاب عليّ رضي الله عنه وعن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه فقال: بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ما شئت ومنها ما اتفق له من الأصحاب مما لم يتفق لأحد بعده كما علم مما مرَّ. وقال رجل عند وكيع: أخطأ أبو حنيفة فزجره وكيع وقال: مَن يقول هذا ﴿كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٤] كيف يخطىء وعنده أئمة الفقه كأبي يوسف ومحمد وزفر وأئمة الحديث وعدّدهم، وأئمة اللغة العربية وعدَّدهم، وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومَن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطىء لأنه إن أخطأ ردّوه للحق. ومنها أنه أول مَن دوّن كتب علم الفقه ورتّبه أبوابًا وكتبًا على نحو ما هو عليه اليوم وتبعه مالك في موطئه ومن قبله إنما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول مَن وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط. ومنها انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وما وراء النهر. انتهت بحروفها.

وأيضًا فيها: في الفصل التاسع تنبيـــه:

احذر أن تتوهّم من ذلك أن أبا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه حاشا لله بل كان في العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلة من العلوم الأدبية والمقايس الحكمية بحرًا لا يُجارَى وإمامًا لا يُمارَى. وقول بعض أعدائه

....

فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد ومحبته الترقّع على الأقران ورميهم بالزُّور والبهتان ويأبى الله إلا أن يُتِمّ نوره. ومما يكذّب ذلك أن له مسائل فقهية بنى أقواله فيها على علم العربية بما أن وقف عليه مَن تأمّله لقضى بتمكّنه من هذا العلم بما يُبهِر العقل أن له من النظم البليغ ما يعجز عنه كثير من نظرائه. انتهت. وأيضًا فيها: وقال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح مني. انتهت. وأيضًا فيها: في الفصل الحادي عشر اعلم أنه يتعيّن عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه أنهم أصحاب الرأي أن مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم إلى أنهم يقدِّمون رأيهم على سُنَّة رسول الله ﷺ ولا على قول أصحابه لأنهم براء من ذلك، فقد جاء عن أبي حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه أنه أولًا يأخذ بما في القرآن فإن لم يجد فبالسُّنَّة فإن لم يجد فبقول الصحابة فإن اختلفوا أخذ بما كان أقرب إلى القرآن أو السُّنَّة من أقوالهم ولم يخرج عنهم فإن لم يجد لأحد منهم قولًا لم يأخذ بقول أحد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا. انتهت. وأيضًا فيها: سمعه رجل يقايس في مسألة فصاح دعوا هذه المقايسة فإن أول مَن قاس إبليس فأقبل إليه أبو حنيفة فقال: يا هذا وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس ردّ بقياسه على الله تعالى أمره كما أخبر تعالى عنه في كتابه فكفر بذلك وقياسنا اتّباع لأمر الله تعالى لأننا نردّه إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله أو أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين فنحن ندور حول الأتباع فكيف نساوي إبليس لعنه الله؟ فقال له الرجل: غلطتُ وتُبتُ فنوَّر الله قلبك كما نوَّرت قلبي. انتهت.

وأيضًا فيها: قال ابن حزم: جميع أصحاب أبي حنيفة مُجمِعون على أن مذهبه أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس. انتهت. وأيضًا فيها: في الفصل الثالث عشر قال الأوزاعي لابن المبارك: مَن هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنّى أبا حنيفة فأراه مسائل عويصة من مسائله فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت قال: من هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق، قال: هذا نبيل من المشائخ اذهب فاستكثر منه. قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة حاوره في تلك المسائل فكشفها أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه فلما افترقا قال

....

الأوزاعي لابن المبارك: غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله لقد كنت في غلطٍ ظاهر الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه. انتهت. وأيضًا فيها: قال الحافظ عبد العزيز بن أبي روّاد: مَن أحبّ أبا حنيفة فهو سنّي ومَن أبغضه فهو مبتدع. وفي رواية بيننا وبين الناس أبو حنيفة فمَن أحبّه وتولّاه علمنا إنه من أهل السُّنَّة ومَن أبغضه علمنا إنه من أهل البدعة. انتهت. وأيضًا فيها قال أحمد بن حنبل في حقه أنه من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحلٍّ لا يدركه أحد. انتهت. وأيضًا فيها قال الحافظ محمد بن ميمون: لم يكن في زمن أبي حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه تالله ما سرّني بسماع منه مائة ألف دينار. انتهت. وأيضًا فيها قال مكّي بن إبراهيم: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه. انتهت. وأيضًا قال إبراهيم بن معاوية الضرير من تمام السُّنَّة حبّ أبي حنيفة. وقال: كان يصف العدل ويقول به، وبيَّن للناس سُبُل العلم وأوضح لهم مشكلاته. وقال أسد بن حكيم: لا يقع فيه إلا جاهل أو مبتدع. انتهت. وأيضًا فيها قال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد ﷺ ثم منه إلى أصحابه، ثم منهم إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه فمَن شاء فليرضَ ومَن شاء فليسخط. انتهت. وأيضًا فيها في الفصل الثلاثون مرَّ أنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثم ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحُفَّاظ من المحدِّثين ومَن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو إما لتساهله أو حسده إذ كيف يتأتّى لمَن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التي لا تُحصى كثرة مع أنه أول مَن استنبط من الأدلة على الوجه المخصوص المعروف في كتب أصحابه رضي الله تعالى عنهم ولأجل اشتغاله بهذا الأهم لم يظهر حديثه في الخارج كما أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لمّا اشتغلا بمصالح المسلمين العامّة لم يظهر عنهما من رواية الأحاديث مثل ما ظهر عن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمّن تفرّغ للرواية كأبي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على أن كثرة الرواية بدون دراية ليس فيها كثير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابًا في ذمّه ثم قال الذي عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم: ذمّ الإكثار من الحديث بدون تفقّه ولا تدبّر. انتهت. وأيضًا

....

فيها ومن أعذار أبي حنيفة أيضًا ما يفيده قوله: لا ينبغي للرجل أن يحدّث من الحديث إلا بما حفظه يوم سمعه إلى يوم يحدّث به فهو لا يرى الرواية إلا لمَن حفظه. وروى الخطيب عن إسرائيل بن يونس أنه قال: نِعْمَ الرجل النعمان ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشدّ فحصه عنه وأعلم بما فيه من الفقه. وعن أبي يوسف ما رأيت أحدًا أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة. وقال أيضًا ما خالفته في شيء قطّ فتدبرته إلا رأيت مذهبه الذي ذهب إليه أنجى في الآخرة وكنت ربما مِلْتُ إلى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني. وقال: كان إذا صمَّم على قول درت على مشائخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثًا أو أثرًا فربما وجدت الحديثين والثلاثة فأتيته بها فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما عِلْمُك بذلك مع أنه يوافق قولك؟ فيقول: أنا عالِم بعلم أهل الكوفة. انتهت. وأيضًا فيها في الفصل الثالث والثلاثون لمّا توفي رضي الله عنه أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس إلى أن أتوا به إلى مكان غسله، فغسله الحسن بن عمارة قاضي بغداد وصبّ عليه أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروي ولما فرغ الحسن من غسله قال: رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخِصال الخير وقُبِرْتَ إذ قبرت إلى خير وسنة وأتْعَبْتَ مَن بعدك وما فرغوا من غسله إلا وقد اجتمع من أهل العلم خَلْق لا يُحصيهم إلا الله تعالى كأنه نُودِي لهم بموته وحزر[1] مَن صلّى عليه فقيل بلغوا خمسين ألفًا، وقيل: أكثر وأُعيدَت الصلاة عليه ست مرات آخرها ابنه حمّاد ولم يقدر على دفنه إلا بعد العصر من شدة الزّحام، ومكث الناس يصلّون على قبره نحو عشرين يومًا وأوصى أن يُدفَن بمقابر الخيزران بالجانب الشرقي لأن أرضها طيبة غير مغصوبة ولمّا بلغ المنصور ذلك قال: مَن يعذرني فيك حيًّا وميتًا، ولما بلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي موته استرجع وقال: أيّ علم ذهب؟! ولمّا بلغ شُعبة استرجع وقال: طُفِيء عن الكوفة نور العلم، أما أنهم لا يرون مثله أبدًا. انتهت. وأيضًا

(١) الحَزر: التقدير والخَرْص. ١٢ قاموس.

....

فيها في الفصل الخامس والثلاثون اعلم أنه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسّلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك معهم الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لمّا كان ببغداد فإنه جاء عنه أنه قال: إني لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره فإذا عَرَضَت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتُقضَى سريعًا. وذكر بعض المتكلّمين على منهاج النووي أن الشافعي صلّى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له: لِمَ؟ قال: تأدّبًا مع صاحب هذا القبر، وذكر ذلك غيره أيضًا وزاد أنه لم يجهر بالبسملة ولا إشكال في ذلك خلافًا لمَن ظنه لأنه قد يعرض للسُّنَّة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها ولا شك أن الإعلام برِفْعَة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد وإنه عند الاحتياج إليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه ولأن نفعه متعدّد ونفع دينك قاصر ولا شك أيضًا أن الإمام أبا حنيفة كان له حُسَّاد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القَتْلَة الشنيعة السابقة ـ يعني أن بعض أعداء أبي حنيفة دسَّ إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنهم الخارج عليه بالبصرة فخافه خوفًا شديدًا ولم يقرّ له قرار وأنه قوّاه بمال كثير فخشي المنصور من ميله لإبراهيم لأنه أعني أبا حنيفة كان وجيهًا ذا مال واسع من التجارة فطلبه لبغداد ولم يجسر على قتله بغير سبب فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله ليتوصل بذلك إلى قتله ـ ولا شك أيضًا أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول لأن دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يُتَصَوَّر فيها التخلّف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية إذ الدلالة على كرم زيد بفِعله للكرم لا يشبه الدلالة على كرمه بقوله: إني كريم وإذا تمهدت هذه الدواعي اتضح أن فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر إظهارًا لمزيد التأدّب مع هذا الإمام ولمزيد شرفه وعلوّه وأنه من أئمة المسلمين الذين يُقتَدَى بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وأنه ممَّن يُستحى منه ويتأدب معه من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف في حياته وأن الحاسدين له خسروا خسرانًا مُبينًا وأنهم ممَّن أضلّه الله على علم. ولما وقف ابن المبارك على قبره قال: رحمك الله مات

....

إبراهيم النخعي وحمّاد بن سليمان وتركا خَلَفًا ومُتَّ أنت ولم تترك على وجه الأرض خَلَفًا ثم بكى بكاءً شديدًا. وقال الحسن بن عمارة على قبره: كنتَ لنا خلفًا ممَّن مضى وما تركت بعدك خلفًا لو خلفوك في العلم الذي علَّمتهم لم يمكنهم أن يخلفوك بالورع إلا بتوفيق الله تعالى. انتهت.

وأيضًا فيها في الفصل السادس والثلاثون مرَّ أنه رأى كأنه ينبش قبر النبي ﷺ وأن ابن سيرين وتليمذه أوّلاها بأنه يُظهِر أخبار رسول الله ﷺ وينشر علمًا لم يسبقه إليه أحد قبله. قال هشام: فنظر أبو حنيفة وتكلم حينئذ ورأى هذه الرؤيا له بعض أصحابه أيضًا وأن الناس ينظرون إليه ولا ينكر عليه أحد منهم ثم تناول من ذلك التراب قدرًا كثيرًا فنفخه في الهواء من الجهات الأربع فهالَته، فقصَّها على ابن سيرين فقال: ويحك إن هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم إن كان فقيهًا أو عالِمًا، قلت: إنه فقيه، قال: فوالله ليظهرنَّ هذا الرجل من علم رسول الله ﷺ ما لم يُظهره الناس وليذهبن اسمه شرقًا وغربًا وفي جميع تلك النواحي التي ذُرَّ ذلك التراب فيها. انتهت. وأيضًا فيها وقام شخص لمقاتل بن سليمان في حلقته فقال: رأيت كأنَّ رجلًا نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول منارة ببغداد ونادى ماذا فَقَدَ الناسُ؟! فقال مقاتل: لئن صدقت رؤياك ليفقدنَّ أعلم أهل الدنيا فلم يمُت إلا أبو حنيفة رحمه الله. فاسترجع مقاتل ثم قال: ماتَ مَن كان يفرِّج عن أُمّة محمد ﷺ. وعن أبي معافى الفضل بن خالد قال: رأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ما تقول في علم أبي حنيفة؟ فقال: «**ذلك علم يحتاج الناس إليه**». وعن مسدّد بن عبد الرحمٰن البصري أنه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر فرأى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما تقول في هذا الرجل الذي بالكوفة النعمان بن ثابت آخذ من علمه فقال ﷺ: «**خذ من علمه واعمل بعمله فنِعْمَ الرجل هو**». قال: فقمت وكنت أكْرَه الناس للنعمان وأنا أستغفر الله تعالى مما كان مني. ورأى بعض أئمة الحنابلة النبي ﷺ قال: فقلت له: يا رسول الله حدِّثني عن المذاهب، فقال: «**المذاهب ثلاثة**» فوقع في نفسي أنه يخرج مذهب أبي حنيفة لتمسّكه بالرأي فابتدأ وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد: ثم قال: ومالكٌ أربعةٌ أربعةٌ فقلت: أيها خير فغالب ظني أنه قال:

....

مذهب أحمد. انتهت. وفي الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين لمولانا أحمد المعروف بوليّ الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي رحمه الله الحديث العاشر سألته ﷺ عن هذه المذاهب وهذه الطرق أيها أولى عنده بالأخذ وأحبّ، ففاض على قلبي منه أن المذاهب والطرق كلها سواء لا فضل لواحد على الآخر. انتهى بحروفه. وفي تبيين المحارم للعلاّمة سنان أفندي رحمه الله عليه قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣] قال بعض المفسِّرين: المراد من حبل الله الجماعة لأنه عقبه بقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] والمراد من الجماعة عند أهل العلم: أهل الفقه والعلم ومَن فارق منهم قدر شبر وقع في الضلالة وخرج عن نصرة الله تعالى ودخل في النار لأن أهل الفقه والعلم هم المهتدون المتمسكون بسُنَّة محمد عليه الصلاة والسلام وسُنَّة خلفائه الراشدين بعده ومَن شذَّ عن جمهور أهل الفقه والعلم والسواد الأعظم فقد شذَّ فيما يدخله النار فعليكم معاشر المؤمنين اتّباع الفرقة الناجية المُسمّاة بأهل السُّنَّة والجماعة فإن نصرة الله وحفظه وتوفيقه في موافقتهم وخذلانه وسخطه ومَقْته في مخالفته وهذه الطائفة الناجية قد اجتمعت اليوم في مذاهب أربعة وهم الحنفيّون والشافعيون والمالكيون والحنبليون رحمهم الله تعالى ومَن كان خارجًا عن هذه الأربعة في هذا الزمان فهو من أهل البدعة وأهل النار. انتهى بحروفه. وفي الخيرات الحِسان في مناقب أبي حنيفة النعمان في بيان المقدمة الثانية: ورأى بعض الأئمة النبي ﷺ وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كلٌّ في اجتهاده مُصيب فذكر له الرائي قول أبي حنيفة المجتهدان مصيبان والحق واحد وقول الشافعي المجتهدان مصيب ومخطىء معفوٌّ عنه فقال ﷺ: «هما قريبان في المعنى وإن كانا مختلفين في اللفظ» فقلت أيّهما الأولى بالأخذ من الفريقين؟ فقال ﷺ: «كلاهما على الحق». ومنها (أي من أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطالب جهلها) عليك أيضًا أن تعتقد أن اختلاف أئمة المسلمين من أهل السُّنَّة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سرٌّ لطيف أدركه العلماء العامِلون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم: إن النبي ﷺ جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ووجه ذلك أن الله تعالى خصَّ هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والأثقال التي كانت على الأُمم

....

قبلها كتحتّم القصاص في شريعة موسى عليه السلام لأنه أرسل بالجلال الصرف وتحتّم الدية في شريعة عيسى عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض[(١)] محل النجاسة من البدن في شرعهم وغسلها بالماء في شرعنا وكامتناع النسخ في شريعة اليهود وجوازه في شرعنا ومن ثم استعظموا نسخ القبلة وككتبهم فإنها لا تقرأ إلا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥]، وقوله عزَّ قائلًا ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨]. وقال ﷺ: «بُعثت بالحنيفية السَّمْحة فمن سماحتها ويُسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر عليهم بالتزام شيء واحد وحتى يُثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه وحتى إن مَن رأى له فُسحة في غير مذهبه جاز له بشرط الانتقال إليه والعمل به وكل هذه نِعَم عظيمة الموقِع واسعة الرفق لا سيما وهي مؤذنة بغاية رِفعته ﷺ وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم في الأمر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه وإن فرض خطؤه. وقد قرر السبكي أن جميع الشرائع السابقة شرائع له ﷺ والأنبياء صلوات الله عليهم كالنوّاب عنه لأنه نبي وآدم بين الروح والجسد فهو إذ ذاك نبي الأنبياء وهذا معنى قوله ﷺ: «بُعِثتُ إلى الناس كافّة فهو مبعوث إلى الخلق كلهم من لدن آدم إلى قيام الساعة». انتهى. وإذا تقرر أن شرائع الأنبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استنبطها أصحابه وتابِعوهم بإحسان من أقواله وأفعاله على تنوّعها شرائع متعددة له من باب أولى خصوصًا وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الأخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمةً أي رحمة ومِنَّة أي مِنَّة كما مرَّ بيان ذلك ومن ثَمَّة لما جعل اختلاف هذه الأمة رحمة أخبر بأن

---

(١) قوله: كقرض محل النجاسة من البدن والثوب بالمقراض. اهـ حمل من الخازن وفي منهية البيضاوي كقطع موضع النجاسة من اللباس ثوبًا أو فروة. وفي ربيع الأبرار: أنهم أمروا بقطع جلد أبدانهم إذا أصابه نجاسة. اهـ. والمراد بالجلد كالخفّ والفروة، كذا قاله العلامة النّحرير والتفتازاني في حاشية الكشاف. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

اختلاف الأمم السابقة هلاك وعذاب أي لأنهم لم يُوَسَّع لهم كما وسّع لهذه الأمة فكان اختلافهم محض كذب وتقول على أنبيائهم بما هم بريئون منه. ومنها (أي من أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطالب جهلها) يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه أن لا تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلًا يؤدّي إلى تنقيص المفضل عليه فإن ذلك يؤدّي إلى المَقْت والخزي في الدنيا والآخرة وسيأتي عن الله تعالى أنه قال: «مَن آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب» وعلماء المسلمين العامِلون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثيرًا ما يؤدّي التفضيل إلى الخِصام القبيح بين السفهاء ومَن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى إلى أن يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية ويقضي ذلك بهم إلى ترجيح مذهب إمامه وإطلاق لسانه في غيره بعدم أدب وغفلة تامة عمّا يترتب بسبب ذلك من المَقْت والخزي وإلى أن ينتصر بعض مُقَلّدي مخالفه لإمامه فيردّ على الأول ويطلق لسانه فيه ويتعدّى إلى إمامه ويطلق لسانه فيه زاعمًا أن ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كلٍّ منها على إمامه لزجره عنه وتبرّأ منه وهجره لأجله ولوقوعه بقبيح ما ارتكبه في شِرْك المَقْت والردى إذ ربما آيس من موته على الهدى وقد أخبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأن سبب هلاك الأمم السابقة مراؤهم وخصوماتهم في دين الله حفظنا الله من وعير[1] هذه المسالك وحشرنا في زمرة أولئك الأئمة فإننا نحبهم ونعظّمهم بما نرجو به أن نُحشَر معهم على الأرائك، إذ مَن أحبَّ قومًا حُشِر معهم كما أخبر به مورّثهم ومشرّفهم وكفى مَن انتقص أحدًا منهم أن يُحرَم هذه الموافقة في ذلك المجمع الأكبر وأن يُنادَى عليه فيه هذا عدوّ أولياء الله فليس له إلا الخزي والعذاب في المحشر. انتهت. وفي تفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية للعلّامة مولانا أحمد المعروف بملاجين رحمه الله في تفسير سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٨] الآية، فإن قلت: إذا كان الحق في موضع الخلاف واحدًا فما معنى حقيقة المذاهب الأربعة؟ قلت: معناها أن الحق الواحد يحتمل أن يكون فيما قال الشافعي رحمه الله ويحتمل أن يكون فيما

---

(١) في القاموس: الوعر ضدّ السهل، كالوعر والواعر والوعير والأعور. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

قال أبو حنيفة رحمه الله فيكون كلّا من المذاهب الأربعة حقًّا بهذا المعنى فالمقلّد إذا قلّد أي مجتهد يخرج عن الوجوب ولكن ينبغي أن يقلّد واحدًا التزمه ولا يؤول إلى آخر. فإن قال قائل أيّ ضرورة في تبعية أبي حنيفة مثلًا حيث لم يأمر الله به ولا رسوله بل لم يصرِّح به أبو حنيفة رحمه الله أيضًا ولو سلّم أن تبعية المجتهد لازمة للمقلِّد فأيّ ضرورة في إلزامه مذهبًا واحدًا بعينه بل يجوز له أن يعمل بمذهب ثم ينتقل إلى آخر كما نقل عن كثير من الأولياء ويجوز له أن يعمل في مسألة على مذهب وفي أخرى على آخر كما هو مذهب الصوفية ولو سلّم فمن أين يعلم انحصار المذاهب في الأربعة مع أن المجتهدين كانوا قريبًا من المائة أو أكثر كأبي يوسف ومحمد والغزالي رحمه الله وأمثالهم ولم يختم الاجتهاد بعد. قلت: أما الأول فلأن الإنسان لا يخلو إما أن لم يعمل شيئًا من الأشياء أو يعمل والأول باطل لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القِيَامَة: الآية ٣٦] ولأنه يحتاج إليه في البيع والشراء واللباس والطعام وغير ذلك وإن لم يفعل الصلاة والصوم فتعيّن أن يعمل بأعمال ويشتغل بأفعال حينئذ لا يخلو إما أن يتمسك فيه بشيء من الكتاب والسُّنَّة أو لا، والثاني باطل بإجماع المسلمين فتعيَّن أن يتمسك فيه بالكتاب والسُّنَّة وحينئذ لا يخلو إما أن يكون له قدرة على معرفة وجوهه ومعانيه وطرقه وأحكامه أو لا. والثاني لا بدّ أن يكون تابعًا لأحد من الأئمة فهو المراد والأول إما أن يكون له مع ذلك مَلَكَة الاستنباط والقدرة التامة على استخراج المسائل أو لا، والأول هو المجتهد ولا كلام فيه بل نحن أيضًا مُقِرّون بعدم اتّباعه لمجتهد آخر. والثاني إما أن يكون تابعًا لأحد من الأئمة فهو المراد أو لا يكون تابعًا لأحد بل يقول إن علمي على الأصول التي هي ثلاثة ولست بتابع لأحد فنقول له: إن كون أصول الشرع ثلاثة إنما هو أول مسألة بناه أبو حنيفة رحمه الله وأيضًا لا أقل من أن يحتاج في المسائل القياسية وفي معرفة الناسخ والمنسوخ وفي معرفة كون الإجماع قَطعيًا مقدّمًا على خبر الواحد وكون العام المخصوص البعض ظنيًا وأمثاله من جميع تقسيمات الكتاب والسُّنَّة والإجماع وأحكامها إذ ما كل ذلك إلا اصطلاحات أبي حنيفة رحمه الله فإلى أيّ شيء يهرب يلزم التبعية ضرورة. وأما الثاني وهو أنه إذا التزم التبعية يجب عليه أن يدوم على

مذهب التزمه ولا ينتقل إلى مذهب آخر فلأن الانتقال يُوجِب أن يظهر عنده بُطلان المذهب السابق والحال أن أهل كل مذهب يقولون بحقيّة المذاهب الأربعة فقد وقع فيما أبى، على أن العامّي لا وجه له إلى الانتقال والعالم غاية وجه انتقاله ترجيح الأدلة من جانب المرجوح إليه وهو موقوف على ازدياد الفضيلة ونقصانها فإن لكل واحد تُنصَب دلائل على طبق مذهبه والعالم الغير المجتهد ليس في قدرته ترجيح المذاهب بحسب الدلائل فإن ذلك موقوف على معرفة اصطلاحات كل واحد ومعرفة الكتاب بتقسيماته الأربعة وكذا السُّنَّة مع تقسيماتها المختصّة بها والإجماع بأقسامها الثلاثة والأقيسة بشروطها وأحكامها وأركانها ووقوعها وكل ذلك متعذّر في حق المقلّد ومع كل ذلك لا يعلم ما هو الحق عند الله تعالى فالانتقال من مذهب إلى مذهب ترجيح بلا مرجح ولا يلزم علينا أن مَن بلغ أولًا واختار أيّ مذهب عَلِمه حسنًا يلزم في حقه ترجيح بلا مرجِّح لأن مرجِّحه هو قصده أو كون أهل بلاده أو أطرافه أو آبائه أو سلطانه في ذلك المذهب إذ هكذا وقع عليه التعامل وهو كالإجماع. وأما الكلام في الأولياء فخارج عن المبحث ولعلهم لاح لهم من الأسرار ما لا يلوح لغيرهم فرأوا في الانتقال مصلحة وحِكمة فلا يقاس عليهم غيرهم وكما أنه لا يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر كذلك لا يجوز أن يعمل في مسألة على مذهب وفي أخرى على آخر لأن العامّي لا وجه له في هذا الباب وأما العالم فالظاهر أن لا وجه له إليه إلا العلم بأن الإمام الفلاني قد أخطأ في المسألة الفلانية وأصاب في الفلانية والإمام الفلاني على عكس هذا كما أن يقرأ الحنفي الفاتحة عقيب الإمام فإنه لا يجوز إن اعتقد أنه قد أصاب الشافعي رحمه الله في ذلك بخلاف أبي حنيفة رحمه الله فإنه باطل بالضرورة وإن ظن أن دليل الشافعي رحمه الله وهو قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» صريح في هذا المعنى فذلك موقوف على معرفة هذا الحديث ومعرفة الحجج لأبي حنيفة رحمه الله ومعرفة أنه لا حجّة أسبق من هذا وأمثاله وذلك مما هو ليس من شأن المقلّد لأن كل أحد ينصب على طبق مذاهبه دلائل وشواهد ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: الآية ١٤٨]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: الآية ٧٦] يقال إن أبا حنيفة رحمه الله سُئِل إن قولك إذا خالف

....

كتاب الله فبأي شيء أعمل؟ فقال: بكتاب الله ثم سُئِل أنه إذا خالف السُّنَّة فقال بسُنَّة رسول الله ﷺ ثم سُئِل أنه إذا خالف قول الصحابة فقال بقول الصحابة ثم سُئِل أنه إذا خالف قول التابعي، فقال التابعي رجل وأنا رجل فدلَّ هذه الحكاية على خلاف ما ذكرتم من الاستقرار على قول أبي حنيفة رحمه الله من غير عمل على الكتاب والسُّنَّة ومن غير التفاتٍ إليه لأنا نقول إن كلامنا هذا فيما إذا بلغ السُّنَّة أو قول الصحابة لأبي حنيفة رحمه الله ثم أول ذلك بنوع من التمحّل والتأويل لأنه لا يجوز لمتّبعه أن يعمل بالسُّنَّة أو قول الصحابة إذ لا شك أن أبا حنيفة رحمه الله كان أعلم منه فالتقليد لمعنى فهمه أولى وأحْرى. وأما إذا لم يبلغ السُّنَّة أو قول الصحابة له فإنّا نقرّ أيضًا أن التقليد حينئذ بالسُّنَّة أو قول الصحابة بعد علم صحتها واجب ولم يجز العمل ح على قول أبي حنيفة رحمه الله للمخالفة وإنما يعمل بالسُّنَّة أو قول الصحابة حينئذ إذا أدّى إليه رأي مجتهد لكن لا بحيث إنه قول مجتهد بل من حيث إنه سُنَّة أو قول الصحابة. وأما إذا لم يؤدِّ إليه رأى مجتهد فلم يجز العمل به لأنه خلاف الإجماع وهو باطل لكن بقي الكلام في حق مَن يكون صاحب الإلهام من عند الله تعالى فإنه يمكن أن يقول إني أُلهَم من عند الله تعالى بالعمل على مسألة فلانية بطريقة فلانية وعلى أخرى بطريق آخر فلا تتبع لأحد. ولنا أن نقول إنه لا يخلو إما أن يكون ذلك موافقًا لأحد من المذاهب الأربعة أو لا فإن لم يوافق كان معاقبًا في عمله وكان ذلك الإلهام خطأ ومن عند الشيطان وإن وافق فعمله بأي ما أُلْهِم وإن كان معقولًا بحسب الظاهر لكن لمّا كان ذلك سببًا للفساد بأن يقول كل أحد إني أُلْهَم بكذا ينبغي أن يكون التقليد منحصرًا لمذهب معين خاصّة. غاية ما في الباب أن يعمل الصوفي بالأحوط مساغًا لدفع الحرج وذلك فيما أمكن التطبيق مثل أن لا يأكل الحنفية الأرنب احتياطًا فإنه يجوز إذ أبو حنيفة رحمه الله يُبيحها ولا يوجبها والشافعي رحمه الله ينكر إباحتها فإنه لو لم يأكل يكون عملًا على كِلا المذهبين وإن أكل يحتمل أن يقع في الحرام ويخالف مذهب الشافعي رحمه الله بخلاف ما إذا لم يمكن التطبيق كما في قراءة الفاتحة فإن الشافعي رحمه الله يوجبها وأبو حنيفة رحمه الله يحرّمها فإنه لا يجوز للحنفي العمل على مذهب الشافعي رحمه الله من حيث إنه مذهب الشافعي رحمه الله وإن كان يجوز من حيث إن محمدًا رحمه الله استحسنه لما عرفت. وأما

....

الثالث فلأن الاجتهاد وإن كان لم يختم ويحتمل أن يوجد مجتهد آخر يجتهد على خلافهم بل قد وقع كذلك وقد وجد المجتهدون قريب مائة أو أكثر لكن قد وقع الإجماع على أن الاتباع إنما يجوز للأربع فلا يجوز الاتباع لأبي يوسف ومحمد وزفر وشمس الأئمة رحمهم الله إذا كان قولهم مخالفًا للأربع. وكذا لا يجوز الاتباع لمَن حدَّث مجتهدًا مخالفًا لهم ولعل منشأه ما قالوا إن الأمة إذا اختلفوا على أقوال كان إجماعًا على أن ما عداها باطل وقيل هذا في حق الصحابة خاصة دون سائر الأمة أي الصحابة إذا اختلفوا في شيء على الحِلّ والحرمة مثلًا كان القول الثالث باطلًا. وليت شعري ما معنى الاختلاف في الأقوال أهو في زمان واحد بالمشافهة أم مطلقًا فإن كان مطلقًا فالاختلاف باقٍ إلى يوم القيامة فلم ينحصر المذاهب في الأربعة وإن كان في زمان واحد فمن المعلوم أن زمان الشافعي رحمه الله وأحمد بن حنبل غير زمان أبي حنيفة ومالك رحمه الله فإذا اختلف أبو حنيفة ومالك رحمه الله ينبغي أن يكون إجماعًا على بُطلان قول الشافعي وأحمد بن حنبل رحمه الله إلا أن يقال الاختلاف المعتَبَر هو الذي في زمان واحد، والشافعي وغيره إذا قالوا قولًا إنّما يقولون إذا جرى به رأي أبي يوسف ومحمد مع أبي حنيفة رحمه الله أو كان اختلاف بين الصحابة فأخذ أبو حنيفة بقول صحابي ومالك والشافعي رحمه الله بقول صحابي آخر والأغلب أن شيئًا من المسائل لا يكون فيه أربع أقوال للأئمة الأربعة بل يكون فيه قولان أو ثلاث وبعض من الأئمة يتبعون البعض ولا يلزم أن يكون لكل من الأئمة الأربعة قول في كل وهكذا الحال في أبي يوسف ومحمد رحمه الله وغيرهما. ولعل هذا أي اتحاد الزمان في غير المسائل القياسية. وأما المسائل القياسية فالمراد فيها على العلة فمهما وجدها المجتهد مخالفًا للأول أو موافقًا له يعمل به ويعلم من التلويح خلاف ذلك. والإنصاف أن انحصار المذاهب في الأربعة واتباعهم فضل إلٰهي وتوفيق من الله تعالى لا مجال فيه للتوجيهات والأدلة. وقالوا: هذا إذا كان الاختلاف في الشرعيات أي النقليات وأما إذا كان الاختلاف في العقليات أعني علم الكلام فالمخطىء مُعاقَب والحق واحد على اليقين ولهذا قالوا بضلالة فرق الأهواء من المعتزلة والروافض والخوارج وغيرهم ويتعين الحق في مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وهذا باب طويل الذيل فلنكتفِ بهذا القدر وهذه أبحاث شريفة وفوائد لطيفة نسجت

والضمير في «به» يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعًا لأن قوله: «هذا الذي رزقنا من قبل» **(انطوى)** تحته ذكر ما رزقوه في الدارين، وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسًا أُخر، **(لأن الإنسان بالمألوف آنس)** وإلى المعهود أميل، **(وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه)**، ولأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد **(ورأى فيه مزية)** ظاهرة وتفاوتًا بيّنًا كان استعجابه

بها عنكبوت خاطري وسمحت بها قريحة فاتري[1] لم يسبقني أحد إلى مثلها ونفس المسألة وإن كانت معروفة بين الفقهاء ولكن كانت غير مدللة بدلائل معتمد عليها وبيدك التأمّل والإنصاف والله أعلم بالصواب. انتهت بحروفها.

قوله: **(انطوى)** واندرج تحته ذكر ما رزقوه في الدارين لأن المبتدأ أعني هذا إشارة إلى المرزوق في الآخرة والخبر أعني الذي رزقنا إلى المرزوق في الدنيا وهما متّحدان جنسًا فأفرد الضمير العائد إليهما نظرًا إلى الوحدة الجنسية وصحَّ جعل متشابهًا حالًا عنه نظرًا إلى التعدّد النوعي والشخصي واندفع إشكال التدافع بين إفراد الضمير وإيقاع متشابهًا حالًا عنه. **قوله**: **(لأن الإنسان بالمألوف آنس)** وهو الألفة هذا جيد لو لم يضم إليه. **قوله**: **(وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه)** وعافته نفسه فإن بُطلانه ظاهر فإن لكل جديد لذّة والحديث المُعاد مثل في الكراهة كذا في حاشية العلّامة التفتازاني رحمه الله وفي حاشية الشيخ زاده ح قيل فيه نظر لأن تجدّد الصورة أحبّ إلى النفس وألذّ لدَيها من مشاهدة معتاد. وقيل: لكل جديد لذّة والحديث المُعاد مثل في الكراهة ولا يخفى أي تجدّد صورة الشيء الذي تستلذه النفس ويميل إليه الطبع يجلب الشوق والسرور وإن تجدّد كل يوم ألف مرة بخلاف ظهور غير المألوف فإن النفس لا تميل إليه أول ما ترى وإنما تميل بعدما تعرف ما فيه من وجوه الحسن والشرف. انتهت. **وقوله**: **(بالمألوف)** في المصباح ألفته إلفًا من باب علم أنست به وأحببته.اهـ. **وقوله**: **(عافته)** أي كرهته **(نفسه)** في المصباح عاف الرجل الطعام والشراب يعافه من باب تعب عيافة بالكسر كرهه فالطعام مَعيف.اهـ. **قوله**: **(ورأى فيه مزية)** أي فضيلة في المصباح المزية فعيلة وهي التمام والفضيلة ولفلان مزية أي فضيلة يمتاز بها عن غيره قالوا: ولا يُبنَى منه

---

(١) كذا بالأصل.

به أكثر واستغرابه (**أوفر**) وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر (**وتمادي الحال**) في ظهور المزية، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم في كل أوان أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه، والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسًا في نفسه (**كما يُحكى عن الحسن**): يؤتى أحدهم (**بالصحفة**) فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك: كُلْ، فاللون واحد والطعم مختلف. (**وعنه** ﷺ): («**والذي نفس محمد بيده**

فعل وهو ذو مزية في الحسب والشرف أي ذو فضيلة والجمع مزايا مثل عطية وعطايا. اهـ. وفي الصحاح المزية الفضيلة يقال له عليه مزية ولا يُبنى منه فعل. اهـ. إلا أنه ذكر في حواشي الجوهري أنه يقال أمزيته عليه أي فضلته وفي الأساس تمزيت عليه وتمزيته فضّلته. انتهى. **قوله: (أوفر)** أي أكمل في المصباح وفر الشيء يفر من باب وعد وفورًا تم وكمل وفرته وفرًا من باب وعد أيضًا أتممته وأكملته يتعدّى ولا يتعدى والمصدر فارق. اهـ. **قوله: (وتمادى الحال)** عطف تفسير في مختار الصحاح المَدَى الغاية يقال قطعة أرض قدر مدى البصر وقدر مَدّ البصر ومنه التمادي في الأمر وهو بلوغ للمدى وفي الضياء وتمادى في الشيء أي بلغ فيه. انتهى بحروفه يستملي أي يستدعي. **قوله: (كما يُحكَى عن الحسن)** البصري رضي الله تعالى عنه أثر أخرجه ابن جرير عن يحيىٰ بن كثير بهذا اللفظ. **قوله: (بالصحفة)** الصحفة بفتح الصاد المهملة وسكون الحاء المهملة كالقصعة[1] اسم ما يشبع الخمسة وجمعه صِحاف فحينئذ إتيان الصحفة التي يشبع الخمسة بأحد أهل الجنة لمجرد التكريم. **قوله: (وعنه عليه السلام)**... الخ هذا الحديث أخرجه ابن جرير أيضًا موقوفًا. **وقوله: (والذي)** أي والله الذي **(نفس محمد)** أي روحه وذاته وصفاته وحالاته وإرادته وحركاته وسكناته **(بيده)** أي كائنة بنعمته وحاصلة بقدرته وثابتة بإرادته. ووجه استعارة اليد للقدرة أن أكثر ما يظهر سلطانها في أيدينا وهي من المتشابهات. ومذهب السلف فيها تفويض علمه إلى الله تعالى مع التنزيه عن ظاهره وهو أسلم حذرًا من أن يعين له غير مراد له تعالى ويؤيده

---

(١) الآنية. ١٢ منه.

إن الرجل) من أهل الجنة **(ليتناول)** الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة **(إلى فيه)** حتى يبدلها الله مكانها **(مثلها)** فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك» وقوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ جملة **(معترضة للتقرير)** كقولك: «فلان أحسن

وقف الجمهور على الجلالة من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٧] وعدّوه وقفًا لازمًا وهو ما في وصله إيهام معنى فاسد ومن ثمة قال الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وتأويل اليد بالقدرة يؤدي إلى تعطيل ما أثبته تعالى لنفسه وإنما الذي ينبغي به الإيمان بما ذكره الله تعالى من ذلك ونحوه على ما أراده ولا يشتغل بتأويله فنقول: له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين ومذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى وتنزيهه عن الجسم والجهة ولوازمهما بناء على أن الوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: الآية ٧] وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول أنا أعلم تأويله وأنا من الراسخين في العلم. قيل: وهذا أعلم وأحكم أي يحتاج إلى مزيد علم وحكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النص وليس المعنى أن مذهب الخلف أكثر علمًا فالمذهبان متفقان على التنزيه وإنما الخلاف في أن الأولى ماذا هو؟ التفويض أم التأويل ويمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان فكان التفويض في زمان السلف أولى لسلامة صدورهم وعدم ظهور البِدع في زمانهم والتأويل في زمان الخلف أولى لكثرة العوام وأخذهم بما يتبادر إلى الأفهام وغلو المبتدعين بين الأنام والله أعلم بالمرام. كذا أفاده العلّامة علي القاري في شرح المشكاة ثم هو قسم جوابه **(إن الرجل)**... الخ وكان الأصل أن يقول: والذي نفسي لكنه جرّد من نفسه النفيسة من اسمه محمد وهو هو ليكون أبلغ وأوقع في النفس. **وقوله: (إن الرجل)** اللام للعهد الذهني وفي حكمه المرأة. **قوله: (ليتناول)** اللام للابتداء أي يأخذ. **قوله: (إلى فيه)** أي فمه في المصباح الفم من الإنسان والحيوان أصله فوه بفتحتين ولهذا يجمع على أفواه مثل سبب وأسباب ويثنى على لفظ الواحد فيقال فمان وهو من غريب الألفاظ التي لم يطابق مفردها جمعها وإذا أُضيف إلى الياء قيل فِيَّ وفمي وإلى غير الياء أُعْرب بالحروف فيقال فوه وفاه وفيه ويقال أيضًا فمه. انتهى. **قوله: (مثلها)** أي مثل الثمرة الأولى. **قوله: (معترضة للتقرير)** هذا مبني على تجويز الاعتراض في آخر الكلام والأكثر أن يسمّونه تذييلًا وهو أن يعقب الكلام بما يشمل على معناه تأكيدًا

بفلان (**ونعم ما فعل**)﴾ ورأى من الرأي كذا (**وكان صوابًا، ومنه** ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: الآية ٣٤]. ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾) «أزواج» مبتدأ و«لهم» الخبر و«فيها» ظرف للاستقرار. ﴿مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ (**من مساوي الأخلاق، لا طمحات ولا مرحات**)، أو مما يختص بالنساء بالحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول (**والغائط وسائر الأقذار**

ولا محل له من الإعراب. **قوله**: (**ونِعْمَ ما فعل**) اعتراض وكذا **قوله**: (**وكان صوابًا**) اعتراض وقع تأكيدًا للسابق. **قوله**: (**ومنه** ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النّمل: **الآية ٣٤**]) فقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النّمل: الآية ٣٤] اعتراض وقع في آخر الكلام تأكيدًا للسابق وفي تفسير القاضي البيضاوي في سورة النمل في قصة بلقيس (﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ [الآية ٣٤]) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسْر (﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النّمل: **الآية ٣٤**]) تأكيد لما وصف لها حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عزَّ وجل. انتهى.

قوله: (﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾) الزوج يقال بالاشتراك اللفظي للذَّكر والأُنثى أي لكل واحد من القرينين المتزاوجين مثلًا زيد زوج وحده بسبب قرينة هند وهكذا الهند ويقال للمزدوجين معًا كما يقال لأحدهما فيستوي فيه المذكر والمؤنث وأزواج جمع زوج ذكرًا أو أنثى والمراد في النظم الأخير. **قوله**: (**من مساوىء الأخلاق**) في المحيط المحيط السوء الاسم من ساءه والبر مرد كل آفة ج أسواء ومساوىء على غير قياس كحسن ومحاسن وقيل لا مفرد لها أو مفردها مساءة والمساوىء أيضًا العيوب والنقائص ويقابلها المحاسن. انتهى. **قوله**: (**لا طمحات**) المصباح طمح ببصره نحو الشيء يطمح بضمتين طموحًا استشرف له وأصله قولهم جبل طامح أي عالٍ مُشرِف. انتهى. **قوله**: (**ولا مرحات**) في المصباح مرح مرحًا فهو مرح مثل فرح وزنًا ومعنى. وقيل: أشد من الفرح. **قوله**: (**والغائط**) في محيط المحيط الغائط اسم فاعل والمطمئن الواسع من الأرض وكناية عن العذرة وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضي الحاجة أتى الغائط أي المطمئن الواسع من الأرض فقضى حاجته فقيل لكل مَن قضى حاجته قد أتى الغائط فكنّى به عن العذرة. انتهى. **قوله**: (**وسائر الأقذار**) في محيط المحيط السائر الباقي لا الجمع كما توهم

والأدناس). ولم تجمع الصفة كالموصوف (**لأنهما لغتان فصيحتان**)، ولم يقل طاهرة لأن ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أبلغ لأنها تكون للتكثير، وفيها إشعار بأن مطهِّرًا طهرهن (**وما ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ**). ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع، (**وفيه بطلان قول الجهمية**) فإنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول الآخر، وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات، وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة، ولأنه تعالى باقٍ وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال. قلنا: الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده، والآخر هو الذي لا انتهاء له، وفي حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو (**الفرد اللاحق**)، واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي (**النقيصة**) والزوال، (**وذا وافي**) في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه، وأنى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باقٍ لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود.

جماعات، وندر استعمال السائر بمعنى الجميع. انتهى بالتقاط. وأيضًا فيه القَذَر الوسخ وقد يطلق على الغائط ج أقذار. انتهى. **قوله**: (**والأدناس**) في محيط المحيط الدَّنَس الوسخ والدَّنِس المتوسِّخ يقال رجل دَنِس وقوم أَدْناس ومدانيس. انتهى. وفي لسان العرب الدنس في الثياب لطخ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق والجمع أدناس. انتهى. **قوله**: (**لأنهما لغتان فصيحتان**) يعني أن كل واحد من أفراد ما أسنِد إلى ضمير الجمع وجمعه لغة فصيحة يفرد بناء على تأويل لفظ الجمع بالجماعة ويجمع رعاية للفظ الجمع. **قوله**: (**ما ذلك إلا الله عزَّ وجلّ**) وذلك يفيد فخامة أهل الثواب كأنه قيل إن الله هو الذي طهرهنّ وزيَّنهنَّ لأهل الثواب ومن المعلوم أن تطهيره تعالى أفخم وأعظم من كل طهارة. **قوله**: (**وفيه بُطلان قول الجهمية**) الذاهبين إلى أن الجنة والنار يُفنيان أهلهما بعد تمتع أهل الجنة بقدر أعمالهم وعذاب أهل النار بقدر سيئاتهم. والجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان الترمذي. **قوله**: (**الفرد اللاحق**) بالسابق. **قوله**: (**النقيصة**) في لسان العرب نقصه ينقصه نقصًا وانتقصه وتنقص الرجل وانتقصه واستنقصه نسب إليه النقصان. والاسم النقيصة. انتهى. وأيضًا فيه النُّقصة النقص والنقيصة العيب. **قوله**: (**وذا**) أي الكمال. **قوله**: (**وافي**) أي كافٍ.

لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلًا ضحكت اليهود وقالوا (**ما يشبه**) هذا كلام الله فنزل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك مَن يستحي أن يتمثل بها لحقارتها. وأصل الحياء تغير وانكسار (**يعتري**) الإنسان من تخوّف ما يُعاب به ويذم، ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبّر عنه به، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا: (**أَما**) يستحي رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت، (**فجاءت على سبيل المقابلة**) وإطباق الجواب على السؤال، (**وهو فن من كلامهم بديع**) - وفيه لغتان: التعدّي بنفسه وبالجار. يقال: استحييته واستحييت منه وهما

قوله: (**ما يشبه**) ما نافية.

قوله: (**يعتري**) أي يرد في لسان العرب عراه عروًا واعتراه كلاهما غشيه طالبًا معروفه. اهـ. وأيضًا فيه اعتراني غشيني وأصابني. اهـ. **قوله:** (**أَما**) بالفتح والتخفيف بمعنى أَلَا. **قوله:** (**فجاءت على سبيل المقابلة**) أراد بالمقابلة معناها اللغوي وهو المُشاكلة بين الكلامين المتقابلين وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير تحقيقًا أو تقديرًا فإن الكَفَرَة لمّا قالوا: أما يستحي ربّ محمد أن يضرب مثلًا بالذُّباب والعنكبوت مع أن ملوك الأرض يأنفون من ذِكر أمثال ذلك؟! أُجيبوا بأن الله لا يستحي على سبيل المقابلة لكلامهم وتطبيق الجواب على السؤال فعبارة الاستحياء الواقع في كلام الله تعالى من قبيل المشاكلة المذكورة في علم البديع لا من قبيل المقابلة المذكورة في ذلك العلم وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: الآية ٨٢].

قوله: (**وهو**) أي مطابقة الجواب مع السؤال (**فن**) أي نوع (**من كلامهم بديع**) غريب حسن وطرز عجيب.

محتملتان هنا، وضرب المثل **(صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم. و«ما» هذه إبهامية)** وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهامًا وزادته عمومًا كقولك: «أعطني كتابًا ما» تريد أي كتاب كان، **(أو صلة للتأكيد)** كالتي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، كأنه قال: لا يستحي أن يضرب **(مثلًا البتة)**. وبعوضة عطف بيان لـ «مثلًا» أو مفعول لـ «يضرب» **(و«مثلًا» حال من النكرة مقدمة عليه)**، **(أو انتصبا مفعولين)** على أن «ضرب» بمعنى «جعل» واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب. يقال: بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه **(والبعوض في أصله صفة على فعول)**

قوله: (صنعه) واتخاذه. **قوله:** (من ضَرَبَ اللَّبِنَ) في محيط المحيط اللَّبِن المضروب من الطين مربّعًا للبناء واحدته لَبِنَة مثل كَلِمَ وكلمة ويقال فيه لِبْن ولِبِن كإبِل. انتهى. في المصباح اللَّبِن بكسر بالباء ما يعمل من الطين ويُبنى به الواحدة لَبِنَة ويجوز التخفيف فيصير مثل حمل. انتهى. **قوله:** (وَضَرَب الخاتَم) ضرب الخاتم اتخاذه وصنعه، والخاتم بفتح التاء وكسرها، والكسر أشهر كذا في المصباح. وقال في الصحاح: الخاتم بكسر التاء وفتحها والخيتام والخاتام كله بمعنى الجمع الخواتيم. انتهى. **قوله:** (وما هذه إبهامية) أي اسم بمعنى شيء. **قوله:** (أو صلة) أي مزيدة (للتأكيد) والمراد بالزيادة أن أصل المعنى بدونها يتم ولا يختلّ لأنها لا فائدة لها فإن لها فائدة إما لفظًا فلتزيين اللفظ وإما معنى فللتأكيد وإلى هذا التفصيل أشار بقوله أو صلة للتأكيد وبقولنا أن أصل المعنى... الخ يندفع ما توهّم من أنها إذا كانت للتأكيد فكيف تكون زائدة إذ التأكيد عندهم ليس من قبيل أصل المعنى فإنه تأييد المعنى مستقل بمعنى غير مستقل. **قوله:** (مثلًا البتّة) في الكشاف مثلًا حقًّا أو البَتَّة. اهـ.

قوله: (ومثلًا حال من النكرة) وهي (مقدمة عليه) أي على ذي الحال وهي النكرة كما هي الأصل من أن ذا الحال إذا كان نكرة يجب تقديم الحال عليه. **قوله:** (أو انتصبا) أي ﴿بَعُوضَةً﴾ و﴿مَثَلًا﴾ حال كونهما (مفعولين) لـ ﴿يَضْرِبَ﴾. **قوله:** (والبعوض في أصله صفة على فعول)... الخ يعني أنه في الأصل من قبيل الفعول بمعنى الفاعل مشتق من البعض بمعنى القطع كما أن الغضب والبضع بمعنى القطع أيضًا فإن مادة الباء والعين والضاد على أي ترتيب كان للقطع ثم

كالقطوع (**فغلبت**). ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلًا وهو القلة والحقارة، أو فما زاد عليها (**في الحجم**) كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة. ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات (**وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلًا للدنيا**).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي (**لا يسوغ إنكاره**) يقال: حق الأمر إذا ثبت ووجب ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ في موضع النصب على الحال والعامل (**معنى الحق**) وذو الحال الضمير المستتر فيه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ويوصف عليه إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك.

غلب على هذا النوع من الذُّباب لأنه يقطع بإبرته وجه الإنسان وسائر أعضائه. **قوله**: (**فغلبت**) أو صار بالغلبة اسمًا لهذا النوع من البقّ. **قوله**: (**في الحجم**) والجثة في محيط المحيط. قيل: الحجم مقدار الجسم. وقيل: الحجم يطلق على ما له مقدار ما سواءً كان جسمًا أم لا إذ الجسم لا يطلق إلا على المتصل في الجهات الثلاث أي الطول والعرض والعمق ج حجوم. انتهى. **قوله**: (**وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلًا للدنيا**) عن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري صحابيان جليلان رضي الله تعالى عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل**») بفتح التاء وكسر الدال تَزِن وتساوي («**عند الله جناح بعوضة**») أي ريشتها وهو مثل للقِلَّة والحَقَارة، والمعنى أنه لو كان لها أدنى قدر («**ما سقى كافرًا منها**») أي مياه الدنيا («**شربة ماء**») أي يمنع الكافر منها أدنى تمتّع فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئًا مما له قدر عند المعطي، رواه الترمذي وابن ماجه، وكذا الضياء وقال الترمذي: حديث صحيح مثَّل عليه السلام الدنيا في الحقارة بجناح بعوضة بل ترقى، فقال: الدنيا في الحقارة ليس مثل جناح بعوضة بل أحقر منه فلا شيء أحقر من الدنيا عنده تعالى. **قوله**: (**لا يسوّغ إنكاره**) بمعنى لا يصحّ ويجوز من ساغ الشيء إذا سهل تناوله ودخوله في الحلق فاستعير للصحة والجواز وشاع حتى صار حقيقة منه. **قوله**: (**معنى الحق**) وهو الكينونة والثبوت.

وفي قولهم: «ماذا أراد الله بهذا مثلًا» استحقار (كما قالت عائشة ﵂

قوله: (كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أُم المؤمنين بنت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما وأُمّها أُم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: يقال بفتح الراء وضمّها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس والخلاف في نسبها كثير وأُم رومان هي أُم عائشة وعبد الرحمٰن بن أبي بكر توفيت أُم رومان في سنة ست في ذي الحجة قاله الواقدي والزبير. وقيل: توفيت سنة أربع أو خمس. قال ابن الأثير: مَن زعم أنها توفيت سنة أربع أو خمس فقد وهم فإنه صحّ أنها كانت في الإفك حيّة وكان الإفك في شعبان سنة ست ونزل النبي ﷺ في قبرها واستغفر لها. أسلمت قبل الهجرة رضي الله تعالى عنها، كنية عائشة أُم عبد الله، كنّاها رسول الله ﷺ أُم عبد الله بابن أُختها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي إسحٰق أن عائشة أسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر إنسانًا ممّن أسلم. تزوَّجها النبي عليه السلام بمكة قبل الهجرة بسنتين في قول أبي عبيدة، وقال غيره: بثلاث سنين وقيل سنة ونصف أو نحوها وهي بنت ست سنين. وقيل: سبع، والأول أصحّ وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة بعد مُنصَرفه من بَدْر في شوال سنة اثنتين وهي بنت تسع سنين. وقيل: بنى بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وهو ضعيف، وقد أوضحت ضعفه في أول شرح صحيح البخاري وهي من أكثر الصحابة رواية، رُوِيَ لها عن رسول الله ﷺ ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين. روى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين وفضائلها ومناقبها مشهورة معروفة. روينا من الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي صاحب التهذيب من أصحابنا قال: رُوِيَ أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أُعطيتها لم تُعْطَها امرأة غيرها منها أن جبرئيل أتى بصورتها في سَرَقَة[1] من حرير وقال: هذه زوجتك. ورُوِيَ أنه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجرها ودُفِن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي

---

(١) قوله: في سَرَقَة، أي قطعة من جيّد الحرير وجمعها سَرَق، كذا في النهاية لابن الأثير رحمه الله تعالى. ١٢ منه عُفِي عنه.

في عبد الله بن عمرو):

وهو معها في لحافها، ونزلت براءتها من السماء، وأنها بنت خليفة رسول الله وصِدِّيقة وخُلِقَت طيبة ووُعِدَت مغفرة ورزقًا. وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدَّثتني الصِّديقة بنت الصِّدِّيق حبيبة رسول الله ﷺ المُبَرَّأة في السماء رضي الله تعالى عنها. توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خَلَت من شهر رمضان سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ست وخمسين. وقيل: سنة ثمانٍ وخمسين، وصلّى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وأمرت أن تُدفَن بالبقيع ليلًا فدُفِنَت من ليلتها بعد الوتر، واجتمع على جنازتها أهل المدينة وأهل العوالي وقالوا: لن تُرَى ليلة أكثر ناسًا منها، والمشهور في عائشة الذي لم يذكر الأكثرون غيره أنها عائشة بالألف. وقال أبو عمرو الزاهد في آخر شرح الفصيح عن ثعلب عن ابن الأعرابي: أفصح اللغات عائشة. قال: وقد حُكِيَت عيشة بلغة فصيحة. قال: وعائشة مأخوذة من العيش. قلت: وحكى هذه اللغة أيضًا علي بن حمزة، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام. وفي مسلم في أبواب قيام الليل عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدْوَمها وإن قَلَّ. قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لَزِمَته. واعلم أن عائشة رضي الله تعالى عنها لم تدخل الشام قطّ، وإنما ذكرت هذا لأني رأيت مَن اشتبه عليه ذلك فتوهّم دخولها دمشق، وهذا خطأ صريح وجهل قبيح ولا خلاف بين أهل التواريخ والحديث أنها لم تدخل الشام. وممَّن نصَّ على عدم دخولها الشام الحافظ أبو القاسم بن عساكر في باب ذِكر مساجد دمشق كذا أفاده في كتاب تهذيب الأسماء. **وقوله: (في عبد الله بن عمرو)** بن العاص هو أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو نُصير بضم النون عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بضم السين وفتح العين ابن سهم بن عمرو بن حصيص بن كعب بن لُؤَي بن غالب القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. كان بينه وبين أبيه في السن اثنتي عشرة سنة. وقيل: إحدى عشرة سنة وأُمه رَيْطَةُ بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم. أسلمت قالوا وكان النبي ﷺ يقول: «نِعْمَ أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأُم عبد الله، أسلم عبد الله

(يا عجبًا لابن عمرو هذا) محقرة له. (و«مثلًا» نصب على التمييز أو على الحال كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣]) و«أما» حرف فيه

قبل أبيه وكان كثير العلم مجتهدًا في العبادة تَلَّاءً للقرآن، وكان أكثر الناس أخذًا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ. ثبت في الصحيح عن أبي هريرة قال: ما كان أحد أكثر حديثًا عن رسول الله ﷺ منّي إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ سبعمائة حديث اتفق البخاري ومسلم على سبعة عشر منها، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين، وإنما قلت: الرواية عنه مع كثرة ما حمل لأنه سكن مصر وكان الواردون إليها قليلًا بخلاف أبي هريرة فإنه استوطن المدينة وهي مقصد المسلمين من كل جهة. روى عنه سعيد بن المسيب وعروة وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمٰن ومسروق وخلائق من كبائر التابعين ونقلوا عنه. قال: حفظت عن النبي ﷺ ألف مثل وأنه قال: لَخير أعلَمُهُ اليوم أحبّ إليّ من مثليه مع رسول الله ﷺ لأنّا كنّا مع رسول الله ﷺ تهمّنا الآخرة ولا تهمّنا الدنيا وأنّا اليوم مالت بنا الدنيا وشهد مع أبيه فتح الشام وكانت الراية مع أبيه يوم اليرموك، وتوفي عبد الله سنة ثلاث وستين، وقيل: خمس وستين بمصر، وقيل: سنة سبع وستين بمكة، وقيل: سنة خمس وخمسين بالطائف، وقيل: سنة ثمانٍ وستين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وهو ضعيف. وقيل: توفي بفلسطين سنة خمس وستين وكان عمره ثنتين وسبعين سنة كذا أفاده في تهذيب الأسماء (يا عجبًا) بالألف بدلًا من الإضافة، والمعنى يا عجبي أحضر (لابن عمرو هذا) أي لعبد الله بن عمرو بن العاص، قالت ذلك حين أفتى بوجوب نقض الضفائر في الاغتسال.

قوله: (ومثلًا نصب على التمييز) أي على تمييزه عن النسبة وهي نسبة الإنكار والتعجّب إلى المُشار إليه، ولا يصحّ أن يكون تمييزًا عن ذات مذكورة وهي نفس اسم الإشارة فإن ذلك إن كان مبهمًا لا يعرف المقصود كالضمير المبهم في نحو: يا له رجلًا، وانتفع بهذا سلاحًا. وهنا ليس كذلك لكونه إشارة إلى المثل. **قوله**: (أو على الحال، كقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣]) أي أو هو نصب على أنه حال من اسم الإشارة الذي هو معمول الفعل السابق وهو أراد فيكون ذلك الفعل عاملًا في الحال أيضًا كما في قولك: لقيت هذا فارسًا ولا يجوز إعمال اسم الإشارة فيها لاستلزامه اختلاف

معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء، وفائدته في الكلام أن (يعطيه) فضل توكيد. تقول: زيد ذاهب. فإذا قصدت توكيده وأنه (لا محالة) ذاهب قلت: أما زيد فذاهب، ولذا قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدًا وأنه في معنى الشرط. وفي إيراد الجملتين مصدرتين به (وأن لم يقل) فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون، (إحماد) عظيم لأمر المؤمنين و(اعتداد) بليغ

العامل[1] في الحال وذي الحال لأن العامل في هذا هو الفعل السابق وهو أراد في الحال هذا وهو غير جائز، شبّه المصنّف رحمه الله تعالى «مثلًا»، الواقع في هذه الآية بـ ﴿ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] الواقعة في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] من حيث إن كل واحد منهما اسم جامد وقع حالًا من اسم الإشارة وإن افترقا من حيث إن العامل في مثل هو الفعل السابق وفي ﴿آية﴾ هو اسم الإشارة كما في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: الآية ٧٢]. **قوله**: (يعطيه) أي يفيده. **قوله**: (لا محالة) بفتح الميم والبناء على الفتح بمعنى لا بدَّ منه ولا تحوّل عنه وهو أبلغ منه لأنه بمعنى لا حيلة فيه أصلًا. قال الإمام المرزوقي: يقولون في موضع لا بدَّ لا محالة، ويقال: حالَ حولًا وحيلة، أي احتال وما فيه حائلة أي حيلة. انتهى.

قوله: (وأن لم يقل) بفتح الهمزة. **قوله**: (إحماد) في الصحاح الحمد نقيض الذمّ وأحمد الرجل صار أمره إلى الحمد، وأحمدته أي وجدته محمودًا، تقول: أتيت موضع كذا فأحمدته، أي صادفته محمودًا موافقًا للمقصود من المنزل وذلك إذا رضيت سكناه أو مرعاه إلى هنا كلامه، والمراد بالإحماد هٰهنا إظهار كون أمر المؤمنين محمودًا وأن علمهم بكون ضرب المثل بما ذكر حقًّا كان أمرًا مُعتَدًّا به عنده سبحانه وتعالى. وفي الحواشي القطبية قوله: إحماد، أي حكم بكونه محمودًا كالإكفار الذي هو حكم بكونه كافرًا. وقال شرف الدين الطيبي رحمه الله تعالى وتجاوز عنه هو ليس من أحمدته أي صادفته محمودًا وإنما هو من أحمدت صنيعه أي رضيته، وأحمدت الأرض رضيت سكناها. **قوله**: (اعتداد) أي

---

(١) أي ما أشير إليه بلفظ هذا، والعامل فيه معنى الفعل المُستفاد من ما الاستفهامية كأنها ذكرت في موضع الإنكار والتعجّب، كأنه قيل: ما أعجب هذا المثل وما وجه التمثيل به. ١٢ منه.

بعلمهم أنه الحق، (ونعي على الكافرين) إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة (الحمقاء). و«ماذا» فيه وجهان: أن يكون «ذا» اسمًا موصولًا بمعنى الذي و«ما» استفهامًا فيكون كلمتين، وأن تكون «ذا» مركبة مع «ما» مجعولتين اسمًا واحدًا للاستفهام (فيكون كلمة) واحدة، فـ«ما» على الأول رفع بالابتداء وخبره «ذا» مع صلته أي أراد، (والعائد محذوف). وعلى الثاني منصوب المحل بـ«أراد» والتقدير: أي شيء أراد الله. والإرادة مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك، وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه، والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنّة. وقال معتزلة بغداد: إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة. فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساهٍ ولا مكره عليه، وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به. ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ جارٍ مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بـ«أما» وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقًّا من باب الهدى، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة. (وأهل الهدى كثير في أنفسهم) وإنما يوصفون بالقلّة بالقياس إلى أهل

اعتبار. **قوله**: (نعي على الكافرين) في لسان العرب نَعَى عليه الشيء يَنْعاه قَبَّحه وعابه عليه ووبّخه. اهـ. **قوله**: (الحمقاء) في محيط المحيط الحَمْقاء مؤنث الأحمق. **قوله**: (فيكون كلمة) واحدة بمعنى أيّ شيء. **قوله**: (والعائد محذوف) أي أراده.

قوله: (وأهل الهدى كثير في أنفسهم)... الخ جواب عمّا يقال: كيف وصف المهتدين هنا بالكثرة وهم قليل لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صَ: الآية ٢٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: الآية ١٣]، وأيضًا القلّة والكثرة مفهومان إضافيان فإذا وُصِف أحد الفريقين بالكثرة يكون الآخر لا محالة موصوفًا بالقلّة فكيف يصحّ أن يُوصَف كل واحد من القبيلين بالكثرة، وأجاب عنه بوجهين: الأول أن المهتدين كثير في أنفسهم بحيث لا يكاد يُحصى عددهم إلا أنهم قليلون باعتبار إضافتهم إلى أهل الضلال وتوصيف كل واحد من القبيلين بالكثرة بحسب ذواتهم وأنفسهم لا ينافي توصيفه بالقلّة عددًا بالقياس إلى مقابله كما في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صَ: الآية ٢٤]. والوجه الثاني أنهم وإن كانوا قليلًا في الصورة

الضلال، ولأن القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وإن قلّوا في الصورة.

(إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا)

والإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، والهداية خلق فعل الاهتداء، هذا هو الحقيقة عند أهل السنّة، وسياق الآية لبيان أن ما استنكره (الجهلة) من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى (وإدناء) المتوهم من المشاهد. فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به كذلك. وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك، ألا ترى أن الحق لما كان واضحًا جليًّا تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضدّ صفة تمثل له بالظلمة، ولما (كانت) حال الآلهة التي جعلها الكفّار (أندادًا) لله

والعدد إلا أنهم كثيرون في الحقيقة. **قوله**:

(إن الكرام كثير في البلاد وإن قلّوا كما غيرهم قلَّ وإن كثروا)

هو من قصيدة طويلة لأبي تمام مدح بها عبد العزيز الطائي من أهل حمص ومعنى البيت إن الكرام كثير في الدنيا باعتبار نفعهم وقيامهم مقام الكثير في الغناء والفائدة وإن كانوا قليلًا بحسب العدد كما أن غيرهم بعكس ذلك ففيه شاهد لإطلاق الكثير على القليل لكثرتهم المعنوية وهو المراد في هذا التوجيه وقل كما في الرواية المعروفة بضم القاف وتشديد اللام اختلف فيه شُرَّاح الكشاف فقيل إنه جمع قليل ككثير، وقيل: إنه مفرد وارتضاه ابن الصائغ فهو في الأصل مصدر قلَّ يقلّ قلّة وقلا كذلّ يذلّ ذلّة وذلّا وهذا هو الظاهر بحسب العربية ولعله على الجمعية جمع أقل كأغَرَّ وغُرٍّ لا قليل على أن أصله قُلل بضمتين كنذير ونذر فخفَّف وأدغم. كما قيل لأن قواعد الصرف تأباه فإنهم قالوا: إن أول المثلين في كلمة إذا تحرك يجوز إدغامه بشروط منها أن لا يكون جمعًا على وزن فعل بضمتين كسرر وذلل لئلا يلتبس بفعل بضم فسكون كحمر جمع أحمر، كذا حقَّقه العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب. وقال العلّامة القنوي: والإدغام للوزن فلا محذور. اهـ. **قوله**: (الجهلة) جمع الجاهل. **قوله**: (إدناء) في محيط المحيط أدنى الشيء قرَّبه. اهـ. **قوله**: (كانت أندادًا) في محيط المحيط الندّ المثل ولا

(لا حال أحقر منها) وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف **(والوهن)**، وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة؟ فالذي دونها مثلًا ـ **(لم يستنكر)** ولم يستبدع **(ولم يقل)** للمتمثل استَحْي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مُصيب في تمثيله، محق في قوله، **(سائق)** للمثل على **(قضية مضربه)**، ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والنظر في الأمور يناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أن الحق، وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم إذا سمعوه **(كابروا وعاندوا وقضوا)** عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين. والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال **(بالبهائم والطيور وخشاش الأرض)**

يكون إلا مخالفًا، ج أنداد، يقال: ما له ندٌّ، أي ما له نظير. اهـ. **قوله:** **(لا حالَ أحقرَ منها)** خبر **(كانت)**. **قوله:** **(الوهن)** في محيط المحيط الوَهَن: الضعف في الأمر والعمل والبدن. اهـ. **قوله:** **(لم يستنكر)**. . . الخ جواب لما كانت. **وقوله:** **(ولم يقل)** على صيغة المجهول. **وقوله:** **(استَحْيِ)** على صيغة الأمر المخاطب. **وقوله:** **(سائق)** أي مُوْرِد. **قوله:** **(قضية مضربه)** أي مقتضى مورده. **قوله:** **(كابروا)** في محيط المحيط كابره مكابرة غالبه مغالبة وعانده وفي التعريفات المكابرة هي المنازعة في المسألة العلمية لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم. اهـ. **قوله:** **(وعاندوا)** في محيط المحيط عاند الشيء معاندة وعِنادًا لازمه وفلانًا جانَبَه. وفارقه وعارضه بالخلاف والعصيان وفعل مثل فعله. وقال الأزهري: المُعاند المُعارض بالخلاف لا بالوفاق وقد يكون مباراة بغير خلاف. اهـ.

قوله: **(قضوا)** أي حكموا **(بالبهائم)** في محيط المحيط البهيمة كل حيوان لا عقل له وكل ما لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام وكل ذوات أربع قوائم ولو في الماء ما عدا السِّباع والطير، ج بهائم. اهـ. **قوله:** **(والطيور)** في محيط المحيط الطائر: اسم فاعل، وكل ذي جناح من الحيوان ج طَيْر وطُيُور وأطيار. وقال قطرب: الطَّيْر أيضًا قد يقع على الواحد وأبو عبيدة مثله. اهـ. **قوله:** **(وخشاش[1] الأرض)** في محيط المحيط الخِشاش حشرات الأرض والعصافير

---

(١) مثلثة. ١٢ القاموس.

فقالوا: (**أجمع من ذرة، وأجرأ من الذباب، على جفن نِداد، وأسمع من قراد، وأضعف**

ونحوها.اهـ. وفي المصباح خشاش الأرض وزان كلام وكسر الأول لغة دوابها الواحدة خشاشة وهي الحشرة والهامة.اهـ. وفي مجمع البحار فتح خاء خشاش أشهر الثلاثة.اهـ. **قوله**: (**أجمع من ذرة**) هي من صغار النمل يجمَع ويَدَّخر قوت سنين هكذا أفاده العلّامة التفتازاني ﷺ. وفي محيط المحيط الذر صغار النمل، الذرة واحدة الذر.اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال للعلّامة أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري **أجمع** من نَمْلة، ويقال أجمع من ذرة، قال الشاعر في الذر وجمعها، شعر:

يجمع للوارث جمعًا كما تجمع في قريتها الذر

انتهى. **قوله**: (**وأجرأ من الذباب**) في محيط المحيط **جَرُؤَ** الرجل يجرؤ جُرْأَةً وجُرَةً بحذف الهمزة وجَرَاءة وجرائية وجَراية بالياء وهو نادر لإبدال الهمزة ياء بعد الفتحة شَجُعَ.اهـ. وأيضًا فيه الأجْرَأ اسم تفضيل.اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال أجرأ من الذباب وذلك أنه يقع على أنف الملك وعلى **جفن** الأسد وهو مع ذلك يذاد[1] فيعود.اهـ. **وقوله**: (**على جفن**) في محيط المحيط الجفن غطاء العين من أعلى وأسفل، ج أَجْفُن وأجْفان وجُفُون.اهـ. **قوله**: (**يذاد**) أي يمنع. **قوله**: (**وأسمع من قراد**) في محيط المحيط القُراد دويبَّة تتعلق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان الواحدة قُرادة والعامّة تقول له الفاسوق أيضًا ج قِرْدان.اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال (**أسمع من قراد**) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرّك لها. قال أبو زياد الأعرابي: ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية وتركوها قفارًا والقردان منتشرة في أعطان الإبل وأعقار الحِياض ثم لا يعود إليها عشر سنين وعشرين سنة ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء وقد أحسّت بروائح الإبل قبل أن توافي فتحركت.اهـ. وقال العلّامة التفتازاني في شرح الكشاف: (**أسمع من قراد**) يزعم العرب أنه يسمع الهمس الخفي من دفع مناسم[2] الإبل على مسيرة سبع ليال فيشوّر في الطعن ويقصد الطريق فإذا رأته اللصوص لا يشك أن القافلة أقبلت.اهـ. **قوله**: (**وأضعف**

(١) أي كلما زُبّ آب. ١٢ منه.
(٢) المنسم ـ بكسر السين ـ خفّ البعير. ١٢ منه.

من فراشة، وآكل من السوس)، وأضعف من البعوضة، (وأعزّ من مخ البعوض)، ولكن (ديدن المحجوج والمبهوت) أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وإنكار اللائح. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (هو) مفعول «يضلّ» وليس بمنصوب على الاستثناء لأن «يضلّ» لم يستوف مفعوله. والفسق: الخروج عن القصد. والفاسق في الشريعة: الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله إن شاء الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ النقض: الفسخ وفكّ التركيب. و(العهد: الموثق).

من فراشة) في محيط المحيط الفَراشة حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السِّراج فيتحرّق ج فراش. اهـ. وفي مجمع الأمثال أضعف من بقّة ومن بعوضة ومن فراشة ومن قارورة. انتهى.

قوله: (وآكل من السوس) في محيط المحيط السوس دود يقع في الصوف والثياب والطعام والشجر. اهـ. **قوله**: (وأعزّ من مخ البعوض) في منتهى الأرب في لغات العرب أَعَزّكم باب. انتهى. وفي محيط المحيط المخ نِقْي العظم. اهـ. وأيضًا فيه المخ أيضًا شحمة العين. اهـ. وأيضًا فيه النِّقْي مخ العظم وشحم العين من السِّمن، ج أنقاء. اهـ. وفي مجمع الأمثال أعزّ من الترياق ومن ابن الخصي ومن مخّ البعوض ومن عُقاب الجوّ. اهـ. **قوله**: (ديدن المحجوج) أي عادته في لسان العرب الدين العادة والشأن تقول العرب ما زال ذلك ديني ودَيْدَنِي أي عادتي. اهـ. **وقوله**: (المحجوج) أي المغلوب في الحجة. **قوله**: (والمبهوت) في محيط المحيط بَهت الرجل يبهُت وبَهِت يبهَت وبهُت يبهُت وبُهِت يُبْهَت على المجهول بَهْتًا انقطع ودَهِش وتحيَّر فهو مبهوت لا باهت ولا بهيت. وفي مقدمة الزمخشري يقال: رجل باهِت. قيل: وصيغة المجهول أفصح وعليه في سورة البقرة ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [الآية ٢٥٨] وفي سورة الأنبياء ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الآية ٤٠] أي تغلبهم أو تحيّرهم. اهـ. **قوله**: (هو) أي الفاسق.

قوله: (العهد: الموثق) قال الراغب: وثقت به واعتمدت عليه وأوثقته شددته وما يشدّ به وثاق والوثاق والميثاق عقد يؤكد بيمين والموثق الاسم منه. قال

والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله **(أحبار اليهود)** المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعًا. وعهد الله ما (ركز) في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصّاهم به ووثقه عليهم، أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره، أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم **(ولا يبغي)** بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم. وقيل: **(عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود)**: العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقرّوا بربوبيته وهو قوله تعالى: (﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) الآية،

تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [يوسف: الآية ٦٦] أو هو مصدر أو اسم موضع الوثوق فالعهد للوصية واليمين لأنها تعهد وتحفظ وللمنزل كما ذكره الجوهري. **قوله**: **(أحبار اليهود)** أي علماؤهم. في المصباح الحَبْر: العالِم، والجمع أحبار، مثل حمل وأحمال. والحَبْر بالفتح لغة فيه وجمعه حبور مثل فلس وفلوس واقتصر ثعلب على الفتح وبعضهم أنكر الكسر.اهـ. **قوله**: (ركز) واستحكم. **قوله**: **(لا يبغي)** أي لا يظلم. **قوله**: **(وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود)**... الخ هذا الكلام ذكر استطرادًا لِبيان أن العهد المأخوذ بالرُّسُل كما يكون مأخوذًا على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول صدّقه الله تعالى بالمعجزات صدّقوه واتبعوه ولم يخالفوه في شيء من أحكامه يكون أيضًا مأخوذًا على النبيين بأن يبلّغوا أحكام نبوّتهم ويجتهدوا في إظهار دين الله تعالى وعلى العلماء أيضًا بأن يُبيِّنوا الحق ولا يكتموه وليس المقصود منه أن كل واحد من هذه العهود الثلاثة من العهد المنقوض المذكور في هذه الآية وهو ظاهر. ذكر في الحواشي السعدية أنه لا خفاء في أنه ليس المراد بعهد الله الذي ينقضونه هو عهد الأنبياء لأنه لا نقض منهم، ولا عهد العلماء لأنهم ليسوا الفاسقين الذين أضلّهم الله بضرب المثل إلا أن يُراد البعض منهم كعلماء اليهود فتعيَّن أن يُراد به العهد الأول العام لذريّة آدم عليه السلام فيعود إلى الوجه الأول، أعني العهد المأخوذ بالعقل أو يراد عهد علماء اليهود فيعود إلى الوجه الثاني. **قوله**: **(وهو قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية ١٧٢] الآية) في تفسير الجلالين في سورة الأعراف ﴿وَٱذْكُرُوا۟﴾ [الآية ١٧١] ﴿وَٱذْكُرْ﴾ [الإنسان: الآية ٢٥] إذ حين (﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار (﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) بأن أخرج من صلب

الراء المهملة الرازي نسبة إلى الري مدينة كبيرة مشهورة من بلاد ديلم بين قومس والحيال وألحقوا الزاي في النسب. انتهت. وأيضًا فيها أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام كبير الشأن المعروف بالجصّاص وهذا لقب له وكتب الأصحاب والتواريخ مشحونة بذلك ذكره صاحب الخلاصة في الدّيات والشركة بلفظ الجصّاص وذكر صاحب الهداية في القسمة بلفظ الجصَّاص وذكره صاحب الميزان من أصحابنا بلفظ الشيخ أبو بكر الجَصَّاص وذكره بعض الأصحاب بلفظ الرازي الجصَّاص وذكره في القنية عن بكر خواهرزاده في مسألة إذا وقع البيع بغبن فاحش قال ذكر الجصَّاص وهو أبو بكر الرازي في واقعاته أن للمشتري أن يردّ وللبائع أن يستردّ. وقال الشيخ جلال الدين في المُغني في أصول الفقه في الكلام في الحديث المشهور قال الجصّاص إنه أحد قسمي المتواتر وذكر شمس الأئمة السرخسي هذا القول في أصوله عن أبي بكر الرازي، وقال ابن النجار في تاريخه في ترجمته كان يقال له الجصَّاص وإنما ذكرت هذا كله لأن شخصًا من الحنفية نازعني غير مرة في ذلك وذكر أن الجصَّاص غير أبي بكر الرازي وذكر أنه رأى في بعض كتب الأصحاب وهو قول أبي بكر الرازي والجصَّاص بالواو فهذا مستنده وهو غلط من الكاتب أو منه أو من المصنِّف والصواب ما ذكرته مولده سنة خمس وثلثمائة سكن بغداد، وعنه أخذ فقهاؤها وإليه انتهت رئاسة الأصحاب. قال الخطيب إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته وكان مشهورًا بالزهد، خُوطِب في أن يَلِي القضاء فامتنع، وأُعيد عليه الخطاب فلم يقبل. تفقّه على أبي سهل الزجَّاج صاحب كتاب الرياضة وتفقّه على أبي الحسن الكرخي وبه انتفع وعليه تخرّج. قال الصَّيْمَرِي: استقر التدريس ببغداد لأبي بكر الرازي وانتهت الرحلة إليه وكان على طريقة مَن تقدّمه في الزهد والورع والصيانة ودخل بغداد سنة خمس وعشرين ودرس على الكرخي ثم خرج إلى الأهواز ثم عاد إلى بغداد ثم خرج إلى نيسابور مع الحاكم النيسابوري فرأى شيخه أبا الحسن الكرخي ومسودّته فمات الكرخي وهو بنيسابور ثم عاد إلى بغداد سنة أربع وأربعين وثلثمائة. تفقّه عليه أبو بكر أحمد بن موسى الخوارزمي وأبو عبد الله محمد بن يحيىٰ الجرجاني شيخ القدوري وأبو الفرج أحمد بن محمد بن عمر المعروف بابن المسلمة وأبو جعفر محمد بن أحمد النسفي

﴿خَلَقَ لَكُم﴾ (على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة في الأصل).

وأبو الحسين محمد بن أحمد بن أحمد الزعفراني وأبو الحسين محمد بن أحمد بن الطيب الكُماري والد إسماعيل قاضي واسط. وروى الحديث عن عبد الباقي بن القانع وأكثر عنه في أحكام القرآن. وروى عن أبي عمر غلام تغلب وله من المصنَّفات أحكام القرآن وشرح مختصر شيخه أبي الحسن الكرخي وشرح مختصر الطحاوي وشرح الجامع لمحمد بن الحسن وشرح الأسماء الحُسنى، وله كتاب مفيد في أصول الفقه، وله جوابات عن مسائل وردت عليه. قال ابن النجار: توفي يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة عن خمس وستين سنة، وصلّى عليه أبو بكر الخوارزمي صاحبه، حكاه الخطيب. انتهت.

قوله: (على أن الأشياء التي يصحّ أن يُنتفَع بها خُلِقت مُباحة في الأصل) في التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية للشيخ الأجلّ مولانا أحمد المعروف بملاجين عليه رحمة الله ذي المنن ففي مسألة أن الإباحة أصل في الأشياء، قوله تعالى: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾). هذه بيان نعمة يُخاطَب بها الكفّار أو المؤمنون أو كلاهما واللام في لكم للانتفاع. والمعنى خلق جميع ما في الأرض لانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها مصالح أبدانكم وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرّف لما يلائمها من لذّات الآخرة وآلامها، كذا قالوا فيمكن أن يستدلّ بها على أن الأصل في الأشياء الإباحة كما هو مذهب طائفة بخلاف الجمهور[١] فإن عندهم الأصل هو الحُرمة ولا يظهر ثمرته إلا في قوله عليه السلام «لا تبيعوا الطعام إلا سواء بسواء»، فإن عندنا الأصل هو إباحة الربا حتى يعفو عند عدم القدر والجنس وإنما تثبت الحُرمة إذا وجد جميع الشرائط. وعند الشافعي الأصل هو الحُرمة في كل حال والمساواة مخلص منها كما ذكر في الهداية في باب الربا لأن ذلك مبني على أصل آخر مختَلَف فيه معروف. وبالجملة ففي الآية دليل على كون الإباحة أصلًا في الأشياء صرّح به صاحب الكشاف حيث قال: قد استدلّ

---

(١) أقول: وصرّح في التحرير بأن المختار أن الأصل الإباحة عند الجمهور من الحنفية والشافعية، انتهى. فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ. ١٢ منه عُفِي عنه.

وعهد خصّ به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] وعهد خصّ به العلماء وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٧]، (﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أصله من الوثاقة) وهي إحكام الشيء، والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم، ويجوز أن يكون بمعنى توثقته

بعض من صلب آدم نسلًا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان(١) يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلًا (﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) قال: (﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) أنت ربّنا (﴿شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) بذلك، والإشهاد (أن لا يقولوا) بالياء والتاء في الموضعين أي الكفّار يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] التوحيد (﴿غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) لا نعرفه (﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) أي قبلنا (﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) فاقتدينا بهم (﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) تعذّبنا (﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) من آبائنا بتأسيس الشّرك، المعنى أنهم لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس.اهـ.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أصله من الوثاقة)... الخ يعني أن الميثاق اسم آلة كالمفتاح والمهراش لآلتي الفتح والهرش وهو الدلك الشديد فإن الأصل في مفعال أن يكون اسم آلة كما ذكر أو صفة مبالغة الفاعل لمعطار ومسقام في مبالغة عطير وسقيم بمعنى كثير التعطّر وهو التطيّب وكثير السقم وهو المرض يقال عطر يعطر عطرًا فهو عطير وسقم يسقم سقمًا فهو سقيم وكلاهما من باب علم ويحتمل(٢) أن يكون الميثاق اسمًا بمعنى الإيثاق كالعطاء بمعنى الإعطاء.

---

(١) بفتح النون وادٍ بين مكّة والطائف، ويخرج إلى عرفات، كذا في المصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) وإنما قال: ويحتمل... الخ. ولم يقل: أن يكون مصدرًا إذ لم ينتقل أن يكون مفعال مصدرًا ولم يعد في أبنيته. ١٢ منه.

كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم (و«من» لابتداء الغاية) ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين، أو قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق (في إيمانهم) ببعض وكفرهم ببعض. والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل (الاستعلاء)، و(«ما» نكرة موصوفة) أو بمعنى الذي و«أن يوصل» في موضع جرّ (بدل) من الهاء أي بوصله، أو في موضع رفع أي هو أن يوصل ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقطع السبيل (والتعويق) عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿هُمُ﴾ فصل والخبر ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

(﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ معنى الهمزة التي في «كيف») مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان (وهو) الإنكار والتعجب، (ونظيره) قولك: أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح؟ والواو في (﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نطفًا) في أصلاب آبائكم للحال و«قد» مضمرة. (والأموات)

قوله: (و«من» لابتداء الغاية) أي على كلٍّ من الوجوه المذكورة سواء كان الميثاق اسمًا أو مصدرًا وسواء كان الضمير لله أو للعهد. **قوله**: (في إيمانهم) متعلق بقطعهم. **قوله**: (الاستعلاء) وهو عدّ النفس عاليًا. **قوله**: (ما نكرة موصوفة) بمعنى شيء أو موصولة بمعنى الذي. **قوله**: (بدل) من الهاء في به. **قوله**: (والتعويق) أي المنع في محيط المحيط عاقه عن كذا يعوقه عَوْقًا حبسه وصرفه وثبّطه عنه. اهـ. وأيضًا فيه عوّقه عن كذا تعويقًا وإعاقة بمعنى عاقه. اهـ.

قوله: (معنى الهمزة التي في كيف) القياس الذي وإنما قال التي لإضافته إلى المؤنث. **قوله**: (وهو) عائد إلى مثله. **قوله**: (ونظيره) أي نظير قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر، (﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾). **قوله**: (نُطَفًا) جمع النطفة أي وعلقًا ومضغًا. **قوله**: (والأموات) جمع مَيْت مخفَّف ميِّت في المصباح الأموات جمع ميت مثل بيت وأبيات. قال تعالى:

جمع ميت (كالأقوال جمع قيل)، ويقال: لعادم الحياة أصلًا ميت أيضًا كقوله تعالى: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٩] ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون إلى الجزاء، أو ثم يحييكم في قبوركم ثم (إليه) ترجعون للنشور. وإنما كان (العطف الأول) بالفاء والبواقي بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخٍ، (وأما الموت) فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن أريد (النشور)، وإن أريد إحياء القبر (فمنه) يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء أيضًا متراخٍ عن النشور. وإنما أنكر اجتماع الكفر (مع القصة التي ذكرها) لأنها مشتملة على آيات بيّنات تصرفهم على الكفر، ولأنها تشتمل على نعم (جسام) حقها أن تشكر ولا تكفر.

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ٢٦]. اهـ. وفي لسان العرب قال الزجّاج: الميْت الميِّت بالتشديد إلا أنه يخفّف، يقال مَيْت وميِّت والمعنى واحد ويستوي فيه المذكَّر والمؤنث. قال تعالى: ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٩] ولم يقل مَيْتَةً. وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: الآية ١٧] إنما معناه والله أعلم أسباب الموت إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة. اهـ. **قوله:** (كالأقوال جمع قَيْل) وهو الملك النافِذ القول والأمر، وأصله قِيْوَل من القَوْل حُذِفَت عينه، كذا في لسان العرب نقلًا عن النهاية، وقد يُجمَع على أقيال أيضًا، أما الأقوال فلاشتقاق القيل من القول كالميت من الموت، وأما الإقيال فلاشتقاقه من التقيل يائيًا وكلام الجوهري يُشعِر بأن كليهما من الواو إلا أن مَن قال الإقيال لم ينظر إلى الأصل بل إلى مجرد لفظ قيل بالتخفيف. **قوله:** (إليه) قدّم للحصر لأنه لا رجوع يومئذ إلى غير الله سبحانه وتعالى. **قوله:** (العطف الأول) وهو عطف أحياكم على ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾. **قوله:** (وأما الموت) أي بعد الحياة فقد يتراخى أي غالبًا. **قوله:** (النشور) النشور زنده كردن. **قوله:** (فمنه) أي من لفظ ثم يعلم تراخي إحياء القبر عن الموت وأما تراخي المصير إلى الجزاء عن النشور فلأنه إنما يكون في الجنة والنار. **قوله:** (مع القصة التي ذكرها) بقوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ إلى آخر الآية. **قوله:** (جسام) في لسان العرب جسُم الشيء أي عظُم فهو جسيم وجُسام بالضم والجِسام بالكسر جمع جسيم. انتهى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

(﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **أي لأجلكم ولانتفاعكم**) به في دنياكم ودينكم. (**أما الأول**) فظاهر، (**وأما الثاني**) فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالّة على صانع قادر حكيم عليم، وما فيه من التذكير بالآخرة (لأن ملاذها) تذكر ثوابها (ومكارهها) تذكر عقابها. (وقد استدلّ الكرخي وأبو بكر الرازي) والمعتزلة بقوله:

قوله: (أي لأجلكم وانتفاعكم)... الخ، يعني أن اللام للتعليل والانتفاع كما يقال دعا له وفي ضدّه دعا عليه. **قوله**: (أما الأول) أي الانتفاع الدنيوي. **قوله**: (وأما الثاني) أي الانتفاع الديني. **قوله**: (لأن ملاذَها)... الخ في محيط المحيط المَلاذّ الشهوات، مفردها مَلَذَّة.اهـ. أي نعيم الدنيا أُنموذج نعيم الآخرة. **قوله**: (ومكارهها) المكاره جمع مكرَه وهو ما يكرهه الإنسان ويشقّ عليه. في منتهى الأرب في لغات العرب مكاره بالفتح سختيها يقال لقيت دونه مكاره. انتهى. **قوله**: (وقد استدلّ الكرخي) بفتح الكاف وسكون الراء في آخرها خاء معجمة نسبة إلى الكرخ وهو عدّة مواضع منها كرخ سامراء وكرخ البصرة وإليه يُنسَب الكرخي هذا اسمه عبيد الله بن دلهم الإمام الكبير أبو الحسن رحمه الله. كذا في الجواهر المضيئة وأيضًا فيه عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بعد أبي حازم وأبي سعيد البردعي وانتشرت أصحابه وعنه أخذ أبو بكر الرازي وأبو عبد الله الدّامغاني وأبو علي الشاشي وأبو القاسم علي بن محمد التنوخي وكان كثير الصوم والصلاة صبورًا على الفقر والحاجة ولمّا أصابه الفالج آخر عمره كتب أصحابه إلى سيف الدولة بن حمدان بما ينفق عليه فعلم ذلك فبكا وقال: اللّهمَّ لا تجعل رزقي إلا من حيث عوَّدتني، فمات قبل أن يصل إليه صِلَة سيف الدولة وهي عشرة آلاف درهم. وكان مَن تولّى القضاء من أصحابه هجره مولده سنة ستين ومائتين وتوفي ليلة النصف من شعبان سنة أربعين وثلثمائة. انتهت.

قوله: (وأبو بكر الرازي) أحمد بن علي الإمام المشهور صاحب أحكام القرآن وغيره كذا في الجواهر المضيئة. وأيضًا فيها في كتاب الأنساب في حرف

بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أن الأشياء التي يصلح أن ينتفع بها ولم تجرِ مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مُباحة مطلقًا لكل أحد أن يتناولها وينتفع بها، وقد صرَّح به صاحب المدارك أيضًا حيث قال: وقد استدلّ الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أن الأشياء التي يصلح أن ينتفع بها خُلِقَت مباحة في الأصل. وذكر الإمام فخر الإسلام في بحث المعارضة أنه إذا تعارض المُباح والمُحَرَّم ترجّح المُحَرَّم لتأخره ودلالته فإن الإباحة لمّا كانت أصلية في الأشياء كان المُحَرَّم لتأخّره ناسخًا للمُباح، وأما إذا عملنا بالمُباح وجعلناه مؤخرًا تكرّر النسخ لأن الإباحة لمّا كانت أصلية في كل شيء كان المُحَرَّم ناسخًا له، ثم كان المُباح العارضي ناسخًا للمُحَرَّم. ثم قال: وهذا بناء على قول مَن جعل الإباحة أصلًا، ولسنا نقول بهذا في أصل الوضع لأن البشر لم يُترَكوا سدى في شيء من الزمان، وإنما هذا بناء على زمان الفترة قبل شريعتنا، يعني أن جعل المُحَرَّم ناسخًا بناءً على قول مَن جعل الإباحة أصلًا في الأشياء كالكرخي وأبي بكر الرازي وطائفة من الفقهاء الحنفية والشافعية وجمهور المعتزلة ولسنا نقول بكون الإباحة أصلًا في الوضع لأن عباد الله تعالى لم يتركوا مُهمَلًا في شيء من الزمان ولو كان الإباحة أصلًا لكانوا مُهمَلين غير مُكَلَّفين، وإنما جعلنا المُباح أصلًا والمُحَرَّم ناسخًا بناءً على زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قبل شريعتنا فإنه كان الإباحة أصلًا حينئذ ثم بعث نبيّنا عليه الصلاة والسلام يبيِّن الأشياء المُحَرَّمة وبقي ما سواها حلالًا مُباحًا هكذا في حواشيه، ثم كون الأصل عندنا الإباحة لا يُنافي أن يكون الشيء حرامًا لعينه كالزِّنا والخمر أو لغيره كأكل مال الغير أو مكروهًا كراهة تنزيه أو تحريم كأكل الفرس أو سؤر الهرة لأن كل ذلك يثبت بالأدلة القاطعة أو الظنِّيَّة، وإنما الكلام فيما لم يوجد فيه دليل أصلًا. وأما ما تمسك به المُباحِيّون من أن مال المسلمين مُباح لكل واحد أن يأخذ ما شاء لا يمنع أحدٌ أحدًا، أو أن الله سبحانه وتعالى إذا أحبَّ عبدًا لم يضرّه ذنب ومباشرة حرام كما صرَّح به الإمام الزاهد فمعاذ الله منه، وأين هذا من ذلك؟! ولهذا قال القاضي البيضاوي رحمة الله عليه في جوابه وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لأسباب عارِضة فإنه يدلّ على أن الكل

(﴿جَمِيعًا﴾ **نصب على الحال من** «ما» ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾) الاستواء: الاعتدال والاستقامة. يقال: استوى (**العود**) أي قام واعتدل ثم قيل: استوى إليه (**كالسهم**) المرسل أي قصده قصدًا مستويًا من غير أن (**يلوي**) **على** شيء ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: الآية ١١]، أي أقبل و(**عمد**) إلى خلق

للكل لا أن كل واحد لكل واحد. انتهت بحروفها. فإن قيل هذه المسألة إن كانت مأخوذة من هذه الآية وجب أن يكون ما خلق في الأرض من الأشياء النافعة والضَّارَّة والسموم القاتلة والقاذورات كالبول والغائط مُباحة لعموم قوله: ما في الأرض للجميع، فما وجه قوله: إن الأشياء التي صحّ أن ينتفع بها خُلِقَت مُباحَة في الأصل؟! أجيب بأن كلمة ما وإن كانت عامّة إلا أن قوله ﴿لَكُم﴾ خصّها بالنافعة بناء على أن اللام في ﴿لَكُم﴾ كما تدل على الاختصاص تدلّ أيضًا على معنى النفع كما أشار إليه المصنِّف رحمه الله في قوله: ﴿لَكُم﴾ لأجلكم. ومعلوم أن الخلق للانتفاع يختصّ بخلق الأشياء النافعة في الأرض ولا يُتَصَوَّر في خلق جميع ما في الأرض.

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾ **نصب على الحال** من ﴿مَّا﴾) أي من المفعول الذي هو ﴿مَّا﴾ وهي بمعنى كل، ولا دلالة لها على الاجتماع الزماني وهذا هو الفارق بين قولنا: جاؤوا جميعًا، وجاؤوا معًا، فإن مع تقتضي المُصاحبة في الزمان بخلاف جميع. قيل: وهي هنا حال مؤكدة لأن قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ عامٌّ وإنما بيَّن إعرابه احترازًا عن كونه حالًا من ضمير ﴿لَكُم﴾ أو من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه لا مبالغة فيه. **قوله**: (العود) في محيط المحيط، العود: الخشب والغصن بعد أن يُقْطع. انتهى. **قوله**: (كالسهم) في المصباح، السهم: واحد النَّبْل، وقيل: السهم نفس النَّصْل. انتهى. وأيضًا فيه النَّبْل السِّهام العربية وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها بل الواحد سهم، فهي مفردة اللفظ مجموعة المعنى. انتهى. وفي لسان العرب، السهم: واحد النَّبْل، وهو مَركب النَّصْل، والجمع أَسْهُم وسِهام. وقال ابن شُمَيْل: السَّهم نفس النَّصْل. وفي منتهى الأرب في معرفة لغات العرب نصل بالفتح پيكان نير. انتهى. **قوله**: (يلوي[1]) أي يعطف. **قوله**: (عمد) أي قصد.

---

(١) أي يميل. ١٢ منه.

السمٰوات بعد ما خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء جهات العلوّ كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق. والضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ مبهم يفسره (﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ كقولهم «ربه رجلا»). وقيل: الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها في معنى الجنس. ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه (من العوج والفطور)، أو إتمام خلقهن. «وثم» هنا لبيان فضل خلق السمٰوات على خلق الأرض، ولا يناقض هذا قوله: (﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾) [النازعات: الآية ٣٠] لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر. (وعن الحسن): خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس (كهيئة الفهر) عليها دخان (ملتزق) بها، ثم أصعد الدخان وخلق منها السمٰوات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]، (وهو) الالتزاق (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾) فمن ثم خلقهن خلقًا مستويًا محكمًا من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض على حسب

قوله: (كقولهم ربه رجلا) وربّهنّ نساء. وفائدة إبهام الضمير وتفسيره بما بعده أن المُبهَم إذا بُيِّن كان أفخم وأعظم من أن يُبَيَّن أوّلًا لأنه إذا أُبْهِم تشوَّفت النفس إلى الاطّلاع عليه، وفي البيان بعد ذلك شفاؤها بعد التشوّف. **قوله**: (من العوج[1]) العوج بفتحتين مصدر عوج الشيء بكسر الواو فهو أعوج والاسم العِوَج بكسر العين وفتح الواو. **قوله**: (والفطور) أي الشقوق. **قوله**: (﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [النازعات: الآية ٣٠]) أي بعد خلق السماء (﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: الآية ٣٠]) أي بسطها. **قوله**: (وعن الحسن) البصري هو الإمام المشهور المُجمَع على جلالته في كل فن أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري بفتح الباء وكسرها الأنصاري أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة، توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (كهيئة الفهر) في محيط المحيط، الفِهْر: الحجر قدر ما يُدَقّ به الجوز أو يملأ الكفّ مذكَّرٌ ويؤنَّث ج أفْهار وفهور.اهـ. وقال العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف قوله: كهيئة الفهر هو حجر ملؤ الكفّ يُذَكّر ويؤَنَّث، وجمعها أفهار. انتهى. **قوله**: (ملتزق) أي ملتصق. **قوله**: (وهو) الرتق.

---

(١) يصحّ فيه هنا الفتح والكسر كما سيأتي في الكهف. ١٢ منه.

حاجات أهلها ومنافعهم. («وَهْوَ» وأخواته مدني غير ورش)، «وَهْوَ» هو (وأبو عمرو

قوله: (وهو وأخواته مدني غير ورش وأبو عمرو وعلي) يعني وهو بسكون الهاء وأخواته، يعني فهو لهو ثم هو وهي فهي لهي ثم هي قراءة[١] نافع بن عبد الرحمٰن المدني غير ورش وأبو عمرو بن العلاء البصري وعلي بن حمزة الكوفي المعروف بالكسائي. وعبارة الخطيب قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء والباقون بضمها. انتهت. وفي حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي اعلم أنه يجوز تسكين الهاء من هو وهي إذا وقعت بعد الواو والفاء ولام الابتداء، وثم نحو: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: الآية ٧٤]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٩]، ﴿لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: الآية ٦٤]، ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٤]، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القصص: الآية ٦١] من المقبوحين تشبيهًا لهو الذي انضم إليه أحد الأحرف المذكورة بعضد ولهي بكتف، فكما يجوز تسكين عين عضد وكتف يجوز تسكين هاء هو وهي بعد الأحرف المذكورة إجراءً للمنفصل مجرى المتصل لكثرة دورها معها. انتهت. وقوله: (غير ورش) في الصّحاح، ورش لقب رجل من رواة القرّاء. اهـ. وفي وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان كان لنافع أي لنافع بن عبد الرحمٰن المدني أحد القرَّاء السبعة راويان ورش وقالون. انتهت. وفي التيسير ورش هو عثمان بن سعيد المصري، يكنّى أبا سعيد، وورش لقبٌ لُقِّب به فيما يقال لشدة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. انتهى. وأيضًا فيه قالون هو عيسى بن مينا المدني الزرقي يكنّى أبا موسى، وقالون لقب، ويُروَى أن نافعًا لقبه به لجُودة قراءته لأن قالون بلسان الروم جيّد، وتوفي بالمدينة قريبًا من سنة عشرين ومائتين. انتهى.

وقوله: (وأبو عمرو) بن العلاء بن عمّار بن عبد الله التميمي المازني البصري أحد القرّاء السبعة كان يعلّم الناس القرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان أبو عمرو رأسًا في حياة الحسن البصري مقدَّمًا في عصره، وكانت ولادته سنة سبعين، وقيل: ثمانٍ وستين، وقيل: خمس وستين للهجرة بمكة. وتوفي سنة أربع وخمسين، وقيل:

(١) وكذا قراءة أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وليس من السبعة. وقارة موضع من المدينة. ١٢ منه عفى عنه.

وعلي)، جعلوا الواو كأنها في نفس الكلمة فصار (بمنزلة عضد) وهم يقولون في عضد عضد بالسكون.

ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفسدت الجن في الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى (جزائر البحار) ورؤوس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيّه ﷺ أن يذكر قصتهم فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ «إذ» نصب بإضمار «اذكر». (والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل) وإلحاق التاء (لتأنيث الجمع). ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ أي مصير

تسع وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وقيل: ست وخمسين ومائة بالكوفة. **وقوله**: (وعليَ) بن حمزة بن عبد الله الكوفي الكسائي أحد القرّاء السبعة كان إمامًا في النحو واللغة والقراءات، ولم يكن له في الشعر يد حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر. وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالريّ. والكِسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيّات وهو مُلتفٌّ بكِساءٍ فقال حمزة: مَن يقرأ؟ فقيل له: صاحب الكساء، فبقي عليه. وقيل: بل أحرم في كِساء فنُسِب إليه رحمه الله تعالى. **قوله**: (بمنزلة عضد) في محيط المحيط العَضْد والعُضْد والعِضْد والعَضِد والعَضُد والعُضُد غليظ الذِّراع الذي بين المِرفَق والكتف.اهـ.

قوله: (جزائر البحار) في محيط المحيط الجزيرة أرض ينجزر عنها المدُّ، أي ينكشف عنها الماء ويرجع متناقصًا، وعند أهل الجغرافية قطعة أرض يكتنفها الماء من كل الجهات فإذا أحاط بها إلا من جهة واحدة قيل لها شبه جزيرة وبحيث جزيرة، وقيل: سُمِّيت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض، ج جزائر وجُزُر.اهـ. **قوله**: (والملائكة ج ملأك) على الأصل[1] (كالشمائل جمع شمأل) وهي ريح الشمال[2]. **قوله**: (لتأنيث الجمع) لأنه بمعنى الجماعة.

---

(١) القياس في مفعل أن يجمع على مفاعل نحو مطلع ومطالع. ١٢ منه عفى عنه.
(٢) الشمال الريح تقابل الجنوب وفيها خمس لغات الأكثر بوزن سلام، وشمأل مهموز وزان=

من جعل الذي له مفعولان (وهما ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾) وهو مَن يخلف غيره «فعيلة» بمعنى «فاعلة» (وزيدت الهاء للمبالغة) والمعنى: خليفة منكم (لأنهم) كانوا (سكان) الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته. (ولم يقل خلائف أو خلفاء) لأنه أريد

قوله: (وهما ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾) فقوله خليفة هو المفعول الأول، وقوله في الأرض هو الثاني قدَّم عليه. **قوله**: (وزيدت الهاء) أي التاء عبَّر عنها بها باعتبار ما يؤول إليه (للمبالغة[1]) في اتّصاف الغائب بالنيابة عن الذاهب كما في رواية وعلّامة بمعنى كثير الرواية والعلم ولم يجعل الهاء للتأنيث لما أن الخليفة فعيل بمعنى الفاعل كما يدلّ عليه قولهم الخليفة من يخلف الذاهب أي يجيء بعده والفعيل بمعنى الفاعل يفرّق فيه بين المذكَّر والمؤنّث بالتاء بناءً على ما سيصرّح به من أن المراد به آدم عليه السلام مع قطع النظر عن ذرّيّته بقرينة أن تعليم الأسماء كان له وإلزام الملائكة كان به فلا وجه لتأنيث اللفظ حينئذ. ومن ثَمَّ جمعوه على خلفاء كما يجمع على لفظها فيقال في جمعها خلائف كقبيلة وقبائل، وقد ورد التنزيل بهما، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٩]، وقال تعالى: ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥]. **قوله**: (لأنهم) أي الملائكة. **قوله**: (سكان) بتشديد العين جمع ساكن. **قوله**: (ولم يقل خلائف أو خلفاء)... الخ جوابٌ عمّا يقال لو كان المراد به آدم وذرّيّته لكان المناسب أن يقال خلفاء أو خلائف فلِمَ أفرَد اللفظ وأجاب عنه بثلاثة أجوبة:

الأول: أن ذرّيّة آدم وإن كانوا خلفاء من قبلهم من سكان الأرض أو كان بعضهم خلفاء لبعض أيضًا في سكنى الأرض، أو كان المعنى على جعل آدم مع ذريته خلفاء الأرض بناء على أن الخلافة في سكنى الأرض ليست لآدم وحده بل له مع ذرّيّته إلا أنه أفرد لفظ الخليفة وأُريد به آدم استغناء بذكر مَن هو الأصل عمَّن هو متفرّع عليه ومتشعّب منه كأنه قيل خليفة وخلفاءه ذرّيّته. كما يقال الخلافة لقريش، والمعنى أنها فيه وفي أولاده إلا أنه استغنى بذِكره عن ذِكر ما يتفرّع.

= جعفر، وشأمل على القلب وشمل مثل سبب وشمل مثل فلس، كذا في المصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

(١) لا للتأنيث لإطلاقه على الواحد المذكر. ١٢ منه عُفِي عنه.

بالخليفة آدم. واستغنى بذكره (عن ذكر بنيه كما **تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك «مضر وهاشم»**)، أو أُريد من يخلفكم أو خلقًا يخلفكم فوحد لذلك، أو خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبيّ، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: الآية ٢٦]، (**وإنما أخبرهم بذلك**) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا (**بما أجيبوا**) به فيعرفوا حكمته (**في استخلافهم قبل كونهم**)، أو ليعلِّم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها (**وإن كان هو بعلمه**) وحكمته البالغة غنيًا عن المشاورة. ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ تعجب من

والثاني: أن الخليفة اسم جنس لكونه في تأويل مَن يخلف فيصلح للواحد والجماعة كما يصلح للذَّكر والأُنثى.

والثالث: أن خليفة صفة موصوف محذوف مفرد اللفظ مجموع المعنى، والتقدير خلقًا يخلفكم فيتناول آدم وذريّته. **قوله**: (عن ذكر بنيه) أي أولاده. **قوله**: (كما تستغني[١] بذكر **أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم**) لأن ذكر الأب في قولك بالعلم وهٰهنا بالوصف والتمثيل باعتبار أصل الاستعمال قبل صيرورتهما علمين للقبيلة فلا يرِد أنهما عَلَما قبيلة فلا اكتفاء[٢]. **وقوله**: (مضر) في محيط المحيط مُضَر بن نزار أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سُمِّي به لولعه بشرب اللبن الماضر[٣] أو لبياض لونه أو لشدّته. اهـ. **وقوله**: (هاشم) في محيط المحيط هاشم أبو عبد المطلب واسمه عمرو لأنه أول مَن ثَرَد الثَّريد وهشمه لأهل الحرم. انتهى. **قوله**: (وإنما أخبرهم) أي الملائكة (**بذلك**) أي بجعله في الأرض خليفة. **قوله**: (بما أُجيبوا) وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. **قوله**: (في **استخلافهم**) أي آدم عليه السلام وذريته. **قوله**: (قبل كونهم[٤]) أي وجودهم صيانة لهم عن اعتراض الشُّبهة في وقت استخلافهم. **قوله**: (وإن كان هو) الله سبحانه وتعالى (بعلمه) عواقب الأمور.

---

(١) أي في أصل الاستعمال قبل الغلبة يذكر مضر وهاشم ويراد هو وبنوه كذلك ما نحن فيه، فالتشبيه لشهرة ذلك. ١٢ منه.
(٢) أي فليس فيه للاكتفاء بالأب عن ذكر البنين. ١٢ منه.
(٣) وهو ظرف ليسألوا أو يجابوا أو لأخبرهم. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٤) أي الحامض. ١٢ منه عُفِي عنه.

أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل، وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى، (أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر). ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أي يصب. والواو في ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ للحال كما تقول: أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان؟ ﴿بِحَمْدِكَ﴾ (في موضع الحال) أي نسبّح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: الآية ٦١]، أي دخلوا كافرين. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ (ونطهر أنفسنا لك). وقيل: التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء (من سبّح في الأرض وقدّس فيها) إذا ذهب فيها (وأبعد). ﴿قَالَ (إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)﴾ أي علم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم

قوله: (أو من جهة اللوح) قال المصنِّف رحمة الله عليه في تفسير سورة البروج: اللوح عند الحسن ﷺ شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه. وعند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو من درّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شيء فيه مسطور مقاتل: هو على يمين العرش، وقيل: أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك كريم. انتهى.

قوله: (أو قاسوا أحد الثقلين) أي الإنس (على الآخر) أي الجن حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وإنما سُمِّيا الثقلين لأنهما يثقلان على الأرض في محيط المحيط الثَّقَلان مثنى الثَّقَل الإنس والجن، كذلك تقول الرواة: فأما الاشتقاق والقياس فيُجيزان أن يُراد بالثقلين العرب والعجم لأنهما ثِقَلٌ على الأرض أو الإنس والحيوان غير الإنس. وقيل: إن الثقلين ليس بمثنى حقيقة إذ لا يقال للواحد منهما ثَقَل وإنما هما كالخافِقَيْن للمشرق والمغرب والرافدين لدجلة والفرات. انتهى. **قوله**: (في موضع الحال) والباء للمُلابسة. **قوله**: (ونطهّر أنفسنا لك) من الذنوب لأجلك أي لأجل استحقاقك للطاعة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فتكون اللام على هذا التقدير للعلة كما أنها زائدة للتأكيد على التوجيه الأخير بأن يكون الفعل متعدّيًا بنفسه فمعناه أي ننزِّهك عمّا لا يليق. **قوله**: (من سبح في الأرض وقدس فيها) أي الأرض بتخفيف العين فيهما فبناء التفعيل للتعدية. **قوله**: (وأبعد) أي صار ذا بُعد، فالهمزة للصيرورة. **قوله**: (﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) أصل ﴿إِنِّيٓ﴾ إنني فحذفت إحداهنَّ كراهة اجتماع الأمثال وهي الوسطى، وقيل: الثانية لأنها مزيدة والأول أمتن كذا في الكتاب

يعني يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء. و«ما» بمعنى «الذي» وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أي ما لا تعلمونه (﴿إِنِّيَ﴾ **حجازي وأبو عمرو**).

الفريد في إعراب القرآن المجيد. وقال العلّامة أبو البقاء: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ الأصل إنني فحذفت النون الوسطى لا نون الوقاية هذا هو الصحيح. انتهى. **قوله**: (﴿إِنِّيَ﴾ **حجازي، وأبو عمرو**) يعني ﴿إنيَ﴾ بفتح الياء قرأه ابن كثير يعني أبا محمد عبد الله بن كثير المكّي ونافع[1] بن عبد الرحمٰن المدني وأبو عمرو بن العلاء البصري رحمهم الله تعالى. وفي التيسير اعلم أن كل ياء بعدها همزة مفتوحة نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّيَ أَعۡلَمُ﴾، و﴿أَنِّيَ أَخۡلُقُ﴾ [آل عمران: الآية ٤٩]، و﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنۡ أَقُولَ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] وشبهه فالحرميّان[2] وأبو عمرو يفتحونها حيث وقعت وتفرَّد ابن كثير بفتح ثلاث ياءات في البقرة ﴿فَٱذۡكُرُونِيَ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [الآية ١٥٢]، وفي غافر ﴿ذَرُونِيَ أَقۡتُلۡ﴾ [الآية ٢٦]، وفيها ﴿ٱدۡعُونِيَ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [الآية ٦٠]، ونقض أصله في روايتيه بعد ذلك في عشرة مواضع فسكّن الياء فيها في آل عمران ومريم ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيَ ءَايَةٗ﴾ [آل عمران: الآية ٤١]، وفي هود ﴿فِي ضَيۡفِيٓ أَلَيۡسَ﴾ [الآية ٧٨]، وفي يوسف ﴿إِنِّيَ أَرَىٰنِيَ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [الآية ٣٦]، و﴿إِنِّيَ أَرَىٰنِيَ أَحۡمِلُ﴾ [الآية ٣٦] في الموضعين أعني الياء من ﴿إِنِّيَ﴾ دون ﴿أَرَىٰنِيَ﴾، و﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيَ أَبِيَ﴾ [الآية ٨٠] أعني الياء من ﴿لِيَ﴾ ﴿سَبِيلِيَ أَدۡعُوٓاْ﴾ [الآية ١٠٨]. وفي الكهف ﴿مِن دُونِيَ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية ١٠٢]، وفي طٰه ﴿وَيَسِّرۡ لِيَ أَمۡرِي ٢٦﴾ [الآية ٢٦]، وفي النمل ﴿لِيَبۡلُوَنِيَ ءَأَشۡكُرُ ٤٠﴾ [الآية ٤٠]. وزاد قنبل عنه سبعة مواضع فسكّن الياء فيها في هود والأحقاف ﴿وَلَٰكِنِّيَ أَرَىٰكُمۡ﴾ [هود: الآية ٢٩؛ والأحقاف: الآية ٢٣]، وفيها ﴿فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [هود: الآية ٥١]، و﴿إِنِّيَ أَرَىٰكُم﴾ [هود: الآية ٨٤]. وفي النمل والأحقاف ﴿أَوۡزِعۡنِيَ أَنۡ أَشۡكُرَ﴾ [النمل: الآية ١٩؛ والأحقاف: الآية ١٥]، وفي الزخرف ﴿مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الآية ٥١]. وروى أبو ربيعة عن قنبل وعن البزي جميعًا في القصص ﴿عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [الآية ٧٨] بالإسكان، وتفرَّد نافع بفتح يائين في يوسف ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيَ أَدۡعُوٓاْ﴾ [الآية ١٠٨]، وفي النمل ﴿لِيَبۡلُوَنِيَ ءَأَشۡكُرُ﴾ [الآية ٤٠]، وروى ورش

---

(١) وكذا قرأه أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وليس من السبعة. وقارة موضع من المدينة. ١٢ منه.

(٢) أي نافع وابن كثير. ١٢ منه.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ (**هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل**) كآزر

عنه ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ [النمل: الآية ١٩؛ والأحقاف: الآية ١٥] في السورتين بالفتح، وروى قالون عنه الحرفين بالإسكان ونقض أبو عمرو أصله في تسعة مواضع فسكن الياء فيها في هود ﴿فَطَرَنِيٓ أَفَلَا﴾ [الآية ٥١]، وفي يوسف ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ أَن﴾ [الآية ١٣]، و﴿سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ﴾ [الآية ١٠٨]، وفي طه ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ [الآية ١٢٥]، وفي النمل ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ﴾ [الآية ١٩]، و﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ﴾ [النمل: الآية ٤٠]، وفي الزمر ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الآية ٦٤]، وفي الأحقاف ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ﴾ [الآية ١٥]، ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الآية ١٧]. وفتح ابن عامر في روايتيه ثماني ياءات ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ [يوسف: الآية ٤٦] حيث وقعت، وفي التوبة ﴿مَعِيَ أَبَدًا﴾ [الآية ٨٣]، وفي الملك ﴿وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ [الآية ٢٨] لا غير. وزاد ابن ذكوان عنه في هود ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ﴾ [الآية ٩٢]، وزاد هشام عنه أيضًا في غافر ﴿مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ﴾ [الآية ٤١]، وفتح حفص ياءين في التوبة والملك ومن ﴿مَعِيَ﴾ [التوبة: الآية ٨٣؛ والملك: الآية ٢٨] لا غير والباقون يسكّنون الياء في ذلك في جميع القرآن. اهـ. **قوله: (حجازي)** إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي. وفي محيط المحيط الحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها كأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة أو لأنها احتجزت بالحرار الخمس؛ وهي حرّة بني سُلَيم وواقم وليلى وشورَن والنار أو بالجبال أي أحاطت بها. وعن الأصمعي إذا عرضت لك الحرار بنجد فذلك الحجاز. اهـ. قوله: (مخاليفها) أيضًا فيه المِخلاف الرجل الكثير الإخلاف والكورة ج مخاليف ومنه مخاليف اليمن. اهـ. وقوله: (الكورة) أيضًا فيه الكَوْرَة المدينة والصقع. اهـ. وقوله: (الصقع) أيضًا فيه الصُقْع الناحية، يقال ما في هذا الصُقْع مثله أي في هذه الناحية ج أصقاع. اهـ.

قوله: (هو اسم أعجمي) إلحاقًا له بما هو الأغلب في أمثاله فإن أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا ثلاثة: محمد وشعيب وصالح، ثلاثة منها ينصرف هود ولوط ونوح والبواقي لا ينصرف. **قوله: (وأقرب أمره أن يكون على فاعل)** إشارة

(واشتقاقهم أدم من أديم الأرض أو من) الأدَمة (كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس). ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي أسماء المسميات (فحذف المضاف إليه) لكونه معلومًا مدلولًا عليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدلّ على المسمى (وعوض منه اللام كقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤])،

إلى ردّ ما ذكره الجوهري وغيره أنه أفعل، وأصله أأدم بهمزتين قُلِبَت الثانية ألفًا[1]، ومما يرجِّح كونه على فاعل اتفاقهم على أنه لو جمع فأوادم بالواو واعتذر الجوهري بأنه لما لم يكن للهمزة أصل في الياء معروف جعلت الغالب عليها الواو وأما الآدم من الإنسان بمعنى الأسمر فأفعل جمعه أدمان. **وقوله**: (على فاعل) بفتح العين وهو وزن يكثر في الأسماء الأعجمية.

قوله: (واشتقاقهم أدم) يعني أن جعلهم هذه الأسماء الأعجمية مشتقة من المصادر والألفاظ العربية ليس بمستقيم وأما أنه يجوز أن يجري الاشتقاق في سائر اللغات وأن يوافق لغاتهم لغة العرب في مأخذ هذه الاشتقاقات أو أن آدم كان يتكلم بالعربية فذلك بحث آخر (من أديم الأرض) أي من وجهها سُمِّي آدم باسم ما خلق هو منه (أو من) الأدمة بضمّ الهمزة وسكون الدال بمعنى السُّمْرة لون الأسمر وهي حمرة تميل إلى السواد أو الوسيلة وبفتحهما بمعنى الأسوة أي القدوة، ويقال بمعنى باطن الجلد الذي يَلِي اللحم (كاشتقاقهم يعقوب من العقب)، العقب إما اسم بمعنى الولد وولد الولد، وفيه لغتان كسر القاف وسكونه فوجه المناسبة أنه عليه السلام من أعقاب إبراهيم عليه السلام. وإما مصدر بسكون القاف بمعنى أزپي درآمدن فوجه المناسبة أنه آخر التوأمين تولدًا كذا أفاده العلّامة عبد الحكيم. وقال العلّامة شيخ زاده يعقوب من العقب لمجيئه على عقب إسحٰق على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام (وإدريس من الدرس) لكثرة دراسة العلوم (وإبليس من الإبلاس) وهو اليأس ليأسه من رحمة الله تعالى. **قوله**: (فحذف المضاف إليه) أي المُسَمَّيات. **قوله**: (وعوّض منه) أي من المضاف إليه (اللام) كما هو مذهب بعض البصريين ومختار الكوفيين وبعض البصريين يجعلون اللام إشارة إلى المضاف إليه لا عِوَضًا عنه. **قوله**: (كقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤]) فإن أصله اشتعل رأسي فحذف ضمير المتكلم وعُوِّض عنه اللام.

---

(١) لسكونها بعد فتحة. ١٢ منه عُفِي عنه.

ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى: «أنبئوني بأسماء هؤلاء» ـ و ـ «انبئهم بأسمائهم»، ولم يقل «أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم». ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه (الأجناس) التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه (فرس) وهذا اسمه (بعير) وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا.

قوله: (الأجناس) أي الأجناس اللغوية[١] لا الأجناس المنطقية. **قوله**: (فرس) في محيط المحيط الفَرَس يقع على الذَّكَر ويقال له حِصَان أيضًا، وعلى الأُنثى ويقال لها حِجرٌ أيضًا فيقال هو الفرس وهي الفرس وتصغير الذَّكر فُرَيس والأُنثى فريسة على القياس. وقال ابن الأنباري: وربما بنوا الأُنثى على الذكر فقالوا فيها فَرَسة حكاه يونس عن العرب وتقع[٢] الفرس على العربي وغير العربي. وعن محمد أنه اسم للعربي لا غير، قيل: سُمِّي الفرس فرسًا لأنه يفرس الأرض، أي يدُقّها بعَدْوه ويفرِّقها، وقيل: سُمِّي بذلك من الفارس الذي يركبه لأنه يفرس قِرْنه، وجُمِعَت الفَرَس على غير لفظها، فقيل: خيل وعلى لفظها فقيل: ثلاثة أفراس للذكور، وثلاث أفراس للإناث وربما جمعت جمع كثرة على فروس. اهـ. **قوله**: (بعير) وقد تكسر الياء، الجمل البازل أو الجَذَع وقد يكون للأُنثى حُكِي عن بعض العرب صرعتني بعيري وشربت من لبن بعيري، ج أبْعِرَة وأباعر وأباعير وبُعران وبِعرانٌ والبعير أيضًا الحمار وكل ما يحمل. اهـ. كذا في محيط المحيط. وفي المصباح البعير مثل الإنسان يقع على الذَّكَر والأُنثى يقال حلبت بعيري، والجمل بمنزلة الرجل يختصّ بالذَّكر، والناقة بمنزلة المرأة تختصّ بالأُنثى، والبكر بكرة مثل الفتى والفتاة والقلوص كالجارية هكذا حكاه جماعة منهم ابن السكِّيت والأزهري وابن جنِّي. ثم قال الأزهري: هذا كلام العرب ولكن لا يعرفه إلا خواصّ أهل

---

(١) الجنس ما يعمّ الكثيرين، وهو كل ضرب من الشيء، فالإبل جنس من البهائم، وفي اصطلاح المنطقيّين هو المقول على كثيرين مختلفين في الحقائق في جواب ما هو، وهو إمّا قريب أو بعيد؛ لأنه إن كان الجواب عن الماهية وعن جميع مشاركتها في ذلك الجنس واحدًا، فهو قريب كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان، وإن كان الجواب عنها وعن جميع مشاركتها في ذلك الجنس متعدّدًا فهو بعيد كالجسم النامي بالنسبة إلى الإنسان. ١٢ منه عمّ فيضه.

(٢) في المصباح: يقع على التركي والعربي. اهـ. ١٢ منه.

(وعن ابن عباس ﷺ): علمه اسم كل شيء حتى (القصعة والمغرفة). ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ أي عرض المسميات، وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء (فغلبهم). وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء (على سبيل التبكيت) ﴿فَقَالَ (أَنۢبِـُٔونِى)﴾ أخبروني (﴿بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾) في زعمكم أني أستخلف

العلم. انتهى. قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما) الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله، كُنّي بابنه العباس وهو أكبر أولاده، وكان يقال لابن عباس حَبْر الأُمة، والبحر لكثرة علمه دعا له رسول الله ﷺ بالحِكمة وحنّكه بريقه حين وُلِد وهم في الشِّعْب قبل الهجرة بثلاث سنين. رُوِيَ لابن عباس عن النبي ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. توفي بالطائف سنة ثمانٍ وستين، وقيل: تسع، وقيل: سنة سبعين. ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما. قوله: (القصعة) بالفتح في محيط المحيط، القصعة: الصحفة، راجع الصحفة في باب الصاد وهي عربية. وقيل: معرَّبة، ج قَصَعات وقِصَع وقِصَاع.اهـ. وقوله: (راجع الصحفة في باب الصاد) وهو قوله الصحفة قصعة كبيرة منبسط تُشْبع الخمسة ج صِحاف وبالعكس عند العامّة فإنها لا تشبع الواحد. قال الكسائي: أعظم القِصاع الجفنة، ثم القصعة تُشْبع العشرة، ثم الصحفة تُشْبع الخمسة، ثم المَيْكَلَة تُشْبع الرجلين والثلاثة، ثم الصُّحَيفة تُشْبع الرجل. انتهى. قوله: (والمغرفة) في محيط المحيط المِغْرفَة ما يُغْرَف به الطعام والعامَّة تقدِّم الراء ج مَغَارف.اهـ. قوله: (فغلبهم) لشرافتهم فهم كثير فضلًا وإن كَثُر غيرهم عددًا فيكون ضميرهم مجازًا. قوله: (على سبيل التبكيت)، التبكيت الإلزام والإسكات فإنهم لمّا قالوا ما يتضمن استبعاد استخلاف المفسد السفاك وترجيحه على أهل التسبيح والتقديس بكتهم بإظهار فضل مَن أراد استخلافه عليهم وعجزهم عمّا قدر هو عليه وهو جواب عمّا يقال من أن الله تعالى قد علم عجزهم عن الإنباء، وأنهم سيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: الآية ٣٢]، فلما استنبأهم بقوله: (﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾) وليس هذا إلا تكليف ما لا يُطاق وهو وإن جاز عقلًا عند الأشاعرة لكن غير واقع بالنص. والجواب أن المقصود من هذا الاستنباء ليس وجود الإنباء بل المقصود تبكيتهم وإظهار عجزهم لهم ويدلّ على ذلك قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾)، فإن صيغة افعل تجيء لغير الإيجاب والتكليف كالتعجيز

في الأرض مفسدين سفاكين للدماء، وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه (من الفوائد العلمية) التي هي أصول الفوائد كلها (ما يستأهلون) لأجله أن يستخلفوا.

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝٣٢﴾

﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك. وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة؟! وانتصابه على المصدر تقديره سبّحت الله تسبيحًا ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا﴾ (﴿مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ وليس فيه) علم الأسماء، و«ما» بمعنى «الذي»، والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا، إلا الذي علمتنا. ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ غير المعلّم ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما قضيت وقدرت. والكاف اسم «إن» و«أنت» مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر «إن»، أو «أنت» فصل والخبر «العليم». و«الحكيم» خبر ثانٍ.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ سمى كل شيء باسمه. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (أي) اعلم (ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرون).

قيل لولا أن العلم أفضل من العمل لم يبكّت الله تعالى الملائكة بالعلم حين عرضوا العمل بقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] قال الإمام محمد فخر الدين الرازي رحمة الله عليه لمّا أراد الله تعالى إظهار فضل آدم، لم يُظهِره إلا بالعلم، فلو كان في الإمكان شيء أشرف من العلم لكان إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم. **قوله**: (من الفوائد العلمية) بيان ما يستأهلون. **قوله**: (ما يستأهلون) اسم إن.

قوله: (وليس فيه) أي في (﴿مَا عَلَّمْتَنَآ﴾).

قوله: (أي ما غاب فيهما عنكم)... الخ لأن الله تعالى لا يغيب عنه شيء. **وقوله**: (مما كان) في الماضي (ومما يكون) في المستقبل فالحال بطريق الأولى. **قوله**: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون) يعني قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ٣٠]... الخ (﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرون) يعني قولكم: لن يخلق الله تعالى

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ أي (**اخضعوا له**) وأقرّوا بالفضل له. (**عن أُبيّ بن كعب، وعن ابن عباس** ﵄): كان ذلك (**انحناء**) ولم يكن (**خرورًا على الذقن**).

خلقًا أكرم عليه منّا ولا أعلم لسبقنا **له** ورؤيتنا ما لم يره. **قوله**: (**اخضعوا له**) وتواضعوا معه.

قوله: (**عن أُبي بن كعب**) السيد القاري في تهذيب الأسماء هو أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار واسم النجار تيم اللات، وقيل: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي البخاري بالنون المعاوي المدني. وقيل: أُبَيّ بن كعب المنذر بن قيس له كنيتان؛ إحداهما: أبو المنذر كنّاه بها رسول الله ﷺ، والثانية: أبو الطُّفَيْل كنّاه بها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أي بابنه الطفيل وأُمّ أُبَيّ صهيلة بضم الصاد المهملة بنت الأسود بن حرام بالراء ابن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وهي عمّة أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام والأوس والخَزْرَج هو جماع الأنصار وهما ابنا حارثة بالحاء والمثلثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن مازن بن الأسد ويقال الأزد بن الغوث بفتح الغين المعجمة وبالمثلثة ابن نبت بفتح النون وإسكان الموحدة، وأما النجار فقد قيل سُمِّي بذلك لأنه اختتن بالقدّوم، وقيل ضرب وجه رجل بالقدّوم فنجره، أي نحته. شهد أُبَيّ رضي الله عنه العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستون حديثًا. اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بسبعة، روى عنه جماعة من الصحابة؛ منهم أبو أيوب وابن عباس وأبو موسى الأشعري وآخرون من التابعين منهم ابنه الطُّفَيل وسُوَيد بن غَفَلة وزرّ بن حبيش وعبد الرحمٰن بن الأسود وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وآخرون ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ على أُبَيّ بن كعب سورة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البَيّنة: الآية ١] وقال: أمرني الله عزَّ وجلَّ أن أقرأ عليك وهي مَنقَبة عظيمة لأُبيّ لم يُشاركه فيها أحد من الناس.

وفي كتاب الترمذي وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «أقرأُ أُمّتي أُبيّ بن كعب». وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالِم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب» رضي الله تعالى عنهم. وكان عمر رضي الله عنه يقول: أُبَيّ سيّد المسلمين، وقال مسروق: كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستّة: عمر، وعليّ، وعبد الله، وأُبَيّ، وزيد، وأبو موسى. قال محمد بن سعد عن الواقدي: أوّل مَنْ كتب لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة أُبَيّ بن كعب، وهو أوّل مَنْ كتب في آخر الكتاب فلان بن فلان. تُوفّي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة ودُفِن بها، قيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان ﷺ. قال أبو نُعَيْم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وقيل: ثنتين وثلاثين. قال ابن عبد البرّ: والأكثر أنه مات في خلافة عمر ﷺ. وكان أبيض الرأس واللّحية، لا يغيّر شيبه، قصيرًا نحيفًا رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مَثْواه، انتهى.

(وعن ابن **عباس**) الصحابي ابن الصحابي (رضي الله عنهما). (انحناء) في لسان العرب: حَنَى الشيء حنوًا وحنيًا وحناهُ: عَطَفه، والانحناء الفعل اللازم، وكذلك التحنّي، وانحنى الشيء انعطف، وانحنى العود وتحنّى انعطف.اهـ. وفي محيط المحيط: انحنى الشيء انحناءً انعطف، انتهى. **قوله**: (خرورا) في لسان العرب: خرّ لله ساجدًا يخرّ خُرُورًا، أي سقط، انتهى. وفي محيط المحيط: خرّ الرجل يَخِرُّ ويَخُرُّ أيضًا خرًّا وخرورًا سقط أو من علوٍّ إلى سفل، ومنه في سورة النحل: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ [الآية ٢٦]، وخَرَّ لله ساجدًا انكبّ على الأرض وخَرَّ لوجهه وقع، ومنه في سورة بني إسرائيل: ﴿يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا﴾ [الآية ١٠٧]، أي يسقطون على وجوههم تعظيمًا لأمر الله، وقيل: ذكر الذّقن لأنه أوّل ما يلْقَى الأرض من وجه الساجد، واللام فيه لاختصاص الخرور به. أقول: والصحيح أنّ اللام للانتهاء بمعنى إلى، كما ورد في غيرها من الآيات، نحو: ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ [الأعراف: الآية ٥٧]، ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرّعد: الآية ٢] وغير ذلك، والمعنى: أنّهم يخرّون إلى أن تمسّ أذقانهم الأرض، انتهى. **قوله**: (على الذّقن)

والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض. وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس. وكان سجود التحية جائزًا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام (لسلمان) حين أراد أن يسجد له «لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى».

في المصباح: الذّقن من الإنسان مجتمع لِحْيَيْه، وجمع القلّة أذقان مثل سبب وأسباب، وجمع الكثرة ذقون مثل أسد وأسود، انتهى. **قوله:** (لسلمان) الفارسي الصحابي رضي الله تعالى عنه. في تهذيب الأسماء: هو أبو عبد الله سلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، سُئِل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام، أصله من فارس من جَيّ ـ بفتح الجيم وتشديد الياء ـ قرية من قرى أصبهان، وقيل: مِنْ رام هرمز، رَوَى ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن عباس قال: حدّثني سلمان رضي الله عنه قال: كنت من أهل أصبهان من قرية يقال لها جيّ، وكان أبي دهقانها، وسبب إسلامه مشهور وأنه هرب من أبيه، وكان مجوسيًّا، فلحق براهب ثم جماعة من الرهبان واحد بعد واحد يصحبهم إلى وفاتهم إلى أن دلّه الأخير على الذهاب إلى الحجاز، وأخبره بظهور النبيّ ﷺ، فقصده مع عرب فغدروا به وباعوه في وادي القرى ليهوديّ، ثم اشتراه منه يهودي من قُرَيْظة، فقدم به المدينة، فأقام بها مدّة حتى قَدِمَها رسول الله ﷺ، فأتاه بصدقة، فلم يأكل منها، ثم بعد مدّة أتاه بهديّة فأكل منها، ثم رأى خاتم النبوّة، وكان الراهب الأخير وصف له هذه العلامات الثلاث للنبيّ ﷺ، قال سلمان: فرأيت الخاتم فقبّلته وبكيت، فأجلسني رسول الله ﷺ بين يديه، فحدّثني بشأني كلّه، وفاتني معه بدر وأُحد بسبب الرقّ، فقال لي: «يا سلمان، كاتِبْ على نفسك»، فلم أزَلْ بصاحبي حتى كاتَبْتُه على أن أغرس له ثلاثمائة نخلة، وعلى أربعين أُوقيّة ذهب، فقال النبيّ ﷺ: «أعينوا أخاكم سلمان»، فأعانوني حتى اجتمعت لي، قال: «فقرّبها ولا تضع منها شيئًا حتى أضعه بيديّ»، ففعلت، فأعانني أصحابه حتى فرغت، فأتَيْته، فكنت آتيه بالنّخلة فيضعها ويسوّي عليها التراب، فوالذي بعثه بالحقّ نبيًّا ما فاتت منها واحدةٌ، وبقي الذهب، فجاء رجلٌ بمثل البيضة من ذهب أصابه من بعض المعادن، فقال: «ادْعُ سلمان المسكين الفارسي المكاتب»، فقال: «أدّ هذه». ورويْنا عنه، قال: تداولني بضعة عشر ربًّا من ربٍّ إلى ربٍّ، وأوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف

....ﷺ..........................

عن مشهد بعدها، وآخى رسول الله ﷺ بين أبي الدرداء وبين سلمان، ثبت ذلك في صحيح البخاري. وكان من فُضَلاء الصحابة وزهّادهم وعلمائهم وذوي القُرْب من رسول الله ﷺ، وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق حتى جاءت الأحزاب، وسكن العراق، وكان يعمل الخوص بيده فيأكل منه، وكان عطاؤه خمسة آلاف، فإذا خرج فرّقه. وكان أبو الدرداء قد سكن الشام، فكتب إلى سلمان: أمّا بعد، فإنّ الله قد رزقني بعدك مالًا وولدًا ونزلت الأرض المقدّسة؛ فكتب إليه سلمان: سلامٌ عليك، أمّا بعد؛ فإنك كتبتَ إليّ أنّ الله تعالى قد رزقك مالًا وولدًا، فاعلم أنّ الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يَكْثُر حلمك وأن ينفعك عِلمك، وكتبتَ إليّ أنك بالأرض المقدّسة، وأنّ الأرض لا تقدِّس أحدًا. ونقلوا اتّفاق العلماء على أنّ سلمان الفارسي عاشَ مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: إنه أدرك وحي عيسى ابن مريم صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلم. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. ورَوَى عنه ابن عباس، وأنس، وعُقْبة بن عامر، وأبو سعيد، وكعب بن عُجْرة، وأبو الطُّفَيْل رضي الله تعالى عنهم. وروى عنه جماعات من التابعين. توفّي سلمان بالمدائن في أوّل سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين، ويقال: في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وهو غلط. قال أبو بكر بن أبي داود وغيره: لسلمان ثلاث بنات بأصبهان، وزعم جماعة أنهم مِنْ ولدها، وبنتان بمصر. ورَوى الترمذي بإسناده عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان» رضي الله تعالى عنهم. قال الترمذي: حديث حسن.اهـ. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام العالِم الأوحد عُمدة الحفّاظ فريد دهره ووحيد عصره عزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه بمنّه وكرمه آمين، قيل: إنه لَقِيَ بعض الحواريّين.اهـ. وأيضًا فيه: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأمّا مائتان وخمسون، فلا يشكّون فيه. قال أبو نعيم: كان سلمان من المعمّرين، يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقرأ الكتابين.اهـ.

(﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾) الاستثناء متصل لأنه كان من الملائكة كذا قاله (علي وابن عباس وابن مسعود) ﷺ، ولأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه، ولهذا قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢]، وقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠] معناه صار من الجن كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: الآية ٤٣].

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾) عدوّ الله، قال الجوهري وغيره: كنيته أبو مُرّة، واختلف العلماء في أنه من الملائكة من طائفة، يقال لهم الجنّ أم ليس من الملائكة، وفي أنه اسم عربيّ أم عجميّ؟ والصحيح أنه من الملائكة وأنه عجميّ. قال الإمام أبو الحسن الواحديّ: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: يسمّى إبليس لأنه أبلس من رحمة الله، أي أيِس، والمبلس المكتئب الحزين الآيِس، قال: وعلى هذا هو عربيّ مشتقّ. قال: وقال ابن الأنباري: لا يجوز أن يكون مشتقًّا من أبْلَسَ؛ لأنه لو كان مشتقًّا لصُرِف، كما أن إسحٰق إذا كان عربيًّا مأخوذًا من أسْحَقَه الله إسْحَاقًا انصرف، فلو كان إبليس مشتقًّا لَصُرِف كإكليل وبابه، فلمّا لم يُصْرَف دلّ على أنه عجميّ، والعجميّ ليس مشتقًّا. وقال ابن جرير: إنما لم يُصْرف وإنْ كان عربيًّا لقلّة نظيره في كلام العرب، فشبّهوه بالأعجميّ، وهذا الذي قاله ابن جرير يُبْطل بباب إفْعيل، فإنه مصروفٌ كلّه، إلّا إبليس. قال الواحدي: والاختيار أنه ليس بمشتقّ لإجماع النحويّين على أنه مُنِع الصرف للعجمة والمعرفة، قال: واختلفوا في أنه من الملائكة، فرُوِيَ عن طاوس ومجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه كان من الملائكة، وكان اسمه عزازيل، فلمّا عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا، وسمّاه إبليس، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج وابن جرير، واختاره الزجّاج وابن الأنباري، قالوا: وهو مُستثنى من جنس المُستثنى منه. قالوا: وقول الله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، أي طائفة من الملائكة يقال لهم الجنّ، وقال الحسن وعبد الرحمٰن بن زيد وشهر بن حَوْشَب: ما كان من الملائكة قطّ، والاستثناء منقطع، والمعنى عندهم أنّ الملائكة وإبليس أُمِرُوا بالسجود، فأطاعت الملائكة كلّهم وعصى إبليس، والصحيح أنّه من الملائكة؛ لأنه لم يُنْقَل أنّ غير الملائكة أُمِر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المُستثنى منه، والله أعلم. وأمّا إنظاره إلى يوم الدّين، فزيادة في

عقوبته وتكثير معاصيه وعواتبه، نسأل الله الكريم اللّطف وخاتمة الخير؛ كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (**عليّ بن أبي طالب**) بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي المكيّ المدني الكوفي، أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف، هذا هو المشهور. وقيل: اسمه كنيته، وأُمّ عليّ رضي الله تعالى عنه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشميّة، وهي أوّل هاشمية وَلَدَتْ هاشميًّا أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ، وصلى عليها رسول الله ﷺ ونزل في قبرها. كنية عليّ أبو الحسن، وكنّاه رسول الله ﷺ أبا تُراب، فكان أحبّ ما ينادى به إليه، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السّبْطَيْن، وأوّل هاشمي وُلِد بين هاشميّيْن، وأوّل خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد السّتّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيّين والشجعان المشهورين والزهّاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وقد اختلف العلماء في أوّل مَنْ أسلم من الأُمّة، فقيل: خديجة، وقيل: أبو بكر، وقيل: عليّ رضي الله تعالى عنهم. والصحيح خديجة، ثم أبو بكر، ثم عليّ.

ونقل الثعلبي إجماع العلماء على أنّ أوّل مَنْ أسلم خديجة، قال: وإنما الخلاف في الأوّل بعدها. قال العلماء: والأوْرَع أن يقال: أوّل مَنْ أسلم مِنَ الرجال الأحْرار أبو بكر، ومن الصّبيان عليّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، وممّن قال بأنّ عليًّا أوّلهم إسلامًا ابنُ عباس وأنس وزيد بن أرقم، رواه الترمذي عنهم. ورواه الطبراني عن سلمان الفارسي. ورَوَوْه عن محمد بن كعب القُرَظيّ. وقال بُرَيْدة: أوّلهم إسلامًا خديجة، ثم عليّ. وحُكِيَ مثله عن أبي ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخُدري والحسن البصري وغيرهم. وقال آخرون: أوّلهم إسلامًا أبوبكر رضي الله تعالى عنه، وسنذكرهم في ترجمته إن شاء الله تعالى.

....

قالوا: وأسلم وهو ابن عشر سنين، وقيل: ابن خمس عشرة، حكَوْه عن الحسن البصري وغيره. وقال أبو الأسود يتيم عروة: أسلم عليّ والزبير وهما ابنا ثمان سنين. وقال ابن عبد البرّ: لا أعلم أحدًا قال كقوله هذا. وهاجر عليّ رضي الله عنه إلى المدينة واستخلفه النبيّ ﷺ حين هاجر من مكّة إلى المدينة أن يقيم بعده بمكّة أيّامًا حتى يؤدّي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبيّ ﷺ، ثم يلحقه بأهله؛ ففعل ذلك، وشهد مع رسول الله ﷺ بَدْرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرّضوان وخَيْبَر وحُنَيْنًا والطائف وسائر المشاهد، إلّا تبوك؛ فإنّ النبيّ ﷺ استخلفه على المدينة، وله في جميع المشاهد آثارٌ مشهورة، واجتمع أهل التواريخ على شهوده بدرًا وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبيّ ﷺ اللواءَ في مواطن كثيرة. وقال سعيد بن المسيّب: أصابت عليًا يوم أُحُد ستّة عشر ضربة، وثبت في الصحيحين أنّ النبيّ ﷺ أعطاه الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح يكون على يديه، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة.

وأما عِلْمه، فكان من العلوم بالمحلّ العالي. رَوَى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستّ وثمانين حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر. رَوَى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين، .ومحمد ابن الحنفية، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وأبو موسى، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وأبو سعيد، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وأبو أُمامة، وصُهَيْبٌ، وأبو رافع، وأبو هريرة، وجابر بن سَمُرَة، وحُذَيْفة بن أسيد، وسفينة، وعمرو بن حريث، وأبي ليلى، والبراء بن عازب، وطارق بن شهاب، وطارق بن أشْيَم، وجرير بن عبد الله، وعُمارة بن رُوَيْثة، وأبو الطُّفَيْل، وعبد الرحمٰن بن أبْزَى، وبِشْر بن سُحَيْم، وأبو جُحَيْفة الصحابيّون رضي الله تعالى عنهم، إلّا ابن الحنفية؛ فإنه تابعيّ.

وروى عنه من التابعين خلائق مشهورون، ونقلوا عن ابن مسعود قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليٌّ. وقال ابن المسيّب: ما كان أحد يقول سلوني غير عليّ، وقال ابن عباس: أُعْطِي عليّ تِسْعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في

....

العشر الباقي، قال: وإذا ثبت لنا الشيءُ عن عليّ لم نَعْدِل إلى غيره، وسؤال كبار الصحابة له ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور.

وأمّا زُهْده، فهو من الأُمور المشهورة التي اشترك في معرفتها الخاصُّ والعامّ، ومِنْ كلماته في الزّهد قوله: الدنيا جيفة، فمَنْ أراد منها شيئًا فليصبر على مُخالطة الكلاب. وأمّا ما رويناه عنه في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره، أنه قال: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي ليبلغ في اليوم أربعة آلاف دينار، وفي رواية: أربعين ألف دينار، فقال العلماء: لم يَرِد به زكاة مال يملكه، وإنما أراد الوقوف التي يصدق بها وجعلها صدقة جارية، وكان الحاصل من غلّتها يبلغ هذا القدر، قالوا: ولم يدَّخر قطّ مالًا يُقارب هذا المبلغ، ولم يترك حين توفّي إلّا ستّمائة درهم. رَوَيْنا عن سفيان بن عُيَيْنة، قال: ما بنى عليّ ﷺ لبنةً على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وروينا أنه كان عليه إزارٌ غليظ اشتراه بخمسة دراهم.

وأمّا الأحاديث الواردة في الصحيح في فضله، فكثيرة. روَيْنا في صحيح البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقّاص ﷺ أنّ رسول الله ﷺ خلّف عليّ بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تُخلّفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أمَا تَرْضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبيّ بعدي». وفي صحيحيهما عن سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسولَه ويحبّه الله ورسوله»، فبات الناس يدولون ليلتهم أيُّهم يُعْطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعْطاها، فقال: «أين عليّ بن أبي طالب»؟ فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأُتِيَ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبُرِىءَ حتى كأن لم يكن فيه وجع فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهم إلى الإسلام وأخْبِرْهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النِّعم».

....

قوله: (يدولون) أي يخوضون ويتحدّثون، وفي صحيحيهما عن سلمة بن الأكوع نحوه، وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقّاص في حديثٍ طويل قال في آخره: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عِمران: الآية ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحُسَيْنًا، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي». وفي صحيح مسلم أيضًا عن زيد بن أرقم في جملة حديث طويل قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أمّا بعدُ، ألَا أيُّها الناس إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسولُ ربّي فأُجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلَيْن أوّلُهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله تعالى ورغّب فيه، وقال: «أهلُ بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي»، فقيل: ومَنْ أهلُ بيته يا زيد؟ أليس نساؤه مِنْ أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَنْ حرم الصدقة بعد، قال: ومَنْ هم؟ قال: آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. وفي كتاب الترمذي عن أبي شُرَيْحة الصحابي أو زيد بن أرقم ـ شكّ شعبة ـ عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه» رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسن، والشكّ في عين الصحابي لا يقدح في صحة الحديث؛ لأنهم كلّهم عدول. وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أمرني بحبِّ أربعة، وأخبرني أنه يحبّهم»، قيل: يا رسول الله، سَمِّهم لنا، قال: «عليٌّ منهم» ـ يقول ذلك ثلاثًا ـ «وأبو ذرّ والمقداد وسلمان، أمرني بحبِّهم وأخبرني أنه يحبّهم» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن حُبْشي بن جُنادة الصحابي، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدّى عنّي إلّا أنا أو عليٌّ» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الترمذي: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. وعن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخَيْتَ بين أصحابك في الدنيا ولم تُؤاخِ بيني وبين أحد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. وعن أُمّ عطيّة قالت: بعث النبيّ ﷺ جيشًا فيهم عليٌّ، فسمعت النبيّ ﷺ وهو رافعٌ يديه يقول: «اللّهمّ لا تُمِتْني حتى تُرِيني عليًا» رواه

....

الترمذي، وقال: حديث حسن. وعن زِرّ بن حُبَيْش صاحب عليّ، قال: قال عليّ رضي الله تعالى عنه: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأُمّي ﷺ إليّ أن لا يحبُّني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافق، رواه مسلم. وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا نعرف المنافقين ببغضهم عليًا. وأمّا الحديث المرويّ عن الصُّنابحي عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابُها»، وفي رواية: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»؛ فحديث باطل رواه الترمذي وقال: هو حديث منكر، وفي بعض النسخ: غريب، قال: ولم يروه من الثقات غير شريك، ورُوِيَ مرسلًا. وأحوال عليّ رضي الله تعالى عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير منحصرة.

وُلِّي الخلافة خمس سنين، وقيل: خمس سنين إلا شهرًا. بُويع في الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه؛ لكونه أفضلَ الصحابة حينئذ، وذلك في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين. قال سعيد بن المسيّب: لمّا قُتِل عثمان جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار عليّ، فقالوا: نبايعك، فأنت أحقُّ بها؛ فقال: إنما ذاك إلى أهل بَدْرٍ، فمَنْ رَضُوا به فهو الخليفة؛ فلم يَبْقَ أحدٌ إلا أتى عليًا، فلمّا رأى ذلك خرج إلى المسجد وصعد المنبر، وكان أوّل مَنْ صَعِد إليه، فبايعه طلحة، ثم بايعه الباقون، ولمّا دخل الكوفة قال له بعض حُكماء العرب: لقد زِنْت الخلافة وما زانَتْك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها، وله في قتال الخوارج عجائبُ ثابتةٌ في الصحيح مشهورة، وأخبره النبيّ ﷺ بأنّه سيُقتل، ونقلوا عنه آثارًا كثيرة تدلّ على أنه رضي الله تعالى عنه عَلِم السَّنَة والشهر واللّيلة التي يُقْتل فيها، وأنّه لمّا خرج لصلاة الصبح حين خرج صاحَتْ الأُوزّ في وجهه، فطُرِدْن عنه، فقال: دعوهن، فإنهنّ نوائح. قال محمد بن سعد: قالوا - يعني أهل السِّيَر - انتدب ثلاثة من الخوارج: عبد الرحمٰن بن مُلْجَم المرادي، وهو من حمير، وعداده في بني مُراد وبنو حليف بني جبلة من كندة، والبُرَك بن عبد الله التميميّ، وعمرو بن بكير التميمي؛ فاجتمعوا بمكّة وتعاقدوا ليقتلنّ عليّ بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص، فقال ابن ملجم: أنا لعليّ، وقال البرك: أنا لمعاوية، وقال الآخر: أنا لعمرو؛ وتعاهدوا أن لا

....

يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، فتوجّه كلّ واحدٍ إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله، فضرب ابن ملجم عليًّا رضي الله تعالى عنه بسيفٍ مسمومٍ في جبهته، فأوصله دماغه في الليلة المذكورة، وهي ليلة الجمعة، ثم توفّي عليّ رضي الله تعالى عنه في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وغسّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة. ورُوِينا أنّه لمّا ضربه ابن ملجم، قال: فُزْتُ وربّ الكعبة، قالوا: ولمّا فرغ عليّ رضي الله تعالى عنه من وصيّته، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلّم إلّا بلا إلٰه إلّا الله حتى توفّي، ودُفِن في السَّحَر، وصلّى عليه ابنه الحسن، وقيل: كان عنده فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنّط به، وتوفي ابن ثلاث وستّين سنة على الأصح وقول الأكثرين، وقيل: أربع وستّين، وقيل: خمس وستّين، وقيل: ثمان وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وكان آدم اللَّون أصلع ربعة أبيض الرأس واللِّحية، وربما خَضَب لحيته، وكانت كثّة طويلة، حسَنَ الوجه ضحوك السنّ، ورثاه الناس فأكثروا فيه المراثي، ودُفِن بالكوفة. وقال ابن قتيبة: ولعلي رضي الله تعالى عنه من الولد الحسن والحُسَيْن ومُحسّن[1] وأُمّ كلثوم وزينب الكبرى، وكلّهم من فاطمة، ومحمد ابن الحنفيّة وعبيد الله وأبو بكر وعمر ورقيّة ويحيىٰ

---

(١) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المشددة. اهـ زرقاني على المواهب، والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه عُفِي عنه.

في تاج العروس من جواهر القاموس: (شَبَّر كبَقَّم وشَبِّيرُ كقمِّير) أي مصغرًا وفي التكملة مثل أمير كذا وُجد مضبوطًا في نسخة صحيحة (ومُشَبّر كمُحَدِّث) أسماء (أبناء هارون) النبيّ ﷺ، قيل بأسمائهم سمّى النبيّ ﷺ أولاده الحسن والحسين والمُحْسِن الأخير بالتشديد، كذا جاء في بعض الروايات، وقال ابن بزي: ووجدت ابن خالويه قد ذكر شرح هذه الأسماء، فقال: شبر وشبير ومشبر هم أولاد هارون عليه السلام، ومعناها بالعربية حسن وحسين ومحسن، قال: وبها سمّى علي رضي الله تعالى عنه أولاده شبرًا وشبيرًا ومشبرًا، يعني حسنًا وحسينًا ومحسنًا رضي الله تعالى عنهم. قلت: وفي مسند أحمد مرفوعًا: «إني سمّيت ابني باسم ابني هارون شبرًا وشبيرا». اهـ. ١٢ منه عمّ فيضه.

أُمّهم أسماء بنت عُمَيْس، وجعفر والعباس وعبد الله ورملة وأُمُّ الحسن وأُمّ كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجُمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأُمّ الكرام ونفيسة وأُمّ سلمة وأُمامة وأُمّ أبيها، ومِنْ ولده عليه السلام عمر ومحمد الأصغر، قاله ابن حزم في الجمهرة.

قوله: (وابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (وابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود الصحابي، هو أبو عبد الرحمٰن، عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب بن سمح بن فار ـ بالفاء وتخفيف الراء ـ ابن مخزوم بن صاهلة ـ بالصاد المهملة والهاء ـ ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُزَيْل بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار الهُزَلي حليف بني زهرة الكوفيّ، وأمّه أُمُّ عبد بنت عبد ودّ بن سواءَ من هُزَيْل أيضًا، أسلمت وهاجرت، فهو صحابيٌّ ابن صحابيّة. أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب بزمان، جاءَ عنه قال: لقد رأيتني سادس ستّة ما على الأرض مسلم غيرنا، رواه الطبراني بإسناده. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بَدْرًا وأُحُدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبِسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الوُلوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وثبت في صحيح مسلم عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذنك عليّ أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك»، والسواد ـ بكسر السين ـ السّرار، وكان يُعرف بصاحب السواد والسّواك والنعل. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعةٍ وستّين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وأنس، وجابر، وابن سعيد، وعمران بن الحسين، وعمرو بن حُرَيث، وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة وخلائق لا يُحْصون من كبار التابعين. نزل الكوفة في آخر عمره، وتُوفّي بها سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة

....

ثلاث وثلاثين، وقيل: عاد إلى المدينة، واتّفقوا على أنه توفي وهو ابن بضع وستّين سنة، والذين قالوا: توفي بالمدينة قالوا: دُفِن بالبقيع، قيل: وصلّى عليه عثمان، وقيل: الزُّبَيْر، وقيل: عمّار بن ياسر، وكان من كبار الصحابة وساداتهم وفُقهائهم ومقدّميهم في القرآن والفقه والفتوى وأصحاب الخلق وأصحاب الاتّباع في العلم. ثبت في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن أبي موسى، قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكَثْنا حينًا لا نرى ابن مسعود وأمَّه إلّا من أهل بيت رسول الله ﷺ، لما نرى من كثرة دخوله ودخول أُمّه على رسول الله ﷺ ولزومه له، وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمٰن بن زيد، قال: قلنا لحذيفة: أخبرنا مَنْ رجل قريب السَّمْت والدَّلِّ والهدى من رسول الله ﷺ يأخذ عنه؟ فقال: ما نعلم أحدًا أقرب سَمْتًا ودلًّا وهديًا برسول الله ﷺ من ابن أُمّ عبد، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد ﷺ أن ابن أُمّ عبدٍ أقربهم إلى الله وسيلةً. وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: علّمني رسول الله ﷺ التشهّد كفّي بين كفَّيْه كما يعلّمني السورة من القرآن. وفي الصحيحين عنه، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين: فلقة[1] وراء الجبل، وفلقة دونه؛ فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»، وفي الصحيحين عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن»، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنْزل؟ قال: «إني أحبّ أن أسمعه من غيري»، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١]، قال: «حَسْبُكَ الآن»، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان. وفي الصحيحين عن مسروق، قال: ذكر عبدُ الله بن عمرو ـ يعني ابن العاص ـ عبدَ الله بن مسعود فقال: لا أزال أحِبُّه مذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: مِنْ عبد الله، وسالم مولى أبي حُذَيْفة، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب»، وفي رواية تقديم أُبيّ على معاذ رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود، قال: والذي لا إلٰه غيره ما من كتاب الله

(١) في المصباح: الفلقة القطعة وزنًا ومعنًى. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

وقيل: الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص (وهو قول الحسن وقتادة)، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور، ولأنه

سورة إلّا أنا أعلم حين نزلت، وما من آية إلّا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل لركِبْتُ إليه. وفي غير الصحيحين عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تمسّكوا بعهد ابن أُمّ عبد». وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى الكوفة وكتب إليهم: بعثتُ إليكم عمّارًا أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلّمًا ووزيرًا، وهما من النُّجَباء من أصحاب رسول الله ﷺ ومِنْ أهل بدر، فاقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي. وقال فيه عمر: كُنَيْفٌ مُلِيءَ عِلْمًا. وكان إذا هدأت العيون قام، فيُسمع له دويّ كدويّ النَّحْل حتى يصبح، وقال أبو الدرداء: حين توفّي ابن مسعود ما ترك بعده مثله. وقال أبو طَبِيّة: مرض ابن مسعود فعاده عثمان، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي، قال: ألا آمُرُ لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمُرُ لك بعطاء؟ قال: لا حاجةَ لي فيه، قال: يكون لبناتك؟ قال: أتخشى على بناتي الفقر، إني أمرتهنّ أن يقرأن في كلّ ليلة سورة الواقعة، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصِبْه فاقةٌ أبدًا». وكان لابن مسعود ثلاثة بنين: عبد الرحمـٰن وبه يُكْنى، وعُتْبَة، وأبو عبيدة، واسم أبي عبيدة عامر، وقيل: اسمه كنيته. واتّفقوا على أن أبا عبيدة لم يسمع أباه، وروايته عنه كثيرة وكلّها منقطعة. وأمّا عبد الرحمـٰن، فقال عليّ بن المديني والأكثرون: سمع أباه، وقال أحمد بن حنبل: توفي ابن مسعود ولابنه عبد الرحمـٰن ستّ سنين، وقال يحيىٰ بن معين: لم يسمع أباه، والله أعلم.

قوله: (وهو قول **الحسن**) البصري التابعي، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وقتادة) بن دِعَامة ـ بكسر الدال المهملة ـ التابعي، هو أبو الخطاب **قتادة** بن دعامة بن قتادة بن عزيز ـ بفتح العين والزاي المكرّرة ـ ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن سَدُوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكاية بن صَعْب بن علي بن بكر وائل السدوسي البصري التابعي، وُلِد أعمى، سمع أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس، وأبا الطّفيل، وابن المسيّب، وأبا عثمان النَّهْدي، والحسن، وابن

أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته.

سيرين، وعكرمة، وزرارة بن أوفى، والشعبي وخلائق غيرهم من التابعين. روى عنه جماعة من التابعين، منهم سليمان التيمي، وحُمَيْد الطويل، والأعمش، وأيوب وخلائق من تابعي التابعين، منهم مطر الورّاق، وجرير بن حازم، وشعبة، والأوزاعي وغيرهم، وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله. قال بكر بن عبد الله: مَنْ سرَّه أن ينظر إلى حفظ رجل أدركنا وأحرى أن يؤدّي الحديث كما سمعه، فلينظر إلى قتادة. وقال سعيد بن المسيّب: ما أتانا عراقيٌّ أحفظ من قتادة. وقال شعبة: قال لي سفيان: وكان في الدنيا مثل قتادة. رُوِينا عن معمر، قال: جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت حمامة الْتَقَمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى الْتَقَمت لؤلؤة، فخرجت أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى الْتقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواءً، فقال ابن سيرين: الحمامة الأُولى الحسن يسمع الحديث، فيُجوِّده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه. والثانية: ابن سيرين يشكّ فيه، فيُنْقِص منه. والثالثة: قتادة، فهو أحفظ الناس. وروينا عن المدائنيّ، قال: سأل أعرابيّ على باب قتادة وانصرف، ففقدوا قدحًا، فحجّ قتادة بعد عشر سنين، فوقف أعرابي فسألهم، فسمع قتادة كلامه فقال: هذا صاحب القدح، فسألوه فأقرّ. وقال ابن سعد: كان قتادة ثقة مأمونًا حُجّةً في الحديث. وقال قتادة: جالستُ الحسن ثنتي عشرة سنة، وما قلت برأي منذ أربعين سنة. وقدم قتادة على ابن المسيّب، فسأله أيّامًا فأكثر، فقال: تحفظ كلَّ ما سألتني عنه؟ قال: نعم، سألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وقال فيه الحسن كذا، فذكر حديثًا كثيرًا، فقال ابن المسيّب: مّا كنت أظنّ الله خلق مثلك. وذكره أحمد بن حنبل، فأطنب في الثناء عليه ونشر منه علمه وفقهه ومعرفته في التفسير والاختلاف وغير ذلك، وقلّ مَنْ يتقدَّمه، قال: وكان أحفظ أهل البصرة ولا يسمع شيئًا إلّا حفظه، وقُرِئت عليه صحيفة جابر مرّة واحدة فحفظها، وكان من العلماء. وقال عبد الرحمـٰن بن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد. وقال أبو حاتم: أكبر أصحاب الحسن قتادة، وأثبت أصحاب أنس الزهري ثم قتادة. توفي قتادة سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمسٍ وخمسين رحمه الله.

(ولأنه قال:) ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠]،

قوله: (ولأنه قال): أي الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الآية ٥٠]، في تفسير الجلالين: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الآية ٥٠] الخطاب لآدم وذرّيته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠] تطيعونهم، انتهى. وقوله: تطيعونهم، أي بدل طاعتي، وفيه إشارة إلى أن المراد بالولاية هنا اتباع الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي؛ فالموالاة مجاز عن هذا لأنه من لوازمها، فلا يردّ كيف قال ذلك، مع أن الشيطان وذرّيته ليسوا أولياء، بل أعداء؛ لأن الأولياء هم الأصدقاء. و﴿مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠] يجوز تعلّقه بالاتخاذ أو بمحذوف على أنه صفة لـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، وإليه أشار في التقرير.اهـ كرخي. قال مجاهد: من ذرّية إبليس لاقيس وولهان، وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللّذان يوسوسان فيهما. ومن ذرّيته: مرّة، وبه يُكْنى. وزلنبور، وهو صاحب الأسواق يزيّن اللّغو والحلف الكاذب ومدح السلع. وثبر، وهو صاحب المصائب يزيّن خدش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب. والأعور وهو صاحب الزّنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة. ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يُلْقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلًا. وواسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسمّ ولم يذكر الله دخل معه.اهـ خازن. وفي القرطبي: واختلف هل لإبليس ذرّية من صلبه؟ فقال الشعبي: سألني رجل، فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، فعلمتُ أنه لا تكون ذرّية إلّا من زوجة، فقلت: نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذرّيته. وقيل: إنّ الله خلق له في فخذه اليمنى ذكرًا، وفي فخذه اليسرى فرجًا، فهو ينكح هذه بهذه، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانًا وشيطانة، فهو يفرّخ ويطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلةً أعظمهم في بني آدم فتنةً. وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرّية، وذرّيته أعوانه من الشياطين. قال القُشيريّ أبو نصر: وبالجملة، فإنّ الله تعالى أخبر بأن لإبليس أتباعًا وذرّية، وأنّهم يُوسوسون إلى بني آدم، وهم أعداؤهم ولم يثبت عندنا عِلم بكيفيّة التوالد منهم،

(ولا نسل) للملائكة. وعن **(الجاحظ)** أن الجن والملائكة جنس واحد، فمن طهر منهم فهو ملك، ومن خبث فهو شيطان، ومَن كان بين بين فهو جن. ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع

وحدوث الذرية من إبليس، فيتوقّف الأمر فيه على نقل صحيح، انتهى. وقال الكاشفي: درتبيان أورده كه ...ون حق سبحانه ابليس رابراند ازپهلوى ...پ او زوجهٔ او راكه اوه نام دارد بيافريد واورابشمار ريگهاى بيابان فرزندانند واز اولاد اويگى مرّه است كه كنيت بدودارد وديگر لاقيس وولهان است درعين المعانى اورده كه لاقيس موسوس طهارت است وولهان موسوس صلاة وبعضى برعكس اين گفته اند. انتهى. وفي تفسير روح البيان: لاقيس موسوس صلوات وولهان - بالتحريك - موسوس طهارتست، يعني الولهان شيطان يولّع الناس بكثرة استعمال الماء، ويُضحكهم عند الوضوء. وأما أحمد غزالي رحمه الله در اربعين آورده كه شيطان راچند فرزنداست، وباتفاق زلنبوراز اولاد او صاحب اسواق است كه بدروغ وكم فروشى وخيانت وسوسه ميكند واعول صاحب ابواب زنا است، يعني صاحب الزنى الذي يأمر به ويزنيه، وثبر صاحب مصائب كه بثبور ونوحه وشقّ جيوب ولطم خدود ودعوى الجاهلية ميفر مايد، وميسوط صاحب اراجيف است، يعني صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبر بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم، فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ما أدري ما اسمه حدّثني بكذا وكذا. وداسم ياخورندهٔ طعام كه بسم الله نگفته باشد شركت ميكند، وفي آكام المرجان: داسم هو الذي يدخل مع الرجل وأهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، ومدهيش موكل علما است كه ايشانرابر أهواء مختلفة ميدارد، انتهى بحروفه.

قوله: **(ولا نسل)** النَّسْل الولد والذرّية، يقال: له نَسْلٌ كثير، ج أنسال، كذا في محيط المحيط. **قوله**: **(الجاحظ)** هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثيّ المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فنّ له مقالة في أصول الدّين، وإليه تُنسب الفرقة المعروفة بالجاحظيّة من المعتزلة، وكان تلميذ ابن إسحـٰق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلّم المشهور، وهو خال يموت بن المزرع، ومِنْ أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب «الحيوان»، فلقد جمع فيه كل غريبة، وكذلك كتاب «البيان والتبيين» وهي كثيرة

مما أمر به ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ (تكبّر عنه. ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وصار من الكافرين) بإبائه واستكباره وردّه الأمر لا بترك العمل بالأمر، لأن ترك السجود لا يخرج من الإيمان

جدًّا، وكان مع فضائله مشوّه الخلق، وإنما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ النتوء، وكان يقال له أيضًا: الحدقيّ لذلك. وكان الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج، فكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدّة حرارته، والنصف الأيسر لو قرض بالمقاريض لما أحسّ به من خدره وشدّة برده، وكان يقول في مرضه: اصطلحت على جسدي الأضداد، إن أكلتُ باردًا أخذ برجلي، وإن أكلتُ حارًّا أخذ برأسي، وكان يقول: أنا من جانبي الأيسر مفلوج، فلو قُرِض بالمقاريض ما علمتُ به، ومِنْ جانبي الأيمن منقرس، فلو مرّ به الذباب لألِمْتُ، وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها، وأشدّ ما عليّ ستّ وتسعون سنة، وكان ينشد:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ كما قد كنتَ أيّام الشباب
لقد كذَّبَتْكَ نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

وكانت وفاة الجاحظ في شهر المحرّم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة، وقد نيّف على تسعين سنةً رحمه الله تعالى. وبحر: بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وبعدها راء. ومحبوب: بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وضمّ الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها باء موحدة. والجاحظ: بفتح الجيم وبعد الألف حاء مهملة مكسورة وبعدها ظاء معجمة. والكناني: بكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية. واللّيثي: بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة، هذه النسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خُزَيْمة.

قوله: (تكبّر عنه) أفاد به أن السين للمبالغة لا للطلب، وإنما قدّم الإباء عليه، وإنْ كان متأخّرًا عنه في الترتيب؛ لأنه من الأفعال الظاهرة بخلاف الاستكبار، فإنه من أفعال القلوب، واقتصر في سورة صّ على ذِكْر الاستكبار اكتفاءً به. وفي سورة الحجر على ذِكْر الإباء، حيث قال: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية ٣١].اهـ كرخي. **قوله**: (وصار من الكافرين)... الخ. لمّا احتمل أن يكون قوله تعالى: (﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) تعليلًا لإبائه واستكباره على معنى كيف لا يمتنع ولا يستكبر على امتثال ما أُمر به، وقد كان من الكافرين.

ولا يكون كفرًا عند أهل السنّة (خلافًا للمعتزلة والخوارج)، أو كان من الكافرين في

واستلزم هذا المعنى أن يكون كونه من الكافرين سابقًا على الإباء والاستكبار بأن يكون كافرًا من أوّل حدوثه إلى الأبد، مع أنّ المختار عند عامّة أهل السنّة وجمهور المحقّقين أنّ إبليس لم يكن كافرًا مِنْ أوّل حدوث الأمر، بل رُوِي أنّ الله تعالى أعطاه مُلْك الأرض ومُلْك السماء الدنيا وخزانة الجِنان، فكان يعبد الله تعالى تارة في الأرض، وتارة في السماء، وتارة في الجنّة. ورُوِي أيضًا أنه عَبد الله تعالى ثمانين ألف سنة، فكيف يقال: إنه كافرًا مِنْ أوّل وجوده إلى الأبد؟ بل إنه كان مؤمنًا ثم صار كافرًا بردّه أمر الله تعالى واستقباحه إيّاه، فقد صحّ أنّ قبول الأمر إيمان، والعمل به طاعة، وتركه معصية، وردّه واستقباحه كُفْر؛ ولمّا كان المختار أنه كان مؤمنًا في أوّل حاله ثم صار كافرًا بإبائه عمّا أُمِرَ به واستكباره عن التعظيم لآدم تحيّة وتواضعًا له لم يصح أن يُعلَّل إباؤه واستكباره بكونه من الكافرين؛ لأن المفرع على الشيء لا يكون علّة له، فلذلك فسّر السبق المستفاد من لفظ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ بسَبْق عِلْم الله تعالى بأنه سيكفر بردّه أمر الله تعالى واستقباحه إيّاه، لا بسبق اتّصافه بالكفر على الإباء والاستكبار، فيصحّ تعليلهما بالسَّبْق بهذا المعنى؛ لأن جعله تعليلًا لهما لا يكون منافيًا لما هو المختار عند الجمهور، وإن جعل قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ استئنافًا لبيان حاله بسبب الإباء والاستكبار بكون كان بمعنى صار؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هُود: الآية ٤٣]. **قوله: (خلافًا للمعتزلة) في** محيط المحيط: المعتزلة من القَدَرِيّة قالوا: إنّهم اعتزلوا فِئَتَيْ الضلالة عندهم، أي أهل السنّة والخوارج، أو سمّاهم به الحَسَن لما اعتزله واصل بن عطاء الغزالي وأصحابه إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، وشرع يقرّر القول بالمنزلة، أي التوسّط بين المنزلتين، أي الكفر والإيمان، وأنّ صاحب الكبيرة أي الذنب العظيم لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل بين المنزلتين؛ كجماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزل عنّا واصلٌ، انتهى بحروفه. **قوله:** (والخوارج) في محيط المحيط: الخوارج قومٌ من أهل الأهواء لهم مقالة على حِدَة سُمُّوا به لخروجهم على الناس، انتهى. وأيضًا فيه: الخارجيُّ خلاف الداخليُّ، ومَنْ يسود بنفسه مِنْ غير أن يكون له قِدَم في السيادة. قال أبو العلاء:

علم الله أي وكان في علم الله أي وكان في علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لأنه كان كافرًا أبدًا في علم الله **(وهي مسألة الموافاة)**.

كانوا في القديم قبل الإسلام يسمُّون مَنْ خرج شجاعًا أو كريمًا، وهو ابن جبان أو بخيل ونحو ذلك خارجيًا، وكذلك يقولون للفرس الجواد إذا برّز وأبواه ليسا كذلك، ثم صاروا في الإسلام يجعلون الخارجيَّ مَنْ خالف السلطان والجماعة، ومَنْ كان معتقدًا بمذهب الخوارج وهم سبع فِرَق من كبار الفِرَق الإسلاميّة، وهي: الإباضيّة، وهم أتباع إباض التميميّ. والمحكميّة، والبيهسيّة، والأزارقة، والنَّجدات، والصفريّة، والعجاردة. ويقال لهذه الفِرَق: الخارجيّة أيضًا، ج خوارج وخارجيّة، انتهى بحروفه. وفي كتاب المِلل والنِّحَل: كلُّ مَنْ خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفق الجماعة عليه سُمّي خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمّة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمّة في كل زمان، انتهى. وأيضًا فيه: اعلم أنّ أوّل مَنْ خرج على عليّ رضي الله تعالى عنه جماعة ممّن كان معه في حرب صفّين، وأشدّهم خروجًا عليه ومروقًا من الدِّين الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميميّ، وزيد بن حصين الطائي، انتهى. وأيضًا فيه: وكبار الفِرَق الستّة: الأزارقة[1]، والنَّجدات، والصفريّة، والعَجارِدة، والإباضيّة، والثعالبة؛ والباقون فروعهم، ويجمعهم القول بالتبرّي عن عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهما، وعن كلّ الصحابة أجمعين، ويقدّمون ذلك على كلّ طاعة، ولا يصحّحون المناكحات إلّا على ذلك، ويكفّرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنّة حقًّا واجبًا، انتهى. وأيضًا فيه: اجتمعت الأزارقة على أنَّ مَنِ ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفرًا خرج به عن الإسلام جملةً، ويكون مخلّدًا في النار مع سائر الكفار، واستدلّوا بكفر إبليس وقالوا: ما ارتكب إلّا كبيرة حيث أُمِرَ بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع، وإلّا فهو عارف بوَحدانيّة الله، انتهى بحروفه.

قوله: **(وهي مسألة الموافاة)** معناها: أنّ العبرة بالإيمان الذي يوافى العبد عليه، أي يأتي متّصفًا به في آخر حياته، وأوّل منازل آخرته. ومِنْ فروع هذه

---

(١) أي أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق. ١٢ منه عُفِي عنه.

المسألة أنه يصحّ أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وحيث أطلقت مسألة الموافاة فالمراد بها ذلك، وهي ممّا اختلف فيها الشافعية والحنفيّة والأشعريّة والماتريديّة، وللسبكيّ فيها تأليفٌ مستقلّ، ويبني عليها مسألة الإحباط في الأعمال بالرِّدّة.

تنبيـه:

مسألة الموافاة من أُمّهات المسائل، وفصّلها النسفيّ في شرح التمهيد، فقال ما حاصله: إنّ الشافعي رحمه الله تعالى يقول: إنّ الشقيّ شقيٌّ في بطن أُمّه، وكذا السعيد؛ فلا تبديل في ذلك، ويظهر ذلك عند الموت ولقاء الله تعالى، وهو معنى المُوافاة. والماتريديّة رحمهم الله تعالى يقولون: يمحو الله ما يشاء ويثبت، فيصير السعيد شقيًّا والشقيّ سعيدًا، إلّا أنهم يقولون: مَنْ مات مسلمًا مخلّد في الجنّة، ومَنْ مات كافرًا مخلّد في العذاب باتّفاق الفريقين؛ فلا ثمرة للخلاف أصلًا، إلّا أن يقال: إنّ مَنْ كان مسلمًا وورث أباه المسلم إذا مات كافرًا يردّ ما أخذه على بقيّة الوَرَثة المسلمين، وكذا الكافر، وتبطل جميع أعماله، والمنقول في المذهب خلافه؛ فحينئذ لا ثمرة له، إلا أنه يصحّ منه أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله بقصد التعليق في المستقبل حتى لا يكون شكًّا في الإيمان حالًا، ولا حاجة لتأويله. والماتريديّة يمنعون ذلك مطلقًا، كذا في عناية القاضي وكفاية الراضي. وفي حاشية شيخ زاده: ومن فوائدها ـ أي الآية ـ أنّ مَنْ عَلِم الله مِنْ حاله أنه يتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة، فإنه تعالى لمّا علم مِنْ حال إبليس أنه يُختم له على الكفر، قال في حقّه: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٤]. وأمّا مَنْ ختم له على الإيمان، سواء كان إيمانه مسبوقًا بالكفر أم لا، فذلك الإيمان هو الذي كان علامة الفوز وآية النجاة، فإنّ الإيمان الطارىء على الكفر يهدم ما قبله ويجعله كأن لم يكن قطّ؛ كما ورد مِنْ أنّ التائب مِنَ الذّنب كمَنْ لا ذَنْب له.

واعلم أنه قد اختلف في أن مَنْ ثبت في علم الله أنه يموت كافرًا نعوذ بالله من ذلك، هل هو كافرٌ مِنْ أوّل زمان وجوده إلى موته، أو لا؟ وأن إبليس هل كان كافرًا أبدًا أو كان مؤمنًا حقًّا ثم كفر بعد ذلك؟ فذهب أصحاب الموافاة، وهم

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٣٥﴾

(﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ أمر من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها ويقال: سكن المتحرك سكونًا ﴿أَنتَ﴾ تأكيد) للمستكن في «اسكن» (ليصح عطف

أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري القائلون بالموافاة، أي موافاة الموت وإتيانه على المرء، وهو مؤمنٌ إلى الأوّل، وذهب آخرون إلى الثاني؛ فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ عند أصحاب الموافاة على ظاهره؛ لأن إبليس قبل استكباره كافرٌ عندهم، وعند الآخرين معناه: أنه صار من الكافرين، أو كان منهم في عِلم الله تعالى على معنى أنه تعالى كان عالِمًا في الأزل بأنه سيكفر؛ فمقتضى صنيعه كان تقدّم العلم على الاستكبار لا تقدّم المعلوم، ومعنى الموافاة الإتيان والوصول إلى آخر الحياة وأوّل منازل الآخرة، يقال: وافى فلان إذا أتى؛ فعندهم لا يُوصف المَرْء إلّا بما كان عليه وقت الوفاة من إيمان أو كفر، ولا يسمّى بما كان عليه قبل ذلك، ولا يخفى أنّه إنْكار لما ثبت عيانًا وإبطال للحقائق، انتهت باختصار. وأيضًا فيها: قال إمام الحرمين: إنّ الإيمان ثابت في الحال قطعًا من غير شكٍّ فيه، لكن الإيمان الذي هو علامة الفوز وآية النجاة هو إيمان الموافاة، فاعتنى السلف به وجوّزوا تعليقه بمشيئة الله تعالى، فمَنْ قال: أنا مؤمن إن شاء الله، لم يحملوا التعليق بالمشيئة على أن القائل قصد به الشكّ في كونه مؤمنًا في الحال، فإنّ الشكّ فيه كفرٌ، بل قالوا: إنه قصد به الشكّ في إيمان الموافاة.

قوله: (﴿ٱسْكُنْ﴾ أمرٌ من سكن الدار يسكنها سُكنى إذا أقام فيها) واتّخذها منزلًا ومأوى، لا مِنْ سكَنَ المتحرِّك سكونًا إذا ترك الحركة واستقرّ في مكانه ضرورة أن ليس المعنى: اسكن في الجنّة ولا تتحرَّك فيها، بل اتّخذها منزلًا وموضع إقامة. **قوله:** (ويقال: سكن المتحرّك سكونًا) يعني: أن السُّكنى والسكون من أصلٍ واحد، وأن المقصود هنا الأوّل. **قوله:** (﴿أَنتَ﴾ تأكيد)... الخ. تأكيد ضمير اسكن المستتر بأنت، لئلّا يلزم العطف على الضمير المتّصل بلا فصل، وهو ممنوع في فصيح الكلام. **قوله:** (ليصح[1] عطف

---

(١) إذ شرطه الفصل سواء كان تأكيدًا أو غيره. ١٢ منه.

﴿وَزَوْجُكَ﴾ عليه ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾) هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين (للنقل المشهور واللام للتعريف). وقالت المعتزلة: كانت بستانًا (باليمن) لأن الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها. قلنا: إنما لا يخرج منها من دخلها جزاء. وقد دخل النبيّ ﷺ ليلة المعراج ثم خرج منها، وأهل الجنة يكلّفون المعرفة والتوحيد. ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ من ثمارها فحذف المضاف. ﴿رَغَدًا﴾ وصف للمصدر (أي أكلًا رغدًا واسعًا) ﴿حَيْثُ (شِئْتُمَا﴾ شئتما وبابه بغير همز: أبو عمرو). و(﴿حَيْثُ﴾) للمكان المبهم أي

﴿وَزَوْجُكَ﴾ عليه)؛ إذ لا يجوز العطف عليه بدون فصل، سواء كان ضميرًا منفصلًا أو غيره، كما هو المشهور.

قوله: (﴿ٱلْجَنَّةَ﴾) مفعول به؛ لأن معناه: اتّخذ الجنّة مسكنًا. **قوله**: (للنقل المشهور) كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بعث الله تعالى جندًا من الملائكة، فحملوهما على سريرٍ من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور، حتى أدخلوهما الجنّة. **قوله**: (وللام التعريف) أي: ولأن التعريف باللام فيها ليس للعموم والاستغراق؛ لأن سكون جميع الجِنان مُحال؛ فلا بدّ أن تكون الإشارة إلى المعهود، والمعهود المعلوم للمسلمين هو دار الثواب، فوجب صرف اللّفظ إليها، ولا سيّما أنّه قال تعالى لآدم في وصف الجنّة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: الآيتان ١١٨، ١١٩]، وذلك صفة دار الخُلد والثواب. **قوله**: (باليمن) اليمن: إقليم معروف سُمّي بذلك لأنه عن يمين الشمس عند طلوعها، وقيل: لأنه عن يمين الكعبة؛ كذا في المصباح. **قوله**: (أي أكلًا رغدًا واسعًا) يقال: عيش رغد ورغيد، أي واسع. **قوله**: (﴿شِئْتُمَا﴾) أصله شيئتما، نُقِلت حركة الياء إلى الشين وحُذِفت الياء لالتقاء الساكنين. **قوله**: (﴿شِئْتُمَا﴾ وبابه بغير همز، أبو عمرو) بن العلاء البصري، توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة رضي الله عنهما. في تفسير النيسابوري: ﴿شِئْتُمَا﴾ وبابه بغير همز، أبو عمرو ويزيد والأعشى وورش عن طريق الأصفهاني، وحمزة في الوقف.اهـ. وفي تفسير الخطيب: وقرأ أبو عمرو بإدغام الثاء في الشين بخلاف عنه، وإبدال السوسي الهمزة وقفًا ووصلًا وحمزة في الوقف فقط.اهـ. وفي الإتحاف: وأدغم ثاء (﴿حَيْثُ﴾) في شين ﴿شِئْتُمَا﴾ مع إبدال الهمزة الساكنة أبو عمرو بخلف عنه من الروايتين، ويمتنع له الإدغام مع الهمزة، فالجائز حينئذ ثلاثة أوجه: الإدغام مع

أيَّ مكان من الجنة شئتما ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ **(أي الحنطة)**. ولذا قيل: كيف لا يعصي الإنسان وقوته من شجرة العصيان، **(أو الكرمة)** لأنها أصل كل فتنة، **(أو التينة)**. ﴿فَتَكُونَا﴾ جزم عطف على «تقربا» أو نصب جواب للنهي. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارّين أنفسهم.

الإبدال، والإظهار مع الهمز ومع الإبدال، وأدغم فقط يعقوب. اهـ. وفي كتاب التيسير: اعلم أنّ أبا عمرو كان إذا قرأ في الصلاة أو أدرج قراءته أو قرأ بالإدغام لم يهمز كل همزة ساكنة، سواء كانت فاء أو عينًا أو لامًا، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿تؤمنون﴾ و﴿يؤلون﴾ ﴿المؤتفكات﴾ و﴿بئس﴾ و﴿الذئب﴾ و﴿البئر﴾ و﴿الرؤيا﴾ و﴿رؤياك﴾ و﴿كدأب﴾ و﴿جئت﴾ و﴿جئتم﴾ و﴿شئت﴾ و﴿شئنا﴾ ﴿فادّارأتم﴾ و﴿اطمأننتم﴾ وشبهه، إلّا أن يكون سكون الهمزة للجزم، نحو: ﴿ننسأها﴾ و﴿تسؤهم﴾ و﴿إن يّشأ﴾ و﴿يهيّئ لكم﴾ وشبهه، وجملته تسعة عشر موضعًا. أو يكون للبناء نحوَ: ﴿أنبئهم﴾ و﴿اقرأ﴾ و﴿أرجئه﴾ و﴿هيّئ لنا﴾ وشبهه، وجملته أحد عشر موضعًا. أو يكون ترك الهمزة فيه أثقل من الهمزة، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿وتؤوي إليك﴾ و﴿تؤويه﴾. أو يكون يوقع الالتباس بما لا يهمز، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿الرُّؤيا﴾ ويكون يخرج من لغة إلى لغة، وذلك في قوله: ﴿مؤصدة﴾، فإنّ ابن مجاهد كان يختار تحقيق الهمزة في ذلك كلّه من أجل تلك المعاني، وبذلك قُرِأت وبه أُخِذ، فإذا تحرّكت الهمزة نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿يؤلف﴾ و﴿مؤذن﴾ و﴿يؤخرهم﴾ وشبهه؛ فلا خلاف عنه في تحقيق الهمزة في ذلك كلّه، وبالله التوفيق، انتهى بحروفه.

قوله: **(أي الحنطة)** قدَّمها؛ لأنه قول الأكثر، وقد رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعطاء والحسن رحمهما الله تعالى في لسان العرب: الحنطة البرّ، جمعها حِنَطٌ، والحَنّاط بائع الحنطة والحِناطة حِرْفة. اهـ. وفي المصباح: الحِنْطة والقمح والبرّ والطعام واحد. اهـ. **قوله:** **(أو الكرمة)** هذا قول عليّ وابن مسعود والسّدِّي رضي الله تعالى عنهم. في لسان العرب: الكَرْم: شجرة العِنَب، واحدتها كَرْمة. اهـ. **قوله:** **(أو التينة)** هذا قول قتادة، والمرويّ عن ابن جريج. في لسان العرب: التين الذي يؤكل، وفي المُحكم: التين شجر البلس، وقيل: هو البلس بنفسه، واحدته تينة. اهـ. وأيضًا فيه: البَلَس التّين،

....

وقيل: البلس ثمر التين إذا أدرك، الواحدة بَلَسة، وفي الحديث: «مَنْ أحبّ أن يرقّ قلبه فليُدْمِن أكل البلَس» وهو التين، وإنْ كانت الرواية بفتح الباء واللام، فهو التين؛ وإنْ كانت البُلُس[1]، فهو العدس. اهـ. وذكر العلامة الجلال السيوطي في المبهمات ستّة أقوال، منها: اللّوز، والأُترجّ، والنَّخلة. وفي الجمالين قال مولانا عصام الدِّين في حاشيته على البيضاوي: رأيت في بعض التفاسير أنه شجرة العلم، فكنت في التأمّل في تحقيقه برهة من الزمان حتى رأيت ليلةً أني ذُهِبَ بي إلى السماء، ثم يذهب بي إلى سماءٍ سماءٍ وأُلاقي فيه نبيًّا نبيًّا حتى انتهيتُ إلى سماءٍ هناك آدم عليه الصّلاة والسّلام، فلاقَيْته وسألْتُه عن شجرة العلم الذي نُهِيَ عن أن يقرب منه، قال: كان شأني في معرفته تعالى مشاهدته ومُنِعْتُ عن التوجّه إليه بدون المشاهدة مكتفيًا بالعلم، فمرّة اكتفيتُ بالعلم، فعُوتبت وأُخرجتُ من الجنّة، انتهى.

وفيه: أنّ هذا المعنى لا يظهر أن يصلح كونه تفسيرًا للآية، إلّا أن يقال: كان آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام في مقام المشاهدة، ونُهِيَ عن قرب شجرة الحنطة المقدّر فيها أنه إذا أكل منها ينتقل من مرتبة العين إلى مرتبة العلم، فسُمِّيت تلك الشجرة شجرة العلم. هذا وسنح لي أنّه قد يقال: إنما سُمِّيَت شجرة العلم؛ لأن قُرْبَها وتركها سببٌ للعلم بحال المُبْتلى الذي كلّف بها، أو يكون أكلها علامة يُعْلم بها الخروج من الجنّة إلى دار المِحْنة، ويُعلم ح قدر النعمة أو شجرة تعلّق علم الله تعالى بها أن آدم يأكل منها، وإذا أكل ما يترتب عليه. وما الحكمة في أن أكلها يُورث البُعد من دار القرار وجوار الربّ إلى غير ذلك، والله تعالى أعلم.

ثم رأيت في حاشية الشفاء للحلبي قيل: شجرة العلم عليها معلومُ الله من كلّ لونٍ وطعم، وقيل: قال إبليس لهما: مَنْ أكل منها عَلِم الخير والشرّ، وعَلِم عِلْم الملائكة، كما قال لهما: إنها شجرة الخلد، انتهى.

---

(١) أي بضم الباء واللام. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ أي عن الشجرة، أي فحملهما الشيطان **(على الزلّة)** بسببها. وتحقيقه (فأصدر) الشيطان زلّتهما عنها أو (فأزلهما) عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما. **«فأزالهما» حمزة. وزلّة آدم بالخطأ في التأويل)** إما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه. **(وهذا دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلّة على الأنبياء عليهم السلام)** كما قال مشايخ

قوله: **(على الزلّة)** في مُنتهى الأرب في لغات العرب: زَلَّة ـ بالفتح ـ لغزش پای درلگل ولغز ش در سخن اسم است زَلِيل راونيكوئى وهنروكار ويضم وزن ومرديا مهمانى عروسى وگناه وخطاى بى ارادة، انتهى. وفي غياب اللّغات: زلّت ـ بالفتح وبالكسر ولام مشدّد مفتوح ـ بمعنى لغزش ولغزيدن، وبكسر ذال معجمة خوارى ازلطائف ودر خيابان نوشته كه زلت بمعنى لغزش ولغزيدن كه عبارت است ازكار ناپسنديده واين لفظ را بطريق ادب استعمال كنند چنانكه زلت أنبياء عليهم السلام، انتهى. **قوله**: **(فاصدر)**... الخ. فيه إشارة إلى أن (﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾) تضمّن معنى أصدر، وعن للسببية. **قوله**: **(فأزالهما، حمزة)** أي قرأ حمزة: **«فأزالهما»** بألف بعد الزاي وتخفيف اللام، أي نَحَّاهما بتشديد الحاء، أي أبْعَدهما عنها، والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد اللام، أي أذْهَبَهما. **قوله**: **(حمزة)** هو حمزة بن الحبيب بن عُمارة بن إسماعيل الزيّات الكوفي، توفي بحُلْوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ستّ وخمسين ومائة رحمه الله. **قوله**: **(وزلّة آدم بالخطأ في التأويل)**... الخ. في تفسير الخطيب: فإن قيل: المجتهد إنْ أخطأ لا يؤاخذ. أُجيب بأنه إنما عُوتِب على ذلك تعظيمًا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده، انتهى. **قوله**: **(وهذا دليلٌ على أنه يجوز** [illegible] الزلّة على **الأنبياء عليهم السلام)**. في شرح الفقه الأكبر للعلامة علي القاري رحمه الله: (وقد كانت منهم)، أي من بعض الأنبياء قبل ظهور مراتب النبوّة، أو بعد ثبوت مناقب الرسالة (زلّات) أي تقصيرات (وخطيئات) أي عَثَرات بالنسبة إلى ما لهم من عُلَى المقامات وسَنى الحالات، كما وقع لآدم عليه السلام في أكله مِنَ الشجرة على وجه النّسيان، أو ترك العزيمة،

(**بخارى**). فإنه اسم الفعل يقع على خلاف الأمر من غير قصد إلى الخلاف كزلّة الماشي (**في الطين**). وقال مشايخ (**سمرقند**): لا يطلق اسم الزلّة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية. وإنما يقال: فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه.

واختيار الرخصة ظنًّا منه أنّ المراد بالشجرة المنهيّة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٥] هي الشخصيّة لا الجنسيّة، فأكل من الجنس لا من الشخص، بناءً على الحِكْمة الإلـٰهيّة ليظهر ضعف القدرة البشريّة وقوّة اقتضاء مغفرة الربوبيّة، وهذا ما عليه أكثر العلماء خلافًا لجماعة من الصوفيّة وطائفة من المتكلّمين حيث منعوا السّهو والنسيان والغفلة. اهـ باختصار. **قوله**: (**بخارى**) في منتهى الأرب في لغات العرب: بُخارَاء، ويُقصر نام شهرى ازا نست ناصر احاديث نبويه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بخاري رحمه الله تعالى. اهـ. وفي غياث اللغات: بخارا نام شهرى ازتورَان. اهـ. **قوله**: (**في الطين**) في محيط المحيط: الطِّين تراب أو رمل وكلس يُجْبَل بالماء وتُطْلى به السُّطُح ونحوه. اهـ. وفي لسان العرب: الطِّين معروف الوَحَل واحدته طينة. اهـ. وأيضًا فيه: الوَحَل ـ بالتحريك ـ الطّين الرقيق الذي ترتطم فيه الدوابّ، والوَحْل ـ بالتسكين ـ لغة رديّة، والجمع أوْحال ووُحُول، والموحَل ـ بالفتح ـ المصدر ـ وبالكسر ـ المكان. اهـ. وأيضًا فيه: ارتطم في الطين وقع فيه فتخبّط. اهـ.

قوله: (**سمرقند**) في منتهى الأرب في لغات العرب: شَمَرُ بنِ افْرِيْقِيس گلتف بانى **سمرقند** است ياآنگه اول أنزا فتح گرده، كما نقل أنه غزا مدينة السَّغْد فقلعها، فقيل: شِمَركَندا، وبناها فقيل: شَمِرْكَنْت، وهي بالتركية القَرْيَةُ فَعرِّبت سمَرقند، وإسكان الميم وفتح الراء لحنٌ. اهـ. وفي غياث اللغات: **سمرقند** معرب سمركَنْد صاحب مؤيد وكشف نوشته اندكه در تواريخ طبرى مرقوم است كه سمرنام بادشا هى وكند بزبان تركان شهررا گويند ومعنى تركيبى أن شهر سمر است تم كلاهما، وابن خلكان در تواريخ خود وشيريشسى در شرح مقامات حريرى نوشته اندكه گند بكاف عجمى بمعنى خراب، وسمرنام بادشاه شهرى را خراب كرده بود لهذا أن شهررا سمرگند گفتندى حالا معرب كرده سمرقند گويند وصاحب رشيدى نوشته كه در اصل شمركند ـ بشين معجمة ـ زيراكه شمر بن بقيش بن أبرهه باهل مدينه سغدجنگ نموده، وبعد فتح كردن مدينة سغدرا ويران كرده شهر

﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ من النعيم والكرامة، أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في «عنها». وقد توصّل إلى إزلالهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم، لأنه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء. ورُوِيَ أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية (**حتى دخلت به**). وقيل: (**قام عند الباب فنادى**). ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ الهبوط النزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل: والحية والصحيح لآدم وحواء. والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا﴾ [طه: الآية ١٢٣] ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ المراد به ما عليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض. والجملة في موضع الحال من الواو في «اهبطوا» أي اهبطوا متعادين. ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ (**موضع استقرار أو استقرار**). ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وتمتع بالعيش. ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ (**إلى يوم القيامة**) أو إلى الموت.

ازسرنو تعمير نموده شمركند نام نهاد وكند در لغت ما وراء النهر بمعنى شهر وقرية باشد. اهـ.

قوله: (**حتى دخلت به**) أي بالشيطان الجنّة، والباء للتعدية أو المصاحبة.
قوله: (**قام عند الباب**) أي باب الجنّة (**فنادى**) أي فناداهما، فحينئذ يُراد بقوله: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠] مقالة تُورث في قلب السامع لمّة رَدِيَّة، ولو كان جهرًا، ويؤيّده ما في اللباب. قال الحسن: كان إبليس في الأرض، فأوْصل الوسوسة إليهما في الجنّة، ومثل هذا لا يُستبعد؛ لأنه ابتلاء من الله تعالى.
قوله: (**موضع استقرار أو استقرار**) الأول: على أن يكون مستقرّ اسم مكان؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ [الفُرقان: الآية ٢٤]، وفي قوله في صفة النار: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾ [الفرقان: الآية ٦٦]. والثاني: على أن يكون المستقرّ مصدرًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢﴾ [القيامَة: الآية ١٢].

قوله: (**إلى يوم القيامة**) لأنه متعلّق بالظرف الواقع خبرًا عن مستقرّ ومتاع والاستقرار ثابت إلى يوم القيامة لمكان القبر، وقيل: إلى الموت نظرًا إلى تعلّقه بمتاع؛ إذ لا تمتع بعد الموت، ومَنْ جعله على تقدير التفسير بيوم القيامة أيضًا

قال (إبراهيم بن أدهم): أورثتنا (تلك الأكلة) حزنًا طويلًا.

متعلّقًا لمتاع جعل ابتداء يوم القيامة من الموت؛ لأن مَنْ مات فقد قامت قيامته، أو جعل مقدّمات الشيء من جُملته، ولا يخفى أنّ التفسيرين حينئذ واحد أو جعل السكنى في القبر تمتعًا في الأرض، وهذا أقرب.

قوله: (إبراهيم بن أدهم) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن أدهم بن منصور، كان من كورة بلخ من أولاد الملوك، فخرج يومًا متصدّيًا، فأثار ثعلبًا أو أرنبًا وهو في طلبه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم، ألهذا خُلِقت، أم بهذا أُمِرْت!! ثم هتف به أيضًا من قَرَبُوس سرجه: والله ما لهذا خُلِقْت، ولا بهذا أُمِرْت؛ فنزل عن دابّته وصادف راعيًا لأبيه، فأخذ جبّة الراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية، ثم دخل مكّة المكرَّمة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام ومات بها، وكان يأكل مِنْ عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك. ومِنْ كلامه رضي الله تعالى عنه: مِنْ علامة العارف بالله: أن يكون أكبر همّه الخير والعبادة، وأكثر كلامه الثناء والمدحة. وكان رضي الله تعالى عنه يقول: أثقل الأعمال في الميزان أثقله على الأبدان، ومَنْ وفى العمل وفى الأجر، ومَنْ لم يعمل رَحَل مِنَ الدنيا إلى الآخرة صِفْر اليدين. وكان يقول: إني لأتمنّى المرض حتى لا تجب عليّ الصلاة في جماعةٍ، ولا أرى الناس ولا يروني. وكان يُغلقِ بابه من خارج، فيجيء الرجل فيجده مغلقًا فيذهب، وكان رضي الله تعالى عنه يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: الآية ٨٣] مَنْ حُبِّ العلوّ أن تستحسن شسع نعلك على شسع نعل أخيك. وكان يقول: ثلاثة لا يُلامون على ضجر: المريض والصائم والمسافر. وكان يقول: بلغني أنّ العبد يُحاسَب يوم القيامة بحضرة مَنْ يعرفه، ليكون أبلغ في فضيحته. وكان يقول: ما صدق الله عبدًا أحبَّ الشهرة بعلم أو عمل أو كرم. وكان رضي الله تعالى عنه إذا لم يجد طعامًا حلالًا يأكل الترابَ، ومكث شهرًا يأكل الطّين، وقال: لولا أخاف أن أُعين على نفسي ما كان لي طعام إلّا الطِّين حتى أجد الحلال، إلى أن أموت. وكان يقلّل الطعام والأكل ما استطاع، ويقول: لا يحتمل الحلال السرف، حتى كان يصلّي خمسة عشر صلاة بوضوءٍ واحد، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: اطلبوا العلم للعمل، فإنّ أكثر الناس قد

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أي استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها. وينصب «آدم» **(ورفع** «**كلمات**»: مكيَ) على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به **(وهن قوله تعالى**: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ﴾) أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]). وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى **(التنصل)** من الذنوب. وعن (ابن مسعود) ﷺ أن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين **(اقترف الخطيئة**:) سبحانك اللهم **(وبحمدك**

غلطوا حتى صار عِلْمهم كالجبال، وعَمَلَهم كالذرّ. وكنت إذا رأيته كأنه ليس فيه روح، ولو نفخته الريح لوقع. وقال له بعض العلماء: عِظْني، فقال: كُنْ ذَنَبًا ولا تكن رأسًا، فإنّ الذَّنَب ينجو والرأس يذهب. وقيل: كان عامَّة دعائه: اللّهمّ انقلني من ذلّ معصيتك إلى عزّ طاعتك.

قوله: **(تلك الأكلة)** في المصباح: الأكلة ـ بالفتح ـ المرّة، وبالضمّ اللّقمة. اهـ.

قوله: **(ورفع** ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ مكي) أي قرأه ابن كثير المكّيّ ﷺ. **قوله**: (وهنَ) أي الكلمات **(قوله تعالى**: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣])... الخ. قدّمه لأنه أصح الأقوال، أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله **تعالى عنهما**، فاكتفى في النَّظم الجليل بآدم عليه السلام، والمراد هو آدم وحوّاء على نبيِّنا وعليهما الصلاة والسلام. والثاني أخرجه البيهقي في الزُّهد مرفوعًا عن أنس رضي الله تعالى عنه، وابن جرير عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن معاوية موقوفًا، كما قيل.

قوله: **(التنصّل)** أي الخروج. في المصباح: نصل الشيء مِنْ موضعه من باب قتل خرج منه، ومنه يقال: تنصّل فلان مِنْ ذنبه. **قوله**: **(ابن مسعود)** أي عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(اقترف الخطيئة)** في محيط المحيط: اقترف الرجل اكتسب والمرأة جامعها والذنب أتاه وفَعَلَه. اهـ. **قوله**: **(وبحمدك)** قال الكرماني: وسبَّحتك بحمدك، أي بتوفيقك وهدايتك لا بحَوْلي وقوّتي، ففيه شكرٌ لله على هذه النّعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله، والواو في وبحمدك إمّا للحال وإمّا لعطف الجملة، سواء قلنا: إضافة الحمد إلى

وتبارك اسمك وتعالى جدك) ولا إلـه إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. (وعن ابن عباس ﷺ قال: يا رب) ألم تخلقني (بيدك)؟ قال: بلى. قال: يا ربّ ألم تنفخ فيَّ (من روحك)؟ ألم تسبق رحمتك غضبك؟ ألم تسكني جنتك؟ وهو تعالى يقول: بلى بلى. قال: فَلِمَ أخرجتني من الجنة؟ قال: بشؤم معصيتك. قال: فلو تبت (أراجعي) أنت إليها؟ قال: نعم ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فرجع عليه بالرحمة والقبول. واكتفى بذكر توبة آدم لأن حواء كانت تبعًا له، (وقد طوى) ذكر النساء (في أكثر القرآن والسنّة لذلك). ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على عباده.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿(قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟) مِنْهَا جَمِيعًا﴾ حال أي مجتمعين. (وكرّر الأمر بالهبوط للتأكيد)، أو لأن الهبوط الأول (من الجنة) إلى السماء والثاني من السماء إلى

الفاعل، والمراد لازمه مجازًا، وهو ما يوجب الحمد من التوفيق والهداية أو إلى المفعول، ويكون معناه: سبّحت ملتبسًا بحمدي لك، وقيل: الواو زائدة. **قوله**: (وتبارك اسمك) أي كَثُرت بركة اسمك؛ إذ وجد كل خير مَنْ ذكر اسمك. **قوله**: (وتعالى جدك) أي عَظَمتك. **قوله**: (وعن ابن عبّاس) الصحابي ابن الصحابي (رضي الله تعالى عنهما قال: يا ربّ)... الخ. هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وغيره وصحّحه. **قوله**: (بيدك) بمعنى قدرتك. **قوله**: (مِنْ روحك) معناه: من روح خلقتها، والإضافة للتعظيم. **قوله**: (أراجعي) بتخفيف الياء واسم فاعل أضيف إلى المفعول، وأنت فاعل لاعتماده على الاستفهام أو مبتدأ خبره ما قبله. **قوله**: (وقد طوى) أي ترك. **قوله**: (في أكثر القرآن) أي في أكثر مواضع من القرآن. **قوله**: (والسنّة) أي الحديث. **قوله**: (لذلك) أي لكون النساء تابعة للرجال.

قوله: (وكرّر الأمر بالهبوط للتأكيد)؛ إذ التكرير للتأكيد من أنواع البلاغة، ولكونه تأكيدًا اخْتِير الفصل، يعني أن المأمور به هبوطٌ واحد، وهو الهبوط (منَ الجنة) إلى الأرض، فلما أمر به مرتين، فالتكرير متعلق بالمحكيّ، وهو الأمر بقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٦]، فلمّا كرّر المحكيّ كرّرت الحكاية، وهي قوله

الأرض، أو (لما نيط به) من زيادة قوله. ﴿(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم) مِّنِّي هُدًى﴾ أي رسول أبعثه إليكم، أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ في مقابلة قوله: ﴿(فَمَن تَبِعَ) هُدَايَ﴾ أي بالقبول والإيمان به. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في المستقبل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا. (والشرط الثاني) مع جوابه جواب (الشرط الأول) كقولك: «إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك». «فلا خوفَ» بالفتح في كل القرآن: يعقوب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي أهلها ومستحقوها. والجملة في موضع الرفع خبر المبتدأ أعني والذين ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو (يعقوب) عليه السلام (وهو لقب له) ومعناه في لسانهم

تعالى: (﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾). **قوله**: (لما نِيطَ) أي علق (به) في محيط المحيط: ناطَ به يَنُوطه نَوْطًا ونِياطًا علقه.اهـ. **قوله**: (﴿فَإِمَّا﴾) فيه إدغام نون إن الشرطيّة في ما الزائدة، كذا في تفسير الجلالين. وإيضاحه أنّ إمّا هي إن الشرطية زيدت عليها ما للتأكيد، ولأجل التأكيد المذكور حَسُن تأكيد الفعل بالنون، وإنْ لم يكن فيه معنى الطلب. **قوله**: (والشرط الثاني) أي قوله: (﴿فَمَن تَبِعَ﴾)، وقوله: (الشرط الأول) أي: (﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾).

قوله: (**يعقوب**) أي قرأه يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة، وله ثلاث روايات: رواية رَوْح وزيد ورُوَيْس. **قوله**: (**وهو لقبٌ له**) لكونه عَلَمًا يُشعر بمدح بملاحظة الأصل، واللَّقب في اللغة ما يُعَبَّر به عن شيء. وفي اصطلاح أهل العربية: عَلَم يُشْعر بمدح أو ذمّ باعتبار معناه الأصليّ جمع ألقاب، والألقاب ثلاثة أنواع: لقب تشريف، ولقب تعريف، ولقب تسخيف. والثالث منهيٌّ عنه. وفي المصباح: وقد يُجْعل اللّقب عَلَمًا من غير نبز، فلا يكون حرامًا، ومنه تعريفُ بعض الأئمّة المتقدِّمين بالأعمش والأخفش والأعرج ونحوه؛ لأنه لا يُقصد بذلك نبز ولا تنقيص، بل محض تعريف مع رضى المسمّى به.

(صفوة) الله أو عبد الله، فإسرا هو العبد أو الصفوة، وإيل هو الله **(بالعبرية)**، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة. ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ **(ذكرهم النعمة أن لا يخلوا)** بشكرها ويطيعوا **(مانحها. وأراد بها ما أنعم به على آبائهم)** مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون **(وعذابه)** ومن الغرق **(ومن العفو)** عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به في التوراة والإنجيل. ﴿وَأَوْفُوا۟﴾ أدّوا وافيًا تامًّا، **(يقال: وفيت له بالعهد فأنا وافٍ به وأوفيت له بالعهد فأنا موفٍ به، والاختيار أوفيت، وعليه نزل التنزيل)**.

قوله: (صفوة) بهرسه حركت برگزيده. اهـ منتخب اللّغات. **قوله: (بالعِبْرية)** العِبْرية العِبْرانيّة، وهي لغة اليهود واليهودية، واليهوديُّ نسبة إلى جدِّهم إبراهيم الذي عَبَر الفرات وجاز مِنْ بين النهرين إلى أرض اليهوديّة، أو إلى عابر بن أرفخشاد بن سام بن نوح. **قوله: (ذكرهم النعمة)** مِنْ إضافة المصدر إلى الفاعل مبتدأ خبره **(أن لا يخلوا)**... الخ.

قوله: (مانحها) أي مُعْطيها. في محيط المحيط: منحه الشيء يمنحه إيَّاه ويمنحه من باب منع وضرب، منحًا أعطاه إيّاه. اهـ. **قوله: (وأراد بها)** أي بالنّعمة **(ما أنعم به على آبائهم)** أي بني إسرائيل، والنّعمة على الآباء نعمة على الأبناء. **قوله:** (وعذابه) أي فرعون. **قوله:** (ومِنَ **العفو)** عطف **على** مِنَ الإنجاء. **قوله: (يقال:** وفَيتُ له **بالعهد** فأنا واف به، **وأوفيْتُ له بالعهد فأنا مُوفٍ به، والاختيار أَوْفَيْتُ، وعليه نزل التنزيل)** في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي يقال: أوْفى ووَفَى مخففًا ومشدّدًا بمعنًى، وقيل: يقال: أوْفَيْتُ ووفيت بالعهد وأوْفَيْت الكيل لا غير، واللّغات الثلاث وردت في القرآن كما بيّنه المعرب، انتهت بحروفها. وعبارة المعرب يقال: أوْفَى ووفَى ووفّى مشدّدًا ومخففًا ثلاث لغات بمعنًى، وقيل: يقال: أوْفَيْت ووفَيْت بالعهد وأوْفَيْت الكيل لا غير. وعن بعضهم: إنّ اللغات الثلاث واردة في القرآن. أمّا أوفى، فكهذه الآية. وأمّا وفّى ـ بالتشديد ـ فكقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النّجم: الآية ٣٧]. أمّا وَفَى ـ بالتخفيف ـ فلم يصرّح به، وإنما أُخِذَ من قوله تعالى: ﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية ١١١]، وذلك أنّ أفعل التفضيل لا يُبْنى إلّا من الثلاثي، كالتعجّب، هذا هو المشهور. انتهت باختصار. فافهم.

وقوله: (وعليه نزل التنزيل) أي القرآن. في البرهان في علوم القرآن للإمام العلّامة الزركشيّ الشافعي رحمه الله قال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله: اعلم أنّ الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا: سمّاه (كتابًا) فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: الآيتان ١، ٢]، وسمّاه (قرآنًا) فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: الآية ٧٧] الآية، وسمّاه (كلامًا) فقال: ﴿يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦]، وسمّاه (نورًا) فقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، وسمّاه (هدى) فقال: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢]، وسمّاه (رحمة) فقال: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: الآية ٥٨]، وسمّاه (فرقانًا) فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: الآية ١] الآية، وسمّاه (شفاء) فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]، وسمّاه (موعظة) فقال: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونس: الآية ٥٧]، وسمّاه (ذكرًا) فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ [الأنبياء: الآية ٥٠]، وسمّاه (كريمًا) فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: الآية ٧٧]، وسمّاه (عليًّا) فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: الآية ٤]، وسمّاه حكمة فقال: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾ [القمر: الآية ٥]، وسمّاه حكيمًا فقال: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: الآية ١]، وسمّاه (مهيمنًا) فقال: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا﴾ [المائدة: الآية ٤٨]، وسمّاه (مباركًا) فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص: الآية ٢٩] الآية، وسمّاه (حبلًا) فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣]، وسمّاه (الصراط المستقيم) فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: الآية ١٥٣]، وسمّاه (بالقيّم) فقال: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا﴾ [الكهف: الآيتان ١، ٢] وفيه تقديم وتأخير ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف: الآية ١] أي لم يجعله مخلوقًا، وسمّاه (فصلًا) فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾ [الطارق: الآية ١٣]، وسمّاه نبأ عظيم فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ: الآية ١] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: الآية ٢] الآية، وسمّاه (أحسن الحديث) فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: الآية ٢٣]، وسمّاه (تنزيلًا) فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ [الشعراء: الآية ١٩٢]، وسمّاه (روحًا) فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢]،

....

وسمّاه (وحيًا) فقال: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٥]، وسمّاه (المثاني) فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: الآية ٨٧] الآية، وسمّاه (عربيًا) فقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يُوسُف: الآية ٢]. قال ابن عباس: غير مخلوق. وسمّاه (قولًا) فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القَصَص: الآية ٥١] الآية، وسمّاه (بصائر) فقال: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٣] الآية، وسمّاه (بيانًا) فقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٨]، وسمّاه (علمًا) فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الرّعد: الآية ٣٧]، وسمّاه (حقًّا) فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٦٢] الآية، وسمّاه (الهادي) فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى﴾ [الإسرَاء: الآية ٩] الآية، وسمّاه (عجبًا يهدي) فقال: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ﴾ [الجن: الآيتان ١، ٢] الآية، وسمّاه (تذكرة) فقال: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٥٤]، وسمّاه (بالعروة الوثقى) فقال: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٦]، وسمّاه (متشابهًا) فقال: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣] الآية، وسمّاه (صدقًا) فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٣] الآية - أي القرآن -، وسمّاه (عدلًا) فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعَام: الآية ١١٥] الآية، وسمّاه (إيمانًا) فقال: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩٣]، وسمّاه (أمرًا) فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الطّلَاق: الآية ٥]، وسمّاه (بُشرى) فقال: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ [النّمل: الآية ٢]، وسمّاه (مجيدًا) فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البُرُوج: الآية ٢١]، وسمّاه (زبورًا) فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠٥] الآية، وسمّاه (مبينًا) فقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: الآية ١]، وسمّاه (بشيرًا ونذيرًا) فقال: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ﴾ [فُصّلَت: الآية ٤] الآية، وسمّاه (عزيزًا) فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فُصّلت: الآية ٤١] الآية، وسمّاه (بلاغًا) فقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: الآية ٥٢] الآية، وسمّاه (قصصًا) فقال: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يُوسُف: الآية ٣] الآية، وسمّاه أربعة أسامي في آيةٍ واحدة، فقال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عَبَسَ: الآيتان ١٣، ١٤] الآية، انتهى بحروفه.

وذكر مولانا نجم الدّين أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفّى بسمرقند سنة سبع وثلاثين وخمسمائة في خطبة تفسيره المسمّى بـ«تيسير في علم

﴿بِعَهْدِىٓ﴾ بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي، أو من الإيمان (**بنبيّ الرحمة**) والكتاب المعجز. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم. (**والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهَد جميعًا. وعن قتادة: هما: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ و﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾**).

التفسير» مائة اسم من أسماء القرآن أوّله: الحمد لله الذي أنزل القرآن شفاء... الخ. مَنْ شاء فلينظر ثمّه.

قوله: (**بنبيّ الرحمة**) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، وقال عليه السّلام: «إنما أنا رحمة مُهْداة»، والرحمة العطف والرأفة والإشفاق؛ لأنه عليه السلام بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، ولذا كانت أُمّته أُمّة مرحومة؛ لأن النبيّ عليه السلام قال: «ما يُرحم إلا مَنْ رَحِمَ الله». **قوله**: (**والعهد يضاف إلى المعاهِد والمُعاهَد جميعًا**)، فإنّ العهد مصدر، والمصدر قد يُضاف إلى فاعله، وقد يُضاف إلى مفعوله؛ ففي قوله تعالى: (﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾) تكون الإضافة إلى المفعول، فلذا قال: بما عاهدتموني عليه... الخ. وبما عاهدتكم عليه... الخ. **قوله**: (وعن قتادة) بن دعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ البصريّ التابعي، أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله، توفّي سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين رحمه الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (هما: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ [الآية ١٢] و﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ [الآية ١٢]) في تفسير الجلالين في سورة المائدة: (**﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾** [الآية ١٢]) بما يذكر بعد (**﴿وَبَعَثْنَا﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) فيه التفات عن الغيبة أقمنا (**﴿مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) من كل سبط نقيب يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بالعهد توثقةً عليهم، (**﴿وَقَالَ﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) لهم (الله إني معكم) بالعَوْن والنّصرة (**﴿لَئِنْ﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) لام قسم (**﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) نصرتموهم (**﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) بالإنفاق في سبيله (**﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾** [المَائدة: الآية ١٢]) الميثاق (**﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾** [البَقَرَة: الآية ١٠٨]) أخطأ طريق الحقّ. اهـ.

وقال **(أهل الإشارة)**: أوفوا **(في دار محنتي، على بساط خدمتي)**، بحفظ حرمتي، أوف في دار نعمتي، على بساط كرامتي، بسرور رؤيتي. ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ فلا تنقضوا عهدي **(وهو من قولك «زيد رهبته» وهو أوكد في إفادة الاختصاص من** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: الآية ٥]) «وإيَّايَ» منصوب بفعل مضمر دلّ عليه ما بعده وتقديره فارهبوا إياي فارهبون، وحذف الأول لأن الثاني يدلّ عليه. وإنما لم ينتصب بقوله: «فارهبون» لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيد في «زيدًا فاضربه» بـ«اضرب» الذي هو ظاهر.

قوله: (أهل الإشارة) أي أهل السلوك، أي الصوفية رحمة الله عليهم أجمعين. **قوله: (في دار محنتي)** أي في الدنيا. **قوله: (على بساط خدمتي)** أي على الأمر والنهي. **قوله: (وهو من قولك: زيد رهبته)** أي خوّفته، **(وهو أوكد في إفادة الاختصاص من** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]) صيغة أوْكد بكونها للتفضيل تدلّ على أنّ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، كما يفيد التخصيص باعتبار التقديم يفيد تأكيد التخصيص أيضًا، ووجهه كون المفعول المقدَّم ضمير الخطاب، وهو أعرف من ضمير الغائب، فيكون ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] أزيد وأقوى في إفادة التخصيص من إيّاه نعبد؛ إذ ليس في إيّاه نعبد من طُرُق التخصيص سوى تقديم المفعول، وفي ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] طريقٌ زائد على التقديم، وهو كون المقدَّم ضمير الخطاب. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ طرق زائدة على ما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، وهي تكرير المفعول، والفاء الجزائية الدالّة على تضمّن الكلام معنى الشرط؛ كأنه قيل: إن كنتم راهبين شيئًا فارهبون، وكون المفعول المقدَّم ضمير المتكلّم، فإنه أعرف من ضمير المخاطَب؛ لأنه ربما يُدْخِل الالتباس في المخاطب، بخلاف المتكلم. اهـ حاشية شيخ زاده بالتقاط وغيرها. وفي الفتوحات الإلٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة: وهو آكد في إفادة التخصيص من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]؛ لأن إيّاك منصوب بنعبد، فمجموعهما جملةٌ واحدة، وهنا منصوب بارهبوا مقدّرًا لاستيفاء فارهبوا مفعوله، وهو الياء الثابتة في بعض القراءات، فهما جملتان، والتقدير: وإياي ارهبوا فارهبون، فيكون الأمر بالرهبة متكرّرًا. اهـ كرخي. والفاء في

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل: أنزلته مصدقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوّة وأمر محمد ﷺ ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ **(أي أول مَن كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به)**، أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به. **(وهذا تعريض بأنه كان يجب)**

﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ فيها قولان للنحويّين، أحدهما: أنّها جواب أمر مقدّر، تقديره: تنبّهوا فارهبون، وهو نظير قولهم: زيدًا فاضرب، أي تنبّه فاضرب زيدًا ثم حذف تنبّه، فصار: فاضرب زيدًا، ثم قدَّم المفعول اصطلاحًا للفظ لئلّا تقع الفاء صدرًا، وإنما دخلت الفاء لتربط هاتين الجملتين. والقول الثاني في هذه الفاء أنّها زائدة.اهـ سمين. انتهت.

قوله: **(أي أوّل[1] مَنْ كفر به أو أوّل حزب أو فوج كافر به)**... الخ. إنّما أوّله؛ لأن أوّل أفعل تفضيل، وأفعل التفضيل إذا أُضيف إلى النّكِرة كان لتفضيل الموصوف على المضاف إليه بالتفضيل إلى ما هو العدد، فيجب مطابقته له، مثل: هو أفضل رجل، وهما أفضل رجلين، وهم أفضل رجال، وهٰهنا الموصوف جمع والمضاف إليه مفرد، فيجب التأويل في المضاف إليه بحيث يصير جمعًا في المعنى أو في الموصوف بأن يجعل مفردًا ليحصل التطابق، وكلاهما ظاهر. وقوله: بالتفصيل ـ بالصاد المهملة ـ أي بتفصيل جنس المضاف إليه على ما كان الموصوف عليه من العدد، فإذا فصل جنس المضاف إليه رجلًا رجلًا، فالموصوف أفضل من كلِّ واحد واحد، وإذا فصل رجلين رجلين فهما أفضل من كلّ رجلين، وإذا فصل رجالًا رجالًا فهم أفضل من كلّ رجال؛ فيجب مطابقة المضاف إليه للموصوف.
قوله: **(وهذا)** أي قوله تعالى: (﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾)، **(تعريض بأنه)** الضمير للشأن **(كان يجب)**... الخ. وجه التعريض بذلك المعنى أنّ النهي عن

---

(١) إنما قدر هذه التقادير لما أن خبر كان مفرد لفظًا، والاسم جمع أي كافر لفظه واحد وهو في معنى الجمع، أي أول الكفار أو هو نعت لمحذوف، ولذلك أتى بلفظ التوحيد والخطاب لجماعة. ١٢ منه عُفِي عنه.

أن يكونوا أول مَن يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، والضمير في «به» يعود إلى القرآن. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ (**ولا تستبدلوا**). ﴿بِآيَاتِي﴾ بتغييرها وتحريفها. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال (**الحسن**): هو الدنيا (**بحذافيرها**). وقيل: و الرياسة التي كانت لهم في قومهم (**خافوا عليها**) الفوات لو اتبعوا رسول الله. (﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ **فخافوني**) «فارهبوني» «فاتقوني» بالياء (**في الحالين**) وكذلك كل ياء محذوفة في الخط: (**يعقوب**).

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (**لبس الحق بالباطل خلطه**).

الشيء إيجاب الضدّ. في حاشية مولانا عبد الحكيم على تفسير القاضي البيضاوي: التعريض أن تذكر شيئًا يدلّ به على أمرٍ لم تذكره، فيكون اللّفظ مستعملًا في معنى إمّا حقيقةً أو مجازًا أو كناية، ويكون الآخر المعرّض به مفهومًا سياقًا وإشارة، فهو من مستتبعات التركيب يَصْدُق عليه أنه شيءٌ لم تذكره، انتهت. وقال ابن الأثير في «المثل السائر»: التعريض هو اللّفظ الدالّ على معنًى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازيّ، بل مِنْ جهة التلويح والإشارة، فيختصّ باللفظ المركّب؛ كقول مَنْ يتوقّع صلته: والله إني لَمُحتاج، فإنه يعرض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقةً ولا مجازًا، وإنّما فُهِمَ هذا المعنى من عرض اللفظ، أي جانبه، انتهى.

قوله: (**ولا تستبدلوا**) دفع به ما يقال الباء في حيِّز الشراء تدخل على المأخوذ، وهنا دخلت على المتروك؛ فأجاب بأن الشراء بمعنى الاستبدال، وهي في حيِّزه تدخل على المتروك، وفي الكرخيّ: وهي في حيّزه تدخل على العِوَضين.اهـ. **قوله**: (**الحسن**) البصري رحمة الله عليه. **قوله**: (**بحذافيرها**) أي بأسرها، يعني بجميعها. **قوله**: (**خافوا عليها**) خبر بعد خبر لكانت، أو صلة بعد صلة. **قوله**: (﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ **فخافوني**) في ذلك دون غيري. **قوله**: (**في الحالَين**) أي الوصل والوقف. **قوله**: (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة.

قوله: (**لبس الحق بالباطل: خلطه**) اللَّبْس - بالفتح - مصدر لَبَس - بفتح الباء - أي خلط. وأمّا اللُّبْس - بالضمّ - فمصدر لَبِس - بكسر الباء - من لَبِس الثوب. وأمّا بالكسر، فهو اللّباس، قاله الجوهري. وفي المصباح: لبس الثوب من

والباء، إن كانت (صلة) مثلها في قولك: «لبست الشيء بالشيء» خلطته به، كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها (**فيختلط**) الحق المنزّل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميّز بين (**حقها**) وباطلكم. وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك «كتبت بالقلم»، كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسًا مشتبهًا (**بباطلكم الذي تكتبونه**). ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا، أو منصوب بإضمار «أن»، (**والواو بمعنى الجمع**)، أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن». (**وهما أمران متميزان**)، لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا (**من كِتْبتهم**) في التوراة ما ليس منها، وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد (**أو حكم كذا**) ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ في حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون (**وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه**).

باب تعب لُبسًا ـ بضم اللام ـ واللّبس ـ بالكسر ـ واللّباس ما يُلْبس، ولَبِسْت عليه الأمر لَبْسًا من باب ضرب: خلطته، وفي التنزيل: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٩]، والتشديد مبالغة. وفي الأمر: لُبس ـ بالضم ـ ولبسة أيضًا، أي إشكال، والْتَبَس الأمر أشكل، ولَابَسْته بمعنى خالطته. اهـ. **قوله**: (صِلة) أي مُوصِلة ومعدّية للفعل؛ لأن الصّلة كما تُستعمل بمعنى الزّائد تُستعمل بمعنى المعدّى. **قوله**: (**فيختلط**) جواب لا تكتبوا. **قوله**: (**حقها**) أي التوراة **قوله**: (**بباطلكم**) أي بسبب باطلكم (**الذي تكتبونه**) فيه تنبيه على أنّ اللام في الباطل للعهد المعلوم. **قوله**: (**والواو بمعنى الجمع**) أي بمعنى مع، وهذه الواو كما تسمّى واو الجمع تسمّى أيضًا واو الصرف؛ لأنها تصرف المعطوف عن إعراب المعطوف عليه، وتصرف عن الجمع بينهما. **قوله**: (**وهما أمران متميزان**)... الخ. جواب سؤال، وهو أن يقال: كيف نهوا عن الجمع بينهما، وهما ليسا بفعلين متميّزين؟ لأنهم إذا لبسوا الحقّ بالباطل، فقد كتموا الحقّ.

قوله: (من كِتْبتهم) في المصباح: كتب كتبًا من باب قتل، وكتبته ـ بالكسر ـ وكتابًا، والاسم الكتابة؛ لأنها صناعة كالتجارة والعطارة. اهـ. **قوله**: (**أو حكم كذا**) وهو حكم الزاني المُحصن ورجمه، كما سيجيء حديثه. **قوله**: (وهو) أي الكتمان مع العلم (**أقبح لهم**) مع الجهل؛ (**لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مُرْتكبه**)،

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **أي صلاة المسلمين وزكاتهم.** ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ **منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم)** أي أسلموا واعملوا عمل أهل

ومع العلم لا يُعْذَر، أي أن الجاهل بقُبْح ما صنعه قليلًا ما يُعْذَر، وهذا فيما لم يعلم كونه من الدِّين ضرورةً. وأمّا إذا عَلِم كونه من الدِّين ضرورةً، فالجهل ليس بعذر بخلاف العالم، فإنه لا يُعذر أصلًا، ولذلك قال عليه الصّلاة والسّلام: «للجاهل ويلٌ، وللعالم سبعين ويلًا». ومقصوده بهذا الكلام بيان إيراد أنّ الحال ليس لتقييد النهي به، بل الزيادة تقبيح حالهم.

قوله: (﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، **أي صلاة المسلمين**) أي الصلاة المفروضة على المسلمين، (**وزكاتهم** ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ **منهم**) أي المسلمين، يريد أنّ اللام في الصلاة والزكاة والراكعين للعهد الخارجي، وفيه دليل على أن الكفار مخاطَبون بالفروع، كما ذهب إليه الشافعي والعراقيون من أصحاب الحنفيّة، والمراد أنّهم مخاطَبون بوجوب الأداء في الدنيا، وهو المتنازَع فيه. وأمّا في حقِّ المؤاخذة في الآخرة، فمخاطَبون اتّفاقًا. ولا خلاف أيضًا في عدم جواز الأداء حال الكفر، ولا في عدم وجوب القضاء بعد الإسلام. وثمرة الخلاف تظهر في أنهم هل يُعاقبون في الآخرة بترك العبادات زيادةً على عقوبة الكفر، كما يُعاقَبون بترك الإيمان والاعتقاد، أو لا؟ وأمّا المؤاخذة بترك اعتقادها، فلا خلاف فيها، والتفصيل في فنّ الأُصول. وعند عامّة مشائخ ما وراء النهر من الحنفيّة لا يخاطَبون بأداء ما يحتمل السقوط من العبادات، وإليه ذهب القاضي أبو زيد والإمام شمس الأئمّة فخر الإسلام رحمه الله، واختاره صاحب التنقيح والتوضيح وسائر المتأخرين. وأقيموا: أصله أقوموا وزنه افعلوا كأكرموا، ثم أُعِلّ بالقلب بعد النقل، كما أُعِلّ الماضي بالقلب. وقوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الأصل: آتيوا اسْتُثْقِلت الضمّة على الياء، فأُزيلت بأن أُلْقِيت على التاء بعد حذف حركتها، أو حُذِفت حذفًا وضُمّت التاء لتصحّ الواو، وألف صلاة وزكاة منقلبة عن واو؛ لقولهم في جمعهما: صلوات وزكوات. **قوله**: (**لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم**) تعليلٌ لاختصاص الركوع بالذِّكر، مع أنه داخل في الأمر بإقامة الصلاة، فإنهم كانوا

الإسلام. وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبّر عنها بالسجود. **(وأن يكون)** أمرًا بالصلاة مع المصلّين **(يعني في الجماعة)**، أي صلّوها مع المصلّين لا منفردين.

يصلّون ولا يركعون فيها؛ فعبَّر عن الصلاة بركنها المختصّ بصلاة المسلمين تحريضًا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين.

قوله: **(وأن يكون)** عطف تفسير. **قوله**: **(يعني في الجماعة)**... الخ. مبنيّ على أن المراد بالركوع الصلاة على طريق تسمية الكلّ باسم الجزء، فإنه قد يعبّر عنها بالسجود أو القيام أو التسبيح أيضًا بهذا الطريق، ولمّا ورد أن يقال على تقدير أن يكون المراد من الركوع الصلاة يكون المعنى: صلّوا مع المصلِّين، فيلزم التّكرار؛ لأنه قد أمر بالصلاة أوّلًا بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أشار إلى جوابه بقوله: أي يعني في الجماعة... الخ. يعني أنّ الأوّل أمر بإقامة الصلاة، والثاني أمرٌ بفعلها في الجماعة، فلا تكرار. في حاشية شيخ زاده رحمه الله قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله في شرح التأويلات: في الآية دلالة على وجوب أداء الصلوات المكتوبات بالجماعة؛ لأن الركوع مع الراكعين يكون في حال المشاركة مع الراكعين في الركوع، فتكون إقامة الصلاة بالجماعة مأمورًا بها، والأمر المُطْلق للوجوب. وأجاب عنه السعد التفتازاني رحمه الله بأنهم كانوا يصلّون وحدانًا فأُمروا بأن يصلّوا مع النبيّ ﷺ وأصحابه بالجماعة للمنع مما كانوا عليه من عادة الانفراد، فيكفي في ذلك كونها سنّة مؤكّدة يمنع من الاعتياد بتركها، ويقاتَل على الإصرار عليه، انتهت.

قلت: والمشهور في مذهبنا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنّ الجماعة سنّة مؤكّدة، ورجَّح بعضهم كونها واجبة، وذهب الطحاوي والكرخي منّا إلى كونها فرض كفاية. وفي تفسيرات الأحمدية: في بيان الآيات الشرعية في مسألة فرضيّة الصلاة والزكاة والركوع ووجوب الجماعة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ اعلم أنّ هذا خطاب لأهل الكتاب بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع في الصّلاة، فقد دلّ لكونه أمرًا على وجوبها. وحاصل الخطاب أمرهم باتّباع المسلمين بأداء صلاة المسلمين، أي إلى الكعبة، وزكاتهم وركوعهم في الصلاة كركوع المسلمين؛ لأن اليهود لم يكن لهم ركوع

....

وسجود، بل مجرّد القيام، وكان على ذلك نبيّنا عليه السلام سنين. ثم زاد الركوع والسجود بقوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ [الآية ٧٧] على ما يأتيكم في سورة المزمّل إن شاء الله تعالى.

فرضيّة الصلاة والزكاة في ديننا من أجلى البديهيّات لا يحتاج إلى دليل، وقد كرّرها الله تعالى في كتابه بغير نهاية. وأمّا الصلوات الخمس المعهودة، فقد ذكرها في عدّة مواضع يأتي عليك بيان أركانها وشرائطها. وكذا زكاة الذهب والفضّة وبيان مصارفها أيضًا يُعلم مما سيأتي. والصلاة في اللغة الدعاء، ونُقِل في الشرع إلى أركان معلومة، فهي حقيقة لغويّة في الدعاء مجاز في الأركان، وحقيقة شرعيّة في الأركان مجاز في الدعاء، كما تقرّر في كتب الأُصول. والزكاة في اللغة الطهارة أو النَّماء، ونقل في الشرع إلى إيتاء جزء مقدّر من النصاب بشرط الفراغ والحَوْل، والركوع في اللغة الانحناء؛ كما أن السجود وَضْع الجبهة على الأرض، وهذا القدر هو المفروض عندنا. وأمّا التعديل، فواجب ثبت بخبر الواحد، فيُراعى منزلته لا أن يُجْعل فرضًا، كما ذهب الشافعي رحمه الله وغيره. وقيل: هذا أمر بالجماعة عبّر بالركوع عن الصلاة، أي صلّوا مع المصلّين بالجماعة، واختاره البيضاوي، ويشكل الأمر حينئذ على مذهبنا؛ لأن الجماعة عندنا سنّة مؤكّدة ليست بواجبة ولا مندوبة ولا مُباحة، إلّا أن يقال: إنّها قريبة من الواجب، كما صرّح به في الفقه. أو يقال: النّدب لا يدلُّ على نفي ما فوقه، فيجعل السنّة فردًا من أفراده. أو يقال: إنّ الآية وإنْ دلّت على فرضيّة الجماعة لكنها قدرة بالغير لتوقّفها على الإمام والمقتدي والقدرة بالغير لا يعتبر ولا يكلّف بها المَرْء، فترك به ظاهر الكتاب. ولكن ينقض بالجمعة، فإنّ الجماعة فيها فريضة مع توقّفها على الغير. وأُجيب بأنّ انعقاد الجمعة بعد وجود الجماعة، وحينئذ لا قدرة بالغير، وفيه كلام ذكره ظاهر الشريعة. وقال الإمام الزاهد قيل: إنّهم كانوا يصلّون فرادى، فأُمِرُوا بأن يصلّوا مع المؤمنين بالجماعة؛ فدلّت الآية على وجوب الجماعة، حيث قال: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ دون كالراكعين، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُعَراء: الآية ٢١٩]؛ فالجماعة في الصلوات الخمس واجبة بهذه الآية، وفي الجمعة فريضة بقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] الآية، هذا ما فيه وعليك

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

(والهمزة في ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ **للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم.** ﴿بِٱلْبِرِّ﴾) أي سعة الخير والمعروف ومنه **(البَر)** لسعته، **(ويتناول كل خير)**

بالتأمّل ليظهر الفرق. وقيل: معنى ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ وانقادوا معهم واخضعوا، صرّح به صاحب الكشاف والقاضي. ثم إنه تمسّك القاضي بهذه الآية على أنّ الكفار يخاطبون بالعبادات، أي بأدائها، كما هو مذهب الشافعي. ونحن نقول: إنّ الكفار يخاطَبون بالأمر بالإيمان والمعاملات والعقوبات وبالعبادات في حكم المؤاخذة في الآخرة، لا في حقّ الأداء في الدنيا. وأمّا الآية، فقد أشار إلى جوابها صاحب المدارك، حيث قال: أي أسلموا واعملوا عمل أهل الإسلام. ولا يردّ عليه أنّ الإيمان أصل العبادات، فكيف يجعل مقتضى تبعًا لها؛ لأن الإيمان مذكور صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤١]، انتهت بحروفها.

قوله: (الهمزة في ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ **للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم)** في الحواشي السعدية: التقرير عندهم يقال للحمل على الإقرار والإلجاء عليه وللتحقيق والتثبيت، وكلاهما مناسب هٰهنا. وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المَائدة: الآية ١١٦] تقرير بالمعنى الأوّل حيث حمله على أن يقرّ أنه لم يقل ذلك، وفي قوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: الآية ٣٦] تقريرٌ بالمعنى الثاني، فإنه تحقيق للحكم وتثبيت له، أي جوّزوا على ما فعلوا؛ فقوله: (﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾) إن حُمِل على التقرير بالمعنى الأوّل يكون المقصود مِنْ حَمْلِهم على الإقرار بما فعلوا التوبيخ على ذلك الفعل والتعجّب مِنْ تجاسرهم عليه، فإنّ إهمال المَرْء نفسه مع سَعْيه في سعادة غيره أمرٌ عجيب، وكذا إنْ حُمِل على التقرير بالمعنى الثاني، فإنّ تحقيق ما فعلوه توبيخٌ لهم، بمعنى لا ينبغي لأحدٍ من العقلاء أن يفعل ذلك، وتعجيبٌ بمعنى أنه لغاية فظاعته كأنه من شأنه أن يعجب منه كل أحد.

وقوله: (تعجيب) التعجيب إيقاع السامع في العجب. **قوله: (البَرّ)** بفتح الباء ضدّ البحر: الفضاء الواسع. **قوله: (ويتناول كل خير)** يعني أن لفظ البر يُطلق

ومنه قولهم: («صدقت وبررت». **وكان الأحبار**) يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم (**باتباع محمد**) عليه السلام (**ولا يتبعونه**). وقيل: (**كانوا يأمرون بالصدقة**) ولا يتصدقون (**وإذا أتوا**) بالصدقات (**ليفرقوها**) خانوا فيها. ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (**وتتركونها من البر كالمنسيات**).

على كل خير لأنهم يأمرونهم بكلّ خير ولا يفعلونه. **قوله**: (**صدقت وبررت**) قيل: هذه الكلمة للمؤذن إذا قال: الصلاة خيرٌ من النوم، **وقوله**: (**بررت**[1]) بفتح الراء الأُولى وكسرها؛ كذا في مراقي الفلاح عطف تفسير على ما قبله من برّ في كلامه إذا صَدَق وبَرَّ في يمينه إذا حَفِظها. **قوله**: (**وكان الأحبار**) أي علماء اليهود في حاشية مولانا عبد الحكيم على البيضاوي: الأحبار جمع حَبر ـ بالفتح ـ وهو العالم لما يبقى من أثر علمه في قلوب الناس، وآثار أفعاله الحسنة لمُقْتديها من الحبر ـ بالكسر ـ وهو الأثر المُستحسن، انتهت.

قوله: (**باتّباع محمّد** ﷺ)؛ فعلى هذا البرّ بمعنى الإيمان. **قوله**: (**ولا يتبعونه**) أي الأحبار محمّدًا ﷺ. **قوله**: (**كانوا**) أي أحبار اليهود (**يأمرون بالصدقة**)... الخ. فعلى هذا البرّ بمعنى الإحسان. **قوله**: (**وإذا أُتُوا**) على صيغة المجهول. **قوله**: (**ليفرقوها**) أي ليقسموها على الفقراء. **قوله**: (﴿وَتَنسَوْنَ﴾) أصله تنسيون، ووزنه تفعلون، وماضيه على فعل كعلم فقُلِبت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، ثم حُذِفت لسكونها وسكون واو الجمع بعدها، وبقيت فتحة السين قبلها تدلّ عليها.

قوله: (**وتتركونها من البرّ كالمنسيّات**) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ استعارة[2] تبعيّة بمعنى تتركونها عن حملها على ما فيه صلاحها ونفعها، كالشيء المنسيّ بناءً على تشبيه ترك أنفسهم عن الحمل على الخير بالنسيان، من حيث إنّ كل واحدٍ منهما يستلزم إهمال متعلّقه وعدم رعاية حقّه، فاسْتُعِير له اسم النسيان ثم

---

(١) بررت بالفتح بمعنى أتيت بخير، وبالكسر ضد العقوق. ١٢ منه عم فيضه.

(٢) الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمان، لأن اللفظ المستعار إن كان اسم جنس؛ فالاستعارة أصلية كأسد وقتل، أي نحو قولك: رأيت أسدًا في الحمام، أي رجلًا شجاعاً، وقولك: هذا قتل أي ضرب عظيم، وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس؛ فالاستعارة تبعية كالفعل وما يشتقّ منه والحرف. ١٢ منه.

(﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **تبكيت**) أنتم تتلون التوراة (**وفيها نعت محمد** عليه السلام **أو فيها الوعيد**) على الخيانة وترك البرّ ومخالفة القول العمل. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى (**يصدّكم**) استقباحه عن ارتكابه (**وهو توبيخ عظيم**).

اشْتُقَّ منه تنسون بمعنى تتركون، وإنما حُمِل على المجاز لتعذّر حمله على الحقيقة؛ لأن الإنسان لا ينسى نفسه من حيث إن علمه بنفسه علمٌ حضوريّ لا يغيب عنه، وفائدة الاستعارة المبالغة والإيذان بأنهم تركوا تذكير أنفسهم ترك المنسيّ الذي لا يخطر بالبال، والنسيان زوال الشيء عن الحفظ، وهو ضربان: إغفالٌ بغير قصد من صاحبه، وهو المعفوّ عنه بقوله ﷺ: «رُفِعَ عن أُمّتي الخطأ والنسيان». وإغفال بقصد من صاحبه، وهو أن يترك مراعاة المحفوظ حتى يذهب عنه، وهو المذموم بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٦]، وبقوله عليه الصّلاة والسلام: «مَنْ حَفِظ القرآن ثم نَسِيه لقي الله تعالى وهو أجذم»، ولما ورد هذا الخبر عن النبيّ ﷺ كره ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، وقال: ليقل: أُنسِيت.

قوله: (**تبكيت**) أي إلزام للحجّة وإسكات، وفيه إشارة إلى أنّ قوله تعالى: (﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾) جملة اسمية في محل النصب على أنها حال من ضمير تنسون ذُكِر للتبكيت وزيادة التقبيح وإلزام الخصم لا للتقييد والاحتراز؛ كقوله(١): ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢]. **قوله**: (**وفيها نعت محمّد** ﷺ) هذا على تقدير أن يكون المراد من الآية الوجه الأوّل، وهو أن الأحبار كانوا يأمرون باتّباع محمّد ﷺ.

قوله: (**أو فيها الوعيد**)... الخ. هذا على تقدير أن يكون المراد الوجه الثاني، وهو أنهم يأمرون بالصدقة ولا يتصدّقون، وإذا أتوا بالصدقات ليفرّقوها خانوا فيها. **قوله**: (**يصدّكم**) أي يمنعكم. **قوله**: (**وهو توبيخٌ عظيم**) بعد التبكيت.

---

(١) فإن التقيد فيه للإلزام لا للاحتراز. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ على **(حوائجكم إلى الله)** ﴿بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ أي بالجمع بينهما **(وأن تصلّوا)** صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها **(من إخلاص)** القلب ودفع الوساوس الشيطانية **(والهواجس)** النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع **(واستحضار العلم بأنه انتصاب)** بين يدي **(جبار السمٰوات والأرض، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر)** عليها والالتجاء إلى الصلاة عند **(وقوعها، وكان)** رسول الله ﷺ **(إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)**.

قوله: (إلى الله) متعلّق بقوله **(حوائجكم)**. **قوله**: **(وأن تصلّوا)** عطف تفسيريّ. **قوله**: (من إخلاص) بيان ما. **قوله**: **(والهواجس)** أي الخواطر. في المصباح: هجس الأمر بالقلب هجسًا من باب قتل وقع وخطر، فهو هاجس. اهـ. **قوله**: **(واستحضار العلم)** دلّ عليه قوله: ﴿يَظُنُّونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٦]؛ لأن الظنّ هنا بمعنى العلم. وفي مصحف عبد الله: يعلمون **(بأنه)** الضمير راجع إلى الصلاة والتذكير باعتبار[1] الخبر، لا إلى الجمع كما ظنّ **(انتصاب)** تفسير لقوله: ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٦]، وقوله: انتصاب، أي قيام. في غياث اللغات: انتصاب بر پاشدن. اهـ. **قوله**: **(جبار السمٰوات والأرض)** أي مُصْلِحهما ومُصلح أُمور أهلهما، أو مقهر كلّ مَنْ فيهما. **قوله**: **(أو استعينوا على البلايا)**... الخ. **عطف** على قوله: (﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾) على حوائجكم إلى الله. **قوله**: **(والنوائب)** في المصباح: النائبة النّازلة، والجمع النوائب. اهـ. وأيضًا فيه: النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس. اهـ. **قوله**: **(بالصبر)** دلّ عليه الصبر مفتاح الفرج. **وقوله**: **(وقوعها)** أي البلايا. **قوله**: **(وكان)**... الخ. أخرجه أحمد وأبو داود. **وقوله**: **(إذا حزبه أمر)** بالباء الموحدة بعد الزاي المعجمة والحاء المهملة، بمعنى أهمّه ونزل به هَمٌّ وغمّ. وفي رواية: إذا حزنه ـ بالنون ـ من حزنه يُحزنه من الباب الأوّل، وهو متعدٍّ. ومن الباب الرابع لازم، ومآل الروايتين واحد. **وقوله**: **(فَزِع إلى الصلاة)** أي قام لها ملتجأً إليها، والمعنى التجأ إليها واستعان بها على دَفْع الهمّ والحزن، وهذا مراد المصنّف رحمه الله تعالى من رواية هذا الحديث الشريف.

---

(١) أعني انتصاب. ١٢ منه عم فيضهم.

(وعن ابن عباس) ﷺ أنه (نعى إليه أخوه قُثَمُ وهو) في سفر (فاسترجع) وصلّى ركعتين (ثم قال: «﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾). وقيل: الصبر الصوم لأنه

قوله: (وعن ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما، أنه (نُعِيَ إليه أخوه) قُثَم، أي أخبر ابن عباس بموت أخيه قُثَم. في محيط المحيط: نعاه له يَنْعاه نَعْيًا ونُعِيًّا ونُعْيانًا (يائي) أخبره بموته.اهـ. **وقوله**: (قُثَم) عَلَم معدول عن قاثم، وهو كثير العطاء من قَثَم له من المال إذا أعطاه دُفعة من المال جيّدة. وفي الأساس: رجل قُثَم معطاءٌ، وقيل لقثم بن العباس: ما قيل لك قثمٌ إلّا لأنّك قثم. وفي تهذيب الأسماء: قُثَم بن العباس بن عبد المطّلب الهاشميّ ابن عمّ رسول الله ﷺ، أُمّه أُمّ الفضل (وكانت أوّل امرأة أسلمت بمكّة المكرّمة بعد خديجة رضي الله تعالى عنهما، قاله الكلبي)، وهو صحابيّ، وقد غلط بعضهم فذكره في التابعين، والصواب أنه صحابي، وكان قُثَم آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ (لأنه كان آخر مَنْ خرج من قبره ﷺ ممّن نزل فيه، قاله عليّ وابن عباس ﷺ). روينا في مسند أحمد بن حنبل بإسنادٍ حسن عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فلمّا فرغ من عمرته سأله نفر من أهل العراق، فقال: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنه كان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، قالوا: أجل عن هذا جئنا نسألك، فقال: أحدث الناس عهدًا قُثم بن عباس، ولمّا وُلّي عليّ الخلافة ولّى قُثَم مكّة، فلم يزل عليها حتى قُتِل عليّ رضي الله عنه، قاله خليفة بن خياط. وقال الزبير: استعمله عليّ على المدينة ثم سار أيام معاوية إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان، فاستشهد بها ولم يعقّب قُثم، وكان يشبه النبيّ ﷺ. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: أنّ النبيّ ﷺ حمل قُثَم بين يديه، أي على مركوبه. قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: الصحيح أنّ قُثَم توفّي بسمرقند وقبره بها، وقيل: بمَرْو، وقال: كان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، وحديث أُمّ الفضل ناطقٌ بذلك، ثم رواه بأسانيد كثيرة، وكان أخا الحسين بن عليّ من الرضاعة، انتهى بزيادة يسيرة من أسد الغابة.

قوله: (وهو) أي ابن عباس رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (فاسترجع) أي قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. **قوله**: (ثم قال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾) دلّ

حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر. وقيل: الصلاة الدعاء أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه. (﴿وَإِنَّهَا﴾) الضمير للصلاة أو (**للاستعانة**. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾) لشاقة ثقيلة من قولك («**كبر عَلَيَّ هذا الأمر**» ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾) لأنهم يتوقعون ما (**ادخر**) للصابرين على (**متاعبها فتهون**) عليهم، (**ألا ترى**) إلى قوله:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ **أي يتوقعون لقاء ثوابه**) ونيل ما عنده

قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على أن المراد من الاستعانة بالصبر والصلاة الاستعانة على البلايا والنوائب بالصبر والالتجاء إلى الصلاة. وفي أسد الغابة: أنبأنا يحيىٰ بن محمود بن سعد إجازة بإسناده عن أبي بكر بن أبي عاصم، قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا إسمٰعيل بن عليّة، عن عُيَيْنة بن عبد الرحمٰن، عن أبيه أنّ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نُعِيَ إليه أخوه قُثَم، وهو في منزله، فاسترجع وأناخ عن الطريق، فصلّى ركعتين، فأطال فيهما الجلوس، ثم قام إلى راحلته وهو يقرأ: (﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾)، ولم يُعْقَبْ قُثَم، أخرجه الثلاثة، أعني ابن منده وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البرّ. عُيَينة: بالياء تحتها نقطتان مكرّرة ونون.اهـ. **قوله**: (**للاستعانة**) بالصبر والصلاة. **قوله**: (كبُر[1] **عليّ هذا الأمر**) أي عَظُم، يقال: كَبُر الشيء يكبر ـ بالضم ـ فيهما إذا عَظُم، فهو كبير. **قوله**: (**ادَّخَرَ**) في المصباح: ذخرته ذخرًا من باب نفع، والاسم الذُّخر ـ بالضم ـ إذا اعتددته لوقت الحاجة إليه، وأذخرته على افتعلت مثله، وهو مذخور وذخيرة أيضًا، وجمع الذُّخر إذْخار، مثل قفل وأقفال، وجمع الذخيرة ذخائر.اهـ. **قوله**: (**متاعبها**) أي الصلاة. **قوله**: (**فتهون**) في المصباح: هانَ الشيء هَوْنًا من باب قال لانَ وسَهُل، فهو هيِّن. ويجوز التخفيف، فيقال: هَيْن لَيْن، وأكثر ما جاء المدح بالتخفيف.اهـ.

قوله: (**ألا ترى**) دليلٌ **على** قوله: فتهون. **قوله**: (**أي يتوقّعون لقاء ثوابه**) لا نزاع في امتناع مُلاقاة الله تعالى على الحقيقة، لكن القائلين بجواز الرؤية

---

(١) في المصباح: كبر الشيء كبرًا من باب قرب عظم.اهـ منه عُفِي عنه.

ويطمعون فيه. وفسّر «يظنون» بـ«يتيقنون» **(لقراءة عبد الله «يعلمون»)**، أي **يعلمون** أنه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون **(على حسب ذلك)**، وأما مَن لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة. والخشوع **(الإخبات والتطامن)** وأما

يجعلونها مجازًا عنها حيث لا مانع، كما في حقّ الكفار والمنافقين. وأمّا مَنْ لا يجوّز الرؤية، فيفسّرها بما يناسب المقام؛ كلقاء الثواب خاصّة، أو الجزاء مطلقًا، أو العلم المُحقق الشبيه بالمشاهدة والمعاينة، فإنْ حُمِل الظنّ على التوقع والطمع، فمعنى ملاقاته لقاء الثواب ونَيْل ما عند الله من الكرامة؛ لظهور أن لا قطع بذلك، فإنّه وإنْ علم أنّه لا بدّ من الجزاء مطلقًا، لكن مِنْ أين يعلم بما يختم به عمله حتى يعلم لقاء كرامته وثوابه؟ فلا بدّ من حمله على التوقّع، ولا بدّ على هذا التقدير مِنْ عامل ينصب قوله: (﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾)؛ لأن المراد به رجوعهم إلى المحشر بعد الموت والبعث، وهو متيقّن عند الخاشعين، وليس بمتوقّع محض؛ فلا وجه لجعله معمولاً لقوله: (﴿يَظُنُّونَ﴾) بمعنى يتوقّعون، بل يقدّر مثل يعلمون أو يتيقّنون على طريقة قوله: علفتها تبنًا وماءً باردًا، أي وسقيتها ماءً باردًا. وإنْ حُمِل على التيقّن أو قرئ يعلمون بدل يظنّون، فمعناه ملاقاة الجزاء، فإنّ هذا ينبغي أن يكون مقطوعًا به عند المؤمن؛ لأن التردّد في يوم الجزاء كفرٌ لا يصلح أن يُذكر في معرض المدح، كما في هذا المقام. **قوله**: **(لقراءة عبد الله)** بن مسعود رضي الله عنه: **(يعلمون)** مكان يظنّون، وهي قراءة شاذّة. **قوله**: **(على حسب ذلك)**، في محيط المحيط: الحَسَب المحسوب، وهو فَعَل بمعنى المفعول، مثل عدد بمعنى معدود، ونَقَض بمعنى منقوض، ومنه قولهم: ليكن عملك بحسب ذلك، أي على وفاقه وعدده. قال الكسائي: ما أدري ما حسَب حديثك، أي ما قدره، وربما يسكن في ضرورة الشعر. اهـ. وفي المصباح: وقولهم: يجزى المَرْء على حسب عمله، أي على مِقْداره. اهـ. **قوله**: **(الإخبات)** في المصباح: أخْبت الرجل إخباتًا خضع لله وخشع قلبه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: الآية ٣٤]. اهـ. **قوله**: **(والتطامن)** وهو التسفّل الحسّي والمَيْل إلى الأرض المطمئنة، ولذلك يقال: طامن ظهره، أي أماله وسفله. **قوله**: **(فاللّين)** في محيط المحيط: لأن الشيء يَلِين لِينًا ولِيانًا ولِينَة ضد خَشُن، أو ضدّ صَلُب، والاسم اللّيَان فهو ليّن ولَيْن كهيّن وهَيْن، أو المخفّفة في المدح خاصّة. اهـ.

الخضوع (فاللين) والانقياد. (وفسّر اللقاء بالرؤية) وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف. ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (التكرير للتأكيد) ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ نصب عطف على «نعمتي» أي اذكروا نعمتي (وتفضيلي). ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (على الجمّ الغفير من الناس) يقال: «رأيت عالمًا من الناس» والمراد الكثرة.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ أي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف. ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ مؤمنة. ﴿عَن نَّفْسٍ﴾ كافرة ﴿شَيْـًٔا﴾ (أي لا تقضي عنها) شيئًا من الحقوق التي لزمتها. و«شيئًا» مفعول به (أو مصدر) أي قليلًا من الجزاء، والجملة منصوبة المحل صفة «يومًا» والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ («ولا تقبل» بالتاء: مكيّ وبصريّ)، والضمير في «منها» يرجع إلى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة، وقيل: كانت اليهود تزعم أن آبائهم

قوله: (وفسّر اللقاء بالرؤية) اللّقاء، وهو مقابلة الشيء ومصادمته معًا ممتنع في شأنه تعالى، فأوّل أهل السنّة بالرؤية بلا كيف. **قوله**: و(﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾) أي وفسّر ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾.

قوله: (التكرير للتأكيد) والتكرير للتأكيد حَسَن شائع في كلام العرب. **قوله**: (وتفضيلي) عطف الخاص على العام. **قوله**: (على الجمّ الغفير من الناس) يعني ليس المراد بالعالمين جميع ما سوى الله تعالى ليلزم تفضيلهم على الملائكة، ولا جميع الناس ليلزم تفضيلهم على نبيّنا ﷺ؛ فعلى هذا يكون من إطلاق الكلّ على الكَثْرة، والجمّ الكثير والغفير من الغفر، وهو التغطية والستر، يقال: جاء القوم جماءً غفيرًا، والجماء الغفير، وجَمًّا غفيرًا أي مجتمعين كثيرين.

قوله: (أي لا تقضي عنها) أي عن نفسٍ كافرة. **قوله**: (﴿ولا تقبل﴾ بالتاء، مكّي وبصري) أي: ولا تقبل بالتاء أي المنقوطة من فوق، قرأه ابن كثير المكّي،

الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، **(وتشبث)** المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود لأن المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام **(«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها»)**. ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فدية لأنها **(معادلة)** للمفدى. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعاونون وجمع **(لدلالة النفس المنكرة)** على النفوس الكثيرة، **(وذكر لمعنى العباد أو الأناسي)**.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ **(أصل آل أهل)** ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت

وأبو عمرو البصري. **قوله**: **(أو مصدر)** أي مفعول مطلق. **قوله**: **(وتشبّث)** أي تعلّق. **قوله**: **(شفاعتي)** الإضافة بمعنى أل العهديّة، أي الشفاعة التي أعطانيها الله عزّ وجلّ، ووعدني بها ادَّخرتها **(لأهل الكبائر)** الذين استوجبوا النار **(من أُمّتي)** ومَنْ شاء الله تعالى يشفع لقوم في أن لا يدخلوا النار، ولآخرين دَخلوها أن يخرجوا منها، ولا ينافيه قوله عليه السلام: «إنّ الله أبى عليَّ في مَنْ قَتَل مؤمنًا»؛ لأن المراد المُستحلّ، أو للزجر أو للتنفير **(من كذب بها)** في الدنيا **(لم ينلْها)** وفي رواية: «فمَنْ لم يؤمن بها لم يكن مِنْ أهلها»، أي لم تَنَلْه في ذلك الموقف الأعظم عقوبة له على إنكاره ما هو الحقّ الثابت عند أهل السنّة والجماعة. **قوله**: **(معادلة)** أي مُماثلة. **قوله**: **(لدلالة النفس)** الثانية **(المنكرة)** الواقعة في سياق النفي. **قوله**: **(وذكر لمعنى العباد أو الأناسي)** جواب عمّا يقال: لو عاد الضمير إلى النفوس المذكورة معنًى، لكان المناسب أن يقال: ولا هنّ ينصرن بتأنيث الضمير، وأجاب عنه بأنّ تذكير الضمير مبنيّ على تأويل النفوس بالعباد أو الأناسي، كما تقول: ثلاثة أنفس، بالثاء مع تأنيث النفس لتأويل الأنفس بالأشخاص، أو الرجال، أو على طريق التغليب. **قوله**: **(العباد)** جمع عبد. **قوله**: **(الأناسي)** جمع إنسان، وأصله أناسين؛ فأُبْدِلت النون ياءً وأُدْغِمت فيها الياء، وهو مذهب سيبويه، أو جمع إنسيّ، وهو مذهب الفرّاء.

قوله: **(أصل آل أهل)**... الخ. فأُبْدِلت الهاء همزة لقُرْبها منها، كما أُبدِلت في ماء؛ إذ أصله ماه بدليل جمعه على مياه، ثم أُبْدِلت الهمزة الساكنة ألفًا لفتحة

هاؤه ألفًا وخصّ استعماله (**بأولى الخطر**) كالملوك وأشباههم فلا يقال آل (**الإسكاف والحجام**، **وفرعون علم لمن ملك العمالقة**) كقيصر لملك (**الروم وكسرى**) لملك (**الفرس**).

ما قبلها، كما أُبْدلت في أأدم وأأمن، ويدلّ عليه تصغيره على أُهيل. **قوله**: (**بأوْلى الخطر**) أي بأولى القدر والمنزلة، فإن خطر الرجل قَدره ومنزلته. **قوله**: (**الإسكاف**) في محيط المحيط: السِّكافة حِرْفة الإسكاف، والسَّكّاف الخفّاف، أي صانع الخِفاف السَّيْكَف الخفّاف أيضًا الأسْكَف والإسْكاف والأُسْكوف الخفاف أو الإسْكاف صانع سوى الخفاف، فإنه الأسْكَف أو الإسكاف النجّار وكل صانع بحديدة، ج أساكفة. اهـ. وفي المصباح: الإسكاف الخرّاز، والجمع أساكفة، ويقال: هو عند العرب كل صانع. اهـ. وأيضًا فيه: خرزت الجلد خرزًا من باب ضرب وقتل، وهو كالخياطة في ثياب. اهـ. **قوله**: (**والحجّام**) في محيط المحيط: الحِجامة حرفة الحجّام، الحجام المصّاص والذي يحجم. اهـ. **قوله**: (**وفرعون علم لمن ملك العمالقة**) والعمالقة قومٌ نُسِبوا إلى عمليق، وهو عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وهم أُمَمٌ تفرّقوا في البلاد وسكّان الشام منهم سمّوا بالجبابرة، ومَنْ سكن منهم بمصر فهم العمالقة، فليس المراد بالعمالقة هٰهنا جمع من نسب إلى عمليق، بل الذين كانوا بمصر منهم، وفرعون غير منصرف لوجود العلمية والعُجْمة. **قوله**: (**الروم**) في محيط المحيط: الروم طائفة من الناس يفرق واحدها بالياء، فيقال: روميّ، كما يقال في واحد الزّنج: زنجيّ. اهـ.

قوله: (**كسرى**) في محيط المحيط: كِسرى وكَسرى، والكسر أفصح، اسم كلّ مَنْ مَلَك الفُرس، كما أنّ كل مَنْ ملك الروم يسمّى قيصرًا، والتُّرك خاقانًا، واليمن تبعًا، والحبشة نجاشيًّا، والقبط فرعونًا، ومصر عزيزًا إلى غير ذلك. **قوله**: (**الفُرْس**) ـ بضم الفاء وسكون الراء ـ أهل مملكة فارس، ويقال: فارس أيضًا، وهم أُمّة عظيمة مسكنهم في شمال العراق مأخوذ من الفراسة، وهي الشجاعة لشجاعتهم، وقيل: إنّه من ولد يوسف على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وقيل: فارس بن أفريد بن إسحٰق على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وقيل: فارس بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حال من «آل فرعون» أي (يولونكم من سامه خسفًا إذا أولاه ظلمًا)، وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنها بمعنى (يبغونكم) ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزيدة أو مطالبة، و«سوء» مفعول ثانٍ لـ «يسومونكم» (وهو) مصدر سيىء. يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما، ومعنى سوء العذاب، والعذاب كله سيىء أشده و(أفظعه. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) ولذا ترك العاطف

قوله: (يولونكم) من الإيلاء، وهو القرب. **قوله**: (مَنْ سامه خسفًا) أي بغى له ذلّاً وهوانًا، والخسف بمعنى الإهانة والذُّلّ (إذا أوْلاه ظلمًا) أي جعل الظلم بحيث يليه ويَقْرُب منه، وأصل السَّوْم الذهاب في طلب الشيء، فهو لفظ موضوع لمعنى مركّب من الذهاب والابتغاء، فأُجْرِيَ مرة مجرى الذهاب، فقيل: سامَتِ الإبل، فهي سائمة إذا ذهبت في المرعى، فلم يتعدّ إلى المفعول. وتارة أخرى أُجْرِيَ مجرى الابتغاء، فقيل: سِمتُ الإبل في المرعى أي طلبتها فيه، وسمته كذا، كما يقال: بغيته كذا بمعنى طلبت له كذا. **قوله**: (يبغونكم) أصله **يبغون** لكم سوء العذاب، أي يطلبونه لكم، فحذف الجار وأوْصل الفعل بنفسه. وفي الصِّحاح: بغيتك الشيء أي طلبتُه لك. **قوله**: (وهو) أي السوء مصدر السيّىء، كذا في الكشاف. والسيّىء خلاف الحسن، وهو اسم فاعل مِنْ ساء يسوء إذا قبح، وهو أسوأ القوم، وهي السوأى أي أقبحهم، كذا في المصباح. وقيل: السُّوء ـ بالضم ـ الاسم، وأمّا المصدر، فبالفتح. **قوله**: (أفظعه) أي أشنعه، يقال: فظع الأمر فظاعة، فهو فظيع، أي شديد شنيع جاوز المقدار في الشدَّة والشناعة. **قوله**: (﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾) فذبحوا منهم اثني عشر ألفًا، وقيل: سبعين ألفًا.اهـ من الخازن. **قوله**: (**بيان لقوله**: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) إمّا بأن تكون مُسْتأنَفة لبيان كيفيّة سومهم سوء العذاب، كأنه قيل: كيف كان سَوْمَهم العذاب؟ فقيل: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، أو بأن تكون بدلًا من الجملة التي قبلها؛ كقوله:

متى تأتِنا تلمم بنا في ديارنا

فإنّ البدل فيه معنى البيان، ولذلك ترك العاطف هٰهنا، وعطف في سورة إبراهيم حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الآية ٦]؛

(﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾) يتركون بناتكم أحياء للخدمة، وإنما فعلوا بهم ذلك لأن (**الكهنة**) أنذروا فرعون بأنه يُولد مولود يزول ملكه بسببه (**كما أنذروا نمروذ**) فلم يغن (**عنهما**) اجتهادهما في التحفظ (**وكان**) ما شاء الله ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ (**محنة أن أُشير**) بذلكم (**إلى صنع فرعون**)، ونعمة أن أُشير به إلى الإنجاء. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، صفة لـ «بلاء» ﴿عَظِيمٌ﴾ صفة ثانية.

لأنه لم يقصد بقوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية ٦] بيان كيفيّة سَوْمهم العذاب حتى يجب ترك العاطف، بل جعل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ محمولًا على سائر طرق التعذيب والتكاليف الشاقّة سوى الذبح، وجعل الذبح شيئًا آخر سوى سَوْم العذاب، فلمّا كانا أمرين متغايرين صحّ عطف أحدهما على الآخر.

قوله: (﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾) عطف على ما قبله، وأصله: يستحييون ـ بياءين ـ الأُولى عين الكلمة، والثانية لامها، فقيل: حُذِفت الأُولى فصار وزنه يستفلون، وقيل: الثانية فصار وزنه يستفعون. وطريق الحذف على الأوّل أن يقال: اسْتُثْقِلت الكسرة على الياء الأُولى فحُذِفَت، فالتقى ساكنان: الياء الأُولى مع الحاء، فحُذِفت الياء. وطريق الحذف على الثاني أن يقال: حُذِفت الياء الثانية اعتباطًا وتخفيفًا ثم ضُمَّت الاولى لمناسبة الواو. والمراد بالنساء الأطفال، وإنّما عبّر عنهنّ بالنساء لمآلهنّ إلى ذلك، أي باعتبار ما يؤول إليه. والنساء جمع المرأة لا واحد لها من لفظها. **قوله**: (**الكَهَنة**) جمع كاهن، وهو الذي يُخبر عن المغيّبات. **قوله**: (**كما أنذروا**) من إبراهيم على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسلام (**نمروذ**) ـ بضمّ النون وبالذال المعجمة ـ ابن كنعان، وكان ابن زنا، وهو أوّل مَنْ وضع التاج على رأسه، وتجبّر في الأرض، وادّعى الربوبيّة، وملك الأرض كلّها. وجملة مَنْ ملَكها كلّها أربعة: اثنان مؤمنان، واثنان كافران؛ فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين، والكافران: نمروذ وبخت نصّر. **قوله**: (**عنهما**) أي عن إبراهيم وموسى على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسلام. **قوله**: (**وكان**) أي حصل ووقع. **قوله**: (**محنة أن أشير**)... الخ. يعني أنّ البلاء مطلق الاختبار، فيكون بالمحبوب والمكروه، فذلكم إن أُشير به إلى صنيع قوم فرعون من السَّوْم وما معه، فبلاء بمعنى مِحْنة، وقدَّمها لقُرْبها. وإنْ أُشير به إلى الإنجاء، فنعمة، وهو حسن. **قوله**: (**إلى صنع فرعون**) من تذبيح أبنائهم واسْتِحياء نسائهم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم. (وقرىء «فرّقنا») أي فصلنا يقال: فرَق بين الشيئين وفرَّقَ بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على (**عدد الأسباط**. ﴿بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾) كانوا يسلكونه ويتفرّق الماء عند سلوكهم (**فكأنما فرق بهم**، **أو فرقناه بسببكم**، **أو فرقناه ملتبسًا بكم**) فيكون في موضع الحال. رُوِيَ أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم، فأوحى الله إليه أن (**قل بعصاك**) هكذا، (**فقال**)

قوله: (وقرىء ﴿فَرَّقْنَا﴾) على بناء التكثير في الكتاب المُحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب، ومن ذلك قراءة الزهريّ أيضًا: (﴿وَإِذْ فَرَّقْنَا بِكُمُ﴾) مشدّدة، انتهى. **قوله**: (**عدد الأسباط**) الأسباط حفدة يعقوب ذراريّ أبنائه الاثني عشر. **قوله**: (﴿بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾) هو القلزم، وقيل: النيل، وكان يوم عاشوراء. وفي باء ﴿بِكُمُ﴾ أوجه:

أوّلها: الاستعانة والتشبيه بالآلة، فتكون استعارة تبعيّة في معنى باء الاستعانة، وإليه أشار المصنّف رحمه الله بقوله: (**فكأنما فرّق بهم**).

والثاني: السببية الباعثة بمنزلة اللام، وإليه أشار بقوله: (**أو فرقناه بسببكم**).

والثالث: المُصاحبة، فيكون ظرفًا مستقرًّا، وإليه أشار بقوله: (**أو فرقناه ملتبسًا بكم**)..

قوله: (**قل بعصاك**)[١] في الأساس قال: بيده أهْوى بها، وقال برأسه أشار، وقال الحائط فسقط مال، وقال برجله أي مشى، كذا أفاده العلامة التفتازاني رحمه الله. وفي النهاية لابن الأثير رحمه الله: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأقوال وتُطلقه على غير الكلام واللّسان، فتقول: قال بيده، أي أخذ، وقال برجله أي مشى، وقالت له العينان سمعًا وطاعة، أي أومأت، وقال بالماء على يده أي قلب، وقال بثوبه أي رفع، وكلّ ذلك على المجاز والاتّساع.اهـ. وأيضًا فيها: ويقال: قال بمعنى أقبل، وبمعنى مال واسْتَراح وضرب وغلب وغير ذلك.اهـ. **قوله**: (**فقال**)

---

(١) أي اضرب. ١٢ منه.

بها (**على الحيطان**) فصارت فيها (**كوى فتراءوا**) و(**تسامعوا كلامهم**). ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (**إلى ذلك وتشاهدونه**) ولا تشكّون فيه.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ٥١﴾

وإنما قال: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ (**لأن الله تعالى وعده**) الوحي (**ووعده هو**) المجيء للميقات إلى الطور. (**«وعدنا» حيث كان: بصري**). لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب (**ينتهون**) إليه، وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة (**وضرب له**) ميقاتًا (**ذا القعدة**) وعشر (**ذي الحجة**)، وقال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (**لأن الشهور**

أي فضرب. **قوله**: (**على الحيطان**) في المصباح: قيل للبناء حائط اسم فاعل من الثلاثي، والجمع حيطان. اهـ.

قوله: (**كوى**) بكسر الكاف ممدودًا ومقصورًا جمع كوّة بفتح الكاف وتشديد الواو وبضمّ الكاف مقصورًا جمع كوّة بضم الكاف، ومعناها ثقب البيت. **قوله**: (**فتراءوا**) أي رأى بعضهم بعضًا. **قوله**: (**تسامعوا كلامهم**) أي بكلامهم إذ التسامع متعدّيًا بالباء، فقول المصنّف رحمة الله عليه: وتسامعوا كلامهم من قبيل الحذف والإيصال. **قوله**: (**إلى ذلك**) أي الإنجاء والإغراق. **قوله**: (**وتشاهدونه**)، إنما قال: وتشاهدونه ليكون بيانًا؛ لكون المراد من النظر النظر بالبصر، لأن النظر نظران: نظرُ بصر، ونظر بصيرة.

قوله: (**لأن الله تعالى**)... الخ. لمّا كانت المُواعدة مفاعلة من الجانبين بيَّنهما بأنّ الله تعالى وعده الوحي ووعده موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام المجيء للميقات. **قوله**: (**وعده**) أي وعد الله سبحانه موسى عليه السلام. **قوله**: (**ووعده هو**) أي وعد موسى الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (**﴿وعدنا﴾**) بغير ألف بين الواو والعين، (**حيث كان**) يعني هٰهنا، وفي الأعراف وطٰه (**بصريّ**) أي قرأه أبو عمرو البصريّ رضي الله تعالى عنه، وقرأ الباقون بألف بين الواو والعين. **قوله**: (**ينتهون**) أي يرجعون. **قوله**: (**وضرب**) بمعنى (**له**) أي لإنزاله. **قوله**: (**ذا القعدة**) بفتح القاف والكسر لغة شهر، كذا في المصباح. **قوله**: (**ذي الحجّة**) بالكسر، وبعضهم يفتح، كذا في المصباح. **قوله**: (**لأن الشهور**) علّة لتخصيص اللّيلة

غررها بالليالي و«**أربعين**» **مفعول ثانٍ**) لـ «واعدنا» لا ظرف لأنه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (**أي إلـٰهًا**) فحذف المفعول الثاني لـ ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾. **وبابه بالإظهار مكيّ**) وحفص ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (**من بعد ذهابه**) إلى

بالذِّكر (**غرّرها باللّيالي**) حين يُرى الهلال. في المصباح: الغُرّة ـ بالضمّ ـ من الشهر أوّله، والجمع غُرر، مثل غرفة وغُرَف. اهـ. **قوله**: (**وأربعين مفعول ثان**) وموسى مفعول أوّل، ولا بدّ من حذف مضاف، أي تمام أربعين، ولا يجوز أن ينتصب على الظرف لفساد المعنى، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جارٍ مجرى جمع المذكّر السالم، وهو في الأصل مفرد اسم جمع سُمّي به هذا العقد من العدد، ولذلك أعربه بعضهم بالحركات. اهـ سمين. وفي حاشيه شيخ زاده: وهـٰهنا إشكال، فإن أربعين ليلة إمّا مفعول فيه، ولا يصح؛ لأن المواعدة لم تقع فيها. وإمّا مفعول به، ولا سبيل إليه. أمّا بدون تقدير مضاف، فلأنه لا معنى لمواعدة نفس الزمان. وأمّا مع تقدير المضاف، فلأنه إمّا أن يقدّر أمران، ولم يعهد في العربية تقدير مضافين محذوفين لشيءٍ واحد، نحو: لقيت زيدًا بمعنى ثوبه وفرسه، أو يقدر واحد منهما، ولا يصح تعليق المواعدة به؛ لأن الوحي موجود من الله لا من موسى، والمجيء بالعكس. وأجاب عنه العلامة التفتازاني بأنّ أربعين ليلة في موقع المفعول به باعتبار ما يتعلّق بها من الأحوال والأفعال الصالحة؛ لتعلّق الوعد به، ويكون من الطرفَيْن وعد متعلّق به، إلّا أنه من الله الوحي وتنزيل التوراة، ومن موسى المجيء والاستماع والقبول، وكذا الكلام في كل موضع تبيَّن فيه اختلاف الطرفين في باب المفاعلة، انتهت بحروفها. **قوله**: (**أي إلـٰهًا**)... الخ. يعني أن اتّخذ هنا بمعنى جعل، فيتعدّى إلى مفعولين، والثاني محذوف لظهوره ولشناعته. **قوله**: (**وبابه**) أي (﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾) وأخذتم وما جاء منه (**بالإظهار**) أي بإظهار الذال قبل التاء (**مكّي**) أي قراءة ابن كثير(١) المكّي وحفص(٢) عن عاصم، والباقون بإدغام الذال في التاء. **قوله**: (**من بعد ذهابه**) يعني أن الضمير لموسى عليه السلام والمضاف محذوف.

---

(١) هو عبد الله بن كثير الداريّ مولى عمرو بن علقمة الكتاني، والداري العطار ويكنى أبا معبد وهو من التابعين، وتوفي بمكّة المكرمة سنة عشرين ومائة. ١٢ منه.

(٢) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز الكوفي، ويكنى أبا عمرو يُعرف بحفص. قال وكيع: وكان ثقة، وقال ابن معين هو أقرأ مِن أبي بكر، يعني شعبة بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي، وتوفي قريبًا من سنة تسعين ومائة. ١٢ منه عمّ فيضه.

الطور، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أي عبدتموه ظالمين.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ محونا ذنوبكم عنكم. ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد اتخاذكم العجل. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **(لكي تشكروا)** النعمة في العفو عنكم.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني الجامع بين كونه **(كتابًا منزلًا)** وفرقانًا **(يفرق بين الحق والباطل)** وهو التوراة ونظيره «رأيت **(الغيث والليث)**» تريد الرجل الجامع بين الجود **(والجراءة. أو التوراة والبرهان الفارق)** بين الكفر والإيمان من العصا واليد **(وغيرهما من الآيات، أو الشرع)** الفارق بين الحلال والحرام.

قوله: **(لكي تشكروا)**... الخ. يعني لعلّ مجاز عن الطلب.

تنبيه:

إنما قدّرت لعلّ بكي أخذًا مما قيل: إنّ لعلّ في القرآن بمعنى كي، غير قوله تعالى في الشعراء: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الآية ١٢٩]، فإنها بمعنى كأنّ، أي كأنّكم تخلّدون.

قوله: **(كتابًا منزلًا)** من الله تعالى، فيه أن التعريف في الكتاب للعهد. **قوله**: **(يفرق بين الحق والباطل)** ويفرق بين المحقّ والمُبْطِل إشارة إلى وجه التسمية بالفرقان، أصله مصدر أطلق على الفارق للمبالغة؛ فعلى هذا العطف لتنزيل تغاير الصفات منزلة التغاير بالذات، وفائدة إدخال الواو بين الصفات لإعلام استقلال كلّ منهما في المدح. **قوله**: **(الغيث)** المطر. **قوله**: **(اللّيث)** الأسد. **قوله**: **(الجراءة)** الاسم الجرأة، وزان غرفة، والمصدر الجراءة مثل ضخامة. **قوله**: **(أو التوراة، والبرهان الفارق)**... الخ. فالعطف حينئذ ظاهر لتغاير المعطوفين ذاتًا، يعني كما يحتمل التغاير بحسب الأوصاف يحتمل التغاير بحسب الذّات. **قوله**: **(وغيرهما من الآيات)** أي الطوفان والجراد والقمل، أي السّوس الذي نزل في حبوبهم والضفادع والدم والطمس، أي مسخ أموالهم حجارة، والسّنين أي القحط. **قوله**: **(أو الشرع)**... الخ.

وقيل: الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرّق بينه وبين عدوّه ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **(لكي تهتدوا)**.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ للذين عبدوا العجل. ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ **(معبودًا)** ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ هو الذي خلق الخلق **(بريئًا من التفاوت. وفيه تقريع)** لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي **(برأهم أبرياء)** من التفاوت إلى عبادة البقر **(الذي هو مثل في الغباوة والبلادة)** ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل: هو على الظاهر **(وهو البخع)**.

عطف على قوله: والبرهان الفارق. **قوله**: **(لكي تهتدوا)** قد مرّ وجه تعبيره بلفظ كي.

قوله: (معبودًا) مفعول ثان، والمصدر هنا مضاف للفاعل، وهو أحسن الوجهين، فإنّ المصدر إذا اجتمع فاعله ومفعوله؛ فالأَوْلى إضافته إلى الفاعل، لأن رتبته التقديم. **قوله**: (بريئًا من **التفاوت**) معنى التفاوت عدم التناسب. **قوله**: (وفيه) أي في ذكر الباري جلّ شأنه وعمّ نواله. **قوله**: (تقريع) في محيط المحيط: قرّعه عنّفه. اهـ. وأيضًا فيه: عنّف فلانًا لامَه بعُنْف وشدّة وعتب عليه. اهـ. **قوله**: (برأهم) بفتحتين. اهـ مصباح. أي خلقهم (أبرياء) بريء مثل نصيب وأنصباء، كذا في الصحاح.

قوله: **(الذي هو مثل في الغباوة والبَلادة)**، فإنّ في أمثال العرب: فلان أبْلَد من الثور[١]، وقوله: **(الغباوة)** في محيط المحيط: غَبِيَ الشيءَ وعن الشّيْء يغبى غبًا وغَبَاوَةً (واويٌّ) لم يفطن له، وغبى عليه الشيء كذلك إذا لم يعرفه، وغَبِيَ عن الخير جَهِلَه، وغَبِيَ منه الشيءُ خَفِيَ. اهـ. **قوله**: **(البلادة)** في محيط المحيط: بَلِد الرجل يبلد وبلُد يبلُد بَلادة، فَتُر طبعه من الابتهاج إلى المجالس العقلية، وضدّ ذكا وفطن. اهـ. **قوله**: (وهو **البخع**) بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة، وهو أن يقتل

---

(١) الثور أبلد من الحمار عند العرب؛ لأن الحمار يظهر التكاسل قبل أن يضعف بالكلية بخلاف الثور، فإنه يظهر الضعف بعدما ضعف بالكلّية. ١٢ منه عمّ فيضه.

(وقيل: معناه **قتل بعضهم بعضًا**. **وقيل: أمر مَن لم يعبد العجل**) أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفًا. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التوبة والقتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ من الإصرار على المعصية. ﴿(فَتَابَ عَلَيْكُمْ) إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ (**المفضال**) بقبول التوبة وإن كثرت ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يعفو (**الحوبة**) وإن (كبرت. **والفاء الأولى**) للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة، (**والثانية للتعقيب**) لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم إذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم، (**والثالثة متعلقة بشرط محذوف**) كأنه قال فإن فعلتم (**فقد تاب عليكم**).

الرجل نفسه. وأمّا حمله على قتل بعضهم بعضًا، فتجوز حيث جعل المقتول نفس القاتل، لِمَا بينهما من التعلّق والاتّحاد والاعتقاد. وقوله: قيل أمر تفسير وتفصيل لهذا، كذا أفاده العلّامة التفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**وقيل معناه**: قتل **بعضهم بعضًا**)؛ فعلى هذا معنى قوله: (﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾) يقتل بعضكم بعضًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٨٥]، و﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢٩]، و﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٨٤]، وإنّما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتّصاله به نسبًا أو دينًا، فيكون مجازًا في الإسناد لأدنى ملابسة، كذا في تفسير القنوي وغيره. **قوله**: (**وقيل**: **أمر مَنْ لم يعبد العجل**)... الخ. فعلى هذا معنى قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ استسلموا أنفسكم للقتل، كذا في حاشية مولانا عبد الحكيم رحمه الله. وفي هذا الوجه جعل استسلامهم للقتل قتلًا منهم لأنفسهم على التوسّع. **قوله**: (**المِفْضال**) ـ بكسر الميم ـ الكثير الفضل. **قوله**: (**الحَوبة**) في المصباح: الحَوبة ـ بالفتح ـ الخطيئة. اهـ. وفي لسان العرب: قال أبو عبيد: حَوْبَتي يعني المأثم، وتفتح الحاء وتُضمّ. اهـ. **قوله**: (**كَبُرت**) من باب قرب عَظُمَت. **قوله**: (**والفاء الأُولى**) أي في قوله: (﴿فَتُوبُوٓا۟﴾). **قوله**: (**والثانية**) أي في قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟﴾ (**للتعقيب**)... الخ. لأن التوبة سواء فسّرت بالعزم أو بنفسها، فالقتل متأخّر عنها، وقد يقال: الفاء للتفسير؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٦]. **قوله**: (**والثالثة**) أي في قوله: (﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ **متعلقة بشرط محذوف**)... الخ. فالفاء إذن جزائية، وتسمّى فصيحة أيضًا لإفصاحها وإنبائها عن ذلك المحذوف. **قوله**: (**فقد تاب عليكم**) قدّر كلمة قد؛ لأن الماضي الغير المصدر بقد ظاهرة أو مقدّرة لا يصح دخول الفاء الجزائية عليه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ **عيانًا وانتصابها على المصدر)** كما تنصب **(القرفصاء)** بفعل الجلوس، **(أو على الحال من «نرى»)** أي ذوي جهرة. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي الموت. **(قيل: هي نار جاءت من السماء)** فأحرقتهم. رُوِيَ أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له: نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة. فقال موسى: سألته ذلك فأباه عليّ. فقالوا: إنك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم. وتعلّقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية **(لأنه)** لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت. قلنا: إنما عوقبوا

قوله: (﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾) أي لن نصدق لك بأن ما نسمعه كلام الله. اهـ كرخي. وأورد عليه أنّ الإيمان إنما يُعدّى بنفسه أو بالباء لا باللام. وأُجيب بأنّ اللام للتعليل لا التعدية، أي لن نؤمن لأجل قولك أو بأن نؤمن ضمن معنى نقرّ، والمؤمن به أعطاه الله إيّاه التوراة، أو تكليمه إيّاه، أو أنه نبيّ، أو أنه تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم. اهـ من أبي السُّعود. **قوله**: **(عِياناً)** العِيان المُعاينة، وأصلها من العين. **قوله**: **(وانتصابها على المصدر)** أي من غير لفظه، والمعنى متّحد. **قوله**: **(القرفصاء)** قال السيوطي رحمه الله: هو بضمّ القاف والفاء بينهما راء ساكنة ثم صاد مهملة ومدّ: جلسة المُحتبي أن يدير ذراعيه ويديه على ساقيه، انتهى. وقوله: جلسة المُحتبي، أي بحيث يكون ركبتاه منصوبتين، وبطن قدميه على الأرض ويداه موضوعتين على ساقيه، وهو من قعدات النبيّ ﷺ. وقال الجوهري: القرفصاء ضربٌ من القعود يُمدّ ويقصر، فإذا قلت: قعد القرفصاء، فكأنّك قلت: قعودًا مخصوصًا، وهو أن يجلس على إلْيتيه ويُلصق ببطنه ويحتبي بيديه ويضعها على ساقيه، وقيل: هو أن يجلس على ركبتيه منكبًا ويُلصق بطنه بفخذيه ويتأبّط كفّيه. **قوله**: **(أو على الحال من ﴿نَرَى﴾)** أي من فاعل ﴿نَرَى﴾. **قوله**: **(قيل: هي نار جاءت من السماء)**. . . الخ. حمل الصاعقة على ما يصعقون، أي يموتون بسببه. **قوله**: **(لأنه)** أي الله سبحانه وتعالى.

بكفرهم لأن قولهم: إنلك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم. ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز (**اقتراح الآيات**) عليهم. ولأنهم لم يسألوا سؤال (**استرشاد**) بل سؤال (**تعنت**) وعناد. ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إليها حين نزلت.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أحييناكم (**وأصله الإثارة**) ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث بعد الموت.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ جعلنا الغمام يظلّكم وذلك (**في التيه**) سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل (**عمود**) من نار يسيرون في ضوئه (**وثيابهم لا تتسخ**

قوله: (**اقتراح**) أي طلب (**الآيات**). في لسان العرب: اقترح عليه بكذا تحكّم وسأل. اهـ. **قوله**: (**استرشاد**) أي طلب الهدى. **قوله**: (**تعنّت**) التعنّت سؤال ما لا يليق.

قوله: (**وأصله الإثارة**) أي البعث إثارة الشيء عن محلّه، يقال: بعثت البعير فانبعث وبعثتَ النائم، فانبعث.

قوله: (**في التيه**) التّيه المفازة التي يُتاه فيها، أي يُسافر فيها متحيّرًا، يقال: تاه في الأرض، أي ذهب فيها متحيّرًا. **قوله**: (**عمود**) في محيط المحيط: العَمود ما يُدْعَم به البيت وغيره، وما يتّخذ من الحديد فيُضرب به، ج أعمدة وعَمَدٌ وعُمُدٌ. اهـ. أي بفتحتين وبضمّتين. **قوله**: (**وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى**)، قيل: معناه لا دخان لتلك النار، فتتّسخ الثياب بدخانها، ولا حرارة لها بحيث تَبْلى الثياب لشدَّة حرارتها. **قوله**: (**لا تتسخ**) في محيط المحيط: وَسِخ الثوب يوسخ وياسخ ويَيْسَخ وَسَخًا غلبه الوسَخ، فهو وَسِخ وسّخ الثوب توسيخًا وأوسخه إيساخًا

ولا تبلى) ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ **(الترنجبين)** وكان ينزل عليهم مثل **(الثلج)** من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس **(لكل إنسان صاع)**. ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ كان يبعث الله عليهم **(الجنوب فتحشر)** عليهم السلوى وهي **(السماني)** فيذبح الرجل منها ما يكفيه. وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ (مِن طَيِّبَٰتِ)﴾ لذيذات أو حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾

جعله وَسِخًا وتوسّخ الثوب توسّخًا واتّسخ اتّساخًا واستوسخ استيساخًا بمعنى وسِخ، والوسَخ ما يَعْلو الثوب وغيره من الدَّرَن من قلّة التعهّد، ج أوساخ.اهـ.

وقوله: **(ولا تَبْلى)** في محيط المحيط: بَلِي الثوب يَبْلَى بِلًى وبَلاءً (يائيٌّ) خَلَق ورثّ ودثر، فهو بالٍ.اهـ. **قوله:** **(الترنجبين)** بالتاء الفوقية المثنّاة والراء المهملة والجيم والباء الموحدة والياء والنون لفظ يونانيّ استعمله الأطبّاء وفسّروه بطل يقع على بعض النبات. وفي الدرِّ المصون: إنه يقال: طرنجبين بالطاء. وفي حاشية شيخ زاده: الشرنجبين لغة فيه. **قوله:** **(الثلج)** بسكون اللام. في لسان العرب: الثلجُ الذي يسقط من السماء معروف.اهـ. وفي غياث اللغات: ثلج بفتح أوّل وسكون لام وجيم عربي بمعنى برف ازكشف ومنتخب وكنز.اهـ. وأيضًا فيه: برف فرق درميان برف ويخ أنست كه برف ...ون عبيرن سفيد مثل غبار ميبارد ويخ ...ون موم گداخته قطره قطره مي...كد وانجماد مى پذيرد ومثل سنگ سفيد ميگردد.اهـ. **قوله:** **(لكل إنسان)** متعلق بينزل. **قوله:** **(صاع)** اعلم أنّ الصاع أربعة أمْداد، والمدّ رطلان، والرطل نصف منّ، والمنّ بالدراهم مائتان وستّون درهمًا، فالمدّ والمنّ سواء، كلّ منهما ربع صاع رطلان بالعراقي، والرّطل مائة وثلاثون درهمًا، والدرهم أربعة عشر قيراطًا، والقيراط خمس شعيرات، فيكون الدِّرهم الشرعي سبعين شعيرة. **قوله:** **(الجنوب)** ـ بفتح الجيم ـ أي الرِّيح التي تهبّ من جهة الجنوب. في محيط المحيط: الجَنوب ريح تخالف الشمال مهبُّها من مطلع سُهَيْل إلى مطلع الثريّا، ج جنائب.اهـ. **قوله:** **(فتحشر)** أي تجمع. **قوله:** **(السُّماني)** بضم السين وتخفيف الميم والنون والقصر، واحده سماناة، ويستوي فيه الواحد والجمع، طائرٌ معروف. في غياث اللغات: ويقال له بالفارسية: بودنه، وبالهندية: بثير. **قوله:** (﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾)... الخ. الطيّب الحلال، فإنه لحِلّه كان طيّبًا، كما أن الحرام لحُرْمته كان خبيثًا، وأصل الطيّب الطاهر، وسمّي الحلال طيّبًا لأنه لم يتدنّس بكونه حرامًا. وقيل: الطيّب من المباح

(**يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم** ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أنفسهم مفعول «يظلمون» وهو خبر «كان».

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعدما خرجوا من التيه. ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي (**بيت المقدس**) أو (**أريحاء**). والقرية المجتمع من (**قريت**) لأنها تجمع الخلق، أمروا بدخولها (**بعد التيه**). ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ من طعام القرية وثمارها. ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ (**باب القرية أو باب القبة**) التي كانوا يصلون

هو الذي يَسْتَطْيبه الطبع وتتلذّذ به النفس، وما لم تتلذّذ به النفس ولم يَسْتَطِبه الطبع لا يُسمّى طيّبًا، وإن كان حلالًا مُباحًا. **قوله**: (يعني: **فظلموا بأن كفروا هذه النعم**. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾) فاختصر الكلام بحذفه لدلالة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ عليه، كذا في الكشاف. يريد أنّ المقام يستدعي ترتّب قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ على ما قبله، وليس في الواو معنى الترتيب؛ فدلّ على أنه عطف على مقدّر مرتّب بالفاء على ما تقدّم، وهو فظلموا؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: الآية ١٥] بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: الآية ١٥]، أي فشكرا وقالا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: الآية ٢].

قوله: (**بيت المقدس**) على وزن المسجد، على أنه مصدر ميميّ بمعنى المطهّر، أو اسم مفعول من التقديس. **قوله**: (**أريحاء**) بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء وبالحاء المهملة، كزليخاء. وقيل: بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الياء على وزن أصفياء، وهي قريبة من بيت المقدس، وهي قرية الجبارين، وهم قوم من بقايا عاد يقال لهم العمالقة ورئيسهم عوج بن عنق، وقد مرّ نقلًا عن الصحاح أنّ العمالقة قومٌ من أولاد عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه السّلام، وهم أممٌ تفرّقوا في البلاد. **قوله**: (**قريت**) أي جُمِعَت. **قوله**: (**بعد التيه**) أي بعد خروجهم من التّيه. **قوله**: (**باب القرية أو باب القبّة**) يعني أنّ الباب للعهد والمعهود. أمّا باب القرية التي أُمِروا بدخولها، أو باب القبّة المضروبة في التّيه التي كانوا يصلّون إليها ويصلّي فيها موسى وهارون على نبيّنا وعليهما

إليها، **(وهم لم يدخلوا بيت المقدس)** في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده. ﴿سُجَّدًا﴾ حال وهو جمع ساجد، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرًا لله تعالى وتواضعًا له. (﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ **فعلة)** من الحط كالجلسة **(وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة، والأصل النصب وقد قُرىء به بمعنى حطّ عنّا ذنوبنا حطة)**، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات. **(وقيل: أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية)** ونستقرّ

الصّلاة والسلام. في النهاية: القبّة من الخيام بيت صغير مستدير، ولعلّها كانت منزلة المِحراب للمسجد، فإنّ صلاتهم لم تكن صحيحة إلّا في بِيَعهم وكنائسهم، على ما صرَّح به الطيبي في شرح المشكاة في باب فضائل سيّد المرسلين عليه السلام؛ إذ الصلاة في كل موضع من خصائص هذه الأمّة. **قوله: (وهم لم يدخلوا بيت المقدس)**... الخ. هذا دليل على أنّ المراد باب القبّة، لا باب بيت المقدس. **قوله: (فُعلة)** أي مصدر للنوع. **قوله: (وهي خبر مبتدأ محذوف، أي مسألتنا حطّة أو أمرك حطّة)** يعني أنّ قوله: (﴿حِطَّةٌ﴾) مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف حُذِف لدلالة حال المتكلّم عليه، والتقدير: مسألتنا، أي سؤالنا يا ربّنا حطّة، أي حطّة ذنوبنا، أو لدلالة حال المخاطَب عليه، والتقدير: أمرك وشأنك يا ربّنا حطّة، أي نوع عظيم الشأن من الحطّ، وهو أن تحطّ عنّا ذنوبنا وتخفّف عنا ثِقَل أوزارنا، على أن صيغة الفعلة للنوع، وأن التنوين فيها للتعظيم. **قوله: (والأصل النصب)**؛ إذ النصب أصل في المصدر، والرفع عدول عنه؛ ليفيد الاستمرار كما في الحمد لله. **قوله: (وقد قُرىء به)** أي قرأ إبراهيم بن أبي عَبْلَة بالنّصب. **قوله: (بمعنى حطّ عنّا ذنوبنا حطّة)** حطّ ماضٍ في موقع الدعاء، أو خبر تفاؤلًا، وعلى كِلَا التقديرَيْن سؤال الحطّ حاصل، فيكون في قوّة مسألتنا حِطّة، فيكون هذا أوْلى من تقدير نسألك حطّة، أمّا أوّلًا؛ فلإبقائه المصدر على أصله، وهو كونه مفعولًا مطلقًا، ولو للنوع. وأمّا ثانيًا، فلإفادة حصولها تفاؤلًا. **قوله: (وقيل: أمرنا حطّة)**، فيكون المراد أمر القائلين وشأنهم لا أمر الله تعالى وشأنه، وهذا قول أبي مسلم الأصفهاني **(أي أن نحطّ في هذه القرية)** رحالنا.

قيل عليه: لو كان المراد ذلك لم يكن غفران خطاياهم متعلّقًا به، لكن قوله تعالى: (﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾) يدلّ على أن غفران الخطايا كان لأجل

فيها. (وعن عليّ) ﷺ وهو بسم الله الرحمٰن الرحيم. (وعن عكرمة): هو لا إلٰه إلا الله. ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ (خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾ جمع خطيئة) وهي الذنب. (﴿يغفر﴾: مدني،

قولهم: ﴿حِطَّةٌ﴾، ولذلك ضعف المصنّف رحمة الله عليه هذا القول بقوله: وقيل. ويمكن أن يُجاب عنه بأنه يحتمل أن يكون المراد بقولهم: أُمِرْنا أن نستقرّ فيها، ويجعل الاستقرار فيها وسيلة إلى الدخول سجدًا متواضعين يكون غفران الخطايا متعلّقًا به، فيكون المعنى: وقولوا أُمِرْنا أن نستقرّ فيها حتى نسجد ونستغفر ونتواضع ليغفر الله تعالى ذنوبنا بفضله وكرمه.

قوله: (وعن عليّ) بن أبي طالب القُرَيْشيّ الهاشميّ المكّي المدني الكوفي أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، توفي بالكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر مضان سنة أربعين، ودُفِنَ بها رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (وعن عكرمة)، هو أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس ﷺ الهاشميّ المدني أصله بربريّ من أهل المغرب، وهو من كبار التابعين. توفي سنة أربع ومائة، وقيل: خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (﴿خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾ جمع خطيئة) من الخطأ ضدّ الصواب، لا ضدّ العمد، وأصل خطايا خطايئ بياء بعد الألف ثم بهمزة بعد الياء، فأُبْدِلت الياء الزّائدة همزة لوقوعها بعد الألف، فاجتمعت همزتان فأُبْدلت الثانية منهما ياءً لانكسار ما قبلها، فصارت خطائي، فاسْتُثْقِلت الكسرة على الهمزة التي هي حرف ثقيل في نفسها، وبعدها ياء من جنس الكسرة، فقَلَبوا الكسرة فتحة فتحرّك حرف العلّة وانفتح ما قبله، فقُلِبت ألفًا فصارت خطاءًا بهمزة بين ألفين، فاسْتُثْقل ذلك لأن الهمزة تشبه الألف، فصار كأنه اجتمع ثلاث ألفات، فقلبوا الهمزة ياء، فصارت خطايا؛ ففيها على قول سيبويه ﷺ خمس تغييرات: إبدال الياء المزيدة همزة، وإبدال الهمزة الأصليّة ياء، وقلب الكسرة فتحة، وقَلْب الياء الأصلية ألفًا، وقلب الهمزة المزيدة ياءً. وأصلها عند الخليل خطائي كخضائع قُدِّمت الهمزة على الياء فصار خطائي، ثم قُلِبت كسرة الهمزة فتحة، فقُلِبت الياء ألفًا، فقُلِبت الهمزة ياء، فصارت خطايا كما مرّ؛ ففيها على قول الخليل أربع تغييرات: قلب المكان، وإبدال الكسرة فتحة، وقلب الياء ألفًا، وإبدال الهمزة ياءً. **قوله**: (﴿يغفر﴾ مدنيّ) أي قرأ نافع المدني بياء مضمومة على التذكير، مع فتح الفاء.

﴿تغفر﴾: **شامي**. ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **أي مَن كان** محسنًا منكم. كانت تلك الكلمة سببًا في زيادة ثوابه ومَن كان مسيئًا كانت له توبة ومغفرة.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولًا غير الذي قيل لهم، فـ«بدل» يتعدّى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء، فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود، يعني وضعوا مكان حطة قولًا غيرها أي أمروا **(بقول)** معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به **(ولم يمتثلوا)** أمر الله. وقيل: قالوا مكان حطة حنطة. وقيل: قالوا **(بالنبطية**

قوله: (**﴿تغفر﴾ شاميّ**) أي قرأ ابن عامر الشامي بتاء مضمومة على التأنيث مع فتح الفاء أيضًا، وقرأ الباقون بالنون مفتوحة مع كسر الفاء. **قوله**: (﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) السين للتأكيد كسين سنكتب. **قوله**: (**أي مَنْ كان**)... الخ. يشير إلى أن قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عطف على قوله. ﴿يغفر لكم﴾، ولم يجزم بوجود السين وأوثر هذا الطريق ليدلّ على أنه يفعل البتّة، وظهر من البيان أنّ في الكلام جمعًا مع التفريق، فإنّ قوله: ﴿قُولُوا۟﴾ جمع المسيء والمُحسن، وقوله: ﴿نَّغْفِرْ﴾ ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ فرّق بين الفريقين. ٦

قوله: (**بقول**)... الخ. وهو الحطّة. **قوله**: (**ولم يمتثلوا**) في محيط المحيط: امتثل أمره احتذاه وعمل على مثاله وأطاعه.اهـ. وفي المصباح: وامتثلت أمره أطَعْته.اهـ. **قوله**: (**بالنبطية**) النَّبَط والنّبيط جيل من الناس يسكنون بين الكوفة والبصرة، لغتهم غير لغة العرب، وقيل: النّبط زرّاع العراق. في محيط المحيط: النَّبَط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين، قيل: سُمُّوا بذلك لكثرة النّبط عندهم، وهو الماء، وإنّما سُمّي أولاد شيث نباطًا لأنهم نزلوا هناك، هذا أصله ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامّهم، ومنه كلمة نَبَطِيّة، أي عامِّيَّة، ويقال لهم أيضًا: نبيط وأنباط والواحد نَبَطيّ ونُباطي مثلّثة النون، ونَبَاط كثمان.اهـ. وفي المصباح: النبط جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق، ثم استعمل في أخلاط

حِطًا سمقاثًا) أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولًا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا. ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ عذابًا. وفي تكرير «الذين ظلموا» زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ صفة لرجز ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ (بسبب فسقهم). رُوِيَ أنه مات منهم (في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا).

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ موضع «إذ» نصب كأنه قيل: واذكروا إذ استسقى أي استدعى (أن يسقى) قومه. ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ (عطشوا في التيه)

الناس وعوامّهم، والجمع أنباط مثل سبب وأسباب، الواحد نباطي بزيادة ألف والنون تضمّ وتُفتح. قال اللّيث: ورجل نبطيّ، ومنعه ابن الأعرابي. اهـ. وفي المحكم: ينزلون سواد العراق وهم الأنباط والنَّسب إليهم نَبَطيّ. اهـ. قوله: (حِطًا سمقاثًا)... الخ. في القاموس قالوا: حطًّا سمهاثًا، أي حنطة حمراء. اهـ. وفي شرحه قال الصاغاني: كذلك قال السُّدي ومجاهد، وقال ابن الأعرابي: قيل لهم: قولوا حطّة، فقالوا: حنطة شمقايا، أي حنطة جيّدة. اهـ.

قوله: (بسبب فسقهم) إشارة إلى أن الباء سببية، وما مصدريّة، ولفظ كانوا مُقْحَم. قوله: (في ساعة) واحدة، والمراد الساعة الشرعيّة. قوله: (بالطاعون) في المصباح: الطاعون الموت من الوباء، والجمع الطَّواعين. اهـ. ورد الحديث الشريف: «الطاعون رجزٌ»، وبه فسّر هنا؛ لأنّ أوّل وقوع الطاعون فيهم كما قيل. قوله: (أربعة وعشرون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا) ذكر في التيسير: أنه مات به في ساعةٍ واحدة أربعة وعشرون ألف إنسان، ودامَ فيهم حتى بلغوا سبعين ألفًا، والله أعلم.

قوله: (أن يسقى) بصيغة مجهول. قوله: (عطشوا) من باب تَعِب (في التّيه) شروع في تفسير قوله: (﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾)، وكان العطش والتظليل في التيه ودخول

فدعا لهم موسى (بالسقيا فقيل له) اضرب بعصاك الحجر. (واللام للعهد) والإشارة إلى حجر معلوم، فقد رُوِيَ أنه حجر (طوري حمله) معه وكان مربعًا (له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه) ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف (وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا).

القرية بعده، ولم يُراعِ في الترتيب في ذكرهما قصدًا إلى تكثير النِّعم. قوله: (بالسقيا) السُّقيا ـ بالضم ـ اسم مصدر بمعنى تحصيل الماء. وفي المختار: سقاه الله الغيث وأسقاه، والاسم السُّقيا بالضم. اهـ. قوله: (فقيل له)... الخ. معلوم أنه لا قائل إلّا الله سبحانه وتعالى. قوله: (واللام) في الحجر (للعهد) أي للعهد الخارجي. قوله: (طوري) منسوب إلى الطور؛ لأنه أُخِذ منه. قوله: (حمله) أي موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام. قوله: (له أربعة أوجه) أي جوانب، وكان ذراعًا في ذراع. قوله: (كانت تنبع من كل وجه)... الخ. أي من كل طرف يواجه القوم، وهو ما سوى طرف الفوق والتحت. قوله: (تنبع) في محيط المحيط: نبع الماء ينبُعُ وينبِع وينبَع من باب نصر وضرب ومنع نبعًا ونبوعًا ونبعانًا خرج من العين. اهـ. قوله: (وسعة المعسكر) بضمّ الميم اسم مكان موضع إقامة العسكر (اثنا عشر ميلا) في المصباح: (الميل بالكسر عند العرب) مقدار مدى[(١)] البصر من الأرض، قاله الأزهري. وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المُحْدِثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتّفقوا على أنّ مقداره ستّ وتسعونَ ألف أصبَع، والأصبع ستّ شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قُسِم الميل على رأي القدماء كلّ ذراع اثنين وثلاثين أصبعًا كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإن قُسِم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكلّ ثلاثة أميال، وإذا قدّر الميل بالغلوات، وكانت كل غَلْوَة أربعمائة ذراع كان ثلاثين غلوة، وإنْ كانت كل غلوة مائتي ذراع كان ستّين غلوة، ويقال للأعلام المبنية في طريق مكّة: أميال؛ لأنها بُنِيَت على مقادير مَدى البصر من الميل إلى الميل، وإنما أُضيف إلى بني هاشم، فقيل: الميل الهاشمي، لأن بني هاشم حدّدوه وأعلموه، انتهى بحروفه.

---

(١) أي غايته. ١٢ منه.

(أو للجنس) أي اضرب الشيء الذي يُقال له الحجر، (وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ الفاء متعلقة بمحذوف) أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة، أو فإن ضربت فقد انفجرت (وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا

قوله: (أو للجنس) عطف على قوله للعهد، فإنّ اللام التي يُشار بها إلى حصّة معيّنة من الجنس يقال لها لام العهد، والتي لا تكون للإشارة إلى حصّة معيّنة يقال لها لام الجنس، سواء أُشير بها إلى نفس الحقيقة من حيث هي، أي باعتبار وجودها في ضمن جميع الأفراد أو في ضمن بعض الأفراد، ويقال لها: لام العهد الذهني، والمراد بلام الجنس هٰهنا لام العهد الذهني، والمعنى: فقلنا له اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، أيّ حجر كان. عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه تعالى لم يَأْمُره أن يضرب حجرًا بعينه، (و) قال: (هذا) أي كون المراد جنس الحجر لا حجر بعينه (أظهر في الحجة وأبين في القدرة)، أي أظهر في كونه معجزة لموسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام؛ إذ لا يقولون حينئذ: إنّ ذلك خاصّة بهذا الحجر المخصوص، وأيضًا هو أبْيَن لكمال القدرة. قوله: (الفاء متعلّقة بمحذوف). إمّا على طريقة تعلّق المعطوف بالمعطوف عليه المحذوف، أو على طريقة تعلّق الجزاء بالشرط المحذوف، وتقدير الكلام على الأوّل، فضرب فانفجرت؛ وعلى الثاني: فإن ضربت فقد انفجرت، وقدّرت كلمة قد بعد الفاء الجزائية لما تقرّر أن فاء الجزاء إذا دخلت على الماضي الصريح لا بدّ من قد ظاهرة أو مقدّرة لتحقيق ما دخلت هي عليه من الفعل الماضي باقيًا على أصل معناه، فكأنه قيل: إن ضربته فقد انفجرت منه قبل ضربك، وانفجارها وإنْ كان مسبّبًا مترتّبًا على ضربه، إلّا أنه جعل متحقّق الوقوع قبل الضرب مبالغةً في ترتّبه عليه وعدم تخلّفه عنه أصلًا، ولو زمانًا يسيرًا؛ فكأنّ الانفجار أمر مستمرّ فيه وحاصل قبل الضرب، وفيه مبالغة عظيمة. **قوله**: (وهي) الفاء في (﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ على هذا) أي على تقدير فضرب فانفجرت (فاء فصيحة[1] لا تقع إلا

(١) وجه تسميتها بالفصيحة كونها مختصّة بكلام الفصحاء، لقوله: لا تقع إلا في كلام بليغ، ووجد في الحاشية المنسوبة إلى صاحب الكشاف أن الفاء في فتاب تسمى فصيحة يستدلّ بها على فصاحة المتكلّم، يقال: كلام فصيح وكلمة فصيحة وصفت الفاء بها على الإسناد المجازي. ١٢ منه عمّ فيضه.

في كلام بليغ). ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (على عدد الأسباط وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما لغتان).

في كلام بليغ) بخلاف الفاء الجزائيّة، فإنّها تقع في كلام العامّي، قالوا: وجه البلاغة هٰهنا أنّ فيه فائدتين لا يهتدي إليهما غير البلغاء: أحدهما الدلالة بالحذف على أن المأمور امتثل الأمر على الفور. والثانية أنّه لمّا ذكر عقيب الأمر بالضرب الانفجار دلّ على أن المطلوب بالضرب الانفجار لا الضرب؛ فلهذا حذف الضرب وصرّح بأثره وهو الانفجار، كذا أفاده العلّامة ابن التمجيد في حاشيته على تفسير البيضاوي، ثم لا يذهب عليك أنّ الفاء[1] فصيحة على التقديرين[2] عند الأكثرين لإفصاحها وإنبائها عن المحذوف، وعلى التقدير الأوّل عند السكاكي حيث فسّر الفاء الفصيحة بأنها التي تدلّ على محذوف غير شرط هو سبب لما بعدها. وفي الجمالين: قوله: (فضرب) إشارة إلى أن الفاء فصيحة متعلّقة بمحذوف، أي فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت. ومَنْ زعم أنّ الفاء على تقدير الشرط ليست بفصيحة، إنما هي جزائية، فقد وهم، انتهى. فافهم. **قوله**: (﴿ٱثْنَتَا﴾) فاعل انفجرت، والألف فيه علامة الرفع؛ لأنه محمول على المثنّى وليس بمثنّى حقيقة؛ إذ لا واحد له من لفظه. **قوله**: (على عدد الأسباط) أي القبائل، وإنما جُعِلَت العين على هذا العدد؛ لأن بني إسرائيل كانوا اثني عشر سبطًا، وكانوا لا يأتلفون، وكان كل سبط لا يتزوّج من سبط آخر إرادة تكثير سبط نفسه، وذلك يستلزم أن يكون بينهم نوع عصبية ومخالفة، فجعل لكل سبط مشرب على حِدَة من عينٍ على حدة، لئلا يتنازعوا. قال المفسّرون: كان في ذلك الحجر اثنتى عشرة حفرة، فكانوا إذا نزلوا وضعوا الحجر، وجاء كل سبط إلى حفرته، فحفروا الجداول إلى أهلها؛ فذلك قوله تعالى: (﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾)، أي موردهم وموضع شربهم من العين، لا يخالطهم فيها غيرهم. **قوله**: (وقُرِئ بكسر الشين وفتحها، وهما لغتان) كسر الشين لغة تميم، وقرأ الأعمش (﴿عَشَرَةَ﴾) بفتح الشين، وفيه لغة ثالثة اختارها المصنف رحمة الله عليه، وهي ﴿عَشْرَةَ﴾

(١) وهي الفاء التي دلّت على حذف محذوف غير شرط هو سبب لما بعد الفاء سميت فصيحة لأنها تفصح أي تظهر عن محذوف. ١٢ منه عمّ فيضه.

(٢) فعلى هذا، هذا إشارة إلى التعلّق بمحذوف. ١٢ منه عمّ فيضه.

(و﴿عَيْنًا﴾ تمييز). ﴿قَدْ (عَلِمَ) كُلُّ أُنَاسٍ﴾ (كل سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾) عينهم (التي يشربون منها). وقلنا لهم: (﴿كُلُوا﴾) من المن والسلوى. (﴿وَاشْرَبُوا﴾) من ماء العيون. ﴿مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ أي الكل (مما رزقكم الله. ﴿وَلَا تَعْثَوْا) فِي الْأَرْضِ﴾ لا تفسدوا فيها. والعيث أشد الفساد ﴿مُفْسِدِينَ﴾ (حال مؤكدة) أي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم (لأنهم كانوا متمادين فيه).

بسكون الشين، وهي لغة الحجاز. وفي الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب: ومن ذلك قراءة الأعمش: ﴿اثنتا عشرة﴾ بفتح الشين. قال أبو الفتح: القراءة في ذلك عَشْرة وعشَرة، فأمّا عشرة فشاذّ، وهي قراءة الأعمش، انتهى.

قوله: (و﴿عَيْنًا﴾ **تمييز**) أي منصوب على أنه مميّز للعدد، وهي مؤنّث سماعي، سُمّيت عين الماء عينًا تشبيهًا لها بالعين الباصرة من حيث أن الباصرة أشرف ما في الرأس، كما أن عين الماء أشرف ما في الأرض؛ ولأن الماء يخرج من هذه كالدمع يخرج من تلك. **قوله**: (**كل سبط**) السبط من بني إسرائيل كالقبيلة.

قوله: (﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾) مفعول قوله: (﴿عَلِمَ﴾) بمعنى عرف، والمشرب إمّا اسم مكان، أي محل الشراب، أو مصدر ميميّ بمعنى الشرب، وظاهر كلام المصنف رحمه الله الأوّل. **قوله**: (**التي يشربون منها**) إشارة إلى أن الجملة صفة عينًا، والعائد مقدّرٌ. **قوله**: (**مما رزقكم الله**) جعل الرزق بمعنى المرزوق وفصله إلى طعام نظرًا إلى (﴿كُلُوا﴾)، وإلى الماء نظرًا إلى (﴿وَاشْرَبُوا﴾)، والقرينة على تعيين المأكول ما تقدّم من ذكر المنّ والسلوى في القصة السابقة. **قوله**: (**حال مؤكّدة**) لأن (﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾) معناه لا تفسدوا، وهو فاسد؛ لأن النهي عن الفساد في حال الفساد إثبات للفساد ونفي له، وهو غير جائز؛ ولهذا حمل المصنف رحمة الله عليه معنى العثي على التمادي في الفساد حيث قال: والعثي أشدّ الفساد، فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم؛ لأنهم كانوا متمادين فيه. **قوله**: (**لأنهم كانوا مُتمادين فيه**) يعني ورد الكلام نهيًا لهم عمّا كانوا عليه، وإلّا فالفساد منكر منهيٌّ كيف ما كان. قوله: (**متمادين**) في المصباح: تمادى فلان في غيِّه إذا لجّ ودام على فعله. اهـ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (٦١)﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ هو ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى. وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان (لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل، ولو كان) على (مائدة الرجل) ألوان (عدة) يداوم عليها كل يوم (لا يبدلها يقال) لا يأكل فلان إلا طعامًا واحدًا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف. (أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معا من طعام أهل التلذذ

قوله: (لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل)... الخ. أي يريدون بوحدة الطعام نفي التبدّل والتغيّر، فكأنهم قالوا: لن نصبر على طعام غير متبدّل ولا متغيّر، فذكروا الملزوم وأرادوا اللازم؛ إذ عدم التغيّر لازم للواحد، فوحدته على نهج واحد وعدم تبدّله بحسب الأوقات، كما يقال: طعام مائدة الأمير واحد، مع أنه ألوان شتّى بقرينة ذكر الأمير بمعنى أنه لا يتبدّل بحسب الأوقات. **قوله**: (ولو كان)... الخ. فيه تأييد لقوله: (أرادوا بالواحد ما لا يتبدل). **قوله**: (عدّة) بكسر العين وتشديد الدال، أي متعدّدة، ويجوز أن يكون بضم العين أي مهيّأة للأكل. **قوله**: (مائدة الرجل) في محيط المحيط: المائدة الخوان عليه الطعام.اهـ. وأيضًا فيه: الخِوان والخُوان ما يُوضع عليه الطعام ليؤكل، قيل: ولا يسمّى خوانًا إلّا إذا كان عليه الطعام، وفي فقه الثعالبي: لا يقال مائدة إلّا إذا كان عليها طعام، وإلّا فهي خُوانٌ، وعليه جرى شارح المقامات، قال: الخوان ما يُوضع عليه الطعام، وبعد وضع الطعام عليه يسمّى مائدة، وهو فارسيّ معرّب، ج أخْوِنة وخُوْن.اهـ باختصار. **قوله**: (لا يبدّلها) جملة مؤكّدة لقوله: يُداوم عليها. **قوله**: (يقال) جواب لو. **قوله**: (أو أرادوا أنهما ضرب) أي نوع (واحد) أي يريدون بوحدته وحدة نوعيّة مع تعدّد شخصه. **قوله**: (لأنهما) أي المنّ والسلوى (معا من طعام أهل التلذّذ) إشارة إلى أن منشأ وحدة النّوع وصفٌ عرضيّ، لا أنهما متّحدان في

والترف) وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا (ما ألفوا) من (البقول والحبوب) وغير ذلك ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سله وقُل له أخرج لنا ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا﴾ يظهر لنا (ويوجد) ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا﴾ هو ما أنبتته الأرض من (الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس

النوع كما هو المشهور؛ فالوحدة على كِلَا الوجهين مجاز، والفَرْق بين الوجهين مع أن منشأ الوحدة وصف عرضيّ فيهما هو أن الوصف في الأوّل عدمي إن عدم التغيّر، وفي الثاني وجوديّ، أي كونهما ناعمين لذيذين، وكونهما طعام أهل التنعّم. قوله: (والترف) أي التنعّم. في محيط المحيط: تَتَرَّفَ الرجلُ تَنَعَّمَ. اهـ. قوله: (ما ألفوا) من الإلفة. قوله: (البقول) البقل كل ما أنبتته الأرض واخضرّت به من النّجم، أي ممّا لا ساق له، وجمعه بقول. قوله: (والحبوب) في محيط المحيط: الحَبَّة واحدة حبّ الحنطة ونحوها من الحبوب، ج حباب وحبوب وحُبّان. اهـ.

قوله: (ويوجد) من الإيجاد عطف تفسير. قوله: (الخضر) جمع خضرة، وهي لون الأخضر. وَصَفَ النبات بالخضرة مبالغة في خضرته على طريق رجل عدل. قوله: (والمراد به) هٰهنا (أطايب البقول) التي تأكلها الناس. وقوله: (أطايب) جمع أطيب، والأطايب الخيار من كل شيء. قوله: (كالنعناع) في محيط المحيط: النَّعْنَاع والنُّعْنُع والنَّعْنَع أو الآخر وهو بقل طيّب الرائحة يؤكل ويتداوى به، الواحدة نَعْنَاعة ونعنعة. اهـ. ويقال له بالفارسية والهندية: پودينه.

قوله: (والكرفس) في محيط المحيط: الكَرَفْس بقلة كالبقدوس تؤكل. قال الأزهري: وأحسبه دخيلًا، والكُرْفُسْ بوزن قنفذ القطن. اهـ. وأيضًا فيه البَقْدُونِس والبَقْدَنوس بقل حارٌّ يؤكل بالخلّ والملح ومع غيرهما، وأصله دواء محلّل للرياح، الواحدة بقدونسة أو بقدونوسة. اهـ. وفي غياث اللّغات: كرفس - بفتحتين وسكون فا وسين مهملة دوائيست مانند اجوائن بوى أن ناخوش وتيزباشد وأن اجمود ولايتى است وازخواص اويكى اين است كه كُدم گزيده اگربخورد في الحال بميرد. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب: كَرَفْس بالتحريك بهندى اجمود عظيم المنافع مدر محلّل للرياح والنفخ مُنَقٍّ للكُلَى والكبد والمثانة مُفَتِّح سددَها مقوّ للباءة، لا سيما بزره مدقوقًا بالسكر والسمن عجيب إذا شُرِب ثلاثة أيام ويَضُرّ بالأجنّة

والكراث) ونحوهما ممنا يأكل الناس. ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾ **(يعني الخيار)** ﴿وَفُومِهَا﴾ هو الحنطة أو **(الثوم لقراءة ابن مسعود و«ثومها»)** ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾ **(أقرب منزلة وأدون مقدارًا)** والدنو والقرب يعبر بهما عن قلّة المقدار ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ أرفع وأجلّ. ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ من الأمصار **(أي انحدروا إليه)** من التيه.

والحبالى والمَصْرُوعِين. اهـ. **قوله**: **(والكَرّاث)** في منتهى الأرب في لغات العرب: كرّاث كرمّان نوعي ازتره وگندنا. اهـ.

وفي محيط المحيط: الكُرّاث ويفتح بقلٌ خبيث الرائحة منه ما يَشْبه البصل، وهو الشامي، ومنه يشبه الثوم، وهو النّبطي، ومنه ما لا رؤوس له ويسمّى بمصر كرّاث المائدة، الواحدة كرّاثة. اهـ. **قوله**: **(يعني الخيار)** ككتاب، يقال بالهندية: كَلَرى، وبالفارسيّة خيار وكَلَوْنده. في منتهى الأرب خيار ككتاب خيار تره معرب است. اهـ. **قوله**: **(الثوم)** بالضم سير بستانى است وبرى وثومة يك ازثوم، كذا في منتهى الأرب. وفي غياث اللغات: ثوم بالضم سير بهندى لَهْسَنْ گويند. اهـ. **قوله**: **(لقراءة ابن مسعود)**، وكذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهم: (﴿وثومها﴾) بالثاء، وهذه القراءة شاذّة. في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ولغات العرب، ومِنْ ذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس: ﴿وثومها﴾ بالثاء. قال أبو الفتح: يقال: الثوم والفوم بمعنًى واحد؛ كقولهم: جَدَث وجَدَفَ، وقام زيد ثم عمرٌ، ويقال أيضًا: فم عمرو، فالثاء بدل فيهما جميعًا. ألا ترى إلى سعة تصرّف الثاء في جدث، لقولهم: أجداث، ولم يقولوا: أجداف، وإلى كثرة ثم وقلّة فم، يقال: الفوم الحنطة، قال:

قد كنتُ أحْسَبُني كأغْنى واحدٍ ورَد المدينة من زِراعة فومِ

أي حنطة. اهـ. **قوله**: **(أقرب منزلة)** وهذا يستلزم أخسية القدر، ولهذا عطف **(وأدون مقدارًا)** عطف تفسير. **قوله**: **(أي انحدروا إليه)** الانحدار الانهباط، كذا في مختار الصحاح. وفي حاشية شيخ زاده رحمة الله عليه: قوله: انحدروا إليه، أي انزلوا، يحتمل أن يكون التيه في صعود، ويكون المصر في هبوط. ويحتمل أن يكون الهبوط مُطلق النزول من غير أن يلاحظ كونه من أعلى إلى أسفل. اهـ.

وبلاد التيه ما بين (بيت المقدس إلى قنسرين) وهي اثنا عشر (فرسخًا) في ثمانية فراسخ، أو مصر فرعون. وإنما صرفه من وجود السببين وهما التأنيث والتعريف (لإرادة البلد، أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما) العجمة والتعريف

قوله: (بيت المقدس) على وزن المسجد على أنه مصدرٌ ميميّ بمعنى المطهر، أو اسم مفعول من التقديس. **قوله:** (قنسرين) في محيط المحيط: قِنَّسْرِيْنَ وقِنَّسْرُون وتُكسر نونهما كورة بالشام. اهـ. وأيضًا فيه: الكُوْرة المدينة والصقع. اهـ. وأيضًا فيه الصُّقْع الناحية، يقال: ما في هذا الصُّقع مثله، أي في هذه الناحية، ج أصْقاع. اهـ.

قوله: (فرسخًا) الفرسخ ثلاثة أميال. **قوله:** (لإرادة البلد) أي صرف لكون مسمّاه في تأويل البلد بدون تاء التأنيث، فلا يكون في مصر حينئذ سوى العلمية إذا لم يُطلق على مسمّاه، باعتبار كونه بلدة حتى يجتمع فيه العلمية والتأنيث. وإنْ جُعِل اسم جنس لا يكون فيه شيء من أسباب منع الصرف. **قوله:** (أو لسكون وسطه) أي أو صُرِف حيث قيل مصرًا بالتنوين لكونه ثلاثيًا ساكن الأوسط، ومثله يجوز فيه الأمران، فلذلك مُنِع الصرف في قوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: الآية ٥١]. **قوله:** (كنوح) في تهذيب الأسماء: إنه اسمٌ أعجميّ، والمشهور صرفه. وقيل: يجوز صرفه وترك صرفه. اهـ. وأيضًا فيه: كان نوح أطول الأنبياء عمرًا ولم ينقص له قوّة، والناس بعده من ذرّيته، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات: الآية ٧٧]. اهـ. وفي الخازن: اسمه عبد الغفار، وهو ابن لمك ـ بفتح الميم وسكونها ـ ابن متوسلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، وهو أوّل نبيّ بعثه الله بعد إدريس، وسُمّي نوحًا لكثرة ما ناح على نفسه. واختلفوا في سبب نَوْحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك، وقيل: لمراجعته ربّه في شأن ولده كنعان، وقيل: لأنه مرّ بكلبٍ مجزوم، قال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعِبْتني أمْ عِبْت الكلب؟ انتهى باختصار. (ولوط) بن هاران بن تَارَخْ، وهو آذر، فلوط ابن أخي إبراهيم الخليل على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام، وإبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام عمّه، فليس لوط من أنبياء بني إسرائيل. قال الثعلبي: كان إبراهيم يحبّه حبًّا شديدًا، وهو أحد رسل الله عزّ وجلّ الذين انتصر لهم بإهلاك مكذّبيهم. (وفيهما) أي في نوح ولوط.

﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيها ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي فإن الذي سألتم يكون في الأمصار لا في التيه. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي (الهوان) والفقر (يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه).

قوله: (الهوان) في لسان العرب: الهَوان نقيض العزّ. اهـ. قوله: (يعني: جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه) على سبيل الاستعارة بالكناية، ولا بدّ لها من قرينة تكون استعارة تخييليّة، وهي هٰهنا إثبات ما هو مِنْ لوازم المشبّه به، وهي القبّة للمشبّه الذي هو الذِّلّة، فإنّ الضرب من لوازم القبّة وأثبت للذِّلّة؛ فالكلام من قبيل الاستعارة المكنية المقرونة بالاستعارة التخييليّة. قوله: (فهم) مبتدأ (وفيها) خبره، والفاء للنتيجية. وقوله: (كما يكون)... الخ. الكاف صفة مصدر محذوف، وما مصدريّة، أي مستقرّون فيها استقرار مَنْ ضُرِبت عليه القبّة في القبّة. قوله: (أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه) عطف على قوله: جعلت الذِّلّة... الخ. يعني أن الاستعارة إمّا في الذلّة بأن شبّهت الذلّة بالقبَّة المضروبة على الشيء. وإمّا في قوله: ضُرِبت، بأنْ شبَّه إلصاق الذلّة بهم ولزومها لهم بضرب الطّين على الحائط وإلصاقه به، ثم اسْتُعير اسم الضرب المشبّه به لإلصاق الذلّة، واشتقّ من الضرب بهذا المعنى لفظ ضربت، فهو استعارة تحقيقية تبعيّة لا مكنيّة وتخييلية. قوله: (ضربة لازب) صفة مصدر محذوف. قال العلامة التفتازاني رحمه الله في حاشيته على الكشاف: لَزبَ[1] الشيء يلزب ـ بالضم ـ لَزِق، وطين لازب، واللازب الثابت، ومنه صار الشيء ضربة لازب، انتهى بحروفه. وفي لسان العرب: اللَّزْبة الشدّة، ومنه قولهم: هذا الأمر ضربة لازب، أي لازم شديد، ولزَب الشيء يلزُب ـ بالضم ـ لَزْبًا ولُزُوبًا دخل بعضه في بعض، ولَزَب الطّين يلزُب لُزُوبًا ولَزُب لَصِق وصَلُب، وفي حديث عليّ عليه السلام: ولاطَها بالبَلّة حتى لَزِبت، أي لَصِقت ولَزِمت، وطين لازب أي لازق، قال الله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصّافات: الآية ١١]. قال

(١) من باب قعد، كذا في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضه.

فاليهود (صاغرون أذلاء) أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية. (﴿عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ﴾: حمزة وعلي، وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة).

الفرّاء: اللازب واللاتب واللاصق واحد، والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازم ولازب، يُبْدِلون الياء ميمًا لتقارب المخارج. قال أبو بكر: معنى قولهم: ما هذا بضربة لازب، أي ما هذا بلازم واجب، أي ما هذا بضربة سيف لازب، وهو مثل، واللازب الثابت وصار الشيء ضربة لازب، أي لازمًا، هذه اللغة الجيّدة وقد قالوها بالميم، والأول أفصح.اهـ.

قوله: (ميلزمه) أي الطين الحائط. قوله: (صاغرون) أي أذِلّاء. في محيط المحيط: الصاغر المُهان والراضي بالذلّ، ج صَغَرة وصاغرون.اهـ. قوله: (أذلاء) في محيط المحيط: ذلّ الرجل يَذِلُّ وذُلالة وذِلّة ومَذَلّة وذَلالةً هانَ ضِدُّ عزَّ، فهو ذليلٌ وذُلّانٌ، ج ذلال وأذِلّاءُ وأذِلّة. قوله: (﴿عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ﴾ حمزة وعلي، وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة) أي قرأ حمزة وعليّ ﴿عليهم﴾ بضم الهاء والميم وصلًا، وفي الوقف حمزة على أصله، وعليّ بكسر الهاء. وقوله: (حمزة) أي أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيّات، كان أحد القرّاء السبعة، وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة، وأخذ هو عن الأعمش، وإنما قيل له: الزيّات؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعُرِف به. وتوفي سنة ستّ وخمسين ومائة بحلوان ـ بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون ـ وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل. وقوله: (وعليّ) أي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان بن فيروز الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القرّاء السبعة.

روى الكسائي عن أبي بكر بن عباس وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم، ورَوَى عنه الفراء وأبو عُبيد القاسم بن سلام وغيرهما. وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالريّ، وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. والكسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة، وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيّات وهو مُلتفّ بكساء، فقال حمزة: مَنْ

(وبكسر الهاء والميم: أبو عمرو. وبكسر الهاء وضم الميم: وغيرهم. ﴿وَبَآءُو﴾ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ من قولك («باء فلان بفلان») إذا كان (حقيقًا) بأن يقتل به لمساواته له. أي صاروا أحقّاء بغضبه. (وعن الكسائي رجعوا) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلّة والمسكنة (والخلافة) بالغضب. ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (بالهمزة: نافع) وكذا بابه. أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء. وقد قتلت اليهود (شعياء وزكريا

يقرأ؟ فقيل له: صاحب الكساء، فبقي عليه، وقيل: بل أحرم في كساء، فنُسِب إليه.

قوله: (وبكسر الهاء والميم، أبو عمرو) أي قرأ أبو عمرو البصري بكسر الهاء والميم وقفًا ووصلًا. **قوله**: (وبكسر الهاء وضمّ الميم وغيرهم) وصلًا، وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم. **قوله**: (﴿وَبَآءُو﴾) الألف في باؤوا منقلبة عن واو؛ لقولك في المستقبل: يبوء. **قوله**: (باء فلان بفلان) صار كفؤًا له. **قوله**: (حقيقًا) أي خليقًا. في صحاح الجوهري: وهو حقيق أن يفعل كذا، وهوحقيق به ومحقوق به، أي خليقٌ له، والجمع أحقّاء ومحقوقون.اهـ.

قوله: (وعن الكسائي: رجعوا)، فإنّ العرب تقول لمن قَدِم من سفر التجارة: إنه باء بالربح وبالخسران، أي رجع. **قوله**: (والخلاقة) مصدر خلُق بكذا بالضم صار خليقًا به. **قوله**: (﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالهمزة نافع) أي قرأ نافع المدني ﴿النبيين﴾ بالهمزة على الأصل؛ لأنه من النبأ وهو الخبر، والباقون بغير همزة على البدل، فإن قُلِبت الهمزة ياء ثم أُدغمت الياء الزائدة فيها. وقيل: مَنْ لم يهمز أخذه من النبوّة، وهو الارتفاع؛ لأن رتبة النبيّ ارتفعت عن رُتَب سائر الخلق. **قوله**: (شَعياء) بن أمضيا ـ بفتح الشين المعجمة وسكون العين والياء التحتانية بنقطتين بالقصر ـ وكان نبيًّا قبل زكريا ويحيىٰ وعيسى، وشعيا هو الذي بشّر بيت المقدس حين شكى إليه الخراب، فقال: أبشر فإنه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، يعني بشر بعيسى ونبيّنا ﷺ، ولمّا أرادوا قتله هرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه، وهو في وسطها. **قوله**: (وزكريا) النبيّ صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم، أبو يحيىٰ وفيه خمس لغات

ويحيىٰ) صلوات الله عليهم. **(والنبيّ من النبأ لأنه يخبر عن الله تعالى «فعيل» بمعنى «مفعل» أو بمعنى «مفعَل»)**.

أشهرها زكرياء بالمدّ، والثانية بالقصر، وقُرىء بهما في السَّبْع، والثالثة والرابعة زكريّ وزكرى بتشديد الياء وتخفيفها، حكاهما ابن دريد، وحكاهما من المتأخّرين الجواليقيّ، والخامسة زكر كقلم، حكاها أبو البقاء. قال الجواليقي: فمَنْ مدَّ قال في التثنية: زكرياءان، وفي الجمع: زكرياؤون، ومَنْ قصر قال: زكريّيان وزكريّيو، ومَنْ قال: زكريّ قال: زكريّان كمدنيان، وزكريّون كمدنيّون، ومَنْ خفّف قال: زكريان وزكريون، وأنه اسم أعجمي. وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريّا نجارًا»، وهذه من الفضائل؛ لقوله ﷺ في صحيح البخاري: «أفضل ما أكل الرجل مِنْ عمل يده». قال أهل التواريخ: كان زكريّا من ذرّية سليمان بن داود على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، وقُتِل[1] زكريا بعد قتل يحيىٰ ابنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. **قوله**: **(ويحيىٰ)** بن زكريا صلّى الله على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام، ولفظ يحيىٰ لفظ عجمي. وقال الواحدي: يحيىٰ لا ينصرف عربيًّا كان أو عجميًّا، امتنع لشبه الفعل مع التعريف. قال العلماء: أوّل من سُمِّي بيحيىٰ ابن زكريا صلّى الله على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿**لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: الآية ٧]. قال الواحدي: قال المفسّرون: أوّل مَنْ آمن بعيسى يحيىٰ، وكان يحيىٰ أسنّ من عيسى على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام. قال الثعلبي: كان مولد يحيىٰ قبل مولد عيسى بستّة أشهر. قال العلماء بالتاريخ: قُتِل يحيىٰ قبل أبيه زكريّا، وفضائله في القرآن والأحاديث مشهورة، واتّفقوا على أنه قُتِل ظلمًا شهيدًا، وأُخِذَ رأسه ووُضِعَ في طست وغضب الله تعالى على قاتليه وسلّط عليهم بُخت نصّر وجيوشه، فجاسوا خلال الدّيار، وكان وعدًا مفعولًا. **قوله**: **(والنبيّ)** مأخوذ عند البعض **(من النبأ)**، وهو الخبر **(لأنه يخبر عن الله تعالى)** لكنه خفّف بأن قُلِبت الهمزة ياء ثم أُدغمت الياء الزّائدة فيها، فهو **(فعيل بمعنى مُفْعِل)** بكسر العين، يعني يُنْبِىء عن الله تعالى **(أو بمعنى مفعل)** بفتح العين، أي المُنْبىء أنبأ الله تعالى بالإيحاء، وكِلَا المعنيَيْن صحيحان؛ لأن النبيّ مُخْبِر عن الله **تعالى** ومُخْبر؛ لأن الله **تعالى** أخبره

---

(١) كما قتل شعيا، أي بالمنشار على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام. ١٢ منه.

(أو من نَبا أي ارتفع)، والنبوّة المكان المرتفع. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ عندهم أيضًا فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئًا يستحقون به القتل عندهم في التوراة. وهو في محل النصب على الحال من الضمير في «يقتلون» أي يقتلونهم مبطلين (﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة). ﴿بِمَا (عَصَوا) وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ (بسبب ارتكابهم) أنواع المعاصي

بالإيحاء (أو من نبا، أي ارتفع) أي الأكثرون على أنه مأخوذ من النُّبُوّ بمعنى الارتفاع، فهو فعيل بمعنى مفعول غير مهموز.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة) أي أن ذلك الثاني إشارة إلى ما أُشير إليه بذلك الأوّل بعينه، أي ضرب الذلّة والمسكنة والخلاقة بالغضب. **قوله**: (﴿عَصَواْ﴾) أصله عصيوا تحرَّكت الياء وانفتح ما قبلها فقُلبت ألفًا، فالتقى ساكنان: هي والواو، فحُذِفت لكونها أوّل الساكنين، وبقيت الفتحة تدلّ عليها، والواو هنا تدغم في الواو التي بعدها؛ لأنها مفتوحٌ ما قبلها، فلم يكن فيها مدّ يمنع من الإدغام، وله في القرآن نظائر؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧]، ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧] فإنّ انضمّ ما قبل هذه الواو نحو: آمنوا وعملوا، لم يجز إدغامها؛ لأن الواو المضموم ما قبلها يطول مدّها، فيجري مجرى الحاجز بين الحرفين.

قوله: (بسبب ارتكابهم... الخ. أي أن في الآية اسمي الإشارة وبائين، واسم الإشارة الثانية إمّا أن يكون تكرارًا للأُولى أو لا، وعلى كل من التقديرَيْن كلُّ واحدةٍ من الباءين إمّا أن تكون سببية أو بمعنى مع، وإمّا أن تكون الأُولى بمعنى مع، والثانية للسببية أو بالعكس، فإنْ كانت الإشارة الثانية تكرارًا للأُولى، فلا يجوز أن تكون الباءان سببيتين كَيْلا يتوارد سببان على مسبّب واحد بالشخص، ولا أن تكونا بمعنى مع لئلا يبقى المشار إليه بذلك في الموضعين بلا سبب، ولا يجوز أن تكون الأُولى سببية والثانية بمعنى مع؛ لأن الكفر وقتل الأنبياء تامّان في كونهما سببين للذلّة والمسكنة والبَواء بالغضب، فيُسْتغنى بهما في السببية عن غيرهما؛ فتعيّن أن يكون الأُولى بمعنى مع، والثانية للسببية، وتقديره: ذلك الذلّة والمسكنة والبواء بغضبٍ من الله بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقّ، فإنّ العصيان والاعتداء في الحدود ليسا كالكفر، وقتل الأنبياء في الاستقلال بالسببية فضُمّا إليهما تكميلًا لهما في

واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء. وقيل: (هو اعتداؤهم في السبت). ويجوز أن يُشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء (على) معنى (أن ذلك) بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم (انهمكوا فيهما وغلوا) حتى قست قلوبهم (فجسروا) على (جحود) الآيات وقتلهم الأنبياء، أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (بألسنتهم من غير مواطأة القلوب) وهم المنافقون.

السببية، وإن لم يكن تكرارًا للأولى بأن يكون إشارة إلى الكفر وقتل الأنبياء كانت الباء الأُولى للسببية لا غير، وفي الثانية جاز الأمران. ومعناه على السببية: ذلك ـ أي الكفر والقتل ـ بسبب عصيانهم واعتدائهم؛ لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قَسَتْ قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء. ومعناه على المعيّة: ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا، فذلك مبتدأ ومع ما عصوا خبره، أي كفرهم وقتلهم الأنبياء مقرون بأنواع المعاصي والاعتداء في الحدود؛ كأنه قيل: ضُرِبت عليهم الذلّة والمسكنة، لأنهم كفروا وقتلوا وما اكتفوا بهما، بل ضمّوا إليهما العصيان والاعتداء. قوله: (هو اعتداؤهم في السبت) بسبب السمك المأمورين بتركه فيه. قوله: (على أن ذلك) أي الكفر والقتل.

قوله: (انهمكوا) أي لجّوا وبالغوا. في المصباح: انهمك في الأمر انهماكًا جدّ فيه ولجّ، فهو منهمك. اهـ.

قوله: (فيهما) أي العصيان والاعتداء. قوله: (غلوا) في محيط المحيط: غلا الشيء غُلُوًّا زاد وارتفع. اهـ. قوله: (فجسروا) في محيط المحيط: جَسَر الرجل يجسر جُسُورًا وجَسَارةً مضى ونفذ، وعلى الأمر أقدم. اهـ. قوله: (جحود) أي إنكار.

قوله: (بألسنتهم من غير مواطأة القلوب) قدّر بذلك ليدخلوا في عِداد الكفرة وينتظموا معهم، فيصحّ الإبدال والإخبار بأنّ مَنْ آمن منهم إيمانًا خالصًا فله كذا،

(﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تهوّدوا، يقال: هاد يهود وتهوّد إذا دخل في اليهودية) وهو هائد والجمع هود. (﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ جمع نصران كندمان وندامى) يقال: رجل نصران وامرأة نصرانة. والياء في نصراني للمبالغة كالتي في «أحمري» (سَمّوا نصارى لأنهم نصروا المسيح. ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾) الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا

وقوله: مواطأة، في المصباح: المواطأة الموافقة. اهـ. **قوله**: (تهوّدوا) أي دخلوا في دين اليهود، أي هاد بمعنى تهوّد، وكون الثلاثي بمعنى التفعّل خفيّ، (**يقال: هاد يهود وتهوّد إذا دخل في اليهوديّة**) أي في دين اليهود. **قوله**: (﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ **جمع نصران**) نُقِل عن الصحاح أنّه قال: جمع نصرانة أيضًا، وهذا قول سيبويه، فإنه قال لأنه جاء في مؤنثه نصرانة، وإذا كان المؤنث نصرانة، فالمذكّر نصران (**كندمان وندامى**)... الخ. وأمّا عند الخليل: النصارى جمع نصريّ كمهريّ ومهارى حُذِفت إحدى يائيه وقُلِبت الكسرة فتحة للتخفيف، فقُلِبت الياء ألفًا، كذا نُقِل عن السيرافي. والمصنف رحمة الله عليه اختار قول سيبويه لاستغنائه عن العمل الذي في نصرى، لكن الظاهر أن نصران بمعنى نصراني، والياء في نصراني للمبالغة... الخ. كما يقال لأحمر أحمريّ. **قوله**: (**سَمّوا نصارى لأنهم نصروا المسيح**) أي نصران بمعنى ناصر، سُمّوا بذلك لأنهم نصروا المسيح عيسى ابن مريم حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٥٢]، والمسيح لقب من الألقاب المشرّفة؛ كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه المبارك؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريَم: الآية ٣١]، واشتقاقه من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهّره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو لأنه خرج من بطن أُمّه ممسوحًا بالدّهن، أو لأن جبريل مسحه بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، أو لأنه كان مسيح القدم لا أخمص له. وقال ابن عباس: سُمّي مسيحًا لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برىء، ويسمّى الدجّال مسيحًا لأنه ممسوح إحدى العينين. قوله: (لا أخمص له) في المصباح: خمص القدم خمصًا من باب تعب ارتفعت من الأرض، فلم تمسّه، فالرجل أخمص القدم والمرأة خمصاء، والجمع خُمُص، مثل أحمر وحمراء وحُمُر؛ لأنه صفة، فإن جُمِعَت القدم نفسها قلت: الأخامص، مثل الأفضل والأفاضل إجراءً له مجرى الأسماء. اهـ. **قوله**: (﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾) قرأ نافع المدنيّ

خرج من الدين، و(هم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. وقيل: هم يقرؤون الزبور).

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ من هؤلاء الكفرة إيمانًا خالصًا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

بترك الهمزة من الصابئين والصابئون في كل القرآن إمّا على البدل أو من صَبا يصبو إذا مال، والباقون بالهمزة على الأصل؛ لأنه من صبأ إذا خرج من الدِّين. **قوله**: (وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة، وقيل: هم يقرؤون الزبور)، في تفسير روح البيان: وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة، فكانوا كعبدة الأصنام، وإنْ كانوا يقرؤون الزبور لا تؤكل ذبائحهم ولا تُنكح نساؤهم.اهـ. وفي تفسير المظهري: وهم خرجوا من كل دين. قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، فقال عمر: يحلّ[(١)] ذبائحهم، وقال ابن عباس: لا يحلّ ذبائحهم ولا مُناكحتهم. وقال مجاهد: هم قوم نحو الشام بين اليهود والمجوس من أهل الكتاب. وقال الكلبي: هم بين اليهود والنصارى. وقال قتادة: هم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلّون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئًا.اهـ.

وفي الهداية: «ويجوز تزوّج الصابئات إنْ كنّ يؤمنّ بدين ويقررن بكتاب»؛ لأنهنّ من أهل الكتاب، «وإن كنّ يعبدن الكواكب، ولا كتاب لهنّ لم تَجُز مُناكحتهن» لأنهن مشركات، والخِلاف المنقول فيه محمول على اشتباه مذهبهم، فكلٌّ أجاب على ما وقع عنده، وعلى هذا حال ذبيحتهم، انتهت. وفي العناية: قوله: والخلاف المنقول فيه، يعني من أبي حنيفة وصاحبيه رضي الله تعالى عنهم أن أنكحتهم صحيحة عنده خلافًا لهما محمول... الخ. فوقع عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنهم مِنْ أهل الكتاب يقرؤون الزبور ولا يعبدون الكواكب لكنهم يعظّمونها، كتعظيمنا القبلة في الاستقبال إليها، ووقع عندهما أنهم يعبدون الكواكب ولا كتاب لهم، فصاروا كعبدة الأوثان، فإذن لا خلاف بينهم في الحقيقة، انتهت.

---

(١) فعنده: تحل، وعندهما: لا تحل. ١٢ منه.

ومحل (﴿مَنْ ءَامَنَ﴾) الرفع إن جعلته مبتدأ خبره (﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾)، والنصب إن جعلته (بدلا من اسم «إن» والمعطوف عليه). فخبر («إن») في الوجه الأول (الجملة) كما هي، (وفي الثاني) «هم» (والفاء لتضمن «من» معنى الشرط).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ بقبول ما في التوراة. (﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي الجبل) حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق. وذلك أن موسى عليه السلام (جاءهم بالألواح)

قوله: (بدلا) أي بدل البعض (من اسم إن) أي (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والمعطوف عليه) أي (﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾)، أي بدل البعض من الكل. قوله: (الجملة) أي جملة (﴿مَنْ ءَامَنَ﴾) إلى قوله: (﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾) قوله: (وفي الثاني) أي وفي الوجه الثاني، أي (إنّ) جعلت (مَنْ) بدلًا. قوله: (والفاء) أي الفاء في ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ (لتضمن (مَنْ) معنى الشرط) سواء جُعِل بدلًا أو مبتدأ؛ وذلك لأن اسم (إن) والمعطوف عليه لا يتضمّن معنى الشرط لفقد السببيّة للآخر، فاعتبر التضمّن في البدل الذي هو المقصود.

قوله: (﴿وَرَفَعْنَا﴾) أي وقد[1] رفعنا. قوله: (﴿فَوْقَكُمُ﴾) ظرف مكان ناصبه ﴿رفعنا﴾. قوله: (﴿ٱلطُّورَ﴾ أي الجبل) الطور يُطلق على أيّ جبلٍ كان؛ كما في القاموس، وصرّح به السمين، ويُطلق أيضًا على جبال مخصوصة بأعيانها، وهذا الجبل الذي رُفع فوقهم كان مِنْ جبال فلسطين، كما في الخازن عن ابن عباس. قوله: (جاءهم بالألواح) أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنّة أو زبرجد أو زمرّد سبعة أو عشرة، كذا في الجلالين. وقوله: (أو زبرجد أو زمرد) في منتهى الأرب في لغات العرب: زَبَرْجَد كسفرجل گوهرى است سبز مائل بزدرى ومعدن أن زمين مصر وشام است وأن تزديك فارابي وأكثر حكما معرب زمرد است نه جنس على حده وبعض برأنندكه زبرجد غير زمرد است.اهـ. وأيضًا فيه: زُمُرّد ـ بضمتين وتشديد الراء وقد تُفتح الميم ـ جوهريست معروف.اهـ. وفي غياث اللغات: زبرجد بفتح أوّل وثاني وجيم نوعي از زمرد از برهان ودر منتخب نوشته

(١) فيه رمز إلى أن الجملة في محل نصب على الحالية. ١٢ منه عم فيضه.

فرأوا ما فيها من (الآصار) والتكاليف الشاقّة (فكبرت) عليهم (وأبوا) قبولها، (فأمر الله تعالى جبريل ﷺ فقلع) الطور من أصله ورفعه (فظلله) فوقهم وقال لهم موسى: (إن قبلتم) وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم. (﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾) من الكتاب أي التوراة (﴿بِقُوَّةٖ﴾ بجد وعزيمة) ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ واحفظوا ما في

كه جوهر يست سبزرنك بزدرى مائل وًن چيريست على حده اززمرد وينز صاحب منتخب نوشته كه صاحب صحاح وقاموس زمرد رابز برجد تفسير كرده اند.اهـ. وأيضًا فيه: زمرد بضمّتين وتشديد راء مهملة مضموم جوهريست سبزرنگ وبفتح راء مهمله نيزأمده. قوله: (الآصار) جمع أصر، وهو الثقل وكل أمر شاقّ. قوله: (فكبرت) بضمّ الباء، أي ثقُلت وشقّت. قوله: (وأبوا) أي امتنعوا. قوله: (فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام) أي بقلع الطور. قوله: (فقلع) في المصباح: قلعته من موضعه قلعًا نزعته فانقلع.اهـ.

قوله: (فظلله) بمعنى جعله فوقهم مرتفعًا منفصلًا عن الأرض كالظلّة، قيل: فكان حصل لهم بعد هذا القسر والإلجاء قبول وإذعان اختياري، أو كان يكفي في الأُمم السابقة مثل هذا الإيمان.اهـ. ويرّده ما في التيسير عن القفّال أنه ليس جبرًا على الإسلام؛ لأن الجبر يسلب الاختيار ولا يصح معه الإسلام، بل كان إكراهًا وهو جائز، ولا يسلب الاختيار كالمحاربة مع الكفار. وأمّا قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يُونس: الآية ٩٩]، فقد كان قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ به؛ كذا في حاشيه العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. قوله: (إن قبلتم) فبها. قوله: (﴿مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾) مفعول (﴿خُذُواْ﴾)، و(﴿مَآ﴾) موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف. قوله: (﴿بِقُوَّةٖ﴾) أي بجدّ وعزيمة، أي على تحمّل مشاقه من غير تكاسل وتغافل، وهو حال من فاعل ﴿خُذُواْ﴾ أي خذوه مُجدّين في الأخذ والعمل بما فيه غير متكاسلين، أو من ذلك العائد المحذوف، أي ملابسًا بقوّة وصعوبة بحيث يصعب العمل به والاجتهاد في معرفته وحفظه. قوله: (بجد) في المصباح: جدّ في كلامه جدًّا من باب ضرب ضدّ هزل، والاسم منه الجدّ بالكسر أيضًا.اهـ. وقوله: (وعزيمة) في المصباح: عزم عزيمة وعزمه اجتهد وجدّ في أمره.اهـ.

الكتاب (وادرسوه) ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (رجاء منكم أن تكونوا متقين).

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ (ثم أعرضتم) عن الميثاق (والوفاء به). ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد القبول ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتأخير العذاب عنكم (أو بتوفيقكم للتوبة). ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الهالكين في العذاب.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾

(﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم) فيتعدى إلى مفعول واحد ﴿ٱلَّذِينَ (ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ) فِى ٱلسَّبْتِ﴾ هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت). وقد اعتدوا

قوله: (وادرسوه) أي اقرؤوه. **قوله**: (رجاء منكم أن تكونوا متقين) مبنيّ على أن تكون لعلّ بمعنى الترجّي الذي هو أصل معناها، أي لعلّ للترجي من المخاطب.

قوله: (ثم أعرضتم) يُفهم منه أنهم امتثلوا الأمر ثم تركوه، وأصل الإعراض الإدبار المحسوس، ثم استُعمل في المعنوي كعدم القبول والخبر عن أحوالهم، انتهى عند قوله (﴿بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾). **قوله**: (والوفاء به) أي بالميثاق عطف تفسيري. **قوله**: (أو بتوفيقكم للتوبة) على أن يكون المراد بالفضل تلطّفه بهم حين أبوا قبول التوراة، والمعنى: لولا فضل الله عليكم برفع الجبل فوقكم لدُمْتم على عدم قبول التوراة، ولكنه تفضّل عليكم ورحمكم وتلطّف بكم حتى تُبْتم.

قوله: (عرفتم)... الخ. العلم في قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾) بمعنى المعرفة، فلذلك عدّى إلى واحد، ولو كان على أصل معناه لعدّى إلى اثنين؛ لأنه يدلّ على معرفة الذّات بما عليه من الحال، وفرّق آخر بين العلم والمعرفة أنّ المعرفة يسبقها جهل والعلم قد لا يسبقه الجهل، ولذلك لا يجوز أن تسند المعرفة إليه تعالى. **قوله**: (﴿مِنكُمْ﴾) في محل النصب على أنه حال من الضمير المستتر في (﴿ٱعْتَدَوْا۟﴾)، أي كائنين منكم. **قوله**: (هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت) حمل السبت المذكور في الآية على المصدر دون الزمان المعيّن الذي

فيه أي جاوزوا ما حد لهم (فيه) من التجرّد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد. وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم **(فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه)** يوم السبت، فإذا مضى تفرّقت فحفروا حياضًا عند البحر **(وشرعوا)** إليها **(الجداول)**، فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدّون **(مشارعها)** من البحر

هو آخر أيّام الأسبوع؛ لأن المنهيّ عنه هو الاعتداء فيما وجب عليهم من تعظيم يوم السبت بترك العادات والاشتغال بالعبادات، لا الاعتداء في شيءٍ آخر في يوم السبت، ولو كان المراد بالسبت اليوم المذكور لم يعلم أنهم في أيّ فعلٍ جاوزوا الحدّ الذي حُدَّ لهم، فإنّ الاعتداء هو مجاوزة الحدّ على وجه محظور. **قوله**: (فيه) أي في يوم السبت. **قوله**: **(فما كان يبقى حوت)** من باب التنازع، وجعل كان زائدة أو فيها ضمير الشأن لا يؤدّي المقصود، وقوله: **(حوت)** في المصباح: الحوت العظيم من السمك وهو مذكر، وفي التنزيل: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٢]، والجمع حيتان.اهـ. **(في البحر)** الأخضر هناك **(إلا أخرج خرطومه)**... الخ. الخرطوم كزنبور ما ضمّ عليه الحنكان، كذا في حاشيه البيضاوي للعلامة الشهاب. وفي تفسير العلامة القنوي: الخرطوم الأنف، لكن المراد به هنا أنفه ورأسه، وليس المراد أنفه فقط، وفي هذا بلاءٌ مبين لبني إسرائيل؛ فمنهم مَنْ أمسك وصبر، ومنهم من صبر فقط، ومنهم تصدّى للاصطياد.اهـ. وفي حاشية لشيخ زاده: أي أخرج أنفه ورأسه من الماء لأمنه في ذلك اليوم، فيستتر وجه الماء من كثرة الحيتان حتى لا يرى شيءٌ منه، فإذا مضى السبت تفرّقت ولزمت قعر الماء، ثم إنّ الشيطان وسوس إليهم، وقال: إنما نُهيتم عن أخذها يوم السبت، فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار والجداول، أي حفروا منه إليها طرقًا وجعلوا ما حفروه من الأنهار والجداول كالشارع المُنتهي إلى الحياض، وكانت الحيتان تدخل الحياض يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد، انتهت.

وقوله: (وشرعوا) أي أظهروا. **قوله**: **(الجداول)** جمع جدول. في المصباح: الجدول فعول هو النهر الصغير.اهـ. وفي محيط المحيط: الجَدْوَلُ والجِدْول النهر الصغير.اهـ. **قوله**: (مشارعها) في شرح القاموس المسمّى بتاج

(فيصطادونها) يوم الأحد، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم. (﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾) بتكويننا إياكم (﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾) خبر كان (أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد.

العروس من جواهر القاموس: المشرع كمقعدة المشرعة، والجمع المشارع. اهـ. وفي المصباح: المشرعة ـ بفتح الميم والراء ـ شريعة الماء. قال الأزهري: ولا يسمّيها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدًّا لا انقطاع له كماء الأنهار، ويكون ظاهرًا معينًا ولا يستقى منه برشاء. اهـ. وأيضًا فيه الشريعة، وهي مورد الناس للاستقاء، سُمّيت بذلك لوضوحها وظهورها. اهـ.

وفي منتهى الأرب في لغات العرب: مَشْرَعة بالفتح وتضمّ الراء جاى بآب درآمدن. اهـ. وفي غياث اللغات: مشارع ـ بفتح ميم وكسر راء مهمله ـ بمعنى راهها جمع مشرع كه اسم ظرف باشد ماخوذ ازشرع كه بمعنى راه كشادن است. قوله: (فيصطادونها) أي فيأخذونها. قوله: (﴿كُونُوا﴾) بتكويننا إياكم، أي ليس أمرًا تكليفيًّا، بل أمرٌ تكويني؛ كما في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: الآية ٧٣].

قوله: (أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء) أشار به إلى أن (﴿خَٰسِـِٔينَ﴾) خبر بعد خبر؛ لقوله: ﴿كُونُوا﴾؛ كقولهم: حلو حامض، أي مزٌّ(١) جامع بين الطعمين، ويجوز أن يكون حالًا من الضمير المستكنّ في (﴿قِرَدَةً﴾)؛ لأنّه في معنى المشتقّ، أي كونوا ممسوخين حال كونكم خاسئين مطرودين كالكلب إذا دنا من الناس، يقال له: اخسأ، أي تباعد وانطرد صاغرًا ذليلًا، ولا يجوز أن يكون صفة لقردة، وإلّا لقيل: خاسئة؛ لأن القردة ليست من ذوي العقول، فلا تُجمع جمع السلامة؛ لأنه يختصّ بالعُقَلاء. قوله: (الخسوء) في القاموس: خَسَأ الكلبَ كمنع طرده خَسْأً وخُسُوءًا والكلبُ بَعُد. اهـ.

قوله: (وهو الصغار) بفتح الصاد مصدر صغر بكسر الغين المعجمة الذلّة. قوله: (والطرد) بمعنى الإبعاد لكنه مبنيّ للمفعول لقرينة عطفه على الصغار، فيكون بمعنى المطرود لا بمعنى الطارد، فإنه لا يصح هنا.

(١) قوله: مزّ ـ بالضم ـ بين الحامض والحلو. اهـ قاموس. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني المسخة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة تنكل من اعتبر بها أن تمنعه. (﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾) لما قبلها. (﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾) وما بعدها (من الأمم والقرون) لأن

قوله: (يعني المسخة) المفهومة من السياق، أي من قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾. قوله: (من الأمم) بيان (﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾) المفسّرين بما قبل المسخة وما بعدها بأن جعلت الجهتان المكانيتان، أعني القدّام والخلف مستعارتين للزمان، وأن يراد به أهله من العقلاء، إلّا أنه عبّر عنهم كلمة ﴿ما﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال لمن بين يديها ومن خلفها تحقيرًا لشأنهم، فكأنهم غير عُقلاء بالنسبة إلى المتكلّم العليّ شأنه الباهر سلطانه، فالمراد بمن قبل تلك المسخة هم الذين مضوا قبل عصر هؤلاء الممسوخين، وكان في كتبهم أنّ تلك المسخة ستقع فيمن لم يحرّم ما يحرّمه الله تعالى، فاعتبروا بها وامتنعوا عمّا يؤدي إليها. فإن قيل: كيف يجوز أن يراد بما ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ الأُمم السابقة على المسخة، والحال أن الفاء في قوله: (﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾) تدلّ على تأخر الجعل عن المسخة، والقول بكونوا قردة. أُجيب بأن اللازم تأخر جعلها نكالًا وعِبْرة لمجموع الفريقين من حيث هو هو، وهو لا ينافي أن يتقدَّم كونها عِبْرة لأحد الفريقين على المسخ والقول، ولم يتعرّض لكونها نكالًا وعِبْرة لأهل عصر الممسوخين مع أنّهم أحقّ بذلك لمشاهدتهم إيّاها بناءً على أنهم لحضورهم في ذلك العصر ومشاهدتهم إيّاها لم يحتج إلى بيان كونها عِبْرة لهم؛ لأنها لمَّا كانت عِبْرة لمن قبلهم ولِمَنْ بعدهم، فكونها عِبْرة لهم وهم يشاهدونها أوْلى. **قوله**: (والقرون) جمع قرن. في مختار الصحاح: القرن في الناس أهل زمان واحد. اهـ.

قوله: (﴿وَمَوْعِظَةً﴾) معطوف على قوله نكالًا، وهو مصدر ميميّ بمعنى العِظَة والتذكير، وهو التخويف والتحذير، سواء كان بالأقوال والنصائح، أو بأن يعاقب الجاني بسبب جنايته، فإنّ البريء من الجناية يتّعظ ويخاف من أن يُعاقَب بتلك العقوبة المترتّبة على تلك الجناية، فيحترز عنها؛ فلذلك كانت المسخة المتعلّقة بالمُعْتدين موعظة في حقّ المتّقين عن الاعتداء في السبت من قوم المعتدين فيه أو في حقّ جميع المؤمنين الذين يتّقون عما حرّم عليهم.

مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين. ﴿وَمَوْعِظَةً (لِلْمُتَّقِينَ)﴾ الذين نهوهم عن الاعتداء **(من صالحي قومهم أو لكل متقٍ سمعها)**.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

(﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾) أي واذكروا إذ قال موسى، وهو معطوف على نعمتي في قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٤٠] كأنه قال: اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى. وكذلك هذا في الظروف التي مضت أي اذكروا نعمتي، **(واذكروا وقت إنجائنا)** إياكم.

قوله: **(من صالحي قومهم)** بناءً على أنّ اللام في المتقين للعهد. **قوله:** **(أو لكلِّ متقٍ سمعها)**، فتكون اللام فيه للاستغراق شاملة لقومهم وغيرهم من الأمم الماضية والآتية والقريبة والبعيدة والحاضرة والغائبة، والمقصود من هذه القصة إظهار معجزة رسولنا ﷺ؛ لأنه خطابٌ لليهود الذين كانوا في زمانه ﷺ، فلمّا أخبرهم عن هذه القصة ـ كما هو الواقع ـ مع أنه لم يقرأ ولم يكتب ولم يُخالط القوم، دلّ ذلك على أنه عَرَفه بالوحي. وأيضًا فيه تهديد لهم بأنه ينزل بهم ما نزل بآبائهم إذا تمرّدوا وتجاوزوا الحقّ، فلا يغترّوا بالإمهال. وفي الصحيح أنهم مكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يأكلوا ولم يشربوا ولم يبق لهم نسل. قال القرطبي: وحديث الفار والضبّ، فإنما قاله حدسًا لقوله لعلّه، أي الضبّ من القرون التي مُسِخت، وهذا حدس وظنّ قبل أن يُوحى إليه أنّ الممسوخ لا يعيش ولا يُنْسل.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾) الآية، لما عدّد الله تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من فنون نعمه استمالة لقُرْبهم وبعثًا لهم على الاعتراف بنِعَمِهِ والاشتغال بشكرها، ثم خوّفهم بأن ذكّرهم ما نزل بالمُعْتدين مما عدّ لهم من المسخة والعقوبة شرع الآن في تقريعهم بذكر بعض قبائحهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال وقتل النفس المحرّمة اتّباعًا للهوى، ثم نسبة قتلها إلى مَنْ هو بريء منه بهتانًا وافتراءً عليه. **قوله:** **(واذكروا وقت إنجائنا)** تقدير: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: الآية ٤٩].

(واذكروا وقت فرقنا)، واذكروا نعمتي، (واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه). والظروف التي تأتي إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤]. (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن﴾) أي بأن (﴿تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾) قال المفسرون: أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾). وذلك أن رجلًا

قوله: (واذكروا وقت فرقنا) تقدير: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٥٠] الآية. قوله: (واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه) تقدير: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠] الآية. قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن﴾) بأن (﴿تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾) التاء في البقرة ليست للتأنيث، وإنما هي لتدلّ على أنها فرد واحد من جنس البقر، كالبطّة والدجاجة والحمامة، ويتميّز الذّكر من الأُنثى بالصفة، يقال: بقرة ذكر وبقرة أُنثى، وقيل: البقرة اسم للأُنثى خاصّة من هذا الجنس، ويقال للذّكر منه ثور، فإنّه كثيرًا ما يفرق بين ذكور الحيوانات وإناثها بأنْ يوضع لكل واحد من الذّكر والأُنثى اسم على حِدَة، مثل رجل وامرأة، وجمل وناقة، وثور وبقرة، وحمار وأتان؛ إلّا أنّ الإمام أبا منصور رحمه الله استدلّ على أنّ البقرة المذكورة كانت ذكرًا، بقوله تعالى: (﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾) بناءً على أن إثارة الأرض وسقي الحرث من عمل الثّيران، واستدلّ بالآية على أن الذّبح فيها أحسن من النَّحر، بخلاف الإبل.

قوله: (قال المفسرون: أول القصة مؤخر في التلاوة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ٧٢])؛ وذلك لأن قتلها والتداري فيها بأن يدفع كلّ واحد منهم القتل عن نفسه وينسبه إلى غيره، ويتخاصموا في شأنه كان مقدَّمًا في الوجود على الأمر بالذبح، فكان الظاهر أن يقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٢]، فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ليكون الترتيب في الذكر على حسب الترتيب في الوجود، فإنَّ جميع ما ذُكِر في هذه الآيات قصّة واحدة، فكان الظاهر أن يكون نظمها في الذّكر على حسب انتظامها في الوجود؛ إلّا أنها جُعِلت قصّتين وقدَّم آخرها على أوّلها، لكون ما قُدِّم منها مستقلّاً في إفادة نوع آخر من مساوئهم، فتقديمه وجعله قصة واحدة يفيد تقريعًا مستقلّاً بنوعٍ من قبائح أعمالهم زائد على ما يفيده ما أُخِّر منها، فإنّ ما قُدِّم منها يفيد تقريعهم على الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المُسارعة إلى

موسرًا اسمه («عاميل») قتله بنو عمّه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة (ثم جاؤوا يطالبون بديته) فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها (ليحيا) فيخبرهم بقاتله. ﴿قَالُوٓاْ﴾ (﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو الهزؤ نفسه) لفرط الاستهزاء. («هزأ» بسكون الزاي والهمزة: حمزة. وبضمتين والواو: حفص.

الامتثال، وما أُخِّر منها ـ وهو أوّل القصة ـ يفيد تقريعهم بنوعٍ آخر، وهو قتلهم النفس المحرَّمة اتباعًا للهوى، ثم نسبة قتلها إلى مَنْ هو بريءٌ منها بهتانًا وافتراءً عليه، وما يترتّب عليه من القبائح؛ فلو رُوعِيَ ترتيب الوجود لكان المجموع قصّة واحدة ولفات الغرض الذي هو تكثير قبائحهم والاستقصاء في تقريعهم عليها.

قوله: (﴿فَادَّارَءْتُمْ﴾ [البقرة: الآية ٧٢]) فيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي تخاصمتم وتدافعتم (فيها) أي في شأنها إذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضًا، أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه إلى صاحبه. **قوله**: (عاميل) بن شراحيل. **قوله**: (ثم جاؤوا يطالبون بديته)، وكان هذا قبل نزول القسامة؛ كذا نُقِل عن الحواشي. ولك أن تقول: ليست من شريعة موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، كذا في حاشيه تفسير البيضاوي للعلامة إسمٰعيل القنوي رحمه الله. **قوله**: (ليحيا) المقتول. **قوله**: (﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ، أو الهزؤ نفسه) الاتخاذ كالتصيير والجعل يتعدّى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، والهزؤ مصدر هزئت منه وهزئت به وهو الدعابة والمزاح، يقال: مزح يمزح مزحًا ومزاحًا، أي لاغ كردباوى، ولمّا كان الهزؤ مصدرًا لم يصلح أن يكون مفعولًا ثانيًا للاتّخاذ؛ لأنه في تأويل خبر المبتدأ والحدث لا يحمل على العين حمل هو هو؛ فلذلك قدّر المضاف وهو إمّا مكان أو أهل أو جعل المفعول الأوّل نفس الهزؤ للمبالغة، نحو: رجل عدل لفرط الاستهزاء علّة لقوله: أو الهزؤ نفسه. **قوله**: (﴿هُزْؤًا﴾ بسكون الزاي والهمزة حمزة) أي قرأ حمزة بسكون الزاي مع الهمزة في الوصل، وإذا وقف قال: (هزًا) بنصب الزاي من غير همزة، ورُوِي عنه الإدغام وهو أن يشدّد الزاي. **قوله**: (وبضمتين والواو[1] حفص) أي وقرأ حفص ﴿هُزُوًا﴾ بضم الهاء والزاء بعدها واو مفتوحة

(١) أي مع قلب الهمزة واوًا تخفيفًا. ١٢ منه عُفِي عنه.

غيرهما) بالتثقيل (والهمزة). ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ (العياذ واللياذ) من وادٍ واحد. ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (لأن الهزؤ في مثل هذا) من باب الجهل (والسفه)، وفيه تعريض بهم أي أنتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها، لأن «ما» (وإن كانت سؤالًا عن الجنس)، و«كيف» عن الوصف ولكن قد تقع «ما» موقع «كيف»، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان، و«ما هي» خبر ومبتدأ.

وقفًا ووصلًا. قوله: (غيرهما) أي غير حمزة وحفص بالتثقيل (والهمزة) أي قرأ الباقون بضمّ الزاي بعدها همزة مفتوحة، وحكم (كفؤًا) في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: الآية ٤] كحكم هزؤًا فيما ذُكِر من الإسكان والتحريك ومِنْ إبقاء الهمزة على أصلها وقلبها واوًا. قوله: (العياذ) في لسان العرب: عاذ به يعوذ عوذًا وعِياذًا ومعاذًا لَاذَ به ولجأ إليه واعتصم.اهـ.

قوله: (واللياذ) في لسان العرب: لاذَ به يلوذ لوذًا ولواذًا ولِياذًا لجأ إليه وعاذ به. قوله: (لأن الهزؤ في مثل هذا) أي في مقام التبليغ والإرشاد والجواب عمّا رُفِع إليه من القصة من باب الجهل والسَّفه بخلاف مقام (التحكّم والتحقير مثل: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢١]، والهزؤ ليس هو المزاح والفرق بينهما) ظاهر؛ فلا ينافي وقوعه من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. وقوله: (والسفه) عطف تفسير؛ لأن الجهل ـ كما قال الراغب ـ له معانٍ: عدم العلم، واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما هو حقه أن يُفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا، وهو المراد هنا.

قوله: (وإن كانت سؤالًا عن الجنس) ويدخل فيه السؤال عن الماهيّة والحقيقة في الكلّيات للعلامة أبي البقاء الحُسيني الكفويّ الحنفي يسأل بما عن الجنس تقول: ما عندك؟ أي أيّ أجناس الأشياء عندك، وجوابه كتاب ونحوه، ويدخل فيه السؤال عن الماهية والحقيقة، نحو: ما الكلمة؟ أي أيّ أجناس

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ (لَّا فَارِضٌ)﴾ (مسنّة)، وسميت فارضًا لأنها (فرضت) سنّها أي قطعتها وبلغت آخرها. (وارتفع «فارض» لأنه صفة لـ «بقرة»)، وقوله: (﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ فتية) عطف عليه. (﴿عَوَانٌ﴾ نصف). ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الفارض والبكر، ولم يقل بين ذينك مع أن «بين» يقتضي شيئين فصاعدًا لأنه أراد بين هذا المذكور، وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة (في هذا)، قال (أبو عبيدة):

الألفاظ، وجوابه لفظ مفرد موضوع. وما الاسم؟ أي أيّ أجناس الكلمات هو؟ وجوابه الكلمة الدالّة على معنى في نفسها غير مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة، أو عن الوصف، تقول: ما زيد وجوابه الكريم ونحوه، انتهت.

قوله: (﴿لَّا فَارِضٌ﴾) الفارض من الصفات المختصّة بالأُنثى؛ كالحائض، و(لا) في قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ نافية بمعنى غير. **قوله**: (مسنّة) المسنّة في اصطلاح باب الزكاة هي البقرة التي طَعُنت في الثالثة، وهذا المعنى ليس بمراد هٰهنا، بل المراد بالمسنّة هٰهنا الكبيرة الهَرِمَة من قولهم: أسنّ الرجل، أي كبر[1] وصار شَيْخًا، وسُمّيت البقرة الهرمة فارضًا لأنها فرضت سنّها، أي قطعتها وبلغت آخرها، والفرض في الأصل القطع. **قوله**: (فرضت) بفتح الراء وضمّها. **قوله**: (وارتفع فارض، لأنه صفة لبقرة) توسّطت كلمة (لا) بين الصفة والموصوف، كما في نحو: مررت برجل لا طويل ولا قصير. **قوله**: (﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ فتية) الفتيّة الحديثة السنّ كالفتاة في النساء، وكُرِّرت الكلمة لا لأنها متى وقعت قبل خبر أو نعت أو حال وَجَب تكريرها، تقول: زيد لا قائم ولا قاعد، ومررت برجل لا طويل ولا قصير، ومررت به لا ضاحكًا ولا باكيًا. **قوله**: (﴿عَوَانٌ﴾) صفة لبقرة. **قوله**: (نصف[2]) ـ بفتحتين ـ وهو المتوسّط بين السنين لا صغير ولا كبير، والمتوسطة بين الصغيرة والكبيرة أحسن ما يكون من البقر وأقواه. **قوله**: (في هذا) أي في هذا الحكم. **قوله**: (أبو عُبيدة) ـ بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره ـ معمر ـ بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء ـ ابن المثنّى ـ بضم الميم وفتح الثاء المثلّثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها ـ البصري النحويّ

---

(١) قوله: كبر ـ بالكسر ـ أي: أسن، وأما كَبُر ـ بالضم ـ فمعناه عظم. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) أي المرأة المتوسّطة السن. ١٢ منه.

قلت **(لرؤبة في قوله)**:

(فيها) خطوط من سواد وبلق **(كأنه في الجلد توليع البهق)**

إن أردت الخطوط فقل كأنها. وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما، فقال: أردت كأن ذاك. ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ **(أي تؤمرونه**

العلَّامة يميل إلى مذهب الخوارج، وكانت ولادته في شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة في اللَّيلة التي توفي بها الحسن البصري رضي الله تعالى عنه، وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة عشر، وقيل: سنة ثلاث عشرة ومائتين.

قوله: **(لرؤبة)** هو أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب، واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي السّعدي هو وأبوه راجزان مشهوران، لكلّ منهما ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، وهما مُجيدان في رجزهما. وكان بصيرًا باللغة قيّمًا بحوشيها وغريبها، وكان رؤبة مقيمًا بالبصرة فلمّا ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور، وجرت الواقعة المشهورة خاف على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنّب الفتنة، فلمّا وصل إلى الناحية التي قصدها أدركه أجَله بها، فتوفّيَ هناك سنة خمس وأربعين ومائة، وكان قد أسنّ رحمه الله تعالى، ورؤبة بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة، ولمّا مات قال الخليل: دفنّا الشعر واللغة والفصاحة. **قوله**: **(في قوله)** يصف بقرة، وقيل: فرسًا دخيلًا. **قوله**: **(فيها)** أي في الأفراس أو البقرة، فإنّهما مذكوران فيما سبق خطوط من سواد وبَلَقْ، والبَلق أصله بياض وسواد، لكن المراد هنا البياض فقط بقرينة عطفه على السواد، وإن عطف على الخطوط، فهو على أصله، فيكون إشارة إلى النوعين؛ **(كأنه في الجلد توليع البهق)** التوليع استطالة البهق، والتلوين يقال شيء مولع إذا كان فيه ألوان مختلفة، والبهق بياض يعتري الجلد يخالف لونه لون البرص، والمعنى: كأنه - أي ما ذكر من السواد والبياض - توليع[1] البهق، أي تلوينه. **قوله**: **(أي تؤمرونه)** على أن تكون ما موصولة، ويكون العائد إليها

---

(١) التوليع اختلاف الألوان. ١٢ منه.

بمعنى) تؤمرون به، (أو أمركم) بمعنى (مأموركم) تسمية للمفعول بالمصدر (كضرب الأمير).

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾

قالوا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ موضع «ما» رفع لأن معناه الاستفهام تقديره: ادع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها. ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ (الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه) يقال في التوكيد أصفر فاقع، وهو توكيد لصفراء وليس خبرًا عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل، (ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها)، وفي ذكر اللون

محذوفًا، وفعل الأمر في أصل استعماله يتعدّى إلى مفعولين إلى الأوّل بنفسه، وإلى الثاني بواسطة الباء فرقًا بين المأمور والمأمور به؛ إلّا أنه قد شاع حذف الباء الجارّة في هذا الفعل وتعديته إلى المفعولين بنفسه، نحو قوله:

أمرتك الخير فافعل ما أُمِرْت به

فلذلك جعل المصنف رحمه الله تعالى ما في الآية مبنيًّا على هذا الاستعمال الشائع حيث فسّرها بقوله: أي تؤمرونه، ولم يقدّر الباء الجارّة، ثم ذكر أن تؤمرونه. **قوله**: (بمعنى) تؤمرون به. **قوله**: (أو أمركم بمعنى مأموركم) على أن تكون كلمة ما مصدريّة، ويكون الفعل المؤوّل بالمصدر بمعنى المفعول، أي المأمور بمعنى المأمور به، وهو قليل جدًّا؛ فإنّ الكثير الشائع أن تكون صيغة المصدر بمعنى المفعول. وأمّا كون الفعل المؤوّل بمصدر بمعنى المفعول، فإنه قليل جدًّا. **قوله**: **(كضرب الأمير)** أي مضروب به.

قوله: **(الفقوع أشدّ ما يكون من الصفرة وأنصعه)** الفقوع - بضمّ الفاء - مصدر قولك أصفر فاقع، أي شديد الصُّفرة، وقوله: **(أنصعه)** أي أخلصه. في الصحاح: الناصع الخالص من كل شيء، يقال: أبيض ناصع وأصفر ناصع. وعن الأصمعي أنّه قال: كل ثوب خالص البياض أو الصفرة أو الحمرة، فهو ناصع. **قوله**: **(ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها)**، فيكون صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها سواء في كونهما من باب الوصف للتأكيد، وإنْ كان الثاني أوْكد

فائدة التوكيد (لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة) فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جدّ جدّه (﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾) لحسنها. والسرور لذّة في القلب (عند حصول نفع أو توقعه. عن عليّ) ﷺ: (من لبس) نعلًا صفراء قلّ همّه (لقوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾).

من جهته إن جعل الفقوع الذي هو مِنْ صفات الأصفر صفة اللون الذي هو الصّفرة، بناءً على أن لون الصفراء في الواقع هو الصّفرة، وإن لم يرد باللفظ إلّا مدلوله، أعني مطلق اللون، وبهذا الاعتبار صار من قبيل جدّ جدّه، وهذا معنى قوله: (لأن اللون اسم للهيئة، وهي الصّفرة)، يعني أن الهيئة التي أطلق عليها الاسم هٰهنا هي الصفرة، فصار بمعنى أنها شديد الصفرة صفرتها لما أنّ الفاقع عبارة عن شديد الصُّفرة، ووجه المبالغة أن صفة الشيء كأنها صارت من الكمال، بحيث سرت إلى صفاته التي من جُملتها ذلك، أي كأنه يقول: إن صفرتها في الكمال بحيث سرت إلى جميع صفاتها وسرت إلى الصفرة أيضًا، كما أن جدّ جدّه يفيد المبالغة بأن يقال: إنّ جدّه وسعيه بلغ في الكمال إلى حيث سرى إلى جميع صفات المجد حتى سرى الجدّ إلى نفسه، فجدّ واجتهد ذلك الجدّ. **قوله**: (عند حصول نفع) ودفع الضّرر داخل في النفع؛ إذ دفع الشرّ والضرّ نفع تامّ، فالتعريف غير ناقص. **قوله**: (أو توقعه) عطف على حصول نفع.

قوله: (عن عليّ) بن أبي طالب القريشي الهاشمي المكّي المدني الكوفي أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، توفي في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، ودُفِن بها رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (مَنْ لَبِس) بكسر الباء. **قوله**: (لقوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾)، قال العلامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف: الظاهر أنه ليس من كلام عليّ رضي الله تعالى عنه، بل تعليل لما رُوِي عنه. اهـ. وفي الجمالين عن ابن عباس: مَنْ لَبِس نعلًا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسًا، وذلك قوله تعالى: (﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾)، كذا في الدرّ[1]، انتهى. وفي روح البيان عن عليّ رضي الله تعالى عنه: مَنْ لَبِس نعلًا صفراء قلّ همّه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾. ونهى ابن الزبير

---

(١) وفيه أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والخطيب والديلمي عن ابن عباس، قال: مَنْ لبس... الخ. ١٢ منه عم فيضه.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ **(تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد)** ليزدادوا بيانًا لوصفها، **(وعن النبي** عليه السلام **«لو اعترضوا)** أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم» **(والاستقصاء شؤم)** ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ

ومحمد بن كثير عن لباس النّعال السود، لأنها تهمّ، وذكر أن الخفّ الأحمر خفّ فرعون، والخفّ الأبيض خفّ وزيره هامان، والخفّ الأسود خفّ العلماء. ورُوِيَ أنّ خفّ النبيّ ﷺ كان أسود، انتهى بحروفه.

قوله: (تكرير للسؤال) الأوّل، أي تكرير له من حيث أنه سؤال **(عن حالها وصفتها)**. **قوله: (واستكشاف[1] زائد)**... الخ. فيه إشارة إلى أنّ غرضهم ليس ردّ الجواب الأوّل بأنه غير مُطابق، وأن السؤال باقٍ على حاله، بل لطلب الكشف الزائد على ما حصل وإظهار أنّه لم يحصل البيان التامّ. **قوله: (وعن النبيّ** ﷺ: **لو اعترضوا)**... الخ. في الدرّ المنثور أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة يرفعه: «ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، لكنّهم شدَّدوا فشدّد الله عليهم»، انتهى. **قوله: (لو اعترضوا)** مِن اعترضت الشيء أخذت من عرضه وجانبه، وفي الحديث دلالة على مَنْع السؤال عمّا ليس محلاً للسؤال، وأنّ سؤالهم كان كذلك، وأن المأمور أوّلًا ذبح بقرة مطلقة، وإنما نسخ إلى ذبح البقرة المعيّنة لشؤم سؤالهم، وبهذا يشعر إيراد الحديث الثاني. وأمّا سؤال عمر رضي الله تعالى عنه في شأن الخمر، فإنما كان للاستكشاف والاسترشاد حيث شاهد فيها كثرة الفساد والمنع في حال السكر عن الصلاة. **قوله: (والاستقصاء شؤم)** هذا من أمثال الحرب. **قوله: (الاستقصاء)** في الصحاح: استقصى فلان في المسألة وتقصّى بمعنًى. اهـ. وفي محيط المحيط: تقصّى في المسألة تقصِّيًا واستقصى استقصاءً بلغ الغاية. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب: استقصاء بنهايت ...يزى رسيدن، يقال: استقصى في المسألة أي بلغ الغاية. اهـ. **قوله: (شؤم)** في النهاية لابن الأثير رحمه الله: الشؤم ضد اليُمن. اهـ.

---

(١) لأن البيان حصل في جواب السؤال الأول. ١٢ منه عم فيضه.

﴿تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ إن البقر الموصوف (بالتعوين) والصفرة كثير فاشتبه علينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل)، و(«إن شاء الله») اعتراض بين اسم «إن» وخبرها. (وفي الحديث «لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد» أي لو لم يقولوا إن شاء الله).

قوله: (بالتعوين) في منتهى الأرب في لغات العرب: تعوين ميانه سال شدن قال عَوّنت المرأة أي صارت عَوانًا. اهـ. **قوله**: (﴿لَمُهۡتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل) لمتعلقه المحذوف والألف واللام في قوله: المراد ذبحها، بمعني التي، فلذلك أنّث ضمير ذبحها الراجع إليه، والمعنى: وإنا بمشيئة الله تعالى نهتدي إلى البقرة التي يُراد ذبحها ونجدها موصوفة بأوصافها التي ذكرت لنا، أو وإنا بمشيئة الله تعالى نهتدي إلى ما خَفِيَ علينا من أمر القاتل ونجده حيث بيّن لنا طريق الاهتداء إليه، واللام في قوله: ﴿لَمُهۡتَدُونَ﴾ لام الابتداء دخلت على خبر إنّ. **قوله**: (﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾) شرط حذف جوابه لدلالة إن وما في حيّزها عليه، والتقدير: وإنا لمهتدون إلى البقرة أو إلى ما خَفِي علينا من أمر القاتل إن شاء الله اهتدينا، واعترض بالشرط بين اسم إن وخبرها اهتمامًا بمشيئة الله تعالى واستعانة به تعالى وتفويضًا للأمور إليه واعترافًا بقُدرته.

قوله: (وفي الحديث: «لو لم يستثنوا[1] لما بيّنت لهم آخر الأبد») قال العراقي: لم أقف عليه، وقال السيوطي: أخرجه بهذا اللفظ ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا معضلًا، وأخرجه بنحوه سعيد بن منصور عن عكرمة مرفوعًا ومرسلًا، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا موصولًا. قوله: (معضلًا) قال الطيبي رحمه الله: المعضل يقال: أعضله فهو معضل ـ بفتح الضاد ـ وهو ما سقط من سنده اثنان فصاعدًا؛ كقول مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ، وقول الشافعي رضي الله عنه: قال ابن عمر كذا، ونحو قول الأعمش عن الشعبي: يقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا، جعله الحاكم نوعًا من المعضل حيث رواه الشعبي وأسقط ذكر الصحابي والرسول ﷺ، انتهى.

---

(١) قوله: لو لم يستثنوا، أي لو لم يقولوا إن شاء الله. ١٢ منه عم فيضه.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ لا ذلول صفة لبقرة **(بمعنى بقرة غير ذلول)**، يعني لم **(تذلل للكراب)** وإثارة الأرض ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ ولا هي من

وقوله: (مرسلًا) قال الطيبي: المرسل قول التابعي: قال رسول الله ﷺ كذا، وفعل كذا، انتهى.

قوله: (آخر الأبد) بالنصب كناية عن المبالغة في التأبيد، وإلّا فالأبد لا آخر له، والمعنى إلى الأبد الذي هو آخر الأوقات، والمقصود من نقل الحديث ترجيح الاحتمال الأوّل، وهو أن يكون المعنى: إنا لمهتدون إلى البقرة؛ لأن معنى الحديث لو لم يستثنوا لما بُيِّنت البقرة لهم أبدًا، ويرجّح الاحتمال الثاني ما رواه الإمام الواحدي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال: المعنى لمهتدون إلى القاتل، وقال: لولا أنّهم استثنوا ما اطّلعوا على القاتل، ويمكن أن يقال: الاهتداء إلى القاتل كناية عن الاهتداء إلى البقرة التي أُريد ذبحها؛ لأن الاهتداء إلى الأوّل لازم للاهتداء إلى البقرة، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم.

قوله: (أي لو لم يقولوا إن شاء الله) سُمّيت كلمة إن شاء الله استثناءً تشبيهًا لها بالاستثناء من حيث أن كلّ واحد منهما يصرف الحكم السابق عن ظاهره، فإنه لو لم يُورد الاستثناء لتناول الحكم السابق للمستثنى وغيره، وبإيراده صرف الكلام عن ظاهره، فكذا كلمة إن شاء الله إذا لم تورد يكون الكلام السابق دالًّا على وقوع الحكم البتّة، وبإيرادها يصرف الكلام عن ظاهره ويكون وقوعه مُعلَّقًا بمشيئة الله تعالى.

قوله: (بمعنى بقرة غير ذلول) بيَّن به أنّ لا بمعنى غير، فهي اسم لكن لكونها على صورة الحرف ظهر إعرابها فيما بعدها. **قوله: (تذلّل)** بمعنى تستعمل. **قوله: (للكراب)** من قولهم: كربت الأرض إذا قلبتها للحرث والزراعة، وفي معناه الإثارة، وهي التحريك، فإن إثارة الأرض تحريكها وبحثها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرُّوم: الآية ٩] أي بالحرث والزراعة.

(النواضح) التي **(يسنى)** عليها لسقي **(الحروث)**، و«لا» الأولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير الأرض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ عن العيوب وآثار العمل. ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا **(لمعة في نقبتها)** من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى **(قرنها وظلفها، وهي في الأصل مصدر)** وشاه **(وشيًا وشية إذا خلط بلونه لونًا آخر)**. ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ **(أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها)**، «جئت» وبابه بغير همز: أبو عمرو ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ **(فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها)** ﴿وَمَا كَادُوا

قوله: (النواضح) جمع ناضح، في لسان العرب: الناضح البعير أو الثور أو الحمار الذي يُسْتسقى عليه الماء، والأُنثى بالهاء ناضحة.اهـ. **قوله: (يسنى)** أي يستقى. **قوله: (الحروث)** في المصباح: حرث الأرض حرثًا أثارها للزراعة، فهو حراث، ثم اسْتُعْمل المصدر اسمًا وجُمِع على حروث. **قوله: (لمعة)** أي قطعة تلمع. **قوله: (في نقبتها)** أي لونها. في لسان العرب: النُّقْبَة اللَّوْن.اهـ. **قوله: (قرنها)** في لسان العرب: القرن الثور وغيره الرَّوْق، والجمع قرون.اهـ. وأيضًا فيه الرَّوْق القَرْن من كل ذي قرن، والجمع أرْوَاق.اهـ.

قوله: (ظلفها) الظّلف من الشاء والبقر ونحوه كالظفر من الإنسان، والجمع أظلاف مثل حمل وأحمال، كذا في المصباح. **قوله: (وهي)** أي الشية **(في الأصل مصدر)** وشاه من باب وعد **(وشياً وشية إذا خلط بلونه لونًا آخر)**، والمراد هنا نفس اللّون، وأصلها وشية كحمية، فلمّا حذفوا الواو من الفعل لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ حذفوها أيضًا من المصدر بعد نقل حركتها إلى العين؛ لأنهم يُعلّون المصدر بإعلال الفعل المتشاكل، وأتوا بالتاء عِوضًا عن الواو. **قوله: (أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها)** يعني أنّ الحقّ هٰهنا صفة مشبهة بمعنى الثابت، وأن اللام فيه للاستغراق، والمعنى: إنك الآن جئت بجميع ما ثبت لها من أوصافها المميّزة لها عمّا عداها، وليس المراد بالحقّ هٰهنا خلاف الباطل، حتى يقال: إنهم كفروا بقولهم هذا من حيث أنه يدلّ على أنهم اعتقدوا بطلان ما جاء به قبل ذلك. **قوله: (فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلّها فذبحوها)** يعني أن الفاء في قوله: (﴿فَذَبَحُوهَا﴾) هي الفاء الفصيحة لكونها عاطفة لمدخولها على محذوف هو

﴿يَفۡعَلُونَ﴾ (لغلاء ثمنها) أو خوف الفضيحة في ظهور القاتل، رُوِيَ أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له (**عجلة فأتى بها الغيضة وقال: اللّهمَّ إني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برًّا بوالدته**). فشبّت البقرة وكانت من أحسن البقر (وأسمنه، **فساوموها اليتيم وأمه**) حتى اشتروها

سبب ما بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠]، أي فضرب فانفجرت. **قوله**: (**لغلاء ثمنها**) في المصباح: غلا السعر يغلو، والاسم الغلاء ـ بالفتح والمدّ ـ ارتفع، ويقال للشيء إذا زاد وارتفع قد غلا، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أغلى الله السعر وغاليت اللّحم غاليت به اشتريته بثمنٍ غالٍ، أي زائد. اهـ.

قوله: (**عجلة**) بكسر العين وسكون الجيم الفتية من البقر. **قوله**: (**فأتى**) أي الشيخ (**بها**) أي بتلك العجلة والباء للتعدية (**الغيضة**) بالغين والضاد المعجمتين المفتوحتين مرعى واسع فيه أشجار، (**وقال**) أي الشيخ الصالح: (**اللّهمّ إني استودعتكها**) إني جعلت تلك العجلة وديعة وأمانة (**لابني**) أي لانتفاع ابني (**حتى يكبر**) بفتح الباء على أنه من باب علم، أي حتى يسنّ ابني. وأما كَبُر ـ بالضم ـ من باب حَسُن فهو عظم، نحو قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [غَافر: الآية ٣٥] الآية، وحتى يكبر غاية للاستيداع بملاحظة قوله بلا مدخلية ابني في الملاحظة لكونه صغيرًا، والمعنى إني استودعتكها بلا مدخلية ابني في المحافظ إلى أن يكون ابني مسنًّا قادرًا للحفظ، فإذا كان مسنًّا فاستودعتكها مع محافظة ابني، فلا إشكال بأن الاستيداع ينبغي أن يكون مستمرًّا في عموم الأوقات، ومفهوم الغاية يقتضي انقطاعه حين كَبُر ابنه، (**وكان برًّا بوالدته**) أي مُحْسِنًا لها، فشبّت ـ أي صارت ـ تلك العجلة شابّة عوانًا بين الفارض والبكر، وكانت وحيدة بتلك الصفات، أي نوعها مُنحصر في فردٍ لا يوجد مثله حينئذٍ. **قوله**: (**وأسمنه**) في محيط المحيط: سَمِن سمَن سَمانةً وسِمَنًا كَثُر لحمه وشحمه، ضدّ هزل فهو سامن وسمين. اهـ.

قوله: (**فساوموها**) أي طلبوا شراءها (**اليتيم وأُمّه**) والظاهر أن اليتيم مجاز باعتبار ما كان، فلهذا طلبوا الشراء منه لكونه أهلًا للعقد، ولقول الشيخ حتى يكبر. وأمّا الطلب من أُمّه، فلاستظهارهم وتأليف قلوبهم أو لكونها شريكة لهم في

(**بملء مسكها ذهبًا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير**)، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة، وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخًا (**والنسخ قبل الفعل جائز**) وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافًا للمعتزلة.

الجملة. **قوله:** (**بملء**) في المصباح: ملأت الإناء ملأ من باب نفع فامتلأ، وملؤه بالكسر ما يملأه وجمعه إملاء مثل حِمْل وأحمال. اهـ. أي بمقدار ما يملأ (**مسكها**) بفتح الميم، أي جلدها (**ذهبًا**) تمييز.

قوله: (**وكانت البقرة**) أي قيمة نوع البقرة (**إذ ذاك**) أي في ذلك الوقت (**بثلاثة دنانير**) وهذا آثار الصلاح والتوكّل، اللّهمّ اجعلني من الصالحين المتوكّلين حتى أكون من الواصلين الفائزين، وزاد ألمًا وردى ثم فرّق ثمنها على بني إسرائيل، فأصاب كل فريق ديناران.

قوله: (**ودنانير**) في المصباح: الدينار معروف، والمشهور في الكتب أن أصله دنار بالتضعيف، فأبدل حرف علّة للتخفيف، ولهذا يرد في الجمع إلى أصله، فيقال: دنانير، وبعضهم يقول: هو فيعال، وهو مردود بأنّه لو كان كذلك لوجدت الياء في الجمع، كما ثبت في ديماس ودياميس وديباج وديابيج وشبهه، والدّينار وزان إحدى وسبعين شعيرة ونصف شعيرة تقريبًا، بناءً على أنّ الدانق ثماني حبّات وخمسا حبّة، وإن قيل: الدّانق ثماني حبّات، فالدينار ثمان وستّون وأربعة أسباع حبّة، والدينار المثقال. اهـ. وأيضًا فيه: الدّانق معرّب وهو سدس درهم وهو عند اليونان حبتا خرنوب؛ لأن الدرهم عندهم ثنتا عشرة حبّة خرنوب، والدّانق الإسلامي حبّتا خرنوب وثلثا حبة خرنوب، فإنّ الدرهم الإسلامي ستّ عشرة حبّة خرنوب، وتُفتح النون وتُكسر، وبعضهم يقول: الكسر أفصح، وجمع المكسور دوانق، وجمع المفتوح دوانيق، بزيادة ياء، قاله الأزهري. وقيل: كل جمع على فواعل ومفاعل يجوز أن يمدّ بالياء، فيقال: فواعيل ومفاعيل. اهـ.

قوله: (**والنسخ قبل الفعل جائز**) بل واقع، كما في حديث فرض الصلاة خمسين في المعراج، وقد نصّ السهيلي في الرّوض، وإنما المُمتنع النسخ قبل التمكّن من الاعتقاد بالاتّفاق، وقبل التمكّن من الفعل عند المُعتزلة.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ بتقدير «واذكروا» (**خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم**). ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ فاختلفتم واختصمتم في شأنها (**لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم**) بعضًا (**أي يدفع، أو تدافعتم**) بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض (**فيدفع المطروح عليه**) الطارح، أو (**لأن الطرح في نفسه دفع**)، وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالًا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الإدغام، ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنًا وزيدت همزة الوصل لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن، «فادارأتم» بغير همز: أبو عمرو. ﴿وَاللَّهُ﴾ (﴿مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ **مظهر لا محالة**) ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتومًا،

قوله: (**خُوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم**) عمّا يقال: كيف خُوطِب الجمع بقوله: (﴿قَتَلْتُمْ﴾)، مع أن القتل إنما وقع من بعضهم، بل مِنْ واحدٍ منهم؟ وتقرير الجواب: أنّ الفاعل الحقيقي للقتل لمّا لم يكن معلومًا للقوم حتى يُسْند الفعل إليه أُسند إلى ملابس له، وهو جماعة بني إسرائيل، فإنّ القتل ملابس لهم لوجوده فيهم، فصاروا بذلك كأنهم قتلوه جميعًا، وإضافة فعل البعض إلى الجميع كثير في كلام العرب، يقولون: بنو فلان قتلوا زيدًا مع أنّ القاتل واحدٌ منهم. **قوله**: (**لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم، أي يدفع**) تعليل لتفسير التدارؤ بالاختلاف والاختصام، وجعل التدارؤ الذي هو التدافع كناية عن الاختلاف والاختصام؛ لأن الاختلاف والاختصامَ ملزوم للتدافع، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم. **قوله**: (**أو تدافعتم**)... الخ. أي أو يكون المراد بالتدارؤ أصل معناه وهو التّدافع؛ لأن كل واحد من المتهمين بالقتل يطرح قتلها عن نفسه إلى صاحبه، وقدّم الوجه الأوّل لأن الكناية أبلغ. **قوله**: (**فيدفع**) الفاء للتفسير (**المطروح عليه**) أي الذي طُرِح عليه بأنك قتلت. **قوله**: (**لأن الطِّرح**) أي طرح القتل (**في نفسه دفعٌ**)، وكلّ من الطارحين دافع فتطارحهما تدافع من غير احتياج إلى أن يعتبر بعد التطارح دفع المطروح عليه الطارح. **قوله**: (**مظهر لا محالة**) أخذه من التعبير بالاسميّة وبناء اسم الفاعل على المبتدأ المفيد لتقوى الحكم، وفسّره بالإظهار لوقوعه في مقابلة الكتم، وقوله: (**لا محالة**) في الصحاح قال أبو زيد: يقال: ما له حيلة ولا محالة ولا احتيال ولا محال، بمعنًى واحد. وفي محيط المحيط يقال: لا مَحَالَةَ منه أي

(واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلًا في وقت التدارؤ، وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه) وهما ادارأتم.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾

و(﴿فَقُلْنَا﴾) والضمير في (﴿اضْرِبُوهُ﴾) يرجع إلى النفس، والتذكير بتأويل الشخص والإنسان، أو إلى القتيل لما دلّ عليه ما كنتم تكتمون. (﴿بِبَعْضِهَا﴾) ببعض البقرة **(وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها)**، والمعنى فضربوه فحيي

لا بدّ، وهو مصدر ميمي بمعنى التحوّل أو الحيلة، يقال؛ الموت آتٍ لا محالة منه، ويستعملون لا محالة بمعنى لا رَيْب.اهـ. **قوله: (واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلًا في وقت التدارؤ)**، فإنّ ما في قوله: (﴿مَا كُنتُمْ﴾) موصولة منصوبة المحل باسم الفاعل، وقد تقرّر أنه لا يعمل عمل فعله إلّا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وهو هٰهنا بمعنى الماضي؛ لأن الإخراج ماضٍ بالنسبة إلى وقت نزول القرآن، فينبغي أن لا يعمل، والجواب أنه عمل؛ لأنه حكاية إخراج مستقبل بالنسبة إلى وقت التدارؤ، وإنْ كان ماضيًا بالنسبة إلى وقت نزول القرآن. **قوله: (وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه)**... الخ. للدلالة على أنّه تعالى عالمٌ بجميع المعلومات، وإلّا لما قدر على إظهار ما كتم العباد أيّ شيء كان، فإنّ قوله: (﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾) يتناول كل المكتومات ويدخل فيه ما كتموه من أمر القتيل دخولًا أوّليًا، وعلى أنه تعالى سيظهر ما كتمه العبد من خيرٍ وشرٍّ البتّة، وإن دام العبد على كتمه وستره. قال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ عبدًا لو أطاع الله تعالى بشيء وراء سبعين حجابًا لأظهر الله تعالى إيّاه على ألسنة الناس، وكذلك المعصية».

قوله: (وهو لسانها) قاله الضحاك، قال الحسين بن الفضل: لأنه آلة الكلام. **قوله: (أو فخذها اليمنى)** قاله عكرمة والكلبي. في المصباح: الفخذ ـ بالكسر وبالسكون للتخفيف ـ من الأعضاء مؤنّثة والجمع أفخاذ.اهـ باختصار.

قوله: (أو عجبها) قاله مجاهد وسعيد بن جبير. والعَجْب[1] ـ بفتح العين المهملة وسكون الجيم ـ العظم بين الإليتين، وفي الحديث: «كل ابن آدم يفنى إلا

---

(١) بالفتح والضم ثم السكون أصل الذنب، وهو أساس البدن. ١٢ منه.

(فحذف ذلك) لدلالة (﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) عَليه. رُوِيَ أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وقال: قتلني فلان وفلان **(لابْنَيْ عمه)** ثم **(سقط ميتًا فأخذا)** وقُتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك، **(وقوله: «كذلك يحيي الله الموتى» إما أن يكون خطابًا للمنكرين في زمن النبيّ** ﷺ، **وإما أن يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة)**. ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائله

العجب»، يُقال: إنه أوّل ما يُخْلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق، قيل: العجب أمره عجب، إنه أوّل ما يُخْلق وآخر ما يخلق. **قوله**: **(فحذف ذلك)** أي قوله: فضربوه، فحيي؛ لدلالة (﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) عليه، يعني أن فحوى الكلام إنما يتم باعتبار اشتماله على الحذف والاختصار، والتقدير: (﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾) فحيي، فحُذِفت الفاء الفصيحة مع ما عطف بها أيضًا لدلالة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ عليه؛ لأن التشبيه يدلّ على تحقق المشبّه به، وهو إحياء القتيل، وإحياؤه يدلّ على تحقّق ما علق هو عليه وهو ضرب، وفيه إشارة إلى أن حياة القتيل كانت بمحض خلق الله من غير تأثير للضرب بالبعض فيها، حيث أسند الإحياء إليه تعالى من غير اعتبار شيء آخر فيه، ولو كان للضرب تأثيرٌ في إحياء القتيل لما صحّ تشبيه إحياء مَنْ في القبور به. **قوله**: **(لابني عمّه)** أي يشير لهما. **قوله**: **(سقط ميتًا)** أي مات في الحال. **قوله**: **(فأخذا)** أي ابنا عمّه. **قوله**: **(وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إمّا أن يكون خطابًا للمنكرين في زمن النبيّ عليه السلام، وإمّا أن يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل، بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة)**، يعني أن قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يحتمل أن يكون خطابًا لمن يُنكر البعث والحساب والجزاء من المشركين الموجودين وقت نزول الآية؛ لأنه إن ظهر لهم بالتواتر أنّ هذا الإحياء قد وقع على هذا الوجه عَلِموا صحة الإعادة وصحّ الاحتجاج بإحياء هذا القتيل على صحتها، وإنْ لم يظهر لهم **ذلك** بالتواتر تكون الآية داعية لهم إلى مراجعة أهل الأخبار والتفكّر المؤدّي إلى الاطّلاع على حقيقة الحال؛ فعلى هذا لا حاجة إلى إضمار القول. ويحتمل أن يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل من بني إسرائيل بمعنى: وقلنا لهم: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يوم القيامة؛ فتكون هذه الآية داخلة في حيِّز القول المذكور سابقًا، أو مقولًا لقول مضمر؛ فإنّه تعالى لما أحيىٰ قتيل بني

على أنه قادر على كل شيء (﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **فتعملون على قضية عقولكم**) وهي أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء جميعها لعدم الاختصاص، والحكمة في ذبح البقرة (**وضربه ببعضها**) وإن قدر على إحيائه بلا واسطة (**التقرّب به، الإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب**) والتعليم لعباده ترك التشديد في الأمور والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال (**وغير ذلك**).

إسرائيل بمحضرهم وشاهدوا إحياءه إيّاه، قال لهم: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ جميعًا يوم القيامة إحياءً مثل إحياء هذا القتيل الذي شاهدتم إحياءه. **قوله**: (﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **فتعملون**[١] **على قضية عقولكم**)... الخ. بناءً على أنّ كونهم يعقلون أمرٌ محقَّق ليس في صورة ما يُرجى حصوله، لكنهم نزلوا منزلة مَنْ لا يعقل؛ لعدم ترتّب معظم ثمرات العقل على عقولهم، وهو التفكّر في أمر الدِّين والعمل بمقتضى العقل.

قوله: (وضربه) أي القتيل (**ببعضها**) أي البقرة. **قوله**: (**التقرّب به**) أي تقرّب العبد المحتاج إلى ربّه الكريم لِمَا يجلب رضاه ويُعين على قضاء حاجته؛ كالتقرب بذبح قربان عظيم القدر. **قوله**: (**والإشعار بحُسن تقديم القُرْبة على الطلب**) حيث أمر بأن يذبح البقرة ثم يشتغل بطلب القاتل، يعني أنّ من حقِّ الطالب لمقصوده من جنابه تعالى أن يطلبه بتقديم قُرْبة يتقرّب بها إليه تعالى من صدقة وإحسان إلى عباده المُحتاجين اعتقادًا بأنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يُثيبهم على إحسانهم بقضاء حوائجهم وكفاية مَهمّاتهم، وأنّ من حقِّ المتقرّب أن يتحرّى أحسن ما يتقرّب به إليه ويغالي بثمنه، فإنه أدلّ على إخلاص المتقرّب وأجلب لمرضاة المتقرّب إليه، فإنّ مَنْ تقرَّب إليه تعالى ذراعًا يتقرّب إليه باعًا، ويزيد من فضله ما شاء.

قوله: (**وغير ذلك**) من الحكم والفوائد الجمّة، منها نفع اليتيم البارّ بوالدته بوصول المال العظيم إليه، رُوِي أنّه كان يُقسم الليل ثلاثة أثلاث: يصلّي ثلثًا، وينام ثلثًا، ويجلس عند رأس أُمّه ثلثًا؛ فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثه،

---

(١) لأن العقل يوجب العمل. ١٢ منه.

....

فقالت له أُمّه يومًا: إنّ أباك ورثك عجلة استودعها الله تعالى في غيضة كذا، فانطلِق وادعُ إلٰه إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق أن يَرُدَّها عليك، وعلامتها أنّك إذا نظرت إليها يخيّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تلك البقرة تسمّى المذهبة لحُسْنها وصُفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإلٰه إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب أن تأتي، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلّمت البقرة بإذن الله تعالى، وقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته، اركبني فإنّ ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إنّ أُمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإلٰه بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبدًا، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بأُمك، فسار الفتى بها إلى أُمه، فقالت: إنك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق وبعْ هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تَبِعْ بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله تعالى ملكًا ليمتحن الفتى ويختبر كيف برّه بوالدته، وكان الله تعالى به خبيرًا، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ فقال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي، فقال الملك: بِعْني بستّة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو أعطَيْتني وزنها ذهبًا لم آخذه إلّا برضى أُمّي؛ فردَّها إلى أُمّه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبِعْها بستّة دنانير على رضًى منّي؛ فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك، فقال له: استأمرتَ أُمّك؟ فقال الفتى: إنها أمَرَتْني أن لا تُنْقصها من ستّة دنانير على أن أستأمرها، فقال الملك: أُعْطِيك اثني عشر دينارًا على أن لا تستأمرها؛ فأبى الفتى ورجع إلى أُمّه، فأخبرها بذلك، فقالت: إنّ الذي يأتيك ملكٌ في صورة آدميّ جاءك ليختبرك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أمْ لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أُمّك وقل لها: أمسكي هذه البقرة، فإنّ موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منكم لقتيل يُقتل من بني إسرائيل، فلا تَبِيعوها إلّا بملء مَسْكها دنانير، فأمسكوها إلى أن أمر الله تعالى بني إسرائيل بذبح البقرة الموصوفة، ولم يجدوا بقرةً موصوفةً بتلك الصّفات غيرها، فاشتروها بملء مَسْكها دنانير.

وقيل: إنما أُمروا بذبح البقرة دون غيرها (**من البهائم**) لأنها أفضل (**قرابينهم**)، ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى أن (**يهون**) معبودهم عندهم، وكان ينبغي أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يُقال: وإذا قتلتم نفسًا فادرأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها، ولكنه تعالى إنما قصّ قصص بني إسرائيل تعديدًا لما وجد منهم من الجنايات (**وتقريعًا**) لهم عليها، وهاتان القصّتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع. فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال (**وما يتبع ذلك**)، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة (**وما تبعه**) من الآية العظيمة. (**وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة**) على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية

ومن فوائده التنبيه على بركة التوكّل وحُسْن عاقبته، كما مرّ من أن الشيخ الصالح توكّل على الله تعالى في حفظه عجلته وإيصالها إلى ابنه. ومنها التنبيه على بركة الشفقة على الأولاد، كما فعله الشيخ الصالح حيث اجتهد في تحصيل مصالح ابنه وكفاية مَهمّاته بحُسن التدبّر المرضيّ عند الله تعالى. ومنها التنبيه على أن المؤثر في المُمكنات هو الله تعالى، وأنّ الأسباب الظاهرة أمارات لا أثر لها حيث أحيى القتيل بضرب موات لا يُتوهّم منه التأثير بوجهٍ من الوجوه، فإنّ تولُّد الحياة من مسّ الميت بالميت وضربه به غير معقول ولا مُتوهّم.

قوله: (**من البهائم**) في المصباح: البهيمة كل ذات أربع من دوابّ البحر والبرّ، وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة، والجمع البهائم. اهـ. **قوله**: (**قرابينهم**) في المصباح: القربان ـ بالضمّ ـ مثل القربة، والجمع القرابين. اهـ. **قوله**: (**يهون**) في المصباح: هان يهون هونًا ـ بالضمّ ـ وهوانًا ذلّ وحَقُر. اهـ.

قوله: (**وتقريعًا**) أي توبيخًا. **قوله**: (**وما يتبع ذلك**) من التقرّب وغيره عطف على تقريعهم لا على الاستهزاء؛ إذ ليس سوى الاستهزاء وترك المسارعة أمر آخر يتعلق به التقريع. **قوله**: (**وما تبعه**) من الآية العظيمة عطف على التقريع لا على قتل النفس؛ إذ لا معنى للتقريع على الآية العظيمة. **قوله**: (**وإنما قدَّمت قصة الأمر بذبح البقرة**)... الخ. هذا هو الجواب، فالسابق كالمقدمة والتمهيد لئلا يلزم التكرار.

استئناف قصة برأسها (أن وصلت بالأولى) بضمير البقرة (لا باسمها الصريح) في قوله: «اضربوه ببعضها» ليعلم أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة. (وقيل: هذه القصة تشير) إلى أن مَن أراد إحياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات.

قوله: (أن) بفتح الهمزة (وُصِلَتْ) أي الثانية، وهذا بيان لنكتة. **قوله**: (**بالأُولى**) الباء متعلّقة بوصلت. **قوله**: (**لا باسمها الصريح**[1])؛ لأن المظهر مستقلّ لفظًا، وإنْ كان معهودًا، فلم يدلّ الاتّحاد والربط بالمضمر أشدّ لعدم استقلاله.

قوله: (**وقيل**[2]: **هذه القصّة تُشير**)... الخ. جعل الله تعالى إحياء المقتول في ذبح البقرة تنبيهًا لعبيده أنّ مَنْ أراد منهم إحياء قلبه لم يتأتّ له ذلك إلا بإماتة نفسه، فمَنْ أماتَها بأنواع الرياضات أحيى الله تعالى قلبه بأنوار المشاهدات، وهذا ما يشير إليه باطن النصّ مع ملاحظة المعنى، لا أنّه تفسير مستقل. وفي كتاب تفسير القرآن المسمّى بروح البيان للفاضل الكامل الشيخ إسمٰعيل حقيّ أفندي رحمه الله، وفي التأويلات النجمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧]، إشارة إلى ذبح بقرة النفس البهيميّة، فإنّ في ذبحها حياة القلب الروحانيّ، وهذا هو الجهاد الأكبر الذي كان النبيّ عليه السلام يشير إليه بقوله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وبقوله: «المجاهد مَنْ جاهد نفسه»، وقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»، إشارة إلى هذا المعنى. قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧]، أي أتستهزئ بنا في ذبح النفس، وليس هذا من شأن كل ذي همّة سَنِيَّة، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧] الذين يظنّون أن ذبح النفس أمرٌ هيِّن، ويستعدّ له كل تابع الهوى أو عابد الدنيا. قالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨]، أي يعين أيّ بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق، فأشار إلى بقرة نفس، ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨] في سنّ الشيخوخة تعجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية، كما قال بعض المشائخ الصوفيّ: بعد الأربعين بارد. ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨] في سنّ شرخ[3] الشباب، فإنه

---

(١) بدل من نكتة. ١٢.

(٢) هذا المعنى لباطن القرآن، وما ذكر أولًا لظاهر الآية. ١٢ منه عم فيضه.

(٣) في المصباح: شَرْخُ الشباب: أوّله. انتهى. ١٢ منه عم فيضه.

....

يستهويه سكره. ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨]، أي عند كمال العقل. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: الآية ١٥]، ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨] فإنكم إن تقرّبتم إلى الله بما أُمِرْتم، فإنّ الله يتقرّب إليكم بما وعدتم، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملًا في الشَّيْب والشباب. ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩]، يعني ما لون بقرة نفس تصلح للذَّبح في الجهاد، ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩] إشارة إلى صفرة وجوه أرباب الرياضات وسيما أصحاب المجاهدات في طلب المشاهدات، ﴿فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩] يعني صفرة زين لا صفرة شَيْن، كما هي سيما الصالحين. ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩] مَنْ نظر إليهم يشاهد في غرّتهم بهاء قد أُلْبِس من أثر الطاعات، ويطالع من طلعتهم آثار شواهد الغيب من خمود الشهوات حتى أَمِنَ مِنْ أحوال البشرية بوجدان آثار الربوبية؛ كقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]. ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٠] إشارة إلى كَثْرة تشبه البطالين بزيّ الطالبين وكسوتهم وهيئتهم، ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٠] إلى الصادق منهم، فالاهتداء إليهم يتعلّق بمشيئة الله وبدلالته، كما كان حال موسى والخضر على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسلام، فلو لم يدلّ الله موسى لما وجده، وقوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] إشارة إلى نفس الطالب الصادق، وهي التي لا تحمل الذِّلة تُثير بآلة الحرص علوًّا أرض الدنيا لطلب زخارفها، وتتبع هوى النفس وشهواتها؛ كما قال عليه الصّلاة والسّلام: «عزّ مَنْ قنع، وذُلَّ مَنْ طمع»، وقال: «ليس للمؤمن أن يُذِلّ نفسه». ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] أي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحقّ، فيصرف في حرث الدنيا فيذهب ماؤه عند الخلق وعند الحقّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشّورى: الآية ٢٠]. ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١]، أي نفس مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لأحكام ربّها ليس منها طلب غير الله ولا مقصد لها إلّا الله، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣]. ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] يشير إلى أن ذبح النفس

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

(ومعنى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ استبعاد القسوة) ﴿مِّنْ بَعْدِ﴾ ما ذكر مما يوجب

ليس من الطبيعة الإنسانيّة، فمَنْ ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى وحُسْن توفيقه. فأمّا من حيث الطبيعة، فما كادوا يفعلون، انتهى بحروفه.

وأيضًا فيه: قال بعض أهل المعرفة في قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ إنما جعل الله إحياء المقتول في ذبح البقرة تنبيهًا لعبيده أنّ مَنْ أراد منهم إحياء قلبه لم يتأتّ له إلّا بإماتة نفسه، فمَنْ أماتها بأنواع الرياضات أحيى الله قلبه بأنوار المشاهدات، فمَنْ مات بالطبيعة يَحْيى بالحقيقة، وكما أنّ لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام بإذن الله وقال: قتلني فلان، فكذلك مَنْ ضرب لسان النفس المذبوحة بسكّين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذّكر يُحيي الله قلبه بنوره، فيقول: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٣]، فيجب علينا غاية الوجوب أن نتقيّد بإحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية وإصلاح قلوبنا بالإصلاح الحقيقيّ وإخلاص أعمالنا بالإخلاص الحقيقي؛ فإنّ المنظر الإلـهيّ إنما هو القلوب والأعمال لا القصور والأموال، كما ورد في الحديث: «إنّ الله لا ينظر إلى صُوَركم وأحوالكم، بل إلى قلوبكم وأعمالكم»؛ فالمُعتبر هو الباطن والسرائر دون السير والظواهر، والعاقل مَنْ دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت، والجاهل مَنْ نَسِيَ نفسه واتّبع هواه، وما يعقل ذلك إلّا العالمون، وما يعلمه إلا الكاملون، انتهى باختصار.

قوله: (ومعنى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾[1] استبعاد القسوة)، أي ثم

---

(١) قوله: ثم قست... الخ. ثم موضوعة للتراخي يبعد في الزمان، ولا تراخي هٰهنا؛ إذ قسوة قلوبهم في الحال لا بعد زمان، فهي محمولة على الاستبعاد مجازًا، إذ من العاقل القسوة بعد تلك الآيات؛ كقولك: قد وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها. ١٢ منه.

لين القلوب ورقتها. وصفة القلوب بالقسوة مثل (لنبوّها) عن الاعتبار (والاتّعاظ). من بعد ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ فهي في قسوتها (مثل الحجارة

لاستبعادها ممّن شاهد من الآيات والدّلائل ما يقتضي لين القلوب وانقيادها للحقّ، كإحياء القتيل بضرب عضوٍ من أعضاء البقرة المذبوحة وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها من حين ما خرجوا من مصر ليلًا مع موسى على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسلام، فصبّحهم فرعون وجنوده وصادَفهم على شاطىء البحر، فإنّها ممّا يُوجب لين القلب، ومع ذلك لم يخلوا عن عناد واعتراض على موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام في التّيه وغير ذلك، ولا شكّ أنّ قسوة القلب بعد مشاهدة ما يُوجب لِينه وتأثّره بقبول الحقّ مُستبعد من العاقل كلّ البُعد؛ فكلمة ﴿ثُمَّ﴾ هـٰهنا مستعملة في استبعاد الوقوع مجازًا[1] مرسلًا[2]، لتعذّر حملها على معناها الحقيقيّ، وهو تراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه تراخيًا زمانيًا وقسوة قلوبهم لم تتراخ زمانًا عن مشاهدات الآيات المذكورة، بل إنها لم تزل قاسية مع رؤية الآيات وبعدها، ولمّا تعذّر حملها على معناها الحقيقي حملت على التراخي الرتبي مجازًا، فإنّ مطلق الاستبعاد لازم للبعد الزماني، فاستعمل ما هو موضوعٌ للتراخي الزماني في استبعاد الوقوع على طريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، والمعنى يستبعد من العاقل النبوّ عن الفكر والاعتبار بعد حصول ما يُوجبه من الآيات؛ فهو كقولك لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة، ثم لم تنتهزها. **قوله**: (لنبوّها) أي لبُعْدها. **قوله**: (الاتّعاظ) أي: قبول الموعظة. **قوله**: (مثل الحجارة) أشار به إلى أنّ الكاف في (﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾)

(١) المجاز مرسل إن كانت العلاقة المصحّحة لاستعمال اللفظ في غير ما وُضع له غير المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، كما إذا كانت مسبّبية أو سببية، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الأصلي سببًا لشيء أو مسبّبًا عن شيء، فينقل اسمه لذلك الشيء. ١٢ منه.

(٢) سُمّي مرسلًا لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيّد بادّعاء أن المشبّه من جنس المشبّه به، والمرسل مطلق عن هذا القيد، وقيل: سمّي لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة، بل ردّ بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري، فإنه مقيّد بعلاقة واحدة وهي المشابهة. ١٢ منه.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها). و«أشد» معطوف **(على الكاف)** تقديره أو مثل أشد قسوة، **(فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. أو هي في أنفسها أشد قسوة)**. يعني أن من عرف حالها شبهها بالحجارة **(أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا)**، أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة. **(وإنما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة)**. وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس

اسم بمعنى المثل ليحسن عطف أشدّ بالرفع عليه، ولا يكون مِنْ عطف المفرد على الجملة الظرفية، وإنْ كان صحيحًا، لكنّ الأصح الإعراض عنه. **قوله**: (﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **منها**) أشار إلى أن المفضل عليه محذوف للدّلالة عليه، أي أشدّ قسوة من الحجارة، وقسوة منصوب على التمييز. **قوله**: **(على الكاف)** أي كاف التشبيه، وهو مرفوع المحل. **قوله**: **(فحذف المضاف)** وهو المثل، **(وأُقيم المضاف إليه مقامه)** وهو أشد فأعرب بإعرابه، وهو الرفع. **قوله**: **(أو هي)** أي قلوبكم **(في أنفسها أشدَ قسوة)** لا أن يكون جوهر آخر، وتكون القلوب مشبَّهة بذلك الجوهر كما في الوجه الأوّل؛ فعلى هذا لا يقدر مثل، ولا يكون حذف المضاف. **قوله**: **(أو بجوهر أقسى منها)**، وفيه إشارة إلى أن هذا الوجه على تقدير أن يكون أشدّ معطوفًا على الكاف، ولفظ مثل محذوفًا ليكون الأشد غير القلوب. **قوله**: **(وهو الحديد مثلا)**، فإنّ الحديد والحجارة إذا خليتا وطبعهما، لا رَيْب في أشدّية الحديد، ألا يرى أنه يكسر بالحديد دون العكس، ولا يقدح في ذلك كون الحديد يلين بالنار دون الحجارة؛ لأنه خاصّة أخرى، والكلام في الصلابة والشدّة، وأيضًا الحديد لعدم قبوله الانفعالات المذكورة بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾، كأن الحجارة دون الحديد في الصلابة والشدّة. وأمّا قصة داود عليه السلام من أن الحديد صار كالعجين له بإذن الله تعالى، فمعجزة لا مَساس لها بالبحث عن مقتضى الطبائع.

قوله: **(وإنما لم يقل: أقسى، لكونه أبين وأدلّ على فَرْط القسوة)**، أي شدّتها لدلالته[1] عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدّة فيها.

---

(١) وجه الدلالة هو أن أشدّ قسوة يدلّ على الزيادة بالمادة والهيئة، وأقسى يدلّ عليها بالهيئة فقط. ١٢ منه عم فيضه.

كقولك «زيد كريم **وعمرو أكرم**». ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾) بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ («ما» **بمعنى «الذي»**) في موضع النصب وهو اسم «إن» واللام للتوكيد. (**والتفجّر التفتح بالسعة والكثرة**).

وأمّا أقسى، فلدلالته بالهيئة فقط. وفي حاشية شيخ زاده: وإنما لم يقل أقسى... الخ. جواب عمّا يقال: إنما يحتاج في بناء أفعل التفضيل إلى نحو أشدّ وأقبح إذا لم يكن الفعل ثلاثيًا، أو كان ثلاثيًا من الألوان والعيوب، والفعل هٰهنا ليس كذلك، فأمكن بناء أقسى منه فلم عدل عن الأقصر مع إمكانه إلى الأطول، وهو أشدّ قسوة بدون الاحتياج إليه. وتقرير الجواب أن يُراد لفظ أشدّ هٰهنا ليس للتوصّل إلى بناء أفعل التفضيل من قَسا يَقْسو قسوةً حتى يكون المقصود بالتفضيل نفس القسوة بأن تكون القلوب والحجارة متشاركتين في القسوة، ويُراد تفضيل القلوب على الحجارة في القسوة، بل المقصود من إيراده الدَّلالة على المبالغة في قسوة القلوب بأن يكون المطلوب بالتفضيل شدّة القسوة لا نفس القسوة، فيكون المشترك بينهما هو شدَّة القسوة، والمراد بيان أنّ القلوب أزْيَد منها في شدّة القساوة. ولا شكّ أن هذا المعنى أبلغ في توصيف القلوب بالقسوة من أن يقال إنّها أزْيَد من الحجارة في نفس القسوة، كما هو المعنى. على تقدير أن يكون أشدّ للتوصّل إلى بناء أفعل التفضيل من قسا يقسو، فإنك إذا قلت: زيد أشدّ إكرامًا من عمرو، كان المعنى أنهما مشتركان في الإكرام، وأن أحدهما أزيد من الآخر فيه، لا أنّهما مشتركان في شدّة الإكرام، وأحدهما أزْيَد من الآخر.

قوله: (وعمرو أكرم) أي من زيد. **قوله**: (﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾) بيان وتقرير، يعني من جهة المعنى. وأمّا بحسب اللفظ، فعطف على جملة: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ﴾. **قوله**: (ما بمعنى الذي)... الخ. وضمير ﴿منه﴾ يرجع إليه حملًا على اللفظ، وإن كان عبارة عن الحجارة. **قوله**: (**التفجّر التفتّح بالسعة والكثرة**) التفتح كشاده شدن، والكثرة والسعة مستفادتان من صيغة التفعّل مع مدخليّة المادة فيها، ولذا لم يذكر في التشقّق مثل ذلك، والمراد بالأنهار الماء الكثير الذي يجري في الأنهار، فهو إمّا على حذف المضاف أو المجاز المُرسل بذكر المحلّ وإرادة الحال أو الإسناد المجازي، ولمَّا كانت الحجارة جمعًا جعل

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ أصله يتشقق (وبه قرأ الأعمش) فقلبت التاء شينًا وأدغمت ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يعني أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة (يتدفق) منها الماء الكثير، ومنها ما ينشق انشقاقًا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضًا (وقلوبهم لا تندى). ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ (يتردى) من أعلى الجبل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قيل: (هو مجاز عن انقيادها لأمر الله

الأنهار جمعًا أيضًا. **قوله**: (**وبه قرأ الأعمش**[1]) هو أبو محمد سليمان بن مهران المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور، كان ثقةً عالمًا فاضلًا، وكان يُقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وكلَّمه، لكنه لم يرزق السماع عليه وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثًا واحدًا، ولقي كبار التابعين. وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجّاج وحفص بن غياث وخلقٌ كثير من أجِلَّة العلماء، وكان لطيف الخلق مزّاحًا ومولده سنة ستّين للهجرة، وقيل: وُلِد يوم مقتل الحسين رضي الله تعالى عنه، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأوّل، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى.

قوله: (**يتدفّق**) معنى يتفجّر. **قوله**: (**قلوبهم لا تندَى**) في الصحاح: نَدِي الشيءُ إذا ابتلّ، فهو ندّ مثال تعب، فهو تَعِب.اهـ. أي قلوبهم لا تتأثّر فلا تنفعل عن أمره. **قوله**: (**يتردّى**) أي يسقط.

قوله: (**هو مجاز** عن **انقيادها** لأمر الله)... الخ. جواب عمّا يقال: الهبوط من خشية الله صفة للأحياء العقلاء، والحجر جماد لا حياة له فضلًا عن العقل، فلا يُوصف بالخشية. وتقرير الجواب أنّ الخشية مجاز عن الانقياد على طريق إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ الخَشْية ملزوم للانقياد، فأطلقه وأُريد بها لازمها الذي هو الانقياد مجازًا مرسلًا، فالظاهر على هذا أن يكون قوله: (﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾) متعلّقًا بجميع ما ذُكِر من الأفعال، وهي تشقّق بعض الحجارة تشقّقًا

---

(١) في محيط المحيط: الأعْمَش مَنْ بعينه عَمَشٌ، والأُنْثى عَمْشاء ج عُمْشٌ.اهـ. وأيضًا فيه: العمش ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات.اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

وأنها لا تمتنع) على ما يريد فيها، وقلوب **(هؤلاء)** لا تنقاد ولا تفعل ما أُمرت به. وقيل: المراد به حقيقة الخشية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتمييز. وليس شرط خلق الحياة والتمييز في الجسم أن يكون على **(بنية)** مخصوصة عند أهل السنّة وعلى هذا قوله: (﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: الآية ٢١]، **الآية.)** يعني وقلوبهم لا تخشى. **﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (وبالياء مكي وهو وعيد)**.

مؤيّدًا إلى تفجّر الأنهار وتشقّق بعضها لخروج الماء وهبوط بعضها، فإنّ كل ذلك من خشية الله تعالى بمعنى الانقياد لما أراد الله تعالى منها، وكلمة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ للتعليل بمعنى لام الأجل. **قوله: (وأنها لا تمتنع)**... الخ. عطف تفسيري على انقيادها. **قوله: (هؤلاء)** أي اليهود.

قوله: (بنية) بكسر وبضمّ أوّل وسكون نون بمعنى بنياد ونهاد وآفرينش ووجود وسرشت؛ كذا في غياث اللّغات. **قوله:** (﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: الآية ٢١] **الآية)** في تفسير الجلالين: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: الآية ٢١] وجعل فيه تمييز كالإنسان، ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر: الآية ٢١] متشققًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [الحشر: الآية ٢١] المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: الآية ٢١] فيؤمنون، انتهى.

قوله: (وبالياء مكّي) أي قرأ ابن كثير المكّي رحمه الله بالياء المثناة التحتية، والباقون بالفوقية، ووجه الغيبة مناسبة ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] وهم يعلمون، ووجه الخطاب مناسبة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٢] و﴿تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٢] و﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٣]، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ لا ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٥]؛ لأنه للمؤمنين، قاله الجعبري، وكذا في التيسير وغيره.

قوله: (وهو وعيد) أي على قسوة قلوبهم من بعد ما رأوا الآيات، والمعنى أنّه تعالى حافظ لأعمالهم ومُجازيهم على حسبها في الدنيا والآخرة، و(ما) في قوله تعالى: (﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) إمّا موصولة والعائد محذوف، أي تعملونه. أو مصدرية، فلا تحتاج إلى العائد، أي عن عملكم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ (الخطاب لرسول الله والمؤمنين). ﴿أَن (يُؤْمِنُوا) لَكُمْ﴾ أن يؤمنوا (لأجل دعوتكم) ويستجيبوا لكم كقوله تعالى: (﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦]، يعني اليهود). ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ طائفة فيمن سلف منهم. ﴿يَسْمَعُونَ

قوله: (الخطاب لرسول الله وللمؤمنين)، فإنهم لمّا سمعوا الآيات الواردة في حقِّ بني إسرائيل من تعديد ما أنعم الله تعالى به عليهم؛ كإنجائهم من آل فرعون بعد ما كانوا مقهورين في أيديهم، وتمكينهم في أرض مصر والأرض المقدّسة التي كتبها الله لهم ميراثًا من أبيهم إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وهي أرض دمشق والأردنّ وفلسطين، وفلق البحر لهم وإهلاك عدوّهم إلى غير ذلك، وعدّدها عليهم استمالةً لقلوبهم وحملًا لهم على أداء شكرها بالإيمان والطاعة، طمعوا أن يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا، فقال تعالى مخاطبًا لهم: (﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾) ذلك منهم مبالغةً في إنكار الطمع لكونه كالمستحيل منهم في العادة بإيراد الفاء بعد الهمزة، أي أبعد ما تشاهدون منهم ما يوجب اليأس من إيمانهم من قسوة القلب، فتطمعون في إيمانهم. والفاء في قوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ فصيحة تفصح عن محذوف تقديره: أتغفلون عن كون قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشدّ قسوة، فتطمعون أن يؤمنوا لكم. **قوله**: (لأجل دعوتكم) فجعل اللام للتعليل وقدّر مضافًا بينها وبين ضمير الجمع؛ لأن الإيمان لله لا لهم. **قوله**: (﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦]) أي فأحدث الإيمان لأجل دعوة إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام إياه إلى الإيمان استجابةً لدعوته، وجعل الإيمان مستعملًا في معناه الشرعي، وهو التصديق بجميع ما علم بالضرورة أنه من الدّين المرضيّ المعتبر عند الله تعالى، والإيمان بهذا المعنى لا يحتاج إلى ذكر متعلق؛ لأن كلّ واحد من معنى التصديق وخصوص متعلّقه مأخوذ في مفهومه، فلا يكون حرف الجرّ المذكور بعده صلة دالّة للتعدية، فلذلك جعلت اللام في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦] للتعليل لا للتعدية. **قوله**: (يعني اليهود[1]) الذين كانوا في زمنه ﷺ، لأنهم هم الذين يصح

---

(١) قيل: هو قوم مخصوص منهم علم الله عدم إيمانهم فأيس منه. ١٢ منه عم فيضه.

﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي التوراة. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ **(كما حرّفوا صفة رسول الله ﷺ وآية الرجم)**. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون مفترون. والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا **(فلهم سابقة في ذلك)**.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِذَا (لَقُوا۟)﴾ أي المنافقون **(أو اليهود)**. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي المخلصون من أصحاب محمد عليه السلام. (﴿قَالُوٓا۟﴾) أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا﴾ بأنكم على الحق وأن محمدًا هو الرسول المبشر به. ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ﴾ الذين لم ينافقوا ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى الذين نافقوا ﴿قَالُوٓا۟﴾ **(عاتبين عليهم)** ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ **(بما بين الله لكم)** في التوراة **(من صفة محمد** عليه السلام

أن يطمع في إيمانهم؛ لأن مَن انقرض منهم لا يتصوّر منهم الإيمان، فضلًا عن أن يطمع ذلك منهم، وهذا بيان لضمير (﴿يُؤْمِنُوا۟﴾). **قوله**: **(كما حرّفوا)** أي غيّروا **(صفة رسول الله ﷺ)** من كونه أبيض ربعة، أي مربوع الخلق لا طويلًا ولا قصيرًا، إلى قولهم: أسمر طويل. **قوله**: **(وآية الرجم)** أي وحرّفوا آية الرجم أيضًا، فإنّ حكم زنى المحصن في التوراة كان الرجم، فحرّفوه إلى تسخيم[1] الوجه وشدّ يده ونحو ذلك مما يوجب هدم العِرْض. **قوله**: **(فلهم سابقة في ذلك)** أي خصلة سابقة في الكفر والتحريف.

قوله: **(أو اليهود)** أي أن ضمير (﴿لَقُوا۟﴾) راجع إلى جنس اليهود باعتبار تحقّقه في إفراد المنافقين، بدلالة قوله: (﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾). **قوله**: (﴿قَالُوٓا۟﴾) أي الذين لم ينافقوا **(عاتبين عليهم)** أي على المنافقين. **قوله**: **(بما بيّن الله لكم)** أي المراد بالفتح البيان؛ لكونه لازمًا له؛ إذ المعنى الحقيقي للفتح غير متصوّر هنا، فالمراد لازمه والتعبير بالفتح للمبالغة وللإشارة إلى أنه قبل البيان كالشيء المغلوق، وبعد البيان كالأمر المفتوح المكشوف حاله. **قوله**: **(من صفة محمّد عليه السلام)** بيان ما.

(١) أي تسويد. ١٢.

﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ (ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا) محاجتهم به (وقولهم هو) في كتابكم هكذا (محاجة عند الله)، ألا تراك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد؟ وقيل: هذا على إضمار المضاف أي عند كتاب ربكم. وقيل: ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم **(عند ربكم في الآخرة**

قوله: **(ليحتجّوا**[1] **عليكم)** تفسير لقوله: (﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾) تنبيهًا على أنه ليس لقصد المشاركة، وعليكم فيه تنبيه على أن في الكلام حذف الجار. **قوله**: **(بما أنزل ربّكم)** للضمير في به. **قوله**: **(في كتابه)** تفسير لقوله: (﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾)، وقد أوضحه بأن حاصل قولنا: هو في كتاب الله كذا، وعند الله كذا واحد؛ لأن معناه في حكم الله. ومبنى الكلام على أن المقصود التحذير على الاحتجاج عليهم في الدنيا لا في الآخرة ويوم القيامة وحال مرافعة القصة إلى الله تعالى، ويتوجّه على ما ذكر أنه لا وجه حينئذ للجمع بين قوله: به، أي (﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾)، وقوله: عند الله؛ إلّا أن يجعل الثاني بدلًا من الأوّل أو ظرفًا مستقرًّا، بمعنى ليحاجّوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم. **قوله**: **(جعلوا)** أي اليهود محاجّتهم، أي محاجّة المسلمين به، **(وقولهم)** أي المسلمين لليهود **(هو)** في كتابكم هكذا **(محاجّة)** مفعول ثان لجعل **(عند الله)** يعني إذا قال المسلمون: هو في كتابكم هكذا، كأنهم قالوا: هو عند الله كذا، وهما بمعنًى واحد من حيث المؤدّى. **قوله**: (﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ **في الآخرة)** أي يوم تُعرض الخلائق على الخلّاق العليم بأن يُجْمَعوا في موقف الحساب ويُحاسَبوا على النقير والقطمير، وكَوْن المحاجّة عند ربّهم بالعندية المكانية مستحيل، وكونها عنده بمعنى كونها حاضرة في عِلمه، سواء وقعت المحاجّة في الدنيا أو في الآخرة؛ إلّا أن رؤساء اليهود حذّروا منافقيهم من احتجاج المسلمين عليهم يوم القيامة، لعِلْمهم أن ظهور فضيحتهم في الآخرة يكون في موقف الحساب على رؤوس الخلائق، فيكون افتضاحهم بالمحجوجية وظهور الكذب يوم القيامة أشدّ وأكمل من الاحتجاج عليهم في الدنيا؛ فلذلك حذّرهم الرؤساء من احتجاج المسلمين عليهم يوم القيامة، فكنوا بقولهم: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٦] عن يوم القيامة، لاختصاص الملك يومئذ بالله تعالى. **قوله**:

---

(١) إشارة إلى أن المفاعلة للمبالغة لا للمشاركة. ١٢ منه عم فيضه.

يقولون كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿(أَوَلَا يَعْلَمُونَ) أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ جميع ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ ومن اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ (**لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها**) ﴿لَا يَعْلَمُونَ (ٱلْكِتَٰبَ﴾ **التوراة**) ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ (**إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله**) **يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسّهم النار إلا أيامًا معدودة**، (**أو**) **إلا** (**الأكاذيب مختلقة**) **سمعوها من علمائهم فتقبلوها**

(يقولون) بيان قوله: يجادلوكم (كفرتم به)، أي بمحمّد ﷺ (بعد أن وقفتم) أي اطّلعتم (على صدقه). **قوله**: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) أن هذه حجة عليكم... الخ. إشارة إلى أن مفعول الفعل محذوف لقيام القرينة على تعيين المحذوف.

قوله: (﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾) معطوف على المقدّر، أي يقولون.

قوله: (**لا يحسنون الكتب**) فيه إشارة إلى أن الأُمّي ربما يقدر على كتابة ما، وقوله: الكتب، في المصباح: كتب كتبًا من باب قتل. اهـ. **قوله**: (**فيطالعوا التوراة**) بإسقاط النون جوابًا للنفي؛ كقوله: ما تأتينا فتحدثنا، والمعنى جَهَلة لا يجتمع فيهم معرفة الكتابة ومطالعة التوراة بانتفاء كلّ واحدٍ منهما، (**ويتحقّقوا ما فيها**) عطف على فيطالعوا، أي حتى يتيقّنوا ما في التوراة فيعملوا بمقتضاه واعتبار مطالعة التوراة في هذا الوجه منفهم من سوق الكلام؛ لأنه مَسُوق لذمّ أصحاب التوراة على وجه الإتمام. **قوله**: (﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾) المعهود بينهم، وهو (**التوراة**). **قوله**: (**إلّا ما هم عليه**)... الخ. هذا قول قتادة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**من أمانيّهم**) بيان ما. **وقوله**: (**وأن الله**)... الخ. عطف تفسيري على قوله: أمانيّهم. **قوله**: (**أو الأكاذيب**)... الخ. هذا قول ابن عباس ومجاهد ﷺ. **قوله**: (**مختلقة**) في المصباح: خلق الرجل القول خلقًا افتراه واخْتلقه مثله. اهـ.

(على التقليد ومنه قول عثمان ﷺ**):**.......................................

قوله: (على التقليد) أي من غير دليل وتحقيق. **قوله: (ومنه قول عثمان رضي الله تعالى عنه)** هو أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، وأبو ليلى عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القريشي الأُموي المكّي ثم المدني أمير المؤمنين، أُمُّه أروى بنت كُرَيْز ـ بضم الكاف وفتح الراء ـ ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف، وأُمُّها أُمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، أسلم عثمان قديمًا دعاه أبو بكر إلى الإسلام، فأسلم وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، فهاجر بزوجته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة الهجرتين الأُولى والثانية. روينا في تاريخ دمشق في أحوال بنات رسول الله ﷺ عن أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال حين هاجر عثمان برقيّة: «والذي نفسي بيده، إنّه لأوّل مَنْ هاجر بعد إبراهيم ولوط» صلّى الله على نبيّنا وعليهما وسلّم، ويقال لعثمان ذي النورَيْن؛ لأنه تزوّج بنتي رسول الله ﷺ إحداهما بعد الأخرى، قالوا: ولا يعرف أحد تزوّج بنتي نبيّ غيره، تزوّج رقيّة رضي الله تعالى عنها، وتُوُفِّيت عنده في أيَّام غزوة بَدْر في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان تأخّر عن بَدْر لتمريضها بإذن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فجاء البشير بنصر المؤمنين ببدر يوم دفنوها بالمدينة ﷺ، وولدت له رقيّة ثم تزوّج بعد وفاتها أختها أُمّ كلثوم بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتوفّيت رضي الله تعالى عنها عنده سنة تسع من الهجرة ولم تَلِد له شيئًا. رُوِي لعثمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مائة حديث وستّة وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة. رَوى عنه يزيد بن خالد الجهني، وابن الزبير، والسّائب بن يزيد وغيرهم من الصحابة، وروى عنه خلائق من التابعين منهم ابنه أبان بن عثمان، وعبيد الله بن عدي، وحمران وغيرهم. ووُلِد عثمان في السنة السادسة بعد الفيل، وقُتل شهيدًا يوم الجمعة لثمان عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وقيل: قُتِل يوم الأربعاء، وهو ابن تسعين سنة، وقيل: ثمانٍ وثمانين، وقيل: ثنتين وثمانين، وقيل غير ذلك. وبُويع له بالخلافة غرّة المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته ثنتي

....

عشرة سنة إلّا ليالي. قال ابن عبد البرّ: بُويع له يوم السبت بعد دفن عمر رضي الله تعالى عنه بثلاثة أيّام، وحجّ فيها بالناس عشر سنين متوالية، وصلّى عليه جبير بن مطعم، ودُفِن ليلًا بالبقيع، وأُخفي قبره ذلك الوقت ثم أُظهر، وقيل: دُفِن بحُشّ كَوْكَب. قال ابن قتيبة: هي أرض اشتراها عثمان وزادها في البقيع، والحُشّ البستان، وكوكب اسم رجل من الأنصار. وقيل: صلّى عليه حكيم بن حزام، وقيل: المسور بن مخرمة، وإنما دُفِن ليلًا للعجز عن إظهار دفنه بسبب غلبة قاتليه. قال ابن قتيبة: وفي زمن عثمان كانت غزوة الاسكندرية، ثم صابور، ثم أفريقية، ثم قبرس وإصطخر الآخرة وفارس الأُولى، ثم خوز وفارس الآخرة، ثم طبرستان ودار بجرد وكرمان وسجستان ثم الأساورة في البحر وغيرهنّ، ثم مرو على يد عبد الله بن عامر سنة أربع وثلاثين ثم حُصِر في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، فحصر عشرين يومًا في داره، وقُتِل فيها. قال الواقدي: حصروه تسعة وأربعين يومًا، وقال الزبير بن بكار: حصروه شهرين وعشرين يومًا، وكان حسن الوجه رقيق البشرة، كثّ اللّحية، أسمر كثير الشعر، بين الطويل والقصير، وكان محبّبًا في قريش، واشترى بئر رومة من يهوديّ بعشرين ألف درهم، وسبّلها للمسلمين، وجهّز جيش العُسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا وبخمسين فرسًا.

روينا في صحيح البخاري ومسلم في حديث أبي موسى الأشعري الطويل أنّ النبيّ ﷺ قال له: «بشّره بالجنّة» يعني عثمان. وفي صحيحيهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها في الحديث الطويل أنّ النبيّ ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان، وقال: «ألا أستحي من رجل يستحي منه الملائكة». وفي صحيح البخاري عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن عثمان قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى بعث محمّدًا ﷺ بالحقّ نبيًّا، وكنت ممّن استجاب لله ولرسوله، وآمنتُ بما بُعِث به، ثم هاجرت الهجرتين، وصحبتُ رسول الله ﷺ ونِلْت صهر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتابعته، فوالله ما عصَيْته ولا غشَشْته حتى توفّاه الله تعالى، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله. وفي صحيح البخاري أيضًا عن عبيد الله بن عدي، قال: دخلت على عثمان رضي الله تعالى عنه وهو محصور، فقلت له: إنك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى، وهو يصلّي لنا إمام فتنة، وأنا أتحرّج من الصلاة معه، فقال عثمان:

....

إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحْسِنْ معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم. وفي صحيح البخاري عن أبي عبد الرحمٰن السلمي التابعي: أنّ عثمان حين حُوصِر أشرف عليهم، فقال: أنشدكم بالله ولا أُنشد إلّا أصحاب النبيّ ﷺ، ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جهَّز جيش العُسْرة، فله الجنّة» فجهزتهم؟ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر بئر رومة، فله الجنّة»، فحفرتها؟ قال: فصدّقوه بما قال. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: كنّا في زمن رسول الله ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نُفاضل بينهم. وفي صحيح البخاري عن أنس، قال: صعد النبيّ ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم، فرجف، فقال: «اسكن، فليس عليك إلا نبيٌّ وصدّيق وشهيدان». وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنّ عثمان أحد الستّة الذين توفّي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ. وفي كتاب الترمذي عن عبد الرحمٰن بن خباب ـ بالخاء المعجمة ـ السَّلَمي الصحابي، قال: شهدتُ النبيّ ﷺ وهو يحثّ على جيش العُسْرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله؛ ثم حضّ على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله، عليَّ مائتا بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله؛ ثم حضّ على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله، عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله؛ فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل من المنبر، وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه» رواه الترمذي بإسنادٍ جيّد. وعن عبد الرحمٰن بن سَمُرة قال: جاء عثمان إلى النبيّ ﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العسرة، فنثرها في حجره وهو يقول: «ما ضرّ عثمان ما عَمِل بعد اليوم» مرّتين، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أنسٍ قال: لمّا أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسولَ رسول الله ﷺ إلى أهل مكّة، فبايع الناس، فقال النبيّ ﷺ: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أبي الأشعث الصنعاني أنّ خُطباءَ قامت بالشام فيهم رجالٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام

(ما تمنيت منذ أسلمت، أو إلا ما يقرؤون من قوله): ....

أحدهم رجل يقال له مرّة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، وذكر الفتن فقرّبها، فمرّ رجل متقنّع في ثوبٍ، فقال؛ هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهي فقلت: هذا؟ قال: نعم، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا عثمان إنّه لعل الله يقمّصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن كليب بن وائل عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقال: «يقتل فيها هذا مظلومًا» لعثمان، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أبي سلمة مولى عثمان، قال: قال عثمان يوم الدار: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهدًا، فأنا صابرٌ عليه؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. قال ابن قتيبة: كان لعثمان من الأولاد: عبد الله الأكبر أُمّه فاضة بنت غزوان، وعبد الله الأصغر أُمّه رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وعمر وأبان وخالد وعمرو وسعد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأُمّ سعيد وأُمّ أبان وأُمّ عمرو وأُمّ عائشة رضي الله تعالى عنهم. وعثمان بن عفان أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد المُنفقين في سبيل الله الإنفاق العظيم، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، ولم يلبس السراويل في جاهليّة ولا إسلام إلى يوم قتله، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقالوا لي: اصبر، فإنك تُفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف ففتحه، فقُتِل وهو بين يديه، وأعتق عشرين مملوكًا وهو محصور رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة أجمعين؛ كذا في تهذيب الأسماء.

(ما تمنّيت منذ أسلمت) أي ما كذبت. **قوله**: (أو إلا ما يقرؤون) فإن قلت: إلّا ما يقرؤون، كيف يناسب قوله: أُمّيون؟ قلت: إنّ الأُمّي ربما قدر على قراءةٍ ما، كما أنه يقدر على كتابةٍ ما. رُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ يوم الصلح أخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب: «هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله». **قوله**: (من قوله) أي قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه أحد شعراء رسول الله ﷺ في وصف عثمان رضي الله تعالى عنه حين جرى عليه ما جرى.

(تمنى كتاب الله أول ليلة) وآخرها لاقى حمام المقادر

أي لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرؤون أشياء أخذوها (من أحبارهم. والاستثناء منقطع). ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن. ذكر العلماء الذين (عاندوا) بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلّدوهم.

(تمنّى) أي قرأ أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه (كتاب الله) أي القرآن قراءةً مقرونة بفهم المعنى واللّطائف وأنواع المزايا والمعارف (أوّل ليلة) بالإضافة إلى ضمير الغائب الراجع إليه رضي الله تعالى عنه، أي أوّل ليلة استشهد فيها، لا بتاء التأنيث للوحدة على ما في بعض النسخ، يُعرف ذلك بالتأمّل. ويؤيّده أنّ ابن الأنباريّ روى المصراع الأخير هكذا، وآخره: لاقى حمام المقادر حيث لم يرو، وآخرها بتأنيث الضمير، ولو كان أوّل ليلة بتاء الوحدة لكان ينبغي أن يقال: وآخرها والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت، والمقادر مخفّف المقادير، وفي الأساس: المقادر الأُمور التي تجري بقدر الله ومقدوره وتقديره وإقداره وتقاديره، والمقصود أنه قرأ كتاب الله في أوّل الليلة واستشهد في آخرها. **قوله**: (من أحبارهم) أي عُلمائهم.

قوله: (والاستثناء[1] منقطع) لأن ما هم عليه من الأباطيل، أو ما سمعوه من الأكاذيب ليس من الكتاب، فكذا ما يقرؤون تلقّفًا من علمائهم لِمَا فيه من التحريف والافتراء؛ ولأنه ليس من جنس المعلوم، والمعنى: لكنهم يعلمون ذلك ويعتقدونه جهلًا، أو يظنونه تقليدًا.

قوله: (عاندوا) في لسان العرب: عانَد مُعاندة، أي خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه، فهو عنيد وعانِد. اهـ.

---

(١) لأن الأماني بأي معنى كان ليست من جنس المستثنى منه الذي هو الكتاب، ولا مندرجة تحت مدلوله أما على المعنى الأوّل والثاني، فظاهر. وأما على الثالث، فلأن ما يقرؤون آبائهم هم الأنبياء يشفعون لهم وهو اختلاق واختراع من عندهم بجعلهم في كتابهم ما ليس من الكتاب، أفلا يكون ما يقرؤون من الكتاب، فكأن الاستثناء منقطعاً وأداته بمعنى لكن. ١٢ منه عم فيضه.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ﴾ (في الحديث «ويل واد في جهنم») ﴿لِّلَّذِينَ (يَكْتُبُونَ) ٱلْكِتَٰبَ﴾ (المحرَف) ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ (من تلقاء) أنفسهم من غير أن يكون منزلًا. وذكر الأيدي للتأكيد وهو (من محازّ التأكيد)

قوله: **(في الحديث**[١]: **«ويلٌ وادٍ في جهنّم»)**[٢] روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ويلٌ وادٍ في جهنّم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره». وقال عطاء بن يسار: الويل وادٍ في جهنم لو أُرسلت فيه الجبال لذابت من حرّه. **قوله: (المحرّف)**، والمعنى: فويلٌ للذين يكتبون التوراة محرّفًا مغيّرًا، فإنّ علماء اليهود كانوا يمحون صفة رسول الله عليه الصّلاة والسلام من التوراة ويكتبون مكانها ما يخالف نعته وصفته؛ ليظنّ سَفَلة اليهود وجَهَلتهم أنّ التوراة هكذا نزلت من عند الله تعالى، وأنّه عليه الصّلاة والسّلام كاذبٌ في دعوى الرسالة حتى لا تذهب رئاستهم ولا تنقطع مآكلهم التي يأخذونها من أتباعهم، فإنّه عليه الصّلاة والسّلام لمّا قَدِم المدينة خاف أحبار اليهود من زوال رئاستهم ومآكلهم، فاحْتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفاته التي وصفه الله تعالى بها في التوراة، منها أنه عليه الصّلاة والسّلام حَسَن الوجه، أكحل العين، ربعة القامة، أي لا طويل ولا قصير؛ فغيّروها وكتبوا مكانها: طويل القامة، أزرق العين، سبط الشعر، فإذا سألهم سَفَلتهم عن صفته عليه الصّلاة والسّلام قرؤوا عليهم ما كتبوه، فإذا سمعته السَّفَلة ووجدوه مخالفًا لحليته وصفته عليه الصّلاة والسّلام، كذّبوه وأبَوْا عن اتّباعه، وكذلك كانوا يحرّفونها عن معانيها وتأويلاتها ويؤوّلونها بالتأويلات الزّائغة.

قوله: (من تِلْقاء) أي قبل. **قوله: (من محازّ التأكيد)** جمع محزّ، مِنْ قولهم: أصاب المحزّ كذا، أفاده العلامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف. وفي شرح القاموس المسمّى تاج العروس من جواهر القاموس: المحزّ موضع الحزّ، أي

---

(١) كما رواه الترمذي. ١٢ منه.
(٢) رواه محيي السنة مرفوعًا إلى النبيّ ﷺ. ١٢ منه.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ (هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ) لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضًا (يسيرًا). ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم (مِّمَّا كَتَبَتْ) أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم (مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرشا).

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يومًا عدد أيام عبادة العجل. (وعن مجاهد) ﷺ: كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة

القطع، ومنه قولهم: قطع فأصاب المحزّ، أي من محلّ التأكيد، حيث يقرّر ما تضمّنه قوله: (﴿يَكْتُبُونَ﴾) من إسناد الكتابة إليهم. **قوله**: (يسيرًا) أي قليلًا. في الصحاح: اليسير القليل. **قوله**: (من الرُّشا) ـ بالضم ـ جمع الرشوة مثلّثة الراء، والمراد من الرّشا ما يأخذونه من أغنيائهم على تحريفهم التوراة بتغيير نعوت رسول الله ﷺ، وكَتْم بعض أحكام الله تعالى؛ كآية الرَّجم. وفي الحواشي السعدية قوله: من الرّشا إشعار بأنّ ما في قوله: (﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾) موصولة، وكذا في قوله: (﴿مِّمَّا كَتَبَتْ﴾)، لكن الأنسب كونها مصدريّة لفظًا ومعنًى، هذا كلامه. أمّا لفظًا، فلأنه لا يحتاج حينئذ إلى حذف العائد وإضماره. وأمّا معنى فلأن العبد إنما يستحق الويل والعقاب لأجل فعله وكسبه وهو الكتب، والكسب هٰهنا لا لأجل ذات المكتوب والمكسوب، ومِنْ في الموضعين للتعليل بمعنى لأجل؛ كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: الآية ٢٥] ذكر الله من قبائحهم ثلاثة أمور: كَتْبهم ما كتبوه، وقولهم له: (﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾)، وأخذ المال بمقابلة ذلك الفعل، فإنّ كل واحدةٍ من هذه الأُمور ذنبٌ عظيم يستحقّ مَنِ ارتكبه عقوبة عظيمة، فلذلك ذكر الله تعالى لهم ثلاثة ويلات، كل ويلة بمقابلة ذنب، ولو ذكره مرّة واحدة لربما يُتوهَّم أنّ الوعيد المذكور إنما هو بمقابلة مجموع هذه الأُمور الثلاثة دون كلّ واحدٍ منها، فأُزيل هذا التوهّم بذكر الويل ثلاث مرّات.

قوله: (وعن مجاهد) هو أبو الحجاج، مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير ـ بالتصغير ـ المكّي المخزومي، وهو تابعي إمام متّفق على جلالته وإمامته. سمع ابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن عمرو بن العاص، وأبا سعيد، وأبا هريرة، وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وسمع مِنَ

(وإنما نعذّب مكان كل ألف سنة يومًا. ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ) عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار (﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾) متعلّق بمحذوف تقديره (إن اتخذتم) عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده (﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ «أم» إما أن تكون معادلة) أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون، أو منقطعة أي بل أتقولون على الله ما لا تعلمون.

التابعين طاوسًا، وابن أبي ليلى، ومصعب بن سعد وآخرين. روى عنه طاوس، وعكرمة، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير، والحكم، وابن عون، والأعمش، ومنصور، وحماد بن أبي سليمان، وطلحة بن مُصَرِّف، وأيوب السختياني، وعبد الله بن أبي نجيح وخلائق لا يُحصون. واتّفق العلماء على إمامته وجلالته وتوثيقه، وهو إمام في الفقه والتفسير والحديث. قال مجاهد: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة. وقال خصيف: كان أعْلمهم بالتفسير مجاهد. وقال أبو حاتم: لم يسمع مجاهد عائشة، ومناقبه كثيرة مشهورة. وقال ابن بكير: توفي مجاهد سنة إحدى ومائة، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، وقيل: توفي سنة مائة، وقيل: سنة ثنتين ومائة، وقيل: سنة ثلاث ومائة رحمة الله تعالى عليه.

قوله: (وإنما نعذّب مكان كل ألف سنة يومًا) ثم ينقطع عنّا العذاب بعد سبعة أيّام. **قوله:** (﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾) الهمزة فيه للاستفهام، ومعناه الإنكار والتقريع حُذِفت همزة الافتعال استغناءً عنها بهمزة الاستفهام، ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ [سبأ: الآية ٨]، و﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ [الصّافات: الآية ١٥٣]. **قوله:** (إن اتّخذتم) أي إن كنتم اتّخذتم؛ إذ ليس المعنى على الاستقبال، لأن أخذ هذا الشرط المقدّر ماض، وهو أتّخذتم في قوله: (﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ﴾)، ولمّا كان قوله: (﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾) جواب شرط مقدّر كانت الفاء التي فيه فاء فصيحة، وهي الفاء التي تدلّ على أنّ ما بعدها متعلّق بمحذوف، وهو سبب لما بعدها، كما مرّ. والجملة الشرطية معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، والأصل: اتّخذتم عند الله عهدًا (﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾). **قوله:** (﴿أَمْ﴾ إمّا أن تكون معادلة)... الخ. إشارة إلى ما في أم من الوجهين كونها متّصلة للمعادلة بين شيئين، بمعنى أيّ هذين واقع، وأخرجه مخرج المتردّد فيه، وإنْ كان قد علم وقوع أحدهما، وهو قوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. والاستفهام هٰهنا ليس على حقيقة العلم

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾

(﴿بَلَىٰ﴾ **إثبات لما بعد النفي**) وهو لن تمسّنا النار أي بلى تمسّكم أبدًا بدليل قوله: «هم فيها خالدون» ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ (**شركًا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما** ﷺ) ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾

المُستفهَم، وهو النبيّ ﷺ، بوقوع أحد الأمرين بعينه، وهو الافتراء والقول على الله تعالى بغير عِلم، بل هو للتقرير، أي لحمل المخاطب على أن يقرّ بأحدهما على التعيين، ويجوز أن تكون منقطعة غير عاطفة بمعنى بل، والهمزة ـ أي بل أتقولون ـ على الله ما لا تعلمون، والاستفهام للتقرير، أي للتحقيق والتثبيت، لا بمعنى حمل المخاطب على الإقرار والتقريع، أي التوبيخ، والمعنى: أنتم تقولون ذلك على التحقيق، ولكن لا ينبغي أن يقع ذلك.

قوله (﴿بَلَىٰ﴾ **إثبات لما بعد النفي**) لأنها موضوعة لإيجاب النفي، أي لنقض النفي المتقدّم، سواء كان ذلك النفي مجرّدًا عن الاستفهام نحو بل في جواب مَنْ قال: ما قام زيد، أي بلى قد قام، أو كان مقرونًا بالاستفهام، فإنّها حينئذ تنقض النفي الذي بعد ذلك الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، أي بلى أنت ربّنا، ولو قيل: أليس زيدٌ قائمًا، فقلت: بلى، كان المعنى: بلى إنه قائم، فهي مختصّة بجواب النفي. قال الفرّاء: بلى يكون جوابًا للكلام الذي فيه الجحد، بخلاف نعم، فإنّها مقرّرة، أي مثبتة لما سبقها مطلقًا، سواء كان ما سبق عليها كلامًا خبريًّا مُوجِبًا أو منفيًا، فإذا قيل: نعم، في جواب مَنْ قال: قام زيدٌ، كان المعنى: نعم إنه قام، ولو قيل ذلك في جواب مَنْ قال: ما قام زيدٌ، كان المعنى: نعم إنه ما قام. أو كلامًا استفهاميًّا، فإنها تقرّر ما بعد حرف الاستفهام مثبتًا كان، نحو: نعم في جواب مَنْ قال: أقام زيدٌ؟ أي: نعم إنه قام. أوْ منفيًا، نحو نعم في جواب مَنْ قال: ألم يقم زيد؟ أي نعم لم يقم زيد. ومِنْ ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لو قالوا في جواب ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] نعم، لكان كفرًا لإفادتها تقرير نفي الربوبية عنه تعالى. **قوله** (**شركًا، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله تعالى عنهم**)عبارة البغوي رحمه الله: قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية

(**وسدّت عليه مسالك**) النجاة بأن مات على شركه، فأما إذا مات مؤمنًا فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطًا به فلا يتناوله النص، (**وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج. وقيل: استولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفض**) عنها بالتوبة، (**خطيئاته مدني**). ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ (هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

(﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾)

والربيع وجماعة: هو الشِّرك يموت عليه. **قوله**: (**وسدَّت عليه مسالك**) أي حُبِسَت عليه طُرق.

قوله: (**وبهذا التأويل يبطل تشبّث المعتزلة والخوارج**) أي تمسّكهما واستدلالهما على ما زعموا من تخليد أصحاب الكبائر في النار، فإنهم قطعوا بخلود مَنْ لم يتب منهم في النار استدلالًا بظاهر العمومات الواردة في القرآن والحديث، منها هذه الآية، وقد عرفت جوابنا لهما بالتأويل في الآية. اهـ.

قوله: (**وقيل: استولت**[1] **عليه كما يحيط العدوّ**) فيه إشارة إلى أن الاستعارة التبعيّة في أحاطت. **قوله**: (**ولم ينفضّ**) أي يتخلّص. في المصباح: تفصّى الإنسان من الشدّة تخلّص، وتفصّى من دينه خرج منه، وما كاد يتفصّى من حصنه، أي يتخلّص. اهـ.

قوله: (**«خطيئاته» مدنيّ**) أي قرأ نافع المدني وحده: «خطيئاته» بالجمع. **قوله**: (﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) أي دائمون، رُوعِيَ فيه معنى مَنْ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾) جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده لتُرْجى

---

(١) أي غلبت. ١٢.

الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ **(إخبار في معنى النهي)** كما تقول تذهب إلى فلان **(تقول له كذا تريد الأمر.** وهو) أبلغ **(من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سُورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه، وينصره قراءة أُبيّ «لا تعبدوا»)**.

رحمته ويُخشى عذابه. **قوله**: **(إخبار في معنى النّهي)** هذا قول الفرّاء، وقوله: إخبار، أي: لا تعبدون نفي وهو خبر في الأصل يحتمل الصدق والكذب، لكنه هنا في معنى النهي، فيكون استعارة تبعيّة، وكذا الإخبار في معنى الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٣] الآية، شبّهت النسبة الإنشائيّة في لا تعبدوا بالنسبة الخبرية في (﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾) في المطابقة والحصول؛ فعبّر عنها بلا تعبدون، لِمَا فيه من إيهام أنّ المنهيّ سارع إلى الامتثال، فهو يُخبر عنه، وهذا لا يختصّ بصيغة الماضي، بل يجري في الماضي والمضارع جميعًا؛ فكما يقال في الدعاء: رحمه الله، قال أيضًا: يرحمه الله، كما قال المجنون:

فيا ربّ لا تسلبني حبّها أبدًا ويرحم الله عبدًا قال آمينا

قوله: **(تقول له كذا)** بدل من تذهب أو حال مقدّرة. **قوله**: **(تريد الأمر)** أي اذهب. **قوله**: **(وهو)** أي الإخبار أبلغ إمّا من البلاغة أو من المبالغة عند مَنْ جوَّز أخذ أفعل التفضيل من المزيد، وهو مذهب الكوفيّين. وجه المبالغة والبلاغة معلومٌ مِنْ قوله: **(من صريح الأمر والنهي)**... الخ. توضيحه: وقد يعدل عن الأمر والنهيْ إلى الإخبار؛ لأن المُخبر به إنْ لم يوجد يلزم كذب الشارع، وهو مُحال بخلاف الأمر، فإنه لا يلزم مِنْ عدم الإتيان بالمأمور به كذب الشارع، وكذا النهي؛ فحينئذ يتبادر المنهيّ عنه أو المأمور بالامتثال صَوْنًا لخبر الشارع عن كونه كذبًا بحسب الظاهر، فإنّ الخبر إذا أُريد به الأمر أو النهي مجازًا لا يتصوّر الكذب حقيقةً على تقدير عدم الإتيان بالفعل، والإتيان بالمنهيّ عنه في صورة النهي، وإلى هذا التفصيل أشار **(لأنه)** أي المخبِر عنه **(كأنه سورع)** أي كأنّه حصل المسارعة **(إلى الامتثال والانتهاء)** عن المنهيّ عنه، **(وهو)** أي فالمتكلّم **(يُخبر عنه وينصره)** أي يعضد كونه بمعنى النهي.

(قراءة أُبيّ: «لا تعبدوا») على صيغة النهي، فإذا أُريد المبالغة في الحثّ على الامتثال عبّر عن الأمر والنهي بالخبر تنبيهًا على الاعتناء بشأن المنهيّ عنه وتأكد

(وقوله: و«قولوا» والقول مضمر. «لا يعبدون»: مكيّ وحمزة وعليّ) لأن بني إسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة كلها (غيب). ومعناه أن لا يعبدوا

طلبه حتى كأنه امتثل وأخبر عنه؛ فحينئذ يتبادر المخاطَب إلى الامتثال أسرع تبادر، ثم أيّد ذلك بقراءة أبي: «لا تعبدوا»؛ إذ الظاهر الراجح توافق القراءة معنًى، وإن تخالفت مبنًى.

قوله: (أُبيّ) بن كعب الأنصاري الخزرجي، كان يكتب للنبيّ ﷺ الوحي. قال الواقدي: وهو أوّل مَنْ كتب للنبيّ ﷺ مَقْدمه المدينة، وهو أوّل مَنْ كتب في آخر الكتاب: كتب فلان بن فلان، فإذا لم يحضر أُبيّ كتب زيد بن ثابت، وهو أحد الستّة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وأحد الفقهاء الذين كانوا يَفْتُون على عهد رسول الله ﷺ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عزّ وجلّ، وله كُنْيتان: أبو المنذر، كنّاه بها النبيّ ﷺ، وأبو الطُّفَيْل كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطّفَيْل، وسمّاه النبيّ ﷺ سيّد الأنصار، وعمر سيّد المسلمين. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. توفي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. قال أبو نعيم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح، رَوَى عنه خلقٌ كثير.

قوله: (وقوله: وقولوا) أي وينصره أيضًا عطف قولوا في قوله: (﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾) على ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾؛ إذ لو لم يكن ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ في معنى النهي لزم اختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنًى، وهو غير جائز؛ بل لا بدّ من اتّفاقهما لفظًا ومعنى أو معنًى فقط، وإنِ اختلفا لفظًا كما في هذه الآية، على تقدير أن يكون الخبر بمعنى النهي. **قوله**: (والقول مضمر)؛ إذ لا ارتباط بدونه، وتقدير الكلام: واذكر ما حدث وقت أخذنا ميثاقهم قائلين (﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾)، أو قلنا ذلك على أن يكون قلنا المقدّر بدلًا من قوله: (﴿أَخَذْنَا﴾). **قوله**: («لا يعبدون» مكّي وحمزة وعليّ) أي قرأ ابن كثير المكّي وحمزة بن حبيب الكوفي المعروف بالزيّات، وعلي الكسائي بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. **قوله**: (غُيّب) بضمّ الغين وتشديد الياء جمع غائب، ويصح تخفيفها بفتحتين؛ لأنه جمعٌ أيضًا.

(**فلما حذفت** «أن» رفع ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي (**وأحسنوا**) ليلتئم عطف الأمر وهو قوله: «وقولوا» عليه. (﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ **القرابة** ﴿وَالْيَتَامَى﴾ **جمع يتيم**) وهو الذي (**فقد**) أباه قبل (**الحلم**) إلى الحلم (**لقوله** عليه السلام: «**لا يتم بعد البلوغ**»)

قوله: (**فلمّا حُذِفت أن رفع**) لما تقرّر من أن المضارع يرتفع عند تجرّده عن الناصب والجازم، كما في قوله:

ألا أيّهذا الزاجري أحضر الوغىٰ وأن أشهد اللذّات هل أنت مخلّدي

فإنّ تقديره: أن احضر يدلّ عليه عطف: وأن اشهد عليه، والوغى الحرب، وأصله الصوت يكتب بالياء لأن الألف يؤذن أنه مقلوب عن الواو، وليس في الأسماء اسم أوّله وآخره واو، إلّا الواو، والمعنى: ألَا أيّها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب وشهود اللّذات، ويمنعني عنها هل أنت تجعلني مخلّدًا في الدنيا، إن كففت نفسي عنهما؟

قوله: (﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾) تثنية والد؛ لأنه يُطلق على الأب والأم أو تغليب. وقال الحلبي: إنّه لا يقال في الأُم والد، فيتعيّن التغليب. **قوله**: (**وأحسنوا**) . . . الخ. فحينئذ يكون عطف الإنشاء على الإنشاء لفظًا ومعنًى. **قوله**: (﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ **القرابة**) ذي القربى غير الوالدين في أكثر الاستعمال، وإفراد ذي لكون القربى مصدرًا يُغْني عن الجمع. **قوله**: (﴿وَالْيَتَامَى﴾) وزنه فعالى كسكارى، وألفه للتأنيث، وهو (**جمع يتيم**) والحكم شامل لليتيمة أيضًا إمّا تغليبًا أو بدلالة النصّ. وقوله: جمع يتيم كنديم وندامى، هو قليل لا يُقاس عليه، واليتيم أصل معناه الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة. وقيل: الإبطاء لإبطاء البرّ عنه، وهو في الآدميّين من قِبَل الآباء، وفي البهائم من قِبَل الأُمّهات وفي الطيور من جهتهما، ووجهه ظاهر. وقيل: إنه يقال في الآدميين لمن فُقِدَت أُمّه أيضًا، وقد يُطلق اليتيم على البالغ باعتبار ما كان مجازًا، لكن المراد هنا الصغير والصغيرة. **قوله**: (**فقَدَ**) في المصباح: فقدته فَقْدًا من باب ضرب، وفُقدانًا عدمته، فهو مفقود وفقيد. اهـ. **قوله**: (**الحُلُم**) ـ بالضم ـ ما يراه النائم مطلقًا، لكن غلب استعماله فيما يرى من أمارة البلوغ، كذا في النهاية. **قوله**: (**لقوله عليه السلام**: «**لا يُتْم بعد البلوغ**») في التيسير بشرح الجامع الصغير: «لا يُتْم بعد احتلام»، أي لا يجري على البالغ حُكْم اليتيم، والحُلُم ما يُرى من أمارة البلوغ.

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ جمع مسكين (وهو الذي أسكنته الحاجة. ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ قولًا هو حسن في نفسه لافراط حسنه. «حسنًا»: حمزة وعلي) ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الميثاق (ورفضتموه)﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ﴾ قيل: هم الذين أسلموا منهم (﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولية) عن المواثيق.

(وعن عليّ) بإسناد حسن.اهـ باختصار. أي رواه أبو داود في الوصايا عن عليّ أمير المؤمنين رضي الله عنه وكرَّم وجهه. وفي رواية للبزار: «بعد حلم».

قوله (**وهو الذي أسكنته الحاجة**)أي جعلته ساكنًا، فهو مَنْ لا مال له، والفقير مَنْ له مال دون النّصاب. **قوله** (**قولًا هو حسن في نفسه لإفراط حُسْنه**) يعني إن (﴿حُسۡنٗا﴾)بضم الحاء وسكون السين مصدر وقع صفة لمحذوف، والتقدير: قولوا للناس قولًا حسنًا، وصف القول بالمصدر مبالغةً في توصيفه بالحسن، فإنه يدلّ على أنّ القول بلغ في اتّصافه بالحسن إلى أن صار كأنه نفس الحسن.

قوله (﴿**حسناً**﴾ **حمزة وعلي**)أي قرأ حمزة بن حبيب وعليّ الكسائي ﴿حسناً﴾ - بفتحتين - أي بفتح الحاء والسين، ولا مبالغة فيه؛ لأنه صفة مشبَّهة. وقيل: هو أيضًا مصدر، كحزن وحزن، لكنه ليس بمشهور. والباقون بضمّ الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغةً. **قوله** (**ورفضتموه**)في محيط المحيط: رفضه يرفضه ويرفُضه رَفْضًا ورفَضًا تركه.اهـ.

قوله (﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ **وأنتم**[1] **قومٌ عادتكم الإعراض**). . الخ. لمّا كان أصل إعراضهم مستفادًا من قوله تعالى: (﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾)أوّلَ قوله: (﴿وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾)بذلك تكثيرًا للفائدة، وأنّ الجملة ليست بحال، بل اعتراض تذييلي، كما جوَّز صاحب الكشاف أن يقع الاعتراض في آخر الكلام، واختاره المصنف رحمه الله. **قوله** (**والتَّوْلية**)مصدر وَلّى.

---

(١) يعني أن الجملة اعتراض لا حال لقلّة فائدتها، وإن جاز مثل توليتم مدبرين، كذا أفاده العلامة التفتازاني رحمه الله. ١٢ منه عم فيضه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ (لَا تَسْفِكُونَ) دِمَاءَكُمْ (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم) مِّن دِيَارِكُمْ﴾ (أي لا يفعل ذلك) بعضكم ببعض. (جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلًا أو دينًا. وقيل: إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتصّ منه ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق واعترفتم) على أنفسكم (بلزومه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها) كما تقول: فلان مقر

قوله: (أي لا يفعل ذلك) أي السَّفك والإخراج. **قوله:** (جُعِل[1] غير الرجل نفسَه إذا اتّصل) أي الرجل (به) أي بذلك الغير، أو اتّصل الغير بذلك الرجل (أصلًا) أي نَسَبًا (أو دِينًا)، فيكون المجاز في ضميركم فذكر ضميركم فأُريد من يتّصل بهم للملابسة بينهما، كما أطلق اسم زيد وأُريد به عمرو للملابسة بينهما بالأُخوّة ونحوها، ثم نسب إلى المخاطبين وهم الأسلاف من اليهود وأخلافهم ما نسب إلى الغير، وهو القتل. (وقيل: إذا قتل غيره، فكأنما[2] قتل نفسه؛ لأنه يُقْتَصُّ منه)، فيكون مجازًا بطريق ذكر المسبّب وإرادة السبب، فيكون المجاز في (﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾) حيث أُريد به ما هو سبب السَّفك، أي لا تفعلوا ما هو مؤدٍّ إلى سفك دمائكم، والمعنى: لا تسفكوا دماء غيركم فتُقْتلون بسبب ذلك قصاصًا، فجعل قتل الغير قتلًا لنفسه لتسبّبه عنه، وإنّما ترك ذكر الإخراج اعتمادًا على المقايسة. وقال العلامة التفتازاني رحمه الله: جُعِل غير الرجل نفسَه أمّا في (﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾) فصريحًا، وأمّا في ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ فدلالة، والقول بأن قتل الغير بمنزلة قتل النفس لترتّب القصاص عليه يمكن اعتبار مثله في الإخراج لِمَا يلحقه من العار والصّغار. اهـ.

قوله: (﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق) أي بإعطائكم إيّاه وقبولكم أمر الله والتزامكم الوفاء به. **قوله:** (واعترفتم بلزومه) عطف تفسير له؛ لأن الإقرار بالشيء في معنى الاعتراف بلزوم ذلك الشيء على المقرّ، وثبوته في ذمّته. **قوله:** (﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها)... الخ. يريد أنه تذييل للجملة الأولى، وهو تعقيب جملة

---

(١) من المجاز بأدنى ملابسة. ١٢ منه عم فيضه.

(٢) فهو من باب إطلاق المسبّب على السبب. ١٢ منه عم فيضه.

على نفسه بكذا شاهد عليها. (أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسفلاكم بهذا الميثاق).

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

بجملة تستعمل على معناها للتوكيد، والغرض من التَّوكيد دفع احتمال أنه تكلَّم بما يلزم منه الإقرار لا نفس الإقرار، فأُزيل ذلك الاحتمال بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، أي وأنتم تشهدون على أنفسكم شهادةَ مَنْ يشهد على غيره، فيتحقّق كون المراد بالإقرار الإقرار نفسه؛ إذ الإقرار الحقيقيّ الشهادة على نفسه، وللمبالغة في ذلك زِيدَ ﴿أنتم﴾ المُوهِم للاختصاص المقوّي للحكم، واخْتيرت صيغة الاستقبال في الإشهاد؛ لأنه استقبال بالنسبة إلى الإقرار، أو لأنه قَصد به الاستمرار، أو لحكاية الحال الماضية، ولكَوْن الإقرار في الزَّمان الماضي اختير الماضي فيه، وكلمة ثمّ على بابها من حيث إنها جِيءَ بها للعطف والتراخي، والمعطوف عليه محذوف، تقديره: فقبلتم أمر الله المؤكّد ثم أقْرَرْتم بالقبول والالتزام وأنتم تشهدون، فيكون كلّ واحد من الخطابين للأسلاف الغائبين على طريق الالتفات للمبالغة في التقريع والتوبيخ، ويكون إسناد الإقرار والشهادة إليهم حقيقةً؛ لكونهما فعل الأسلاف حقيقة.

قوله: (أو وأنتم تشهدون اليوم) أي في عصر النبيّ ﷺ **(يا معشر اليهود)**. في المصباح: المعشر الجماعة من الناس، والجمع معاشِر.اهـ.

(على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق)؛ فعلى هذا القول يكون خطاب تشهدون للأخلاف الحاضرين، ويكون إسناد الشهادة إليهم حقيقةً؛ لكونها فِعْلهم، بخلاف الإقرار، فإنه فِعْل أسلافهم؛ لقوله: تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم؛ إلّا أنه أسند كلّ واحد من الفعلين إلى الأخلاف الحاضرين بشهادة خطاب المشافهة، فيكون إسناد الفعل الأوّل إليهم مجازًا نظرًا إلى اتّصالهم بأسلافهم، واتّحادهم معهم نَسَبًا ودينًا.

(﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ استبعاد) لما أُسند إليهم من القتل (والإجلاء والعدوان) بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم. «أنتم» مبتدأ (و«هؤلاء» بمعنى «الذين» ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾) صلة «هؤلاء». و«هؤلاء» مع صلته خبرًا «أنتم» ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ غير مراقبين ميثاق الله (﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ بالتخفيف كوفي) أي تتعاونون. وبالتشديد غيرهم. فمن خفف فقد حذف إحدى التائين. ثم

قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **استبعاد**[1]) . . . الخ. الخطاب في قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾) . . . الخ. للأخلاف الحاضرين، وكلمة ثمّ فيه ليست للتراخي الزماني كما هو أصل معناه، وإنْ كان ما ارتكبوه من القتل والإخراج وتظاهرهم على المُخْرجين بالإثم والعدوان متراخيًا بحسب الزمان عن الميثاق والإقرار به والشهادة عليه، بل هي للتراخي الرتبي واستبعاد آخر أحوالهم من أوّلها، فصحّ استبعاد القتل والإجلاء والتظاهر المذكورة من الأخلاف، وإنْ وقع الميثاق والإقرار والشهادة مِنْ أسلافهم لِمَا ذكرنا من الاتصال والاتّحاد؛ وإلّا فلا وجه لاستبعاد القتل والإجلاء ممّن لم يصدر عنه شيءٌ من الميثاق والإقرار به والشهادة عليه. **قوله**: (**والإجلاء**) في المصباح: جلَوْتُ عن البلد جلَاء ـ بالفتح والمدّ ـ خرجتُ، وأجْلَيْت مثله، ويُستعمل الثلاثي والرباعيّ متعدِّيَيْن أيضًا، فيقال: جلوته وأجْليته، والفاعل من الثلاثيّ جال مثل قاضٍ. اهـ.

وقوله: (**والعدوان**) التجاوز عن الحدّ في الظُّلم. **قوله**: (**وهؤلاء بمعنى**[2] **الذين**) هذا على مذهب الكوفيّين حيث يكون جمع أسماء الإشارة موصولة، سواء كانت بعد ما أوْ لا، والبصريون يخصّونه بذا إذا وقع بعد ما الاستفامية؛ كذا أفاده العلامة عبد الحكيم رحمه الله. **قوله**: (﴿**تظاهرون عليهم**﴾ **بالتخفيف كوفي**) . . . الخ. أي قرأ مشائخ الكوفة، وهم عاصم وحمزة والكسائي: ﴿تظاهرون﴾ بتخفيف الظاء، أصله تتظاهرون، فحُذِفت تاء التفاعل كراهةً لاجتماع المثلين، والأَوْلى أن يكون المحذوف التاء الثانية لحصول الثقل بها، ولعدم دلالتها على معنى

---

(١) يعني كلمة ثم للاستبعاد في الوقوع. ١٢ منه عم فيضه.

(٢) فإن الكوفيين يجوّزون استعمال اسم الإشارة موصولًا بمعنى الذين، وقالوا: معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [طه:الآية ١٧]: ما التي بيمينك، كذا في حاشية شيخ زاده. ١٢ منه عم فيضه.

قيل: هي الثانية لأن الثقل بها. وقيل: الأولى. ومَن شدّد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم. (﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾) بالمعصية والظلم. (﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ «تفدوهم»: أبو عمرو). «أسرى تفدوهم» (مكيّ وشاميّ. «أسرى تفدوهم»: حمزة «أسارى تفادوهم»: علي. فدى وفادى) بمعنى. (و«أسارى» حال

المضارعة، وقيل: المحذوف هو الأولى، وقرأ الأربعة الباقية من القرّاء السبعة: ﴿تظاهرون﴾ بإبدال تاء التفاعل ظاء وإدغامها في الظاء، وبه يحصل الهرب من الثّقل الحاصل من اجتماع المثلين، ومعنى المظاهرة المعاونة مأخوذ من الظهر للاستناد إليه، والمعنى: تتعاونون على أهل ملّتكم ملتبسين بالإثم والعدوان. **قوله:** (﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾) بالإمالة (﴿تفدوهم﴾) بغير ألف (أبو عمرو) البصري، (﴿وأسارى﴾) بألف (﴿تفدوهم﴾) بغير ألف (مكي) أي قرأه عبد الله بن كثير المكي، (وشامي) أي وقرأه عبد الله بن عامر الشامي اليَحْصُبيّ (﴿أسرى﴾) بالإمالة (﴿تفدوهم﴾) بغير ألف (حمزة) ابن حبيب (﴿أسارى﴾) بالإمالة (﴿تفادوهم﴾) بالألف (عليّ) الكسائي، وقرأ نافع وعاصم[1]: ﴿أسارى تفادوهم﴾ بالألف فيهما. **قوله:** (فدى وفادى) بمعنًى؛ إذ المشاركة هنا غير متحقّق ولا مراد. في الوسيط: والقراءتان معناهما واحد؛ لأنك تقول: فدَيْته بالشيء وفاديته وافْتَدَيْته به، أي خلّصته. **قوله:** (وأسارى حال) من فاعل: ﴿يَأۡتُوكُمۡ﴾، وكلمة (إن) في قوله: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ﴾ شرطيّة، و(يأتوكم) مجزوم بها بحذف نون الرفع، وضمير المخاطبين مفعوله، وتفادوهم جواب الشرط؛ فلذلك حذف منه نون الرفع، أي: وإنْ أتاكم فريقٌ من أهل ملّتكم مأسورين يطلبون منكم الفِداء، وهو ما يشْرى ويخلص به الأسير من يد مَنْ أسره، فدَيْتموهم، أي اشتريتموهم وخلّصتموهم بإعطاء فدائهم. والأسير فعيل بمعنى المأمور، أي المحبوس المأخوذ قهرًا، وهو في الأصل المشدود بالإسار، وهو القَيْد الذي يُشَدّ به الأسير، ثم أُطلق على المحبوس مطلقًا، سواء كان مشدودًا بالإسار أم لا.

واعلم أنّ أهل المدينة والنازلين بها كانوا فريقَيْن: اليهود والمشركين، وكلّ واحدٍ منهما كانوا قبيلتين. أمّا اليهود، فبنو قريظة وبنو النّضير. وأمّا المشركون،

---

(١) نافع يقرأ بين بين، وعاصم بفتح. ١٢ منه عم فيضه.

وهو جمع أسير وكذلك أسرى. والضمير في ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ **للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره** ﴿إِخْرَاجُهُمْۚ﴾ أَفَتُؤْمِنُونَ (بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ **بفداء الأسرى).** ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾ بالقتال والإجلاء.

فالأوْس والخزرج، وكان بين الأوْس والخزرج عداوة قديمة يحاربون بسببها تارات ولا يخلون عن المقاتلات وتخريب الديار وإهلاك المواشي وأسْر بعضهم بعضًا وإجلاء الغالب المغلوب عن أوطانهم، فاستحلف الأوس بني قريظة، والخزرج بني النضير على أن ينصر كلّ واحدٍ منهما حليفه من المشركين؛ فلزم من ذلك أن يقع القتال بين اليهود مِنْ غير أن يكون بين اليهود أنفسهم مخاصمة وعداوة، وإنما يقاتلون منضمّين إلى حُلفائهم إذا حاولوا مقاتلة أعدائهم، فيقاتل كلّ فريق مع حلفائهم فريقًا آخر مع حلفائه لينصر كل فريقٍ حليفه، فإذا أُسِرَ أحد من فريقَيْ بني قريظة وبني النضير جمعوا له حتى يفدوه، أي جمع مجموع الفريقين من المال ويفدونه، أي يعطونه لِمَنْ أسره مِنَ المشركين ويجعلونه فداءً للأسير يشترونه ويخلّصونه من يد المشركين، فإنّ الفداء العِوَض الذي يُعْطى لأجل تخليص المحبوس، يقال: فدَيْت الأسير بالشيء إذا أعطيته فداءً له وخلّصته به من يد مَنْ حَبسه.

قوله: (**وهو**) أي أسارى (**جمع أسير، وكذلك أسرى**) في المصباح: إن كلّاً من أسرى وأسارى جمع أسير. اهـ. وفي السمين: يحتمل أنّ أسارى جمع أسرى، وأسرى جمع أسير. **قوله:** (**والضمير في** ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ **للشأن**)، فهو في محلّ الرفع بالابتداء وإخراجهم مبتدأ ثان، و﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبر المبتدأ الثاني قدّم عليه، والجملة من المبتدأ والخبر في محلّ الرفع خبر ضمير الشأن، ولا يحتاج في مثلهما إلى العائد على المبتدأ؛ لأن الخبر نفس المبتدأ، وهذه الجملة مفسّرة لضمير الشأن، والفرق بين ضمير الشأن وضمير المبهم، مع أنّ كل واحدٍ منهما يحتاج إلى ما يفسّره. إنّ ضمير الشأن يرجع إلى الشأن المسؤول عنه الملحوظ على الإجمال، فيُجاب عنه بأنّ الشأن الذي يطلب تعيينه هو هذا، بخلاف الضمير المُبهم، فإنه لا يُعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من المفسّر؛ كما تقول: هي العرب، تقول ما تشاء؛ فلذلك قيل: إنه نكرة، فإنْ كان الضمير في الآية مبهمًا مفسّرًا بقوله: ﴿إِخْرَاجُهُمْۚ﴾، يكون مبتدأ و﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبره،

(قال السدي): أخِذ الله عليكم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء. ﴿(فَمَا جَزَآءُ) مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ﴾ هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض ﴿مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾

و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدلًا من الضمير قبله ليفسّره. **قوله**: (**أو هو ضمير مبهم**) أي لا يُعتبر له مرجع. وأمّا ضمير الشأن، فمرجعه الشأن، فاتّضح الفرق بينهما. وأيضًا تفسير ضمير المبهم يجوز أن يكون مفردًا بخلاف ضمير الشأن، ولذا قال: (**تفسيره** ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾) وهو بدل منه، أو بيان له.

قوله: (﴿بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾) المراد بالكتاب التوراة، ولم ينبّه عليه لظهوره؛ فاللام للعهد. **قوله**: (**بفداء الأسرى**) الإيمان بفداء الأسرى مجاز عن العمل به؛ لأن الإيمان بالشيء يستلزم العمل به، فَذَكر الملزوم وأُريد اللازم، فينبغي أن يكون الكفر أيضًا مجازًا عن ترك العمل ببعض ما كلّفوا به.

قوله: (قال السدِّي) أي العلّامة إسمٰعيل السدّيّ، وهو من المفسّرين المُعتبرين في كتاب الإتقان في تفسير القرآن. رَوَى عن السدِّيّ الأئمّة، مثل الثوري وشعبة، ولكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتّفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السُّدِّيّ.اهـ. وأيضًا فيه: تفسير إسمٰعيل السدِّي يُورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس.اهـ. وفي المصباح: السدَّة الباب، وينسب إليها على اللفظ، فيقال: السُّدّي، ومنه الإمام المشهور وهو إسمٰعيل السُّدِّي؛ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدَّة مسجد الكوفة.اهـ. وفي لسان العرب: سدَّة المسجد الأعظم ما حوله من الرواق، وسُمِّي إسمٰعيل السدّي بذلك لأنه كان تاجرًا يبيع الخُمُر والمقانع على باب مسجد الكوفة. وفي الصحاح: في سدّة مسجد الكوفة. قال أبو عبيد: وبعضهم يجعل السدّة الباب نفسه. وقال اللّيث: السدِّي رجل منسوب إلى قبيلة من اليمن. قال الأزهري: إن أراد إسمٰعيل السدِّي فقط غلط، لا يُعْرف في قبائل اليمن سُدًّا ولا سُدَّة.اهـ. وقوله: وفي الصحاح عبارة الصحاح: وسُمِّي إسمٰعيل السُّدِّي لأنه كان يبيع المقانع والخمر في سدَّة مسجد الكوفة، وهي ما يبقى من الطاق المسدود.اهـ.

قوله: (﴿فَمَا جَزَآءُ﴾) استفهام بمعنى النفي.

فضيحة و (هوان) ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ وهو الذي (لا روح) فيه ولا فرح أو إلى أشد من عذاب الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (بالياء مكيّ ونافع وأبو بكر).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْأٓخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ (اشْتَرَوُاْ) الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْأٓخِرَةِ﴾ (اختاروها على الآخرة اختيار المشتري) ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

(﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ﴾ التوراة)

قوله (هَوان) أي ذُلّ بالضمّ. **قوله** (لا روح) بفتح الراء، أي استراحة. **قوله** (بالياء مكّي ونافع وأبو بكر) أي قرأ عبد الله بن كثير المكّيّ، ونافع بن عبد الرحمٰن المدنيّ، وأبو بكر شعبة بن عياش بالياء على الغيبة. والباقون بالتاء على الخطاب.

قوله (اختاروها على الآخرة اختيار المشتري) فيه إشارة إلى أن (﴿اشْتَرَوُاْ﴾) استعارة تبعية، وأنّ الباء داخلة على المتروك، واعتبر ثمنًا. وحاصله أنّ الاشتراء استعمل هنا للرغبة عن الشيء طمعًا في غيره. **قوله** (ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم) إشارة إلى أن تقديم[١] الضمير في (﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾) ليس للحصر، بل للتقوّي[٢] ورعاية الفاصلة.

قوله (التوراة) فسّر الكتاب بالتوراة حملًا لِلَامِهِ على العهد، وقرينته ذِكر موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. وأمّا فيما سيأتي، فالمراد به القرآن، لقرينة

---

(١) أي تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي. ١٢ منه عم فيضه.
(٢) أي لتقوية الحكم. ١٢ منه عم فيضه.

أتاه(**جملة**) ﴿**وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ**﴾(**يقال: قفاه إذا اتبعه من القفا**) نحو ذنبه من الذنب(**وقفاه به إذا أتبعه إياه**) . يعني(**وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم: يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيىٰ**) وغيرهم.

دلَّت عليه كما ستطّلع عليه، ولذا ذُكِر منكرًا. **قوله** :(**جملة**) واحدة. **قوله** : (**يقال: قفاه**) من الثلاثي أو من التفعيل، كما هو الظاهر؛(**إذا اتّبعه**) من الافتعال، أي إذا تبعه. **قوله** :(**من القفا**[1]) أي هذا الفعل مأخوذ من القفا؛ إذ الاشتقاق من الجوامد صحيح، وإن أبَيْت عنه فاعتبر الأخذ، فإنه عامّ، وهو الأخذ من أصل بنوع من التصرّف، وكذا الكلام نحو: ذَنَّبه من الذنب ـ بفتحتيه. قوله: (كذنبت الرطَّبة). **قوله** :(**وقفاه به إذا أتبعه إياه**) من التفعيل، وأتبعه من الأفعال أشار به إلى أن أصل الكلام: وقفينا موسى بالرُّسل على أن يجعل مدخول الباء تابعًا فحُذِف المفعول وأُقيم من بعده مقامه، ليفيد أنهم جاؤوا بعد انتقال موسى على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. **قوله** :(**وأرسلنا على أثره**) أي موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام(**الكثير من الرُسل**) هذا حاصل معنى: (﴿**وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ**﴾) ؛ إذ معناه: وأتبعنا الرسل إيّاه في الإرسال إلى القوم للتبليغ، وحاصله ما ذكره. وقوله: (**على أثره**) في المصباح: جئت في أثره ـ بفتحتين ـ وفي إثره ـ بكسر الهمزة وسكون المثلثة ـ أي تبعته عن قُرب. اهـ. **وقوله** :(**الكثير من الرسل**) بدلالة الجمع المعرّف مع القطع بعدم الاستغراق. قيل: كانوا أربعة آلاف، وقيل: سبعون ألفًا، إلّا أنهم كانوا على دين موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، فجاء عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام ناسخًا لشريعته؛ فلذا خُصّ بالذِّكر. **قوله** :(**وهم**) أي الرُسل الذين بعد موسى على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام:

(**يوشع**) هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف الصدِّيق عليه السلام، هو فتى موسى المذكور في قصة الخضر، بَعَثَه الله نبيًّا بعد موسى إلى مدينة أريحا. قال ابن إسحٰق: حوّلت النبوّة إلى يوشع بن نون في حياة موسى وهارون، فلمّا انقضت لبني إسرائيل الأربعون سنة في التّيه بعث الله تعالى يوشع بن نون، فسار

---

(١) القفا مؤخّر العنق. ١٢ منه عم فيضه.

....

بني إسرائيل إلى أريحا، فلمّا وصلوا إلى نهر الشريعة بالغور، واسمه نهر الأردنّ، وكان عاشر نيسان من السنة التي تُوُفّي فيها موسى عليه السلام، فلم يجد للعبور سبيلًا، فأمر يوشع حامل صندوق الشهادة الذي فيه الألواح بأن ينزلوا به إلى حافّة النهر، فلمّا وضعوه زال الماء حتى انكشفت أرضه، فلمّا عبر بنو إسرائيل عادت الشريعة إلى ما كانت عليه، ونزل يوشع بني إسرائيل أريحا محاصرًا لها، وصار كلّ يوم يدور حولها، ولم يجد للدخول إليها سبيلًا إلى ستّة أيّام، وفي اليوم السابع أمر بني إسرائيل أن يطوفوا حول أريحا سبع مرّات وأن يكبّروا؛ فعند ذلك هبطت أسوار المدينة وانطمّت الخنادق وتساوَتْ الأرض، كذا نقله صاحب المختصر في أخبار البشر. وقيل: أقام يُحاصرها ستّة أشهر، فلمّا كان الشهر السابع تلجوا تَلجةً واحدة، فسقط سور المدينة، فدخلوا وقتلوا الجبّارين قتلًا ذريعًا، فكان الجماعة من بني إسرائيل يجتمعون على الرجل منهم حتى يطرحوه على الأرض ويضربوا عنقه، وكان القتال يوم الجمعة، وقد بقي من الجبّارين بقيّة، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فدعا الله تعالى يوشع عليه السلام، فقال: اللّهمّ ارْدُد عليَّ الشمس حتى أنتقم من أعدائك؛ فاستجاب الله تعالى دعاءه، ورجعت الشمس مقدار ساعة، وقيل: اثني عشر درجة، فقتلهم أجمعين، وكان ذلك في سادس جمادى الأُولى، وما أحسن قول أبي تمام حبيب بن أوس في ردّ الشمس ليوشع حيث قال:

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى قلوبًا عهدنا طيرها وهي وقع
فرُدَّت علينا الشمس والليل راغمٌ بشمسٍ بدَتْ من جانبِ الخُدْر تطلع
فوالله ما أدري أحلامُ نائمٍ ألمّت بنا أمْ كان في الرَّكب يوشع

ثم تبع ملوك الشام، فاستباح منهم واحدًا وثلاثين ملكًا حتى غلب على ملوك الشام، وصارت الشام كلّها لبني إسرائيل، وفرّق عمّاله في نواحيها، فسار إلى نابلس إلى المكان الذي أوْدَع فيه يوسف عليه السلام، وكان أوْدَعه موسى هناك لمّا استخرج يوسف من نيل مصر، فاستمرّ مودعًا أربعين سنة وهم في التيه، فلمّا فرغ يوشع من أريحا سار به ودفنه عند أجداده بحبرون، فلمّا استولت بنو إسرائيل على الأرض المقدّسة وصَفَتْ لهم أقام يوشع عليه السلام يدبّر أمرهم ثمانية وعشرين

....

سنة، وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة، ودُفِن في جبل إفرائيم، وقيل: بقرية قدس من أعمال صَفَد[1]، وله قبر هناك يُزار ويُتبرّك به. وقيل: بمدينة معرّة النّعمان، كذا ذكره العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني تغمّده الله وجميع المسلمين برحمته في كتابه المسمّى أخبار الدُّول وآثار الأُوَل.

(**وأشمويل**) في كتاب أخبار الدُّول وآثار الأُوَل في الفصل الخامس والعشرون في ذكر شمويل عليه السلام: وقيل: اسمه اشماويل، وهو بالعربيّة[2] إسمٰعيل، وهو ابن ملقا من ولد فاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، بعثه الله تعالى نبيًّا إلى العمالقة، وهم قومٌ كانوا يسكنون غزّة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين، فمكث فيهم عشرين سنة. اهـ. وأيضًا فيه: أمّا شمويل، فعاش اثنين وخمسين سنة، وقبره بأميال عن بيت المقدس. اهـ.

(**وشمعون**) وهو من نسل هارون، وهو الذي تولّى رئاسة بني إسرائيل ببيت المقدس بعد عزير، كذا في كتاب أخبار الدُّول وآثار الأُوَل.

(**وداود**) هو أبو سليمان داود بن إيشا ـ بهمزة مكسورة ثم مثنّاة من تحت ساكنة ثم شين معجمة ـ قال أبو إسحٰق الثعلبي في كتابه العرائس: هو داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن بخشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وقد تظاهرت الآيات والأحاديث الصحيحة على عظم فضل الله تعالى عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النّمل: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٨] الآيات، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: الآية ١٠] الآية،

---

(١) د بالشام. اهـ قاموس. ١٢ منه.

(٢) في تفسير أبي السعود وهو بالعبرانية: إسماعيل من نسل هارون عليه السلام. اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

وقال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: الآية ٢٥]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: الآية ٢٦] الآية، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: الآية ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: الآيات ١٧ - ٢٠].

ورُوينا في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود. كان ينام نصفَ الليل ويقوم ثُلثَه، وينام سُدُسَه، وكان يصوم يومًا ويُفْطِر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى»، وفي رواية في الصحيحين: «كان يصوم نصفَ الدهر»، وفي رواية في الصحيحين: «صُمْ صيام داود، فإنه كان أعبد الناس». ورُوينا في صحيحيهما عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»، وليس في رواية البخاري: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة». ورُوينا في صَحيحَيْ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لقد خفّف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه أن تُسْرج فيقرأ قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلّا مِنْ عمل يديه»، المراد بالقرآن الزبور. وفي صحيح البخاري عن المِقْدام بن معديكرب رضي الله تعالى عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل مِنْ عمل يده، وإن نبيّ الله داود كان يأكل من عمل يده». ورُوينا في كتاب الترمذي عن أبي الدّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان من دعاء داود عليه السلام: اللّهمّ إني أسألك حُبَّك وحُبَّ مَنْ يُحبّك، والعمل الذي يُبلّغني حبك، اللّهمّ اجعل حبّك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومِنَ الماء البارد»، قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود قال: «كان أعبد البشر»، قال الترمذي: هذا حديث حسن. ورُوينا في حِلْية الأولياء عن

....

الفُضَيل بن عياض رضي الله تعالى عنه قال: قال داود: «إلٰهي كُنْ لابني سليمان كما كنتَ لي، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود قل لابْنك سليمان أن يكون لي كما كنتَ لي حتى أكون له كما كنتُ لك». قال الثعلبي: قال العلماء: لمّا استشهد طالوت أعطت بنو إسرائيل داود خزائن طالوت وملّكوه على أنفسهم، وذلك بعد قتل طالوت سبع سنين، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملكٍ إلّا داود، قال: وقال كعب ووهب بن منبّه: كان داود أحمر الوجه، سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللّحية فيها جعودة، حسن الصوت والخلق، طاهر القلب. قال: وممّا أعطاه الله من الفضائل الزّبور وحُسن الصوت، فلم يُعْطَ أحدًا مثل صوته. وحُكِي مِنْ آثار صوته أشياء عجيبة، منها تسخير الجبال والطَّيْر للتسبيح معه، ومنها الحكمة وفصل الخطاب؛ فالحكمة الإصابة في الأُمور، وفصل الخطاب قيل: معرفة الأحكام وإتقانها وتسهيلها، وقيل: بيان الكلام، وقيل: قوله: أمّا بعد، وقيل: الشهود والإيمان، ومنها السلسلة المشهورة، ومنها القوّة في العبادة والمجاهدة، ومنها قوّة الملك وتمكينه، ومنها قوّة بدنه، ومنها إلانة الحديد له. قال أهل التواريخ: كان عمر داود عليه السلام مائة سنة، مدّة ملكه أربعون سنة صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلم؛ كذا في تهذيب الأسماء. وفي كتاب أخبار الدول وآثار الأُوَل: توفي داود عليه السلام وعمره مائة سنة وستّة أشهر، ودُفِن في كنيسة صهيون ببيت المقدس، وكان مدّة خلافته أربعين سنة. وعن وهب أنّه قال: شيّع جنازة داود عليه السلام أربعون ألف راهب سوى سائر الناس، وكان في يوم صَايف فآذاهم حرّ الشمس، فنادى سليمان عليه السلام الطير وأمرها أن تُظِلّ الناس، فتراصّ بعضها إلى بعض من كلِّ جهة حتى أعتمت ومنعت الريح، وكاد الناس أن يهلكوا، فخرج سليمان فنادى الطَّيْر: أظلّي مِنْ ناحية الشمس، وتنحّي عن ناحية الرِّيح؛ ففعلت ذلك بإذن الله تعالى. اهـ.

(وسليمان) بن داود النبي ابن النبيّ وسبق بيان نسبه في ترجمة أبيه، قال الله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٤] الآيات، وقال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: الآيتان ٧٨، ٧٩]

....

الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: الآيات ١٥ - ١٧] الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: الآية ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: الآية ٣٠] الآيات.

وثبت في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ عفريتًا من الجنّ تَفلّتَ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي، فأمْكَنَني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ﴾ [ص: الآية ٣٥]، فرددته خاسئًا»، ورُوينا من طُرُقٍ بألفاظٍ متقاربة وفي الصحيحين عن أبي هريرة أيضًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما، فجاء الذئب فذهب بابنِ إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكّين أشُقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله، هو ابنها؛ فقضى به للصغرى». وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عزّ وجلّ ثلاثًا: سأل الله تعالى حكمًا يُصادف حكمه؛ فأُوتيه، وسأل الله تعالى مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده؛ فأُوتيه، وسأل الله عزّ وجلّ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلّا للصلاة فيه أن يُخرجه من ذنوبه وخطيئته كيوم ولدَتْه أُمُّه» رواه النسائي في سننه بإسنادٍ صحيح. قال أبو إسحٰق الثعلبي في كتابه العرائس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾

....

[النّمل: الآية ١٦]: أي نبوّته وعِلْمه وحكمته دون سائر أولاد داود، وقال: وكان لداود اثنا عشر ابنًا، قال: وكان سليمان ملك الشام إلى إصطخر، قال: وقيل ملك الأرض. وقد رُوِيَ عن ابن عباس قال: ملك الأرض مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: نمروذ وبخت نصّر. قال كعب الأحبار ووهب بن منبّه: كان سليمان أبيض جسيمًا وسيمًا وضيئًا جميلًا خاشعًا متواضعًا يلبس الثياب البيض ويجالس المساكين، ويقول: مسكين جالس مسكينًا، وكان أبوه يُشاوره في كثيرٍ من أُموره مع صغر سنّه لوفور عقله وعِلْمه، وكان سليمان حين ملك كثير الغزو لا يكاد يتركه، فتحمله الريح هو وعسكره ودوابّهم حيث أراد، وتمرّ به وبعسكره الريح على المزرعة، فلا يتحرَّك الزَّرع. قال: وقال محمد بن كعب القُرَظي: بَلَغنا أنّ عسكر سليمان مكان مائة فرسخ خمسة وعشرون للإنس، ومثلها للجنّ، ومثلها للطَّيْر، ومثلها للوحش. قال: وقال أهل التاريخ: كان عُمر سليمان ثلاثًا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ بناءَ بيت المقدس بعد ابتداء مُلكه بأربع سنين؛ كذا في تهذيب الأسماء. وفي كتاب أخبار الدُول وآثار الأُوَل: ودُفِن عند قبر إبراهيم على نبيِّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. اهـ.

(وشعياء) بفتح الشين المعجمة وسكون العين والياء التحتية بنقطتين بالقصر، وهو شعيا بن أمضيا وهو الذي بشّر بنبيّنا محمّد ﷺ وبعيسى ابن مريم عليه السلام، قال: رأيت راكبين أضاءت لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل؛ فراكب الحمار عيسى عليه السلام، وراكب الجمل نبيّنا محمّد ﷺ.

(وأرمياء) بفتح الهمزة وبكسرها، وقيل: بضمّها وأشبعها بعضهم واوًا، ابن حلقيا، وكان من سبط هارون بن عمران. قال صاحب العرائس: استخلف الله بعد شعيا أرميا عليهما السلام، وزعم ابن إسحٰق أنه الخضر عليه السلام، وعاش أرميا ثلاثمائة سنة.

(وعزير) بن شرحيا من ولد هارون عليه السلام، وتوفي عزير عليه السلام ودُفِن في جبل الطور شرقي بيت المقدس.

قوله: (وحزقيل) بن بوزى، ويُلقب بابن العجوز، وإنّما لُقِّب بابن العجوز لأن أُمّه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز، وقد كَبُرت وعقمت عن الولد، فوهبه

....

الله تعالى لها، وهو الذي أحيا الله له الموتى، وهم القوم الذين خرجوا من ديارهم، وهم أُلوف.

(**وإلياس**) بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، أخي موسى عليه السلام.

(**واليسع**) بن أخطوب، ويقال فيه: (**اليسع**) بسكون اللام وفتحتين بعدها، ويقال: اللّيسع بشدّ اللام وسكون الياء وفتح السين، وهو يُعرف بابن العجوز؛ لأن أُمّه ولدته وهي عجوزٌ عقيم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل بعد أن رفع إلياس عليه السلام، فآمنوا به وحكم فيهم بما أمره الله تعالى إلى أن قُبِض وعاش أربعمائة وسنتين، ودُفِن بقرية تستر من أعمال أذرع.

(**ويونس**) بن متّى ـ بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مقصورًا ـ وفي يونس ستّ لغات أو أوجه: ضمّ النون وكسرها وفتحها مع الهمز وتركه، والفصيح ضمّها بلا همز، وبه جاء القرآن والآيات في رسالته وفُضَلُه معلومة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٣٩] الآيات، وقال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] الآيتين، وذو النون هو يونس. وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يُونس: الآية ٩٨]، وقال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القَلَم: الآية ٥٠].

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متّى»، ونسبه إلى أبيه، وسقط في بعض رواياتهما قوله: «ونسبه إلى أبيه». وفي رواية البخاري: «ولا أقول أن أحدًا أفضل من يونس بن متّى». وفي الصحيحين أيضًا عن ابن عباس قال: سِرْنا مع رسول الله ﷺ بين مكّة والمدينة حتى أتينا على ثنية، فقال: «أيّ ثنية هذه»؟ قالوا: هرشى أو لفت، فقال: «كأني أنظر إلى يونس بن متّى على ناقةٍ حمراءَ عليه جُبَّةٌ خطام ناقته ليف مارًّا بهذا الوادي مُلَبّيًا»؛ كذا في تهذيب الأسماء.

(**وزكريا**) أبو يحيىٰ، وفيه خمس لغات أشهرها زكرياء ـ بالمدّ ـ والثانية بالقصر، وقُرِىء بهما في السبع، والثالثة والرابعة زكريّ وزكرى بتشديد الياء

....

وتخفيفها، حكاهما ابن دريد، وحكاهما من المتأخرين الجواليقي، والخامسة زَكَر كقلم، حكاهما أبو البقاء. قال الجواليقي: فمن مدّ قال في التثنية: زكرياءان، وفي الجمع زكرياؤون، ومَنْ قصر قال: زكريّيان وزكريّيون، ومَنْ قال: زكريّ قال: زكريان لمدنيّان وزكريّون كمدنيّون، ومَنْ خفّف قال: زكريان وزكوريون، وقد سبق أنه اسمٌ أعجمي، قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: الآيتان ٣٨، ٣٩] الآيات، وقال الله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: الآيات ١ - ٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٩، ٩٠] هل هو مختصّ بزكريا وأهله، أم هو عائد إليه وإلى جميع الأنبياء المذكورين في السورة من موسى وهارون؟ وعلى التقديرين فيه فضل لزكريّا. وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٥] الآيات. وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا نجّارًا»، وهذه من الفضائل؛ لقوله ﷺ في صحيح البخاري: «أفضل ما أكل الرجل من عمل يده». قال أهل التواريخ: كان زكريا من ذرّية سليمان بن داود عليهما السلام، وقُتِل زكريا بعد قتل يحيىٰ ابنه صلوات الله وسلامه عليهما، والله أعلم. كذا في تهذيب الأسماء.

(**ويحيىٰ**) بن زكرياء، ولفظ يحيىٰ عجميّ، وقال الواحدي: يحيىٰ لا ينصرف عربيًا كان أو عجميًا؛ لأنه لو كان عربيًا امتنع لشبه الفعل مع التعريف. قال العلماء: أوّل مَنْ سُمّي بيحيى ابن زكريا صلّى الله على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية ٧]. قال الواحدي: قال المفسّرون: أوّل من آمن بعيسى يحيىٰ، وكان يحيىٰ أسنّ من عيسى. قال العلماء بالتاريخ: قُتل يحيىٰ قبل أبيه زكريا، وفضائله في القرآن مشهورة. قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ

....

بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ٣٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: الآية ٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: الآيات ١٢-١٥]، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٨٩] الآيتين. وثبت في الصحيحين في حديث الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ قال: «ثم عرج بي إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل ففُتِح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا، فرحّبا ودعوا لي بخير».
وأمّا ما روينا في مسند أبي يعلى الموصلي عنه، قال: حدّثنا زهير بن حرب، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال: «ما أحد من ولد آدم إلّا قد أخطأ أو همّ بخطيئة، ليس يحيىٰ بن زكريا» فهو حديث ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ويوسف بن مهران مختلَفٌ في جرحه. قال الثعلبي: كان مولد يحيىٰ قبل عيسى بستة أشهر. وقال الكلبي: كان زكريا يوم بشّر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة، وقيل: تسع وتسعين سنة. وعن الضحاك عن ابن عباس: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمانٍ وتسعين سنة، قال: وقال كعب الأحبار: كان يحيىٰ حسن الصورة والوجه، ليّن الجناح، قليل الشعر، قصير الأصابع، طويل الأنف، أقرن الحاجبين، رقيق الصوت، كثير العبادة، قويًّا على طاعة الله تعالى، وسادَ الناس في عبادة الله تعالى وطاعته. وقال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: الآية ١٢]، قيل: إنّ يحيىٰ قال له أقرانه من الصبيان: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للّعب خُلِقْنا. قال: وقيل إنه بنى صغيرًا، فكان يَعِظُ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجُمَعهم ويدعوهم إلى الله تعالى، ثم ساح يدعو الناس لما بعثه الله إلى بني إسرائيل، وأمره أن يأمرهم بخمس خصال، وهي: عبادة الله، ولا يشركون به شيئًا، والصلاة، والصدقة، وذكر الله والصيام. واتّفقوا على أنه قُتِل ظلمًا شهيدًا وأُخذ رأسه ووُضِع في طست، وغضب الله تعالى على قاتليه وسلّط عليهم بُخْت

(﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ هي بمعنى الخادم).

نصّر وجيوشه، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولًا؛ كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ﴾) بإثبات الألف وإنْ كان واقعًا بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأم (مريم) بنت عمران الصدِّيقة. ذكر الإمام الحافظ أبوالقاسم في تاريخ دمشق أنّها كانت بالرّبوة، قال: ويقال: إنّ قبرها بالنّيرب، ولم يصح، وذكر نسبها، وأنّها مِنْ أولاد سليمان بن داود بينها وبينه أربعة وعشرون أبًا. ثم روى أقوال المفسّرين في قول الله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٠]، قالوا: أرض دمشق، واسم أُمّ مريم حَنَّة ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد النون ـ. وعن مجاهد قال: لما قيل: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٣] كانت تقوم حتى تورّم قدماها، وفي رواية: تصلّي حتى ترم قدماها. قال الحافظ: وبلغني أنّ مريم بقيت بعد رفع عيسى خمس سنين، وكان عمرها ثلاثًا وخمسين سنة. وعن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمت أن الله عزّ وجلّ زوّجني في الجنّة مريم ابنة عمران، وكلثوم[1] أخت موسى، وآسية امرأة فرعون»، فقلت: هنيئًا لك يا رسول الله. وفي الصحيح: «ما من مولود يولد إلا ويمسّه الشيطان، إلا عيسى وأُمّه». وفي الحديث الصحيح: «كَمُل من النساء أربع: مريم ابنة عمران» الحديث، وفي الصحيح: «خير نسائها مريم»؛ كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (هي) أي مريم (بمعنى الخادم)، فقد جعلتها أُمّها محرّرة لخدمة المسجد، فلذلك سمّيت مريم، فأصله في لغة السريان: صفة ثم سمّي به،

---

(١) قال السهيلي كلثوم: جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار أنّ رسول الله ﷺ قال لخديجة: «الشعرت أن الله زوّجني معك في الجنّة مريم بنت عمران، وكلثوم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون»، فقالت: آلله أخبرك بذلك؟ فقال: «نعم»، فقالت: بالرفاء والبنين.اهـ. وفي النهاية: نهي أن يقال للمتزوّج بالرفاء والبنين، الرفاء الوئام والاتفاق والبركة والنّماء وإنما نهى عنه كراهية لأنه كان من عادتهم، ولذا سنّ فيه غيره، ومنه الحديث: كان إذا رَفّاء الإنسان، قال: بارك الله لك وعليك وجمع بينكما على خير، انتهت باختصار. ١٢ منه عم فيضه.

(ووزن مريم عند النحويين «مفعل» لأن «فعيلًا» لم يثبت في الأبنية) البينات المعجزات الواضحات (كإحياء الموتى)وإبراء (الأكمه والأبرص والإخبار

وقوله: بمعنى الخادم، في المصباح: خدمه يخدمه خدمة فهو خادم، غلامًا كان أو جارية، والخادمة ـ بالهاء في المؤنث ـ قليل، والجمع خَدَم وخدّام.اهـ. **قوله** (**ووزن مريم عند النحويين: مَفْعَل**) فإنه مشتقّ من رام يريم إذا فارق وبرح، ولا يُستعمل إلّا في النفي، فيكون مفعلًا لا فعيلًا؛ (**لأن فعيلًا**)بالفتح (**لم يثبت في الأبنية**)لا صيغته ولا مادته، وهي م ر م. **قوله** (**كإحياء الموتى**)قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس: عازر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح عليه السلام. فأمّا عازر، فكان صديقًا له، فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عازر يموت، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتى هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة يام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله سبحانه وتعالى، فقام وخرج من قبره وبَقِيَ ووُلِد له. وأمّا ابن العجوز، فمرّ به ميتًا على عيسى يحمل على سرير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولَبِس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلد له. وأمّا ابنة العاشر، فكان رجلًا يأخذ العشور ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله تعالى فأحياها، فبقيت ووُلِد لها. وأمّا سام بن نوح، فإنّ عيسى عليه السلام جاء إلى قبره ودعا، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفًا من قيام الساعة، وما كانوا يشيبون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة، فقال: لا، ولكن قد دعوت الله تعالى، فأحياك ثم قال له: مت، فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت؛ فدعا الله تعالى، ففعل به ما قال؛ كذا في تفسير الخطيب.

قوله (**الأكمه**)وهو الذي وُلد أعمى أو ممسوح العينين، (**والأبرص**)وهو الذي به برصٌ، وهو بياضٌ شديد يبقع الجلد ويذهب دمويّته، وإنما خصّ هذين المرضين بالذِّكر لأنهما أعْيا الأطباء، وكان الغالب في زمن عيسى الطبّ، فأراهم المعجزة من جنس ذلك. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفًا مَنْ أطاق منهم أن يبلغه أتاه، ومَنْ لم يُطِقْ أتاه عيسى، وما كانت مداواته إلّا بالدُّعاء وحده، على شرط الإيمان. **قوله** (**والإخبار**

بالمغيبات. ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾) أي الطهارة (وبالسكون حيث كان: مكيّ)، أي (بالروح المقدسة كما يقال: «حاتم الجود» ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب).

بالمغيّبات) كإخبار ما يدّخرون في بيوتهم، قال السدِّي: كان عيسى في الكتاب يحدّث الغلمان بما تصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا، ورفعوا لك كذا وكذا، قال: فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون: مَنْ أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى، فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر، فجمعوهم في بيتٍ، فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا: ليسوا هٰهنا، قال: فما في هذا البيت؟ قالوا: خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير.

قوله: **(وبالسكون حيث كان مكّي)** يعني قرأ ابن كثير المكّي: ﴿ٱلْقُدُسِۗ﴾ بالإسكان في جميع القرآن. **قوله**: **(بالروح المقدّسة)** إشارة إلى أن التركيب الإضافي في قوله تعالى: (﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾) من قبيل إضافة الموصوف إلى الوصف القائم به، **(كما يقال: حاتم الجود)**، فإنّ الأصل بالروح المقدّسة، أي المطهّرة على طريق المدح للروح باتّصافها بصفة القدس والطهارة وثبوت هذه الصفة لها، ثم أُضيف الموصوف وهو الروح إلى القدس الذي أخذ اشتقاق لفظ المقدسة منه للمبالغة في ثبوت القدس له واتّصافه به، فإنّ قولك: بالروح المقدّسة إنما يدلّ على ثبوت القدس للروح واتّصافها به، فإذا أُضيفت الروح إلى القدس إضافة لاميّة دالّة على اختصاص المضاف بالمضاف إليه حصلت المبالغة في ثبوت القدس لها؛ لأن اختصاص الروح بالطهارة أبلغ في الدّلالة على اتّصافها بالطهارة بالنسبة إلى أن يقال: الروح المقدسة؛ لأنه إنما يدلّ على مجرد ثبوت القدس للروح واتّصافها به.

قوله: **(وصفها)** أي وصف روح عيسى عليه السلام **(بالقدس للاختصاص)**... الخ. أي لاختصاص روح عيسى بالقدس لطهارته عن مسّ الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى وقُرْبه منه تعالى. **قوله**: **(والتقريب)** للكرامة.

(أو بجبريل عليه السلام **لأنه)** يأتي بما فيه حياة القلوب، **(وذلك)** لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله.

قوله: (أو بجبريل عليه السلام) عطف على قوله: بالروح المقدّسة، وهو الملك الكريم رسول ربّ العالمين، وفيه تسع لغات حكاهنّ ابن الأنباري وابن الجواليقي: جبريل وجَبْريل ـ بكسر الجيم وفتحها ـ وجبرئل ـ بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام ـ وجبرائيل ـ بألف وهمزة بعدها ياء ـ وجبراييل ـ بيائَيْن بعد الألف ـ وجبرءيل ـ بهمزة بعد الراء وياء ـ وجبرئل ـ بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء ـ وجبرين وجَبرين ـ بفتح الجيم وكسرها ـ. قال جماعات من المفسّرين وصاحب المحكم والجوهري وغيرهما من أهل اللغة: في جبريل وميكائيل إن جبر وميك اسمان أُضيفا إلى إيلَ وإلَ، قالوا: وإيل وإل اسمان لله تعالى، وجبر وميك معناه بالسريانية عبد، فتقديره: عبد الله. قال أبو علي الفارسي: هذا الذي قالوه خطأ من وجهين: أحدهما أن إيل وإل لا يعرفان في أسماء الله تعالى. والثاني: أنه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم في وجوه العربية، ولكان آخره مجرورًا أبدًا كعبد الله، وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب، فإنّ ما زعموه باطل لا أصل له.

واعلم أن جبريل يقال له: الناموس ـ بالنون ـ كما ثبت في الصحيحين في حديث المبعث. قال أهل اللغة: الناموس صاحبُ سرّ الرجل الذي يطلعه على باطن أمره. وقيل: الناموس صاحب خبر الخير، والجاسوس صاحب خبر الشرّ، وقد تظاهرت الدلائل على عظم مرتبة جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البَقَرَة: الآيتان ٩٧، ٩٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: الآيات ١٩٢ - ١٩٤] الآية، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النّجم: الآية ٥] الآيات، المراد بشديد القوى جبريل عليه السلام. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النّجم: الآيتان ١٣، ١٤] الآية، المراد رأى جبريل، هذا قول الجمهور؛ فرآه النبيّ ﷺ على صورته ستمائة جناح مرّتين. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

....

ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: الآيات ١٩ - ٢٤]. وثبت في صحيحي البخاري ومسلم في حديث المبعث عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ النبيّ ﷺ جاءه جبريل وهو يتعبّد بغار حراء، فأخذه فغطّه ثم أرسله فقال: اقرأ، ثم غطّه ثانية وثالثة يقول له مثل ذلك، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: الآيات ١ - ٥]. وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: الآية ١٣] رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح. وعن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: الآية ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: الآية ١٣]؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأُمّة يسأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِق عليها غير هاتين المرّتين: رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقته ما بين السماء إلى الأرض». وفي صحيح مسلم عن مسروق أيضًا قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها: وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: الآيتان ٨، ٩]، فقالت: إنما ذلك جبريل كانت وسيلة في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسدّ أفق السماء. وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجَرَس، وهو أشدُّ عليَّ فيفصم عنّي وقد وعِيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثّل لي الملك رجلًا فيكلّمني فأعِي ما يقول»، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقًا. قال أهل اللغة: الفَصَم القطع بغير إبانة، ومعناه يفارقني على أنه يعود. وفي صحيحهما عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أجْوَد الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلّ ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما

أو بالإنجيل (كما قال في القرآن ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾) [الشورى: الآية ٥٢]، أو (باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره).

تزورنا»؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: الآية ٦٤]. وفي البخاري عن البراء قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لحسّان: «اهْجُهُمْ» أو «هاجِهِم وجبريل معك». وفي الصحيحين في حديث الإسراء صعود رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجبريل عليه السلام إلى السمٰوات السبع، وأنّ جبريل ليستفتح في باب كل سماء، فيُقال: مَنْ هذا؟ فيقول: جبريل، فيقال: ومَنْ معك؟ فيقول: محمّد، فيُفتح. وفي الصحيح «أنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبدًا نادى: يا جبريل إني أُحِبّ فلانًا فأحبّه، فيحبُّه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إنّ الله يحبّ فلانًا فأحِبُّوه، فيحبّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». والأحاديث الصحيحة المتعلقة بعظم فضل جبريل كثيرة مشهورة، وكان يأتي النبيّ ﷺ في صورة دحية الكلبي، ورأته الصحابة حين جاء في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفه أحد؛ فسأل النبيّ ﷺ وهم يرونه ويسمعونه عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأمارتها، ثم خرج، فطلبوه في الحال فلم يجدوه، فقال النبيّ ﷺ: «هذا جبريل، أتاكم يعلّمكم دينكم»، وهذا الحديث في الصحيحين. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ، قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب». وفي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لمّا رجع النبيّ ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: «فإلى أين»؟ قال: هٰهنا، وأشار بيده إلى بني قُرَيْظة، فخرج النبيّ ﷺ إليهم. وفي البخاري عن أنس بن مالك، قال: كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار النبيّ ﷺ إلى بني قُرَيظة؛ كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (لأنه) أي جبريل على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. **قوله**: (وذلك) أي التأييد.

قوله: (كما قال في القرآن) أي في شأن القرآن (﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾) قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: الآية ٥٢]. **قوله**: (بسم الله الأعظم الذي) استأثره الله تعالى به، فلا يعلم إلا من علّمه الله تعالى؛ فإطلاق

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ﴾ (بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحب ﴿أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تعظمتم عن قبوله ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ (كعيسى ومحمد)عليهما السلام ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيىٰ عليهما السلام.

الروح عليه استعارة لأنه كالروح في إحياء الموتى، ولذا قال: (كان)أي عيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (يحيي الموتى بذكره) **قوله** (بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ)تحبّ من الحقِّ. **قوله** (كعيسى)ابن مريم، هو عبد الله ورسوله وكلمته وروح منه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عِمران: الآيتان ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: الآيات ٤٨ - ٥٠] الآية، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عِمران: الآية ٥٥] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [آل عمران: الآيتان ٥٩، ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النّساء: الآيتان ١٧١، ١٧٢] الآية، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: الآية ١١٠] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريَم: الآية ١٩] إلى آخر الآيات، والآيات في فضله كثيرة مشهورة.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: «ما من بني آدم من مولود إلّا نخسه الشيطان حين يُولد، فيستهلّ صارخًا مِنْ نخسه إيّاه، إلّا مريم وابنها»، ورويناه من طرق بألفاظ متقاربة وفي بعضها: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عِمران:

....

الآية ٣٦]. وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أوْلى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبيّ الأنبياء إخوة أبناءُ عَلّات أُمّهاتهم شتّى ودينهم واحد» رواه البخاري ومسلم. وفي الصحيحين في حديث الإسراء عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ رأى في السماء الثانية ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا. وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ حين أُسْرِيَ به قال: «ولقيت عيسى»، فنعته النبيّ ﷺ «فإذا ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس» يعني حمامًا. وفي الصحيحين عنه عن النبيّ ﷺ قال: «رأى عيسى ابن مريم رجلًا يسرق، فقال: أسرقت؟ فقال: كلّا والذي لا إلٰه إلّا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذّبت عيني». وفي الصحيحين عنه قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٥٩]. وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ شهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنّة حقّ، والنار حقّ أدخله الجنّة على ما كان من العمل». وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق». قال الإمام أبو إسحٰق الثعلبي في كتابه العرائس: اختلف العلماء في مدّة حمل مريم بعيسى، فقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، وقيل: ستّة، وقيل: ساعة، وقيل: ثلاث ساعات، ووضعته عند الزوال وهي بنت عشر سنين، وكانت حاضت قبله حيضتين، وقيل: كانت بنت خمس عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة، وأنه كلّم الناس وهو ابن أربعين يومًا ثم لم يتكلّم بعدها حتى بلغ زمن كلام الصبيان، وكان زاهدًا لم يتّخذ بيتًا ولا مَتاعًا، وكان قُوته يومًا بيوم، وكان سيّاحًا في الأرض، وكان يمشي على الماء ويُبْرِىء الأكمه والأبرص ويُحْيي الموتى بإذن الله ويخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، وكان له الحواريّون الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في كتابه وهم الأنصار، وكانوا اثني عشر

....

رجلًا، وكانوا أصفياءه وأنصاره ووزراءه. قيل: كانوا أولًا صيّادين، وقيل: قصّارين، وقيل: ملّاحين. وممّا كرَّمه الله تعالى به تأييده بروح القدس، قال الله تعالى: (﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾)، قيل: هو الروح الذي نفخ فيه، وقيل: جبريل كان يأتيه[١] ويسير معه، وقيل: هو اسم الله الأعظم وبه كان يُحيي الموتى ويُرِي الناس تلك العجائب، ومنها عِلمه التوراة والإنجيل، فكان يقرأهما حفظًا، ومنها أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله. قال الثعلبي: قالوا: إنّما كان يخلق الخُفّاش خاصّةً لأنه أكمل الطير خلقة له ثَدْيٌ وأسنان، ويَلِد ويحيض ويطير. قال: قال وهب بن منبّه: كان يطير حتى يغيب عن الناس ثم يقع ميتًا ليتميّز خلق الله تعالى من فِعْل غيره. ومنها إبراؤه الأكمه والأبرص، والأكمه الذي وُلِد أعمى، وإنما خُصَّ هذين لأنهما لا يُرْجى زوالهما ولا حيلة للمخلوقين فيهما، وكان زمن الأطبّاء فظهرت بها المعجزة، ومنها إحياؤه الموتى قالوا: فأحيا جماعة منهم العازَر أحياه بعد موته ودفنه بثلاثة أيام، فقام وعاش مدة طويلة ووُلِد له بعد ذلك. ومنهم ابن العجوز وقصّته مشهورة أحياه وهو محمول على نعشه في أكفانه، فعاش ووُلد له. ومنهم بنت العاشر أحياها وولدت بعد ذلك. ومنهم سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وعزير وقصّتهما مشهورة. ومنها إخباره بالمغيّبات، قال الله تعالى إخبارًا عنه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٩]. ومنها مَشْيه على الماء، ومنها نزول المائدة عليه من السماء بنصّ القرآن، ومنها رفعه إلى السماء، هذا مختصر ما ذكره الثعلبي. وثبت في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم من السماء ويقتل الدجّال بباب لُدّ»، وأحاديثه في قصة الدجّال مشهورة في الصحيح: «وينزل عيسى حكمًا عدلًا» كما سبق في الحديث الصحيح لا رسولًا، وأنه يصلّي وراء الإمام منّا تكرّمًا من الله تعالى لهذه الأُمّة، وجاء أنه يتزوّج بعد نزوله ويُولد ويُدفن عند النبيّ ﷺ، كذا في تهذيب الأسماء.

---

(١) كذا في تهذيب الأسماء المطبوع، وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمة الله عليه: كان قرينه يسير معه حيث سار. اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

قوله: (ومحمد) بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان، إلى هنا إجماع الأُمّة. وأمّا ما بعده إلى آدم، فيُخْتَلف فيه أشدّ اختلاف، قال العلماء: ولا يصحّ فيه شيء يُعْتَمد. وقُصَيّ بضم القاف ولوي بالهمز وتركه، وإلياس بهمزة وَصْل، وقيل: بهمزة قَطْع، وكنية النبيّ المشهورة أبو القاسم، وكنّاه جبريلُ صلّى الله عليهما وسلّم أبا إبراهيم، ولرسول الله ﷺ أسماء كثيرة أفرد فيها الإمام الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر رحمه الله بابًا في تاريخ دمشق ذكر فيه أسماء كثيرة جاء بعضُها في الصحيحين، وباقيها في غيرهما، منها محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفّي والماحي وخاتم الأنبياء ونبيّ الرحمة ونبيّ الملحمة، وفي رواية: نبيّ الملاحم، ونبيّ التوبة والفاتح وطٰه ويٰس وعبد الله. قال الإمام الحافظ: أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البَيْهقي رحمه الله، زاد بعض العلماء، فقال: سمّاه الله عزّ وجلّ في القرآن رسولًا نبيًا أُمّيًا شاهدًا مبشّرًا نذيرًا داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ورؤوفًا رحيمًا ومذكّرًا وجعله رحمة ونِعمة وهاديًا ﷺ. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمي في القرآن محمّد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سُمّيت أحيد لأني أحيد أُمّتي عن نار جهنّم».
قلت: وبعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز. قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الأحْوَذي في شرح الترمذي: قال بعض الصوفية: لله عزّ وجلّ ألف اسم، وللنبيّ ﷺ ألف اسم. قال ابن العربي: فأمّا أسماء الله عزّ وجلّ، فهذا العدد حقيرٌ فيها. وأمّا أسماء النبيّ ﷺ، فلم أُحْصِها إلّا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء النبيّة، فوَعَيْت منها أربعة وستّين اسمًا، ثم ذكرها مفصّلة مشروحةً، فاستوعب وأجاد، ثم قال: وراء هذه أسماء. وأُمّ النبيّ ﷺ آمِنَةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب. ووُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، وقيل: بعده بثلاثين سنة. قال الحاكم أبو أحمد: وقيل بعده بأربعين سنة، وقيل: بعده بعشر سنين،

رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق، والصحيح المشهور أنه عام الفيل، ونقل إبراهيم بن المنذر الخرامي شيخ البخاري وخليفة بن خيّاط وآخرون الإجماع عليه. واتّفقوا على أنه وُلِد يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّل، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر؟ فهذه أربعة أقوال مشهورة. وتوفي ﷺ ضحًى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة، ومنها ابتداءُ التأريخ. ودُفِن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس، وقيل: ليلة الأربعاء. وتوفي عليه السلام وله ثلاث وستّون سنة، وقيل: خمس وستّون سنة، وقيل: ستّون، والأوّل أصح وأشهر، وقد جاءت الأقوالُ الثلاثة في الصحيح. قال العلماء: الجمع بين الروايات أنّ مَنْ روى ستّين سنة لم يعتبر هذه الكُسُور، ومَنْ روى خمسًا وستّين عد سنتي المولد والوفاة، ومَنْ روى ثلاثًا وستّين لم يعدّهما، والصحيح ثلاث وستّون، وكذا الصحيح في سنّ أبي بكر وعمر وعليّ وعائشة رضي الله تعالى عنهم ثلاث وستّون سنة.

قال الحاكم أبو أحمد، وهو شيخ الحاكم أبي عبد الله: يقال: وُلِد النبيّ ﷺ يوم الاثنين، ونَبّى يوم الاثنين، وهاجر من مكّة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. ورُوِي أنّه عليه السلام وُلِد مختونًا مسرورًا. وكُفِّن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميصٌ ولا عمامة، ثبت ذلك في الصحيحين. قال الحاكم أبو.أحمد: ولمّا أُدرج النبيّ ﷺ في أكفانه وُضِع على سريره على شفير القبر، ثم دخل الناس أرسالًا[1] يصلّون عليه فوجًا فوجًا لا يؤمّهم أحد؛ فأوّلهم صلاةً عليه العباس، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر الناس؛ فلما فرغ الرجال دخل الصبيان ثم النساء. ثم دُفِن عليه السلام ونزل في حفرته العباس وعليّ والفضل وقُثَم ابنا العباس وشُقران. قال: ويقال: كان أُسامة بن زيد وأوس بن خولى معهم، ودُفِن في اللّحد وبُنِي عليه ﷺ في لحده اللبنُ، يُقال: إنها تسع لبناتٍ، ثم أهالوا التراب وجُعِل قبره ﷺ مسطّحًا، ورشَّ عليه الماء رشًّا. قال: ويقال: نزل المغيرة في قبره ولا يصح.

(١) في المصباح: الرسل ـ بفتحتين ـ القطيع من الإبل، والجمع أرسال مثل سببِ وأسباب، وشبه به الناس فقيل: جاءوا أرسالًا، أي جماعات متتابعين.اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

قال الحاكم أبو أحمد: يقال: مات عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: تسعة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: شهران، وقيل: مات وهو حمل، وتوفي بالمدينة. قال الواقدي: وكاتبه محمد بن سعد: لا يثبت أنه توفي وهو حمل، ومات جدُّه عبد المطّلب وله ثمان سنين، وقيل: ستّ سنين وأوْصى به إلى أبي طالب.

وماتت أُمّ رسول الله ﷺ وله ستّ سنين، وقيل: أربع، ماتت بالأبْواء مكان بين مكّة والمدينة.

وبُعِثَ ﷺ رسولًا إلى الناس كافّة، وهو ابن أربعين سنة، وقيل: أربعين ويوم. وأقام بمكّة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة، وقيل: عشرًا، وقيل: خمس عشرة. ثم هاجر إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين بلا خلاف، وقَدِم المدينة يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل. قال الحاكم: وبدأ الوجع برسول الله ﷺ في بيت ميمونة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صَفَر.

فصـــل

أرضعته ﷺ ثُوَيْبة - بضم المثلّثة - مولاة أبي لهب أيّامًا، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذُؤَيْب عبد الله بن الحارث السعديّة، ورُوِيَ عنها أنّها قالت: يشبّ في اليوم شباب الصبيّ في شهر. ونشأ ﷺ يتيمًا فكفله جدّه عبد المطلب، ثم عمّه أبو طالب وطهّره الله عزّ وجلّ من دَنَس الجاهلية، فلم يُعَظِّم صنمًا لهم في عمره قطّ، ولم يحضر مشهدًا من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع ويعصمه الله من ذلك.

وفي الحديث عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «ما عبدت صنمًا قطّ، وما شربت خمرًا قطّ، وما زلت أعرف أنّ الذي هم عليه كفر»، وهذا من لطف الله تعالى به أن برّأه من دَنَس الجاهلية ومن كل عَيْب ومَنَحَه كلَّ خُلُق جميل حتى كان يُعرف في قومه بالأمين لما شاهدوا من أمانته وصدقه وطهارته؛ فلمّا بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بُصْرَى، فرآه

بُحَيْرَا الراهب فعرفه بصفته، فجاء وأخذ بيده وقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا يبعثه الله حجّةً للعالمين، قالوا: فمِنْ أين عَلِمْت ذلك؟ قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خرّ ساجدًا، ولا يسجد إلّا لنبيّ، وإنا نجده في كتبنا؛ وسأل أبا طالب أن يردّه خوفًا من اليهود فردّه. ثم خرج ﷺ ثانيًا إلى الشام مع مَيْسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها في تجارةٍ لها قبل أن يتزوّجها حتى بلغ سوق بُصْرى؛ فلمّا بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوّج خديجة، ولمّا خرج إلى المدينة مهاجرًا خرج معه أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، ومولى أبي بكر عامر بن فُهَيْرة ـ بضم الفاء ـ ودليلهم عبد الله بن الأُرَيْقط اللَّيْثيّ، وهو كافر، ولا يُعْلم له إسلام.

فصل في صفته ﷺ

كان ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا الأبيض الأمهق ولا الآدم، ولا الجعد القَطط ولا السَّبط. وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء. وكان حسن الجسم بعيد ما بين المنكبين، له شعرٌ إلى منكبه، وفي وقت إلى شحمتي أُذنيه، وفي وقت إلى نصف أُذنيه، كثّ اللّحية شثن الكفَّيْن، أي غليظ الأصابع، ضخم الرأس والكراديس، في وجهه تدويرٌ أدعج العينين طويل أهدابهما، أحمر المآقيّ ذا مَسْرُبة، وهي الشعر الرقيق من الصدر إلى السرّة، كالقضيب إذا مشى تقلع كأنما ينحطّ في صَبَب، أي يمشي بقوّة، والصبّ الحدور. يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، كأنّ وجهه كالقمر، حَسَن الصوت سهل الخدَّين ضليع الفم سواء البطن والصدر أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر طويل الزّندين رحب الراحة أشكل العينين، أي طويل شقّهما، منهوس العقبين، أي قليل لحم العقب. بين كتفيه خاتم النبوّة كزرّ الحَجَلة وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تُطْوى له الأرض، ويجدّون في لحاقه وهو غير مُكترث. وكان يُسدل شعر رأسه ثم فرقه وكان يرجِّله، ويُسرِّح لحيته ويكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم. وكان أحبّ الثياب إليه القميص والبياض والحبرة، وهي ضربٌ من البُرود فيه حُمْرةٌ، وكان كمّ قميص

رسول الله ﷺ إلى الرّسغ، ولبس في وقت حُلةً حمراء وإزارًا ورداءً، وفي وقت ثوبين أعفرين، وفي وقت جُبَّة ضَيّقَةَ الكمَّين، وفي وقت قباء، وفي وقت عمامة سوداء وأرخى طرفها بين كتفيه، وفي وقت مِرْطًا أسود من شعر، أي كساء، ولبس الخاتم والخفّ والنعل.

فصل

له ﷺ ثلاثة بنين: القاسم، وبه كان يُكنى، وُلِد قبل النبوّة، وتوفي وهو ابن سنتين. وعبد الله، وسُمّي الطَّيّب والطاهر؛ لأنه وُلِد بعد النبوّة. وقيل: الطيّب والطاهر غير عبد الله، والصحيح الأوّل. والثالث إبراهيم وُلِد بالمدينة سنة ثمان ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر، وكان له ﷺ أربع بنات: زينب، تزوّجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها، وأُمّه هالة بنت خويلد. وفاطمة، تزوّجها عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. ورقيّة، وأُمّ كلثوم تزوّجهما عثمان بن عفّان تزوّج رقيّة ثم أُمّ كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سُمّي ذا النورين. توفيت رقيّة يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أُمّ كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة؛ فالبنات أربع بلا خلاف، والبنون ثلاثة على الصحيح، وأوّل مَنْ وُلد له القاسم، ثم زينب، ثم رقيّة، ثم أُمّ كلثوم، ثم فاطمة. وجاء أن فاطمة عليها السلام أسنّ من أُمّ كلثوم، ذَكَر ذلك عليّ بن أحمد بن سعيد بن محرم أبو محمد الحافظ.

ثم في الإسلام عبد الله بمكّة، ثم إبراهيم بالمدينة، وكلّهم من خديجة إلا إبراهيم، فإنّه من مارية القبطيّة، وكلّهم توفُّوا قبله إلّا فاطمة، فإنّها عاشت بعده ستّة أشهر على الأصح الأشهر.

فصـــل

أعمامه ﷺ: أحد عشر، أحدهم: الحارث، وهو أكبر أولاد عبد المطلب ـ وبه كان يُكْنى ـ وقُثَم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحَجْل ـ بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة ـ وضِرار، والغَيْداق.

أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريبٌ منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطّلب، وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

وعمّاته ﷺ: صفيّة أسلمت وهاجرت، وهي أُمّ الزبير بن العوام، توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي أخت حمزة لأمّه. وعاتكة، قيل: إنها أسلمت، وهي التي رأت رؤيا غزوة بدر وقصّتها مشهورة. وبرّة، وأروى، وأُميمة، وأُمّ حكيم وهي البيضاء.

فصل في أزواجه ﷺ

أوّلهنّ خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، وأُمّ حبيبة، وأُمّ سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وجُوَيْرية، وصفيّة؛ فهؤلاء التّسع بعد خديجة توفي عنهنّ ولم يتزوّج في حياة خديجة غيرها، ولا تزوّج بكرًا غير عائشة. وأمّا اللاتي فارقهنّ ﷺ في حياته، فتركناهنّ لكثرة الاختلاف فيهنّ، وكان له سُرِّيّتان: مارية وريحانة بنت زيد، وقيل: بنت سمعون، ثم أعتقها. روينا عن قتادة قال: تزوّج النبيّ ﷺ خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي عن تسع.

فصل في مواليه ﷺ

منهم زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أُسامَة، وثوبان بن بُجْدد ـ بضم الموحدة والدال وإسكان الجيم ـ وأبو كبشة، واسمه سليم شهد بدرًا وباذام، ورُوَيْفع، وقصير، وميمون، وأبو بكرة، وهرمز، وأبو صفية عبيد، وأبو سلمى، وأنَسَة ـ بفتح الهمزة والنون ـ وصالح، وشقران، ورباح ـ بالموحدة ـ وأسود، وساربوي، وأبو رافع واسمه أسلم وقيل غير ذلك، وأبو لهثة، وفُضالة اليماني، ورافع، ومِدْعَم ـ بكسر الميم وإسكان الدال وفتح العين المهملتين ـ أسود، وهو الذي قُتل بوادي القرى، وكركرة ـ بكسر الكافين، وقيل بفتحهما ـ كان على ثقل رسول الله ﷺ، وزيد جدّ هلال بن يسار بن زيد، وعبيدة، وطهمان أو كيسان أو

....

مهران أو ذكوان أو مروان، ومابور القبطي، وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبو ضميرة، وحنين، وأبو عسيب، واسمه أحمر، وأبو عبيدة، وسفينة، وسلمان الفارسي، وأيمن ابن أمّ أيمن، وأفلح، وسابق، وسالم، وزيد بن بولا، وسعيد، وضميرة بن أبي ضميرة، وعبيد الله بن أسْلم، ونافع، ونبيل، وورْدان، وأبو أثلة، وأبو الحَمْراء.

ومن الإماء: سلمى ـ بفتح السين ـ أمّ رافع، وأمّ أيمن بركة ـ بفتح الباء ـ وهي أمّ أُسامة بن زيد، وميمونة بنت سعيد، وخضرة ورضوى وأُميمة ورَيْحانة، وأُمّ ضميرة، ومارية، وشيرين وهي أختها، وأمّ عباس.

واعلم أنّ هؤلاء الموالي لم يكونوا موجودين في وقتٍ واحد للنبيّ ﷺ، بل كان كل بعضٍ منهم في وقتٍ، والله أعلم.

فصل في خدمه ﷺ

منهم: أنس بن مالك، وهند وأسْماء ابنا حارثة الأسْلميّان، وربيعة بن كعب الأسلميّ، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعلَيْه إذا قام ألْبَسه إيّاهما، وإذا جلس حطّهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وكان عقبة بن عامر الجهنيُّ صاحب بغْلته ﷺ يقود به في الأسفار، وبلال المؤذّن، وسعد مولى أبي بكر الصدِّيق، وذو مِخْمَر، ويقال: مخبر ـ بالباء الموحدة ـ ابن أخي النجاشي، ويقال ابن أخته، وبكير بن سراج الليثي، ويقال: بكر، وأبو ذرّ الغفاري، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر مولى أُمّ سلمة، وأبو السَّمح رضي الله تعالى عنهم.

فصل في كُتّابه ﷺ

ذكرهم الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق أنهم ثلاثة وعشرون، وروى ذلك كلّه بأسانيده، وهم: أبو بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعليّ، والزُّبَيْر، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان،

....

ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد بن سعيد، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن زيد بن عبد ربّه، والعلا بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، والسجل، وزاد غيره: شرحبيل بن حسنة، قالوا: وكان أكثرهم كتابةً زيد بن ثابت ومعاوية رضي الله تعالى عنهم.

فصل في رسله

أرسل ﷺ عمرو بن أُميّة الضمري إلى النجاشيّ، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ ووضعه على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبي طالب، وحَسُن إسلامه. وأرسل ﷺ دِحْيَة بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم، وعبد الله بن حذافة السّهمي إلى كسرى ملك فارس، وحاطب بن أبي بَلْتعة اللخمي إلى المُقَوْقَس ملك الاسكندرية ومصر، فقال خيرًا وقارب أن يُسلم وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القِبْطيّة وأختها شيرين، فوهبها رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت. وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان، فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفّي رسول الله ﷺ. وأرسل سُلَيْط بن عمرو العلويّ إلى اليمامة إلى هوذة بنْ علي الحنفي. وأرسل شُجَاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك البلقاء من أرض الشام. وأرسل المهاجر بن أبي أُميّة المخزومي إلى الحارث الحِمْيري. وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، فصدّق وأسلم. وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعيَيْن إلى الإسلام، فأسلم عامّة أهل اليمن ملوكهم وسوقتهم.

فصل

له ﷺ أربعة من المؤذنين: بلال، وابن أُمّ مكتوم بالمدينة، وأبو محذورة بمكّة، وسعد القرظ بقُبا.

....

فصــل

ثبت في الصحيحين أنّ النبيّ ﷺ اعتمر أربع عمر بعد الهجرة، ولم يحجَّ إلّا حجّة الوداع، ودّع الناس فيها سنة عشر من الهجرة. وغزا بنفسه ﷺ خمسًا وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، وهو قول موسى بن عقبة ومحمد بن إسحٰق وأبي معشر وغيرهم من أئمّة السِّيَر والمغازي، وقيل: سبعًا وعشرين، ونقل أبو عبد الله محمد بن سعد في الطبقات الاتفاق على أن غزواته ﷺ بنفسه سبع وعشرون غزوة، وسراياه ستّ وخمسون، وعدَّدَها واحدةً مرتّبة على سبق وقوعها. قالوا: ولم يقاتل إلّا في تسع: بدر، وأُحُد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكّة، وحُنين والطائف؛ وهذا على قول مَنْ قال: فُتِحَت مكّةُ عنوةً، وقيل: قاتل بوادي القرى،وفي الغابة: وبني النضير، والله أعلم.

فصل في أخلاقه

كان ﷺ أجْوَدَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا وألْيَنهم كفًّا وأطيبهم ريحًا، وأكملهم رَجحًا وأحسنهم عِشْرةً وأشجعهم وأعلمهم بالله وأشدّهم لله خشيَةً، ولا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انْتُهِكَت حُرُمات الله عزّ وجلّ؛ فحينئذ يغضب، ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحقّ. وإذا غضب أعرض وأشاح، وكان خُلُقه القرآن، وكان أكثر الناس تواضعًا يقضي حاجةَ أهله ويخفض جناحه للضَّعَفة وما سُئِل شيئًا قطّ، فقال: لا، وكان أحْلَم الناس، وكان أشدّ الناس حياءً أشدّ حياءً من العذراء في خُدرها، والقريب والبعيد والقويّ والضعيف عنده في الحقّ سواء. وما عاب طعامًا قطّ، إنِ اشْتهاه أكله وإلّا تركه، ولا يأكل متّكئًا ولا على خوان، ويأكل ما تيسّر ولا يمتنع من مُباح، وكان يحبّ الحلواء والعسل، ويُعجبه الدباء ـ وهو اليقطين ـ وقال: «نِعْم الإدام الخلّ، وفَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، وكان أحبُّ الشاة إليه الذراع. وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ـ يعني للعدم ـ وكان يأتي الشهر

....

والشهران لا يوقد في بيتٍ من بيوته نارٌ، وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، ويكافىء على الهدية، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويعود المريض، ويُجيب مَنْ دعاه من غني أو فقير أو دنيّ أو شريف، ولا يحتقر أحدًا، وكان يقعد تارةً القُرْفُصاء، وتارة متربّعًا، واتّكأ في أوقاتٍ وفي كثيرٍ من الأوقات أو في أكثرها مُحْتبيًا بيديه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهنّ ويتنفس في الشراب بالإناء ثلاثًا خارج الإناء، ويتكلّم بجوامع الكلم، ويعيد الكلمة ثلاثًا لتُفْهَمَ، وكلامه بيِّن يفهمه مَنْ سمعه، ولا يتكلّم في غير حاجة، ولا يقعد ولا يقوم إلّا على ذكر الله تعالى. وركب الفرس والبعير والحمار والبغلة، وأردف معه خلفه على ناقة وعلى حمار، ولا يدع أحدًا يمشي خلفه، وعصب على بطنه الحجر من الجوع، وكان يبيت هو وأهله الليالي طاويين. وفراشه من أُدم حَشْوه ليف، وكان متقلّلًا من أمتعة الدنيا كلّها، وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض كلّها، فأبَى أن يأخذها واختار الآخرة عليها، وكان كثير الذِّكر دائم الفِكْر، جُلّ ضحكه التبسّم، وضحك في أوقات حتى بدَتْ نواجذُهُ، وهي الأنياب. ويحب الطِّيب ويكره الريح الكريهة ويمزح ولا يقول إلّا حقًّا، ويقبل عذر المعتذر إليه. وكان كما وصفه الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]. وكانت معاتبته تعريضًا: «ما بال قوم يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله تعالى؟» ونحو ذلك، ويأمر بالرِّفق ويحثّ عليه، وينتهي عن العنف ويحثّ على العفو والصفح ومكارم الأخلاق، ويحبّ التيمّن في طهوره وترجّله وتنعّله وفي شأنه كلّه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى. وإذا نام واضطجع اضطجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، وكان مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصيانة وصبر وسكينة، ولا ترفع فيه الأصواتُ ولا يؤذين فيه الحُرم، أي لا يذكر فيه النساء. يتعاطفون فيه بالتقوى ويتواضعون، ويوقّر الكبار ويرحم الصغار، ويؤثرون المحتاج ويحفظون الغريب، ويخرجون أدلّة على الخير. وكان يتألّف أصحابه، ويُكرم كريم كلّ قوم ويولّيه أمرهم، ويتفقّد أصحابه، ولم يكن فاحشًا ولا متفحّشًا، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة، بل يعفو ويصفح، ولم

....

يضرب خادمًا ولا امرأة ولا شيئًا قطّ؛ إلّا أن يجاهد في سبيل الله، وما خُيِّر بين أمرين إلّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

ودلائل كلّ ما ذكرته في الصحيح مشهورة، وقد جمع الله سبحانه وتعالى له ﷺ كمال الأخلاق، ومحاسن الشِّيَم، وآتاه عِلْم الأوّلين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز، وهو أُمِّيّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلّم له من البَشَر، وآتاه ما لم يُؤْتَ أحدًا من العالمين، واختاره على جميع الأوّلين والآخرين صلوات الله عليه دائمة إلى يوم الدين.

ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: ما مَسِسْتُ دِيباجًا ولا حريرًا ألْيَنَ من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شَمِمْتُ رائحةً قطّ أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قطّ: أُفّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألّا فعلت كذا.

فصــل

لرسول الله ﷺ معجزات ظاهرات وأعلام متظاهرات يبلغ ألوفًا، وهي مشهورات؛ فمنها القرآن المعجزة الظاهرة والدلالة الباهرة، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصّلت: الآية ٤٢]، الذي أعجز البلغاءِ في أفصح الأعصار وأعْياهم أن يأتوا بسورة مثله، ولو استعانوا بجميع الخلق، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]، فتحدَّاهم ﷺ بذلك مع تكاثرهم وفصاحتهم وشدَّة عداوتهم إلى يومنا هذا.

وأمّا المعجزات غيره، فلا يمكن حصرها أبدًا، لأنها كثيرةٌ جدًّا ومتجدِّدة متزايدة، ولكن أذكر منها أمثلةً: كانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الماء والطعام، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع، وتسليم الحجر، وتكليم الذراع المسموم، ومشي الشجرة إليه، واجتماع الشجرتين المتباعدتين ورجوعهما إلى مكانهما، ودرور الشاة الحائل، وردّ عين قتادة بن النعمان بعد أن ندرَتْ

....

وصارَتْ في يده إلى مكانها، فلم تكن تعرف بعد ذلك، وتَفْله في عينَيْ عليّ وكان أرمد، فبرىء من ساعته، ومَسْحُه رِجْل عبد الله بن عتيك فبرأتْ في الحال، وإخباره بمصارع المشركين يوم بدر: «هذا مصرع فلان»، فلم يعدوا مصارعهم، وإخباره بقتلة أُبيّ بن خَلَف، وإخباره بأن طائفة من أُمّته يغزون البحر، وأنّ أُمّ حرام منهم؛ فكان كذلك، وبأنه يفتح على أُمّته ما زُوِيَ له من مشارق الأرض ومغاربها، وبأن كنوز كسرى ينفقها أُمّته في سبيل الله عزّ وجلّ، وبأنه يخاف على أُمّته ما يفتح عليهم من زهرة الدنيا، وبأن خزائن فارس والروم تفتح لنا، وبأن سُراقة بن مالك يُسوَّر بسواري كسرى، وبأن حسن بن عليّ يُصْلِح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وبأنّ سعد بن أبي وقّاص يعيش حتى ينتفع به أقوامٌ ويضربه آخرون، وبأن النجاشي مات يومكم هذا، وهو بالحبشة، وبأن الأسود العَنْسي قتل ليلتكم هذه، وهو باليمن، وبأن المسلمين يقاتلون التُّرك صغار الأعين عِراض الوجوه ذلف الأُنوف، وبأن اليَمَن تُفتح عليكم والشام والعراق، وبأن المسلمين يجنّدون ثلاثة أجناد: جندًا بالشام، وجندًا باليمن، وجندًا بالعراق، وبأنهم «يفتحون مصر أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإنّ لهم ذمّة ورَحِمًا»، وبأن أُويسًا القرني يقدم عليكم في أمداد أهل اليمن كأنّ به برص فبرىء منه إلّا قدر درهم، فقَدِم كذلك على عُمَر؛ وبأنّ طائفةً من أُمّته على الحقّ، وبأنّ الناس يكثرون، وبأنّ الأنصار يُقتلون، وبأنّ الأنصار يلقون بعده أثَرة، وبأنّ الناس لا يزالون يسألون حتى يقولوا: «هذا خلق الله فمن خَلَق الله» الحديث، وبأنّ رُوَيْفع بن ثابت تَطُولُ به الحياة، وبأنّ عمّار بن ياسر يقتله الفئة الباغية، وبأنّ هذه الأُمّة ستفترق، وبأنه سيكون بينهم قتال، وبأنه ستخرج نارٌ بأرض الحجاز وأشباه هذا، فوقعت كلّها كما ذكر ﷺ واضحةً جليَّة، وقال لثابت بن قيس: «تعيش حميدًا وتُقتل شهيدًا»، فعاش حميدًا واستشهد باليمامة، وقال لعثمان: «تصيبه بلوى شديدة»، وقال في رجلٍ من المسلمين يقاتل قتالًا شديدًا وأنه من أهل النار، فقتل نفسَه. وجاءه وابصة بن مَعْبد يسأله عن البرّ والإثم، فقال: «جئتَ تسأل عن البرّ والإثم». وقال لعليّ والزبير والمقداد: «اذهبوا إلى روضة خاخ، فإنّ هناك ظعينة معها كتاب»، فوجدوها فأنكرته ثم

....

أخرجته من عقاصها. وقال لأبي هريرة حين سرق الشيطان التمر: «إنه سيعود»، فعاد. وقال لأزواجه: «أطولكنّ يدًا أسرعكن لحاقًا بي»، فكان كذلك. وقال لعبد الله بن سلام: «أنت على الإسلام حتى تموت». ودعا ﷺ لأنس بأن يكثر ماله وولده ويطول عمره، فكان كذلك؛ عاش فوق مائة سنة، ولم يكن أحدٌ من الأنصار أكثر مالًا منه، ودَفَن مِنْ أولاده الذكور لصلبه مائةً وعشرين ابنًا قبل قدوم الحجّاج سوى غيرهم، وهذا مصرّح به في صحيح البخاري وغيره. ودعا ﷺ أن يعزّ الله الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل، فأعزّه الله بعمر رضي الله تعالى عنه. ودعا على سُراقة بن مالك فارتطمت به فَرَسُه في جَلَدٍ[1] من الأرض وساخَتْ قوائمها فيها، فناداه بالأمان وسأله الدعاء له. ودعا لعليّ أن يُذهب الله عنه الحرّ والبرد، فلم يكن يجد حرًّا ولا بردًا. ودعا لحُذيفة ليلة بعثه يأتي بخبر الأحزاب أن لا يجد بردًا، فلم يجده حتى رجع. ودعا لابن عباس أن يُفَقِّهَه الله في الدِّين، فكان كذلك. ودعا على عُتبة بن أبي لهب أن يسلّط الله عليه كلبًا من كلابه، فقتله الأسد بالزرقا. ودعا بنزول المطر حين سألوه ذلك لقحوط المطر، ولم يكن في السماء فزعة، فثار سحاب أمثال الجبال ومُطِروا إلى الجمعة الأخرى حتى سألوه أن يدعو برفعه، فدعا برفعه فارتفع وخرجوا يمشون في الشمس. ودعا لأبي طلحة ولامرأته أُمّ سُلَيْم أن يبارك الله لهما في ليلتهما، فكان كذلك؛ فحملت فولَدَتْ عبد الله، فكان من أولاده تسعة كلّهم عُلماء. ودعا لأُمّ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بالهداية، فذهب أبو هريرة فوجدها تغتسل وقد أسلمت. ودعا لأُمّ قَيْس بنت محصن أخت عُكاشة بطول العمر، لا تُعْلم امرأة عمّرت ما عمّرت، رواه النسائي في أبواب غسل الميت. ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب، وقال: «شاهت الوجوه»، فهزمهم الله تعالى وامتلأت أعينهم ترابًا. وخرج على مائةٍ من قريش ينتظرونه ليفعلوا به مكروهًا، فوضع التراب على رؤوسهم ومضى ولم يَرَوْه.

---

(١) في القاموس: الجلد الصخرة.اهـ. وأيضًا فيه: أرض جلدة حجرة.اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

فصــل

كان له ﷺ أفراس، فأوّل فرس ملكه السَّكْب ـ بفتح السين المهملة وإسكان الكاف وبالباء الموحدة ـ وكان أغرّ محجّلًا، طلق اليمنى، وهو أوّل فرس غزا عليه. وفرسٌ آخر يقال له: شنجة، وهو الذي سابق عليه، فسبق. وفرسٌ آخر يقال له: المُرْتَجز، وهو الذي اشتراه من الأعرابيّ الذي شهد له خزيمة بن ثابت. وقال سهل بن سعد: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس: لزاز ـ بكسر اللام وبزائين ـ والظّرب ـ بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء ـ واللّحيف ـ بضم اللام وفتح الحاء المهملة، وقيل: بالمعجمة ـ وقيل: النحيف ـ بالنون ـ. فأمّا لِزاز، فأهداه له المقوقس، واللُحيف أهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض. والظرب أهداه له فروة بن عمرو الجذامي، وكان له فرسٌ يقال له الورد أهداه له تميم الداري، ثم وهبه لعمر ثم وهبه عمر لرجل ثم وجده يُباع. وكان له ﷺ بغلة دلدل ـ بضم الدالين المهملتين ـ يركبها في الأسفار وعاشت بعده ﷺ حتى كبرت وذهبت أسنانها، وكان يحشّ[1] لها الشعير، وماتت بينبع. وروينا في تاريخ دمشق من طُرُق أنها بقيت حتى قاتل عليها عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في خلافته الخوارج. وكان له ﷺ ناقة العضباء، ويقال لها أيضًا: الجَدْعاء والقصواء، هكذا روينا عن محمد بن إبراهيم التيمي: أن هذه الأسماء الثلاثة لناقةٍ واحدة، وكذا قاله غيره. وقيل: هنّ ثلاث. وكان له حمار يقال له: عُفَيْر ـ بضم العين المهملة وفتح الفاء ـ وذكره القاضي عياض بالغين المعجمة، واتّفقوا على تغليط في ذلك مات عفير في حجّة الوداع. وكان له في وقت عشرون لقحة ومائة شاة وثلاثة أرماح وثلاثة أقواس وستّة أسياف، منها ذو الفقار تنفله يوم بدر، وهو الذي رأى فيها الرؤيا يوم أُحد، ودِرْعان وترس وقدح غليظ من خشب وراية سوداء مربعة من نمرة، ولواء أبيض، ورُوِيَ أسود؛ كذا في تهذيب الأسماء.

---

(١) في المصباح: حششته حشًّا من باب قتل قطعته. اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

فصل في خصائص رسول الله ﷺ

في الأحكام وغيرها: وهذا فصلٌ نفيس، فخصائصه ﷺ أربعة أضرب:

الأول: ما اختصّ به ﷺ من الواجبات، قالوا: والحكمة فيه زيادة الزُّلفى والدرجات العُلى، فلم يتقرّب المتقرّبون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افْتُرِض عليهم كما صرّح به الحديث الصحيح، وأن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين درجة، واستأنسوا فيه بحديث؛ فمن هذا الضرب صلاة الضحى، ومنه الأضحية، والوتر، والتهجّد، والسِّواك، والمشاورة، ومنه وجوب مصابرته العدوّ، وإن كثروا أو زادوا على الضعف، وقيل: يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئًا يعجبه أن يقول: «لبّيك إنّ العيش عَيْش الآخرة».

الضرب الثاني: ما اختصّ به من المحرمات عليه، ليكون الأجر في اجتنابه أكثر؛ فمنه الشِّعر، والخطّ ومنه الزكاة، وصدقة التطوّع.

الضرب الثالث: التخفيفات والمباحات وما أُبيح له ﷺ دون غيره نوعان: أحدهما لا يتعلّق بالنكاح، فمنه الوصال في الصوم، واصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، ويقال لذلك المختار: الصفي والصفيّة، وجمعها صفايا.

النوع الثاني متعلّق بالنكاح، فمنه إباحة تسعة نسوة، والصحيح جواز الزيادة له ﷺ، ومنه انعقاد نكاحه بلا وليّ ولا شهود.

الضرب الرابع: ما اختصّ به ﷺ من الفضائل والإكرام، فمنه أن أزواجه اللاتي توفي عنهنّ محرَّمات على غيره أبدًا، وفي مَنْ فارقها في الحياة أوجه أصحها تحريمها. ومنه أن أزواجه أُمّهات المؤمنين، سواء مَنْ توفِّيت تحته ومَنْ توفّي عنها، وذلك في تحريم نكاحهنّ ووجوب احترامهنّ وطاعتهنّ وتحريم عقوقهنّ. ومنه تفضيل نسائه على سائر النساء، وجعل ثوابهنّ وعقابهنّ ضعفين، وتحريم سؤالهنّ إلّا مِنْ وراء حجاب. ومنه في غير النكاح أنه ﷺ خاتم النبيّين، وخير الخلائق أجمعين، وأُمّته أفضل الأمم، وأصحابه خير القرون، وأُمّته

....

معصومة من الاجتماع على ضلالة، وشريعته مؤبّدة وناسخة لجميع الشرائع، وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل، وهو حجّة على الناس بعد وفاته، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت، ونُصِر بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُحِلّت له الغنائم، وأُعْطِيَ الشفاعة والمقام المحمود، وأُرسل إلى الناس كافّة، وهو سيّد ولد آدم، وأوّل مَنْ تنشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع، وأوّل مشفِّع، وأول مَنْ يقرع باب الجنّة، وهو أكثر الأنبياء تَبَعًا، وأُعْطِيَ جوامع الكلم، وصفوف أُمّته في الصلاة كصفوف الملائكة، وكان لا ينام قلبه، ويَرَى مِنْ وراء ظهره كما يرى من قدّامه، ولا يحلّ لأحدٍ أن يرفع صوته فوق صوته، ولا يناديه من وراء الحجرات، ولا أن يناديه باسمه، فيقول: يا محمّد، بل يقول: يا نبيّ الله، يا رسول الله؛ ويخاطبه المصلّي بقوله: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، ولو خاطب آدميًّا غيره بطلت صلاته، ويلزم المصلّي إذا دعاه أن يجيبه وهو في الصلاة، ولا يبطل صلاته، وكان بوله ودمه يُتبرَّك بهما، وكانت الهدية حلالًا له، ولا يجوز الجنون على الأنبياء، ويجوز عليهم الإغماء؛ لأنه مرض بخلاف الجنون. واختلفوا في جواز الاحتلام، والأشهر امتناعه.

ومن الخصائص: أنه ﷺ يؤخذ عن الدنيا عند تلقّي الوحي ولا يسقط عنه الصلاة ولا غيرها، ومنها أنّ مَنْ رآه في المنام فقد رآه حقًّا، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بصورته، ولكن لا يعمل بما يسمع الرّائي منه في المنام، فيما يتعلّق بالأحكام إنْ خالف ما استقرّ في الشرع؛ لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية؛ لأن الخبر لا يُقبل إلّا مِنْ ضابط مكلّف، والنائم بخلافه. ومنها أنّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور، ومنها قوله ﷺ: «إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد»، فتعمّد الكذب عليه من الكبائر، فإن استحلّه المتعمّد كفر، وإلّا فهو كسائر الكبائر لا يكفر بها. اهـ في تهذيب الأسماء باختصار والتقاط.

واعلم أنّ أحوال رسول الله ﷺ وسِيَره وما أكرمه الله به وما أفاضه على العالمين من آثاره ﷺ غير محصورة، ولا يمكن استقصاؤها؛ لا سيّما في هذا

ولم يقل قتلتم **(لوفاق الفواصل)**، أو لأن المراد وفريقًا تقتلونه **(بعد)** لأنكم **(تحومون)** حول قتل محمد عليه السلام **(لولا أني)** أعصمه منكم **(ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة)**.

الكتاب، وفيما ذكرته تنبيه على ما تركته، ولأن مقصودي تشريف الكتاب بذكر بعض أحوال رسول الله ﷺ، وقد حصل ذلك ولله الحمد؛ وكيف لا يشرف كتاب ذكر فيه أحوال الرسول المصطفى والحبيب المُجْتبى خِيرَة العالم وخاتم النبيّين وإمام المتّقين وسيّد المرسلين هادي الأُمّة ونبيّ الرَّحمة صلّى الله عليه وآله وسلّم وزاده فضلًا وشرفًا لديه، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله: **(لوفاق الفواصل**[1]**)** من جهة أن المضارع لكون آخره نونًا يحصل به المراعاة للفواصل دون الماضي. **قوله**: **(بعد)** أي بعد ما مضى، والمراد الآن. **قوله**: **(تحومون)** في المصباح: حامَ الطائر حول الماء حَوَمانًا، دار به. اهـ.

قوله: **(لولا أني)**... الخ. جوابه محذوف، أي لقتلتم. **قوله**: **(ولذلك)** أي لأجل أنكم تحومون حول قَتله. **قوله**: **(سحرتموه وسممتم له الشاة)**... الخ. فإنه عليه الصّلاة والسلام سُحِر حتى أنه ليخيّل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، سحره لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة وجفّ طلع نخلة ذكر ووضعه في بئر ذروان تحت حجرٍ عظيم في قعر البئر، فأنزل الله تعالى المعوّذتين، فلما قرأهما انحلَّ السحر، فصار كأنما نشط من عقال. والمشاطة هو الشعر الذي يسقط من المشط وقت الامتشاط، والجفّ وعاء الطلع، والطلع بالفارسية شگوفه خرما. وأما تسميمهم الشاة، فقد رُوِيَ أنه لما فتحت خيبر أُهديت إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة، فعلم عليه الصّلاة والسلام ذلك بطريق الوحي بعدما أكل منها لقمة، فقال لهم: «إني أسألكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه»؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم: «مَنْ أبوكم»؟ قالوا: فلان، قال: «كذبتم بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقْتَ وبررت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيءٍ إن سألتكم عنه»؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفتَ كما عرفت في أبينا... وساق الحديث إلى أن قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا»؟ قالوا:

---

(١) أي رؤوس الآي، ولذا قدم مفعوله. ١٢ منه عم فيضه.

(والمعنى) ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به، (فوسط) ما (بين الفاء وما تعلّقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم).

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

(﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جمع أغلف أي هي خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ﷺ ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لا يختن) ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فردّ الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على

نعم، قال: «وما حملكم عليه»؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك، وإن كنتَ صادقًا، فلم يضرّك.

قوله: (والمعنى) أي معنى الآية. قوله: (فوَسّط بين الفاء) المراد بالفاء مدخول الفاء بواسطتها، (وما تعلّقت به) أي الفاء المراد به قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾) الآية. (همزة التوبيخ) ومدخول الفاء المعطوف عليه والهمزة توسّطت بين المتعاطفين لصدارته، وتقدير الكلام: (﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾). قوله: (والتعجيب من شأنهم) بيان حاصل المعنى، فإنّ كل شيء يقع التوبيخ عليه مما يتعجّب منه.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟﴾) أي اليهود (﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾) بسكون اللام (جمع أغلف) كأحمر وحُمْر، وهو كل شيء مُحاط بغلاف، (أي هي خلقةً مغشّاة) خبر المبتدأ، أعني هي وخلقة تمييز مقدَّم أو حال (بأغطية لا يتوصّل) صفة مغشاة (إليها) أي إلى قلوبنا (ما جاء به محمد ﷺ) ومقابلة الجمع بالجمع تُفيد انقسام الآحاد إلى الآحاد، أي ليس منّا أحد يصل إلى قلبه شيء مما جاء به محمد ﷺ، (ولا تفقهه) أي قلوبنا، أي ولا تعلمه لعدم وصوله، فهو من عطف المعلول. قوله: (مستعار[1] من الأغلف الذي لا يختن) والجامع بينهما المستورية مطلقًا، فكما أن

---

(١) قوله: مستعار من الأغلف الذي لم يختن حيث شبّه قلوبهم في عدم نفوذ الحق فيها بشيء مغلّف بغلاف بحيث يمنع غلافه من أن يصل إلى جوفه شيء من خارج، فاسْتعير للمشبه ما هو موضوع للمشبّه به، وهو لفظ غلف. كذا في حاشية العلامة شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عم فيضه.

الفطرة والتمكن من قبول الحق، وإنما (**طردهم**) بكفرهم (**وزيغهم**). ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (**فـ «قليلًا» صفة مصدر محذوف**) أي فإيمانًا قليلًا (**يؤمنون**). (**و«ما» مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب. وقيل: القلة بمعنى العدم. غلف تخفيف غلف وقُرىء به جمع غلاف**) أي قلوبنا (**أوعية**) للعلوم

الأغلف مستور موضع ختانه بالجلد، كذلك هؤلاء مستور قلوبهم بهيئة مانعة عن وصول ما جاء به الرسول عليه السلام، وحمل الأغطية على الخلقة لتفيد المبالغة في عدم وصول ما جاء به في قلوبهم، وهذا كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فصّلت: الآية ٥]، ولأن الاستعارة من الأغلف الذي لم يختن؛ فالأَوْلى أن يكون المستعار له مناسبًا للمستعار منه، وذلك بأن يكون كلّ منهما خلقيين، وكَوْن كل مولود يُولد على فطرة التمكّن من النظر الصحيح المؤدّي إلى الحقّ لا ينافي ذلك؛ لأن ذلك دعاء منهم على ما فُهِم من كلامهم حيث قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾، وقد عرفتَ أن المستعار والمستعار منه متناسبان في وجه الشَّبه بأن يكون كلّ منهما خلقيين. **قوله**: (**طردهم**)... الخ. أي خذلهم ولعنهم بسبب اعتقادهم الفاسد وعملهم الكاسد، فبَطُل استعدادهم الخلقي للنظر الصحيح. **قوله**: (**وزيغهم**) أي مَيْلهم عن الحقّ. **قوله**: (﴿**فَقَلِيلًا**﴾ **صفة مصدر محذوف**) أي أن قليلًا مفعول مطلق لـ (﴿**يُؤۡمِنُونَ**﴾) بتقدير موصوف قدّم على عامله لرعاية الفاصلة. **قوله**: (**و**﴿**مَّا**﴾ **مزيدة**) لتأكيد معنى القلّة لا نافية. **قوله**: (**وهو إيمانهم ببعض الكتاب**)، وذلك لا يعتدّ به؛ لأن الإيمان هو التصديق المخصوص، ولم يحصل بكماله ولم يعتدّ به، ولذلك عظم عقوبة مَنْ لم يأتِ بذلك التصديق المخصوص بقوله: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [البقرة: الآية ٨٥] الآية. **قوله**: (**وقيل: القلّة بمعنى العدم**)، فمعناه: فلا يؤمنون، كما جاء في الحديث إنه كان يقلّ اللغو، أي لا يلغو أصلًا. **قوله**: (**غُلْف تخفيف غُلُف**) بضمتين لا جمع أغلف، (**وقرىء به**) أي على الأصل في الشواذ. قال في الكشاف: ورُوِي عن أبي عمر: ﴿قلوبنا غلف﴾ بضمتين. اهـ. (**جمع غلاف**) بكسر الغين ككتاب وكتب، فسُكِّن للتخفيف. **قوله**: (**أوعية**) جمع الوعاء، وهو الإناء.

(فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره)، أو أوعية للعلوم **(فلو كان ما جئت به حقًّا)** لقبلنا.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

(﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾) أي اليهود (﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ **أي القرآن** ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ **من كتابهم لا يخالفه** ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ **يعني القرآن)** ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **(يستنصرون على)** المشركين **(إذا قاتلوهم)** قالوا: اللهم انصرنا بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، ويقولون لأعدائهم المشركين:

قوله: (فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره) أي كما أن الغلاف مُستغنٍ عن غير ما حلّ فيه من المظروف، كذلك القلوب مستغنية عن غير ما تحقّق فيها من العلوم. **قوله: (فلو كان ما جئت به حقًّا)** لقبلنا، لكن التالي مُنتفٍ وكذا المقدّم، فيكون قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ إشارة إلى دليل على عدم حقّية ما جاء به على زعمهم، فالقائلون حينئذ أحبارهم وأشرارهم، وكذا الكلام أيضًا استعارة شبه قلوبهم بالغلاف في مطلق الظرفية، فذكر اسم المشبّه به وأُريد المشبّه.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) بيان لنوع آخر من قبائحهم وتركهم الاهتداء بهداية الله تعالى. **وقوله:** (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) في محل الرفع على أنه صفة الكتاب متعلّق بمحذوف، أي كتاب كائن أو نازل من عند الله. **قوله: (أي القرآن)** لا التوراة، كما في قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، ومن هذا نكر كتاب هنا لعدم كونه معلومًا عندهم، والتنوين في ﴿كِتَٰبٌ﴾ للتعظيم. **قوله: (من كتابهم)** أي التوراة **(لا يخالفه)** يعني فيما يتعلّق بالنبوّة وما يدلّ عليها من العلامات، ونحو ذلك مما يوافق فيه القرآن التوراة. **قوله:** (﴿وَكَانُوا۟﴾) أي اليهود (﴿مِن قَبْلُ﴾ **يعني القرآن)** أي من قبل مجيئه. **(يستنصرون)** الله سبحانه وتعالى، أي يطلبون الفتح والنصرة؛ فالسين مجرى على الحقيقة، والفتح متضمّن معنى النصرة بواسطة (﴿عَلَى﴾). **قوله: (إذا قاتلوهم)**... الخ. الجملة الشرطية مبنيّة لجملة يستنصرون، فإن قيل: لا بدّ من المناسبة بين الحال وصاحبها، والحال هٰهنا ليس مناسبًا لما قبله؛ لأن الاستفتاح كان بالنبيّ ﷺ، وهو لا يناسب الكتاب،

(قد أظلّ) زمان نبيّ (يخرج) بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه (قتل عاد وإرم). ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ «مَا» موصولة (أي ما عرفوه) وهو فاعل «جاء». ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بغيًا وحسدًا وحرصًا على الرياسة. ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (أي عليهم وضعًا للظاهر موضع المضمر) للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم. (واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولًا أوليًا، وجواب «لما» الأولى مضمر) وهو نحو كذبوا به أو أنكروه، أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد.

وكفرهم به. أُجيب بأنهما مناسبة لما بين الكتاب والنبيّ المستفتح به من الاتّصال، حتى أن الاستفتاح به استفتاحٌ به.

قوله: (قد أظلّ) في المصباح: أظلّ الشيء إظلالًا إذا أقبل، أو قَرُب. اهـ. **قوله:** (يخرج) صفة نبيّ. **قوله:** (قتل) أي مثل قتل (عادٍ وإرمَ) مجرورٌ بالفتحة لمنعه من الصّرف للعلمية والتأنيث، وهو في الأصل اسم جدّ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ثم جُعِل لفظ عاد اسمًا للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم، ولبني تميم تميم، ثم قيل للأوّلين منهم عاد الأُولى وعاد إرم تسميةً لهم باسم جدّهم، ولمن بعدهم عاد الأخيرة. **قوله:** (أي ما عرفوه) من الحقّ، أي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، لا الكتاب. **قوله:** (﴿بَغۡيًا﴾ [البقرة: الآية ٩٠]) أي ظلمًا. **قوله:** (أي عليهم وضعًا للظاهر موضع المضمر)... الخ. ولو أضمر لا يُفهم ذلك، فإنّ الضمير يدلّ على الذّات فقط بلا تعرض للصفة، هذا إذا حمل اللام في الكافرين على العهد، وإلى ذلك أشار بقوله: (واللام للعهد) والمعهودون هم المذكورون من أهل الكتاب. **قوله:** (أو للجنس)، فلا يكون من باب وضع المظهر موضع المضمر، بل يكون على مقتضى الظاهر، (ودخلوا) أي اليهود (فيه دخولًا أوّليًا)[1] أي قصديًا؛ لأن لفظ الكافرين يعمّ اليهود وغيرهم، لكن لما كان سوق الكلام لليهود دخلوا فيهم أوّلًا لسبق ذكرهم وأصالتهم وتسبّبهم لاستجلاب هذا القول في غيرهم، ونظيره ما إذا ظلمك إنسان فتقول لعنة الله على الظالمين، فيدخل فيه هذا الظالم دخولًا أوّليًا؛ لأنه المقصود بالذات، والباقون تبعًا، لأن الكلام سِيق له بالأصالة. **قوله:** (وجواب لما الأولى مُضمر)... الخ. إشارة إلى

---

(١) أي أصالة لا تبعًا، لأنهم هم المقصودون بالذات، وأن غيرهم يدخلون دخولًا ثانيًا. ١٢ منه عم فيضه.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

و«ما» في ﴿بِئْسَمَا﴾ نكرة موصوفة مفسّرة **(لفاعل بئس)** أي بئس شيئًا ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ **(أي باعوه والمخصوص بالذمّ.** ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾) يعني القرآن. (﴿بَغْيًا﴾) مفعول له **(أي حسدًا)** وطلبًا لما ليس لهم،

ضعف ما يُقال أنّ قوله: (﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾) جواب لما؛ إذ لم يجيء في فصيح الكلام جواب لما إلا فعلًا ماضيًا بدون الفاء.

قوله: **(لفاعل بئس)** المستكنّ فيه، تقديره: بئس شيء شيئًا. **قوله**: **(أي باعوه)** الاشتراء من الأضداد، وإنما فسّره بالبيع لأنهم لما اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم فيه جعلوا كأنهم بذلوا سلعتهم التي هي أنفسهم لإصابة ما يكون عِوضًا عنها، وهو الكفر الذي يؤدّيهم إلى الخلود في النار مع تمكّنهم من اختيار الإيمان وصالحات الأعمال المؤدّية إلى سعادة الأبد، ويؤيّد هذا المعنى ما ورد في الحديث: «كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فإمّا أن يُعتقها أو يُوبقها»، فإن أخذ بدل نفسه التي بدلها الإيمان والطاعة أعتقها، وإن أخذ بدلها الكفر والمعصية فقد أوْبَقها وضيّعها. شبّه مرور الأزمان وانقضاء الأنفاس في اكتساب الطاعة والمعصية ببيع النفس بمقابلة ما كسبه واستفاده من الخير والشرّ، فأطلق على المشبّه به ما وُضِع بإزاء المشبّه، وهو لفظ البيع استعارة أصليّة، ثم اسْتُعِير منه إلى المشتقّ فصارت تبعيّة. **قوله**: **(والمخصوص بالذمّ** ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾)، فيكون إما مبتدأ وخبره الجملة قبله، ولا حاجة إلى الرّابط؛ لأن العموم قائمٌ مقام الضمير الرابط، كأنه قيل: كفرهم بئس هو شيئًا اشتروا به أنفسهم. أمّا خبر المبتدأ محذوف. وفي الحواشي السعدية: إنما يصح أن يكون الكفر مخصوصًا بالذمّ، أن لو قال: إن كفروا بلفظ الماضي، لظهور أنّ ما باعوا به أنفسهم واستبدلوا به في الماضي ليس هو أن يكفروا في المستقبل.اهـ. وأُجيب بأن المعنى على المضي والعدول إلى المضارع على طريق حكاية الحال الماضية استحضارًا للصورة البديعة للكفر بعد ذلك الاستقباح، مع أن في العدول عن الماضي الدالّ على التحقّق دلالة على أنّ الكفر مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل على سبيل التحقّق. **قوله**: **(أي حسدًا)** تفسير لقوله: (﴿بَغْيًا﴾)؛ لأن

(وهو) علّة اشتروا (﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾) لأن ينزل. أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله. (﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الذي هو الوحي) ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهو محمد عليه السلام. ﴿(فَبَآءُو بِغَضَبٍ) عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ (فصاروا أحقاء) بغضب (مترادف) لأنهم كفروا بنبيّ الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام، (أو بعد قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وغير ذلك).

البغي الذي هو الظلم أعمّ من الحسد، ففُسّر بالحسد لاقتضاء المقام. **قوله**: (وهو) أي بغيًا علّة اشتروا، أي علّة[1] حصولية. **قوله**: (من فضله الذي هو الوحي) يعني أن الفضل عبارة عن الوحي، و(من) لابتداء الغاية[2]، ومفعول (﴿أَن يُنَزِّلَ﴾) محذوف للتعظيم، أي ينزل شيئًا عظيمًا لا يكتنه كنهه، وفيه إشارة إلى أن النبوّة غير مكتسبة، بل بفضل الله تعالى. **قوله**: (﴿بِغَضَبٍ﴾) الباء فيه للحال، أي رجعوا ملتبسين بغضب أو مغضوبًا عليهم، وقوله: (﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾) في محل الجرّ على أنه صفة لقوله: ﴿بِغَضَبٍ﴾، أي بغضب كائن على غضب، أي بغضب مترادف، والفاء في قوله: (﴿فَبَآءُو﴾) سببية عطفت بها جملة ﴿باؤوا﴾ على جملة ﴿اشتروا﴾، فصاروا بذلك أحقّاء بغضبٍ مترادف واستحقّوا نوعًا من العذاب بعد نوعٍ بسبب عصيان وذنب على إثر ذنب. **قوله**: (**فصاروا أحقاء**) جمع حقيق دلّ على الاستحقاق، العطف بالفاء على ﴿اشتروا﴾. **قوله**: (**مترادف**) دلّ عليه قوله: ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾. **قوله**: (**أو بعد قولهم**) أي اليهود (﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾)، اختلفوا في قائلِ هذه المقالة على أقوال، أحدها: قال عبيد بن عمير: إنما قال هذا القول رجلٌ واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨١]. وثانيها: قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير وعكرمة: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبع دينك، وقد تركتَ قبلتنا وأنت لا تزعم أنّ عزير ابن الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٣٠] الآية. وعلى هذين القولين، القائل إنما هو بعض اليهود، إلّا أنه نُسِب ذلك إلى اليهود بناءً على عادةِ العرب في إيقاع اسم الجماعة على اسم

---

(١) أي علة الغائية. ١٢ منه.

(٢) ويحتمل البيانية، ويحتمل التبعيض؛ إذ الوحي بعض من فضله تعالى. ١٢ منه عم فيضه.

الواحد، يقال: فلان ركب الخيول، ولعلّه لم يركب إلّا واحدًا منها، وفلان يُجالس السلاطين ولعلّه لم يجالس إلّا واحدًا. وثالثها: أنّ هذا المذهب لعلّه كان ثابتًا فيهم ثم انقطع، فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عِبْرة بإنكار اليهود لذلك، فإنّ الآية تُلِيت عليهم، فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب.

واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لأجله، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن اليهود أضاعوا التوراة وعَمِلوا بغير الحقّ، فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم، فتضرّع عزير إلى الله تعالى وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخ من صدورهم، فبينما هو يصلّي مبتهلًا إلى الله تعالى نزل نورٌ من السماء، فدخل جوفه فعادت إليه التوراة فأذّن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله تعالى التوراة وردّها إليّ، فعلقوا به يعلّمهم ثم مكثوا ما شاء الله تعالى، ثم إن التابوت أُنزل بعد ذهابه عنهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير، فوجدوه مثله، فقالوا: ما أُوتي عزير هذا إلّا أنه ابن الله. وقيل: لمّا رفع الله تعالى عنهم التوراة أخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: أطلب العلم، فحفظه التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لا يخرم منها حرفًا، فقالوا: ما جمع الله التوراة في قلبه وهو غلام إلّا أنه ابنه. وقال الكلبي: إن بخت نصّر لما ظهر على بني إسرائيل وقتل مَنْ قرأ التوراة، وكان عزير إذ ذاك صغيرًا، فاستَصْغره فلم يقتله، فلمّا رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم مَنْ يقرأ التوراة، فبعث الله تعالى عزيرًا ليجدّدَ لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله تعالى مائة سنة، وأرسل إليه ملكًا بإناءٍ فيه ماء، فسقاه، فمثلت التوراة في صدره، فلمّا أتاهم وقال لهم: أنا عزير، كذّبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم فَاتْلُ علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إنّ رجلًا منهم قال: إنّ أبي حدّثني أنّ التوراة جُعِلت في خابية ودُفِنت في كرمٍ، فانطلَقُوا معه حتى أخرجوها فعارضوا بها ما كتبه عزير، فلم يجدوه غادر حرفًا، فقالوا: إنّ الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب عزير إلّا أنه ابنه؛ فعند ذلك قالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٠]. وقرأ عاصم والكسائي: عزير بالتنوين، والباقون بغير تنوين.

(﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مذل). «بئسما» وبابه غير مهموز: **(أبو عمرو)**. و («ينزل» **بالتخفيف: مكيّ وبصريّ**).

قوله: (وقولهم) أي اليهود (﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾) في تفسير الجلالين في سورة المائدة: (﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾) لمّا ضيّق عليهم بتكذيبهم النبيّ ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالًا (﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾) مقبوضة من إدرار الرزق علينا كنّوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: (﴿غُلَّتْ﴾) أمسكت (﴿أَيْدِيهِمْ﴾) عن فعل الخيرات دعاءً عليهم (﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾) مبالغةً في الوصف بالجود، وثنّى اليد لإفادة الكثرة؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه (﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾) من توسيعٍ وتضييق لا اعتراض عليه. اهـ. **قوله:** (وغير ذلك) من أنواع كفرهم.

قوله: (﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾) من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير تنبيهًا على العلّة المقتضية لعذابهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٩]، فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس، ويدخل فيه هؤلاء الكفار دخولًا أوّليًا، والمهين صفة العذاب، أي ولهم عذاب يُهانون فيه، فلا يعزّون أبدًا. وأصله مَهْوِن من الهون، وهو الذِّلة، وهو اسم فاعل من أهان يُهين إهانةً مثل أقام يقيم إقامةً، فنُقِلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها، فسكنت الواو بعد كسرة فقُلِبت ياء، فصار مهين والإهانة الإذلال والخزي، والحصر اللازم من تقديم الخبر معناه انحصار العذاب الذي يُراد به الإذلال في الكفار، فلا يلزم أن لا يعذّب عُصاة المؤمنين أصلًا؛ لأن ما أصابهم من العذاب إنما يُراد به الطهرة لا الإذلال، وإسناده الإهانة إلى العذاب مع أن المهين في الحقيقة إنما هو الله من قبيل إسناد الفعل إلى السبب المُفضي إليه. **قوله:** (مُذِلّ) اسم فاعل من الإذلال. **قوله:** (أبو عمرو) بن العلاء البصري.

قوله: (﴿يُنَزِّلَ﴾ بالتخفيف) أي من الإنزال (مكّي وبصري) أي قرأ ابن كثير المكّيّ وأبو عمرو البصري بسكون نون ينزل وتخفيف الزاي، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لهؤلاء اليهود. ﴿ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني القرآن، أو مطلق يتناول كل كتاب ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ **أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة**. ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾) غير مخالف له (وفيه) رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا (**بها**، و«**مصدقًا**» **حال مؤكدة**. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ) أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي فلم

قوله: (**أي قالوا ذلك**) أي نؤمن بما أنزل علينا. **قوله**: (**والحال أنهم يكفرون**) يعني أن قوله: (﴿وَيَكْفُرُونَ﴾) حال من الضمير في قالوا. **قوله**: (**بما وراء التوراة**) يعني أن الضمير المجرور في قوله تعالى: (﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾) راجع إلى التوراة، وتذكيره لكون التوراة معبّرًا عنها بما في قولهم: (﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾)، والوراء في الآية بمعنى القدام؛ لأن القرآن الذي كفروا به قدّام التوراة، فالإضافة فيه من قبيل إضافة المصدر إلى المفعول، كأنه قيل: ويكفرون بالذي يواري التوراة ويسترها لكونه متقدّمًا عليها. **قوله**: (﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾) حال من (﴿وَرَآءَهُۥ﴾)، والعامل فيها ﴿يَكْفُرُونَ﴾. **قوله**: (**وفيه**) أي في قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾). **قوله**: (**بها**) أي بالتوراة. **قوله**: (و﴿مُصَدِّقًا﴾ **حال مؤكّدة**) من الحقّ؛ لأن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ قد تضمّن معناها، والحال المؤكّدة إمّا أن تؤكّد عاملها نحو: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠]. وإمّا أن تؤكّد مضمون جملة، فإنْ كان الثاني التزم إضمار عاملها وتأخيرها عن الجملة، والتقدير ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أحقّه مصدّقًا. قوله: (﴿قل لهم﴾) إلزامًا وبيانًا لكفرهم بالتوراة التي ادّعوا الإيمان بها. **قوله**: (﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾) الفاء جواب شرط مقدّر تقديره: إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم فلم قتلتموهم، وهذا تكذيبٌ لهم؛ لأنّ الإيمان بالتوراة مُنافٍ لقتل أشرف خلقه، ولم جارّ ومجرور، اللام حرف جرّ، وما استفهامية في محلّ جرّ، أي لأيّ شيءٍ، ولكن حُذِفت ألفها فرقًا بينها وبين ما الخبريّة، وقد تُحمل الاستفهامية على الخبريّة، فتثبت ألفها. وقد تحمل الخبرية على الاستفهامية، فتُحذف ألفها. فإن قيل: كيف قال: تقتلون من قبل ولا يجوز أن يقال خرج أمس؟ أُجيب بأنّ عادة العرب إذا أرادوا أن يُخبروا عن تعاطي فعل مداوم عليه

قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدلّ عليه قوله: ﴿مِن قَبْلُ (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)﴾ أي من قبل محمد ﷺ، اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة **(لا تسوغ)** قتل الأنبياء. قيل: قتلوا في يوم واحد ثلاثمائة نبيّ في بيت المقدس.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ **(بالآيات التسع وأدغم الدال في الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلي)**.

بدّلوا لفظ الماضي بالمستقبل تنبيهًا على المداومة عليه؛ نحو قول الشاعر:

ولقد أمرّ على اللّئيم يسبّني فمضيت ثمّة قلت لا يعنيني

وعلى ذلك يقال: فعلت كذا قبل وبعد، فيجيء تارة بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل، والظاهر أنّ محصول الجواب أنّ لفظ المضارع في هذه يراد به الاستمرار التجدّدي، كما في نحو ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]، بمعنى أن شأنه تعالى استهزاؤهم وإهانتهم. وقد يُجاب عنه بأنه من قبيل حكاية الحال الماضية؛ كأنه قيل: فلِمَ كنتم تقتلون مِنْ قبل.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) في (إن) قولان، أحدهما: أنها شرطية، وجوابها محذوف تقديره: إن كنتم مؤمنين فلِمَ فعلتم ذلك، ويكون الشرط وجوابه قد ذُكِرَ مرّتين فحُذِف الشرط من الجملة الأُولى وبَقِيَ جوابه، وهو: فلِمَ تقتلون، وحُذِف الجواب من الثانية وبقيَ شرطه فقد حذف من كلّ واحدةٍ ما أثبت في الأخرى. وقال ابن عطية: جوابها متقدّم وهو قوله: فلِمَ، وهذا إنما يتأتّى على قول الكوفيين وأبي زيد، والثاني أنّ إنْ نافية بمعنى ما، أي ما كنتم مؤمنين لمنافاة ما صدر منكم للإيمان. **قوله**: **(لا تسوغ)** في منتهى الأرب في لغات العرب: سوّغه تسويغًا واداشت أنرا. اهـ.

قوله: **(بالآيات التّسع)** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور، كذا قال المصنّف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ (إلـهًا) ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد خروج موسى عليه السلام إلى الطور. ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ (هو حال) أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها، (أو اعتراض) أي (وأنتم قوم عادتكم الظلم).

بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسرَاء: الآية ١٠١]، وقوله: والقمل السوس الذي نزل في حبوبهم، وقوله: الحجر، أي انفجار الماء الكثير من الحجر الصغير، وقوله: والبحر، أي انفلاق البحر. وعبارة تفسير الجلالين: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسرَاء: الآية ١٠١] واضحات وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص من الثمرات. اهـ. قوله: والطمس، أي مسخ أموالهم حجارة. وفي الجمالين: قوله: والطمس، أي طمس أموالهم، والأظهر الفلق بدله قوله: والسنين، أي القحط ونقص الثمرات عدّهما واحدة؛ لأنهما في المعنى واحد، وكان حقّه أن يذكرهما قبل الطوفان. اهـ.

قوله: (**وأدغم الدال في الجيم حيث كان، أبو عمرو وحمزة وعلي**) أي أبو عمرو البصريّ وحمزة بن حبيب الزيّات الكوفي وعليّ بن حمزة الكسائي الكوفي. **قوله**: (**إلـهًا**) مفعول ثانٍ لاتّخذتم العجل؛ لأنه بمعنى صيّرتم حُذِف للاختصار ولتوحّش إطلاق الإلـه عليه، وقد يتعدّى اتّخذ لواحد لكونه بمعنى صنع، ولو حمل هنا عليه لم يبعد لكن تفوت المبالغة في الذمّ. وقيل: لفظة ثم أبلغ من الواو في التقريع لأنها تدلّ على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وذلك أعظم ذنبًا، وهذا إنما يتمّ لو كانت للتراخي مع أنها للاستبعاد، إلّا أن يقال: إنه باعتبار أصل معناها. **قوله**: (**هو حال**) من ضمير ﴿ٱتَّخَذۡتُمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٥١] مؤكدة لمزيد التوبيخ والتبكيت، وأنتم واضعون العبادة غير موضعها؛ إذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

قوله: (**أو اعتراض**) أي جملة تذييليّة، وهي تعقيب جملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، فإنّ اتّخاذ العجل إلـهًا ظلمٌ عظيم وشركٌ جسيم، والتعبير بالاعتراض بناءً على مذهب مَنْ جوَّز الاعتراض في آخر الجملة، كما اختاره صاحب الكشاف، ورَضِيَ به المصنّف رحمه الله. **قوله**: (**وأنتم قوم عادتكم الظلم**) إشارة إلى الفرق بين كونه حالًا وكونه اعتراضًا، فإنّ المراد بالظلم في الحالية الظلم الحاصل بعبادة العجل، وفي الاعتراض الظلم الذي كان عادتهم قبل اتّخاذ العجل

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣﴾

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ (**كرّر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى**. ﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾) ما أمرتم به في التوراة. (﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ **قولك** ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ **أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث إنه قال لهم**) اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا: سمعنا ولكن لا سماع طاعة.

إلـٰهًا، ومَنْ كان حاله كذلك، فلا يبعد أن يقع الظلم منه بعبادة غيره تعالى مثل العجل.

قوله: (**كرّر ذكر رفع الطور لما نِيطَ**) أي علق (**به من زيادة ليست مع الأُولى**) أي الآية الأولى، حيث قال أوّلًا: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: الآية ٦٣] ... الخ. وهـٰهنا مكان اذكروا ما فيه (﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾)، ومكان ثم توليتم ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾، والزيادة التي ليست في الآية الأُولى هي قوله: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾. **قوله**: (﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ **قولك** ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ **أمرك**) في تفسير المظهري، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لما تلقّوه بالعصيان نُسِب ذلك إلى القول. قلت: وهو الظاهر، فإنهم لو قالوا ذلك لم يرفع عنهم الطور. اهـ.

قوله: (**وطابق قولَه**) تعالى: ﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾ (**جوابُهم**) وهو ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ (**من حيث إنه قال لهم**)... الخ. إشارة إلى جواب ما يقال: كيف طابق الجواب بقولهم: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ لما قيل لهم: ﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾؟ فإن جواب اسمعوا ما سمعنا، وأمّا لا نسمع من غير ذِكْر شيء آخر، فلم زادوا وعصينا وما هو إلّا مستدرك لا مدخل له في الجواب؟ وتقرير الجواب أنّ الاستدراك إنما يلزم إذا أُمروا بمطلق السماع، وهم قد أُمروا بسماع مقيّد، وهو سماع القبول والطاعة، فأجابوا بنفي المقيّد باعتبار انتفاء قَيْده، وقالوا: سمعنا سماع معصية، فهو جواب مطابق للأمر بسماع القبول والطاعة لا استدراك فيه.

﴿ (وَأُشْرِبُواْ) فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (أي تداخلهم حبه) والحرص على عبادته (كما يتداخل الثوب الصبغ).

قوله: (﴿وَأُشْرِبُواْ﴾) يجوز أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿سَمِعْنَا﴾، ويجوز أن يكون حالًا من فاعل، ﴿قَالُواْ﴾ أي قالوا ذلك وقد أشربوا، والضمير المرفوع في ﴿وَأُشْرِبُواْ﴾ مفعوله الأوّل أُقيم مقام الفاعل، والثاني هو العجل؛ لأن شرب يتعدّى بنفسه وبالهمزة يتعدّى إلى مفعولٍ آخر.

قوله: (أي تداخلهم حبّه) صيغة التفاعل للمبالغة لما كان العجل ممّا لا يشرب، وليس من شأنه التداخل أشار إلى أن المضاف وهو الحبّ محذوف حُذِف لدلالة العادة عليه ولأمرٍ ما لم يقل تداخلهم عبادته مع أنه المقصود، فإنّ العبادة ليست من شأنها التداخل والإشراب، فكنى عنها بالحبّ. اهـ قنوي. وقال العلامة شيخ زاده رحمة الله عليه قوله: تداخلهم حبّه، يعني أن حقيقة أُشربوا العجل جعلوا شاربين للعجل، وأنّ حقيقة الشرب تناول الماء بالفم وإدخاله الجوف ولا ماء هنا فضلًا عن تناوله بالفم، وإنْ أُريد بالشرب مجرّد إدخال شيء وإيصاله إلى الجوف؛ فنفس العجل وجسده وجسمه لا يدخل الجوف، فأوّل الشرب بالنّفوذ والحلول والدخول وحمل الكلام على حمل المضاف؛ كقوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٢]، فمعنى الآية وتقديرها: وسقوا حبّ العجل وخلطوا به حتى اختلط بهم، كما يقال: أبيض مشرّب حمرة إذا كان مخالطه حمرة، والحبّ واللّون ونحوهما، وإنْ كانت مما لا يتعلّق بالشرب حقيقةً، إلّا أنه شاع واشتهر بين الأنام استعارة اسم الشرب لكل ما ينفذ في الشيء ويختلط به نفوذ المشروب في أمعاء الشارب واستعارة اسم الشرب لنفوذه فيه؛ كقول مَنْ قال:

شربت الحبّ كأسًا بعد كأسٍ   وما نفد الشراب ولا رُويتُ

ويقال: أُشرب قلبه حبًّا أو بغضًا، وأُشرب الثوب الصبغ، أي تداخل ونفذ كنفوذ الماء في أعماق الجسد. قوله: (كما يتداخل الثوب الصّبغ) بكسر الصاد وسكون الباء، يعني أن (أُشربوا) استعارة تبعيّة إمّا من أُشرب الثوب الصبغ أو من أُشرب الماء، والجامع السراية في كل جزء. وقوله: الصبغ، في المصباح: الصبغ ـ بكسر الصاد ـ والصبغة والصباغ أيضًا كلّه بمعنًى، وهو ما يُصْبَغ به. اهـ.

(وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾، بيان لمكان الإشراب) والمضاف وهو الحب محذوف. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ (بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه. ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾) بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجل، (وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان لهم).

قوله: (وقوله[1]: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ بيان لمكان الإشراب) جواب عمّا يقال: يكفي أن يقال: وأُشربوا العجل، أي حبّه، وعلى تقدير أن يذكر، فما الحاجة إلى كلمة في، ونظيره من بعض الوجوه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النّساء: الآية ١٠]؛ إذ يكفي فيه أن يقال: يأكلون نارًا، إلا أن الأكل لمّا لم يكن في جميع الأجزاء ذكر قوله: ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ [النّساء: الآية ١٠] بيانًا للمكان وإيذانًا بأنّ المقام يقتضي مزيد التقرير وإن لم يصح أن يقال: تأكل بطونهم نارًا بدون كلمة في، كما يصح أن يقال: أُشرب قلوبهم العجل، أي حبّه، وعدَل عنه بإسناد الإشراب إلى أنفسهم للمبالغة كأنهم أُشربوا بجملتهم العجل نفسه. رُوِيَ أنّ موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لمّا رجع إلى قومه حرق العجل الذي عبدوه، أي برده بالمبرد وقد رماه في اليمّ، أي نسفه في البحر، فجعلوا يشربون منه بحبّهم العجل، وقيل: لمّا حرقه ونسفه في اليمّ جعلوا يشربون الماء حتى اصفرَّت وجوههم، وقيل: إنهم لما رأوا التوراة وما فيها من الشدائد، قالوا عند ذلك: عبادة العجل علينا أهْوَن مما فيها من الشرائع، فلذلك كلّه آثار حبّ العجل. **قوله**: (بسبب كفرهم) السابق على ذلك الإشراب. **قوله**: (واعتقادهم التشبيه) أي اعتقادهم أنه تعالى كالأجسام، فإنّهم لمّا رأوه أعجب الأجسام وأحسنها زعموا أنه ألْيَق بكونه إلـٰهًا تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. **قوله**: (وإضافة الأمر إلى إيمانهم) يعني أنّ الإسناد إليه (تهكّم، وكذا إضافة الإيمان لهم). أمّا الثاني فظاهر، كما في قولهم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٧] تحقيرًا واسترذالًا ودلالةً على أن مثل هذا لا يليق أن يُسمّى إيمانًا إلا بالإضافة إليكم، وليس المراد

(١) دفع لما يتوهم على تقدير المضاف أنه لا حاجة إلى ذكر القلوب؛ إذ الحب لا يكون إلّا فيها بأنه لما أسند إلى الجميع أشير إلى بيان محلّه، وذكر المحل المتعيّن يفيد مبالغة في الإثبات، لا أن القلوب هي المشربة، كما أن البطون ليست هي الآكلة، كذا في الشبهات، والله أعلم بالصواب. ١٢ منه عم فيضه.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **(تشكيك في إيمانهم)** وقدح في صحة دعواه **(له)**.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُلْ إِن﴾ (﴿كَانَتْ﴾) ﴿لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي الجنة. (﴿عِندَ اللَّهِ﴾ **ظرف**)، و«لكم» خبر «كان» (﴿خَالِصَةً﴾ **حال من** ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾) أي سالمة

أنه استعارة تهكّمية، فليتأمّل. وأمّا الأوّل، فلأنّ الإيمان إنما يأمر ويدعو إلى عبادة مَنْ هو غاية في العِلم والحكمة؛ فالإخبار بأنّ إيمانهم يأمر بعبادة ما هو غاية في البلادة غاية التهكّم والاستهزاء، سواء جعل يأمر به بمعنى يدعو إليه أو لا، وسواء قصد الإسناد إلى السبب الباعث مجازًا كما قد يتوهّم أو لا، كما هو الحقّ؛ كذا أفاده العلامة التفتازاني رحمه الله. وقال العلامة شيخ زاده: وأُضيف الإيمان إليهم في قوله تعالى: (﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾)، مع أنهم بمعزل عن الإيمان، وليسوا من الإيمان بها في شيء تهكّمًا بهم واستهزاءً، فإنّ تسمية دعواهم الإيمان إيمانًا وتسليم تلك الدعوى منهم تهكّم بهم، والظاهر أنّ قوله: ﴿يَأْمُرُكُم بِهِ﴾ المراد معناه المجازي، والمعنى: بِئْس ما يدعوكم إليه إيمانكم ويقتضيه، وفيه تشبيه لاستدعاء الشيء واقتضائه بالأمر به، وإطلاق اسم المشبّه به على المشبّه، وليس المراد حقيقة الأمر لأنها لا تتصوّر إلّا من العُقلاء، والإيمان والكفر من قبيل الإعراض. **قوله: (تشكيك في إيمانهم)** لاستحالة الشكّ على المتكلِّم على ما هو أصل ﴿إِن﴾، والأَوْلى أن تُحْمل على الفرض والتقدير كما ذكر في مواضع؛ إذ لم يعهد استعمال إن تشكيك السامعين؛ كذا أفاده العلامة التفتازاني. **قوله: (له)** أي للإيمان.

قوله: (﴿عِندَ اللَّهِ﴾[1] ظرف) متعلّق بـ (﴿كَانَتْ﴾). **قوله: (﴿خَالِصَةً﴾ حال من ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾)**، فإنّها اسم كان وخبره لكم قدّم عليه للاهتمام أو لإفادة الحصر، واختصار المصنف رحمه الله مذهب مَنْ يجوّز انتصاب الحال من اسم كان وهو الأصحّ، ومَنْ لم يُجز الحال مِن اسم كان بناءً على أنه ليس بفاعل جعل

---

(١) أي في القيامة. ١٢ منه عم فيضه.

(﴿لَكُمُ﴾) ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صحّ قولكم لن يدخل الجنة إلا مَن كان (هودًا ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ هو للجنس). ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون لأن مَن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها تخلصًا من الدار (ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة) أن كل واحد منهم كان يحب الموت (**ويحنّ إليه**. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾) هو نصب على الظرف أي لن يتمنوه (**ما عاشوا**) ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (**بما أسلفوا من الكفر بمحمد** ﷺ **وتحريف كتاب الله**) وغير ذلك (**وهو**) من المعجزات لأنه إخبار بالغيب (**وكان**) كما أخبر به

﴿خَالِصَةً﴾ حالًا من الضمير المستكنّ في (﴿لَكُمُ﴾)، وجعل عاملها الاستقرار والكلام فيه مبسوط في شروح الكشاف. **قوله**: (هودًا) جمع هائد كعائد وعود. **قوله**: (﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ **هو للجنس**) أي سائرهم، أي باقيهم ممّن عداهم، فأُطلق الجنس وأُريد بعضهم. **قوله**: (**ذات الشوائب**) أي ذات الأقذار والأدناس جمع شائبة، كذا في الصحاح.

قوله: (**كما نقل عن العشرة المبشّرين بالجنّة**)، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجرّاح. أخرج الترمذي عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزبير في الجنّة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّة، وسعد بن أبي وقاص في الجنّة، وسعيد بن زيد في الجنّة، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة».اهـ. رواه ابن ماجة وأحمد والضياء والدارقطني عن سعيد بن زيد. **قوله**: (**ويحنّ**) أي يشتاق (إليه) في المصباح: حنّت المرأة حنينًا اشتاقت إلى ولدها.اهـ. وفي الصّحاح: الحنين الشوق وتَوَقان النّفس، تقول منه: حنّ إليه يحنّ حنينًا، فهو حانّ.اهـ.

قوله: (ما عاشوا) أي مدَّة حياتهم. **قوله**: (بما أسلفوا من الكفر بمحمّد ﷺ)، فإنّهم كفروا به بعد عرفانهم أنّه حقٌّ، والتعبير عن الأنفس بالأيدي لأنها محلّ ظهور القدرة، وهي آلة عامّة صنائعه. **قوله**: (وتحريف كتاب الله) عطف على الكفر. **قوله**: (وهو) أي قوله: (﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾). **قوله**: (وكان) تامّة أي وقع.

كقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: الآية ٢٤]، (ولو تمنوه) لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (تهديد لهم).

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

(﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ مفعولا وجد ـ «هم» ـ و«أحرص») ـ (﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ التنكير) يدل على أن المراد حياة مخصوصة وعلى الحياة المتطاولة (ولذا كانت) القراءة (بها أوقع من قراءة «أبي» على الحياة).

قوله: (ولو تمنوه)... الخ. جواب سؤال، وهو من أين علمت أنهم لن يتمنّوه، وعن النبيّ ﷺ: «لو تمنّوا الموت لغصّ كل إنسان بريقه فمات مكانه» (أي لامتلأ بريقه فمات من ساعته)، وما بَقِيَ على وجه الأرض يهودي (أي في عصر النبيّ عليه السلام)، لكن هذا لو تمنّوا كلّهم أو بعضهم(١)، وقوله: «لغصّ بريقه» كنايةً عن الموت؛ لأن الغصّة وقوف الطعام والشراب في الحلق بحيث لا يجري، وعند الموت لا يجري للإنسان ريق، فجعل عبارة عنه. قوله: (تهديد لهم) من حيث إنه في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٢]، وبيان كون علمه محيطًا بوجوه عصيانهم أنّه عبارة عن مُجازاتهم عليها، ووضع الظاهر موضع المضمر حيث لم يقل: والله عليم بهم للتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى أنّ الجنّة سالمة خاصّة بهم ليس لأحدٍ سواهم فيها حقّ، فإنّ الظلم وَضع الشيء في غير موضعه، فقد ادّعوا لأنفسهم ما ليس لهم ونفوه عمّن هو لهم، وهم المؤمنون.

قوله: (مفعولا وجد هم وأحرص) الناس هم في (﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾) حكاية للضمير المتّصل المنصوب بالضمير المرفوع المنفصل. قوله: (التنكير)... الخ. أي تنكير (﴿حَيَوٰةٍ﴾) للنوعية؛ لأنه أُريد فرد نوعي من أفرادها، وهي الحياة المتطاولة، كما نطق به قوله: (﴿يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾)، وقوله: حياة مخصوصة، أي نوعًا من الحياة غير معيَّن. قوله: (ولذا كانت) القراءة (بها) أي بحياة (أوقع) في البلاغة (من قراءة أُبيّ على الحياة)؛ لأن اللام فيها للجنس والحرص على جنس

---

(١) لو تمنى بعضهم لهلك كلّهم بشؤم تمني بعضهم. ١٢ منه.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ **هو محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس، نعم)** قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة، **(أو أريد وأحرص من الذين أشركوا)** فحذف لدلالة أحرص الناس عليه، وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقًا بأعظم التوبيخ، وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك. وقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بيان لزيادة حرصهم على

الحياة ومطلقها قل ما يسلم منه المؤمن، هكذا قالوا. **قوله**: **(هو محمول على المعنى)** لا على اللفظ؛ لأن أفعل التفضيل استعمل هنا بالإضافة لا بلفظة مَنْ، فعطف (﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾) بمن على الناس محمول على المعنى، ومن هذا قال **(لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس)**؛ لأن معنى إضافة أفعل التفضيل كمعنى استعماله بمن، والمراد بالناس ما عدا اليهود.

قوله: **(نعم)**... الخ، جواب عمّا يقال: لم أفرد المشركون بالذكر مع أنه قد عَلِم كون اليهود أحرص الناس على الحياة من المشركين أيضًا بقوله: (﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾) من حيث إن ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ داخل تحت الناس. وتقرير الجواب أنّهم مع دخولهم تحت الناس أُفردوا بالذّكر للمبالغة في بيان شدّة حرصهم كأنهم لتوغّلهم في الحرص على الحياة جنسٌ خارج من الناس، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على خصوصية فيه استحقّ بها لأن يخرج من عِداد العامّ؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨]. **قوله**: **(أو أُريد: وأحرص من الذين أُشركوا)**... الخ. والفرق بين الوجهين أنّ المعطوف في الوجه الثاني هو أحرص المحذوف، والمعطوف عليه أحرص المذكور، وفي الوجه الأوّل المعطوف هو الجار والمجرور المذكور والمعطوف عليه هو الجار والمجرور المدلول عليه بالإضافة، والثاني أبلغ في بيان زيادة الحرص لزيادة تكرير أحرص.

طريق الاستئناف. وقيل: أراد بالذين أشركوا (**المجوس**) لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف (**نيروز**). وعن (**ابن عباس**) ﷺ يقول: هو قول (**الأعاجم زي هزارسال**). وقيل: (**«ومن الذين أشركوا» كلام مبتدأ**) أي ومنهم ناسٌ (**يود أحدهم**) على حذف الموصوف، والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله. (**والضمير في** ﴿وَمَا هُوَ﴾) بِمُزَحْزِحِهِۦ (﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾) لأحدهم. وقوله: (﴿أَن يُعَمَّرَ﴾) فاعل «بمزحزحه» أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره، ويجوز أن يكون «هو» مبهمًا و«أن يعمر» موضحه. والزحزحة

قوله: (**المجوس**) الذين يعبدون النار أي أتش پرست. **قوله**: (**نيروز**) أصله نوروز عرّب، وقد تكلّم به عمر رضي الله تعالى عنه فقال: كل يوم لنا نوروز، حين كان الكفّار يبتهجون به. اهـ فتح القدير للعلامة ابن الهمام رحمه الله. ونَيروز المجوس يومٌ تحلّ فيه الشمس في الحوت. اهـ الدر المختار في كتاب البيوع.

قوله: (**ابن عباس**) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما. **قوله**: (**الأعاجم**) جمع عجم، وهو الذي غير العرب، والمراد هٰهنا أهل فارس، يقال لهم فارسى زبان. **قوله**: (**زِيْ هزارسال**) أي عِشْ ألف سنة.

قوله: (**وقيل**: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ **كلام مبتدأ**)... الخ. أي ويجوز أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ كلامًا مستأنفًا غير معطوف على ما قبله بأن يكون خبر مبتدأ محذوف، ويكون قوله: (﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾) صفة لذلك المحذوف، فلمّا حذف المبتدأ أُقيمت صفته مقامه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ [الصَّافات: الآية ١٦٤]، أي وما أحدٌ منا. وتقدير الآية: ومن اليهود ناسٌ يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة، عبّر عن اليهود بالذين أشركوا بناءً على قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية ٣٠]، والكلام رابط لما قبله، ويكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر تقريعًا لهم بشنعة الشِّرك أيضًا، ويكون هذا الكلام مبتدأ مسوقًا لبيان شدَّة حرصهم على الحياة. **قوله**: (﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾) ﴿مِنْ﴾ بمعنى عن. **قوله**: (**والضمير في** ﴿وَمَا هُوَ﴾)... الخ. يعني ضمير ﴿هو﴾ راجع لأحدهم وبمزحزحه خبره في محل نصب إن كانت ما حجازية، وفي محل رفع إن كانت تميمية، والباء زائدة في الخبر، و(﴿أَن يُعَمَّرَ﴾) فاعل اسم الفاعل.

التبعيد والإنحاء. قال في جامع العلوم وغيره: «لو يعمر» بمعنى «أن يعمر»، فـ«لو» هنا نائبة عن «أن» و«أن» مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول «يود» أي يود أحدهم تعمير ألف سنة. (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾) أي بعمل هؤلاء الكفار (فيجازيهم) عليه. (وبالتاء): يعقوب.

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ﴾ (بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز: مكي. وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعًا: كوفيّ غير حفص. وبكسر الراء والجيم بلا همز: غيرهم). ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لأن «جبر» هو العبد (بالسريانية) و«إيل» اسم الله.

قوله: (فيجازيهم) يعني أن قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ وارد على طريق الوعيد. قال الإمام الرازي رحمه الله: واعلم أنّ البصر قد يُراد به العلم، يقال: إن لفلان بصرًا بهذا الأمر، أي معرفة. وقد يُراد به أنه على صفة لو وُجدت المبصرات لأبصرها، وكلا الوصفَيْن يصحّان عليه تعالى، إلى أن قال: وحيث كان في الأعمال ما لا يصح أن يُرى حُمِل هذا البصر على العلم لا محالة، والله أعلم. **قوله**: (وبالتاء) على الالتفات يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة. والباقون بالغيب.

قوله: (بفتح الجيم وكسر الراء) وياء ساكنة (بلا همز، مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعًا) أي همزة مكسورة وياء ساكنة، (كوفي غير حفص) أي حمزة الكسائي، وكذا خلف واختلف عن أبي بكر، فالعليمي عنه كحمزة ومَنْ معه ويحيىٰ بن آدم عنه كذلك إلّا أنه حذف الياء بعد الهمزة، (وبكسر الراء والجيم) وإثبات الياء (بلا همز غيرهم) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وأبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، وابن عامر وحفص رحمه الله. قوله: (بالسريانية) أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس: أن آدم عليه السلام كان لغته في الجنّة العربية، فلما عصى سلبه الله العربية، فتكلّم بالسريانيّة، فلمّا تاب ردَّ الله عليه العربية. قال عبد الملك بن حبيب: كان اللّسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنّة عربيًّا إلى أن بَعُد العهد وطال

رُوِيَ أن **(ابن صوريا من أحبار اليهود)** حاجَّ النبيّ ﷺ وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال: جبريل. فقال: ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارًا، وأشدها أنه أنزل على نبيّنا أن بيت المقدس سيخربه **(بختنصر)** فبعثنا مَن يقتله فلقيه ببابل **(غلامًا مسكينًا)** فدفع عنه جبريل وقال: إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه، وإن لم يكن إياه **(فعلى أي ذنب)** تقتلونه. (﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُۥ﴾) فإن جبريل نزل القرآن، ونحو هذا الإضمار - أعني إضمار ما لم يسبق ذكره - فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدلّ على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح **(بذكر شيء من صفاته)**. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي حفظه إياك. وخصّ القلب لأنه محل الحفظ

حُرِّف وصار سريانيًا، وهو منسوب إلى أرض سورنه، وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق. قال: وكان يشاكل اللّسان العربي إلّا أنه محرّف، وهو كان لسان جميع مَنْ في سفينة نوح إلّا رجلًا واحدًا يقال له جرهم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل، فلما خرجوا من السفينة تزوّج إرم بن سام بعض بناته، فمنهم صار اللّسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعبيل وجاثر أبي ثمود وجديس، وسُمِّيت عاد باسم جُرْهم لأنه كان جدّهم من الأُمّ، وبقي اللّسان السرياني في ولد أرفحشد بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن فنزل هناك بنو إسماعيل، فتعلم منهم بنو قحطان اللّسان العربي. اهـ المزهر في اللغة.

قوله: (ابن صوريا) أي عبد الله بن صوريا كبوريا **(من أحبار اليهود)** قيل: إنه أسلم ثم كفر والعياذ بالله تعالى. **قوله**: **(بخت نصّر)** بضمّ الباء وتسكين الخاء والمثناة الفوقية المفتوحة للتركيب المزجي، وأصله بوخت بمعنى ابن فخفّف بحذف الواو فصار بخت ونصر كبقّم مشدّدًا اسم صنم وُجِدَ عنده فنُسِب إليه، وهو الذي خرّب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل. **قوله**: **(غلامًا مسكينًا)** حال من ضمير لقيه. **قوله**: **(فعلى أي ذنب)**... الخ. فصدّقه الرجل المبعوث ورجع إلينا وكبر بخت نصّر وقَوِيَ علينا وخرّب بيت المقدس. **قوله**: **(بذكر شيء من صفاته)** وهو التنزيل في قوله تعالى: (﴿نَزَّلَهُۥ﴾)، ونظيره في إضمار ما كان كالمعلوم لفرط شهرته، قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: الآية ٤٥]، فإنه أضمر الأرض من غير سبق ذكرها لذلك.

كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٩٤]، وكان حق الكلام أن يُقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلّم به، وإنما استقام أن يقع «فإنه نزله» جزاء للشرط لأن تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابًا مصدقًا للكتب بين يديه، فلو أنصفوا لأحبّوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزّل عليهم. وقيل: جواب الشرط محذوف تقديره مَن كان عدوًّا لجبريل فليمت غيظًا فإنه نزل الوحي على قلبك ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ردّ على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل: فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضًا.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

(﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ **بصري وحفص. و«ميكائل»** باختلاف الهمزة كـ («ميكاءل»: **مدني. و«ميكائيل» بالمدّ وكسر الهمزة مشبعة: غيرهم**). وخصّ الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لهم فجاء بالظاهر ليدلّ على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومَن عاداهم عاداه الله ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ المتمردون من الكفرة واللام (**للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب**).

قوله: (﴿وَمِيكَىٰلَ﴾) بحذف الهمزة والياء بعدها كمثقال (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري. (**وحفص**) عن عاصم (﴿**وميكائل**﴾ **باختلاس الهمزة**) أي بهمزة مكسورة من غير ياء (**كميكاءل مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (﴿**وميكائيل**﴾ **بالمدّ وكسر الهمزة مشبعة**) أي بياء بعد الهمزة (**غيرهم**) أي ابن كثير المكّي وابن عامر الشامي وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي، وكذا خلف رحمه الله. **قوله**: (**للجنس**) أي لجنس الكَفَرة. **قوله**: (**والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب**)؛ لأن الآية نزلت فيهم، وطرفيها كلام في شأنهم، والوصف بالتمرّد أليَق بحالهم.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما قال ابن صوريا رسول الله ﷺ: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت ـ الواو في (﴿أَوَكُلَّمَا﴾) الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البيّنات. وكلما ﴿عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ﴾ نقضه ورفضه وقال: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ لأن منهم مَن لم ينقض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبًا ولا يبالون به.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله ﷺ المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها، أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم وإعراضهم عنه (مثل) بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلّة التفات إليه ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه كتاب الله.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ

قوله: (ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (﴿أَوَكُلَّمَا﴾) على الظرفية والعامل فيه دلّ عليه نبذه.

قوله: (مُثّل) بالتشديد على صيغة المجهول بخلاف الأوّل، فإنه بالحركات مع التنوين.

عَـلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى الْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَٰطِينُ﴾ أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر **(والشعوذة)** التي كانت تقرؤها ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ **(أي على عهد ملكه)** في زمانه، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب **(يلفقونها)** ويلقونها إلى الكهنة وقد دوّنوها في كتاب يقرؤونها ويعلّمونها الناس، **(وفشا)** ذلك في زمن سليمان عليه السلام **(حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب)** وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تكذيب للشياطين ودفع **(لما بهتت به)**

قوله: (﴿تَتْلُوا﴾) حكاية حال ماضية بأن يقدر الفعل الماضي المستغرب واقعًا في الحال لتعجّب المخاطب منه، وإلّا فالمقام يقتضي أن يقال: ما تلت الشياطين. **قوله**: **(الشَّعْوَذة)** خِفّة اليد وأخْذٌ كالسحر يُرَى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. اهـ قاموس.

قوله: **(أي على عهد ملكه)** وفي زمانه. قال النِّحرير التفتازاني نوّر الله مرقده، يعني أن الكلام على حذف المضاف، وأنّ كلمة (﴿عَلَىٰ﴾) ليست صلة للتلاوة، بل هي من قولهم: كان هذا على عهد فلان، أي في وقته وزمانه، انتهى كلامه. يريد أنّ كلمة ﴿على﴾ في الآية بمعنى في، بناءً على أنّ الملك ليس مما يصح أن يُقرأ عليه شيءٌ، وكذا العهد المقدّر لا يقرأ عليه، كما يقرأ على الأستاذ؛ فلذلك جعل على بمعنى في الداخلة على الزَّمان، كما تكون بمعنى في الداخلة على المكان في قولهم: قرأت على المنبر، فيكون المعنى: فاتّبعوا ما تتلوا الشياطين على الناس في عهد ملك سليمان وفي زمانه.

قوله: **(يُلَفِّقونها)** أي يزخرفونها. **قوله**: **(وفشا)** أي اشتهر. **قوله**: **(حتى قالوا: إن الجنَّ تعلم الغيب)** بناءً على أن ما استرقوه من الملأ الأعلى وألْقوه إلى الكَهَنة غيبٌ في حقِّ البشر من حيث إنه لا يدرك بالحسّ ولا يقتضيه بديهة العقل ولم ينصب دليل يدلّ عليه، فيكون غيبًا بالنسبة إلى البشر، وإنْ كان من قبيل المسموع في حقِّ الجنّ. **قوله**: **(لما بهتت به)** في المصباح: بهتها بهتًا من باب

سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُواْ﴾ باستعمال السحر وتدوينه. (و﴿وَلَٰكِن﴾ بالتخفيف ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ بالرفع: شامي وحمزة وعليّ).

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ الجمهور على أن «ما» بمعنى «الذي» هو نصب عطف على «السحر» أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على «ما تتلو» أي واتبعوا ما أنزل على الملكين ﴿(بِبَابِلَ) هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ علمان لهما وهما عطف بيان للملكين، والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرًا إن كان فيه رد ما لزم في شرط الإيمان، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه لئلا يغترّ به كان مؤمنًا، قال (الشيخ أبو منصور الماتريدي) رحمه الله: (القول بأن السحر) على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته، فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا. ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث، وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع

نفع قذفها بالباطل وافترى عليها الكذب، والاسم البهتان. **قوله**: (﴿وَلَٰكِن﴾ [البقرة: الآية ١٢] **بالتخفيف**) أي بتخفيف النّون وكسرها وصلًا، (﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ **بالرفع**) على الابتداء (**شامي**) أي ابن عامر الشاميّ (**وحمزة وعليّ**) الكسائي، وكذا خلف. والباقون بالتشديد ونصب ما بعدها بها. **قوله**: (﴿بِبَابِلَ﴾) الباء في ببابل بمعنى في. **قوله**: (**الشيخ أبو منصور**) هو محمد بن محمود أبو منصور (**الماتريدي**) إمام المتكلّمين ومصحّح عقائد المسلمين، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، والماتريدي نسبةً إلى ماتريد محلَّة بسمرقند رحمه الله تعالى. **قوله**: (**القول بأن السحر**). . . الخ.

فائــدة:

واعلم أنه مَنْ قتل إنسانًا لا يحلّ قتله أو أضرّه بسلب نعمه البدنية أو المالية أو غير ذلك بالسيف والدعاء، وإن كان ذلك بأسماء الله تعالى الجلالية، وإن لم يكن ذلك كفرًا فهو فاسق البتّة، وحكمه حكم قطاع الطريق. قال الله تعالى:

الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث، وتقبل توبته إذا تاب. ومَن قال لا تقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم. وقيل: أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل. **(قيل: إنهما ملكان اختارتهما الملائكة)**

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «المسلم مَنْ سَلِم المسلمون مِنْ لسانه ويده» متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. اهـ تفسير المظهري.

قوله: (قيل: إنهما ملكان اختارتهما الملائكة)... الخ. في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر للعلامة ابن حجر المكّي رحمة الله عليه: اعلم أنّ المفسّرين ذكروا لهذين الملكين قصّة عظيمة طويلة، حاصلها أن الملائكة لما اعترضوا بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، ومدحوا أنفسهم بقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] أراهم الله تعالى ما يدفع دعواهم، فركّب في هاروت وماروت منهم شهوة وأنزلهما حاكمَيْن في الأرض، فافتتنا بالزهرة مثلت لهما من أجمل النساء، فلما وقعا بها خيّرا بين عذابي الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذّبان إلى يوم القيامة، ونازع جماعة في أصل ثبوت هذه القصة، وليس كما زعموا لورود الحديث، بل صحته بها، وسيأتي لفظه في مبحث الخمر، ومن جملة أنها لما مثلت لهما وراوداها عن نفسها أمرتهما بالشِّرْك فامتنعا، ثم بالقتل فامتنعا، ثم بشرب الخمر فشرباها، ثم وقعا بها وقتلا ثم أخبرتهما بما فعلاه، فخُيِّرا ـ كما ذكر ـ ومن النازعين الفخر قال: هذه القصة رواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدلّ عليها، بل فيه ما يُبطلها من وجوه:

الأول: عصمة الملائكة من كل ذنب، ويجاب بأنّ محل العصمة ما داموا بوصف الملائكة. أمّا إذا انتقلوا إلى وصف الإنسان، فلا. على أنه يُعلم من الحديث المذكور أنّ ما وقع لهما إنما هو مِنْ باب التمثيل لا الحقيقة؛ لأن الزهرة تمثّلت لهما امرأة وفعلت بهما ما مرّ دفعًا لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، كما يأتي ذكر ذلك في الحديث المذكور.

لتركب فيهما الشهوة حين عيّرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض

الثاني: زعم أنهما خيّرا بين العذابين فاسد، بل كان الأَوْلى أن يخيّرا بين التوبة والعذاب؛ لأن الله خيّر بينهما مَنْ أشرك طول عمره، فهذان أولى. ويجاب بأنّ ذلك إنما فُعِل تغليظًا في العقوبة عليهما، ولا يقاسان بمن أشرك؛ لأن الأمور التوقيفية لا مجال للرأي فيها.

الثالث: من أعجب الأُمور أنّهما يعلمان السحر في حال كونهما يعذّبان ويدعوان إليه، وهما يعاقبان. ويجاب بأنه لا عجب في ذلك؛ إذ لا مانع أنّ العذاب يفتر عنهما في ساعات، فيعلمان فيها، لأنهما أُنزلا فتنةً عليهما لما دفع لهما مما ذكر وعلى الناس لتعلّمهم منهما السِّحر.

قال بعضهم: والحكمة في إنزالهما أُمور:

أحدها: أنّ السَّحرة كَثُرت في ذلك الزَّمن واستنبطت أنواعًا عجيبة غريبة في النبوّة، وكانوا يدَّعونها ويتحدَّوْن الناسَ بها؛ فأنزل الله الملكين ليعلِّما الناس السِّحر حتى يتمكّنوا من معارضة أُولئك السَّحرة المدَّعين للنبوّة كذبًا، وهذا غرضٌ ظاهر.

ثانيها: أن العلم بأن المعجز مخالف للسحر يتوقّف على علم ماهيّتهما، والناس كانوا جاهلين ماهية السحر، فتعذّرت عليهم معرفة حقيقة المعجز، فبعث الله هذين المَلكين لتعريف ماهية السِّحر لأجل هذا الغرض.

ثالثها: لا يمتنع أنّ السِّحر الذي يُوقِع الفرقة بين أعداء الله والإلفة بين أولياء الله كان مباحًا عندهم أو مندوبًا، فبعثهما الله لتعليمه لهذا الغرض، فتعلّم القوم ذلك منهما، واستعملوه في الشرّ وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والإلفة بين أعداء الله.

رابعها: تحصيل العلم بكل شيء حسن، ولمّا كان السِّحر منهيًّا عنه وجب أن يكون معلومًا متصوّرًا، وإلّا لم يُنْهَ عنه.

خامسها: لعلّ الجنّ كان عندهم أنواع من السِّحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها، فبعثهما الله تعالى ليعلِّما البشر أُمورًا يقدرون بها على معارضة الجنّ.

(ويصعدان) بالليل، **(فهويا زهرة فحملتهما)** على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فهما يعذبان منكوسين **(في جب)**

سادسها: أن يكون ذلك تشديدًا في التكاليف من حيث إنه إذا عَلِم ما يمكنه أن يتوصّل به إلى اللذّات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك في نهاية المشقّة يستوجب به الثواب الزّائد؛ فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السِّحر. اهـ.

وقوله: (وسيأتي في لفظه في مبحث الخمر) لفظه هكذا أخرج أحمد وابن حبان في صحيحه، وقيل: الصحيح وقفه على كعب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن آدم لما هبط إلى الأرض قالت الملائكة: أي ربّي أتجعل فيها مَنْ يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك؟ قال: إنّي أعلم ما لا تعلمون، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله تعالى لملائكته: هلمّوا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان، قالوا: ربنا هاروت وماروت، قال: فاهبطا إلى الأرض، فتمثّلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءاها فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تتكلّما بهذه الكلمة من الإشراك، قالا: والله لا نُشرك بالله أبدًا، فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعها صبي تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبيّ، فقالا: والله لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذه الخمرة، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلمّا أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما من شيءٍ أبَيْتماه عليّ إلّا فعلتماه حين سكرتما، فخيّرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا». اهـ. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قال خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر: أخرجه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وأن له طرقًا كثيرة جمعتها في جزءٍ مفرد يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها لكثرتها وقوّة مخارجها، وقال بعضهم: بلغت طرقه نيّفًا وعشرين. اهـ.

قوله: **(يصعدان)** أي يرتفعان. **قوله**: **(فهَوِيَا)** من باب تعب، أي مالا وعَشقا. **قوله**: **(زهرة)** بضم الزاي وفتح الهاء وهو نجم معروف أبيض مضيء في السماء الثالثة. **قوله**: **(فحملتهما)** أي بعثتهما. **قوله**: **(في جبّ)** في المصباح:

ببابل **(وسميت ببابل لتبليل الألسن بها.** ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾) وما يعلم الملكان أحدًا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ **(حتى ينبهاه وينصحاه)** ويقولا له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ **(ابتلاء)** واختبار من الله. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرًا ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ الفاء عطف على قوله: «يعلمون الناس السحر» أي يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دلّ عليهما قوله: «كفروا» ـ و ـ «يعلمون الناس السحر» أو على مضمر والتقدير: **(فيأتون)** فيتعلمون. والضمير لما دلّ عليه «من أحد» أي

الجبّ بئر لم تُطو، وهو مذكر وقال الفراء: يُذكَّر ويؤنّث. اهـ. **قوله**: (﴿بِبَابِلَ﴾) الباء بمعنى في. **قوله**: **(وسمَيت ببابل لتبلبل الألسن بها)** لأن الله تعالى أمر ريحًا فحشرتهم بهذه الأرض، فلم يَدْرِ أحدهم ما يقول الآخر ثم فرّقتهم الرّيح في البلاد يتكلّم كلّ واحد بلغة، والبَلْبلة التفرقة، وقيل: لما أرست سفينة نوح بالجودي نزل فبنى قرية وسمّاها ثمانين باسم أصحاب السفينة، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، وقيل: لتبلبل ألسنة الخلق عند سقوط صرح نمروذ، وهي ببابل العراق، وقال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة. **قوله**: (﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾) صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، قنوي رحمه الله. **قوله**: (﴿مِنْ أَحَدٍ﴾) من مزيدة للمفعول به وهمزته أصلية غير مبدلة من الواو، ولا يقع في الإيجاب أصلًا، كما في التلويح، أو بدون كل كما في المطول، ومعناه ما يصلح لأن يخاطب مذكرًا أو مؤنّثًا مفردًا أو غيره؛ فلوقوعه في سياق النفي يفيد الاستغراق، فزيادة من لتأكيد ذلك الاستغزاق. اهـ قنوي.

قوله: **(حتى ينبَهاه وينصحاه)** قبل التعليم، ويقولا له هذا القول منهما هو النصح له لا شيء مغايرٌ له كما يُوهمه العطف، بل عطف تفسير له، فعدم تعليمهما إيّاه للنصح، فإذا تحقّق النصح المذكور يوجد التعليم منهما، فمفهوم الغاية مُعتبر اتّفاقًا، لكن عندنا بطريق إشارة النص، وعند الشافعي رحمه الله بطريق مفهوم المخالفة صرّح به في النحرير في التلويح في بحث التعارض والترجيح، والمعنى: فيتعلمانه بعد النصح والإيقاظ، فيتعلمون منهما الآية. اهـ قنوي. **قوله**: **(ابتلاءً)** أشار إلى أن الفتنة الامتحان والاختبار ولكونها في الأصل مصدرًا جُعِلت مفردة مع أن المحكوم عليه مثنّى، وحمله عليهما مواطأةً للمبالغة، كرجل عدل. اهـ قنوي. **قوله**: **(فيأتون)** كذا في بعض النسخ، والصحيح: فيأبون، كما في أكثر النسخ، أي

فيتعلم الناس من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي علم السحر الذي يكون سببًا في التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عند (النشوز) والخلاف ابتلاء منه. **(وللسحر حقيقة عند أهل السنّة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه)**.

يمنعون عن قبول النصيحة. **قوله**: **(النشوز)** الامتناع عن طاعة الزَّوج. **قوله**: **(وللسحر حقيقة عند أهل السنّة كثرهم الله تعالى)** أي أنه أمر ممكن متحقّق حتى جوّزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارًا أو الحمار إنسانًا بأن يخلق الله تعالى هذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معيّنة. **(وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه)** أي تلبيس في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر. اختلف العلماء في أن السِّحر له حقيقة أم لا؟ فقال بعض العلماء: إنه تخييل لا حقيقة له؛ لقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: الآية ٦٦]. وقال الأكثرون: وهو الأصح الذي دلّت عليه **السنّة** له حقيقة؛ لأن اللّعين لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر سَحَر رسول الله ﷺ، وأمر ﷺ بإخراج سحره من بئر ذي أروان بدلالة الوحي له على ذلك، فأُخرج منها، فكان ذا عقد فحُلَّت عُقده، فكان كلّما حُلَّت منه عقدة خفّ عنه ﷺ إلى أن فرغت، فصار ﷺ كأنما نشط من عقال.

وذهب ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إلى خيبر ليخرص ثمرها فسَحره اليهود، فانكتفت يده، فأجلاهم عمر.

وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت: يا أُمّ المؤمنين، ما على المرأة إذا عقلت بعيرها؟ فقالت عائشة، ولم تفهم مرادها: ليس عليها شيء، فقالت: إني عقلت زوجي عن النساء، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أخرجوا عني هذه الساحرة.

والجواب عن الآية أنّا لا نمنع أنّ من السِّحر ما هو تخييل، بل منه ذلك وما له حقيقة، وإنما أثر السِّحر في رسول الله ﷺ مع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] إمّا لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد عما يرد عليه الحوادث الدنيوية، ومن ثم سُحِر وشُجَّ وجهه وكُسِرت رباعيّته ورُمِيَ عليه الكرش والثرب وأذاه جماعة من قريش، وإمّا لأن المراد عصمة النفس عن الافتلات دون العوارض التي تعرض للبدن مع سلامة

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بعلمه ومشيئته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ في الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم (**الفلسفة**) التي تجر إلى (**الغواية**). ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ (**أي استبدل**) ما تتلو الشياطين من كتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ من نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ باعوها (**وإنما نفى العلم عنهم بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾**) مع إثباته لهم بقوله: «ولقد علموا» (**على سبيل التوكيد القسمي**) لأن معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون.

النفس، وهذا أوْلى بل هو الصواب؛ لأنه ﷺ كان يحرس، فلمّا نزلت الآية أمر بترك الحرس. اهـ.

تنبيـــه:

قال القرطبي رحمه الله: هل يسأل الساحر حلّ السحر عن المسحور؟ قال البخاري عن سعيد بن المسيّب رضي الله تعالى عنه: يجوز، وإليه مال المازري وكرهه الحسن البصري، وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة. قال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبّه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقّه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به، فإنه يذهب عنه كلّ ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيّد لأجل إذا حُبِس عن أهله. اهـ كتاب الزّواجر عن اقتراف الكبائر. وقال في نصاب الاحتساب: أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن (**المبتلى بذلك يأخذ حزمة**) قصبات ويطلب فأسًا ذا قفارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا حمي الفأس استخرجه من النار وبال على حدّه يبرأ بإذن الله تعالى. اهـ.

قوله: (**الفلسفة**) هي الحكمة. **قوله**: (**الغواية**) الضلالة. **قوله**: (**أي استبدل**) إشارة إلى أن اشترى استعارة. **قوله**: (**وإنما نفى العلم عنهم بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾**)، فإنّ كلمة لو لانتفاء الشيء لانتفاء غيره، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله يعني ما شروه. **قوله**: (**على سبيل التوكيد القسمي**)؛ لأن اللام وقد للتأكيد بمنزلة القسم، أو القسم مقدّر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

(﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ **برسول الله والقرآن**) ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟﴾ (﴿يَعْلَمُونَ﴾ **إن ثواب الله خير**) مما هم فيه وقد علموا، لكنه (**جهلهم لما تركوا العمل**) بالعلم والمعنى: لأثيبوا من عند الله ما هو خير، (**وأوثرت**) الجملة الاسمية على الفعلية في جواب «لو» لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها. (**ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم**).

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ **برسول الله والقرآن**) خصّ الرسول والقرآن بالذِّكر من بين ما يجب الإيمان به تنبيهًا على اتّصال هذه الآية بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: الآيتان ١٠١، ١٠٢]، ولما بيّن الله تعالى وعيد من كفر وعصى ممّن اتّبع كتب السحر وباع نفسه بما كسب به ببيان أن لا خلاق لهم في الآخرة ولبئس ما شروا به أنفسهم أتبعه بالوعيد في حقّ مَنْ آمن واتّقى، أي احترز عن فعل المنهيّات وترك المأمورات جمعًا بين الترهيب والترغيب؛ لأن الجمع بينهما أدعى إلى الطاعة والإعراض عن المعصية.

قوله: .(**إن ثواب الله خير**) إشارة إلى أن (يعلمون) غير منزل منزلة اللازم، بل مفعوله محذوف. **قوله**: (**جهلهم**) بالتشديد، أي نسب الجهل إليهم (**لما تركوا العمل**) أي لترك العمل. **قوله**: (**أوثرت**) أي اختيرت الجملة الاسمية، وهي قوله: لمثوبة، مع أن جواب لو إنما يكون فعلية ماضية حقيقةً أو تأويلًا، ولذا قال المصنّف رحمه الله: **والمعنى**... الخ.

قوله: (**ولم يقل لمثوبة الله خير؛ لأن المعنى لشيء من الثواب خيرٌ لهم**)، يعني أن التنوين للتقليل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: الآية ٧٢]؛ لأن المقام يقتضي الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي، فنكّر المثوبة ليكون المعنى لشيءٍ قليل من ثواب الله خير مما شروا به أنفسهم، والحال أن ثوابه لمن آمن واتّقى كثيرٌ دائم. والحاصل أن اسمية الجملة تدلّ على دوام

وقيل: «لو» بمعنى التمني (كأنه قيل: وليتهم آمنوا) ثم ابتدأ «لمثوبة من عند الله خير».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقي عليهم شيئًا من العلم: راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها (عبرانية أو سريانية) وهي «راعنا»، فلما سمعوا بقول المؤمنين «راعنا» (افترصوه) وخاطبوا به الرسول (وهم يعنون به تلك المسبة) فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو «انظرنا»

المثوبة وثباتها وتنكير المثوبة يدلّ على قلّتها، فكان المعنى أن قدرًا يسيرًا من ثواب الآخرة مع دوامه خيرٌ كثير من ثواب الدنيا مع زواله، فكيف وثواب الآخرة كثيرٌ دائم، وثواب الدنيا قليلٌ زائل؟

قوله: (كأنه قيل: وليتهم آمنوا)، ولمّا امتنع التمنّي على الله تعالى حقيقةً بالاتّفاق جعله المعتزلة مجازًا عن إرادة ما لا يقع بطريق إطلاق لفظ الملزوم وإرادة لازمه؛ لأن تمنّي الشيء ملزوم لإرادته، وتخلف مراد الله تعالى عن إرادته جائز عند المعتزلة. وأمّا عند أهل الحقّ، فلا يجوز ذلك، فلا يجوز حملها على التمني عندهم إلّا حكايةً من قبل من عرف بحالهم على معنى أنّهم بحال يتمنّى العارف بها إيمانهم واتّقاءهم تلهّفًا عليهم.

قوله: (عِبْرانية) وهو لغة اليهود. **قوله**: (أو سريانية) وهو منسوب إلى أرض سورنه، وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق، وكان يشاكل اللّسان العربي إلّا أنه محرّف، وهو كان لسان جميع مَنْ في سفينة نوح عليه السلام إلّا رجلًا واحدًا يقال له: جُرْهُم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل.اهـ. المزهر في علوم اللغة. **قوله**: (افترصُوه) أي عدا اليهود قول المسلمين له عليه السلام: راعنا فرصة وغنيمة. **قوله**: (وهم يعنون به تلك المسبّة) قيل: كلمة (﴿رَٰعِنَا﴾) كانت بلسان اليهود سبًّا، وكأن معناها عندهم اسمع لا سمعت، وقيل: من الرعونة، وهي الحمق. وكانوا إذا أرادوا أن يحمّقوا إنسانًا

من نظره إذا انتظره. ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ﷺ ويلقي عليكم من المسائل بآذان **(واعية)** وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ ولليهود الذين سبّوا رسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **(مؤلم)**.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿مَّا (يَوَدُّ) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ (أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ **وبالتخفيف: مكيّ وأبو عمرو)**. ﴿مِّنْ (خَيْرٍ) مِّن رَّبِّكُمْ﴾ **(«من» الأولى للبيان)**

قالوا: راعِنا، يعني: يا أحمق، يا جاهل؛ فيكون وزنه فاعلًا المبنى للنسبة نحو تامر؛ لأن النسبة كما تكون بالياء تكون بالصفة أيضًا؛ كأنه قيل: يا رجلًا ذا رعن، وقيل: هو من الرعي، فكأنهم قالوا: أنت راعينا، إلّا أنهم اختلسوا الياء، أي استلبوها لتخفيف اللفظ، وقد شاع فيما بينهم أن يقولوا للعرب إنهم عالة رعاة غنم، ولا شكّ أن عدّ المخاطب من الرعاة شتم له وهدم لعرضه. **قوله**: **(واعية)** حافظة لما تسمع. **قوله**: **(مؤلم)** بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة إنما يُسند إلى الشخص المعذّب، يقال: ألم من باب طرب، فهو أليم، كوجع فهو وجيع، أي متألم ومتوجّع، ولا يقال: إنه بكسر اللام اسم فاعل على طريق الإسناد الحقيقي كسميع بمعنى مسمع لخلوِّه عن دعوى المبالغة الحاصلة على كونه بفتح اللام، حيث يقتضي أنّ العذاب لشدّة إيلامه للمعذّبين صار كأنه مؤلم، أي معذّب فهو على حدِّ جدّ جدّه.

قوله: (﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ **وبالتخفيف**) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وأبو عمرو)** البصري. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله**: (**(من) الأولى للبيان**)؛ لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، بدليل ما ذكره من الآية؛ فكأنه قيل: ما يودّ الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون، فبيَّن أن الذين كفروا باقٍ على عمومه، وأن المراد كِلَا نوعيه جميعًا، والمعنى أن الكفّار أجمعين لم يحبّوا ذلك.

لأن (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، **(والثانية مزيدة لاستغراق الخير)**، والثالثة لابتداء الغاية. والخير الوحي وكذلك الرحمة.

أمّا أهل الكتاب، فلفوات العزّة والرئاسة في الدِّين وما يتّصل به من منافع الدنيا عنهم بسببه لو آمنوا بكونها لقريش، ولما في ذلك من هَتْك أسرارهم وإظهار خياناتهم في الدِّين بإخباره أنهم يحرّفون الكلم عن مواضعه، وأنّهم كانوا كتموا ما في كتبهم وبدّلوا كثيرًا، حيث قال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٩].

وأمّا المشركون، فإنهم لم يحبّوا ذلك لتضمّنه الخروج عن الأمر المعتاد وترك ما مضى عليه توارث سلفهم مع حبّهم تقليد آبائهم واتّباع آثارهم، فكانوا يكرهون مخالفة السلف، ولما في ذلك من فتح باب الطعن على أسلافهم بالضلالة والعمى وتسفيه أحلامهم؛ إذ متى تبيّن لهم أنه على الحقّ ظهر كونهم على الباطل، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال؛ ولأنهم جُبِلوا على الكبر والعتوّ والعناد والاتباع للحمية الجاهلية، حيث قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٢١]، فلذلك ظنّوا بأنفسهم أنهم المستحقّون للرئاسة؛ كما قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزّخرُف: الآية ٣١] أحدهما نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف، وثانيهما الوليد بن المغيرة بمكّة لعنة الله عليهما؛ فظهر بما قرّرنا أنّ قوله: (﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) معطوف على (﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾)، فلذلك جرّ، ولو كان على قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) لقيل: المشركون بالرفع، ولو كان ﴿من﴾ لتبعيض مدخوله لاستلزم أن يكون المشركون ضربين: كافرًا وغير كافر؛ كما أنّ أهل الكتاب ضربان، وليس كذلك. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

وقوله: (نعيم بن مسعود) الصواب عروة بن مسعود، وقد أسلم. وقوله: لعنة الله عليهما، الصواب: لعنة الله عليه، أي على الوليد بن المغيرة، لأنه ما أسلم.

قوله: (والثانية مزيدة لاستغراق الخير) أي لتأكيد العموم، والاستغراق المستفاد من كون (﴿خَيْرٍ﴾) نكرة واقعة في سياق النفي بواسطة وقوع عامله في

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ يعني أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزلَ عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوّة مَن يشاء ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ فيه إشعار بأن إيتاء النبوّة من الفضل العظيم. ولما طعنوا في النسخ (فقالوا: ألا ترون) إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا نزل.

﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾

﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ تفسير النسخ لغة التبديل، (وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق) الذي تقرر في أوهامنا استمراره

سياق النفي؛ لأن خيرًا فاعل (﴿أَن يُنَزَّلَ﴾) وهو في محل النصب على أنه مفعول (﴿يَوَدُّ﴾) الداخل عليه ﴿ما﴾ النافية، وبواسطته يكون خيرًا أيضًا واقعًا في سياق النفي فيعمّ، فتفيد ﴿من﴾ الاستغراقية زيادة الاستغراق، فليست زائدة زيادة محضة، بل إنما يؤتى بها لفائدة زائدة على أصل المعنى؛ وذلك لا ينافي كونها زائدة بالنسبة إلى أصل المعنى. **قوله**: **(فقالوا: ألا ترون)**... الخ. يريدون الطعن في الإسلام وتوهين عزيمة مَنْ أراد الدخول فيه، يقولون: إنّ محمدًا يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه؛ كما أمر في حدِّ الزنا بإيذائهما باللّسان، حيث قال: ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ [النساء: الآية ١٦]، ثم جعله منسوخًا، وأمر بإمساكهنّ في البيوت ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: الآية ١٥]، ثم جعله منسوخًا بقوله: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: الآية ٢]، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا ناقض بعضه بعضًا، كما أخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾ [النحل: الآية ١٠١].

قوله: **(وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق)**[١]... الخ. ذكر صاحب الميزان: أنّ الحد الصحيح أن يقال: هو بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق

---

(١) الغير المقيد بالوقت والتأبيد. ١٢ منه.

بطريق التراخي فكان تبديلًا في حقّنا بيانًا محضًا في حق صاحب الشرع. **(وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه ـ أعني اليهود ـ**

الذي في تقدير أوهامنا استمراره بطريق التراخي، فتقييد الحكم بالمطلق احتراز عن الحكم المقيّد بتأبيد أو توقيت، فإنه لا يصح نسخه، والشارع لمّا أطلق الحكم المنسوخ، أي بأن لم يبيّن توقيته وانتهاءه في وقت كذا حين شرع كان ظاهره البقاء والاستمرار بالنسبة إلى البشر؛ لأن إطلاق الأمر شيء يُوهمنا بقاء ذلك على التأبيد، فكان نسخه بالنسبة إلى العباد إزالة ورفعًا لما كان ظاهر الثبوت؛ إلّا أنه بالنسبة إلى صاحب الشرع بيان محض لانتهاء الحكم الأوّل ليس فيه معنى الرفع؛ لأنه كان معلومًا عند الله تعالى أنه ينتهي في وقت كذا بالناسخ، فكان الناسخ بالنسبة إليه تعالى بيانًا لانتهاء الحكم. وأمّا نحن، فلما توهمنا الثبوت والاستمرار كان نسخه بالنسبة إلينا رفعًا وتبديلًا وتوصيف صاحب الميزان هذا الحدّ بالصحة إشارة منه إلى أن تعريفه بالرفع غير صحيح بناءً على أنّ ما ثبت من الحكم في الماضي لا يُتصوّر إزالته ورفعه، وما في المستقبل لم يثبت بعد، فكيف يُرفع ويبطل؟ ولذلك اختار المصنف[1] رحمة الله تعالى عليه تعريف صاحب الميزان، حيث قال: وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المُطلق... الخ. فإنّ مَنْ قال لعبده: اعمل كذا، ثم منعه عنه نصف النهار كمَنْ قال له بكرة: اعمل كذا إلى نصف النهار. **قوله**: **(وفيه جواب عن البداء)** في المصباح: بدا يبدو بُدُوًّا ظهر فهو بادٍ، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أبْدَيْته وبدا له في الأمر ظهر له ما لم يظهر أوّلًا، والاسم البداء مثل سلام. اهـ باختصار.

وفي تاج العروس: البداء استصواب شيء عُلِم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله غير جائز. وقال السهيلي في الرَّوْض: والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهّمه الجَهَلة من الرافضة واليهود، وإنما هو تبديل حكم يحكم بقدر قدره، وعلم قد تمّ علمه. اهـ. **(الذي يدّعيه منكروه أعني اليهود)** اعلم أنّ اليهود أنكروا النسخ زاعمين أنّ ذلك هو البداء ولا يفعله إلّا مَنْ يجهل العواقب ويتجدّد له رأي بعد رأي، فكان القول بجواز النسخ مؤدّيًا إلى القول بجواز البداء على الله عزّ وجلّ وذلك كفر؛

---

(١) وفاته سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة. ١٢ منه عم فيضه.

ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد، ثبت نصًا أو دلالة. وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافًا للمعتزلة. وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنّة متفقًا ومختلفًا

لأن البداء ينشأ عن الجهل بعواقب الأُمور، فإنّه عبارة عن الظهور بعد الخفاء من قولهم: بدا له الأمر الفلاني إذا ظهر له ذلك بعد خفائه. قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧]، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٨]، أي ظهر لهم بعد الخفاء تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهذه الشبهة إنما نشأت عن عدم الفرق بين النسخ والبداء، وبينهما فرقٌ واضح بناءً على أن النسخ في الحقيقة ليس إلّا انتهاء مدَّة الحكم السابق التي هي غَيْب عن العبادة قبله، ولو وقّت الشارع حكمًا في ابتداء شرعه بأنْ قال: شرعت الحكم الفلاني إلى الوقت الفلاني، لصحّ ذلك من غير لزوم بداء، فكذا إذا بيّن أمرًا متراخيًا عن زمان شرعه بإنزال ناسخه بعده مع علمه في الأزل بأنّ تكليف العباد بذلك الحكم ينتهي في ذلك الوقت، وأنهم مكلّفون بعده بحكم آخر، وليس يلزم على هذا شيء من البداء؛ إذ لم يظهر للشارع رأي متجدّد.

قوله: (ومحلّه) أي محلّ النسخ **(حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه)** لا يكون واجبًا لذاته كوجوب الإيمان، ولا ممتنعًا لذاته، كحرمة الكفر **(لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصًا أو دلالة)**؛ فالتوقيت لا نظير له في الشرع والتأبيد الذي ثبت نصًّا، مثل قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النّساء: الآية ٥٧]، والتأبيد الذي ثبت دلالةً مثل سائر الشرائع التي قبض عليها رسول الله ﷺ، **(وشرطه التمكّن من عقد القلب دون التمكّن من الفعل خلافًا للمعتزلة)**، يعني يكون زمان الفصل بين المنسوخ والناسخ قدر ما يتمكّن فيه من الاعتقاد على المنسوخ ثم ينزل الناسخ، ولا يشترط زمان التمكّن من فعل المنسوخ خلافًا للمعتزلة، **(وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنّة متّفقًا ومختلفًا)**، أي يجوز نسخ الكتاب بالكتاب وبالسنّة، وكذا يجوز نسخ السنّة بالسنّة وبالكتاب عندنا، وعند الشافعي رحمه الله: لا يجوز نسخ الكتاب إلّا بالكتاب، ولا السنّة إلّا بالسنّة تمسّكًا بأنه لو جاز نسخ الكتاب بالسنّة ليقول المنكرون المجادلون أنّ الرسول أوّل من كذّب الله تعالى، فكيف نؤمن بالله بسبب تبليغه، وكذا لو جاز نسخ السنّة بالكتاب ليقول الطاعنون

ويجوز نسخ التـــلاوة والحكم)، والحكم (دون التـــلاوة، والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافًا للشافعي رحمه الله).

إنّ الله كذب رسوله أوّلًا، فكيف نؤمن به في دعوى النبوّة، ونحن نقول: إنّ النسخ ليس بتبديل في الواقع، بل هو بيان محض، فجاز أن يبيّن الله مدَّة انتهاء كلام رسوله أو رسوله مدّة انتهاء كلام ربّه.

وأمّا الطعن، فلا مفرّ عنه في المتّفق أيضًا على ما عرفت، هكذا في الأصول. ولا يقال: إنّ قوله: (﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾) يقتضي عدم جواز النسخ الكتاب بالسنّة؛ إذ السنّة ليس بمثل الكتاب ولا بخيرٍ منه، لأنّا نقول: ليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللّفظ، بل في النفع والثواب، ويجوز أن يكون السنّة خيرًا من الكتاب أو مثلًا له فيهما، وهو مما يأتي به الله بدلًا من الكتاب، وعلى هذا يبطل أيضًا ما يتمسّك بالآية من أنّه لا يجوز النسخ بلا بدل وببدل أثقل إذا النص يقتضي أن يأتي ببدل هو ساواه أو أخفّ منه؛ وذلك لأنّه يجوز أن يكون عدم الحكم أو الحكم الأثقل خيرًا وأصلح في النفع والثواب والنسخ قد يُعرف بغير الناسخ أيضًا، كذا ذكره القاضي البيضاوي. ولكن يناقض ما نقلنا من مذهب الشافعي رحمه الله والناسخ الخير كنسخ الصلوات الخمسين بالخمس ونسخ الميراث بالهجرة بالميراث بالقرابة ونسخ الصوم من اللّيل بالصوم من اليوم ونسخ قتل الواحد للعشر في الجهاد بقتل الواحد للاثنين والناسخ المثل كنسخ بيت المقدس بالكعبة، صرّح به الإمام الزّاهد، والنسخ بلا بدل كما في سورة المجادلة من قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [الآية ١٢]، وفي سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ [الآية ١٨٧] الآية، صرّح بذلك عضد الملّة والدِّين والناسخ الأثقل كنسخ التخيير في شهر رمضان بعزيمة الصيام، ونسخ الصفح والعفو بقتال الذين يقاتلونكم، ثم نسخه بقتالهم كافّة، صرّح به فخر الإسلام.

قوله: (ويجوز نسخ التلاوة والحكم) جميعًا؛ كقول عائشة رضي الله تعالى عنها: كان مما يُتلى عليكم في كتاب الله عشر رضعات تحرّمن، ثم نسخ بخمس رضعات تحرّمن. ورُوِيَ عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّه قال: كنّا نقرأ سورة

....

تعدل سورة التوبة ما أحفظ منها إلّا هذه الآية: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولو أن له ثالثاً لابتغى إليه رابعًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب فيتوب الله على من تاب). ورُوِي أن سورة الأحزاب كانت مائتي آية أو ثلاثمائة والآن بقي على ما في المصاحف وهو ثلاثة وسبعون آية، وكذا سورة الطلاق كانت أطول من سورة البقرة.

ونسخ الحكم (**دون التلاوة**) وهو المعروف من النسخ في القرآن، فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة إلّا أنّ المنسوخة لا يعمل بها مثل عدّة المتوفى عنها زوجها كانت سنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٠]، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر لقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٣٤]؛ وكمصابرة الواحد لعشرة في القتال نُسِخت مصابرة الواحد للاثنين، قال تعالى أوّلًا: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] الآية، ثم قال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، ثم قال: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦]، وكآية الإيذاء والإمساك ونحوها.

ونسخ (**التلاوة دون الحكم**) كآية الرجم، كما رُوي: «مما يُتلى عليكم في كتاب الله الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة»، ورُوِيَ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كنّا نقرأ سورة تعدل سورة الأحزاب بسورة البقرة حتى رفع منها آيات منها: «الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم». ورُوِيَ عنه أيضًا أنّه قال: كنّا نقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم»، (ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص. فإنه نسخ عندنا خلافًا للشافعي رحمه الله)، أي نسخ الوصف الذي في الحكم، وذلك كالمطلق إذا قيّد، كما أن النصّ يقتضي غسل الرِّجلين مطلقًا، والحديث المشهور في باب المسح على الخفّين يقتضي مسحهما حين لبس الخفّين، وذلك تقييد للمطلق وزيادة على النصّ، وهو نسخٌ عندنا خلافًا للشافعي رحمه الله تعالى، فإنّه عنده بيان.

(والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب «أو ننسأها») مكي (وأبو عمرو أي نؤخرها من نسأت أي أخرت ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي نأت بآية خير منها للعباد) أي بآية العمل بها أكثر للثواب. ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض.

قوله: (والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب) بأن لا تبقى في حفظهم، وقد وقع هذا؛ فإنّ بعض الصحابة أراد قراءة بعض ما حفظه فلم يجده في صدره، فسأل النبيّ ﷺ فقال: «نُسِخ بالبارحة من الصدور». اهـ شهاب رحمه الله. وهكذا قال القاضي البيضاوي.

ويُفهم منهما[1] أنّ الإنساء يشترط فيه نسيان المنسوخ والنسخ لم يشترط فيه ذلك، وبعضهم حملوا النسخ على إزالة الحكم من غير اللّفظ أو الحكم مع اللفظ، والإنساء إزالة اللفظ فقط ثبت الحكم أو لم يثبت، وبعضهم على أنّ النسخ لا يكون إلّا في الأمر والنهي دون الخبر، والإنساء يكون في الإخبار وفي الأمر، والنهي جميعًا لكن معناه في الخبر لا يزول، وإن زال اللفظ؛ هكذا أفاده بعض محشي البيضاوي. وقد أجمل في ذلك صاحب الكشاف، حيث قال أوّلًا: ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها، ثم قال: والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب، والمعنى أنّ كل آية نذهب بها على ما تُوجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معًا، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل نأتِ بآيةٍ خير منها للعباد، أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك؛ هذا كلامه. ونحن نقول: إنّ أهل الأُصول لم يذكروا المنسي أصلًا، وأنّ منسوخ التلاوة والحكم جميعًا لم نجد له مثالًا ولم نذكره، فيمكن أن يكون ذلك مما يذهب من القلوب، فيدخل في المنسيّ، فيكون المراد من قوله: (﴿نَنسَخْ﴾) منسوخ أحدهما فقط، ومن قوله: (﴿أَوْ نُنسِهَا﴾) منسوخ التلاوة والحكم جميعًا، وإنما أعادها مع دخوله في المنسوخ إظهارًا لكماله في النسخ، حيث لا يبقى منه أثر لا في اللفظ ولا في المعنى، وهذا مما تفرّد به خاطري ولله الحمد على أن جعله موافقًا لكلام الإمام الزّاهد في ترجمة الآية. ثم إنّه لا يتعلّق لنا غرض بتفاصيل

---

(١) أي من كلام المصنف وكلام القاضي البيضاوي رحمة الله عليهما. ١٢ منه عم فيضه.

....

القسمين، أعني منسوخ التلاوة والحكم جميعًا، ومنسوخ التلاوة دون الحكم؛ إذ ليس من ذلك في القرآن شيء، وإنما يتعلّق ذلك بمنسوخ الحكم دون التلاوة؛ إذ لا بدّ من العلم به لكل مَنْ يعمل بالقرآن ويستنبط منه مسائل ليعمل عند التعارض بالآخر دون الأوّل، وهذا موقوف على معرفة أنّ أيّ سورةٍ - أي آية - من القرآن نزل أوّلًا، وأيًّا منها نزل ثانيًا، وأن أيًّا منها مكّي، وأيًّا منها مدني حتى يكون المقدَّم منسوخًا والمؤخر ناسخًا، وأن أي سورة تشتمل المنسوخ والناسخ جميعًا، وأيُّها تشتمل المنسوخ أو الناسخ فقط، وأيّها تخلو عنهما جميعًا، وأن أي فرق بين التخصيص والنسخ، وأي آية تحتمل النسخ أوّلًا، وقد بيَّن كل ذلك صاحب الإتقان بما لا يُتصوّر المزيد عليه، وها أنا أعد عليك تفصيل آيات منسوخة الحكم دون التلاوة وقفتُ عليها باستقراء الكتب.

فاعلم أوّلًا أن الآيات التي ذكر فيها العفو والصفح، مثل قوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: الآية ٤٨]، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون: الآية ٦]، أو النهي عن القتال ابتداءً، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٠]، أي لا تبدؤوا بالقتال كلّها منسوخة بالآيات التي أُمِرْنا فيها بالقتال، مثل قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التّوبَة: الآية ٣٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبَة: الآية ٥]، وكلاهما غير مقصور في القرآن. وقال الإمام الزّاهد: إنّ قريبًا من سبعين آية نُسِخت بآيات القتال. وقال صاحب الإتقان: مائة وأربعة وعشرين آية نُسِخت بقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التّوبَة: الآية ٥]، ثم إنّ هذه الآية تدلّ على حُرْمة القتال في الشهر الحرام، ومثلها قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧]، وقوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المَائدة: الآية ٢]، وكل ذلك منسوخ بالآيات المطلقة، وكذا تدلّ هذه الآية على جوازه في المسجد الحرام ابتداءً وانتهاءً، وليس كذلك، فهي مخصوصة بقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩١]، صرّح به صاحب المدارك، وإن قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التّوبَة: الآية ٣٦] وأمثاله

....

يدلّ على وجوب القتال للذميّ أيضًا كالحربي، فهو منسوخ بقوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: الآية ٢٩]، وهذه واحدة في القرآن؛ وكذا يدلّ أمثاله على وجوب القتال على المعذورين أيضًا، سيّما قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١]، فإنّه قيل: معناه انفروا إلى القتال صحاحًا ومراضًا، فهو منسوخ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٩١]، وقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النّور: الآية ٦١].

والحاصل أنّ القتال يجب ابتداءً في غير المسجد الحرام، وانتهاءً فيه على المؤمنين الغير المعذورين للحربي دون الذميّ، سواء كان في الشهر الحرام أو في غيره. وإذا علِمْت هذا، فاعلم أنّ ما سواها من المنسوخات معدودة:

فمن سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١١٥]، قال ابن عباس: إنها تدلّ على أنّ التوجّه إلى الكعبة ليس بشرط، فهي منسوخة بآية القبلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٤]. وقيل: إنها محمولة على ما إذا كانت القبلة غير معلومة في ليلةٍ مظلمة، وهي مسألة التحرّي أو على صلاة النفل على الرّاحلة حيث تجوز الصلاة إلى أيِّ جهةٍ توجّهت الراحلة، وفي الآية توجيهات أُخر أيضًا كما سيجيء.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٨]، قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنها تدلّ على أنه لا يجوز قتل الحرّ بالعبد، ولا الذكر بالأُنثى؛ فهي منسوخة بآية المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [الآية ٤٥]، وعند الشافعي رحمه الله تعالى: لا يجوز قتل الحرّ بالعبد ولا الذّكر بالأُنثى، فهي منسوخة عنده.

....

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٠]، وقال أكثر الفقهاء: إنه يدلّ على فرضية الوصية للوالدين والأقربين، والحال أنه لا يجوز لهم سوى الميراث، فهو منسوخ بآية الميراث، أو بحديث: «ألَا لا وصية لوارث»، أو بالإجماع. وقال بعضهم: إنّه ليس بمنسوخ، ولكنه مجمل، وآية الميراث بيان له. وأمّا ما قيل إنه محمول على ما إذا كان الوالدان كتابيين أو عبدين أو كان الأقرب محجوبًا بغيره، فيكونوا غير وارثين، فيجوز لهم الوصيّة على ما قال الإمام الزاهد فضعيف؛ إذ لا يلزم حينئذ من جواز الوصية فرضيّتها إلّا أن يكون معناه كتب على سبيل الاستحباب، كما هو رأي صاحب الهداية والمدارك.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣]، قال صاحب الإتقان: إنها تدلّ على تشبيه صيامنا بصيامهم، والحال أنّ صومنا من الصبح إلى المغرب، وصومهم من العشاء إلى المغرب، فهي منسوخة بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] الآية، وقيل: إنّ هذا التشبيه في حقّ وجوب الصوم فقط. وأنّ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] الآية ناسخٌ لما كان في السنّة، لا لقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣]، فهي باقية.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٤]، قالوا: إنها تدلّ على أنّ مَنْ أطاق أداء الصوم يجوز له أن يفطر ويطعم لكل يوم مسكينًا، وليس كذلك؛ فهي منسوخة بالآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥]، فإنه أمرٌ بوجوب الصوم لكلّ مَنْ شهد الشهر. وقيل: إنّ هذه الآية محكمة وكلمة لا مقدّرة، يعني مَنْ لم يُطِق أداء الصوم يفطر ويطعم لكل يوم مسكينًا، فحينئذٍ يثبت منه مسألة الشيخ الفاني.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٩]، قال صاحب الحسيني والمدارك والإمام الزاهد: العفو هو الفضل، فهو يدلّ على

....

وجوب صرف كل المال الفاضل عن الحاجة ولا يفرض الصرف إلّا بمقدار ربع العشر، فهو منسوخ بآية الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٠]، قالوا: إنّ هذه الآية تدلّ على وجوب الوصية للمنكوحات حين الموت والسكنى، ووجوب العدّة حولًا كاملًا؛ فوجوب الوصية منسوخ بآية الميراث الذي هو الربع والثُّمن والسكنى منسوخ عندنا بحديث: «لا سكنى»، وثابت عند الشافعي رحمه الله: ووجوب العدّة إلى الحول منسوخ بآية قبله، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٤]. وما من ناسخ في القرآن إلّا وهو متأخر عن منسوخه تلاوةً، كما أنه مؤخّر عنه نزولًا، إلّا في موضعين: أحدهما هو هذا، والثاني هو ما سيأتي في الأحزاب، صرّح به في الإتقان. وعندي أنه في أكثر من موضعين كما ينكشف عليك. ثم هذه الآية الناسخة تدلّ على أنّ عدّة متوفى الزوج أربعة أشهر وعشرًا، سواء كانت حاملًا أو لا، وليس كذلك؛ بل عدّة الحامل وضع الحمل فهي فيما اجتمع متوفى الزوج والحاملة منسوخة بآية الطلاق، وهي قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطّلاق: الآية ٤]، وهذا عندنا وعند الشافعي رحمه الله. وقيل: هذه الآية الناسخة غير منسوخة، بل تعتدّ الحاملة المتوفى عنها زوجها بأبعد الأجلين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢]؛ فالأوّل يدلّ على أن الكاتب يجب عليه كتاب الدَّيْن في بيع السّلم. والثاني على وجوب تحمّل الشهادة على الشاهد، فقيل: هما منسوخان بقوله فيما بعد: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢]، على أن يكون ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢] مبنيًّا للمفعول. وقيل: إنهما محمولان على النّدب أو باقيان على وجوبهما، أو أنّ الثاني محمول على أداء الشهادة بعد التحمّل، والأوّل على وقت الضّيق فقط.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤]، قيل: إنه يدلّ على أن المرء مؤاخذ بكلّ ما خطر به قلبه من

....

الذنوب، وليس كذلك؛ إذ هو تكليفٌ بما لا يطاق، فنسخ الآية التي بعد، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، والمحقِّقون على أنه غير منسوخ؛ إذ النسخ إنما يكون في الأحكام دون الإخبار، فيحمل على كسب النفس دون الخطور المحض، أو على خطرة الكفر دون سائر الذنوب.

ومن سورة آل عمران أنّ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [الآية ١٠٢] يدلّ على وجوب حق التقوى، وهو خارج عن طوق البشر والتكليف به محال، فهو منسوخ بآية التغابن، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الآية ١٦]، والأكثرون على أنه مجمل، والثاني بيان له.

ومن سورة النساء، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [الآية ٨]، قيل: يدلّ على وجوب إعطاء شيء من التركة للمذكورين حين القسمة، فهو منسوخ بآية الميراث. وقيل: إنه ليس بمنسوخ تهاون الناس في العمل به كما في الاستئذان والتقوى، وقيل: إنه أمر ندب، فهو باقٍ البتّة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النِّساء: الآيتان ١٥، ١٦]، هاتان الآيتان في باب حدّ الزنا، الأولى تدلّ على أنّ حدَّ الزنا الحبس في البيت إلى حين الموت أو جعل سبيل آخر، وأن شهداء الزِّنا لا بدّ أن تكون أربعة. والثانية تدلّ على أنّ حدّه الأذى فقط، فقالوا: كان في بدء الإسلام العمل بالثانية، ثم نسخ بالآية الأولى، فيكون حدّه الحبس، ثم الآية الأُولى في حقِّ الحبس منسوخة بآية النور، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النُّور: الآية ٢]، وفي حقّ وجوب الشهداء الأربعة باقية. وقيل: إنّ الأولى في باب السحاقات، والثانية في باب اللّواطين، فكلّ منهما باقٍ على حاله.

....

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: الآية ٢٤]، قيل: إنه كان في شأن المتعة، وكان مشروعًا في أوّل الإسلام ثم نُسِخ بالسنّة. وقيل: إنّ المراد من استمتعتم نكحتم، ومن أجورهنّ مهورهنّ، فهو باقٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: الآية ٣٣]، هذه الآية في وراثة الموالاة منسوخة عند الشافعي خاصّة، وباقية عندنا؛ إذ عقد الولاء ثابتٌ عندنا، وغير ثابت عنده.

ومن سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية ٤٢]، قالوا: إنه يدلّ على أنّ رسول الله ﷺ كان مخيّرًا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم فهو باقٍ على حاله، كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله، أو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: الآية ٤٩]، وهو قول ابن عباس، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله على ما في الكشاف.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥]، قال صاحب الإتقان: إنّ أوّله يدلّ على ترك الأمر بالمعروف، فهو منسوخ بآخره، وهو قوله: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥]؛ لأن معناه إذا اهتديتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦]، هذه الآية مع الآية التي بعدها طويلة تدلّ على أنّ شهادة الذميّ جائزة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦]، فهو منسوخ بآية الطلاق، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطّلَاق: الآية ٢]، وعلى أنّ تحليف الشاهد جائز بقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦]، فهو منسوخ بالسنّة، وإنْ كان المراد بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦] مِنْ أجانبكم وبالشاهدين الوصيّين لم يكن منسوخًا.

....

ومن سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية ٦٨]، أي ينسينك الشيطان النهي عن مجالستهم، فلا تقعد معهم بعد أن تذكر النهي، فهو يدلّ على حرمة القعود مع الكافرين، ثم نُسِخ بالآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٩]؛ فأوجب الذِّكر ورخّص في القعود، على ما في الزاهدي. ويُفهم من الهداية أنه محكم والظالمين المبتدعين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٨]، قال الإمام الزاهد: إنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: الآية ٢١]، وبقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: الآية ٧٣]، وفي الحسيني والكشاف عكس ذلك، وهو أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨] الآية، قالوا: أتهجون آلهتكم كما تسبّون آلهتنا؟ فنزل قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٨] الآية.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٤١]، قيل: إنّ المراد بالحقّ ما كان إيتاؤه واجبًا في أوّل الإسلام، ثم نُسِخ بالزكاة. والأصح أنّ المراد زكاة الثمار، وهو العشر أو نصفه، فهو غير منسوخ.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فإنّه يدلّ على عدم حرمة أشياء أُخر، مع أنها حرام. وقال عضد الملّة والدِّين: إنه قيل: هو منسوخ بما رُوِيَ أنه عليه السلام نهى عن أكل كل ذي نابٍ من السِّباع وهو خبر واحد، ثم أطال الكلام في جوابه على ما يأتي.

ومن سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الآية ١٩٩]، قال صاحب الإتقان: قيل: إنه من عجيب الآية؛

....

إذ أوّله منسوخ وآخره منسوخ وأوسطه مُحكم، يعني: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الآية ١٩٩] فإنه يدلّ على فرضية الأمر بالمعروف وأخذ الفضل من المال، والإعراض عن الكفار.

ومن سورة الأنفال، قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الآية ١]، فإنّه إنْ كان المراد بالأنفال الغنائم، ويكون اللام في ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: الآية ١] للملك فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: الآية ٤١] على ما نصّ به الإمام الزّاهد إن كان المراد بالأنفال ما يشترط الإمام زيادة على سهم، أو يكون معنى لله والرسول أن قسمته لهما، فهو باقٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥]، فإنه يدلّ على أنّ الكفار إنْ كانوا مضاعفين من المسلمين عشر درجات يحرم الفرار، وإنما يحرم إذا كانوا مضاعفين عنهم بدرجة واحدة، فهو منسوخ بالآية المتّصلة به، وهي قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، فإنّه يدلّ على أنّ الميراث بالهجرة دون القرابة، فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الأنفال: الآية ٧٥].

ومن سورة النور، قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الآية ٣]، الأكثرون على أنه نهي عن نكاح الزاني مع الصالحة وبالعكس، وليس كذلك فهو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ﴾ [النور: الآية ٣٢]، فإنه أمرٌ

....

للأولياء بنكاح الصالحين من العبيد والإماء، سواء كان مع الصالحين منهما أو لا، وقيل: إنه نفي وإخبار عمّا كان باقٍ.

وآيات الاستئذان، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النُور: الآية ٢٧] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ [النُور: الآية ٥٨] الآية، فإنّ الأُولى تدلّ على أنه لا يجوز دخول الأجنبي في بيت الغير بلا إذنه أبدًا، والثانية تدلّ على أنه لا يجوز دخول المماليك والأطفال في الأوقات الثلاثة، فقيل: إنّهما منسوختان، والصحيح من مذهبنا ومذهب الشافعي أنّهما باقيتان، ولكن تهاون الناس في العمل بهما.

ومن سورة القصص، قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ [الآية ٢٧]، فإنه في قصة النكاح شعيب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام بنته موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام على أن يرعى غنمه ثمان أو عشر سنين، فيدلّ على أنّ مهور البنات يأخذها الآباء دون أنفسهن؛ فنُسِخ بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النِّساء: الآية ٤]، لأنه يدلّ على إيتاء المهور للنساء دون الأولياء، نصّ به في الحسيني.

ومن سورة الأحزاب، قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الآية ٥٢]، فإنه ذكر في كتب التفاسير أنه يدلّ على عدم جواز النساء للنبيّ ﷺ بعد التسع، وليس كذلك؛ لقول عائشة رضي الله تعالى عنها: لا تحرم امرأة على النبيّ عليه السلام حتى قبض، فهو منسوخ بالآية التي قبلها، وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٥١] الآية، وهذا أيضًا مما ناسخه مقدّم تلاوةً مؤخّر نزولًا.

ومن سورة الأحقاف، قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الآية ٩]، أي من المغفرة والعذاب. قال صاحب الإتقان: إنه

....

مكث ستة عشر سنة ثم نسخ يوم الفتح عام الحُدَيْبِية، يعني بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: الآية ٢]، على ما نصّ به في الكشاف.

ومن سورة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [الآية ٤]، قالت الحنفية: إنه لا يجوز المنّ والفداء عندنا، وإنما يجوز القتل والاسترقاق فقط، وهو منسوخ بآية البراءة. وعند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه باقٍ؛ إذ الإمام مخيَّر بين القتل والاسترقاق والمنّ بالإطلاق والفداء بالمال أو بأسارى المسلمين.

ومن سورة الحجرات، قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الآية ١٣]، قيل: إنه منسوخ، والصحيح أنه باقٍ، لكن تهاون الناس بالعمل به.

ومن سورة المجادلة، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [الآية ١٢]، فإنه يدلّ على أنه يجب الصدقة حين سؤال النجوى من رسول الله ﷺ، فهو منسوخ بالآية المتّصلة به، وهي قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية ١٢].

ومن سورة الممتحنة، قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ [المُمتحَنة: الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [المُمتحَنة: الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [المُمتحَنة: الآية ١١]؛ هذه الأقوال في آيتين متصلتين مفهومهما أنه إذا ذهبت امرأة الكافر إلى المؤمنين يجب عليهم امتحان إيمانها، وأن يعطى زوجها القديم الكافر قدر ما أنفق عليها من المهر وفي عكسه يجب عليهم طلبه من الكفار، وإلّا فلهم قدر ذلك من الغنيمة، ثم نُسِخ بآية السيف والغنيمة أو بالسنّة والأمر الأخير للنّدب.

ومن سورة المزمل، قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [الآية ٢]، الآية تدلّ على فرضيّة القيام والقراءة في أكثر اللّيل، ثم نُسِخ بآخر السورة، وهو قوله: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمّل: الآية ٢٠]؛ ففرض ذلك قدر ما تيسّر، ثم نُسِخ الآخر أيضًا بالصلاة الخمس.

....

ومن سورة الدهر، قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الآية ٨]، قيل: المراد بالأسير الأسير المشرك، ولا يجوز الإحسان إليه الآن، فهو منسوخ على ما في الإتقان. وعند عامّة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام، ولا يصرف إليهم الواجب؛ كذا في الكشاف.

هذه آيات منسوخة وناسخة أوردتهما هٰهنا مجملًا وسنبيّن كثيرًا منهما في محالهما مفصّلًا إن شاء الله تعالى، وإن عدت الآيات التي ترفع ما كان في الجاهلية أو في أوّل الإسلام أو في شرائع مَنْ قبلنا، ولم يكن في القرآن شيء يوافقه ناسخه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٩] ونحوه، لزاد تعداد الناسخ منه على المنسوخ منه، ويكون أكثره ناسخًا. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: («أو ننسأها») بفتح النون والسين وبالهمزة المجزومة (مكي) أي ابن كثير المكّي، (وأبو عمرو) البصري، (أي نؤخرها من نسأت أي أخرت) في الصِّحاح: نسأت الشيء نسأ أخّرته، وكذا أنسأته فعلت وأفعلت بمعنى، الأصمعي: أنسأ الله أجله ونسأ في أجله بمعنى، ولعلّ المراد من تأخير الآية تأخير إنزالها بأن يتركها في اللّوح المحفوظ، أو مع الملائكة في السماء ولا ينزلها إلى الوقت المقدّر لإنزالها، وإن كانت للخلق منافع متعلّقة بها، وقد تقرّر في الأُصول أنّ المجمل وإن لم يجز أن يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إلى الفعل إلّا أنه يجوز أن يؤخر عن وقت الخطاب، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: الآية ١٩]، أمره أوّلًا بأن يتبع قراءة ما قرأه عليه بلسان جبريل عليه الصّلاة والسّلام، ويكرّرها إلى وقت ترسخ في ذهنه، ثم ذكر بيان ما أشكل عليه من معانيه بكلمة ثم، فعلم أنّ البيان يجوز كونه متراخيًا عن وقت الخطاب إلى الوقت المقدّر له، إلّا أنه تعالى لا يترك العباد قبل ذلك الوقت سُدى، بل يأتي بما هو خيرٌ لهم بالنسبة إلى الآية التي أَخّر إنزالها أو يأتي بمثلها في النفع به، فمعنى «أو ننسأها» أو نؤخر إنزالها إلى وقتٍ ثان، فنأتِ بدلًا منها في الوقت المتقدّم ما يقوم مقامها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقرأ الباقون: (﴿نُنسِهَا﴾) بضم النون وكسر السين من الإنساء والنسيان ضدّ الحفظ، أي نُمْحها عن قلبك. رُوِي عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف أنّ قومًا من

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ
ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ «أم» منقطعة وتقديره بل أتريدون ﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ﴾ رُوِيَ أن قريشًا قالوا: يا محمد اجعل لنا (**الصفا**) ذهبًا ووسع

الصحابة رضي الله تعالى عنهم قاموا ليلة ليقرأوا سورة، فلم يذكروا منها بسم الله الرحمٰن الرحيم، فغدوا إلى النبيّ ﷺ فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك السورة رُفِعت تلاوتها وأحكامها». اهـ مظهري. وفي الإتحاف: والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز من الترك، أي نترك إنزالها، قاله الضحاك. اهـ. وقيل: معناه نتركها، أي لا ننسخها؛ كما قال الله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، يعني تركوه فتركهم، وهذا غير مستقيم؛ لقوله تعالى: (﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾)، فإنها تدلّ على إزالتها. اهـ مظهري.

قوله: (**أي نأت بآية خير منها للعباد**)... الخ. يعني أن تفضيل الآيات بعضها على بعض ليس بحسب أنفسها وألفاظها؛ لأن الآيات كلّها كلام الله تعالى، فلا يتفاضل بعضها على بعض في أنفسها، من حيث إنها كلام الله ووحيه وكتابه، بل التفاضل فيها إنما هو بحسب ما يحصل منها للعباد في الآخرة أو في الدنيا أو فيهما.

قوله: (الصفا) موضع بمكّة. اهـ مصباح. ومختار الصحاح وفي القاموس: الصفا من مشاعر مكّة بلحف أبي قُبَيْس. اهـ. وفي لسان العرب: الصّفا والمروة جبلان وبينهما بطحاء مكّة والمسجد، وفي الحديث ذكرهما، والصفا اسم أحد جبلي المسعى، والصفا موضع بمكّة، والصفا صخرة ملساء. اهـ.

لنا أرض مكة فنهوا **(أن يقترحوا)** عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا إلـهًا. ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ **(ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها)** واقترح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصده ووسطه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ أن يردوكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ حال من «كم» أي يردونكم عن دينكم كافرين، نزلت حين قالت اليهود للمسلمين **(بعد وقعة أُحُد)**: ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما **(هزمتم)** فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم. ﴿حَسَدًا﴾ مفعول له أي لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ **(يتعلق بـ ﴿وَدَّ﴾)** أي ودّوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودّوا ذلك ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي من بعد علمهم بأنكم على الحق، **(أو بـ ﴿حَسَدًا﴾)** أي **(حسدًا بالغًا منبعثًا)** من أصل نفوسهم. ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾

قوله: **(أن يقترحوا)** اقتراح الطلب تحكّمًا. **قوله**: **(ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة)**... الخ. فسّره بترك الثقة إلى الاقتراح ليربطه بما قبله؛ لأنه تذييل له على سبيل التهديد والتذييل ما يؤتى به في آخر الكلام بما يشتمل على المعنى السابق توكيدًا له. **قوله**: **(وشكّ فيها)** عطف تفسيري؛ لأن ترك الثقة بالآيات شكّ فيها.

قوله: **(بعد وقعة أُحُد)** وكانت غزوة أُحُد في السنة الثالثة في شوّال. **قوله**: **(هزمتم)** من باب ضرب. **قوله**: **(يتعلق بـ ﴿وَدَّ﴾)** فهو ظرف لغو. **قوله**: **(أو يتعلق (بـ ﴿حَسَدًا﴾)** لكونه مصدرًا، والمعنى أي **(حسدًا بالغًا)** إلى أقصى مراتبه لكونه منبعثًا من أصل نفوسهم، أي من أصل ذواتهم، كأنهم مجبولون عليه كالأمر الجبلي، ولا يكون منبعثًا بسبب الخارج العارض، فإنّ زواله مرجوّ دون ما هو ذاتي له وفيه من المبالغة في التشنيع ما لا يخفى. وفي قوله: **(منبعثًا)** إشارة إلى أن الظرف مستقرّ، أي متعلّق بمحذوف هو صفة لـ ﴿حَسَدًا﴾.

فاسلك بهم سبيل (العفو) والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ تجدوا ثوابه عنده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضيع عنده عمل عامل. والضمير في (﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى أي وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا مَن كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا مَن كان نصارى، (**فَلفَّ بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله**)، وأمنًا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه، ألا

قوله: (**العفو**) ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه، التثريب التعيير والاستقصاء في اللَّوم، وهو أبلغ من العفو؛ إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح. نُقِل عن الراغب أنه قال: الصفح ترك التثريب، فثبت أن هذا معناه لغةً، والظاهر أن بين العفو والصفح عمومًا وخصوصًا من وجه، وأن ذكر الصفح بعده من باب الترقّي.

قوله: (**فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله**)... الخ. اللفّ والنشر من المحسنات المعنوية البديعية، وهو ذكر متعدّد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل من آحاد هذا المتعدّد من غير تعيّن ثقة بأنّ السامع يردّ ما لكل من آحاد هذا المتعدّد إلى ما هو له مثال ما ذكر فيه المتعدد على سبيل الإجمال، قوله تعالى: (﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ﴾)، والمراد بالمتعدّد الذي لفّ بينهما في الذِّكر هو قول الفريقين، فإنه قد لفّ بين القولين في (قالوا) على سبيل الإجمال، أي قالت اليهود وقالت النصارى، ثم ذكر مقول كل واحد من القولين من غير تعيين لعدم الالتباس والثقة بأنّ السامع يردّ إلى كل ذي قول مقوله، وأن المعنى قالت اليهود لن يدخل الجنّة إلا مَنْ كان هودًا،

ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؟ **(وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم «كان» للفظ** «من»، **وجمع الخبر لمعناه)**. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ **(أشير بها إلى الأماني المذكورة)** وهي أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارًا، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم. **(والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة)**. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ **(هلمّوا)** حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة. وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم: «لن يدخل

وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ويحتمل أن يكون المراد بالمتعدّد المذكور إجمالًا هو نفس الفريقين لا قولهما، فإنّ الضمير في قالوا لليهود والنصارى، فقد ذكر الفريقان على طريق الإجمال دون التفصيل، ثم ذكر مقول كل فريق من غير تعيين لعدم الالتباس. **قوله: (وهود جمع هائد كعائذ وعوذ)** بمعنى تائب، يقال: هاد إذا تاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]، سمُّوا بذلك لما تابوا من عبادة العجل، قيل: وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منهم، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازمًا لجماعتهم، كالعلم لهم؛ كذا قال الراغب: أورد النظير بعائذ وعوذ؛ لأن جمع فاعل على فعل بضم الفاء وسكون العين نادر، والعوذ بالذال المعجمة حديثات النّتاج من الظّباء والإبل والخيل، واحدها عائد. **قوله:** (﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾) في المختار: النصارى جمع نصران ونصرانة كالندامى جمع ندمان وندمانة، ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب. اهـ. وفي المصباح: النصارى جمع نصريّ كمهريّ ومهارى. اهـ. فتخلص أن النصارى له مفردان نصريّ ونصران. **قوله: (ووحّد اسم كان للفظ** (من) **وجمع الخبر لمعناه)** أي إفراد اسم كان المضمر فيه حملًا على لفظ (من)، وجمع خبرها حملًا على معناه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ [الطّلاق: الآية ١١]، ثم قال: والذين بناء على أن كلمة مَنْ مفردة اللفظ مجموعة المعنى، فأعطى لكل اعتبار حقّه. **قوله: (أُشير بها إلى الأماني المذكورة)**... الخ. لمّا كان تلك راجعًا إلى قوله: (﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾)... الخ، وهي أمنية واحدة أجاب عنه بأن المشار إليه متعدّد، وهو ما ذكره. **قوله: (والأُمنية أُفعولة من التمنّي)** فأصله أُمنوية **(مثل الأُضحوكة)** ما يضحك به وضحكت به ومنه بمعنى. **قوله: (هلمّوا)**

الجنة إلا مَن كان هودًا أو نصارى» و(﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ اعتراض). ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

(﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه) من دخول غيرهم الجنة. ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مصدق بالقرآن. ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ جواب «من أسلم». و«هو» كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط و«بلى» رد لقولهم. ﴿عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ

أي احضروا. **قوله**: (﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ اعتراض) أي جملة (﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾) معترضة.

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾ بلى إثبات لما نفوه)، كأنّ قائلًا قال: ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما بعد النفي، وهٰهنا ما سبق إلا قولهم: (﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾)، وهي جملة إيجابية؛ لأن الاستثناء بعد النفي إيجاب، فما الوجه في إيراد بلى هٰهنا؟ فأجاب عنه بأنّ قولهم ذلك يشتمل على إيجاب ونفي. أمّا الإيجاب، فهو أن يدخل الجنّة اليهود والنصارى. وأمّا النفي، فهو أن لا يدخل الجنّة غيرهم، فبلى إثبات لما نفوه في كلامهم، فكأنهم قالوا: لن يدخل الجنّة غيرنا، فأُجيبوا بقوله: بلى يدخل الجنّة غيركم، فهو ردٌّ لما نفَوْه.

قوله: (﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) في الآخرة. اهـ. بيضاوي. وأمّا في الدنيا، فإنّهم يخافون من أن يصيبوا الشدائد والأهوال العِظام، قدّامهم ويحزنون على ما فات عنهم من الأعمال الصالحة والطاعات المؤدّية إلى الفوز بأنواع السعادات، فإن المؤمن كما لا يقنط من رحمة الله تعالى لا يأمن من غضبه وعقابه، كما قيل: لا يجتمع خوفان ولا أمنان، فمن خاف في الدنيا أمِنَ في الآخرة حين يخاف الكفّار من العقاب ويحزن المقصّرون على تضييع العمر وتفويت الثواب، فإنّ الخوف إنّما يكون على ما وقع سابقًا، ومَنْ أمِنَ في الدنيا خاف في

عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ **(أي على شيء يصح ويعتد به)**. والواو في ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ للحال **(والكتاب للجنس)** أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحق من حمل التوراة والإنجيل وآمن به ألا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للآخر. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ **(مثل ذلك القول)** الذي **(سمعت)** به ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي **(الجهلة)** الذين **(لا علم عندهم)** ولا كتاب **(كعبدة)** الأصنام **(والمعطلة، قالوا لأهل)** كل دين ليسوا

الآخرة، ولذا لا ينتفي عنهم الخوف والحزن في الآخرة في جميع الأوقات؛ لأنّ كل مؤمن يحصل له الخوف والفزع حين البعث حتى الرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: الآية ١٠٩]، فيقول: ماذا أجبتم، قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: الآية ١٠٩] لشدّة فزعهم من هَوْل ذلك اليوم، فوجب أن يكون المراد انتفاءهما عنهم في الآخرة في بعض المواضع وفي بعض الأوقات، بل عند دخول الجنّة؛ كما قال تعالى خبرًا عن أهل الجنّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية ٣٤]. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (أي على شيء يصح ويعتد به)، أي: في الدين وفيه تلويح إلى أنه على حذف الصفة؛ كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: الآية ٤٦]، أي: أهلك الناجين. **قوله: (والكتاب للجنس)**، أي من حيث وجوده في ضمن بعض الأفراد من غير تعيين، فكان المعنى: وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحقّ من تلا كتابًا من كتب الله تعالى وآمن به أن يصدّق ما عداه ولم يحمله على الكتابين المعهودين، وهما التوراة والإنجيل؛ لأن المقصود بالتقييد من الحال توصيفهم بالعلم والتمييز حتى يتفرّع عليه التوبيخ بتسويتهم بالجهّال الذين لا يعلمون الدين ولا يعلمون شرائع الله تعالى وأحكامه، ولا مدخل لحمل الكتاب على المعهود المعيّن في هذه التوبيخ فلذلك حمله على الجنس.

قوله: (مثل ذلك القول)، يريد أن كذلك مفعول، قال: ومثل قولهم مفعول مطلق. **قوله: (سمعت)** بتاء الخطاب. **قوله: (الجهلة)** جمع جاهل، **قوله: (كعبدة)** جمع عابد، **قوله: (لا علم عندهم)** إشارة إلى أن لا يعلمون متروك المفعول. **قوله: (والمعطلة)** بكسر الطاء المشدّدة، طائفة نفوا الصانع. **قوله: (قالوا لأهل)** كل دين بيان وتفسير، لقوله: قال الجهلة.

على شيء، وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك مَن لا يعلم ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي بين اليهود والنصارى **(بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به)**.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

(﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾) موضع «من» رفع على

قوله: (بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به) بيان للمحكوم به، فإن فعل الحكم يتعدّى بجارَّيْن الباء وفي؛ كما يقال: حكم الحاكم في هذه القضية بكذا، وفي هذا الآية قد ذكر المحكوم فيه بقوله: ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ولم يذكر المحكوم به، فقدّره المصنف رحمة الله عليه بقوله: بما يقسم... الخ.

قوله: (﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾)... الخ. إن هذه الآية تدلّ على أن هدم المساجد وتخريبها ممنوع، وكذا المنع عن الصلاة والعبادة، وإن كان مملوكًا للمانع، وقد أوعد الله تعالى عليه وشنّع عليه الفقهاء، وتمسّكوا بهذه الآية حتى قال في الفتاوى الحمادية من التفسير البستي: احتجّ بعض أصحابنا بهذه الآية في مسألة غصب الساجة، وذلك أنه إذا غصب الرجل ساجة وأدخلها في بنائه ينقطع حقّ صاحبها عنها، ويضمن قيمة الساجة لصاحبها، وعند زفَر رحمه الله لا ينقطع، وله أن يهدم بناؤه ويأخذ ساجته، ولا فَرْق بين أن يكون البناء في مسجد أو دار، فإنه لا يخرب المسجد عندنا وعنده يخربُ، وهو قول الشافعي، فيفرض الكلام فيما لو بنى على الساجة مسجدًا، فإن الله تعالى ذمّ من سعى في خراب المسجد. وعن الحاوي: وسُئِل أبو القاسم عمّن أراد أن ينقض مسجد أو يبنيه أحكم من بناءه؟ قال: لا سبيل له إلى ذلك، إلّا أن يخاف هدمه. وفي الميداني: وتأويل هذه المسألة إذا لم يكن هذا الرجل من أهل هذه المحلة. ومن جامع الفتاوى: مسجد ضاق بأهله ولا يمكنهم أن يزيدوا، فقال رجل: أعطوني المسجد حتى أدخل في داري وأعطي مكانًا من داري في الجانب الآخر يسعكم وهو خير لكم، لا ينبغي أن يعطوه حتى يبنوا مسجدًا، فيستغنوا عن هذا المسجد، فحينئذ لا بأس به. ومن القنية والمسجد إذا استغنى عنه المسلمون ولا

الابتداء وهو استفهام و«أظلم» خبره (**والمعنى: أي أحد أظلم؟** و«**أن يذكر» ثاني مفعولي** «منع») لأنك تقول منعته كذا ومثله ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ﴾ [الإسراء: الآية ٥٩]. ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الإسراء: الآية ٩٤]. ويجوز أن يحذف حرف الجر مع «أن» أي من أن يذكر وأن تنصبه مفعولًا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم. (**والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الأذى**)، ومنعهم الناس أن يصلوا

يصلّون فيه وخُرّب ما حوله يعود إلى صاحبه كما كان إن كان حيًّا، وإلى وارثه إنْ كان ميتًا، وهذا قول أبو حنيفة ومحمّد رحمهما الله. وقال أبو يوسف: يبقى مسجدًا أبدًا، ثم إن تمسّك الإمام الزاهد بقوله: ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ على أن الاسم والمسمّى واحد؛ لأنه لو كان مغايرًا له لحصل الذِّكر بغير الله تعالى، فيبطل ما زعم المعتزلة من عدم اتحاد الاسم والمسمّى. ونُقِل أيضًا عن الشيخ أبي منصور الماتريدي: أن الآية في حقّ جميع الكفّار؛ لأنهم المانعون عن العبادة والصلاة بالاشتغال بالقتال، وأن المراد بالمساجد الأرض كلّها، وأنّ معنى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ ما كان لهم أن يدخلوا دار الإسلام إلّا بأمان، وأن الخِزْي هو الأمان أو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. اهـ. التفسيرات الأحمدية باختصار. ومن الإشارات قول القشيري: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن﴾ خرب بالشهوات أوطان العبادات، وهي نفوس العابدين أو خرّب بالاشتغال بالغير أوطان المشاهدات. اهـ.

قوله: (**والمعنى أيّ أحد أظلم؟**) أي ليس أحد أظلم. **قوله:** (**وأن يذكر ثاني مفعولي منع**)... الخ. فإنه يقتضي ممنوعًا وممنوعًا عنه، فتارة يتعدّى إليهما بنفسه، كما في قولك: منعته إلّا من، وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ﴾ [الإسراء: الآية ٥٩]، ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الإسراء: الآية ٩٤]. وتارة يتعدّى إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجرّ، وهو كلمة عن مذكورة كانت، كما في قولك: منعته عن الأمر، أو محذوفة إذا كانت مع أن، فإن حذف حرف الجر وإيصال الفعل بنفسه جائز، مع أن قياسًا مطّردًا، ويجوز أن تكون الآية من هذا القبيل.

قوله: (**والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الأذى**) الذين غزوا بني إسرائيل مع بعض ملوكهم، فظهروا عليهم وقاتلوا مقاتلهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا

فيه، (**أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية. وإنما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد**) وهو بيت المقدس (﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) لأن الحكم ورد عامًّا وإن كان السبب خاصًّا كقوله تعالى:

التوراة وهدموا بيت المقدس، وألقوا فيه: الجيف، وجعلوا فيه مزبلة، فلم يزل خرابًا حتى بناه أهل الإسلام في زمان عمر رضي الله تعالى عنه. قيل: لمّا استولى عمر على ولاية كسرى وغنم أموالهم عمّر بها بيت المقدس، فعلى هذا يكون المسجد الذي نزلت الآية فيه هو بيت المقدس، ووجه انتظامها بما قبلها حينئذ أن ما قبلها في ذكر قبح مقالهم، وهذه الآية في تخريب المسجد الذي هو ذكر قبح أفعالهم، فكأنه قيل: كيف تدَّعون أيُّها النصارى أنكم من أهل الجنّة وقد خرَّبتم بيت المقدس ومنعتم المصلّين من الصلاة فيه، مع أنكم تعتقدون في تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود أو أكثر وحملكم على ذلك معاداتكم اليهود وبغضكم إيَّاهم.

قوله: (أو منع المشركين رسول الله) ﷺ **(أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية)** أي سنة ستّ في ذي القعدة، قال الله تعالى في حقّهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح: الآية ٢٥]؛ فعلى هذا وجه اتّصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لمّا وصف مشركي العرب بالجهل وسوء القول، حيث قال كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم شرع في ذمّهم وتوبيخهم بقُبْح ما فعلوه في حقّ المسجد الحرام والعابدين فيه، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ﴾... الخ. والحديبية اسم بئر وسمّي بها مكانها، وهي مخفّفة كدويبية على الأفصح، ويجوز تشديدها. **قوله: (وإنما قيل: مساجد الله، وكان المنع على مسجد واحد)**،... الخ. أو جمعها تعظيمًا، أو لأن كل موضع منه مسجد، أي موضع سجود. اهـ. التفسيرات الأحمدية. **وقوله:** (﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) جمعها لما مرّ، وقال العلّامة علي القاري في الفصل المعوّل في الصف الأول سمّاه الله تعالى مساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: الآية ١٨] بصيغة الجمع:

إمّا للتعظيم وإما لكونه قُبلة للعالم ومحراب مساجد بني آدم، وإما لأن جهاته الأربع المكرمة بمنزلة مساجد حول الكعبة المُعظَّمة. اهـ.

(﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ [الهمزة: الآية ١]) والمنزول فيه **(الأخنس بن شريق)**. ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ بانقطاع الذكر والمراد بـ«من» العموم كما أريد العموم بمساجد الله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ﴾ أي **(ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله)** ﴿إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ حال من الضمير في «يدخلوها» أي على حال **(التهيب وارتعاد)** الفرائص من المؤمنين

قوله: (﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ [الهُمَزة: الآية ١]) في تفسير الجلالين: (﴿وَيۡلٞ﴾ [الهُمَزة: الآية ١]) كلمة عذاب أو وادٍ في جهنّم، (﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: الآية ١]) أي كثير الهمز واللَّمز، أي الغيبة. اهـ. قال القاضي: الهمز الكسر واللّمز الطعن، فشاعا في الكسر من عروض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدلّ على الاعتياد، فلا يقال: ضحكة إلّا للمتكثّر المتعوّد، انتهى. وعن مقاتل: الأول العيب بالغيب والثاني في الوجه، وقيل: باللّسان وبالعين وبالحاجب. وعن الحسن على عكسه. اهـ. كمالين.

قوله: (الأخنس) بخاء معجمة ونون وسين مهملة **(ابن شريق)** بفتح الشين المعجمة والقاف في آخره فعيل من شرق، ابن عمرو بن وهب الثقفيّ أبو ثعلبة حليف بني زهرة، اسمه أُبيّ، وإنما لقّب أخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لمّا جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقال: خنس[1] الأخنس ببني زهرة، فسمّي بذلك. ثم أسلم[2] الأخنس، وكان من المؤلفة وشهد حُنينًا ومات في أوّل خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما. اهـ. الإصابة.

قوله: (ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله). . . الخ. دفع لما يتوهّم من أن الله تعالى أخبر بأنهم لا يدخلونها إلّا خائفين، وقد دخلوها آمنين، وقد بقي في أيديهم أكثر من مائة سنة لا يدخله مسلم إلّا خائفًا حتى استخلصه السلطان صلاح الدين. **قوله: (التهيّب)** أي المخافة. في القاموس: تَهَيَّبْتُهُ: خِفْتُهُ. اهـ. **قوله: (ارتعاد)** الفرائص. في مختار الصّحاح: الارتعاد: الاضطراب، تقول: أرعده فارتعد، والاسم الرعدة بالكسر. اهـ. وأيضًا فيه الفريصة لحمة بين الجنب والكتف

---

(١) في مختار الصحاح: خَنَس عنه: تأخر، وبابه قتل، وأخنسه غيره أي خلفه ومضى عنه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضه.

(٢) عام الفتح وحسن إسلامه. ١٢ منه عم فيضه.

(أن) يبطشوا بهم فضلًا أن يستولوا عليها (ويلوها) ويمنعوا المؤمنين منها. والمعنى: ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم (الكفرة) وعتوهم. رُوِيَ أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرًا خيفة أن يقتل. وقال (قتادة): لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا بولغ ضربًا. ونادى رسول الله ﷺ ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك. وقيل: معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله (تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]) ﴿لَهُمْ

لا تزال ترعد من الدابّة، وجمعها فريص وفرائص. اهـ. وفي القاموس: الفريص أوداج العنق، والفريصة واحدته، واللَّحمةُ بين الجنب والكَتِف لا تزال تُرْعَد. اهـ. وفي لسان العرب: الفريصة لحمة عند نُغَضِ الكَتِف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان تَرْتَعِدان عند الفزع، وفي الحديث: أن النبيّ ﷺ قال: «**إني لأكره أن أرى الرجل ثائرًا فريص رقبته قائمًا على مُرِيته[1] يضربها**»، قال أبو عُبيدة: الفريصة المضغة القليلة تكون في الجنب تُرْعَدُ من الدابّة إذا فَزِعَتْ وجمعها فَرِيصٌ بغير ألف، وقال أيضًا: هي اللّحمة التي بين الجنب والكتف التي لا تزال تُرْعَدُ من الدابُّة، وقيل: جمعها فريص وفرائص. قال الأزهري: وأحسب الذي في الحديث غير هذا، وإنما أراد عَصَبَ الرقبة وعروقها؛ لأنها هي التي تثور عند الغضب. وقيل: أراد شعر الفريصة، كما يقال: فلان ثائر الرأس أي ثائر شعر الرأس، فاستعارها للرقبة وإن لم يكن لها فرائص؛ لأن الغضب يثير عُروقَها، والفريصة اللحمُ الذي بين الكتف والصدر، ومنه الحديث: «**فجيء بهما تُرْعَد فرائِصُهما**» أي ترجف، والفريصة المضغة التي بين الثدي ومرجع الكتف من الرجلِ والدابّة. وقيل: الفريصة أصل مرجع المرفقين. اهـ.

قوله: (أن) يبطشوا بهم، أي يحمل المؤمنون عليهم. **قوله:** (ويلوها) أي يتصرّفوا فيها. **قوله:** (الكَفرة) جمع كافر. **قوله:** (قتادة) بن دعامة بكسر الدال المهملة، التابعي البصري رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (كقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٥٣])، فإنه خبر لفظًا والمراد به النهي.

---

(١) مريته تصغير المرأة، استضعاف لها واستصغار ليرى أن الباطش بها في ضعفها مذموم لئيم. اهـ من هامش النهاية. ١٢ منه عم فيضه.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ قتل وسبي للحربي وذلّة بضرب الجزية للذميّ ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أي النار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ أي بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها ﴿فَأَيۡنَمَا﴾ شرط ﴿تُوَلُّواْ﴾ مجزوم به (**أي ففي أي مكان فعلتم التولية**) يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: الآية ١٤٤]، والجواب ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ أي جهته التي أمر بها ورضيها.

قوله: (أي، ففي أي مكان فعلتم التولية)... الخ. أي صرفتم وجوهكم نحو القبلة إشارة إلى أينما ظرف، تولوا لا مفعول به، وأن الفعل المذكور منزل منزلة اللازم، وليس تعلّقه بشيء من مفعوليه مرادًا، بل هما محذوفان نسيًا منسيًا، وكان أصل المعنى: ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة المأمور بها وترك المفعولان لفظًا ونيّته بناء على أنه ليس المقصود بيان الحكم المتفرّع على تعلّقه بالمفعول، وإنّما المقصد بيان عدم اختصاص إمكان فعل التولّي ببعض الأماكن دون بعض، ولو كان أين مفعولًا به لدلّ الكلام على جواز التوجه إلى أيِّ جهةٍ كانت، كما رُوِيَ أنه كان يجوز في الابتداء أن يتوجّه المصلّي في صلاته أي أيّ جهة شاء بهذه الآية، ثم نُسِخت بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٤]، ولم يعتمد المصنّف على صحة هذه الرواية، ولم يجعل الآية لتوسعة جهات التوجه، بل جعلها لتوسعة أماكن التوجّه على معنى أن التوجّه إلى القبلة في أيِّ موضع كان جائز، وجعل الوجه بمعنى الجهة كالوزن، والوعد بمعنى الزنة والعدة، فكأنه قيل: ففي أيّ بقعة من بقاع الأرض صلّيتم وفعلتم التولية، فهناك قبلة الله وجهة أمره، ولمّا كان ظاهره يُوهم اتّحاد الشرط والجزاء أشار إلى دفعه بقوله: التي أمر بها... الخ. والمعنى: أن الجهة التي توجّهتم إليها في ذلك المكان هي الجهة التي أمر الله تعالى بالتوجّه إليها ورضيها، وأن التولية المُعتبرة ممكنة في كلِّ مكان لا يختصّ إمكانها في مكان دون مكان. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

(والمعنى أنكم إذا منعتم) أن تصلّوا في المسجد الحرام أو في البيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلّوا في أي (بقعة) شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها، فإن التولية ممكنة في كل مكان. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم. (وعن ابن عمر) ﷺ: نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت.

قوله: (والمعنى أنكم إذا منعتم)... الخ. إشارة إلى أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية، والمعنى: أن بلاد الله أيّها المؤمنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب مَن خرّب مساجد الله أن تولّوا وجوهكم نحو قبلة الله أينما كنتم من أرضه. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بقعة) في المصباح: البقعة من الأرض القطعة منها، وتُضمّ الباء في الأكثر، فتجمع على بُقَع، مثل غرفة وغرف، وتفتح فتُجمع على بقاع مثل كلبة وكلاب. اهـ.

قوله: (وعن ابن عمر) أي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة، وهي المركب من الإبل ذكرًا كان أو أنثى، والمراد بالصلاة النّافلة. قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله ﷺ يصلّي وهو مُقبل من مكّة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، لا خلاف بين العلماء في جواز النافلة على الراحلة بهذا الحديث، وما كان مثله، وأجمعوا على أنه لا يجوز لأحد صحيح أن يصلّي فريضة إلّا بالأرض إلّا في الخوف الشديد خاصّة، واختلف الفقهاء في المسافر سفرًا لا يقصر في مثله الصلاة، فقال مالك وأصحابه والثوريّ: لا يتطوّع على الراحلة إلّا في سفرٍ يقصر في مثله الصلاة. وقال الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي وأصحابهما: يجوز التطوّع على الراحلة خارج المصر في كل سفر، سواء كان ممّا تقصر فيه الصلاة أم لا، فعلى تقدير كون الآية نازلة في حقّ المسافر لبيان أنه يصلّي التطوّع حيثما توجّهت به راحلته يكون معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ فإلى أيّ جهة تولوا وتوجّهوا وجوهكم، فتكون أينما مفعولًا به لا ظرف مكان، كما إذا كان خطابًا للمسلمين، بمعنى: لا يمنعكم تخريب مَنْ خرّب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من أرضه. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

(وقيل: عميت القبلة على قوم) فصلّوا إلى **(أنحاء)** مختلفة، فلما أصبحوا **(تبينوا)** خطأهم فعذروا. هو حجة على الشافعي رحمه الله فيما إذا استدبر. وقيل: فأنما تولوا للدعاء والذكر.

قوله: (وقيل: عميت القبلة على قوم)... الخ. أي التبست، يقال: عُمّي عليه الأمر إذا التبس. رُوِي عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في غزاة في ليلة سوداء مظلمة، فلم ندرِ أين القبلة، فتحرّينا فصلّى كل واحد منّا إلى جهة تحرّيه، فلمّا أصبحنا تبيّن لنا أنّا قد صلّينا إلى جهات مختلفة، منّا مَنْ صلّى إلى المشرق ومنّا مَنْ صلّى إلى المغرب وإلى غيرهما، فقدِمْنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك، فنزل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، فحينئذ لا يكون أينما ظرفًا، بل يكون مفعولًا به بمعنى الجهة المتوجّه إليها، أي إلى أيّ جهة تولوا وجوهكم: حال اشتباه جهة الكعبة عليكم بعدما بذلتم نهاية ما في وسعكم من الاجتهاد في إصابتها، فثمّ وجه الله، وقد ذهب أكثر المجتهدين إلى هذا كأبي حنيفة ومالك وسفيان وأحمد رضي الله تعالى عنهم، وقالوا: إذا صلّى في الغَيْم لغير القبلة ثمّ استبان له بعد ذلك أنه صلّى لغير القبلة، فإنّ صلاته جائزة؛ لأن التوجّه إلى عين الكعبة إنما يجب على مَنْ حضرها وشاهدها. وأمّا مَنْ كان غائبًا عنها، فليس له سبيل إلى أصابة عينها مع البُعْد عنها، بل الواجب عليه التوجّه إلى جهة الكعبة، وإنما طريق معرفتها الاجتهاد والاستدلال بالنجوم وغيرها، فإذا فات هذا الطريق الخاص للاجتهاد بسبب الغيم والظلمة، أو بالجهل انحصر طريق معرفتها في الاجتهاد بالتحرّي، فإذا أخطأ الجهة لا يجب عليه الإعادة؛ إذ هو حُكْمٌ مضى بالاجتهاد، فلا ينقض باجتهاد مثله؛ لأنّ الاجتهاد لا يفيد اليقين، فلا ينقض الاجتهاد الأول بالشكّ. وكذا الكلام في كل مسألة اجتهادية، فإنّه إذا ظهر عند المجتهد أنه أخطأ في اجتهاده باجتهاد آخر لا ينقض ما مضى ويعتبر الاجتهاد الحادث في المستقبل، لا في نسخ ما مضى.اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

فائدة:

في التفسيرات الأحمدية في مسألة ما نسخت من القبلة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: قد ذكرت فيما سبق أن هذه الآية منسوخة أو مؤوّلة، والجمهور على أنه باقية، والوجه فيه أنّ أينما إن

....

كان مفعولًا به لتولّوا، وكأن المعنى: ولله بلاد المشرق والمغرب فإلى أيّ مكان وجهة تولّوا وجوهكم فثمّ وجه الله، فلا بأس به عليكم، فلا شكّ أنها منسوخة أو محمولة على صلاة النفل على الراحلة أو اشتباه القبلة أو غير ذلك، وإن كان أينما على أصله، أعني مفعولًا فيه لتولّوا، وكان المعنى: في أيّ مكان تولّوا وجوهكم نحو القبلة، فثمّ وجه الله، فلا شكّ أنها حينئذ غير منسوخة ولا مؤوّلة، بل تأييد في باب القبلة. وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نزلت الآية في باب تحويل القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس حيث كان النبيّ ﷺ يصلّي إلى الكعبة في مكّة، ثم أُمِر بالتوجّه إلى بيت المقدس، فهناك طعن الكفار، فنزل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، يعني: لا يختصّ القبلة بالكعبة، بل إلى حيث توجّهتم، فثمّ وجه الله، ثم نسخ بالكعبة لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٤]، وهذه أوّل آية نسخت في القرآن، ذكره الإمام الزاهد وإليه مال صاحب الإتقان وبه أشار القاضي البيضاوي، حيث قال هو توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون كذلك في حيّز وجهة. والجمهور على أن المعنى: ولله بلاد المشرق والمغرب، فإن مُنِعْتم أن تصلّوا في المسجد الحرام وبيت المقدس، ففي أيّ مكان صلّيتم نحو القبلة فثمّ جهة التي أمرتم بها. وعن ابن عمر: نزلت في صلاة المسافر على الراحلة، وقيل: عُمِيت القبلة على قوم، فصلّوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبيّنوا أخطائهم فعذروا، وهو حجّة على الشافعي فيما استدبر، وقيل: معناه: فأينما تولّوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة هذه عبارة المدارك أخذ ذلك من الكشاف، ثم إنه ذكر الإمام الزاهد وجهًا آخر، حيث قال: قيل: نزلت في النجاشي حين أسلم وتوجّه إلى المدينة، فمات في الطريق، فجاء جبريل عليه السلام بأن يصلّي على النجاشي، فقال النبيّ ﷺ لأصحابه: «**صلّوا على صاحبكم**»، فقالوا: كيف نصلّي عليه وهو لم يصلِّ إلى قبلتنا؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني حيث ما صلّى لا جناح عليه؛ لأن الشرع لا يلزمه إلا بالسماع، وهو لم يسمع. ثم الوجه إمّا بمعنى الجهة أو القبلة أو الرضاء أو هو ومثله متشابهات لا نعلم كيفيّته ونؤمن بأصله، والواسع هو الجوّاد والغنيّ، هذا حاصل ما فيه.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾
(﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ﴾).

قوله: (أنحاء) جمع نحو، والنحو الجهة. **قوله:** (تبينوا) أي علموا في المصباح بأن الأمر يبين، فهو بين وجاء بائن على الأصل، وأبان إبانة وبيَّن وتبيّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف، والاسم البيان، وجميعها يستعمل لازمًا ومتعدّيًا إلّا الثلاثي، فلا يكون إلا لازمًا.اهـ. وفي تاج العروس: بأن بيانًا اتّضح فهو بين كسيد ج أبيناء كهين وأهيناء، وبيّنته بالكسر وبيّنته وتبيَّنته وأبنته واستبَنْتَه أوضحته وعرفته، فبان وبيَّن وتبيَّن وأبان واستبان كلّها لازمة متعدّية، وهي خمسة أوزان.اهـ. باختصار.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ﴾)... الخ. هذه الآية ردٌّ لمّا قالت اليهود: عزير ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله، ومشركوا العرب: الملائكة بنات الله، وسبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيدٌ له، وفي قوله: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ استدلال على فساده، يعني أنه خالق ما في السمٰوات والأرض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾، أي كل واحد مما في العالم منقادون لا يمنعون من مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس تكوينه الواجب لذاته وكل مَنْ جعلوا ولدًا له يطيعون ويقرّون بالعبودية، وإنما جاء بكلمة ما الذي هو لغير أولى العلم مع صيغة الجمع الذي هو لأُولي العلم أعني قانتون تحقيرًا لشأنهم هكذا ذكروا، وقد أطال الإمام الزاهد الكلام في إثبات تشبيه الولد لوالده، ونفى مماثلة الله تعالى للعالم بوجه، وقال: إن سبحان كلمتان جُمِعتا والعرب متى تعجّبوا من شيء، قالوا: سب والعجم متى تعجّبوا، قالوا: حان، جَمَعهما الله تعالى للمبالغة، وقال: إن القنوت تارة يُستعمل بمعنى الدعاء، وتارة بمعنى الطاعة، وتارة بمعنى القيام، فإنْ حملته على القيام، فظاهر أنّ الكل قائمون بالعبودية دائمون على حالة واحدة، وإن حملته على الدعاء والطاعة، فإمّا أن يُراد بالكلّ هم المؤمنون على الخصوص طَوْعًا، أو الكافرون كرهًا، وإمّا أنْ يراد أعمّ من أن يكون طوعًا أو كرهًا، والمسلمون داعون الله مطيعون له طوعًا والكافرون كرهًا، وعند الاضّطرار، وفي القيمة هذا حاصل ما فيه.

(يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله). «قالوا»: (شامي) فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها، وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عن ذلك وتبعيد ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي هو خالقه ومالكه (ومن جملته المسيح وعزير) والولادة تنافي الملك. ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره. والتنوين في «كل» عوض عن المضاف إليه (أي كل ما في السمٰوات) والأرض، أو كل مَن جعلوا

والمقصود من ذكر الآية أنها تدلّ على أنّ المملوكية تنافي الولادة للمالك، وهي بهذا المضمون كثيرة في القرآن. وقال القاضي البيضاوي: واحتجّ بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه؛ لأنه تعالى نفى الولد بإثبات الملك، وذلك يقتضي تنافيهما، هذا لفظه. والمشهور في ذلك بين الفقهاء قوله عليه السلام: «من ملك ذا رحم محرم عتق عليه». واختلف في ذلك، فعندنا علّة العتق هي المُلْك مع القرابة المحرّمة للنكاح، وإنما أُضيف العتق إلى الملك؛ لأنه آخرهما وجودًا، والحكم يُدار على آخر جزء من أجزاء العلّة، ولهذا إذا كان القرابة مؤخّرة يضاف إليهما، كما إذا اشتريا عبدًا مجهول النسب، ثم ادّعى أحدهما أنه ابنه يُعتق ويغرم لشريكه قيمة نصيبه. وبالجملة فيخرج المحرم الغير القريب كالرّضاعى والقريب الغير المحرم كابن العم، وبقي قرابة الولادة والأخوة والعمومة على حالها، وعند الشافعي رحمه الله: العلّة هي الجزئية، فيعتق الولد على والده وبالعكس، ولا يعتق الأخ على أخيه؛ إذ لا جزئية ثمّة، وتفاصيل هذه الأحكام في الكتب المبسوطة. اهـ. التفسيرات الأحمدية.

قوله: (يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله) والملائكة بنات الله. اهـ. كشاف. يعني: أن الضمير لمن سبق ذكرهم من النّصارى واليهود والمشركين الذين لا يعلمون. **قوله:** (﴿قَالُوا۟﴾) بغير واو على الاستئناف[1]، (شامي) أي ابن عامر (الشامي). والباقون بالواو. **قوله:** (ومن جملته المسيح وعزير) والملائكة. **قوله:** (أي كل ما في السمٰوات)، يعني: ليس المضاف إليه

---

(١) الاستئناف بياني، كأنه قيل بعد ما عدّد من قبائحهم: هل انقطع أسبابهم في الافتراء على الله، أم امتدّ؟ فقيل: بل امتدّ، فإنهم قالوا ما هو أشنع من ذلك. اهـ شهاب رحمه الله. ١٢ منه عم فيضهم.

لله ولدًا له قانتون مطيعون عابدون مقرّون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم. (وجاء بـ «ما» **الذي لغير أولي العلم مع قوله**: «قانتون») كقوله: «سبحان ما سخركن لنا».

المحذوف هو واحد، أي كل واحد على ما هو الشائع في كل إذا كان منوّنًا؛ لأنه لا يناسبه قانتون بلفظ الجمع، بل ما في السمٰوات والأرض جميعًا بقرينة سبق الذِّكر أو البعض منه خصوصًا، أي من جعلوه ولدًا له بقرينة المقام، فحاصل القنوت على الأوّل الانقياد لأمر التكوين، وعلى الثاني الانقياد لأمر التكليف. اهـ. تفتازاني.

قوله: (وجاء بِمَا الذي لغير أولي العلم) بحسب أصل الوضع. اهـ. عصام رَحِمَهُ اللَّهُ. **(مع قوله: قانتون)**، فإن الجمع بالواو والنون يُطلق على العقلاء خاصّة؛ كقوله: سبحان ما سخر لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده. اهـ. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، أي عبّر عن العقلاء وغيرهم بلفظ ما تحقيرًا لشأن العقلاء الذين جعلوا ولدًا لله تعالى، فكان هذا من قبيل سبحان ما سخركنّ لنا حيث عبّر عن ذوي العلم خاصّة بلفظه الدّال على إبهام الوصف تعظيمًا لشأنه. اهـ. تفتازاني.

وقوله: جاء بما الذي لغير أُولي العلم استئناف وجواب عمّا يقال: كيف غلب غير العقلاء حيث أتى بلفظ ما مع تغليب العقلاء في قانتون، وحاصله أن تغليب غير العقلاء لإرادة التحقير زعمًا للعباد وإظهار الفساد، فإنهم في نفس الأمر معظم موقّر مقرّب عند الله تعالى، لكن بالنسبة إلى كبريائه تعالى وكمال عظمته وسِعة قدرته متساوية للجمادات في عدم الصلاحية للألُوهية واستحقاق العبادة المقتضي ذلك اتخاذهم ولدًا. اهـ. قنوى رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي السمين قال الزمخشري: فإن قلت: كيف **جاء** بما الذي **لغير** أُولي العلم، مع قوله: ﴿قَٰنِتُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٦]، قلت: هو كقوله: سبحان ما سخركن لنا، وكأنه جاء بما دون مِنْ تحقيرًا لهم وتصغيرًا لشأنهم، وهذا جُنُوحٌ منه إلى أن ما قد يقع على أُولي العلم، ولكن المشهور خلافه. وأمّا قوله: سبحان من سخر لنا، فسبحان غير مضاف، بل هو كقوله: سبحان من علقمة، وما مصدرية ظرفية. اهـ. بحروفه.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ **(أي مخترعهما ومبدعهما)** لا على مثال سبق. وكل مَن فعل ما لم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنّة والجماعة مبتدع لأنه يأتي في دين الإسلام ما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون ﵃ ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي حكم أو قدر ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هو من

فائـــدة:

قد يستعمل سبحان علمًا للتسبيح، فإن العلمية كما تجري في الأعيان تجري في المعاني أيضًا، فتقطع عن الإضافة؛ لأن الأعلام لا تضاف فتُمْنع من الصرف للعلمية، والألف والنون المزيدتين كما في بيت الأعشى:

قد قلت لما جاء في فخره سبحان من علقمة الفاخر

والعرب تقول: سبحان مِنْ كذا إذا تعجّب منه، فقوله: سبحان من علقمة، أي أتعجّب منه إذا فخر، وكيف يفخر والحال أن كل ما به من النِّعَم والفضائل، فهو من عند الله تعالى، فحقّه أن يستغرق أوقاته في شكر المُنْعم والدليل على كون سبحان علمًا في بيت الأعشى أنه ذكر غير منصرف، ولولا أنه علم لوجب صرفه؛ لأنّ الألف والنون في غير الصفات إنما تمنع مع العلمية، فعدم انصرافه إنما هو للعلمية والألف والنون المزيدتَيْن. قال ابن الحاجب في الإيضاح: ولا يستعمل سبحان علمًا إلّا شاذًّا؛ إذ كَثُر استعماله مضافًا، وإذا كان مضافًا، فليس بعلم لأن الأعلام لا تضاف، وهي أعلام لأنها معارف، والمعرفة لا تُضاف.

قوله: (أي: مخترعهما ومُبدعهما)، يعني: أن البديع فعيْل بمعنى المُبدع، وهو الذي يُبدع الأشياء، أي يحدثها ويُنْشئها على غير مثال سبق، كالأليم بمعنى المؤلم، والحكيم بمعنى المحكم، والسميع بمعنى المُسمع، والبصير بمعنى المُبْصر، والإبداع إيجاد فعل ابتداعًا واختراعًا على غير مثال. وقيل: البديع والمبتدع في اللغة واحد، وهو الذي لم يسبقه أحد في إنشاء مثل فعله، ولذلك سمّي صاحب الهوى مبتدعًا لما لم يسبقه أحد من أرباب الشرع في إنشاء مثل فعله، وفي مختار الصحاح: اخترع كذا أي اشتقّه، وقيل: أنشأه وابتدعه. اهـ.

«كان» التامة أي (**أحدث**) فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين (**وتمثيل**) ولا قول ثَمَّ. وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه إباء. وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن مَن كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الأجسام (**فأنى**) يتصوّر التوالد ثَمَّ. والوجه الرفع في «فيكونُ» وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون، أو على العطف على «يقول». (**ونصبه ابن عامر على لفظ «كن» لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب**). وقلنا: إن «كن» ليس بأمر حقيقة إذ لا فرق بين أن يقال وإذ قضى أمرًا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون، وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب. (**وهذا لأنه لو كان أمرًا**) فإما

قوله: (أحدث) بضمّ العين أمر (**وتمثيل**) أي تمثيل حصول ما تعلّقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع، بلا توقّف. **قوله**: (فأنى، أي: **فكيف**). **قوله**: (**ونصبه ابن عامر**) الشامي (**على لفظ كُن؛ لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء ونصب**)، أي: على أنه جواب الأمر، فإن قوله: كُنْ أمر بحسب اللفظ والصورة، فجاز انتصابه المضارع بعده بإضمار أن نظرًا إلى ظاهر اللفظ، وإن لم يكن أمرًا بحسب المعنى والحقيقة، بل هو مجاز عن سرعة التكوين، كما مرّ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قراءة النصب قراءة ابن عامر رحمه الله، وقد أشكلت على النّحاة حتى تجرأ بعضهم عليه، وقال: إنها خطأ وهو سوء أدب.اهـ. وقرأ الباقون بالرفع.

قوله: (**وهذا لأنه لو كان أمرا**). . . الخ. قال النِّحرير التفتازاني رحمة الله عليه: ما ذكر من حمل الكلام على التمثيل هو المعوّل عليه عند الجمهور، وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة، وقد جرت السُّنَّة الإلـٰهيّة بأن تكوّن الأشياء بكلمة كُنْ، ويكون المأمور هو الحاضر في العلم والمأمور به الدخول في الوجود.اهـ. وقوله: ويكون المأمور هو الحاضر في العلم جواب عمّا يقال كلمة كن لفظ أمر يقتضي مخاطبًا مأمورًا بالوجود والحدوث والأمر والخطاب يقتضي أمرًا موجودًا، فالشيء لا يقال له كُن حال عدمه، وكذا لا يقال له حال وجوده؛ لأن الشيء لا يؤمر بالوجود حال وجوده.

أن يخاطب به الموجود، (والموجود لا يخاطب) بـ «كن» أو المعدوم (والمعدوم لا يخاطب).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١١٨﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من المشركين أو من أهل الكتاب، ونفى عنهم العلم لأنهم لو يعملوا به ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ (هلا يكلمنا) كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارًا منهم وعتوًا ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ جحودًا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾ أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في (العمى) ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها (والإذعان) لها والاكتفاء بها عن غيرها.

وقوله: (والموجود لا يخاطب)؛ لأنه تحصيل الحاصل. **وقوله:** (والمعدوم لا يخاطب)، وهو ظاهر؛ لأنه يلزم اجتماع النقيضين.

قوله: (هلا يكلمنا) إشارة إلى أنّ لولا هنا للتحضيض، وحروف التحضيض إذا دخلت على الماضي كان معناها التوبيخ واللّوم على ترك الفعل، بمعنى: لِمَ لَمْ يفعله، ومعناها في المضارع تحضيض الفاعل على الفعل والطلب له، فهي في المضارع بمعنى الأمر، وليست لولا هذه هي التي تُفيد امتناع الشيء لوجود غيره، والفرق بينهما أن لولا التي للتحضيض لا يليها إلا الفعل لفظًا، نحو: لولا أرسلت إلينا رسولًا، ولولا يكلّمنا الله، أو تقديرًا، والتي للامتناع يليها المبتدأ، أو قد جرت العادة بحذف خبره، نحو: لولا زيد لهلك عمرو، أي: لولا زيد موجود. **قوله:** (﴿وَعَتَوْا۟﴾ [الأعراف: الآية ٧٧]) أي استكبارًا. **قوله:** (العَمَى)، في المصباح: عَمِيَ عَمًى فَقَدَ بصره، فهو أعمى، والمرأة عَمْياء، والجمع عُمْيٌ من باب أحمر وعُمْيان أيضًا، ويعدّى بالهمزة، فيقال: أعميته ولا يقع العَمَى إلّا على العينين جميعًا، ويستعار العَمَى للقلب كناية عن الضلالة، والعلاقة عدم الاهتداء فهو عَمٍ وأعمى القلب. **قوله:** (الإذعان) في المصباح: أذعن إذعانًا انقاد، ولمّ يستعصِ. اهـ.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ (بِٱلۡحَقِّ) بَشِيرٗا﴾ للمؤمنين بالثواب ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ للكافرين بالعقاب ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ولا نسألك فيهم ما لهم لم يؤمنوا بعد **(أن بلغت)** وبلّغت جهدك في دعوتهم وهو حال كـ«نذيرًا» وبشيرًا و«بالحق» أي وغير مسؤول أو مستأنف. **(قراءة نافع** و«**لا تسأل**» **على النهي)** ومعناه ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان سائلًا عن الواقع في بلية فيقال لك: لا تسأل عنه. **(وقيل: نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري)** ما فعل أبواي.

قوله: (﴿بِٱلۡحَقِّ﴾) أي ملتبسًا مؤيّدًا به. **قوله: (أن بلّغت)** بالتشديد بتاء الخطاب، وبلغت بالتخفيف جهدك، أي صرفت طاقتك في دعوتهم. **قوله: (قراءة نافع)** المدني، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، **(ولا تسأل عن النهي)** أي بفتح التاء وحزم اللام بلاء الناهية بالبناء للفاعل، والباقون بضمّ التاء ورفع اللام على البناء للمفعول بعد لا النافية. **(وقيل: نهى الله نبيّه عن السؤال عن أحوال الكَفَرة، حين قال: ليت شِعْري)** أي ليتني شَعَرْتُ ما فعل أبواي، قال الطيبي: أي فعل بهما. وفي الحديث: «**يا أبا عمير، ما فعل النُّغير؟**» أي إلى أيّ شيء انتهى عاقبة أمره، فلو قيل: ما فعلت بالنغير، لم يكفِ في الاهتمام بذلك، والنغير تصغير نغر، وهي طير كالعصافير حُمُر المناقير في كتاب إتحاف فضلاء البشر.

في القراءات الأربعة عشر: النهي هنا جارٍ على سبيل المجاز لتفخيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب؛ كقولك لمن قال لك: كيف حال فلان؟ أي لا تسأل عمّا وقع له، أي حلّ به أمرٌ عظيم غير محصور. وأمّا جعله على حقيقته جوابًا لقوله ﷺ: «**ما فعل أبواي**»، فغير مرضيّ واستبعده في المنتخب؛ لأنه ﷺ عالم بما آل إليه أمرهما من الإيمان الصحيح. قال العلّامة ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: وحديث إحيائهما له ﷺ حتى آمنا به ثم توفّيا حديث صحيح، وممّن صححه القرطبي والحافظ ابن ناصر الدين حافظ الشام والطعن فيه ليس في محلّه؛ إذ الكرامات والخصوصيات من شأنهما أن تخرق القواعد والعوائد كنفع الإيمان هنا

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا **(إقناطًا)** منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام، فذكر الله عز وجل كلامهم. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي رضى لعباده ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي الإسلام. وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذي تدعون إلى اتباعه ما هو هدى إنما هو هوى. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي من العلم بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج **(اللائحة)** ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله (﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾) ناصر.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والإنجيل، أو أصحاب النبيّ عليه السلام والكتاب القرآن. ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ حال مقدرة من «هم» لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه، ونصب على المصدر. ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبير والتفكر، أو يعملون به ويؤمنون بما فيه مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبيّ ﷺ. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ

بعد الموت لمزيد كمالهما، وأطال في ذلك. وأمّا الحديث المذكور وهو: **«ما فعل أبواي»**، ففي الدرّ المنثور للسيوطي: أنه حديث مرسل ضعيف الإسناد، وقد ألّف كتابًا في صحة إحيائهما ﷺ، فليراجع. اهـ.

قوله: (إقناطًا) في المصباح: القنوط بالضم الإياس من رحمة الله تعالى، قَنَط يقنط من باب ضرب وتَعِب، وهو قانط وقنوط. وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قعد ويعدّى بالهمزة. اهـ.

قوله: (اللائحة) أي الظاهرة. **قوله:** (﴿مِن وَلِىٍّ﴾) يلي أمرك عمومًا (﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾) ناصر يدفع عنك عقابه.

خبره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ والجملة خبر «الذين» (ويجوز أن يكون «يتلونه» خبرًا)، والجملة خبر آخر. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي أنعمتها عليكم ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا (عَدْلٌ) وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ «هم» رفع بالابتداء والخبر «ينصرون». والجمل الأربع وصف لـ«يومًا» أي واتقوا يومًا لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه. وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم، وختم قصة بني إسرائيل بما بدأ به.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَإِذِ﴾ أي واذكر إذ ﴿ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ اختبره بأوامر ونواه. والاختبار منا لظهور ما لم نعلم، ومن الله لإظهار ما قد علم، وعاقبة الابتلاء ظهور

قوله: (ويجوز أن يكون يتلونه خبرًا للاسم) الموصول، على تقدير: أن يحمل الموصول على الصنف الخاص على العهد الخارجي، وفي الوجه الأوّل استفيد الخصوص من التقييد بالحال.

قوله: (عدل) بالفتح بمعنى الفدية، وهي ما يماثل الشيء قيمة، وإنْ لم يكن من جنسه، والمعنى لا يؤخذ منها فدية تنجو بها من النار، ولا تجد ذلك لتفدي به. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧] من سوء العذاب يوم القيامة، وقال: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعَام: الآية ٧٠]، وسمّيت الفدية عدلًا لأنها تعادل ما يقصد إنقاذه وتخليصه، يقال: فداه إذا أعطى فداءه، فأنقذه.

الأمر الخفي في الشاهد والغائب جميعًا فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى. وقيل: اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك. وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: «إبراهيمُ ربه»، برفع إبراهيم وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما، أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط (وتوانٍ) ونحوه ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: الآية ٣٧] ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا. والكلمات على هذا ما سأل إبراهيم ربه في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: الآية ١٢٦]. ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ١٢٨]. ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٢٩]. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: الآية ١٢٧]. والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الرأس: (**الفرق وقصّ الشارب**) والسواك والمضمضة والاستنشاق. وخمس في الجسد: (**الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء**). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (**هي ثلاثون سهمًا من الشرائع: عشر في براءة** ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾) [الآية ١٢]، (الآية. وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾) [الآية ٣٥] (الآية. وعشر في المؤمنين والمعارج إلى قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾) [الآية ٩].

قوله: (توانٍ) أي تقصير. **قوله:** (الفرق) أي تفريق شعر الرأس في الجانبين. **قوله:** (وقص الشارب) أي قطعه بالمقصّ، وهو المقراض. **قوله:** (**الختان**) وهو قطع الجلدة الزائدة من الذَّكر. **قوله:** (وتقليم الأظفار) أي قصّها. **قوله:** (**نتف الإبط**) بالسكون ويُكسر، أي قلع شعره بحذف المضاف، وعلم منه أن حلقه ليس بسنّة، وقيل: النّتف أفضل لمن قَوِيَ عليه. **قوله:** (وحلق العانة)، قال الأبهري: ولا يترك حلق العانة ونَتْف الإبط وقصّ الشارب والأظفار أكثر من أربعين يومًا؛ لِمَا روى مسلم من حديث أنس: وقّت لنا في قصّ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة. **قوله:** (**الاستنجاء**) أي غسل مكان الغائط والبول. **قوله:** (هي ثلاثون سهمًا من الشرائع: عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١٢] الآية. وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية. وعشر في المؤمنين والمعارج إلى قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية ٩]) عبارة الكشاف: قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشرٌ في براءة التائبون

....

العابدون، وعشرٌ في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]، وعشرٌ في المؤمنون: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤].اهـ. قال العلّامة التفتازاني: قوله: عشرٌ في براءة بأن يضم إلى التّسعة المذكورة الإيمان المشار إليه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية ١١٢]، أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، وعشرٌ في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥]، وعشرٌ في المؤمنين: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] من قوله في المؤمنون: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٢] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآية ٣٤]، فإن قيل: المذكور في السورتين أربعة عشر ستّ في المؤمنون، وثمانية في سأل سائل وإذا أسقط المكرّر وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظين عليها، والذين في أموالهم حقٌّ معلوم غير الفاعلين للزكاة لشموله ما يوصل به الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقّق في كل من براءة والأحزاب عشر لتكرار المؤمنين. قلنا: يجوز أن يجعل الدائمون أيضًا غير المحافظين، أو يجعل الدائمون للأمانات والعهد اثنين ليتحقّق في السورتين أحد عشر، وفي براءة والأحزاب تسعة عشر، فيصير المجموع ثلاثين، لكن لا يبقى حينئذ في كلٍّ من البراءة والأحزاب عشر.اهـ. بحروفه.

وعبارة تفسير البيضاوي: والكلمات قد تُطلق على المعاني، فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠].اهـ. قال العلّامة عصام رحمه الله: قوله: والكلمات قد تطلق على المعاني لشدّة اتصال بين اللّفظ والمعنى، فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في التائبون... الخ. قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية في براءة من الله، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية ٣٥] الآية في الأحزاب، ويريد بقوله: إلى آخر الآيتين آية التائبون وآية إن المسلمين، وههنا بحث، وهو أن المذكور في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] تسع يجعل عشرًا بضمّ الإيمان المستفاد من

....

قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣]، أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] عشرٌ، وفي قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ⑩﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] ستّة، والإيمان مكرّر، ولو كان الإسلام عين الإيمان فهو أيضًا مكرّر، وحفظ الفرج مكرّر، والمحافظة على الصلاة مكرّرة، فكيف تكون الخصال المذكورة في هذه الآية ثلاثين؟ ولعلّه أسقط الناسخ سهوًا ذكر سأل سائل حيث جعل الكشّاف الثلاثين في الآيات المذكورة مع سأل سائل إلى أنه يصير المذكورة فيها ثلاثين وأربعة وبإسقاط المكرّرات تبقى تسعة وعشرون، فيتكلّف لتقدير الثلاثين باعتبار المحافظة على الصلاة، حيث جعل عشرًا في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، وعشرًا في الأحزاب، وعشرًا في ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [المؤمنون: الآية ١] و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١]، فتأمّل.اهـ. بحروفه. فقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: فسّرت بالخصال الثلاثين... الخ. هذه الثلاثين جعلها في الكشاف عشرًا منها في سورة براءة، وعشرًا في سورة الأحزاب، وعشرًا في سورة المؤمنون وسأل سائل وآية براءة التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، وآية المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ① ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ② وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ④ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ⑦ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ⑧﴾ [الآيات ١ ـ ٨]، وآية الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]، وآية: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١]، ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ㉒ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ㉓ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ㉔ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ㉕ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ㉖ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ㉗ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ㉘ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ㉙ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ㉚

....

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآيات ٢٢ - ٣٤]، والمذكور في السور الثلاث ستّ وثلاثون، وهي التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللّغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصّبر والخشوع والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلاة، وأنت إذا أسقطت المكرّر حصل منه ثلاثون كما في الكشاف والمصنف رحمه الله ما نظر إلى المكرّر، وكان لاحظ فيه مغايرات اعتبارية بقيود خارجية، فأسقط السورة الثالثة وخالف ما صنعه الزمخشري، ولا يخفى أنه إن كان هذا مأثورًا في أحدهما فلا وجه للآخر، وإن لم يكن كذلك فالأَوْلى ترك هذه التكلّفات. اهـ. بحروفه.

وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى في سورة براءة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الآية ١١٢]، وقوله في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ - ١١]، والظاهر أن طريق توزيع الخصال الثلاثين على السور

....

الثلاث اشتمال كل واحدة من تلك السورة على عشر خصال، فإنّ سورة براءة مشتملة عليها بأربعة الإيمان المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، خصلة مستقلّة، واشتمال سورة الأحزاب عليها ظاهر. وأمّا اشتمال سورة المؤمنين عليها، فبأن يعتبر كل واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللّغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة، وكون الإيمان معدودًا في السورتين المعدودتين الأخيرتين لا ينافي كون مجموع الخصال ثلاثين؛ لأنه لمّا كان المذكور في كل سورة عشرًا كاملة بناءً على أن شيئًا من الخصال لم يُذكر مكرّرًا في شيء من السور كان المذكور في مجموع السور الثلاث ثلاثين خصلة والتكلّف اللازم لمّا اختاره المصنّف أهون مما لزم لمّا اختاره صاحب الكشاف، فلذا عدل عنه المصنف. اهـ.

وقال العلّامة إسمٰعيل القنوي رحمه الله: قوله: فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]، قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية في سورة براءة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية في سورة الأحزاب، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]، ولمّا كان الآيات متعدّدة هنا احتاج إلى بيان غايتها بخلاف الأُوليين والمذكورة في السور المذكورة ستّ وثلاثون خصلة، وهي: التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللّغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإيمان والقنوت والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومُداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلوات، وأنت إذا أسقطت المكرّر حصل منه ثلاثون بين كلام المصنف وبين بيان الزمخشري نوع مخالفة، حيث قال الزمخشري: وقيل

....

ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشرٌ في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢]، وعشرٌ في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]، وعشرٌ في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. والمصنّف لما نظر أن المذكور في السورتين الأخيرتين أربعة عشر ستّ من المؤمنون، وثمانٌ في سأل سائل، وإذا أسقط المكرّر وجعل الدّائمون على الصلاة هم المحافظون عليها، والذين في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم وغير الفاعلين للزكاة؛ لشموله ما يوصل به الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقّق في كلّ من البراءة والأحزاب عشر لتكرّر المؤمنين، وإن جعل الدّاعون أيضًا غير الحافظين، أو جعل الرّاعون للأمانات اثنين لتحقّق في السورتين أحد عشر، وفي براءة والأحزاب تسعة عشر، فيصير المجموع ثلاثين لم يبقَ ح في كلّ من براءة والأحزاب عشر، كما هو مدعاه لم يتعرض لسأل سائل، بل أخذ الثلاثين من ثلث، لكنه لم يسقط المكرّر، بل أخذ العشرين من الآيتين، والعشر من قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون: الآية ١] إلى آخر ما ذكر حيث اعتبر كلاً من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللّغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلة، فخصلة الإيمان قد تكرّرت، كذا قيل. وفي اللّباب: وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يبتل أحد بهذا الدين، فأقامه كلّه إلّا إبراهيم عليه السلام ابتلاه بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشرٌ منها في سورة براءة التائبون إلى آخرها، وعشرٌ في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها، وعشرٌ في المؤمنين: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]، وكذا التفسير الكبير، لكن لم يذكر عكرمة حيث قال: أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمصنف رحمه الله اختار ذلك بناءً على هذه الرواية. وأمّا ما اختاره الزمخشري من ضمّ سأل سائل، فمقتضاه كون الخصال أربعين. وفي اللّباب: ورُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أربعون، فزادها عشر في ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤]، لا كلام في

....

أن الخصال المذكورة في سورة الأحزاب عشرة. وأمّا في سورة التوبة، فكونها عشرة بناءً على أن الإيمان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] معتبرٌ فيها لكونه آخر الآية، والقول الإيمان المأخوذ من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١] الآية، ضعيف؛ لأنه ليس من آية التائبون، وكذا القول بأنّ الجهاد معدود منها؛ لأن التائبون مرفوع على المدح، أي هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون؛ لأنه خارج عن آية التائبون، ولو كان التائبون خبرًا للمبتدأ إذ مقدرات القرآن كونها من القرآن مقالات بين الثّقات على أنه يحتمل أن يكون مبتدأ خبره محذوف، تقديره التائبون من أهل الجنّة وإن لم يجاهدوا، وخبره ما بعده، أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال، كذا قال المصنّف رحمه الله هناك. وأما في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: الآية ١] فبناء على أنه لم يسقط المكرّر واعتبر كلّ واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللّغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة، وتكرّر خصلة الإيمان لكونه موقوفًا عليه على أنه في الحقيقة ليس بمتكرّر؛ لأنّ المذكور الأمر بتبشير المؤمنين في البراءة وإخبار الفلاح في المؤمنون، وفي الأحزاب بإعداد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، وبهذا الاعتبار لم يتمحض في التكرار، ثم المراد بالتوبة المعدودة من الخصال التوبة عن الزلّات، وما ذكره المصنف رحمه الله في تفسير الآية المذكورة من قوله: أي التائبون عن الكفر، فهو بالنسبة إلى آحاد المؤمنين، وكذا المراد بالصلاة والصوم والزكاة ما شرع له في شرعه لا ما شرّع في هذه الأمّة، والقول بأنه يجوز توافق الشرعين في تلك الفروع غير ظاهر؛ إذ الظاهر أن صوم رمضان مختصّ بهذه الأمّة، وإن قيل بعدم اختصاصه وصلاة العشاء الأخيرة مختصّة بهذه الأُمّة على ما ورد في الحديث، والأسلم أن يقال: إن الخصال التي كُلّف بها إبراهيم عليه السلام نوع ما ذكرت في هذه الآيات الثلاث لا خصوصها في الجميع، وإن صحّ الخصوص في بعضها. اهـ. بحروفه. وقال العلّامة عبد الحكيم السيلكوتي رحمه الله: قوله: بالثلاثين المحمودة المذكورة أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس

....

رضي الله تعالى عنهما عشرٌ منها في سورة براءة من قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية، وعشرٌ منها في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها، وعشرٌ منها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] كذا في تفسير الكبير، فالعشرة المكذورة في سورة براءة التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله والإيمان المُستفاد من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، أو من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، والعشرة المذكورة في سورة الأحزاب: الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدّق والقيام والحفظ للفروج والذِّكر، والعشرة المذكورة في المؤمنين: الإيمان والخشوع والتصدّق والقيام والحفظ في الصلاة والإعراض عن اللّغو والزكاة والحفظ للفروج إلّا على الأزواج والإماء ثلاثة، والرعاية للعهد والأمانة اثنين، والمحافظة على الصلاة ولزوم التكرار في بعض الخصال بعد جمع العشرات المذكورة كالإيمان والحفظ للفروج لا ينافي كونها ثلاثين تعدادًا، إنما ينافي تغايرها ذاتًا. ألا يرى أنه روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها أربعون بيَّنها بضمّ ما وقع في سأل سائل، كما في التفسير الكبير، وإن التسمية عدّت مائة وثلاثة عشر آيات عند الشافعية، باعتبار تكرارها في كل سورة. وأمّا ما وقع في الكشاف قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين منها، عشرة في براءة التائبون العابدون، وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥].اهـ. وعشرة في المؤمنين، وسأل سائل إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [المعارج: الآية ٣٤]، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما في المعنى، فمبنيٌّ على اعتبار التغاير بالذات وإسقاط المكرّرات وعدّة العاشرة البشارة للمؤمنين في سورة براءة، وجعل الدوام على الصلاة والمحافظة عليها واحد، والذين في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم غير الفاعلين للزكاة لشموله صدقة التطوّع وصلة الأقارب، وبما ذكرنا ظهر لك اندفاع الشكوك التي عرضت للناظرين في هذا الكتاب وتوهمهم مخالفة لما في الكشاف.اهـ.

(وقيل: هي مناسك) الحج ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ هو اسم من يؤتم به أي يأتمون بك في دينهم. ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعل من ذريتي إمامًا يقتدى به. ذرية الرجل أولاده ذكورهم وإناثهم فيه سواء. **(فعيلة من الذرء أي الخلق فأبدلت الهمزة ياء)**. ﴿قَالَ (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ **بسكون الياء: حمزة وحفص)** أي لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر.

قوله: (وقيل: هي مناسك) الحجّ، فالمعنى وإذ كلّف إبراهيم عليه السلام ربّه بمناسك الحجّ، أي بمواضع العبادة المتعلقة بالحجّ وإقامة ما يليق بكل موضع من العبادة؛ كالطواف والسعي ورمي الجمار والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة وغير ذلك، فإذا هنّ تامّات كاملات من غير نقصان. **قوله: (فُعِّيلَة من الذرء، أي الخلق)** فاصلها ذرّيئة **(فأُبدلت الهمزة ياء)**، فأدغمت الياء في الياء الثانية. **قوله:** (﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾)، هو الذي تمسّك به المعتزلة أن إمامة الفاسق لا يجوز؛ لأنه ظالم، والظالم ممنوع إمامته بهذا النصّ، والمراد بالإمامة الإمامة الكبرى دلّ عليه ما قاله في الكشاف، وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة، وكيف يصلح لها مَنْ لا يجوز حكمه وشهادته ولا يجوز طاعته ولا يُقبل خبره ولا يقدّم للصلاة، وهكذا ذكروا الكلام إلى آخره، وحاصل ما أجابه أهل السنّة أن الإمام إن كان على معناه المتعارف كان المراد بالظالم الكافر؛ إذ هو الظالم المطلق، وإن أُيد به ذو النبوّة كان الظالم على معناه، كما نُقِل أن إبراهيم عليه السلام إنما سأل أن يكون بعض أولاده نبيًا كما كان هو، فأُخْبِر أنّ الظالم لا يكون نبيًا، هكذا في المدارك. وأقول: فعلى التقدير الأوّل يكون المراد بالظالم الكافر وهو لا يصلح لإمامة المسلم على ما في الزاهدي، وعلى التقدير الثاني يكون الآية بحيث يستدلّ بها على أن الأنبياء معصومون عن الذنوب والكذب؛ إذ يُفهم عصمتهم عن الظلم ح، وكل ذنب ظلم لأنه تجاوُزٌ عن الحقّ وتعدٍّ عليه وكثير من الذنوب يسمّى ظلمًا في القرآن كما يدلّ عليه قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٥]، وهذا الذي نسجه عنكبوت خاطري، ولله الحمد على أن جعله مناسبًا لما ذكره القاضي البيضاوي حيث قال: وفي الآية دليل على عصمة الأنبياء عن تعمّد الكبائر قبل البعث، وأن الفاسق لا يصلح للإمامة، تمّ لفظه.

....

ولكن لقائلٍ أن يقول: لا وجه لجعل الظالم بمعنى الكافر حين يُراد بالإمامة المتعارف وجعله على معناه حين يُراد بها النبوّة حتى جوّز إمامة الفاسق والظالم، ولم يجوّز صدور الذنوب عن الأنبياء، بل إن كنت قائلًا بأن الظالم على معناه، وأن منع الإمامة بمعنى النبوّة عن الظالم يُوجب عصمة الإمام، فكن قائلًا بأن الإمامة للفاسق لا يجوز، كما قاله القاضي، وبأن الإمامة يُشترط فيها العصمة، كما ذهب إليه الشيعة من أن الإمام يجب أن يكون معصومًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، إذ كل ذنب ظلم بعين الدّليل الذي ذكرت في عصمة الأنبياء على ما نقل به التفتازاني في شرح العقائد، وأيضًا قد ذكر التفتازاني في جوابه بأنّا لا نسلم إن عدم كون الإمام ظالمًا يوجب عصمته، وهذا يخالف ما ذكرت من المقدّمات في عصمة الأنبياء، وأيضًا قد ذكر التفتازاني في عصمة الأنبياء. وأمّا ما قبل الوحي، فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة. وذهب المعتزلة إلى امتناعها إلى آخره، فجعل هذا الاعتقاد للمعتزلة دون اعتقادنا، فيخالف ما نقلت من البيضاوي صريحًا، فكيف التوفيق بينهما، ويمكن أن يُجاب عنه بأنّ كلام كل مبنيّ على طبق مذهبه، فإنّ مذهبنا أن الفاسق وكذا الظالم الجائر يجوز إمامته للسلطنة، ويجوز تقليد القضاء منه إذا كان يمكنه الحكم بحقّ، وكذا يجوز قضاؤه وشهادته وإمامته للصلاة مع الكراهة، كما صرَّح به في الهداية، وأن لا يشترط في الإمام أن يكون معصومًا لعدمْ قطعية عصمة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، مع الإجماع على حقّية خلافته، وأن الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين عن الذنوب والكذب بكمال مرتبتهم وجلال شأنهم، وإنما جئنا بكلام صاحب البيضاوي تمسّكًا على مجرّد أن عصمة الأنبياء يمكن أن يثبت من القرآن مع قطع النظر عن قبل الوحي وبعده، وهو إنّما أجرى هذا الكلام على طبق مذهبه ومذهبنا ما ذكره التفتازاني على أن عدم وجدانه الدّليل على عصمتهم قبل الوحي لا يوجب عدم الدليل في الواقع، ثم في هذا الشأن تفاصيل وأقوال ذكرها التفتازاني في شرح العقائد تحت قوله: وكلهم كانوا مخبرين مبلّغين من الله تعالى صادقين ناصحين، حيث قال: وفي هذا إشارة إلى أن الأنبياء معصومين عن الكذب خصوصًا فيما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام إمّا عَمْدًا فبالإجماع، وإمّا سهوًا فعند الأكثرين وفي عصمتهم

....

عن سائر الذنوب تفصيل، وهو أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع، وكذا عن تعمّد الكبائر عند الجمهور خلافًا للحشوية، وإنما الخلاف في أن امتناعه بدليل السمع أو العقل. وأمّا سهوًا، فجوّزه الأكثرون. وأمّا الصغائر، فيجوز عمدًا عند الجمهور خلافًا للجبائي وأتباعه، ويجوز سهوًا بالاتفاق إلّا ما يدلّ على خسّة، كسرقة لقمة والتطفيف بحبّة، لكن المحقّقين اشترطوا أن نبّهوا عليه، فيتنبهوا عنه هذا كلّه بعد الوحي. وأمّا قبله، فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة، وذهبت المعتزلة إلى امتناعها؛ لأنها تُوجب النفرة المانعة عن اتباعهم، فيفوت مصلحة البعثة. والحقّ مَنْع ما يوجب النفرة، كعهر الأُمّهات والفجور والصغائر الدالّة على الخسّة. ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده، لكنهم جوّزوا إظهار الكفر تقية، وإذا تقرّر هذا فما نُقِل عن الأنبياء مما يُشعر بكذب أو معصية، فما كان منقولًا بطريق الآحاد فمردود، وما كان منقولًا بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن، وإلّا فمحمول على ترك الأوْلى، أو كونه قبل البعثة وتفصيل ذلك في الكتب المبسوطة هذا كلامه، وفيه إشارة إلى ما صحّ عن آدم عليه السلام من قرب الشجرة المنهيّ عنها، وعن إبراهيم عليه السلام من صدور الكذب، حيث قال: هذا ربّي، وقال: بل فعله كبيرهم، وقال: إنّي سقيم، بالتواتر وحين قال لزوجته أنها أخته بالآحاد، وعن موسى عليه السلام من قتل القبطي بغيرْ حقّ، وعن داود عليه السلام من النظر بامرأة أوريا الواحدة، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة، وعن سليمان عليه السلام من الاشتغال بالصافنات الجياد وفوّت الصلاة بسببه، وعن يونس من الإباق إلى الفلك والمغاضبة على الله، وعن نبيّنا عليه السلام من قصة زيد وزينب وأمثاله، وإشارة إلى جواباتها وهي عن آدم بأنه فهم النهي نهي شفقة، لا نهي تحريم، أو يكون سهوًا وقبل البعثة، وعن إبراهيم بمنع القصة المرويّة بالآحاد وصرف قوله هذا ربّي، وقوله: كبيرهم وإني سقيم عن ظاهره، أو حمله على كونه قبل البعثة، كما يُجاب عن موسى بكونه قبل البعثة، وعن داود بكونه إقدامًا على الفعل المشروع، وهو نكاح المخطوبة لأوريا لا نظر منكوحته، وعن سليمان بعدم فوت الصلاة أو عدم كونه ذنبًا للنسيان، وعن يونس بكون المغاضبة على قومه أو نفسه، وعن نبيِّنا عليه السلام بما سيأتي أنّ مَيْل

أخبر أن إمامة المسلمين لا تثبت لأهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: الآية ١١٣]. والمحسن المؤمن والظالم الكافر. قالت المعتزلة: هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للإمامة قالوا: وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكفّ الظلم فإذا نصب مَن كان ظالمًا في نفسه فقد جاء (**المثل السائر** «**مَن استرعى الذئب ظلم**). ولكنا نقول: المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق. وقيل: إنه سأل أن يكون ولده نبيًّا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيًّا.

القلب غير مقدور، وقد ذكر في شرح المواقف في حقِّ نبيّنا وسائر الأنبياء تمسّكات المخالفين بأجوبتها بوجوه شتّى وطرق كثيرة، فليطالع ثمة.

فالحقّ أنه لا خلاف لأحد في أن نبيّنا عليه السلام لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة طرفة عين قبل الوحي وبعده، كما ذكره أبو حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الأكبر، وفي أن الأنبياء كلّهم ليسوا بمعصومين عن الزلّة، وهي ما يقع من بني آدم من غير أن يكون قصده على ذلك، وبعد الوقوع لم يكن مستقرًّا على ذلك كمثل من اختبى في طريق فخرّ فقام لم يكن من قصده أن يخرّ وبعد ما خرّ ما استقرّ كما صرّح به أهل الأصول، وهذا باب طويل مذكور في المطوّلات. اهـ. التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**بسكون الياء**) وتحذف لفظًا لالتقاء الساكنين، (**حمزة وحفص**) وفتحها الباقون. **قوله:** (**المثل السائر**) أي الجاري بين الناس. **قوله:** (**من استرعى الذئب ظلم**)، أي ظلم الغنم، ويجوز أن يُراد ظلم الذئب حيث كلّفه ما ليس في طبعه يُضْرب لمن يولّي غير الأمين، قالوا: إنّ أوّل مَنْ قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أنّ عامر بن عبيد بن وهيب تزوّج صعبة بنت صيفيّ أخت أكثم، فولدت له بنين ذئبًا وكلبًا وسبعًا، فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حُبَيْب، وأغار على الأقياس وهم قيس بن نوفل وقيس بن وهبان وقيس بن جابر، فأخذ أموالهم وأغار بنو أسد على بني كلب وهم بنو أختهم فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالهم حتى أفْتَدِيَ بهم بنيّ من بني أسد، فأراد أكثم أن يفعل ذلك، فقال أبوه صيفيّ:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ أي الكعبة وهو اسم غالب لها (**كالنجم للثريا**) ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ (مباءة) ومرجعًا (**للحجاج والعمار**) يتفرقون عنه (**ثم يتوبون**) إليه ﴿وَأَمْنًا﴾ وموضع أمن (**فإن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج**) وهو دليل لنا في الملتجىء إلى الحرم.

يا بني لا تفعل، فإن الكلب إنسان زهيد إن دفعت إليه أموالهم أمسكها، وإن دفعت إليه الأقياس أخذ منهم الفداء ولكن تجعل الأموال في يد الذئب، فإنه أمثل إخوته وأنبلهم وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم، فمُرْ الذئب أن يدفع إليهم أموالهم، فجعل أكثم الأموال على يدي الذئب، والأقياس على يدي الكلب، فخدع الكلب أخاه الذئب، فأخذ منه أموالهم، ثم قال لهم: إن شئت جززت نواصيكم وخلّيت سبيلكم وذهبت بأموالكم وخلّيتم سبيل أولادي وذهبتم بأموالهم، وبلغ ذلك أكثم، فقال: مَن استرعى الذئب ظلم، وأطمع الكلب في الفداء؛ فطوّل على الأقياس فأتاه أكثم، فقال: إنك لفي أموال بني أسد وأهلك في الهَوَان، ثم قال: نَعِيم كَلْب في بؤس أهله، فأرسلها مثلًا.اهـ. مجمع الأمثال.

قوله: (**كالنَّجم للثريا**)، العرب تسمّي الثريا نجمًا، وإن كانت في العدد نجومًا يقال: إنها سبعة أنجم، ستّة ظاهرة وواحدة خفيّة يمتحن الناس بها أبصارهم، وفي الشفا للقاضي عياض: أن النبيّ ﷺ كان يرى في الثريّا أحد عشر نجمًا. **قوله:** (**مباءة**) في المصباح: باء يبوء رجع.اهـ. **قوله:** (**للحُجّاج**) جمع الحاجّ. **قوله:** (**والعمار**) أي المعتمرين. **قوله:** (**ثم يتوبون**) أي يرجعون إليه بأعيانهم، أي أنفسهم أو بأمثالهم وأشباههم ومن يقوم مقام أنفسهم لظهور أن الزّائر بما لا يثوب، بل قلما يثوب، لكن صح إسناده إلى الكلّ لاتّحادهم في القصد والناس للجنس، ولا دلالة على أن كل فرد يزور فضلًا عن الثوب. **قوله:** (**فإن الجاني يأوي إليه فلا يتعرّض له حتى يخرج**)... الخ. لأن المشركين كانوا لا يتعرّضون لسكان الحرم، ويقولون: البيت بيت الله وسكانه أهل الله، بمعنى

....

أهل بيت الله، وكان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم ولا يتعرّض له، ويتعرّضون لمن حوله، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ [العَنكبوت: الآية ٦٧]، وهذا الشيء توارثوه من دين إسمٰعيل عليه السلام، فبقوا عليه إلى أيام النبيّ عليه السلام، فأجمعوا على أنّ مَنْ قُتِل في الحرم قُتِل به، ومَنْ أحدث فيه ما يُوجب الحدّ أُقيم الحدّ فيه، ومَنْ حارب فيه حُورِب وقُتل هنالك؛ لأنه صار منتهكًا لحُرمة الحرم بالجناية فيه، والقتل قصاصًا أو حدًّا شرع زجرًا عمّا يرتكب مثله في المستقبل، وكفارة عمّا ارتكبه ليجعل كالمعدوم، فيكون فيه صيانة حرمة الحرم وتحقّق تعظيمه بزجره وزجر غيره عن انتهاك حرمة الحرم، ورفع ما انتهك منها بقدر ما أمكن. وأمّا إذا جنى خارج الحرم جناية تُوجب القتل ثم التجأ إلى الحرم، فقد اختلف فيه فذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنه لا يأمنّ بالتجاء إليه ويستوفى منه في الحرم ما وجب عليه على ما رُوِي في الخبر من أن الحرم لا يفيد عاصيًا، وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَنْ لجأ إلى الحرم كان آمنًا من القتل ومن الأسباب الموجبة للقتل، فمن جنى خارج الحرم كما لا يقتل في الحرم لا يُخرج ليُقتل خارج الحرم عنده، لكن يمنع من الطعام والشراب ولا يبلغ منه، بل يضيّق عليه حتى يموت أو يضطرّ فيخرج بنفسه، فيُقتل. وقال أبو يوسف: للسلطان أن يخرجه من الحرم فيُقتل في الحدود، وللوليّ في القصاص، وأجمعوا على أن إقامة الحدود فيما دون النفس جائزة في الحرم، وإن لم يكن أسبابها في الحرم، والآية حجّة لنا على الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الملتجىء إلى الحرم إذا كان مباح الدم من حيث إنها تدلّ على أنه يصير آمنًا ما دام فيه، ومع ثبوت وصف الأمن لا يتحقّق إباحة القتل فلا يباح قتله في الحرم، ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٧]، كأنه قال: من دخل البيت أمِّنوه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩١]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إنّ مكّة حرام بتحريم الله تعالى إيّاها يوم خلق السمٰوات والأرض، لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحدٍ بعدي، وإنما حُلّت لي ساعة من نهار لا يخلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر**

....

صيدها». اهـ. شيخ زاده رحمه الله. وقيل: أمنًا من الجنون والجذام والبرص، وقيل: آمنًا من أيدي الجبابرة، فإنه ما قصد قومٌ تخريبه إلّا وقد هلكوا؛ كأصحاب الفيل. وقيل: آمنًا للصيود حتى أن الأسود والذئب يتبع الظبي فيدخل الظبي الحرم فيرجع الذئب والأسد عن أثره، نصّ بكلّه الإمام الزاهد. وقيل: أمنًا لداخله من عذاب الله تعالى في النار، كما ذكره القاضي البيضاوي وصاحب الحسيني، وينبغي أن يعلم أنّ الله تعالى قد ذكر هذه العبارات تارة بلفظ البيت والكعبة، وتارة بلفظ المسجد الحرام، وتارة بلفظ البلد، وتارة بلفظ الحرم، والمراد من الكلّ واحد وهو حرمة الحرم، وإنّما يسمّى حرمًا لحُرْمة القتل والظلم والصيد وقطع الشوك والشجر وغير ذلك مما عُرِف في كتب الفقه، وقد ذكر في كتب المحدثين باب حرم مكّة وباب حرم مدينة، وفي الأحاديث دلالة على حرمة الحرمين جميعًا على السواء، ولم يعهد في كتب الفقه ذلك، ولكن قد ذكر سيد الشريف في شرح المشكاة أنه قال الشيخ التوربشتي: أراد بذلك التحريم والتعظيم دون ما عداه من الأحكام، وأن عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لا ضمان في صيد المدينة وقطع شجرها، بل هو حرام بلا ضمان. وقيل: مع ضمان.

وأمّا حدود الحرمين، فقد قال رسول الله ﷺ في حقّ المدينة: «**حُرِّم ما بين عير إلى ثوز**» الحديث، وفي شرح السيد الشريف: أن عير وثور جبلان بالمدينة كلّ منهما في طرف منها، وقيل: جبلان بمكّة، والمراد أن حرم مدينة قدر ما بين عير وثور من مكّة.

وأما حدود حرم مكّة، فلم يذكر في كتب المشاهير إلّا أنه قد نقل في بعض حواشي كتب الفقه أن الحرم حوالي مكّة، فمن قِبَل المشرق ستّة أميال، ومِنْ قِبَل المغرب أربعة وعشرون ميلًا، وقيل: ثلاثة أميال وهو الأصح، ومِنْ قِبل الشمال ثمانية عشر ميلًا، ومن قِبَل الجنوب أربعة وعشرون ميلًا. اهـ. التفسيرات الأحمدية. وفي شرح الإمام العالم العلّامة الحبر البحر الفهّامة وحيد دهره وفريد عصره ملا علي القاري المسمّى **المسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط على لباب المناسك** للعلامة الشيخ رحمة الله السندي رحمه الله.

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وقلنا أتخذوا منه (موضع صلاة تصلون فيه).

فصل في حدود الحَرَم زاده الله شرفًا وأمنًا وتعظيمًا

اعلم أنهم قد اختلفوا في ذلك، فقال الهندواني: مقدار الحرم من المشرق قدر ستّة أميال، ومن الجانب الثاني عشرة أميال[١]، ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلًا، ومن الجانب الرابع أربعة وعشرون ميلًا، وهذا شيء لا يُعرف إلّا نقلًا، ولكن قال صدر الشهيد: فيه نظر، فإن مِنَ الجانب الثاني التنعيم، وهو قريب من ثلاثة أميال، كذا في الفتاوى الظهيرية، وفي السراجية من الجانب الثاني قيل: ثلاثة أميال، وهو الأصح. قلت: ومن رأى التنعيم، فلا يشكّ في أنه ثلاثة أميال، وإنّما الكلام على مرام الهندواني، فإنّ مراده من الجانب الثاني هو المغرب المقابل للمشرق، وهو لا يكون إلا نحو الحديبية قرب جدّة على طريق جدة، وهو على عشرة أميال بلا خلاف، (حدّه) أي حدّ الحرم (من **طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال من مكّة**) أي بلا شبهة، (**ومن طريق الجعرانة**[٢] **على سبعة أميال**) وهو قريب من قول الهندواني: قدر ستّة أميال، (**ومن طريق جدة**) بضم جيم وتشديد دال مهملة وهي مكان معروف بقرب مكّة (**على عشرة أميال، ومن طريق الطائف على سبعة أميال**[٣]، **ومن طريق العراق على سبعة أميال**)، أي أيضًا على ما ذكر جماعة كثيرة كالأزرقي والنوويّ وغيرهما هذه الحدود، إلّا أن الأزرقي انفرد بقوله: إن حدّه من طريق الطائف أحد عشر ميلًا، ويمكن الجمع بأنه أراد غير طريق الجبل، وأراد غيره من الجمهور غيره. اهـ. بحروفه.

قوله: (**موضع صلاة تصلون فيه**)، وهذا الأمر للاستحباب لا للوجوب؛ لأن الصلاة في حوالي الكعبة جائزة في أية جهة من الجهات الأربعة شاء لا تخصيص

---

(١) وفي المنسك الكبير: ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلًا. اهـ. وقال في تاريخ الخميس عن الهندواني: ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلًا. اهـ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٢) وفي البحر العميق: ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبد الله بن خالد على تسعة أميال بتقديم التاء على السين. اهـ. وهكذا في المنسك الكبير، والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٣) قال في البحر العميق: ومن طريق اليمن طرف أضاة لبن على سبعة أميال من مكّة، وأضاة وزن قناة، ولبن بكسر اللام والباء الموحدة الساكنة والنون. اهـ. وفيه: وقيل: من طريق اليمن ستة أميال. اهـ. ١٢ منه عم فيوضهم.

(وعنه ﷺ أنه أخذ بيد عمر فقال: «هذا مقام إبراهيم») فقال عمر: أفلا نتخذه مصلّى فقال ﷺ: «لم أومر بذلك». فلم تغب الشمس حتى نزلت.

له بمقام إبراهيم. اهـ. التفسيرات الأحمدية. **قوله: (وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر، فقال: «هذا مقام إبراهيم»)**. . . الخ، هكذا ذكر جمهور المفسّرين، وقد اختاره صاحب الكشاف والبيضاوي أيضًا، ثم قالا: وقيل: هو أمر بركعتي الطواف لما روى جابر بن عبد الله أنه عليه السلام عمد إلى مقام إبراهيم، فصلّى خلفه ركعتين، وقرأ واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى. وأقول: لا يخفى أن الأمر ح أيضًا للاستحباب، وأمّا ما يتوهّم من أن المراد بهذا الأمر لو كان ركعتين بعد الطواف، وهما واجبتان عند أبي حنيفة رحمه الله، فيكون الأمر للوجوب عنده فغير مرضيّ؛ لأن الركعتين المذكورتين وإنْ كانتا واجبتين عندنا بعد كل أسبوع، لكنهما غيرُ واجبتين في مقام إبراهيم خاصّة غاية الأمر أنّهما تُستحبّان ثمّة، فليس هذا الأمر المقيّد إلا للاستحباب، ولعلّه بهذا المعنى يستدلّ صاحب الهداية لوجوب هاتين الركعتين بهذه الآية، بل الحديث وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام: **«وليصلّ الطائف بعد كل أسبوع ركعتين»**، حيث قال: **«ثم يأتي المقام فيصلّي ركعتين عنده أو حيث شاء من المسجد»**، وهي واجبة عندنا، وقال الشافعي رحمه الله: سنّة لانعدام دليل الوجوب، ولنا قوله عليه السلام: **«وليصلّ الطائف»**. . . الخ. هذا كلامه، فاستدلال صاحب الهداية بالحديث وترك الآية دليل على ما قلنا اهـ التفسيرات الأحمدية. في المسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط: (وهي) أي صلاة الطواف واجبة أي مستقلّة لا سنّة، كما قال الشافعي رحمه الله في قولٍ (بعد كل طواف)، أي ولو أدّى ناقصًا (فرضًا كان)، أي الطواف كركني الحجّ والعمرة (أو واجبًا) كالصدر والنذر (أو سنّة) كالقدوم، وكذا إذا كان مستحبًّا كتحية المسجد أو نفلًا كالتطوّع، بلا فرق بين الأطوفة خلافًا لرشيد الدين حيث قال: ينبغي أن يكونا واجبتين على إثر الطواف الواجب. قال ابن الهمام: وهو ليس بشيء لإطلاق الأدلّة، وفيه أن إطلاق الأدلّة لا ينفي قبول التقييد في المسألة إنْ صحّ فيها وجه من وجوه المقايسة، (ولا تختصّ) أي هذه الصلاة (بزمان ولا مكان)، أي باعتبار الجواز والصحة، وإلا فباعتبار الفضيلة تختصّ بوقوعها عقيب الطواف إنْ لم يكن وقت كراهة وتختصّ بإيقاعها خلف المقام ونحوه من أرض الحرم، (ولا تفوت) أي إلّا بأن يموت،

....

(فلو تركها لم تجبر بدم)، وفيه أنه لم يتصوّر تركها، فكيف يتصوّر الجبر؟ اللّهمّ إلّا أن يقال: المراد منه أنه لا يجب عليه الإيصاء بالكفّارة للإسقاط بخلاف الصوم والصلاة، حتى الوتر الواجب، ولعلّ الفرق ما قدَّمناه هذا، والمسألة خلافية؛ ففي البحر العميق: وحكم الواجبات أنه يلزمه دم مع تركها إلّا ركعتي الطواف، انتهى. ووجهه أنه واجب مستقلّ ليس له تعلّق بواجبات الحجّ أو لعدم تصوّر تركهما كما في بعض المناسك، ولا تُجبران بالدم، فإنّهما في ذمّته ما لم يصلهما؛ إذ لا يختصّان بزمان ولا مكان، ولكن ذكر الحدادي في شرح القدوري أنه إنْ تركهما ذكر في بعض المناسك أنّ عليه دمًا، ويؤيّده ما في البحر الزاهر، وهما واجبتان، فإن تركهما فعليه دم، وفي منسك: الأكثر على أنه لو تركهما لا يلزمه دم، وبه قالت الشافعية، وقيل: يلزم، انتهى. ولعلّه محمول تركه على الفوت بالموت، فيجب عليه الإيصاء، ويستحب للورثة أداء الجزاء، (ولو صلّاها خارج الحرم ولو بعد الرجوع إلى وطنه جاز، ويكره) أي كراهة تنزيه، لتركه الاستحباب كما سيأتي، أو تحريم لمخالفة الموالاة، أو لهما جميعًا. (والسنّة الموالاة بينهما وبين الطواف)، أي فراغه إن لم يكن وقت الكراهة، وإلّا فيصلّي بعد فرض المغرب قبل السنّة إنْ كان في الوقت سعة، (وتستحبّ مؤكدًا)، أي استحبابًا مؤكّدًا، فيفيد أن مراتب الاستحباب مختلفة كمراتب السنن المؤكدة، (خلف المقام) لموافقة فعله ﷺ على وفق الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾، لا سيّما وقد قيل في الآية أن الأمر للوجوب، وهذا يقتضي أن تكون الصلاة خلفه من السنّة ويخلفه ما حوله، وسائر أماكن الفضيلة من الحرم؛ لأن فيه قولًا لبعض المفسّرين من أن المراد بمقام إبراهيم هو الحرم جميعه، ولذا قال: (وأفضل الأماكن لأدائها خلف المقام)، وفي معناه ما حوله من قرب المقام، كما يشير إليه من التبعيضية في الآية الشريفة، وكون الخلف أفضل لاختياره الحضرة المنيفة. (ثم في الكعبة)، أي داخلها، (ثم في الحجر تحت الميزاب)، أي خصوصًا، (ثم كل ما قَرُب من الحجر إلى البيت)، أي من قدر سبعة أذرع وما دونها، (ثم باقي الحجر ثم ما قرب من البيت)، أي في حواليه وجوانبه خصوصًا محاذاة الأركان ومقابلة الملتزم والباب ومقام جبريل عليه الصّلاة والسلام، (ثم المسجد) أي جميعه لكن المطاف

....

الذي محل المسجد في زمنه ﷺ أفضل، إلّا أنه لا يصلّي بحيث يشوّش على الطائفين ويُحرجهم إلى المرور بين يد المصلّي، (ثم الحرم) أي مكّة وما حولها من أعلام الحرم والمحترم، (ثم الأفضلية بعد الحرم)، أي بالنسبة إلى هذه الصلاة من حيثيّة اختصاصهما بالحرم، وهو لا ينافي أنه لو صلّاها في المسجد النبويّ أو المسجد الأقصى لأفضلية لها بالإضافة إلى ما عداهما، بل الإساءة، أي حاصلة لمجاوزته عن حدّ أدائها من المكان الذي هو المستحبّ والزمان الذي من السنّة إلى غيرهما من الأمكنة والأزمنة، (والمراد بما خلف المقام)، أي بالموضع الذي يسمّى خلف المقام، (قيل: ما يصدق عليه ذلك)، أي خلف المقام أو المقام (عادة وعرفًا مع القرب)، وهذا القيل متعيّن، فإنّ مَنْ صلّى آخر المسجد وراء المقام لا يُدرك فضيلة خلف المقام باتّفاق علماء الأنام، فإن العرف خصّه بما هو مفروش بحجارة الرخام، (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه إذا أراد أن يركع خلف المقام جعل بينه وبين المقام صفًّا أو صفّين)، أي مقدارهما وأو للشكّ أو للتنويع المفيد للتخيير (أو رجلًا أو رجلين) يحتمل الشكّ والتنويع كذلك، ثم يحتمل أن المراد قدر ما يقف رجل أو رجلان، فيوافق ما قبله أو كأن يتأخّر عنهما بالفعل متحرّيًا إلى مقامه ﷺ إنْ صحّ مرفوعًا، ولعلّ وجه تأخّره عليه الصّلاة والسلام على تقدير صحته عن قرب المقام التنزّه عن مشابهة عبدة الأصنام في تلك الأيام، أو كان وقت الزحام وعدم التفات العوام لخير الأنام، (رواه عبد الرزّاق). وأمّا في رواية الشيخين عن عائشة رضي الله تعالى عنها: فركع عند المقام ركعتين، وفي روايتهما عن جابر: ثم تقدّم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، فجعل المقام بينه وبين البيت، هذا وقال الكرماني: وحيث ما صلّى من الحرم يجوز، وقال[1] مالك والثوري إن لم يصلّهما خلف المقام لم يجز وعليه دم، ولنا أن المراد بمقام إبراهيم في الآية الحرم كلّه؛ لأن أكثر الصحابة صلّوا ركعتي الطواف في المسجد دون المقام، وكذا في الحرم بذي طوى وغيره، فحملنا فعله عليه الصّلاة والسّلام على بيان الأفضل في المقام، انتهى. وفيه بحث لا

(١) وقوله: وقال مالك... الخ. في المنسك الكبير: وما ذكر الكرماني من اختصاصهما بالمقام عن مالك رحمه الله فغير مشهور عنه، انتهى. والله أعلم. ١٢ منه عم فيوضهم.

....

يخفى لأن الإمام مالكًا إنْ صحّ عنه ما نُسِب إليه يتمسّك بأنّ الأمر للوجوب في حقِّ المقام، وفعله عليه الصلاة والسلام مبيّن للمرام وغاية احتجاجنا عليه بفعل الصحابة الكرام، وهو لا ينافي كون الأمر للوجوب غاية الخلاف في أن المراد بالمقام عموم الحرم أو خصوص المقام، مع أن أحدًا من علمائنا لم يقل بالوجوب في هذا المقام، ويستحب أي عند الأربعة (أن يقرأ في الأولى بسورة الكافرون)، القراءة تتعدّى بالباء وغيرها الكافرون بالرفع على الحكاية، (وفي الثانية الإخلاص)، أي سورتها، (ويستحبّ أن يدعو بعدها)، أي بعد صلاة الطواف (لنفسه ولمن أحبَّ) أي من أقاربه ومشائخه وأصحابه (والمسلمين)، أي ولعمومهم ويدعو بدعاء آدم عليه السلام، وقد قدمناه[1]. (ولو صلّى أكثر من ركعتين)، أي الطواف واحد جاز إلّا أن الزائد على الركعتين يكون تطوّعًا.

(ولا تُجزىء المكتوبة)، أي المفروضة إلـهيّة (والمنذورة)، أي المفروضة الإنسانية (عنها)، أي عن صلاة الطواف، لكونها واجبة مستقلة، (ولا يجوز اقتداء مصلّي ركعتي الطواف) بمثله؛ لأن طواف (هذا) الأولى أن يقول: لأن (طواف كل غير طواف الآخر)، أي لاختلاف السبب كصلاتي الظهر والعصر، وإن كان الطوافان من نوعٍ واحد، والصلاتان من جنسٍ متّحد، (ولو طاف) بصبي، أي غير مميّز (لا يصلّي عنه) أي ركعتي الطواف، لأنه لا تصحّ النيابة عندنا في العبادة من الصوم والصلاة، كما حقّق في إسقاطهما، (ويكره تأخيرها عن الطواف)؛ لأن

---

(١) أي ومن المأثور دعاء آدم عليه السلام: اللّهمّ إنك تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتَعْلم حاجتي فأعطني سُؤْلي، وتَعْلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي. اللّهمّ إنّي أسألك إيمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلّا ما كتبتَ لي، ورضًا بما قسمت لي يا أرحم الراحمين. رُوِي أنه أوحى الله تعالى إلى آدم: إنك دعوتني دعاء استجبت لك منه وغفرت ذنوبك وفرّجت همومك وغمومك، وما يدعو به أحد من ذرّيتك مِنْ بعدك إلّا فعلت ذلك به ونزعت فقره من بين عينيه واتّجرت له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي كارهة وإنْ لم يُرِدها، على ما رواه الأزرقي والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدعوات، وابن عساكر. وورد أن آدم عليه السلام دعا به خلف المقام، وفي رواية: عند الملتزم، وفي رواية: عند الركن اليماني، ولا مُنافاة بين الروايات لاحتمال أنه دعا في المقامات. اهـ المسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط. ١ منه عمّ فيوضهم.

....

الموالاة بينه وبينهما سنّة (إلّا في وقت مكروه)، فلذا قال كما قيل، (ولو طاف بعد العصر يصلّي المغرب ثم ركعتي الطواف)؛ لكونهما واجبتين ولسبق تعلّقهما بالذمّة من قبل السنّة، (ثم سنّة المغرب)، ويؤيّده ما قالوا في صلاة الجنازة إذا حضرت يصلّي المغرب، ثم الجنازة، ثم سنّة المغرب، ولا شكّ أنّ هذا مثله؛ لأن حكم الواجب والفرض سواء في العمل، وإنْ كان بينهما فرق في الاعتقاد، (ولا تصلّى) بصيغة المجهول، أي لا تصلّى هذه الصّلاة (إلّا في وقتٍ مباح)، أي لسعة زمانه، (فإن صلّاها في وقت مكروه كما سيأتي) بيانه، (قيل: صحت مع الكراهة)، أي إن أدَّاها، (ويجب عليه قطعها) أي في أثنائها، (فإن مضى فيها)، أي بأن كملها، (فالأحب أن يعيدها) لعموم القاعدة: أن كلّ صلاة أُدِّيت مع الكراهة التنزيهية يستحبّ إعادتها، ومع الكراهة التحريمية يجب إعادتها، (وأوقات الكراهة)، أي لهذه الصلاة، وهي أعمّ من التحريميّة والتنزيهيّة (بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قدر رمح)[1]، لكن عند الطلوع حرام كما هو عند العرب، وكذا ما خصّه بقوله: (ووقت الاستواء)، أي قرب أوانه لعدم إدراك حقيقة زمانه، (وبعد العصر) أي بعد أدائه (إلى أداء المغرب)، أي حتى بعد الغروب قبل أداء الفرض، (وعند الخطبة)، أي الخطب كلّها، إلّا أن عند خطبة الجمعة أشدّ كراهة، (وشروع الإمام) أي إمام مذهبه (في المكتوبة) لما ورد: «**إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة**»، وفي سنّة الصبح تفصيل طويل متعلّق بالمسألة، (وبين صلاتي الجمع بعرفات)، أي في جمع التقديم، (ومزدلفة)، أي في جمع التأخير لمن يجمع بينهما، كما يُستفاد من قيد الجمع.

واعلم أنه صرّح الطحاوي رحمه الله وغيره بكراهة أداء ركعتي الطواف في الأوقات الخمسة المنهيّ عن الصلاة فيها عند أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله، ونقل عن مجاهد والنخعي وعطاء جواز أدائها بعد العصر قبل اصفرار الشمس، وبعد الصبح قبل طلوع الشمس، أي قبل احمرار آثارها، قال الطحاوي: وإليه نذهب.

---

(١) وهو اثنا عشر شبرًا، والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

وقيل: **(مصلى مَدْعًى)**، ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه. وقيل: الحرم كله مقام إبراهيم. («**واتخذوا**» **شامي ونافع بلفظ الماضي**) عطفًا على «**جعلنا**» أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي **(وسم به)** لاهتمامه به وإسكان ذرّيته عنده قبلة يصلّون إليها ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ **(أمرناهما)** ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ **(بفتح الياء: مدني وحفص أي بأن طهّرا أو أي طهّرا**

والحاصل أنهم فرّقوا في المسألة حيث جوّزوها وقت الكراهة التنزيهية دون زمان الكراهة التحريمية إلحاقًا لصلاة الطواف من حيث إنه واجب بالفرائض وسائر الواجبات، والمحققون فرّقوا بين قضاء الوتر وأداء ركعتي الطواف، ولو كانا واجبتين بأن الأول واجب بإيجاب الله تعالى عليه، والآخر بإيجاب العبد على نفسه بالتزامه لفعل الطواف، ولو كان واجبًا عليه، وهذا تحقيق وتدقيق ويؤيّد ما ذكرناه ما علّله الطحاوي فيما اختاره بقوله: ولما كانت الصلاة على الجنائز كالصلاة الفائتة كانت صلاة الطواف مثله يجوز أداؤها في هذين الوقتين؛ لأنّ وجوبها كوجوب صلاة الجنازة، انتهى. وفيه مباحث لا تخفى تظهر في المطالعة بين كلامه وبين ما ذكرنا فيما تقدم، والله أعلم. اهـ. بحروفه.

قوله: (وقيل: مصلى مَدْعًى) أي موضع الدعاء. **قوله: (واتّخذوا)** بفتح الخاء **(شامي)** أي ابن عامر الشامي، **(ونافع)** المدني **(بلفظ الماضي)**. والباقون بكسرها على الأمر. **قوله: (وسم به)** في المصباح: وسَمْتُ الشيء وَسْمًا من باب وعد، والاسم السمة وهي العلَامة. اهـ. وفي مختار الصحاح: وسمه من باب وعد وسمة أيضًا أثّر فيه بسمة وكيّ. اهـ. أي سمّي بمقام إبراهيم لاختصاصه به من حيث إنه بناه بنفسه باستعانة ابنه، واختار فنائه مسكنًا لذرّيته، فالمراد بالمصلّى المكان الذي يصلّي إليه، وهو الكعبة. **قوله: (أمرناهما)**، فإن العهد قد يكون بمعنى الأمر والوصية، يقال: عهد إليه، أي أمره وأوصاه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: الآية ٦٠]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: الآية ١١٥].

قوله: (بفتح الياء مدنيّ)، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة و**(حفص)** وكذا هشام عن ابن عامر. والباقون بالإسكان. **قوله: (أي بأن طهّرا أو أي طهّرا)** أي الأمر لا بدّ له من المأمور به، وهو في

والمعنى طهراه من الأوثان) والخبائث والأنجاس كلها ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ للدائرين حوله ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا (لا يبرحون) أو المعتكفين. وقيل: للطائفين (للنزاع إليه) من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة. ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ والمصلين (جمعًا راكع وساجد).

الآية تطهيرهما البيت، فلذلك قدّر الباء بقوله: بأن طهرا، وحذف الجار من أن وإن شائع كثير مدخول الجار بعد حذفه. أمّا في موضع النصب إنْ حذف الجار منسيًا وأوصل الفعل إليه بنفسه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥]، أو في موضع الجرّ على إرادة الجار وعدم كونه منسيًا، كما في قولك: والله لأفعلنّ، بالجرّ، ويحتمل أن لا يكون له محلّ من الإعراب على أن تكون أن مفسّرة بمعنى أي، كالتي في قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ [ص: الآية ٦] أن امشوا، وأن المفسّرة لا تصحب من الألفاظ إلّا ما يتضمّن معنى القول كالعهد في هذه الآية، ولا تصاحب صريح القول، فلا يقال: قلت لزيد أن افعل كذا.

قوله: (والمعنى طهراه من الأوثان)(١)، أي احفظاه من أن ينصب حوله شيء من الأوثان ونحوها لا بمعنى أزيلا وأخرجا عنه ذلك؛ كقولك لحافر البئر: ضيّق فم الركية، وللخياط: وسّع كمّ القميص، فإنك لا تريد أن تقول: أزِلْ ما فيهما من الوسعة والضّيق، بل المراد صنعهما ابتداءً ضيقة الفم وأوسع الكمّ اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (لا يبرحون) في المصباح ما برح مكانه لم يفارقه، وما برح يفعل كذا بمعنى المُواظبة والملازمة. **قوله**: (للنزاع إليه)، في المصباح: نزع إلى الشيء نزاعًا ذهب إليه واشتاق أيضًا. اهـ. **قوله**: (جمعًا راكع وساجد) عبارة البيضاوي وغيره: جمع راكع وساجد.

---

(١) قوله: من الأوثان، فيه أنه لم يكن هناك إذ ذاك أوثان عند البيت حتى يطَّهّر منها إلّا أن يقال: المراد أدِيمَا طهارته منها، أي امنعا أن تُعبد هي عنده لو طلب بعض المشركين أن يفعل ذلك. اهـ جمل. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا﴾ أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ **(ذا أمن كعيشة راضية أو آمنًا من فيه كقولك «ليل نائم»)** فهذا مفعول أول. و«بلدًا» مفعول ثانٍ و«آمنًا» صفة له. ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ لأنه لم يكن لهم ثمرة. ثم أبدل ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من «أهله» بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة. قاس الرزق على الإمامة فخصّ المؤمنين به. قال الله تعالى جوابًا له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ **(أي وارزق)** من كفر ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ تمتيعًا قليلًا أو زمانًا قليلًا إلى حين أجله. **(«فأمْتعه»: شامي)** ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع الذي يصير إليه النار فالمخصوص بالذمّ محذوف.

قوله: (ذا أمن كعيشة راضية، أو آمنًا من فيه؛ كقولك: ليل نائم) لمّا لم يصح أن يوصف البلد بالأمن حقيقة ذكر له وجهين: الأول: أن يكون أمنًا من باب النسب كلابن وتامر، فإنهما لنسبة موصوفهما إلى مأخذهما كأنه قيل لبنيّ وتمريّ، فالمعنى بلد منسوب إلى الأمن، ومثله عيشة راضية عند مَنْ جعلها بمعنى ذات رضى، لا بمعنى مرضية على طريق إسناد المبنيّ للفاعل إلى المفعول إسنادًا مجازيًّا عقليًّا، وإن جعل من باب النّسب يكون الإسناد حقيقيًّا. والثاني ما أشار إليه بقوله: **(أو آمنًا مَنْ فيه)**، فيكون من قبيل الإسناد المجازي؛ لأن الأمن الذي هو صفة لأهل البلد حقيقة قد أسند إلى مكانهم للملابسة بينهما، كما أسند صفة النائم إلى زمان **(كقولك: ليلٌ نائم)**.

قوله: (أي وارزق[1]) بلفظ المتكلّم. **قوله: (فأمتعه)** بضم الهمزة وسكون الميم وتخفيف التاء وضمّ العين مضارع أمتع المتعدّي بالهمزة، **(شامي)** أي ابن عامر الشامي، والباقون بضمّ الهمزة وفتح الميم وشدّ التاء مضارع متّع المُعدّى بالتضعيف.

---

(١) بصيغة المتكلم، ١٢ منه فيوضهم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾ **(حكاية حال ماضية)** ﴿إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ هي جمع قاعدة وهي الأساس **(والأصل)** لما فوقه **(وهي صفة غالبة)** ومعناها الثابتة. **(ورفع الأساس البناء عليها)** لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر. ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ بيت الله وهو الكعبة ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ هو عطف على إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولان ربنا. وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره **(عبد الله)** في قراءته ومعناه يرفعانها

قوله: (حكاية حال ماضية) حيث عبّر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع في الماضي، أي في الزمان المتقدم على متعلق نزول الوحي بأن تقدّر ذلك الرفع السابق واقعًا في الحال، كأنك تصوّره للمخاطب وتريه على وجه المشاهدة والعيان اهـ شيخ زاده رحمه الله.

وقال العلّامة عبد الحكيم رحمه الله: قوله: حكاية حال ماضية لمضيّ هذه القصة؛ ولأن إذ للماضي والنكتة استحضاره حالة البناء، ومع تضرّعهما في الدعاء ليقتدي الناس به عليه السلام في إتيان الطاعات الشاقّة، مع الابتهال إلى الله تعالى في قبولهما ويعلموا عظمة البيت، فيُعظّموه.اهـ. **قوله: (والأصل)** عطف تفسير. **قوله: (وهي صفة غالبة)** يعني أن القاعدة في الأصل صفة بمعنى الثابتة، ثم صارت بالغلبة من قبيل الأسماء، بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدّر. **قوله: (ورفع الأساس البناء عليها)**... الخ. أنّث الضمير الأساس لكونه في معنى القاعدة وهو جواب عن سؤال مقدّر، وهو أن يقال: رفع الشيء أن يفصل عن الأرض، ويُجعل عاليًا مرتفعًا، والأساس أبدًا ثابت على الأرض، فما معنى رفعه؟

وأجاب عنه بأن المراد برفع الأساس البناء عليه، وعبّر عن البناء على الأساس برفعها؛ لأن البناء ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، فيوجد الرفع حقيقة، إلّا أن أساس البيت واحد وعبّر عنه بلفظ القواعد باعتبار أجزائه كأنّ كل جزء من الأساس أساسٌ لما فوقه. **قوله: (عبد الله)** بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه.

قائلين ربنا ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ تقربنا إليك ببناء هذا البيت ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضمائرنا ونياتنا. **(وفي إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين)**.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ **(مخلصين لك)** أوجهنا من قوله: ﴿**أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: الآية ١١٢] أو مستسلمين يقال: أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن، والمعنى زدنا إخلاصًا وإذعانًا لك. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ واجعل من ذريتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (و«من» **للتبعيض أو للتبيين. وقيل: أراد بالإمامة أمة محمد** عليه السلام) وإنما

قوله: (وفي إبهام القواعد وتبيينهما بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين) حيث لم يقل قواعد البيت بالإضافة، مع أنه أخصّ، بل ذكر القواعد مبهمة ثم بينهما أي قيّدها بمضمون الحال، فإنّ قوله: من البيت في موضع النصب على أنه حال من القواعد، وكلمة مَن ابتدائية لا بيانية لعدم صحة أن يقال التي هي البيت، وطريق الإيضاح بعد الإبهام إنما يُسلك إذا قصد تفخيم شأن المبين.

قوله: (مخلصين لك). . . الخ. أسلم يكون بمعنى أخلص وانقاد، ولمّا كانا مخلصين مُنقادين أوّلهما بأنّ المراد الزيادة في ذلك والإذعان في اللغة بمعنى الانقياد. **قوله: (ومن للتبعيض)**، ومحل الجار والمجرور النصب على أنه مفعول أوّل لجعل بمعنى صيّر، وأمّة ثانيهما، ومسلمة صفة لأُمّة. **قوله: (أو للتبيين)** والجار والمجرور في محل النصب على الحال لتقدّمه على الموصوف، وهو أُمّة، وأُمّة مفعول أوّل لجعل، ومسلمة مفعول ثان، ولك متعلق بمسلمة، والتقدير: واجعل أمّة من ذرّيتنا مسلمة لك قُدّم البيان على المبين، وفَصَل به بين العاطف وهو الواو والمعطوف وهو أمّة مسلمة، كما قدّم من الأرض على مثلهن، وفصل به بين الواو ومثلهنّ. **قوله: (وقيل: أراد بالأُمّة أمّة محمّد عليه السلام)** أن أُريد أُمّة محمّد ﷺ إلى يوم القيامة أو أُمّته في جميع الأقطار، فلا رَيْب في عدم كونهم من ذرّيتهما، وإن أُريد العرب خاصّة، فلا قرينة للتخصيص مع أن الأصل في العام الإبقاء على عمومه، ولعلّ لهذا مرضه اهـ قنوي رحمه الله.

خصًا بالدعاء ذريتهما لأنهم أولى بالشفقة (**كقوله تعالى**: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: الآية ٦]). ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ (**منقول من «رأى» بمعنى أبصر**) أو عرف (**ولذا لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا**) في الحج أو عرفناها. وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك. («وأرنا»: **مكيّ**) قاسه على فخذ (**في فخذ، وأبو عمرو يشم الكسرة**). ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ (**ما فرط منا من التقصير أو استتابًا لذريتهما**) ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله: كقوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [الآية ٦]) بالحمل على طاعة الله (﴿نَارًا﴾ [الآية ٦])، **قوله: (منقول**[1] **مَنْ رأى بمعنى أبصر)**، فيكون من الرؤية البصرية، أو عرف أي أو بمعنى عرف من الرؤية العلمية إلى باب الأفعال، فقوله: أرِنا أمر مخاطب أصله: أرئنا نُقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة تخفيفًا، (**ولذا**) أي لكونه من رأى المتعدّي إلى مفعول واحد، (**لم يتجاوز**) بعد زيادة همزة الأفعال عن (**مفعولين**) إلى الثالث، ولو كان من رأى بمعنى علم لتعدّى بعد زيادة الهمزة إلى ثلاثة مفاعيل، (**أي وبصرنا متعبّداتنا**) على صيغة الظرف، أي المواضعة التي يتعلّق بها النسك، أي أفعال الحجّ التي تحرم منها، والمواضع التي يوقف فيها بعرفة ومزدلفة وموضع الطواف والصفا والمروة وما بينهما من المسعى، وموضع رمي الجمار وكل متعبّد فهو منسك، ومنسك بالفتح والكسر. **قوله: (وأرنا بسكون الراء مكّي)** أي ابن كثير المكي، قاسه على فخذ بسكون الخاء (**في فخذ، وأبو عمرو**) البصري (**يشمّ الكسرة**) عبارة الكشاف: وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة. اهـ. وعبارة تفسير المظهري وغيره من التفاسير وكتب القراءة: وقرأ أبو عمرو باختلاس. اهـ. أي اختلاس الكسرة. واختلاس الكسرة أن يتلفّظ بها بحيث تكون بين الكسرة والسكون، أي تكون كسرة ناقصة. اهـ. شيخ زاده رحمه الله. والباقون بكسرة كاملة على الأصل.

قوله: (ما فرط منا من التقصير أو استتابا لذرّيتهما) كان سائلًا، قال: التوبة هي الرجوع عن الذنب، فتقتضي أن يتقدم الذنب عليها وهما من الأنبياء

---

(١) قوله: منقول من رأى، بمعنى أبصر أو عرف فيتعدّى بالهمزة إلى مفعولين بعد تعديه واحد. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ في الأمة المسلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدًا عليه السلام، قال (عليه السلام **«أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي»**).

المعصومين، فما معنى استتابتهما منه تعالى؟ فأجاب عنه بوجهين تقرير الأول: أن الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام معصومون من الكبائر بالاتّفاق. وأمّا الصغائر، فإنها تجوز أن تصدر عنهم عند المعتزلة مطلقًا، أي سهوًا كانت أو عمدًا، وعند أهل السنّة يجوز صدورها عنهم سهوًا لا عمدًا، كما يجوز عليهم ترك الأوْلى، فإن الإنسان وإن اجتهد في طاعة ربّه فإنه لا ينفكّ عن التقصير من بعض الوجوه إمّا على سبيل السَّهو أو على سبيل ترك الأوْلى، ومثل هذه الزلَّة وإنْ رُفِعَت عن الأُمّة إلّا أن هذه الآية دلّت على أن الأنبياء يجوز أن يؤاخذوا بها وإلّا لما سألا التوبة عنها. قال الشيخ أبو منصور الماتريدي: في الآية دلالة على أن الأنبياء عليهم السّلام قد يكون منهم الزلّات والعثرات على غير قصدٍ منهم، فإنهما سألا التوبة من الله تعالى، ولن تكون إلّا عن زلّة وتقرير الوجه الثاني من الجواب أنّ الله تعالى لمّا أعلم إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام أن في ذرّيته مَنْ يكون ظالمًا عاصيًا طلب من الله تعالى أن يوفّق أولئك المؤمنين العصاة للتوبة، فقال: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ أي على المذنبين من ذرّيتنا، فقولهما علينا إمّا محمول على حذف المضاف، والتقدير: على ذرّيتنا، أو محمول على أن ينسب الأب المشفق زلّات أولاده وفروعه إلى نفسه عند اعتذاره عنهم وشفاعته في حقّهم، فيقول: أجرمت وأذنبت فاقبل عذري وتجاوز عنّي، ومراده أن يقول: أذنب ولدي، فإن أولاد الإنسان تجري مجرى نفسه.

قوله: (عليه السلام: **«أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أُمي»**)، أي أثر دعوته أو مدعوّه أو عين دعوته على المبالغة، ولمّا كان إسمٰعيل شريكًا في دعوته كان رسول الله ﷺ دعوة إسمٰعيل أيضًا، إلّا أنه خصّ إبراهيم لشرافته وكونه أصلًا في الدعاء. اهـ. عبد الحكيم. وهذا الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل وشارح السنّة عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: **«سأخبركم بأوّل**

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنّة وفهم القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي **(لا يغلب)** ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما **(أوليت)**.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ استفهام بمعنى الجحد وإنكار أن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملّة إبراهيم. والملّة السنّة والطريقة كذا عن **(الزجاج)** ﴿إِلَّا مَن﴾ في محل الرفع على البدل من الضمير في «يرغب»، وصح البدل لأن مَن يرغب غير موجب كقولك: «هل جاءك أحد إلا زيد» والمعنى وما يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي جهل نفسه أي لم يفكر في

أمري، أنا دعوة إبراهيم عليه السلام، وبشارة عيسى عليه السلام، ورؤيا أُمي التي رأت حين وضعتني»، فدعوة إبراهيم عليه السلام في هذه الآية وبشارة عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: الآية ٦]، ورؤيا أُمّه كما رواه الدارمي هي **التي** رأت حين وضعته وقد خرج لها نورًا أضاءت له قصور الشام، وأُمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف من بني زهرة، وفي الاستدلال برؤياها يرشح إسلامها. اهـ. شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (لا يغلب) على صيغة المجهول. **قوله: (أوليت)** بالخطاب، أي أنعمت.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل النحويّ، كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين، وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وله كتاب الأمالي وكتاب ما قصر من جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب شرح أبيات سيبويه، وكتاب النوادر، وكتاب الأنواء وغير ذلك، وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان

نفسه. فوضع «سفه» موضع جهل وعدّي كما عدّي، أو معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف «من» في قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] أي من قومه، وعلى في قوله: (﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾) [البقرة: الآية ٢٣٥]. أي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج. وقال (الفراء): هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة. ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بيان لخطأ رأي من يرغب عن ملّته لأن من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة من طريقته منه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لاصطفيناه، أو انتصب بإضمار «اذكر» كأنه قيل: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملّة مثله. ﴿لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أذعن أو أطع أو أخلص دينك لله ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أخلصت أو انقدت.

يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، فنُسِب إليه واختصّ بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب، وعلّم ولده القاسم الأدب توفّي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة، وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمٰن ابن الزجّاج صاحب كتاب الجمل في النحو؛ لأنه كان تلميذه وعنه أخذ أبو علي الفارسي أيضًا رحمه الله.

قوله: (﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾)، المقصود النهي عن تزوّج المعتدّة في زمان عدتها، إلا أنه نهى عن العزم على عقدة النكاح للمبالغة في النهي عن النكاح في زمان العدّة، فإن العزم على الشيء متقدّم عليه، والنهي عن مقدمات الشيء يستلزم النهي عن ذلك الشيء بطريق الأَوْلى. **قوله: (الفرّاء)** هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي الكوفي كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنّحو واللغة وفنون الأدب، وإنما قيل له الفرّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها؛ لأنه كان يفري الكلام، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه الله.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَوَصَّىٰ﴾ (**«وأوصى» مدني وشامي**). ﴿بِهَآ﴾ بالملّة أو بالكلمة وهي «أسلمت لرب العالمين» (﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾) هو معطوف على إبراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها (**يعقوب بنيه**) أيضًا (﴿يَٰبَنِيَّ﴾ **على إضمار القول**) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي أعطاكم الدين الذي هو (**صفوة**) الأديان (**وهو دين الإسلام**) ووفقكم للأخذ به ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال

قوله: (وأوصى) بهمزة مفتوحة بين الواوين وإسكان الثاني وتخفيف الصاد، **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتشديد من غير همز معدّى بالتضعيف.

قوله: (إبراهيم بنيه) وبنو إبراهيم كانوا أربعة: إسمٰعيل وإسحٰق ومدين ومدان، وقيل: ثمانية، وقيل: أربعة عشر اهـ بيضاوي. **قوله: (يعقوب بنيه)** وبنو يعقوب اثنا عشر روبين بضم الراء وكسر الباء وياء ونون، وقال النيسابوري: الصحيح روبيل باللام، وشمعون[1] ولاوىٰ ويَهُودا وبَشْسُوْخور وزَبُولون وزواني وتفتوني وكودا ولوشير وبنيامين بوزن إسرافيل ويوسف. **قوله: (يا بني)** أصله يا بنين لي، فأُضيف إلى ياء المتكلم فحُذفت نون الجمع بالإضافة إلى المتكلّم، فاجتمعت ياء الجمع وياء المتكلّم، فأُدغمت الأُولى في الثانية، فصار: يا بنيّ. **(على إضمار القول)** عند البصريّين، تقديره: وصّى، وقال: يا بني؛ وذلك لأن يا بني جملة، والجملة لا تقع مفعولًا إلّا لأفعال القلوب أو لفعل القول عند البصريّين. وقال الكوفيون: الجملة تقع في حيِّز كل فعل بمعنى القول أيضًا، كالوصية والدعوة والوعد والرسالة والإبلاغ والإنذار والوحي، وهذا خلافٌ شائع بينهم، فإنّ الوصية من حيث إنها لا تكون إلّا بالقول كانت بمعنى القول ونوعًا منه. **قوله: (صفوة)** مثلّثة الصاد أي خالص. **قوله: (وهو دين الإسلام)** والمراد

---

(١) بكسر الشين، فتوى نقلًا عن مولانا خسرو رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

الإسلام إذا ماتوا كقولك: «لا تصلّ إلا وأنت خاشع» فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في صلاته.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ («أم» **منقطعة**) ومعنى الهمزة فيها الإنكار. والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أي حين احتضر، والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي. (**أو متصلة**) ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبيّ إلا على اليهودية كأنه قيل: أتدّعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من «إذ» الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لـ«حضر» ﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ «ما» استفهام في محل النصب بـ«تعبدون» أي أيّ شيء تبعدون؟ (**و«ما» عام في كل شيء**

بدين الإسلام الدِّين الذي به الإخلاص[1] لله والانقياد له وبه يعلم أن الإسلام يُطلق على غير ديننا، لكن العرف خصّصه به اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (أم منقطعة) بمعنى بل، والهمزة ومعنى بل الإضراب عن الكلام الأوّل، وهو بيان توصية إبراهيم عليه السلام إلى توبيخ اليهود على ادّعائهم اليهودية على يعقوب وأبنائه، ففائدتها الانتقال من جملة إلى أخرى أهمّ من الأُولى اهـ عبد الحكيم رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده: قوله: أم منقطعة قد تقرّر أنها بمعنى الهمزة لتضمّنها معنى بل الإضرابية، ويكون ما بعدها كلامًا مستأنفًا منقطعًا عمّا قبلها حيث وقع الإضراب عنه بخلاف أم المتّصلة في نحو قولك: أزيد عندك أم عمرو؟ فإنّ ما بعدها لا يكون منقطعًا عمّا قبلها، وكفى دليلًا على ذلك أنك تعبّر عنها باسم مفرد، فتقول معناه: أيّهما عندك؟ **قوله: (أو متّصلة)** وهي التي تذكر بعد همزة الاستفهام طلبًا للتعيين، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ **قوله: (وما عام في كل شيء)**، أي يصح إطلاقه على ذي العقل وغيره عند الإبهام سواء كان للاستفهام أو

---

(١) الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام، وفّقكم الله للأخذ به.

أو هو سؤال عن صفة المعبود) كما تقول «ما زيد» تريد أفقيه أم طبيب. ﴿مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾ من بعد موتي ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ أعيد ذكر الإلٰه لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار. ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ عطف بيان لآبائك، وجعل إسماعيل من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب (قال عليه السلام في العباس) «هذا بقية آبائي». ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ بدل من «إلٰه آبائك» (كقوله:) ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ

غيره، وإذا عُلِم أنّ الشيء من ذوي العقل والعلم فرّق بين مَنْ وما، فيخصّ مَنْ بذوي العلم وما بغيره، ولهذا الاعتبار يقال: إن ما لغير العقلاء. **قوله: (أو هو سؤال عن صفة المعبود)**، كأنه قيل: أمعبودًا عظيمًا حقيقًا بالعبادة تعبدونه أم غيره، ممّا لا يستحقّها. **قوله: (قال عليه السلام في العبّاس)** أي في حقّه رضي الله تعالى عنه هذا بقيّة آبائي، أي قال عليه السلام لعمر رضي الله تعالى عنه في شأن العباس رضي الله تعالى عنه حين طلب عمر من العباس رضي الله تعالى عنهما من زكاة الإبل وغيرها ما لا يرضى به نفسه، فاعتذر إليه النبيّ عليه السلام، فقال: «**هذا بقية آبائي**» أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه وغيره بلفظ: «**احفظوني في العباس، فإنه بقيّة آبائي**» تمثيل لإطلاق لفظ الأب على العمّ بطريق الاستعارة المبنيّة على المشابهة؛ إذ لا وجه لاعتبار التغليب فيه، لأن التغليب لا يكون إلّا بين شيئين، ووجه كونه مثالًا لإطلاق الأب على العمّ أنه عليه الصّلاة والسّلام، لما قال في حقّ عمّه: «**إنه بقيّة آبائي**»، فقد أطلق عليه اسم الأب معنًى؛ لأن بقيّة الشيء لا تكون إلّا من جنسه، فلا يقال للأخ إنه بقية الأب ويقال بقية القوم لواحد بقي منهم، فكأنه عليه الصّلاة والسلام قال: إنه الذي بقي من جملة آبائي. والعباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ خرج مع المشركين إلى بدر مُكرهًا وأسر وفدا نفسه وابني أخويه عقيلًا ونوفل بن الحارث، وأسلم عقيب ذلك، وقيل: أسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه مقيمًا بمكّة يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان عونًا للمسلمين المستضعفين بمكّة، قالوا: وأراد القدوم إلى المدينة، فقال له النبيّ ﷺ: «**مقامك بمكّة خير**»، وكان رسول الله ﷺ يعظّمه ويُكرمه ويبجّله، وكانت الصحابة تكرمه وتعظّمه وتقدمه وتشاوره وتأخذ برأيه، توفي بالمدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين وهو ابن نحو ثمان وثمانين سنة، وهو معتدل القامة وقبره

بَنَتِهِ لَنَسْفَعًا (بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ) خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: الآيتان ١٥، ١٦] أو نصب على الاختصاص أي نريد بإلـٰه آبائك إلـٰهًا واحدًا. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ **(حال من فاعل «نعبد»)** أو جملة معطوفة على «نعبد» **(أو جملة اعتراضية مؤكدة)**.

مشهور بالبقيع، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وثلاثون حديثًا اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بحديث ومسلم بثلاثة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (كقوله: ﴿(بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ﴾) وجه التشبيه كون البدل في كلّ واحد من الموضعين نكرة مبدلة من المعرفة بإعادة لفظ المبدل منه، فلذلك أُبدلت موصوفة فيهما ذكر في المفصل: أنه لا يجب تطابق البدل والمبدل منه تعريفًا وتنكيرًا، بل لك أن تبدل أي النوعين شئت من الآخر، قال الله تعالى إلى صراط مستقيم: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: الآية ٥٣]، وقال: ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: الآيتان ١٥، ١٦] دلّ أنه لا يحسن إبدال النّكرة من المعرفة إلّا موصوفة كناصية، إلى هنا كلامه. فإنّ قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ [العلق: الآية ١٦] وصفت بقوله كاذبة لتكون الصفة **جابرة** لما في المبدل من النقصان الحاصل بالنكارة. **قوله: (حال من فاعل نعبد)**، فيكون بيانًا لهيئة الفاعل حالة صدور العبادة عنه. **قوله: (أو جملة اعتراضية مؤكّدة)** بناء على أن صاحب الكشاف والمصنّف رحمة الله عليهما لا يشترطان أن تكون الجملة المعترضة في أثناء كلام أو بين كلامين متّصلين معنًى بأن يكون الكلام الثاني بيانًا للأوّل أو تأكيدًا له أو بدلًا منه، بل يجوز أن وقوعها في آخر جملةٌ لا يليها جملة متّصلة بها، بأن لا يليها جملة أصلًا، فيكون الاعتراض في آخر الكلام أو يليها جملة غير متّصلة بها معنًى بأن لا تكون بيانًا للأُولى، ولا تأكيدًا لها، ولا بدلًا منها، فلا تكون الواو في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ حينئذ عاطفة ولا حالية، بل هي واو اعتراضية، ومثل هذا الاعتراض كثيرًا ما يلتبس بالحال والفرق دقيق أشار إليه صاحب الكشاف حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٥١]، أن قوله: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٥١] حال، أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها، أو اعتراض، أي وأنتم عادتكم الظلم، وقال هٰهنا: ويجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكّدة، أي: ومن حالنا أنّا له مسلمون، أي: ومن شأننا وعادتنا الثّبات على الإسلام له تعالى، وحاصل ما أُشير إليه من الفرق أنّ هذه

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي إن أحدًا لا ينفعه كسب غيره متقدمًا كان أو متأخرًا، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **(ولا تؤاخذون بسيئاتهم)**.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أي قالت اليهود كونوا هودًا وقالت النصارى كونوا نصارى. وجزم ﴿تَهْتَدُوا﴾ لأنه جواب الأمر. ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بل نتبع

الجملة إن جُعِلت حالًا يكون حصول مضمونها مقارنًا لحصول عاملها، أعني الفعل المقيّد بها، وذلك الفعل في الآية هو قولهم: نعبد إلـٰهك، والفعل المضارع وإنْ كان يصلح للحال والاستقبال إمّا على أن يكون مشتركًا بينهما، أو يكون حقيقةً في الحال مجازًا في الاستقبال، إلّا أن المراد في الآية الاستقبال بقرينة وقوعه في جواب قول يعقوب: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾، فيكون مضمون الجملة الحالية واقعًا في المستقبل أيضًا، فكأنهم قالوا: نعبد بعد موتك إلـٰهك وإلـٰه آبائك مخلصين له أنفسنا في ذلك الوقت، وإن جُعِلت اعتراضية لا يكون لها محلّ من الإعراب، ولا يُعتبر لها عامل فضلًا عن أن يكون مضمونها مقارنًا لمضمون عاملها في الحصول، فلا يكون حصول مضمونها مقيّدًا بزمان التكلّم، ولا بالزمان الماضي ولا المستقبل، بل المراد: إنّا نعبد بعدك معبودك، ونحن شأننا أو عادتنا ذلك في جميع الأزمان.

قوله: (ولا تؤاخذون بسيئاتهم)، يعني: ليس المراد بقوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مجرّد السؤال؛ إذ لا وجه لنفيه؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: الآية ٥٠]، و﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلك: الآية ٨] ونحو ذلك، بل المراد نفي مؤاخذتهم بسيّئات الأمم الماضية؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ [سَبأ: الآية ٢٥].

ملّة إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ (حال من المضاف إليه) نحو «رأيت وجه هند قائمة». والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلّا منهم يدعي اتباع ملّة إبراهيم وهو على الشرك.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿قُولُوٓاْ﴾ هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل (﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾) السبط

قوله: (حال من المضاف إليه) انتصاب الحال من المضاف إليه قليل نادر؛ لأن عامل الحال هو العامل في صاحبها، ولا يصح أن يعمل المضاف في مثل هذا الحال، فلذلك اشترط في صحة انتصاب الحال أن يكون المضاف جزءًا متّصلًا بالمضاف إليه، كما في قولك: رأيت وجه هند قائمة، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] إخوانًا، و﴿أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: الآية ١٢]، أو بمنزلة الجزء منه بناء على شدّة الملابسة بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: الآية ١٣٥]، وقولك: سمعت كلام زيد قائمًا، فإنه إذا كان بينهما مثل هذا الارتباط والملابسة صحّ إقامة المضاف مقامه، وكونه فاعلًا أو مفعولًا مثله، فإنك إذا قلت: رأيت وجه هند قائمة واتّبعت ملّة إبراهيم يصح أن يقول: رأيت هندًا واتّبعت إبراهيم، بخلاف قولك: رأيت غلام هند قائمة، فإنه لا يجوز؛ لأن ملابسة الغلام بهند ليس بحيث يصح إقامتها مقامه، واختلفوا في عامل مثل هذا الحال، فقيل: هو معنى الإضافة كما في معنى الفعل المُشْعِر به حرف الجرّ، كأنه قيل: ملّة تثبت لإبراهيم حنيفًا، والصحيح أن عامله عامل المضاف لِمَا بينهما من الاتّحاد بالوجه المذكور.

قوله: ... قدّم؛ لأنه سبب لنا للإيمان بغيره. اهـ. مظهري. قوله: ... ،

(الحافد) وكان **(الحسن والحسين)** سبطي رسول الله ﷺ، والأسباط **(حفدة)** يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر. ويعدى «أنزل» بـ«إلى» و«على» فلذا ورد هنا بـ«إلى» وفي

وهو عشر صحف أُنزلت على إبراهيم، فتعبّد بها هو وبنوه وأحفاده، ولذا نسب إنزالها إليهم، كما نُسِب إنزال القرآن إلينا بمتابعة محمّد ﷺ اهـ مظهري.

قوله: (الحافد) ولد الولد. **قوله: (الحسن)** بن علي بن أبي طالب، هو أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته روى عن النبيّ ﷺ أحاديث، وروت عنه عائشة رضي الله تعالى عنها، وروى عنه جماعات من التابعين منهم الحسن بن الحسن وأبو الحَوَاري ـ بالحاء المهملة ـ ربيعة بن سنان والشعبي وأبو وائل وابن سيرين وآخرون، توفي بالمدينة مسمومًا سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، ودُفِن بالبقيع وقبره فيه مشهور، وإن الحسن رضي الله تعالى عنه حجّ حجّات ماشيًا، وكان يقول: إني أستحي من الله تعالى أن ألقاه ولم أمْشِ إلى بيته، وقاسَمَ الله تعالى ماله ثلاث مرات، فتصدّق بنصفه حتى كان يتصدّق بنعل ويمسك نعلًا، وخرج من ماله كلّه مرتين ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة.

قوله: (والحسين) ـ بضمّ الحاء ـ ابن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ أبو عبد الله سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو وأخوه الحسن سيّدا شباب أهل الجنّة، أخرج الترمذي عن يعلى بن مُرّة قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُسَيْنٌ منّي وأنا مِنْ حُسين، أحبَّ الله مَنْ أحبَّ حُسينًا، حسين سبط من الأسباط**»، قال الترمذي: حديث حسن. وأخرج أيضًا عن عليّ بن أبي طالب قال: **الحسن** أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصّدر إلى الرّأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك، قال الترمذي: حديث حسن.

وحجّ الحسين خمسًا وعشرين حجّة ماشيًا، وكان رضي الله تعالى عنه فاضلًا كثير الصلاة والصّوم والحجّ والصدقة وأفعال الخير جميعها، قُتِل رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين بكربلاء من أرض العراق، وقبره مشهور يُزار ويُتبرّك به، وحَزِن الناس عليه كثيرًا، وأكثروا فيه المراثي رضي الله تعالى عنه. قوله: (حفدة) جمع حافد.

آل عمران بـ«على» ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى. (واحد في معنى الجماعة) ولذا صحّ دخول بين عليه. ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ لله مخلصون.

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك. فقيل: الباء زائدة و«مثل» صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيمانًا مثل إيمانكم والهاء يعود إلى الله ﷻ، وزيادة الباء غير (عزيز) قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ [يونس: الآية

قوله: (واحد في مَعْنى الجماعة)؛ لكونه اسمًا موضوعًا لمن يصلح أن يُخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكّر والمؤنّث، ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير مُوجب نصّ على ذلك أبو عليّ وغيره من أئمّة العربية، وهذا غير الأحد الذي هو أوّل العدد في مثل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: الآية ١]. وقال صاحب الكشاف في سورة الأحزاب: أحد في الأصل بمعنى واحد، وهو الواحد ثم وُضِع في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنّث والواحد وما وراءه، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢] لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي إذا انقصت أُمّة النساء جماعة جماعة لم توجد منهنّ جماعة واحدة تساويكنّ في الفضل والسابقة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [النساء: الآية ١٥٢] تسوية بين جمعهم في أنهم على الحقّ المُبين، انتهى كلامه. وقال الجوهري: الأحد بمعنى الواحد، وهو أوّل العدد، تقول: أحد واثنان واحد عشر، وأمّا قولهم: ما في الدار أحد، فهو اسم لمن يَصْلُح أن يُخاطَب يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، قال تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢]، وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقّة: الآية ٤٧]، انتهى كلامه.

قوله: (عزيز)، أي نادر.

٢٧] والتقدير جزاء سيئة مِثلها كقوله في الآية الأخرى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠] وقيل: المثل زيادة أي فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة (ابن مسعود) ﷺ «بما آمنتم به». و«ما» بمعنى «الذي» بدليل قراءة (أبي) «بالذي آمنتم به». وقيل: (الباء للاستعانة) كقولك: «كتبت بالقلم» أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ أي فما هم إلا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وإجلاء بعضهم، ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما ينطقون به ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما يضمرون من الحسد (والغلّ) وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم، أو وعد لرسول الله ﷺ أي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ دين الله (وهو مصدر مؤكد) منتصب عن قوله: «آمنا بالله».

قوله: (ابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أُبيّ) بن كعب الصحابي السيد القارىء الأنصاري الخزرجي النجاري ـ بالنون ـ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وقيل: الباء للاستعانة) أي ليست صلة، بل هي للاستعانة وآمنوا بمعنى وجدوا الإيمان الشرعي ودخلوا فيه من غير احتياج إلى تقدير صلة، أي: فإن دخلوا في الإيمان بواسطة شهادة مثل شهادتكم قولًا واعتقادًا، وذلك طريق للإيمان ولا مانع من تعدّده؛ كما قيل: الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (الغل) ـ بالكسر ـ الحِقد.

قوله: (وهو مصدر مؤكّد) لنفسه منتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، تقدير الكلام: صبغنا الله صبغته، أي فطرنا وخلقنا على استعداد قبول الحقّ والإيمان فطرته، وأمّا أنه مؤكّد لنفسه فلأن هذا المصدر مع عامله المقدّر بعينه هو مضمون الجملة المتقدّمة، وهو قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لا محتمل لها من المصادر إلّا ذلك المصدر؛ لأن إيمانهم بالله إنما يحصل بخلق الله تعالى إيّاهم على استعداد اتّباع

(وهي فعلة من صبغ) كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه **(المعمودية)** ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيًا حقًّا، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم. **(وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة**

الحقّ والتحلّي بحِلْية الإيمان، فلما دلَّت الجملة السابقة على المصدر المذكور نصًّا وقطعًا كان ذلك المصدر مؤكّدًا لمضمونها الذي هو مضمون المصدر وعامله المحذوف، فلذلك سمّي مثل هذا المصدر مؤكّدًا لنفسه ومثاله المشهور في قولك: له عليّ ألف درهم اعترافًا، فإنّ الجملة السابقة تدلّ على الاعتراف قطعًا بحيث لا محتمل لها غيره، فكأنه مؤكّد لمضمونها الذي هو نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ﴾ [الروم: الآية ٦]؛ لأن ما قبله وهو ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الرُّوم: الآيتان ٤، ٥] يدلّ عليه؛ إذ الوعد هو الإخبار بإيقاع شيء نافع قبل وقوعه، وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٤] من هذا القبيل، ومثل هذا المصدر يجب حذف عامله قياسًا. قال الرضى الاسترآبادي: ولا يمتنع في كل ما هو تأكيد لنفسه من المصادر أن يقال: الجملة المتقدمة عاملة فيه لنيابتها عن الأفعال الناصبة له وتأديتها معناها، فلذلك قال المصنّف رحمة الله عليه: وهو مصدر مؤكّد منتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

قوله: (وهي فعلة من صبغ)... الخ. الصبغ ما يلوّن به الثياب والصبغ المصدر الصبغة الهيئة التي تُبنى للنوع والحالة من صبغ؛ كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع الصبغ عليها. **قوله:** (المعمودية) ـ بفتح الميم وسكون العين المهملة وضمّ الميم الثانية وكسر الدال المهملة وبالياء المثنّاة التحتية المخفّفة ـ الماء الذي وُلد فيه عيسى عليه السلام، أي الماء الذي غُسّل به عيسى عليه السلام في اليوم الثالث لميلاده، أو كانوا كلّما انتقص ذلك الماء خلطوا به ماءًا آخر. **قوله:** (وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة)، المشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير إمّا بحسب المقال المحقّق أو المقدّر بأن لا يكون ذلك الغير مذكورًا حقيقةً، ويكون في حكم المذكور لكونه مدلولًا عليه بقرينة

كقولك لمن يغرس) الأشجار **(اغرس كما يغرس فلان تريد رجلًا يصطنع الكرام)**.
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز أي لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ عطف على «آمنا بالله» وهذا العطف يدل على أن قوله: «صبغة الله» داخل في مفعول «قولوا آمنا» أي قولوا هذا وهذا «ونحن له

الحال، فهي كما تجري بين قولين كما في: «**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**»، فإنه عبّر عن ذات الله تعالى بلفظ النفس لوقوعه في صحبة الغير، وكما في قوله:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جبّة وقميصا

أي خيطوا ذكر خياطة الجبّة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة ذكر طبخ الطعام وقوعًا محققًا تجري أيضًا بين قول وفعل، كما في هذه الآية، فإنه عبّر فيها عن تطهير الله تعالى المؤمنين بالإيمان بصبغة الله لوقوعها في صحبة صبغة النصارى أولادهم، فإنّ النصارى كانوا يشتغلون بصبغ أولادهم بغمسهم في الماء الأصفر على زعم أنّ ذلك الغمس والصبغ تطهيرٌ لهم، وذلك الغمس والصبغ وإنْ لم يكن مذكورًا حقيقةً لكنه واقعٌ فعلًا من حيث إنهم يشتغلون به، فكان في حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به، ومن حيث إنّ الآية نزلت ردًّا لزعمهم ببيان أن التطهير المُعتبر هو تطهير الله عباده لا تطهيركم أولادكم بغمسها في المعمودية، وهي اسم ماء غسل به عيسى عليه الصلاة والسلام، فمزجوه بماء آخر، وكلّما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر، وكون التسمية مبنيّة على المشاكلة لا ينافي كون المصدر مؤكّدًا لنفسه، بل هو كذلك، واختصاص الغمس في المعمودية بالنصارى لا ينافي صحة اعتبار المشاكلة في قول المؤمنين للفريقين ردًّا عليهما: صبغنا الله صبغته، بمعنى طهّر قلوبنا بالإيمان تطهيره، ولم نصبغ صبغتكم الكائنة بالانغماس في الماء الأصفر يكفي في صحة ذلك وقوع الصبغ فيما بين الفريقين في الجملة. **قوله: (كقولك لمن يغرس)** من باب ضرب الأشجار **(اغرس كما يغرس فلان تريد رجلًا يصطنع الكرام)**، أي إلى الكرام ويحسن إليهم، فتعبّر عن الاصطناع بلفظ الغرس للمشاكلة بقرينة الحال، وإنْ لم يكن له ذكر في المقال أشار به إلى أن المشاكلة كما تجري بين القولين تجري بين قولٍ وفعل أيضًا؛ لأن قولك لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تعني: كن كريمًا تصطنع

عابدون» ويريد قول مَن زعم أن «صبغة الله» بدل من «ملّة إبراهيم» أو نصب **(على الإغراء)** بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فكّ النظم وإخراج الكلام عن التئامه. وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره **(سيبويه والقول ما قالت حذام)**.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ أي **(أتجادلوننا)** في شأن الله واصطفائه النبيّ من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحقّ بالنبوّة منا

الناس تريد حثّه على الكرم والخير وإن لم يجر ذلك الغرس؛ لأنه مشغول. **قوله: (على الإغراء)**، قال الواحدي: وهو إلزام المخاطب العكوف على ما يحمله عليه ووجوب إضمار العامل مختصّ بصورتي التكرار أو العطف نحو العهد العهد، ونحو الأهل الأهل، ويضمرا الزم أو شبهه، ويجوز الإظهار فيما عداهما، نحو: العهد، فيجوز أن يقول: الزم العهد، كذا في شرح الألفية للسيوطي والرضى وغيرهما.

قوله: (سيبويه)، هو أبو بشر عمرو بن عثمان، كان أعلم المتقدّمين والمتأخرين بالنَّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيّف وأربعين سنة، وقيل غير ذلك. **قوله: (والقول ما قالت حذام**[1]**)**، وهو اقتباس من قوله:

إذا قالت حذام فصدّقوها فإنّ القول ما قالت حذامُ

وحذام امرأة حذّرت قومها من الغارة، فأنكروا عليها، فلما وقعت الغارة قالوا: صدقت حذام، فضُرِب بها المثل حتى قال النِّحرير المحقّق: هذا البيت من الأبيات الجارية مجرى الأمثال، ومراد المصنّف رحمه الله تعالى من إيراده هٰهنا أنّ قول سيبويه هٰهنا حقّ.

قوله: (أتجادلوننا) المحاجّة مفاعلة بين اثنين في إيراد الحجّة على ما يدّعي ومقاومة كل واحد منهما صاحبه فيما أظهره من الحجّة، فإن رسول الله ﷺ لمّا

---

(١) كقطام وسحاب، امرأة كذا في القاموس، ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نشترك جميعًا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته مَن يشاء من عباده ﴿وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالاً فلنا كذلك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي نحن له موحدون

ادّعى الرسالة واحتجّ عليها بما أظهره من الحُجج الباهرة خاصَمَتْه وجادلَتْه يهود المدينة ونصارى نجران في شأن الله وأمره، أي في اصطفائه نبيًّا من العرب دونهم بأنّ أنبياء الله تعالى كانوا منّا وديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق، ولو كنت نبيًّا لكنت منّا؛ إذ نحن الأحقّاء بالنبوّة منك ومن سائر العرب، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقول لهم: أتحاجّوننا على سبيل التوبيخ والإنكار، وقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الجملة اسمية في موضع النّصب على الحال والعامل فيها تحاجوننا، وقوله: ﴿وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ جملتان في موضع الحال عطفًا على الحال الأولى، والمعنى: أنّكم كيف تحاجوننا وتزعمون أنّكم أحقّ بالنبوّة مع أنه لا نسبة لكم بالعبودية والربوبية، وهذه النسبة سواء بيننا وبينكم؛ إذ هو ربّ العالمين جميعًا، ومن عداه كلّهم عبيد له لا اختصاص له بقوم دون قوم حتى يتعيّن لرحمته وكرامته قوم دون قوم والأمر منوط بمشيئته يفعل ما يشاء، فَبِمَ ترجحون أنفسكم علينا؟ بل الترجيح يكون من جانبنا لأنّا مخلصون له في العبودية، ولستم كذلك، فإن قلتم: إنه إنما يشاء ما تقتضي الحكمة مشيئته ومقتضى الحكمة أن يخصّ الكرامة بمن يستعدّ لها بالمواظبة على الطاعة والأعمال الصالحة، فإنّ استعداد الكرامة يدوز عليها واستعداد الكرامة من جانبنا أيضًا. قلنا: لا نسلم اختصاصكم باستعداد الكرامة، فإنّه كما أنّ لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله تعالى في إعطاء الكرامة، فلنا أيضًا أعمال، فلا رجحان لكم علينا بحسب الاستعداد، فبِمَ ترجحون أنفسكم علينا، ثم بيّن بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ معطوفًا على الأحوال المتقدمة أنّ سبب استحقاق الكرامة إنما هو في جانبهم لا في جانب أهل الكتاب وهو الإخلاص، أي تصفية العمل عن الشُرك والرّياء وحقيقته تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين، قال ﷺ: «**إنّ الله يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكًا في عمله فهو لشريكي. يا أيّها الناس، أخلصوا أعمالكم لله تعالى، فإنّ الله تعالى لا يقبل إلّا مَنْ أخلص له، ولا تقولوا هذه لله وللرَّحم، فإنها للرَّحم وليس لله منها شيء. ولا تقولوا: هذه لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم، وليس لله تعالى منها**

نخصّه بالإيمان وأنتم به مشركون، والمخلص (**أحرى**) بالكرامة وأولى بالنبوّة من غيره.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)﴾

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ (**بالتاء شاميّ**) وكوفيّ غير أبي بكر. و«أَمْ» على هذا معادلة للهمزة في «أتحاجوننا» يعني أي الأمرين تأتون: المحاجة في حكم الله أم إدعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ أو منقطعة (**أي بل أتقولون**. «يقولون»: **غيرهم بالياء، وعلى هذا**) لا تكون الهمزة إلا منقطعة. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهمًا رادًا عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ يعني أن الله شهد لهم بملّة الإسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: الآية ٦٧].

شيء». قال الجُنيد رحمه الله: الإخلاص سرٌّ بين العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيُفسده ولا هوًى فيقتله، وذكر أبو القاسم القشيري وغيره عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**سألت جبريل عن الإخلاص، ما هو؟ فقال: سألت ربّ العزّة عن الإخلاص ما هو؟ فقال: هو سرٌّ من سرّي استودعته قلبُ مَنْ أحببته من عبادي**».
قوله: (أحرىٰ)، أي ألْيَق.

قوله: (بالتاء) أي بتاء الخطاب، (**شامي**) أي ابن عامر الشامي وكوفي غير أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف. **قوله: (أي بل أتقولون)** بكلمة الإضراب وهمزة الإنكار. **قوله: (يقولون غيرهم بالياء)** أي بياء الغيبة. **قوله: (وعلى هذا)** أي على قراءة من قرأ بالياء لا تكون، أي كلمة أم إلا منقطعة **لانعدام** ما يعادلها حينئذ، فإنّه لما عدل عن الخطاب في أتحاجّوننا إلى الغيبة صرف الكلام إلى غير ما توجه إليه سابقًا، وذا لا يحسن[1] في المتّصلة.

---

(١) أي: لا يحسن في المتّصلة أن يختلف الخطاب من المخاطب إلى غيره. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية. والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها، أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. (**وفيه تعريض**) بكتمانهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوّة في كتبهم (**وسائر شهاداته**). و«من» في قوله: «من الله» مثلها في قولك: «هذه شهادة مني لفلان» إذا شهدت له في أنها صفة لها. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ كررت للتأكيد أو لأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الخفاف (**الأحلام**) فأصل السفه الخفة، وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة (**وأنهم لا يرون النسخ**)، أو المنافقون لحرصهم

قوله: (**وفيه تعريض**) أي في الوجه الثاني تعريض لمن تحقّق منه كتمان شهادة الله تعالى أيّ شهادة كانت، وليس في الوجه الأوّل تعريض؛ لأن الآية حينئذ تصريح بتوغل كاتم شهادة الله تعالى في الظّلم. **قوله:** (**وسائر شهاداته**) كآية الرجم وصفة عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام.

قوله: (**الأحلام**) أي العقول. **قوله:** (**وأنهم لا يرون النسخ**) أي نسخ الشرائع والأحكام، ولمّا زعموا، أي نسخها بمعنى البداء والرجوع عنها بداء، وذلك مُحال في حقّ الله تعالى لعلمه بعواقب الأشياء أجمع، والبداء والرجوع في الشاهد مبنيّ على الجهل بالعواقب كمن بنى بناءً ثم نقضه بما يبدو ويظهر له أنه مخطىء وغالط في الغرض الذي بنى بناءه عليه، واليهود إنّما قالوا ذلك وذهبوا إلى امتناع أن ينسخ الله تعالى حكمًا ممّا شرعه أوّلًا لجهلهم بتفسير النسخ وحدّه، ولو عرفوا ما النسخ لما نفوا ذلك، وما قالوا باستحالته على الله تعالى، فإن النسخ عبارة عن انتهاء الحكم إلى وقت معيّن لانتهاء المصلحة التي شرع الحكم لها، وبيان حكم جديد لمصلحة أخرى في وقت آخر مع بقاء الحكم الأوّل مشروعًا ومصلحة وقت كونه

على الطعن والاستهزاء، أو المشركون لقولهم: «رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم». (وفائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد، وإعداد الجواب) قبل الحاجة إليه أقطع للخصم (فقبل الرمي يراش السهم). ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ ما صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعنون بيت المقدس. والقبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة لأن المصلّي يقابلها (﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾) أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له ﴿يَهْدِى

مشروعًا وليس فيه ما فهمته اليهود من البناء والنّقض لما مضى كالبناء الذي وصفوه، بل نظير النسخ في الشاهد أمر الطبيب مريضًا غلبت الصفراء والحرارة عليه بشرب المبرّدات القاطعة للصفراء، ثم إنه متى عَلِم بسكون الصفراء والحرارة واعتدال طبعه نهاه عن ذلك وأمره بالمعتدل من الشراب، فإنّ ذلك لم يكن منه بداء عمّا أمره في الوقت الأوّل وإبطالًا ونقضًا له، بل بيان أن المصلحة في ذلك الوقت ذاك وفي الحالة الثانية هذا مع بقاء المبرّد مصلحة له في تلك الحالة.

قوله: (وفائدة الأخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس؛ إذ المفاجأة بالمكروه أشدّ وإعداد الجواب)... الخ. يريد أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾... الخ. إخبار بقولهم ذلك قبل أن يقولوه، وأنّ الإخبار به قُدِّم على وقوعه لفائدتين: الأولى: أن يكون توطينًا للنفس، فإنه تعالى إذا أخبر أنهم سيذكرون هذا القول المكروه قبل صدوره منهم، ثم سمع ذلك منهم يكون تأذي النفس وتأثّرها من ذلك الكلام المكروه أقلّ مما إذا سمع ذلك منهم ابتداء، فإنّ مفاجأة المكروه أشدّ على النفس من وروده على التدريج. والثانية: إعداد الجواب قبل الحاجة إليه، فإنه أقطع لكلام الخصم وأدخل في إسكاته وردّ جداله، فلمّا أخبر الله تعالى أوّلًا بأنهم سيقولونه وبين جواب ذلك مع ذلك الإخبار كان الجواب حاضرًا عند النبيّ ﷺ، فيجيب به عندما سمع ذلك القول المُنكر منهم، وهذا دفع لكلامهم ممّا إذا سمعه، ولا يكون الجواب حاضرًا عنده. **قوله:** (فقبل الرمي يراش السهم)، من أمثال العرب يضربونه في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها. في المصباح: رِشْت السهم رَيْشًا أصلحتُ رِيشَه، فهو مَريش. اهـ. **قوله:** (﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾)، ليس معناه أن المشرق والمغرب بخصوصهما له تعالى حتى يقال إن جميع الأعيان والأعراض والجنوب والشمال له تعالى مُلْكًا ومَلِكًا، فما وجه تخصيصهما بالذِّكر؟ ولعلّ الوجه

﴿مَن يَشَآءُ﴾ من أهلها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق مستوٍ. أي يرشد مَن يشاء إلى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمرنا بالتوجه إليها، أو الأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة (وطورًا) إلى بيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ﴾ ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه و«ذا» جرّ بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب. ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (خيارًا). وقيل: للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط (محمية) أي كما جعلت

في التعبير عن جميع النواحي والأطراف بالمشرق والمغرب أن الشمس بحسب اختلاف حركاتها وتبدّل مطالعها ومغاربها متناولة لأكثر النَّواحي والجهات، فأُقيم الأكثر مقام الكلّ. **قوله:** (وطورًا)، في المصباح: الطور ـ بالفتح ـ التارة. اهـ.

قوله: (خيارًا) جمع خير وهو ضدّ الشرّ. وفي الصحاح: الخيار خلاف الأشرار، والخيار الاسم من الاختيار، يعني أنه قد يكون جمع خير الذي هو أفعل التفضيل، وقد يكون اسمًا مفردًا للمصدر، ولمّا كان الوسط في الأصل اسمًا لمكان معيّن تستوي إليه المساحة من جميع الجوانب في المدوّر كالنقطة من الدائرة أو من الطرفين في المستطيل، كلسان الميزان من عموده بخلاف الوسط بالسكون، فإنه اسم لداخل الدائرة أو الدار مثلًا، والوسط في الآية لما وقع صفة لأُمّة، ولم يكن مستعملًا في أصل معناه، لا جرم فسّره بما يصحّ أن يُوصف فقال خيارًا؛ لأنه تعالى جعل هذه الأُمّة خيرًا في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠]، ثم قال: أو عدولًا لما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ أنّه فسّر وسطًا في هذه الآية بقوله: عدلًا، وقال الراوي: هذا حديث حسن صحيح. **قوله:** (محمية) من باب رمى، أي ممنوعة.

قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم، أو عدولًا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. **(أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب) جعلناكم** أُمة وسطًا بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلوّ النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا. ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ غير منصرف لمكان ألف التأنيث ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ صلة شهداء ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ عطف على «لتكونوا». رُوِيَ أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأُمة محمد ﷺ فيشهدون فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصادق، فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أُمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم. والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الأشياء المعروفة. **(ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء)** كقوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:

قوله: (أي كما جعلنا قبلتكم متوسّطة بين المشرق والمغرب). . . الخ. روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**»، قلت: أراد بالمشرق مشرق أقصر أيّام السنّة، وبالمغرب مغرب أقصر الأيام، وذلك جهة الجنوب، وهي قبلة أهل المدينة. **قوله: (ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء)**، يعني: أن الشاهد إذا أضر بشهادته عُدِّيت الشهادة بكلمة على، وإذا نفع بها تعدّى باللام، فيقال في الأولى: شهد عليه، وفي الثانية: شهد له، والرّسول ﷺ لما زكّى أُمّته وعدلهم بشهادته فقد انتفعوا بها، فالظاهر أن يقال: ويكون الرّسول لكم شهيدًا بخلاف شهادة هذه الأُمّة على الناس المنكرين للتبليغ، فإنّها شهادة عليهم حيث استضرّوا بها، فكلمة على فيها واقعة في موضعها، فلا تحتاج إلى التأويل بخلاف قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فإنه يحتاج إلى التأويل، وتأويله أن كلمة على فيه ليست صلة للشهادة، كما في قولهم: شهد على المنكر، بل هي مبنية على تضمين الشهيد معنى الرّقيب والمطّلع، فعدّى تعديته، والوجه في اعتبار التضمين الإشارة إلى أن التحويل والتزكية إنّما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد، فإذا شهد منه الرّشد والصلاح في الخلوات عدله وزكّاه وأثنى عليه، وإلّا سكت عنه.

الآية ١٧]. وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار، ويكون الرسول عليكم شهيدًا يزكيكم ويعلم بعدالتكم. واستدلّ الشيخ أبو منصور رَحِمَهُ اللَّهُ بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة، والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله. (**وأخرت صلة الشهادة أولًا وقدمت آخرًا**) لأن المراد في الأول إثبات شهادتهم على الأُمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدًا عليهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي ما جعلنا القبلة (**الجهة**) التي كنت

قوله: (وأخّرت صلة الشهادة أوّلًا وقدَّمت آخرًا)... الخ. جواب عمّا يقال: لِمَ قدمت الصلة على الشهادة، مع أن حق المعمول أن يؤخّر عن عامله كما أخّر في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وأجاب عنه بأنها قدّمت للدلالة على اختصاصهم بكون الرّسول شهيدًا عليهم، وليس المراد باختصاص هذه الأُمّة بشهادة الرّسول ﷺ أنه عليه الصّلاة والسّلام لا يشهد في حقّ غيرهم أصلًا ضرورة أنه عليه الصّلاة والسّلام يشهد على الأُمم المكذّبين بتكذيبهم ويشهد لأنبيائهم بالتبليغ؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النّساء: الآية ٤١]، بل اختصاصهم بشهادته عليه الصّلاة والسّلام على سبيل التزكية والتعديل، وهو لا ينافي شهادته عليه الصّلاة والسّلام بالتبليغ، وعلى منكري التبليغ بالتكذيب.

قوله: (الجهة)، يريد أن القبلة مفعول أوّل لجعلنا، وأن ثاني مفعولي جعلنا محذوف، والتي صفة لذلك المحذوف الذي هو الجهة وليست بصفة للقبلة؛ لأن حذف أحد مفعولي باب علمت من غير أن يقوم مقامه شيء قليل جدًا؛ لأن المفعولين معًا كإسم واحد ومضمونهما هو المفعول. على الحقيقة فإذا قلت: علمت زيدًا قائمًا، فكأنّك قلت: علمت قيام زيد، فحذف أحدهما بمنزلة حذف بعض أجزاء الكلمة الواحدة، ولا يصار إليه من غير ضرورة، ولا ضرورة في الآية لصحة أن يجعل الموصول مع صلته مفعولًا ثانيًا لجعل بتقدير موصوف حذف وأُقيم الموصول مقامه مع صحة المعنى حينئذ، لما ذكره من أنه ﷺ كان مأمورًا بأن يصلّي إلى الكعبة وهو بمكّة، ثمّ لما هاجر أُمِر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس التي منها تصعد الملائكة إلى السماء، ثم أُعيد إلى ما كان عليه أوّلًا؛ فبيّن

عليها وهي الكعبة، فالتي كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل. **(رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفًا لليهود ثم حوّل إلى الكعبة).**

الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ الآية، أن الحكمة في جعل الكعبة قبلة هي امتحان الناس وابتلاؤهم.

قوله: (رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكّة إلى الكعبة ثم أُمِر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفًا لليهود، ثمّ حُوّل إلى الكعبة). في التفسيرات الأحمدية: اعلم أن القبلة قبلتان: إحداهما بيت المقدس الذي يسمّى بالمسجد الأقصى، وثانيهما الكعبة التي تسمّى بالمسجد الحرام، وكان إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة ويصلّي إلى جهتها، ولما مات أمر الله تعالى موسى وداود وغيرهما عليهم الصّلاة والسّلام أن يصلّوا إلى بيت المقدس، فلما أن بُعِث نبيّنا عليه الصلاة والسلام بالوحي وقام بعد الوحي بمكّة ثلاث عشر سنة كان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا هاجر إلى المدينة وأُمِر بالتوجّه إلى بيت المقدس كان أهل الكتاب يبدون الضحك والطَّعن، ويقولون: إنّ قبلتنا لم تُنْسخ، بل يتبعها محمّد عليه السلام، وكان رسول الله ﷺ بسماع هذا الكلام ذا غمّ وكربة ويتوجّه إلى الله تعالى أن يكتب علينا قبلة كنت[1] عليها وانتظر[1] إلى السماء ليأتي الحكم به، وهذا معنى قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، وقيل: كانت قبلته بمكّة أيضًا بيت المقدس إلّا أنه يجعل الكعبة بينه وبينه كما رُوِي عن ابن عباس وهو ضعيف.اهـ. بحروفه. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: اختلفوا في الجهة التي كان ﷺ يتوجّه إليها بمكّة، فقال ابن عباس وجماعة: كان يصلّي إلى بيت المقدس، لكنه لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس، وأطلق آخرون أنه ﷺ كان يصلّي إلى بيت المقدس. وقال آخرون: كان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا تحوّل إلى المدينة استقبل بيت المقدس وضعّف هذا لما فيه من النسخ مرتين، والأصح الأوّل.اهـ. وفي التفسير المظهري: واختلف العلماء في كيفية قبلته ﷺ قبل الهجرة بمكّة، فقال قوم: إنه ﷺ كان يصلّي وهو بمكّة نحو

---

(١) كذا بالأصل.

....

بيت المقدس والكعبة بين يديه، رواه أحمد عن ابن عباس، ورواه ابن سعد أيضًا وسنده جيّد. وأطلق آخرون وقالوا: إنه كان يصلّي إلى بيت المقدس. وقال البغوي: كان يصلّي إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة استقبل بيت المقدس. روى ابن جرير وغيره بسند جيّد قويّ عن ابن عباس، قال: لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس. وقال ابن جُرَيْج: إنه ﷺ أوّل ما صلّى إلى الكعبة ثم صُرِف إلى بيت المقدس وهو بمكّة، فصلّى ثلاث حجج، ثمّ هاجر إلى المدينة، والأوّل أصح وأقوى، وعند الجمع يؤول إليه الأحاديث اهـ بحروفه. وفي شرح العلّامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي على المواهب اللّدنيّة للعلامة القسطلاني رحمه الله: (حُوّلت القبلة) أي الاستقبال لا ما يستقبله المصلّي؛ إذ لا يتعلّق به تحويل أو حوّل أي غير وجوب استقبال بيت المقدس (إلى الكعبة، وكان ﷺ يصلّي إلى) صخرة (بيت المقدس) التي كان موسى يصلّي إليها بحذاء الكعبة، وهي قُبلة الأنبياء كلّهم، نقله القرطبي عن بعضهم. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظيّ، قال: ما خالف نبيّ نبيًّا في قبلة ولا سنّة، إلّا أنه ﷺ استقبل بيت المقدس ثم تحوّل إلى الكعبة. وروى أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٦] الآية، قال: أعلم قبلته فلم يبعث نبيّ إلّا وقبلته البيت، وهذا قول الحافظ العلّائيّ. فقال في تذكرته: الراجح عند العلماء أن الكعبة قبلة الأنبياء كلّهم، كما دلّت عليه الآثار. قال بعضهم: وهو الأصح، انتهى. واختار ابن العربي وتلميذه السهيلي: أن قبلة الأنبياء بيت المقدس. قال بعض: وهو الصحيح المعروف، فعدّ صاحب الأُنموذج من خصائص المصطفى وأُمّته استقبال الكعبة إنما هو على أحد القولين المرجحين نعم ذكر فيما اختصّ به على جميع الأنبياء والمرسلين أنّ الله جمع له بين القبلتين ﷺ (بالمدينة حال ستة عشر) شهرًا، كما رواه مسلم عن أبي الأحوص والنسائي عن زكريا بن أبي زائدة وشريك وأبو عوانة عن عمار بن رُزَيْق ـ بتقديم الراء مصغر ـ أربعتهم عن أبي إسحٰق عن البراء بن عازب جزمًا، ورواه أحمد بسندٍ صحيح عن ابن عباس، ورجّحه النووي في شرح مسلم في رواية زهير عند البخاري وإسرائيل عنده وعند الترمذي عن أبي إسحٰق عن البراء: ستّة عشر

....

شهرًا أو سبعة عشر شهرًا بالشكّ، (وقيل: سبعة عشر شهرًا)، رواه البزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف والطبراني أيضًا من حديث ابن عباس، وهو قول ابن المسيّب ومالك وابن إسحٰق. قال القرطبي: وهو الصحيح، قال الحافظ: والجمع بينهما سهل بأنّ من جزم بستّة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا وألغى الأيام الزّائدة، ومن جزم بسبعة عشر عدّهما معًا، ومن شكّ تردَّد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسندٍ صحيح عن ابن عباس، وقال ابن حبان: سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيّام، وهو مبنيٌّ على أن القدوم كان في ثاني ربيع الأول، انتهى. قال البرهان: ويمكن أن هذا مراد من قال سبعة عشر بإلغاء الكسر، (وقيل: ثمانية عشر شهرًا) رواه ابن ماجة من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحٰق عن البراء، قال الحافظ: وهو شاذّ، وأبو بكر سيىء الحفظ، وقد اضطرب فيه؛ فعند ابن جرير من طريقه في رواية: سبعة عشر، وفي أخرى: ستة عشر، قال: ومن الشذوذ أيضًا رواية ثلاثة عشر شهرًا، ورواية تسعة أشهر أو عشرة أشهر، ورواية شهرين، ورواية سنتين، ويمكن حمل الأخيرة على الصواب وأسانيد الجميع ضعيفة، والاعتماد على الثلاثة الأُول؛ فجملة ما حكى تسع روايات، انتهى. وكأنه لم يعدّ رواية الشك وإلّا كانت عشرة، وكذا لم يعدّها البرهان، وعدّ الأقوال عشرة؛ فزاد القول بأنه بضعة عشر شهرًا، ولم يعدّه الحافظ لأنه يمكن تفسيره بكلّ ما زاد على العشرة. (وقال) إبراهيم (الحربيّ: قَدِم عليه الصّلاة والسّلام المدينة في ربيع الأوّل، فصلّى إلى بيت المقدس تمام السنة، وصلّى من سنة اثنتين ستّة أشهر ثمّ حُوِّلت القبلة)، وهذا محتمل؛ لكون المراد أن مدّة الصلاة لبيت المقدس دون ستة عشر، ولذا قال في النور: هذا كاد أن يكون قولًا، انتهى. ومحتمل لأن يكون مراده ستّة عشر بشهر القدوم، (وقيل: كان تحويلها في جمادى) الآخرة، وبه جزم ابن عقبة، (وقيل: كان يوم الثلاثاء في نصف شعبان)، قاله محمد بن حبيب وجزم به في الروضة مع ترجيحه في شرح مسلم رواية ستّة عشر شهرًا للجزم بها في مسلم، كما مرّ. قال الحافظ: ولا يستقيم أنه في شعبان إلّا بإلغاء شهري القدوم والتحويل، انتهى. نعم

....

هو يوافق رواية سبعة عشر بتلفيق واحد من شهري القدوم والتحويل، والقول الشاذّ بأنه ثمانية عشر بإلغاء الكسر واعتبار شهري التحويل والقدوم. (وقيل: يوم الاثنين نصف رجب)، رواه أحمد عن ابن عباس بإسنادٍ صحيح. قال الواقدي: وهذا أثبت. قال الحافظ: وهو الصحيح، وبه جزم الجمهور كما مرّ، وهو صالح لروايتي ستة عشر وسبعة عشر والشكّ، فالحاصل في الشهر ثلاثة أقوال، وفي اليوم قولان.

(وظاهر حديث البراء) ـ بتخفيف الراء والمدّ على الأشهر ـ ابن عازب الأنصاري الأوسي الصحابيّ ابن الصحابي (في البخاري أنّها) ـ أي الصلاة ـ التي وقع فيها التحويل (كانت صلاة العصر)، لقوله: وإنه ـ أي النبيّ ﷺ ـ صلّى أوّل صلاة صلّاها صلاة العصر، أي متوجّهًا إلى الكعبة، (ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلّى) ـ بضمّ الميم وفتح المهملة وشدّ اللام ـ صحابيٌّ جليل اسمه سعيد، وقيل: رافع، ووهّاه ابن عبد البرّ، وقوّى الأول (أنها الظهر)، وكذا عند الطبراني والبزار من حديث أنس، وعند ابن سعد: حُوِّلت الكعبة في صلاة الظهر والعصر، وجمع الحافظ فقال في كتاب الإيمان: التحقيق أن أوّل صلاة صلّاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر، وأوّل صلاة صلّاها بالمسجد النبوي العصر. (وأما أهل قُباء، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر)، أي الصبح (من اليوم الثاني)، وقال في كتاب الصلاة: لا منافاة بين الخبرين؛ لأن الخبر وصل وقت العصر إلى مَنْ هو داخل المدينة، وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح إلى مَنْ هو خارجها، وهم أقبل قباء (كما في الصحيحين) البخاري في الصلاة والتفسير، ومسلم في الصلاة، وكذا النسائي.

(عن ابن عمر) بن الخطّاب (أنّه قال: بَيْنا الناس) المعهودون في الذهن (بقباء) ـ بالمدّ والتذكير والصرف على الأشهر، ويجوز القصر وعدم الصرف ويؤنّث ـ موضع معروف ظاهر المدينة، وفيه مجاز الحذف، أي بمسجد قباء (في صلاة الصبح)، ولمسلم: في صلاة الغداة، وهو أحد أسمائها، ونقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك؛ (إذ جاءهم آت) قال الحافظ: لم يسمّ، وإنْ كان ابن طاهر وغيره نقلوا أنّه عبّاد بن بشر ففيه نظر؛ لأن ذلك إنما ورد في بني حارثة في صلاة العصر، فإن كان ما نقلوه محفوظًا، فيحتمل أن عبادًا أتى بني حارثة أولًا وقت

....

العصر، ثم توجّه إلى أهل قباء فأعلمهم بذلك في الصبح، ومما يدلّ على تعدّدهما أن مسلمًا روى عن أنس: أن رجلًا من بني سلمة مرّ وهم ركوع في صلاة الفجر، فهذا موافق لرواية ابن عمر في تعين الصلاة، وبنو سلمة غير بني حارثة، انتهى. وكون مُخْبِر بني حارثة عبّاد بن بشر رواه ابن منده وابن أبي خيثمة، وقيل: عبّاد بن نَهيك ـ بفتح النون وكسر الهاء ـ ورجّح أبو عمر الأوّل، وقيل: عباد بن نصر الأنصاري. قال الحافظ: والمحفوظ عباد بن بشر، انتهى. وقيل: عباد بن وهب. قال البرهان: ولا أعرفه في الصحابة إلّا أن يكون نُسِب إلى جدّه أو جدّ له أعلى أو إلى خلاف الظاهر، انتهى. (فقال: إنّ رسول الله ﷺ) أسقط من الحديث ما لفظه: قد أُنزل عليه الليلة قرآن، قال الحافظ: فيه إطلاق اللّيلة على بعض اليوم الماضي وما يليه مجازًا، والتنكير لإرادة البعضية، والمراد قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، وقد أُمِر ـ بضم الهمزة مبنيا للمفعول ـ (أن) أي بأن (يستقبل) بكسر الموحدة، أي باستقبال (الكعبة، فاستقبلوها) بفتح الموحدة عند أكثر رواة الصحيحين على أنه فعل ماضٍ، أي تحوّل أهل قباء إلى جهة الكعبة، (وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة)، وضمير استقبلوها ووجوههم لأهل قباء، ويحتمل أنه للنبيّ ﷺ ومَنْ معه، وفي رواية الأصيليّ للبخاريّ والعذريّ لمسلم: فاستقبِلوها ـ بكسر الموحدة ـ بصيغة الأمر. قال الحافظ: وفي ضمير وجوههم الاحتمالان المذكوران وعوده إلى أهل قباء أظهر، وترجح رواية الكسر رواية البخاري في التفسير، بلفظ: وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة فاستَقْبِلوها، فدخول حرف الاستفتاح يُشعر بأن الذي بعده أمر، لا أنه بقيّة الخبر الذي قبله، انتهى. وفي النور أن بعض الحفّاظ قال: الكسر أفصح وأشهر، وهو يقتضيه تمام الكلام بعده، (وفي هذا الحديث) من الفوائد (أن الناسخ لا يلزم حكمه إلّا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء)، زاد الحافظ: واستنبط منه الطحاوي أنّ مَنْ لم تبلغه الدَّعوة ولم يمكنه استعلام، فالفرض غير لازم له، وفيه جواز الاجتهاد في زمنه ﷺ؛ لأنهم لما تمادوا في الصلاة ولم يقطعوها دلّ على أنه رجح عندهم التمادي والتحوّل على القطع والاستئناف ولا يكون ذلك إلّا عن اجتهاد، كذا قيل، وفيه نظر؛ لاحتمال أن عندهم في ذلك يقينًا

....

سابقًا لأنه عليه السلام كان مترقّبًا للتحويل، فلا مانع من تعليمهم ما صنعوا من التمادي والتحوّل، وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ونسخ ما تقرّر بطريق العلم به؛ لأن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاته ﷺ إليه، وتحوّلوا إلى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد، وأُجيب بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم عندهم بصدق المُخبر، فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم إلّا بما يفيد العلم. وقيل: كان النسخ بخبر الواحد جائزًا في زمنه ﷺ مطلقًا، وإنما مُنِع بعده ويحتاج إلى دليل، انتهى.

(وروى الطبري) محمد بن جرير من طريق عليّ بن أبي طلحة، (عن ابن عباس) قال: (لمّا هاجر ﷺ إلى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون)، خبر ثان لليهود أو لمبتدأ محذوف، أي: وهم يستقبلون (بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس) ليجمع له بين القبلتين، كما عدّه السيوطي من خصائصه على الأنبياء والمرسلين، وتأليفًا لليهود، كما قال أبو العالية، (ففرحت اليهود)؛ لظنّهم أنه استقبله اقتداءً بهم، مع أنه إنما كان لأمر ربّه، (فاستقبلها سبعة عشر شهرًا، وكان ﷺ يحبّ أن يستقبل قبلة إبراهيم)، وعند الطبري أيضًا من طريق مجاهد عن ابن عباس، قال: إنما أحبّ أن يتحوّل إلى الكعبة؛ لأن اليهود قالوا: يخالفنا محمّد ويتبع قبلتنا. وعند ابن سعد: أنه ﷺ قال: «**يا جبريل، وددتُ أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود**»، فقال جبريل: إنما أنا عبدٌ، فادْعُ ربّك وسَلْه. وعند السديّ في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس: كان ﷺ يعجبه أن يصلّي قبل الكعبة، لأنها قبلة آبائه إبراهيم وإسمٰعيل، فقال لجبريل: «**وددتُ أنك سألت الله أن يصرفني إلى الكعبة**»، فقال جبريل: لست أستطيع أن أبتدىء الله عزّ وجلّ بالمسألة، ولكن إن سألني أخبرته، (فكان يدعو) دعاء محبّة لذلك بالحال لا بالقال، ففي الفتح: فيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربّه لإعطائه له ما أحبّ من غير تصريح بالسؤال، وعليه فالعطف تفسيري في قوله: وينظر إلى السماء ينتظر جبريل ينزل عليه، كما عند السدّي وغيره، ولأنها قبلة الداعي؛ (فنزلت الآية) يعني قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**﴾، وبقية حديث ابن عباس هذا عند ابن جرير: فارتاب في ذلك

....

اليهود وقالوا: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥].

(قال في فتح الباري) في كتاب الصلاة: (وظاهر حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا أنّ استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة، لكن أخرج أحمد من وجهٍ آخر عن ابن) عبّاس، قال: (كان النبيّ ﷺ يصلّي بمكّة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه)، فحصل تخالف بين حديثيه؛ إذ مقتضى الأول أنه إنما أُمِر به في المدينة، وهذا صريح في أنه كان بمكّة، (قال) يعني في الفتح: (والجمع بينهما مُمكن بأن يكون أُمِر) ﷺ (لمّا هاجر أن يستمرّ على الصلاة لبيت المقدس)؛ فالأمر بابتداء استقباله كان بمكّة، والذي بالمدينة باستمراره، ثم نُسِخ باستقبال الكعبة، فلم يقع نسخ بيت المقدس إلّا مرّة واحدة.

(وأخرج الطبريّ) محمد بن جرير (أيضًا من طريق ابن جريج) ـ بجيمين مصغّر ـ عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج الأُمويّ مولاهم المكي الثقة الفقيه الحافظ أحد الأعلام، مات سنة خمسين ومائة، (قال: صلّى النبيّ ﷺ أوّل ما صلّى إلى الكعبة ثم صُرِف إلى بيت المقدس وهو بمكّة، فصلّى ثلاث حجج) ـ بكسر المهملة وفتح الجيم الأُولى وكسر الثانية منوّن ـ أي سنين، بناء على أن الإسراء قبل الهجرة بخمس سنين إمّا على أنه قبلها بسنة أو نحوها، فالمراد ما كان يصلّيه فرض الخمس، (ثم هاجر فصلّى إليه بعد قدومه المدينة ستّة عشر شهرًا، ثم وجّهه الله إلى الكعبة)، فهذا الأثر صريح في الجمع المذكور؛ فلا بأس به. وقوله في حديث ابن عباس الثاني: والكعبة بين يديه، يخالف قول البراء عند ابن ماجة: صلّينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرًا، وصُرِفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة، فإنّ ظاهره أنّه كان يصلّي بمكّة إلى بيت المقدس محضًا.

وحكى الزهري خلافًا في أنه كان بمكّة يجعل الكعبة خلف ظهره أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس، قال الحافظ: فعلى الأول كان يجعل الميزاب خلفه، وعلى الثاني: كان يصلّي بين الركنين اليمانيين، وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل

....

الكعبة بمكّة، فلمّا قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نسخ، وحمل ابن عبد البرّ هذا القول الثاني ويؤيّد حمله على ظاهره إمامة جبريل عليه السلام، ففي بعض طرقه: أن ذلك كان عند البيت، وفي الفتح أيضًا اختلفوا في الجهة التي كان يصلّي إليها بمكّة، فقال ابن عباس وغيره: كان يصلّي إلى بيت المقدس، لكنّه كان لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس.

وأطلق آخرون أنه كان يصلّي إلى بيت المقدس، وقال آخرون: كان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا هاجر استقبل المقدس، وهذا ضعيف، ويلزمه من دعوى النسخ مرّتين، والأول أصح؛ لأنه يجمع به بين القولين، وقد صحّحه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، انتهى. ولا يخالفه قول ابن العربي: نسخ الله القبلة ونكاح المتعة ولحوم الحُمُر الأهلية مرّتين مرّتين، ولا أحفظ رابعًا. قال أبو العباس العَزفي ـ بفتح المهملة والزاي وبالفاء رابعها ـ: الوضوء ممّا مسّت النار ونظم ذلك السيوطي؛ لأن مراد الحافظ أن خصوص نسخ البيت المقدّس لم يتكرّر، وما أثبته ابن العربي النسخ للقبلة في الجملة، بمعنى أنه أُمر باستقبال الكعبة، ثم نُسِخ باستقبال بيت المقدس، ثم نُسِخ بالكعبة كما هو مدلول كلاميهما، ودلّ عليه أثر ابن جريج.

(وقوله في حديث ابن عباس الأوّل: أمره الله تعالى يردّ قول مَنْ قال)، وهو الحسن البصري (أنه صلّى إلى بيت المقدس باجتهاد)، وكذا قول الطبري: كان مخيّرًا بينه وبين الكعبة، فاختاره طمعًا في إيمان اليهود، ويردّه أيضًا سؤاله لجبريل؛ إذ لو كان مخيّرًا لاختار الكعبة لما أحبّها من غير سؤال. قال شيخنا: إلّا أن يقال بعد اختياره وجب عليه لكنه استبعد هذا بمجلسه؛ لأن فيه تضييقًا عليه، ولو خُيِّر كان كتخييره بين المسح على الخفّين وغسل الرِّجلين، والذي عليه الجمهور ـ كما قال القرطبي ـ أنه إنما كان بأمر الله ووحيه.

قوله: (وعن أبي العالية) رفيع ـ بضم الراء مصغّر ـ ابن مهران ـ بكسر الميم ـ الرماح ـ بكسر الراء وتحتية ـ مولاهم البصري التابعي الكبير أخرج له الجميع، (أنه صلّى إلى البيت المقدّس يتآلف أهل الكتاب). وعن الزجاج: امتحانًا للمشركين

....

لأنهم أَلِفُوا الكعبة، (وهذا لا ينفي أن يكون بتوقيف)، فقد يكون الأمر به لتأليفهم. (واختلفوا في المسجد الذي كان يصلّي فيه) حين حُوِّلت القبلة؛ (فعند ابن سعد في الطبقات: أنّه) ﷺ (صلّى ركعتين من الظهر في مسجده) النبويّ (بالمسلمين، ثم أُمِرَ أن يتوجّه إلى المسجد الحرام)، أي الكعبة، وعبّر به كالآية دون الكعبة؛ لأنه كما قال البيضاوي: كان عليه السلام بالمدينة، والبعيد يكفيه مُراعاة الجهة، فإنّ استقبال عينها، أي للبعيد، حرج عليه بخلاف القريب، (فاستدار إليه ودار معه المسلمون)، فصلّى بهم ركعتين أُخريين؛ لأن الظهر كانت يومئذ أربعًا: فثنتان منها لبيت المقدس، وثنتان للكعبة، ووقع التحويل في ركوع الثالثة كما في النور، فجعلت كلّها ركعة للكعبة مع أن قيامها وقراءتها وابتداء ركوعها للقدس، لأنه لا اعتداد بالركعة إلّا بعد الرفع من الركوع، ولذا يدركها المسبوق قبله. (ويقال: إنه عليه السلام زار أُمّ بشر بن البراء بن معرور) ـ بمهملات ـ ويقال: اسمها خليدة، كما في التجريد، (في بني سلمة) ـ بكسر اللام ـ والنسبة إليها بفتحها على المشهور، وفي الألفية والسلميّ افتحه في الأنصار، وفي اللبّ كسره المحدّثون في النسبة أيضًا، فصنعت (له طعامًا وكانت) أي وجدت (الظهر) أي دخل وقتها، فكان تامّة، لكن المذكور في الفتح الذي هو ناقل عنه، وكذا العيون والسيل عن ابن سعد بلفظ: وحانت الظهر ـ بمهملة ـ أي دنا وقتها، (فصلّى عليه السلام بأصحابه ركعتين، ثم أُمر) باستقبال الكعبة في الركوع الثالث، (فاستداروا إلى الكعبة) بأن تحوّل الإمام من مكانه الذي كان يصلّي فيه إلى مؤخّره، فتحوّلت الرجال حتى صاروا خلفه، وتحوّلت النساء حتى صرن خلف الرجال، ولا يشكل بأنه عملٌ كثير؛ لاحتمال أنه قبل تحريمه فيها، كالكلام أو اغتفر هذا العمل للمصلحة أو لم تتوال الخطا عند التحويل، بل وقعت متفرّقة فسُمِّي (مسجد القبلتين) لنزول النسخ وتحويله عليه السلام فيه ابتداء، فلا يردّ أن التحويل وقع في مسجد قباء وبني حارثة، ولم يسمّيا بذلك، وأيضًا فحكمة التسمية لا يلزم اطّرادها.

(قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا عندنا أثبت) من القول الأوّل أن التحويل وقع في المسجد النبويّ، (ولمّا حوّل الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفّار) المشركين من قريش (واليهود ارتياب) شكّ (وزَيْغ) مَيْل (عن الهدى

....

وشكّ) فيه، (وقالوا: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) على استقبالها في الصلاة، (أي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا)، وصريحه أن هذا قول الطوائف الثلاث، وبه صرّح البيضاويّ، وسيذكر المصنف مقابله أخيرًا؛ (فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ﴾)، أي الجهات كلّها؛ لأنهما ناحيتا الأمر، فيأمر بالتوجّه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه، كما في الجلال، فحمله على الحقيقة، وحمله المصنف على المجاز، فقال: (أي الحكم والتصرّف والأمر كلّه لله) لا يُسْأل عمّا يفعل، (فحيثما وجّهنا توجَّهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجّهنا كل يوم مرات إلى جهات متعدّدة فنحن عبيده وفي تصريفه)، ونحن (خدّامه حيثما وجّهنا توجّهنا)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥].

تقدّم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ سبب نزولها إنكار اليهود، قال السيوطي: وإسناده قويّ، فلْيُعتمد. وفي سببها روايات أُخر ضعيفة، (ولله تعالى بنبيِّنا عليه الصّلاة والسلام وبأُمّته عناية) أي رعاية (عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة خليله إبراهيم) وألقى حبّهًا في قلب حبيبه عليه السلام، ولم يفعل ذلك بغير أُمّته، بل تُركوا على ضلالهم الذي وقعوا فيه، مع أنها قبلة الأنبياء كلّهم على أحد القولين، كما مرّ، ويؤيّده الحديث الذي ذكره بقوله: (قال عليه الصّلاة والسّلام فيما رواه أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «إن اليهود لا يحسدونا على شيءٍ كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها»)، قال الحافظ: يحتمل بأن نصّ لنا عليه، ويحتمل بالاجتهاد، ويشهد له أثر ابن سيرين في جمع أهل المدينة قبل قدوم المصطفى، فإنه يدلّ على أنّ أُولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد، ولا يمنع ذلك أنّ النبيّ ﷺ علمه بالوحي وهو بمكّة، فلم يتمكّن من إقامتها، ثم قد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطني، ولذا جمع بهم أوّل ما قدم المدينة، كما حكاه ابن إسحٰق وغيره. وعلى هذا، فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق، انتهى ملخصًا. وضلّوا عنها، لأنه فرض عليهم يوم من الجمعة وكّل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أيّ الأيام هو،

....

ولم يهتدوا ليوم الجمعة، قاله ابن بطال، ومال إليه عياض وقوّاه. وقال النووي: يمكن أنهم أُمروا به صريحًا، فاختلفوا هل يلزمه بعينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر، فاجتهدوا فأخطؤوا. قال الحافظ: ويشهد له ما للطبري عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ [النحل: الآية ١٢٤]، قال: أرادوا الجمعة فأخطؤوا وأخذوا السبت مكانه، وقد روى ابن أبي حاتم عن السدّي التصريح بأنه فُرِض عليهم يوم الجمعة بعينه، ولفظه: «**إنّ الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا، وقالوا: يا موسى إنّ الله لم يخلق يوم السبت شيئًا، فاجعله لنا، فجُعِل عليهم**»، وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم؛ كما وقع لهم في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٥٨]، وغير ذلك، وكيف لا وهم القائلون: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٣]، انتهى.

«**وعلى القبلة التي هدانا الله إليها**»، بصريح البيان بالأمر المكرّر أوّلًا لبيان تساوي حكم السفر وغيره، وثانيًا للتأكيد. (وضلّوا عنها) لأنهم لم يُؤْمَروا باستقبال الصخرة، كما دلّ عليه هذا الحديث، وهو يؤيّد ما رواه أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن خالد بن يزيد بن معاوية، قال: لم تجد اليهود في التوراة القبلة، ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة، فلمّا غَضِب الله على بني إسرائيل رفعه، وكانت صلاتهم إلى الصخرة عن مشورتهم منهم. وروى أبو داود أيضًا: أن يهوديًا خاصم أبا العالية في القبلة، فقال أبو العالية: كان موسى يصلّي عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام، فكانت الكعبة قبلته، وكانت الصخرة بين يديه، وقال اليهودي: بيني وبينك مسجد صالح النبيّ عليه السلام، فقال أبو العالية: فإني صلّيت في مسجد صالح وقبلته إلى الكعبة، وفي مسجد ذي القرنين وقبلته إليها. وفي البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يُونس: الآية ٨٧] روى ابن جريج عن ابن عباس، قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومَنْ معه، انتهى. وبه قطع الزمخشريّ والبيضاوي.

(«وعلى قولنا خلف الإمام آمين»)، فإنها لم يُعْطَها أحدٌ ممّن كان قبلكم إلّا هارون، فإنّه كان يؤمّن على دعاء موسى، كما قال ﷺ في حديث أنس عند ابن

....

مردويه وغيره، انتهى بحروفه. وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: قيل: كان موسى عليه الصلاة والسلام يصلّي إلى الصخرة نحو الكعبة، فهي قبلة الأنبياء كلّهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، واليهود استقبلوا جهة المغرب واتّخذوها قبلة اتّباعًا لهوى أنفسهم حيث زعموا أن موسى عليه الصّلاة والسلام كان في المغرب حين ما أكرمه الله تعالى بوحيه وكلامه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القَصَص: الآية ٤٤]، والنصارى أيضًا اتّخذوا جهة المشرق قبلة اتّباعًا لهم حيث زعموا أنّ مريم عليها السلام حين خرجت من بلدها مالت إلى الشرق؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: الآية ١٦]، والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعةً لله تعالى وامتثالًا لأمره لا ترجيحًا لبعض الجهات المتساوية على البعض الآخر بمجرّد رأيهم واجتهادهم، مع أنها قبلة خليل الرحمٰن تعالى ورسوله ومولد حبيبه صلوات الله وسلامه عليهما، وقيل: استقبلت النصارى مطلع الأنوار، وقد استقبلنا مطلع سيّد الأنوار وهو محمّد ﷺ الذي من نوره خُلِقت الأنوار جميعًا. اهـ.

وفي بدائع الفوائد لابن القيّم رحمه الله: قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله تعالى، بل بمشورة واجتهاد منهم. وأمّا النصارى، فلا رَيْب أن الله تعالى لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال الشرق، وهم مُقِرّون بأن قبلة المسيح عليه الصلاة والسلام قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة وهم يعتذرون عنهم بأنّ المسيح عليه الصّلاة والسلام فوّض إليهم التحليل والتحريم وشرّع الأحكام، وأن ما حلّلوه وحرّموه فقد حلّله هو وحرّمه في السماء، فهم مع اليهود متّفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك. وأمّا قبلة اليهود، فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتّة، وإنّما كانوا ينصبون التابوت ويصلّون إليه من حيث خرجوا، فإذا قَدِمُوا نصبوه على الصخرة وصلّوا إليه، فلمّا رُفِع صلّوا إلى موضعه وهو الصخرة. وأمّا السامرّة، فإنهم يصلّون إلى طورهم بالشام يعظّمونه ويحجّون إليه، وهو في بلدة نابلس، وهي قبلة باطلة مبتدعة، انتهى.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولًا بمكة إلا امتحانًا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه **(ممن هو على حرف ينكص)** على عقبيه لقلقه يرجع فيرتدّ عن الإسلام عند تحويل القبلة. قال الشيخ أبو منصور ﷺ: معنى قوله: «لنعلم» أي لنعلم كائنًا أو موجودًا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد، فالله تعالى عالم في الأزل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم في الأزل بأنه موجود كائن لأنه ليس بموجود في الأزل فكيف يعلمه موجودًا، فإذا صار موجودًا يدخل تحت علمه الأزلي فيصير معلومًا له موجودًا كائنًا، والتغير على المعلوم لا على العلم. أو لنميّز التابع من الناكص كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٧] فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز، أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون، وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر **(ذوب)** الذهب «فلنلقه في النار لنعلم أيذوب».

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ أي التحويلة أو الجعلة أو القبلة. و«إن» هي المخففة، واللام في ﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي ثقيلة شاقّة وهي خبر «كان» واللام **(فارقة)** ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي هداهم الله فحذف العائد أي إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول.

قوله: (ممن هو على حرف) أي شكّ أو على غير طمأنينة على أمره، أي لا يدخل في الدِّين متمكّنًا. **قوله:** («ينكص») في مختار الصحاح: النّكوص الإحجام عن الشيء، يقال: نكص على عقبيه أي رجع، وبابه دخل وجلس. اهـ. **قوله:** (ذوب) في مختار الصِّحاح: ذاب ضدّ جمد، وبابه قال: وذوبانًا أيضًا. اهـ. بفتح الواو. اهـ. **قوله:** (فارقة) بين أن المخفّفة والنافية لا بينها وبين المشدّدة على ما وقع في التفسير الكواشي. اهـ. تفتازاني. وكلمة إن ـ بكسر الهمزة وسكون النون ـ على أربعة أوجه: شرطية، نحو: إنْ جئتني أكرمتك. ومخفّفة من الثقيلة، نحو: إن كل نفس لما عليها حافظ، وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها، وفائدة الأولى بيان أن الجملة مستلزمة للثانية. والوجه الثالث أن تكون للجحد والنفي؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [المُلك: الآية

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس؛ سمى الصلاة إيمانًا لأن وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها في الجماعة دليل الإيمان. ولما توجّه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا: (**كيف بمن مات**) قبل التحويل من إخواننا؟ فنزلت. ثم علّل ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ (لَرَءُوفٌ﴾

٢٠]، وقوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: الآية ٥٠]، وقوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا﴾ [فَاطِر: الآية ٤١] أي ما يمسكهما، والمخفّفة من الثقيلة يلزمها اللام في خبرها، نحو: إن زيد لأخوك، ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣]، ﴿وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٠٢] لتكون عِوَضًا عمّا حذف منها، وللفرق بينهما وبين التي للجحد. والوجه الرابع كونها زائدة، نحو: ما إن يقوم زيد وما إن رأيت زيدًا، أو التي في الآية مخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وإن التحويلة أو الجعلة أو القبلة كانت كبيرة، أي صعبة ثقيلة، فإذا خفّفت المكسورة بَطُل اختصاصها بالأسماء، فتدخل الفعل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٠٢]، ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣]، ويغلب عليها الإلغاء وجاء إعمالها على قلّة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ [هُود: الآية ١١١]. والكوفيّون لا يجوّزون إعمالها والآية حجّة عليهم، وفرّق الكسائي بين إن مع اللام في الأسماء، وبينها مع اللام في الأفعال، فجعلها في الأسماء مخفّفة من الثقيلة، وفي الأفعال جعلها نافية، وجعل اللام بمعنى إلا بناءً على أنّ إنْ المخفّفة بالاسم أولى نظرًا إلى أصلها، والنافية بالفعل أولى؛ لأن معنى النفي راجع إلى الفعل وغيره من الكوفيين، قالوا: إنها نافية مطلقًا دخلت في الفعل أو في الاسم، واللام بمعنى إلا.

وقال البصريون: كون اللام بمعنى إلا خلاف الظاهر، ولو كانت بمعناها لجاز أن يقال: جاء القوم لزيدًا، بمعنى إلا زيدًا، ولا يلزم ما قالوا؛ إذ ربما اختصّ ببعض المواضع كاختصاص لما بالاستثناء بعد النفي.

قوله: (كيف بمن مات) أي كيف يصنع، وهذا حديث صحيح أخرجه الشيخان والترمذي والحاكم وأحمد عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما.

قوله: ﴿لَرَءُوفٌ﴾) بالمدّ، أي زيادة واو بعد الهمزة على وزن شكور

مهموز مشبع: حجازي وشامي وحفص. «رؤف» **غيرهم بوزن** «فَعُل») وهما للمبالغة. ﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، **(والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمـٰن الرحيم)**.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

(﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء. وكان رسول الله ﷺ يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة موافقة

(مهموز مشبع حجازي) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازي أي نافع المدني، وابن كثير المكّي، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(وحفص)** عن عاصم **(رؤف)** بحذف الواو بعد الهمزة **(غيرهم بوزن فَعُلَ)**. **قوله: (والرأفة أشدّ من الرّحمة)** وقدَّم الأبلغ للفاصلة.اهـ. جلالين. قوله: وقدّم الأبلغ، أي مع أن العادة العكس ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة، فيقال: عالم نحرير، ولا يقال: نحرير عالم.اهـ. شيخنا. وقوله: للفاصلة، أي لأنها على الميم، والفاصلة هي الكلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وإنما عبّر بالفاصلة دون السجع أخذًا من قوله تعالى: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ [فصّلت: الآية ٣]، وهي هنا قوله سابقًا: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣]، وهنا: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].اهـ. كرخي.اهـ. جمل. **قوله: (وجمع بينهما كما في الرحمـٰن الرحيم)**، قال المصنف رحمة الله عليه: وفي الرحمـٰن من المبالغة ما ليس في الرحيم؛ لأنّ في الرَّحيم زيادة واحدة، وفي الرحمـٰن زيادتين، وزيادة اللفظ تدلّ على زيادة المعنى، ولذا جاء في الدعاء: يا رحمـٰن الدنيا؛ لأنه يعمّ المؤمن والكافر، ورحيم الآخرة لأنه يخصّ المؤمن، وقالوا: الرحمـٰن خاصّ تسمية؛ لأنه لا يوصف به غيره، وعامّ معنى لما بيّنا، والرحيم بعكسه؛ لأنه يوصف به غيره ويخصّ المؤمنين، ولذا قدّم الرحمـٰن وإنْ كان أبلغ، والقياس الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، يقال: فلان عالم ذو فنون نحرير؛ لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، انتهى بحروفه.

قوله: (﴿قَدْ نَرَىٰ﴾) ربما نرى.اهـ بيضاوي. يريد أن لفظة قد في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ للتكثير، ومعناها كثرة الرؤية، فإنّ كلمة قد تكون في المضارع

لإبراهيم ومخالفة لليهود، ولأنها ادعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم. ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فلنعطينك ولنمكننك من اسقبالها

للتقليل، إلا أنها قد تُستعار للتكثير للمناسبة بين الضدَّيْن في الضدِّية، كما أن ربّ للتقليل، ثمّ إنه قد يُستعمل في ضدّ أصل معناه وهو التكثير، لمناسبة التضادّ. ونظير الآية في كون قد للتكثير قول الشاعر:

قد أترك القرن مصفرًّا أنامله كأن أثوابه مجّت بفرصاد

القرن: الكفؤ الذي يماثلك في الشجاعة ويقابلك في الحرب، ومصفرًّا أنامله: أي أتركه في المعركة قتيلًا اصفرَّت أصابعه لخروج ما فيها من الدم، ومجّت بفرصاد: أي صُبِغت بماء الفرصاد، وهو التوت الأسود، يقال: مجّ الرجل الماء والريق من فيه، أي رمى به، قاله الشاعر في مقام التمدّح بالشجاعة والغَلَبة على الأقران، ومقام التمدّح قرينة دالَّة على أن كلمة قد مستعارة للتكثير، ومعنى ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تحوّل وجهك إلى السماء، كذا نُقِل عن الطبري؛ فيكون قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلّقًا بقوله: ﴿تَقَلُّبَ﴾ بتقدير في النظر إلى السماء، وكأن الظاهر أن يقال: تقلّب عينيك في النظر إلى السماء، إلّا أن تقلّب الوجه لمّا كان أبلغ في انتظار الوحي كان ما عليه النظم أبلغ. ذكر الإمام القرطبي أنّ العلماء قالوا: هذه الآية متقدّمة في النزول على قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٢]، وفي الكواشي: إن قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ مستقبل لفظًا ماضٍ معنًى ومتأخر تلاوةً، متقدّم معنًى لأنها رأس القصة، والمعنى شاهدنا وعَلِمْنا تردّد وجهك وتصرّف نظرك في السماء، أي في جهتها، وكلمة قد سواء دخلت على الماضي أو المضارع لا بدّ فيها من معنى التحقيق، ثم إنه قد يضاف إلى هذا المعنى في بعض المواضع مع الماضي للتقريب من الحال في التوقع، أي قد يكون مصدرًا متوقّعًا لما يخاطبه واقعًا عن قرب، كما تقول لمن يتوقّع ركوب الأمير: قد ركب أي حصل عن قُرب ما كنت تتوقّعه، وقد يضاف معنى التقريب فقط كما إذا قلت: قد ركب زيد، لمن لم يتوقع ركوبه، وإذا دخلت على المضارع المجرّد من ناصب وجازم وحرف تنفيس يضاف إلى التحقيق في الأغلب التقليل، نحو: إن الكذوب قد يصدق، أي بالحقيقة يصدر منه الصدق، وإنْ كان قليلًا، وقد يُستعمل للتحقيق مجرّدًا عن معنى التقليل؛ كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

(من قولك وليته كذا إذا جعلته واليًا له، أو فلنجعلنّك تلي سمتها) دون سمت بيت

ويُستعمل أيضًا للتكثير في موضع التمدّح، كما ذكرنا في ربّما، قال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]، وقال الشاعر:

قد أترك القرن مصفرًّا أنامله

كذا في شرح الرضى.

قوله: (﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾) قال الإمام الزاهد: إن تقلّب الوجه من رسول الله ﷺ كان في عين الصلاة، وكان ذلك جائزًا فيها ولم يتعرّضه غيره، وفي هذا المقام فائدة، وهي أنه قال صاحب الهداية: وإن عَلِم ذلك في الصلاة استدار إلى القبلة؛ لأن أهل قباء لمّا سمعوا بتحوّل القبلة استداروا كهيئتهم، واستحسن النبيّ ﷺ ذلك منهم، يعني أن تحرّى فصلّى إلى غير القبلة، ثم علم خطأه في الصلاة استدار إلى القبلة بقصّة أهل قباء، وإنّما استدلّ بتحويل أهل قباء، ولم يستدلّ بتحويل النبيّ ﷺ في صلاته؛ لأنه في حقّه عليه السلام نزل الخطاب بتحويل القبلة وقبل نزوله لم يكن القبلة الأُولى خطأ أصلًا، وفي حقّهم ظهر الخطاب، فكان ابتداء صلاتهم خطأ في الواقع، وإنْ كان صوابًا بحسب رأيهم فصَلُح تمسّكًا على أنّ مَنْ علم خطأه في الصلاة استدار إلى القبلة تأمّل وأنْصِفْ. ثم إنّ بهذه الآية تمسّك الإمام فخر الإسلام البزدوي أن نسخ الكتاب بالسنّة وعكسه جائز؛ لأن التوجّه إلى الكعبة في الابتداء، وإن ثبت بالكتاب فقد نسخ بالسنّة المُوجبة للتوجّه إلى بيت المقدس ثم الثابت بالسنّة، وهو التوجّه إلى بيت المقدس نسخ بالكتاب، وهو قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، هذا حاصل كلامه.

وقال صاحب الإتقان وغيره: إنّ هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥]، على قول ابن عباس. وأمّا على قول غيره، فهو باقٍ على ما مرّ. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (من قولك: ولّيته كذا إذا جعلته واليًا له، أو فلنجعلنّك تلي سمتها)، يعني: أن قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فعل مضارع من باب التفعيل، ثم إنه إمّا منقول من نحو: ولّى الرجل ولاية، أي تمكّن منه، وولّيته كذا إذا جعلته واليًا له،

المقدس. ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ (تحبها) وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي نحوه. و«شطر» نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة متعسّر على (النائي. **وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين)**. رُوِيَ أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم وجّه إلى الكعبة. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض وأردتم الصلاة ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله ﷺ أنه يصلّي إلى القبلتين.

أو من وليه وليًا، أي قَرُب ودنا منه، وأوليته إيّاه وولّيته، أي أدنيته منه، فهو على الأوّل من الولاية، وعلى الثاني من الوليّ، وهو القرب. **قوله: (تحبها)**. . . الخ. لمّا كان توصيف القبلة المحوّل إليها بقوله: ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ مُشعِرًا بأنه عليه الصّلاة والسّلام كان ساخطًا بالتوجّه إلى بيت المقدس كارهًا غير راضٍ مع كونه مأمورًا بالتوجّه إليه، وهو غير متصوّر في حقّه عليه الصّلاة والسّلام ولا في حقّ أحد من المسلمين جعل الرضى مجازًا عن المحبّة والاشتياق، ثم أشار بقوله: لأغراضك الصحيحة إلى أن تلك المحبّة لم تكن ناشئة من هوى النفس والشهوة الطبيعية، بل ممّا رأى فيما أحبّه من المقاصد الدينية، وأنّه تعالى إنما أجابه فيما أحبَّه من حيث كون ما رأى فيه من المقاصد والمصالح موافقًا لمشيئة الله تعالى وحكمته، لا لمجرّد ميله ومحبّته إليه. **قوله: (النائي)** أي البعيد. **قوله: (وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليلٌ على أنّ الواجب مراعاة الجهة دون العين)**، لا خلاف في أن حاضر الكعبة إنّما يتوجّه إلى عينها، وإنما الخلاف في البعيد، هل يلزمه التوجّه إلى عينها؟ أو يكفي التوجّه إلى جهتها؟ وهو المختار للفتوى، وأدلّة كلّ من الفريقين مبسوطة في الفروع. اهـ شهاب.

وفي التفسيرات الأحمدية: قال المفسّرون: ذكر المسجد الحرام ولم يذكر الكعبة ليكون دليلًا على أنّ المصلّي إن كان غائبًا عن الكعبة يكفيه مجرّد التوجّه إلى جانب الكعبة لا إلى عينها؛ لأن نزول الآية في المدينة، فخوطب بحسبها هذا إذا كان المراد من المسجد الحرام هو الحرم.

....

وقد صرّح في الزاهدي: أن الصحيح أن المراد منه الكعبة، ولكن للشاهدين عينها وللغائبين جهتها، ثم القبلة عند الفقهاء هي هواء الكعبة المخصوصة وعرصتها لا جدرانها، بدليل أنه إذا انهدمت الكعبة والعياذ بالله يجوز الصلاة إلى جانبها، ويدلّ عليه ما قال صاحب الهداية: ومن صلّى على ظهر الكعبة جازت صلاته، خلافًا للشافعي رحمه الله؛ لأن الكعبة هي العرصة والهواء إلى عنان السماء عندنا دون البناء؛ لأنه يُنقل: ألا ترى أنّه لو صلّى على جبل أبي قبيس جاز ولا بناء بين يديه، إلا أنه يكره لما فيه من ترك التعظيم، هذا لفظه. وجهة تلك الهواء في بلاد الهند ما بين المغربين، أي ما بين مغربي الشمس من الشتاء والصيف، هكذا قرّره شهاب الملّة والدِّين في بعض رسائله. اهـ.

وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: قال الإمام الرازي: اختلفوا في أن المراد من المسجد الحرام أي شيء هو؟ فحكم في كتاب السنّة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب، وهذا قول مالك. وآخرون قالوا: القبلة هي الكعبة، والدليل عليه ما خُرِّج في الصحيحين عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أخبرني أُسامة بن زيد قال: إنه عليه الصّلاة والسلام لمّا دَخل البيت دعا في نواحيه كلّها، ولم يصلِّ حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبل الكعبة، وقال: «**هذه القبلة**»، ورووا أخبارًا كثيرة كلّها تدلّ على أن القبلة هي الكعبة. ثم قال آخرون: بل المراد به المسجد الحرام كلّه، لأن الكلام يجب أن يُحمل على ظاهر لفظه، إلّا إذا منع منه مانع. وقال آخرون: بل المراد من المسجد الحرام الحرم كلّه، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: الآية ١]، وهو ﷺ إنما أُسْرِي به من خارج المسجد؛ فدلّ هذا على أن الحَرَم كلّه يسمّى بالمسجد الحرام، إلى هنا كلامه. ثم ذكر أنّ فرض مَنْ يريد الصلاة عند الإمام الشافعي أن يستقبل عين الكعبة، والجهة غير كافية في صحة الصلاة، ونُقِل عن صاحب التهذيب أنّ الجماعة إذا صلّوا في المسجد الحرام يستحبّ أن يقف الإمام خلف المقام والقوم يقفون مستديرين بالبيت، فلو امتدّ الصفّ في المسجد بحيث ازداد طوله على عرض البيت، فإنّه لا

....

يصحّ صلاة مَنْ خرج عن مُحاذاة الكعبة. وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: تصحّ؛ لأن إصابة الجهة عنده كافية، وأورد حجج الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه من الكتاب والسنّة المعقول، ومن جهة الأدلّة العقلية أن كون الكعبة قبلة أمرٌ معلوم، وكون غيرها قبلة أمرٌ مشكوك، وقد أوجب الله تعالى على كافّة المكلّفين استقبال القبلة، والمكلّف لا يخرج عن عهدة ما كُلِّف به بالشك، ثم قال: احتجّ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه بأمور، الأوّل: ظاهر هذه الآية؛ وذلك لأنه تعالى أوْجب على المكلّف أن يولِّ وجهه إلى جانبه، ومن ولّى وجهه إلى الجانب الذي حصلت الكعبة فيه، فقد أتى بما أُمر به سواء كان مستقبلًا للكعبة أو لا، فوجب أن يخرج عن العهدة بإصابة جهة الكعبة. وأمّا الخبر، فما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه عليه الصّلاة والسّلام، قال: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**»، ولو كان الغرض إصابة عين الكعبة لما كان بينهما قبلة. وذُكِر في كتب الفقه أنّ استقبال القبلة واستدبارها مكروهان، سواء كان في البنيان أو الصحراء؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إذا أتيتم الغائط فعظّموا قبلة الله تعالى، لا تستقبلوها ولا تستدبروها، ولكن شرِّقوا أو غرّبوا**»، فإنّ هذا الحديث أيضًا يدلّ على أن من لم يشرّق أو يغرّب في الخلاء، فهو مستقبل للقبلة أو مُستدبرها، وهو يستلزم أن يكون ما بينهما قبلة، ويدلّ عليه أيضًا أنّ الناس من عهد رسول الله ﷺ بنوا المساجد في جميع بلاد الإسلام ولم يحضروا قطّ مهندسًا عند تعيين جهة القبلة فيها، مع أن إصابة عين الكعبة لا تُدْرَك إلّا بدقيق نظر الهندسة، وحيث اجتمعت الأُمّة من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم على صحة ما وقع فيها من الصلاة عَلِمْنا أنّ محاذاة عين الكعبة ليست بشرط، وأيضًا لو كان استقبال عين الكعبة واجبًا لكان تعلّم الدلائل الهندسية واجبًا على كلِّ أحد؛ لأن استقبال العين لا سبيل إليه إلا بتلك الدّلائل، ولمّا كان غيرُ واجب عَلِمْنا أنّ استقبال العين غيرُ واجب، فإنْ قيل: الدائرة وإنْ كانت عظيمة يكون جميع القطع المفروضة مُحاذية لمركز الدّائرة، والصفوف الواقعة في العالم بأسرها كأنّها دائرة محيطة بالكعبة، والكعبة كأنها نقطة لتلك الدائرة، إلّا أنّ الدائرة إذا صغّرت ظهر التقوّس والانحناء في كلِّ واحدةٍ من القطع المفروضة فيها، بل يرى كل قطعة منها شبيهة بالخطّ المستقيم؛ فلا جرم صحت الجماعة

....

بصفٍّ مستطيل ممتدّ إلى جانبي المشرق والمغرب يزيد طوله على أضعاف مقدار البيت، لكون كل واحد ممّا فيه متوجّهًا إلى عين الكعبة. وأمّا النقطة المفروضة فيها إنما تكون مُحاذية لمركزها إذا كان الخط الخارج من كلّ واحدة منها واقعًا على المركز محاذيًا لها، ومجرّد كونها من أجزاء الدائرة لا يستلزم ذلك، وهو ظاهر في أن استقبال العين ليس بواجب، وإنّما الواجب هو استقبال السَّمْت والجهة، ومعنى استقبال السَّمت أنّا لو فرضنا خطًّا مستقيمًا من نقطةٍ مِنَ النقطة المفروضة في دائرة الأفق مارًّا على الكعبة واصلًا إلى النقطة المقابلة على الاستقامة لكان الخطّ الخارج من جبين المصلّي إلى ذلك الخطّ المارّ بالكعبة على استقامة من غير أن تكون إحدى الزاويتين الحادّتين في الملتقى حادّة والأخرى منفرجة، بل يحصل هناك قائمان، أو تقول: هو أن تقع الكعبة فيما بين خطّين يلتقيان في الدماغ ليخرجا إلى العينين كما في المثلّث المذكور في كتب الفقه؛ كالذخيرة والنهاية والكافي أنّ مَنْ كان بمكّة ففرضه إصابة عينها إجماعًا، حتى لو صلّى مكّي في بيته ينبغي أن يصلّي بحيث لو أُزيلت الجدران يقع الاستقبال على عين الكعبة، بخلاف الآفاق، فإن فرضه إصابة جهتها لا عينها في الصحيح، وهذا قول الشيخ أبي الحسن الكرخي والشيخ أبي بكر الرازي رحمهما الله تعالى؛ وذلك لأنه ليس في وِسْع المصلّي سوى هذا والتكليف بحسب الوسع، وقوله في الصحيح احتراز عن قول أبي عبد الله الجرجاني، فإنّه قال: مَنْ كان غائبًا عنها ففرضه إصابة عينها؛ لأنه لا فَصْل في النصّ، وثمرة الخلاف تظهر في اشتراط نيّته عين الكعبة، فعلى قول الجرجاني يُشترط، وعلى قول الكرخي والرازي لا يشترط؛ وهذا لأن إصابة عينها لمّا كانت فرضًا عند الجرجاني، ولا يمكن إصابة عينها حال غيبة عينها إلّا من حيث النيّة عينها، وعندهما لمّا كان الشرط في حقّ مَنْ غاب عنها إصابة جهتها وإصابة الجهة لا تتوقّف على نيّة العين، قالا: لا حاجة إلى اشتراط نيّة العين، وذكر الرندوستي في نظمه أن الكعبة قبلة مَنْ يصلّي في المسجد الحرام، والحرم قبلة العالم. وقيل: مكّة وسط الدنيا، فقبلة أهل المشرق إلى المغرب عندنا، وقبلة أهل المغرب إلى المشرق، وقبلة أهل المدينة إلى يمين مَنْ توجّه إلى المغرب، وقبلة أهل الحجاز إلى يسار مَنْ توجّه إلى المغرب، كذا في الذخيرة والنهاية.

....

والمقصود من نقل هذه المقالات بيان أن الأئمّة الحنفية والشافعية متّفقون على أن القبلة في حقِّ مَنْ عاين البيت هي عين البيت، وفي حقِّ مَنْ غاب عنه وبَعُد هي سمت البيت، ولا يُخالف الجمهور في هذه المسألة إلّا أبو عبد الله الجرجاني، ويؤيّده قول المصنّف ـ يعني البيضاوي ـ والبعيد يكفيه مُراعاة الجهة بخلاف القريب، فإنه من العلماء الشافعية، وقد صرَّح بالوفاق؛ فقول الإمام الرازي لا شاهد له. اهـ.

وفي الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان رضي الله عنه: فللمكيّ وكذا المدني لثبوت قبلتها بالوحي إصابة عينها يعمّ المعاين وغيره، لكن في البحر أنه ضعيف، والأصحّ أنّ مَنْ بينه وبينها حائل كالغائب، وأقرّه المصنف قائلًا: والمراد بقولي: فللمكيّ: مكيّ يعاين الكعبة، ولغيره أي غير معاينها إصابة جهتها بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتًا للكعبة أو لهوائها بأن يفرض من تلقاء وجه مستقبلها حقيقة في بعض البلاد خطّ على زاوية قائمة إلى الأفق مارًّا على الكعبة، وخطٌّ آخر يقطعه على زاويتين قائمتين يمنةً ويُسرة منح. قلت: فهذا معنى التيامن والتياسر في عبارة الدرر، فتبصّر وتعرّف بالدليل، وهو في القرى والأمصار محاريب الصحابة والتابعين، وفي المفاوز والبحار النجوم كالقطب، وإلّا فمن الأهل العالم بها ممّن لو صاح به سمعه، (والمُعتبر) في القبلة (العرصة لا البناء)، فهي من الأرض السابعة إلى العرش، (وقبلة العاجز عنها) لمرض وإن وجد موجّهًا عند الإمام أو خوف مالَ، وكذا كلّ من سقط عنه الأركان (جهة قدرته)، ولو مضطجعًا بإيماء، لخوف رؤية عدوّ، ولم يعد لأن الطاعة بحسب الطاقة، ويتحرّى هو بذل المجهود لِنَيْل المقصود، (عاجز عن معرفة القبلة) بما مرّ (فإنّ ظهر خطأه لم يعد) لما مرّ، (وإنْ عَلِم به في صلاته أو تحوّل رأيه) ولو في سجود سهو (استدار وبنى) حتى لو صلّى كل ركعة لجهة جاز، ولو بمكّة أو مسجد مظلم، ولا يلزمه قرع أبواب ومسّ جدران، ولو أعمى فسوّاه رجل بنى، ولم يقتدِ الرجل به ولا بمتحرٍّ تحوّل، ولو ائتم بمتحرٍّ بلا تحرٍّ لم يجز إن أخطأ الإمام، ولو سلَّم فتحوّل رأى مسبوق ولاحق استدار المسبوق واستأنف اللاحق، ومن لم يقع تحرّيه على شيءٍ صلّى لكل جهة مرّة احتياطًا،

....

ومَنْ تحوّل رأيه لجهته الأُولى استدار، ومن تذكّر ترك سجدة من الأُولى استأنف، (وإن شرع بلا تحرٍّ لم يجز، وإن أصاب) لتركه فرض التحرّي إلا إذا علم إصابته بعد فراغه، فلا يُعيد اتّفاقًا بخلاف جهة تحرِّيه، فإنه يستأنف مطلقًا كمصلٍّ على أنه محدث، أو ثوبه نَجِس، أو الوقت لم يدخل، فبان بخلافه لم يجز (صلّى جماعة عند اشتباه القبلة)، فلو لم تشبه إن أصاب (جاز بالتحرّي) مع إمام (وتبيّن أنهم صلّوا إلى جهات مختلفة، فمن تيقّن منهم مخالفة إمامه في الجهة أو تقدَّم عليه حالة الأداء) أما بعده، فلا يضرّه (لم تجز صلاته)؛ لاعتقاد خطأ إمامه، ولتركه فرض المقام، ومن يعلم ذلك، فصلاته (صحيحة)، كما لو لم يتعيّن الإمام بأن رأى رجلين يصلّيان فائتمّ لواحد لا بعينه. اهـ.

وفي حاشية المسمّاة ردّ المحتار: قوله: (فللمكيّ)، أي فالشرط له، أي لصلاته وكذا قوله: (ولغيره)، أو اللام فيهما بمعنى على، أي فالواجب عليه. قوله: (لثبوت قبلتها) أي قبلة المدينة المنوّرة المفهومة من قوله: وكذا المدني، وأورد أنه لا يلزم من ثبوتها بالوحي أنْ تكون على عين الكعبة؛ لاحتمال كونها على الجهة.

قوله: (يعمّ المعاين وغيره)، أي المكي المشاهد للكعبة، والذي بينه وبينه حائل؛ كجدار ونحوه، فيشترط إصابة العين بحيث لو رفع الحائل وقع استقباله على عين الكعبة. قوله: (وأقرّه المصنف) أي في المُنَح، لكن قال في شرحه على زاد الفقير: إطلاق المنون والشرح والفتاوى يدلّ على أن المذهب الراجح عدم الفرق بين ما إذا كان بينهما حائل أو لا. اهـ.

وفي الفتح: وعندي في جواز التحرّي مع إمكان صعوده إشكال؛ لأن المصير إلى الدليل الظنّي وترك القاطع مع إمكانه لا يجوز، وقد قال في الهداية: والاستخبار فوق التحرّي، فإذا امتنع المصير إلى ظنّي؛ لإمكان ظني أقوى منه، فكيف يترك اليقين مع الظن؟. اهـ.

قوله: (بأن يبقى)... الخ. في كلامه إيجاز لا يُفهم منه المراد، فاعلم أوّلًا أن السطح في اصطلاح علماء الهندسة ما له طول وعرض لا عمق، والزاوية

....

القائمة هي إحدى الزاويتين المتساويتين الحادثتين عن جنبي خطّ مستقيم قام على خطٍّ مستقيم، هكذا قائمة|قائمة، وكلتاهما قائمتان، ويسمّى الخطّ القائم على الآخر عمودًا، فإن لم تتساويا، فما كانت أصغر من القائمة (تسمّى) زاوية حادّة، وما كانت أكبر تسمّى منفرجة هكذا: حادة / منفرجة. ثم اعلم أنه ذكر في المعراج عن شيخه: أن جهة الكعبة هي الجانب الذي إذا توجّه إليه الإنسان (يكون مُسامِتًا للكعبة) أو هوائها تحقيقًا أو تقريبًا، ومعنى التحقيق أنه لو فرض خطّ من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون مارًّا على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أنه لو فَرَض خطّ من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون مارًّا على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أن يكون منحرفًا عنها أو عن هوائها بما لا تزول به المقابلة بالكلّية بأن يبقى شيء من سطح الوجه مُسامِتًا لها أو لهواها، وبيانه أن المقابلة في مسافة قريبة تزول بانتقال قليل من اليمين أو الشمال مناسبٍ لها، وفي البعيدة لا تزول، الانتقال كثير مناسب لها، فإنه لو قابل إنسان آخر في مسافة ذراع مثلًا تزول تلك المقابلة بانتقال أحدهما يمينًا بذراع، وإذا وقعت بقدر مِيل أو فرسخ لا تزول إلّا بمائة ذراع أو نحوها، ولمّا بَعُدَت مكّة عن ديارنا بُعْدًا مفرطًا تتحقّق المقابلة إليها في مواضع كثيرة في مسافة بعيدة، فلو فرضنا خطًّا من تلقاء وجه مستقبل الكعبة على التحقيق في هذه البلاد، ثم فرضنا خطًّا آخر يقطعه على زاويتين قائمتين من جانب يمين المستقبل وشماله لا تزول تلك المقابلة والتوجّه بالانتقال إلى اليمين والشمال على ذلك الخطّ بفراسخ كثيرة، فلذا وضع العلماء القبلة في بلادٍ قريبة على سَمْتٍ واحد.اهـ. ونقله في الفتح والبحر وغيرهما وشروح المنية وغيرها، وذكره ابن الهُمام في زاد الفقير، وعبارة الدّرر: هكذا وجهتها أن يصل الخطّ الخارج من جبين المصلّي إلى الخطّ المارّ بالكعبة على استقامة بحيث يحصل قائمتان، أو نقول: هو أن تقع الكعبة فيما بين خطّيْن يلتقيان في الدّماغ فيخرجان إلى العينين كساقي مثلث، كذا قال النحرير التفتازاني في شرح الكشاف. فيُعْلم منه أنه لو انحرف عن العين انحرافًا لا تزول منه المقابلة بالكلّية جاز، ويؤيّده ما قال في الظهيرية إذا تيامن أو تياسر تجوز؛ لأن وجه الإنسان مقوّس، لأن عند التيامن أو

التياسر يكون أحد جوانبه إلى القبلة. اهـ. كلام الدرر. وقوله في الدرر: على استقامته متعلّق بقوله: يَصِل؛ لأنه لو وصل إليه معوجًّا لم تحصل قائمتان، بل تكون إحداهما حادَّة والأخرى منفرجة كما بيَّنّا، ثم إن الطريقة التي في المعراج هي الطريقة الأُولى التي في الدُّرر، إلا أنه في المعراج جعل الخطّ الثاني مارًّا على المصلّي على ما هو المتبادر من عبارته، وفي الدرر جعله مارًّا على الكعبة، وتصوير الكيفيّات الثلاث على الترتيب هكذا:

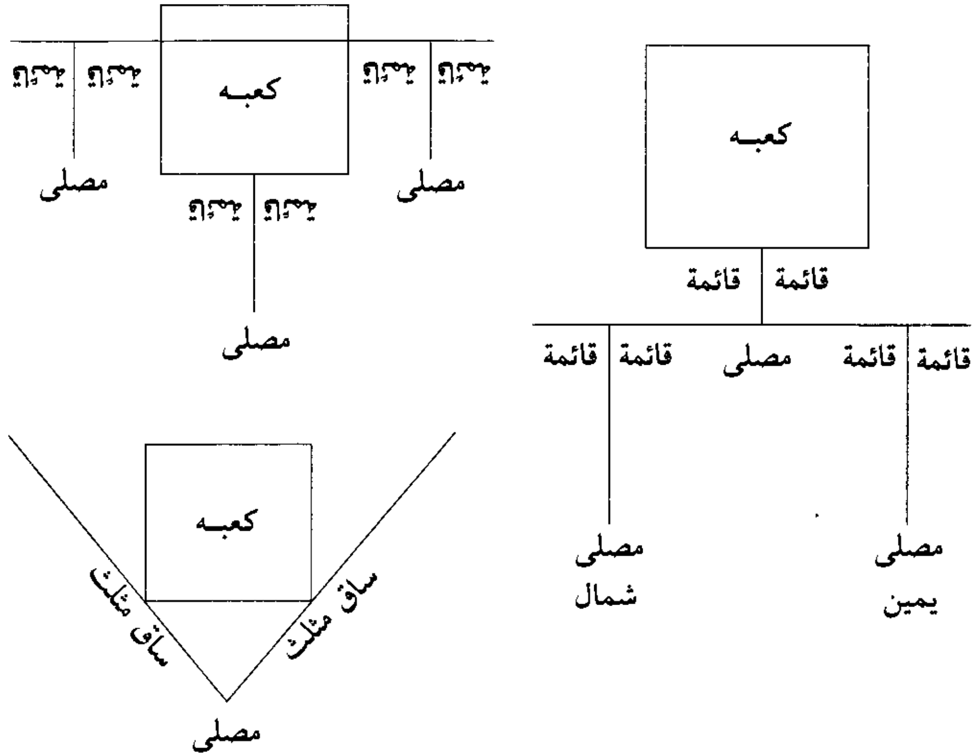

قوله: (منح) فيه أن عبارة المنح هي حاصل ما قدَّماه عن المعراج، وليس فيها قوله: مارًّا على الكعبة، بل هو المذكور في صورة الدرر، ويمكن أن يُراد أنه مارًّا عليها طولًا لا عرضًا، فيكون هو الخطّ الخارج من جبين المصلّي والخطّ الآخر الذي يقطعه هو المارّ عرضًا على المصلّي أو على الكعبة، فيصدق بما صوّرناه أولًا وثانيًا. ثم إنّ اقتصاره على بعض عبارة المنح أدّى إلى قصر بيانه على

....

المسامتة تحقيقًا، وهي استقبال العين دون المسامتة تقديرًا، وهي استقبال الجهة. مع أن المقصود الثانية، فكان عليه أن يحذف قوله: من تلقاء وجه مستقبلها حقيقةً في بعض البلاد.

قوله: (قلت)... الخ. قد علمت أنه لو فرض شخص مستقبلًا من بلده لعين الكعبة حقيقة بأن يفرض الخطّ الخارج من جبينه واقعًا على عين الكعبة، فهذا مُسامِت لها تحقيقًا، ولو أنه انتقل إلى جهة يمينه وشماله بفراسخ كثيرة وفرضنا خطًّا مارًّا على الكعبة من المشرق إلى المغرب، وكان الخطّ الخارج من جبين المصلّي يصل على استقامته إلى هذا الخطّ المارّ على الكعبة، فإنّه بهذا الانتقال لا تزول المقابلة بالكلّية؛ لأن وجه الإنسان مقوّس، فمهما تأخّر يمينًا أو يسارًا عن عين الكعبة يبقى شيء من جوانب وجهه مقابلًا لها، ولا شكّ أن هذا عند زيادة البعد. أما عند القُرْب، فلا يعتبر كما مرّ؛ فقول الشارح ﵀: هذا معنى التيامن والتياسر، أي أن ما ذكره من قوله: بأن يبقى شيء من سطح الوجه... الخ. مع فرض الخطّ على الوجه الذي قرّرناه هو المراد بما في الدار عن الظهيرية من التيامن والتياسر، أي ليس المراد منه أن يجعل الكعبة عن يمينه أو يساره؛ إذ لا شكّ حينئذ في خروجه عن الجهة بالكلّية، بل المفهوم مما قدّمناه عن المعراج والدُّرر من التقييد بحصول زاويتين قائمتين عند انتقال المستقبل لعين الكعبة يمينًا أو يسارًا أنه لا يصحّ لو كانت إحداهما حادّة والأخرى منفرجة بهذه الصورة:

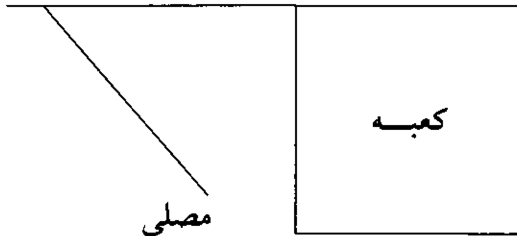

والحاصل أن المراد بالتيامن والتياسر الانتقال عن عين الكعبة إلى جهة اليمين أو اليسار، لا الانحراف، لكن وقع في كلامهم ما يدلّ على أن الانحراف لا يضرّ؛ ففي القهستاني: ولا بأس بالانحراف انحرافًا لا تزول به المقابلة بالكلّية بأن يبقى شيء من سطح الوجه مُسامتًا للكعبة. اهـ. وقال في شرح زاد الفقير وفي بعض الكتب المعتمدة:

....

في استقبال القبلة إلى الجهة أقاويل كثيرة، وأقربها إلى الصواب قولان، الأوّل: أن ينظر في مغرب الصيف في أطول أيّامه ومغرب الشتاء في أقصر أيّامه، فليدع الثلثين في الجانب الأيمن، والثلث في الأيسر، والقبلة عند ذلك، ولو لم يفعل هكذا وصلّى فيما بين المغربين يجوز، وإذا وقع خارجًا منها لا يجوز بالاتّفاق. اهـ ملخصًا. وفي منية المصلّي عن أمالي الفتاوى: حدّ القبلة في بلادنا - يعني سمرقند - ما بين المغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف، فإن صلّى إلى جهة خرجت من المغربين فسدت صلاته. اهـ. وسيأتي في المتن في مفسدات الصلاة أنها تفسد بتحويل صدره عن القبلة بغير عذر، فَعُلِم أنّ الانحراف اليسير لا يضرّ، وهو الذي يبقى معه الوجه أو شيء من جوانبه مسامتًا لعين الكعبة أو لهوائها بأن يخرج الخطّ من الوجه أو من بعض جوانبه، ويمرّ على الكعبة أو هوائها مستقيمًا، ولا يلزم أن يكون الخطّ الخارج على استقامة خارجًا من جبهة المصلّي، بل منها أو من جوانبها؛ كما دلّ عليه قول الدرر: من جبين المصلّي، فإنّ الجبين طرف الجبهة، وهما جبينان، وعلى ما قرَّرناه يُحمل ما في الفتح والبحر عن الفتاوى من أن الانحراف المفسد أن يجاوز المشارق إلى المغرب. اهـ. فهذا غاية ما ظهر في هذا المحل، والله تعالى أعلم.

قوله: (فتبصّر) إشارة إلى دقّة ملاحظة الذي قرّرناه وإلى عدم الاستعجال بالاعتراض، ومع هذا نسبوه إلى عدم الفهم، فافهم.

قوله: (محاريب الصحابة والتابعين)، فلا يجوز التحرّي معها. زيلعي: بل علينا اتّباعهم (خانية) ولا يعتمد على قول الفلكي العالم البصير الثقة أن فيها انحرافًا خلافًا للشافعية في جميع ذلك، كما بسّطه في الفتاوى الخيرية، فإياك أن تنظر إلى ما يقال أن قبلة أمويّ دمشق وأكثر مساجدها المبنية على سمت قبلته فيها بعض انحراف، وإنّ أصح قبلة فيها قبلة جامع الحنابلة الذي في سفح الجبل؛ إذ لا شكّ أن قبلة الأُموي من حين فتح الصحابة ومَنْ صلّى منهم إليها، وكذا مَنْ بعدهم أعلم وأوثق وأقوى من فلكيّ لا ندري هل أصاب أم أخطأ، بل ذلك يرجح خطأه وكل خير في اتّباع مَنْ سلف.

....

قوله: (كالقطب)، هو أقوى الأدلّة وهم نجم صغير في بنات نعش الصغرى بين الفرقدين والجدي إذا جعله الواقف خلف أُذنه اليمنى كان مستقبلًا القبلة إنْ كان بناحية الكوفة وبغداد وهمدان، ويجعله مَنْ بمصر على عاتقه الأيسر، ومَنْ بالعراق على كتفه الأيمن، ومَنْ باليمين قبالته مما يلي جانبه الأيسر، ومَنْ بالشام وراءه بحر. قال ابن حجر: وقيل: ينحرف بدمشق وما قاربها إلى الشرق قليلًا.اهـ. وذكر الشراح للقبلة علامات أُخر غالبها مبنية على سمت بلادهم منها ما قدَّمناه عن شرح زاد الفقير والمنية، فإنّها علامة لقبلة سمرقند، وما كان على سمتها. وفي حاشية الفتّال: قال البرجنديّ: ولا يخفى أن القبلة تختلف باختلاف البقاع، وما ذكروه يصح بالنسبة إلى بقعة معيّنة، وأمر القبلة إنما يتحقّق بقواعد الهندسة والحساب بأن يعرف بُعْد مكّة عن خطّ الاستواء، وعن طرف المغرب، ثم بُعد البلد المفروض كذلك، ثم يُقاس بتلك القواعد ليتحقّق سمت القبلة.اهـ. لكن قال القهستاني: ومنهم مَنْ بناه على بعض العلوم الحكمية إلّا أنّ العلّامة البخاري قال في الكشف: إنّ أصحابنا لم يعتبروه.اهـ. وأفاد في النهر أن دلائل النجوم معتبرة عند قوم وعند آخرين ليست بمعتبرة، قال: وعليه إطلاق عامّة المتون.اهـ. أقول: لم أرَ في المتون ما يدلّ على عدم اعتبارها، ولنا تعلّم ما نهتدي به على القبلة من النجوم، وقال تعالى: ﴿ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا﴾ [الأنعام: الآية ٩٧]، على أن محاريب الدنيا كلّها نُصِبت بالتحرّي حتى مُنَى، كما نقله في البحر، ولا يخفى أن أقوى الأدلّة النجوم، والظاهر أن الخلاف في عدم اعتبارها إنّما هو عند وجود المحاريب القديمة؛ إذ لا يجوز التحرّي معها كما قدَّمناه لئلا يلزم تخطئة السلف الصالح، وجماهير المسلمين بخلاف ما إذا كان في المفازة فينبغي وجوب اعتبار النجوم ونحوها في المفازة لتصريح علمائنا وغيرهم بكونها علامة معتبرة، فينبغي الاعتماد في أوقات الصلاة وفي القبلة على ما ذكره العلماء الثقات في كتب المواقيت وعلى ما وضعوه لها من الآلات؛ كالرُّبع والاصطرلاب، فإنها إن لم تفد اليقين تفيد غلبة الظنّ للعالم بها، وغلبة الظنّ كافية في ذلك، ولا يرد على ذلك ما صرّح به علماؤنا من عدم الاعتماد على قول أهل النجوم في دخول رمضان؛ لأن ذاك مبنيّ على أن وجوب الصوم مُعلّق برؤية الهلال؛ لحديث: «**صوموا لرؤيته**»، وتوليد

....

الهلال ليس مبنيًا على الرؤية، بل على قواعد فلكية، وهي وإنْ كانت صحيحة في نفسها لكن إذا كانت ولادته في ليلة كذا، فقد يُرى فيها الهلال وقد لا يُرى، والشارع علّق الوجوب على الرؤية لا على الولادة، هذا أظهر لي والله أعلم.

قوله: (وإلا فمن الأهل)، أي وإن لم يكن ثمّة محاريب قديمة فيسأل مَنْ يعلم بالقبلة ممّن تُقبل شهادته من أهل ذلك المكان ممّن يكون بحضرته بأن يكون بحيث لو صاح به سمعه. أمّا غير العالم بها، فلا فائدة في سؤاله. وأمّا غير مقبول الشهادة؛ كالكافر والفاسق والصبيّ، فلعدم الاعتداد بإخباره فيما هو من أُمور الدّيانات ما لم يغلب على الظنّ صدقه، كما في القهستاني، ويُقبل فيها قول الواحد العدل، كما في النهاية. وأمّا إذا لم يكن من أهل ذلك المكان، فلأنه يُخبر عن اجتهاد فلا يترك اجتهاده باجتهاد غيره. وأمّا إذا لم يكن بحضرته من أهل المسجد أحد، فإنه يتحرّى ولا يجب عليه قرع الأبواب كما سيأتي، وظاهر التقييد بالأهل أنّ وجوب السؤال خاصّ بالحضر، فلو في مفازة لا يجب. وفي البدائع ما يخالفه، حيث قال: فإن كان عاجزًا بالاشتباه وهو أن يكون في المفازة في ليلة مظلمة ولا علم له بالأمارات الدالّة على القبلة، فإنْ كان بحضرته مَنْ يسأله عنها لا يجوز له أن يتحرّى، بل يجب أن يسأل لما قلنا، أي من أن السؤال أقوى من التحرّي. اهـ. وشرط في الذخيرة كون المُخبر في المفازة عالمًا حيث نُقِل عن الفقيه أبو بكر: أنه سُئِل عمّن في المفازة فأخبره رجلان أنّ القبلة في جانب ووقع تحرّيه إلى جانبٍ آخر، فقال: إنْ كان في رأيه أنهما يعلمان ذلك يأخذ بقولهما لا محالة، وإلّا فلا. اهـ. وشرط في الخانية والتجنيس كونهما من أهل ذلك الموضع، حيث قال: فإن لم يكونا من أهل ذلك الموضع وهما مسافران مثله لا يلتفت إلى قولهما؛ لأنهما يقولان بالاجتهاد، فلا يُترك اجتهاده باجتهاد غيره. اهـ. والظاهر أن المراد من اشتراط كونهما من أهل ذلك الموضع كونهما عالمين بالقبلة؛ لأن الكلام في المفازة ولا أهل لها إلا أن يراد كونهما من أهل الأخبية، فهما من أهله، والأهل له علم أكثر من غيره، فلا ينافي ما مرّ. عن الذخيرة: حتى لو كانا من أهله ولا علم لهما لا يلتفت إلى قولهما؛ فالمناط إنما هو العلم، فقد يكونان مسافرين مثله، ولكن لهما معرفة بالقبلة في ذلك المكان بكثرة التّكرار أو

....

بطريق آخر من طرق العلم مما يفوق على تحرّي المتحرّي. ثم اعلم أنّ ما نقلناه آنفًا عن البدائع من قوله: في ليلة مظلمة... الخ. يقتضي أن الاستدلال بالنجوم في المفازة مقدَّم على السؤال المقدّم على التحرّي، فصار الحاصل أنّ الاستدلال على القبلة في الحصر إنّما يكون بالمحاريب القديم، فإن لم توجد فبالسؤال من أهل ذلك المكان، وفي المفازة بالنجوم، فإن لم يمكن لوجود غيم أو لعدم معرفته بها، فبالسؤال من العالم بها، فإن لم يكن فيتحرّى، وكذا يتحرّى لو سأله عنها، فلم يُخبره حتى لو أخبره بعدما صلّى لا يعيد كما في المنية، وفيها لو لم يسأله وتحرّى إن أصاب جاز وإلّا لا، وكذا الأعمى. اهـ. ومسائل التحرّي ستأتي، ورجّح في البحر ما في الظهيرية من أنه لو صلّى في المفازة بالتحرّي والسماء مصحية لكنه لا يعرف النجوم فتبيّن أنه أخطأ لا يجوز؛ لأنه لا عذر لأحد في الجهل بالأدلّة الظاهرة كالشمس والقمر وغيرهما. أمّا دقائق علم الهيئة وصور النجوم الثوابت، فهو معذور في الجهل بها. اهـ.

قوله: (والمعتبر في القبلة)... الخ. أي أنّ الذي يجب استقباله أو استقبال جهته هو العرصة، وهي لغة كل بقعة بين الدور واسعة لا بناء فيها كما في الصحاح وغيره، والمراد بها هنا تلك البقعة الشريفة. قوله: (لا البناء)، أي ليس المراد بالقبلة الكعبة التي هي البناء المرتفع على الأرض، ولذا لو نُقِل البناء إلى موضع آخر وصلّى إليه لم يَجُز، بل تجب الصلاة إلى أرضها كما في الفتاوى الصوفية عن الجامع الصغير، وفي البحر عن عدّة الفتاوى: الكعبة إذا رُفِعت عن مكانها لزيادة أصحاب الكرامة؛ ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها. اهـ. وفي المجتبي: وقد رُفِع البناء في عهد ابن الزبير على قواعد الخليل، وفي عهد الحجّاج ليُعيدها على الحالة الأُولى، والناس يصلّون. اهـ فتّال. وما ذكره في البحر نقله في التاتارخانية عن الفتاوى العتابية، قال الخير الرملي: وهذا صريح في كرامات الأولياء، فيردّ به على مَنْ نَسَب إمامنا إلى القول بعدمها، وسيأتي تمام الكلام على ذلك في باب ثبوت النّسب.

قوله: (فهي من الأرض السابعة إلى العرش)، صرّح بذلك في الفتاوى الصوفية معزّيًا للحجّة، ثم قال: فلو صلّى في الجبال العالية والآبار العميقة السافلة

....

جاز كما جاز على سطحها وفي جوفها، فقال: فلو كان المعتبر البناء لا العرصة لم يَجُز ذلك، فالتفريع صحيح، فافهم. قوله: (عند الإمام) لأنّ القادر بقدرة الغير عاجز عنده؛ لأن العبد يُكلَّف بقدرة نفسه لا بقدرة غيره، خلافًا لهما، فيلزمه عندهما التوجّه إن وجد موجّهًا وبقولهما جزم في المنية والمُنَح والدُّرر والفتح بلا حكاية خلاف، وهذا بخلاف ما لو عجز عن الوضوء ووجد من يوضؤه حيث يلزمه ولا يجوز له التيمّم اتّفاقًا في طلب المذهب، وقيل على الخلاف أيضًا، وقدَّمنا الفرق في باب التيمّم، فراجعه. وإذا كان له مال ووجد أجيرًا بأجرة مثله، هل يلزمه أن يستأجره عندهما كما قالوه في التيمّم، أم لا؟ لم أرَ مَنْ ذكره، وينبغي اللزوم. ثم رأيته في شرح الشيخ إسمٰعيل عن الروضة، لكن يتقيّد كون الأجرة دون نصف درهم، فلو طلب نصف درهم أو أكثر لا يلزمه، والظاهر أنّ المراد به أجر المثل كما فسّروه بذلك في التيمّم، كما قدَّمناه هناك.

قوله: (أو خوف مال)، أي خوف ذهابه بسرقة أو غيرها إن استقبل، وسواء كان المال ملكًا له أو أمانة قليلًا أو كثيرًا، ولم يعزه إلى أحد، فليراجع. نعم سيأتي في مفسدات الصّلاة أنه يجوز قطع الصلاة لضياع ما قيمته درهم له أو لغيره. قوله: (وكذا كل من أسقط عنه الأركان)، أي تكون قبلة جهته قدرته أيضًا. قال في البحر: ويشمل أي العذر ما إذا كان على لوح في السفينة يخاف الغرق إذا انحرف إليها، وما إذا كان في طين وردغة لا يجد على الأرض مكانًا يابسًا، أو كانت الدابّة جموحًا لو نزل لا يمكنه الركوب إلّا بمعين أو كان شيخًا كبيرًا لا يمكنه أن يركب إلّا بمُعِين ولا يجده، فكما تجوز له الصلاة على الدابّة ولو كانت فرضًا وتسقط عنه الأركان، كذلك يسقط عنه التوجّه إلى القبلة إذا لم يمكنه ولا إعادة عليه إذا قدر. اهـ. فيشترط في جميع ذلك عدم إمكان الاستقبال، ويشترط في الصلاة على الدابّة إيقافها إن قدر، وإلّا بأن خاف الضّرر كأن تذهب القافلة وينقطع، فلا يلزمه إيقافها ولا استقبال القبلة، كما في الخلاصة. وأوضحه في شرح المنية الكبير والحلية وقيّد في الحلية مسألة الصلاة على الدابّة للطِّين بما إذا عجز عن النزول، فإن قدر نزل وصلّى واقفًا بالإيماء، زاد الزيلعي: وإن قدر على القعود دون السجود أومأ قاعدًا، وأنه لو كانت الأرض نَدِيَّة مبتلّة بحيث لا يغيب

....

وجهه في الطين صلّى على الأرض وسجد، وسيأتي تمام الكلام على الصلاة على الدابّة في باب الوتر والنوافل إن شاء الله تعالى. قوله: (ولو مضطجعًا)... الخ تعميم للقدرة، أي يتوجّه العاجز إلى أي جهة قدر، ولو كان مضطجعًا. قال الزيلعي: ويستوي فيه، أي في العجز الخوف من عدوّ أو سبع أو لصّ حتى إذا خاف أن يراه إن توجّه إلى القبلة جاز له أن يتوجّه إلى أيّ جهة قدر، ولو خاف أن يراه العدوّ إن قعد صلّى مضطجعًا بالإيماء، وكذا الهارب من العدوّ راكبًا يصلّي على دابّته. اهـ. قوله: (ولم يعد)؛ لأن هذه الأعذار سماويّة حتى الخوف من عدوّ؛ لأن الخوف لم يحصل بمباشرة أحد بخلاف المقيّد إذا صلّى قاعدًا، فإنه يعيد عندهما لا عند أبي يوسف، كما في شرح المنية. ومن تحقيق ذلك في التيمّم: أن يعيد هنا أيضًا؛ إذ لا فرق بين صلاته قاعدًا أو إلى غير القبلة، لأن القيد عذر من جهة العبد لأنه بمباشرة المخلوق تأمّل. قوله: (هو)، أي التحرّي المفهوم من فعله.

قوله: (بما مرّ) متعلّق بمعرفة والذي مرّ هو الاستدلال بالمحاريب والنجوم والسؤال من العالم بها، فأفاد أنه لا يتحرّى مع القدرة على أحد هذه حتى لو كان بحضرته من يسأله فتحرّى، ولم يسأله إن أصاب القبلة جاز لحصول المقصود وإلّا فلا؛ لأن قبلة التحرّي مبنية على مجرّد شهادة القلب من غير إمارة، وأهل البلد لهم علم بجهة القبلة المبنيّة على الأمارات الدالّة عليها من النجوم وغيرها، فكان فوق الثابت بالتحرّي، وكذا إذا وجد المحاريب المنصوبة في البلدة، أو كان في المفازة والسماء مصحية وله عِلْم بالاستدلال بالنجوم لا يجوز له التحرّي؛ لأن ذلك فوقه، وتمامه في الحلية وغيرها، واسْتُفِيد مما ذكر أنه بعد العجز عن الأدلّة المارَّة عليه أن يتحرّى لا يقلّد مثله؛ لأن المجتهد لا يقلّد مجتهدًا، وإذا لم يقع تحرّيه على شيء، فهل له أن يقلّد؟ لم أرَه.

قوله: (فإن ظهر خطأه إن) بعد ما صلّى. قوله: (لما مرّ)، وهو كون الطاعة بحسب الطاقة. قوله: (وإن علم به) أي بخطأه، فافهم. قوله: (أو تحوّل رأيه)، أي بأن غلب على ظنّه أن الصواب في جهةٍ أخرى، فلا بدّ أن يكون اجتهاده في الثاني أرجح؛ إذ الأضعف كالعدم، وكذا المساوي فيما يظهر ترجيحًا للأول بالعمل

....

عليه، تأمّل. قوله: (استدار وبنى)، أي على ما بقي من صلاته لما رُوي أنّ أهل قُباء كانوا متوجّهين إلى بيت المقدس في صلاة الفجر، فأخبروا بتحويل القبلة فاستداروا إلى القبلة وأقرّهم النبيّ ﷺ على ذلك. وأمّا إذا تحوّل رأيه، فلأن الاجتهاد المتجدّد لا ينسخ حكم ما قبله في حقِّ ما مضى، شرح المنية. وينبغي لزوم الاستدارة على الفور حتى لو مكث قدر ركن فسدت. قوله: (ولو بمكّة) بأنْ كان محبوسًا، ولم يكن بحضرته مَنْ يسأله فصلّى بالتحرّي، ثم تبيّن أنه أخطأ، بحر. وهذا هو الأوجه، وعليه اقتصر في الخانية حلية. قوله: (ولا يلزمه قرع أبواب)، في الخلاصة: إذا لم يكن في المسجد قوم والمسجد في مصر في ليلة مظلمة. قال الإمام النسفي في فتاواه: جاز.اهـ.

وفي الكافي: ولا يستخرجهم من منازلهم. قال ابن الهُمام: والأوجه أنه إذا علم أنّ للمسجد قومًا من أهله مقيمين غير أنهم ليسوا حاضرين فيه وقت دخوله وهم حوله في القرية وجب طلبهم ليسألهم قبل التحرّي؛ لأن التحرّي مُعلّق بالعجز عن تعرّف القبلة بغيره.اهـ. ولا مُنافاة بين هذا وبين ما مرّ عن الخلاصة والكافي؛ لأن المراد إذا لم يكونوا داخل المنازل، ولم يلزم الحرج من طلبهم بتعسّف الظلمة والمطر ونحوه، شرح المنية. قوله: (ومسّ جدران)؛ لأن الحائط لو كانت منقوشة لا يمكنه تمييز المِحْراب من غيره، وعسى أن يكون ثم هامّة مُؤذية، فجاز له التحرّي، بحر عن الخانية. وهذا إنما يصح في بعض المساجد. فأمّا في الأكثر، فيمكن تمييز المحراب من غيره في الظلمة بلا إيذاء، فلا يجوز التحرّي، إسمٰعيل عن المفتاح.

قوله: (ولو أعمى)... الخ. قال في شرح المنية: ولو صلّى الأعمى ركعة إلى غير القبلة، فجاء رجل فسوّاه إلى القبلة واقتدى به إن وجد الأعمى وقت الشروع مَنْ يسأله فلم يسأله لم تَجز صلاتهما، وإلّا جازت صلاة الأعمى دون المقتدي؛ لأنّ عنده أن إمامه بان صلاته على الفاسد وهو الركعة الأُولى.اهـ. ومثله في الفيض والسراج، ومفاده أن الأعمى لا يلزم إمساس المحراب إذا لم يجد مَنْ يسأله، وأنه لو ترك السؤال مع إمكانه وأصاب القبلة جازت صلاته، وإلّا فلا، كما قدّمناه عن المنية. قوله: (ولا بمتحرٍّ تحوّل)، أي إلى القبلة مع علم المقتدي بحالة

....

الأولى، وعبارته في الخزائن: كمن تحرّى فأخطأ ثم علم، فتحوّل لم يقتدِ به مَنْ علم بحاله.اهـ. أي لعلمه بأن الإمام كان على الخطأ في أوّل الصلاة، بحر. ومفاده أنه لو تحوّل بالتحرّي أيضًا إلى جهة ظنّها القبلة جاز للآخر الاقتداء به إن تحرّى مثله، وإلّا فهي المسألة الآتي، تأمّل. قوله: (بمتحرٍّ) متعلّق بائْتَمّ. وقوله: (بلا تحرٍّ) متعلق بمحذوف حال من فاعل ائْتمّ. قوله: (لم يجز) أي اقتداءه إن ظهر أن الإمام مخطيء؛ لأن الصلاة عند الاشتباه من غير تحرٍّ إنما تجوز عند ظهور الإصابة كما مرّ ويأتي. وأمّا صلاة الإمام، فهي صحيحة لتحرّيه، وإن أصاب الإمام جازت صلاتهما كما في شرح المنية.

قوله: (استدار المسبوق)... الخ. لأنه منفرد فيما يقضيه بخلاف اللاحق؛ لأنه مقتدٍ فيما يقضيه، والمقتدي إذا ظهر له وهو وراء الإمام أن القبلة غير الجهة التي يصلّي إليها الإمام لا يمكنه إصلاح صلاته؛ لأنه إن استدار خالف إمامه في الجهة قصدًا وهو مفسد، وإنْ كان متمًّا صلاته إلى ما هو غير القبلة عنده وهو مفسدٌ أيضًا، فكذلك اللاحق، شرح المنية. بَقِيَ ما إذا كان لاحقًا ومسبوقًا، وحكمه أنه إن قضى ما لَحِق به أوّلًا ثم ما سبق به، فإن تحوّل رأيه في قضاء ما لحق به استأنف، وإن تحوّل في قضاء ما سبق به استدار. وأمّا إن قضى ما سبق به أوّلًا ثم ما لحق به، فإن تحوّل رأيه فيما لحق به استأنف، وإن تحوّل فيما سبق به، فإن استمرّ على رأيه إلى شروعه فيما لحق به استأنف، وهذا كلّه ظاهر. وأمّا إن لم يستمر إلى شروعه فيما لحق به بأن تحوّل رأيه قبل قضاء ما لحق به إلى جهة إمامه، ففيه تردّد، والظاهر أنه يستدير تأمل ح، وأقرّه ط والرحمتي.

قوله: (ومن لم يقع تحرّيه)... الخ. في البحر والحلية وغيرهما عن فتاوى العتّابيّ: تحرّى فلم يقع تحرّيه على شيء، قيل: يؤخّر، وقيل: يصلّي إلى أربع جهات، وقيل: يخيَّر.اهـ. ورجّح في زاد الفقير الأوّل حيث جزم به، وعبّر عن الأخيرين بقيل، واختار في شرح المنية الوسط، وقال: إنه الأحوط، ونقل رَحِمَهُ اللهُ عن الهندية عن المضمرات أنه الأصوب، فلهذا اختاره الشارح رَحِمَهُ اللهُ، وظاهر كلام القهستاني ترجيح الأخير، وهو الذي يظهر لي، فإنه قال: لو تحرّى ولم يتيقّن بشيء فصلّى إلى أيّ جهة شاء كانت جائزة ولو أخطأ فيه، وقيل: إنْ لم يقع تحرّيه

....

على شيء أخّر الصّلاة، وقيل: يصلّي إلى الجهات الأربع كما في الظهيرية. اهـ. ومفاده أن معنى التخيير أنه يصلّي مرّة واحدة إلى أيِّ جهة أراد من الجهات الأربع، وبه صرّح الشافعية والحنابلة. وأمّا ما في شرح المنية الكبير من تفسيره بقوله: وقيل: يخيّر إن شاء أخّر وإن شاء صلّى الصلاة أربع مرّات إلى أربع جهات، فالظاهر أنه من عنده؛ لأن عبارة فتاوى العتابي السابقة ليس فيها هذه الزيادة، ويردّ عليه أنه إذا صلّى إلى الجهات الأربع يلزم عليه الصلاة ثلاث مرّات إلى غير القبلة يقينًا، وهو منهيٌّ عنه، وترك المنهيّ مُقدَّم على فعل المأمور، ولذا يصلّي بالنجاسة إذا لزم من غسلها كشف العورة عند الأجانب، على أن المأمور به هنا ساقط؛ لأن التوجّه إلى القبلة إنما يؤمر به عند القدرة عليه، وقبلة المتحرّي هي جهة تحرّيه ولمّا لم يقع تحرّيه على شيء استوت في حقّه الجهات الأربع، فيختار واحدة منها ويصلّي إليها وتصحّ صلاته وإن ظهر خطأه فيها؛ لأنه أتى بما في وسعه، وهذا الوجه يقوّي القول الأخير وهو التخيير على المعنى الذي ذكرناه عن القهستاني ويضعف ما اختاره الشارح وادعى أنه الاحتياط، فتدبّر ذلك بإنصاف، وللقول الأوّل الذي اختاره الكمال في زاد الفقير وجه ظاهر أيضًا، وهو أنه لمّا كانت القبلة عند عدم الدّليل عليها هي جهة التحرّي ولم يقع تحرّيه على شيء صار فاقدًا لشرط صحة الصلاة فيؤخّرها كفاقد الطهورين، لكن القول الأخير وهو وجوب الصلاة في الوقت مع التخيير إلى أيِّ جهة شاء أحوط، كما لو وجد ثوبًا أقلّ من ربعه طاهر؛ ولعموم قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥]، فإنه قيل: نزل في مسألة اشتباه القبلة وظاهر ما قدَّمناه عن القهستاني في اختياره، وبه يُشعر كلام البحر، وهو مذهب الشافعية والحنابلة كما مرّ. وقدّمنا أول الكتاب عن المستصفى أنه إذا ذكر في مسألة ثلاثة أقوال، فالأرجح الأول أو الثالث لا الوسط، والله أعلم.

قوله: (استدار)، قال في شرح المنية: واختلف المتأخّرون فيما إذا تحوّل رأيه في الثالثة أو الرابعة إلى الجهة الأُولى، قيل: يتمّ الصلاة، وقيل: يستقبل؛ كذا في الخلاصة، والأوّل أوجه. اهـ. ولذا قدّمه في الخانية لأنه يقدّم الأشهر، وجزم به القهستاني وتبعه الشارح رحمه الله. قوله: (استأنف)؛ لأنه إن سجدها إلى الجهة

....

الثانية، فقد سجدها إلى غير قبلة لأنها جزء من الركعة الأُولى، والجهة الثانية ليست قبلة للركعة الأُولى بجميع أجزائها، وإن سجدها إلى الجهة الأُولى فقد انحرف عمّا هو قبلته الآن. اهـ. قوله: (وإن شرع) الضمير راجع إلى العاجز، أي إذا اشتبهت عليه القبلة وعجز عن معرفتها بالأدلّة المارّة فقبلته جهة تحرّيه، فلو شرع بلا تحرٍّ لم تجز صلاته ما لم يتيقن بعد فراغه أنه أصاب القبلة؛ لأن الأصل عدم الاستقبال استصحابًا للحال، فإذا تبيّن يقينًا أنه أصاب ثبت الجواز من الابتداء وبَطُل الاستصحاب حتى لو كان أكبر رأيه أنه أصاب، فالصحيح أنه لا يجوز كما في الحلية عن الخانية، ولو تيقّن في أثناء صلاته لا يجوز خلافًا لأبي يوسف؛ لأن حاله بعد العلم أقوى وبناء القويّ على الضعيف لا يجوز.

قوله: (بخلاف). . . الخ. أي لو وقع تحرِّيه على جهة وصلّى إلى غيرها، فإنه يستأنف مطلقًا، أي سواء عَلِم أنه أصاب أو أخطأ في الصلاة أو بعدها أو لم يظهر شيء. وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنه يخشى الكفر، وعن الثاني يجزئه إن أصاب، وبالأول يفتي فيض، والفرق لهما أن ما فرض لغيره يشترط حصوله لا تحصيله، لكن مع عدم اعتقاد الفساد، وعدم الدّليل عليه ومخالفة جهة تحرِّيه اقتضت اعتقاد فساد صلاته، فصار كما لو صلّى وعنده أنه محدث لو أن ثوبه نجس، أو أن الوقت لم يدخل فبان بخلاف ذلك لا يجزيه في ذلك كلّه؛ لأن عنده أنّ ما فعله غير جائز بخلاف صورة عدم التحرّي، فإنه لم يعتقد الفساد، بل هو شاكٌّ فيه وفي عدمه، فإذا ظهرت إصابته بعدم التمام زاد أحد الاحتمالين، وتقرّر الآخر بلا لزوم بناء القويّ على الضعيف، بخلاف ما إذا عَلِم الإصابة قبل التمام، كما في شرح المنية.

قوله: (أو ثوبه) بالنصب عطفًا على اسم أن، ومثله الوقت ح. قوله: (فلو لم تشتبه). . . الخ. ذكره هنا استطراد، وكان ينبغي ذكره عند قول المصنف رحمه الله، وإن شرع بلا تحرٍّ؛ لأنه مفروض فيما إذا اشتبهت عليه القبلة كما قدَّمناه، فيكون قوله: فلو لم تشتبه بيانًا لمفهومه. ثم إن مسائل التحرّي تنقسم باعتبار القسمة العقلية إلى عشرين قسمًا، لأنه إمّا أن لا يشكّ ولا يتحرّى أو شكّ وتحرَّى أو لم يتحرَّ، أو تحرّى بلا شكّ وكل وجه على خمسة؛ لأنه إما أن يظهر صوابه أو خطأه

....

في الصلاة أو خارجها أو لا يظهر. أمّا الأوّل، فإن ظهر خطأه فَسُدت مطلقًا أو صوابه قبل الفراغ، قيل: هو كذلك؛ لأنه قوّى حاله والأصح لا، ولو بعده أو لم يظهر أو كان أكبر رأيه الإصابة، فكذلك لا تفسد. وحكم الثاني الصحة في الوجوه كلّها. وحكم الثالث الفساد في الوجوه كلّها أو لو أكبر رأيه أنه أصاب على الأصح إلّا إذا علم يقينًا بالإصابة بعد الفراغ. والرابع: لا وجود له خارجًا، كذا في النهر. وقد ذكر المصنّف رحمه الله الثاني بقوله: ويتحرّى عاجز، والثالث بقوله: وإن شرع بلا تحرٍّ، وذكر الشارح رحمه الله الأوّل بقوله: فلو لم تشتبه الخ، لكن كان عليه أن يقول: إن ظهر خطؤه فسدت وإلّا فلا، وقد حذف الرابع لعدم وجوده، هذا هو الصواب في تقرير هذا المحل، فافهم.

قوله: (مع إمام) أمّا لو صلّوا منفردين صحّت صلاة الكل، ولا يتأتّى فيه التفصيل. قوله: (فمن تيقّن منهم) التيقّن غير قيد، بل غلبة الظنّ كافية يدلّ عليه ما في الفيض، حيث قال: وإن صلّوا بجماعة تجزئهم إلّا صلاة مَنْ تقدَّم على إمامه أو عَلِم بمخالفة إمامه في صلاته، وكذا لو كان عنده أنه تقدّم على الإمام أو صلّى إلى جانب آخر غير ما صلّى إليه إمامه.اهـ. قوله: (حالة الأداء) ظرف لقوله: تيقّن مخالفة إمامه في الجهة مع قطع النظر عن قوله: أو تقدّمه عليه؛ لأنه إذا تقدّم على إمامه لم يَجُز سواء عَلِم بذلك حالة الأداء أو بعده بخلاف مخالفته لإمامه في الجهة، فإنه لا يضرّ إلّا إذا علم بها حالة الأداء كما دلّت عليه عبارة الفيض التي ذكرناها آنفًا، ومثلها قوله في الملتقى: جازت صلاة مَنْ لم يتقدّم بخلاف مَنْ تقدَّمه أو علم حاله وخالفه.اهـ. وفي متن الغور: إن لم يعلم مخالفة إمامه ولم يتقدّمه جاز، وإلّا فلا.

قوله: (لاعتقاده)... الخ. نشر مرتب ح. قوله: (كما لو لم يتعيّن الإمام)... الخ. تبع في ذلك النهي عن المعراج، ونصّ عبارة المعراج: وقال بعض أصحابه ـ أي الشافعي رضي الله تعالى عنه ـ: عليهم الإعادة؛ لأن فعل الإمام في اعتقادهم متردّد بين الخطأ والصواب، ولو لم يتعيّن الإمام بأن رأى رجلين يصلّيان فنوى الاقتداء بواحد لا بعينه لا يجوز، فكذا إذا لم يتعيّن فعل

﴿مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (بالياء مكي) وأبو عمرو (ونافع وعاصم، وبالتاء غيرهم). فالأول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإباء، والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أراد ذوي العناد منهم ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ﴾ لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كُتبهم من نعتك أنك على الحق. (وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط). ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ (حسم) لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا كنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم (ووحدت القبلة)، وإن كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم في

الإمام.اهـ. وبه ظهر أن المناسب حذف هذه المسألة بالكلّية؛ إذ لا مدخل لها هنا إلّا على قول بعض الشافعية القائلين بأنه لا تصحّ صلاة مَنْ جهل حال إمامه قياسًا على ما لو جهل عينه، فافهم. انتهت بحروفها.

قوله: (بالياء) على الغيبة (مكيّ) أي ابن كثير المكي، (ونافع) المدني (وعاصم وبالتاء) الفوقية على الخطاب (غيرهم).

قوله: (وجواب القسم المحذوف سدّ مسدّ جواب الشرط) لمّا اجتمع القسم والشرط مع تقدّم القسم جعل الكلام الذي بعدهما جواب القسم لتقدّمه، وأضمر جزاء الشرط لدلالة جواب القسم عليه وقيامه مقامه. **قوله:** (حسم) أي قطع. **قوله:** (ووحدت القبلة)... الخ. جواب عمّا يقال: كيف قيل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ بتوحيد القبلة مع أن لكل طائفة قبلة على حِدَة، ومحصول الجواب أنّ التعدد الذاتي لا ينافي الوحدة الفرضية، فَرُوعِيَت هنا جهة الوحدة الفرضية، فوحّد لفظ القبلة لذلك، ورُوعيت جهة التعدد الذاتي في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾، والأهواء جمع هوى وهو الإرادة والمحبّة، أي ولئن وافقتهم في

البطلان. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك، فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هي الكعبة وأن دين الله هو الإسلام ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لمن المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى. وقيل: الخطاب في الظاهر للنبيّ عليه السلام والمراد أمته، ولزم الوقف على «الظالمين» إذ لو وصل لصار.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ صفة للظالمين. وهو مبتدأ والخبر (﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمدًا عليه السلام) أو القرآن أو تحويل القبلة. والأول أظهر لقوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ

مراداتهم بأن صلَّيْت إلى قبلتهم مداراة لهم وحرصًا على إيمانهم من بعد ما عَلِمْتَ من القاطع أنّ قبلة الله هي الكعبة ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لمن المرتكبين الظلم الفاحش مثلهم.

قوله: (﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمدًا عليه السلام) بأوصافه من كونه نبيًا حقًّا، وكونه هو الموعود ببعثته في كتبهم، وكونه صادقًا في جميع ما ادّعى أنه جاء به من عند الله، فإنهم كانوا يعرفونه ﷺ بهذه الأوصاف بأن شاهدوا ما خلق الله في يده من المعجزات معرفة لا يشوبها شيء من الاشتباه والالتباس، كما يعرفون أبناءهم بذواتها وأشخاصها مُميزين عن سائر الغلمان إذ رأوهم فيما بينهم، فالمعرفة المشبّهة قطعيّة نظرية والمشبّه بها قطعيّة ضرورية مستندة إلى المشاهدة والإحساس والمعرفة الضرورية أقوى من المعرفة النظرية البرهانية، وإنْ كانت كل واحدة منهما قطعية، فلذلك جُعِلت الأُولى مشبّهًا بها للثانية، وإن أُريد بكل واحدة من المعرفتين المعرفة بحسب الوصف؛ كما قال الإمام النسفي من أن المعنى حينئذ يعرفونه بالرسالة والنبوّة، كما يعرفون أبناءهم بالنسب والبنوّة، ويدلّ عليه أيضًا قول عبد الله بن سلام لعمر رضي الله تعالى عنهما: يا عمر، لقد عرفته حين رأيته كما

﴿أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ قال عبد الله بن سلام: أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبيّ فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبّل عمر رأسه. ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي الذين لم يسلموا ﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ حسدًا وعنادًا ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أن الله تعالى بينه في كتابهم.

عرفت ابني، ومعرفتي بمحمّد ﷺ أشدّ من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال: لأني لست أشكّ في محمّد ﷺ أنه هو النبيّ الموعود من حيث إن نعوته مبيّنة في كتابنا. وأمّا ولدي، فلا أدري ما صنعت والدته، فلعلّها خانت؛ فقبّل عمر رأسه فقال: رفعك الله يا ابن سلام، فقد صدقت، فإنه يدلّ على أن المراد بمعرفة الأبناء معرفتهم بالنّسب والبنوّة، فيردّ حينئذ أن يقال: قاعدة التشبيه أن يكون وجه الشَّبه في المشبَّه به أقوى بالنسبة إلى المشبَّه، فتستلزم الآية أن يكون معرفتهم بأبنائهم أقوى لوقوعها مشبّهًا بها، وليس كذلك لأنها معرفة ظنّيّة مستندة إلى ظاهر الفراش، ومعرفة أمر النبوّة قطعية مستندة إلى برهان قاطع، إلّا أن يقال: معرفة الأبناء أقوى بالنسبة إليهم؛ لأنّهم يقطعون بنسب أبناءهم قطعًا وجدانيًا ولا يلتفتون إلى احتمال الخيانة بخلاف معرفة أمر النبوّة، فإنها معرفة نظريّة موقوفة على النظر في الدلائل والتفكّر فيها حقّ التفكّر، فلعلّهم يقصرون في النظر والتأمّل، فيتطرّق إليهم شيء من الشبهة في أمر النبوّة، مثل أن تشتبه عليهم المعجزة بالسِّحر ونحو ذلك مما يُنبِيء على القصور في الفكر، هذا على تقدير أن يكون مستند معرفتهم النظر إلى المعجزات، وإن استفادوها مما وجدوه في كتبهم من اسمه وحلاه ونعوته؛ كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، وحكي قول عيسى عليه الصّلاة والسّلام لأُمّته: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: الآية ٦]، فظاهر أن ذلك لا يوجب المعرفة القطعية بحقّية أمر النبوّة؛ لأن الظاهر أن الموجود في كتبهم ليس جميع أوصافه المتّصلة المُوجبة للتعيين كزمان بعثته ﷺ ومكانه ونسبه وقبيلته واسمه واسم أبيه وأُمّه وأوصافه الخلقية، مثل أن يقال: إني سأبعث نبيًّا من العرب في وقت كذا في بلدة كذا من قبيلة كذا في يوم كذا له من الأوصاف والحلى كذا وكذا وإلّا لم يكن لأحد من اليهود والنصارى إنكار نبوّته عليه الصّلاة والسّلام؛ لأن التوراة والإنجيل كانا مشهورين بين أهل الأوقات، فإذا

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ خبره ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ (واللام للجنس) أي الحق من الله لا من غيره. يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه، وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل، أو للعهد (والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله ﷺ،

عيناه عليه الصلاة والسلام بجميع أوصافه المعيّنة، وبيّنا أنه ﷺ سيبعث نبيًّا داعيًا إلى الله تعالى كيف يمكن لأحد إنكار نبوّته، وإنْ كان الموجود في كتبهم بعض أوصافه ﷺ، فذلك لا يُوجب القطع بأمر نبوّته، فتكون معرفتهم ببنوّة أبنائهم أقوى عندهم من معرفتهم بأمر النبوّة، فصح جعل الأُولى مشبّهًا بها للثانية. اهـ. شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (واللام للجنس[1])، فيكون اللام للإشارة إلى حقيقة الحقّ وماهيّته مع قطع النظر عن تحقّقها في ضمن الفرد، وكون المحكوم عليه نفس الجنس مع انتفاء قرينة البعضية من إرادة الحصر، كما في نحو الكرم التقى والحسب المال، أي لا كرم إلّا التقى، ولا حسب إلّا المال؛ فكذا هنا. **قوله:** (والإشارة إلى الحقّ الذي عليه رسول الله ﷺ)، وهو معهود سبق ذكره كناية في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، فإنّ معرفته ﷺ وإنْ كانت متناولة لمعرفته بذاته وبأوصافه، إلّا أن المراد كما مرّ معرفته التي هي حقّية أمر نبوّته وحقّية ما هو عليه، وما جاء به فيكون ما هو عليه مذكورًا كناية في ذلك القول، فصحّ أن يُشار إليه بلام العهد المذكورة في قوله الحقّ، فإنّ الحقّية المعهودة بين المتكلم والمخاطب قد تكون معهوديتها لتقدّم ذكرها صريحًا، وقد تكون لتقدّم ذكرها كناية؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٦]، فالأنثى إشارة إلى ما سبق ذكرها صريحًا في قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٦]، والذكر إشارة إلى ما سبق ذكره كناية في قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٥]، فإن لفظ ما كناية عن الذَّكر؛ لأن التحرير إنما يكون للذكر، وقد تكون

---

(١) هو يفيد الحصر حينئذ كما في قوله الحمد لله والكرم في العرب والنسب إلى الآباء لوقوع المحكوم عليه نفس الجنس من غير قرينة البعضية، ١٢ منه عمّ فيوضهم.

أو خبر مبتدأ محذوف) أي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر **(أو حال)**. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين في أنه من ربك.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من أهل الأديان المختلفة. ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة. **(وقرىء بها)**. والضمير في ﴿هُوَ﴾ «لكل». وفي ﴿مُوَلِّيهَا﴾ للوجهة. أي هو موليها وجهة **(فحذف أحد المفعولين)** أو هو لله تعالى. أي الله موليها إياه. **(«هو مولاها»: شاميّ)** أي هو

معهوديّتها لمجرد معرفة المخاطب بها بالقرائن من غير أن يتقدم ذكرها لا صريحًا ولا كناية كما في نحو: خرج الأمير إذا لم يكن أي يوجد في البلد إلا أمير واحد، وما عليه الرسول ﷺ معهود بهذا الوجه، فإن أذهان المؤمنين مملوءة بالاعتقاد بمضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: الآية ٧٩]، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣]. **قوله: (أو خبر مبتدأ محذوف)**، وعلى هذا التقدير يتعيّن أن تكون اللام فيه للجنس، ولا وجه لأن تكون للعهد؛ إذ لا معنى لأن يقال: الحقّ المعهود هو الحقّ. اهـ. شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (أو حال)** مؤكّدة مقرّرة لمضمون الجملة الاسمية؛ لأن مضمونها لازم لمضمون ما قبلها، كما في قولك: هو الحقّ بيّنًا.

قوله: (وقرىء بها[1]) عبارة الكشاف، وفي قراءة أُبيّ: ولكل قبلة. اهـ. **قوله: (فحذف أحد المفعولين)** فإنّ ولّى يتعدّى إلى مفعولين تارة بنفسه وأخرى يتعدّى إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بكلمة إلى، يقال: ولّيته وجهي، وولّيت إليه وجهي، أي حوّلت إليه وجهي، وأقبلت إليه، ويقال: ولّيت عنه إذا أدبرت عنه؛ وذلك لأن ولّى مشدّد العين تضعيف وليه بمعنى قربه ودنا منه، وبالتضعيف يتعدّى إلى اثنين. **قوله: (هو مولاها)** بفتح اللام وألف بعدها اسم مفعول. **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بكسر اللام وياء بعدها على أنه اسم فاعل. وعلى قراءة ابن عامر يكون ضمير هو راجعًا إلى كل، ولا يجوز رجوعه إليه تعالى؛ لأنه تعالى هو المولي ـ بالكسر ـ ويستحيل كونه مولى ـ بالفتح ـ والضمير البارز في موليها

---

(١) شاذًا، ١٢ منه.

مولى تلك الجهة **(قد وليها)**. والمعنى ولكل أُمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم. ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ أنتم ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ فاستبقوا إليها غيركم **(من أمر القبلة وغيره)**. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ أنتم وأعداؤكم ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل، أو ولكل منكم يا أُمة محمد وجهة يصلّي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية، فاستقبلوا الفاضلات من الجهات **(وهي الجهة المسامتة)** للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعًا ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلّون حاضري المسجد الحرام. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ومن أي بلد خرجت للسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إذا صلّيت. ﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن هذا المأمور به ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ **(وبالياء: أبو عمرو)**.

ضمير الوجهة، وهو مفعول ثان له ومفعوله الأوّل أُقيم مقام الفاعل، وهو الضمير المرفوع المستتر في موليها الراجع إلى كلّ. **قوله:** (قد وُليها) على صيغة المجهول تفسير لقوله: هو مولى تلك الجهة، ولذلك لم يعطف عليه بالواو، وترك ذكر الفاعل، أعني المولى بالكسر؛ لأنه معلوم. والكلام إنما هو في بيان أحوال الكل لا في بيان موليهم مَنْ هو.

قوله: (من أمر القبلة وغيره)، يعني أن لفظ الخيرات عام يتناول كل عمل صالح بُيّن في الشرع حسنه وفضله. **قوله:** (وهي الجهة المُسامتة) على صيغة اسم الفاعل للكعبة، فإنّ القبلة في حقّ مَنْ كان في غرب الكعبة مثلًا هي جهة المشرق، ولا شكّ أن في جهة المشرق جهات مختلفة، وأنّ بعضها مسامتها، فينبغي أن يتحرّى الجهة المُوازية لعين الكعبة، وسمتها حسب ما يمكن.

قوله: (وبالياء) على الغيبة (أبو عمرو) البصري. والباقون بالتاء الفوقية على الخطاب.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ **(وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة)** وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي قد عرّفكم الله جلّ ذكره أمر الاحتجاج في القبلة بما قد بيّن في قوله: «ولكل وجهة هو موليها»، لئلّا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القبلة. **(وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين)** لأنهم يسوقونه سياق الحجة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ استثناء من

قوله: (وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة)... الخ. يعني تكرير الأمر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام حيث ذكر ثلاث مرات للتأكيد الذي يقتضيه المقام، ولإفادة ما رتّب على كل مرّة؛ فعلى الأول تكريم النبيّ ﷺ بإجابته دعائه وإعطاء متمنّاه وما كان يرضاه ويراه، ثم أمر الكلّ باتّباعه وإظهار عناد أعدائه وخيبة رجائهم فيما كانوا يتمنّون من اتّباع أهوائهم. وعلى الثانية عدم تفاوت الحال بحسب السفر والحضر والتصريح لحقّية المأمور به والوعيد على من تركه. وفي تفسيره الضمير بهذا المأمور به تنبيه على جهة تذكيره مع عوده إلى التولية التي يدلّ عليها: ﴿فَوَلِّ﴾، وعلى الثانية تشريف أُمته بإفراد الخطاب وتعليل الحكم بما رتّب عليه من الحكم والمصالح. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وأُطلِقَ اسم الحجّة على قول المعاندين)... الخ. جواب عمّا يقال: الاستثناء من النفي إثبات، فيكون المعنى: لئلّا يكون لعامّة الناس حجّة عليكم ويكون حجّة للظالمين والظالم المعاند لا شبهة له، فضلًا عن الحجّة والبرهان، فكيف جاز أن يسمّي قوله حجّة وأن يستثني منه؟ وتقرير الجواب أنّ ما قاله المعاندون وإنْ كان شبهة زائغة وسفسطة باطلة إلّا أنه شبهة بالحجّة من حيث إنهم يسوقونه مساقها ويوردونه موقعها فسمّى حجّة مجازًا، ويرد عليه أن الحجّة المُستثنى منها إن تناولت شبهة المعاندين لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز،

«الناس» أي لئلّا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلًا إلى دين قومه وحبًا لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء عليهم السلام. أو معناه لئلّا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، (ويوشك) أن يرجع إلى دينهم.

(ثم استأنف) منبهًا بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ أي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى الكعبة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولكي تهتدوا إلى قبلة إبراهيم.

وإن لم تتناول إيّاها لا يصح استثناؤها منها إلّا أن يقال: الاستثناء منقطع، كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النّساء: الآية ١٥٧]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقِعَة: الآيتان ٢٥، ٢٦]. ومعنى الآية على هذا القول: لكن الذين ظلموا منهم يتعلّقون بالشبهة الظاهرة البطلان في موضع الاحتجاج بالحجّة والبرهان، فيتمّ الكلام عند قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ويكون قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾، ابتداء لكلام مقطوع عمّا سبق، ويؤيّده تفريع قوله: فلا تخشوهم واخشوني عليه، فإنّ إفراد المستثنى وتخصيصه بما يتفرّع عليه علامة كون الاستثناء منقطعًا.

قوله: (يوشك)، في المصباح: يوشك أن يكون كذا من أفعال المقاربة، والمعنى الدنوّ من الشيء. قال الفارابي: الإيشاك الإسراع، وفي التهذيب قال قتادة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنّ لنا يومًا أوشك أن نستريح فيه ونعم، لكن قال النحاة: استعمال المضارع أكثر من الماضي واستعمال اسم الفاعل منها أقل، وقال بعضهم: وقد استعملوا ماضيًا ثلاثيًا، فقالوا: وَشُكَ مثل قرب وَشْكًا. اهـ. **قوله: (ثم استأنف)**، يعني يكون الذين ظلموا مبتدأ خبره: فلا تخشوهم.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾

(**الكاف في** ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ **إما أن يتعلّق بما قبله**) أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، فعلى هذا يوقف على «تهتدون» وعلى الأول لا. ﴿رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ من العرب ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ يقرأ عليكم ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿(وَيُزَكِّيكُمۡ) وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ السنّة والفقه ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ (**ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي**).

قوله: (الكاف في ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ **إمَا أن يتعلق بما قبله)**... الخ. يعني: أن ما في قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ مصدرية، وأن الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف، إلّا أنّ ذلك المصدر يجوز أن يكون مدلولًا عليه بما قبله، والتقدير: ولأتمّها إتمامًا مثل إتمامي بإرسال رسول منكم، ويجوز أن يكون مدلولًا عليه بما بعده، والتقدير: فاذكروني ذكرًا مثل ذكركم بالإرسال، ويجوز أن يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها، وأن يتخلّل بين العاملين معمول؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾ [المدّثر: الآية ٣]. **قوله:** (﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾) ليس تكرارًا؛ لأن المراد بتعليمه تعليم ما فيه من المعاني والأسرار والشرائع والأحكام التي باعتبارها وصف القرآن بكونه هدًى ونورًا، فإنه ﷺ كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه، فيبقى على ألْسِنَةِ أهل التواتر مَصُونًا عن التحريف والتصحيف، ويكون معجزة باقية إلى يوم القيامة، وليكون تلاوته في الصلاة وخارجها نوعًا من نسك العبادة والقربة، ومع ذلك كان يعلمهم ما فيه من الحقائق والأسرار ليهتدوا بهداه ونوره. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (ما لا سبيل إلى معرفته إلّا بالوحي)** مأخوذ من تفسير الراغب حيث قيل: ما معنى ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾، وهل ذلك إلّا الكتاب والحكمة؟ قيل: عنى بذلك العلوم التي لا طريق إلى تحصيلها إلّا من جهة الوحي على ألسنة الأنبياء، ولا سبيل إلى إدراك جزئيّاتها ولا كلّياتها إلّا به، وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل مجال في معرفة شيء منه، وأعاد ذكر يعلمكم في قوله: ﴿مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ تنبيهًا على أنه عِلْمٌ مفرد عن العلم المتقدم

....

ذكره، إلى هنا كلام الراغب. فكأنّه جعله من عطف الخاص على العام تنبيهًا على علوّ شأنه وعظم قدره؛ كعطف جبريل على الملائكة. وفي التفسير المظهري: تكرار الفعل يدلّ على أن هذا التعليم من جنسٍ آخر، ولعلّ المراد به العلم اللَّدنيّ المأخوذ من بطون القرآن، ومن مشكاة صدر النبيّ ﷺ الذي لا سبيل إلى دَرْكه إلّا الانعكاس. وأمّا دَرْك دَرْكه، فبعيدٌ عن القياس. قال رئيس الصدِّيقين: العجز عن دَرْك الإدراك إدراك.

عن حنظلة بن الربيع الأُسيدي قال: لقيني أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنّة كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضَّيعات ونسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**ما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنّة كأنا رأيُ العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضّيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تداومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرّات، رواه مسلم. وعن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، فأمّا أحدهما فبثثته فيكم، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم، يعني مجرى الطعام، رواه البخاري. قيل: المراد من الوعاء الذي لم يبثّه الأحاديث التي بيّن فيها أسماء أُمراء الجور؛ كقوله: أعوذ بالله من رأس الستّين وإمارة الصبيان، مشيرًا إلى إمارة يزيد بن معاوية. قلت: إطلاق الوعاء على علم بجزئيات معدودة غير مُستحسن ولا يتصوّر جعله قسيمًا، ونظيرًا لعلوم الشريعة، بل المراد به العلم اللّدني، فإن قيل: فما معنى قوله: فلو بثثته فيكم لقُطِع هذا البلعوم؟ قلت: معناه أنه لو بثثته باللّسان لقُطِع هذا البلعوم؛ لأن تلك العلوم والمعارف لا يمكن تعليمها ولا تعلّمها بلسان المقال، بل إنما تدرك بالانعكاس ولسان الحال كيف والتعلّم يتوقّف على أُمورٍ منها كون المعلوم مما يُدرك بالعلم الحصولي، ومنها كون اللّفظ موضوعًا إزائه، ومنها كون الوضع

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

(﴿فَاذْكُرُونِي﴾) بالمعذرة (﴿أَذْكُرْكُمْ﴾) بالمغفرة أو بالثناء والعطاء، أو بالسؤال

معلومًا للسامع، وليس شيء منها متحققًا في المعارف اللّدنية، فإنّ إدراكها تكون بالعلم الحضوري الذي لا يمكن ذهولها، بل سبيل ذلك وراء العلم الحصولي والحضوري، وأنّى هناك وضع الألفاظ، وهيهات هيهات للسامعين العلم بوضعها، ومن أراد أن ينطق بتلك المعارف فلا بدّ له من إيراد مجازات واستعارات لا يهتدي إلى مرامها العوام، فيتخبّط به عقولهم ويفهمون غير مراد المتكلّم، فيفسقونه ويكفرونه، كما ترى للعوام ينكرون على أولياء الله تعالى من غير سبيل إلى دَرْك مرادهم، وذلك يفضي إلى قطع البلعوم، فإن قيل: إذا كان ذلك للعلم بحيث لا يمكن أخذه ولا إعطائه بالبيان، ويفضي إلى تلك المفسدة وقطع البلعوم النطق باللّسان، فأيّ ضرورة في التكلّم بها؟ وما بال القوم يصنّفون فيها مجلّدات كالفصوص والفتوحات؟ وأيّ فائدة في تلك التصنيفات؟ قلت: ليس الغرض من تلك التصنيفات إعطاء تلك العلوم، ولا يحصل بمطالعة تلك الكتب شيء من القرب والولاية، بل الغرض منها تنبيه العارفين المحصّلين تلك العلوم بالجذب والسلوك على بعض تفاصيلها وتطبيق أحوال المريدين ومواجيدهم على أحوال الأكابر ومواجيدهم، كي يظهر صحة أحوالهم وتطمئنّ به قلوبهم، وكثيراً ما يتكلّمون بتلك المعارف في غلبة الحال، فالطريق السويّ للعوام عند مطالعة كتبهم وسماع كلامهم عدم الإنكار وحمله على ظاهر الشريعة مهما أمكن بالتأويلات، فإنّ كلامهم رموز وإشارات أو تفويض علمه إلى علّام الغيوب، كما هو شأن المتشابهات، فإنّ في كلامهم مجازات واستعارات مصروفة عن الظاهر، وليس شيء منها مخالفًا للشرع، بل هي لبّ الكتاب والسنّة، رَزَقنا الله سبحانه بفضله ومنّه، ولمّا كان طريق تحصيل تلك المعارف منحصرًا في الإلقاء والانعكاس، وكان كثرة الذّكر والمراقبة إمّا في ملإ من الذاكرين أو في خلاٍ من الناس يفيد القلب والنّفس صلاحية تلك الانعكاس من مشكاة صدر النبيّ ﷺ بلا واسطة أو بوسائط، عقب الله سبحانه بقوله: (﴿فَاذْكُرُونِيَ﴾) قرأ ابن كثير بفتح الياء والباقون بالإسكان (﴿أَذْكُرْكُمْ﴾). عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «**أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في**

والنوال، أو بالتوبة وعفو الحوبة، أو بالإخلاص والخلاص، أو بالمناجاة والنجاة.

ملإ ذكرته في ملإ خيرٌ منهم، وإنْ تقرَّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا، وإن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» متفقق عليه. وروى البغوي عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه، وفيه قال: سمعت هذا الحديث من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عدد أناملي هذه العشرة. وعن عبد الله بن شقيق عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «**ما من آدمي إلّا لقلبه بيتان في أحدهما ملك، وفي الآخر الشيطان، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه فوسوس له**»، رواه ابن أبي شيبة. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**سبق المُفَرِّدُون**»، قالوا: وما المُفَرِّدُون يا رسول الله؟ قال: «**الذّاكرون الله كثيرًا والذّاكرات**»، رواه مسلم.

فاعلم أيّها الأخ السعيد أنّ الذِّكر عبارة عن طرد الغفلة، والغفلة هي المُوجبة للقساوة، فكلّ أمر مشروع من قولٍ أو فعل أو تفكّر أُريد به وجه الله تعالى بالإخلاص والحضور فهو ذِكْر، وما كان بلا إخلاص، فهو شِرْك، وما كان بغفلةٍ فغير معتدّ به ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: الآيتان ١، ٢]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: الآيتان ٤، ٥]، وأفضل الذِّكر لا إله إلّا الله، وأفضل الدّعاء الحمد لله، رواه النسائي والترمذي وابن ماجة وابن حبان ومالك بسندٍ صحيح عن جابر عنهﷺ. وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر**» رواه مسلم. وفي رواية: «**هي أفضل الكلام بعد القرآن، وهي من القرآن**» رواه أحمد. وفي الحديث القدسي: «**مَنْ شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه**» رواه الترمذي والدارمي من حديث أبي سعيد. ومن أجل ذلك الأخبار اختار الصوفية العلية التهليل بالقلب وباللّسان جهرًا أو إخفاتًا. وأمّا المجد رضي الله تعالى عنه، فالمختار عنده تلاوة القرآن لما ذكرنا من فضله، ولأن القرآن صفة حقيقة قائمة بالله تعالى بلا واسطة، طرفه بيد الله وطرفه بأيدينا، فمَنِ استهلك فيه فلا مزيد عليه. والصلاة، فإنها معراج المؤمن إلّا المطهرون، يعني من رذائل النفس، والله أعلم.

(﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾) ما أنعمت به عليكم (﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾) ولا تجحدوا نعمائي.

(﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾) على ما أنعمت عليكم من إرسال الرسول والهداية والجذب وتوفيق السلوك وغير ذلك، ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ بجحد النّعم وتكذيب الرسل أو عصيان الأمر أو إضاعة الوقت والإعراض عن الذِّكر. اهـ.

وعبارة البيضاوي: (﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾) بالطاعة (﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾) بالثواب، (﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾) ما أنعمت به عليكم (﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾) بجحد النّعم وعصيان الأمر. اهـ. قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: فاذكروني بالطاعة على ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ من قوله: «**مَنْ أطاع الله فقد ذكره، وإن قلّت صلاته وصيامه وقراءته القرآن. ومَنْ عصى، فقد نَسِيَ الله وإن كَثُرت صلاته وصيامه وقراءته القرآن**»، وعلى ما رُوِيَ عن سعيد بن جبير من أنّ الذِّكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومَنْ لم يُطِعْه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح تلاوة الكتاب. كان الله تعالى يقول: «**اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي**»، قيل: الذِّكر إدراك مسبوق بالنسيان؛ كما قال الشاعر:

الله أعلم أنّي لست أذكره وكيف أذكره إذ لست أنساه

فورد عليه أن يقال: فعلى هذا لا يصح إسناد الذِّكر إلى الله تعالى؛ لكونه منزّهًا عن النسيان، فما معنى قوله تعالى: أذكركم، فاحتيج إلى أن يُجيب بأن المراد بذكر الله تعالى لعباده ما يفعل بهم من اللّطف والإحسان إفاضة الخيرات وفتح أبواب السعادات، وأطلق عليه الذِّكر بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه في صحبة ذكر العبد، فإن قيل: إنَّ الذِّكر هو إدراك الشيء مطلقًا، أي سواء كان على نسيان أو لا؛ فلا سؤال ولا جواب، كما قيل: الذِّكر ذكران عن نسيان وذكرٌ لا عن نسيان. قال بعض العلماء: خصّ الله تعالى هذه الأُمّة بفضل قوّة وكمال بصيرة بالنسبة إلى بني إسرائيل؛ إذ قال لهم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٠] أي نعمة المنّة المغفول عنها لتنظروا فيها إلى المُنْعِم، وقال لهذه الأُمّة: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ فأمرهم أن يذكروه بلا واسطة لقوّة بصيرتهم. قال الإمام: الذِّكر قد يكون باللّسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح، فذكرهم إيّاه باللسان أن يحمدوه ويسبّحوه ويمجّدوه ويقرؤوا كتابه، وذِكرهم إيّاه بقلوبهم على ثلاثة أنواع: أحدها: أن يتفكّروا في الدلائل الدالّة على ذاته وصفاته ويتفكّروا في الجواب عن الشُّبه

....

العارضة في تلك الدلائل، وثانيها: أن يتفكّروا في الدلائل على كيفية تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من الوعد، وفي الترك من الوعيد سَهُل عليهم الفعل. وثالثها: أن يتفكّروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرّة من ذرّات المخلوقات كالمرآة المجلوّة المحاذية لعالم القدس، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال وهذا المقام مقام لا نهاية له. وأمّا ذكرهم إيّاه تعالى بجوارحهم، فهي أن تكون جوارحهم مستغرقة في الأعمال التي أُمروا بها وخالية عن الأعمال التي نُهُوا عنها، وعلى هذا الوجه سمّى الله تعالى الصلاة ذكرًا، بقوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩]، فصار الأمر بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾ متضمّنًا لجميع الطاعات، فلهذا ذُكِر عن سعيد بن جبير أنه قال: اذكروني بطاعتي، فأجمله حتى يدخل فيه جميع أنواع الفكر وأقسامه، انتهى كلامه. فالذِّكر بهذا المعنى هو الشكر، لا سيّما وقد ذكر الذِّكر بعد الفاء السببية المفيدة لكون مدخولها جزاء لما تقدم، وكون مضمون الكلام السابق شرطًا له، فكأنه قيل: إذا أنعمت عليكم بهذه النِّعم الجليلة فاذكروني بالطاعة، والطاعة الواقعة بإزاء النّعمة المسبّبة عنها هي الشكر بلا شبهة، وفي المعالم قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ يعني اشكروا لي نعمتي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية، فإنّ مَنْ أطاع الله فقد شكره، ومَنْ عصى الله فقد كفره.

.

** وفي التيسير: الشكر إظهار النّعمة بالاعتراف بها أو بعمل هو كالاعتراف في القيام بحقّها والكفر أن يستر نعمة المُنْعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود، وفيه مخالفة للمنعم، فلمّا كان الأمر بالذِّكر أمرًا بالشكر، كان قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ أمرًا بتخصيص شكرهم به تعالى لأجل إفضاله وإنعامه عليهم، وأن لا يشكروا غيره، وإليه أشار الإمام أبو منصور بقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ﴾، أي وجّهوا شكر نعمتي لي ولا تشكروا غيري. وصاحب التيسير جعل قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ﴾ أمرًا بالقول، وقوله: واشكروا لي أمرًا بالعمل، وأيّده بقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سَبَأ: الآية ١٣]. قال الراغب: إن قيل: ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيدًا؟ قيل: شكرت له هو أن تؤمّ إحسانه الصادر عنه فتثني عليه بذلك، وشكرته

....

إذا لم تلتفت إلى فعله، بل تجاوزت إلى ذكر ذاته دون اعتبار أفعاله، فهو أبلغ مِنْ شكرت له، وإنّما قال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ ولم يقل: اشكروني عِلْمًا بقصورهم عن إدراكه، بل عن إدراك آلائه؛ كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤]، فأمرهم أن يعتبروا بعض أفعاله في الشكر لله، ثم قال: فإن قيل: لِمَ قال بعده: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، ولم يقتصر على أحد اللفظين؟ قيل: لمّا كان الإنسان قد يكون شاكرًا في شيءٍ مّا وكافرًا في غيره صحّ أن يُوصف بهما على حسب النظر إلى فعليه، فلو اقتصر على قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ لكان يجوز أن ذلك فهي عن تعاطي فعل قبيح دون حثّ على الفعل الجميل، فجمع بينهما لإزالة هذا الوهم، ولأن في قوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢] تنبيهًا على أن ترك الشكر كفر. فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]، ولم يقل: ولا تكفروا لي؟ ليطابق قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]. قيل: خصّ الكفر به تعالى للتنبيه على أنه أعظم قباحة بالنسبة إلى كفر نعمه، فإن كفران النّعم قد يعفى عنه بخلاف الكفر به تعالى، انتهى كلامه.

فإن قيل: قد تمّ الكلام بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ سواء كان قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥١] متّصلًا بما قبله أو بما بعده؛ لأن محصل المعنى على التقدير الثاني كما أنعمت عليكم بهذه الأنواع من النّعم، فقابلوا تلك النّعم بالذِّكر والشكر، كما إذا قلتَ: كما أحسنت إليك أحسن إليّ، أي قابلني بالإحسان مُجازاة ومكافأة لإحساني إليك. وعلى التقدير الأول حوّلت القبلة إلى الكعبة لئلّا يكون للناس عليكم حجّة، ويظهر سلطانكم على المخالفين ولأُتمّ نعمتي عليكم في أمر القبلة؛ إذ حوّلتكم إلى قبلة بناها أبوكم إبراهيم وإسمٰعيل عليهما الصلاة والسلام أو لأتمّ نعمتي عليكم في الآخرة بإثابتكم الجزاء الأوفى إنعامًا مثل إنعامي عليكم بإرسال رسول شأنه كذا وكذا، وإذا كان كذلك فاذكروني بالطاعة واشكروا لي بهذه النِّعم الجليلة، وإذا تمّ الكلام بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]، فما وجه قوله: أذكركم بالجزم وجوابًا للأمر على أسلوب قولك: زدني أزدك، فإنّ ذلك إنما يتعارف إذا وقع الأمر ابتداء كلام، وكان الفعل المطلوب إحسانًا مبتدأ يستحقّ فاعله به المجازاة والمكافأة، وليس الأمر هٰهنا كذلك؛ لأن الشكر المطلوب منهم أمرٌ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾ فيه تنال كل فضيلة ﴿وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ فإنها تنهى عن كل رذيلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة.

وجب عليهم شكرًا للنِّعم السابقة والعبد كيف يستحقّ الأجر والجزاء بأداء ما وجب عليه؟

والجواب: إنّ الله تعالى وإنْ أوجب عليهم الطاعة شكرًا لنعمه السابقة، إلّا أنه من عادة فضله وإحسانه جعلها بمنزلة ابتداء إحسان فوعد عليها الثواب، بقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾، وجعله جزاء مقابلًا لها كأنها ابتداء خدمة من جهتهم فضلًا منه وكرمًا، فإنّ مَنِ اتّصف بالكرم من العبيد إذا أنعم على أحد نعمةً، فإنه يربّي تلك النعمة بالإنعام عليه ثانيًا وثالثًا كأنه جزاء ما أعطاه أوّلًا، والله تعالى هو الموصوف بالكرم على الحقيقة، فلا يبعد ذلك، بل هو المستحق لذلك.

ثم الله تعالى لمّا أوجب عليهم الطاعة والعبادة شكرًا لما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة، والعبادة مما يشقّ تحمّلها على النفس حثّهم على الاستعانة بالصبر والصلاة تنبيهًا على أنّه بهما يتوصّل إلى الشكر المطلوب، ويتحمّل مشاق العِبادات، فإنّ الصبر الذي هو تحمّل المشاقّ من غير جزع واضطراب ذريعة إلى فعل كل خير ومبدأ كل فضل، فإنّ أوّل التوبة الصبر عن المعاصي وأول الزهد الصبر عن المُباحات وأوّل الإرادات الصبر عن طلب ما سوى الله، ولهذا قال ﷺ: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**»، وقال: «**الصبر خيرٌ كلّه**»، فمن تحلّى بحلية **الصبر** سَهُل عليه ملابسة الطاعة والاجتناب عن المُنكرات. وكذا الصلاة، فإنّها تجب أن تُفعل على طريق التذلّل والخضوع للمعبود، فإنّ جميع أركانها وواجباتها إنّما يُقصد به ذلك، ومَنْ سلك هذه الطريقة في الصلاة، فقد ذلّل نفسه لاحتمال المشقّة فيما عداها من العبادات، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]، ورُوِيَ أنه ﷺ كان إذا حزّ به أمر فزع إلى الصلاة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾. فإن قيل: لِمَ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ولم يقل مع المصلّين؟ وقال في آية أخرى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ **(نزلت في شهداء بدرٍ وكانوا أربعة عشر رجلًا)**. ﴿أَمْوَاتٌ﴾ **(أي هم أمواتٌ** (﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾) أي هم أحياء.

وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٥]؛ فاعتبر الصلاة دون الصبر. قيل: لِمَا كان فِعْل الصلاة أشرف وأعلى من الصّبر؛ إذ قد ينفكّ الصبر عن الصلاة، ولا تنفكّ الصلاة عن الصبر؟ ذكر هٰهنا الصابرين، فعُلِم أنه تعالى إذا كان مع الصّابرين، فهو لا محالة يكون مع المصلّين بطريق الأَوْلى، وقال هناك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٥]، فذكر الصلاة دون الصبر تنبيهًا على أنّها أشرف منزلة من الصبر. اهـ.

قوله: (نزلت في شهداء بدر)... الخ. كذا أخرجه ابن مندة. **قوله: (وكانوا أربعة عشر رجلًا)**: ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وأسمائهم مسطورة في السِّيَر، وفيه لطيفة لا تخفى وهي إيهام أن بدرًا إنّما كان بدرًا بهؤلاء الشهداء؛ لأن القمر إنما يكون بدرًا بأن يمضي عليه أربع عشرة ليلة. **قوله: (أي هم أموات)** إشارة إلى أنه خبر مبتدأ محذوف، وكذا أحياء إلّا أن جملته لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جملة مستأنفة، وبل إضرابية، وقيل: تقديره: بل قولوا هم أحياء ليكون في محل نصب أيضًا. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله:** (﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾)... الخ. حياة الشهداء ثابتةٌ في الآيات والأحاديث، وقد اختلفوا فيها، فذهب كثير من السّلف إلى أنها حياة حقيقية بالروح والجسد، ولكنّا لا نُدْركها ولا نعلم حقيقتها؛ لأنها من أحوال البرزخ التي لا يطّلع عليها، وفي الحديث الصحيح: «**إنّ أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش، وإنهم يُعرض عليهم رزقهم غدوة وعشيّة**». وذهب غيرهم وعليه الزمخشري والبيضاوي إلى أنها ليست بالجسد، بل روحانية، وجميع الأموات وإنْ كانوا كذلك لكن تخصيصهم لمزيد كرامتهم وقُرب درجتهم، فكأنّ حياة غيرهم ليست معتدًّا بها. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي التفسير المظهري: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، يعني: أنّ الله تعالى يعطي لأرواحهم قوّة الأجساد، فيذهبون من الأرض والسماء والجنّة حيث يشاؤون وينصرون

....

أوليائهم ويدمّرون أعدائهم إن شاء الله تعالى، ومن أجل ذلك الحياة لا تأكل الأرض أجسادهم ولا أكفانهم. قال البغوي: قيل: إنّ أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، قال عليه السلام: «**إنّ الشهداء إذا استشهدوا أنزل الله جسدًا كأحسن جسد، ثمّ يقال لروحه: ادخلي فيه، فينظر إلى جسده الأوّل ما يفعل به ويتكلّم فيظنّ أنهم يسمعون كلامه، وينظر إليهم فيظنّ أنهم يرونه حتى تأتيه أزواجه من حور العين، فيذهَبْنَ به**»، رواه ابن مندة مرسلًا.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «**أرواح الشهداء عند الله في طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاء، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش**»، فذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الحياة مختصّة بالشهداء، والحقّ عندي عدم اختصاصها بهم، بل حياة الأنبياء أقوى منهم وأشدّ ظهورًا آثارها في الخارج حتى لا يجوز النكاح بأزواج النبيّ ﷺ بعد وفاته بخلاف الشهيد والصدّيقون أيضًا أعلى درجة من الشهداء والصالحون ـ يعني الأولياء ـ ملحقون بهم كما يدلّ عليه الترتيب في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النّساء: الآية ٦٩]، وكذلك قالت الصوفية العليّة: أرواحنا أجسادنا، وأجسادنا أرواحنا، وقد تواتر عن كثير من الأولياء أنهم ينصرون أوليائهم ويدمّرون أعدائهم ويهدون إلى الله تعالى مَنْ يشاء الله تعالى، وقد ذكر المجدّد رضي الله تعالى عنه أن أرباب كمالات النبوّة بالوراثة. قلت: وهم الصدّيقون والمقرّبون في لسان الشرع يعطى لهم من الله تعالى وجودًا موهوبًا، ويدلّ على أنّ أجساد الأنبياء والشهداء وبعض الصُلَحاء لا تأكلها الأرض ما أخرجه الحاكم وأبو داود عن أوْس بن أوس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**إنّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

وأخرج ابن ماجة عن أبي الدّرداء نحوه.

وأخرج مالك عن عبد الرحمٰن بن صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن جُبير الأنصاري كان قد حفر السَّيْل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السَّيْل، وكانا في قبرٍ واحد، وهما ممّن استشهد يوم أُحد، فحفرا ليُغَيَّرا من

(﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾) لا تعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لا تعلم حسًّا.

مكانهما، فوُجِدا لم يتغيّرا كأنّهما ماتا بالأمس، وكان بين أُحد وبين وقت حفر عنهما ستّ وأربعين سنة.

وأخرج البيهقي أنّ معاوية لمّا أراد أن يجري كظامة نادى: مَنْ كان له قتيل بأُحد فليشهد، فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابًا ينبتون، فأصابت المسحات رِجْل رَجُلٍ منهم، فانبعث دمًا، ولقد كانوا يحفرون التراب، فحفروا نثرة من تراب فاح عليهم ريح المسك، هكذا أخرج الواقدي عن شيوخه.

وأخرج ابن أبي شيبة نحوه.

وأخرج البيهقي عن جابر، وفيه: فأصابت المسحات قدم حمزة، فانبعث دمًا.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤذن المحتسب كالشهيد المتشخّط في دمه إذا مات لم يدود**[١] **في قبره**». وأخرج ابن مندة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض: أن لا يأكل لحمه، فيقول الأرض: أي ربّ كيف آكل لحمه وكلامك في جوفه؟**». قال ابن مندة: وفي الباب عن أبي هريرة وابن مسعود: قلت: لعلّ المراد بحامل القرآن الصديق، فإنّ مساس بركات القرآن مختصّ به حيث قال الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: الآية ٧٩]. وأخرج المروزي عن قتادة، قال بلغني أن الأرض لا تُسَلَّط على جسد الذي لم يعمل خطيئة. قلت: لعلّ المراد بالذي لم يعمل خطيئة الصالحون من عباد الله ـ أعني الأولياء ـ لمّا كانوا محفوظين من الخطايا ومغفورين حتى صَلُحت قلوبهم وأجسادهم، والله أعلم. (﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾)، فيه تنبيه على أن حياتهم ليست من جنس ما يحسّه كل أحد، وإنّما هي أمرٌ لا يُدْرَك بالعقل ولا بالحسّ، بل بالوحي أو الفراسة الصحيحة المقتبسة من الوحي. اهـ.

---

(١) في النهاية: إن المؤذّنين لا يدادون، أي لا يأكلهم الدود، يقال: داد الطعام وأداد أو دوّد فهو مدوّد ـ بالكسر ـ إذا وقع فيه الدّود، انتهى. وفي الدّر المنثور: يدوّد ـ بالكسر ـ أي لا يأكله الدود. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(عن الحسن ﷺ أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم) فيصل إليهم **(الروح)** والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوًّا وعشيًّا فيصل إليهم الوجع. وعن **(مجاهد)**: يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها.

وفي التفسيرات الأحمدية: وبالجملة فحياة الشهداء قدر ما يذوق النعيم.

(عن الحسن رضي الله عنه أنّ الشهداء أحياء عند الله تُعْرض أرزاقهم على أرواحهم). معلومة بالنصّ القطعي، ولكن ميلان القاضي البيضاوي إلى أنّ الآية تدلّ على أنّ الأرواح جواهر قائمة بأنفسها تبقى بعد الموت دراكة، وأن تخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة والمذكورة في كلام الإمام الزّاهد أن للشهداء لذّة الترزيق بدليل قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٠]، وأن أرواحهم في أجسام طيور ترعى في الجنّة إلى يوم القيامة، وأنها نزلت حين طعن الكفّار على الصَّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، بأنهم ماتوا ولم ينالوا لذّة الدنيا، فقال لهم الله: إنّهم أحياء وليسوا بميتين، وأن الآية ردٌّ على المعتزلة حيث زعموا أن الميت جماد لا حياة له، فتعذيبه مُحال، وإنما سمّاهم أحياء باعتبار المآل ـ أعني يوم القيامة ـ ونحن نقول: إن تخصيصه بالشهداء ينافي ذلك؛ لأن الحياة باعتبار المآل يعمّ الكل، ويثبت أن تعظيم الميت الذي هو ميت في حقّنا غير مستحيل؛ إذ يجوز أن يكون حيًّا في حقّ الله تعالى، هذا حاصل كلامه.

ولكن لا يخفى أنّ صاحب الكشاف مع تصلّبه في مذهب الاعتزال قد اعترف بتنعيم الشهداء وحياتهم حيث نقل الآثار المذكورة، ثم قال: وقالوا: يجوز أن يجمع الله عن أجزاء الشهداء جملة ويُحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرّة، وهذا كلامه في سورة المؤمن على ما سيجيء دليلٌ على حقّية عذاب القبر عنده، وحاصل الكلام في هذا المقام أنّ الآية إن أُجريت على ظاهرها في حقّ الشهداء خاصّة كانت دليلًا واضحًا على كونهم أحياء ذائقين لذَّة التنعيم. وأمّا غيرهم من المسلمين والكافرين، فيعلم تنعيمهم وتعذيبهم وحياتهم على قدر ذلك من نصوص أُخر، وإن اعْتُبِر العموم في الآية وجعل تخصيص الشهداء لشرفهم كان الآية دليلًا على تنعيم كل مؤمن صالح وحياته ويقاس عليه الكافر، ولا خفاء على

....

ذي عقل فضل حياة الشهداء على حياة سائر المسلمين، حتى أن الشافعي رحمة الله عليه لم يجوِّز الصلاة على الشهداء وأوجبها على غيرهم إلّا أنّ الحياة قدر التنعيم ثابت في الكل، والمذكور في بعض كتب أُصولنا في بحث إشارة النص أنّ إشارة النص يكون عامًّا يخصّ؛ كما قال الشافعي رحمه الله: لا يصلّى على شهيد؛ لأنه حيّ حكمًا ثبت ذلك بإشارة النصّ، وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٩]؛ لأنه مسوق لعلوّ درجتهم.

وأورد عليه أنّه عليه السلام صلّى على حمزة سبعين صلاة، فأجاب بأن تلك الآية خصّت في غيره، أو خُصَّ هو من عموم تلك الإشارة، فبقيت في حقِّ غيره على العموم. وهذا مما يدلّ على أنّ إشارة النص تكون عامًّا يخصّ. ثم الشهداء في الحقيقة مَنْ يكون كذلك في حقِّ أحكام الدنيا والآخرة، وهو مَنْ يكون مسلمًا طاهرًا بالغًا قُتِل بحديد ظلمًا، ولم يجب به مال أو وُجِد ميتًا جريحًا في المعركة ولم يرتث، فإنّه يجري عليه أحكام الدنيا حيث لا يُغسَّل ولا يكفّن ويُصَلّى عليه وله المرتبة العليا في الآخرة على ما نطقت به الآثار، ومنهم مَنْ لا يجري عليه أحكام الدنيا، ويكون لهم في الآخرة فضل مرتبة؛ كالغرقى والحرقى والهدمى والقتلى في الحدّ، ومَنْ مات في طريق الله مثل العلم والجهاد والحجّ، ومَنْ ماتت مِنْ نفاسها، ومَنْ مات مِن استطلاق البطن على ما ورد في الحديث. ومنهم من يجري عليه أحكام الدنيا دون الآخرة؛ كالمقتولين من غير نيّة صالحة، بل لأجرة أو لإظهار شجاعة أو جلادة أو نحو ذلك. ومنهم مَنْ لا يجري عليه أحكام الدنيا والآخرة؛ كالباغي وقاطع الطريق، فإنهم لا يغسلون ولا يكفّنون ولا يُصلّى عليهم في الدنيا، ولا ينالون درجة الشهداء في الآخرة، هذا ما تيسّر لي في تحقيق هذا المقام، والله أعلم. اهـ.

قوله: (وعن الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه **(أن الشهداء أحياء)**. . . الخ. محصول ما رُوِي عنه أنّه لا شكّ أنّ حياة الشهداء ليست بهذا الجسد بالضرورة؛ لانعدامه وتلاشيه واضمحلاله، فلا بدّ أن تكون حياتهم بوجهٍ آخر روحاني، ولهذا قال: ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ لأن شعورهم ليس إلّا بالحياة بهذا الجسد، والحياة ليست بهذا الجسد، بل هي حياة معنوية روحانية، فإنّ

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا. ﴿بِشَيْءٍ﴾ **(بقليل)** من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه. وقلّل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلّ ففوقه ما يقل إليه، ويريَهم أن رحمته معهم في كل حال، وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها. ﴿مِّنَ الْخَوْفِ﴾ خوف الله والعدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ أي القحط أو صوم شهر رمضان ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بموت المواشي أو الزكاة، وهو عطف على شيء، أو على الخوف أي وشيء من نقص الأموال. ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت. أو بالمرض والشيب ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ ثمرات الحرث أو موت الأولاد **(لأن الولد ثمرة الفؤاد)** ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذه البلايا أو المسترجعين عند

الإنسان إنْ كان محسنًا كان روحه متنعّمًا إلى يوم القيامة، وإن كان مسيئًا كان معذّبًا إلى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب جماعة الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث، ولم يخالف في ذلك إلّا جماعة من المعتزلة جعلوا الأرواح أعراضًا لا قوام لها بأنفسها، بل تحتاج إلى جسم تقوم به، ومهما فارقت الأجسام تلاشت وبَطُلت. رُوِي أنّه لمّا قتل صناديد قريش يوم بدر جمع جثتهم في قليب، فأقبل النبيّ ﷺ حتى وقف عليهم، فخاطبهم بقوله: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقًا**»، فقيل: يا رسول الله، أتخاطب جيفًا؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع منهم، ولو قدروا لأجابوا**». وما يؤيّد هذا المعنى من الأحاديث أكثر من أن يحصى. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**الروح**) بفتح الراء الراحة والسرور. **قوله:** (**مجاهد بن**) جَبْر الإمام الشهير وهو تابعي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**بقليل**)... الخ. القلّة تؤخذ من لفظ شيء وتنكيره. **قوله:** (**لأن الولد ثمرة الفؤاد**)، أي القلب إطلاق الثمرة على الولد مجاز مشهور؛ لأن الثمرة كل ما يستفاد ويحصل كما يقال: ثمرة العلم والعمل وإضافتها إلى القلب كناية عن شدّة تعلّقه به ومحبّته له.

البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وفي الحديث («**من استرجع**» عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفًا صالحًا يرضاه». وطفىء سراج رسول الله ﷺ فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقيل: أمصيبة هي؟ قال: «نعم (**كل شيء يؤذي**) المؤمن فهو مصيبة». والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل مَن يتأتى منه البشارة.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصب صفة للصابرين. ولا وقف عليه بل يوقف على «راجعون». ومَن ابتدأ بـ«الذين» وجعل الخبر «أولئك» يقف على «الصابرين» لا على «راجعون». والأول الوجه لأن الذين وما بعده بيان للصابرين. ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ مكروه. اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته. ولا وقف على «مصيبة» لأن ﴿قَالُوٓاْ﴾ جواب «إذا» و«إذا» وجوابها صلة «الذين». ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار له بالملك. ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ إقرار على نفوسنا بالهلك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ الصلاة: الحنو (**والتعطف**) فوضعت موضع الرأفة، وجمع بينها وبين الرحمة (**كقوله**: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ [الحديد: الآية ٢٧]، ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: الآية ١١٧]). والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد

قوله: (مَن استرجع)، أي قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾... الخ. قال الطيبي: ما وجدته في كتب الحديث، وتعقّب بأنه أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**كل شيء يؤذي**)... الخ. حتى الشوكة يُشاكها والبعوضة تلسعه وهو حديث ورد من طريق عديدة.

قوله: (**والتعطّف**) عطف تفسير. **قوله**: (**كقوله**: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ [الحديد: الآية ٢٧]، ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: الآية ١١٧]) في الكواشي الرأفة بمعنى الرحمة إلّا أنها أشدّ وأبلغ من الرّحمة، فلذلك جمع بينهما، فمن عمّ أراد رحمته إيّاهم في الرّزق والخلق والصّحة، ومن خصّ أراد رحمته للمؤمنين خاصة، انتهى. وفي التيسير: الرؤوف فعول ومعناه المبالغة في الرحمة، فالرحيم أعمّ، والرؤوف أبلغ،

رحمة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله. قال (عمر) ﷺ: (**نعم العدلان ونعم العلاوة**) أي الصلاة والرحمة والاهتداء.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾ هما علمان للجبلين. ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ﴾ قصد الكعبة ﴿أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾ زار الكعبة، فالحج: القصد، والاعتمار: الزيارة، ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين (**وهما في المعاني**) كالنجم والبيت في الأعيان. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾ فلا إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾، أي يتطوف فأدغم التاء في الطاء. وأصل

ولذلك جمع بينهما لإثبات المعنيين، وبدأ بالأبلغ وختم بالأعمّ، انتهى. **قوله: (عمر)** رضي الله تعالى عنه ابن الخطاب بن نفيل اتّفقوا على أنه أوّل مَن سُمِّي أمير المؤمنين، وإنّما كان يقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة عِلْمه ووفور فهمه وزهده وتواضعه ورفعه المسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين وإكرامه أهل الفضل والخير وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيّته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة، وفي حقوق المسلمين أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تُحصر، وطُعِنَ عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِنَ يوم الأحد هلال المحرّم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد وعشرين يومًا، وقيل غير ذلك. **قوله: (نعم العِدلان ونعم العلاوة)** جعل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ عدلًا لقوله: ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾، وجعل قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ علاوة لهما.

قوله: (وهما في المعاني)، يعني: إذا قيل الحجّ أو العمرة أو الاعتماد لا يفهم منه إلّا القصد والزيارة المخصوصان، ولا يحتاج إلى ذكر المتعلق بخلاف

الطوف المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما. قيل: كان على الصفا («**إساف**») وعلى المروة (**نائلة**) وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلًا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون الله. وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية (**فرفع عنهم الجناح بقوله**: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾).

الفعل، مثل حجّ البيت.اهـ. تفتازاني رحمه الله. **قوله: (إساف)** ـ بكسر الهمزة وخفّة السين المهملة وألف بعدها فاء ـ اسم رجل سُمّي به صنم على الصّفا. **(نائلة)** ـ بنون وألف تليها همزة مكسورة ولام ـ اسم امرأة سُمّي به صنم على المروة. **قوله: (فرفع عنهم الجناح بقوله**: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾)... الخ. فظاهر هذا الكلام وإنْ كان رفع الحرمة وإثبات الإباحة التي يستوي طرفاها من غير ترجيح جانب الفعل في السعي، ولكنه فوق الإباحة، وإنما أجرى هذا الكلام بحسب اعتقاد المخاطبين المعتقدين حرمته؛ فعند أحمد بن حنبل هو سنّة، وبه قال أنس بن مالك وابن عباس رضي الله تعالى عنهم على ما نصّ به القاضي البيضاوي وصاحب الكشاف؛ لأن مفهوم الآية الإباحة، وإنما ترجح جانب الوقوع بفعل الرسول ﷺ والصحابي، فيكون سنّة. وعند مالك والشافعي رحمهما الله ركن؛ لقوله عليه السّلام: «**اسعوا، فإنّ الله كتب عليكم السّعي**»، وعندنا واجب لدوام الرسول على ذلك والصحابي من غير تركه أحيانًا، فكان واجبًا يجب بتركه الدّم على ما عُرِف في الفقه ومعنى كتب كتب استحبابًا، كذا في الهداية. وصرَّح صاحب المدارك بأنّ في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ﴾، و﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٨] دليلًا على ردّ قول مالك والشافعي رحمهما الله.

وقيل: حرف لا مضمر، يعني: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما»، أي لو ترك السعي بينهما لا يفسد حجّه، لكن ينقص ويجبر ذلك النقصان بالدم، كذا في الزاهدي. وأمّا ما توهم من أن قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ كلام منقطع عما بعده، وقوله عليه متعلق بما بعده، أي وجب عليه أن يطوف بهما، فيكون دليلًا على وجوب السعي بقرينة أنه لو كان عليه متعلّقًا بما قبله، لكان اسم لا مشبّهًا بالمضاف، فينبغي أن ينصب لا أن يفتح؛ فكلام فاسدٌ، فإنه مع عدم الوقف على قوله تعالى:

وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال (**مالك والشافعي**) رحمهما الله تعالى. وكذا قوله: (﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾) أي بالطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن. (**«ومن يطوع»**):

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ وعدم تفريعه على ما سبق يقتضي مخاطبًا يعتقد جناحيّة الحجّ والعمرة، وليس كذلك. وتعلق قوله: عليه لا يقتضي كونه مُشبّهًا بالمضاف؛ لأنه من قبيل العائد وأن يطوف خبر لا. ثم طريق السعي هو أنه إذا فرغ من طواف البيت خرج وصعد الصفا واستقبل البيت وكبّر وهلّل وصلّى على النبيّ ﷺ ورفع يديه ودعا بما شاء، ثم مشى نحو المروة ساعيًا بين الميلين الأخضرين وصعد عليهما وفعل ما فعله على الصّفا يفعل هكذا سبعًا يبدأ بالصفا ويختم بالمروة، هكذا في كتب الفقه. واختلفوا في دليل وجوب ابتداء الصفا على المروة، فالشافعي يقول بوجوبه عملًا بمضمون الواو؛ لأن الواو يوجب الترتيب عنده، وذلك لأنّ النبيّ ﷺ بدأ في السعي بالصفا، وقال: «**نحن نبدأ بما بدأ الله تعالى**»، فَفُهِم الترتيب؛ لأن النبيّ ﷺ أحاله على الآية، ونحن نقول أيضًا بوجوبه، لكن بفعل النبيّ ﷺ لا بالواو، ولأن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ إثبات أنهما من الشعائر والمناسك ولا يتصوّر فيه الترتيب، وإنّما ثبت السّعي بقوله تعالى: ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾، ولا واو فيه غير أن السعي لا ينفكّ عن الترتيب والتقديم في الذِّكر يدلّ على الاهتمام وهو يصلح للترجيح، هكذا في البزدوي في بحث حروف المعاني في بيان الواو .اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**مالك**) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمّة الأعلام، توفي سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**والشافعي**) هو الإمام البارع محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب القريشي المطلبي الحجازي المكي، توفّي بمصر سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾) من يطوف بهما في الحجّ والعمرة، أو من حجّ أو اعتمر من غير أن يكون فرضًا عليه.اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (ومن **يطّوّع**) ـ بالياء وتشديد الطاء وجزم العين ـ على أن تكون مَنْ شرطية، ومحل الرفع بالابتداء وفعل الشرط خبرها على الأصح، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ جملة في محل الجزم على أنها جواب الشرط، ولا بدّ من عائد مقدّر، أي فإنّ الله

حمزة وعلي) أي **(يتطوع فأدغم التاء في الطاء)** ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على القليل كثيرًا ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأشياء صغيرًا أو كبيرًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ **(من أحبار اليهود)** ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ في التوراة ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ الهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ أوضحناه ﴿لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ **(الذين يتأتى منهم اللعن)** وهم الملائكة والمؤمنون من **(الثقلين)**.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ عن الكتمان وترك الإيمان (﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ **ما أفسدوا)** من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ وأظهروا ما كتموا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

شاكر له **(حمزة وعلي)** الكسائي أي **(يتطوّع فأدغم التاء في الطاء)**. والباقون قرؤوا تطوّع على تفعّل ماضيًا، فكلمة مَنْ على هذا القراءة يحتمل أن تكون شرطية، والكلام فيها كما تقدّم، ويحتمل أن تكون موصولة وتطوّع صلتها، فلا محل لها من الإعراب جينئذ، وتكون في محل الرفع بالابتداء أيضًا، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ خبر دخلت الفاء عليه لتضمّن المبتدأ معنى الشرط والعائد محذوف، كما تقدم وأي شاكر له.

قوله: (من أحبار اليهود) أي علماء اليهود. **قوله:** (الذين يتأتّى منهم اللَّعن) إشارة إلى التعميم فيه. وقال الزجاج: اللاعنون هم المؤمنون من الجنّ والإنس والملائكة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كل شيء في الأرض، والمراد أنهم مستحقّون لذلك. اهـ شهاب. **قوله:** (الثقلين) الجنّ والإنس. اهـ مصباح.

قوله: (﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ **ما أفسدوا**)، يعني أنه لا بدّ بعد التوبة من إصلاح ما أفسده من أحوال نفسه وأحوال غيره، مثلًا لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتًا. والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون إذ بعضهم يلعن بعضًا يوم القيامة قال الله تعالى: (﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾) [الأعراف: الآية ٣٨].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مَن هم في «عليهم» ﴿فِيهَا﴾ في اللعنة أو في النار إلا أنها أضمرت تفخيمًا لشأنها وتهويلًا ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ **(من الإنظار أي لا يمهلون أو لا ينتظرون)** ليعتذروا أو لا **(ينظر إليهم نظر رحمة)**.

يلزمه بعد التوبة إزالة تلك الشبهة وبعد ذلك لا بدّ له من أن يفعل ضدّ الكتمان وهو البيان، وهو المراد بقوله: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾؛ فدلت الآية على أن التوبة لا تحصل إلّا بترك ما لا ينبغي ويفعل كل ما ينبغي.

قوله: (﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾) [الأعراف: الآية ٣٨] التي قبلها لضلالها بها.

قوله: (من الإنظار) بمعنى الإمهال والتأجيل، **(أي لا يمهلون)**، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة، يعني أن الآية مشتملة على معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآيتان ٣٥، ٣٦]، ومعناه: أنهم لا يُجابون إلى نحو قولهم: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطِر: الآية ٣٧]، وقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٧]، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يُعذّبون على الدّوام والاستمرار، وأن كل وجه من وجوه عذابهم يتّصل بوجه آخر مثله أو أشد منه، وأنهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها. **قوله: (أو لا ينتظرون)** ليعتذروا أو لا[1] **(ينظر إليهم نظر رحمة)** مبنيّان على أن يكون قوله: ﴿يُنظَرُونَ﴾ من النظر لا من الإنظار. ثم إنّ النظر إمّا

---

(١) بيان المعنى: لا دلالة على حذف حرف الجرّ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ **(فرد في أُلوهيته)** لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غير إلـٰهًا (﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته.

بمعنى الانتظار؛ كما في قوله تعالى حكاية: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣]، أي انتظرونا، أو بمعنى الرؤية والإبصار والنظر بهذا المعنى قد يتعدّى بنفسه وقد يتعدّى بحرف الجرّ، يقال: نظرته ونظرت إليه؛ فقول المصنف رحمة الله عليه: أوّلًا ينظر إليهم نظر رحمة بيان للمعنى، لا للاحتياج إلى تقدير حرف الجرّ.

قوله: (فرد في أُلوهيته)، لا يخفى أنّ في قولنا: سيّدكم سيّد واحد من تقرير السيادة وتسليمها عند المتكلّم ما ليس في قولنا: سيّدكم واحد، وأن معنى الوحدة هٰهنا التفرّد بالسيادة، ولا إلـٰه إلّا هو بحسب صدر الكلام نفي لكل إلـٰه سواه، وبحسب الاستثناء إثبات له ولألوهيّته؛ لأن الاستثناء عن النفي إثبات، سيّما إذا كان بدلًا، فإنه يكون هو المقصود بالنسبة، ولهذا كان البدل الذي هو المختار في كل كلام تامّ غير مُوجب بمنزلة الواجب في هذه الكلمة حتى لا يكاد يستعمل لا إلـٰه إلّا الله بالنّصب، ولا إلـٰه إلّا إيّاه، فإن قيل: كيف يصحّ أنّ البدل هو المقصود بالنسبة، والنسبة إلى المبدل منه سببية؟ قلنا: إنما وقعت النسبة إلى البدل بعد النقض بإلّا، فالبدل هو المقصود بالنفي المُعتبر في المبدل منه، لكن بعد نقضه ونقض النفي إثبات. اهـ تفتازاني. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وهذا كلّه بناء على أنّه بدل من اسم لا على المحل، وقد جعله أبو حيّان استثناء من الضمير المستتر في الخبر. اهـ.

قوله: (﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) تقرير للوحدانية؛ لأن الاستثناء هنا إثبات من نفي، فهو بمنزلة البدل، والبدل هو المقصود بالنسبة وإزاحة لأن يتوهّم أنّ في الوجود إلـٰهًا، ولكن لا يستحقّ منهم العبادة. اهـ كرخي.

قوله: (﴿إِلَّا هُوَ﴾) في محل الرفع على أنه بدل من اسم لا على المحل؛ إذ محلّه الرفع على الابتداء، وهو بدل من لا، وما عملت فيه، لأنها وما بعدها في محل الرفع بالابتداء، فإن قيل: كيف يكون بدلًا من إلٰه والحال أنّه لا يمكن

وموضع «هو» رفع لأنه بدل من موضع «لا إلـٰه» ولا يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثاني، والمعنى في الآية على ذلك والنصب

تكرير العامل، فإنه لا يقال: لا رجل لا زيد. قلنا: إنهم لم يقولوا: إنّ لفظ هو بدل من اسم لا حملًا على اللفظ حتى يلزمهم اعتبار تكرير العامل، وإنّما يلزم اعتبار تكريره لو أجازوا إبداله من اسم لا حملًا على اللفظ، وهم لم يجيزوا ذلك لعدمِ إمكان تكرير العامل، ولا يجوز لا التبرئة لِما تقرّر من أنها لا تعمل في المعارف، بل الخبر محذوف، أي لا إلـٰه كائن لنا، هذا على قول مَنْ يقول: إنّ لا المبني معها اسمها عاملة في الخبر. وأمّا إذا جعلنا الخبر مرفوعًا بما كان عليه قبل دخول لا، وليس لها فيه عمل، كما ذهب إليه سيبويه؛ فحينئذ كان ينبغي أن يكون هو خبر إلّا أنه مُنِع منه كون المبتدأ نَكِرة والخبر معرفة، وهو ممنوع إلّا في ضرورة الشعر في بعض الأبواب. قال شهاب الدين الشهير بالسمين: والذي يظهر لي أنه ليس بدلًا من إلـٰه ولا من رجل، في قولك: لا رجل لا زيد، وإنّما هو بدل من الضمير المستكن في الخبر، فليس بدلًا من موضع اسم لا، وإنما هو بدل مرفوع من ذلك الضمير، وهو عائد على اسم لا، وتصريح النحويّين أنه بدل على الموضع من اسم لا مؤوّل على ما تقدّم. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

وفي النهر: لا يجوز أن يكون إلا هو خبرًا عنه عن لا على مذهب الأخفش ولا خبرًا عن مجموع لا إلـٰه؛ إذ هو في موضع مبتدأ على مذهب سيبويه؛ لأنه هو معرفة. وقالوا: هو بدل من اسم لا على الموضع، وهو مشكل؛ لأنه لا يمكن تقدير تكرار العامل لا نقول: لا رجل إلا زيد، والذي يظهر لي فيه أنه ليس بدلًا من لا إلـٰه، ولا إلّا زيد بدلًا من لا رجل، بل هو بدل من الضمير المستكنّ في الخبر المحذوف؛ إذ التقدير: لا رجل كائن أو موجود إلا زيد، كما تقول: ما أحد يقوم إلّا زيد وإلا زيد بدل من الضمير في يقوم، فهو بدل مرفوع من ضمير مرفوع. اهـ عبد الحكيم رحمه الله.

وفي الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: لا إلـٰه مبنيّ مع لا في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف، أي: لكم إلّا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا إلـٰه، ولا إلـٰه إلّا هو تقرير الوحدانية تنفي غيره، فإن قلت: هل يجوز

يدل على أن الاعتماد على الأول. ورفع «الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ» أي (المولى) لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ، أو على البدل من «هو» لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

ولما عجب المشركون من إلٰه واحد وطلبوا آية على ذلك تنزل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ (وَالْأَرْضِ) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في اللون والطول والقصر

أن يكون إلّا هو منصوبًا، كما تقول: ما جاءني أحد إلّا زيد. قلت: لا، لأنه لو كان كما زعمت لكان إلّا إيّاه. اهـ.

وفي مفاتيح الغيب: المُشتهر بالتفسير الكبير، قال: النحويّون في قوله تعالى: لا إلٰه إلّا هو ارتفع هو؛ لأنه بدل من موضع لا مع الأُمم، ولنتكلم في قوله: ما جاءني رجل إلّا زيد، فقوله: إلّا زيد مرفوع على البدلية؛ لأن البدلية على الإعراض عن الأول والأخذ بالثاني، فكأنك قلت: ما جاءني إلا زيد، وهذا معقول لأنه يفيد نفي المجيء عن الكلّ إلّا عن زيد. أمّا قوله: جاءني إلا زيد، فهاهنا البدلية غير مُمكنة؛ لأنه يصير في التقدير: جاءني خلق إلّا زيد، وذلك يقتضي أنه جاء كل أحد إلّا زيد، وذلك مُحال؛ فظهر الفرق، والله أعلم. اهـ.

قوله: (المولى) أي المعطي.

قوله: (﴿وَالْأَرْضِ﴾)، وإنما جمع السمٰوات وأفرد الأرض؛ لأن تعدّد السمٰوات كان مقرّرًا عند المخاطبين بناءً على مشاهدتهم تعدّد حركات الكواكب بخلاف الأرض، فإنّ تعددها لم يثبت إلّا بالشرع والاستدلال إنما هو بما هو معلوم عندهم، وقيل: لأن السمٰوات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين، فإنّ كلها من جنسٍ واحد وهو التراب، وقيل: لأن طبقات السمٰوات متفاصلة

وتعاقبهما في الذهاب والمجيء ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾

بخلاف الأرضين، وهذا ليس بشيء، فإنّ الثابت بالسنّة كون كل واحد من السمٰوات والأرضين متفاصلة.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: بينما نبيّ الله ﷺ جالسٌ في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبيّ الله ﷺ: «**هل تدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذه العَنَان**[1]**، هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه**»، ثم قال: «**أتدرون ما فوقكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف**»، ثم قال: «**هل تدرون ما بينكم وبينها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**بينكم وبينها خمسمائة عام**»، ثم قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**سماء إن بُعْد ما بينهما خمسمائة سنة**»، ثم قال كذلك حتى عدّ سبع سمٰوات ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض، ثم قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنّ فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بُعْد ما بين السماءين**»، ثم قال: «**هل تدرون ما الذي تحتكم**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنها الأرض**»، ثم قال: «**هل تدرون ما تحت ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنّ تحتها أرضًا أخرى ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة**» حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: «**والذي نفس محمّد بيده لو أنكم دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله**»، ثمّ قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: الآية ٣]، رواه أحمد والترمذي.

وقال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ الآية تدلّ على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه.

قلت: قوله ﷺ: «**لهبط على الله**» من المتشابهات، كما أن الرَّحمٰن على العرش استوى من المتشابهات، ولعلّ مراده ﷺ: لهبط على عرش الله

---

(١) كسحاب، ١٢ منه.

(بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس) و«من» في ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية وفي ﴿مِن مَّآءٍ﴾ مطر لبيان الجنس لأن ما ينزل من السماء مطر وغيره. ثم عطف على «أنزل» ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بالماء ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ثم عطف على «فأحيا» ﴿وَبَثَّ﴾ وفرق ﴿فِيهَآ﴾ في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ هي كل ما يدب ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ («**الريح**»: **حمزة وعلي**). أي وتقليبها في **(مهابها قبولًا ودبورًا)** وجنوبًا **(وشمالًا)**، وفي أحوالها حارة وباردة

بحذف المضاف، وهذا يدلّ على كون العرش، وكذا ما فيه من السمٰوات السبع كرويًّا حاويًا لجميع جهات الأرض، حتى إنكم لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على السمٰوات السبع وعلى عرش الله. اهـ مظهري بالتقاط.

قوله: (بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس)، يعني: أن كلمة ما إمّا اسم موصول، وحينئذ تكون باء المُصاحبة مع مجرورها في موضع النصب على أنه حال من فاعل تجري، أي تجري مصحوبة بالأعيان والمعاني التي تنفع الناس، فافهم. ينتفعون بركوبها والحمل عليها للتجارات، فهي تنفع الحامل لأنه يربح، والمحمول لأنه ينتفع بما حمل عليه. وأمّا حرف مصدر، وعلى هذا تكون الباء للسببية، أي تجري بسبب نفع الناس في التجارة وغيرها وفاعل ينفع على الأول وضمير عائد إلى ما الموصولة، وعلى الثاني ضمير الجر أو الجري لا ضمير الفلك، لأنه جمع.

قوله: (الريح) بحذف الألف بعد الياء على الإفراد، **(حمزة وعلي)** الكسائي والباقون بالألف على الجمع.

قوله: (مهابها) جمع مهب وهو جهة هبوبها.

قوله: (قبولًا) وهي الصبا، وهي التي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى اللّيل والنهار. **قوله: (ودبورًا)** أوزان رسول، وهي ما تُقابل الصبا. **قوله: (وشمالًا)**، وهي التي تهبّ من ناحية القطب وتقابلها الجنوب.

و(**عاصفة**) وليّنة (**وعقمًا ولواقح**). وقيل: تارة بالرحمة و(طورًا) بالعذاب. ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في الهواء ﴿(لَأَيَٰتٍ) لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلّون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها.

وفي الحديث («**ويل**) لمن قرأ هذه الآية (**فمج بها**») أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها.

قوله: (**عاصفة**) العاصفة الشديدة الهجوم التي تقلع الخيام. **قوله**: (**وعقمًا**) العقم التي لم تقل شجرًا ولم تحمل مطرًا.

قوله: (**ولواقح**)، اللواقح: التي تلقح الأشجار، وهي جمع ملقحة على الشذوذ.

قوله: (طورًا)، الطور ـ بالفتح ـ تارة، وفَعَل ذلك طورًا بعد طور أي مرّة بعد مرّة. اهـ مصباح.

قوله: (﴿لَأَيَٰتٍ﴾) اسم إنّ. وقوله: ﴿فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾... الخ. خبر مُقدَّم ودخلت اللام على الاسم لتأخّره عن الخبر، ولو كان في موضعه لما جاز دخول اللام عليه، وقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ جملة في محل الجر، لأنها صفة لقوم.

قوله: («**ويل**)... الخ. قال العراقي: لم أقف عليه، لكن رواه ابن مردوية وابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله تعالى عنها بغير هذا اللفظ، وهو أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية ثم قال: «**ويلٌ** لمن **قرأها ولم يتفكّر فيها**»، وقال الأوزاعي: التفكّر فيها أن يقرأها ويعقلها.

وقوله: (**فمجّ بها**») المجّ: حقيقة في قذف الرّيق ونحوه من الفم، وعدّى بالباء لِمَا فيه من معنى الرَّمي، اسْتُعير هٰهنا لعدم الاعتبار، والاعتداد بها بأن يتفكّر

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي ومع هذا البرهان النيّر من الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا من الأصنام ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ كتعظيم الله والخضوع له أي يحبّون الأصنام كما يحبّون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لأنهم كانوا يقرّون بالله ويتقرّبون إليه. وقيل: يحبونهم كحب المؤمنين لله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من المشركين لآلهتهم لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بحال، والمشركون يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ («ترى»: **نافع وشاميّ**) على خطاب الرسول أو كل مخاطب، أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ إشارة إلى متخذي الأنداد.

﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ («يُرون»: **شاميّ**) ﴿ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ شديد عذابه أي (**ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم**) العظيم

فيها ليكون بذلك من أصحاب اليقين، فإنّ مَنْ تفكّر فيها، فكأنه حفظها ولم يُلْقها مِنْ فِيه.

قوله: («ترى») بالمثناة من فوق (**نافع**) المدني (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بمثناة من تحت على إسناد الفعل إلى الظالم؛ لأنه المقصود بالوعيد والذين رفع به، وإذ مفعوله.

قوله: (يُرون) بضمّ الياء على البناء للمفعول. (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بفتحها على البناء للفاعل. **قوله:** (**ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم**). . . الخ. يعني: إن رأى هنا بمعنى علم، والذين ظلموا من وضع الظاهر موضع المضمر للدّلالة على أن اتّخاذ الأنداد ظلم عظيم.

بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين **(إذا عاينوا)** العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة، فحذف الجواب لأن «لو» إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلّما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب. و«لو» يليها الماضي. وكذا «إذا» وضعها لتدلّ على الماضي، وإنما دخلتا على المستقبل هنا لأن إخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾

(﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ **مدغمة الذال في التاء حيث وقعت: عراقي غير عاصم**). وهو بدل من «إذ يرون العذاب». ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ أي المتبعون وهم الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ من الأتباع ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الواو فيه للحال أي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ **(الوصل)** التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ أي الاتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ نصب على جواب التمني لأن «لو» في معنى التمني والمعنى ليت لنا

وقوله: (إذا عاينوا) إشارة إلى أن إذ بمعنى إذا، والمضارع بمعنى الماضي، ورأى بصرية.

قوله: (﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ مدغمة الذال في التاء حيث وقعت: عراقي غير عاصم) إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة. قيل: عراقي، أي حمزة الكوفي والكسائي الكوفي وخلف الكوفي وأبو عمرو البصري. وكذا هشام عن ابن عامر الشامي. والباقون بالإظهار.

قوله: (الوصل) بضمّ الواو وفتح الصاد المهملة جمع وصلة بسكونها بمعنى الاتّصال والارتباط.

كرة فنتبرأ ﴿مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ الآن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ **(مثل ذلك الإراء)** الفظيع ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي عبادتهم الأوثان ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ **(ندامات)**. وهي مفعول ثالث لـ «يريهم» ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم. ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بل هم فيها دائمون. ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ﴾ أمر إباحة ﴿مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «من» للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول ﴿حَلَٰلًا﴾ مفعول «كلوا» أو حال مما في الأرض ﴿طَيِّبًا﴾

قوله: (مثل ذلك الإراء) المشهور الإرائة، لكن العرب ربما تحذف التاء كما في قولهم: وإقام الصلاة، كذا نقله الزمخشري عن سيبويه.

قوله: (ندامات) يريد أن الحسرات جمع حسرة، وهي شدَّة الندام، والندم تألّم القلب بانحساره عمّا يهواه تألّمًا بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب، وهو الذي انقطت قوّته، فصار بحيث لا ينتفع به، وأصل الحسرة الكشف، يقال: حسرت المرأة قناعها إذا كشفته تحسّرًا، حسرًا من باب ضرب وحسر البعير يحسر حسورًا، أي أعيى، مثل دخل يدخل دخولًا، ومَنْ فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسّف على فواته، فلذلك عبّر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عمّا يهواه بلازمه الذي هو الندم والرؤية هٰهنا إنْ كانت قلبية تتعدّى بالنقل إلى ثلاثة مفاعيل ثالثها حسرات، والمعنى ما ذُكِر وإن كانت بصرية تتعدّى إلى اثنين بنقلها من باب الأفعال أولهما الضمير، وثانيهما أعمالهم ويكون حسرات على هذا حالًا من أعمالهم، والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات فلا يرون أعمالهم حال كونها حسرات، وعليهم فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بحسرات؛ لأن تحسّر يعدّى بعلى، وحينئذ لا بدّ من تقدير مضاف، أي على تفريطهم.

وثانيهما: أن يتعلق بمحذوف منصوب على أنه صفة لحسرات، أي حسرات مستولية عليهم، فإنّ ما عملوه من المبرّات محيطة بالكفر فيتحسّرون لو ضيّعوها

طاهرًا من كل شبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرقه التي يدعوكم إليها (**بسكون الطاء: أبو عَمرو غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر**).

والخطوة في الأصل ما بين قدمي الخاطي. يقال: اتبع خطواته إذا اقتدى به (**واستن بسُنّته**).

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (**ظاهر العداوة**) لا خَفاء به. وأبان متعدٍ ولازم. ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٧] أي الشيطان لأنه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرًا فإنه يريهم في الظاهر الموالاة ويزيّن لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير (**قطّ**) إنما يأمركم ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالقبيح ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ وما يتجاوز الحدّ في القبح

ويتحسّرون على ما فعلوا من المعاصي لِمَ عملوها. عن السُّدّي رحمه الله: تُرفع لهم الجنّة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تُقْسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسّرون.

قوله: (**بسكون الطاء: أبو عمرو**) البصري (**غير عباس**) ابن الفضل الأنصاري عن أبي عمر، والبصري (**ونافع**) المدني (**وحمزة وأبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بالضمّ.

قوله: (**واستنّ بسُنّته**) في تاج العروس من جواهر القاموس: واستنّ بسنّته: عَمِل بها، انتهى بحروفه.

قوله: (**ظاهر العداوة**) على أن يكون مبين من أبان بمعنى بان وظهر، وجعله الواحدي من أبان المتعدّي، حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، فقد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لأبيكم آدم، وهو الذي أخرجه من الجنّة.

قوله: (**قطّ**) أي أبداً.

من العظائم. وقيل: السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ في موضع الجر بالعطف على «بالسوء» أي وبأن تقولوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم، ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الضمير للناس. وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفاف. قيل: هم المشركون. وقيل: طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان واتباع القرآن، ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ فإنهم كانوا خيرًا منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للصواب. ثم ضرب لهم مثلًا فقال:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ يصيح والمراد ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ البهائم.

والمعنى مثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا **(جرس النغمة ودويّ الصوت)** من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئًا آخر

قوله: (جرس النغمة)، في المصباح: الجرس مثال فلس الكلام الخفي، يقال: لا يُسمع له جَرْس ولا هَمْس، وسمعت جرس الطَّير وهو صوت مناقيرها، وجرس فلان الكلام نغم به.اهـ. **قوله: (وَدَوِيّ الصوت)** الدَّوِيّ صوت ليس

كما يفهم العقلاء. و(النعيق): التصويت، يقال: نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع.

﴿صُمٌّ﴾ خبر مبتدأ مضمر أي هم صم ﴿بُكْمٌ﴾ خبر ثانٍ ﴿عُمْيٌ﴾ عن الحق خبر ثالث ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة، ثم بين أن ما حرمه المشركون حلال فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

بالعالي كصوت النحل ونحوه[١]. (النّعيق) التصويت. في المصباح: نعق الراعي ينعق من باب ضرب نعيقًا صاح بغنمه وزجرها، والاسم النُّعاق بالضم. اهـ.

وفي مختار الصّحاح: النعيق صوت الراعي بغنمه ونعق بها ينعِق بالكسر نعيقًا ونُعاقًا بالضمّ ونعقًا بفتحتين، أي صاح بها وزجرها. اهـ.

آخر المجلد الأول

تمّ بعون الله وفضله المجلد الأول من تفسير الإكليل بهذه الآية من سورة البقرة

ويليه بتوفيقه سبحانه تتمة شرح الآيات في المجلد الثاني

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّه الكريم

---

(١) كالذباب، ١٢ منه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تتمة سورة البقرة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من مستلذاته أو من حلالاته ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ الذي رزقكموها ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرّون أنه معطي النعم. ثم بين المحرم فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وإنما لإثبات المذكور ونفي ما عداه، أي ما حرم عليكم إلا الميتة «والميتة» يعني السائل لقوله في موضع آخر: (﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾) [الأنعام: الآية ١٤٥]. قد حلت **(الميتتان والدمان بالحديث)** «أحلت لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد والكبد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾) [الأنعام: الآية ١٤٥] مصبوبًا سائلًا. **قوله:** **(الميتتان)** تثنية ميتة، وهي ما زالت حياته بغير زكاة شرعية. **قوله:** **(والدمان)** تثنية دم بتخفيف ميمه وشدّها.

قوله: **(بالحديث)**... الخ. أخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن الكبرى عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما.

(والطحال)» ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ يعني الخنزير بجميع أجزائه، **(وخصّ اللحم)** لأنه المقصود بالأكل.

(﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله، وأصل الإهلال رفع الصوت أي رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى).

قوله: (والطحال) بكسر الطاء. **قوله: (وخصّ اللحم)**... الخ. يعني أنه انعقد إجماع الأمّة على أن الخنزير حرام لعينه، فيكون بجميع أجزائه محرَّمًا، وإنما ذكر الله لحمه بناء على أن معظم الانتفاع بالخنزير، وهو الانتفاع بأكل لحمه.

قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي ذُبح للأصنام، فذُكِر عليه غير اسم الله، وأصل الإهلال رفع الصوت، أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزّى).

قال المصنف رحمة الله عليه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم اللات والعزّى عند ذبحه. اهـ.

وأيضًا قال رحمة الله عليه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) عطف على المنصوب قبله، وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥] اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه.

(﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: الآية ٣]) منصوب المحل صفة لفسقًا، أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، وسمّي بالفسق لتوغّله في باب الفسق. اهـ.

وفي تفسير غريب القرآن: (﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) ذكر عند ذبحه اسم غير الله عزّ وجلّ، وأصل الإهلال رفع الصوت. اهـ.

وفي جامع المفردات الشيخ (مراد: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) أي ما ذُكِر عليه غير اسم الله، وهو ما كان يُذبح لأجل الأصنام. اهـ. وهكذا في مفردات الراغب الأصفهاني رحمة الله عليه.

....

وفي لسان العرب: أصل الإهلال رفع الصوت وكل رافع صوته فهو مُهِلّ، وكذلك قوله عزّ وجلّ: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) هو ما ذُبِح للآلهة؛ وذلك لأن الذابح كان يسمّيها عند الذبح، فذلك هو الإهلال. اهـ.

وفي المصباح: وحرّم ما أُهِلّ به لغير الله، أي ما سمّي غير الله عند ذبحه. اهـ.

وفي كتاب فتح الرحمٰن: يكشف ما يلبس في القرآن للعلامة أبي زكريا يحيىٰ الأنصاري الشافعي. قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ﴾) قدَّم به هنا وأخّره في المائدة والأنعام والنحل؛ لأن الباء للتعدية كالهمزة والتشديد، فهي كالجزء من الفعل، فكان الموضع الأوّل أوْلى بها وبمدخولها، وأخّر في بقية المواضع نظرًا للمعقود فيها من ذكر المستنكر وهو الذبح لغير الله والحصر بأنما في المحرمات هنا متروك الظاهر، لما زاد في المائدة من المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع. اهـ.

في الكشاف في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي رفع الصوت لغير الله به، وهو قولهم: باسم اللات والعزّى عند ذبحه. اهـ.

وفي تفسير البيضاوي: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ﴾) أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي وما رفع الصوت لغير الله به؛ كقولهم: باسم اللات والعزّى عند ذبحه. اهـ.

وأيضًا في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل، (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) صفة موضحة، وإنما سمّي ما ذُبح على اسم الصنم فسقًا لتوغّله في الفسق. اهـ.

قال العلّامة عبد الحكيم رحمه الله: قوله: أي رفع به الصوت عند ذبحه... الخ. الضمير هنا لما أُهلّ زاد على الكشاف لفظ: عند ذبحه بيانًا للتلبّس أو السببية

....

المستفادة من الباء، فهي بدل من به أوعطف بيان، والضمير متعلّق برفع، ورفع الصوت للصنم أن يُذكر اسمه عند الذَّبح على ما في الكواشي وتاج البيهقي وغيرهما. ومعنى ما أهلّ به لغير الله نودي عليه لغير اسم الله وإقام للصنم مقام لغير الله بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: الآية ٣] تنبيهًا على أن المقصود بالخطاب هم المشركون؛ لأنهم كانوا يستحلّون هذه الأُمور، وليس المراد تخصيص الغير به على ما ذهب إليه عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيّب حيث أباحوا ذبيحة النصراني إذا سمّى عليها باسم المسيح؛ لأنه خلاف مذهب الأئمّة الثلاثة: مالك وأبو حنيفة والشافعي رحمهم الله تعالى، فإنّهم اتّفقوا على حُرمتها عملًا بظاهر النصّ. اهـ.

وقال العلَّامة القنوي ﷺ: قوله: أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم هذا أصله ثم جعل عبارة عن ما ذبح لغير الله والضميران لما، وزاد صاحب الكشاف: عند ذبحه بيانًا للسببية المستفادة من الباء، والظاهر أن عند ذبحه بدل من به بدل الاشتمال، والمعنى: وحُرِّم عليكم ما أُهلّ عند ذبحه لغير الله؛ كقول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزّى للصنم متعلق برفع ومعنى رفع الصوت للصنم أن يذكر اسمه عند الذبح، كما نُقِل عن أهل الجاهلية قيد للصنم لردّ المشركين، وإلّا فالمراد غير الله مطلقًا، سواء كان صنمًا أو غيره، فإذا ذبح النصراني باسم المسيح يكون حرامًا أيضًا وغرضه ليس تخصيص ما أهل به لغير الصنم، بل المراد التنبيه على أنه كثير الوقوع بين المشركين. اهـ

وقال العلَّامة شيخ زاده ﷺ: ما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ موصولة بمعنى الذي، ومحلّها النصب عطفًا على الميتة، وأُهِلّ مبني للمفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور في به والضمير يعود على ما والباء بمعنى في، ولا بدّ من حذف مضاف، أي في ذبحه؛ لأن المعنى: وما صِيح في ذبحه لغير الله، والعرب كانوا يسمّون الأوثان عند الذبح ويرفعون أصواتهم عند ذبحهم بذكرها، فمعنى قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ ما ذبح للأصنام والطواغيت.

....

قال العلماء: لو ذبح مُسْلم ذبيحة وقصد بها التقرّب إلى غير الله تعالى صار مرتدًّا وذبيحته ميتة، وهذا الحكم في ذبائح غير أهل الكتاب.

وأمّا ذبائح أهل الكتاب، فتحلّ لنا؛ لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٥].

رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنّه قال: إذا سمعتم اليهود والنصارى يهلّون لغير الله تعالى فلا تأكلوا، وإذا لم تسمعوا فكلوا، فإنّ الله تعالى قد أحلّ ذبائحهم، وهو يعلم ما يقولون.

والحاصل: أن الإمام مالكًا والإمام الشافعي والإمام أبا حنيفة والإمام أحمد اتّفقوا على أنه لا تحلّ ذبيحة الكتابي إذا سُمّي عليها غير الله لهذه الآية، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٥] عام، وقوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ خاصّ، والخاص مقدّم على العام. اهـ.

وفي الخازن: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) يعني: وما ذُبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، وذلك أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بذكر آلهتهم إذا ذبحوا لها، فجرى ذلك مجرى أمرهم وحالهم حتى قيل لكلّ ذابح مُهِلّ، وإن لم يجهر بالتسمية. اهـ.

وأيضًا فيه: المسألة الرابعة في حكم قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، مِنَ الناس مَنْ زعم أنّ المراد بذلك ذبائح عَبَدة الأوثان التي كانوا يذبحونها لأصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى إذا سمّى عليها باسم المسيح، وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيّب؛ لعموم قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٥]، وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: لا يحلّ ذلك.

والحجّة فيه أنهم إذا ذبحوا على اسم المسيح، فقد أهلّوا به لغير الله، فوجب أن يحرم.

....

وَرُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال: إذا سمعتم اليهود والنصارى يُهِلّون لغير الله فلا تأكلوا، وإذا لم تسمعوهم فكلوا، فإنّ الله قد أحلّ ذبائحهم، وهو يعلم ما يقولون. اهـ.

وأيضًا فيه في سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١٤٥])، يعني: ما ذُبِح على غير اسم الله تعالى. اهـ. وفي تفسير روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) أي ما رُفِع متلبّسًا به، أي بذبحه الصوت لِغيرِ الله، وأصل الإهلال عند كثيرٍ من أهل اللغة رؤية الهلال، لكن لما جرت العادة أن يُرْفع الصوت بالتكبير إذا رأى سمّى ذلك إهلالًا، ثم قيل لرفع الصوت وإنْ كان بغيره، والمراد بغير الله الصنم وغيره، كما هو الظاهر. وذهب عطاء ومكحول والشعبي والحسن وسعيد بن المسيّب إلى تخصيص الغير بالأوّل، وأباحوا ذبيحة النصراني إذا سمّى عليها باسم المسيح، وهذا خلاف ما اتّفق عليه الأئمّة من التحريم، وإنّما قدّم به هنا لأنه أمس بالفعل وأخّر في مواضع أُخر نظرًا للمقصود فيها من ذكر المستنكر، وهو الذبح لغير الله عزّ شأنه. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي رفع الصوت لغير الله تعالى عند ذبحه، والمراد بالإهلال هنا ذكر ما يذبح له؛ كاللات والعُزّى. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥] عطف على لحم خنزير على ما اختاره كثير من المعربين، وما بينهما اعتراض مقدّر للحرمة ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣] صفة له موضحة، وأصل الإهلال رفع الصوت، والمراد الذبح على اسم الأصنام، وإنما سمّي ذلك فسقًا لتوغّله في الفسق. اهـ.

وفي التفسير الكبير في سورة المائدة الرابع: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣])، والإهلال رفع الصوت، ومنه يقال: أهلّ فلان بالحجّ إذا لبّى به، ومنه استهلّ

....

الصبي وهو صراخه إذا وُلِد، وكانوا يقولون عند الذبح: باسم اللات والعزّى، فحرَّم الله تعالى ذلك. اهـ.

وأيضاً في تفسير سورة الأنعام: ورابعها قوله: (﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الآية ١٤٥])، وهو مفسوق على قوله إلّا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا، فسمّى ما أُهلّ لغير الله به فسقًا لتوغّله في باب الفسق، كما يقال: فلان كرم وجود إذا كان كاملًا فيهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢١]، وإنه لفسق. اهـ.

وفي تفسير العلّامة أبي السعود: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٣]) أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال أصله رؤية الهلال، لكن جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمّي ذلك إهلالًا، ثم قيل لرفع الصوت: وإن كان لغيره. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسيرة سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه؛ كقولهم: باسم اللات والعزّى. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرّر لحرمة (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: الآية ٣]) صفة موضحة، أي ذبح على اسم الأصنام، وإنّما سمّي ذلك فسقًا لتوغّله في الفسق، ويجوز أن يكون فسقًا مفعولًا به لأهلّ، وهو عطف على يكون، والمستكن راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون. اهـ.

وفي تفسير العلّامة البغوي رحمه الله في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣])، أي ما ذكر على ذبحه غير اسم الله. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الآية ١٤٥]، وهو ما ذبح على غير اسم الله. اهـ. وفي سواطع الإلهام لحل كلام الملك العلّام: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ﴾) اسم (﴿ٱللَّهِ﴾) عمدًا لمألوه سواه، والمراد سُحط[1]

---

(١) السحط: الذبح.

....

لدماهم، وأصل الإهلال إعلاء الكلام وهم أعلوا اسم إلـههم كالسواع حال السحط. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (و) كل (ما) مسحوط (﴿أُهِلَّ﴾ [الآية ٣]) أصل الإهلال إحساس الهلال، ولما صار إعلاء العرك الصوت وإذكار اسم الله حال إحساسه مَعْورًا وسَعُوا وسمَّوْا إعلاءه ولو لما عداه إهلالًا، والمراد إعلاء العرك والأذكار، (﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٣]) لاسم ما سواه (به) معه أراد حال سحطه. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) هو موصول مع اللّحم وما ورد وسطهما معلّل لا محل له، أُهلّ حال سحط (﴿لِغَيْرِ﴾ [الآية ٣]) اسم (﴿ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١١٥]) وهم سَحَطُوا الاسم دُماهم. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة النحل: (و) كل (﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ [الآية ١١٥]) حادّ السادح لغير اسم (الله) الواحد الأحد (به) معه أراد حالَ سدحه، والحاصل سُدِحَ لسواه. اهـ.

وفي تنوير المقياس من تفسير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي صاحب القاموس ﷺ: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) ما ذُبح لغير اسم الله عمدًا للأصنام. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) يقول: وما ذبح لغير اسم الله متعمّدًا. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) ذبيحة (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١٤٥]) يقول: وما ذُبح لغير اسم الله متعمّدًا. اهـ.

وأيضاً فيه في تفسير سورة النحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١١٥]): وما ذُبح بغير اسم الله عمدًا أو الأصنام. اهـ. وفي تفسير الجلالين: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، أي: ذبح على اسم غيره تعالى، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم. اهـ.

....

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) بأن ذبح على اسم غيره. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١٤٥]) أي ذبح على اسم غيره. اهـ.

وفي الجمل قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ٣]) ما موصول بمعنى الذي، ومحلها النصب عطفًا على الميتة، وبه قائمًا مقام الفاعل لأهلّ، والباء بمعنى في، ولا بدّ من حذف مضاف أي في ذبحه؛ لأن المعنى: وما صيح في ذبحه لغير الله، والإهلال مصدر أهلّ، أي صرخ ورفع صوته، ومنه الهلال لأنه يصرخ عند رؤيته، واستهلّ الصبي. اهـ سمين. وقدّم به هنا وأخّره في المائدة والأنعام والنحل؛ لأن الباء للتعدية كالهمزة والتشديد، فهي كالجزء من الفعل، فكان الموضع الأوّل أوْلى هنا وبمدخولها وأخّر في بقية المواضع نظرًا للمقصود فيها من ذكر المستنكر وهو الذبح لغير الله. اهـ كرخي. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة **قوله:** (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣])، الإهلال: رفع الصوت، وكانوا يذكرون أسماء الأصنام عند الذبح، فيقولون: باسم اللات والعزّى، والمذكور إنما هو اسم غير الله عند الذبح، فلعلّ اللام بمعنى باء التعدية، ولعل الباء بمعنى عند، والمعنى: وما أُهلّ أي رفع الصوت عنده، أي عند ذبحه، لغير الله: أي باسم غير الله. اهـ. شيخنا.

وفي تفسير نور الحقائق الربانية: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾)، أي ما ذبح به لغير الله: أي رفع الصوت للصنم، وذكر عليه غير اسم الله، وذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزّى. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣])، أي رفع الصوت لغير الله به، وهو قولهم؛ باسم اللات والعزّى عند ذبحه. وفي تبصرة الرحمٰن وتيسرة المنّان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن في التفسير للشيخ زين الدين علي بن أحمد الحنبلي رحمه الله في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية

....

١٤٥])، أي: خروجًا عن الدِّين الذي كالحياة المطهّرة، (﴿أُهِلَّ﴾ [الآية ١٤٥]) أي صوت فيه باسم (﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١٤٥]) بسبب ذبحه، فإنه وإن قرن به اسم الله لا يؤثّر معه التطهير. اهـ.

وفي عيون التفاسير للفضلاء السماسير للشيخ الفاضل الكامل المكمّل الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي الشافعي: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾) أي: وحرّم ما ذكر عليه بذبحه اسم لغير الله، والإهلال رفع الصوت في اللغة، وكان المشركون إذا ذبحوا رفعوا الصوت بذكر آلهتهم. اهـ.

وأيضًا فيها في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي حرّم عليكم أكل ما ذُبِح لغير الله بذكره، يعني بذكر اسم الصنم؛ كقول الجاهلية عند الذبح: باسم اللّات والعزّى، وأصل الإهلال رفع الصوت، فسُمّي الذبح باسم الإهلال لرفعهم الصوت عند الذّبح بذكر آلهتهم. اهـ.

وأيضًا فيها في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) عطف على لحم خنزير، أي أو يكون المذبوح خارجًا عن أمر الله وصفة فسقًا، (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) أي رفع بالفسق لغير الله. اهـ. (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) أي رفع بالفسق لغير الله أي لمعبودهم، يعني بذكر اسمه على المذبوح عند ذبحه، وسُمّي فسقًا لتوغّله في المعصية بذكر اسم غير الله عليه. اهـ.

وأيضًا فيها في تفسير سورة النحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ [الآية ١١٥]) أي رفع الصوت في ذبحه (﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١١٥]) أي لغير اسمه تعالى بسبب ذلك الشيء، فالباء يتعلق بقوله: أهلّ. اهـ.

وفي التيسير للعلّامة النسفي: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) أي رفع فيه الصوت بذكر غير الله وهو ما ذُبِح للأصنام، والإهلال رفع الصوت بالتسمية، وكذلك بالتلبية، وكذلك بذكر الله عند رؤية الهلال، وبه سمّي الهلال واستهلال الصبي رفع صوته عند الولادة. اهـ.

....

وفي تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير للشيخ العلّامة الخطيب الشربيني رحمه الله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) أي ذُبِح على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) أي رفع الصوت به لغير الله بأن ذبح على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، ومنه يقال: فلان أهلّ بالحجّ إذا لبّى، وكانوا يقولون عند الذبح: باسم اللات والعزّى. قال ابن عادل: وقدّم هنا لفظ الجلالة في قوله: ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: الآية ٣]، وأخّرت في البقرة لأنّها هناك فاصلة أو تشبيه الفاصلة بخلافها هنا؛ لأن بعدها معطوفات. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١٤٥]) أي ذُبِح على اسم غيره عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل. وفي التفسير المظهري: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) قال الربيع بن أنس: يعني ما ذُكِر عند ذبحه اسم غير الله، والإهلال أصل رؤية الهلال، يقال: أهلَّ الهلال ثم لمّا جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عند رؤية الهلال سُمّي لرفع الصوت مطابقًا الإهلال، وكان الكفّار إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها، فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكلّ ذابح وإن لم يجهر: مُهِلّ. اهـ.

وفي تفسير ابن كمال باشا رحمه الله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾) أي رفع به الصوت عند ذبحه لغير الله صنمًا كان أو نارًا أو غير ذلك، وما ذكر معناه الأصلي على ما نصّ عليه الجوهري، والهلال غرّة القمر إنما سُمّي به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير. اهـ.

وفي فتح الرحمٰن به ترجمة القرآن للعلامة مولانا شاه وليّ الله المحدّث الدهلوي قدّس سره: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾): وانجيه آو ازيلند كرده شوددر ذبح بغير خدا. اهـ.

....

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]): وانجيه نام غير خدا بوقت ذبح اويا دكرده شود.اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الآية ١٤٥]): يا انجيه فسق باشداكه براى غير خدا آواز بلند كرده شد وقت ذبح او.اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة النحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [الآية ١١٥]): وانجيه ذكر كرده شد نام غير خدا بر ذبح وى.اهـ.

وفي تفسير التوضيح: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾): وانجيه بسمل كرده شده است براى غير خدا، يعنى بى تسميه عمدا ذبح كرده يا بنام بت ذبح كرده شده.اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]): وانجيه ذبح كرده شده است بغير نام خداى وان گفتار كافر انست وقت ذبح بتام لات وعزى.اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الآية ١٤٥]): يا ذبيحه كه بى تسميه عمدا ذبح كرده شده است يا بنام بت ذبح كرده شده.اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة النحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [الآية ١١٥]): وانجيه ذبح كرده شو ديراى غير خدا، يعنى بنام بت.اهـ.

وفي تفسير الحسيني: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾) وحرام كرده انجيه آوازبرد ارند بآن بوقت ذبح، (﴿لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: الآية ٣]) اي غير خدا اى تعالى بنام بتان يا باسم بيغمبران بكشند.اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]): وانجيه آوازبرداشته باشند يعني يا دكرده باشند مر غير خداى رانزديك ذبح او مراد ذبيحه كفار است كه ازنام لات وعزى وغير ان مى كشتنده.اهـ.

....

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) ياشكته شده بفسق وان جهارا پايست (﴿أُهِلَّ﴾ [الآية ١٤٥]) آوازبرداشته شده است (﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الآية ١٤٥]) براى غير خداىء (﴿بِهِۦ﴾ [الآية ٥]) بوقت كشتن او يعنى انه برنام غير خدا كشته باشند وآنرافسق گفت زيراكه بدان عمل فاسق شوند. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة النحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ [الآية ١١٥]): وانجيه آواز اورابر أورده شود لغير (﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الآية ١١٥]) ازبر اي غير خدا (﴿بِهِۦ﴾ [الآية ١١٥]) بد ان در وقت ذبح ان يعنى بنام بتان بكشند. اهـ.

وفي الدرّ المنثور أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣])، قال: ما أهلّ للطواغيت. اهـ.

وأيضًا فيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ قال: ذبح، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ يعني ما أهلّ للطواغيت. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ قال: ذُبح لغير الله. اهـ.

وهكذا في فتح القدير. وفي تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) أي ذُبح على غير اسم الله. اهـ.

وأيضًا فيه: كذلك حرّم عليهم ما أهلّ به لغير الله وهو ما ذُبح على غير اسم الله تعالى من الأنصاب والأنداد والأزلام ونحو ذلك ممّا كانت الجاهلية ينحرون له، وذكر القرطبي عن ابن عطيّة أنه نقل عن الحسن البصري أنه سُئِل عن امرأة عملت عرسًا للعبها فنحرت فيه جزورًا، فقال: لا يأكل؛ لأنها ذبحت للصنم. وأورد القرطبي عن عائشة أنها سُئِلت عمّا يذبحه العجم في أعيادهم فيهدون منه للمسلمين، فقالت: ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا، وكلوا من أشجارهم. اهـ.

وفي تفسير النيسابوري: وأمّا ما أهلّ به لغير الله، فمعناه: رُفِع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعُزّى، وأهلّ المعتمر إذا رفع

صوته بالتلبية. قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرّب إلى غير الله صار مرتدًّا وذبيحته ذبيحة مرتدّ. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة الرابع: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يقولون عند الرفع: باسم اللات والعزّى. اهـ.

وفي تفسير روح البيان: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي وحرّم ما رُفِع به الصوت عند ذبحه للصنم، وأصل الإهلال رفع الصوت وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها، ويقولون: باسم اللات والعزى، فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مُهِلّ.

قال العلماء: لو ذبح مسلم ذبيحة وقصد بها التقرّب إلى غير الله صار مرتدًّا وذبيحته ذبيحة ميتة. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]، أي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه؛ كقولهم: باسم اللات والعزى.

قال الفقهاء: ولو سمّى الذابح النبيّ عليه السلام مع الله، فقال: باسم الله ومحمد حُرِّمت الذبيحة. وفي الحديث: «**لعن الله من لعن والديه، ولعن الله مَنْ ذبح لغير الله**».

قال النووي رحمه الله: المراد به الذبح باسم غير الله لمن ذبح للصنم أو لموسى أو لغيرهما.

ذكر الشيخ الماوردي: إن ما يُذبح عند استقبال السلطان تقرّبًا إليه أفتى له البخاري بتحريمه؛ لأنه مما أُهلّ به لغير الله.

وقال الرافعي: هذا غير محرَّم، لأنهم إنما يذبحونه استبشارًا بقدومه، فهو كذبح العقيقة لولادة المولود، ومثل هذا لا يوجب التحريم، كذا في شرح المشارق لابن ملك. اهـ.

....

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية ١٤٥]) عطف لحم خنزير (﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١٤٥]) صفة موضحة، أي ذبح على اسم الأصنام، وإنما ذلك فسقًا لتوغّله في الفسق. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة النَّحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ١١٥]) أي رفع الصوت للصنم به وذلك قول أهل الجاهلية باللات والعزى. اهـ.

وفي التفسيرات الأحمدية: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ معناه ذبح به لاسم غير الله مثلا لات وعزى وأسماء الأنبياء وغير ذلك، فإن أفرد باسم غير الله أو ذكر مع اسم الله عطفًا بأن يقول: باسم الله ومحمد رسول بالجرّ حرّم الذبيحة، وإنْ ذكر معه موصولًا لا معطوفًا بأن يقول: باسم الله محمّد رسول الله كُرِه ولا يحرّم، وإن ذُكِر مفصولًا بأن يقول قبل التسمية وقبل أن يضجع الذبيحة أو بعده: لا بأس به، هكذا في الهداية.

ومن هٰهنا عُلِم أن البقرة المنذورة للأولياء كما هو الرسم في زماننا حلال طيّب، لأنه لم يُذكر اسم غير الله عليها وقت الذبح، وإنْ كانوا ينذرونها له. اهـ.

وقال صاحب التفسيرات الأحمدية ـ يعني العلّامة أحمد المدعوّ جين ابن أبي سعيد بن عبد الله ﷺ ـ في المنهية: وأمّا بحسب النداء، فقد تقرّر أن النحر لغير الله حرام، ونذر الأولياء مؤوّلة بأن النذر لله وثوابه لهم. اهـ.

وفي تفسير فتح العزيز لرئيس المفسّرين مولانا العلّامة شاه عبد العزيز المحدّث الدهلوي ﷺ: وما أهلّ به يعني: ومگر آن جانوركه آوازبر آورده شد وشهرت داده شد در حق آن جانوركه، (﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٣]) يعنى براي غير خداست خواه آن غير بت باشديار وحى خبيث كه بطريق بهوگ كه بنام او بدهند وخواه جنى مسلط برخانه پاسراىء كه بدون دادن جانوراز ايذاى سكنهء آنجادست بردار نشوديا توب راروانه كردن ندهده وخواه يرى وپيغمبرى را باين وضع جانور زنده مقرر كرده هند كه اين همه حرام است. ودر حديث صحيح وارداست ملعون من ذبح لغير الله يعني هركه بذبح جانور تقرب بغير خدانما يد

....

ملعون است خواه دروقت ذبح نام خدا بگير ديانى زيراكه جون شهرت دادكه اين جانور براى فلانى است ذكر نام وخدا وقت ذبح فائده كردگه آن جانر منسوب بآن غير گشت وخبثى در وپيدا گشت كه زياده از خبث مردار است زيراكه مردار بى ذكرنام خدا جان داده است وجان اين جانور را ازآن غير خدا اقرار داده كشته اند وآن عين شرك است وهرگاه اين خبث دروى سرايت كرد ديگره بذكرنا خدا حلال نميشود ما نندسگ وخوك كه گربنام خدا مذبوح شوندا حلال نميگرد ندوكنه اين مسئلة آن است كه جان راير اي غير جان آفرين نياز كردن درست نيست وماكولات ومشروبات وديگر اموال رانيزگگه زراه تقرب لغير الله دادن حرام وشرك است. اما ثواب آن جيزها راكه عايد بدهنده ميشداز آن غير ساختن جائز است زيراكه انسان راميز سدكه ثواب عمل خودرا تواند بخشيد ونيزدادن مال ان ينجهت مستوجب ثواب است كه آدميان بوى منتفع ميشوند جون مرده ها بعداز مفارقت اين جهان قابل انتفاع بعين مال نمانده اند طريق نفع رسانيدن بآنها در شرع جنين قرار يآفت كه ثواب اموال راكه بمستحقان رساتند بآنها عايد سازند وگون جان جانور اصلا قابل انتفاع آدمى نيست درزندگى پس ازمردگى نيز قابل او نباشد. آرى اضحيه از طرف مرده كردن در حديث صحيح آمده است ليكن معنيش همين است كه دادن جان براى خدا ثوابى كه دارد بآن مرده بخشيده شودن آنكه ذبح براى مرده كرده آيد وبعضى جهال مسلمين درين مقام كج فهمى ميكنند وميگويندكه گوشت راپخته بنام مرده هادادن بلا شبهه جائز است ومانيزاز ذبح كردن جانور بنام آنى مرده همين قدر قصد مينمائيم. براث فهما نيدن ايشان يك نكته كافيست كه بايشان باد گفت كه هرگاه شما ذبح كردن جانور بنام غير خدانذر ميكنيد اگر عوض آن جانور گوشت بهمان مقدار خريده وپخته بفقرا بخورانيد دردهن شما آن نذرادا ميشود يانه اگرميشود است ميگوئيد كه مقصود شما از ذبح غيراز گوشت خورانيدن براى ثواب آن مرده نبود والا تقرب بذبح نذر او كرده آيد وشرك صريح لازومى آيد ودر لفظ اين آيت كه درجها رجا از قرآن مجيد وارد شدة تامل بايدكرد كه ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣] فرموده اندنه ما ذبح باسم غير الله پس ذبح كردن بنام خداهمراه شهرت دادن وآوازبر آوردن بآنكه فلانى گاو فلا في وبز فلانى ميكنند هيچ فائده نميكنند وگوشت آن جانور حلال نميگردد واهل رابر ذبح حمل كردن

....

خلاف لغت وعرف است هرگز اهلال درلغت عرب وعرف آن ديار وآن وقت بمعنى ذبح نيامده درهيج شعر وهيگ عبارت بلكه اهلال در لغت عرب بمعنى بلند كردن آواز وشهرت دادن است جنانچه اهلال وهلال واهلال طفل نوتولد واهلال بمعنى تلبيه حج وغير ذلك مستعمل است. واگرگسى بگويد كه اهللت لله هرگز معنى ذبحت لله فهميده نخواهد شد ونيزاگر هل رابز ذبح حمل كورده شود پس ذبح لغير لله مراد خواهد شد ذبح باسم غير الله از كجا فهميده شود تامدعائي ابن مردم حاصل شود پس دارين عبارت اهلال بمعنى ذبح گرفتن باز لغير الله رابجاى باسم غير الله ساختن قريب بتحريف كلام الهى ميرسد در تفسير نيشاپورى ميكويد: أجمع العلماء لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرّب إلى غير الله صار مرتدًا وذبيحته ذبيحة مرتدّ، انتهى. وكافران درجا هليت دروقت بر آمدن ازخانه ودرراه بنام بتان آواز ميكردند وجون بمكه معظمه ميرسيدندن طواف مينمودند اين طواف ايشان بخانه خداهر گزاز ايشان مقبول نبود لهذا حكم شدكه: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: الآية ٢٨] پس درينجا نيزجون آوازبر آوردند وشهرت دادندكه اين جانوراز فلا في است وبنام اوست وبراى اوميكنم ودر وقت ذبح بنام خدا ذبح كنا نيدند اصلا موجب ترتب حليت نگشت. وسرش آن است كه نزدعوام طريق ذبح جانور بهرگونه كه مقرر است متعين است براي رسانيدن جان نوار براى هركه منظور باشد جنانجه فاتحه وقل ودرود خواندن طريق متعين است براى رسانيدن ماكولات ومشروبات بارواح خواه بقصد رسانيدن ثواب بآن ارواح نمايندىا بقصد تقرب ودفع وجاپلوسى وتملق آرى ذكرنام خدا ايران جانور وقتى فائده ميدهدكه قصد تقرب بغير خدارا ازدل دوركرده وخلاف آن شهرت وآواز شهرت آوازديگر هندكه ازين كاربر گشتيم. آمديم بر آنكه درين سوره لفظ به رابر لفظ: ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٣] مقدم وآورده اندودر سوره مائده وانعام ونحل مؤخر وجهش آنست كه اصل همين است كه بارا متصل فعل ومقدم بر متعلقات ديگر آرند زيراكه بادرين مقام بر اي تعديه فعلست مانند همزه وتضعيف پس حتى الامكان ملاصق فعل باشد واين موضع اول قرآن است درين وضع برهمان اصل خود استعمال فرموده اندودر سورتهاىء ديگر انجه محل انكار ومدار سر زنش است يعنى ذبح بقصد غير الله مقدم وآمده. اهـ.

....

وفي لسان العرب قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾)، أي نُودي عليه بغير اسم الله. اهـ. وفي الصحاح قوله تعالى: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾) أي نُودي عليه بغير اسم الله، وأصله رفع الصوت. اهـ.

وهكذا في مختار الصحاح، وفي المغرب: الإهلال رفع الصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾. اهـ باختصار.

وفي الكشاف: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾) أي رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهليّة: باسم اللات والعزّى. اهـ.

وفي تفسير البغوي: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾، أي ما ذُبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت، فكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها، فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية: مُهِلّ، وقال الربيع بن أنس وغيره: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ قال: ما ذُكِر عليه اسم غير الله تعالى. اهـ.

وفي تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رضي الله تعالى عنه قوله تعالى: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]) قال الكسائي: أي ذكر وسمّى عليه غير اسم الله تعالى. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الآية ١٤٥]) وذلك ما يذبحون لأصنامهم أو يسمّون في دمائهم غير اسم الله تعالى. اهـ.

وفي تبصرة الرحمٰن وتيسرة المنّان: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾) لأنه زاد خبثه. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) فإنه إن ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر والمنجس مع نجاسته بالموت، وإن لم يذكر فقد زيد تنجّسه. اهـ.

وأيضًا فيه في تفسير سورة النّحل: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [الآية ١١٥]) فإن ذكاته لم يعده حياة إذ زاد به خبثًا. اهـ.

....

وفي الدرّ المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾) يقول: ما ذُكِر عليه اسم غير الله. اهـ.

وهكذا في فتح القدير وفي التفسير الكبير قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾)، قال الأصمعي: الإهلال أصله رفع الصوت، فكلّ رافع صوته فهو مُهِلّ، والذابح مُهِلّ؛ لأنّ العرب كانوا يسمّون الأوثان عند الذبح ويرفعون أصواتهم بذكرها، ومنه استهلّ الصبي، فمعنى قوله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾) يعني ما ذبح للأصنام، وهو قول مجاهد والضحّاك وقتادة. وقال الربيع بن أنس وابن زيد: يعني ما ذُكِر عليه غير اسم الله، وهذا القول أوْلى لأنه أشدّ مطابقة للفظ. قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرّب إلى غير الله صار مرتدًّا، وذبيحته ذبيحة مرتدّ. اهـ.

وفي تفسير الشيخ الأكبر العارف بالله تعالى العلّامة محيي الدين عربي رحمه الله: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾)، أي: رفع الصوت بذبحه لغير الله، يعني: ما قصد بذبحه وأكله الشِّرك لمنافاته التوحيد سفيرًا عن الشرك، ويُفهم منه ما يقوى آكله به على الكلام ورفع الصوت، ﴿لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ أي كل ما يؤكل لا على التوحيد فهو محرّم على آكله. اهـ.

وفي تأويلات النجمية لابن نجيم قدّس سرّه: (﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾) هو كل ما يتقرّب به إلى الله تعالى من الطاعات البدنية والخيرات المالية من غير إخلاص لله وفي الله، بل للرياء والسمعة في سبيل الهوى. اهـ.

وأيضًا فيها في تفسير سورة المائدة: (﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية ٣]) يعني كل طاعة وعبادة وقراءة ودراسة تظهرون به لغير الله. اهـ.

وأيضًا فيها في تفسير سورة الأنعام: (﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الآية ١٤٥]) أي خروجًا عن طلب الحقّ في طلب غير الحقّ. اهـ.

وأيضًا فيها في تفسير سورة النّحل: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ﴾ [الآية ١١٥] وهو مباشرة كل عمل مباح لا لله وللتقرّب إليه، بل لهوى النفس وطلب حظوظها. اهـ.

(﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي ألجئ بكسر النون: **بصري وحمزة وعاصم**) لالتقاء الساكنين أعني النون والضادّ وبضمها غيرهم لضمة الطاء. ﴿غَيْرَ﴾ حال أي أكل غير

قوله: (﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي ألجئ بكسر النون: بصري)... الخ. أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. **(وحمزة وعاصم)**... الخ. في التفسيرات الأحمدية: هذه المحرّمات إنما حرّم أكلها إذا كان في حالة الاختيار. وأمّا في حالة الاضّطرار، فحكمها الرّخصة على ما صرّح به في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ الآية، يعني: من اضطر من جوع أو شرب بحيث يخاف تلف النفس وهو غير مؤقت بثلاثة أيام في الصحيح من المذهب لاختلاف طبائع الناس خلافًا للبعض على ما صرّح به في الزاهدي.

ومعنى قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ حال كونه غير باغ للذّة وشهوة، ولا عاد أي متعدٍّ مقدار الحاجة على ما في المدارك أو غير باغ بأن يُؤْثر نفسه على المضطر الآخر بأن ينفرد بتناولها فيهلك الآخر، ولا عادٍ بما مرّ على ما اختاره البيضاوي والكشاف، وكلّ من التأويلين يوافق مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه؛ لأن عنده يجوز أن يرخّص بهذه الرخصة، وإنْ كان عاصيًا في سفره، كما في فطر المسافر في رمضان. وأمّا عند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه والإمام أحمد رضي الله تعالى عنه فلا يباح للعاصي، والمعنى عندهما: غير باغٍ بالخروج على الإمام وغير عادٍ بقطع الطريق. ثم اختلف العلماء فيما بينهم في هذه الرخصة من أي قسم من الأقسام الأربعة، فأحد قولي الشافعي، وهو رواية عن أبي يوسف أيضًا، بأنها من أحد نوعي الحقيقة، يعني يرخص في الأكل في حالة الاضّطرار، ولا يرتفع الحرمة كما في الإكراه على الكفر وأكل مال الغير، فإن صبر ولم يأكل حتى مات ولم يمت آثمًا يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن إطلاق المغفرة يدلّ على قيام الحرمة. وذهب أكثر أصحابنا إلى أنها من ثاني نوعي المجاز، يعني يرتفع الحرمة أصلًا حتى لو صبر ومات يموت آثمًا يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ١١٩]، استثنى حالة الاضّطرار والكلام المقيّد بالاستثناء يكون عبارة عمّا وراء المستثنى، فيثبت في حالة الاختيار، وقد كانت مباحة قبل التحريم، فبقيت في حالة الاضّطرار على ما كانت، فلا يبقى الحرمة. وأمّا إطلاق المغفرة مع الإباحة، فباعتبار أن

﴿بَاغٍ﴾ للذة وشهوة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعد مقدار الحاجة. وقول مَن قال غير باغٍ على الإمام ولا عادٍ في سفرٍ حرام ضعيف لأن سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة، والحبس بالحضر يبيح بلا سفر، ولأن بغيه لا يخرج عن الإيمان فلا يستحق الحرمان. والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول (**الشبع**)، لأن الإباحة للاضطرار فتقدر بقدر ما تندفع الضرورة ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ في الأكل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث رخص.

ونزل في (**رؤساء**) اليهود وتغييرهم نعت النبيّ ﷺ وأخذهم على ذلك (**الرشا**).

الاضّطرار للتناول يكون بالاجتهاد، وعسى أن يقع التناول زائدًا على قدر ما يحصل به سدّ الرمق؛ إذ مثل مَن ابْتُلِي بهذه المخمصة يعسر عليه رعاية هذا الاضّطرار المرخّص والتناول بقدر الحاجة، فالله ذكر المغفرة لهذا التفاوت، هكذا في حواشي البزدوي.

وفي الزاهدي: من ثمرات الاختلاف بين الفريقين أنه إذا حلف لا يتناول اليوم حرامًا وأُكره على شرب الخمر واضطرّ إليه يحنث بشربه عند أبي يوسف، وحمد الله لأنه حرام حينئذ، ولا يحنث عند آخرين لارتفاع الحرمة، وأنه إذا لم يشرب وقت الإكراه فقتل لا يصير شريك دمه عند أبي يوسف، كما في الإكراه على كلمة الكفر ويصير شريكه عند آخرين، كما في الإكراه على شرب الماء بالقتل، هذا حاصل كلامه. وإنما جيء الكلام بحصر كلمة إنما مع أن المحرّمات كثيرة؛ لأنّ الحصر إضافي بالنسبة إلى ما حرّموه كالبقرة مثلًا، إنما حرَّمنا عليكم هذه المذكورات لا البقرة ونحوها، أو لأن نفي كلمة إنما ينتقص عند قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ لا على قوله: ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾، فكأن المعنى: إنما حُرِّم عليكم هذه المذكورات ما لم تضطرّوا، أي في حالة اختياركم، فمن اضطرّ منكم أحد فليأكلها دفعًا للهلاك، كذا في البيضاوي. **قوله: (الشَّبَع)** ضدّ الجوع.

قوله: (رؤساء) جمع رئيس مثل شريف وشرفاء. **قوله: (الرشا)** بالكسر جمع رشوة بالكسر، مثل: سِدْرة وسِدَر والضمّ لغة وجمعها رشًى بالضم أيضًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في صفة محمد عليه السلام ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ **(أي عوضًا)** أو ذا ثمن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ **(ملىء بطونهم)** تقول: أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار. ومنه قولهم: «أكل فلان الدم» إذا أكل الدية التي هي بدل منه **(قال)**:

(يأكلن كل ليلة إكافا)

أي ثمن إكاف فسمّاه إكافًا لتلبسه به بكونه ثمنًا له. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كلامًا يسرهم ولكن بنحو قوله: ﴿(ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا) ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهرهم **(من دنس ذنوبهم)** أو لا يثني

قوله: (أي عوضًا) فسر الثمن به لدخول الباء على ما يقابله. **قوله: (ملىء بطونهم)** وجه الدلالة أن المقصود من ذكر في بطونهم متعلّقًا بقوله: يأكلون، إنما هو بيان محل الأكل، فلمّا لم يقل يأكلون في بعض بطونهم دلّ على أن محلّ الأكل هو تمام بطونهم، فيلزم امتلاؤها. **قوله:**

(قال) إن لنا أحمرة عِجافا **(يأكلن كل ليلة إكافا)**

الأحمرة جمع حمار، والعجاف جمع الأعجف على غير قياس؛ لأن أفعل وفعلًا لا يُجمع على فعال، ولكن بنوه على سمان، والعرب قد تبني الشيء على ضدّه؛ لأن العجف ضدّ السمن، كما قالوا: عدوّه بناء على صديقه، وفعول إذا كان بمعنى فاعل لا يدخله الهاء. والإكاف كاف لكتاب وغُزاب البَرْذَعَة، وقد تُبدل الألف من الواو، فيقال: وكاف، والمعنى: إن هذه الأحمرة كل ليلة يأكلن علفًا بثمن بَرْذَعَة، والبيت رجز لا يُعلم قائله. **قوله:** ﴿(ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]) ابعدوا في النار أذلّاء، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨] في رفع العذاب عنكم. **قوله: (من دنس ذنوبهم)** الدَّنس ـ بفتحتين ـ الوسخ. اهـ مختار الصحاح.

عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فحرف النفي مع الفعل خبر «أولئك» و«أولئك» مع خبره خبر «إن» والجمل الثلاث معطوفة على خبر «إن» فقد صار لـ«إن» أربعة أخبار من الجمل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ **(فأي شيء صبّرهم)** على عمل يؤدّي إلى النار؟ وهذا استفهام معناه التوبيخ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ﴾ أي أهل الكتاب ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو للجنس أي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ خلاف (﴿بَعِيدٍ﴾ **عن الحق)** أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يَعلمون، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ﴾ أي ليس البر توليتكم ﴿وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ والخطاب **(لأهل الكتاب لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس، وقبلة اليهود)**

قوله: (فأي شيء صبّرهم)، يعني أنه ليس صيغة التعجّب، بل كلمة ما استفهامية دخلت على الفعل المتعدّي بالهمزة لقصد التوبيخ. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (بعيد عن الحق) بيان لتقدير متعلّقه.

قوله: (لأهل الكتاب) أي اليهود والنصارى. **قوله: (لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس وقبلة اليهود)** مغربه. في الكشف: إنّ هذا بحسب أفق مكّة، وهو

مغربه، وكل واحد من الفريقين يزعم أن البرّ التوجه إلى قبلته، فردّ عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه مَنسوخ ﴿وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بر ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف **(والأول أجود)**. والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي. وقيل: كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل: ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر مَن آمن وقام بهذه الأعمال.

يقتضي أنّ التوجّه لهما للمقدس. وأمّا كونه مشرّقًا[1] ومغرّبًا بحسب الأفق لا مطلقًا، فانظره.اهـ شهاب. وقال العلّامة عبد الحكيم: المراد من قِبَل المشرق والمغرب السَّمتان المعيّنان، فإنّ اليهود يصلّي قِبَل المغرب إلى بيت المقدس من أُفق مكّة، والنصارى قِبل المشرق.اهـ. وفي أكثر التفاسير: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ[2] ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ خطاب لليهود والنصارى، حيث قالت اليهود: إنّا قد صلّينا إلى مغرب بيت المقدس، والنصارى: إنّا قد صلّينا إلى مشرقه، ولنا هذا أبو تمام فكنا مهتدين. ولا يضرّنا ترك الإيمان، وأنه خطاب للمؤمنين وأهل الكتاب جميعًا، يعني: ليس البرّ مقصورًا بأمر القبلة أو ليس البرّ العظيم الذي يجب أن تذهلوا بسبب شأنه عن غيره أمر القبلة حتى تنازعتم بينكم في الاستقبال إلى المشرق ـ أي الكعبة ـ أو المغرب ـ أي بيت المقدس ـ ونحن نقول: إن الأوّل أوْلى؛ لأن الآية مدنية، والكعبة إنّما هي من جنوبها لا من مشرقها، إلّا أنْ يقال: الكعبة مشرق بالنسبة إلى بيت المقدس، وهو مغرب بالنسبة إليها، وإنْ لم يكونا كذلك بالنسبة إلى المدينة.اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله: (والأوّل)** أي تقدير المضاف في الخبر **(أجود)** أي أحسن؛ إذ سابقية القرينة أوْلى من لاحقيتها، ولأنه تقدير في وقت الحاجة لا قبلها؛ ولأن المقصود بيان البرلاذية ومراده أنه أحسن من التقدير الثاني؛ لأن الآخر أبلغ.اهـ شهاب رحمه الله. وقال العلّامة عبد الحكيم رحمه الله: أحسن في نفسه لأنه كنزع الخفّ عند الوصول إلى الماء؛ لأن المقصود من كون ذي البرّ من آمن إفادة أن البرّ إيمان، فيؤوّل إلى الأوّل.اهـ.

---

(١) وتقديم المشرق لأن توجه اليهود إلى المغرب ليس لكونه مغربًا، بل لكونه بيت المقدس من المدينة المنورة واقعًا في جانب الغرب.اهـ قنوي رحمه الله، ١٢ منه.

(٢) من أفق مكة.اهـ قنوي، ١٢ منه عم فيوضهم.

(﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾) بالنصب **(على أنه خبر «ليس» واسمه** ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾**: حمزة وحفص.** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ **نافع وشامي. وعن المبرد: لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت «**﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾**» وقرىء «ولكن البار»)**.

قوله: (﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾) بالنصب، أي بنصب البرّ **(على أنه خبر «ليس»)** مقدّمًا **(واسمه** ﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾) في تأويل مصدر؛ لأن المصدر المؤوّل أعرف من المحلى، لأنه يشبه الضمير لكونه لا يُوصَف ولا يُوصِف. به **(حمزة وحفص)** عن عاصم. والباقون بالرفع على أنه اسم ليس؛ إذ الأصل أن يلي الفعل مرفوعه قبل منصوبه. **قوله:** (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾) بتخفيف[1] النون وكسرها ورفع البرّ. **(نافع)** المدني و**(شامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بفتح النون مشدّدة ونصب الراء. **قوله: (وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن)**، أي: لو جاز لي أن أقرأ بعدما ورد المنع بإجماع الصحابة أن يقرأ كل أحد بلغته. اهـ محشي رحمه الله. **(لقرأت** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾) بفتح الباء. اهـ الكشاف. وفي السمين: لقرأت ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بفتح الراء. اهـ. قال العلّامة التفتازاني رحمه الله: قوله: وعن المبرد هذا على سبيل الفرض والتقدير والقصد منه التنبيه على أن المعنى على الوصفية. اهـ. (المبرد) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ابن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال عوف بن أسلم وهو ثمالة بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الملك بن مالك بن النضر بن الأسود بن الغوث، وقال ابن الكلبي: عوف بن أسلم هو ثمالة، والأسد هو الأزدي الثمالي الأزدي البصري النحوي نزل بغداد وكان إمامًا في النحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب، منها: كتاب الكامل، ومنها الروضة والمقتضب وغير ذلك، أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه نفطويه وغيره من الأئمّة، وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين، وقيل: سنة سبع ومائتين، وتوفي يوم الاثنين لليلَتَيْن بقيتا من ذي الحجّة، وقيل: ذي القعدة سنة ستّ وثمانين، وقيل: خمس وثمانين ومائتين ببغداد، ودُفِن في مقابر باب الكوفة في دار اشتُرِيت له وصلّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي

---

(١) مخفّفة من الثقيلة جيء بها لمجرّد الاستدراك، فلا عمل لها ويرفع البر فيها على الابتداء. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

رحمه الله تعالى، والمبرّد بضمّ الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشدّدة وبعدها دال مهملة، وهو لقب عُرِف به، واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك، فالذي ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال: سُئِل المبرّد لِمَ لُقِّبت بهذا اللقب؟ فقال: كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمُنادمة والمذاكرة، فكرهت الذهاب إليه، فدخلت إلى باب أبي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي يطلبني، فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا ـ يعني غلاف مزملة[1] ـ فارغًا، فدخلت فيه وغطّى رأسه ثم خرج إلى الرسول وقال: ليس هو عندي، فقال: أُخْبِرت أنه دخل إليك، فقال: ادخل الدار وفتّشها، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة ثم خرج، فجعل أبو حاتم يصفّق وينادي على المزملة: المبرَّد المبرَّد، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به. وقيل: إن الذي لقّبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني، وقيل غير ذلك.

قوله: (وقرىء) شاذًا **(ولكن البار)** بالألف، وهو يقوّي أنّ البِرّ ـ بالكسر ـ المراد به اسم الفاعل لا المصدر. اهـ سمين. وفي هذه الآية أربع أوجه: أحدها: أن البرّ اسم فاعل من برّ يبرّ فهو برّ، والأصل برر ـ بكسر الراء الأُولى ـ بوزن بطن وفرح، فلما أُريد الإدغام نُقِلت كسرة الراء إلى الباء بعد سلب حركتها؛ فعلى هذا لا يحتاج الكلام إلى حذف وتأويل، فكأنه قيل: ولكن الشخص البرّ من آمن، ويؤيّد هذا القراءة الشاذّة باسم الفاعل الصريح التي نبّه عليها المصنّف رحمة الله عليه. الثاني: أنّ الكلام على حذف مضاف. الثالث: أن يكون الحذف من الثاني، ولكن البرّ من آمن، كما قدّره المصنف ﷺ أيضًا. الرابع: أن المصدر الذي هو البرّ ـ بالكسر ـ بمعنى اسم الفاعل الصريح الذي هو البارّ، ويؤيّده القراءة الشاذّة. قال في التفسيرات الأحمدية: فسّر البرّ بوجوه، الأول: بالإيمان. والثاني: في إيتاء المال. والثالث: بإقامة الصلاة. والرابع: بإيتاء الزكاة. والخامس: بإيفاء العهد. والسادس: بالصبر. وبيَّن الإيمان بخمسة: بالله، أي بوحدانيّته فقط، لا كما قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله. وباليوم الآخر، أي بأنه

---

(١) المزملة كمُعَظَّمَة التي يبرد فيها الماء، عِراقيّةٌ. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

حقّ يحاسب الناس فيه فيُجْزون بأعمالهم ويتضمّن إيمان الجنّة والنار والصراط والحوض والشفاعة وغير ذلك. وبالملائكة بأنّ جميعهم مخلوقات الله تعالى عاملون بأمره لا يُوصفون بذكورة ولا أُنوثة، لا كما أن الكفار جعلوهنّ بنات الله، ولا كما أن اليهود يودّون جميع الملائكة ويعادون جبريل، وجملتهم غير مقصورة في آية ولا محصورة في حديث لا علم لنا بها، ولكن المقرّبين منهم أربعة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل على ما نطق به الآيات الكثيرة والأحاديث المُسندة. وبالكتاب، أي بالقرآن أو بأن جميعها كُتُب منزّلة على الأنبياء حقًّا ويقينًا، وهي أربعة كتب: توراة على موسى، وإنجيل على عيسى، وزبور على داود، وفرقان على محمّد صلّى الله عليه وعليهم وسلّم، مائة صحيفة: خمسون على شيث، وثلاثون على إدريس، وعشرٌ على آدم، وعشرٌ على إبراهيم. وفي رواية أخرى: عشرون على إبراهيم دون آدم، ذكره الفقيه أبو اللّيث. وبالنبيّين، أي بأنّ جميعهم رسولٌ من الله، لا كما أن اليهود يؤمنون بموسى والنصارى بعيسى فقط. وقد رُوِي بيان عددهم في بعض الأحاديث بأنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا. وفي رواية: مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والأَوْلى أن لا يقتصر على بيان عددهم، بل يعتقد أن جميع مَنْ بُعِث إلى الخلق لتبليغ الأحكام حقٌّ بيقين. والرسول منهم ثلاث مائة وثلاث عشر على ما ورد به الأحاديث، وإنما ذكر لفظ النبيّ دون الرسول؛ لأن النبيّ أعمّ منه عند الجمهور ومرادف له عند بعض بخلاف الرسول؛ لأنه على تفسير الجمهور: مَنْ كان ذا كتاب وشريعة، والنبيّ لا يلزمه هذا المعنى؛ ففي ذكره إيمان بالجميع والمقام مقام التعميم، فكان أَوْلى. وأقول: في ذكر النبيّين بصيغة جمع المذكّر السالم إشارة إلى أن النبيّ ما كان أُنثى قط، وكلّهم كانوا ذكرًا على ما هو المذهب الصحيح، فيكون حجّة على مَنْ قال: أربعة نسوة كانت أنبياء: حوّاء وسارة وأُمّ موسى وأُمّ عيسى. وقديمًا كان يختلج هذا الاستدلال في صدري، ولكن لما أمعنت النظر وجدت فيه بحثًا؛ لأنه يحتمل أن يكون صيغة جمع المذكّر السالم باعتبار التغليب؛ كما في قوله تعالى حكايةً عن رؤيا يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤]، فإنّ الشمس لم يكن مذكرًا إمّا سماعًا فظاهر وإما

....

تأويلًا، فلأن الكواكب إخوة يوسف والشمس والقمر أبواه، وأبوه وخالته مع أنها فرد لجمع المذكر السالم، فالأَوْلى أن يُستدلّ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا[1] نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٩]؛ لأن سوق الكلام وإنْ كان لأجل أنه لم يكن من الأنبياء ملك، لكن يُفهم منه إشارة أنه لم يكن من الأنبياء امرأة أيضًا، وهذا هو الإيمان المفصّل. وإنما قدَّم اليوم الآخر لأنه لمّا كان أبعد نظرًا، كان الإيمان به مهمًّا. وإنّما قدَّم الملائكة على الكتاب ثم هو على النبيّين؛ لأن المنزل على الإنبياء وهو الكتاب إنما هو بواسطة الملائكة، فناسب ذكرها بالترتيب. والإيمان المُجمل أن تقول: آمنت بالله وبجميع ما جاء به النبيّ ﷺ، وقيّد إيتاء المال بقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، أي حبّ المال أو حبّ الله أو حبّ الإيتاء؛ لأنه يوجب زيادة النّعت والثواب واللذّة. وبين مصارفه بستّة: ذوي القربى، وهي أعمّ من أن تكون قرابة مودّة أو قرابة رحم. واليتامى وهم الذين قد مات آباءهم وكانو غير بالغين. والمساكين وهم محتاجون لا شيء لهم. وابن السبيل وهم الضَّيف أو كل مَنْ يقطع السبيل. والسائلين محتاجين أوّلًا؛ لقوله عليه السلام للسائل: «**عليك حق وإن جاء على فرس**». وفي الرقاب، أي في معاونة المكاتبين أو في فكّ الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها، وهذا الإيتاء مستحب لا واجب، ولم يبيّن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بل جملتها والتحق فعل النبيّ ﷺ، وقوله بيانًا له، وهذا الإيتاء واجب، ويحتمل أن يكون المراد من الأوّل مصارف هذا الثاني، وقيّد إيفاء العهد في قوله: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾، والزيادة إظهار وهو أعمّ من أن يكون عاهدوا الله أو الناس وهو معطوف على قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ بخلاف السوابق، فإنها معطوفة على قوله: ﴿ءَامَنَ﴾ دون مَنْ. وقيّد الصبر بالبأساء، أي الفقر والشدّة، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي المرض والزَّمانة. ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ أي وقت القتال، وهو أعني قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ غير معطوف على ما قبله، بل هو منصوب على المدح إظهارًا لفضل

(١) المذكور في الكشاف: أن قوله: ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٩] ردٌّ لقوله: ﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [فُصّلَت: الآية ١٤]، وقيل: نفي للنساء، ويُفهم منه على الأولى أنه لا يدلّ على نفي نبوّة المرأة، وما ذكرنا أدقّ؛ لأنه لنفي المرأة ولو كان نفي الملائكة. ١٢ ملاحين رحمة الله عليه.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي يوم البعث ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ **(أي جنس كتب الله)** أو القرآن ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي على حب الله أو حب المال أو حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي القرابة وقدمهم لأنهم أحق. قال عليه الصلاة والسلام: «**(صدقتك على المسكين)** صدقة وعلى ذوي رحمك صدقة وصلة». ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى، وإنما أطلق لعدم الإلباس. ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ المسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالسكير للدائم السكر ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ **(المسافر المنقطع)** وهو جنس وإن كان مفردًا لفظًا، وجعل ابنًا للسبيل لملازمته له أو الضيف ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ المستطعمين ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم

الصبر على سائر الأعمال. وقُرِىء: والصابرون أيضًا، كما قرىء: والموفين أيضًا. وقال الإمام الزّاهد: قيل: نزلت الآية يوم الخندق حين اشتدّ الأمر على المؤمنين، وكان في المدينة قحطٌ شديد والزّمان زمان الحرّ، وكان كثير من الصحابة لم يأكلوا طعامًا منذ أسبوع، وقد اجتمعت الأحزاب على باب المدينة، هذا لفظه. اهـ.

قوله: (أي جنس كتب الله) على تقدير كون الكتاب في ذلك بأن الله نزل الكتاب للجنس أو القرآن على تقدير كونه للقرآن ليتلائم الكلام. **قوله: (صدقتك على المسكين)** أخرجه الترمذي والنسائي وابن جرير من حديث سلمان بن عامر؛ لأنه لا شيء له عند الشافعي رحمه الله المسكين مَنْ يملك ما يقع موقعًا من حاجته ولا يكفيه؛ لقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: الآية ٧٩]. اهـ تفتازاني رحمه الله. ولأنه عليه الصّلاة والسّلام كان يتعوّذ من الفقر ويسأله المسكنة؛ فعلى هذا الفقير أسوء حالًا من المسكين، وعند أبي حنيفة رحمه الله على العكس؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البَلَد: الآية ١٦]. وأُجيب عن الآية الأولى بأنها لم تكن لهم، بل كانوا أُجَراء فيها أو عارية منهم، والفقر المُتعوّذ عنه في الحديث هو فقر النفس. **قوله: (المسافر المنقطع)** ظاهره لفظ اسم الفاعل، كأنه انقطع عن سفره أو رفقته، لكن الحقّ المنقطع به على لفظ اسم المفعول والتعدية بالباء في الأساس انقطع إذا كان ابن سبيل فانقطع به السفر دون طيّه، وهو منقطع به. وفي الصحاح: انقطع به فهو منقطع به إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت أو دابة قامت، أي وقفت وأعيت أو أتاه أمرٌ لا يقدر على أن يتحرّك معه. اهـ

أو في **(الأسارى)** ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة. قيل: هو تأكيد للأول. وقيل: المراد بالأول نوافل الصدقات والمبار. ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطف على «مَن آمن» ﴿بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ الله والناس ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ **(نصب على المدح)** والاختصاص إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال. ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر والشدة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض **(والزمانة)** ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ وقت القتال ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ أي أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في الدين ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾. **(رُوِيَ أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية)** وكان لأحدها **(طَول)** على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ حين جاء الله بالإسلام فنزل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

(﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾) أي فرض (﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾) وهو عبارة عن المساواة وأصله من قصّ أثره واقتصّه إذا اتبعه ومنه القاصّ لأنه يتبع الآثار والأخبار

تفتازاني رحمه الله. **قوله: (الأسارى)** بالضمّ جمع الأسير. **قوله: (نصب على المدح)** أي بتقدير أعني **قوله: (والزمانة)** في المصباح: زمن الشخص زمنًا وزمانة، فهو زَمِن مِنْ باب تَعِب وهو مرَض يدوم زمانًا طويلًا، والقوم زَمْنى مثل مَرْضى وأزمنه الله، فهو مُزْمَن. اهـ.

قوله: (رُوِي أنه كان بين حيَين مِنْ أحياء العرب دماء في الجاهلية)... الخ. قال العراقي: لم أقف عليه. قال السيوطي: أخرجه ابن أبي حاتم من سعيد بن جبير مرسلًا. **قوله: (طول**[1]**)** بفتح فسكون بمعنى الفضل، والمراد هنا شرف العشيرة.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾) أي فُرِض (﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾)... الخ. في التفسيرات الأحمدية: اعلم أنّ الله تعالى ذكر مسألة القصاص في آيات

---

(١) أي قوة وفضل. اهـ شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ جمع قتيل. والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى

متعدّدة، وسيجيء بيانها في سورة المائدة وبني إسرائيل إن شاء الله تعالى، وهذه الآية جامعة لبيان مسألة القصاص ومسألة العفو عنه وبيان المنّة على العباد بالتخيير بينه وبين بيان العفو منه وبكونه مشروعًا. أمّا مسألة القصاص ففي أوّل الآية، وهي عبارة في وجوب القصاص، أي المساواة، وإشارة في شرعية القصاص، أي قتل القاتل بعوض قتل المقتول، وهذا وإن لم يصرّح به أحد، ولكن فهمته مما ذكره الإمام الزاهد وهو أنّ في الجاهلية لمّا وقع الحرب بين القبيلتين يقتل أهل القبيلة الأعلى - أعني بني النضير - من أهل القبيلة الأدنى - أعني بني قريظة - عوض الحر حُرَّين منهم، وعوض العبد حرًّا منهم، وعوض الأُنثى ذكرًا منهم، فحرَّم الله تعالى هذا الحكم وأنزل هذه الآية، وهكذا ذكره جماعة من غير تفصيل بالقبلتين، فالمعنى المناسب بهذا المطلب وهو أنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ أي المساواة فيهم لا الزيادة، ولهذا ذكر بعده: ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ أي يقتل الحرّ الواحد بالحرّ، لا الحرّين. ويقتل العبد بالعبد لا الحرّ بالعبد، ويُقتل الأنثى بالأُنثى لا الذكر بالأُنثى. وذكر في الحسيني أن الشافعي ومالكًا رحمهما الله لم يجوّزا قتل الحرّ بالعبد نظرًا إلى هذه الآية، وأبو حنيفة رحمه الله يجوّز ذلك نظرًا إلى أن حكم هذه الآية منسوخ بآية المائدة، وهي قوله: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [الآية ٤٥]، ولم يجوّز أيضًا قتل الذكر بالأنثى نظرًا إلى هذه الآية، وأبو حنيفة رحمه الله يجوّز ذلك تمسّكًا بقوله عليه السلام: «**المسلمون تتكافأ دماءهم**»، وهذا شيء عجيب؛ لأنه يكفأ لكلتا المسألتين التمسك بقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [الآية ٤٥]. فما الاحتياج في تمسّك الثانية بحديث النبيّ عليه السلام، ولذلك اختار صاحب الكشاف أن الآية منسوخة بقوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: الآية ٤٥] من غير فصل، وأيّد ذلك بقوله عليه السلام: «**المسلمون تتكافأ دماءهم**»، وأيضًا لم يعهد في كتب الفقه لأصحابنا، وكذا في تفاسير الشافعية وكتبهم خلاف بيننا وبين الشافعي رحمه الله في جواز قتل الذّكر بالأُنثى، وكذلك لم يتعرّض له صاحب البيضاوي، وتمسّك في عدم جواز قتل الحرّ بالعبد بالسنّة والقياس، وأيضًا دعوى النسخ بقوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: الآية ٤٥] ضعيف، لتطبيقهما من غير نسخ، ولذلك جعل صاحب المدارك قوله: ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: الآية ٤٥]،

﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ مبتدأ وخبر أي الحر مأخوذ أو مقتول بالحر ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ

وقوله عليه السلام: «**المسلمون تتكافأ دماءهم**» دليلين لجواز قتل الحرّ بالعبد من غير نسخ، وجعل جواز قتل الذَّكر بالأُنثى مقيسًا على الأوّل، ومن ثمّ قال في شرح الوقاية: ولنا قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المَائدة: الآية ٤٥]، وقوله: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٨] لا يدلّ على النفي مما عداه على أصلنا على أنه إنْ دلّ يجب أن لا يقتل العبد بالحرّ، لقوله: ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾، هذا كلامه. وأيضًا أنه لا يصلح ناسخًا كما سيأتي في المائدة، ولهذا لم يتعرّض له صاحب الهداية، وأورد في الجواب أدلّة عقلية، ولي في هذا المقام جواب حسن، وهو أنه لمّا كان مدار القصاص على المُساواة ينبغي أنّ مَنْ يَقْتل يُقْتَل، ذكرًا كان أو أُنثى، حرًّا كان أو عبدًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، صحيحًا كان أو مريضًا، وإنما نصّ الله الحرّ بالحرّ لأنهم كانوا لم يقتلوا القاتل ولم يقتصروا عليه، بل يقتلون الحرّ بالعبد والحرَّين بالحرّ والذَّكر بالأُنثى، والمعنى: اقتلوا الحرّ الواحد إذا كان هو القاتل والأُنثى إذا كانت هي القاتلة، فيكون الآية حجّة على مالك والشافعي رحمهما الله من غير أن تكون منسوخة، تأمّل وأنصف. ثمّ الحكم عامّ على المسلم والذميّ جميعًا، لأن الكفّار يخاطبون بالحدود والقصاص، فيُقتل الذمي بالمسلم وبالعكس، وفيه خلاف الشافعي رحمه الله، وإنّما خصّ الخطاب بالمؤمنين موافقة لخطاب العبادات ومضيّ الواقعة. وفيه دليل على أن مُرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان؛ لأن القتل من أعظم الكبائر، ومع ذلك يُطلق عليه اسم المؤمن، فيكون ردًّا على المعتزلة فيما ذهبوا إليه. وفيه أيضًا دليل على أن القَوَد واجب في العمد متعيّنًا، ففيه ردّ على الشافعي رحمه الله في التخيير بينه وبين الدِّية؛ لأنه لا يقال: كتب الشيء المعين عند التخيير على ما لا يخفى. وأمّا مسألة العفو عنه، ففي قوله: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾، فضمير له وأخيه راجع إلى مَنْ، واتباع خبر لمبتدأ محذوف وهو الواجب، والآية عند الجمهور في العفو، وحينئذ معنى قوله تعالى: شيء من العفو والضمير في إليه راجع إلى الأخ أو إلى المتبع الدالّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱتِّبَاعَ﴾ [النِّساء: الآية ١٥٧]، ومن هو القاتل وأخيه هو وليّ المقتول، وقوله: له، إمّا على معناه وترك المفعول الآخر، كأنه قيل: من عفى له عن جناية وأُقيم له مقام عنه؛ لأن عفا إذا تعدّى إلى الجاني فقط أو

﴿بِٱلۡأُنثَىٰ﴾ وقال الشافعي رحمه الله: لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجري

الجناية فقط يتعدّى بعن، وإذا اجتمعا عدّى إلى الأوّل باللام، والثاني بعن، ومعنى الآية: فمن عُفِيَ له وهو القاتل من جهة أخيه، أي ولى المقتول شيء من العفو أي عفى عنه بعض الدم أو عفى عنه بعض الورثة، فالواجب اتّباع الطالب للقاتل بالمعروف بأن يطالب المال مطالبة جميلة وأداء القاتل بدل الدم إلى الأخ أداء بإحسان بأن لا يُمطله ولا يَبْخُسه. وبعضهم فسّر عفى بترك، وبعضهم بأعطى، ومعنى شيء حينئذ شيء من المال، ومن هو وليّ المقتول والأخ هو القاتل، والضمير في إليه راجع إلى من لا إلى الأخ المذكور، والآية حينئذ لبيان الصلح على مال. والمعنى: مَنْ أُعطي له وهو وليّ المقتول شيء من مال أخيه، أعني القاتل بطريق الصلح، فالواجب أخذه بمعروف من غير تكلّف، وأداء القاتل إليه بلا تسويف، هكذا في المدارك مع حسن تقرير منّي وزيادة تفصيل في البيان. ثم المذهب عندنا أنه إن عفى القصاص أولياء القتيل سقط من غير شيء، وإن صالحوا على مال سقط القصاص ووجب أداء المال، وإن عفى بعضهم أو صالح بعضهم على مال سقط القصاص، وكان للباقين نصيبهم من الدّية وللمصالح ما صالح عليه، وليس للعافي شيء من المال لأنه أسقط حقّه بفعله ورضاه، هكذا في كتب الفقه ومذاهب الشافعي رحمه الله أن الوليّ إذا عفى عن القصاص كلّه أو بعضه كان له أن يتّبع القاتل بالدّية، سواء شاء أو أبى. وقد شنّع عليه الإمام الزاهد بأن أخذ الدّية مع ترك القتل لا يُسمى عفوًا؛ لأن حق وليّ المقتول على مذهبه شيئان: إمّا القتل وإمّا المال، فكما لا يسمّى مباشرة القتل مع ترك المال عفوًا، فكذلك لا يُسمّى ضدّه أيضًا عفوًا. وصرّح بأن مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنّ قوله: عفى بمعنى أعطى، وإليه ذهب ابن عباس والحسن والمجاهد والضحاك، وإنْ جعله بمعنى العفو المَحْض رأى الشافعي رحمه الله وسكت عن معنى الترك. ومن هٰهنا يُعلم أن عند أبي حنيفة رحمه الله الآية محمولة على الصّلح على مال فقط، والعفو المجرّد ليس بمراد منها، وإليه يشير كلام صاحب الهداية حيث قال في باب الصلح: ويصح الصلح عن جناية العمد والخطأ. أمّا الأوّل، فلقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ الآية، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنها نزلت في الصلح، هذا لفظه؛ فلعلّه إنما عقب بقوله ابن

القصاص بين الحرّ والعبد بقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: الآية ٤٥].

عباس رضي الله تعالى عنهما لأنه على مذهب غيره ليس مما نحن فيه، ولأن المختار عنده هو هذا المذهب لا غير، فالعجب من صاحب الكشاف كيف سكت عن معنى الإعطاء وأنكر معنى الترك، مع أنه حنفيّ الفروع، وإنما لم يذكر معنى العطاء قاضي البيضاوي رعايةً لمذهبه، وظنّي أن الآية بكلّ المعاني يوافق مذهب أبي حنيفة ﷺ؛ لأنه إن جعل العفو بمعنى الإعطاء وحمل على الصلح فظاهر، ويؤيّده تنكير شيء، وإن جُعِل بمعنى العفو المحض، فكذلك؛ لأنّ العفو حينئذ شيء من الدم، وهو يُوجب المال للبقية اتّفاقًا، بخلاف ما إذا كان المَعْفو كل الدم، فإن العفو التام لا يُوجب المال عندنا أصلًا، وإنْ جُعِل بمعنى الترك فكذلك؛ لأنه راجع إلى أحد الوجهين. وكما بيان المنّة؛ ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾، فإن فيه بيان أن التخيير بين القصاص وبين العفو عنه والصلح على مال رحمة وسهولة لكم من ربّكم خاصّة لا يكون لمن قبلكم بهذه المثابة، فإنّ في التوراة كان القصاص واجبًا فقط، وفي الإنجيل كان العفو واجبًا فقط، والتخيير بينهما لأُمّة محمّد عليه الصّلاة والسلام من تخفيفه ورحمته، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ أي اعتدى القاتل بعد العفو بقتل آخر، أو اعتدى أولياء المقتول بقتل غير القاتل وبطلب القصاص بعد الدّية ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾، فإن فيه بيان وجه وجوب القصاص وشرعيّته بأنّ فيه حياة عظيمة للعالم؛ إذ لولا ذلك لما خاف أحد من قتل بغير حقّ، فيبدأ بقتل نفسه ثم يقتل أولياء المقتول بدله جماعة، ثم وثم إلى أن يكون الفساد شائعًا والقتال ضائعًا، ولمّا وجب القصاص لخاف كل واحد من أنه إن بدأ بالقتال ليُقْتل هو أيضًا، فيكون ذلك سببًا لمنعه من القتل، ويكون فيه حياة من هذا المعنى، وإنْ كان فيه ممات ظاهرًا، ولهذا قال: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. ويجوز أن يكون المعنى: ولكم في استيفاء القصاص حياة لأولياء القتيل؛ لأن مَنْ قتل شخصًا قتل أولياءه أيضًا دفعًا لهم عن نفسه، نصّ به الإمام الزاهد:

ومَن اطّلع على علم البيان ... اطّلع على خزائن الرحمٰن

مما أُودع في هذه الآية من البلاغة التي يعجز عنها اللّسان. اهـ.

كما بين الذكر والأُنثى وبقوله ﷺ: («**المسلمون تتكافأ دماؤهم**») وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدًا قتلوا به، وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفًا على ورود دليل آخر وقد ورد كما بيّنا.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ قالوا: العفو ضد العقوبة. يقال: عفوت عن فلان إذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه وهو يتعدى بـ«عن» إلى الجاني وإلى الجناية ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ [البقرة: الآية ٥٢] ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: الآية ٢٥] وإذا اجتمعا عدي إلى الأول باللام فتقول: «عفوت له عن ذنبه» ومنه الحديث «عفوت لكم عن صدقة (**الخيل والرقيق**») وقال (**الزجّاج**): من عفي له أي مَن ترك له القتل بالديّة.

وقال (**الأزهري**): العفو في اللغة الفضل ومنه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]. ويقال: عفوت لفلان بمال إذا أفضلت له وأعطيته، وعفوت له عما لي عليه إذا تركته. ومعنى الآية عند الجمهور: فمن عفي له

قوله: (المسلمون تتكافأ دماؤهم)، أي تتساوي في الدِّية والقصاص. اهـ مصباح. **قوله: (الخيل)** معروفة، وهي مؤنّثة ولا واحد لها من لفظها، والجمع الخيول. قال بعضهم: ويُطلق الخيل على العراب وعلى البراذين وعلى الفرسان، وسُمّيت خيلًا لاختيالها وهو إعجابها بنفسها مَرَحًا. اهـ مصباح.

قوله: (والرقيق) أي عبيد الخدمة. اهـ مصباح. وأيضًا فيه: ويُطلق الرقيق على الذَّكر والأُنثى وجمعه أرقاء، مثل شحيح وأشحّاء، وقد يُطلق على الجمع أيضًا، فيقال: عبيد رقيق. اهـ.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله. **قوله: (الأزهريّ)** اللغوي مؤلّف كتاب تهذيب اللغة وغيره، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري وُلِد سنة ٧٨٢، كان فقيهًا صالحًا غلب عليه علم اللغة. اهـ دستور الأعلام. وفي كتاب بغية الوُعاة في طبقات اللغويّين والنحاة: وكان عارفًا بالحديث عالم بالإسناد ثخين الورع، مات في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاثمائة. اهـ.

(من جهة أخيه شيء من العفو) على أن الفعل مسند إلى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والأخ ولي المقتول. وذكر بلفظ الأخوّة بعثًا له على **(العطف)** لما بينهما من الجنسية والإسلام، ومَن هو القاتل المعفوّ له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه. وقيل: أُقيم «له» مقام «عنه» والضمير في «له» و«أخيه» لـ«من»، وفي «إليه» للأخ أو للمتبع الدالّ عليه فاتباع لأن المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة، وليؤد إليه المطلوب أي القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن **(لا يمطله ولا يبخسه)**. وإنما قيل شيء من العفو ليعلم أنه إذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة ثم العفو وسقط القصاص. ومَن فسّر «عُفي» بترك جعل «شيء» مفعولًا به، وكذا مَن فسره بـ«أعطى» يعني أن الولي إذا أعطي له شيء من مال أخيه يعني القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف، وليؤده القاتل إليه بلا تسويف. وارتفاع «اتباع» بأنه خبر مبتدأ مضمر أي فالواجب اتباع ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فإنه كان في التوراة القتل لا غير، وفي الإنجيل العفو بغير بدل لا غير، وأُبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيرًا. والآية تدلّ على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالإيمان بعد وجود القتل ولبقاء الأخوّة الثابتة بالإيمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الديّة ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نوع من العذاب **(شديد الألم)** في الآخرة.

قوله: (من جهة أخيه) إشارة إلى أن مَن ابتدائية. **قوله: (شيء من العفو)** يريد أن ارتفاع شيء على أنه قائم مقام فاعل عفى بناءً على أنه في حكم المصدر، أي في حكم قولك: عُفِيَ عفوٌ، فإن عفى وإنْ كان لازمًا لا يتعدّى إلى المفعول به، إلا أنه يتعدّى إلى المفعول المطلق، فيصح أن يقام مصدره مقام الفاعل؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ﴾ [الحاقّة: الآية ١٣].

قوله: (العطف) أي التعطّف. **قوله: (لا يمطله)** في المصباح: مطله بدينه مطلًا من باب قتل إذا سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى. اهـ باختصار. **قوله: (ولا يبخسه)** من باب قطع، أي لا يُنْقصه. **قوله: (شديد الألم)** مستفاد من بناء فعيل وهو صفة مشبّهة أسندت إلى العذاب مجازًا.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ **(كلام فصيح)** لما فيه من الغرابة، إذ القصاص قتل وتفويت للحياة **(وقد جعل ظرفًا للحياة. وفي تعريف القصاص)** وتنكير الحياة بلاغة بيّنة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأي حياة. أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة **(بالارتداع)** عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل، لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من **(القود)** فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين. ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يا ذوي العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل حذرًا من القصاص.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

(﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ﴾ ٱلْمَوْتُ﴾ أي إذا دنا منه.

قوله: (كلام فصيح) أي كامل في الفصاحة عالي الطبقة في البلاغة لاشتماله على الغرابة التي هي من نكت البلاغة، ولكونه على غاية المطابقة لمقتضى الحال. **قوله: (وقد جعل ظرفًا للحياة)** تشبيهًا له بالمظروف الحقيقي من حيث إن المظروف إذا حواه الظرف لا يصيبه ما يخلّ به ويفسده، ولا هو يتفرّق ويتلاشى بنفسه، كذلك القصاص يحمي الحياة من الآفات، فكان من هذا الوجه بمنزلة الظرف. ولا شكّ أن في جعل الضدّ حاميًا لضدّه اعتبارًا في غاية الحسن والغرابة التي هي من نكات البلاغة وطرقها. **قوله: (وفي تعريف القصاص)**... الخ. يعني أن التعريف للجنس والتنوين للتنويع والتعظيم. **قوله: (بالارتداع)** في مختار الصحاح: ردعه من الشيء فارتدع، أي كفّه فكفّ، وبابه قطع. **قوله: (القود)** ـ بفتحتين ـ القصاص. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (﴿كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ﴾)... الخ. اعلم أنّ في الجاهلية كان أقوام يُوصُون بأموالهم للأغنياء وللأجانب بالرّياء والسمعة، ويحرمون الوالدين والأقربين ولا يتركون لهم أموالًا، فنهانا الله عزّ وجلّ عنه وفرض علينا الوصية للوالدين والأقربين بهذه الآية، فقوله تعالى: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مفعول ما لم يسمّ

....

فاعله لكتب، وإذا حضر أحدكم الموت ظرف له، وإن ترك خيرًا شرط له، يعني: فرض عليكم يا أيها المؤمنون إذا قرب أحدكم الموت إنْ ترك خيرًا، أي مالًا كثيرًا الوصية للوالدين والأقربين دون الأجانب بالمعروف أو العدل، فلا يوصي للأغنياء ولا يتجاوز الثلث حقّ ذلك حقًّا على المتّقين. ثم هذه الوصيّة كانت فرضًا في أوّل الإسلام، فنُسخت فرضيتهما، قيل: بآية الميراث، وقيل: بحديث «**لا وصيّة لوارث**»، وقيل: بالإجماع على ما مرّ في بيان النسخ، ونُدِبت بأقلّ من الثلث للأجانب عند غناء بالورثة في الحال أو عند كون التَّركة بحيث يصيرون بها أغنياء وعند عدم الشرطين تركهما أفضل؛ لِمَا رُوِي عن عليّ رضي الله تعالى عنه أن مولًى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه، وقال: قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ والخير المال الكثير. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ رجلًا أراد أن يُوصي فسألته: كم مالك؟ فقال: ثلاثة آلاف، فقال: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنّما قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك، ويجوز إلى الثلث؛ لقوله عليه الصّلاة والسلام: «**الثلث والثُّلث كثير**»، ولا يجوز بما زاد على الثلث ولا ينفذ ولا للتوارث إن أوصى له، إلّا أن يجيز بقية الورثة ذلك على ما عُرِف في الفقه، وقال الإمام الزاهد: إن هذه الآية محمولة على ما إذا كان الوالدان عبدين أو كتابيين أو كان الأقرب محجوبًا بغيره، فيكونوا غير وارثين، فيجوز لهم الوصية من غير نسخ هذا ما فيه، ولكن يكون قوله: كُتِب على سبيل الاستحباب دون الواجب على ما صرّح به صاحب المدارك، حيث قال: وقيل: هي غير منسوخة؛ لأنها نزلت في حقّ مَنْ ليس بوارث لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام ويُسلم الرجل ولا يُسلم أبواه وقرابته، والإسلام قطع الإرث فشرّعت الوصية فيما بينهم قضاء لحقّ الورثة ندبًا، وعلى هذا لا يراد بكتب فرض، انتهى كلامه. وهو المختار صاحب الهداية صرَّح به في كتاب الحجّ وقد شدّد النكير الإمام فخر الإسلام البزدوي في بحث النسخ على مَنْ قال: إنّ الآية منسوخة بالسنّة وبيّن له وجهين، وصرّح أن آية الميراث بيان لتلك الوصية وتقريره على ما ذكره أنّ الله تعالى فرض الوصية للوالدين والأقربين أوّلًا مجملًا، ثم لمّا عُلِم أنّ الإنسان لم يدرِ النافع مِنَ الضارّ ولا الحبيب من العدوّ، فربما يُوصي بمال قليل للأقرب نفعًا وبمالٍ كثير للأقرب ضررًا كما يُنْبىء عنه قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ

....

نَفۡعٗاۚ﴾ [النِّساء: الآية ١١] بيَّنهما بآية الميراث وقدر سهام كل واحد بنفسه، ولم يفوّض إلى رأي الوصي، فيكون آية الميراث بيانًا للوصية المفروضة، وما ذُكِر بعد تمام الميراث من قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ [النِّساء: الآية ١٢]، فتلك وصية أخرى مندوبة بأقلّ من الثلث معروفة في الفقه؛ لأنها عين الوصية الأُولى بدليل أنّ المعرفة إذا أُعيدت نكرة كانت غير الأُولى، وهذا توجيه حسن بديع ذكره صاحب الكشاف والبيضاوي. وأيضًا ذُكِر في الكشاف وجهٌ آخر أيضًا، وهو أنه قيل: لم ينسخ، والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين.
وقوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾، أي فمن بدل الإيصاء بعد السماع بحيث لو يعط للمُوصى له أو يُعطى بأقلّ مما أوصى به، فإنما إثمه على الذين يُبدلونه وهو الوصي دون الموصي والموصى له، إن الله سميع بأقواله عليمٌ بنيّاته. فإن قيل: إثم التبديل لا يحتمل أن يكون غير البدل، فما وجه الحصر؟ قيل: إنما هٰهنا بمعنى إن، ويحتمل أن يكون الحصر حقيقيًّا لا إضافيًّا، كذا في الغفوري.
ثم إنه حين نزلت هذه الآية تحرّزت الأوصياء من التغيير والتبديل مطلقًا، وتمسّكوا بأي ما أمر الموصي تحرّزًا عن الوعيد، فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ﴾ الآية، ومعناه: كلّ من خاف سواء كان وارثًا أو وصيًّا أو إمامًا أو قاضيًا من موصٍ جنفًا، أي ميلًا عن الحقّ سهوًا أو إثمًا، أي خلاف الحقّ عمدًا فأصلح بينهم، أي بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون أو بين الموصي لهم والورثة على نهج الشريعة ورعاية الحقّ فلا إثم عليه؛ لأنه بدل الباطل بالحقّ لا الحقّ بالباطل، وكلام صاحب الحسيني يدلّ على أن الجنف هو العدول عن القربى والميل إلى الأجانب والإثم هو الوصية بالزيادة على الثلث، وقال صاحب الهداية في باب الوصايا في قوله عليه الصّلاة والسلام: «**الجنف في الوصية من أكبر الكبائر**»، فسّروه بالزيادة على الثلث وبالوصية للوارث، وبين الكلامين تَنافٍ والأول أقرب لسوق الآية؛ لأنه لمّا كتب الوصية للأقرباء كان الجنف هو العدول عنه لا الوصية للوارث، ولكن يُروى الجنف في الحديث بروايتين بالحاء المهملة والياء، أي الحيف وبالجيم المعجمة والنون، أي الجنف، فليكن الرواية الأُولى في الحديث هي الأصحّ، ولعلّه لهذا المعنى لم يتعرّض صاحب الهداية للآية، أو

فظهرت (**أمارته**) ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالًا كثيرًا لما رُوِيَ عن عليّ ﷺ إن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال: قال الله تعالى: «إن ترك خيرًا». والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وكانت الوصية للوارث في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث كما بيّناه في شرح المنار. وقيل: هي غير منسوخة لأنها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام، يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرائبه، والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندبًا وعلى هذا لا يُراد بكتب فرض ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل وهو أن لا يُوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث ﴿حَقًّا﴾ (**مصدر مؤكد أي حق ذلك حقًا**) ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ على الذين يتقون الشرك.

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقًا للشرع من الأوصياء والشهود ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي الإيصاء ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فما إثم التبديل

لأنها لم تدلّ على كون الجنف جناحًا، بل على عدم الإثم على المبدل، وفي أكثر التفاسير. وقيل: هذه الآية في حال حياة الموصي، أي فمن حضر وصيّه فرآه على خلاف الشرع، فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح، فلا إثم على هذا الوصي بما قال أوّلًا، ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بجعل هذا التبديل غيرَ إثم لا بالعفو عن هذا الإثم، لأنه لا إثم حينئذٍ أو المعنى: لا إثم عليه بحيث تعاقب به، بل هو معفوٌّ مغفور، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (أمَارَته) أي علامته. **قوله: (مصدر مؤكّد)** يؤكّد مضمون الجملة المتقدّمة فيكون عامله محذوفًا، **(أي حقّ ذلك حقًا)**. فإن قيل: قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يقتضي أن يكون هذا التكليف مختصًا بالمتّقين، وقد دلّ الإجماع على أن الواجبات والتكاليف عامّة في حق المتّقين وغيرهم. وأُجيب بأنّ المراد بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أنه لازم لكل من آثر التقوى وتحرّاها وجعلها طريقًا له ومذهبًا، فيدخل فيه الكل.

قوله: (الحيف) في المصباح: حاف يحيف حيفًا جار وظلم وسواء كان

إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من (الحيف) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بجور المبدل.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ علم وهذا شائع في كلامهم يقولون أخاف أن ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم ﴿مِن مُّوصٍ﴾ («موصٍّ»: كوفيّ غير حفص). ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحق بالخطإ في الوصية ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمدًا للحيف ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ حينئذٍ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر مَن يبدل بالباطل، ثم مَن يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل (لا يؤثم). وقيل: هذا في حال حياة الموصي أي فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا إثم على هذا الموصي بما قال أولًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ أي فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾) هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ أي كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ على الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى

حاكمًا أو غير حاكم، فهو حائف وجمعه حافة وحُيَّف. اهـ.

قوله: (موصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد. **(كوفي غير حفص)** أي أبو بكر شعبة بن عياش عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وكذا يعقوب البصري. والباقون بالسكون والتخفيف، وهما مَنْ وصّى أوصى لغتان. **قوله: (لا يؤثم)** بالتخفيف من أثمه على أفعله أوقعه في الإثم. وأمّا أثَّمه بالتشديد فمعناه تشبه إلى الإثم.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ أي فُرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾)... الخ. هذه الآية لبيان فرضية الصوم وبيان صوم المريض والمسافر وبيان صوم الشيخ الفاني. أمّا بيان فرضية الصوم، ففي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾،

عهدكم فهو عبادة قديمة، والتشبيه باعتبار أن كل أحد له صوم أيام أي أنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبد مَن كان قبلكم.

والصيام مصدر صام الرجل، صرّح به في المدارك. وإنّما يدلّ عليها لأن خبر الشارح آكد من أمره ونهيه. والمراد بها صيام شهر رمضان. قال صاحب الهداية: اعلم أنّ صوم رمضان فرض بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. والتشبيه في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ في حقّ مجرّد فرضية الصوم، يعني لا يخلو شرائع من قبلكم من فرض الصّوم عليهم لا تخصيص لكونه. وإنّما قال هذا لتسلّي خاطرهم؛ لأن الصوم عبادة بدنية أشقى على النفس بسبب الجوع، لا في حقّ الأيام المعيّنة؛ لأن الأُمم السابقة فُرِض عليهم صوم غير رمضان مثل صوم أيام البيض لآدم، وصوم عاشوراء لقوم موسى، كما هو المرويّ في رواية، ولا في حقّ الكيفية لتقيّد صوم مريم بعدم التكلّم، وصوم قوم آخرين بعدم الأكل من العشاء لا من الصبح وأمثاله، وهذا ـ أعني تشبيه الذات بالذات ـ فقط لا في حقّ الأصل والكمّ والوصف جميعًا؛ كقوله: «**اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**» الدعاء، وكقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٠]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: الآية ٥٩]، وكقوله عليه السلام: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، وهذا كلّه على تقدير أن يكون المراد بأيام معدودات هي الأيام المعدودة المفسّرة بقوله تعالى فيما بعد: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، ويكون انتصابه بالصيام كما هو رأي الكشاف والمدارك، أو بإضمار صوموا، أو بأنه مفعول ثانٍ لكتب عليكم على السّعة، كما ذكره البيضاوي. ويجعل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ ناسخًا للسنّة لا لهذه الآية. وأمّا إن كان المراد بالأيام المعدودات صوم عاشوراء وأيام البيض، كما نُقل في الكشاف: أنّ الله تعالى كتب صيامها على رسول الله ﷺ حين هاجر ثم نُسِخت بشهر رمضان أو جعل انتصاب أيامًا معدودات بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ على الظرفية، كما في البيضاوي أيضًا بناءً على ما قيل: إن رمضان كان فرضًا على النصارى إلّا أنهم زادوه في عدده، فجعلوه خمسين مكان ثلاثين وغيّروا عن محلّه، فصاموا في أقصر أيام السنة وأطيبها. وقيل: زادوا ذلك

....

لموتان أصابهم كان التشبيه على التقدير في حقّ الأيام أيضًا، وكذا إن جعل قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] ناسخًا لقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ كان التشبيه في حقّ الكيفية أيضًا على ما سيجيء، هذا ملخص ما في التفاسير مع نوع تغيّر وتبديل مني. وإن أردت زيادة توضيح للمقام فاستمع لما ذكره الإمام الزاهد، حيث قال: وقد كان فرض الصوم في السنّة في يوم واحد وهو يوم عاشوراء، ثم نسخ فرضيته بصوم ثلاثة أيام البيض في كل شهر، ثمّ نسخت فرضيته بصوم شهر رمضان، لكن مع اختيار الصائم إن شاء صام وإن شاء أفطر وأعطى لكل يوم نصف صاع من حنطة مسكينًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾، أي يطيقون الصيام ولا يصومون فدية طعام مسكين، ثم أخبر أنّ الصوم خير من الإطعام، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ثم نسخ الاختيار وشرع صوم النهار مع صوم الليل، وكان الرجل يفطر بعد غروب الشمس إلى أن يصلّي العشاء، ثم حرّم عليه الأكل والشرب والجماع إلى ما بعد غروب الشمس من الغد، ثم نسخ صوم اللّيل بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ فتاب عليكم وعفا عنكم صوم الليل، وصار الصوم من طلوع الفجر الثاني إلى وقت غروب الشمس فرضًا واستقرّ الأمر على هذا. فهذا البيان يدلّ على أن صوم رمضان لم يفرض بالمرّة الواحدة، بل فُرِضَ درجة بعد درجة تيسيرًا وتسهيلًا على عباده ليتعودوا بهذه العبادة، هذا كلامه. ولكن يخالف بعض ما ذكره الإمام الزاهد من أن فرض الصوم في ابتداء الإسلام هو يوم عاشوراء، ثم نُسِخ فرضيته بصوم أيام البيض، ثم نسخ فرضيته بصوم رمضان لكلام صاحب الكشاف؛ لأن صوم عاشوراء لمّا كان منسوخًا بصوم أيام البيض لا يصحّ أن يكون نسخه بشهر رمضان إلّا بواسطة، وأيضًا ذكر بعضهم أنّ صوم عاشوراء كانت فرضًا لموسى عليه السّلام، وأيّام البيض لآدم عليه السلام، فكيف يصح نسخ الأوّل بالثاني؟ إلّا أن يقال: شرائع من قبلنا إنما يلزمنا إذا قصّ الله ورسوله، ويجوز أن يكون صوم عاشوراء ممّا قصّ الله ورسوله أوّلًا، فيلزم علينا. ثم قصّ صوم أيام البيض، فيلزم علينا فيصح نسخ صوم يوم عاشوراء بأيام البيض، كذا في الغوري.
وأمّا بيان المريض والمسافر، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ

....

سَفَرٍ﴾ الآية، فقد رخّص الله بإفطار الصوم للمريض والمسافر؛ إذ المعنى: فصومه عدّة من أيام أُخر غير رمضان إن أفطر في رمضان وجعل ما سوى رمضان كلّه محلّاً للقضاء، وقد خصّ عن هذا النص عيد الفطر والأضحى وأيام التشريق بقوله عليه السلام: «**ألا لا تصوموا في هذه الأيام، فإنّها أيام أكل وشرب وبعال**». فإن قيل: العام الذي خصّ عنه البعض ظنّي، فينبغي أنْ لا يكون صوم القضاء فرضًا لدخول الشبهة فيه. قيل: إنه من قبيل التقييد دون التخصيص والنصّ المطلق بعد التقييد يبقى قطعيًا ولا يصير ظنّيًا، فلا يحل بالفرضية. ثم إنه مطلق عن التتابع، فيجوز قضاء رمضان وصلًا وفصلًا. وقال بعضهم: لا يجوز فصلًا لقراءة آي ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ متتابعات. وعندنا هو خبر واحد لا يجوز الزيادة به على الكتاب، وتحقيقه في أصول الفقه، والمراد من المريض مريض يخاف به زيادة المرض بالصوم؛ كمرض بوجع العين وحمى البرد وأمثاله. وأمّا إذا كان مريضًا لم يخف زيادة المرض أو يضرّه الأكل، كمرض يكون بسبب امتلاء البطن بالطعام، فلا رخصة له بالإفطار، وهذا عندنا. وأمّا عند مالك، فأيّ مرض كان يفيد الرخصة. وعند الشافعي: مرض يخاف عنه الهلاك قطعًا غير محتمل، كما يعلم من الكشاف، والحجّة على الكلّ ما سيأتي. والمراد من المسافر مَنْ قصد سَيْر ثلاثة أيّام ولياليها سيرًا وسطًا، وفارق بيوت بلده اعْتُبر بعضهم الميل، فقيل: خمسة وأربعون، وقيل: أربعة وخمسون، وقيل ثلاث وستّون، وخير الأُمور أوساطها، كذا ذكره شهاب الملّة والدِّين في بعض رسائله. وإنما رخّص له الإفطار بسبب كثرة مشقّة قطع المسافة، ولكن حكم الرخصة باقٍ لكلّ مسافر سواء وجد فيه العلّة أولًا حتى يرخّص في الباغي وقاطع الطريق أيضًا، وإنْ كان عاصيًا في سفره، وكذا الحال في قصر الصلاة. وقال بعضهم: وإنما قال: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ولم يقل: أو مسافر، كما قال: ﴿مَّرِيضًا﴾ لأنّ استعمال على التي هي للاستعلال يدلّ على أن السفر أمرٌ اختياري بخلاف المرض، ولهذا لو أفطر المقيم ثم سافر لا يسقط عنه الكفارة بخلاف المريض، فإنه لو أفطر حال الصحة ثم مرض في ذلك اليوم سقط عنه الكفارة.

وأمّا مسألة الشيخ الفاني، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ

....

﴿طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾، وهو يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون المعطوف أو الشرط محذوفًا، يعني: على الذين يطيقونه ولا يصومونه، أو على الذين يطيقونه إن لم يصوموا فدية طعام مسكين، وكان في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعوّدوه، فرخّص لهم في الإفطار والفدية. ثم نُسِخ التخيير بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾؛ لأن مَنْ يطيقون الصيام ولا يصومون قصدًا إنما يجب عليهم الكفّارة والقضاء لا الفدية المذكورة، وثانيهما أن يكون لا محذوفًا وهو واقع في كثير من استعمال الفصحاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾، أو كان المعنى: وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين، وقد قرأ به حفص أيضًا، فكأن هذه الآية في حقّ الشيخ الفاني وفي حقّ الحامل والمرضع أيضًا عند الشافعي على ما هو مذهبه، وقد صرّح به صاحب المدارك والإمام الزاهد وكثير من أهل الفقه والأُصول، ولم يتعرّض لإضمار لا وقراءته صاحب الكشاف والبيضاوي إمّا لضعفه أو لأنها ذكرا قراءة آخر يؤدي معنى عدم الطاقة، مثل: يُطَوَّقونه ويَتَطَّوقونه ويُطَيَّقُونه وأمثال ذلك مما فيه معنى التكليف أو يكلّفونه على جَهْد وعسر ولا يتطيّقونه باليسر والسهولة، وهم الشيخ الفاني والعجائز، وقد أوّل به القرّاء المشهورة، أي يصومونه جهدهم وطاقتهم. ورُوِي عن شمس الأئمّة أنّ قوله تعالى: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ من الإطاقة، وماضيه أطاق والهمزة فيه للسلب، أي الذين أزالهم الطاقة كما في أشكى، أي أزال منه الشكوة ولا حاجة إلى حذف لا، واستحسن هذا التوجيه بعضهم وذكر عليه أسئلة وأجوبة لا يليق إيرادها هٰهنا.

وبالجملة، فللآية محال تأويلات كثيرة. وأمّا ما ذكره الشيخ الإمام فخر الإسلام البزدوي من أن قوله تعالى: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ مختصر بالإجماع، فقيل: معناه بدليل الإجماع، فإنّ حكم الشيخ الفاني مجموع عليه وهو مُستفاد من الكتاب ولا يستفاد منه بدون حرف لا، فيكون لا محذوفًا لا محالة، فيكون مختصرًا بدلالة الإجماع، لا بالإجماع نفسه؛ لأنه لمّا كان محتملًا للمعاني فلا إجماع. وقيل: المراد منه إجماع المتأخّرين، كذا في حواشيه. ثم الفدية أن يُطعم لكل يوم لمسكين واحد نصف صاع من برّ أو دقيق أو صاعًا من تمر أو شعير عند أهل العراق، ومدًّا عند أهل الحجاز وهو ربع الصاع، وهذا هو المقدار الواجب، فمَنْ

....

تطوّع خيرًا، أي أعطى زيادة من هذه الصدقة المذكورة، فهو خير له، فالتطوّع خير له أو الخير خيرٌ له، أي استحباب وفضيلة لا واجب. وأمّا على قراءة مَنْ قرأ مساكين مكان قوله: مسكين؛ فمعنى الآية على ذلك التقدير: ففدية طعام مسكين في صياماتهم، والجمع إذا قُوبِل بالجمع انقسم الآحاد على الآحاد، فيكون بمقابلة كل صوم طعام مسكين، ويسمّى هذا ـ أعني قضاء الصوم بالفدية ـ في عرف الأصول قضاء بمثل غير معقول؛ لأنا لم نعقل المماثلة بين الصوم والفدية، وإنما ثبت بالنص على خلاف القياس.

فإن قيل: كلّما ثبت على خلاف القياس يقتصر على مورده، فلِمَ أوجبتم الفدية في الصلاة بلا نصّ، فيما إذا مات وعليه قضاء الصلاة وأوصى لوارثه بها على ما صحّ عندكم أن فدية كل صلاة كصوم يوم؟ ولِمَ جوَّزتم بالفدية فيمن عليه قضاء صوم رمضان وأوصى بها في غير الشيخ الفاني؟ قيل: أمّا الأول، فقد ذكر أئمّة الأصول أن النص يحتمل أن يكون معلولًا، والصلاة نظير الصوم، بل أهمّ منه، فأمرناه بالفدية احتياطًا ورجونا القبول من الله تعالى فضلًا، فقال محمد في الزيادات: يجزئه إنّ شاء الله تعالى، فعلّق بمشيئة الله تعالى، ولم يجزم به قطعًا، فصار كما إذا تطوّع به الوارث في الصوم. وأمّا الثاني، فبدلالة النصّ لا بالقياس أيضًا، كما عُلِم آنفًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمطيقين بالمعنى الأول، أي صومكم يا أيها المطيقون خيرٌ لكم من الفدية وتطوّع الخير، فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ على ما مرّ من الزاهدي، أو بمعنى العاجز عن الصوم وهو الشيخ الفاني، أو لكلّ مَنْ له الرخصة، أي صومكم يا أيها المريض والمسافر والشيخ الفاني خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون فضيلة الصوم وثوابه، وحينئذٍ فيه دليل صريح على أن العزيمة في حقّ المسافر والمريض هو الصوم والإفطار رخصة، وأن العمل على العزيمة أوْلى من الرخصة، فيكون حجّة على الشافعي فيما ذهب إليه أنّ هذه الرخصة متعيّنة في هذا الباب لكونها رخصة إسقاط. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي بالصيام لأن الصيام (**أظلف لنفسه**) وأردع لها من مواقعة السوء، أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين إذ الصوم شعارهم.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

(**وانتصاب** ﴿أَيَّامًا﴾ **بالصيام**) أي كتب عليكم أن تصوموا أيامًا ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ موقتات بعدد معلوم أي قلائل وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ يخاف من الصوم زيادة المرض ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ (**أو راكب سفر**) ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة أي فأفطر (**فعليه صيام عدد أيام فطره**)، والعدّة بمعنى المعدود أي أمر أن يصوم أيامًا معدودة مكانها ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ سوى أيام مرضه وسفره. وأُخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف واللام لأن الأصل في «فعلى» صفة إن تستعمل في الجمع بالألف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (**نصف صاع**) من برّ (**أو صاع من غيره**)، فـ«طعام» بدل من «فدية». (**«فدية طعام مساكين»**).

قوله: (**أظلف لنفسه**) الظلف كفّ النفس عمّا لا يحلّ. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**وانتصاب** ﴿أَيَّامًا﴾ **بالصيام**) بناءً على تجويز عمل المصدر في الظرف مع تخلّل الفاصل، وإن لم يجز في غيره. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**أو راكب سفر**) إشارة إلى أن كلمة على استعارة تبعية شبه تلبسه بالسفر باستعلاء الراكب واستيلائه على المركوب يتصرّف فيه كيف يشاء. **قوله:** (**فعليه صيام عدد أيام فطره**) إشارة إلى أن قوله: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ مرفوع على أنه مبتدأ بتقدير المضاف والمضاف إليه حذف خبره المقدّم. **قوله:** (**نصف صاع**) من برٍّ وهو مدّان (**أو صاع من غيره**)، وقال الإمام الشافعي رحمه الله: كل يوم مسكينًا مدًّا من الطعام مِنْ غالب قوت البلد. وقال الإمام أحمد: نصف صاع من شعير أو مدّ من برّ. اهـ مظهري. **قوله:** (**فدية**) بغير تنوين (**طعام**) بالخفض على الإضافة (**مساكين**) بالجمع وفتح النون بلا تنوين. مدني أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة.

مدني **(وابن ذكوان)**. وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتدّ عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية، ثم نسخ التخيير بقوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه». ولهذا كرّر قوله: «فمن كان منكم مريضًا أو على سفر». لأنه لما كان مذكورًا مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدلّ على بقاء هذا الحكم. وقيل: معناه لا يطيقونه فأضمر «لا» لقراءة **(حفصة)** كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخًا. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ **(فزاد في مقدار الفدية)** ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ **(فالتطوع أو الخير)** خير له («**يطوع» بمعنى يتطوع: حمزة وعليّ)** ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ أيها المطيقون ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية وتطوّع الخير وهذا في الابتداء. وقيل: وأن تصوموا في

(وابن ذكوان) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، القريشي الدمشقي، ويكنى أبا عمرو، توفي بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وهو يروي عن ابن عامر الشامي، وقرأ ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وعاصم وحمزة والكسائي، وكذا يعقوب وخلف: «فديةٌ» ـ بالتنوين ـ «طعامٌ» ـ بالرفع ـ بدل من فدية، ومسكين بالتوحيد وكسر النون منوّنة. وقرأ هشام عن ابن عامر الشامي: «فديةٌ» بالتنوين «طعامٌ» بالرفع، و«مساكين» بالجمع وفتح النون. **قوله: (حفصة)** بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه وعنها، تزوّجها رسول الله ﷺ، وكانت حفصة من المهاجراتِ، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خُنَيْس بن حُذافة، رُوِي لها عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا. وتوفيت حفصة حين بايع الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما معاوية رضي الله تعالى عنه، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقيل: توفيت سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة سبع وعشرين. **قوله: (فزاد في مقدار الفدية)** مبنيّ على أن يكون تطوّع بمعنى تبرّع، ونصب خيرًا إما بنزع الخافض، أي من تطوّع بخير، أو بكونه صفة مصدر محذوف، أي مَنْ تطوّع خيرًا. **قوله: (فالتطوّع)** على أن يكون الضمير في قوله: فهو ضمير المصدر المدلول عليه بقوله: تطوّع. **قوله: (أو الخير)** على أن يكون الخير الذي هو صفة التطوّع المحذوف، فالخير المذكور أوّلًا مصدر؛ كقولك: خرت يا رجل فأنت جائز، وفي قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ اسم تفضيل بمعنى أزيد خيرًا، فصح أنْ يقال: الخير خيرٌ له. **قوله: يطّوّع** بالتحتية وتشديد الطاء وإسكان العين، **(بمعنى يتطوّع حمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بالفوقية وتخفيف الطاء مع

السفر والمرض خير لكم لأنه أشقّ عليكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **(شرط محذوف الجواب)**.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

(﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي ابتدىء فيه إنزاله) وكان في ليلة القدر أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى: «كتب عليكم الصيام» **(أو هو بدل من الصيام)** أو خبر مبتدأ محذوف أي هو شهر.

تشديد الواو وفتح العين. **قوله: (شرط محذوف الجواب)** دلّ عليه ما قبله، يعني: اخترتموه على الفطر والفداء عند التخيير.

قوله: (﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾)... الخ. فقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مرفوع في قراءة العامّة أمّا مبتدأ خبره الذي، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: وتلك الأيام المعدودة شهر رمضان، والذي صفته أو غير ذلك. وفيه إشارة إلى أن الصوم والفطر يعتبر برؤية الهلال، وهو الذي يُطلق عليه اسم الشهر، سواء كان تسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين كاملة، وكذا قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ إشارة إلى ما ذكرناه. وشهر رمضان مع الإضافة علم مُنِع من الصرف للعلمية والألف والنّون وحيث ما جاء بغير الإضافة، فعلى حذف المضاف، ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أنزل في شأنه القرآن، فهو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: الآية ١٨٣] أو ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من السماء إلى الدنيا أوّلًا وابتداء أو أنزل فيه جملة من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل نجمًا نجمًا وآية آية وسورة سورة إلى الأرض بحسب الحوائج؛ ففيه دليل واضح على أنّ ليلة القدر يكون في رمضان لأنه يفهم من هٰهنا أن القرآن نزل في رمضان، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: الآية ١]، فوجب التطبيق بينهما بأن يكون نزل في شهر رمضان، ولكن في ليلة معيّنة مشتهرة بليلة القدر، فعُلِم أن ليلة القدر يكون في رمضان كما هو الأصح

....

من المذهب، لا في الشهر الآخر، لأنه مرجوح. ولكنّهم اختلفوا كثيرًا في أنها أيّ ليلة من رمضان، وبين كل واحد عليه البرهان، والصحيح المُعتمد أنها سابع وعشرون من رمضان، حيث قال الإمام أبو إسحٰق الرازي: حروف ليلة القدر تسعة حروف، وقد ذكر الله تعالى تلك الليلة في سورة القدر ثلاث مرات، فاضرب تسعة في ثلاث فيكون سبعة وعشرين. وفي الأحاديث اختلافات وروايات في هذا الباب، وكَثُرت فيه أقوال المشائخين أيضًا، وقد ذكرت نبذًا منها في كتابنا المُسمّى بالآداب الأحمدية في أوراد الصوفية. وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ حال، أي أنزل حال كونه هدايةً للناس وآيات واضحات مكشوفات من الهدى والفرقان، أي مما يهدي إلى الحقّ ويفرّق بين الحقّ والباطل. وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ إلى آخره فيه توجيهان، الأول: ما قال صاحب المدارك وغيره من أن معنى الآية: مَنْ كان شاهدًا أي حاضرًا مقيمًا غير مُسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر، والشهر منصوب على الظرف، وكذا الهاء في ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، ولا يكون مفعولًا به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان الشهر، إلى هذا كلامهم.

ولا يخفى أن الآية بهذا المعنى لا تتناول المريض والمسافر، فإعادتهما بعدها ليس من قبيل إلحاق التخصيص للعامّ؛ لأن الكل خاص متقابل، لأنه لمّا كانت هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾، وكان المريض والمسافر مذكورًا معه ذُكِر مع الناسخ أيضًا، ولكن يشكل عليه بأن إظهار في في المفعول فيه المُضمر واجب، فكيف يستقيم قوله تعالى: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ بدون إظهار في؟ إلّا أن يقال: جُعِل مفعولًا على الاتّساع، كما قيل. والثاني: أن معناه مَنْ أدرك منكم الشهر فليصمه، فيكون عامًّا للمريض والمسافر، ثمّ لحق بعده التخصيص بقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ الآية، ولهذا أعاد حكمهما؛ لأنه لو لم يعد لا يحتمل أن الرخصة التي كانت في حقّها صارت منسوخة بهذا العام، وإليه مال أئمة الأصول، وهكذا ذكر في شرح المنار في بحث الرخصة والعزيمة، وفي الكافي كذلك، ويتفرّع عليه فوائد، منها: أن سبب وجوب الصوم وهو شهود الشهر موجود في حقّ المريض والمسافر، إلا أن يقال: الحكم وهو وجوب الأداء مُتراخٍ

....

عنهما، ولهذا تمسّك الشيخ الإمام فخر الإسلام البزدوي في بحث الواجب بالأمر بقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ على أن القضاء يجب بالسبب الذي يجب به الأداء، كما هو الأصح عندنا؛ لأن سبب وجوب الصوم وهو شهود الشهر موجود في حقّ المريض والمسافر، لكن وجوب الأداء مُتراخ عنهما إلى الصحة والإقامة، ولهذا يجب عليهما القضاء بذلك السبب، فلو كان القضاء واجبًا بالسبب لاحتاج إلى شهود رمضان آخر، فإن قلت: إذا كان وجوب القضاء بذلك السبب، فما الاحتياج إلى هذه الآية؟ قلت: للتنبيه على أن تلك الفريضة باقية عليكم لم تسقط بالتأخير، وتحقيقه في كتب الأُصول، وعلى هذا سقط ما اعترض عليه بأنه إن أُريد بالسبب سبب نفس الوجوب، فهو وحكمه كلاهما موجودان في الحال، وإن أُريد سبب وجوب الأداء وهو الخطاب، فهو وحكمه كلاهما متراخيان، فلا يستقيم تراخي الحكم عن السبب بكل حال؛ وذلك لأن قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ لمّا كان عامًّا للمسافر والمريض كان الخطاب في حقّهما موجودًا وحكمه مُتراخ عنه. ثم اختلفوا فيما بينهم بأن سبب وجوب صوم رمضان هو مطلق شهود الشهر، أعني الأيام بلياليها، أو الأيام فقط، ثم إنه كل الشهر أو بعضه كافٍ، فذهب شمس الأئمّة إلى أن السبب هو مُطلق شهود الشهر، أعني الأيام بلياليها؛ لأن الشهر اسم للمجموع، ولهذا ألزم القضاء على مَنْ كان أهلًا في الليل ثم جنّ وأفاق بعد مضيّ الشهر وصحّ نية الأداء بعد تحقّق جزء من الليل، ولم يصحّ قبله. وذهب الأكثرون إلى أنّ كل يوم سبب لصومه، بمعنى أنّ أوّل جزء كل يوم سبب لصومه؛ لأن صوم كل يوم عبادة على حِدَة متعلّق بسبب على حِدَة. وقيل: السبب هو الجزء الأخير من الليل للقطع بأنه يُخاطَب بالصّوم في الجزء الأول ولا خطاب قبل الوجوب، فلو كان السبب هو الجزء الأول لكان الوجوب بعده أو مقارنًا له، فلا يستقيم الخطاب.

ثم المختار أن السبب هو شهود بعض الشهر، ألا ترى أنّ مَنْ كان مفيقًا في أوّل ليلة من رمضان ثم جنّ جنونًا مستوعبًا بقية رمضان، فعليه صوم رمضان. وعلى كل هذه الأقاويل إشكالات لها دوافع أيضًا، فمن أراد الاطّلاع عليها فليرجع إلى كتب الأصول المبسوطة. ومعنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾، أي

....

الرخصة بالإفطار فلا يريد بكم العسر، أي وجوب الصوم، فهذه الآية حجّة على مَنْ فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما يجب عليهما الإعادة على ما صرّح به صاحب المدارك ثم العزيمة أوْلى عندنا والرخصة عند الشافعي، وكلام أهل الأصول يدلّ على أن هذا الاختلاف في المريض والمسافر جميعًا، وفي الهداية: أنه في المسافر فقط، وأنه شرطٌ في المريض للرخصة عنده خوف التلف، وتحقيقه أنه رخصة إسقاط عند الشافعي، أي من ثاني نوع المجاز من قبيل سقوط حرمة الخمر والميتة في حالة الاضّطرار، فلا يحسن الصوم عنده للمسافر بظاهر قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾؛ ولأن النبيّ عليه الصّلاة والسّلام قال لمن لم يُفطروا في سفر مدينة إلى مكّة: «**أُولئك العصاة، أُولئك العصاة**». ولنا في هذا الموضع قول حسن، وهو أن هذه الرخصة من ثاني نوعي الحقيقة والعزيمة هو الصوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٤] كما مرّ آنفًا، ولأن اليُسْر في الإفطار وهو دفع المشقّة فقط، والصوم عزيمة يؤدّي معنى الرخصة أيضًا؛ إذ فيه يُسْرٌ كامل وهو موافقة المسلمين، لأنّ الصوم وحده في غير رمضان أشقّ على النفس من الصوم فيه مع المسلمين مسافرًا، فكان الصوم أوْلى لأجل المعنيين. وأمّا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**أُولئك العصاة، أُولئك العصاة**»، فإنما هو فيما كان بسبب الصوم ضعف كلمة الله تعالى وتهاون الجهاد خاصّة دون الأعمّ، وهكذا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**ليس من امبر امصيام في امسفر**»، وكذا القول في المريض إذا كان مراد الله تعالى منه التيسير ينبغي أن لا يشترط فيه خوف التلف الحقيقي؛ لأنه ليس من اليسر في شيء، وأن لا يرخّص لكل مريض؛ لأنّ في عدم موافقة المسلمين مع القدرة عسرًا عظيمًا، وقد ذكر الإمام الزّاهد في هذا المقام كلامًا طويلًا حاصله: أن صفات الأفعال عندنا قديمة، وعند المعتزلة والأشعرية: صفات الأفعال حادثة بخلاف صفات الذات؛ فعند الأشعرية: كل ما يلزم من نفيه نقص، فهو صفات الذّات، وإلّا فهو صفة الفعل. وعند المعتزلة ما ينفي ويثبت، فهو صفات الفعل وإنْ لم ينفِ فهو صفة الذات، فالإرادة عندهم صفة الفعل؛ لأنه يثبت في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾، وينفي في قوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وعندنا كل شيء لا يتصوّر بدون الإرادة ولا ينفي

....

صفة الله أصلًا، وإنّما النفي باعتبار القيد، فالمراد هٰهنا نفي العسر لا نفي الإرادة. وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ مع أخويه عطف على قوله: ﴿ٱلۡيُسۡرَ﴾ من قبيل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [التوبة: الآية ٣٢]، أي: يريد الله أن تُكْمِلوا عدة رمضان من الهلال إلى الهلال كاملةً إذا كان خطابًا لكلّ مَنْ عليه الصوم، أو تُكْمِلوا عدة قضائه إذا كان خطابًا للمسافر والمريض خاصّة، ويريد الله أن تكبّروه وتُعظّموه على ما هداكم وأن تشكروا، فالمعنى بالتكبير تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه. وقيل: التكبير يوم الفطر. وقيل: التكبير عند الإهلال، كذا في البيضاوي. ويجوز أن يكون معطوفًا على أن يكون علّة مقدَّرة، مثل: ليسهل عليكم ولتعلموا ما تعلمون ولِتُكملوا. ويجوز أن يكون عللًا لأفعال كل بفعله والتوجيه المختار عند الكلّ أن يكون متعلّقه محذوفًا، تقديره: ولتكملوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم، ولعلكم تشكرون شرع ذلك، يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدّة ما أفطر فيه، ومن الترخّص في إباحة الفطر؛ فقوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ علّة الأمر بمراعاة العدّة، ولتكبروا علّة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر، ولعلّكم تشكرون علّة الترخيص، وهذا نوع من اللفّ لطيف المسلك، وهذه بعينها عبارة الكشاف والمدارك، وقد نقلها سعد الملّة والدِّين في الفن الثالث لشرح التلخيص وأورد عليها سؤالًا وجوابًا فليطالع ثمّة. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (أي ابتدىء فيه إنزاله)، جواب عمّا يقال: إنّ القرآن نزل على محمّد ﷺ في مدّة ثلاث وعشرين سنة منجمًا مبعضًا، فما معنى تخصيص إنزاله برمضان؟ أجاب بوجهين:

الأول: أن ابتداء نزوله وقع في رمضان في ليلة القدر منه، وفيه مجاز حينئذ؛ لأنه حمل لفظ القرآن على بعض أجزائه، ورُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه استدلّ بهذه الآية، وبقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: الآية ١] على أن ليلة القدر لا تكون إلّا في رمضان؛ لأن ليلة القدر إذا كانت في رمضان كان إنزاله في ليلة القدر إنزالًا في رمضان.

(**والرمضان مصدر رمَض**) إذا احترق (**من الرمضاء**) فأُضيف إليه الشهر (**وجعل علمًا، ومنع الصرف**) للتعريف والألف والنون، وسمّوه بذلك (**لارتماضهم**) فيه من حر الجوع ومقاساة شدّته، (**ولأنهم سمّوا الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحرّ**). فإن قلت: ما وجه ما جاء في الحديث (**«مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا»**) مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعًا؟ قلت: (**هو من باب الحذف لا من الإلباس. «القرآن» حيث كان غير مهموز: مكيّ**). وانتصب ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ على

والوجه الثاني: أنّ قوله: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، معناه: أُنزل في فضل هذا الشهر وإيجاب صومه على الخلق القرآن، كما تقول: أنزل الله في الزكاة آية كذا، أي في إيجابها، وأنزل في الخمر آية كذا، أي في تحريمها.

قوله: (أو هو بدل من الصيام) على حذف المضاف، أي: كُتِب عليكم الصيام صيام شهر رمضان. اهـ بيضاوي. **قوله: (والرمضان مصدر رمض)** من باب علم. **قوله:** (**من الرّمضاء**) بمعنى شديدة الحرّ. **قوله: (وجعل علمًا)** أي: جعل مجموع المضاف والمضاف إليه علمًا (**ومُنِع**) من (**الصَّرف**). **قوله: (لارتماضهم)** أي التهابهم. **قوله: (ولأنهم سمّوا الشهور بالأزمنة التي وقعت)** هي (**فيها**) وقت التسمية (**فوافق هذا الشهر أيام رَمْض الحرّ**) أي اشتداده، فسُمّي به كما سُمّي ربيع لموافقته الربيع، وجمادى لموافقته جمود الماء. في كتاب السامي في الأسامي: أنه كان في الجاهلية يسمّى (**المحرم**) المؤتمر، (**وصفر**) بالناجر، (**وربيع الأوّل**) بالخوّان، (**وربيع الآخر**) بِوَبْصان، (**وجمادى الأولى**) بِحَنِين، وقيل: حُنَيْن، (**وجمادى الآخرة**) بربَّى، (**ورجب بأصَمَّ**) ومُنْصَل الأسِنّة والشهر الحرام والمُنْصَل الأول، (**وشعبان**) بالعاذل، (**ورمضان**) بالناشق، (**وشوّال**) بالوَعْل، (**وذو القعدة**) بوَرْنة، (**وذو الحجّة**) ببُرْك، كذا أفاده العلّامة البيضاوي رحمة الله عليه في المنهيّة. **قوله: (مَنْ صام رمضان إيمانًا)**، أي: للإيمان، (**واحتسابًا**) أي طلبًا للثواب تمامه غُفِر له ما تقدّم من ذنبه، أي من الصغائر، ويُرجى عفو الكبائر. اهـ مرقاة.

وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.
قوله: (هو من باب الحذف) أي حذف المضاف. (**لا من الإلباس**) أي الالتباس.
قوله: (القرآن حيث كان غير مهموز مكي)، أي ابن كثير المكي، أي قرأ المكي

الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات **(مما يهدي)** إلى الحق ويفرّق بين الحق والباطل، ذكر أولًا أنه هدى ثم ذكر أنه بيّنات من جملة ما هدى به الله وفرّق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال. ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ فمن كان شاهدًا أي حاضرًا مقيمًا غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر. و«الشهر» منصوب على الظرف وكذا الهاء في «ليصمه» **(ولا يكون مفعولًا به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر)** ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ «فعدّة» مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه عدة أي صوم عدة ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ حيث أباح الفطر بالسفر والمرض ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الإعادة فقد عدل عن موجب هذا ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ عدة ما أفطرتم بالقضاء إذا زال المرض والسفر، والفعل المعلّل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدّة ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه

بنقل حركة الهمزة إلى الراء، وحذف الهمزة وصلًا ووقفًا، وحمزة وقفًا لا وصلًا. والباقون بإثبات الهمزة وسكون الراء وليس لورش فيه إلّا القصر؛ لأن قبل الهمزة ساكنًا صحيحًا، وهكذا كلّ ما جاء من لفظه. اهـ غيث النّفع.

قوله: (مما يهدي) إشارة إلى أن مِنَ الهدى والفرقان صفة بيّنات والهدى، بمعنى الهادي واللام فيه للجنس لا للإشارة إلى الهدي السابق، وأنّ ما قيل من أن النّكرة إذا أُعيدت معرفة كان الثاني غير الأوّل أكثري لا كلّي، فاندفع توهّم التّكرار.

قوله: (ولا يكون) أي الشهر **(مفعولًا به)** كما في شهدت يوم الجمعة، وشهدت عصر فلان بمعنى أدركته لظهور أن ليس المعنى كنت مقيمًا غير مسافر في يوم الجمعة، وإنّما لم يكن مفعولًا به؛ **(لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر)**، أي مدركان له مع أن المسافر لا يجب عليه الصوم على الوجه الذي يجب على المقيم، أعني من غير رخصة في الإفطار، وإذا جعل الشهر ظرفًا والشاهد بمعنى الحاضر المقيم لم يتناول المسافر، فلم يحتج إلى تخصيصه كما

ومن الترخيص في إباحة الفطر. فقوله: «لتكملوا» علّة الأمر بمراعاة العدّة «ولتكبّروا» علّة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر «ولعلكم تشكرون» علّة الترخيص وهذا نوع من اللف (**اللطيف**) المسلك. وعديّ التكبير بـ«على» لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل: لتكبروا الله أي لتعظموه حامدين على ما هداكم إليه. («**ولتكمّلوا» بالتشديد: أبو بكر**).

(**ولمّا قال أعرابي**) لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا (**فنناجيه**) أم بعيد فنناديه؟ نزل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

احتيج إلى تخصيص المريض المقيم في الشهر. **قوله**: (**اللّطيف**) المسلك لدقّته وخفائه على أنظار كثير من العلماء. **قوله**: (**ولتكمّلوا بالتشديد**) أي بفتح الكاف وتشديد الميم من كمل (**أبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم، وكذا يعقوب. والباقون بإسكان الكاف وتخفيف الميم من أكمل.

قوله: (**ولمّا قال أعرابي**)... الخ. أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه. **قوله**: (**فنناجيه**[1]) يجوز فيه النصب في جواب الاستفهام، والأوْلى الرفع، أي إن كان قريبًا فنحن نناجيه، ومقتضى الحكاية أن يقال: فإنه قريب لكن عدّل للدلالة على شدّة القرب حتى كأنهم يسمعون كلامه بالذّات. اهـ شهاب.

---

(١) رواية الكتاب بالنصب على جواب الاستفهام، والأظهر الرفع على ما في كتب الحديث، أي إن كان قريباً فنحن نناجيه. اهـ تفتازاني رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيوضهم..

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ علمًا وإجابة لتعاليه عن القرب مكانًا ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ («**الداعي**» «**دعاني**» **في الحالين: سهل ويعقوب، ووافقهما أبو عمرو ونافع غير قالون في الوصل**). غيرهم بغير ياء في الحالين. (**ثم إجابة الدعاء**) وعد صدق من الله لا خلف فيه، غير أن إجابة الدعوة

قوله: («**الداعي**» «**دعاني**») بإثبات الياء فيهما (**في الحالين**) أي الوصل والوقف (**سهل**) بن محمد البصري السجستاني (**ويعقوب**) بن إسحٰق البصري الحضرمي، وليسا من السبعة، (**ووافقهما أبو عمرو**) البصري، (**ونافع**) المدني (**غير قالون في الوصل**) هو عيسى بن مينا وقالون لقب، ويُروى أنّ نافعًا لقّبه به لجودة قراءته؛ لأن قالون بلسان الروم جيّد، وتوفي بالمدينة قريبًا من سنة عشرين ومائتين، وهو يروى عن نافع رحمه الله. **قوله**: (**ثم إجابة الدعاء**)... الخ. ذكر الله تعالى مسألة إجابة الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية، يعني: إذا سألك يا محمد عبادي عن دعوتهم إياي فقل: ليدعوني لأني قريب مجيب. ورُوِيَ أن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت. وفي الزاهدي: أنه إنّما لم يقل: قل له فإني قريب تنبيهًا على أن العبد إذا سأل عن غيري، فأنت مأمور بالجواب؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٩] الآية، وأمثاله. وإن سأل عن ذلك فأنا حاضر بالجواب، وذكر هو في وجه نزول هذه الآية ما ذكروا في وجه نزول قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] إلى آخره، من مباشرة الصحابة في ليالي الصيام على ما يأتي، وقال: إنه إجابة الدعوة استغفارهم من تلك المعصية، وبه ينتظم الآية مع ما قبلها وما بعدها. وربما يتمسّك بمثل هذه الآية على أن العبد إذا دعا الله تعالى لأجل قضاء الحوائج أو ردّ البلايا يستجاب له، فيكون للدعوات تأثير بليغ. وقد ينفيه أصحاب البدع والضلال، وهم المعتزلة قالوا: إن الدعاء لا يخلو إمّا أن يكون موافقًا للتقدير أو لا والثاني باطل؛ لأنه قد جفّ القلم بما هو كائن وما يبدل القول السابق ولا نفع في الأول بأن يُنسب إلى الدعاء دون التقدير. ولكنّا نقول: إنّ التقدير نوعان مبرم وهو لا يتبدّل أصلًا ومؤقت، وهو ما كان مُعلّقًا بأنه إن يَدْعُ العبد مثلًا يشفى وإلّا يموت، فللدعوات تأثيرٌ بليغ حيث علّق الشفاء بها، فلو لم يدع لهلك البتّة، وهكذا الحال في الصدقة والدعاء للأموات، وهذا أصلٌ

تخالف قضاء الحاجة فإجابة الدعوة أن يقول العبد يا رب فيقول الله: لبيك عبدي، وهذا أمر موعود موجود[*] لكل مؤمن وقضاء الحاجة إعطاء المراد وذا قد يكون

غامض لا يُدركه كل واحد من العوام. والقرب المذكور في الآية ليس بمكاني معاذ الله من ذلك، بل قرب الرحمة، أو هو متشابه، فيعتقد أنّ مراده حقّ ولا يشتغل ببيانه وكيفيّته، أو مجاز عن علمه بأحوال الداعي وإجابة دعوته. ولعلّه إنّما جِيء بقوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَانِۖ﴾ مع أنه غير محتاج إليه تنبيهًا على أن الدعاء يُستجاب بالتعجيل حين الدعوة، فإن قيل: قد تحقق التأخير في إجابة الدعوات، بل لم يُجَب أكثرها أصلًا؛ كدعاء الكافر وبعض المؤمنين، فكيف يصح التعجيل في إجابة كل ما يدعو به الناس؟ وأيضًا دعوة الداعي اسم جنس وفرده الحقيقي غير مراد لعدم اقتضاء المقام ذلك، وكذا الحكمي وهو جميع الأفراد؛ لأنه خلاف الواقع. وكذا قدر مِنَ الأقدار المتخلّلة بين الحدَّيْن؛ لأن اسم الجنس لا يحتمله. قيل: المراد بإجابة الدعوة أن يقول الرب: لبّيك عبدي، وذلك يكون في أوّل الوقت حين الدّعوة وهو موجود لكل مؤمن، لا أن المراد إعطاء النّيّة وقضاء الحاجة؛ إذ ليس ذلك ولا سؤاله مذكور في الآية. ألا ترى أن العشّاق الذين لا يريدون دِينًا ولا دُنْيا يدعون الله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة، ولا يطلبون منه شيئًا سواه. ولو سلم ذلك، فنقول: إنما يؤخّر استجابته لأنه ربما يحبه فيؤخّر إعطاءه مراده ليدعوه فيسمع صوته، كما رُوِيَ عن يحيىٰ بن سعيد أنّه قال: رأيت ربّ العزّة في المنام، فقلت: يا ربّ كم أدعوك فلم تستجب دعائي؟ فقال: يا يحيىٰ إني أحب أن أسمع صوتك، وربما يكون يفقد شرائط القبول وهي أكل الحلال وصدق المقال وغير ذلك من الشرائط المعتبرة المذكورة في الأخبار والآثار. أوّ لأنه فَضْل، والفضل مقيّد بالمشيئة على ما قيل: إن الفضل بيد الله يؤتيه مَنْ يشاء. أو لأنه إنما يدعو ما هو خيرٌ له، ويجوز أن يكون خيريته عند الله تعالى في عدم استجابة دعائه. أو لأن استجابة الدعاء قد يكون بقبول ذلك الدعاء بعينه. وقد يكون بردّ بَلِيَّته كانت عليه في الدعاء عوضه، وقد يكون برفع درجته في الآخرة عوضه، كما جاء في الخبر الصحيح. أو لأن كلمة إذا للإهمال وهو يلازم الجزئية، وهكذا ذكروا. وأمّا دعاء الكافر، فقد اختلفوا في إجابته، فقال بعضهم: يُستجاب لأن دعوة الدَّاع مُطلق وأعمّ من أن يكون الداعي مسلمًا أو كافرًا، ولأن إبليس عليه اللّعنة دعا الله تعالى،

(ناجزًا) وقد يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد تكون الخيرة له في غيره ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ واللام فيهما للأمر ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد وهو ضد الغي. كان الرجل إذا أمسى حلّ له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلّي العشاء الآخرة أو يرقد، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرّم عليه الطعام

وقال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٣٦]، أي أمهلني في العمر إلى يوم القيامة، فأجابه الله تعالى، وقال: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: الآيتان ٣٧، ٣٨]، وهل هذا إلّا إجابته وبه أفتى البعض، وقال بعضهم: لا يستجاب، وهو الأصح؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرّعد: الآية ١٤]، ودعوة الدّاع ليس بمطلق لقرينة السياق والسباق، وإبليس لا يُستجاب دعوته؛ لأن طلب الحياة إلى وقت نفخة البعث، وكان مطلوبه أن لا يذوق ألم الموت وشدّة عذابه، فردّه الله تعالى وقال: بل إنك ﴿مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: الآيتان ٣٧، ٣٨]، وهو النفخة الأُولى، أي نفخة الفزع دون ما طلبت من عدم الموت أصلًا، فكان ميتًا إلى أربعين سنة، هذا كلّه في كتب الكلام والتفسير، وقد ذكر الله تعالى هذه المسألة في آيات متعدّدة، ونحن نقتصر بهذا فقط، وإنما ذكرها هٰهنا بين مسائل الصيام؛ لأنه لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثّهم على القيام بوظائف الشكر عقبه بهذه الآية الدالّة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مُجيب لدعائهم مُجازٍ لهم على أعمالهم تأكيدًا له وحثًا عليه على ما في البيضاوي. أو ليكون دليلًا على أنّ دعاء الصائم يُرجى له من القبول ما لا يُرجى لغيره، كما في الحسيني، ونطقت به الأحاديث أيضًا وكتب الأوراد مشحونة بتفصيل أوقات إجابة الدعوة وشرائطها وأحكامها تركتها مخافة الإطناب. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قال العلّامة شيخ زاده رحمة الله عليه: للدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة كالسّحر ووقت العصر وما بين الأذان والإقامة وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء وأوقات الاضّطرار وحالة السّفر والمرض وعند نزول المطر والصفّ في سبيل الله، كل هذا جاءت به الآثار. اهـ.

قوله: (ناجزًا) الناجز الحاضر. اهـ. مختار الصحاح.

والشراب والنساء إلى القابلة. ثم إن (عمر) ﷺ واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة، فلما اغتسل (أخذ) يبكي ويلوم نفسه فأتى النبيّ عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت (جديرًا) بذلك فنزل:

(﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾) أي الجماع (﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾). عدى بـ«إلى» لتضمنه معنى الإفضاء وإنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم استقباحًا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سمّاه اختيانًا لأنفسهم، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه (في عناقه) شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى:

قوله: (﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾) الآية، اعلم أنّ في الشرائع السابقة إنما حلّ المفطرات، أعني الأكل والشرب والوطء من المغرب إلى العشاء وحُرّمت من بعدها، وكان ذلك الحكم باقيًا إلى زمان نبيّنا عليه السلام حتى أن عمر رضي الله تعالى عنه وكثيرًا من الصحابة قد ارتكب بواسطة غلبة الشهوات بالمباشرة بعد العشاء في ليالي رمضان، ثم ندم عن فعله الحرام وعرضه غدًا إلى رسول الله ﷺ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية وغفر ذنبهم وبيّن لهم إحلال الوطء والأكل والشرب إلى وقت الفجر ورخّص لهم فيه ومنع الوطء في الاعتكاف. وأمّا إحلال الوطء، ففي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، والرفث الإفصاح مما يجب أن يكنى عنه، والمراد هٰهنا الجماع. وإنما عدّى بإلى لتضمّنه معنى الإفضاء أو جعل إلى بمعنى مع، أي الجماع مع نسائكم أُحلّ لكم في تمام الليلة إلى وقت الفجر، وإنما ذكر هٰهنا لفظ الرّفث الدالّ على القبح والفضاحة، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النّساء: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٩]، وقوله تعالى: ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] وأمثال ذلك استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سمّاه اختيانًا لأنفسهم، كذا في الكشاف. وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ تشبيه في كمال الاختلاط وغاية الالتصاق مع النساء بحيث يكون الرّجل معهنّ كاللّباس مع اللابس وبالعكس، ففيه بيان وجه الإحلال وقلّة صبرهم، أو في أن اللباس كما يكون ساترًا لصاحبه عن العورة، فكذلك النساء أيضًا ساترة للرجال، والرجال لهنّ من سوء الفعل وارتكاب الفواحِش والزّنا، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ مع الجملتين

....

المذكورتين بعده فيه تسلّي خاطرهم بعفو الذنب الصادر عنهم. وقوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، معناه: باشروا النساء واطلبوا المباشرة لأجل ما كتب لكم وهو التوالد والتناسل، أي لأجل أن يتولّد منه ولد يقول: لا إلـٰه إلّا الله حتى يتقوّى الإسلام أضعافًا مضاعفًا، فإنّه عليه الصّلاة والسّلام قال: «**تزوّجوا تناكحوا توالدوا تناسلوا، فأنا أُباهي بكثرة أُمّتي، ولو كان سقطًا**»؛ لأجل مجرد قضاء الشهوة مثل البهائم، كما فعلتم البارحة. أو يكون المعنى: وابتغوا ما كتب الله لكم، أي الإتيان في الطُّهْر أو في موضع القُبُل الذي هو موضع الحرث والتوالد والتناسل، لا في الحيض أو في الدُّبر الذي هو مجرد موضع الشهوة، أو المعنى: اقتصروا على أزواجكم وملك يمينكم ولا تبتغوا غيرهنّ. وقيل: هو نهي عن العزل؛ لأنه ممنوع في الحرائر، والآية نزلت فيهنّ. وفيه توجهات أُخر أيضًا.

وأمّا الأكل والشرب، ففي قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ إلى آخره. وقيل: نزلت هذه الآية في حقّ صرمة بن أنس الغنوي، وكان رجلًا فقيرًا يعيش مع الأهل بأن يؤاجر نفسه ويأكل من أجرته، فإذا هو يومًا في رمضان كان كسلان، فنام في ليلة ولم يتيسّر له الأكل، ومع ذلك صام غدًا، فرأى رسول الله ﷺ وجهه متغيّرًا ضعيفًا، فسأله عن حاله فقصّ القصة، فنزلت الآية وصار الأكل والشرب مباحًا بسببه، كما صارت الملامسة مباحة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه وببركة توبته، هكذا في الزاهدي. والمعنى: أُبيح لكم الأكل والشرب من وقت المغرب إلى أن يتبيّن لكم، أي يمتاز الخيط الأسود شُبّه بالخيط الأسود سواد الليل، وبالخيط الأبيض الإسفار، وبيّنه بالفجر واكتفى به من بيان الخيط الأسود بالليل، وبه خرج عن الاستعارة إلى التشبيه على ما عُرِف أنّ المشبَّه إذا كان مذكورًا أو مقدّرًا لا يسمّى استعارة، ويجوز أن يكون من للتبعيض؛ لأنه بعض الفجر، وأوّله عن عدي بن حاتم قال: عمدت إلى عقالين أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فنظرت إليهما فلم يتبيّن لي الأبيض من الأسود، فأخبرت النبيّ عليه السلام بذلك، فقال: «**إنك لعريض القفا**» أي سليم القلب؛ لأنه مما يستدلّ به على بَلادة الرجل وقلّة فطنته، وإنّما ذلك بياض النهار وسواد الليل، هكذا في المدارك تبعًا للمذكور في الكشاف أوّلًا. وذكر الإمام الزاهد بنوع تغير واختلاف والمذكور في الكشاف

....

آخرًا وهو المذكور في الحسيني عن الصحيحين أنّه قيل: كان بعض الصحابة لمّا نزلت هذه الآية يشدّون على الرّجل الخيط الأبيض والخيط الأسود يأكلون ويشربون ويُجامعون حتى يفرّق بين ذلك الخيطين، فلما نزل قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانًا للخيط الأبيض عَلِموا أن المراد بالخيط الأبيض هو الإسفار والنور وبالخيط الأسود هو ظلمات اللّيل. واختلفوا في جواز تأخير البيان، فجوَّزه البعض، وأكثر الفقهاء والمتكلّمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم على أنه لا يصحّ، فلم يصح وجه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، وعلى هذا قال صاحب البيضاوي أن هذا التوجيه لا يصح إلّا أن يكون ذلك قبل دخول رمضان؛ لأنه في كونه في رمضان يلزم تأخير البيان عن وقت الاحتياج، وذلك لا يصحّ. ثم كلمة حتى في هذه الآية للغاية بمعنى إلى دون السببية بمعنى لام كي، ولا تدخل تحت المغيا؛ لأنه الأصل في حتى الداخلة على الأفعال، ولأن غاية كل واحد من إلى، وحتى إن قامت قرينة على دخولها أو عدم دخولها، فواضح أنه يعمل به وإلّا ففيه أربعة أقوال، على ما ذكره صاحب الإتقان، فههنا قامت قرينة على عدم دخولها، فإذا ظهر الخيط الأبيض حرُم الأكل والشرب، وكلمة إلى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، لا تدخل غايتها تحت المغيا أيضًا، فإنّ الصوم هو الإمساك لغةً ولو ساعة، فلو لم يذكر الغاية لأطلق على الساعة، فكان ذكر الغاية لامتداد الحكم إلى هذا الحدّ، فبقي ما سواه على أصله، وهو الخروج عمّا قبله، نصّ بذلك أهل الأصول بأجمعهم، وذكروا في تحقيقه كلامًا طويلًا لا يليق بهذا المقام.

وقال الشيخ الإمام فخر الإسلام البزدوي في بحث إشارة النص وفي إباحة أسباب الجنابة ـ أعني الجماع ـ إلى الفجر إشارة إلى أنّ الجنابة لا ينافي الصوم فيمن أصبح جنبًا، فإنّ مَنْ جامع آخر الليل لا شكّ يقع الغسل في النهار ثم جزم الصوم، فدلّ أنه ثابت بإشارة النص، فيكون ردًّا لما ذهب إليه بعض أصحاب الحديث أن الجنابة يمنع صحة الصوم معتمدين على حديث أبي هريرة: مَنْ أصبح جُنبًا فلا صوم له، قاله محمدّ وربّ الكعبة. وأيضًا قال: وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ إشارة إلى وجوب الكفارة في الأكل والشرب؛ وذلك لأنه

....

تعالى أباح لهذه الأُمّة ما كان مُحرَّمًا على مَن سبق، فذكر أوّلًا الجماع ثم الأكل والشرب، ثم قال بعده: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾؛ فعُلِم أنّ الصوم هو الكفّ عن هذه الثلاث، فوجب الكفارة بالأكل والشرب، كما وجب في الجماع؛ كما قال الشافعي رحمه الله: إنّ الكفارة تجب بالجماع فقط تمسّكًا بحديث الأعرابي بأنّ ذلك بالجماع خاصّة، وأيضًا فيه إشارة إلى أن النّية ينبغي أن يكون في النهار؛ وذلك لأنه لمّا أباح هذه الأُمور إلى الفجر، ثم قال بعدها: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ بحرف ثمّ وهو للتراخي، فيصير العزيمة بعد الفجر لا محالة؛ لأن الليل لا ينقضي إلّا بجزءٍ من النهار إلّا أنّا جوّزنا تقديم النّية على الفجر بالسنّة، فأمّا أن يكون الليل أصلًا للنّية ويكون محظورًا في النهار، كما زعم الشافعي رحمه الله، فلا. هذا كلامه.

وفي التلويح قال الشيخ أبو المعين: إنّ أبا جعفر الخباز السمرقندي هو الذي استدلّ بالآية على الوجه المذكور - أعني جواز النّية - في النهار، لكن للخَصْم أن يقول: أمر الله تعالى بالصيام بعد الانفجار، وهو اسم للركن لا للشرط.

وأيضًا ينبغي أن يوجد الإمساك الذي هو الصَّوم الشرعي عقيب آخر جزء من الليل متّصلًا ليصير المأمور ممتثلًا، ولن يكون الإمساك صومًا شرعيًّا بدون النّيّة، فلا بدّ منها في أول جزء من أجزاء النهار حقيقة بأن يتّصل به أو حكمًا بأن يحصل ويجعل النيّة باقية إلى الآن، هذا لفظه.

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ دليل على حرمة صوم الوصال، صرّح به في الكشاف والمدارك. ثمّ إنّ الآية تدلّ على تمام حدّ الصوم - أعني الإمساك عن الأكل والشرب والوطء - نهارًا مع النّية، وبها احتجّ صاحب الهداية على حدّ الصوم ومقداره، فالإمساك عن المفطرات لما كان حدّه تكون المفطرات الثلاث نقيض الصوم، فيجب الكفارة بارتكاب أيّها كانت، لا كما قيل: إنّ الجماع محظور الصوم والآخران نقيضه، فوقع الجنابة على الأوّل في نفس الصوم، فيجب الكفّارة ولم يبق الصوم على الآخرين، فلم يجب الكفارة، وهذه دقّة مذكورة في التلويح، ولعلّه أخذ هذا المذهب عن تغيّر الأسلوب في النصّ حيث ذكر في بيان الوطء وفي بيان الآخرين لفظ الأمر، ولكن ليس كذلك؛ لأن

....

الوطء في اللّيالي قد وقع من أجلّاء الصحابة قبل الإباحة، فذكر بلفظ الإحلال والأكل والشرب قد صبر عنه صرمة بن أنس الغنوي، فأمر بالإطلاق توسعة وشفقة على الناس، هكذا يخطر ببالي. ثمّ قد ذكرت في بيان النسخ ناقلًا عن الإتقان وغيره عن قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ إلى آخره ناسخ البتّة، ولكن إمّا لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣] أن جعل التشبيه في حقّ بيان الكيفية. وإمّا لما في السنّة من حُرْمة المفطرات بعد العشاء أنْ جعل التشبيه في حقّ مجرّد فرضية الصوم، فحينئذ فيه دليل على جواز نسخ السنّة بالكتاب، كما صرّح به في البيضاويّ.

وأمّا منع الوطء في الاعتكاف؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾، وجملة ما سبق له هذا القول هو أن المباشرة في ليالي رمضان إنما يحل لكم إذا لم تكونوا معتكفين في المساجد. وأمّا إذا كنتم عاكفين في المساجد، فيُحرم المباشرة في لياليها أيضًا، هذا هو مضمون الآية نزلت في قومٍ معتكفين إذا دخلوا بيوتهم للطهارة يجامعون نسائهم ثم اغتسلوا فخرجوا إلى المساجد، فنهاهم الله عن ذلك. وقال صاحب الكشاف: وفي هذه الآية دليلٌ على أن الاعتكاف لا يكون إلّا في المسجد، وأنه لا يختصّ بمسجد دون مسجد. وقيل؛ لا يجوز إلّا في مسجد بيت المقدس والمدينة والمسجد الحرام، وقيل: المسجد الجامع، والعامّة على أنه مسجد جماعة، هذا لفظه.

وتحيّر عقول أُولي الآراء وعبارة أهل الفضل في وجه استدلاله وتوجيه كلامه، فقال الأستاذ العلّامة الشيخ الهداد وجه الدّلالة أنّ قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾ وقع حالًا، فكان من قبيل قوله: أدِّ إليَّ ألفًا وأنت حرّ، فكما أن معناه على القلب: وهو كُنْ حرًّا وأنت مؤدٍّ للألف، إلّا أن يقال: صَرْف الوجوب إلى قيدَيْن أوْلى من صرفه إلى الأخير فقط.

وقال البعض في توجيهه: أن الاعتكاف هو اللّبْث، ولا يعقل جهة العبادة في اللّبْث، فيكون هذا النص غير معقول المعنى، والنصّ ورد مقيّدًا بقيد المساجد، فيقتصر على مورد النصّ، فلا يصح الاعتكاف في غير المسجد،

....

وهذا التوجيه أيضًا لا يحسن؛ إذ لا يُفهم من النصّ كون اللّبث عبادة وغير عبادة، وإنّما المقصود هو النهي عن المباشرة ح، إلّا أن يقال: إباحة المباشرة في سائر اللّيال وحرمتها في هذه الحالة تقتضي أنّ هذا أعظم درجة منه، وما ذلك إلّا لكونه عبادة. وقال الآخرون في توجيهه: إنّ قوله تعالى: ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ بيان محلّ الاعتكاف، فلا يصحّ في غير هذا المحل؛ وذلك لأنّ التخصيص على نوعين. تخصيص الحكم ببعض المحكوم عليه، وهذا فاسد. وتخصيص الحكم بجميع المحكوم عليه، وهو صحيح، فيصح أن يكون ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ من قبيل الثاني، فيلزم اختصاص اعتكاف بالمسجد. واعْتُرِض عليه بأنّ هذه القاعدة فيما إذا خرج الكلام فخرج المدح، والآية ليس من هذا القبيل.

ووجه الآخر بأنّ امتناع المباشرة في حين الاعتكاف ثبت بالإجماع، فنشأ منه مقدمة، وهي أنّ كل اعتكاف يُنْهى فيه عن المباشرة ويُفْهم من النصّ مقدمة أخرى، وهي كل ما يُنْهى فيه عن المباشرة من الاعتكاف يكون في المساجد، فإذا التقينا المقدمتين بصورة الشكل الأول فضلنا كل اعتكاف يُنْهى فيه عن المباشرة بالإجماع، وكل ما يُنْهى فيه عن المباشرة من الاعتكاف يكون في المساجد بالنصّ، فينتج كل اعتكاف يكون في المسجد وينعكس بعكس النقيض إلى قولنا: كلما لا يكون في المسجد لا يكون اعتكافًا، وهو المطلوب. واعْتُرِض عليه بأن المقدمة الاجماعية مسلمة ضرورة أنها بالإجماع ويمنع فَهْم المقدمة الثانية من النص؛ إذ لا يفهم منه إلا حرمة المباشرة حين الاعتكاف في المسجد.

وبالجملة، الكلام هٰهنا محل نظر. ثم إنه قال الإمام الزاهد في هذه الآية: دليل على أن الاعتكاف لا يجوز بدون الصوم حيث قرن ذكره بذكر الصوم. واعْتُرِض عليه بأن القرآن في النظم لا يوجب القرآن في الحكم عندنا على ما ذكره في الأصول، فلا يكون الآية دليلًا عليه. ويرد أيضًا أن الآية الاعتكاف في المعنى بمنزلة الاستثناء، يعني أُبيحت المباشرة في ليالي رمضان سوى اللّيالي التي يعتكف فيها في المسجد، ولا يسمّى هذا بقرآن. وبالجملة، الكلام هٰهنا أيضًا محل نظر. فالحاصل أن الاعتكاف في اللغة هو اللّبث فقط، وعند الفقهاء هو لبث صائم في

....

مسجد جماعة بنيّة، وكلام صاحب الكشاف صريح في أن قيد المسجد مفهوم من الكتاب، وكذا كلام الإمام صريح في أن قيد الصائم مفهوم منه، وقد مضى بيان ما فيهما وما لهما. والحقّ أنّ كلام الشرطين يُفهم من الكتاب بمقتضى الذوق السليم. ثم إنّه قال الفقهاء: أن الوطء في غير الفرج، وكذا القبلة واللّمس لا يبطل الاعتكاف بغير إنزال، وإن حرم. وأنّ المرأة تعتكف في بيتها، وأنه يجوز للمعتكف الأكل والشرب والبيع والشراء، بلا إحضار مبيع في المسجد. وأقول: يمكن أن تثبت هذه المسائل كلّها من الآية؛ وذلك لأن المنهيّ عنه في الآية وهو المباشرة المقصودة التي أُبيحت في غير الاعتكاف للصحابة وسائر المسلمين بعد الحرمة والوطء في غير الفرج ليس كذلك، وكذا القبلة واللّمس؛ لأنها ليست بمباشرة بالمعنى المذكور في النصّ، فيعتبر مبطلًا بشرط الإنزال اعتبار المعنى الوطء في الفرج. ولمّا كان في المساجد مذكورًا بعد اعتكاف الرجل كان اعتكاف المرأة باقيًا على حاله، تعتكف في بيتها. ولمّا كان الأكل والشرب والوطء كلّها حلالًا إلى وقت الفجر، ثم مُنِعت المباشرة خاصّة في الاعتكاف بَقِيَ سائرها على حالها، فيباح له الأكل والشرب والنّوم وأمثالها في المساجد، وسوى ذلك أحكامٌ كثيرة تركتها مخافة الإطناب.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾ إشارة إلى جميع ما ذُكِر من مسائل الصيام. وقيل: هذا بحسب الظاهر مشكل؛ لأن المطلوب هو النهي عن تجاوز تلك الحدود، لا النهي عن قربها. فيُجاب بأنّ في الكلام حذفًا، أي لا تقربوا بالمخالفة والتغيير، أو بأنّ فيه مجازًا؛ وذلك لأن عدم القرب أبلغ في النهي عن التجاوز؛ إذ بنفي القرب يلزم نفي التجاوز بالطريق الأَوْلى، وهذا أحسن. ويجوز أن يُراد بحدود الله محارمه ومناهيه، فلا إشكال في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ﴾، هكذا في التفاسير. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (عمر بن الخطاب) بن نفيل اتّفقوا على أنه أوّل مَنْ سُمِّي أمير المؤمنين، وإنما كان يقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ، روى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وقيل: لباس أي ستر عن الحرام، و«هن لباس لكم» استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قلّ صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدّة ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ما فعلتم قبل الرخصة ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن في ليالي الصوم وهو أمر إباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا **(لقضاء الشهوة وحدها)** ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل، أو وابتغوا **(المحل الذي)** كتبه الله لكم وحلّله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ **(هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق)** كالخيط الممدود

بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة علمه ووفور فَهْمه وزُهْده وتواضعه ورفعه بالمسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين وإكرامه أهل الفضل والخير وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيّته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة في حقوق المسلمين أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تُحصر، وطعن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِن يوم الأحد هلال المحرّم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين يومًا، وقيل غير ذلك رضي الله تعالى عنه. **قوله: (أخذ)** أي بدأ. **قوله: (جديرًا)** أي لائقًا. **قوله: (في عَناقه)** في المصباح: عانقت المرأة عَناقًا واعتنقتها وتعانقنا وهو الضمّ والالتزام. اهـ.

قوله: (لقضاء) أي لأجل قضاء **(الشهوة وحدها)**. **قوله: (المحل الذي)** إشارة إلى وجه التعبير بما دون مَنْ يعني ليس القَصْد إلى المرأة نفسها بمنزلة ابتغوا المرأة التي كتبها الله لكم، بل باعتبار المحل بمنزلة ابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم. **قوله: (هو أوّل ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق)**، هو الفجر الصادق؛ لأنه خيطٌ أبيض معترض جنوبًا وشمالًا يُلاصقه خيط أسود معترض في الجانب

﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ وهو ما يمتد من سواد الليل شبهًا بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيان أن الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للآخر، أو «من» للتبعيض **(لأنه بعض الفجر)** وأوله.

(وقوله: «من الفجر» أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيهًا بليغًا) كما أن قولك: «رأيت أسدًا» مجاز فإذا زدت «من فلان» رجع تشبيهًا. **(وعن عدي بن حاتم)**

الغربي هو طرف سواد اللّيل بخلاف الفجر الكاذب، فإنه خيطٌ أبيض مستطيل شرقًا وغربًا يحيط به السواد من الجوانب كلّها. اهـ مظهري. وقوله: **(المعترض)** احتراز عن المستطيل، وهو الفجر الكاذب، فإنه ليس منتهى اللّيل. **قوله: (لأنه)** أي لأن الخيط الأبيض **(بعض الفجر)** أي جزء منه على ما مرّ من تفسيره بأوّل ما يبدو من الفجر، فيكون المعنى حال كون الخيط الأبيض بعضًا من الفجر، وعلى تقدير البيان معناه: حال كونه هو الفجر، فتحتاج إلى تأويل أن جعل الفجر اسمًا لمجموع البياض المعترض وأوّله؛ لأن ما يبدو أوّلًا الخيط الأبيض. **قوله: (وقوله: «من الفجر» أخرجه من باب الاستعارة وصيّره تشبيهًا بليغًا)**، أي: بذكر قوله: من الفجر، كان الكلام من باب التشبيه البليغ، وخرج عن أن يكون استعارة لأن شرط الاستعارة أن لا يكون المشبّه مذكورًا لا تحقيقًا ولا تقديرًا، بل يقتصر على ذكر المشبّه به، ويُراد به المشبّه، وههنا كل واحد من طرفي التشبيه مذكور، فإنّ كل واحدٍ من الخيطين مشبّه به، وقد ذكر صريحًا. والمشبه في أحد التشبيهين وهو الفجر مذكور صريحًا في التشبيه الآخر، وهو تشبيه اللّيل بالخيط الأسود مذكور دلالة، فلما انتفى شرط الاستعارة انتفى المشروط. **قوله: (عدي بن حاتم)** بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدي بن ربيعة هو أبو طريف، وقيل: أبو وهب الطائي الكوفي الصحابي، وأبوه حاتم المشهور بالكرم، قدم عديّ على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، وأسلم وكان نصرانيا، رُوِي له عن رسول الله ﷺ ستّة وستون حديثًا واتّفقا منها على ثلاثة، وانفرد مسلم بحديثين، وتوفي سنة تسع وستين، وقيل: سنة ثمان، وهو ابن مائة وعشرين سنة. قال ابن قتيبة: وكان عدي طويلًا إذا ركب الفرس كانت رجله تخط الأرض، وكان جوّادًا شريفًا في قومه مُعظّمًا عندهم وعند غيرهم حاضر الجواب،

قال: **(عمدت إلى عقالين)** أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت إليهما فلم يتبين لي الأبيض من الأسود، فأخبرت النبيّ ﷺ بذلك فقال: إنك لعريض القفا أي سليم القلب لأنه مما يستدل به على **(بلاهة الرجل)** وقلّة فطنته، إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل. **(وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي الكفّ عن هذه الأشياء دليل)** على جواز النية بالنهار في صوم رمضان، وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر، وعلى نفي الوصال، وعلى وجوب الكفارة في الأكل والشرب، وعلى أن

رُوِي عنه أنه قال: ما دخل عليّ وقت الصلاة إلّا وأنا مشتاق إليها، وكان رسول الله ﷺ يُكرمه إذا دخل عليه، وكان عدي يفتّ الخبز للنمل ويقول: إنهنّ جارات ولهنّ حقّ. **قوله: (عمدت إلى عقالين)** أي خيطين، والعقال خيط يشدّ به وظيف[1] البعير مع ذراعيه في وسط الذراع. اهـ تفتازاني رحمه الله. وحديث عدي بن حاتم إنما كان بعد نزول قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ البتّة؛ لأن إسلامه في السنة التاسعة، وكان نزول آية الصيام في السنة الثانية، ونزول قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بعدها بيسير سنة أو نحوه، فما كان من عدي بن حاتم حبل الخيطين تحت وسادة لم يكن إلا زعمًا منه أن من للسببية، والله أعلم. اهـ مظهري. **قوله: (بَلاهة الرجل)** في مختار الصحاح: رجل أبْلَه بيّن البَلَه والبَلاهة، وهو الذي غلبت عليه سلامة الصدر وبابه طرب وسلم. اهـ.

قوله: (وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي الكفّ عن هذه الأشياء دليل) على جواز النية بالنهار في صوم رمضان، وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر، وعلى نفي الوصال. أمّا الدلالة على جواز النيّة بالنهار، فهو أنّ كلمة ثم للتراخي، فإذا ابْتُدِىء الصوم بعد تبيّن الفجر حصلت النّية بعد مضي جزء من النهار؛ لأن الأصل اقتران النّية بالعبادة، وكان موجب ذلك وجوب النية بالنهار، إلا أنه جاز باللّيل إجماعًا عملًا بالسنّة، وصار أفضل لما فيه من المُسارعة والأخذ بالاحتياط. وأمّا الدلالة على جواز تأخير الغسل، فلأنه لمّا أباح المباشرة إلى تبيّن الفجر تعيّن الغسل فيما بعده، لكن هذه الدلالة ليست في أتمّوا الصيام، وإن جعلنا ثم للتراخي، والإتمام عبارة عن الإتيان به، تأمل فيما قبله، أعني:

---

(١) الوظيف: مُسْتَدَقُّ الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

الجنابة لا تنافي الصوم ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ معتكفون فيها، بيّن أن الجماع يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف. والجملة في موضع الحال، **(وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد وأنه لا يختصّ به مسجد دون مسجد)**.

﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ حتى يتبيّن. وأمّا على نفي صوم الوصال، وهو أن يصوم يومين من غير أن يُفطر بالليل، فلأنه أمرٌ بالصيام المنتهي بالليل وذلك يصير بأن ضدّه وهو الإفطار، وهو مبناه على أن الليل غاية للصيام، وإلى متعلق به. اهـ تفتازاني باختصار.

قوله: (وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلّا في المسجد، وأنه لا يختصّ به مسجد دون مسجد) حيث نهى عن المباشرة في اعتكاف المساجد كلّها، وقال سعيد بن المسيب لا يجوز الاعتكاف إلّا في المسجد المدينة، وهو لنبيّنا ﷺ، والمسجد الحرام وهو لإبراهيم عليه السلام، وضمّ بعض العلماء إليهما المسجد الأقصى وهو لبعض الأنبياء؛ لقوله عليه السلام: «**لا تشدّوا الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد**»، والقول بأنه لا يجوز إلّا في مسجد جامع يُحْكى عن الزهري وابن المنذر: وقول العامّة لا يخالف عموم الآية؛ لأن المراد بمسجد الجماعة ما أُذن بإقامة الجماعة فيها حتى لا يجوز في مسجد البيت، أي الموضع الذي هيّأه من بيته للصلاة، فإنه لا يدخل في إطلاق المسجد. وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى: أنه لا يجوز إلّا في مسجد له إمام ومؤذّن معلوم ويصلّى فيه الصلوات الخمس بالجماعة. اهـ تفتازاني. وفي جامع الرموز شرح مختصر الوقاية المسمّى النُّقاية للعلامة شمس الدين محمد الخراساني القهستاني: الاعتكاف لغة اللبث من العكف أي الحبس، أو من العكوف أي الإقامة، كما في الكرماني. وشريعته على ضربين: سنّة وواجب، وباللام إشارة إلى الأول وهو مكث في مسجد بنيّة عبادة غير واجبة بقرينة قوله: سنّة مؤكّدة مطلقًا، وقيل: في العشر الأخير من رمضان وأمّا في غيره فمستحبّ، كما في بيان الأحكام. وقيل: سنّة على الكفاية حتى لو ترك في بلدة لأساؤوا، وقيل: سنّة لا يأثم تاركه، وقيل: مُستحبّ، كما في الزاهدي. والصحيح الثاني لمواظبته ﷺ على ذلك وقضائه في شوّال حين تركه، كما في المضمرات. والكلام مشير إلى أن أقلّ مدة هذا

....

الاعتكاف ساعة[١]، وهذا ظاهر الرواية. وعنه أنه يوم؛ فعلى الأول لا يقضي إذا أفسده، وعلى الثاني يقضي؛ لأن اعتكاف النفل لازم الإتمام، وإلى أنّ الصوم ليس بشرط وهو ظاهر الرواية، كما في النهاية. وإلى أنه يجوز أن يعتكف ليلًا كما في النظم، وإلى أنه يجوز في كل مسجد. وعن أبي يوسف رحمه الله: يجوز في غير مسجد جماعة، كما في الكافي، وفيه إيماء إلى أنه لا يجوز - في ظاهر الرواية - إلّا في مسجد جماعة، كالواجب. ثم أشار إلى القسم الثاني من الواجب بقرينة الصوم والقضاء وغيرهما من الأحكام الآتية، فقال: وهو أي الاعتكاف الواجب بالنذر على طريق الاستخدام لبث صائم أي قراره. وفيه رمز إلى أنه تعريف اعتكاف الذّكر. وأمّا تعريف اعتكاف الأنثى، فسيأتي. وإلى أن الصوم شرط وركن - كما في التحفة - والصوم شامل لغير الفرض، ففي المشارع: من الصوم الواجب ما يجب على ناذر الاعتكاف. وفي الخزنة: أنه لو قال بغير صوم لزمه مع الصوم، وإلى أنه لا يصح النذر باعتكاف الليل. وعن أبي يوسف رحمه الله: إنه يجوز، فإن عمر رضي الله تعالى عنه نذر في الجاهلية اعتكاف ليلة وقد أمره ﷺ بإيفائه، كما في النظم. في مسجد جماعة أي يقوم فيه جماعة ولو مرّة في يوم، كما أشار إليه الكرماني، وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه لا يصح إلا فيما تقوم خمس مرات، وقيل: يصح في الجامع بلا جماعة؛ كما في المحيط. والصحيح أنه يصح فيما أذّن وأقيم، فلا يصح عند الحياض ومسجد قوارع الطريق - كما في الخلاصة - وينبغي أن لا يصح في مصلّى العيد والجنازة. وفي المضمرات: الأفضل في المسجد الحرام، ثم مسجد المدينة، ثم مسجد بيت المقدس، ثم المساجد التي كَثُر أهلها. بنيّة أي بنيّة اللّبث، والأَوْلى أن يكون الضمير للوجوب ليُشعر بأن اللّبْث للعبادة له تعالى. وفيه إشعار بأنه لا

---

(١) من ليلٍ أو نهار، عند محمد، وهو ظاهر الرواية عن الإمام لبناء النفل على المسامحة، وبه يفتي. والساعة في عرف الفقهاء جزء من الزمان، لا جزء من أربعة وعشرين كما يقول المنجّمون، كذا في غرر الأذكار وغيره، فلو شرع في نفله ثم قطعه لا يلزمه قضاؤه؛ لأنه لا يشترط الصوم على الظاهر من المذهب، وما في بعض المعتبرات أنه يلزم بالشروع مفرّع على الضعيف، قاله المصنّف وغيره. كذا في الدرّ المختار. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

يجب بمجرد الشروع فيه. وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه يجب به كما في الظهيرية، وبأنه يجب بمجرد قصد القلب والنذر إيجاب على النفس ممّا ليس عليها بالقول، ولو اكتفى بالقلب لم يلزمه، كما في كتب الفروع والأصول؛ كالخزانة والتحقيق وغيرها. وأقلّه أي أقل مدّة الاعتكاف الواجب أو مدّة أقلّه يوم كما في عامّة المتداولات، لكن في البحر المحيط عن كنز الروس وخزانة الأكمل: أنّ أقلّه يوم عنده، وأكثر من نصف يوم عند أبي يوسف رحمه الله، وساعة عند محمد رحمه الله، فلو نذر الاعتكاف قبل الزوال في يوم صام لم يصح عنده خلافًا لهما، كما في الزاهدي. فيقضي ذلك الاعتكاف الواجب من قطعه فيه أي في ذلك اليوم، فإن لم يَقْضه فعليه الإيصاء، ولا يخرج من يعتكف للواجب ليلًا أو نهارًا، منه أي من المسجد وسطحه كداخله إلا لحاجة الإنسان أي لما فيه ضرورة، كأداء الشهادة وقضاء الدَّين[1] وحمل الطعام والشراب إذا لم يكن له خادم ـ كما في النظم ـ وكالخوف على النفس والمال وإخراج ظالم له ـ كما في المضمرات ـ وكإجابة السلطان والبول والغائط والغسل والوضوء. ولا يتوضّأ في المسجد أو عرصته خلافًا لمحمد رحمه الله ـ كما في الزاهدي ـ ولا بأس بأن يدخل بيته للوضوء ولا يمكث بعد الفراغ، كما في المحيط. واعلم أنّ الجمعة من أهمّ الحوائج ـ كما في الكرماني وغيره ـ إلّا أنه لمّا كان فيه تفصيل، قال: أو إلّا للجمعة مَنْ قَرُب مِنَ الجامع منزله بعد الزوال، ومَنْ بَعُد منه منزله أي معتكفه فوقتا يخرج يُدركها أي الجمعة، ويصلّي السنن حال كونها للجمعة قبلها وبعدها ـ كما في الأصل ـ أو قبلها أربعًا أو ستًّا وتحيّة ـ كما في المحيط ـ وعنه أنه يخرج بقدر ما يصلّي ركعتين ثم يرجع من غير تراخٍ. والعيدان[2] كالجمعة ـ كما في النُّظم ـ

---

(١) في البحر الرائق وفي الفتاوى الظهيرية: وقيل: بخروج بعد الغروب للأكل والشرب. اهـ. وينبغي حمله على ما إذا لم يجد مَنْ يأتي له به، فحينئذ يكون من الحوائج الضرورية؛ كالبول والغائط، انتهى بحروفه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) لم يذكر الحجّ وذكره في المجرة، فقال: أما الحجّ لو أحرم للمعتكف به أو بعمرة أقام في اعتكافه إلى أن يفرغ منه ثم يمضي في إحرامه لأنه أمكنه إقامة الأمرين، فإن خاف فوت الحجّ يدع الاعتكاف ويحجّ ثم يستقبل الاعتكاف؛ لأن الحجّ أهمّ من الاعتكاف، لأنه يفوت بمضيّ يوم عرفة وإدراكه في سنةٍ أخرى مرهون، وإنما يستقبله لأن هذا الخروج وإن=

....

والكلام مشيرًا إلى أنه لا يخرج لعيادة المريض ومجلس العلم وصلاة الجنازة، إلّا إذا استثنى عن نذره. وقيل: يخرج إليها إذا لم يكن للميت مَنْ يقوم بأمره، كما في الزاهدي. ولا يفسد الاعتكاف بمكثه أي المعتكف في الجامع أكثر منه أي من وقت يصلّي فيه الفرض والسنّة، ولو يومًا وليلة. فإن خرج[1] عنه الناذر ولو بالنسيان ساعة عنده وأكثر من نصف يوم عندهما، وهو أيسر للمسلمين ـ كما في الخلاصة ـ بلا عذر أي حاجة الإنسان فسد اعتكافه ويأكل ويشرب وينام ويطيب ويدهن ويزوج ويخلع ويبيع ويشتري لحاجته الأصلية لا للتجارة، فإنه مكروه فيه أي في المسجد بلا إحضار مبيع فيه، فإنه مكروه على ما قالوه ـ كما في الهداية ـ وفيه إشارة إلى أنه لا بأس به عند بعض، وإلى أنه لا بأس بإحضار الثمن لا يفعل هذه الأفعال فيه غيره أي غير المعتكف، فإنه مكروه. وفي الزاهدي: لغيره النّوم فيه، ولو مقيمًا مضطجعًا رجلاه إلى القبلة، ولا يصمت أي يُكره له ترك التحدّث وإطالة السكوت؛ لأن الصمت ليس بقربة في شريعتنا ـ كما في الكرماني ـ أو يكره له أن ينوي الصوم مع زيادة أن لا يتكلم، وقيل: أن ينذر أن لا يتكلم أصلًا ـ كما في النهاية ـ ويستحبّ الذِّكر ـ كما في السراجية ـ ولا يتكلّم إلّا بخير أي: بما لا إثم فيه، فإن حرمة التكلّم بالشرّ في وقت الاعتكاف

= وجب شرعًا، فإنما وجب بعقده وإيجابه، وعقده لم يكن معلوم الوقت فلا يصير مُستثنى في الاعْتكاف. اهـ كذا أفاده السيّد أحمد الطحطاوي في حاشيته على الدرّ المختار. وفي شرح الهداية للعلامة العيني في جوامع الفقه: للمعتكف أن يبيع ويشتري في المسجد من غير إحضار السلعة، ويتزوّج ويراجع ويحرم بحجّ وعمرة ويتطيّب ويتردّد في نواحي المسجد ويصعد المنار، وبه قال مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(١) هذا كلّه في الاعتكاف الواجب. أما في النفل، فلا بأس بأن يخرج بعذر وغيره في ظاهر الرواية. وفي التحفة: لا بأس فيه بأن يعود المريض ويشهد الجنازة، وكذا في شرح النقاية للشيخ أبي المكارم. اهـ فتاوى هندية في الدر المختار. أما النفل، فله الخروج لأنه مُنْهٍ له لا مبطل كما مرّ. اهـ. وفي تحفة الأخيار قوله: أما النفل ـ أي الشامل للسنّة المؤكدة ـ، وقوله: لأنه منه اسم فاعل من أنهى. اهـ. أي متمّم للنفل وقوله: كما مرّ، أي من قول المصنّف وأقله نفلًا ساعة. وأيضًا في الفتاوى الهندية: ولو اعتكف الرجل من غير أن يوجب على نفسه ثم خرج من المسجد لا شيء عليه، كذا في الظهيرية. اهـ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

أشدّ منه في غيره، ويُبطله أي الاعتكاف الوطء في القبل أو الدُّبر ولو وطأ ليلًا أو ناسيًا، وفيه إشعار بأن الأكل ناسيًا لم يُبطله، (و) يبطله وطئه في غير فرج من الإنسان كالتفخيذ أو قبلة أو لمس كالمباشرة إن أنزل وفيه رمز إلى أنه لو نظر فأنزل لم يبطل ـ كما في المحيط ـ وإلا ينزل فلا يبطله، وإن حرم هذا الفعل عليه. والمرأة تعتكف بإذن زوجها لا غير، في بيتها فإنْ كان فيه مسجد وإلّا فيجعل موضعها مسجدًا ـ كما في الزاهدي ـ وفيه إشارة إلى أنها لا تعتكف في مسجد جماعة، وعنه أن مسجد بيتها أفضل ثم مسجد حيّها، وإلى أنها لا تعتكف في بيتها في غير مسجده ولا يأتيها زوجها ولا تخرج منه كالرجل ـ كما في شرح الطحاوي ـ ولو حاضت خرجت ولا يلزمها الاستقبال بنذر الشهر إلّا إذا لم تقضِ أيام الحيض متّصلة بالشهر، ولو نذرت اعتكاف عشر استقبلت لإمكان التتابع ـ كما في الزاهدي ـ نذر بلا نية الليالي اعتكاف أيام مفعول نذر، والجملة صلة لموصول محذوف، فإن الكوفية جوّزوا حذفه، ولا وجه لمنع البصرية عنه ـ كما في الرضى ـ والمعنى: مَنْ نذر لَزِمه فمن لم يشترط لصحة النذر إلّا كون المنذور عبادة فظاهر، وكذا عند من اشترط أن يكون من جنسه فرض؛ لأنه لبث في المسجد كما إذا صلى، كذا في المحيط. والمراد من الفرض ما هو فرض قصدًا، فلا يلزم النذر بصلاة الجنازة وعيادة المريض لأنها واجبة، ولا بالوضوء وقراءة القرآن؛ لأنها للصلاة لا لعينه ـ كما في الكفاية ـ ولا بدعاء كذا دُبُر كل صلاة عشر مرات، وكذا بالصلاة عليه عليه الصّلاة والسلام كل يوم كذا، وقيل: يلزم النذر بها ـ كما في المنية ـ بلياليها المتقدمة عليها، وفيه إشعار بأنّ مَنْ نذر اعتكاف ليال لَزِمَه بأيامها المتأخّرة؛ لأن كلاً مِنَ الأيام والليالي يستتبع ما بإزائه من الليالي والأيام باتّفاق الروايات، ولاء: أي متتابعات وإن لم يشترط الولاء.

وفي نذر اعتكاف يومين بلا نيّة ليلتهما لزمه بليلتهما ولاء، وكذا العكس في ظاهر الرواية، وعن أبي يوسف رحمه الله: في الليلتين لا يلزمه شيء، وفي اليومين لزمه الليلة المتوسّطة أيضًا ـ كما في المحيط ـ وعنه يدخل فيه هذه الليلة استحبابًا لا وجوبًا ـ كما في شرح الطحاوي ـ وعنه لا يدخل إلّا اليومان ـ كما في قاضيخان ـ وصحّ في نذر أيام أو يومين نيّة النهار خاصّة لأنه نوى حقيقة اللفظ، وفيه رمز إلى

....

أنه صحّ في نذر ليال أو ليلتين نيّة الليلة خاصّة؛ لأنه نوى الحقيقة إلّا أنه لا يلزمه شيء، وإلى أنه لا يصحّ نية النهار في نذر الشهر؛ لأنه اسم لثلاثين يومًا وليلة، وإلى أنه صحّ نذر يوم فيدخل المسجد في اعتكافه قبل طلوع الفجر، وفي اعتكاف ما فوقه قبل غروب الشمس من الليلة الأُولى ويخرج بعد الغروب من اليوم الآخر، كما في شرح الطحاوي.

وقوله: خاصّة، أي خصّت نية النهار وانفردت من نية الليل خاصّة وانفراد منها، والجملة حال من النيّة، ويحتمل أن يكون صفة، فيكون حالًا من النيَّة لا من النهار، كما ظنّ إذا التأنيث يأبى عنه، ولا يخفى أنه يُشعر بانفراده وفراغ باله، فيشير إلى ما التزمه من رعاية حسن الاختتام، كما إلى الحديث القدسي على صاحبه الصّلاة والسّلام، والله أعلم. اهـ بحروفه.

فائـدة:

الظاهر أن السنّة اعتكاف تمام العشر الأخير، ويحقّقه ما رُوِي أنه عليه السلام كان يعتكف كل عام عشرًا، واعتكف عشرين في العام الذي قُبِض فيه، من شرح الشرعة ليحيىٰ أفندي. والحقّ أن يقال إنه سنّة في العشر الأخير من رمضان، ويستحبّ في غيره من الأزمنة من هدية الصعلوك. اهـ وحدتي. وفي فتاوى قاضيخان: والأَوْلى للرجل أن يعتكف في رمضان عشرًا، لما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه كان يعتكف في كل رمضان عشرًا، فلمّا كانت السنة التي قُبِض فيها اعتكف عشرين. اهـ. وفي الخلاصة: والأَوْلى أن يعتكف في رمضان عشرًا لما رُوِي عن النبيّ ﷺ أنه كان يعتكف عشرًا. اهـ.

فائـدة:

في شرح السُّنّة[1] في باب خروج المعتكف لحاجة الإنسان عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إليّ رأسه فأرجّله، وكان لا يدخل

---

(١) وفي شرح معونة أُولي النُّهى لمولانا الشيخ الإسلام زين الدين منصور الحنبلي في كتاب الاعتكاف: ولا يكره أخذ شعره وأظفاره. اهـ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(﴿تِلْكَ﴾ **الأحكام**) التي ذكرت ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أحكامه المحدودة ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ بالمخالفة والتغيير ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ شرائعه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المحارم.

البيت إلّا لحاجة الإنسان، هذا حديث متفق على صحته. وفي الحديث من الفقه أن المعتكف إذا أخرج رأسه من المسجد لا يخرج عن اعتكافه، ومن حلف لا يخرج من دار فلا يحنث بإخراج الرأس، وفيه أن المعتكف يجوز له غسل الرأس وترجيل الشعر، وفي معناه حلق الرأس وتقليم الأظفار وتنظيف البدن من الشعث والدَّرَن. اهـ باختصار.

فائدة:

في خزانة الروايات في فتاوى الحجَة: ويجوز للمعتكف أن يخرج من المسجد في سبعة أشياء: البول، والغائط، والوضوء، والاغتسال فرضًا كان أو نفلًا، والجمعة ويخرج أيضًا لحاجة السلطان، ويخرج أيضًا لأمرٍ لا بدّ منه ثم يرجع بعدما فرغ من ذلك الأمر سريعًا، في الخوارزمي والسغناقي. من الذخيرة: وهذا كلّه في الاعتكاف الواجب بأن أوجب الاعتكاف على نفسه.

أمّا في الاعتكاف النفل، وهو أن يشرع فيه من غير أن يوجبه على نفس لا بأس بأن يخرج بعذر وبغير عذر في ظاهر الرواية. في الخلاصة: ولو اعتكف الرجل من غير أن يوجبه على نفسه، ثم يخرج من المسجد لا شيء عليه. اهـ.

فائدة:

في الجامع الصغير: مَن اعتكف عشرًا في رمضان كان ثواب اعتكافه كحجّتين وعمرتين هب ـ أي رواه البيهقي عن الحسين بن علي رض ـ من اعتكف إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه فراى، رواه الديلمي عن عائشة رحمها الله. اهـ.

قوله: (﴿تِلْكَ﴾ **الأحكام**) التي ذكرت مِنْ باشروهنّ وابتغوا وكلوا واشربوا للإباحة، وأتمّوا الصيام للإيجاب، ولا تباشروهنّ للتحريم.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

(﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ **أي لا يأكل بعضكم مال بعض**) ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ بشهادة الزور أو بالأيمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم. وقال عليه السلام للخصمين

قوله: (﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض) تفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾، يعني: أن هذا ليس من مقابلة الجمع بالجمع، كما في: اركبوا دوابّكم، بل المراد نهي كل عن أكل مال الآخر، فقوله بالباطل متعلق بتأكلوا وبينكم أيضًا كذلك، أو حال من الأموال وضمير بها للأموال على حذف المضاف. في التفسيرات الأحمدية: معنى الآية لا تأكلوا أموالكم أنفسكم بالباطل، أي بالوجه الذي لم يجوّزه الشرع؛ كشرب الخمر والزّنا وأنواع الفساد، على ما في الحسيني. أو المعنى: لا تأكلوا بعضكم أموال بعض بالباطل؛ كالسرقة والغصب والقمار والعقود الفاسدة ونحوها، ويُناسب هذا المعنى عطف على قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ﴾ على ﴿تَأْكُلُوٓاْ﴾، فهو داخل تحت النفي، ويؤيّده قراءة أُبيّ: لا تدلوا بها، يعني: لا تدلوا بتلك الأموال إلى الحكّام ولا تقربوا بها إليهم لتأكلوا بحمايتهم طائفة من أموال الناس، وتجعلوها سببًا لإتلاف أموال المسلمين بالإثم؛ كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو بالصلح، مع العلم بأن المقضيّ له ظالم، وحينئذ فالمراد من الحكّام حكّام الشريعة؛ كالقاضي والمفتي والحاكم والسلطان. وحاصله أنكم إن كنتم تعلمون أنكم باطلون في الحقيقة في الدعوى والإشهاد واليمين والصّلح ومحقّقون باعتبار ظاهر التقرير، فلا تأخذوه ولا تأكلوه، وإن ثبت حقّكم بحسب الظاهر؛ كما رُوي أن عبدان الحضرمي ادّعى على امرىء القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بيّنة، فحكم رسول الله ﷺ بأن يحلف امرىء القيس، فهمّ به، فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٧] الآية، فارتدع من اليمين وسلّم الأرض إلى عبدان؛ فنزلت هذه الآية. أمّا في رواية البيضاوي: ويُعلم من الزاهدي أنه حلف امرىء

«إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليّ ولعل بعضكم **(ألحن)** بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذون منه شيئًا فإن ما أقضى له قطعة من نار» فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي. وقيل: وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة. يقال: أدلى دلوه أي

القيس، فنزلت هذه الآية، فردّها وردّ الأرض الأخرى معها، فبشّره النبيّ ﷺ بالجنّة. وبالجملة، فللآية دلالة على حرمة هذه الأشياء، وفيها دليلٌ أيضًا على أن القاضي إذا قضى بشهادة الزور ينفذ ظاهرًا لا باطنًا، كما هو مذهب أبي يوسف ومحمد والشافعي خلافًا لأبي حنيفة، فعنده ينفذ ظاهرًا وباطنًا جميعًا. ورُوِي عن النبيّ ﷺ أنه قال للخصمين: «**إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم ألحن بحجّة من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حقِّ أخيه فلا يأخذنّ منه شيء، فإنّ ما أقضي له قطعة من النار**»، فبكيا وقال كل واحد منهما: حقي لصاحبي، فقال: «**اذهبا فتوخيا**[1] **ثم استهما، ثم ليحلل كل واحد منكما لصاحبه**»؛ ففي أول الحديث أيضًا دليل لمذهبهما ومذهب الشافعي، كما صرّح في البيضاوي. وقيل: المراد من الحكام حكّام الظلم، ومعناه: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾ أي تلقوا بعضها إلى حكّام السوء على وجه الرّشوة لتأكلوا بحمايتهم طائفة من أموال الناس بالفساد والنمامة والغيبة والتجسّس كما يفعله جليس الحكّام على ما هو شائع في بلادنا وكثير في زماننا، وهو حرامٌ بالنصّ نعوذ بالله منه؛ لأن فيه ضرر للمسلمين وقد لعن الله تعالى من ضرَّ مسلمًا أو غيره، هذا هو مضمون الآية. ولكنْ علم من بعض الفتاوى أن يكون رجل جليس الحكّام أو أنيسهم ويأخذ من آخر شيئًا ويقيم في مصالحه من غير أن يكون ضررًا لمسلم آخر جاز ذلك عند البعض؛ لأنه ليس فيه ضرر لأحد، بل نفع. وفي الهداية: وإعطاء الرشوة لدفع الظلم أمر جائز، وقد ذكر الله تعالى هذه المسألة عقيب مسألة الصيام؛ لأن الصوم يتعلّق به الإفطار، فيليق بعده بيان ما أُحلّ منه وما حرم، كذا في حواشي البيضاوي، والله أعلم. اهـ. **قوله: (ألحن)** من اللّحن ـ بالفتح ـ الفطنة، أي أقوم بها وأقدر عليها.

---

(١) التوخي: قصد الحقّ، والاستهام: الاقتراع، وفيه دلالة ظاهرة على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنًا. اهـ شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

ألقاه في البئر للاستقاء. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

(**قال معاذ بن جبل**): يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود (**كما بدأ**) لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ فنزل (﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾) جمع هلال

قوله: (**قال معاذ بن جبل**)... الخ. قال العراقي: لم أقف له على إسناد، وتعقّب بأنه أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السديّ عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وله طرق أخرى. ومعاذ بن جبل ـ هو بالذال المعجمة ـ هو أبو عبد الرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن الأوس الأنصاري الخزرجيّ الجُشَمي المدني الفقيه الفاضل الصالح. أسلم معاذ وهو ابن ثمان عشرة سنة، وشهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، ثم شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود. رُوِي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وسبعة وخمسون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على حديثين وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة، وقيل: سبع عشرة، والصحيح الأوّل، وقبره في مشاق غَوْرَبَيْسان. وعمواس التي نُسِب إليها الطاعون بين الرَّملة وبيت المقدس نُسِب الطاعون إليها لأنه بَدَأ منها، وهو بفتح العَيْن والميم. وتوفّي شهيدًا في الطاعون وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقيل: أربع وثلاثين، وقيل: ثمان وثلاثين، وأحوال معاذ ومناقبه غير منحصرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**كما بدأ**) يصح فيه الهمزة والألف، أي كما كان أوّلًا. (﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾)... الخ. في التفسيرات الأحمدية في مسألة نسخ بعض عادات الجاهلية قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الآية: المقصود من الآية وإن كان قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾، ولكن لا بدّ من بيان قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾، وهو أنه

سُمِيَ به لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾

كان معاذ بن جبل سأل رسول الله ﷺ أنه ما السبب في نقصان الهلال أوّلًا وظهورها مثل الخيط الأبيض ثم تزايده كل يوم حتى يكون كاملًا ليلة البدر، ثم نقصان كذلك حتى يغرب أيام المحاق، وكان الله تعالى عالمًا بأنهم لا يُدركون بسبب نقصانه وكنه كماله؛ لأنه موقوف على علم الهيئة، فترك بيان سببه وأجاب عنه بأنه مواقيت للناس ليعلم به عدة النساء ومدّة الحمل ومدّة الرضاع ويعلم به أوقات الحجّ؛ لأنه لمّا ظهر ناقصًا أوّلا علم أنه تاريخ أوّل، وإذا كَمُل بتمامه علم أنه التاريخ الرابع عشر، وإذا غرب علم أنه إتمام الشهر، وعلى هذا القياس، هكذا في علم المعاني والتفسير الحسيني. ولم يذكر صاحب الكشاف والمدارك حديث السبب والفائدة، بل أومأ إلى أن السؤال والجواب عن الحكمة. وفي البيضاوي تصريح بأنهم سألوا عن الحكمة، فأجيبوا بالحكمة. وفي الزاهدي أنهم سألوه عن خلقته فأجيبوا ببيان حكمته أوّلًا، ثم بيان خلقه بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: الآية ١٢] الآية؛ ففي الآية دليل على أن من سأل عالمًا مسألة ولسؤاله جوابِ آخر والسائل أحوج إليه من الذي التمس، فللعالم أن يشتغل أوّلًا بيان ما هو أنفع له ثم بسؤاله، كما فعل يوسف عليه السلام حين سُئِل عن الرؤيا: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: الآية ٣٦] الآية، فترك يوسف عليه السلام جواب تعبيره واشتغل أوّلًا بالأوْلى، وهو الدعوة إلى الإسلام فقال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ [يوسف: الآية ٣٧] الآية، هذا حاصل كلامه.

وبالجملة لم يتعلق ببيانه غرض، وإنما الغرض هٰهنا من قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآية، وقصّته المشروحة ما في الحُسَيْني وهو أن في الجاهلية كانوا إذا أحرموا بالحج لا يأتون من أبواب البيوت ويسمّون فاعله فاجرًا، بل يأتون من ظهورها إنْ كانوا من أهل المدر، ومن خلف الخباء إنْ كانوا من أهل الوبر، وكان ذلك الحكم عامًا لكل من الأعراب سوى الحُمْس الذي هو قبيلة بني قريش وبني خزاعة وبني عامر وبني ثقيف، فإذا خرج رسول الله ﷺ من الباب مُحرمًا، ورفاعة الأنصاري أيضًا خرج من الباب محرمًا، فاستأثره العرب جميعًا باسم الفاجر، فقال رسول الله ﷺ لرفاعة: «**ما لك خرجت من الباب ولست من الحُمْس، وإنما خرجت منها لأني من الحمس**»؟ فقال رفاعة: إني أيضًا منهم، لأن ديني هو دينك

(أي معالم) يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعِدّة نسائهم وأيام •يضهن ومدة حملهن وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف بها وقته. كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطًا ولا دارًا **(ولا فسطاطًا)** من باب، فإن كان **(من أهل المدر**

الحق؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ إلى آخره، أي ما لكم تقرّرون هذه القاعدة الشنيعة، أي يجوز الإتيان من الباب للحمس ويحرم للباقين وتعلمون أنه من البرّ وليس بشيء منه فاتّقوا الله من هذه الأعمال، وائتوا البيوت جميعًا من الأبواب، فنسخ ما في الجاهلية وهو المقصود.

فإن قيل: ما وجه اتّصال قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ ببيان الأهلة في آيةٍ واحدة من غير مناسبة ظاهرة؟

قلت: وجه اتّصاله ما قالوا لما ذكر أنها مواقيت للحجّ، وهذا أيضًا من أفعالهم في الحجّ ذكره للاستطراد والتبعية، أو أنّهم سألوا عن الأمرين جميعًا، فأجاب عنهما أو أنهم لمّا سألوا عمّا لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوّة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختصّ بعلم النبوّة عقب بذكره جواب ما سألوا تنبيهًا على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتمّوا بالعلم بها، وأن المراد التنبيه على تعكيسهم سؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه، كله في البيضاوي. ولم يذكر صاحب الكشاف والمدارك الثاني وأبدل الثالث بقوله: فكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة: معلومٌ أنّ كل ما يفعله الله لا يكون إلّا حكمة، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحد تفعلونه ممّا ليس من البرّ شيء وأنتم تحسبونها برًا، وقيل: إتيان البيوت من الظهور كناية عن إتيان المرأة في دبرها، وإتيانها من الأبواب كناية عن إتيانها في فرجها، ولعلّ المراد من البيوت حينئذ أهل البيوت، فيكون ردًّا على الروافض فيما ذهبوا إليه في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٣] على ما سيجيء إن شاء الله تعالى، وعليك بالاعتبار والتأويل في وجه الاتصال بما قبله حينئذ. اهـ.

قوله: (أي معالم) يعني: أن الميقات ما يوقت به الشيء، كما أن المقدار ما يقدّر به الشيء، وقد شاع في معنى العلم. **قوله: (ولا فسطاطًا)** الفسطاط: بيت الشَّعر، بضم الفاء وكسرها. **قوله: (من أهل المدر)**، المدر: جمع مَدَرة مثل

نقب نقبًا) في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، وإن كان (**من أهل الوبر)** خرج من خلف (**الخباء)** فنزل ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ أي ليس بتحرجكم من دخول الباب، ولا خلاف في رفع البر هنا لأن الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينّا فجاز الرفع والنصب ثمة، وهذه لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا وهو الرفع إذ الباء لا تدخل إلا على خبر «ليس» ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ما حرّم الله. (**«البيوت» وبابه مدني وبصري وحفص)** وهو الأصل مثل كعب وكعوب، ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من كسر إلى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلّة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها. معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برًا، فهذا وجه اتصاله بما قبله. ويحتمل أن يكون ذلك (**على طريق الاستطراد)** لما ذكر أنها مواقيت الحج لأنه كان من أفعالهم في الحج، ويحتمل أن يكون هذا تمثيلًا لتعكيسهم في سؤالهم وإن مثلهم فيه كمثل مَن يترك باب البيت ويدخل من ظهره، والمعنى ليس البر وما

قصَب وقصَبة، وهو التراب المتلبّد. قال الأزهري: المدر قطع الطين، وبعضهم يقول: الطين العَلِكُ الذي لا يخالطه رَمْل، والعرب تسمّي القرية مَدَرة؛ لأن بنيانها غالبًا من المَدَر، وفلان سيّد مدَرَته، أي قريته. اهـ مصباح. **قوله: (نقب نقبًا)** في المصباح: نقبت الحائط ونحوه نقبًا من باب قتل خرقته. **قوله: (من أهل الوبر)** الوبر للبعير كالصوف للغنم. اهـ مصباح. **قوله: (الخباء)** ما يُعمل من وبر أو صوف، وقد يكون من شعر، والجمع أخبية بغير همز، مثل كساء وأكسية، ويكون على عودين أو ثلاثة وما فوق ذلك، فهو بيت. اهـ مصباح. **قوله: (البيوت وبابه)** بالضمّ (**مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وحفص)** بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز ـ بائع البزّ ـ الكوفي ويُكنى أبا عمر، ويُعرف بحفص. قال وكيع: وكان ثقة، وقال ابن معين: هو أقرأ من أبي بكر شعبة بن عياش، وتوفي قريبًا من سنة سبعين ومائة. والباقون بالكسر. **قوله: (على طريق الاستطراد)** وهو أن يذكر عند سوق الكلام لغرض ما يكون له نوع تعلّق به، ولا يكون السوق لأجله، فلما ذكر أن الأهلّة مواقيت الحجّ، وكان من

ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البرّ برّ مَن اتقّى ذلك وتجنّبه **(ولم يجسر)** على مثله ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا، أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير **(اختلاج)** شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيم أمركم به ونهاكم عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لتفوزوا بالنعيم **(السرمد)**.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

(﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾) المقاتلة في سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين.

جملة أفعالهم في الحجّ دخول البيت من ظهورها نهاهم عن ذلك، وبيّن أنه ليس من البرّ من شيء. **قوله: (ولم يَجْسُر)** من باب قعد. **قوله: (اختلاج[1])** في محيط المحيط: اختلج الشيء في صدره احتكّ مع شكّ.اهـ. وفي لسان العرب: أصل الاختلاج الحركة والاضطراب، انتهى. **قوله: (السَّرْمَد)** الدّائم.اهـ مختار الصحاح.

قوله: (﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾)... الخ. اعلم أنّ في مسائل القتال والجهاديات آيات كثيرة مشحون كل القرآن بها بعضها منسوخ وبعضها ناسخ، فشَرَعْتُ في بيان ما هو في هذه السورة، فنقول: قد رُوِيَ أن المشركين صدّوا رسول الله ﷺ من دخول مكّة؛ إذ جاء من المدينة، لقصد العمرة في عام الحديبية وصالحوا على أن يرجع سَنَة آتية، فيُخلوا له مكّة ثلاثة أيام، فرجع رسول الله ﷺ في السنة الآتية لعمرة القضاء، وخاف المسلمون أن لا يوفوا لهم ويقاتلوه في الحرم في الشهر الحرام ـ أعني في مكّة ـ في ذي القعدة، ويتفكّرون في أنه ما حكم هذا القتال؟ أيجوز عند الله، أم يحرم؟ ولعلّهم إنما يتفكّرون في ذلك؛ لأن القتال في الشهر الحرام في الحرم كان حرامًا في الجاهلية، ويبقى ذلك إلى بدء الإسلام، فلم يدرِ أنه عليه السلام يكون حينئذ مأمورًا بالقتال لقوة الإسلام أوّلًا؛ فأنزل الله تعالى الآيات المذكورة المتّصلة في سورة البقرة، فأوّلها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ الآية،

(١) أي الحركة، ١٢ منه.

....

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾، ﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ يا أيها الذين آمنوا الكفار ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أولًا ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾، أي لا تبدؤوا بالقتال قبل أن يقاتلونكم، وكان هذا الحكم في أوّل الإسلام ثم نُسِخ، فالآن يجب القتال على الكافرين سواء بدؤوا بالقتال أو لا، ويؤيّده ما نُقِل عن الربيع بن أنس: هي أول آية نزلت في القتال في المدينة، فكان رسول الله ﷺ يُقاتل مَنْ قاتل، ويكفّ عمّن كفّ، على ما في الكشاف. أو نقول: المعنى لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ الكَفَرة كلّهم لأنّهم جميعًا يضادّون المسلمين قاصدون للقتال، فهم في حكم المقاتلة، سواء قاتلوا أو لا، أو معناه: الذين يناصبون بكم القتال ويتوقع ذلك منهم، فيخرج منه الشيخ الفاني والصبيان والمجانين والزَّمِن والأعمى والمريض والمرأة وغير ذلك، فإنهم يُحرم قتلهم لأنهم لا يقدرون على المناصبة والمقاتلة، فلا تعتدوا بقتل مَنْ نُهيتم عنه من المذكورين، أو لا تعتدوا بالمثلة، فإنها حُرِّمت في أواخر الإسلام، أو لا تعتدوا بقتال مَنْ عاهدتم عنه، أو لا تعتدوا بالقتال من غير دعوة، فإنّ الطريق أن تدعوهم أوّلًا إلى الإسلام، فإن أبَوْا فإلى الجزْية، فإنْ أبَوْا فالقتال؛ فعلى هذه المعاني كان حكم هذه الآية باقيًا ولا يكون منسوخًا، هذا كله في البيضاوي مع زيادة تفكّر مني وإطالة تقرير.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ حيث وجدتموهم في الحلّ والحرم، وأخرجوهم من ديارهم الآن حيث أخرجوكم من دياركم في السنة الماضية، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ بمن لم يسلم يوم الفتح، والفتنة أشدّ من القتل، أي المِحنة التي يُفتن بها الإنسان كإخراجهم من الديار أشدّ عذابًا لهم من قتلهم؛ لأن في الإخراج من الوطن دوام تعبها وتألم النّفس بها، أو الفتنة هو الشِّرك أي شركهم في الحرم وصدّهم إياكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم، أو عن قتلهم إيّاكم إن قتلوكم فلا تُبالوا بقتالهم، أو الفتنة عذاب الآخرة، وكلّ ذلك في الكشاف.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: لا تفاتحوهم بالقتل عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه أوّلًا؛ لأن فيه هتك حرمته، ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾ أي بدؤوكم بالقتل فيه فاقتلوهم؛ لأنهم الذين هتكوا حرمته أوّلًا، وحينئذ فلا

﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ (يناجزونكم القتال) دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخًا بقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: الآية ٣٦] وقيل: هي أول آية نزلت في القتال فكان رسول الله ﷺ يقاتل مَن قاتل ويكفّ عمّن كفّ. (أو الذين يناصبونكم القتال) دون من ليس من أهل (المناصبة) من الشيوخ والصبيان (والرهبان) والنساء، (أو الكفرة) كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ في ابتداء القتال أو بقتال مَن نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما (أو بالمثلة) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

تثريب عليكم ومثل ذلك جزاء الكافرين دائمًا، هكذا قالوا. وقال صاحب المدارك: فعندنا يُقتلون في الأشهر الحُرُم لا في الحَرَم، إلّا أن يبدؤوا بالقتال معنا، فحينئذ نقتلهم، وأن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ يبيح القتل في الأمكنة كلّها، فبقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ خصّ الحَرَم عند البداية عنهم، كذا في شرح التأويلات، انتهى كلامه. ولم يتعرّض له صاحب البيضاوي، ولعلّ عنده كما جاز القتل في الشهر الحرام جاز في الحرم أيضًا، ولو كان ابتداءً.

ومعنى قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾: فإن انتهوا عن القتال والشِّرك، فإنّ الله يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم؛ كقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨]. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (يناجزونكم القتال) المناجزة في الحرب المبارزة والمقاتلة. **قوله: (أو الذين يناصبونكم القتال)** أي الذين لهم أهلية القتال. **قوله: (المناصبة)**: العداوة. **قوله: (والرهبان)** جمع راهب. في لسان العرب: الراهب المتعبّد في الصَّوْمعة واحد رهبان النصارى. **قوله: (والكفرة)** جمع كافر. **قوله: (أو بالمثلة)** في محيط المحيط: مثّل بفلان مَثْلًا ومُثْلَة نكّل، وبالقتيل يمثُل ويمثِل مثلًا جدعه وظهرت فُعله تنكيلًا. اهـ. وفي المصباح: مثلت بالقتل مثلًا من بابي قتل وضرب إذا جدعته وظهرت آثار فعلك عليه تنكيلًا والتشديد مبالغة والاسم المُثْلة وزان غرفة. اهـ. وفي مجمع بحار الأنوار: يقال: مثلت بالحيوان مثلًا إذا قطعت أطرافه، والاسم المثلة ومثّل ـ بالتشديد ـ للمبالغة. اهـ.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم. **(والثقف الوجود)** على وجه الأخذ والغلبة ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله ﷺ بمن لم يسلم منهم يوم الفتح ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم. وقيل: الفتنة عذاب الآخرة. وقيل: المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل. وقيل لحكيم: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنّى فيه الموت. فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التي يتمنّى عندها الموت. ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ أي ولا تبدؤوا بقتالهم في الحرم حتى يبدؤوا فعندنا المسجد الحرام يقع على الحرم كله. ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ في الحرم فعندنا يقتلون في الأشهر الحُرم لا في الحرم إلا أن يبدؤوا بالقتال معنا فحينئذٍ نقتلهم وإن كان ظاهر قوله: «واقتلوهم حيث ثقفتموهم» يبيح القتل في الأمكنة كلها لكن لقوله: «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه» خصّ الحرم إلا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات ﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مبتدأ وخبر. («**ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم**»: **حمزة وعليّ**) ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الشرك والقتال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف من طغيانهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بقبول توبتهم وإيمانهم.

قوله: (والثقف الوجود) أي وجدان مصدر وجدت الشيء، يقال: طلبناه فثقفناه في مكان كذا، أي أدركناه.

قوله: (**ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم**) بغير ألف في الأفعال الثلاثة من القتل. (**حمزة**) بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الزيّات، ويكنى أبا عمارة، توفّي بحُلْوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ستّ وخمسين ومائة، (**وعليّ**) بن حمزة الكسائي النحويّ يُكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في الكساء، وتوفي برَنْبُوية قرية من قرى الريّ حين توجّه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة. وقرأ الباقون بالألف من القتال.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

(﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ **شرك**) و«كان» تامة و«حتى» بمعنى «كي» أو «إلى أن» ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ خالصًا ليس للشيطان فيه نصيب أي لا يعبد دونه شيء ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان إلا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين، أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين، سمى جزاء الظالمين ظلمًا للمشاكلة كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾). . . الخ. آية محكمة ناسخة للآيات المقيّدة بحُرْمة القتال في الشهر الحرام، أي قاتلوهم حتى لا يكون شرك، ويكون الدِّين كلّه لله خالصًا ليس للشيطان فيه نصيب، أي لا يعبدونه بشيء، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي امتنعوا عن الشِّرك فلا تقاتلوهم؛ لأنه لا عدوان إلّا على الظالمين ولا يبقوا ظالمين حينئذ، أو فلا تظلموا إلّا الظالمين غير المُنْتهين سمّي جزاء الظالمين ظلمًا للمشاكلة، كما يأتي في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾، هكذا في المدارك. وبهذا المضمون أيضًا ذكر الله تعالى في سورة الأنفال مع تفاوت في النظم.

فإن قيل: يفهم منه قتل الذمي والحربي جميعًا، فإن الله تعالى جعل انتهاء القتل هو انتفاء الفتنة، أي الشِّرك وهو موجود في كلٍّ منهما.

قيل: أجاب عنه بعض الفضلاء بأن المراد بانتفاء الفتنة انتفاء سلطانه بحيث لا يجري أهل الشرك أحكام دينهم وأهل الجزية سُلِب عنهم أحكام دينهم وانقادوا إلى أحكام الإسلام، أو بأن الظاهر أن حتى هٰهنا ليست للغاية بمعنى إلى، وإنما هي بمعنى لام كي، كما هو مختار فخر الإسلام. أو بأن هذه الفتنة هي المحاربة، والذمّيّ ليس من أهل المحاربة. أو بأن الآية منسوخة أو مخصوصة بآية البراءة، أي بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: الآية ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾، معناه: ذو القعدة عامكم هذا عوض عن ذي القعدة عامهم الماضية، أي لمّا قاتلوكم في ذي القعدة الماضية فاقتلوهم في ذي القعدة الحاضرة ولا تبالوا بحرمته، ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ ومساواة بينكم في العام الماضية

....

والحاضرة، فالمسلمون لما كرهوا شيئين: القتال في المسجد الحرام والشهر الحرام خاطبهم في شأن المسجد الحرام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ [البقرة: الآية ١٩١]، وفي شأن الشهر الحرام بقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾، هذا هو حاصل ما سيق له هذه الآيات في هذه المواضع، وكفاك هذا وخلص ما وقفت عليه من كتب الفقه والتفاسير في آيات القتال، هو أنّ في بدء الإسلام لضعفه كان الرّسول عليه السلام مأمورًا بالتبليغ فقط، كما يشير إليه قوله تعالى: وما ﴿عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: الآية ٤٨]، ولم يكن مأمورًا بالمقاتلة والجهاد، بل كان العفو حينئذ فقط، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة: الآية ١٠٩] ونحوه، ويسمّي هذه آيات العفو والصفح، وكلها غير مقصورة. وفي الزاهدي أنها قريبة من سبعين آية، وفي الإتقان: أنها مائة وأربع وعشرون آية نُسِخت بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: الآية ٥]. وبالجملة، فوجب القتال في غير الأشهر الحُرُم، وبقي في الأشهر الحُرُم ممنوعًا؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾ [البقرة: الآية ٢١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة: الآية ٢]، ووجب أيضًا في الحلّ والحرم جميعًا، ثم نسخ حرمة الشهر الحرام بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبة: الآية ٣٦]، ونسخ عموم الحلّ والحُرُم أيضًا أو خصّ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ [البقرة: الآية ١٩١]، ثم آيات القتال المذكور فيها وجوب القتال مطلقًا منسوخة في حقّ عموم المفعول أو مخصوصة بآية البراءة، يعني بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: الآية ٢٩]، وفي حقّ إطلاق الفاعل بقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النور: الآية ٦١]، وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ [التوبة: الآية ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] ولا بأس أن يكون الآية ناسخة لآية في معنى ومنسوخة بأخرى في معنىً آخر، فاحفظه فإنّ العلماء عنه غافلون.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾

(قاتلهم المشركون عام الحديبية) في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ مبتدأ خبره ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ **(أي وكل حرمة)** يجري

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، وإنْ كان نصًّا في باب القتال خاصّة حيث كان تتمّة له، ولكنه عام بعبارته لكل عدوان وظلم، ولهذا تمسّك به صاحب الهداية في أوّل باب الغصب في أن مَن غصب ذوات الأمثال ثم هلك يجب عليه ردّ مثله، حيث قال: «**ومن غصب شيئًا له مثل كالمكيل والموزون فهلك في يده فعليه مثله**»، وفي بعض النسخ: «**فعليه ضمان مثله**»، ولا تفاوت بينهما؛ وهذا لأن الواجب هو المثل بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، ولأن المثل أعدل لِمَا فيه من مراعاة الجنس والمالية، فيكون أدفع للضرر، هذا كلامه. وإنّما قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَدُوا﴾ وإن كان جزاء الظلم عين العدل للمشاكلة على ماتقرّر في علم البديع؛ كقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: الآية ١٣٨]، وأمثاله في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] على ما سيجيء تحقيقه في سورة الشورى، وسيجيء بيان غصب الشيء ومنافعه وزوائده في سورة القصص تقريبًا إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (﴿فِتْنَةٌ﴾ **شرك**) فسّرها به ليصح العموم بالنفي وينتظم عطف ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٣]. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (قاتلهم المشركون عام الحديبية) سنة ستّ من الهجرة بمعنى الترامي بسهام وحجارة. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم، فلا ينافي ما صحّ في كتب الحديث أنه لم يكن قتال. **قوله: (أي: وكل حرمة)** إشارة إلى أن المعنى: والحُرمات ذوات قصاص أو فيها قصاص.

فيها القصاص من هتك حرمة **(أيّ حرمة كانت)** اقتصّ منه بأن تهتك له حرمه، فحين هتكوا حرمة شهركُم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة ماثلة لعدوانهم، أو زائدة وتقديره عدوانًا مثل عدوانهم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في حال كونكم **(منتصرين)** فمَن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحلّ لكم. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصر.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

(﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) تصدّقوا في رضا الله وهو عام في الجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ أي أنفسكم والباء زائدة، أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال: «أهلك فلان نفسه بيده» إذا تسبب لهلاكها. والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر

قوله: (أيّ حرمة كانت) من حُرمة الشهر والبلد فيما يتعلق بالنفس والعرض والمال. **قوله: (منتصرين)** منتقمين.

قوله: (﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) الآية، خطاب للأغنياء، وقوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ بمعنى أنفسكم، والباء زائدة، أي لا تلقوا أنفسكم. أو المفعول محذوف، أي لا تلقوا بأيديكم أنفسكم. والتهلكة والهلك والهلاك واحد، ووجه اتّصاله بما قبله أنه لمّا عزم رسول الله ﷺ لعمرة القضاء إلى مكّة عرض جَمْع من الصحابة لضيق زادهم وقلّة صبرهم بشكوى من الأغنياء لعدم إعطائهم المال، فأنزل الله تعالى خطابًا لهم، أي أنفقوا يا أيها الأغنياء لعازمي الحجّ ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بالبخل وعدم إعطاء لهم وأحسنوا إليهم إن الله يحب المحسنين. قال عليه السلام: «**البخيل بعيدٌ من الله تعالى وبعيدٌ من الجنّة، وقريبٌ من النار**»، هذا كلّه في الحسيني. وهذا المعنى يناسب عطف قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ على قوله: ﴿أَنفِقُوا۟﴾ بانتظام الثلاثة تحت مخاطب واحد، وهو - أعني قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟﴾ - نهيٌ عن الإسراف في النفقة أو عن الأخطاء بالنقض أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدوّ على ما هو المرويّ عن أبي أيوب الأنصاري، هكذا ذكره جماعة من المفسّرين. أو هو نهيٌ عن الذهاب

نفسه ويضيع عياله، أو عن (**الإخطار**) بالنفس، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو (**والتهلكة والهلاك**) والهلك واحدة ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ الظن بالله في الإخلاف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى المحتاجين.

في الحرب بغير سلاح وثياب، كما هو المذكور في الزاهدي. والمشهور بين العلماء أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ نهيٌ عامّ بظاهر العبارة من إلقاء المرء نفسه بالهلاكة أيّ هلك كان، كالغرق في الماء قصدًا، أو الحرق في النار عمدًا، وأكله سمًّا، وقتله بالحديد وأمره به غيره وأمثال ذلك، بخلاف الشرائع من قبلنا، لأن في شريعة موسى عليه السلام لم تُقبل توبةَ أُمّته إلّا بقتلها نفسها بيدها، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٥٤].

ومن هذا تمسّك بهذه الآية أنه إذا دخل في بلدة وباء وطاعون ينبغي أن لا يدخله المرء؛ لأن فيه إلقاء نفسه بيده إلى الهلاكة، وإن امتنع الفرار أيضًا من بلدٍ كان فيه ووقع فيه ذلك على ما نطق به الآيات الكثيرة والأحاديث الصحاح، كما سنبيّن في هذه السورة إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (الإخطار)، أي الإيقاع في الخطر والهلاك. **قوله: (والتهلكة والهلاك)** والهَلَك واحد، حكاه أبو علي الفارسي عن أبي عبيدة في[1] الجليات، وهو يدلّ على أن التهلكة مصدر بمعنى الهلاك. في المصباح: هلك الشيء هَلْكًا من باب ضرب هلاكًا وهلوكًا ومهلكًا ـ بفتح الميم ـ وأمّا اللام، فمثلثة والاسم الهلك مثل قفل، والهلكة مثل قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

وفي مختار الصحاح: هلك الشيء يهلك بالكسر هلاكًا وهلوكًا ومَهلكًا ـ بفتح اللام وكسرها وضمّها ـ وتهلكة ـ بضم اللام ـ والاسم الهُلك ـ بالضم ـ. قال اليزيدي: التهلكة من النوادر المصادر ليست مما يجري على القياس. اهـ.

---

(١) كتاب لأبي علي الفارسي رحمه الله في النحو. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

(﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾) وأدّوهما تامين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى **(بلا توان)** ولا نقصان.

قوله: (﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾)... الخ. هذه الآية في بيان إتمام الحجّ والعمرة والإحصار عنهما، أمّا الأول ففي قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾، فالله تعالى أمرنا بإتمام الحجّ والعمرة، أي أدائهما على وجه التَّمام والكمال. والحجّ فرضه الإحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة، وواجبه وقوف المزدلفة والسّعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار وطواف الرجوع للآفاقي، والحلق وغيرهما سنن أو آداب. والعمرة ركنها الطواف والسعي وشرطها الإحرام والحلق، وهذا بابٌ طويل مذكورٌ في الفقه. فإن قيل: أليس عندكم أنّ الحجّ فرض والعمرة سنة؟ فكيف يستقيم قوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟﴾ لأنه إذا كان للوجوب ينبغي أن يكون العمرة كالحج واجبة، كما هو مذهب الشافعي، وإذا كان للندب ينبغي أن يكون الحجّ كالعمرة سنّة، وهو خلاف المذهب.

قلت: يمكن أن يُجاب عنه أنه للندب على أن الحج والعمرة كانا مندوبين في بِدْء الإسلام، ثم ثبت فرضية الحجّ بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران: الآية ٩٧]، وبقيت العمرة على حالها كما هو المذكور في الزاهدي. أو على أن الأمر منصرف إلى معنى واو الجمع، ويكون اللام في قوّة اجمعوا بين الفرض والنذر فيكون للندب، ولعلّه هو المختار لصاحب الهداية. والإتمام مفسّر حينئذ بالإحرام من دويرة أهلكم، فيكون الآية في باب القِران، أي قاربوا الحجّ والعمرة جميعًا من دويرة أهلكم؛ كما صرّح به في باب القران في ردّ ما ذهب إليه مالك من أنه لا ذكر للقران في القرآن، ويستفاد منه أن تقديم الإحرام على المواقيت أفضل صرّح هو به أيضًا في فصل المواقيت، أو على أن معنى قوله

....

تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٦]: أدّوا الحجّ والعمرة لله عزّ وجلّ خاليًا عن الكسل وعاريًا عن الخلل بريًّا من الفتور والنقصان جامع الشرائط والأركان بخلوص النيّة وإخلاص الطّويّة أو بدون أن يكون مع قصد التجارة وطلب الزوجة وغير ذلك، أو بأن يكون الزاد والراحلة من الوجه الحلال.

ويُمكن أن يُجاب بأنه للوجوب على أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ﴾ أتمّوها بعد أن يكونا مبتدئين مشروعين ببعض الأفعال، ولا شكّ أن العمرة، بل جميع النّوافل، يصير بعد الشروع فرضًا، كما هو المذكور في الزاهدي والمدارك. أو على أن المراد الأمر بأداء الحجّ والعمرة بمراعاة الشروط المفروضة والأحكام المكتوبة فيهما؛ لأن نفس العمرة سنّة، والأحكام فيها مفروضة، كما أن القراءة مفروضة في صلاة التطوّع.

ويُمكن أن يُجاب أنّ حقيق الأمر الطلب، والطلب يتناول الندب والوجوب، والكلّي يتناول الجزئيات على سبيل الحقيقة، وإنْ كان الوجوب مُوجبه والندب غير مُوجبه، ولهذا يحتاج الأوّل إلى القرينة دون الثاني، فإذا تعلّق بالحجّ يكون للوجوب، وإذا تعلّق بالعمرة يكون للندب، ولا يكون الأمر باعتبار المتعلّقين جمعًا بين الحقيقة والمجاز صرّح بهذه التوجيهات في الغوري، وهذا كلّه إذا قرأ العمرة بالنصب، كما هو المعروف. وقد صرّح في الكشاف بأنه قرأ عليّ وابن مسعود ﷺ والشعبي والعمرة بالرفع، كأنّهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحجّ وهو الوجوب، هذا لفظه.

وأمّا الثاني، أي بيان الإحصار، وهو المقصود؛ في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾، ومعناه: إن بدأتم بالحجّ والعمرة وخرجتم من البيت مُحرمين ثم أحصرتم بسبب أي مرض أو خوف عدوّ وأردتم أن تخرجوا من الإحرام، فوجب عليكم ما استيسر لكم من الهدي من إبل أو بقر أو شاة؛ فالإحصار عندنا أعمّ من أن يكون بسبب مرض أو خوف عدوّ أو نحو ذلك. وعند الشافعي، وهو قول مالك: اختصّ بخوف العدوّ لقول ابن عباس ﷺ: لا حصر إلّا حصر العدوّ، ولقرينة قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ بعد ذلك. ولنا قوله عليه

....

السّلام: «**من كُسِر أو عرج فقد حلّ، فعليه الحجّ من قابل**»، وما تمسّك به من قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ ضعيف؛ لأنه أيضًا أعمّ، أي كنتم في حال أمْنٍ مِنَ المرض أو خوف العدوّ. وقد ذكر صاحب الهداية أن الإحصار في المرض والحصر في العدوّ، والآية نزلت في المرض بإجماع أهل اللغة، ففيه دليل على الشافعي ويردّ عليه أن أحكام حصر العدوّ حينئذ لا يثبت من الآية، والحقّ أن الإحصار أعمّ فيما إذا كان المانع من خوف أو مرض أو عجز، وأن الحصر خاص فيما إذا حبسه العدوّ عن المضيّ أو سُجِن، وقد يستعملان بمعنى المنع في كل شيء، كما أومأ إليه كلام صاحب الكشاف، ثم الإحصار عندنا يتحقّق في العمرة أيضًا، وعند مالك: لا يتحقّق لأنها لا يتوقّت. ولنا أن النبيّ عليه السلام وأصحابه أحصروا بالحديبية وكانوا عمّارًا، هكذا في الهداية. وقال صاحب المدارك: فظاهر النصّ يدلّ على أن الإحصار يتحقّق في العمرة أيضًا؛ لأنه ذكر عقيبهما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾ كنى به عن الإحلال؛ لأن الحِلّ يقع بالحلق، فمعناه: لا تخرجوا عن الإحرام حال الإحصار حتى يبلغ الهَدْي محله، أي حتى تعلموا أن الهَدْي المبعوث بلغ بموضعه الذي ينحر فيه، وهو منى، وقيل: مكّة بأجمعها؛ لأنه قال: ثم محلّها إلى البيت العتيق، على ما في الزاهدي. يعني تعيّن يوم الذبح في منى، ويخرج عن الإحرام في ذلك اليوم، فهذا الذي يتوقّت بالمكان دون الزمان وهو يوم النحر، وعندهما إنْ كان محصرًا بالحج يتوقّت بيوم النَّحر، وإنْ كان محصرًا بالعمرة لا يتوقّت عندهما أيضًا بالزّمان، وهذا عندنا. وقال الشافعي: يذبح الهدي حيث أحصر ولا يتوقّت بالمكان أيضًا؛ لأن النبيّ ﷺ نزل في الحديبية وقاصدًا العمرة فأحصر بسبب العدوّ ولم يبعث هديًا إلى مكة، بل ذبح في الحديبية، والآية حجّة عليه كما لا يخفى على العاقل سوقها وتأويلها عنده أنّ محلّه هو الذي يذبح فيه حلاً أو حرمًا، نصّ بذلك في البيضاوي.

ثم إذا زال الإحصار عندنا يجب الحج والعمرة قضاءً للحجّ، ولا دلالة للآية على النفي، خلافًا للشافعي جريًا على قاعدته. والتفصيل في أنه بعد زوال الإحصار إمّا أن يُدرك الحجّ والهدي جميعًا أو لا يُدرك شيئًا منهما، أو يُدرك أحدهما دون الآخر، مذكورًا في الهداية. ثم إنه ذكر صاحب الهداية: أن الآية تدلّ

وقيل: الاتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على أن مَن شرع فيهما لزمه إتمامهما وبه نقول: إن العمرة تلزم بالشروع. ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لأنه أمر بإتمامها، وقد يُؤمر بإتمام الواجب والتطوّع أو إتمامهما **(أن تحرم بهما من دويرة أهلك)** أو أن تفرد لكل واحد منهما سفرًا أو أن تنفق فيهما

على أن الحلق من مَحْظورات الإحرام، فينبغي أن يتّقي فيه عنه، وهو ظاهر. وقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية، معناه: مَنْ كان منكم مريضًا مرضًا يَحُوجه إلى الحلق عاجلًا أو كان به أذًى من رأسه كجراحة أو قمل، فحينئذ لا يجب التوقف في حلق الرأس إلى بلوغه بمنى، بل رخّص له الحلق للضرورة، ولكن تجب عليه فدية إنْ حلق. ولمّا كانت الفدية مجملة محتاجة إلى البيان فسّرها بقوله تعالى: ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، وقد ثبت بحديث كعب بن عُجْرة أنّ الصوم ثلاثة أيام، والصدقة هي الإطعام بثلاثة أصْوُع لستّة مساكين، والنّسك هو ذبح الشاة، هذا هو تفسير الآية بحسب ما ذكره المفسّرون، وبه تمسّك صاحب الهداية على التفصيل، وصرّح أن النسك يختصّ بالحرم بخلاف الأوّلين، وأن الصّدقة تجري فيه الإباحة عند أبي يوسف، كما في كفارة اليمين عملًا بلفظ الصدقة. وفي الحسيني: أنه لما نزل قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أمر رسول الله ﷺ لكعب بالشاة، فقال: يا رسول الله ﷺ لا أقدر عليها؛ فعند ذلك نزل قوله تعالى: ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ الآية. فهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]، وقد مرّ ما فيه ووجوب هذه الأشياء الثلاثة على التخيير بخلاف الحلق بغير عذر؛ لأنه يجب فيه الدَّم إن حلق ربع الرأس، والصدقة إن حلق أقلّ من ربعه، عُرِف ذلك في الفقه، وما ذكر في الحميدي شرح البزدوي أنه يجب أوّلًا الهدي ونحوه، ثم الصدقة ثم الصوم على الترتيب في الحلق بغير عذر لا يُعلم وجهه. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله: (بلا توانٍ)** في المصباح: وَنَى في الأمر وَنًى ووَنْيًا من باب تعب، ووعد ضَعُف وفتر، فهو وانٍ، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: الآية ٤٢]، وتوانى في الأمر توانيًا لم يُبادِر إلى ضبطه ولم يهتمّ به فهو مُتوانٍ، أي غير مهتمّ ولا مُحتفل. اهـ. **قوله: (أن تحرم بهما من دويرة أهلك)** هذا فيمن يكون من مكّة على مسافة يمكنه قطعها من غرّة شوال إلى عاشر ذي الحجّة. اهـ تفتازاني رحمه الله. ودُوَيْرة تصغير دار للتلطّف لا للتحقير. اهـ شهاب رحمه الله.

حلالًا أو أن لا تتجر معهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ يقال: أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز، وحصر إذا حبسه عدوّ عن المضي. وعندنا الإحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص، وقد جاء في الحديث «(من كُسر) أو عرج فقد حلّ» أي جاز له أن يحلّ وعليه الحج من (قابل). وعند الشافعي رحمه الله: الإحصار بالعدو وحده. وظاهر النص يدلّ على أن الإحصار يتحقق في العمرة أيضًا لأنه ذكر عقبهما ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فما تيسر منه. يقال (يسر الأمر) واستيسر كما يقال (صعب) واستصعب. (والهدي جمع هدية) يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلّل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة «فما» رفع بالابتداء أي فعليكم ما استيسر، أو نصب أي فأهدوا له ما استيسر ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ الخطاب للمحصرين أي لا تحلّوا بحلق الرأس حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه وهو الحرم، وهو حجة لنا في أن دم الإحصار لا يذبح إلا في الحرم على الشافعي رحمه الله إذ عنده يجوز في غير الحرم ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ فمن كان منكم به مرض يحوجه إلى الحلق ﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ وهو (القمل) أو الجراحة ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ فعليه إذا حلق فدية ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر

قوله: (من كُسر) على لفظ المبني للمفعول، أي أصابه كسر في بعض الأعضاء أو عرج ـ بفتح الراء ـ أي أصابه شيء في رجله، فمشى مشية العرجان ولم يكن ذلك بخلقة، وإذا كان ذلك بخلقة. قلت: عرج ـ بالكسر ـ فهو أعرج، والحديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث الحجّاج بن عمر. **قوله:** (قابل) اسم فاعل بمعنى آت مطلقًا، لكنه خصّ في الاستعمال بالعام الذي بعد عامك. **قوله:** (يسر الأمر) في المصباح: يَسر الأمر يَيْسرًا يَسَرًا من باب تعب ويَسُر يُسْرًا من باب قَرُب فهو يسير، أي سهل. اهـ. **قوله:** (صعب) في مُخْتار الصحاح: صَعُب الأمر من باب سَهُل صار صَعْبًا واستصعب أيضًا. اهـ. **قوله:** (والهدي جمع هدية) في المصباح: الهدي ما يُهدى إلى الحرم من النَّعم يثقل ويخفّف، الواحدة هَدْية بالتثقيل والتخفيف أيضًا، وقيل: المثقل جمع المخفّف. اهـ. **قوله:** (القمل) معروف الواحدة قَمْلة. اهـ مصباح

﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ شاة وهو مصدر أو **(جمع نسيكة** ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ **الإحصار أي فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة** ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ **استمتع** ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾) واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرّب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرّب بالحج.

ومختار الصحاح. **قوله: (جمع نسيكة)** في مختار الصحاح: النَّسيكة الذبيحة، والجمع نُسُك ـ بضمّتين ـ.اهـ. وفي المصباح: النَّسيكة وهي الذبيحة وزنًا ومعنًى. **قوله: (﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ الإحصار، أي فإذا لم تُحصروا وكنتم في حال أمن وسِعة، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾)**... الخ. اعلم أن الحجّ والعمرة إمّا أن يكون بطريق الإفراد، أو بطريق القِران، أو بطريق التمتّع؛ فطريق الإفراد هو أن يُحرم للحجّ ويؤدّي أعماله وأفعاله، وهكذا إذا أراد العمرة يحرم لها ويؤدّي أعمالها كذلك، وطريق القِران أن يحرم إحرامًا للحجّ والعمرة، بحيث يقول: لبّيك بحجّة أو عمرة ويقتصر على أعمال الحجّ فقط، ويكون العمرة مندرجة فيه؛ كالوضوء في الغسل. قيل: هذا عند الشافعي، وعندنا: يحرم لهما معًا ثم يبدأ بأفعال العمرة، فيطوف بالبيت سبعة أشواط ويسعى بعدها بين الصّفا والمروة، ثم يبدأ بأفعال الحجّ فيطوف طواف القدوم سبعة أشواط، ويسعى بعدها إلى آخر ما كان في الحجّ كما عُرِف في الفقه، وطريق التمتّع أن يُحرم أوّلًا بالعمرة ويدخل في مكّة ويفرغ عن أعمالها، ثم يخرج عن الإحرام ويتمتّع بالمحظورات، ثم يُحرم في عين مكّة للحج يوم التروية وقبله أفضل، ويؤدّي أفعاله، وهذا في متمتّع لم يسق الهدي، فإنْ كان ساق الهدي.لم يخرج عن الإحرام ثم يُحرم بالحج يوم التروية كما يحرم أهل مكّة، فالإفراد أفضل عند الشافعي مطلقًا، والتمتّع أفضل من القِران، والقِران من الإفراد عند مالك، والقِران أفضل من التمتّع، والتمتّع من الإفراد عندنا، هكذا في الهداية. وما ذُكِر في الحسيني من أن المرة يندرج في الحجّ في القِران مطلقًا، وأن الإفراد أفضل عند الشافعي ومالك، والتمتّع أفضل عند أحمد، ويخرج فيه عن الإحرام البتّة، فكلامٌ يخالفه. والله تعالى بيَّن في هذه الآية أحكام التمتّع. فقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ﴾ ليس معناه: فإذا أمنتم من الإحصار الذي كنتم عليه من قبل، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ إذ ليس التمتّع موقّتًا به، بل المراد أنه إذا لم تُحصروا وكنتم في حال أمْن وسعة، فمن تمتّع في هذه الحالة بالعمرة إلى الحجّ، أي تمتّع بالتقرّب بها إلى الله تعالى قبل أن ينتفع بالتقرّب إلى الحجّ أو تمتّع بسبب الفراغ

....

عن العمرة باستباحة المحظورات إلى أن يُحرم بالحجّ، كما في متمتّع لا يسوق الهدي. وعلى كِلَا التقديرين، فالحاصل أنّ من أدّى الحجّ والعمرة بالتمتّع حال كونه آمِنًا يجب عليه ما يستيسر من الهدي من إبل أو بقر أو شاة أداء لحقّ شكر التمتّع والتوفيق باجتماع الحجّ والعمرة، وهذا الهدي دمُ نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر؛ كالأضحية، ولم تنب الأضحية عنه. وعند الشافعي رحمه الله: لم يؤكل منه لأنه دم جبر عنده ويذبحه إذا أحرم بالحجّ، كذا يُعلم من البيضاوي والكشاف، وهذا كلّه إذا وجد الهدي. فإذا لم يجد الهدي، فيجب عليه صوم عشرة أيام: ثلاثة أيام في أيام الحجّ، وهي أشهره ما بين الإحرامين، وسبعة أيام إذا رجعتم، أي إذا فرغتم من أفعال الحجّ ونفرتم عنه، هذا عندنا. وعند الشافعي معناه: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ أي في أيام الاشتغال به بعد الإحرام وقبل التحلّل، ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي رجعتم أي أهليكم، فصوم الثلاثة عنده يصح قبل أشهر الحجّ إذا أحرم قبلها، ولا يصحّ عندنا إلّا في أشهر الحجّ، والأحب أن يصوم سابع ذي الحجّة وثامنه وتاسعه، وإن فاتت هذه الثلاثة تَعيَّن الدم. وعندنا وعند الشافعي تُقضى كصوم رمضان، وعند مالك يصحّ في يوم النّحر وأيام التشريق؛ لإطلاق قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾، ولنا أنه منهيٌّ ناقص، فلا يتأدّى به الكامل ولا يؤدى؛ لأن الإبدال لا تنصب إلّا شرعًا، ولا شرع بعده. وصوم السبعة يجوز عندنا في مكّة أيضًا بعد فراغه عن الحجّ؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إذا فرغتم. وعند الشافعي رحمه الله: لا يجوز إلّا في وطنه؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، فالخلاف بيننا وبينه في شيئين: في معنى قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، هكذا عُرف في الفقه.

وإنّما قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ لئلّا يتوهّم أن الواو في وسبعتم بمعنى أو، وليعلم العدد جملة كما عُلِم تفصيله، فإنّ أكثر العرب لم يُحسنوا الحساب، وأن المراد بالسبعة العدد دون الكثرة، فإنه يُطلق عليها أيضًا، وتوصيف العشرة بالكمال لزيادة تأكد ومبالغة في محافظة العدد. وقيل: المعنى كاملة في وقوعها بدلًا عن الهدي، على ما في الكشاف. فإن قلت: فقد ظهر عمّا ذكرت أن يكون صوم ثلاثة أيام في الحجّ قبل يوم النَّحر، فكيف يصح ترتّب الشرط والجزاء لأن المفروض أن

....

تذبح الهدي يوم النحر؟ فما معنى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي فعليه صوم ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ قبل أيام النحر؟

قلت: الذي نسجه عنكبوت خاطري أن معنى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: فمن يعلم من سابق أنه لم يجد الهدي يوم النحر للذبح، فعليه صوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر، ولهذا إن فاتت الصيام الثلاثة المذكورة تعيّن عليه الهدي جَبْرًا وكرهًا من الشارع. ثم الإمام أبو حنيفة رحمه الله أجرى أحكام التمتّع في القِران أيضًا حيث ذكر في الوقاية: فذبح للقران في يوم النحر، فإن عجز صام ثلاثة أيام آخرها عرفة وسبعة بعد حجّه أين شاء. فإن فاتت الثلاثة تعيَّن الدم، إلى هنا كلامه. وإليه يشير كلام صاحب الهداية حيث قال مرّتين: والقران في معنى التمتّع، وإن ورد النصّ في التمتّع. والوجه عندي أن نقول: إن القران لمّا كان أفضل عنده، فأوْلى أن يُجري فيه أحكام ما هو دونه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ﴾ إشارة إلى التمتّع، أي التمتّع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، ومعناه: لم يكن مكّيًا، فما فوقه إلى الميقات، بل كان مسكنه وراء الميقات، فلا تمتّع لمن هو مسكنه دونه؛ لأنه يتصوّر العمرة في غير أشهر الحجّ، فيجوز له الإفراد فقط، بخلاف الآفاقي، فإنه لا يتصوّر له الإقامة مدة طويلة، فالأفضل له القران والتمتّع، ليكون مشرفًا بكِلْتا النعمتين. وإذا لم يجز له التمتّع بالنص لم يجز له القران بالطريق الأولى؛ لأنه أفضل منه، هذا عندنا. وقال الشافعي رحمه الله: ذلك إشارة إلى وجوب الهدي والصيام للتمتّع، يعني أن الهدي والصيام إنما وجبت فيما إذا لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، ومعناه: كان من الحرم على مسافة القصر، فيجوز له عنده التمتّع، ولكن لا يجب عليه الهدي والصيام، فالاختلاف هٰهنا في شيئين في المشار إليه بذلك، وفي معنى: غير حاضري المسجد الحرام، كما علمت آنفًا. وفي حواشي الهداية: إن قولنا في تفسير ذلك أحقّ؛ إذ لو كان كذلك لقيل: على مَنْ لم يكن دون اللام، وعند مالك رضي الله تعالى عنه: المراد من الأخير غير المكي فقط. وعند طاوس: المراد منه أهل الحل، كذا ذكره القاضي البيضاوي، ولم أجد نصًّا في مذهب مالك وطاوس في أن المشار إليه بذلك ما هو، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

(**وقيل**): إذا حلّ من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرمًا عليه إلى أن يحرم بالحج ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ هو هدي المتعة، وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت الحج وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ (**إذا نفرتم وفرغتم** من **أفعال الحج**) ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في وقوعها بدلًا من الهدي أو في الثواب، أو المراد رفع الإبهام فلا يتوهم في الواو أنها بمعنى الإباحة كما في «جالس (**الحسن وابن سيرين**)»، ألا ترى أنه لو جالسهما أو واحدًا منهما كان ممتثلًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ (**إشارة إلى التمتع**) إذ لا تمتع (**ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا**).

وعند الشافعي رحمه الله إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئًا ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هم أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن لم يتقه.

قوله: (**وقيل**)... الخ. فالمعنى على الأوّل: من انتفع بالشروع في العمرة ممتدًّا ومنتهيًا إلى الانتفاع بالحجّ، وعلى الثاني: من انتفع بالفراغ منهما ممتدًّا إلى الشروع في الحجّ.

قوله: (**إذا نفرتم**) من مِنًى (**وفرغتم من أفعال الحجّ**) أطلق عليه اسم الرجوع على طريق اسم المسبّب وإرادة السبب الخاص وهو النفر والفراغ، فإنه سببٌ للرجوع. **قوله**: (**الحسن**) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**وابن سيرين**) هو أبو بكر محمد بن سِيرين الأنصاري التابعي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**إشارة إلى التمتّع ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا**)، ومن تمتّع منهم أو قرن كان عليه دم جناية لا يأكل منه. قال الجَصّاص رحمه الله: وظاهر الآية يقتضي ما قاله الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه؛ لأنه لو كان المراد الهدي لقال ذلك على مَنْ لم يكن... الخ. وكون اللام واقعة موقع على خلاف الظاهر.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

(﴿ٱلْحَجُّ﴾ **أي وقت**) الحج (**كقولك: «البرد شهران»** ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهي شوال وذو القعدة وعشر ذو الحجة.

قوله: (﴿ٱلْحَجُّ﴾ **أي وقت**) الحج (**كقولك: «البرد شهران»**، ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾)... الخ. هذه الآية لبيان وقت الحجّ ولبيان ما يتّقى منه في الحجّ، وبيان الوقوف بعرفة والمزدلفة وغيرها. أمّا الأول، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾. وبيان أن مضافه محذوف، أي زمان الحجّ ووقته أشهر معلومات معروفات لم يشكلن على أحد، وهي: شوال وذو القعدة وعشرة ذي الحجّة عندنا. وعند الشافعي: تسعة ذي الحجّة مع اللّيل العاشرة، فلا يدخل يوم الأضحى فيه. وعند مالك: ذو الحجّة كلّه. وبناء الخلاف على أن المراد بالوقت عند الشافعي وقت إحرامه، ولا يصح في يوم النحر. وعند مالك: وقت ما لا يحسن فيه غيره من المناسك، فلا يصح العمرة عنده في بقية ذي الحجّة. وعندنا: وقت أعماله ومناسكه، وذلك فيما قلناه، كذا في البيضاوي.

فإن قلت: ما الفائدة في توقيت الحجّ بشهرين وعشرة ذي الحجّة، والحال أن له شرطًا ـ أعني الإحرام ـ وجاز تقديمه على شهرين وركنين ـ أعني الوقوف بعرفة ـ وهو موقّت بتاسع ذي الحجّة، وطواف الزيارة وهو يجوز بعد يوم العيد أيضًا؟

قيل: فائدته أن لا يجوز شيء من أفعاله قبله، فالإحرام وإنْ جاز عندنا قبله لكنه كره على الأصح، ولعلّه إنّما جوّز ذلك لأن الإحرام في الحجّ كالنية في الصلاة، فيكون خارجًا عنه، وإنّما المنع من أفعاله الدّاخلة فيه. نعم يرد طواف الزيارة، وكذا رمي الجمار؛ لأنه قد يؤدّى بعد العشرة عندنا. ففي الحصر تأمل.

وإنما قيل: أشهر ولم يَقل شهران وعشرة إقامة للبعض مقام الكل، وإطلاقًا للجمع على ما فوق الواحد، وذلك على ما يقال: إنّ الجمع ليس بنصٍّ في الثلث، فيجوز فيه ما دون الثلاثة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

....

[التحريم: الآية ٤] بخلاف ما لو قيل: ثلاثة أشهر، فإنه نصّ في مدلوله؛ لأنه اسم عدد، فلا يجوز فيه ما دونه، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨]. وفي الهداية: وأشهر الحجّ شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجّة، كما رُوي عن العبادلة الثلاثة، وعبد الله بن الزبير: ولأن الحجّ يفوت بمضيّ جزء عاشر من ذي الحجّة ومع بقاء الوقت لا يتحقّق الفوات، وهذا يدلّ على أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾: شهران وبعض الثالث لا كلّه، فإن قدّم الإحرام بالحجّ عليها جاز إحرامه وانعقد حجًا، خلافًا للشافعي رحمه الله، وهكذا سرد الكلام إلى آخره. ثم وقت الحجّ على اصطلاح الأصوليين يسمّى مشكلًا يشبه المعيار من حيث إنه لا يؤدّي أفعال الحجّ خارجها، ويشبه الظرف من حيث إنه لا يستوفي ذلك الوقت لتلك الأفعال، بل بقي زائدًا منها، أو لأنه إن عاش إلى السنة الآتية كان متوسّعًا وإلا مضيّقًا، ويتعيّن هذه الأشهر من العام الأوّل عند أبي يوسف، خلافًا لمحمد. وهذا الاختلاف ليس بناشيءٍ عن ضابطة مشهورة مختلف فيها، وهي أن الأمر المُطلق للفور عند الكرخي خلافًا لغيره، لما أنه لا خلاف بين أبي يوسف ومحمد في أنه على التراخي، فإنما خالف فيه الكرخي فقط؛ بل لأن الحجّ أشقّ العبادات على النفس من حيث المسافة، فيجب عند أبي يوسف تعجيله احتياطًا احترازًا عن الفوات، فإذا لم يؤدّ بقي الأثم، ثمّ وثمّ إلى آخر العمر. وعند محمّد إنّما يتحقّق الإثم ويثبت في آخر العمر، نصّ بذلك في البزدوي وشروحه.

وأمّا الثاني، فبيانه في قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾، يعني: من ألزم على نفسه في تلك الأشهر الحجّ سواء كان بالإحرام أو بالتلبية أو بسوق الهدي عندنا، وبالإحرام فقط عند الشافعي رحمه الله، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحجّ؛ فهؤلاء نفي صورة ونهي معنى، وهو المذكور في الهداية والمختار في التفاسير، وإنما جيء به لأن خبر الشارع آكد من أمره، ونهيه على ما عُرف في الأصول، أو نفيٌ محمول على ظاهره، ولكن في الكلام تقديرًا، أي: فعليه أن يُمنع من الرفث والفسوق والجدال؛ لأنه لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجّ بمرضى الله تعالى

....

يعلم ذلك بإعادة قوله: ﴿فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ لوضع المظهر موضع المضمر، وإن لم يتعرّضوا له، وعلى كل تقدير الرّفث هو الجماع أو ذكره عند النساء، أو الكلام الفاحش، ولا يدخل فيه النكاح، ولهذا جاز نكاح المُحرم والمحرمة دون جماعهما. والفسق هو الخروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات والمعاصي أو السيّئات والتنابز بالألقاب. والجدال هو المجادلة مع الرّفق[1] والخَدَم[2] وغير ذلك، أو مجادلة المشركين في تقديم وقت الحجّ وتأخيره، فإنّ المشركين كانوا يخالفون سائر العرب، فيقفون بالمشعر الحرام وسائر الناس يقفون بعرفة، وكانوا يقدمون الحجّ سنة ويؤخّرونه سنة، وهو النسيء، فردّ إلى وقتٍ واحد، وردّ الوقوف إلى عرفة هذا إذا كان معطوفًا على ما قبله. وأمّا إذا كان غير معطوف عليه، كما يُعلم ذلك من قراءة ابن كثير وأبي عمرو فلا رفث ولا فسوق بالرفع ولا جدال بالفتح، فحينئذ تعيّن الوجه الأخير على معنى الإخبار بانتفاء الجدال، فهذا أيضًا وجه لإعادة قوله: ﴿فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ كما لا يخفى، وكلام صاحب الهداية صريح في أنّ كِلَا معنى الجدال على تقدير كون النفي بمعنى النهي، وكلام صاحب الكشاف وغيره يدلّ على أن المعنى الأوّل على تقدير النهي، والثاني على كون النفي بمعناه، وأيضًا كلام المفسّرين يدلّ على أنّ كلًّا من الثلاثة في حالة الإحرام أشدّ حُرْمة منها في غيرها، وكلام صاحب الهداية على أن ذلك في حقّ الفسوق فقط، ثم الجماع إنما يحلّ إذا فرغ من طواف الزيارة يومًا من أيام النحر وما سواه من المحظورات لا يحتاج في إحلاله إلى طواف الزيارة، بل يحلّ بعدما ذبح الأضحية سواء طاف للزيارة أو لا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ حثّ على الخير عقيب النهي عن الشرّ، يعني استعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق

---

(١) في القاموس: الرُّفْقة مثلثة وكثُمامَة جماعة ترافقهم ج ككتاب وأصحاب وصُردٍ.اهـ. وفي المصباح: الرفقة الجماعة ترافقهم في سفرك فإذا تفرّقتم زال اسم الرفقة، وهي بضم الراء في لغة بني تميم، والجمع رفاق مثل برمة وبرام، وبكسرها في لغة قيس والجمع رفق مثل سدرة وسدر.اهـ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٢) قوله: والخدم جمع خادم. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

البرّ والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة. وفي الزاهدي: أن ما هذه شرطية لا خبرية، بدليل جزم جوابه. وفي المدارك: أنه ردٌّ لقول من ينفي علمه تعالى بالجزئيّات، ولمّا كان أهل اليمن قصدوا الحجّ بلا زاد وراحلة، ثم اشتدّ عليهم الاحتياج واشتغلوا بالسؤال من أهل مكّة فيكونوا كَلاًّ على الناس، فنزل فيهم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾، يعني: تزوّدوا من بيوتكم واتّقوا الاستطعام وإبرام الناس، فإن خير الزاد الاتّقاء عن الإبرام، وتزوّدوا للمعاد باتّقاء المحظورات، فإن خير الزاد اتّقاءها، وهذا أنسب بما قبله. ولمّا كان قوم زعموا أن لا حجّ لجمّال وتاجر، وقالوا: هؤلاء ليسوا بالحاجّ، فنزل في حقّهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي ليس عليكم يا أيها الحاجّ أن تطلبوا عطاء من ربّكم وهو النفع والربح بالتجارة، فدلّ على أنه يجوز التجارة في طريق الحجّ أيضًا. وفي الكشاف: وإنما يباح ما لم يُشتغل عن العبادة، وسيأتي هذا في سورة الحجّ أيضًا إنْ شاء الله تعالى.

وأمّا الثالث والرابع، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، فالإفاضة هو الدفع بكثرة من إفاضة الماء أي صبّه بكثرة، وأصله: أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول. فالعرفات جمع عرفة سُمّيت بذلك لأنها وُضعت لإبراهيم عليه السلام، فلما أبصرها عرفها، أو لأنه التقى آدم وحواء فتعارفا، أو لأنّ الناس يتعارفون فيها وهو منصرف مع العلمية والتأنيث؛ إذ التاء المذكورة ليست للتأنيث، وتقديرها لا يصحّ لأجل التكرار، والمشعر الحرام جبل يقف عليه الإمام، وهذا هو الصحيح. وقيل: هو ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر، وهو خلاف المحكي. والمشعر: المعلم لأنه معلم العبادة، ووُصِف بالحرام لحرمته، ومعنى: ﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ مما يليه ويقرب منه؛ لأنه أفضل، وإلّا فالمزدلفة كلّها موقف إلّا وادي محسر. وقيل: وسُمّيت المزدلفة جمعًا لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حوّاء وازدلف إليها، أي دنا منها. أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين. أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى، أي يتقرّبون إليه بالوقوف فيها، فالله تعالى أمرنا بذكره عند المشعر الحرام بعد الإفاضة من عرفات، أي بعد الدفع منها، وسوقه يدلّ على فرضية الوقوف

بعرفة؛ لأن الإضافة لا يكون إلّا بعد الوقوف. وذكره عند المشعر الحرام التكبير والتهليل والتلبية والثناء والدعوات أو صلاة المغرب والعشاء.

وفي الزاهدي: أن هذا أقرب؛ إذ الذِّكر باللّسان مذكور فيما بعد، أعني قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾. ثم على الأوّل هو كناية عن الوقوف بالمزدلفة، وهو واجب عندنا، وليس بركن حتى لو تركه بغير عذر لزمه الدم. وقال الشافعي رحمه الله: إنه ركن عملًا بقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ إذ بمثله يثبت الركنية. ولنا أن المذكور في الآية الذِّكر وهو ليس بركن بالإجماع، بل بركن لو كان المكان هو الوقوف، وإنما عرفنا وجوب الوقوف لقوله عليه السلام: «**من وقف معنا هذا الموقف وقد كان أفاض قبل ذلك من عرفات، فقد تمّ حجّه**» علّق به تمام الحجّ، وهذا يصلح للوجوب، هكذا في الهداية. وطريق ذلك كلّه أن يخرج ثامن ذي الحجّة من مكّة وقت الغداة إلى منى، ومكث بها إلى فجر عرفة، أي التاسع من ذي الحجّة، ويجيء منها في ذلك اليوم إلى عرفات، وإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبتين ويصلّون فيها الظهر والعصر في وقت الظهر ثم يقف عليها إلى الغروب، وكلّها موقف إلا بطن عرنة ثم يعود منها إلى مزدلفة، فينزل عند جبل قزح ويصلّي فيها المغرب والعشاء في وقت العشاء، ويصلّي الفجر بغلس ثم يقف عليها، وكلّها موقف إلا وادي محسر، فإذا أسفر أتى بمنى يوم النحر ورمى جمرة العقبة من بطن الوادي سبعًا وكبّر بكلٍّ منها ثم ذبح إن شاء ثم حَلق أو قصر ثم طاف للزيارة يومًا من أيام النحر، ثم أتى مِنى ويقيم فيها ثلاثة أيام، وبعد زوال ثاني النحر رمي الجمار الثلاث يبدأ مما يلي المسجد، ثمّ بما يليه ثم بالعقبة سبعًا سبعًا، ثم غدًا كذلك، ثم غدًا كذلك، ثم راح إلى مكّة، والتفصيل مذكور في علم الفقه، وهٰهنا يكفي هذا القدر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ خطاب لقريش، أي أفيضوا من العرفة لا من المزدلفة، وإنّما قال ذلك لأن قريشًا كانوا يقفون بالمزدلفة وسائر الناس بعرفات، وبهذا السّبب يترفّعون أنفسهم على سائر الناس، ثم يعودون من المزدلفة. وكلمة: ثم حينئذ لتفاوت ما بين الإفاضتين، وقيل: إنه في حقّ العود من المزدلفة إلى مِنى؛ لأن الإفاضة من عرفات كانت مذكورة من قبل،

(وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر أن شيئًا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها)

يعني: وأفيضوا من حيث أفاض منه الحمس، وهو المزدلفة، وأتوا منه إلى مِنى ليكون خطابًا للمؤمنين بأجمعهم، لا لقريش خاصّة. وكلمة ثم حينئذ ظاهرة، وقرىء الناس بالكسر، أي الناسي وهو آدم؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: الآية ١١٥]، يعني: أن الإفاضة من عرفات شرعٌ قديمٌ فلا تخالفوا، كذا ذكره المفسّرون. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (وفائدة توقيت الحجّ بهذه الأشهر أن شيئًا من أفعال الحجّ لا يصح إلّا فيها) يشكل بالرّمي والحلق وطواف الركن ونحو ذلك مما يصح بعد فجر يوم النّحر. وأُجيب بأنه بيان على مذهب أبي حنيفة ﷺ، والمراد بالأفعال الأركان، وفيه بحث. اهـ تفتازاني ﷺ. وفي الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار: وفائدة التوقيت أنه لو فعل شيئًا من أفعال الحجّ خارجها لا يجزئه. اهـ. وفي حاشيته للعلامة ابن عابدين ﷺ: قوله: **(وفائدة التوقيت)**... الخ. جواب عن إشكال تقريره أن التوقيت بها إن اعتبر للفوات، أي أن أفعال الحجّ لو أخّرت عن هذا الوقت يفوت الحجّ لفوته بتأخير الوقوف عن طلوع فجر العاشر يلزم أن لا يصح الطواف الركن بعده، وإن خصّص الفوات بفوت معظم أركانه، وهو الوقوف يلزم أن لا يكون العاشر منهما كما هو رواية عن أبي يوسف، وإن اعتبر التوقيت المذكور لأداء الأركان في الجملة يلزم أن يكون ثاني النّحر وثالثه منها لجواز الطواف فيهما. وأجاز ﷺ تبعًا للبحر وغيره بما يفيد اختيار الأخير، وذلك بأنّ فائدته أنّ شيئًا من أفعال الحجّ لا يجوز إلّا فيها، حتى لو صام المتمتّع أو القارن ثلاثة أيام قبل أشهر الحجّ لا يجوز، وكذا السعي عقب طواف القدوم لا يقع عن سعي الحجّ إلّا فيها حتى لو فعله في رمضان لم يجز، ولو اشتبه عليه يوم عرفة فوقفوا فإذ هو يوم النّحر جاز لوقوعه في زمانه، ولو ظهر أنه الحادي عشر لم يجز، كما في اللّباب وغيره. قال القهستاني: ولا ينافيه إجزاء الإحرام قبلها ولا إجزاء الرمي والحلق وطواف الزيارة وغيرها بعدها؛ لأن ذلك محرّم فيه. اهـ.

قلت: فيه نظر؛ لأن طواف الزيارة يجوز في يومين بعد عشر ذي الحجّة كما علمته، وإنْ كان في أوّله أفضل، فالمناسب الجواب عن الإشكال بأن فائدة التوقيت ابتداء عدم جواز الأفعال قبله وانتهاء الفوات بفوت معظم أركانه، وهو

وكذا الإحرام عند الشافعي رحمه الله، وعندنا وإن انعقد **(لكنه مكروه)**، وجمعت أي الأشهر لبعض الثالث، أو لأن اسم الجمع يشترك فيه ما رواه الواحد **(بدليل قوله تعالى:** ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ **ثُمَّ)** [التحريم: الآية ٤] ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ ألزم نفسه بالإحرام ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ في هذه الأشهر ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ هو المعاصي أو السباب لقوله عليه السلام: «سباب المؤمن فسوق» أو التنابز بالألقاب **(لقوله تعالى:** ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ **[الحجرات:** الآية ١١]) ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين. وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج **(أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن)**.

الوقوف، ولا يلزم خروج اليوم العاشر لِمَا علمته من جوازه فيه عند الاشتباه، بخلاف الحادي عشر، هذا ما ظهر لي، فافهم. اهـ بحروفه.

قوله: (لكنه مكروه) تحريمًا. **قوله: (بدليل قوله تعالى)** في سورة التحريم: ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ قُلُوبُكُمَا﴾ [الآية ٤] قلوبكما أوّله (أن تتوبا) أي حفصة وعائشة (إلى الله ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [الآية ٤]) أي مالت إلى تحريم ماريَة، أي سرّكما ذلك مع كراهة النبيّ ﷺ له، أي لتحريمها، وذلك ذنب، فإن كراهة ما يكرهه واجب وتركه ذنب، وجواب الشرط محذوف، أي تقبّلا. **قوله: (لقوله تعالى)** في سورة الحجرات: (﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ [الآية ١١]) أوّله (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ﴾ [الآية ١١]) أي رجال منكم (﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية ١١]) عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية ١١] لا تعيبوا فتُعابوا أي لا يعيب بعضكم بعضًا، (﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الآية ١١]) لا يَدْعُوا بعضكم بعضًا بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسق، يا كافر. (﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾ [الآية ١١]) المذكور عن السخرية واللَّمز والتنابز (﴿ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الآية ١١]) بدل من الاسم؛ لإفادة أنه فسق لتكرّره عادة (﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ [الآية ١١]) مِنْ ذلك (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية ١١]).

قوله: (أسْمَج) أي أقبح. **قوله: (كلبس الحرير في الصلاة)** في الفتاوى الهندية: **(ولا تجوز)** الصلاة في ثوب الحرير للرجال. وتصحّ للنساء، ولو لم يجد غيره يصلّي فيه لا عريانًا، كذا في فتح القدير. اهـ. **قوله: (والتطريب في قراءة القرآن)**

(والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون. وقرأ أبو عمرو ومكيّ الأولين بالرفع فحملاهما على معنى النهي كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث بالنصب) على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج. ثم حثّ على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البرّ والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ اعلم بأنه عالم به يجازيكم عليه وردّ قول مَن نفى علمه بالجزئيات. كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون (كَلًّا) على الناس فنزل فيهم ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ أي

المراد بالتطريب ما يخرجه عن اتّصال الحروف ويجعله كالأغاني، وإلّا فتحسين الصوت بالقرآن حسن. اهـ شهاب ﷺ. وفي الحواشي القطبية: التطريب المنهيّ عنه ما يفعله قرّاء زماننا بين يدي الوعّاظ في المجالس من الألحان العجيبة. وأمّا تحسين القراءة ومدّها، فهو مندوب إليه، قال ﷺ: «**حسّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسْنًا**». اهـ. وقال العلّامة التفتازاني: والتطريب هو في الصوت مدّه وتحسينه بحيث يخرج الحروف عن هيأتها، فيحرم في كلّ كلام، وفي قراءة القرآن أسمج. وأمّا تزيين القرآن بالصوت الحسن والمدّات التي لا يخلّ بالحروف، فلا كراهة فيه. اهـ. **قوله: (والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون)**، أي الأفعال الثلاثة، وإنْ كانت خبرًا على صورة النفي، بمعنى أنّ شيئًا منها لا يقع في خلال الحجّ إلّا أنه المراد بها النّهي؛ لأن إبقاءها خبرًا على ظاهرها يستلزم الخلف في خبر الله، للعلم بأنّ هذه الأشياء كثيرًا ما تقع في خلال الحجّ، وإنما أُخرجت على صورة الإخبار للمبالغة في وجوب الانتهاء عنها كأن المكلّف ادّعى كونها منهيًّا عنها، فاجتنب عنها فالله تعالى يخبر بأنها لا توجد في خلال الحجّ، ولا يأتي بها أحدٌ منكم.

قوله: (وقرأ أبو عمرو) البصري (ومكّي) أي ابن كثير (**المكي الأوّلين**) أي ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ (**بالرفع**) منونًا فيهما (**فحملاهما على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث بالنصب**) أي بفتح اللام جدال على أنه اسم لا التي لنفي الجنس بُني على الفتح. والباقون بفتح الثالثة من غير تنوين. **قوله:** (كَلًّا) بفتح الكاف وتشديد اللام، أي: ثقلًا.

تزودوا واتقوا الاستطعام (وإبرام الناس) والتثقيل عليهم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي الاتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم، أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ وخافوا عقابي (وهو مثل ﴿دَعَانِ﴾) [البقرة: الآية ١٨٦] ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يا ذوي العقول (يعني أن قضية اللب) تقوى الله ومَن لم يتقه من (الألباء) فكأنه لا لبّ له. ونزل في قوم زعموا أن لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء (الداجّ) وليسوا بالحاج.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ﴾ (في أن تبتغوا) في مواسم الحج ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ﴾ عطاء وتفضلًا وهو النفع والربح بالتجارة والكراء ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم بكثرة من إفاضة الماء وهو صبّه بكثرة، وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ هي علم للموقف (سمي بجمع كأذرعات). وإنما صرفت لأن التاء فيها ليست للتأنيث بل هي مع الألف قبلها علامة جمع

قوله: (وإبرام الناس) الإبرام الإلحاح، قال الراغب: المُبرم الذي يلحّ ويشدد في الأمر. **قوله:** (وهو مثل ﴿دَعَانِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]) أي بالياء في الحالين سهل، ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد وإسماعيل في الوصل بالياء. اهـ التفسيرات. النيسابوري: **قوله:** (يعني أن قضية اللّب) مستفاد من تخصيص الخطاب بأُولي الألباب، واللبّ العقل، والجمع ألباب، مثل قفل وأقفال. **قوله:** (الألبّاء) جمع لبيب، مثل شحيح وأشحّاء. **قوله:** (الدّاج) بتشديد الجيم اتّباع الحاجّ كالخدَم والأُجَراء والمكارين والجمّالين من دجّ على الأرض، أي دبّ. ولفظ الداج والحاجّ مفرد، والمعنى على الجمعية.

قوله: (في أن تبتغوا) أي أنّ إن تبتغوا في محل جرّ بإضمار حرف الجرّ، وهو متعلّق بجناح لما فيه من معنى الفعل وهو الجنوح والميل عن القصد أو بالظرف الواقع خبر ليس، أو بمحذوف هو صفة لجناح، أي جناح كائن في كذا، فيكون في محل الرفع لأنه صفة لجناح. **قوله:** (سمّي بجمع كأذرعات) اسم بلدة

المؤنث، **(وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم** عليه السلام**)** فلما رآها عرفها. **(وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا)**، وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ **(بالتلبية)** والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء ﴿عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ **(هو قزح)** وهو الجبل الذي

بالشام يُنسب إليها الخمر في أنه لا واحد له؛ إذ لم يوجد أذرعة ولا عرفة، قال الفراء: لا واحد له. قوله: (وقول الناس: نزلنا عرفة) شبه لمولد وليس بعربي محض.

قلت: ولو سلم، فعرفة وعرفات مدلولهما واحد ليس ثمّة أماكن متعدّدة، كلّ منها عرفة جُمِعت على عرفات. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: عرفات جمع عرفة بحسب اللفظ والصيغة، وليس بجمع حقيقة؛ إذ لم يُستعمل إلا علمًا، ولم يوجد له واحد، وعرفة ليس واحدًا لعرفات؛ لأن مدلولها واحد، إذ ليس ثمّةَ أماكن متعدّدة، كلّ منها عرفة حتى يقال: إنها جُمِعت على عرفات. **قوله: (وسمّيت بذلك لأنها وُصِفت لإبراهيم عليه السلام)**، يعني سمّي الموضع عرفات لأن براهيم عليه الصّلاة والسّلام عرفها حين رآها، لِمَا تقدَّم من تعريف جبريل عليه الصّلاة والسّلام. **قوله: (وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا)**، فسُمّي اليوم عرفة، والموضع بعرفات، وذلك أنّهما لما أُهبطا من الجنّة وقع آدم عليه السلام بسرنديب، وحوّاء بجدّة، فلمّا أمر الله تعالى آدم عليه الصّلاة والسّلام بالحجّ لقي حوّاء بعرفات، فتعارفا. **قوله: (بالتلبية)** وهي: لبّيك اللّهمّ لبّيك[١]، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحَمْدَ[٢] والنّعمة لك والمُلْك[٣]، لا شريك لك. **قوله: (هو قزح[٤])** - بضمّ ففتح - لا ينصرف للعلمية والعدل من قازح بمعنى مرتفع، وفي تفسير البيضاوي رحمه الله: ومعنى ﴿عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ مما يليه ويقرب منه، فإنه أفضل، وإلّا فالمزدلفة كلّها موقف إلّا وادي مُحَسِّر. اهـ.

---

(١) مقتضى ما في القهستاني في الوقف على الثانية. ١٢ منه عمّ يوضهم.

(٢) بكسر الهمزة وتُفتح، والأول أفضل. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٣) بالنصب وجوّز الرفع، وعلى كلٍّ فالخبر محذوف واستحسن الوقف عليه لئلا يتوهّم أن ما بعده خبره. شرح اللباب: ونقل بعضهم أنه عند الأئمة الأربعة. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٤) بوزن عمر اسم جبل بمزدلفة ممنوع من الصرف. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

يقف عليه الإمام (**وعليه الميقدة**). والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة، ووصف بالحرام لحرمته. و(**قيل**): المشعر الحرام مزدلفة، وسميت المزدلفة جمعًا لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها أي دنا منها، أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين، أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى (**أي**) يتقرّبون بالوقوف فيها ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ «ما» مصدرية أو كافة (**اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علمكم**) كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ (**من قبل الهدى**) ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه و«إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة.

قوله: (وعليه الميقدة، قيل) هي: أستوانة من حجارة مدوّرة تدويرها أربعة وعشرون ذراعًا وطولها اثنا عشر، وفيها خمسة وعشرون درجة، وهي على خشبة مرتفعة كان يُوقد عليها في خلافة هارون الرّشيد الشمع ليلة مزدلفة، وكان قبله يومئذ بالحطب وبعده بمصابيح كبار. **قوله: (أي اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علّمكم)**. . . الخ. كل واحد من المعنيين يتأتّى على كل تقدير من تقديري كون ما مصدرية أو كافّة، والفرق بين المعنيين أنّ الهداية على الأوّل بمعنى الدلالة المُوصلة والإرشاد إلى جميع ما فيه صلاح العبد في الدنيا والآخرة، ويكون الكاف لقصد التشبيه. وعلى المعنى الثاني يُراد بالهداية الدالّة المطلقة والتعليم لكيفية الذِّكر مثل كونه كثيرًا؛ فعلى هذا لا يكون المقصود من الكاف التشبيه، بل يكون لمجرّد التقييد، أي اذكروه على الوجه الذي هداكم إليه لا تعدلوا عمّا هديتم إليه؛ كما يقول: افعل كما علّمتك. ونظير المعنى الأوّل قولك: اخدمه كما أكرمك، أي لا تتقاصر خدمتك عن إكرامه إيّاك، ومحلّ الكاف على تقدير كون ما مصدرية النصب على أنه صفة مصدر محذوف، وعلى تقدير كونها كافّة لا يكون للكاف محل؛ لأنه حينئذ لا يكون اسمًا حتى يكون له عامل ولا معمول له أيضًا؛ لأنه لم يبقَ حرف جرّ حينئذ، بل إنما يفيد من جهة المعنى فقط. وليس قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ تكرارًا لقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ لأن الأول لبيان محل الذِّكر والوقوف وتعليم الناس المناسك لذلك المحل، وأوجب بالثاني أن يكون ذكرنا إياه كهدايته إيّانا، أي موازنًا لها ومناسبًا في الكمّ والكيف. **قوله: (من قبل الهدى)** المدلول عليه بقوله: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة. قالوا: هذا أمر لقريش بالإفاضة من عرفات إلى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون: **(نحن قطان حرمه)** فلا نخرج منه. وقيل: الإفاضة من عرفات مذكورة فهي الإفاضة من جمع إلى منى. والمراد بالناس على هذا **(الحُمْس)** ويكون الخطاب للمؤمنين ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصيركم في أعمال الحج ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم (مَّنَاسِكَكُمْ)﴾ فإذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ أي فاذكروا الله ذكرًا مثل ذكركم آباءكم. والمعنى فأكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم **(وأيامهم)**. وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون **(محاسن)** أيامهم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي أكثر. وهو في موضع جر **(عطف على ما أُضيف إليه الذكر)** في قوله: «كذكركم» كما تقولون كذكر قريش آباءَهم أو قوم أشد منهم ذكرًا و«ذكرًا» تمييز.

قوله: (نحن قطان حرمه) في المصباح: قطن بالمكان قطونًا من باب قعد أقام به فهو قاطن، والجمع قطان، مثل كافر وكفّار، وقطين أيضًا وجمعه قُطُن مثل بريد وبُرُد. اهـ. **قوله: (الحُمْس)** في الأصل جمع أحمس وهو الشديد الصّلب، سمّيت قريش وكنانة بذلك لتصلّبهم فيما كانوا عليه. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾) المناسك جمع منسك الذي هو مصدر ميمي بمعنى النسك، أي العبادة. **قوله: (أيامهم)** الأيام عبارة عن الوقائع والحروب. **قوله: (محاسن)** في مختار الصحاح: الحُسن ضد القُبح، والجمع المحاسن على غير قياس، كأنه جمع مَحْسَن. اهـ. **قوله: (عطف على ما أضيف إليه الذّكر)** اعترض بأنه عطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، وقد منع في قوله تعالى:

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ فمن الذين يشهدون الحج مَن يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ **(اجعل إيتاءنا)** أي إعطاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب لأنه همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة. والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لأن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا، ومكثر يطلب خير الداريين فكونوا من المكثرين أي من الذين قيل فيهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾ ومن الذين يشهدون الحج ﴿مَّن يَقُولُ (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً)﴾ نعمة وعافية، أو علمًا وعبادة. ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ عفوًا ومغفرة، أو

﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: الآية ١]، وأُجيب بوجوه: الأول: أنّ المنع إنما هو فيما إذا كان الجار حرفًا؛ لأن اتّصاله أشدّ، ولهذا جاز الفصل بين المضاف والمضاف إليه في الجملة، ولم يجز بين الحرف ومجروره. الثاني: أن المجرور هٰهنا في حكم المنفصل؛ لكونه فاعل المصدر. الثالث: أنّ المراد العطف من حيث المعنى. وأمّا بحسب اللفظ، فهو على حذف مضاف معطوف على الذِّكر، أو ذكر قوم أشدّ ذكرًا، والكل ضعيف.اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (اجعل[1] إيتاءنا)** إشارة إلى أن المفعول الثاني لآتنا متروك لا محذوف، فإن فعل الإيتاء يتعدّى إلى اثنين ثانيهما غير الأول؛ لأنه من باب أعطى، ولم يذكر مفعوله الثاني تنزيلًا له منزلة اللازم بالنسبة إلى مفعوله الثاني، للإشارة إلى أن هم أهل الدنيا هو الدنيا نفسها بخلاف أهل البصائر، فإنّ هِممهم الحسنة المتعلقة بالدارين.

قوله: (﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾)... الخ.. روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلًا قد صار مثل الفرخ، فقال: «**هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إيّاه؟**» قال: يا رسول الله كنت أقول: اللّهمّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجّله لي في الدنيا، فقال: «**سبحان الله لا**

---

(١) إشارة إلى أنه منزل منزلة اللازم منه. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

المال والجنة، أو ثناء الخلق ورضا الحق، أو الإيمان والأمان، أو الإخلاص والخلاص، أو السنة والجنة، أو القناعة والشفاعة، أو المرأة الصالحة والحور العين، أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة. ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ احفظنا من عذاب جهنم، أو عذاب النار (**امرأة السوء**). ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي الدّاعون بالحسنتين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة، أو من أجل ما كسبوا، أو سمى الدعاء كسبًا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب، ويجوز أن يكون أولئك للفريقين وأن لكل فريق نصيبًا من جنس ما كسبوا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته. ورُوِيَ أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة ورُوِيَ في مقدار لمحة.

تستطيعه أو لا تطيقه، هلّا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب[١] **النار**»، وعنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» متّفق عليه. وعن عبد الله بن السائب أنه سمع النبيّ ﷺ يقول فيما بين ركني بني جُمَح[٢] والركن الأسود: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»، رواه أبو داود والنسائي[٣] وابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة، وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ لو دعا بمائة مرة يفتح بها ويختم: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»، ولو دعا بدعوتين لجعلها أحدهما. وروى تقي بن مخلد عنه، قال: كان في أول دعاء رسول الله ﷺ وفي وسطه وفي آخره: «**اللّهمّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».اهـ مظهري. **قوله:** (**امرأة السوء**) بالإضافة ويصح فتح السين وضمّها.

---

(١) فدعا الله به فشفاه الله، رواه مسلم عن أنس. ١٢ محمد عبد الحقّ منه.

(٢) في تاج العروس من جواهر القاموس: بنو جُمَح من قريش وهو بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي.اهـ. وفي لسان العرب: وهو أبو بطن من قريش. ١٢ منه عم فيوضهم.

(٣) عبارة النسائي: لم يكن رسول الله ﷺ يستلم من أركان البيت إلا الركن الأسود والذي يليه من نحو دور الجُمحيّين. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

(﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ **هي أيام التشريق**) وذكر الله فيها التكبير (في أدبار الصلوات) و(عند الجمار ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ **فمن عجل في النفر أو استعجل النفر**).

قوله: (﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ **هي أيام التشريق**)، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النّحر أوّلها يوم القرّ، وهو الحادي عشر من ذي الحجّة تستقرّ الناس فيه بمنى، والثاني يوم النفر الأوّل؛ لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى، والثالث يوم النفر الثاني وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجّة آخر أيام التشريق، وهذه الأيام الثلاثة مع يوم النّحر أيام رمي الجمار، وأيام التكبير إدبار الصلوات، وسُمّيت معدودات لقلّتهن؛ كقوله: دراهم معدودة أي قليلة، قال تعالى في سورة الحجّ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الآية ٢٨]، قال أكثر أهل العلم: الأيام المعلومات عشر ذي الحجّة آخرهنّ يوم النحر، والمعدودات هي أيام التشريق. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي الزاهدي: أنها يوم النحر وأيام التشريق، والأيام المعلومات عشرة ذي الحجّة، فآخرها أوّل أيّام المعدودات. وبالجملة ذكر الله تعالى فيها هو التكبير في إدبار الصلوات وعند الجمار، على ما قالوا. ونحن نقول: إنْ كان ذكر الله فيها هو التكبير في إدبار الصلوات وذلك واجب على مَنْ صلّى بجماعة من فجر عرفة إلى عصر العيد عنده، وإلى عصر آخر أيام التشريق عندهما، وبه يُعمل، فيكون الأمر للوجوب، وإن كان في وقت رمي جمرة العقبة من بطن الوادي يوم النّحر ورمي الجمار الثلاث بعده ثلاثة أيام، فهي وإنْ كانت واجبة ولكن التكبير عند كل رمي سنّة، فيكون الأمر للاستحباب. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (**في أدبار الصلوات**) إدبار جمع دُبر، بمعنى عقب. **قوله:** (**عند الجمار**) هي في الأصل الصّغار من الأحجار جمع جمرة، وبها سُمّيت المواضع التي تُرمى جمارًا وجمرات لِمَا بينهما من الملابسة، وقيل: لتجمّع ما هناك من الحصى من تجمّر القوم إذا أقاموا، وجمّر شعره جمعه، على ما قاله في البحر الرائق. **قوله:** (﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ **فمن عجل في النفر**)... الخ. في شرح المسلك المتقسّط على المنسك المتوسّط: (فإذا كان من الغد وهو اليوم الثالث من أيام

....

الرّمي) أي والثاني من التشريق، والثاني عشر من الشهر، (ويسمّى يوم النفر الأول)؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، (رمي الجمار الثلاث بعد الزوال) أي كما في ظاهر الرواية (على الوجه المذكور بجميع كيفيّته) أي في اليوم الحادي عشر، (وإذا رمى وأراد أن ينفر في هذا اليوم من مِنًى إلى مكّة جاز بلا كراهة)، أي لما سبق من الآية، (وسقط عنه رمي يوم الرابع)، أي فلا إثم عليه ولا جزاء لديه، (والأفضل أن يُقيم ويرمي في اليوم الرابع)، أي: لفعله ﷺ؛ ولقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ إشارة إلى أن هذا هو الأَوْلى لمن اتقى المولى. (وإن لم يقم)، أي لم يرد الإقامة نفر قبل غروب الشمس، أي من يومه، (فإن لم ينفر حتى غربت الشمس يكره له)، أي الخروج في تلك الليلة عندنا، ولا يجوز عند الشافعي رحمه الله (أن ينفر حتى يرمي في الرابع، ولو نفر من الليل قبل طلوع الفجر من اليوم الرابع لا شيء عليه)، أي من الجزاء، وإنما يُكره له كما سبق، (وقد أساء)، أي لتركه السنّة ولا يلزمه رمي اليوم الرابع في ظاهر الرواية، نصّ عليه محمد في الرقيات، وإليه أشار في الأصل وهو المذكور في المتون. وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه يلزمه الرمي إن لم ينفر قبل الغروب، وليس له أن ينفر بعده حتى لو نفر بعد الغروب قبل الرمي يلزمه دم، كما لو نفر بعد طلوع الفجر، وهو قول الأئمّة الثلاثة، وهو المراد (بقوله، وقيل: ليس له أن ينفر بعد الغروب، فإن نفر لزمه دم)، أي: عند الأئمّة الثلاثة، ورواية الحسن عن أبي حنيفة: (ولو نفر بعد طلوع الفجر قبل الرمي يلزمه الدم اتّفاقًا).اهـ. وأيضًا فيه: (إذا لم ينفر وطلع الفجر من اليوم الرابع من أيام الرمي، وهو الثالث عشر من الشهر)، وهو آخر أيّام التشريق، (ويسمّى يوم النفر الثاني)؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ أي في يومين ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (وجب عليه الرمي في يومه ذلك، فيرمي الجمار الثلاث بعد الزوال كما مرّ)، لما عليه الجمهور، (فإن رمى قبل الزوال في هذا اليوم صحّ مع الكراهة)، أي عنده خلافًا لهما ولغيرهما، ثم وجه الكراهة مخالفته للسنّة، وكان رضي الله تعالى عنه حمل فعله ﷺ على بيان الأفضل، فتأمل. (وإن لم يرمِ حتى غربت الشمس فات وقت الرمي)، أي أداء وقضاء (وتعيّن الدم)، أي إلّا إذا كان فوته عن عذر.اهـ.

وتعجل واستعجل يجيئان (**مطاوعين**) بمعنى عجل. يقال: تعجل في الأمر واستعجل ومتعديين يقال: تعجل الذهاب واستعجله (**والمطاوعة**) أوفق لقوله: و«من تأخر» ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ من هذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الأيام الثلاثة ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ فلا يأتم بهذا التعجل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى رمى في اليوم الثالث ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ (لِمَنِ اتَّقَىٰۗ)﴾ الصيد أو الرفث والفسوق أو هو مخير من التعجيل. والتأخر وإن كان

فائدة عظيمة في الضوء المنير على المنسك الصغير:

للعلامة أبي علي جمال الدين محمد بن محمد قاضي زاده الحنفي الأنصاري رحمه الله، وذكر الحاكم في المنتقى أن الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه يقول: إن الأفضل أن يرمي في اليوم الثاني والثالث بعد الزوال، فإن رمى قبله جاز اعتبارًا بيوم النحر في جمرة العقبة، إلا أن بعد الزوال أفضل؛ لأن النبيّ ﷺ فعل كذلك، فإنّ ذلك محمولٌ على الأفضلية والأولويّة، وعلّل الطرابلسي فقال: إن المشروع في هذين اليومين رمي الجمار الثلاث، فوجب توسيع وقته لا تضييقه، وهناك قول آخر مخصوص بيوم النفر اختاره صاحب الظهيرية، وعبارته: أمّا اليوم الثاني من أيام التشريق فهو كاليوم الأول من أيام التشريق على ما بينا، ولو أراد أن ينفر في هذا اليوم له أن يرمي قبل الزوال، وإنّما لا يجوز قبل الزوال لمن لا يريد النّفر. واختار هذا القول كثير من المشائخ في باب النفر الأوّل، فقالوا؛ إنّ وقت جواز النفر الأول بطلوع الفجر منه، قال في البحر العميق: وهذا إنما يتأتى على رواية الحسن، فهو اختيار منهم لقول الحسن، فهو قول مختار يعمل به بلا ريب، وعليه عمل الناس اليوم، وبه جزم بعض من الشافعية حتى زعم الإسنوي أنه المذهب، انتهى.

قوله: (**أو استعجل النفر**) على أن يكون تعجّل بمعنى استعجل، مثل تكبّر واستكبر. **قوله:** (**مطاوعين**) أي لازمين. اهـ محشي رحمه الله. **قوله:** (**والمطاوعة**) أي جعل تعجل لازمًا أوفق بنظم الكلام في الآية، لأجل قوله: تأخر. **قوله:** (﴿لِمَنِ اتَّقَىٰۗ﴾) أي الذي ذكر من التخيير أو من الأحكام لمن اتّقى، لأن الحاج على الحقيقة هو المنتفع به أو لأجله حتى لا يتضرّر بتركه ما يهمّه منهما. اهـ بيضاوي.

التأخر أفضل فقد يقع (**التخيير**) بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل. وقيل: كان أهل الجاهلية فريقين منهم مَن جعل المتعجل آثمًا ومنهم مَن جعل المتأخر آثمًا فورد القرآن بنفي المأثم عنهما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع الأمور ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ حين يبعثكم من القبور. (**كان الأخنس بن شريق**) حلو المنطق إذا لقي رسول الله ﷺ ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال: يعلم الله أني صادق فنزل فيه.

وفي حاشيته للعلامة شيخ زاده رحمه الله: **قوله:** أي الذي ذكر من (**التخيير**) أو من الأحكام لمن اتّقى) إشارة إلى أن اللام في لمن اتّقى للبيان، وليست بصلة للعامل المذكور، أو المقدّر في النظم المذكور، بل هي متعلقة بمقدّر من جهة المعنى، لا من جهة الصناعة، كما في هيت لك، فإنّ هيت بمعنى هلمّ وأسرع، واللام ليست متعلقة به بل بمقدّر، مثل: أقول لك، أو هذا الخطاب لك، فقوله: لمن اتقى خبر مبتدأ محذوف، واختلفوا في ذلك المبتدأ على حسب اختلافهم في تعلق الجار، فمن جعله متعلّقًا بقوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، قال: تقديره ذلك التخيير ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾، أي مختصّ به، ولما ورد أن يقال: لا شكّ أن التخيير بين التعجّل والتأخّر إنّما هو للحاج، فلِمَ وصفه بالمتّقي وحصر التخيير فيه؟ أجاب عنه بقوله: لأنه الحاج على الحقيقة؛ لأنه تعالى إنما يتقبّل من المتّقين ومَنْ كان ملوّثًا بالمعاصي قبل حجّه وحين اشتغاله به لا ينفعه حجّه، وإنْ كان قد أدّى فرضه ظاهرًا. قوله: (أو لأجله) عطف على قوله: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾، والمعنى ذلك التخيير لأجل تقوى الحاج، فإن ذا التقوى يكون حذرًا متحذّرًا من كل ما يريبه، فربما يخالج قلبه أن الإقدام على التعجّل أو التأخّر يضرّه ويُوقعه في الإثم، فخيَّره الله تعالى بينهما ليطمئنّ قلبه ويتخلّص من الاضطراب، ومَنْ جعله متعلقًا بالأحكام السابقة مثل انتفاء الإثم لمن اتّقى، أو الاشتغال بالذِّكر لمن اتّقى، أو المغفرة والرحمة لمن اتّقى جميع المحظورات حال اشتغاله بأعمال الحجّ؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ حجّ فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه**». اهـ.

قوله: (كان الأخنس بن شريق)... الخ، رواه ابن جرير عن السدّي، والأخنس ـ بخاء معجمة ونون وسين مهملة ـ ابن شريق ـ بفتح الشين المعجمة

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ (يروقك) ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ «في» يتعلق بالقول أي يعجبك ما يقول في معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة، أو بـ«يعجبك» أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما (يرهقه) في الموقف من (الحبسة) واللكنة ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ شديد الجدال والعداوة للمسلمين، والخصام والمخاصمة والإضافة بمعنى في لأن «أفعل» يضاف إلى ما هو بعضه تقول: زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص (بعض الحدث) فتقديره ألد في الخصومة، أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير: وهو أشد الخصوم خصومة.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ﴾ كما فعل (بثقيف) فإنه كان بينه وبينهم خصومة (فبيتهم) ليلًا وأهلك

والقاف في آخره فعيل من شرق ـ ابن عمرو بن وهب الثقفي أبو ثعلبة حليف بني زهرة اسمه أُبَيّ، وإنما لقب الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لمّا جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقال: خنس الأخنس ببني زهرة، فسُمِّي بذلك ثم أسْلم الأخنس وكان من المؤلّفة وشهد حُنينًا، ومات في أول خلافة عمر رضي الله تعالى عنه. اهـ الإصابة.

قوله: (يروقك) بمعنى يحسن في عينك. اهـ شهاب. وفي المصباح: راقني جماله أعجبني. اهـ. **قوله: (يرهقه)** أي يغشاه ويعتريه. **قوله: (الحبسة)** كاللُّكنة لفظًا، ومعنى **قوله: (بعض الحدث)** أي بعض أفراد الحدث.

قوله: (بثَقِيف) حيّ من اليمن. اهـ مصباح. **قوله: (فبيّتهم)** في المصباح: البَيَات ـ بالفتح ـ الإغارة ليلًا وهو اسم من بيّته تبييتًا. اهـ. وفي

مواشيهم وأحرق زروعهم ﴿فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ أي الزرع والحيوان، أو إذا كان واليًا فعل ما يفعله (وُلاةِ) السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل. وقيل: يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ للأخنس ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الإفساد والإهلاك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ حملته **(النخوة وحمية الجاهلية)** على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه، أو الباء للسبب أي أخذته العزّة من أجل الإثم الذي في قلبه وهو الكفر ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ **(أي كافيه)** ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي الفراش جهنم.

(ونزول في صهيب) حين أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرًا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة، أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل.

مختار الصحاح: بَيّتَ العَدُوُّ أوقع بهم ليلًا والاسم البَيَات. اهـ. **قوله:** (وُلاةِ) جمع والٍ.

قوله: (النَّخْوة) العظمة. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: النَّخْوة الكبر والعظمة. اهـ. **قوله:** (حميّة الجاهلية) الحميّة الأنفة ـ بفتحتين ـ أي الاستكبار والاستنكاف. **قوله:** (أي كافيه) إشارة إلى أن حسب مبتدأ بمعنى اسم الفاعل وجهنّم خبره.

قوله: (ونزول في صهيب). . . الخ. فعلى هذا لا يكون يشرى بمعنى يبيع ويبدّل، بل بمعنى يشتري ويجعل سالمة له، ومعنى: ﴿رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ إرادة الخير بهم حيث خلصهم من أيدي الكفار.

(وصهيب) بالتصغير صحابي معروف في أسد الغابة في معرفة الصحابة، صُهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربعيّ النمري، كذا نسبه الكلبي وأبو

....

نعيم. وقال الواقدي: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن كعب بن سعد. وقال ابن إسحٰق: صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد، فجعل طفيلًا بدل عقيل، وجعل خزيمة بدل جذيمة، وهو من النمر بن قاسط وأُمّه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم كنيته أبو يحيىٰ كناه بها رسول الله ﷺ. وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبوه صغيرًا، وكان أبوه وعمّه عاملين لكسرى على الأبلة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل. وقيل: كانوا على الفراة من أرض الجزيرة، فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيبًا وهو صغير فنشأ بالروم فصار ألكن فابتاعته منهم كلب، ثم قَدِمُوا به مكّة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي منهم فأعتقه، فأقام معه إلى أن هلك عبد الله بن جدعان. وقال أهل صهيب وولده ومصعب الزبيري أنه هرب من الروم ولمّا كبر وعقل فقدم مكّة فحالف ابن جدعان وأقام معه إلى أن هلك، ولما بعث رسول الله ﷺ كان من السابقين إلى الإسلام. قال الواقدي: أسلم صهيب وعمّار في يوم واحد وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وكان من المستضعفين بمكّة الّذين عذّبوا.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد بإسناده إلى أبي زكرياء يزيد بن إياس قال: .وكان اشتراه عبد الله بن جدعان ـ يعني صهيبًا ـ من كلب بمكّة، وكانت كلبٌ اشترته من الروم فأعتقه وأسلم صهيب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بعد بضعة وثلاثين، وكان من المستضعفين بمكّة المُعذّبين في الله عزّ وجلّ وقدم في آخر الناس في الهجرة إلى المدينة عليّ بن أبي طالب وصهيب، وذلك في النصف الأوّل من ربيع الأول ورسول الله ﷺ بقباء لم يرم بعد، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الحارث بن الصمّة، ولمّا هاجر صهيب إلى المدينة تبعه نفرٌ من المشركين، فنثل كنانته وقال لهم: يا معشر قريش، تعلمون أني مِنْ أرماكم والله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلّنا على مالك ونُخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلّهم عليه ولحق برسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**رَبِح البيع**

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ يبيعها ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ لابتغاء ﴿مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ حيث أثابهم على ذلك.

أبا يحيى»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾، وشهد صُهيب بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم بإسناده عن أبي زكرياء، أخبرنا إسحٰق بن الحسن الحربي، حدّثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، حدّثنا عمارة بن ذادان عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبش**».

قال: وأخبرنا أبو زكرياء، أخبرنا أحمد بن عبد الصمد، حدّثنا علي بن الحسين، حدثنا عفيف، حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد، قال: أوّل مَنْ أظهر إسلامه سبعة: النبيّ ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمّار بن ياسر، وسمية أُمّ عمار رضي الله تعالى عنهم أجمعين؛ فأمّا النبيّ ﷺ فمنعه الله، وأمّا أبو بكر فمنعه قومه، وأمّا الآخرون فأخذوا وأُلبسوا أدراع الحديد، ثم أُصهروا في الشمس. أخبرنا أبو جعفر بن المبارك بن أحمد بن زريق الواسطي إمام الجامع بها، أخبرنا أبو السعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب، أخبركم أبو الفتح منصور بن الحسن بن أبي القاسم الشاشي، فاعترف به قلت له: أخبركم أبو بكر بن منصور بن خلف المقرىء، أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحنبلي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم بن بالويه، حدّثنا عمران بن موسى، حدّثنا هدبة بن خالد، حدّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن صهيب أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنّة الجنة، وأهل النّار النار نادى مُنادٍ: يا أهل الجنّة إنَّ لكم عند الله عزّ وجلّ موعدًا يريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثْقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويُدخلنا الجنّة ويُخرجنا من النار، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى، فما شيء أُعطوه أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**». وروى عنه

....

ابن عمر أنه قال: مررت برسول الله ﷺ وهو يصلّي، فسلّمت عليه، فردّ علي إشارة بأصبعه.

أخبرنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن مهران أن الفقيه وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن إسماعيل الواسطي، حدّثنا أبو فروة يزيد بن سنان، عن أبي المبارك، عن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما آمن بالقرآن مَن استحلّ محارمه**»، وكان فيه مع فضله وعلوّ درجته مداعبة وحُسْن خلق، رُوِي عنه أنه قال: جئت النبيّ ﷺ وهو نازل بقباء وبين أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد فأكلت، فقال النبيّ ﷺ: «**أتأكل التمر وأنت أرمد؟**» فقلت: إنما آكل على شقّ عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وكان في لسانه عجمة شديدة. وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صهيب حائطًا له بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يناس يناس، فقال عمر: ما له لا أبا له، يدعو بالناس؟ فقلت: إنما يدعو غلامًا له اسمه يحنس، وإنّما قال ذلك لعقدة في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلّا ثلاث خصال لولاهنّ ما قدّمت عليك أحدًا: أراك تنتسب عربيًّا ولسانك أعجمي، وتكتني بأبي يحيىٰ اسم نبيّ وتبذّر مالك، فقال: أمّا تبذيري مالي فما أنفقه إلّا في حقّه، وأمّا اكتنائي بأبي يحيىٰ فإنّ رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيىٰ، فلن أتركها. وأمّا انتمائي إلى العرب، فإنّ الروم سبتني صغيرًا فأخذت لسانهم وأنا رجل من النمر بن قاسط، ولو انفلقت عني روثه لانتميت إليها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مُحبًّا لصهيب حسن الظنّ فيه، حتى إنه لما ضرب أوصى أن يصلّي عليه صهيب، وأن يصلّي بجماعة المسلمين ثلاثًا حتى تتفق أهل الشورى على من يستخلف، وتوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوّال، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: ابن سبعين سنة. ودُفِنَ بالمدينة وكان أحمر شديد الحُمرة ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى القصر أقرب كثير شعر الرأس، أخرجه الثلاثة[1] أي ب د ع. اهـ.

---

(١) قوله: الثلاثة، أي ب د ع، يعني رواه أبو عمرو بن عبد البر، وابن مندة، وأبو نعيم. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ **(وبفتح السين حجازي وعليّ، وهو الاستسلام)** والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه أو الإسلام، والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم، أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ﴿كَآفَّةٗ﴾ لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في «ادخلوا» أي جميعًا، أو من السلم لأنها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها، أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها، **(وكافّة من الكفّ)** كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ وساوسه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ **(ظاهر العداوة)**.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾

﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾ ملتم عن الدخول في السلم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ أي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يمنعه شيء من عذابكم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يعذب إلا بحق. ورُوِيَ إن قارئًا قرأ «غفور رحيم» فسمعه أعرابي لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند **(الزلل)** والعصيان لأنه **(إغراء)** عليه.

قوله: (وبفتح السين حجازيّ) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي ابن كثير المكي ونافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وعليّ)** الكسائي. والباقون بالكسر. **قوله: (وهو)** أي السلم ـ بالكسر والفتح ـ وكذا بفتح السين واللام: **(الاستسلام)**، أي الانقياد والطاعة. **قوله: (وكافّة من الكفّ)** يعني أنه وإنْ كان مستعملًا للشمول والإحاطة، فهو في الأصل اسم فاعل من كفّ بمعنى منع كان الجماعة منعوا باجتماعهم أن يخرج منهم أحد. **قوله: (ظاهر العداوة)** إشارة إلى أن أبان لازم بمعنى ظهر.

قوله: (الزّلل) بفتحتين. **قوله: (إغراء)** في المصباح: غَري بالشيء غرًى من باب تعِب أولع به من حيث لا يحمله عليه حامل وأغريته به إغراء فأغرى به بالبناء للمفعول، والاسم الغراء بالفتح والمدّ. اهـ.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ **(أي أمر الله وبأسه)** كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: الآية ٣٣]، ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: الآية ٤].

قوله: (أي أمر الله وبأسه) احتاج إلى تقدير المضاف لإجماع المفسّرين من العقلاء على أنه تعالى منزّه عن المجيء والذهاب المستلزمين للحركة والسكون، وكل ذلك مُحدَث فيكون كل ما يصح المجيء والذهاب منه مُحْدَث، أو الإلٰه القديم يستحيل أن يكون كذلك، وأيضًا كلّ ما يصح عليه الانتقال من مكانٍ إلى مكان يكون جسمًا محدودًا متناهيًا في المقدار، ويكون أحد جوانبه مغايرًا للآخر، فيكون مركبًا من الأجزاء، فيكون في تحققه مفتقرًا إلى تحقّق كل واحد من أجزائه التي هي غيره والمفتقر إلى الغير ممكن لذاته محتاج في وجوده إلى المرجح الموجود، فيكون محدثًا مسبوقًا بالعدم تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، فثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا متحيّز، وأنه لا يصح عليه المجيء ولا الذهاب، وإذا ثبت أنّهما مُحال على الله تعالى، عَلِمنا قطعًا أنّ مراد الله تعالى من هذه الآية ليس المجيء والذهاب، وأن مراده بذلك شيء آخر، فإن عينا الأمر لم نأمن من الخطأ فالأوْلى السكوت عن التأويل وتفويض معنى هذه الآية على التفصيل إلى الله تعالى، وهذا هو المراد بما رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: نزل القرآن على أربعة أوجه: وجهٌ لا يعرفه أحد لجهالته، ووجهٌ يعرف العلماء ويفسّرونه، ووجهٌ يُعرف من قبيل العربية فقط، ووجهٌ لا يعلمه إلّا الله. وذهب جمهور المتكلّمين إلى أنه لا بدّ من التأويل على سبيل التفصيل، ثم ذكروا فيه وجوهًا، منها: أن المراد هل ينظرون إلّا أن تأتيهم آيات الله، فجعل مجيء الآيات مجيئًا له تعالى تعجّبًا لشأن الآيات، كما يقال: جاء الملك إذا جاء الجيش العظيم من جهته، والمقام مقام الزجر والتهديد، ومعلومٌ أن التهديد إنما يحصل بأن يضمر في الآية مجيء الهيبة والقهر والبأس، فإضمار أمثال ذلك مناسب لبلاغة القرآن وإعجازه، والأمر في اللغة كما يجيء بمعنى ضدّ النهي يجيء أيضًا بمعنى الفعل الشأن والطريق، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: الآية ٥٠] وما أمر فرعون برشيد، وفي المثل: لأمرٍ مّا يسود من يسود؛ فالأمر من قول المصنف

(أو المأتي به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه) للدلالة عليه بقوله: «فاعلموا أن الله عزيز» ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة وهي ما أظلك ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب. وهو للتهويل إذ الغمام مظنة الرحمة أنزل منه العذاب كان الأمر (أفظع) وأهول ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي وتأتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي وتم أمر إهلاكهم وفرغ منه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ (تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ)﴾ أي أنه ملك العباد بعض الأمور فترجع إليه الأمور يوم النشور. «ترجع الأمور» (حيث كان: شامي وحمزة وعليّ).

رحمة الله عليه، أي أمر الله بمعنى الفعل وهو ما يليق بتلك المواقف من الأهوال الدالّة على عظمة الله وقدرته وهيبته.

قوله: (أو المأتيّ به محذوف، بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه)... الخ. يعني أن فعل الاتيان يستعمل على وجهين، الأوّل: أن يقتصر على مفعول واحد ولا يتعدّى إلى مفعول ثانٍ لا بنفسه ولا بواسطة الحرف، والثاني: أن يتعدّى إلى مفعول ثانٍ بواسطة الباء، ويمكن تأويل الآية في الوجهين بحملها على حذف المضاف في الأوّل، وعلى حذف المأتي به في الثاني اعتمادًا على دلالة توصيفه تعالى بكونه عزيزًا حكيمًا، والظاهر أن قوله تعالى: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ متعلق بيأتيهم، و﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ متعلق بمحذوف وهو صفة لظلال، والتقدير: إلا أن يأتيهم أمر الله وبأسه في ظلال كائنة من الغمام؛ فعلى هذا تكون من للتبعيض، والظّلّة ما أظلّك، والغمام هو السَّحاب الأبيض، ولا يكون كذلك إلّا إذا كان مجتمعًا متراكمًا، فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرّقة، كل قطعة تكون في غاية الكثافة والعظم، وكل قطعة ظلّة، والجمع ظلل. **قوله: (أفظع)** أي أشدّ. **قوله: (﴿تَرْجِعُ ٱلْأُمُورُ﴾)** بفتح التاء وكسر الجيم على بناء الفاعل بناء على كون الفعل لازمًا من الرجوع لا من الرجع، **(حيث كان: شامي)** أي ابن عامر الشامي **(وحمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بضمّ تاء المضارع وفتح الجيم بتأنيث الفعل وبنائه للفعل، أي تردّ إليه الأُمور لا إلى غيره، بناء على أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ متعلق بما بعده، وإنما قُدِّم للاختصاص، ووجه التأنيث إجراء جمع التكسير مجرى المؤنّث ووجه بنائه للمفعول أن رجع يجيء متعدّيًا، كما يُستعمل لازمًا، يقال: رجع بنفسه ورجعه غيره، قال تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ٨٣].

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

﴿سَلْ﴾ أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة إلى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار «سل». وهو أمر للرسول أو لكل أحد **(وهو سؤال تقريع)** كما يسأل **(الكفرة)** يوم القيامة. ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام **(و«كم» استفهامية أو خبرية)** ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ هي آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها، إن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم

قوله: (وهو سؤال تقريع) يعني أن السؤال المأمور به الرسول ﷺ وكل أحد يقصد تقريع بني إسرائيل، وليس المراد أن يجيبوا ويخبروا عن تلك الآيات ليعلمها السائل؛ لأنه ﷺ كان عالمًا بها بإعلام الله تعالى إيّاها له عليه الصّلاة والسّلام، واشتهر ذلك بين أُمّته بحيث استغنوا بذلك عن سؤال بني إسرائيل عنها، وإنّما المقصود المبالغة في الزّجر عن الإعراض عن دلائل الله تعالى، فهو سؤال على جهة التّقريع والتوبيخ؛ لأنه تعالى أمر بالإسلام ونهى عن الكفر بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾، ثم قال: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ أي أعرضتم عن قبول هذا التكليف صبرتم مستحقّين للتهديد بقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ثم هدّدهم بقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، ثم ثلّث التهديد بقوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني هؤلاء الحاضرين كم آتينا أسلافهم ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: الآية ٥] فأنكروها، فلا جرم استوجبوا العقاب، وهذا تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلّوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب.

قوله: (الكَفَرة) جمع كافر. **قوله: (و«كم» استفهامية)** للسؤال عن العدد **(أو خبرية)** لتكثير المعدود. فإن قيل: على تقدير الخبرية، ما معنى السؤال؟ وعلى تقدير الاستفهام، كيف يكون السؤال للتقريع والاستفهام للتقرير، وهما متنافيان؟ لأن التقريع هو الاستبعاد والاستنكار، والتقرير هو الإثبات والتحقيق. فإذا قلت: أضربت زيدًا لقصد التقرير، يكون معناه: ضربت زيدًا.

(**كقوله**: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]) أو حرفوا آيات الكتب الدالّة على دين محمد ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ من بعد ما عرفها وصحت عنده لأنه إذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن استحقه.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها، أو الله تعالى يخلق الشهوات فيهم ولأن جميع الكائنات منه (**ويدل عليه قراءة من قرأ** ﴿زَيَّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين (**كابن مسعود وعمار**

أُجيب: بأنه على تقدير الخبرية يكون السؤال عن حالهم وفعلهم في مباشرة أسباب التقريع، وعلى تقدير الاستفهام يكون معنى التقرير الحمل على الإقرار، وهو لا ينافي التقريع.

قوله: (**كقوله**) تعالى في سورة التوبة (﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ [الآية ١٢٤]) أي السورة (﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [الآية ١٢٥]) أي كفرًا مضمومًا إلى كفرهم لكفرهم بها.

قوله: (**ويدلّ عليه قراءة من قرأ** ﴿زَيَّنَ﴾) مَبْنِيًّا للفاعل (﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾) بالنصب، قرأه مجاهد وأبو حيوة.اهـ سمين. وفي الإتحاف عن ابن محيص: ﴿زَيَّنَ﴾ مبنيًا للفاعل ﴿الحياة﴾ ـ بالنصب ـ مفعول والفاعل الله تعالى، وعنه كذلك في ﴿زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُبَّ﴾ [آل عمران: الآية ١٤] بآل عمران. والجمهور بالبناء للمفعول ورفع الحياة وحبّ.اهـ. **قوله**: (**كابن مسعود**) أي عبد الله بن مسعود الصحابي، وقد تقدّم ذكره رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**وعمار**) بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة، كان من السابقين إلى الإسلام، وكان أبوه وأُمّه سمية ممّن أسلم أوّلًا، وكان إسلام عمار وصهيب في وقتٍ واحد حين كان النبيّ ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلم بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وفي عمار نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وشهد معه بدرًا وأُحدًا والخندق وجميع المشاهد، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وستّون حديثًا اتّفقا على حديثين منها، وانفرد البخاري

وصهيب) ونحوهم أي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ لأنهم في جنة عالية وهم في وهم (**في نار هاوية**) ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ بغير (**تقتير**) يعني أنه يوسع على مَن أراد التوسعة عليه كما وسع على (**قارون**) وغيره، وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي (**استدراجكم بالنعمة**) ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام، أو هم نوح ومَن كان معه في السفينة فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ويدلّ على حذفه قوله تعالى: ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] وقراءة (**عبد الله**) «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا» وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ [يونس: الآية ١٩] أو كان الناس أُمة واحدة كفارًا فبعث

بثلاثة، ومسلم بحديث. روى عنه عليّ بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وأبو أُمامة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وابن المسيّب وابن الحنفية وأبو وائل وابنه محمد بن عمّار وآخرون من التابعين. قُتِل بصفّين مع عليّ رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة.

قوله: (وصهيب) بن سنان الصحابي، وقد تقدّم ذكره رضي الله تعالى عنه. **قوله: (في نار هاوية)** في لسان العرب: الهاوية اسم من أسماء جهنّم وهي معرفة بغير ألف ولام. اهـ. وأيضًا فيه: وقال ابن برّي: لو كانت هاوية اسمًا علمًا للنار لم يُصرف في الآية، والهاوية كل مَهْوَة لا يُدرك قعرها. **قوله: (تقتير)** أي تضييق. **قوله: (قارون)** كان من قوم موسى ابن عمّه وابن خالته. **قوله: (استدراجكم بالنّعمة)** في المصباح: استدرجته أخذته قليلًا قليلًا. اهـ. **قوله: (عبد الله)** بن

الله النبيين فاختلفوا عليهم **(والأول أوجه)** ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب للكافرين وهما حالان ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **(أي مع كل واحد منهم كتابه)** ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بتبيان الحق ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الله أو الكتاب أو النبيّ المنزّل عليه ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ في دين الإسلام الذين اختلفوا فيه **(بعد الاتفاق)**. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في الحق ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب المنزّل لإزالة الاختلاف **(أي ازدادوا)** في **(الاختلاف)** لما أنزل عليهم الكتاب ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ على صدقه ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ مفعول له أي حسدًا بينهم وظلمًا لحرصهم على الدنيا وقلّة إنصاف منهم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه مَن اختلف فيه ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بيان لما اختلفوا فيه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بعلمه ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ «أم» منقطعة لا متصلة لأن شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك «أعندك زيد أم عمرو» أي أيهما عندك؟ وجوابه زيد إن كان عنده

مسعود رضي الله تعالى عنه. **قوله: (والأوّل أوجه)** لدلالة القراءة والآية عليه، ولكون الاتفاق على الإيمان كما في أوّل زمن آدم وآخر زمن نوح مقرّرًا محققًا بخلاف الاتفاق على الكفر. **قوله: (أي مع كل واحد منهم كتابه)** يعني يكون الكتاب للعهد وتعويض تعريف اللام عن تعريف الإضافة، والمعنى مع كل واحد من الذين لهم كتاب. **قوله: (بعد الاتفاق)** أي على الحقّ، فإنّ بعثة الأنبياء وإنزال الكتب للحكم فيما اختلفوا فيه تقتضي سابقة اختلاف بعد الاتفاق، أي على الحقّ والإسلام؛ إذ لو أُريد الاتّفاق على الكفر كما هو القول المرجوح لزم تقدير الاختلاف بعد البعثة وقبل إنزال الكتب، فيكون ليحكم علّة الإنزال فقط، لكن لفظ: وأنزل معهم يأبى هذا المعنى. غاية الأمر أن يقدّر وأنزل مع بعضهم لكن في الواو دون الفاء بعض بنوّة، فلهذا كان الوجه الاتّفاق على الإسلام وتقدير الاختلاف قبل البعثة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (أي ازدادوا الاختلاف)** لأن أصل الاختلاف كان موجودًا قبل البعثة والإنزال.

زيد، أو عمرو إن كان عنده عمرو. وأما «أم» المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة، والتقدير: بل أحسبتم **(ومعنى الهمزة فيها)** للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده. لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات **(تشجيعًا)** لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا **(عليه)** من المشركين وأهل الكتاب **(وإنكارهم)** لآياته وعداوتهم له، **(قال لهم)** على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم ﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي ولم يأتكم وفي «لما» معنى التوقع يعني أن إتيان ذلك متوقع منتظر. ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ مضوا **(أي حالهم التي هي مثل في الشدة)** ﴿مِن قَبْلِكُم﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلًا قال: كيف كان ذلك المثل فقيل: مستهم ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ **(أي البؤس)** ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المرض والجوع ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ وحركوا بأنوع البلايا **(وأزعجوا)** إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزلزلة ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين فيها ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أي بلغ بهم **(الضجر)** ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك، ومعناه

قوله: (ومعنى الهمزة فيها) أي الاستفهام في أم للتقرير بمعنى الحمل على الإقرار والإنكار، بمعنى ما كان ينبغي أن يحسنوا ذلك فلِمَ حسبتموه؟ **قوله:** (تشجيعًا) علّة ذكر. **قوله:** (عليه) أي على رسول الله ﷺ وهو متعلّق باختلفوا على تضمين معنى التمرّد والاستعلاء. **قوله: (وإنكارهم)** عطف على الذين اختلفوا، أي تشجيعًا على الصّبر معهم، ومع إنكارهم. **قوله: (قال)** جواب لما وضمير **(لهم)** لرسول الله ﷺ والمؤمنين، وقد ذكروا بطريق الغيبة في عموم النبيّين والذين آمنوا، فيكون خطابهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ التفاتًا. **قوله: (أي حالهم التي هي مثل في الشدة)**، يعني: أن المثل عبارة عن حالة غريبة أو قصة عجيبة لها شأن، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: الآية ٦٠] أي الصفة التي لها شأن عظيم، ولا شكّ أن الحالة التي يتوقع إثباتها للمخاطبين ليست نفس حال مَنْ قبلهم بل مثلها وشبهها؛ ففي الكلام حذف مضاف، أي ولما يأتكم مثل حالهم ومحنتهم العجيبة. **قوله: (أي البؤس)** - بالضم وسكون الهمزة - الضرّ. اهـ مصباح. وقال عطاء رحمه الله: يريد الفقر الشديد. **قوله: (وأزعجوا)** يقال: أزعجه، أي أقلقه وقلعه من مكانه ومن أصابه أنواع البلاء والشدائد يضطربُ ولا يدري ما يفعل. **قوله: (الضجر)** القلق من

طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدّة فقيل لهم: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر. «يقولُ» بالرفع: نافع **(على حكاية حال ماضية)** نحو («**شربت الإبل حتى يجيء البعير يجرّ بطنه**»). وغيره بالنصب على إضمار «أن» ومعنى الاستقبال لأن «أن علم له. ولما **(قال عمرو بن الجموح)** وهو شيخ كبير وله مال عظيم: ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها؟ نزل:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ فقد تضمن قوله: «ما أنفقتم من خير» بيان ما ينفقونه وهو كل خير، وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع

الغمّ، وبابه طرب. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (على حكاية حال ماضية)** اعلم أن حتى إذا وقع بعدها فعل فإمّا أن يكون حالًا أو مستقبلًا أو ماضيًا، فإن كان حالًا رُفع، نحو: مرض حتى لا يرجونه، أي في الحال. وإنْ كان مستقبلًا نُصِب بحيث تقول: سرت حتى أدخل البلد وأنت لم تدخل. وإن كان ماضيًا رُفِعَ على أنه حال ماضية، لأنك تحكيه حال تكلّمه.

قوله: (شربت الإبل حتى يجيء البعيرُ يجرّ بطنه) في لسان العرب الجرّة بالكسر ما يُخرجه البعير للاجترار، واجترّ البعير من الجرّة، وكل ذي كَرْش يجترّ. اهـ. وأيضًا فيه الجرّة ما يُخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه. اهـ.

قوله: (عمرو بن الجموح) - بفتح الجيم - ابن زيد بن حرام - بالحاء - ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة - بكسر اللام - الأنصاري السّلَمي من بني جُشَم بن الخزرج شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدرًا، واستشهد يوم أُحد، ودُفِنَ هو وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر في قبرٍ واحد، وكانا صهرين، ورووا أنّ رسول الله ﷺ قال لنفرٍ من بني سلمة: «**سيدكم عمرو بن الجموح**»، وكان عمرو سيّدًا من سادات بني سلمة وشريفًا من أشرافهم، وكان له أربعة بنين قاتلوا مع النبيّ ﷺ، ورووا أن النبيّ ﷺ قال فيه حين استشهد: «**لقد رأيته في الجنّة**».

موقعها عن (الحسن) هي في التطوّع ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيجزى عليه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فرض عليكم جهاد الكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ (من **الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها:**

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)

قوله: (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (من الكراهة) يعني لا من الإكراه. **قوله: (فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة)** عبارة تفسير أبي السعود، وهو كره لكم حالية، أي والحال أنه مكروه لكم طبعًا على أن الكره مصدر وصف به مفعول مبالغة، أو بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز. اهـ. وقوله: ومكروه لكم طبعًا، أي وأمّا شرعًا فهو محبوب وواجب، لأنه يلزم منه كراهة حكم الله ومحبّة خلافه، وهو لا ينافي كمال التصديق؛ لأن معناه كراهة نفس ذلك الفعل ومشقّته، كوجع الضرب في الحدّ مع كمال الرّضا بالحكم والإذعان له، وهذا كما تقول: إن الكل بقضاء الله ومشيئته مع أن البعض مكروه، منكر غاية الإنكار؛ كالقبائح والشرور. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (كقولها)** أي الخنساء، أي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الصحابية الشاعرة المشهورة رضي الله تعالى عنها، ولقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن امرأة قطّ قبلها ولا بعدها أشعر منها:

(فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)

أوّلـــه:

تـرتـع مـا تـرتـع حـتـى إذا ذَكَـرَتْ

والمعنى: أن هذه الناقة ترتع مدة ما رتعت، وفي رواية: غفلت حتى إذا ذكرت ولدها المذبوح تركت الرتع وأقبلت وأدبرت بالغةً فيهما حدّهما، كأنها متجسّمة من الإقبال والإدبار، والبيت من البسيط ترثي أخاها صخرًا.

كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أو هو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ فأنتم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنيين **(إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة)** ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا﴾ وهو القعود عن الغزو ﴿وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم، ونزل **(في سرية)** بعثها رسول الله ﷺ فقاتلوا المشركين وقد أهلّ هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش: قد استحلّ محمد عليه السلام الشهر الحرام شهرًا يأمن فيه الخائف.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام ﴿قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ بدل الاشتمال من «الشهر». **(وقرىء «عن قتال فيه»)** على تكرير العامل كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف: الآية ٧٥]. ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾ أي إثم كبير. «قتال» مبتدأ و«كبير» خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأنها قد وصفت بـ«فيه» وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: الآية ٥]. ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي منع المشركين رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت **(عام الحديبية)** وهو مبتدأ ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ﴾ أي بالله عطف على «صد» ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ عطف على «سبيل الله» أي

قوله: (إما الظفر والغنيمة) أي إن سلم. **قوله: (وإما الشهادة والجنة)**، أي إنْ قُتِل. **قوله: (في سرية)**، السَّرِيّة: طائفة دون الجيش. اهـ شهاب. وفي القاموس: السرية من خمسة إلى ثلاثمائة، وقيل: إلى أربعمائة. اهـ.

قوله: (وقرىء) شاذًا **(عن قتال فيه)** قارئه ابن عباس والأعمش. اهـ سمين.
قوله: (عام الحديبية) سنة ستّ من الهجرة.

وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام. وزعم الفرّاء أنه معطوف على الهاء في «به» أي كفر به وبالمسجد الحرام، ولا يجوز عند البصريين العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار فلا تقول: مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد، ولو كان معطوفًا على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام. ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾ أي أهل المسجد الحرام وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون وهو عطف على «صد» أيضًا ﴿مِنْهُ﴾ من المسجد الحرام وخبر الأسماء الثلاثة ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطإ والبناء على الظن ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الإخراج أو الشرك ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾ في الشهر الحرام، أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحًا من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ أي إلى الكفر وهو إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين (وأنهم) لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم. و«حتى» معناها التعليل نحو «فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة» أي يقاتلونكم كي يردوكم. وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ﴾ **(استبعاد)** لاستطاعتهم كقولك لعدوك «إن ظفرت بي **(فلا تبق عليَّ**») وأنت واثق بأنه لا يظفر بك ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ ومَن يرجع عن دينه إلى دينهم ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي يمت على الردة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ﴾ لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **(وبها احتج الشافعي** رحمه الله) على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها. وقلنا: قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ

قوله: (وأنهم) عطف على دوام، أي إخبار عن أن الكفار لا ينفكّون عن العداوة حتى يردّوا المسلمين عن دينهم. **قوله: (استبعاد)**، يعني أن استعمال إنْ مع الجزم بعدم الوقوع إشارة إلى أن ذلك لا يكون إلّا سبيل الفرض، والتقدير: كما يفرض المحال، وهو معنى الاستبعاد، **(فلا تبق عليَ)** أي لا ترحمني. وفي الصحاح: أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته، يقال: لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ. **قوله: (وبها احتجّ الشافعي رحمه الله)**. . . الخ. بناء على أنها لو أحبطت الأعمال مطلقًا لما كان للتقييد بقوله: فيموت وهو كافر فائدة لا بناء على أنه جُعِل شرطًا في الإحباط، وعند انتفاء الشرط ينتفي المشروط؛ لأن الشرط

عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٥] والأصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد، وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾

ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ تركوا مكة **(وعشائرهم)** ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المشركين ولا وقف عليه لأن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ خبر «إن». قيل: مَن رجا طلب ومَن خاف هرب ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ نزل في الخمر أربع آيات نزل بمكة: (﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ **[النحل: الآية ٦٧]**). فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال، ثم إن عمر ونفرًا من الصحابة قالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها **(مذهبة للعقل مسلبة للمال)** فنزل:

النحوي والتعليقي ليس بهذا المعنى، بل غايته السببية أو الملزومية، وانتفاء السبب أو الملزوم لا يوجب انتفاء المسبّب أو اللازم لجواز تعدّد الأسباب، ولو كان شرطًا بهذا المعنى لم يتصوّر خلاف في القول بمفهوم الشرط، واحتجّ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٥]. وأُجيب بأنه يُحمل على المقيّد عملًا بالدّليلين، وردّ بأن ذلك إنما يكون إذا كان القيد في الحكم واتّحدَت الحادثة. وأما في السبب، فلا لجواز أن يكون المطلق سببًا كالمقيّد، وتمام ذلك في الأُصول، قيل: ثمرة الخلاف تظهر فيمن[1] صلّى ثم ارتدّ نعوذ بالله منه ثم أسلم يلزمه عند أبي حنيفة قضاء تلك الصلاة خلافًا للشافعي رحمه الله تعالى، وفيه نظر. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وعشائرهم) في المصباح: العشيرة القبيلة، ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر. اهـ. **قوله: (﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ [الآية ٦٧])**... الخ في تفسير الجلالين في تفسير سورة النحل: (﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ **[الآية ٦٧]**) ثمر (﴿تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ **[الآية ٦٧]**) خمرًا تُسْكِر، سمّيت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها. اهـ. **قوله: (مذهبة للعقل مسلبة للمال)**، أي يكثر

---

(١) ولكن الكلام في الحج، ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ **(فشربها)** قوم وتركها آخرون، ثم دعا **(عبد الرحمٰن بن عوف)** جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ «قل يا أيها

فيها ذهاب العقل وسلب المال، فإنه قد تقرّر في الصّرف أنه إذا أكثر الشيء بالمكان قيل في وصف ذلك المكان لكثرته فيه مفعلة نحو أرض مسبعة ومأسدة ومذأبة ومبطخة ومقثأة إذا كثرت فيها هذه المذكورات، أي السبع والأسد والذئب والبطيخ والقثاء.

قوله: (فشربها) قوم لما فهموا أن المعنى أن فيهما ما يفضي إلى الإثم، لا أن نفسهما أو تناولهما كذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ﴾، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النّساء: الآية ٤٣].

قوله: (عبد الرحمٰن بن عوف) الصحابي، هو أبو محمد عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة القرشي الزهري المدني، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وأمّه الشفاء بنت عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وُلِد بعد الفيل بعشر سنين، أسلم عبد الرحمٰن قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهو أحد الثمانية السابقة إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستّة الذين هم أهل الشورى الذين أوصى إليهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالخلافة، وقال: إن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، وكان من المهاجرين الأوّلين، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يوم إحدى وثلاثين عبدًا. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وستّون حديثًا اتّفقا منهما على حديثين، وانفرد البخاري بخمسة. روى عنه

الكافرون لا أعبد ما تعبدون» فنزل (﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: الآية ٤٣]) فقل مَن يشربها، ثم دعا (عتبان بن مالك) جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزل: (﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾) إلى قوله: (﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩١] فقال عمر ﷺ: انتهينا يا ربّ).

ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وجبير بن مطعم وغيرهم من الصحابة وخلائق من التابعين، منهم بنوه إبراهيم وحميد ومصعب بنو عبد الرحمٰن. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين، وقيل: خمس وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، ودُفِن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (و﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية ٤٣]). . . الخ في تفسير الجلالين في تفسير سورة النساء: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية ٤٣]) أي لا تصلّوا (﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [الآية ٤٣]) من الشراب؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة حالة السكر. اهـ.

قوله: (عِتْبان) ـ بالكسر ـ (بن مالك) بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السالمي، شهد بدرًا ولم يذكره ابن إسحٰق في البدريّين، وذكره غيره. روى عنه أنس بن مالك ومحمود، ومات أيام معاوية رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ [الآية ٩٠]). . . الخ في تفسير الجلالين في تفسير سورة المائدة: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ [الآية ٩٠]) المُسكِر الذي يخامر العقل (﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [الآية ٩٠]) القمار (﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ [الآية ٩٠]) الأصنام (﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ [الآية ٩٠]) قداح الاستقسام (﴿رِجْسٌ﴾ [الآية ٩٠]) خبثٌ مُستقذر (﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية ٩٠]) الذي يزيّنه (﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [الآية ٩٠])، أي الرجس المُعبّر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه (﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية ٣٥]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [الآية ٩١] **في الخمر والميسر**) إذا آتيتموهما لما يحصل فيهما من الشرّ والفتن (﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ [الآية ٩١]) بالاشتغال بهما (﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الآية ٩١]) خصَّهما بالذِّكر تعظيمًا لهما (﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [الآية ٩١]) عن إتيانهما، أي انتهوا. اهـ. **قوله:** (**فقال عمر رضي الله تعالى عنه: انتهينا يا ربّ**)، فسبحان الله ما

وعن عليّ ﷺ: لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها، ولو وقعت في بحر ثم جفّ ونبت فيه (**الكلأ لم أرعه**. **والخمر ما غلى**) واشتد وقذف (**بالزبد**) من عصير العنب، وسميت بمصدر خمره خمرًا إذا ستره لتغطيتها العقل. والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال: يسرته إذا أقمرته، واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كدّ وتعب، (**أو من اليسار**)

ألطفه بعباده حيث لم يحرّم الخمرة بمرّة، ولكن حرّم درجة درجة حتى لا يشقّ عليهم الانقلاع عنها بواحدة، فإنهم اعتادوا شربها واعتقدوا منافعها، فحرّم عليهم حالًا بعد حال حتى تيسّر عليهم الائتمار، فلا يأبون. فالحاصل أن الخمر كانت حلالًا أوّلًا، ثم جعلها الله إثمًا، ثم جعلها حرامًا وقت الصلاة، ثم جعلها حرامًا مطلقًا، فلا يثبت من هذه الآية إلّا كونها إثمًا، والحرمة ثابتة بآية المائدة، ولكن لقائل أن يقول: أنها إذا كانت إثمًا، فكلّ إثم حرام، فما الاحتياج إلى آية المائدة؟ ويمكن أن يقال: أنها كانت حينئذ حلالًا بنفسها، ولا بأس بأن يكون إثميّتها عارضية لأجل معنى وهو إضاعة الوقت والمال وتفويت الصلاة، وكون شربها سببًا لزوال العقل، وبهذا يندفع ما قيل أنّ الله تعالى قال: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، ومن منافع الخمر شفاء المرضى، والحال أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم**»، فكيف التوفيق بينهما؛ لأنه إنما قال ذلك حين كانت إثمًا بعارض، ولم يكن حرامًا محضًا، ولمّا نزل في آية المائدة حرمتها انتفى كونها نفعًا للناس. والحديث المرويّ إنما وقع فيما يكون حرامًا، فلم يخالف القرآن. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**الكلأ**) ـ مهموز ـ العشب رطبًا كان أو يابسًا، قاله ابن فارس وغيره. والجمع أكلاء مثل سبب وأسباب. اهـ مصباح. **قوله**: (**لم أرعه**) إسناد الرّعْي إلى أصحاب الماشية شائع. **قوله**: (**والخمر ما غلى**)... الخ. أي من غير عمل النار فيه، وغلى من باب ضرب، وفي لغة: من باب تعب، والأولى هي الفصحى وبها جاء الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان: الآية ٤٥]. اهـ مصباح باختصار. وقوله: (**بالزّبد**) ـ بفتحتين ـ وفي التفسيرات الأحمدية: **الخمر هي التي** من ماء العنب، **إذا غلا** واشتدّ وقذف بالزبد. وعند الشافعي ﷺ: كلّ ما أسكر من عصير العنب أو التمر فهو خمر، لأنه يخمر العقل. اهـ. (**أو من اليسار**) وهو

كأنه سلب يساره. وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة **(أقداح)** سبعة منها عليها **(خطوط)** وهو **(الفذ)** وله سهم، **(والتوأم)** وله سهمان، **(والرقيب)** وله ثلاثة، **(والحلس)** وله أربعة، **(والنافس)** وله خمسة، **(والمسبل)** وله ستة، **(والمعلى)** وله سبعة، وثلاثة **(أغفال)** لا نصيب لها وهي **(المنيح)** و**(السفيح)** و**(الوغد)**، فيجعلون الأقداح في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم **(يجلجلها ويدخل يده)** ويخرج باسم رجل **(قدحًا قدحًا)** منها، فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، ومَن خرج له قدح ما لا نصيب له لم يأخذ شيئًا وغرم ثمن **(الجزور)** كله، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمّون مَن لم يدخل فيه، **(وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما)**، والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما

الغنى، وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شهاب ﷺ: والميسر بحسب الأصل مصدر وفعله أيسر من اليسار؛ لأنه يأخذ ما يأخذ بيُسر، أي سهولة، والهمزة فيه للسلب لأنه يسلب اليسار. **قوله: (أقداح)** جمع قِدح.اهـ لسان العرب. وفي محيط المحيط: القِدح السهم قبل أن يراش ويُنْصَل، وسهم الميسر أيضًا جمع قِداح وأقْدُح وأقداح وأقاديح.اهـ. **قوله: (خطوط)** وعلامات. **قوله: (الفَذّ)** أوّل سهام الميسر.اهـ قاموس. **قوله: (التَّوْأمُ)** سهم من سهام الميسر.اهـ قاموس. **قوله: (الرَّقيب)** الثالث من قِداح الميسر.اهـ قاموس. **قوله: (الحلس)** بفتح الحاء وكسر اللام، وقيل: بكسر الحاء وسكون اللام. في القاموس: الحِلس ـ بالكسر ـ الرّابع من سهام الميسر، كالحَلِس ككتف.اهـ. **قوله: (النَّافِس)** خامس سهام الميسر.اهـ قاموس. **قوله: (المسبل)** كمُحْسن، السادس أو الخامس من قِداح الميسر.اهـ قاموس. **قوله: (والمعلّى)** كمعظَّم سابع سهام الميسر.اهـ. **قوله: (أغْفال)** جمع غُفْل ـ بالضمّ ـ ما لا علامة فيه من القداح.اهـ قاموس. **قوله: (المَنِيح)** كأمير بلا نصب.اهـ قاموس. **قوله: (السَّفِيح)** قِدح من الميسر لا نصيب له.اهـ قاموس. **قوله: (الوغْد)** قِدح لا نصيب له.اهـ قاموس. **قوله: (يجلجلها)** أي يحرّكها. **قوله: (ويدخل يده)** فيها. **قوله: (قِدْحًا قِدْحًا)** القِدح ـ بالكسر ـ السَّهم قبل أن يُراش ويُنْصل.اهـ قاموس. **قوله: (الجَزور)** البعير أو خاص بالناقة المجزورة.اهـ قاموس. **قوله: (وفي حكم الميسر أنواع القمار من النّرد والشطرنج وغيرهما)** ممّا

بدليل (﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾) بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور. («كثير»: حمزة وعلي). ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ بالتجارة في الخمر والتلذّذ بشربها، وفي الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كدّ ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ وعقاب الإثم في تعاطيهما

فيه مقامرة، وإنّما رخّص إذا كان من جانب واحد، وما ليس فيه مقامرة، فمنه ما هو حرام إجماعًا؛ كالنرد، ومنه ما فيه خلاف كالشطرنج. اهـ التفسيرات الأحمدية. وفي التفسيرات المظهري: والتحقيق أن اللّعب بكل شيء حرام إجماعًا، وما رُوِي عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه أباح اللّعب بالشطرنج، فقد صحّ أنه رجع عن هذا القول، وأنّ إضاعة المال والتبذير بأي وجهٍ كان؛ كالرشوة والقمار والربا وغير ذلك أيضًا حرام إجماعًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٧]، وفي الميسر اجتمع الأمر أنّ اللّعب وإضاعة المال فأمره أشدّ وهو كبيرة من الكبائر إجماعًا، سواء كان المقامرة بما كان به عادة العرب أو بغير ذلك من الشطرنج والنّرد ونحوهما. اهـ.

قوله: (﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾) في كلّ منهما إثمٌ كبير ومنافع للناس، فالإثم في الميسر تفويت الصلاة وإضاعة المال والوقت، وفي الخمر زوال العقل وبه شرف الإنسان. ونُقِل عن جعفر الطيّار رضي الله تعالى عنه: إني لم أشرب الخمر لزوال العقل، وما عبدت الصنم لأنه لا يضرّ ولا ينفع، وما زنيت لغيرتي على امرأتي، وما كذبت لأني رأيت الكاذب ذليلًا، ومنافع الخمر إما بدنية كهضم الطعام، أو خلقية كالتواضع والسماحة، وإما مالية كالربح في البيع والشراء والتجارة وتوفّر المروة وتقوية الطبيعة. ومنافع الميسر التوسعة على الغرباء والفقراء ونيل المال بلا كدّ ومحنة وتعب على ما عرفته في بيان صفته، فهؤلاء وإن كانت منافعهما ولكن إثمهما أكبر من نفعهما؛ لأن الإضاعة والفواحش أكثر فيهما. وقيل: معنى الآية فيهما، أي في مجموعهما، شيئان: إثمٌ كبير ومنافع للناس؛ فالإثم في تعاطيهما والمنافع في تركهما، ولكنه ضعيف كما لا يخفى. اهـ التفسيرات الأحمدية. وفي المنهية: وذلك لأنه يأبى عنه قوله: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾؛ إذ فيه دلالة على أن الإثم والنفع كلاهما في تعاطيهما، ولكن الإثم أكبر. اهـ. **قوله: (كثير)** بالثاء المثلثة **قوله: (حمزة وعليّ)**. والباقون بالباء الموحدة.

﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ لأن أصحاب الشرب والقمار (يقترفون) فيهما الآثام من وجوه كثيرة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي الفضل أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة، وكان التصدق بالفضل في أول الإسلام فرضًا فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل، وإذا كان صانعًا أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل (فنسخت بآية الزكاة. «العفو»: أبو عمرو)؛ فمن نصبه جعل «ماذا» اسمًا واحدًا في موضع النصب بـ«ينفقون» والتقدير: قل ينفقون العفو، ومَن رفعه جعل «ما» مبتدأ وخبره «ذا» مع صلته فـ«ذا» بمعنى «الذي» و«ينفقون» صلته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب «العفُو» أي هو العفو فإعراب الجواب كإعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي تبيينًا مثل هذا التبيين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي في

قوله: (يقترفون) يكتسبون. **قوله:** (فَنُسِخت بآية الزكاة) وتقرّر ربع العشر في المال، وقد فسّر صاحب الكشاف والقاضي البيضاوي العفو بنقيض الجهد[1]، أي ما سَهُل لكم إنفاقه وتيسّر لكم بذله، ومآله إلى معنى الفضل ولم يتعرّضا لبيان النسخ وعدمه، ولكن ذكرا في بيانه حديثًا يؤيّده، فقال: وعن النبيّ ﷺ أن رجلًا أتى النبيّ ﷺ ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم، فقال: خذها مني صدقة، فأعرض عنه حتى كرّر مرارًا، فقال: «**هاتها**» مغضبًا، فأخذها فصدمه بها صدمةً لو أصابه لشجّه، ثم قال: «**يأتي أحدكم بماله كلّه يتصدّق ويجلس يتكفّف الناس، إنّما الصدقة عن ظهر غِنى**» هذا ما فيه، ولعلّهم من هنا قالوا في مسألة النّذر بالمال فيمن قال: مالي في المساكين صدقة، أو مالك صدقة في المساكين أنه يقع على مال الزكاة، فإن كان له مال سوى مال الزكاة تصدّق بكلّ مال الزكاة، وإنْ لم يكن مال سواه أمسك من قوته، فالمتحرّف يمسك قوت يومه، وصاحب المشتغل إلى شهر، وصاحب الضياع إلى سنة، وصاحب التجارة إلى وصول مال التجارة، فإن ملك بعد ذلك فليتصدّق بمثل ما أمسك. التفسيرات الأحمدية.

قوله: (العفو) بالرفع (أبو عمرو) البصري. والباقون بالنصب.

---

(١) بالفتح هو المشقة، ونقيضه الميسرة والسهولة. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

أمر الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ و«وفي» يتعلق بـ «تتفكرون» أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما أصلح لكم، أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع، ويجوز أن يتعلق بـ«يبين» أي يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون. ولما نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: الآية ١٠] اعتزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزل.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ وتعاشروهم ولم

قوله: (﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾) يعني إصلاح أموالهم ومحافظة أمتاعهم خيرٌ من ترك الاختلاط بهم ومن عدم محافظتها، وإن تُخالطوهم وتُعاشروهم ولم تُجانبوهم فهم إخوانكم في الدِّين، ومن حقّ الأخ أن يُخالط أخاه ويقيم مصالحه ويحفظ أمواله وأمتاعه، أو المراد بالمخالطة المصاهرة، أي إن تصاهروهم وتزوّجوا بناتكم فهم إخوانكم، والله يعلم المفسد من المصلح، أي يعلم الفرق بين مَنْ يخالطهم فسادًا بأموالهم، وبين مَنْ يخالط بهم صلاحًا لهم ومحافظة لأموالهم، فاخْتَلِطوا بهم للصلاح والحفظ، ولا تختلطوا للفساد، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ أي لأهلككم أو ابتلاكم بالبلايا والآفات على حسب قبحكم وفسادكم، كذا ذكروا. الحاصل أن اليتامى إذا كان لهم أموالهم يفترض على أوليائهم محافظتها، وإن تركوا المحافظة أثِمُوا، وكذا إن اختلطوا بها كمال الاختلاط بحيث يأكلون منها ولا يميّزون طعامهم ولا يتحرزوا عن فراشهم أثِمُوا أيضًا، وإن اختلطوا على وجه الصلاح والنفع بدون خيانة ومن غير إفراط وتفريط جاز. وفي الزاهدي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: المخالطة أن تأكل من ثمره ولبنه وقصعته وهو يأكل من ثمرتك ولبنك وقصعتك، والآية تدلّ على جواز المخالطة في السفر والحضر يجعلون النّفقة على السواء، ثم لا يكره أن يأكل أحدهما أكثر؛ لأنه لمّا جاز في

تجانبوهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ لها فيجازيه على حسب مدخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ **إعناتكم**) ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يكلف إلا وسعهم وطاقتهم. **(ولما سأل مرثد النبيّ ﷺ)** عن

أموال الصغار فجوازه في أموال الكبار أوْلى، هذا لفظه فاحفظه فإنه نافع جدًّا، وحجّة على كثير من المشائخين المتعصّبين في زماننا يرون القسمة بالعدل واجبة في كل شيء.

ثم اليتيم هو مَنْ مات أبوه وهو غير بالغ، وقد شدّد الله تعالى الوعيد على مَنْ أكل مِنْ أموالهم حتى بلغوا في مواضع لا تُحصى ومحافظة أموالهم على الأوصياء إنْ كان أبوهم أو جدّهم أوصى إلى أحد، وإلّا فللقاضي أن ينصب وصيًّا، وإلّا فعلى الأولياء حفظه وأحكامه مذكورة في كتب الفقه في مواضع شتّى. فإن وهب له أحد يقبضه وصيّ أحدهما أو أُمّ هو معها، أو أجنبي يربّيه ويجوز إجارته لأُمّه فقط ونفقته في ماله، ويجوز بيع الوصي وشراءه في ماله بما لا يتغابن ويدفع ماله مضاربة وشركة وبضاعة، وله الصلح عن دَم عمد فقط، وليس له ولاية العفو والقود، وهذا مما يطول تعداده ونحن نقتصر بهذا القدر فقط. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ **إعناتكم**) إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف، وهو إعناتكم، وجواب لو قوله: ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾، والعَنَت المشقّة. والإعنات الحمل على مشقّة لا تُطاق، وتعنّته إذا لبس عليه في سؤاله.

قوله: (ولمّا سأل مرثد النبيّ ﷺ)... الخ. أورده الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومرثد[١] - براء مهملة ومثلثة مكسورة[٢] -. اهـ شهاب رحمه الله. وفي أُسد الغابة في معرفة الصحابة: مرثد بن أبي

---

(١) بفتح الميم وسكون الراء. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٢) وفي القاموس: كَمَسْكَن. اهـ. وكذا يفهم من لسان العرب وغيره. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

أن يتزوج **(عناق)** وكانت مشركة نزل:

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)﴾

﴿(وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ) حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ **(أي لا تتزوجوهن)**.

مرثد، واسم أبي مرثد كَنَّاز الغنوي، وهو من غنى بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان شهد هو وأبوه أبو مرثد بدرًا. أخبرنا أبو جعفر بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحٰق في تسمية مَنْ شَهِد بدرًا: أبو مرثد كنّاز بن حصين وابنه مرثد بن أبي مرثد حلفاء حمزة بن عبد المطّلب، واستشهد مرثد في غزوة الرجيع مع عاصم بن ثابت سنة ثلاث، ولمّا هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، وكان يحمل الأسارى من مكّة إلى المدينة لشدّته وقوّته. اهـ. **قوله: (عَناق)** ـ بفتح العين ـ اسم امرأة. **قوله:** (﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾)... الخ. هذه الآية تدلّ على عدم جواز نكاح المؤمنين مع المشركات والمؤمنات مع المشركين. أمّا عدم جواز نكاح المؤمنين مع المشركات، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾، ونقل في نزوله أن مَرْثَد الغنوي الذي كان رجلًا شجاعًا أرسله رسول الله ﷺ إلى مكّة ليخرج قومًا من المسلمين الذين كانوا فيها خفية من الكفار، فلمّا وصل إليها عرضت المشركة التي اسمها عَناق نفسها عليه، وكانت صاحبة الجمال والمال ومؤنسة له في الجاهلية، فأعرض عنها خوفًا من الله، ثمّ أقبلت عليه بالنكاح فوقفه على إجازة النبيّ عليه السلام، فلما عاد المرثد الغنوي إلى رسول الله ﷺ عرض حاله بقصة ما مضى عليه واستجاز منه في حقه، فنزل: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ الآية دفعةً واحدة. وقُرِىء بالفتح والضم: أي لا تتزوّجوا يا أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمنّ، إذا كان بالفتح. ولا تزوّجوا بالمؤمنين المشركات حتى يؤمنّ، إذا كان بالضم، هكذا ذكر أكثر المفسّرين. وقال في الحسيني في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أن عَبْد الله بن رواحة ضرب يومًا جاريته للنشوز، فاشتكت إلى رسول الله ﷺ فاستفسر منه حالها، وقال: إنها تصلّي وتصوم وتؤمن بالله ورسوله، ولكن لا تطيعني، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها مؤمنة فأحسن منها**»، فأعتقها ثم نكحها، فبدأ الكفار يطعنون ويقولون: إنّ ابن رواحة قد

....

نكح جاريته السوداء، مع أن المرأة المشركة الجميلة الفلانية تستدعيه، فبهذا الشأن نزل قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ على حدة عمّا قبله بالانفراد، أي المرأة المؤمنة حرّة كانت أو أمَة خيرٌ من المرأة المشركة ولو أعجبت تلك المشركة لكم بصورتها وجمالها، فالحاصل أن نكاح المؤمنين للمشركات ثبت حرمته بالنص مؤقتًا إلى وقت إيمانهنّ، ولكن يشكل بأن الفقهاء قد جوّزوا نكاح الكتابية أمَة كانت أو حرّة، فما عُلِم من البيضاوي هو أن هذه الحرمة وإنْ كانت تتناول الكتابية المشركة القائلة بأن عزير ابن الله، ولكنها خصّت بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية ٥] في سورة المائدة، فيجوز نكاحها. وفي الكشاف: أنها منسوخة بآية المائدة. وفي الزاهدة: أنها منسوخة في البعض ثابتة في البعض، والمآل من الكل واحد، وهو جواز نكاح الكتابية وحرمة نكاح غيرها من المشركات، وقيل: المراد بها الحربيات فقط، والآية غير منسوخة ولا مخصوصة، كما اختاره صاحب الكشاف أوّلًا، وما تفرّد به خاطري هو أن معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ حتى يصدقن بنبيّ ويقرنّ بكتاب، والكتابية المشركة كذلك. ثم الآية وإنْ كانت تعمّ الوثنية والمجوسية جميعًا، لكنه جعلها صاحب الهداية في شأن الوثنيات خاصّة، حيث قال: ولا الوثنيات؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، وتمسّك أولًا في شأن المجوسيات بقوله عليه السلام: «**وسنّوا بهم سنّة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم**»، ولعلّ السرّ فيه أنه لما قدّم ذكر المجوسيات أورد فيها دليلًا قطعيًّا مخصوصًا بها ـ أعني الحديث ـ ثم اضطرّ في آخر الأمر للوثنيّات إلى الآية، وإنْ كانت عامّة لغيرها من المجوسيات.

وأمّا عدم جواز نكاح المؤمنات مع المشركين؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهو بالضم من باب الأفعال خاصة، لا بالفتح من الثلاثي المجرد؛ إذ لا يصلح هذه الصيغة خطابًا للمؤنث، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ فإنه قُرِىء بهما كما مرّ آنفًا، فلا بدّ أن يكون أحد مفعوليه محذوفًا ويكون معطوفًا على ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾، أو جملة مقدّرة تحت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، أي لمّا كانت الأَمَة المؤمنة خيرًا من المشركة فأنكحوهنّ أنفسكم يا أيّها المؤمنون ولا تزوّجوهنّ بالرجال المشركين حتى يؤمنوا؛ إذ العبد المؤمن خيرٌ من الرجل

يقال: نكح إذا تزوج وأنكح غيره زوجه ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (ولو كان الحال) أن المشركة تعجبكم وتحبونها ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج. وقال (**جامع العلوم**): حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾. ثم بين علة ذلك فقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ (**وهو إشارة إلى المشركات والمشركين**) ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحقهم أن لا

المشرك، حرًّا كان أو عبدًا، ولو أعجب ذلك المشرك لكم بصورته وجماله. لا يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ إن كان بمعنى يصدقوا، فهو أيضًا عامّ للكتابي والمسلم، مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، فيُفهم أن الكتابي أهل لأن يكون زوجًا للمؤمنة، والحال أنه خلافه؛ لأنّا نقول بعد تسليم أنه هٰهنا عامّ وليس بمعنى حتى يسلموا أنه لمّا كانت المؤمنة عامّة شاملة لكتابية، والمسلمة كانت المسلمة زوجة للمسلم، وإن كان المسلم زوجًا لهما، وهذا أيضًا تفرّد به خاطري. ومعنى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ المشركون والمشركات يدعون إلى أعمال تكون مستوجبة لدخول النار، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ أي أولياته يدعون إلى أعمال تكون مستوجبة للجنّة والمغفرة بحذف المضاف، والقرينة عليه قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾؛ إذ لا معنى لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ بإذن الله. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**أي لا تتزوجوهنّ**) إذا كان المراد بالمشركات الحربيّات خاصّة، فالآية ثابتة، أي غير منسوخة؛ لأن الحرمة باقية، وإنْ كان أعمّ منها ومن الكتابيات؛ فالآية منسوخة بقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ حيث حصر الحلّ في الكتابيات، ولا يجوز أن تكون هذه منسوخة بهذا العام للإطباق على أنه لم ينسخ من المائدة شيء، ومبنى الكلام على أن قصر العام على البعض بدليل غير موصول، أي متراخ نسخ. **قوله:** (**ولو كان الحال**)... الخ. بيان لحاصل المعنى. **قوله:** (جامع العلوم) أي الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الباقولي النحوي المتوفّى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة رحمه الله. **قوله:** (وهو إشارة إلى المشركات والمشركين) على نوع من التغليب في يدعون لكونه صيغة جماعة الذكور غلبوا على الإناث.

يوالوا ولا يصاهروا ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بعلمه أو بأمره ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود والمجوس، فسأل **(أبو الدحداح)** رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: يا رسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزل:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ **(هو مصدر)** يقال: حاضت محيضًا كقولك: «جاء مجيئًا» ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ **(أي المحيض شيء يستقذر)** ويؤذي مَن يقربه

قوله: (أبو الدحداح) ـ بفتح الدالين المهملتين وحائين مهملتين ـ صحابي معروف من الأنصار اسمه ثابت بن الدحداح رضي الله تعالى عنه. **قوله: (هو مصدر)** يصلح للزمان وللمكان أيضًا، وقد استعملوا لفظ المحاض بمعنى المصدر، فقالوا: حاضت المرأة تحيض حيضًا ومَحِيضًا ومحاضًا، فبنوا المصدر على مفعل بالكسر والفتح، واعلم أنّ في المعتلّ مَنْ يفعل بكسر العين ثلاث مذاهب، أحدها: أنه كالصحيح فيفتح عينه مرادًا به الزمان والمكان، والثاني: أنه يتخيّر بين الكسر والفتح في المصدر خاصّة، كما جاء هٰهنا: المحيض والمحاض. والثالث: أن يقتصر على السماع، فما سمع فيه الكسر أو الفتح لا يتعدّى، فالمحيض المراد به المصدر ليس بمقيس على المذهب الأوّل والثالث ومقيس على الثاني. والحيض هو اللَّوْث الخارج من الرَّحم في وقت معتاد، والسؤال فيه نوع الإبهام إلّا أنه يبيّن الجواب أن سؤالهم كان عن مخالطة النساء في حالة الحيض. **قوله: (أي المحيض شيء يستقذر)** فسّر الأذى بالشيء الذي يتقذّره الطبع، ولا شكّ أن اللّوْث الخارج من الرَّحم كذلك، فإن الأذى في اللغة اسم لما يكره من كل شيء، ولهذا سمّى الله تعالى الكلام المكروه أذًى في قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: الآية ١٨٦]، وقال فيما يسأمه الإنسان من مكروه المطر أذًى في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ فاجتنبوهن **(أي فاجتنبوا مجامعتهن)**. وقيل: إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض، واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء، فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين. **(ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الإزار، ومحمد)** رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج. وقالت عائشة رضي الله عنها: **(يجتنب شعار الدم)** وله ما سوى ذلك.

(﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾) مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ **(بالتشديد كوفي غير حفض أي يغتسلن وأصله يتطهرن)** فأدغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما. **(غيرهم «يطهرن»)** أي ينقطع دمهن، **(والقراءتان كآيتين)** فعملنا بهما

مَّطَرٍ﴾ [النساء: الآية ١٠٢]. **قوله: (أي فاجتنبوا مجامعتهن)** إشارة إلى أن المحيض الثاني اسم لمكان ظهور الحيض، وهو الفرج. **قوله: (ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله: يجتنب ما اشتمل عليه الإزار)**، أي من تحت سرتها إلى تحت ركبتها، ومناقبهما رضي الله تعالى عنهما قد تقدّم. **قوله: (محمّد)** رحمه الله هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما. مات بالرّيّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. **قوله: (يجتنب شعار الدَّم)** الشعار العلامة، فيحتمل أن يُراد به نفس الفرج على الكناية، والخرقة التي هي الكرسفة، فإن كلّاً منهما علم للدم، ويحتمل أن يُراد به الثوب الذي هو الإزار، فيكون الأثر حجّة لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، فإنّ أبا حنيفة وأبا يوسف رضي الله تعالى عنهما يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الإزار إلحاقًا لما تحت الإزار بالفرج؛ لأن الدّم قد يصل إلى ذلك. **قوله: (﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾)**... الخ. وفي الزاهدي: (أنّ الله تعالى جمع هٰهنا) بين الأمر والنهي تأكيدًا وتحذيرًا بخلاف باقي الأحكام حيث اكتفى فيه بأحدهما. **قوله: (بالتشديد)** أي بفتح الطاء والهاء مشدّدتين مضارع تطهر اغتسل. **(كوفي غير حفص)** أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف، **(أي يغتسلن وأصله يتطهرن)** كقراءة أُبيّ وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (غيرهم يطهرن)** بسكون الطاء وضمّ الهاء مخفّفة. **قوله: (والقراءتان كآيتين)** تتعارضان ظاهرًا، وحكم التعارض وقت جهل التاريخ التوفيق أوّلًا ثم الترجيح ثم التساقط، وهٰهنا قد أمكن التوفيق بينهما فعملنا بهما وحملنا قراءة التشديد على ما إذا انقطع الدم لأقلّ من عشرة أيام، وقراءة التخفيف على ما

وقلنا له أن يقربها (**في أكثر الحيض**) بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملًا بقراءة

إذا انقطع لعشرة أيّام تامّة، فقلنا له أن يقربها فيما إذا انقطع الدم لعشرة، وإن لم تغتسل لأنه أكثر مدة الحيض، وفي أقلّ منها لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة قائمًا مقام الغسل ليتأكّد الانقطاع، هذا هو تقرير التوفيق. فالآية دالَّة على حُرْمة القربان مطلقًا، ويلزم من قراءة التشديد أن الحيض ـ أي انقطاعه ـ مُوجب الغسل، ولهذا قال صاحب الهداية في باب الغسل: أن مُوجبه انقطاع الحيض؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتشديد، فقيّد هٰهنا بقوله تعالى بالتشديد، وأورد هذه الآية في باب الحيض دليلًا على حرمة الوطء في الحيض من غير قوله تعالى بالتشديد، ولا يرد على التقرير المذكور الكتابية، فإنها يحل وطئها بلا غسل، وإن انقطعت لأقلّ من عشرة؛ لأن الطهارة الكاملة ليست مطلوبة فيها، فيكفي مجرّد انقطاع الدَّم، ولا يرد أيضًا أن ثبوت حلّ الوطء في العشرة لما كان يحصل بانقطاع الدم ينبغي أن لا يجوز فيما زاد على العشرة إلّا بانقطاع الدم، والحال أنه خلافه؛ لأن كلامنا فيما هو دم الحيض والزائد على العشرة استحاضة، عُرِف ذلك بالخبر، فلا يشترط انقطاع الدم. لكن يرد عليه أنّ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ يدلّ على عدم جواز قراءة التخفيف؛ لأن هذا القول بالتشديد بالاتّفاق، فدلّ على أن الأوّل أيضًا بالتشديد والتشفّي عنه صعب. وما أجابه بعض المفسّرين من أن الأمر بالإتيان في هذه الحالة للاستحباب، فيكون استحباب الوطء معلّقًا بالاغتسال، ويكون الوطء غير مستحبّ قبل الاغتسال، وإن انقطعت لعشرة ضعيف؛ إذ الظاهر أن الأمر بعد الحظر للإباحة، والجمهور على أن كل أمر للوجوب، فيمكن أن يكون للإباحة، ويقال: بأن التعليق على الشرط لا يوجب نفيه عند عدمه، ويمكن أن يكون للوجوب ويصرف ذلك الوجوب إلى قيده بعده، وهو قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، يعني إتيانكم النساء واجب من مكان أمركم الله به وهو القُبُل الذي هو موضع الحرث فيُحرم ضدّه، ولكن قد علّق ذلك بالشروط وهو الغسل، والتعليق بالشرط لا يوجب العدم عند عدمه، وكل ذلك لا يخلو عن تكلّف وتعسّف، والظاهر ما ذكره البيضاوي من أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ تدلّ التزامًا على جواز تأخر الإتيان عن الغسل، وإليه مال صاحب الكشاف والمدارك، وهو مذهب الشافعي رحمه الله. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (**في أكثر الحيض**) وهو

التخفيف، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل **(أو يمضي عليها وقت الصلاة)** عملًا بقراءة التشديد، والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذٍ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف، وعند الشافعي ﷺ لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ فجامعوهن فجمع بينهما ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من **(المأتي)** الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من ارتكاب ما نهوا عنه أو العوادين إلى الله تعالى وإن زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء أو المتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع في الحيض أو من الفواحش. كان اليهود يقولون **(إذا أتى الرجل أهله باركة)** أتى الولد **(أحول)**

عند الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه عشرة أيام بلياليها. **قوله: (أو يمضي عليها وقت الصلاة)** بأنْ صارت دَيْنًا في ذمّتها، وهو إنما يتحقّق بخروج الوقت. **قوله: (المأتي)** ـ بالفتح ـ محل الإتيان.

قوله: (إذا أتى الرجل أهله باركة)، أي في قُبُلها من جانب دبرها.

قوله: (أحول) في حيط المحيط: يُطلق الحَوَل على انقسام البصر لاعتراض خطّ في إنسان العين فيرى صاحبها الشيء ضعف ما هو في الحقيقة، كما يرى الناظر في المرآة المكسورة، وعليه قول الشاعر:

وأحولٍ يُبْصر الاثنين أربعةً والواحد اثنين مما بُورِك البصرُ

وقال الآخر:

وأحـولٍ ذي حَـرَكَـة يـمـلأ بـيـتـي بَـرَكـة

وهو يكون خلقة فلا يشعر صاحبه به من نفسه، فيظنّ أن المنظور كما يراه في الحقيقة، كما حُكِي عن صبيّ أحول من العرب كان يَسمع أنه أحول، ولكن لا يعرف كيفية الحَوَل، وبينما كان في ليلةٍ مقمرة بين جماعة جرى ذكر الأحول أنه يرى الواحد اثنين، وكان ينظر إلى القمر فيراه قمرين، ويظنّ أنه كذلك في الحقيقة، فقال: لا أصدّق لأنكم تقولون أني أحول، ولو كان الأحول كذلك لكنت أرى القمرين أربعة. اهـ.

فنـزل:

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ **(مواضع حرثكم)** وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيهًا لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات، **(ووقع قوله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ بيانًا وتوضيحًا لقوله: ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾)**. أي إن

قوله: (مواضع حرثكم) قدّر المضاف ليصح الحمل والإخبار؛ لأنه لولا التقدير للزم الإخبار عن الجثة بالمصدر. قال الجوهري: الحرث الزّرع، والحرّاث الزرّاع. وقال الراغب: الفَرْق بين الحرث والزَّرع أنّ الحرث إلقاء البذر وتهيئة الأرض مراعاته وإنباته، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤﴾ [الواقعة: الآيتان ٦٣، ٦٤]، فأثبت لهم الحرث ونفى عنهم الزّرع. **قوله: (ووقع قوله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ بيانًا وتوضيحًا لقوله: ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾)**... الخ. وفي الزاهدي: إنهم يقولون: هي العزل عن النساء، ويقولون: هو الموؤودة الصغرى، فسُئِل النبيّ ﷺ عن ذلك، فقال: «**كذب اليهود، إنّ الله تعالى قال: ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾**، يعني إن شئتم فاعتزلوا وإن شئتم فلا تقربوا»، وهكذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهذا إذا كانت أمَة مملوكة. وأمّا إذا كانت أمَة غير مملوكة، فالإذن للعزل إلى المولى عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وإنْ كانت حرّة، فالإذن بالعزل إليها. وقال أهل الأُصول: إنّ كلمة أنّى في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ مشكلة داخلة في إشكالها، لأنها تجيء تارة بمعنى من أين؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ [آل عِمران: الآية ٣٧]، وتارة بمعنى كيف كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ [آل عِمران: الآية ٤٠]؛ فاشتبه في هذه الآية بأنها بأي معنى هي؟ فقالت الروافض: معاذَ الله منهم، أنها بمعنى مِنْ[1] أين شئتم قبلة أو

---

(١) يمكن أن يكون بمعنى: من أين، ولكن لا يدلّ على تعميم المحال، إنما يدلّ عليه لو قيل: في أين، وأمّا إذا قيل: من أين، فيكون المعنى: فأتوا القبل البتّة، ولكن من أين شئتم، أي جانب القبل، أو الدبر، ويكون ردًّا على اليهود في اعتقادهم الأحولية، تأمّل وأنصف. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

المأتي الذي أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيهًا على أن المطلوب الأصلي في الإتيان هو طلب النسل لإقضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتي الذي نيط به هذا المطلوب ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم

دبرة، ونحن نقول: إنها بمعنى كيف، أي كيف شئتم قائمًا أو قاعدًا أو مضطجعًا بعد أن يكون المأتيّ واحدًا؛ وذلك لأن الله تعالى سماهنّ حرثًا وشبّههنّ بالمحارث تشبيهًا لما يُلقى في أرحامهنّ من النّطف التي منها النسل بالبذر والولد بالنبّات، وذلك لا يتصوّر إلّا بعد أن يكون المأتيّ قبلًا لا دبرًا؛ لأنه موضع الفرث. وأيضًا يدلّ على ما ذكرنا من شأن نزوله آنفًا، فعندنا الإتيان في دبر امرأته حرام، ويسمّى هذه لواطة أيضًا، ولهذا قال الفقهاء: إنْ أراد الرجل اللّواطة من امرأته أو وطئها في حالة الحيض فتقتله لا يجب عليها شيء، ولهذا كان الواطىء في هذه الحالة آثمًا لا يرتفع إثمه إلّا بعد التصدّق بدينار، وقد ذكر أهل الأصول في بحث النهي أن الوطء في حالة الحيض حرام لغيره، أي قبيح لمعنى مجاور به وهو الأذى، ولهذا كان مشروعًا بعد النهي حتى أنه لو وطئها في حالة الحيض يكون حلالة للزوج الأول بعد الطلقات الثلاث، لوجود الوطء المحلّل، ويكون الواطىء محصنًا حيث يكون قابلًا للرجم لوجود الوطء منه بنكاح صحيح ويُحدّ قاذفه؛ لأن قذف المحصن وهو سبب للحدّ، وقد شاع في حواشي الأُصول حتى قال في التوضيح في أوّل الكتاب: إن نظير القياس المستنبط من الكتاب حُرْمة اللّواطة للمقيسة على حرمة الوطء في حالة الحيض، لعلّة الأذى المذكورة في النصّ. واعترض عليه بعض المفسّرين بأنّ القياس إنما يجري إذا لم يكن النصّ موجودًا، وهٰهنا النصّ موجود، وهو قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأعراف: الآية ٨١]، ثم أجاب عنه بأنّ عدم جريان القياس فيما توافق الكتاب مرجوح قول البعض فلا يعتبر، وإنما يجري بالإجماع فيما يخالفه، وهٰهنا ليس كذلك. أقول: يمكن أن يكون مراد أهل الأُصول من استنباط هذا القياس إثبات حرمة اللّواطة من نسائه التي اختلف فيها الروافض خاصة، بل هو الصواب بقرينة المناسبة بين المقيس والمقيس عليه في كون كلّ منهما من واقعات النساء لا اللّواطة التي هي من الرجال المتّفق على حرمتها، بل حاشَ لله أنهم براء من هذا المقصود؛ إذ لا احتياج في إثباتهما، سيّما إذا كانت ثابتة بالكتاب والسنّة، لأنها تصرّف في غير ملكه كالزّنا،

(باركة أو مستلقية أو مضطجعة) بعد أن يكون المأتي واحدًا وهو موضع الحرث (وهو تمثيل، أي فاتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة).

فيُحرم بلا شبهة، ويجب التعزير عليه عند أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، وحدّ الزنا عندهما وعند الشافعي ويكفّر مستحلّها، وفي حكمها اللواطة من الأجنبية بخلاف الأولى، فإنها كالوطء في حالة الحيض لا يجب التعزير عليه، لكن يكفر مستحلّ الوطء في حالة الحيض لأنها قطعيّة، ولا يكفر مستحلّ هذه اللواطة في رواية لأنها ظنّيّة، وفي حكمها اللواطة من أمَته المملوكة، وهذا مما نسجه عنكبوت خاطري. ولقد كنت أظنّ أني متفرّد به، فإذا أني اطّلعت على حواشي الأعظم الثاني للحسامي ذكر فيها هذا الجواب بعينه، ثم اعترض عليه بأنّ حرمة هذه اللواطة أيضًا ثابتة بالكتاب، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٩] بأنّ إتيان البيوت من ظهورها كناية عن إتيان المرأة في دبرها في تأويل على ما مرّ، وأجاب عنه بأنّه محمول على ظاهره في الأصح، كما ذكرنا، هذا حاصل كلامه. لكن بقي الإشكال في هذا المقام بوجهين، وهو أنّ الأذى لمّا كان علّة للحرمة ينبغي أن يُحرم الوطء في حالة الاستحاضة، وأن شرط القياس أنْ يتعدّى حكم الأصل إلى الفرع بعينه، وهٰهنا قد تغيّر؛ لأن حكم الأصل الحرمة المؤقتة بالغسل وانقطاع الدَّم، وحكم الفرع الحرمة المؤبّدة، ويمكن أن يجاب عن الأوّل بأن الاستحاضة قد تكون دائمًا، فلو اعتاد حرمتها لزم الحرج، وأنه متروك بالنصّ. وعن الثانيْ بأنّ حكم الأصل قد بقي بعينه في الفرع مع شيء زائد عليه، فثبتت الحرمة بالطريق الأولى، والأَوْلى أن يسمّى مثل هذا دلالة النصّ. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**باركة أو مستلقية أو مضطجعة**) أو قائمة أو قاعدة. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (**وهو تمثيل، أي فأتوهنّ كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أيّ جهة شئتم، لا يُحظر عليكم جهة دون جهة**)، والمعنى: جامعوهنّ من أيّ شقّ أردتم بعد أن يكون المأتيّ واحد وهو موضع الحرث، وقوله: تمثيل، أي شبّه حال إتيانهم النساء من المأتي بحال إتيانهم المحارث في عدم الاختصاص بجهة دون جهة، ثم أطلق عليه لفظ المشبّه به.

(وقوله: ﴿هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ من الكنايات اللطيفة) والتعريضات المستحسنة، فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (ما يجب تقديمه) من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه، أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تجترئوا على المناهي ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ صائرون إليه فاستعدوا للقائه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثواب يا محمد. وإنما جاء «يسألونك» (ثلاث مرات بلا واو) ثم مع الواو ثلاثًا لأن سؤالهم عن تلك الحوادث الأول كأنه وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ، وسألوا عن الحوادث الأُخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع. لذلك.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾

(﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾) العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة.

قوله: (وقوله: ﴿هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾، ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ **من الكنايات اللطيفة**)... الخ. فإنّ الأذى كناية عن الشيء المُستقذر قصدًا إلى التنفير، والاعتزال كناية عن ترك المجامعة قصدًا إلى التبعيد عنها، ﴿حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ كناية عن القُبل قصدًا إلى كونه على وقف المأمور به وترغيبًا فيه عن الدُّبر، وإتيان الحرث كناية عن مجامعتهنّ بحيث يحصل الولد قصدًا إلى هذا ينبغي أن يكون الغرض الأصليّ لا قضاء الشهوة، ثم في هذه تعريضات باليهود والنصارى والراغبين في إتيان غير القُبل ومَنْ يجري مجراهم. **قوله:** (ما يجب تقديمه)... الخ. إشارة إلى أن مفعول قدموا محذوف. **قوله:** (ثلاث مرات بلا واو) ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٥]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: الآية ٢١٧]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]، ثمّ مع الواو ثلاثًا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: الآية ٢٢٠]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٢].

قوله: (﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾)... الخ. هاتان آيتان. أمّا الآية الأولى، ففي عدم الحلف على المعصية على وجهٍ واحد، وعدم تكثير الحلف على

....

وجهٍ آخر، ويناسب الأوّل ما نُقِل في نزولها أن عبد الله بن رواحة قد حدثت العداوة بين أخته وبين زوج أخته بشر بن النّعمان، فقسم بالله الأعظم أنْ لا يتكلّم معه ولا يحسن في حقّه ولا يُصلح بينه وبين خُصَمائه؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾، هذا في أكثر التفاسير. وزاد القاضي: إنها قيل: نزلت في الصدّيق الأكبر لمّا حلف أنْ لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضي الله تعالى عنها، وتحرير الآية أنّ لفظ الله محذوف المضاف، أي لا تجعلوا اسم الله، وحينئذ يمكن أن يُثبت منه عدم تغايُر الاسم مع المسمّى، كما هو مذهب أهل السنّة، وقد عُرِف في موضعه. والعرضة ـ بالضم ـ فُعلة بمعنى المفعول، اسم لما يعرض دون الشيء، و﴿أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟﴾ عطف بيان لأيمانكم، والأيمان حينئذ بمعنى المحلوف عليها، وكلمة لا حينئذ مقدّرة، أي لا تبروا الآية على ما نصّ به في الزاهدي؛ فمعنى الآية: لا تجعلوا اسم الله عرضة لأيمانكم التي هي البرّ والتقوى والإصلاح بين الناس، أي لا تجعلوه حاجزًا لما حلفتم عليه من عدم البرّ وعدم الإحسان. وحاصل المعنى حينئذ أنه إذا حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فعليه أن يحنث وليأتِ بالذي هو خير، ولذلك قال رسول الله ﷺ بعد نزول الآية: «**اردُدْ أُختك على ختنك**» ثلاثًا، وقال في الثالثة: «**إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر**» على ما هو أيضًا في الزاهدي. ويجوز أن يكون العرضة اسمًا للمعرض والأيمان حينئذ على معناه، ولا تقدير في الآية، وأن تبرّوا علّة للنهي، أي لا تجعلوا اسم الله معرضًا لأيمانكم بكثرة القسم إرادة أن تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا بترك الحلف والجرأة على الله، كذا في الكشاف والبيضاوي. وحاصل المعنى حينئذ: أنْ لا تُكثروا القسم باسم الله على كل شيء في كل حين، كما يكثر القصاب استعمال العرضة على كل لحم في كل لمحة، لا صدقًا ولا كذبًا؛ لأنكم إن قسمتم كاذبًا عُوقبتم في الآخرة، وإن قسمتم صادقًا يغلب عليكم الفقر، هكذا جاء في الأثر الصحيح، هذا تحرير الآية على ما فهمته من كلام المفسّرين، وإن لم ينصّوا بهذا النمط عليكم.

وأمّا الآية الثانية، ففي تقاسيم الأيمان ووجوب الكفّارة فيها أوّلًا، وتحريرها أن اليمين على ثلاث أنواع: لغو، وغموس، ومنعقدة.

....

فاللغو: هو أن يحلف على فعلٍ ماضٍ ظانًّا أنه حقّ، وهو في الواقع خلافه، هذا عندنا. وأمّا عند الشافعي: هو ما لا عقد معه بأن سبق من اللّسان، أو يتكلّم به جاهلًا بمعناه؛ كقول العرب: لا والله، وبلى والله؛ لمجرد التأكيد لقوله.

والغموس: أن يحلف على فعلٍ ماضٍ كاذبًا، أي حال كونه عالمًا أنه خلافه.

والمنعقدة: أن يحلف على فعل آتٍ قاصدًا لذلك القول، فعندنا إن حنث في المنعقدة يجب عليه الكفّارة ويأثم، وإلّا فلا، وليس في اللّغو والغموس شيء يجب عليه، ولكن يأثم في الغمس ويُرجى العفو في اللّغو. وعند الشافعي: كما يجب الكفارة في المنعقدة يجب في الغموس.

وبيانه أنّ الله تعالى ذكر بيان اليمين في القرآن في آيتين: هذه التي في البقرة، والتي في المائدة، وقال في كِلَا الموضعين: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، ولكن قال هٰهنا في مقابلة اللغو: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، ولم يبيّن بعده شيئً سوى المغفرة، وقال في سورة المائدة عوضه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [الآية ٨٩]، ثم بيّن بعده الكفارة في قوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [الآية ٨٩] الآية؛ فالشافعي رحمه الله يقول: إنّ قوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [الآية ٨٩] في المائدة معناه: بما قصدت به قلوبكم وكسبته، وهو عامّ للغموس والمنعقدة؛ إذ كلٌ منهما يكون عن عمد وقصد، فكان معناه ومعنى قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ في هذه الآية واحدًا، فيكون فيهما مؤاخذة، والمؤاخذة المذكورة في آية المائدة مقيّدة بالكفّارة، ونصّ البقرة وإنْ كانت مُطلقة عنه إلّا أنه يحمل المطلق على المقيّد، فأوجب الكفّارة في كلّ واحدٍ منهما تطبيقًا للآيتين بهذا المضمون.

ونحن نقول: إنّ المراد من قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ اليمين التي يقع عليها كسب القلوب، وهي المنعقدة والغموس جميعًا، فيكون في كلّ منهما مؤاخذة؛ إذ كلاهما مقابلٌ للغو، والمؤاخذة هٰهنا مطلق، فينصرف إلى الفرد الكامل وهو المؤاخذة الأُخرويّة، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٨]؛ إذ المغفرة إنما تكون في الآخرة، فالغموس هٰهنا مندرج تحت

(وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيتعرض دونه) ويصير حاجزًا ومانعًا منه. تقول فلان عرضة دون الخير، وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم **(أو إصلاح ذات بين)** أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول: **(أخاف الله أن أحنث)** في يميني **(فيترك البرّ إرادة البر)** في يمينه فقيل لهم: «ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم» أي حاجزًا لما حلفتم عليه، وسمي المحلوف عليه يمينًا بتلبسه باليمين كقوله ﷺ: «مَن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليكفر عن يمينه». وقوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البرّ والتقوى والإصلاح بين الناس. واللام تتعلق بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم (﴿بَرۡزَخٞ﴾)، ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق «أن تبرّوا» بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبرّوا «والله سَمِيعٌ» لأيمانكم «عَلِيمٌ» بنياتكم.

كسب القلب، بخلاف آية المائدة، فإنّ المذكور ثمة عقدتم الأيمان وهو الذي قصد به الحالف البرّ، وذا لا يتصوّر إلّا في المنعقدة، ولهذا سُمّي بها، ومعنى القصد والعزم مجاز في لفظ المنعقدة، ومتى أمكن العمل بالحقيقة سقط المجاز، فيكون الغموس ثمة داخلًا في اللّغو والمؤاخذة فيه مقيّدة بالكفّارة، فيكون المعنى أن في المنعقدة كفارة لا في اللّغو والغموس، وأن في غير اللغو إثمًا في الآخرة عملًا بالآيتين جميعًا بقدر الوسع والإمكان، هذا هو خلاصة ما ذكره الفقهاء وأهل الأصول والمفسّرون. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (وهي اسم ما تعرضه دون الشيء)، أي تجعله قدّامه بحيث يصير حاجزًا مانعًا **(من عرض العود على الإناء)** يعرض ـ بالضم والكسر ـ **(فيتعرض دونه)** عطف على تعرّضه، وضمير دونه ومنه للشيء. **قوله: (أو إصلاح ذات بين)** في المصباح: البَيْن ـ بالفتح ـ من الأضداد، ويُطلق على الوصل وعلى الفرقة. ومنه ذات البَيْن للعداوة والبغضاء. وقوله: لإصلاح ذات البين أي لإصلاح الفساد بين القوم. اهـ. **قوله: (أخاف الله أن أحنث)** في المصباح: حنث في يمينه يحنث حنثًا إذا لم يَفِ بموجبها، فهو حانث. اهـ. **قوله: (فيترك البر)** المراد بالبرّ هنا الأمر المُستحسن شرعًا. **قوله: (إرادة البر)**، المراد بالبرّ ضدّ الحنث. **قوله:** (﴿بَرۡزَخٞ﴾) البرزخ: الحاجز بين الشيئين.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره، ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والأمر بخلافه، والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم، وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو «لا والله» و«بلى والله». ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ ولكن يعاقبكم ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ بما اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس، وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لأن كسب القلب العزم والقصد، والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بيانًا هنا، وقلنا: المؤاخذة هنا مطلقة. وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيّدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يؤاخذكم باللغو في «أيمانكم».

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾

(﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾) يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما و«من» في ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾)... الخ. اعلم أنّ الله تعالى لم يذكر في كتابه مسألة مشروحة مثل ما ذكر مسألة الطلاق والعدّة، فإنه ذكر الطلاق بأحكامه وأقسامه رجعية وبائنة وغليظة وإيلاءً وخلعًا وأمثاله، وذكر العدّة أيضًا بأحكامها وأقسامها مثل عدّة الحائضة والآيسة والصغيرة والحاملة والمطلّقة والمتوفّى عنها زوجها وغير ذلك في سورتين، أي سورة البقرة هذه وسورة الطلاق في آخر القرآن. ومن هٰهنا ابتداء ما في سورة البقرة، ففي مسألة الإيلاء قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ الآية، ونقل في نُزوله أنه لمّا كان في الجاهلية مَنْ لا يميل إلى زوجته ولم يبق له شوق إليها، وكان غيورًا بأنه لو طلّقها لعلّه يخطبها رجلٌ آخر فيذرها معلّقة إلى مدة لا يتناهى لا يطلبها بنفسه ولا يتركها إلى زوج آخر، فأعرض الله تعالى عن ذلك الحكم، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ﴾. يعني أن مَنْ أراد أن يؤلوا من نسائهم أي يقسموا بتركهنّ ويكفّوا عنهنّ فلهم

معونة أي للمؤلين من نسائهم ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ أي استقرّ للمؤلين ترقب أربعة أشهر لا بـ «يؤلون» لأن آلى يُعدَّى بـ«على» يقال آلى فلان على امرأته،

تربّص أربعة أشهر لا غير، هكذا في الحسيني والزاهدي، ويُعلم من الهداية خلافه، وهو أن الإيلاء كان طلاقًا معجّلًا في الجاهلية، فحَكَم الشرع بتأجيله إلى انقضاء المدّة، ثم الإيلاء هو الحلف وتعديته إنما يكون بعلى، وإنما عدّى هٰهنا بمن لتضمّنه معنى البعد، أي يبعدون من نسائهم مؤلين، والتربّص الانتظار والإضافة إلى الظرف على الاتّساع، أي الانتظار في أربعة أشهر على ما في البيضاوي، فألفاظ الإيلاء هو أن يقول: والله لا أقربك، أو لا أقربك أربعة أشهر، وإن أقربك فعليّ حجّ أو صدقة أو صوم، أو فأنت طالق، أو عبده حرًا، أو والله لا أقربك شهرين وشهرين بعد هذين الشهرين، وشرط فيه لفظ صريح بمعنى القربان، فلا يكون قوله: والله لا أدخل الكوفة حال كون امرأته بها إيلاء، بل إن كان خالي الذّهن يكون لغوًا، وإن كان المراد وهو الدخول يقع عليه، وإن كان المراد هو القربان ويظهره عن باله يجب عليه الكفارة حين المباشرة، كذا قوله: أنت حرام إن نوى به الطلاق فبائنة، وإن نوى به الظهار أو الثلاث أو الكذب فما نوى، وإن نوى به التحريم أو لم ينوِ شيئًا فإيلاء، ولا يكون الإيلاء أقلّ من أربعة أشهر، ويشترط تلفّظها في مجلسٍ واحد، فلا يكون قوله: والله لا أقربك السنة إلّا يومًا وأشباه ذلك ممّا هو أقلّ منه إيلاء، بل تحريمًا للحلال، وكذا قوله بعد يوم فاصل: والله لا أقربك شهرين بعد الشهرين الأوّلين لا يكون إيلاءً، بل تحريمًا للحلال، وهذا للحرائر.

وأمّا للإماء، فإيلاءها شهران؛ لأن حقّ الأمَة نصف حقّ الحرّة، هكذا قال الفقهاء، ولعلّه لا إيلاء من الأمَة المملوكة؛ لأن المذكور في الآية لفظ النساء وهو يتناول المنكوحات دون المملوكات، وقد تمسّك صاحب الهداية بالآية على أن مدّة الإيلاء أربعة أشهر، وصرّح بأن قوله تعالى: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يفيد الاحتراز عمّا إذا آلى من المطلّقة البائنة، فإنه لا يجوز لأنها لا تكون من نسائنا بخلاف المطلّقة الرجعية، فإنه يجوز الإيلاء منها؛ إذ الزوجية قائمة حينئذ، فيوجد من نسائنا، وهكذا في الظهار، ولهذا لو قال لأجنبية: والله لا أقربك، أو أنت عليّ كظهر أُمّي ثم تزوّجها لم يكن مُوليًا ولا مظاهرًا؛ لأن الكلام وقع باطلًا لعدم

وقول القائل «آلى فلان من امرأته» وهم توهمه من هذه الآية. ولك أن تقول عُدِّي بـ«من» لما في هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل: يبعدون من نسائهم

المحلية فلا يعود صحيحًا، وإن قربها كفر لتحقّق الحنث؛ إذ اليمين منعقدة في حقّه.

وإذا عرفت تفسير الإيلاء، فاعلم الآن حكمه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾، وما أعجب دأب هذه العبارة في بيان هذه المسألة إذ علّق المغفرة والرحمة على الفَيْء والرجوع عن الإيلاء، وعلّق السماع والعلم على عزم الطلاق ابتلاء لأرباب العقول بأنهم كيف فهموا، وامتحانًا للفحول بأنهم كيف علموا، ولله درّ المفسّرين ـ سيّما الحنفية ـ حيث قالوا: إنّ حاصله ﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي إن رجعوا عن الإيلاء في حاق مدّته ولم يفعلوا على حسب ما أقسموا، بل حنثوا فيه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذا كفّروا عنه، أي يكون الحالّ عائدًا إليه بسبب الكفارة، وإنما تجب الكفارة عليه إذا حلف باسم الله تعالى، وإنْ حلف بغير الله ـ أي بالطلاق والعتاق ـ يجب عليه مضمون الجزاء بسبب الإقدام على الشرط دون الكفّارة، يعني إذا حلف: والله لا أقرب امرأتي إلى أربعة أشهر فعليّ حجّ، ثم قرّب في المدة يجب عليه الحجّ. ثم إن كان قادرًا على الوطء فرجوعه هو الوطء، وإن لم يقدر على الوطء بصغر أحدهما أو مرض أو كونها رتقاء أو كونه عنّينًا، فرجوعه هو الوعد على الوطء بعد القدرة بقوله: فئْت إليها، فإن قدر في ذلك المدّة ففيْئه بوطئها، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ إن برّوا على حسب ما أقسموا ثم يحنثوا حتى مضت المدّة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بإيلائهم وطلاقهم عليهم بنيّتهم وقصدهم، أي يقع الطلاق بمجرّد مضيّ المدّة طلاقًا بائنًا، ووصف عزم الطلاق بالعلم ظاهر. وأما وصفه بالسماع، فلأن العازم للطلاق لا يخلو من مقاومة ودمدمة ولا بدّ من أن يحدث نفسه بذلك، وهو حديث لا يعلمه إلّا الله، فيوصف بالسَّمع، نصّ به في الكشاف، وهذا كلّه عندنا. وأمّا عند الشافعي فقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾، و﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟﴾ كلاهما يتعلقان ببعد مضيّ المدة؛ لأن الفاء للتعقيب، وأيضًا الفَيْء عنده لا يكون إلّا بالوطء، يعني بعد مضيّ مدّة أربعة

﴿فَإِن فَآءُو﴾ **(في الأشهر، لقراءة عبد الله)** «فإن فاؤوا فيهن» أي رجعوا إلى الوطء عن الإصرار بتركه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث شرع الكفارة.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ بترك الفيء فتربصوا إلى مضي المدة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لإيلائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته وهو وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة، وعند الشافعي رحمه الله معناه فإن فاؤوا وإن عزموا بعد مضي المدة لأن الفاء للتعقيب. وقلنا قوله: «فإن فاؤوا». «وإن عزموا» تفصيل لقوله: «للذين يؤلون من نسائهم» والتفصيل يعقب المفصل كما تقول: أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا **(ريثما)** أتحول.

أشهر يجب على المرأة أن تطالبه بالوطء أو بالطلاق. فإن رجعوا إلى الوطء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم إن كفّروا، يعني تجب الكفارة عليه، وإن لم يراجعوا، بل يعزموا على الطلاق، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بطلاقهم، يعني يقع الطلاق. وإن امتنعوا عن كلٍّ منهما يجب على الحكّام أن يفرّقوا بينهما، فبانت عنده بتفريق القاضي. وهذا التوجيه وإنْ كان حسنًا بديعًا بحسب ظاهر العبارة، لكنّا نقول: يؤيّدنا قراءة عبد الله: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ فيهنّ، أي في أربعة أشهر، فحينئذ كان معنى المقابل له، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ وإن لم يراجعوا فيهنّ، بل توقّفوا إلى مضيّ المدة، فحينئذ يقع الطلاق بمجرّد مضيّ المدّة، وهما تفصيلان؛ لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾، والتفصيل يعقب المفصل. فيستقيم الفاء أيضًا. هذا تقرير ما أفاده المفسّرون. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (في الأشهَر، لقراءة عبد الله) بن مسعود رضي الله تعالى عنه... الخ. كون الفَيْء في الأشهر هو مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، ووجه دلالة قراءة عبد الله عليه هو أن الأصل توافق القراءتين، وإن كانت إحداهما أو كلتاهما من الشواذ، وليس المراد التمسّك بقراءته أو تقييد المشهورة بها، ليردّ بأنها شاذّة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (ريثما) الرَّيْث المقدار. اهـ قاموس. أي قدر ما. اهـ المصباح.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

(﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ **أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء**).

قوله: (﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾)... الخ. هذه الآية في بيان العدّة والرجعة. أمّا بيان العدّة، ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ[(١)]﴾، أي المطلّقات الحرائر الحائضات إذا كنّ مدخولًا بهن انتظرن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يعجّلن بالنكاح الثاني، وإنّما قيّدنا بهذه القيود لأنّ الأمَة عدّتها قرءان لا ثلاثة قروء كاملة، وغير الحائض من الآيسة والصغيرة عدّتها ثلاثة أشهر، وغير المدخول بها لا عدّة لها أصلًا، وهو خبر في معنى الأمر جيء به للمبالغة في الائتمار على ما عُرف في علم المعاني. وإنّما زاد قوله تعالى: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ تهييجًا لهنّ على التربّص؛ لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال، فأُمِرْن أن يقمعن أنفسهن ويُجْبِرْنها على التربّص، كذا في الكشاف وغيره. ولعلّه أورد لهذا السرّ أنفسهنّ بجمع القلّة مع كثرة المطلّقات، وقروء بجمع الكثرة مع كونه بمنزلة الثلاثة؛ لأن النساء يعدن أنفسهنّ قليلة في حقّ التربّص غير مطيقة له، ويعِدن الأقراء القليلة كثيرة لغلبة أشواقهنّ إلى الأزواج، وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أو على الظرف ثم النصّ، وإنْ كان في حقّ المطلقات فقط، لكن صاحب الهداية أورده دليلًا في الطلاق والفرقة بغير طلاق جميعًا، وقال: والفرقة إذا كانت بغير طلاق، فهي في معنى الطلاق؛ لأن العدَّة وجبت للتعرّف عن براءة الرَّحم في الفرقة الطارئة على النكاح، وهذا يتحقّق فيها. ثم إن لفظ القُرْء وإنْ كان مشتركًا بين الطُّهر والحيض، لكنه صار مؤوّلًا بأحد معنَيَيْه، فعندنا المراد به الحيض؛ لقوله عليه السلام: «**طلاق الأمَة تطليقتان، وعدّتها حيضتان**»؛ وذلك لأن حقّ الأمَة نصف حقّ الحرّة في كل شيء، وهٰهنا لمّا لم يكن التجزيء اعتبر التطليقتان والحيضتان، فعُلِم أنّ عدَّة الحرة ثلاثة حيض،

---

(١) القرء فيه لغتان: الفتح، وجمعه قروء وأقرؤ مثل فلس وفلوس وأفلس، ويُجمع على أقر، أو مثل قفل وأقفال. قال أئمّة اللغة: ويُطلق على الطهر والحيض. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ [الطّلاق: الآية ٤]، فمن كانت ذوات حيض فعدتها الحيض، ولأن العدّة إنما شرّعت لأجل تعرّف براءة الرَّحم يدلّ عليه قوله تعالى فيما بعد: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾، وذلك إنّما يحصل بالحيض، فيكون عدّتها ثلاثة حيض، والبحث بأن البراءة يحصل بالواحدة فلا حاجة إلى الثلاثة على ما قيل لا يضرّ بكون المراد الحيض كما لا يخفى، ولأن لفظة ثلاث خاص وضع لمعنى معلوم لا يحتمل الزيادة والنقصان، والطلاق إنما شرّع في الطهر لا في الحيض، فلو طلّقها في الطهر واحتسب ذلك الطهر من العدّة ـ كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ـ يكون العدّة قرءين وبعض الثالث، ولو لم يحتسب منها يكون العدّة ثلاث قروء وبعض الرابع، وعلى كِلَا التقديرين يلزم ترك العمل بالخاصّ بخلاف ما إذا كان المراد به الحيض والطلاق في الطُّهر يكون العدة ثلاث حيض كاملة بلا زيادة أو نقصان، واكتفى الأكثرون بالشقّ الأوّل فقط؛ إذ لا قائل بالشقّ الأخير، بل هو مجرّد احتمال.

لا يقال: إنه يتوجّه السؤال المذكور عليكم بعينه فيما إذا طلّقها في الحَيْض؛ لأنّا نقول: إنّ الطلاق في الحَيْض بدعة، وكلامنا في السنّة.

وبالجملة، لو طلّقها في الحيض تعتبر الثلاث سوى تلك الحيض كاملة، والزيادة على الثلاث لزمت ضرورة، فلا يُعبأ به، وكذا لا يقال: إنه لا يلزم للشافعي رحمه الله ترك العمل بالخاص، بل يجوز عند إرادة الإطهار أن يكون قرئين وبعضًا من الثالث؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٧]، فإنه يراد بالأشهر شهران وعشرة أيام؛ لأنّا نقول: إنّ الجمع يجوز أن يُذكر ويُراد به البعض، بخلاف لفظ العدد، فإنه لا يجري فيه المجاز ولا يحتمل الزيادة والنقصان، فظهر أنه لا حجّة عليه باعتبار قوله تعالى: ﴿قُرُوٓءٖ﴾ من غير قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ﴾ كما زعمه بعض أصحابنا، ويُوهمه كلام الهداية هذا هو التمسّكات الصحيحة لأبي حنيفة رحمه الله. وأمّا ما تمسّك به البعض في هذا الباب من قوله عليه السلام: «**دعي الصلاة أيام أقرائك**»؛ لأن الصلاة لا يجوز تركها إلّا في أيام الحيض، فما هو فاسد لا يصلح دليلًا. على أن المراد هٰهنا أيضًا الحيض، كما لا يخفى.

....

وقال الشافعي رحمه الله: المراد به الأطهار، ومن أقوى شبهته في هذا المقام أوّلًا: أنّ الله تعالى جعل هذه المدّة للنساء إكراهًا وانتظارًا، كما يُفهم من إشارة قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، وذلك لا يحصل إلّا في الأطهار بخلاف الحيض، فإنّ النساء يكففن فيها بنفسها ويمنعن الرجال من وطئها. وجوابه أنّ هذا الانتظار إنما هو للتزوّج لا للوطء، والنساء لكثرة شهوتهنّ يطلبن التزوّج في حالة الحيض ليحصل مقصود الوطء في أوّل الطُّهر، وثانيًا: إن دخول التاء في الثلاثة تدلّ على الأطهار؛ لأنه مذكّر، والحيض مؤنّث، فلو كانت أراد به الحيض لقال: ثلاث بدون التاء للقاعدة المشهورة من عكس التأنيث. وجوابه: إن دخول التاء باعتبار لفظ القرء مذكّر، وإنْ كان المراد به الحيض، وقد جاز فيه الوجهان. وثالثًا: لقوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطّلاق: الآية ١]، لأن اللام بمعنى الوقت، أي طلّقوهنّ في وقت عدتهنّ، وهو الطُّهر. وجوابه: إن معناه فطلّقوهنّ لأجل إحصاء عدتهنّ، يعني بحيث يمكنهنّ إحصاء العدّة، وذلك إنما يكون إذا طلّقها في الطُّهر؛ لأنه حينئذ يمكنها إحصاء ثلاث حيض هي عدّتها، وإنْ طلّقها في الحيض لم يمكنها إحصاء ثلاث حيض، بل إمّا أن يكون زائدًا على الثلاث أو ناقصًا عنه؛ فعُلِم أنّ العدّة هي الحيض كما سنبيّنه من بعد إن شاء الله تعالى.

ورابعًا: أن القُرْء مشتقّ من القرء، بمعنى الاجتماع، وهو يناسب الطُّهر؛ لأن فيه اجتماع الدم دون الحيض. وجوابه أن لفظ القرء مشترك بين الجمع والانتقال، وكِلا المعنيين يناسب الحيض؛ لأن الجمع بمعنى المجهول يصف به الدّم، وإن لم يكن بمعنى المعروف؛ كذلك لأنه المجتمع في الحقيقة، وإنْ لم يكن جامعًا خلاف الطهر، فإنه ليس بجامع ولا مجتمع. غايته أنه محل الاجتماع بل الحقّ أنّ أيام الحيض هي محل الاجتماع والخروج، على ما قال البعض، وهكذا نقول في معنى الانتقال أن المنتقل هو الدّم، وأيضًا يكون بالدم لا بالطُّهر؛ لأن الطُّهر هو الأصل في بنات آدم، والانتقال بالعوارض دون الأصول، وهذا تحقيق ما قال فخر الإسلام من حكم هذا الباب أن العمل بالحقيقة متى أمكن سقط المجاز؛ لأن المستعار لا يزاحم الأصل، وذلك مثل قولنا في الأقراء: أنها الحيض؛ لأن القُرء للحيض حقيقة وللطُّهر مجاز من قبيل أنه مأخوذ من الجمع، وهو معنى حقيقة هذه

....

العبارة، وذلك صفة الدم المجتمع. وأمّا الطهر، فإنما وُصِف به مجازًا للمجاورة، ولأن معنى القرء الانتقال، فيقال: قرأ النجم إذا انتقل، والانتقال بالحيض دون الطهر، فصارت الحقيقة أوْلى، هذا لفظه.

ولكن يرد عليه أنه صرّح في أوّل الكتاب: القرء مشترك بين الحيض والطهر، وثانيًا قال: إنّ الطُّهر مجاز فيتناقض، إلا أن يقال بين الكلامين في الموضعين باعتبار المذهبين، أو أن القرء بمعنى الاسم مشترك، وبمعنى المصدر حقيقة ومجاز، والحقّ أنه مشترك البتّة، وإنما بنى الكلام مبالغة وادّعاء، كما هو دَأْبه. وأمّا ما تمسّك به من جانب الشافعي رحمه الله أن إرادة أحد المعنيين في المشترك يستلزم إرادة الآخر، فاستلزم الطُّهر الذي هو الأصل للفرع الذي هو الحيض أوْلى من العكس، فبطلانه أظهر من أن يخفى.

ثم في هذا المقام بيننا وبين الشافعي رحمه الله خلاف، وهو أنه إذا اعتدّت المرأة عن طلاق، فحاضت حَيْضَتين مثلًا ثم وطئت بشبهة، فعليها عدّة أخرى بالإجماع، ولكن تداخلت العدّتان عندنا، فيحسب الحيضة الثالثة الباقية منها وعليها حيضتان أُخريان، وعند الشافعي رحمه الله عليها ثلاث حِيَض أخرى وراءها، ومبنى هذا الاختلاف على الكفّ عن التزوّج والخروج عبادة مقصودة، وهو المراد بالعدّة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨]، فلا يتداخلان، كما أن الكفّ عن الأكل ونحوه مقصود في الصوم، ولهذا لا يتداخلان، وهذا عنده.

وأمّا عندنا، فالمقصود هو التعرّف عن براءة الرَّحم، ومعنى العبادة تابع بخلاف الصَّوم على ما نصّ به في الهداية، أو أن العدّة معناها النهي عن الخروج والتزوّج بقوله تعالى: ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ﴾ [الطَلَاق: الآية ١]، والأمر بالكفّ ليس بمقصود، بل هو ضرورة مقتضيات النهي بخلاف الصوم، فإنّ الأمر منه مقصود بقوله تعالى: ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] على ما نصّ به فخر الإسلام في باب حكم الأمر والنهي في ضدّ ما نُسب إليه. وفيه كلام طويل لا يليق بهذا المختصر.

....

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ﴾ نهى النساء عن كتمان الحيض أو الولد، وكانت المرأة إذا أرادت فراق زوجها كتمت حملها لئلا يراجعها شفقةً على الولد، أو كتمت حيضتها وأظهرت طهارتها استعجالاً للطلاق. وإنّما قال: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ تنبيهًا على أن مَنْ آمن بالله وعقابه لا يجترىء على مثله من العظائم، ويجوز أن يكون كتمان ما في الأرحام كناية عن إسقاط الحمل، كذا في الكشاف.

وأمّا بيان الرجعة بعد الطلاق، ففي قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨]، أي بعولتهنّ أحق برجعتهنّ في أيام العدّة لا بعدها من غير نكاح، وهذه الجملة كأنها معلّلة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨]، يعني إذا ظهرت عليهنّ في هذه المدّة خلقة الولد أو الحيض في الرحم، فلا يحلّ لهنّ أن يكتمن ذلك عن الأزواج؛ لأن بعولتهنّ أحق برجعتهنّ في ذلك، لأنهن إذا لم يظهرن جنينهنّ من الأزواج يكون ذلك سببًا للفرقة غالبًا وينقضي العدة عجلة، وإن أظهرنه يميل الأزواج إليهنّ شفقةً للولد، وكذا إذا كتمن الحيض وقالت: قد طهرت كانت طالبة للطلاق، ولم ترضَ بالرجعة، وهذا هو الطلاق الرجعي الواقع بلفظ الصريح دون البائن، والكناية على ما عُرِف، وإنما سُمّي به لأن الزوج يملك الرجعة بدون النكاح، وفيه دليل على أن الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سمّاه زوجًا بعد الطلاق، وإنْ كان يحتمل أن يكون التسمية باعتبار ما كان، ففيه ردّ على ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله من أنه لا رجعة إلّا بالقول دون الوطء، كما أنّ في الإيلاء من عكس ذلك، ثم في إطلاق النصّ عن قيد الإشهاد دليل على أنه لا يجب الإشهاد حين الرجعة، كما ذهب إليه مالك والشافعي في أحد قوليه.

غايته أنه يستحبّ فيها ذلك على ما ستقف عليه، وفي أكثر التفاسير: ومعنى كونه أحقّ بردّها أن الرجل إذا راد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها، وكان أحقّ منها؛ لأن لها حقًّا في الرجعة. أقل: هذا يقتضي أن يكون الأحقّية باعتبار المرأة، والأشبه أن يكون الأحقّية باعتبار زوج آخر، أي الزوج القديم أحقّ بالرجعة من غيره، إلا أنه ليس لغيره حقّ الرجعة، بل حقّ النكاح،

....

فيكون الردّ أعمّ من أن يكون على وجه النكاح أو غيره، وإنما قال: ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ لأنهم في ابتداء الإسلام كانوا يطلّقون النساء ثم يراجعونهنّ وقت انقضاء العدّة، ويطلّقونهنّ بعد الرجعة، وثم هكذا، وكان غرضهم من ذلك الإفساد دون الإصلاح، أو ليدلّ على أن الرجعة إنما هي إذا أرادوها، لا أنها واجبة عليهنّ جبرًا.

وفي الزاهدي: إنّ كلمة إنْ ليس على سبيل الشرط، فإنه يجوز له المراجعة وإنْ لم يُرِد الإصلاح، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: الآية ٣٣]، فإنه إنْ علم الخير أو لم يعلم يجوز الكتابة، ولكنه أجرى الكلام على العادة الغالبة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ إيماء إلى حقوق كلّ من الزوج والزوجة على الآخر، فحقوق الزوج على الزوجة الخدمة والأدب وترك الاعتراض عليه وامتثال أوامره بالكلّية وانقيادها له في كلّ شيء وترك المنع من الوطء متى يشاء وكيف شاء، سوى المنع من اللّواطة في حالة الحيض والنفاس. وحقوق الزوجة على الزوج النفقة والكسوة وأداء المهر بحسب ما ذكر في الفقه وتعليم الشرائع والأحكام؛ فالزوج والزوجة وإنْ كانا مستويين في حقّ الحقوق، ولكن للرجال عليهن درجة، أي زيادة في الحقّ وفضيلة بالاتفاق، وملك النكاح أو الطلاق والرجعة والميراث ونحوه مما يأتي في سورة النساء، وقيل: المماثلة، هو المماثلة في اللذّة والاستمتاع، وقيل: إنّ المراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه واختبزت له أن يفعل نحو ذلك، ولكن يقابله بما يليق بالرجال. اهـ التفسيرات الأحمدية.

وقوله: (﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾) هذا اللفظ لعمومه يتناول كل مطلّقة من المدخول بها وغير المدخول بها، ومن ذوات الأقراء ومن اللائي يَئِسْن من المحيض لصغر أو كبر أو حمل، إلّا أنه خصّ منه غير المدخول بها؛ إذ لا يجب عليها العدّة، لقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٤٩]، وخصّ منه الحامل أيضًا؛ لأن عدّتها بوضع الحمل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ٤]،

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ خبر في معنى الأمر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودًا، ونحوه قولهم في الدعاء «رحمك الله» أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها. **(وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضًا فضل تأكيد لأن الجملة الاسمية)** تدلّ على الدوام والثبات بخلاف الفعلية. وفي ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن أنفس النساء **(طوامح إلى الرجال)** فأمرن أن يقمعن

وخصّ منه أيضًا مَن امتنع الحيض في حقها لصُغْرٍ مفرط أو كُبْرٍ مفرط؛ لأن عدّتها بالأشهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: الآية ٤]، والمصدر رَحِمَهُ اللهُ أشار إلى تخصيص هذه المذكورات بقوله: **(أراد المدخول بهنّ من ذوات الأقراء)**، ولا بدّ من قيد الحرية؛ إذ عدَّة الأمَة قرءان لا ثلاثة قروء؛ لقوله عليه الصلاة والسّلام: «**طلاق الأمَة تطليقتان، وعدّتها حَيْضتان**».

قوله: (وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضًا فضل تأكيد؛ لأن الجملة الاسمية)... الخ. عبارة الكشاف: وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضًا فضل تأكيد، انتهت. قال العلّامة التفتازاني رَحِمَهُ اللهُ: قوله: وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضًا فضل تأكيد، إمّا لتكرير الإسناد، وإمّا لأنك إذا ذكرت المبتدأ أشعرت السامع بأن هناك حكمًا عليه، فإذا ذكرته كان أوقع عنده من أن يذكر ابتداء، وقد بيّنّا ذلك زيادة بيان. اهـ.

قوله: (طوامح) أي نواظر **(إلى الرجال)** لغلبة حرصهنّ وشهوتهنّ، يقال: طمح بصره إلى الشيء، أي ارتفع إليه رغبة فيه، والمقصود منه بيان الفرق بين آية الإيلاء وآية العدّة، حيث قال في الأُولى تربّص أربعة أشهر بدون ذكر الأنفس، وقال في الثانية: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بزيادة لفظ الأنفس، والجواب: أنّ في ذكر الأنفس تهييجًا لهنّ على التربّص، وزيادة بعث لأنهنّ مائلات إلى الرجال، فلمّا سمِعْنَ هذا استنكفن منه فحملتهنّ الغيرة على أن يغلبن أنفسهن على الطموح ويجبرنها على التربّص، فإنّ الباء في ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ للتعدية، والمعنى: يحملن أنفسهنّ على التربّص، ويجعلنها متربّصة.

أنفسهن ويغلبنها على (**الطموح**) ويجبرنها على التربص ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ (**جمع قرء أو قرء**) وهو الحيض لقوله ﷺ: «دعي الصلاة أيام أقائك» وقوله: («**طلاق الأمة** تطليقتان وعدّتها حيضتان» ولم يقل طهران. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: الآية ٤]. فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار، ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأُمة بالحيضة، ولأنه لو كان طهرًا ـ كما قال الشافعي: ـ لانقضت العدّة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة، لأنه إذا طلّقها لآخر الطهر فذا محسوب من العدّة عنده، وإذا طلّقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدّة عندنا، والثلاث اسم خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه. ويقال: أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرىء. وانتصاب «ثلاثة» على أنه مفعول به أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء، (**وجاء المميز على جمع الكثرة**) دون القلّة التي هي الأقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعًا، ولعل القروء كانت أكثر استعمالًا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلًا لقليل الاستعمال منزلة المهمل.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ (**من الولد أو من دم الحيض**) أو منهما، وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها

قوله: (**الطموح**) الميل إلى الشيء ومنازعة النفس. **قوله**: (**جمع قَرْء**) بفتح القاف (**أو قُرْء**) بضم القاف. **قوله**: (**طلاق الأمَة**)... الخ. أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

قوله: (**وجاء المميّز على جمع الكثرة**)... الخ. جواب عمّا يقال: إن القروء جمع كثرة استُعمل في الثلاثة التي هي من مواضع استعمال جمع القلّة، وكذا الأنفس جمع قلّة، وقد اسْتُعْمِل في نفوس المطلّقات، وهي من مواضع استعمال جمع الكثرة، فما الحكمة في استعمال كلّ واحد من الجمعين في موضع استعمال الآخر؟ وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: (وأمّا الأنفس، فكأن النكتة) في تقليلها الإيماء إلى أن التطليق ينبغي أن يكون قليل الوقوع من الرجال. اهـ. **قوله**: (من **الولد أو** من دم **الحيض**) والأول أوجه؛ لأنه المخلوق في الرَّحم دون الدم. اهـ تفتازاني رحمه الله.

(لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع)، ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها، **(أو كتمت)** حيضها وقالت - وهي حائض - قد طهرت استعجالًا للطلاق، **(ثم عظم فعلهن)** فقال: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ لأن مَن آمن بالله وبعقابه لا يجترىء على مثله من العظائم ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ أي أزواجهن أولى برجعتهن، وفيه دليل أن الطلاق الرجعي لا يحرّم الوطء حيث سمّاه زوجًا بعد الطلاق ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ **(في مدة ذلك التربّص)**، والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقًّا في الرجعة ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ﴾ بالرجعة ﴿إِصْلَٰحًا﴾ لما بينهم وبينهن وإحسانًا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الأمر والنهي ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس، فلا يكلّف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له. والمراد بالمماثلة مماثلة الواجبِ الواجبَ في كونه حسنة لا في جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بأمرها وإن اشتركا في اللذة والاستمتاع أو بالإنفاق وملك النكاح ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يعترض عليه في أموره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يأمر إلا بما هو صواب وحسن.

قوله: (لئلّا ينتظر بطلاقها)، أي لأجل طلاقها **(أن تضع)** مفعول ينتظر.
قوله: (أو كتمت) حيضها عطف على كتمت حملها.

قوله: (ثم عظم فعلهنّ)، يعني أن قوله: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ ليس شرطًا لقوله: ﴿لَا يَحِلُّ﴾ حتى لو لم تؤمن حلّ لهنّ ذلك، بل هو متعلّق بيكتمن قصدًا إلى عظم ذلك الفعل، بحيث إن عدم الإقدام عليه من لوازم الإيمان.

قوله: (في مدة ذلك التربّص)، يعني أن ذلك إشارة إلى التربّص والمضاف محذوف.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

(﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ مَرَّتَانِۖ﴾ الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة **(على التفريق)** دون الجمع، والإرسال دفعة واحدة.

ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: الآية ٤] أي كرّة بعد كرّة لا كرّتين اثنتين وهو دليل لنا في أن الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة في طهر واحد، لأن الله تعالى أمرنا بالتفريق لأنه وإن كان ظاهره الخبر فمعناه الأمر وإلا يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى، لأن الطلاق على وجه الجمع قد يوجد.

قوله: (﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾)... الخ. هاتان الآيتان في الطلاق الرجعي والخلع والغليظة.

أمّا الأوّل، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾. وبيانه أنّه لما كان عدد الطلاق في الجاهلية غير مقرّر على وتيرة واحدة حتى أنه لو طلّقها عشرة يمكنه رجعتها، وكان يُراجعها وقت انقضاء العدّة ثم يُطلّقها ويراجعها، حتى أن جاءت امرأة إلى عائشة ﵂ تشكو من مراجعة زوجها ثم تطليقها ثم وثم هكذا، فعرضت إلى رسول الله ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾، يعني أن الطلاق الرجعيّ الذي يتعلق به الرجعة مرتان، أي اثنان لا زائدتان، فبعد ذلك إمساكها بمعروف أو تسريحها كذلك، وهذا أمرٌ بصيغة الخبر، كأنه قيل: طلّقوا الرجعي مرتين، وهذا هو التوجيه المذكور في الحسيني والزاهدي والبيضاوي والتلويح، وهو الموافق لمذهب الشافعي وأبي حنيفة جميعًا، وهٰهنا توجيه آخر موافق مذهب أبي حنيفة فقط اختاره صاحب الكشاف والمدارك وفخر الإسلام، وهو أن المراد بيان الطلاق الشرعي لا الرجعيّ، أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الإرسال دفعة واحدة، ولم يُرد بالمرّتين التثنية التي يقع مرّة واحدة، ولكن التكرير كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [المُلك:

....

الآية ٤]، أي كرّة بعد كَرّة، لا كرّتين اثنين مرّة واحدة؛ لأنه ليس من السنيَّة إيقاع التطليقتين جملةً، ويؤيّده أنه قال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، ولم يقل: الطلاق اثنان، وهو أمرٌ بصيغة الخبر، وإلا يلزم الكذب إذ قد يوجد تطليقتان على وجه الجمع، وعند الشافعي: يجوز إرسال الاثنين والثلاث دفعة واحدة، وتفصيل المذاهب أنّ الطلاق على ثلاثة أوجه: أحسن وحسن وبدعي.

فالأحسن أن يطلّقها واحدة في طهر لا وطء فيه، ولم يُزِد عليه. والحسن عندنا أن يطلّقها ثلاثة في ثلاثة أطهار، أو ثلاثة أشهر خلافًا لمالك، فإنه بدعي عنده. والبدعي أن يطلّقها اثنين أو ثلاثًا في طُهْرٍ واحد أو في كلمة واحدة أو واحدًا في طهر وطء فيه وفي حيض موطوءة خلافًا للشافعي في غير الحيض، فإنه مباح عنده.

ثم في الطلقة والطلقتين يجوز له الرجعة إذا كانت في العدة، ويكون الطلاق بلفظ الصريح. وأمّا إن انقضت العدّة، أو كانت كنايات بانت، ويحلّ لها نكاحه ثانيًا ونكاح غيره من الأزواج، وفي الطلقات الثلاث، سواء كانت صريحًا أو كنايات بمال أو بغيره لا تحلّ له حتى تنكح زوجًا غيره؛ لأن الله تعالى ذكر الطلاق الرجعي في آيتين:

إحداهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ الآية، ثم عقّب بعدها بالرجعة حيث قال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، وهو فيما إذا طلّقها واحدة.

والثاني في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، وهو الذي بلغ مرتين دفعة أوّلًا وعقّب بعدهما بالرجعة، حيث قال: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾، أي ليس بعد المرّتين إلا الإمساك بمعروف بالمراجعة، أو تسريح بإحسان بترك المراجعة حتى تبين بالعدة، وقيل: بالطلقة الثالثة في الطهر الثالث، ثم بيّن أن الرجعة بعد الثالثة حتى تنكح زوجًا آخر، ويدخل ذلك الزوج بها ثم تطليقها في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٠] الآية، ثم بيّن أنه بعد ما بانت بالعدّة من طلقتين أو طلقة يجوز أن ينكحها المطلّق أو غيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٣١] الآية، هذا هو التفصيل في هذا المقام.

....

وأمّا الثاني، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ إلى آخره، وقال المفسّرون: في بيانه أن جميلة كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس وهو يحبّها، وقد أعطاها حديقة في مهرها من قبل فاختلعت منه بها، أي ردّتها إليه وجعلها سببًا للطلاق منه، فطلّقها وأخذ منها تلك الحديقة، وكان رسول الله ﷺ حبسها لأجله فلم تقبل إلّا الفراق ونشزت، فقال عليه السلام: «**أتردّين عليه حديقته؟**» قالت: نعم وزيادة، فقال عليه السّلام: «**أما الزيادة فلا**»، وهو أوّل خلع كان في الإسلام؛ فنزلت هذه الآية.

وقد ذكروا هذه القصة بنوع زيادة ونقصان، فمعنى الآية: لا يحل لكم أن تأخذوا وتعيدوا ممّا آتيتموهنّ شيئًا، أي مما أعطيتموهنّ من المهور إلّا أن يخافا، أي في وقتٍ من الأوقات إلّا وقت إخافة عدم إقامة حدود الله وهو عدم الموافقة بينهما بأن يحدث في المرأة النشوز وسوء الخلق وترك الأدب للزوج، ومن الزوج الضرب والشّتم بغير حقّ وغير ذلك، فإن خفتم عدم إقامة حدود الله بهذه الطريق المذكورة فلا جناح عليهما في مال افتدت المرأة بذلك المال للزوج وخلّصت به نفسها منه، هذا ما قالوا. ويسمّى هذا خلعًا وهو طلاق بائن، ولكن يشترط فيه ذكر لفظ الخلع بأن يقول الزوج: خالعتك على ألف درهم وقبلت، أو الزوجة: خالعني على كذا، وقيل: حتى إن لو لم يذكر لفظ الخلع أن يقول الزوج: طلّقتك على ألف أو الزوجة: طلقني على ألف لا يسمّى خلعًا بل طلاقًا على مال، ولا بأس بالخلع عند الحاجة بما يصلح مهرًا، فما جاز أن يكون مهرًا في النكاح جاز أن يكون بدلًا في الخلع دون العكس، وكره أخذ البدل إنْ كان النشوز من جانب الزوج، وأخذ الفضل على المهر إن كان النشوز من جانب المرأة، والخلع معاوضة في حقّها حتى يصحّ رجوعها وشرط الخيار لها، ويقتصر على المجلس ويمين في حقّه حتى انعكس الأحكام في حقّه، هذا كلّه في كتب الفقه، وقد تمسّك صاحب الهداية أيضًا في باب الخلع بهذه الآية، وصرّح بأنّ النشوز إنّ كان من قبله يُكره له أخذ البدل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ [النّساء: الآية ٢٠] مكان الآية، وإن كان من قبلها يكره له أخذ الفضل على

....

المهر؛ لقوله عليه السلام: «**أمّا الزيادة فلا**»، وقد كان النشوز منها، ولو أخذ في الأوّل أو أخذ الزيادة في الثاني جاز أيضًا في القضاء؛ لأن مقتضى الآية شيئان: الجواز قضاء، والإباحة ديانة، وقد ترك العمل في حقّ الإباحة لمعارض، وبقي معمولًا في الجواز، هذا حاصل كلامه.

ثم إنّهم اختلفوا في أن الخلع فسخ أم طلاق؟ فقول الشافعي القديم، وقول ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم: أنه فسخ لا طلاق، وعندنا وفي القول الجديد للشافعي وإحدى الروايتين عن عثمان رضي الله تعالى عنه: أنه طلاق، وذلك لمّا قال فخر الإسلام في بحث الخاص أن الله تعالى ذكر الطلاق مرّة ومرتين، وأعقبهما بإثبات الرجعة، ثم أعقب ذلك بالخلع بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، فإنما بدأ بفعل الرجل وهو الطلاق، ثم زاد فعل المرأة وهو الافتداء، وفي تحت إفراد المرأة بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ دليلٌ على تقرير فضل الزوج على ما سبق، وهو الطلاق لا الفسخ؛ لأن الافتداء وُضِع لإعطاء شيء بمقابلة شيء، فيدلّ على أن المال عوض ما تقابله، وهو مختصّ بالمرأة، فيكون ما يُقابله مختصًّا بالزوج هو الطلاق لا الفسخ؛ إذ الفسخ يقوم بهما، فإثبات الفعل فسخ من الزوج بطريق الخلع لا يكون عملًا به، بل رفعًا له، وثمرة الخلاف يظهر في أن عندنا يلحقها طلاق بعد الخلع، وعنده لا يلحق، ولهذا أوصل قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٠] بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ دون الخلع، على ما ستعرف.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ إنْ كان خطابًا للأزواج يشكل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا﴾ لأنه لما عدل فيه عن صيغة الجمع الحاضر إلى تثنية الغائب الذي هو عبارة عن الزوجين لا محالة، عَلِم أنّ الأوّل خطاب للحكّام؛ كما أنّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ كذلك، وإن كان خطابًا للحكّام يشكل عليه قوله تعالى: ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، فإنه خطاب للأزواج لأنهم الآخذون والمؤتون.

....

قلت: إنّ قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ يجوز أن يكون خطابًا للأزواج بقرينة قوله تعالى: ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، ويكون في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا﴾ التفاتًا، ويكون قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطابًا للحكّام مثله في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ [يوسف: الآية ٢٩]، ويجوز أن يكون خطابًا للحكّام لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عن الترافع إليهم.

فكأنهم الآخذون والمؤتون، ويكون حينئذ قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا﴾ على حقيقته، وهكذا الحال في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ إن كان خطابًا للأزواج يكون في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ التفاتان. وإن كان خطابًا للحكّام كما هو رأي الأكثرين، وهو الظاهر يكون أنْ لا يقيما على حقيقته، ولكن يلزم الحذف في الجزاء ليرتّب على الشرط، فافهم وتأمّل.

وقُرِىء: إن تظنّا وتخافا أن تقيما بتاء الخطاب فيهما، ويخافا على البناء للمفعول وإبدال أن لا يقيما من الضمير فيه بدل اشتمال.

وفي الزاهدي توجيه آخر أيضًا، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿أَن يَخَافَآ﴾ المراد به الواحد وهو الزوج فقط، و﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ المراد به الواحد وهو المرأة فقط، ولعلّه أجرى ذلك على طبق نزول الآية وقصّته.

وتوجيه آخر أيضًا: إلا أن يخافا الحكمان أن لا يقيم الزوجان. وقال في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ إنه إشارة إلى جميع ما ذكر من حكم الخمر والميسر وأموال اليتامى والحيض والأيمان والإيلاء والطلاق والعدّة، وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أنه تمسّك به المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن؛ لأن الظالم هو الكافر.

والجواب أنّ المراد تعدّي جميع الحدود، والتعدّي اعتقاد أو الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومثل هذا معروف في علم الكلام.

وأمّا الثالث، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾ الآية، وقد اختلّ في تفسيرها كلام أرباب العقول وعبارات أهل الأصول، فقال أكثر المفسّرين: إنها متّصلة بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، يعني الطلاق الرجعي مرّة أو مرّتان، فإن

....

طلّقها بعدها تطليقة ثالثة فلا تحلّ له بعد ذلك أبدًا حتى تنكح زوجًا آخر غيره، ثم دخل بها ذلك الزوج، فإن طلّقها ـ أي الزوج الثاني ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي على الزوج الأوّل، والمرأة أن يتراجعا بالنكاح الجديد إنْ كان في ظنّهما أن يقيما حدود الله من حقوق الزوجية وحُسْن المعاشرة والموافقة، وعلى هذا التقدير بيان طلاق الخلع معترضة بينهما، وإنما جيء به تنبيهًا على أنه طلاق أيضًا.

وقد أجمع أهل الأصول على أنّ ذكر الطلاق في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بلفظ الفاء عقيب ذكر الخلع دليلٌ على شيئين:

الأوّل: أنّ الطلاق يصح بعد الخلع عملًا بالفاء.

والثاني: أن الخلع أيضًا طلاق لا فسخ؛ لأنه لو كان فسخًا لا يلحقه الطلاق بعده، وبقرينة قوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ على ما مرّ تقريره.

وبين كلام المفسّرين وأهل الأُصول بحسب الظاهر منافاة، وإنْ لم يكن كذلك بحسب الواقع، وفي الأوّل ترك العمل بالفاء، وفي الثاني إشكالات منها أنه يصير الطلاق أربعًا اثنان في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩]، وواحد في الخلع وواحد في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾. ونحن نُورد ما ذكره الفريقان، فقال صاحب المدارك: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ ثالثة بعد المرّتين. فإن قلت: الخلع طلاق عندنا ببدل، فيكون طلقة ثانية وهذه بيان تلك، أي فإن طلّقها الثالثة ببدل فحكمه التحليل، انتهى كلامه.

ولكن لا يشفي هذا الجواب عليلًا؛ لأن الطلقة الثالثة التي تُوجب الحرمة الغليظة ليست مقيّدة بكونه ببدل في ضمن الخلع، مع أنّ نصّ الخلع وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ غير مُشعِر بكونه ثالثًا، غير أنه مذكور بعد قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ بالواو، وهو لا يوجب الترتيب، إلّا أن يقال: إنّ التنصيص بالشيء لا يُوجب نفي ما عداه، والمذكور فيه حرف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، وهو يوجب الترتيب.

وقال صاحب البيضاوي: واختلف في أنه إذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ أو طلاق، ومَنْ جعله فسخًا احتجّ بقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾، فإن تعقّبه المخلع

....

بعد ذكر الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة، ولو كان الخلع طلاقًا، والأظهر أنه طلاق؛ لأنه فرقة باختيار الزوج وهو كالطلاق بالعوض، وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ تفسير لقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾، اعْترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجازًا تارة وبعوض أخرى، والمعنى: فإن طلّقها بعد الثنتين فلا تحلّ له من بعد، انتهى كلامه.

ولكن لا يخلو عن اضطراب؛ إذ محصّله أنّ الخلع إذا كان طلاقًا كان قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ متعلّقًا بما سبق لئلّا يلزم التطليقات الأربعة، وإذا كان فسخًا كان متعلّقًا به، فيلزم أن يصح إيقاع الطلاق بعد الفسخ، والمذكور في كتب أصولنا: أن الخلع عند الشافعي رحمه الله فسخٌ لا يصح إيقاع الطلاق بعده، وعندنا طلاق يصح إيقاع الطلاق بعده، يدلّ عليه عباراتهم؛ ففي التوضيح: قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾ من بعد الفاء لفظ خاص للتعقيب، وقد عقب الطلاق الافتداء، فإن لم يقع الطلاق بعد الخلع كما هو مذهب الشافعي يبطل موجب الخاص، تحقيقه أنه ذكر الطلاق المعقب للرجعة مرّتين، ثم ذكر افتداء المرأة، وفي تخصيص فعلها هٰهنا تقرير فعل الزوج على ما سبق وهو الطلاق، فقد بيّن بنوعيه بغير مال وبمال، لا كما يقول الشافعي رحمه الله: أن الافتداء فسخ، فإنّ ذلك زيادة على الكتاب. ثم قال: فإن طلّقها ـ أي بعد المرتين ـ سواء كانتا بمال أو بغيره، ففي اتّصال الفاء بأوّل الكلام وانفصاله عن الأقرب فساد التركيب.

اعلم أنّ الشافعي رحمه الله يصل يقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، ويجعل ذكر الخلع وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ معترضًا، ولم يجعل الخلع طلاقًا، بل فسخًا وإلا يصير إلّا، ولأن مع الخلع ثلاثة فيصير قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ رابعًا. وقال: المختلفة لا يلحقها صريح الطلاق، فإنّ قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ متّصل بأوّل الكلام، ووجه تمسّكنا مذكور في المتن مشروحًا، تمّ لفظه. وفي التلويح كلام أحسن كثير الإطناب، حيث قال: قوله: (فساد التركيب) هو ترك الأقرب إلى الأبعد مع توسط الكلام الأجنبي.

....

فإن قيل: اتّصال الفاء بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ هو قول عامّة المفسّرين، ويدلّ عليه كلام المصنّف أيضًا، حيث قال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي بعد المرّتين، فكيف حكَم بفساده؟

قلت: الحكم بالفساد إنّما هو على تقدير أن يكون قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ معترضًا مستقلاً واردًا في بيان الخلع غير منصرف إلى الطلقتين المذكورتين.

وأمّا على ما ذهب إليه المصنّف وعامّة المفسّرين ودلّ عليه سياق الكلام، وهو أن الافتداء منصرف إلى الطلقتين، والمعنى؛ لا يحلّ لكم أن تأخذوا في الطلقتين شيئًا إن لم يخافا أن لا يقيما حدود الله، فإن خافا ذلك فلا إثم في الأخذ والافتداء، فلا فساد؛ لأن اتّصاله بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ هو معنى اتّصاله بالافتداء؛ لأنه ليس بخارج عن الطلقتين، فكأنه قال: فإن طلقها بعد الطلقتين اللتين كلتاهما أو أحدهما خلع وافتداء.

وبهذا يندفع إشكالان:

أحدهما: لزوم عدم مشروعية الخلع قبل الطلقتين عملًا بموجب الفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾.

الثاني: لزوم تربيع الطلاق، بقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾، لترتّبه على الخلع المرتّب على الطلقتين؛ وذلك لأن الخلع ليس بمرتّب على الطلقتين، بل مندرج فيهما، والمذكور عقيب الفاء ليس نفس الخلع، بل إنه على تقدير الخوف لا جناح في الافتداء، لكن يرد الإشكالان أحدهما: أن لا يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ هو الطلاق الرجعي على ما صرّحوا به؛ لأن الخلع طلاقٌ بائن. وثانيهما: أن لا يصح التمسّك بالآية في أن الخلع طلاق، وأنه يلحقه الصريح؛ لأن المذكور هو الطلاق على مال لا الخلع.

وأُجيب عن الأوّل بأن كونه رجعيًا إنما هو على تقدير عدم الأخذ، وعن الثاني بأن الآية نزلت في الخلع لا الطلاق على مال.

....

وقد يُجاب بأن الطلاق على مال أعمّ من الخلع؛ لأنه قد يكون بصيغة الطلاق، وقد يكون بصيغة الخلع، وفيه نظر؛ إذ لم يقع نزاع الخصم إلّا في أنّ ما يكون بصيغة الخلع طلاق على مال حتى لو سلم ذلك لم يصح نزاعه في أنه طلاق، وأنه يلحقه صريح الطلاق.

فإن قيل: الفاء في الآية لمجرد العطف من غير تعقيب ولا ترتيب، وإلا لزم من إثبات مشروعيّة الطلقة الثالثة وجوب التحليل بعدها من غير سبق الافتداء والطلاق على المال الزيادة على الكتاب، بل ترك العمل بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾.

قلت: لو سلم فبالإجماع والخبر المشهور؛ كحديث العسيلة.

لا يقال: إنّ الترتيب في الذكر لا يوجب الترتيب في الحكم؛ لأنّا نقول: الفاء للترتيب في الوجود، وإلّا فالترتيب في الذِّكر حاصل في جميع حروف العطف.

واعلم أنّ هذا المبحث مبني على أن يكون التسريح بالإحسان إشارة إلى ترك المراجعة. وأمّا إذا كان إشارة إلى الطلقة الثالثة على ما رُوِي عن النبيّ ﷺ، فلا بدّ أن يكون قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بيانًا لحكم التسريح على معنى أنه إذا ثبت أنه لا بدّ بعد الطلقتين من الإمساك بالمراجعة أو التسريح بالطلقة الثالثة، فإنْ آثر التسريح فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره، وحينئذ الأدلّة في الآية على شرعية الطلاق عقيب الخلع، هذا لفظه.

والحاصل من كلّه أنّ الخلع داخل في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ ليس طلاقًا مستقلًّا، وأنّ قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ باعتبار ظاهر الفاء يقتضي مشروعية الطلاق بعد الخلع، وباعتبار اتّصاله بما قبله لم يكن طلاقًا رابعًا.

وأمّا ما ذكر الشيخ الإمام فخر الإسلام البزدوي من أن الفاء حرف خاص وضع لمعنى مخصوص، وهو الوصل والتعقيب، وإنما وصل الطلاق بالافتداء بالمال، فأوجب صحته بعد الخلع، فمن وصله بالرجعي وأبطل وقوعه بعد الخلع

....

لم يكن عملًا به ولا بيانًا له، فكلامٌ غامض حيث أورد كلمة إنما وهو يدلّ على أنه ليس لقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ تعلّق بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ أصلًا، وذلك فاسد إلا أن يجعل إنما في كلام الشيخ لمجرّد التأكيد دون الحصر، ويُراد به تحقيق وصله بالخلع وتقريره أنّ قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، وعطف الشرطية على الشرطية الأخرى بحرف الفاء يقتضي تعقّب مضمون الثانية على مضمون الأُولى، ومضمون الشرطية إنما هو ترتّب الجزاء على الشرط، فيكون موجب هذه الآية هو ترتّب عدم الحلّ إلى غاية إصابة الزوج الثاني على الطلقة الثالثة عقيب ترتب الخلع على العلم هكذا لزم من ذلك صحة الطلقة الثالثة بعد الخلع، هكذا أفاد الأستاذ العلَّامة الشيخ الهداد في شرحه، انتهى كلامه.

ثم إنه قد فكّر المفسّرون وأهل الأصول بأجمعهم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ أن النكاح في اللغة الوطء، وقد أُريد به العقد هٰهنا مجازًا بدليل إضافته إلى المرأة، لأنها لا تصلح واطئًا، فلم يفهم من النصّ إلا شرط نكاحها الزوج، وبه اكتفى سعيد بن المسيّب، والجمهور على أن الوطء أيضًا شرط وأن ذلك يُفهم من الحديث المشهور، وهو ما رُوي أن رفاعة قد طلّق امرأته ثلاثة ثم نكحت بعبد الرحمٰن بن الزبير(١)، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ متّهمة بالعنّة حيث قالت: ما وجدته إلا كهدبة ثوبي هذا، فقال عليه السلام: «**أتريدين أن تعودي إلى رفاعة؟**» فقالت: نعم، قال: «**لا، حتى تذوقي من عسيلته ويذوق هو من عسيلتك**»، ورُوي أنها رجعت فقالت: قد مسّني، فقال عليه السلام: «**لا أصدّقك**» في القول الآخر المناقض للأوّل، ثم جاءت في زمن أبي بكر ﷺ فعرضت مثله، فقال: لا ترجعي إليه، ثم جاءت في زمن عمر، فعرضت كذلك فقال: إن أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك، فمنعها، هكذا في الكشاف. وبالجملة، فحينئذ في قوله تعالى: ﴿تَنكِحَ﴾ دليلٌ على أن النكاح ينعقد

(١) بفتح الزاي، كذا في الخلاصة. ١٢ منه عم فيوضهم.

....

بعبارة النساء صرّح به في المدارك، فيكون ردًّا على الشافعي على ما سنقف عليه، وهذا هو المختار لفخر الإسلام.

وقيل أي: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ على معناه الأصلي، أي توطأ، يعني تُمكّنه من الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج، فلا حاجة إلى الحديث. وكِلَا الوجهين مذكور في الهداية، فعُلِم أن المرأة إذا نكحت الزوج الثاني لم يجز لها العود إلى الزوج الأول ما لم يطأها، فإن وجدته عنينًا وأرادت العود، فعليها أن تطلب التفريق منه وتنكح الزوج الثالث، ثم وثم إلى إن وطئها زوجٌ آخر، ولا ينبغي للمرأة ولا للزوج الثاني أن تنكحا بنيّة الحلالة، حيث قال عليه السلام: «**لعن الله المحلّل والمُحلَّل له**»، وهذا نكاحُ فاسد عند مالك والأوزاعي وأبي عبيد والشافعي وغيرهم.

ويجوز عند أبي حنيفة مع الكراهة وإن أضمر التحليل في النفس ولم يصرِّحا به يجوز من غير كراهة، وشرط الإيلاج دون الإنزال، فإن ذلك زيادة، والمراهق يمكن أن يكون محلّلًا خلافًا لمالك، وإنْ كانت الأَمَة تحت حرّ فطلّقها الزوج غليظة، فوطء المولى لا يكون محلّلًا، وإليه أشار صاحب الهداية حيث قال: ووطء المولى لا يحلّلها على الزوج الأول؛ لأن الغاية نكاح الزوج، والاثنان في حقّ الأمَة كالثالث في حقّ الحرّة إحكامًا وتفصيلًا على ما عُرِف.

ويشترط في نكاح الزوج الأول أيّاها أن يظنّ الموافقة وحُسْن المعاشرة بينهما، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، وإنما ذكر في طلاق الخلع الخوف، وهٰهنا الظنّ إيماء بأن خوف النشوز يستدعي الخلع فضلًا عن حقيقة النشوز، وأنّ الظنّ المرجّح كان في مراجعة الزوج الأوّل، فعُلِم أن الظنّ على معناه دون علم اليقين؛ إذ لا يعلم إلّا الله تعالى، وقد ردّ صاحب الكشاف وغيره على مَنْ فسّر الظنّ بالعلم هٰهنا، وإنما فسّر به الإمام الزاهد حيث قال: ﴿إِن ظَنَّآ﴾ أي عَلِما، ولهذا احتاج إلى أن يجعل الشرط للندب، مثله في قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النّور: الآية ٣٣]، وهو أعلم بحقيقة الحال.

....

ثم في هذا المقام بيننا وبين الشافعي رحمه الله خلاف مشهور، وهو أن الزوج الثاني هل هو محلّل للزوج الأوّل كما هو مذهبنا، أو منهيّ للحرمة الغليظة فقط، كما هو عند الشافعي.

ويظهر ثمرته في أن الزوج الأول هل تملّك بعد النكاح الطلقات الثلاث، سواء طلّق ثلاثًا أو لا كما هو عندنا؟ وإنّ طلّقها ثلاثًا يملك الثلاث، وإن طلقها واحدًا أو اثنين يملك ما بقي كما هو عنده.

وقد ذكر فخر الإسلام وغيره في بحث الخاص أن حتى خاص عنه للنهاية، فيكون الزوج الثاني محلّلًا زيادة على الخاص، وعندنا ثبت ذلك بحديث العسيلة وغيره، ولكن لم يأتِ أحد بتقرير لائح وتحرير واضح كما فعله الشيخ الصيفي في شرح المنار، ونحن نقول: تقرير الكلام في هذا المقام أنه اتّفق أبو حنيفة والشافعي على أن الزوج إنّ طلّق امرأته ثلاثًا ثم نُكحت بزوج آخر ثم طلّقها ثم نكحها الزوج الأوّل يملك ثلاث تطليقات مستقلّة، ولم يعتبر التطليقات الماضية، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم إذا طلّقها الزوج الأوّل ما دون الثلاث فنكحت زوجًا آخر، ثم طلّقها الزوج الثاني فعادت إلى الزوج الأول بنكاح جديد.

فقال أبو حنيفة وأبو يوسف: إنه يملك الطلقات الثلاث هٰهنا أيضًا كما في المسألة الأولى، وقال محمد والشافعي رحمهما الله: يملك ما بقي، أي يملك الواحدة إنْ طلّقها اثنين، ويملك اثنين إنْ طلقها واحدة، وتمسّك أبو حنيفة في ذلك بأن الزوج الثاني محلّل، أي مثبت حلّ جديد، فثبت الحكم المرتّب عليه وهو الطلقات الثلاث، واحتجّ عليه الشافعي بأنّ كلمة حتى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ خاص وضع لمعنى مخصوص، وهو الغاية، فيُفهم أن نكاح الزوج الثاني نهاية للحرمة الغليظة ولا تأثير للغاية فيما بعده، فكون الزوج الثاني محلّلًا زيادة على الكتاب، وذلك لا يجوز عندكم، فما لم يكن الزوج الثاني محلّلًا فيما وجد المغيا وهو عدم الحلّ - أعني في الطلقات الثلاث - ففيما دونها مع عدم وجود المغيا أوْلى أن لا يكون محلّلًا.

وقيل: قالت أنصارية: إن زوجي قال: لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ أي (**الطلاق الرجعي**) مرتان لأنه لا رجعة بعد الثالث.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ برجعة، والمعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة.

وأجاب عنه الحنفية بأن محلّلية الزوج الثاني، أي كونه مثبتًا للحلّ الجديد، إنما هو بحديث العسيلة، لا بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾، وبيانه ما رُوِي أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبيّ ﷺ وقالت: يا رسول الله إن رفاعة قد طلّقني ثلاثًا، فنُكحت بعبد الرحمٰن بن الزبير فما وجدته إلا كهدبة ثوبي هذا، فقال عليه السلام: «**أتريدين أن تعودي إلى رفاعة؟**» فقالت: نعم، فقال: «**لا حتى تذوقي من عسيلته ويذوق هو من عسيلتك**»، فهذا حديث مشهور قَبِلَه الشافعي رحمه الله أيضًا لاشتراط الدخول؛ لأن نص الكتاب إنما تعرّض للعقد فقط، بدليل إضافة النكاح إلى المرأة التي لا تصلح واطئًا، والزيادة على الكتاب بالخبر المشهور جائز إجماعًا، فالحديث الذي يدلّ على اشتراط الوطء بالعبارة دالّ على المحلّلية بالإشارة؛ لأنه عليه السلام إنما قال: «**أن تعودي**» دون أن يقول: أن تنتهي حرمتك، والعود هو الرجوع إلى الحالة الأُولى، وهو تلك الطلقات الثلاث والحلّ الكامل، فالوطء ثبت من الحديث مع صفته، وأنتم أبطلتم الوصف نظرًا إلى ظاهر الآية، وكذا يثبت المحلّلية بإشارة قوله عليه السلام: «**لعن الله المحلِّل والمُحلَّل له**»، فإنه ثبت كون الزوج الثاني محلّلًا، وإن كان مسوقًا في لعنه، فلمّا كان الزوج الثاني محلّلًا في الطلقات الثلاث كان متممًا للحل الناقص فيما دون الثلاث بالطريق الأولى، فيملك الطلقات الثلاث هنا أيضًا، هذا هو خلاصة ما ذُكِر في كتب الأصول وعليه أسئلة وأجوبة مذكورة في المطوّلات لا يليق إيرادها بهذا المختصر.اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (على التفريق) بأن يوقع كلٌّ في طهر. **قوله: (الطلاق الرجعي)**، يعني أن اللام للعهد والإشارة إلى ما دلّ عليه قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، يعني أن المعقّب للرجعة ثنتان، فالمثنّى على أصله.

وقيل: بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث. ونزل في (جميلة) وزوجها

قوله: (جميلة) بنت عبد الله بن أبيّ ابن سلول، قال شرّاح الكشاف: الصواب أخت عبد الله، قلت: قال خاتمة الحفّاظ السيوطي رحمه الله: كلاهما صواب، فإنّ أباها عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين، وأخوها صحابي جليل واسمه عبد الله أيضًا، وسلول غير مُنْصرف للعلمية والتأنيث لأنه اسم أُمّه.

وفي تهذيب الأسماء رُوِي أن جميلة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس، وكذا وقع في المهذّب جميلة، والصحيح أنها حبيبة بنت سَهل بن ثعلبة الأنصارية، وكذا ثبت اسمها في رواية الحفاظ، وكذا ذكرها مالك في الموطأ والشافعي في المختصر وغيره، وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم، وقد رُوِي جميلة بنت أُبيّ، قال أبو عمر بن عبد البرّ: يجوز أن يكون جميلة وحبيبة اخْتُلِعتا من ثابت بن قيس، قال: وأهل البصرة يقولون: المختلعة من ثابت جميلة بنت أُبيّ، وأهل المدينة يقولون: حبيبة بنت سهل، وكيف كان فقوله جميلة بنت سهل غلط. قال محمد بن سعد: جميلة بنت عبد الله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف، أُمها خولة بنت المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجّار، تزوّج جميلة حنظلة بن أبي عامر الراهب فقُتِل عنها يوم أُحد شهيدًا وَوَلَدَتْ عبد الله بن حنظلة بعده، ثم خلف عليها ثابت بن قيس بن شماس فمات عنها، ثم خلف عليها مالك بن الدُّخْشم، ثم خلف عليها حبيب بن سباق[1]، فأسلمت جميلة وبايعت رسول الله ﷺ، وأخو جميلة عبد الله بن عبد الله بن أُبي لأبيها وأُمّها شهد بدرًا وقُتِل ابناها عبد الله بن حنظلة ومحمد بن ثابت بن قيس يوم الحرّة، وحنظلة ابن الراهب هو غسيل الملائكة. ثم ذكر ابن سعد ترجمة لحبيبة بنت سهل، فقال: حبيبة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وأمّها عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة من بني مالك بن النجار، تزوّج حبيبة ثابت بن قيس بن شماس، وأسلمت حبيبة معه وبايعت رسول الله ﷺ فخالعها ثم تزوّجها أُبي بن كعب، وكان رسول الله ﷺ همّ أن يتزوّجها فكره ذلك لغيرة الأنصار. اهـ.

---

(١) في أسد الغابة: يساف بدل سباق، ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(ثابت بن قيس بن شماس) وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج أو الحكام لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ مما أعطيتموهن من المهور ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ إلا أن يعلم الزوجان **(ترك إقامة)** حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية

قوله: (ثابت بن قيس بن شمّاس)، هو أبو عبد الرحمٰن، ويقال: أبو محمد ثابت بن قيس بن شمّاس بن مالك بن الزبير بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي المدني، أُمّه هند بنت رهم، ويقال له خطيب الأنصار وخطيب رسول الله ﷺ، شَهِد أُحدًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ بشّر ثابت بن قيس هذا بالجنّة، وأخبره أنه من أهلها، وثبت في الترمذي بإسنادٍ صحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**نِعْم الرجل ثابت بن قيس**». استشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة إحدى عشرة، ومشهور في كتب المغازي أنّه لمّا استشهد كان عليه درعٌ نفيسة فأخذها رجل، فرأى رجل ثابتًا في منامه فقال له ثابت: إني أُريد أن أوصيك وصيّة، فإيّاك أن تقول هذا حُلْم فتضيّعه، إني لما قُتِلت أمس فمرّ بي رجل فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستنّ في طوله[١] وقد كفأ على الدرع بُرْمة، وفوق البُرْمة رحل، فأْتِ خالدًا فمُرْه فليبعث فليأخذها، فإذا قدمت المدينة فقل لأبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه أنّ عليّ من الدّين كذا وكذا وفلان من رقيقي حرّ وفلان، فأتى الرجل خالدًا فبعث إلى الدرع فأتى بها على ما وصف، وأخبر أبا بكر رضي الله تعالى عنه برؤياه فأجاز وصيّته، قالوا: ولا نعلم أن أحدًا أوصى بعد موته فأُجيزت وصيته، غير ثابت رضي الله تعالى عنه.

قوله: (ترك إقامة) تفسير أن لا يقيما بترك الإقامة، ثم تعليله بما يحدث من النشوز إشعار بأنّ عدم الإقامة لا باختيار منه ولا لنشوز منها لا يوجب حلّ

---

(١) في القاموس: الطول كعنب حبل يشدّ به قائمة الدابة أو تشدّ وتمسك طرفه وتُرسلها ترعى، وأيضًا فيه استنّ الفرس قَمَصَ وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا. انتهى بالتقاط. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها **(الولاة)**، وجاز أن يكون أول خطاب للأزواج وآخره للحكام ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر. (﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ **حمزة على البناء للمفعول)** وإبدال «ألا يقيما» من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو «خيف زيد تركه إقامة حدود الله». ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي ما حدّ من النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع وغير ذلك ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فلا تجاوزوها بالمخالفة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الضارّون أنفسهم.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ مرة ثالثة بعد المرتين، فإن قلت الخلع طلاق عندنا وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول، فكأن هذه تطليقة رابعة. قلت: الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة، وهذه بيان لتلك أي فإن طلّقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ من بعد التطليقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ حتى تتزوج غيره. والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوّج، وفيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها، **(والإصابة شرطت بحديث العسيلة)** كما عرف في أصول الفقه، والفقه فيه أنه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلصًا لم تحل له إلا

الآخذ. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (الوُلاة)** جمع والٍ. **قوله:** (﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾) بضم الياء. **(حمزة)** وكذا أبو جعفر ويعقوب وليسا من السبعة **(على البناء للمفعول)**. . . الخ. والباقون بفتحها على البناء للفاعل.

قوله: (والإصابة شرطت بحديث العسيلة). . . الخ. لما رُوِيَ من قواعدهم أن الزيادة على الكتاب لا يجوز بخبر الواحد، إلّا إذا كان مشهورًا تلقّته الأُمّة بالقبول، فيكون كالمتواتر وإن لم يبلغ مرتبته. وحديث العسيلة كذلك، والعسيلة مجاز من قليل الجماع؛ إذ يكفي قليل انتشار. قال الجوهري: شبّهت تلك اللذّة بالعسل وصغره ـ بالهاء ـ لأن الغالب على العسل التأنيث، ويقال: إنما أنّث لأنه أُريد به العسلة، وهي القطعة منه، كما يقال للقطعة من الذهب ذهبة.

بدخول فحلّ عليها ليمتنع عن ارتكابه ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني بعد الوطء ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على الزوج الأول وعليها ﴿أَن يَتَرَاجَعَا﴾ أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ إن كان في ظنّهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيّب عنهما لا يعلمه إلا الله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾ وبالنون: المفضل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ما بين لهم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾

(﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ **أي آخر عدّتهن**) وشارفن منتهاها، والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها. يقال لعمر الإنسان أجل، وللموت الذي ينتهي به أجل.

قوله: (﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾). . . الخ. هذه الآية قد ذكر فيها بيان الرجعة في الطلاق الرجعي، وهي بهذا المضمون في القرآن أكثر من أن يحصى، وإنّما كرّرها تأكيدًا لحقوق النساء، وقد بيّن ذكرها فيما سبق أيضًا، والمآل من ذكرها في هذا المقام أنّ الله تعالى قال سابقًا: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٨]، أي في العدّة لا بعد انقضائها، وقد قال ههنا: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، فعُلم أنّ الإمساك بالمعروف قد يكون بعد انقضاء العدّة، فتعارضا ظاهرًا بينهما، فقال المفسرون: إنّ المراد من قوله تعالى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ فبلغن آخر العدّة، لا أن تنقضي العدة بتمامها؛ لأن لفظ الأجل كما يقع على المدّة كلّها يقع على آخرها، فيكون المراد في هذه الآية من الأجل آخر العدّة، ومن البلوغ إليه الوصول إلى قريب، وفي الآية الآتية التالية له العدّة كلّها، والبلوغ الانتهاء على ما سيأتي. يعني إذا طلّقتم النساء فوصلن قريب آخر العدّة فأمسكوهنّ بمعروف، أي راجعوهنّ من غير ضرار وسرّحوهن بمعروف، أي خلوهنّ حتى تنقضي عدّتهنّ من غير تطويل، وبه تمسّك صاحب الهداية في باب

....

الرجعة، حيث قال: وإذا طلّق الرجل امرأته تطليقة رجعية أو تطليقتين، فله أن يُراجعها في عدّتها رَضِيت بذلك أو لم ترضَ؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير فصل، وكلام الإمام الزاهد يدلّ على أنه يجوز أن يكون الأجل بمعنى كمال المدّة أيضًا، حيث قال: أي راجعوهنّ قبل انقضاء العدّة بالرجعة أو بعد الانقضاء بالعقد، وقال في معنى قوله تعالى: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: أي أشهدوا عليه كيلا يقع المنازعة، وقيل: هو حسن العشرة، وقيل: يعطي لها شيئًا عند الرّجعة، وقيل: يزيد في مهرها، هذا كلامه.

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: لا تراجعوهنّ لأجل إرادة ضرارهنّ، وإنما قال ذلك لأنه كان رجل أو ثابت بن يسار طلّق امرأته أولًا ثم راجعها حين بقي ثلاثة أيام من العدّة ثم طلّقها ثمّ هكذا ثلاثًا، حتى طالت العدّة عليها ولم تنقضِ إلى زوج آخر، فمنعه الله تعالى من أن لا تمسكوهنّ في بيوتكم ضرارًا لهنّ لتعتدوا عليهنّ بطول العدّة، ومَنْ يفعل ذلك المذكور من الضّرار فقد ظلم نفسه حيث حمل غضب الله على نفسه بذلك السبب، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾، أي جدّوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وفي رعايتها حقّ الرعاية، وإلّا فقد اتّخذتموها هزوًا الآية. يقال لمن لا يجدّ في الأمر: إنما أنت لاعب وهازل، والمعنى: لا تتخذوا ألفاظ الطلاق والعتاق والنكاح هزوًا، لأنها يقع بالهزل أيضًا؛ كما قال عليه السلام: «**ثلاث جدّهنّ جدّ وهزلهنّ جدّ: الطلاق، والنكاح والعتاق**»، وإنما قال ذلك لأنه كان الرجل يتزوّج ويطلّق ويُعتق ويعود، ويقول: كنت ألعب وأهزل. هكذا ذُكر في الكشاف والبيضاوي. وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، أي التي من جملتها الهداية ونبوّة محمّد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها، واذكروا ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾، أي القرآن والسنّة وقوموا بعملها، أو المراد أن أهل شرائع سابقكم قد حرّمنا عليهم اجتماع الزوجين في عقدٍ واحد، بل لا يحلّ لهم الزوجة الأخرى ما دامت الزوجة الأولى حيّة، وقد أنعم عليكم حيث أحلّ لكم أربع زوجات أُخر بعد طلاق الزوجات الأُوَل، سواء كان حية أو ميّتة، فاذكروا هذه النعمة ولا تنسوها، كذا في الحسيني والزاهدي. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾ **(أي فإما أن يراجعها)** من غير طلب ضرار بالمراجعة، وإما أن يخليها حتى تنقضي عدّتها وتبين من غير ضرار ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ مفعول له أو حال أي مضارين، وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدّتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطوّل العدّة عليها فهو الإمساك ضرارًا ﴿لِّتَعْتَدُوا۟ۚ﴾ لتظلموهن أو لتلجئوهن إلى الافتداء ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يعني الإمساك للضرار ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ بتعريضها لعقاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾ **(أي جدوا بالأخذ)** بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوًا. يقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازىء ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ **(بالإسلام وبنبوّة محمد** ﷺ) ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ من القرآن والسنّة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ بما أنزل عليكم وهو حال ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما امتحنكم به ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد.

قوله: (أي آخر عدتهنّ) لا خفاء في أن ليس المعنى على بلوغهنّ الأجل ووصولهنّ إلى العدّة، ولا على بلوغهن آخره بحيث ينقطع الأجل، بل على وصولهنّ إلى قريب من آخره، فوجب تفسير الأجل بآخر المدّة، والبلوغ بمشارفته والقُرْب منه.

قوله: (أي فإمّا أن يُراجعها) في موضع خبر مبتدأ، أي فالواجب إمّا المراجعة وإمّا التَخْلية. **قوله: (أي جدّوا في الأخذ)**، يعني أن هذا النهي كناية عن ذلك الأمر.

قوله: (بالإسلام وبنبوّة محمّد عليه) الصّلاة **(والسّلام)**. فسّر النعمة بهذا ليحسن عطف ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ على ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ﴾. ويحسن على عطف ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ على ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ فيتلاءم والنظم غاية التلاءم، وليس عطف ﴿مَآ أَنزَلَ﴾ على النعمة المفسّرة بما ذكرت عطف الخاص على العام، أو بمنزلة التفسير والبيان، وإنْ كان الإنعام بالإسلام والنبوّة شاملًا لإنزال القرآن والسنة؛ لأن المنزل غير الإنزال. اهـ تفتازاني رحمه الله.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

(﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾) أي انقضت عدّتهن فدلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين لأن النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدّة، وفي الأولى

قوله: (﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾). . . الخ، هذه الآية في بيان النّكاح بعد انقضاء العدّة، سواء كان مع الزوج أو غيره؛ لأن قوله: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ هٰهنا على حقيقته، أي انقضت عدّتهنّ؛ لأن المذكور فيها النّكاح، وهو يكون بعد انقضاء العدّة دون الرجعة، كما في الآية السابقة حتى يُحمل على آخر العدّة، وفيه توجيهات: الأوّل: يُفهم عنه النكاح مع الزوج الأوّل، وهو أن يكون قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطابًا للأولياء، وذلك لما رُوِي أنها نزلت في شأن معقل بن يسار؛ إذ كانت أُخته في نكاح عبد الله بن عاصم ثم طلّقها، فلمّا انقضت العدّة أراد أن ينكحها مرّة أخرى، وكان معقل بن يسار يقول: والله لا أزوّج أختي لك ثانيًا، فإنك قد نكحتها أوّلًا ولم توافقها. وقيل: في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عمٍّ له، نصّ به في الكشاف.

والمعنى: إذا طلّقتم النساء فانقضت عدّة النساء بعد الطلاق، فلا تمنعوهنّ يا أيها الأولياء أن يرجعن إلى أزواجهنّ الذين كانوا أزواجًا لهنّ، فسمُّوا أزواجًا باعتبار ما كان، ولكن لا مطلقًا، ولكن إذا تراضوا ـ أي الخطاب ـ والنساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أي بما يحسن في الدِّين والمروءة من الشرائط وبمهر المثل أو الكفؤ، إلّا أنهم إذا لم يتراضوا بينهم بمهر المثل أو الكفؤ كان للأولياء حينئذ أن يتعرّضوا ويمنعوا من ذلك لفوات الشرط، ولكن على هذا التوجيه لا بدّ في ترتّب الجزاء على الشرط من تأويل أو حذف؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ خطاب للأزواج، وهو أنه وضع ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ وضع فلا يعضل أولياءهنّ، أو التقدير: لهنّ أن يرجعن إلى أزواجهنّ فلا تعضلوهنّ، كذا ذكر الشيخ العصام في حاشية البيضاوي. ثم في الآية توجيه آخر يُفهم منه النكاح مع زوج آخر، وهو أن يجعل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطابًا للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدّة ظلمًا ولا

الرجعة وذا يكون في العدّة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فلا تمنعوهن. العضل: المنع والتضييق ﴿أَن يَنكِحْنَ﴾ من أن ينكحن ﴿أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن، وفيه

يتركونهنّ أن يتزوجنّ من شيء من الأزواج، وحينئذ يكون المعنى: إذا طلّقتم النساء فانقضت عدّتهن فلا تمنعوهنّ يا أيها الأزواج من أن ينكحهنّ أزواجهنّ الذين يرغبون فيهنّ ويصلحون لهنّ ولا تطوّلوا عدتهنّ كما كان وسومهم في الجاهلية من المنع عن تعجيل طلب الأزواج فسمّوا أزواجًا باسم ما يؤول هذا التوجيه. وإن لم يوافق شأن النزول المرويّ من قبل، ولكنه يوافق نظم القرآن من ترتّب الجزاء على الشرط بدون تأويل أو حذف، وهذا هو التوجيه المختار عند صاحب المدارك، ولذا قدَّمه والأول هو المختار عند صاحب البيضاوي ولذا قدَّمه، ومبنى ذلك على نكتة، وهي أن مِنْ مذهب الشافعي رحمه الله أن لا ينعقد النكاح بعبارة النساء، ومِنْ مذهبنا أن ينعقد، فقال صاحب المدارك في قوله تعالى: ﴿أَن يَنكِحْنَ﴾ بإسناد النكاح إلى جماعة المؤنّث إشارة إلى انعقاد النكاح بعبارة النساء، والخطاب للأزواج الذين يعضلون نساءهم، إلى آخره. وقال صاحب البيضاوي: أوّلًا إن المخاطب الأولياء، ثم قال: فيكون دليلًا على أن المرأة لا تزوّج نفسها؛ إذ لو تمكّنت منه لم يكن تعضل الوليّ معنًى، ولا يعارض بإسناد النكاح إليهنّ لأنه بسبب توقفه على إذنهنّ، وإنما بنى على هذه النكتة؛ إذ لا يخفى عليك أنه لمّا كان كون المخاطبين هم الأزواج توجيهًا مقدّمًا عند صاحب المدارك لم يكن عضل الوليّ مذكورًا في الآية، فينعقد النكاح بعبارة النساء على هذا التوجيه بلا مانع، وقيل: إنه خطاب للأولياء والأزواج جميعًا، نصّ به القاضي. وقيل: إنه خطاب للناس، أي لا يوجد فيما بينكم عضل مِنَ المراجعة إلى الأزواج، وأنهم وإن لم يكونوا عاضلين حقيقة، لكن لمّا وجد العضل فيما بينهم وهم راضون به جُعِلوا بمنزلة العاضلين وخُطبوا بالنهي، هكذا قالوا. ومعنى الأزواج حينئذ راجع إلى أحد الوجهين الأوّلين، وينبغي أن يرتكب بالتأويل أو الحذف كما لا يخفى. وأقول: يجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ يا أيها الأزواج، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطابًا للأزواج اللاحقين، أي إذا طلّقتم يا أيها الأزواج اللاحقون النساء بعد الوطء فلا تمنعوهنّ من أن يرجعن إلى الأزواج السابقين بالنكاح الجديد. ثم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ إشارة إلى الحكم المذكور، والخطاب للنبيّ عليه

إشارة إلى انعقاد النكاح بعبارة النساء، والخطاب للأزواج الذي يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدّة ظلمًا ولا يتركونهن يتزوجن من شأن من الأزواج، سمّوا أزواجًا باسم ما يؤول إليه. أو للأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن الذين كانوا أزواجًا لهن، سموا أزواجًا باعتبار ما كان. نزلت **(في معقل بن يسار)** حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول. أو للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم﴾ إذا تراضى **(الخطاب)** والنساء ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط، أو بمهر المثل **(والكفء)** لأن عند عدم أحدهما للأولياء أن يتعرّضوا. **(والخطاب في** ﴿ذَٰلِكَ﴾ **للنبيّ ﷺ أو لكل واحد)** ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ فالموعظة إنما تنجع فيهم ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي ترك العضل والضرار ﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ أي

السلام أو لكلّ واحد. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ الخطاب للجميع، والمعنى ترك العضل والضّرار يوعظ به من كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر، وهو أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام، أي أفضل وأطيب عند الله. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (معقل بن يسار) ـ بياء ثم سين مهملة ـ الصحابي، وهو أبو عبد الله، ويقال: أبو يسار وأبو علي معقل بن يسار بن معبّر بن حُرّاق، وكان مَعْقل هذا من مشهوري الصحابة، شَهِد بيعة الرضوان، ونزَل البصرة وبها توفي في آخر خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهما. وقيل: توفي أيام يزيد. رُوِي له عن رسول الله ﷺ أربعة وثلاثون حديثًا اتّفقا على حديثٍ، وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين. روى عنه معمر وميمون وأبو عثمان النهدي والحسن البصري رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (الخطاب) بضمّ وتشديد جمع خاطب. **قوله: (المروة)** أصلها المروءة بالهمزة من المرء، ومعناها كمال الرجولية والإنسانية، يريد بعض ما يُستحسن في الرسوم والعادات. **قوله: (والكفء)** في مختار الصحاح: الكَفِيء بالمدّ النظير، وكذا الكُفْؤ والكُفُؤ بسكون الفاء وضمّها بوزن فُعْل وفُعُل. اهـ. **قوله: (والخطاب في** ﴿ذَٰلِكَ﴾ **للنبيّ ﷺ أو لكل واحد)**، يعني أن الكاف في مثل ذلك وأولئك وإنْ كان حرفًا لا ضمير أو كناية عن مخاطب، لكن لا بدّ فيه من معنى خطاب، وههنا إفراده يمنع كونه خطابًا لمن خُوطِب بلا تعضلوهنّ، فجعله خطابًا للرّسول فإنه

لكم من أدناس الآثام أو أزكى وأطهر أفضل وأطيب ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما في ذلك من الزكاء والطهر ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾﴾

(﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾) خبر في معنى الأمر المؤكد كـ ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾.

الأصل في تلقي الكلام، أو لكل واحد ممن يتلقى الكلام، وحرف الخطاب يكون لمن يسمع ويتلقى الكلام، سواء كان هو المخاطب بالحكم أو لم يكن، ومثله: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: الآية ٥٢]. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾) . . . الخ. اعلم أن الله تعالى لمّا ذكر بيان المطلّقات مطلقًا أورد عقبها بيان المطلّقات التي معهنّ ولد، فسوّق هذه الآية لبيان تربية الولد الصغير وإرضاعه على الوالدة وتكميل النظر من الأبوين في حقه، ويتضمّن مسائل من تقريره مدّة الرضاع، وبيان الأجرة والنفقة والكسوة للزوجة والمرضعة ولذوي الأرحام واستئجار الأجنبية وأمثاله من الفوائد، ونحن نسمعك حقائقها ودقائقها من كتب الفقه وأئمّة الأُصول والتفاسير، فنقول: قال المفسّرون: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ خبر في معنى الأمر المؤكّد، وإذا كان في معنى الأمر يكون للندب؛ لأن إرضاع الأمّ ولدها ليس بواجب عليها، وإنّما الواجب استئجار الأب مرضعة لأجله، أو يُحمل على الوجوب، ولكن بشرط إنْ لم يقبل الصبي إلّا ثدي أُمّه، أو لم يوجد له ظئرًا، وكان الأب عاجزًا عن الاستئجار، والأوّل هو المختار للإمام الزاهد، والثاني لصاحب الهداية. وقوله تعالى: ﴿حَوۡلَيۡنِ﴾ ظرف لقوله تعالى: ﴿يُرۡضِعۡنَ﴾ وصف، قوله تعالى: ﴿كَامِلَيۡنِۖ﴾ تأكيد؛ لأنه مما يتسامح فيه، فإنك تقول: أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما.

وفي تقدير مدّة الرضاع خلاف بين أبي حنيفة وبين صاحبيه والشافعي، فذهب أبو حنيفة إلى أنها حولان ونصف، وذهب صاحباه والشافعي إلى أنها

....

حولان فقط، وعند زُفَر ثلاثة أحوال، وقد تمسّك أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه بما سيأتي في سورة الأحقاف من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الآية ١٥]، وتمسّكوا أيضًا بهذه الآية وبكلّ ما ورد في القرآن من التقييد بحولين، نحو قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: الآية ١٤]، وقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، وبالحقيقة ليس هو حجّة لهم فيما ذهبوا إليه من عدم زيادة الرّضاع على حولين؛ لأنه قيّد الوجوب إرضاع الوالدة ولدها، يعني أنْ ليس الواجب على الوالدة إرضاع ولدها عند العذر إلّا حولين كاملين، والزيادة تبرّع منها. أو قيّد لوجوب أجرة الرضاع على الأب بقرينة قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، يعني ليس الواجب على الأب إلا أجرة حولين كاملين، ولا يُفهم منه أن لا يجوز زيادة الرّضاع أكثر من سنتين.

ولمّا كان هذه مظنّة شبهة حكم أبو حنيفة رحمه الله بأنها حولان ونصف حَوْل احتياطًا في تعلّق حرمة النكاح بالرضاع، أي إن أرضعت المُرضعة في هذه المدة يكون هي أمّه وزوجها أباه وابنتها أُخته وغير ذلك، فيُحرم النكاح بهنّ.

نعم الحجّة للخصم في هذا الباب يصلح أن يكون قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾، فإنه بالاتفاق بيان لما توجّه إليه الحكم أو متعلّق بيرضعن، أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرّضاع، أو يرضعن لأجل مَن أراد إتمام الرّضاع؛ فعُلِم أن تمام مدّة الرضاع وهو حولان فقط، كما قال صاحب البيضاوي تحت هذا القول، وهو دليل على أن أقصى مدّة الرضاع حولان ولا عِبْرة به بعدهما، وأنه يجوز أن ينقص عنه والتشفّي عنه صعب، إلّا أن يقال: المراد إتمام المدّة التي وجبت عليهنّ الرضاعة أو عليه أُجرته فيهما، وسنذكر بيان مدّة الرضاع وقدره وتفاصيله في مواضع أُخر إن شاء الله تعالى.

وقوله: (﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾)، ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ هو الأب والضمير في ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ عائد إلى الوالدات، فإن كان المراد إيجاب نفقتها وكسوتها على الرجل من حيث إنها امرأة له ـ كما صرّح به صاحب الهداية ـ كان المراد من الوالدات أعمّ من أن يكون مطلّقة معتدّة أو غير مطلّقة، فيكون هذه الآية

....

حينئذ لبيان أن على الرجل يجب النفقة والكسوة للزوجة بلا إسراف ولا تقتير، ويكون ردًا على الشافعي رحمه الله فيما ذهب إليه من تقدير النفقة بالمدّين أو مدّ ونصف كما عُرِف، وإنْ كان المراد به النفقة والكسوة لهنّ لأجل أنها مرضعة، كما هو الظاهر من السياق. والمختار لفخر الإسلام: كان المراد من الوالدات المطلّقات المنقضية عدتهنّ؛ لأنه لا يجوز استئجار الأُمّ للرضاعة إلّا إذا كانت مطلّقة منقضية عدتهنّ أو كان الولد من غيرها.

فالحاصل أنّ الأب يجب عليه إرضاع ولده، وعليه أن يتّخذ لأجله ظئرًا[1]، ولا يجب الإرضاع على الأُم، بل هو مندوب عليها، إلّا إذا لم يقبل الصبيّ غير ثدي أُمّه، أو كان الأب عاجزًا عن الاستئجار، أو لم يجد له ظئرًا، فحينئذ تجب على الأُمّ إرضاعه، فإن أرضعت لا يجوز لها أخذ الأجرة ما دامت زوجته أو معتدّته، وإذا انقضت عدّتها يجوز لها أخذ الأُجرة، وعلى الأب إعطائها بالمعروف حولين كاملين، كما يجب عليه لسائر المرضعات، وإن استأجر الأب غيرها ورَضِيَت بمثل أجرة الأجنبية، أو رضيت بغير أجر كانت هي أحقّ؛ لأنها أشفق. وإن التمست الزيادة لم يُجبر الزوج عليها دفعًا للضرر عنه، أقيس كذلك من المدارك وكتب الفقه. وفي الآية إشارة إليه على ما سيأتي، وهذا عندنا. وأمّا عند الشافعي رحمه الله: فيجوز استئجار الأُمّ مطلقًا، ولهذا جعل صاحب البيضاوي قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ﴾ أعمّ من أن يكون عامًا في المطلّقات وغيرها، أو خاصًّا في المطلّقات وحدها، وجعل المراد من قوله تعالى: ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ هو الرزق والكسوة أجرة للوالدات المرضعات، والشيخ العصام ولمّا لم يقف على مراده ولم يحفظ مذهبه قال: وكون الوالدات مخصوصة بالمطلّقات يرجحه بيان الرزق والكسوة، فإنه لا يجب كسوة الوالدات ورزقهنّ إذا كنّ غير مطلّقات للإرضاع، بل إنما وجبت للزوجية، وعلى توجيه إرادة الإعمّ بيان وجوب الكسوة باعتبار المطلّقات، هذا كلامه.

---

(١) بهمزة ساكنة، ويجوز تخفيفها، قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها ظئر، وللرجل الحاضن ظئر أيضًا، والجمع أظآر مثل حمل وأحمال، وربما جمعت المرأة على ظِئار بكسر الظاء وضمّها. اهـ مصباح باختصار. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

....

ثم معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ وعلى الذي وُلد لأجله وهو الوالد والأب، وإنما ذكر هذا دونهما ليعلم أن الوالدات إنما ولدت لأجلهم؛ إذ الأولاد للآباء والنّسب إليهم لا إليهنّ، وكان عليهم أن يرزقوهنّ ويكسوهُنَّ، وإذا أرضعن ولدهم لأجله كالأظيار، وهذه إشارة ليست إلّا في هذه الهيئة المخصوصة، ولو قيل: أو على الأب لم يُفهم هذا المعنى، وإلّا يُفهم كون النسب من الأُمّهات أيضًا من قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾، كذا في التفاسير. وبهذا المعنى ذكر الإمام فخر الإسلام البزدوي في بحث إشارة النص، حيث قال: في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ إشارة إلى أنّ النّسب إلى الآباء، وإلى أن للأب حقّ التملّك في مال ولده، وأنه لا يُعاقَب بسببه، كالمالك بمملوكه؛ لأنه نُسِب إليه بلام الملك، وإلى انفراد الأب بتحمّل نفقة الولد؛ لأنه أوجبها عليه بهذه النسبة، ولا يشاركه فيه أحد، وإلى أن الولد إذا كان غنيًّا والوالد محتاجًا لم يشارك الولد أحد في تحمّل نفقة الوالد، وفي قوله تعالى: ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ إشارة إلى أن أجرة الرّضاع يُسْتغنى عن التقدير بالكيل والوزن، كما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه. انتهى محصول كلامه. وتمسّك صاحب الهداية أيضًا بهذه الآية في انفراد الأب بتحمّل نفقة الولد، حيث قال: ونفقة الأولاد الصّغار على الأب لا يُشاركه فيها أحد، كما لا يُشاركه في نفقة الزوجة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، والمولود له هو الأب، هذا لفظه. ولم يتعرّض لغيره من الإشارات وتعرّضها صاحب التوضيح، ودقّق في بيان استغناء أجر الرضاع عن التقدير بكلام حاصله ما قال في التلويح: فإن أراد - أي الوالد - استئجار الوالدة المطلّقة لرضاع الولد يكون استغناء أجرها عن التقدير ثابتًا بالإشارة؛ لأن مثل قوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ إنما يقال في مجهول القدر والصفة، فإن أراد استئجار غير الوالدة فثبوت استغناء أجرها عن التقدير يكون بدلالة النصّ؛ لأن جواز الاستغناء عن التقدير مبنيّ على أنّ هذه الجهالة لا تفضي إلى المنازعة، لأنهم لا يمنعون في العادة قدر الكفاية من الطعام؛ لأن منفعته يعود إليهم، ولا من الكسوة؛ لأن الولد في حجرها، لا بإشارة النصّ لأنه ليس بثابت بنفس النظم؛ لأن الضمير في ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ عائد إلى الوالدات، هذا لفظه. وقوله تعالى: و﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾

....

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ جملة معلّلة لقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أو بيان له على حسب الاختلاف. و﴿لَا تُضَآرَّ﴾ الأكثرون يقرؤونها بفتح الراء المشدّدة بصيغة النهي من باب المفاعلة، وبعضهم برفع الراء المشددة بصيغة الخبر بمعنى النهي، وعلى كلّ تقدير يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، فحينئذ يكون والدة فاعله والمفعول محذوف والباء بولدها للسببية، أو يكون ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ بمعنى لا تضرّ، والباء من صِلته، و﴿بِوَلَدِهَا﴾ مفعوله بواسطة حرف الجرّ، ويحتمل أن يكون مبنيًا للمفعول، ووالدة مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله، والباء للسببية، يعني: لا تضارّ والدة زوجها بسبب ولدها بأن تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، أو لا يضرّ والدة بولدها بإلقائه بعد ما أَلِفَ بها، أو لا تضارّ والدة من قبل الزوج بسبب ولدها بإكراهها على الرّضاعة مع طاقة الاسترضاع، وهكذا. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾، يعني: لا يضارّ مولود له امرأته بسبب ولدها بأن يمنعها ما يجب لها من رزقها وكسوتها، أو لا يضرّ مولود له بولده بالكفّ عن أُمّه بعدما أَلِفَ بها، أو لا يضارّ مولود له من قِبَل الزوجة بسبب ولده بطلب زيادة الأجرة منه. وإنّما قيل: بولدها وبولده؛ لأنه لما نُهيت الوالدة والمولود له عن المضارّة أُضيف إليهما الولد استعطافًا لهما عليه، هذا خالص ما في التفاسير.

وأقول: يمكن أن يكون في ذكر قوله تعالى: ﴿بِوَلَدِهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٣] و﴿بِوَلَدِهِۦ﴾ إشارة إلى الإضرار لمّا كان مدفوعًا في حقّ ولديهما، فللوالدة في حقّ ولده من غيرها، والوالد في حقّ ولدها من غيره يدفع ذلك بالطريق الأَوْلى، فلا يجب على الأُمّ إرضاع ولده من غيرها، وإن انعدمت المرضعة، ولا يجب على الأب الاسترضاع الأجير بولدها من غيره وإن عجزت الأمّ. وقال في شرح الوقاية: اعلم أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ أوجب الإرضاع على الأمّهات، ثم قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أوجب دفع الضّرر عن الأمّهات والآباء، فإن امتنعت، والأب لا يتضرّر باستئجار المرضعة، لا تُجبر الأمّ؛ لأن الظاهر أنّ امتناعها للعجز، لأن إشفاق الأُمومة يدلّ على أنها لا تمنع إلّا للعجز، فإن أقدمت عليه وتطلب الأجرة لا تُعطى، لأنه قد ظهر قدرتها، فالإتيان بالواجب لا يوجب الأجرة، على أن الشرع لم يوجب

....

للمرضعة إلّا النفقة، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وكل من تأخذ النفقة وهي المنكوحة والمعتدة الرجعي لا تُعطى شيئًا آخر للإرضاع. وأمّا المبتوتة، فكذا في رواية. وأمّا على الرواية الأخرى، فإنّ الزوج قد أوحشها بالإبانة، فلا يُرْجى منها المُسامحة والمساهلة، فصارت كما بعد العدّة، وإنما يجوز الإجارة بعد العدّة؛ لأن النفقة غير واجبة لها، فيجب الأجرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ الآية، هذا لفظه. وقد صرّح بذلك كلّه صاحب الهداية أيضًا، وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾: مع إلزامها الإرضاع مع كراهتها، وفي تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾: منع إلزامه الأجرة لها أكثر من أجرة الأجنبية؛ فلعله اختار فيها البناء للمفعول، كما لا يخفى. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ وما بينهما معترض تفسير للمعروف أو تعليل له ـ كما مرّ آنفًا ـ والمعنى: وعلى الوارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرّزق والكسوة، أي إنْ مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشرائط التي ذكرت من المعروف، ويجتنب الضّرر، وهذا في الكشاف فقط. والمعنى: على وارث الصبي إذا فرض ميتًا مثل ما وجب على أبيه في حال حياته من الرزق والكسوة إذا انعدم الأب، يعني إذا مات الوالد وترك صبيًّا رضيعًا كانت أجرة الرّضاع واجبة على وارث الصبي إذا فرض ميتًا. ولكن اخْتُلف في تفسير الوارث؛ فعند ابن أبي ليلى: كلّ من ورثه. وعند أبي زيد: العصبات خاصّة. وعندنا: مَنْ كان ذا رحم فحرم منه، لقراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك ـ كما في الهداية والمدارك ـ فيُجْبَر ذو الرّحم المحرم على النفقة والكسوة، ولكن على قدر الإرث، فنفقة مَنْ له أخوات متفرقات مثلًا عليهنّ أخماسًا، يعني مَنْ له أخوات إحداها لأب وأُمّ، والثانية لأب فقط، والثالثة لأُمّ فقط، فثلاثة أخماس على التي لأب وأُمّ، والخمس على التي لأب، والخمس على التي لأُمّ؛ لأن إرثهنّ على هذا المقدار. ونفقة مَنْ له خال وابن عمّ على الخال فقط لأهلية الإرث، وهكذا يجب نفقة كل ذي رحم محرم صغير فقير، أو أنثى بالغة فقيرة، أو ذكر زَمِن أو أعمى على قدر الإرث، ولا يجب نفقة الصغير الغنيّ

....

بل في ماله، ولا نفقة الابن البالغ القادر على الكسب. وأمّا نفقة الوالدين الفقيرين، فعلى الولد على ما سيأتي في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: الآية ١٥]، وكذا يجيء نفقة المحارم في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الآية ٣٨]، وكذا يجيء في نفقة الزوجات على الزوج في مواضعها إن شاء الله تعالى.

واخْتُلِف في نفقة الابنة البالغة والابن البالغ الزَّمِن على الأبوين أثلاثًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، وفي ظاهر الرواية: كلّ النفقة على الأب؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾، فصار كالولد الصغير، هكذا في الهداية. وعند الشافعي ﷺ: لا نفقة فيما عُدم الولاد، ويوافق قوله تعالى لمن فسّر الآية بأن معناه: على وارث الأب، وهو الصبي ـ أي قوت المرضعة ـ من ماله إذا مات الأب، أو بأنّ معناها: وعلى الباقي من الأبوين، فإنْ كان الباقي الأب فعليه مثل ذلك، وإنْ كان الباقي الأُمّ فعليها مثل ذلك إذا لم تقم لإرضاعه بنفسها، ولذا ذكره القاضي البيضاوي.

ولا يخفى أنّ ظاهر الآية حجّة لنا عليه، وإلى كل ذلك كلام الإمام فخر الإسلام ناظر، حيث قال: وفيه إشارة إلى أن النفقة تستحقّ بغير الولاد، وهي نفقة ذوي الأرحام، خلافًا للشافعي ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، وذلك بعمومه يتناول الأخ والعمّ وغيرهما، ويتناولهم بمعناه؛ لأنه اسم مشتقّ من الإرث مثل الزاني والسارق، وفيه إشارة إلى أنّ مَنْ عُدِم الوالد يتحمّلون النفقة على قدر المواريث، حتى أنّ النفقة تجب على الأُمّ والجدّ أثلاثًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، فهو اسم مشتقّ معنًى، فيجب بناء الحكم على معناه، هذا كلامه. ومراده أن في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ إشارة إلى العموم، فيتناول ما عدا قرابة الولاد، وإشارة إلى أن النفقة على قدر الإرث، ففيه إشارتان.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ [البقرة: الآية ٢٣٣] يتعلق بقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، يعني أن الواجب في الفصال حولان، فإن أراد الزوجان فصال الولد قبل تمام الحولين أو بعد الزيادة على الحولين عندنا، وقيل: تمام الحولين فقط عنده

وهذا الأمر على وجه الندب أو على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه، أو لم توجد له **(ظئر)**، أو كان الأب عاجزًا عن الاستئجار، أو أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع ﴿حَوْلَيْنِ﴾ ظرف ﴿كَامِلَيْنِ﴾ تامين وهو تأكيد **(لأنه مما يتسامح فيه)** فإنك تقول: أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجه إليه الحكم أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة. والحاصل أن الأب يجب عليه إرضاع ولده دون الأُم، وعليه أن يتخذ له ظئرًا إلا إذا تطوعت الأُم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه، **(ولا يجوز استئجار الأُم ما دامت زوجة أو معتدّة)** ﴿وَعَلَى

فصالًا صادرًا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ بينهما، فلا جُناح عليهما. والتشاور استخراج الرأي من قولك: شورت العسل إذا استخرجته.

والحاصل أنهما إذا تراضيا بالفِطام عن الأُمّ واستئجار الأجنبية لذلك، صحّ. وإنّما اعتبر المُراضاة، لأن للأب النسبة والولادة، وللأُمّ الشفقة والعناية، فتمّ بذلك إصلاح الولد. وفي الزاهدي: أنه لا يعتبر المراضاة إذا كان فوق حولين. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾، أي إن أردتم يا أيها الأزواج أن تسترضعوا مراضع أُخر غير الأُمّ، لأجل أولادكم عند إبائها أو عجزها ابتداء، أو بعد الفصال عنها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي ما أردتم من الأجرة تسليمًا ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي بطيب نفس وسرور قلب، والتقييد بهذا التسليم ندب لا شرط، للجواز بالإجماع؛ إذ الأجرة لا تجب إلّا عند تمام المعقود عليه على ما عُرِف. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يا أيّها الأزواج في نزع الولد عنها، ويا أيّتها الزوجات في طرح الولد عليه، واعلموا أنّ الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه أعمالكم فيُجازيكم عليها.اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (ظئر) في المصباح: الظّئر ـ بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها ـ الناقة تعطف على ولد غيرها، ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها: ظئر، وللرجل الحاضن: ظئرًا أيضًا، والجمع أظآر، مثل حمل وأحمال، وإنما جُمِعَت المرأة على ظِئار ـ بكسر الظاء وضمّها ـ.اهـ. **قوله: (لأنه)** أي ذكر الحولين ونحو ذلك **(ممّا يتسامح فيه)**، فيُطلق على الأقل القريب من التمام. **قوله: (ولا يجوز استئجار الأُمّ ما دامت زوجة أو معتدّة)**، فإنه لو استأجر منكوحته على إرضاع ولده

﴿ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾ الهاء يعود إلى اللام الذي بمعنى «الذي»، والتقدير: وعلى الذي يُولد له وهو الوالد، (و«له» **في محل الرفع**) على الفاعلية كـ«عليهم» في ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: الآية ٧] وإنما قيل: «على المولود له» دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم إذ الأولاد للآباء والنسب إليهم لا إليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر، ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى (**وهو قوله**: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ) عَن وَالِدِهِۦ (شَيۡـًٔا)﴾ [لقمان: الآية ٣٣] ﴿رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾) بلا إسراف (**ولا تقتير**)، وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلّف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ (**وجدها**) أو قدر إمكانها. (**والتكليف**) إلزام ما يؤثره في (**الكلفة**. **وانتصاب** «**وسعها**» **على أنه مفعول ثانٍ لـ** «**تكلف**») لا على الاستثناء ودخلت إلا بين المفعولين.

منها لم تستحقّ الأجر عندنا، والمُبانة إذا اسْتُؤجرت لذلك بعد انقضاء عدّتها استحقّت الأجر بالإجماع، ولو امتنعت المنكوحة من الإرضاع لم تُجبر عليه بالإجماع. **قوله:** (و«**له**» **في محل الرفع**)، وكأنّه لم تجعل الفاعل ضمير الولد؛ لأنه غير مقصود، وإنّما المقصود أن رزقهنّ **على** من وقعت الولادة له. **قوله:** (**وهو قوله تعالى**) في سورة لقمان: (﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي﴾ [الآية ٣٣]) يُغني (﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [الآية ٣٣]) فيه شيئًا ﴿(وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ) عَن وَالِدِهِۦ﴾ [الآية ٣٣] فيه (﴿شَيۡـًٔا﴾ [الآية ٣٣]).

قوله: (**ولا تقتير**) في المصباح: قَتَّر على عياله قَتْرًا وقُتُورًا من بابي ضرب وقعد: ضيّق في النفقة، وأقتر إقتارًا وقتَّر تقتيرًا مثله. اهـ. **قوله:** (**وجدها**) في لسان العرب: الوَجْد والوُجْد والوِجد: اليسار والسَّعة. وفي التنزيل: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ [الطّلاق: الآية ٦]، وقد قرىء بالثلاث، أي سعتكم وما ملكتم، وقال بعضهم: من مساكنكم. اهـ. **قوله:** (**والتكليف**). . . الخ. في التفسير الكبير: التكليف الإلزام، يقال: كلّفه الأمر فتكلّف وكلف، وقيل: إن أصله من الكلف، وهو الأثر على الوجه من السواد، فمعنى تكلّف الأمر اجتهد أن يبين فيه أثره، وكلّفه ألزمه ما يظهر فيه أثره. اهـ. **قوله:** (**الكلفة**) ما تكلّفه على المشقّة، والجمع كُلف، مثل غرفة وغرف. اهـ مصباح. **قوله:** (**وانتصاب وسعها على أنه مفعول ثانٍ لـ** «**تكلّف**»). . .

(﴿لَا تُضَآرَّ﴾ **مكيّ وبصريّ بالرفع على الإخبار ومعناه النهي**) وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل «تضارر» بكسر الراء أو «تضارر» بفتحها. (**الباقون «لا تضار» على النهي**) والأصل «تضارر» أسكنت الراء الأولى وأُدغمت في الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين ﴿وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن (**تعنف به**) وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، وأن تشغل قلبه (**بالتفريط**) في شأن الولد، وأن تقول بعدما ألفها الصبي أطلب له ظئر أو ما أشبه ذلك ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئًا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد إرضاعه. وإذا كان مبنيًا للمفعول فهو نهي على أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج، وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد، (**أو تضار بمعنى تضرّ والباء من صلته**) أي لا تضرّوالدة ولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها، ولا يضرّ الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد. وإنما قيل: «بولدها» و«بولده» لأنه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد (**استعطافًا لها عليه**) وذلك الوالد ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ عطف على قوله: «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن» وما بينهما تفسير للمعروف

الخ. وهو مستثنى مفرغ؛ لأن كلف يتعدّى إلى اثنين. اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله:** (﴿لَا تُضَآرَّ﴾ **مكيّ**) أي ابن كثير المكي (**وبصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**بالرفع على الإخبار**) أي برفع الراء مشدّدة لأنه مضارع لم يدخل عليه ناصب ولا جازم فرُفِع، فلا نافية. (**ومعناه النهي**) للمشاكلة من حيث إنه عطف جملة خبريّة على مثلها من حيث اللفظ. **قوله:** (**الباقون: ﴿لا تضار﴾**) بفتحها مشدّدة (**على النّهي**) أي على أن لا ناهية. **قوله:** (**تعنف به**) في مختار الصحاح: العُنْف ـ بالضم ـ ضدّ الرِّفق، تقول منه: عَنُف عليه ـ بالضم ـ عِنْفًا وعَنُفَ به أيضًا. اهـ. **قوله:** (**بالتفريط**) أي التقصير. **قوله:** (**أو تضارّ بمعنى تضرّ، والباء من صلته**)، ومعنى كون الباء من صلة تضرّ أن تكون متعلقة به معدّية له إلى المفعول، كهي في: ذهبت بزيد، ويكون ضارّ بمعنى أضرّ، فإنّ فاعل يجيء بمعنى أفعل نحو باعدته وأبعدته. **قوله:** (**استعطافًا لها عليه**)، فكأنه قيل: إن الولد ليس بأجنبيّ منها، فمن حقها أن تُشفق عليه، فكيف تضارّ الأب بسبب إضرارها بولدها.

معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الأب «مِثْلُ ذَٰلِكَ» أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة. واختلف فيه؛ **(فعند ابن أبي ليلى: كل مَن ورثه، وعندنا: مَن كان ذا رحم محرم منه)** لقراءة ابن مسعود ﷺ «وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك»، وعند الشافعي رحمه الله: لا نفقة فيما عدا الولاد. ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ يعني الأبوين (﴿فِصَالًا﴾) فطامًا صادرًا ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك زادا على الحولين أو نقصا، وهذه توسعة **(بعد التحديد)**، والتشاور استخراج الرأي من

قوله: (فعند ابن أبي ليلى: كلّ مَنْ ورثه) على الإطلاق، أي سواء كان ذا رحم محرم منه أو لم يكن، وسواء كان من الرجال والنساء، فتجب عليهم نفقة الصبي على قدر أنصبائهم من ميراث الصبيّ.

وقوله: **(ابن أبي ليلى)** في دستور الإعلام بمعارف الأعلام: ابن أبي ليلى الأنصاري الكوفي قاضيها ومُفْتيها وفقيهها أفقه أهل الدنيا، محمّد بن عبد الرحمٰن بن يسار، وقيل: داود، كان صاحب قراءة وسنة قرأ عليه حمزة الزيّات. اهـ. وفي وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: وكان ابن أبي ليلى من أصحاب الرأي، وتولّى القضاء بالكوفة، وأقام حاكمًا ثلاثًا وثلاثين سنة، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة، وهو باقٍ على القضاء.

قوله: (وعندنا مَنْ كان ذا رحم محرم منه)، أي من الصبي بحيث لا يجوز بينهما النّكاح على تقدير أن يكون أحدهما ذكراً والآخر أُنثى، أو بقيد أن يكون أحد أصوله من الآباء والأُمّهات والأجداد والجدّات، أو بقيد أن يكون أحد أصوله من عصبة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (﴿فِصَالًا﴾) الفصل ضدّ الوصل، ويسمى الفطام فصالًا؛ لأنه إنما يكون بفصل الطفل عن الاغتذاء بلبن أُمّه إلى غيره من الأقوات. **قوله: (بعد التحديد)**، أي تعيين الحولين بحيث لا يُزاد. وأمّا جواز النقصان، فقد عُلِم من قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ على ما ذكره قتادة رحمه الله يشكل القول بأن هذه التوسعة إنما هي من جانب النقصان في مدّة الحولين، وإن عدم التجاوز بحاله، وغايته أن يقال: القصد إلى الإعلام بأنّ للام دخلًا في ذلك. اهـ تفتازاني.

(شرت العسل) إذا استخرجته، وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضرّ الرضيع، فسبحان الذي أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما، لأن للأب النسبة والولاية وللأم الشفقة والعناية. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي لأولادكم عن الزجاج. وقيل: **(استرضع منقول من أرضع)**، يقال: أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي مُعدًّى إلى مفعولين أي أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعني غير الأُم عند إبائها أو عجزها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلى المراضع ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ **(ما أردتم إيتاءه)** من الأجرة. (**«أتيتم»** مكيّ) من أتى إليه إحسانًا إذا فعله ومنه قوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦١] أي مفعولًا، والتسليم ندب لا شرط للجواز ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ **(متعلق بـ «سلمتم»)** أي سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها.

قوله: (شرت العسل) من باب قال. **قوله: (استرضع منقول من أرضع)** قاعدة التصريف أخذ استفعل وسائر أبواب المزيد من المجرد، لكن المعنى هٰهنا على طلب أن تُرضع الأمّ الصبي مِنْ أرضعت المرأة الصبي، لا على طلب أن يرضعَ الصبيُ الأمّ من رضع الصبيّ الأمّ أو الثدي، فلذا جعله منقول من أرضع لا من رضع. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (ما أردتم إيتاءه) أي إعطاءه لما ورد على ظاهر النظم أن إذا ظرف لما يستقبل، فيكون سلمتم بمعنى الاستقبال، وقوله: ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾، ما فرض، فيلزم أن يكون ما تحقّق إيتاؤه مسلمًا في المستقبل بعد الإيتاء، وهو تحصيل الحاصل أوّل قوله: ما آتيتم بما أردتم إيتاءه فاندفع الإشكال، وكذا قراءة ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ معناه ما أردتم فعله؛ إذ لا يستقيم على ظاهره.

قوله: (﴿أتيتم﴾) بقصر الهمزة **(مكّيَ)** أي ابن كثير المكّيَ من باب المجيء، أي جئتم وفعلتم. والباقون بالمدّ من باب الإعطاء، فهو متعدٍّ لاثنين. **قوله: (متعلق بـ «سلمتم»)**، أي إذا سلّمتم بالوجه المعروف، والطريق المألوف فيما بين الناس السالكين طريق الإنسانية، وبالجملة الطريق الذي لا يُنكره الشرع والمروءة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

(﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾) تقول: توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وافيًا تامًّا أي تستوفى أرواحهم.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾). . . الخ. يعني الذين يتوفّون من المسلمين ويتركون أزواجًا ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي أزواجهنّ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي آخر عدّتهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ بعدها ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ بالمعروف من التزوّج، فقد عُلِم من هذه الآية أن عدّة المرأة التي توفّي عنها زوجها أربعة أشهر وعشر ليال مع أيام، يعني لا تنكح زوجًا آخر في هذه المدّة، ولا بأس فيما فعلن بعدها من الزوج. وقد ذُكر في كتب الأصول أنّ قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ٤] في سورة الطلاق يقتضي أن يكون عدّة الحامل وضع الحمل، سواء كانت متوفّى عنها زوجها أو مطلّقة أو غيرها، وهذه الآية ـ التي في البقرة ـ يقتضي أن يكون عدّة المُتوفّى عنها زوجها أربعة أشهرٍ وعشرًا، سواء كانت حاملًا أو غير حامل؛ فالحامل الغير المتوفّى عنها زوجها لا شكّ أنها تعتدّ بوضع الحمل، وكذا المتوفّى عنها الغير الحامل لا شكّ أنها تعتدّ بأربعة أشهرٍ وعشرًا. فأمّا الحامل المتوفّى عنها زوجها، فقد تعارضت فيه الآيتان ظاهرًا، فذهب ابن مسعود إلى أن الآية في سوق الطلاق نزلت بعد هذه التي في سورة البقرة، ففي صورة يكون متوفّى الزوج حاملة عدّتها وضع الحمل، لا التربّص بأربعة أشهر وعَشْرًا، فكأنّ هذه الآية منسوخة بآية الطلاق بقدر ما تناوله الآيتان، وهذا القسم من النسخ ينبغي أن يُسمّى في عرفهم نسخ وصف في الحكم، يعني لم ينسخ أصل الحكم بل وصفه، وهو العمومية، وهو وإنْ لم يكن معتبرًا عند الشافعي لكنه يقبله في هذه الآية بتسمية أنه تخصيص للعموم، لا أنّه نسخ للحكم، بناءً على أن التخصيص عنده يكون موصولًا، وعندنا المفصول نسخ لا تخصيص.

وعن عليّ وابن عباس أنها تعتدّ بأبعد الأجلين احتياطًا، يعني إنْ كان وضع الحمل عن قريب بحيث يكون قبل أربعة أشهر وعشرة كانت عدّتها أربعة أشهر

....

وعشرة، وإن كان وضع الحمل عن بعيد بحيث يكون بعد أربعة أشهرٍ وعشرة كانت عدّتها وضع الحمل، عملًا بالآيتين. ثمّ إنه وإنْ كان عموم اللفظ يقتضي أن يكون عدّة الحرّة والأَمَة سواء ـ كما قال الأصمّ ـ لكن من ضابطتهم أنّ حقّ الأَمَة نصف حقّ الحرّة في جميع الباب، فيكون عدّة الأمَة الغير الحاملة شهرين وخمسة، وإلى كلّ ذلك أشار صاحب الهداية، حيث قال: وعدّة الحرّة في الوفاة أربعة أشهرٍ وعشر؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، وعدّة الأمَة شهران وخمسة أيّام لأنّ الرّقّ منصف. وإنْ كانت حاملة، فعدّتها أن تضع حملها؛ لإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ٤]. قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: مَنْ شاء باهلته أنّ سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: لو وضعت وزوجها على سرير لانقضت عدّتها وحلّ لها أن تتزوج، هذا لفظه. إنما قدّر الله تعالى عدّتها بهذه المدّة، لأنّ خلقة الولد تتمّ في أربعة أشهر، كما ورد في الأحاديث، وزِيد عشرة أيام ليظهر ولدها، على ما في الزاهدي. أو لأن الجنين يتحرّك في ثلاثة أشهر إنْ كان ذكرًا، وفي أربعة إنْ كان أُنثى، فاعْتُبِر أقصى الأجلين، وزِيد العشرة استظهارًا؛ إذ ربما يضعف حركته في المبادىء، فلا يُحَسُّ، على ما في البيضاوي. والمسلمة والكتابية سواء في هذه العدّة عندنا. وأمّا ما ذكر القاضي البيضاوي من قوله تعالى: وعموم اللفظ يقتضي لتساوي المسلمة والكتابية فيه، كما قال الشافعي، فقد أجابه الشيخ العِصام بقوله: لم نجد الفرق بينهما في كتب الحنفية أيضًا، بل في المحيط: يجب على الكتابية إذا كانت تحت مسلم ما يجب على المسلمة، هذا كلامه. ثم هذه الآية التي في البقرة كما أنها منسوخة بآية الطلاق فيما تناولتاه، كذلك هي ناسخة للآية التي بعدها، أعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٠]، فإنه يقتضي وجوب العدّة إلى حولٍ كامل، ووجوب الوصيّة بالنفقة إليه أيضًا والسُّكنى، فوجوب العدّة إلى الحول نُسِخ بأربعة أشهرٍ وعشرًا، وهو وإنْ كان مُقدَّمًا على المنسوخ تلاوةً، لكنه مؤخّر نزولًا، ومثله جاء في موضعين كما مرّ.

....

ووجوب الوصية بالنفقة منسوخ بآية الميراث، أي الرُّبع والثُّمن. فلا نفقة للمتوفّى عنها، ولذلك قالوا: إنها تخرج في اليوم وبعض اللّيل للنفقة وتبيت في منزل زوجها بخلاف المطلّقة، فإنّ لها نفقة العدّة، فلا تخرج للنفقة وتحصيلها والسكنى أيضًا غير ثابت عندنا، بخلاف الشافعي رحمه الله. ومعتدّة الطلاق البائن والموت كما يجب عليها الكفّ عن الزواج، كذلك يجب عليها الحِداد بترك الزِّينة والدّهن إلّا من عذر والطِّيب ولُبْس المعصفر والمُزَعفر والحرير والاختضاب بالحنّاء ونحوها. وفي المبتوتة خلاف الشافعي في الحِداد على ما عُرِف بخلاف المُطلَّقة الرجعيّة، فإنّه يستحبّ لها أن تزيَّن بالأشياء المذكورة ليرغب الزوج في رجوعها.

ثمّ جئنا إلى تفسير ألفاظ الآية، فنقول: قوله تعالى: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ بصيغة المجهول عند الجمهور، وقرأ عليّ رضي الله عنه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي يستوفون آجالهم، وفيه كلامٌ طويل. وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ﴾ معطوف عليه وهما صلة الذين، ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ خبره، وليس فيه عائد إلى المبتدأ، فكأن التقدير: زوجات الذين يتوفّون منكم ويذرونهنّ يتربصن بحذف المضاف، فحينئذ يعود الضمير إلى المبتدأ المحذوف المضاف إلى الذين، أو التقدير: يتربصن بعدهم بحذف الظرف المضاف إلى الضمير الراجع إلى الذين. وقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ تذكيرًا لأربعة باعتبار الشهر ظاهر، وتأنيث العشر إنما هو باعتبار اللّيالي؛ لأنها غير الشهور والأيام داخلة معها تبعًا. وقيل: الوجه فيه أنّ ابتداء الشهور عادةً بالأيام دون اللّيالي، فلمّا قال: ﴿أَرْبَعَةَ﴾ كان ابتداءها باليوم ويدخل الليالي تبعًا للأيام، فلمّا انتهى أربعة أشهرٍ مع لياليها كان ابتداء العشرة باليوم، فلو قال: وعشرة لكان الأيام عشرة والليالي تسعًا، فذكر عشرًا حتى يقع الأيام والليالي عشرة كاملة، وهو مردود. والأظهر أن ابتداء الشهر في حقّ المعتدَّة يُعتبر من حين الوفاة ليلًا كان أو يومًا، وإطلاق العُرْف في الشهر إنْ كان على الأيام قصدًا والليالي تبعًا، فتذكير أربعة ظاهر، وإنْ كان بالعكس، فلرعاية لفظ المعدود، وإنْ كان على المجموع قصدًا كان تذكيرها باعتبار تغليب المذكّر على المؤنّث، أو باعتبار أنّ المعدود إذا كان مؤنّثًا واللفظ المذكّر، فالوجهان جائزان، فإذا كان جزء من المعدود مؤنّثًا

﴿وَيَذَرُونَ﴾ ويتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ **(أي وزوجات الذين** ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾) منكم يتربصن أي يعتددن، أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به. وإنما احتيج إلى تقديره لأنه لا بد من عائد يرجع إلى المبتدأ في الجملة التي وقعت خبرًا. «يتوفون»: **(المفضل)** أي يستوفون آجالهم ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

واللفظ مذكرًا، فبالطريق الأولى. وأمّا التأنيث في عشر، فلأنه إذا كان المراد منه الأيام فقط، نحو: صُمْت عشرًا؛ لاستعمل التذكير فيه في العرف، فلأن لا يستعمل التذكير إذا كان المراد منه أيامًا مع اللّيالي بالطّريق الأولى. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يعني: إنما يُحرم نكاح الزوج الثاني ما دامت معتدّة، فإذا انقضت عدّتهنّ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أيها الأئمة والحكّام فيما فعلن في حقّ أنفسهن من التعرّض لخطبة النكاح مع الزوج الثاني ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي بالوجه الذي لم يُنْكره الشرع، وإنما خاطب بعدم الجُناح للحكّام مع أن المحلّ يقتضي عدم الجُناح من الزوجات؛ لأن الله تعالى قد حكّم الحكّام بمحافظة رعاية الشريعة أحكامها وحدودها جميعًا، فارتكاب الأزواج للآثام ارتكاب الحكّام لها، فكفّها عن الآثام كفّهم عنها؛ ولأن النساء لقلّة عقولهنّ لا تكاد تضبُط بمحافظة الشرع قول الحكّام عليهنّ، هكذا قالوا. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (أي وزوجات الذين)... الخ. لمّا كان قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، يعني الموصول وصلته وما عُطِف عليه في محل الرفع بالابتداء، وكانت الجملة الفعلية خبره مع كونها خالية عن الضمير العائد إلى المبتدأ احْتيج إلى ارتكاب المحذوف، والمحذوف إمّا مضاف، والتقدير: وزوجات الذين... الخ. ويدلّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، وضمير ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يرجع إلى المضاف المحذوف. وإمّا ضمير عائد إلى المبتدأ المذكور، كما في قولهم: السمن منوان بدرهم، أي منه. وكذا هٰهنا التقدير يتربّصن بعدهم أو بعد موتهم. **قوله:** (﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾) بفتح الياء على بنائه للفاعل **(المفضل)** بن محمد الضبّي عن عاصم، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. وقرأ الجمهور: ﴿يتوفون﴾ مبنيًا لما لم يُسمّ فاعله، ومعناه: يموتون ويقبضون. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُمر: الآية ٤٢]، وأصل التوفّي أخذ الشيء وافيًا كاملًا، يقال: توفّى الشيء إذا استوفاه، فمَنْ مات فقد

وَعَشْرًا﴾ أي وعشر ليال والأيام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهابًا إلى الأيام تقول صمت عشرًا (ولو ذكّرت) لخرجت من كلامهم (﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾) فإذا انقضت عدّتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأئمة والحكام ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ﴾ من التعرّض للخاطب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ (**بالوجه الذي لا ينكره الشرع**) ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بالبواطن.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

(﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ **الخطبة**) الاستنكاح، والتعريض أن تقول لها إنك لجميلة أو صالحة (**ومن غرضي أن أتزوج**) ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرّح بالنكاح فلا يقول إني أُريد أن أتزوجك.

أخذ عمره وافيًا كاملًا واستوفاه. **قوله: (ولو ذُكِّرت)** من التذكير (﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾) فسّره بانقضاء العدّة؛ لأن حقيقته بلوغ آخر المدّة. **قوله: (بالوجه الذي لا يُنكره الشرع)** إشارة إلى أنّ بالمعروف حال من فاعل فعلن، أي فعلن متلبّسات به.

قوله: (﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾)... الخ. حاصل هذه الآية أنه إنما منع في العدّة نكاح المعتدّة أو التصريح بالخطبة دون التعريض بالخطبة، ولكنّهم اختلفوا في أن هذا الحكم لكل معتدّة أم لما يليها، وهو معتدَّة الموت؟ فصاحب المدارك وغيره ساكتٌ عن هذا، والمذكور في كتب الفقه عامّ، حيث قال في الوقاية وغيرها: ولا تُخطب معتدّة إلا تعريضًا، فيمكن أن يصرف هذه الآية إلى الجميع، وإن كانت مذكورة بعد معتدّة الوفاة. وقال صاحب البيضاوي: أوّلًا المراد بالنساء المعتدّات للوفاة وآخرًا فيه دليل حُرمة تصريح خطبة المعتدّات وجواز تعريضها إنْ كانت معتدّة وفاة. واخْتُلف في معتدة الفراق والبائن، والأظهر جوازه، هذا لفظه.

....

ثم جئنا إلى تفسير الآية، فنقول: الخطبة ـ بالضم ـ الموعظة، وبالكسر طلب المرأة، وهو المراد هٰهنا. والتعريض هو الكلام المُوهم بالنكاح، مثل أن يقول: إنّك جميلة أو صالحة أو إنك لم تكفِ عن الزوج، أو إن انقضت عدّتك أخبرتني بها، ونحو ذلك. والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئًا تدلّ به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج: جئتك لأُسلّم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم، وتفصيل الفرق في علم البيان مع جميع أحكامهما.

فمعنى أوّل الآية: لا جُناح عليكم يا أيها المؤمنون المخاطبون في أقوال عرضتم بتلك الأقوال حالَ كونها من خطبة النساء، أو أكْنَنْتم تلك الخطبة في أنفسكم من غير إظهار، فعُلِم أنه لا يجوز تصريح النّكاح بأنْ يقول: إني أُريد أن أتزوّجك، ويجوز الكناية في نفسه، أو التكلّم بطريق التعريض وما عطف عليه. قوله تعالى: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ محذوف مفهوم من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾، يعني علم الله أنكم ستذكرونهنّ لا محالة، ولا تصبرون على السكوت عنهنّ وعن الرغبة فيهن، ولكن لا تواعدوهنّ سرًّا، أي شيئًا من شأنه أن يسرّ وهو الجماع، يعني لا تقولوا منهنّ في العدّة: أني أقدر على الجماع وأكمل في الرجولية أو النكاح، يعني لا تصرّحوا بالنكاح. وقيل: معناه لا تواعدوهنّ في السرّ على أن المُواعدة في السرّ عبارة عن المُواعدة بما يستهجن. وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾، وهو أن تعرضوا ولا تصرّحوا، أو المعنى: ولا تواعدوهنّ إلّا بأن تقولوا، أي لا تواعدوهنّ إلا بالتعريض، ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعًا من قوله تعالى: ﴿سِرًّا﴾؛ لأنه يؤدي إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ إلا التعريض، والتعريض غير موعود، بل واقع. وعلى كلّ حال، فالقول المعروف هو التعريض. وقيل: القول المعروف هو الذي من غير رَفْث ولا فحاش في الكلام. وعن ابن عباس ﵄: هو أن يتوافق على أن لا يتزوّج غيره. وقد ذكر صاحب الهداية هذه الآية في التمسّك، وذكر معنى التعريض والسرّ والقول المعروف على ما هو المختار، حيث قال: ولا ينبغي أن يخطب المعتدّة، ولا بأس بالتعريض في الخطبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ إلى أن

والفرق بين الكناية والتعريض أن (**الكناية**) أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، والتعريض أن تذكر شيئًا تدلّ به على شيء لم تذكره كما يقول

قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾، وقال عليه السلام: «**السرّ النكاح**». وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: التعريض أن يقول: إني أُريد أن أتزوّج. وعن سعيد بن جبير في القول المعروف: إني فيك لراغب، وإني أريد أن أجتمع، هذا كلام.

ومعنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ﴾ إلى آخره: لا تعزموا عقدة النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾، أي الذي فرض بالكتاب وهو العدّة، ﴿أَجَلَهُۥ﴾ أي غايته وتمامه، يعني حتى ينقضي عدّتهنّ. وفي نهي العزم مبالغة؛ لأنه إذا نهى العزم على عقدة النكاح كان نفس الفعل أوْلى بكونه منهيًّا عنه. وقيل: لا تقطعوا عقدة النكاح، فإنّ أصل العزم القطع، انظر إلى لطافة هذه الآية حيث خوّفهم الله تعالى من عزم النكاح أوّلًا بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ﴾، فلمّا غلبت الخشية على المسلمين بشّرهم ثانيًا بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، على ما لا يخفى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**الخِطبة**) بالكسر. **قوله:** (**ومن غرضي أن أتزوَج**) عطف على جُمْلة: إنك لجميلة، وعدل عن أو إلى الواو لئلّا يتوهّم عطف على جميلة مثل صالحة.

قوله: (**الكناية**) ليس القصد إلى تعريفها حتى يعترض بأن ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له شامل للمجاز، بل إلى تمييز أحدهما عن الآخر. وحاصله أنّ الكناية أنْ يذكر معنى مقصود بلفظ لم يُوضع له، لكن اسْتُعْمل في الموضوع له على وجه القصد إليه، بل لينتقل منه إلى الشيء المقصود، فطويل النّجاد مستعمل في معناه، لكن لا ليكون هو المقصود بالإثبات، بل لينتقل منه إلى طول القامة، فخرج بقيد الاستعمال في معناه المجاز بقيد عدم القصد الصريح من الحقيقة. والتعريض أن تذكر شيئًا مقصودًا في الجملة بلفظه الحقيقي أو المجازي أو الكنائي، ليدلّ بذلك الشيء على شيءٍ آخر لم يُذكر في هذا الكلام، مثل أن يذكر المجيء للتسليم بلفظ ليدلّ على التقاضي وطلب العطاء، فالتسليم مقصود وطلب العطاء غرض، وقد أميل إليه. الكلام من عُرض، أي من جانب، ويكون المعنى

المحتاج للمحتاج إليه (**جئتك: لأُسلّم عليك**) ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا:

(وحسبك بالتسليم مني تقاضيًا)

فكأنه إمالة الكلام إلى غرض يدل على الغرض ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ (**لا محالة**) ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ جماعة لأنه مما يسر أي لا تقولوا في العدّة إني قادر على هذا العمل ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا. و«إلا» متعلق بـ«لا تواعدوهن» (**أي لا تواعدوهن مواعدة قطّ إلا مواعدة معروفة غير منكرة**) ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ من عزم الأمر وعزم عليه. (**وذكر العزم**) مبالغة في النهي عن عقد النكاح لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا

المذكور أوّلًا مقصودًا امتاز عن الكنايات التي ليست كذلك، فلم يلزم صدقه على جميع أقسام الكناية، مثل: جئتك لأُسلّم عليك، كناية وتعريض. ومثل قولك: زيد طويل النجاد؛ كناية لا تعريض. ومثل قولهم: في عُرْض من يؤذيك، وليس المخاطب آذيتني، فستعرف تعريض بتهديد المؤذى، ولا كناية. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**جئتك لأُسلّم عليك**) هو تعريض لطلب العطاء. **قوله:**

(وحسبك بالتسليم مني تقاضيًا)

صدره:

أروح بتسليم عليك وأغتدي

قوله: (**لا محالة**) مستفاد من السين. **قوله:** (**أي لا تواعدوهنّ مواعدة قطّ إلّا مواعدة معروفة غير مُنكرة**)، يعني أنّ الاستثناء متصل مفرغ والمُستثنى منه المحذوف مفعول مطلق، والمُستثنى بدل منه من حيث المعنى، ومفعول مطلق بحسب اللّفظ، والتقدير: لا تواعدوهنّ جماعًا أو نكاحًا مواعدة قطّ إلا مواعدة معروفة غير مُنكرة، وهي مواعدة الجماع أو النّكاح بطريق التعريض دون التصريح، فإنّ المراد بالقول المعروف هنا هو التعريض. **قوله:** (**وذكر العزم**). وهو عبارة عن

نهى عنه كان عن الفعل أنهى، **(ومعناه ولا تعزموا)** عقد عقدة النكاح، **(أو ولا تقطعوا عقدة النكاح)** لأن حقيقة العزم القطع **(ومنه الحديث)** «لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» **(ورُوِيَ لمن لم يبتّ الصيام)** أي ولا تعزموا على عقدة النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ حتى تنقضي عدّتها. وسميت العدّة كتابًا لأنها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التربّص المكتوب عليها أجله أي غايته ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا عليه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة.

عقد القلب على فعلٍ من الأفعال، وفعل العزم قد يتعدّى بنفسه وقد يتعدّى بكلمة على، يقال: عزم الشيء وعزم عليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٢٧]، وقال هنا: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾، ويحتمل أن يكون النصب في المواضع التي لم يصرّح فيها بكلمة على مبنيًا على نزع الخافض، والمقصود النهي عن تزوّج المُعتدَّة في زمان عدّتها، إلّا أنه نهي عن العزم على عقد النكاح للمبالغة في النهي عن النكاح في زمان العدّة، فإنّ العزم على الشيء متقدّم عليه، والنهي عن مقدّمات الشيء يستلزم النهي عن ذلك الشيء بطريق الأوْلى. **قوله: (ومعناه: ولا تعزموا)**، أي ولا تقصدوا قصدًا جازمًا لا تردّد معه نهيٌ عن العزم ليكون أبلغ في منع الفعل، وقدّر المضاف لأن العزم إنما يكون على الفعل كالعقد لا على نفس العقدة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (أو لا تقطعوا عقدة النكاح)، بمعنى لا تبرموه ولا تلزموه ولا تقدّموه عليه، فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده والعزم عليه، ولهذا امتاز عن الوجه الأوّل، وإلّا ففي العزم بمعنى القصد أيضًا معنى القطع، كما يقال: هذا أمرٌ معزومٌ عليه، أي مقطوعٌ به، فمعنى لا تعزموا، أي لا تقصدوا قصدًا جازمًا، أي لا تردّد معه. **قوله: (ومنه الحديث)**... الخ. استدلّ على كون العزم بمعنى القطع بالحديث الوارد بروايتين إحديهما بلفظ العزم، والأخرى بلفظ البَت، وهو القطع. ولا يخفى أن ليس معنى بتّ الصوم وقطعه إلّا الجزم به، وقطع التردد عنه. **قوله: (ورُوِي لمن لم يبتّ الصيام)**، أي لا صيام لمن لم يَبُتَّ الصيام، أي لم يَنْوِهِ ويجزمه فيقطعه من وقت لا صوم فيه، وهو اللّيل. اهـ مجمّع بحار الأنوار.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

ونزل فيمن طلّق امرأته ولم يكن سمى لها مهرًا ولا جامعها (﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ **لا تبِعَة عليكم**) من إيجاب مهر ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ شرط.

قوله: (﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾)... الخ. اعلم أن المُطلّقة لا تخلو إمّا أن يكون مدخولًا بها أو لا، وكلّ واحد لا يخلو إمّا أن لا يُسمّ لها مهرًا أو لا؛ فالمدخول بها إنْ سمّى لها مهرًا يجب المُسمّى إذا لم يكن أقلّ من عشرة دراهم، وإنْ لم يسمّ لها مهرًا ونفاه يجب المسمّى إذا لم يكن أقلّ من عشرة دراهم، وإنْ لم يسمِّ لها مهرًا ونفاه يجب مهر المثل، وإنْ سمّى ما دون العشرة يجب العشرة، ويستحبّ المتعة في جميع هذه. وغير المدخول بها إن لم يسمّ لها مهر لا يجب المهرُ، لكن لا تجب المتعة، وإن سمّى لها مهر يجب لها نصف المسمّى، ولا يجوز لها المتعة. وفي رواية عن الشافعي رحمه الله: يجب المتعة للكلّ، نصّ به القاضي. وفي رواية عنه: يجب للكلّ إلّا للأخيرة، نصّ به صاحب الهداية والقاضي أيضًا.

إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ هاتين الآيتين لبيان أحكام طلاق غير المدخول بها الأُولى فيما لم يسمّ لها مهر، والثانية فيمن سمّي لها. أمّا الأُولى، فبيانها أنّ قوله تعالى: ﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ شرط استغنى عن الجزاء بقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، وأو في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٣٦] بمعنى حتى، أو إلّا أن، وسقوط النون لأجلها، على ما ذكره صاحب الكشاف والمدارك. وزاد القاضي: إنه يجوز أن يكون أو بمعنى الواو بعطف ما بعدها على الفعل المنفيّ، وسقوط النون لكلمة لم، فيفيد عموم النفي، ومعنى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ (**لا تبِعَة عليكم**) من إيجاب مهر، ويؤيّده مقابله قوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، يعني لا وجوب مهر إن طلّقتم النساء ما لم تمسوّهن حتى تفرضوا لهن مهرًا، أو إلّا أن تفرضوا، أو ولم تفرضوا، أي لا يجب المهر إنْ كانت مطلّقة غير ممسوسة ولم يُسمّ لها مهر؛ إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمّى أو مهر المثل أو عشرة دراهم، ولو كانت غير ممسوسة وقد سمّى لها مهر فلها نصف المسمّى، كما في كتب الفقه. وظاهر عبارة الآية يقتضي عدم وجوب المهر عند عدم المَساس وعدم

....

التقدير، ويلزم منه وجوبه عند وجود المَساس أو التقدير، واختار في التلويح أنّ أو بمعناها دون الواو، أو إلّا أن، حيث قال: وبهذا يظهر أن أو في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ عاطفة مفيدة للعموم، أي عدم الجناح مفيدة بانتفاء الأمرين، أي المجامعة وتقدير المهر حتى لو وجد أحدهما كان جناح، أي تبعة بإيجاب المهر، فيكون ﴿تَفْرِضُوا۟﴾ مجزومًا على ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، ولا حاجة إلى ما ذهب إليه صاحب الكشاف من أنه منصوب بإضمار أن، على معنى: إلّا أن تفرضوا، أو حتى تفرضوا، أي إذا لم يوجد المجامعة فعدم الجناح ممتدّ إلى تقدير المهر، هذا كلامه. وهو ظاهر في عدم كونه بمعنى حتى، أو إلا أن، وسوق كلامه يدلّ على أن أو في النفي يفيد عموم النفي من غير جعلها بمعنى الواو، فهي على معناها، ولعلّ مَنْ فسَّرها بالواو مال إلى حاصل المعنى. وقيل: معنى الآية: لا تبعة؛ لأنه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس. وقيل: كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يُكثر النهي عن الطلاق، فظُنّ أن فيه حرجًا، فنفى، هكذا في البيضاوي. والتوجيه الأخير هو المذكور في الزاهدي، لكن لا يُلائمه قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، كما لا يلائم كِلَا الآخرين قوله تعالى: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ على ما لا يخفى، وينبغي أن يُعلم أن الخلوة الصحيحة عندنا في حكم الوطء خلافًا للشافعي رحمه الله، فإن لم يطأ المرأة ولكن خلا بها خلوة صحيحة يجب لها كمال المهر عندنا، ونصف المسمّى عند الشافعي رحمه الله. ولفظ المسّ حقيقة في المسّ باليد مجاز في الجماع، والمجاز هٰهنا متعيّن بالإجماع، ولهذا فسّر المُفسّرون قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ بقوله: ما لم تجامعوهن، ولكن يجوز له أن تجعل الجماع أعمّ من أن يكون حقيقةً أو حكمًا، فيتناول الخلوة أيضًا. وأن تجعل الآية في باب الوطء خاصّة، وتجعل الخلوة مثلها لمعنى مؤثّر؛ كما فعل صاحب الهداية، حيث قال: أوّلًا في بيان وجوب نصف المسمّى وإن طلّقها قبل الدخول والخلوة، فلها نصف المسمّى؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية، والأقيسة متعارضة، ففيه تقوية الزوج الملك على نفسه باختياره، وفيه عود المعقود عليه سالمًا، فكان المرجع فيه النص، وشرطه أن يكون قبل الخلوة؛ لأنها كالمدخول عندنا على ما نبيّنه إن شاء

....

الله تعالى. ثم قال آخر: أو إذا خلا الرجل بامرأته فليس هنالك مانع من الوطء ثم طلّقها قبل الدخول، فلها كمال مهر. قال الشافعي رحمه الله: لها نصف المهر؛ لأن المعقود عليه إنما يصير مستوفيًا بالوطء، فلا يتأكّد المهر دونه، ولنا أنها سلّمت المبدل حيث رفعت الموانع، وذلك وسعها، فيتأكّد حقّها في البدل اعتبارًا بالبيع، هذا لفظه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ عطف على مقدار، أي فطلّقوهنّ ومتّعوهن في غير المدخول بها التي لم يُسمّ لها مهر، وبه تمسك صاحب الهداية، حيث قال: ولو طلّقها قبل الدخول بها، فلها المتعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ الآية، ثم هذه المتعة واجبة رجوعًا إلى الأمر، وفيه خلاف مالك، وإنما أوجب المتعة حينئذ جبرًا لإيحاش الطلاق، وعوضًا عن المهر، ولكن جعل حالها بحسب حال الرجال، كما ينساق إليه قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾، أي الذي له سعة مقداره الذي يطيقه، وعلى الضيّق الحال قدره، وبظاهره تمسّك الشافعي رحمه الله، فلم يعيّن لها مقدار، بل جعلها مفوّضًا إلى رأي الحاكم، ويدلّ عليه قوله عليه السلام لأنصاريّ طلّق امرأته المفوضة قبل أن يمسّها: «**متّعها ولو بقلنسوتك**»، وعندنا هي درع وخمار وملحفة ألبتّة، ولكن يُعتبر في قيمتها من الجودة والرداءة حال الرجل من كونه موسعًا أو مُقترًا في الصحيح، وإليها يُصرف قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾، وقد صرّح بأن التقدير بثلاثة أثواب مرويّ عن عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم. وأمّا ما ذكره الزاهدي أنّه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أعلاها الزّاد وأقلها المقنعة، فلا ينافي التقدير بالوسط، بل يؤكّده، ولكن قيل: ينبغي أن لا يزيد قيمة تلك الثلاثة من الأثواب على نصف مهر المثل، ولا ينقص عن خمسة دراهم؛ لأن المطلّقة التي لم يُسمّ لها مهر إن كانت موطوءة يجب لها مهر المثل، فالقياس فيما كانت غير موطوءة نصف مهر المثل، كما أنّ من سمّى لها مهر كذلك في كمال المسمّى ونصف، فبالحريّ أن لا يزيد المتعة على نصف مهر المثل ثم خمسة دراهم نصف أقلّ المهر، وقد اعتبر الشارع النصف في مقابل هذه الصورة، فينبغي أن يكون المتعة هٰهنا أيضًا غير منقوصة عن خمسة دراهم.

....

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا﴾ مفعول مطلق لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾، وحقًّا وصف له، والتقدير: متّعوهنّ متاعًا واجبًا على المحسنين، وهم المسلمون الذين يحسنون إلى أنفسهم بمسارعة الامتثال، أو إلى المطلّقات بالتمتّع، وحينئذ تسميتهم بالمُحسنين باعتبار ما يؤول؛ كقوله عليه السلام: «**مَنْ قتل قتيلًا فله سلبه**». ولا تمسّك لمالك بتسمية المُحسن على عدم وجوب المتعة؛ إذ كثيرًا ما يسمّى الآتي بالواجبات مُحسنًا. وأمّا بيان الآية الثانية، فهو أنّ معناها: وإن طلّقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ والحال أنكم قرّرتم لهن مهرًا وقت النّكاح، فالواجب عليكم أداء نصف ما قرّرتم منه في كل وقت إلّا وقت أن يعفو، أي النساء بحيث لم تأخذه أصلًا، فحينئذ ليس الواجب أصلًا.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى﴾ منصوب على يعفون، والمراد به عند مالك والشافعي في قوله القديم المرجوع عنه: أولياء المرأة، يعني الواجب نصف المهر، إلّا أن تعفو المرأة مهرها إذا كانت ثيّبة بالغة، أو يعفو أولياءهنّ الذين بيدهم عقدة النكاح إذا كانت بكرًا غير بالغة. وعندنا المراد به هو المهر إلا أن يعفو المرأة بحيث لا تأخذ شيئًا أصلًا، أو يعفو الأزواج بحيث يتفضّل بكلّ المهر من جانبه، وإن لم يكن واجبًا عليه قطّ. وهكذا قول عليّ وسعيد بن جُبَيْر ومُجاهد والشافعي على القول الجديد، وإنّما سمّى التفضّل بالعفو إمّا للمشاكلة أو لأنهم كانوا يوفون كل المهر إلى النساء عند التزوّج، فلو طلّقا قبل الدخول استحقّ أن يستردّ النصف، فلمّا لم يستردّه، فكأنه عفى عنها، ويؤيّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، لأنه لا يصلح خطابًا للأولياء؛ إذ الأولياء لا تملك التبرّع لحق الضعيف، فكيف يكون أقرب للتقوى؟ فإنما هو خطاب للأزواج وحدهم، كما هو الظاهر، وصرّح به الحسيني. أو للأزواج والزوجات على سبيل التغليب، أي عفو الزوج بإعطاء كل المهر خيرٌ له، وعفو المرأة بإسقاطه كلّه خيرٌ لها، كما صرّح به في المدارك، وهذا كلّه على تقدير أن يكون خطابًا.

وفي قراءة أبي نَهيك: وأن يعفو ـ بالياء ـ كما صرّح به في الكشاف، ومآله إلى الأوّل، وعليك بالتأمّل. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾؛ إذ

ويدلّ على جوابه «لا جناح عليكم» والتقدير: إن طلقتم النساء فلا جناح عليكم ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ما لم تجامعوهن، و«ما» شرطية أي إن لم تمسوهن («**تماسوهن**»: **حمزة وعلي**) حيث وقع لأن الفعل واقع بين اثنين ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (**إلا أن تفرضوا**) لهن فريضة أو حتى تفرضوا، وفرض الفريضة تسمية

لعلّه معطوف على فعل محذوف، أي: فاعفوا ولا تنسوا أن يتفضّل بعضكم على بعض، يعني ينبغي للرجل أن يتفكر أن هذه المرأة كانت محبوسة تحت عقدي وبقيت محرومة مأيوسة من عملي، فأفرح قلبها بكل المهر، وكذا ينبغي للمرأة أن تتفكّر أن هذا الرجل لم يتمتّع بمواصلتي، فأحرى أن لا آخذ منه شيئًا. ثم المذكور في كتب الفقه أن المتعة في هذه الحالة ليست بجائزة عندنا، ولكن ينبغي أن تجوز ولا تجب؛ لأن إعطاء كل المهر لمّا كان خيرًا للزوج من غير وجوب عليه بمحض التبرّع بالنصّ، فلأنْ يجوز التبرّع بالمتعة أوْلى.

غاية ما في الباب أنه لم يجب للتقابل أو بعدم الموجب. والمشهور من الشافعي وإنْ كان وجوب المتعة في كل حال إلّا أن قوله المرجوع عنه يدلّ عليه ما ذكر في البيضاوي، فإنّه وإنْ قال في الآية الأُولى: ومفهوم الآية يقتضي تخصيص إيجاب المتعة بالمفوّضة التي لم يمسّها الزوج، وألحق بها الشافعي في أحد قولي الممسوسة المفوّضة وغيرها قياساً، وهو مُقدَّم على المفهوم، ولكن قال في الآية الثانية: هو دليلٌ على أن الجناح المنفيّ ثم تَبِعة المهر وأن لا متعة مع الشطر؛ لأنه قسيمها، هذا لفظه. وذكر في الحسيني: أنّ قبل نزول هذه الآية كان مَنْ يُطلِّق غير المدخول بها لم يجب عليه شيء من المهر، وإنْ كان مسمّى، بل يجب عليه المتعة فقط؛ كما قال في سورة الأحزاب: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ [الآية ٤٩]، ثم نُسِخت بهذه الآية، ولزم عليه نصف المهر المسمّى، فلم يتعرّض لهذا المعنى هٰهنا أحد وسيجيء الكلام فيه في سورة الأحزاب إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (لا تبعة عليكم) في المصباح: التَّبعة وزان كلمة ما تطلب من ظلامة ونحوها. اهـ. وفي مختار الصّحاح: التَّبِعة ما اتُّبع به، ذكره الفارابي في الديوان. اهـ. **قوله: (تماسوهن)** بضم التاء وألف بعد الميم من باب المفاعلة **(حمزة وعلي)** الكسائي حيث وقع. والباقون بفتح التاء بلا ألف. **قوله: (إلا أن تفرضوا)**

المهر وذلك أن المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى إن سمى لها مهر، وإن لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة، والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله: «وإن طلقتموهن» إلى قوله: «فنصف ما فرضتم» فقوله: «فنصف ما فرضتم» **(إثبات للجناح المنفي ثمة)** ﴿**وَمَتِّعُوهُنَّ**﴾ معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن. والمتعة **(درع)** و**(ملحفة)** و**(خمار)** ﴿**عَلَى ٱلْمُوسِعِ**﴾ الذي له سعة ﴿**قَدَرُهُۥ**﴾ مقداره الذي يطيقه. (**«قدره» فيهما: كوفي غير أبي بكر وهما**) لغتان ﴿**وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ**﴾ **(الضيق الحال)**. ﴿**قَدَرُهُۥ**﴾ ولا تجب المتعة

ذكروا أن أو تنصب المضارع إذا كان بمعنى إلا أن، وقيل: بمعنى إلى أن، وعبّر عنه المصنّف بحتى، ولهم كلام في أن النصب بإضمار أن، أو بنفس أو، وبالجملة فإيجاب المهر مُنتفٍ مدّة عدم المجامعة، إلا أن يسمّوا المهر فحينئذ يجب، فيصح معنى الاستثناء أو الغاية، وإلى هذا أشار بقوله: وذلك، أي إخراج فرض المهر عن عدم الجناح، أو جعله غاية له أن للمطلّقة غير المدخولة نصف المسمّى إن سمّى المهر، وإلّا فلا مهر؛ لأن مهر المثل لا ينصف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (إثبات للجناح المنفي ثمة)**، بمعنى كونه إيجاب المهر لا كونه النصف بعينه. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقوله: ثمة، في محيط المحيط: ثم يُشار به إلى المكان البعيد، نحو: وأزلفنا ثمّ الآخرين، وهو ظرف لا ينصرف ولا يتقدّمه هاء التنبيه ولا تلحقه كاف الخطاب، ويجوز أن تُزاد عليه تاء، فيقال: ثمة، ويوقف عليه بهاء السَّكت، فيقال: ثمه، وفي شرح مسلم: ثم بلا هاء يدلّ على المكان البعيد، وبهاء على القريب. اهـ. **قوله: (درع)** بكسر المهملة ما تلبسه المرأة فوق القميص، كما في المغرب، ولم يذكره في الذخيرة، وإنّما ذكر القميص، وهو الظاهر. اهـ. وأقول: درع المرأة قميصها، والجمع أدرع، وعليه جرى العيني، وعزاه في البناية لابن الأثير، فكونه في الذخيرة لم يذكره مبني على تفسير المغرب. **قوله: (ملحفة)** بكسر الميم ما تلتحف به المرأة من قرنها إلى قدمها. **قوله: (خمار)** بكسر الخاء ما تغطي به رأسها. **قوله: (قدره فيهما)**، أي في موضعين ـ بفتح الدال ـ **(كوفي غير أبي بكر)** أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، وكذا ابن ذكوان عن ابن عامر الشامي، وأبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بسكونها. **(وهما)** لغتان بمعنًى واحد وعليه الأكثر، وقيل: بالتسكين الطاقة، وبالتحريك المقدار. **قوله: (الضيق الحال)**

عندها إلا لهذه وتستحب لسائر المطلقات ﴿مَتَٰعًا﴾ تأكيد لمتعوهن **(أي تمتيعًا** ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة ﴿حَقًّا﴾ **(صفة لـ «متاعًا» أي متاعًا واجبًا عليهم أو حق ذلك حقًا)** ﴿عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على المسلمين، أو على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع. **(وسماهم قبل الفعل المحسنين)** كقوله ﷺ: **(«من قتل قتيلًا فله سلبه»)** وليس هذا الإحسان هو التبرّع بما ليس عليه إذ هذه المتعة واجبة.

الفقير. **قوله: (أي تمتيعًا)** إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق لقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ بأن يكون اسمًا لمصدر الفعل المذكور من قبيل قوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: الآية ١٧]. **قوله: (﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾)** يحتمل أن يتعلّق بمتّعوهن، فتكون الباء للتعدية، وأن يتعلق بمحذوف منصوب على أنه صفة لمتاعًا، والباء للمصاحبة، أي متاعًا متلبّسًا بالمعروف، والمصنّف اختار الاحتمال الأخير.

قوله: (صفة لمتاعًا أي متاعًا واجبًا عليهم)، أي على المُحسنين (أو) مصدر مؤكّد لمعنى الجملة قبله؛ كقولك: هذا ابني حقًّا، ومثل هذا المصدر يجب إضمار عامله، تقديره: (حقّ ذلك حقًا). **قوله: (وسمَاهم قبل الفعل المحسنين)**. . . الخ. جواب عمّا يقال أسماء الفاعلين موضوعة لمن قام به الفعل، والذين يحسنون إلى المطلّقات بالتمتّع لم يقم بهم الإحسان إليهم بعد لأنّهم إنما كُلّفوا به بهذه الآية، فكيف سُمُّوا محسنين واسم الفاعل لا يكون بمعنى المستقبل إلّا بالتأويل، فما التأويل هٰهنا؟ وتقرير الجواب أنه من قبيل تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه؛ كما في قوله عليه السلام: **(«مَن قتل قتيلًا فله سلبه»[1])** بفتح لام، وهو ما يأخذه في الحرب من قِرْنه من سلاح وثياب ودابّة وغيرها، وهو بمعنى مسلوب.

---

(١) في لسان العرب: وهو ما يأخذه أحد القِرنين في الحرب من قِرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابّة، وهو فَعَل بمعنى مفعول، أي مسلوب. اهـ. وفي القاموس: القِرْن بالكسر كفوك في الشجاعة ونظيرك فيها وفي الحرب. اهـ مع الشرح. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

ثم بين حكم التي سمى لها مهرًا في الطلاق قبل المسّ فقال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ «أن» مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجرّ أي من قبل مسّكم إياهن ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾ في موضع الحال ﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرًا ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ يريد المطلقات. و«أن» مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل: فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر. والفرق بين الرجال «يعفون» والنساء «يعفون» **(إن الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع)**، والواو في الثاني لام الفعل **(والنون ضميرهن)**، والفعل مبنيّ لا أثر في لفظه للعامل ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ﴾ عطف على محله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو الزوج كذا فسّره عليّ ﷺ وهو قول **(سعيد بن جبير)**

قوله: (إنّ الواو في الأول ضميرهم)، أي ضمير جماعة الذكور، ولام الكلمة محذوفة، فإنّ الأصل يعفوون استثقلت الضمّة على الواو الأُولى فحُذفت الأُولى لاجتماع الساكنين، فوزنه يَعْفُون **(والنون علم الرفع)** أي علامة الرفع، فإنه من الأمثلة الخمسة. **قوله: (والنون ضميرهنّ)** أي ضمير جماعات الإناث.

قوله: (سعيد بن جبير) هو الإمام الجليل أبو عبد الله، كذا كناه الجمهور، وقيل: أبو محمد سعيد بن جُبير بن هشام الكوفي الأسدي الوالبي بالموحّدة منسوب إلى ولاء بني والبة، ووالبة هو ابن الحارث بن ثعلبة بن داود ـ بدالين مهملتين الأُولى مضمومة ـ ابن أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس سمع سعيد جماعات من أئمّة الصحابة، منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وعبد الله بن مغفل وأبو مسعود البدري وأنس ﷺ، وجماعات من التابعين، ومتقدّمهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع وغيرها من صفات أهل الخير ومناقبه كثيرة مشهورة، قتله الحجّاج بن يوسف صبرًا ظُلْمًا في شعبان سنة خمس وسبعين، ولم يَعِش الحجّاج بعده إلّا أيّامًا، وكان عمر سعيد بن جبير حين قُتِل تسعًا وأربعين سنة، هذا هو الأصح. ولم يذكر البخاري في تاريخه وغيره من الأئمّة سواء عن

و(**شريح**) و(**مجاهد**) وأبي حنيفة والشافعي على الجديد ﷺ، وهذا لأن الطلاق بيده فكان بقاء العقد بيده، والمعنى أن الواجب شرعًا هو النصف إلا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلًا، وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي. قلنا: هو لا يملك التبرّع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه؟ ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره (**الزجاج**) أي عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له، وعفو المرأة بإسقاط كله خير لها أو للأزواج ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ﴾ التفضل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على تفضلكم.

﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

(﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾) داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها.

خلف بن خليفة قال: حدّثني بوّاب الحجّاج، قال: رأيت رأس سعيد بن جبير بعدما سقط على الأرض، يقول: لا إلـه إلّا الله رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**شريح**) القاضي هو أبو أُميّة شُريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر الكندي الكوفي التابعي، أدرك النبيّ ﷺ ولم يلقه، وقيل: لقيه والمشهور الأوّل، حكى البخاري في تاريخه أن شُريحًا توفي سنة ثمان وسبعين، وهو ابن مائة وعشرين سنة.

قوله: (**مجاهد**) بن الجبر وهو تابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله.

قوله: (﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾)... الخ. هذه الآية جامعة لفرضية الصلوات الخمس والقيام فيها وسقوط التوجّه إلى القبلة وقت الخوف. أمّا بيان فرضية الصلوات، ففي قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ نزلت في قوم عَمَرو البقاع والدُّور وعطّلوا المساجد، هكذا نقل الإمام الزاهد عن الحسن؛ فالله تعالى أمرنا بمحافظة الصلوات الخمس كلّها ثم خصّ بعدها بالصلاة الوسطى لزيادة فضل لها، وقد اختلف في تفسيرها، فقال أبو حنيفة وعليه الجمهور: من أكابر الصحابة من عمر وعليّ وعائشة وأُمّ سلمة وحفصة وابن مسعود أنها صلاة العصر لِما في مصحف حفصة: والصلاة الوسطى صلاة العصر،

....

ولقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب حين فاته العصر: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم نارًا**»، ولأنه عليه الصّلاة والسّلام قال: «**إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب**»، والمقرّر أن الصلاة التي فاتت عن سليمان صلاة العصر، ولهذا خصّ ذكرها ثانيًا؛ لأن سليمان مع أنه كان نبيًّا فاتت عنه تلك الصلاة، فكيف حالنا فيها؟ ولأنها بين صلاة الليل إحديهما قصرته والأخرى غير قصرته، وبين صلاتي النهار كذلك، وفضلها لِما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم. وقال أنس بن مالك ومعاذ بن جبل وأبو أُمامة: إنها صلاة الفجر؛ لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي اللّيل، أو بين قصرين. وقال ابن عمر وزيد بن أُسامة: إنها صلاة الظهر؛ لأنها في وسط النهار. وفي رواية ابن عباس وقيصرة بن الزبير: إنها صلاة المغرب، لأنها بين صلاتي إخفات وصلاتي جهر، وبين الأربع والمثنّى. وقال بعضهم: إنها صلاة العشاء، لأنها بين وترين أو بين جهرين واقعتين في طرفي اللّيل، وقيل: هي غير معيّنة كليلة القدر، ليحفظوا الكل، هكذا قالوا. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنه عليه السلام كان يقرأ: الصلاة الوسطى وصلاة العصر، فيكون صلاة العصر مع الصلاة الأخرى من الأربع مخصوصًا لانفرادهما بالفضل، نصّ به في الكشاف والبيضاوي. وأمّا ما ذكره صاحب المدارك أن الآية تدلّ على أن الصلاة خمس في اليوم والليل؛ لأن الصلوات جمع أقلّه ثلاث، والوسطى معطوف، والمعطوف أن يكون مغايرًا للمعطوف عليه، والوسطى لا يتحقّق إلّا في الوتر، فيكون أقلّه خمسًا، فلا يشفي عليلًا؛ لأن معنى الآية حافظوا على الصلوات كلّها، سيما الوسطى بينها، فيجوز أن يُحمل الجمع على أقلّه، ويكون الوسطى داخلًا فيها، فيكون مجموع الصلاة ثلاثًا، تأمّل وأنصف. وقد يُفهم فرضية الصلوات الخمس في عدّة آيات أُخر سيجيء إن شاء الله تعالى. وأما بيان فرضية القيام، ففي قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾. وفي الزاهدي: إنما أمرنا بهذه الآية لأنه نقل عن زيد بن أرقم أنّ في أوّل الإسلام كان كلّ واحد منهم يتكلّم في صلاتهم حتى إذا دخل واحد منّا سأل صاحبه: كم صلّيتم؟ فنزل في حقّهم: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، أي قوموا في الصلاة لأجل الله حال كونكم قانتين، أي مُطيلين القيام ساكتين عن ذكر غير الله، أو خاشعين

....

مُطيعين أو داعين ذاكرين، هكذا قالوا. وفي الكشاف: أو راكدين مكفّفين الأيدي والأبصار. وبالجملة، فعُلِم منه أن القيام لله مع القنوت فرض في الصلاة، فإنّ عدم القيام، أي إن صلّى قاعدًا أو وجد القيام لا لله أو لا مع القنوت فسدت الصلاة ويأثم. وقد تمسّك صاحب الهداية بالآية على فرضية القيام فقط، حيث قال: والقيام؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، وهذا بلفظ: قوموا، ولا يخفى عليك أنه يدلّ أيضًا على حرمة التكلّم في الصلاة على تقدير كون معنى قانتين ساكتين، بل على كراهة الالتفات وقلب الحصى ومدّ البصر على معنى الركود. وفي البيضاوي: وقال ابن الحاجب: المراد به القنوت في الصبح، فكأنه أتى بهذا القول تأييدًا لما هو مذهبه من وجوب القنوت في الصلاة الفجر. وجعل الإمام الزاهد هذا القول تأييدًا على أنّ الصلاة الوسطى هو الفجر، ولا يوافق مذهبنا؛ لأن دعاء القنوت عندنا إنما يجب في صلاة الوتر خاصّة، ولا يجوز في صلاة الفجر أصلًا، ولهذا لم يذكره سائر مفسّري الحنفية. وأمّا بيان سقوط القيام وسقوط التوجّه إلى القبلة وقت الخوف؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾، يعني فإن كنتم في حال الخوف من العدوّ والمجاهد أو السبع الضارّ أو غير ذلك، فلا يُفرض عليكم القيام إلى القبلة، بل كنتم مختارين بين أن تصلّوا رجالًا، أي راجلين، ﴿أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾، أي راكبين على المراكب وحدانًا بإيماء إلى أيّ جهة كانت، هكذا في المدارك وبه استدلّ صاحب الهداية، حيث قال: فإن اشتدّ الخوف صلّوا ركبانًا فرادى يومؤون بالركوع والسجود إلى أيّ جهة شاؤوا، وإذا لم يقدروا على التوجه إلى القبلة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾، وسقوط التوجّه إلى القبلة للضرورة. وعن محمد رحمه الله: أنهم يصلّون بالجماعة وليس بصحيح لانعدام الاتّحاد في المكان، هذا لفظه. واختلفوا في الصلاة حال المسابقة والمشي، فعندنا: لا يجوز، وعند الشافعي رحمه الله: يجوز، فلعلّ معنى قوله تعالى: ﴿فرجالًا﴾ عندنا قائمين على الرِّجل، وعنده ماشين على الرِّجل، ولهذا قال في البيضاوي: وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسابقة، وإليه ذهب الشافعي، وقال أبو حنيفة: لا يصلّي حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف، انتهى. وذكر صاحب الحسيني كلامًا حاصله: أن المعنى إن كنتم في حال الخوف فصلّوا

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط. وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل. وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام (يوم الأحزاب) «شغلونا عن (**الصلاة الوسطى**) صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارًا» وقال عليه السلام: «إنها الصلاة التي شغل

رجالًا، أي ذاهبين ماشيين على الرجل إن لم يمكن الوقوف عند أبي حنيفة، وماشيًا عند الخوف مطلقًا، سواء أمكن الوقوف أو لا، عند الشافعي: ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي راكبين على المراكب إلى أيّ جهة كانت، ولا يخفى ركاكته في بيان مذهب أبي حنيفة والشافعي، وما ذُكِر في كتبنا يوافق ما ذكره صاحب البيضاوي، حيث قال في الوقاية: ويفسدها القتال والمشي والركوب، وهكذا نقل في الكشاف والزاهدي أن عندنا لا يصلّون في حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف، وعند الشافعي: يصلّون في كل حال، وسيجيء صلاة الخوف مع الجماعة في سورة النساء إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، يعني: إذا زال الخوف عنكم وصرتم في حال الأمن فاذكروا الله ذكرًا مثل ما علّمكم بأفعال النبيّ عليه السلام ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلاة، أي صلّوا صلاة تصلّونها من قبل هذا في حال الأمن، وهو قائمًا متوجّهًا إلى القبلة، أو المعنى: اشكروا الله على الأمن شكرًا مثل ما علّمكم من الشرائع، أي بمقابلتها في الكمال والحُسن. وإنما ذكر الله تعالى هذه الآية بين مسائل أحكام الأولاد والأزواج إشعارًا بأنهم لا يُلهيهم الاشتغال بشأنهم عن الصلاة، كذا في الزاهدي والبيضاوي. وفي بعض الحواشي: أن هذا هو الحكم السابع عشر من الأحكام. ولمّا بين سبحانه وتعالى للمكلّفين ما بيّن مِنْ معالم الدِّين وشعائر اليقين أعقبها بذكر الصّلاة التي تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وزوال التمرّد وحصول الانقياد لأوامره وانتهاء مناهيه تحصيلًا لسعادة الطريقين وتكميلًا لمصالح الدارين. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**يوم الأحزاب**) هم طوائف من الكفّار من قبائل شتّى أحاطوا بالمدينة، فاشتغل النبيّ عليه السلام والمسلمون بحفر الخندق، ففاتهم صلاة العصر، وكذا سليمان عليه السلام شغلته الخيل كانت تُعرض عليه ففاته صلاة العصر، فطفق على الخيل مسحًا بالسوق والأعناق، ولفظ الحديث: (**الصلاة الوسطى**) بدون اللام. اهـ التفتازاني رحمه الله.

عنها سليمان حتى توارت بالحجاب» **(وفي مصحف حفصة)** «والصلاة الوسطى صلاة العصر» ولأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم، وقيل: صلاة الظهر لأنها في وسط النهار، أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، أو صلاة المغرب لأنها بين الأربع والمثنى، ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر، أو صلاة العشاء لأنها بين وترين، أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل. ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ **(في الصلاة)** ﴿قَـٰنِتِينَ﴾ حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم. والقنوت أن تذكر الله قائمًا أو مطيلين القيام.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره ﴿فَرِجَالًا﴾ حال أي **(فصلّوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام)** ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾) وحدانًا بإيماء ويسقط عنه التوجه إلى القبلة ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ فإذا زال خوفكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فصلّوا صلاة الأمن ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ أي ذكرًا مثل ما علمكم ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ من صلاة الأمن.

قوله: (وفي مصحف حفصة) بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما... الخ. ما رُوي عن حفصة رضي الله تعالى عنها يكون من القراءات الشاذّة، فيصلح تأييدًا للروايات. **قوله: (في الصلاة)** إشارة إلى أن لله متعلق بقوموا، وأن المراد به قيام الصلاة.

قوله: (فصلّوا راجلين) إشارة إلى أن قوله: ﴿فَرِجَالًا﴾ منصوب على الحال وعامله محذوف تقديره: فصلّوا رجالًا، **(وهو)** أي رجالًا **(جمع راجل كقائم وقيام)**، والراجل الماشي على قدميه، أي رجليه، وقيل: الراجل الكائن على رجليه ماشيًا كان أو واقفًا.

قوله: (﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾) الركبان جمع راكب، مثل فُرسان وفارس، وقيل: لا يقال راكب إلّا لمن ركب جملًا. وأما راكب الفرس ففارس وراكب البغل والحمار بغال وحمار، والأجود أن يقال: صاحب حمار وبغال.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠﴾

(﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ **بالنصب شامي وأبو عمرو وحمزة وحفص أي فليوصوا وصية عن الزجاج. غيرهم بالرفع أي فعليهم وصيةٌ**).

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾)... الخ. هاتان الآيتان لبيان نفقة المعتدَّات وسكناهنّ. أمّا الآية الأُولى، ففي بيان نفقة معتدّة الموت، فقوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٗ﴾ منصوب على أنه مصدر لفعل محذوف، أي فليوصوا وصية، أو مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف، أي فعليهم وصية. وقوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا﴾ نصب بالوصية أو إضمار يُوصون، أو تقديره: متّعوهن متاعًا، وقوله تعالى: ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ مصدر مؤكد؛ كقولك: هذا القول غير ما نقول أو بدل من متاعًا أو حال من أزواجهم أي غير مخرجات، وفي توجيه الإعراب وجوه أُخر مذكورة في التفاسير، وحاصل الآية: والرجال الذين يقربون الموت منكم ويكون لهم أزواجهم، فعليهم أن يُوصُوا الأقارب لأجل أزواجهم أن يعطوا لهنّ من أموالهم متاعًا إلى حولٍ كامل، ولا يخرجوهنّ من بيوتهم أيضًا إلى رأس الحول، فهنا أمران: التربّص بحول العدّة والنفقة مع السكنى إلى الحول، وكان في أوّل الإسلام معمولًا به حتى أن رجلًا من الطائف - أي حكم بن أشرف - قَدِم المدينة ثم ارتحل من هذه الدار وترك زوجته ووالدين وولدًا، فقسم رسول الله ﷺ حصته بين والديه وولده، وحكم لزوجته بالاستقرار في داره إلى رأس الحول، وعيّن حصتها من مال رزقًا لها إلى تمام الحول ومنعها من أخذ الزينة وترك الحِداد وطلب زوج آخر، على ما صرّح بكلّه في الحسيني والزاهدي. ثم نُسِخت الآية بعد مدّة، فالتربّص بحول منسوخ بـ ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٤]، وهو وإن كان مقدّمًا تلاوة لكنه مؤخّر نزولًا، والمتاع إلى الحول منسوخ بربع التَّركة وثمنها في الميراث، فلا نفقة لها ولذا تخرج في اليوم وبعض اللّيل لتحصيلها وتبيت في منزل زوجها بخلاف المطلّقة، فإنّ لها نفقة العدة، فيحرم خروجها والسكنى أيضًا غير ثابتة لها الآن عندنا، كما صرّح به في كتب الفقه

....

والكشاف، وثابتة عند الشافعي رحمه الله ما صرّح به في البيضاوي، وذكر الإمام الزاهدي أن السرَّ في تغيير العدّة هكذا، هو أنه كانت العرب إذا مات مورثهم لا يتركون امرأته تخرج أو تزيّن أبدًا عارًا وغيرة أن ينكحها غيره ويتزوجونها بأنفسهم، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النّساء: الآية ١٩]، فالله تعالى العالم الحكيم بمصالح العباد نسخ ذلك درجة درجة ليتعوّدوا به ويقبلوا، فقرّر أوّلًا الحول الكامل، ثم أربعة أشهرٍ وعشراً.

وأيضًا قد ذكر أن في الجاهلية إذا مات الرجل جلست المرأة في بيت الزوج حولًا، ثم إذا خرجت بعد سنة ترمي بعرة إبل أو شاة وراء ظهرها، لتُعْلم أن حِدادها في بيت الزوج أهون من رمي هذه البعرة، فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾، كلام مفسّري الحنفية يدلّ على أنّ معناه إن خرجن بعد الحول فلا جناح عليكم يا أيها الحكّام فيما فعلن في أنفسهنّ من معروف، أي أخذ الزِّينة وترك الحِداد وطلب الزوج، وحينئذٍ فهو داخل تحت المنسوخ، وقد يُفهم مما ذكره البيضاوي أن معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ فإن خرجن في الحول عن منزله فلا جناح عليكم، حيث قال: وهذا يدلّ على أنه لم تجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحِداد عليه، وإنّما كانت مخيّرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها، هذا لفظه. ولا يُعلم أنه ح منسوخ عنده أوّلًا.

وأمّا الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ ففي بيان نفقة المطلّقات إذ المتاع النفقة، وهو المختار لصاحب المدارك؛ فمعنى الآية أن المطلّقة تجب نفقتها على الزوج ما دامت معتدّة، سواء كانت مطلّقة الرجعي أو البائن أو غير ذلك، وهذه الآية باقٍ حكمها الآن غير منسوخ بالاتّفاق. وفي البائن خلاف الشافعي رحمه الله، وتمسّكه ما رُوِيَ عن فاطمة بنت قيس، قالت: طلّقني زوجي ثلاثًا، فلم يفرض لي رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة، ونحن نقول: هذا حديث ردّه عمر، فإنه قال: لا ندع كتاب ربّنا ولا سنّة نبيّنا بقول امرأة، لا ندري أصدقت أم كذبت، حفظت أم نسيت، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**للمطلّقة الثلاث: النفقة والسكنى ما دامت في عدّتها**». وردّه أيضًا زيد بن ثابت وأُسامة بن

﴿مَتَٰعًا﴾ نصب بالوصية لأنها مصدر أو تقديره متعوهن متاعًا ﴿إِلَى ٱلۡحَوۡلِ﴾ صفة لـ«متاعًا» ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ **(مصدر مؤكد)** كقولك «هذا القول غير ما تقول»، أو

زيد وجابر وعائشة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، هكذا ذكر صاحب الهداية وفخر الإسلام. وقال فخر الإسلام في موضع: أراد عمر رضي الله تعالى عنه بالكتاب والسنّة القياس، وفي موضع: أن الكتاب هو قوله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ [الطَّلَاق: الآية ٦]، ومعناه: أنفقوا عليهنّ من وجدكم. وعندي أن السكنى للمطلّقة ثابت بقوله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ﴾ [الطّلاق: الآية ٦]، والنفقة بقوله تعالى: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾، وكذا يثبتان بقول عمر رضي الله تعالى عنه: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**للمطلقة الثلاث: النفقة والسكنى**» فالحديث الذي رواه الشافعي ﷺ يخالف الكتاب والسنّة في النفقة والسكنى جميعًا. وقيل: المراد بالمتاع المتعة، فح يكون المراد ما يتناول التمتّع الواجب والمستحبّ ليتناول جميع المطلّقات، أو يكون المراد بالمطلّقات غير المذكور فيما سبق، أي المدخول المسمّى لها مهر أو لا، ويكون الآية محمولة على الندب، هذا عندنا. وعند الشافعي ﷺ: المراد بالمطلّقات أعمّ، والآية محمولة على الوجوب كما هو أحد قوليه، ولهذا قال صاحب البيضاوي أثبت المتعة للمطلّقات جميعًا بعدما أوجبها لواحدة منهنّ. ولا يخفى رجحان توجيه المتعة وضعف توجيه النفقة، ولهذا أخّره صاحب الكشاف، ولم يذكره الإمام الزاهد وفخر الإسلام وصاحب الهداية، مع أنّهم حنفيّون، وهذه تتمّة مسائل العدّة والطلاق من سورة البقرة، وسنذكر بواقيها في سورة الطلاق إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (بالنصب شامي) أي ابن عامر الشامي، **(وأبو عمرو)** البصري **(وحمزة وحفص أي فليوصوا وصية عن الزجاج)**، أي على أنه مفعول مطلق أو مفعول به، أي كتب الله عليهم، والذين فاعل على الأوّل، أي وليوصِ، الذين مبتدأ على الثاني **(غيرهم)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة وابن كثير المكي وأبو بكر عن عاصم والكسائي وخلف، وكذا يعقوب **(بالرفع)** على أنه مبتدأ حُذِف خبره، **(أي فعليهم وصية)**، مثل: في الدار رجل، أو خبره لأزواجهم والمسوغ كونه موضع تخصيص كسلام عليكم. **قوله: (مصدر مؤكَد)** أي لمضمون

(**بدل من** «**متاعًا**» **والمعنى**) أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا (**قبل أن يحتضروا**) بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولًا كاملًا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن، (**وكان ذلك**) مشروعًا في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾. إلى قوله: «أربعة أشهر وعشرًا». والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولًا كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية

الجملة المتقدمة، فإنّ مضمون ما قبله أنهن يتمتّعن حولًا، فأكّد ذلك بقوله: غير إخراج، إلّا أنه ليس من قبيل التأكيد لنفسه، كما في قوله: عليّ ألف درهم اعترافًا، لأن مضمون الجملة المتقدّمة فيما نحن فيه وهو استحقاقهنّ التمتّع حولًا، كما يحتمل أن يكون بعدم إخراجهنّ من بيوتهنّ حولًا يحتمل أن يكون بإجراء النفقة عليهنّ في تلك المدّة، فكان تأكيد الغيرة حيث دفع احتمال أن يكون التمتيع بوجهٍ آخر غير عدم إخراج، كما في قولك: زيدٌ قائم حقًّا، فإنّ الجملة المتقدّمة كانت تحتمل الحقيقة وعدم الحقيقة، فقولك: حقًّا دفع احتمال عدم الحقيقة، فكان تأكيد الغيرة، فتقدير الآية: يوصون متاعًا إلى الحول لا يخرجن غير إخراج، كما أن تقدير قولك هذا القول غير ما نقول: إن هذا القول أقوله غير ما نقول، فإنّ مضمون قولك هذا القول يحتمل أن يكون خلاف ما يقوله المخاطب، وأن يكون وفاقه فقولك: غير ما نقول دفع احتمال كونه على وفاقه، فكان تأكيدًا لغيره. **قوله: (أو بدل من «متاعًا»)** بدل اشتمال لتحقّق الملابسة بين تمتيعهنّ حولًا وبين عدم إخراجهنّ من بيوتهنّ، كأنه قيل: يوصون لأزواجهنّ متاعًا لا يخرجهنّ من مساكنهنّ حولًا. **قوله: (والمعنى)**، أي معنى الآية على جميع الوجوه المذكورة في إعرابها. **وقوله: (قبل أن يحتضروا)** إشارة إلى دفع ما يُتوهّم من أنه تعالى ذكر وفاة الأزواج ثم أمرهم بالوصية، والمتوفّى كيف يوصي ووجه الدفع أنّ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٤] من باب المجاز الأولى سمّي المشارف للوفاة متوفيًا تسمية للشيء باسم ما يؤول إليه، وامتناع الوصية بعد الوفاة قرينة للمجاز. **قوله: (وكان ذلك)**، أي وجوب الإنفاق والإسكان في مساكنهنّ بحيث لا يجوز تزوّجهنّ حولًا كاملًا في بدء الإسلام، ثم نُسِخت مدّة الحول الثانية بهذه الآية، بقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٤]، وإن كان متقدّمًا في التلاوة، بمعنى أنه نسخ الحول، ووجبت أربعة أشهرٍ وعشرًا بنصّ جديد، وقيل: بل نُسِخت الزيادة

١٤٢]. مع قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٤]. ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بعد الحول ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾ مما ليس بمنكر شرعًا ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيما حكم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ أي نفقة العدّة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا﴾ نصب على المصدر ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ هو في موضع الرفع لأنه خبر «لعل»، وإن أريد (به) المتعة فالمراد (**غير المطلقة المذكورة**) وهي على سبيل الندب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ (**تقرير لمن سمع بقصتهم**) من أهل الكتاب وأخبار الأولين

على أربعة أشهرٍ وعشرًا وبقيت هي بالنصّ الأوّل، ومبنى الخلاف على أن نسخ البعض هل يكون نسخًا للكل؟ يشكل هذا بما يقال: إن هذا الترتيب كان ثابتًا في اللوح وفي سماء الدنيا قبل التنزيل، ففيه نسخ المتأخّر بالمتقدّم. والجواب: أنّ المتأخّر في ذلك الترتيب أيضًا لا يلزم أن يكون متأخّرًا في الورود. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (به) أي بقوله متاع. **قوله:** (**غير المطلّقة المذكورة**) أي التي لم يدخل بها، ولم يُسمّ لها مهرًا.

قوله: (**تقرير**)، أي حمل على الإقرار بما دخله النفي، وقوله: (**لمن سمع بقصتهم**) إشارة إلى أنّ هذا الخطاب وإنْ كان بحسب الظاهر متوجّهًا إلى النبيّ عليه الصّلاة والسّلام، إلّا أنه من حيث المعنى متوجّه إلى جميع مَنْ سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ، وأنّ مقتضى الظاهر أن يقال: ألم تسمع بقصّتهم، إلّا أنه نزل سماعهم إيّاها منزلة رؤيتهم تنبيهًا على ظهورها واشتهارها عندهم، فخُوطبوا بألم تروا، والرؤية قد تجيء بمعنى رؤية البصر، وقد تجيء بمعنى رؤية البصيرة والقلب، وذلك راجع إلى العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾

وتعجيب من شأنهم، **(ويجوز أن يخاطب به)** مَن لم يرَ ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ **(من قرية ـ قبل ـ واسط)** وقع فيهم **(الطاعون)** فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء **(حزقيل)** عَلَيْهِ السَّلَامُ . وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرًا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ في موضع

[البَقَرَة: الآية ١٢٨] أي علِّمنا، وقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [ص: الآية ٢٦] بما أراك الله، أي علّمك. والرؤية هٰهنا علمية، فكان من حقها أن تتعدّى إلى مفعولين، ولكنها ضمنت معنى ما يتعدّى بإلى، والمعنى: ألم ينتهِ علمك إلى كذا. قال الإمام الواحدي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ أي ألم تعلم، وألم ينته علمك إلى هؤلاء. ومعنى الرؤيا هٰهنا رؤية القلب، وهي بمعنى العلم. وقال الراغب: رأيت يتعدّى بنفسه دون الجار، لكن لمّا اسْتُعِير ألم تر بمعنى ألم تنظر عدّي تعديته، وقلّما يُستعمل ذلك في غير التقرير، فلا يقال: رأيت إلى كذا جعل الرؤية بصريّة مُستعارة من ألم تسمع، وهذا التأويل أنسب بهذا المقام. **قوله: (ويجوز أن يخاطب به)**... الخ. إشارة إلى أن الخطاب يجوز أن لا يكون خاصًا بمن سمع قصّتهم وعلمها بطريق السماع، بل يكون عامًّا للكلّ دلالة على شيوع القصة وشهرتها، بحيث ينبغي لكل أحد أن يعلمها أو يُبصرها ويتعجّب منها، كأنه حقيقٌ بأن يحمل على الإقرار برؤيتهم وإنْ لم يرهم ولم يسمع بقصّتهم، ولم يكن من أهل الكتاب وأهل أخبار الأوّلين، فيكون خطاب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٣] في حقّهم من باب المثل في التعجّب بأن شبّه حال مَنْ لم يرهم بحال مَنْ رآهم في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه هذه القصة، وأنه ينبغي أن يتعجّب منها. ثم أجرى الكلام معه كما يجري مع مَنْ رآهم وسمع بقصتهم قصدًا إلى التعجّب، فيجوز أن يكون النبيّ عليه الصّلاة والسّلام وأمّته لم يعرفوا هذه القصّة إلّا بنزول هذه الآية، ويكون جريان الكلام معهم بطريق الاستعارة التمثيلية، ويجوز أن يكون علمهم بها سابقًا على نزول هذه الآية، ويكون الكلام حقيقة في التقرير والتعجيب.

قوله: (من قرية قبل) أي عند أو قرب **(واسط)** اسم بلد. يريد أهل دار ودّان قرية قبل واسط. اهـ بيضاوي. **قوله: (الطاعون)** الموت من الوباء. **قوله: (حزقيل)** بكسر الحاء ويبدل هاء، فيقال: هزقيل، وسكون الزاي المعجمة والقاف ثم ياء

النصب على الحال، وفيه دليل على الألوف الكثيرة لأنها جمع كثرة **(وهي جمع ألف لا آلف)** ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول له ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ أي فأماتهم الله، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة، **(وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد، وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفرّ فأولى أن يكون في سبيل الله)** ﴿ثُمَّ

ساكنة ولام اسم نبيّ ابن بوري بضمّ الباء الموحدة والقصر. **قوله: (وهي جمع ألف)** الذي هو من جملة أسماء العدد **(لا) جمع (آلِف)** كقعود في جمع قاعد، وجلوس في جمع جالس. **قوله: (وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد، وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفرّ فأولى أن يكون في سبيل الله)**، في التفسيرات الأحمدية: اعلم أنّ الآيات في عدم الفرار من الموت كثيرة، وهذا أوّلها، وقصّتها على ما في الحسيني على رواية: أنه لما نشأت الوباء في قرية ودّان قبل واسط خرج بعضهم من حواليهم وسَلِموا جميعًا، واستقرّ بعضهم في بيوتهم فهلكوا فتيقّنوا أنّ الخروج عن الوباء سبب النجاة، فمضى عليه الزمان، ثم وثم إلى أن نشأت الوباء في سنة أخرى خرجوا من ديارهم جميعًا وهم أُلوف كثيرة ثمانية آلاف أو أربعون أو سبعون ألف رجل، وإنما خرجوا جميعًا حذرًا عن الموت وخشية، فقال لهم الله: موتوا، وقال لهم ملكان ملك من أعلى الوادي وملك من أسفلها، فماتوا جميعًا، فجاءت جماعة من الأطراف والجوانب ليدفنوا فعجزوا عن الدفن لكثرة موتاهم، وأقاموا الجدار في حوالي الموتى ليسكنوا فيها، ثم مضى عليه الزمان بحيث لم يبق لهم لحم ولا دم حتى أن يومًا مرّ بهم حِزْقيل بن سوريا عليه السلام، فشاهدهم عظامًا وهي رميم، فدعا الله تعالى وقال: يا ربّ انظر عليهم رحمتك واجعلهم أحياء، فبشّره الله تعالى بأن اقرأ كلمة فلانية حتى يحيوا جميعًا، فلمّا قرأ تلك الكلمة أحياهم الله جميعًا ليقرّوا ويقفوا أن لا يفرّ مِنْ قضاء الله وقدره، هذا ما فيه.

وقيل: عشر آلاف أو ثلاثون ألفًا في تفسير أُلوف، وقيل: ألوف بمعنى متألفون جمع آلف وهو من بدع التفاسير على ما في الكشاف، وقيل: قابيل مكان حِزْقيل عليه السلام، وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففرّوا حذرًا عن القتل، فأماتهم الله ثمانية أيام ثمّ أحياهم، وعلى كلٍّ تقدير قوله:

﴿أَحْيَاهُمْ﴾ ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفرّ من حكم الله وقضائه، وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم، ولما كان معنى قوله: «فقال لهم الله موتوا» فأماتهم كان عطفًا عليه معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم، أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ذلك. والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثًا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله وهو قوله:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير لمن سمع بقصّتهم من أهل الكتاب وأخبار الأوّلين وتعجيب من شأنهم، ويجوز أن يخاطب به مَنْ لم ير ولم يسمع؛ لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجّب. وهم أُلوف حال مَنْ خرجوا. ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٣] مفعول له، وإنما قال: فقال لهم الله موتوا، ولم يقل: فأماتهم الله تنبيهًا على أنّهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك المشيئة خارجة عن العادة والمآل من هذه الآية أنه قد تقرّر إذا وقع في بلد وباء وطاعون حُرِّم الفرار منه، وكذا حُرِّم الدخول فيه، وغرضي أن نثبت كلاًّ منهما من القرآن، فحرمة الدخول في بلد وقع فيه الوباء ثبت من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٥] كما سبق ذكره، وحرمة الفرار من البلد الذي وقع فيه يثبت من هذه الآية؛ لأن الله تعالى ذكرها قصّة وليس النفع من ذلك إلا العبرة على السّامعين من الكفّ عن الأسباب التي نقلت عنهم، وهي الفرار عن الوباء، فعلم أنه منع، وبهذا المضمونْ آيات كثيرة في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٨] ونحوه.

لا يقال: إن الله تعالى لم يرتّب في هذه الآية عذابًا في الآخرة كما يرتّب ذلك في أكثر القصص، فكيف يُستدلّ بها على حُرمة الفرار؟ لأنّا نقول: إنه يكفي هذا ترتّب عذاب الدنيا، وهو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ بدون ترتّب عذاب الآخرة، غايته ما يقال: إنه لم لا يجوز أن يكون الغرض من هذه القصة هو بيان تعجّب إحياء أُلوف من الرجال بعد موتهم في لمحةٍ واحدة لا بيان فرارهم من الوباء، أو يكون فائدتها هو التشجيع للمسلمين على الجهاد، وأن الموت كائن لا محالة، كما صرّح به في التفاسير، وأيضًا هو في بيان الفرار عن القتل على ما

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فحرّض على الجهاد بعد الإعلام لأن الفرار من الموت لا يغني، وهذا الخطاب لأمة محمد ﷺ أو لمن أحياهم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع ما يقوله المتخلّفون والسابقون ﴿عَلِيمٞ﴾ بما يضمرونه.

﴿مَّن﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء ﴿ذَا﴾ خبره ﴿ٱلَّذِي﴾ نعت لـ «ذا» أو بدل منه ﴿يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾ صلة الذي سمى ما ينفق في سبيل الله قرضًا لأن القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد، سمى به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه. والقرض القطع (ومنه المِقراض، وقَرَضَ الفأر والانقراض) فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وأنه يجزيهم عليه لا محالة ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بطيبة النفس من المال الطيب، والمراد النفقة في الجهاد لأنه لما أمر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد (﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾) بالنصب: (**عاصم على جواب الاستفهام. وبالرفع: أبو عمرو**

ذكرت من الرواية الثانية، لا في بيان الفرار عن الوباء. ويمكن أن يُجاب بأن الرواية الثانية ضعيفة يدلّ عليه ذكرها مؤخرًا، وأنه لو سلّم أن المقصد هو تعجّب إحياء أُلوف من الرجال، أو التشجيع للمسلمين على الجهاد، فما ذكرنا لا أقل من إشارة النص، وهو في حقّ التمسّك مثل العبارة، سيّما إذا تأيّد بالحديث، وهو قوله عليه السّلام: «**الفارّ من الطاعون كالفارّ من الزحف**». اهـ بحروفها.

قوله: (ومنه المقراض) - بكسر الميم - لما يُقطع به، (**وقرض الفأر**) في المصباح: قَرَضَ الفأر الثوب أكله (والانقراض) انقرض القوم، أي هلكوا وانقطع أثرهم. **قوله:** (﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾) مع الألف بالنصب.

(**عاصم**) بن أبي النّجود، ويقال: ابن بَهْدلة، وقيل: اسم أبي النّجود عبد، وبهدلة اسم أُمّه، وهو مولى نَصْر بن قُعَيْن الأسدي، ويُكنى أبا بكر، وهو من التابعين لحق الحارث بن حسّان واقد بني بكر وسمع منه، وتوفي بالكوفة سنة ثمان، وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة. (**على جواب الاستفهام. وبالرفع: أبو عمرو**) البصري هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن

ونافع وحمزة وعلي عطفًا على «يقرض»، أو هو مستأنف أي فهو يضاعفه. «فيضعفَه»: شامي. «فيُضعّفُه»: مكيّ). ﴿أَضْعَافًا﴾ **(في موضع المصدر)**

الحارث بن جُلْهُم بن خزاع بن مازن بن مالك بن عمر بن تميم، وقيل: اسمه زبّان، وقيل: عريان، وقيل: يحيىٰ، وقيل: اسمه كنيته، وقيل غير ذلك. وتوفي بمكّة سنة أربع وخمسن ومائة.

(ونافع) المدني، هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نُعَيْم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أصله من أصفهان، ويُكْنى أبا رُوَيْم، وقيل: أبا حسن، وقيل: أبا عبد الرحمٰن. وتوفي بالمدينة سنة تسع وتسعين ومائة.

(وحمزة) الكوفي، هو حمزة بن حبيب بن عُمَارة بن إسماعيل الزيّات الفَرَضيّ التَّيْميّ مولى لهم، ويُكنى أبا عمارة، وتوفي بحُلْوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ستّ وخمسين ومائة.

(وعليّ) الكسائي الكوفي، هو عليّ بن حمزة النحوي مولًى لبني أسَد، ويُكنى أبا الحسن، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في الكساء، وتوفي برَنْبوية قرية من قرى الريّ حين توجّه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة. (عطفًا على يقرض أو هو مستأنف، أي فهو يضاعفه فيضعفه) بالتشديد مع حذف الألف والنصب.

(شاميٌ)، أي ابن عامر الشامي، هو عبد الله بن عامر اليَحْصَبِيّ قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويُكنى أبا عِمْران، وهو من التابعين وليس في القرّاء السبعة مِنَ العرب غيره، وأبي عمرو. والباقون هم مَوالٍ، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة، (فيُضعّفه) بالتشديد مع حذف الألف والرفع.

(مكّيّ)، أي ابن كثير المكي هو عبد الله بن كثير الداريُّ مولى عمرو بن علقمة الكناني والدّاريّ العطّار، ويكنى أبا معبد، وهو من التابعين، وتوفي بمكّة سنة عشرين ومائة. اهـ التيسير.

قوله: (في موضع المصدر)، يعني أنه منصوب على المصدر باعتبار أن يطلق الضعف وهو المضاعف بمعنى التضعيف، كما أطلق العطاء، وهو اسم المعطي

﴿كَثِيرَةً﴾ لا يعلم (**كنهها**) إلا الله. وقيل: الواحد بسبعمائة. ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ (**يقتر**) الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة. («**ويبصط**» **حجازي وعاصم وعلي**) ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على ما قدمتم.

بمعنى الإعطاء. وجمعه للتنويع، فإن أنواع التضعيف تختلف باختلاف الأشخاص واختلاف أنواع المقرض، واختلاف أنواع الجزاء. **قوله: (كنهها)** في مختار الصحاح: كنه الشيء نهايته، يقال: أعرفه كنه المعرفة. اهـ. **قوله: (يقتر)** أي يضيّق. **قوله: (ويبصط)** بالصاد. **(حجازي)** إذا جتمع أهل مكّة والمدينة قيل: **حجازي**، أي ابن كثير المكيّ ونافع المدني، وكذا أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. **(وعاصم وعلي)** الكسائي. والباقون بالسين. وعبارة الإتحاف: اختلف في ويبسط هنا، وفي الخلق بصطة بالأعراف، فالدوري عن أبي عمرو وهشام وخلف عن حمزة، وكذا رُويس وخلف بالسين فيهما على الأصل وافقهم اليزيدي والحسن، واختلف عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد. فأمّا قنبل، فابن مجاهد عنه بالسين، وابن شنبوذ عنه بالصاد. وأمّا السوسي، فابن حبش عن ابن جرير عنه بالصاد فيهما، وكذا روى ابن جمهور عن السوسي، وروى سائر الناس عنه السين فيهما، وهو في الشاطبية وغيرها. وأمّا ابن ذكوان، فالمطوعي عن الصوري والشذاي عن الرملي عن ابن ذكوان بالسين فيهما، وروى زيد والقباب عن الرملي وسائر أصحاب الأخفش عنه الصاد فيهما إلّا النقّاش، فإنه روى عنه السين هنا والصاد في الأعراف، وبه قرأ الداني على عبد العزيز بن محمد، وبالصاد فيهما قرأ على سائر شيوخه في رواية ابن ذكوان، ولم يذكر وجه السين فيهما عن الأخفش إلا فيما ذكر، ولم يقع ذلك للداني تلاوة، كذا في النشر. قال فيه: والعجب كيف عوّل عليه ـ أي على السين ـ الشاطبي، ولم يكن من طرقه ولا من طرق التيسير، وعدل عن طريق النقّاش الذي لم يذكر في التيسير غيرها، وهذا الموضع مما خرج فيه عن التيسير وطرقه، فلْيُعلم. وأمّا حفص، فالوليّ عن الفيل وذرعان كلاهما عن عمرو عن حفص بالصاد فيهما. وروى عبيد عنه بالسين فيهما، ونصّ له على الوجهين المهدوي وابن شريح وغيرهما. وأمّا خلاد، فابن الهيثم من طريق ابن ثابت عنه بالصاد

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ الأشراف لأنهم يملئون القلوب جلالة والعيون مهابة ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ («من» **للتبعيض**) ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ من بعد موته و«من» لابتداء الغاية (﴿إِذْ قَالُوا۟﴾) حين قالوا: ﴿لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ (**هو شمعون أو يوشع**

فيهما، وروى ابن نصر عن ابن الهيثم والنقّاش عن ابن شاذان كلاهما عن خلاد بالسين فيهما، وعن ابن محيصين الخلف فيهما أيضًا. والباقون بالصاد فيهما. قال أبو حاتم: وهما لغتان ورسمهما بالصاد تنبيهًا على البدل، واتّفق على سين «وزاده بسطة في العلم» بالبقرة للرسم إلّا ما رواه ابن شنبوذ عن قنبل من جميع الطرق عنه بالصاد، وهو المراد من قول الطيبة وخلف العلم (ز) ولا إشمام لأحد في ذلك، ولذا قال الشاطبي: وبالسين باقيهم. اهـ بحروفه.

قوله: («من» **للتبعيض**) وهو متعلق بمحذوف على أنه حال من الملأ، أي حال كونهم بعض بني إسرائيل، وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ متعلق بما تعلّق به الجار الأوّل، ولا يضرّ اتحاد الحرفين لفظًا لاختلافهما معنًى، فإنّ الأُولى للتبعيض والثانية لابتداء الغاية. **قوله:** (﴿إِذْ قَالُوا۟﴾) ظرف معمول لمحذوف، لا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لما تقدم من أن معنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تقرير المنفيّ، والمعنى: ألم ينته علمك أو نظرك إلى الملإ، وليس انتهاء علمه إليهم ولا نظره إليهم كائنًا في وقت قولهم ذلك، وإذا لم يكن ظرفًا للانتهاء ولا للنظر، فكيف يكون معمولًا لهما أو لأحدهما؟ فتعيّن أنه معمول لمحذوف تقديره ألم تر إلى قصة الملأ أو حديث الملأ أو إلى ما جرى للملأ من بني إسرائيل؛ لأن الذوات لا يتعجّب منها، وإنما يتعجّب من أحوالها، فالعامل في إذا هو ذلك المحذوف المجرور، فلا يصحّ المعنى إلّا به. **قوله:** (**هو شمعون**) ضبطوه بكسر الشين في بني يعقوب، لكن المراد به غيره، فإنه شمعون بن صعبة بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب عليهم السلام، والظاهر بكسر الشين أيضًا. اهـ قنوي. **قوله:** (**أو يوشع**) بن نون بن

أو إشْمويل) ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ **(انهض)** للقتال معنا أميرًا **(نصدر)** في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره ﴿نُّقَٰتِلۡ﴾ بالنون والجزم على الجواب ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ صلة نقاتل ﴿قَالَ﴾ النبيّ ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ **(«عَسِيتم» حيث)** كان: نافع. ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ شرط فاصل بين اسم «عسى» وخبره وهو ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ والمعنى: هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون **(وتجبنون)**، فأدخل «هل» مستفهمًا عما هو متوقع عنده، وأراد بالاستفهام **(التقرير)** وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **(وأي داع لنا إلى ترك القتال)** وُأي غرض **لنا** فيه ﴿(وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا) مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ الواو في «وقد» للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر

إفرائيم بن يوسف بن يعقوب عليه السلام، وهو المراد بفتاه في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: الآية ٦٠]. قال المفسّرون: وهو يوشع بن نون ابن أخت موسى، هذا البيان من طرف الإمام وما تقدّم من طرف الأب. اهـ قنوي. **قوله: (أو إشْمويل)** بكسر الهمزة وسكون الشين وفتح الميم وواو مكسورة بعدها ياء ثم لام ابن بال بن علقمة. اهـ قنوي. **قوله: (انهض)** أي أقم. في مختار الصحاح: نهض قام وبابه قطع وخضع، وأنهضه فانتهض واستنهضه لأمر كذا أمره بالنهوض له. اهـ.

قوله: (نصدر). . . الخ. صفة أميرًا. **قوله: (عسيتم)** بكسر السين **(حيث)** كان نافع. والمباقون بالفتح لغتان. **قوله: (وتجبنون)** في مختار الصحاح: جَبَن الرجل يجبُن ـ بالضم ـ جُبْنًا فهو جَبان وجَبُن أيضًا من باب ظرُف فهو جبين وامرأة جبان. اهـ. **قوله: (التقرير)** بمعنى التثبيت المتوقع، وإن كان الشائع من التقرير هو الحمل على الإقرار. **قوله: (وأي داع لنا إلى ترك القتال)**، لما كان الشائع في مثل هذا أن يقال: ما لنا نفعل كذا أو لا نفعل، على أن الجملة حال، وقد أتى هٰهنا بكلمة أن المصدرية لكون المعنى على الاستقبال جعله على حذف حرف الجر ليتعلق بالظرف، أعني لنا بمعنى: أيّ داعٍ ثبت لنا إلى أن نترك القتال، وأيّ غرض لنا فيه، وقد يتوهّم من ظاهر اللّفظ أنه متعلّق بداعٍ، وغرض الذي في ضمن كلمة ما، وهو تكلّف لا حاجة إليه، وإنْ كان المعنى عليه والمرجع إليه. **قوله: (﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا﴾)** حال عامله لا نقاتل، أو الظرف أعني لنا.

و(**فلسطين فأسروا**) من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين يعنون إذا بلغ الأمر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي أجيبوا إلى ملتمسهم ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا عنه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر (**على عدد أهل بدر**) ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ هو اسم أعجمي كجالوت وداود، ومنع من الصرف للتعريف والعجمة ﴿مَلِكًا﴾ حال ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ (**أي كيف ومن أين**) وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ الواو للحال ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود مَن هو أحقّ بالملك وأنه فقير لا بد للملك من مال (**يعتضد به**)، وإنما قالوا ذلك لأن النبوّة كانت في سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، والملك في (**سبط يهوذا**) وهو كان من سبط (**بنيامين**)، وكان رجلًا سقاء أو دباغًا فقيرًا. ورُوِيَ أن نبيّهم دعا الله حين طلبوا منه ملكًا فأتى بعصا يقاس بها مَن يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ

قوله: (فلسطين) بكسر الفاء وقد تُفتح كورة بالشام. **قوله**: (فأُسِروا) أي قوم جالوت من أبناء ملوك بني إسرائيل أربعمائة وأربعين بعدما ظهروا عليهم وسبوا ذراريهم. **قوله**: (على عدد أهل بدر) أخرجه البخاري عن البراء رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أي كيف ومن أين)، يعني أن كلّاً من معنييه يستقيم هٰهنا. **قوله**: (يعتضد به) في مختار الصِّحاح: المعاضدة المعاونة، واعتضد به أي استعان به. اهـ. **قوله**: (سبط) واحد الأسباط، وهم ولد الولد. اهـ مختار. **قوله**: (يهوذا) بدال مهملة وأصله بمعجمة بالعبرانية لكن تصرّف فيه العرب فأهملوها. **قوله**: (بنيامين) بكسر الميم وصحّح بعضهم فتحها، ففيه وجهان. اهـ شهاب. وهو أصغر

﴿عَلَيْكُمْ﴾ الطاء في «اصطفاه» بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه. ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ مفعول ثانٍ ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ قالوا: كان أعلم بني إسرائيل بالحرب والديانات في وقته، وأطول من كل إنسان برأسه ومنكبه. والبسطة السعة والامتداد، والملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل دليل (مزدرى) غير منتفع به، وأن يكون جسيمًا لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب. ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ (**أي الملك له**) غير منازع فيه وهو يؤتيه مَن يشاء إيتاءه وليس ذلك بالوراثة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي واسع الفضل والعطاء على مَن ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يصطفيه للملك (فثمة) طلبوا من نبيّهم آية على اصطفاء الله طالوت.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ أي (صندوق) التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سكون وطمأنينة ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ هي (رضاض الألواح) وعصا

من يوسف على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. **قوله:** (مُزْدرى) أي محقّر. في مختار الصحاح: الإزراء التهاون بالشيء، يقال: أزرى به إذا قصّروا، ازدراه أيّ حقَّره.اهـ. **قوله:** (أي الملك له) هو معنى الإضافة. **قوله:** (فثمَة) ثمّ يشار به إلى المكان البعيد نحو: أزلنا ثم الآخرين، وهو ظرف لا ينصرف ولا يتقدّمه هاء التنبيه ولا تلحقه كاف الخطاب، ويجوز أن تُزاد عليه تاء، فيقال: ثمة، وتوقف عليه بهاء السكت فيقال: ثَمَّة، وفي شرح مسلم: ثم بلا هاء يدلّ على المكان البعيد، وبهاء على القريب.

قوله: (صندوق) بضم الصاد على الأفصح. **قوله:** (رضاض الألواح) الرّضاض ـ بضم الراء المهملة وضادين معجمتين ـ ما يتفتّت ويتقطّع من الشيء،

موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى و(عمامة) هارون عليهما السلام ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي مما تركه موسى وهارون والآل (مقحم) لتفخيم شأنهما ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ يعني التابوت (وكان رفعه الله) بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه، والجملة في موضع الحال وكذا «فيه سكينة». و﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ نعت لـ«سكينة» و«مما ترك» نعت لـ «بقية» ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ إن في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾ خرج ﴿بِٱلۡجُنُودِ﴾ عن بلده إلى جهاد العدو و«بالجنود» في موضع الحال أي مختلطًا بالجنود وهم ثمانون ألفًا، وكان الوقت (قيظًا) وسألوا أن يجري الله لهم نهرًا ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾ مختبركم أي يعاملكم معاملة المختبر ﴿بِنَهَرٖ﴾ وهو نهر فلسطين ليتميّز المحقق في الجهاد من المعذر ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ﴾ (كرعًا) ﴿فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ فليس من أتباعي

والمراد ألواح موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام النازلة عليه، أي التي تكسّرت لمّا ألقى موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، فإنّ موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام لمّا رجع من الطور أتى بألواح من السماء فيها التوراة، وكان قومه اشتغلوا بعبادة العجل فغضب من ذلك ورماها على الأرض، فصارت قطعًا متفرّقة، فجعلت فيه تلك القطع وهي رضاض الألواح، أي كسرها. **قوله:** (عمامة) بالكسر واحدة العمائم. **قوله:** (مقحم) أي زائد. **قوله:** (وكان رفعه الله) يعني التابوت.

قوله: (قيظًا) أي شديد الحرّ، يقال: قاظ يومنا أي اشتدّ حرّه. **قوله:** (كرعًا) في المصباح: كرع في الماء كرعًا من باب نفع وكروعًا شرب بفيه من موضعه، فإن شرب بكفّيه أو بشيءٍ آخر فليس بكرع، وكَرِع كَرَعًا من باب تعب

و(أشياعي) ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ (ومَن لم يذقه من طعم) الشيء إذا ذاقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّيَ﴾ (وبفتح الياء: مدنيّ وأبو عمرو). واستثنى ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾ من قوله: «فمن شرب منه فليس مني» والجملة الثانية في حكم المتأخرة عن الاستثناء إلا أنها قدمت للعناية ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ («غرفة»): (حجازي وأبو عمرو بمعنى المصدر)، وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع، والدليل عليه ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ أي فكرعوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي النهر ﴿هُوَ﴾ طالوت ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي القليل ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ أي لا قوة لنا ﴿بِجَالُوتَ﴾ هو جبار من (العمالقة من أولاد عمليق) بن عاد (وكان) في (بيضته) ثلاثمائة (رطل) من الحديد ﴿وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ يوقنون بالشهادة. قيل: الضمير من «قالوا»

لغة. اهـ. **قوله:** (أشياعي)، أشياع كأتباع لفظًا، والمعنى جمع شيعة، وكلمة من على هذا للتبعيض دخلت على نفس المتكلّم للإشعار بأن أصحابه لقوّة اختصاصهم واتّصالهم به كأنهم بعضه. **قوله:** (ومَن لم يذقه) لمّا كان طعمت الشيء شائعًا في معنى أكلته، وكان الماء ليس مما يتعلق به الأكل بل إنما يتعلّق به الشرب، ولا سيّما أنه استعمل لم يطعمه في الآية في مقابلة شرب منه، فإنه قرينة واضحة على أنه ليس من قبيل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]، فإنّه بمعنى: فإذا تناولتم وأكلتم ما يتغذّى به فتفرّقوا، وهذا المعنى غير سديد في هذا المقام، فلذلك فسّره بقوله: من لم يذقه على أنه من طعم الشيء إذا أذاقه، ومنه طعم الشيء لمذاقه. **قوله:** (من طعم) من باب تعب. **قوله:** (وبفتح الياء مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وأبو عمرو). وسكّنها الباقون. **قوله:** (غَرفة) بفتح العين (حجازي) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: **حجازي** أي ابن كثير المكي ونافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وأبو عمرو) البصري (بمعنى المصدر للمرة)، والباقون بالضمّ اسم للماء المغترَف. **قوله:** (العَمَالقة) قومٌ تفرّقوا في البلاد (من أولاد عمليق) كقِنْديل. **قوله:** (وكان) في بيضته ثلاثمائة رطل من الحديد، وكان ظله ميلًا لطول قامته. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (بيضته) في مختار الصحاح: البيضة واحد البيض من الحديد. اهـ. **وقوله:** (رطل) في المصباح: الرطل معيار تُوزن به وكسره أشهر من

للكثير (**الذين انخزلوا**) والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه. ورُوِيَ أن الغرفة كانت تكفي الرجل (**لشربه وإداوته**) والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ «كم» خبرية وموضعها رفع بالابتداء ﴿غَلَبَتْ﴾ خبرها ﴿فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بنصره ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)﴾

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ خرجوا لقتالهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ (**أُصبب**) ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ على القتال ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا وإلقاء الرعب في صدور عدونا ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أعنّا عليهم.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾

﴿فَهَزَمُوهُم﴾ أي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾.

فتحه، وهو بالبغدادي اثنا عشر أُوقية، والأُوقية إستار وثلثا إستار، والإستار أربعة مثاقيل، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستّة دوانق، وعلى هذا فالرطل تسعون مثقالًا، وهي مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم، والجمع أرطال. قال الفقهاء: وإذا أطلق الرطل في الفروع فالمراد رطل بغدادي، والرطل مكيال أيضًا وهو بالكسر، وبعضهم يحكي فيه الفتح. اهـ.

قوله: (**الذين انخزلوا**) أي انقطعوا عنه وشربوا منه. **قوله:** (**لشربه وإداوته**) أي لشرب نفسه وخدمه ودوابه، ولأن يحمل معه في قربته ومطهرته. والإداوة ـ بالكسر ـ المطهرة وجمعها الأداوى بفتح الواو. اهـ مصباح.

قوله: (**أُصبب**) بضمّ الهمزة لأنه من باب ردّ. اهـ جمل. وفي مختار الصحاح: صبّ الماء فانصبّ وبابه ردّ. اهـ. وفي المصباح: صبّ الماء يُصب من باب ضرب صببًا انسكب ويتعدّى بالحركة، فيقال: صببته صبًّا من باب قتل. اهـ.

كان (**إيشي**) أو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم، فأوحى الله إلى نبيّهم أن داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مرّ في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له: إنك تقتل بنا جالوت فحملها في (**مخلاته**) ورمى بها جالوت فقتله (**وزوجه طالوت بنته، ثم حسده**) وأراد قتله ثم مات تائبًا ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والنبوّة ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ من صنعة (**الدروع**) وكلام الطيور والدواب وغير ذلك. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ هو مفعول به ﴿بَعْضَهُم﴾ بدل من «الناس» («**دفاع**»: **مدني مصدر دفع أو دافع**) ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكفّ بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل، أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بإزالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسألة الأصلح.

قوله: (إيشي) بكسر الهمزة وياء ساكنة وألف مقصورة، ويكون بياء لفظ عبراني وهو اسم والد داود عليه السلام، كما قال ابن جرير. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**مخلاته**) المِخْلاة بكسر الميم معروفة، وأصلها ما يُوضع فيه الخلاء وهو الحشيش تأكله البهائم ثم توسع فيه لما يُوضع فيه العلف مطلقًا. **قوله:** (**وزوّجه**) أي داود (**طالوت بنته**) أي بنت[1] جالوت، (**ثم حسده**) أي طالوت حسد داود على الزوجة. **قوله:** (**الدروع**) جمع دِرْع.

قوله: (**دفاع**) بكسر الدال وألف بعد الفاء (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة (**مصدر دفع**) ثلاثيًّا نحو كتب كتابًا (**أو دافع**) كقاتل قتالًا، والباقون بفتح الدال وسكون الفاء مصدر دفع يدفع ثلاثيًّا.

---

(١) في حاشية البيضاوي للعلامة القنوي: فسّر بعضهم: ثم زوّجه طالوت بنت جالوت، كذا ذكره المحقّق التفتازاني، وفسّر قول الكشاف. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ يعني (القصص) التي اقتصّها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبي ﴿نَتْلُوهَا﴾ حال من آيات الله، والعامل فيه معنى الإشارة، أو آيات الله بدل من «تلك» و«ونتلوها» الخبر. ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم إلى داود أو التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الإيمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الإيمان. ثم بين ذلك بقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي كلمة الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بأن كلمه من غير (**سفير**) وهو موسى عليه السلام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ مفعول أول ﴿دَرَجَـٰتٍ﴾ مفعول ثانٍ أي بدرجات أو إلى درجات يعني ومنهم مَن رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد ﷺ، (**لأنه هو المفضل عليهم**) بإرساله إلى الكافة، وبأنه أُوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى

قوله: (القصص) بكسر القاف جمع قصة وبفتحها مصدر، يقال: قصّ عليه الخبر قصًا، والاسم أيضًا القصص ـ بالفتح ـ وضع موضع المصدر حتى غلب عليه.

قوله: (سفير) أي رسول. **قوله: (لأنه هو المفضل عليهم)** هذا هو المختار في أفضل الأنبياء على ما استقرّ عليه رأي العلماء، وفي التعبير عنه باللفظ المبهم تنبيه على أنه من الشهرة بحيث لا يذهب الوهم إلى غيره في هذا المعنى، ألا ترى

ألف أو أكثر، وأكبرها القرآن لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر. وفي هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العلم الذي لا يشتبه على أحد، والمتميز الذي لا يلتبس. وقيل: أُريد به محمد وإبراهيم وغيرهما من أُولي العزم من الرسل ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ كإحياء الموتى وإبراء (**الأكمه والأبرص**) وغير ذلك ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قويناه بجبريل أو بالإنجيل ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ﴾ أي ما اختلف لأنه سببه ﴿ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ من بعد الرسل ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ بمشيئتي. ثم بين الاختلاف فقال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ بمشيئتي. يقول الله أجريت أمور رسلي على هذا، أي لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم مَن آمن ومنهم مَن كفر ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ كرره للتأكيد أي لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا إذ لا يجري في ملكي إلا ما يوافق مشيئتي، وهذا يبطل قول المعتزلة لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أثبت الإرادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ في الجهاد في سبيل الله، أو هو عام في كل صدقة واجبة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ (**أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم**) من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ حتى يسامحكم أخلاؤكم به ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي للكافرين، فأما

أن التنكير الذي يُشعر بالإبهام كثيرًا ما يجعل علمًا على الإعظام والإفخام، فكيف اللفظ الموضوع لذلك. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (الأكمه) الذي وُلد أعمى. **قوله:** (والأبرص) البرص داءٌ معروف وهو بياض يعتري الإنسان، ولم يكن العرب ينفر من شيء نفرتها منه.

قوله: (أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم) الخ.. يريد أن قوله تعالى: ﴿لَّا بَيْعٌ﴾... الخ. عبارة عن عدم القدرة بوجهٍ من الوجوه؛ لأن مَنْ في ذمّته حقّ إمّا أن يأخذ بالبيع ما يؤدّيه به أو يعينه أصدقاؤه، أو يلتجيء

المؤمنون فلهم شفاعة أو إلا بإذنه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجاتهم، أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون. (﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾: مكي وبصري).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

(﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ «لا» مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع) خبر المبتدأ وهو «الله» (﴿ٱلْحَىُّ﴾ الباقي) الذي لا سبيل عليه للفناء ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه.

إلى من يشفع له في حظّه. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾) بالفتح من غير تنوين على جعل لا جنسية. (مكّي) أي ابن كثير المكي، (وبصري) أي أبو عمرو البصري ويعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بالرفع والتنوين على جعلها ليسية.

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾)... الخ. في التفسيرات الأحمدية: هذه الآية آية الكرسي وجامعة للتوحيد والصفات بأحسن وجه وأكمله، فلذلك اخترتها من بين أخواتها، فقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إثبات للألوهيّة، ودالّ على التوحيد والنزاع في تقدير الوجود والإمكان، أي لا إلـٰه موجود إلّا هو ولا إلـٰه ممكن إلّا هو مشهور فيما بين العلماء مع الشبهة والجواب. وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ﴾ الذي يصح أن يعلم ويقدّر أو الباقي الذي لا سبيل للفناء إليه، على ما في الكشاف فيه إثبات حياته، وهو حيّ بحياته الأبديّة والأزليّة. ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾، أي الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه فيه إثبات لاستقلاله وعدم إعانة غيره لا في أمره ولا في غيره. وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، السِّنَة فتور يتقدم النوم، وقيل: السِّنة ثقل في الرأس والنّعاس في العين والنّوم في القلب، على ما في المدارك وهو دال على نفي الغفلة عن نفسه، ونفي ما يكون من صفات الحدوث وهو تأكيد القيّوم؛ لأن مَنْ جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيّومًا، ولو أخذه السّنة والنوم لزال السمٰوات

....

والأرض عن الإمساك. وفي قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إثبات مالكيّته ونفاذ أمره وتصرّفه ونفي شريكه؛ إذ جميع ما في السمٰوات وما في الأرض ملكه، فأنّى يكون له شريك ويدخل فيه نفس السمٰوات والأرض أيضًا، بل هو أبلغ من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: الآية ١٢٠]. وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لعظمة شأنه وكبريائه وإثبات هيبة ربوبيّته، وفيه دليل على نفي الشفاعة للكفّار، على ما في الزاهدي. وأقول: يلزم منه جواز الشفاعة بعد الإذن في الجملة للمؤمنين، فيكون ردًّا على المعتزلة في إنكار الشفاعة لأهل الكبائر. وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي ما قبلهم وما بعدهم، أو أمور الدنيا والآخرة، أو ما يُدركونه وما لا يُدركونه، والضمير لما في السمٰوات والأرض أو لما دلّ عليه مَنْ ذا، على ما في البيضاوي وهو دليلٌ على إثبات كمال علمه. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾، أي معلوماته بيان لعجز الخلق وجهلهم بأصل الخلقة. وأقول: في إطلاق لفظ علمه دليلٌ على أنّ قوله علمًا قائمًا بذاته، فيكون ردًّا على المعتزلة؛ لأنّهم قالوا: عالم بلا علم بخلاف قوله تعالى: ﴿يعلم﴾ و﴿عالم﴾ فإنّهم يطلقونه عليه أيضًا. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فيه إثبات مشيئته وإرادته تعالى. وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إمّا تصوير تعظيمه أو تمثيل مجرّد أو الكرسي مجاز عن العلم أو الملك أو القدرة، فيدلّ على إثبات علمه وملكه وقدرته أو هو العرش أو هو جسم تحت العرش ـ كما ورد في الحديث ـ وهو فلك البروج عند الحكماء، على ما قالوا. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، أي لا يُثقله حفظ السمٰوات والأرض فيه إثبات كمال قدرته وتخليق الأشياء بإرادته دون الآلات. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾، أي المتعالى عن الأنداد والأشباه. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ أي مستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه فيه إثبات علوّه عن صفات الحدوث وعظمته في عزّه وجلاله وملكه وسلطانه، ولمّا كانت الآية مشتملة على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته ولا مدلول أعظم منهما وشرف العلم إنما هو بشرف المعلوم، كانت هذه الآية معظّمة على الآيات والسور ومكرّمة بين القرآن، ولهذا ورد في حقّها الأحاديث الصّحاح حيث قال عليه السلام: «**من قرأ آية الكرسي دُبُر كل**

....

صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت، ولا يواظب عليها إلا صدِّيق أو عابد، ومَنْ قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله». وقال: «سيّد البشر آدم وسيّد العرب محمّد ﷺ ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيّد الجبال طور، وسيّد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيّد القرآن البقرة، وسيّد البقرة آية الكرسي»، وقال: «ما قُرئت هذه الآية في دار إلّا ليهجرها الشيطان ثلاثين يومًا ولا يدخلها ساحر أو ساحرة أربعين ليلة»، وقال: «من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث الله إليه ملكًا يحرسه حتى يصبح»، وقال: «من قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح، وإن قرأهما حين يُصبح حفظ حتى يمسي: آية الكرسي وأوّل ﴿حمٓ ۝١﴾ المؤمن إلى ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: الآية ٣]»، وقال: «إنّ أعظم آية في القرآن آي الكرسي، مَنْ قرأ بها بعث إليه ملكًا يكتب حسناته ويمحو من سيّئاته إلى الغد من تلك الساعة»، هذا كلّه في التفاسير والأحاديث وأمثال هذا أكثر من أن يُحصى، وأظهر من أن يخفى، وفضائلها في كتب الأوراد مشحونة معروفة، وقد ذكرت نبذًا منها في كتابنا المسمّى بالآداب الأحمدية في أوراد الصوفية. اهـ.

قوله: (لا مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع). . . الخ. قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: لفظ هو في محل الرفع حملًا على المعنى، أي ما إلـٰه إلّا هو، ونفي إلـٰه سواه تأكيد وتحقيق لإلـٰهيته؛ لأن قولك: لا كريم إلّا زيد أبلغ من قولك: زيد كريم. اهـ. وأيضًا قال: ذهب أهل الحجاز إلى أنه لا بدّ للا التي لنفي الجنس من خبر مذكور مثل: لا غلام رجل ظريف، أو مقدّر نحو: لا إلـٰه إلّا الله، أي لا إلـٰه في الوجود، وذهب بنو تميم إلى عدم إثبات الخبر لها لا لفظًا ولا تقديرًا، وقيل: معنى كلامهم أنه لا يثبت لفظًا، وهو في المعنى مراد. اهـ. **قوله: (الحيَ الباقي)** تفسير، وبيان المراد بالحيّ في حقّ الباري. وأمّا بحسب اللغة، فالحيّ ذو الحياة ولا يُفهم منه إلّا قوة تقتضي الحسّ والحركة. ولمّا اتّفقوا على أن الباري تعالى ح فسّر المتكلّمون الحيّ بالذي يصحّ أن يعلم ويقدّر ليصدق على الباري، سواء جعل الحياة صفة وجودية زائدة أوّلًا، لكن في صدقه على غير ذوي العلم من الحيوانات نظر. وأمّا القيّوم، فقد فسّره بوجه ينبىء عن الاشتقاق

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ نعاس وهو ما يتقدم النوم من الفتور ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ عن (**المفضل**): السنة ثقل في الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب وهو تأكيد للقيوم، لأن مَن جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيومًا، وقد أوحى إلى موسى عليه السلام: قل لهؤلاء إني أمسك السمٰوات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (**مِلكًا ومُلكًا**) ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (**ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه**) وهو بيان لملكوته وكبريائه، وأن أحدًا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام، وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (**ما كان قبلهم وما يكون بعدهم**) والضمير لما في السمٰوات والأرض (**لأن فيهم العقلاء**) ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ (**من معلومه**) يقال في الدعاء «اللهم اغفر علمك فينا» أي معلومك ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ إلا (**بما علم**) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي علمه ومنه (**الكراسة**) لتضمنها العلم و(**الكراسي**) العلماء، وسمي العلم كرسيًا (**تسمية بمكانه**)

ولا يصدق على غير الباري، وبه يشعر كلام الجوهري حيث قال: القيّوم اسم من أسماء الله. وفي الأساس الحيّ القيوم الدائم الباقي. اهـ تفتازاني.

قوله: (المفضل) بن محمد الضبّي. **قوله: (مِلكًا)** بكسر الميم، **(ومُلكًا)** بضمّ الميم. **قوله: (ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه)** إشارة إلى أن مَنْ وإنْ كان لفظها استفهامًا فمعناه النفي، ولذا دخلت إلّا في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾. **قوله: (ما كان قبلهم)** من أمور الدنيا **(وما يكون بعدهم)** من أمر الآخرة. **قوله: (لأن فيهم العقلاء)** فجاز أيديهم وخلفهم بضمير العقلاء تغليبًا. **قوله: (من معلومه)** جعل العلم هٰهنا بمعنى المعلوم، لأن علمه تعالى الذي هو صفة قائمة بذاته المقدّسة لا يتبعّض، فجعله بمعنى المعلوم ليصح دخول التبعيض والاستثناء عليه. **قوله: (بما علم)** من التعليم. **قوله: (الكَراسة)** واحد الكرّاس والكَراريس. اهـ مختار الصحاح. للمتكرّس من الأوراق.

قوله: (الكراسي) جمع الكرسي. **قوله: (تسمية بمكانه)** لأن الكرسي مكان العالم الذي فيه العلم فيكون مكانًا للعلم بتبعيّته، لأن العرض يتبع المحل في التحيّز حتى ذهب المتكلّمون إلى أن هذا معنى قيام العرض بالمحل، وكذا الكلام

الذي هو كرسي العالم وهو كقوله تعالى: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾) [غافر: الآية ٧] (أو ملكه) تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك أو عرشه كذا عن (الحسن)، أو هو سرير دون العرش في الحديث «ما السموٰات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» أو قدرته بدليل قوله: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ﴾ (ولا يثقله) ولا يشق عليه ﴿حِفْظُهُمَا﴾ حفظ السموٰات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ في ملكه وسلطانه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ في عزه وجلاله أو (العلي) المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم، المتصف بالصفات التي تليق به، فهما جامعان لكمال التوحيد. وإنما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا حرف عطف لأنها وردت على سبيل البيان؛ فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه (مهيمنا) عليه غير ساهٍ عنه، والثانية لكونه مالكًا لما يدبره، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق، والخامسة لسعة علمه وتعلّقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره. وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد، منه ما رُوِيَ عن عليّ ﷺ عن النبيّ ﷺ: «مَن قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة (لم يمنعه) من (دخول) الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا (صديق) أو عابد، ومَن قرأها (إذا أخذ مضجعه) أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله». وقال عليه السلام «سيّد البشر آدم، وسيّد العرب محمد ولا

في كونه مكانًا للملك والسَّلطنة. اهـ تفتازاني رحمه الله. كقوله في سورة غافر: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: الآية ٧]) أي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء. **قوله:** (أو ملكه) بالضمّ. **قوله:** (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (ولا يُثقله) يقال: آدَه الشيء إذا أثقله ولحقه منه مشقّة. **قوله:** (العليّ) أصله عليو فأُدغم، كما في ميت لأنه من علا يعلو. **قوله:** (مهيمنا) أي رقيبًا. **قوله:** (لم يمنعه) يعني لم يبق (من) شرائط (دخول) الجنّة إلا الموت، فكان الموت يمنع، ويقول: لا بدّ من حضوري أوّلًا ثم ليدخل الجنّة. اهـ تفتازاني رحمه الله. ويحتمل أنه من قبيل ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (صديق) مبالغة للصادق وهو الذي يكون صادقًا في قلبه ولسانه، وقوله: اهـ محشي رحمه الله. **قوله:** (إذا أخذ مضجعه) أي إذا نام. اهـ محشي رحمه الله.

فخر، وسيّد الفرس (**سلمان**)، وسيّد الروم (**صهيب**)، وسيّد الحبشة (**بلال**)، وسيّد الجبال الطور، وسيّد الأيام يوم الجمعة، وسيّد الكلام القرآن، وسيّد القرآن البقرة، وسيّد البقرة آية الكرسي» ـ وقال ـ: «ما قرئت هذه الآية في دار إلا (**هجرتها**) الشياطين ثلاثين يومًا، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة» ـ وقال: ـ «مَن قرأ آية الكرسي عند منامه بعث إليه ملك يحرسه حتى يصبح» ـ وقال: ـ «مَن قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح، وإن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي: آية الكرسي وأول «حم المؤمن» إلى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزّة فما كان ذاكرًا له كان أفضل من سائر الأذكار وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام.

قوله: (**سلمان**) الفارسي الصحابي تقدّم مناقبه رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**صهيب**) بالتصغير صحابي معروف، وقد تقدّم مناقبه رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**بلال**) بن رَباح الحبشي القريشي التيمي مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وكان بلال رضي الله تعالى عنه قديم الإسلام والهجرة، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وكان يؤذّن لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حياته سفرًا وحضرًا، وهو أوّل من أذّن في الإسلام. روى عنه جماعات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم منهم أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وعمر وعليّ وابن مسعود وابن عمر وأُسامة بن زيد وكعب بن عُجْرة وجابر وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم وجماعات من كبار التابعين وفضائله مشهورة. توفي بدمشق سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين، وقيل: ثماني عشرة وهو ابن أربع وستين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**هجرتها**) أي تركت تلك الدار.

وقيل: (**هو إخبار في معنى، النهي**)، ورُوِيَ أنه كان (**لأنصاري**) ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا فاختصما إلى رسول الله ﷺ فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي في النار وأنا أنظر؟ فنزلت فخلاهما. قال (**ابن مسعود**) وجماعة: كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ قد تميّز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ بالشيطان أو الأصنام ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ (**تمسك**) ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾ أي المعتصم والمتعلق ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تأنيث الأوثق أي الأشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع للعروة، وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوّره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده، والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدًا وثيقًا لا تحله شبهة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لإقراره ﴿عَلِيمٌ﴾ باعتقاده.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (**أرادوا أن يؤمنوا**) أي ناصرهم ومتولي أمورهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى الإيمان والهداية ووحد لاتحاد الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ مبتدأ والجملة

قوله: (هو إخبار في معنى النّهي) منسوخ أو مخصوص. **قوله:** (لأنصاري) هو أبو الحصين من بني سالم بن عوف رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (ابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (تمسّك) أي فالسّين والتاء زائدتان ليستا للطلب، وإلّا فهما للمبالغة، أي بالغ في التمسّك.

قوله: (أرادوا أن يؤمنوا) لأن من آمَنَ حقيقةً فهو مخرج من الكفر لا يُتصوّر إخراجه، وكذا الذين كفروا محمول على العزم والتصميم، ثم لا بدّ أن يُحمل إيمانهم الذي يخرجون منه على الإيمان الفطري أو كفرهم الذي صمّموا عليه على الارتداد ثم ذكر وجهًا آخر بكون آمنوا وكفروا على ظاهره بأن يُراد بالظلمات الشبه، وبالنور البيّنات.

وهي ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾ خبره ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ وجمع لأن الطاغوت في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك، أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين، والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة ﴿أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾. ثم أعجب نبيّه عليه السلام وسلاه بمجادلة إبراهيم عليه السلام (نمروذ) الذي كان يدعي الربوبية بقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢٥٨)﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ في معارضته ربوبية ربه. والهاء في «ربه» يرجع إلى إبراهيم أو إلى الذي حاج فهو ربهما ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ (لأن آتاه الله) يعني أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك،

قوله: (نمروذ) بضمّ النون والذال المعجمة. اهـ شهاب. وكمالين وهو الأفصح وقد تُفتح النون، وقُرِىء أيضًا بالدال المهملة. اهـ قنوي رحمه الله. ابن كنعان بن سام بن نوح عليه السلام، وكان ابن زنا وهو أوّل من وضع التاج على رأسه وتجبّر وادّعى الربوبية وملك الأرض كلّها، (وجملة من ملكها كلها أربعة) اثنان مؤمنان واثنان كافران، والمؤمنان سليمان وذو القرنين، والكافران نمروذ وبخت نصر. اهـ خازن وغيره.

قوله: (لأن آتاه الله) يعني أنّ قوله تعالى أن آتاه مفعول له فحُذِفت اللام لأن حرف الجرّ يطرد حذفه مع أن ثمّ في كونه مفعولًا معنيان أحدهما أنه من باب العكس في الكلام، بمعنى أنه وضع المحاجة موضع الشكر؛ إذ كان من حقّه أن يشكر في مقابلة إيتاء الملك، ولكنه عمل عكس ما هو الحقّ الواجب عليه؛ كقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ [الواقعة: الآية ٨٢]، وتقول: عاداني فلان لأني أحسنت إليه وهو باب بليغ، والثاني أن إيتاء الملك حمله على ذلك لأنه أورثه الكبر والبطر، فنشأ عنهما المحاجّة.

وهو دليل على المعتزلة في الأصلح **(أو حاجّ وقت أن أتاه الله الملك)** ﴿إِذْ قَالَ﴾ نصب بـ «حاجّ» أو بدل من «أن آتاه» إذا جعل بمعنى الوقت ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ (رَبِّيَ)﴾ «رب»: **(حمزة)** ﴿ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ كأنه قال له: مَن ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت ﴿قَالَ﴾ نمرود ﴿(أَنَا۠) أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ يريد أعفو عن القتل وأقتل فانقطع اللعين بهذا عن المخاصمة فزاد إبراهيم عليه السلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ عليه السلام.

﴿(فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ) مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ **(وهذا ليس بانتقال من حجة إلى حجة)** كما زعم البعض لأن الحجة الأولى كانت لازمة،

قوله: (أو حاجّ وقت أن آتاه الله الملك) يعني أَنَّ أَنْ مع ما في حيّزها واقعة موقع الظرف، وقيل: فيه نظر؛ لأن النحّاة قد صرّحوا بأنه لا ينوب عن ظرف الزمان إلا المصدر الصريح، نحو: آتيك صياح الدِّيك وخفوق النجم. وأُجيب بأن هذا التصريح معارض بما نصّوا عليه من أن ما المصدرية تنوب عن الزمان، وليست بمصدر صريح.

قوله: (ربي) بإسكان الياء وتسقط في الوصل **(حمزة)**. والباقون بفتحها في الوصل. **قوله: (أنا)** اعلم أن القراء أجمعوا على إسقاط ألف أنا عند الوصل في جميع القرآن إلا ما رُوي عن نافع في إثباته عند استقبال الهمزة، والصحيح أن فيه لغتين إحداهما لغة تميم، وهي إثبات ألفه وصلًا ووقفًا، وعليها تُحمل قراءة نافع، فإنه قرأ بثبوت الألف وصلًا قبل همزة مضمومة، نحو: أنا أحيي، أو مفتوحة نحو: أنا أول، واختلف عنه في المكسورة، نحو: أنا وإلا. واللغة الثانية إثباتها وقفًا وحذفها وصلًا، ولا يجوز إثباتها وصلًا إلا عند الضرورة.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ﴾) الفاء فيه جواب شرط مقدّر تقديره: قال إبراهيم إذا ادّعيت الإحياء والإماتة وأتيت بمعارضة مموّهة، ولم تعلم معنى الإحياء، فالحجّة أن الله يأتي والباء في بالشمس للتعدية. **قوله: (وهذا ليس بانتقال من حجَة إلى حجَة)**، يعني أنّ ما فعله إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام ليس انتقال من دليل إلى دليلٍ آخر؛ لأن ذلك غير محمود في باب المناظرة، بل الدليل

ولكن لما عاند اللعين حجة الإحياء بتخلية واحد وقتل آخر، كلمه من وجه لا يعاند، وكانوا أهل تنجيم، وحركة الكواكب من المغرب إلى المشرق معلومة لهم، والحركة الشرقية المحسوسة لنا (قسرية) كتحريك الماء النمل على الرحى إلى غير جهة حركة النمل فقال: إن ربي يحرّك الشمس قسرًا على غير حركتها، فإن كنت ربًّا فحرّكها بحركتها فهو أهون (﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ تحير ودهش) ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا يوّفقهم وقالوا: إنما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله تعالى صرفه عنه. وقيل: إنه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره. ومعنى قوله: «أنا أُحيي وأُميت» أن الذي ينسب إليه الإحياء والإماتة أنا لا غيري، والآية تدلّ على إباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لأنه قال: «ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه». والمحاجة تكون بين اثنين فدلّ على أن إبراهيم حاجّه أيضًا، ولو لم يكن مباحًا لما باشرها إبراهيم عليه السلام لكون الأنبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام، ولأنا أمرنا بدعاء الكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإذا دعوناهم إلى ذلك لا بد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك، وذا لا يكون إلا بعد المناظرة كذا في شرح التأويلات.

واحد في الموضعين وهو أنّا نرى حدوث أشياء لا يقدر الخلق على إحداثها، فلا بدّ من قادر آخر يتولّى إحداثها، وهو الله سبحانه وتعالى، والحوادث التي لا يقدر الخلق على إحداثها لها أمثلة، منها: الإحياء والإماتة، ومنها السحاب والرّعد والبرق، ومنها حركات الأفلاك والكواكب، والمُستدلّ وإن لم يجز له أن ينتقل من دليل إلى دليل آخر لكن إذا ذكر مثالًا لإيضاح كلامه، فله أن ينتقل من ذلك المثال إلى مثال آخر، فكان ما فعله إبراهيم عليه السلام من باب ما يكون الدليل فيه واحدًا، إلّا أنه انتقل عند إيضاحه من مثالٍ إلى مثال آخر، وليس من باب الانتقال من دليلٍ إلى دليلٍ آخر. **قوله:** (قسرية) أي جبرية، يقال: قسره على الأمر، أي أكرهه وقهره. اهـ محشي رحمه الله.

قوله: (﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾) هذا الفعل من جملة الأفعال التي جاءت على صورة المبنى للمفعول، والمعنى فيها على البناء للفاعل، فلذلك فسّره المصنف رحمة الله عليه بقوله: (تحير ودهش) فالذي كفر فاعل لا نائب فاعل.

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ﴾ (معناه: أو أريت) مثل الذي فحذف لدلالة «ألم ترَ» عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب، أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مرّ. (**وقال صاحب الكشف**): فيه الكاف زائدة و«الذي» عطف على قوله: «إلى الذي حاج» عن (**الحسن**) أن المارّ (**كان كافرًا**) بالبعث لانتظامه مع نمرود (**في سلك**) ولكلمة الاستبعاد التي هي «أنى يحيي» والأكثر أنه عزير (**أراد أن يعاين**) إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام و(«أنى يحيي» **اعتراف بالعجز**) عن معرفة طريقة الإحياة واستعظام لقدرة المحيي ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ (**هي بيت المقدس**) حين خربه (**بخت نصر**) وهي التي خرج منها

قوله: (معناه: أو أريت) بسكون الواو لأنها أو العاطفة الواقعة في النظم. **قوله**: (قال صاحب الكشاف) في نكت المعاني والإعراب، وعلّل القراءات المرويّة عن الأئمّة السبعة، يعني الشيخ نور الدين أبي الحسن علي بن الحسين بن علي الباقولي المعروف بالجامع النحوي المتوفّى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. **قوله**: (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (كان كافرًا) بالبعث، هذا قول مجاهد وأكثر المعتزلة. **قوله**: (في سلك) حيث سيق الكلام للتعجيب من حالهما، وبأن كلمه الاستبعاد في مثل هذا المقام يُشْعر بالإنكار ظاهرًا، وإنما يكون لمجرّد التعجّب إذا علم أن المتكلّم جازم بالوقوع، كما في: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ [آل عمران: الآية ٤٠]، و﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾ [آل عمران: الآية ٤٧]، ومجرّد الاحتمال لا ينافي الظهور. اهـ تفتازاني رحمه الله باختصار. **قوله**: (أراد أن يعاين) جواب عن الاستدلال على الكفر بالانتظام مع نمروذ، وقوله: (**أنى يحيي اعتراف بالعجز**) جواب عن الاستدلال بذلك على كفر المارّ. **قوله**: (هي بيت المقدس)، يعني ليس المراد بها أهل القرية بل نفسها، بدليل قوله: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾. **قوله**: (بخت نصر) بضم الباء وتسكين الخاء والمثناة الفوقية المفتوحة للتركيب

الألوف ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها **(الحيطان)** وكل مرتفع عرش ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ﴾ أي كيف ﴿هَٰذِهِ﴾ أي أهل هذه ﴿ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾ أي أحياه ﴿قَالَ﴾ له ملك ﴿كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾ **(بناء على الظن)**، وفيه دليل جواز الاجتهاد رُوِيَ أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس «يومًا»، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال: «أو بعض يوم» ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ رُوِيَ أن طعامه كان تينًا وعنبًا وشرابه عصيرًا ولبنًا فوجد التين والعنب **(كما جنيا)** والشراب **على** حاله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾ لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين، **(لأن لامها هاء لأن الأصل سنهة والفعل سانهت. يقال:** سانهت **فلانًا أي عاملته سنة أو واو)** لأن الأصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيّره السنون. **(«لم يتسن» بحذف الهاء)** في الوصل وبإثباتها في الوقف: حمزة وعلي ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرّقت عظامه

المزجي وأصله بوخت، بمعنى ابن مخفف حذف الواو، فصار كبُقَّم مشدّد اسم صنم وُجِد عنده، فنُسِب إليه. **قوله: (الحيطان)** جمع حائط، أي الجدران. **قوله: (بناء على الظن)** يعني: لم يتيقّن أنه يوم أو بعض يوم، وأمّا على ما رُوي أنه قال ذلك بعد ما رأى بقية من الشمس، فيُحتمل أن يكون أو بمعنى بل، أو الغرض تقليل المدّة، وإلّا فعلى تقدير: أن لا يرى بقية من الشمس لم يكن المدّة يومًا تامًّا؛ لأنه مات ضُحَى. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (كما جنيا)** في لسان العرب: جنا التمرة ونحوها وتجنّاها كل ذلك تناولها من شجرتها. اهـ. **قوله: (لأن لامها هاء، لأن الأصل سنهة والفعل سانهت)** مسانهة، **(يقال: سانهت فلانًا أي عاملته سنة أو واو)** بدليل سنوات، فعلى التقدير الأول يكون الهاء في لم يتسنّه لام الفعل وعلامة الجزم السكون، وعلى الثاني الهاء للسكت تثبت في الوقف، وفي الوصل لإجرائه مجرى الوقف، وعلامة الجزم حذف اللام؛ إذ الأصل يتسنّى من السنة، وأصلها سنوة فحُذفت الواو وعوّضت التاء عنها. **قوله: («لم يتسنَ» بحذف الهاء)** في الوصل وبإثباتها في الوقف حمزة وعلي الكسائي وكذا يعقوب البصري وخلف الكوفي وليسا من السبعة. والباقون بإثباتها وقفًا ووصلًا وهي للسّكت أيضًا، وأجرى الوصل مجرى الوقف، ويحتمل أن يكون أصلًا بنفسها.

و(نخرت) وكان له حمار قد (ربطه) فمات وتفتت عظامه، أو وانظر إليه سالمًا في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير (علف) ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه. وقيل: الواو عطف على محذوف أي لتعتبر ولنجعلك. قيل: أتى قومه راكبًا حمارًا وقال: أنا عزير فكذبوه فقال: هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهر أحد قبل عزير فذلك كونه آية. وقيل: رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخًا وهو شاب ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ (أي عظام الحمار أو عظام الموتى) الذين تعجب من إحيائهم ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب. («ننشرها» بالراء: حجازي وبصري) نحييها «ثُمَّ نَكْسُوهَا» أي العظام «لَحْمًا» جعل اللحم كاللباس مجازًا «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقولهم: «ضربني وضربت زيدًا» ويجوز فلما تبيّن له ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى. («قال اعلم» على لفظ الأمر): حمزة (وعلي) أي قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه.

قوله: (نخرت) في المصباح: نخر العظم نَخَرًا من باب تعب بَلِيَ وتفتّت فهو نَخِر وناخر. اهـ. قوله: (ربطه) من باب ضرب ومن باب قتل لغة. قوله: (علف) في المصباح: علف الدابّة عَلْفًا من باب ضرب واسم المعلوف عَلَف ـ بفتحتين ـ والجمع عِلاف مثل جبل وجِبال. اهـ.

قوله: (أي عظام الحمار) إذا أُريد انظر إلى الحمار كيف تفرّقت عظامه. قوله: (أو عظام الموتى) إذا أُريد انظر إلى حمارك سالماً. قوله: («ننشرها» بالراء) المهملة من أنشر الله الموتى أحياهم (حجازيّ) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازي أي ابن كثير المكي ونافع المدني وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل البصري ويعقوب البصري، وليسا من السبعة. والباقون بالزاي المعجمة من النشز.

قوله: («قال اعلم» على لفظ الأمر) أي بالوصل وإسكان الميم على الأصل. (وعلي) الكسائي. والباقون بقطع الهمزة المفتوحة ورفع الميم خبرًا عن التكلّم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ﴾ **(أرني بصري)** ﴿كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ موضع «كيف» نصب بـ «تحيي» ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وإنما قال له: «أو لم تؤمن» وقد علم أنه أثبت الناس إيمانًا ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين. و«بلى» إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكونًا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري. واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك **(إرادة طمأنينة القلب)** ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً (مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ **طاووسًا وديكًا وغرابًا وحمامة)**.

قوله: (أرني) بإسكان الراء **(بصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وابن كثير المكّي والوجه الثاني لأبي عمرو اختلاس كسرة الراء، وكلاهما ثابت عنه من روايتيه كما في النشر، قال: وبعضهم روى الاختلاس عن الدوري والإسكان عن السوسي وعن المطوعي. والباقون بالكسرة الكاملة. **قوله: (إرادة طمأنينة القلب)** بيان للمعنى، وإلّا فاللام مصرّح فلا حاجة إلى تقدير الإرادة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (﴿مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾) متعلق إمّا بمحذوف صفة لأربعة، أي أربعة كائنة من الطير، أو متعلّق بخذ، أي خذ من الطير. **قوله: (طاووسًا وديكًا وغرابًا وحمامة)** خصّ من بين الحيوانات هذه الأربعة، لأن كلّ واحد منها فيه خاصّية مانعة عن الوصول إلى الحياة الحقيقية الأبدية، فالله سبحانه أشار بتخصيص الأربعة والأخذ والذبح والتجزئة إلى أنّ الإنسان لا يصل إلى الحياة الحقيقية ما لم يقطع تلك الطبائع والخواص والعادات عن نفسه. فاخْتِير الطاووس للإشارة إلى ما في الإنسان من حبّ الزينة والعجب والجاه. واخْتِير الدِّيك للإشارة إلى ما فيه من المَيْل والحرص إلى قضاء شهوة الفرج. واخْتِير الغراب للإشارة إلى ما فيه من المَيْل إلى جيفة الدنيا والحرص في نيلها، فإنّ الغراب يطير في ظلمة اللّيل وشدّة البرد في النهار في طلب الجيفة. واخْتِير الحمام للإشارة إلى ما فيه من العكوف

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ **(وبكسر الصاد: حمزة)** أي أملهن واضممهن إليك ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة. (**﴿جُزُؤًا﴾ بضمتين وهمز: أبو بكر**) ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ قل لهن تعالين بإذن الله ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن. وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها و**(حلاها)** لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك. ورُوِيَ أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها

على أرض عالم الطبيعة وقلّة الرغبة والهمّة في الارتقاء إلى المنازل الروحانية والمعارف الإلٰهيّة، فإنّ شأن الحمامة أن تألف وكرها وبرجها وتُلازمه وتبيض وتفرخ فيه مدّة حياتها. ورُوي النسر مكان الحمامة، فيكون إشارة إلى ما في الإنسان من حبّ الدنيا وطول الأمل في أمرها. ورُوي بطّ مكان الحمامة، فيكون إشارة إلى الشرّ الغالب فيه، فالله تعالى نبَّه باختيار هذه الطيور إلى أن كيفية إحياء الموتى من النفوس والطريق المؤدّي إلى حياتها هي إزالة هذه الخواص، ونبّه بالأمر بتفريق أجزائها على الجبال الأربعة التي بحضرته، وهي العناصر الأربعة التي هي أركان بدنه، على أنه ينبغي له أن يقمع تلك الخواص ويُميتها حتى لا يبقى فيه إلّا أصولها المذكورة في وجوده وموادّها المعدّة في طبائع العناصر التي فيه، وقيل: كانت الجبال سبعة؛ فعلى هذا يشار بها إلى الأعضاء السبعة التي هي أجزاء البدن، والله أعلم بحقيقة الحال. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ الله.

وقوله: (طاووسًا) في المصباح: الطاووس معروف وهو فاعول. اهـ. وقوله: **(ديكًا)** الدِّيك ذَكَر الدجاج، والجمع ديوك ودِيَكة، وزان عِنبة. اهـ مصباح. وقوله: (حمامة) يقع على الذَّكر والأنثى، فيقال: حمامة ذكر وحمامة أُنثى. اهـ مصباح. **قوله: (وبكسر الصاد)** من صار يصير. **(حمزة)** وكذا يعقوب. والباقون بالضمّ من صار يصور بمعنى أماله أو قطعه، لأنه مشترك بينهما ويحتملهما هنا، كما ذكره أبو علي. وقال الفراء: الضمّ مشترك بين المعنيين، والكسر بمعنى القطع، وقيل: الكسر بمعنى القطع والضمّ الإمالة. **قوله: (﴿جُزُؤًا﴾ بضمّتين وهمز: أبو بكر)** شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بإسكانها. **قوله: (حلاها)** حلية الإنسان صفته وما يرى فيه من لون وغيره، والجمع حُلَى مقصور بالضم والكسر.

ويقطعها ويفرّق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها، ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعًا من كل طائر، ثم يصيح بها تعالين بإذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثًا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمتنع عليه ما يريده ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة. ولما برهن على قدرته على الإحياء حثّ على الإنفاق في سبيل الله، واعلم أن مَن أنفق في سبيله فله في نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **(لا بدّ من حذف مضاف)** أي مثل نفقتهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أو مثلهم كمثل باذر حبة ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببًا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء. ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقًا يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة، وهذا التمثيل **(تصوير للأضعاف)** كأنها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود في **(الدخن والذرة)** وربما فرخت ساق البرة في الأرض القوية **(المغلّة)** فيبلغ حبها هذا المبلغ، على أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض، والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع

قوله: (لا بدّ من حذف مضاف) أي من اعتبار الحذف وتقديره في جانب المشبّه أو المشبّه به ليحصل ملائمة المثل للمثل، وإن كان التشبيه من المركّب الذي لا عِبْرة فيه بتشبيه المفردات. **قوله: (تصوير للأضعاف)** في قوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ إبرازًا للمعقول في صورة المحسوس أي المدرك بالحسّ حقيقة أو تقديرًا، كما في الخيالات التي لو أُدركت كان إدراكها بالحسّ، لكن إنبات سبع سنابل وأكثر منها أضعافًا مما تحقّقناه في الحنطة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (الدُّخن)** بضمّ الدال وسكون الخاء من الحبوبات. **قوله: (الذرة)** بضم المعجمة وخفّة راء. **قوله: (المغلة)** بوزن اسم الفاعل على الكثيرة: الغلّة وهي الرَّيْع.

قروء موضع أقراء ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ **(أي يضاعف تلك المضاعفة)** لمن يشاء لا لكلِّ منفق لتفاوُت أحوال المنفقين، أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء. «يضعِّف»: **(شامي)** و(«يضعّفُ»): **(مكيّ)** ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ واسع الفضل والجود ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيات المنفقين.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ **(هو أن يعتدّ)** على مَن أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقًّا له وكانوا يقولون

قوله: (أي يضاعف تلك المضاعفة) يعني أنه على ترك المفعول به لكن مع إرادة خصوصية المفعول المطلق أو على حذفه بدلالة القرينة، فعلى الأوّل معناه: أن تلك المضاعفة التي إلى صيغ المائة يكون لبعض المُنفقين دون البعض، وعلى الثاني معناه: أنه يزيد على ذلك أضعافًا لمن يشاء من المستحقين، فقوله: يزيد عليها تفسير لقوله: يضاعف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (يضعّف)** بتشديد العين من غير ألف. **(شامي)** أي أبو عامر الشامي، **(ومكّيّ)** أي ابن كثير المكي، وكذا أبو جعفر المدني ويعقوب البصري، وليسا من السبعة. والباقون بإثبات ألف بعد الضّاد والتخفيف.

قوله: (هو أن يعتدّ) من عدّه فاعتدّ، أي صار معدودًا، ثم عدّي بالياء، فيقال: اعتدّ به أي جعله معدودًا معتبرًا على المنعم عليه، فإنه ينقص قدر النّعمة ويكدّرها لأن الفقير الآخذ منكسر القلب لأجل حاجته إلى صدقة غيره معترف باليد العليا للمعطي، فإذا أضاف المعطي إلى ذلك إظهار ذلك الإنعام زاد ذلك في انكسار قلبه، فيكون في حكم المضرّ به بعد أن نفعه، وفي حكم المُسيء إليه بعد أن أحسن إليه؛ ولأن المعصي يجب أن يقصد بإنفاقه شكر ما أنعم الله عليه من عظيم آلائه، ويعتقد أن لله عليه نعمة عظيمة حيث وفّقه لهذا العمل، وأن يخاف أن يقترن بعمله هذا شيءٌ مما يُخرجه عن حيِّز قبول الله تعالى إيّاه، ومتى كان الأمر كذلك كيف يتصوّر منه أن يمتنّ على الفقير بإحسانه إليه، والله تعالى يمتنّ عليه بما وفّقه له والمنّ في اللغة يجيء لمعانٍ، أحدها: بمعنى الإنعام يقال: منّ فلان على

إذا صنعتم صنيعة فانسوها ﴿وَلَآ أَذًى﴾ (هو أن يتطاول) عليه بسبب ماأعطاه. (ومعنى «ثم» إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى) وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرًا من الدخول فيه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: الآية ٣٠] ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي ثواب إنفاقهم ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من بخس الأجر ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ من فوته، أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب. وإنما قال هنا: «لهم أجرهم» وفيما بعد «فلهم أجرهم» (لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط) وضمنه ثمة.

فلان إذا أنعم عليه، ولفلان عليّ مِنّة أي نعمة، وأنشد ابن الأعرابيّ:

فمنَّ علينا بالسلام فإنّما كلامك ياقوت ودرّ منظم

ومنه قوله عليه الصّلاة والسلام: «**ما من الناس أحدًا منّ علينا في صحبته ولا ذات يده من ابن أبي قُحافة**»، يريد أكثر إنعامًا بماله. وأيضًا الله تعالى يوصف بأنه منّان، أي مُنْعم، ويجيء المنّ أيضًا بمعنى النقص من الحقّ والبخس له، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [القلم: الآية ٣]، أي غير مقطوع وغير ممنوع، ومن سمّى الموت منونًا لأنه ينقص الأعداد ويقطع الأعمار، ومن هذا الباب المِنّة المذمومة لأنها تنقص النّعمة وتكدّرها، والعرب يتمدّحون بترك المنّ بالنعمة. قال قائلهم:

زاد معروفك عندي عظمًا إنه عندك مستورٌ حقير
تتناساه كأنه لم تأتِهِ وهو في العالم مشهورٌ خطير

قوله: (**هو أن يتطاول**) التطاول التفاخر، أي بأن يتعاظم عليه ويستحقره بسبب احتياجه إليه ويستكثر ما أعطاه إيّاه، مثل أن يقول للفقير: أنت أبدًا تجيئني بالإبرام فرّج الله تعالى عني منك وباعد ما بَيْني وبينك. **قوله:** (**ومعنى «ثم» إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى**)، يعني أنها للتراخي في الرتبة لا في الزمان، ولبيان أن تركهما خيرٌ من نفس الإنفاق، ونظير ثم هذه ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: الآية ٣٠]، فإنها أيضًا للتفاوت الرتبي بين الدخول في الإيمان وبين الاستقامة عليه، وبيان أن الثاني خيرٌ من الأوّل. **قوله:** (**لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشّرط**) يريد بتضمين معنى

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ (ردٌّ جميل) ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول، أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة (**لاختصاصه بالصفة**) ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ لا حاجة له إلى منفق يمنّ ويؤذي ﴿حَلِيمٌ﴾ عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

ثم أكد ذلك بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى﴾ الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير إبطالًا مثل إبطال الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمنّ والأذى (**كإبطال المنافق**) الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله ولا

الشرط اعتبار السببيّة، وبهذا الاعتبار حصل فرق لفظي، وهو وجود الفاء وعدمها، ومعنوي هو الدلالة بحسب اللفظ عند الإتيان بالفاء على أن استحقاق الأجر إنّما هو بسبب الإنفاق والخلوّ عن هذه الدلالة عند تركها، فتضمين الشرط وعدمها باعتبار وجود الفاء وعدمها فرق لفظي، وباعتبار الدلالة على السببية وعدمها فرق معنويّ، فلا يرد الاعتراض بأنّ التضمين أيضًا معنوي، ولا بأن المبتدأ في مثل هذه المواضع متضمّن لمعنى الشرط ضمن أو لم يضمن. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**ردٌّ جميل**) أي أن يردّ السّائل بطريق جميل حسن تقبله القلوب والطّباع ولا تُنكره. **قوله:** (**لاختصاصه بالصفة**) أمّا في المبتدأ فظاهر. وأمّا في المعطوف، فلما أشار إليه من أن المعنى عفو من المسؤول عن السائل أو مغفرة من الله تعالى على أنه ليس في القواعد احتياج المعطوف على المبتدأ إلى التعريف أو التخصيص.

قوله: (**كإبطال المنافق**) إشارة إلى أن الكاف في قوله: ﴿كَٱلَّذِى﴾ في محل النصب على أنه صفة لمصدر محذوف، أي لا تُبطلوا إبطالًا كإبطال الذي ينفق.

ثواب الآخرة، ورئاء مفعول له ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ (مثَله ونفقته) التي لا ينتفع بها البتة بحجر (أملس) عليه تراب ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أجرد نقيًا من التراب الذي كان عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا، (أو الكاف في محل النصب على الحال) أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق. وإنما قال: «لا يقدرون» بعد قوله: «كالذي ينفق» لأنه أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ما داموا مختارين الكفر.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (أي وتصديقًا للإسلام) وتحقيقًا للجزاء من أصل أنفسهم، لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه. و«من» لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أي للابتغاء والتثبيت، والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في (زكائها) عند الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع، وخصّها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرًا («بربوة»: عاصم وشامي) ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ

قوله: (مثله ونفقته) يعني تشبيه المجموع بالمجموع؛ إذ لو قلت: المُنفق كالصفوان والنفقة كالتراب والرياء كالوابل لم يكن شيئًا. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (أملس) هموار وصاف. **قوله:** (أو الكاف) أي في ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ﴾ (في محل النصب على الحال) من فاعل ﴿لَا تُبْطِلُوا﴾.

قوله: (أي وتصديقًا للإسلام) مبنيّ على أن يكون التثبيت بمعنى جعل الشيء متحقّقًا ثابتًا، فيكون المفعول محذوفًا وهو الإسلام والجزاء ونحو ذلك، وكلمة من لابتداء الغاية، أي تصديقًا ناشئًا من أصل أنفسهم، فإنّ الإنفاق إمارة أن الإسلام ناشىء من أصل النفس وصميم القلب، ولعلّ تحقيق الجزاء عبارة عن الإيقان بأنّ العمل الصالح مما يثبت الله تعالى ويُجازي عليه أحسن الجزاء. **قوله:** (زكائها) أي نماءها. **قوله:** (بربوة) بفتح الراء (عاصم وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون

(فَـَٔاتَتْ) ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرتها («أُكْلها»: **نافع ومكيّ وأبو عمرو**) ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ (**مثل ما كانت تثمر**) قبل (**بسبب الوابل**) ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ (فَطَلٌّ) ﴿فمطر صغير القطر يكفيها﴾ لكرم منبتها، أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطلّ، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

الهمزة في ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ للإنكار ﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ﴾ لصاحب البستان ﴿فِيهَآ﴾ في الجنة ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها، أو أن النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصّهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبًا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات.

بالضمّ. **قوله:** (﴿فَـَٔاتَتْ﴾) إنْ كان بمعنى أعطت يتعدّى إلى مفعولين حُذِف أوّلهما وهو صاحبها أو أهلها، والذي حَسُن حذفه أن القصد الإخبار عما تُثمره لا عمّن تُثمر له، و﴿أُكُلَهَا﴾ هو المفعول الثاني و﴿ضِعْفَيْنِ﴾ نصب على الحال من أكلها، وإن كانت آتت بمعنى أخرجت يتعدّى إلى مفعولٍ واحد هو أُكلها. **قوله:** («**أُكْلها**») بسكون الكاف (**نافع ومكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) البصري. والباقون بالضم. **قوله:** (**مثل ما كانت تثمر**) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: حملت في سنة في الربيع ما تحمل غيرها في سنتين، وقوله: (**بسبب الوابل**) متعلّق بقوله: آتت، ومن فسّره بأربعة أمثال ما كانت تُثمر حمل الضعف على أصل مضاف وهو مثل الشيء، فيكون ضعفين أربعة أمثال. **قوله:** (﴿فَطَلٌّ﴾ **فمطرٌ صغير القطر يكفيها**) وجاز الابتداء بالنّكرة لوقوعها في جواب الشرط، وهو من جملة المسوّغات للابتداء بالنّكرة، ومن كلامهم: إن مضى غير فعير في الرباط.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ **(الواو للحال)** ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر، والواو في ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أولاد صغار للحال أيضًا، والجملة في موضع الحال من الهاء في «أصابه» ﴿فَأَصَابَهَآ﴾ إعصار﴾ ريح تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود ﴿فِيهِ﴾ في الإعصار وارتفع ﴿نَارٌ﴾ بالظرف إذ جرى الظرف وصفًا لإعصار ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ الجنة، وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد **(ضعاف)** والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كهذا البيان الذي بيّن فيما تقدم ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ في التوحيد والدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتنتبهوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾) من جياد مكسوباتكم، وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من

قوله: (الواو للحال) وصاحب الحال هو أحدكم، والعامل فيها يودّ، وقد مقدّرة. **قوله:** (﴿فَأَصَابَهَآ﴾) عطف على إصابة تقدير كونه معطوفًا على تكون المؤوّل بالماضي. **قوله: (ضعاف)** جمع ضعيف.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾)... الخ. هذه الآية في زكاة التجارة وعشر الخارج وخُمس المعادن، فقوله تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم﴾، معناه: ومن طيّبات ما أخرجنا لكم، فهو معطوف على قوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، وقد أمر الله تعالى في الآية بإنفاق طيّبات المكسوبة وطيّبات المخرجات من الأرض، والطيّبات هي الجياد أو الحلال على ما نصّ به القاضي، والأوّل هو المختار عند الأكثرين. وقد صرّح صاحب المدارك أنّ في قوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة؛ وذلك لأنّ مكسوباتنا هي تجارتنا وطريقه أنه إذا بلغ قيمتها نصاب أحد ثمنين يجب فيه الزكاة ويقوم بما هو أنفع للفقراء في تعجيل الزكاة على ما ذكر في كتب الفقه، وصرّح

الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير: ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ﴿(وَلَا تَيَمَّمُوا) ٱلْخَبِيثَ﴾ ولا تقصدوا المال الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (تخصّونه بالإنفاق) وهو في محل الحال أي ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة ﴿أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ وحالكم

الإمام الزاهد أنّ في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ دليل وجوب العشر، وفي كلام باقي المفسّرين أن ما أخرجنا هو الحبّة والثمار والمعادن وغيرها، فحينئذٍ يتناول الآية عشر الخارج وخُمس المعادن جميعًا، وسنذكر مسألة عُشر الخارج في سورة الأنعام إن شاء الله تعالى. وأمّا مسألة خُمس المعادن، فمذكورة في الفقه مفصّلًا. وبالجملة، ففي الآية دليلٌ على هذه المسائل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ إمّا أن يكون منه متعلقًا بما قبله أو بما بعده، فإنْ كان متعلّقًا بما قبله كان المعنى: ولا تقصدوا الخبيث من المال أو مما أخرجنا حال كونكم تُنفقون، وإنْ كان متعلّقًا بما بعده كان المعنى: ولا تقصدوا الخبيث حال كونكم من الخبيث تُنفقون، نصّ بهذين التوجيهين القاضي البيضاوي. وقد ذكر صاحب الكشاف والمدارك التوجيه الأخير فقط. وبالجملة قد نهى الله تعالى عن إعطاء الخبيث، وأكّد ذلك بأنكم تنفقون في سبيل الله الردي ولستم بآخذيه، أي وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته إلا أن تغمضوا فيه، أي إلا أن تسامحوا فيه وتأخذوه على سبيل المسامحة من قولك: أغمض فلان عن بعض حقّه إذا غضّ بصره، وقرىء تغمضوا بالتفعيل، وتغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض، ويُغمضوا بالبناء للمفعول، على ما في الكشاف. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن نزوله فيمن كانوا يتصدّقون بحشف التمر وشراره، فنهو عنه. ولعلّ هذا يعمّ الصدقة النافلة والفريضة جميعًا. وقد ذكر الفقهاء أيضًا أن لا يأخذ المصدّق إلّا الوسط، ولا يأخذ رذالة المال ولا خياره؛ ففي الآية دليل عليه أيضًا، وإنْ لم يصرّحوا به. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾) أصله بتائين حُذِفت إحداهما تخفيفًا، والتيمّم القصد، يقال: أمّ كردّ وأُمم كأُخر، وتيمّم بالتاء والياء معًا وتأمّم بالتاء والهمزة، وكلها بمعنى قصد. **قوله:** (**تخصونه بالإنفاق**) يعني يجعلونه متفرّدًا بذلك بيان لتقديم

أنكم لا تأخذونه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ (إلا بأن تتسامحوا) في أخذه وتترخصوا فيه من قولك: «أغمض فلان عن بعض حقه» إذا غضّ بصره، ويقال للبائع: «أغمض» أي لا تستقص (كأنك لا تبصر). وعن (ابن عباس ﷺ): كانوا يتصدقون (بحشف التمر وشراره) فنهوا عنه. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ مستحق للحمد أو محمود.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

(﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾) في الإنفاق ﴿ٱلۡفَقۡرَ﴾ ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن

الجار والمجرور، والمعنى يقدّرون ذلك لأنه حال مقدرة ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ حال آخر على التداخل أو الترادف. **قوله:** (إلا بأن تتسامحوا) إشارة إلى أنه على حذف الجار متعلق بآخذيه، على معنى: لا تأخذونه بوجهٍ من الوجوه إلا بالإغماض في التسامح واستعمال الإغماض في التسامح كناية أو استعارة على ما يشعر به قوله: (كأنك لا تُبصر).

قوله: (ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي (رضي الله) تعالى (عنهما). **قوله:** (بحشف التمر) في المصباح: الحَشَف أردأ التمر وهو الذي يجفّ من غير نضج ولا إدراك، فلا يكون له لحم، الواحدة حشفة. **قوله:** (وشراره) جمع شرّ بمعنى رديء.

قوله: (﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾)... الخ. هذه الآية في بيان فضل الإنفاق أعمّ من أن يكون فريضة أو نافلة، ويتضمّن فضل العلم والعمل أيضًا، والمعنى أنّ الشيطان يَعِدكم في الإنفاق الفقر، ويقول لكم: إنّ عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا، والوعد أن يُستعمل في الخير والشر، ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾، أي المنع عن الصدقات والبخل أو المعاصي، على ما نقله القاضي. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق مغفرة لذنوبكم، ﴿وَفَضۡلٗاۗ﴾ أي خَلَفًا أفضل مما أنفقتم في الدّنيا أو في الآخرة، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾، ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي تحقيق العلم وإتقان العمل ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾ من عباده ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي وما يتّعظ بما نصّ الله من الآيات، أو وما يتفكّر ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، أي ذوو

تفتقروا، **(والوعد يستعمل)** في **(الخير والشر)** ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ **(ويغريكم على البخل)** ومنع الصدقات **(إغراء الآمر)** للمأمور والفاحش عند العرب البخيل ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ في الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم وكفارة لها ﴿وَفَضْلًا﴾ **(وأن يخلف عليكم)** أفضل مما أنفقتم، أو وثوابًا عليه في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يوسع على مَن يشاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم ونياتكم.

العقول السليمة، أو العامِل العالِم، هذا مضمون الآية. وقد تمسّك به الإمام فخر الإسلام البزدوي على أن العمل داخل في الفقه، لأن الحكمة في اللغة هو إتقان العلم والعمل، وقد فسّر ابن عباس الحكمة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ بعلم الشريعة والحرام والحلال، فدلّ على أنّ العمل داخل في الفقه، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: الآية ١٢٥] ونحوه. وقد أشار إليه صاحب المدارك أيضًا، حيث قال: الحكمة علم القرآن والسنّة أو العلم النافع المُوصِل إلى رضاء الله تعالى والعمل به، والحكيم عند الله تعالى هو العالِم العامِل، وهكذا ذكره جماعة ولعله تعالى إنما ذكره بين مسائل الإنفاق ليدلّ على أن الزكاة في العلم أيضًا واجب، وهو الدرس، وقد قال عليه السلام: «**مثل علم لا ينفع به كمثل كنزٌ لا يُنفق منه**»، أو لأن علم مسائل الإنفاق والفرائض والعمل بها واجب على المؤمنين كافّة، هكذا يخطر بالبال. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (والوعد يستعمل) في **(الخير والشرّ)**، قال الفرّاء: يقال: وعدته خيرًا ووعدته شرًّا، فإذا أسقطوا الخير والشرّ قالوا في الخير: الوعد والعدة، وفي الشرّ: الإيعاد والوعيد. **قوله: (يغريكم على البخل)**... الخ. الإغراء الحثّ والتسليط. **قوله: (إغراء الآمر)** يعني أن يأمركم استعارة تبعية. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وأن يخلف عليكم) في الأساس: أخلف الله عليك عوّضك فيما ذهب منك خلفًا. وفي الصحاح: يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو شيء يُستعاض: أخلف الله عليك، أي ردّ الله عليك مثل ما ذهب، فإنْ كان قد هلك له والد أو عمّ أو أخ قلت: خلف الله عليك بغير ألف، أي كان الله خليفة والدك، أو من فقدته عليك.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ علم القرآن والسنّة، أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به، والحكيم عند الله هو العالم العامل ﴿(وَمَن يُؤْتَ) الْحِكْمَةَ﴾ «ومن يؤت»: (**يعقوب**) أي ومَن يؤته الله الحكمة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (**تنكير تعظيم**) أي أوتي خيرًا أيّ خير كثير. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذوو العقول السليمة أو العلماء (**العمال، والمراد به الحثّ**) على العمل بما تضمنت الآية في معنى الإنفاق.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

(﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾) في سبيل الله أو في سبيل الشيطان ﴿أَوْ نَذَرْتُم (مِّن نَّذْرٍ)﴾ في طاعة الله أو في معصيته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ لا يخفى عليه

قوله: (﴿وَمَن يُؤْتَ﴾) بكسر التاء مبنيًا للفاعل، والفاعل ضمير الله ومَنْ مفعول مُقدَّم والحكمة مفعول ثان، وإذا وقف وقف بالياء. (**يعقوب**) البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح التاء مبنيًا للمفعول، ونائب الفاعل ضمير من الشرطية، وهو المفعول الأوّل، والحكمة مفعوله ثان. ويقفون عليها بالتاء الساكنة. **قوله:** (**تنكير تعظيم**)، فالتنكير مستفاد من الوصف، والتعظيم من التنكير. **قوله:** (**العمّال**) جمع عامل. **قوله:** (**والمراد به الحثّ**) بيان مناسبة الآية وما تضمّنه الآية هو أن ينفق من الطيّب ويجتنب الخبيث، وأن لا يخشى الفقر ويرجى المغفرة والفضل، وأن لا يتبع منًّا ولا أذًى.

قوله: (﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾)... الخ. هاتان آيتان. أمّا الأُولى، ففي فضائل النفقة والنذر، والمعنى: وما أنفقتم من نفقة قليلة أو كثيرة في طاعة أو معصية سرًّا أو علانية ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ بشرط وبغيره في طاعة أو معصية، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ فيُجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الذين ينفقون أو ينذرون في المعاصي أو يمنعون عن الصدقات أو إيفاء النذور، ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي مَن

(وهو مجازيكم عليه) ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو ينذرون في المعاصي أو لا يفون بالنذور (﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.

ينصرهم مِنَ الله ويمنعهم من عقابهم به؛ فدلّت الآية على الإنفاق فرضًا كان أو نفلًا وعلى وجوب إيفاء النذر في غير المعاصي، وسيجيء ذكره في سورة الحجّ إن شاء الله تعالى.

وأمّا الثانية، ففي إبداء الصدقة وإخفائها، والمعنى: إنْ تبدوا الصدقات فنعم شيئًا هي، أي إبداءها، ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ وتؤتوها الفقراء، أي إن تخفوا الصدقة وتعطوها الفقراء مع الإخفاء، فالإخفاء خيرٌ لكم ويكفّر الله، عنكم من بعض سيّئاتكم على تقدير الغيبة، وفيه وفي قوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قراءة مختلفة يطول ذكرها، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيُجازيكم على حسب أعمالكم. هذا مضمون الآية، فقد ذكر الله تعالى في الصدقة الإبداء وجعله حسنًا والإخفاء وجعله خيرًا، فقيل: الإخفاء أفضل في الصدقات كلّها، فريضة كانت أو نافلة، على ما نصّ به في الحسيني على رواية. والأكثرون على أن الجهر في الفرائض والإخفاء في النافلة، كما في الصلاة والصوم وغيره. وقال صاحب المدارك: قالوا: المراد صدقات التطوّع فح: «**الجهر في الفرائض أفضل**» لنفي التّهمة، حتى إذا كان المزكّي ممن لا يُعرف باليسار إخفاءه أفضل، والمتطوّع إنْ أراد أن يقتدي به كان إظهاره أفضلَ، وهكذا قال صاحب الكشاف، نقل هو والقاضي البيضاوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: صدقة السرّ في التطوّع تَفْضُل على علانيتها بسبعين ضعفًا، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها بخمسة وعشرين ضعفًا.اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**من نفقة ومن نذر**) مثل هذا البيان يكون لتأكيد العموم ومنع الخصوص. **قوله:** (**وهو مجازيكم عليه**)، يعني أن إثبات العلم كناية عن هذا المعنى، وإلّا فهو معلوم. **قوله:** (﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾) فإن قيل: نفي الأنصار لا يوجب نفي الناصر. قلنا: هو على طريقة المقابلة والتوزيع، أي لا ناصر لظالم قطّ.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ فنعم شيئًا (**إبداؤها**) و«ما» نكرة غير موصولة ولا موصوفة، والمخصوص بالمدح «هي». (﴿فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ **بكسر النون وإسكان العين: أبو عمرو ومدني غير ورش. وبفتح النون وكسر العين: شامي**) وحمزة وعلي. (وبكسر **النون والعين: غيرهم**). ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ﴾ (**فالإخفاء خير لكم. قالوا: المراد صدقات التطوّع**) والجهر في الفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان

قوله: (إبداءها) يعني أن ها هو المخصوص بالمدح، لكن على حذف المضاف ليحسن ارتباط الجزاء بالشرط، ويدلّ على هذا تذكير الضمير، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ﴾ أي إخفاؤها. **قوله:** (﴿فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ **بكسر النون وإسكان العين أبو عمرو**) البصري (**ومدني غير ورش**) أي نافع المدني غير ورش عنه، وهو عثمان بن سعيد المصري. وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. وكذا أبو بكر عن عاصم (**وبفتح النون وكسر العين شامي**) أي ابن عامر الشامي وحمزة وعلي الكسائي، وهذه القراءة على الأصل؛ لأن الأصل على فعل كعلم. (**وبكسر النون والعين غيرهم**) أي ابن كثير المكّي وورش عن نافع وحفص عن عاصم. وإنّما كُسِرت النّون إتباعًا لكسرة العين، واتّفق الكلّ على تشديد الميم، فليعلم. ونعم فعل ماض جامد جرّد من الزمان لإنشاء المدح، ولمّا لحقتها ما اجتمع مثلان فخفّف بالإدغام ورسم متّصلًا لأجله. **قوله: (فالإخفاء خير لكم)** يعني أن ضمير هو راجع إلى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿تُخْفُوهَا﴾ إلّا أنه تعالى شرط في كون الإخفاء أفضل أن يكون الـمُعطى له فقيرًا حيث عطف ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ على قوله: ﴿تُخْفُوهَا﴾. **قوله:** (قالوا: **المراد صدقات التطوّع**)، يعني أن المراد بالصدقات في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ هي صدقة التطوّع. قال أكثر العلماء: الإخفاء في صدقة التطوّع أفضل؛ لأن الإخفاء يكون أبعد من الرّياء والسّمعة، وقال عليه الصّلاة والسلام: «**لا يقبل الله من مُسمع ولا مُراء ولا منّان**»، والمتحدّث بصدقته لا شكّ أنه يطلب السُّمعة والمعطي في ملإٍ من الناس يطلب الرّياء، والإخفاء والسكوت هو المخلّص منهما. وأيضًا الإظهار بما يوجب الضّرر بالآخذ، لأن

المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل، والمتطوّع إن أراد أن يقتدى به

الإظهار فيه هَتْك عرض الفقير وإظهار فقره، وربما لا يرضى الفقير بذلك، وأيضًا في الإظهار إخراج الفقير من هيئة التعفّف والفرار من صدقات الناس، وأيضًا ربما يظنّ الناس أنه أخذها مع الاستغناء، فيقع الفقير في المذمّة، والناس في الغيبة، وقوله تعالى في حقّ صدقة المعلن: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ مبنيّ على أنها مقبولة مستحسنة إذا كانت النّيّة صالحة، فإنّ الإنسان إذا علم أنه إذا أظهر صدقته وصار ذلك سببًا لاقتداء الخلق به في إعطاء الصدقات فينتفع الفقراء بها يكون الإظهار أيضًا مُستحسنًا مقبولًا بشرط أن يكون حاله ونيّته ذلك. رُوِي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**السرّ أفضل من العلانية، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء**»، وهذا في حقّ مَن راضَ نفسه حتى منَّ الله تعالى عليه بأنواع هدايته ونوّر قلبه بأنوار معرفته وأزال عنه وساوس النفس وماتت شهواته واستغرق قلبه في بحار عظمة الله، فمثل هذا العبد إذا عَمِل عملًا في علانية فلا يحمله عليه إلا النّيّة الصالحة؛ لأن شهوة النفس قد بَطُلت ومنازعة نفسه وهواه قد اضمحلّت وبلغ في نفسه مبلغ الرجال أُولي الفضل والكمال، فلم يبقَ له من الخواطر سوى خواطر تكميل غيره وتقوية الضعفاء والمساكين وتذكير الأغنياء وأرباب المسكنة والاستطاعة أن يقتدوا به، فإخفاء مثل هذا العبد وإظهاره سواء، وكل واحد منهما خير وحسن.

فإن قيل: إذا كان الأمر على ما ذكرت، فلم رجّح الإخفاء على الإظهار في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؟

فالجواب من وجهين: الأوّل: لأنّا نسلّم أن خيرًا للتفضيل على الإبداء، بل هو لإثبات مطلق الخيرية لموصوفه، والمعنى: أن إعطاء الصدقة حال الإخفاء خيرٌ من الخيرات وطاعة من جملة الطاعات، فيكون المقصود بيان كونه في نفسه خير أو طاعة، لا ترجيحه وتفضيله على الإبداء.

والوجه الثاني: سلّمنا أنه للتفضيل، وأنّ المفضّل عليه محذوف، أي خير من إبداءها، لكن الحكم بأفضلية الإخفاء ليس في حقّ جميع المتصدّقين، بل في حقّ أكثرهم أقيم الأكثر مقام الكلّ، فأورد حكمهم على صورة حكم العام، ولمّا كان الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأسلم من الإضرار بالفقير كان ذلك أفضل في صدقة

كان إظهاره أفضل. («ونكفر» بالنون وجزم الراء: **مدنيّ وحمزة وعلي. بالياء ورفع الراء: شامي وحفص. وبالنون والرفع: غيرهم**). فمن جزم فقد عطف (**على محل الفاء وما بعده**) لأنه جواب الشرط، ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله. ﴿عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ والنون على معنى نحن نكفر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإبداء والإخفاء ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم.

التطوّع مطلقًا، وفي الزكاة أيضًا في حقّ مَنْ لا يكون معروفًا باليسار والغِنى، فإنّ كل واحد من السمعة والرياء وإنْ كان غير مُعتبر في حقّ الفرائض إلّا أن الإعلان ربما يؤدي إلى الإضرار بالأخذ، ومن جملة وجوه الإضرار به أنّ الصدقة جارية مجرى الهداية، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: «**من أُهْدِيَ إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها**»، وربما لا يدفع الفقير من تلك الصدقة شيئًا إلى شركائه الحاضرين لشدّة احتياجه إليها، فيقع الفقير بسبب إظهاره تلك الصدقة في فعل ما لا ينبغي. وأمّا مَنْ كان معروفًا باليسار، فالأفضل في حقّه إعلان الزكاة دفعًا لتهمة الناس عن نفسه، فإنه لو أخفى زكاته لربّما يتوهم الناس في حقّه أنه يقصّر في أداء الفرائض فيقعون في سوء الظنّ والغيبة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: («ونكفر» **بالنون وجزم الراء مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وحمزة وعلي**) الكسائي (**بالياء، ورفع الراء شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحفص**) عن عاصم (**وبالنون والرفع غيرهم**) أي ابن كثير المكّي وأبو عمرو البصري وأبو بكر عن عاصم ويعقوب البصري، وليس من السبعة. **قوله:** (**على محل الفاء وما بعده**)، فإنه مجزوم المحل بخلاف ما بعد الفاء وحده، فإنه لا أثر للعامل فيه لما ذكر، فلو وقع بعد الفاء مضارع لكان مرفوعًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: الآية ٩٥]، وكذا الحال فيما كان معطوفًا على ما وقع بعد الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٦] فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم، وكلمة مِنْ في قوله تعالى: ﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ للتبعيض، أي بعض سيّئاتكم، لأنّ الصدقات لا تكفّر جميع السيّئات. وعلى هذا، فالمفعول في الحقيقة محذوف، أي شيئًا كائنًا مِنْ سيّئاتكم، ويحتمل أن يكون زائدة على مذهب الأخفش رحمه الله.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبث وغير ذلك، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك إلى الله.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ **(فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم)** فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أي رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون **(بها)** وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله، أو هذا نفي معناه النهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ **(ثوابه)** أضعافًا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ولا تنقصون **(كقوله:** ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ **[الكهف: الآية ٣٣])**. أي لم تنقص.

قوله: (فهو لأنفسكم) إشارة إلى أن ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط المُقدَّم. **قوله: (لا ينتفع به غيركم)**، يعني الانتفاع الأُخروي، فالفقير ينتفع به لا محالة، والاختصاص مُستفاد من اللام ومن المقام.

قوله: (به) أي بالإنفاق. **قوله: (بها)** أي بنفقتكم. **قوله: (ثوابه)** أي ثواب الخير الذي يُنفقونه، وذلك لشدّة الاتّصال.

قوله: (كقوله) تعالى في سورة الكهف: (﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ **[الكهف: الآية ٣٣])** في تفسير الجلالين: (كِلْتا الجنّتين) كِلْتا مفرد يدلّ على التثنية مبتدأ (﴿ءَاتَتْ﴾ **[الكهف: الآية ٣٣])** خبره ﴿أُكُلَهَا﴾ [الكهف: الآية ٣٣] ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ [الكهف: الآية ٣٣] تنقص (﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ **[الكهف: الآية ٣٣])**. اهـ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

الجار في ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ متعلّق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الصدقات للفقراء ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرّف ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لاشتغالهم به (﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للكسب). وقيل: هم (أصحاب الصُفَة وهم نحو من أربعمائة) رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، فكانوا في صفة المسجد وهي (سقيفة) يتعلّمون القرآن بالليل (ويرضخون النوى) بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ (فمن كان عنده فضل أتاهم به) إذا أمسى. ﴿يَحْسَبُهُمُ (ٱلْجَاهِلُ)﴾ بحالهم. (﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ وبابه: شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الأعشى) وهبيرة. والباقون (بكسر السين). ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ

قوله: (﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) ذهابًا فيها (للكسب). قوله: (أصحاب الصُفَة) بضم الصاد وتشديد فاء. قوله: (وهم نحو من أربعمائة) شاع هذه العبارة فيما إذا كان العدد على التقريب دون التحقيق. قوله: (سقيفة) السقيفة الرواق. قوله: (يرضخون) الرَّضح ـ بالحاء المهملة والخاء المعجمة ـ كسر النّوى ونحوها كانوا يأخذون عليه الأجرة ويصرفونها. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال المحشي رحمه الله: أي يكسرون ويلقونه في الماء حتى ينضح، وكانوا يأكلونه. قوله: (النوى) جمع نواة التمر، فهو يُذكّر ويؤنّث وجمعه أنواء. اهـ مختار الصِّحاح. قوله: (فمن كان) أي من السرية (عنده فضل) طعام أو شراب (أتاهم) أي أهل الصفّة (به)، أي بذلك الفضل. قوله: (﴿يَحْسَبُهُمُ﴾ وبابه) بفتح السين على الأصل كعلم يعلم، وهي لغة تميم. (شامي) أي ابن عامر الشامي، (ويزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. (وحمزة وعاصم غير الأعشى)، أي ابن أبي يوسف بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمه الله، وهُبَيْرَة أي أبي محمد هبيرة بن محمد التمّار عن حفص عن عاصم رحمه الله. والباقون (بكسر السين) وهي لغة أهل الحجاز.

﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾ مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ من صفرة الوجوه ورثاثة الحال ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ إلحاحًا. قيل: هو نفي السؤال والإلحاح جميعًا كقوله:

على لاحب لا يهتدي بمناره

(**يريد نفي المنار والاهتداء به**). والإلحاح هو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء

قوله:

على لاحِبٍ لا يُهْتَدى بمَنارِه[1]

الشعر المذكور صدر بيت آخره:

إذا سافَه[2] العَوْدُ الدِّيافِيُّ جرجرا[3]

وهو من قصيدة لامرىء القيس في ديوانه، أوله:

أسما لك شوق بعدما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قرٍّ فقرقرا

والدِّيافِيُّ بدال مهملة مكسورة نسبة إلى دياف موضع، والجرجرة صوت يردّده البعير في حنجرته، واللَّاحب ـ بحاء مهملة ـ الطريق الواضح، والمنار ما يُعلم بالطريق، وما قيل: إنه عجز بيت صدره:

سَدًا بيديه ثم أَجَّ[4] بسيره

لا صحّة له. اهـ شهاب رحمه الله. وقوله: سدًا بيديه: مدَّهما في السَّيْر. أجّ الظليم عدًا اللاحب الطريق الواسع الواضح. سافه: شمُّه. العَوْد ـ بالدال المهملة ـ المُسنّ من الإبل. والدّيافي ـ بالدال المهملة ـ الضَّخم الجليل. الجرجرة: صوتٌ يردّده البعير في حنجرته. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (يريد نفي المنار والاهتداء به)؛ إذ الطريق الواضح لا بدّ أن يُهتَدَى، ويمكن المناقشة بأنه لم لا يجوز أن يهتدي بمعرف غير المنار، كما هو المتعارف

---

(١) يقال: ليس به منار فيهتدى به. ١٢ منه عمّ فيوضهم.
(٢) أي ساف الجمل تربته جرجر جزعًا من بُعده وقلّة مائه. ١٢ منه عمّ فيوضهم.
(٣) أي صَوَّتَ، ١٢ منه.
(٤) أي: أَسْرَعَ، ١٢ منه.

يعطاه وفي الحديث «إن الله يحب الحيّ الحليم المتعفف ويبغض (البذي) السآل (الملحف)» وقيل: معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ لا يضيع عنده.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم (بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً)﴾ هما حالان أي مسرين ومعلنين (يعني يعمون الأوقات) والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال. وقيل: (نزلت في أبي بكر الصدّيق ﷺ) حين تصدّق بأربعين ألف دينار:

في معرفة الدار، لكن المقام مقام الخطابيات التي يكتفي بالظنّ في المحاورات. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (البذي) البذاء ـ بالمدّ ـ الفحش، وفلان بذيء اللّسان، والمرأة بذيّة. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (المُلحف) المُلحّ.

قوله: (﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾) لا خفاء في أن الأربعة ليست أقسامًا متقابلات بالذات، بل باعتبار الوصف ورعاية الجهة، أعني كونه في ليل أو نهار، بأيّ صفة أنفق وكونه سرًّا أو علانية في أيّ وقت أنفق. **قوله:** (يعني يعمون الأوقات) . . . الخ. أي المراد بالليل والنهار جميع الأوقات، كما أن المراد بما بعده جميع الأحوال. **قوله:** (نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه) . . . الخ. فحينئذ الذين بصيغة الجمع لأن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم، والجمع للتعظيم لكن الأوّل هو المعتمد المعوّل. اهـ قنوي. وقوله: أبي بكر الصدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر من لا يحصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ. رُوي للصدّيق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بإحدى عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلّة رواياته مع تقدّم صحبته وملازمته النبيّ ﷺ أنه تقدّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبيّ ﷺ يُكرمه ويُجلّه ويعرف أصحابه

عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السر، وعشرة في العلانية. (أو في عليّ ﷺ) لم يملك إلا أربعة دراهم، تصدق بدرهم ليلًا، وبدرهم نهارًا، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانية. ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾) هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال.

مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة ومناقبه غير منحصرة. أجمعت الأُمّة على صحة خلافته وقدّمته الصحابة رضي الله تعالى عنهم لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بيعته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله تعالى عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس، وأنا حاضرٌ غير غائب، وصحيحٌ غير مريض، ولو شاء أن يقدّمني لقدّمني، فرضِينا لدنيانا مَنْ رَضِيَه الله ورسوله لديننا. مات في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، والصحيح أنه توفي وله ثلاث وستّون سنة كرسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه توفي آخر يوم الاثنين.

قوله: (أو في عليّ رضي الله تعالى عنه) ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي المكِّي المدني الكوفي أمير المؤمنين، وقد تقدَّم مناقبه رضي الله تعالى عنه.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾)... الخ. اعلم أنّ الآيات الواقعة في حُرمة الرّبا كثيرة في القرآن سيجيء في مواضعها إن شاء الله تعالى، ولهذه الآية من بين أخواتها مِزْية؛ لأن لها ذكرًا في علم الأُصول، ويتضمّن فوائد كثيرة، فقوله تعالى: ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الخبط: القرب على غير استواء، كخبط العشواء، وهو من زعمات العرب حيث يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، وقوله تعالى:

....

﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ معناه: من الجنون، وهذا أيضًا من زعماتهم أن الجنّ يمسّه فيخبط عقله، وهو متعلق بقوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ أو بقوله تعالى ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾ يعني الذين يأكلون الربا لا يقومون يوم القيامة من الجنون إلّا كما يقوم الرجل الذي يتخبّطه الشيطان، أو لا يقومون يوم القيامة إلّا كما يقوم الرجل المصروع من الجنون، أو إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من الجنون. وعلى هذين، فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين، لا لاختلال عقولهم، ولكن لأن الله أزكى في بطونهم ما أكلوا من الرّبا، فأثقلهم، على ما في البيضاوي. وهذا العقاب على كلّ مَنْ أخذ الربا، سواء كان آكلًا أو غير آكل، وإنما خصّ بالآكل لأن الأكل من أعظم منافع المال، ولأن الربا شائع في المطعومات، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ إشارة إلى العقاب المذكور، أي ذلك العقاب إنما هو بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، أو كان أصل الكلام: إنما الرّبا مثل البيع إلّا أنهم قد بالغوا من اعتقادهم في حِلّ الربا حتى أنهم جعلوه أصلًا، فيظنون الربا حلالًا طاهرًا حتى أنهم شبّهوا البيع به في حقّ الحل، إلّا أنهم يظنّون البيع حلالًا، ويشبّهون الربا به، ولمّا كان من ظنّهم التسوية بين الربا والبيع، لأنهم رأوا أنهم إذا اشترى الرجل مالًا يساوي درهمًا بدرهمين جاز، هكذا إذا باع درهمًا بدرهمين جاز؛ إذ لا فرق بينهما في المعنى ردّه الله تعالى وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ إنكارًا للتسوية بينهما دلالةً على أن القياس في معارضة النصّ باطل، ولهذا قال أهل الأصول: إن هذه الآية نصّ في حقّ التفرقة بين البيع والرّبا؛ لأنه إنما سيقت لأجل هذا المعنى ظاهر في حقّ إحلال البيع وحرمة الربا، لأنه يُفهم هذا المعنى بدون سوق له، وتحقيق هذا المقام أن البيع مبادلة مال بمالٍ، والرّبا في اللغة هو الزيادة، والبيع إنما شرّع لأجل الربح والزيادة، فكان مُجملًا ازدحمت فيه المعاني واشتباهه أنه أي زيادة حرمت فلحقه الحديث بيانًا له، وهو قوله عليه السلام: «**الحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح والذهب بالذهب والفضة بالفضة مثلا بمثل يدًا بيد، والفضل ربا**»؛ فالرّسول عليه السلام نصّ على هذه الأشياء الستّة، فوقع الاشتباه فيما وراءها، فتأملنا في علّة حُرْمة هذه الأشياء، فوجدنا أنه إذا كان الجنس متّحدًا كما يُعلم بالمقابلة، وكان القدر كيلًا أو وزنًا كما يعلم بالمماثلة، ويكون يدًا بيد يكون الفضل في هذه الحالة ربا، يعني إذا بِيع بالحنطة أو الذهب ويكون

وكتب «الربوا» بالواو (على لغة مَن يفخِّم) كما كتبت الصلاة والزكاة، وزيدت الألف بعدها تشبيهًا بواو الجمع. ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم

أحدهما زائدًا في الكيل أو الوزن يكون ذلك الربا حرامًا له، فوجدنا الأرز وأمثاله أمثالًا متساوية في هذا المعنى، فيكون الفضل فيها أيضًا حرامًا، وكذلك حكمنا بحُرمة التفاضل في الجصّ والنّورة لأجل تلك العلّة، أي القدر مع الجنس. والشافعي رحمه الله قال: إن العلّة في هذه الحُرمة هو الطعم كما في الأربعة والثمنية كما في الثمنين، فيكون التفاضل في الجصّ والنورة حلالًا؛ لأن هذه العلّة مفقودة فيهما. ومالك رحمه الله: إنّ العلة في هذه الحُرمة هو الاقتيات كما في الأربعة والادّخار كما في الأخيرين، فالتفاضل في اللَّحم الفاسد والسمك الفاسد يكون حلالًا لأنهما ليسا مما يقتات ويُدَّخر. وبالجملة مسألة الرّبا أكبر مسائل القياس وأعلى المجتهد فيه، ومجال الاختلاف ومحل الشبهة في هذه المسألة كثير، ولهذا قال عمر رضي الله تعالى عنه: خرج النبيّ ﷺ عنّا ولم يبيّن لنا أبواب الرّبا، أي بيانًا شافيًا، ولكن خرج من حيِّز الإجمال إلى حيِّز الإشكال، وعُلِم من هذا التقرير أن آية الربا نظيرًا لِخصوص المجهول والمعلوم جميعًا وأن قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ مخصّص لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾، ولكن قبل بيانه بالأشياء الستّة نظيرًا لخصوص المجهول، وبعد بيانه بها نظيرًا لخصوص المعلوم، وهذا نبذ ممّا قالوا، وزيادة تحقيقه في أصول الفقه، فإن شئت فارجع إليه. ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ الآية، فمن بلغه وعظٌ مِنَ الله وزجر بالنهي عن الربا، ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ أي فامتنع عن أكله فله ما سلف، أي فلا يؤاخذ بما مضى منه؛ لأنه أخذ به قبل نزول التحريم ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي يُجازيه إنْ كان عن قبول الموعظة في صدق النّية، وليس من أمره إليكم من شيء، فلا تطالبوه. ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ أي إلى استحلال الرّبا، وإلى الرّبا مستحلّاً لا إلى نفس أكل الرّبا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، فخلوده إنما هو بسبب استحلاله؛ إذ هو كفرٌ لا بسبب نفس أكله، أو يُراد به المكث الطويل، فلا تمسك للمعتزلة بهذه الآية في تخليد الفساق في النار، كذا قالوا. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (على لغة من يفخم) التفخيم ههنا أن تلفظ الألف بما يكون بين الواو والألف بإمالة الألف إلى مخرج الواو. قال الفراء: إنهم تعلّموا الخط من أهل

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي المصروع لأنه تخبط في المعاملة فجوزي على المقابلة. **(والخبط)**: الضرب على غير استواء كخبط العشواء ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ **(من الجنون)** وهو يتعلق بـ«لا يقومون» أي لا يقومون من المسّ الذي بهم إلا كما يقوم المصروع، أو بـ«يقوم» أي كما يقوم المصروع من جنونه، والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة **(مخبلين)** كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف. وقيل: الذين يخرجون من **(الأجداث يوفضون)** إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، لأنهم أكلوا الربا **(فأرباه الله)** في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على **(الإيفاض)** ﴿ذَٰلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ ولم يقل: «إنما الربا مثل البيع» مع أن الكلام في الربا لا في البيع، لأنه جيء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلًا وقانونًا في الحل حتى شبهوا به البيع. ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ إنكار لتسويتهم **(بينهما)** إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ فتبع النهي وامتنع ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى استحلال

الخبرة وهم نبط لغتهم ربوا بواو ساكنة، فكتبت كذلك. **قوله: (والخبط)**... الخ. يعني أن أصله ضرب متوالي على أنحاء مختلفة، ثم تجوز به عن كل ضرب غير محمود، كما قال: كخبط العشواء، والعشواء الناقة التي لا تُبصر ليلًا ضُرِب به المثل لمن يفعل أفعالًا غير مستقيمة. **قوله: (من الجنون)**، فسّر المسّ بالجنون لكون الجنون أثر مسّ الشيطان. كان الشيطان يمسّ الإنسان فيجنّه، كما أنه يتخبّطه ويطأه برجله فيخبله، فسُمّي الجنون مساوٍ خبطة، ويقال: مسّ الرجل فهو ممسوس وبه مسّ مثل جنّ فهو جنون، أي ضربته الجنّ ومسّته فصار مخبلًا مجنونًا، والمخبل الفاسد العقل والخبال الفساد الذي يعتري الحيوان فيورثه اضطرابًا كالجنون والخبل نقصان في العقل. **قوله: (مخبلين)** المخبل الفاسد العقل. **قوله: (الأجداث)** القبور. **قوله: (يوفضون)** يُسرعون. قوله: (آكله) جمع آكل. **قوله: (فأرباه الله)** أي جعله رابيًا منتفخًا. **قوله: (الإيفاض)** الإسراع. **قوله: (بينهما)** أي

الربا ـ عن **(الزجاج)** أو إلى الربا مستحلًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحلّ ما حرّم الله ﷻ فهو كافر فلذا استحقّ الخلود، وبهذا تبيّن أنه **(لا تعلّق للمعتزلة بهذه الآية في تخليد الفساق)**.

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ ينميها ويزيدها أي يزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه، وفي الحديث («**ما نقصت زكاة**) من مال قط». ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ عظيم الكفر باستحلال الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ متمادٍ في الإثم بأكله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ قيل: المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا. (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾) أخذوا ما شرطوا

بين البيع والرّبا. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله. **قوله: (لا تعلّق للمعتزلة بهذه الآية في تخليد الفُسّاق)** جمع فاسق كآكلي الرّبا؛ لأن الكلام في مستحلّي الرّبا.

قوله: (ما نقصت زكاة) من مالٍ، الحديث إن قُرىء بالتخفيف فمن مال صفة زكاة، وإن شُدّدت فالظاهر أنّ منْ زائدة.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾)... الخ. هذه ثلاث آيات، الأوليان منها في ترك الرّبا في الدَّين، والثالث في دين المعسّر، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، قال المفسّرون: رُوِي أن بني ثقيف كان لهم على قوم من قريش ـ وهم بنو مغيرة ـ مال، فطالبوهم عند حلول الأجل بالمال والربا، وقد أخذوا ما شرطوا على الناس من الرّبا وبقيت لهم بقايا، فأمرهم

على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها. رُوِيَ أنها

الله أن يتركوها ولا يطالبوها، حيث قال: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، أي اتركوها ولا تطلبوها ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ كامل الإيمان. وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾، أي فإن لم تتركوا ما بقي من الربا بل تأخذوه، ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾، أي فاعلموا أنكم لا يقومون بحرب عظيم من الله بالنار ورسوله بالسيف حيث ارتكبتم ما نهاه الله ورسوله. إن قُرىء فأذنوا ـ بالقصر ـ أو فأعلموا بها غيركم. إن قرىء فآذنوا ـ بالمد ـ رُوِي أنّه لما نزلت الآية قال ثقيف: لا أيدي لنا بحرب الله ورسوله.

وفي البيضاوي: وذلك يقتضي أن يُقاتل المُرْتبي بعد الاستتابة حتى تفيء إلى أمر الله؛ كالباغي، ولا يقتضي كفره، ولم أطّلع عليه من كتب أبي حنيفة رحمه الله شيئًا، بل قد صرّح الإمام الزّاهد أنه قيل: معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ فإن لم تؤمنوا بتحريم الرّبا كفرتم فتبصرون حربًا لله ورسوله. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ﴾، أي من الارتباء واعتقاد حلّه، أو من الارتباء فقط، فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها، ولا تُظلمون بالنقصان منها، فإن الرّبا وإنْ كان مزيد المال ظاهرًا، ولكنه ينقص في نفس الأمر، لأنه يُذهب بركة المال الذي يدخله، وإنْ لم تتوبوا من اعتقاد الحلّ تُظلمون أنتم بعدم إعطاء رأس المال، ويكون مالكم فيء حينئذ للارتداد، هكذا يخطر بالبال. وقد أعجب صاحب البيضاوي حيث قال: أو وإنْ تُبتم من الارتباء واعتقاد الحلّ، ثم قال ثانيًا: ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم فهو سديد على ما قلنا، وأنّ المُصِرّ على التحليل مرتدّ ومالُه فيء، هذا كلامه. وقدّر صاحب الكشاف أولًا: وإن تبتم من الارتباء فقط. وحكم ثانيًا بأنّهم إنْ لم يتوبوا يكون مالهم فيئًا للمسلمين، ولم يتعرّضه غيرهما وقدر من الارتباء فقط.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ﴾، نزل أيضًا في شأن بني ثقيف حين طالبوه بني مغيرة بأصل الدَّيْن زجرًا وتعجيلًا وتابوا عن الرّبا واستمهل بنو مغيرة من بني ثقيف إلى وقت اليسار عجزًا وتأجيلًا، ولفظة كان تامّة في قراءة الجمهور، وذو عسرة اسمه. وفي قراءة عثمان؛ ذا عسرة خبر كان، فهي ناقصة والضمير

نزلت في (**ثقيف**). وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند (**المحل**) بالمال والربا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان فإن دليل كماله امتثال المأمور به.

للمديون، والمعنى: إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة، أو إن كان المديون ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، أي فالحكم أو الأمر انتظار إلى يساره، أي انظروا يا أيها الدّائنون إلى يسار المديون، ولا تعجلوا بطلبه، لأنه مضطرّ في هذا الباب. وبهذه الآية تمسّك صاحب الهداية في كثيرٍ من المواضع، منها ما قال في كتاب أدب القاضي: أنه يحبس القاضي المديون بطلب الغريم، فإن لم يظهر له مال خلّى سبيله، يعني مضيّ المدة؛ لأنه استحقّ النَّظرة إلى الميسرة، فيكون حبسه بحدّ ذلك ظلمًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾، أي تصدّقكم برؤوس أموالكم كلّها أو بعضها بإبراء على من عسر من غرمائكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، أي أكثر ثوابًا أو خيرٌ لكم مما تأخذون ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فضيلته. وقيل: المراد بالتصدّق الإنظار؛ لقوله عليه السّلام: «**لا يحلّ دَيْن رجل مسلم فيؤخّره إلا كان له بكلّ يوم صدقة**»، هكذا ذكروا. ولكن على هذا التوجيه الأخير يكون قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بعينه مفهوم قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ كما لا يخفى، بل يلزم التناقض بينهما ظاهرًا، فإنّ مفهوم الأوّل انتظار واجب، ومفهوم الثاني انتظار مستحبّ. وذكر الإمام الزّاهد قصة الآية بتفصيل طويل، وذكر أنها على رواية نزلت في شأن عباس رضي الله تعالى عنه حيث أربى للناس، فحين أسلم أراد أن يردّه فقيل له: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فقال العباس: أنا مؤمن وترك الرّبا، وحين سمع العباس رضي الله تعالى عنه تمام الآيات، قال: تُبْت وتركت رؤوس أموالهم وتصدّقت عليهم. وإن الآية ردٌّ على المعتزلة حيث سمّى آكل الرّبا مؤمنًا، مع أنه من أفحش الكبائر، هذا ما قاله. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (ثقيف) حيٌّ من اليمن. اهـ مصباح. **قوله**: (المحل) ـ بالكسر ـ وقت حلول الأجل.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ **(فاعلموا بها)** من (أذن) بالشيء إذا علم، يؤيده قراءة الحسن فأيقنوا. («فآذنوا»: **حمزة وأبو بكر غير ابن غالب**). فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لأن هذا أبلغ، لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله. ورُوِيَ أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ من **(الارتباء)** ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ المديونين بطلب الزيادة عليها ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان منها.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ **(وإن وقع غريم)** من غرمائكم ذو عسرة ذو إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ **(فالحكم)** أو فالأمر نظرة أي إنظار ﴿إِلَىٰ (مَيْسَرَةٍ)﴾ يسار. «ميسرة» **(نافع)**

قوله: (فاعلموا بها) أي الحرب لأنها تؤنّث وتُذكّر. **قوله:** (من أذن) بمعنى علم، وآذن بمعنى أعلم. **قوله:** (قراءة **الحسن**) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه من الشواذ. **قوله:** (﴿فآذنوا﴾) بألف بعد الهمزة المقطوعة وكسر الذال من آذنه بكذا أعلمه؛ كقوله تعالى: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٩] سواء. (**حمزة وأبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم (**غير ابن غالب**) أي جعفر بن غالب اليشكري. والباقون بوصل الهمزة وفتح الذال أمر من أذن بالشيء إذا عَلِم به. **قوله:** (**الارتباء**) فعل الرّبا وتثبيته.

قوله: (**وإن وقع غريم**)... الخ. يريد إن كان تامّة بمعنى وقع ووجد فتتمّ بفاعلها ولا تحتاج إلى خبر منصوب. والعسرة اسم بمعنى الإعسار، يقال: أعسر الرجل إذا صار إلى حالة العسرة، وهي الحالة التي يتعسّر فيها وجود المال. والنظرة اسم بمعنى الإنظار وهو الإمهال، قال تعالى: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ [الحجر: الآية ٣٦] أي أمهلني. **قوله:** (**فالحكم**) الخ.. على أن الفاء فاء جواب الشرط، ونظرة خبر مبتدأ محذوف. **قوله:** (﴿مَيْسُرَةٍ﴾) بضم السين (**نافع**). والباقون

وهما لغتان ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ (**بالتخفيف**): عاصم، أي تتصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على مَن أعسر من غرمائكم. وبالتشديد: غيره فالتخفيف على حذف إحدى التاءين، والتشديد على الإدغام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في القيامة، وقيل: أُريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام: «لا يحل دين رجل مسلم (**فيؤخره**) إلا كان له بكل يوم صدقة» ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم (**فتعملوا به**) جعل مَن لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه.

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿(وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ) فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ «ترجعون»: (**أبو عمرو**) فرجع لازم ومتعدٍ. قيل: هي آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعها (**في رأس المائتين وثمانين**) من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها أحدًا وعشرين يومًا أو أحدًا

بالفتح. **قوله: (بالتخفيف)** أي تخفيف الصاد على حذف إحدى التائين. **قوله: (فيؤخره)** مرفوع معطوف على يحل والنفي مُنسحب على المجموع، بمعنى لا يكون حلول يعقبه تأخير، وإلا كان استثناء مفرغ في موضع صفة رجل أو حال، والمعنى كلّما كان هكذا كان ذاك. **قوله: (فتعملوا به)**، فنفي العلم كناية عن نفي العمل.

قوله: (﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا﴾) انتصب يومًا على المفعول به لا على الظرف؛ لأنه ليس المعنى: واتّقوا في هذا اليوم، لكن المعنى: تأهّبوا للقيامة بما تقدِّمون من العمل الصالح، ومثله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المُزمّل: الآية ١٧]، أي فكيف تتّقون هذا اليوم الذي هذه صفته مع الكُفْر بالله تعالى. **قوله:** (﴿تُرْجَعُونَ﴾) مبنيًا للفاعل (**أبو عمرو**) البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بالبناء للمفعول.

قوله: (في رأس المائتين وثمانين) تقدَّم أن السورة مائتان وستّ وثمانون آية، فتكون هذه الحادية والثمانين وآية الدَّين الثانية والثمانين، وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٣] الثالثة والثمانين، وقوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى: ﴿قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] الرابعة والثمانين، وقوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى ﴿الْمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥] الخامسة والثمانين، وقوله: ﴿لَا

وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ (أي جزاء ما كسبت) ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصان الحسنات وزيادة السيئات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾) أي إذا داين بعضكم بعضًا.

﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] إلى آخر السورة السادسة والثمانين. اهـ. **قوله: (أي جزاء ما كسبت)** يشير إلى أنه على تقدير مضاف.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾). . . الخ. معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ إذا تداين بعضكم بعضًا بدين، أي تعاملتم بدين مؤجّل إلى أجلٍ مسمّى، أي مدّة معلومة فاكتبوه ـ أي ذلك الدَّيْن ـ وهذه الآية وإنْ كانت ظاهرة في كل دين، سواء كان مبيعًا أو ثمنًا، إلّا أنه نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ المراد به السّلم. وبهذا المعنى قال في الهداية: السّلم عقد مشروع بالكتاب، وهو آية المُداينة. فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أشهد أن الله تعالى أحلّ السّلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه، وأنزل فيها أطول آية في كتابه، وتلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ الآية، هذا لفظه. وقد عُلِم من ذلك حدّ السّلم أيضًا، وهو بيع الشيء على أن يكون دينًا على البائع بالشرائط المُعتبرة شرعًا، فالمبيع يسمّى مسلّمًا فيه، والثمن رأس المال، والبائع

....

مسلّمًا إليه، والمشتري ربّ السلم. وفي الزاهدي: أنّ الآية عامّة في السّلم وكل دين يصحّ فيه الأجل، نحو الأثمان وعقود التجارات إلا القرض، فإنّه لم يدخل فيها لأنه لا يقبل الأجل، وأنه ليس بعقد المُداينة. والفرق بين القرض والدَّيْن أنّ القرض ما يكون بجنسه مثل أن يقرضه درهمًا الآن ليُعطيه درهمًا عِوضه غدًا، أو يقرض شعيرًا ليعطيه مثله ولا يقبل التأجيل، ومعناه: إذا وعد إلى مسمّى معيّن له، فله المطالبة قبله. وقد أمر الله تعالى بالقرض الحسن ندبًا في أكثر المواضع. ومعنى القرض الحسن أن لا يُطالبه من عند نفسه، وإن أعطاه المستقرض لا يأخذ عليه زيادة ولا يَجُرّ بِهِ نفعًا، وهو في معنى التصدّق، ولهذا قيل: القرض سؤال، والدَّيْن ما يكون على خلاف الجنس، ويكون واجبًا في الذِّمّة، ويكون المطالبة حين الأجل مثل ثمن المبيع ونحوه، ولعلّه لهذا الفرق قال: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ ليخرج القرض. وقالوا: إنما احتيج إلى ذكر قوله تعالى: ﴿بِدَيْنٍ﴾ ولم يقل: إذا تداينتم إلى أجلٍ مسمّى ليكون مرجعًا للضمير الذي في قوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾، لأنه راجع إلى قوله تعالى: ﴿بِدَيْنٍ﴾، فلو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكتبوا الدَّيْن فلم يكن النظم بذلك الحسن، ولئلّا يتوهم أن التداين بمعنى المجازاة، كما قيل: دناهم كما دانوا، ولأنه يعلم منه أن الدَّيْن نوعان: حالّ ومؤجّل، ولا يخفى عليك أن تنويع الدين إلى النّوعين إنما يُفهم من قوله تعالى: ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ لأنه عُلِم منه أن الكتابة إنما يشترط إذا كان الدَّيْن إلى أجلٍ مسمّى. أمّا إذا كانت لا إلى أجل لا يشترط الكتابة إلّا أنْ يقال: يعلم منه ذلك صريحًا. ثم إنّهم اختلفوا فيما بينهم، فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: يجوز السّلم حالّا ومؤجّلًا، وعندنا لا يجوز إلّا مؤجّلًا، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾، كما قال صاحب المدارك، وفيه دليل على اشتراط الأجل في السّلم، ولكن بعد إمعان النظر لا يصلح دليلًا؛ لأن مفهوم الآية شرط الكتابة في الدَّين المُؤجّل، ولا يُفهم منه أن السّلم لا يجوز إلّا مؤجّلًا، ولعلّه لأجل هذا المعنى لم يحتجّ به صاحب الهداية بل احتجّ بالحديث، حيث قال: ولنا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إلى أجل معلوم**» فيما روينا، ثم الأجل المسمّى وأن يكون مدّة معلومة بحيث لا يفضي إلى المُنازعة، مثل أن يقول: إلى شهر أو سنة أو غير ذلك، لا أن يقول: إلى الحصاد والدياس أو قدوم

....

الحاجّ أو غير ذلك، لأنها تفضي إلى المُنازعة، فينبغي أن يكون السّلم مؤجّلًا بأجلٍ معلوم، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿مُسَمًّى﴾، والأجل أدناه شهر، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: أكثر من نصف يوم، والأوّل أصح.

وجملة ما يشترط في السلم عند أبي حنيفة رضي الله عنه سبع شرائط: (جنس) معلوم، مثل أن يقول: حنطة أو شعير. ونوع معلوم، مثل أن يقول: سقية أو بخسية. وصفة معلوم، مثل أن يقول: جيّد أو رديء. ومقدار معلوم، مثل أن يقول: عشرين كيلًا أو ثلاثين ذراعًا. وأجل معلوم، وفيه خلاف الشافعي رضي الله تعالى عنه. ومعرفة مقدار رأس المال. وتسمية المكان الذي يوفيه فيه، وفيها خلاف أبو يوسف ومحمد رحمهما الله، فهذه سبع شرائط مذكورة في الفقه مفصّلًا.

وأمّا كتابة الدَّيْن التي أمرنا الله بها في قوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾، فجمهور المفسّرين على أنّه للندب والاستحباب، وليس بشرط واجب لجواز الدَّين والسّلم بدونها، وإنما أمرنا بها لأن ذلك أوثق وآمن من النّسيان، وأبعد من الجحود. ثم شرط في الكتابة كتابة العدل، حيث قال: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾، أي وليكتب كاتب متّصف بالعدالة مأمون على ما يكتب، أي يكون كاتبًا بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يُكتب ولا ينقص عنه. وفيه دليل على أن يكون الكاتب فقيهًا عالمًا بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلًا بالشرع، وهو في الحقيقة أمرٌ للمتداينين باختيار الكاتب، وأن لا يستكتبوا إلّا فقيهًا متديّنًا حتى يكتب ما هو متّفق عليه، هكذا في المدارك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ نهيٌ للكاتبين عن ترك الكتابة أولًا، ثم أمر لهم بها ثانيًا. وقوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ إمّا متعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ﴾، أو بقوله تعالى: ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٨٢]، وعلى الأوّل يكون نهي مقيّد، ثم الأمر به كذلك. وعلى الثاني نهيٌ مطلق، والأمر مقيّد، والمآل واحد، والتشبيه إمّا بيان الكتابة الحقّة أو ترغيب في حقّ النفع.

....

وحاصل المعنى: لا يمتنع أحد من الكاتبين أن يكتب مثل ما علّم الله كتابة الوثاق لا يبدّل ولا يغيّر، فليكتب تلك الكتابة البتّة لا يعدل عنها. والمعنى: لا يأب كاتب أن ينفع بكتابته كما نفعه الله بتعليمها، فليكتب البتّة، وهذا كما قيل أحسن كما أحسن الله إليك.

وبالجملة هذه الكتابة على قولٍ فرض كفاية، وعلى قولٍ فرض عين، بشرط فراغ الكاتب. وعلى قولٍ كان فرضًا ثم نُسِخ بما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾. وعلى قولٍ الأمر للندب، كذا في الحسيني. وفي الزاهدي: أن هذا الأمر كان في ابتداء الإسلام لقلّة الكاتبين والشهداء ولعسر الحال على المسلمين، فأمر أن يكتب كلّ مَنْ كان كاتبًا ويشهد كلّ مَنْ كان شاهدًا لئلا يضيع الحقوق، ثم نُسِخ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾.

وأقول: يمكن أن يصرف الحرمة أو الوجوب إلى القيد، وهو قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾، أي لا يأب كاتب أن يكتب بالعدالة، أو فليكتب بها. وقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ بيان للإملاء، والإملاء وإملال واحد، يعني أن الكاتب وإنْ كان غير المتعاقدين ثالثًا عادلًا، ولكن صاحب العبارة وإملاء يجب أن يكون من عليه الحق، أي المديون عليه، وهو البائع في بيع السّلم، وليس المراد منه أنّ الكاتب يكون ما يكتب الكاتب بعين عبارة المديون عليه؛ إذ ربما يعجز الإنسان عن عبارة عربية أو فارسيّة، بل المراد أن يكون إقراره بعينه بحضور تلك المعاملة بأيّ لسان كان، وإنما يشترط ذلك لأنه هو المشهود على إثباته في ذمّته وإقراره به، فيكون ذلك إقرارًا على نفسه بلسانه. ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾، أي أن يتقّ الذي عليه الدين ربّه في ذلك الإقرار، فلا يمتنع عن الإملاء، فيكون جحود الكلّ حقّه، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ﴾، أي ولا ينقص من الحقّ الذي عليه شيئًا في الإملاء، فيكون جحود البعض حقّه، وهذا كلّه حكم مَنْ يستطيع الإملاء. وأمّا حكم غيره، فبيانه في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾، يعني: فإن كان المديون عليه سفيهًا ـ أي ناقص العقل ـ أو ضعيفًا ـ أي صبيًا ـ أو شيخًا فانيًا، أو كان ممّا لا يستطيع أن يملّ لخرس، أو جهل باللغة وغير ذلك، ﴿فَلْيُمْلِلْ﴾ فليعبّر وليّه إملاءً ﴿بِٱلْعَدْلِۚ﴾ أي بالصدق والحقّ. وقال في البيضاوي في تفسير الوليّ

يقال: داينت الرجل إذا عاملته بدين (**معطيًا أو آخذًا**) ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة معلومة (**كالحصاد**) أو (**الدياس**) أو رجوع الحاج، وإنما احتيج إلى ذكر الدين ولم يقل إذا تداينتم إلى أجل مسمى ليرجع الضمير إليه في قوله: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ إذ لو لم يذكر (**لوجب أن يقال فاكتبوا الدين**) فلم يكن النظم بذلك الحسن، (**ولأنه أبين لتنويع الدين**) إلى مؤجل وحال. وإنما أمر بكتابة الدين لأن ذلك أوثق وآمن

هنا: أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيّم إنْ كان صبيًّا أو مختل عقل أو وكيل أو مترجم إنْ كان غير مستطيع، وهو دليل على جريان النيابة في الإقرار، ولعلّه مخصوص بما يتعاطاه القيّم أو الوكيل، هذا لفظه. وهكذا فسّره صاحب الكشاف، ولم يذكر دليل جريان النّيابة في الإقرار، وليس في كتب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ما يدلّ على جوازه أو نفيه، غير أنّهم قالوا: إذا أقرّ الوكيل بالخصومة على موكله جاز عند القاضي، ولم يجز عند غيره، خلافًا للشافعي رضي الله تعالى عنه.اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (معطيًا أو آخذًا) أي معطيًا إيّاه عينًا، أو آخذًا منه عينًا، كما تقول: بايعته إذا بعت منه شيئًا، أو باع منك شيئًا، وهذا معنى: بعته وباعك، على ما قال في الأساس: بعته الشيء وبعته منه. **قوله: (كالحصاد)** للزرع بفتح الحاء وكسرها.اهـ مختار الصحاح. **قوله: (الدياس)** ـ بكسر الدال ـ هو دوس الحبّ بالقَدَم لينتشر، وأصله الدوّاس بالواو، لأنه من الدَّوس قلبت ياء لكسرة ما قبلها.اهـ فتح القدير للعلّامة ابن الهُمام عليه رحمة الله ذو الجلال والإكرام. **قوله: (لوجب أن يقال: فاكتبوا الدَّيْن)** أمّا وجوب ذلك فلأنّ المستحب كتابة الدَّيْن، أي القدر المعلوم الثابت في الذمّة، حتى لو كتب ذلك من غير ذكر للمعاملة لكفى. وأمّا عدم حسن النظم ح، فأمر ذوقي يُعرف به العارف بأساليب الكلام وينبّه عليه أنّك لو قلت: إذا تداينتم إلى أجلٍ مسمّى فاكتبوا الدَّيْن كان أمرًا بكتبه ما لم يذكر في مضمون الشرط، وتركًا لما ذُكِر. فإنْ قيل: فليقل: فاكتبوه ـ أي الدَّيْن ـ لدلالة تداينتم عليه، لما مرّ من أنه المعاملة بالدَّيْن. قلنا: لا نعلم عَوْد الضمير إليه، لأن عوده إلى المصدر ـ أعني التداين ـ أو إلى أجل أظهر على أنه يُوهم الأمر بكتابة ما هو باطل في نفسه ـ أعني التداين ـ بمعنى معاملة الدَّين بالدَّين ومقابلته به.اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (ولأنه أبين لتنويع الدَّين)** كأنه يجعل إلى أجل صفة دَيْن.

من النسيان وأبعد من الجحود، والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجّل فاكتبوه **(والأمر للندب)**. وعن ابن عباس ﷺ أن المراد به السلم وقال: لما حرم الله الربا أباح السلف. وعنه: أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه **(أطول آية)**، وفيه دليل على اشتراط الأجل في السلم ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾ بين المتداينين ﴿كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ﴾ **(هو متعلق بـ «كاتب»)** صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص، وفيه دليل على أن يكون الكاتب فقيهًا عالمًا بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلًا بالشرع، وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيهًا دينًا حتى يكتب ما هو متفق عليه ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ ولا يمتنع واحد من **(الكتاب)** ﴿أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بأن يكتب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تلك الكتابة لا يعدل عنها ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به فيكون ذلك إقرارًا على نفسه بلسانه. **(والإملال)** والإملاء لغتان ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ وليتق الله الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الإملاء فيكون جحودًا لكل حقه ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئًا في الإملاء فيكون جحودًا لبعض حقه ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي مجنونًا لأن السفه خفة في العقل أو محجورًا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ صبيًا ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ

قوله: (والأمر للندب)، والآية تشمل كل ما يؤجل شرعًا، أو هي مخصوصة بالسَّلم، كما هو الظاهر وهو المنقول في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وإليه أشار المصنف رحمه الله. **قوله: (أطول آية)** أي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ الآية. **قوله: (هو متعلق بكاتب)** تعلّق التابع بالمتبوع، وإنْ كان بحسب الإعراب معمولًا لمحذوف، أي كائن بالعدل متلبّس به.

قوله: (الكتّاب) جمع كاتب مثل ما علّمه الله كتابة الوثائق مُشْعر بأن ما مصدرية أو كافّة، والجار والمجرور إمّا في موضع المفعول المطلق أو المفعول به مفعول علم محذوف، أي يكتب على الوجه الذي علّمه الله. **قوله: (والإملال)** بمعنى الإلقاء على الكاتب ما يكتبه، وفعله أمْلَلْتُ ثم أبدل أحد المضاعفين ياء، وتبعه المصدر فيه، وأُبدلت همزة لتطرفها بعد ألف زائدة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:**

﴿هُوَ﴾ **(لعيّ به)** أو **(خرس)** أو جهل باللغة ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ الذي يلي أمره ويقوم به ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ بالصدق والحق (﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ﴾ **واطلبوا**) أن يشهد لكم شهيدان على الدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ **(من رجال المؤمنين)**.

(لعيّ به) في مختار الصّحاح: العيّ ضد البيان، وقد عيّ في منطقه فهو عَيٌّ على فعل وعيى يعيَى كرضي يرضى، فهو عييّ على فعيل، ويقال: عيّ بأمره وعيي إذا لم يهتدِ بوجهه، والإدغام أكثر. اهـ. وفي المصباح: عَيِي بالأمر، وعن حجته يَعْيا من باب تعِب عيًّا عجز عنه، وقد يُدغم الماضي فيقال: عَيَّى فالرجل عيٌّ وعيي على فَعْل وفعيل، وعي بالأمر لم يهتد لوجهه. اهـ. **قوله: (خرس)** في مختار الصحاح: خَرِس من باب طرب، فهو أخرس. اهـ. وفي المصباح: خرس الإنسان خَرَسًا مُنِع الكلام خلقة، فهو أخرس، والأُنثى خرساء، والجمع خُرْس، والخرس وزن قفل طعام يُصنع للولادة. اهـ.

قوله: (﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ﴾)... الخ. فقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ عطف على قوله: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾، فالله تعالى أمرنا بأخذ الاستشهاد حين عقد الدَّيْن، كما أمرنا بكتابته ليكون تمسّكًا عند الإنكار، ثم نوّع ذلك على نوعين: الأوّل: أن يكون الشاهد رجلين، والثاني: إن لم يكن الرجلان موجودين فرجلٌ واحد وامرأتان قائمتان مقام رجل آخر، وفي جعل المرأتين قائمة مقام رجل حال كونهما مع رجل آخر إشارة إلى أنهما لا تقومان مقام رجل واحد مطلقًا حتى يجوز شهادة أربعة نسوة مقام رجلين، بل لا يجوز شهادتهنّ على الانفراد إلّا فيما لا يطّلع عليه الرجال، مثل الولادة والبكارة وعيوب النساء، فإنه يُقبل فيها شهادة امرأة واحدة عندنا، وشهادة أربع منهنّ عند الشافعي ﷺ رضي الله تعالى عنه. ومثل هذه الشهادة ـ أي شهادة امرأتين مع رجل ـ مقبولة عندنا في جميع الأحوال ما عدا الحدود والقصاص، وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه في الأموال خاصّة. فالحاصل أن في الزّنا يجب شهادة أربعة من الرجال بالاتفاق؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: الآية ٤]. وفي غير الزّنا من الحدود والقصاص تُقْبل فيها شهادة رجلين فحسب بالاتفاق؛ لقول الزهري: مضت السنّة عن رسول الله ﷺ والخليفتين من بعده أنْ لا شهادة للنساء في الحدود والقصاص، فيعتبر ما هو الأصل وهو

....

شهادة رجلين فقط، وفي غير الحدود والقصاص إنْ كان ممّا لا يطّلع عليه الرجل يقبل شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، سواء كان مالًا أو غير مال عندنا. وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه: إنْ كان مالًا أو توابعه؛ كالبيع والشراء، وشرط الخيار والأجل والإجارة والإعارة وأمثاله يُقبل شهادة رجلين، كالولادة ونحوها، يقبل فيه شهادة امرأة واحدة عندنا، وأربعة منهنّ عند الشافعي، ودلائلها مذكورة في المطوّلات. ثم للشهادة شروط، منها: الإسلام والعدالة، وهما المذكوران في الآية. أمّا الأول، فلقوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾، إذ معناه فيما ذهبا إليه أنه يشترط إسلام الشهود في جميع الباب حتى لا يسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض؛ لأنه إنما ذكر ذلك في مقابلة المسلمين مع المسلمين، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ﴾، ولهذا حكم أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه يشترط إسلام الشهود فيما إذا كان على المسلمين، فلا يسمع شهادة الكفار إلا على الكفار خاصّة.

وأمّا الثاني، ففي قوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾؛ إذ المرضيّ المطلق هو العدل، فكأنه قيل: ممّن تعرفون عدالتهم وتعتمدون على صلاحهم، فينبغي أن يكون عادلًا، وبه تمسّك صاحب الهداية في باب الشهادة، ولكن قد صرّح في باب القضاء أنه لا ينبغي أن يقبل القاضي شهادة الفاسق، ولو قبل جاز عندنا. وقال الشافعي: الفاسق لا يقبل شهادته أصلًا، ولعلّه لهذا المعنى قال صاحب المدارك: وفيه دليل على أن غير المرضيّ شاهد؛ لأن مفهوم الآية استشهدوا شهيدين من الشهداء الذين ترضون منهم، فعُلِم أن من الشهداء مَنْ لا ترضون منهم، لعلمكم بعدم عدالتهم، فيكون الشاهد أعمّ من أن يكون عادلًا أو لا.

وأمّا البواقي من الشروط، وهي: الحرية والبلوغ والضبط ولفظ الشهادة، فسيُعرف في مواضعها، ويمكن أن يثبت شرطية الضبط من قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾، سواء قرىء: أن تضلّ ـ بفتح أن أو كسرها ـ على أنها مصدرية بتقدير الإرادة أو شرطية، وتذكّر بنصب الراء على أنها معطوفة على تضلّ، أو رفعها على أنها جزاء الشرط، أو تذكر ـ بالتخفيف ـ من الإذكار بيان لوجه احتياج المرأتين عوض رجل واحد؛ إذ معناه: إنما جُعلت المرأتان مقام رجل واحد، ولم يكتفِ بواحدة منهما لأجل إن نسيت إحداهما الشهادة فتذكّرها

....

بها صاحبتها الأخرى؛ لأن النسيان في المرأة غالب. وفي الكشاف: أنه يبعد من الله إرادة الضلالة، فكأنّ العبارة على القلب، أي إرادة أن تذكر إحداهما حين تضلّ إحداهما، ولعلّه إنما احتاج إلى ذلك رعايةً لمذهبه في الاعتزال، كما لا يخفى. وإنما مال إليه القاضي البيضاوي نظرًا إلى الواقع؛ إذ الفرض هو الإذكار دون النسيان. وبالجملة، فقد عُلِم أن الضبط شرط في الشاهدين، فلو ينسى أحدهما وصف المشهود به أو قدره أو وقته أو إمكانه أو خالف أحدهما الآخر في هذه الأشياء يردّ كلاهما، ولا يقبل الشهادة. وهكذا اشتراط لفظ الشهادة يمكن أن يثبت من هذه الآية ومن جميع ما ذُكِر فيها بيان الشهادة، كما صرّح به صاحب الهداية، حيث قال: وأما لفظ الشهادة، فلأن النصوص نطقت باشتراطها؛ إذ الأمر فيها بهذا اللفظ حتى لو لم يذكر لفظ الشهادة، بل قال: أعلم أو أتقن لم يقبل شهادته، هذا لفظه. وكذا على ما ذكر في الحسيني من أن معنى قوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْۖ﴾ من رجال المسلمين الأحرار البالغين، ويمكن أن يثبت به شرط الحرّية والبلوغ أيضًا من الآية، كما لا يخفى. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾ يحتمل معنيَين: أحدهما: أن يكون معناه: لا يأبَ الشهداء لأداء الشهادة بعدما تحمّلوا أوّلًا إذا ما دعوا إلى مجلس الحكم، فيكون ذلك بمعنى الأمر للوجوب. وثانيهما: أن لا يأبَ الشهداء لتحمّل الشهادة، فسمّوا شهداء باسم ما يؤول، فيكون ذلك بمعنى الأمر للندب، أو يكون منسوخًا بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾. وفي الكشاف عن قتادة: كان الرجل يطوف في الحِواء[1] ـ أي المجمع العظيم ـ فيه القوم فلا يتبعه منهم واحد، فنزلت. وصاحب الهداية: قد جزم بالمعنى الأوّل حيث قال في أوّل كتاب الشهادة: إن الشهادة فرض يلزم الشهود ولا يسعهم كتمانها إذا طالبهم المدّعي؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾، ولكن ينبغي أن يُعْلَم أنّ هذا في غير الحدود. وأمّا الشهادة في الحدود، فيتخيّر فيها الشاهد بين السّتر والإظهار، بل السَّتر أفضل؛ لقوله عليه السلام: «**من ستر على مسلم ستر الله تعالى عليه في الدنيا والآخرة**»، ولكن في السرقة يجب أن يشهد

---

(١) الحِوَاء ـ ككتاب ـ المكان الذي يحوي الشيء، أي يجمعه ويضمّه. ١٢ منه عم فيوضهم.

(والحرية والبلوغ) شرط مع الإسلام (**وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا**) ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ فإن لم يكن الشهيدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ (**فليشهد رجل وامرأتان**) وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ ممن تعرفون عدالتهم، (**وفيه**) دليل على أن غير المرضي شاهد ﴿(أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا) فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ لأجل أن تنسى إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى «إن تضلّ إحداهما» (**على الشرط «فتذكر» بالرفع والتشديد: حمزة**

بالمال، فيقول: أخذ المال إحياءً لحقوق المسروق منه، ولا يقول سرق محافظة على السّتر. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (واطلبوا)... الخ. مستفاد من السين. **قوله:** (**من رجال المؤمنين**) مستفاد من إضافة رجال إلى كم لأنه وصف الشهيدين بكونهما من رجال المخاطبين، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، والكافر ليس بعضًا من المؤمنين.

قوله: (**والحرية**) تستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾؛ إذ يُفهم منه أن الشهود يجب عليهم الذهاب إلى موضع الشهادة، وقد انعقد الإجماع على أن العبد إذا لم يأذن له السيّد حرم عليه الذهاب، فلا يكون العبيد أهلًا للشهادة. **قوله:** (**والبلوغ**) مُستفاد من قوله: رجال؛ إذ الرجل ذكر جاوز حدّ الصغر. **قوله:** (**وشهادة الكفّار بعضهم على بعض مقبولة عندنا**) يقبل شهادة الذمّي بعضهم على بعض، وإن اختلف مِلَلهم، والحربي على مثلها على الذمي. اهـ كافي. اهـ محشي رحمه الله. **قوله:** (**فليشهد رجل وامرأتان**) الأنسب، فالشهيدان هما رجل وامرأتان؛ إذ المأمور هم المخاطبون لا الشهداء. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**وفيه**) دليل على أن غير المرضي شاهدٌ، كذا في بعض النسخ. وفي النسخ الصحيحة: وفيه دليل على أن غير المرضيّ لا يكون شاهدًا.

قوله: (﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾) بكسر الهمزة فالفعل مجزوم والفتح لالتقاء الساكنين (**على الشرط فتُذكّر بالرفع والتشديد**) أي بتشديد الكاف ورفع الراء. (**حمزة**) فالفاء في جواب الشرط ورفع الفعل للتجرّد عن الناصب والجازم. اهـ

كقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: الآية ٩٥]. «**فتُذْكِرَ**») بالنصب: (**مكي وبصري**) من (**الذِّكر لا من الذُّكر**) ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾ (**لأداء الشهادة أو للتحمل**) لئلّا تتوى حقوقهم، وسمّاهم شهداء قبل التحمل تنزيلًا لما يشارف منزلة

إتحاف. وقال العلّامة التفتازاني ﷺ: الفاء في الجزاء التقدير المبتدأ، وهو ضمير القصة أو الشهادة، ولا يخلو عن تكلّف بخلاف قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: الآية ٩٥]، أي فهو. اهـ. (**كقوله**) تعالى في سورة المائدة: (﴿وَمَنْ عَادَ﴾ [**الآية ٩٥**]) إلى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الإحرام (﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [**المَائدة: الآية ٩٥**]) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: فهو ينتقم الله منه، كذا أفاده المصنّف ﷺ. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم والكسائي وأبو جعفر وخلف أن ـ بالفتح ـ على أنها مصدرية ناصبة لتضلّ وفتحته إعراب وتذكّر بتشديد الكاف ونصب الراء عطفًا على تضلّ، (**فتذكّر**) أي إن تضل إحداهما فتذكر ـ بفتح أن وسكون الذال وتخفيف الكاف ونصب الراء ـ من الإذكار. (**مكّي**) أي ابن كثير المكّيّ (**وبصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. من أذكرته، أي جعلته ذاكرًا للشيء بعد نسيانه، فإنّ المراد بالضلال هنا النسيان فهمزة أذكرته للنقل والتعدية والفعل قبل النقل متعدّ إلى واحد، فلا بد بعد النقل من مفعول آخر، وليس في الآية إلا مفعول واحد، فلا بدّ من القول بأن الثاني محذوف، والتقدير: فتذكّر إحداهما الأخرى الشهادة بعد نسيانها إن نسيت من (**الذِّكر**) بالكسر (**لا من الذُّكر**) بالضمّ. في المصباح: ذكرته بلساني وبقلبي ذِكرَى بالتأنيث وكسْر الذال والاسم ذكر بالضم والكسر، نصّ عليه جماعة منهم أبو عُبيدة وابن قتيبة. وأنكر الفرّاء الكسر في القلب، وقال: اجعلني على ذُكر منك ـ بالضم ـ لا غير، ولهذا اقتصر جماعة عليه ويتعدّى بالألف والتضعيف فيقال: أذْكرتُه وذكّرته ما كان فتذكّر. اهـ.

قوله: (لأداء الشهادة أو للتحمّل)... الخ. كل واحد من المفعول الصريح ليأبى وغير الصريح لدعوا محذوف، والتقدير: ولا يأبَ الشهداء أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحقّ إلى آدائهم إيّاها إذا ما دعوا لأدائها، أو لإياب الشهداء تحمل الشهادة إذا ما دعوا لتحمّلها، واختار القفّال الثاني، حيث قال كما أمر الكاتب أن لا يأبى الكتابة كذلك أمر الشاهد أن لا يأبى تحمّل الشهادة؛ لأنّ كل واحد منهما

الكائن، فالأوّل للفرض والثاني للندب (﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ **ولا تملّوا**) قال الشاعر:

(**سئمت**) تكاليف الحياة ومَن يعش ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم

من مكارم الأخلاق لتضمّنه إحياء حقّ المسلم وقضاء حاجته وهو ما ندب إليه الشرع، حيث ورد «**إن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم**»، وتسميتهم شهداء قبل تحمّل الشهادة من قبيل تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، كما في نحو: من قتل قتيلًا.

قوله: (﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾)... الخ. فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ **عطف على** قوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ أو غيره من الجمل، وهو إعادة مسألة الكتابة تأكيدًا له وتخصيصًا عليه، والسَّأم الملال أو الكسل، والضمير في قوله تعالى: ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ للدَّيْن أو الحق أو الكتاب، ومعناه على الأوّلين: ولا تملّوا يا أيها المدائنون لكثرة مداناتكم أن تكتبوا الدَّيْن أو الحق صغيرًا كان أو كبيرًا، مختصرًا كان الكتاب أو مُشْبَعًا إلى أجله، فقال صاحب المدارك تحت التوجيهين الأوّلين: وفيه دليل على جواز السلم في الثياب؛ لأن ما يُكال ويُوزن لا يُقال فيه الصغير والكبير، وإنما يقال في الذرع، هذا لفظه. ومحصوله أن الصغير والكبير وكذا القليل والكثير، إنما يقال على الدَّيْن أو الحقّ باعتبار المسلم فيه، وإلّا فليس الغرض من كتابة الدَّيْن والحقّ مجرّد كتابة المسلَّم فيه، بل كتابة اسم المتداينين ومقدار رأس المال، والمسلّم فيه مع الجنس والنوع والصفة والقدر والمكان وغير ذلك، على ما عُرِف. وقد جرت عادتهم بإطلاق الصغير والكبير على الذرع، وإطلاق القليل والكثير على غيره، فيُفهم جواز السّلم في الثياب. وإنما أجرى هذا الكلام دفعًا لمن توهّم عدم جوازه من قوله عليه السّلام: «**من أسلم منكم فليسلم في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجلٍ معلوم**»، لأنه ردّ لمن خالف فيه حقيقة؛ إذ لم يوجد فيه مخالف ظاهر.

قال صاحب الهداية: ويجوز السلم في الثياب إذا بُيّن طولًا وعرضًا ورفعة؛ لأنه أسلم في معلوم مقدور التسليم، على ما ذكرنا. وإن كان ثوب حرير لا بدّ من بيان وزنه أيضًا، لأنه مقصود فيه، هذا كلامه. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى أن تكتبوه، أي كتابكم الدَّين أعدل عند الله وأقوَم للشهادة، أي أعْوَن على إقامتها وأدنى أن لا ترتابوا، أي أقرب من انتفاء الرَّيْب للشاهد والحاكم وصاحب الحقّ،

....

فإنه قد يقع الشكّ في المقدار والصّفات، وإذا رجعوا إلى المكتوبات زال ذلك. ولفظ أقسط وأقوم أفعل التفضيل من أقسط وأقام على مذهب سيبويه، أو من قاسط بمعنى قسط وقويم، وإنما صحّت الواو في أقْوم كما صحت في التعجّب لجموده، على ما في البيضاوي. وألف أدنى منقلبة من الواو؛ لأنه من الدنوّ، على ما في المدارك. وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا﴾ كما في قراءة آخرين، يعني إلا أن يكون التجارة أو المعاملة حاضرة تديرونها بين أيديكم، أي تعاملونها يدًا بيد، فحينئذ ليس عليكم جناح في ترك الكتابة لبعده عن التنازع والنسيان، والتجارة الحاضرة باعتبار الظاهر هو الإيجاب والقبول الحاضر، فإن أُجْري على معناه الحقيقي، فكلّ بيع سلمًا كان أو غيره يكون كذلك، فلمّا قُيِّد بقوله تعالى: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ خرج من البيعات ما كان الثمن أو المبيع مؤجّلًا أو غير حاضر في المجلس أو غير مقبوض فيه، وبقي ما كان البدلان مقبوضين فيه، سواء كان عَيْنًا بعين كما في المقايضة، أو ثمنًا بثمن كما في الصرف، أو عينًا بثمن كما في المطلق الحالي، وإن فسّر التجارة بما يُتَّجر من الأبدال، كما صرّح به صاحب الكشاف. خرج به المبيع والثمن المؤجل أو غير الحاضر في المجلس، ولكن لا يُفهم التقابض منهما فيه، فاحتاج إلى قوله تعالى: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾. وبالجملة، إذا كان البدلان مقبوضين في المجلس يرخّص في ترك الكتابة، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ يحتمل أن يكون متعلّقًا بكلّ ما سبق، أي إذا تبايعتم مطلقًا فأشهدوا لأنه أحْوَط، ويحتمل أن يكون متعلّقًا بالتجارة الحاضرة فقط، أي إذا تبايعتم هذا التبايع فأشهدوا، وعلى كل تقدير الأمر للندب، وعند البعض للوجوب، فإذا كان للوجوب فاختلف في أحكامه ونسخه، وهكذا الحال في جميع الأوامر التي سبقت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر، «ولا يضار» ـ بالكسر ـ ويحتمل البناء للمفعول لقراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ﴿ولا يضارّ﴾ بالفتح، فعلى الأول نهي إضرارهما للمدائنين بألا يجيئا أو يحرّفا في الكتابة والشهادة. وعلى الثاني نهي عن إضرار المدائنين لهما بأن يعجّلا ويكلّف الخروج للكتابة والشهادة، وبأن لا يُعطى الكاتب ولا الشهيد مؤنة

والضمير في ﴿أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ للدين أو الحق ﴿صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾ على أي حال كان الحق من صغر أو كبر، وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وإنما يقال في الذرعي، ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرًا **(أو مشبعًا)** ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾ إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارة إلى أن تكتبوه لأنه في معنى المصدر أي ذلك الكتب ﴿أَقۡسَطُ﴾ أعدل من القسط وهو العدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ظرف لأقسط ﴿وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ وأعون على إقامة الشهادة **(وبنى فعلا التفضيل)** أي «أقسط» و«أقوم» من أقسط وأقام على مذهب سيبويه ﴿وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم

مجيئه حيث كان، فحينئذ يكون ناسخًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾ على قول. وعلى كل تقدير، فالضرار منهيٌّ، ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ أي الضرار، ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾ ومأثم بكم وإنما كرّر لفظ الله في ثلاث جمل متّصلة، أعني قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، و﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾، و﴿ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لكون كلّ منها مستقلاً، ولأنه أدخل في التعظيم من الكتابة. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (ولا تملوا) في المصباح: مَلِلْتُهُ ومَلِلْتُ منه من مَلَلًا من باب تَعِب وملالا سَئِمْت وضَجِرْتُ، والفاعل ملُولٌ. اهـ. **قوله: (سئمتُ)** أي مللت. في المصباح: سئمته أسأمه مهموز من باب تعب سآمًا وسآمة، بمعنى ضجرته ومللته ويعدّى بالحرف أيضًا سئمت منه، وفي التنزيل: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٩]. اهـ.

قوله: (أو مشبعًا) بالباء الموحدة بزِنَة المفعول مجاز، بمعنى الطول. **قوله: (وبنى فعلا التفضيل)**. . . الخ. قال الجوهري: القسوط الجور والعدول عن الحقّ، يقال: قسط يقسط قسوطًا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ١٥﴾ [الجن: الآية ١٥]، والقسط ـ بالكسر ـ العدل، تقول منه: أقسط الرجل فهو مُقسط، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٤٢] انتهى كلامه.

فيكون همزة أقسط للسّلب كهمزة أشكيته وبناء أقسط لا يجوز أن يكون من قسط؛ لأنه ما جاء بمعنى عدل، بل معناه جار وانصرف عن الحقّ، وكذلك أقوم

وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك في المقدار والصفات وإذا رجعوا إلى المكتوب زال ذلك، وألف «أدنى» منقلبة من واو لأنه من الدنو (﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾) عاصم أي إلا أن تكون التجارة تجارة أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة (**غيره: تجارة حاضرة**) على «كان» التامة أي إلا أن تقع تجارة حاضرة، أو هي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر ﴿تُدِيرُونَهَا﴾ وقوله: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف لـ «تديرونها» ومعنى إدارتها بينهم تعاطيها يدًا بيد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ يعني إلا أن تتبايعوا بيعًا (**ناجزًا**) يدًا بيد فلا بأس أن لا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر بالإشهاد على التبايع مطلقًا ناجزًا أو (**كالئًا**) لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف، أو أُريد به وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كافٍ فيه دون الكتابة والأمر للندب ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ (**يحتمل البناء للفاعل**) لقراءة عمر رضي الله عنه «ولا يضارِر» وللمفعول (**لقراءة ابن عباس** رضي الله عنهما **«ولا يضارَر»**)

لا يجوز أن يكون مبنيًا من قام؛ لأن معناه ليس أكثر قيامًا، بل هو بمعنى أكثر إقامة، فهما مبنيّان من أقسط وأقام وبناء أفعل من الرباعي شاذّ مخالف للقياس، ويتوصّل إلى بناء اسم التفضيل مما ليس بثلاثي مجرّد بنحو أشدّ وأكثر، نحو: أشدّ استخراجًا وأكثر دحرجة، لكن سيبويه جوّز بناءه من أفعل مع كونه شاذًّا، نحو: أعطاهم للدينار والدّرهم، وأوْلاهم للمعروف، فيجوز كون أقسط وأقوم مبنيّين من أقسط وأقام. **قوله:** (﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾) بنصبهما عاصم فكان ناقصة واسمها مضْمر. **قوله: (غيره:** «**تجارةٌ حاضرةٌ**») برفعهما. **قوله: (ناجزًا)** أي حاضرًا.

قوله: (كالئًا) أي نسيئة. **قوله: (يحتمل البناء للفاعل)** فأصله لا يضارِر ـ بكسر الراء الأُولى ـ لقراءة عمر رضي الله تعالى عنه: ولا يضارِر، وللمفعول فأصله لا يضارَر بفتحها (**لقراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ولا يضارَر**) يعني أنّ كلمة لا في لا يضارّ ناهية والفعل مجزوم بها، إلا أنه فتحت الراء الأخيرة لأجل الإدغام وهربًا من اجتماع الساكنين، إلّا أن الفعل يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل بأن يكون أصله لا يضارِر ـ بكسر الراء الأُولى ـ فيكون الكاتب والشهيد هما الفاعلان للضّرار، ويكون المقصود نهيهما عن ضرار مَنْ له الحق. أمّا الكاتب،

والمعنى نهي الكاتب) والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما، وعن التحريف والزيادة والنقصان، **(أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا)** عن مهم **(ويلزّ)**، أولّا يعطي الكاتب حقه من **(الجعل)**، أو يحمل الشهيد **(مؤنة)** مجيئه من بلد (﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾) وإن تضاروا ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ فإن الضرار ﴿فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾ مأثم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ في مخالفة أمره ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ شرائع دينه ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ لا يلحقه سهو ولا قصور.

فبأن يزيد أو ينقص أو يترك الاحتياط. وأما الشهيد، فبأن لا يشهد أو يشهد بحيث لا يحصل منه نفع، ويحتمل أن يكون مبنيًا للمفعول، ويكون أصله لا يضارَر ـ بفتح الراء ـ ويكون الكاتب والشهيد قائمين مقام الفاعل، ويكون الكلام نهيًا لصاحب الحقّ عن ضرار الكاتب والشهيد بأن يحملهما على ترك مهماتهما حال اشتغالهما بها، أو بأن لا يعطى الكاتب حقّه من الجعل، أو يُحمّل الشهيد مؤونة مجيئه من بلده إلى مجلس الأداء.

قوله: (والمعنى نهي الكاتب)... الخ. يعني على تقدير المبني للفاعل. **قوله: (أو النهي عن الضّرار بهما)**... الخ. يعني على تقدير المبني للمفعول والمنهيّ ح هم المخاطبون أو المتبايعان. **قوله: (بأن يعجلا)** بالتخفيف من قولهم: أعجله عن مهمّه إذا ألجأه إلى تركه قبل الإتمام.

قوله: (ويلز) ألز الشيء بالشيء ألصقه وشدّه به شدًّا وثيقًا وبابه ردّ. **قوله: (الجعل)** ـ بالضم ـ الأجرة. **قوله: (مؤنة)** في المصباح: المؤنة الثّقل، وفيها لغات، إحداها: على فعولة بفتح الفاء وبهمزة مضمومة، والجمع مؤونات على لفظها، ومأنتِ القومَ أمانهم مهموز بفتحتين، قال الأزهري وغيره. واللغة الثانية: مُؤْنة بهمزة ساكنة. قال الشاعر:

أميرنا مؤْنَتُه خفيفة

والجمع مُؤَن مثل غرفة وغُرف. والثالثة: مُوْنة ـ بالواو ـ والجمع مُوَن، مثل سُورة وسُور، يقال منها: مانه يَمُونه من باب قال. اهـ. **قوله: (﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾)** إمّا كناية عن ضرار الكاتب والشهيد، فضمير إنه للضّرار. وإمّا على معناه والمفعول محذوف والضمير للفعل.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

(﴿وَإِن كُنتُمْ﴾) أيها المتداينون (﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾) مسافرين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ («فرهن»: **مكيّ وأبو عمرو**) أي فالذي يستوثق به رهن (**وكلاهما جمع رهن كسقف وسقف وبغل وبغال**)، ورهن في الأصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الأسماء.

قوله: (﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾). . . الخ. معناه: وإن كنتم يا أيها المتداينون مسافرين ولم تجدوا كاتبًا يكتب الدَّيْن، أو لم تجدوا الصحيفة والدَّواة، فعليكم رهانًا مقبوضة، أو فالذي يستوثق به رهان مقبوضة، أو فليؤخذ رهان مقبوضة، يعني أن حال وسع الكتابة لما كنتم معتمدين على الكتابة، فحين عدمه التوثيق بالرّهن كافٍ؛ إذ هو قائم مقام التوثيق بالكتابة، فاعتمدوا على الرّهن وارتهنوا من المديون عليه شيئًا من ماله بدل الدَّيْن حتى يكون لكم توثيق بسببه، فالمقصود أنه لمّا كان السفر مظنّة لعدم وجدان الكاتب والشاهد أمَرَ الدائن على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال بأن يقيم التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكَتْب والإشهاد؛ لأن السفر شرط تجويز الارتهان حتى لم يجز الارتهان إلّا في السفر، كما ظنّه مجاهد والضحاك؛ لأنّه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهوديٍّ بعشرين صاعًا من شعير أخذه لأهله، هكذا في البيضاوي وغيره. ولا يذهب عليك أنه لا يوافق الأصل المشهور للشافعي رحمه الله من أن التعليق بالشرط يوجب نفي الحكم عند عدمه حيث أقرّ بكلامه من هو رائيه في هذا المقام، وإنْ كان يصلح تمسّكًا لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فيما ذهب إليه، إلا أن يقال ذلك إنّما هو حيث لم يظهر للشرط فائدة أخرى، وقد ظهرت الفائدة هنا. وقال صاحب المدارك وغيره: وقوله تعالى: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ يدلّ على اشتراط القبض، لا كما زعم مالك أن الرهن يصح بالإيجاب والقبول بدون القبض، وهذا أعجب منه؛ لأن التعليق بالشرط، وكذا الوصف بالشيء لا يوجب نفي الحكم عند عدم ذلك الشرط أو الوصف، فلا يلزم أن الرهن الذي ليس بمقبوض لا يصلح وثيقة. نعم يصلح تمسّكًا للشافعي رضي الله تعالى عنه فيما ذهب إليه. وقد تمسّك صاحب الهداية بهذه الآية في مشروعية

....

الرهن، واشترط القبض جميعًا فقال أوّلًا: وهو مشروع بقوله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾، وقال ثانيًا في ردَّ مذهب مالك رضي الله تعالى عنه: ولنا ما تلوناه، والمصدر المقرون بحرف الفاء في محل الجزاء، يُراد به الأمر، هذا لفظه. وهو مُشعر بأنّ رهان مصدر مع أنه لا قائل به، لكن لا بأس بذلك؛ لأن الرهن كان في الأصل مصدرًا ثم سُمِّي به وجمع جمع التكثير. وبيان الاحتجاج أن معنى الآية حينئذ إنْ لم يكن وسع الكتابة فارهنوا رهنًا مقبوضًا، فهو أمر، والأمر للإيجاب، والرهن مباح بالإجماع، فينصرف الوجوب إلى القيد، فيكون واجبًا بالقبض جائزًا بدونه؛ فعلى هذا يستقيم أن قوله تعالى: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ يدلّ على اشتراط القبض على طبق الأصول.

ثم لا يخفى أنّ الآية تدلّ على أن الرهن يكون بالدَّيْن، وأنه يجوز بالمسلم فيه، كما هو المعروف، وعلى أن الرهن مثل الكتابة والخطّ في كونها وثيقة، فينبغي أن لا يسقط بهلاك الدَّيْن، كما لا يسقط بهلاك الخطّ والصكّ، كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه خلافًا لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، تأمّل وأنْصف. وباقي أحكام الرّهن وشرائطه ومباحثه وبيان هلاكه ووضعه على يد العدل، وأنه لا يكون إلّا بالدَّيْن دون العين مذكور في كتب الفقه مفصّلًا مع استعجاب واستغراب. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، معناه إنْ أمِنَ بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنّه به، أي علم الدّائن أنّ هذا المديون صادق، يعني مُوفٍ للعهد غير خائن، فلم يستوثق منه بالكتابة ولا الشهود ولا الرهن، فليؤدّي الذي ائتمن من صاحبه، وهو المديون أمانته، أي دينه إلى صاحبه وليتّق الله ربّه، أي وليتّق المديون عليه الله ربّه في إنكار حقّه وليؤدّ إليه أداءً حسنًا جميلًا ولا يُنكره. وإنما سُمّي الدَّيْن أمانة مع أن الدَّيْن مضمون والأمانة غير مضمونة لائتمان الدّائن من المديون بترك الارتهان منه بدله، فكأنه أعطاه أمانة ووديعة. وقد ظهر هٰهنا أنّ الكتابة والإشهاد والرّهن كلها ندب لا فرض. وفي إطلاق لفظ الأداء على الدَّيْن إيماء بأنّ الدَّيْن وصف في الذِّمة لا يؤدّى إلّا بمثله، فكان أداء مثله أداء، وإنْ كان القياس أن يكون قضاء بخلاف الفرض، فإن ردّ عين ما قبض ممكن، فكان أداء مثله قضاء، وبهذا المعنى تيقّن الإمام فخر الإسلام

....

حيث أورد أداء القرض في القضاء وأداء الدَّيْن في الأداء وتَبِعه كثيرٌ من أهل الأصول في ذلك، هكذا يخطر بالبال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ خطاب للشهود في جميع الشهادات بالنّهي عن كتمان الشهادة للتحمّل والأداء بعدما اتّخذوا شهداء أوّلًا. وقيل: خطاب للمديونين والمراد من الشهادة حينئذٍ شهادتهم على أنفسهم فيما بينهم وبين الله تعالى، وعلى كل تقدير ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ أي الشهادة ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ أي كلّه، وإنّما أسند الإثم إلى القلب لأن الكتمان يعرّيه، كما يقال: العين زانية والأذن زانية، أو لأن القلب رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال. ألا يرى أن أصل الحسنات والسيّئات الإيمان والكفر، وهما من أفعال القلوب، فكأنه قيل: ومن يكتمها تمكّن الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزّور وكتمان الشهادة، هكذا قالوا.

ثم إنّه ذكر الإمام الزاهد: أنه ليس في القرآن آية أطول من آية المدائنة، وهي من أوّلها إلى آخرها في حقوق العباد ومصالحهم دينًا ودُنْيا؛ لأن الاستيثاق بالكتابة والشهود والرهن إصلاح ذات البَيْن ونفي التنازع والاختلاف، وفيه إصلاح الدِّين والدنيا وفي تركه إفساد ذات البَيْن وفيه ذهاب الدِّين والدنيا؛ إذ لو علم المديون بعدم التوثّق بشيء من الأُمور مال إلى الجحود، وفيه فساد دينه للإثم وفساد دنياه للمنازعة، وأيضًا فيه نهي عن تضييع المال وأمر بحفظه على أبلغ وجه وآكده، فسبحانه ما ألطف لعباده بيّن لهم معاش دنياهم ومصالح دينهم، فعليك أن تحتاط في حفظ أوامره ونواهيه، كما حفظ هو حقّك، هذا هو حاصل كلامه. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (فرهن) بضم الراء والهاء من غير ألف، **(مكّيّ)** أي ابن كثير المكّي هو **(وأبو عمرو)** البصري. والباقون: «فرهان» بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها. **قوله: (وكلاهما جمع رهن كسَقْف وسُقُف)** ولَحْد ولُحُد **(وبغل وبِغال)** وكعب وكِعاب وكلب وكِلاب وتمر وتِمار.

ولما كان السفر مظنة **(لإعواز)** الكتب والإشهاد، أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد لا أن السفر شرط تجويز الارتهان. وقوله: ﴿مَّقۡبُوضَةٞ﴾ يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك أن الرهن **(يصح بالإيجاب والقبول)** بدون القبض ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه **(به)** فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن ﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ دينه. وائتمن افتعل من الأمن وهو حثّ للمديون على أن يكون عند **(ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له)**، وأن يؤدّي إليه الحق الذي **(ائتمنه)** عليه **(فلم يرتهن)** منه.

(وسُمِيَ الدين أمانة) وهو مضمون **(لائتمانه عليه)** بترك الارتهان منه ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في إنكار حقه ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ﴾ هذا خطاب للشهود ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ ارتفع «قلبه» بـ«آثم» على الفاعلية كأنه قيل: فإنه يأثم قلبه، أو بالابتداء و«آثم» خبره مقدم **(والجملة)** خبر «إن». **(وإنما أسند)** إلى القلب وحده **(والجملة)** هي الآثمة لا القلب وحده، لأن كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب ولا يتكلم بها، **(فلما كان إثمًا مقترفًا)** مكتسبًا بالقلب أسند إليه لأن إسناد

قوله: (لإعواز) أي احتياج. **قوله: (يصح بالإيجاب والقبول)** أي يتمّ ويلزم ويترتّب عليه الحكم بمجرّد الإيجاب والقبول، وعند الآخرين لا يتم إلّا بالقبض. **قوله: (به)** أي بالمديون.

قوله: (ظنّ **الدائن به)** ضمير به **(وأمنه منه)** و**(ائتمانه وله)** للمديون وضمير **(أمنه)** و**(ائتمانه)** و**(إليه)** والمستكن في **(ائتمنه)** و**(لم يرتهن)** للدائن وضمير **(عليه)** للحقّ، وقوله: **(لائتمانه)** أي لائتمان الدائن المديون **(عليه)** أي على الدَّيْن بترك أخذ الرّهن منه.

قوله: (وسمّى الدَّين أمانة). . . الخ. جواب سؤال، وهو أن يقال: الأمانة غير مضمون والدَّيْن مضمون، فكيف سُمَي أمانة. **قوله: (والجملة)** أي آثم قلبه. **قوله: (وإنما أُسند)** أي الإثم. **قوله: (والجملة)** أي جملة من يكتمها. **قوله: (فلمّا كان)** أي الكتمان **(إثمًا مقترفًا)** فالاقتراف الاكتساب.

الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها (أبلغ) كما تقول «هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي»، ولأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان (منه)، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح، ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب، وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب. وعن ابن عباس ﵄: أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة (الزور) وكتمان الشهادة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة وإظهارها ﴿عَلِيمٞ﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾

(﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾) خلقًا وملكًا ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ يعني من السوء ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ يكافئكم ويجازيكم ولا تدخل

قوله: (أبلغ) لدفع توهم المجاز. **قوله:** (منه) أي الجسد. **قوله:** (الزور) أي الكذب.

قوله: (﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾)... الخ. لمّا كان آخر الآية الثانية في بيان إثم القلب وكتمانه الشهادة ذكر الله تعالى بعدها بيان أن عزم القلوب بالذنوب محاسب أولًا، فقال: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤] الآية، يعني أن الله تعالى مالك ما في السمٰوات وما في الأرض، فإن تُبْدوا شيئًا في أنفسكم أو تخفوا ذلك يحاسبكم به الله بكلّه، فيغفر لمن يشاء ويُعذّب مَنْ يشاء بعده. وقال أكثرهم: رُوي أنه لما نزلت هذه الآية فهمت الصحابة أنهم مُحاسَبون بما يحدث به قلوبهم، ففزعوا وقالوا: نؤاخذ بكلّ ما حدّثت أنفسنا؛ فنزل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، فتعلّق المؤاخذة بالكسب دون العزم. وقال بعضهم: إنها ناسخة لهذه الآية، فعُلِم أن أفعال القلوب وعزم النفوس لا يُحاسب ولكنه غير صحيح؛ لأن النسخ إنّما يكون في الأحكام، وهذا من جملة الأخبار، وقد مرّت إليه إشارة فيما

الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الإنسان، لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه، والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوّة، وعزم الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور. فأما إذا همّ بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع ليس باختياره فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أي بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا، وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا؟ قيل: لا لقوله ﷺ: «**إن الله عفا عن أُمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به**» والجمهور على أن الحديث في الخطرة دون العزم وأن المؤاخذة في العزم ثابتة وإليه مال (**الشيخ أبو منصور**)

قبل؛ فالأَوْلى أن يحمل الآية على ما اعتقده النفس وعزمت عليه من الذنوب أو على خطرة الكفر، فإنّ المؤاخذة فيها ثابتة لا على ما يُخفيه الإنسان من حديث النفس والوساوس من الذنوب، فإنه مَغْفور. والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوّ، وكذا عزم الذنوب إذا ندم عليه واستغفر منه مغفور، فأمّا إذا همّ بمعصية وهو ثابت على ذلك إلّا أنه مُنِع عنه لمانع لا باختياره، فإنه اتّفق على أنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله، فالعازم على الزّنا لا يُعاقب عقوبة الزّنا. وأمّا أنه هل يعاقب عقوبة العزم أم لا؟ فاختلف فيه، فقيل: لا لقوله عليه السلام: «**إنّ الله عفا عن أُمّتي ما حدّثت به أنفسهم ما لم تعمل أو تتكلّم به**». والجمهور على أن الحديث في الخطرة دون العزم، وأن المؤاخذة في العزم ثابتة، وإليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمّة الحلوائي رحمهما الله تعالى، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ [النّور: الآية ١٩] الآية. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: ما همّ العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهمّ والحزن في الدنيا، هكذا في المدارك. وقد أطال الكلام هٰهنا الإمام الزاهد بالآيات والأحاديث من الطرفين مع تأويلاتها، فليطالع ثمة. ثم في قوله تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ دليلٌ على حقّية الحساب والحشر وما فيه، ففيه ردّ على الفرق المنكرين، على ما في البيضاوي. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي إمام المتكلّمين ومصحّح عقائد المسلمين، وقد تقدّم مناقبه. توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة رحمة الله تعالى عليه.

و(**شمس الأئمة الحلواني**) رحمهما الله، والدليل عليه (**قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾) [النور: الآية ١٩]. الآية. وعن عائشة ﵂: ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهمّ والحزن في الدنيا. وفي أكثر التفاسير أنه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة ﵃ وقالوا: أنؤاخذ بكل ما حدثت به أنفسنا فنزل قوله: «آمن الرسول» إلى قوله: «لا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» فتعلّق ذلك بالكسب دون العزم. وفي بعضها أنها نسخت بهذه الآية، والمحققون على أن النسخ يكون في (**الأحكام**) لا في الأخبار (﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾) يرفعهما: شامي (**وعاصم أي فهو يغفر ويعذب، ويجزمهما: غيرهم**) عطفًا على جواب الشرط،

قوله: (**شمس الأئمّة الحلواني**) هو عبد العزبز بن أحمد بن نصر بن صالح ضبط عبد القادر بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بعدها واو ثمّ ألف ساكنة في آخرها نون منسوب إلى عمل الحلوى. وفي القاموس: نُسِب إلى الحلاوة شمس الأئمّة الحلواني، ويقال بهمز بدل النُّون.اهـ. وفي تعليم المتعلّم لبرهان الإسلام الزرنوحي: كان أحمد بن نصر بن صالح والد الشيخ الأجلّ شمس الأئمّة الحلوائي فقيرًا يبيع الحلواء، كان يعطي الفقهاء من الحلوى ويقول: ادعوا لابني فببركة جوده واعتقاده وشفقته وتضرّعه بالله نال ابنه ما نال.اهـ. ومن تصانيفه: المبسوط. توفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

قوله: (**قوله تعالى**) في سورة النور: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾) الآية، أي (**في الذين آمنوا**) أي ما قَبُح جدًّا، والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبّة لها (﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾) بالحدّ، ولقد ضرب النبيّ ﷺ ابن أُبيّ وحسان ومسطحَ الحدّ (﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾) بالنار وعدها إن لم يتوبوا (﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾) بواطن الأُمور وسرائر الدور (﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النُور: الآية ١٩])، أي أنه قد علم محبّة من أحب الإشاعة، وهو معاقب عليها، كذا أفاده المصنف ﵀. **قوله**: (**الأحكام**) أي الأوامر والنواهي. **قوله**: (﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ **برفعهما شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وعاصم أي فهو يغفر ويعذّب، وبجزمهما: غيرهم**)، أي نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بالجزم فيهما عطفًا على الجزاء المجزوم، وافقهم اليزيدي والأعمش. والباقون برفع الراء والباء

وبالإدغام: أبو عمرو، وكذا في (**الإشارة والبشارة**). (**وقال صاحب الكشاف: مدغم الراء في اللام لاحن مخطىء**)، لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف، ولا يجوز إدغام المضاعف، وراويه عن أبي عمر مخطىء مرتين لأنه

على الاستئناف، أي فهو يغفر أو عطف جملة فعلية على مثلها وأدغم الراء في اللام السوسي والدوري بخلفه، وهو من الإدغام الصغير، وأدغم باء (يعذّب) في ميم (من) قالون وابن كثير وحمزة بخلف عنهم، وأبو عمرو والكسائي وخلف وتقدّم ذلك في الإدغام الصغير، فصار قالون وابن كثير بالجزم وإظهار الراء، وكذا الباء بخلفهما، وورش كذلك بالجزم لكن مع إظهارهما، وأبو عمرو بالجزم مع إدغامهما بخلف عن الدوري في الراء، وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بضمّهما بلا إدغام فيهما، وحمزة والكسائي وخلف بالجزم فيهما مع إظهار الراء وإدغام الباء بخلف عن حمزة في الباء. اهـ. **قوله: (الإشارة والبشارة)** اسم كتاب في القراءات العشر، (**وقال صاحب الكشاف: مدغم الراء في اللام لاحن مخطىء**) هذا على عادته في الطّعن في القراءات السبع إذا لم يكن على وفق قواعد العرب، ومن قواعدهم أن الراء لا تدغم إلّا في الراء لما فيهما من التكرار الفائت بالإدغام في اللام. وقد يجاب بأن القراءات السبع متواترة والنقل بالتواتر إثبات علمي، وقول النحاة نفي ظنّي، ولو سلم عدم التواتر فأقلّ الأمر أن يثبت لغة بنقل العدول وترجح بكونه إثباتًا، ونقل إدغام الراء في اللام عن أبي عمرو من الشهرة والوضوح بحيث لا مدفع له، ووجهه من حيث التعليل ما بينهما من شدّة التقارب حتى كأنّهما مثلان بدليل لزوم إدغام اللام في الراء في اللغة الصحيحة، إلّا أنه لمح تكرار الراء، فلم يجعل إدغامه في اللام لازمًا. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي البيضاوي: وإدغام الراء في اللام لحن إذ الراء لا تدغم إلّا في مثلها. اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب. قوله: (وإدغام الراء في اللام لحن). . . الخ. هذا ممّا تابع فيه الكشاف وهو من رأيه العضال؛ إذ هو يعتقد أنّ القراءة بالراء وهو غلط فاحش، وكيف يكون لحنًا وهي قراءة أبي عمرو إمام القراءة والعربية، والمانع من الإدغام تكرير الراء وقوّتها، والأقوى لا يدغم في الأضعف، وهو مذهب سيبويه والبصريّين، وأجاز ذلك الفراء والكسائي والرواسيّ ويعقوب الحضرمي وغيرهم، ولا حاجة إلى التطويل فيه، وليس هذا فيما يليق بجلالة المصنّف رحمه الله، وقد

يلحن وينسب إلى أعلم الناس في العربية ما يؤذن بجهل عظيم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من المغفرة والتعذيب وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

﴿(ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ) بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ إن عطف «المؤمنون» على «الرسول» **(كان الضمير الذي التنوين نائب عنه**

يعتذر له بما ذكره صاحب الإقناع من أنه رُوِيَ عن أبي عمرو أنه رجع عن هذه القراءة، فيكون الطعن في الرواية لا في القراءة، فتدبّر. اهـ. وقال العلّامة القنويّ رحمه الله: قوله: (وإدغام الراء في اللام لحن؛ إذ الراء لا تدغم إلّا في مثلها)، قيل: وكيف يكون لحنًا وهي قراءة أبي عمرو إمام القراءة والعربية والمانع من الإدغام تكرير الراء وقوّتها، والأقوى لا يدغم في الأضعف، وهو مذهب سيبويه والبصريّين، وأجاز ذلك الفرّاء والكسائي والرواسي ويعقوب الحضرمي وغيرهم، وقد يعتذر له بما ذكره صاحب الإقناع من أنه رُوِي عن أبي عمرو أنه رجع عن هذه القراءة فيكون الطعن في الرواية لا في القراءة، كذا قيل. ويمكن أن يقال: إنّ المراد باللّحن الغير الأفصح، ولمّا كان إدغام الراء في اللام غير مشتهر بين العرب الموثوق بعربيّتهم كان غير فصيح بالنسبة إلى عدم الإدغام، وقراءة السبع لا بدع في أن يكون بعضها أفصح من بعض، والفصيح بالنسبة إلى الأفصح لحن، وإن كان في نفسه فصيحًا، وهذا مراد الزمخشري وتبعه المصنّف. وأمّا القول بالعدول ـ كما قال صاحب الإقناع ـ فضعيف؛ لأنه إنّ جوّز هذا الاحتمال ارتفع الأمان في أكثر الأقوال، فإنّه كما يكون القراءة متواترة كذلك العدول، لا بدّ وأن يكون متواترًا؛ إذ خبر الآحاد لا يُزاحم المتواتر، فمن ذهب إلى العدول فليُبيِّن عدوله بالتواتر، إلا فمردود عليه. اهـ.

قوله: (﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾)... الخ. قال الزجّاج: لما ذكر الله عزّ وجلّ في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدَّيْن والرّبا ختمها بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾... الخ. لتعظيمه وتصديق نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين لجميع ذلك المذكور قبله وغيره ليكون تأكيدًا له. **قوله:** (**كان الضمير الذي التنوين نائب عنه**)،

في ﴿كُلٌّ﴾ **راجعًا**) إلى «الرسول» و«المؤمنون» أي كلهم ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ووقف عليه، وإن كان مبتدأ كان عليه «كل» مبتدأ ثانيًا والتقدير كل منهم و«آمن» خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الأول، وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير «كل» في «آمن» على معنى كل واحد منهم آمن. (و«**كتابه**»: **حمزة وعلي يعني القرآن أو الجنس**) ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ («**أحد**» **في معنى الجمع**) ولذا دخل عليه «بين» وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر من واحد. تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد. ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ (**أجبنا**) قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿غُفْرَانَكَ﴾ أي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع، وفيه إقرار بالبعث والجزاء. والآية تدلّ على بطلان الاستثناء في الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب الكبائر.

أي عن الضمير (**في** ﴿كُلٌّ﴾ **راجعًا**)... الخ. خبر كان، وفيه إشارة إلى أن تنوينه للعوض، ولذا منعوا دخول الألف واللام عليه وعلى بعض، وقالوا: قولهم الكل والبعض خطأ. **قوله:** (وكتابه) بالتوحيد (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بالجمع. (**يعني القرآن أو الجنس**)، يعني أن تعريف الإضافة في قوله: وكتابه يجوز أن يكون للعهد والمعهود هو القرآن، ويجوز أن يكون للجنس.

قوله: (أحد في معنى **الجمع**)، معناه ما ذكر في كتب اللغة أن أحدًا اسم لمن يصلح أن يخاطب به يستوي فيه الواحد والمثنى والمجموع والمذكّر والمؤنّث، فحين أضيف بَيْن إليه أو أعيد ضمير الجمع إليه أو نحو ذلك، فالمراد به جمع من الجنس الذي يدلّ الكلام عليه، فمعنى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ لا نفرّق بين جمع من الرسل، ومعنى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الحاقّة: الآية ٤٧] فما منكم من جماعة، ومعنى ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢] كجماعة من جماعات النساء، وكثير من الناس يسهو فيزعم أن معنى ذلك أنه نكرة، وقعت في سياق النفي فعمّت، فكانت بهذا الاعتبار في معنى الجمع كسائر النكرات. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (أجبنا) هذا هو المعنى العرفي للسمع والإطاعة أخصّ منه، لأنها القبول عن طوع، كما يقال: سمعًا وطاعة. **قوله:** (﴿ٱلْمَصِيرُ﴾) مصدر ميمي المراد به البعث.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

(﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾) محكيّ عنهم أو مستأنف ﴿إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلّف، كذا في شرح

قوله: (﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾)... الخ. المقصود هٰهنا أن أهل السنّة تمسّكوا به في أن التكليف بما لا يُطاق ليس بواقع، وهذه قضيّة مشهورة بين المتكلّمين وهي بهذا المضمون مذكورة في القرآن مرارًا، وإنما النزاع في أنه هل يجوز ذلك عقلًا أم لا؟ قيل: يجوز عقلًا وإليه ذهب الأشعري. وقيل: لا يجوز عقلًا، وإليه ذهب المعتزلة استدلالًا بهذه الآية؛ لأنه لو جاز عقلًا لما يلزم من فرض وقوعه مُحال، وهٰهنا يلزم من وقوعه كذب الله تعالى، ولكنّا نقول: إنما يكون كذلك فيما يكون ممكنًا بقي على إمكانه وهٰهنا الممكن العقلي قد صار محالًا ممتنعًا بواسطة خبر الله تعالى، والمُحال يجوز أن يستلزم المحال. ثم لا يخفى أنّ الله تعالى علم من بعض الكفار ـ كأبي لهب مثلًا ـ عدم إيمانه قطعًا، ومع ذلك كلّفه به مرارًا، فمثل هذا ليس مرادًا من الآية، وإنما المراد به مثل تكليف اجتماع الضدّين وتكليف خلق الجسم وتكليف الطيران للإنسان وتكليف القيام في الصلاة وقت المرض وتكليف الوضوء عند عدم الماء وأمثاله، هكذا ذُكر في كتب الكلام. وقد تمسّك به أهل الأصول على كثير من المسائل في بيان أن المأمور به مشروط بالقدرة الممكنة أو الميسرة، وذلك مبنيّ على أن معنى الوسع الطاقة والقدرة، أي لا يكلّف نفسًا إلّا ما يسعه قدرتها، وعليه الجمهور. وفي الكشاف: الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أي لا يكلّفها إلا ما تيسّر عليه دون مدى الطاقة، فإنّ في طاقة الإنسان أن يصلّي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحجّ أكثر من حجّة.

وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾، أي لنفعها ما كسبت من خير ولضررها ما اكتسبت من شرّ. وإنما خصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب؛

التأويلات. وقال صاحب الكشاف: الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلّفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه **(دون مدى)** غاية **(الطاقة)** والمجهود، فقد كان في طاقة الإنسان أن يصلّي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحجّ أكثر من حجة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ ينفعها ما كسبت من خير ويضرّها ما اكتسبت من شرّ، وخصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال **(للانكماش)** والنفس **(تنكمش)** في الشر وتتكلف للخير ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ تركنا أمرًا من أوامرك سهوًا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ودلّ هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ خلافًا للمعتزلة لإمكان التحرّز عنهما في الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ **(عبأ)** يأصر حامله أي يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاقّ **(من نحو قتل النفس وقطع موضع النجاسة من الجلد)** والثوب وغير ذلك ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ كاليهود ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ امحِ سيئاتنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالأول للكبائر

لأن الافتعال للانكماش والإسراع والنفس يسرع في الشرّ ويكسبه باختياره بخلاف الخير، فإنه يصدر عنها اتّفاقًا، وقد بيّن صاحب التوضيح في تحقيق ما لها وما عليها كلامًا طويلًا مقبولًا، فليرجع إليه. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (دون مدى الطاقة) أي غايتها ونهايتها، أي لا يكون المكلّف به غاية طاقته أو يكون أدون وأدنى من غاية مقدوره ومجهوده. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (للانكماش)** الانكماش الإسراع. **قوله: (تنكمش)** أي تُسرع. **قوله: (عبأ[1])** أي حملًا ثقيلًا، والأمر في اللغة: الثقل والشدّة، وسُمّي العهد والذنب إصرًا لثقلهما، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: الآية ٨١]، أي عهدي وميثاقي. وفي الصحاح: أصره يأصره أصرًا حبسه. والآصرة ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف، والجمع الأواصر. **قوله: (من نحو قتل النفس)**، أي وجوب القصاص بحيث لا يندفع بالعفو والصلح. **قوله: (وقطع موضع النجاسة من الجلد)** المراد من الجلد، كالخفّ والفرو، وكذا أفاده العلامة النحرير

---

(١) كتحمل لفظًا ومعنًى، بعين مهملة وباء موحدة وهمزة. ١٢ منه عم فيوضهم.

والثاني للصغائر ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ بتثقيل ميزاننا مع إفلاسنا، أو الأول من المسخ والثاني من الخسف والثالث من الغرق ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ سيّدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فمن حق المولى أن ينصر عبيده في الحديث «مَن قرأ آمن الرسول إلى آخره في ليلة **(كفتاه)**» وفيه «مَن قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل». **(ويجوز أن يُقال)**: قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما رُوِيَ عن عليّ ﷺ: **(خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش)**.

التفتازاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنه لا يطهر بالغسل. **قوله: (كفتاه)**، أي عن قيام تلك اللّيلة، وقيل: دفعتا عنه الشرّ والمكروه، وهو من كفى يكفي إذا دفع عن أحدٍ شيئًا، وقيل: كفتاه عن سائر الأوراد. **قوله: (ويجوز أن يقال)**... الخ. قال النووي رحمة الله عليه في كتابه الأذكار: نُقِل عن بعض المتقدّمين أنه كان يكره أن يقال: سورة البقرة وسورة الدخان والعنكبوت وشبْه ذلك، وإنما يقال: السورة التي تذكر فيها البقرة وهكذا، وهو خطأ، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة آيتان من آخر سورة البقرة الحديث وأشباهه كثيرة لا تحصى. اهـ.

قلت: إن المنع من ذلك صحّ عنهم والاستعمال أيضًا صحيح بلا شبهة ولا خطأ فيه، وإنما المنع كان في صدر الإسلام لمّا استهزأ سفهاء المشركين بسورة العنكبوت ونحوها، فمُنع منه دفعًا لطعن المُلحدين، ثمّ لما استقرّ الدين وقطع الله دابر القوم الظالمين شاع ذلك وساغ، والشيء يرتفع بارتفاع سببه. اهـ شهاب رحمة الله عليه.

قوله: (خواتيم سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش) الكنز المال المدفون، فشبّه به ما في اللَّوح المحفوظ مما لم يطّلع عليه خلقه، كجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعدّ لمن قرأها بمالٍ عظيم، أخرج من ذلك الكنز الذي هو اللَّوح المحفوظ، كذا أفاده العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب في نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وفي رواية: من كنوز الجنّة تمثيل لما فيها من كثرة الخير والبركة والثواب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

تمت سورة البقرة بعون الله سبحانه وتعالى وحُسْن توفيقه والحمد لله على الافتتاح والاختتام، وعلى الرسول وآله أفضل التحية والسلام بالمسجد الحرام تحت

وقال بعضهم: يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم.

ميزاب الرحمة ربّنا تقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم، ولا تضرب به وجوهنا يا إلـه العالمين ويا خير الناصرين. اللّهمّ اجعلنا ممّن استظلّ بظلِّ عنايتك ورحمتك ويسّر لنا خيري الدنيا والآخرة، واجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أسماعنا ونزهة لأرواحنا ويسّر لنا إتمام ما قصدناه بإحسانك يا أرحم الراحمين. اللّهمّ إنا نسألك من خير ما سألك منه سيّدنا محمّد نبيّك ورسولك ﷺ، ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار، وصلّ وسلّم على نبيّك المنزل عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين يا ربّ العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد ﷺ ربّ العالمين.

تمّ تفسير سورة البقرة وتليه أيضًا بقيّة تتمة الجزء الأول من قوله:

سورة آل عمران

(سورة آل عمران)

نزلت (بالمدينة وهي مائتا آية)

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ حُرّكت الميم لالتقاء الساكنين أعني سكونها وسكون لام «الله» (**وفُتِحَت لخفَّة الفتحة، ولم تُكسَر للياء**) وكسر الميم قبلها تحاميًا عن توالي الكسرات، (**وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها**) إذ لو كان كذلك لوجب فتحها في «حَم». ولا يصحّ أن يقال: إن فتح الميم هو فتحة همزة «الله» نقلت إلى الميم لأن تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها، ولو جاز نقل حركتها لجاز إثباتها، وإثباتها غير جائز. وأسْكَن (**يزيد**) و(**الأعشى**) الميم وقطعا الألف، والباقون بوصل الألف وفتح الميم «والله» مبتدأ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبره وخبر «لا» مضمر والتقدير: لا إلـه في الوجود إلا هو، «وهو» في موضع الرفع بدل من موضع «لا»، واسمه ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة آل عمران مدنية) باتّفاق. اهـ خطيب. **قوله:** (وهي مائتا آية) وثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفًا وخمسمائة وعشرون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله:** (وفُتِحت لخفَّة الفتحة) وللمحافظة على تفخيم لفظ الله. **قوله:** (ولم تُكسر للياء) وهي أخت الكسرة، وقيل: هذه الياء كسرة. **قوله:** (وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها)؛ لأن ذلك مغتفر في باب الوقف. **قوله:** (يزيد) هو أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **قوله:** (الأعشى) هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال عن أبي بكر شعبة عن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ.

الحيّ، أو بدل من «هو» و«القيوم» فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾

﴿نَزَّلَ﴾ أي هو نزل ﴿عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ حال أي نزله حقًّا ثابتًا ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ **(هما اسمان أعجميان وتكلّف اشتقاقهما من الورى والنجل)**، ووزنهما بتفعلة وافعيل إنما يصحّ

قوله: (هما اسمان أعجميان وتكلّف اشتقاقهما من الورى) بفتح الواو وسكون الراء. **قوله: (والنَّجْل)** بفتح فسكون الخ... إشارة إلى أن الناس اختلفوا في هذين اللفظين، هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف، أو لا يدخلهما لكونهما اسمين أعجميَّيْن عبرانيَّيْن لهذين الكتابين الشريفين، والمصنّف رحمة الله عليه اختار الثاني، ومَنْ قال باشتقاقهما قال: التوراة مشتقّة من قولهم: وري الزند إذا قدح، فظهر منه نار، ووري الزند وأوريته أنا. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الواقعة: الآية ٧١]، فثلاثيه لازم ورباعيه متعدّي، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾﴾ [العَاديَات: الآية ٢]، فلمّا كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به المرء من الضلال إلى الهدى، كما يخرج من الظلام إلى النور، سمّي هذا الكتاب بالتوراة، ويؤيّد هذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ [الأنبياء: الآية ٤٨]، وهذا قول الفرّاء وجمهور الناس. وقال: وزنها تفعلة ـ بكسر العين ـ فأُبدلت الكسرة فتحة، وهي لفظة طائيّة يقولون في الناصية: ناصاة، وفي جارية: جاراة، وفي ناجية: ناجاة، وقيل: وزنها تفعلة بفتح العين. وقيل في الإنجيل: إنه مشتقّ من النَّجْل وهو الأصل، يقال: لعن الله ناجليه، أي والديه سُمّي هذا الكتاب بهذا الاسم لأنه الأصل المرجوع إليه في ذلك الدين، وقيل في الإنجيل: إنّه مشتقّ من النَّجل مأخوذ من قول العرب: نجلت الشيء إذا استخرجته وأظهرته، ويقال للماء الذي يخرج من البئر: نجل، ومنه **النجل** للولد، وسمّي الإنجيل به لأنه مُستخرج من اللَّوح المحفوظ؛ فالنَّجل من الأضداد حيث يطلق على الولد والوالد والفرع والأصل، وقيل: إنه من النجل الذي هو سعة العين، يقال: عين نجلاء لسعتها، وظبية نجلاء. سمّي الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة ليست في التوراة؛ إذ حللت فيه أشياء محرّمة في التوراة.

بعد كونهما عربيين. وإنما قيل: «نزل الكتاب» و«أنزل التوراة والإنجيل» لأن القرآن نزل (**منجمًا**) ونزل الكتابان جملة.

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾

﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل القرآن ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي جنس الكتب لأن الكل يفرق بين الحق والباطل، (**أو الزبور**)، أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيمًا لشأنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبه المُنَزَّلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ أي في العالم (**فعبَّر عنه بالسماء والأرض**) أي هو مُطَّلع على كفر مَن كفر وإيمان مَن آمَن وهو مُجازيهم عليه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ (﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ **من الصور**) المختلفة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره. رُوِيَ أنه لمَّا (**قَدِمَ وفد بني نجران**) وهم ستون راكبًا.

قوله: (منجمًا) أي متفرّقًا.

قوله: (أو الزبور)؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: الآية ١٦٣].
قوله: (فعبَر عنه بالسماء والأرض) لأنّهما العالم كلّه بالنظر الظاهر.

قوله: (﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من الصور) يعني أنه في موضع الظرف، والمعنى في أيّ صورة، وعلى أيِّ هيئة يشاء يصوّركم، يقال: صوّره صورة حسنة فتصوّر، أي صار ذا صورة. **قوله:** (قدم) بالكسر. **قوله:** (وفد) جمع وافد، في مختار الصِّحاح: وفد فلان على الأمير، أي ورد رسولًا، وبابه وعد، فهو وافد، والجمع وَفْد مثل صاحب وصَحْب، انتهى. (بني نجران) كذا في التيسير، وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمه الله: وفد نجران. اهـ. وفي تفسير الخطيب:

(أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحَبْرهم أبو حارثة) ـ خاصموا في أن عيسى إن لم يكن ولدًا لله فمَن أبوه؟ فقال ﷺ: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا: بلى. قال: ألم تعلموا أن الله تعالى حيٌّ لا يموت وعيسى يموت، وأن ربّنا قَيِّم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وعيسى لا يعلم إلا ما علم، وأنه صَوَّر عيسى في الرَّحم كيف شاء فحملته أُمه ووضعته وأرضعته، وكان يأكل ويحدِّث وربّنا مُنَزَّه عن ذلك كله؟ فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى **(بضع وثمانين)** آية.

وفد نصارى نجران. اهـ. وفي لسان العرب: نجران بلد، وهو من اليمن. اهـ. وأيضًا فيه: وفي الحديث أنه كفّن في ثلاثة أثواب نجرانيّة، هي منسوبة إلى نجران، وهو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن، وفي الحديث: قدِم عليه نصارى نجران. اهـ.

قوله: (أميرهم العاقب) أي يقال له العاقب، واسمه عبد المسيح. **قوله: (وعمدتهم السيد)** أي مشيرهم ووزيرهم، كانوا يقولون له السيد واسمه الأيْهَم. **قوله: (وأسقفهم وحبرهم)** وصاحب مِدراسهم **(أبو حارثة)** بن علقمة أخو بكر بن وائل. في المصباح: الأسْقُف للنصارى رئيس منهم بالتثقيل والتخفيف، والجمع أساقفة. اهـ. وأيضًا فيه: الحبر ـ بالكسر ـ العالم، والجمع أحبار، مثل حمل وأحمال، والحبر ـ بالفتح ـ لغة فيه وجمعه حبور، مثل فلس وفلوس، واقتصر ثعلب على الفتح وبعضهم أنكر الكسر. اهـ.

قوله: (بضع وثمانين). في المصباح: بضع في العدد بالكسرة، وبعض العرب يفتح، واستعماله من الثلاثة إلى التسعة. وعن ثعلب: من الأربعة إلى التسعة يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، فيقال: بضع رجال وبضع نسوة، ويُستعمل أيضًا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن تثبت الهاء مع المذكّر وتُحذف مع المؤنث؛ كالنيِّف، ولا يُستعمل فيما زاد على العشرين، وأجازه بعض المشائخ، فيقول: بضعة وعشرون رجلًا وبضع وعشرون امرأة، وهكذا قال أبو زيد. وقالوا: على هذا معنى البضع والبضعة في العدد قطعة مُبهمة غير محدودة. اهـ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾

(﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾) القرآن (﴿مِنۡهُ﴾) من الكتاب (﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾) أُحْكِمَت عبارتها بأن حُفِظَت من الاحتمال والاشتباه (﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾) أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها (﴿وَأُخَرُ﴾) وآيات أُخر (﴿مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾) مشتبهات محتملات. مثال ذلك ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء، ولا يجوز

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾) . . . الخ ذكر الإمام الزاهدي في بيان نزول هذه الآية: أنه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: الآية ١] أوّله اليهود بقاعدة أبجد، وقالوا: بأنّ الألف يُراد به الواحد، واللام يُراد به ثلاثون، والميم يراد به الأربعون؛ فكان بقاء أُمّة محمّد إحدى وسبعين سنة، فكيف نتّبع هذا الدين؟ فتبسّم النبيّ ﷺ، فقالوا: هل غير هذا؟ فقال: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: الآية ١]، فقالوا: هذا أكثر من الأوّل، فهو مائة وأحد وسبعون[1]، فقالوا: هل غير هذا؟ فقال: ﴿الٓمٓرۚ﴾ [الرعد: الآية ١]، فقالوا: خلطت الأمر علينا، فلا ندري بأيّها نأخذ؟ فنزل في حقّهم هذه الآية المذكورة. وقيل: لمّا نزلت الآيات المتشابهات مثل قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ [الواقعة: الآية ٥٧]، ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا﴾ [الواقعة: الآية ٦٠]، ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا﴾ [الزخرف: الآية ٣٢]، قال أهل الكتاب: وافق هذا قولنا إنه ثالث ثلاثة؛ لأن الإخبار بذكر الجمع لا يصح إلّا عن الجمع؛ فأنزل الله هذه الآية، هذا حاصل كلامه. ومعنى الآية: أني أنزلت الكتاب قسمين بعضه منه آيات محكمات، أي محكمة عباراتها محفوظة من الاحتمال والاشتباه، وهنّ أمّ الكتاب، أي أصله بحيث يحمل المتشابهات عليها وتُردّ إليها، وبعضٌ آخر منه، (﴿مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾)، أي متشابهات محتملات مثل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥]، فإنّ الاستواء قد يكون بمعنى الجلوس، وقد يكون بمعنى الاستيلاء، والأوّل لا يجوز أن يُحمل على الله تعالى

---

(١) الصواب ستون، كما لا يخفى. ١٢ ح عمّ فيضهم.

الأول على الله تعالى بدليل المُحكَم وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١].

بدليل المُحكم، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١]، فيُحمل على الثاني ردّ المتشابه إلى المُحكم، ومثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [البَقَرة: الآية ١] وغير ذلك. فأمّا الذين في قلوبهم زيغ، أي مَيْل عن الحقّ وهم أهل البدع والأهواء، فلا يعملون على المحكم ولا يردّون المتشابه إليه، بل يتّبعون ما تشابه منه، أي يدينون ويتمسّكون بالمتشابهات التي يكون ظاهرها ما لا يُطابق المحكم ويحدث البدعة، وإنْ كانت تحتمل أن تطابق المحكم وترفع البدعة بردّها إليه. وإنّما يتبعون ذلك ابتغاءَ للفتنة، أي لأجل طلب أن يفتنون الناس عن دينهم ويُضلّونهم بإحداث بدعة مُضِلّة في الإسلام، وهو إثبات المكان والجهة مثلًا من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طـه: الآية ٥]، وإثبات أن دين محمّد ﷺ لا يتجاوز زمن مدّة قليلة، مثلًا من ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [البَقَرة: الآية ١] و(﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾) [آل عمران:الآية ٧]، أي تطلب أن يأوّلوه بالتأويل الذي يشتهونه بالأهواء النفسانية من غير رعاية الحقّ والواقع، والحال أنه ما يعلم تأويله الحقّ الذي يجب الحمل عليه إلّا الله وحده، (﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ كل مَنْ كان، أو عبد الله بن سلام وأحزابه لم يشتغلوا بالتأويل ولا يصرفوه إلى ظاهر المعنى، بل يعتقدون بحقّية ما يُراد به منه، ويقولون: آمنّا بما يُراد به، وكلّ من المتشابه والمحكم كائن من عند ربّنا الحكيم الذي لا يتناقض كلامه، وأيضًا من جملة مقولهم، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨]، أي لا تُمِلْ قلوبنا عن الحقّ بخلق المَيْل في القلوب ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨] للعمل بالمُحكم والتسليم للمتشابه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨] نعمة بالتوفيق والتثبيت، هذا هو مضمون الآية بحسب ما ذكر صاحب المدارك مع إطالة تقرير منّي. لا يقال: إنّ هذه الآية تدلّ على كون القرآن مُحكمًا ومتشابهًا. وقوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ﴾ [هود: الآية ١] يدلّ على أن كلّه مُحكم، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣] يدلّ على أنّ كلّه متشابهًا، فكيف التوفيق؟ لأنّا نقول: معنى قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هُود: الآية ١] حُفِظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ، ومعنى قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣] يشبه

....

بعضه بعضًا في صحة المعنى، وجزالة اللّفظ، هكذا ذكر القاضي الأجلّ البيضاوي وغيره.

والكلام هٰهنا في شيئين: الأول: إنّه ما معنى المُحكم والمتشابه؟ وما المراد بهما هٰهنا؟ فقال بعضهم: المُحكم ما عُرِف المراد منه، إمّا بالظهور أو التأويل والمتشابه ما لا طريق لدَرْكه؛ كقيام الساعة وخروج الدجّال والدابّة والحروف المقطّعة في أوائل السور. وقال بعضهم: المُحكم ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهًا واحدًا والمتشابه ما احتمل وجوهًا. وقيل: المحكم ما كان ناسخًا، والمتشابه ما كان منسوخًا. وقيل: المحكم ما لم يتكرّر ألفاظه، والمتشابه ما تكرّر ألفاظه. وقيل: المُحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه ما كان غير معقول المعنى؛ كأعداد الركعات والصلاة في الأوقات المخصوصة وفرضية صوم رمضان دون شعبان. وقيل: المُحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال، **وقيل**: ما أمر الله به في كلّ كتاب أنزله، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٥١] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]. والمُتشابه ما أمر الله في القرآن خاصّة، وجملة الأقوال فيه ترتقي إلى سبع عشر قولًا ذكرها صاحب الإتقان في كتابه على مذهب الشافعي بالتفصيل، وقد أورد منها قولًا عجيبًا، وهو أن المُحكم إن وضح المراد به، فهو الظاهر، وإنْ زاد على ذلك فهو النص، وإن زاد على ذلك فهو المفسّر، وكذا المتشابه إنْ خَفِيَ المراد به فهو الخفي، وإنْ زاد على ذلك فهو المشْكل، وإنْ زاد على ذلك فهو المُجْمل؛ فجعل كلّاً من الظاهر والنصّ والمفسّر داخلًا تحت المُحْكم، وكلّاً من الخفيّ والمشكل والمجمل داخلًا تحت المتشابه، هكذا ذكر عضد الملّة والدّين، ولعلّه إنما ارتكب ذلك؛ لأنّ الله تعالى لمّا جعل كل الكتاب قسمين: مُحكمًا ومتشابهًا لم يُبْقِ قسم سواهما خارجًا عنهما، ولكن في الكلام ليس ما يدلّ على الحصر، بل كلمة التبعيض بما فيه، تأمّل[1]. والذي جرى عليه

(١) وجه التأمّل أن التبعيض إنما ينافي الحصر، لو قيل: محكمات ومنه متشابهات. وأما إن قيل: منه محكمات وأُخر متشابهات، عُلِم أن بعضًا منه محكم والبواقي متشابهات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

اصطلاح أهل الأصول، وتعامل الفقهاء الفحول، هو أن المُحكم ما يظهر منه المعنى، ويكون مسوقًا، ولم يحتمل التأويل والتخصيص وأحكم المراد به عن احتمال النسخ والتبديل، يعني ازداد وضوحًا على المفسّر الذي ازداد وضوحًا على النصّ الذي ازداد وضوحًا على الظاهر وحكمه وجوب العمل به من غير احتمال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١]، والمتشابه اسم لما انقطع رجاء معرفة المراد منه بأن ازداد اختفاء على المجمل الذي ازداد اختفاء على المشكل الذي ازداد اختفاء على الخفيّ وحكمه اعتقاد الحقّية قبل الإصابة، وهو مثل المقطعات في أوائل السور، ومثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣]، فإنّ هذه الآية محكمة في حقّ وجوب رؤية الله تعالى جلّ وعلا للمسلمين بعد دخول الجنّة متشابهة في حقّ الكيفيّة؛ إذ يلزم منه الجهة والمكان لله تعالى فرددناها إلى المحكم، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١]، فقلنا: لا نعلم كيفيّة الرؤية ونعتقد أصل الرؤية، هكذا ذكر الشيخ الإمام فخر الإسلام البزدوي، فعُلِم من هٰهنا ومما ذكرنا سابقًا أن المتشابه إمّا لا يُفهم منه معنًى أصلًا، مثل: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١] وغير ذلك، وسمّى هذه مقطَعات. وإمّا أن يُفهم منه معنى بحسب وضع اللغة، ولكن لا يعلم ما أراد منه المتكلّم؛ لأن معناه الظاهر منه يكون مخالفًا للمحكم؛ كقوله تعالى: ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥] وأمثاله، ويسمّي هذه آيات الصّفات. أمّا المقطَعات في أوائل السور، فتسعة وعشرون، واحدٌ منها ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾ [الآية ١] في الأعراف، وواحد منها ﴿الٓمٓر﴾ [الآية ١] في الرعد، وواحد منها ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [لآية ١] في مريم، وواحدٌ منها ﴿طسٓ﴾ [الآية ١] في النمل، وواحدٌ منها ﴿صٓ﴾ [الآية ١]، وواحدٌ منها ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ [الآيتان ١، ٢] في الشورى، وواحدٌ منها ﴿نٓ﴾ [القَلَم: الآية ١]، وواحدٌ منها ﴿قٓ﴾ [قَ: الآية ١]، وواحدٌ منها ﴿طه ﴿١﴾﴾ [الآية ١]، وواحدٌ منها ﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ [الآية ١]، واثنان منها ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ [الآية ١] في الشعراء والقصص، وخمسة منها ﴿الٓر﴾ [الآية ١] في يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر، وستّة منها ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [الآية ١] في البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة الأُولى

....

وستّة ﴿حمٓ ۝١﴾ [الآية ١] في المؤمن والسجدة الثانية وزخرف والدخان والجاثية والأحقاف. وأمّا آيات الصّفات، فكثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥]، و﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: الآية ٣٩]، و﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: الآية ٢٧]، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: الآية ٦٧]، ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية ٥٦]، ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: الآية ٤٢]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٨]، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: الآية ١٦]، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: الآية ٢١]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: الآية ٥٤]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: الآية ٢٢]، ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٨]، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [الذاريات: الآية ٣٤]، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٣]، ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: الآية ١١٥]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: الآية ٤]، ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: الآية ٢٩]، ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن: الآية ٣١]، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: الآية ٣٥]، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: الآية ٢٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: الآية ٢٣]؛ فإنّ هذه كلها متشابهات وقفت عليها من كتب التفاسير. وقال الإمام فخر الدّين الرازي: جميع الأعراض النفسانية، مثل الرحمة والغضب والحياء والمكر والاستهزاء كلّما وقع في القرآن على الله متشابهات تُردّ إلى المحكم.

الثاني: أنه هل يمكن الاطّلاع على علمه لأحدٍ سوى الله، أو لا؟ فقال بعض الناس، ومنهم المعتزلة والشافعي: يعلم الراسخون في العلم تأويله، ولهذا لن يجب الوقف على قوله تعالى: (﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾)، بل يكون العبارة ح: «**إلا الله والراسخون في العلم**»، وقوله تعالى: (﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾) حال عن قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾، وعليه رواية مجاهد عن ابن عباس أنه قال: «**أنا من يعلم تأويله**»، ورواية ابن أبي حاتم عن الضحّاك أنّه قال: «**الراسخون في العلم يعلمون تأويله**»؛ إذ لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه، ولا حلاله من حرامه، وذهب الأكثرون من الصّحابة والتابعين وأتباعهم من بعدهم خصوصًا أهل السنّة والحنفية إلى أنه يجب الوقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ حتى يكون الراسخون

....

في العلم خارجين عن عِلْمه بدليل بعض القراءة الصحيحة، ويقول الراسخون في العلم: آمنّا به، وبعض قراءة أخرى وإن تأويله إلّا عند الله، وبعض أخرى: الراسخون في العلم بدون الواو، وعلى هذه الوجوه كلّها يكون الراسخون جملة مستأنفة. وأيضًا يدلّ عليه رواية الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواية البيهقي عن أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام أنّه قال: «**كان الكتاب الأوّل ينزل من بابٍ واحد على حرفٍ واحد، وينزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومُحكم، ومُتشابه، وأمثال؛ فأحلّوا حلاله وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أُمِرْتم به، وانتهوا عمّا نُهِيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمُحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا**»، وسوى ذلك أحاديث كثيرة تدلّ على عدم اطلاعه للرّاسخين. وذكر في التوضيح: أنّ مذهب علمائنا ألْيَق بنظم القرآن حيث جعل اتّباع المتشابهات حظّ الزائغين، والإقرار بحقّيّتها مع العجز عن دَرْكها حظّ الراسخين، واللائق بهذا المقام أن يكون قوله تعالى: (﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾) سؤالًا للعصمة عن الزّيْغ السابق ذكره الداعي إلى اتّباع المتشابهات المُوقِع لصاحبه في الفتنة والضّلالة.

واعترض عليه صاحب التلويح بأنه لا يخفى على الرّاسخين في العربية أن اللائق ح أن يقول: وأما الرّاسخون في العلم، ويُعلم من الفوائد الضيائية شرح الكافية أنّ المقابل لأما السابقة مقدّر في الكلام؛ كأنّه قيل: وأمّا الذين ليس في قلوبهم زيغ فيتّبعون المُحكمات ويردّون إليها المتشابهات. فإن قلت: فما الفائدة في إنزال المتشابهات؟ فالجواب: إنّ في إنزالها ابتلاء للراسخين ونَهْيهم عن متمنّاهم، فكما أن الجاهل يبلى بالتعلّم جبر على خلاف هواه، كذلك العلماء يُبتلون بالتوقف على اعتقاد حقّية المراد على خلاف متمنّاهم الذي هو الحرص على زيادة علم كل شيء، وهذا هو عند المتقدّمين[1]. وأمّا المتأخّرون، فلمّا عاينوا فساد الزّمان حيث يحمل بعض الملاحدة آيات الصّفات على ظاهر معانيها التي يلزم

(١) ينبغي أن يُعلم أن المراد من المتقدّمين والمتأخرين: متقدّمو الحنفية ومتأخّروهم، فلا يرد ما قيل في التلويح بالمتقدمين من الصحابة في الصدر الأول، أيضًا يقولون بتأويل المتشابهات، فلا وجه للتخصيص بالمتأخرين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

منها الجهة والمكان والعورة لله تعالى، وكون آدم عين روح الله وغيره، وعاينوا ضعف اعتقاد الأنام من الشرائع أفتَوْا بجواز تأويلاتها بمعاني تُخرجُ الآيات عن العقائد الفاسدة، وتوافق عقائد أهل السنّة التي عليها الصحابة والتابعون على ما نصّ به في بعض كتب الأصول، فقالوا مثلًا: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: الآية ٢٩]، أي روح مخلوق الله؛ ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: الآية ٣٥]، أي منوّر السماوات والأرض؛ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، أي قدرته فوق قدرتهم؛ ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٥]، أي ذات الله؛ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: الآية ٢٢]، أي أمر ربك؛ ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ⁽⁵⁾﴾ [طه: الآية ٥]، أي استولى على العرش، فكان مستوليًا على كل شيء؛ ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزُمَر: الآية ٥٦]، أي في جوار رحمته وقرب حضرته؛ ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ⁽²¹⁾﴾ [الذاريات: الآية ٢١]، أي آياته في أنفسكم دون ذاته في ذواتكم؛ وهكذا القياس في البواقي.

وكذا يأوّلون المقطّعات، وإن لم يلزم منْ ترك تأويلها ما يلزم منْ ترك تأويل آيات الصفات، فقالوا مثلًا في ﴿الم ⁽¹⁾﴾ [البقرة: الآية ١] ألف الله، ولام جبريل، وميم محمّد، يعني أرسل الله جبريل إلى محمّد بالقرآن؛ أو الألف أنا، واللام الله، والميم أعلم، يعني أنا الله أعلم. وكذا ﴿المص ⁽¹⁾﴾ [الأعراف: الآية ١]، يعني أنا الله أفصل بين الحقّ والباطل؛ وكذا ﴿الر﴾ [الحجر: الآية ١]، يعني أنا الله أرى؛ وكذا ﴿كهيعص ⁽¹⁾﴾ [مريم: الآية ١] الكاف من كريم، والهاء من هاد، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من الصادق؛ وكذا ﴿طه ⁽¹⁾﴾ [طه: الآية ١]، قيل: إنه قسم بطهارة أهل البيت، وقيل: إن الطاء طلب الغزاة والهاء هرب الكافرين، وقيل غير ذلك.

وكذا ﴿طسم ⁽¹⁾﴾ [الشُعَراء: الآية ١] قيل: إنّ الطاء من ذي الطّول، والسين من القدوس، والميم من الرحمٰن. وكذا ﴿حم ⁽¹⁾ عسق ⁽²⁾﴾ [الشورى: الآيتان ١، ٢] الحاء والميم من الرحمٰن، والعين من العليم، والسين من القدّوس، والقاف من القاهر؛ وكذا ﴿ن﴾ [القَلَم: الآية ١] أنه مفتاح اسمه نور وناصر؛ وكذا ﴿ق﴾ [قَ: الآية ١] أنه مفتاح اسمه قادر وقاهر، وكذا القياس في البواقي.

أو المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزله نحو (**قوله**: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٥١] **الآيات**).

والمفسّرون سيّما قاضي البيضاوي قد ذكروا في بيان حروف المقطّعات كلامًا طويلًا بيّن فيه أسرار عجيبة وفوائد غريبة ومذاهب عديدة، فطالعها إن شئت.

وبالجملة ما من متشابه في القرآن، سواء كانت حروف المقطّعات أو آيات الصّفات إلّا وقد أوّله المتأخّرون من الحنفية تأويلًا ظنّيًا، فلا خلاف بيننا وبين الشافعي رحمه الله، ولعلّه لذلك صرّح صاحب المدارك بأن المعنى قوله تعالى: (﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾) وما يعلم تأويله الحقّ الذي يجب أن يحمل عليه إلّا الله وحده، وصرّح أيضًا هو وقاضي البيضاوي جميعًا بأنّ مَنْ وقفه على قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ فسّر المتشابه بما استأثر الله بعلمه؛ كقيام الساعة وخروج الدابّة والدجّال وأمثال ذلك، لأنه لا عِلْم بها لأحد إجماعًا لا قطعًا وظنًّا، وإن أمعنت النظر لم تجد بين قول أبي حنيفة رضي الله عنه وغيره خلافًا في المعنى من وجهٍ آخر؛ لأن أبا حنيفة رضي الله عنه فسّر المحكم والمتشابه بالمعنى الخاصّ، وغيره قد جعل كلًّا منهما بالمعنى الأعمّ كما مرّ، وهذا غاية ما يتيسّر لي في تفسير المُحكم والمتشابه نقلًا من كتب السّلف، ولم يسبقني أحد إلى مثل هذا التحقيق والتدقيق، تأمّل وأنصف. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية ١٥١] **الآيات**) في سورة الأنعام: (﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ [الآية ١٥١]) أقرأ (﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية ١٥١]) أنْ مفسّرة (﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الآية ١٥١]) وأحسنوا (﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ الآية ١٥١]) بالوأد من أجل (﴿إِمْلَاقٍ﴾ [الآية ١٥١]) فقر تخافونه (﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [الآية ١٥١]) الكبائر كالزّنا (﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية ١٥١]) أي: علانيتها وسرّها، (﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية ١٥١]) كالقود وحدّ الردّة ورجم المحصن (﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية ٩٥]) المذكور (﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية ١٥١]) تتدبّرون. (﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ [الآية ١٥٢]) أي بالخصلة التي (﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾

(﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] **الآيات**).

[الآية ١٥٢]) وهي ما فيه صلاحه حتى يبلغ[(١)] أشدّه بأن يحتلم (﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية ١٥٢]) بالعدل وترك البَخْس (﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية ١٥٢]) طاقتها في ذلك، فإن أخطأ في الكَيْل والوزن والله يعلم صحة نيّته، فلا مؤاخذة عليه؛ كما ورد في حديث. (﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ [الآية ١٥٢]) في حكم أو غيره (﴿فَٱعْدِلُواْ﴾ [الآية ١٥٢]) بالصدق، ولو كان المقول له أو عليه (﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية ١٥٢]) قرابة لكم (﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية ١٥٢]) بالتشديد تتعظون، والسكون (﴿وَأَنَّ﴾ [الآية ٧٢]) بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافًا (﴿هَٰذَا﴾ [الآية ٧]) الذي وصَّيْتكم به (﴿صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية ١٥٣]) حال (﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الآية ١٥٣]) الطرق المخالفة له (﴿فَتَفَرَّقَ﴾ [الآية ١٥٣]) فيه حذف إحدى التائين تميل (﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية ١٥٣]) دينه (﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية ١٥٣]). اهـ جلالين.

قوله: (﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية ٢٣] **الآيات**) في سورة الإسراء: (﴿وَقَضَىٰ﴾ [الآية ٢٣]) أمر (﴿رَبُّكَ أَلَّا﴾ [الآية ٢٣]) أي بأنْ (﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية ٢٣]) وأن تُحسنوا (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الآية ٢٣]) بأن تبرّوهما (﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ [الآية ٢٣]) فاعل (﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الآية ٢٣])، وفي قراءة: يبلغان، فأحدهما بدل من ألفه (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الآية ٢٣]) بفتح الفاء[(٢)] وكسرها[(٣)] منوّنًا وغير منوّن مصدر بمعنى تبًّا وقبحًا (﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الآية ٢٣]) تزجرهما (﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الآية ٢٣]) جميلًا ليّنًا (﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الآية ٢٤]) أَلِنْ[(٤)] لهما جانبك الذّليل (﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الآية ٢٤])، أي لرقّتك عليهما (﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ [الآية ٢٤]) كما رحماني حين (﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الآيتان ٢٤، ٢٥]) من إضمار البرّ والعقوق (﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾

---

(١) أي لحفظه، ١٢ منه.

(٢) من غير تنوين لابن كثير وابن عامر وبه في الشاذ. اهـ كمالين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) قوله: وكسرها منونًا لنافع وحفص وغير منوّن للباقين. اهـ كمالين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) بزنَة الأمر من الإلانة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

والمتشابه ما وراءه أو ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، وما احتمل أوجهًا، أو ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله، أو الناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا

[الآية ٢٥]) طائعين لله تعالى، (﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ﴾ [الآية ٢٥]) للأوّابين الراجعين إلى طاعته (﴿غَفُورًا﴾ [الآية ٢٥]) لما صدر منهم في حقّ الوالدين من بادرة[1]، وهم لا يضمرون عقوقًا (﴿وَءَاتِ﴾ [الآية ٢٦]) أعْطِ (﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الآية ٢٦]) القرابة (﴿حَقَّهُۥ﴾ [الآية ٢٦]) من البرّ والصّلة (﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الآية ٢٦]) بالإنفاق في غير طاعة الله تعالى، (﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الآية ٢٧]) أي على طريقتهم، (﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الآية ٢٧]) شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذّر. (﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ [الآية ٢٨])، أي المذكورين من ذي القربى وما بعده، فلم تُعْطِهِم (﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ [الآية ٢٨])، أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه (﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الآية ٢٨]) ليّنًا سهلًا بأن تَعِدَهم بالإعطاء عند مجيء الرّزق، (﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الآية ٢٩])، أي لا تُمسكها عن الإنفاق كلّ المَسْك (﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ [الآية ٢٩]) في الإنفاق كلّ (البسط ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ [الآية ٢٩]) راجع للأوّل (﴿مَّحْسُورًا﴾ [الآية ٢٩]) منقطعاً لا شيء عندك راجع للثاني. (﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ [الآية ٣٠]) يوسّعه (﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية ٣٠]) يضيّقه لمن يشاء (﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الآية ٣٠]) عالماً ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم، (﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [الآية ٣١]) بالوأد (﴿خَشْيَةَ﴾ [الآية ٣١]) مخافة (﴿إِمْلَٰقٍ﴾ [الآية ٣١]) فقر (﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾ [الآية ٣١]) إثماً (﴿كَبِيرًا﴾ [الآية ٣١]) عظيماً (﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الآية ٣٢]) أبلغ مِنْ لا تأتوه (﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الآية ٣٢]) قبحاً (﴿وَسَآءَ﴾ [الآية ٣٢]) بئس (﴿سَبِيلًا﴾ [الآية ٣٢]) طريقاً هو، (﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ [الآية ٣٣]) لوارثه (﴿سُلْطَٰنًا﴾ [الآية ٣٣]) تسلّطًا على القاتل (﴿فَلَا يُسْرِف﴾ [الآية ٣٣]) يتجاوز الحدّ (﴿فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ [الآية ٣٣]) بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به (﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الآيتان ٣٣، ٣٤]) إذا عاهدتم الله أو الناس (﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الآية ٣٤]) عنه (﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾

---

(١) ما يبدر من حديثك في الغضب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يعمل به. وإنما لم يكن كل القرآن مُحكَمًا لما في المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، و(**لما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح**) في استخراج معانيه وردّه إلى المُحكَم (**من الفوائد الجليلة**) والعلوم (**الجمّة**) ونَيل الدرجات عند الله تعالى. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ مَيل عن الحق وهم أهل البِدَع ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ﴾ فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المُحكَم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق ﴿مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ طلب أن يفتتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾) وطلب أن يؤوِّلوه التأويل الذي يشتهونه (﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾) أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله (﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾) والذين رسخوا أي ثبتوا فيه وتمكّنوا (**وعضوا عليه بضرس**) قاطِع مُستأنَف عند الجمهور، والوقف عندهم على

[الآية ٣٥]) أتمّوه (﴿إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ [الآية ٣٥]) والميزان السويّ (﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ [الآية ٣٥]) مآلًا (﴿وَلَا تَقۡفُ﴾ [الآية ٣٦]) تتّبع (﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ﴾ [الآية ٣٦]) القلب (﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الآية ٣٦]) صاحبه ماذا فعل به (﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الآية ٣٧])، أي ذا مرح بالكبر والخيلاء (﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية ٣٧]) تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك، (﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [الآية ٣٧])، المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟ (﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ [الآية ٣٨]) المذكور كان سيّئة (﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الآيتان ٣٨، ٣٩]) يا محمد (﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الآية ٣٩]) الموعظة (﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الآية ٣٩]) مطرودًا عن رحمة الله. اهـ. جلالين.

قوله: (لمّا في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح) تفسير تقادح. **قوله: (القرائح)** جمع القريحة بمعنى الطبيعة. **قوله: (من الفوائد الجليلة)**... الخ بيان ما، **وقوله: (الجَمة)** بمعنى الكثيرة. **قوله: (وعضوا فيه بضرس)** قاطع. في لسان العرب: العضّ الشدّ بالأسنان على الشيء، وفي حديث العِرْباض: «**عضوا عليها بالنّواجذ**»، هذا مثل في شدّة الاستمساك بأمر الدِّين؛ لأنّ العضّ بالنواجذ عضّ بجميع الفمّ والأسنان، وهي أواخر الأسنان. وقيل: هي التي بعد الأنياب. اهـ باختصار.

قوله: «إلا الله» وفسَّروا المتشابه (**بما استأثره**) الله (**بعلمه**)، وهو مبتدأ عندهم والخبر «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» وهو ثَناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحَقِّيَّة بلا تكييف، وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به، واعتقاد حَقِّيَّة ما أراد الله به، ومعرفة قصور أفهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم إليه سبيلًا، و(**يعضده**) قراءة (**أبي**) «ويقول الراسخون» و(**عبد الله**) «إن تأويله إلا عند الله». ومنهم مَن لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه و«يقولون» كلام مُستَأنَف مُوَضِّح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنّا به أي بالمتشابه أو بالكتاب ﴿كُلٌّ﴾ من متشابهه ومحكمه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ وما يتّعظ وأصله يتذكّر ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

والضّرس ـ بالكسر ـ السِّنّ مذكّر ج ضُروس وأضراس. اهـ قاموس. **قوله:** (**بما استأثره**[1]) الله (**بعلمه**) أي تفرّد بعلمه. **قوله:** (**يعضده**). في مختار الصِّحاح: عَضَده من باب نصر أعانه. اهـ.

قوله: (**أُبيّ**) بن كعب السيّد القارىء الأنصاريّ الخزرجي النجاري ـ بالنون ـ شهد أُبيّ رضي الله تعالى عنه العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاريّ بثلاثة، ومسلم بسبعة. توفّي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفِنَ بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. قال أبو نعيم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح.

قوله: (**عبد الله**) بن مسعود، هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب، وأُمّه أُمّ عبد بنت عبد ودّ بن سواء أسلمت وهاجرت، فهو صحابيّ ابن صحابية، أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطّاب **بزمان**، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرّضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ

---

(١) أي انفرد واستبدّ به. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أصحاب العقول، وهو مدح للراسخين بإلقاء الذِّهن وحُسْن التأمّل. وقيل: «يقولون» حال من الراسخين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تملها عن الحق بخلق المَيل في القلوب ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ للعمل بالمُحكَم والتسليم للمتشابه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ كثير الهبة، والآية من مَقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوها وكذلك التي بعدها وهي ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ **(أي تجمعهم)** لحساب يوم أو لجزاء يوم ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في وقوعه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ (الْمِيعَادَ)﴾ **الموعد. والمعنى أن الإلـٰهية تنافي خلف الميعاد)** كقولك: «إن الجواد لا يخيب سائله» أي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب.

بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبِسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوي له عن رسول الله ﷺ ثماني مائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بإحدى وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفّي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أي تجمعهم)، يعني: أنه من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول وليوم متعلّق به على حذف المضاف؛ لأن الجمع ليس لليوم نفسه على طريقة: كنت أعدّك لهذا الوقت، ولا اللام أيضًا للتوقيت؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: الآية ٧٨]، وهو ظاهر فتعيّن حذف الحساب أو الجزاء، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: الآية ٩]، أي لحسابه أو جزائه؛ إذ ليس المعنى إلّا هذا. **قوله:** (﴿الْمِيعَادَ﴾ **الموعد)** بمعنى المصدر، لأنه اللائق بمفعولية يخلف لا الزمان أو المكان. **قوله: (والمعنى أن الإلـٰهية تنافي خلف الميعاد)**، يعني أن

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ برسول الله ﴿لَن تُغۡنِيَ﴾ تنفع أو تدفع ﴿عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من الأشياء ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ حطبها ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ الدأب مصدر دأب في العمل **(إذا كدح فيه)** فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله. والكاف مرفوع المحلّ تقديره **(دأب هؤلاء الكفرة)** في تكذيب الحق كدأب مَن قبلهم من آل فرعون وغيرهم، أو منصوب المحل بـ «لن تغني» أي لن تُغني عنهم مثل ما لم تُغنِ عن أولئك. «كداب» بلا همز حيث كان: **(أبو عمرو)**. ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تفسير لدأبهم مما فعلوا، أو فعل بهم على أنه جواب سؤال مقدّر عن حالهم، ويجوز أن يكون حالًا أي قد كذبوا ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أي جازيته عليه ﴿وَٱللَّهُ (شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ **شديد عقابه فالإضافة غير محضة)**.

العدول عن المُضمر المخاطب على ما هو الظاهر إلى الاسم المُظهر بغير لفظه المتقدم وهو ربّنا، للدلالة على أن الحكم مرتّب على ما يدلّ عليه اسم الله تعالى.

قوله: (إذا كدح فيه) الكَدْح العمل والسعي والكدّ والكسب.اهـ. مختار الصحاح: أي أتعب النفس في العمل. **قوله: (دأب هؤلاء الكفرة)**، أي شأنهم وحالهم. **قوله: (أبو عمرو)** البصري، من القرّاء السبعة. **قوله: (﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾)** الفاعل مضاف إلى الفاعل أي **(شديدٌ عقابه)**، وقيل: شديد هنا بمعنى مشدّده فعيل قد يكون بمعنى مُفعل ومفعّل، فيكون على هذا مضافًا إلى المفعول.اهـ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد. **(فالإضافة[1] غير محضة)** وأيضًا اسمها لفظية ومجازية وتسميتها مجازية ليست بمعنى المجاز المتعارف حتى تحتاج لعلاقة وقرينة، بل المراد أنها إضافة في الظاهر والصورة لا الحقيقة والمعنى.

---

(١) إذا كان الصفة مضافة إلى معمولها، أي إلى مرفوعها أو منصوبها يكون إضافتها إلى معمولها غير محضة، وتسمى أيضًا لفظيّة ومجازية، وإذا كان إضافتها لا إلى معمولها يكون إضافتها محضة وتسمّى أيضًا معنوية وحقيقية. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم مُشركو مكة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ يوم بدر ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ (**من الجهنام وهي بئر عميقة. وبالياء فيهما: حمزة وعلي**) ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المُستَقر جهنم.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

(﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾) الخطاب لمُشركي قريش ﴿(فِى فِئَتَيْنِ) ٱلْتَقَتَا﴾ يوم بدر ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ وفئة أخرى

فـائدة:

اسم الفاعل المضاف إذا كان بمعنى الماضي فقط كانت إضافته حقيقية لنقص مشابهته المضارع التي هي العلّة في عمله، وإذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال فقط كانت إضافته غير حقيقية لتمام المشابهة. وأمّا إذا[١] كان بمعنى الاستمرار، ففي إضافته اعتباران اعتبار المضيّ، فتكون محضة فيقع صفة للمعرفة، ولا يعمل، واعتبار الحال والاستقبال، فتكون غير محضة، فتقع صفة للنكرة ويعمل فيما أضيف إليه، انتهى الدّماميني باختصار.

قوله: (**من الجُهنّام، وهي بئرٌ عميقة**) في القاموس: ركيته جُهُنّام مثلّثة وجهنّمُ كعَمَلّس بعيدة القعْر، وبه سمّيت جهنّم أعاذنا الله منها. اهـ. **قوله: (وبالياء)** التحتية (**فيهما**) أي سيغلبون ويُحشرون (**حمزة وعلي**) الكسائي. والباقون بالخطاب.

قوله: (﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾) جواب قسم محذوف، وآية اسم كان، ولم يؤنّث الفعل لأن تأنيث الآية غير حقيقيّ، ولوجود الفصل بلكم، فإنّ الفاصل يقوم مقام علامة التأنيث، ولكم خبر كان قُدّم على اسمه، وقوله: (﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾) في

---

(١) قوله: وأما إذا كانت بمعنى الاستمرار... الخ. لأن الاستمرار صادق بالجميع، فيجوز قصد أحد الاعتبارين بما يترتّب عليه من تعريف التابع أو تنكيره. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين ألفين، أو مثلي عدد المسلمين ستمائة **(ونيفًا وعشرين)**، أراهم الله إياهم مع قلّتهم أضعافهم ليَهابوهم ويَجبُنُوا عن قتالهم. (﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ **[الأعراف: الآية ٢٧] نافع)** أي ترون يا مُشركِي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة، أو مثلي أنفسهم. ولا يناقض هذا ما قال في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية ٤٤] لأنهم قُلّلوا أولًا في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فلما اجتمعوا كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمـٰن: الآية ٣٩]، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: الآية ٢٤]. وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية. و«مثليهم» نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله: ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ **(يعني رؤية ظاهرة)** مكشوفة لا لَبْسَ فيها ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كما أيَد أهل بدر بتكثيرهم في أعيُن العدو ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في تكثير القليل ﴿لَعِبْرَةً﴾ **(لعظة)** ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ لذوي البصائر.

محل الرفع نعت لآية، ولا وجه لكون فئتين خبر كان لأن حكم اسم كان حكم الابتداء، فلا يجوز أن يكون اسمًا لها إلّا ما جاز الابتداء به، وهٰهنا لو جعلت آية مبتدأ وما بعدها خبرًا لم يجز؛ إذ لا مسوّغ للابتداء بهذه النَّكرة بخلاف ما إذا جعلت لكم الخبر، فإنه جائز لوجود المسوّغ، وهو تقديم الخبر المجرور بحرف الجرّ. **قوله: (ونيّفًا وعشرين)** في مختار الصِّحاح: النيِّف بوزن الهيِّن الزيادة يخفّف ويشدّد، يقال: عشرة ونيّف ومائة ونيّف، وكلّ ما زاد على العقد فهو نيّف حتى يبلغ العقد الثاني.اهـ. وفي المصباح: النيّف الزيادة والتثقيل أفصح. وفي التهذيب: وتخفيف النيّف عند الفصحاء لحن. وقال أبو العباس: الذي حصّلناه من أقاويل البصريّين والكوفيّين أن النيّف من واحد إلى ثلاث، والبضع من أربع إلى تسع، ولا يقال نيّف إلّا بعد عقد نحو عشرة ونيّف ومائة ونيّف وألف ونيّف.اهـ. **قوله: (﴿تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٢٧])** بتاء الخطاب **(نافع)** وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة؛ والباقون بياء الغيبة، **قوله: (يعني رؤية ظاهرة)** إشارة إلى أن رأي العين منصوب على أنه مفعول مطلق لقوله: (﴿يَرَوْنَهُم﴾)، يقال: رأيت رأيًا ورؤية ورأيته في المنام رؤيا حسنة، فالرؤيا تختصّ بالمنام. **قوله: (لعِظَة)** يَتّعِظُ به

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ **(المُزيِّن هو الله)** عند الجمهور **(للابتلاء)** كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا

ذوو البصائر ويعلمون أن النصر والظفر إنما يحصلان بتأييد الله تعالى ونصره، لا بكثرة العدد والشَّوْكة والسلاح، والمعتبر هو الذي يعبّر من منزلة الجهل إلى أوج العلم، فإنّ أصل العبرة من العبور، وهو النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر، أو من العبارة وهي الكلام الذي يعبّر به المعنى إلى المخاطَب. **قوله: (المزيّن هو الله تعالى)** عند أهل السنّة: بناءً على أن الخالق لجميع الأفعال والدَّواعي هو الله تعالى، وأيضًا لو كان **المزيّن** هو الشيطان فمن الذي زيَّن الكفر والبدعة للشيطان؟ فإنْ كان ذلك شيطانًا آخر لَزِم التسلسل، وإنْ وقع ذلك من نفس ذلك الشيطان، فليكن في الإنسان كذلك، وإنْ كان من الله فهو الحقّ فليكن في حقّ الإنسان كذلك، ويؤيّده قوله تعالى في سورة القصص: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القَصَص: الآية ٦٣]، يعني إن اعتقد أحد أنّا أغويناهم، فمَن الذي أغوانا؟ ثم التزيّين من الله تعالى تزيين في الطِّباع بأن ركّب في طباع البشر المستلذّات والمَيْل إليها والطبع يرغب فيما يتلذّذ به ويشتهي، وإن لم يكن حسنًا في نفسه، وتلك الرغبة والمَيَلان بخلق الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعَام: الآية ١٠٨]، وتزيين في العقول ولا يتزيّن الشيء في العقل ولا يحسن إلا إذا كان حسنًا في نفسه أو حُمِدت عاقبته أو تعلّق به أمر النهي ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ٧]، وكذلك التكريه أيضًا يقع على وجهين، أحدهما: في الطباع، وهو تنفيرها عن الشيء، وذلك بخلق النُّفرة والكراهة فيها. وثانيهما: في العقول، وإن كانت الطِّباع تميل إليها، كما قال **تعالى**: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحُجرَات: الآية ٧]، فالطبع يميل ويرغب إلى ما هو ألذّ وأشهى وأخفّ عليه، وينفر عمّا يضره ويثقل عليه، والعقل لا ينفر عمّا سوى القبيح في نفسه ويرغب فيما هو الحسن في نفسه، وقوله عليه السلام: «**حُفَّت الجنّة بالمكاره والنار بالشهوات**» ليس محمولًا على كراهة العقل وشهوة العقل، بل هو محمول على كراهة الطبع وشهوته، فكل واحد

﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: الآية ٧]. دليله قراءة (مجاهد) «زين للناس» على تسمية الفاعل. وعن (الحسن:) الشيطان ﴿حُبُّ (ٱلشَّهَوَٰتِ)﴾ الشهوة

ممّا في الطباع والعقول من التزيين والتكريه، فهو من الله تعالى عندنا. وقولهم: إن الشيطان هو الذين يزيّن المشتهيات لهم، إنْ عَنَوْا بذلك أنه يرغّبهم فيها ويدعوهم إليها ويُريهم زينتها، وهو حسن، ظاهرها: فنعم الأمر كذلك. وإنْ عَنَوْا أن الشيطان له قدرة إنشاء التزيين وإحداث الحسن، فلا؛ إذ الأفعال مخلوقة لله وهو يدعوهم إلى ما خلق الله حسنه في الطباع ويُريهم ما جعله الله حرامًا عندهم، فكان فعله هو الدّعاء لا الإحداث، ولكن مع هذا الحبّ الحذر من دعوته غاية الحذر؛ إذ هو يرانا ولا نراه، ولا يتحقّق الحذر من مثل هذا العدوّ إلّا بالفزع إلى الله تعالى والاستعاذة منه. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (للابتلاء) يعني أنه تعالى زيّنه ليظهر أنه هل يتبع لشهوته رعاية لهواه، أو ينقاد لأمر ربّه فيما أمره ونهاه ويُجازى على حسب نيّته وحاله.

قوله: (مجاهد) بن جبر الإمام المشهور، وهو تابعي إمام متّفق على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث مناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: (الحسن)، هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رحمه الله. **قوله: (﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾)** جمع شهوة بسكون العين فحُرِّكت في الجمع، والشهوة مصدر معناها مَيْل النفس وتوقانها إلى الشيء، يقال: اشتهى يشتهي شهوة، والمراد هٰهنا بالشهوات المشتهيات؛ إذ لو أُريد بها المعنى المصدري لما جمع، ويدلّ أيضًا بيانها بالمشتهيات حيث قيل: (﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾) الآية، وسمّيت شهوات للمبالغة في نزوع النفس إليها بحيث كأنها صارت عين النزوع والميلان، كما يقال: رجل عدل للمبالغة في عدالته إيماءً إلى كمال محبّتهم إيّاها، فإن الإنسان قد يحب شيئًا لكنه يحب أن لا يحبّه كمسلم يميل طبعه إلى بعض المحرّمات، لكنه يحبّ أن لا يحبّ. وأمّا مَنْ أحبّ شيئًا وأحبّ أن يحبّه، فذلك كمال المحبّة؛ كما في قوله تعالى حكايةً عن سليمان على نبيّنا

(تَوَقان النفس) إلى الشيء، جَعْل الأعيان التي ذكرها شهوات مُبالَغَة في كونها مُشتَهاة، أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مُسْتَرذَلَة عند الحكماء، مذموم مَن اتّبعها، شاهد على نفسه بالبهيمية (﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) والإماء داخلة فيها ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾ جمع ابن **(وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والإناث، وهنا أُريد به الذّكور)** فهم المُشتَهون في **(الطِّباع)** والمُعَدُّون **(للدفاع)** ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ جمع قنطار وهو المال الكثير. قيل: **(ملء مسك ثور)** أو مائة ألف **(دينار)**، ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾

وعليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [صَ: الآية ٣٢]، ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون محبًا للخير. اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله: (توقان النفس)** بفتح الواو. في مختار الصحاح: تاقت نفسه إلى الشيء اشتاقت إليه، وبابه قال: وتَوَقانًا أيضًا بفتح الواو. اهـ. **قوله:** (﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) قدّم النساء على الكلّ لكثرة تشوّق النفس إليهنّ، لأنهنّ حبائل الشيطان وفتنة الرجال، قال عليه الصّلاة والسّلام: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء**»، ثم ثنّى بالولد الذّكر لأن حبّه أتمّ وأقوى من حبّ الأنثى، وفي تزيين حبّ الأنثى والولد في قلب الإنسان حكمة بالغة، ولولا هذا الحبّ لما حصل التوالد والتناسل، وهذه المحبّة أقوى في جميع طباع الحيوانات. اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله: (وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والإناث، وهنا أُريد به الذكور)**، في القاموس: الابن الوَلَد أصله بني أو بنو. اهـ. وفي المصباح: الوَلَد ـ بفتحتين ـ كل ما ولده شيء ويُطلق على الذكر والأُنثى، والمثنى والمجموع. اهـ. **قوله: (الإناث)** مثل كتاب، جمع الأنثى. **قوله: (الطباع)** في مختار الصحاح: الطَّبْع السَّجيّة التي جُبِل عليها الإنسان، وهو في الأصل مصدر، والطبيعة مثله، وكذا الطِّباع بالكسر. اهـ. **قوله: (للدفاع)** في لسان العرب: الدَّفْع الإزالة بقوّة دفعه يدفعه دفعًا ودفاعًا. **قوله: (ملء مسك ثور من ذهب أو فضّة)** الملأ ـ بالكسر ـ ما يأخذه الإناءُ إذا امتلأ. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: مِلْؤه ـ بالكسر ـ ما يملأه وجَمْعه إمْلاء، مثل حمل وأحمال. اهـ. والمسك ـ بفتح فسكون ـ الجلد والثور الذَّكر من البقر. **قوله: (دينار)** في المصباح: الدينار معروف، والمشهور في الكتب أن أصله دنار بالتضعيف، فأُبدل حرف علّة للتخفيف، ولهذا يُرَدّ في الجمع إلى أصله، فيقال:

(**المنضدة**) أو المدفونة (﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾) سُمِّي ذهبًا لسُرعة ذهابه بالإنفاق، وفضة لأنها تتفرق بالإنفاق والفَضّ التفريق ﴿وَٱلْخَيْلِ﴾ سُمِّيَت به (**لاختيالها**) في مشيها ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلّمة من (**السومة**) وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (**هي الأزواج الثمانية**) ﴿وَٱلْحَرْثِۗ﴾ الزرع (﴿ذَٰلِكَ﴾ **المذكور**) ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ المرجع. ثم زَهَّدهم في الدنيا فقال:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ﴾ من الذي تقدَّم ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ كلام مُستَأنَف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم، فـ «جنات» مبتدأ و«للذين اتقوا» خبره ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ صفة لـ «جنات»، ويجوز أن يتعلق اللام بـ «خير» واختصَّ المُتَّقين لأنهم هم المُنتفعون به. ويرتفع «جنات» على هو جنات

دنانير، وبعضهم يقول: هو فيعال، وهو مردود بأنّه لو كان كذلك لوجدت الياء في الجمع كما ثبتت في ديماس ودياميس، والدينار وزان إحدى وسبعين شعيرة ونصف شعيرة تقريبًا بناءً على أن الدانق ثماني حبات وخمسا حبة، وإن قيل: الدَّانق ثماني حبّات، فالدينار ثمان وستون وأربعة أسباع حبّة، والدِّينار هو المثقال. اهـ. **قوله: (المنضدة)** في مختار الصحاح: نضد متاعه وضع بعضه على بعض، وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هُود: الآية ٨٢]، ونضد تنضيدًا أيضًا للمبالغة في وضعه متراصعًا. اهـ.

قوله: (لاختيالها) في مختار الصحاح: الخيلاء - بضم الخاء وكسرها - الكِبْر تقول منه: اختال. اهـ. وفي المصباح: سمّيت خيلًا لاختيالها وهو إعجابها بنفسها مَرَحًا، ومنه يقال: اختيال الرجل وبه خُيَلاء، وهو الكبر والإعجاب. اهـ. **قوله:** (السومة) بالضمّ. **قوله: (هي الأزواج الثمانية)** الذّكر والأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز. **قوله:** (﴿ذَٰلِكَ﴾ **المذكور**) يريد بيان وجهه تذكير اسم الإشارة وإفراده مع كون الإشارة إلى جميع ما سبق، وقد جوّزوا في الضمير الإفراد والتذكير والتأنيث بالنظر إلى الخبر. اهـ تفتازاني رحمه الله.

(وتنصره قراءة مَن قرأ ﴿جناتٍ﴾ بالجر على البدل من ﴿خير﴾) ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ (وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ)﴾ أي رضا الله ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ عالِم بأعمالهم فيُجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعَدَّ لهم الجنَّات.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ (نصب على المدح أو رفع أو جرّ صفة للمتقين أو للعباد) ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ إجابة لدعوتك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ إنجازًا لوعدك ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بفضلك.

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قولًا بإخبار الحق، وفعلًا بإحكام العمل، ونيَّة بإمضاء العزم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ الدَّاعين

قوله: (وتنصره قراءة من قرأ ﴿جنات﴾ بالجرّ على البدل من ﴿خير﴾) وهو يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري رحمه الله. **قوله:** (﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) قرأ شعبة بضمّ الراء والباقون بكسرها، وهما لغتان: الكسر لغة الحجاز، والضمّ لغة تميم. وقيل: بالكسر اسم وبالضمّ مصدر.

تنبيـــه:

قد نبّه سبحانه وتعالى في هذه الآية على نِعَمِه، فأدناها متاع الحياة الدنيا، وأعلاها رضوان الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: الآية ٧٢]، وأوسطها الجنّة ونعيمها. اهـ خطيب باختصار.

قوله: (نصب على المدح) أي بإضمار، أعني أو أمدح. **قوله:** (أو رفع) أي مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قيل: من هؤلاء المتّقون؟ فقيل: هم الذين يقولون كيت وكيت. **قوله:** (أو جرّ صفة للمتّقين)، أي لقوله الذين اتّقوا. **قوله:** (أو) صفة (للعباد) واستضعف أبو البقاء جعله صفة للعباد، قال: لأن فيه تخصيصًا لعلم الله تعالى، ولا محذور فيه؛ لأن علمه تعالى بإنابتهم إلى الله تعالى ومقدار مشقّتهم في العبادة والطاعة كناية عن مُجازاتهم عليها على حسب ما وعده. اهـ، شيخ زاده رحمه الله.

أو المُطيعين ﴿وَٱلۡمُنفِقِينَ﴾ المتصدِّقين ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ (بِٱلۡأَسۡحَارِ)﴾ المُصَلِّين أو طالِبين المغفرة، وخَصَّ الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء، ولأنه وقت الخلوة، قال **(لقمان)** لابنه: يا بُنَيَّ لا يكن **(الديك)** أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم. والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها، وللإشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾

(﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾) أي حَكَم أو قال ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي بأنه (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾) بما عايَنوا من عظيم قدرته (﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾) أي الأنبياء والعلماء (﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ **مقيمًا للعدل**) فيما يقسم به الأرزاق والآجال ويُثيب ويُعاقب، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السَّوِيَّة فيما بينهم. **(وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من «هو»، وإنما جاز إفراده بنصب الحال)** دون

قوله: (﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾) الباء بمعنى في، والأسحار جمع سَحَر وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر. **قوله:** (لقمان) الحكيم اتّفقوا على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا، إلّا عكرمة، فإنّه قال: كان لقمان نبيًّا، وتفرّد بهذا القول، وقيل: كان عبدًا أسود. وعن ابن المسيّب: أنه كان خيّاطًا. اهـ كمالين. وفي تفسير الجلالين: كان يُفتي قبل بعث داود وأدرك زمنه وأخذ منه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: لا أكتفي إذ أكفيت. اهـ. **قوله:** (الدِّيك) ذكر الدجاج. اهـ مصباح.

قوله: (مقيمًا للعدل) إشارة إلى أن الباء للتعدية كالهمزة. **قوله:** (وانتصابه على أنه حال مؤكّدة من اسم الله تعالى)، والحال قسمان: مؤكّدة، وهي التي تكون لازمة لذى الحال. ومنتقلة، ويقال: متحوّلة، وهي التي تزول عنه مرّة وتثبت له أخرى، وقائمًا على تقدير كونه حالًا من فاعل شهد تكون حالًا مؤكّدة؛ لأن القيام بالعدل لازم لله تعالى لا ينتقل عنه. **قوله:** (أو من هو)، أي يجوز أن يكون قائمًا حالًا من هو في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾. **قوله:** (وإنما جاز إفراده بنصب الحال)... الخ مع أن النُّحاه لم يجوّزوا اختصاص أحد الأُمور المتعاطفة بانتصاب الحال منه دون الباقين بناءً على أنهم منعوا ذلك في موضع الالتباس، كما جاز

المعطوفين عليه ولو قلت: «جاء زيد وعمرو راكبًا» لم يجُز لعدم الإلباس فإنك لو قلت: «جاءني زيد وهند راكبًا» جاز لتميّزه بالذُّكورة أو على المدح. وكرر (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) للتأكيد (﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾) رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لـ «هو» لأن الضمير لا يُوصَف يعني أنه العزيز الذي لا يغالب، الحكيم الذي لا يعدل عن الحق.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

﴿(إِنَّ ٱلدِّينَ) عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ **(جملة مستأنفة)**. وقرىء «أن الدين» على البدل من قوله: «أنه لا إلـه إلا هو» أي شهد الله **(أن الدين عند الله الإسلام. قال عليه السلام: «مَن قرأ الآية عند منامه)** خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة، ومَن قال بعدها: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة: إن لعبدي عندي عهدًا وأنا أحقّ مَن وفّى بالعهد أدخِلوا عبدي الجنة».

ذلك لعدم الالتباس في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٧٢]، فإنّ نافلة انتصب حالًا من يعقوب كذلك.

قوله: (جملة مستأنفة) أي مبتدأة لا استئنافًا بيانًا. **قوله:** (﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾) بفتح الهمزة (عليّ) الكسائي (على البدل) أي بدل كلّ. والباقون بالكسر على الاستئناف. **قوله:** (قال عليه السلام: «مَن قرأ الآية عند منامه»)... الخ قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب بعد نقل هذا الحديث عن المدارك: الحديث ضعيف، لكنه في الفضائل. اهـ. وأخرج ابن عدي والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان وضعّفه والخطيب في تاريخه وابن النجار عن غالب القطّان، قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبًا من الأعمش، فلما كانت ليلة أردت أن أنحدر قام فتهجّد من الليل فمرّ بهذه الآية: (﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) إلى قوله: (﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾)، فقال: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي وديعة عند الله، قالها مرارًا، فقلت: لقد سمع فيها شيئًا، فسألته، فقال: حدّثني أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد **(فثلثت النصارى)** وقالت اليهود: عزير ابن الله ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ أنه الحق الذي **(لا محيد عنه)** ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ أي ما كان ذلك الاختلاف إلا حسدًا بينهم وطلبًا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسًا **(لا شبهة)** في الإسلام. وقيل: هو اختلافهم في نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض. وقيل: هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ **(بحججه)** ودلائله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ سريع المُجازاة.

صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**يُجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله: عبدي عهد إليّ وأنا أحقّ من وفى بالعهد، أدخِلوا عبدي الجنّة**». اهـ الدرّ المنثور للعلامة الجلال السيوطي رحمه الله.

وأيضًا فيه: وأخرج أبو الشيخ في العَظَمة عن حمزة الزيّات، قال: خرجت ذات ليلة أُريد الكوفة، فآواني اللّيل إلى خِربة فدخلتها، فبَيْنا أنا فيها إذ دخل عليّ عفريتان من الجنّ، فقال أحدهما لصاحبه: هذا حمزة بن حبيب الزيّات الذي يُقرىء الناس بالكوفة، قال: نعم، والله لأقتلنّه، قال: دع المسكين يعيش، قال: لأقتلنّه، فلمّا أزمع[1] على قتلي، قلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم (﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾)، وأنا على ذلك من الشاهدين، فقال له صاحبه: دونك الآن فاحفظه راغمًا إلى الصباح. اهـ.

قوله: (فثلّثت النصارى) وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: الآية ٧٣]، والآخران عيسى وأُمّه وهم فرقة من النصارى. **قوله: (لا محيد عنه)** في مختار الصحاح: حادَ عنه يحيد حيدة وحُيُودًا وحَيْدُودة، أي مال وعدل. اهـ.

قوله: (لا شبهة) أي لا لشبهته **قوله: (بحججه)** في المصباح: الحُجّة الدّليل والبرهان، والجمع حُجج مثل غرفة وغرف. اهـ.

---

(١) في القاموس: أزْمعتُ الأمر وعليه أجمعت. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ فإن جادلوك في أن دين الله الإسلام والمراد بهم وفد بني نجران عند الجمهور ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ **(أي أخلصت نفسي وجملتي)** لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكًا بأن أعبده وأدعو إلهًا معه، يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]. فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومَن معه من المؤمنين هو اليقين الذي لا شك فيه فما معنى المَحاجَّة فيه! ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ عطف على التاء في «أسلمت» أي أسلمت أنا ومَن اتبعني **(وحسن للفاصل)**، ويجوز أن يكون الواو بمعنى «مع» فيكون مفعولًا معه. **(«ومَن اتبعني» في الحالين)**: سهل ويعقوب وافق أبو عمرو **(في الوصل. «وجهي»: مدني وشامي وحفص والأعشى والبرجمي)**. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾

قوله: (أي أخلصت نفسي وجملتي) فيه إشارة إلى أن الوجه مجاز عن نفس الشيء وذاته، أي جملة الشخص، أي النفس بمعنى جملة الشيء لا بمعنى الروح، فقوله: جملتي تفسير لنفسي احتراز عن كون المراد الروح. **قوله: (وحسن للفاصل)** أي وحسن لوجود الفصل بالمفعول. **قوله: (ومن اتبعني)** بإثبات ياء بعد النون **(في الحالين)** أي الوصل والوقف، سهل بن محمد البصري السجستانيّ ويعقوب بن إسحٰق البصري الحضرمي، وليسا من السبعة. وافق أبو عمرو البصري، وكذا نافع المدني وأبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(في الوصل)** خاصّة. والباقون بالحذف وصلًا ووقفًا. **قوله: (وجهي)** بفتح ياء الإضافة، **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وحفص)** عن عاصم **(والأعشى)** أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى، عن أبي بكر شعبة عن عاصم. **(والبرجمي)** أي عبد الحميد بن صالح البرجمي، عن أبي بكر شعبة عن عاصم، والبُرْجمي - بضم الباء وسكون الراء وضمّ الجيم - نسبة إلى البراجم، وهي قبيلة من تميم. وسكّنها الباقون.

من اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ والذين لا كتاب لهم من مُشركي العرب (﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ بهمزتين: **كوفي**)، يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يقتضي حصول الإسلام فهل أسلمتم أم أنتم (**بعد**) على كفركم؟ وقيل: لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الأمر أي أسلموا كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩١] أي انتهوا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾ فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ أي لم يضرّوك فإنك رسول منبّه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبّه على طريق الهدى ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازيهم على إسلامهم وكفرهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ هم أهل الكتاب رضوا أن يقتل آباؤهم الأنبياء ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ حال مؤكدة لأن قتل النبي لا يكون حقًّا ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ (و«**يقاتلون**»: **حمزة**) ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي سوى الأنبياء. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا في

قوله: (﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ **بهمزتين: كوفي**) في غيث النفع قرأ هشام بخلف عنه والحرميان والبصري بتحقيق الأُولى وتسهيل الثانية، ورُوِي عن ورش أيضًا إبدالها ألفًا، والباقون بتحقيقهما، وهو الطريق الثاني لهشام، وأدخل بينهما ألفًا قالون وبصري وهشام، والباقون بعدم الإدخال. اهـ. وفي الإتحاف: قرأ ﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ بتسهيل الثانية وإدخال ألف قالون، وأبو عمرو وأبو جعفر وهشام بخلفه، وقرأ ورش من طريق الأصبهاني والأزرق في أحد وجهيه، وابن كثير ورُوَيس بالتسهيل بلا إدخال ألف، والثاني للأزرقي إبدالها ألفًا مع المدّ للساكنين. والباقون ومنهم هشام في ثانيه بالتحقيق بلا ألف، ولهشام وجه ثالث وهو التحقيق مع الألف اهـ. **قوله: (بعد)** في منتخب اللغات: بعد ـ بالفتح ـ هنوز وپس يزى، انتهى. والمراد هنا الأوّل. يعني هنوز بمعنى إلى الآن.

قوله: (ويقاتلون) بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء من المُقاتلة. **(حمزة)**. والباقون بفتح الياء وإسكان القاف بغير ألف وضمّ التاء من القتل. **قوله:**

أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلًا من (عُبّاد) بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعًا في آخر النهار من ذلك اليوم» ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ دخلت الفاء في خبر «إن» (لتضمن اسمها معنى الجزاء) كأنه قيل: الذين يكفرون فبشِّرهم بعذاب أليم بمعنى مَن يكفر فبشِّرهم، وهذا لأن «إن» لا تغيِّر معنى الابتداء فهي للتحقيق فكأن دخولها كلا دخول (ولو كان مكانها «ليت» أو «لعل» لامتنع دخول الفاء).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي ضاعت ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ جمع لوقف رؤوس الآي وإلا فالواحد النكرة في النفي يعمّ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يريد أحْبار اليهود وأنهم حصَّلوا نصيبًا وافرًا من التوراة. «ومن» للتبعيض أو للبيان ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال من «الذين» ﴿إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي التوراة أو القرآن ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ جعل حاكمًا حيث كان سببًا للحكم أو ليحكم النبي. رُوِيَ أنه عليه السلام دخل (مدراسهم) فدعاهم فقال له (نعيم بن عمرو والحارث بن زيد): على أيّ دين أنت؟ قال النبي عليه السلام: على ملَّة إبراهيم. قالا: إن إبراهيم كان يهوديًا قال لهما: إن بيننا وبينكم التوراة (فهلموا) إليها فأبَيَا ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتولِّيهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وهم قوم لا يزال الإعراض (ديدنهم).

(عُبّاد) جمع عابد مثل كافر وكفّار. اهـ مصباح باختصار. قوله: (لتضمن اسمها معنى الجزاء)، أي الشرط وهو السببية مع عدم المانع. قوله: (ولو كان مكانها ليت أو لعلّ لامتنع دخول الفاء)، لتغيّر معنى الابتداء لنقلهما الكلام إلى الإنشاء.

قوله: (مدراسهم) المدراس بيت العلم والدّراسة. قوله: (نعيم بن عمرو) من أحبار اليهود. قوله: (والحارث بن زيد) من أحبار اليهود. قوله: (فهلمّوا) أي تعالوا وأقبلوا. قوله: (ديدنهم) أي عادتهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي ذلك التولّي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وهي أربعون يومًا أو سبعة أيام و«ذلك» مبتدأ و«بأنهم» خبره ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي غرّهم افتراؤهم على الله وهو قولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذّبنا بذنوبنا إلا مدة (**يسيرة**)».

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾ فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ (**جزاء ما كسبت**) ﴿وَهُمْ﴾ يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

(﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾) الميم (**عوض من**) «يا» (**ولذا لا يجتمعان**)، وهذا (**بعض خصائص هذا الاسم كما اختصّ بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه، وفيه لام التعريف وبقطع همزته في «يا الله» وبالتفخيم**

قوله: (يسيرة) أي قليلة. **قوله: (جزاء ما كسبت)** يعني أن في الكلام مضافًا مُقدّرًا.

قوله: (﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾) الميم **(عوض من)** يا، فإن أصل اللّهمّ عند البصريّين: يا الله، فحذف حرف النداء، وعوّض عنه هذه الميم المشدّدة لكونها عوضًا عن حرفين. **(ولذا لا يجتمعان)**، فلا يقال: يا اللّهمّ، وهذا ـ أي تعويض الميم المشدّدة عن حرف النداء ـ **(بعض خصائص هذا الاسم)** الشريف، فلا يجوز التعويض المذكور في غيره، فلا يُقال: زيدمّ عمرومّ، **(كما اختصّ بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه، وفيه لام التعريف)** أي بدخول يا عليه مع كونه مُعرّفًا بلام التعريف، **(وبقطع همزته في: يا الله، وبالتفخيم)** وقال الكوفيّون: أصله

﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرّف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثانٍ أي يا مالك الملك) ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تعطي مَن تشاء النصيب الذي قسمت له من المُلْك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ أي تنزعه فالمُلْك الأول عامٌ والمُلْكان الآخران خاصّان بعضان من الكل. رُوِيَ أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ حين فتح مكة وعد

يا الله آمنّا بخير، أي اقصدنا بخير من قولك: أمّيت زيدًا، أي قصدته، ومنه: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المَائدة: الآية ٢]، أي قاصديه، وعليه لو كانت الميم مشدّدة بقية فعل محذوف لما صحّ أنْ يقال: اللّهمّ اغفر لنا إلّا بحرف العطف؛ لأن التقدير: يا الله آمنا بخير واغفر لنا وارحمنا، ولم نجد أحدًا يذكر هذا الحرف العاطف. وأجاب عنه الكوفيّون بأن العاطف تُرِكَ بين الفعلين بناءً على أن الفعل الثاني ليس مطلوبًا مغايرًا للفعل الأوّل، بل الثاني تفسير الأوّل؛ فكأنه قيل: يا الله آمنّا بخير بأن تغفر لنا، فجعل الثاني عطف بيان للأوّل. (﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: الآية ٢٦] **تملك جنس الملك، فتتصرّف فيه تصرّف المُلاكَ فيما يملكون)** المُلّاك جمع مالك، مثل كافر وكفّار. اهـ مصباح. (**وهو نداءٌ ثانٍ**) بحذف حرف النداء، أي (**يا مالك الملك**) وكذا قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزُمَر: الآية ٤٦]، ولا يجوز أن يكون نعتًا لقوله اللّهم: لأن قولنا: اللّهمّ مجموع الحرف والاسم، وهذا المجموع لم يكن له صفة. وقال المبرد والزجّاج: إنّ مالك وصف للمنادى المفرد؛ لأن هذا الاسم ومعه الميم بمنزلته، ومعه ياء النداء، فلا تمتنع الصفة مع الميم كما لا تمتنع مع يا.

فائدة عظيمة:

روى الإمام الواحدي في الوسيط عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية ١٨] و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ **إلى قوله:** ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ **مشفّعات فيمن يتلوهنّ، يقول الله تعالى: لا يقروؤكن أحد من عبادي دُبُر كل صلاة مكتوبة إلّا جعلت الجنّة مأواه، وإلّا أسكنته حظيرة قدسي، وإلا قضيت له كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة**» اللّهمّ اجعلني ممّن يعمل بهذا الحديث، فأنال سعادة الفضائل التي وعدتها للعاملين. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أمته مُلْك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون: (**هيهات هيهات**) من أين لمحمد مُلْك فارس والروم هم أعزّ وأمنع من ذلك فنزلت ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالمُلْك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أي الخير والشر فاكتُفِي بذِكْر أحد الضِّدَّين عن الآخر، أو لأن الكلام وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته (**الكَفَرَة**) فقال: بيدك الخير تؤتيه أولياءك على (**رغم**) من أعداءك ﴿إِنَّكَ

وفي الجزء الخامس من جمع الجوامع عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**إنّ فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران**: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية ١٨] و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ **إلى** ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآيتان ٢٦، ٢٧] **معلّقات بالعرش ما بينهنّ وبين الله حجاب، قلن: تهبطنا إلى أرضك وإلى منْ يعصيك، فقال الله عزّ وجلّ: حلفت لا يقرؤكنّ أحد من عبادي دُبُر كل صلاة إلا جعلت الجنّة مثواه على ما كان منه وإلّا أسكنته حضرة القدس، وإلّا نظرت إليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين نظرة، وإلّا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلّا أُعيذه من كل عدوّه ونصرته منه**» **حب** يعني ابن حبان في الضعفاء. **ابن السني** في عمل يوم وليلة. وأبو منصور في الأربعين، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: تفرّد به الحارث بن عمير، وكان يروي الموضوعات من الأثبات، وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه. وقال الحارث: لم نرَ للمتقدِّمين فيه طعنًا، بل أثنى عليه حمّاد بن زيد، وهو أكبر منه، ووثّقه النقّاد ابن معين وأبو حاتم والنسائي، وأخرج له خ ـ يعني البخاري ـ تعليقًا وأصحاب السنن، وذكره حب ـ يعني ابن حبان ـ في الضعفاء، فأفرط في توهينه. وأمّا مَنْ فوقه فلا يُسأل عن حالهم لجلالتهم، قال: وقد أفرط ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في الموضوعات، ولعلّه استعظمه لما فيه من الثواب، والأفحال رواته كما ترى، انتهى.

قوله: (**هيهات هيهات**) الغالب في الاستعمال أن تُستعمل هذه الكلمة مكرّرة، والثانية توكيد لفظي للأولى، وهي اسم للفظ الفعل، أي اسم مدلوله لفظ الفعل، أي بَعُد بَعُد، أو اسم للمصدر أي اسم مدلوله لفظ المصدر أي بُعْد بُعْد. **قوله**: (**الكفَرة**) جمع كافر. **قوله**: (**رغم**) في لسان العرب: الرَّغْم والرُّغْم والرِّغْم الكُرْه والذُّلُّ والتراب. اهـ.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولا يقدر على شيء أحد غيرك إلا بإقدارك. وقيل: المراد بالمُلْك مُلْك العافية أو مُلْك القناعة. قال ﷺ: «**ملوك الجنة من أُمتي القانعون بالقُوت يومًا فيومًا**» أو مُلْك قيام الليل. وعن (**الشبلي**): الاستغناء بالمكوّن عن الكونين تعزّ بالمعرفة أو بالاستغناء بالمُكوّن أو بالقناعة وتذلّ بأضدادها. ثم ذكر قدرته (**الباهرة**) بذِكْر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله:

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ فالإيلاج إدخال الشيء في الشيء وهو مجاز هنا أي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار، وتنقص من ساعات النهار وتزيد في الليل ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الحيوان من النطفة، أو (**الفرخ**) من (**البيضة**)، أو المؤمن من الكافر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ النطفة من الإنسان، أو البيض من الدجاج، أو الكافر من المؤمن ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يعرف الخلق عدده ومقداره وإن كان معلومًا عنده، ليدلّ على أن مَن قدّر على تلك الأفعال العظيمة المحيّرة للأفهام، ثم قدّر أن يرزق بغير

قوله: (الشبلي) هو أبو بكر دُلَف ـ بضمّ المهملة وفتح اللام ـ ابن جَحْدَر الشبلي نسبة إلى شبلة قرية من قرى أُسروشنة ـ بضم الهمزة وإسكان المهملة وضمّ الراء وإسكان المعجمة ـ بغداديّ المولد والمنشأ، وأصله من أُسروشنة، صحب الجُنيد ومَنْ في عصره، وكان نسيج وَحْدِه أي لا نظير له في وقته حالًا وظُرفًا ـ بضم الظاء المعجمة ـ من الظرافة، وهي الكياسة، وعلمًا مالكي المذهب عاش سبعًا وثمانين سنة، ومات في ذي الحجّة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقبره ببغداد رحمه الله. **قوله**: (الباهرة) الغالبة.

قوله: (الفرخ) من كل بائض، كالولد من الإنسان. اهـ مصباح. **قوله**: (البيضة) من الطير، كذا في بعض النسخ، وفي النسخ الصحيحة: البيض من الدجاج، والدجاج معروف، وفتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطةٍ. اهـ مختار الصحاح. والمراد هنا الثاني.

حساب مَن يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع المُلْكَ من العجم ويذلّهم ويُؤتيه العرب ويعزّهم. (وفي بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تَشغَلوا بسبِّ الملوك ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم). وهو معنى قوله ﷺ: («كما تكونوا يُولّى عليكم،

قوله: (وفي بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشغلوا) ـ بفتح الغين ـ (بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَ أعطفهم عليكم)، كذا في التفسير الكشاف.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي الدّرداء رضي الله تعالى عنه، قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله تعالى يقول) أي في الحديث القدسيّ (أنا الله) قال الطيبي: على أسلوب أنا أبو النجم، أي أنا المعروف المشهور بالوحدانية أو المعبود (لا إله إلّا أنا) حال مؤكّدة لمضمون هذه الجملة (مالِك الملوك وملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، وإن العباد) الواو فيه بمنزلة الفاء التفصيلية، وقد روي: فإن العباد، (إذا أطاعوني) أي أكثرهم (حوّلت قلوب ملوكهم) أي قلبت قلوب ظلمتهم عليهم (بالرّحمة والرّأفة، وإن العباد إذا عصوني حوّلت قلوبهم) أي قلوب ملوكهم العادلين عليهم، ولعلّ حذف عليهم للإشارة إلى أنهم إذا صبروا لا يضرّهم (بالسَّخطة) بفتح أوله، أي الكراهة وعدم الرّضاء بالشيء، (والنّقمة) بكسر أوّله، أي الكراهة والعقوبة، (فساموهم) بضم الميم المخفّفة من السَّوْم بمعنى التكليف، على ما في النهاية، أي: كلّفوهم وعذّبوهم وأذاقوهم سوء العذاب، أي أشدّه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٩]. (فلا تشغلوا) بفتح الغين (أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذّكر والتضرّع كَيْ أكْفِيَكم) بالنصب (ملوككم). اهـ بزيادة من شرح مشكاة المصابيح للعلّامة علي القاري، عليه رحمة الله الباري.

قوله: («كما تكونوا يُولّى عليكم»)، أي إن كنتم أهل طاعة يُولّى عليكم أهل الرحمة، وإن كنتم أهل المعصية يُولّى عليكم أهل العقوبة، وهذا الحديث أخرجه الدَّيلمي في مسند الفردوس عن أبي بكرة، والطبراني في معجمه الكبير، والبيهقي

الحيّ من الميت والميت من الحيّ» بالتشديد حيث كان: مدني وكوفي غير أبي بكر).

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ **(نُهوا أن يُوالوا الكافرين)** لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك، وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله

في شعب الإيمان عن أبي إسحٰق السَّبِيعي مرسلًا، ولفظ رواية الديلمي: «**كما تكونون يُولَّ عليكم**»، بإثبات النون وحذف الياء، والرواية بحذف النون وإثبات الياء في يُولّى، وما مصدرية أُعملت حملًا على أنّ المصدرية، كما أُهملت أن حملًا على ما. اهـ عزيزي. وأفاد العلامة الشيخ محمد الحفني رحمة الله عليه: قوله: «**كما تكونوا**» نصب بما حملا على أن كما أهملت أن حملًا على ما، ولهذا الحديث لمّا سمع إنسان آخر يسب الحجّاج قال له: لا تفعل، وذكر الحديث. بل ينبغي الدعاء بنحو: اللّهمّ لا تسلّط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك، ولا يرحمنا؛ كما كان يفعل ﷺ فإذا وُلِّي عليكم ظالم فارجعوا لأنفسكم ولوموها، فإنه بسبب ظلمكم لبعض. اهـ. **قوله: (الحيّ من الميت، والميت من الحيّ بالتشديد)** أي بتشديد الياء مكسورة **(حيث كان مدنيّ)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، **(وكوفي غير أبي بكر)** شعبة عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، وكذا يعقوب البصريّ، والباقون بياء مخفّفة ساكنة.

قوله: (نهوا أن يوالوا الكافرين) إشارة إلى أن لا يتّخذ نهي مجزوم بكسر الذال لالتقاء الساكنين، والموالاة ضدّ المعاداة، وكون المؤمن مواليًا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه: أن يكون راضيًا بكفره ويُواليه لأجله، والمؤمن يكفر بهذا الوجه من الموالاة؛ لأن الرضى بالكفر وتصويبه كفر، والكفر ينافي الإيمان.

وثانيها: المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر، وذلك غير ممنوع منه.

وثالثها: وهو الوجه المتوسّط بين الوجهين الأوّلين، وهو أن يوالي الكفّار على وجه الركون إليهم والمعاونة والمظاهرة والنصرة على الوجه الذي يتوالى به المتوادّون من أهل القرابات بالتعظيم والمحبّة والاستشارة في مهمّ، مع اعتقاد أن

والبُغْض في الله باب عظيم في الإيمان. (﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) يعني أن لكم في مُوالاة المؤمنين (مندوحة) عن مُوالاة الكافرين فلا تُؤثروهم عليهم ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ومَن يُوالِ الكَفَرة فليس من ولاية الله في شيء لأن مُوالاة الوالي ومُوالاة عدوه متنافيان ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ (إلا أن تخافوا من جهتهم أمرًا يجب اتّقاؤه) أي إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار المُوالاة وإبطان المُعاداة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بمُوالاة أعدائه وهذا وَعيد شديد ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي مصيركم إليه والعذاب مُعَدٌّ لديه وهو وعيد آخر.

دينه باطل؛ فهذا لا يوجب الكفر، إلّا أنه منهيٌّ عنه؛ لأن الموالاة بهذا الوجه قد تجرّه إلى استحسان طريقته والرضى بدينه، وذلك يُخرجه عن الإسلام، فلذلك هدّد الله تعالى فيه، فقال: (﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾)، أي من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني أنه مُنسلخ من ولاية الله تعالى رأسًا، وهذا أمرٌ معقول، فإنّ موالاة الولي وموالاة عدوّه ضدّان، قالوا:

تـودّ عـدوّي ثـم تـزعـم أنّـنـي صديقك ليس النوك عنك بعازب

النّوك ـ بضم النون والكاف ـ الحماقة، وعازب ـ بالمعجمة ـ بمعنى بعيد وغائب، أي ليس الحمق عنك ببعيد. وكتب بعضهم إلى صديقٍ له في جملة ما كتب إليه أنه: مَنْ والى عدوّك فقد عاداك، ومن عادى عدوّك فقد والاك.

قوله: (﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) معناه من غير المؤمنين؛ لأن لفظة دون اسم لمكان هو أسفل من مكان آخر، تقول: زيد جلس دون عمرو، أي في مكان أسفل من مكانه، ومَنْ كان مباينًا لغيره في المكان فهو مغاير له، فجعل لفظة دون مستعملة في معنى غير.

قوله: (مندوحة) بفتح الميم، أي سعة وفسحة. اهـ مصباح. **قوله:** (إلا أن تخافوا من جهتهم أمرًا يجب اتّقاؤه) والاحتراز منه، إشارة إلى أن تقاة منصوبة على أنها مفعول به، وذلك على أن يكون تتقّوا بمعنى تخافوا، وأن يكون تُقاة مصدرًا واقعًا موقع المفعول به، حيث وضع قوله: أمرًا يجب اتّقاؤه موضع تقاة، ووضع قوله: من جهتهم موضع منهم، إشارة إلى أن مَنْ ابتدائيّة متعلّقة الفعل قبلها.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ من ولاية الكفّار أو غيرها مما لا يرضى الله ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض فلا يخفى عليه سرّكم وعَلَنكم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيكون قادرًا على عقوبتكم.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ «يوم» منصوب بـ «تود» والضمير في «بينه» لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرّها حاضرين، تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهو له أمدًا بعيدًا أي مسافة بعيدة، أو بـ «اذكر» ويقع «تجد» على «ما عملت» وحده ويرتفع «وما عملت» على الابتداء و«تود» خبره أي والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد ما بينها وبينه، ولا يصحّ أن تكون «ما» شرطية لارتفاع «تود»، نعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيًا لكن الجزم هو الكثير. وعن (**المبرد**) أن الرفع شاذّ. وكرر قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (**ليكون على بال منهم**) لا يغفلون عنه ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ومن رأفته بهم أن حذّرهم نفسه حتى لا

قوله: (**المبرّد**) بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء مشدّدة بعدها دال مهملة، وهو لقب عُرف به أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري النحوي، نزل بغداد وكان إمامًا في النَّحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب، منها كتاب الكامل، ومنها الروضة والمقتضب وغير ذلك. توفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجّة، وقيل: ذي القعدة، سنة ستّ وثمانين، وقيل: خمس وثمانين ومائتين ببغداد، ودُفِن في مقابر باب الكوفة في دار اشْتُرِيت له وصلّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى. **قوله:** (**ليكون على بال منهم**) البال القلب، والبال الحال والشأن، والبال الخاطر، ومن أسماء النفس البال. اهـ لسان العرب ملتقطًا.

يتعرضوا لسخطه، ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورًا لكمال قدرته مرجوٌّ لسعة رحمته كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصّلت: الآية ٤٣]. ونزل حين قال اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك، ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فِعْله. وعن (**الحسن**): زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبّون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقًا من عمل، فمَن ادَّعى محبّته وخالف سُنَّة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذّبه. وقيل: محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأُنس به. وقيل: هي اتّباع النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خصّ به. وقيل: علامة المحبة أن يكون دائم التفكير، كثير الخلوة، دائم (**الصمت**)، لا يُبصِر إذا نظر، ولا يسمع إذا نُودِي، ولا يحزن إذا أُصيب، ولا يفرح إذا أصاب، ولا يخشى أحدًا ولا يرجوه ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ﴾ قيل: هي علامة المحبة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن قبول الطاعة، ويحتمل أن يكون مضارعًا أي فإن تتولّوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لا يحبهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾) اختار ﴿ءَادَمَ﴾ أبا البشر ﴿وَنُوحًا﴾ شيخ المرسلين ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحٰق وأولادهما ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ موسى وهارون هما ابنا

قوله: (**الحسن**) البصري التابعي رحمه الله. **قوله:** (**الصَمت**) السكوت.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾) الآية دالّة على تفضيل البشر على الملائكة؛ وذلك لأن الله تعالى صرّح بتفضيل آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، وآدم ونوح من الأنبياء، وآل إبراهيم وآل عمران إن كان بمعنى نفس إبراهيم ونفس عمران، فإبراهيم نبيّ وعمران غيره، وإن كان بمعنى ذرّية إبراهيم وذرّية عمران فلا خفاء أنّ منهم أنبياء، ومنهم ليسوا كذلك، وقيل: آل إبراهيم إسماعيل وإسحٰق ويعقوب وأولادهما، ودخل فيه الرّسول عليه السّلام،

عمران بن (يصهر). وقيل: عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان (وبين عِمرانين) ألف وثمانمائة سنة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم.

وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران، أو عيسى ومريم بنت عمران، وكان بين عمرانين ألف وثمانمائة سنة، وبالجملة يفهم تفضيل الأنبياء وغيرهم على تمام العالم، والملائكة من العالم، فظهر تفضيل البشر على الملائكة، ثم فيه تفضيل وهو أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة، ورسل الملائكة أفضل من عامّة البشر، وعامّة البشر أفضل من عامّة الملائكة، والمقصود من الآية بيان تفضيل جنس البشر على جنس الملائكة. ألا ترى أن رسلهم أفضل من رسل الملائكة وعامّتهم أفضل من عامّتهم، وإن كان رسل الملائكة أفضل من عامّة البشر بعارض كونهم رسلًا، وكون البشر عامّة، فهو عامّ مخصوص البعض، لكنه يكفي لحكم ظنّي وهو تفضيل البشر على الملائكة، هكذا قال سعد الملّة والدِّين، وتمسك به القاضي أيضًا. وقد يُستدلّ على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة لقصة آدم وتعليمه وجعله مسجودًا للملائكة، وأمثال ذلك. وقالت المعتزلة وبعض الأشاعرة والفلاسفة بتفضيل الملائكة مطلقًا؛ لأنهم معصومون والبشر مذنبون بالذات الحسّية والشهوات النفسية، ولقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية ١٧٢]، فإنّ أسلوبه الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ونحوه من النصوص.

والجواب: أن الكمال هو التوقّي عن الذنوب مع كمال القدرة عليه، وهم ليسوا من أهله، وأن الترقّي في الآية إنما هو في كونه بلا أب وأُمّ، فإنّ المسيح غير ذي أب وهم غير ذي أبّ وأُمّ، والكلام فيه طويل يُعرف في علم الكلام. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (يَصْهُر) بن قاهَث. **قوله:** (وبين عِمْرانين) يعني عمران أبا موسى، وعمران أبا مريم، وعمران المذكور في النظم يحتملهما، ورجّح في الانتصاف القول الثاني بأن السورة تسمّى آل عمران، ولم تشرح قصة عيسى عليه الصّلاة والسّلام، ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة. وأمّا موسى وهارون، فلم يذكر من قصّتهما في هذه السورة طرف، فدلّ ذلك على أن عمران المذكور هٰهنا هو أبو مريم. انتهى.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

(﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾) بدل من «آل إبراهيم وآل عمران» ﴿بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ مبتدأ وخبره في موضع النصب صفة لـ «ذرية» يعني أن الآلين **(ذرية واحدة)** متسلسلة بعضها متشعّب من بعض: موسى وهارون من عمران، وعمران من يصهر، ويصهر من قاهث، وقاهث من لاوي، ولاوي من يعقوب، ويعقوب من إسحٰق، وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن إسحٰق، وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله ﷺ. وقيل: بعضها من بعض في الدين ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلم مَن يصلح للاصطفاء، أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيّتها.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِذۡ قَالَتِ﴾ **(و«إذْ» منصوب به)** أو بإضمار «اذكر». ﴿ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ هي امرأة عمران بن ماثان أُم مريم جدّة عيسى وهي **(حنّة)** بنت فاقوذا ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ﴾ أوجبت ﴿مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ هو حال من «ما» وهي بمعنى الذي أي معتقًا لخدمة بيت المقدس لا يَدَ لي عليه ولا أستخدمه، **(وكان هذا النوع من النذر مشروعًا عندهم)** أو مخلصًا للعبادة يقال: «طين حرّ» أي خالص (﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾) «منّيَ»

قوله: (﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾)... الخ قال الإمام الزاهد: ولد بعضها من بعض، وهذا شهادة من الله تعالى على طهارة نسب الأنبياء، وفيه دليل على أن أنكحة الكفار صحيحة على أيِّ وجه يعتقدون فيما بينهم، وهذا لفظه. ووجه التمسّك ظاهر بالتأمل. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله: (ذرية واحدة)** الوحدة مستفادة من التاء.

قوله: (وإذ منصوب به) أي بسميع عليم على التنازع، أو بسميع بمعنى أنه يسمع مقالتها، ولا يضرّ الفصل بينهما بالأجنبي لتوسعهم في الظروف. **قوله: (حَنّة)** - بفتح الحاء المهملة ونون مشدّدة وتاء تأنيث - اسم عبراني. **قوله: (وكان هذا النوع من النذر مشروعًا عندهم)**؛ وذلك لأنه كان الأمر في دينهم أن الولد إذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمته الأبوين، فكانوا بالنذر يتركون الحكم ثم يخيّر بين الذهاب والمقام، فإذا أراد أن يذهب ذهب، وإن اختار المقام فليس له بعد ذلك خيار. **قوله:** (﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾) بفتح

(مدني وأبو عمرو)، والتقبّل: أخذ الشيء على الرِّضا به ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الضمير لـ «ما في بطني» وإنما أُنِّث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ «أنثى» حال من الضمير في «وضعتها» أي وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أُنثى، وإنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت عمّا نذرت وتحزنت إلى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ **(تعظيمًا لموضوعها)** أي والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من **(عزائم الأمور**. «**وضعتُ**»: **شامي وأبو بكر)** بمعنى ولعل لله فيه سرًّا وحكمة، وعلى هذا يكون داخلًا في القول. وعلى الأول يوقف عند قوله: «أُنثى» وقوله: «والله أعلم بما وضعت». ابتداء إخبار من الله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ التي وهبت لها واللام فيهما للعهد ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معطوف على «إني وضعتها أُنثى» وما بينهما جملتان معترضتان. وإنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم في لغتهم العابدة، فأرادت بذلك التقرّب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فِعْلها مطابقًا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها، ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان

الياء **(مدني)** أي نافع المدني، وأبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وأبو عمرو)** البصري. والباقون بالإسكان.

قوله: (تعظيمًا لموضوعها) أي المولود الذي وضعته، يعني ليس المراد الردّ عليها في إخبار الله بما هو أعمّ به، كما يتراءى من السياق، وما موصولة والعائد محذوف تقديره: ما وضعته. **قوله: (عزائم الأُمور)** جمع عزيمة، وهي الأمر الواجب والخصلة التي يعزمها الرجل، أي الأُمور المعزومة اللازمة لحصول رضوانه تعالى. **قوله: (وضعت)** بإسكان العين وضمّ التاء للتكلّم من كلام أُمّ مريم. **(شامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وأبو بكر)** شعبة عن عاصم، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح العين وبتاء التأنيث الساكنة من كلام

بقوله: (﴿وَإِنِّي﴾ «وإنّيَ» مدني ﴿أُعِيذُهَا بِكَ﴾) أجيرها (﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾) أولادها (﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾) الملعون (في الحديث «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخًا من مسّ الشيطان إيّاه إلا مريم وابنها»).

الباري تعالى. **قوله:** (وإنّيَ) بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، والباقون بالإسكان.

قوله: (في الحديث: «ما من مولود يولد إلّا والشيطان يمسّه حين يولد»)، أي حين تمّت ولادته، وقوله: يُولد للاستمرار مع قطع النظر عن المضيّ والاستقبال، وهذا الحديث أخرجه الشيخان. وفي إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للعلامة القسطلاني في باب (﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه») ابتداء للتسليط عليه، وفي صفة إبليس وجنوده من بدء الخلق كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه («حين يولد فيستهلّ صارخًا من مسّ الشيطان إيّاه») صارخًا نصب على المصدر؛ كقوله: قم، («إلا مريم وابنها») عيسى فحفظها الله تعالى ببركة دعوة أُمّها حيث قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، ولم يكن لمريم ذرّية غير عيسى عليه الصّلاة والسّلام، وزاد في باب صفة إبليس: ذهب يطعن فطعن في الحجاب، والمراد به الجلدة التي يكون فيها الجنين، وهي المشيمة.

ونقل العيني أن القاضي عياضًا أشار إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى عليه الصّلاة والسّلام في ذلك. قال القرطبي: وهو قول مجاهد. (ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا) بالواو، ولأبي ذرّ: اقرؤوا (إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾)، وهذا فيه من حيث إن سياق الآية يدلّ على أن دعاء حنّة أُمّ مريم بإعاذتها وذرّيتها من الشيطان المفسّر في الحديث بأن يعصمهما من مسّ الشيطان عند ولادتهما متأخّر عن وضعها مريم، ولم أرَ مَنْ نبّه على هذا، والذي يظهر لي أن تكون حنّة علمت أنوثة مريم قبل تمام وضعها عند بروزها إلى ما يعلم منه ذلك، فقالت حينئذ: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾، و﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾، فاستُجيب لها ثم تكامل وضعها، فأراد الشيطان التمكّن من مريم، فمنعه الله تعالى منها ببركة دعاء أُمّها، والتعبير عن البعض بالكل سائغ شائع، وليس في الآية دليل على أنه تعالى

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿(فَتَقَبَّلَهَا) رَبُّهَا﴾ قَبِل الله مريم ورضي بها في النَّذر مكان الذَّكَر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ (قيل: **القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به**) وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذَّكَر في النَّذْر ولم تُقبَل قبلها أُنثى في ذلك، أو بأن تسلمها من أُمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ (**وتصلح للسدانة**). رُوِيَ أن حنة لمّا ولَدَت مريم لفَّتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحْبار أبناء هارون وهم في (**بيت المقدس كالحَجَبَة**) في الكعبة فقالت لهم: (**دونكم هذه النَّذيرة، فتنافسوا**)

استجاب دعاءها، بل الضمير في قوله تعالى:

(﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾) لمريم، أي فرَضِيَ بها ربّها في النذر مكان الذَّكر. نعم الحديث يدلّ على الإجابة، فتأمّل. اهـ باختصار. **قوله: (قيل: القبول اسم ما يُقبل به الشيء)**؛ فبيَّن أن فعولاً يكون للآلة التي يفعل بها الفعل (**كالسعوط**) الفتح اسم (**لما يُسْعط به**)، والسعوط ـ بالفتح ـ الدواء الذي يُصبّ في الأنف، والمُسْعُطُ ـ بضم الميم والعين ـ الإناء الذي يُجعل فيه السَّعوط، وهو أحد ما جاء بالضم مما يُعْتمل به. **قوله: (تصلح)** بابه دخل **قوله: (للسدانة**(١)**)** بالكسر(٢) مصدر بمعنى الخدمة. **قوله: (بيت المقدس)** يخفّف ويشدّد، والنسبة إليه مَقْدِسِيّ بوزن مَجْلِسِيّ، ومُقَدَّسي بوزن مُحَمَّدِيّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (كالحجبة)** جمع حاجب بمعنى البوّاب. اهـ قاموس. وفي المصباح: حجبة حجبًا من باب قتل منعه، ومنه قيل للستر حجاب؛ لأنه يمنع المشاهدة. وقيل للبواب حاجب لأنه يمنع من الدخول. اهـ. **قوله: (دونكم هذه النذيرة)** معنى المنذورة، أي خذوها. **قوله: (فتنافسوا**(٣)**)** التنافس: الرغبة في الشيء النفيس والتخاصم فيه.

---

(١) بمعنى خدمة المسجد. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي القاموس: سَدَن سَدْنًا وسَدانة خدم الكعبة أو بيت الصنم. اهـ. وفي مختار الصحاح: السادن خادم الكعبة وبيت الأصنام، والجمع السَّدَنة، وقد سَدَن من باب قصر وكتب. اهـ. منه.

(٢) كذا في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي تنازعوا.

فيها لأنها كانت بنت (**إمامهم وصاحب قُربانهم**)، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا: (**أنا أحق بها، عندي أُختها**). فقالوا: لا حتى (**نقترع**) عليها. فانطلقوا ـ وكانوا سبعة وعشرين (**إلى نهر**) ـ فألقوا فيه (**أقلامهم**) فارتفع قلم زكريا فوق الماء و(**رسبت**) أقلامهم فتكفّلها. وقيل: هو مصدر على تقدير حذف المضاف أي فتقبّلها بذي قَبول حسن أي بأمر ذي قَبول حسن وهو الاختصاص ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ مجاز عن التربية الحسنة.

قوله: (إمامهم) عمران بن ماثان، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، فهذا أوجه كونه إمامهم، وإنْ لم يكن نبيًا؛ فالمراد بالإمام الرئيس.
قوله: (**وصاحب قربانهم**) القُربان ـ بالضم ـ ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى، وهو في الأصل مصدر قرب يقرب، ثم جُعِل اسمًا لذلك، وهذه الأُمّة يتقرّبون إلى الله تعالى بأن يذبحوا ذبيحة لله تعالى ويقسموها بين الفقراء، وقربان تلك الأُمّة شيء يضعونه في بيت لتنزل نار سماوية وتأكله؛ كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٣]، وصاحب القربان: من يتولّى أمر القرابين من المتقرّبين في البيت الذي تنزل فيه النار من السماء.

قوله: (**أنا أحقّ بها عندي أُختها**)، أي إيشاع بنت عمران بن ماثان أخت مريم، فيكون عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا ابني خالة لأب، كما ورد في الحديث الصحيح، وإنما كانتا لأب لأنهما بنتا عمران لكن مريم من حنة وإيشاع من غيرها، لكن ما ورد في بعض الروايات من أن زكريّا قال: أنا أحقّ بها عندي خالتها، يدلّ على أنها خالتها لا أختها؛ فمنهم مَنْ وفّق بينهما بأن حنّة وإيشاع بنتا فاقوذا، فمريم بنت أخت إيشاع وبنت الأخت يُطلق عليها أخت إطلاقًا متعارفًا، فيكونان ابني خالة مجازًا، ومنهم مَنْ قال: كان عمران تزوّج أُمّ حنّة، فولدت له إيشاع، وكانت حنّة ربيبته فتزوّجها، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم، فولدت مريم، فتكون إيشاع أخت مريم من الأب وخالتها أيضًا. **قوله**: (**نقترع**) في المصباح: تقارع القوم واقترعوا والاسم القُرْعَة. اهـ. **قوله**: (**إلى نهر**) جارٍ، قيل: هي الأردن. **قوله**: (**أقلامهم**) التي كانوا يكتبون بها التوراة، (وكانت من نحاس).
قوله: (**رسبت**) أي نزلت في قعر الماء. في مختار الصحاح: رَسَب الشيءُ في الماء سَفَل وبابه دخل. اهـ.

قال (ابن عطاء): ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات. «**ونباتًا**» مصدر على خلاف الصدر أو التصدير فنبتت نباتًا ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ وكفَلها: قبلها أو ضمن القيام بأمرها. («وكفَّلها»: كوفي) أي (كفلها الله زكريا يعني جعله كافلا لها وضامنًا لمصالحها ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بالقصر: كوفي غير أبي بكر في كل القرآن. وقرأ أبو بكر) بالمدّ (والنصب هنا. غيرهم بالمد والرفع) كالثانية والثالثة ومعناه في (العبري): دائم الذِّكر والتسبيح ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ قيل: بنى لها زكريا محرابًا في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسُلَّم. وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقدّمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس. وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها إلا هو وحده ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع (ثديًا قطّ) فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آتٍ في غير حينه؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فلا تستبعد. قيل: تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾

قوله: (**ابن عطاء**)، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي من كبار مشائخ الصوفيّة وعلمائهم، كان الحراز يعظّم شأنه، وهو من أقران الجُنَيْد وصحب إبراهيم المارستانيّ. مات سنة تسع وثلاثمائة. والآدمي ـ بفتح الهمزة والمهملة ـ نسبة إلى بيع الأدم، جمع أديم.

قوله: (**وكفَلها**) بتشديد الفاء. (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، على أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، والهاء لمريم مفعوله الثاني، وزكريا مفعوله الأول، أي (**كفلها الله زكريا، يعني جعله كافلا لها وضامنًا لمصالحها**). والباقون بالتخفيف من الكفالة على إسناد الفعل إلى زكريا، والهاء مفعوله، ولا مخالفة بينهما؛ لأن الله تعالى لمّا كفّلها إيّاه كَفَلها. **قوله:** (﴿زَكَرِيَّآ﴾ **بالقصر**) من غير همز (**كوفي غير أبي بكر**) شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، (**في كل القرآن**، وقرأ أبو بكر) عن عاصم بالمدّ (**والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع**). **قوله:** (العبريّ) بوزن المِصْريّ العبراني وهو لغة اليهود. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (ثديًا) الثدي يُذكّر ويؤنث وهو للمرأة والرجل أيضًا. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (**قطّ**) أي أبدًا.

من جملة كلام مريم أو من كلام ربّ العالمين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير لكثرته أو تفضّلًا بغير محاسبة ومُجازاة على عمل.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ **(في ذلك المكان)** حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت **(فقد يُستعار «هنا» و«حيث» و«ثم» للزمان)**. لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من **(إيشاع)** ولد مثل ولد أُمها حنة في الكرامة على الله، وإن كانت عاقرًا عجوزًا فقد كانت أُمها كذلك. وقيل: لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً﴾ ولدًا **(والذرية يقع على الواحد والجمع)** ﴿طَيِّبَةًۖ﴾ مباركة والتأنيث للفظ الذرية ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ **(مُجيبه)**.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قيل: ناداه جبريل عليه السلام. وإنما قيل: «الملائكة» لأن المعنى أتاه النداء **(من هذا الجنس)** كقولهم: «فلان يركب الخيل».

قوله: (في ذلك المكان) يعني أن هنا ظرف مكان، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، وهو وزان ذلك. **قوله: (فقد يُستعار هنا وحيث وثمّ)** بالفتح والتشديد **(للزّمان)** جوّز حمله على الزمان، وهو معنًى مجازيّ لهنالك مع جواز حمله على معناه الحقيقيّ الذي هو المكان تكثيرًا للفائدة؛ لأن دعاءه في زمان رؤية ما رآه من أمر مريم عليها السلام، يستلزم دعاءه في مكان تلك الرؤية بخلاف الدعاء في ذلك المكان، فإنه لا يستلزم الدعاء في ذلك الزمان. **قوله: (إيشاع)** بنت عمران بن ماثان. **قوله: (والذُّرية يقع على الواحد)** وهو المراد هنا، **(والجمع)** هنا ذرّية بعضها من بعض. **قوله: (مجيبه)** فسّر السميع بالمجيب؛ لأن السميع ورد بمعنى القبول كثيراً.

قوله: (من هذا الجنس) أي وصل إليه النداء من جنس الملائكة دون غيرهم من الأجناس، فإنّ حكم الواحد من الجنس قد يُنسب إلى الجنس نفسه، نحو: فلان يركب الخيل، وإنما يركب أحدًا من أفراده والخيل والإبل ونحوهما من أسماء

(«فناديه» **بالياء والإمالة: حمزة وعلي**) ﴿وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات، وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات. وقال (**ابن عطاء**): ما فتح الله تعالى على عبد حالة (**سنية**) **إلا** باتّباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب (**إن الله**) بكسر الألف: (**شامي وحمزة وعلى إضمار القول، أو لأن النداء قول**). الباقون: بالفتح أي بأن الله (﴿يُبَشِّرُكَ﴾) «يبشرك» (**وما بعده: حمزة وعلي من بشره**) والتخفيف والتشديد لغتان ﴿بِيَحۡيَىٰ﴾ هو غير منصرف إن كان عجميًّا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى، وإن كان عربيًّا فللتعريف ووزن الفعل كـ «يعمر» ﴿مُصَدِّقَۢا﴾ (**حال منه**) ﴿بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي مصدقًا بعيسى مؤمنًا به فهو أول مَن آمَن به. وسُمِّي عيسى كلمة الله لأن تكون بـ «كن» بلا أب، (**أو مصدقًا بكلمة من الله مؤمنًا بكتاب منه**) ﴿وَسَيِّدٗا﴾ هو الذي

الجموع، ويقال؛ بنو فلان قتلوا زيدًا، والقائل واحدٌ منهم، ومثله في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٣]، وهم نعيم بن مسعود أن الناس ـ يعني أبا سفيان ـ والعطف بالفاء في قوله: (﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾) يؤذِن بأنّ التبشير وقع عقيب الدعاء، ولفظ الملائكة لمّا كان جمعًا مكسرًا جاز في الفعل المُسنَد إليه التذكير باعتبار الجمع، والتأنيث باعتبار الجماعة.

قوله: (**«فناديه» بالياء والإمالة**)، أي بألف مُمالة بعد الدال (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بتاء التأنيث ساكنة بعدها والفتح. **قوله:** (**ابن عطاء**) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي رحمه الله. **قوله:** (**سنية**) أي رفيعة.

قوله: (﴿**إن الله**﴾) بكسر الألف (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة على إضمار القول**) على مذهب البصريّين (**أو لأن النداء قول**) على مذهب الكوفيّين. الباقون بالفتح على حذف حرف الجرّ، أي بأنّ الله. **قوله:** (﴿يُبَشِّرُكَ﴾ **وما بعده**) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة (**حمزة وعلي، مِنْ بِشْره**) من البشر، وهو البشارة[1]. والباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة من بشّر المضعف. **قوله:** (**حال منه**) أي حال مقدّرة من يحيىٰ. **قوله:** (**أو مصدّقًا بكلمة من الله مؤمنًا بكتابٍ منه**)، أي ويحتمل أن يُراد بالكلمة كتاب الله تعالى وآياته؛

---

(١) بالكسر والضمّ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يسود قومه أي يفوقهم في الشرف، وكان يحيىٰ فائقًا على قومه لأنه لم يركب سيئة (**قطّ**) و(**يا لها**) من سيادة. وقال (**الجنيد**): هو الذي جاد بالكونين عوضًا عن المكوّن ﴿وَحَصُورًا﴾ (**هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه**) أي منعًا لها من الشهوات ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ناشئًا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنًا من جملة الصالحين.

كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله تعالى المنزّلة، فعبّر عن الجمع ببعضه، كما تقول العرب: أنشدني كلمة فلان، أي قصيدته التي قالها وإن طالت، قال عليه السلام: «**أصدق كلمة قالها لبيد:**

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

وذكر لحسّان رضي الله تعالى عنه الحويدرة الشاعر فقال: لعن الله كلمته، يعني قصيدته. والحُويدرة تصغير الحادرة ـ بالمهملات ـ وهو لقب شاعر جاهلي اسمه قطبة بن محصن[1] بن خردل، وأصل معنى الحادرة الضخم المنكبين، وهي قصيدة عينيّة معروفة عند الرواة مشهورة بالبلاغة. **قوله:** (**قطّ**) أي أبدًا. **قوله:** (**يا لها**) من سيادة نداء تعجّب، والضمير في لها مبهم يفسّره ما بعده.

قوله: (**الجنيد**) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم، أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج، فلذلك يقال له: القواريري، وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته، وهو ابن عشرين سنة، صحب خاله السريّ والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب، مات سنة سبع وتسعين ومائتين رحمه الله. اهـ الرسالة القشيرية.

قوله: (**هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه**) إشارة إلى أن مَنْ لا يقربهنّ لعدم المَيْل أو القدرة لا يسمّى حصورًا. اهـ تفتازاني رحمه الله. واستدلّ به على فضل العزوبة على التزوج. اهـ شهاب رحمه الله.

---

(١) كذا في حاشية البيضاوي للعلامة الشهاب رحمة الله عليهما. وفي تاج العروس شرح القاموس: قطبة بن الحسين الغطفاني. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ كقولهم: «أدركته (السن) العالية» أي أثر فِيَّ الكبر وأضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لم تلد ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الأفعال العجيبة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ (ٱجْعَل) لِّيٓ﴾ «لي» (مدني وأبو عمرو) ﴿ءَايَةً﴾ (**علامة أعرف بها الحَبَل**) لأتلقى النعمة بالشكر إذا جاءت ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي لا تقدر على تكليم الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ إلا إشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك، يقال ارتمز إذا تحرك. واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لأنه لما أدّى مؤدّى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمّي كلامًا، أو هو استثناء منقطع. وإنما خصَّ تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة عن تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلّم بذِكر الله ولذا قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ أي في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والأدلة الظاهرة، وإنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن تحبس

قوله: (السن) في المصباح: السنّ إذا عنيت بها العمر مؤنّثة، لأنها بمعنى المدّة.اهـ. وفي القاموس: السنّ ـ بالكسر ـ مقدار العُمُر مؤنّثة في الناس وغيرهم.

قوله: (اجعل) لي بفتح ياء لي (مدني) أي نافع المدني (وأبو عمرو). والباقون بالإسكان. **قوله:** (**علامة أعرف بها الحَبَل**) أي حصول العلوق؛ وذلك لأن العلوق لا يظهر في أوّل الأمر، وذُكِر لمعرفته ثلاث فوائد: المسرّة والبشاشة بوصول العطية المُبشَّر بها، وازدياد العبادة شكرًا لله تعالى على إنعامه وزوال مشقة الانتظار إلى ظهور إمارات العلوق وعلاماته.

لسانك إلا عن الشكر، (وأحسن الجواب ما كان منتزعًا من السؤال). والعشي من حين الزوال إلى الغروب، والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾ عطف على «إذ قالت امرأة عمران» أو التقدير واذكر إذا ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ رُوِيَ أنهم (كلموها شفاهًا) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أولًا حين تقبلك من أُمك وربّاك واختصّك بالكرامة السَّنِيَّة ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مما يستقذر من الأفعال ﴿وَاصْطَفَاكِ﴾ آخرًا ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء.

قوله: (وأحسن **الجواب**) أي أوقعه وأكثر حسنًا (**ما كان منتزعًا من السؤال**) أي أخذ منه وانتزع بأن يكون يناسبه لفظًا ومعنًى، لأنه لمّا سأل آية لأجل الشكر أُجيب بأنه أن لا يقدر إلّا على الشكر كما قيل لأبي تمام: لِمَ تقول ما لا نفهم؟ فقال: لِمَ لا نفهم ما يُقال؟

قوله: (**كلموها شفاهًا**) في لسان العرب: شافَهَه أدنى شفته من شفته، فكلَّمه مشافهة جاؤوا بالمصدر على غير فعله، وليس في كلّ شيء قيل مثل هذا لو قلت: كلّمته مفاوهة لم يجز، إنما يُحْكَى في ذلك ما سمع، هذا قول سيبويه. قال الجوهريّ: المشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه. اهـ.

فائـــدة:

واعلم أنّ مريم ما كانت من الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيَ إِلَيْهِم﴾ [يوسف: الآية ١٠٩]، وإذا كان كذلك كان إرسال جبريل إليها إمّا أن يكون لكرامة لها، وهو مذهب مَنْ يجوّز كرامات أولياء الله تعالى، وإرهاصًا لعيسى عليه الصّلاة والسّلام، وذلك جائز عند الكعبيّ من المعتزلة. ومعجزة لزكريّا عليه الصّلاة والسّلام، وهو قول جمهور المعتزلة. ومن الناس مَنْ قال: إنّ ذلك كان على سبيل النّفْث في الرَّوْع والإلهام والإلقاء في القلب، كما في حقّ أُم موسى عليه الصّلاة والسّلام في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ [القصص: الآية ٧]، والإرهاص من الرّهص ـ بالكسر ـ وهو الصفّ الأسفل من الجدار، وهو في

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أديمي الطاعة أو أطيلي قيام الصلاة ﴿وَٱسۡجُدِي﴾ وقيل: أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة، ثم قيل لها: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي ولتكن صلاتك مع المُصَلِّين أي في الجماعة، أو وانظمي نفسك في جملة المُصَلِّين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيىٰ ومريم ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾ يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾ **(أزلامهم)** وهي **(قِداحهم)** التي طرحوها في النهر مُقترِعين، أو هي الأقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبرّكًا بها ﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ **(متعلق بمحذوف)** دلَّ عليه «يلقون» كأنه قيل: يلقونها ينظرون أيّهم يَكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ في شأنها **(تنافسًا)** في التكفّل بها.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي اذكر ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ﴾ أي بعيسى ﴿مِّنۡهُ﴾ في موضع جر صفة لكلمة ﴿ٱسۡمُهُ﴾ مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لأن

الاصطلاح تقدّم ما يشبه المعجزة على دعوى النبوّة، كإظلال الغمام لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتكلّم الحجر والمدر وغير ذلك.

قوله: (أزلامهم) قال الزجاج: الأقلام هٰهنا القداح جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة، وسمّى السهم قلمًا لأنه يقلم أي يبرى، وكلّ ما قطعت منه شيئًا، فقد قلمته. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي مختار الصِّحاح: الزَّلَم ـ بفتحتين ـ القِدح، وكذا الزُّلم ـ بضم الزاي ـ والجمع الأزْلام، وهي السِّهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. اهـ. **قوله: (قداحهم)** جمع القدح ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ وهو سهم يُوضع للميسر. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (متعلق بمحذوف)** منصوب المحلّ به. **قوله: (تنافسًا)** أي رغبةً.

المسمَّى بها مذكَّر ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ خبره والجملة في موضع جر صفة لـ «كلمة». والمسيح (**لقب من الألقاب المشرّفة**) كالصديق والفاروق وأصله «مشيحًا» بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: الآية ٣١]. وقيل: سُمِّي مسيحًا لأنه كان لا يمسح ذا (**عاهة**) إلا (**برأ**)، أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لا يستوطن مكانًا ﴿عِيسَى﴾ بدل من المسيح ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم، ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأن اسمه عيسى (**فحسْب**) وليس اسمه عيسى ابن مريم، وإنما قال: «ابن مريم» إعلامًا لها أنه يولد من غير أب فلا يُنسَب إلا إلى أُمه ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه وقدر ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوّة والطاعة ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بعلو الدرجة والشفاعة ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ برفعه إلى السماء، وقوله: «وجيهًا» حال من «كلمة» لكونها موصوفة وكذا «ومن المقرّبين» أي وثابتًا من المقرَّبين.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

وكذا ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ أي ومكلّمًا الناس ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ حال من الضمير في «يكلم» أي ثابتًا في المهد (**وهو ما يمهّد**) للصبي من مضجعه سُمِّي بالمصدر ﴿وَكَهْلًا﴾ عطف عليه أي (**ويكلّم الناس طفلًا وكهلًا أي يكلِّم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء**) من غير تفاوت بين حال الطفولة وحالة الكهولة التي

قوله: (لَقَب من الألقاب المشرّفة) ـ بكسر الراء المشدّدة ـ أي المفيدة للمدح، ويصح فتحها. **قوله: (عاهة)** أي آفة. **قوله: (برأ)** في مختار الصحاح: بَرِءَ من المرض ـ بالكسر ـ بُراء ـ بالضمّ ـ وعند أهل الحجاز: بَرَءَ من المرض **من** باب قَطَعَ. اهـ. **قوله: (فحسب)** أي فقط.

قوله: (وهو ما يمهد). . . الخ يقال: مهدت الفراش مهدًا بسطته ووطأته وتمهيدُ الغُذْرِ بسطه. **قوله: (ويكلم الناس طفلًا وكهلًا)**؛ لأن المراد أنه يكلّم الناس في الحالة التي يكون الصبيّ فيها في المهد، لا أنه يكلّمهم حال كونه مضجعًا في المهد حقيقة. والكهل الذي اجتمع قوّته وتمّ شبابه، وأوّل سنّ الكهولة ثلاثون، وقيل: اثنان وثلاثون، وقيل: أربعون. وآخر سنّها خمسون، وقيل: ستّون، ويدخل في سنّ الشيخوخة. **قوله: (أي يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء)** إشارة إلى جواب ما يقال: تكلُّمه حال كونه في المهد من

يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حال أيضًا والتقدير يبشّرك به موصوفًا بهذه الصفات.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ أي إذا قدّر تكون شيء كوّنه من غير تأخير لكنه عبّر بقوله «كن» إخبارًا عن سرعة تكوّن الأشياء بتكوينه (﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ مدني وعاصم) وموضعه حال معطوفة على «وجيهًا». الباقون: بالنون على أنه (كلام مبتدأ) ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي الكتابة وكان أحسن الناس خطًّا في زمانه. وقيل: كتب الله ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد. والحكمة: البيان باللسان ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

المعجزات. وأمّا تكلُّمه في حال الكهولة، فليس من المعجزات؛ فما الفائدة في ذكره؟ وتقديره أنّ تكلُّمه في حال الطفولية والكهولة على حدٍّ واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بأن يكون كلامه في حال الطفوليّة مثل كلام الأنبياء والحكماء لا شكّ أنه من أعظم المعجزات.

قوله: (﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾) بياء الغيب مناسبة لقوله قضى، (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وعاصم) بن بهدلة الأسدي، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة.

قوله: (كلام مبتدأ) أي مُستأنف لا محلّ له من الإعراب، سواء كان استئناف إخبار من الله، أو عن الله تعالى على اختلاف القرائن، ولا يلزم أن تكون الواو عاطفة البتّة؛ لأن النحويّين نصّوا على أن الواو قد تكون للاستئناف، بدليل أنّ الشعراء يأتون بها أوائل أشعارهم من غير تقدّم شيء يكون ما بعدها معطوفًا عليه ويسمّونها واو الاستئناف. ومَنْ ذهب إلى أنّ الواو لا تكون غير عاطفة البتّة قدّر أنّ الشاعر عطف كلامه على شيء هو في نفسه، ولكن الأوّل أشهر القولين.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩)﴾

﴿وَرَسُولًا﴾ أي ونجعله رسولًا أو يكون في موضع الحال أي وجيهًا في الدنيا والآخرة ورسولًا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى﴾ بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بدلالة تدل على صدقي فيما أدَّعيه من النبوَّة ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾ **(نصب بدل من** ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾) أو جر بدل من «آية» **(أو رفع على هي** ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾. «إِنِّي»: **نافع)** على الاستئناف ﴿مِّنَ ٱلطِّينِ (كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ)﴾ أي أقدّر لكم شيئًا مثل صورة الطير) ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا﴾ فيصير طيرًا كسائر الطيور. «طائرًا»: **(مدني)** ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره. قيل: **(لم يخلق شيئًا غير الخفاش)** ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ

قوله: (نصب بدل من ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾)، فإنّه منصوب بنزع الخافض. **قوله: (أو رفع على هي** ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾)، أي على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره **هي** ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾، أي الآية التي جئت بها ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾. **قوله:** («**إني**») بكسر الهمزة (**نافع**)، وكذا أبو جعفر المدني، والباقون بالفتح. قوله: (أي أقدّر لكم شيئًا مثل صورة الطّير)، فإنّ الخلق في الأصل هو التقدير؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٤]، أي المقدّرين، وقد ثبت أن العبد لا يكون خالقًا بمعنى التّكوين والإبداع، فوجب أن يكون بمعنى التقدير والتسوية، وقوله لكم متعلّق بأخلق، واللام للعلّة، أي لأجلكم، بمعنى لتحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم، أي أن الكاف في قوله: (﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾) في محل النصب على أنه صفة مفعول محذوف. **قوله:** («**طائرًا**») بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعد الألف. (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، والباقون بياء ساكنة بين الطاء والراء. **قوله: (قيل: لم يخلق شيئًا غير الخفّاش)** - بضم الخاء وتشديد الفاء - كذا في حياة الحيوان. رُوِيَ أنّ عيسى عليه الصّلاة والسلام لمّا ادّعى النبوّة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق خفّاش تعنتًا، فأخذ طينًا فصوّره ثم

﴿ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كرر «بإذن الله» دفعًا لوهم مَن يتوهَّم فيه (اللاهوتية). رُوِيَ أنه (أحيا سام بن نوح عليه السلام) وهم ينظرون إليه فقالوا: هذا سحر مُبين فأرنا آية فقال: يا فلان أكلت كذا ويا فلان (خبّيء) لك كذا وهو قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ و«ما» فيهما معنى «الذي»، أو مصدرية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما سبق ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

نفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا ليتميّز فعل الخلق من فعل الله تعالى، قيل: إنما طلبوا منه خلق الخفّاس لأنه أعجب من سائر الخلق، ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش، ويلد كما يلد الحيوان، ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، ويكون له الضّرع ويخرج منه اللبن، ولا يُبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: ساعة بعد غروب الشمس، وساعة بعد طلوع الفجر، قبل أن يُسفر جدًّا، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة. ثم اختلف الناس، فقال بعض إنه لم يخلق غير الخفّاش، ويؤيّده قراءة نافع وأبي جعفر: «فيكون طائراً» بالألف على التوحيد. وقال آخرون: إنه خلق أنواعًا من الطَّيْر، ويؤيّده قراءة الباقين: ﴿طيرًا﴾ على الجمع، فإنّ الطَّيْر اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع، ولما دلَّ القرآن على أنه عليه الصّلاة والسّلام إنما تولّد من نفخ جبريل عليه الصّلاة والسّلام في مريم، وجبريل عليه السّلام روح محض وروحاني محض، فلا جرم كانت نفخة عيسى سببًا للحياة والروح.

قوله: (اللاهوتيّة) أي الألوهيّة، وفي لسان العرب: حُكِي عن بعضهم: لَاهَ اللهُ الخلق يلوههم: خلقهم، وذلك غير معروف. اهـ. وأيضًا فيه: وأمّا لاهوتُ، فإنْ صحّ أنه من كلام العرب فيكون اشتقاقه من لاه ووزنه فَعَلوت مثل رَغَبوت ورَحَموت، وليس بمقلوب كما كان الطاغوت مقلوبًا. اهـ. وقال في الكلّيات: اللاهوت الخالق، والناسوت المخلوق، وربما يُطلق الأوّل على الروح، والثاني على البدن، وربما يُطلق الأوّل أيضًا على العالم العلويّ، والثاني على العالم السفلي، وعلى السبب والمسبّب، وعلى الجنّ والإنس. اهـ. **قوله: (أحيا سام بن نوح عليه السلام)**، قيل: الصواب كعب بن حام. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (خبيء)** في المصباح: خبّأت الشيء خبَأ مهموز من باب نفع سترتُه، ومنه الخابية، وترك

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي قد جئتكم باية وجئتكم مصدقًا ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (ردّ على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾) أي جئتكم بآية من ربكم ولأحلّ لكم. وما حرَّم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحلَّ لهم عيسى بعض ذلك ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرَّر للتأكيد ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تكذيبي وخلافي ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في أمري ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ إقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ دوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يؤدي صاحبه إلى النعيم المقيم.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ علم من اليهود كفرًا علمًا لا شُبْهَة فيه كعلم ما يدرك بالحواس ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ («أنصاريّ» مدني) وهو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يتعلق بمحذوف حال من الياء أي من أنصاري ذاهبًا إلى الله مُلتجئًا إليه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ حوارِيّ الرجل (صفوته) وخاصَّته ﴿نَحْنُ

الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وربما همزت على الأصل وخبّأته حفظته، والتشديد تكثير ومبالغة، والخَبْءُ بالفتح اسم لما خُبِيءَ. اهـ.

قوله: (ردّ على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾)، أي منتظم معه معطوف عليه ظاهرًا، لكنه في التحقيق من عطف الجمل، أي جئتكم بآية، وجئتكم لأُحِلّ؛ إذ لا وجه لعطف المفعول له على المفعول به. اهـ. تفتازاني رحمه الله.

قوله: («أنصاري») بفتح ياء الإضافة (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. وسكّنها الباقون.

قوله: (صَفْوته) في مختار الصحاح: صَفْوة الشيء خالصه، يقال: محمّد ﷺ صفوة الله تعالى من خلقه ومصطفاه. اهـ.

﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ **(أعوان دينه)** ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدًا لإيمانهم لأن الرُّسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ أي رسولك عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم، أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية، أو مع أمة محمد ﷺ لأنهم شهداء على الناس. ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي كفّار بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على مَن أراد **(اغتياله)** حتى قتل، **(ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء، لأنه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح التأويلات)**. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

قوله: (أعوان دينه) قدّر المضاف؛ لأن نصرة الله تعالى في الحقيقة مُحال.

قوله: (اغتياله) في مختار الصِّحاح: اغتاله قتله غيلة، وأصله الواو. اهـ. وأيضًا فيه الغيلة ـ بالكسر ـ الاغتيال، يقال: قتله غيلة، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه. اهـ. **قوله: (ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلّا على معنى الجزاء؛ لأنه مذموم عند الخلق، وعلى هذا الخداع والاستهزاء، كذا في شرح التأويلات)**. عبارة التأويلات: (﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾)، أي يُجزيهم جزاء مكرهم، وإلا حرف المكر مذموم عند الخلق، فلا يجوز أن يسمّى الله به إلّا في موضع الجزاء، على ما ذكره عزّ وجلّ تعالى في موضع الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٤]، والاعتداء منهم غير جائز لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٠]، فلا يوصف الله أنه يأمر به، فكأن قوله: ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٤] فهو جزاء الاعتداء، فيجوز؛ فعلى ذلك المكر والخديعة والاستهزاء، ولا يجوز أن يُسمّى الله

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ ظرف لمكر الله ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ أي مُستوفي أجَلَك ومعناه أني عاصِمك من أن يقتلك الكُفّار (ومُميتك حتف أنفك) لا قتلًا بأيديهم ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ إلى سمائي ومقرّ ملائكتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من سوء جِوارهم وخبث صُحبتهم. وقيل: مُتَوفِّيك قابِضك من الأرض من توفَّيت مالي على فلان إذا استوفيته، أو مُميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن، إذ الواو لا تُوجِب الترتيب. قال النبي ﷺ: «ينزل عيسى خليفة على أُمتي (يدق الصليب) ويقتل الخنازير (ويلبث أربعين سنة)، ويتزوج ويُولَد له ثم يتوفَّى وكيف تهلك أُمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها» أو مُتَوفِّي نفسك

تعالى به، فيقال: يا ماكر، ويا خادع، ويا مستهزيء؛ لأنها حروف مذمومة عند الناس يشتم بعضهم بعضًا بذلك، لذلك لا يجوز أن يُسمّى الله تعالى إلّا في موضع الجزاء، وبالله العصمة. اهـ بحروفها.

قوله: (ومُميتك حتف أنفك) الحتف: الهلاك، قال ابن فارس وتبعه الجوهري: ولا يُبْنى منه فعل، يقال: مات حَتْف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، وزاد الصغاني: ولا غرق ولا حرق. وقال الأزهري: لم أسمع للحَتْف فعلًا، وحكاه ابن القوطية فقال: حَتَفَهُ الله يَحْتِفه حَتْفًا، أي من باب ضرب إذا أماته، ونَقْل العَدْل مقبول، ومعناه: أن يموت على فراشه فيتنفس حتى ينقضيَ رَمَقُه، ولهذا خُصّ الأنفُ، ومنه يقال للسمَك يموت في الماء ويطفو: مات حَتْف أنفِهِ، وهذه الكلمة تكلّم بها أهل الجاهليّة. قال السموأل: وما مات منّا سيّد حَتْف أنفه. اهـ مصباح. قوله: (يدق) أي يكسر (الصليب) وهو المربّع من الخشب للنصارى يدّعون أن عيسى عليه السلام صُلِب على خشبة على تلك الصورة، وقيل: هو مثلّث كالتمثال يعبده النصارى. اهـ كمالين. قوله: (ويلبث أربعين سنة) كذا في حديث أبي داود الطيالسي، وقد وقع ذلك عند أحمد عن أبي هريرة بسندٍ صحيح، كما في الإصابة.

بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمِن مُقَرَّب ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ أي المسلمين لأنهم مُتَّبِعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بك ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وتفسيرُ الحكم هاتان الآيتان (﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ **حفص**) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ خبره ﴿مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القرآن (**يعني المحكم**)، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه. ونزل لما قال وفد بني نجران هل رأيت ولدًا بلا أب.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ أي إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ (**قدّره جسدًا من طين**) وهي جملة مفسّرة

قوله: (﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾) بياء الغيبة على الالتفات (**حفص**) عن عاصم. والباقون بالنون. **قوله: (يعني المحكم)**؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: الآية ١] إلّا أن الفعيل بمعنى المفعل قليل جدًّا، نحو: عقدت العسل فهو عقيد ومقعد، وحبست الفرس في سبيل الله، فهو حبيس ومحبس.

قوله: (قدّره جسدًا من طين)... الخ جواب عمّا يقال: ظاهر نظم الآية يقتضي أن يكون خلق آدم وتكوينه مُقدَّمًا على قول الله: ﴿كُن﴾، ولا وجه له. وتقرير الجواب الأوّل: أن الخلق ليس بمعنى التكوين والإنشاء، بل بمعنى التقدير والتسوية، ويرجع معناه إلى علم الله تعالى بكيفيّة وقوعه وإرادته لإيقاعه على الوجه

لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمَّة أب ولا أُم، فكذلك حال عيسى مع أن الوجود من غير أب وأُم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب، فشبَّه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم و(**أحسم**) لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه، وعن بعض العلماء أنه (**أسرَّ**) بالروم فقال لهم: لِمَ تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا: كان يُحيي الموتى. قال: (**فحزقيل**) أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف. فقالوا: كان يُبرىء الأكمه والأبرص.

المخصوص، وكل ذلك مقدَّم على قوله: ﴿كُن﴾. والجواب الثاني: أن المحذور إنما يلزم أن لو كانت كلمة ثمّ لتراخي المخبر عن الخبر، وليست كذلك، بل هو متقدّم على وجود آدم تقدّم الأزليّ عن المُحدث، فإنّ قوله: ﴿كُن﴾ عبارة عن إدخاله في الوجود، فصحّ أنّ خلق آدم متقدّم عليه لتراخي الخبر؛ فالله تعالى أخبرنا أولًا أنه خلق آدم لا من ذكرٍ ولا أُنثى، ثم ابتدأ خبرًا آخرًا فقال: إني مخبركم أيضًا بعد خبري الأول أنّي إنما خلقته بأن قلت له: كُنْ، كما تقول: أعطيت زيدًا اليوم ألفًا ثمّ أعطيه أمس ألفين، ومرادك أن تقول: أعطيته ألفًا ثم أنا أخبركم أنّي قد أعطيته أمس ألفين؛ فكذا الحال في قوله: (﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾) أي صيّره خلقًا سويًا، ثم قال: إني أخبركم أني خلقته بأن قلت له كن، فالتراخي في الخبر على هذا الوجه، لا في المخبر.

وقوله: (**احسم**) أي اقطع. **قوله:** (**أسر**) أي قيّد. **قوله:** (**فحِزْقيل**) بن بوري، ويلقّب بابن العجوز، وإنّما لقّب بابن العجوز لأن أُمّه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز، وقد كَبُرت وعقمت عن الولد، فوهبه الله تعالى لها، وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت، فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٣] الآية. قال أكثر المفسّرين: كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون، فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقي في القرية وسَلِم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: إن أصحابنا كانوا أحزم منّا لو صنعنا كما صنعوا، ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجنّ إلى الأرض

....

التي لا وباء فيها، فوقع الطاعون من قابل، فهرب عامّة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديًا أفيح، فلمّا نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة إذا هم بملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما: أن فماتوا فموتوا جميعًا. عن محمّد بن زكريا قال: سمعت الأصمعيّ يقول: لمّا وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمارٍ له ومعه ولده وخلفه عبدٌ حبشيّ يسوق الحمار، فطفق العبد يرتجز ويقول:

لن يبسق الله على حمار ولا على ذي منعة حظار
قد أصبح الله أمام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله. وروى عبد الرحمٰن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **«إذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»**. وقال الضحاك ومقاتل الكلبي: إنما فرّ هؤلاء من الجهاد، وذلك أن ملكًا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوّهم، فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلّوا، وقالوا لملكهم: إن في الأرض التي تأتيها الوباء، فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها؛ فأرسل الله عليهم الموت، فلما رأوا أنّ الموت قد كَثُر فيهم خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فلما رأى الملك ذلك قال: اللّهمّ ربّ يعقوب وإلٰه موسى قد ترى معصية عبادك، فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك، فلمّا خرجوا قال الله لهم: موتوا، فماتوا جميعًا، وماتت دوابّهم كموتهم موتة رجلٍ واحد، فما أتى عليهم ثلاثة أيام حتى انفجروا وأروحوا وأروحت أجسامهم، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم، فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها، واختلفوا في مبلغ عددهم، فقال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، وقال ابن عبّاس ووهب: كانوا أربعة آلاف، وقال مقاتل والكلبي: ثمانية آلاف، وقال أبو روق: عشرة آلاف. وقال أبو مالك: ثلاثين ألفًا، وقال السديّ: بضعًا وثلاثين ألفًا، وقال ابن جريج: أربعين ألفًا، وقال عطاء بن أبي رباح: سبعين ألفًا، قال: فأتى على ذلك مدّة وقد بَلِيَت أجسادهم وعُرّيت عظامهم وتقطّعت أوصالهم، فمرّ عليهم حِزْقيل النبيّ عليه

....

الصّلاة والسّلام، فوقف متفكّرًا متعجّبًا، فأوحى الله تعالى إليه: يا حِزْقيل تريد أن أُريك كيف أُحيي الموتى، قال: نعم يا ربّ، فأحياهم الله جميعًا، هذا قول السدّي وجماعة من المفسّرين. وقال مقاتل والكلبي: بل كانوا قوم حزقيل، فلمّا أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال: يا ربّ كنت في قومٍ يعبدونك ويذكرونك، فبقيت وحيدًا لا قومَ لي، فلو شئتَ أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك، قال الله تعالى: أوَتحبّ أن أفعل ذلك؟ قال: نعم يا ربّ، قال الله: قد جعلت حياتهم إليك، فقال لهم حزقيل: احيوا بإذن الله، فعاشوا وقال وهب: أصابهم بلاء وشدّة من الزّمان، فشكوا ما أصابهم وقالوا: يا ليتنا قد متنا واسترحنا ممّا نحن فيه، فأوحى الله إلى حزقيل: إنّ قومك قد ضجّوا من البلاء وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا استراحوا، وأيّ راحة لهم في الموت؟ أيظنّون أني لا أقدر أبعثهم بعد الموت، فانطلق إلى جبانة كذا، فإنّ فيها أقوامًا ماتوا، فأتاهم فأوحى الله تعالى إليه: يا حزقيل قم فنادهم، وكانت أجسادهم وعظامهم قد تفرّقت ومزّقتها الطير والسباع، فنادى حزقيل: أيّتها العظام إنّ الله يأمرك أن تعودي وتكتسي اللحم، فاكتست جميعًا اللّحم وبعد اللّحم جلودًا ودمًا وعصبًا وعروقًا، فكانت أجسادًا، فنادى: أيّتها الأرواح إنّ الله تعالى يأمركِ أن تعودي إلى أجسادكِ، فقاموا جميعًا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبّروا تكبيرة واحدة. وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك اللّهمّ ربّنا وبحمدك لا إلٰه إلّا أنت، فرجعوا إلى قومهم وتناسلوا بعدما أحياهم الله وعاشوا دهرًا يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة[1] الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبًا إلا عاد رميمًا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتب الله لهم. قال ابن عباس: فإنه ليوجد في ذلك السّبط من اليهود تلك الريح، قال قتادة: مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد، فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقيّة آجالهم ليوفوها، ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بُعِثُوا بعد موتهم، فلمّا أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد، قال: وقاتِلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم. اهـ العرايس.

(١) في القاموس السحنة: الهيئة واللون، ١٢ منه عمّ فيضهم.

قال: **(فجرجيس)** أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالمًا ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ أي أنشأه بشرًا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فكان **(وهو حكاية حال ماضية)**، و«ثم» لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المُخبَر عنه.

قوله: (فجرجيس) في القاموس ولسان العرب: جِرْجِيس اسم نبيّ عليه السلام. اهـ. وفي العرائس: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبّي بإسناده عن وهب بن منبه اليماني، قال: كان في الموصل ملك يقال له زادانه، وكان قد ملك الشام كلّها ودان له أهلها، وكان جبّارًا عاتيًا وكان يعبد صنمًا يقال له أفلون، وكان جرجيس عبدًا صالحًا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان تاجرًا كثير المال عظيم الصدقة، وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه، فخرج يومًا يريد ملك الموصل، ومعه مال يريد أن يهديه إليه لئلّا يجعل لأحد من تلك الملوك سلطانًا عليه دونه، فجاءه وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنُصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب، وقد أوقد نارًا عظيمة، فمن لم يسجد لأفلون ألقي في تلك النّار، فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فظع منه وهاله. وأعظمه وحدّث نفسه بجهاده، وألقى الله في نفسه بغضه ومجاهدته له، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه في أهل ملّته حتى لم يبق منه شيء، وكره أن يُجاهده بالمال، وأحبّ أن يلي ذلك بنفسه، فأقبل عليه وقال له: اعلم أنك عبدٌ مملوك لا تملك لنفسكَ شيئًا ولا لغيرك، وإن لك ربًّا هو الذي يملكك وغيرك، وهو الذي خلقك ورزقك ويُحييك ويُميتك ويضرّك وينفعك، وإذا قال لشيء كُنْ فيكون، وإنك إنما عمدت إلى خلق من خلقه أصمّ لا يسمع ولا يُبصر ولا ينطق ولا يُغني عنك شيئًا من الله، فزيّنته بالذّهب والفضّة وجعلته فتنةً للناس ثم عبدته من دون الله، فكان من جواب الملك له أن سأله عن حاله وأمره، ومَنْ هو؟ ومن أين هو؟ فقال جرجيس: أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذلّ عباده وأفقرهم إليه من التراب خُلِقْت وإليه أصير، فقال له الملك: لو كان ربّك الذي تزعم كما تقول لرُؤِيَ أثره عليك كما رُؤِيَ أثري على مَنْ حولي ومَنْ هو في طاعتي؛ فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره، ثم قال له: أتعدل أفلون الأصمّ الأبكم الذي لا يُغني عنك شيئًا بربِّ العالمين الذي قامت السمٰوات والأرض بأمره، أم تعدل طوفليًا وما نال

....

بولايتك، فإنه عظيم قومك بما نال إلياس من ولاية الله تعالى؟ فإن إلياس كان في بدوّ أمره آدميًّا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الرّيش وكساه النور، فصار إنسيًّا ملكيًّا سماويًّا أرضيًّا يطير مع الملائكة، أم تعدل مخلطيس وما نال بولايتك، فإنه عظيم قومك بالمسيح ابن مريم، وما نال بولاية الله تعالى، فإن الله تعالى فضّله على رجال العالمين وجعله وأُمّه آية للمعتبرين؟ أم تعدل هذه الروح الطيّبة التي اختارها الله بكلمته وفضّلها على إمائه وما نالت بولاية الله بإربيل، وما نالت بولايتك، فإنها كانت من شيعتك وعلى ملّتك، فأسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها، فانتهشت لحمها وولغت في دمها وقطّعت الضّباع أوصالها؟ فقال له الملك: إنك لتحدّثنا بشيءٍ ليس لنا به علم، فائتِنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر إليهما، فإني أنكر أن يكون هذا من أمر البشر، فقال له جرجيس: إنما جاءك الإنكار من قبل الغرّة بالله تعالى. وأمّا الرجلان، فلن تراهما ولن يرياك إلّا أن تعمل بعملهما، فتنزل منازلهما، فقال له الملك: أمّا نحن فقد أعذرنا إليك وتبيّن لنا كذبك، لأنك فخرت بأُمور عجزت عنها ولم تأْتِ بتصديقها. ثمّ إن الملك خيّر جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون، فقال له جرجيس: إنْ كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أصبت ونصحت لي، فإلا فاخسأ أيها النجس الملعون؛ فلمّا سمعها الملك غضب وشتمه وسبّ إلـهه وأمر بخشبة فنُصِبَت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جَسَده حتّى تقطّع لحمه وجلده وعروقه، ونضح عليه في خلال ذلك بالخلّ والخردل، فحفظه الله من ذلك الألم والهلاك، فلمّا رأى الملك أنّ ذلك لم يقتله أمر بستّ مسامير من حديد، فأُحميت حتى جُعِلت نارًا فسمّر بها رأسه حتى سال دماغه، فحُفِظ من الألم والهلاك، فلمّا رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى إذا جعله نارًا أمر به فأُدخل في جوفه وأطبق عليه، فلم يزل فيه حتى برد حرّه، فلمّا رأى ذلك لم يقتله دعا به، فقال له: يا جرجيس أمَا تجد ألم هذا العذاب الذي تُعذّب به؟ فقال: إنّ ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب عنّي وصبّرني لأحتجّ عليك، فلمّا قال له ذلك أيقن بالشرّ وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلّده في السِّجن، فقال له الملأ من قومه: إنك إن تركته

....

طليقًا في السجن يكلّم الناس أوشك أن يميل بهم عليك، ولكن مُرْ له بعذاب في السجن فيشغله عن كلام الناس، فأمر به فبُطِح[١] على وجهه ثم أوتده في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديدٍ في كل ركنٍ منها وتد، وأمر بأسطوانة من رخام فوُضِعت على ظهره ثم إنه حُمِل على تلك الأسطوانة ثمانية عشر رجلًا، فظلّ يومه ذلك موتدًا تحت الحجر، فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى إليه ملكًا، وذلك أوّل ما أيّده الله بالملائكة، وأوّل ما جاءه الوحي، فقلع عنه الحجر ونزع الأوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشّره بالنصر، فلمّا أصبح أخرجه من السجن، ثم قال له: الحق بعدوّك فجاهده في الله حقَّ جهاده، فإنّ الله يقول لك: اصبر وأبشر، فإنّي قد ابتليتك بعدوّي هذا سبع سنين يعذّبك ويقتلك فيهنّ أربع مرّات، وفي كل ذلك أردّ إليك روحك، فإذا كان في القتلة الرابعة نقلت روحك وأوفيتك أجرك، فلم يشعروا إلّا وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم إلى الله تعالى، فقال له الملك: يا جرجيس، مَنْ أخرجك من السجن؟ فقال: أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك، فلمّا قال له ذلك ملىء غيظًا ودعا بأصناف العذاب حتى لم يخلُ منها شيئًا، فلمّا رآها جرجيس أوجس في نفسه خيفةً وجزعًا، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون، فلمّا فرغ من عتابه قال لهم الملك: مدّوه بين خشبتين، فمدّوه ثم إنهم وضعوا سيفًا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزءين، ثم عمدوا إلى أجزائه فقطّعوها قطعًا ودعوا له سبع أُسود ضارية كانت له في جبّ، وكانت صنفًا من أصناف عذابه فرموا بجسده إليها، فلمّا هوى نحوها أمرها الله عزّ وجلّ فخضعت برؤوسها وأعناقها وقامت على براثنها[٢] تقيه الألم، فظلّ يومه ذلك ميتًا، وكانت أوّل موتة ماتها، فلمّا أدركه اللّيل جمع الله له جسده الذي قطّعوه وضمّ بعضه إلى بعض حتى سوّاه ثم ردَّ الله إليه روحه، وأرسل الله له ملكًا فأخرجه من قعر الجبّ فأطعمه وسقاه وبشّره بالنصر، فلمّا أصبحوا قال له الملَك: يا جرجيس، قال: لبّيك، قال له: اعلم أنّ القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجبّ، اخرج فالحق بعدوّك وجاهده

(١) ألقاه على وجهه، كذا في القاموس، ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) البرثن كثُنفُذ، مخلب الأسد، ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

في الله حقَّ جهاده ومُتْ موت الصابرين، فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون إلّا وقد أقبل جرجيس وهم عُكُوف على عيدٍ لهم قد صنعوه فرحًا بموت جرجيس، فلمّا نظروا إلى جرجيس مُقبلًا قال الملك: ما أشبه هذا الرجل بجرجيس! فقالوا: كأنه هو، فقال الملك: ليس هو حقًّا، ألا ترون إلى سكون ريحه وقلّة هيبته، فقال جرجيس: بل هو أنا، فلبِئْس القوم أنتم قتلتم ومثّلتم، فأحياني الله تعالى بقدرته، فهلمّوا إلى الربّ العظيم الذي أراكم ما أراكم، فلمّا قال لهم ذلك أقبل بعضهم إلى بعض، وقالوا: ساحر سحر أعينكم، فجمعوا له مَنْ كان ببلاد الملك من السَّحرة، فلما جاء السَّحرة قال الملك لكبيرهم: اعرض عليّ من كبير سحرك ما يسرّ عيني، فقال: ادْعُ لي بثور من البقر، فلما أتى به نفث في أحد أُذنيه، فانشقّت باثنتَيْن ثم نفث في الأذن الأخرى، فإذا هو ثوران، ثم دعا ببذر فحُرِث وبُذِر ونبت الزّرع وحصد ثم داس وذُرِيَ وطُحِنَ وعُجِنَ وخُبِز كل ذلك في ساعةٍ واحدة وهم يرون، فقال له الملك: هل تقدر أن تمسخ لي جرجيس دابّة؟ فقال الساحر: أيّ دابَّة تطلب أمسخه لك، قال: كلبًا، فقال الساحر: ادْعُ لي بقدح من ماء، فلما أُتي بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك: اعزم عليه أن يشربه، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره، فلمّا فرغ منه قال له الساحر: ماذا تجد؟ قال: ما أجدُ إلّا خيرًا، كنت قد عطشت فعطف الله لي بهذا الشراب وقوّاني به عليكم، فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له: اعلم أيّها الملك أنه لو كانت تقايس رجلًا مثلك إذًا لكنت غلبته، ولكنك تقايس جبّار السمٰوات والأرض، وهو الملك الذي لا يُرام، وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب فأتته وهو في أشدّ ما فيه من البلاء، فقالت له: يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال إلّا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا، فجئتك لترحمني وتدعو الله أن يُحيي لي ثوريَّ؛ فلمّا سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يُحيي لها ثوريها، ثم إنه أعطاها عصًا وقال لها: اذهبي إلى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما: احييا بإذن الله تعالى، فقالت له: يا جرجيس إن ثوريّ قد ماتا من سبعة أيّام ومزّقتهما السّباع وبيني وبينهما أيّام، فقال لها: لو لم تجدي منهما إلا شيئًا يسيرًا وقرعتيه بالعصا فإنهما يقومان بإذن الله تعالى، فانطلقت المرأة حتى أتت

....

مصرعهما، وكان أوّل شيء بدا لها من ثوريها ذقن أحدهما وشعر أذني الآخر، فجمعت أحدهما إلى الآخر وقرعتهما بالعصا، وقالت كما أمرها، فقام الثوران بإذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك، فلمّا قال الساحر للملك ما قال، قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك: إنّكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السّحر، وإنكم قد عذَّبتموه فلم يصل إليه عذابكم، وقتلتموه فلم يمت، فهل رأيتم ساحرًا يدرأ عن نفسه الموت أو أحيا ميتًا قطّ؟ فقالوا له: إنّ كلامك لكلام رجل قد صبأ إليه، فلعلّه استهواك إليه؟ فقال: آمنت بالله وأشهد أني بريء مما تعبدون، فقام إليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه، فلمّا رأى القوم ذلك اتّبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا، فعمد إليهم الملك، فلم يزل يعذّبهم بألوان العذاب حتى أفناهم، فلمّا فرغ منهم قال لجرجيس: هلّا دعوت ربّك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قُتِلوا بجريرتك؟ فقال له جرجيس: ما خلى بيني وبينهم حتى حانت آجالهم، فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس: إنك زعمت يا جرجيس أن إلـٰهك هو الذي يبدؤ الخلق ثم يُعيده، وإني سائلك أمرًا إن فعلته آمنت بك وصدّقتك وكفيتك، نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيًّا ومائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من أشجار شتّى، فادع ربّك ينشيء هذه الكراسي والأواني كما بدأها أوّل مرة تعود خضراء، فيعرف كل عود منها أنبوبته وورقه وزهره، فقال له جرجيس: لقد سألت أمرًا عزيزًا عليّ وعليك، وإنه على الله لهيّن؛ فدعا الله عزّ وجلّ فما برحوا من مكانهم حتى اخضرّت تلك الكراسي والأواني كلها وساخت عروقها وتلبّست اللحم وتشعّبت وأورقت وأزهرت وأثمرت، فلما نظروا إلى ذلك انتدب لهم مخليطس الذي تمنّى عليه ما تمنّى، فقال: أنا أعذّب لكم هذا الساحر عذابًا يبطل به كيده، ثم إنه عمد إلى نحاس، فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاه نفطًا ورصاصًا وكبريتًا وزرنيخًا، ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها، ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شيء فيها واختلط جرجيس في جوفها، فلمّا مات جرجيس أرسل الله ريحًا عاصفًا فملأت السماء سحابًا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله إعصارًا ملأت بلادهم عجاجًا وقتامًا حتى اسودّ ما بين السماء والأرض، فمكثوا أيّامًا متحيِّرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين اللّيل

....

والنهار، وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى إذا أقلّها ضرب بها الأرض ففزع مِنْ رَوْعها أهل الشام، فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيًّا، فلما وقف يُكلِّمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم، فقال له رجل يقال له طوفليا: لا ندري يا جرجيس إن كنت أنت تصنع هذه الأعاجيب أم ربّك؟ فإن كان ربّك هو الذي يصنع فادْعه يُحيي لنا موتانا التي في هذه القبور، فإنّ فيها أمواتًا منهم مَنْ نعرفه ومنهم مَنْ لا نعرفه، فقال له جرجيس: لقد علمت أن ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويُريكم هذه الأعاجيب إلا لتكون عليكم حجّة فتستوجبوا بها غضبه، ثم إنه أمر بالقبور فنُبِشت وهي عظام رفات، وأقبل جرجيس على الدعاء، فما برحوا من مكانهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنسانًا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية، وإذا فيهم شيخ كبير، فقال له جرجيس: يا شيخ، ما اسمك؟ فقال: يا جرجيس اسمي توبيل، قال: متى متّ؟ قال: في زمان كذا وكذا، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمائة عام، فلمّا نظر الملك وأصحابه إلى ما فعل قالوا: ما بقي من أصناف العذاب شيء إلّا وقد عذّبتموه به إلّا الجوع والعطش، فعذِّبوه بهما، فعمدوا إلى بيت عجوزٍ كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصمّ وأبكم مقعد فحصروه في بيتها، وكانوا لا يُوصلون له من عند أحد طعامًا ولا شرابًا، فلما بلغ به الجوع قال للعجوز: هل عندك من طعام أو شراب؟ فقالت: لا والذي يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا، وسأخرج ألتمس لك شيئًا، فقال لها جرجيس: هل تعرفين الله تعالى؟ قالت: نعم، قال: إيَّاه تعبدين، قالت: لا، فدعاها إلى الله فصدّقته ثم إنها انطلقت تطلب له شيئًا، وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت، فأقبل على الدعاء فاخضرّت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تُعرف حتى كان ممّا أنبتت اللّوبيا واللياز هو مثل البردى يكون بالشام، وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظلّه من فوقه، فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدًا، فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها، قالت: آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع، فادع هذا الربّ العظيم أن يشفي ابني، قال لها: أدْنيه مني، فأدْنَتْه فبصق في عينيه فأبصر، ونفث

....

في أُذنيه فسمع، فقالت له: أطلق لسانه ورجليه رحمك الله، فقال لها: أخّريه، فإنّ له يومًا عظيمًا؛ وكان الملك قد خرج يومًا يسير في مدينته إذ وقع بصره على الشجرة فقال: إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به، فقالوا له: إنّ تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذّبه بالجوع، فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة، وشفى لها ابنها، فأمر الملك بالبيت فهُدِم وبالشجرة أن تُقطع، فلمّا همّوا بقطعها أيبس الله الشجرة وردّها كما كانت أوّل مرّة فتركوها، وأمر بجرجيس فبُطِح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعَجل[1] فأوقر أسطوانًا وجَعَل في أسفل العجل خناجر وشفارًا، ثم أمر بأربعين ثورًا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها، فانقطع ثلاث قطع، فأمر بقطعه أن تُحرق، فأُلقيت في النار حتى عادت رمادًا، فبعث بذلك الرماد وبعثه معه رجالًا فذروه في البحر، فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتًا من السماء: يا بحر إنّ الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيّب، فإني أُريد أن أُعيده كما كان، ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يُذرى، فخرج منه جرجيس مغبرًّا ينفض رأسه، فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذي سمعوه والريح الذي جمعته، فقال له الملك: يا جرجيس هل لك فيما هو خيرٌ لي ولك مما نحن فيه؟ ولولا أن يقول الناس أنك غلبتني وقهرتني لاتّبعتك وآمنت بك، ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة، ثم إنّي أفعل ما يسّرك، فقال له: نعم مهما شئت فعلت، فأدخلني على صنمك؛ ففرح الملك بقوله وقام إليه وقبّل يديه ورجليه ورأسه وقال له: أعزم عليك أن لا تظلّ هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة إلّا في بيتي وعلى فراشي وفي كرامتي حتى تستريح ويذهب عنك وَصَب[2] العذاب ويرى الناس كرامتك عليّ؛ فأخلى له بيته فظلّ فيه جرجيس حتى إذا أدركه اللّيل قام يصلّي ويقرأ الزبور، وكان أحسن الناس صوتًا، فلما سمعته امرأة الملك استجابت له، فلم يشعر إلّا وهي خلفه تبكي، فدعاها

---

(١) عَجَلٌ خشب تؤلف يُحمل عليها الأثقال. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) مُحرّكة المرض. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

جرجيس إلى الإيمان فآمنت به وأمرها فكتمت إيمانها، فلمّا أن أصبح الصبح غدا به إلى بيت الأصنام يسجد لها، فلمّا سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توبّخ جرجيس والناس مشتغلون عنها، فلمّا دخل جرجيس بين الأصنام ودخل الناس معه نظروا وإذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس إليه مقامًا، فلمّا رآها جرجيس دعا ابنِ العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلّم قبل ذلك قطّ، ثم اقتحم عن عاتق أُمّه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الأرض قبل ذلك بقدميه قطّ، فلما وقف بين يدي جرجيس قاله له: اذهب فادع لي هذه الأصنام، وهي يومئذ سبعون صنمًا على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر، فقال له الغلام: كيف أدعو الأصنام؟ فقال له: قل لهم: إنّ جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلّا ما أجبتيه، فلمّا قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج إلى جرجيس، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله فخسف بها وبمنابرها، وخرج إبليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربًا فَرَقًا من الخسف، فلمّا مرّ بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلّمه جرجيس، فقال له جرجيس: أخبرني أيّها الروح النَّجسة والخلق الملعون ما الذي يحملك على أن تُهلك نفسك وتُهلك الناس معك، وأنت تعلم أنّك وجندك تصيرون إلى جهنّم؟ فقال له إبليس لعنه الله: لو خُيّرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحدة من بني آدمِ وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كلّه، وإنه ليقع لي من الشهوة واللذّة في ذلك مثل جميع ما يتلذّذ به جميع الخلق. ألم تعلم يا جرجيس أنّ الله تعالى أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة، فسجدوا له كلّهم وامتنعت من السجود؟ قلت: أنا خيرٌ منه، قال: فلمّا قال هذا خلّى سبيله جرجيس، فما دخل إبليس من يومئذٍ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبداً.

فقال الملك: يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي، فقال جرجيس: إنما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنعت مني، فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع نفسها مني، إنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملّكني ربّي؛ فلمّا قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلّمتهم وكشفت لهم عن إيمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعِبَر التي أراهم الله تعالى إيّاها، وقالت لهم: ما

....

تنظرون من هذا الرجل إلا دعوة فيخسف بكم الأرض كما خسف بأصنامكم، الله الله أيها القوم في أنفسكم، فقال لها الملك: ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلّك هذا الساحر في ليلةٍ واحدة!! وأنا أُقاسيه منذ سبع سنين، فلم يظفر مني بشيء؛ فقالت له: أمَا رأيت الله كيف يظفّره بك ويسلّطه عليك، فيكون له الفلاح والحجّة عليك في كل موطن؛ فلمّا سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك، فحُمِلت على خشبة جرجيس التي كان علّق عليها وجُعِلت عليها الأمشاطة التي جُعلت على جرجيس، فلما آلمها قالت: ادع ربّك يا جرجيس فيخفّف عني، فإني قد آلمني العذاب، فقال لها: انظري فوقك، فلمّا نظرت ضحكت، فقال لها الملك: ما الذي يضحكك؟ قالت: أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلى الجنّة ينتظرون به خروج روحي، فلمّا خرجت روحها زيّناها بذلك التاج ثم صعدا بها إلى الجنّة، فلمّا قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء، وقال: اللّهمّ أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء، فهذا آخر أيامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا، اللّهمّ إني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبّرين من سطوتك ونقمتك ما لا قِبَل لهم به حتى تشفي به صدري وتقرّ به عيني، فإنّهم ظلموني وعذّبوني فيك، اللّهمّ وأسألك أن لا يدعو بعد داعٍ في بلاء وكرب فيذكرني ويُنشدك باسمي إلّا فرَّجت عنه ورحمته وأحببته وشفّعتني فيه؛ فلمّا فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارًا، فلما رأوا ذلك عمدوا إليه فضربوه بالسيف غيظًا من شدَّة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده، ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادًا، فحملها الله من وجه الأرض وجعل عاليها سافلها، فمكثت زمانًا من الدّهر يخرج من تحتها نار ودخان مُنْتن لا يشمّه أحد إلا سقم سقمًا شديدًا، وكان جميع مَنْ آمن بجرجيس وقُتِل معه أربعة وثلاثين ألفًا وامرأة الملك. قال الأستاذ: وكانت قصّة جرجيس في أيام ملوك الطوائف، والله أعلم. اهـ بحروفها.

قوله: (وهو حكاية حال ماضية)، يعني أن المناسب لقوله: (﴿خَلَقَهُۥ﴾) ثم قال له: ﴿كُن﴾ أن يقال: فكان، أي: فكان كما أمر الله تعالى إلّا أنه لم يقل كذلك، بل قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ حكايةً للحال التي كان عليها آدم عليه السلام.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ **(خبر مبتدأ محذوف)** أي **(هو الحق)** ﴿فَلَا تَكُن﴾ أيها السامع ﴿مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين. **(ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي ﷺ)** ويكون من باب **(التهييج)** لزيادة الثبات لأنه عليه السلام معصوم من **(الامتراء)**.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ من النصارى ﴿فِيهِ﴾ في عيسى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ﴾ (﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ **من البيّنات المُوجِبَة للعلم)** و«ما» بمعنى «الذي» (﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ **هلموا والمراد المجيء بالعزم والرأي)** كما تقول: تعالى نفكر في هذه المسألة ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أي يدع كلٌّ منّا ومنكم أبناءه ونساءه

قوله: (خبر مبتدأ محذوف)، أي ما قصصنا عليك من خبر عيسى، **(هو الحقّ)**. **قوله: (ويحتمل أن يكون الخطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآلّم وسلم)**، والخطاب حينئذٍ لا على إرادة حقيقة النهي؛ لأن النهي عن الشيء حقيقة يقتضي أن يتصوّر صدور المنهيّ عنه من المنهيّ، ولا يتصوّر كونه عليه السلام شاكًّا في صحة ما أُنزل عليه. **قوله: (التهييج)** الإثارة. **قوله: (الامتراء)** افتعال من المِرْية، وهو الشكّ.

قوله: (من **البيّنات المُوجبة للعلم)** فسّر العلم بما يوجبه من الدّلائل العقليّة والدلائل الواصلة إليه بالوحي والتنزيل؛ لأن العلم الذي في قلبه عليه الصلاة والسلام لا يوجب إفحامهم وانقطاع جدالهم وسبابهم، والظاهر أن كلمة مِنَ في قوله تعالى: (﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾) لبيان الجنس. **قوله: (﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ هلمّوا، والمراد المجيء بالعزم والرأي)** لا بالأبدان؛ لأنهم مُقبلون وحاضرون عنده بأجسادهم، وقوله تعالى: (﴿تَعَالَوْا۟﴾) العامّة على فتح اللام منه؛ لأنه أمرٌ من الله تعالى من التعالي نحو تَراءىٰ يتراءىٰ، أصله: تعاليوا على وزن تفاعلوا من العلوّ اسْتُثْقلت الضمّة على الياء فسكّنت ثم حُذِف لاجتماع الساكنين، فإذا أمرت به الواحد قلت: تعال يا زيد، بحذف الألف للجزم، وكذا إذا أمرت الجمع قلت: تعالوا، لأنك لمّا حذفت أوّل الساكنين تركت الفتحة على حالها، وقُرِىء تعالُوا ـ بضم اللام ـ بناء

ونفسه إلى (**المباهلة**) ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ ثم نتباهل بأن نقول: «بهلة الله على الكاذب منّا ومنكم». والبهلة بالفتح والضم اللعنة، وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته، وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانًا. رُوِيَ أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى ننظر. فقال (**العاقب**). وكان ذا رأيهم ـ والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبيٌّ مُرسَل وما باهل قوم نبيًّا قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن، (**فإن أبيتم**) إلا إلف دينكم (**فوادعوا الرجل**) وانصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله ﷺ وقد غَدَا (**محتضنًا للحسين**)

على أنه لمّا اسْتُثقلت الضمّة على الياء نُقِلت إلى اللام بعد سلب حركتها، فبقي تعالوا بضم اللام، ومعناه: طلب العلوّ، أي الارتفاع من المخاطب، فإذا قلت: تعال كان معناه ارتفع، إلا أنّه كَثُر في الاستعمال كونه لطلب كل مجيء سواء كان على سبيل التسفّل أو التصاعد، وصار بمنزلة هلمّ وأقبل. **قوله: (المباهلة)** الدُّعاء على الظالم من الفريقين، والابتهال افتعال من البَهْلة والبُهلة ـ بفتح الباء وضمّها ـ هي اللَّعنة. **قوله: (العاقب)** من يخلف السيّد والأمير، وهو صاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح. **قوله: (فإن أبيتم)** أي عن كل شيء إلا إلف دينكم، أي الإقامة على دينكم وعلى ما أنتم عليه من النصرانية. اهـ قنوي رحمه الله. وفي المصباح: أَلِفْته إلفًا من باب علم أنست به وأحببته، والاسم الأُلفة ـ بالضم ـ. اهـ. **(فوادعوا)** أي صالحوا **(الرجل)** أي به رسول الله ﷺ عبّر به إصرارًا على الكفر. اهـ قنوي. والموادعة المصالحة والمتاركة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (محتضنًا للحسين)** أي آخذًا إيّاه في حضنه، وهو ما دون الإبط.

والحسين ـ بضم الحاء ـ ابن عليّ بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وهو وأخوه الحسن سيّدا شباب أهل الجنّة. أخرج الترمذي عن يعلى بن مرّة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَنْ أحبّ حُسينًا، حسين سبط من الأسباط**»، قال الترمذي: حديث حسن. وأخرج أيضًا عن عليّ بن أبي طالب قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحُسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك، قال الترمذي: حديثٌ حسن. وحجّ الحسين خمسًا وعشرين حجّة ماشيًا، وكان رضي الله تعالى عنه فاضلًا كثير الصّلاة والصوم والحجّ والصدقة وأفعال الخير جميعها.

آخذًا بيد (الحسن) و(فاطمة) تمشي خلفه و(عليّ) خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت

قُتِل رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين بكربلاء من أرض العراق، وقبره مشهور يُزار ويتبرّك به، وحَزِنَ الناس عليه كثيرًا وأكثروا فيه المراثي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الحسن) بن عليّ بن أبي طالب، هو أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وروى عنه جماعات من التابعين منهم الحسن بن الحسن وأبو الحِوَاري ـ بالحاء المهملة ـ ربيعة بن سنان والشعبي وأبو وائل وابن سيرين وآخرون. توفي بالمدينة مسمومًا سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، ودُفِن بالبقيع وقبره فيه مشهور، وإن الحسن رضي الله تعالى عنه حجّ حجّات ماشيًا، وكان يقول: إني أستحي من الله تعالى أن ألقاه ولم أمْشِ إلى بيته، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرّات، فتصدّق بنصفه حتى كان يتصدّق بنعل ويمسك نعلًا، وخرج من ماله كلّه مرّتين، ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة.

قوله: (فاطمة) الزهراء بنت رسول الله ﷺ ورَضِيَ عنها، كُنيتها أُمّ الهاد، أُمّها خديجة بنت خُوَيْلد أُمّ المؤمنين، والصحيح أنها أصغر بنات رسول الله ﷺ سنًّا، أنكحها رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بعد وقعة أُحُد. توفّيت بعد رسول الله ﷺ لستّة أشهر، وهو الصحيح.

قوله: (عليّ) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي المكّي المدني الكوفي أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السّبطين، وأوّل هاشميّ وُلِد بين هاشميّين، وأوّل خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيّين والشجعان المشهورين والزهّاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة. وأمّا علمه، فكان من العلوم بالمحلّ العالي. روى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستّة وثمانين حديثًا، اتّفق

فأمّنوا. فقال **(أسقف نجران)**: يا معشر النصارى إني لأرى **(وجوهًا)** لو سألوا الله أن يُزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني فقالوا: يا أبا القاسم رأين أن لا نُباهلك فصالحهم النبي على **(ألفي حلّة)** كل سنة فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إن الهلاك قد **(تدلى)** على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير» وإنما ضمّ الأبناء والنساء وإن كانت المباهلة مختصَّة به وبمن يُكاذبه لأن ذلك آكَد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض **(أعزّته)** و**(أفلاذ كبده)** لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته إن تمّت المُباهلة: وخصَّ الأبناء والنساء لأنهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب وقدَّمهم بالذّكر على الأنفس لينبّه على قُرب مكانهم ومنزلتهم، وفيه دليل واضح على صحة نبوّة

البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة وعشرون. أحوال عليّ رضي الله تعالى عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير منحصرة، وُلّي الخلافة خمس سنين، وقيل: خمس سنين إلّا شهرًا. بويع في الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه؛ لكونه أفضل الصحابة حينئذ، وذلك في الحجّة سنة خمس وثلاثين. ضربه عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي من الخوارج بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلة الجمعة، ثم توفّي عليّ رضي الله تعالى عنه في الكوفة ليلة أحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستّين سنة على الأصح، وقول الأكثرين.

قوله: (أسقف نجران) أي عالمهم بأُمور دينهم، الأُسقف ـ بضم الهمزة وسكون السين وضمّ القاف وتشديد الفاء ـ حبر النصارى وعالمهم، معرّب على الصحيح، أي معرب أسكف بالرومية. ونجران بلد من اليمن. **قوله: (وجوهًا)** أي أصحاب وجوه بحذف مضاف أو بكونه مجازًا لغويًا. **قوله: (ألفي حلَّة)** في صفر، وألف في رجب. اهـ قنوي. **قوله: (تدلّى)** التدلّي: النزول من دلّيت الدلو إلى البئر. **قوله: (أعزّته)** جمع عزيز. **قوله: (أفلاذ)** جمع فَلْذ بمعنى القطعة من الشيء. **قوله: (كبده)** في مختار الصحاح: الكِبْد والكَبِد بوزن الكِذْب والكَذِب، واحد الأكباد. اهـ. وفي المصباح: الكَبْد من الأمعاء معروفة، وهي أُنثى. وقال

النبي ﷺ لأنه لم يَرْوِ أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ منا ومنكم في شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على «ندع».

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي قُصَّ عليك من نبأ عيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ هو فصل بين اسم «إن» وخبرها، أو مبتدأ و«القصص الحق» خبره، والجملة خبر «إن» وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه، وأصلها أن تدخل على المبتدأ. و«من» في ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بمنزلة البناء على الفتح في «لا إلـه إلا الله» في إفادة معنى الاستغراق، والمراد الرد على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في الانتقام ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير الأحكام ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ولم يقبلوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعيد لهم بالعذاب (**المذكور في قوله**: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: الآية ٨٨]).

الفرّاء: تذكّر وتؤنّث ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الباء، والجمع أكباد وكُبُود قليلًا. اهـ. وفي القاموس: الكَبْد ـ بالفتح والكسر ـ وككَتِف مشهور، وقد تُذكّر جمعه أكباد وكبود. اهـ. وفي لسان العرب: الكَبِد والكِبد مثل الكَذِب والكِذْب، واحدة الأكباد اللّحمة السوداء في البطن، ويقال أيضًا: كَبْد للتخفيف. اهـ.

قوله: (المذكور في قوله) في سورة النّحل: (﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية ٨٨]) الذي استحقّوه بكفرهم. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: عقارب[1] أنيابها كالنّخل الطّوال (﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: الآية ٨٨]) بصدّهم الناس عن الإيمان، فاللام في المفسدين للعهد، يعني: فإن تولّوا فإنّ الله يعذّبهم العذاب الذي تُعُورف واشتهر في حقّ المفسدين، وهو العذاب المضاعف.

---

(١) تنهشهم في جهنم، ١٢ منه.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ أي مستوية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل. وتفسير الكلمة قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني تعالوا إليها حتى لا نقول عزيز ابن الله ولا المسيح ابن الله، لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا، ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله. وعن (عدي بن حاتم): ما كنّا نعبدهم يا رسول الله؟ قال: «أليس كانوا يُحلون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم»؟ قال: نعم. قال: («هو ذاك»). ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟ (ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي لزمتكم الحجة) فوجب عليكم أن تعترفوا

قوله: (عديّ بن حاتم) بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدي بن ربيعة، هو أبو طريف، وقيل: أبو وهب الطائي الكوفي الصحابي، وأبوه حاتم هوالمشهور بالكرم. قَدِم عديّ على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم، وكان نصرانيًا. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستّة وستّون حديثًا، واتّفق منها على ثلاثة، وانفرد مسلم بحديثين، وتوفي سنة تسع وستين، وقيل: سنة ثمان، وهو ابن مائة وعشرين سنة. قال ابن قتيبة: وكان عديّ طويلًا إذا ركب الفرس كانت رجله تخطّ الأرض، وكان جوادًا شريفًا في قومه مُعظّمًا عندهم وعند غيرهم، حاضر الجواب. رُوِي عنه أنّه قال: ما دخل عليّ وقت صلاة إلّا وأنا مشتاق إليها. وكان رسول الله ﷺ يُكرمه إذا دخل عليه، وكان عديّ يفتّ الخبز للنمل ويقول: إنهنّ جارات ولهنّ حقّ رضي الله تعالى عنه.

قوله: (هو ذاك) ضمير هو للأخذ بقولهم: وذاك للإشارة لكونهم معبودين، أو معناه: إنّ اتخاذ الأحبار والرُّهبان أربابًا ذلك، أي إطاعتهم في التحليل والتحريم، وهذا الحديث أخرجه الترمذي وحَسَّنه. **قوله:** (أي لزمتكم الحجّة) حيث لم تقدروا على دفعها، وهذا المعنى مستفاد من قوله: (﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾)، حيث أوجب عليهم أن يعترفوا بأنّا مسلمون مُهتدون إلى دار الحقّ

وتسلموا بأنّا مسلمون دونكم (**كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع: اعترف بأني أنا الغالب وسلِّم إليَّ الغلبة**).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه فقيل لهم: إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المُحال.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ «ها» للتنبيه و«أنتم» مبتدأ و«هؤلاء» خبره ﴿حَٰجَجۡتُمۡ﴾ جملة مستأنفة مبيِّنة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص (**الحمقى**). وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ مما نطق به التوراة والإنجيل ﴿فَلِمَ

مُنقادون للحقّ دونكم، وهذا الاعتراف إنما وجب عليهم من حيث كونهم محجوجين، أي مغلوبين بالحجّة والحصر المدلول عليه بقوله: ﴿دُونِكُمۡ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٨] مستفاد من المقام، والمعنى: فإن تولّوا وأعرضوا عن الإجابة لِمَا دعوتهم إليه، فليس إعراضهم ذلك لأجل مساعدة الحجّة إيّاهم، فقل قد أسفر الصبح أو تبيّن الحقّ لذي عينين، فاعترفوا بأنّا مسلمون منقادون للحقّ دونكم؛ (**كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صِراع**) ـ بالكسر ـ بمعنى الطَّرح على الأرض أو نحوهما: (**اعترف بأني أنا الغالب، وسلِّم إليّ الغلبة**).

قوله: (**الحمقى**) مستفاد من جعل هؤلاء خبرًا عن قوله: ﴿أَنتُمۡ﴾، فإنهم قد يقصدون بالإشارة بنحو ذلك، وهؤلاء تحقيرًا للمشار إليه واستبعاد لعقله تنزيلًا لبُعده عن ساحة الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة. في مختار الصحاح: الحُمْق ـ بسكون الميم وضمّها ـ قلّة العقل، وقد حَمُق من باب ظرف، فهو أحمق وحَمِق أيضًا ـ بالكسر ـ حُمْقًا فهو حَمِقَ، وامرأة حمقاء، وقوم ونسوة حُمْق وحَمْقى

تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم. وقيل: «هؤلاء» بمعنى «الذين» و«حاجحتم» صلته. («ها أنتم» **بالمد وغير الهمز حيث كان: مدني وأبو عمرو**). ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ علم ما حاججتم فيه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأنتم جاهلون به. ثم أعلمهم بأنه بريء من دينهم فقال:

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيزًا والمسيح، أو ما كان من المشركين كما لم يكن منهم ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ إن أخصّهم به

وحماقى. اهـ. **قوله:** («ها أنتم» **بالمدّ وغير الهمز حيث كان، مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وأبو عمرو)** البصري. عبارة تفسير النيسابوري: ﴿هأنتم﴾ بالمدّ وغير الهمز حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو، ورَوى ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل: «هأنتم» على وزن هئنتم(١). الباقون بالمدّ والهمزة. اهـ. وفي السمين: في هذه الآية أربع قراءات، الأُولى: للكوفيّين وابن عامر والبزّي عن ابن كثير: ﴿هاأنتم﴾ بألف بعد الهاء، وهمزة محقّقة بعدها. الثانية: لأبي عمرو وقالون بألف بعد الهاء وهمزة مسهلة بين بين بعدها. الثالثة: لورش(٢)، وله وجهان: أحدهما بهمزة مسهّلة بين بين بعد الهاء دون ألف بينهما، الثاني: ألفٌ صريحة بعد الهاء من غير همز بالكلّية. الرابعة: لقنبل بهمزة محقّقة بعد الهاء دون ألف، واختلف الناس في هذه الهاء، فمنهم مَنْ قال: إنها ها التي للتنبيه الدَّاخلة على أسماء الإشارة، وقد كَثُر الفَصْل بينها وبين أسماء الإشارة بالضمائر المرفوعة المنفصلة، نحو: هاأنت ذا قائمًا، وها هم قائمون، وقد تُعاد مع الإشارة بعد دخولها على الضمائر توكيدًا كهذه الآية، ومنهم من قال: إنها مُبدلة من همزة استفهام، والأصل: أنتم، وهو استفهام إنكار، وقد كَثُر إبدال الهمزة هاء، وإن لم يكن قياسيًا. اهـ.

---

(١) أي على وزن فعلتم. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) عن نافع. ١٢ منه.

وأقربهم منه من الوليّ وهو القرب (﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾) في زمانه وبعده ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خصوصًا خصّ بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أُمته ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ هم اليهود دعوا (**حذيفة وعمّارًا**

قوله: (﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾) خبر إن ودخلت لام الابتداء على الخبر مع أن أصلها أن تدخل على المبتدأ كراهة توالي حرفَيْ توكيد.

قوله: (حذيفة) بن اليمان هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسل ـ بكسر الحاء وإسكان السين المهملتين ـ ويقال: حُسَيْل ـ بالتصغير ـ ابن جابر بن عمرو. أسلم حذيفة وأبوه وهاجرا إلى رسول الله ﷺ وشهدا جميعًا أُحدًا، وقُتِل أبوه يومئذ قتله المسلمون خطأ، فوهب لهم دمه وأسلمت أمّ حذيفة وهاجرت، وكان صاحب سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين، يعلمهم وحده. توفي بالمدائن سنة ستّ وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه بأربعين ليلة، وقُتل عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وعمّارًا) بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة، كان من السابقين إلى الإسلام، وكان هو وأبوه وأُمّه سُمَيَّة ممن أسلم أوّلًا، وكان إسلام عمّار وصُهيب في وقتٍ واحد حين كان النبيّ ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلم بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وفي عمّار نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وشَهِدَ معه بدرًا وأُحدًا والخندق وجميع المشاهد. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وستّون حديثًا، اتّفقا على حديثين منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. رَوَى عنه عليّ بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وأبو أُمامة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وابن المسيّب وابن الحنفية وأبو وائل وابنه محمد بن عمّار وآخرون من التابعين. قُتِل بصفّين مع عليّ رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأوّل، وقيل: الآخر، سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه.

ومعاذًا) إلى اليهودية ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراة والإنجيل، وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوّة رسول الله ﷺ وغيرها ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوّة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين، أو تكفرون بآيات الله جميعًا وأنتم تعلمون أنها حق ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد ﷺ ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ نعت محمد عليه السلام ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيم بينهم ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي القرآن ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ ظرف أي أوله يعني أظهروا الإيمان بما أُنزل على المسلمين في أول النهار ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ واكفروا به آخره ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبيَّن لهم فيرجعون برجوعكم.

قوله: (ومعاذًا) بن جبل ـ بالذال المعجمة ـ هو أبو عبد الرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاريّ الخزرجيّ الجُشَيميّ المدني الفقيه الفاضل الصالح. أسلم معاذ وهو ابن ثمان عشرة سنة، وشَهِد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، ثم شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وسبعة وخمسون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة، وقيل: سبع عشرة، والصحيح الأول، وقبره في مشاق غَوْربَيْسان. وعمواس التي نُسِب إليها الطاعون بين الرَّمْلة وبيت المقدس، نُسِب الطاعون إليها لأنه بدأ منها، وهو بفتح العين والميم. وتوفي شهيدًا في الطاعون، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقيل: أربع وثلاثين، وقيل: ثمان وثلاثين، وأحوال معاذ ومناقبه غير منحصرة رضي الله تعالى عنه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ (**﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ متعلق بقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾**) **﴿أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾** وما بينهما اعتراض أي ولا تُظهِروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم، أرادوا أسِرّوا تصديقكم بأن المسلمين قد أُوتوا من كتب الله مثل ما أُوتيتم ولا تُفشوه إلا إلى (**أشياعكم**) وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتًا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام **﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ﴾** عطف على «أن يؤتى» والضمير في «يحاجوكم» لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة. ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله مَن شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم (**وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين**)، وكذلك قوله: **﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾** يريد الهداية والتوفيق، أو يتم الكلام عند قوله: «إلا لمَن تبع دينكم» أي ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانكم وجه النهار إلا لمَن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممَّن أسلموا منكم، لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع مَن سواهم. ومعنى قوله: «أن يؤتى» لأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم قلتم ذلك

قوله: (**﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ متعلق بقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾**)، أي مرتبط به معنًى عامل فيه لفظًا إمّا بتقدير حرف الجرّ إن اعتبر فيه معنى الاعتراف، أي لا يعترفوا بأن يؤتى أو لا يظهروا التصديق بذلك، وإمّا بدونه بمعنى لا يظهروا التصديق أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الكتاب والرسول، وإن يحاجوكم ويغالبوكم بالحجّة يوم القيامة إلا لاتّباعكم، يعني إن علمكم بذاك حاصل لكن لا يظهروه للمسلمين لئلّا يزدادوا تصلّبًا في الدين ولا للمشركين لئلّا يرغبوا فيه، أُوثر في عطف يحاجّوكم كلمة أو على الواو ليفيد العموم، مثل: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٢٤]، ولذا لم يجعل بمعنى إلى أن. **قوله:** (**أشياعكم**) أي أتباعكم. **قوله:** (**وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين**)، الزيُّ[1] مصدر زواه قبضه، أي لا ينفع

(١) القبض والمنع.

ودبّرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يُؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من العلم، والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، ويدل عليه **(قراءة ابن كثير «آن» بالمدّ والاستفهام)** يعني الآن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الكتاب تحسدونهم. وقوله: «أو يحاجوكم» على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم، **(أو لما يتصل به)** عند كفركم به من محاجّتهم لكم عند ربكم ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي واسع الرحمة ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمصلحة.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ بالنبوّة أو بالإسلام ﴿مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ هو **(عبد الله بن سلام)**،

منعكم وإخفائكم تصديقكم عن الفريقين. **قوله: (قراءة ابن كثير)** المكّي (﴿آن﴾ **بالمدّ[1] والاستفهام)**، أي بهمزتين ثانيهما مسهّلة بلا فصل لقصد التوبيخ، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة. **قوله: (أو لما يتصل به)**، يعني أو يحاجّوكم عطف على (﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾)، ولما يتّصل به ويترتّب عليه من غلبتهم بالحجّة يوم القيامة، دبّرتم ما دبّرتم، أي لم يكن لكم داعٍ إلى هذا الفعل والكيد وباعث عليه سوى الحسد والغيظ وجهة العدول عن الواو إلى أو الإشارة إلى أن كلاًّ من الأمرين مستقلّ بكونه سبب الغيظ والحسد، وحقيقة المعنى: أنه لم يكن لكم باعث على هذا الكيد سوى علمكم بأنّ الإيتاء والمحاجّة المذكورين كائنان البتّة. اهـ تفتازاني.

قوله: (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيلي الأنصاريّ الخزرجيّ الصحابي، كنيته أبو يوسف. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث، وانفرد البخاريّ بآخر. توفّي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة. رضي الله عنه.

---

(١) أي بمد الألف على الاستفهام، والباقون قرؤوا بفتح الألف من غير مدّ والاستفهام. اهـ شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

استودعه رجل من قريش **(ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا)** فأداه إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ هو **(فنحاص)** بن عازوراء، استودعه رجل من قريش دينارًا **(فجحده)** وخانه. وقال: المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾ إلا **(مدة دوامك)** عليه يا صاحب الحق قائمًا على رأسه مُلازمًا له. («يؤده» و«لا يؤده» **بكسر الهاء مشبعة: مكي وشامي ونافع وعلي وحفص، واختلس أبو عمرو في رواية.**

قوله: (ألفًا ومائتي أُوقية ذهبًا) الأوقية ـ بالضمّ ـ سبعة مثاقيل[1]، كالوقية. قال الجوهري: إنها أربعون درهمًا، ثم استُعْمِلت في العُرف في عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم. اهـ شهاب. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: الأوقية في الحديث أربعون درهمًا، وكذلك كان فيما مضى، والذي تعارفه الناس وانعقد عليه الإطباق أنّ الأوقية وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم. اهـ. وفي المصباح: الأُوقية ـ بضمّ الهمزة وبالتشديد ـ وهي عند العرب أربعون درهمًا، وهي في تقدير أفعولة كالأُعجوبة والأُحدوثة، والجمع الأواقي ـ بالتشديد وبالتخفيف للتخفيف ـ قال ثعلب في باب المضموم أوّله وهي الأُوْقية والوُقية لغة، وهي بضمّ الواو، وهكذا هي مضبوطة في كتاب ابن السكّيت، وقال الأزهري: قال اللّيث: الوقية سبعة مثاقيل، وهي مضبوطة بالضمّ أيضًا. قال المطرزي: وهكذا هي مضبوطة في شرح السنّة في عدَّة مواضع، وجرى على ألسنة الناس بالفتح، وهي لغة حكاها بعضهم، وجمعها وقايا مثل عطية وعطايا. اهـ.

قوله: (فنحاص) بكسر الفاء وسكون النون والحاء المهملة بعدها ألف ثم صاد مهملة، وقيل: بالكسر والخاء المعجمة. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله: (فجحده)** في مختار الصِّحاح: الجحود الإنكار مع العلم، يقال: جحده حقّه وجحده بحقّه، وبابه قطع وخضع. اهـ. **قوله: (مدّة دوامك)** إشارة إلى أن ما مصدريّة ظرفية. **قوله: (يؤدِّه ولا يؤدِّه بكسر الهاء مشبعة)** أي مع الصلة، أي وصلها بياء إشباعية **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وشامي)**، أي ابن عامر الشامي. **(ونافع وعليّ)** الكسائي **(وحفص، واختلس أبو عمرو)** البصريّ **(في رواية)** أي رواية اليزيد طريق

---

(١) والمثقال عشرون قيراطًا والقيراط خمس شعيرات. اهـ قنوي رحمه الله، ١٢ منه عمّ فيضهم.

غيرهم: بسكون الهاء). ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ترك الأداء الذي دلَّ عليه «لا يؤده» ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم «ليس علينا في الأُمّيين سبيل» أي لا يتطرَّق علينا إثم وذم في شأن الأُمّيين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم مَن خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم في كتابنا حُرمة. وقيل: بايع اليهود رجالًا من قريش، فلما أسلموا (تقاضوهم) فقالوا: ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادّعائهم أن ذلك في كتابهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأُمّيين أي بلى عليهم سبيل فيهم. وقوله: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ﴾ جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدّت «بلى» مسدّها، والضمير في «بعهده» يرجع إلى الله تعالى أي كل مَن أوفى بعهد الله واتّقاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى «من» ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتّقاؤه من الكفر وأعمال السوء. قيل: نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مُسلِمِي أهل الكتاب، ويجوز أن يرجع الضمير إلى «مَن أوفى» أي كل مَن أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه. ونزل فيمن حرَّف التوراة وبدَّل نعته ﷺ من اليهود وأخذ (الرشوة) على ذلك.

أبي أيوب الهاشمي. اهـ تفسير نيسابوريّ. أي قرأ بكسر الهاء من غير صلة[١] (غيرهم بسكون الهاء) على إجراء الوصل مجرى الوقف. **قوله:** (تقاضوهم) يعني رجال قريش طلبوا من اليهود حقّهم.

قوله: (الرّشوة) بكسر الراء وضمّها. اهـ مختار الصِّحاح.

---

(١) أي بغير وصل أي مجرد الكسر، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدّق لما معهم ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ وبما حلفوا به من قولهم «والله لنؤمنن به ولننصرنه» ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك، وقوله: «بعهد الله» يقوّي رجوع الضمير في «بعهده» إلى الله ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي لا نصيب ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ **(بما يسرّهم)** ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ نظر رحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ **(ولا يثني عليهم)** ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ **(مؤلم)**.

قوله: (بما يسرّهم[1]**)** توجيه لنفي الكلام بأنّ المنفيّ الكلام السارّ، فلا ينافي كلامه لغيره. **قوله: (ولا يثني عليهم)** كما يثني على أوليائه، مثل ثناء المزكّي للشاهد والتزكية من الله تعالى قد تكون على ألسنة الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرّعد: الآيتان ٢٣، ٢٤]، وقد تكون بغير واسطة. أمّا في الدنيا، فكقوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]. وأمّا في الآخرة، فكقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس: الآية ٥٨].

قوله: (مؤلم) بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي، حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة إنما يُسْنَد إلى الشخص المُعذَّب، يقال: ألم من باب طرب، فهو أليم كوجع فهو وجيع، أي متألم ومتوجّع، ولا يقال: إنه بكسر اللام اسم فاعل على طريق الإسناد الحقيقيّ كسميع بمعنى مسمع لخلوّه عن دعوى المبالغة الحاصلة على كونه بفتح اللام، حيث يقتضي أن العذاب لشدّة إيلامه للمعذّبين صار كأنه مؤلم، أي معذّب، فهو على حدِّ جدّ جدّه.

---

(١) قيّد به دفعًا لما يتوهم من التدافع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: الآيتان ٩٢، ٩٣]، وقوله: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٦]. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف و(**حيي ابن أخطب**) وغيرهم ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف، واللَّيُ الفَتْل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ونحو ذلك. والضمير في ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ يرجع إلى ما دلّ عليه «يلوون ألسنتهم بالكتاب» وهو المحرّف، (**ويجوز أن يُراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب**) لتحسبوا ذلك الشبه ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وليس هو من التوراة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: «وما هو من الكتاب» وزيادة تشنيع عليهم ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام. وقيل: قال رجل: يا رسول الله نسلِّم عليك كما يسلِّم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: «لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيّكم

قوله: (حُيَيّ) بالتصغير (**ابن أخطب**) بالخاء المعجمة أفعل من الخطب في الأصل، ثم صار اسمًا. **قوله:** (**ويجوز أن يُراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب**) أي يميلون ألسنتهم بشبه الكتاب، أي مشابهة، ولا فرق بين الوجهين في المعنى؛ إذ ليس في الوجه الأوّل الإظهار المحرّف وهو شبه الكتاب لكن المضاف المقدّر في الوجه الأوّل هو القراءة والباء للظرفيّة أو للاستعانة أو للملابسة والجار والمجرور حال من الألسنة، أي ملتبسة بالكتاب، وضمير تحسبوه لمّا دلّ عليه الفعل وهو الحرف، وفي الوجه الثاني هو الشبه، وضمير تحسبوه للشبه المقدّر والباء صلة، وقيل: للآلة، وقال القنوي: لعلّ الأوّل إشارة إلى كون التحريف بالتأويل، والثاني إلى تبديل كلمة بكلمة ووضعها في مكانها. اهـ.

واعرفوا الحق لأهله» ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ والحكمة وهي السُّنَّة أو فصل القضاء ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ﴾ عطف على «يؤتيه» ﴿لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ ولكن يقول: كونوا ربانيين. والرباني (**منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون**) وهو شديد التمسّك بدين الله وطاعته. وحين مات (**ابن عباس**) قال (**ابن الحنفية**): مات

قوله: (منسوب إلى الربّ) بمعنى كونه عالمًا مواظبًا على طاعته، كما يقال: رجل إلـهِيّ إذا كان مُقْبِلًا على معرفة الإلـه وطاعته، **(بزيادة الألف والنون)** وزيادة الألف والنون للدّلالة على الكمال في هذه الصفة، كما قالوا: شعراني ولحياني ورقباني، إذا وُصِف بكثرة الشعر وطول اللّحية وغلظ الرقبة، وهذه الزيادة لا بدّ لها منها في النسبة عند قصد المبالغة، فحينئذ لا يقال: رقبيّ وشعريّ ولحويّ، وهذا قول سيبويه. وقال المُبَرِّد: الربّانيّون أرباب العلم واحدهم ربانيّ منسوب إلى ربان، والربان هو الذي يربّي العلم ويربي الناس ويُعلّمهم ويُصلحهم ويقوم بأمرهم، والألف والنون فيه للمبالغة، كما قالوا: ريان وعطشان وشبعان وعريان، ثم ضُمّت إليه ياء النسبة، كما قالوا: لحياني ورقباني، قال الواحدي: فعلى قول سيبويه: الرباني منسوب إلى الربّ على معنى التخصيص بمعرفة الربّ وطاعته، وعلى قول المبرّد: الربّاني مأخوذ من التربية.

قوله: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي المكيّ ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حِبْر الأُمّة، والبحر لكثرة علمه. رُوِيَ له عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. توفّي بالطائف سنة ثمان وستين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله عنه.

قوله: (ابن الحنفية) هو أبو القاسم محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه المعروف بابن الحنفية، كان كثير العلم والورع وكان شديد القوّة، وله في ذلك أخبار عجيبة منها ما حكاه المبرّد في كتاب الكامل أنّ أباه عليًّا رضي الله تعالى عنه استطال درعًا كانت له، فقال: لينقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمّد بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضلها، ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حدّه أبوه، وقيل لمحمّد: كيف كان أبوك يقحمك المهالك ويُولجك المضائق دون أخويك الحسن والحسين، فقال: لأنّهما كانا عينيه، وكنت يديه،

رباني هذه الأمة. وعن **(الحسن)**: ربانيين علماء فقهاء. وقيل: علماء معلمين. وقالوا: الرباني العالِم العامل ﴿بِمَا كُنتُمْ (تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **كوفي وشامي أي غيركم غيرهم بالتخفيف)** ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي تقرؤون، والمعنى بسبب كونكم عالِمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مُسبّبة عن العلم والدراسة، وكفى به دليلًا على خيبة سعي مَن جهد نفسه وكدَّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان كمَن غرس شجرة حسناء تؤنّقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها. وقيل: معنى «تدرسون» تدرسونه على الناس كقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس **(كقراءة ابن جبير)**.

فكان يقي عينيه بيديه. ومِنْ كلامه: ليس بحكيم مَنْ لم يعاشر بالمعروف مَنْ لا يجد مِنْ معاشرته بدًّا حتى يجعل الله له فرجًا. وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي رحمه الله تعالى في أوّل المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل غير ذلك.

قوله: (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (**﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾) بضم حرف المضارعة وفتح العين وكسر اللام مشدّدة من علم، فيتعدّى لاثنين أوّلهما محذوف، **(كوفيّ)** أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشامي **(أي غيركم غيرهم)** أي الباقون **(بالتخفيف)** أي بفتح حرف المضارعة وتبكين العين وفتح اللام من علم يعلم، فيعدّى لواحد.

قوله: (كقراءة ابن جبير) وهي شاذّة، وابن جبير هو سعيد بن جبير هو الإمام الجليل أبو عبد الله كذا كناه الجمهور، وقيل: أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الكوفي الأسدي الوالبيّ بالموحدة منسوب إلى ولاء بني والبة، ووالبة هو ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان ـ بدالين مهملتين الأولى مضمومة ـ ابن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس سمع سعيد جماعات من أئمّة الصحابة، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وعبد الله بن مغفل، وأبو مسعود البدري، وأنس رضي الله تعالى عنهم وجماعات من التابعين. ورَوَى عنه جماعات من التابعين وغيرهم، وكان سعيد من كبار أئمّة التابعين ومتقدّمهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع وغيرها من صفات أهل الخير ومناقبه كثيرة مشهورة. قتله

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب عطفًا على «ثم يقول» ووجهه أن تجعل «لا» مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: «ما كان لبشر» والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادًا له ويأمركم ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ﴾ كما تقول: «ما كان لزيد أن أُكرمه ثم يهينني ولا يستخفّ بي» و(**بالرفع حجازي وأبو عمرو وعليّ**) على ابتداء الكلام، والهمزة في ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾ للإنكار والضمير في «لا يأمركم» و«أيأمركم» للبشر أو لله. وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

(﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾) هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك، أو المراد ميثاق الأولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف.

الحجاج بن يوسف صبرًا ظلمًا في شعبان سنة خمس وسبعين، ولم يَعِش الحجّاج بعده إلّا أيامًا، وكان عمر سعيد بن جبير قيل: تسعًا وأربعين سنة، هذا هو الأصح، ولم يذكر البخاري في تاريخه وغيره من الأئمّة سواه عن خلف بن خليفة، قال: حدّثني بواب الحجاج قال: رأيت رأس سعيد بن جبير بعدما سقط على الأرض يقول: لا إله إلّا الله، رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**بالرفع**) أي برفع الراء (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل حجازي، أي ابن كثير المكي ونافع المدني، (**وأبو عمرو**) البصري (**وعليّ**) الكسائي. والباقون بنصب الراء.

قوله: (﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾) الآية. اعلم أنه قد تقرّر بين المسلمين أنّ نبيّنا عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء، ولكن الكلام في بيان ما يثبت منه هذا الحكم، فقد تمسّك أهل العقائد على ذلك من الأحاديث الكثيرة، ومن قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠]؛ وذلك لأن خيرية الأُمّة

....

تستلزم خيرية مَنْ هم في دينه؛ لأن هذه الأُمّة لمّا كانت خيرًا من جميع الأُمم كان نبيّهم خيرًا من جميع الأنبياء، وكذا الكتاب المُنْزل عليه خيرٌ من جميع الكتب المُنْزلة عليهم. وقد عُلِم منه أنه ليس في القرآن آية تدلّ على تفضيل نبيّنا عليه السلام صريحًا، وإنما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠] التزامًا.

وأقول: يُفهم من هذه الآية المذكورة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، تفضيل نبيّنا عليه السلام صريحًا على قول ذلك؛ لأن مضمونه أنّ الله تعالى أخذ من النبيّين ميثاقًا بأنّي آتيتكم كتابًا وشريعة بشرط أن جاءكم نبيّ من بعدكم في آخر الزّمان يختم به النبوّة، وهو محمد رسول الله ﷺ، مصدّقٌ لِمَا معكم من الكتاب والحكمة لتؤمننّ به وتقرّونه وتنصرونه إن ظهر في زمانكم، ثم قال الله تعالى: (﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾) أي عهدي، (﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾) وآمنّا، فقال الله: (﴿فَٱشْهَدُواْ﴾) أي أشهدوا بعضكم على بعض واشهدوا يا أيّها الملائكة وأنا أيضًا معكم شاهد، فمن أعرض بعد ذلك فأولئك هم المتمرّدون، وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأُمم به أوْلى، والمعنى أنه أخذ الميثاق من النبيّين وأُممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأُمم، وبالجملة لا شكّ أن إيمان جميع الأنبياء بنبيّنا وإقرارهم به إنما هو لتفضيله على سائر الأنبياء، وهذا هو ميثاق آخر غير الميثاق الذي أوثق الله به على إقرار الربوبية الذي سنذكره في سورة الأعراف، وإنما لم يتعرّض أهل العقائد لهذه الآية إمّا لأنهم غفلوا عنه، أو لأنهم رأوا فيه تأويلًا آخر أظهر مما ذكرته؛ لأنه يحتمل أن يكون المراد من ميثاق النبيّين ميثاق أولاد النبيّين بحذف المضاف، كما قاله البعض ويدلّ عليه قوله تعالى في تمام الآية: (﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾)؛ لأن الأنبياء لم يعرضوا عن كلمة الحقّ أصلًا، وإنما يعرض عنه أولادهم وهم بنو إسرائيل مثلًا أو يكونوا هم المرادون بالنبيّين تهكّمًا؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن أوْلى بالنبوّة من محمّد، ويحتمل أن يكون المراد ميثاق النبيّين من غيرهم، لا الميثاق من النبيّين كما قيل، وكله ذُكِر في الكشاف والبيضاوي، ولأنه لم يأخذ الميثاق من الأنبياء فقط، بل إنه كما أخذه من الأنبياء على تصديق نبيّنا عليه السلام، كذلك أخذه من

واللام في ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (لام التوطئة) لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف، وفي «لتؤمنن» لام جواب القسم، وما يجوز أن تكون

نبيّنا على تصديقه سائر الأنبياء، ويكون الغرض من هذا الميثاق حينئذ هو الإعلام للكفار بأن لا عداوة بين الأنبياء ولا مُنازعة لهم فيما بينهم، بل أخذ من سائر الأنبياء الميثاق بأنكم تصدّقون بأن نبيّنا يأتي من بعدنا حقّ صادق دينه باقٍ إلى يوم القيامة وأخذ من نبيّنا الميثاق بأنّ الأنبياء المتقدّمين كانوا صادقين في تبليغ أحكام الشريعة مأمورين به لا يفعلون ما يفعلون من الأهواء النفسانية، وإنْ كان دينهم منسوخًا بديني، ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى في هذه الآية: (﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾)، وقوله في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الآية ٧] إلى آخره، على تقدير أن يكون المراد منه الميثاق بتصديق كلّ منهم الآخر. وأمّا أن يكون به الميثاق لإجراء كلمة الله على الكفار، كما قيل: إنّ المذكورين في هذه الآية أولو العزم وقد وعدهم الله تعالى بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام، فهو العهد الآخر، ولهذا قيل: إنّ عهود الله كلّها ثلاثة: عهد أخذه على جميع ذرّية آدم عليه السلام بأن يقرّوا بربوبيّته، وعهد أخذه على النبيّين بأن يقيموا الدّين ولا يتفرّقوا فيه، وعهد أخذه على العلماء بأن يبيّنوا الحقّ ولا يكتموه، وذكروها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الرّعد: الآية ٢٥]، وبهذا القدر تمّ المقصود. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (لام التوطئة) كأنها وطأت طريق جواب القسم، أي سهلت تفهم الجواب، وقيل: هي التي تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظًا، أو تقديرًا ليؤذن أن الجواب له لا للشرط، لكن تجويزه كون ما موصولة يدلّ على أن الموطئة لا يجب(١) أن تدخل الشرط، ولقد صرّح بذلك حيث قال في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [الآية ١١١] اللام موطئة، وما مزيدة. اهـ

---

(١) كونها يجب دخولها على الشرط هو المشهور وخالف فيه بعض النحاة، وقال الزمخشري: إنه لا يجب دخولها على كلمة المجازاة، صرّح به في سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [الآية ١١١] في من قرأ بالتخفيف، ونقله الأزهري عن الأخفش. اهـ شهاب رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

متضمنة لمعنى الشرط و«لتؤمنن» ساد مسدّ جواب القسم والشرط جميعًا، وأن تكون موصولة (**بمعنى للذي آتيتكموه**) لتؤمننّ به ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ معطوف على الصلة والعائد منه إلى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به ﴿رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ للكتاب الذي معكم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ بالرسول ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ أي الرسول وهو محمد ﷺ (﴿لِمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ **حمزة**) و«ما» بمعنى الذي، أو مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدّق لما معكم. واللام للتعليل أي أخذ الله ميثاقهم لتؤمننّ بالرسول ولتنصرنّه لأجل أني آتيتكم الحكمة، وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف. («**آتيناكم**»: **مدني**) ﴿قَالَ﴾ أي الله (﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾) أي قبلتم عهدي، وسُمّي إصرًا لأنه مما يؤصر أي يشدّ ويعقد ﴿(قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا) قَالَ (فَاشْهَدُوا۟)﴾ فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وأنا معكم على ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين، وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض. وقيل: قال الله للملائكة: اشهدوا.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

(﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾) الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمان بالنبيّ الجائي (﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾) المتمردون من الكفار ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ﴾ دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون، ثم توسطت الهمزة بينهما. ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره: أيتولون فغير دين الله يبغون. وقدّم

تفتازاني رحمه الله. **قوله: (بمعنى للذي آتيتكموه)** قدّر الضمير لامتناع خلوّ الصّلة عن العائد وإمّا على تقدير الشرطية، فهي مفعول آتيتكم، والموصولة مبتدأ، ولتؤمنن به سادّ مسدّ جواب القسم وخبر المبتدأ، وعلى التحقيق الخبر محذوف، أي تؤمنون به. اهـ تفتازاني. **قوله:** (﴿لِمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾) بكسر اللام وتخفيف الميم على أنها لام الجرّ متعلقة بأخذ (**حمزة**) والباقون بالفتح. **قوله:** («**آتيناكم**») بالنون الألف بعدها بضمير المعظّم نفسه. (**مدنيّ**) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بتاء مضمومة بلا ألف.

المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجّه إلى المعبود بالباطل ﴿يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الإنس والجن ﴿طَوْعًا﴾ بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف أو بمعاينة العذاب (**كنتق الجبل**) على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون (**والإشفاء على الموت**)، فلما رأوا (**بأسنا**) قالوا آمنا بالله وحده. وانتصب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ على الحال أي طائعين ومُكرهين ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على الأعمال «يبغون» و«يرجعون» بالياء فيهما: حفص، وبالتاء في الثاني وفتح الجيم: أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس، وبالتاء فيهما وفتح الجيم: غيرهما.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمَّن معه بالإيمان فلذا وحَّد الضمير في «قل» وجمع في «آمنا» أو أمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالًا من الله لقدر نبيّه. وعُدِّي «أنزل» هنا بحرف الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين، إذ الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسول، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر. وقال صاحب اللباب: الخطاب في البقرة للأمة لقوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾ فلم يصحّ إلا «إلى» لأن الكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أمتهم جميعًا، وهنا قال: «قل» وهو خطاب للنبي عليه السلام دون أمته فكان اللائق به «على» لأن الكتب منزلة عليه لا شركة للأمة فيه، وفيه نظر لقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: الآية ٧٢]، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ كرر في البقرة «وما أوتي» ولم يكرر هنا لتقدّم ذكر الإيتاء حيث قال: «لما آتيتكم» ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من عند ربهم ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

قوله: (كنتق الجبل) أي رفعه فوقهم. **قوله:** (والإشفاء على الموت) الإشراف عليه كأنه بلغ شفا الحياة واطّلع على مبادىء الموت. **قوله:** (بأسنا) أي شدّة عذابنا. اهـ جلالين.

﴿مِنْهُمْ﴾ في الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكًا في عبادتنا.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني التوحيد وإسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام ﴿دِينًا﴾ تمييز ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ والواو في ﴿وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ للحال و«قد» مضمرة أي كفروا وقد شهدوا أن الرسول أي محمدًا حق، أو للعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي ما داموا مختارين الكفر، أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفّارًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ مبتدأ ثانٍ خبره ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ وهما خبر «أولئك» أو «جزاؤهم» بدل الاشتمال من «أولئك» ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ﴾ حال من الهاء والميم في «عليهم» ﴿فِيهَآ﴾ في اللعنة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الكفر العظيم والارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لكفرهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ونزل في اليهود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى والإنجيل ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بموسى والتوراة ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن، أو كفروا برسول الله ﷺ بعدما كانوا

به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرًا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزل في الذين ارتدّوا ولحقوا بمكة. وازديادهم الكفر أن قالوا: نقيم بمكة نتربص بمحمد (ريب المنون) ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ أي إيمانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: الآية ٨٥]، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ الفاء في «فلن يقبل» يؤذِن بأن الكلام بُنِي على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر، وترك الفاء فيما تقدم يُشعِر بأن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب ﴿ذَهَبًا﴾ تمييز ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أي فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت مفتديًا به؟ فيقول: نعم. فيقال له: لقد سُئِلت أيسر من ذلك»، قيل: الواو لتأكيد النفي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ معينين دافعين للعذاب.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ (**لن تبلغوا حقيقة البرّ**) أو لن تكونوا أبرارًا أو لن تنالوا بِرّ الله وهو ثوابه ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثروها. وعن (**الحسن**): كل مَن تصدّق ابتغاء وجه الله بما يحبّه ولو تمرة فهو داخل في هذه الآية. قال (**الواسطي**): الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب وإلى

قوله: (**ريب المنون**)[1] حوادث الدّهر فيهلك كغيره.

قوله: (**لن تبلغوا حقيقة البرّ**) يريد أن اللام للجنس والحقيقة، والمعنى نيله الوصول إليه والاتّصاف به. **قوله:** (**الحسن**) البصري التابعيّ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**الواسطيّ**) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خراساني الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنوري عالِم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة.

---

(١) المنون: الدهر، فعول من منّه إذا قطعه، فإن الدهر يقطع الأعمار، وقد يُطلق على الموت؛ لأنه يقطع الأجل والرَّيْب ما يقلق النفوس من الحوادث. اهـ كمالين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الرب بالتخلّي عن الكونين، وقال (**أبو بكر الوراق**): لن تنالوا بِرّي بكم إلا ببرّكم بإخوانكم. والحال أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب. وعن (**عمر بن عبد العزيز**) أنه كان يشتري (**أعدال السكر**) ويتصدَّق بها فقيل له: لِمَ لا تتصدَّق بثمنها؟ قال: لأن السكر أحبّ إليَّ فأردت أن أُنفق مما أُحب. ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي هو عليم بكل شيء تنفقونه فيُجازيكم بحسبه. و«من» الأولى للتبعيض لقراءة (**عبد الله**) «حتى تنفقوا بعض ما تحبون» والثانية للتبيين أي من أيّ شيء كان الإنفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه. ولما قالت اليهود للنبي ﷺ: إنك تدَّعي أنك على مِلّة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال ﷺ: «كان ذلك حلالًا لإبراهيم فنحن نحلّه» فقالت اليهود: إنها لم تزل محرمة في ملّة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبًا لهم.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾ أي المطعومات التي فيها النزاع فإن منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي حلالًا وهو مصدر. يقال حلّ

قوله: (**أبو بكر**) محمد بن عمر الحكيم (**الورّاق**) أصله من ترمذ، وأقام ببلخ. لقي أحمد بن خضرويه وصحب محمد بن سعد الزاهد ومحمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات.

قوله: (**عمر بن عبد العزيز**) الخليفة الراشد والإمام العادل القريشي الأُمويّ التابعيّ بإحسان أجمعوا على جلالته وفضله ووفور عِلْمه وصلاحه وزُهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين وحُسْن سيرته فيهم وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله، وحرصه على اتّباع آثار رسول الله ﷺ والاقتداء بسنّته وسنّة الخلفاء الرّاشدين، وهو أحد الخلفاء الراشدين ومناقبه أكثر من أن تُحصر.

قوله: (**أعدال السكر**) في لسان العرب: العِدْل نصف الحِمْل، يكون على أحد جنبي البعير، كالعدلين. قال الأزهري: العِدل اسم حِمْل معدول بحَمْل، أي مسوّى به، والجمع أعدال. اهـ. والسُّكَّر معرب شكر الفارسية. **قوله:** (**عبد الله**) بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه.

الشيء حلًّا ولذا استوى في صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [الممتحنة: الآية ١٠]، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ أي يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ **(وبالتخفيف مكي وبصري)** وهو لحوم الإبل وألبانها، وكانا أحبَّ الطعام إليه. والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حِلًّا لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة سوى ما حرَّم إسرائيل على نفسه، فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الإبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أمر بأن يحاجّهم بكتابهم و**(يبكتهم)** بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرَّم عليهم تحريم حادث سبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه، **(فلم يجرؤوا)** على إخراج التوراة **(وبهتوا)**. وفيه دليل بَيِّن على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بزعمه أن ذلك كان محرَّمًا في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعدما لزمهم من الحجة القاطعة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المُكابِرون الذين لا يُنصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البيِّنات ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في إخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهي ملّة الإسلام التي عليها محمد عليه السلام ومَن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي **(ورطتكم)** في فساد

قوله: (وبالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، **(مكيّ)** أي ابن كثير المكي، **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

قوله: (يبكتهم) التبكيت كالتقريع والتعنيف وبكّته بالحجّة تبكيتًا: غلبه. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (فلم يجرؤوا)** أي لم يجترؤوا. **قوله: (بُهِتوا)** أي تحيّروا.

قوله: (ورطتكم) الوَرْطة الهلاك وأورطه وورّطه توريطًا أي أوقعه في الوَرْطة. اهـ مختار الصحاح.

دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله (لتسوية) أغراضكم، وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلّها الله لإبراهيم ولمَن تبعه ﴿حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم أي مائلًا من الأديان الباطلة ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

ولمّا قالت اليهود للمسلمين: قبلتنا قبل قبلتكم نزل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ والواضع هو الله عزَّ وجلَّ. ومعنى وضع الله بيتًا للناس أنه جعله متعبّدًا لهم فكأنه قال: إن أول متعبّد للناس الكعبة وفي الحديث «إن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة». قيل: أول مَن بناه إبراهيم. وقيل: هو أول بيت حجّ بعد الطوفان. وقيل: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض. وقيل: هو أول بيت بناه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأرض. وقوله: «وضع للناس» في موضع جر صفة لـ «بيت» والخبر ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ أي للبيت الذي ببَكة وهي علم للبلد الحرام. ومكة وبكة لغتان فيه. وقيل: مكة البلد وبكة موضع المسجد. وقيل: اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها، أو لأنها (تبك) أعناق الجبابرة أي تدفعها لم يقصدها جبار إلا (قصمه الله). ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه قِبلتهم ومُتَعَبَّدهم، و«مباركًا وهدى» حالان من الضمير في «وضع».

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ علامات واضحات لا تلتبس على أحد ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان لقوله: «آيات بيّنات». وصحَّ بيان الجماعة بالواحد لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى، ونبوّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من

قوله: (لتسوية) أي لتحصيل.

قوله: (تبكّ) بابه ردّ. **قوله:** (قصمه الله) قيل: معناه أهانه وأذلّه، وقيل: قرّب موته. اهـ مصباح.

تأثير قدمه في حجر (صلد)، أو لاشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة (**الصَّمَّاء**) آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، و(**الإلانة**) بعض الصخرة دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة على أن (﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾) عطف بيان لـ «آيات» ـ وإن كان (**جملة ابتدائية**) أو شرطية ـ من حيث المعنى لأنه يدلّ على أمْن داخله فكأنه قيل: فيه آيات بيِّنات مقام لإبراهيم وأمْن داخله، والاثنان في معنى الجمع. ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوي ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل: فيه آيات بيِّنات مقام إبراهيم وأمْن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الأحجار مع كثرة (**الرماة، وامتناع الطير**) من العلو عليه (**وغير ذلك**)، ونحوه في طيّ الذِّكر قوله عليه السلام: «حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث الطِّيب والنساء وقرَّة عيني في الصلاة» فقرة عيني ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا، والثالث مطوي وكأنه عليه السلام ترك ذِكر الثالث تنبيهًا على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئًا من الدنيا فذكر شيئًا هو من الدِّين. **وقيل** في سبب هذا الأثر أنه لمّا ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه. وقيل: إنه جاء زائرًا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام: انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شِقِّه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شِقَّ

قوله: (صَلْد) أي صُلْب[1] أملس. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (**الصمّاء**) أي الصُّلْب المصمت. **قوله:** (**الإلانة**) إفعال من اللِّين. **قوله:** (**جملة ابتدائية**) المراد بالابتدائية المركّبة من المبتدأ والخبر على أنها ليست بشرطية. **قوله:** (**الرماة**) جمع الرامي. **قوله:** (**وامتناع الطَّير**) من العلوّ عليه، أي بل إذا قابل هواءه وهو في الجوّ انحرف عنه يمينًا أو شمالًا ولا يستطيع أن يقطع هواءه إلّا إذا حصل له مرض، فيدخل هواءه للتداوي. اهـ خازن. **قوله:** (**وغير ذلك**) في شرح الكشاف: أنّ منها أن أيّ ركن من أركان البيت وقع الغيث في مقابلته كان الخصب فيما يليه من البلاد. اهـ. وفي التفسيرات الأحمدية: وتلك الآيات الباقيات لعلّها هي إمالة القلوب إليها ودموع العين من رأيها وحضور أرواح الأولياء في كل ليلة الجمع حواليها . اهـ.

---

(١) أي شديد. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

رأسه ثم حوَّلته إلى شِقِّه الأيسر حتى غسلت الشِّقَّ الآخر فبقي أثر قدميه عليه، وأمان مَن دخله بدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: الآية ٣٥] وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب. وعن **(عمر بن الخطاب)** رضي الله عنه: لو ظفرت فيه بقاتل **(الخطاب)** ما مَسَسْتُهُ حتى يخرج منه. ومَن لزمه القتل في الحل **(بقود)** أو ردة أو زِنًا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرَّض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج. وقيل: آمنًا من النار لقوله عليه السلام: «**(مَن مات في أحد الحرمين)** بعث يوم القيامة آمنًا من النار» وعنه عليه السلام: «**(الحجون)** والبقيع يُؤخَذ بأطرافهما ويُنشَران في الجنة» وهما مقبرتا مكة والمدينة.

قوله: (عمر بن الخطاب) بن نُفَيل، اتّفقوا على أنه أوّل من سمّي أمير المؤمنين، وإنما كان يقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّةٍ وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة علمه ووفور فهمه وزهده وتواضعه ورفعه بالمسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدّة متابعته له واهتمامه بصالح المسلمين، وإكرام أهل الفضل والخير، وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيّته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة وفي حقوق المسلمين أشهر من أن تُذكر، وأكثر من أن تُحصر، وطُعِن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد وعشرين يومًا، وقيل غير ذلك.

قوله: (بقود) القَوَد ـ بالتحريك ـ القصاص. **قوله: (مَن مات في أحد الحرمين)**. . . الخ. أخرجه أبو داود الطيالسي والبيهقي والطبراني بأسانيد مختلفة، وفي الدرّ المنثور أخرج ابن المنذر عن عطاء: «**مَنْ ماتَ في الحرم بُعِث آمنًا، يقول الله: (﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾)**». وأخرج عن سلمان مرفوعًا: «**مَنْ مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي، وجاء يوم القيامة من الآمنين**».اهـ. وفي المقاصد الحسنة: ويُروى الأمن من فتنة القبر لمن مات في أحد الحرمين، أو في طريق مكة.اهـ. **قوله: (الحَجون)** بفتح الحاء.

وعنه ﷺ: (**«مَن صبر على حَرِّ مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام»**).

قوله: («مَن صبر على حرِّ مكّة ساعة من نهار تباعدت منه جهنّم مسيرة مائتي عام») هكذا ذكره أبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكّة. وفي التفسيرات الأحمدية: والمآل مِنْ ذكر الآية في هذا المقام أن قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، وإن كان محتملًا للمعاني، مثل إنه آمَن مِنَ النار أو آمن من الجذام والبرص أو غيره، ولكن الأكثرون على أن معناه: مَنْ دخله في الجاهلية يصير آمنًا من القتل والغارة، ومَنْ دخله في الإسلام يصير آمنًا من الحدود والقصاص، على ما قال الإمام الزّاهد، فيُفهم منه ظاهرًا أنّ من جنى في غير الحرم ثم التجى إلى الحرم لم يُقْتل فيه، بل يكون آمنًا من القتل عندنا، وعند الشافعي رحمه الله: يُقتل فيه. وهذا الاختلاف مبنيّ على اختلاف آخر بيننا وبينه ذكره أهل الأُصول، وهو أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ عامّ باقٍ على عمومه عندنا، فكان قطعيًا. وعند الشافعي رحمه الله: عام مخصوص عند بعض أفراده، وبيانه: أنّ مَنْ عليه قصاصًا في الطرف مثل قطع اليد وغير ذلك إذا دخل في الحرم والتجى إليه يؤخذ منه ذلك في البيت بالاتّفاق، وكذا من جنى في الحرم واستحقّ له القتل يُقتل فيه بالاتّفاق؛ فالشافعي رحمه الله زعم أن هاتين الصورتين مخصوصتان من قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، ثم قاس عليهما من جنى في غير الحرم واستحقّ به القتل، فالتجى إليه حيث قال: يُقتل فيه أيضًا وتمسّك بخبر الواحد أيضًا، وهو ما رُوي أنه قيل لرسول الله ﷺ يوم فتح مكّة أن حنظلة تعلّق بأستار الكعبة بعد الارتداد، فقال: «**اقتلوه**». ونحن نقول: إنّ كلتا الصورتين ليستا بمخصوصتين؛ لأن النص لم يتناولهما، والمخصوص ما كان متناولًا أوّلًا ثم خصّ عنه؛ لأن مفهوم النص هو أنّ مَنْ جنى في غير الحرم ثم التجى إلى الحرم ودخل فيه بعد الجناية كان آمن الذات، ولم يتناول لمن جنى في عين الحرم، ولا لكونه آمن الطرف؛ ففي الصورة الأُولى وإنْ كان ذلك الرجل داخلًا في الحرم بعد الجناية لكنه آمن الذات، وإنما القصاص في الطّرف، والطّرف في حكم الأموال والنصّ لم يتناول لكونه آمن الطرف. وفي الصورة الثانية، إنما يُقتل لأنه ليس بداخل في الحرم بعد الجناية، وإنما الجناية وقعت بعد الدخول، فلما كان هاتان الصورتان غير مخصوصتين، فبالحريّ أن يكون الصورة المقيسة

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ أي استقر له عليهم فرض الحج (﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: **كوفي غير أبي بكر**) وهو اسم وبالفتح مصدر. وقيل: هما لغتان في مصدر حج (﴿مَنِ﴾) في موضع جر على أنه بدل البعض من الكل (﴿ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ **فسّرها النبي عليه السلام بالزاد والرَّاحِلَة**). والضمير في «إليه» للبيت أو للحج

للشافعي رحمه الله باقية على ما اقتضاه النصّ؛ فمباح الدّم بردّة أو زنا أو قطع الطريق أو قصاص إذا التجى لا يُقتل ولا يُؤذى، ولكن لا يُطعم ولا يُسقى حتى يضطرّ إلى الخروج، ويؤيّده قول عمر رضي الله تعالى عنه: لو ظفرت بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه، وعند الشافعي رحمه الله: يُقتل لما مرّ من القياس وخبر الواحد، والحقّ ما ذكرناه، إلّا أن يقال: إن ضمير ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ راجع إلى البيت، فكيف يكون داخل الحرم آمنًا، بل ينبغي أن يكون داخل البيت وحده آمنًا لا غير، كما هو مذهب بعض أصحاب الشافعي رحمه الله؛ لأنّا نقول: إنه ثبت بنصٍّ آخر، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: الآية ٦٧]، فلا فصل بين البيت وحرمه في كون كلٍّ منهما آمنًا، هكذا في حواشي البزدوي. اهـ.

قوله: (﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾) بكسر الحاء (**كوفي غير أبي بكر**) شعبة عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف. والباقون بالفتح. **قوله: (فسّرها النبيّ ﷺ بالزّاد والرّاحِلَة)** اختلفوا في استطاعة السبيل، فعند الشافعي رحمه الله: هو الزّاد والراحلة، وسُئِل النبيّ ﷺ عن استطاعة السبيل، ففسّرها بالزّاد والراحلة. وعند مالك: هو صحة البدن والقدرة على المَشْي والكسب الذي يحصل منه الزّاد والراحلة، وعند إمامنا الأعظم: صحة البدن والقدرة على الزّاد والراحلة مجموعها شرط، بل أمن الطريق أيضًا، هكذا قال القاضي الأجلّ وصاحب الحسيني. وقال صاحب الكشاف: ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ فسّر الاستطاعة بالزّاد والراحلة، وكذا عن ابن عباس وابن عمر، وعليه أكثر العلماء. وعن الزبير: على قدر القوّة. ومذهب مالك: أن الرجل إذا وثق بقوّته لزمه، وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزّاد والراحلة مَنْ لا يقدر على السّفر، وقد يقدر عليه مَنْ لا راحلة له ولا زاد. وعن الضحاك: إذا قدر أن يؤاجر نفسه فهو مستطيع، هذا كلامه. وينبغي أن يُعلم أنه يشترط في الزّاد والراحلة أن يكون ذاهبًا وجائيًا جميعًا، ويكون فاضلًا عمّا يدعها إلى عياله لنفقتهم إلى حين عوده؛ لأن النفقة حقّ مستحقّة

وكل مأتي إلى الشيء فهو سبيل إليه. ولما نزل قوله تعالى: «ولله على الناس حجّ

للمرأة وحق العبد مقدَّم على حقّ الشرع، ويكتفي في الراحلة ما يكتري به شقّ محمل أو رأس زامل، وأنّ النبيّ عليه السلام وإنْ فسّر الاستطاعة بالزّاد والراحلة فقط، لكن يمكن أن يثبت كل من صحة البدن وأمن الطريق أيضًا من الآية، كما أشار إليه صاحب الهداية، حيث قال أولًا: وكذا صحة الجوارح؛ لأن العجز دونها لازم. وقال آخر: أو لا بدّ من أمْن الطريق؛ لأن الاستطاعة لا يثبت دونه، ثم قيل: هو شرط الوجوب حتى لا يجب عليه الإيصاء، وهو مرويٌّ عن أبي حنيفة، وقيل: شرط الأداء دون الوجوب؛ لأن النبيّ ﷺ فسّر الاستطاعة بالزّاد والراحلة لا غير، هذا كلامه. وإنّ في هذا المقام إشكالًا وهو أنهم شرطوا لوجوب الحجّ الحرية والبلوغ، وتمسّكوا بقوله عليه السلام: «**أيّما عبد حجّ عشر حجج ثم أعتق فعليه حجّة الإسلام، وأيّما صبيّ حجّ عشر حجج**[1] **ثم بلغ فعليه حجّة الإسلام**»، وكذا شرطوا الزوج أو المحرم للمرأة بقوله عليه السلام: «**لا يحججنّ امرأة إلّا ومعها محرم**»، والنصّ كان عامًّا من هذه القيودات، كما يشير إليه قوله تعالى: (﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾) بعد قوله تعالى: (﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾) بدلًا منه، ففهم منه أنّ كلّ مَن استطاع إليه يجب عليه الحجّ حرًّا كان أو عبدًا، صغيرًا كان أو بالغًا، رجلًا كان أو امرأة، فغايته أنه عامّ خصّ عنه بعض أفراده بالحديث فيكون ظنّيًّا، فينبغي أن يكون الحجّ واجبًا لا فرضًا؛ لأنه وقع فيه شبهة، تأمّل وأنصف. وقال الإمام الزاهد: إنّ الله تعالى ذكر الحجّ مقرونًا بالناس في كلّ موضع، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحَج: الآية ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحَج: الآية ٢٥] موافقةً لدعاء الخليل ولغيره، ولكن خُصّ في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، يعني يملك الزّاد والراحلة، ولا يكون ثَمّة مانع من جهة السلطان وخوف الطريق والعدو، غير أن الفقير إذا حجّ يكون عن حجّة الإسلام؛ كالجمعة في حقّ القرويّ إذا قدم المصر يوم الجمعة. وإن

---

(١) جمع حِجّة مثل سِدرة وسِدَر، ١٢ مصباح.

البيت». جمع رسول الله ﷺ **(أهل الأديان كلهم)** فخطبهم فقال: «إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجّوا» فآمنت به ملّة واحدة وهم المسلمون، **(وكفرت به خمس مِلَل)** قالوا: لا نؤمن به ولا نصلّي إليه ولا نحجّه فنزل ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي جحد فرضية الحج وهو قول **(ابن عباس والحسن وعطاء)**، ويجوز أن يكون من

المعتزلة تمسّكوا بالآية على كون الاستطاعة قبل الفعل؛ لأنه شرط لا بدّ من سبقه. قلنا نحن: إن القدرة الحقيقة لا بدّ أن يكون مقارنًا للفعل؛ لأنه عرض لا يبقى زمانين والمذكور في الآية هو بمعنى سلامة الأسباب والآلات ولا نزاع في كونه مقدَّمًا، وتفصيله في علم الكلام. وذكر أهل الأصول أن قدرة الحجّ قدرة ممكنة لا ميسرة؛ لأن الميسرة إنما يقع بخدم ومراكب وأعوان لا بمركب واحد وزاد قليل، فإنه أدنى ما يقدر به، فلو هلك المال كان الوجوب باقيًا، كما في صدقة الفطر على ما هو شأن القدرة الممكنة. ويردّ عليه أنّ في القدرة الممكنة يكفي توهّم الوجود دون تحقّقه، فلمّا أوجبوا الصلاة على من أدرك جزءًا يسيرًا من الوقت لتوهّم امتداده بوقف الشمس، كما كان لسليمان مع أنه نادر، فلأن يجب الحجّ ماشيًا مع غلبة وقوعه كان أوْلى. وأُجيب عنه بأنّ في الصلاة يظهر ثمرته في وجوب القضاء بخلاف الحجّ، فإنه لا قضاء فيه، هذا ما قالوا. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (أهل الأديان كلّهم) بالنصب تأكيدًا لأهل الأديان، والأنسب كلّها بالجرّ تأكيدًا للأديان؛ إذ لم يجمع الأهل كلّهم، وكان المراد التأكيد بحسب الإضافة إلى الأديان. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (وكفرت به خمس ملل)**، هم اليهود والنصارى والصابئون والمجوس والمشركون[1] على ما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٢] الآية، فالإشراك إنْ كان ملة هي عبادة الأوثان فظاهر، وإلا فتغليب. اهـ التفتازاني رحمه الله. **قوله: (ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (والحسن)** البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (وعطاء)** هو ابن أبي رباح، وهو المراد حيث

---

(١) والمراد بهم عَبَدة الأوثان، وهم على دين إبراهيم، لكنهم ضيّعوه، فهم باعتبار الأصل من أهل الملّة، وإلا فهو تغليب. اهـ قنوي رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الكفران أي ومَن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مُسْتَغْنٍ عنهم وعن طاعتهم. وفي هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد: منها اللام و«على» **(أي أنه حق واجب)** لله في رِقاب الناس، ومنها الإبدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له، ولأن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين، ومنها قوله: و«من كفر» مكان ومَن لم يحجّ تغليظًا على تارِكِي الحج، ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على **(المقت)** والسخط، ومنها قوله: «عن العالمين» وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء **(لا محالة)**، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدلّ على عِظَم السخط الذي وقع عبارة عنه.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ الواو للحال والمعنى لِمَ تكفرون بآيات الله الدَّالَّة على صدق محمد عليه السلام والحال **(إن الله شهيد)** على أعمالكم فيجازيكم عليها؟!

أطلق، واسم أبي رباح أسْلَم، وكنيته عطاء، أبو محمد المكي القريشي مولى ابن خُثَيْم القريشي الفهري، وعطاء معدود في كبار التابعين، وُلد في آخر خلافة عثمان بن عفان، ونشأ بمكّة وسمع العبادلة الأربعة ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وابن أبي العاص وجماعات آخرين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه جماعات من التابعين، كعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة وآخرين وخلائق من غيرهم، وهو من مفتي أهل مكّة وأئمّتهم المشهورين حجّ عطاء سبعين حجّة، واتّفقوا على توثيقه وجلالته وإمامته. توفّي بمكّة، قال الجمهور: سنة خمس عشرة ومائة، وقيل: أربع عشرة ومائة، وقيل: سبع عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله: (أي أنه حقّ واجب)** بيان لما يُفيده لام الملك. **قوله: (المقت)** في المصباح مَقَته مقتًا من باب قتل أبغضه أشدّ البغض عن أمرٍ قبيح. اهـ. **قوله: (لا مَحالة)** أي لا بدّ.

قوله: (إنّ الله شهيد) الشهيد بمعنى العالم المطّلع.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ الصّدّ المنع ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ على دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام، وكانوا يمنعون مَن أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل ﴿تَبْغُونَهَا﴾ **(تطلبون لها)** نصب على الحال ﴿عِوَجًا﴾ اعوجاجًا وميلًا عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها ونحو ذلك ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ أنها سبيل الله التي لا يصدّ عنها إلا ضالّ مُضِلّ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الصَّدّ عن سبيله وهو وعيد شديد. ثم نهى المؤمنين عن اتّباع هؤلاء الصّادّين عن سبيله بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ قيل: مرَّ **(شاس بن قيس اليهودي)** على نفر من الأنصار **(من الأوس والخزرج)** في مجلس لهم يتحدثون، فغاظه تحدّثهم وتألّفهم فأمر شابًا من اليهود أن يذكرهم **(يوم بعاث)** لعلهم يغضبون، وكان يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس، ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا: **(السلاح السلاح)**. فبلغ النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال: «أتدعون

قوله: (تطلبون لها)... الخ. إشارة إلى أن عِوجًا مفعول به وضميرها من الحذف والإيصال؛ لأن بغى متعدّي لمفعولين أحدهما بنفسه، والآخر باللام كما صرّح به أهل اللغة.

قوله: (شاس) بمعجمة في أوّله ومهملة في آخره **(ابن القيس اليهوديّ)** وهو رجل كان عظيم الكفر شديد الطَّعن على المسلمين شديد الحسد. **قوله: (من الأوس والخزرج)**... الخ. الأوْس والخزرج جَدَّا الأنصار، وكانا أخوين. **قوله: (يوم بُعاث)** ـ بضم الباء الموحدة وفتح العين المهملة وألف وثاء مثلثة ـ يُصرف ولا يُصرف، اسم حصن أو بستان وقعت الحرب عنده بين الأوس والخزرج، وكان الغلبة في ذلك اليوم لأوْس، والغين المعجمة تصحيف. **قوله: (السلاح السلاح)** بالنصب على الإغراء، أي خذوا السلاح، والسلاح ـ بالكسر ـ ما يُقاتَل به في

الجاهلية وأنا (بين أظهركم)» بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألَّف بينكم؟ فعرف القوم أنها (نزغة) من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضًا باكين فنزلت الآية:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجّب أي من أين يتطرَّق إليكم الكفر ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ والحال أن آيات الله وهي القرآن المُعجِز تُتلى عليكم على لسان الرسول (غضَّة طرية) ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ وبين أظهركم رسول الله ﷺ ينبِّهكم ويعظكم ويزيح عنكم شُبَهكم ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ ومَن يتمسك بدينه أو بكتابه، أو هو حَثٌّ لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفَّار ومكايدهم ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أرشد إلى الدين الحق، أو ومَن يجعل ربه ملجأً و(مفزعًا) عند الشُّبَه يحفظه عن الشُّبَه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم. و(عن عبد الله) هو أن يُطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. أو هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط

الحرب ويدافع، والتذكير أغلب من التأنيث، فيجمع على التذكير أسلحة[١]، وعلى التأنيث سلاحات. **قوله:** (بين أظهركم) بمعنى بينكم. **قوله:** (نزغة) في المصباح: نزغ الشيطان بين القوم **نزغًا** من باب نفع أفسد. اهـ.

قوله: (غضَّة طرية) في لسان العرب: الغَضّ الطريّ الذي لم يتغيّر. اهـ. وأيضًا فيه شيء طريّ، أي غضّ بيِّن الطراوة. اهـ. قال العلامة التفتازاني: **قوله:** (غضّة طرية) مستفاد من المضارع الدالّ على الحال، أعني تُتلى. اهـ. **قوله:** (مفزعًا) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع، أي ملجأ.

قوله: (عن عبد الله) أي عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه هكذا هو مرويّ في التفاسير وكتب الحديث، وصححه أبو نعيم في الحلية، ووقع في نسخة

---

(١) كحِمَار وأَخمِرة ورِداء وأرْدِية. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه. وقيل: لا يتقي الله عبد حقّ تقاته حتى **(يخزن)** لسانه. **(والتقاة)** مَن اتّقى كالتؤدة من اتأد ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ **(ولا تكونن على حال)** سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام: («**القرآن حبل الله المتين لا تنقضي**) عجائبه **(ولا يخلق عن كثرة الرّدّ)**، مَن قال به صدق، ومَن عمل به رشد، ومَن اعتصم به هُدِيَ إلى صراط مستقيم» ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ضمير المخاطبين. وقيل: تمسكوا بإجماع الأمة دليله ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ أي ولا تتفرقوا يعني ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرّق ويزول معه الاجتماع، أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرِّقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضًا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألّف بين قلوبهم بالإسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابّوا وصاروا إخوانًا ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا

بدل ابن مسعود ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهو مخالف للمنقول.اهـ شهاب رحمه الله. وعبارة الخازن: قال ابن عباس: هو أن يُطاع فلا يُعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.اهـ. فافهم. **قوله: (يخزن)** بابه نصر. **قوله: (والتُّقاة)** أصلها وُقيَة قُلِبت الواو المضمومة تاء كما في تراث وتجاه والياء ألفًا من اتّقى أصله أو تقى كالتُّؤْدة من اتّأد، ومعناه تثبت ولبث. **قوله: (ولا تكونن على حال)** يعني أن النّهي راجع إلى القيد.اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (القرآن حبل الله المتين) أي المُحكم القويّ والحبل مستعار للوصل، ولكل ما يتوصّل به إلى شيء، أي الوسيلة القوية إلى معرفة ربّه وسعادة قربه **(لا تنقضي)** عجائبه أن لا تنتهي غرائبه التي يتعجّب منها، **(ولا يخلق)** بفتح الياء وضمّ اللام وبفتح الياء وكسر اللام من خلق الثوب إذا بَلِي. **(عن كثرة الردّ)** أي لا تزول لذّة قراءته وطراوة تلاوته واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره.

﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وكنتم (**مشفين**) على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإسلام وهو ردٌّ على المعتزلة، فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى. والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا، (**وأنث لإضافته إلى الحفرة**). وشفا الحفرة: (**حرفها**)، ولامها واو فلهذا يثني شفوان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك البيان البليغ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي القرآن الذي فيه أمر ونهي ووعد ووعيد ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وما ينال به الثواب.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

(﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾) بما استحسنه الشرع والعقل (﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾) عمّا استقبحه الشرع والعقل، أو المعروف ما وافق

قوله: (مشفين) أي مشرفين، فإن الإشفاء على الشيء والإشراف عليه بمعنًى، وهو الوصول إلى طرفه. **قوله: (وأنث لإضافته إلى الحفرة)** يعني أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه. **قوله: (حرفها)** أي طرفها.

قوله: (﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾) الآية. اعلم أنه قد تقرّر بين العلماء أن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من فروض الكفاية، والآيات الدالّة على فرضيّته غير مقصورة ولا محصورة، وكذا الأحاديث في هذا الباب لا تعدّ ولا تُحصى، وإنما اخترت هذه الآية من بين أخواتها لأنها أوّل آية في القرآن في هذا الباب وأظهرها فيه؛ إذ صيغة الأمر فيها موجودة بعينها، ففرضيّته ثبتت من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن﴾؛ لأنه أمر، والأمر للوجوب ما لم يصرف عنه عارض، وكونه كفاية يُفهم من قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾؛ لأن مِنْ هٰهنا للتبعيض على المختار، وإن جاز كونه للتبيين كما قال صاحب المدارك وغيره، ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ثم قال: أو للتبيين، أي وكونوا أُمّة تأمرون؛ كقوله تعالى: (﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾) الآية، ومعنى الآية: ولتكن بعض منكم أُمّة يدعون الناس إلى الخير، أي الأفعال الحَسَنة الموافقة للشرعية، ويأمرون بالمعروف أي الشيء الذي يستحسنه الشارع والعقل، (﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾) أي الشيء الذي يستقبحه الشارع والعقل والمعروف ما

الكتاب والسُّنَّة. والمنكر ما خالفهما، أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصي. والدعاء إلى الخير عامٌّ في التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص.

وافق الكتاب والسنّة، والمنكر ما خالفهما، أو المعروف الطاعات والمنكر المعاصي، والدعاء إلى الخير عامّ في التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص، ثم الأقرب في معنى الكفاية هٰهنا إن اشتغل بها أحد في المجلس سقط عن الجميع، وإن لم يفعلها أحدًا ثم الجميع بمنزلة ردّ السلام وجواب العطسة لا بمنزلة صلاة الجنازة، فإنّها باعتبار المَحَلّة والبلد يدلّ عليه ما رُوِي عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ قومٍ عَمِلوا بالمعاصي وفيهم مَنْ يَقْدِر أنْ يُنكر عليهم فلم يفعل، إلّا يُوشك أن يعمَّهم الله بعذابٍ من عنده**». وما نُقِل عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». وما نُقِل أيضًا أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيّاكم والجلوس في طرقات**»، قالوا: ما لنا منه بدّ، إنما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال: «**فإذا أبَيْتم إلا ذلك، فأعطوا الطريق حقّها**»، قالوا: وما حقّ الطريق؟ قال: «**غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**». فيُفهم من هذه الأحاديث كلها أنّ في كل مجلس وقع فيه خلاف الشرع يفرض على من قدر مِنْ واحدٍ منهم ردّه، لا على سبيل التعيّين، فيكون فرض كفاية بهذا المعنى، وإن لم ينصّ بها رواية، بل وجدت خلافها، ومن تصدّى نفسه للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واشتغل بهذه الحرفة أو نصبه الإمام لأجله يكون ذلك عليه فرض عين، ويسمّى ذلك محتسبًا، ولم يتعرّض لأمثاله هذه المباحث أحد من الفحول مثل ما تعرّض له السيد علي الهمداني في كتابه الفارسي المسمّى بذخيرة الملوك، فمن أراد الاطّلاع عليها فليرجع إليه. ثم ذكروا له شرائط أن يكون ذلك تحت قدرته، وأن لا يكون مُوجبًا للفتنة والفساد وزيادة الذّنوب، كما صرّح به في المواقف، ويدلّ عليه قوله عليه السلام: «**فإن لم يستطع**» في الحديث السابق، ولعلّهم لهذا قالوا: إنّ الأمر باليد إلى الأُمراء، وباللّسان إلى العلماء، وبالقلب إلى العوام، وأن لا يسأله: أتفعل كذا؟ ألا تفعل كذا؛ لأنه تجسّسٌ منهيٌّ عنه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحُجرَات: الآية ١٢] صرّح به في المواقف أيضًا، وأن لا يأمر

و«من» للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولأنه لا يصلح له إلا مَن عَلِم بالمعروف والمنكر وعَلِم كيف يرتِّب الأمر في إقامته فإنه

بما لا يفعله بنفسه، وإنْ كان لا يشترط عمله على جميع الشرائع، بل على قدر المأمور به فقط؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ [الصَّف: الآية ٢]، ولقوله تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٤] وأمثال ذلك، فإن أراد أن يأمر بالمعروف ينبغي أن يأمر أولًا به نفسه، ثمّ على عياله وأطفاله وعشيرته؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التَّحريم: الآية ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤]، ثم على غيرهم صرّح به في بعض الرسائل، ولكن قال القاضي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٤]، والمراد به حثّ الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوّم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوَعظ، فإنّ الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر. وأيضًا قال: هو في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ﴾ الآية، والأمر بالمعروف يكون واجبًا ومندوبًا على حسب ما يأمر به، والنهي عن المنكر واجبٌ كلّه؛ لأن جميع ما أنكره الشرع حرام، والأظهر أن القاضي يجب أن يُنهى عما يرتكبه، لأنه يجب عليه تركه وإنكاره، فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر، هذا لفظه. وصرّح بكل ذلك صاحب الكشاف، وذكر أن شرط النهيِ أنْ يعلم الناهي أنّ ما ينكره قبيح، وأنْ لا يكون ما ينهى عنه واقعًا، وأن لا يغلب على ظنّه أن المنهيّ يزيد في منكراته، وأن النهي لا يؤثره، وأن شرط الوجوب أن يغلب على ظنّه وقوع المعصية، وأن لا يغلب على ظنّه أنه إن أنكر لحقته مضرّة عظيمة، وأنّ الأمر هو لكل مكلّف وغير المكلّف إذا همَّ بضرر غيره مُنع؛ كالصبيان والمجانين ينهى عن المحرّمات لعدم الاعتياد، كما يؤمرون بالصلاة لذلك، هذا حاصل كلامه. وذكر صاحب المدارك أيضًا: أنه ينبغي أن يكون عالمًا بطريقه وترتيب إقامته، فإنه يبدأ أوّلًا بالسهل واللّينة والتواضع حتى يؤثر فيه، فإن لم ينتفع ترقّى إلى الصعب. ألا ترى أنه كيف قال الله أولًا في مسألة البغي: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحُجرَات: الآية ٩]، ثم قال آخرًا: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾ [النِّسَاء: الآية ٧٦]، وهذا بحثٌ طويل مذكور في الكتب.

يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقّى إلى الصعب قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. ثم قال: ﴿فَقَاتِلُوا﴾ [الحجرات: الآية ٩]. أو للتبيين أي وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى:

وبالجملة، ففرضيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممّا لا شبهة فيه ثبت ذلك بالآيات والأحاديث، وعليه انعقد الإجماع. وأمّا قوله تعالى: (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾)، فلا يدلّ على عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهم قد صرّحوا بأنّ هذه الآية إنما نزلت في حقّ صحابة أحبّوا إيمان جميع الكفار، يعني أن الكافرين جميعًا إذا لم يؤمنوا فلا يضرّكم كفرهم إذا اهتديتم بأنفسكم، لا في حقّ مَنْ يحبّون الأمر بالمعروف، وقد ذكر صاحب الإتقان فيه كلامًا عجيبًا، حيث قال: من عجيب الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية؛ إذ أوّله منسوخ، وهو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾، وآخره ناسخ وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؛ لأن الأوّل دالّ على نفي الأمر بالمعروف، والآخر يدلّ على ثبوته؛ إذ معناه: إذا اهتديتم بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ولا يخفى ركاكة دعوى النسخ هٰهنا على مَنْ له نوع مهارة في علم الأُصول؛ إذ شرط الناسخ أن يكون كلامًا مستقلاً مُتراخيًا عمّا قبله. وقال الإمام الزاهد: إنّه قرأ أبو بكر الصدّيق هذه الآية، وقال: يا أصحابي لا يغرنّكم هذه الآية في ترك الأمر بالمعروف، فإنّ الله تعالى قال: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ولم يقل: إذا صلّيتم أو صُمتم، ومن جملة الاهتداء الأمر بالمعروف، وهذا الكلام أحسن؛ إذ ليس فيه دعوى النسخ. وقال صاحب الكشاف: إنه ليس المراد ترك الأمر بالمعروف، بل المخاطَب به من يتأسّف على الكفرة والفَسَقة بالكفر والمعاصي، بحيث يذكر معائبهم أبدًا. وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن زمانه ليس اليوم، بل يُوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يُقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم. ومثله عن أبي ثعلبة الخُشَنِيّ(١)، هذا حاصل ما فيه. وهكذا قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩﴾ [الأعلى: الآية ٩]؛ لأنه يدلّ على انتفاء الأمر بالمعروف وقت عدم النفع؛ لأنه أيضًا في حقّ تبليغ الإيمان إلى

---

(١) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدهما نون منسوب إلى خشين الخانة وهو بطن من قضاعة، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي هم (**الأخصاء**) بالفلاح الكامل قال عليه السلام: «مَن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه» وعن عليّ رضي الله عنه: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦)﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ بالعداوة ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ في الديانة وهم اليهود والنصارى فإنهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضًا ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المُوجِبَة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ونصب ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ أي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو بِاذْكروا ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي وجوه الكافرين. والبياض من النور والسواد من الظلمة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ فحذف الفاء، والقول جميعًا (**للعلم به والهمزة**) للتوبيخ والتعجب من حالهم ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول (**أُبَي**) وهو الظاهر، أو هم المرتدّون أو المنافقون أي (﴿أَكَفَرْتُم﴾) باطنًا بعد إيمانكم ظاهرًا، أو أهل الكتاب، وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله ﷺ بعد اعترافهم به قبل مجيئه ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

الكفّار، فهو منسوخ؛ إذ الشرط على وفاق العادة، أو أن معنى عن عدم نفع الذكرى لهم، أو أن بمعنى قد، كما صرّح به في كتب التفسير وغيرها، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله: (الأخِصَّاء)** جمع الأخصّ.

قوله: (للعلم به) أي لأنه جواب إمّا. **قوله: (والهمزة)**... الخ. أي الاستفهام في قوله: (﴿أَكَفَرْتُم﴾) لا جواب له؛ لأنه استفهام على طريق التوبيخ والتعجّب.

قوله: (أُبيّ) بن كعب السيّد القارىء الأنصاريّ الخزرجيّ رضي الله تعالى عنه.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ﴾ ففي نعمته وهي الثواب المخلد. ثم استأنف فقال: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (لا يظعنون) عنها ولا يموتون.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك ﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ﴾ مُلتبِسَة ﴿بِٱلۡحَقِّۗ﴾ والعدل من جزاء المُحسِن والمُسيء (﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾) أي لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدًا بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو يُنقِص من ثواب مُحسِن.

قوله: (لايظعنون) في المصباح: ظعن ظَعْنًا من باب نفع ارتحل. اهـ. **قوله:** (﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾)، اعلم أنّ الله تعالى إنما يعذّب مَنْ يعذّبه باستحقاق، ولا يعاقبه بلا جرم، ولا يزيد في عقاب المجرم على قدر استحقاقه، ولا يُنْقص من ثواب المُحسن شيئًا مما وعده بمقابلة عمله، وظلمًا نكرة في سياق النفي، فيعمّ جميع أنواع الظلم، والعالمين جمع محلّى باللام، فيفيد العموم أيضًا؛ فالمعنى ما يريد شيئًا من الظلم لأحدٍ من خلقه، كيف والظلم وضع الشيء في غير موضعه والتصرّف في ملك الغير، وهو تعالى إنما يتصرّف في ملك نفسه، ووضع الشيء في غير موضعه قد يكون بمنع حقّ المستحقّ منه، وقد يكون بفعل ما يمنع منه، ولا ينبغي له أن يفعله، وكل ذلك لا يتصوّر في حقّه تعالى، فيستحيل تصوّر الظلم من الله تعالى، فإنه لا حقّ عليه لأحد فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله، بل هو المالك على الإطلاق يفعل ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بحكمته، فكلّ ما جاء منه فهو مَحْض حكمة وعدل، لا يقال: إنه تعالى قد مدح نفسه بعدم كونه مريدًا للظلم، ولو استحال صدور الظلم منه تعالى لما كان وصفه تعالى بذلك مدحًا لنفسه، فإنه يمدح الملك بأنه لا يظلم رعيّته ولا يمدح أضعف رعاياه بأنه لا يظلم على الملك؛ لأنّا نقول: لا نسلم أنّ المدح بالشيء يقتضي إمكانه في حقِّ مَنْ مُدِحَ به، ألا ترى أنه تعالى يُمْدح بقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥]، وبقوله: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤]، ولا يلزم من ذلك جواز النوم والأكل عليه، فكذا هنا.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ١٠٩﴾ (فيجازي) المُحسِن بإحسانه والمُسِيء بإساءته. «ترجع». شامي وحمزة وعلي. كان عبارة عن وجود الشيء) في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام، ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء ومنه قوله:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠﴾

(﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾) كأنه قيل: وجدتم خير أمة أو كنتم في علم الله أو في اللوح خير أُمة، أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به

قوله: (فيجازي)... الخ. بيان لارتباط الكلام بعضه ببعض. **قوله:** (ترجع) بفتح التاء وكسر الجيم. (شاميّ) أي ابن عامر الشامي. (وحمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بضم التاء وفتح الجيم. **قوله:** (كان عبارة عن وجود الشيء) يعني الوجود بصفة؛ لأن الكلام في كان الناقصة. وأمّا التامّة، فمعناها وجد، بمعنى صار موجودًا، وهو معنى وقع وحدث، ولا يبعد أن يدّعي فيها الدّلالة على عدم سابق. وأمّا الناقصة، فلا دلالة فيها على ذلك، ولا على الدوام، ولها معنى الإبهام، فلذلك يستعمل فيما هو حادث، مثل: كان زيد راكبًا، وفيما هو دائم: مثل كان الله غفوراً رحيمًا، فقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ لا يدلّ على أنهم لم يكونوا خيرًا فصاروا خيرًا، وانقطع ذلك عنهم، وليس معنى قوله: وجدتم خير أمّة أنها تامّة على ما توهم؛ لظهور أنها ناقصة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾)... الخ. فالآية تدلّ على خيريّة الأُمّة، ولا شكّ أن ذلك لكمالهم في الدّين، فيستلزم خيريّة نبيِّهم الذي هم في دينه، كما يشير إليه قول مَنْ قال:

لـمّا دعى الله داعينا لطاعته   بأكرم الرسل كنا أكرم الأُمم

هكذا قالوا، ويدلّ أيضًا على فضيلة الأمر بالمعروف، وذلك ظاهر، وقد تمسّك به الإمام فخر الإسلام البزدوي وغيره على كون إجماعهم حجّة؛ لأنه من

﴿أُخۡرِجَتۡ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾ اللام يتعلق بـ «أخرجت» ﴿تَأۡمُرُونَ﴾ كلام مُستأنف بيَّن به كونهم خير أُمة كما تقول: «زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم» بيَّنت بالإطعام والإلباس وجه الكرم فيه ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالإيمان وطاعة الرسول ﴿وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ عن الكفر وكل محظور ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ وتدومون على الإيمان به أو لأن الواو لا تقتضي الترتيب ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ﴾ لكان الإيمان خيرًا لهم مما هم فيه لأنهم إنما **(آثروا)** دينهم على دين الإسلام حُبًّا للرياسة واستتباع العوام، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله، مع الفوز بما وعدوا على الإيمان به من إيتاءِ الأجْر مرتين ﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ المتمرِّدون في الكفر.

﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ﴾ إلا ضررًا مقتصرًا على أذى بقول مَن طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَۖ﴾ منهزمين ولا يضرّوكم بقتلٍ أو أسْر ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم، وفيه تثبيت لمَن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء

ثمرات خيريّتهم في الدِّين. وقال القاضي الأجلّ: ويستدلّ بهذه الآية على أنّ الإجماع[1] حجّة، لأنه يقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كلّ منكر؛ إذ اللام فيهما للاستغراق، ولو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك، هذا كلامه. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (آثروا) أي اختاروا.

---

(١) أي إجماع هذه الأمة، لأنها لا تجتمع على الضلالة، كما نطق به الحديث، ودلّت عليه هذه الآية، بالالتزام لأنهم إذا أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لم يمكن اجتماعهم على منكر، وإلا لم ينهوا عنه لاتّفاقهم عليه. اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

إخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على «يولوكم» إذ لَوْ كان معطوفًا عليه لقيل ثم لا يُنصَروا، وإنما استؤنف ليُؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أم لم يقاتلوا، وتقدير الكلام: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا يُنصَرون. و«ثم» للتراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار.

﴿ضُرِبَتْ﴾ ألزمت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي على اليهود ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في محل النصب على الحال، والباء متعلق بمحذوف تقديره إلا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ والحبل العهد والذِّمَّة، والمعنى ضُرِبَت عليهم الذلّة في كل حال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمّة الله وذمّة المسلمين أي لا عزّ لهم قطّ إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذِّمَّة لما قبلوه من الجزية (﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) استوجبوه ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر عقوبة لهم على قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: الآية ١٨١] أو خوف الفقر مع قيام اليسار ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلّة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق. ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ أي ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده.

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ ليس أهل الكتاب مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كلام مستأنف لبيان قوله: «ليسوا سواء» كما وقع قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بيانًا لقوله: ﴿كُنتُمْ

قوله: (﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٦١]) أي استوجبوه، عبارة تفسير البيضاوي: رجعوا به مستوجبين له.اهـ. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب.

قوله: (رجعوا به)... الخ إشارة إلى أن أصل معنى باء رجع، وأن الرجوع به كناية عن استحقاقه واستيجابه، من قولهم: باء فلان بفلان إذا كان حقيقًا أن يقتل به، أي صاروا أحقاء بغضبه، وهو إرادة الانتقام منهم.اهـ.

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ جماعة مستقيمة عادلة من قولك: «أقمت العود فقام» أي استقام وهم الذين أسلموا منهم ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته (واحدها «إِني») كـ «معي» أو «إنو» كقنو (أو «إِني» كـ «نحي») ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلّون. قيل: يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها. وقيل: عبَّر عن تهجّدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمان وسائر أبواب البر ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ عن الكفر ومَنهيَّات الشرع ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يبادرون إليها خشية الفوت. وقوله: «يتلون» و«يؤمنون» في محل الرفع صفتان لأُمة أي أُمة قائمة تالون مؤمنون. وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله، لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيرًا وكفرهم ببعض الكتب والرُّسُل ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا (مُداهنين)، ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا مُتباطئين عنها غير راغبين فيها، والمسارعة في الخير (فرط الرغبة) فيه لأن مَن رغب في الأمر سارع بالقيام به ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما وصفوا به ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صَلُحت أحوالهم عند الله ورضيهم.

قوله: (واحدها «إِني») بكسر الهمزة وفتح النون كمِعًى جمعه أمْعاء، أو إِنوٍ ـ بكسر الهمزة وسكون النون ـ كقِنْوٍ بمعنى العِذْق جمعه أقْناء وقِنْوان أيضًا. (أو «إِني») بالكسر والسكون (كـ «نحي») جمعه أنحاء، فالهمزة منقلبة عن واو أو ياء وهو منصوب على الظرفيّة متعلّق بيتلون أو بقائمة.

قوله: (مداهنين) المُداهنة المداراة مجازًا من الدّهن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. اهـ شهاب ﷺ. **قوله:** (فرط الرّغبة) في مختار الصحاح: أفرط في الأمر جاوز فيه الحدّ، والاسم منه الفَرْط ـ بالتسكين ـ يقال: إيّاك والفرط في الأمر. اهـ.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

(﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ﴾ **بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو. مُخيَّر غيرهم بالتاء. وعُدِّي «يكفروه» إلى مفعولين**) وإن كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها ـ لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل: فلن تُحرَموه، أي فلن تُحرَموا جزاءه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة للمتقين (**بجزيل**) الثواب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ﴾ أي من عذاب الله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحُسْن الذِّكر بين الناس أو ما يتقرَّبون به إلى الله مع كفرهم ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ كمثل (**مهلك**) ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لـ «ريح» مثل ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَهْلَكَتْهُ ۚ﴾ عقوبة على كفرهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاك حرثهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة، أو يكون الضمير للمنفقين أي وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا

قوله: (﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ﴾ **بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر**) شعبة عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، (**وأبو عمرو**) البصري (**مخير**). اخْتُلِف عن الدوري عن أبي عَمْرو، فرُوِيَ عنه من طريق ابن فرح بالغيب، ورُوِي عنه من طريق ابن مجاهد عن أبي الزّعراء التخيير بين الغيب والخطاب فيهما، وصحّح الوجهين عنه في النشر، قال: إلا أن الخطاب أكثر وأشهر. (**غيرهم بالتاء**) الفوقية على الخطاب فيهما. **قوله:** (**وعُدِّي يكفروه إلى مفعولين**) نائب الفاعل والهاء. **قوله:** (**بجزيل**) أي عظيم.

قوله: (**مهلك**) على صيغة المفعول.

أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول. ونزل نهيًا للمؤمنين عن **(مصافاة)** المنافقين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾ بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيّه شبه ببطانة الثوب كما يقال («**فلان شعاري**») وفي الحديث («**الأنصار شعار والناس دثار**) ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ في موضع النصب صفة لبطانة يعني **(لا يقصرون)** في فساد دينكم يقال: «ألا في الأمر يألو» إذا قصر فيه، والخبال الفساد. وانتصب «خبالًا» على التمييز أو على حذف في أي في خبالكم ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عنتكم فـ «ما» مصدرية. والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه، وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم أن **(ينفلت)** من ألسنتهم ما يعلم به بعضه للمسلمين ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ مع البغض لكم ﴿أَكْبَرُ﴾ مما بدا ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾

قوله:.**(مصافاة)** أي مودة.

قوله: (فلان شعاري) الشِّعار ـ بالكسر ـ اللّباس الذي يلي الجسد، سمّي به لأنه يلي شعره، والدِّثار ما يُلبس فوقه. **قوله: (الأنصار شعار والناس)** المراد بالناس هنا سوى الأنصار **(دثار)** وسمّى الأنصار **شعارًا** لأنه يلي الشعر، ولأنه علامة لصاحبه، وهذا الحديث رواه الشيخان، قاله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين فتح حنينًا في حديثٍ طويل، أي أنّهم الخاصّة والبطانة، ولا يلزم منه كونهم أفضل من المهاجرين؛ إذ يوجد في المفضول من المفاخر ما لا يوجد في الفاضل، فوجود هذه الخصلة في الأنصار دون المهاجرين لا يقتضي تفضّلهم عليهم؛ إذ المهاجرين أفضل من الأنصار. **قوله: (لا يقصرون)** من التقصير. **قوله: (ينفلت)** أي يخرج بسرعة.

الدَّالَّة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما بين لكم.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ «ها» للتنبيه و«أنتم» مبتدأ و«أولاء» خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافي أهل الكتاب ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء، أو أولاء موصول صلته «تحبونهم». والواو في ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ للحال وانتصابها من «لا يحبونكم» أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم؟ وفيه توبيخ شديد لأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم. وقيل: الكتاب للجنس. ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ أظهروا كلمة التوحيد ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ **(يوصف المغتاظ والنادم)** بعض **(الأنامل والبنان والإبهام)** ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به، والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعزّ أهله ومالهم في ذلك من **(الذل)** والخزي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فهو يعلم ما في صدور المنافقين من **(الحنق)** والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض، وهو داخل في جملة المقول أي أخبرهم بما يسرّونه من عضّهم الأنامل غيظًا إذا خلوا وقل لهم: إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرُّونه بينكم وهو مضمرات الصدور، فلا تظنوا أن شيئًا من أسراركم يخفى

قوله: (يوصف المغتاظ والنّادم) لأنهما يفعلان ذلك عند الغيظ والنَّدم. **قوله: (الأنامل)** في المصباح: الأنملة من الأصابع العقدة وبعضهم يقول: الأنامل رؤوس الأصابع، وعليه قول الأزهري: الأنملة المفصل الذي فيه الظفر، وهي بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمّها، وابن قتيبة يجعل الضمّ من لحن العوام، وبعض المتأخّرين من النحّاة حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم، فيصير تسع لغات. **قوله: (البنان)** في مختار الصِّحاح: البنانة واحدة البنان، وهي أطراف الأصابع. اهـ. **قوله: (الإبهام)** الأصبع العظمى، وهي مؤنّثة، وجمعها أباهيم. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (الذُّل)** ضد العزّ. **قوله: (الحَنَق)** الغيظ.

عليه أو خارج عن المقول، أي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرّون فإني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ **(رخاء وخِصب)** وغنيمة ونصرة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحزنهم إصابتها ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أضداد ما ذكرنا. والمسّ مستعار من الإصابة فكأن المعنى واحد، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التوبة: الآية ٥٠]، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ بإصابتها ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ ما نهيتم عنه من موالاتهم، أو أن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ مكرهم وكنتم في حفظ الله، وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يُستَعَان على كيد العدو بالصبر والتقوى. وقال الحكماء: إذا أردت أن **(تكبت)** مَن يحسدك فازدد فضلًا في نفسك. («**لا يضركم**»: **مكي وبصري ونافع من ضارَّه يضيره بمعنى ضرّه**) وهو واضح. والمشكل قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان

قوله: (رَخاء) بالفتح. **قوله: (وخِصْب)** بالكسر ضد الجَدْب. **قوله: (تكبت)** الكَبْتُ الصرف والإذلال، يقال: كبت الله العدوّ، أي صرفه وأذلّه وبابه ضرب. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (لا يضركم)** بكسر الضاد وجزم الراء جوابًا للشرط. **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ، **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. **(ونافع)** المدني **(منْ ضارَّه يضيره بمعنى ضرّه)** والأصل: يضيركم كيغلبكم، نُقِلت كسرة الياء إلى الضاد فحُذِفت الياء للساكنَيْن، والكسرة دالّة عليها، والباقون بضم الضاد ورفع الراء مشدّدة على أن الفعل مرفوع لوقوعه بعد فاء مقدّرة، والجملة جواب الشرط على حدّ مَنْ يفعل الحسنات الله يشكرها، أي فالله. وجعله الجعبريّ وتبعه النويري مجزومًا، والضمّة ليست إعرابًا كلم يرد؛ إذ الأصل يضرركم كينصركم نقلت ضمّة الراء الأُولى إلى الضاد ليصحّ الإدغام، ثم سكِّنت للجزم، فالتقى ساكنان، فحُرِّكت الثانية له لكونها طرفًا، وكانت ضمّة للاتباع. اهـ إتحاف.

ينبغي أن يكون بفتح الراء كقراءة (**المفضل**) عن عاصم، إلا أن ضمة الراء (**لإتباع ضمة الضاد**) نحو «مد يا هذا» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء: (**سهل**) أي من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿مُحِيطٌ﴾ ففاعل بكم ما أنتم أهله. وبالياء: غيرهُ أي أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه.

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

﴿(وَإِذۡ غَدَوۡتَ) مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ واذكر يا محمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة، (**والمراد غدوة من حجرة عائشة** ﷺ) إلى أُحد ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

قوله: (المفضل) بن محمد الضبّي. **قوله: (لإتباع ضمة الضاد)**، هذا ما قالوا: إن في المجزوم والأمر من المضاعف المضموم العين يجوز الفتح للخفّة والكسر لأجل تحريك الساكن والضمّ للاتّباع، فلا حاجة إلى ما قيل: إنه مرفوع بتقدير الفاء. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (سهل)** بن محمد بن عثمان السجستاني البصري، وليس من السبعة.

قوله: (**والمراد غدوة**) الغدوّ الخروج أوّل النهار، يقال: غدا يغدو من باب سَمَا، أي خرج غُدْوةً، ويُستعمل بمعنى صار عند بعضهم، فيكون ناقصًا يرفع الاسم وينصب الخبر، وعليه قوله عليه الصّلاة والسلام: «**لو توكّلتم على الله حقّ توكّله لزرقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا**». اهـ. وهذا المعنى الثاني ممكن هنا، فالمعنى عليه: (﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ﴾)، أي صرت تبوىء المؤمنين، أي تنزل في منازل، وهذا أظهر من المعنى الآخر؛ لأن المذكور في القصة أنه سار من أهله بعد صلاة الجمعة، وبات في شعب أحد وأصبح ينزل أصحابه في منازل القتال، ويدبّر لهم أمر الحرب. اهـ جمل.

قوله: (من حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها) إشارة إلى أنه على تقدير مضاف؛ إذ المعنى: من عند أهلك، وعائشة ـ بهمزة بعد الألف ـ وعامّة المحدثين يبدلونها ياء. اهـ. كذا أفاده العلّامة الشهاب في نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وهي الصدِّيقة عائشة بنت أبي بكر الصدّيق أُمّ المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ، إلا خديجة؛ ففيه خلاف شهير. ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح رضي الله تعالى عنهم.

تنزّلهم (وهو حال) ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواطن ومواقف (من الميمنة والميسرة والقلب والجَناحين والساقة). و«للقتال» يتعلق بـ «تبوىء» ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سميع لأقوالكم عليم بنيّاتكم وضمائركم. رُوِيَ أن المشركين نزلوا بأحد (يوم الأربعاء) فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ودعا (عبد الله بن أُبَيّ) فاستشاره فقال: أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قطّ إلا أصاب منّا، وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم. فقال ﷺ: إني رأيت في منامي (بقرًا مذبحة) حولي (فأوّلتها خيرًا)، ورأيت في (ذباب سيفي ثلمة فأوّلتها هزيمة)، ورأيت كأني

قوله: (وهو حال) أي قاصدًا تبوييء المؤمنين؛ لأن وقت الغدوّ ليس وقتًا للتبوييء، ويحتمل أن تكون مقارنةً؛ لأن الزَّمان متسع. اهـ جمل. **قوله:** (من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة) في لسان العرب: جناحا العسكر: جانباه. اهـ. وفي حاشية الجمل: قوله: جناحا العسكر، أي الجيش، ويسمّى خميسًا لأنه خمسة أقسام: قلب، وهو وسطه؛ ساقه، وهي مؤخّره؛ ومقدمة، وهي أوّله؛ وجناحان، وهما جانباه يمينًا وشمالاً. اهـ شيخنا. اهـ. فافهم. **قوله:** (يوم الأربعاء) ممدود، وهو بكسر الباء ولا نظير له في المفردات، وإنما يأتي وزنه في الجمع، وبعض بني أسد بفتح الباء والضمّ لغة قليلة فيه. اهـ مصباح.

قوله: (عبد الله بن أبيّ) ابن سلول المنافق، وسلّول أُمّ عبد الله، فلهذا قال العلماء: الصواب في ذلك أن يقال: عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول ـ بتنوين أُبي ـ وكتابة ابن سلول بالألف ويعرب إعراب عبد الله؛ لأنه صفة له لا لأبيّ، وكان عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين ونزل في ذمّه آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺ وكفّنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلّى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا. **قوله:** (بقرًا مذبّحة) أي القطيع من البقر. اهـ تفتازاني. أي جماعة لأنه اسم جمع واحده بقرة، ولذا وصفها بقوله: مذبوحة. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله:** (فأوّلتها خيرًا) لم يذكره؛ لأن المراد كثرة الشهداء، وجعله خيرًا لِمَا فيه من الأجر العظيم. **قوله:** (ذباب سيفي) ذباب[1] السيف: طرفه الذي يضرب به ويذب. **قوله:** (ثلمة) بالمثلثة بمعنى الكسر. **قوله:** (فأوّلتها هزيمة)

---

(١) بالذال المعجمة المضمومة، سُمّي ذبابًا لأن من شأنه أن يدفع به الأعداء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(أدخلت يدي في درع حصينة) فأولتها المدينة، فلم يزل به قوم (ينشطون في الشهادة) حتى (لبس لَأْمته) ثم (ندموا) فقالوا: الأمر إليك يا رسول الله فقال ﷺ: («لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته) فيضعها حتى يقاتل» فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح (بالشِّعب) من أحد يوم السبت (للنصف من شوال).

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿إِذْ هَمَّت﴾ بدل من «إذ غدوت» أو عمل فيه معنى «عليم» ﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ حيان من الأنصار: (بنو سلمة) من الخزرج وبنو حارثة من الأوس. وكان ﷺ خرج إلى أحد في ألف، والمشركون في ثلاثة آلاف، ووعدهم الفتح إن صبروا (فانخذل عبد الله بن أُبَيّ) بثلث الناس وقال: (علام) نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ أي بأن تفشلا أي بأن (تجبنا) وتضعفا والفشل الجبن و(الخور) ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾

في النهاية: فأوّلته أن يُصاب رجل من أهلي، فقُتل حمزة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أدخلت يدي في درع حصينة) في المصباح: دِرْع الحديد مؤنّثة في الأكثر. اهـ. وإدخال يده في الدِّرع تحصين أصحابه بها دونه؛ لأنه معصوم، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائدة: الآية ٦٧] الآية. قنوي وشهاب رحمهما الله. **قوله:** (ينشطون في الشهادة) في المصباح: نَشِط في عمله ينشَطُ من باب تعب خفّ وأسرع نشاطًا، وهو نشيط. اهـ. **قوله:** (لَبِس لأْمَتَهُ) بالهمزة، وتُبْدل ألفًا بمعنى الدِّرع، وقيل: السلاح وهو الصواب، لأنه قد مرّ أنه عليه السلام لم يلبس الدِّرع، والقول بأنه لَبِسه حين الخروج ولم يلبسه حين المحاربة ضعيف. اهـ قنوي. **قوله:** (ندموا) من باب طرب. **قوله:** (لا ينبغي لنبيٍّ أن يلبس لأْمَته)... الخ. أي عزم أن يرجع. **قوله:** (بالشِّعب) ـ بالكسر ـ الطريق في الجبل. **قوله:** (للنّصف من شوّال) سنة ثلاث من الهجرة.

قوله: (بنو سلمة) بكسر اللام. **قوله:** (فانخزل عبد الله بن أُبَيّ) أي انقطع ورجع لنفاقه. **قوله:** (عَلَامَ) أي لأيّ شيء. **قوله:** (تجبنا) في المصباح: جَبُن جُبْنًا وزان قرب قربًا، وجَبَانة بالفتح، وفي لغة: من باب قتل، فهو جَبَان، أي ضعيف القلب، وامرأة جَبَان أيضًا، وربما قيل: جَبَانة، وجمع المذكر جُبَنَاء، وجمع المؤنّث جَبَانات. اهـ. **قوله:** (الخَوَر) ـ بفتحتين ـ الضعف، تقول: خار يخور

محبهما أو ناصرهما أو متولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه. قال (**جابر بن عبد الله: والله ما يسرّنا أنّا لم نهمّ بالذي هَمَمْنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا**). ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكّل مما يسّر لهم من الفتح

خَوَرًا. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (جابر بن عبد الله)** الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما، هو أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو محمد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ـ بالراء ـ ابن ساردة ـ بالسين المهملة ـ ابن تزيد ـ بالتاء المثناة فوق ـ ابن جُشَم ابن الخزرج الأنصاري السلمي ـ بفتح السين واللام ـ المدني، وهو أحد المكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ، رُوِيَ له ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّين حديثًا، وانفرد البخاري بستّةٍ وعشرين، ومسلم بمائةٍ وستّة وعشرين، ومناقبه كثيرة. استشهد أبوه يوم أُحد، فأحياه الله وكلّمه: يا عبد الله ما تريد؟ فقال: أن أرجع إلى الدنيا فأستشهد مرّة أخرى، وثبت في صحيح مسلم عن جابر قال: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدرًا ولا أُحدًا، منعني أبي، فلمّا قُتِل أبي يوم أُحد لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ قطّ. توفّي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل: ثمان وستّين، وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه، وكان ذهب بصره في آخر عمره وحيث أطلق جابر في هذه الكتب، فهو جابر بن عبد الله، وإذا أراد ابن سمرة قيّده.

قوله: (والله ما يسّرنا أنا لم نهمّ بالذي همَمْنا به، وقد أخبرنا الله بأنه ولينا) عبارة صحيح البخاريّ: (حدّثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان ابن عيينة قال: قال عمرو: هو ابن دينار، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما يقول: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، قال: أي جابر، نحن طائفتان: بنو حارثة هم من الأوْس، وبنو سلمة بكسر اللام وهم من الخزرج وما نحب. وقال سفيان ابن عيينة في روايته مرّة: وما يسرّني بدل وما نحبّ، أنها أي الآية لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. ومفهومه أنّ نزولها سرّه لما حصل لهم من الشرف، وتثبيت الولاية، ودلّ ذلك على أنه سرّتهم تلك الهمّة العارية عن العزم).

يوم بدر وهم في حال قِلّة وذلّة فقال:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرًا فسُمِّي به، أو ذكر بدرًا بعد أُحُد للجمع بين الصبر والشكر. ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ لقلة العدد فإنهم **(كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر)**، وكان عدوهم **(زهاء)** ألف مقاتل **(والعُدد)**، فإنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد، ومع عدوهم مائة فرس **(والشِّكة والشوكة)**. وجاء بجمع القلّة وهو «أذلة» ليدلّ على أنهم على ذلّتهم كانوا قليلًا «فاتَّقُوا اللَّهَ» في الثّبات مع رسوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر.

قوله: (كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر)، وفي رواية: وثلاثة عشر رجلًا ستّة وسبعون من المهاجرين، وبقيّتهم من الأنصار. في المصباح: بِضْعٌ في العدد ـ بالكسر ـ وبعض العرب يفتح، واستعماله من الثلاثة إلى التسعة، وعن ثعلب: من الأربعة إلى التسعة يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، فيقال: بضع رجال وبضع نسوة، ويُستعمل أيضًا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن تثبت الهاء مع المذكّر وتُحذف مع المؤنّث كالنيِّف، ولا يُستعمل فيما زاد على العشرين، وأجازه بعض المشائخ، فيقول: بضعة وعشرون رجلًا وبضع وعشرون امرأة، وهكذا قاله أبو زيد وقالوا: على هذا معنى البضع والبضعة في العدد قطعة مُبْهَمة غير محدودة. اهـ. **قوله:**

(زهاء) بالمدّ والضم، أي مقدار. **قوله: (والعُدد)** في المصباح: العُدّة ما أعددته من مال أو سلاح وغير ذلك، والجمع عُدد مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله: (النواضح)** في المصباح: نضح البعير الماء: حمله من نهر أو بئر لسقي الزَّرع، فهو ناضح، والأنثى ناضحة بالهاء، سُمّي ناضحًا لأنه ينضح العطش، أي يَبُلّه بالماء الذي يحمله، هذا أصله ثمّ اسْتُعمل الناضح في كل بعير، وإن لم يحمل الماء، والجمع نواضح. اهـ. **قوله: (الشِّكة)** ـ بالكسر ـ السلاح. اهـ قاموس. **قوله: (والشوكة)** شدّة البأس.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (ظرف لـ «نصركم») على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أي نصركم الله وقت مقالتكم هذه، أو بدل ثانٍ من (﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾) على أن (﴿تَقُولُ﴾) لهم ذلك يوم أُحد ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ («منزَّلين» شامي). «مُنزِلين» (أبو حيوة) أي للنصرة. ومعنى «ألن يكفيكم» إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وجيء بـ «لن» الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلّتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر.

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد «لن» أي يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية. ثم قال: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على القتال ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ خلاف الرسول عليه السلام ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ يعني المشركين ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ هو من فارت القدر إذا غَلَت (فاستعير للسرعة) ثم سُمِّيت بها الحالة التي لا ريث بها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل: «خرج

قوله: (ظرف لـ «نصركم») فيكون الوعد بالإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة واقعًا في وقعة بدر، وعلى تقدير أن يكون (﴿إِذْ هَمَّت﴾) بدلًا أوّل من قوله: (﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾)، ويكون (﴿تَقُولُ﴾) بدلًا ثانيًا منه، يكون الإمداد المذكور موعودًا في قصّة أُحد. **قوله:** (منزلين) بتشديد الزاي مع فتح النون اسم مفعول. (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف مع سكون النون على اسم المفعول، منزلين بالتشديد مكسور الزاي مبنيًّا للفاعل. (**أبو حيوة**) وهي قراءة شاذّة.

قوله: (**فاستعير للسرعة**) أي استُعمل فيها مجازًا؛ لأن فوران القدر وشدّة غليانها يتضمّن مُسارعة ما فيها للخروج، ويمكن اعتبار المشابهة بين المسارعة وغليان القدر استعارة اصطلاحيّة، ثم أُطلق على الزّمان اليسير الذي يقع فيه الفعل الواقع على سبيل السرعة والعجلة، والرّيْث هو الإبطاء والتراخي، يقال: راث عليّ خبرك يريث ريثًا، أي أبطأ، كما يقال: خرج من فوره، أي من ساعته، والتعريج الإقامة، ومعنى الآية: إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربّكم بالملائكة في حال

من فوره» كما تقول «من ساعته (لم يلبث») ومنه قول (الكرخي): «الأمر المطلق على الفور لا على التراخي» والمعنى أن يأتوكم من ساعتهم هذه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يعني أن الله تعالى يعجّل نصرتكم وييُسِّر فتحكم إن صبرتم واتّقيتم (﴿مُسَوِّمِينَ﴾) بكسر الواو: (مكي وأبو عمرو وعاصم وسهل) أي معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعون بها في الحرب.

(والسُّومة) العلامة. عن (الضحاك): معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها. (غيرهم: بفتح الواو) أي معلمين. قال (الكلبي): معلين بعمائم

إتيانهم لا يتأخّر نزولهم عن إتيانهم، أي يعجّل نصركم ويسهّل فتحكم إن صبرتم واتّقيتم، ومِنْ في قوله: (﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾) ومن ساعتهم للابتداء، أي مبدءًا من الحالة التي لا إبطاء فيها ولا تراخي ولا إقامة على شيء. **قوله:** (لم يلبث) في مختار الصّحاح: لَبِثَ أي مَكَثَ وبابه فَهِم، ولَباثًا أيضًا بالفتح فهو لابث، ولبث أيضًا بكسر الباء. اهـ. **قوله:** (الكرخيّ) أي كرخ البصرة بفتح الكاف وسكون الراء في آخرها خاء معجمة، وإليه ينسب الكرخي، هذا اسمه عبيد الله بن دلهم الإمام الكبير أبو الحسن الحنفي، توفي ليلة النصف من شعبان سنة أربعين وثلاثمائة رحمة الله عليه.

قوله: (﴿مُسَوِّمِينَ﴾) بكسر الواو اسم فاعل من سوَّم. (مكّي) أي ابن كثير المكيّ، (**وأبو عمرو**) البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وعاصم**) بن أبي النّجود الكوفي (**وسهل**) بن محمد السجستاني البصريّ، وليس من السبعة. **قوله:** (السُّومة) بالضمّ. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (**الضحاك**) بن مزاحم أبو محمد، والقسم الهلالي الخراساني صاحب التفسير، ذكر أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبيّ، وكان يركب حمارًا ويدور عليهم إذا عيي. **قوله:** (غيرهم: بفتح الواو) اسم مفعول، والفاعل الله تعالى. **قوله:** (الكلبيّ) بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها موحدة، هو أبو النصر محمد بن السّائب بن بشر الكوفي صاحب التفسير وعلم النّسب، كان إمامًا في هذين العلمين، وهذه النسبة إلى كلب بن وبرة، وهي قبيلة كبيرة من قُضاعة. توفي سنة ستّ وأربعين ومائة بالكوفة رحمه الله.

صُفْر مُرخاة على أكتافهم، وكانت عمامة (الزبير) يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك. قال (قتادة): نزلت ألفًا فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الضمير يرجع إلى الإمداد الذي دلَّ عليه «أن يمدكم» ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوِّي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يُغالب في أحكامه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الذي يعطي النصر لأوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه.

قوله: (الزبير) ـ بضم الزاي ـ ابن العوّام الصحابي أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح، وهو أحد الستّة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة في أحدهم: عثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنهم، وقال: هؤلاء توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، هو أبو عبد الله الزبير بن العوّام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ القرشي الأسديّ المدني، وكان الزُّبير أوّل من سلّ سيفًا في سبيل الله، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والحديبية وخيبرًا وفتح مكّة وحصار الطّائف والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، ومناقبه كثيرة مشهورة، وكان الزبير رضي الله تعالى عنه يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف، فلحقه جماعة من الغواة فقتلوه بوادي السِّباع بناحية البصرة وقبره هناك، في جمادى الأُولى سنة ستّة وثلاثين، وكان عمره حينئذٍ سبعًا وستّين سنة، وقيل: ستًّا وستين، وقيل: أربعًا وستّين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (قتادة) بن دعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ التابعي البصري توفّي سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين سنة رحمه الله.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

واللام في ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسْر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسْر سبعين من رؤساء قريش (**متعلقة بقوله**: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾). أو بقوله: (﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾). أو بـ «يمددكم ربكم» ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة، وحقيقة (**الكبت**) شدَّة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لأجله ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اسم ليس «شيء» والخبر «لك» و«من الأمر» حال من «شيء» لأنها صفة مقدمة ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على «ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم» و«ليس لك من الأمر شيء» اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، والمعنى أن الله تعالى مالِك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إن أصرّوا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم. وعن (**الفراء**) «أو» بمعنى «حتى». وعن (**ابن عيسى**) بمعنى إلا أن كقولك لألزمنّك أو تعطيني حقي أي ليس لك من

قوله: (متعلّقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾) أي على تقدير أن يجعل قوله: (﴿إِذْ تَقُولُ﴾) ظرفًا لنصركم لا بدلًا ثانيًا من ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٢١]؛ لأنه على تقدير كونه بدلًا منه يكون القول المذكور واقعًا يوم أُحد منقطعًا عن قصة بدر، فجعل ليقطع متعلقًا بنصركم يستلزم الفصل بين العامل ومعموله بالأجنبي. وأمّا على تعلّقه بقوله: (﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) فيصح على التقديرين، وهو ظاهر. والعامل هو النصر الذي انتقض ما تعلّق به من النفي بإلّا. **قوله: (الكبت)**... الخ. في لسان العرب: الكبت الصَّرع كبته يكتبه كبتًا فانكبت، وقيل: الكَبْت صَرْع الشيء لوجهه.

قوله: (الفرّاء) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله الكوفي، كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنّحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة، زادها الله تعظيمًا وتشريفًا. **قوله: (ابن عيسى)** هو أبو الحسن علي بن

أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتشفى منهم. وقيل: أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم مَن يؤمن ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ مستحقون للتعذيب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأمر له لا لك لأن ما في السمٰوات وما في الأرض ملكه ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ للمؤمنين ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ الكافرين ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ («مضعَّفة» مكي وشامي). هذا نهي عن الرِّبا (مع التوبيخ بما كانوا عليه) من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدَّين محله يقول: إما أن تقضي حقي أو تربي وتزيد في الأجل.

عيسى بن الفرج بن صالح الرَّبعي ـ بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة ـ هذه النسبة إلى ربيعة النَّحوي البغدادي المنزل الشيرازي الأصل، كان عالمًا إمامًا في النَّحو مُتْقِنًا له، شرح كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسي، فأجاد فيه. اشتغل في بغداد على السيرافي ثم خرج إلى شيراز، فقرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة ثم رجع إلى بغداد، وقال أبو علي: قولوا لعليّ البغدادي: لو سِرْت من الشرق إلى الغرب لم تجد أنحى منك. وقال أبو علي أيضًا: لمّا انفصل عنه ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه، وله عدّة تواليف في النحو، منها: شرح مختصر الجرمي، وانتفع بالاشتغال عليه خلق كثير، وذكره ابن الأنباري في كتاب طبقات الأدباء، وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وتوفي ليلة السبت لعشرين بقين من المحرم سنة عشرين وأربعمائة ببغداد رحمه الله تعالى.

قوله: (مضعفة) بتشديد العين وحذف الألف. (مكّي) ابن كثير المكّي. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، وكذا أبو جعفر ويعقوب، وليسا من السبعة. والباقون بإثبات الألف وتخفيف العين. قوله: (مع التوبيخ بما كانوا عليه) إشارة إلى أن هذه الحال، أعني أضعافًا مضاعفة ليست لتقييد النهي بها بحيث ينتفي

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أكله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ كان (أبو حنيفة) ﷺ يقول: هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المُعَدّة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، وقد أمدَّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ وفيه رد على المرجئة في قولهم: «لا يضرّ مع الإيمان ذنب ولا يعذَّب بالنار أصلًا» وعندنا غير الكافرين من العُصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة. وفي ذكره تعالى «لعل» و«عسى» في نحو هذه المواضع وإن قال أهل التفسير إن «لعل» و«عسى» من الله للتحقيق، ما لا يخفى على العارف من دقّة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله تعالى (وعزة التوصل) إلى رحمته وثوابه.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ («سَارعوا»: مدني وشامي). فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها، ومَن حذفها استأنفها. ومعنى المسارعة إلى

الحرمة عند انتفائها عند مَنْ يقول بالمفهوم، بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على أنهم كانوا على هذه الطريقة المذمومة التي ربما يستقبحها أكلة الرّبا أيضًا. اهـ التفتازاني ﷺ. **قوله:** (أبو حنيفة) هو الإمام البارع[1] النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه، وُلد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة.

قوله: (عِزّة) أي قلّة. (التوصّل) قال الجوهري: عزّ الشيء يعزّ عزًّا وعزازة، إذا قلّ حتى لا يكاد يوجد فهو عزيز، أي قليل الوجود.

قوله: (سارعوا) بلا واو قبل السّين. (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي. والباقون بإثبات

---

(١) في القاموس: بَرَع وقيلت بَراعة وبروعًا فاق أصحابه في العلم وغيره أو تَمَّ في كل فضيلة وجمال، فهو بارع. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

المغفرة والجنة والإقبال على ما يوصل إليهما. ثم قيل: هي الصلوات الخمس أو التكبيرة الأولى، أو الطاعة، أو الإخلاص، أو التوبة، أو الجمعة والجماعات. ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي عرضها عرض السمٰوات والأرض كقوله: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: الآية ٢١]. والمراد وصفها بالسّعة والبسط فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه. وخصّ العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة. وعن (ابن عباس) ﷺ كسبع سمٰوات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض. وما رُوِي أن الجنة في السماء السابعة أو في السماء الرابعة فمعناه أنها في جهتها لا إنها فيها أو في بعضها كما يقال في الدار بستان وإن كان يزيد عليها لأن المراد أن بابه إليها ﴿أُعِدَّتْ﴾ في موضع جر صفة لـ «جنة» أيضًا أي جنة واسعة معدة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ودلّت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان. ثم المتقي مَن يتقي الشرك كما قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: الآية ٢١] ومَن يتّقي المعاصي فإن كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة، وإن كان الأول فهي لهم أيضًا في العاقبة.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

ويوقف عليه إن جعل ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في حال اليُسْر والعُسْر مبتدأ وعطف عليه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ وجعل الخبر «أولئك». وإن جعل وصفًا للمتقين وعطف عليه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ أي أُعِدَّت للمتقين والتائبين فلا وقف. فإن قلت: الآية تدلّ على أن الجنة مُعَدّة للمتّقين والتائبين دون المُصِرِّين. قلت: جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال: «أعدت هذه المائدة للأمير» ثم قد يأكلها أتباعه. ألا ترى أنه قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٣١] ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق، وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشقّ شيء على النفس وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في

الواو. **قوله: (ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما.

مجاهدة العدو و(**مواساة فقراء المسلمين**). وقيل: المراد الإنفاق في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ والممسكين الغيظ من الإمضاء يقال كظم القربة إذا امتلأها وشدّ فاها، ومنه (**كظم الغيظ**) وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرًا. والغيظ: توقد حرارة القلب من الغضب، وعن النبي ﷺ «مَن كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمْنًا وإيمانًا»، ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ أي إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه ورُوِيَ «ينادي مُنادٍ يوم القيامة أين الذين كانت أُجورهم على الله فلا يقوم إلا مَن عفا». وعن (**ابن عيينة**) أنه رواه (**للرشيد**) وقد غضب على رجل

قوله: (مواساة فقراء المسلمين) في لسان العرب: المواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق، وأصلها الهمزة، فقُلِبت واوًا تخفيفًا. اهـ. **قوله: (كظم الغيظ)** اجترعه وبابه ضرب. **قوله: (ابن عيينة)** هو أبو محمد سفيان بن عيينة ـ بضم العين والسين ـ على المشهور، ويقال بكسرهما، وحكى فتح السين أيضًا ابن أبي عمران ميمون الكوفي ثم المكّي الهلالي مولاهم مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك، وهو من تابعي التابعين ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي يوم السبت غرّة رجب سنة ثمان وتسعين ومائة رحمه الله. **قوله: (للرشيد)** هارون أبي جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، اسْتُخلف بعهدٍ من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة. قال الصولي: هذه الليلة وُلد له عبد الله المأمون، ولم يكن في سائر الزّمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة ووُلِد خليفة إلّا هذه الليلة، وكان يكنى أبا موسى فتكنّى بأبي جعفر، حدّث عن أبيه وجدّه ومبارك بن فضالة. روَى عنه ابنه المأمون غيره، وكان من أمْيَر الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا، وكان كثير الغزو والحجّ، مولده بالريّ حين كان أبوه أميرًا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة، وكان أبيض طويلًا جميلًا مليحًا فصيحًا له نظر في العلم والأدب، وكان يصلّي في خلافته كل يوم مائة ركعة، إلى أن مات، لا يتركها إلّا لعلّة، ويتصدّق من صُلْب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحبّ العلم وأهله ويعظّم حرمات الإسلام ويبغض المِراء في الدِّين والكلام في معارضة النصّ، وكان يبكي على نفسه على إسرافه وذنوبه سيّما إذا وعظ.

فخلاه ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ اللام للجنس فيتناول كل مُحسِن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون، أو للعهد فيكون إشارة إلى هؤلاء. عن (الثوري): الإحسان أن تُحسِن إلى المُسِيء فإن الإحسان إلى المُحسِن مُتاجرة.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

(﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾) فعلة متزايدة القبح، ويجوز أن يكون «والذين» مبتدأ خبره «أولئك» ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قيل: الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة، أو الفاحشة الزِّنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ فتابوا عنها لقُبْحهما نادمين. (قيل: بكى إبليس حين نزلت هذه الآية) ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ «من» مبتدأ و«يغفر» خبره، وفيه ضمير يعود إلى «من» و«إلا الله» بدل من الضمير في «يغفر» والتقدير: ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله، وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وفيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها، (وردع) عن اليأس و(القنوط)، وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب، وإشعار بأن الذنوب وإن (جلَّت) فإن عفوه أجل وكرمه أعظم. ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا

قوله: (الثوري)، هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين اتّفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحقّ وغير ذلك من المحاسن، وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يحصر وأوضح من أن يشهر، وهو أحد أصحاب المذاهب الستّة المتبوعة، وأجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله.

قوله: (قيل: بكى إبليس حين نزلت هذه الآية) أخرج عبد الرزاق وابن جرير عن ثابت البناني، قال: بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية بكى: (﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾) الآية. **قوله:** (ردع) في المصباح: ردعتُه عن الشيء أردَعُه رَدْعًا منعته وزجرته. اهـ. **قوله:** (القنوط) بالضمّ اليأس من رحمة الله نعوذ بالله منه. **قوله:** (جلّت) أي عَظُمت.

﴿فَعَلُوٓا۟﴾ ولم يقيموا على قبيح فِعْلهم والإصرار الإقامة قال ﷺ: («ما أصرّ مَن استغفر) وإن عاد في اليوم سبعين مرة» ورُوِيَ («لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار») ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ أي وهم يعلمون أنهم أساؤوا، أو وهم يعلمون أنه لا يغفر ذنبهم إلا الله.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الموصوفون ﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بتوبته ﴿وَجَنَّـٰتٌ﴾ برحمته ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف أي ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ ذلك يعني المغفرة والجنات، نزلت في تمَار قال لامرأة تريد التمر: في بيتي تمر أجود، فأدخلها بيته وضمّها إلى نفسه وقبّلها فندم. أو في أنصاري استخلفه ثقفي وقد آخى بينهما النبي ﷺ في غيبة غزوة فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبّلها فندم (فساح) في الأرض (صارخًا فاستعتبه الله تعالى).

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ يريد ما سنه الله تعالى في الأمم المكذبين من وقائعه ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ فتعتبروا

قوله: (ما أصرّ مَن استغفر) الحديث، أخرجه الترمذي وأبو داود وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار) أخرج ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس قال: كل ذنب أصرّ عليه العبد كبير، وليس بكبير ما تاب منه العبد.

قوله: (فساح) في مختار الصحاح: ساح في الأرض يسيح سَيْحًا وسُيُوحًا وسِيَاحَة وسَيَحانًا بفتح الياء، أي ذهب. **قوله:** (صارخًا) في المصباح: صَرَخ يَصْرُخ من باب قتل صُراخًا فهو صارخ وصريخ إذا صارخ وصرخ، فهو صارخ إذا استغاث. اهـ. **قوله:** (فاستعتبه الله تعالى) في القاموس: العُتبى بالضمّ الرضى، واستعتبه أعطاه العُتبى كأعتبه. اهـ.

بها ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن أو ما تقدَّم ذكره ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ أي إرشاد ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ ترغيب وترهيب ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشِّرك (﴿وَلَا تَهِنُوا﴾) ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة (﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾) على ما فاتكم من الغنيمة أو على مَن قتل منكم أو جرح، وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عمّا أصابهم يوم أُحُد وتقوية لقلوبهم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أُحُد، أو وأنتم الأعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة وإن جندنا لهم الغالبون، أو وأنتم الأعلون شأنًا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقِتالَهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر، أو لأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **متعلق بالنهي**) أي ولا تهنوا إن صحَّ إيمانكم يعني أن صحة الإيمان تُوجِب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه، أو بـ «الأعلون» أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشِّركم به من الغلبة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ بضم القاف حيث كان: (**كوفي غير حفص**). ويفتح

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **متعلّق بالنهي**) من جهة المعنى. وأمّا بحسب اللّفظ، فجزاءه ما يدلّ عليه النهي. اهـ. تفتازاني رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: **قوله:** (**متعلّق بالنهي**) يريد به أن جواب قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مَحْذُوف لدلالة قوله: (﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾) عليه، لا أن نفس هذا المذكور جواب له؛ لأن جواب الشرط لا يتقدّم عليه عند البصريّين، ويقولون: المذكور مقدّمًا دليل الجواب لا نفسه، والتقدير والمعنى؛ إن كنتم مؤمنين لا تَهِنُوا ولا تحزنوا بما أصابكم، فإنّ الله تعالى وعد نصرة هذا الدِّين، فإن كنتم مؤمنين عَلِمْتم أن هذه الواقعة لا بدّ من تداولها، وأنّ الدّولة والاستيلاء على العدوّ للمسلمين. وقيل: المعنى إن كنتم مؤمنين مصدّقين بما يعدكم الله ويبشّركم به من الغلبة على المشركين، فأنتم الأعلون عليهم.

قوله: (**كوفي غير حفص**) أي أبو بكر بن عياش وحمزة وعليّ الكسائي وخلف.

القاف: غيرهم. وهما لغتان كالضَّعف والضُّعف. وقيل: بالفتح الجراحة وبالضم ألمها ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي إن نالوا منكم يوم أُحُد فقد نِلتُم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم إلى القتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلْأَيَّامُ﴾ صفته والخبر ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ نصرفها ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي نصرف ما فيها من النِّعَم والنِّقَم نعطي لهؤلاء تارة **(وطورًا)** لهؤلاء **(كبيت الكتاب**:

فيومًا علينا ويومًا لنا ويومًا نساء ويومًا نُسَرّ)

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والإيمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ

قوله: (وَطَوْرًا) أي وتارة. في المصباح: الطَّور ـ بالفتح ـ التارة .اهـ. **قوله: (كبيت الكتاب)** أي كتاب سيبويه في النَّحو. في وفيات ابن خلكان: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله عَلَمًا عند النحويّين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيُعْلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، فلا يُشَكّ أنّه كتاب سيبويه.اهـ.

(فيومًا علينا ويومًا لنا ويومًا نُساءُ ويومًا نُسَرّ)

ذكر الزمخشري في شرح أبيات الكتاب أنه من شعر النِّمر بن تولب.اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي الإسعاف: يومًا في المواضع الأربعة منصوب على الظرف، والمعنى: أن الدّهر يومان: يومٌ يكون علينا نُساء فيه، ويوم يكون لنا نُسَرّ فيه على طريق اللّف والنشر المرتّب.اهـ. أي فيومًا يكون الأمر علينا، أي بالإضرار، ويومًا لنا، أي بالنفع، ويومًا نُساء من شيء فلان أُصيب بحزن ساءه أحزنه، ويومًا نُسَرّ من يسرّه جعله مسرورًا. وأيضًا في الإسعاف: والبيت المُستَشْهَد به من المتقارب من قصيدة للنّمر بن تولب العُكْلي.اهـ. وأيضًا فيه: والنمر كَكَتِف، ويقال بالفتح والكسر، كما في القاموس، وهو ابن تولب بن زهير بن قيس بن عبد كعب. والنمر شاعر جوّاد واسع العطاء كثير القرى وهّاب لما له جرى على المنطق مُخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وفد على النبيّ ﷺ وحَسُن إسلامه وكتب له النبيّ ﷺ كتابًا ونزل البصرة بعد ذلك، ورَوَى عنه ﷺ حديثًا، انتهى باختصار.

شُهَدَآءَۗ﴾ (وليكرم ناسًا منكم بالشهادة) يريد المستشهدين يوم أُحُد، أو ليتخذ منكم مَن يصلح للشهادة على الأُمم يوم القيامة من قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ اعتراض بين بعض التعليل وبعض، ومعناه والله لا يحبّ مَن ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ التمحيص: التطهير والتصفية ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ويُهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص، وإن كانت على الكافرين فلمَحْقهم ومحو آثارهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ («أم» منقطعة) ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي لا تحسبوا ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ أي ولمّا تجاهدون لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقة لأنه مُنْتَفٍ بانتفائه، تقول: ما علم الله في فلان خيرًا أي ما فيه خير حتى يعلمه. و«لما» بمعنى «لم» إلا أن فيه ضربًا من التوقع فدلَّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقّعه فيما يستقبل ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نصب بإضمار «أن» والواو بمعنى الجمع نحو («لا تأكل السمك وتشرب اللبن»)، أو جزم للعطف على «يعلم الله»، وإنما حُرِّكَت الميم لالتقاء الساكنين (واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها).

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ خوطب به الذين لم يشهدوا بدرًا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدًا مع رسول الله ﷺ لينالوا كرامة الشهادة، وهم

قوله: (وليكرم ناسًا منكم بالشهادة)... الخ، فشهداء جمع شهيد بمعنى قتيل في المعركة، وعلى ما بعده بمعنى شاهد.

قوله: («أم» منقطعة) مقدرة ببل وهمزة الاستفهام. قوله: (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) أي لا تجمع بينهما. قوله: (واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها) كقراءة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٦] بفتح الميم. اهـ جمل، وهي قراءة شاذّة قارئه النخعي وابن وثاب.

الذين ألحّوا على رسول الله ﷺ في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة، يعني وكنتم تمنّون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدّته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (أي رأيتموه مُعاينين) مُشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم و(شارفتم) أن تقتلوا، وهذا توبيخ لهم على تمنّيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله ﷺ بإلحاحهم عليه، ثم انهزامهم عنه. وإنما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى ما يتضمنه من غلبة الكفّار كمَن شرب الدواء من طبيب نصراني فإن قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة إلى عدو الله (وتنفيقًا) لصناعته. لما رمى (ابن قميئة) رسول الله ﷺ بحجر (فكسر رباعيته) أقبل يريد قتله فذبَّ عنه (مصعب بن عمير) ـ وهو صاحب الراية ـ (حتى قتله) ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ فقال: قتلت محمدًا وخرج صارخ ـ قيل هو الشيطان ـ ألا إن محمدًا قد قتل.

قوله: (أي رأيتموه مُعاينين) إشارة إلى أن رأيتم بمعنى أبصرتم، فيتعدّى إلى واحد، وأن جملة قوله: (﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾) حالية مؤكّدة جيء بها لدفع ما تحتمل الرؤية من المجاز، أو الاشتراك بين رؤية البصر ورؤية القلب، وقوله: (﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾)، يعني أسبابه من السيوف والأسنّة[١]. **قوله:** (شارفتم) في لسان العرب: شارَف الشيء دنا منه وقارب أن يظفر به.اهـ. **قوله:** (تنفيقًا) أي ترويجًا. **قوله:** (ابن قُمَيئة) أي عبد الله بن قميئة بقاف وميم وياء وهمزة وهاء بوزن سفينة، عَلَم من القماءة[٢]، وهي الصغر والحقارة. (فكسر رَباعيته) بتخفيف الياء هي من مقدّم الأسنان، وفيه تصريح بأنها لم تقلع من أصلها، بل كُسِر طرفها، وهو المصرّح به في السِّيَر.اهـ شهاب رحمه الله. وفي المرقاة: رباعيته ـ بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية ـ السنّ الذي بين الثنيّة والناب ـ (وكانت الرباعية المكسورة) هي السفلى من الجانب الأيمن.اهـ.

قوله: (مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصيّ بن كلاب بن مرّة القرشي العبدري، يُكْنى أبا عبد الله، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومِنَ السابقين إلى الإسلام، أسْلَم ورسول الله ﷺ في دار أرقم وكتم

---

(١) في المصباح: سِنان الرمح جمع أسِنة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) كسحابة ورحمة.اهـ تاج العروس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

إسلامه خوفًا من أُمّه وقومه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سرًّا فبَصُر به عثمان بن طلحة العبدريّ يصلّي، فأعلم أهله وأمّه فأخذوه وحبسوه، فلم يزل محبوسًا إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة، ثم عاد من الحبشة إلى مكّة ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأُولى ليُعلِّم الناس القرآن ويصلّي بهم. بعثه رسول الله ﷺ مع الاثني عشر أهل العقبة الثانية ليفقّه أهل المدينة ويقرئهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، وكان يُسمّى بالمدينة المقرىء، قالوا: وهو أوّل من جمع الجمعة بالمدينة، وأسلم على يديه سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَير، وكفى بذلك فضلًا وأثرًا في الإسلام. وشَهِد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وشَهِد أُحدًا ومعه لواء رسول الله ﷺ، وقُتِل بأُحد شهيدًا قَتَله ابن قُمَيئة اللّيثيّ، قيل كان عمره يوم قُتل أربعين سنة أو أكثر قليلًا، ويقال: فيه نزلت وفي أصحابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣] الآية، وكان قبل إسلامه أنعم فتًى بمكّة وأجوده حلّة وأكمله شبابًا وجمالًا وجوادًا، وكان أبواه يحبّانه حبًّا كثيرًا، وكانت أُمّه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب بمكّة، وكان أعطر أهل مكّة، ثم انتهى به الحال في الإسلام إلى أن كان عليه بردة مرقّعة بفروة. وثبت في الصحيحين عن خباب ﷺ، قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله تعالى، فمنّا مَنْ مات ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير، ولم نجد له ما نكفّنه به إلا بردة إذا غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطّينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطّي رأسه، وأن نجعل على رجليه الإذخر. ومنّا مَنْ أينعت له ثمرته، فهو يهديها. ومعنى أينعت نضجت. وقوله: يهديها ـ بفتح أوله وكسر الدال وضمّها ـ أي يجتنيها، وهو إشارة إلى ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد فاة رسول الله ﷺ. وكان مصعب زوج حَمْنة بنت جَحْش. عن وهب بن مطر عن عبيد بن عمير قال: وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وهو مُنْجَعِفٌ[1] على وجهه يوم أُحد شهيدًا، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: الآية

(١) أي مصروع كما في النهاية. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ففشا في الناس خبر قتله **(فانكفئوا)** وجعل رسول الله ﷺ يدعو: **(إليَّ عباد الله)** حتى **(انحازت)** إليه طائفة من أصحابه فلامَهم على هربهم فقالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأُمهاتنا أتانا خبر قتلك فولَّينا مُدبِرين فنزل:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ فسيخلو كما خلوا، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلودهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوده، لأنَّ المقصود من بعثة الرُّسُل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه ﴿(أَفَإِيْن مَّاتَ) أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾

٢٣]، إنّ رسول الله يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة»، ثمّ أقبل على الناس فقال: «**أيّها الناس ائتوهم فزوروهم وسلِّموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه السلام**»، ولم يعقّب مصعب إلا من ابنته زينب ﷺ.

قوله: (حتى قتله) أي قتل مصعبًا رضي الله تعالى عنه. **قوله: (فانكفؤوا)** انكفاء الناس استعارة، بمعنى رجعوا. **قوله: (إليّ عباد الله)** اسم فعل، أي ارجعوا، وعباد الله مفعوله. **قوله: (انحازت)** أي اجتمعت.

قوله: (﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾) كلمة ما فيه نافية، ولا عمل لها مطلقًا، أي على لغة الحجازيّين والتميميّين؛ لأن التميميّين لا يعملونها البتّة. والحجازيّون يُعْمِلونها بشروط، منها: أن لا ينقض النفي بإلا، فإنّه حينئذ يزول السبب الذي عملت لأجله، وهو شبهها بليس في نفي الحال، فيكون مبتدأ ورسول خبره، ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد؛ لأن الحمد لا يستوجبه إلا الكامل والتحمّد فوق الحمد، فلا يستحقّه إلا المستولي على الأكملية أكرم الله تعالى نبيّه بوصفين مشتقّين من اسمه جلّ جلاله محمّد وأحمد، وفيه قال حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

ألم تر أنّ الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجدُ
وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ

(الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب) والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرُّسُل قبله سببًا لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرُّسُل قبله وبقاء دينهم متمسكًا به يجب أن يجعل سببًا للتمسك بدين محمد ﷺ لا للانقلاب عنه، والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الانهزام ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ (وإنما ضرَّ نفسه) ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا، وسمّاهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ﴾ وما جاز ﴿لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه، والمعنى أن موت الأنفس مُحال أن يكون إلا بمشيئة الله، وفيه تحريض على الجهاد، وتشجيع على لقاء العدو، وإعلام بأن الحذر لا ينفع، وأن أحدًا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن (خاض) المهالك واقتحم (المعارك) ﴿كِتَٰبًا﴾ مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابًا ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ مؤقتًا له أجل معلوم لا يتقدَّم ولا يتأخر ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بقتاله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي الغنيمة وهو تحريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أُحد ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي إعلاء كلمة الله والدرجة في الآخر ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وسنجزي الجزاء المُبهَم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

قوله: (الفاء معلّقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب)، أي الفاء في قوله تعالى: (﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾) للسببية، فإنها تُفيد تعليق الجملة الشرطية، أعني مضمون الجزاء مع اعتبار تقييد الشرط بالجملة السابقة وترتّبها عليها. **قوله:** (وإنما ضرّ نفسه) الحصر مُستفاد من تقييد الفعل بالمفعول ورجوع النفي إلى القيد لا إلى أصل الفعل، فيكون المعنى: أنه بارتداده قد صدر عنه ضرر، ولكن ذلك الضّرر ليس بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ لتعاليه عن الضّرر، ومعلوم أنه ليس بالنسبة إلى غير نفسه، فتعيّن أنه ليس إلّا بالنسبة إلى نفسه.

قوله: (خاض) أي اقتحم، أي دخل. **قوله:** (المعارك) مواضع الحرب.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾ أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصارا (في معنى «كم») التي للتكثير. (وكائن) بوزن كارع حيث كان: (مكي) ﴿مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ﴾ («قتل» مكي وبصري ونافع). ﴿مَعَهُۥ﴾ حال من الضمير في «قتل» أي قتل كائنًا معه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ والرِّبّيون الرَّبَّانيون. وعن (الحسن) بضم الراء وعن البعض بفتحها، فالفتح على القياس لأنه منسوب إلى الرّبّ، والضم والكسر من تغييرات النسب ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ فما فتروا عند قتل نبيّهم ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ عن الجهاد بعده ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ وما خضعوا لعدوّهم، وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ واستكانتهم لهم حيث أرادوا (أن يعتضدوا بابن أبي) في طلب الأمان من (أبي سفيان) ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على جهاد الكافرين.

قوله: (في معنى «كم») أي الخبرية. **قوله:** (وكائن) بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة بعدها نون ساكنة بوزن كارع حيث كان، أي حيث وقع وهو في سبعة. (مكيّ) أي ابن كثير المكّي، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة وياء مكسورة مشدّدة. **قوله:** (قُتِل) بضم القاف وكسر التاء بلا ألف مبنيًا للمفعول. (مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وبصريّ) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (ونافع) المدني. والباقون: قاتل بفتح. **قوله:** (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أن يعتضدوا بابن أبيّ) في مختار الصحاح: اعتضد به، أي استعان به. اهـ. وابن أُبيّ هو عبد الله بن أُبيّ بن سَلول المنافق. **قوله:** (أبي سفيان) صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القريشي الأُمويّ المكّي. أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكّة إذ ذاك، ورئيس قريس، ولَقِيَ رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخوله مكّة لفتحها، فأسلم هناك وشهد حنينًا وأعطاه النبيّ ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية، وشهد الطّائف وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. روى له البخاري ومسلم حديث هرقل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجّار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلّفة ثم حَسُن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب إلى أنفسهم مع كونهم ربّانيين **(هضمًا)** لها ﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ تجاوزنا حدّ العبودية ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ في القتال ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالغلبة. وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على الأعداء، لأنه أقرب إلى الإجابة لما فيه من الخضوع **(والاستكانة)** ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي النصرة والظفر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المغفرة والجنة. وخصّ بالحُسْن دلالة على فضله وتقدّمه **(وأنه هو المُعتدّ به عنده)** ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي هم مُحسِنون والله يحبّهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ يُرجِعوكم إلى الشّرك ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ قيل: هو عامٌّ في جميع الكفّار وعلى المؤمنين أن يُجانِبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم.

ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (هضمًا) أي كسرًا. **قوله: (الاستكانة)** في المصباح: استكن إذا خضع وذلّ، وتزاد الألف فيقال: استكان. قال ابن القطاع: وهو كثير في كلام العرب. اهـ. **قوله: (وأنه هو المعتدّ به عنده)** حتى كأنّ ما عداه ليس بحسن عنده. اهـ شهاب رحمه الله. وقال القفّال: يحتمل أن يكون الحسن بمعنى الحُسن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣]، أي قولًا حسنًا، والغرض في أمثاله المبالغة؛ لأن الأشياء الحسنة لكونها عظيمة في أمر الحسن صارت كأنها نفس الحسن، كما يقال: فلان عدل وكرم إذا كان في غاية العدل ونهاية الكرم، فلذا خصَّه الله تعالى بأنه حسن من جنس الثواب، ولم يَصِف ثواب الدنيا بذلك لكثرة تعلّقها وامتزاجها بالمشاقّ والآلام وكونها منقطعة زائلة.

وعن (السّدّيّ): إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردّوكم إلى دينهم. وقال عليّ ﷺ: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ («الرعب» شامي وعلي وهما لغتان) قيل: قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أُحُد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغَلَبَة ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ (بسبب إشراكهم) أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ (آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة)، ولم يرد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشِّرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة، وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعًا كقوله:

(ولا ترى الضب بها ينجحر)

قوله: (السّدِّيّ) الكبير الكوفي المفسِّر الأعور، أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة التابعي. رَوَى عن أنس بن مالك وابن عباس. روى له الجماعة إلاّ البخاري، والصغير الكوفي المفسّر صاحب الكلبي، وهو متروك الحديث محمد بن مروان.

قوله: (الرّعب) حيث جاء معرّفًا ومنكرًا بضمّ العين. (شاميّ) أي ابن عامر الشامي، (وعليّ) الكسائي، وكذا أبو جعفر المدني ويعقوب البصري، وليسا من السبعة، والباقون بإسكانها، (وهما لغتان) فصيحتان.

قوله: (بسبب إشراكهم) فالباء للسببية وما مصدرية. **قوله:** (آلهة لم يُنزل الله بإشراكها حجّة) آلهة تفسير لما، وحجّة تفسير للسلطان. **قوله:** (كقوله) أي أوس بن حجر التميمي. **قوله:**

(ولا ترى الضب بها يَنْجَحِر)

أي ليس بها ضب فينجحر، ولم يعن أن بها ضبًا ولا ينجحر ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾ مرجعهم ﴿النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ النار فالمخصوص بالذمّ محذوف.

ولما رجع رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى المدينة قال ناس من أصحابه، من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فنزل:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم

أي يدخل جحر الضبّ، دُوَيْبة لا تشرب الماء، والانجحار ـ بتقديم الجيم على الحاء المهملة ـ الدخول في الجحر ـ بالضمّ ـ وهو ما حضرته الهوام والسباع لأنفسها. وأوّله:

لا يُفْزِعُ الأرنب أهْوَالها يفزع من أفزع إذا خاف[1]

وفي الصحاح: الإفْزاع الإخافة والإغاثة أيضًا من الأضداد، يقال: فزعت إليه فأفزعني، أي لجأت إليه فأغاثني. والأرنب منصوب على أنه مفعول، وأهوالها الفاعل. ويجوز أن يكون يفزع من فزع إذا خاف، فالأرنب مرفوع على أنه فاعل مفعوله الأهوال، ويُروى على صيغة المجهول استشهد به على أنّ المراد نفي السلطان، يعني الحجة والنزول جميعًا لا نفي التنزيل فقط، بأن يكون ثمة سلطان لكنه لم ينزل، كما أن المنفيّ في البيت الضبّ والانجحار جميعًا لا الانجحار فقط، المراد وصف هذه المفازة بكثرة الأهوال، بحيث لا يمكن أن يسكنها حيوان، وهذا من قبيل نفي الشيء بإيجابه، والمعنى: أن هذه المفازة ليس فيها حيوان حتى تفزع أهوالها أرانبها وتفزع أرانبها أهوالها، وترى الضبّ فيها ينجحر. والبيت من السرائع. اهـ إسعاف بالتقاط.

---

(١) وهو شاهد لما فيه انتفاء المقيد لانتفاء قيده اللازم وهذا كقولهم: السالبة لا تقتضي وجود الموضوع، فحاصله أنه سلب لا تقتضي وجود الموضوع، وهو في وصف مفازة وأوله لا يفزغ الأرنب أهوالها، أي لا ضب بها حتى ينحجر ولا حجة حتى ينزلها، فالمراد نفيهما جميعًا. اهـ شهاب رحمه الله تعالى.

مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أي حقق ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم قتلًا **(ذريعًا)**. وعن **(ابن عيسى)**: حسّه أبطل حسّه بالقتل ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره وعلمه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ **(جبنتم)** ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي اختلفتم ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمر نبيّكم بترككم **(المركز)** واشتغالكم بالغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ من الظَّفْر وقهر الكفَّار. ومتعلق «إذا» محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره، وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ جعل أُحُدًا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام **(الرُّماة)** عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا ـ كانت الدولة للمسلمين أو عليهم ـ فلما أقبل المشركون جعل الرُّماة **(يرشقون)** خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا، والمسلمون على آثارهم يقتلونهم. حتى إذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم: قد انهزم المشركون فما موقفنا هٰهنا، فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم، وقال بعضهم: لا تخالفوا أمر رسول الله ﷺ. فمَن ثبت مكانه **(عبد الله بن جبير)**

قوله: (ذريعًا) أي سريعًا. **قوله:** (ابن عيسى) هو أبو الحسن عليّ بن عيسى النحويّ رحمه الله. **قوله:** (جبنتم) من باب ظَرُف، وفي لغة: من باب قتل. **قوله:** (المركز) وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ مصباح. وهو مكانهم الذي أمرهم النبيّ ﷺ بلزومه. **قوله:** (الرُّماة) جمع رام. **قوله:** (يرشقون) الرشق: الرَّمي من باب نصر. **قوله:** (عبد الله بن جبير) بن النعمان بن أُمية بن امرىء القيس، وهو البركُ بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم من بني ثعلبة بن عمرو. شهد العقبة وبدرًا وقُتل يوم أُحد، وهو أخو خوّاتِ بن جبير صاحب ذات النحيين، وكان رسول الله ﷺ جعل عبد الله على الرُّماة يوم أُحد، وكانوا خمسين رجلًا، وقال لهم: «**لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتم الطير تخطفنا**»؛ فلمّا انهزم المشركون نزل من عنده من الرّماة ليأخذوا الغنيمة، فقال لهم عبد الله بن جبير: كيف تصنعون بقول رسول الله ﷺ؟ فمضوا وتركوه، فأتاه المشركون فقتلوه، ولم يعقّب. أخرجه الثلاثة يعني ب د ع. اهـ أُسد الغابة. وقوله: ذات النحيين،

أمير الرُّماة في نفر دون العشرة وهم المَعنيّون بقوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ فكَرَّ المشركون على الرُّماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا مَن قتلوا وهو قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي كفَّ معونته عنكم فغلبوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليَمتَحِن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليُعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ حيث (**ندمتم**) على ما فرط منكم من عصيان رسول الله ﷺ ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو عنهم وقبول توبتهم، أو هو متفضّل عليهم في جميع الأحوال سواء (**أُديل**) لهم أو أديل عليهم، لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة. (**وانتصب**).

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

(﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾) تبالغون في الذهاب في (**صعيد الأرض**)، والإصعاد في صعيد الأرض أو الإبعاد فيه (**بصرفكم، أو بقوله**: «**ليبتليكم**») أو بإضمار «اذكروا» ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ ولا تلتفّون وهو عبارة عن غاية انهزامهم

النِّحي ـ بالكسر والفتح ـ الزِّقّ الذي فيه السمن، ومنه قصة ذات النِّحْيَيْن المثل المشهور: أشْغَلُ من ذات النِّحْيَيْن، وهي امرأةٌ من تَيْم الله بن ثعلبة، وكانت تبيع السمن في الجاهلية، فأتى خَوّات بن جُبير الأنصاري يبتاع منها سمنًا فساومها فحلت نحيًا مملوءًا، فقال: أمسِكيهِ حتى أنظر غيره، ثمّ حلّ آخر، وقال لها: أمسكيه، فلمّا شغل يديها ساورها، أي غالبها حتى قضى ما أراد وهرب، ثم أسلم خوّات وشهد بدرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**كيف شرادك؟**» وتبسّم رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قد رزق الله خيرًا وأعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، أي من النقصان بعد الزيادة. **قوله**: (نَدِمْتم) من باب طرب وسَلِم. **قوله**: (أُديل) بمعنى جعل الدولة. **قوله**: (وانتصب).

(﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾) الخ (**بصرفكم أو بقوله**: **ليبتليكم**) وما بينهما اعتراض. **قوله**: (**صعيد الأرض**) في المصباح: الصعيد في كلام العرب يُطلق على وجوه:

وخوف عدوهم ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ﴾ يقول: («**إليّ عباد الله**) أنا رسول الله (**مَن يكرّ**) فله الجنة» والجملة في موضع الحال ﴿فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ (**في ساقتكم وجماعتكم الأخرى**) وهي المتأخرة. يقال جئت في آخر الناس وآخرهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾ عطف على «صرفكم» أي فجازاكم الله ﴿غَمَّۢا﴾ حين صرفكم عنهم وابتلاكم ﴿بِغَمّٖ﴾ (**بسبب غم**) أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم أمره أو غمًّا مضاعفًا، غمًّا بعد غمّ وغمًّا متّصلًا بغمّ، من الاغتمام (**بما أرجف به**) من قتل رسول الله عليه السلام (**والجرح**) والقتل (**وظفر المشركين**) وفَوْت الغنيمة والنصر ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ (**لتتمرنوا**) على تجرّع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ ولا على مصيب من المضارّ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ عالِم بعملكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية.

على التراب الذي على وجه الأرض، وعلى وجه الأرض، وعلى الطّريق. **قوله:** (**إليّ عباد الله**) أي أقبلوا إليّ يا عباد الله، إنما قال هذا ترغيبًا للإقبال؛ إذ من شأن عباد الله أن ينصروا رسوله، لا سيّما في وقت الابتلاء والامتحان مع ملازمة التّكلان، كما أن التعبير بالرسول للإشعار بأن دعوته بالوحي، وأنّ الإجابة لازمة، وفيه توبيخٌ عظيم لمن تفرّق من المؤمنين. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله:** (**من يَكُرّ**) أي من يرجع. في مختار الصّحاح: الكرّ الرجوع، وبابه ردّ. اهـ.

قوله: (**في ساقَتِكم وجماعتكم الأخرى**) المراد الساقة من العسكر أو جماعة أخرى مطلقًا. **قوله:** (**بسبب غمّ**) فالباء متعلقة بأثابكم، وعلى الثاني الظرف مستقرّ. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**بما أرجف به**)... الخ. الإرجاف هو الإخبار بما يورث الاضطراب من الأخبار الكاذبة، ويقال: للأكاذيب أراجيف، وحقيقته الاضطراب فقط. **قوله:** (**والجرح**) عطف على ما أُرجف به. **قوله:** (**وظفر المشركين**) يعني غلبتهم، وإلّا فالظفر كان للمسلمين. **قوله:** (**لتتمرّنوا**) أي تعتادوا. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: التمرّن مزاولة الأمر واعتياده. اهـ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ ثم أنزل الله الأمْنَ على المؤمنين وأزالَ عنهم الخوف الذي كان بهم حتى **(نعسوا)** وغلبهم النوم. **(عن أبي طلحة: غشينا النعاس)** ونحن **(في مَصافنا)** فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه.

قوله: (نَعسوا) من باب قتل. اهـ مصباح. **قوله: (عن أبي طلحة: غشينا النعاس)**... الخ. حديثٌ صحيح رواه البخاري، وأبو طلحة اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حزام ـ بالزاي ـ ابن عمرو بن زيد الأنصاري النجّاري مشهور بكنيته، من كبار الصحابة ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وتسعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بآخر. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس وأنس وآخرون وجماعات من التابعين. عقبيّ بدريّ نقيب، وهو زوج أُمّ سليم بنت ملحان أُمّ أنس بن مالك، وهو الذي حفر قبر رسول الله ﷺ ولحده، وكان يسرد الصوم بعد رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، وقال النبيّ ﷺ: «**صوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من فئة**»، وكان يرمي بين يديّ رسول الله ﷺ يوم أُحد ورسول الله ﷺ خلفه، فكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه لينظر أين يقع سهمه، فكان أبو طلحة يرفع صدره ويقول: هكذا يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، ونفسي دون نفسك؛ وقال له النبيّ ﷺ في مرضه الذي توفي فيه: «**أقرىء قومك السلام، فإنهم أعفة صبر**». عن أبي طلحة أن النبيّ ﷺ ضحّى بكبشين أملحين، وقال عند الذبح الأول: «**عن محمّد وآل محمّد**»، وقال عند الذبح الآخر: «**عن مَنْ آمن بي وصدّقني من أُمّتي**». وعنه رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فرأيت من بِشْره وطلاقته ما لم أرَهُ على مثل تلك الحال، قلت: يا رسول الله، ما رأيتك على مثل هذه الحال أبدًا؟ وقال: «**ما**

والأمنة الأمن، و«نعاسًا» (بدل) من «أمنة» أو هو مفعول و«أمنة» حال منه مقدمة عليه نحو: «رأيت راكبًا رجلًا» والأصل أنزل عليكم نعاسًا ذا أمنة إذ النعاس ليس هو الأمن، ويجوز أن يكون «أمنة» مفعولًا له أو حالًا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة ﴿يَغْشَىٰ﴾ يعني النعاس. («تغشى» بالتاء والإمالة: حمزة وعلي أي الأمنة) ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ هم أهل الصدق واليقين (﴿وَطَآئِفَةٌ﴾) هم المنافقون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ما يهمّهم إلا همّ أنفسهم وخَلاصها لا هَمَّ الدين ولا هَمَّ رسول الله ﷺ والمسلمين رضوان الله عليهم

يمنعني يا أبا طلحة وقد خرج جبريل من عندي آنفًا وآتاني ببشارة من ربّي عزّ وجلّ أنّ الله بعثني إليك مبشّرًا أنه ليس أحد من أُمتك يصلّي عليك صلاة إلّا صلّى الله عزّ وجلّ وملائكته عليه عشرًا». وعن أنس أنّ أبا طلحة قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١]، قال: أرى ربّي يستنفرني شابًّا وشيخًا، جهِّزوني؛ فقال له بَنُوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبِض، ومع أبي بكر ومع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهِّزوني، فجهَّزوه، فركب البحر فمات، فلم يجدوا جزيرَة يدفنونه فيها إلّا بعد سبعة أيام، فلم يتغيّر. وعن أنس أنه كان لا يكاد يصوم في عهد النبيّ ﷺ من أجل الغزو، فلمّا توفي رسول الله ﷺ صام أربعين سنة لم يفطر إلا أيّام العيد. قال المدائني: مات أبو طلحة سنة إحدى وخمسين.

قوله: (في مصافنا) أي في صفّ القتال. **قوله:** (بدل) أي بدل الكلّ. **قوله:** (**تغشى بالتاء**) المثناة من فوق (**والإمالة حمزة وعلي**) الكسائي، (**أي الأمنة**) أي إسنادًا إلى أمَنَة. والباقون بالتذكير إسنادًا إلى ضمير النعاس.

تنبيـــه:

الإمالة أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرًا، وهي المحضة، ويقال لها: الكبرى، والاضجاع والبطح، وهي المرادة عند الإطلاق وقليلًا وهو بين اللّفظين، ويقال له: التقليل، وبين بين والصغرى ويجتنب في الإمالة المحضة القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه. **قوله:** (﴿وَطَآئِفَةٌ﴾) مبتدأ حُذِف خبره، أي ومنكم طائفة، وجاز الابتداء بالنّكرة لتقدم الحكم ولتخصّصها

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ في حكم المصدر أي يظنّون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمدًا ﷺ ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ بدل منه (**والمراد الظن المختص**) بالمِلَّة الجاهلية، أو ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشِّرك الجاهلون بالله ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قطّ يعنون النصر والغلبة على العدو ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ﴾ أي النصر والغَلَبة ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ (**ولأوليائه**) المؤمنين ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصَّافَّات: الآية ١٧٣] «كله» تأكيد للأمر و«لله» خبر «إن» («**كله**» **بصري**) وهو مبتدأ و«لله» خبره والجملة خبر «إن» ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ خوفًا من السيف ﴿يَقُولُونَ﴾ في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي لو كان الأمر كما قال محمد: «إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون» لما غلبنا قطُّ، ولما قتل من

بالوصف، والجملة في محل النصب على أنها حال من مفعول يغشى، والجملتان بعد طائفة صفتان لها، أو يكون يظنون حالًا من مفعول أهمّتهم، أو صفة أخرى لطائفة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (والمراد الظنّ المختصّ)... الخ إضافته إمّا من إضافة الموصوف إلى مصدر صفته، ومعناها الاختصاص بالجاهلية؛ كرجل صدق، وحاتم الجود، فهي على معنى اللام، أي المختصّ بالصدق والجود، فالياء مصدرية والتاء للتأنيث اللازم له، أو من إضافة المصدر لفاعله على حذف المضاف، أي ظنّ أهل الجاهلية، أي الشرك والجهل بالله، وهي اختصاصية حقيقيّة أيضًا. اهـ شهاب رحمه الله. يعني: أن إضافة الظنّ إلى الجاهلية مع أنه صفة الجاهل إضافة الموصوف إلى مصدر صفة دلالة على اختصاص المضاف بمصدره، أي منشأ ذلك الظنّ من الجاهل جهله، فالجاهلية إمّا صفة الملة للمبالغة، أو بتقدير المضاف، أي ظنّ أهل الجاهلية فيفوت المبالغة، ولهذا قدّم الملّة الجاهلية على أهلها. اهـ قنوي رحمه الله.
قوله: (ولأوليائه) المؤمنين إشارة إلى أن كون الغَلَبة لله كناية عن غلبة أوليائه وحزبه لكونهم من الله بمكان فعلهم فعله. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (كله)** بالرفع **(بصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بالنصب.

المسلمين مَن قتل في هذه (**المعركة**). «قد أهمَّتهم» صفة لـ «طائفة» و«يظنون» خبر لـ «طائفة» أو صفة أخرى، أو حال أي قد أهمَّتهم أنفسهم ظانِّين. و«يقولون» بدل من «يظنون» و«يخفون» حال من «يقولون» و«قل إن الأمر كله لله» اعتراض بين الحال وذي الحال و«يقولون» بدل من «يخفون» أو استئناف ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ أي من علم الله منه أنه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن به من وجوده، فلو قعدتم في بيوتكم ﴿لَبَرَزَ﴾ من بينكم ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ (**مصارعهم**) بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون، والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل مَن يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم، وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله، وأن ما (**ينكبون**) به في بعض الأوقات (**تمحيص**) لهم ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحّص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك. أو فعل ذلك لمصالح (**جَمَّة**) وللابتلاء والتمحيص ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بخفياتها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾ انهزموا ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ جمع محمد عليه السلام وجمع (**أبي سفيان**) للقتال بأُحُد ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ دعاهم إلى (**الزلّة**)

قوله: (المَعْرَكة) موضع الحرب. **قوله:** (**ينكبون**) في لسان العرب: النَّكْبة المصيبة. اهـ. وأيضًا فيه: ينكُبه نَكْبًا ونَكَبًا بلغ منه وأصابه بنكبة، ويقال: نكبته حوادث الدهر فأصابته نكبة. اهـ. **قوله:** (**مصارعهم**) أي الأماكن التي ماتوا فيها عند أُحد. **قوله:** (**تمحيص**) في مختار الصِّحاح: التمحيص الابتلاء والاختبار. اهـ. **قوله:** (**جمّة**) كثيرة.

قوله: (**أبي سفيان**) صخر بن حرب، أسلم زمن الفتح رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**الزلّة**) في المصباح: زَلّ عن مكانه زَلًّا من باب ضرب تنحّى عنه، وزلّ زَلَلًا من باب تعب، لغة. والاسم الزِّلة ـ بالكسر ـ والزَّلة ـ بالفتح ـ المرّة، والمزلّة المكان الدحضُ وهو بفتح الميم. وأما الزاي، فالكسر أفصح من الفتح. يقال:

وحملهم عليها ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالثَّبات فيه فالإضافة إلى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب. وكان أصحاب محمد عليه السلام تولّوا عنه يوم أُحد إلا ثلاثة عشر رجلًا منهم (**أبو بكر الصديق وعلي وطلحة وابن عوف وسعد بن أبي وقاص**) والباقون من الأنصار ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾ تجاوز عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجِل بالعقوبة.

أرض مَزَلة تزلّ فيها الأقدام، وزلّ في منطقه أو فعله يزلّ من باب ضرب زَلّة أخطأ. اهـ. **قوله:** (**أبو بكر الصديق**) الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر مَنْ يُحصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ، ورُوِيَ للصدِّيق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث. وسبب قلّة رواياته مع تقدُّم صحبته وملازمته النبيّ ﷺ أنه تقدَّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبيّ ﷺ يُكْرمه ويجلّه ويعرّف أصحابه مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصّلاة، ومناقبه غير مُنحصرة أجمعت الأُمّة على صحة خلافته وقدَّمته الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بيعته مشهورٌ في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله تعالى عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس وأنا حاضرٌ غيرُ غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يُقدِّمني لقدمني، فرضينا لدنيانا مَنْ رَضِيَه الله ورسوله لديننا. مات[1] في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، والصحيح أنه توفي وله ثلاث وستّون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه توفي آخر يوم الاثنين.

قوله: (**وعليّ**) بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قد تقدَّم مناقبه رضي الله تعالى عنه في تفسير هذه السورة.

قوله: (**وطلحة**) بن عبيد الله الصحابي أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين

---

(١) وفي رواية مات أبو بكر: لليلة خلت من ربيع الأول، وفي رواية: توفي أبو بكر لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أسلموا على يد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وسمّاه رسول الله ﷺ طلحة الخير وطلحة الجود، وهو من المهاجرين الأوّلين، ولم يشهد بدرًا، ولكن ضَرَب له رسول الله ﷺ سهمه وأجره كمن حضر وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذا ذَكَر أُحدًا، قال: ذلك يوم كان كلّه لطلحة. رُوِيَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثًا، واتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة. قُتِل رضي الله تعالى عنه يوم الجمل لعشرٍ خلَوْن من جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثلاثين، وهذا لا خلاف فيه، وكان عمره أربعًا وستّين سنة، وقيل: ثمانيًا وخمسين، وقيل: اثنين وستين، وقبره بالبصرة مشهور يُزار ويتبرّك به. رَوَى عنه بنوه موسى وعيسى ويحيىٰ وعامر بن سعد وخلائق غيرهم من التّابعين.

قوله: (وابن عوف) هو أبو محمد عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة القرشي الزهري المدني، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وأُمّه الشفا بنت عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة. وُلِد بعد الفيل بعشر سنين، أسلم عبد الرحمٰن قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهو أحد الثمانية السابقة إلى الإسلامْ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر رضي الله تعالى عنه، وأحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستّة الذين هم أصل الشورى الذين أوصى إليهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالخلافة، وقال: إنّ رسول الله ﷺ توفّي وهو عنهم راضٍ، وكان من المهاجرين الأوّلين، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشَهِد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يوم إحدى وثلاثين عبدًا. رُوي له عن رسول الله ﷺ خمسة وستّون حديثًا اتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بخمسة. روى عنه ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وجبير بن مطعم وغيرهم من الصحابة وخلائق من التابعين، منهم بنوه إبراهيم وحُمَيد ومصعب بنو

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (**كابن أبيّ**) وأصحابه ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي في حق إخوانهم في النَّسَب أو في النِّفاق ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سافروا فيها للتجارة أو غيرها ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ جمع غازٍ (**كعافٍ وعفًّى**) وأصابهم موت أو قتل ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ اللام يتعلق بـ «لا تكونوا» أي لا تكونوا كهؤلاء في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة و(**يصون**) منها قلوبكم، أو بـ «قالوا» أي قالوا

عبد الرحمٰن. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين، وقيل: خمس وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، ودُفِن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وسعد بن أبي وقاص) أحد العشرة، هو أبو إسحٰق سعد بن مالك بن وهب القريشي الزهري المكّي المدني أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وتوفي وهو عنهم راضٍ، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أمر الخلافة إليهم، وأسلم قديمًا بعد أربعة، وقيل: بعد ستّة، وهو ابن سبع عشرة سنة، وهو أوّل مَنْ رمى بسهم في سبيل الله، وأوّل من أراق دمًا في سبيل الله، وهو من المهاجرين الأولين هاجر إلى المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إليها، شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وسائر المشاهد كلّها، وكان يقال له: فارس الإسلام. توفي سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ستّ، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان وخمسين، توفي بقصره بالعقيق على عشرة أميال، وقيل: سبعة من المدينة. وحُمِل على أعناق الرجال إلى المدينة، وصُلِّي عليه في المدينة ودُفِن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (كابن أُبي) أي عبد الله بن أُبي رئيس المنافقين. **قوله: (كعافٍ وعفًّى)** من عفا الأثر إذا انْدَرَس. **قوله: (يصون)** أي يحفظ.

ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة في قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾ ردٌّ لقولهم: «إن القتال يقطع الآجال» أي الأمر بيده قد يُحيي المُسافِر والمُقاتل. ويُميت المُقيم والقاعِد ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيُجازيكم على أعمالكم. («يعملون» **مكي وحمزة وعلي**) أي الذين كفروا.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾

﴿(وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ) فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ﴾ («متم» **وبابه الكسر: نافع وكوفي غير عاصم، تابعهم حفص إلا في هذه السورة**) كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم. غيرهم: بضم الميم في جميع القرآن، فالضم من مات يموت، والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول متّ ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ «ما» بمعنى «الذي» والعائد محذوف (**وبالياء: حفص**).

(﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ) أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾ لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون. ولوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنيٌّ عن البرهان. (﴿لَمَغۡفِرَةٞ﴾) جواب القسم (**وهو سادٌ مَسدَ جواب الشرط**)، وكذلك «لإلى الله تحشرون» كذب الكافرين

قوله: (**«يعملون»**) بالغيب (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وحمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بالخطاب.

قوله: (مُتم **وبابه بالكسر نافع وكوفي غير عاصم**) أي حمزة والكسائي وخلف. (**تابعهم حفص إلّا في هذه السورة**)، فإنه ضمّ الميم هنا في الموضعين فقط، كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم... الخ. عبارة تفسير النيسابوري: متّم ومتنا بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعليّ وحمزة وخلف وافق حفص إلّا هٰهنا لجوار قتلتم. الباقون بضم الميم من مات يموت. اهـ. **قوله:** (**وبالياء**) التحتية (**حفص**) التفاتًا وراجعًا للكفار. والباقون بالخطاب جريًا عل قتلتم.

قوله: (﴿لَمَغۡفِرَةٞ﴾) جواب القسم إشارة إلى أن اللام في: (﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ﴾) هي الموطئة للقسم. وكذا في (﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ﴾). **قوله:** (**وهو سادّ مسدَّ جواب الشرط**)،

أولًا في زعمهم أن مَن سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات، ونهى المسلمين **(عن ذلك)** لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم: ولئن تمَّ عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا، فإن الدنيا زاد المعاد فإذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى الزَّاد.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾ **(«ما» مزيدة)** للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله. ومعنى الرحمة **(ربطه على جأشه)** وتوفيقه للرِّفق والتلطّف بهم ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ جافيًا ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ قاسيه ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ لتفرّقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ **ما** كان منهم يوم أُحُد مما يختصّ بك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختصّ بحق الله إتمامًا للشفقة عليهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ﴾ أي في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييبًا لنفوسهم وترويحًا لقلوبهم ورفْعًا لأقدارهم، ولتقتدي بك أُمتك فيها. **(في الحديث)**

أي حذف جواب الشرط لسدّ جواب القسم مسدّه لكونه دالاً عليه. **قوله: (عن ذلك)** الزَّعم.

قوله: («ما» مزيدة) كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النّساء: الآية ١٥٥] و﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٤٠]، و﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ [صٓ: الآية ١١]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ [نوح: الآية ٢٥]، فإن العرب قد تزيد في الكلام ما يُستغنى عنه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يُوسُف: الآية ٩٦] فزاد أن للتأكيد. **قوله: (ربطه على جأشه)** أي ربط الله تعالى على قلب النبيّ ﷺ، وهو عبارة عن جعله إيّاه بحيث يحتمل المكروه ولا يتضرّر، يقال: فلان رابط الجأش ـ بالهمزة ـ أي شديد القلب، كأنه يربط نفسه عن الفرار بشجاعته، وإنما جعل الرّفق ولين الجانب مسبّبًا عن ربط الجأش؛ لأن مَنْ مَلَكَ نفسه عند الغضب كان كامن الشجاعة حيث يكسر سورة الغضب المُوجب لغلظة القلب، فلا جرم يحصل الرّفق واللّين. **قوله: (في الحديث)**. . . الخ. أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن الحسن.

«ما تشاور قوم قطّ إلا هُدُوا لأرشد أمرهم» (وعن أبي هريرة) ﷺ : (ما رأيت) أحدًا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله ﷺ. ومعنى شاورت فلانًا أظهرت ما عندي وما عنده من الرأي. وشرت الدابة استخرجتُ جريها، وشرت العسل أخذته من مآخذه، (وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة) ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإذا قطعت الرأي على شيء (بعد الشورى) ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الأمور إليه. وقال (ذو النون): خلع الأرباب وقطع الأسباب.

قوله: (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه: (ما رأيت) . . . الخ، أخرجه ابن حاتم. **وقوله:** (أبي هريرة) اختُلف في اسمه اختلافًا كثيرًا جدًّا، قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البرّ: لم يخُتلف في اسم أحد في الجاهلية ولا في الإسلام كالاختلاف فيه، وذكر ابن عبد البرّ أيضًا: أنه اختلف فيه على عشرين قولًا، وذكر غيره نحو ثلاثين قولًا، واختلف العلماء في الأصحّ منها، والأصح عند المحقّقين والأكثرين ما صححه البخاري وغيره من المُتْقنين أنه عبد الرحمٰن بن صخر، روى البيهقي وغيره عن الشافعي رحمه الله قال: أبو هريرة أحفظ مَنْ روى الحديث في دهره، وأسلمت أُمّه رضي الله تعالى عنه وعنها وقصّة إسلامها مذكورة في صحيح مسلم، وروينا في صحيح مسلم عن أبي هريرة قصّة إسلام أُمّه، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحبّبني أنا وأُمّي إلى عباده المؤمنين ويحبّبهم إلينا، فقال النبيّ ﷺ: **«اللّهمّ حبّب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبّب إليهما المؤمنين»**، فما خلق الله مؤمنًا يسمع بي ولا يراني إلّا أحبّني. قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: وقد ذكر الإمام أبو بكر البرقاني ومسعود الدمشقي في كتابَيْهما وأوّله عندهما: عن أبي كثير، قال: حدثنا أبو هريرة قال: والله ما خلق الله مؤمنًا يسمع بي ولا يراني إلّا أحبني، قلت: وما عِلْمك بذلك يا با هريرة؟ فذكر الحديث.

قوله: (وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجّة) وإشعار بمنزلة الصحابة، وأنهم كلّهم أهل اجتهاد. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (بعد الشورى) مأخوذ من الفاء. **قوله:** (ذو النون) المصري العارف بالله أحد مشائخ الطريقة وواحد وقته أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، وكان أبوه نوبيًّا. توفي سنة خمس وأربعين ومائتين رحمه الله.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ كما نصركم يوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله مَن تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ كما خذلكم يوم أُحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد خذلانه وهو ترك المعونة، أو هو من قولك: ليس لك مَن يُحسِن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته، وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكّل عليه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وليخصَّ المؤمنون ربهم بالتوكّل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن (يَغُلَّ﴾ **مكي وأبو عمرو**) وحفص (**وعاصم أي يخون، وبضم الياء**) وفتح الغين: (**غيرهم.**) يقال غلَّ شيئًا من (**المغنم غلولًا**) وأغلَّ إغلالًا إذا أخذه في خُفية، ويقال: أغلّه إذا وجده غالّا؛ والمعنى ما صحَّ له ذلك يعني أن النبوّة تُنافي الغلول، وكذا مَن قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا لأن معناه: وما صحَّ له أن يوجد غالاً ولا يوجد غالاً إلا إذا كان غالاً. رُوِيَ أن (**قطيفة**) حمراء فُقِدَت يوم بدر مما أُصيب من المشركين فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها فنزلت الآية ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي يأتِ بالشيء الذي غلّه بعينه حاملًا له على ظهره كما جاء في الحديث «أو يأتِ بما احتمل من وباله وإثمه» ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ تعطى جزاءها وافيًا ولم يقل: «ثم يوفَّى ما كسب» (**ليتصل بقوله**: ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾) بل جيء بعام ليدخل

قوله: (﴿يَغُلَّ﴾) بفتح الياء وضمّ الغين من غلّ مبنيًا للفاعل (مكّي) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) البصري (**وعاصم أي يخون، وبضم الياء**) وفتح الغين مبنيًّا للمفعول (**غيرهم**). **قوله**: (**المغنم**) في مختار الصّحاح: المَغْنَم والغَنِيمة بمعنى. اهـ. **قوله**: (**غلولًا**) بالضمّ. **قوله**: (**قطيفة**) أي رداء. **قوله**: (**ليتّصل بقوله**: ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾) يعني: أن ظاهره غير متّصل لعدم الرّابط.

تحته كل كاسِب من الغالّ وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ، لأنه إذا علم الغالّ أن كل كاسِب خيرًا أو شرًّا مَجزِيٌّ فمُوفّى جزاءه علم أنه غير متخلّص من بينهم مع عِظَم ما اكتسب ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي جزاء كلٍّ على قدر كسبه.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

(﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾) أي رِضا الله - قيل - هم المهاجرون والأنصار (﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) وهم المنافقون والكفّار ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع (﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾) هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات أو ذوو

قوله: (﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾) جملة اسمية إمّا من قبيل التشبيه البليغ، فالمعنى هم في أتباع الرضوان وقسمهم في تفاوت الجزاء على كسبهم، مثل الدرجات في تفاوتها. وإما على حذف المضاف، أي ذوو درجات وأصحاب منازل ورُتَب في الثواب والعقاب، وقوله: عند الله متعلّق بدرجات باعتبار تضمّنها معنى الفضل، كأنه قيل: هم متفاضلون عند الله، أي في حكمه وعِلمه وقضائه، كما يقال هذه المسألة عند الإمام الشافعي كذا، وعند أبي حنيفة كذا، وضمير هم راجع إلى مَنْ في قوله: (﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾)؛ لأنه في معنى الجمع ويجوز أن يرجع إلى باء في قوله: (﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾)، وإلى مجموعهما؛ لأن كل واحد من أهل الثواب والعقاب، وكذا مجموعهما درجات على حسب أعمالهم، ولفظ الدرجات يؤيّد الأوّل؛ لأن الغالب في العُرف استعمال الدّرجات في أهل الثواب والدّركات في أهل العقاب، ويؤيّده أيضًا أنه أضاف هذه الدرجات إلى نفسه، وإنما يضيف إلى نفسه ما كان من قبيل الثواب والرحمة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ﴾ [الأنعام: الآية ٥٤]، ويؤيّد أيضًا رجوعه إلى مَنْ باء بسخطٍ كونه أقرب، وذهب إليه الحسن، حيث قال: المراد به أن أهل النار مُتفاوتون في العذاب؛ لقوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٢]، وقال ﷺ: «**إن منها ضحضاحًا**[١]

---

(١) في النهاية: في حديث أبي طالب «وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح»، وفي رواية: «إنه في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه». الضحضاح في الأصل ما رقّ من=

درجات، والمعنى تفاوت منازل المُثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين

وغمرًا[(١)] وأنا أرجو أن يكون أبو طالب في ضحضاحها»، وقال ﷺ: «**إنّ أقلّ أهل النار عذابًا له نعلان من نار يغلي من حرّهما دماغه، ينادي: يا ربّ هل يعذّب أحدٌ عذابي؟**» ويؤيّد رجوعه إلى الكلّ أنّ مراتب الخلق في المعاصي والطاعات متفاوتة، فوجب أن تتفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: الآيتان ٧، ٨]. ورُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه قال: يعني أنّ مَن اتّبع رضوانه ومن باء بسخط منه مختلفا المنازل عند الله، فلمن اتّبع رضوانه الكرامة، ولمن باء بسخطه المهانة والعذاب. ومثله رُوِي عن الكلبي، وتوفية جزاء كل عامل على حسب عمله لما توقّفت على العلم بتفاصيل جميع الأعمال، قال تعالى: (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾) تأكيدًا لما ذكره من أنه تعالى يعطي كل نفس جزاء ما كسبت تامًّا وافيًا، ثم إنه تعالى لمّا بيّن خطأ من نسبه إلى الغلول والخيانة بيّن منّته عليهم ببعثته ﷺ، حيث قال: (﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) الآية، وهو جواب قسم محذوف، كأنه يقول: أنا أكتفي في حقّه بأن أبيّن براءته من الغلول والخيانة، لكني أقول؛ إنّ وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم، فإنه يزكّيكم من الطريق الباطلة، ويعلّمكم العلوم النافعة لكم في دينكم ودنياكم، فأيّ عاقل يخطر بباله أن ينسب مثل هذا الإنسان الكريم إلى الخيانة، فإنه نشأ فيما بينكم ولم يظهر منه طول عمره إلّا الصدق والأمانة والدّعوة إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا، فمن يجوّز كونه الآن غالًّا خائنًا؟ والمنّان في صفة الله تعالى المُعْطي ابتداء من غير أن يطلب عِوَضًا، فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، أي أنعم عليهم وأحسن إليهم ببعثة هذا الرسول فيهم من حيث إنه يدعوهم إلى ما يخلّصهم من عقاب الله ويُوصلهم إلى ثوابٍ عظيم ونعيم مقيم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، لا سيّما إذا كان المراد بالمؤمنين مَنْ آمنَ بالله وبرسوله ﷺ من قومه، لكون بعثته فيهم غاية الإحسان في حقّهم من حيث

= الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار.اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(١) في الدرّ النثير: الغَمر ـ بفتح العين وسكون الميم ـ والغمرة الماء الكثير، لأنه يغمر من دخله ويغطّيه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الثواب والعاقب (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ عالِم بأعمالهم) ودرجاتها فيُجازيهم على حسبها.

إنه ﷺ جاء شرفًا لهم وفخرًا؛ وذلك لأن الافتخار بإبراهيم كان مشتركًا بين اليهود والنصارى والعرب، ثم كان لليهود ما يفتخرون به خاصّة، وهو موسى ﷺ والتوراة، وكان للنصارى أيضًا ما يفتخرون به خاصّة، وهو عيسى ﷺ والإنجيل، ولم يكن للعرب ما يُقابل ما لهم من سبب الافتخار، فلما بَعث الله تعالى محمّدًا ﷺ من العرب حائزًا لجميع الخصال الحميدة والأخلاق المرضية وأنزل عليه القرآن العظيم الفائق على جميع الكتب السماوية صار شرف العرب بذلك أتمّ وأكمل بالنسبة إلى سائر الأُمم، حتى صار القرآن شرفًا له ﷺ بالنسبة إلى سائر الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤]، فهذا وجه الفائدة في قوله: (﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾)، وأيضًا أنه ﷺ لمّا وُلِد فيهم ونشأ فيما بينهم لم يُشاهدوا منه من أوّل عمره إلى آخره إلّا الصدق والأمانة والعفاف وعدم المَيْل إلى الدنيا والتحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات، ثم ادّعى النبوّة والرسالة التي يكون الكذب فيها أقبح وجوه الكذب، كان إيمانهم به أسهل بالنسبة إلى إيمان مَنْ لم يطّلع على أحواله، فكان نعمته ببعثته ﷺ في حقّهم أتمّ وأعظم، فلذلك خصّهم بكونه مُنْعمًا عليهم بالنّعمة العامّة لجميع الأُمة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ **عالمٌ بأعمالهم**)... الخ، هكذا في تفسير البيضاوي والكشاف. قال العلامة التفتازاني: قوله: عالمٌ بأعمالهم يشير إلى أنه لا معنى لكونه سميعًا بصيرًا سوى العِلم بالمسموعات والمُبْصرات. اهـ. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: عالمٌ بأعمالهم... الخ. تبع فيه الزمخشري، والحقّ خلافه. قال في شرح المواقف: اتّفق المسلمون على أنه سميع بصير، لكن اختلفوا في معناهما، فقالت الفلاسفة والكعبي وأبو الحسن البصري: إنهما عبارة عن علمه تعالى بالمبصرات والمسموعات، وقال الجمهور منّا ومن المعتزلة والكرامية: إنهما صفتان زائدتان على العلم، فإنّا إذا عَلِمْنا شيئًا علمًا إجماليًّا ثم بصرناه نجد فرقًا بين الحالتين بالبديهة، وأنّ في الحالة الثانية حالة زائدة هي الإبصار. اهـ. وقال العلامة القنوي: قوله: عالمٌ بأعمالهم ودرجاتها... الخ.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على مَن آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه، وخصَّ المؤمنين منهم لأنهم هم المُنتَفِعون بمبعثه ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا (مِّنْ أَنفُسِهِمْ)﴾ من جنسهم عربيًّا مثلهم أو من ولد إسماعيل كما أنهم من ولده، والمِنَّة في ذلك من حيث إنه إذا كان منهم كان اللسان واحد فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه، وكان لهم شرف بكونه منهم. (**وفي قراءة رسول الله ﷺ** ﴿مِّنْ أَنفَسِهِمْ﴾) أي من أشرفهم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ أي القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهّرهم بالإيمان من (**دنس الكفر والطغيان**) أو يأخذ منهم الزكاة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسُّنَّة ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ من قبل بعثة الرسول ﷺ ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ (**عمى وجهالة**) ﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهر لا شبهة فيه «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارِقة بينها وبين النافية والتقدير: وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مُبين.

لمّا لم يكن جميع الأعمال من المبصرات فسّر البصير بالعالم، قول: المص عالمٌ بأعمالهم ودرجاتها إشارة إلى ذلك، ثم نبّه بزيادة درجاتها على أن علم الأعمال يعمّ إلى علم نفسها وإلى علم مراتبها من الإخلاص التامّ ومراعاة الشروط وغير ذلك وعدمها، وفي ذكر درجاتها نوع لطافة، وقد عرفت أن مراد المص بتفسير البصير بالعلم بطريق ذكر الخاص وإرادة العام، أو ذكر السبب وإرادة المسبّب، بقرينة أنّ جميع الأعمال ليست من المبصرات، لا أنّ مراده أن صفة البصر راجع إلى العلم، كما ذهب إليه البعض، فاندفع إشكال بعض المحشين. اهـ.

قوله: (**وفي قراءة رسول الله ﷺ**: ﴿مِّنْ أَنفَسِهِمْ﴾) بفتح الفاء في السمين قراءة عائشة وفاطمة والضحاك ورواها أنس عنه ﷺ بفتح الباء من النفاسة، وهي الشرف، أي من أشرافهم نسبًا وخلقًا. وعن عليّ رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ: «**أنا أنفَسكم نسبًا وحسبًا وصهرًا**». اهـ. وأيضًا فيه الجمهور على ضمّ الفاء من أنفُسهم، أي من جملتهم وجنسهم. اهـ. **قوله:** (**دَنَس الكفر والطغيان**) الدَّنَس ـ بفتحتين ـ الوسخ. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله:** (**عَمًى**) بالفتح. **قوله:** (**وجَهالة**) بالفتح.

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ يريد ما أصابهم يوم أُحُد من قتل سبعين منهم ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ يوم بدر من قتل سبعين وأسْر سبعين وهو في موضع رفع صفة لـ «مصيبة» ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ من أين هذا ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ لاختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز. «لما» نصب بـ «قلتم» و«أصابتكم» في محل الجر بإضافة «لما» إليه وتقديره: أقلتم حين أصابتكم. و«وأنى هذا» نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع، وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أُحُد من قوله: «ولقد صدقكم الله وعده». أو على محذوف كأنه قيل: أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ يقدر على النصر وعلى منعه.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ﴾ «ما» بمعنى «الذي» وهو مبتدأ ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ جمعكم وجمع المشركين بأُحُد والخبر ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فكائن بإذن الله أي بعلمه وقضائه ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ للمنافقين وهو كلام مبتدأ ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ أي قاتلوا دفعًا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة. وقيل: أو ادفعوا العدو بتكثيركم **(سواد المجاهدين)** إن لم تقاتلوا لأن **(كثرة السواد)** مما تروع **(العدو)** ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ أي لو نعلم ما يصحّ أن يسمى قتالًا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء النفس في

قوله: (سواد المجاهدين) أي جماعتهم. **قوله: (كثرة السّواد)** أي الناس مما يروّع ـ بالتشديد والتخفيف ـ أي يلقي الروع والخوف. **(العدوّ)** أي في قلوب الأعداء.

التهلكة ﴿(هُمْ) لِلْكُفْرِ (يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ) مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ يعني أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك وما ظهرت منهم (أمارة) تُؤذِن بكُفرهم، فلما (**انخذلوا**) عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المَظنون بهم واقتربوا من الكفر، أو (﴿هُمْ﴾) لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم (**سواد المؤمنين**) بالانخذال تقوية للمشركين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي يُظهِرون خلاف ما يُضمِرون من الإيمان وغيره والتقيّد بالأفواه (**للتأكيد**) ونفي المجاز ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

قوله: (﴿هُمْ﴾) إلى آخره، (﴿هُمْ﴾) مبتدأ، و(﴿أَقْرَبُ﴾) خبره وهو أفعل التفضيل من القرب الذي هو ضدّ البُعد، ويتعدّى بثلاثة حروف اللام وإلى ومن، تقول: قربت لك وإليك ومنك، فإذا قلت: زيد أقرب من العلم من عمرو، فمن الأولى بمعنى إلى هي المعدّية لأصل معنى القرب، والثانية هي الجارّة للمفضول بعد أفعل، وقد عدّى أقرب هٰهنا باللام، فإن كل واحد من قوله: للكفر وللإيمان متعلّق به، فإن قيل: لا يتعلق حرفا جرّ متّحدان لفظًا ومعنًى بعامل واحد إلّا إذا كان أحدهما معطوفًا على الآخر أو بدلًا منه، فكيف تعلّقت اللّامانِ هنا بأقرب؟ فالجواب: إن هذا خاصّ بأفعل التفضيل، لأنه في قوّة عاملين لدلالته على معنيين أصل الفعل وزيادته، فيعمل في كلّ واحد منهما عملًا غير الآخر، فتقديره يزيد قربهم إلى الكفر على قربهم للإيمان، وقوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) متعلق بأقرب، وكذا منهم ومن هذه هي الجارة للمفضول بعد أفعل وليست هي من المعدّية لأصل الفعل، ومعنى كون قربهم إلى الكفر أزيد يومئذٍ من قربهم إلى الإيمان، أنهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق، فكانوا في الظاهر أبعد من الكفر، فلمّا ظهر منهم ما كانوا يكتمونه صاروا أقرب للكفر، فإن كل واحد من انخذالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكيّ عنهم يدلّ على أنهم ليسوا من المسلمين.اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (أمارة) أي علامة.

قوله: (انخذلوا) الانخذال بمعنى الانقطاع. **قوله:** (سواد المؤمنين) أي جماعتهم.

قوله: (للتأكيد)، كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]. وقيل: إنه بيان لأنه كلامٌ لفظيّ لا نفسي.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ **(أي ابن أُبَيّ)** وأصحابه وهو في موضع رفع على «هم الذين قالوا» **(أو على الإبدال من واو «يكتمون»)** أو نصب بإضمار «أعني»، أو على البدل من «الذين نافقوا» أو جرّ على البدل من الضمير «في أفواههم» أو «قلوبهم» ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أُحُد ﴿وَقَعَدُواْ﴾ أي قالوا وقد قعدوا عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله ﷺ والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت، أو معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلًا وهو القعود عن القتال فجِدوا إلى دفع الموت سبيلًا. و**(رُوِيَ أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون مُنافِقًا)**.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

ونزل في قتلى أُحُد (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ **شامي وحمزة**) وعلي **(وعاصم، وبكسر السين: غيرهم)** والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ (**«قتّلوا»: شامي**) ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ (أَحْيَآءٌ)﴾ بل هم أحياء (﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾) مُقَرَّبون عنده **(ذوو زلفى** ﴿يُرْزَقُونَ﴾**)** مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون

قوله: (أي ابن أُبَيّ) أي عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين. **قوله: (أو على الإبدال من واو يكتمون)**؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبيَاء: الآية ٣]. **قوله: (رُوِي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقًا)** بعدد مَنْ قُتِل بأُحد.

قوله: (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾**)** بفتح السين **(شاميّ)** أي ابن عامر الشامي، **(وحمزة وعاصم)**، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وبكسر السِّين غيرهم)**.

قوله: («قتّلوا») بتشديد التاء **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف. **قوله: (ذوو زلفى)** يعني: أن العندية المكانية مستحيلة، فتعيّن حملها

ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعّم برزق الله.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿فَرِحِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿يُرْزَقُونَ﴾ ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مُقَرَّبين معجَّلًا لهم رزق الجنة ونعيمها. وقال النبي ﷺ: «لما أُصيب إخوانكم بأُحُد (**جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر**) تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها (**وتأوي إلى قناديل من ذهب معلَّقة في ظل العرش**)». وقيل: هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ﴾ بإخوانهم المجاهدين الذين ﴿لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾ لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿مِّنْ

على أنهم يقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم، واختلف في رسم ذو ونحوه، فرسمه بعضهم بدون الألف؛ لأن الألف إنما تُزاد بعد واو ضمير الجمع الاسمية، نحو: قالوا، وهذه ليست ضميرًا، ومنهم مَنْ رسمها في واو مثله تشبيهًا لها بواو الضمير في الفعل، وقوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾) يحتمل أن يكون خبرًا ثانيًا؛ كقوله: (﴿أَحْيَآءٌ﴾)، وأن يكون ظرفًا لأحياء؛ لأن المعنى: يحيون عند ربِّهم، وأن يكون صفة لأحياء، وأن يكون حالًا من الضمير المستكنّ فيه، وقوله: (﴿يُرْزَقُونَ﴾) إمّا خبر ثالث أو ثانٍ إن لم يجعل الظرف خبرًا، وإمّا صفة لأحياء. وإمّا حال من الضمير في أحياء، أي يحيون مرزوقين. وإمّا حال من الضمير المستكنّ في الظرف والعامل فيه في الحقيقة، هو العامل في الظرف.

قوله: (جعل الله أرواحهم في أجواف طير) جمع طائر، ويُطلق على الواحد (**خُضْر**) بضمّ فسكون جمع أخضر، أي بمعنى أنّ الطيور للأرواح كالهوادج للمجالس فيها. اهـ جمل. قيل: هو على ظاهره، وأن أرواح الشهداء، أعني نفوسهم التي بها الإدراك والتمييز تحلّ أبدان الطيور الخضر المنعمة في الجنّة، فتلتذّ بذلك أو تتمثّل طيور خضراء. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش)** أي تحت العرش بمنزلة أوكار الطير.

﴿خَلْفِهِمْ﴾ يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدّموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (**بدل من «الذين»**) والمعنى: ويستبشرون بما تبيَّن لهم من حال مَن تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يُبعَثون آمِنِين يوم القيامة، بشّرهم الله **بذلك** فهم مُستَبشِرون به. وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمَن خلفهم، بَعَثٌ للباقين بعدهم على الجِدّ في الجهاد والرغبة في نَيْل منازل الشهداء ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ يُسَرُّون بما أنعمَ الله عليهم وما تفضَّل عليهم من زيادة الكرامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ عطف على النعمة والفضل. (﴿**وإن الله**﴾: **عَلِيٌّ بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض**) ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يوفِّر عليهم.

قوله: (بدل من «**الذين**») بدل اشتمال.

قوله: (﴿**وإن الله**﴾ **عليّ**) الكسائي (**بالكسر على الاستئناف**). والباقون **بالفتح** عطفًا على ﴿نعمة﴾.

قوله: (وعلى أن **الجملة اعتراض**) يرد عليه أنّ الاعتراض هو أن يُؤتى في أثناء الكلام.أو بين كلامين متّصلين معنى الجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام، فهو بيان التتميم؛ لأنه إنما يكون بفضلة والفضلة لا بدّ لها من إعراب، وبيان التكميل لأنه إنما يكون لدفع إيهام خلاف المقصود، وما نحن فيه ليس من هذا القبيل؛ لأنه لم يقع في أثناء كلام ولا بَيْن كلامَيْن متّصلين معنًى، فجعله اعتراضًا مبنيّ على مذهب من جوَّز وقوع الاعتراض آخر جملة لا يليها جملة متّصلة بها. إمّا بأن لا تلي الجملة جملة أخرى أصلًا، فيكون الاعتراض في آخر الكلام أو تليها جملة أخرى غير متّصلة بها معنًى، فالاعتراض على هذا المذهب أن يؤتى في أثناء الكلام أو في آخره أو بين كلامين متّصلين أو غير متّصلين بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب، وقد جرى صاحب الكشاف على هذا المذهب في مواضع منها هذا الموضع.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ مبتدأ خبره «للذين أحسنوا»، أو صفة للمؤمنين، أو نصب على المدح ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ (**الجرح**). رُوِيَ أن (**أبا سفيان**) وأصحابه لمّا انصرفوا من أُحُد فبلغوا (**الرّوحاء**) ندموا وهمّوا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يُرهِبهم ويُريهم من نفسه وأصحابه قوة، (**فندب**) النبيّ أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، فخرج يوم الأحد من المدينة مع سبعين رجلًا حتى بلغوا (**حمراء الأسد**) وهي من المدينة على ثمانية أميال، (**وكان بأصحابه القَرْح**) فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟﴾ «من» للتبيين. مثلها في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: الآية ٢٩]. لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ بدل من «الذين استجابوا» ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ رُوِيَ أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أُحُد: يا محمد موعدنا موسم بدر القابِل. فقال عليه السلام: «إن شاء الله»، فلما كان القابِل خرج أبو سفيان في أهل مكة فألقى

قوله: (**الجرح**) في مختار الصِّحاح: جَرَحه من باب قطع، والاسم **الجُرْح** بالضم. اهـ. **قوله:** (**أبا سفيان**) صخر بن حرب أسلم زمن الفتح رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**الرَّوْحاء**) براء مفتوحة وواو ساكنة وحاء ومدّ: موضع بين مكّة والمدينة. **قوله:** (**فندب**) من باب قتل بمعنى دعا. **قوله:** (**حمراء**) بالمدّ مضاف (**الأسد**) اسم موضع وليست بدر الصغرى؛ لأن هذه في وقت أُحد، وبدر الصغرى بعد سنة. قال الإمام الرازي رحمه الله: مدح الله تعالى المؤمنين على غزوتين تُعرف إحداهما بغزوة حمراء الأسد، وهي المذكورة في الآية المتقدمة. والثانية بغزوة بدر الكبرى، وهي المذكورة في الآية الثانية. **قوله:** (**وكان بأصحابه القرح**) يعني جراحات من حرب أُحد.

الله الرّعب في قلبه فبَدَا له أن يرجع فَلَقِي **(نعيم)** بن مسعود الأشجعي **(وقد قَدِم مُعتَمِرًا)** فقال: يا نعيم إني واعَدْتُ محمدًا أن نلتقي بموسم بدر وقد بَدَا لي أن أرجع فالحق بالمدينة، **(فثبّطهم)** ولك عندي عشرة من الإبل، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهّزون فقال لهم: أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله **(لا يفلت)** منكم أحد فقال ﷺ: «والله لأخرجنّ ولو لم يخرج معي أحد» فخرج في سبعين راكِبًا وهم يقولون: «حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل» حتى **(وافوا)** بدرًا وأقاموا بها ثماني ليالٍ وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرًا، ثم انصرفوا إلى المدينة سالِمين غانِمين ولم يكن قتال، ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمّى أهل مكة جيشه جيش السّويق وقالوا: إنما خرجتم لتأكلوا السّويق. فالناس الأول نعيم وهو جمع أُريد به الواحد أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه، والثاني أبو سفيان وأصحابه. ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فخافوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ أي المقول الذي هو «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» أو القول، أو نعيم ﴿إِيمَٰنًا﴾ بصيرة وإيقانًا ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافِينا الله أي الذي يكفينا الله. يقال أحسبه الشيء إذَا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول: «هذا رجل حسبك» فتصف به النكرة لأن إضافته **(غير حقيقية)** لكونه في معنى اسم الفاعل ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ونعم **(الموكول إليه)** هو.

قوله: (نعيم) بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن حلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن رَيْث بن غطفان الغطفانيّ الأشجعيّ أبو سلمة، أسلم في وقعة الخندق، وهو الذي أوقع الخلاف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، وخذل بعضهم عن بعض وأرسل الله عليهم الريح والبرد والجنود وهم الملائكة، فصرف كَيْد الكفار عن النبيّ ﷺ والمسلمين، ولمّا أسلم واستأذن النبيّ ﷺ في أن يخذل الكفار، قال له النبيّ ﷺ: **«خذل ما استطعتَ، فإنّ الحرب خدعة»** رواه عنه ابنه سلمة. مات نعيم في زمن خلافة عثمان، وقيل: بل قُتِل يوم الجمل. **قوله: (وقد قَدِم معتمرًا)** أي رجع من مكّة وإلى مرِّ الظهران، ومرّ الظهران محل معروف بقرب مكّة.

قوله: (فَثَبَّطَهم) التثبيط التعويق. **قوله: (لا يفلت)** أي لا يخلص. **قوله: (وافوا)** أي أتوا. **قوله: (غير حقيقية)** أي لفظيّة لا تفيد تعريفًا. **قوله: (الموكول إليه)** إشارة إلى أن فعيل بمعنى مفعول.

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهي السلامة وحذر العدو منهم ﴿وَفَضۡلٖ﴾ وهو الربح في التجارة فأصابوا بالدِّرهم درهمين ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في «انقلبوا»، وكذا «بنعمة» والتقدير: فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ بجراءتهم وخروجهم إلى وجه العدو على أثر تثبيطه وهو معطوف على «انقلبوا» ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ قد تفضّل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا. ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ هو خبر «ذلكم» أي إنما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ أي المُنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته، أو الشيطان صفة لاسم الإشارة و«يخوف» الخبر ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾ أي أولياءه ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ لأن الإيمان يقتضي أن يُؤْثِر العبد خوف الله على خوف غيره. («وخافوني» **في الوصل والوقف: سهل ويعقوب، وافقهما أبو عمرو في الوصل**).

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿وَلَا يَحۡزُنكَ﴾ (**«يُحزنك» في كل القرآن: نافع إلا في سورة الأنبياء** ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الآية ١٠٣]) ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ يعني لا يُحزنوك لخوف أن يضرّوك ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾

قوله: (**وخافوني**) بإثبات الياء (**في الوصل والوقف: سهل**) بن محمد بن عثمان السجستاني البصري، (**ويعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليسا من السبعة. (**وافقهما أبو عمرو**) البصري، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة (**في الوصل**). والباقون بحذفها وصلًا ووقفًا.

قوله: (**«يُحزنك»**) بضم حرف المضارعة وكسر الزاي من أحزن رباعيًا (**في كل القرآن نافع**) المدني (**إلّا في سورة الأنبياء:** ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الآية ١٠٣]) ففتحه وضمّ الزاي كقراءة الباقين في الكلّ من حَزن ثلاثيًا إلّا أبا جعفر وحده في حرف الأنبياء فقط، فضمّ وكسر.

(أي أولياء الله) يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وَبال ذلك عائدًا على غيرهم. ثم بيَّن كيف يعود وَباله عليهم بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظًّا فِى ٱلۡأَخِرَةِۖ﴾ أي نصيبًا من الثواب ﴿وَلَهُمۡ﴾ بدل الثواب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك أبلغ ما ضَرَّ بِهِ الإنسان نفسه، والآية تدل على إرادة الكفر والمعاصي لأن إرادته أن لا يكون لهم ثواب في الآخرة لا تكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِى لَهُمۡ خَيۡرٌ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِى لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمًاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي استبدلوه به ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔاۗ﴾ هو نصب على المصدر أي شيئًا من الضرر. الآية الأولى فيمن نافَقَ من المُتَخَلِّفين أو ارتدَّ عن الإسلام، والثانية في جميع الكفَّار أو على العكس ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ وثلاثة بعدها مع ضم الباء في «يحسبنهم» بالياء: **(مكي)** وأبو عمرو، وكلها بالتاء: حمزة، وكلها بالياء: **(مدني وشامي)** إلا «فلا تحسبنهم» فإنها بالتاء. الباقون: الأوليان بالياء والأخريان بالتاء. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فيمن قرأ بالياء رفع أي ولا يحسبُن الكافرون. و«أن» مع اسمه وخبره في قوله: ﴿أَنَّمَا نُمۡلِى لَهُمۡ خَيۡرٌ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾ في موضع المفعولين لـ «يحسبن» والتقدير: ولا يحسبن الذين كفروا إملاءنا خيرًا لأنفسهم. و«ما» مصدرية **(وكان حقها في قياس علم الخط أن تُكتَب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة)** فلا يخالف. وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبنّ الكافرين وأنما نُملي لهم خيرًا لأنفسهم بدل من الكافرين، أي ولا تحسبنَّ أن ما نُملِي للكافرين خير لهم، و«أن» مع ما في حيِّزه ينوب عن

قوله: (أي أولياء الله) قدّر المضاف للقرينة العقلية عليه. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (مكّي) أي ابن كثير المكّي. **قوله: (مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي. **قوله: (وكان حقها في قياس علم الخط أن تُكتب مفصولة)**؛ لأن ما عدا ما الكافّة سواء كانت مصدرية أو موصولة تُكتب منفصلة، **(ولكنها وقعت في الإمام متّصلة)**، والمراد بالإمام مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه، فإنه إمام المصاحف يجب اقتداء جميع المصاحف به.

المفعولين، والإملاء لهم إمهالُهم وإطالة عمرهم. ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ «ما» هذه حقها أن تُكتَب متصلة لأنها كافَّة دون الأولى، وهذه جملة مُستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل: ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيرًا لهم؟ فقيل: إنما نُملي لهم ليزدادوا إثمًا. والآية حجة لنا على المعتزلة في مسألتي الأصلح وإرادة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

اللام في ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ من اختلاط المؤمنين (**الخلص**) والمنافقين لتأكيد النفي ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ حتى يعزل المنافق عن المخلص. («يميّز»: **حمزة وعلي**). والخطاب في «أنتم» للمصدِّقين من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميِّزهم منكم بالوحي إلى نبيِّه وإخباره بأحوالكم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وما كان الله ليؤتي أحد منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرُّسُل بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطَّلع على ما في القلوب اطّلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ أي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانًا في قلبه النفاق وفلانًا في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة نفسه. والآية حجّة على الباطنية فإنهم يدّعون ذلك العلم لإمامهم فإن لم يثبتوا النبوّة له صاروا مُخالِفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول، وإن أثبتوا النبوّة له صاروا مُخالفين لنصٍّ آخر وهو قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠] ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ بصفة الإخلاص ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. ونزل في مانِعِي الزكاة.

قوله: (**الخُلَّص**) جمع خالص. **قوله**: (يُمَيِّز) بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء الثانية مشدّدة من ميّز. (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء بعدها من ماز يميز، وهما لغتان.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ﴾ مَن قرأ بالتاء قدّر مُضافًا محذوفًا أي ولا تَحسبنّ بُخْل الباخِلين و«هو» فصل و«خيرًا لهم» مفعول ثانٍ، وكذا مَن قرأ بالياء وجعل فاعل «يحسبن» ضمير رسول الله أو ضمير أحد، ومَن جعل فاعله «الذين يبخلون» كان التقدير: ولا يحسبن الذين يبخلون بُخلهم هو خير لهم و«هو» فصل و«خيرًا لهم» مفعول ثانٍ ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي البُخْل ﴿شَرٌّ لَّهُمۖ﴾ لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وَبال البُخْل ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ﴾ تفسير لقوله: «بل هو شرٌّ لهم» أي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقًا في أعناقهم كما جاء في الحديث «مَن منع زكاة ماله يصير حيّة ذَكَرًا **(أقرع)** له نابان فيُطَوَّق في عنقه **(فينهشه)** ويدفعه إلى النار» ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ **(وله ما فيهما مما يتوارثه)** أهلهما **(من مال وغيره)**، فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله؟ والأصل في ميراث موارث فقُلِبَت الواو ياء لانكسار ما قبلها. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ **(وبالياء مكي وأبو عمرو)**، فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ في الوعيد، والياء على الظاهر.

قوله: (أقرع) أي الذي لا شعر على رأسه لكثرة سمّه وطول عمره. **قوله:** (فينهشه) في مختار الصّحاح: نَهشَة الحية لَسَعَتْه وبابه قطع.اهـ.

قوله: (وله ما فيها مما يتوارثه). . . الخ. يعني: أن الميراث مصدر كالميعاد، والمراد به ما يتوارث، فهو حقيقة، أو أن المراد أنه يَرِثه، يعني أنه ينتقل إليه ويخرج عن أيديهم ظاهرًا، وإلّا فهو له حقيقة، وعلى هذا فهو مجاز.اهـ شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (من مالٍ وغيره) كالمُلك والولاية والأحوال التي تنتقل من واحد إلى آخر، ولا يعدّ في الشرع مالًا، ولعلّ في أهل السماء أيضًا مثل ذلك.اهـ تفتازاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **قوله:** (وبالياء) التحتية (مكّي) أي ابن كثير المكيّ (وأبو عمرو) البصري. والباقون بتاء الخطاب.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥]. وقالوا: إن إلـه محمد يستقرض منّا فنحن إذًا أغنياء وهو فقير. **(ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعدَّ له كفأه من العقاب)** ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ **(سنأمر الحَفَظَة بكتابة ما قالوا في الصحائف)**، أو سنحفظه إذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسُمِّي به مجازًا. و«ما» مصدرية أو بمعنى «الذي» ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ معطوف على «ما». جعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانًا له بأنهما في العظم أخوان، وأن مَن قتل الأنبياء لم يُستبعَد منه الاجتراء على مثل هذا القول ﴿وَنَقُولُ﴾ لهم يوم القيامة ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي عذاب النار كما أذقتم المسلمين **(الغصص)**.

قوله: (ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه، وأنه أعدّ له كفأه) بكسر الكاف وسكون الفاء، أي مثله. **(من العقاب)**، كذا في الكشاف. وعبارة تفسير البيضاوي: والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه أعدّ لهم العقاب عليه. اهـ. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: ومعنى سماع الله تعالى، يعني معلوم أن الله تعالى سميعٌ عالمٌ بالمسموعات، فمعنى تخصيص هذا القول بالذِّكر أنه أعدّ له عقابًا يناسبه على طريق الكناية. اهـ. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وفسّر سماع الله بعدم خفائه عليه وإعداد العقاب عليه وتبع فيه الزمخشري، وهو مناسب لمذهبه في إنكار الصفات، ولكنه ليس مراده ذلك كما بيَّنه شرَّاحه، بل مراده أنه تعالى سميع لجميع المسموعات، فتخصيص هذا كناية عن أنه أعدّ له عقابًا يناسبه، فليس سماع قبول ورضًى كما في سمع الله لمن حمده، بل سماع ظهور وتهديد؛ لأنه سمع ما قالوه من غير تبليغ، فهو أشدّ للغضب عليهم، وأيضًا أنهم أنكروه ولا مجال لإنكاره؛ لأنه سمعه، ولهذا أكّده، لأن إنكارهم للقول بمنزلة إنكار السمع. اهـ. **قوله: (سنأمر الحَفَظَة بكتابة ما قالوا في الصحائف)** ليقرّوا ذلك في جملة أعمالهم القبيحة، فعلى هذا تكون الكتبة حقيقة، والتجوّز إنما يكون في الإسناد، وعلى قوله: سنحفظه تكون الكَتَبة استعارة، والإسناد على حقيقته، وعلى كلِّ تقدير هو تأكيد لما ذكر أولًا بطريق الكناية. **قوله: (الغُصَص)** في مختار الصِّحاح: الغصّة

قال (**الضحاك**): يقول لهم ذلك خَزَنَة جهنم، وإنما أُضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما في قوله: «سنكتب» («**سيكتب**» و«**قتلهم**» و«**يقول**»: **حمزة**).

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدَّم من عقابهم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي ذلك العذاب بما قدَّمتم من الكفر والمعاصي، والإضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدي فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب، ولأنه يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الأيدي للتحقيق يعني أنه فعل نفسه لا غيره بأمره ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وبأن الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ في موضع جرّ على البدل من «الذين قالوا» أو نصب بإضمار أعني أو رفع بإضمارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ﴾ بأن لا نؤمن ﴿لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ أي يقرّب قربانًا فتنزل نار من السماء فتأكله فإن جئتنا به صدقناك، وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتي به لكونه معجزة فهو إذًا وسائر المعجزات سواء ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات سوى القربان ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ أي بالقربان يعني جاء أسلافكم الذين أنتم على مِلّتهم وراضونَ بفعلهم ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي إن كان امتناعكم عن الإيمان لأجل هذا فلِمَ

الشجى[١] والجمع غصص. اهـ. وفي المصباح: الغُصّة - بالضم - ما غصّ به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه، والجمع غصص، مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله: (الضحاك)** بن مزاحم أبو محمد والقسم صاحب التفسير. **قوله: («سيكتب» و«قتلهم» و«يقول»)** بياء مضمومة وفتح تائه مبنيًّا للمفعول، ورفع لام قتل عطفًا على ما الموصولة النائبة عن الفاعل، ويقول بياء الغيبة، (**حمزة**). والباقون بالنون المفتوحة وضمّ التاء بالبناء للفاعل ونصب قتل بالعطف على ما المنصوبة المحلّ على المفعولية، ونقول بالنون.

---

(١) أي الحزن. ١٢ منه عمّ فيضهم.

لم تؤمنوا بالذين أتوا به ولِمَ قتلتموهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فإن كذبك اليهود فلا يهولنّك فقد فعلت الأُمم بأنبيائها كذلك ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة. («**وبالزبر**»: **شامي**) ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ جنسه ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾ المُضيء. قيل: هما واحد في الأصل وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين، فالزبور كتاب فيه حِكَم زاجرة، والكتاب المنير هو الكتاب الهادي.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مبتدأ والخبر ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وجاز الابتداء بالنكرة لِما فيه من العموم، والمعنى لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إليَّ فأُجازيهم على التكذيب وأُجازيك على الصبر وذلك قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي تُعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فإن الدنيا ليست بدار الجزاء ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ بُعِّدَ، والزحزحة: الإبعاد ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (**ظفر**) بالخير. وقيل: فقد حصل له الفوز المطلق. وقيل: الفوز نيل المحبوب والبُعْد عن المكروه ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ شبّه الدنيا بالمتاع الذي (**يدلَّس به على المستام ويغرُّ**) حتى يشتريه ثم يتبيَّن له فساده ورداءته،

قوله: (**وبالزبر**) بزيادة باء موحدة قبل حرف التعريف، (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بحذفها.

قوله: (**ظفر**) من باب طَرِب. **قوله**: (**يدلس به على المستام**) التدليس في البيع كتمان عيب في السلعة عن المشتري والمدالسة كالمخادعة والدّلس ـ بالتحريك ـ الظلمة، والمدلس كأنه يأتيك بالسلعة في الظلام، والمستام[1] هو الذي يريد الشرى والسَّوم إرادة الشرى، تقول منه: سُمْته سَوْمًا واستام عليّ وتساومنا. **قوله**: (**ويغرّ**)

---

(١) بمعنى المشتري. ١٢ منه عمّ فيضهم.

والشيطان هو المدلِّس الغرور. وعن (**سعيد بن جبير**): إنما هذا لمَن آثرها على الآخرة، فأما مَن طلب الآخرة بها فإنها (**متاع بلاغ**). وعن (**الحسن**): كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ والله لتبلونّ أي لتختبرنّ ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالإنفاق في سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالقتل والأسْر والجراح وما يرد عليه من أنواع المخاوف والمصائب، وهذه الآية دليل على أن النفس هي الجسم المُعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام (**والفلاسفة**)، كذا في شرح التأويلات ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ كالطعن في الدِّين وصدّ مَن أراد الإيمان وتخطئة مَن آمن ونحو ذلك ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مخالفة أمر الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ فإن الصبر والتقوى ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (**من معزومات الأمور**) أي مما يجب العزم عليه من الأمور، خُوطِب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا

أي يوقع في الغرّة، وهي الغفلة، يقال: رجل غرّ بالكسر وغرير أي غير مجرّب. **قوله:** (**سعيد بن جبير**) من كبار أئمّة التابعين رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**متاع بلاغ**) أي تبليغ إلى الآخرة وإيصال إليها، والبلاغ اسم للتبليغ كالكلام اسم للتكليم. **قوله:** (**الحسن**) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**والفلاسفة**) أي بعض الفلاسفة. اهـ تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رحمة الله عليه. **قوله:** (**من معزومات الأمور**) العَزْم مصدر قولك: عزمت على كذا عزمًا وعزيمة إذا أردت فعله إرادة صادقة وقصدًا مصمّمًا، فالمصنّف رحمة الله عليه أوّل المصدر بالمفعول وجمعه لإضافته إلى الأمور، أي من الأُمور المعزوم عليها، والعازم إمّا أن يكون هو العبد، أي من الأمور التي يجب على العبد عزمها، وإمّا أن يكون هو الله، أي من الأُمور التي عزم الله عليها، أي فرضه علينا وبالغ في إيجابه.

لقوها وهم مستعدون (**لا يرهقهم**) ما يرهق مَن تصيبه الشدّة بغتة فيُنكرها و(**تشمئز**) منها نفسه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ﴾ [الإسراء: الآية ٤] (**وبالياء: مكي وأبو عمرو وأبو بكر**)، لأنهم (**غيب**) والضمير للكتاب، أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أي لم يُراعوه ولم يلتفتوا إليه، والنَّبْذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد، وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبيّنوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم، أو لجرّ منفعة أو دفع أذيّة، أو لبخل بالعلم، وفي الحديث («**مَن كتم علمًا**) **عن أهله ألجمه الله بلجام من نار**» ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

قوله: (**لا يرهقهم**)... الخ، أي لا يعسر عليهم، يقال: لا ترهقني لا رهقك الله، أي لا تعسرني لا أعسرك الله. **قوله:** (**تَشْمَئِزّ**) أي تنقبض.

قوله: (وبالياء) التحتية (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي، (**وأبو عمرو**) البصري (**وأبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بالخطاب على الحكاية، أي وقلنا لهم. **قوله:** (**غُيَّب**) جمع غائب مثل رُكَّع وراكع. **قوله:** (**مَن كتم علمًا**)... الخ، وفي التيسير بشرح الجامع الصغير للعلامة المناوي رحمه الله: «**مَنْ كتم علمًا**» شرعيًا «**عن أهله أُلْجِمَ يوم القيامة**» بالبناء للمفعول، أي ألجمه الله «**لِجامًا من نار**»، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٩]. قال القرطبي: وأمّا قول أبي هريرة: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين من علم: أمّا أحدهما، فقد حدّثتكم به. وأمّا الآخر، فلو حدّثتكم به لقُطِع مني هذا الحلقوم؛ فحُمِل على ما يتعلق بالفتن من أسماء المنافقين ونحوه. أمّا كَتْمه عن غير أهله، فمطلوب بل واجب. «عد» (أي رواه ابن عدي). «عن ابن

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

والخطاب في ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ لرسول الله وأحد المفعولين ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ والثاني بمفازة، وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيد تقديره: لا تحسبنهم فائزين ﴿بِمَآ أَتَوا۟﴾ بما فعلوا (**وهي قراءة أُبَيّ**) و«جاء» و«أتى» يستعملان بمعنى فعل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ (وَعْدُهُۥ) مَأْتِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦١]، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا (فَرِيًّا)﴾ [مريم: الآية ٢٧]. (**وقرأ النخعي**) «بما آتوا» أي أعطوا ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ

مسعود» رضي الله تعالى عنه وإسناده قوي. اهـ. وعبارة تفسير البيضاوي عن النبيّ ﷺ: «**مَن كتم علمًا عن أهله أُلْجِم بلجام من نار**». اهـ. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: «**من كتم علمًا**» الحديث، من أهله وعن أهله وقعا في النسخ. قال العراقي[1]: إنه لم يُرْوَ بهذا اللفظ، وإنما المرويّ في السّنن: «**مَنْ سُئِل عن علمٍ فكتمه ألجمه الله بلجامٍ من نار**». اهـ، فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (**وهي قراءة أبي**) وهي قراءة شاذّة، وهو أُبيّ بن كعب السيد القارىء الصحابيّ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (﴿وَعْدُهُۥ﴾) [مريم: الآية ٦١] أي موعوده. **قوله:** (﴿فَرِيًّا﴾) [مريم: الآية ٢٧] أي عظيمًا. **قوله:** (**وقرأ النخعيّ**) أي شاذًّا، وهو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن أسود النخعي الكوفي فقيه أهل الكوفة، أبو عمران وهو تابعيّ جليل دخل على عائشة رضي الله تعالى عنها ولم يثبت له منها سماع، وسمع جماعات من كبار التابعين منهم علقمة وخالاه الأسود وعبد الرحمٰن ابنا يزيد، ومسروق وأبو عبيدة بن عبد الله وغيرهم. روى عنه جماعات من التابعين منهم السبيعي وحبيب بن أبي ثابت وسماك بن حرب والحكم والأعمش وابن عون وحماد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأجمعوا على

---

(١) قال العلّامة القنوي ﷺ: نقل عن العراقي أنه قال: لم يروَ بهذا اللفظ... الخ. والنقل بالمعنى شائع. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ﴾ بمنجاة منه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. (رُوِيَ) أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه **(واستحمدوا)** إليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم، فأطلع الله رسوله على ذلك وسَلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبنَّ اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عمّا سألتهم عنه، ناجين من العذاب. وقيل: هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم، ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة. وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه. (﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾) فهو يملك أمرهما، وفيه تكذيب لمن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على عقابهم.

توثيقه وجلالته وبراعته في الفقه. توفّي سنة ستّ وتسعين، وهو ابن تسع وأربعين سنة، وقال البخاري رحمه الله: ابن ثمانٍ وخمسين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ﴾) فيه وجهان: أحدهما أنه متعلّق بمحذوف على أنه صفة لمفازة، أي بمفازة كائنة من العذاب على جعلنا مفازة مكانًا، أي بموضع فوز. قال أبو البقاء: لأن المفازة مكان، والمكان لا يعمل، يعني فلا يكون متعلّقًا بها، بل بمحذوف على أنه صفة لها. الوجه الثاني: أنه متعلّق بنفس مفازة على أنها مصدر بمعنى الفوز، تقول: فزت منه، أي نجوت، ولا يضرّ كونها مؤنّثة بالتاء، لأنها مَبْنية عليها، وليست الدالّة على التوحيد. وقال أبو البقاء: ويكون التقدير: فلا يحسبنّهم فائزين، فالمصدر في موضع اسم الفاعل.اهـ. فإن أراد تفسير المعنى، فذاك وإن أراد أنه بهذا التقدير يصحّ التعلّق، فلا حاجة إليه؛ إذ المصدر مستقلّ بذلك لفظًا ومعنًى.اهـ سمين.

قوله: (رُوِيَ)... الخ، هذا أخرجه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، ووجه فرحهم تكذيبهم للنبيّ ﷺ أنه لو كان نبيًّا لعَلِم كذبهم، فلما نزل الوحي تبيّن خلاف ما ظنّوه، وانقلب فرحهم غمًّا. **قوله:** **(واستحمدوا)** أي طلبوا أن يحمدوا.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

(﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ (لَءَايَٰتٍ﴾ **لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر** ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾) لمن خلص عقله عن الهوى

قوله: (﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) قال ابن عباس: إن أهل مكة سألوا النبيّ ﷺ أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية. اهـ خازن. (﴿لَءَايَٰتٍ﴾) اسم إن.

قوله: (لأدلّة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر) إشارة إلى أن الآية في معرض الاستدلال على قوله: (﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾). واعلم أنّ الله تعالى ذكر في سورة البقرة ثمانية أنواع من الدّلائل، حيث قال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: الآية ١٦٤]، واقتصر في هذه السورة على ثلاثة أنواع منها، وترك الخمسة الباقية منها، وجعل فاصلة هذه الآية قوله: (﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾)، وجعل الفاصلة هناك قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤]. واللّب خالص العقل، فإن العقل له ظاهر وله لبّ، ففي أوّل الأمر يكون عقلًا وفي حال كماله ونهاية أمره يكون لبًّا، وهو في أول أمره وإن احتاج إلى كثرة الدّلائل وتظاهر بعضها ببعض، لكنه في حال كماله لا يحتاج إلى تكثير الأدلّة، بل يكتفي بخلاصة الدّلائل وزبدتها، فإنّ الدلائل مع كثرتها لغاية الكثرة مُنحصرة في ثلاثة أنواع؛ لأنها إمّا سمٰوية أو أرضية أو مركّبة منهما، فأشار إلى الأوّل بقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤]، وإلى الثاني بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية ٣٣]، وإلى المركّبة بقوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤]؛ لأنّ تحققه بسبب دَوران الشمس على الأرض، ووجه دلالتها على ما ذكر من الوحدانية وكمال العلم والقدرة أنه تعالى جعل منافع السماء مع بُعدها من الأرض متّصلة بمنافع الأرض حتى لا تقوم منافع هذه إلّا بمنافع الأخرى، فصيّرهما بحسب اتّصال المنافع كالمتصلين مع بُعد ما بينهما، ولو كان لكل واحدة منهما منافع على حِدَة لمنع كلّ واحد منهما منافع ملكه عن الآخر، فدلّ اتّصال المنافع على اتّحاد الصانع والمالك؛ لأن الأشياء المخلوقة على تضادّ من الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لمّا جُعِلت مع اختلافها وتضادّها

خلوص (**اللُّب**) عن (**القشر**)، فيرى أن (**العرض**) المحدث في (**الجواهر**) يدل على حدوث الجواهر، لأن جوهرًا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن

كالأشكال والأمثال في حقّ اتّصال بعضها ببعض، دلّ ذلك على أن مُنْشئها واحد كامل العِلم عظيم القدرة، وخلق هذه الأشياء لمجرّد الإفناء عبثٌ لا يليق بشأن مَنْ كان في العلم والقدرة بهذه المثابة، فلا بدّ أن يكون خلق السمٰوات والأرض لحكمة، وتلك الحكمة لا ترجع إلى نفسهما؛ إذ لا منفعة لهما في الخلق حتى يكون خَلقهما لأنفسهما، فتعيّن أن يكون خلقهما لمنفعة البشر يستدلّوا بهما على وجود الصانع وجلاله وجماله، ويستعينوا بهما على مصالح معادهم ومعاشهم ويستكملوا بحسب قوّتهم النظرية والعملية ويتوسّلوا بتلك الأشكال إلى نَيْل سعادة الآخرة، ثمّ لما فرغ من ذكر آيات الربوبيّة شرع في بيان العبوديّة، ولمَّا كان الإنسان مركّبًا من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن، فأشار إلى عبودية البدن بقوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾)، فإنّ ذلك لا يتمّ إلّا باستعمال الجوارح والأعضاء، وأشار إلى عبودية القلب والروح بقوله: (﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾)، وإنما خصّص التفكّر بالخلق لقوله ﷺ: «**تفكّروا في الخلق ولا تفكّروا في الخالق**»، وإنما نهى عن التفكّر في الخالق؛ لأن معرفة حقيقته المخصوصة غير مُمكنة للبشر، فلا فائدة لهم في التفكّر في ذات الخالق، ثم شرع في تعليم الدعاء تنبيهًا على أن الدعاء إنما يجدي ويستحقّ الإجابة إذا كان بعد تقديم الوسيلة، وهي إقامة وظائف العبودية من الذِّكر والفكر، فانظر إلى هذا الترتيب ما أحسنه. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (اللُّب) بالضمّ. **قوله: (القشر)** بالكسر. **قوله: (العرض)** الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحلّه ويقوم هو به، والأعراض على نوعين: قارّ الذات، وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد. وغير قارّ الذات، وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود؛ كالحركة والسكون. اهـ التعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله: (الجواهر)** الجوهر ماهيّة إذا وُجِدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهي منحصرة في خمسة: هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل؛ لأنه إمّا أن يكون مجرّدًا أو غير مجرّد، فالأوّل إمّا أن يتعلّق بالبدن تعلق التدبير والتصرّف أو لا يتعلق،

الحادث فهو حادث، ثم حدوثها يدلّ على مُحدِثها وذا قديم وإلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا يتناهى، وحُسْن صنعه يدل على علمه، وإتقانه يدل على حكمته، وبقاؤه يدل على قدرته، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: («ويل لمن قرأها) ولم يتفكّر فيها» وحُكِي أنه كان في بني إسرائيل مَن إذا عَبَدَ الله ثلاثين سنة أظلّته سحابة، فعبدها فتى فلم تُظِلّه فقالت له أُمه: لعل فرطة فرطت منك في مدتك. قال: ما أذكر. قالت: لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر. قال: لعلّ. قالت: فما أُوتيت إلا من ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ﴾) في موضع جر نعت لِـ «أولي» أو نصب بإضمار أعني أو رفع بإضمارهم (﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾) يصلون.

والأول العقل، والثاني النفس. والثاني من الترديد، وهو أن يكون غير مجرّد إمّا أن يكون مركّبًا أو لا، والأول الجسم، والثاني إمّا حال أو محل، الأول الصورة والثاني الهيولى، وتسمّى هذه الحقيقة الجوهريّة في اصطلاح أهل الله بالنفس الرحمٰني، والهيولى الكلّية وما يتعيّن منها وصار موجودًا من الموجودات بالكلمات الإلـٰهيّة، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٩].

واعلم أنّ الجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني؛ كالعقول والنفوس المجرّدة، وإلى بسيط جسماني؛ كالعناصر، وإلى مركّب في العقل دون الخارج؛ كالماهيّات الجوهرية المركّبة من الجنس والفصل، وإلى مركّب منهما؛ كالمولدات[1] الثلاث. اهـ التعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله: (ويلٌ لمن قرأها)**... الخ، أخرجه ابن حبان عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أي الهلاك العظيم لمن قرأها، أي هذه الآية، ولم يتفكّر، أي لم ينظر في أحوال المذكورات في هذه الآية، ولم يهتدِ إلى معرفة الله تعالى سبحانه وتعالى.

---

(١) الثلاثة المواليد عند الحكماء المعدن والنبات والحيوان، ١٢ منه عمّ فيضهم.

(﴿قِيَـٰمًا﴾) قائمين عند القدرة (﴿وَقُعُودًا﴾) قاعدين ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي (**مضطجعين**) عند العجز و﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ حالان من ضمير الفاعل في ﴿يَذْكُرُونَ﴾. و﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ حال أيضًا، أو المراد الذِّكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الأحوال، وفي الحديث («مَن أحبَّ أن يرتع) في رياض الجنة فليُكثِر ذِكر الله» (﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) وما يدلّ عليه (**اختراع**) هذه الأجرام العِظام (**وإبداع**) صنعتها وما دبر فيها مما (**تكلّ**) الأفهام عن إدراك بعض عجائبه من عِظَم شأن الصَّانِع وكبرياء سلطانه، وعن النبي ﷺ («**بينا رجل**) مُستَلْقٍ على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال: أشهد أن لك ربًا وخالِقًا، اللَّهمَّ اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له»، وقال ﷺ: («**لا عبادة كالتفكّر**»)، وقيل: الفكرة تُذهِب الغفلة وتُحدِث للقلب الخشية، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ أي يقولون ذلك وهو في محل الحال أي يتفكرون قائلين، والمعنى ما خلقته خلقًا باطلًا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك، و«هذا» إشارة إلى الخلق على أن المراد به المخلوق، أو إلى السمٰوات والأرض لأنها في معنى المخلوق كأنه قيل: ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلًا (﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾) تنزيهًا لك عن الوصف بخلق الباطل (**وهو اعتراض**) ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره إذا نزّهناك فَقِنا.

قوله: (﴿قِيَـٰمًا﴾) مصدر بمعنى الفاعل. وأمّا قعود يحتمل أن يكون جمع قاعد. **قوله:** (**مضطجعين**) تفسير لمعنى الجار والمجرور أو لمتعلّقه الخاص. **قوله:** (من أحب)... الخ، حديث مخرّج صحيح. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**أن يرتع**) أي أن يتّسع في التنعّم وأكل الفواكه ونحوها. **قوله:** (**اختراع**) أي إنشاء. **قوله:** (**إبداع**) أي اختراع لا على مثال. **قوله:** (**تكلّ**) في المصباح: كَلّ يكلّ من باب ضرب، كلالة تعِب وأعْيا. اهـ.

قوله: (بَينا **رجل**)... الخ. أخرجه ابن حبان. **قوله:** (**لا عبادة كالتفكّر**) أخرجه ابن حبان والبيهقي. **قوله:** (﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾) مصدر منصوب بفعل. **قوله:** (**وهو اعتراض**) للتنزيه عن العبث وأن يخلق شيئًا من غير حِكْمة.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهَنْتَه أو أهلكته أو فضحته، واحتجَّ أهل الوعيد بالآية مع قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: الآية ٨]. في أن مَن يدخل النار لا يكون مؤمنًا ويخلد. قلنا: قال **(جابر)**: إخزاء المؤمن تأديبه وإن فوق ذلك لخزيًا ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ اللام إشارة إلى مَن يدخل النار والمراد الكفَّار ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ من أعوان وشُفَعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ تقول: سمعت رجلًا يقول كذا، فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع **(لأنك وصفته)** بما يسمع فأغناك عن ذِكره، ولولا الوصف لم يكن منه بُدٌّ **(وأن يُقال)** سمعت كلام فلان. **(والمنادي هو الرسول** عليه السلام **أو القرآن)** ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ لأجل الإيمان بالله، وفيه تفخيم لشأن المنادي إذ لا منادي أعظم

قوله: (جابر) بن عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (لأنك وصفته)** أي الرجل بما يسمع في صورة النَّكرة مثل: سمعت رجلًا يقول كذا، أو فعلت ما يسمع حالًا عنه في صورة المعرفة، مثل: سمعت زيدًا يتكلّم كذا فأغناك عن ذكره، أي المسموع. لكن لا يخفى أنه لا يصح إيقاع فعل السماع على الرجل إلا بالإضمار أو مجازًا، أي سمعت كلامه وإنّ الأوفق بالمعنى فيما جعله وصفًا أو حالًا أن يجعل بدلًا بتأويل الفعل بالمصدر على ما يراه بعض النحاة، لكنه قليل الاستعمال، فلذا آثر الوصفية والحالة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (وأن يقال)** عطف على المجرور في منه، لكنه بإعادة الجار تقديرًا؛ إذ الحذف من أن وإن شائع. **قوله: (والمنادي هو الرّسول عليه السلام)**، فإنه ينادي ويدعو إلى الإيمان حقيقةً، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل: الآية ١٢٥]، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٦]، **(أو القرآن)** لا الرّسول عليه السلام؛ لأن كلّ أحد لم يلقَ الرسول والصفات المذكورة إنما هي من صفات أُولي الألباب من المؤمنين، لا ممّن شاهد الرّسول وسمع نداءه فقط، بخلاف القرآن، فإنّ كل واحد من أُولي الألباب من المؤمنين سمعه وفهم مدلوله، فإنّ القرآن لاشتماله على

من مُنادٍ ينادي للإيمان ﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾ **(بأن آمنوا أو أي آمنوا)** ﴿بِرَبِّكُمْ (فَـَٔامَنَّاۚ)﴾ قال **(الشيخ أبو منصور)** ﷺ: **(فيه دليل بُطلان الاستثناء في الإيمان)** ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ كبائرنا ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ صغائرنا ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ مخصوصين بصحبتهم **(معدودين)** في جملتهم، والأبرار المتمسّكون بالسُّنَّة جمع «بر» أو «بار» كـ «رب» وأرباب وصاحب وأصحاب.

بيان ما هو الحقّ في كل باب، بحيث كان مَنْ تأمّله يصل به إلى الحقّ إذا وفّقه الله تعالى لذلك صار كأنّه يدعو إلى نفسه وينادي بما فيه، وإطلاق النطق على الدلالة شائع كثير، وما أُسند إليه من النداء، وإنْ كان مجازًا عن الدّلالة والإرشاد إلّا أنه مجاز متعارف. اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله: (بأن آمنوا)** على أن تكون مصدرية على حذف الباء، أي ينادي إلى الإيمان بإيراد لفظ يدلّ على طلب الإيمان وهو صيغة الأمر، فلا يرد أن يقال: لو كانت مصدرية كان المعنى للإيمان بالإيمان، وهو التّكرار. **قوله: (أو أي آمنوا)**، يعني: يجوز أن تكون مفسّرة بمعنى أي.

قوله: (الشيخ أبو منصور) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي إمام المتكلّمين ومصحّح عقائد المسلمين، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، والماتريدي نسبة إلى ماتريد محلّة بسمرقند. **قوله: (فيه دليل بطلان الاستثناء في الإيمان)** عبارة تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه فيه دلالة أن لا ثنيا في الإيمان خلافًا لقول أصحاب الحديث؛ لأنهم أطلقوا القول في الإخبار عن إيمانهم من غير ذكر حرف الثنيا، وهو قوله: إن شاء الله تعالى، ولا أمرهم أيضًا مع الثنيا بقوله: (﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾)، دلّ أنّ الإيمان مما لا يحتمل، والله أعلم. اهـ.

قوله: (معدودين) في جملتهم بدل من قوله: مخصوصين بصحبتهم أتبعه به لبيان أن ليس المراد من التوفّي مع الأبرار حقّية المعية في التوفّي، لأن ذلك مُحال ضرورة أن توفيهم، إنما هو على سبيل التعاقب لا المعيّة، بل المراد أن يكونوا معدودين في جملتهم منخرطين في سلكهم على سبيل الكناية، والحاصل أنه ليس المراد من المعيّة المعيّة الزمانيّة، بل المراد المعية في الاتّصاف بصفة الأبرار حال التوفّي.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا (وَعَدتَّنَا) عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ **(أي على تصديق رسلك، أو ما وعدتنا منزلًا على رسلك)**، أو على ألسنة رسلك، و«على» متعلق بـ «وعدتنا» والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء. وإنما طلبوا إنجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد، أو المراد اجعلنا ممَّن لهم الوعد، إذ الوعد غير مُبيّن لمَن هو، أو المراد ثبِّتنا على ما يُوصِلنا إلى عدتك يؤيده قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أو هو إظهار للخضوع والضراعة ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ **(هو مصدر)** بمعنى الوعد.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي أجاب، يقال استجاب له واستجابه ﴿أَنِّى﴾ بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ «منكم» صفة لـ «عامل» ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ **(بيان لـ «عامل»)** ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ الذَّكر من الأنثى والأنثى من الذَّكر كلكم بنو آدم،

قوله: (أي على تصديق رسلك) بتقدير المضاف وحذفه اعتمادًا على القرينة، وهي كون الآية مذكورة عقب ذكر المنادى، وهو الرّسول، وعقب قوله: (﴿فَـَٔامَنَّا﴾) وهو التصديق، وعلى هذا تكون كلمة على متعلّقة بقوله: (﴿وَعَدتَّنَا﴾)، كما في قولك: وعد الله الجنّة على الطاعة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قدر التصديق للرسل عليهم الصّلاة والسلام؛ لأن المراد بالمنادي الرّسول ﷺ على الأرجح. اهـ. **قوله: (أو ما وعدتنا منزلًا على رسلك)**، أي ويجوز أن يعلّق على بمحذوف منصوب على أنه حال من مفعول آتنا، وهو منزلًا. **قوله: (هو مصدر)** أي اسم مصدر.

قوله: (بيان لـ «عامل») بمعنى شخص عامل، والشخص يعمّ الذَّكر والأنثى بلا تغليب، ولك اعتبار التغليب؛ لأن المراد جنس عامل فغلب الذكر على الأنثى في إطلاق عامل. اهـ قنوي رحمه الله.

أو بعضكم من بعض في النصر والدِّين، **(وهذه جملة معترضة)** بيَّنت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده العامِلين. عن **(جعفر الصادق)** ﷺ: **(من حزبه)** أمر فقال خمس مرات: «ربنا» أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ الآيات. (﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾) مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم **(على سبيل التعظيم له)** كأنه قال: فالذين عملوا هذه الأعمال السَّنِيَّة الفائقة وهي المهاجَرة عن أوطانهم فارِّين إلى الله بدينهم إلى حيث يأمنون عليه، فالهجرة كائنة في آخر الزمان كما كانت في أول الإسلام ﴿وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ التي وُلِدوا فيها ونشأوا ﴿وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى﴾ بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين ﴿وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وغزوا المشركين واستشهدوا، **(«وقتّلوا»: مكي وشامي، «وقتلوا وقاتلوا» على التقديم**

قوله: (وهذه جملة معترضة) معنى كونها معترضة أنه جِيءَ بها بين قوله: عمل عامل وبين ما فصل به عمل العامل من قوله: (﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾)، فإنه تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم. **قوله: (جعفر الصادق)** هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم الهاشمي المدني الصادق، أمّه أُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه. رَوَى عن أبيه والقاسم بن محمد ونافع وعطاء ومحمد بن المُنكدر والزهريّ وغيرهم. روَى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد عَلِمت أنه من سلالة النبيّين. قال البخاري في تاريخه: وُلِد جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة رحمه الله.

قوله: (من حزبه) بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة والباء الموحدة، أي أهمّه، ويجوز أن يكون بالنون أيضاً. **قوله: (على سبيل التعظيم له)** أي للعامل أو عمله، وذلك لما فيه من التفصيل بعد الإجمال والتخصيص بعد التعميم والإخبار على سبيل القسم بتكفير السيّئات وإدخال الجنّات وعظم الثواب من الله تعالى الجامع لصفات الكمال. **قوله: (وقتلوا)** بتشديد تاء (مكّي) أي ابن كثير المكّي، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف. **قوله: (وقتلوا وقاتلوا)** ببناء الأوّل للمفعول، والثاني للفاعل **(على التقديم)** أي تقديم قتلوا على قاتلوا،

والتأخير: حمزة وعلي). وفيه دليل على أن الواو لا تُوجِب الترتيب والخبر. ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ وهو جواب قَسَم محذوف ﴿ثَوَابًا﴾ في موضع المصدر المؤكد يعني إثابة أو تثويبًا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾ ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ في معنى لأثيبنّهم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ أي يختصّ به ولا يقدر عليه غيره.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

ورُوِيَ أن طائفة من المؤمنين قالوا: إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع، فنزل ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ والخطاب لكل أحد أو للنبي ﷺ والمراد به غيره، أو لأن **(مدرة القوم)** ومقدَّمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعًا فكأنه قيل: لا يغرنكم. أو لأن رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [القصص: الآية ٨٦]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤] وهذا في النهي نظير قوله في الأمر ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: الآية ٧]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾ [النساء: الآية ١٣٦].

﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي تقلّبهم في البلاد متاع قليل، وأراد قِلّته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين من الثواب، أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ وساء ما مهدوا لأنفسهم.

(والتأخير) أي تأخير قاتلوا، **(حمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بتقديم المبنيّ للفاعل.

قوله: (مدرة القوم) زعيمهم والذي يكلّم عنهم. اهـ محشيّ رحمه الله.

قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ [القصص: الآية ٨٦] معينًا للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه.

﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ عن الشرك ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ (النزل والنزل) ما يُقام للنَّازل وهو حال من ﴿جَنَّٰتٍ﴾ لتخصّصها بالصفة، والعامل اللام في ﴿لَهُمْ﴾ أو هو مصدر مؤكّد كأنه قيل (رزقًا أو عطاءً) ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ صفة له ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الكثير الدائم ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ مما يتقلّب فيه الفجار من القليل الزائل. («لكن» بالتشديد: يزيد) وهو للاستدراك أي لإبقاء تمتّعهم لكن ذلك للذين اتقوا. ونزلت في (ابن سلام) وغيره من مسلمي أهل الكتاب، أو في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ (لَمَن يُؤْمِنُ) بِٱللَّهِ﴾ (دخلت لام الابتداء على اسم «إن») لفصل الظرف بينهما ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتابين ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من فاعل ﴿يُؤْمِنُ﴾ لأن مَن يؤمن في معنى الجمع ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعل مَن لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أي غير مُشترين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

قوله: (النزل والنزل)... الخ. يعني بضمّتين أو ضمّ فسكون. **قوله:** (رزقاً أو عطاء) أي رزقوا رزقًا وأعطوا عطاءً. **قوله:** (لكن بالتشديد) أي بتشديد النّون (يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. والباقون بالتخفيف. **قوله:** (ابن سلام) أي عبد الله بن سلام ـ بتخفيف اللام ـ ابن الحارث الإسرائيليّ الأنصاري الخزرجي الصحابي رضي الله تعالى عنه.

قوله: (دخلت لام الابتداء على اسم إن) أي على اسم إن في قوله: (﴿لَمَن يُؤْمِنُ﴾)، مع أن النحاة منعوا دخول لام الابتداء عليه بناءً على انتفاء المانع من دخولها عليه، وهو توالي حرفي التأكيد، ولمّا توسّط الخبر بين إن واسمها انتفى

(أي ما يختصّ بهم من الأجر وهو ما وعده في) قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لنفوذ علمه في كل شيء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ على الدِّين وتكاليفه. قال (الجنيد) ﷺ: الصبر حبس النفس على المكروه بنفي (الجزع) ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداء الله في الجهاد (أي غالِبوهم) في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرًا منهم وثباتًا ﴿وَرَابِطُواْ﴾ وأقيموا في (الثغور رابطين خيلكم) فيها مترصِّدين مستعدِّين للغزو ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الفلاح: البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه، و«لعل» لتغييب المآل لئلا يتّكلوا على الآمال عن تقديم الأعمال. وقيل: اصبروا في محبتي، وصابروا في نعمتي، ورابِطوا أنفسكم في خدمتي لعلكم

المانع من دخولها عليه، فدخلت لذلك. **قوله: (أي ما يختصّ[1] بهم من الأجر)** اختصاص الأجر بهم مُستفاد من إضافته إليهم **(وهو ما وعده في)** قوله في سورة القصص: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: الآية ٥٤])، أي لإيمانهم بكتابهم وبالقرآن.

قوله: (الجنيد) أي أبو القاسم الجنيد بن محمد رضي الله تعالى عنه. **قوله: (الجَزَع)** ضدّ الصبر، وبابه طرب. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (أي غالبوهم)**... الخ. يعني أن المصابرة مفاعلة، فهو المجاهدة للعدوّ، أو لأعدى الأعداء، يعني النفس لأنه الجهاد الأكبر، وذكره بعد الصبر العام؛ لأنه أشد فيكون أفضل، فهو كعطف جبرئيل على الملائكة والصلاة الوسطى على الصلوات. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (الثغور)** أطراف ممالك الإسلام التي يخاف فيها من العدوّ. اهـ شهاب رحمه الله. وفي المصباح: الثغر من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدوّ، فهو كالثُّلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها، والجمع ثغور مثل فلس وفلوس. اهـ. **قوله: (رابطين خيلكم)**... الخ. عبارة الخازن: ورابطوا، يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه، وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم،

---

(١) معنى المخصوص مستفاد من الإضافة في أجرهم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تُفلِحون تظفرون بقربتي. (قال النبي ﷺ: «**اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان**) أو غيايتان (**أو فرقان من طير صواف تُحاجّان عن أصحابهما**») والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بحيث يكون كلّ من الخصمَيْن مستعدٌّ لقتال الآخر، ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمّن وراءه مُرابِط، وإن لم يكن له مركب مربوط.

(ق) يعني أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنّة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرَّوحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خيرٌ من الدنيا وما عليها**».

(م) يعني أخرج مسلم عن سلمان الخير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأُجري عليه رزقه وأمِنَ الفتّان**». وقيل: المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة، قال أبو سلمة بن عبد الرحمٰن: لم يكن في زمن النبيّ ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة، ويدلّ على صحة هذا التأويل ما رُوِي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألَا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**» أخرجه مسلم. اهـ.

قوله: (**قال النبيّ** ﷺ: «**اقرؤوا الزهراوين**) تثنية الزهراء تأنيث الأزهر، وهي المضيء شديد الضوء، أي النيّرتين لنورهما وهدايتهما أو عظم أجرهما، فكأنهما بالنسبة إلى ما عداهما عند الله بمكان القمرين من سائر الكواكب، وقيل: لاشتهارهما شُبِّهتا بالقمرين. (**البقرة وآل عمران**) النصب على البدليّة أو بتقدير أعني، ويجوز رفعهما، أو سمّيتا زهراوين لكثرة أنوار الأحكام الشرعية والأسماء الحسنى العلية، وذكر السورة في الثانية دون الأُولى لبيان كلٍّ منهما، (**فإنهما**) أي ثوابهما الذي استحقّه التالي العامل بهما، أو هما يتصوّران ويتجسدان ويتشكّلان (**تأتيان**) أي تحضران (**يوم القيامة كأنهما غمامتان**) أي سحابتان تظلّان صاحبهما عن

....

حرّ الموقف، قيل: هي ما يغمّ الضوء ويمحوه لشدَّة كثافته، أو غيايتان ـ وهي باليائين ـ ما يكون أدْوَن منهما في الكثافة وقرب إلى رأس صاحبهما، كما يُفعل بالملوك، فيحصل عنده الظلّ والضوء جميعًا. (أو فرقان) بكسر الفاء أي طائفتان (من طير) جمع طائر (صواف) جمع صافّة وهي الجماعة الواقفة على الصفّ والباسطتان أجنحتهما متّصلًا بعضهما ببعض، وهذا بيِّن من الأوّلين؛ إذ لا نظير له في الدنيا إلّا ما وقع لسليمان عليه السلام، وأو يحتمل الشكّ من الراوي والتخيير في تشبيه هاتين السورتين، والأَوْلى أن يكون لتقسيم التالين؛ لأن أو من قول الرسول لا من تردّد عن الرواة لاتفاق الرواة عليه على منوال واحد. قال الطيبي: أو للتنويع، فالأُولى لمن قرأهما ولا يفهم معناهما، والثاني لمن جمع بينهما، والثالث لمن ضمّ إليهما تعليم الغير. (تُحاجّان) أي السورتان تدفعان الجحيم والزبانية، أو تجادلان وتخاصمان الربّ أو الخصم. (عن أصحابهما»)، وهو كناية عن المبالغة للشفاعة، رواه مسلم عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه، والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّت سورة آل عمران،
اللّهمّ وفّقنا لإتمام باقيه وألْهِمْنا لفهم معانيه
والحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسلام على رسوله وآله أجمعين

(سورة النساء)

نزلت (بالمدينة) آياتها وهي (مائة وست وسبعون آية)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا بني آدم ﴿(ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ) ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ فرعكم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة النساء مدنية، وهي مائة وستّ وسبعون آية) وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستّة عشر ألف حرف وثلاثون حرفًا. **قوله** تعالى: (﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾) اعلم أنّ الله تعالى افتتح هذه السورة الكريمة بالأمر بتقوى الله الذي هو خالقنا على كيفية بديعة، وهي أنه تعالى خلق نفسًا واحدة من تراب أوّلًا، ثم خلق من بعض أضلاعها زوجها، ونشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بنين وبنات لا تُحصى، ثم ذكر سائر التكاليف المذكورة في هذه السورة من التعطّف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم وإيصال حقوقهم وحفظ أموالهم، وبهذا المعنى ختمت السورة، وهو قوله: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء: الآية ١٧٦]، وذكر في أثناء هذه السورة أنواعًا أُخر من التكاليف، وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين وغيرها، والسرّ فيه والله أعلم أن هذه التكاليف شاقّة تستثقل الطّباع لها والنفوس لا تقيد بها ما لم يحمل عليها حامل، وذلك الحامل هو تقوى الإلـه القادر على كل شيء، فإنّ تقوى الله عزّ وجلّ هو الحامل على إتيان كل خير واجتناب كل شرّ، فلذلك افتتح بالأمر بالتقوى ورتّب عليه سائر

أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم ﴿وَخَلَقَ (مِنْهَا زَوْجَهَا)﴾ معطوف على محذوف كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها، والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حوَّاء **(من ضلع)** من أضلاعه ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ ونشر من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ كثيرة أي وبثَّ منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها، **(أو على خلقكم)** والخطاب في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ للذين بعث إليهم رسول الله ﷺ، والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أُمكم حوَّاء وبثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً غيركم من الأمم الفائتة للحصر. فإن قلت: الذي تقتضيه **(جزالة النَّظم)** أن يُجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعو إليها، فكيف كان خلقه إياهم

التكاليف. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (من ضلع) من أضلاعه كما ورد في الحديث الصحيح، وهو القول المرضيّ. اهـ شهاب. وأيضًا فيه بعيد هذا، هذا هو الصحيح كما مرّ، وهو من حديث رواه الشيخان. اهـ. أي من عظم جنبه، أي من ضلعه الأيسر، فلذا كان كل إنسان ناقصًا ضلعًا من الجانب الأيسر، فجهة اليمين أضلاعها ثمانية عشر وجهة اليسار أضلاعها سبعة عشر، وقصة خلقها أنّ الله تعالى ألقى النوم على آدم ثم نزع ضلعًا من أضلاع جنبه الأيسر وهو الأقصر، فخلق منه حوّاء وخلق مكان الضلع لحمًا من غير أن يحسّ آدم بذلك، ولم يجد ألمًا ولو وجد ألمًا لما عطف رجل على امرأته. وقوله: ضلع، في المصباح: الضّلع من الحيوان بكسر الضاد. وأمّا اللام، فتفتح في لغة الحجاز وتسكّن في لغة تميم، وهي أنثى وجمعها أضلع وأضلاع وضلوع وهي عظام الجنبين. اهـ. وفي القاموس: الضلع كعِنَب وجذع مؤنّثة جمع أضْلُع وضلوع وأضلاع. اهـ. وفي شرحه المسمّى بتاج العروس قال شيخنا: وحكى بعض المحشين فتح الضاد مع سكون اللام، وهو غير معروف في دواوين اللغة. قلت: وقد ولعت به العامّة حتى كادوا لا ينطقون بغيره لخفّة على اللّسان، ولولا أن القياس لا مدخل له في اللغة لكان له وجه. اهـ. وأيضًا فيه مؤنّثة، كما هو المشهور، وقيل: مذكرة، وقيل: بالوجهين، وهو مختار ابن مالك وغيره. اهـ. وقيل: إن حوّاء لم تخلق من آدم، وإنما خُلِقت من طينة فَضُلت من طينته، وأنّ قوله تعالى: (﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾) فيه تقدير مضاف، أي وخلق من جنسها. **قوله: (أو على خلقكم)** أي أو معطوف على خلقكم. **قوله: (جزالة النظم)** خلاف

من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره داعيًا إليها؟ قلت: لأن ذلك مما يدلّ على القدرة العظيمة، ومَن قدر على نحوه كان قادرًا على كل شيء، ومن المقدورات عقاب الكفّار والفُجّار فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتّقي القادر عليه ويخشى عقابه، ولأنه يدلّ على النعمة **(السابغة)** عليهم فحقهم أن يتّقوه في كفرانها. قال ﷺ عند نزول الآية: «خُلِقَت المرأة من الرجل فهمّها في الرجل وخُلِق الرجل من التراب **(فهمّه في التراب»)** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ والأصل «تتساءلون» فأدغمت التاء في السين بعد إبدالها سينًا **(لقرب التاء من السين للهمس. ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ بالتخفيف: كوفي)** على حذف التاء الثانية استثقالًا لاجتماع التاءين أي يسأل بعضكم بعضًا بالله وبالرَّحم فيقول بالله وبالرحم: افعل كذا **(على سبيل الاستعطاف)** ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور كقولك: «مررت بزيد وعمرًا»، **(وبالجر: حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف،**

الرّكيك. **قوله: (السابغة)** أي التامّة. **قوله: (فهمّه في التراب)** أي في الزراعة والتجارة والعمارة. **قوله: (لقرب التاء من السين للهمس)**، ولهذا تبدل من السين، فيقال: ستّ والأصل سدس والهمس في اللغة الخفاء، وسُمّيت مهموسة لجريان النَّفَس معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها وضدّها المجهورة، والجهر في اللغة الصوت القوي الشديد، وسمّيت مجهورة لمنع النَّفَس وحصره أن يجري معها لقوّتها وقوّة الاعتماد عليها عند خروجها. قال في الجزري: مهموسها فحثّه شخص سكت. اهـ. **قوله: (﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ بالتخفيف)** أي بتخفيف السين **(كوفي)** أي عاصم **(حمزة)** والكسائي وخلف. والباقون بالتشديد على إدغام تاء التفاعل في السين. **قوله: (على سبيل الاستعطاف)**، أي طلب العطف والحنوّ، قالوا: إذا كان جواب القسم طلبًا فهو الاستعطاف، وقيل: بل إذا كان القسم مما يقتضي ذلك؛ كالله الكريم الرحيم وكالرّحم والقرابة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (بالجرّ على عطف الظاهر على الضمير)** على مذهب الكوفيّين أو أُعيد الجار وحُذِف للعلم به أو جرّ على القسم تعظيمًا للأرحام حثًّا على صلتها، وجواب: إن الله... الخ. وافقه المطوعي. والباقون بالنصب. اهـ إتحاف. **قوله: (وهو ضعيف)** أي فصيح غير أفصح، وقراءة الجمهور أفصح، وهذا مراد الشيخين بالضعف حيثما

لأن الضمير المتصل كاسمه متصل) والجار والمجرور كشيء واحد فأشبه العطف على بعض الكلمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ حافظًا أو عالمًا.

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢﴾

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ يعني الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم. **(واليُتم)**: الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، وقيل: اليُتم في الأناسي من قبل الآباء، وفي البهائم من قبل الأُمهات، وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يُسَمُّوا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافِل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم. وقوله عليه

ذكراه، قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ [هُود: الآية ٨١] من سورة هود، ولا بدع في اختيار القرّاء غير الأفصح، انتهى. ودلالته على ما ذكرناه لا يخفى، ويؤيّده ما ذكرناه أيضًا ما نُقِل عن الكوفيّين من أن العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار صحيح، فصيح مشهور عند العرب، وما ذكره البصريّون في وجه الضعف من أنه بمنزلة بعض الكلمة، فكما لا يجوز العطف على جزء الكلمة لا يجوز العطف عليه، فمدفوع بأنّ كون الشيء في منزلة شيء آخر لا يقتضي كونه كذلك في كل الأحكام، وهذه قراءة متواترة، فيجب على كلّ أحد قبولها وتصحيحها بمثل ما ذكرناه، وما قاله ابن عطيّة أنّ المعنى لا ينتظم في العطف على المجرور؛ لأن التساؤل بالأرحام لا دخل له في الحضّ على التقوى من الله تعالى، فلا فائدة في عطفها فضعيف؛ إذ المعنى: واتّقوا الله في حقوق الله تعالى وفي حقوق العباد أيضًا، لأنكم متساءلون بها أيضًا وتعظّمونها كما تعظّمون الله تعالى حيث تساءلون بالأرحام كما تساءلون بالله تعالى. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (لأن الضمير المتّصل كاسمه متّصل)، هذا كقولهم: لا زال كاسمه مسعود، وهو تشبيه غريب من حيث اعتبر اشتراك الطرفين في وجه الشبه، بمعنى كون أحدهما متّصفًا بمعناه، والآخر نفس لفظه. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (واليُتم) بضمّ الياء وفتحها مع سكون التاء فيهما.

السلام: («**لا يُتْمَ بعد الحلم**» **تعليم شريعة لا لغة**) يعني أنه إذا احتلم لم تَجْرِ عليه أحكام الصغار. والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ، وسمّاهم يتامى لقُرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر، وفيه إشارة إلى أن لا يؤخّر دفع أموالهم إليهم عن حدّ البلوغ إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها (**قبل أن يزول**) عنهم اسم اليتامى والصغار ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ ولا تستبدلوا الحرام ـ وهو مال اليتامى ـ بالحلال وهو مالكم، أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث (ـ **وهو اختزال أموال اليتامى** ـ) بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها. والتفعّل بمعنى الاستفعال (**غير عزيز**) ومنه التعجّل بمعنى الاستعجال ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ «إلى» متعلقة بمحذوف وهي في موضع الحال أي مضافة إلى أموالكم. والمعنى ولا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرّقوا بين أموالكم وأموالهم قلّة مُبالاة بما لا يحلّ لكم وتسوية بينه وبين الحلال ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن أكلها ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ذنبًا عظيمًا.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ أي لا تعدلوا. أقسط أي عدل ﴿فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ يقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم، وأما أيتام فجمع يتيم لا غير ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ ما حلّ لكم ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لأن منهن ما حرم الله كاللاتي في آية التحريم. وقيل: «ما» ذهابًا إلى الصفة لأن ما يجيء في صفات مَن يعقل فكأنه قيل: الطيبات من النساء، ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير

قوله: (لا يُتْم بعد الحُلُم) رواه البزار، والحُلُم ـ بالضم ـ ما يراه النائم مطلقًا، لكن غلب استعماله فيما يرى من أمارة البلوغ، كذا في النهاية. **قوله: (تعليم شريعة لا لغة)** أي تعليم للشريعة لا تعليم اللّغة. **قوله: (قبل أن يزول)** عنهم، اسم اليتامى والصغار، أي قبل أن يشتهر زوال هذا الاسم. اهـ قنوي. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: أي قبل أن يتحقّق زواله، وإلا فقبل زواله لا يؤتى. اهـ. **قوله: (وهو اختزال أموال اليتامى)** الاختزال ـ بإعجام الخاء والزاء ـ الاقتطاع والاقتطاف. **قوله: (غير عزيز)** أي غير قليل، أي كثير.

العقلاء ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾ قيل: كانوا **(لا يتحرَّجون من الزِّنى)** ويتحرَّجون من ولاية اليتامى فقيل: إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزِّنا فانكحوا ما حلَّ لكم من النساء **(ولا تحوموا حول المحرَّمات)**، أو كانوا يتحرَّجون من الولاية في أموال اليتامى ولا يتحرَّجون من الاستكثار من النساء مع أن الجور يقع بينهنّ إذا كثرن فكأنه قيل: إذا تحرَّجتم من هذا فتحرجوا من ذلك. وقيل: وإن خفتم أن لا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات. يقال طابت الثمرة أي أدركت (﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾) نكرات. وإنما منعت الصرف للعدل والوصف، **(وعليه دلَّ كلام سيبويه)** ومحلهنَّ النصب على الحال «من النساء» أو «مما طاب» تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا. فإن قلت: الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في (﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾)؟ قلت: الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي **(أطلق)** له كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال ـ وهو ألف درهم ـ درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ولو أفردت لم يكن له معنى. وجيء بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق، ولو جيء بـ «أو» مكانها لذهب معنى التجويز ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ بين هذه الأعداد ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ فالزموا أو فاختاروا واحدة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾ سوّى في اليسر بين الحرّة الواحدة وبين **(الإماء)** من غير حَصْر (﴿ذَٰلِكَ﴾)

قوله: (لا يتحرّجون من الزنى) أي لا يبعدون ولا يُحرجون منه، يقال: تحرّج إذا فعل ما يخرج به من الإثم والحرج. **قوله: (ولا تحوموا حول المحرّمات)** في المصباح: حام الطائر حول الماء حومانًا دار به، وفي الحديث: «**فمن حام حول الحِمى يوشك أن يقع في الحمى**»، أي من قارب المعاصي ودنا منها قَرُب وقوعه فيها. **قوله:** (﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾) معدولة عن أعداد مكرّرة، هي ثنتين ثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا. **قوله: (وعليه دلّ كلام سيبويه)** هو أبو بشر عمرو بن عُثمان بن قُنبَر رحمه الله، واختُلف في أن هذه الألفاظ المعدولة هل يجوز فيها القياس أو يقتصر فيها على السماع؟ فذهب البصريّون إلى أنه لا يجوز فيها القياس، وذهب الكوفيّون وأبو إسحٰق إلى جوازه، والمسموع من ذلك أحد عشر لفظًا آحاد وموحّد وثناء ومثنّى وثلاث ومثلّث ورباع ومربع ومخمس، ولم يسمع خماس وعشار ومَعْشر. **قوله: (الإماء)** وزان كتاب جمع الأَمَة. **قوله: (أطلق)** أي

إشارة إلى اختيار الواحدة و(**التسرّي** ﴿أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾) أقرب من أن لا تميلوا ولا تجوروا، يقال عالَ الميزان عولًا إذا مال، وعال الحاكم في حكمه إذا جارَ. ويُحكَى عن (**الشافعي**) ﷺ أنه فسَّر «أن لا تعولوا» أن لا تكثر عِيالكم واعترضوا عليه بأنه يقال: أعالَ يعيل إذا كثر عياله. وأُجيب بأن يجعل من قولك: «عال الرجل عياله يعولهم» كقولك: «مانهم يمونهم» إذا أنفق عليهم لأن مَن كَثُر عِياله لزمه أن يعولهم، (**وفي ذلك ما يصعب عليه**) المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال. وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحمل على (**السداد**) وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا (**كأنه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات**).

أبيح. **قوله:** (التسرّي) اتّخاذ الأمَة سرّية، وهي الأمَة التي بوّأها مولاها بيتًا، وهي فعلية منسوبة إلى السرّ، وهو الجماع أو الإخفاء؛ لأن الإنسان كثيرًا ما يسرّها ويسرّها عن حرّته، وضمّت سين السّر في النسبة إليه، لأن الابنيّة قد تغيّر في النسبة خاصّة، كما قالوا في النسبة إلى الدَّهر دهريّ، وإلى الأرض السهلة سهليّ. **قوله:** (الشافعي) هو الإمام البارع محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب القريشي المطّلبي الشافعي الحجازيّ المكّي، توفي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة ﷺ. **قوله:** (**وفي ذلك**) أي في كثرة العيال (**ما يصعب عليه**) أي على من يكثُر عياله، فما مصدرية، ويجوز أن يكون موصولة والعائد محذوفًا، أي معه، أو يكون عليه بمعنى معه والضمير لما. **قوله:** (**السّداد**) بالفتح وهو الصواب. **قوله:** (**كأنه سلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات**)، نُقِل عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنّه قال: (﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾) معناه، ذلك أدنى أن لا تكثر عيالكم. وطعن أبو بكر الرازي والزجّاج والجرجاني صاحب النظم على الإمام الشافعي، وقالوا: ما ذكره الإمام الشافعي رحمه الله في معنى: لا تعيلوا لا معنى لا تعُولوا، فإنّ مادة عالَ بمعنى كَثُر عياله من ذوات الياء، يقال: عال يعيل. وأما عال بمعنى جار، فهو من ذوات الواو، يقال: عال يعول، فاختلف المادّتان فتفسير تعولوا بما هو تفسير لتعيلوا خطأ في اللغة، ويقال أيضًا: أعال يعيل إعالة إذا كَثُر عياله، ولا يُستعمل عال يعُول في هذا المعنى، ولم يفرّق الإمام الشافعي ﷺ بين عالَ وأعال، ووجّه المصنّف رحمه الله تعالى كلام الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه بحمله على معنى لا يتّجه عليه الطعن المذكور، وجعله من باب الكناية، وهي ذكر اللازم وإرادة الملزوم؛ كقوله:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مهورهنَّ ﴿نِحْلَةً﴾ (**من نحله**) كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نِحلَة ونِحلًا، وانتصابها على المصدر لأن النِّحلَة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قال: وأنحِلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهنَّ مهورهنَّ عن طِيبة أنفسكم، أو على الحال من المخاطبين أي آتوهنَّ صَدُقاتهنَّ

فلان طويل النّجاد وكثير الرماد، والمراد بيان أنه طويل القامة وكثير الضّيافة، لكن عبّر عنهما بما يلزمهما، فإن طول القامة لا ينفكّ عن طول النّجاد، وكذا كثرة الضيافة لا تنفكّ عن كثرة الرماد، وكذا الحال فيما نحن فيه، فإنّ المقصود أن يقال: ذلك التقليل أو اختيار الواحدة أو التسرّي أقرب إلى أن لا يكثر عيالكم، لكن عبّر عن كثرة العيال بما لا يلزمها، وهو تحمّل مؤنة العيال، فإن من كثرة عياله يلزمه أن يعولهم ويموّنهم، أي يتحمّل مؤنهم ويتعب في القيام بمصالحهم ورعاية حقوقهم، يقال: عالَ الرجل عياله، أي مانهم، ومنه: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»، أي تموّنه وتلي عليه، فقول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، معناه: أن لا تكثر عيالكم، ليس المراد أنّ ذلك معناه المطابقي، بل المراد أن ذلك معناه الكنائي المنفهم بعلاقة اللزوم الكائن بينه وبين اللّفظ الذي عبّر به عنه، وهي طريقة مشهورة مُعتبرة عند علماء البيان والبلغاء من أهل اللّسان والكلام الصادر من أمثال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وهو علم من أعلام الدِّين وأئمّة الشرع ورؤوس المجتهدين، وإن توجّه على ظاهره شيء من المقال، لكن يجب أن يوجّه بما يندفع به عنه مقالة الجهّال، فقد رُوِيَ عن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: لا تظننّ بكلمة خرجت من فِي أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا صحيحًا، وقرأ طاوس: أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا أكثر عياله، وهذه القراءة تعضد تفسير الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه من حيث المعنى الذي قصده. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (من نَحَله) ينحَله ـ بالفتح ـ نِحْلة ـ بالكسر ـ ونُحُلًا ـ بالضمّ ـ. في مختار الصِّحاح: النُّحل ـ بالضم ـ مصدر نَحله ينحَله ـ بالفتح ـ نُحلًا، أي أعطاه والنُّحْلى العَطيّة بوزن حُبْلى ونَحل المرأة مهرها ينحلها نحلة بالكسر أعطاها من طيب نفس من غير مطالبة، وقيل: من غير أن يأخذ عِوَضًا، ويقال: عطاها مهرها

ناحِلِين طيِّبِي النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات أي منحولة مُعطاة عن طِيبة الأنفس. وقيل: نِحْلَة من الله تعالى عَطِيَّة من عنده وتفضُّلًا منه عليهنَّ. وقيل: النِّحْلَة المِلَّة، وفلان ينتحِل كذا أي يدين به، يعني وآتوهنَّ مهورهنَّ ديانة على أنها مفعول لها. والخطاب للأزواج، وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مُهُور بناتهم ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ للأزواج ﴿عَن شَىْءٍ مِّنْهُ﴾ **(أي من الصداق)** إذ هو في معنى الصدقات ﴿نَفْسًا﴾ تمييز وتوحيدها **(لأن الغرض بيان الجنس)** والواحد يدل عليه، والمعنى فإن وهبن لكم شيئًا من الصدقات و**(تجافت)** عنه نفوسهنّ طيبات غير مخبثات بما يضطرهنَّ إلى الهبة من **(شكاسة)** أخلاقهم وسوء معاشرتكم. وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النَّفس فقيل: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ ولم يقل: «فإن وهبن لكم» إعلامًا بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة ﴿فَكُلُوهُ﴾ الهاء يعود على «شيء» ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ لا إثم فيه ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ لا داء فيه، فسرَّهما النبي ﷺ أو هنيئًا في الدنيا بلا مطالبة، مريئًا في العقبى **(بلا تَبِعَة)**، وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان **(سائغًا لا تنغيص فيه)**، وهما وصف مصدر أي أكلًا هنيئًا مريئًا، أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء، وهذه عبارة عن المبالغة في الإجابة وإزالة التَّبِعَة. **(«هنيًا مريًا» بغير همز: يزيد، وكذا حمزة في الوقف، وهمزهما الباقون)**.

نحلة.اهـ. **قوله: (أي من الصداق)** بفتح الصاد وكسرها، يعني أن ضمير منه يعود على الصداق الذي في ضمن الجمع؛ لأن معنى آتوا كل واحدة منهنّ صداقًا. **قوله: (لأن الغرض بيان الجنس)** لا بيان الإفراد والجنس، أعني الماهيّة لا تكثر فيه.اهـ قنوي. يعني الظاهر أن يقال: نفوسًا أو أنفسًا على الجمع؛ لأن طبن جمع، والمعنى فإن طاب نفوسهنّ أو أنفسهنّ، لكن اختير لفظ المفرد لبيان الجنس. **قوله: (تجافت)** التجافي هو التجاوز. **قوله: (شكاسة)** بالفتح بمعنى سوء الخلق. **قوله: (بلا تبعة)** التبعة وزان كلمة ما يتبع الذّنب وهو الوبال. **قوله: (سائغًا)** في المصباح: ساغ يسوغ سَوْغًا من باب قال سهل مدخله في الخلق.اهـ. **قوله: (لا تنغيص فيه)** في مختار الصِّحاح: نغص الله عليه العيش تنغيصًا، أي كدّره.اهـ. **قوله: (هنيًا مريًا بغير همز)**، أي بالإبدال ياءً مع الإدغام لزيادة الياء في الحالين، **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. **(وكذا حمزة في الوقف، وهمزهما الباقون)**.

وعن (عليّ) ﷺ: إذا اشتكى أحدكم شيئًا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صَداقها ثم ليشترِ بها عسلًا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئًا ومريئًا وشفاءً مباركًا.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥﴾

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذِّرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا قدرة لهم على إصلاحها وتثميرها والتصرّف فيها، والخطاب للأولياء. وأضاف إلى الأولياء أموال السفهاء بقوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ لأنهم يلونها ويمسكونها ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ أي قوامًا لأبدانكم ومعاشًا لأهلكم وأولادكم. («**قيمًا» بمعنى قيامًا: نافع وشامي**) كما جاء «عوذًا» بمعنى «عياذًا». وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن، ولأن أترك مالًا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس، وعن (**سفيان**) ـ وكان له بضاعة يقلبها ـ لولاها (**لتمندل بي بنو العباس**) ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ واجعلوها مكانًا لرزقهم بأن تتَّجِروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فيأكلها الإنفاق ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال (**ابن جريج**:

قوله: (عليّ) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين، المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح.

قوله: (قِيَمًا) بغير ألف (**بمعنى قيامًا نافع وشامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالألف مصدر قام. **قوله: (سفيان)** بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، كان إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمّة المجتهدين. توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة متواريًا من السلطان ودُفِن عشاءً رحمه الله تعالى، ولم يعقّب، ويقال: إن الشيخ أبا القاسم الجُنيد كان على مذهبه ﷺ. **قوله: (لتمندل بي)** أي حقّرني وأهانني وجعلني بمنزلة منديل يمسح به الأيدي. **قوله: (بنو العباس)** أي خلفاء بني العباس. **قوله: (ابن جريج)** وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيم مكرّرة، الأُولى مضمومة، القريشي الأُمَويّ وهو من تابعي التابعين، سمع طاوسًا

عدة جميلة) إن صلحتم ورشدتم سلَّمنا إليكم أموالكم، وكل ما سكنت إليه النفس لحُسنه عقلًا أو شرعًا من قول أو عمل فهو معروف، وما أنكرته لقبحه فهو منكر.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرّف قبل البلوغ، فالابتلاء عندنا أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى تتبيَّن حاله فيما يجيء منه، وفيه دليل على جواز إذْن الصبي العاقل في التجارة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي الحلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ﴾ تبيَّنتم ﴿رُشْدًا﴾ هداية في التصرفات وصلاحًا في المعاملات ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ من غير تأخير عن حدّ البلوغ، ونظم هذا الكلام أن ما بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ إلى ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجُمَل كالتي في قوله: (حتى ماء دجلة أشكل).

وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي مليكة ونافعًا مولى ابن عمرو يحيىٰ بن سعيد الأنصاري والزهري وخلائق من التابعين وغيرهم. روى عنه الأنصاري، وهو شيخه تابعي، والأوزاعي والثوري وابن عيينة واللّيث وابن عليّة ويحيىٰ القطّان والأُموي ووكيع وخلائق لا يحصون. قال أحمد بن حنبل: أوّل من صنّف الكتب ابن جريج، وقال عبد الرزّاق: كنت إذا رأيت ابن جريج يصلّي علمت أنه يخشى الله عزّ وجلّ، وأقوال أهل العلم من السّلف والخَلف في الثناء عليه، وذكر مناقبه أكثر من أن تُحصر. توفي سنة خمسين ومائة، هذا قول الأكثرين. وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: تسع وأربعين، وقيل: سنة ستّين، وقد جاوز المائة. **قوله:** (عدَة جميلة) العدَة كالزِّنة الوعد.

قوله: (حتى ماءُ دجلة[1] أشكلُ).

---

(١) دِجْلة ـ بالكسر والفتح ـ نهر بغداد. اهـ قاموس. ولا تنصرف للعلمية والتأنيث، ولا يدخلها ألف ولام لأنها علم، والأعلام ممنوعة من آلة التعريف. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

والواقعة بعدها جملة شرطية لأن ﴿إِذَا﴾ متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ جملة من شرط وجزاء واقعة جوابًا للشرط الأول الذي هو ﴿إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليه بشرط إيناس الرشد منهم. وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة، أو يفيد التقليل أي طرفًا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد **(وهو دليل لأبي حنيفة** رحمه الله **في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة)**. ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا (أَن يَكْبَرُوا)﴾ ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فـ «إسرافًا» و«بدارًا» مصدران في

أوّلـه:

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكلُ

أي أحمر، يقال: دم أشكل إذا كان فيه حمرة يخالطها بياض وتمجّ، أي تلقي وتدفع. **قوله: (وهو دليل لأبي جنيفة رحمه الله في دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة)**، لما رُوِيَ عن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: ينتهي لبّ الرجل إذا بلغ خمسًا وعشرين.اهـ قنوي. قال الإمام: اتّفقوا على أنه إذا بلغ غير رشيد، فإنه لا يدفع إليه المال، ثم عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لا يدفع إليه مال حتى يبلغ خمسًا وعشرين سنة، فإذا بلغ ذلك دُفِع إليه ماله على كل حال، وإنما اعْتبر هذا السنّ لأن مدّة بلوغ الذّكر عنده بالسنّ ثماني عشرة سنة، فإذا زاد عليها سبع سنين، وهي مدّة معتبرة في تغيّر أحوال الإنسان؛ لقوله عليه السلام: **«مُرُوهم بالصلاة لسبع»**، فعند ذلك تمّت المدّة التي يمكن فيها حصول تغيّر الأحوال، فعندها يدفع إليه ماله أوْنَس منه الرّشد أو لم يونس. وقال الإمام الشافعي: لا يدفع إليه أبدًا إلا بإيناس الرّشد، وهو قول أبي يوسف ومحمّد رحمهم الله.اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي تفسيرات الأحمدية: فإذا بلغ خمسًا وعشرين سنة يُسلَّم إليه ماله وإن لم يُونِس منه الرشد؛ لأن منع المال بطريق التأديب ولا يتأدّب بعد هذه المدّة ظاهرًا وغالبًا؛ إذ هو مدّة يمكن أن يصير المَرْء فيها جَدًّا، فإن أدنى مدّة البلوغ اثني عشر سنة وأدنى مدة الحمل ستة أشهر، فيكون في هذه المدّة أبًا، فإذا ضُوعف هذه المدّة يصير جَدًّا، فلا فائدة بالمنع بعدها على ما عرف في الفقه.اهـ. **قوله:** (﴿أَن يَكْبَرُوا﴾) بفتح الباء من باب علم، يقال: كبر الرجل

موضع الحال و(﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾) في موضع المصدر منصوب الموضع بـ «بدارًا»، ويجوز أن يكونا مفعولًا لهما أي لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفقُ فيما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيًّا وبين أن يكون فقيرًا، فالغني يستعفّ من أكلها أي يحترز من أكل مال اليتيم، واستعفَّ أبلَغ من عَفَّ كأنه طالب زيادة العفَّة والفقير يأكل قوتًا مقدَّرًا مُحتاطًا في أكله. عن (**إبراهيم**). ما سدَّ (**الجوعة**) و(**وارى**) العورة ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم تسلَّموها وقبضوها دفعًا للتجاحد و(**تفاديًا**) عن توجّه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسبًا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب، أو هو راجع إلى قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي ولا يُسرِف فإن الله يحاسبه عليه ويُجازيه به. وفاعل «كفى» لفظة «الله» والباء زائدة (**و«كفى» يتعدَّى إلى مفعولين**) دليله ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ١٣٧].

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

﴿(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل ﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾ بتكرير العامِل والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود إلى ما ترك ﴿نَصِيبًا﴾ نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبًا ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا لا بدَّ

يكبر كبرًا، أي أسنّ وكبر ـ بالضمّ ـ يكبر، أي عظم. **قوله: (إبراهيم)** بن يزيد بن الأسود الكوفي النخعي التابعي أحد الأئمّة المشاهير، توفي سنة ستّ، وقيل: خمس وتسعين للهجرة، وله تسع وأربعون سنة رحمه الله. **قوله: (الجوعة)** في المصباح: جاع الرجل جَوْعًا والاسم الجُوع بالضمّ وجوعة وهو عام المجاعة بفتحها. اهـ.

قوله: (وارى) في المصباح: واراه مواراة ستره. اهـ. **قوله: (تفاديًا)** أي تحاميًا. **قوله: (و«كفى» يتعدّى إلى مفعولين)**. . . الخ. وكفى متعدٍّ إلى واحد وهو محذوف هنا تقديره: وكفاكم الله. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

لهم من أن يحوزوه. (رُوِيَ) أن (أوس بن ثابت) ترك امرأته (أم كُحة) وثلاث بنات (فزوى) ابنا عمّه ميراثه عنهنَّ، وكان أهل الجاهلية لا يُورِّثون النساء والأطفال ويقولون: لا يَرِث إلا مَن طاعَن (الرِّماح) وحازَ الغنيمة. فجاءت أُم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكَت فقال: «ارجعي حتى أنظر ما يُحدِث الله» فنزلت الآية، فبعث إليهما لا تفرّقا من مال أوس شيئًا فإن الله تعالى قد جعل لهنَّ نصيبًا و(لم يبيِّن) حتى يبيِّن فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ فأعطى أُم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العمّ.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ أي قسمة التَّركة ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ممَّن لا يَرِث ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ﴾ من الأجانب ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾ فأعطوهم ﴿مِّنْهُ﴾ مما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر ندب وهو باقٍ لم يُنسَخ. وقيل: كان واجبًا في الابتداء ثم نسخ بآية الميراث ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عذرًا جميلًا وعدة حسنة، وقيل: القول المعروف أن يقولوا لهم: (خذوا) بارك الله عليكم (ويستقلوا) ما أعطوهم ولا يمنّوا عليهم.

قوله: (رُوِي). . . الخ. هكذا في تفسير الخطيب وتفسير الرازي وغيرها. **قوله:** (أوس بن ثابت) الأنصاري، قال ابن إسحٰق: إنه شهد بدرًا، وقُتِل يوم أُحد وفيه نزل وفي امرأته قوله تعالى: (﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾) أخرجه ابن مندة وأبو نعيم وأبو عمرو بن عبد البرّ.

قوله: (أُمّ كُحة) بضمّ الكاف وتشديد الحاء المهملة وهاء تأنيث. **قوله:** (فزوى) بالزاي المعجمة، بمعنى جمع وقبض. **قوله:** (ولم يبيّن) أي لم يبيّن الله نصيب كل. **قوله:** (الرماح) جمع الرُّمح.

قوله: (خذوا) هذا الحقير القليل. **قوله:** (ويستقلّوا). . . الخ. أي يستقلّ الدافع لهم ما أعطاهم ولا يتبع عطيته المنّ والأذى بالقول.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على مَن في حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافًا، وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوِّروه حتى لا (**يجسروا**) على خلاف الشفقة والرحمة. («**ولو» مع ما في حيِّزه**) صفة لـ «الذين» أي وليَخْشَ الذين صفتهم وحالهم أنهم لو (**شارفوا**) أن يتركوا خلفهم ذرية ضِعافًا ـ وذلك عند (**احتضارهم** ـ ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾) الضَّياع بعدهم لذهاب كافلهم. وجواب «لو»: «خافوا»، والقول السديد من الأوصياء أن يكلِّموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب والحُسْن (**والترحيب**) ويدعوهم بـ يا بني ويا ولدي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمين فهو مصدر في موضع الحال ﴿إِنَّمَا (يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم) ﴿نَارًا﴾ أي يأكلون

قوله: (يجسروا). وفي مختار الصِّحاح: جَسَر على كذا أَقْدم يَجْسُر ـ بالضم ـ جسارة بالفتح. اهـ. **قوله: (ولو مع ما في حيِّزه)** أي بجوابه الذي هو قوله سبحانه وتعالى: (﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾)؛ إذ التقدير: لو تركوا لخافوا ويجوز حذف اللام في جواب لو. **قوله: (شارفوا)** أي دانوا. **قوله: (احتضارهم)** في المصباح: حضره الموت واحْتضره أشرف عليه، فهو في النّزع وهو محضور ومحتضر بالفتح. اهـ. **قوله: (الترحيب)** في مختار الصِّحاح: رحَّب به ترحيبًا، قال له مَرْحَبًا. اهـ.

قوله: (مِلْء بطونهم) فسّر في بطونهم بملء بطونهم أخذًا من استعمال العرب، فإنه يقال: أكل فلان في بطنه إذا أكل مِلْء بطنه، وإذا قصدوا الإخبار عن أكلهم في بعض البطن صرّحوا بذكر لفظ البعض، وقالوا: أكل في بعض بطنه. قال:

كلوا في بعض بطنكمو تعفوا ... فإنّ زمانكم زمنٌ خميصُ

(**ما يجرّ إلى النار**) فكأنه نار. رُوِيَ أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبله (**ومن فيه**) وأنفه (**وأذنيه**) فيعرف الناس أنه كان يأكل من مال اليتيم في الدنيا ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ («وسَيُصْلَوْنَ» **شامي وأبو بكر**) ﴿سَعِيرًا﴾ نارًا من النيران (**مبهمة الوصف**).

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ (**يعهد**) إليكم (**ويأمركم**) ﴿فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ (**في شأن**) ميراثهم وهذا إجمال تفصيله ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي للذَّكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم: «السَّمْن منوان بدرهم» وبدأ بحظ الذَّكر ولم يقل للأُنثيين مثل حظ الذَّكر أو للأُنثى نصف حظ الذَّكر لفضله كما ضُوعِف حظه لذلك، (**ولأنهم**) كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل: كفى الذكور أن ضُوعِف لهم نصيب الإناث فلا (**يتمادى**) في حظهنَّ حتى

وإليه ينظر قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**». والبطن اسم لجميع الأمعاء وما احتوى عليه، وخرج به الجواب عمّا يقال: الأكل لا يكون إلّا في البطن، فما فائدة قوله: (﴿يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾). **قوله:** (ما يجرّ إلى النار) فيكون النار مجازًا على طريق إطلاق المسبّب وإرادة السّبب، ويكون يأكلون محمولًا على الحال. **قوله:** (ومِنْ فِيه) ومن مسامعه. **قوله:** (وأُذنيه) وأنفه وعينيه. **قوله:** (وسيصلون) بضم الياء مبنيًّا للمفعول من الثلاثي (شامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم، والباقون بالفتح من صَلى النار لازَمَها. **قوله:** (مُبْهمة الوصف) مُستفاد من التنكير.

قوله: (يعهد) بفتح الهاء. **قوله:** (ويأمركم) عطف تفسير العهد. **قوله:** (في شأن)... الخ. قدر المضاف يصحّ معنى الظرفية. **قوله:** (ولأنهم) أي أهل الجاهلية. **قوله:** (يتمادى) في مختار الصّحاح: التمادي في الأمر، وهو بلوغ

يحرمن مع (**إدلائهن**) من القرابة بمثل ما يدلون به. والمراد حال الاجتماع أي إذا اجتمع الذَّكَر والأُنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين، وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله، والبنتان تأخذان الثلثين، والدليل عليه أنه أتبعه حكم الانفراد بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ أي فإن كانت الأولاد نساء (**خلصًا**) يعني بناتًا ليس معهن ابن ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثانٍ لكان أو صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ أي الميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ أي وإن كانت المولودة منفردةً. (**واحدة: مدني على «كان» التامة**) والنصب أوفق لقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾. فإن قلت: قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد، ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما؟ قلت: حكمهما مختلف فيه؛ (**ابن عباس**) ﷺ نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة، وغيره من الصحابة ﷺ أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وذلك لأن مَن مات وخلف بنتًا وابنًا فالثلث للبنت والثلثان للابن، فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين، ولأنه قال في آخر السورة: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾. والبنتان (**أمس**) رحمًا بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين، ولم ينقصوا حظهما عن حظ مَن هو أبعد منهما، ولأن البنت لمّا وجب لها مع أخيها الثلث كان (**أحرى**) أن يجب لها الثلث

للمُدىٰ، أي الغاية. اهـ. **قوله: (إدلائهنّ)** في المصباح: أدلى إلى الميت بالبنوّة ونحوها وصل بها. اهـ. **قوله: (خُلّصًا)** جمع خالص بمعنى المحض. **قوله: (واحدة)** بالرفع (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**على «كان» التامّة**)، والباقون بالنصب على أنها ناقصة. **قوله: (ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمّى البحر والحِبر لسِعَة علمه مات سنة ثمان وستّين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة، من فقهاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. **قوله: (أمَسّ)** أي أقرب. **قوله: (أحرى)** أي أليق.

إذا كانت مع أُخت مثلها ويكون لأُختها معها مثل ما كان يجب لها أيضًا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان. وفي الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه أُنثى، لأنه جعل للذكر مثل حظ الأُنثيين، وقد جعل للأنثى النصف إذا كانت منفردة فعلم أن للذَّكَر في حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل.

والضمير في ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب الذكر ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ بدل من «لأبويه» بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل: «ولأبويه السدس» لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل: «ولأبويه السدسان» لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها، ولو قيل: «ولكل واحد من أبويه السدس» لذهبت فائدة التأكيد **(وهو التفصيل بعد الإجمال)**. و«السدس» مبتدأ خبره «لأبويه» والبدل متوسط بينهما للبيان، وقرأ **(الحسن)** السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف ﴿مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾ هو يقع على الذكر والأُنثى ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ أي مما ترك والمعنى وورثه أبواه **(فحسب)**، لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك، لأن الأب أقوى من الأُم في الإرث بدليل أن له ضعف حظها **(إذا خلصا)**. فلو ضرب لها الثلث **(كاملًا)** لأدّى إلى حظ نصيبه عن نصيبها؛ فإن امرأة لو تركت زوجًا وأبوين فصار للزوج النصف وللأُم الثلث والباقي للأب، حازت الأُم سهمين والأب سهمًا واحدًا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأُنثى مثل حظ الذكرين. («فلأُمه» **بكسر الهمزة: حمزة وعلي لمجاورة**

قوله: (وهو التفصيل بعد الإجمال) ففيه ذكر الشيء مرّتين مرّة على الإجمال، ومرّة على التفصيل، فيكون آكدًا وأوقع في النفس. **قوله: (الحَسَن)** هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كلّ فنّ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصريّ ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاريّ، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رحمة الله عليه. **قوله: (فحسب)** أي فقط. **قوله: (إذا خَلُصا)** من باب دخل. **قوله: (كاملًا)** في المصباح: أعطيته كَمَلًا ـ بفتحتين ـ أي كاملًا وافيًا، قال اللّيث: هكذا يتكلّم به وهو سواء في الجمع والوحدان، وليس بمصدر ولا نعت، إنما هو كقولك: أعطيته المال الجميع. اهـ. **قوله: (فلأُمه بكسر الهمزة: حمزة وعليّ)** الكسائي **(لمجاورة**

كسر اللام) ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ﴾ أي للميت ﴿إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ إذا كان للميت اثنان من الإخوة والأخوات فصاعدًا، فلأُمه السدس. والأخ الواحد لا يحجب، **(والأعيان والعلات والأخياف)** في حجب الأم سواء ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ متعلق بما تقدَّمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية (﴿يُوصِى بِهَآ﴾ **هو وما بعده بفتح)** الصاد: **(مكي وشامي وحماد**

كسر اللام)، والباقون بضمّها. **قوله: (والأعيان)** أي الإخوة والأخوات لأب وأمّ والأعيان جمع العين وعين الشيء خياره وخلاصته والإخوة والأخوات لأب وأمّ لقوّة قرابتهم وزيادة قربهم خيار، وخلاصة من بني العلّات والأخياف. **قوله: (والعلّات)** أي الإخوة والأخوات لأب سمّوا الإخوة والأخوات لأب العلات؛ لأن العلّة الضرّة وهم لأب واحد وأُمّهاتهم شتّى، فهم أولاد الضرّات. وفي المصباح: علّ هو يعلّ من باب ضرب إذا شرب، وهم بنو العلّات إذا كان أبوهم واحدًا وأُمّهاتهم شتّى الواحدة علّة مثل جنّات وجنّة، قيل: مأخوذ من العِلل، وهو الشرب بعد الشرب؛ لأن الأب لمّا تزوّج مرّة بعد أخرى صار كأنه شرب مرّة بعد أخرى. قال الشاعر:

أفي الولائم أولاد الواحدة   وفي العبادة أولاد العلات

وأولاد الأعيان أولاد الأبوين وأولاد الأخياف عكس العلّات، وقد جمعت ذلك فقلت:

ومتى أرت تميّز الأعيان   فهم الذين يضمّهم أبوان
أخياف أم ليس يجمعهم أب   وبعكسه العلات يفترقان

.اهـ.

قوله: (والأخياف) أي الإخوة والأخوات لام من الخيف، وهو اختلاف العينين يكون إحداهما زرقاء والأخرى سوداء شبّه بذلك كونهم لآباءٍ شتّى. وفي مختار الصحاح: فرس أخيف بيّن الخَيَف إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سَوْداء، وكذلك هو كل شيء ومنه قبل الناس أخْياف، أي مختلفون وإخوة أخْيَاف إذا كانت أُمّهم واحدة والآباء شتّى.اهـ. **قوله:** (﴿يُوصِى بِهَآ﴾ **هو وما بعده بفتح)** الصاد (مكّي) أي ابن كثير المكّي **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وحمّاد)** بن زياد

ويحيىٰ) وافق (**الأعشى**) في الأولى (**وحفص**) في الثانية لمجاورة «يورث»، وكسر الأولى لمجاورة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾. الباقون: بكسر الصادين أي يوصي بها الميت. ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ والإشكال أن الدَّيْن مقدَّم على الوصية في الشرع، وقُدِّمَت الوصية على الدّين في التلاوة. والجواب إن «أو» لا تدل على الترتيب، ألا ترى أنك إذا قلت: «جاءني زيد أو عمرو» كان المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير في قوله: «من بعد وصية يوصي بها أو دين» من بعد أحد هذين الشيئين: الوصية أو الدين. ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب، بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدّم كذا هنا. وإنما قدَّمنا الدين على الوصية بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا إن الدّيْن قبل الوصية» ولأنها تشبه الميراث من حيث إنها صلة بلا عوض فكان إخراجها مما يشقّ على الورثة، وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا إلى إخراجها مع الدين ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه والخبر ﴿لَا تَدْرُونَ﴾ وقوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ﴾ والجملة في موضع نصب بـ «تدرون» ﴿نَفْعًاۚ﴾ تمييز والمعنى: فرض الله (**الفرائض**) على ما هو عنده حكمة، ولو وكّل ذلك إليكم لم تعلموا أيّهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة، والتفاوت في السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون تفاوتها فتولَّى الله ذلك فضلًا منه ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير. وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الإعراب ﴿فَرِيضَةً﴾ نُصِبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء قبل خلقها ﴿حَكِيمًا﴾ في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها.

عن عاصم، (**ويحيىٰ**) بن آدم القريشي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم. **قوله**: (**الأعشى**) هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى عن أبي بكر عن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (حفص) بن سليمان بن مغيرة الأسديّ البزاز الكوفي، ويُكنى أبا عمرو ويُعرف بحُفَيْص. قال وكيع: وكان ثقة. وقال ابن معين: هو أقرأ من أبي بكر وتوفي قريبًا من سنة تسعين ومائة رَحِمَهُ اللَّهُ عن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: (**الفرائض**) جمع فريضة من الفرض، وهو في اللغة التقدير والقطع والبيان؛ ففي الشرع ما ثبت بدليل مقطوعٌ به، وسُمّي هذا النوع من الفقه فرائض؛ لأنه سهام مقدّرة مقطوعة

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ أي زوجاتكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ أي ابن أو بنت ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ والواحد والجماعة سواء في الربع والثُّمن، جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ يعني للميت وهو اسم «كان» (﴿يُورَثُ﴾) من ورث أي (**يورث منه**) وهو صفة لـ «رجل» ﴿كَلَٰلَةً﴾ خبر «كان» أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو «يورث» خبر «كان» و«كلالة» حال من الضمير في «يورث». والكلالة تطلق على مَن لم يخلف ولدًا ولا والدًا وعلى مَن ليس بولد ولا والد من المخلفين، وهو في الأصل مصدر بمعنى (**الكلال**) وهو ذهاب القوة من (**الإعياء**) ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ عطف على رجل ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾

مبيّنة ثبتت بدليل مقطوع به، فقد اشتمل على المعنى اللّغويّ لا يوجد له أصل. والشرعي، كذا في الاختيار شرح المختار.

قوله: (يورث) على بناء المفعول من ورث الثلاثي، وورث الثلاثي يتعدّى إلى مفعولين إلى الأوّل منهما بمن يقال؛ ورثت من زيد ماله، وقد تُحذف كلمة مِنْ، فيقال: ورثت زيدًا ماله، أي من زيد وما في الآية من هذا القبيل؛ إذ التقدير: يُورث منه كما أشار إليه المصنّف رحمه الله بقوله: أي (**يورث منه**). **قوله:** (**الكَلال**) بالفتح. **قوله:** (**الإعياء**) في المصباح أعياني كذا بالألف أتعبني، فأعييت

أي لأُم فإن قلت: قد تقدَّم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره؟ قلت: أما إفراده فلأن «أو» لأحد الشيئين، وأما تذكيره فلأنه يرجع إلى رجل لأنه مذكر مبدوء به، أو يرجع إلى أحدهما وهو مذكر ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ من واحد ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ لأنهم يستحقون بقرابة الأم وهي لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الأُنثى ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ إنما كررت الوصية لاختلاف الموصين، فالأول الوالدان والأولاد، والثاني الزوجة، والثالث الزوج، والرابع الكلالة. ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ حال أي يوصي بها وهو غير مضارّ لورثته وذلك بأن يوصي بزيادة على الثلث أو لوارث ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن جار أو عدل في وصيته ﴿حَلِيمٞ﴾ على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد. فإن قلت: فأين ذو الحال (**فيمن قرأ** ﴿يُوصَىٰ بِهَآ﴾)؟ قلت: يضمر «يوصي» فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل «يوصي بها» علم أن ثَمَّ موصيًا كما كان ﴿رِجَالٞ﴾ فاعل ما يدل عليه ﴿يُسَبَّحُ﴾ [النور: الآية ٣٦] لأنه لما قيل: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ علم أن ثم مُسَبِّحًا (**فأضمر** «**يسبح**»).

واعلم أن الورثة أصناف أصحاب الفرائض (**وهم الذين لهم سهام مقدرة**) كالبنت (**ولها النصف، وللأكثر**) الثلثان، وبنت الابن (**وإن سفلت**) وهي عند

يستعمل لازمًا ومتعدّيًا وأعيا في مشيه، فهو مُعًى منقوص.اهـ. **قوله: (فيمن قرأ** ﴿يُوصَىٰ بِهَآ﴾**)** على بناء المفعول، كما كان رجال فاعل ما يدلّ عليه يسبّح، في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [النّور: الآية ٣٦] رجال على قراءة من قرأ ﴿يُسَبَّحُ﴾ [النّور: الآية ٣٦] على بناء المفعول.

قوله: (فأضمر يسبّح) لدلالة المذكور عليه، فارتفع رجال على أنه فاعل لذلك المُضمر المدلول عليه بقوله: ﴿يُسَبَّحُ﴾ [النّور: الآية ٣٦].

قوله: (وهم الذين لهم سهام مقدّرة) في كتاب الله تعالى، أو في سنّة رسوله ﷺ، أو بالإجماع، كذا في الاختيار شرح المختار. **قوله: (ولها النصف)** إذا انفردت. **قوله: (وللأكثر)** أي للبنتين فصاعدًا. **قوله: (وإن سفلت)** بفتح الفاء

(عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس، وتسقط بالابن وبنتي الصلب إلا أن يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها،

من السُّفول ضدّ العلوّ من باب نصر وبضمّها من السّفال بمعنى الدناءة من باب شرف، والمراد الأوّل.

قوله: (عدم الولد) أي الولد الصلب. **قوله: (كالبنت)** فللواحدة النصف وللثنتين فصاعدًا الثلثان.

قوله: (ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتي الصلب إلّا أن يكون معها أو أسفل منها غلام فيعصبها)، فإن اجتمع أولاد الصلب وأولاد الابن فإن كان في أولاد الصلب ذكر، فلا شيء لأولاد الابن ذكورًا كانوا أو إناثًا أو مختلطين، فإن لم يكن في أولاد الصلب ذكر ولا في أولاد الابن ذكر، فإن كانت ابنة الصلب واحدة فلها النصف، ولبنات الابن السدس واحدة كانت أو أكثر من ذلك، وإنْ كانت ابنة الصلب ثنتين، فلهما الثلثان، ولا شيء لبنات الابن وإن لم يكن في أولاد الصلب ذكر، وكان في أولاد الابن ذكر، فإن انفرد الذكور من أولاد الابن فالباقي بعد نصيب البنات لهم نصفًا كان أو ثلثًا، فإن اختلط الذكور بالإناث من أولاد الابن، فنقول: إن كانت بنات الصلب ثنتين فصاعدًا فلهنّ الثلثان والباقي بين أولاد الابن للذكر مثل حظّ الأنثيين عند عليّ وزيد رضي الله تعالى عنهما، وهو قول جمهور العلماء رحمهم الله تعالى، فإن كانت ابنة الصلب واحدة فلها النصف والباقي بين أولاد الابن للذَّكر مثل حظّ الأُنثيين، كذا في المبسوط.

بنتان وبنت ابن وبنت ابن ابن وابن ابن ابن للبنتين الثلثان والباقي بين بنت الابن ومَنْ دونها للذَّكر مثل حظّ الأُنثيين، ولو ترك ثلاث بنات ابن بعضهنّ أسفل من بعض، وثلاث بنات ابن ابن بعضهنّ أسفل من بعض وثلاث بنات ابن ابن ابن بعضهنّ أسفل من بعض وصورته إذا كان لابن الميت ابن وبنت ولابن ابنه ابن وبنت ولابن ابن ابنه ابن وبنت، فمات البنون وبقيت البنات وكذلك ثلاث بنات ابن وكذلك ثلاث بنات ابن ابن وكذلك ثلاث بنات ابن ابن ابن على هذه

والأخـوات لأب وأُم وهـنّ عـنـد عـدم الـولـد وولـد الابـن كـالـبـنـات

الصـورة:

ميـــــــــــت

الفريق الأول	الفريق الثاني	الفريق الثالث
ابن	ابن	ابن
ابن بنت	ابن	ابن
ابن بنت	ابن بنت	ابن
	ابن بنت . . . . ابن بنت	ابن بنت
	ابن بنـت	ابن بنت
		ابن بنت

العليا من الفريق الأوّل لا يُوازيها أحد، والوسطى من الفريق الأوّل يُوازيها العليا من الفريق الثاني، والسفلى من الفريق الأوّل يوازيها الوسطى من الفريق الثاني والعليا من الفريق الثالث، والسفلى من الفريق الثاني يوازيها الوسطى من الفريق الثالث، والسفلى من الفريق الثالث لا يُوازيها أحد، فلِلْعُلْيا من الفريق الأوّل النصف والوسطى من الفريق الأوّل، والعُلْيا من الفريق الثاني السدس تكملة للثلثين لاستوائهما في الدَّرجة، ولا شيء للباقيات، فإن كان مع العليا من الفريق الأوّل غلام، فالمال بينه وبينها للذّكر مثل حظّ الأُنثيين، وسقط الباقيات، وإنْ كان مع الوسطى منْ الفريق الأوّل غلام، فالنّصف للعليا من الفريق الأوّل والباقي بين الغلام وبين مَنْ في درجته للذَّكر مثل حظّ الأُنثيين، وإنْ كان مع السفلى من الفريق الأوّل غلام، فالنصف للعليا من الفريق الأوّل، والسدس للوسطى منه مع مَنْ يُوازيها تكملة للثلثين والباقي بين الغلام وبين مَنْ يُوازيه للذّكر مثل حظّ الأُنثيين، ويسقط الباقيات، وإن كان مع السفلى من الفريق الثاني غلام، فالنصف للعليا من الفريق الأوّل والسدس تكملة للثلثين للوسطى منه ولِمَنْ يُوازيها، والباقي بين الغلام ومَنْ يوازيه ومَنْ هو أعلى منه ممّن لا فرض له للذّكر مثل حظّ الأُنثيين ويسقط الباقيات، وعلى هذا القياس. والأصل في هذا أن بنت الابن تصير عصبة بابن الابن سواء كان في درجتها أو أسفل منها إذا لم تكن صاحبة فرض، كذا في خزانة المُفْتين. **قولـه: (والأخوات لأب وأُم وهنّ عند عدم الولد وولد الابن كالبنات)**

والأخوات لأب، وهنّ كالأخوات لأب وأم عند عدمهن)، ويصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن، **(ويسقطن بالابن وابنه وإن سفل، والأب وبالجدّ عند أبي حنيفة** رحمه الله **وولد الأُم)** فللواحد السدس وللأكثر الثلث، وذكرهم كأُنثاهم ويسقطون **(بالولد وولد الابن وإن سفل والأب والجدّ. والأب)** وله السدس مع الابن أو ابن الابن وإن سفل، ومع البنت أو بنت الابن وإن سفلت السدس والباقي. **(والجد)**

للواحدة النصف وللثنتين فصاعدًا الثلثان، كذا في خزانة المفتين. ومع الأخ لأب وأُمّ للذَّكر مثل حظّ الأُنثيين. ولهن الباقي مع البنات أو مع بنات الابن، كذا في الكافي. **قوله: (والأخوات لأب وهنّ كالأخوات لأب وأُمّ عند عدمهنّ)**؛ فللواحدة النصف وللأكثر الثلثان عند عدم الأخوات لأب وأُمّ ولهنّ السدس مع الأخت لأب وأُمّ تكملة للثلثين، ولا يرثن مع الأختين لأب وأُمّ، إلّا أن يكون معهنّ أخ لأب فيعصبهنّ، فيكون للأختين لأب وأُمّ الثلثان والباقي بين أولاد الأب للذَّكر مثل حظّ الأُنثيين، ولهن الباقي مع البنات أو مع بنات الابن، كذا في الكافي. **قوله: (ويَسقطن)** أي الإخوة والأخوات **(بالابن وابنه وإن سفل، والأب)** بالاتّفاق **(وبالجدّ عند أبي حنيفة)** رضي الله تعالى عنه. **قوله: (وولد الأُمّ)** أي الإخوة والأخوات لأُمّ. **قوله: (بالولد)** وإن كان بنتًا **(وولد الابن وإن سفل والأب والجدّ)** بالاتّفاق. **قوله: (والأب)**. . . الخ. وله ثلاث أحوال: «الفرض المَحْض» وهو السدس مع الابن أو ابن الابن وإن سفل، «والتعصيب المحض» وذلك أن لا يخلف غيره، فله جميع المال بالعصوبة، وكذا إذا اجتمع مع ذي فرض، ليس بولد ولا ولد ابن كزوج وأُمّ وجدّة، فيأخذ ذو الفرض فرضه، والباقي للأب بالعصوبة. «والتعصيب والفرض معًا»، وذلك مع البنت وبنت الابن، فله السدس فرضًا والنصف للبنت أو الثلثان للبنتين فصاعدًا والباقي له بالتعصيب، كذا في خزانة المُفْتين. **قوله: (والجدّ)**. . . الخ. المراد الجدّ الصحيح، كذا في الاختيار شرح المختار، وهو الذي لا تدخل في نسبته إلى الميت أُمّ كأبي الأب أو أبي أبي الأب، فإن دخل في نسبته إلى الميت أُمّ فهو فاسد، كأبي أُمّ الأب أو كأبي أبي أُمّ الأب أو كأبي أبي أم أبي الأب، ثمّ الجدّ الصحيح كالأب عند عدمه، إلا في ردّ الأُمّ إلى ثلث ما بقي وحجب أُمّ الأب، وهو يحجب جميع الإخوة والأخوات عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وعليه الفتوى، كذا في الكافي.

وهو أبو الأب وهو كالأب عند عدمه إلا في رد الأُم إلى ثلث ما يبقى، والأُم ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وإن سفل، أو الاثنين من الإخوة والأخوات فصاعدًا (**من أيِّ جهة كانا**)، وثلث الكل عند عدمهم (**وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين. والجدّة ولها السدس وإن كثرت لأُم كانت أو لأب، والبعدى تحجب بالقربى، والكل بالأُم والأبويات بالأب**)،

قوله: (من أي جهة كانا) سواء كانا من جهة الأبوين معًا، أو من جهة الأب أو من جهة الأُمّ. **قوله: (وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين)** للأُمّ ثلث ما يبقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة والباقي للأب عند الجمهور، وإنْ كان مكان الأب جدّ، فللأُمّ ثلث جميع المال، كذا في الكافي. **قوله: (والجدّة)** أي الجدَّة الصحيحة كأُمّ الأمّ وإن علت، وأُمّ الأب وإن علا، وكلّ مَنْ يدخل في نسبتها أب بين أُمَّيْن، فهي فاسدة؛ كذا في الاختيار شرح المختار. **قوله: (ولها السدس وإن كثرت لأُمّ كانت أو لأب)**، فيشتركن في السدس إذا كنّ ثابتات متحاذيات في الدرجة، كذا في الكافي ثم الجدّة إذا كانت ذات جهتين والأخرى ذات جهة واحدة. قال أبو يوسف رحمه الله تعالى: وهو رواية عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى السدس بينهما نصفان، وعليه الفتوى، كذا في المضمرات.

مثاله: امرأة زوّجت بنت بنتها من ابن ابنها، فولد منهما ولد، فهذه المزوّجة أُمّ أُمّ أُمّ الولد، وهي أيضًا أُمّ أب أب الولد، والجدّة الأخرى أُمّ أُمّ أب الولد، فإن تزوّج هذا الولد سبطًا لها آخر فولد بينهما ولد صارت هذه المرأة جدّة لهذا الولد الآخر من ثلاثة أوجه، فإن تزوّج هذا الولد سبطًا آخر، فولد بينهما ولد صارت هذه الجدّة جدّة لهذا الولد الآخر من أربعة أوجه، وقِسْ عليه الباقي؛ كذا في الكافي. **قوله: (والبعدى)** أي والجدة البعدى من أي جهة كانت، أي سواء كانت من قِبَل الأمّ أو من قِبَل الأب (**تُحجَب بالقربى**) أي بالجدّة القربى من أيِّ جهة كانت (**والكلّ**) سواء كانت أبويّات أو أُمويّات (**بالأمّ، والأبويات**) دون الأُمويّات (**بالأب**) كالجدّ مع الأب، وكذا يسقطن بالجد إذا كنّ من قبله، ولا تسقط أُمّ الأب بالجدّ؛ لأنها ليست من قبله والجدّات من قِبَل الأُمّ لا يسقطن بالأب، فلو ترك أبًا وأُمّ أب وأُم أُم فأُمّ الأب محجوبة بالأب، واختلفوا ماذا لأُمّ الأُمّ؟ قيل: لها السدس، وقيل: لها نصف السّدس والقربى تُحجب البُعْدى وارثة كانت أو محجوبة

والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وإن سفل، وعند عدمه النصف. **(والزوجة ولها الثُّمن مع الولد أو ولد الابن وإن سفل وعند عدمه الربع.**

صورتها ترك أبًا وأُمّ أُمّ أُمّ، قيل: الكلّ للأب؛ لأنه يحجب أُمّه وهي حجبت أُمّ أُمّ الأُمّ؛ لأنها أقرب منها، واختلفوا في الجدّة أنها هل تَرِث مع ابنها الذي هو عمّ الميت أم لا؟ قال عامّة مشائخنا رحمهم الله تعالى: تَرِث مع ابنها الذي هو عمّ الميت والجدّات على مراتب:

«**الأُولى**»: جدّتا الميت أُمّ أُمّه وأُمّ أبيه وهاتان وارثتان.

«**الثانية**»: أربع جدّات جدّتا أبيه وجدّتا أُمّه، فالأوليان أُمّ أب أبيه وأُمّ أُمّ أبيه والأُخريان أُمّ أُمّ أُمّه وأُمّ أب أُمّه، والكلّ وارثات إلا الأخيرة.

«**الثالثة**»: ثمان جدّات جدّتا أب أبيه وهما أُمّ أب أب أبيه وأُمّ أُمّ أب أبيه، وهاتان وارثتان وجدّتا أُمّ أبيه، وهما أُمّ أُمّ أُمّ أبيه، وهي وارثة وأُمّ أب أُمّ أبيه، وهي ساقطة وجدّتا أب أُمّه وهما أُمّ أُمّ أب أُمّه وأُمّ أب أب أُمّه، وهما ساقطان، وجدّتا أُمّ أُمّه وهما أُمّ أُمّ أُمّ أُمّه، وهي وارثة وأُم أب أُمّ أُمّه وهي غير وارثة، فإن كان لكل واحدة منهنّ جدّتان يصرن ستة عشر، وهي المرتبة الرابعة، وإنْ كان لكل واحدة من الستة عشر جدّتان يصرن اثنتين وثلاثين، وهكذا. ثمّ الجدّات الثابتات على ضربَيْن متحاذيات متساويات في الدرجة ومتفاوتات في الدرجة، وتعرف المتحاذيات الوارثات بأن تلفظ بعددهنّ أُمّهات ثم تبدل الأُمّ الأخيرة أبًا في كل مرتبة إلى أن لا تبقى إلّا أُمّ واحدة، ويتصوّر ذلك في خمس جدّات متحاذيات أُمّ أُمّ أُمّ أُمّ أُمّ أُمّ أُمّ وأب وأُمّ أُمّ أم أب أب وأُمّ أُم أب أب أب وأُمّ أب أب أب أب. وأمّا المتفاوتات في الدرجة، فالقربى تحجب البعدى، كذا في خزانة المُفْتين.

واعلم أنه لا تتصوّر الجدّة الوارثة من قِبَل الأُمّ إلّا واحدة؛ لأن الصحيحات منهنّ أن لا يدخل بين أُمَّيْن أب، فكانت الوارثة أُمّ الأُمّ وإن علت، والقربى تحجب البعدى فلا ترث إلّا جدة واحدة. وأمّا الأبويات، فيتصوّر أن يرث الكثير منهنّ على ما صوّر، كذا في الاختيار شرح المختار.

قوله: (والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وإن سفل، وعند عدمه الربع) والزوجات والواحدة يشتركن في الربع والثمن، وعليه الإجماع؛ كذا في

والعصبات) وهم الذين يرثون ما بقي من الفرض وأولاهم. الابن ثم ابنه وإن سفل، ثم الأب ثم أبوه وإن علا، ثم الأخ لأب وأُم، ثم الأخ لأب، ثم ابن

الاختيار شرح المختار. **قوله: (والعصبات)**... الخ. وهم كلّ مَنْ ليس له سهم مقدّر ويأخذ ما بقي من سهام ذوي الفروض، وإذا انفرد أخذ جميع المال؛ كذا في الاختيار شرح المختار. فالعصبة نوعان: نسبية، وسببية؛ فالنسبية ثلاثة أنواع:

«**عصبة بنفسه**» وهو كل ذكر لا يدخل في نسبته إلى الميت أُنثى، وهم أربعة أصناف: «**جزء الميت**»، وأصله، وجزء أبيه، وجزء جدّه؛ كذا في التبيين. فأقرب العصبات الابن ثم ابن الابن وإن سفل، ثم الأب ثم الجدّ أب الأب وإنْ علا، ثم الأخ لأب وأُمّ، ثم الأخ لأب، ثم ابن الأخ لأب وأُمّ، ثم ابن الأخ لأب، ثم العمّ لأب وأُمّ، ثم العمّ لأب، ثم ابن العم لأب وأُمّ، ثم ابن العمّ لأب ثم عمّ الأب لأب وأُمّ، ثم عمّ الأب لأب، ثم ابن عمّ الأب لأب وأُمّ، ثم ابن عمّ الأب لأب، ثم عمّ الجدّ، هكذا؛ كذا في المبسوط. وإذا اجتمع جماعة من العصبة في درجة واحدة يقسم المال عليهم باعتبار أبدانهم لا باعتبار أصولهم.

مثاله: ابن أخ وعشرة بني أخ آخر أو ابن عمّ وعشرة بني عمّ آخر المال بينهم على أحد عشر سهمًا لكل واحد سهم؛ كذا في الاختيار شرح المختار. وعصبة بغيره وهي كل أُنثى تصير عصبة بذكر يوازيها، وهي أربعة: البنت بالابن، وبنت الابن بابن الابن، والأخت لأب وأُمّ بأخيها، والأخت لأب بأخيها؛ هكذا في الحاوي للقدسي. وباقي العصبات ينفرد بالميراث ذكورهم دون أخواتهم، وهم أربعة أيضًا: العمّ، وابن العمّ، وابن الأخ، وابن المعتق؛ كذا في خزانة المُفتين.

«**وعصبة مع غيره**»، وهي كل أُنثى تصير عصبة مع أُنثى أخرى؛ كالأخوات لأب وأُمّ أو لأب يصرن عصبة مع البنات أو بنات الابن؛ هكذا في محيط السرخسي.

مثاله: بنت وأخت لأبوين وأخ أو إخوة لأب، فالنصف للبنت والنصف الثاني للأخت ولا شيء للإخوة؛ لأنها لمّا صارت عصبة نزلت منزلة الأخ لأبوين. ومن ترك ابني عمّ أحدهما أخ لأُمّ، فللأخ السدس والباقي بينهما نصفان، وكذلك إنْ كان أحدهما زوجًا، فله بالزوجية فرضه وهو النصف، والباقي بينهما نصفان؛

الأخ لأب وأم، ثم ابن الأخ لأب، ثم الأعمام، ثم أعمام الأب، ثم أعمام الجدّ، **(ثم المعتق، ثم عصبته على الترتيب)**. واللاتي فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بأخواتهن لا غيرهن. **(وذوو الأرحام وهم الأقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض)** وترتيبهم كترتيب العصبات.

كذا في خزانة المُفتين. إذا اجتمعت **العَصَبات** بعضها عصبة بنفسها، وبعضها عصبة بغيرها، وبعضها عصبة مع غيرها، **فالترجيح** منها بالقرب إلى الميت لا بكونها عصبة بنفسها، حتى أن العصبة مع غيرها إذا كانت أقرب إلى الميت من العصبة بنفسها كانت العصبة مع غيرها أوْلى بيانه إذا هلك الرجل وترك بنتًا وأُختًا لأب وأمّ وابن أخ لأب، فنصف الميراث للبنت والنصف للأخت ولا شيء لابن الأخ؛ لأن الأخت صارت عصبة مع البنت، وهي إلى الميت أقرب من ابن الأخ، وكذلك إذا كان مع ابن الأخ عمّ لا شيء للعمّ، وكذلك إذا كان مكان ابن الأخ أخ لأب، لا شيء للأخ؛ كذا في المحيط.

«أمّا العصبة السببيّة»، فالمعتق ثم عصبته على الترتيب الذي مرّ في العصبات النسبية، كذا في الكافي.

قوله: (ثم المعتِق) بالكسر يَرِث من معتَقه مطلقًا سواء أعتقه لوجه الله تعالى أو الشيطان أو أعتقه على أنه سائبة، أي بشرط أن لا ولاء عليه، أو أعتقه على مال أو بلا مال، أو بطريق الكتابة إلى غير ذلك[1]. **وقوله: (ثم عصبته على الترتيب)** الذي مرّ، فيكون ابن المعتق أوْلى عصباته، ثم ابن ابنه وإن سفل، ثم أبوه ثم جدّه وإن علا إلى آخر ما فصّل ولا شيء من الولاء للإناث من ورثة المعتق.

قوله: (وذوو الأرحام وهم الأقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض)... الخ. وهم كالعصبات من انفرد منهم أخذ جميع المال؛ كذا في الاختيار شرح المختار. وذوو الأرحام أربعة أصناف: الصنف **«الأول»**: ينتهي، أي ينتسب إلى الميت وهم أولاد البنات وإن سفلوا، ذكورًا كانوا أو إناثًا، وأولاد بنات الابن كذلك. **«والصنف الثاني»**: ينتهي إليهم الميت وهم الأجداد الفاسدون وإنْ علوا؛ كأب أُمّ الميت وأب أب أُمّه والجدّات الفاسدات

---

(١) كالعتق حال ملك ذي رحم محرم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وإن عَلَوْنَ، كأُمّ أب أُمّ الميت وأُمّ أُمّ أب أُمّه. «**والصنف الثالث**»: ينتهي إلى أبوي الميت، وهم أولاد الأخوات وإن سفلوا، سواء كانت تلك الأولاد ذكورًا أو إناثًا، وسواء كانت الأخوات لأب وأُمّ أو لأب فقط أو لأُمّ فقط، وبنات الإخوة وإن سفلن، سواء كانت الإخوة من الأبوين أو من أحدهما وبنو الإخوة لأُمّ وإن سفلوا. «**والصنف الرابع**»: ينتهي إلى جدَّيْ الميت، وهما أب الأب وأب الأُمّ أو جدَّتَيْه وهما أُمّ الأب وأُمّ الأُمّ، وهم العمّات لأبوين أو لأحدهما، فإنهنّ أخوات لأب الميت وأولادهنّ والأعمام لأُمّ، فإنّهم إخوة لأبيه من أُمّه وأولادهم والأخوال، فإنّهم إخوة لأُمّ الميت وأولادهم والخالات، فإنّهنّ أخوات لأُمّ الميت وأولادهنّ وبنات الأعمام لأب وأُمّ أو لأب. في الكافي: الأولى الصنف الأول وإن كان أبعد، ثمّ الثاني ثم الثالث ثم الرابع على ترتيب العصبات، وهو المأخوذ به.اهـ. ذكر رضيّ الدِّين النيسابوري رحمه الله تعالى في فرائضه: أنه لا يرث أحد من الصنف الثاني، وإن قَرُب، وهناك أحد من الصنف الأوّل وإنْ بَعُد، وكذا الثالث مع الثاني والرابع مع الثالث، قال: وهو المختار للفتوى والمعمول به من جهة مشائخنا رحمهم الله تعالى تقديم الصنف الأول مطلقًا، ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، قال: وهكذا ذكره الأستاذ الصدر الكوفي في فرائضه؛ فعلى هذا بنت البنت وإن سفلت أوْلى من أب الأُمّ؛ كذا في الاختيار شرح المختار. وإنما يرث ذوو الأرحام إذا لم يكن أحد من أصحاب الفرائض ممّن يرد عليه، ولم يكن عصبة، وأجمعوا على أن ذوي الأرحام لا يحجبون بالزوج والزوجة، أي يرثون معهما، فيعطى للزوج والزوجة نصيبهما ثم يُقسم الباقي بين ذوي الأرحام كما لو انفردوا.

مثاله: زوج وبنت بنت وخالة وبنت عم؛ فللزوج النصف والباقي لبنت البنت ثم الأَوْلى بالميراث من الصنف الأوّل الأقرب إلى الميت كبنت البنت أوْلى من بنت بنت البنت، فإن استووا في الدرجة، أي في القرب فولد الوارث أوْلى سواء كان ولد عصبة أو ولد صاحب فرض كبنت بنت الابن أوْلى من ابن بنت البنت وابن بنت ابن أوْلى من ابن بنت بنت؛ كذا في الكافي. واختلفوا في ولد ولد الوارث، والصحيح أنه ليس بأوْلى؛ كذا في خزانة المفتين.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ سمّاها حدودًا لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلّفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ انتصب «خالدين» و«خالدًا» على الحال، وجمع مرة وأفرَد أخرى نظرًا إلى معنى «من» ولفظها. («**ندخله**» **فيهما: مدني وشامي**) ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لهوانه عند الله. ولا تعلق للمعتزلة بالآية فإنها في حق الكفار إذ الكافر هو الذي تعدّى الحدود كلها، وأما المؤمن العاصي فهو مُطيع بالإيمان غير مُتَعَدٍّ حدّ التّوحيد ولهذا فسر (**الضحاك**) المعصية هنا بالشِّرك. وقال (**الكلبي**): ومَن يعصِ الله ورسوله بكفره بقسمة المواريث ويتعدَّ حدوده استحلالًا ثم خاطب الحكام فقال:

﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَٱلَّٰتِي﴾ (**هي جمع «التي»**) وموضعها رفع بالابتداء.

قوله: (**ندخله**) بنون العظمة (**فيهما: مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالباء فيهما.

قوله: (**الضحاك**) بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمّد الخراساني صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة. **قوله:** (**الكلبي**) هو أبو النصر محمّد بن السّائب بن بشر صاحب التفاسير وعلم النّسب، كان إمامًا في هذين العلمين. توفي سنة ستّ وأربعين ومائة بالكوفة رحمه الله والكلبي بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحّدة هذه النسبة إلى كلب بن وبرة، وهي قبيلة كبيرة من قضاعة، يُنسب إليها خلقٌ كثير.

قوله: (**هي جمع التي**) على غير قياس.

﴿يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح. يقال أتى الفاحشة وجاءها (ورهقها) وغشيها (بمعنى) ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ «من» للتبعيض والخبر ﴿فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ فاطلبوا الشهادة ﴿أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ بالزنا ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ﴾ فاحبسوهن (﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ **أي ملائكة الموت كقوله:** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: الآية ٢٨] **أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن)** ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ﴾ قيل: «أو» بمعنى «إلا أن» ﴿سَبِيلًا﴾ غير هذه. عن ابن عباس ﵄: السبيل للبكر جَلْد مائة وتغريب عام وللثيِّب الرَّجْم لقوله ﵇: («**خذوا عني، قد جعل الله لهن** ﴿سَبِيلًا﴾ **البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثَّيِّب بالثَّيِّب جَلْد مائة ورجم بالحجارة**»).

قوله: و(رهِقها) بابه طرب. **قوله:** (بمعنى) أي بمعنى واحد. **قوله:** (**أي ملائكة الموت؛ كقوله:** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: الآية ٢٨] **أو حتى يأخذهنّ الموت ويستوفي أرواحهن**) جواب عمّا يقال معنى التوفّي الإماتة، فيكون قوله: (﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾) بمنزلة أن يقال: حتى يميتهنّ الموت، ولا معنى له، وأجاب عنه أوّلًا بأن الكلام على تقدير المضاف، أي حتى يتوفاهنّ ملائكة الموت؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمّد: الآية ٤]، أي حتى تضع أصحاب الحرب، وثانيًا بأن المراد حتى يأخذهنّ الموت ويستوفي أرواحهنّ من قولهم: توفيت مالي على فلان، أي استوفيته، بمعنى قبضته. وفي الصحاح: استوفيته بمعنى قبضته. وفي الصّحاح: استوفيته وتوفّيته بمعنًى.

قوله: (**خذوا عنّي**) أي خذوا الحكم في حدّ الزِّنا عني (**خذوا عني قد جعل الله لهنّ**) أي للنساء الزواني (﴿سَبِيلًا﴾) خلاصًا عن إمساكهنّ في البيوت (**البكر بالبكر**) بكسر الموحدة، في الأصل: مَنْ لم توطأ، والمراد هنا: مَنْ لم يتزوّج من الرجال والنساء (**جلد مائة**) أي ضرب مائة ضربة (**وتغريب عام**) أي ونفي سنة عن البلد التي وقع الزِّنا فيها، وتغريب **عام** منسوخ، والواجب **جلد** مائة فقط. (**والثيّب بالثيّب**) في الأصل: من تزوّج، والمراد هنا المُحْصَن، يعني إذا زنا بكر ببكر وثيّبًا بثيّب، فحذف ذلك لدلالة السياق. (**جلد مائة ورجم بالحجارة**) إلى أن يموت والجلد منسوخ والواجب الرجم فقط.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ يريد الزاني والزانية. (**بتشديد النون: مكي**) ﴿يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ﴾ أي الفاحشة ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ بالتوبيخ و(**التعيير**) وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله ﴿فَإِن تَابَا﴾ عن الفاحشة ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ وغير الحال ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ فاقطعوا التوبيخ والمذمّة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ يقبل توبة التائب ويرحمه. قال الحسن: أول ما نزل من حدّ الزّنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم، فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة. والحاصل أنهما (**إذا كانا محصنين**) فحدّهما الرجم لا غير، وإذا كانا غير محصنين فحدّهما الجلد لا غير، وإن كان أحدهما محصنًا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجَلْد، وقال (**ابن بحر**): الآية الأولى في (**السحاقات**)، والثانية في اللواطين، والتي في سورة النور في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر (**لأبي حنيفة**) رحمه الله في أنه يعزر في اللواطة ولا يحدّ. وقال (**مجاهد**): آية الأذى في اللواطة.

قوله: (**بتشديد النون: مكّي**) أي ابن كثير المكّي رحمه الله. والباقون بالتخفيف. **قوله:** (**التعيير**) أي التعييب. **قوله:** (**إذا كانا محصنين**)... الخ. وشرائط (إحصان الرجم) سبعة: (الحرّية والتكليف) عقل وبلوغ بدل من قوله: والتكليف، وبيان له. (والإسلام، والوطء) أي الإيلاج، وإن لم يُنزل، وكونه بنكاح صحيح حال الدخول، وكونهما ـ أي الزوجين ـ (بصفة الإحصان) المذكورة وقت الوطء. اهـ. الدر المختار بزيادة من ردّ المحتار.

قوله: (**ابن بحر**) هو عبد الله بن علي بن بحر البحري نسب إلى جدّه بحر الفقيه البلخي رحمة الله عليهم أجمعين. **قوله:** (**السحاقات**) السحق إتيان المرأة المرأة. في القاموس: امرأة سَحَّاقة نعتُ سُوءٍ. اهـ. **قوله:** (**لأبي حنيفة**) رحمه الله هو الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة رحمه الله. **قوله:** (**مجاهد**) بن جَبْر الإمام المشهور، وهو تابعي إمام متّفق على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث مناقبه كثيرة مشهورة.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٧﴾

(﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾) هي مَن تاب الله عليه إذا قَبِل توبته أي إنما قبولها (﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾) وليس المراد به الوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكنه تأكيد للوعد يعني أنه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ الذنب لسوء عقابه ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال أي يعملون السوء جاهِلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه. وعن مجاهد: مَن عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته. وقيل: جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية. وقيل: لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل كُنْه عقوبته. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾. فبيَّن أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة. وعن الضحاك: كل توبة قبل الموت فهو قريب.

وعن ابن عباس ﷺ: قبل أن ينظر إلى مَلَك الموت. (**وعنه ﷺ «أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**) و«من» للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمّى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانًا قريبًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عِدَة بأنه يَفِي بذلك وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بعزمهم على التوبة ﴿حَكِيمًا﴾ حكم بكون (**الندم**) توبة.

قوله: (وعنه ﷺ: أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر[1]) أصل معنى الغرغرة ترديد الماء في الفم إلى الحلق وغرغرة المريض تردّد الروح في حلقه على التشبيه، وهو حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم.

قوله: (الندم) في مختار الصِّحاح: نَدِم على ما فعل من باب طَرِب وسَلِم. اهـ.

---

(١) أي ما لم يتردّد الروح في الحلقوم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

﴿(وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ أي ولا توبة للذين يُذنبون و(**يسوفون**) توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومُعاينة مَلَك الموت، فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لأنها حالة اضطرار لا حالة اختيار، وقبول التوبة ثواب ولا وعد به إلا لمختار ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ في موضع جر بالعطف على «للذين يعملون السيئات» أي ليست التوبة للذين يعملون السيئات (﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ﴾) قال (**سعيد**) بن جبير: (**الآية الأولى في المؤمنين، والوسطى في المنافقين، والأخرى في الكافرين**).

قوله: (**يسوّفون**) أي يؤخّرون. **قوله:** (**سعيد**) بن جبير الأسدي التابعيّ ثقة ثبت فقيه قُتل بين يديّ الحجّاج سنة خمس بعد المائة رحمة الله عليه. **قوله:** (**الآية الأُولى في المؤمنين**)، يعني قوله تعالى: (﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، **والوسطى في المنافقين**)، يعني قوله: (﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾. **والأخرى في الكافرين**)، يعني قوله: (﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ﴾)، وإذا كانت الآية نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين، وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عُصاة المؤمنين، فقد رُوِيَ عن ابن عباس في قوله تعالى: (﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾) الآية، ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: الآية ٤٨]، فحرّم الله المغفرة على مَنْ مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته ولم يؤيّسهم من المغفرة؛ فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حقِّ المؤمنين. اهـ خازن. وفي التأويلات للإمام أبي منصور الماتريدي ﷺ: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ في الكفار؛ لأنه يكون منهم مَنْ يُظْهِر التوبة عند العجز عن إتيان مثله، والدفع إلى الحال التي يزول عنه وسع الإمكان وييأس من الإمهال ليصل إلى حالة كان يذنب، والله تعالى لا يقبل توبته كما لا يقبل توبة مَنْ مات منهم على الكفر، فيتوب بعد الموت بقوله: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ﴾. اهـ. وفي الدرّ المختار في باب صلاة الجنازة: واخْتُلف في قبول توبة اليأس والمختار قبول توبته

....

لا إيمانه، والفرق في البزازية وغيرها، انتهى. وفي ردّ المحتار: قوله: (واختُلف في قبول توبة اليأس) بالياء المثناة التحتية ضدّ الرجاء وقطع الأمل من الحياة أو بالموحّدة التحتيّة، والمراد به الشدّة وأهوال الموت، ويحتمل مدّ الهمزة على أنه اسم فاعل وإسكانها على المصدرية بتقدير مضاف. قوله: (والمختار)... الخ. أقول: قال في أواخر البزازية: قيل: توبة اليأس مقبولة لا إيمان اليأس، وقيل: لا تُقبل كإيمانه؛ لأنه تعالى سوّى بين مَنْ أخّر التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار، وبين مَنْ مات على الكفر في قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ الآية؛ كما في الكشاف والبيضاوي والقرطبي. وفي الكبير للرازي قال المحقّقون: قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع منه مشاهدة الأهوال التي يحصل العلم عندها على سبيل الاضطرار، فهذا كلام الحنفية والمالكية والشافعية من المعتزلة والسنية والأشاعرة أن توبة اليأس لا تُقبل؛ كإيمان اليأس بجامع عدم الاختيار وخروج النفس من البدن وعدم ركن التوبة، وهو العزم بطريق التصميم على أن لا يعود في المستقبل إلى ما ارتكب، وهذا لا يتحقّق في توبة اليأس إن أُريد باليأس معاينة أسباب الموت بحيث يعلم قطعًا أن الموت يدركه لا محالة؛ كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: الآية ٨٥]، وقد ذكر في بعض الفتاوى: أن توبة اليأس مقبولة، فإن أُريد باليأس ما ذكرنا يرد عليه ما قلنا، وإن أُريد به القرب من الموت، فلا كلام فيه. لكن الظاهر أنّ زمان اليأس زمان معاينة الهَوْل. والمسطور في الفتاوى أن توبة اليأس مقبولة لا إيمانه؛ لأن الكافر أجنبي غير عارف بالله تعالى، ويبدأ إيمانًا وعرفانًا، والفاسق عارف وحاله حال البقاء، والبقاء أسهل، والدليل على قبولها منه مطلقًا إطلاق قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: الآية ٢٥]. اهـ ملخصًا. وظاهر آخر كلامه اختيار التفصيل وعزاه إلى مذهب الماتريدية الشيخ عبد السلام في شرح منظومة والده اللّقاني، وقال: وعند الأشاعرة لا تُقبل حال الغرغرة توبة ولا غيرها؛ كما قاله النوويّ. اهـ. وانتصر للثاني المنلا عليّ القارّ في شرحه على بدء الأمالي بإطلاق قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر**»، أخرجه أبو داود، فإنه يشمل توبة المؤمن والكافر. واعترض قول بعض الشرّاح أن التفصيل مختار أئمّة

وفي بعض المصاحف (**بلامين**) وهو مبتدأ خبره. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ أي هيَّأنا من العتيد وهو الحاضر أو الأصل أعددنا فقُلِبَت الدال تاء.

كان الرجل يَرِث امرأة مُوَرِّثه بأن يُلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ أي أن تأخذوهنّ على سبيل الإرث كما تُحاز المواريث وهنَّ كارهات لذلك أو مُكرَهات «كرهًا» بالفتح من الكراهة (**وبالضم**: **حمزة وعلي**) من الإكراه مصدر في موضع الحال من المفعول. والتقييد بالكُرْه لا يدل على الجواز عند عدمه، لأن تخصيص الشيء بالذِّكر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله: (﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ﴾ [**الإسراء: الآية ٣١**]). وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العِشْرة لتفتدي منه بمالها (**وتختلع**) فقيل: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ وهو منصوب عطفًا على ﴿أَن تَرِثُواْ﴾ و﴿لَا﴾ لتأكيد النفي أي لا يحلّ لكم أن تَرِثوا النساء ولا أن تعضلوهنّ، أو مجزوم بالنهي على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على ﴿كَرۡهٗاۖ﴾. والعضل: الحبس والتضييق ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهر واللام متعلقة بـ «تعضلوا» ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ هي النشوز وإيذاء الزوج وأهله (**وبالبذاء**) أي

بخارى من الحنفية، وجمع من الشافعية كالسبكيّ والبلقينيّ على تقدير صحته يحتاج إلى ظهور حجّته.اهـ. والحاصل أن المسألة ظنّية. وأما إيمان اليأس، فلا يُقبل اتّفاقًا.اهـ بحروفه. **قوله**: (**بلامَيْن**) أي للذين.

قوله: (**وبالضمّ**: **حمزة وعليّ**) الكسائيّ وخلف. والباقون بالفتح. **قوله**: (﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ [**الإسراء: الآية ٣١**]) بالوأد (﴿خَشۡيَةَ﴾ [**الإسراء: الآية ٣١**]) مخافة (﴿إِمۡلَٰقٖۖ﴾ [**الإسراء: الآية ٣١**]) فَقْر. **قوله**: (**وتختلع**) بيان تفتدي. **قوله**: (**وبالبذاء**) أي الفحش. في المصباح: بذا على القوم يبذو بذاء بالفتح والمدّ سفه وأفحش في منطقه، وإنْ كان كلامه صدقًا، فهو بذي على فعيل، وامرأة بذية كذلك.اهـ.

إلا أن يكون سوء (**العشرة**) من جهتهنّ فقد عذرتم في طلب الخلع. وعن الحسن: الفاحشة الزّنا فإن فعلت حلّ لزوجها أن يسألها الخلع ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ (**وبفتح الياء: مكي وأبو بكر**)، والاستثناء من أعمّ عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل: ولا تعضلوهنّ في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة، أو ولا تعضلوهنّ لعلّة من العِلَل إلا لأن يأتين بفاحشة. وكانوا يسيئون مُعاشرة النساء فقيل لهم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ وهو (**النصفة**) في المبيت والنفقة (**والإجمال**) في القول ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ لقبحهنّ أو سوء خلقهنّ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ في ذلك الشيء أو في الكره ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ثوابًا (**جزيلًا**) أو ولدًا صالحًا. والمعنى فإن كرهتموهنّ فلا تفارقوهنّ لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين، و(**أدنى**) إلى الخير، (**وأحبت**) ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح. وإنما صحّ قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ﴾ جزاء للشرط لأن المعنى: فإن كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرًا كثيرًا ليس فيما تحبونه.

وكان الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته (**بهت**) التي تحته ورماها بفاحشة حتى يُلجِئها إلى الافتداء منه بما أعطاها فقيل:

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي تطليق امرأة وتزوّج أخرى ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ وأعطيتم إحدى الزوجات،

قوله: (العشرة) بالكسر اسم من المعاشرة والتعاشر، وهي المخالطة. اهـ مصباح. **قوله: (وبفتح الياء مكي)** أي ابن كثير المكّيّ، **(وأبو بكر)** شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بالكسر، وعلى الثاني فهو من بين اللازم أو مفعوله محذوف، أي مبيّنة حال صاحبها. **قوله: (النصفة)** في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عاملته بالعدل والقسط، والاسم النصفة ـ بفتحتين ـ لأنك أعطيته من الحقّ ما تستحقّه لنفسك. اهـ. **قوله: (والإجمال)** أي فعل الجميل. **قوله: (جزيلًا)** أي عظيمًا. **قوله: (أدنى)** أي أقرب. **قوله: (وأحبّتْ)** أي النفس. **قوله: (بهت)** من باب نفع التي تحته، أي افترى عليها ونسبها إلى الفاحشة.

(فالمراد بالزوج والجمع) لأن الخطاب لجماعة الرجال ﴿قِنطَارًا﴾ مالًا عظيمًا كما في «آل عمران». وقال عمر ﷺ على المنبر: لا تُغالوا بصدقات النساء. فقالت امرأة: أنتّبع قولك أم قول الله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾. فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر، تزوجوا على ما شئتم ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾ من القنطار ﴿شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ أي بيّنًا، والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحيّر. وانتصب «بهتانًا» على الحال أي باهتين وآثمين. ثن أنكر أخذ المهر بعد الإفضاء فقال:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ **(أي خلا بلا حائل ومنه الفضاء)**، والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلّل بذلك ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ عهدًا وثيقًا وهو قول الله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩]. والله تعالى أخذ هذا الميثاق

قوله: (فالمراد بالزّوج والجمع) يعني أنه من وضع المفرد مكان الجمع، وهو كثير حيث يُراد الجنس وعدم التعيين.

قوله: (أي خلا بلا حائل، ومنه الفضاء) الفضاء السِّعة، يقال: أفضى فلان إذا ذهب إلى فضاء، أي ناحية سِعة. قال اللّيث: أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله أنه صار إلى فضائه وفرجته، وقال غيره: أصل الإفضاء الوصول إلى الشيء من غير واسطة، وللمفسّرين في هذا الإفضاء المذكور في هذه الآية قولان: أحدهما أن الإفضاء هٰهنا كناية عن الجماع، فإنه سبحانه وتعالى نزّه كتابه عن كلّ ما يستبشع سماعًا، فسمّاه سرًّا في آية وإفضاء في آيةٍ أخرى، ومسًّا في آيةٍ ثالثة. قال ابن عباس والسُّدِّي ومجاهد وهو اختيار الزجّاج، وذهب إليه الإمام الشافعي ﵀، وقال: الخلوة الصحيحة لا تؤكّد المهر، فمن طلّق امرأته قبل المسيس، فله أن يرجع في نصف المهر، وإنْ خَلَا بها. وثانيهما أن المراد بالإفضاء المذكور هنا هو الخلوة، وإن لم يجامعها. قال الكلبيّ: الإفضاء أن يكون معها في طاقٍ واحد جامعها أو لم يُجامعها، وهذا اختيار الفرّاء ومذهب أبي حنيفة ﵀، فإنّ الخلوة معها في الأنكحة الصحيحة تقرّر المهر لما رُوِي عن ثوبان أنه قال: قال عليه

على عباده لأجلهنّ فهو كأخذهنّ، أو قول النبي ﷺ («**استوصوا بالنساء خيرًا**) فإنهن (**عوان**) في أيديكم أخذتموهن (**بأمانة الله**) واستحللتم فروجهن (**بكلمة الله**») ولما نزل ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ قالوا: تركنا هذا لا نرثهنّ كرهًا ولكن نخطبهنَّ فننكحهنَّ برضاهنَّ فقيل لهم:

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

(﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) وقيل: المراد بالنكاح الوطء أي لا تطئوا ماوطيء آباؤكم، وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسِّرين. ولما قالوا: كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منّا؟ قال: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي لكن ما قد سلف فإنكم لا تؤاخذون به، والاستثناء منقطع عن سيبويه. ثم بيَّن صفة هذا العقد في الحال فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ بالغة في القبح ﴿وَمَقْتًا﴾ وبغضًا عند الله وعند

الصّلاة والسّلام: «**مَنْ كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصّداق**». وقال عمر وعليّ: إذا أغلق بابًا وأرخى سترًا وجب عليه الصدّاق، وعليها العدّة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (**استوصوا بالنساء خيرًا**) أي اقبلوا وصيّتي فيهنّ وارفقوا بهنّ وأحسنوا عشرتهنّ. اهـ تيسير. أي اقبلوا الوصية فيهنّ بالخير وعامل خيرًا محذوف، أي بإيتاء النساء خيرًا، أو آتوهنّ خيرًا. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**عَوَان**) جمع عانية، وهي الأسير كجوار في جارية. **قوله:** (**بأمانة الله**) أي بسبب أن جعلهنّ الله أمانة عندكم. **قوله:** (**بكلمة الله**) أي أمره أو العقد.

قوله: (﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾)... الخ. نساء الآباء والأجداد من جهة الأب أو الأمّ وإن عَلَوْا؛ فهؤلاء محرّمات على التأبيد نكاحًا ووطئًا؛ كذا في الحاوي القدسي. وتثبت حرمة المصاهرة بالنّكاح الصحيح دون الفاسد؛ كذا في المحيط السرخسي. فلو تزوّجها نكاحًا فاسدًا لا تحرم عليه أُمّها بمجرّد العقد، بل بالوطء، هكذا في البحر الرّائق. وتثبت بالوطء حلالًا كان أو عن شبهة أو عن زنى؛ كذا في فتاوى قاضيخان، فمن زنى بامرأة حرمت عليه أُمّها وإنْ علت، وابنتها وإن سفلت، وكذا تحرم المزني بها على آباء الزاني وأجداده

المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمّونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له (**المقتي**) ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ وبئس الطريق طريقًا ذلك.

ولما ذكر في أول السورة نكاح ما طاب أي حلّ من النساء وذكر بعض ما حرّم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرَّمات الباقيات وهنَّ سبع من النسب وسبع من السبب، وبدأ بالنسب فقال:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

(﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ **والمراد تحريم نكاحهن عند البعض،**

وإن علوا، وأبنائه وإن سفلوا؛ كذا في فتح القدير. لا بأس بأن يتزوّج الرجل امرأة ويتزوج ابنه ابنتها أو أُمّها؛ كذا في محيط السرخسي. **قوله: (المقتي)** أي منسوب إلى نكاح المقت، ويقال له أيضًا: مقيت، لكونه ممقوتًا مبغضًا مستحقرًا.

قوله: (والمراد تحريم نكاحهنّ عند البعض) عبارة تفسير البيضاوي: ليس المراد تحريم ذواتهنّ، بل تحريم نكاحهنّ؛ لأنه معظم ما يقصد منهنّ، ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، ولأن ما قبله وما بعده في النكاح. اهـ. قوله: ليس المراد تحريم ذواتهنّ؛ لأن التحريم لا يتعلق بالعين، وإنما يتعلّق بفعل من أفعال المكلّف، والمراد بذلك الفعل هٰهنا هو النكاح والقرينة المعيّنة له كونه أظهر المقاصد المقصودة من النساء، فلاوجه لما ذهب إليه الكرخي من أن هذه الآية مُجملة؛ لأن سبحانه وتعالى أضاف التحريم فيها إلى البنات والأُمّهات والحِلّ والحرمة ونحوهما إذا أضيفت إلى الأعيان، فالمراد تحليل الفعل المطلوب منها وتحريمه، وذلك الفعل غير مذكور في الآية، وليس بعض الأفعال أوْلى من بعض لإضافة التحريم إليه، فصارت الآية مجملة من هذا الوجه؛ وذلك لأن التحريم وإن أُضيف إلى الأعيان ظاهرًا، إلّا أن المراد تحريم نكاحهنّ لما ذكر من الدّلائل الثلاث. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

وقد ذكرنا المختار في شرح المنار).

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة القنوي رحمه الله: قوله: (ليس المراد تحريم ذواتهن، بل تحريم نكاحهنّ)، هذا عند الشافعي رحمه الله. وأمّا عندنا، فالتحريم المضاف إلى الأعيان حقيقةً يكون منشأ الحرمة عيّن ذلك المحل، فخرج المحل عن قابلية الفعل، ولزم من ذلك عدم الفعل ضرورة، كذا في الأصول؛ فمراد أصحابنا هنا ليس المراد تحريم ذواتهنّ؛ لأن التحريم لا يتعلق بالمعنى لما ذكرنا من أنه لزم من عدم قابلية المحل عدم الفعل ضرورة، وإلّا فظاهره خلاف المذاهب. اهـ. وقال العلامة التفتازاني في حاشيته على تفسير الكشاف: قوله: تحريم نكاحهنّ قد سبق إلى بعض الأذهان أن الحرمة قد تتعلّق بالأعيان، وقد يكون أبلغ لإشعاره بأنها صُنِعت من الشخص، لكن التحقيق أنّ هذه أحكام لا تتعلّق إلّا بالأفعال، ومثل حرمته الأُمّ أو الميتة أو الخمر على حذف المضاف بدلالة العقل، ثم تعيّن المحذوف إلى خصوص القرائن كالنكاح والأكل والشرب لكونها أظهر المقاصد وأسبق إلى الأفهام، وقد صرّح به فيما قبل هذا الكلام، أعني قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾، ثم إذا حرّم النكاح الذي هو وسيلة الاستمتاعات عَلِم حرمتها بطريق الدّلالة، سواء كان بملك النكاح أو بملك اليمين، فإنّه يتصوّر في بعض المعطوفات على الأُمّهات. اهـ. وفي التأويلات للإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله: قوله تعالى: (﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾) الآية، تحتمل الوجهين: تحتمل أن حرَّم عليكم الاستمتاع بأُمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم والجماع بهنّ. ويحتمل حرمة النكاح، أي حرّم عليكم نكاح أُمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم، فإنْ كان الثاني كان تحريمًا للاستمتاع دلالة؛ لأن النكاح لا يقصد لعينه، وإنما هو وسيلة إلى الاستمتاع بالنساء؛ إذ هو مقصود بالنكاح لما تضمّن منافع ومقاصد حكمته، وكان تحريم الوسيلة تحريمًا للمقصود بالطريق الأَوْلى. وإنْ كان المراد هو الأوّل كان تحريمًا للعقد بلا حصول الغرض المحصول فيه غير مفيد ولا حكمه محرّم ولخلوّه عن الفائدة، انتهت.

قوله: (وقد ذكرنا المختار في شرح المنار) في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون منار الأنوار في أصول الفقه للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدِّين النسفي، المتوفّى سنة (٧١٠) عشرة وسبعمائة، وهو

....

متنٌ متين جامع مختصر نافع، وهو فيما بين كتبه المبسوطة ومختصراته المضبوطة أكثرها تداولًا وأقربها تناولًا، لكنه مع صغر حجمه ووجازة نظمه بحرٌ محيط بدُرر الحقائق وكنزٌ أودع فيه نقود الدّقائق، ومع هذا لا يخلو من نوع التعقيد والحشو والتطويل، فحرّره الكافي الأقحصاري في مختصره الموسوم بسَمْت الوصول وأحسن تحريره ورتّبه على أبلغ نظام وترتيب بزيادة التوضيح والتنقيح. وللمصنّف رحمة الله عليه شرح سمّاه بكشف الأسرار أوّله: الحمد لله ذي الحجّة الباهرة... الخ. واعتنى بشأنه العلماء أيضًا، فشرحه بالقول سعد الدِّين أبو الفضائل الدهلويّ وسمّاه إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار، وتوفّي سنة (٨٩١) إحدى وتسعين وثمانمائة، أوّله: الحمد لله الذي ألهمنا معالم الإسلام... الخ. وشرحه ناصر الدِّين بن الربوة محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوي الدمشقي المتوفّى سنة (٧٦٤) أربع وستين وسبعمائة، وله مختصره المسمّى بقدس الأسرار في اختصار المنار. وللشيخ شجاع الدين هبة الله بن أحمد التركستاني شرح سمّاه تبصرة الأسرار في شرح المنار، وتوفي سنة (٧٣٣) ثلاث وثلاثين وسبعمائة. وشرحه الشيخ أكمل الدِّين محمد بن محمود البابرتي الحنفي المتوفّى سنة (٧٨٦) ستّ وثمانين وسبعمائة، وسمّاه: الأنوار، أوّله: الحمد لله مُظْهر بدائع الحكم بالآيات الخارقة... الخ. وكذا شرحه الشيخ جمال الدين يوسف بن قوماري العنقري الخراطي، وسمّاه اقتباس الأنوار في شرح المنار، وفرغ منه في محرّم سنة (٧٥٢) اثنتين وخمسين وسبعمائة، وقد أخذه من التنقيح والمغني مع حواشيه وفوائده المُنتخبة وبالغ في تهذيبه، أوله: الحمد لله الذي شرح صدور العلماء... الخ. وشرح قوام الدين محمد بن محمد بن أحمد الكافي... وسمّاه جامع الأسرار أوّله: الحمد لله الذي أيّد بالعلماء معالم الدين... الخ. قال في آخره: هذه فوائد التقطتها من فوائد شيخنا علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري. ومن فوائد حافظ الدِّين النسفي والعلامة شرف الدين بن كمال القريمي سوّد شرحًا حافلًا وتركه، ثم إنه لما قصد الحجّ عرضه على علماء الشام فأعجبهم وطلبوا تبييضه، فبيّضه في طريق الحجاز، وهو شرح بالقول وفرغ منه يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان سنة (٧٥٢) اثنتين وخمسين وسبعمائة، أوّله: الحمد لله الذي شرّف خواص نوع الإنسان بالهداية... الخ. فصار أحسن

....

شروحه. وشرحه العلامة زين الدين بن نجيم المصري المتوفّى سنة (٩٧٠) سبعين وتسعمائة، وقال: وقع الفراغ من تأليف هذا الشرح المسمّى أولًا بتعليق الأنوار على أصول المنار، وهو الذي استقرّ عليه اسمه بإشارة بعض العلماء بفتح الغفار في رابع شوّال سنة (٩٦٥) خمس وستّين وتسعمائة، وكانت مدة تأليفه خمسة أشهر، ومَنْ أشكل عليه فليراجع التوضيح والتلويح والتقرير والتحرير، فإنّي لم أجاوزها غالبًا.

وله مختصر المنار المسمّى بلبّ الأصول والخطاب لابن أبي القاسم القرّه حصاري المتوفّى حدود سنة (٧٢٠) عشرين وسبعمائة، ولجلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف التباني، المتوفّى سنة (٧٩٣) ثلاث وتسعين وسبعمائة شرحٌ مفيد. وللشيخ زين الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر المعروف بابن العينيّ شرح ممزوج وجيز فرغ منه في شوال سنة (٨٦٨) ثمان وستّين وثمانمائة، وتوفي سنة (٨٩٣) ثلاث وتسعين وثمانمائة، وشرحه المولى عبد الرحمٰن بن صاچلي أمير المتوفّى سنة (٩٨٧) سبع وثمانين وتسعمائة، وكمال الدّين حسين الوزير لحسين ميرزا... والمولى عبد اللطيف بن عبد الملك ... أوّله: الله الحيّ الأحد... الخ. وهو شرحٌ مشهور متداول بين الناس، وعليه حواشي منها. حاشيته للشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفّى سنة (٨٧٩) تسع وسبعين وثمانمائة، وحاشيته للشيخ شرف الدين يحيىٰ الرهاوي المتوفّى بعد سنة ٩٤٢ هـ... وحاشيته للمولى مصطفى بن پير علي بن محمد المعروف بعرفي زاده المتوفّى سنة (١٠٤٠) أربعين وألف، وعلى حاشية العرفي زاده حاشية ليحيىٰ الأعرج المتوفّى تقريبًا بعد سنة (١١٣٠) ثلاثين ومائة وألف، وحاشية الحسين الأماسي المعروف بقوجه حسام المتوفّى سنة (٩٦١) إحدى وستين وتسعمائة. وقد نظم المنار فخر الدين أحمد بن علي المعروف بابن الفصيح الهمداني، المتوفّى سنة (٧٥٥) خمس وخمسين وسبعمائة، واختصره زين الدين أبو العزّ طاهر بن حسن المعروف بابن حبيب الحلبي المتوفّى سنة (٨٠٨) ثمان وثمانمائة أوّله: الحمد لله ربّ العالمين، وشرح هذا المختصر قاسم بن قطلوبغا الحنفي شرحًا ممزوجًا ذكر فيه أنه لمّا قرأه عليه عثمان بن غليك الفخري شرحه له

....

وشرحه أبو الثناء أحمد بن محمد الزيلي، ثم السيواسي، وسمّاه زبدة الأسرار أوّله: لك الحمد يا مُنزل القرآن بوجوه الإعجاز... الخ. ثم ذكر فيه الوزير محمد باشا وأتمّه في شعبان سنة (٩٧٤) أربع وسبعين وتسعمائة بسيواس، وعلى شرح ابن الملك حاشية مسمّاة بأنوار الحلك على شرح المنار لابن الملك، وهي لابن الحنبلي محمد بن إبراهيم الحلبي المتوفّى سنة (٩٧١) إحدى وسبعين وتسعمائة، وشرحه شمس الدين محمد القوجه حصارى وسمّاه: الفوائد الغياثية الشمسية بشرح فوائد المنار الحافظيّة، وشرحه مير عالم وشرحه نقره كار، وشرحه قره سنان، وشرحه السمرقندي، وشرحه الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن مبارك شاه بن محمد الهروي الملقّب بمعين، وسمّاه: مدار الفحول، أوّله: الحمد لله الذي أنار منار الشرع بأنوار الهداية.. الخ. نقل فيه عن شرح الجندي والإتقاني والشرح المسمّى بالنور، واختصره القاضي أبو الفضل محمد بن محمد بن الشحنة المتوفّى سنة (٨٩٠) تسعين وثمانمائة، وسمّاه: تنوير المنار، وشرحه شمس الدين محمد بن الحسين بن محمد شاه النوشابادي وسمّاه: زبدة الأفكار، أوّله: الحمد لمن تفرّد بوضع الشرائع والأحكام... الخ. ذكر فيه أنه جمعه من شروح كثيرة وقدَّم فيه مقدّمة لطيفة في مبادىء الفنّ. ومِنْ شروحه الشرح المسمّى بزين المنار ليوسف بن عبد الملك بن بخشايش وهو شرح ممزوج، أوّله: الحمد لله الذي أنزل الكتاب والفرقان... الخ. ختمه يوم التروية سنة (٨٤٢) اثنتين وأربعين وثمانمائة في عصر السلطان مراد خان العثماني الثاني. ومن الشروح منهاج ابن نبات التباني، ومن الشروح أنوار الأفكار في تكملة إضاءة الأنوار للشيخ الإمام عيسى بن إسمٰعيل بن خسرو شاه الأقسرائي، أوّله: الحمد لله حمدًا أمد الدهور والأعصار... الخ. قال: لمّا رأيت إضاءة الأنوار مشتملاً على المنقول والمعقول، لكنه قد اختصر الكلام وأجمله فسألني بعض مَنْ تردّد إلى أن أفصل ما أجمله، وجعلته تحفة لسيف الدين الرواداري الناصري... الخ. وتوفي في حدود سنة (٧٢٧) سبع وعشرين وسبعمائة. ومن شروحه: نزهة الأفكار، وهو شرحٌ كبير في مجلّدين، وشرح المنار لمحمّد بن محمود بن الحسين الحسيني، أوّله: الحمد لله رافع درجته المجتهدين... الخ. وهو شرح ممزوج مُوجز كشرح ابن الملك ذكر فيه أنّ شرح

والجدّة من قِبَل الأم أو الأب ملحقة بهنّ (﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ **وبنات الابن وبنات البنت)** ملحقات بهنّ، والأصل أن الجمع إذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أُمه وبنته (﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾) لأب وأم أو لأب أو لأم (﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ **من الأوجه الثلاثة**

المصنف وشرح الخبازي لا يسهل حفظهما لكثرة مباحثتهما، وسمّاه التبيان وفرغ من كتابته في ذي الحجّة سنة (٨٥٧) سبع وخمسين وثمانمائة.

ومن شروحه: شرح الفاضل جلال الدين بن أحمد الرومي الفقيه الحنفي، ثم القاهريّ المعروف بالقباني المتوفّى سنة (٧٩٢) اثنتين وتسعين وسبعمائة، وهو شرح حسن إلى الغاية، ومختصر المنار أوّله: نحمد الله على ما أولانا... الخ. وشرحه عبد العلي بن محمد بن حسين في أثناء عهد فترة شاه إسمٰعيل بن حيدر، وذكر فيه عبيد الله خان الأزبكي. واختصر المنار أيضًا علي بن محمد وسمّاه أساس الأُصول، أوله: الحمد لله لمن شيّد منار الشريعة الغرّاء... الخ. ثم شرحه شرحًا ممزوجًا أوّله: الحمد لله الذي أيّد أصول الحنيفية البيضاء... الخ. نقل فيه عن ثواقب الأنظار في أوائل المنار، وهي رسالة للمولى أبي السعود بن محمد العمادي.

ومن شروح مختصر المنار زبدة الأسرار لشمس الدِّين السيواسي المتوفّى سنة (١٠٤٩) تسع وأربعين وألف، وشرح المنار من الركن الثالث بالتركي عيسى بن محمود الكاتب الديواني، وأهداه إلى السلطان إبراهيم خان، ومن المتون المختصرة من المنار غصون الأصول، أوّله: الحمد لله الذي شرّع لنا الملّة... الخ. وهو للعالم الفضل خضر بن محمد الأماسي المتفتي بأماسيا من علماء عصرنا أتمّه في ذي الحجّة سنة (١٠٦٢) اثنتين وستين وألف، ثم شرحه ممزوجًا وسمّاه: تهييج غصون الأصول، أوّله: الحمد لله الذي جعل لنا الشريعة الغرّاء... الخ. انتهى بحروفه.

قوله: (﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾)، فالأمّهات أُمّ الرجل وجدّاته من قِبَل أبيه وأُمّه، وإنْ عَلَوْنَ. **قوله: (وبنات الابن وبنات البنت)** وإن سفلن. **قوله:** (﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ **من الأوجه الثلاثة)** عمّة لأب وأُمّ، وعمّة لأب، وعمّة لأم؛ وكذا عمّات أبيه وعمّات أجداده وعمّات أُمّه وعمات جدّاته وإنْ علون. وأمّا عمّة العمّة،

﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ **كذلك** ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾) كذلك ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ كذلك. ثم شرع في السبب فقال: (﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ الله تعالى نزل

فإنه يُنظر إن كانت العمّة القربى عمّة لأب وأُمّ أو لأب، فعمة العمّة حرام، وإن كانت القربى عمّة لأُمّ، فعمّة العمّة لا تحرم؛ هكذا في محيط السرخسي. **قوله:** (﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ **كذلك**) خالة لأب وأُمّ وخالة لأب وخالة لأُمّ وخالات آبائه وأُمّهاته. وأمّا خالة الخالة، فإن كانت الخالة القربى خالة لأب وأُم أو لأُم، فخالتها تحرم عليه، وإن كانت القربى خالة لأب، فخالتها لا تحرم عليه؛ هكذا في محيط السرخسي. **قوله:** (﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾) كذلك، وبنات الأخت كذلك، وإن سفلن. **قوله:** (﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾). . . الخ. قليل الرّضاع وكثيره إذا حصل في مدّة الرضاع تعلّق به التحريم؛ كذا في الهداية. قال في الينابيع: والقليل مفسّر بما يُعلم أنه وصل إلى الجوف؛ كذا في السراج الوهّاج. ووقت الرضاع في قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى مقدّر بثلاثين شهرًا، وقالا: مقدّر بحولين؛ هكذا في فتاوى قاضيخان، لو فُطِم الرّضيع في مدة الرضاع ثم سقي بعد ذلك في المدة، فهو رضاع على قول من يرى الرضاع في تلك المدّة لوجود الإرضاع في المدة، وهو الظاهر من المذهب؛ كما في المحيط. وفي الينابيع: وعليه الفتوى؛ كذا في التتارخانية. وإذا مضت مدة الرضاع لم يتعلق بالرّضاع تحريم؛ كذا في الهداية. وأجمعوا على أن مدّة الرّضاع في استحقاق أجرة الرضاع مقدّرة بحولين، حتى أن المطلّقة إذا طالبته بعد الحولين بأجرة الرضاع، فأبى الأب أن يعطي لا يُجبر، ويُجبر في الحولين، كذا في فتاوى قاضيخان. وهذه الحرمة كما تثبت في جانب الأُم تثبت في جانب الأب، وهو الفحل الذي نزل اللّبن بوطئه، كذا في الظهيرية. يُحرم على الرضيع أبواه من الرّضاع وأصولهما وفروعهما من النّسب والرّضاع جميعًا، حتى أن المُرضعة لو ولدت من هذا الرجل أو غيره قبل هذا الإرضاع أو بعده، وأرضعت رضيعًا أو ولد لهذا الرجل من غير هذه المرأة، قبل هذا الإرضاع أو بعده، أو أرضعت امرأة من لبنه رضيعًا، فالكل إخوة الرضيع وأخواته وأولادهم أولاد إخوته وأخواته وأخو الرجل عمّه وأخته عمّته وأخو المرضعة خاله وأختها خالته، وكذا في الجدّ والجدّة. وتثبت حُرْمة المصاهرة في الرّضاع، حتى أن امرأة الرجل حرام على الرضيع، وامرأة الرضيع حرام على الرجل، وعلى هذا القياس إلا

الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة، أمًّا للرضيع والمراضعة أُختًا وكذلك زوج المُرضِعَة أبوه وأبواه جدّاه وأُخته عمّته وكل ولد وُلِد له من غير المُرضِعَة قبل

في المسألتين؛ كذا في التهذيب، إحداهما أن لا يجوز للرجل أن يتزوّج أخت ابنه من النَّسَب، ويجوز في الرضاع؛ لأن أخت ابنه من النّسب إن كانت منه، فهي ابنته، وإن لم تكن منه، فهي ربيبة. وهذا المعنى لا يتأتّى في الرّضاع، حتى أن في النسب لو لم يوجد أحد هذين المعنيين بأن كانت جارية بين الشريكين جاءت بولد فادّعياه حتى ثبت النسب منهما ولكل واحد منهما بنت من امرأة أخرى، جاز لكل واحد من المولِيين أن يتزوّج بابنة شريكه، وإن حصل كل واحد من المولِيين متزوّجًا بأخت ابنه من النسب.

والمسألة الثانية: لا يجوز لرجل أن يتزوّج أُمّ أخته من النسب، ويجوز في الرضاع؛ لأن في النسب إن كانا أخوين لأم فأم الأخ أُمّه، وإن كانا أخوين لأب فأم الأخ امرأة أبيه، وهذا المعنى معدوم في الرضاع؛ كذا في المحيط. وتحلّ أخت أخيه رضاعًا كما تحلّ نسبًا، مثل الأخ لأب إذا كانت له أخت من أُمّه يحلّ لأخيه من أبيه أن يتزوّجها؛ كذا في الكافي. وتحلّ أُمّ أخيه وأُمّ عمّه وعمّته وأُمّ خاله وخالته من الرضاع؛ هكذا في شرح الوقاية. وكذا يجوز له أن يتزوّج بأُمّ حَفَدته وبجدَّة ولده من الرضاع، ولا يحلّ ذلك من النسب؛ كذا في التبيين. وكذا يجوز له أن يتزوج بعمّة ولده من الرضاع؛ كذا في السراج الوهّاج. وكذا أُمّ أخت ابنه وبنت أخت ولده وبنت عمّة ولده؛ هكذا في نهر الفائق. وكذا المرأة يجوز لها أن تتزوج بأبي أختها وبأخي ابنها وبأبي حفدتها وبجدّ ولدها وبخال ولدها من الرضاع، ولا يجوز ذلك كلّه من النسب؛ كذا في التبيين. إذا طلّق الرجل امرأته ولها لبن، فتزوّجت بزوج آخر بعدما انقضت عدّتها ووطئها الثاني أجمعوا أنها إذا ولدت من الثاني، فاللبن من الثاني، وينقطع من الأوّل، وأجمعوا على أنها إذا لم تحبل من الثاني فاللّبن من الأوّل، وإذا حبلت من الثاني ولكن لم تلد منه، قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: اللبن يكون من الأول حتى تلد من الثاني؛ كذا في المحيط. رجل تزوّج امرأة ولم تلد منه قطّ، ثم نزل لبن لها فأرضعت صبيًّا كان الرضاع من المرأة دون زوجها حتى لا يحرم على الصبيّ أولاد هذا الرجل من غير هذه المرأة.

الرّضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأُم المُرضِعَة جدّته وأُختها خالته، وكل مَن وُلِدَ لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأُمه ومَن وُلِدَ لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأم، وأصله (**قوله** ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**». ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾) وهُنَّ مُحَرَّمات بمجرد العقد (﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾) سمّي ولد المرأة من غير زوجها ربيبًا وربيبة لأنه يَرُبُّهما كما يَرُبّ ولده في غالب الأمر، ثم اتّسع فيه فسمّيا بذلك وإن لم يربّهما (﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾) قال (**داود**):

رجلٌ زنى بامرأة فولدت منه فأرضعت بهذا اللبن صغيرة لا يجوز لهذا الزاني ولا لأحد من آبائه وأولاده نكاح هذه الصبية؛ كذا في فتاوى قاضيخان، ولعمّ الزاني وخاله أن يتزوّج بهذا الولد، كالمولود من الزنى؛ كذا في التبيين. ولو وطأ امرأة بشبهة فحبلت منه فأرضعت صبيًا، فهو ابن الواطىء من الرضاع، وعلى هذا كل من ثبت نسبه من الواطىء ثبت منه الرضاع، وفي كل موضع لا يثبت نسب الولد منه ثبت الرضاع من الأم، كذا في المضمرات.

قوله: (**قوله عليه السلام**: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**») أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**داود**) هو أبو سليمان داود بن عليّ بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف الظاهريّ، كان زاهدًا متقلّلًا كثير الورع أخذ العلم عن إسحٰق بن راهويه وأبي ثور وغيرهما، وكان من أكثر الناس تعصّبًا للإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وصنّف في فضائله والثناء عليه كتابين، وكان صاحب مذهب مستقلّ وتبعه جمع كثير يُعرفون بالظاهرية، وكان ولده أبو بكر محمد على مذهبه، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، وهو إمام أصحاب الظاهر. قال أبو عبد الله المحاملي: صلّيت صلاة عيد الفطر في جامع المدينة، وقلت: أدخل على داود بن علي فأهنيه فجئته وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة، وهو يأكل فهنّأته وعجبت من حاله، ورأيت أن جميع ما في الدنيا ليس بشيء، فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبّي الصنيعة، يقال له الجرجاني، فخرج إليّ حاسر الرأس حافي القدمين، وقال لي: ما عنى القاضي؟ قلت: مهم؟ قال: ما هو؟ قلت: في جوارك داود بن علي ومكانه من العلم ما تعلمه وأنت كثير الصِّلة والرغبة في الخير تغفل عنه، وحدثته بما رأيت، فقال:

....

داود شرَس[١] الخلق وجّهت إليه البارحة بألف درهم ليستعين بها فردّها عليّ، وقال للغلام: قل له: بأيّ عين رأيتني؟ وما الذي بلغك من حاجتي وخلّتي حتى بعثت إليّ بهذا؟ فعجبت وقلت له: هات الدراهم، فإني أحملها إليه فدفعها إليّ، وقال للغلام: ائتني بكيس آخر، فوزن الفاخر وقال: تلك لنا، وهذه لعناية القاضي، فأخذت له الألفين وجئت إليه فقرعت الباب ودخلت وجلست ساعة ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه، فقال: هذا جزاء مَن ائتمنك على سرِّه أنا بأمانة العلم أدخلتك إليّ، ارجع فلا حاجة لي فيما معك. قال المحاملي: فرجعت وقد صَغُرت الدنيا في عيني، وأخبرت الجرجاني فقال: إني قد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى، فلا ترجع في مالي، فليتولّى القاضي إخراجها في أهل البرّ والعفاف.

قيل: إنه كان يحضر مجلسه كلّ يوم أربعمائة صاحب طيلسان أخضر، قال داود: حضر مجلسي يومًا أبو يعقوب الشريطي، وكان من أهل البصرة وعليه خرقتان فتصدّر لنفسه من غير أن يرفعه أحد، وجلس إلى جانبي وقال لي: سَل يا فتى عمّا بدا لك، فكأني غضبت منه، فقلت له مستهزئًا: أسألك عن الحجامة، فبرَك أبو يعقوب ثم روى طريق أفطر الحاجم والمحجوم ومَنْ أرسله ومَنْ أسنده ومَنْ وفقه ومن ذهب إليه من الفقهاء، وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله ﷺ وإعطاء الحجام أجره، ولو كان حرامًا لم يعطه، ثمّ روى طرق أن النبيّ ﷺ احتجم بقرن، وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة، ثم ذكر الأحاديث المتوسّطة مثل: «**ما مررت بملإ من الملائكة**»، ومثل: «**شفاء أُمّتي في ثلاث**» وما أشبه ذلك، وذكر الأحاديث الضعيفة، مثل قوله عليه السلام: «**لا تحتجموا يوم كذا، ولا ساعة كذا**»، ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطبّ من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها، ثم ختم كلامه بأنْ قال: وأوّل ما خرجت الحجامة من أصبهان، فقلت له: والله لا حقّرت بعدك أحدًا أبدًا. وكان داود من عقلاء الناس، قال أبو العباس ثعلب في حقّه: كان عقل داود أكثر من علمه، وكان يقول: خير الكلام ما دَخل الأذن بغير

---

(١) محرّكة سُوء الخلق، كذا في القاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

إذ لم تكن **(في حجره)** لا تحرم. قلنا: ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط، وفائدته التعليل للتحريم وأنهنّ لاحتضانكم لهن أو لكونهنّ بصدد احتضانكم كأنكم في العقد على بناتهنّ عاقدون على بناتكم (﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ **متعلق بـ «ربائبكم»**) أي الربيبة من المرأة المَدخول بها حرام على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها. والدخول بهنّ كناية عن الجماع كقولهم: «بنى عليها وضرب عليها الحجاب» أي أدخلتموهنّ الستر والباء للتعدية. **(واللمس)** ونحوه يقوم مقام الدخول، وقد جعل بعض العلماء «اللاتي دخلتم بهن» وصفًا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك، لأن الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامِل، وهذا لأن النساء الأولى مجرورة بالإضافة، والثانية بـ «من»، ولا يجوز أن تقول: «مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات» على أن تكون الظريفات نعتًا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال **(الزجّاج)** وغيره،

إذن، وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين، وقيل: سنة إحدى، وقيل: سنة مائتين، ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة، وقيل: في شهر رمضان. ودُفِن بالشونيزية، وقيل: في منزله. وقال ولده أبو بكر محمد: رأيت أبي داود في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وسامحني، فقلت: غفر لك فِيمَ سامحك؟ فقال: يا بنيّ الأمر عظيم، والوَيْل كلّ الويل لمن لم يسامح رحمه الله تعالى، وأصله من أصبهان.

قوله: (في حجره) بفتح الحاء وكسرها، وهو مقدّم أثواب الإنسان، ثم استعمل لفظ الحجر في الحفظ والتربية، كما في هذه الآية، فإن المراد بقوله: (﴿فِي حُجُورِكُم﴾) في تربيتكم وحفظكم، يقال: فلان في حجر فلان إذا كان في حفظه وتربيته، والسبب في هذه الاستعارة أن كل من ربّى طفلًا جعله في حجره، فهذه الملابسة استعمل الحجر في التربية، كما قال: فلان في حضانة فلان، وأصله من الحِضن الذي هو الإبط. **قوله: (متعلق بربائبكم)** على أن يكون حالًا منها. **قوله: (واللّمس)** أي بشهوة ونحوه؛ كالتقبيل والنظر إلى الفرج الداخل، سواء كان بنكاح أو ملك أو فجور عندنا.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل **الزجاج** النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين، وصنّف كتابًا في معاني القرآن

(وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف) فيه. ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا

الكريم، وله كتاب الأمالي، وكتاب ما فسّر من جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب شرح أبيات سيبويه، وكتاب النوادر، وكتاب الأنواء وغير ذلك، وأخذ الأدب عن المُبَرِّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنُسِب إليه، واختصّ بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب وعلّم ولده القاسم الأدب، ولما اسْتُوزِر القاسم بن عبيد الله أفاد بطريقه مالًا جزيلًا، وحكى الشيخ أبو علي الفارسي النَّحوي قال: دخلت مع شيخنا أبي إسحٰق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد إليه الخادم فسارّه بسرّ استبشر له ثم نهض، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم[1]، فسأله شيخنا عن ذلك لأُنسٍ كان بينهما، فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لأحد القينات، فسُمْتها أن تبيعني إيّاها فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها بأن تهديها إليّ رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلمّا جاءت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشرًا لافتضاضها فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب:

فارسٌ ماضٍ بحربته ... حَاذقٌ بالطَّعن في الظلم
رامَ أن يدمي فريسته ... فاتّقته من دمٍ بدمِ

توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة، وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمٰن الزجاج صاحب كتاب الجمل في النحو، لأنه كان تلميذه.

قوله: (وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف) عبارة الكشاف: فإن قلت: هل يصح أن يتعلّق بقوله: (﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾)؟ قلت: لا يخلو إمّا أن يتعلق بهنّ

---

(١) الوجم ككتفٍ وصاحب العَبُوس المطرق لشدّة الحُزْن وَجَم كوَعَد وجمًا ووجومًا سكت على غيظ. اهـ قاموس.

﴿جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فلا حرج عليكم في أن تتزوجوا بناتهنّ إذا فارقتموهنّ أو مُتن

وبالربائب، فتكون حرمتهنّ وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعًا، وإمّا أن يتعلق بهنّ دون الربائب فتكون حرمتهنّ غير مُبهمة، وحرمة الربائب مبهمة، فلا يجوز الأوّل؛ لأن معنى من مع أحد المتعلّقَيْن خلاف معناه الآخر. ألا تراك أنك إذا قلت: وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ، فقد جعلت من لبيان النساء وتميز المدخول بهنّ من غير المدخول بهنّ، وإذا قلت: (﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾) فإنك جاعل من لابتداء الغاية، كما تقول: بنات رسول الله ﷺ من خديجة، وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطابٍ واحد معنيان مختلفان، ولا يجوز الثاني؛ لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض أمرٌ لا يردّ إلّا أن تقول: أعلّقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتّصال؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، فإني لست منك ولست مني، ما أنا من دُدَ ولا الدُدّ مني، وأُمّهات النساء متّصلات بالنساء لأنهنّ أُمّهاتهنّ، كما أن الرّبائب متّصلات بأُمّهاتهنّ لأنهنّ بناتهنّ، هذا وقد اتّفقوا على أن تحريم أُمّهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى، وقد رُوِيَ عن النبيّ ﷺ في رجلٍ تزوّج امرأة ثمّ طلّقها قبل أن يدخل بها، أنه قال: «**لا بأس أن يتزوّج ابنتها، ولا يحلّ له أن يتزوّج أُمّها**». وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله تعالى عنهما: أن الأُمّ تحرم بنفس العقد. وعن مسروق: وهي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أبهموا ما أبهم الله، إلا ما رُوِيَ عن عليّ وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزّبير، أنّهم قرؤوا: ﴿وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول: والله ما نزل إلا هكذا. وعن جابر روايتان، وعن سعيد بن المسيّب عن زيد: إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أُمّها، وإذا طلّقها قبل أن يدخل بها، فإن شاء فعل أقام الموت مقام الدخول في ذلك، كما قام مقامه في باب المهر، انتهت بحروفها.

قوله: (غير مُبْهمتين) أي غير مطلقتين، بل مقيّدتين بأن يكون الأُمّهات للنساء المدخول بها، والربائب من النساء المدخول بها، قوله: معنيان مختلفان أحدهما البيان والآخر ابتداء الغاية، وما يقال: إنّ جميع معاني من راجعة إلى معنى ابتداء

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ جمع حليلة وهي الزوجة لأن كل واحد منهما يحلّ للآخر، أو يحلّ فراش الآخر (**من الحِلّ، أو من الحلول**) ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ دون مَن تبنَّيتم فقد تزوج رسول الله ﷺ (**زينب**) حين فارقها (**زيد**) وقال الله تعالى: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧].

الغاية، فإنما هو على ضرب من التأويل والتشبيه، لا أن يكون الابتداء معنًى كلّيًا صادقًا على الكلّ بالحقيقة، نعم قد يُستعمل من في معنى اتّصال الشيء بالشيء، وهو يتناول الأُمّهات بالنساء بكونها والدات لهنّ، والربائب بالنساء بكونهنّ مولودات منهنّ، فهل يصح جعل من نسائكم متعلّقًا بالأُمّهات والربائب جميعًا حالًا منهما، ويظهر فائدة اتّصال الأُمّهات بالنساء بعد إضافتها إليها من جهة زيادة قيد الدخول، لكن الاتفاق على حرمة أُمّهات النساء مدخولات كنّ أو غير مدخولات يأبى هذا المعنى، فمن هٰهنا جعل متعلّقًا بربائبكم فقط، وما ذكر من الإطناب في الجواب، فإنما هو للتنبيه على ما حواه من الفوائد، فقوله: (أمرٌ لا يردّ) أي مانع قويّ من التعلّق بالأقرب (والدُّد) هو اللّهو واللعب اسم محذوف اللام والتنكير أولًا للعموم بالنفي والتعريف، ثانيًا للإشارة إلى ذلك النّوع والتصريح بالاسم؛ لأنه أبلغ. وقوله: (فإني لستُ منك ولستَ مني قبل تمامه) إذا ما طار من مالي الثمينُ، وقيل: صدره:

إذا حاولت في أسدٍ فجورًا

وهو للنابغة الذبياني.

قوله: (أبهموا ما أبهم الله) عن الأزهري التحريم المبهم هو الذي لا يحلّ بوجهٍ من الوجوه؛ كالمبهم من الخيل الذي لا شِيَة فيه يخالف معظم لونه؛ كتحريم الأُمّهات والبنات، وكذا أُمّهات النساء بخلاف تحريم الربائب، فإنها قد تحلّ وذلك إذا كنّ من نساءٍ غير مدخولٍ بهنّ. قوله: (إلّا ما رُوِيَ) استثناء من قوله: قد اتّفقوا بمعنى. لكن ما رُوِي عن هذا الجمع من الصحابة مُشعر بأن تحريم أُمّهات النساء أيضًا غير مبهم، بل مقيّد بالدخول، فيكون رواية القراءة ضعيفة لمخالفتها المذهب، أو القراءة منسوخة. اهـ تفتازاني رحمة الله عليه. **قوله:** (**من الحِلّ**)، فالحليلة فعيلة مشتقّة من لفظ الحلال بمعنى المحلّلة. (**أو من الحلول**) فهي فعيلة بمعنى فاعلة. **قوله:** (**زينب**) بنت جحش زوج النبيّ ﷺ أخت عبد الله بن جحش

....

وهي أسديّة من أسد بن خزيمة، وأُمّها أُميمة بنت عبد المطلب عمّة النبيّ ﷺ تُكنى أُمّ الحكم، وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات، وكانت قد تزوّجها زيد بن حارثة مولى النبيّ ﷺ تزوّجها ليعلمها كتاب الله وسنّة رسوله، ثم إنّ الله تعالى زوّجها النبيّ ﷺ من السماء، وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] الآية، فتزوّجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، قاله أبو عبيدة. وقال قتادة: سنة خمس، وقال ابن إسحٰق: تزوّجها رسول الله ﷺ بعد أُمّ سلمة. أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله، أخبرنا أبو غالب بن البناء، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أخبرنا أبو بكر القطيعي، أخبرنا محمّد بن يونس، أخبرنا حبان بن هلال، أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: لمّا انقضت عدّة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «**اذهب فاذكرني لها**»، قال زيد: فلمّا قال رسول الله ﷺ ذلك عَظُمت في عيني، فذهبت إليها فجعلت ظهري إلى الباب، فقلت: يا زينب بعَثَ بي رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئًا حتى أوامر ربّي عزّ وجلّ، فقامت إلى مسجدها وأنزل الله هذه الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧]، فجعل رسول الله ﷺ يدخل عليها بغير إذن. أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة بإسناده عن عليّ بن أحمد، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمٰن محمد بن عبد العزيز الفقيه، حدّثنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا الحسين بن الوليد، عن عيسى بن طهمان، عن أنس بن مالك قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبيّ ﷺ، وتقول: زوّجني الله من السماء، وأوْلم عليها رسول الله ﷺ بخبز ولحم، وكانت زينب كثيرة الخير والصدقة، ولمّا دخلت على رسول الله ﷺ كان اسمها برّة فسمّاها زينب، وتكلّم المنافقون في ذلك وقالوا: إنّ محمّدًا يحرم نكاح نساء الأولاد، وقد تزوّج امرأة ابنه زيد؛ لأنه كان يقال له: زيد بن محمد، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠]، وقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: الآية

....

٥]، فكان يدعى زيد بن حارثة، وهجرها رسول الله ﷺ وغضب عليها لمّا قالت لصفية بنت حيي: تلك اليهودية، فهجرها ذا الحجّة والمحرم وبعض صفر، وعاد إلى ما كان عليه. وقيل: إن التي قالت لها ذلك حفصة، وقالت عائشة: لم يكن أحد من نساء النبيّ ﷺ تُساميني في حسن المنزلة عنده إلا زينب بنت جحش، وكانت تفخر على نساء النبيّ ﷺ وتقول: إن آباءكنّ أنكحكنّ وإن الله أنكحني إيّاه، وبسببها نزل الحجاب، وكانت امرأة صنّاع[1] اليد تعمل بيدها وتتصدّق به في سبيل الله. أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى، حدّثنا هارون بن عبد الله، عن ابن أبي فُديك، أخبرنا ابن أبي ذئب، حدّثني صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال للنساء عام حجّة الوداع: «**هذه ثم ظهور الحصر**»، قال: فكنّ كلهنّ يحججن إلا سودة وزينب بنت جحشٍ، فإنهما كانتا تقولان: والله لا تحرّكنا دابة بعد إذ سمعنا من رسول الله ﷺ. أخبرنا يحيىٰ وأبو ياسر بإسنادهما عن مسلم، قال: حدّثنا محمود بن غيلان، حدّثنا الفضل بن موسى الشيباني، أخبرنا طلحة بن يحيىٰ بن طلحة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أُمّ المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكنّ لحوقًا بي أطولكنّ يدًا**»، قالت: فكنّا نتطاول أيهنّ أطول يدًا، فكانت زينب أطولنا يدًا؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدّق. وقالت عائشة: ما رأيت امرأة قطّ خيرًا في الدِّين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة. ورَوى شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب: إنّ زينب بنت جحش لأوّاهة، فقال رجل: يا رسول الله، ما الأوّاه؟ قال: «**المتخشّع المتضرّع**»، وكانت أوّل نساء رسول الله ﷺ لحوقًا به، كما أخبر رسول الله ﷺ. وتوفيت سنة عشرين أرسل إليها عمر بن الخطاب اثني عشر ألف درهم كما فرض لنساء النبيّ ﷺ، فأخذتها وفرّقتها في ذوي قرابتها وأيتامها، ثم قالت: اللّهمّ لا يدركني عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا، فماتت وصلّى عليها عمر بن الخطاب، ودخل قبرها أُسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش، قيل: هي أوّل امرأة صنع لها النعش، ودُفِنَت بالبقيع، أخرجها الثلاثة؛ يعني ابن عبد البر،

(١) فكانت تدبغ وتخرز، كما في الإصابة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

ابن منده، وأبو نعيم. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء، وهي أول امرأة جعل عليها النعش أشارت به أسماء بنت عُمَيْس، كانت رأته في الحبشة، وكان عمر ﷺ يطّلع إلى شيء يسترها، فأشارت به أسماء. رُوِيَ لها عن رسول الله ﷺ أحد عشر حديثًا. اهـ.

قوله: (**زيد**) بن حارثة[١] بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، هكذا نسبه، ابن الكلبي وغيره، وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء ونقص شيء، قال الكلبي: وأمّه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت من بني معن من طَيْء. وقال ابن إسحٰق: حارثة بن شَرْحبيل ولم يتابع عليه، وإنما هو شراحيل، ويكنى أبا أُسامة وهو مولى رسول الله ﷺ أشهر مواليه وهو حِبّ رسول الله ﷺ أصابه سباه في الجاهلية؛ لأن أُمّه خرجت به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القَيْن بن جسر فأخذوا زيد، فقَدِمُوا به سوق عُكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خُوَيْلد، وقيل: اشتراه من سوق حبشية، فوهبته خديجة للنبيّ ﷺ بمكّة قبل النبوّة، وهو ابن ثماني سنين، وقيل: بل رآه رسول الله ﷺ بالبطحاء بمكّة ينادى عليه ليباع، فأتى خديجة فذكره لها، فاشتراه مِنْ مالها فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبنّاه، وقال ابن عمر: ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمّد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: الآية ٥]، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطّلب رضي الله تعالى عنهما، وكان أبوه شراحيل قد وجد لفَقْده وَجْدًا شديدًا، فقال فيه:

بكيت على زيدٍ ولم أدر ما فعل ... أحيٌّ يرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلًا ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

(١) في تهذيب الأسماء: أن حارثة والد زيد أسلم حين جاء في طلب زيد، ثم ذهب إلى قومه مسلمًا. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة فحسبي من الدنيا رجوعك لي علل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ويعرض ذكراه إذا قارب الطفل
وإن هبّت الأرواح هيّجن ذكره فيا طول ما حزني عليه ويا وجل
سأعمل نصّ العيش في الأرض جاهدًا ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أوَ تأتي على منيّتي وكل امرىء فان وإن غرّه الأمل
سأوصي به قيسًا وعمرًا كلاهما وأوصي يزيدًا ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أكبر من زيد، ويعني بقوله: يزيد أخا زيد لأُمّه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، ثم إن ناسًا من كلب حجّوا فرأوا زيدًا فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم جزعوا عليّ، فقال:

أحنّ إلى قومي وإن كنت نائيًا فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفّوا عن الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معدّ كابرًا بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه وعند مَنْ هو، فخرج حارثة وأخوه كعب ابنا شراحيل لفدائه، فقَدِما مكّة فدخلا على النبيّ ﷺ، فقالا: يا ابن عبد المطّلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيّد قومه، جئناك في ابننا عندك، فامْنُنْ علينا وأحسن إلينا في فدائه، فقال: «**مَنْ هو؟**» قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلّا غير ذلك**»؟ قالوا: ما هو؟ قال: «**ادعوه وخيِّروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدًا**»، قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «**هل تعرف هؤلاء**»؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمّي، قال: «**فإنما من قد عرفت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما**»، قال: ما أُريدهما، وما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت منّي مكان الأب والعمّ، فقال: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرّية وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم، ورأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا؛ فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: «**يا من حضر اشهدوا أن**

....

زيدًا ابني، يرثني وأرثه»، فلما رأى ذلك أبوه وعمّه طابت نفوسهما وانصرفا. وروى معمر عن الزهري، قال: ما عَلِمنا أحدًا أسلم قبل زيد بن حارثة. قال عبد الرزاق: لم يذكره غير الزهري. قال أبو عمرو: قد رُوِي عن الزهري من وجوه أنّ أوّل مَنْ أسلم خديجة، وقال ابن إسحٰق: إن عليًّا بعد خديجة، ثم أسلم بعده زيد، ثم أبوبكر. وقال غيره: أبو بكر ثم عليّ ثم زيد رضي الله تعالى عنهم. وشهد زيد بن حارثة بدرًا، وهو الذي كان البشير إلى المدينة بالظفر والنصر، وزوّجه رسول الله ﷺ مولاته أُمّ أيمن، فولدت له أُسامة بن زيد، وكان زوج زينب بنت جحش، وهي ابنة عمّة رسول الله ﷺ، وهي التي تزوّجها رسول الله ﷺ بعد زيد. أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران وغير واحد بإسنادهم إلى محمد بن عيسى السلمي، قال: حدّثنا علي بن حجر، أخبرنا داود بن الزبرقان، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن عائشة قالت: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٨]، فإنّ رسول الله ﷺ لمّا تزوّجها ـ يعني زينب ـ قالوا: إنه تزوّج حليلة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠]، وكان زيد يقال له: زيد بن محمد، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: الآية ٥] الآية. وقد رُوِي هذا الحديث عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة. أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن علي، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن نمير، أخبرنا يونس بن بكير، حدثنا يونس بن أبي إسحٰق، عن أبيه عن البراء بن عازب أن زيد بن حارثة قال: يا رسول الله آخَيْت بيني وبين حمزة. وأخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي حبة بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثنا الحسن، أخبرنا ابن لهيعة، عن عُقيل[1]، عن ابن شهاب، عن عروة، عن أُسامة بن زيد بن حارثة، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ أنّ

(١) بضمّ العين وبفتح القاف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وليس هذا لنفي الحُرمَة عن حليلة الابن من الرضاع ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ أي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرَّمات أي وحرَّم عليكم الجمع بين الأختين ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (ولكن ما مضى مغفور) بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وعن (محمد بن الحسن) رَحَمَهُ ٱللَّهُ أن أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المُحَرَّمات إلا نكاح امرأة الأب ونكاح الأُختين فلذا قال فيهما: «إلا ما قد سلف».

جبريل عليه السلام أتاه فعلّمه الوضوء والصلاة، فلمّا فرغ الوضوء أخذ غرفة فنضح بها فرجه. وأخبرنا يحيىٰ بن محمود بن سعد بإسناده إلى أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن عبيد، عن وائل بن داود، قال: سمعت البهي يحدّث أنّ عائشة كانت تقول: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرِّية إلا أمّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه بعده. ولمّا سيّر رسول الله ﷺ الجيش إلى الشام جعل أميرًا عليهم زيد بن حارثة، وقال: «**فإن قُتِل، فجعفر بن أبي طالب؛ فإن قُتل، فعبد الله بن رواحة**»؛ فقُتِل زيد في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة، ولما أتى رسول الله ﷺ خبر قتل جعفر وزيد بكى، وقال: «**أخواي ومؤنساي ومحدّثاي**»، وشهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ولم يسمّ الله سبحانه وتعالى أحدًا من أصحاب النبيّ ﷺ وأصحاب غيره من الأنبياء إلا زيد(١) بن حارثة، وكان زيد أبيض أحمر، وكان ابنه أُسامة آدم شديد الأدمة. أخرجه الثلاثة؛ يعني ابن عبد البر، ابن منده، وأبو نعيم. حارثة ـ بالحاء المهملة والثاء المثلثة ـ وعُقيل ـ بضم العين وفتح القاف ـ.اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء. رُوِي لزيد عن النبيّ ﷺ حديثان. اهـ.

قوله: (ولكن ما مضى مغفور) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع. **قوله:** (محمد بن الحسن) بن فرقد الشيباني صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالريّ سنة تسع وثمانين ومائة وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

---

(١) أي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧]، ولا يرد على هذا قول من قال السجل في قوله تعالى: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] اسم كاتب ، فإنه ضعيف أو غلط، كذا في تهذيب الأسماء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿(وَٱلْمُحْصَنَٰتُ) مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي ذوات الأزواج لأنهنّ أحصنَّ فروجهنّ بالتزوّج. قرأ (الكسائي) بفتح الصاد هنا وفي سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها في جميع القرآن (﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾) بالسبي وزوجها في دار الحرب.

قوله: (الكسائي) الكوفي، وهو علي بن حمزة النَّحوي مولى لبني أسد، ويُكنى أبا الحسن، ويقال له: الكسائي من أجل أنه أحرم في الكسائي، وتوفي برنبُوية قرية من قرى الريّ حين توجّه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة. اهـ تيسير.

قوله: (﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾) بالسّبي وزوجها في دار الحرب... الخ. وعبارة تفسير البيضاوي: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سُبين ولهن أزواج كفّار، فهنّ حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسَّبي؛ لقول أبي سعيد: أصبنا سبيًا يوم أوطاس ولهنّ أزواج، فكرهنا أن نقع عليهنّ، فسألنا النبيّ ﷺ؛ فنزلت الآية، فاستحللناهنّ، وإيّاه عنى الفرزدق بقوله:

وذات حَليل أنكحتها رماحنا حلالٌ لمن يبني بها لم تُطلّق

وقال أبو حنيفة: لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولا تحلّ للسابي، وإطلاق الآية والحديث حجّة عليه. اهـ. وفي حاشيته للعلامة شيخ زاده. قوله: (والنكاح مرتفع بالسَّبي) وإن لم يتحقّق بين الزوجين تباين الدارين بأن سُبِيا معًا، هذا عند الإمام الشافعي رحمه الله. وأمّا عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، فلا مدخل للسبي في ارتفاع النكاح، وإنما يرتفع بتباين الدارين لا بالسَّبي، وقد اتّفقوا على أنه إذا سبي أحد الزوجين قبل الآخر، وأخرج إلى دار الإسلام وقعت الفرقة بينهما. أمّا إذا سبيا معًا، فقال الإمام الشافعي هٰهنا: تزول الزوجية وتحلّ للمالك بعد أن يستبرئها بوضع الحمل إنْ كانت حاملًا من زوجها، أو بالحيض إن لم تكن حاملًا. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: لا تزول إذا سبيا معًا. وعن أبي

....

سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنه عليه الصّلاة والسّلام بعث يوم حُنين جيشًا إلى أوطاس فأصابوا سبايا لهنّ أزواج من المشركين، فكرهوا غشيانهنّ وتحرَّجوا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. انتهى. وفي حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. **قوله:** (﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾)... الخ. للعلماء هنا ثلاثة أقوال ترجع إلى معنيين في المحصنات، أحدها: أن المراد به المزوّجات، أي هنّ حرام إلّا على أزواجهنّ، والمراد بالمُلك مطلق ملك اليمين، فكلّ مَن انتقل إليه مُلك أمَة ببيع أو هبة أو سباء[1] أو غير ذلك، وكانت مزوّجة كان ذلك الانتقال مقتضيًا لطلاقها وحِلّها، كمن انتقلت إليه، وهو قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

والثاني: تخصيص المُلك بالسباء خاصّة، فإنّه المقتضي لفسخ النكاح وحلّها للسابي دون غيره، وهو قول عمر وعثمان وجمهور الصحابة والتابعين والأئمّة الأربعة، كما سيأتي.

والثالث: أنّ المحصنات أعمّ من العفائف والحرائر وذوات الأزواج، والملك أعمّ من ملك اليمين وملك الاستمتاع بالنكاح، فرجع معنى الآية إلى تحريم الزّنا، وحرمة كل أجنبية إلّا بعقد نكاح أو ملك يمين، وهذا مرويٌّ عن بعض الصحابة، واختاره مالك رحمه الله في الموطأ.

قوله: (يريد)... الخ. هذا هو القول الثاني في الآية، كما مرّ، وهو المأثور. وقوله: لقول أبي سعيد... الخ. إشارة إلى ما رُوِيَ في الصحيحين عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ بعث يوم حُنين سرّية، فأصابوا حيًّا من العرب يوم أوطاس، فهزموهم وقتلوهم وأصابوا لهم نساء لهنّ أزواج، فكأن أُناس من أصحاب النبيّ ﷺ تأثّموا من غشيانهنّ من أجل أزواجهنّ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية. وهي غزوة من غزواته ﷺ اليوم بمعنى الوقعة والقتال، ووقعة حُنين في المعجم وفيها قال ﷺ: «**حَمِيَ الوطيس**» حين استعرَت الحرب.

(١) وزان كتاب، والقصر لغة. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

والمعنى وحرَّم عليكم نكاح المنكوحات (**مِنَ اللاتي لهنّ أزواج**) إلا ما ملكتموهنّ بسَبْيِهِنَّ وإخراجهنّ بدون أزواجهنّ لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي، فتحلّ الغنائم بمِلْك اليمين بعد الاستبراء ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ مصدر مؤكد

قوله: (مِنَ اللاتي لهن أزواج). . . الخ. يعني أن الآية مخصوصة بذوات الأزواج المسبيّات بدليل سبب النزول؛ لأن مُلك اليمين لا يزول النكاح بالاتّفاق، كما باع جارية مزوّجة أو انتقل ملكها عمّن زوَّجها بإرث أو هبة، لكن هل مجرّد السَّبْي محل لذلك، أو سبيها وحدها؟ فعند الشافعي رحمه الله: مجرّد السَّبي مُوجب للفرقة ومحل للنكاح، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: سبيها وحدها حتى لو سُبِيت معه لم تحلّ للسابي. قوله: (فنزلت الآية، يعني من قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النّساء: الآية ٢٣]. . . الخ). لا قوله: (﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾). . . الخ؛ إذ لا يتمّ بدون ما قبله، ويحتمل ذلك بأن يقدر له عامل، وهو خلاف الظاهر، ولم يذكره أحد من المعربين، لا يقال: هذا قصر للعامّ على سببه، وهو مخالف لما تقرّر في الأُصول من أنه لا يعتبر خصوص السّبب؛ لأنّا نقول: ليس هذا من قصر العام على سببه، وإنما خصّ لمعارضة دليل آخر، وهو الحديث المشهور عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها لمّا اشترت بريرة، وكانت مزوّجة أعتقتها وخيّرها النبيّ ﷺ من زوجها مغيث، فلو كان بيع الأَمَة طلاقًا ما خيّرها، فاقتصر حينئذ بالعامّ على سببه الوارد عليه لمّا كان غير البيع من أنواع الانتقالات كالبيع في أنه ملك اختياريّ مترتّب على مُلك متقدّم بخلاف السباء، فإنه إنشاء ملك جديد قهريّ، فلا يلحق به غيره؛ كذا حقّقوه. وبيت الفرزدق هذا من قصيدة له. والحليل: الزوج. وإسناد الإنكاح إلى الرِّماح مجاز، وحلال صفة ذات تجري على إعرابه، وذكر لأنه مصدرًا وخبر مبتدأ محذوف، أي هي حلال ولمن يبني بها، أي يدخل عليها متعلّق بحلال، ولم تُطلق صفة بعد صفة أو خبر بعد خبر، وهو ظاهر.

قوله: (وإطلاق الآية والحديث حجّة عليه) إطلاق الآية والحديث غير مسلّم، قال في الأحكام: المرويّ أنه لما كان يوم أوطاس ألحقت الرجال بالجبال وأُخذت النساء، فقال المسلمون: كيف نصنع ولهنّ أزواج؟ فأنزل الله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾ الآية، وكذا في حُنين، كما ذكره أهل المغازي، فثبت أنه لم يكن معهنّ أزواجهنّ، فإن احتجّوا بعموم اللفظ قيل لهم: قد اتّفقنا على أنه ليس بعامّ،

أي كتب الله ذلك عليكم كتابًا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ على الفعل المضرّ الذي نصب «كتاب الله» أي كتب الله عليكم تحريم ذلك وأحَلَّ لكم ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ ما سوى المُحرَّمات المذكورة. (﴿وَأَحَلَّ﴾): كوفي (غير أبي بكر والكسائي وخلف عطف على «حرمت») ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ مفعول له أي بيّن لكم ما يحلّ مما يحرم لأن تبتغوا، (أو بدل مما ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾) ومفعول ﴿تَبْتَغُواْ﴾ مقدّر وهو النساء، (والأجود أن لا يقدر) ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ يعني المهور، وفيه دليل على أن النكاح لا يكون إلا بمهر، وأنه يجب وإن لم يُسَمَّ، وأن غير المال لا يصلح مهرًا، وأن القليل لا يصلح مهرًا إذ الحبة لا تعدّ مالًا عادة ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ في حال كونكم محصنين (﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحلّ لكم فتخسروا دينكم ودنياكم، ولا فساد أعظم من

وأنه لا تجب الفرقة بتجدّد الملك، فإذا لم يكن كذلك عَلِمْنا أنّ الفرقة لمعنًى آخر، وهو اختلاف الدارَيْن، فلزم تخصيصها بالمسبيّات وحدهنّ، وليس السبي سبب الفرقة، بدليل أنها لو خرجت إلينا مُسلمة أو ذمّية ولم يلحق بها زوجها وقعت الفرقة بلا خلاف، وقد حكم الله به في المهاجرات في قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [المُمتحنَة: الآية ١٠]، فلا يرد ما ذكره المصنّف عند التحقيق. وأوطاس ـ بفتح الهمزة ـ أفعال ـ بطاء وسين مهملتين ـ وادٍ بديار هوازن كانت فيه تلك الوقعة، انتهت بحروفها.

قوله: (﴿وَأُحِلَّ﴾) بضم الهمزة وكسر الحاء مبنيًا للمفعول، كوفيّ **(غير أبي بكر)** أي حفص وحمزة **(والكسائيّ وخلف عطف على حرمت)**. والباقون بالفتح فيهما مبنيًّا للفاعل. **قوله: (أو بدل مما** ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾) بدل الاشتمال. **قوله: (والأجود أن لا يقدر)**؛ لأن الأوفق الأبلغ على ما أشعر به كلام المصنّف هو أنه بين ما يحلّ مما يحرم ليكون الطلب بالأموال، أي صرفها وإخراجها في وجوه المطالب في حال كونكم محصنين غير مُسافحين، ومصلحين غير مُفْسدين؛ لحصول العلم بالصلاح والسفاح، وهذا ـ أعني القصد ـ إلى نفس الفعل من غير تقدير مفعول يتناول إعطاء مهور الحرائر وأثمان السراري والإنفاق عليهنّ ونحو ذلك مما يتعلّق بالمقام وغيرها من التصرّفات. وقيل: لأنّ هذا المقدّر يُفهم من قوله: (﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾)، فيكون كالمستغنى عنه، وذكر (﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾) بعده

الجمع بين الخسرانين. والإحصان العفّة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، **(والمسافح الزاني)** من السفح وهو صبّ المني ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فما نكحتموه منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنَّ لأن المهر **(ثواب على البضع)** فـ «ما» في معنى النساء و«من» للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ في «به» وعلى المعنى في «فآتوهن» ﴿فَرِيضَةً﴾ حال من الأجور أي مفروضة، أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض **(أو مصدر مؤكد)** أي فرض ذلك فريضة. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ **(فيما تحط عنه من المهر، أو تهب له من كله، أو يزيد لها على مقداره)**، أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء قبل خلقها ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرض لهم من عقد النكاح

كالتّكرار. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (والمسافح الزاني)**، وأصل السّفح الصبّ، فكنى به عن الزّنا؛ لأن الغرض منه صبّ المنيّ لا النّسل وغيره من فائدة التزوّج.

قوله: (ثواب على البضع) في المصباح: البضع ـ بالضمّ ـ جمع أبضاع، مثل قفل وأقفال، يُطلق على الفرج والجماع، ويُطلق على التزويج أيضًا؛ كالنكاح يطلق على العقد والجماع. وقيل: البضع مصدر أيضًا مثل السكر والكفر. اهـ. وقال العلامة التفتازاني: قوله: ثواب على البضع، أي على الجماع، والثواب على الشيء أجر له، والبضع بالفتح. في الأصل: القطع والشقّ جُعل كناية عن الجماع، فقيل: بضع المرأة وباضعها. اهـ.

قوله: (أو مصدر مؤكّد)... الخ. فهي مصدر كالقطيعة بمعنى القطع. **قوله: (فيما تحطّ عنه من المهر أو تهب له من كلّه أو يزيد لها على مقداره)**... الخ. عبارة تفسير البيضاوي: ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمّى أو يحطّ عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو من مقام أو فراق. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله: فيما يزاد على المسمّى أو يحطّ عنه... الخ. الفريضة هنا الشيء المقدّر كما في فريضة الميراث؛ ففي التيسير هذا مذهب الشافعي، ومذهبنا أنه لا يشترط تراضيهما في غير الزيادة، ويصح الإبراء والهبة برضاها وحدها، فهذا مخصوص، وكذا في أحكام الجصاص مع زيادة تفضيل. اهـ.

الذي به حفظت الأنساب. وقيل: إن قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم﴾ نزلت في **(المتعة)** التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله **(ثم نسخت)**.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ فضلًا. يقال: «لفلان عليَّ طول» أي فضل وزيادة وهو مفعول «يستطع» ﴿أَن يَنكِحَ﴾ مفعول الطول فإنه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من (﴿طَوْلًا﴾) ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الحرائر المسلمات ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي فلينكحن مملوكة من الإماء المسلمات. وقوله: «من فتياتكم». أي من فتيات المسلمين والمعنى: ومَن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحُرَّة فلينكح أمة، ونكاح الأمة الكتابية يجوز عندنا والتقييد في النص للاستحباب بدليل أن الإيمان ليس بشرط في الحرائر اتفاقًا مع التقييد به. وقال ابن عباس: ومما وسّع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسرًا، وفيه دليل لنا في مسألة الطول ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فيه تنبيه على قبول ظاهر إيمانهن، ودليل على أن الإيمان هو التصديق دون عمل اللسان لأن العلم بالإيمان المسموع لا يختلف ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي لا تستنكفوا

قوله: (المتعة) أي نكاح المتعة. **قوله: (ثم نُسِخت)** بلا خلافٍ الآن فيه لأحد من الفقهاء ولا قائل به سوى الشّيعة. وأما المنقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيها، فإنه رجع عنه.اهـ. قاله العلامة الشهاب رحمه الله. وأيضًا قال: قيل: إن النسخ وقع فيها مرات، وأنها لم تُبَح إلّا في السفر لا في الحضر.اهـ. وذكر في الفتح أدلّة تحريم المتعة، وأنه كان في حجّة الوداع، وكان تحريم تأبيد لا خلاف فيه بين الأئمّة وعلماء الأمصار، إلّا طائفة من الشيعة، ونسبة الجواز إلى مالك كما وقع في الهداية غلط.

قوله: (﴿طَوْلًا﴾) ـ بالفتح ـ.

من نكاح الإماء فكلكم بنو آدم، وهو تحذير عن التعبير بالأنساب والتفاخر **(بالأحساب)** ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ **(سادتهن)** وهو حجة لنا في أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذْن الموالي لا عقدهم، وأنه ليس للعبد أو للأمة أن يتزوج إلا بإذن المولى ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وأدّوا إليهنّ مهورهن بغير **(مطل)** وإضرار **(وملّاك)** مهورهن مواليهن، فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي لأنهنّ وما في أيديهن مال الموالي، أو التقدير: وآتوا مواليهنّ فحذف المضاف ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف حال من المفعول في و«آتوهن» ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ زوانٍ علانية ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ زوانٍ: سرًّا والأخدان: **(الأخِلّاء)** في السر ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج. («**أحصن**»: **كوفي غير حفص**) ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنًا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحدّ يعني خمسين جلدة، وقوله: «نصف ما على المحصنات». يدلّ على أنه الجَلْد لا الرجم لأن الرجم لا يتنصف، وأن المحصنات هنا الحرائر اللاتي لم يزوجن ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح **(الإماء)** ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ لمن خاف الإثم الذي تؤدي إليه غلبة الشهوة. وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر، ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم. وعن ابن عباس ﵄ هو الزّنا لأنه سبب الهلاك. ﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم عن نكاح الإماء متعفِّفين ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن فيه إرقاق الولد، ولأنها **(خراجة ولاجة)** ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح و**(مهانة)** والعزة من صفات المؤمنين،

قوله: **(بالأحساب)** جمع حسب ـ بفتحتين ـ قال الأزهري: الحسب الشرف الثابت له ولآبائه. اهـ. **قوله:** **(سادتهنّ)** السادة جمع سيّد. **قوله:** **(مطل)** أي تأخير. **قوله:** **(مُلّاك)** جمع مالك مثل كافر وكفّار. **قوله:** **(الأخِلّاء)** جمع خليل بمعنى الصَّديق. **قوله:** **(أحصنّ)** بفتح الهمزة والصاد مبنيًا للفاعل، أي **أحصنّ** فروجهنّ أو أزواجهنّ **(كوفي غير حفص)** أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف. والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول، أي **أحصنّ** بالتزويج، والمحصِن لهنّ هو المولى أو الزوج. **قوله:** **(الإماء)** وزان كتاب جمع الأمَة محذوفة اللام، وهي واو والأصل أموة. **قوله:** **(خرّاجة)** بيرون رونده من الخروج. **قوله:** **(وَلّاجة)** درون آينده من الولوج بمعنى الدخول. **قوله:** **(مهانة)** أي مذلّة.

(وفي الحديث «**الحرائر صلاح البيت**) والإماء هلاك البيت» ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ يستر المحظور ﴿رَّحِيمٌ﴾ يكشف المحذور.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في «لا أبا لك» لتأكيد إضافة الأب. والمعنى: يريد الله أن يبيِّن لكم ما هو خفيٌّ عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وأن يهديكم مناهج مَن كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويوفِّقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لهم.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل ﴿وَيُرِيدُ﴾ (**الفجرة**) ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ وهو الميل عن القصد والحق، ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتّباع الشهوات. وقيل: هم اليهود لاستحلالهم الأخوات لأب وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرمهنّ الله قالوا: فإنكم تحلّون بنت الخالة والعمّة والخالة والعمّة عليكم حرام، فانكحوا بنات الأُخت والأخ فنزلت. يقول: يريدون أن تكونوا زُناة مثلهم.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من (**الرخص**) ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر على الشهوات وعلى مشاق الطاعات.

قوله: (وفي الحديث: الحرائر صلاح البيت)... الخ. والحديث المذكور في مسند الفردوس والديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الفَجرة) أي الفسقة.

قوله: (الرخص) مثل غُرَف جمع رخصة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ بما لم تُبِحْه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الرِّبا ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً﴾ إلا أن تقع تجارة. («تجارة»: **كوفي**) أي إلا أن تكون التجارة تجارة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ صفة لـ «تجارة» أي تجارة صادرة عن تراضٍ بالعقد (**أو بالتعاطي**). والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تارة عن تراضٍ، أو ولكن كون تجارة عن تراضٍ غير منهيٌّ عنه. وخصَّ التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها، والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الإجازة لوجود الرِّضا، وعلى نفي خيار المجلس لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراضٍ من غير تقييد بالتفرّق عن مكان العقد والتقييد به زيادة عن النص ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ مَن كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة، أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجَهَلَة، أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره كمُهلِك نفسه، أو لا تتبعوا أهواءها فتقتلوها أو تركبوا ما يُوجِب القتل

قوله: (**تجارة**) بالنّصب على أن كان ناقصة. (**كوفيّ**) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف. والباقون بالرفع على أنها تامّة. **قوله:** (**أو بالتعاطي**) وهو التناول قاموس في خسيس ونفيس، ولو التعاطي من أحد الجانبين على الأصحّ فتح وبه يفتي فيض، وصورته أن يتّفقا على الثمن ثم يأخذ المشتري المَتاع ويذهب برضى صاحبه من غير دفع الثمن، أو يدفع المشتري الثمن للبائع ثم يذهب من غير تسليم المبيع، فإنّ البيع لازم على الصحيح حتى لو امتنع أحدهما بعده أجبره القاضي، وهذا فيما ثمنه غير معلوم. أما الخبز واللحم، فلا يحتاج فيه إلى بيان الثمن، ذكره في البحر. والمراد في صورة دفع الثمن فقط أن المبيع موجود معلوم، لكن المشتري دفع ثمنه ولم يقبضه ط. وفي القنية: دفع إلى بائع الحنطة خمسة دنانير ليأخذ منه حنطة، وقال له: بكم تبيعها؟ فقال: مائة بدينار، فسكت المشتري ثم طلب منه الحنطة ليأخذها، فقال البائع: غدًا أدفع لك، ولم يجرِ بينهما بيع وذهب المشتري فجاء غدًا ليأخذ الحنطة وقد تغيّر السعر، فعلى البائع أن يدفعها بالسعر الأول. قال رضي الله تعالى عنه: وفي هذه الواقعة أربع مسائل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ ولرحمته بكم نبَّهكم على مافيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم. وقيل: معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم و(**تمحيصًا**) لخطاياهم، وكان بكم يا أمة محمد رحيمًا حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي القتل أي ومَن يقدم على قتل الأنفس ﴿عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾ لا خطأً ولا قصاصًا وهما مصدران في موضع الحال أو مفعول لهما ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾ نُدخِله نارًا مخصوصة شديدة العذاب ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي إصلاؤه النار ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ سهلًا وهذا الوعيد في حق المستحيل للتخليد، وفي حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته.

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾

﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ عن (**ابن مسعود**) ﷺ: الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾. وعنه أيضًا: الكبائر ثلاث: الإشراك بالله، واليأس من (**روح الله**)، والأمن من مكر الله. وقيل: المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله

إحداها: الانعقاد بالتعاطي، الثانية: الانعقاد في الخسيس والنفيس، وهو الصحيح، الثالثة: الانعقاد به من جانبٍ واحد، والرابعة: كما ينعقد بإعطاء المبيع ينعقد بإعطاء الثمن. اهـ.

قلت: وفيها مسألة خامسة: أنه ينعقد به ولو تأخّرت معرفة المثمن، لكون دفع الثمن قبل معرفته. بحر. اهـ الدر المختار مع الردّ المحتار.

قوله: (تمحيصًا) أي تطهيرًا. اهـ لسان العرب.

قوله: (ابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين، ومن كبار العلماء من الصّحابة، مناقبه جمّة. مات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله: (روح الله)** أي رحمته.

«كبير ما تنهون عنه» وهو الكفر ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ («مَدخلًا»: مدني) وكلاهما بمعنى المكان والمصدر ﴿كَرِيمًا﴾ حسنًا. وعن ابن عباس ﵄: ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾. (وتشبث المعتزلة) بالآية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر، وعلى أن الكبائر غير مغفورة (باطل)، لأن الكبائر والصغائر في مشيئته تعالى سواء إن شاء عذَّب عليهما وإن شاء عفا عنهما لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. فقد وعد المغفرة لما دون الشِّرك وقرَنَها بمشيئته تعالى. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: الآية ١١٤]. فهذه الآية تدل على أن الصغائر والكبائر يجوز أن يذهبا بالحسنات لأن لفظ السيئات ينطلق عليهما.

ولمّا كان أخذ مال الغير باطل وقتل النفس بغير حق بتمنّي مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنّي ما فضّل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، وبما ينبغي لكلٍّ مِن بسطٍ في

قوله: (مدخلًا) بفتح الميم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، فيقدّر له فعل ثلاثي مطاوع ليدخلكم، أي ويدخلكم فتدخلون مدخلًا. والباقون بالضمّ اسم مصدر من الرّباعي، كاسم المفعول والمدخول فيه ح محذوف، أي ويدخلكم الجنّة إدخالًا، أو اسم مكان، أي ندخلكم مكانًا كريمًا فنصبه إمّا على الظرف وعليه سيبويه، أو أنه مفعول به، وعليه الأخفش ﵀.
قوله: (وتشبّث المعتزلة) مبتدأ، والتشبّث بالشيء التعلّق به. اهـ مختار الصّحاح.
قوله: (باطل) خبر المبتدأ.

الرزق أو قبض، فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه، فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه، والغبطة أن يتمنى مثل ما لغيره وهو مرخّص فيه، والأول مَنْهِيٌّ عنه. ولما قال الرجال: نرجو أن يكون أجْرنا على الضعف من أجْر النساء كالميراث، وقالت النساء: يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ أي ليس ذلك على حسب الميراث ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فإن خزائنه لا تنفد ولا تتمنوا ما للناس من الفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق. قال (**ابن عيينة**): لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي وفي الحديث «مَن لم يسأل الله من فضله غضب عليه» وفيه «إن

قوله: (ابن عُيينة) هو أبو محمد سفيان بن عيينة، كان إمامًا عالمًا ثبتًا زاهدًا ورعًا مجمعًا على صحة حديثه وروايته وحجّ سبعين حجّة، وروى عن الزهري وأبي إسحٰق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزّناد وعاصم بن أبي النّجود المقري والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء.

ورَوَى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن إسحٰق وابن جريج والزبير بن بكار وعمّه مصعب وعبد الرزّاق بن هُمام الصنعاني ويحيىٰ بن أكثم القاضي وخلق كثير رضي الله تعالى عنهم، وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتمّ لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه: ولأهل الكوفة جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأوّل من صيّرني محدثًا أبو حنيفة، فذاكرته فقال لي: يا بنيّ ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث، ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة، وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل: أوّل يوم من رجب سنة ثمانٍ وتسعين ومائة بمكّة. ودُفِن بالحَجُون رحمه الله تعالى. وعُيَيْنة ـ بضم العين المهملة وفتح الياء الأُولى وسكون الثانية المثناتين من تحتهما وفتح النون وبعدها هاء ساكنة، والحجون ـ بفتح الحاء المهملة وضمّ الجيم وبعد الواو الساكنة نون ـ جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها، وله ذكر في الأشعار. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان للقاضي ابن خلكان رحمه الله باختصار.

الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول: لا أعطي عبدي حتى يسألني» («وسلوا»: **مكي وعلي**).

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أو ولكل مال ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ ورّاثًا يلونه ويحرزونه ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ هو صفة مال محذوف أي لكل مال مما تركه الوالدان، أو هو متعلق بفعل محذوف دلّ عليه الموالي تقديره: يرثون مما ترك ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ مع الفاء. («**عقدت**»: **كوفي**) أي (**عقدت عهودهم أيمانكم**) والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة. والوراثة بها ثابتة عند عامّة الصحابة ﷺ وهو قولنا. وتفسيره إذا (**أسلم رجل**) أو امرأة لا وارث له وليس بعربي ولا معتق فيقول لآخر: والَيتك على أن تعقلني إذا جنيت وترث مني إذا متّ. ويقول الآخر: قبلت. انعقد ذلك (**ويرث الأعلى من الأسفل**) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد.

قوله: (وسلوا) بنقل حركة الهمزة إلى السين وحذفها (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وعليّ**) الكسائي.

قوله: (عقدت) بغير ألف (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف رحمهم الله. أسند الفعل إلى الإيمان وحذف المفعول، أي (**عقدت عهودهم أيمانكم**). والباقون بالألف من باب المفاعلة. **قوله: (أسلم رجل)** من أهل الحرب. **قوله: (ويرث الأعلى من الأسفل)** ولا يرث الأسفل منه. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلامة إسمٰعيل القنوي رحمه الله: ليس الإسلام على يده شرط في صحة شرط عقد الموالاة، وإنما ذكر على سبيل العادة، بل شرطه كون الشخص مجهول النّسب وصورة مولى الموالاة شخص مجهول النسب، إذا قال الآخر: أنت مولاي ترثني إذا متّ وتعقل عنّي إذا جنيت، وقال الآخر: قبلت، فيصير القابل وارثًا عاقلًا خلافًا للشافعي رحمه الله. وإذا كان الآخر أيضًا مجهول النسب، وقال للأوّل مثل ذلك وقبله ورث كلّ منهما وعقل عنه. اهـ.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يقومون عليهن آمِرين ناهِين كما يقوم الوُلاة على الرعايا وسُمّوا قوامًا لذلك ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿بَعْضُهُمْ﴾ للرجال والنساء يعني إنما كانوا مُسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم ـ وهم الرجال ـ على بعض ـ وهم النساء ـ بالعقل والعزم **(والحزم)** والرأي والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة **(والإمامة)** والأذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق ـ عند أبي حنيفة رحمه الله ـ **(والشهادة في الحدود والقصاص)** وتضعيف الميراث **(والتعصيب)** فيه وملك النكاح والطلاق وإليهم الانتساب **(وهم أصحاب اللِّحى والعمائم)**. ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وبأن نفقتهم عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم. ثم قسمهن على نوعين: النوع الأول ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ **(لمواجب الغيب)** وهو خلاف الشهادة أي إذ كان الأزواج غير شاهدين لهنّ حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال. **(وقيل: للغيب لأسرارهم)** ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾

قوله: (والحزم) في مختار الصِّحاح: الحَزْم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثِّقة. اهـ. **قوله: (والإمامة)** يعمّ الكبرى والصغرى التي هي الإمامة في الصلاة. **قوله: (والشهادة في الحدود والقصاص)** بالاتّفاق، وفي الأنكحة عند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى. **قوله: (والتعصيب)** أي كونه عصبة بنفسه. **قوله: (وهم أصحاب اللّحى)** في مختار الصِّحاح: اللّحية معروفة، والجمع لِحَى ـ بكسر اللام وضمّها ـ نظير الضم في ذِروة وذُرًى. اهـ. وقال العلامة التفتازاني رحمه الله: **(وهم أصحاب اللحى)** بكسر اللام أفصح، وهي زينة الرجل، **(والعمائم)** تيجان العرب وسائر المسلمين. اهـ. وهي جمع العمامة. **قوله: (لمواجب الغيب)**. . . الخ. مواجب جمع موجب اسم مفعول، أي ما توجب غيبة الزوج أن يحافظ عليه. **قوله: (وقيل: للغيب لأسرارهم)** يعني قيل: المراد بالغيب الغائب وهو ما غاب عن

(**بما حفظهن**) الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: الآية ١٩]. (**أو بما حفظهن**) الله وعصمهن ووفّقهنّ لحفظ الغيب، أو بحفظ الله إياهن حيث صيَّرهن كذلك. (**والثاني**) ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن وترفّعهنّ عن طاعة الأزواج. (**والنشز**): المكان المرتفع والنبوة. عن ابن عباس ﷺ: هو أن تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ خوفوهنّ عقوبة الله تعالى. والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ في المراقد أي لا تُداخلوهنّ تحت (**اللحف**) وهو كناية عن الجماع، أو هو أن يولّيها ظهره في المضجع لأنه لم يقل عن المضاجع ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا (**غير مبرح**). أمر بوعظهنّ أولًا ثم بهجرانهنّ في المضاجع، ثم بالضرب إن لم (**ينجع**) فيهن الوعظ والهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ بترك النشوز ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ فأزيلوا عنهن التعرّض بالأذى و﴿سَبِيلًا﴾ مفعول ﴿تَبْغُوا﴾ وهو من بغيت الأمر أي طلبته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ أي إن علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا ظلمهنّ، أو إن الله كان عليًا كبيرًا وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمَّن يجني عليكم إذا رجع.

الناس من أسرار الرجال، وهو على الوجه الأوّل بمعنى الغيبة، على أنّ الغيب خلاف الشهادة. **قوله**: (**بما حفظهن**) الله حين أوصى بهنّ الأزواج... الخ. الباء للمقابلة. **قوله**: (**أو بما حفظهنّ**)... الخ. الباء للسببيّة. **قوله**: (**والثاني**) أي والنوع الثاني. **قوله**: (**والنشز**) بسكون الشين وفتحها. **قوله**: (**اللّحف**) جمع اللّحاف، في المصباح: اللّحاف كل ثوب يتغطّى به، والجمع لحف، مثل كتاب وكتب. اهـ.

قوله: (**غير مبرح**)[1] بتشديد الراء وبالحاء المهملتين، أي شديد بأن لا يجرحها ولا يكسر لها عظمًا ويجتنب الوجه. **قوله**: (**ينجع**) أي يؤثر. في مختار الصِّحاح: نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي دخل وأثّر وبابه خضع. اهـ.

---

(١) أي مؤلم، ١٢ منه.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

ثم خاطب الوُلاة بقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ أصله «شقاقًا بينهما» **(فأُضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتّساع)** كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣]. وأصله بل مكر في الليل والنهار. والشقاق: العداوة والخلاف، لأن كلّا منهما يفعل ما يشقّ على صاحبه، أو يميل إلى شق أي ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ رجلًا يصلح للحكومة والإصلاح بينهما ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرَف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن إليهم فيبرزان ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة. والضمير في ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا﴾ للحكمين، وفي ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ للزوجين أي إن قصدا إصلاح **(ذات البين)** وكانت نيتهما صحيحة بورك في وساطتهما، وأوقع الله بحُسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق، وألقى في نفوسهما المودّة والاتفاق. أو الضميران للحكمين أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين، يوفِّق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة **(ويتساندان)** في طلب الوفاق حتى يتم المراد. أو الضميران للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلب الخير وأن يزول عنهما الشقاق، يُلقِ الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بإرادة الحكمين ﴿خَبِيرًا﴾ بالظالم من الزوجين **(وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلاف لمالك)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (فأُضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتّساع) إمّا لإجراء البين مجرى المفعول به للشّقاق بأن جعل البَيْن مشقوقًا، كما جعل الليلة مسروقة، أي مجرى الفاعل بأن جعل البين مشاقًا، كما جعل النهار صائمًا في نهاره صائم، والليل والنهار ماكرين في قوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سَبأ: الآية ٣٣]. اهـ تمجيد. **قوله: (ذات البَيْن)** أي العداوة. **قوله: (ويتساندان)** أي يتعاضدان. **قوله: (وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلاف لمالك)** رحمه الله تعالى. في تفسير الخازن: وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما وإذنهما

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرِّضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ **(صنمًا وغيره)** ويحتمل المصدر أي إشراكًا ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ **(وأحسنوا بهما إحسانًا)** بالقول والفعل والإنفاق عليهما عند الاحتياج ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وبكل مَن بينكم وبينه قربى من أخ أو عمّ أو غيرهما ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الذي قرب جواره ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي الذي جواره بعيد أو الجار القريب النسيب، والجار الجنب الأجنبي ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ أي الزوجة: عن عليّ ﷺ. أوالذي صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقًا في سفر أو شريكًا في تعلّم علم أو غيره أو قاعدًا إلى جنبك في مجلس أو مسجد ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الغريب أو الضيف ﴿وَمَا مَلَكَتْ

في ذلك، مثل أن يطلق حكم الرجل أو يفتدي حكم المرأة بشيءٍ من مالها؟ فللشافعي في ذلك قولان: أحدهما لا يجوز إلّا برضاهما، وليس لحكم الزوج أن يطلَق إلا بإذنه، ولا لحكم المرأة أن يختلع بشيءٍ من مالها إلّا بإذنها، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد. والقول الثاني: أنه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما، ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه، ولحكم الزوجة أن يختلع دون رضاها إذا رأيا الصلاح في ذلك؛ كالحاكم يحكم بين الخصمين، وإن لم يكن على وفق مرادهما، وبه قال مالك رحمه الله. انتهى باختصار. **قوله: (مالك)** بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر الأصبحي أبي عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتّقين وكبير المثبتين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة رحمه الله.

قوله: (صنمًا وغيره)... الخ. يعني أن شيئًا هنا مفعول به أو مصدر. **قوله: (وأحسنوا بهما إحسانًا)** إشارة إلى أن العامل محذوف؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمّد: الآية ٤]، أي فاضربوا ضربًا، وفعل الإحسان يتعدّى بكلمة إلى، وبالباء أيضًا، يقال: أحسنت بفلان وإلى فلان.

﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ العبيد والإماء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبرًا (**يأنف**) عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت إليهم ﴿فَخُورًا﴾ يعدد مناقبه كبرًا فإن عدّها اعترافًا كان شكورًا.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ (**نصب على البدل**) مِنْ ﴿مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ وجمع على معنى «من» (**أو على الذم**)، أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره «هم الذين يبخلون» ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ («**بالبَخَل**»: **حمزة وعلي**) وهما لغتان كالرشد والرشد أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن يبخلوا به (**مقتًا للسخاء**). قيل: البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره، والشحّ أن لا يأكل ولا يؤكل، والسخاء أن يأكل ويُؤكِل، والجود أن يؤكل ولا يأكل. ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال، وفي الحديث «إذا أنعم الله على عبده نعمة أحبّ أن يرى نعمته على عبده» وبنى عامل (**للرشيد**) قصرًا

قوله: (يأنف) في المصباح: أنف من الشيء أنفًا من باب تعب، والاسم الأنفة، مثل قَصَبة، أي استنكف، وهو الاستكبار.اهـ.

قوله: (نصب على البدل) أي بدل الكلّ من الكلّ. **قوله: (أو على الذمّ)** أي لو نصب على الذمّ، أي أعني الذين يبخلون. **قوله: (بالبخل)** بفتح الباء والخاء (**حمزة وعلي**) الكسائي. والباقون بالضمّ والسكون. **قوله: (مقتًا)** المقت أشدّ البغض. **قوله: (للسخاء)** ـ بالمدّ ـ الجود والكرم. **قوله: (للرشيد)** هارون أبي جعفر ابن المهديّ محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس استُخلف بعهدٍ من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة. قال الصولي: هذه الليلة وُلد له عبد الله المأمون، ولم يكن في سائر الزّمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة ووُلد خليفة إلّا هذه اللّيلة، وكان يُكنى أبا موسى، فتكنّى بأبي جعفر. حدّث عن أبيه وجدّه ومبارك بن فضالة. روى عنه ابنه المأمون وغيره، وكان من أمير الخلفاء وأجلّ

(حذاء) قصره **(فنَمَّ به)** فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الكريم يسرّه أن يرى أثر نعمته، فأحببت أن أسرّك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه. وقيل: نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أي يُهانون به في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ أو على ﴿الْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿رِئَآءَ النَّاسِ﴾ مفعول له أي **(للفخار)** وليقال **(ما أجودهم)** لا لابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مُشركو مكة ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر، ويجوز أن يكون وعيدًا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ﴾ **(وأي تبعة)** ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ وإلا فكل

ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحجّ، مولده بالريّ حين كان أبوه أميرًا عليها وعلى خراسان، في سنة ثمان وأربعين ومائة، وكان أبيض طويلًا جميلًا مليحًا فصيحًا له نظر في العلم والأدب، وكان يصلّي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلّا لعلّة، ويتصدّق من صُلب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحبّ العلم وأهله ويعظّم حرمات الإسلام ويبغض المراءَ في الدِّين والكلام في معارضة النصّ، وكان يبكي على نفسه على إسرافه وذنوبه، سيما إذا وُعِظ.

قوله: (حِذاء) أي مقابلة. **قوله:** (فنمّ به) النَّمّ رفع الحديث على وجه الإفساد.

قوله: (للفخار) ـ بالفتح ـ وهو المُباهاة بالمكارم والمناقب من حسبٍ ونسب وغير ذلك، إمّا في المتكلم أو في آبائه. اهـ مصباح. **قوله:** (ما أجودهم) للتعجّب.

قوله: (وأي تَبِعة) التَّبِعة الوبال والضّرر.

منفعة ومصلحة في ذلك، وهذا كما يقال للعاق: «ما ضرّك لو كنت بارًا» وقد علم أنه لا مضرّة في البر ولكنه ذم وتوبيخ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ وعيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ هي النملة الصغيرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء **(الهباء)** في **(الكوة)** ذرة. ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ وإن يك مثقال الذرة حسنة. وإنما أنّث ضمير المثقال **(لكونه)** مضافًا إلى مؤنث. («**حسنةٌ**»): حجازي على «كان» التامة، **(وحذفت النون من «تكن» تخفيفًا لكثرة الاستعمال)** ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ يضاعف ثوابها. («**يضعّفها**»: **مكي وشامي)** ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويعط صاحبها من عنده ثوابًا عظيمًا، وما وصفه الله بالعظم فمَن يعرف مقداره مع أنه سمّى متاع الدنيا قليلًا. وفيه إبطال قول المعتزلة في تخليد مُرتكِب الكبيرة مع أن له حسنات كثيرة.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَكَيْفَ﴾ يصنع هؤلاء الكَفَرة من اليهود وغيرهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيّهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أمتك ﴿شَهِيدًا﴾ حال أي شاهدًا على مَن آمن بالإيمان وعلى مَن كفر بالكفر

قوله: (الهَباء) ـ بالمدّ ـ دقاق التراب والشيء المنبثّ الذي يُرى في ضوء الشمس. اهـ مصباح. **قوله: (الكوّة)** ـ تُفتح وتضمّ ـ الثقبة في الحائط. اهـ مصباح. **قوله: (لكونه)** أي المثقال. **قوله: (حسنة)** برفعها حجازيّ إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. والباقون بالنصب خبر كان الناقصة. **قوله: (وحُذِفت النون من تكن تخفيفًا لكثرة الاستعمال)** وتشبيهًا لها بالواو في غنّتها وسكونها، فكما تُحذف الواو المتطرّفة للجزم، فكذا تُحذف نون يكن تخفيفًا تشبيهًا لها بها. **قوله: (يضعفها)** بالقصر والتشديد (مكّي) أي ابن كثير المكّي **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشامي.

وعلى مَن نافَقَ بالنِّفاق. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾. فبكى رسول الله ﷺ وقال: «حسبنا». ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف لقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ لو يدفنون فتُسوَّى بهم الأرض كما تُسوَّى بالموتى، أو يودون أنهم لم يُبعَثوا وأنهم كانوا والأرض سواء، أو تصير البهائم ترابًا فيودون حالها. (﴿تَسَوَّىٰ﴾ **بفتح التاء وتخفيف السين والإمالة وحذف إحدى التاءين من «تتسوى»: حمزة وعلي**. ﴿تَّسَوَّىٰ﴾ **بإدغام التاء في السين: مدني وشامي**) ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ مستأنف أي ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم. ولما صنع (**عبد الرحمٰن بن عوف**) طعامًا وشرابًا ودعا (**نفرًا**) من الصحابة رضي الله عنهم حين كانت الخمر مُباحة، فأكلوا وشربوا فقَدَّموا أحدهم ليصلِّي بهم المغرب فقرأ «قل ياأيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد»، نزل:

قوله: (﴿تَسَوَّىٰ﴾ بفتح التاء وتخفيف السين والإمالة وحذف إحدى التائين من تتسوّى. حمزة وعلي) الكسائيّ (﴿تُسَوَّىٰ﴾) بفتح التاء (**وبإدغام التاء في السين**) بلا إمالة (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وشامي**) ابن عامر الشامي. والباقون بضمّ التاء بلا إمالة وتخفيف السين مبنيًّا للمفعول.

قوله: (عبد الرحمٰن بن عوف) ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة القرشي الزهري، يُكنى أبا محمّد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وأُمّه الشفا بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. وُلِد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وكان من المهاجرين الأولين هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى دُومَة[1] الجَنْدل إلى كلب وعممه بيده، سدلها بين كتفيه، وقال له: «**إنْ فتح**

---

(١) وهي موضع، وتضم دالها وتفتح.اهـ نهاية. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

الله عليك فتزوّج ابنة ملكهم»، أو قال: **«شريفهم»**، وكان الأصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي شريفهم، فتزوّج ابنته تماضر بنت الأصبغ، فولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمٰن، وكان أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفّي وهو عنهم راضٍ، وصلّى رسول الله ﷺ خلفه في سفرة، وجُرح يوم أُحد إحدى وعشرين جراحة، وجُرح في رجله، فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه، فكان أهتم[1]، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ، أعتق في يومٍ واحد ثلاثين عبدًا.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وإسمٰعيل بن علي المذكر وغيرهما، قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذيّ: حدّثنا صالح بن مسمار المروزيّ، حدّثنا ابن أبي فُدَيْك، عن موسى بن يعقوب، عن عمرو بن سعيد، عن عبد الرحمٰن بن حميد، عن أبيه أنّ سعيد بن زيد حدّثه في نفرٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: **«عشرة في الجنّة: أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعليّ وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقّاص»**، قال: فعدّ هؤلاء التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله مَن العاشر؟ قال: **«نشدتموني بالله، أبو الأعور في الجنّة»**، قال: هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل.

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء الأصبهاني قال: قرىء على الحسن بن أحمد، أخبرنا وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا أحمد بن حماد بن زغبة، حدّثنا سعيد بن عفير، حدّثنا سليمان بن بلال، عن يحيىٰ بن سعيد، عن حميد، عن أنس أن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، وآخى بين سعد بن الربيع وبين عبد الرحمٰن بن عوف، فقال له سعد: إنّ لي مالًا فهو بيني وبينك شطران، ولي امرأتان فانظر أيّتهما أحببت

---

(١) هتم فاه يهتمه ألقى مقدم أسنانه كأهتمه وكفرح انكسرت ثناياه من أصولها، فهو أهتم.اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

حتى أُخالعها، فإذا حلّت فتزوّجها، فقال: لا حاجة لي في أهلك ومالك، بارك الله في أهلك ومالك، دلّوني على السوق.

أخبرنا أبو منصور مسلم بن علي بن محمد بن السنجي، أخبرنا أبو البركات محمد بن محمد بن خميس الجهني، أخبرنا أبو نصر بن طوق، أخبرنا أبو القاسم بن المرجيّ، أخبرنا أحمد بن علي، حدّثنا زهير بن حرب، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عبد الرحمٰن بن حُميد، عن أبيه، عن عبد الرحمٰن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزُّبير في الجنّة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّة، وسعد بن أبي وقّاص في الجنّة، وسعيد بن زيد في الجنّة، وأبو عبيدة الجرّاح في الجنّة**». قال: وحدّثنا أحمد بن علي، حدثنا موسى بن حيان المصري، حدثني محمد بن عمر بن عبيد الله الرومي، قال: سمعت خليل بن مرة يحدّث عن أبي ميسرة، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن أبيه، عن النبيّ ﷺ: «**فَضْل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»، وقال النبيّ ﷺ: «**عبد الرحمٰن بن عوف أمين في السماء، أمينٌ في الأرض**». ولمّا توفّي عمر رضي الله تعالى عنه قال عبد الرحمٰن بن عوف لأصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم: مَنْ يُخرج نفسه منها ويختار للمسلمين؟ فلم يُجيبوه إلى ذلك، فقال: أنا أُخرج نفسي من الخلافة وأختار للمسلمين، فأجابوه إلى ذلك وأخذ مواثيقهم عليه، فاختار عثمان فبايعه والقصة مشهورة، وقد ذكرناها في الكامل في التاريخ. وكان عظيم التجارة مجدودًا فيها كثير المال، قيل: إنه دخل على أمّ سلمة، فقال: يا أُمّه، قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، قالت: يا بنيّ، أنفق.

أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم كتابةً، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو عمر محمّد بن محمد بن القاسم، وأبو الفتح المختار بن عبد الحميد، وأبو المحاسن أسعد بن عليّ، وأبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين، قالوا: أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمٰن بن محمد بن المظفر، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، حدّثنا إبراهيم بن خزيم، حدّثنا عبد بن حميد، حدّثنا يحيىٰ بن إسحٰق، حدثنا عمارة بن

....

زاذان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك أنّ عبد الرحمٰن بن عوف لمّا هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن عفّان، فقال له: إنّ لي حائطين فاختر أيّهما شئت، فقال: بارك لك في حائطك، ما لهذا أسلمت، دلّني على السوق. قال: فدلّه، فكان يشتري السمينة والأقيطة والإهاب، فجمع فتزوّج فأتى النبيّ ﷺ، فقال: «**بارك الله لك، أوْلِم ولو بشاة**»، قال: فكَثُر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البرّ وتحمل الدّقيق والطعام، قال: فلمّا دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجّة، فقالت عائشة: ما هذه الرجّة؟ فقيل: عيرٌ قَدِمت لعبد الرحمٰن بن عوف، سبعمائة بعير تحمل البرّ والدقيق والطعام، فقالت عائشة: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**يدخل عبد الرحمٰن بن عوف الجنة حبوًا**»، فلما بلغ ذلك عبد الرحمٰن قال: يا أُمّه إني أُشهدك أنّها بأحمالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله عزّ وجلّ؛ كذا في هذه الرواية أنه آخى بينه وبين عثمان، والصحيح أن هذا كان مع سعد بن الربيع الأنصاري، كما ذكرناه قبل. ورَوى معمر عن الزهري قال: تصدّق عبد الرحمٰن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدّق بأربعين ألفًا، ثم تصدّق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامّة ماله من التجارة. وروى حميد عن أنس، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمٰن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؛ فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «**دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه**»، وهذا إنما كان بينهما لمّا سيّر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جُذيمة بعد فتح مكّة، فقتل فيهم خالد خطأ، فوَدَى رسول الله ﷺ القتلى وأعطاهم ثمن ما أخذ منهم، وكان بنو جذيمة قد قتلوا في الجاهلية عوف بن عبد الرحمٰن والد عبد الرحمٰن بن عوف، وقتلوا الفاكه بن المغيرة عمّ خالد، فقال له عبد الرحمٰن: إنما قتلتهم لأنهم قتلوا عمّك، وقال له خالد: إنما قتلوا أباك، وأغلظ في القول، فقال النبيّ ﷺ ما قال.

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبّة وغير واحد أجازه، قالوا: أخبرنا أبو غالب بن البناء، أخبرنا أبو محمد الجوهريّ، أخبرنا أبو عمرو بن حيويه، وأبو بكر بن

....

إسمٰعيل، قالا: حدّثنا يحيىٰ بن محمد بن صاعد، حدّثنا الحسين بن الحسن، حدّثنا عبد الله بن المبارك، حدّثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه أن عبد الرحمٰن أُتِي بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خيرٌ مني، فكفّن في بردته إن غطّي رأسه بدت رجلاه، وإن غطّي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقُتل حمزة وهو خيرٌ منّي، ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الطبري بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن علي، قال: حدّثنا الحسن بن إسماعيل أبو سعيد البصري، حدّثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جدّه عن عبد الرحمٰن بن عوف أنّ رسول الله ﷺ لمّا انتهى إلى عبد الرحمٰن بن عوف وهو يصلّي بالناس، أراد عبد الرحمٰن أن يتأخر فأومأ إليه النبيّ ﷺ أنْ مكانك، فصلّى رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمٰن. روى عنه ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس وجبير بن مطعم وبنوه إبراهيم وحميد وأبو سلمة ومصعب أولاد عبد الرحمٰن والمسور بن مخرمة، وهو ابن أخت عبد الرحمٰن وعبد الله بن عامر بن ربيعة ومالك بن أوس بن الحدثان وغيرهم. وتوفّي سنة إحدى وثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، قاله عروة بن الزبير. وقال الزهري: أوصى عبد الرحمٰن لمن لقي ممن شهد بدرًا لكل رجل أربعمائة دينار، وكانوا مائة فأخذوها وأخذها عثمان فيمن أخذوا ووصّى بألف فرسٍ في سبيل الله، ولمّا مات قال عليّ بن أبي طالب: اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها[1]. وكان سعد بن أبي وقّاص فيمن حمل جنازته، وهو يقول: واجبلاه، وخلف مالًا عظيمًا من ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك ألف بعير ومائة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكان له أربع نسوة أخرجت امرأة بثمانين ألفًا ـ يعني صُولِحت ـ وكان أبيض مشربًا بحمرة حسن

(١) وفي تهذيب الأسماء: وسبقت كدرها. اهـ. وفي القاموس: رنق الماء كَفَرِحَ ونصر رِنْقًا ورنَقًا ورنوقًا كَدِرَ. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ أي لا تقربوها في هذه الحالة ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ أي تقرؤون، وفيه دليل على أن ردَّة السكران ليست بردة، لأن قراءة سورة «الكافرين» بطرح اللامات كُفْر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان، وما أمر النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الإيمان، ولأن الأُمة اجتمعت على أن مَن أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئًا لا يحكم بكفره ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جُنُبًا أي ولا تصلّوا جُنُبًا. والجُنُب يستوي فيه **(الواحد)** والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ صفة لقوله: ﴿جُنُبًا﴾ أي لا تقربوا الصلاة جُنُبًا غير عابري سبيل أي جُنُبًا مُقيمين غير مسافرين، والمراد بالجُنُب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين ﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ إلا أن تكونوا مسافرين عادِمين الماء مُتيَمِّمين، عبَّر عن المتيمِّم بالمسافر لأن غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو مَروِيٌ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقربوا الصلاة أي مواضع الصلاة وهي المساجد، ولا جُنُبًا أي ولا تقربوا المسجد جُنُبًا إلا عابري سبيل إلا

الوجه رقيق البشرة أعين أهدب الأشفار أقنى له جمّة ضخم الكفين غليظ الأصابع لا يغير لحيته ولا رأسه، أخرجه الثلاثة ب د ع.اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وستّون حديثًا، اتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بخمسة.اهـ.

قوله: (نفرًا) في المصباح: النفر ـ بفتحتين ـ جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: إلى سبعة، ولا يقال: نفر فيما زاد على العشرة.اهـ.

قوله: (الواحد) أي المفرد والتثنية.

مجتازين فيه، **(فيجوز للجُنُب العبور في المسجد عند الحاجة)**. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي **(المطمئن)** من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة **(فكنّى به عن الحدَث)** ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتموهنَّ كذا عن عليّ ﷺ وابن عباس ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بُعده أو فَقْد آلة الوصول إليه أو لمانع من حيّة **(أو سبع)** أو عدو ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ أدخل في حكم الشرط أربعة وهم: المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة. والجزاء الذي هو الأمر بالتيمّم متعلق بهم جميعًا؛ فالمرضى إذا عَدِموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه، والمسافرون إذا عدموه لبُعده، والمحدثون وأهل الجنابة إذا لم يجدوه لبعض الأسباب فلهم أن يتيمّموا. («لَمستم»: **حمزة وعلي**) ﴿صَعِيدًا﴾ قال الزجّاج: هو وجه الأرض ترابًا كان أو

قوله: (فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة)، فإن طريق الماء إذا كان في المسجد ولا ممرّ إلى الماء سوى ذلك الطريق يجوز للجُنُب المرور في المسجد، كما له ذلك إذا كان الماء في المسجد ولا ممرّ إلى الماء سوى ذلك المسجد، وعند الشافعي رحمه الله: يجوز له عبور المسجد على الإطلاق. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وعبارة تفسير الجلالين: وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة، أي المساجد إلا عبورها من غير مكث. اهـ. وفي الجمالين: قوله: أي المساجد بحذف المضاف أو بإطلاق الحال على المحل، إلا عبورها، وبه قال الشافعي رحمه الله. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا يجوز له المرور في المسجد إلّا إذا كان فيه الماء أو الطريق. اهـ. **قوله: (المطمئن)** أي المنخفض. **قوله: (فكنى به عن الحدث)**؛ لأنه مما يستحي من ذكره. **قوله: (أو سَبُع)** بضم الباء معروف وإسكان الباء لغة حكاها الأخفش وغيره، وهي الغاشية عند العامّة، ولهذا قال الصغاني: السبع والسبُع لغتان، وقرىء بالإسكان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، وهو مرويٌّ عن الحسن البصري وطلحة بن سليمان وأبي حيوة، ورواه بعضهم عن عبد الله بن كثير أحد السبعة، ويجمع في لغة الضمّ على سباع، مثل رجل ورجال لا جمع له غير ذلك، على هذه اللغة. قال الصغاني: وجمعه على لغة السكون في أدنى العدد أسبع مثل فلس وأفلس، ويقع السبع على كلّ ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر. اهـ مصباح باختصار. **قوله: (لمستم)** بغير ألف **(حمزة وعليّ)** الكسائيّ. والباقون بالألف.

غيره، وإن كان صخرًا لا تراب عليه لو ضرب المُتَيَمِّم يده ومسح لكان ذلك طهوره. (و«من» **في سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض)** ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرًا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ قيل: الباء زائدة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ بالترخيص والتيسير ﴿غَفُورًا﴾ عن الخطأ والتقصير.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥)﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ **(من رؤية القلب)** وعُدِّي بـ «إلى» على معنى «ألم ينته علمك إليهم» أو بمعنى «ألم تنظر إليهم» ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ حظًا من علم التوراة وهم **(أحبار)** اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوّة رسول الله ﷺ، وأنه هو النبي العربي المُبَشَّر به في التوراة والإنجيل ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أنتم أيها المؤمنون ﴿السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الحق كما ضلّوه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ في النفع ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ في الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم، أو لا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم. و«وليًّا» و«نصيرًا» منصوبان على التمييز أو على الحال.

قوله: (و«من» في سورة المائدة لابتداء الغاية) بمعنى أن المسح يبتدأ منه وإن لم يلصق منه شيء باليد **(لا للتبعيض)**، عبارة تفسير الكشاف: فإن قلت: فما يصنع بقوله في سورة المائدة: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: الآية ٦] أي بعضه، وهذا لا يتأتى فى الصخر الذي لا تراب عليه. قلت: قالوا: إن من لابتداء الغاية. اهـ.

قوله: (من رؤية القلب). . . الخ. يعني: أن الرؤية إما علمية وضمن معنى الانتهاء، أو بصرية وتعديتها بإلى حملًا لها على نظر.

قوله: (أحبار) جمع حبر ـ بالكسر ـ بمعنى العالم، مثل حِمْل وأحمال، والحَبْر ـ بالفتح ـ لغةٌ فيه، وجمعه حُبُور، مثل فلس وفلوس. اهـ مصباح.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ بيان للذين أُوتوا نصيبًا من الكتاب، أو بيان لأعدائكم، **(وما بينهما)** اعتراض، أن يتعلق بقوله: ﴿نَصِيرًا﴾ أي ينصركم من الذين هادوا كقوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٧] أو يتعلق بمحذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يحرِّفون الكَلِم، فقوم مبتدأ و﴿يُحَرِّفُونَ﴾ صفة له، والخبر ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مقدَّم عليه، وحذف الموصوف وهو قوم وأُقيم صفته، وهو ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ **(يميلونه)** عنها ويُزيلونه لأنهم إذا بدَّلوه ووضعوا مكانه كلِمًا غيره فقد أمالوه عن مواضعه في التوراة التي وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها ـ مقامه وذلك نحو تحريفهم («**أسمر ربعة**») عن موضعه في التوراة بوضعهم («**آدم طوال**») مكانه. ثم ذكر هنا ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفي المائدة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [الآية ٤١] فمعنى ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ على ما بيَّنَّا من إزالته عن

قوله: (وما بينهما) يعني: وكفى بالله وليًا وكفى بالله نصيرًا. **قوله: (يميلونه)** إشارة إلى وجه التعدية بعن والاشتقاق من الحرف كان التحريف إزلة وإمالة عن الوسط إلى الطرف. **قوله: (أسمر)** المراد بالسّمرة حمرة تُخالط البياض. **قوله: (ربعة)** بفتح الراء وسكون الموحدة ويجوز فتحها بمعنى المربوع الخلق والتأنيث باعتبار النفس، يقال: رجل ربعة وامرأة ربعة ومعناه المتوسطين بين الطويل والقصير، ولا يذهب عليك أن من وصفه بالربعة فقد أراد التقريب لا التحديد، فلا ينافي أنه كان يضرب إلى الطول، كما في خبر ابن هالة ﷺ: كان أطول من المربوع. **قوله: (آدم)** أفعل صفة مهموز الفاء وأصله أدم أُبدلت الثانية ألفًا، والأُدمة شدّة السمرة، وهي منزلة بين البياض والسواد، وفي الحديث الذي في صفة النبيّ ﷺ: ولا بالآدم والمنفي، إنما هو شدّة السمرة، فلا ينافي إثبات السمرة الذي في الحديث الثاني لكن المراد بها الحُمْرة؛ لأن العرب قد تُطلق على كل من كان كذلك أسمر، وممّا يؤيّد ذلك رواية البيهقي: كان ﷺ أبيض بياضه إلى السمرة، والحاصل أنّ المراد بالسمرة حمرة تُخالط البياض، وبالبياض المثبت في رواية معظم الصحابة: ما يخالط الحمرة. **قوله: (طوال)** بالضم مفرد بمعنى

مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه، ومعنى ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أنه كانت له مواضع هو **(جدير)** بأن يكون فيها، فحين حرّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره **(والمعنيان متقاربان)** ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرك **(قيل: أسرّوا به)** ﴿وَٱسۡمَعۡ﴾ قولنا ﴿غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذّمّ أي اسمع منّا مدعوًّا عليك بلا سمعت، لأنه لو أُجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئًا فكان أصمّ غير مسمع، قالوا ذلك اتّكالًا على أن قولهم: «لا سمعت» دعوة مُستجابة، أو أسمع غير مُجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابًا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئًا، أو اسمع غير مسمع كلامًا ترضاه فسمعك عنه **(ناب)**. ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروهًا من قولك: «أسمع فلان فلانًا» إذا سبّه. وكذلك قوله: ﴿وَرَٰعِنَا﴾ يحتمل راعنا نكلّمك أي ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة **(عبرانية)** أو **(سريانية)** كانوا

الطويل، وبالكسر جمع طويل. **قوله: (جدير)** أي لائق. **قوله: (والمعنيان متقاربان)** لرجوعهما إلى الإزالة عن المواضع التي كان حقيقًا بأن يوضع فيها. اهـ تفتازاني رحمه الله. وذلك أنّ عن للمجاوزة وبعد نقيض قبل، والمجاوزة عن الشيء مسبوق باستقباله والوصول إليه بعد أن يكون ذلك الشيء قارًّا في مكانه، ومعنى قوله: من بعد مواضعه من بعد أن كان قارًّا في موضعه ثابتًا لا ينبغي أن يُزال عنه. اهـ محشي رحمه الله. **قوله: (قيل: أسرّوا به)** قيل: إنهم كانوا يُظهرون ذلك القول عنادًا واستخفافًا. **قوله: (ناب)** في مختار الصحاح: نبا الشيء عنه تجافى وتباعد، وبابه سما. اهـ. **قوله: (عبرانية)** في لسان العرب: العبرانية لغة اليهود. اهـ. **قوله: (سريانية)** في لسان العرب: سُورى مثال بشرى موضع بالعراق من أرض بابل، وهو بلد السريانيّين. اهـ. وفي كتاب المزهر أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس أن آدم عليه السلام كان لغته في الجنّة العربية، فلمّا عصى سلبه الله العربية، فتكلّم بالسريانيّة، فلما تاب ردَّ الله عليه العربية. قال عبد الملك بن حبيب: كان اللّسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنّة عربيًّا إلى أن بَعُد العهد وطال حرّف وصار سريانيًّا، وهو منسوب إلى أرض سورنة وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق،

يتسابّون بها وهي «راعينا» فكانوا سخرية بالدين (**وهزؤوا**) برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل ينوون به (**الشتيمة**) والإهانة ويُظهِرون به التوقير والإكرام ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ (**فتلًا بها وتحريفًا أي يفتلون**) بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون «راعنا» موضع «انظرنا» و«غير مسمع» موضع «لا أسمعت مكروهًا»، أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يُظهرونه من التوقير نفاقًا ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ هو قولهم: «لو كان نبيًّا حقًّا لأخبر بما نعتقد فيه» ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ولم يقولوا وعصينا ﴿وَاسْمَعْ﴾ ولم يلحقوا به غير مسمع ﴿وَانظُرْنَا﴾ مكان «راعنا» ﴿لَكَانَ﴾ قولهم ذاك ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عند الله ﴿وَأَقْوَمَ﴾ وأعدل وأسدُّ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قال: وكان يشاكل اللّسان العربي إلا أنه محرّف، وهو كان لسان جميع مَنْ في سفينة نوح إلّا رجلًا واحدًا يقال له جُرْهُم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل، فلمّا خرجوا من السفينة تزوّج إرم بن سام بعض بناته، فمنهم صار اللّسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعبيل وجاثر أبي ثمود وجديس، وسُمّيت عاد باسم جرهم لأنه كان جدّهم من الأُمّ، وبقي اللّسان السرياني في ولد أرفخشد بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذرّيته، وكان باليمن، فنزل هناك بنو إسمٰعيل، فتعلم منهم بنو قحطان اللّسان العربي. اهـ.

قوله: (**هزؤوا**) في المصباح: هزأت به أهزأ مهموز من باب تعب، وفي لغة من باب نفع سخرت منه، والاسم الهزء وتضمّ الزاي وتسكن للتخفيف أيضًا، وقُرِىء بهما في السبعة. **قوله:** (**الشتيمة**) في المصباح: شتمه شتمًا من باب ضرب والاسم الشتيمة. اهـ.

قوله: (**فتلًا بها وتحريفًا**)... الخ. الفتل واللَّيْ يكون بمعنى الانحراف والالتفات عن جهة إلى أخرى؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٣]، وتكون بمعنى ضمّ إحدى نحو طاقات الحبل على الأخرى، فأشار المصنّف رحمه الله إلى أنه يجوز أن يكون من الأوّل، ومعناه صرف الكلام عن جانب المدح إلى جانب السبّ أو المراد أنهم يضمّون أحدها إلى الآخر، والحامل عليه كلّه النفاق، وهو مفعول لأجله أو حال. **قوله:** (**أي يفتلون**) بيان للمعنى من غير إشعار بأن ليًّا حال بمعنى لاوين، أو مصدر لفعل محذوف هو

منهم قد آمنوا (**كعبد الله بن سلام**) وأصحابه، أو إلا إيمانًا قليلًا ضعيفًا (**لا يعبأ به**) وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم (**بغيره**).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

ولمّا لم يؤمنوا نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ يعني التوراة (﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾) أي نمحو (**تخطيط صورها**) من عين وحاجب وأنف وفم (﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾) فنجعلها على هيئة (**أدبارها**) وهي (**الأقفاء**) مطموسة مثلها. والفاء للتسبيب، (**وإن جعلتها للتعقيب**) على أنهم تُوُعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر، ردّها على أدبارها بعد طمسها (**فالمعنى**): أن نطمس وجوهًا فننكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام. وقيل: المراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال (**القبط**) فقلبها حجارة، وبالوجوه

في موقع الحال. **قوله: (كعبد الله بن سلام)** ـ بتخفيف اللام ـ ابن الحارث الإسرائيلي الأنصاري ثم الخزرجي الصحابي كنيته أبو يوسف. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. **قوله: (لا يعبأ به)** أي لا يبالي به. في مختار الصحاح: ما عبأ به، أي ما بالَى به، وبابه قطع.اهـ. **قوله: (بغيره)** من الأنبياء واليوم الآخر والكتاب والسنة.

قوله: (تخطيط صورها).. الخ. المراد بتخطيط الصور ما صوّره الباري تعالى بعلم قدرته في الوجه من عينٍ وحاجب وأنف وفم، وقوله: وحاجب، في المصباح: الحاجبان العظمان فوق العينين بالشعر واللّحم، قاله ابن فارس. والجمع حواجب.اهـ. **قوله: (أدبارها)** أي ما خلفها. **قوله: (الأقفاء)** في المصباح: القفا ـ مقصور ـ مؤخّر العنق، ويذكّر ويؤنّث وجمعه على التذكير أقفية، وعلى التأنيث أَقفاء مثل أرجاء، قاله ابن السراج. وقد يُجمع على قُفِيّ، والأصل مثل فلوس، وعن الأصمعيّ أنه سمع ثلاث أَقْفٍ. قال الزجاج: التذكير أغلب. وقال ابن السكّيت: القفا مذكّر، وقد يؤنّث وألفه واو، ولهذا يثنّى قفوين.اهـ باختصار. **قوله: (فالمعنى)**... الخ. جزاء لقوله: (**وإن جعلتها للتعقيب**). **قوله: (القبط)** في

(رؤوسهم ووجهاؤهم) أي من قبل أن تُغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم **(صغارهم)** وإدبارهم (﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾) أي نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت. **(والضمير)** يرجع إلى الوجوه إن أراد الوُجهاء، أو إلى الذين أُوتوا الكتاب **(على طريقة الالتفات. والوعيد)** كان معلقًا بأن لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فإن ابن سلام قد سمع الآية **(قافلًا)** من الشام فأتى النبي ﷺ مسلمًا قبل أن يأتي أهله وقال: ما كنت أرى أن **(أصل)** إلى أهلي قبل أن يطمس الله وجهي. **(ولأن الله تعالى أوعدهم)** بأحد الأمرين: بطمس الوجوه أو بلعنهم، فإن كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد **(كان أحد الأمرين)**، وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان. وقيل: **(هو منتظر في اليهود)** ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ **(أي المؤمور به)** وهو العذاب الذي أوعدوا به ﴿مَفْعُولًا﴾ كائنًا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ إن مات **(عليه)** ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي ما

مختار الصحاح: القبط بوزن السبط أهل مصر وهم بَنْكُها، أي أصلها. اهـ. **قوله: (رؤوسهم)** بضم الهمزة جمع رأس **(ووجهاؤهم)** عطف تفسير. في المصباح: وجه ـ بالضم ـ وجاهة فهو وجيه إذا كان له حظّ ورتبة. اهـ. **قوله: (صغارهم)** في مختار الصحاح: الصغار ـ بالفتح ـ الذلّ. اهـ. **قوله: (والضمير)** أي الضمير في قوله: نلعنهم. **قوله: (على طريقة الالتفات)** من الخطاب إلى الغيبة، فإن الأول خطاب مشافهة، والثاني صورة المغايبة. **قوله: (والوعيد)** أي بقوله: (﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾)... الخ. وهذا جواب عمّا يقال: فأين وقوع الوعيد؟ **قوله: (قافلًا)** أي راجعًا. (أَصل) من الوصول. **قوله: (ولأن الله تعالى أوعدهم)**... الخ. هذا جواب آخر. **قوله: (كان أحد الأمرين)** تامّة، أي وجد. **قوله: (هو منتظر في اليهود)** ولا بدّ من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة. **قوله: (أي المأمور به)**، فإن المصدر قد يُطلق على المفعول به، كما يقال؛ هذا الدِّرهم ضرب الأمير، أي مضروبه.

قوله: (عليه) أي على الشرك.

دون الشِّرك وإن كان كبيرة مع عدم التوبة، والحاصل أن الشِّرك مغفور عنه بالتوبة، وأن وعد غفران ما دونه لمن لم يتُب أي لا يغفر لمن يُشرِك وهو مُشرِك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب. قال النبي ﷺ: «**(مَن لقي الله تعالى لا يُشرِك به شيئًا دخل الجنة)** ولم تضرّه خطيئته» وتقييده بقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لا يُخرِجه عن عمومه كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: الآية ١٩]. قال عليّ ﷺ: ما في القرآن آية أحبّ إليّ من هذه الآية. وحمل المعتزلة على التائب باطل لأن الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨]. فما دونه أولى من أن يغفر بالتوبة. والآية سِيقت لبيان التفرقة **(بينهما)** وذا فيما ذكرنا ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ كذب كذبًا عظيمًا استحق به عذابًا أليمًا.

ونزل فيمن زكّى نفسه من اليهود والنصارى **(حيث قالوا:** ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾) [المائدة: الآية ١٨]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١١١].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ **(ويدخل فيها كل مَن زكى نفسه)** ووصفها **(بزكاء العمل)** وزيادة الطاعة والتقوى ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ إعلام بأن تزكية الله

قوله: (مَن لقي الله تعالى لا يشرك به شيئًا دخل الجنّة) ابتداء أو بعد عقاب أو عتاب. ومَن مات مشركًا دخل النار وخلّد فيها، رواه الإمام أحمد في الزهد والبخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (بينهما) أي بين الكفر وما دونه من الذنب.

قوله: (حيث قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾) [المائدة: الآية ١٨] افتراء عظيم، (﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾) [المائدة: الآية ١٨] كعطف تفسير للأبناء، والأحبّاء جمع حبيب بمعنى مُحبّ أو محبوب، والمراد هنا الثاني.

قوله: (ويدخل فيه) أي في الآية وفيما تعلّقت به من الذمّ والوعيد، **(كل من زكّى نفسه)** أي مدحها إلّا إذا كان لغرض صحيح في الدِّين مع شهادة الله تعالى له بذلك. اهـ تفتازاني رحمه الله. وتزكية النفس مذمومة عند الله وعند الناس، إلا لغرض صحيح كالتحدّث بالنعمة ونحوه. اهـ شهاب. **قوله:** (بزكاء العمل) الزكاء

هي التي يعتدّ بها لا تزكية غيره لأنه هو العالِم بمَن هو أهل للتزكية ونحوه: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢]. (﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾) أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم **(حق جزائهم)**، أو مَن يشاء يُثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (﴿فَتِيلًا﴾ **قدر فتيل)** وهو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ في زعمهم أنهم عند الله أزكياء ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ بزعمهم هذا ﴿إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ من بين سائر آثامهم.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني اليهود ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ﴾ أي الأصنام وكل ما عبدوه من دون الله ﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ وذلك أن **(حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف)** اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود **(يحالفون)** قريشًا على

الصلاح. اهـ مصباح. **قوله: (حقّ جزائهم)** أي لا يزاد على عقابهم. وأمّا إذا كان الضمير لمن يشاء، فمعنى (﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾) أنه لا ينقص من ثوابهم؛ لأن الظلم في حقّ المعاقَب الزيادة على حقّه، وفي حقّ المُثاب النقصان منه. **قوله: (﴿فَتِيلًا﴾ قدر فتيل)**... الخ. عبارة تفسير الخطيب: فتيلًا أي قدر ما يكون في شقّ النواة، قاله عكرمة عن ابن عباس، فهو اسم لما في شقّ النواة، والقطمير اسم للقشرة التي على النّواة، والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهر النواة، وقيل: الفتيل من الفتل وهو ما يحصل بين الأصبعين من الوسخ عند الفتل. اهـ. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب رحمه الله: الفتيل مثل يضرب به للحقارة، كالنقير للنقرة التي في ظهر النواة والقطمير وهو قشرة النواة الرقيقة، وقيل: الفتيل ما خرج بين أصبعيك وكفّيك من الوسخ. اهـ.

قوله: (حُيَيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف) حُيَيّ - بالتصغير - حيّ علم يهوديّ معروف، وكذا كعب. اهـ شهاب. **قوله: (يحالفون)** بالمهملة أي يعاقدون

محاربة رسول الله ﷺ فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأنتم إلى محمد أقرب منّا وهو أقرب منكم إلينا فلا نأمَن مَكركم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا، فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس عليه اللعنة فيما فعلوا. فقال **(أبو سفيان)**: أنحن أهدى سبيلًا أم محمد؟ فقال كعب: أنتم أهدى سبيلا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ يعتدّ بنصره. ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شرّ الخصال، يمنعون ما لهم ويتمنّون ما لغيرهم فقال: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ **(فـ «أم» منقطعة ومعنى الهمزة)**

قوله: (أبو سفيان) صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف القرشي الأُمويّ، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما، وُلِد قبل الفيل بعشر سنين، وكان من أشراف قريش، وكان تاجرًا يجهز التجّار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم، وكان يخرج أحيانًا بنفسه، وكانت إليه راية الرؤساء التي تسمّى العقاب، وإذا حَمِيَت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس، وقيل: كان أفضل قريش رأيًا في الجاهلية ثلاثة: عتبة، وأبو جهل، وأبو سفيان؛ فلمّا أتى الله بالإسلام أدبروا في الرأي، وهو الذي قاد قريشًا كلّها يوم أُحد ولم يقدّمها قبل ذلك رجلٌ واحد إلا يوم ذات نَكِيف قادها المطّلب، قاله أبو أحمد العسكري. وكان أبو سفيان صديق العباس، وأسلم ليلة الفتح، وشَهِد حُنَيْنًا وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أُوقية، وأعطى ابنه يزيد ومعاوية كل واحد مثله، وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ، وكان من المؤلّفة وحَسُن إسلامه، وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وصلّى عليه عثمان، وقيل: صلّى عليه ابنه معاوية، وكان عمره ثماني وثمانين سنة، وقيل: ثلاث وتسعون سنة، وقيل غير ذلك. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة باختصار.

قوله: (فـ «أم» منقطعة ومعنى الهمزة)... الخ. أم المنقطعة تقدّر ببل، والهمزة أي بل أكان... الخ. والهمزة المقدّرة التي أشار إليها المصنّف رحمة الله

الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ **(أي لو كان لهم نصيب من الملك)** أي ملك أهل الدنيا أو ملك الله فإذًا لا يؤتون أحدًا مقدار نقير لفرط بُخلهم، والنقير: النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلّة كالفتيل.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾ بل أيحسدون رسول الله ﷺ والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه، وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العزّ والتقدّم كل يوم ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الموعظة والفقه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام، وهذا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام، وأنه **(ليس ببدع)** أن يؤتيه الله مثل ما أُوتي أسلافه.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ فمن اليهود مَن آمن بما ذكر من حديث آل إبراهيم ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ وأنكره مع علمه بصحته، أو من اليهود مَن آمن برسول الله ﷺ ومنهم مَن أنكر نبوّته وأعرض عنه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ للصادين. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ أحرقت ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أعدنا تلك الجلود غير محترقة، فالتبديل والتغيير لتغاير

عليه معناها الإنكار، أي لا يكون لهم ذلك. **قوله: (أي لو كان لهم نصيب من المُلك)**... الخ. أشار إلى أن الفاء جواب لو المقدّر، لكن العلّامة التفتازاني ناقش بأن الفاء لا تقع في جواب لو، سيّما مع إذن والمضارع، فالصواب إنْ كان لهم وأجاب بعضهم بأن لو هنا بمعنى إن، وعدم وقوع الفاء في جواب لو المستعارة بمعنى أن ممنوع.

قوله: (ليس ببدع) أي عجيب.

الهيئتين لا لتغاير الأصلين عند أهل الحق **(خلافًا للكرامية)**. عن **(فضيل)**: يجعل النضيج غير نضيج ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز: «أعزّك الله» أي أدامك على عزّك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ غالبًا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يفعل بالكافرين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الأنجاس والحيض والنفاس ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال: **(«ليل أليل» وهو)** ما كان طويلًا **(فينانًا لا جُوَب)** فيه ودائمًا **(لا تنسخه)** الشمس **(وسجسجًا)** لا حَرَّ فيه ولا برد، وليس ذلك إلا ظل الجنة.

قوله: (خلافًا للكرامية) في المصباح: كرام - بفتح الكاف مثقل - والد أبي عبد الله محمد بن كرام المشبّه الذي أطلق اسم الجوهر على الله سبحانه وتعالى، وأنّه استقرّ على العرش ونسب إليه من أخذ بقوله: فقيل: كرامية نقل التشديد عن صاحب نفي الارتياب ونصّ عليه الصغاني(١). اهـ.

قوله: (فضيل) بن عياض، أجمعوا على توثيقه والاحتجاج به وصلاحه وزهده وورعه ونحوها من طريق الآخرة، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي بمكّة سنة سبع وثمانين ومائة رحمه الله.

قوله: (ليل أليل) شديد الظّلمة. **قوله: (وهو)** أي الظلّ الظليل. **قوله: (فينانًا)** أي كثير الأفنان متّصلًا منبسطًا. **قوله: (لا جُوَب)** بضم الجيم وفتح الواو جمع جُوبة بمعنى فرجة. **قوله: (لا تنسخه)** بمعنى لا تزيله.

قوله: (وسجسجًا) أي معتدلًا. في مختار الصحاح: يومٌ سَجْسَجٌ بوزن جعفر، لا حرّ فيه ولا برد، وفي الحديث: «الجنّة سَجْسَجٌ». اهـ. قال العلامة

---

(١) وفي نسخة الصاغاني، وقال في القاموس: صغانيان كورة عظيمة بما وراء النهر، وينسب إليها الإمام الحافظ في اللغة الحسن بن محمد بن الحسن ذو التصانيف والنسبة صغاني وصاغانيّ معرب چغانيان. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾

ثم خاطب الوُلاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، وقيل: قد دخل في هذا الأمر أداء الفرائض التي هي أمانة الله تعالى التي حملها الإنسان، وحفظ الحواس التي هي ودائع الله تعالى ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ قضيتم ﴿أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ بالسَّويّة والإنصاف. وقيل: إن **(عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة)** وقد أخذ رسول الله ﷺ منه مفتاح الكعبة، فلما نزلت الآية أمر عليًا ﷺ بأن يردّه إليه وقال رسول الله ﷺ: «لقد أنزل الله في شأنك قرآنًا» وقرأ عليه الآية فأسلم عثمان فهبط جبريل ﵇ وأخبر رسول الله ﷺ **(أن السدانة في أولاد عثمان)** أبدًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ «ما» نكرة

التفتازاني ﵀: السَّجْسج من الزمان ما لا حرّ فيه ولا برد، ومن المكان: ما لا سهولة فيه ولا حزونة. اهـ. **قوله: (عثمان بن طلحة بن عبد الدار)** بن طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدّار بن قصيّ بن كلاب بن مرّة القرشي العبدريّ الحجبيّ، أُمّه أُمّ سعيد من بني عمرو بن عوف، قُتِل أبوه طلحة وعمّه عثمان بن أبي طلحة جميعًا يوم أُحد كافرين، قَتَل حمزة عثمان، وقَتَل عليّ طلحة مُبارزةً، وقتل يوم أُحد منهم مسافع والجلّاس والحارث وكلاب كلّهم إخوة عثمان بن طلحة قتلوا كفّارًا، قَتَل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح مسافعًا والجلّاس، وقَتَل الزبير كِلابًا، وقتل قزمان الحارث. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. **قوله: (كان سادن الكعبة)** السّادن: الخادم. في المصباح: سدنت الكعبة سدنًا من باب قتل خدمتها، فالواحد سادن، والجمع سدنة، مثل كافر وكفَرة، والسّدانة ـ بالكسر ـ الخدمة، فأسلم عثمان ﵁ هكذا ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي رحمهم الله. قال الأشموني: المعروف عند أهل السِّيَر أن عثمان بن طلحة أسلم قبل ذلك في هدنة الحديبية مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وجزم به عبد البرّ في الاستيعاب والنوويّ في تهذيبه والذهبي وغيرهم. اهـ شهاب. **قوله: (أن السدانة)** أي سدانة الكعبة ـ بكسر السين المهملة ـ خِدمتها وتولّي أمرها، كفَتْح بابها وإغلاقه **(في أولاد عثمان)** أبدًا. وعبارة تفسير الخطيب: وأخبر رسول الله ﷺ أنّ السّدانة تكون في

منصوبة موصوفة بـ«يعظكم به» كأنه قيل: نِعْمَ شيئًا يعظكم به، أو موصولة مرفوعة المحل صلتها مابعدها أي نِعْمَ الشيء الذي يعظكم به. والمخصوص بالمدح محذوف أي نعمّا يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم. (**وبكسر النون وسكون العين: مدني وأبو عمرو، وبفتح النون وكسر العين: شامي وحمزة وعلي**). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾ بأعمالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

ولما أمر الوُلاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ أي الوُلاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الأمراء ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ فإن اختلفتم

أولاد عثمان أبدًا، فلما مات عثمان دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أيديهم إلى اليوم وإلى يوم القيامة، انتهت. قال العلامة الشهاب: وما ذُكِر من أن السّدانة في أولاد عثمان يخالف قول ابن كثير في تفسيره أن عثمان دفع المفتاح إلى أخيه شيبة، فهو في يد ولده إلى اليوم، وهو الصحيح. اهـ. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: ودفع إليه، أي إلى عثمان بن طلحة، مفتاح الكعبة يوم الفتح، وإلى ابن عمّه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وقال: «**خذوها خالدة تالدة ولا ينزعها منكم إلا ظالم**». اهـ. أي خذوا هذه الخدمة خالدة حال، أي مستمرة إلى آخر الزّمان. تالدة: أي قديمة متأصّلة فيكم، وهو في المعنى تعليل، فكأنه قال: خذوها مستمرّة فيكم في مستقبل الزمان لأنها لكم في ماضيه. **قوله: (وبكسر النون وسكون العين، مدني)** أي نافع المدني وأبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وأبو عمرو**) البصري في الإتحاف، وقرأ أبو جعفر بإسكان العين، واختلف عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر، فروى عنهم المغاربة إخفاء كسر العين، يريدون الاختلاس فرارًا من الجمع بين ساكنين، ورَوى أكثرهم أهل الأداء عنهم الإسكان، وهما صحيحان عنهم، كما في النشر. قال نمير: إن النصّ عنهم الإسكان، ولا نعرف الاختلاس إلّا من طريق المغاربة ومَنْ تَبعهم. اهـ. (**وبفتح النون وكسر العين**) كسرة تامّة (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بكسر النون والعين، واتّفقوا على تشديد الميم. اهـ إتحاف.

أنتم وأُولو الأمر في شيء من أمور الدين ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسُّنَّة ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي إن الإيمان يُوجِب الطاعة دون العصيان، ودلَّت الآية على أن طاعة الأمراء واجبة إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام: («**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»). وحُكِي أن (**مسلمة بن عبد الملك بن مروان**) قال

قوله: («**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**») رواه الإمام أحمد في الزهد، والحاكم عن عمران، والحكم بن عمرو الغفاري. **قوله:** (**مسلمة بن عبد الملك بن مروان**) كان لعبد الملك من الولد سبعة عشر: الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر، ويزيد، ومروان الأصغر، ومعاوية، وهشام، وبكار، والحكم، وعبد الله، ومسلمة، والمنذر، وعُيينة، ومحمد، وسعيد، والحجّاج، وقبيصة. وفي المختصر: عدّ من أولاده: داود، وعائشة، وفاطمة؛ فيكونون عشرين. وُلّي الخلافة منهم أربعة. وفي حياة الحيوان: رأى عبد الملك بن مروان في المنام أنه بالَ في محراب مسجد النبيّ ﷺ أربع مرّات، فغمّه ذلك، فكتب بذلك إلى ابن سيرين، وفي رواية: إلى سعيد بن المسيّب، فقال ابن سيرين: إن صدَقَت رؤياك فسيقوم من ولدك أربعة في المِحْراب ويتقلّدون الخلافة بعدك، فوليها أربعة خلفاء من صُلْبه: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام.اهـ تاريخ الخميس. وأيضًا فيه: وقال الواقدي: قبض النبيّ ﷺ ومروان ابن ثمان سنين، ومات بدمشق سنة خمس وستّين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، كذا في المختصر وغيره، وكان عمره يوم مات ثلاثًا وستّين سنة، وخلافته منذ تجدّدت له البَيْعة عشرة أشهر. وفي مورد اللّطافة نحو تسعة أشهر، وكذا في سيرة مغلطاي. وقيل أكثر من ذلك، وتخلّف بعده ابنه عبد الملك.اهـ. وأيضًا فيه: توفّي عبد الملك في منتصف شوّال، وقيل: لعشرٍ خلَوْن من شوّال سنة ستّ وثمانين، ودُفِن بدمشق وصلّى عليه ابنه وولي عهده الوليد اهـ. وأيضًا فيه: وعزل الخليفة عمّه محمدًا عن الجزيرة وأذربيجان وولّاها أخاه مسلمة، فغزا مسلمة وافتتح مدائن وحصونًا.اهـ. وأيضًا فيه: توفي الوليد يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين، وتخلّف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك.اهـ. وأيضًا فيه: وأمر الخليفة سليمان الناس بغزو القسطنطينية برًّا وبحرًا وجهّز الجيوش وبذل الخزائن، ونزل على حلب وأمّر على الكل أخاه مسلمة وابنه، وكان الذين غزوها أزيد من

(ولأبي حازم): ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله: و﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾؟ فقال أبو حازم: أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق. بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

مائة ألف، وطالت الغزوة حتى مات سليمان وهم هناك يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين. وفي دول الإسلام: ولما احتضر أشار عليه وزيره رجاء بن حياة بأن يستخلف ابن عمّه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بشرط أن تكون الخلافة من بعد عمر ليزيد بن عبد الملك أخي سليمان، وفي الجملة: هو من خيار ملوك بني أُميّة قرّب ابن عمّه عمر بن عبد العزيز وجعله ولي عهده بالخلافة، وليس عهد في الخلافة، وإنما لعهد كان ليزيد وهشام، فأدخل عمر قبلها وبايع الناس على العهد، وهو مكتوب، وفيه: عمر بن عبد العزيز ثم يزيد وهشام، فصحّت البيعة. وتوفي أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان يوم الجمعة لخمسٍ بقين، وقال أبو عمرو بن الضرير: لعشرٍ بقين من رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان من أعمال حمص. وفي سيرة مغلطاي: مدّة مكثه في الخلافة ثلاثون شهرًا، وصلّى عليه ابن عمّه يزيد بن عبد الملك الذي تخلّف بعده، وكانت خلافة يزيد هذا أربع سنين وشهرًا، مات لخمسٍ بقين من شعبان سنة خمس ومائة. وبُويع هشام بن عبد الملك بن مروان بعد موت أخيه يزيد في شعبان سنة خمس ومائة وعمره أربع وثلاثون سنة، وفي سنة سبع ومائة عَزَل الخليفة الجرّاح بن عبد الله الحكميّ عن آذربيجان وأرمينية واستناب أخاه مسلمة، فافتتح قيصرية بالسيف فتحًا ثانيًا، وفي سنة إحدى عشرة ومائة عزل مسلمة عن آذربيجان وأُعيد الجرّاح الحَكَمي، فافتتح المدينة البيضاء، وفي سنة ثلاث عشر ومائة أُعيد إلى ولاية آذربيجان وأرمينية مسلمة بن عبد الملك. في سنة أربع عشرة ومائة عزل مسلمة عن آذربيجان ونواحيها ووَلِيَها مروان الحمار، وفي سنة إحدى وعشرين ومائة مات البطل الكرّار مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأمير الملقّب بالجرادة الصفراء، وله فتوحات كثيرة مشهورة، منها: مسيره في مائة وعشرين ألفًا فغزا القسطنطينية في دولة أخيه سليمان، ومات أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة.

قوله: (ولأبي حازم) التابعي، هو سلمة بن دينار المدني الأعرج الزّاهد الفقيه المشهور بالمحاسن، وهو مخزومي مولى الأسود بن سفيان المخزومي، وقيل:

﴿ٱللَّهِ﴾ أي القرآن و﴿ٱلرَّسُولِ﴾ في حياته وإلى أحاديثه بعد وفاته ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرد أي الرد إلى الكتاب والسُّنَّة ﴿خَيْرٌ﴾ عاجلًا ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة. كان بين بشر المنافق ويهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ لعلمه أنه لايرتشي ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ليرشوه، فاحتكما إلى النبي عليه السلام فقضى لليهودي فلم يَرْضَ المنافق وقال: تعالَ نتحاكم إلى عمر. فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه: قضى لي رسول الله ﷺ فلم يرضَ بقضائه. فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: **(مكانكما)** حتى أخرج إليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج **(فضرب به عنق المُنافق)** فقال: هكذا أقضي لمَن لم يَرْضَ بقضاء الله ورسوله فنزل.

مولى لبني اللّيث، سمع سهل بن سعد الساعدي وأكثر الرواية عنه في الصحيحين وغيرهما، والنعمان بن أبي عياش الزرقي، وسعيد بن المسيّب، وعطاء، وسعيدًا المقبري، وأبا صالح، وعبد الله بن أبي قتادة، وأبا سلمة بن عبد الرحمٰن، وأبا إدريس الخَوْلاني، وعطاء بن يسار، وعمر بن شعيب، وأُمّ الدّرداء الصغرى وآخرين. روى عنه ابناه عبد العزيز وعبد الجبار والزهري، وهو أكبر من أبي حازم، ومحمد بن إسحٰق، ومحمد بن عجلان، والمسعودي، ومالك بن أنس، وابن أبي ذؤيب، وعبيد الله بن عمر، وموسى بن عبيدة، وسفيان الثوري، وعمرو بن صُهْبان، وسليمان بن بلال، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وهشام بن سعد، وأُسامة بن زيد، ومعمر، وسفيان بن عُيينة، وأخوه محمد بن عيينة وخلائق لا يحصون، وأجمعوا على توثيقه وجلالته والثناء عليه. قال محمد بن إسحٰق بن خزيمة: لم يكن في زمن أبي حازم مثله، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة. روى له البخاري ومسلم. قال يحيىٰ بن صالح: قلت لابن أبي حازم: سمع أبوك أبا هريرة؟ قال: مَنْ حدّثك أن أبي سمع أحدًا من الصحابة غير سهل بن سعد، فقد كذب. واعلم أن في هذه المرتبة اثنين يكنيان أبا حازم، أحدهما هذا المشهور بالرواية عن سهل، والثاني: أبو حازم سلمان مولى عزّة الأشجعيّة المشهور بالرواية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والله أعلم. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (مكانكما) أي اجلسا اسم فعل أو متعلق بمحذوف، أي الزما. اهـ شهاب. **قوله: (فضرب به عنق المنافق)** لأنه أظهر نفاقه وزندقته.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرّق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت الفاروق» ﴿يُرِيدُونَ﴾ حال من الضمير في «يزعمون» ﴿أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي كعب بن الأشرف سمّاه الله طاغوتًا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام، أو على التشبيه بالشيطان، أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ على التحاكم إليه تحاكمًا إلى الشيطان بدليل قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ عن الحق ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ مستمرًا إلى الموت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للمنافقين ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ للتحاكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ يُعرِضون عنك إلى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضي لهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾

(﴿فَكَيْفَ﴾ **تكون حالهم**) وكيف يصنعون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ من قتل عمر بشر ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ أي أصحاب القتيل من المنافقين ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ حال ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ (**ما أردنا**) بتحاكمنا إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ لا إساءة ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخّطًا لحكمك، وهذا وعيد لهم على فِعْلهم وأنهم سيندمون

قوله: (﴿فَكَيْفَ﴾ **تكون حالهم**) إشارة إلى أن قوله: فكيف في محل النصب بفعل مُضمر، نحو: كيف تراهم؟ وكيف يصنعون أو يحتالون؟ وقيل: إنه في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي فكيف صفتهم في وقت إصابة المصيبة إياهم؟ وعلى التقديرين كلمة إذا معمولة لذلك المقدّر بعد كيف. **قوله**: (**ما أردنا**) إشارة إلى أنّ أنْ نافية.

عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار. وقيل: جاء أولياء المنافق يُطالبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا: ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه، وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من النفاق. ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ فأعرض عن قبول الأعذار وعظ بالزجر والإنكار وبالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار، أو أعرض عن عقابهم ووعظهم في عتابهم وبلغ كُنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم. والبلاغة أن يبلغ بلسانه كُنه ما في جنانه. و﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يتعلق بـ «قل لهم» أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولًا بليغًا يَبلغُ منهم ويؤثر فيهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ﴾ **(أي رسولًا قطّ)** ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بتوفيقه في طاعته وتيسيره، أو بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمَر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله و﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: الآية ٨٠]، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من النفاق معتذرين عمّا ارتكبوا من **(الشقاق)** ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ من النفاق والشقاق ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ بالشفاعة لهم. والعامل في ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ خبر «أنّ» وهو ﴿جَآءُوكَ﴾ والمعنى: ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا﴾ لعلموه توّابًا أي لتاب عليهم. ولم يقل: «واستغفرت لهم» وعدل عنه إلى طريقة الالتفات **(تفخيمًا لشأنه)** ﷺ

قوله: (أي رسولًا قطّ) أتى بكلمة قطّ لتحقيق عموم رسولًا، مع أن أصلها لعموم الأوقات نظرًا إلى استلزامه ذلك. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (الشقاق)** الخلاف والعداوة. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (تفخيمًا لشأنه)** ﷺ حيث عدل عن

وتعظيمًا لاستغفاره وتنبيهًا على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم. قيل: جاء أعرابي بعد دفنه ﷺ فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية. وقد ظلمت نفسي وجئتك أستغفر الله من ذنبي فاستغفر لي من ربي، فنودي من قبره قد غفر لك.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ أي فوربك كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: الآية ٩٢] «ولا» مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أو التقدير: فلا، أي ليس الأمر كما يقولون ثم قال: «وربك لا يؤمنون» ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقًا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ أي لا تضيق صدورهم من حكمك أو شكًا، لأن الشاكّ في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ وينقادوا لقضائك انقيادًا وحقيقته: سلَّم نفسه له وأسلَمها أي جعلها سالمة له أي خالصة. وتسليمًا مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل: وينقادوا لحُكمك انقيادًا لا شُبهة فيه بظاهرهم وباطنهم، والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على المنافقين أي ولو وقع كتبنا عليهم ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟﴾ «أن» هي المفسرة ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ أي تعرّضوا للقتل بالجهاد. أو ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم ﴿أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم﴾ بالهجرة ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ لنفاقهم. والهاء ضمير أحد مصدري الفعلين وهو القتل أو الخروج أو

خطابه إلى ما هو من عظيم صفاته على طريقة حكم الأمير بكذا مكان حكمت، وتعظيم الاستغفار من جهة إسناده إلى لفظ يُنْبِىء عن علوّ رتبته من جهة التعليق بالرسالة.

ضمير المكتوب لدلالة «كتبنا» عليه ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ («قليلا»: **شامي**) على الاستثناء والرفع على البدل من واو «فعلوه» ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من اتباع رسول الله ﷺ والانقياد لحكمه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الدارين ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإيمانهم وأبعد عن الاضطراب فيه.

﴿وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَإِذًا﴾ جواب لسؤال مقدَّر كأنه قيل: وماذا يكون لهم بعد التثبيت؟ فقيل: وإذا لو ثبتوا ﴿لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثوابًا كثيرًا لا ينقطع. ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ أي لثبتناهم على الدين الحق ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ كأفاضل صحابة الأنبياء. والصديق: المُبالِغ في صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة، أو الذي يصدق قوله بفعله ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ والذين استشهدوا في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومَن صلحت أحوالهم وحَسُنَت أعمالهم ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ أي وما أحسن أولئك رفيقًا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أو «الفضل» صفته و«من الله» خبره والمعنى: أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضَّل به عليهم، أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومرتبتهم من الله. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بعباده وبمَن هو أهل الفضل: ودلَّت الآية على أن ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ (**الحِذر والحَذر**) بمعنى وهو التحرّز وهما كالإثر والأثر. يقال: أخذ حِذره إذا تيقّظ، واحترز من المخوف كأنه جعل

قوله: (**قليلا**) بالنصب (**شامي**) أي ابن عامر الشامي على الاستثناء. والباقون بالرفع.

قوله: (**والحِذْر**) بكسر الحاء وسكون الذال (**الحَذَر**) بفتحتين.

الحذر آلته التي يَقي بها نفسه ويعصم بها روحه، والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ فاخرجوا إلى العدو جماعات متفرّقة (**سَرِيَّة**) بعد سَرِيَّة، فالثباب الجماعات (**واحدها ثبة**). ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين أو مع النبي عليه السلام، لأن الجمع بدون السمع لا يتم، والعقد بدون الواسطة لا ينتظم. أو انفروا ثُباتٍ إذا لم يعمّ النفير، أو انفروا جميعًا إذا عمّ النفير. و«ثبات» حال وكذا «جميعًا».

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢)﴾

واللام في ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن﴾ للابتداء بمنزلتها في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ [النحل: الآية ١٨] و«من» موصولة. في ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ جواب قسم محذوف تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة «من»، والضمير الراجع منها إليه ما استكنّ في ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد، و(**بطؤ**) بمعنى أبطأ أي تأخر ويقال: «ما بطؤ بك» فيتعدّى بالباء. والخطاب (**لعسكر**) رسول الله ﷺ، وقوله «منكم» أي في الظاهر دون الباطن يعني المنافقين يقولون: لِمَ تقتلون أنفسكم (**تأنوا**) حتى يظهر الأمر ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المُبطِىء ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضرًا فيصيبني مثل ما أصابهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)﴾

﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتح أو غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المُبطِىء (**متلهفًا**) على ما فاته من الغنيمة لا طلبًا للمَثوبة ﴿كَأَن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف

قوله: (سَرِيّة) السرية: قطعة من الجيش فعيلة بمعنى فاعلة، لأنها تسري في خِفْية، والجمع سرايا وسريّات، مثل عطية وعطيات. اهـ مصباح. **قوله: (واحدها ثبة)** أصل ثبة ثبى والهاء عوض من لام الفعل المحذوفة لالتقاء الساكنين.

قوله: (بطؤ) من باب قرب. **قوله: (لعسكر)** العسكر الجيش. قال ابن الجواليقي: فارسي معرّب. اهـ مصباح. **قوله: (تأنوا)** في المصباح: تأنّى في الأمر تمكّث ولم يَعْجَل، والاسم منه أَناة وزان حصاة. اهـ.

قوله: (متلهفًا) أي متحسّرًا.

أي كأنه ﴿لَّمْ تَكُنۢ﴾ (وبالتاء مكي وحفص) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ وهي اعتراض بين الفعل وهو «ليقولن» وبين مفعوله وهو ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ والمعنى: كأن لم يتقدّم له معكم موادّة لأن المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم (الغوائل) في الباطن ﴿فَأَفُوزَ﴾ بالنصب لأنه جواب التمني ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فآخذ من الغنيمة حظًّا (وافرًا).

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ والمراد المؤمنون الذين يستحبّون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها، أي إن صدّ الذين مرضت قلوبهم وضعُفَت نيّاتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون، والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة، وعطفوا بأن يغيّروا ما بهم من النّفاق ويُخلِصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وعد الله المقاتل في سبيل الله ظافِرًا أو مظفورًا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

(﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ) وخبر، وهذا الاستفهام في النفي للتنبيه على الاستبطاء، وفي الإثبات للإنكار ﴿لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول: «مالك قائمًا» والمعنى وأيّ شيء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مجرور بالعطف على «سبيل الله» أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين، أو منصوب على الاختصاص منه أي واختصّ من سبيل الله

قوله: (وبالتاء مكّي) أي ابن كثير المكّي. (وحفص). والباقون بالتذكير.
قوله: (الغوائل) جمع غائلة بمعنى الفساد والشرّ. **قوله:** (وافرًا) أي كاملًا.

قوله: (﴿وَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ) وخبر، يعني: أن ما مبتدأ ولكم خبر، أي أيّ شيء استقرّ لكم.

خلاص المستضعَفين من المستضعِفين، لأن سبيل الله عامٌ في كل خير، وخلاص المسلمين من أيدي الكفَّار من أعظم الخير وأخصّه. والمستضعفون هم الذين أسلَموا بمكة وصدَّهم المُشرِكون عن الهجرة فبقوا (**بين أظهرهم**) مُستَذلّين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ ذكر الولدان (**تسجيلًا**) بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغامًا لآبائهم وأمهاتهم، ولأن المستضعفين كانوا (**يُشرِكون**) صبيانهم في دعائهم استنزالًا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يُذنِبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا (**وأمي**) من المستضعفين من النساء والولدان ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعني مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ «الظالم» وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأُعطي إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول: «من هذه القرية التي ظلم أهلها» ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرنا عليهم. كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسَّر لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير وليّ وناصر وهو محمد عليه السلام، فتولَّاهم أحسن التولّي ونصرهم أقوى النصر. ولما خرج محمد ﷺ استعملَ (**عتاب بن أسيد**)

قوله: (بين أظهرهم) بمعنى بينهم. **قوله:** (تسجيلًا) أي تثبيتًا وتحكيمًا. **قوله:** (يشركون) أي يشتركون. **قوله:** (وأمّي) أُمّه رضي الله تعالى عنهما لُبابة ـ بضم اللام وباء موحدة مكرّرة ـ بنت الحارث الهلالية الصحابية أخت ميمونة أُمّ المؤمنين، ولُبابة هذه زوجة العبّاس بن عبد المُطّلب وأمّ أولاده، وكانت من المنجيات، ولدت للعباس ستّة رجال لم تلد امرأة مثلهم: الفضل، وعبد الله، ومعبد، وعبيد الله، وقُثَم، وعبد الرحمٰن، وأسلمت لُبابة هذه قديمًا. قال الكلبي ومحمد بن سعد وغيره: هي أوّل امرأة أسلمت بعد خديجة، وكان النبيّ ﷺ يزورها، وهي لُبابة الكبرى، وأختها لُبابة الصغرى أُمّ خالد بن الوليد اختلف في صحبتها وإسلامها، فأثبتها الواقدي. رُوِي لأُمّ الفضل عن النبيّ ﷺ ثلاثون حديثًا، اتّفقا على حديثين، ولمسلم حديث.

قوله: (عتّاب) بالتشديد (ابن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين، وكان حين ولاه على مكّة ابن ثماني عشرة سنة، وكان رسول الله ﷺ رأى أسيدًا في الجنّة،

فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ينصر الضعيف من القوي **(حتى كانوا أعزّ بها)** من الظلمة.

وهو مات كافرًا فأنبته، وقال: «**أوّلته بابنه عتّاب**»، فشهد له بالجنّة، وكان الحكمة في ذلك مع وجود كبار الصحابة إظهار عزّة الدِّين وغلَبته حتى لا يخشى من أحد. فَيَليها من المؤمنين الكبير والصغير. وفي الانتصاف: في الآية نكتة حسنة، وهي أن كل قرية ذكرت في القرآن نسب إليها ما لأهلها مجازًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ﴾ [النحل: الآية ١١٢] الآية، وفي هذه عدل إلى الإسناد الحقيقي لأهلها؛ لأن المراد مكّة، فوقرت عن نسبة الظلم إليها تشريفًا لها به شرّفها الله. اهـ شهاب.

وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: عتّاب بن أسيد بن أبي العَيْص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة القرشيّ الأُمويّ، يُكْنى أبا عبد الرحمٰن، وقيل: أبو محمد، وأُمّه زينب بنت عمرو بن أُميّة بن عبد شمس، أسلم يوم فتح مكّة واستعمله النبيّ ﷺ على مكّة بعد الفتح لمّا سار إلى حُنين، وقيل: إنّ النبيّ ﷺ ترك معاذ بن جبل بمكّة يفقّه أهلها، واستعمل عتّابًا بعد عوده من حصن الطائف، وقال له رسول الله ﷺ: «**يا عتّاب تدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله عزّ وجلّ، ولو أعلم لهم خيرًا منك استعملته عليهم**»، وكان عمره لمّا استعمله رسول الله ﷺ نيّفًا وعشرين سنة، فأقام للناس الحجّ وهي سنة ثمان، وحجّ المشركون على ما كانوا، وحجّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه سنة تسع، فقيل: كان أبو بكر أوّل أمير في الإسلام، وقيل: بل كان عتّاب، والله أعلم. ولم يزل عتّاب على مكّة إلى أن توفي رسول الله ﷺ وأقرّه أبو بكر عليها إلى أن مات، وتوفي عتاب في قول الواقدي يوم مات أبو بكر، ومثله قال أولاد عتاب. وقال محمد بن سلام وغيره: جاء نعي أبي بكر رضي الله عنه إلى مكّة يوم دُفِن عتّاب، وكان عتّاب رجلًا خبيرًا صالحًا فاضلًا رضي الله تعالى عنه. اهـ.

قوله: (حتى كانوا) أي الذين أسلموا **(أعزّ بها)** الباء بمعنى في، أي في مكّة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾

ثم رغّب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليّهم وناصِرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا وليّ لهم إلا الشيطان بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي الكفار (﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾) أي وساوسه. وقيل: الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ لأنه غرور لا يؤول إلى محصول، أو كيده في مقابلة نصر الله ضعيف. كان المسلمون (**مكفوفين**) عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن (**لهم فيه**) فنزل:

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ أي عن القتال ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ أي فرض بالمدينة ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه، لا شكًا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورًا عن (**الإخطار**) بالأرواح وخوفًا من الموت. قال (**الشيخ أبو منصور**) رحمه الله: هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحُكم الله وأمره

قوله: (**مكفوفين**) أي ممنوعين على ما هو مقتضى الأمر بكفّ الأيدي عن القتال، وإلا فمقتضى ظاهر امتثال الأمر بالكفّ أن يكون كافّين للأيدي. **قوله:** (**لهم**) أي للمسلمين. **قوله:** (**فيه**) أي في القتال.

قوله: (**الإخْطار**) در خطرا فگندن. في المصباح: الخطر الإشراف على الهلاك وخوف التلف. اهـ. وأيضًا فيه بادية مخطرة كأنها أخطرت المسافر، فجعلته خطرًا بين السلامة والتلف. اهـ. **قوله:** (**الشيخ أبو منصور**) محمّد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان يقال له: إمام علم الهدى له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب

اعتقادًا، فالمرء **(مجبول)** على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبًا، **(وخشية الله)** من إضافة المصدر إلى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في «يخشون» أي يخشون الناس مثل خشية الله أي مشبّهين لأهل خشية الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ هو معطوف على الحال أي أو أشد خشية من أهل خشية الله وأو للتخيير أي إن قلت: خشيتهم الناس كخشية الله فأنت مُصيب، وإن قلت: إنها أشد فأنت مصيب لأنه حصل لهم مثلها وزيادة ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هلّا أمهلتنا إلى الموت فنموت على الفرش، وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبّخوا على هذ السؤال بل أجيبوا بقوله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم، والكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل! ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه. **(وبالياء: مكي وحمزة وعلي)**. ثم أخبر أن الحذر لا يُنجي من القدر بقوله:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ «ما» زائدة لتوكيد معنى الشرط في «أين» ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون أو قصور ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ مرفعة ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ نعمة من **(خصب)** ورخاء ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ نسبوها إلى الله ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾

تأويلات القرآن وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانية شيءٌ من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبو الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمَرْقند. اهـ الجواهر المضيئة. **قوله: (مجبول)** أي مخلوق. **قوله: (وخشية الله)** من إضافة المصدر إلى المفعول، أي خشيتهم الله. **قوله: (وبالياء مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وحمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بالخطاب.

قوله: (خِصب) بالكسر ضدّ الجَدْب.

بَلِيَّة من قحط وشدة ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ﴾ أضافوها إليك وقالوا: هذه من عندك وما كانت إلا بشؤمك، وذلك أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى، وإذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد ﷺ فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ والمضاف إليه محذوف أي كل ذلك فهو يبسط الأرزاق ويقبضها ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿حَدِيثًا﴾ فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة. ثم قال:

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ يا إنسان خطابًا عامًا. وقال **(الزجّاج)**: المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة وإحسان ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ تفضّلًا منه وامتنانًا ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ من بَلِيَّة ومصيبة ﴿فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ فمن عندك فبما كسبت يداك. ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: الآية ٣٠]. ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ﴾ لا مقدّرًا حتى نسبوا إليك الشدة، أو أرسلناك للناس رسولًا فإليك تبليغ الرسالة وليس إليك الحسنة والسيئة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ بأنك رسوله، وقيل: هذا متصل بالأول أي لا يكادون يفقهون حديثًا يقولون ما أصابك. وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة في الآية الثانية على الطاعة والمعصية **(تعسف)** بَيِّن وقد نادى عليه ما أصابك إذ يقال في الأفعال «ما أصبت» ولأنهم لا يقولون الحسنات من الله خلقًا وإيجادًا فأنّى يكون لهم حجة في ذلك؟ و«شهيدًا» تمييز.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر الله به ونهى عنه، فكانت طاعته في أوامره ونواهيه طاعة لله ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة فأعرض عنه ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النّحوي. **قوله: (تعسّف)** التعسّف الأخذ على خلاف طريق الصواب. اهـ محشيّ.

وتعاقبهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ويقول المنافقون إذا أمرتهم بشيء ﴿طَاعَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي أمرنا وشأننا طاعة ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ (**روّز**) وسوّى فهو من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل، (**أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسوّيها. وبالإدغام**): حمزة وأبو عمرو. ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة، لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون. ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يثبته في صحائف أعمالهم ويُجازيهم عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تحدّث نفسك بالانتقام منهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في شأنهم فإن الله يكفيك مَضَرَّتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ كافيًا لمن توكل عليه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أفلا يتأملون معانيه و(**مبانيه**). والتدبّر: التأمّل والنظر في أدبار الأمر وما يؤول إليه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمّل. والتفكّر: تصرف

قوله: (روّز) بتقديم الراء المهملة، يقال: روّزت كلامًا أي دبّرت وسوّيت. وعن عمر رضي الله تعالى عنه: روّزت في نفسي كلامًا، ورواية الأكثرين: زوّرت في نفسي بتقديم الزاء المعجمة، أي حسّنت. وقيل: هيّأت وأصلحت. كِلَا اللفظين مما أثبته الثقاة. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسوّيها)**، قال العلامة التفتازاني رحمه الله: الظاهر أن هذا اصطلاح بعد ذلك الاستعمال ومبناه على التشبيه لبيت الشعر ببيت الشعر. اهـ بحروفه. وفي لسان العرب: (البيت من الشعر) مشتقّ من بيت الخِبَاء وهو يقع على الصغير والكبير كالرجز والطويل؛ وذلك لأنه يضم الكلام كما يضم البيت أهله، ولذلك سمّوا مقطعاته أسبابًا وأوتادًا على التشبيه لها بأسباب البيوت وأوتادها، والجمع أبيات. اهـ. وأيضًا فيه البَيْت من أبيات الشعر سُمّي بيتًا لأنه جُمع منظومًا، فصار كبيت جمع من سقف ورُواق وعمد. اهـ. **قوله: (وبالإدغام)** أي بإدغام التاء في الطاء حمزة وأبو عمرو. والباقون بفتح التاء مع الإظهار.

قوله: (مبانيه) أي كلماته.

القلب بالنظر في الدلائل (**وهذا يردّ قول مَن زعم من الروافض أن القرآن**) لا يُفهَم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ والإمام المعصوم، ويدلّ على صحة القياس (**وعلى البُطلان التقليد**). ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ كما زعم الكفار ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا

قوله: (وهذا يردّ قول من زعم من الروافض أن القرآن) لا يُفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ والإمام المعصوم؛ لأنه لو كان كذلك لما تهيّأ للمنافقين معرفة ذلك بالتدبّر، ولما جاز أن يأمرهم الله تعالى به، وأن يجعل القرآن حجّة في صحة نبوّته، ولا أن يجعل عجزهم عن مثله حجّةً عليهم.اهـ تفسير كبير. **قوله: (وعلى البطلان التقليد)**؛ لأنه تعالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوّته، وإذا كان لا بدّ في صحة نبوّته من الاستدلال، فبأن يحتاج في معرفة ذات صفة الله وصفاته إلى الاستدلال كان أوْلى.اهـ تفسير كبير. وفي ضوء المعاني لبدء الأماني للعلامة علي القاري رحمه الله:

وإيمان المقلّد ذو اعتبار بأنواع الدلائل كالنّصال

وهو بكسر النون جمع نصل، وهو حديدة السيف والسهم ونحوهما، والتقليد قبول قول الغير بلا دليل، فكأنّه بقبوله له جعل قلادة في عنقه، والمعنى: أن إيمان المقلّد مُعتبر عند الأكثر بأنواع الأدلّة القاطعة، ومن الدلائل الواضحة أنّ النبيّ ﷺ كان يكتفي بالإيمان من الأعراب الخالين عن النظر في هذا الباب بمجرّد التلفّظ بكلمة الشهادة. ونُقِل عن المعتزلة القول بعدم اعتبار إيمان المقلّد، ونُسِب إلى الأشعري أيضًا، لكن قال القشيري: إنه افتراء عليه، فما ذكره ابن جماعة أن مذهب الأشعري والقاضي أن إيمان المقلّد غير مُعتبر، خلافًا للظاهرية والسادة الحنفية ليس في محلّه.

ثم التحقيق ما ذكره السبكي من أن التقليد إن كان أخذًا بقول الغير من غير حجّة ولا جزم به، فلا يكفي إيمان المقلّد قطعًا؛ لأنه لا إيمان مع أدنى تردّد فيه، وإنْ كان التقليد أخْذ قول الغير بغير حجّة لكن جزمًا، فيكفي إيمانه عند الأشعري وغيره، انتهى. ويؤيّده أصول أهل السنّة من أن الإيمان هو التصديق بما جاء به النبيّ ﷺ من عند الله والإقرار به على ما اختاره بعض أئمّة الحنفية؛ كشمس الأئمّة السرخسي، وفخر الإسلام البزدوي خلافًا لجمهور المحقّقين، ومنهم الشيخ أبو

﴿كَثِيرًا﴾ أي تناقضًا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم، أو تفاوتًا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغًا حدَّ الإعجاز وبعضه **(قاصرًا عنه)** يمكن معارضته، أو من حيث المعاني فكان بعضه إخبارًا بغيب قد وافق المُخبَر عنه، وبعضه إخبارًا مخالفًا للمخبر عنه، وبعضه دالاًّ على معنى صحيح عند **(علماء المعاني)**، وبعضه دالاًّ على معنى فاسد غير **(ملتئم)**. وأما تعلق **(الملحدة)** بآيات يدعون فيها اختلافًا

منصور الماتريدي ومعظم الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أنه التصديق بالقلب فقط، والإقرار شرط لإجراء أحكام الإسلام في الدنيا.

وخلاصة الكلام في هذا المقام: أن إيمان المقلّد صحيح عند الأئمّة الأربعة، وإن كان عاصيًا بترك الاستدلال، ونُقِل عن الأشعري أن شرط صحة إيمانه أنه يعرف كل مسألة بدلالة عقلية، زاد المعتزلة: وأن يعبّر عنه بلسانه ويجادل خصمه في برهانه. اهـ بحروفه.

قوله: (قاصرًا عنه) أي عن حدّ الإعجاز، والإضافة بيانية، أي مَرتبة هي الإعجاز، ولو أُريد نهاية الإعجاز لم يلزم في القاصر عنه إمكان المعارضة لجواز أن يكون في أوساط الإعجاز أو بدايته.

قوله: (علماء المعاني) فسّروا علم المعاني بما يعرف به صحيح المعاني عن فاسده، وليس المراد بالمعنى الغرض الذي يُصاغ له الكلام، فإنه عندهم كالمطروح في الطريق لا يُجامع الخطأ فيه أدنى التمييز، بل الصور والكيفيّات الحاصلة من ترتيب المعاني التي إليها يرجع البلاغة والبراعة وبها يقع التفاضل والتناضل، ثم ترتيب الألفاظ على حذوها، وهي التي يسمّيها الشيخ عبد القاهر تارة بالمعنى، وتارة بالألفاظ، ويقطع بأنها العمدة في البلاغة، وبها يقع الإعجاز لا الألفاظ التي هي الأصوات والحروف، ولا المعاني الثواني التي هي الأعراض، وتمام تفصيل ذلك في شرح تلخيص المفتاح. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (مُلْتئم) أي مُنتظم. **قوله: (المُلحدة)** في المصباح: لحد الرجل في الدِّين لحدًا وألحد إلحادًا طعن. قال بعض الأئمّة: والمُلحدون في زماننا هم الباطنية الذين يدّعون أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأنهم يعلمون الباطن فأحالوا بذلك

كثيرًا من نحو قوله: (﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٧]، ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: الآية ١٠]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٢]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمـٰن: الآية ٣٩]). فقد (تقصى) عنها أهل الحق وستجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها إن شاء الله تعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ هم ناس من ضَعَفَة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال، أو المنافقون كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخَلَل ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ﴾ أفشوه وكانت إذاعتهم مفسدة. يقال: أذاع السر وأذاع به، والضمير يعود إلى الأمر أو إلى الأمن أو الخوف لأن «أو» تقتضي أحدهما ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي ذلك الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي رسول الله ﷺ ﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ يعني كُبَراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمَّرون منهم ﴿لَعَلِمَهُ﴾ لعلم تدبير ما أخبروا به ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾

الشريعة لأنهم تأوّلوا بما يخالف العربية الذي نزل بها القرآن. وقال أبو عبيدة: ألحد إلحادًا جادل وماري. اهـ. **قوله:** (﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٧]، ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: الآية ١٠]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٢]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمـٰن: الآية ٣٩]) ليس باختلاف لجواز أن يكون العصا ثعبانًا ويُشْبه الجان، وأن يسألوا في موقف من مواقف القيامة دون موقف أو وقت دون وقت. اهـ تفتازاني رحمه الله. قال المصنّف رحمه الله: في سورة النمل كأنها جان حيّة في سعيها، وهي ثعبان في جثتها، انتهى. وقال في سورة الرحمـٰن: والتوفيق بين هذه الآية، أي لا يُسأل عن ذنبه إنسٌ ولا جان، وبين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٢]، وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: الآية ٢٤] أن ذلك يومٌ طويل، وفيه مواطن فيُسألون في موطن ولا يُسألون في آخر، وقيل: لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته، ولكن يسأل للتوبيخ، انتهى باختصار. **قوله:** (تقصى) أي استقصى.

يستخرجون تدبيره **(بفطنهم)** وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها، وقيل: كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر وفوّضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا، لعَلِم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه. والنَّبط: الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذِهنه من المعاني والتدابير فيما **(يعضل)** ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإرسال الرسول ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بإنزال الكتاب ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لبقيتم على الكفر ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لم يتّبعوه ولكن آمنوا بالعقل كزيد بن عمرو بن نفيل **(وقس بن ساعدة وغيرهما)**.

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

لما ذكر في الآي قبلها تثبّطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إن أفردوك وتركوك وحدك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله تعالى ناصِرك لا الجنود، وقيل: دعا الناس **(في بدر الصغرى)** إلى الخروج وكان أبو سفيان واعَدَ رسول الله ﷺ اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت، فخرج **(وما معه إلا سبعون)** ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وما عليك في شأنهم إلا

قوله: (بفطنهم) في المصباح: فطن للأمر يفطن من بابي تعب وقتل فطنًا وفطنته وفطانته ـ بالكسر في الكل ـ فهو فَطِن، والجمع فُطُن ـ بضمّتين ـ وفُطِن ـ بالضم ـ إذا صارت الفطانة له سجيّة، فهو فَطِنٌ أيضًا، ورجل فَطِنٌ بخصومته عالمٌ بوجوهها حاذقٌ، ويتعدّى بالتضعيف فيقال: فطّنته للأمر. اهـ. **قوله: (يُعْضل)** أي يشكل. **قوله: (قِس بن ساعدة)** الإيادي. **قوله: (وغيرهما)** مثل ورقة بن نوفل.

قوله: (في بدر الصغرى) بعد حرب أُحد بسنة، وأمّا بدر الكبرى فقبل أُحد. **قوله: (وما معه إلّا سبعون)** كذا في تفسير الجلالين وتفسير الخطيب وغيرهما.

(التحريض) على القتال فحسب **(لا التعنيف بهم)** ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كفّ بأسهم بالرعب فلم يخرجوا. و«عسى» كلمة مطمعة غير إن أطماع الكريم **(أعود)** من **(إنجاز)** اللئيم ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيبًا وهو تمييز كـ «بأسًا».

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في دفع شرّ أو جَلْب نفع من جوازها شرعًا ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ من ثواب الشفاعة ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ هي خلاف الشفاعة الحسنة. قال ابن عباس ﵄: ما لها مفسّر غيري معناه من أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة. وقال الحسن: هو المشي بالصلح وضده النميمة ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ مقتدرًا من أقات على الشيء اقتدر عليه، **(أو حفيظًا من القوت)** لأنه يمسك النفس ويحفظها.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾ أي سلّم عليكم فإن التحية في ديننا بالسلام في الدارين ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النور: الآية ٦١]، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب. قال البقاعي: الذي في السِّيَر أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة، وما ذكره المصنّف ﵀ غلط تبع فيه الزمخشري ولم ينبّه عليه أحد من أصحاب الحواشي، اللّهمّ إلّا أن يقال: إنه أراد الركبان منهم، وهو محتاج إلى النقل أيضًا. اهـ. **قوله: (التحريض)** الحثّ. **قوله: (لا التعنيف بهم)**، في المصباح: عنّفه تعنيفًا لَامَهُ وعتب عليه. اهـ. قال العلامة التفتازاني ﵀: فإن قيل: إذا ترك الكل فرض الكفاية، فعلى الإمام قتالهم ولا تعنيف فوق ذلك. قلنا: هو تعنيف على ترك ما هو من شعار الدِّين لا تعنيف بهم في القتال والجهاد. وأمّا الأمر بالجهاد، فمن التحريض لا التعنيف. اهـ. **قوله: (أعود)** أي أنفع. **قوله: (إنجاز)** أي إيفاء.

قوله: (أو حفيظًا من القوت) الحاضر الذي به حفظ البدن، فأصله مقوت فاعل كمقيم.

سَلَٰمٌۚ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٤]. وكانت العرب تقول عند اللقاء: حيّاك الله أي أطال الله حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام ﴿بِتَحِيَّةٍ﴾ هي تفعلة من حيّا يحيّي تحية ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ أي قولوا: وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم. وزيدوا «وبركاته» إذا قال: «ورحمة الله». **(ويقال لكل شيء منتهى، ومنتهى السلام «وبركاته»)**. ﴿أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾ أي أجيبوها بمثلها، وردّ السلام جوابه بمثله لأن المُجيب يردّ قوله المسلّم، وفيه حذف مضاف أي ردّوا مثلها. والتسليم سُنَّة والرّدّ فريضة

قوله: (ويقال لكل شيء منتهى، ومنتهى السلام وبركاته) رُوِيَ أن رجلًا سلّم على ابن عباس، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثمّ زاد شيئاً، فقال ابن عباس: إنّ السلام انتهى إلى البركة. اهـ خازن وشرح السنّة. وأيضًا في شرح السنّة: رُوِيَ عن يحيىٰ بن سعيد أن رجلًا سلّم على عبد الله بن عمر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والغاديات الرائحات، فقال: وعليك ألفًا، ثم كأنه كره ذلك. اهـ. وفي تفسير الدرّ المنثور أخرج البيهقي عن عروة بن الزبير أنّ رجلًا سلّم عليه، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: ما ترك لنا فضلًا، إن السلام انتهى إلى بركاته، انتهى. وفي تفسير ابن كثير قال ابن جرير: حدّثني موسى بن سهل الرملي، حدّثنا عبد الله بن السري الأنطاكي، حدّثنا هشام بن لاحق، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النّهدي، عن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: **«وعليك ورحمة الله»**، ثم أتى آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، فقال له رسول الله: **«وعليك ورحمة الله وبركاته»**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال له: **«وعليك»**، فقال له الرجل: يا نبيّ الله بأبي أنت وأُمّي، أتاك فلان وفلان فسلّما فرددت عليهما أكثر مما رددت عليّ، فقال: **«إنك لم تدع لنا شيئًا، قال الله تعالى: (﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ﴾)**، فرددناها عليك». وهكذا رَوَى ابن أبي حاتم معلّقًا، فقال: ذكر عن أحمد بن الحسن الترمذي، حدّثنا عبد الله بن السري أبو محمد الأنطاكي، قال أبو الحسن: وكان رجلًا صالحًا، حدّثنا هشام بن لاحق، فذكره بإسناده مثله، ورواه أبو بكر بن مردويه، حدّثنا عبد الباقي بن نافع، حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثنا هشام بن لاحق أبو عثمان فذكره مثله، ولم نره في المسند، فالله أعلم. وفي هذا

والأحسن فضل. وما من رجل يمرّ على قوم مسلمين فيسلّم عليهم ولا يردّون عليه إلا نزع عنهم **(روح القدس)** وردّت عليه الملائكة. ولا يردّ السلام في الخطبة

الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ إذ لو شرّع أكثر من ذلك لزاده رسول الله ﷺ.اهـ بحروفه. وفي سنن أبي داود في باب كيف السلام: حدّثنا محمد بن كثير، قال: حدّثنا جعفر بن سليمان عن عوف عن أبي رَجاء عن عمران بن حُصَين، قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: السلام عليكم، فردّ عليه ثم جلس، فقال النبيّ ﷺ: **«عشر»**(١)، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردّ عليه فجلس فقال: **«عشرون»**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه فجلس فقال: **«ثلاثون»**(٢). حدّثنا إسحٰق بن سويد الرَمَلي، حدّثنا ابن أبي مريم قال: أظنّ أني سمعت نافع بن يزيد قال: أخبرني أبو مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن النبيّ ﷺ بمعناه، زاد: ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: **«أربعون»**، قال: هكذا تكون الفضائل.اهـ بحروفه. وفي تفسير الدرّ المنثور أخرج البخاري في الأدب المفرد عن سالم مولى عبد الله بن عمر، قال: كان ابن عمر إذا سلّم عليه فردّ زاد، فأتيته فقلت: السلام عليكم ورحمة الله، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم أتيته مرّة أخرى فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطيب صلواته، انتهى. وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله باب منتهى السلام: حدّثنا محمد بن سلام، قال: أخبرنا مخلد قال: أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني زياد عن أبي الزّناد، قال: كان خارجة يكتب على كتاب زيد إذا سلّم قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ومغفرته وطيب صلواته، انتهى بحروفه.

قوله: (روح القدس) من إضافة الموصوف؛ كحاتم الجود، أي نزعت عنهم أرواحهم المقدّسة حيث تلطّخوا بالذنوب أو التوفيق الذي به حياة القلوب أو آثار روح القدس الذي هو جبرئيل أو الملك الذي تنفُثُ في الرُّوع.اهـ تفتازاني رحمه الله.

---

(١) أي عشر حسنات. ١٢ منه عمّ فيوضهم.
(٢) أي بكل حرف عشر حسنات. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

وقراءة القرآن **(جهرًا)** ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة. وعند **(أبي يوسف)** رحمه الله: **(لا يسلم على لاعب الشطرنج)** والنّرد والمغنّي والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره. وسلّم الرجل إذا دخل على امرأته، والماشي على القاعد، والراكب على الماشي، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والأقل على الأكثر، وإذا التقيا ابتدرا. وقيل: «بأحسن منها» لأهل الملّة «أو ردّوها» لأهل الذمّة. وعن النبي ﷺ «إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا

قوله: (جهرًا) متعلق بقراءة القرآن، وفيه إشارة إلى أنه يردّ في القراءة خفية. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (أبي يوسف)** يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وكان فقيهًا عالمًا حافظًا سمع أبا إسحٰق الشيباني، وسليمان التيمي، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وهشام بن عروة، وعطاء بن السائب، ومحمد بن إسحٰق بن يسار وتلك الطبقة، وجالس محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، ثم جالس أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه النعمان بن ثابت، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وخالفه في مواضع كثيرة. وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي، وبِشْر بن الوليد الكنديّ، وعلي بن الجَعْد، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين في آخرين. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للعلامة ابن خلّكان عليه رحمة الله المنّان. وأيضًا فيه: ولم يختلف يحيىٰ بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المدينيّ في ثقته في النقل، وذكر أبو عمر بن عبد البرّ صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سمّاه كتاب الانتهاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظًا، وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستّين حديثًا ثم يقوم فيُمليها على الناس. اهـ. مات ببغداد يوم الخميس وقت الظهر لخمسٍ خَلَوْن من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقيل: لخمس ليالٍ خلون من ربيع الآخر سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائة. **قوله: (لا يسلّم على لاعب الشطرنج)** بكسر أوّله ويهمل ولا يفتح إلا نادرًا. اهـ الدرّ المختار. والنرد لعبة معروفة، وهو معرب، وقد تقدّم في تفسير سورة البقرة عن التفسير المظهري، والتحقيق أن اللّعب بكلّ شيء حرام إجماعًا، وما رُوِي عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه أباح اللّعب

يقولون: («السام» عليكم». وقوله عليه السلام: («لا غرار في تسليم») أي لا يقال «عليك» بل «عليكم» لأن كاتبيه معه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبره أو اعتراض والخبر ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ومعناه: الله والله ليجمعنكم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي ليحشرنكم إليه. والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور، أو قيامهم للحساب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: الآية ٦]، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو حال من يوم القيامة والهاء يعود إلى اليوم، أو صفة لمصدر محذوف أي جمعًا لا ريب فيه، والهاء يعود إلى الجمع ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ تمييز وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أصدق منه في إخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه إخبارًا عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ أي ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد نافقوا نفاقًا ظاهرًا وتفرقتم فيهم فرقتين، وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم؟ وذلك أن قومًا من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلى **(البدو معتلّين باجتواء المدينة)**، فلما خرجوا لم يزالوا راحِلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين. فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم: هم كفّار، وقال بعضهم: هم مسلمون. و«فئتين» حال كقولك «ما لك قائمًا»، قال سيبويه: إذا قلت: «ما لك

بالشطرنج، فقد صحّ أنه رجع عن هذا القول، انتهى بحروفه. **قوله: (السام)** الموت. **قوله: («لا غَرارَ في تسليم»)** أي لا نقصان.

قوله: (البدو) بمعنى البادية خلاف الحضر والحاضرة. **قوله: (معتلّين)** أي مُظهرين لعلّة ذلك ووجهه. **قوله: (باجتواء المدينة)** بالجيم أي بكراهة هوائها،

قائمًا» فمعناه لِمَ قمت؟ ونصبه على تأويل أي شيءٍ يستقر لك في هذه الحال؟ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ ردّهم إلى حكم الكُفّار ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردّوهم أيضًا ولا تختلفوا في كفرهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ﴾ أن تجعلوا من جملة المهتدين ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ مَن جعله الله ضالاًّ؛ أو أتريدون أن تسمّوهم مُهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعييرًا لمن سمّاهم مُهتدين. والآية تدلّ على مذهبنا في إثبات الكسب للعبد والخلق للربّ جلّت قدرته ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الهداية.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف و«ما» مصدرية أي ودّوا لو تكفرون كفرًا مثل كفرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ عطف على «تكفرون» ﴿سَوَآءً﴾ أي مستوين أنتم وهم في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا لأن الهجرة في سبيل الإسلام ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ كما كان حكم سائر المشركين ﴿(وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا) وَلَا نَصِيرًا﴾ وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي ينتهون إليهم ويتصلون بهم. والاستثناء من قوله: (﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾) دون الموالاة ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ القوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، وذلك أنه (وادع) قبل خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، وعلى أن مَن وصل إلى هلال والتجأ إليه

يقال: اجتويت البلد، أي كرهت الإقامة به لعدم كون هوائه موافقًا له، والاستثناء من قوله: (﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾) دون الموالاة، أي لا من قوله: (﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾)، وإن كان أقرب؛ لأن اتّخاذ الولي منهم حرام بلا استثناء بخلاف قتلهم. **قوله:** (وادع) أي صالح.

فله من **(الجوار)** مثل الذي لهلال، أي فاقتلوهم إلا مَن اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ عطف على صفة «قوم» أي إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال **(لا لكم ولا عليكم)** أو على صلة الذين أي إلا الذين يتصلون بالمعاهدين، أو الذين لا يقاتلونكم ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ حال بإضمار «قد». **(والحَصَر)**: الضيق والانقباض ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ عن أن يقاتلوكم أي عن قتالكم ﴿أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ معكم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية قلوبهم وإزالة الحصر عنها ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ عطف على ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾ ودخول اللام للتأكيد ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ فإن لم يتعرَّضوا لكم ﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي الانقياد والاستسلام ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى القتال.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ﴾ بالوفاق هم قوم من أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ قلبوا فيها **(أقبح قلب)** وأشنعه وكانوا شرًّا فيها من كل عدو ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ فإن لم يعتزلوا قتالكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ عطف على «لم يعتزلوكم» أي ولم ينقادوا لكم بطلب الصلح ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عطف عليه أيضًا أي ولم يمسكوا عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ **(حجة)**

قوله: (الجوار) أي العهد. **قوله: (لا لكم)** أي لا كائنين لكم بأن يقاتلوا قومهم، **(ولا)** كائنين **(عليكم)** بأن يقاتلوكم، والأنسب لا عليكم ولا لكم. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (والحصر)** بفتحتين.

قوله: (أقبح قلب) لأن معنى أركسه قلبه على رأسه. **قوله: (حجة)**... الخ. السلطان إن كان اسمًا فهو بمعنى الحجّة، وإن كان مصدرًا فهو بمعنى التسلّط.

واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بالمسلمين، أو تسلطًا ظاهرًا حيث أذنا لكم في قتلهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صحّ له ولا استقام ولا لاقَ بحاله ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ ابتداء من غير قصاص أي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدّم إباحة دمه ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى «لكن» أي لكن إن وقع خطأ، ويحتمل أن يكون صفة لمصدر أي إلا قتلًا خطأ والمعنى: من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البَتَّة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرًا فيصيب مسلمًا، أو يرمي شخصًا على أنه كافر فإذا هو مسلم ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ صفة مصدر محذوف أي قتلًا خطأ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه تحرير رقبة. والتحرير: الإعتاق، والحرّ والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد، ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها. و(**الرقبة**: **النسمة**) ويعبّر عنها بالرأس في قولهم: «فلان يملك كذا رأسًا من الرقيق ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ قيل: لما أخرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرقّ كإحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالأموات، إذ الرقّ أثر من آثار الكفر، والكفر موت حكمًا. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢]. ولهذا منع من تصرف الأحرار وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب في العمد أيضًا، لكن يحتمل أن يقال: إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى (**أبقى**) للقاتل نفسًا مؤمنة حيث لم يوجِب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة. ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون

قوله: (الرقبة) من التعبير بالجزء عن الكلّ. **قوله: (النَسَمة)** ـ بفتحتين ـ الإنسان. **قوله: (أبقى)** في مختار الصحاح: أبقى على فلان إذا رعى عليه ورحمه،

الميراث لا فرق بينها وبين سائر التَّرِكَة في كل شيء فيقضي منها الدين وتنفذ الوصية، وإذا لم يبقَ وارث فهي لبيت المال. وقد ورَّث رسول الله ﷺ امرأة (أشيم) الضبابي من (عقل) زوجها أشيم، لكن الدية على العاقلة والكفَّارة على القاتل. ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ إلا أن يتصدقوا عليه بالدِّية (أي يعفو عنه)، والتقدير: فعليه دِية في كل حال إلا في حال التصدّق عليه بها.

﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ فإن كان المقتول خطأ من قوم أعداء لكم أي كَفَرَة فالعدو يطلق على الجمع ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي المقتول مؤمن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ يعني إذا أسلَم الحربي في دار الحرب ولم يهاجر إلينا فقتله مسلم خطأ تَجِب الكفَّارة بقتله (للعصمة المؤثمة) وهي الإسلام، ولا تَجِب الدِّية لأن العصمة المقوّمة بالدار ولم توجد ﴿وَإِن كَانَ﴾ أي المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾ بين المسلمين ﴿وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي وإن كان المقتول ذمّيًا فحُكمه حُكم المسلم، وفيه دليل على أن دية الذِّمِّي كدِيَة المسلم وهو قولنا: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة أي لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قبولًا من الله ورحمة منه، مَن تاب الله عليه إذا قَبِل توبته يعني شرع ذلك توبة منه، أو فليتب توبة فهي نصب على المصدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما أمر ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قدَّر.

يقال: لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ. اهـ. **قوله: (أشْيَم)** - بشين معجمة وياء تحتية مثناة - الضبابي - بضاد معجمة وباء موحدة - **قوله: (عَقْل)** أي دية. **قوله: (أي يعفو عنه)** يعني أنّ معنى التصدّق هٰهنا العفو؛ لأن ذلك إسقاط الحق وإسقاطٌ يسمّى عفوًا.

قوله: (للعصمة المؤثِمة)... الخ. عصمة الدم وهي حرمة تعرّضه بالإتلاف حقًّا له ولصاحب الشرع على نوعين مؤثمة، وهي التي توجب الإثم على تقدير التعرّض للدَّم، ولا توجب الضمان أصلًا، ومقوّمة وهي التي توجب الإثم والضمان جميعًا على تقدير التعرّض، ثم إن كان التعرّض عمدًا، فالضمان هو القصاص، وإنْ كان خطأً، فالدية والإثم يرتفع عن العصمتين بالكفارة إن كان القتل خطأ، وبالتوبة والاستغفار إن كان عمدًا. اهـ محشي.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ حال من ضمير القاتل أي قاصدًا قتله لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحِلًا لقتله وهو كفر أيضًا ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي إن جازاه. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هي جزاؤه إن جازاه» والخلود قد يُراد به طول المقام. وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ (كُتِبَ) عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي (ٱلْقَتْلَى)﴾ [البقرة: الآية ١٧٨]: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أي انتقم منه وطرده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ لارتكابه أمرًا عظيمًا (وخطبًا جسيمًا). في الحديث «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سرتم في طريق الغزو ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ («فتثبتوا»: **حمزة وعلي**) وهما من التفعّل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر وثباته (**ولا تتهوكوا فيه**) ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ («**السلم**»: **مدني وشامي وحمزة**) وهما (**الاستسلام**). وقيل: الإسلام. وقيل: التسليم هو تحية أهل الإسلام. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ في موضع النصب بالقول. ورُوِيَ أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره، فغزتهم سَرِيَّة لرسول الله ﷺ

قوله: (﴿كُتِبَ﴾) [البقرة: الآية ١٧٨] أي فرض. **قوله:** (﴿ٱلْقَتْلَى﴾) [البقرة: الآية ١٧٨] جمع قتيل. **قوله:** (**خطبًا جسيمًا**) أي أمرًا عظيمًا.

قوله: (**فتثبتوا**) بثاء مثلّثة بعدها باء موحدة بعدها تاء مثناة فوقية من التثبّت (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بياء موحّدة وياء مثناة تحت ونون من التبيين. **قوله:** (**ولا تتهوّكوا فيه**) التهوّك التحيّر. **قوله:** (**السَّلم**) بفتح اللام من غير ألف بعدها (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة**)، والباقون بالألف. **قوله:** (**الاستسلام**)

فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيل (**ألجأ غنمه**) إلى (**منعرج**) من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا إله إلّا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فقتله (**أسامة بن زيد**) واستاق غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ (**فوجد وجدًا**) شديدًا وقال: «قتلتموه إرادة ما معه» ثم قرأ الآية على أسامة. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطلبون الغنيمة التي هي (**حطام**) سريع النَّفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبّت وقلّة البحث عن حال مَن تقتلونه. والعرض: المال، سُمّي به لسرعة فنائه. و«تبتغون» حال من ضمير الفاعل في «تقولوا» ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يغنّمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوّذ به من التعرّض له لتأخذوا ماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطّلاع على (**مواطأة**) قلوبكم لألسنتكم، والكاف في «كذلك» خبر «كان» وقد تقدَّم عليها وعلى اسمها ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان فافعلوا بالداخلين في

والانقياد. **قوله: (ألجأ غنمه)** أي ساقها. **قوله: (مُنْعَرَج)** - بفتح الراء - أي مُنْعَطف.

قوله: (أُسامة بن زيد) بن حارثة بن شراحيل، أمّه أُمّ أيمن حاضنة النبيّ ﷺ، فهو وأيمن أخوان لأمّ، يُكْنى أُسامة: أبا محمد، وقيل: أبو زيد، وقيل: أبو يزيد، وقيل: أبو خارجة، وهو مولى رسول الله ﷺ من أبويه، كان يسمّى حِبّ رسول الله ﷺ. روى ابن عمر أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ أُسامة بن زيد لأحبّ الناس إليّ أو من أحبّ الناس إليّ، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم، فاستوصوا به خيرًا**»، واستعمله النبيّ ﷺ وهو ابن ثماني عشر سنة. توفي آخر أيام معاوية رضي الله عنه سنة ثمان أو تسع وخمسين، وقيل: توفي سنة أربع وخمسين. قال أبو عمر: وهو عندي أصح، وقيل: توفي بعد قتل عثمان بالجرف، وحُمِل إلى المدينة.

قوله: (فوجد وَجْدًا) أي حَزِن حُزْنًا. **قوله: (حطام)** في تاج العروس: حطام الدنيا كلّ ما فيها من مالٍ يفنى ولا يبقى.اهـ. وفي الاختري الكبير: حطام الدنيا فوائدها، وفي غياث اللغات: حطام - بضمّ أول - كنايه ازاندك مال دنيا.اهـ. يعني: أنه كناية عن مال الدنيا القليل. **قوله: (مواطأة)** أي موافقة.

الإسلام كما فعل بكم ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ كرر الأمر بالتبين ليؤكد عليكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ **(فلا تتهافتوا)** في القتل وكونوا مُحترزين مُحتاطين في ذلك.

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥﴾

(﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾) عن الجهاد ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ بالنصب: **(مدني وشامي)** وعليّ لأنه استثناء من القاعدين، أو حال منهم. **(وبالجرّ عن حمزة)** صفة للمؤمنين، **(وبالرفع غيرهم)** صفة للقاعدين. والضرر المرض أو **(العاهة)** من **(عمى)** أو عرج أو **(زمانة)** أو نحوها ﴿وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾ عطف على «القاعدون». ونفى التساوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وإن كان معلومًا، توبيخًا للقاعد عن الجهاد وتحريكًا له عليه ونحوه ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: الآية ٩] فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرّضا بالجهل ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ ذكر هذه الجملة بيانًا للجملة الأولى وموضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل: ما لهم لا يستوون؟ فأُجيب بذلك ﴿دَرَجَةٗۚ﴾ نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل: فضَّلهم تفضلة كقولك **(«ضربه سوطًا)**. ونصب ﴿وَكُلّٗا﴾ أي وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لأنه مفعول أول لقوله ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ والثاني ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي

قوله: (فلا تتهافتوا) أي لا تتساقطوا من قولهم: تهافت الفراش أي تساقط.

قوله: (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. **قوله: (وشامي)** أي ابن عامر الشامي. **قوله: (وبالجرّ عن حمزة)** شاذًا. **قوله: (وبالرفع غيرهم)** أي ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب رحمهم الله. **قوله: (العاهة)** الآفة. **قوله: (عمًى)** العمى ذهاب البصر. **قوله: (زمانة)** في مختار الصحاح: الزَّمانة آفة في الحيوانات، ورجلٌ زَمِن أي مُبْتلًى بيّن الزّمانة، وقد زَمِنَ من باب سَلِم. اهـ. وفي المصباح: زَمِن الشخص زمنًا وزمانة، فهو زَمِنٌ مِن باب تعب، وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا، والقوم زَمْنى مثل مرضى. اهـ. **قوله: (ضربه سوطًا)** بمعنى ضربه ضربة؛ لأن السوط واحد.

المثوبة الحُسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضَّلين على القاعدين درجة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ بغير عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ قيل: **(انتصب)** «أجرًا» بـ فضّل لأنه في معنى أجرهم أجرًا و«درجات ومغفرة ورحمة» بدل من «أجرًا» أو انتصب «درجات» نصب «درجة» كأنه قيل: فضَّلهم تفضيلات كقولك: «ضربه أسواطًا» أي ضربات، و«أجرًا عظيمًا». على أنه حال من النكرة التي هي «درجات» مقدّمة عليها. و(**«مغفرة ورحمة». بإضمار فعلهما)** أي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة. وحاصله أن الله تعالى فضَّل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبي ﷺ اكتفاء بغيرهم درجات لأن الجهاد فرض كفاية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ بتكفير العذر ﴿رَّحِيمًا﴾ بتوفير الأجْر.

ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين إلى بدر مرتدًّا فقتل كافرًا:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يجوز أن يكون ماضيًا لقراءة مَن قرأ «توفتهم» ومضارعًا بمعنى تتوفاهم، وحذفت التاء الثانية لاجتماع التاءين. والتوفِّي: قبض الروح، والملائكة: ملك الموت وأعوانه ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ حال من ضمير المفعول في «توفاهم» أي في حال ظلمهم أنفُسَهم بالكفر وترك الهجرة ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة للمتوفَّيْن ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في أيّ شيء كنتم في أمر دينكم؟ ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين. ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن الهجرة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مكة فأخرجونا كارهين ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الملائكة موبِّخين لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله ﷺ. ونصب

قوله: (انتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما) لا بالعطف على أجر، أو إن صحّ من جهة المعنى لِما فيه من تخلّل ذي الحال بين الأحوال المتعاطفة.

«فتهاجروا» على جواب الاستفهام ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ خبر «إن» «فأولئك» ودخول الفاء لما في «الذين» من الإبهام المشابه بالشرط، أو «قالوا فيمَ كنتم» والعائد محذوف أي قالوا لهم، والآية تدل على أن مَنْ لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب وعلم أنه يتمكن من إقامته في غيره حقّت عليه المهاجرة. وفي الحديث «مَن فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرًا من الأرض (**استوجبت**) له الجنة» وكان (**رفيق أبيه إبراهيم ونبيّه محمد ﷺ**).

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ في الخروج منها لفقرهم وعجزهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ولا معرفة لهم بالمسالك. «ولا يستطيعون» صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان. وإنما جاز ذلك ـ والجمل نكرات ـ لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس بشيء بعينه كقوله:

(**ولقد أمر على اللئيم يسبني**)

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ و«عسى» وإن كان للإطماع فهو من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع أنجز. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ لعباده قبل أن يخلقهم.

قوله: (**استوجبت**) معناه وجبت، وحقيقته طلبت له الوجوب، ورُوِي معلومًا ومجهولًا. **قوله:** (**رفيق أبيه إبراهيم ونبيّه محمد ﷺ**) بناء على أن الخطاب للعرب وأكثرهم ولد إسماعيل على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام. وأمّا جعل ضمير أبيه للنبيّ ﷺ، فليس بشيء. اهـ شهاب.

قوله:

(ولقد أمر على اللّئيم يسبني) فمضيت ثمّة قلت لا يعنيني

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾ مهاجرًا وطريقًا يُراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أُنوفهم، والرغم: الذل والهوان، وأصله لُصُوق الأنف بالرغام وهو التراب. يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلّة تلحقه بذلك ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق أو في إظهار الدين أو في الصدّ لتبدّل الخوف بالأمن ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ حال من الضمير في «يخرج» ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى حيث أمر الله ورسوله ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على «يخرج» ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي حصل له الأجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شيء يجب على الله لأحد من خلقه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ قالوا: كل هجرة لطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدًا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله، ورسوله، وإن أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها، فالضرب في الأرض هو السفر ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج ﴿أَن تَقْصُرُوا۟﴾ في أن تقصروا ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين، وظاهر الآية يقتضي أن القصر **(رخصة)** في السفر والإكمال **(عزيمة)** كما قال **(الشافعي)** رحمه الله، لأن «لا جناح» يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع العزيمة وقلنا: القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الإكمال لقول **(عمر)** رضي الله عنه: صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ. وأما الآية فكأنهم أَلِفوا الإتمام فكانوا مَظَنَّة لأن يخطر ببالهم أن عليهم

قوله: (رخصة) الرخصة اسم لما تغيّر عن الحكم الأصلي بعارض إلى تخفيف ويسر. **قوله: (عزيمة)** العزيمة اسم لما هو أصل المشروعات غير متعلّق بالعوارض. **قوله: (الشافعي)** محمّد بن إدريس الإمام العَلَم، وُلِد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة أربع ومائتين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (عمر) بن الخطّاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغّر ـ ابن عبد العزّى بن رياح ـ بتحتانية ـ ابن عبد الله بن قُرْط ـ بضم القاف ـ ابن رِزاح ـ براء ثم زاي

نقصانًا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ إن خشيتم أن يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو أخذ، والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص، وعند الجمهور ليس بشرط لما رُوِيَ عن **(يعلىٰ بن أمية)** أنه قال لعمر: ما بالنا نقصر وقد أمنّا؟ فقال: عجبت مما تعجبتُ منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته». وفيه دليل على أنه لا يجوز الإكمال في السفر لأن التصدّق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد، وإن كان المتصدق ممّن لا تلزم طاعته كولي القصاص إذا عفا فمن تلزم طاعته أولى، ولأن حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: الآية ٣٣]. دليله قراءة عبد الله «من الصلاة أن يفتنكم» أي لئلا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الأحوال وهو أن يُومىء على الدابة عند الخوف، أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ فتحرّزوا عنهم.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِيهِمْ﴾ في أصحابك ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فأردت أن تُقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف

خفيفة ـ ابن عديّ بن كعب القرشيّ العدويّ أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب، استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصف رضي الله تعالى عنه.

قوله: (يعلىٰ بن أميّة) بن أبي عبيدة بن هُمام التميمي حليف قريش، وهو يعلى ابن مُنْية ـ بضم الميم وسكون النون بعدها تحتانية مفتوحة ـ وهي أمّه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين. اهـ تقريب.

بعده ﷺ وقال: الأئمة **(نواب)** عن رسول الله ﷺ في كل عصر فكان الخطاب له متناولاً لكل إمام كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]. دليله فعل الصحابة ﷺ بعده ﷺ ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصَلِّ بهم وتقوم طائفة تجاه العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي الذين **(تجاه العدو)**. عن ابن عباس ﷺ: وإن كان المراد به المُصَلِّين فقالوا: يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف **(والخنجر)** ونحوهما ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ أي قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ أي إذا صلَّت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ليقفوا **(بإزاء العدو)** ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ﴾ في موضع رفع صفة لـ «طائفة» ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ أي ولتحضر الطائفة الواقفة بإزاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ﴾ ما يتحرَّزون به من العدو كالدرع ونحوه ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جمع سلاح وهو ما يقاتل به. وأخذ السلاح شرط عند الشافعي ﷺ، وعندنا مُستحبّ، **(وكيفية صلاة الخوف معروفة)** ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

قوله: (نوّاب) جمع نائب مثل كافر وكفّار. **قوله: (تجاه العدوّ)** ـ بالضمّ ـ بمعنى في مقابلته. **قوله: (الخنجر)**. اهـ مختار الصّحاح. **قوله: (بإزاء العدوّ)** أي مقابلة العدوّ. **قوله: (وكيفية صلاة الخوف معروفة)**. في الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان صاحب القدر الأفخم رضي الله تعالى عنه:

كيفيةُ صلاة الخوف إن كان الإمام والقوم مسافرين، فإن لم يتنازع القوم في الصلاة خلفه، فالأفضل للإمام أن يجعل القوم طائفتين، فيأمر طائفة ليقوموا بإزاء العدوّ ويصلّي بالطائفة التي معه تمام الصلاة، ثم يأمر رجلًا من الطائفة التي بإزاء العدوّ أن يصلّي معهم تمام صلاتهم أيضًا، وإن تنازع كل طائفة، فقالوا: إنّا نصلّي معك يجعل القوم طائفتين: يقف أحدهما بإزاء العدوّ ويصلّي مع الطائفة التي معه ركعة، ثم تذهب هذه الطائفة إلى العدوّ وتجيء الطائفة التي كانت بإزاء العدوّ، والإمام قاعدٌ ينتظرهم، فيصلّي بهم الركعة الأخرى، ثم يتشهّد ويسلّم ولا يسلّم معه مَنْ خلفه، ولكن يذهبون إلى العدوّ، ثم تجيء الطائفة الأُولى مكان صلاتهم فيقضون ركعة بغير قراءة، فإذا صلّوا ركعة قعدوا قدر التشهّد ويسلّمون ويذهبون إلى العدوّ ثم تجيء الطائفة الأخرى مكان صلاتهم، فيقضون ركعة بقراءة. وإن كان

﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ أي تمنّوا أن ينالوا منكم (غرّة) في صلاتكم

الإمام والقوم مقيمين، والصلاة من ذوات الأربع، تقوم طائفة بإزاء العدوّ ويفتتح الصلاة بالطائفة التي معه، فيصلّي بهم ركعتين ويقعد قدر التشهّد، ثم تذهب هذه الطائفة بإزاء العدوّ وتجيء الطائفة الأخرى التي كانت بإزاء العدوّ والإمام قاعد ينتظر مجيئهم، فيصلّي بهم ركعتين ثم يتشهّد ويُسلّم ولا يسلّم معه الطائفة الثانية، بل يذهبون بإزاء العدوّ، ثم تجيء الطائفة الأولى فيصلّون ركعتين بغير قراءة ويسلّمون ويقفون بإزاء العدوّ، ثم تجيء الطائفة الثانية، فيصلّون ركعتين بقراءة. وإن كان الإمام مقيمًا والقوم مسافرين أو مقيمين ومسافرين، فالجواب فيه كالجواب فيما إذا كان الكلّ مقيمين، وإن كان الإمام مسافرًا والقوم مقيمين صلّى بالطائفة التي معه ركعة ثم انصرفوا بإزاء العدوّ وصلّى بالطائفة الثانية ركعة وسلّم، ثم تجيء الطائفة الأولى فيصلون ثلاث ركعات بغير قراءة، لأنهم مُدركون فإذا أتمّت الطائفة الأُولى صلاتهم انصرفوا بإزاء العدوّ، وتجيء الطائفة الثانية إلى مكان صلاتهم، فيصلّون ثلاث ركعات: الأولى بفاتحة الكتاب وسورة، لأنهم مسبوقون فيها، والأُخريين بفاتحة الكتاب. وإن كان الإمام مسافرًا والقوم مقيمين ومسافرين صلّى الإمام بالطائفة الأُولى ركعة ثم انصرفوا بإزاء العدوّ، وجاءت الطائفة الثانية وصلّى بهم ركعة، فمن كان مسافرًا خلف الإمام بقي إلى تمام صلاته ركعة. ومن كان مقيمًا بقي إلى تمام صلاته ثلاث ركعات، ثم ينصرفون بإزاء العدوّ وترجع الطائفة الأُولى إلى مكان الإمام، فمن كان مسافرًا يصلّي ركعة بغير قراءة؛ لأنه مدرك أوّل الصلاة، ومَنْ كان مقيمًا يصلّي ثلاث ركعات بغير قراءة في ظاهر الرواية، فإذا أتمّت الطائفة الأُولى صلاتهم ينصرفون بإزاء العدوّ وتجيء الطائفة الثانية إلى مكان صلاتهم، فمَنْ كان مسافرًا يصلّي ركعة بقراءة؛ لأنه مسبوق، ومن كان مقيمًا يصلّي ثلاث ركعات: الأُولى بفاتحة الكتاب وسورة؛ لأنه كان مسبوقًا فيها، وفي الأُخريين بفاتحة الكتاب على الروايات كلّها، ولا فرق بين أن يكون العدوّ مستقبل القبلة أو مستدبرها، هكذا في المحيط، انتهت. وأيضًا فيها: وفي المغرب يصلّي بالطائفة الأُولى ركعتين وبالثانية ركعة، انتهت. وأيضًا فيها: صلاة الخوف تجوز في الجمعة والعيدين، كذا في السراجية، انتهت. **قوله: (غرّة)** الغِرّة ـ بالكسر ـ الغفلة عن العدوّ.

﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ فيشدون عليكم (**شدة واحدة**) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا﴾ في أن تضعوا ﴿أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ رخص لهم في وضع الأسلحة إن (**ثقل**) عليهم حملها بسبب ما يبلّهم من مطر أو يضعفهم من مرض، وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا (**فيهجم**) عليهم العدو ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم وإنما هو تعبّد من الله تعالى.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي داوموا على ذكر الله في جميع الأحوال، أو فإذا أردتم أداء الصلاة فصلّوا قيامًا إن قدرتم عليه، وقعودًا إن عجزتم عن القيام، ومضطجعين إن عجزتم عن القعود ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ سكنتم بزوال الخوف ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فأتمّوها بطائفة واحدة أو إذا أقمتم فأتمّوا ولا تقصروا، أو إذا اطمأننتم بالصحة فأتمّوا القيام والركوع والسجود ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ مكتوبًا محدودًا بأوقات معلومة.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا ولا تتوانوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال والتعرّض به لهم. ثم ألزمهم الحجة بقوله: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أي ليس ما تجدون من الألم بالجرح والقتل مختصًا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم، يصيبهم كما يصيبكم، ثم

قوله: (شَدّة واحدة) الشدّة والحَمْلة بمعنى، وهي الوثوب للقتال دفعةً واحدة. **قوله: (ثقل)** في المصباح: ثَقُل الشيء بالضم ثقلًا وزان عنب، ويسكن للتخفيف، فهو ثقيل. اهـ. **قوله: (فيهجم)** في المصباح: هجمت عليه هجومًا من باب قعد دخلت بغتة على غفلة منه. اهـ.

إنهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم **(أجدر)** منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان، ومن الثواب العظيم في الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يجد المؤمنون من الألم ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبير أمورهم.

رُوِيَ أن **(طعمة)** بن أبيرق ـ أحد **(بني ظَفَر)** ـ سرق درعًا من جار له اسمه **(قتادة بن النعمان)** في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه و**(خبأها)** عند زيد بن السمين ـ رجل من اليهود ـ فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال: دفعها إليَّ طعمة وشهد له ناس من اليهود. فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ **(فسألوه أن يجادل عن صاحبهم)** وقالوا: إن

قوله: (أجدر) أي أوْلى. **قوله: (طعمة)** بفتح الطاء المهملة وكسرها رواية، وسكون العين المهملة. وفي القاموس: إنها بضمّ الطاء، وفي كتب الحديث أنه مثلّث الطاء والكسر أشهر. ابن أُبيرق ـ بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء التحتية وكسر الراء ـ تصغير أبرق، فهو ممنوع من الصرف. **قوله: (بني ظفر)** ـ بفتح الظاء المعجمة والفاء ـ حيّ من الأنصار. **قوله: (قتادة بن النعمان)** بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوْس الأنصاريّ الأوسي ثم الظفري، يُكْنى أبا عمر، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأُمّه، شَهِد العقبة وبدرًا وأُحدًا والمشاهد كلّها مع النبيّ ﷺ، وأُصيبت عينه يوم بدر، وقيل: يوم أُحد، وقيل: يوم الخندق، قال أبو عمرو: الأصح ـ والله أعلم ـ أن عين قتادة أُصيبت يوم أُحد فردَّها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينَيْه، وكان قتادة من فضلاء الصحابة. توفي سنة ثلاث وعشرين، وهو ابن خمس وستين سنة، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب ونزل في قبره أبو سعيد الخدري ﷺ. **قوله: (خبأها)** أي الدّرع، لأنها[1] مؤنّثة سماعية. وأمّا درع المرأة، فمذكّر، أي قميصها. وخبأ من باب قطع، أي ستر. **قوله: (فسألوه أن يجادل عن صاحبهم)**، لأن الحال شاهدة له؛ إذ السرقة في يد اليهودي، واليهود متّهمون

(١) أي درع الحديد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرىء اليهودي **(فهم رسول الله ﷺ أن يفعل)** فنزل:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقًّا ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ بما عرفك وأوحى به إليك. وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله: بما ألهمك بالنظر في أصوله المنزلة، وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ لأجل الخائنين ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصمًا أي ولا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم لأن الضرر راجع إليهم، والمراد به طعمة ومَن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق، أو ذكر بلفظ الجمع ليتناول طعمة وكل مَن خان خيانته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ وإنما قيل بلفظ المبالغة لأنه تعالى عالِم من طعمة أنه مُفْرط في الخيانة وركوب المآثم. ورُوِي أن طعمة هرب إلى مكة وارتدّ ونقب حائطًا بمكة **(ليسرق أهله)** فسقط الحائط عليه فقتله. وقيل: إذا **(عثرت)** من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أُمه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعفُ عنه، فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة.

بالزور وعداوة الأنصار. **قوله: (فهمّ رسول الله ﷺ أن يفعل)** أي همّ بأن يحكم بظاهر الحال اعتمادًا على صدقهم، لا أنه عَلِم براءة اليهوديّ وهمّ بخلافه، فإنّ مقامه ﷺ أجلّ وأعلى من ذلك، وفي إمضاء شهادة اليهود على طعمة وهو مسلم ما يحتاج إلى التأويل.

قوله: (ليسرق أهله) أي متاع أهله؛ كقوله: يا سارق الليلة أهل الدّار. **قوله: (عثرت)** في المصباح: عَثَر عليه عثرًا من باب قتل، وعثورًا اطّلع عليه. اهـ.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ حياء منهم وخوفًا من ضررهم ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يستحيون منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ وهو عالم بهم مُطّلع عليهم لا يخفى عليه خافٍ من سرهم، وكفى (**بهذه الآية ناعية**) على الناس ما هم فيه من قلّة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنهم في حضرته لا سترة ولا غيبة ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون وأصله أن يكون ليلًا ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد (**ليسرق**) دونه ويحلف أنه لم يسرقها، وهو دليل على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سُمّي التدبير قولًا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عالِمًا علم إحاطة.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ «ها» للتنبيه في «أنتم» و«أولاء» وهما مبتدأ وخبر ﴿جَٰدَلْتُمْ﴾ خاصمتم وهي جملة مبينة لوقوع «أولاء» خبرًا كقولك لبعض الأسخياء «أنت حاتم تجود بمالك». أو «أولاء» اسم موصول بمعنى «الذين» و«جادلتم» صلته والمعنى: (هبوا) أنكم خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة وقومه ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فمَن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه؟ (**وقرىء «عنه»**) أي عن طعمة ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حافظًا ومحاميًا من بأس الله وعذابه.

قوله: (**بهذه الآية**) الباء زائدة. **قوله:** (**ناعيةً**) أي منادية. **قوله:** (**ليُسَرّق**) أي لينسب إلى السرقة زيد اليهوديّ دون طعمة.

قوله: (**هِبُوا**) أي احسبوا. **قوله:** (**وقرىء «عنه»**) قارئه عبد الله رضي الله تعالى عنه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ ذنبًا دون الشرك ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بالشرك أو سوءًا قبيحًا يتعدّى ضرره إلى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودي، أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يسأل مغفرته ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لأن وباله عليها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فلا يعاقب بالذنب غير فاعله ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو كبيرة، أو الأول ذنب بينه وبين ربه، والثاني ذنب في مظالم العباد ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ كما رمى طعمة زيدًا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا﴾ كذبًا عظيمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ذنبًا ظاهرًا، وهذا لأنه بكسب الإثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الأمرين، والبهتان كذب يبهت مَن قيل عليه ما لا علم له به.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي عصمته ولطفه من الاطّلاع على سرّهم ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من بني ظفر، أو المراد بالطائفة بنو ظفر الضمير في «منهم» يعود إلى الناس ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق و(توخي) طريق العدل مع علمهم بأن الجاني صاحبهم ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والسُّنّة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من أمور الدين والشرائع أو من خفيّات الأمور وضمائر القلوب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ فيما علّمك وأنْعَم عليك.

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ من تناجي الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا نجوى من أمر، وهو مجرور بدل من «كثير» أو من «نجواهم» أو منصوب على

قوله: (توخّى) أي تحرّى وقصد.

الانقطاع بمعنى ولكن مَن أمر بصدقة ففي نجواه الخير ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ أي فرض أو إغاثة **(ملهوف)** أو كل جميل، أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي إصلاح ذات البين ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ طلب رضا الله وخرج عنه مَن فعل ذلك رياءً أو ترؤسًا وهو مفعول له. والإشكال أنه قال «إلا مَن أمر» ثم قال و«من يفعل ذلك» والجواب أنه ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل، ثم قال: «ومن يفعل ذلك» فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم. أو المراد ومَن يأمر بذلك فعبَّر عن الأمر بالفعل ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(«يؤتيه»: أبو عمرو وحمزة)**.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ ومَن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي، وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسُّنَّة، لأن الله تعالى جمع بين اتِّباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط، وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتّباعهم واجبًا كموالاة الرسول ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله واليًا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ في العقبى ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ قيل: هي في طعمة وارتداده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

(﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ **مرَّ تفسيره)** في **(هذه الصورة)** ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الصواب.

قوله: (ملهوف) أي مظلوم. **قوله: (يؤتيه)** بالياء المثناة تحت **(أبو عمرو وحمزة)**. والباقون بنون العظمة.

قوله: (مرّ تفسيره) في **(هذه الصورة)** وهو (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾) إن مات عليه (﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾) أي ما دون الشّرك، وإنْ

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ ما يعبدون من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ جمع أُنثى وهي اللات والعزَّى ومناة، ولم يكن **(حيّ)** من العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أُنثى بني فلان. وقيل: كانوا يقولون في أصنامهم هنَّ بنات الله ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا﴾ لأنه هو الذي أغراهم على عبادة الأصنام فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ﴿مَّرِيدًا﴾ خارجًا عن الطاعة عاريًا عن الخير ومنه **(الأمرد)**.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ﴾ صفتان يعني شيطانًا مريدًا **(جامعًا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع)** ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا واجبًا لي في كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد لله.

كان كبيرة مع عدم التوبة، فالحاصل أنّ الشِّرك مغفورٌ عنه بالتوبة، وإن وعد غفران ما دونه لمن لم يتب، أي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب، قال عليه السلام: «**من لَقِي الله تعالى لا يُشرك به شيئًا دخل الجنّة، ولم يضرّه خطيئته**»، وتقييده بقوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لا يُخرجه عن عمومه؛ كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [الشورى: الآية ١٩]، وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: ما في القرآن آية أحبّ إليَّ من هذه الآية. وحَمْل المعتزلة على التائب باطل، لأن الكفر مغفور عنه بالتوبة؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] فما دونه أوْلى أن يُغفر بالتوبة، والآية سيقت لبيان التفرقة بينهما، وذا فيما ذكرنا.اهـ بحروفه رحمة الله عليه.

قوله: (حيّ) أي قبيلة. **قوله: (الأمرد)** متجرّد الوجه عن الشعر.

قوله: (جامعًا بين لعنة الله، وهذا القول الشنيع)، فإن الواو الواقعة بين الصفات إنما تفيد مجرّد الجمعية.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ بالدعاء إلى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان إنفاذ الضلالة إليه لأضلّ الكل ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ولألقين في قلوبهم الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ البتك: القطع. والتبتيك للتكثير والتكرير أي لأحملنّهم على أن يقطعوا آذان الأنعام، وكانوا يشقّون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرًا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ **(بفقء عين الحامي وإعفائه)** عن الركوب، **(أو بالخصاء)** وهو مُباح في البهائم محظور في بني آدم، **(أو بالوشم)** أو بنفي الأنساب واستلحاقها، أو بتغيير الشيب بالسواد، أو بالتحريم والتحليل، **(أو)** بالتخنث، أو بتبديل فطرة الله التي هي دين الإسلام لقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: الآية ٣٠]. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وأجاب إلى ما دعاه إليه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ في الدارين.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾

﴿يَعِدُهُمْ﴾ يوسوس إليهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو أن يرى شيئًا يظهر خلافه.

قوله: (بفقء عين الحامي) كانت العرب إذا بلغت إبل أحدهم ألفًا عوّروا عين فحلها، والفَقْء القلع، والحامي الفحل الذي طال مَكْثه عندهم. **قوله: (وإعفائه)** أي تركه، **قوله: (أو بالخصاء)** في المصباح: خصيت العبد أخصيه خصاء ـ بالكسر والمد ـ سللت خصييه، فهو خصيّ فعيل بمعنى مفعول، مثل جريح وقتيل، والجمع خِصْيان. اهـ.

قوله: (أو بالوشم) الوشم أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بكحل أو نيلَج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضرّ. **قوله:** (أو) بالتخنّث، أي التشبيه بالنساء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ **(معدلًا ومفرًا)**.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يتبعوا الشيطان في الأمر بالكفر ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وقرأ **(النخعي)** «سيدخلهم» ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ قولًا وهو استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث، وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ﴾ ولا على شهوات اليهود والنصارى **(حيث قالوا:** ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: الآية ١٨]،

قوله: (معدلًا ومفرًا) يعني: أن المحيص اسم مكان أو مصدر ميميّ من حاص يحيص.

قوله: (النخعي) أي إبراهيم النخعي أحد الأئمّة المشاهير، تابعي رأى عائشة رضي الله تعالى عنها ودخل عليها، ولم يثبت له سماع منها. توفي سنة ستّ، وقيل: خمس وتسعين للهجرة، وله تسع وأربعون سنة، وقيل: ثمان وخمسون سنة، والأوّل أصح. ونسبته إلى النخع ـ بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة ـ وهي قبيلة كبيرة من مذحج ـ باليمن ـ رضي الله تعالى عنه.

قوله: (حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا اللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ١٨]) افتراء عظيم (﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: الآية ١٨]) كعطف تفسير، والأحبّاء جمع حبيب بمعنى مُحِبّ

﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: الآية ٨٠]). ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ أي من المشركين وأهل الكتاب بدليل قوله: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وهذا وعيد للكفار لأنه قال بعده:

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ﴾ فقوله: «وهو مؤمن» حال و«من» الأولى للتبعيض، والثانية لبيان الإبهام في «مَن يعمل»، وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ («**يُدخَلون**»: **مكي وأبو عمرو وأبو بكر**) ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر النقير وهو النقرة في ظهر النواة والراجع في ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ لعمال السوء وعمال الصالحات جميعًا. (**وجاز أن يكون ذكره**) عند أحد الفريقين دليلًا على ذكره عند الآخر. وقوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ﴾، وقوله: «ومن يعمل من الصالحات». بعد ذكر تمنّي أهل الكتاب كقوله: «بلى مَن كسب سيئة وأحاطت به خطيئته»، وقوله: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات». عقيب قوله: «وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة».

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربًا ولا معبودًا سواه ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٌ﴾ عامل للحسنات ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ

أو محبوب، والمراد هنا الثاني. **قوله**: (﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: الآية ٨٠]) أربعين يومًا عدد أيام عبادة العجل. وعن مجاهد: كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذّب مكان كل ألف سنة يومًا، كذا أفاده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة البقرة.

قوله: (**يدخلون**) بضم حرف المضارعة وفتح الخاء مبنيًا للمفعول (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو وأبو بكر**)، والباقون بفتح حرف المضارعة وضمّ الخاء مبنيًا للفاعل. **قوله**: (**وجاز أن يكون ذكره**) أي ذكر قوله: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النساء: الآية ٤٩].

﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلًا عن الأديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من إبراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ هو في الأصل (**المخال**) وهو الذي يخالك أي يوافقك في (**خلالك**)، أو يُداخلك (**خلال**) منزلك، أو يسدّ خللك كما يسدّ خلله، (**فالخلة**) صفاء مودة تُوجب الاختصاص بتخلّل الأسرار، والمحبة أصفى لأنها من حبة القلب وهي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب (**كقوله**: «**والحوادث جمّة**»). وفائدتها تأكيد وجوب اتّباع ملّته وطريقته لأن مَن بلغ من (**الزلفى**) عند الله أن اتخذه خليلًا كان (**جديرًا**) بأن تتبع ملّته وطريقته، ولو جعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث «اتخذ الله إبراهيم خليلًا لإطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام». وقيل: أُوحي إليه إنما اتخذتك خليلًا لأنك تحب أن تعطي ولا تُعطَى. وفي رواية «لأنك تعطي الناس ولا تسألهم».

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (١٢٦) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧)﴾

وفي قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ دليل على أن اتخاذه خليلًا لاحتياج الخليل إليه لا لاحتياجه تعالى إليه لأنه منزه عن ذلك ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ عالمًا ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ ويسألونك الإفتاء في النساء والإفتاء تبيين المُبهم ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾

قوله: (المخالُ دوست). **قوله**: (خِلالك) أي خصالك، والخِلال جمع خِلّة مثل الخصلة وزنًا ومعنًى. **قوله**: (خلال) أي ميانه، **قوله**: (فالخلّة) بالفتح والضمّ لغة. اهـ مصباح. **قوله**: (كقوله) أي امرؤ القيس **قوله**: (والحوادث جمّة) تمامه:

ألَا هَلْ أتاها والحوادث جمّة[1]   بان امرىء القيس ابن تَمْلِكَ بَيْقَرا

تملك اسم أُمّه، وبَيْقَر مات أو انتقل من بلدٍ إلى بلد، والباء في بان مزيدة في الفاعل. **قوله**: (الزُّلفى) القُرْبة. **قوله**: (جديرًا) أي لائقًا.

---

(١) أي كثيرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب أي القرآن في معنى اليتامى يعني قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: الآية ٣]. وهو من قولك: «أعجبني زيد وكرمه» و«ما يتلى» في محل الرفع بالعطف على الضمير في «يفتيكم» أو على لفظ «الله» و«في يتامى النساء» (صلة) «يتلى» أي يتلى عليكم في معناهن. ويجوز أن يكون «في يتامى النساء» بدلاً من «فيهن» والإضافة بمعنى «من» ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها، فإن كانت جميلة تزوّجها وأكل المال، وإن كانت (دميمة عضلها) عن التزوّج حتى تموت فيرثها ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي في أن تنكحوهن لجمالهن أو عن أن تنكحوهن (لدمامتهن) ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ أي اليتامى وهو مجرور معطوف على «يتامى النساء»، وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال (القوام) بالأمور دون الأطفال والنساء ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ﴾ مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا، أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في ميراثهم ومالهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ شرط وجوابه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ أي فيجازيكم عليه.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)﴾

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ (توقعت منه) ذلك لما (لاح) لها من (مخايله) وأماراته. والنشوز أن (يتجافى) عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها

وقوله: (صِلة) أي متعلّق. **قوله:** (دَميمة) ـ بالدال المهملة ـ أي قبيحة. **قوله:** (عَضَلها) أي منعها. **قوله:** (لدِمامتهنّ) ـ بالدال المهملة ـ لقُبْح صورهنّ. **قوله:** (القُوّام) ـ بالتشديد ـ جمع قائم.

قوله: (توقعت منه) استعمال الخوف في التوقع شائع في كلام العرب. **قوله:** (لاح) أي ظهر. **قوله:** (مخايله) ـ بالخاء المعجمة ـ جمع مخيلة، وهي العلامة والأمارة. **قوله:** (يتجافى) أي يتباعد.

بسبٍّ أو ضربٍ ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء في خَلق أو خُلق أو ملال أو (طموح عين) إلى أخرى أو غير ذلك ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ (أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ كوفي. «يصّالحا»: غيرهم) أي يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صادًا وأدغمت. ﴿صُلْحًا﴾ في معنى مصدر كل واحد من الفعلين. ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسًا عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شيء، أو والصلح (﴿خَيْرٌ﴾ من الخيور) كما أن الخصومة شرٌّ من الشرور، وهذه الجملة اعتراض كقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ أي جعل الشّح حاضرًا لها لا يغيب عنها أبدًا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه. والمراد أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بأن يقسم لها إذا رغب عنها، فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته. «وأحضرت» يتعدّى إلى مفعولين والأول «الأنفس». ثم حثَّ على مخالفة الطبع ومتابعة الشرط بقوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ بالإقامة على نسائكم، وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والتقوى ﴿خَبِيرًا﴾ فيُثيبكم عليه. وكان (عمران الخارجي) من (أدمّ) بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت إليه وقالت: الحمد لله على أني وإياك من أهل الجنة. قال: كيف؟ فقالت: لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين.

قوله: (طموح عين) في مختار الصحاح: طمح بصره إلى الشيء ارتفع، وبابه خضع، وطماحًا أيضًا بالكسر. اهـ. **قوله:** (﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾) بضمّ الياء وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف مِنْ أصلح (كوفيّ) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، (يصالحا) بفتح الياء والصاد مشدّدة وبألف بعدهما وفتح اللام (غيرهم). **قوله:** (﴿خَيْرٌ﴾ من الخيور) أي الخيرات، بمعنى المصدر، أي الصفة لا على وجه التفضيل. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (عمران الخارجي) أي عمران بن حِطّان ـ بكسر الحاء وتشديد الطاء المهملتين ـ السدوسيّ، صدوق إلّا أنه كان على مذهب الخوارج، ويقال: رجع عن ذلك. مات سنة أربع وثمانين بعد المائة رحمه الله. **قوله:** (أدَمّ) أي أقبح.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتَّة، فتمام العدل أن يسوِّى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهّد والنظر والإقبال و(**الممالحة والمفاكهة**) وغيرها. وقيل: معناه أن تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحبّ إليه ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ بالَغتم في تحرِّي ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رِضًا منها يعني أن اجتناب كل الميل في حدّ اليُسر فلا تُفْرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله، وفيه ضرب من التوبيخ. و«كل» نصب على المصدر (**لأن له حكم ما يضاف إليه**) ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي التي ليست بذات (**بعل**) ولا مطلقة ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾ بينهنّ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي إن لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرَّقا بالخلع أو بتطليقه إياها وإيفائه مهرها ونفقة عدّتها ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ كل واحد منهما ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ منْ غناه أي يرزقه زوجًا خيرًا من زوجه وعيشًا أهنأ من عيشه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ بتحليل النكاح ﴿حَكِيمًا﴾ بالإذن في (**السراح**)، فالسعة الغِنى والقدرة

قوله: (الممالحة) المواكلة. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (المفاكهة)** الممازحة. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (لأن له حكم ما يضاف إليه)** إن أضيف إلى مصدر كان مصدرًا، وإن أضيف إلى ظرف أو نحوه كان كذلك. **قوله: (بَعْل)** أي زوج.

قوله: (السراح) في مختار الصحاح: تسريح المرأة تطليقها، والاسم السَراح ـ بالفتح ـ. اهـ.

والواسع الغني المقتدر. ثمَّ بيَّن غِناه وقدرته بقوله:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا والمتملّكون عبيده رقًّا. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأُمم السالفة وهو متعلق بـ «وصَّينا» أو بـ «أوتوا» ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ عطف على «الذين أوتوا» ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأن اتقوا أو تكون «أن» المفسّرة لأن التوصية في معنى القول، والمعنى أن هذه وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده ـ ولستم بها مخصوصين» ـ لأنهم بالتقوى يسعدون عنده ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ عطف على «اتقوا» لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعن عبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ مستحقًّا لأن يحمد لكثرة نِعَمه وإن لم يحمده أحد. وتكرير قوله: «لله ما السمٰوات وما في الأرض». تقرير لما هو موجب تقواه لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مُطاعًا في خلقه غير معصي. وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله، وقوله: «وإن تكفروا». عقيب التقوى دليل على أن المراد الاتّقاء عن الشِّرك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ فاتخذوه وكيلًا ولا تتكلوا على غيره.

ثم خوفهم وبيَّن قدرته بقوله:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يعدمكم ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ ويوجد إنسًا آخرين مكانكم أو خلقًا آخرين غير الإنس ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (**بليغ القدرة**)

قوله: (بليغ القدرة) دلّ عليه صيغة فعيل.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فما له يطلب أحدهما دون الآخر **(والذي يطلبه)** أخسّهما ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ للأقوال ﴿بَصِيرًا﴾ بالأفعال وهو وعد ووعيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا ﴿شُهَدَآءَ﴾ خبر بعد خبر ﴿لِلَّهِ﴾ أي تقيمون شهاداتكم لوجه الله ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هي الإقرار على نفسه لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق، وهذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها في الإخبار عن حقّ لأحد على أحد غير أن الدعوى إخبار عن حق لنفسه على الغير، والإقرار للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأُمهاتكم وأقاربكم ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا يمنع الشهادة عليه لغِناه طلبًا لرِضاه ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا يمنعها ترحّمًا عليه ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بالغني والفقير أي بالنظر لهما والرحمة. وإنما ثنّى الضمير في «بهما» وكان حقه أن يوحّد، لأن المعنى إن يكن أحد هذين لأنه يرجع إلى ما دلّ عليه قوله: «غنيًا أو فقيرًا». وهو جنس الغني والفقير كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير أي بالأغنياء والفقراء ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ إرادة ﴿أَن تَعْدِلُوا۟﴾ عن الحق من العدول أو كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل ﴿وَإِن (تَلُوۥٓا۟)﴾ بواو واحدة وضم **(اللام: شامي وحمزة من الولاية)** ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ أي

قوله: (والذي يطلبه)... الخ. حال.

قوله: (﴿تَلْوُۥٓا۟﴾) بواو واحدة ساكنة وضمّ **(اللام: شاميّ)** أي ابن عامر الشامي **(وحمزة من الولاية)** أصله توليوا حذفت الواو الأُولى كما في تعدوا، ثم سلبت ضمّة الباء استثقالًا لها على الياء، فحذفت الياء لاجتماع الساكنين، ثم ضمّت اللام لأجل واو الضمير فصار تلوا.

وإن ولّيتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها. **(غيرهما)**: «تلووا» بواوين **(وسكون اللام من اللّي)** أي وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تُعرِضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازيكم عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب للمسلمين ﴿ءَامَنُواْ﴾ اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه، ولأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرُّسُل وكفروا ببعض، أو للمنافقين أي يا أيها الذين آمنوا نفاقًا آمنوا إخلاصًا ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي محمد ﷺ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي الفرقان ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ أي جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله و«كتبه». **(نزل وأنزل)** بالبناء للمفعول: **(مكي وشامي وأبو عمرو، وعلى البناء للفاعل فيهما: غيرهم)**. وإنما قيل: «نزل على رسوله» و«أنزل من قبل» لأن الفرقان نزل مفرَّقًا **(منجَّمًا في عشرين سنة)** بخلاف الكتب قبله ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي ومَن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ لأن الكفر ببعضه كفر بكله.

قوله: (غيرهما) تلووا بواوين أولاهما مضمومة **(وسكون اللام من اللّي)** أي من لوى يلوي ليًّا.

قوله: (نزل وأنزل) بضم النون والهمز وكسر الزاي فيهما على بنائهما للمفعول والنائب ضمير الكتاب **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(وأبو عمرو)** وبفتح النون والهمز والزاي **(على البناء للفاعل)** وهو الله تعالى **(فيهما: غيرهم)**.

قوله: (منجّمًا) أي على التدريج في ثلاث وعشرين سنة. **قوله: (في عشرين سنة)** الصواب في ثلاث وعشرين، وكأنه قصد التقريب دون التحديد. اهـ تفتازاني رحمه الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى عليه السلام ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى بعد عوده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى عليه السلام ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ إلى النجاة أو إلى الجنة، أو هم المنافقون آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى، وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت يؤيده قوله: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي أخبرهم ووضع بشّر **(مكانه تهكّمًا)** بهم ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصب على الذّم **(أو رفع)** بمعنى أريد الذين أو هم الذين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ كان المنافقون يُوالون الكَفَرَة يطلبون منهم **(المنعة)** والنصرة ويقولون: لا يتم أمر محمد عليه السلام ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ولمَن أعزَّه كالنبي عليه السلام والمؤمنين كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: الآية ٨].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ **(بفتح النون: عاصم. وبضمها: غيره)** ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن، والخوض:

قوله: (مكانه) أي مكان أخبر. **قوله:** (تهكّمًا) أي استهزاءً.

قوله: (أو رفع) على الذمّ. **قوله:** (المَنعة) أي القوّة.

قوله: (بفتح النون) والزاي على بنائه للفاعل (عاصم. وبضمّها) أي بضمّ النون وكسر الزاي مبنيًا للمفعول (غيره).

الشروع و«أن» مخفّفة من الثقيلة أي أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا. والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها و«أن» مع ما في حيّزها في موضع الرفع بـ «نُزل» أو في موضع النصب بـ «نَزل» والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ٦٨]. وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به، فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه، وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فِعْل المشركين بمكة فنُهوا أن يقعدوا معهم كما نُهوا عن مُجالسة المشركين بمكة ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي في الوِزْر إذا مكثتم معهم، ولم يُرِد به التمثيل من كل وجه فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين يتخذون» أو صفة للمنافقين (**أو نصب على الذمّ منهم**) ﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو (**إخفاق**) ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ نصرة وغنيمة ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ مُظاهِرين فأشركونا في الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ سمّى ظفر المسلمين فتحًا تعظيمًا لشأنهم لأنه أمر عظيمٌ (**تفتح له أبواب السماء**)، وظفر الكافرين نصيبًا تخسيسًا لحظّهم لأنه (**لمظة**) من الدنيا يصيبونها ﴿قَالُوٓا۟﴾ للكافرين ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلبكم

قوله: (أو نصب)[1] رفع (**على الذمّ منهم**) أي من المنافقين، وإنما قال: منهم، لئلا يتوهّم أنه نصب على الذمّ من الكافرين، أو من الفريقين جميعًا. **قوله: (إخفاق)** الإخفاق الخيبة وعدم الظَّفر. **قوله: (تفتح له أبواب السماء)** كأنه تمثيل وتخييل لعظم قدره، وإلّا فالظفر ليس مما ينزل من السماء يحتاج إلى فتح أبوابها. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (لُمظة)** اللّمظة ـ بالضمّ ـ الشيء اليسير، كالنكتة

(١) ولم يتعرّض للرفع لظهوره. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ونتمكن من قتلكم (**فأبقينا عليكم**)، والاستحواذ الاستيلاء والغَلَبَة ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن (**ثبطناهم**) عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به (**ومرضوا**) عن قتالكم (**وتوانينا**) في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبًا لنا مما أصبتم ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ أي في القيامة بدليل أول الآية كذا عن علي ﷺ، أو حجة كذا عن ابن عباس ﷺ.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطال الكفر. والمُنافِق مَن أظهَر الإيمان وأبطَن الكفر، أو أولياء الله وهم المؤمنون فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفًا لهم ﴿وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ وهو فاعل بهم ما يفعل المُغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا، وأعدَّ لهم الدَّرك الأسفل من النار في العقبى. والخادِع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه. وقيل: يجزيهم جزاء خداعهم. ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين كراهة، أما الغفلة فقد يُبتَلَى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى في سكران ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ حال أي يقصدون بصلاتهم الرياء والسّمعة. والمرآة مفاعلة من الرؤية لأن المُرائي يُريهم عمله (**وهم يرونه استحسانًا**) ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ولا يصلون إلا قليلًا لأنهم لا يصلّون

من البياض. **قوله: (فأبقينا عليكم)** أي ترحّمنا. وفي الصحاح: أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته. وفيه أيضًا: أرعيت عليه إذا أبقيت عليه ورحمته. **قوله: (ثبطناهم)** في مختار الصحاح: ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. **قوله:** (مرضوا) أي قصروا وجنبوا وفطروا. **قوله:** (تَوانَينا) في المصباح: وَنَى في الأمر وَنًى وَنْيًا من بابي تعب ووعد ضَعُف وفَتر، فهو وانٍ. وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: الآية ٤٢]، وتوانى في الأمر لم يُبادر إلى ضبطه، ولم يهتمّ، فهو مُتَوان، أي غير مهتمّ ولا محتفل. اهـ.

قوله: (وهم يرونه استحسانًا) أي استحسانهم عمله.

(**قطّ**) غائبين عن عيون الناس، أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذِكرًا قليلًا نادرًا. قال الحسن: لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرًا.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ نصب عَلى الذم أي مردَّدين يعني ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم متردّدون بينهما متحيّرون، وحقيقة المذبذب الذي يذبّ عن كِلا الجانبين أي يدفع فلا يقرّ في جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذّبّ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الكفر والإيمان ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ولا منسوبين إلى هؤلاء فيُسَمُّوا مُشرِكين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الهدى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ حجة بيِّنة في تعذيبكم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي في الطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات سُمِّيت بذلك (**لأنها متداركة**) متتابعة بعضها فوق بعض. وإنما كان المنافق أشدّ عذابًا من الكافر لأنه أمِنَ السيف في الدنيا فاستحق الدَّرْك الأسفل في العقبى تعديلًا، ولأنه مثله في الكفر وضمّ إلى كُفره الاستهزاء بالإسلام وأهله. (**والدَّرْك بسكون الراء: كوفي غير الأعشى**)، وبفتح الراء: غيرهم. وهما لغتان، (**وذكر الزّجّاج أن الاختيار فتح الراء**). ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يمنعهم من العذاب.

قوله: (**قطّ**) ـ بفتح القاف وضمّ الطاء مشدّدة ـ أي أبدًا.

قوله: (**لأنها متداركة**) يعني أن الدرك مأخوذ من المُداركة، وهي المتابعة وطبقات النار متتابعة، فلذلك سمّيت دَرَكات. **قوله:** (**والدَّرْك ـ بسكون الراء ـ كوفي غير الأعشى**) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف. والأعشى هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال رحمه الله، يروي عن أبي بكر شعبة عن عاصم رحمه الله. **قوله:** (**وذكر الزجّاج أن الاختيار فتح الرّاء**) عبارة تفسير البيضاوي:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من النّفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في «ولن تجد لهم نصيرًا» ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النِّفاق ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ووثقوا به كما يثق المؤمنون (الخُلَّص) ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم في الدارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيشاركونهم فيه. وحذفت الياء في الخط هنا إتباعًا للفظ. ثم استفهم مقرّرًا أنه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ لله ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به فـ «ما» منصوبة بـ «يفعل» أي أيّ شيء يفعل بعذابكم؟ فالإيمان معرفة المُنعِم، والشكر الاعتراف بالنِّعمة، والكُفْر بالمُنعِم والنِّعمة عناد، فلذا استحقّ الكافر العذاب. وقدّم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النِّعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرًا مبهمًا، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المُنعِم آمَن به ثم شكر شكرًا مفصَّلًا فكان الشُّكر متقدّمًا على الإيمان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ يجزيكم على شُكركم أو يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب ﴿عَلِيمًا﴾ عالِمًا بما تصنعون.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ولا غير الجهر ولكن الجهر أفحش ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبّه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظّالم ويذكره بما فيه من السوء. وقيل: الجهر بالسوء من القول هو الشتم إلا مَن ظلم فإنه إن ردَّ عليه مثله فلا حرج عليه

والتحريك أوجه؛ لأنه يجمع على إدراك. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله: والتحريك أوجه... الخ. يعني أن الفتح أكثر وأفصح، لأنه ورد جمعه على أفعال وأفعال في فعل المحرّك كثير مقيس وروده في الساكن نادر كفرخ وأفراخ وزند وأزناد. **قوله: (الخُلَّص)** جمع خالص، بمعنى المخلص.

(﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ [الشورى: الآية ٤١]) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لشكوى المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾ بظلم الظالم. ثم حَثَّ على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه (**الانتصار بعد ما أطلق الجهر به**) حَثًّا على الأفضل، وذكر إبداء الخير وإخفاءه (تشبيبًا) للعفو فقال: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾ مكان جهر السوء ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ فتعملوه سرًّا ثم عطف العفو عليهما فقال: ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ﴾ أي تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو المقصود بذِكر إبداء الخير وإخفائه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾ أي إنه لم يزل عفوًا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسُنَّته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والإنجيل والقرآن، وكالنصارى كفروا بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أي دينًا وسطًا بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ هم الكاملون في الكفر لأن الكفر بواحد كفر بالكل ﴿حَقّٗا﴾ تأكيد لمضمون الجملة كقولك: «هذا عبد الله حقًّا» أي حق ذلك حقًّا وهو كونهم كاملين في الكفر، أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرًا حقًّا ثابتًا يقينًا لا شك فيه ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ في الآخرة.

قوله: (﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ [الشورى: الآية ٤١])، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: الآية ٤١]. **قوله:** (**الانتصار**) أي الانتقام. **قوله:** (**بعد ما أطلق**) أي جوّز (**الجهر به**) أي بالسوء وأذن فيه وجعله محبوبًا، حيث استثناه من لا يحبّ. **قوله:** (تشبيبًا) أي توطئة وتمهيدًا للعفو، وتشبيب القصيدة تزيينها بما تقدَّم على التخلّص إلى المدح من التغزّل والوصف بالحُسن والجمال، فإن الشاعر يزيّن قصيدته بذكر أوصاف الممدوح ووجوه محاسنه وشمائله، ثم يتخلّص منه إلى ما هو الغرض من المدح.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ) وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ **(وإنما جاز دخول «بين» على «أحد»)** لأنه عامٌّ في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ **(وبالياء: حفص)** ﴿أُجُورَهُمْ﴾ أي الثواب الموعود لهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ يستر السيئات ﴿رَّحِيمًا﴾ يقبل الحسنات، والآية تدلّ على بُطلان قول المعتزلة في تخليد المُرتَكِب الكبيرة لأنه أخبر أن مَن آمن بالله ورُسُله ولم يفرِّق بين أحد منهم يؤتيه أجْره، ومُرتَكِب الكبيرة ممَّن آمن بالله ورُسُله ولم يفرِّق بين أحد فيدخل تحت الوعد، وعلى بُطلان قول مَن لا يقول بقِدَم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لأنه قال: «وكان الله غفورًا رحيمًا» وهم يقولون: ما كان الله غفورًا رحيمًا في الأزل ثم صار غفورًا رحيمًا.

ولما قال **(فنحاص)** وأصحابه للنبي ﷺ: «إن كنت نبيًّا صادقًا فأْتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ﴾ **(وبالتخفيف: مكي وأبو عمرو)** ﴿كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي جملة كما نزلت التوراة جملة، وإنما **(اقترحوا)** ذلك **(على سبيل التعنّت)**. وقال الحسن: ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم لأن إنزال القرآن

قوله: (وإنما جاز دخول «بين» على «أحد»)... الخ. جواب عمّا يقال: كيف جاز دخول بين على أحد، وهو يقتضي شيئين فصاعدًا؟ **قوله: (وبالياء: حفص)** الضمير لله تعالى في قوله تعالى: (﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾). والباقون بنون العظمة التفاتًا. **قوله: (فِنْحاص)** بن عازوراء من اليهود.

قوله: (وبالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، **(مكي)** أي ابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)**. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله: (اقترحوا)** في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيّاه من غير رَوِيّة. اهـ. **قوله: (على سبيل التعنّت)**

جملة ممكن ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ هذا جواب شرط مقدّر معناه: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك. وإنما أسند السؤال إليهم وقد وجد من آبائهم في أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ﴿فَقَالُوٓا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ (**عيانًا**) أي أرنا نَره جهرة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ العذاب الهائل أو النار المحرقة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ على أنفسهم بسؤال شيء في غير موضعه، أو بالتحكّم على نبيّهم في الآيات وتعنّتهم في سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لأنها ممكنة كإنزال القرآن جملة، ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحقّ فإنه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيّده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت ثم أحياهم ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ﴾ إلـٰهًا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ التوراة والمعجزات التسع ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ تفضلًا ولم نستأصلهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجة ظاهرة على مَن خالفه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ والطور (**مطل**) عليهم ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي ادخلوا باب (**إيلياء مطأطئين**) عند الدخول رؤوسكم ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ لا تجاوزوا الحدّ («**تَعدُّوا**»: **ورش**) «تعدوا»

التعنّت طلب الوقوع في العَنَت، أي المشقّة. **قوله: (عيانًا)** أشار به إلى أن جهرة مفعول مطلق؛ لأنها نوع من مطلق الرؤية، فيلاقي عامله في المعنى.

قوله: (مطل) بضمّ الميم وكسر الطاء المهملة وتشديد اللام، بمعنى مشرف. **قوله: (إيلياء)** اسم بلد. **قوله: (مطأطئين)** مُنْحنين. **قوله: (تَعدُّوا)** بفتح العين وتشديد الدال (**ورش**) هو عثمان بن سعيد المصري، ويُكنى أبا سعيد، وورش لَقْب لُقّب به فيما يقال لشدّة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين، وهو يروي عن نافع المدني رضي الله عنه. تعدوا ـ بإسكان[1] العين وتشديد الدال ـ مدني أي نافع

---

(١) في الإتحاف: واختلفت في تعدوا، فقالون بخلف عنه، وأبو جعفر بإسكان العين مع تشديد الدال، وهو رواية العراقيين عن قالون من طريقه، وتقدم آخر الإدغام الجواب عنه من حيث=

بإسكان العين وتشديد الدال: مدني **(غير ورش وهما مدغما «تعتدوا» وهي قراءة أُبي إلا أنه أدغم التاء في الدال وأبقى العين ساكنة في رواية، وفي رواية نقل فتح التاء إلى العين)** ﴿فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ بأخذ السمك ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ عهدًا مؤكدًا.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾﴾

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾ أي فبنقضهم و«ما» مزيدة للتوكيد والباء يتعلق بقوله: «حرّمنا عليهم طيبات» تقديره حرّمنا عليهم طيّبات بنقضهم ميثاقهم، وقوله: «فبظلم من الذين هادوا» بدل من قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم﴾ ﴿مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ ومعنى التوكيد تحقيق أن تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك ﴿وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي معجزات موسى عليه السلام ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ﴾ كزكريا ويحيىٰ وغيرهما ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ بغير سبب يستحقون به القتل ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ جمع أغلف أي محجوبة لا يتوصل إليها شيء من الذِّكر والوعظ ﴿بَلۡ

المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة **(غير ورش وهما مدغمَا تعتدوا وهي قراءة أُبيّ)** بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن نجّار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيّد القراء، ويُكنى أبا الطفيل أيضًا، من فضلاء الصحابة، اختُلِف في سنة موته اختلافًا كثيرًا، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك. **(إلّا أنه أدغم التاء في الدال، وأبقى العين ساكنة في رواية، وفي رواية نقل فتح التاء إلى العين)**. والباقون بإسكان العين وتخفيف الدال من عدا يعدو كغزا يغزو، والأصل تعدوا، وحذفت ضمّة الواو الأولى التي هي لام الكلمة، ثم حذفت لالتقاء الساكنين فوزنه تفعوا.

= الجمع فيه بين ساكنين على غير حدهما، والوجه الثاني لقالون اختلاس حركة العين مع التشديد للدال أيضًا، وعبّر عنه بالإخفاء فرارًا من ذلك، وهي رواية المغاربة عنه، ولم يذكروا غيره. وروى الوجهين عند الداني وقال: إن الإخفاء أقيس، والإسكان آثر، وقرأ ورش بفتح العين وتشديد الدال وأصلها على هذا: تعتدوا نقلت حركة تاء الافتعال إلى العين لأجل الإدغام، وقُلِبت دالاً وأدغمت. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ هو ردٌّ وإنكار لقولهم: «قلوبنا غلف» ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ﴾ معطوف على «فبما نقضهم أو على ما يليه من قوله: «بكفرهم». ولما تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد ﷺ عطف بعض كفرهم على بعض. ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ هو النسبة إلى الزِّنا.

﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾

﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ﴾ سُمّي مسيحًا لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح، أو لأنه كان يمسح المريض و**(الأكمه)** والأبرص فيَبْرَأ فسُمِّي مسيحًا بمعنى الماسح ﴿عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ هم لا يعتقدوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفّار لرسولنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر الآية ٦] ويحتمل أن الله وصفه بالرسول وإن لم يقولوا ذلك.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ رُوِيَ أن رهطًا من اليهود سَبّوه وسَبّوا أُمه فدعا عليهم: اللّهمّ أنت ربّي وبكلمتك خلقتني، اللّهمّ العَن مَن سَبَّني وسَبَّ والدتي، فمسخ الله مَن سَبَّهما قِرَدَة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهِّره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه: أيّكم يرضى أن يُلقى عليه شبهي فيُقتَل ويُصلَب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصُلِب. وقيل: كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلّكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى. **(وجاز هذا على قوم متعنّتين حُكم الله بأنهم لا يؤمنون)**، «وشبّه» مسند إلى الجار والمجرور وهو «لهم» كقولك: «خُيِّل إليه» كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه. أو مسند إلى ضمير المقتول لدلالة «إنّا قتلنا» عليه

قوله: (الأكمه) الذي يُولد أعمى. **قوله: (وجاز هذا على قوم متعنّتين حكم الله بأنهم لا يؤمنون)**. قال المحشي رحمه الله: فإن قيل: كيف يجوز إلقاء شبه عيسى عليه السلام على غيره؟ والإيمان به واجب وبغيره لا؟ والجواب هذا غير جائز حالة الدعوة ورجاء الإيمان به منهم، فأما حالتهم على الكفر وعِلْم الله أنهم لا يؤمنون

كأنه قيل: ولكن شُبِّه لهم مَن قتلوه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ في عيسى يعني اليهود قالوا: إن الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، أو اختلف النصارى قالوا: إلـٰه وابن إلـٰه وثالث ثلاثة ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ استثناء منقطع لأن اتّباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن. وإنما وصفوا بالشك وهو أن لا يترجح أحد الجانبين، ثم وصفوا بالظن وهو أن يترجح أحدهما، لأن المراد أنهم شاكّون ما لهم به من علم ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا **(فذاك)**. وقيل: وإن الذين اختلفوا فيه أي في قتله لفي شكٍّ منه أي من قتله لأنهم كانوا يقولون إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى! ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ أي قتلًا يقينًا، أو ما قتلوه متيقِّنين، أو ما قتلوه حقًّا فيجعل «يقينًا» تأكيدًا لقوله: «وما قتلوه» أي حقّ انتفاء قتله حقًّا.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ إلى حيث لا حُكم فيه لغير الله أو إلى السماء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في انتقامه من اليهود ﴿حَكِيمٗا﴾ فيما دبر من رفعه إليه.

﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ «ليؤمننّ به» جملة قَسَمِيَّة واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: الآية ١٦٤]، والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عايَن قبل أن **(تزهق)** روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. أو الضميران لعيسى يعني وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذي يكونون في زمان نزوله. رُوِيَ أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون المِلّة واحدة وهي ملّة الإسلام، أو الضمير «في به» يرجع إلى الله أو إلى محمد ﷺ والثاني إلى الكتابي ﴿وَيَوۡمَ

فغير مُنكر، والله أعلم. اهـ. **قوله: (فذاك)** جواب الشرط، أي فذلك هو الظنّ، أي ليس بينهما تناقض على اعتبار اختلاف الأحوال.

قوله: (تزهق) أي تخرج.

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ يشهد على اليهود بأنهم كذّبوه وعلى النصارى بأنهم دَعَوه ابن الله.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما ذُكِر في سورة الأنعام ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا (كُلَّ ذِى ظُفُرٍ)﴾ [الآية ١٤٦] (**الآية**). والمعنى ما حرّمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدَّد قبل هذا ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وبمنعهم عن الإيمان ﴿كَثِيرًا﴾ أي خلقًا كثيرًا أو صدًّا كثيرًا ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ كان الرِّبا مُحَرَّمًا عليهم كما حُرِّم علينا وكانوا يتعاطونه ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ (**بالرشوة**) وسائر الوجوه المحرَّمة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾ دون مَن آمن ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي الثابتون فيه المُتَّقون كابن سلام وأضرابه ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي المؤمنون منهم والمؤمنون من

قوله: (﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾) [الأنعام: الآية ١٤٦] أي ما له أصبع من دابّة أو طائر، ويدخل الإبل والنّعام[1]. **قوله: (الآية)** أي: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (أي وما اشتمل على الأمعاء) ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦]. **قوله: (بالرشوة)** في المصباح: الرشوة ـ بالكسر ـ ما يُعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد، وجمعها رِشًى مثل سدرة وسُدر، والضمّ لغة، وجمعها رُشًى ـ بالضم ـ أيضًا. اهـ.

---

(١) والنعامة تقع على الذكر والأنثى، والجمع أنعام، كذا في المصباح. وفي الغياث: ستر مرغ وآن پاره هاي آهن گرم آتشين را ميخورداه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

المهاجرين والأنصار. وارتفع «الراسخون» على الابتداء ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبره ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي سائر الكتب ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة، وفي مصحف عبد الله «والمقيمون» وهي قراءة (مالك بن دينار) وغيره ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ مبتدأ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ عطف عليه والخبر ﴿أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (وبالياء: حمزة).

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين (سلفوا) ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ كهود وصالح وشعيب وغيرهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أي أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ («زُبورًا»: حمزة مصدر بمعنى مفعول) سُمِّي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذه السورة ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ﴾ سأل

قوله: (مالك بن دينار) الزاهد، هو أبو يحيىٰ البصري التابعي. قال النسائي: هو ثقة، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقيل: سنة تسع وعشرين رحمه الله. **قوله:** (وبالياء: حمزة).

والباقون بالنون. **قوله:** (سلفوا) من باب قعد، أي مضوا وانقضوا. **قوله:** (زبورًا) بالضم (حمزة مصدر بمعنى مفعول)... الخ. والباقون بالنصب على أنه اسم للكتاب المؤتى.

(أبو ذر) رسول الله ﷺ عن الأنبياء قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا» قال: كم الرُّسل منهم؟ قال: «ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرُّسُل آدم وآخرهم نبيّكم محمد ـ عليه السلام ـ وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد ـ عليه السلام ـ» والآية تدل على أن معرفة الرُّسُل بأعيانهم ليست بشرط لصحة الإيمان بل من شرطه أن يؤمن بهم جميعًا إذ لو كان معرفة كل واحد منهم شرطًا لقصَّ علينا كل ذلك ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أي بلا واسطة.

﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾

﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الأوجه أن ينتصب على المدح أي أعني رسلًا، ويجوز أن يكون بدلًا من الأول، وأن يكون مفعولًا أي وأرسلنا رسلًا. واللام في ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ (يتعلق بـ «مبشرين» و«منذرين») والمعنى أن إرسالهم (إزاحة) للعلة وتتميم لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت

قوله: (أبو ذرّ) الغفاريّ الصحابي المشهور، اسمه جندب بن جنادة على الأصح، وقيل: برير ـ بموحدة مصغرًا ومكبرًا ـ واختلف في أبيه، فقيل: جندب أو عبد الله أو السكن تقدَّم إسلامه وتأخّرت هجرته، فلم يشهد بدرًا، ومناقبه كثيرة جدًّا. مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهما. اهـ تقريب. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: أسلم ـ يعني جندب بن جنادة ـ والنبيّ ﷺ بمكّة أوّل الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة، وقد اختُلف في اسمه ونسبه اختلافًا كثيرًا، وهو أوّل من حيّا رسول الله ﷺ بتحيّة الإسلام، ولمّا أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى هاجر النبيّ ﷺ، فأتاه بالمدينة بعدما ذهبت بدر وأُحد والخندق، وصحبه إلى أن مات، وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبيّ ﷺ بثلاث سنين، وبايع النبيّ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحقّ وإنْ كان مُرًّا. اهـ.

قوله: (يتعلق بـ «مبشّرين» و«منذرين») يعني على التنازع، ولا يجوز تعلّقه بحجّة، يعني لأنه مصدر ومعموله لا يجوز تقدّمه عليه، ومَنْ جوّزه في الظرف جوَّزه هنا. **قوله:** (إزاحة) أي إزالة.

إلينا رسولًا فيُوقظنا من (**سِنَة الغفلة**)، وينبِّهنا بما وجب الانتباه له، ويعلِّمنا ما سبيل معرفته السمع كالعبادات والشرائع أعني في حق مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها دون أُصولها فإنها مما يُعرَف بالعقل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في العقاب على الإنكار ﴿حَكِيمًا﴾ في بعث الرُّسُل للإنذار.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

ولمّا نزل «إنّا أوحينا إليك» قالوا: ما نشهد لك بهذا فنزل ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت (**الدعاوى**) بالبيِّنات إذ الحكيم لا يؤيّد الكاذب بالمعجزة ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي أنزله وهو عالِم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مُبلِّغه، أو أنزله بما علم من مصالح العباد، وفيه نفي قول المعتزلة في إنكار الصفات فإنه أثبت لنفسه العلم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ لك بالنبوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ شاهدًا وإن لم يشهد غيره

قوله: (سِنَة الغفلة) السِّنَة النُّعاس.

قوله: (الدعاوى) في المصباح: جمع الدعوى، الدعاوى ـ بكسر الواو وفتحها ـ قال بعضهم: الفتح أوْلى؛ لأن العرب آثرت التخفيف ففتحت وحافظت على ألف التأنيث التي بني عليها المفرد، وبه يشعر كلام أبي العباس أحمد بن وَلّادٍ، ولفظه: وما كان على فُعْلى بالضم أو الفتح أو الكسر فجمعُه الغالب الأكثر فَعالى بالفتح، وقد يكسرون اللام في كثيرٍ منه، وقال بعضهم: الكسر أوْلى وهو المفهوم من كلام سيبويه؛ لأنه ثبت أن ما بعد ألف الجمع لا يكون إلا مكسورًا، وما فتح منه فمسموع لا يُقاس عليه؛ لأنه خارج عن القياس. قال ابن جنّي: قالوا: حُبلى وحَبَالى بفتح اللام، والأصل حبال بالكسر، مثل دَعْوى ودَعاوٍ، وقال ابن السكِّيت: قالوا يتامى، والأصل يتائم، فقلب ثم فتح للتخفيف، وقال ابن السرّاج: وإن كانت فِعْلى بكسر الفاء ليس لها أفعل، مثل ذِفرى إذا كُسِرَت حُذِفت الزيادة التي للتأنيث ثم بُنيت على فعال، وتُبْدل من الياء المحذوفة ألفًا أيضًا،

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتكذيب محمد ﷺ وهم اليهود ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب: «إنا لا نجده في كتابنا» ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عن الرشد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ﴾ محمدًا عليه السلام بتغيير نعته وإنكار نبوّته ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما داموا على الكفر ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ وكان تخليدهم في جهنم سهلًا عليه، والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدّرة والآيتان في قوم عَلِم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي بالإسلام أو هو حال أي مُحِقًّا ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ وكذلك ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ انتصابه بمضمر، وذلك أنه لمّا بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث عَلِم أنه يحملهم على أمر فقال: «خيرًا لكم» أي اقصدوا وأتوا أمرًا خيرًا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان به والتوحيد ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

فقال: ذَفارٍ وذفارَىٰ وفَعْلَى بالفتح مثل فِعلى سواء في هذا الباب، أي لاشتراكهما في الاسمية، وكون كل واحدة ليس لها أفعل، وعلى هذا فالفتح والكسر في الدعاوى سواء، ومثله الفتوى والفتاوى، ثم قال ابن السراج: قال - يعني سيبويه -: قولهم: ذَفارٍ يدُلُّكَ على أنهم جمعوا هذا الباب على فعال؛ إذ جاء على الأصل، ثم قلبوا الياء ألفًا للتخفيف، لأن الألف أخفّ من الياء، ولعدم اللّبس لفقد فَعالَل بفتح اللام. وقال الأزهري: قال اليزيدي: يقال لي في هذا الأمر دعوى ودعاوى أي مطالب، وهي مضبوطة في بعض النسخ بفتح الواو وكسرها معًا، وفي حديث: «**لو أعطى الناس بدعاويهم**»، وهذا منقول وهو جارٍ على الأصول خالٍ عن التأويل بعيد عن التصحيف، فيجب المصير إليه، وقد قاس عليه ابن جني[1] كما تقدم. انتهى.

---

(١) الإمام أبو الفتح المشهور، وليس منسوبًا إلى الجن، وإنما هو معرب كنى، كما في شرح المغني. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ **(فلا يضرّه كفركم)** ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمَن يؤمن وبمَن يكفر ﴿حَكِيمًا﴾ لا يسوّي بينهما في الجزاء.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ لا تجاوزوا الحدّ فغلَت اليهود في حطّ المسيح عن منزلته حتى قالوا إنه ابن الزِّنا، وغَلَت النصارى في رَفْعه عن مقداره حيث جعلوه ابن الله ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ وهو تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ لا ابن الله ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ خبر المبتدأ وهو «المسيح» و«عيسى» عطف بيان أو بدل ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ عطف على «رسول الله». وقيل له «كلمة» لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلام ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ حال «وقد» معه مرادة أي أوصلها إليها وحصلها فيها ﴿وَرُوحٞ﴾ معطوف على الخبر أيضًا. وقيل له «روح» لأنه كان يحيي الموتى كما سُمِّي القرآن روحًا بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢] لما أنه يحيي القلوب ﴿مِّنۡهُۖ﴾ أي بتخليقه وتكوينه كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: الآية ١٣] وبه أجاب عليّ بن الحسين بن واقد **(غلامًا نصرانيًا كان للرشيد)** في مجلسه **(حيث زعم أن في كتابكم حجة)** على أن عيسى من الله ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي ولا تقولوا الآلهة ثلاثة ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن التثليث ﴿خَيۡرٗا

قوله: (فلا يضرّه كفركم) أشار به إلى أن الجواب محذوف، وجملة: فإنّ الله... الخ. تعليلٌ له.

قوله: (غلامًا) طبيبًا حاذقًا **(نصرانيًا كان للرشيد)** هارون أبي جعفر ابن المهديّ محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، استُخْلف بعهدٍ من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبع لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة. **قوله: (حيث زعم أن في كتابكم حجة)** على أنّ عيسى من الله، وتلا هذه الآية، فقرأ له الواقدي: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

لَكُمْۚ﴾. والذي يدل على القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: الآية ١١٦]، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: الآية ٣٠]. ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿إِلَٰهٞ﴾ خبره ﴿وَٰحِدٞۖ﴾ توكيد ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ أسبِّحه تسبيحًا من أن يكون له ولد ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ بيان لتنزّهه مما نُسِب إليه بمعنى أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءًا منه. إذ البنوّة والمُلْك لا يجتمعان. على أن الجزء إنما يصحّ في الأجسام وهو يتعالى عن أن يكون جسمًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ حافظًا ومدبرًا لهما ولما فيهما، ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج إلى ولد يُعينه.

ولما قال وفد (**نجران**) لرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا عيسى؟ قال: وأيّ شيء أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله. قال: إنه ليس بعار أن يكون عبد الله. قالوا: بلى، نزل قوله تعالى:

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾

﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ أي لن (**يأنف**) ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ هو ردٌّ على النصارى ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ردٌّ على مَن يعبدهم من العرب وهو عطف على «المسيح» ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ أي (**الكروبيون**) الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومَن في طبقتهم. والمعنى: ولا الملائكة المقرَّبون أن يكونوا عبادًا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه إيجازًا. و(**تشبثت**) المعتزلة والقائلون بتفضيل

ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [الجاثية: الآية ١٣] منه فقال: إذًا يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءًا منه سبحانه، فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرّشيد فرحًا شديدًا، وأعطى للواقدي صلة فاخرة. **قوله: (نجران)** ـ بفتح النون وسكون الجيم ـ اسم بلد باليمن.

قوله: (يأنف) في المصباح: أنِفَ من الشيء أنفًا من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة، أي استنكف وهو الاستكبار. اهـ. **قوله: (الكَرُوبِيُّون)** سادة الملائكة. اهـ لسان العرب. **قوله: (تشبَّثت)** أي تعلّقت.

الملك على المبشر بهذه الآية وقالوا: الارتقاء إنما يكون إلى الأعلى. يقال: فلان لا يستنكف عن خدمتي ولا أبوه، ولو قال: «ولا عبده» لم يحسُن وكان معنى قوله: «ولا الملائكة المقرَّبون» ولا مَن هو أعلى منه قدرًا وأعظم منه خطرًا، ويدلّ عليه تخصيص المقرَّبين. والجواب أنّا نسلم تفضيل الثاني على الأول ولكن هذا لا يمسّ ما تنازعنا فيه، لأن الآية تدلّ على أن الملائكة المقرَّبين بأجمعهم أفضل من عيسى، ونحن نسلّم بأن جميع الملائكة المُقرَّبين أفضل من رسول واحد من البشر. إلى هذا ذهب بعض أهل السُّنَّة، ولأن المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجرّدهم عن التولّد الازدواجي رأسًا لا يستنكفون عن عبادته، فكيف بمَن يتولّد من آخر ولا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون! وهذا لأن شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكوّن هي التي تُورث الحمقى أمثال النصارى وهْم الترفّع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يُبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى وينبىء بما يأكلون ويدَّخرون في بيوتهم، فبرَّؤوه من العبودية فقيل لهم هذه الأوصاف في الملائكة أتمّ منها في المسيح، ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح! والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرُّسُل منهم، كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم، وخواص الملائكة أفضل من عوامّ المؤمنين من البشر، وعوامّ المؤمنين من البشر أفضل من عوامّ الملائكة، ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى **(في ذات الله تعالى)** مع أنهم جُبِلوا عليها **(فضاهت)** الأنبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضَّلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والدواعي الجسدانية، فكانت طاعتهم أشقّ لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة أنهم جبلوا عليها فكانت أزيد ثوابًا بالحديث (﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾) يترفَّع ويطلب الكبرياء ﴿(فَسَيَحْشُرُهُمْ) إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ فيُجازيهم على استنكافهم واستكبارهم.

قوله: (في ذات الله تعالى) أي في طلب رضاء الله تعالى. **قوله: (فضاهت)** أي فشابهت.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

ثم فصل فقال: ﴿(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ) وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ فإن قلت: **(التفصيل غير مطابق للمفصل لأن التفصيل)** اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد، قلت: هو مثل قولك: «جميع الإمام الخوارج» فمَن لم يخرج عليه كساه وحمله، ومَن خرج عليه **(نكل به)**. وصحة ذلك لوجهين: أحدهما أنه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني **(كما حذف أحدهما في التفصيل)** في قوله تعالى هذا بعد: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾). والثاني أن

قوله: (التفصيل غير مُطابق للمفصل، لأن التفصيل) وهو قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ﴾)، فمشتمل على ذكر فريقي المستنكفين وغيرهم، والمفصل أي المجمل الذي فصل، وهو المذكور بقوله: (﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾) إنما اشتمل على ذكر فريق المستنكفين فقط، وحاصل الجواب أن ذكر الفريق الآخر مطويّ في المفصل، كأنه قيل: ومَنْ يستنكف، ومن آمن فسيحشرهم، أو أن القصد ليس إلى تفصيل حال الفريقين، بل إلى تفصيل عذاب فريق المستنكفين المشار إليه بقوله: (﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾) وعيدًا لهم إلى نوعين: أحدهما التعذيب بنار الجحيم، والآخر التعذيب بنار الحسرة عند الاطّلاع على تكريم أضدادهم؛ ففي المثال المذكور يقدّر جمع الإمام الخوارج وغيرهم، فمن لم يخرج عليه أعطاه الكسوة والحمولة، ومن يخرج فعذّبه بما شاء، أو جمع الخوارج فعذّبهم بالتنكيل بهم والتكريم لأهل الطاعة، ولا يخفى أن دخول كلمة أمّا على الفريقين يدلّ على أن الوجه هو الأوّل. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (نَكَلَ به)** من باب قتل أصابه بنازلة. **قوله: (كما حذف أحدهما في التفصيل)** يعني أن قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ

الإحسان إلى غيرهم مما يغمّهم فكان داخلًا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل: ومَن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أُجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله:

﴿(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ) مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي رسول (**يبهر**) المنكر بالإعجاز ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ قرآنًا يُستضاء به في ظلمات الحيرة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ بالله أو بالقرآن (﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾) أي جنة (﴿وَفَضْلٍ﴾) زيادة النعمة ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ ويرشدهم ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله أو إلى الفضل أو إلى صراطه ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ فـ «صراطًا» حال من المضاف المحذوف.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾ كان (**جابر بن عبد الله**) مريضًا فعاده رسول الله ﷺ فقال: إني كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾ ارتفع «امرؤ» بمضمر يفسِّره الظاهر ومحل ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ الرفع على الصفة أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد، والمراد بالولد الابن ـ وهو مشترك ـ يقع على الذكر والأُنثى لأن الابن يُسقِط الأُخت ولا تُسقِطها البنت ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ أي لأب وأم أو لأب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ﴾ أي الميت ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ أي الأخ يرث الأُخت جميع مالها إن قدّر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ أي ابن لأن الابن يُسقِط الأخ دون البنت. فإن قلت: الابن لا يُسقِط الأخ وحده فالأب نظيره في الإسقاط، فلِمَ اقتصر على نفي الولد؟ قلت: بين حكم انتفاء الولد

فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾) تفصيل لقوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾)، وقد حذف ذكر فريق غير المؤمنين المعتصمين. **قوله:** (يَبْهَر) أي يغلب.

قوله: (جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام ـ بمهملة وراء ـ الأنصاري ثم السَّلَمي ـ بفتحتين ـ صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين.

ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السُّنَّة وهو قوله ﷺ: (**«ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر»**) والأب أولى من الأخ ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي فإن كانت الأُختان اثنتين دلَّ على ذلك وله أُخت ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾ أي وإن كان مَن يَرِث بالأخوّة. والمراد بالأخوّة الإخوة والأخوات تغليبًا لحُكم الذُّكورة ﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ ذكورًا وإناثًا ﴿فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الحق فهو مفعول «يبيّن» ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ كراهة أن تضلّوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ (**يعلم الأشياء بكنهها**) قبل كونها وبعده.

قوله: (ألحقوا الفرائض) الأنصباء المقدّرة في القرآن **(بأهلها)** أي مَنْ يستحقّها بالنصّ **(فما بقي فلأولى)** أي فهو لأقرب **(عصبة، ذكر»)** رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن ابن عباس ﷺ. **قوله: (يعلم الأشياء بكنهها)** في المصباح: كنه الشيء حقيقته ونهايته. اهـ. والله سبحانه وتعالى أعلم. **الحمد لله على توفيق الاهتداء والشكر له على إعانته في الابتداء والانتهاء وأستعينه على تيسيره ما نشرع فيه من جلّ تفسير سورة المائدة متوكّلًا عليه ومستفيضًا بفَيْضه الأقدس، وهو يقول الحقّ ويهدي السبيل.**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(سورة المائدة)

(مدنية وهي مائة وعشرون آية)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ (**يقال وَفَى بالعهد وأوفى**) به، والعقد العهد (**الموثق شبه بعقد الحبل**) ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم (**من مواجب التكليف**)، أو ما عقد الله عليكم، أو ما تعاقدتم بينكم. والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وأنه كلام قدّم مجملًا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي بمعنى «من»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة المائدة مدنية، وهي مائة وعشرون آية**)، وكلماتها ألفان وثمانمائة وأربع كلمات، وحروفها أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا. **قوله**: (**يقال: وفى بالعهد**) وفاءً (**وأوفى**) به إيفاءً إذا أتى ما عهد به ولم يغدر، والنقل إلى باب الأفعال لا يفيد شيئًا سوى المبالغة له. **قوله**: (**المؤثق**) بالتشديد والتخفيف، أي المحكم. **قوله**: (**شبّه بعقد الحبل**) بالحبل وشدّه بحيث يعسر الانفصال. **قوله**: (**من مواجب التكليف**) جمع مُوجب اسم مفعول، يعني أوجبته التكاليف من أداء الواجبات لزومًا، والمندوبات رجحانًا، واجتناب المحرّمات والمكروهات كذلك، وهذا أوفق بعموم اللّفظ وأوفى بعموم الفائدة، لكن الحمل على تحليل الحلال، أي اعتقاد حلّه والعمل على وفقه وتحريم الحرام كذلك أظهر نظرًا إلى ما يُشعر به سَوْق الكلام من الإجمال والتفصيل، لا يقال: السورة مشتملة

كخاتم فضة ومعناه، البهيمة من الأنعام (**وهي الأزواج الثمانية**). وقيل: بهيمة الأنعام: (**الظباء**) وبقر الوحش ونحوهما ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه وهو قوله: «حرمت عليكم الميتة» الآية ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من الضمير في «لكم» أي أُحِلَّت لكم هذه الأشياء لا مُحِلِّين الصيد ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من «مُحِلِّي الصيد» كأنه قيل: أحلَلْنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم مُحرِمون لئلا يضيق عليكم، والحُرُم جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الأحكام أو من التحليل والتحريم ونزل نهيًا عن تحليل ما حرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة وهي اسم ما أشْعَر أي جعل شعارًا وعَلَمًا للنُّسك به من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاجّ يُعرَف بها من الإحرام والطواف والسعي والحَلْق والنحر ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (**أي أشهر الحج**) ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾

على أمّهات التكاليف في الأصول والفروع لا يختص بالتحليل والتحريم، وكفى بقوله تعالى: (﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾)، و﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المَائدة: الآية ٨]، فلا يلزم حصر المُجْمل على التحليل والتحريم، ولو سلم فليكن من التفريع على الأصل لا التفصيل للمجمل، كما يقول: امتثلوا أوامر الله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان؛ لأنّا نقول: المراد أن ما وقع في معرض التفصيل هو التحليل والتحريم، وظاهر أن ليس جميع السورة كذلك، وأن المذكور بالتفصيل أوفق منه بالتفريع. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (وهي الأزواج الثمانية)** من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين. **قوله: (الظِّباء)** ـ بالكسر ـ جمع الظبيء.

قوله: (أي أشهر الحجّ): شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجّة، ولا اشتراك إلّا في شهر وبعض، ووجه الصحة أن معظمه من أشهر الحج، فغلب. اهـ تفتازاني

(وهو ما أُهدي إلى البيت) وتقرّب به إلى الله تعالى من النسائك وهو (جمع هدية) ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما قُلّد به الهدي من نعل (أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره) ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ ولا تحلّوا قومًا قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعُمّار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحُرمة الشعائر وأن يُحال بينها وبين المتنسّكين بها، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدّون به الناس عن الحج وأن يتعرَّضوا للهَدي بالغَصْب أو بالمنع من بلوغ محله. وأما القلائد فجاز أن يُراد بها ذوات القلائد وهي البُدْن وتعطف على الهدي للاختصاص لأنها أشرف الهَدي كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]. كأنه قيل: والقلائد منها خصوصًا، وجاز أن ينهى عن التعرّض لقلائد الهَدي مبالغة في النهي عن التعرّض للهَدي أي ولا تحلّوا قلائدها فضلًا أن تحلّوها كما قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣١] فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال من الضمير في «آمين» ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي ثوابًا ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ وأن يرضى عنهم أي لا تتعرَّضوا لقوم هذه صفتهم (تعظيمًا) لهم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ خرجتم من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ إباحة للاصطياد بعد حَظْره عليهم بقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ جرم مثل كسب في تعديته إلى مفعول واحد واثنين، تقول جرم ذنبًا نحو كسبه وجرمته ذنبًا نحو كسبته إياه، وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني «أن تعتدوا» «وأن صدّوكم» متعلق بالشنآن بمعنى العلة وهو شدة البغض، (وبسكون النون شامي) وأبو بكر، والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه.

ﷺ. **قوله:** (وهو ما أُهدي إلى البيت) أي بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة. **قوله:** (جمع هدية) بتسكين الدال. **قوله:** (أو عروة مزادة) ـ بفتح الميم ـ وهي السفرة من جلد. **قوله:** (أو لحاء) بكسر اللام ممدودًا (شجر) أي قشر الشجر. **قوله:** (أو غيره) من شراك نعل وغير ذلك ممّا يكون علامة على أنه هدي لئلا يتعرّضوا له، وإن عطب وذبح فلا يأكل منه إلا الفقراء دون الأغنياء. **قوله:** (تعظيمًا) مفعول له المقدار، أي قال ذلك تعظيمًا لهم. **قوله:** (وبسكون النون، شامي) أي ابن عامر الشامي وأبو بكر شعبة. والباقون بفتحها، وهما بمعنًى

(«إن صدوكم» على الشرط: مكي وأبو عمرو) ويدل على الجزاء ما قبله وهو «لا يجرمنكم» ومعنى صدّهم إياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين (يوم الحديبية) عن العمرة، ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم (﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾) على العفو (والإغضاء) ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ على الانتقام والتشفّي، أو البر فعل المأمور، والتقوى ترك المحظور، والإثم ترك المأمور والعدوان فِعْل المحظور، ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى، ولكل إثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو (والانتصار) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمَن عصاه وما اتّقاه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

ثم بيَّن ما كان أهل الجاهلية يأكلونه فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي البهيمة التي (تموت حتْف أنفها) ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوح وهو السائل ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وكله واحد.

قوله: («إن صدوكم») بكسر الهمزة «**على الشرط. مكّي**» أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**)، والباقون بالفتح على أنها علّة للشنآن. **قوله:** (**يوم الحديبية**) الحُديبية قرية قريبة من مكّة سُمِّيت ببئر هناك، وهي مخفّفة وكثير منهم يشدّدونها. **قوله:** (**الإغْضاء**) إدْناء الجُفُون. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (**الانتصار**) الانتقام.

قوله: (**تموت حتف أنفها**) في المصباح: الحَتْف الهلاك. قال ابن فارس وتبعه الجوهري: ولا يبنى منه فعل، يقال: مات حَتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، وزاد الصغاني: ولا غرق ولا حرق. وقال الأزهري: لم أسمع للحتف فعلًا، وحكاه ابن القوطية فقال: حتفه الله يحتفه حتفًا، أي من باب ضرب إذا أماته، ونقل العدل مقبول، ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفّس حتى ينقضي رمقه، ولهذا خصّ الأنف، ومنه يقال للسمك يموت في الماء ويطفو: مات حتف أنفه،

نجس. وإنما خصَّ اللحم لأنه معظم المقصود ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم «باسم اللات والعزّى» عند ذبحه ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ التي **(خنقوها)** حتى ماتت أو انخنقت **(بالشبكة)** أو غيرها ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ التي **(أثخنوها)** ضربًا بعصا أو حجر حتى ماتت ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي **(تردت)** من جبل أو في بئر فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضه ومات بجرحه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها، فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمّى عليها حلّت ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظّمونها بذلك ويتقرّبون إليها تسمّى الأنصاب **(واحدها نصب)**، أو هو جمع والواحد نصاب ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ في موضع الرفع بالعطف على الميتة أي حُرّمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام وهي **(القداح)** المعلّمة **(واحدها زُلم وزَلم)**، كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا أو تجارة أو نكاحًا أو غير ذلك **(يعمد)** إلى قِداح ثلاثة على واحد منها مكتوب «أمرني ربي» وعلى الآخر «نهاني» والثالث **(«غُفْلٌ»)**. فإن خرج الآمر مضى لحاجته، وإن خرج

وهذه الكلمة تكلّم بها أهل الجاهلية. قال السَّمَوْأل:

وما مات منّا سيّدٌ حَتْف أنفه

قوله: (خنقوها) الخَنق احتباس النفس بسبب انعصار الحلق. **قوله: (بالشبكة)** الشبكة التي يُصاد بها، وجمعها شِباك. اهـ مختار الصّحاح. **قوله: (أثخنوها)** أثخنته أوهنته بالجراحة وأضعفته. اهـ مصباح. **قوله: (تردّت)** أي سقطت. **قوله: (واحدها نصب)**. **قوله: (القِداح)** جمع القِدح ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ السهم قبل أن يراش ويركب نصله. **قوله: (واحدها زُلم وزَلم)** في المصباح: الزلم ـ بفتح اللام وتضم الزاي وتفتح ـ القِدح، وجمعه أزلام، وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي وتضعها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمرًا أدخل يده وأخرج قدحًا، فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كَفّ. اهـ. **قوله: (يعمد)** من باب ضرب. **قوله: (غُفل)** ـ بضم العين المعجمة وسكون الفاء ـ الذي لا سِمَة عليه؛ لأنه أغفلت علامته، والمراد هنا أنه لم يكتب عليه.

الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام. قال (الزجّاج): لا فرق بين هذا وبين قول المُنَجّمين: «لا تخرج من أجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا» وفي شرح التأويلات ردّ هذا وقال: لا يقول المنجم: «إن نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا» كما كان فعل أولئك، ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى. ويجوز أن يجعل الله في النجوم معاني وأعلامًا يدرك بها الأحكام ويستخرج بها الأشياء ولا لائمة في ذلك إنما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه. (**وقيل: هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة**) ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة، ويحتمل أن يعود إلى كل محرم في الآية.

قوله: (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحوي، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله:** (**وقيل: هو الميسر**)، فلا يكون معناه طلب معرفة ما قسم له مما لم يُقسم، بل طلب كيفيّة قسمة الجزور.

قوله: (**وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة**) بأقداح الميسر، وهي عشرة أقداح: الفذّ، ثم التوأم، ثم الرقيب، ثم الحلس، ثم النافس، ثم المسيل، ثم المعلى، وهذه الأقداح السبعة لها أنصباء من جزور ينحرونها ويُقسمونها على العادة المعلومة بينهم، والثلاثة الأُخر لا نصيب لها، وهو: السفيح والمنيح والوغد، كان أهل الجاهلية يجمعون عشرة أنفس ويشترون جزورًا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزءًا، ويجعلون لكل واحد من صاحب الأزلام نصيبًا معلومًا للفذّ سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة أسهم، وللحلس أربعة أسهم، وللنافس خمسة، وللمسيل ستّة، وللمعلى سبعة، ويجعلون الأزلام في خريطة ويضعونها على يد رجل، ثم يجعل ذلك الرجل يحرّكها فيخرج باسم كل رجل قدحًا منها، ومَنْ خرج له قدح من أرباب الأنصباء يجعله إلى الفقراء ولا يأكل منه شيئًا، ويفتخرون بذلك ويذمّون مَنْ لم يدخل فيه، ويسمّون البَرَم[1]، يعني اللّئيم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

---

(١) محركة من لا يدخل مع القوم في الميسر. اهـ قاموس.

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ظرف لـ «يئس» ولم يُرِد به يوم بعينه وإنما معناه الآن، وهذا كما تقول: «أنا اليوم قد (كبرت») تريد الآن. وقيل: أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عَرَفَة بعد العصر في (حجة الوداع) ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ يئسوا منه أن يُبطِلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وَفَى بوعده من إظهاره على الدِّين كله ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾) بغير ياء في الوصل والوقف أي (أخلصوا لي الخشية) ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ظرف لقوله: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بأن كفيتم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك: «اليوم كَمُل لنا المُلْك» أي كُفِينا مَن كنّا نخافه، أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم (منار الجاهلية) ومناسكهم ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ حال. اخترته لكم من بين الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥] ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ متصل بذِكر المحرَّمات، وقوله: «ذلكم فسق» اعتراض أكد به

قوله: (كبِرْتُ) في مختار الصحاح: كبِر أي أسنّ، وبابه طرب، ومَكْبِر أيضًا كمجلس، يقال: علاه المكبر، والاسم المكبرة ـ بالفتح ـ يقال: عُلت فلانًا كَبَرًا وكَبُر، أي عظم يكبُر بالضم كِبَرًا بوزن عِنَب، فهو كبير وكُبار ـ بالضم ـ فإذا أفرط قيل: كُبّار ـ بالتشديد ـ. اهـ. **قوله:** (حجّة الوداع) بالفتح، في المصباح: وادعته مُوادعة صالحته، والاسم الوداع ـ بالكسر ـ ودَّعته توديعًا، والاسم الوداع ـ بالفتح ـ مثل سلم سلامًا، وهو أن تشيعه عند سفره. اهـ. **قوله:** (﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾) بغير ياء في الوصل والوقف. في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر وقف يعقوب[1] على ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾ بزيادة ياء بعد النون، وحذفها الباقون في الحالين. اهـ. وقوله يعقوب بن إسحٰق، وليس من السبعة. **قوله:** (أخلصوا لي الخشية) مستفاد من ورود الأمر بخشية الله تعالى بعد النهي من خشية الكفار، فإنه لما نهى عن خشيتهم وأمر بخشيته كان خلاصة الكلام الأمر بإخلاص الخشية له تعالى، وأن لا يُخشى إلّا منه. **قوله:** (منار الجاهلية) استعارة لأمورها من مناسكهم وغيرها.

(١) وهو من العشرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

معنى التحريم، وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامّة والإسلام المنعوت بالرّضا دون غيره من المِلَل ومعناه، فمَن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ **(مجاعة)** ﴿غَيْرَ﴾ حال ﴿مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ مائل إلى إثم أي غير متجاوز **(سدّ الرّمق)** ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لا يؤاخذه بذلك ﴿رَحِيمٌ﴾ بإباحة المحظور للمعذور.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ كأنه قيل: يقولون لك ماذا أحلّ لهم. وإنما لم يقل: «ماذا أحلّ لنا» حكاية لما قالوا، لأن «يسألونك» بلفظ الغيبة كقولك: «أقسم زيد ليفعلنّ» ولو قيل «لأفعلنّ» وأحلّ لنا لكان صوابًا. و«ماذا» مبتدأ و«أحلّ لهم» خبره كقولك: «أيّ شيء أحلّ لهم» ومعناه ماذا أحلّ لهم من المطاعم كأنهم حين تَلَى عليهم ما حرّم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عمّا أحلّ لهم منها فقال: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ أي ما ليس بخبيث منها أو هو كل ما لم يأتِ تحريمه في كتاب الله أو سُنّة أو إجماع أو قياس ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ عطف على «الطيبات» أي أحلّ لكم الطيّبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف، أو تجعل «ما» شرطية وجوابها «فكلوا» (﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ **أي الكواسب)** للصيد من سِباع البهائم والطير كالكلب و**(الفهد والعقاب والصقر والبازي**

قوله: (مجاعة) أي جوع. **قوله: (سدّ الرمق)** في المصباح: الرَّمَق ـ بفتحتين ـ بقيّة الروح، وقد يُطلق على القوّة، ويأكل المضطرّ من الميتة ما يسدّ به الرمق، أي ما يمسك قوّته ويحفظها. اهـ.

قوله: (﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾(١) **أي الكواسب)** وهو جمع جارحة، بمعنى كاسبة، قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠]، وجوارح الإنسان أعضاؤه التي يكسب بها. **قوله: (الفهد)** سباع معروف. **قوله: (والعُقاب)** ـ بالضم ـ طائر. **قوله: (والصَّقر)** الطائر الذي يُصاد به. **قوله: (والبازي)** واحد البُزاة التي يصيد

---

(١) من قولهم: جرح فلان أهله خيرًا إذا أكسبهم، وفلان جارحة أهله، أي كاسبهم. ١٢ شهاب.

والشاهين)، وقيل: هي من الجراحة فيشترط للحلّ الجرح ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من «علمتم». وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بـ «علمتم» أن يكون مَن يعلم الجوارح موصوفًا بالتكليب، والمكلِّب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق (من الكلب)، لأن التأديب في الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه، أو لأن السبع يسمى كلبًا ومنه الحديث («اللّهمّ سلّط عليه كلبًا) من كلابك» فأكله الأسد. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أو استئناف ولا موضع له. وفيه دليل على أن على كل آخذ علمًا أن لا يأخذه إلا مِن أنحرهم دراية، فكم من آخِذ عن غير متقن قد ضيَّع أيامه وعضّ عند لقاء النحارير أنامله. ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من التكليب ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان (صيد كلب) ونحوه، فأما (صيد البازي ونحوه) فأكله لا يحرمه (وقد عرف في موضعه).

ضرب من الصقور. **قوله:** (والشاهين) من سباع الطير ليس بعربيّ محض. اهـ لسان العرب. **قوله:** (من الكلب) بسكون اللام أصالة أو مخففة كَلَب بفتحتين. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (اللّهمّ سلّط عليه كلبًا) قال ﷺ في حقّ عتبة بن أبي لهب، أو لهب بن أبي لهب، وقد آذاه وسبّه. قال الطيبيّ: هذا حديث موضوع، وليس كما قال، بل هو حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أبي نوفل، قال: كان لهب بن أبي لهب يسبّ النبيّ ﷺ، فقال ﷺ: «**اللّهمّ سلّط عليه كلبًا من كلابك**» أو كلبك، فخرج في قافلة يريد الشام فنزلوا منزلًا فيه سباع، فقال: إني أخاف دعوة محمّد، فجعلوا متاعه حوله وقعدوا يحرسونه، فجاء أسد فانتزعه وذهب به، قال الحاكم: وهو صحيح. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (صيد كلب) ونحوه، أي من كل ذي ناب. **قوله:** (صيد البازي ونحوه) أي من كلّ مخلب. **قوله:** (وقد عرف في موضعه) يثبت (التعلم في ذي الناب بترك الأكل ثلاثًا)، ويثبت (التعلم في ذي مخلب بالإجابة إذا دعي بعد الإرسال، فلو أكل منه) أي من الصّيد (البازي أكل) أي يحلّ أكل الباقي من هذا الصيد؛ لأن تعلّمه بالإجابة لا بترك أكله بالإجماع، إلا عند الشافعي رضي الله تعالى عنه في الجديد لا (يؤكل لا) أي لا يؤكل (إن أكل منه الكلب أو الفهد، فإن أكل) ذو الناب من الصيد، أو ترك ذو المخلب (الإجابة بعد الحكم بتعلّمه حرم ما صاده بعده) أي بعد ترك الأكل ثلاث مرّات على

والضمير في ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يرجع إلى ما أمسَكن على معنى وسمّوا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سمّوا عليه عند إرساله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا مخالفة أمره في هذا كله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه (لبث).

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿الْيَوْمَ﴾ الآن ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ كرره تأكيدًا للمنّة ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ (أي ذبائحهم) لأن سائر **(الأطعمة لا يختص حِلّها بالمِلّة)** ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلا جناح عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حرامًا عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هي الحرائر أو العفائف، وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصحّ نكاح الإماء من المسلمات ونكاح غير العفائف. وتخصيصهن بعث على تخيّر المؤمنين لنُطَفهم وهو معطوف على «الطيبات» أو مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من المؤمنات حِلٌّ لكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هُنَّ الحرائم الكتابيات أو

التوالي، أو بعد ترك الإجابة (حتى يتعلّم). اهـ ملتقى الأبحر بزيادة من شرحه مجمع الأنهر. **قوله:** (لبث) في مختار الصحاح: لبث أي مَكث، وبابه فهم، ولَباثًا أيضًا ـ بالفتح ـ فهو لابث. اهـ. وفي المصباح: لبث بالمكان لَبْثًا من باب تعب، وجاء في المصدر السكون للتخفيف واللَّبْثة ـ بالفتح ـ المرّة ـ وبالكسر ـ الهيئة والنوع، والاسم اللُّبث ـ بالضم ـ واللّباث ـ بالفتح ـ. اهـ.

قوله: (أي ذبائحهم) لأن سائر **(الأطعمة لا يختصّ حلّها بالملّة)** أي بملّة دون ملّة، فلا حاجة إلى بيان حكمها في الدرّ المختار، وشرط (كون الذابح مسلمًا حلالًا خارج الحرم إن كان صيدًا) فصيد الحرم لا تحلّه الذكاة في الحرم مطلقًا، (أو كتابيًّا ذمّيًّا أو حربيا) إلا إذا سمع منه عند الذّبح ذكر المسيح. اهـ. وفي ردّ المحتار قوله: (ذمّيًّا أو حربيًّا) وكذا عربيًّا أو تغلبيًّا؛ لأن الشرط قيام الملّة هداية،

العفائف الكتابيات ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أعطيتموهنَّ مهورهنَّ ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ متزوجين (غير زانين ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾) صدائق (والخِدن) يقع على الذَّكر والأُنثى ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (بشرائع الإسلام) وما أحلَّ الله وحرَّم ﴿فَقَدۡ حَبِطَ﴾ بطل ﴿عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وكذا الصابئة لأنهم يقرّون بعيسى عليه السلام، قهستاني. وفي البدائع: كتابهم الزبور، ولعلّهم فِرَق، وقدَّم الشارح في الجزية أن السامرة تدخل في اليهود، لأنهم يدينون بشريعة موسى عليه السلام، ويدخل في النصارى الإفرنج والأرمن، سائحاني. وفي الحامدية: وهل يشترط في اليهوديّ أن يكون إسرائيليًا، وفي النصارى أن لا يعتقد أن المسيح إله؟ مقتضى إطلاق الهداية وغيرها عدمه، وبه أفتى الجدّ في الإسرائيلي وشرط في المُستصفى لحلّ مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك. وفي المبسوط: ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب، إن اعتقدوا أن المسيح إله، وأن عزير إله، ولا يتزوّجوا بنسائهم، لكن في مبسوط شمس الأئمّة: وتحلّ ذبيحة النصارى مطلقًا، سواء قال ثالث ثلاثة أو لا، ومقتضى الدّلائل الجواز، كما ذكره التمرتاشي في فتاواه، والأَوْلى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوّج منهم إلا للضرورة، كما حقّقه الكمال ابن الهُمام. اهـ. وفي المعراج: إنّ اشتراط ما ذكر في النصارى مخالفٌ لعامّة الروايات.

قوله: (إلّا إذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح)، فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به المسيح، قالوا: يؤكل، إلا إذا نصّ، فقال: باسم الله الذي هو ثالث ثلاثة، هندية. وأفاد أنه يؤكل إذا جاء به مذبوحًا. عناية: كما إذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله تعالى وحده. اهـ. **قوله:** (غير زانين) أي مُعلنين بالزِّنا بهنّ (﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾) صدائق تسرّون بالزّنا منهنّ. **قوله:** (الخِدْن) في المصباح: الخدن الصديق في السرّ، والجمع أخدان، مثل حمل وأحمال. اهـ. **قوله:** (بشرائع الإسلام) يريد بالإيمان شرائع الإسلام على أنه مصدر أُريد به المؤمن به كدرهم ضرب الأمير؛ لأن الإيمان نفسه لا يكفر به، والكفر الإباء عنه وجحوده وآلاته تذييل لقوله: (﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾) تعظيمًا لشأن ما أحلّه الله وما حرّمه وتغليظًا على مَنْ خالفه ذلك، فيقتضي أن يُراد بالإيمان أُمور الدِّين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النحل: الآية ٩٨] أي إذا أردت أن تقرأ القرآن، فعبّر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مُسبَّب عن الإرادة فأُقيم المسبَّب مقام السبب لمُلابسة بينهما طلبًا للإيجاز، ونحوه («كما تدين تُدان») عبَّر عن الفعل الابتدائي الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبَّب عنه، وتقديره: وأنتم محدثون. عن (ابن عباس) ﵄: أو من النوم لأنه دليل الحدث: وكان رسول الله ﷺ والصحابة يتوضؤون لكل صلاة. وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجبًا أول ما فرض (ثم نسخ) ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ «إلى» تفيد معنى الغاية (مطلقًا)، فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٠] لأن الإعسار علّة الإنظار وبوجود الميسرة

قوله: (كما تُدين تُدان) أي كما تفعل تُجازى بفعلك. **قوله:** (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمّى البحر والحِبْر لسعة علمه. مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المُكْثِرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. رُوِيَ له عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منهاعلى خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين، ومناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: (ثم نسخ) فيه ضعف من جهة أن لا يظهر له ناسخ من الكتاب والسنّة المتواترة، ومن جهة إطباق الجمهور على أن المائدة ثابتة كلّها لا نسخ فيها. اهـ تفتازاني ﵀. **قوله:** (مطلقًا) أي مع قطع النظر عن دخولها في الحكم، عن خروجها عنه.

تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرًا في الحالتين معسرًا وموسرًا. وكذلك ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البقرة: الآية ١٨٧] لو دخل الليل لوجب الوصال. ومما فيه دليل على الدخول قولك: «حفظت القرآن من أوله إلى آخره» لأن الكلام مَسوق لحفظ القرآن كله، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: الآية ١] لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يُسرَى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله، وقوله: «إلى المرافق» (لا دليل فيه) على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط، فحكموا بدخولها في الغسل، وأخذ (زفر) و(داود) بالمتيقن فلم يُدخلاها. وعن النبي ﷺ أنه كان يدير الماء على مِرفقيه ﴿وَٱمۡسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه، فأخذ (مالك) بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، و(الشافعي) باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذنا ببيان النبي عليه السلام وهو ما رُوي أنه مسح على ناصيته وقدّرت الناصية بربع الرأس ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ بالنصب:

قوله: (لا دليل فيه) أي من سوق الكلام.

قوله: (زفر) بن الهذيل بن قيس العنبريّ البصريّ الإمام صاحب الإمام، كان يفضّله ويقول: هو أقْيَس أصحابي، وتزوّج فحضره أبو حنيفة، فقال له زفر: تكلّم، فقال أبو حنيفة في خطبته: هذا زفر بن الهذيل إمام من أئمّة المسلمين وعَلَم من أعلامهم في شرفه وحسبه وعلمه. قال ابن معين: ثقة مأمون. وُلِد سنة عشر ومائة، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة، وله ثمانٌ وأربعون سنة.

قوله: (داود) بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف الظاهري، توفي سنة سبعين ومائتين.

قوله: (مالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمّة الأعلام، توفي سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الشافعي) هو الإمام البارع محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب القرشي المطلبي الشافعي الحجازيّ المكّي. توفي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة رحمه الله.

(**شامي**) ونافع وعلي وحفص. والمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير. غيرهم بالجر بالعطف على الرؤوس لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تُغسل بصبّ الماء عليها فكانت (**مَظِنَّة**) للإسراف المَنهي عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها. وقيل: «إلى الكعبين» فجيء بالغاية (**إماطة**) لظن ظانٍّ يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تُضرَب له غاية في الشريعة، وقال في جامع العلوم إنها مجرورة للجِوار وقد صحَّ أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى قومًا يمسحون على أرجلهم فقال: («**ويل للأعقاب من النار**»)، وعن (**عطاء**): والله ما علمت أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهّرها من الأوساخ التي تتصل بها لأنها تبدو كثيرًا، والصلاة خدمة الله تعالى، والقيام بين يديه متطهّرًا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدي الملك، ولهذا قيل: إن الأولى أن يصلّي الرجل في أحسن ثيابه، وإن الصلاة متعمّمًا أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ في التعظيم ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ فاغسلوا أبدانكم.

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. **قوله:** (مظنّة) بكسر الظاء، قال ابن فارس: مظنة الشيء موضعه. **قوله:** (إماطة) أي إزالة. **قوله:** (**ويلٌ للأعقاب من النار**) أراد أصحابها، وقيل: نفسها لعدم غسلها، والأعقاب جمع عقب ـ بفتح عين وكسر قاف وبفتح عين وكسرها مع سكون القاف ـ ومؤخّر القدم إلى موضع الشِّراك.

قوله: (**عطاء**) بن رباح مفتي أهل مكّة ومُحدثهم القدوة العلم أبو محمد، وُلِد في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة عمر، وهو أشبه، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأُمّ سلمة وطائفة. وروىٰ عنه أيوب وحسين المعلم وابن جريج وابن إسحٰق والأوزاعي وأبو حنيفة وهمام بن يحيىٰ وجرير بن حازم وخلق كثير. قال أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء، مناقبه في العلم والزهد والتألّه كثيرة رحمه الله تعالى، مات على الأصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: سنة خمس عشرة بمكّة.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم﴾ قال (الرازي) معناه وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمّم بلا حدث ﴿مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ المكان (**المطمئن**) وهو كناية عن قضاء الحاجة ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتم ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمّم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ بالتراب إذا (أعوزكم) التطهّر بالماء ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ وليتمّ برخصه إنعامه عليكم (**بعزائمه**) ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ نعمته فيثيبكم.

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ أي عاقدكم به عقدًا وثيقًا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال اليُسْر والعُسْر و(**المنشط**) و(**المكره**) فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا. وقيل: (**هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة**

قوله: (**الرازي**)، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الرازي المولد، الملقّب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة. توفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ستّ وستّمائة بمدينة هراة رحمه الله. **قوله:** (**المطمئن**) أي المنخفض. **قوله:** (**أعوزكم**)... الخ. يقال: أعوزني كذا بمعنى أعجزني، والعَوَز ـ بالفتح ـ العدم، والمراد بالتطهير رفع الحدث والمانع الحكمي. **قوله:** (**بعزائمه**) العزيمة ما شرع أصالةً، والرخصة ما شرع بناءً على الأعذار.

قوله: (**المنشط**) بفتح ميم ومعجمة مصدر بمعنى النشاط. **قوله:** (**المكره**) بفتح ميم وراء بمعنى الكراهة. **قوله:** (**هو الميثاق ليلة العقبة**) قال ابن الجوزي رحمه الله: كان هذه المبايعة في ليلة العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوّة. وأمّا العقبة الأولى، ففي سنة إحدى عشرة. قال عبادة بن الصامت: فبايعناه فيها على النساء، يعني ما ورد في سورة الممتحنة. (**وفي بيعة**

الرضوان) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في نقض الميثاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ عُدّي «يجرمنكم» بحرف الاستعلاء مضمّنًا معنى فعل يتعدّى به كأنه قيل: ولا يحملنّكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي العدل أقرب إلى التقوى. نهاهم أوّلًا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيدًا وتشديدًا، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله تعالى: «هو أقرب للتقوى» وإذا كان وجوب العدل مع الكفّار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما أمر ونهى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ «وعد» يتعدى إلى مفعولين: فالأول «الذين آمنوا»، والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ والوعيد وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي لا يفارقونها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان ـ أبو بكر وعمر ـ

الرّضوان) بالحُديبية سمّيت بها لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية ١٨].

(والختنان) يستقرضهم دِية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية (الضمري) خطأ يحسبهما مشركين فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نُطعمك ونُقرضك، فأجلسوه في (صُفَّة) وهمّوا (بالفتك) به، و(عمد) عمرو بن (جحاش) إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ ونزلت الآية. «إذ» ظرف للنعمة ﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ﴾ بأن يبسطوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل، يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: الآية ٢] ومعنى بسط اليد مدّها إلى المَبطوش به ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ فمنعها أن تُمدّ إليكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه الكافي والدافع والمانع.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ هو الذي (ينقب) عن أحوال القوم ويفتّش عنها. ولمّا استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى (أريحاء) أرض الشام وكان يسكنها (الكنعانيون) الجبابرة وقال لهم: إني كتبتها لكم دارًا وقرارًا فاخرجوا إليها وجاهِدوا مَن فيها وإني ناصركم، وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبًا يكون

قوله: (والختنان) أي عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهما. في المصباح: خَتن الرجل عند العامّة زوج ابنته. اهـ. **قوله:** (الضمري) بفتح فسكون نسبة إلى بني ضمرة حيّ من العرب. **قوله:** (صُفَّة) أي ظلّة. **قوله:** (بالفتك) أي القتل على غفلة. **قوله:** (عمد) من باب ضرب. **قوله:** (جحاش) بكسر الجيم على يهودي.

قوله: (ينقب) من باب قتل. **قوله:** (أريحاء) بالمدّ كزليخاء[1] وكربلاء. **قوله:** (الكنعانيون) أولاد كنعان بن سام بن نوح عليه الصّلاة والسّلام، وهي أمّة

---

(١) بفتح الزاي وكسر اللام، قال شيخنا: والعوام ينطقون به على وجوه من الفساد منها التصغير ومنها التشديد، وكل ذلك خطأ. اهـ تاج العروس شرح القاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

كفيلًا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفَّل لهم النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسَّسون فرأوا أجرامًا عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدَّثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدِّثوهم فنكثوا الميثاق إلا (كالب) بن يوفنا و(يوشع) بن نون وكانا من النقباء ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾ أي ناصركم ومُعينكم. وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقَسَم وهو ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وكانتا فريضتين عليهم ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ من غير تفريق بين أحد منهم ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ وعظَّمتموهم أو نصرتموهم بأن تردّوا عنهم أعداءهم، والعزر في اللغة الردّ ويقال عزرت فلانًا أي أدّبته يعني فعلت به ما (يردعه) عن القبيح كذا قاله الزجّاج ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بلا مَنٍّ وقيل: هو كل خير. واللام في ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ جواب للقسم وهذا الجوابِ سادّ مَسدّ جواب القسم والشرط جميعًا ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ أي (بعد ذلك) الشرط المؤكد المتعلّق بالوعد (العظيم) ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق، نعم مَن كفر قبل ذلك فقد ضلّ سواء السبيل أيضًا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم.

من الجبابرة ولغتهم تقرب من العربية. **قوله:** (كالب) ـ بفتح اللام ـ ابن يوفنا ـ بفتح الفاء وتشديد النون ـ من سبط يهودا بن يعقوب كان ختن موسى على أخته مريم بنت عمران.

قوله: (يوشع) بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف بن يعقوب كان فتى موسى ووصيّه بعد موته. **قوله:** (يردعه) أي يمنعه.

قوله: (بعد ذلك) لشرط المؤكّد المعلّق بالوعد (العظيم) أورد عليه بأنّ الوعد بتكفير السيّئات وإدخال الجنّات جزاء للشرط، والجزاء هو المعلّق بالشرط، لا الشرط بالجزاء؛ فعبارة الكتاب على القلب. والجواب: أنه لا يريد بالتعليق مصطلح الأصول، أعني جعل أمر هو على خطر الوجود مرتّبًا ومقيّدًا حصوله بحصول شرط، ومسبّبًا عنه، بل معناه اللغوي، أعني جعل الشيء مرتبطًا بشيء ومتعلّقًا به، وقد جعل الشرط مرتبًا بالوعد حيث أخبر بحصول الموعود بعد حصول مضمون الشرط.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» مزيد لإفادة تفخيم الأمر ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ يابسة لا رحمة فيها ولا لين. («قسية»: **حمزة وعلي**) أي رديئة من قولهم: «درهم قسي» أي رديء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يفسّرونه على غير ما أُنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشدّ من الافتراء على الله وتغيير وحيه ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ وتركوا نصيبًا (**جزيلًا وقسطًا**) وافيًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظّ عظيم، أو قست قلوبهم وفسدت فحرّفوا التوراة وزلّت أشياء منها عن حفظهم. عن (**ابن مسعود**) ﷺ: (**وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية**) وتلا هذه الآية. وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم، كانوا يخونون الرُّسُل وهؤلاء يخونونك ويهمّون بالفتك بك، وقوله: «على خائنة»

قوله: (قسيّة) بحذف الألف وتشديد الياء (**حمزة وعلي**) الكسائيّ. والباقون بالألف والتخفيف اسم فاعل من قسى يقسو. **قوله:** (**جزيلًا**) أي عظيمًا. **قوله:** (**قِسْطًا**) أي نصيبًا.

قوله: (**ابن مسعود**) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذليّ، أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمّة، وأمّره عمر ﷺ على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله:** (**وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية**)... الخ. وفي معنى ما رُوِي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ورحمه:

شكَوْت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي

(أي على خيانة) أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة، ويقال: «رجل خائنة» كقولهم: «رجل راوية للشعر» للمبالغة. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ بعث على مخالفتهم، أو فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ﴿وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ و«من» في قوله:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾

(﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾) وهو الإيمان بالله والرسل وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أي وأخذنا من الذين قالوا إنّا نصارى ميثاقهم، فقدّم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور. (وإنما لم يقل «من النصارى») لأنهم إنما سمّوا أنفسهم بذلك ادّعاء لنصر الله وهم

وهذا رواه أحمد في مسنده. **قوله:** (أي على خيانة) بمعنى المصدر كالعافية، أو صفة فعلة على طريقة النسب كعيشة راضية، ولابن وتامر، أو صفة لمؤنّث كنفس وفرقة، أو لمذكّر والتاء للمبالغة كرواية.

قوله: (وإنما لم يقل «من النصارى»)... الخ. يعني الظاهر أن يقال: ومِنَ النصارى أخذنا ميثاقهم، وعدل عنه إلى قوله: (﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾) إيماءً إلى أنهم ليسوا نصارى، بمعنى كونهم أنصار الله تعالى وأنصار دينه، بل إنهم نصارى بتسميتهم أنفسهم بهذا الاسم، وادّعائهم نصرة الله تعالى، حيث قالوا لعيسى عليه السلام: نحن أنصار الله، ثم إنهم غيّروا دين الله تعالى وصاروا فرقًا: نسطورية ويعقوبية وملكانية، زعمت النسطورية أن عيسى ابن الله تعالى، وزعمت اليعقوبية أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم، وزعمت الملكانية أن الله ثالث ثلاثة؛ فكانوا أنصار الشياطين، ولم يكونوا أنصار الله، وقد أمرهم عيسى عليه الصّلاة والسّلام بذلك، حيث قال لهم: ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصَّف: الآية ١٤]. وقوله تعالى: (﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾)، قال مقاتل: أخذ الميثاق على أهل الإنجيل كما أخذه على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمّد ﷺ ويتّبعوه، وهو مكتوب عندهم في الإنجيل، (﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾)، أي ما أُمِروا به من الإيمان وبيان

الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله. ثم اختلفوا بعد (نسطورية) ويعقوبية وملكانية أنصارًا للشيطان ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فألصقنا وألزمنا من (غري) بالشيء إذا لزمه ولصق به (ومنه الغراء) الذي يلصق به ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بين فرق النصارى المختلفين ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالأهواء المختلفة ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي في القيامة بالجزاء والعقاب.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لليهود والنصارى، والكتاب للجنس ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد عليه السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لا يبيّنه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ يريد القرآن (لكشفه) ظلمات الشّرك والشك (ولإبانته) ما كان خافيًا على الناس من الحق، (أو لأنه ظاهر الإعجاز)، أو النور محمد عليه السلام لأنه يهتدى به كما سمّي سراجًا.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي بالقرآن ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ مَن آمن منهم ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله

نعته، وذلك حظٌّ عظيم فاتهم (﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾) وهم الذين آمنوا به واتّبعوه منهم.
قوله: (نسطورية) نصب على الحال، أو في موقع المصدر، أي هذا النوع من الاختلاف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (غري) من باب صَدِي. **قوله:** (ومنه الغِراء) بالكسر والمدّ، وبالفتح والقصر لغة أهل الحجاز.

قوله: (لكشفه) علّة إطلاق النور عليه، (ولإبانته أو لأنه ظاهر الإعجاز) علّة وصفه بالمبين من أَبَنْتُ الشيء أوضحته أو من أبان الشيء ظهر.

(فالسلام: السلامة، أو الله) ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ معناه (بَتّوا) القول على أن الله (هو المسيح لا غير). قيل: كان في النصارى قوم يقولون ذلك، أو لأن مذهبهم يؤدّي إلى حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويُحيي ويُميت ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ (فمَن يمنع من قدرته) ومشيئته شيئًا ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي إن أراد أن يُهلك مَن دعوه إلٰهًا من المسيح وأمه يعني أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد. وعطف «مَن في الأرض جميعًا» على «المسيح وأُمه» إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم، والمعنى أن مَن اشتمل عليه رحم الأُمومية متى يفارقه نقص البشرية، ومَن لاحت عليه شواهد الحدثية أنّى يليق به نعت الربوبية، ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص إلى الصمدية. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

قوله: (فالسلام: السلامة، أو الله) يعني أن السلام مصدر بمعنى السلامة، أو اسمه تعالى وُضِع موضع المضمر ردًا على اليهود والنصارى الواصفين له تعالى بالنقائص واستعارة: الظلمة للكفر والنور للإسلام ظاهرة.

قوله: (بتّوا) في المصباح: بته بتًا من بابي ضرب وقتل قطعه. اهـ. وفي نسخة: بت. **قوله:** (هو المسيح لا غير) بدلالة حمل الشخص على الشخص مع ضمير الفصل والتأكيد بأن، والفصل هٰهنا لمجرّد التأكيد لحصول القصر بدونه؛ ولأن القصر هٰهنا للمسند إليه على المسند، أي لا غير المسيح؛ كما في قولهم: الكرم هو التقوى، وكقوله عليه السلام: «فإن الله هو الدهر» أي الجالب للحوادث لا غير الجالب، بخلاف زيد هو المنطلق، فإنّ معناه: لا غير زيد. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (فمن يمنع من قدرته) يعني: أن يملك مجاز عن أن يمنع، أو مضمن معناه، ومن الله متعلق به على حذف المضاف.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي يخلق من ذَكَر وأُنثى ويخلق من أُنثى بلا ذكر كما خلق عيسى، ويخلق من ذَكَر من غَير أُنثى كما خلق حواء من آدم، ويخلق من غير ذَكَر وأُنثى كما خلق آدم، أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له فلا اعتراض عليه لأنه الفعَّال لما يريد ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ أي أعزّة عليه كالابن على الأب، أو (**أشياع**) ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع (**أبي خبيب**) وهو (**عبد الله بن الزبير**) الخبيبيون، وكما كان يقول رهط (**مسيلمة**) نحن أبناء الله ويقول أقرباء الملك و(**حشمه**) نحن أبناء الملوك (**أو نحن أبناء رسل الله**) ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم

قوله: (**أشياع**) أي أتباع، **قوله:** (**أبي خُبيب**) بالمعجمة مصغّرًا. **قوله:** (**عبد الله بن الزبير**) بن العوام القرشي الأسدي، كان أوّل مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، وولي الخلافة تسع سنين. قُتل في ذي الحجّة سنة ثلاث وسبعين. **قوله:** (**مُسيلمة**) الكذّاب عدوّ الله، هو مسيلمة بن حبيب، وهو من بني حنيفة. قال ابن قتيبة: كُنيته أبو ثمامة، وكان صاحب نيرنجيّات، وهو أوّل من أدخل البيضة في قارورة، وقال: ولا عقب له، وجمع جموعًا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب وغوغائهم وقصد قتال الصحابة في إثر وفاة رسول الله ﷺ، فجهّز له أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الجيوش وأمّرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه سنة إحدى عشرة من الهجرة، فقاتلوه فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرًا، قيل: قتله وحشي بن حرب، وقيل غيره، وقُتل مَن تبعه وانهزم مَن أفلت منهم وعُفيت آثارهم. **قوله:** (**حشمه**) في المصباح: الحشم خدم الرجل. قال ابن السكّيت: هي كلمة في معنى الجمع ولا واحد لها من لفظها، وفسّرها بعضهم بالعيال والقرابة، ومن يغضب له إذا أصابه أمر. اهـ. **قوله:** (**أو نحن أبناء رسل الله**) على حذف المضاف، وأضافوا إليه سبحانه وتعالى ما هو مضاف في الحقيقة إلى رسله، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠].

بِذُنُوبِكُمۖ﴾ أي فإن صحّ أنكم أبناء الله وأحباؤه فلِمَ تُعَذَّبون بذنوبكم بالمسخ والنار أيامًا معدودة على زعمكم، وهل يمسخ الأب ولده وهل يعذّب الوالد ولده بالنار؟ ثم قال ردًّا عليهم: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ﴾ أي أنتم خَلْقٌ من خلقه لا بنوه ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ لمَن تاب عن الكفر فضلًا ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ مَن مات عليه عدلًا ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيه تنبيه على عبودية المسيح لأن المُلْك والبُنُوّة متنافيان.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ (جَآءَكُمْ رَسُولُنَا)﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أي الشرائع **(وحذف لظهوره)**، أو ما كنتم تخفون وحذف لتقدّم ذِكره **(أو لا يقدّر المبين ويكون المعنى يبذل لكم البيان)** وهو حال أي مبيّنًا لكم ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ متعلق بـ «جاءكم» أي جاءكم على حين فُتور من إرسال الرُّسُل وانقطاع من الوحي، **(وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة)** ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ **(كراهة أن تقولوا)** ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ﴾ والفاء في ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم ﴿بَشِيرٍ﴾

قوله: (وحذف لظهوره) لدلالة الرسول عليه، فإن كل أحد يعلم أن الرسول إنما يرسل لتعليم دين الله وشرائعه. **قوله: (أو لا يقدّر المبين)** أي لا يقدر مفعول يبين وينزل منزلة اللازم، **(ويكون المعنى: يبذل لكم البيان)** ليدلّ على العموم كما حذف المفعول لذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: الآية ٢٥]، أي كل أحد.

قوله: (وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصّلاة والسّلام ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستّون سنة)، وقيل: أربعمائة وبضع وستّون سنة، عن الضحاك. وقيل غير ذلك.

قوله: (كراهة أن تقولوا) يشير إلى أنه في موقع المفعول به؛ لقوله: (﴿جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾) لكونه في معنى أرسلنا إليكم رسولًا.

للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للكافرين، والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حتى انطمست آثار الوحي (**أحوج ما يكونون إليه ليهشّوا**) إليه ويعدّوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلّوا غدًا بأنه لم يرسل إليهم مَن ينبّههم من غفلتهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادرًا على إرسال محمد عليه السلام ضرورة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ لأنه لم يبعث في أُمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ لأنه ملّكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم، ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء. وقيل: الملك مَن له مسكن واسع فيه ماء جارٍ وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية. وقيل: مَن له بيت وخدم، أو لأنهم كانوا مملوكين في أيدي (**القبط**) فأنقذهم الله فسُمّي إنقاذهم ملكًا ﴿وَءَاتَىٰكُم (مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)﴾ من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المنّ والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العِظام (**أو أراد عالمي زمانهم**).

قوله: (**أحوج ما يكونون إليه**) أي في حين هو أحوج أوقات كينونتهم إلى الرسول. **قوله**: (**ليهشّوا**)[1] أي ليفرحوا.

قوله: (**القبط**) في مختار الصحاح: القِبْط بوزن السِّبْط أهل مِصْر، وهم بَنْكَها، أي أصلها. اهـ. **قوله**: (**أو**[2] **أراد عالمي زمانهم**) لما دلّ ظاهر قوله تعالى: (﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) على أن قوم موسى يفضلون على كل واحد من آحاد العالمين، وليسوا كذلك. وجه الكلام أوّلًا بأن خصّص عموم قوله تعالى: ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بما أنعم الله تعالى به عليهم مما أوتوا خاصّة من بين العالمين؛ كإهلاك عدوّهم بفَلْق البحر وما أفاض الله تعالى عليهم من فنون فضله وصنوف نعمائه الخارجة عن العدّ والإحصاء كتظليل الغمام

---

(١) في المصباح: هش الرجل هشاشة إذا تبسّم وارتاح من بابي تعب وضرب، ١٢ منه.

(٢) أي: الألف واللام في العالمين للعهد، فالمراد عالمي زمانهم، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أي المطهّرة أو المباركة وهي أرض بيت المقدس أو الشام ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (**قسمها لكم أو سمّاها أو كتب في اللوح المحفوظ**) أنها مساكن لكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ ولا ترجعوا على أعقابكم مُدبِرين مُنهزِمين من خوف الجبابرة (**جُبْنًا**) أو لا ترتدّوا على أدباركم في دينكم ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ فترجعوا خاسرين (**ثواب الدنيا والآخرة**).

وإطعامهم طعام الملوك وسقيهم الماء الزُّلال الخارج من حجر صغير يابس وغير ذلك، ولا يلزم من تخصيص تلك النِّعم المختصّة بهم تفضيلهم على سائر طوائف العالم لجواز أن يختصّ غيرهم بأفضل مما أوتوا، ووجهه ثانيًا بأنْ خصّص عموم العالمين بعالمي زمانهم، لئلا يلزم تفضيلهم على العالمين جميعًا. والحاصل أن قوله: ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ يتناول جميع ما لم يؤته غيرهم، كما يتناول بعضه، وكذلك العالمين عام يتناول جميع العالم، كما يتناول مَنْ في زمانهم من العالم.

قوله: (قسمها لكم) القسمة بمعنى التقدير، فمعنى كتبها قدّرها مجازًا. **قوله:** (أو سمّاها) أي عيّن الأرض المقدّسة لإبراهيم حال كونها ميراثًا لذرّيته على ما رُوِيَ أنه صعد إبراهيم الجبل - أي جبل لُبنان - فقيل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدّس وميراث لذرّيتك، وعلى هذا يجوز أن يجعل سمّاها على أصل معناها.

قوله: (أو كتب في اللوح المحفوظ) فيكون كتب على حقيقته. **قوله:** (جبنًا) في المصباح: جَبَن جُبْنًا وزن قَرُب قُرْبًا، وجَبانة - بالفتح - وفي لغة من باب قتل، فهو جبان أي ضعيف القلب، وامرأة جبان أيضًا، وربما قيل: جبانة، وجمع المذكر جُبَناء، وجمع المؤنث جبانات. اهـ.

قوله: (ثواب الدنيا والآخرة) إشارة إلى مفعوله المقدّر، أي تخسرون ما وعد لكم في الدنيا من الاستيلاء على بلادهم، وفي العقبى من ثواب الآخرة.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ الجبار (فعّال من جبره) على الأمر بمعنى (أجبره) عليه وهو العاتي الذي (يُجبر الناس على ما يريد) ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ بالقتال ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ بغير قتال ﴿فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ بلا قتال ﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ بلادهم حينئذ.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتّقين وهو في محل الرفع صفة لـ «رجلان» وكذا ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالخوف منه ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ أي باب المدينة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ﴾ أي انهزموا وكانت الغَلَبَة لكم، وإنما عَلِما ذلك بإخبار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذ الإيمان به يقتضي التوكّل عليه وهو قطع العلائق وترك (التملّق) للخلائق.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾ هذا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد ﴿أَبَدًا﴾ تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول ﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ بيان للأبد ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ من العلماء مَن حمله على الظاهر. وقال: إنه كفر منهم

قوله: (فعّال) صيغة مبالغة. **قوله:** (من جبره) الثلاثي. **قوله:** (أجبره) أي أكرهه، يقال: أجبرته عليه، أي أكرهته عليه. **قوله:** (يجبر الناس على ما يريد) أي يُكرههم عليه.

قوله: (التملق) في مختار الصحاح: تملّقه وتملّق له تملّقًا وتِمْلاقًا ـ بالكسر ـ أي تودّد إليه وتلطّف له، والمَلَق الوُدّ واللطف، وقد مَلِق من باب طَرِب، ورجل مَلِق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. اهـ.

وليس كذلك إذ لو قالوا ذلك اعتقادًا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء، ولكن الوجه فيه أن يقال: فاذهب أنت **(وربك يُعينك)** على قتالك، أو وربك أي وسيدك وهو أخوك الأكبر هارون، أو لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقولُ «كلمته فذهب يجيبني» تريد معنى الإرادة كأنهم قالوا (أريدا) قتالهم: ﴿فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ماكثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ﴾ لنصرة دينك ﴿إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ﴾ وهو منصوب بالعطف على «نفسي» أو على اسم «إن» أي إني لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه، **(أو مرفوع بالعطف على محل «إن» واسمها)**، أو على الضمير في

قوله: (وربك يعينك) على أن يكون لفظ ربّك مبتدأ حُذِف خبره، والواو للحال. **قوله:** (أَريدا[1]) بفتح الهمزة أمر الاثنين من الإرادة.

قوله: (أو مرفوع بالعطف على محل «إن» واسمها)، فإن إن المكسورة لما لم تغيّر معنى الجملة كان اسمها المنصوب في محل الرفع على الابتداء؛ لأن فائدة المكسورة ليست إلا للتأكيد، فكانت بالنسبة إلى أصل المعنى في حكم المعدوم، فجاز العطف على محل اسمها بالرفع؛ كقول الشاعر:

ومن يك أمسى بالمدينة رَحْله فإني وقيار بها لغريب

وقيار أيضًا غريب، وخبر إن وإن كان مؤخّرًا لفظًا، لكنه مقدّم تقديرًا، فلذلك جاز العطف على محل إنّ مع اسمها، فإن تقدم الخبر شرط في مثل هذا العطف لئلا يلزم توارد عاملين على معمولٍ واحد، فكما يجوز العطف على المبتدأ بالرفع، نحو: زيد قائم وعمر، فكذا يجوز العطف على محل إن بالرفع، تقول: إنّ زيدًا قائم وعمرو، والمفتوحة لمّا كانت مع خبرها في تأويل اسم مفرد مرفوع أو مجرور أو منصوب وتغيّر بها معنى الجملة، وكان اسمها كبعض

---

(١) هكذا في تفسير المدارك المطبوع: في الدهلي، وفي المطبوع بمصر: أُريدُ بمكان أَريدْ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

«لا أملك» (**وجاز للفصل**) أي ولا يملك أخي إلا نفسه، أو هو مبتدأ والخبر محذوف أي وأخي كذلك، (**وهذا من البث**) والشكوى (**إلى الله**) ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر إلا النبي المعصوم، أو أراد ومَن يؤاخيني على ديني ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو في معنى الدعاء عليهم، أو فباعِد بيننا وبينهم وخلِّصنا من صحبتهم كقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: الآية ١١].

حروف الكلمة لم يجز العطف على محل اسمها، ويشترط في جواز العطف على محل المكسورة تقدّم الخبر لفظًا، أو تقديرًا خلافًا للكوفيّين، وقد تقدّم الخبر في الآية لفظًا، فجاز العطف على اسم إن بلا خلاف، واختلف عبارة النُّحاة في هذا، قال بعضهم: ومنهم ابن الحاجب جاز العطف على محل اسم إن المكسورة، وقال آخرون: جاز العطف على محل إن مع اسمها، كما قال المصنّف رحمة الله عليه، ولعلّ مبنى العبارة الأولى، وهو أن محل الإعراب هو الاسم الذي تعتور عليه المعاني المختلفة، وذلك الاسم هو اسم إن وحده؛ لأنه هو الذي في محل الرفع على الابتداء، وإن كان منصوبًا لفظًا يتسلّط العامل عليه، ومبنى العبارة الثانية أن المرفوع على الابتداء لو كان اسم إن وحده لوجب أن يكون مجرّدًا عن العوامل اللفظية، وذلك الاسم ليس مجرّدًا عنها، فلم يصح أن يقال له إنه مرفوع المحل على الابتداء، فيكون المرفوع على الابتداء هو إن مع اسمها.

قوله: (وجاز) أي العطف على الضمير المرفوع المتّصل بلا تأكيد (**للفصل**) أي لوجود الفصل بالمفعول، كما تقول: ضربت زيدًا وعمرو، ثم هذا لا يوجب الاتّحاد في المفعول، بل يقدر للمعطوف مفعول آخر، أي وأخي إلا نفسه، كما تقول: ضربت زيد وعمر وبكرًا.

قوله: (وهذا من البث) أي الحزن والشّكوى أي الشّكاية (**إلى الله**) سبحانه وتعالى ليس القصد إلى الإخبار، وكذا كل خبر يخاطب به علام الغيوب يُقصد به معنى مناسب سوى إفادة الحكم أو لازمه.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبّد كقوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾) [القصص: الآية ١٢]. والمراد بقوله: «كتب الله لكم» أي بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل: فإنها محرَّمة عليهم، أو المراد فإنها محرَّمة عليهم: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فإذا مضى الأربعون كان ما كُتب فقد سار موسى عليه السلام بمَن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض. و«أربعين» ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يسيرون فيها متحيِّرين لا يهتدون طريقًا أربعين سنة والوقف على «عليهم». وإنما عوقِبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يُصبِحون حيث أمْسَو ويُمسُون حيث أصبحوا (**في ستة فراسخ**). ولما (**ندم**) على الدعاء عليهم قيل له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون. قيل: لم يكن موسى وهارون معهم في التِّيه لأنه كان عقابًا وقد سأل موسى ربّه أنه يفرِّق بينهما وبينهم. وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك (**روحًا**) لهما

قوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾) [القصص: الآية ١٢] أي على موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام (﴿الْمَرَاضِعَ﴾) [القصص: الآية ١٢] أي منعناه من قبول ثدي مُرْضعة غير أُمّه، والمراضع اسم موضع الرّضاع، وهو الثدي، ويحتمل أن يكون جمع مرضع ـ بضم الميم وترك التاء ـ لاختصاصه بالنساء، أو بتأويل الشخص. **قوله:** (**في ستّة فراسخ**) في المصباح: الفرسخ ثلاثة أميال، والميل عند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتّفقوا على أن مقداره ستّ وتسعون ألف أصبع، والأصبع ستّ شعيرات، بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنتين وثلاثين أصبعًا كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإن قسم على رأي المُحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع.اهـ.

قوله: (نَدِم) من باب طَرِب. **قوله:** (روحًا) بفتح الباء، أي راحة.

وسلامًا لا عقوبة. وماتِ هارون في التِّيه، وموسى فيه بعده بسنة، ومات النقباء في التِّيه إلا كالب ويوشع.

ثم أمر الله تعالى محمدًا ﷺ أن يقصَّ على حاسِدِيه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه ويؤمنوا بقوله:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ من صلبه هابيل وقابيل، أو هما رجلان من بني إسرائيل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ **(نبأ ملتبسًا بالصدق)** موافقًا لما في كتاب الأوّلين، أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة، أو واتل عليهم وأنت مُحِقٌّ صادق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبأ أي قصتهما وحديثهما في ذلك الوقت، أو بدل من النبأ أي اتلُ عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف ﴿قُرْبَانًا﴾ ما يتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة. **(يقال: قرب صدقة وتقرَّب بها لأن تقرّب مطاوع قرب)**، والمعنى إذ قرَّب كل واحد منهما قربانه دليله ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ قربانه وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ قربانه وهو قابيل. رُوِيَ أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوّج كل واحد منهما **(توأمة الآخر)**، وكانت توأمة قابيل أجمل

قوله: (نبأ ملتبسًا بالصدق)... الخ. يريد أن بالحق حال من المفعول، وهو نبأ ابني آدم وقدَّره. المصنِّف رحمه الله: نبأ ملتبسًا بالصدق ليتعيّن ذو الحال، أو صفة مصدر محذوف، أو حال من فاعل اتل المستتر، وهو ضمير المخاطب. **قوله:** **(يقال: قرب صدقة وتقرب بها؛ لأن تقرب مطاوع قرب)** قال الأصمعي: تقرّبوا قرف القمع فيعدّى بالباء حتى يكون بمعنى قرّب. اهـ كشاف. وقوله: تقربوا قرف القمع، وهو ـ بكسر القاف وسكون الميم وفتحها ـ الإناء الذي يُجعل في رؤوس الظروف يصب فيها الدهن ونحوه، والقرف ما اجتمع عليه من الأوساخ بمنزلة قشر له ينادى بذلك الطلاب الآخذين منه استخفافًا بهم واستحقارًا أو مطايبةً واستدناء وتقريبًا وقت الأخذ والقراءة، أي ادنوا مني بأوساخ القمع. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (توأمة الآخر) التوأمان الولدان في بطنٍ واحد، الذَّكر توأم والأُنثى توأمة، وزان جَوْهرٍ وجَوْهَرَة.

(واسمها إقليما) فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم: قرّبا قُربانًا فمن أيّكما قُبِل يتزوّجها فقُبِل قُربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدًا وسخطًا وتوعّده بالقتل وهو قوله: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ أي قال لهابيل: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وتقديره: قال لِمَ تقتلني؟ قال: لأن الله قَبِل قُربانك ولم يقبل قُرباني. فقال: إنما يتقبَّل الله من المتقين وأنت غير مُتَّقٍ فإنما أُوتيت من قِبَل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قِبَلي. وعن **(عامر بن عبد الله)** أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له: ما يُبكِيك وقد كنت وكنت؟ قال: إني أسمع الله يقول: «إنما يتقبل الله من المتقين».

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾ بماد (﴿يَدَيَ﴾ **مدني وأبو عمرو**) وحفص ﴿إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: كان أقوى من القاتل وأبطَش منه ولكن تحرَّج عن قتل أخيه واستسلم له خوفًا منْ الله تعالى لأن الدفع لم يكن مُباحًا في ذلك الوقت، وقيل: بل كان ذلك واجبًا فإن فيه إهلاك نفسه ومشاركة للقاتل في إثمه، وإنما معناه ما أنا بباسط يدي إليك مُبتَدِئًا كقصدك ذلك مني، وكان هابيل عازِمًا على

قوله: (واسمها إقليما) كذا في تفسير الخطيب والخازن والكشاف وغيرهم. وفي القاموس: إقليمياء ـ بالكسر ـ بنت آدم عليه السلام. اهـ. واسم توأمة هابيل لبودا.

قوله: (عامر بن عبد الله) بن الزبير بن العوام، كُنيته أبو الحارث، وهو تابعي سمع أباه وأنسًا وغيرهما من الصحابة. روى عنه سعيد المقبري، ويحيى الأنصاري، ومحمد بن عجلان وآخرون من الأئمّة، وكان عابدًا فاضلًا مُجمَعًا على توثيقه وجلالته، وهو مدني توفي قريبًا من سنة أربع وعشرين ومائة رحمه الله.

قوله: (﴿يَدَيَ﴾) بفتح الياء **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وأبو عمرو)** البصري وحفص، والباقون بإسكانها.

مُدافعته إذا قصد قتله وإنما قتله (**فتكًا**) على غفلة منه. (﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾: **حجازي وأبو عمرو**).

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

(﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾) «إنّيَ» (**مدني**) ﴿أَن تَبُوٓأَ﴾ أن تحتمل أو ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾ بإثم قتلي إذا قتلتني ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي لأجله لم يتقبَّل قربانك وهو عقوق الأب والحسد (**والحقد**)، وإنما أراد ذلك لكفره بردّه قضية الله تعالى أو كان ظالمًا وجزاء الظالم جائز أن يُراد ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ فوسعته ويسرته من طاع له (**المرتع**) إذا اتّسع ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ عند عقبة (**حراء**) أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

قوله: (فتكًا) في المصباح: الفَتْك القتل على غِرّة ـ بفتح الفاء وضمّها وَكسرها ـ. اهـ. وأيضًا فيه: الغِرّة ـ بالكسر ـ الغفلة. اهـ. **قوله:** (﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾) بفتح الياء (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكّي. (**وأبو عمرو**) البصري. والباقون بالإسكان.

قوله: (﴿إِنِّيَ أُرِيدُ﴾) بفتح الياء (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، والباقون بالإسكان. **قوله: (الحِقْد)** الضِّغن. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء. اهـ.

قوله: (المرتع) في مختار الصحاح: رتعت الماشية أكلت ما شاءت، وبابه خضع، ويقال: خرجنا نلعب ونَرْتَعُ أي نَنْعَمُ ونَلْهُو، والموضع مَرْتَع. اهـ. وفي المصباح: رتعت الماشية رتعًا من باب نفع، ورتوعًا رعت كيف شاءت، والمرتع بالفتح موضع الرتوع، والجمع المراتع. اهـ باختصار. **قوله: (حِراء)** بكسر الحاء والمدّ يصرف[1] ولا يُصرف جبلٌ معروف بمكّة المعظّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا.

---

(١) يُذكّر ويؤنّث، فإن أُنّث لم يصرف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا (يَبْحَثُ) فِي ٱلْأَرْضِ (لِيُرِيَهُۥ)﴾ أي الله أو الغراب ﴿كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ (﴿سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾) وما لا يجوز أن ينكشف (من جسده). رُوِيَ أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم، ولما قتله تركه (بالعراء) لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السِّباع فحمله في (جراب) على ظهره سنة حتى (أروح) و(عكفت) عليه السِّباع، (فبعث الله غرابين) فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمِنقاره ورِجلَيه ثم ألقاه في الحُفرة فحينئذ ﴿قَالَ (يَٰوَيْلَتَىٰٓ) أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ﴾ عطف على «أكون» ﴿سَوْءَةَ أَخِيۖ (فَأَصْبَحَ) مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على قتله لماتعب فيه من حمله وتحيّره في أمره ولم (يندم) ندم التائبين، أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حمله لا على قتله. ورُوِيَ أنه لما قتله اسودَّ جسده وكان

قوله: (﴿يَبْحَثُ﴾) بمعنى يحفر، وأصل معناه يفتّش. **قوله:** (﴿لِيُرِيَهُۥ﴾) إما متعلق ببحث أو يبحث. **قوله:** (﴿سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾) اعلم أنه قال في كتاب الأحكام: إن في العورة أقوالًا، فقيل: هي الجسد كلّه، وقيل: ما بين السرّة والركبة، وقيل: إنها مُثقلة، وهي القُبُل والدُّبر، ومخفّفة وهي ما بين السرّة والركبة، فلعلّ العلامة فسّرها بالعورة حتى يشمل الأقوال. **قوله:** (من جسده) مِن تبعيضية، أو ابتدائية لا بيانية. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (بالعراء) ـ بالمدّ ـ الفضاء لا سترة به. **قوله:** (جراب) بالكسر. **قوله:** (أروح) أنتَن وتغيّرت رائحته. **قوله:** (عكفت) أي أحاطت. **قوله:** (فبعث الله غرابين) هما طائران معروفان، وقيل: إنهما ملكان بصورة غرابين. **قوله:** (﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾) هي كلمة جزع وتحسر والألف بدل من ياء المتكلّم، والمعنى: يا ويلتي احضري فهذا أوانك، والويل والويلة الهَلَكة. اهـ أبو السعود. وفي الكرخي: قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾، أي يا هلاكي تعال، فهو اعتراف على نفسه باستحقاق العقاب، وهي كلمة تُستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظهما لفظ النداء، كأنّ الويل غير حاضر عنده، فناداه ليحضر، أي أيّها الويل احضر، فهذا أوان حضورك، وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، وقد ينادي ما لا يعقل مجازًا. اهـ. **قوله:** (﴿فَأَصْبَحَ﴾) أصبح هنا بمعنى صار. **قوله:** (يندم) من باب طرب.

أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال: (ما كنت عليه وكيلًا). فقال: بل قتلته ولذا اسودّ جسدك. فالسودان من ولده. وما رُوِيَ أن آدم (رثاه بشعر) فلا يصحّ (لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر).

قوله: (ما كنت عليه وكيلًا)، أي أنا لم أكن مأمورًا بحفظه. **قوله:** (رَثاه بشعر) في المصباح: رثيت الميت أرثيه من باب رمى، مرثية ورثيت له ترحّمت ورققت له.اهـ. وفي مختار الصحاح: رَثَيْتُ الميت من باب رمى، ومرثية أيضًا ورثَوْته من باب عدا، إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذا إذا نظمت فيه شعرًا، ورثى له رقّ له من الباب الأوّل بمَصْدَرَيْه، وربما قالوا: أرثأت الميت ـ بالهمز ـ على خلاف الأصل.اهـ. والشعر المذكور هو قوله:

تغيّرت البلاد ومَنْ عليها ... فوجه الأرض مغيّر قبيح
تغيّر كل ذي لون وشكلٍ ... وقلّ بشاشة الوجه المليح

وقال الشرّاح: المليح إن رفع فخطأ؛ لأنه صفة الوجه المجرور، وإن خفض فإقواء[1]، وهو عيب قبيح، وإن كَثُر. وقول من قال: الوجه فاعل قلّ وبشاشة منصوب على التمييز بحذف التنوين إجراءً للوصل مجرى الوقف، ألحن. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قلت: لا شكّ أن لوائح الوضع عليه لائحة لركاكته، لكن ما استصعبوه من الإقواء وترك التنوين ليس بصعب لِمَا في أشعار الجاهلية والشعراء من أمثاله، مع أنه قد يخرج بأنه نعت جرى على المحلّ؛ لأن الوجه فاعل المصدر، وهو بشاشة. وقيل: إنه مرفوع وقد سمع كالجر.اهـ.

قوله: (لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر)، رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ محمّدًا والأنبياء عليهم السلام كلّهم سواء في النهي عن الشعر، لكن رثاه آدم بالسرياني كلامًا منشورًا، فلم يزل ينقل إلى أن وصل إلى يعرب بن قحطان، وهو أوّل من خطّ بالعربية، فنظر في المرثية فقدّم وأخّر وجعل شعرًا عربيًا.

---

(١) بكسر الهمزة وبالقاف: اختلاف المجرى أي حركة الروي المطلق بكسر وضم والإقواء غير جائز للمولدين، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ بسبب ذلك وبعلّته «وذلك» إشارة إلى القتل المذكور. قيل: هو متصل بالآية الأولى فيوقف على «ذلك» أي فأصبح من النادمين لأجل حمله ولأجل قتله. وقيل: هو مستأنف والوقف على «النادمين» و«من» يتعلق بـ «كتبنا» لا بـ «النادمين» ﴿كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خصّهم بالذّكر وإن اشترك الكل في ذلك لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا﴾ الضمير للشأن و«من» شرطية ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ بغير قتل نفس ﴿أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عطف على «نفس» أي بغير فساد في الأرض وهو الشِّرك، أو قطع الطريق وكل فساد يُوجِب القتل ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ أي في الذنب. عن (الحسن): لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعًا لم يزد على ذلك ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ ومَن استنقذها من أسباب (الهلكة) من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ جعل قتل الواحد كقتل الجميع، وكذلك الإحياء ترغيبًا وترهيبًا لأن المُتَعَرِّض لقتل النفس إذا تصوَّر أن قتلها كقتل الناس جميعًا عظم ذلك عليه (فثبطه)، وكذا الذي أراد إحياءها إذا تصوَّر أن حُكمه حُكم جميع الناس رغب في إحيائها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا﴾ («رُسْلنا»: أبو عمرو) ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات الواضحات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الراء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه مشهورة. توفي سنة عشر ومائة. **قوله: (الهَلَكة)**[١] بالفتح بمعنى الهلاك. **قوله: (فثبطه)** في مختار الصحاح: ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ. **قوله: (رسْلنا)** بإسكان السين تخفيفًا **(أبو عمرو)** البصري. والباقون بالضم على الأصل.

(١) وزان قصبة. اهـ مصباح، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعدما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ في القتل لا يُبالون بعظمته.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي أولياء الله في الحديث يقول الله تعالى: «مَن أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمُحاربة» ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ (مفسدين)، ويجوز أن يكون مفعولًا له أي للفساد وخبر «جزاء» ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ مع القتل إن جمعوا بين القتل وأخذ المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ إن أخذوا المال ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ حال من الأيدي والأرجل أي مختلفة ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بالحبس إذا لم يزيدوا على الإخافة ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ (ذل) وفضيحة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ فتسقط عنهم هذه الحدود (لا ما هو حق العباد) ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم.

قوله: (مفسدين) يعني أنه حال بتأويل المصدر باسم الفاعل. **قوله:** (ذل) بالضمّ.

قوله: **(لا ما هو حقّ العباد)** فيقيلون قصاصًا ويعزمون المال. اهـ رحماني. وفي تفسير روح البيان: أمّا ما هو من حقوق الآدميين، فإنه لا يسقط بهذه التوبة، فإن قطّاع الطريق إن قتلوا إنسانًا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدًّا، وكان وليّ الدم على حقّه في القصاص والعفو، وإن أخذوا مالًا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع أيديهم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فلا تؤذوا عباد الله ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي كل ما يُتَوَسَّل به أي يتقرَّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسّل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من صنوف الأموال ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ وأنفقوه ﴿لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم. و«لو» مع ما في حيِّزه خبر «إن»، ووحَّد الراجع في «ليفتدوا به» وقد ذكر شيئان

وأرجلهم من خِلاف، وكان حقّ صاحب المال باقيًا في ماله ووجب عليهم ردّه. وأمّا إذا تاب بعد القدرة عليه، فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه ويقام الحدّ عليه في الدنيا، كما يضمن حقوق العباد، وإن سقط عنه العذاب العظيم في العقبى، والآية في قطاع المسلمين؛ لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها، يعني أن المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه، فلا سبيل عليه بشيءٍ من الحدود، ولا يُطالَب بشيء مما أصاب في حال الكفر من دم أو مال، كما لو آمن قبل القدرة عليه. وأمّا المسلمون المحاربون، فمَنْ تاب منهم قبل القدرة عليه، أي قبل أن يظفر به الإمام سقطت عنه العقوبة التي وجبت حقًّا لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد، فإن كان قد قتل في قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لوليّ القتل إن شاء عفا عنه، وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع، وإن كان جمع بينهما يسقط عنه تحتّم القتل والصلب ويجب ضمان المال. وقال بعضهم: إذا جاء تائبًا قبل القدرة عليه لا يكون لأحد تبعة في دم ولا مال، إلّا أن يوجد معه مال بعينه فيردّه على صاحبه. رُوِي عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنّ الحارث بن بدر جاءه تائبًا بعدما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء ويأخذ الأموال، فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعة أصلًا. وأمّا مَنْ تاب بعد القدرة عليه، فلا يسقط عليه شيء من الحقوق. اهـ.

(لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة) كأنه قيل: ليفتدوا بذلك ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فلا سبيل لهم إلى النجاة بوجه ﴿يُرِيدُونَ﴾ يطلبون أو يتمنّون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ ارتفعا بالابتداء والخبر محذوف تقديره: (**وفيما يتلى عليكم** ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾) أو الخبر (﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾) أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود، ودخول الفاء (**لتضمنها معنى الشرط**) لأن (**المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما**). والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر، وأخّر الزاني لأن الزّنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر. وقطعت اليد لأنها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزّنا (**تفاديًا**) عن قطع (**النّسل**). ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ مفعول له

قوله: (لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة) واسم الإشارة يجوز فيه الإشارة إلى المتعدّد مع كونه مفردًا على تأويل ما ذكر أو ما تقدّم.

قوله: (وفيما يتلى عليكم: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾) أي حُكم السارق والسارقة ثابت فيما يُتْلَى عليكم، والجملة الثانية أمريّة، وهي قوله: (﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾) جِيءَ بها بيانًا له. **قوله:** (﴿أَيْدِيَهُمَا﴾)... الخ. وإنما قال: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ ولم يقل: يديهما؛ لأنه أراد يمينًا من هذا ويمينًا من هذه، فجُمِع بأنه ليس للإنسان إلا يمين واحدة، وكل شيء موحّد من أعضاء الإنسان إذا ذكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع، والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤوس الأصابع إلى الكوع، فيجب قطعها في حدّ السرقة من الكوع. اهـ. الخازن: والكُوع طرف الزّند الذي يلي الإبهام. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (لتضمّنها معنى الشرط) لأن الألف واللام فيهما موصولة، (**المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما**). **قوله:** (تفاديًا) أي تحاميًا **قوله:** (النّسْل) الولد.

﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ أي عقوبة منه وهو بدل من «جزاء» ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعارض في حكمه ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾

﴿فَمَن تَابَ﴾ من (السرقة) ﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ سرقته ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ بردّ المسروق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ذنبه ويرحمه ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ يا محمد أو يا مُخاطَب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ مَن مات على الكفر ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ لمَن تاب عن الكفر ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من التعذيب والمغفرة وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر. وقدّم التعذيب على المغفرة هنا لتقدّم السرقة على التوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ أي (لا تهتمّ ولا تُبالِ) بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما (يلوح) منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين، فإن ناصرك عليهم وكافيك شرّهم. يُقال أسرع فيه الشيب أي وقع سريعًا فكذلك مُسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطؤوها ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ تبيين لقوله: «الذين يُسارعون في

قوله: (السرقة) بكسر الراء وتُخفّف.

قوله: (ولا تهتمّ ولا تُبال) يعني إسناد لا يحزنك إلى الذين يسارعون، وإن كان مجازًا، لكن لا يقدر له فاعل يكون الإسناد إليه حقيقةً، بل يراد: لا تحزن أنت ولا تُبالِ. **قوله:** (يلوح) أي يظهر.

الكفر» ﴿ءَامَنَّا﴾ مفعول «قالوا» ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» أي قالوا بأفواههم آمنّا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ في محل النصب على الحال ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوف على «من الذين قالوا» أي من المنافقين واليهود. ويرتفع ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ على أنه خبر مبتدأ مضمر أي هم سمّاعون والضمير للفريقين، أو سمّاعون مبتدأ وخبره «من الذين هادوا»، وعلى هذا يوقف «على قلوبهم»، وعلى الأول «على هادوا». ومعنى سمّاعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي سمّاعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود وجّهوهم **(عيونًا)** ليبلغوهم ما سمعوا منك ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أي يُزيلونه ويُميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيُهملونه بغير مواضع **(بعد أن كان ذا مواضع)**. «يحرّفون» صفة لقوم كقوله: «لم يأتوك»، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم يحرّفون، والضمير مردود على لفظ الكلم ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ **(المحرَف المُزال)** عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون. وجاز أن يكون حالًا من الضمير في «يحرّفون» ﴿فَخُذُوهُ﴾ واعلموا أنه الحق واعملوا به ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ فإياكم وإياه فهو الباطل. رُوِيَ أن شريفًا زنى بشريفة بخيبر **(وهما محصنان)** وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطًا منهم ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا: إن أمركم بالجلد **(والتحميم)** فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، فأمرهم بالرجم **(فأبوا أن يأخذوا به)** ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ ضلالته وهو حجة على مَن يقول: يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ قطع رجاء محمد ﷺ عن إيمان هؤلاء ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن

قوله: (عيونًا) جمع عين، بمعنى الجاسوس. **قوله: (بعد أن كان ذا مواضع)** تفسير لقوله: (﴿مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾) تنبيه على الفرق بين ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: الآية ١٣]، ويحرّفونه من بعد مواضعه، فإنّ معنى الأوّل مجرّد الإمالة والإزالة عن مواضعه. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (المحرّف المُزال)** تفسير من المصنّف رحمه الله، لا أن يكون مقولهم كذلك. **قوله: (وهما محصنان)** أي ذا زوجين، وإلا فالإحصان الشرعي لا يتصوّر في الكافر. **قوله: (التحميم)** تسويد الوجه. **قوله: (فأبوا أن يأخذوا به)**، فقال له جبرئيل: اجعل بينك وبينهم ابن

﴿يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضًا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ للمنافقين فضيحة ولليهود جزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي التخليد في النار.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)﴾

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وهو كل ما لا يحلّ كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة، وفي الحديث «هو (الرشوة) في الحكم» وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. (**وبالتثقيل مكي وبصري**) وعلي ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل: كان رسول الله ﷺ مُخَيَّرًا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم

صوريا[١]، فقال: هل تعرفون شابًا أمرد أبيض أعور يسكن فدك، يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم، وهو أعلم يهوديّ على وجه الأرض ورضوا به حَكَمًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنشدك الله الذي لا إلـه إلّا هو الذي فلق البحر لموسى، ورفع فوقكم الطور وأنجاكم، وأغرق آل فرعون، والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟**» قال: نعم، فوثب عليه سَفَلة اليهود، فقال: خفت إن كذّبته أن ينزل علينا العذاب، ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء يعرفها من أعلامه[٢]، فقال: أشهد أن لا إلـه إلّا الله وأنك رسول الله النبيّ الأُمّي العربي الذي بشّر به المرسلون، وأمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرُجما عند باب مسجده. اهـ كشاف. **قوله:** (الرشوة) ـ بالكسر ـ ما يعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد وجمعها رشى مثل سدرة وسدر، والضم لغة وجمعها رُشًى ـ بالضم ـ أيضًا. اهـ مصباح. **قوله:** (**وبالتثقيل**) أي بضمّ الحاء (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل بن محمد

(١) أي عبد الله بن صوريا كبوريا من أحبار اليهود وقيل إنه أسلم ثم كفر والعياذُ بالله تعالى، ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) أي علاماته والضمير للرسول ﷺ، ١٢ منه عمّ فيضهم.

وبين أن لا يحكم بينهم. (وقيل: **نسخ التخيير بقوله:** ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾) ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ فلن يقدروا على الإضرار بك لأن الله تعالى يعصمك من الناس ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم لمَن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به. «فيها حكم الله» (**حال من التوراة**) وهي مبتدأ وخبره «عندهم» ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عطف على «يحكمونك» أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به ﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بك أو بكتابهم كما يدعون.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق ﴿وَنُورٌ﴾ يبيِّن ما استبهَم من الأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ (ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟)﴾ انقادوا لحكم الله في التوراة

السجستاني البصري، ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وعليّ الكسائي. والباقون بإسكان الحاء. **قوله:** (وقيل: **نسخ التخيير بقوله:** ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: الآية ٤٩])؛ لأن الجزم بالحكم رفع للتخيير بينه وبين الإعراض، لا يقال: ما أنزل الله هو التخيير؛ لأنّا نقول: لا معنى لأمره بأن تحكم بالتخيير. اهـ. تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**حال من التوراة**) أي من الضمير المستتر في الظرف العائد إلى التوراة، لأنها مبتدأ مقدَّم في التقدير.

(**وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح**)، وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء عن ملّة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم (﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾) تابوا من الكفر، واللام يتعلق بـ «يحكم» ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ معطوفان على «النبيون» (**أي الزهاد والعلماء**) ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ استودعوا، قيل: ويجوز أن يكون بدلًا من «بها» في «يحكم بها» ﴿مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ «مِن» للتبيين والضمير في «استحفظوا» للأنبياء والربَّانيين والأحبار جميعًا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلَّفهم الله حفظه، أو

قوله: (**وهو صفة أُجريت للنبيّين على سبيل المدح**)... الخ. جواب عمّا يقال: كل نبيّ لا بدّ وأن يكون مسلمًا مُنْقادًا لأمر الله تعالى، فما الفائدة في توصيف الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، بقوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾). وتقرير الجواب ظاهر، واعترض عليه بأن النبوّة أعظم من الإسلام، فكيف يمدح نبيّ بأنه رجلٌ مسلم مع الفرق بين أن يقال: إنه رجل مسلم ونبيّ، فتوصيف من عبّر عنه بعنوان النبيّ بالإسلام تنزل من الأعلى إلى الأدنى، وطريق المدح هو أن يترقّى من الأدنى إلى الأعلى، فلا يكون إجراء صفة الإسلام على النبيّين مدحًا لهم؟

والجواب: أنها صفة أُجريت على طريق المدح لهم دون التخصيص والتوضيح بما وصف به الأنبياء؛ لأن صفات الأشراف أشراف الأوصاف، فإن قوله: أُجريت للنبيّين على سبيل المدح، وإنْ دلّ على أن المقصود من إجراء تلك الصفة عليهم مدحهم بها، لكن المراد ليس ذلك، بل المراد أنها أُجريت عليهم على طريق مدْحهم بها قصد المدح من اتّصف بها من المسلمين من حيث اتّصافهم بما يوصف به الأنبياء، وهو الإسلام وتعريضًا باليهود بإشعار أنهم ليسوا من دين النبيّين في شيء، وأنّهم بَعُدوا عن ملّة الأنبياء كلّهم، ووجه التعريض أنه تعالى لما وصف النبيّين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾، وقال في حقّهم إنهم يحكمون بالتوراة لأجل الذين هادوا فيما بينهم، قابل اليهود بالذين أسلموا، فأشعر ذلك أن اليهود بمعزل عن الإسلام والانقياد لأمر الله تعالى، فكان قوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾) كالبيان للتعريض بهم بأنهم لا يهتدون بهَدْي الأنبياء ولا يتديّنون بدينهم.
قوله: (**أي الزهاد**) تفسير للربانيّون (**والعلماء**) تفسير للأحبار، وهم مِنْ أولاد هارون؛ لأن الحبورة كانت فيهم خاصّة. وفي الصحاح: الحَبر والحِبر واحد أحبار اليهود، وبالكسر أفصح؛ لأنه يجمع على أفعال دون فعول، ويقال للعالم: حِبْر

لـ «الربانيون والأحبار» (ويكون الاستحفاظ من الأنبياء) ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ (رقباء) لئلا يبدّل ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ (نهي للحكّام) عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذيّة أحد ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في مخالفة أمري (وبالياء فيهما: سهل وافقه أبو عمرو في الوصل) ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى﴾ ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مستهينا به ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) قال ابن عباس ﷺ: مَن لم يحكم جاحدًا فهو كافر، وإن لم يكن جاحدًا فهو فاسق ظالم. وقال ابن مسعود: هو عامٌّ في اليهود وغيرهم.

ـ بالكسر ـ باعتبار توسّله إلى تحصيل العلوم بالحبر الذي يكتب به، ويقال: حَبْر ـ بالفتح ـ لكونه عالمًا بتحبير الكلام وتحسينه، كأنه مصدر قولك: حبرته حبرًا إذا حسنته.

قوله: (ويكون الاستحفاظ من الأنبياء)، والاستحفاظ من الأنبياء بمعنى سؤالهم حفظه من التغيير والتبديل، واستدعائهم لذلك لا بمعنى التكليف، فإنّ الطلب الكائن من الله هو معنى التكليف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (رقباء) على أن يكون شهداء من الشهود الذي هو الحضور. **قوله:** (نهي للحكام)... الخ. المراد بالحكّام الحكّام بأحكام الدين مطلقًا، أو بأحكام التوراة، فيكون حكاية عمّا قيل لهم. **قوله:** (وبالياء فيهما) أي في الحالين، أي الوصل والوقف. (سهل) بن محمد، وكذا يعقوب بن إسحٰق، وليسا من السبعة. (وافقه أبو عمرو) البصري (في الوصل). والباقون بحذفها مطلقًا.

قوله: (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مستهينًا به ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾)، قالت الخوارج: كل من عصى الله تعالى فهو كافر، واحتجّوا عليه بهذه الآية، وقالوا إنها نصّ في أن كلّ مَنْ حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب وعصى فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافرًا، والمصنّف رحمة الله تعالى عليه أشار إلى جوابهم بتقييد قوله: (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾) بقوله: مُستهينًا به.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ وفرضنا على اليهود في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ مأخوذة ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ (مفقوءة) ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ مجدوع ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ مقطوعة ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ مقلوعة ﴿بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (أي ذات قصاص وهو المقاصّة) ومعناه ما يمكن فيه القصاص وإلا فحكومة عدل. وعن ابن عباس ﷺ: كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت. وقوله: «أن النفس بالنفس» يدل على أن المسلم يُقتَل بالذِّمّي والرجل بالمرأة والحُرّ بالعبد. نصب نافع وعاصم وحمزة (المعطوفات كلها) للعطف على ما عملت فيه «أن». (ورفعها) عليٌّ للعطف على محل «أن النفس» لأن المعنى: وكتبنا عليهم

قوله: (مفقوءة) بفاء وقاف وواو وهمزة. في مختار الصحاح: فقأ عينه بخَصها وبابه قطع. اهـ. وأيضًا فيه: بخص عينه قلعها مع شحمتها وبابه قطع، ولا نقل[1] بخص. اهـ. **قوله:** (أي ذات قصاص) لأنه مصدر كالقتال، وليس عين المخبر عنه، فيأوّل بأحد التأويلات المعروفة في أمثاله.

قوله: (وهو المقاصّة) في المصباح: قاصصه مقاصة وقصاصًا من باب قاتل إذا كان لك عليه دين مثل ما له عليك، فجعلت الدَّيْن في مقابلة الدَّين مأخوذ من اقتصاص الأثر، ثم غلب استعمال القصاص في قتل القاتل وجرح الجارح وقطع القاطع، ويجب إدغام الفعل والمصدر واسم الفاعل، يقال: قاصه مقاصة مثل سارّه مسارّة، وحاجّه محاجّة وما أشبه ذلك. اهـ.

قوله: (المعطوفات كلّها) يعني العين والأنف والأذن والسنّ والجروح. **قوله:** (ورفعها) عليّ الكسائي رحمه الله.

---

(١) قوله: ولا نقل بخص، وفي نسخة: ولا نقل بخش كذا في نسخة، والصحيح بالسين كما في شرح القاموس. قال يعقوب: ولا نقل بخس كما نقل الجوهري، وروى أبو تراب عن الأصمعي بخص عينه وبخزها وبخسها كلّه بمعنى فقأها، وقيل: بخصها بخصاءها، قال اللّحياني هذا كلام العرب والسين لغة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

النفس بالنفس **(إجراء لـ «كتبنا» مجرى «قلنا»، ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح)**. والأُذْن بسكون الذال حيث كان: نافع. والباقون: بضمّها وهما لغتان كالسَّحت والسُّحت ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من أصحاب الحق ﴿بِهِۦ﴾ بالقصاص وعفا عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فالتصدّق به كفّارة للمتصدّق بإحسانه قال ﷺ: (**«من تصدّق بدم فما دونه كان كفّارة له من يوم ولدته أمه»**) ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بالامتناع عن ذلك.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿**وَقَفَّيْنَا**﴾ معنى قفَّيت الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه يقال: **(قفاه يقفوه)** إذا تبعه ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ على آثار النبيِّين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ هو حال من «عيسى» ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي وآتيناه الإنجيل ثابتًا فيه هدًى ونور ومصدقًا، فنصب «مصدقًا» بالعطف على ثابتًا الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه.

قوله: (إجراء لـ «كتبنا» مجرى «قلنا»)، فإن الجملة تقع مفعولًا للكتابة كما تقع مفعولًا للقول، فلما كانت الجملة الملفوظة في معنى النفس بالنفس جاز عطف جملة العين بالعين عليها باعتبار معناها، ولم يجعل لفظ العين معطوفًا على محل اسم أن لما تقرّر في النحو أنّه لا يجوز العطف على محل اسم أن المفتوحة. **قوله: (ونصب الباقون الكل)** أي الأربع على العطف و**(رفعوا الجروح)** على الاستئناف. **قوله: (من تصدّق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمّه)**، وأخرج ابن منصور وابن جرير وابن مردويه عن عدي بن ثابت أن رجلًا ثبت له على رجل قصاص في قتيل فأعطاه دية فأبى، إلا أن يقتصّ فأعطاه ديتين فأبى فأعطاه ثلاثًا فحدّثه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**من تصدّق بدم فما دونه، فهو كفارة له من يوم وُلد إلى يوم يموت**». اهـ الدرّ المنثور.

قوله: (قفاه يقفوه) إذا تبعه. في مختار الصحاح: قفا أثره اتّبعه، وبابه عدا وسما وقفّى على أثره بفلان أي أتبعه إيّاه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ

وارتفع «هدى ونور» بثابتًا الذي قام مقامه فيه ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ انتصبا على الحال أي هاديًا وواعظًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم ينتفعون به.

(﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾) وقلنا لهم احكموا بموجبه، فاللام لام الأمر وأصله الكسر، وإنما سكن استثقالًا لفتحة وكسرة وفتحة. «وليحكم» (**بكسر اللام وفتح الميم: حمزة**) على أنها لام كي أي وقفّينا ليؤمنوا وليحكم. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن الطاعة. قال (**الشيخ أبو منصور محمد**) رحمه الله: يجوز أن يحمل على الجحود في الثلاث فيكون

ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: الآية ٢٧]. اهـ. **قوله:** (﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾) قال العلامة البيضاوي رحمه الله: الآية تدلّ على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام، وإن كان مستقلاً بالشرع، وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر. اهـ. وقال العلامة الشيخ زاده: قوله: (والآية تدلّ إلى آخره) ردّ لما قيل من أن عيسى عليه الصّلاة والسّلام متعبّد بما في التوراة من الأحكام، وليس له شريعة مستقلّة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بناءً على أن الإنجيل مواعظ وزواجر، وليس فيه من الأحكام إلّا قليل، ووجه الردّ ظاهر؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ يدلّ بظاهره على أن أهل الإنجيل مكلّفون بما فيه من الأحكام، لا بما في التوراة؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: (﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾)، فيلزم أن تكون التوراة منسوخة ببعث عيسى عليه السلام أنّ له شريعة مستقلّة، ومن قال إنه مكلّف بما في التوراة، وليس له شريعة مستقلّة ذهب إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة، وذلك تعسّف، وحَمْل للآية على خلاف ظاهرها. اهـ.

قوله: (**بكسر اللام وفتح الميم حمزة**)، والباقون بإسكان اللام والميم. **قوله:** (**الشيخ أبو منصور محمد**) بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له: عَلَم الهُدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا

كافرًا ظالمًا فاسقًا، لأن الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر. وقيل: ومَن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن فحرْف التعريف فيه للعهد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من «الْكِتاب» ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدَّمه نزولًا. وإنما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لأن ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدَّم عليه يكون قدّامه وبين يديه ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ المراد به جنس الكتب المنزلة لأن القرآن مصدِّق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس، ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة (﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]) ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ وشاهدًا لأنه يشهد له بالصحة والثبات ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي بما في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ نهى أن يحكم بما حرَّفوه وبدَّلوه اعتمادًا على قولهم ضمْن ولا تتبع: معنى ولا تنحرف فلذا عُدِّي بـ «من» فكأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متَّبعًا أهواءهم، أو التقدير

يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن علي الحنفي، ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة.

قوله: (﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]) «يوحَىٰ» بضم الياء وفتح الحاء للأكثر، وفي قراءة للكوفيين بالنون وكسر الحاء، (﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥]) أي وحدي.

عادلًا عما جاءك ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ (أيها الناس) ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ وطريقًا واضحًا. (واستدل به مَن قال إن شريعة مَن قبلنا لا تلزمنا). ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه السلام، ثم إنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام، ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ، وبيّن أنه ليس للسَّماع (فحسب) بل للحكم به فقال في الأول: «يحكم به النبيّون» وفي الثاني «وليحكم أهل الإنجيل» وفي الثالث «فاحكم بينهم بما أنزل الله» ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ جماعة متّفقة على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ أراد ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة فتعبّد كل أمة بما اقتضته الحكمة ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة. والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لأنه في تقدير: إليه ترجعون ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فيخبركم بما لا تشكّون معه من الجزاء الفاصل بين مُحِقّكم ومُبطِلكم وعامِلكم ومُفرِطكم في العمل.

قوله: (أيّها الناس) إشارة إلى عموم الخطاب الشامل لمن مضى ومن بعدهم.

قوله: (واستدلّ به من قال: إن شريعة مَنْ قبلنا لا تلزمنا)؛ لأنه الظاهر من جعله لكلٍّ شرعة، لأن الخطاب يعمّ الأمم؛ إذ المعنى لكل أُمّة لا لكلّ واحد من أفراد الأُمم، فيكون لكل أُمّة دين يخصّه، ولو كان متعبّدًا بشريعة أخرى لم يكن ذلك الاختصاص. **قيل:** والجواب بعد تسليم دلالة اللام على الاختصاص الحصري منع الملازمة لجواز أن نكون متعبّدين بشريعة من قبلنا مع زيادة خصوصيات في ديننا بها يكون الاختصاص، وفيه أنه لا حاجة في إفادة الحصر لما ذكر مع تقدم المتعلّق. وأيضًا إن الخصوصيات المذكورة لا تنافي تعبّدنا بشرع مَنْ قبلنا، لأنّ القائلين به يدَّعون أنه فيما لم يعلم نسخه ومخالفة ديننا له مطلقًا؛ إذ لم يقل به أحد على الإطلاق، ولذا جمع بين أضراب هذه الآية وبين ما يخالفها نحو: ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٥]، بأن الاتّباع في أصول الدين ونحوها. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (فحسب) أي فقط.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾ معطوف على «بالحق» أي وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وبأن احكم ﴿بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ أي يصرفوك وهو مفعول له أي مخالفة أن يفتنوك. وإنما حذَّره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي بذنب التولّي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع «ببعض ذنوبهم» موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولّي، وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مُهلِك فكيف بكلِّها! ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ لخارجون عن أمر الله.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يطلبون. و(**بالتاء شامي**) يخاطب (**بني النضير**) في تفاضلهم على (**بني قريظة**) وقد قال لهم رسول الله ﷺ: «القتلى سواء». فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت. وسُئل (**طاوس**) عن الرجل يفضل بعض

قوله: (**بالتاء**) أي بتاء الخطاب (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بياء الغيب. **قوله:** (**بني النضير**) في الصحاح: بنو النَّضِير حيّ من يهود خيبر وقد دخلوا في العرب، وهم على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبيِّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. اهـ.

قوله: (**بني قُريظة**) في لسان العرب: بنو قُرَيظة حيٌّ من يهود وهم والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام. اهـ. وفي الصحاح: قُرَيْظة والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبيِّنا وعليهما الصلاة والسلام. اهـ. **قوله:** (**طاوس**) بن كيسان أبو عبد الرحمٰن الخولاني اليماني التابعي أحد الأعلام من أبناء الفرس، كان أعلم التابعين بالحلال، أخذ عن

ولده على بعض فقرأ هذه الآية. وناصب «أفحكم الجاهلية يبغون» ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي لا أحد أحسن ﴿مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ هو تمييز. **(واللام في ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للبيان)** كاللام في (﴿هَيْتَ لَكَ﴾) [يوسف: الآية ٢٣] **(أي هذا الخطاب)** وهذا الاستفهام «لقوم يوقنون» فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكمًا منه. وقال **(أبو علي)**: معنى لقوم عند قوم لأن اللام و«عند» يتقاربان في المعنى.

عائشة ﷺ وطائفة. اهـ دستور الأعلام. وفي تهذيب الأسماء: كان يسكن الجَنَد - بفتح الجيم والنون - بلدة معروفة باليمن؛ هو من كبار التابعين والعلماء الفضلاء الصالحين. سمع ابن عباس وابن عمرو وجابر وأبا هريرة وزيد بن ثابت وابن أرقم وعائشة ﷺ. روى عنه ابنه عبد الله الصّالح بن الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلائق من التابعين، واتّفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتثبيته، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا قطّ مثل طاوس. توفي بمكّة في سابع ذي الحجّة سنة ستّمائة، هذا قول الجمهور. وقال الهيثم بن عدي وأبو نعيم: سنة بضع عشر ومائة، والمشهور الأوّل، وقالوا: وكان له بضع وسبعون سنة رحمة الله تعالى عليه. اهـ. قال الصاغاني: والاختيار أن يكتب الطاوس علمًا بواو واحدة كداود. اهـ.

قوله: (واللام في ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للبيان)، فتتعلق بمحذوف. **قوله:** (﴿هَيْتَ﴾) [يوسف: الآية ٢٣] بمعنى هلمّ وائت، أي تعال وأقبل (﴿لَكَ﴾) [يوسف: الآية ٢٣] اللام للتبيين، أي لتبيين المخاطب، لأنه قيل: لمن تقولين؟ فقيل: أقول لك، وليس للصلة؛ إذ لا تقتضيه اسم الفعل.

قوله: (أي هذا الخطاب) يعني إلقاء الكلام الذي هو: (﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾). ولم يلتفت إلى احتمال أن تكون متعلقة بقوله: ﴿حُكْمًا﴾؛ لأن حكم الله تعالى لا يختصّ بقومٍ دون قوم.

قوله: (أبو علي) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي، وُلِد بمدينة فسا، واشتغل ببغداد، ودخل إليها سنة سبع وثلاثمائة، وكان إمام وقته في علم النحو، ومن تصانيفه كتاب التذكرة، وهو كبير، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الحجّة في القراءات، وكتاب الإغفال

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

ونزل نهيًا عن مُوالاة أعداء الدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخذونهم وتعاشرونهم مُعاشرة المؤمنين. ثم علَّل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ وكلهم أعداء المؤمنين، وفيه دليل على أن الكفر كله مِلَّة واحدة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مُجانبة المُخالف في الدِّين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفَرة ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نِفاق ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ حال أو مفعول ثانٍ **(لاحتمال أن يكون «فترى» من رؤية العين أو القلب)** ﴿فِيهِمْ﴾ في معاونتهم على المسلمين ومُوالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم لقوله على «ما أسرّوا» ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ أي يؤمر النبي عليه السلام بإظهار أسرار المُنافقين وقتلهم ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ أي المُنافقون ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من النفاق ﴿نَٰدِمِينَ﴾ خبر ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾.

فيما أغفله الزجّاج من المعاني، وكتاب العوامل المائة وغير ذلك. وبالجملة فهو أشهر من أن يُذكر فضله ويعدّد، وكان متّهمًا بالاعتزال، وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين، وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وقيل: ربيع الأوّل سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى ببغداد، ودُفِن بالشونيزيّ والفارسي لا حاجة إلى ضبط شهرته، ويقال له أيضًا: الفسويّ ـ بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو ـ هذه النسبة إلى مدينة فسا من أعمال فارس.

قوله: (لاحتمال أن يكون فترى من رؤية العين)، فيكون يسارعون حالًا (أو) رؤية (القلب) فيكون يُسارعون مفعولًا ثانيًا.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي يقول بعضهم لبعض عند ذلك. («ويقول» **بصري عطفًا على** «**أن يأتي**» «**يقول**» **بغير واو: شامي وحجازي**) على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: يقول الذين آمنوا ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾ أي أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم (**ومعاضدوكم**) على الكفّار (**وجهد أيمانهم مصدر**) في تقدير الحال أي مجتهدين في توكيد أيمانهم ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسُمعَة لا إيمانًا وعقيدة، وهذا من قول الله عزّ وجلّ شهادة لهم بحُبُوط الأعمال (**وتعجيبًا من سوء حالهم**) ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ في الدنيا والعقبى لفوات المَعونة ودوام العقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ مَن يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر. (﴿يَرۡتَدِدۡ﴾ **مدني وشامي**) ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

قوله: (ويقول) بإثبات الواو ونصب اللام (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**عطفًا على أن يأتي**) باعتبار المعنى، فكأنه قال: عسى أن يأتي بالفتح، ويقول (**يقول بغير واو**) قبل الياء ورفع اللام (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي (**وحجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. والباقون بالواو والرفع. **قوله:** (**معاضدوكم**) في مختار الصحاح: المعاضدة المعاونة. **قوله:** (**وجهد أيمانهم مصدر**) أي بمعنى إغلاظ اليمين، يقال: جهد يمينه أي أغلظها. **قوله:** (**وتعجيبًا**) للسامعين (**من سوء حالهم**) وهي ذهاب ما أظهروه من الإيمان وبطلان كل خير عملوه حيث لم يحصل لهم شيء من ثمرته لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله: (﴿يَرۡتَدِدۡ﴾) بدالين مكسورة فمجزومة بفكّ الإدغام على الأصل لأجل الجزم (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. (**وشامي**) أي ابن

يرضى أعمالهم ويُثني عليهم بها ويطيعونه ويُؤثِرون رضاءه، وفيه دليل نبوّته ﷺ حيث أخبرهم بما لم يكن فكان، وإثبات خلافة الصِّدِّيق لأنه جاهد المرتدِّين، وفي صحة خلافته وخلافة عمر ﵄ . وسُئِل النبي ﷺ عنهم فضرب على عاتق **(سلمان)** وقال: «هذا وذووه لو كان الإيمان معلَّقًا بالثُّرَيا لناله رجال من أبناء فارس» والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ﴿أَذِلَّةٍ﴾ جمع ذليل، **(وأما ذلول فجمعه)** ذلل. ومَن زعم أنه من الذِّل الذي هو ضدّ الصعوبة فقد سَهَا لأن ذلولًا لا يجمع على أذلة. قال **(الجوهري:**

عامر الشامي. والباقون بدال واحدة مفتوحة مشدّدة بالإدغام للتخفيف. **قوله: (سلمان)** الفارسي - بكسر الراء وتسكن - الصحابي أوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف عن مشهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة وزهّادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتّفاق العلماء على أن سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وحي عيسى ابن مريم. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. توفي بالمدائن في أول سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين.

قوله: (وأما ذلول فجمعه) ذُلُل - بضمتين - مثل رسول ورُسُل. اهـ مصباح.
قوله: (الجوهري) هو الإمام أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي نسبة إلى فاراب كساباط، قيل: إنه اسم ناحية من بلاد الترك وراء نهر سيحون، والصحيح المشهور أنه اسم مدينة يقال لها أنزار - بالضم - هي قاعدة بلاد الترك ونسب إلى الجوهر لبيعه أو لحسن خطّه، أوأنها نسبة للتشبيه أو لغير ذلك. قد أخذ العلم عن خاله إبراهيم الفارابي واشتهر أنه ابن أخت أبي نصر الفارابي صاحب ديوان الأدب، وأخذ أيضًا عن أبي سعيد السيرافي، وارتحل في طلب علوم اللغة وغيرها إلى بلاد ربيعة ومضر، فأقام بها مدة ثم عاد إلى خراسان وأقام بنيسابور مدّة، فبرز في اللغة وحسن الخطّ وغيرهما حتى صار من أذكياء العالم، بل من أعاجيب الدنيا علمًا وذكاءً وخطًّا، وصار يُضْرب بخطّه المثل، وقد ترجمه أبو منصور الثعالبي اللغوي في كتابه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر فقال: كان الجوهري من أعاجيب الزمان، وهو إمام في اللغة، وله

الذّل) ضدّ العز، ورجل ذليل بَيِّن الذّل، وقوم أذِلَّاء وأذلّة، والذّل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال: دابّة ذلول ودواب ذلل ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم

كتاب الصحاح، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح سيّدها صنّف قبل الصحاح في الأدب
تشمل أبوابه وتجمع ما فرّق في غيره من الكتب

قال محشي القاموس: ولما قال بعض الشعراء:

مذ مدّ مجد الدين في أيّامه من بعض أبحر علمه القاموسا
ذهبت صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقى موسى

ردّ عليه أديب الشام وصوفيه شيخ مشائخنا العلّامة عبد الغني بن إسماعيل الكناني المقدسي المعروف بالنابلسي قدّس سرّه، كما أسمعنا غير واحد من أشياخنا الأعلام:

من قال قد بَطُلت صحاح الجوهري لـمّا أتى القاموس فهو المفتري
قلت اسمه القاموس وهو البحر إن يفخر فمعظم فخره بالجوهري

ثم توفي الجوهري في حدود الأربعمائة على اختلافٍ في تعيين سنة الوفاة، فقيل: سنة ٣٩٢، وقيل غير ذلك. قيل: إنه توفي متردّيًا من سطح داره، وقيل: إنه تغيّر عقله وعمل له دفّتين وشدّهما كالجناحين وأراد أن يطير فوقع من علوّ، فهلك رحمة الله عليه.

أمّا لفظ الصحاح، فقد نَقَل المزهر عن أبي زكريا بالخطيب التبريزي أنه يقال بكسر الصاد، وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظِراف، ويقال: بالفتح، وهو نعت مفرد مثل صحيح، وقد جاء فعال ـ بفتح الفاء ـ لغة في فعيل كصحيح وصحاح وشحيح وشحاح وبريء وبراء. اهـ. قال الإمام المحقّق ابن الطيّب ما معناه: حيث لم يرد عن المؤلف في تخصيص أحدهما بالسند الصحيح ما يصار إليه ولا يعدل عنه، فكِلَا الضبطين صحيح خلافًا لمن أنكر الفتح ولمن رجّحه على الكسر. اهـ. **قوله: (الذل)** بالضمّ ضدّ العزّ.

يقل للمؤمنين لتضمّن الذّل معنى **(الحنو)** والعطف كأنه قيل: عاكفين عليهم على وجه التذلّل والتواضع ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أشداء عليهم **(والعَزاز)** الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين **(كالسبع على فريسته)** ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقاتلون الكفّار وهو صفة لـ «قوم» كـ «يحبهم» و«أعزّة» و«أذلة» ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ الواو يحتمل أن تكون للحال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا مُوالين لليهود، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئًا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم. وأن

قوله: (الحنوّ) الانعطاف والتواضع. في مختار الصحاح: حنا عليه عطف وبابه سما وعدا. اهـ. **قوله: (العزاز)** كسَحاب. **قوله: (كالسبع)** في المصباح السَّبُع ـ بضم الباء ـ معروف وإسكان الباء لغة حكاها الأخفش وغيره وهي الفاشية عند العامَة، ولهذا قال الصغاني: السبُع والسَّبْع لغتان، وقُرِىء بالإسكان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، وهو مرويٌّ عن الحسن البصري وطلحة بن سليمان وأبي حَيْوة ورواه بعضهم عن عبد الله بن كثير أحد السبعة، ويجمع في لغة الضم على سباع مثل رجل ورجال لا جمع له غير ذلك على هذه اللغة. قال الصغاني: وجمعه على لغة السكون في أدنى العدد أسْبُع مثل فلس وأفلس، وهذا كما خفّف ضبع وجمع على أضْبُع، ومن أمثلتهم: أخَذَه أخْذ السبعة بالسكون. قال ابن السكّيت: الأصل بالضم لكن أسكنت تخفيفًا، والسَّبْعة اللُّبوة وهي أشدّ جراءة من السبع، وتصغيرها سُبَيْعة، وبها سمّيت المرأة ويقع السَّبُع على كلّ ما له ناب يعدو به ويفترس كالذّئب والفهد والنّمِر. وأمّا الثعلب، فليس بسبُع، وإن كان له ناب؛ لأنه لا يَعْدُو به ولا يفترس، وكذلك الضَّبُع، قاله الأزهري. اهـ. وأيضًا فيه اللَّبُوة ـ بضم الباء ـ الأُنثى من الأسود والهاء فيها لتأكيد التأنيث، كما ناقة ونعجة؛ لأنه ليس لها مذكّر من لفظها حتى تكون الهاء فارقة، وسكون الباء مع الهمز مع إبداله واو لغتان فيها. اهـ. وفي القاموس: اللَّبْوة كَعَنْوةٍ ويكسر وكَسَمْرةٍ وقناة واللّبة واللَّبُ ـ مخففين ـ الأسَدة. اهـ.

قوله: (على فريسته) في المصباح: فَرِيسة الأسد التي يكسرها فعيلة بمعنى مفعولة، وفرسها فرسًا من باب ضرب إذا كسرها، ثم أطلق الفرس على كل

تكون للعطف أي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم **(صلاب)** في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين **(لا تزعهم)** لومة لائم: واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئًا **(قطّ)** من لوم واحد من اللوام ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذّلّة والعزّة والمجاهدة وانتفاء خوف اللّومة ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفواضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن هو من أهلها.

عقب النهي عن موالاة مَن تَجب مُعاداتهم ذكر مَن تجب مُوالاتهم بقوله:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وإنما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الوليّ وإن كان المذكور جماعة تنبيهًا على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع، ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع. ومحل ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الرفع على البدل من «الذين آمنوا»، أو على هم الذين، **(أو النصب على المدح)** ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. والواو في ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة. **(قيل: إنها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه)** حين سأله سائِل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه

قتل.اهـ. **قوله:** (صِلابٌ) بالكسر. **قوله:** **(لا تزعهم)** أي لا تكفّهم ولا تمنعهم. **قوله:** (قَطُّ) أي أبدًا.

قوله: **(أو النصب على المدح)** أي يعني الذين يقيمون الصلاة. **قوله:** **(قيل: إنها نزلت في عليّ رضي الله تعالى عنه)**... الخ. وقصّة عليّ كرّم الله وجهه ورضي عنه أخرجها الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد متّصل، قال: أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبيّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنّ منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدّث دون هذا المجلس، وإنّ قومنا لما رأوا آمنّا بالله ورسوله وصدّقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يُجالسونا ولا يُناكحونا ولا يكلّمونا، فشقّ ذلك علينا. فقال لهم النبيّ ﷺ: «**إنما وليّكم الله ورسوله**»، ثم إنّ النبيّ ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبَصُر بسائل فقال: «**هل أعطاك أحد شيئًا**»؟ فقال: نعم، خاتم من فضّة، فقال:

كأنه (كان مرِجًا) في خنصره فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل يُفسِد صلاته. وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدًا ترغيبًا للناس في مثل فِعْله لينالوا مثل ثوابه. والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة، وعلى أن الفعل القليل لا يُفسِد الصلاة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يتخذه وليًا أو يكن وليًا ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام الضمير أي فإنهم هم الغالبون، أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومَن يتولّهم فقد تولّى حزب الله، و(اعتضد) بمَن لا يُغالَب. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمرٍ (حَزَبهم) أي أصابهم.

ورُوِي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهَرا الإسلام ثم نافَقا وكان رجال من المسلمين يوادّونهما فنزل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ يعني اتخاذهم دينكم هزوًا ولعبًا لا يصحّ أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمُنابذة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ «من» للبيان ﴿مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾ أي المشركين وهو عطف على

«**من أعطاكه**»؟ فقال: ذاك القائم، وأومأ بيده إلى عليّ رضي الله تعالى عنه، فقال النبيّ ﷺ: «**على أيّ حالٍ أعطاك**»؟ فقال: وهو راكع، فكبّر النبيّ ﷺ، ثم تلا هذه الآية؛ فأنشأ حسان رضي الله تعالى عنه يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومُهْجتي   وكل بطيء في الهدى ومُسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعًا   وما المدح في جنب الإله بضائعِ
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعًا   زكاة فدَتْك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية   وثبتها مثنى كتاب الشرائع

قوله: (**كان مرجًا**) أي واسعًا من مرج الخاتم في إصبعه ـ بالكسر ـ أي قلق.

قوله: (**اعتضد**) أي تقوّى بمن لا يغالب، أي لا يصير مغلوبًا. **قوله:** (**حزَبهم**) من باب قتل.

«الذين» المنصوبة. (و«الكفار» بصري وعليّ) عطف على الذين المجرورة أي من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفّار ﴿أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مُوالاة الكفّار ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا لأن الإيمان حقًّا يأبى مُوالاة أعداء الدين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة أو المُناداة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ لأن لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجَهَلَة فكأنهم لا عقل لهم، **(وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده)**.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ يعني هل تعيبون منّا وتُنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وهو عطف على المجرور أي ما تنقمون منّا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقونَ، والمعنى أعادَيتمونا لأنّا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمُخالفتكم لنا في ذلك؟ ويجوز أن يكون الواو بمعنى «مع» أي ما تنقِمون منّا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون.

قوله: (والكفار) بخفض الراء (**بصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وعلي**) الكسائي، وأمالها أبو عمرو والدوري عن الكسائي. والباقون بالنصب بلا إمالة.

قوله: (**وفيه دليل على ثبوت الأذان بنصّ الكتاب لا بالمنام وحده**) من جهة أنه لما دلّ على أن اتّخاذ المُناداة هزوًا من منكرات الشرع دلّ على أن المُناداة التي كانوا عليها من معروفاته والحقوق الثابتة فيه، وإن كان ابتداء مشروعيّته بالسنة المبنية على منام عبد الله بن زيد الأنصاري، وهذا لا ينافي كون مشروعية الأذان أوّل ما قدموا المدينة والمائدة آخر القرآن نزولًا، وفي قوله: لا بالمنام وحده إشارة إلى ما ذكرنا، وإلى أنه لا يمتنع اجتماع الأدلّة الشرعيّة على حكمٍ واحد؛ لأنها معرّفات وأمارات لا مؤثّرات ومُوجبات. اهـ تفتازاني رحمه الله.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابًا وهو نصب على التمييز والمَثوبة وإن كانت مختصّة بالإحسان ولكنها وُضِعَت موضع العقوبة كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ٢١] وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مُستوجِبون للعقوبة فقيل لهم ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ شرّ عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم وذلك إشارة إلى المتقدم أي الإيمان أي بشرٍّ مما نقمتم من إيماننا ثوابًا أي جزاء، ولا بدَّ من حذف مضاف **(قبله)** أو قبل «من» تقديره: بشرٍّ من أهل ذلك أو دين مَن لعنه الله ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ يعني أصحاب السبت ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ أي كفّار أهل مائدة عيسى عليه السلام، أو كِلا المسخين من أصحاب السبت **(فشبّانهم)** مُسِخوا قِرَدَة **(ومشائخهم)** مُسِخوا خنازير ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ **(أي العجل)** أو الشيطان لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة «من» كأنه قيل: ومَن عبد الطاغوت. (﴿وَعَبُدَ ٱلطَّٰغُوتِ﴾) حمزة جعله اسمًا موضوعًا للمبالغة كقولهم: «رجل حذِر وفَطِن» للبليغ في الحذر والفِطنة، وهو معطوف على «القردة والخنازير» أي جعل الله منهم عبد الطاغوت ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الممسوخون الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جعلت

قوله: (قبله) أي قبل ذلك. **قوله:** (فشبّانهم) الشُبّان جمع الشابّ.

قوله: (مشائخهم) مشائخ، قيل: جمع شيخ على خلاف القياس. والتحقيق أنه جمع مشيخة. اهـ شهاب. وفي المصباح: المشيخة اسم جمع للشيخ وجمعه مشائخ. اهـ.

قوله: (أي العجل)... الخ. فإن الطاغوت اسم لكل من يُطاع في معصية الله تعالى، فيُطلق على الشيطان والكاهن وكل ما عُبِد من دون الله تعالى.

قوله: (﴿وَعَبُدَ ٱلطَّٰغُوتِ﴾) بفتح العين وضمّ الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت حمزة، والباقون بفتح العين والباء على أنه فعل ماض، ونصب الطاغوت مفعولًا به.

(الشرارة) للمكان وهي لأهله للمبالغة ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن **(قصد الطريق)** الموصل إلى الجنة.

ونزل في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويُظهرون له الإيمان نِفاقًا:

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ الباء للحال أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره مُلتبِسين بالكفر، وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت «قد» تقريبًا للماضي من الحال وهو متعلق بـ «قالوا آمنا» أي قالوا ذلك وهذه حالهم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ من النِّفاق.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم. أو الإثم ما يختصّ بهم، والعدوان ما يتعدّاهم إلى غيرهم، والمُسارعة في الشيء الشُّروع فيه بسرعة ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **(لبئس شيئا عملوه)**.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَوْلَا﴾ هلا وهو **(تحضيض)** ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ هذا ذمٌّ للعلماء والأول للعامّة. وعن ابن

قوله: (الشّرارة) بفتح الشين مصدر كالقباحة لفظًا ومعنًى. **قوله: (قصد الطريق)** بفتح فسكون، وأصل معنى سواء السبيل الوسط المستوي، وهو معنى القصد؛ لأنه يستعمل في الاعتدال بين الإفراط والتفريط.

قوله: (لبئس شيئا عملوه) إشارة إلى أن ما نكرة موصوفة وقعت تمييزًا للضمير المستتر في بئس الفاعل والمخصوص بالذمّ محذوف، أي بئس شيئًا عملوه هذه الأُمور، وجوّز جعلها موصولة فاعل بئس.

قوله: (تحضيض) ـ بضادين معجمتين ـ أي حثّ وطلب.

عباس ﷺ : هي أشدّ آية في القرآن حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مُرتَكِب المُنكر في الوعيد.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ رُوِيَ أن اليهود لعنهم الله لمّا كذبوا محمدًا عليه السلام كَفَّ الله ما بسط عليهم من السَّعَة وكانوا من أكثر الناس مالًا، فعند ذلك قال (**فنحاص**): يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه. (**وغلّ اليد وبَسْطها مجاز عن البُخْل والجود**) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٩]. ولا يقصد المتكلّم به إثبات يد ولا غِلّ ولا بَسْط حتى إنه يستعمل في ملك يعطي ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب (**عطاءً جزلًا**) لقالوا ما أبسط يده (**بالنوال**). وقد استعمل حيث لا تصحّ اليد يقال: بسط البأس كفّيه في صدري فجعل للبأس الذي هو من المعاني كفّان، ومَن لم ينظر في علم البيان يتحيّر في تأويل أمثال هذه الآية. وقوله: «غُلّت أيديهم» دعاء عليهم بالبُخل ومن ثم كانوا أبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله، أو تغلّ في جهنم فهي كأنها غلت وإنما ثنيت اليد في «بل يداه مبسوطتان» وهي مفردة في «يد الله مغلولة» ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدلّ على إثبات غاية السخاء له ونفي البُخل عنه، فغاية ما (**يبذله**) السخي أن يعطيه بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تأكيد للوصف (**بالسَّخاء**)

قوله: (فنحاص) بن عازوراء من اليهود. **قوله:** (غلّ اليد) بابه رد (**وبسطها مجاز عن البخل والجود**)، يعني: فيمن لا يصح الحقيقة أصلًا كما في هذا المقام بخلاف قولك: يد فلان مغلولة أو مبسوطة، فإنه كناية عن ذلك. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**عطاء جزْلًا**) في مختار الصحاح: الجزيل العظيم وعطاء جَزْل وجزيل وأجزل له من العطاء أي أكثر. اهـ. **قوله:** (بالنَّوال) أي العطاء. **قوله:** (**يبذله**) أي يُعطيه، وبابه نصر. **قوله:** (**بالسخاء**) أي الجود.

ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديًا في الجحود وكُفْرًا بآيات الله، وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال: (﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]). ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فكلمهم أبدًا مختلف وقلوبهم **(شتى)** لا يقع بينهم اتفاق ولا **(تعاضد)** ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قطّ، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس. وقيل: كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم. عن **(قتادة)**: لا تلقى يهوديًا في بلد إلا وقد وجدته من أذلّ الناس ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ويجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذِكر النبي عليه السلام من كتبهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عددنا من سيئاتهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ أي **(وقرنوا إيمانهم بالتقوى)** ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ولم نؤاخذهم بها ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ مع المسلمين.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ من سائر كتب الله لأنهم

قوله: (﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٤]) أي السورة (﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]) أي كفرًا إلى كفرهم، لكفرهم بها. **قوله:** (شتى) متفرّقة. **قوله:** (**تعاضد**) تعاون. **قوله:** (**قتادة**) بن دِعامة كان تابعيًا، وكان عالمًا كبيرًا، وكانت ولادته سنة ستّين للهجرة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**وقرنوا إيمانهم بالتقوى**) في مختار الصحاح: قَرَن الشيء بالشيء وَصَلَه به، وبابه ضرب ونصر.

مُكَلَّفون الإيمان بجميعها فكأنها أُنزلت إليهم. وقيل: هو القرآن. ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ يعني الثمار من فوق رؤوسهم ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم: «فلان في النعمة (**من قرنه إلى قدمه**). ودلَّت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى: ﴿(وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوۡا۟) لَفَتَحۡنَا (عَلَيۡهِم بَرَكَـٰتࣲ مِّنَ ٱلسَّمَاۤءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجࣰا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [**الطلاق: الآيتان ٢، ٣**]، ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُوا۟ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارࣰا ۝١٠﴾ [**نوح: الآية ١٠**]) الآيات. (﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَـٰهُم مَّاۤءً غَدَقࣰا ۝١٦﴾ [**الجن: الآية ١٦**])، ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةࣱ مُّقۡتَصِدَةࣱۖ﴾ طائفة

قوله: (**من قرنه إلى قدمه**) القَرْن الجانب الأعلى من الرأس. اهـ قاموس. وفي نسخة: من فرقه، وفي أخرى: من فوقه. **قوله**: (﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]) المكذّبين (﴿ءَامَنُوا۟﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**] **بالله**) ورسلهم (﴿وَٱتَّقَوۡا۟﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]) الكفر والمعاصيَ لفتحنا ـ بالتخفيف والتشديد ـ (﴿عَلَيۡهِم بَرَكَـٰتࣲ مِّنَ ٱلسَّمَاۤءِ﴾ [**الأعراف: الآية ٩٦**]) بالمطر (﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [**الأعراف: الآية ٥٤**]) بالنبات (﴿وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]) الرسل (﴿فَأَخَذۡنَـٰهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]) عاقبناهم (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]). **قوله**: (﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجࣰا﴾ [**الطلاق: الآية ٢**]) من كرب الدنيا والآخرة، (﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [**الطلاق: الآية ٣**]) يخطر بباله، (﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الطلاق: الآية ٣]) في أموره (﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥۤۚ﴾ [الطلاق: الآية ٣]) كافيه (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ﴾ [الطلاق: الآية ٣]) مُراده، وفي قراءة بالإضافة (﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَیۡءࣲ﴾ [الطلاق: الآية ٣]) كرخاء وشدّة (﴿قَدۡرࣰا﴾ [الطلاق: الآية ٣]) ميقاتًا. **قوله**: (﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُوا۟ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارࣰا﴾ [**نوح: الآية ١٠**]) (﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَاۤءَ﴾ [نوح: الآية ١١]) المطر، وكانوا قد منعوه (﴿عَلَيۡكُم مِّدۡرَارࣰا﴾ [نوح: الآية ١١]) كثير الدرور، أي السيلان، (﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَ ٰلࣲ وَبَنِينَ﴾ [نوح: الآية ١٢]) ويجعل لكم جنات بساتين (﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَـٰرࣰا﴾ [نوح: الآية ١٢]) جارية. قوله: (وأن) مخفّفة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي وأنهم، أي وإن قريشًا أو الجنّ أو الإنس (﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [**الجن: الآية ١٦**]) أي طريقة الإسلام، (﴿لَأَسۡقَيۡنَـٰهُم مَّاۤءً غَدَقࣰا﴾ [**الجن: الآية ١٦**]) من السماء، وذلك بعدما رُفِع المطر عنهم سبع سنين.

حالها (أُمَمٌ) في عداوةِ رسول الله ﷺ. وقيل: هي الطائفة المؤمنة وهم (عبد الله بن سلام) وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ فيه معنى التعجب كأنه قيل: (وكثير منهم ما أسوأ عملهم). وقيل: هم (كعب بن) الأشرف وأصحابه وغيرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ جميع ما أنزل إليك، وأيّ شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدًا ولا خائف أن ينالك مكروه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ («رسالته»: مدني وشامي وأبو بكر). أي فلم تبلّغ إذًا ما كُلّفت من أداء الرسالة ولم تؤدّ منها شيئًا قطّ، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، فإذا لم تؤدّ بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعًا، كما أن مَن لم يؤمن ببعضها كان كمَن لم يؤمن بكلّها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغًا غير مبلّغ مؤمنًا به غير مؤمن. قالت (الملحدة) لعنهم الله تعالى: هذا كلام لا يفيد

قوله: (أمَم) ـ مُحرّكة ـ أي متوسّطة. **قوله:** (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري ثم الخزرجي الصحابي، كُنيته أبو يوسف. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث، وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وكثير منهم ما أسوأ عملهم) أي تقول في حقّهم ذلك، ومعنى التعجّب مُستفاد من المقام، وما نَكِرة تمييزًا وموصولة فاعل ساء، والمخصوص بالذمّ محذوف، وكثير مبتدأ. **قوله:** (كعب بن) الأشرف علم يهودي معروف.

قوله: (رسالاته) بالألف وكسر التاء على الجمع (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون بغير ألف ونصب التاء على التوحيد. **قوله:** (المُلحدة) في ردّ المحتار في باب المرتد: الملحد وهو مَنْ مالَ عن الشرع القويم إلى جهةٍ من جهات الكفر من ألحد في الدِّين حادَ وعدل لا يشترط فيه الاعتراف

وهو كقولك لغلامك: «كل هذا الطعام فإن لم تأكله فإنك ما أكلته»، قلنا: هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلِّغ ما أنزل إليك من ربك في المستقبل فإن لم تفعل أي إن لم تبلِّغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلِّغ الرسالة أصلًا، أو بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة (**الشوكة**) و(**العدّة**)، فإن لم تبلِّغ كنت كمَن لم يبلِّغ أصلًا، أو بلِّغ ذلك غير خائف أحدًا فإن لم تبلِّغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلِّغ الرسالة أصلًا. ثم قال مشجِّعًا له في التبليغ ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ**﴾ يحفظك منهم قتلًا فلم يقدر عليه وإن (**شجّ في وجهه يوم أُحُد وكسرت رباعيته**) أو نزلت بعدما أصابه ما أصابه. والناس الكفار بدليل قوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.

بنبوّة نبيّنا ﷺ، ولا بوجود الصانع تعالى، وبهذا فارق الدّهري أيضًا، ولا إضمار الكفر، وبه فارق المنافق ولا سبق الإسلام وبه فارق المرتدّ، فالمُلحد أوسع فرق الكفر حدًّا، أي هو أعمّ من الكلّ، انتهى ملخّصًا نقلًا عن رسالة العلامة ابن كمال باشا. **قوله:** (**الشوكة**) في المصباح: الشوكة شدَّة البأس والقوّة في السلاح. **قوله:** (**العدة**) في المصباح: العدة بالضمّ الاستعداد والتأهّب، والعدة ما أعددته من مالٍ أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عُدد مثل غرفة وغُرف. اهـ.

قوله: (**شُجّ في وجهه**) بضمّ شين وتشديد جيم أي جرح. عن الزهري: أنه ضُرِب وجهِ رسول الله عليه أشرف التحية يوم أُحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرّها كلّها، ذكره السيوطي رحمه الله في حاشية البخاري، ولعلّ وجه حصول المشاركة مع الشجّ بالكسر لتحقيق الثواب والأجر ولإظهار مقتضى الأوصاف البشرية من العجز والضعف والتأثير المناسبة للعبودية وموجب نعت الكبرياء والعظمة والاستغناء وللقّوة والقدرة الملائمة للربوبيّة.

قوله: (**يوم أُحد**) في المصباح: أُحُد ـ بضمّتين ـ جبل بقرب مدينة النبيّ ﷺ من جهة الشام، وكان به الوقعة في أوائل شوّال سنة ثلاث من الهجرة، وهو مذكر فينصرف، وقيل؛ يجوز التأنيث على توهّم بقعة وليس بالقوي. اهـ. **قوله:** (**وكُسِرت رباعيَته**) بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية السنّ الذي بين الثنية والناب. وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الأيمن.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ على دين يعتدّ به حتى يسمى شيئًا لبُطلانه ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ إضافة زيادة الكفر والطغيان إلى القرآن بطريق التسبيب ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تتأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بألسنتهم وهم المنافقون ودلّ عليه قوله: و﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٤١]، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ قال **(سيبويه)**

قوله: (سيبويه) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبر كان أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه. توفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضا في سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيّف وأربعون سنة، وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة، وقيل: ثمان وثمانين. وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وأنه توفي بمدينة ساوة. وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال: مات سيبويه بشيراز وقبره بها، والله أعلم. وسيبويه ـ بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة ولا يقال بالتاء البتّة ـ وهو لقب فارسيّ معناه بالعربية رائحة التفاح، هكذا يَضْبط أهل العربية هذا الاسم، ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما، والعجم يقولون: سيبويه ـ بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها ـ لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة ويه؛ لأنها للندبة. وقال إبراهيم الحربي: سمّي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى.

وجميع البصريين: ارتفع «الصابئون» بالابتداء وخبره محذوف والنِّيَّة به التأخير عمّا في حيِّز «إن» من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والصابئون كذلك أي مَن آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدَّم وحذف الخبر **(كقوله:**

فمَن يكُ أمسى بالمدينة رَحْله فإني وقيار بها لغريب)

أي فإني لغريب وقيار كذلك، ودلَّ اللام على أنه خبر «إن» ولا يرتفع بالعطف على محل «إن» واسمها لأن ذا لا يصحّ قبل الفراغ من الخبر. لا تقول: «إن زيدًا وعمرو منطلقان» وإنما يجوز «إن زيدًا منطلق وعمرو»، والصابئون مع

قوله: (كقوله) أي ضابىء ـ بالضاد المعجمة وبعد الألف باء موحدة ثم همزة ـ هو ابن الحارث بن أرتاد بن شهاب بن شراحيل بن عبيد بن خازل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم التميمي البُرْجُمي ـ بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الجيم ـ نسبةٌ إلى البراجم، وهم خمس بطون من أولاد حنظلة بن مالك، وهم: عمرو، والظليم، وقيس، وكلفة، وغالب؛ لقّبوا به لأن رجلًا منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم: أيتها القبائل التي قد ذهبت عددها تعالوا فلنجتمع مثل براجم يدي هذه، ففعلوا، فسُمُّوا البراجم. وضابىء هذا له إدراك للنبيّ ﷺ، كما في الإصابة في تمييز الصحابة.

(فمن يك أمسى بالمدينة رَحْله فإني وَقيار بها لغريب)

وهو من قصيدة من الطويل قالها محبوس في المدينة المنوّرة في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه. وقوله: **(يكُ)** يُروى بإسقاط النون على الجزم وبإبقائها، وحينئذ يُقرأ بالنقل ليصح الوزن، (وأمسى) بمعنى صار، وأصله دخل في المساء بخلاف الصباح، وبالمدينة رَحْله: كناية عن الاستيطان بها، والرَّحل: المسكن وما يستصحب من الأثاث. **(وقيّار)** ـ بفتح القاف وتشديد الياء آخر الحروف ـ اسم غلام الشاعر. وقال الخليل: اسم فرس له غبراء. وفي الصحاح: اسم جَمَله، وهو قول أبي زيد، وقيل: المراد بالوصف بالسواد، أي أسود كالقار، ومعنى البيت التحسّر على الغربة. وكان السبب في حبس عثمان لضابىء

خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: «إن الذين آمنوا» إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها. وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم (أبين) هؤلاء المعدودين ضلالًا وأشدهم غيًّا يُتاب عليهم إن صحَّ منهم الإيمان فما الظن بغيرهم! ومحل «مَن آمن» الرفع على الابتداء وخبره «فلا خوف عليهم» والفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. ثم الجملة كما هي خبر «إن» والراجع إلى اسم «إن» محذوف تقديره: مَن آمَن منهم.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ﴾ ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ﴾ جملة شرطية وقعت صفة لـ «رسلًا» والراجع محذوف أي رسول منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ بما يخالف هواهم ويضادّ شهواتهم من مشاقّ التكليف والعمل بالشرائع، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كأنه يقول: كلما جاءهم رسول منهم (ناصبوه). وقوله: «فريقًا كذبوا» جواب مستأنف لقائل كأنه يقول: كيف فعلوا برسلهم! وقال: «يقتلون» بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعًا للقتل، وتنبيهًا على أن القتل من شأنهم، وانتصب «فريقًا» و«فريقًا» على

أنه كان استعار من بعض بني حنظلة كلبًا يصيد به فطالبوه به، فامتنع من إعطائه فأخذوه منه قهرًا، فغضب ورمى أُمّهم بالكلب، وهجاهم فاستَعْدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فحبسه، وقال: والله لو أن رسول الله ﷺ كان حيًا لنزلت فيك آية، وما رأيت أحدًا رمى قومًا بكلب قبلك. وحدّث أبو بكر بن عياش قال: كان عثمان رضي الله تعالى عنه يحبس في الهجاء، فهجا ضابيء قومًا فحبسه عثمان رضي الله تعالى عنه، ثم استعرضه فأخذ سكينًا فجعلها في أسفل نعله، فأُعلم عثمان بذلك فضربه وردّه إلى الحبس إلى أن مات فيه. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وكان وطيء غلامًا فقتله، فحُبِس بسببه. اهـ. **قوله:** (أبين) أي أظهر.

قوله: (ناصبوه) أي عادوه وحاربوه.

أنه مفعول «كذبوا» و«يقتلون». وقيل: التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى، والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيىٰ.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

(﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ﴾) «ألا تكون»: (**حمزة وعلي وأبو عمرو على «أن» مخفَّفة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فخففت «أن» وحذف ضمير الشأن، ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم**) فلذا دخل فعل الحسبان على «أن» التي هي للتحقيق ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلاء وعذاب أي وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرُسُل. (**وسدّ ما يشتمل عليه صلة «أن» وأن من المسند والمسند إليه مسدّ مفعولي «حسب»**) ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا، أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ رزقهم التوبة ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ هو بدل من الضمير أي الواو وهو بدل البعض من الكل، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم بحسب أعمالهم.

قوله: (﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ﴾ برفع النون (**حمزة وعلي**) الكسائيّ (**وأبو عمرو على أنّ أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون، فخفّفت أن، وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوّته في صدورهم منزلة العلم**)... الخ. لأن أنْ المخفّفة لا تقع إلا بعد تيقّن. والباقون بالنصب على أنّ أن الناصبة لمضارع دخلت على فعل منفيّ بلا، ولا لا تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها من ناصب وجازم وجار وحسب إحالة على بابها من الظنّ؛ لأن الناصبة لا تقع بعد علم، والمخففة لا تقع بعد غيره.

قوله: (**وسدّ ما يشتمل عليه صلة أن وأنّ من المسند والمسند إليه مسدّ مفعولي حسب**)، يعني: أنّ أنِ الناصبة أو أنِ المخففة بما في حيّزها جملة قامت مقام مفعولَيْ حسبوا، أي حسبوا الفتنة غير نازلة بهم عند جمهور البصريّين. وقال أبو الحسن: قائمة مقام المفعول الأوّل والمفعول الثاني محذوف، والتقدير: حسبوا عدم الفتنة كائنًا أو حاصلًا.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ﴾ لم يفرّق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في عبادته غير الله ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ أي مرجعه ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ أي ثالث ثلاثة آلهة، والإشكال أنه تعالى قال في الآية الأولى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» وقال في الثانية: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» والجواب أن بعض النصارى كانوا يقولون: كان المسيح بعينه هو الله لأن الله ربما يتجلّى في بعض الأزمان في شخص فتجلّى في ذلك الوقت في شخص عيسى، ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله، وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة: الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من مريم. و«من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ﴾ للاستغراق **(أي وما إلـه قطّ)** في الوجود إلا إلـه موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له. وفي قوله: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ **(للبيان)** كالتي في ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠] ولم يقل: «ليمسنّهم» لأن في إقامة الظاهر مقام المضمر

قوله: (وما إلـه قطّ) وقد جرت عادته باستعمال قطّ لتأكيد عموم الإفراد، وإنْ كان وضعه لاستغراق زمان الماضي وعمومه. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (للبيان)** لأنهم كلّهم كفرة اللّهمّ إلّا أن يراد بكفروا بقوا على الكفر، فيكون للتبعيض، كما

تكريرًا للشهادة عليهم بالكفر، أو للتبعيض أي ليمسنَّ الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرًا منهم تابوا عن النصرانية ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (**نوع تشديد الألم**) من العذاب.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ ألا يتوبون (**بعد هذه الشهادة**) المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فيه نفي الألوهية عنه ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرُّسُل الذين خلوا من قبله، وإبراؤه الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتى لم يكن منه لأنه ليس إلـٰهًا بل الله أبرأ الأكمَه والأبرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حيَّة تسعى على يد موسى، وخلقه من غير ذَكَر كخلق آدم من غير ذَكَر وأنثى ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ (**أي وما أمه أيضًا إلا كبعض النساء**) المصدِّقات للأنبياء المؤمنات بهم. ووقع اسم الصِّدِّيقة عليها لقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: الآية ١٢]. ثم أبعدهما عمّا نسب إليهما بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ لأن مَن احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن إلا جسمًا مركبًا من لحم وعظم و(**عروق وأعصاب**) وغير ذلك ما يدلّ على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام

ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله: (نوع تشديد الألم)** النوعية مستفادة من التنكير والشدّة من وصف العذاب الذي لا يكون إلّا أليمًا بالألم ليكون الوصف مفيدًا غير فائدة التأكيد. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (بعد هذه الشهادة) بدلالة الفاء، ولا حاجة إلى تقدير المحذوف، أي أيصرون فلا يتوبون لاستقامة العطف والتعقيب وتخلّل الهمزة بينهما لقصد التعجيب. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (أي وما أُمّه أيضًا إلا كبعض النساء) الحصر مستفاد من المقام والعطف. **قوله: (عروق وأعصاب)** في لسان العرب: العِرْق من الحيوان الأجوف

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بُطلان قولهم ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمّله بعد هذا البيان، وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ هو عيسى عليه السلام أي شيئًا لا يستطيع أن يضرّكم بمثل ما يضرّكم به الله من البلاء والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة و(**الخصب**)، لأن كل ما يستطيعه البشر من المضارّ والمنافع فبتخليقه تعالى كأنه لا يملك منه شيئًا، وهذا دليل قاطع على أن أمره مُنافٍ للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرًّا ولا نفعًا، وصفة الرّبّ أن يكون قادرًا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ متعلق بـ «أتعبدون» أي أتُشرِكون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو مجاوزة الحدّ، فغلوّ النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية، وغلوّ اليهود وضعه عن استحقاق النبوة ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة لمصدر محذوف أي غلوًّا غير الحق يعني غلوًّا باطلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ (**ممن شايعهم**) ﴿وَضَلُّوا﴾ لما بعث رسول الله ﷺ ﴿عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ حين كذبوه وحسدوه وبَغَوا عليه.

الذي يكون فيه الدم، والعَصَب غير الأجوف. اهـ. وأيضًا فيه: العَصَب عصب الإنسان والدابّة والأعصاب أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدّها. اهـ.

قوله: (**الخِصْب**) بالكسر ضدّ الجَدْب.

قوله: (**ممن شايعهم**) أي تابَعهم كما في نسخة المشايعة المتابعة. اهـ شهاب رحمه الله.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قيل: إن أهل (أيلة) لما اعتدَوا في السبت قال داود: اللَّهمَّ العنهم واجعلهم آية فمُسِخوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى: اللَّهمَّ عذِّب مَن كفر بعدما أكل من المائدة عذابًا لم تعذبه أحدًا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ ذلك اللعن بعصيانهم (واعتدائهم) ثم فسَّر المعصية والاعتداء بقوله:

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ (لا ينهى بعضهم بعضًا) ﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ عن قبيح فعلوه. ومعنى وصف المنكر بـ «فعلوه» ولا يكون النهي بعد الفعل أنهم لا يتناهون (عن معاودة منكر) فعلوه (أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فِعله، أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه) بل يصرّون عليه. يقال: تناهى عن الأمر

قوله: (أيْلة) ـ بفتح الهمزة وسكون الياء التحتية ـ موضع قريب من بيت المقدس. **قوله:** (واعتدائهم) أي تجاوزهم.

قوله: (لا ينهى بعضهم بعضًا) على أن يكون التناهي تفاعلًا من النهي. **قوله:** (عن معاودة منكر) بتقدير مضاف قبل منكر. **قوله:** (أو عن مثل منكر فعلوه) قدّر المضاف أيضًا، وهو المثل، لكن إن أُريد بالمثل الاتّحاد في النوع، وهو معنى المثل في الاصطلاح، فمآله تقدير المعاودة، وإن أُريد الاتحاد في الجنس، فيكون توجيهًا آخر، وإن كان لفظ المثل غير شائع في ذلك. اهـ قنوي. **قوله:** (أو عن منكر أرادوا فعله) توجيه ثالث بتأويل فعلوا بالإرادة بذكر المسبّب وإرادة السبب؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: الآية ٩٨]. **قوله:** (أو المراد لا ينتهون[1] عن منكر فعلوه) على أن يكون بمعنى الانتهاء، يقال: انتهى عن الأمر وتناهى عن الأمر إذا امتنع عنه وكفّ.

---

(١) أي التفاعل ليس للمشاركة، بل بمعنى الانفعال والمطاوعة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه. **(ثم عجب من سوء فِعلهم)** مؤكدًا لذلك بالقسم بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم مُنافقو أهل الكتاب كانوا يُوالون المشركين و**(يصافونهم)** ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ **(لبئس شيئًا)** قدّموه لأنفسهم سخط الله عليهم أي موجِب سخط الله ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ أي في جهنم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إيمانًا خالصًا بلا نِفاق ﴿وَٱلنَّبِىِّ﴾ أي محمد ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني القرآن ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن مُوالاة المشركين تدل على نفاقهم ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ مستمرون في كفرهم ونفاقهم، أو معناه ولو كان هؤلاء اليهودُ يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه ـ يعني التوراة ـ ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالِهم المسلمون ولكن كثيرًا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلًا.

قوله: (ثم عجب من سوء فعلهم). . . الخ. التعجيب إمّا مستفاد من المقام أو مفهوم من أفعال المدح والذمّ، إمّا بإشارته أو بدلالته. اهـ قنوي رَحِمَهُ اللهُ. يعني أن اللام هنا جواب قسم مقدّر وجعل التأكيد للتعجّب وهو ظاهر؛ لأنه يقتضي أنه تعجيب عظيم ولا بأس به، وقيل: الأَوْلى أن يجعل التأكيد للفعل المتعجب منه. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللهُ.

قوله: (يُصافونهم) في مختار الصحاح: صافاه وتصافيا: تخالصا. اهـ. **قوله: (لبئس شيئًا)** على أن ما نكرة مميّزة لفاعل بِئس، وقدَّمت لهم صفتها، وأن سخط الله هو المخصوص بالذمّ بتقدير المضاف، أي موجب سخط الله؛ لأن نفس السخط المضاف إلى الباري عزّ وجلّ لا يقال له أنه المخصوص بالذمّ، إنما المخصوص بالذمّ هو الأسباب المُوجِبة له.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ هو مفعول ثانٍ لـ «تجدن». و«عداوة» تمييز ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾ عطف عليهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ اللام تتعلق بـ «عداوة» و«مودة». وصف اليهود بشدة **(الشكيمة)** والنصارى بلين **(العريكة)**، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، ونبّه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ **(أي علماء وعبادًا)** ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ علّل سهولة مأخذ النصارى وقُرب مودّتهم للمؤمنين بأن منهم قسّيسين ورهبانًا وأن فيهم تواضعًا **(واستكانة)**، واليهود على خلاف ذلك، وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وإن كان علم القسيسين، وكذا علم الآخرة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ﴾ وصفهم برقّة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن كما رُوِيَ عن **(النجاشي)** أنه قال **(لجعفر بن أبي طالب)** حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى

قوله: (الشكيمة) أي الطبيعة، في مختار الصحاح: الشكيمة في اللّجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس، والجمع شكائم، وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس آنفًا أبيًّا. اهـ. **قوله: (العَريكة)** أي الطبيعة. **قوله: (أي علماء)** بيان قسّيسين **(وعبّادًا)** بيان رهبانًا. **قوله: (استكانةً)** أي خضوعًا وذلًّا.

قوله: (النَّجاشي) ملك الحبشة مخفّف عند الأكثر، واسمه أصْحَمة. اهـ مصباح. **قوله: (لجعفر بن أبي طالب)** الهاشمي ذي الجناحين الصحابي الجليل ابن عمّ رسول الله ﷺ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة رضي الله تعالى

الحبشة والمشركون (وهم يغرونه) عليهم: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تُنسَب إلى مريم. فقرأها إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية ٣٤]، وقرأ سورة طٰه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [الآية ٩] فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين (وفدوا على رسول الله ﷺ) وهم سبعون رجلًا حين قرأ عليهم سورة «يٰس» فبكوا. «تَفيض من الدمع» تمتلىء من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلىء الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، (فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء)، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء. «ومن» في «مما عرفوا» لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله، «من» في «من الحق» لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا (عرفوا كله) وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسُّنَّة ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ضمير الفاعل في «عرفوا» ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بمحمد ﷺ والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ مع أمة محمد عليه السلام الذين

عنه. **قوله:** (وهم) أي المشركون **قوله:** (يُغرونه) أي النجاشي، وفي نسخة يُغَيّرونه. **قوله:** (وفدوا على رسول الله ﷺ) في مختار الصحاح: وفد فلان على الأمير أي ورد رسولًا، وبابه وعد. اهـ. **قوله:** (فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء) جواب عمّا يقال: كيف أسند الفيض والانصباب إلى العين، والحال أنّ الفائض إنما هو دموع الأعين لا أنفسها؟ وأجاب عنه بوجهين: الأول أنّ المراد امتلاء أعينهم، إلا أنه وضع الفيضان والسيلان موضع الامتلاء على طريق وضع المسبّب موضع السبب للمبالغة في السببية حتى كان الامتلاء عين الفيضان، فلذلك عبّر عنه به. والثاني: أن إسناد الفيض إلى الأعين إسناد مجازي، كما في جرى النهر وسال الميزاب للمبالغة في وصفهم بالبكاء، أي تراهم يبكون حتى يظنّ أن أعينهم تفيض أي تسيل بأنفسها. **قوله:** (عرفوا كلّه) هكذا في تفسير البيضاوي، وفي تفسير الكشاف: عرفوه كله. اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: الأفصح عرفوه كلّه؛ لأن كل المضافة للضمير لا تقع في فصيح الكلام إلا تأكيدًا أو مبتدأ، ولا يعمل فيها ما قبلها. اهـ. وقال العلّامة القنوي رحمه الله: جعل الكُلّ مضافًا إلى الضمير معمول العامل اللفظي بالأصالة؛ لأنه قد يقع في كلامهم

هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة (لتكونوا شهداء على الناس)، وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ إنكارًا واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين. وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك. «وما لنا» مبتدأ وخبر و«لا نؤمن» حال أي غير مؤمنين كقولك «ما لك قائمًا» ﴿وَمَا جَآءَنَا﴾ وبما جاءنا ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ والقرآن ﴿وَنَطْمَعُ﴾ حال من ضمير الفاعل في «نؤمن» والتقدير: ونحن نطمع ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنة ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء والمؤمنين.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ أي بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفيه دليل على أن الإقرار داخل في الإيمان كما هو مذهب الفقهاء. وتعلقت (الكرامية) في أن الإيمان مجرد القول بقوله: «بما قالوا» لكن الثناء (بفيض الدمع في السباق وبالإحسان في السياق) يدفع ذلك، وأنى يكون مجرد القول إيمانًا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٨]. نفى الإيمان عنهم مع

ولو قليلًا، ولك أن تعتبر المفعول محذوفًا وكلّه تأكيدًا له، وهذا وإن كان تكلّفًا من الحمل عليه أوْلى من الحمل على الخطأ. اهـ. **قوله:** (لتكونوا شهداء على الناس) في معرض الاستشهاد والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣].

قوله: (الكرامية) في المصباح: كرام ـ بفتح الكاف مثقل ـ والد أبي عبد الله محمد بن كرام المشبّه الذي أطلق اسم الجوهر على الله تعالى، وأنه استقرّ على العرش، ونُسِب إليه من أخذ بقوله، فقيل: كرامية، نقل التشديد عن صاحب نفي الارتياب ونصّ عليه الصغاني. اهـ. **قوله:** (بفيض الدمع في السباق وبالإحسان في السياق) الفرق بين السباق والسياق أن السباق بالباء الموحدة يستعمل فيما قبل

قولهم: «آمنا بالله» لعدم التصديق بالقلب. وقال أهل المعرفة: الموجود منهم ثلاثة أشياء: البكاء على **(الجفاء)**، والدعاء على العطاء، والرِّضا بالقضاء، فمَن ادّعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ هذا أثر الرد في حق الأعداء، والأول أثر القبول للأولياء، ونزل في جماعة من الصحابة ﷺ حلفوا أن يترهّبوا ويلبسوا **(المسوح)** ويقوموا الليل ويصوموا النهار **(ويسيحوا)** في الأرض **(ويجبّوا)** مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم **(والودك)** ولا يقربوا النساء والطِّيب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما طاب ولذ من الحلال. ومعنى «لا تحرِّموا» لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم، أو لا تقولوا حرّمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها **(تزهّدًا منكم وتقشفًا)**. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يأكل **(الدجاج والفالوذ)** وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال:

الكلام، كما أن اللحاق يستعمل فيما بعده. والسياق بالياء المثناة فيما قبله وبعده معًا. اهـ فروق حقّي رحمه الله. **قوله: (الجَفاء)** ممدود ضدّ البرّ..

قوله: (المسوح) جمع مسح مثل حمل وحمول، وهو البلاس، أي الغليظ من الملابس. **قوله: (ويسيحوا)** السِّياحة في الأرض عدم الوطن والقَرار. **قوله: (ويجبوا)** من باب قَتَل مذاكيرهم، الجبّ القطع، والمذاكير جمع ذكر بمعنى العضو على خلاف القياس، كأنهم قصدوا الفرق بين الذكر بمعنى العضو، وبين ما هو خلاف الأُنثى، فجمعوا الأوّل على المذاكير والثاني على الذكور. **قوله: (والودك)** ـ بفتح الواو والدال المهملة والكاف ـ الشحم.

قوله: (تزهدًا منكم وتقشّفًا) التزهّد هو التكلّف والمبالغة في الإعراض عن متاع الدنيا وطيّباتها، والتقشّف قلّة التعهد في المطعم والملبس. **قوله: (الدجاج)** في مختار الصحاح: الدجاج معروف، وفتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة، ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطة. **قوله: (والفالوذ)** في

«إن (**المؤمن حلو ويحب الحلاوة**»). وعن الحسن أنه دُعِي إلى طعام ومعه (**فرقد السبخي**) وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمّن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا ولكنه يكره هذه الألوان، فأقبل الحسن عليه وقال: يا فريقد أترى لُعاب النحل بلُباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم؟ وعنهن أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره. فقال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم. قال: إنه جاهل أن نعمة الله عليه في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ. ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ ولا تجاوزوا الحدّ الذي حدَّ عليكم في تحليل أو تحريم، أو ولا تتعدّوا حدود ما أحلّ لكم إلى ما حرّم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ حدوده.

مختار الصحاح: الفالوذ معرّب، قال يعقوب: ولا تقل الفالوذج.اهـ. **قوله: (المؤمن حُلْوٌ ويحب الحلاوة)** رواه الدّيلمي عن عليّ رفعه، وحديث: «**قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة**» ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، لكن ثبت أنه عليه السلام كان يحب الحلوى والعسل، ذكره ابن الدَّيْبَع، وفيه أن هذا تصحيح معناه. والكلام في ثبوت مبناه، فقد قال السيوطي: رواه البيهقي في الشّعب والديلمي عن أبي أُمامة، فكلام ابن الجوزي موضوع مدفوع.اهـ الموضوعات الكبرى للعلامة علي القاري رحمة الله عليه.

قوله: (الحسن البصري) هو الإمام المشهور المُجْمع على جلالته في كل فنّ التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه كما تقدم في هذه السورة.

قوله: (فرقد السبخي) هو فرقد بن يعقوب السبخي ـ بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة ـ أبو يعقوب البصري، صدوق عابد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.اهـ تقريب. وفي المغني: السَّبَخي ـ بسين وموحدة مفتوحتين وإعجام خاء ـ نسبة إلى سبخة موضع بالبصرة منه فرقد.اهـ. وفي لوائح الأنوار في طبقات الأخيار: ومنهم فرقد السبخي كوفي نزل البصرة.اهـ. وفي تاج العروس: السَّبخة موضع بالبصرة منه فرقد بن يعقوب العابد، توفي سنة ١٣١، انتهى.

﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

(﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ﴾ «**حلالًا**» حال «مما رزقكم الله» ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ **توكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدًا بقوله**: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾) لأن الإيمان به يُوجِب التقوى فيما أمر به ونهى.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم، وهو أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن، وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قُربة فلما نزلت تلك الآية قالوا: فكيف أيماننا؟ فنزلت. وعند الشافعي رحمه الله ما يجري على اللسان بلا قصد (﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾) أي بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها. (**وبالتخفيف**: **كوفي غير حفص**). والعقد: العزم على الوطء، وذا لا يتصور

قوله: (**حلالًا حال مما رزقكم الله**) ظاهر في أن الرزق قد يكون حرامًا. **قوله**: (**توكيد للتوصية بما أمر به**)، فإن قوله تعالى: (﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا﴾)، وإنْ كان المراد به هٰهنا الإباحة والتحليل، إلا أنه إنما أباح كلّ الحلال، فيفيد تحريم ضدّه، فأكّد التحريم المُستفاد منه لقوله تعالى: (﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾)، (**وزاده تأكيدًا بقوله**: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾)، فإنّ الإيمان به يُوجب التقوى بالانتهاء عمّا نهى عنه وعدم التجاوز عمّا حدّ له.

قوله: (﴿فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾) صلة يؤاخذكم، كما أن باللغو صلة له، أي لا يؤاخذكم في حقّ أيمانكم بسبب ما كان لغوًا منها بأن لا يتعلق بها حكم دنيويّ ولا أُخرويّ أو صلة اللغو؛ لأنه مصدر أو حال منه اللغو، فلا يتعلق بشيء منهما، بل يتعلق بمحذوف أي كائنًا في أيمانكم. **قوله**: (**وبالتخفيف**) أي بتخفيف القاف بدون ألف بين العين والقاف، (**كوفي غير حفص**) أي حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: «عاقدتم» على وزن فاعلتم، وهو من فاعل

في الماضي (**فلا كفَّارة في الغموس**). وعند الشافعي ﷺ القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفَّارة فيها مشروعة. والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم، فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلومًا عندهم، أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي (فكفَّارة نكثه) أو فكفَّارة معقودِ الأيمان. والكفَّارة (الفعلة) التي من شأنها أن تكفِّر الخطيئة أي تسترها ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ هو أن يغديهم ويعشِّيهم، ويجوز أن يعطيهم بطريق التمليك (**وهو لكل أحد نصف صاع من بُرّ أو صاع من شعير**) أو صاع من

بمعنى فعل؛ إذ لا مشاركة هنا. والباقون (﴿عَقَّدتُّمُ﴾) بتشديد القاف. فأمّا التخفيف، فهو الأصل. وأما التشديد، فيحتمل وجهين: أحدهما أنه للتكثير؛ كما في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، لأن المخاطَب به جماعة والفعل يتكثّر بكثرة الفاعل، كما يتكثّر بكثرة المتعلّق. والثاني: أنه بمعنى المخفّف، نحو: قدر وقدّر. **قوله:** (**فلا كفارة في الغموس**) ـ بفتح الغين ـ اسم فاعل، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم النار، وهي إن حلف على كاذب عمدًا، كوالله ما فعلت كذا، عالِمًا بفعله، أو كوالله ما له عليّ ألف، عالِمًا بخلافه، ووالله إنه بكر عالِمًا بأنه غيره، ويأثم بها إثمًا عظيمًا، فتلزمه التوبة؛ إذ لا كفارة في الغموس يرتفع بها الإثم، فتعيّنت التوبة للتخلّص منه. **قوله:** (**فكفارة نكثه**) إشارة إلى أن ضمير كفارته راجع إلى تعقيد الأيمان بناءً على أن ما في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾ مصدرية، والتقدير: ولكن يؤاخذكم بتعقيدكم الأيمان وتذكير الضمير يمنع من رجوعه إلى اليمين المدلول عليها بلفظ الأيمان؛ لأن اليمين مؤنّثة وإرجاعه إليها لكونها بمعنى الحلف تكلّف على تكلّف، فلا بدّ من اعتبار الحذف هٰهنا، كما اعتُبِر في قوله: (﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾)، فإن تقديره كما مرّ، ولكن يؤاخذكم به إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف وقت المؤاخذة على الأوّل والمضاف على الثاني؛ لأن كون المحذوف مرادًا معلوم عندهم، لأنهم أجمعوا على أنه لا يجب التكفير بنفس اليمين ما لم يحنث فيها، واختلفوا في جوازه قبل الحِنْث، فأجازه الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه بالمال، وأصحابنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم، نصّ عليه في التيسير. **قوله:** (**الفعلة**) إشارة إلى أن الكفّارة تأنيث الكفّار، وأنّث لتأنيث موصوفها، وهي الفعلة، فإن التقدير الفعلة الكفارة، أي الستارة لإثمه. **قوله:** (**وهو لكل أحد نصف صاع من برّ أو صاع من شعير**)... الخ.

تمر. وعند الشافعي رحمه الله مدّ لكل مسكين ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي غداء وعشاء من بُرّ إذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام والأدنى مرة من تمر أو شعير ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على «إطعام» أو على محل «من أوسط»، ووجهه أن «من أوسط» بدل من «إطعام» والبدل هو المقصود في الكلام **(وهو ثوب يغطي العورة)**.

اعلم أنّ الصاع أربعة أمداد، والمدّ رطلان، والرطل نصف منّ، والمنّ بالدراهم مائتان وستّون درهمًا، وبالإستار أربعون، والإستار ـ بكسر الهمزة ـ بالدراهم ستّة ونصف، وبالمثاقيل أربعة ونصف؛ كذا في شرح درر البحار. فالمدّ والمنّ سواء، كلّ منهما ربع صاع رطلان بالعراقي، والرطل مائة وثلاثون درهمًا، وفي الزيلعي والفتح: اختلف في الصاع، فقال الطرفان ثمانية أرطال بالعراقي، وقال الثاني: خمسة أرطال وثلث، قيل: لا خلاف لأن قدره برطل المدينة؛ لأنه ثلاثون إستارًا، والعراقي عشرون، وإذا قابلت ثمانية بالعراقي بخمسة وثلث بالمديني وجدتهما سواء، وهذا هو الأشبه؛ لأن محمّدًا لم يذكر خلاف أبي يوسف، ولو كانَ لذَكَرهُ لأنه أعرف بمذهبه. اهـ. وتمامه في الفتح: ثم اعلم أن الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطًا، والدينار الذي هو المثقال عشرون قيراطًا، والقيراط خمس شعيرات، فيكون الدرهم الشرعي سبعين شعيرة، والمثقال مائة شعيرة. **قوله: (وهو ثوب يغطي العورة)**... الخ. في الدرّ المختار: أو كسوتهم بما يصلح للأوساط وينتفع به فوق ثلاثة أشهر ويستر عامّة البدن، فلم يُجِز السراويل إلا باعتبار قيمة الإطعام. اهـ.. وفي رد المحتار: قوله: (بما يصلح للأوساط) وقيل: يعتبر في الثوب حال القابض إن كان يصلح له يجوز، وإلّا فلا. قال السرخسي: والأوّل أشبه بالصواب. بزازية. قوله: (وينتفع به فوق ثلاثة أشهر) لأنها أكثر نصف مدّة الثوب الجديد، كما في الخلاصة، فلا يشترط كونه جديدًا، والظاهر أن لو كان جديدًا رقيقًا لا يبقى هذه المدّة لا يُجزىء. قوله: (ويستر عامّة البدن) أي أكثره، كالملاءة أو الجبّة أو القميص أو القباء. قهستاني. وهذا بيان لأدناه عندهما، والمرويّ عن محمد: ما تجوز فيه الصلاة، وعليه فيجزئه دفع السراويل عنده للرجل لا للمرأة، قوله: فلم يجز السراويل هو الصحيح؛ لأن لابسه يسمّى عريانًا عرفًا، فلا بدّ على هذا أن يعطيه قميصًا أو جبّة أو رداء أو قباء أو إزارًا سابلًا بحيث يتوشّح به عندهما، وإلّا فهو كالسراويل، ولا تجزىء العمامة، إلا إن أمكن

و(**عن ابن عمر**) ﷺ: إزار وقميص ورداء ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص، وشرط الشافعي رحمه الله الإيمان (**حملًا للمطلق على المقيد في كفَّارة القتل**.

أن يتّخذ منها ثوبٌ مجزيء. وأما القُلُنسوة، فلا تجزيء بحال، ولا بدّ للمرأة من خِمار مع الثوب؛ لأن صلاتها لا تصح بدونه، وهذا - أي التعليل المذكور - يُشابه المرويّ عن محمد في السراويل أنه لا يكفي للمرأة، وظاهر الجواب ما يثبت به اسم المكتسي وينتفي عنه اسم العريان، لا صحة الصلاة وعدمها، والمرأة إذا كانت لابِسة قميصًا سابِلًا وخِمارًا غطّى رأسها وأُذنيها دون عنقها لا شكّ في ثبوت اسم أنها مكتسية لا عريانة، ومع هذا لا تصح صلاتها. اهـ ملخصًا من الفتح. وحاصله أنه لا بدّ مع الثوب من الخِمار، لكن لا يشترط أن يكون الخمار مما تصحّ به الصلاة، وقد اقتصر في البحر على صدر عبارة الفتح، فأوهم أنه لا يشترط الخِمار أصلًا، وليس كذلك فلينتبه له. وفي الشرنبلالية ولم أرَ حكم ما يغطّي رأس الرجل. اهـ.

قلت: إن كان توقفه في إجزائه، فلا شكّ في عدمه، وإن كان في اشتراطه مع الثوب فظاهر ما مرّ عدمه. وفي الكافي: الكسوة ثوب لكل مسكين إزار ورداء أو قميص أو قباء أو كساء. اهـ. وقدَّمنا أن المراد ما يستر أكثر البدن.

قوله: (عن ابن عمر) أي عبد الله بن عمر بن الخطّاب العدويّ، أبو عبد الرحمٰن، وُلِد بعد المبعث بيسير واستُصغر يوم أُحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشدّ الناس اتّباعًا للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، وأول التي تليها.

قوله: (حملًا للمطلق على المقيد في كفارة القتل)؛ لأن الله قيّد الرقبة فيها بالإيمان، وأطلقها هٰهنا وفي كفارة الظهار والجماع في نهار رمضان، والمطلق يُحمل على المقيّد، كما أنّ الله تعالى قيّد الشهادة بالعدالة في موضع، فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطَّلَاق: الآية ٢]، وأطلق في موضع آخر حيث قال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢]؛ لأن العدالة شرطٌ في جميعها حملًا للمطلّق على المقيّد، كذلك هٰهنا. وعند الحنفية: يجوز إعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات إلّا في كفارة القتل، ويقولون: المطلق إنما يُحمل على المقيّد

ومعنى «أو» **التخيير وإيجاب إحدى الكفّارات الثلاث)** ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ إحداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ «متتابعة» لقراءة **(أُبيّ بن كعب)** وابن مسعود كذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (وحنثتم) فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفّارة لا تَجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ فبرّوا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيرًا أو ولا تحلفوا أصلًا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ **(أعلام شريعته)** وأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم **(المخرج منه)**.

إذا اتّحدت الحادثة التي ورد فيها. **قوله: (ومعنى «أو» التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث)**، وهو المذهب المختار في الواجب المخيّر، فإن المختار أن الواجب أحد الأُمور لا على التعيين، لا ما ينسب إلى بعض المعتزلة من أن الواجب الجميع ويسقط لواحد منه، وعند البعض الواجب واحد معيّن عند الله، وهو ما يفعله المكلّف، فيختلف بالنسبة إلى المكلّفين. وعند البعض الواجب واحد معيّن لا يختلفُ، ولكنه يسقط به وبالآخر، والواجب في كفارة اليمين أحد الأُمور الثلاثة على التخيير، فإن عجز عنها جميعًا، فالواجب شيء آخر، وهو الصوم. ومعنى الواجب المخيّر أنه لا يجب عليه الإتيان بكل واحد من هذه الأُمور الثلاثة، ولا يجوز له تركها جميعًا، ومتى أتى بواحد منها، فإنه يخرج عن العهدة، فإذا اجتمعت هذه القيود فذاك هو الواجب المخيّر.

قوله: (أُبيّ بن كعب) بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمر بن مالك بن نجّار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيّد القرّاء، يُكنى أبا الطفيل أيضًا، من فضلاء الصحابة، اخْتُلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.

قوله: (وحَنِثْتم) الحَنْث: الخلف في اليمين. **قوله: (أعلام شريعته)** علاماتها وأماراتها، لكن عطف أحكامه عليها محل بحث، إلا أن يراد أنه يجوز أن يراد الأعلام وأن يراد الأحكام بمعنى آيات كلامه الدالّة على الأحكام. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (المخرج منه)** أي مما يعلمكم من التكليف، ولولا العائد لكان الأحسن أن يجعل ما مصدرية. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقيل: إنه للشكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ أي القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ الأصنام لأنها تُنصَب فتُعبَد ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ وهي القداح التي مرّت ﴿رِجْسٌ﴾ نجس أو خبيث مُستقذَر ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنه يحمل عليه فكأنه عمله. **(والضمير في ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ يرجع إلى الرّجس)**، أو إلى عمل الشيطان، أو إلى المذكور، أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل: إنما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال «رجس». ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه **(حيث صدّر الجملة بإنما وقرنهما بعبادة الأصنام ومنه الحديث «شارب الخمر كعابد الوثن»)** وجعلهما رجسًا من عمل الشيطان ولا يأتي منه إلا الشرّ **(البحت)**، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فَلاحًا كان الارتكاب خسارًا.

قوله: (والضمير في ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ يرجع إلى الرجس)... الخ. كأنه جواب عمّا يختلج بالخاطر من أن الضمير المفرد كيف يصح أن يرجع إلى ما سبق وهي أُمور متعدّدة، وتقرير الجواب أنه راجع إلى الرجس الذي أخبر به عن تعاطي الأمور المذكورة، فكأن المعنى: فاجتنبوا الرّجس الذي هو تعاطي تلك الأُمور، أو هو راجع إلى الأُمور السابقة باعتبار تأويلها بما ذكر، أو إلى التعاطي المقدّر على أنه مضاف إلى الأمور المذكورة.

قوله: (حيث صدّر الجملة بإنما) لأنها تُفيد قصر هذه المذكورات على صفة كونها رجسًا كائنًا من عمل الشيطان على طريق قصر الموصوف على الصفة؛ كأنه قيل: ليس لها من الصفات إلا كونها رجسًا من عمل الشيطان.

قوله: (وقرنهما بعبادة الأصنام)، فإن مقارنة ذكر تعاطي الخمر والميسر بعبادة الأصنام تدلّ على تقارُبهما (ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن) شبّهه به لاشتراكهما في ارتكاب المحرّم، ورواه الترمذي بلفظ: «مدّ من الخمر»، وحمل على المستحل ولا حاجة إليه.

قوله: (البحت) أي الخالص.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ (فِى ٱلْخَمْرِ) وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ذكر ما يتولّد منهما من الوبال **(وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر)**، وما يؤديان إليه من الصّدّ عن ذكر الله وعن مُراعاة أوقات الصلاة، **(وخصّ الصلاة)** من بين الذّكر لزيادة درجتها كأنه قال: وعن

قوله: (﴿فِى ٱلْخَمْرِ﴾) متعلّق بقوله: يوقع، وكلمة في هنا لإفادة معنى السببية؛ كما في قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**دخلت امرأة النار في هرّة**»، أي بسبب إيذائها؛ فمعنى الآية أنه يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، أي بسبب شربها.

قوله: (**وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقَمْر**) بين الفَسَقة بسبب شرب الخمر مبنيّ على أنّ الظاهر فيمن شرب الخمر أن يشربها مع جماعة حتى يستأنس بْهم ويفرح بالمكالمة معهم، ويؤيّد ما كان بينهم من المودّة والإلفة، إلا أن ذلك ينقلب في الأغلب إلى ضدّ ذلك؛ لأن الخمر يُزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مُدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المُنازعة بين أهل المجلس من الأحباب، وتلك المُنازعة ربما قادت إلى القتل والضرب والمشافهة بالفحش من القول، وذلك يُورث العداوة والبغضاء، فالشيطان يسوّل لهم أوّلًا أن الاجتماع على الشرب يؤكّد الإلفة والمحبّة وينقلب الأمر بالآخرة، فتحصل غاية العداوة والبغضاء. وأمّا وقوع العداوة والبغضاء بين القوم بسبب الميسر؛ فلأن الشيطان يسوّل لهم ابتداء أنه وسيلة إلى التوسعة على الفقراء والمحتاجين والدخول في عِداد أصحاب المروءة والكرم، إلا أنه ربما يؤدّي بالآخرة إلى ضياع ماله بالكلّية، فإن صار مغلوبًا في القمار مرّة دعاه ذلك إلى اللّجاج فيه على رجاء أنه ربما صار غالبًا فيه، ويتّفق أنه لا يحصل له ذلك فيعاود فيه إلى أن لا يبقى له شيء من ماله، فيبقى فقيرًا مسكينًا، فيصير بسبب ذلك من أعدى الأعداء لأُولئك الذين غلبوا عليه، فظهر بما ذكر أن الخمر والميسر سببان عظيمان لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شكّ أن شدّة العداوة والبغضاء من أقبح المفاسد الدنيوية المنافية لصلاح العالم. **قوله:** (**وخصّ الصلاة**). . . الخ.

الصلاة خصوصًا. **(وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام)** أولًا ثم أفردهما آخرًا، لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عمّا كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعًا من أعمال أهل الشِّرك فكأنه لا مُباينة بين عابِد الصنم وشارِب الخمر والمُقامِر، ثم أفردهما بالذِّكر ليعلم أنهما المقصود بالذِّكر ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ **(من أبلغ ما ينهى به)** كأنه قيل: قد تُلِي عليكم ما فيهما من أنواع

جواب عمّا يقال: لم عطفت الصلاة على ذكر الله تعالى مع اندراجها فيه؟ لأن المراد بذكر الله العبادة مطلقًا، أيّ عبادة كانت، وسُمّيت ذكر الله لكونها مسبّبة عن ذكر الله؛ لأن العابد إنما يلابس العبادة تقرّبًا إلى الله تعالى وابتغاءً لمرضاته وهربًا من سخطه وعقابه، ومَنْ كان مريدًا لصدّ الناس عن العبادة مطلقًا كان مريدًا لصدّهم عن الصلاة بخصوصها، فما الفائدة في عطف الصلاة على ذكر الله تعالى بإفرادها.

والجواب: أن إفرادها وعَطفها على ذكر الله على طريق عطف الخاص على العام إظهارًا لشرفها.

قوله: (وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام)... الخ. جواب عمّا يقال من أنه تعالى أمر أوّلًا بالاجتناب عن الأُمور الأربعة جميعًا، ثم اقتصر على ذكر ما يوجب الاجتناب عن الخمر والميسر فقط، فما الحكمة في ذلك؟

وتقرير الجواب: أنّ الآية نزلت لنهي المؤمنين عمّا أَلِفوه من تعاطي الخمر والميسر، وليس من شأنهم عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام، وإنما ضمّ الأنصاب والأزلام إلى الخمر والميسر تأكيدًا لقبح الخمر والميسر، وإظهارًا لأن هذه الأربعة متقاربة في القبح والمفسدة، فلمّا كان المقصود من الآية نهي المؤمنين عن تناول الخمر والميسر، لا جرم أفردهما بالذِّكر في آخر الآية، واقتصر على بيان ما يوجب الاجتناب عنهما، ولم يتعرّض لذكر الأنصاب والأزلام ثانيًا؛ إذ ليسا مقصودين بالأمر بالاجتناب عنهما حتى يبيّن ما يوجب ذلك الاجتناب.

قوله: (من أبلغ ما ينهى به) لدلالة الفاء على أنه قد ثبت الصوارف عنهما وتُلِيت وجوه الفساد فيهما، ودلالة سوق الكلام على أن العاقل إذا خُلِّيَ وَنفسه بعدما تلي عليه ينبغي أن لا يتوقّف في الانتهاء، ولما في الجملة الاسمية بعد هل

الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف مُنتَهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا!.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ﴾ (وكونوا حذرين) خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ذلك ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي فاعلموا أنكم لم تضرّوا بتولّيكم الرسول لأنه ما كُلّف إلا البلاغ المُبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عمّا كلّفتموه. ونزل فيمن تعاطى شيئًا من الخمر والميسر قبل التحريم.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ أي شربوا من الخمر وأكلوا من مال القِمار قبل تحريمهما ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ الشِّرك ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد الإيمان ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ الخمر والميسر بعد التحريم ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ بتحريمهما ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ سائر المحرمات، أو الأول عن الشِّرك والثاني عن المحرَّمات والثالث عن الشُّبهات ﴿وَّأَحْسَنُوا۟ۗ﴾ إلى الناس ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

ولما ابتلاهم الله بالصيد (عام الحديبية) وهم مُحرِمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رِحالهم فيستمكنون من صيده أخذًا بأيديهم وطعنًا برِماحهم نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا

الاستفهامية المقتضية للفعل من كمال الدّلالة على طلب الانتهاء حتى كأنه ثبت وتحقّق. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وكونوا حذرين) يعني أنه على ترك المفعول وتنزيل منزلة اللازم.

قوله: (عام الحديبية) أي السنة السادسة من الهجرة في هلال ذي القعدة. وفي معجم ما استعجم: الحجازيون يخفّفونها، والعراقيون يثقلونها، ذكر ذلك ابن

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم ما لم يعلم، و«من» للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودًا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد ليُثيبه على عمله لا على علمه فيه ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الابتلاء ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قلّل في قوله: «بشيء» من الصيد ليعلم أنه ليس من الفتن العِظام «وتناله» صفة لـ «شيء».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ﴾ أي المَصيد إذ القتل إنما يكون فيه ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي مُحرِمون **(جمع حرام كردح في جمع رداح)** في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في «تقتلوا» ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ حال من ضمير الفاعل أي

المديني في كتاب الطلّ والشواهد. وكذلك الجعرانة والحديبية قرية سُمّيت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بين الحديبية والمدينة تسع مراحل، بينها وبين مكّة مرحلة. قيل: هي من الحَرَم، وقيل: بعضها من الحرم. قال المُحبّ الطبري: هي قرية قريبة من مكّة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكّة. وفي شفاء الغرام: ومسجد الشجرة بالحديبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، وهذا المسجد عن يمين طريق جدّة، وهو المسجد الذي يزعم الناس أنه الموضع الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وثمّة مسجد آخر، وهذان المسجدان والحديبية لا تعرف اليوم، والله أعلم بذلك. **قوله: (جمع حرام)** بمعنى محرم وإن كان في الحلّ ولمن كان في الحرم وإن كان حلالاً وهما سِيّان في النهي عن قتل الصيد. **قوله:** (كردح) بضمّتين **(في جمع رداح)** وهي الضخمة الثقيلة امرأة كانت أو كتيبة أو جفنة.

ذاكِرًا لإحرامه أو عالمًا أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه، فإن قتله ناسيًا لإحرامه أو رمى صيدًا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطىء. وإنما شرط التعمّد في الآية مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ، لأن مورد الآية فيمن تعمّد، فقد رُوِيَ أنه (عَنّ) لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه (**أبو اليسر**) فقتله فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت مُحرِم فنزلت. ولأن الأصل فِعْل المتعمد والخطأ

قوله: (عَنّ) أي عرض. **وقوله: (أبو اليسر)** قيل: الصواب أبو قتادة.اهـ تفتازاني ﷺ. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب. قوله: (وطعنه أبو اليسر)... الخ. قالوا: إنما هو أبو قتادة ﷺ، كما في الصحيحين من روايته، وهو الذي فعل ذلك، وقد تبع المصنّف رحمة الله عليه فيه الكشاف. وقال الطيبيّ: إنه ليس في شيء من الأصول، يعني أصول كتب الحديث.اهـ. قوله: (أبو اليسر) ـ بياء وسين مهملة مفتوحتين وراء ـ هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جُشم بن الخزرج الأنصاري السلمي، صحابي جليل شهد العقبة وشهد بدرًا، وهو ابن عشرين[1] سنة، وقيل: إنه قتل منبه بن الحجاج السهمي، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطّلب يوم بدر، وكان قصيرًا، وهو آخر من مات بالمدينة، فيمن شهد بدرًا مات سنة خمس وخمسين، وقد زاد على المائة؛ كذا أفاده الحافظ ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب. وأفاد في تهذيب التهذيب: وذكر العسكري أنه شهد مع عليّ مشاهده، وأنه مات وله عشرون ومائة سنة.اهـ روى عنه ابنه عمار وموسى بن طلحة ﷺ.

قوله: (أبو قتادة) الأنصاري، اسمه الحارث بن رِبْعي بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الأنصاري الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، وقيل: اسمه النعمان، قاله الكلبي وابن إسحٰق. اختلف في شهوده بدرًا، فقال بعضهم: كان بدريًا، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحٰق في البدريّين، وشهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد كلّها، وتوفي سنة أربع وخمسين بالمدينة في قول، وقيل: توفي بالكوفة في خلافة عليّ رضي الله تعالى عنهما.

---

(١) كذا في تهذيب التهذيب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين من كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مُلحَق به للتغليظ. وعن **(الزهري)**: نزل الكتاب بالعمد ووردت السُّنَّة بالخطأ. (﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ **كوفي**) أي فعليه جزاء يُماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يُقوَّم حيث صِيد، فإن بلغت قيمته ثمن هَدْي خُيِّر بين أن يهدي (﴿مِنَ النَّعَمِ﴾) ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعامًا **(فيعطي كل مسكين نصف صاع من برّ أو صاعًا من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يومًا)**.

قوله: (الزهري)، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي، أبو بكر القريشي الزهري المدني، سكن الشام وكان بأيْلَة، ويقولون تارة: الزهري، وتارة ابن شهاب ينسبونه إلى جدّ جدّه، هو تابعي صغير. سمع أنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وشبيبًا أبا جميلة، وعبد الرحمٰن بن أزهر، وربيعة بن عباد ـ بكسر العين وتخفيف الباء ـ ومحمود بن الربيع، وعبد الله بن ثعلبة بن صغير، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وأبا أُمامة أسعد بن سهل بن حنيف، وأبا الطفيل، ورجلًا من بلى له صحبة؛ وهؤلاء كلهم صحابة ﷺ. ورأى ابن عمر، وسمع خلائق من كبار التابعين وأئمّتهم. روى عنه خلائق من كبار التابعين وصغارهم، ومن أتباع التابعين، ومن شيوخه ومناقبه والثناء عليه وعلى حفظه أكثر من أن يُحصر. توفي ليلة الثلاثاء سبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ودُفِن بقرية له بأطراف الشام يقال لها: شغبدا ـ بشين مفتوحة وغين ساكنة معجمتين وبباء موحدة مفتوحة ثم دال مهملة مفتوحة مخففة.

قوله: (فجزاء) بالتنوين والرفع على الابتداء والخبر محذوف (﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾) برفع اللام صفة لجزاء. (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وكذا يعقوب البصري. **قوله**: (﴿مِنَ النَّعَمِ﴾) أي الإبل والبقر والغنم.

قوله: (**فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره**) من شعير ونحو ذلك، ويعطي ما فَضُل من إعطاء كل مسكين إن كان أقلّ من نصف صاع لمسكينٍ آخر. (وإن شاء صام عن **طعام كل مسكين يومًا**)، وكذا عن الفاضل منه، وإن قلّ من نصف صاع، فيصوم يومًا كاملًا لعدم تصوّر تجزؤ الصوم في أقلّ من اليوم.

وعند (محمد) والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النّعم، فإن لم يوجد له نظير من النّعم فكما مرَّ.

(﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾ **على الإضافة: غيرهم**) وأصله فجزاء مثل ما قتل أي فعليه أن يجزى مثل ما قتل، ثم أُضيف كما تقول: «عجبت من ضرب زيدًا ثم من ضرب زيد». ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ **(حال من الضمير في «قتل»)** إذ المقتول يكون من النَّعم أو صفة لـ «جزاء» ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ بمثل ما قتل ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ حَكَمان عادلان من المسلمين، وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المُشاهَدَة، ولأن المثل المطلق في الكتاب والسُّنَّة والإجماع مقيّد بالصورة والمعنى، أو بالمعنى لا بالصورة، أو بالصورة بلا معنى، ولأن القيمة أُريدت فيما لا مثل له صورة إجماعًا فلم يَبْقَ غيرها مُرادًا إذ لا عموم للمشترك. فإن قلت: قوله «من النَّعم» يُنافي تفسير المثل بالقيمة. قلت: من أوجب القيمة خُيِّر بين أن يشتري بها هَدْيًا أو طعامًا أو يصوم كما خيَّر الله تعالى في الآية، فكان من النَّعم بيانًا للهَدْي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير، لأن مَن قَوَّم الصيد واشترى بالقيمة هَدْيًا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم، على أن التخيير الذي في الآية بين أن يُجزي بالهدي أو يكفر بالطعام أو الصوم، إنما يستقيم إذا قُوِّم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار، فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير، فإذا كان شيئًا لا نظير له قُوِّم حينئذ ثم يُخَيَّر بين الطعام والصيام، ففيه (نبوّ) عما في الآية ألا ترى إلى قوله: ﴿أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ

قوله: (محمَّد) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالرَّيّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

قوله: (﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ﴾) برفع جزاء من غير تنوين، مثل بخفض اللام (على الإضافة) أي على طريق إضافة المصدر إلى المفعول (غيرهم). **قوله:** (حال من الضمير في قتل)... الخ. هكذا ذكره أبو البقاء رحمه الله. أي حال من عائد الموصول المحذوف، فإن التقدير: فجزاء مثل الذي قتله حال كونه من النّعم، وهذا وهم؛ لأن الموصوف بكونه من النّعم إنما هو جزاء الصيد المقتول. وأمّا الصيد نفسه، فلا يكون النعم، كذا في السمين. **قوله:** (نُبُوّ) أي بُعد.

﴿مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ كيف خُيِّر بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم ﴿هَدۡيَۢا﴾ حال من الهاء في «به» أي يحكم به في حال الهدْي ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ صفة لـ «هديًا» (لأن إضافته) غير حقيقية. ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم، فأما التصدّق به فحيث شئت. وعند الشافعي رحمه الله: في الحرم (﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾) معطوف على «جزاء» (﴿طَعَامُ﴾) بدل من «كفّارة» أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام. «أو كفّارة طعام» على الإضافة: (مدني وشامي). وهذه الإضافة لتبيين المضاف كأنه قيل: أو كفّارة من طعام ﴿مَسَٰكِينَ﴾ كما تقول «خاتم فضة» أي خاتم من فضة ﴿أَوۡ عَدۡلُ﴾ (وقُرِىء بكسر العين). قال (الفرّاء): العدل ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم والإطعام، والعِدل مثله من جنسه ومنه «عدلا الحمل». يقال: «عندي غلام عَدْل غلامك» بالكسر إذا كان من جنسه، فإن أُريد أن قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل: «هو عَدل غلامك» بالفتح ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الطعام ﴿صِيَامٗا﴾ تمييز نحو «لي مثله رجلًا» والخيار في ذلك إلى القاتل، وعند محمد رحمه الله إلى الحكمين ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾ متعلق بقوله: «فجزاء» أي فعليه أن يُجازي أو يكفر ليذوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحُرمَة الإحرام. والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ

قوله: (لأن إضافته) غير حقيقة علّة لجواز أن توصف النكرة بالمضاف إلى المعرفة، فإن إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله إضافة لفظية لا تفيد تعريفًا للمضاف، فجاز أن يكون المضاف صفة للنكرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤]، وبالغ اسم فاعل أضيف إلى مفعوله، والأصل بالغًا للكعبة أضيف إلى مفعوله ليحصل التخفيف بحذف التنوين. **قوله:** (﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾) بغير تنوين (﴿طَعَامُ﴾) بالخفض على الإضافة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتنوين، ورفع طعام. **قوله:** (وقُرِىء بكسر العين) قارئه ابن عباس وطلحة بن مصرف والجُحْدري. **قوله:** (الفراء) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الدَّيلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنَّحو واللغة وفنون الأدب، وكان الإمام محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفرّاء، وكان الفراء يميل إلى الاعتزال، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة، وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: الآية ١٦] أي ثقيلًا شديدًا. والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة (فلا يستمرأ). ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لكم من الصيد قبل التحريم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الإحرام ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره (فهو ينتقم الله منه) ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بإلزام الأحكام ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لمَن جاوز حدود الإسلام.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ (مصيدات البحر) مما يُؤكَل ومما لا يُؤكَل ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ وما يطعم من صيده. والمعنى: أُحِلَّ لكم الانتفاع بجميع ما يُصاد في البحر، وأُحِلَّ لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ مفعول له أي أُحِلَّ لكم تمتيعًا لكم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ وللمسافرين. والمعنى: أُحِلَّ لكم طعامه (تمتيعًا لتُنَّائكم) يأكلونه

الله تعالى. والفرّاء ـ بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة ـ وإنما قيل له فرّاء، ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها، لأنه كان يفري الكلام، ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب، وعزاه إلى كتاب الألقاب. **قوله:** (فلا يستمرأ) أي لا يجده مريئًا، أي الذي لا يُسرع هضمه. **قوله:** (فهو ينتقم الله منه) قدّر المبتدأ؛ لأن كلمة مَنْ في قوله تعالى: (﴿وَمَنْ عَادَ﴾) شرطيّة، وقوله: (﴿فَيَنتَقِمُ﴾) جزاء الشرط، والجملة الفعلية الجزائية لا تحتاج في ارتباطها بالشرط إلى الفاء الجزائية، فلو قيل: من يكرمني فأُكرمه، فكانت الفاء لغوًا ضائعًا بخلاف الجملة الاسمية، فإنها لا تقع جزاء إلا مصدرة بالفاء، فقدّر المبتدأ في الآية لئلا تفسَّر الفاء الجزائية لغوًا.

قوله: (مصيدات البحر) يشير إلى أن الصيد والطعام بمعنى المفعول وضمير طعامه للصيد، ومعنى إحلال الصيد إحلال الانتفاع به، وبإحلال مطعومه إحلال أكله على حذف المضاف، والظاهر أن هذا من عطف الخاص على العامّ. **قوله:** (تمتيعًا لتُنَّائكم) قدّر المضاف في لكم ليخرج عطف وللسيارة من عطف البعض على الكل، والتُنَّاء المقيمون جمع تان من تَنِيَ بالبلد إذا أقام به. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي المصباح: تنأ بالبلد يَتْنَأُ مهموز بفتحهما تنوأ أقام به واستوطنه، وتنأ تنوا أيضا

طريًّا ولسيارتكم يتزوّدونه **(قديدًا)** كما تزوَّد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الحوت في مسيره إلى الخَضر. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ ما صِيدَ فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كالبَط فإنه برّي لأنه يتولَّد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجر ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ مُحرِمين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاصطياد في الحرم أو في الإحرام ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تُبعَثون فيجزيكم على أعمالكم.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ **(أي صيّر)** ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿قِيَٰمًا﴾ مفعول ثانٍ أو «جعل» بمعنى «خلق» و«قيامًا» حال ﴿لِّلنَّاسِ﴾ أي **(انتعاشًا لهم)** في أمر دينهم ونهوضًا إلى أغراضهم في معاشهم ومَعادهم لما يتم لهم من أمر حجّهم وعُمرتهم وأنواع منافعهم. قيل: لو تركوه عامًا لم ينظروا ولم يؤخروا ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ والشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لأن في اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنًا قد علمه الله، أو أريد به **(جنس الأشهر الحرم)** وهي **(رجب)** وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ ما يُهدَى إلى مكة ﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ والمقلَّد منه خصوصًا وهو **(البدن)** فالثواب فيه أكثر وبهاءُ الحج معه أظهر (﴿ذَٰلِكَ﴾) إشارة إلى جعل الكعبة قيامًا أو إلى ما ذكر من حفظ حُرمة

استغنى وكَثُر ماله، فهو تانيء والجمع تُنَّاء، مثل كافر وكفّار، والاسم التناءة بالكسر والمدّ، وربما خفّف، فقيل: تنا بالمكان فهو تانٍ، كقوله:

شيخًا يظل الحجج الثمانيا ضيفًا ولا تلقاه إلا تانيا

اهـ. **قوله: (قديدًا)** القديد: اللَّحم المقدّد.

قوله: (أي صيّر) يعني أن جَعَل هٰهنا بمعنى صيّر فيتعدّى إلى مفعولين أوّلهما الكعبة، والثاني قيامًا. **قوله: (انتعاشًا لهم)** أي ارتفاعًا لهم من الضعف، يقال: نعشه الله نعشًا، أي رفعه، وانتعش العاثر إذا نهض من عثرته. **قوله: (جنس الأشهر الحرم)** على أن اللام لتعريف الجنس وينصرف إلى الكل لانتفاء قرينة البعضية على الأوّل للعهد بدلالة حال العرف. **قوله: (رجب)** منصرف. **قوله: (البُدْن)** بضمّتين وإسكان الدال تخفيف جمع بدنة. **قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾)** في محل

الإحرام بترك الصيد وغيره ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السمٰوات وما في الأرض وكيف لا يعلم وهو بكل شيء عليم.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمَن استخفَّ بالحرم والإحرام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لآثام من عَظَّمَ المشاعر العِظام ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالجاني المُلتَجِىء إلى البلد الحرام.

النّصب على أنه مفعول فعل مقدّر يدلّ عليه السياق، أي شرع الله ذلك، وبين لام العلّة في قوله تعالى: (﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾) متعلّق بذلك الفعل المقدّر، وتعلموا منصوب بإضمار أن بعد لام كي، والوجه في كون جعل البيت الحرام قيامًا لمصالح الدِّين والدّنيا مؤدّيًا إلى عِلْمنا بأنّ الله يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض، أو في كون ما ذكر من الأمر بحفظه حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره مؤدّيًا إلى عِلْمنا بذلك أنّا قد علمنا بسبب أنْ بيّن الله ذلك أنّ وجه الحكم في شرع ما شرّعه من الأحكام المتعلقة بالإحرام ومناسك العبادات ومواقيتها أنه تعالى لمّا علم في الأزل أن مقتضى طبائع العرب الحرص الشديد على القتل والغارة، وعلم أنّ هذه الحالة لو دامت لهم لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون إليه في معاشهم، وأدّى ذلك إلى فنائهم وانقراضهم بالكلّية دبّر في ذلك تدبيرًا لطيفًا، وهو أنه تعالى ألقى في قلوبهم تعظيم البيت وتعظيم مناسكه، فصار ذلك سببًا لحصول الأمْن في البلد الحرام والشهر الحرام، وقَدِروا بذلك على تحصيل ما يحتاجون إليه في ذلك الزمان وفي ذلك البلد، فاستقامت بذلك مصالح معاشهم، وهذا التدبير لا يمكن إلّا إذا كان الله تعالى عالِمًا في الأزل بجميع المعلومات من الكلّيات والجزئيّات، وكان بكل شيء عليمًا، ومن البَيِّن أنّ إتقان الفعل وإحكامه وكونه على وِفْق المصالح ومقتضى الحكم دليلٌ واضح على كمال عِلْم الفاعل، وأيُّ فعل يكون أتقن وأحكم من إلقاء تعظيم الكعبة في قلوب العرب وجعله سببًا لدفع المضارّ قبل وقوعها وجلب المنافع المرتّبة على ما شرع من الأحكام المتعلّقة بها، فعلمنا بذلك أن صانع العالم عالِمٌ بجميع المعلومات.

﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في (التفريط) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم ووِفاقكم.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ لما أخبر أنه يعلم ما يبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوي خبيثهم وطيِّبهم بل يميِّز بينهما، فيعاقب الخبيث ـ أي الكافر ـ ويثيب الطيّب ـ أي المسلم ـ ﴿(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وآثروا الطيب وإن قلَّ على الخبيث وإن كَثُر. وقيل: هو عامٌ في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالِحه وجيِّد الناس ورديئهم. ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي العقول الخالصة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ كانوا يسألون النبي ﷺ عن أشياء امتحانًا فنزل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ قال (**الخليل**) وسيبويه وجمهور البصريين: أصله «شيئاء» بهمزتين بينهما ألف وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها

قوله: (التفريط) التقصير.

قوله: (﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ﴾) قرّر أن أهل الدنيا يُعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا ومطمح نظرهم الكثرة دون الجودة، والأمر بالعكس. وجواب لو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ محذوف، أي ولو أعجبك كثرة الخبيث لما استوى مع الطيّب وإن قلّ، ومعنى الإعجاب السرور بما يتعجّب به، يقال: أعجبني أمر كذا، أي سرّني.

قوله: (**الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كان إمامًا في علم النَّحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود،

الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كـ «حمراء» وهي مفردة لفظًا جمع معنى، ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدّمت الأولى التي هي لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها «لفعاء»، والجملة الشرطية والمعطوفة عليها أي قوله: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ صفة لـ «أشياء» أي وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول **(بين أظهركم)** «تبد لكم» تلك التكاليف التي تسوؤكم أي تغمّكم وتشقّ عليكم وتؤمرون بتحمّلها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عفا الله عمّا سلف من مسئلتكم فلا تعودوا إلى مثلها ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاقبكم إلا بعد الإنذار. **(والضمير في** ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ **لا يرجع إلى** «**أشياء**»**)**حتى يُعَدَّى بـ «عن» بل يرجع إلى المسألة التي دلّت عليها «لا تسألوا» أي قد سأل هذه المسألة ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من الأولين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ صاروا بسببها ﴿كَافِرِينَ﴾ كما عرف في بني إسرائيل.

وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحدًا وسمّاه الخبب، قيل: إن الخليل دعا بمكّة أن يُرزق علمًا لم يسبقه أحدًا إليه، ولا يؤخذ إلّا عنه، فلمّا رجع من حجّه فتح عليه بعلم العروض، وكان الخليل رجلًا صالحًا عاقلًا حليمًا وقورًا، ومن كلامه: لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره، وللخليل من التصانيف: كتاب العين في اللغة وهو مشهور، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب النغم، وكتاب في العوامل، وأخباره كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويقال: إن أبا أحمد أوّل من سمّي بأحمد بعد رسول الله ﷺ، كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلًا عن أحمد بن أبي خيثمة، وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة، وتوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة، وقيل: عاش أربعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. **قوله:** (**بين أظهركم**) بمعنى بينكم. **قوله:** (**والضمير في** ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ **لا يرجع إلى أشياء**)... الخ. جواب عمّا يقال فعل المسألة لا يتعدّى إلى المفعول به بنفسه، بل يتعدّى إليه بكلمة عن، فكيف قيل: سألها ولم يقل سأل عنها؟ كما قال أولًا: (﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾).

وتقرير الجواب: أن ضمير سألها ليس راجعًا إلى الأشياء التي يسألون عنها وعن أحوالها، بل إلى مسألتهم عن تلك الأشياء، فيكون الضمير في موضع المصدر.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كان أهل الجاهلية **(إذا نتجت الناقة)** خمسة أبطن آخرها ذَكَر بَحَروا أُذنها أي شقّوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل: **(إذا قدِمت)** من سفري أو **(بَرِئْتُ)** من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبَحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدًا قال: هو سائبة (فلا عقل) بينهما ولا ميراث. وكانت الشاة إذا ولدَت سبعة أبطُن فإذا كان السابع ذَكَرًا أكله الرجال، وإن كان أُنثى أُرسِلَت في الغنم، وكذا إن كان ذَكَرًا وأُنثى وقالوا: أوصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة. وإذا نَتَجت من صلب الفحل عشرة أبطُن قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى. **(ومعنى ﴿مَا جَعَلَ﴾ ما شرع ذلك ولا أمر به)** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتحريمهم ما حرموا ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في نسبتهم هذا التحريم إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم.

قوله: (إذا نتجت الناقة) على بناء ما لم يُسمّ فاعله، يقال: نتجت الناقة تنتج نِتاجًا، أي نتجها أهلها نَتْجًا، أي ولي أهلها نتاجها حتى وضعت فأهلها ناتج، والناتج للبهائم بمنزلة القابلة للنساء، والأصل نَتَجها أهلها ولدًا على أن ضمير الناقة مفعول أوّل وولدًا مفعول ثان، وإذا بُنِي[1] للمفعول الأول قيل؛ نتجت ولدًا بإسناد الفعل إلى مفعوله الأوّل، وترك الثاني منصوبًا، فأهلها تصيرها واضعة لولدها، وكانت هي مصيرة واضعة الولد. **قوله: (إذا قَدِمت)** من باب تَعِب. **قوله: (بَرِئت)** من بابي نفع وتعب. **قوله: (فلا عَقْل)** أي ديّة. **قوله: (ومعنى ﴿مَا جَعَلَ﴾ ما شرع ذلك ولا أمر به)**، يعني أن جعل قد يستعمل بمعنى خلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: الآية ١]، وبمعنى صيّر كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ

---

(١) على لفظ المبني للمفعول مسند إلى المفعول الأوّل، أي وضعت. وفي قوله: وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن أسند إلى المفعول الثاني وترك الأول. اهـ التفتازاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي هلمّوا إلى حكم الله ورسوله بأن هذه الأشياء غير محرمة ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (أي كافينا) ذلك، «حسبنا» مبتدأ والخبر «ما وجدنا»«وما» بمعنى «الذي» والواو في ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ انتصب «أنفسكم» بـ «عليكم» وهو من أسماء الأفعال أي الزموا إصلاح أنفسكم. والكاف والميم في «عليكم» في موضع جرّ لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها (﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ رفع على الاستئناف، أو جزم على جواب الأمر)، وإنما ضمّت الراء إتباعًا لضمة الضاد ﴿مَّن

﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٩٧]، ولا يصح أن يكون جعل في هذه الآية بمعنى خلق؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الأشياء كلّها، ولا بمعنى صيّر؛ لأن بدله من مفعول ثانٍ، وهو ليس بمذكور في الآية، بل بمعنى سنّ وشرع، أي ما سنّ الله ولا شرع شيئًا من هذه الأشياء.

قوله: (أي كافينا) يعني أن حسبنا في الأصل مصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل.

قوله: (﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ رفع على الاستئناف) على قراءة الجمهور: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الراء المشدّدة على أنه كلام مستأنف سيق للإخبار بذلك، (أو جزم على جواب الأمر) وأصله على التقديرين: لا يضرركم، فنقلت ضمة الراء الأُولى إلى الضاد قبلها لقصد إدغامها في الراء الثانية، فاجتمع ساكنان، فحرّكت الراء الثانية بالضمّ إتباعًا لضمّة الضاد، فأدغمت الأُولى فيها، فصار: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾.

ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتمنّون دخولهم في الإسلام فقيل لهم: عليكم أنفسكم وما كُلِّفتم من إصلاحها لا يضرّكم الضُّلّال عن دينكم إذا كنتم مهتدين، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تركهما مع القدرة عليهما لا يجوز. ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ رجوعكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم يجزيكم على أعمالكم.

رُوِيَ أنه خرج (بديل ـ مولى عمرو بن العاص) وكان من المهاجرين ـ مع (عدي) و(تميم) ـ وكانا نصرانيين ـ إلى الشام، فمرض بديل وكتب كتابًا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه، وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله.

قوله: (بُدَيْل) ـ بضم الباء وفتح الدال المهملة ـ ابن مارية (**مولى عمرو بن العاص**) السهمي، والذي ذكره الأئمّة في كتبهم بزيل ـ بضم الباء والزاي ـ (**وقوله: عمرو بن العاص**) بن وائل السهمي الصحابي المشهور. والجمهور على كتابة العاصي بالياء، وهو الفصيح عند أهل العربية، ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه وأكثرها بحذف الياء، وهي لغة. وقد قرىء في السبع نحوه؛ كالكبير المتعالِ والداع ونحوهما، هو أبو عبد الله، ويقال: أبو محمّد، أسلم عام خيبر أوّل سنة سبع، وقيل: أسلم في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستّة أشهر، وقيل غير ذلك. ووُلّي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها. مات بمصر، وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين، وكان عمره سبعين سنة. رُوِي له عن رسول الله ﷺ سبعة وثلاثون حديثًا، اتّفقا على ثلاثة، ولمسلم حديثان، وللبخاري بعض حديث. روى عنه أبو عثمان النّهدي، وقيس بنُ أبي حازم، وعروة بن الزبير، وعبد الرحمٰن بن شماسة ـ بفتح الشين وضمّها ـ.

قوله: (عدي) بن بداء ـ بباء موحدة ودال مهملة مشدّدة ومدّ كشدّاد ويقصر ـ قال أبو نعيم: لا يُعرف لعديّ إسلام، وقد ذكره بعض المتأخّرين. وعبارة البيضاوي والكشاف: عدي بن زيد. اهـ. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: الصواب عدي بن بداء. **قوله:** (تميم) بن أوس الداري الصحابي المشهور، ولم يكن مسلمًا يومئذ، ولمّا أسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول: صدق الله وصدق رسوله، أنا أخذت الإناء فأنا أتوب إلى الله وأستغفره؛ كما في تفسير الخازن. والداري منسوب إلى جدّه الدار، وقيل غير ذلك. كان نصرانيًا فأسلم سنة تسع من

ومات ففتشا متاعه، فأخذا (إناء من فضة) فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾

﴿(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ) إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾ ارتفع «اثنان» لأنه خبر المبتدأ وهو «شهادة» بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين، أو

الهجرة، وكان كثير التهجّد، قام ليلة حتى أصبح بآية من القرآن، فيركع ويسجد ويبكي، وهي: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ[1] ٱلسَّيِّـَٔاتِ[2]﴾ [الجاثية: الآية ٢١] الآية، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان ﷺ. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثًا، رَوَى مسلم منها حديث الدِّين النصيحة. وفي صحيح مسلمْ أن رسول الله ﷺ روى عن تميم الداري قصة الجسّاسة[3]، وهذه منقبة شريفة لا يُشاركه فيها غيره، ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر، ورواية الفاضل عن المفضول، ورواية المتبوع عن تابعه، وفي هذا الحديث قبول خبر الواحد. وروى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأنس، وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما، وجماعات من التابعين رضوان الله تعالى عليهمْ أجمعين.

قوله: (إناءً من فضة) وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشًا بالذهب.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾) هذه الآية واللتان بعدها من أشكل القرآن حكمًا وإعرابًا وتفسيرًا، ولم يزل العلماء يستشكلونها ويكفّون عنها، حتى

---

(١) أي اكتسبوا السيّئات الكفر والمعاصي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) يعني أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) بعدما أسلم كما في صحيح مسلم، فجاء فبايع وأسلم وحدّثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجّال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

لأنه فاعل «شهادة بينكم» أي فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. (**واتسع في «بين» فأضيف إليه المصدر**). «وإذا حضر» ظرف للشهادة و«حين الوصية» بدل منه، وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية لأن حضور الموت من الأمور الكائنة، «وحين الوصية» بدل منه فيدلّ على وجوب الوصية ولو وُجِدَت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل إلى الوجوب، وحضور الموت (**مُشارفته**) وظهور (**أمارات**) بلوغ الأجَل ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة لـ «اثنان» ﴿مِنكُمْ﴾ من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ عطف على «اثنان» ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الأجانب ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها. (**«وأنتم» فاعل فعل يفسِّره الظاهر**) ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾

قال مكّي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه المسمّى بالكشف: هذه الآيات في قراءاتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي القرآن وأشكله، قال: ويحتمل أن يبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر، قال: وقد ذكرناها مشروحةً في كتاب مفرد. وقال السخاوي: لم أرَ أحدًا من العلماء تخلّص كلامه فيها من أوّلها إلى آخرها. قلت: وأنا أستعين الله في توجيه إعرابها واشتقاق مُفرداتها وتصريف كلماتها وقراءاتها ومعرفة تأليفها. وأما بقية علومها، فنسأل الله العون في تهذيبه إلى آخر ما في عبارة السمين، فارجع إليه إن شئت.

واختلفوا في هذه الشهادة، فقيل: هي الشهادة المعروفة التي هي الإخبار بحقّ الغير على الغير، وقيل: هي حضور وصية المحتضر. **قوله: (واتّسع في «بين» فأضيف إليه المصدر)** أي بجعل الظرف كأنه مفعول لذلك. في تفسير الجلالين: وإضافة شهادة لِبَيْن على الاتّساع. اهـ. أي التجوّز، يعني وحقّ الشهادة أن تُضاف إلى المشهود به، كأن يقال: شهادة الحقوق، أي الشهادة بها، فاتّسع فيها وأُضيفت إلى البين إما باعتبار جريانها بينهم، أو باعتبار تعلّقها بما يجري بينهم من الخصومات. اهـ أبو سعود. وفي الكرخي قوله: على الاتّساع، أي في الظرف، وذلك لأن الإضافة إليه أخرجته عن الظرفيّة وصيّرته مفعولًا به على السعة، و﴿بَيْنِكُمْ﴾ كناية عن التنازع والتشاجر، وإنما أضاف الشهادة إلى التنازع لأن الشهود إنما يُحتاج إليهم عند التنازع.

قوله: (مشارفته) أي قُرْبه. **قوله: (أمارات)** أي علامات. **قوله: («وأنتم» فاعل فعل يفسّره الظاهر)** أي أنتم مرفوع بأنه فاعل **فعل** محذوف؛ لأنه واقع بعد أن

أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذِّمَّة. وقيل: منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذِّمِّي على المسلم، وإنما جازت في أول الإسلام لقلّة المسلمين ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله: «أو آخران من غيركم» أي أو آخران من غيركم محبوسان، «وإن أنتم (﴿ضَرَبْتُمْ﴾) في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت» اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (من بعد صلاة العصر) لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن ﷺ: بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. وفي حديث بديل أنها لما نزلت صلّى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعديٍّ وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا: إنّا اشتريناه من تميم وعدي. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ فيحلفان به ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين «يقسمان» وجوابه وهو ﴿لَا نَشْتَرِى﴾ وجوابالشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير: إن ارتبتم في شأنهما فحلفوهما ﴿بِهِۦ﴾ بالله أو بالقسم ﴿ثَمَنًا﴾ عِوَضًا من الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ أي المُقسَم له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان مَن نقسم له قريبًا منّا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن كتمنا ﴿لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾. وقيل: إن أُريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أُريد الوصيّان فلم ينسخ تحليفهما.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ (فإن اطّلع) ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ فعل ما أوجب إثمًا واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا

الشرطية فلا يرتفع[1] بالابتداء، والتقدير: إن ضربتم، فلمّا حُذِف الفعل وجب أن يفصل الضمير، فيصير: أنتم، ليقوم بنفسه، و(﴿ضَرَبْتُمْ﴾) تفسير للفعل المحذوف لا موضع له. اهـ أبو البقاء. **قوله:** (من بعد صلاة العصر)، فالتعريف للعهد أو للجنس.

قوله: (فإن اطّلع) يقال: عثر عليه يعثر عثرًا وعُثُورًا، أي اطّلع عليه وعثر في مشيه أو منطقه أو رأيه. يَعْثُر عَثْرة، أي زلّ وسقط، فرّقوا بين مصدريهما، فإنّ

(١) أي عند البصريّين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي من الذين استحق عليهم الإثم، ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته)، وفي قصة بديل أنه لمّا ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما وإن شهادتهما أحق من شهادتهما (﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾) الأحقّان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما. وارتفاعهما على «هما الأوليان» كأنه قيل: ومَن هما؟ فقيل: الأوليان. أو هما بدل من الضمير في «يقومان» أو من «آخران». «استحق عليهم الأوليان». (حفص) أي من الورثة الذين استحق عليهم الأولياء (من بينهم ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أن يجرّدوهما) للقيام بالشهادة ويُظهِروا بهما كذب الكاذبين. («الأوّلين»: حمزة وأبو بكر) على أنه وصف للذين

العَثْرة هي الزلّة، والعثور هو الاطّلاع. **قوله:** (﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾) قراءة الجمهور بضم التاء على بناء المجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على الإثم، (أي من الذين استحقّ عليهم الإثم، ومعناه: من الذين جني عليهم، وهم أهل الميت وعشيرته)، يشير إلى أن استحقاق الإثم عليهم كناية عن هذا المعنى؛ وذلك لأن معنى استحقّ الشيء به لاقَ به أن يُنسَب إليه والجاني للاسم المرتكب له يليق أن يُنسب إليه الإثم، فاستحقاقه الإثم بمعنى ارتكابه، فالذين استحقّ عليهم الإثم، أي جني عليهم وارتكب الذنب بالقياس إليهم هم الورثة. والمعنى: مِنَ الورثة الذين جني عليهم، فإن الأوّلين لمّا جَنَيا واستحقّا إثمًا بسبب جنايتهما على الورثة كانت الورثة مجنيًّا عليهم متضرّرين بجناية الأوّلين. قوله: (وعشيرته) في المصباح: العشيرة القبيلة، ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر.اهـ. قوله: (﴿ٱسْتَحَقَّ﴾) بفتح التاء والحاء مبنيًّا للفاعل، وإذا ابتدأ كسر الهمزة (﴿عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾) مرفوع على أنه فاعل استحقّ ومفعوله محذوف. (حفص)، والباقون بضم التاء وكسر الحاء مبنيًّا للمفعول، وإذا ابتدؤوا ضمّوا الهمزة. **قوله:** (﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾) فاعل استحقّ. **قوله:** (من بينهم) حال منهما. **قوله:** (﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾) متعلق بهما، أي الأحقان بالشهادة. **قوله:** (أن يجرّدوهما)... الخ. مفعول استحقّ، فالمفعول محذوف من لفظ القرآن، كأنهما لما صارا أوْلى بالشهادة منهم استحقّا أن يجرّدوهما للشهادة. **قوله:** (الأوّلين) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون جمع أول المقابل لآخر. (حمزة وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون: «الأوْليان» بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون مثنّى أوْلى.

استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح. وسُمُّوا أولين لأنهم كانوا أولين في الذِّكر في قوله: «شهادة بينكم» ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيَّين الخائنين ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وما تجاوزنا الحق في يميننا ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إن حلفنا كاذبين.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي مرَّ ذِكره من بيان الحكم ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب (﴿أَن يَأْتُوا۟﴾) أي الشهداء على نحو تلك الحادثة ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ كما حملوها بلا خيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي (تكرُّ) أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الخيانة واليمين الكاذبة ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ سمع قبول وإجابة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة. فإن قلت: ما معنى «أو» هنا؟ قلت: معناه ذلك أقرب من أن يؤدّوا الشهادة بالحق والصدق، إما لله أو لخوف العار والافتضاح بردّ الأيمان، وقد احتجّ به مَن يرى ردّ اليمين على المدّعي، والجواب أن الورثة قد ادّعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر كذبهما ادّعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكروا» أو احذروا ﴿يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ ما الذي أجابتكم به أُممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان؟ وهذا السؤال توبيخ لمَن

قوله: (﴿أَن يَأْتُوا۟﴾)... الخ. وإنما جمع الضمير في يأتوا أو يخافوا مع أن الكلام في اثنين من الشهود والأوصياء؛ لأنه ابتداء كلام ذُكر لبيان الحكمة في شرعية الحكم على التفصيل المذكور في حقّ جميع الأوصياء أو الشهود. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفي الفتوحات الإلـهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: المقام لتثنية الضمير، وإنما جُمِع لأن المراد ما يعمّ الشاهدَيْن المذكورَيْن وغيرهما من بقيّة الناس. وفي الخازن: أن يأتي الوصيّان وسائر الناس. اهـ شيخنا. اهـ. **قوله:** (تكرُّ) أي ترجع.

أنكرهم. «وماذا» منصوب بـ «أجبتم» نصب المصدر على معنى أيَّ إجابة أجبتم ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بإخلاص قومنا دليله ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ أو بما أحدثوا بعدنا دليله «كنت أنت الرقيب عليهم» أو قالوا ذلك تأدبًا أي علمنا ساقط مع علمك و(مغمور) به فكأنه لا علم لنا.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بدل من «يوم يجمع» (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ حيث طهّرتها واصطفيتها على نساء العالمين. والعامل في ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾ أي قوّيتك «نعمتي» ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبريل عليه السلام (أيد به لتثبت

قوله: (مغمور) أي مستور ومهلك.

قوله: (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) بإثبات الألف، وإن كان واقعًا بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأُم، وابن صفة لعيسى نُصِب لأنه مضاف، وهذه قاعدة كلّية مفيدة، وذلك أن المُنادى المفرد المعرفة الظاهرُ الضمّةِ إذا وُصِف بابن أو بابنة ووقع الابن أو الابنة بين عَلَمين أو اسمين متّفقين في اللفظ ولم يفصل بين الابن وبين موصوفه بشيء تثبت له أحكام، منها: أنه يجوز اتباع المنادى المضموم لحركة نون ابن فيفتح نحو: يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة بكر، بفتح الدال من زيد وهند وضمّها، فلو كانت الضمّة مقدَّرة، مثل: ما نحن فيه، فإنّ الضمة مقدّرة على ألف عيسى، فهل يقدّر بناؤه على الفتح إتباعًا كما في الضمّة الظاهرة؟ خلاف الجمهور على عدم جوازه؛ إذ لا فائدة في ذلك، فإنه إنما كان للاتباع، وهذا المعنى مفقود في الضمّة المقدّرة، وأجاز الفراء ذلك إجراءً للمقدّر مجرى الظاهر، وتَبِعه أبو البقاء، فإنه قال: يجوز أن تكون على الألف من عيسى فتحة؛ لأنه قد وُصِف بابن وهو بين علمين، وأن تكون فيهما ضمّة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو، بفتح الدال وضمّها، وهو الذي قاله غير بعيد. اهـ سمين رحمه الله. **قوله:** (أيّد به لِتثبُتَ

الحجة عليهم)، أو بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطُّهر من **(أوصام الآثام)** دليله (﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾) حال **(أي تكلمهم طفلا)** إعجازًا (﴿وَكَهْلًا﴾) تبليغًا ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ﴾ معطوف على «إذ أيّدتك» ونحوه «وإذ تخلق». «وإذ تخرج». «وإذ كففت». «وإذ أوحيت» ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الخط ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الكلام المُحكَم الصواب ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ (تَخْلُقُ)﴾ تقدِّر ﴿مِنَ ٱلطِّينِ (كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ هيئة مثل **هيئة الطير)** ﴿بِإِذْنِى﴾ بتسهيلي ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه، وكذا الضمير في ﴿فَتَكُونُ

الحجّة عليهم) في روح البيان: معنى تأييده به أنّ جبريل عليه السلام يجعل حجّته ثابتة مقرّرة. **قوله: (أوصام الآثام)** الوَصْم: العَيْب. **قوله:** (﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾) في المهد قولان: أحدهما أنه حِجْر أُمّه، والثاني هو هذا الشيء المعروف الذي هو مضجع الصبي وقت الرّضاع، وكيف كان فالمراد منه أنه يكلّم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها إلى المهد، ولا يختلف هذا المقصود سواء كان في حجر أُمّه أو كان في المهد. اهـ رازي رحمه الله. **قوله: (أي تكلّمهم طفلًا)** أي قوله: (﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾) كناية عن كونه طفلًا صغيرًا وهي أبلغ من التصريح وأوْلى؛ لأن الصغير يُسمّى طفلًا إلى أن يبلغ الحُلُم، فلذا عدل عنه. اهـ شهاب رحمة الله عليه. **قوله:** (﴿وَكَهْلًا﴾) الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين، ووخطه الشيب أي خالطه. **قوله: (هيئة مثل هيئة الطير)** يعني أن الكاف في قوله: (﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾) اسم بمعنى مثل في محل النصب على أنه صفة للمفعول المحذوف لقوله: (﴿تَخْلُقُ﴾) بمعنى تسوّي وتصوّر، أي وإذ تسوّي وتصوّر هيئته مثل هيئة الطير، قيل: إن الناس قالوا على وجه التعنّت: اخلق لنا خفاشًا واجعل فيه روحًا إن كنت صادقًا في مقالتك، فأخذ طينًا وسوّى منه هيئة خفاش ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكانت التسوية والنفخ بكسب عيسى عليه السلام، والخلق من الله تعالى، قيل: إنما طلبوا منه خلق الخفاش لأنه أعجب المخلوقات من حيث إنه لحم ودم يطير بغير ريش، ويَلِد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، وله ضرع يخرج منه اللبن، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تَحِيض المرأة، ولا يُبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في

طَيْرًا بِإِذْنِيۖ﴾ وعطف ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ) بِإِذْنِيۖ﴾ على «تخلق» ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من القبور أحياء ﴿بِإِذْنِي﴾ (قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية).

ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًّا، فلما رأوا منه ذلك قالوا: إن هذا إلا سحرٌ مبين. قال وهْب بن منَبّه: كان يطير حتى يغيب عن الناس ثم يقع ميتًا، ليتميّز خلق الله تعالى من فعل غيره. **قوله:** (﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾) الأكمه: الذي وُلد أعمى، والأبرص: هو الذي به برص، أي بياض في الجلد، ولو كان بحيث إذا غُرِز بإبرة لا يخرج منه الدم لا يقبل العلاج، ولذا خُصّا بالذكر، وكلاهما مما أعيى الأطبّاء. **قوله:** (**قيل: أخرج سام بن نوح** ورجلين وامرأة وجارية) كذا في تفسير الكشاف وغيره. **وقوله:** (**سام بن نوح**) قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح، قالوا له: لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك، فقام وأتى تلّاً فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب، وقال: هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحييته لكم، قالوا: نعم، فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التلّ بعصاه، وقال: إحْيَ بإذن الله، فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: أقد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكني دعوتك باسم الله الأعظم، قال: ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان، وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شابّ ثم أخبرهم بخبر السفينة، فقال له عيسى: مُتْ، فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك. اهـ العرائس للإمام الثعلبي رحمه الله. **قوله:** (ورجلين) أي العاذر، وكان صديقًا له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأْتِهِ، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقالوا لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة، فقال عيسى: اللّهمّ ربّ السمٰوات السبع والأرضين السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أني أحيي الموتى بإذنك فأحْيِي العاذَر، فقام العاذر وخرج من قبره وبقي ووُلِد له.

وابن العجوز، وكانت القصة فيه أن عيسى مرّ في سياحته ومعه الحواريّون بمدينة، فقال: إنّ في هذه المدينة كنزًا، فمن يذهب يستخرجه لنا؟ فقالوا: يا روح

....

الله لا يدخل هذه القرية أحدٌ غريب إلّا قتلوه، فقال لهم عيسى: مكانكم حتى أعود إليكم، فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب، فقال: السلام عليكم يا أهل الدار، غريب أطعموه، فقالت له امرأة عجوزًا: ما ترضى أن أدعك لا أذهب بك إلى الوالي حتى تقول: أطعموني، فبينما عيسى بالباب إذ أقبل ابن العجوز، فقال له عيسى: أضفني ليلتك هذه، فقال له الفتى مثل مقالة العجوز، فقال له عيسى: أما إنك لو فعلت ذلك زوّجتك بنت الملك، فقال له الفتى: إمّا أن تكون مجنونًا وإما أن تكون عيسى ابن مريم، قال: أنا عيسى، فأضافه وبات عنده، فلما أصبح قال له: اغدُ وادخل على الملك، وقل له: جئت أخطب ابنتك، فإنه سيأمر بضربك وإخراجك، فمضى الفتى حتى دخل على الملك، فقال له: جئت أخطب إليك ابنتك، فأمر بضربه فضُرِب وأُخْرِج، فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره الخبر، فقال: إذا كان غدًا فاذهب إليه واخطب ابنته، فإنه ينالك بدون ذلك، ففعل الفتى ما أمره عيسى، فضربه دون ذلك الضرب الأوّل، فرجع إلى عيسى فأخبره، فقال: ارجع إليه، فإنه سوف يقول لك: أنا أزوّجك إيّاها على حكمي، وحكمي قصر من ذهب وفضّة وما فيه من ذهب وفضّة وزبرجد، فقل له: أفعل ذلك، فإذا بعث معك أحدًا فاخرج به، فإنك سوف تجده فلا تُحْدِث فيه شيئًا. ثم إنه دخل على الملك، فخطب، فقال: تصدقها بحكمي، فقال: وما حكمك؟ فحكم بالذي سمّاه عيسى عليه السلام، فقال: نعم رَضِيت، ابعث مَنْ يقبض ذلك، فبعث معه رجالًا فسلّم إليهم ما سأله الملك، فتعجّب الناس من ذلك، فسلّم إليه الملك ابنته، فتعجّب الفتى من ذلك، وقال: يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال؟ فقال له عيسى: إني آثرت ما يبقى على ما يفنى، فقال الفتى: أنا أيضًا أدعه وأصحبك، فتخلّى من الدنيا واتّبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به وأصحابه وقال لهم: هذا الكنز الذي قلت لكم، فكان معه ابن العجوز إلى أن مات، ومرّ به وهو ميت على سرير، فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلِد له. اهـ العرائس.

وأيضًا أحيى عزير عليه السلام، قالوا لعيسى عليه السلام: أحْيِهِ وإلّا أحرقناك بالنار، وجمعوا حطبًا كثيرًا من حطب الكرم، وكانوا في ذلك الوقت

....

يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة، فوجدوا قبر عزير مكتوبًا على ظهره اسمه، فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يُخرجوه من قبره، فرجعوا إلى عيسى فأخبروه، فناولهم إناء فيه ماء، وقال لهم: انضحوا قبره بهذا الماء، ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو في أكفانه والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، ثم إنه نزع ثيابه عنه، ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت، ثم قال: احْيَ يا عزير بإذن الله تعالى، فإذا هو جالسٌ، وكلّ ذلك تراه أعينهم، فقال لعزير: ما تشهد لهذا الرجل؟ ـ يعنون عيسى ـ فقال: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فقالوا: يا عيسى ادع لنا ربّك يُبْقيه لنا ليكون بين أظهرنا حيًّا، فقال عيسى: ردُّوه إلى قبره، فردُّوه إلى قبره، فعاد ميّتًا، فآمن بعيسى ابن مريم مَنْ آمن، وعاند مَن عاند. اهـ العرائس.

وفي تهذيب الأسماء: ومنهم سام بن نوح وعزير وقصّتهما مشهورة. اهـ.

وقوله: (وامرأة وجارية) في العرائس: ومنها ابنة العاشر رجلٌ كان يأخذ العشر، قيل له: أتحييها وقد ماتت بالأمس، فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت ووُلِد لها. اهـ. وفي تهذيب الأسماء: ومنهم بنت العاشر أحياها وولدت بعد ذلك. اهـ. وفي الدرّ المنثور في سورة آل عمران، أخرج إسحٰق بن بشر وابن عساكر من طرق عن ابن عباس، قال: كانت اليهود يستهزؤون بعيسى، ويقولون له: يا عيسى ما أكل فلان البارحة وما ادّخر في بيته؟ فيخبر فيسخرون منه حتى طال ذلك به وبهم، وكان عيسى عليه السلام ليس له قرار ولا موضع يُعرف، إنما هو سائح في الأرض، فمرّ ذات يوم بامرأة قاعدة عند قبر، وهي تبكي، فسألها فقالت: ماتت ابنة لي لم يكن لي ولدٌ غيرها، فصلّى عيسى ركعتين ثم نادى: يا فلانة قومي بإذن الرحمٰن فاخرجي، فتحرّك القبر، ثم نادى الثانية، فانصدع القبر، ثم نادى الثالثة فخرجت، وهي تنفض رأسها من التراب، فقالت: يا أُمّاه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرّتين، يا أُمّاه اصبري واحتسبي، فلا حاجة لي في الدنيا، يا روح الله سَل ربّي أن يردّني إلى الآخرة وأن يهوّن عليَّ كرب الموت، فدعا ربّه فقبضها إليه، فاسْتَوت عليها الأرض. اهـ.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ أي اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جِئْتَهُم﴾ ظرف لـ «كففت» ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ («ساحر» حمزة وعلي).

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ ألهمت ﴿إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ الخواص أو الأصفياء (﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾) أي آمنوا ﴿بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي اشهد بأننا مخلصون مَن أسلم وجهه.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أي اذكروا إذ ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ («عيسى» نصب على إتباع حركته حركة الابن نحو «يا زيد بن عمرو») ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ (هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب.

قوله: («ساحر») بالألف بعد السين وكسر الحاء اسم فاعل (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف على المصدر، أي ما هذا الخارق إلا سحر بمعنى ساحر، أو بمعنى ذو سحر أو جعلوه نفس السِّحر كرجل عدل.

قوله: (﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾) أي آمنوا، يعني أنَّ أن تفسيرية، لأنها وردت بعدما هو بمعنى القول لا حروفه.

قوله: (عيسى نصب على إتباع حركته حركة الابن، نحو «يا زيد بن عمرو») قال العلامة أبو البقاء: (﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ﴾) يجوز أن يكون على الألف من عيسى فتحة، لأنه قد وُصِف بابن وهو بين عَلَمين، وأن يكون عليها ضمّة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو، بفتح الدال وضمّها، وإذا قدّرت الضمّ جاز أن يجعل ابن مريم صفة وبيان وبدلًا. اهـ. **قوله:** (هل يفعل) أي فالسؤال إنما هو عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرًا عنه بلازمه. **قوله:** (أو هل يطيعك ربك إن سألته، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب)، فيستطيع بمعنى يطيع، ويطيع بمعنى يجيب

هل تستطيع ﴿رَبَّكَ﴾ على) أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارِف يصرفك عن سؤاله ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾(«يُنْزِل»: مكي وبصري) ﴿مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (هي الخوان) إذا كان عليه الطعام (من ماده إذا أعطاه) كأنها تميد مَن تقدَّم إليها ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ (في اقتراح الآيات) بعد ظهور المعجزات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذ الإيمان يوجِب التقوى.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ تبرّكًا ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ ونزداد يقينًا كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي

مجازًا؛ لأن المجيب مطيع. اهـ شهاب. **قوله:** (هل تستطيع) بتاء الخطاب لعيسى عليه السلام مع إدغام اللام من هل في التاء على قاعدته. (﴿رَبَّكَ﴾) بالنصب على التعظيم (على) الكسائي، والباقون بياء الغيب ﴿رَبُّكَ﴾ بالرفع على الفاعلية. **قوله:** («يُنْزِل») بإسكان النون وتخفيف الزاي (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله:** (هي الخوان[1]) بضم الخاء وكسرها إذا كان عليها الطعام، فإن لم يكن عليه طعام لا يسمّى مائدة، وإنما يقال له: خِوَان، كما لا يقال كأس إلّا وفيها خمر، وإلا فهي قدح، ولا يقال: ذَنوب أو سَجْل[2] إلّا وفيه ماء، وإلا فهو دلو، ولا يقال جراب إلّا وهو مدبوغ، وإلا فهو إهاب. **قوله:** (من ماده إذا أعطاه)، فهو مائدة، أي مُعْطية. **قوله:** (في اقتراح الآيات) أي في سؤال الآيات التي لم يسبق لها مثال. وفي المصباح: واقترحته ابتدعته من غير سبق مثال. اهـ. وفي مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيّاه، ومن غير رويّة. اهـ.

---

(١) تفسير المائدة بالخوان تفسير بالأعم؛ لأنه لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام، وإلا فهو خوان. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) مثال فَلْس الدلو العظيمة وبعضهم يزيد إذا كانت مملوئة. اهـ مصباح. وفي القاموس: السَّجْل الدلو العظيمة مملوءة مذكر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

نعلم صدقك عيانًا كما علمناه استدلالًا ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ بما عاينا لمَن بعدنا. ولمّا كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ﴾ أصله «يا الله» فحذف «يا» وعوض عنه «الميم» ﴿رَبَّنَا﴾ نداء ثانٍ) ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي يكون يوم نزولها عيدًا. قيل: هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدًا، والعيد: السرور العائد ولذا يقال: «يوم عيد» فكان معناه: تكون لنا سرورًا وفرحًا ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل من «لنا» بتكرير العامل أي لمَن في زماننا من أهل ديننا، ولمَن يأتي بعدنا، أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم، أو للمتقدمين منّا والأتباع ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على صحة نبوّتي ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وأعطنا ما سألناك وأنت خير المُعطين.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ (بالتشديد: مدني وشامي وعاصم). وعد الإنزال وشرط عليهم شرطًابقوله: (﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ بعد إنزالها منكم ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ أي تعذيبًا كالسلام بمعنى التسليم. والضمير) في ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ للمصدر ولو أُريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بُدٌّ من الباء ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ عن الحسن أن

قوله: (﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أصله يا الله، فحذف يا وعوّض عنه الميم ﴿رَبَّنَآ﴾ نداء ثانٍ) لا صفة أو بدل؛ لأن اللّهمّ لا يُوصف ولا يبدل منه.

قوله: (بالتشديد) أي بفتح النون وتشديد الزاي (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وعاصم). والباقون بإسكان النون وتخفيف الزاي، فقيل: هما بمعنى، وقيل: الأوّل للتكثير لما قيل إنها نزلت مرّات متعدّدة. **قوله:** (أي تعذيبًا) على أن عذابًا اسم مصدر بمعنى التعذيب. **قوله:** (﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ بعد إنزالها منكم ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ أي تعذيبًا كالسلام بمعنى التسليم والضمير) في لأعذّبه للمصدر، ويعني أنه راجع إلى قوله: ﴿عَذَابًا﴾ على أن يكون اسم مصدر بمعنى التعذيب، كأنه قيل: فإني أعذّبه تعذيبًا لا أُعذّب ذلك التعذيب أحدًا، فالجملة في محل النصب على أنه صفة لعذاب، فالعذاب بمعنى التعذيب على طريق

المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدًا إلى يوم القيامة لقوله: «وآخرنا». والصحيح أنها نزلت. فعن (وهب): نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم. وقيل: كانوا يجدون عليها ما شاؤوا. وقيل: كانت تنزل حيث كانوا بكرةً وعشيًا.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله **(سباق الآية وسياقها)** وقيل: خاطبه به حين رفعه إلى السماء **(دليله لفظ «إذ»)** ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ من أن

الاستخدام[1]. **قوله:** (وهب) بن منبه التابعي الأبناوي[2] اليمامي، أخو همام بن منبه، كُنيته وهب أبو عبد الله، ويقال له الذِّماري ـ بكسر الذال المعجمة ـ منسوب إلى ذمار قرية على مرحلتين من صنعاء اليمن، وهو تابعيّ جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية. سمع جابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وأبا سعيد الخدري، وأبا هريرة، وأنسًا، والنعمان بن بشير. روى عنه عمرو بن دينار، وعوف الأعرابي، والمغيرة بن حكيم وآخرون، واتّفقوا على توثيقه. توفي سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، وقال ابن سعد: سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (سباق الآية وسياقها) السباق ـ بالباء الموحدة ـ يُستعمل فيما قبل الكلام، والسياق ـ بالياء المثناة ـ فيما قبله وبعده معًا، والمراد هنا الثاني. **قوله: (دليله لفظ «إذ»)**؛ لأن إذ للماضي من الزمان.

---

(١) في المطول، أي استخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان، أحدها أي أحد المعنيين، ثم يراد بضميره، أي بالضمير الراجع إلى ذلك اللفظ معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أي ضميري ذلك اللفظ، أحدهما أي أحد المعنيين، ثم يراد بالآخر أي ضمير الآخر معناه الآخر. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون. اهـ تقريب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ (ما ينبغي لي) ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أن أقول قولًا لا يحق لي أن أقوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ إن صحَّ أني قلته فيما مضى فقد علمته، والمعنى: أني لا أحتاج إلى الاعتذار لأنك تعلم أني لم أقله ولو قلته لعلمته لأنك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ذاتي ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ذاتك. فنفس الشيء ذاته وهويته والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقرير للجملتين معًا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلم علَّام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به. ثم فسّر ما أمر به فقال: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فـ «أن» مفسّرة بمعنى «إي» ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبًا ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مدة كوني فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من قولي وفعْلي وقولهم وفعلهم ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾. قال الزجاج: علم عيسى عليه السلام أن منهم مَن آمن ومنهم مَن أقام على الكفر فقال في جملتهم «إن تعذبهم» أي إن تعذب مَن كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل في ذلك فإنهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وإن تغفر لهم أي لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضّل منك، وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك، أو عزيز قوي قادر على الثواب، حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا أي يقول الله تعالى: «هذا يوم ينفع الصادقين» فيه صدقهم المستمر في دُنياهم

قوله: (ما ينبغي لي) إشارة إلى أن يكون بمعنى لا ينبغي ولا يليق، وهو أبلغ من لم أقله.

وآخرتهم. والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول: «قال زيد عمرو منطلق»، (وبالنصب: نافع). على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالسعي المشكور ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بالجزاء الموفور ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ لأنه باقٍ بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باقٍ.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ عظم نفسه عمّا قالت النصارى إن معه إلـٰهًا آخر ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء، نسأله أن يوفّقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قوله: (وبالنصب) أي بنصب يوم بغير تنوين. (نافع) المدني، على الظرف، أي على أنه ظرف لغوي لقال، أي قال الله هذا القول لعيسى عليه السلام في يوم ينفع، والقول هو: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾، وجاء على لفظ الماضي، على نحو: ونادى أصحاب الجنّة. والباقون بالرفع من غير تنوين، والله سبحانه وتعالى أعلم، وعِلْمه أتمّ.

تمّ تفسير سورة المائدة،
اللّهمّ لا تحرمنا ببركتها من موائد كرمك ولا تقطع عنّا عوائد نعمك
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام في كل مبدأ وختام
ويليه أيضًا تفسير سورة الأنعام

(سورة الأنعام)

(مكيّة وهي مائة وخمس وستون آية) كوفيّ أربع وستون بصري

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾

(﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أي الحمد له وإن لم تحمدوه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ **(جمع السمٰوات بخلاف الأرضين)** لأنها طباق بعضها فوق بعض.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنعام مكّية، وهي مائة وخمس وستون آية) وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر ألفًا وأربعمائة واثنان وعشرون حرفًا. **قوله:** (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) فيه قولان: الأول أنّ المراد به أحمد الله، قالوا: وإنما جاء على صيغة الخبر لفوائد: إحداهما أن قوله: يفيد تعليم اللفظ والمعنى، ولو قال: أحمد الله لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين. وثانيتها أنه يفيد أنه تعالى مستحقٌّ للحمد، سواء حمده حامد أو لم يحمده. والثالثة أن المقصود منه ذكر الحجّة، فذكره بصيغة الخبر أوْلى. والقول الثاني، وهو قول الأكثرين، أن المراد منه تعليم العباد استدلالًا بأنه تعالى قال في أثناء سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الآية ٥]، وهذا الكلام لا يليق ذكره إلّا بالعباد. **قوله: (جمع السمٰوات)**... الخ. وفي تفسير البيضاوي في سورة البقرة إنما جمع السمٰوات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة، بخلاف الأرضين. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: إنما

....

جمع السمٰوات. . . الخ. هذا ما عليه الحكماء. وأمّا المُحدثون، فالأرض عندهم طبقات بين كلٍّ منها والأخرى مسافة عظيمة، وفيها مخلوقات على ما وردت به الأحاديث والنكتة، كما قال أبو حيان: إنّ جمعها ثقيل، وهو مخالف للقياس كأرضون، ولذا أراد تعالى ذلك ومن الأرض مثلهنّ ولم يجمعها، وربّ مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفّة المفرد، وجمع لم يقع مفرده كالألباب، وفي المثل السائر نحوه. اهـ. وفي حاشيته للعلامة القنوي ﷺ: قوله: وإنما جمع السمٰوات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة، ومعنى كونها متفاصلة أي ممتازة بعضها عن بعض ـ بالصاد المهملة ـ ولا وجه لقراءة متفاضلة بالمعجمة، لكن قوله: بالذات ظاهره مما لا حاجة إليه، إلّا أن يقال: أراد التطبيق على مذهب الحكماء، ومعناه ممتازة بعضها عن بعض بذاتها الشخصيّة، سواء كانت متماسّة كما هو رأي الحكيم، أو لا كما هو المختار عند أهل الحقّ؛ لأنه جاء في الآثار: «أنّ بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام»، وكما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: الآية ٤] الآية، وقد بيّنه المصنف هناك بما ورد في الآثار؛ فالإشارة إلى مذهب الحكيم ليس بمُستحسَن، ولك أن تقول: معناه بالحقيقة لا بذاتها الشخصية، كما اختاره البعض، ومراده أنها مختلفة؛ فمنها من الماء ومنها من الذهب ومِنَ الياقوت إلى غير ذلك، فلمّا كان لها أفراد مختلفة الحقيقة جُمِعَت تنبيهًا على ذلك، وأفرادها سبع؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٩]، وهذه الآية صريحة في كونها مختلفة الحقائق، ولو ضمّ إليها الكرسيّ والعرش الأعْلى لكانت تسعة، ولمَا كان معنى بالذات بالحقيقة يكون قوله: مختلفة الحقيقة كالتفسير له، فلا مجال لِمَا قاله البعض مع وجود هذا التفسير والبيان.

قوله: (بخلاف الأرضين)، فإنها أيضاً سبع كما نطق به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطَلَاق: الآية ١٢]، لكنها ليست مختلفة الحقائق. قوله: بخلاف الأرضين، بالجمع دون الإفراد، مع أنها أُفردت في النّظم الجليل تنبيهًا على أنها حقيقة واحدة، كأنها أرض واحدة، فينظر إلى أن حقيقتها متّحدة فيفرد كالإنسان، وينظر إلى أن لها إفرادًا منفصلًا بعضها عن بعض، فيجمع

(والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موالٍ لبعض). «جعل» يتعدّى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وإلى مفعولين إن كان بمعنى «صير» كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: الآية ١٩] وفيه ردّ قول الثنوية بقدم النور والظلمة، وأفرد النور لإرادة الجنس ولأن ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء، نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل

كالأناسي، فإن أفراده متّفقة الحقيقة بالنوع واختلافها بالعوارض، وكذا الأرض، واحتمال معنى قوله: بخلاف الأرضين أنها ليست بطبقات، بل أقاليم سبعة. وأيضًا كون معناه: أن لها طبقات لكنها ليست متفاصلة بعيد، أمّا أوّلًا فلأنه لا يلائم قوله: بخلاف الأرضين، وأمّا ثانيًا فليس بمطابق لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلاق: الآية ١٢]، فإنه فسّر به البعض بأنّ في كل طبقة خلقًا من خلق الله تعالى، فيكون لها طبقات كلّها من جنسٍ واحد، وهو التراب.اهـ. **قوله: (والأرض وإنْ كانت سبعة عند الجمهور، فليس بعضها فوق بعض، بل بعضها مُوالٍ لبعض)**، قال المصنّف رحمة الله عليه في سورة الطلاق: (﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾) مبتدأ وخبره (﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾) أجمع المفسّرون على أن السمٰوات سبع (﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾) بالنصب عطفًا على سبع سمٰوات، قيل: ما في القرآن آية تدلّ على أن الأرضين سبع إلّا هذه الآية، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وغِلْظ كل سماء كذلك، والأرضون مثل السمٰوات، وقيل: الأرض واحدة إلّا أنّ الأقاليم سبعة، انتهى. وفي التفسير الكبير في سورة الطلاق قال الكلبي: خلق سبع سمٰوات بعضها فوق بعض مثل القبّة، ومن الأرض مثلهنّ في كونها طِباقًا متلاصقة، كما هو المشهور أنّ للأرض ثلاث طبقات: طبقة أرضيّة مَحْضَة، وطبقة طينيّة وهي غير محضة، وطبقة مُنكشفة بعضها في البحر وبعضها في البرّ، وهي المعمورة، ولا بعد في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلاق: الآية ١٢] من كونها سبعة أقاليم على حسب سبع سمٰوات وسبع كواكب فيها، وهي السيّارة، فإنّ لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل إقليم من أقاليم الأرض، فتصير سبعة بهذا الاعتبار، فهذه هي الوجوه التي لا يأباها العقل وما عداها من الوجوه المنقولة من أهل التفسير، فذلك من جملة ما يأباها العقل، مثل ما يقال: السمٰوات السبع أوّلها

واحد منها صاحبه، والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات، وقدم الظلمات لقوله ﷺ: «خلق الله خلقه في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره فمَن

موجُ مكفوف، وثانيها صخرٌ، وثالثها حديد، ورابعها نحاس، وخامسها فضّة، وسادسها ذهب، وسابعها ياقوت، وقول مَنْ قال: بين كل واحدةٍ منها مسيرة خمسمائة سنة، وغلظ كل واحدة منه كذلك، فذلك غير مُعتبر عند أهل التحقيق، اللّهمّ إلّا أن يكون نقل متواتر. انتهى بحروفه. وفي الفتوحات الإلـٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخَفِيّة في سورة البقرة.

قوله: (﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾) ذكر تعالى أن السمٰوات سبع ولم يأتِ للأرض في التنزيل عدد صريح لا يحتمل التأويل، إلّا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢]، وقد اختلف فيه، فقيل: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢] أي في العدد؛ لأن الكيفيّة والصفة مختلفة بالمشاهدة والإخبار، فتعيّن العدد. وقيل: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢] أي في الغلظ وما بينهن، وقيل: هي سبع إلّا أنه لم يفتق بعضها من بعض، قاله الماوردي. والصحيح الأول، وأنها سبع كالسمٰوات. اهـ. وعبارته في سورة الطلاق: قال الماوردي على أنها سبع أرضين متفاصلة بعضها فوق بعض تختصّ دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا، ولا يلزم مَنْ في غيرها مِنَ الأرضين، وإنْ كان فيها مَنْ يعقل مِنْ خلق مميّز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم للضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب مِنْ أرضهم ويستمدّون الضياء منها، وهذا قول مَنْ جعل الأرض مبسوطة. والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، فإنّ الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدّون منه، وهذا قول مَنْ جعل الأرض كرويّة. وفي الآية قول ثالث حكاه الطيبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينها البحار وتظلّ جميعها السماء، وفيه هناك مزيد بسط على هذا، فتأمّل. اهـ بحروفها. وعبارتها في سورة الطلاق: قوله: يعني سبع أرضين، عبارة الخطيب: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطَّلَاق: الآية ١٢] أي سبعًا أمّا كون السمٰوات سبعًا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه؛ لحديث الإسراء وغيره. وأمّا الأرضون، فقال: إنها سبع أرضين طباقًا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان من خلق الله. وقال الضحاك: إنها

أصابه ذلك النور اهتدى ومَن أخطأه ضلّ» ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعد هذا البيان ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يساوون به الأوثان، تقول عدلت بذا أي ساويته به، والباء في

سبع أرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السمٰوات. قال القرطبي: والأول أصحّ؛ لأن الأخبار دالّة عليه. وفي كتاب الفردوس عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «ما بين السماء إلى السماء خمسمائة عام، وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسيّ والعرش مثل ذلك، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، والأرضون وعرضهنّ وثخانتهنّ مثل ذلك». اهـ. قال الماورديّ: وعلى أنها سبع أرضين تختصّ دعوة الإسلام بأهل الأرض العُلْيا، ولا يلزم مَنْ في غيرها مِنَ الأَرَضين وإنْ كان فيها مَنْ يعقل مِنْ خلق مميّز، وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كلّ جانب من أرضهم، ويستمدون الضياء. قال ابن عادل: وهذا قول مَنْ جعل الأرض مبسوطة. الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، وأنّ الله تعالى خلق لهم ضياء يُشاهدونه. قال ابن عباس: وهذا قول مَنْ جعل الأرض كرويّة. وحكى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظلّ جميعها السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصّت دعوة الإسلام بهذه الأرض، وإنْ كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى.احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام لإمكان الوصول إليهم؛ لأنّ فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عمّ حُكْمه، واحتمل أن لا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتهم لكان النصّ بها وارد، ولكان النبيّ ﷺ بها مأمورًا، وقال بعض العلماء: السماء في اللغة عبارة عمّا عَلَاك؛ فالأُولى بالنسبة إلى السماء الثانية أرض، وكذا السماء الثانية بالنسبة إلى الثالثة أرض، وكذلك البقيّة بالنسبة إلى ما تحته سماء، وبالنسبة إلى ما فوقه أرض؛ فعلى هذا تكون السمٰوات السبع وهذه الأرض الواحدة سبع سمٰوات وسبع أرضين. اهـ بحروفه. اهـ بحروفها.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينما نبيّ الله ﷺ جالسٌ وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبيّ الله ﷺ: «هل تدرون ما هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه العَنان» (بفتح العين من عَنَّ أي

﴿بِرَبِّهِمْ﴾ صلة للعدل لا للكفر، أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ أي عنه محذوفة، وعطف ﴿ثُمَّ

ظَهر) «هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يَدْعونه»، ثم قال: «هل تدرون ما فوقكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها الرَّقيع» (وهو اسم السماء الدنيا، وقيل لكل سماء والجمع أرقعة) «سُقُفٌ محفوظ وموج مكفوف» (أي ممنوع من الاسترسال، والمعنى أن الله حفظها عن السقوط على الأرض)، ثم قال: «هل تدرون ما بينكم وبينها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينكم وبينها» (أي مقدار ما بين الأرض والسماء) «خمسمائة عام» (أي مسيرة ومسافتها)، ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «سماءان» (أي سماء بعد سماء) «بُعْد ما بينهما خمسمائة سنة»، ثم قال كذلك (أي سماءان مرّتين أُخريين) حتى عدّ سبع سمٰوات ما بين كل سمائين ما بين السماء والأرض، ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنّ فوق ذلك العرش، وبينه وبين السماء» (أي السابعة) «بُعْد ما بين السماءين» (أي من السمٰوات السبع)، ثم قال: «هل تدرون ما الذي تحتكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنها الأرض»، (أي العليا)، ثم قال: «هل تدرون ما الذي تحت ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن تحتها أرضًا أُخرى بينها مسيرة خمسمائة سنة» (أي وهكذا ذكر أرضًا بعد أُخرى) حتى عدّ سبعَ أرضينَ بين كل أرضينِ مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دَلَّيتم» (بتشديد اللام المفتوحة من أدْليت الدلو دلّيتها إذا أرسلتها البئر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يُوسُف: الآية ١٩] على التجريد والتأكيد، والمعنى: لو أرسلتم) «بحبل إلى الأرض السفلى لهبط» (بفتح الباء الموحدة، أي لنزل) «على الله»، ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحَديد: الآية ٣]. قال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ الآية تدلّ على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانُه في كلّ مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه. اهـ.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢]، قال: بلغني «أنّ عرض كل أرض مسيرة خمسمائة سنة، وأنّ بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة» الحديث. وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، أو على خلق السمٰوات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى «ثم» استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ «من» لابتداء الغاية أي ابتداء خلق أصلكم يعني آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي حكم أجل الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أجل القيامة، أو الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ. أو الأول النوم. والثاني الموت، أو الثاني هو الأول وتقديره: وهو أجل مسمى أي معلوم، و﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مبتدأ والخبر ﴿عِندَهُۥ﴾ وقدم المبتدأ وإن كان نكرة والخبر ظرفًا وحقه التأخير لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون من (المرية) أو تجادلون من (المراء). ومعنى «ثم» استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلّق بمعنى اسم الله (كأنه قيل: وهو المعبود) فيهما كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾

وصححه وتعقّبه الذهبي، فقال: منكر. عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام» الحديث.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «كثف الأرض مسيرة خمسمائة عام، وكثف الثانية مثل ذلك، وما بين كل أرضين مثل ذلك». اهـ.

قوله: (المِرْية) الشكّ، وقد يضمّ وقد قُرىء بهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: الآية ١٧]. اهـ. مختار الصحاح. **قوله:** (المِراء) بمعنى الجدال.

قوله: (كأنه قيل: وهو المعبود) أن جعل مشتقًّا من ألَهَ يَأله إذا عُبِد. اهـ محشي رحمه الله.

[الزخرف: الآية ٨٤] أو المعروف بالإلـٰهية فيهما، أو هو الذي يقال له الله فيهما، والأول تفريع على أنه مشتق وغيره على أنه غير مشتق ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أي هو يعلم سرّكم وجهركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشرّ ويثيب عليه ويعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾

و«من» في ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ للاستغراق وفي ﴿مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعيض أي وما يظهر لهم دليل قطّ من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين للنظر لا يلتفتون إليه لقلّة خوفهم وتدبرهم في العواقب ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ مردود على كلام محذوف كأنه قيل: إن كانوا معرضين على الآيات فقد كذبوا ﴿بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن (**الذي تُحدوا به**) فعجزوا عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن أي أخباره وأحواله يعني سيعلمون بأي شيء استهزءوا وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلوّ كلمته.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعني المكذبين ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ هو مدّة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون ﴿مَّكَّنَّـٰهُمْ﴾ في موضع جرّ صفة لـ«قرن» وجمع على المعنى ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ التمكين في البلاد إعطاء (**المكنة**) والمعنى: لم نعطِ أهل مكة نحو ما أعطينا عادًا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ كثيرًا وهو حال من السماء ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ من

قوله: (الذي تُحدوا به) التحدّي طلب المعارضة.

قوله: (المكنة) بمعنى القوّة والشِّدّة.

تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في (**الخصب**) بين الأنهار والثمار و(**سقيا الغيث**) المدرار ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يغن ذلك عنهم شيئًا ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ بدلًا منهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوبًا ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ في ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ هو للتأكيد لئلا يقولوا: (﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾) ومن المحتجّ عليهم العمى ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنتًا وعنادًا للحق بعد ظهوره.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على النبيّ ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يكلّمنا أنه نبيّ فقال الله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لقضي أمر هلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون بعد نزوله (**طرفة عين**) لأنهم إذا شاهدوا ملكًا في صورته (**زهقت**) أرواحهم من هول ما يشاهدون. ومعنى «ثم» بعدما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدّة أشد من نفس الشدّة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ ولو جعلنا الرسول ملكًا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ لأرسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام

قوله: (الخِصْب) ـ بالكسر ـ ضد الجَدْب. **قوله: (سقيا الغيث)** في مختار الصّحاح: سقاه من باب رمى وأسقاه قال له: سَقْيًا وسقاه الله الغيث وأسقاه، والاسم السُّقْيا بالضمّ. اهـ.

قوله: (﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾) سدّت أبصارنا، أي حُبست من الإبصار بالسّحر كما يسدّ النهر من الجري، من السكر ـ بكسر السين وفتحها ـ وهو السدّ.

قوله: (طرفة عَيْن) أي في أقلّ أزمنة مقدار تحريك جفنيها من أعلى إلى أسفل، ويُكْنى به عن غاية القلّة وطرفة مصدر منصوب على الظرفيّة الزمانيّة. **قوله: (زهقت)** أي خرجت.

ينزل على رسول الله ﷺ في أعمّ الأحوال في صورة (دحية)، لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره إذا كان سبيله كسبيلك يا محمد، فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك. يقال: (لبست الأمر) على القوم وألبسته إذا أشبهته وأشكلته عليهم.

ثم سلى نبيّه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم به و«منهم» متعلّق بـ «سخروا» كقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٧٩] والضمير للرسل (والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين)، وضمّها غيرهما إتباعًا لضم التاء.

قوله: (دحية) الكلبيّ الصحابيّ، يقال بكسر الدال وبفتحها لغتان مشهورتان، هو دحية بن خليفة بن فضالة بن فروة الكلبيّ، أسلم قديمًا وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده كلّها بعد بدر، وأرسله رسول الله ﷺ بكتابٍ إلى عظيم بُصْرى ليدفعه إلى هِرَقْل وحديْثه في الصحيحين، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ ﷺ في صورته، وكان من أجمل الناس، حُكِي أنه كان إذا قدم بالشام لم تبقَ معصرٌ إلّا خرجت تنظر إليه، والمعصر التي بلغت سنّ المَحِيض. روى عن النبيّ ﷺ ثلاثة أحاديث. رَوَى عنه خالد بن زيد وعبد الله بن شدّاد والشعبي وغيرهم، وشهد اليرموك وسكن المزّة القرية المعروفة بجنب دمشق، وبَقِيَ إلى خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهما.

[illegible] بابه ضرب.

[illegible]، وكذا عند حمزة ويعقوب وضمّها، وغيرهما أي الباقون.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ **(والفرق بين فانظروا)** وبين ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ إن النظر جعل مسببًا عن السير في «فانظروا» فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين. ومعنى ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبّه على ذلك بـ«ثم» لتباعد ما بين الواجب والمباح.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ «من» استفهام و«ما» بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء و«لمن» خبره ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ **(تقرير لهم)** أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا منه شيئًا إلى غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ

قوله: (والفرق بين فانظروا)، أي في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الآية ١٣٧]، وفي قوله تعالى في النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الآية ٦٩]، وفي قوله تعالى في العنكبوت: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [الآية ٢٠]، وفي قوله تعالى في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية ٩]، وبين ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾ [الأنعام: الآية ١١] أن النظر جُعِل مسبّبًا عن السير في فانظروا... الخ. يعني أن النظر إذا عطف على السير بالفاء يكون كلّ واحد منها مطلوبًا، إلّا أنّ الأول يكون مطلوبًا لأجل الثاني، وإذا عطف بثمّ لا يكون بينهما ما يدلّ على السببيّة، بل ما يدلّ على كون الثاني متراخيًا عن الأوّل، ولا وجه لحمله على التراخي الزماني؛ لأن النظر في آثار الهالكين والاعتبار بحالهم واجب على الفور، ليس من حقّه أن يتراخى عن السَّيْر؛ فلذلك حُمِل على التراخي الرتبي، فإن حمل الأمر بالسَّيْر على الإباحة والأمر بالنظر على الوجوب.

قوله: (تقرير لهم) أي إلجاء، أي الإقرار بأن الكلّ لله؛ لأنّ هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن يُنكره.

﴿ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الإجراء على ظاهره إذ لا يجب على الله شيء للعبد، فالمراد به أنه وعد ذلك وعدًا مؤكدًا وهو منجزه لا محالة. وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به مَن لا يقدر على خلق شيء بقوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فيجازيكم على إشراككم ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ في اليوم أو في الجمع ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ نصب على الذم أي أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ وقال (الأخفش): «الذين» بدل من «كم» في ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ أي ليجمعن هؤلاء المشركين

قوله: (الأخفش) الأخافش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر، والثاني: أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط، والثالث: أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المُبَرَّد، وهو الأخفش الأصغر، وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور كما وقع في عبارة الكافية، وخالف سيبويه الأخفش، فإن أُريد الأكبر والأصغر قيّدوه. مات ـ أي المشهور ـ في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. اهـ فروق حقّي رحمه الله. وفي كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو الحسن سعيد بن مَسْعدة المجاشعيّ بالولاء النحويّ البلخيّ المعروف بالأخفش، أحد نحاة البصرة، والأخفش الأكبر أبو الخطاب، وكان نحويًا أيضًا من أهل هَجَر مِنْ مواليهم، واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما، وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمّة العربية وأخذ النَّحو عن سيبويه، وكان أكبر منه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلّا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به منّي، وأنا اليوم أعلم به منه. وحَكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سالم قالوا: دخل الفرّاء على سعيد المذكور، فقال لنا: قد جاءكم سيّد أهل اللغة وسيّد أهل العربية، فقال الفرّاء: أمّا ما دام الأخفش يعيش فلا، وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الخَبَب، وله من كتب المصنّفة «الأوسط في النَّحو» وكتاب «تفسير لمعاني القرآن» وكتاب «المقاييس في النَّحو» وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «العروض» وكتاب «القوافي» وكتاب «معاني الشعر» وكتاب «الملوك» وكتاب «الأصوات» وكتاب «المسائل الكبير» وكتاب «المسائل الصغير» وغير ذلك، وكان أجلع، والأجلع الذي لا ينضمّ شفته على أسنانه، والأخفش الصغير العينين مع

الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الأول لأن (**سيبويه**) قال: لا يجوز «مررت بي المسكين ولا بك المسكين» فتجعل «المسكين» بدلًا من الياء أو الكاف (**لأنهما**) في غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾

﴿وَلَهُۥ﴾ عطف على ﴿لِلَّهِ﴾ ﴿مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ (**من السُّكنى**) حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرّك فيهما فاكتفى بأحد

سوء بصرهما، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى، وكان يقال له: الأخفش الأصغر، فلمّا ظهر عليّ بن سليمان المعروف بالأخفش أيضًا، صار هذا وسطًا، ومَسْعَدة ـ بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبعدهنّ هَاء ساكنة ـ والمجاشعيّ ـ بضمّ الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلّثة مكسورة وبعدها عين مهملة ـ هذه النسبة إلى مُجاشع بن دارم بطن من تميم. اهـ.

قوله: (سيبويه) هو أبو عمرو بن عثمان بن قُنْبَر كان أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكره الحافظ يومًا فقال: لم يكتب الناس في النّحو كتابًا مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال. قال العلّامة إسمٰعيل حقّي: وموته في أيام الرّشيد سنة ثمانين ومائة بالبيضاء من قرى شيراز، ومعنى سيبويه رائحة التفاح، كان في غاية الجمال وجنتاه كأنهما تفّاحتان، وقيل: لُقّب بذلك لذكائه أو لأنه كان فتًى أعجميًا يعتاد شمّ التفاح، أو للطافته لأن التفاح من نظيف الفواكه. اهـ.

قوله: (لأنهما) أي لأن ضمير المتكلّم والمخاطب.

[illegible] وهو الاستقرار والتمكّن، يقال: سكنت داري وأسكنتها غيري سكنى لا من السكون الذي هو ضدّ الحركة، وإنما جعله من السُّكنى لأن ما سكن في اللّيل والنهار بهذا المعنى يعمّ جميع ما في الأرض مما طلعت عليه الشمس وغربت، بخلاف ما سكن بالمعنى الآخر، فإنه لا يتناول المتحرّك، والذي من السكنى معناه: وله ما حلّ في اللّيل والنهار، وهو وإنْ كان يتعدّى

الضدّين عن الآخر كقوله: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨٢] أي الحرّ والبرد، وذكر السكون لأنه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لأنهم لم ينكروا أنه خالق الكل ومدبره ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه **(الملوان)**.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ناصرًا ومعبودًا وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿أَتَّخِذُ﴾ والأول ﴿أَغَيْرَ﴾ وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول ﴿أَتَّخِذُ﴾ لا عليه لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليًا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالجرّ صفة لله أي **(مخترعهما)**. وعن **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: ما عرفت

بنفسه، ويقال: سكنت بلدة كذا، لكنه يتعدّى بفي أيضًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٥]، وإنْ كان سكن من السكون لا بدّ من ارتكاب حذف المعطوف اعتمادًا على دلالة المقام عليه، والتقدير: وله ما سكن وتحرّك في الليل والنهار، وحذف المعطوف اعتمادًا على شهادة المقام كثيرٌ في كلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النّحل: الآية ٨١] والبرد، قيل: وجه انتظام الآية بما قبلها أنه تعالى ذكر في الآية الأُولى السمٰوات والأرض؛ إذ لا مكان سواهما، وفي هذه الآية ذكر اللّيل والنهار؛ إذ لا زمان سواهما، فالزّمان والمكان ظرفان لجميع المحدثات، فأخبر تعالى أنه مالك للمكان والمكانيّات، ومالكٌ للزمان والزمانيّات. **قوله: (المَلَوان)** اللّيل والنهار.

قوله: (مخترعهما) أي خالقهما ابتداءً لا على مثالٍ سبق.

قوله: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي، المكّيّ ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حَبْر الأُمّة والبحر لكثرة عِلْمه. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين، توفي بالطائف سنة ثمان وستّين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

معنى الفاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ **(وهو يَرزق ولا يُرزق)** أي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأن النبيّ سابق أُمته في الإسلام كقوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٣] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وقيل لي: لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظًا لقيل: وأن لا أكون، والمعنى: أمرت بالإسلام ونهيت عن الشِّرك.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ أي إني أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة إن عصيت ربي **(فالشرط معترض بين الفاعل وبين المفعول به محذوف الجواب** ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ الله الرحمة العظمى وهي النجاة. ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ **(حمزة وعلي وأبو بكر)**. أي مَن يصرف الله عنه العذاب ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

قوله: (وهو يرزق ولا يُرزق)، يعني أن المراد بالطعام الرزق بمعناه اللّغويّ، وهو كلّ ما ينتفع به بدليل وقوعه مقابلًا له في قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٧]، فعبّر بالخاصّ عن العام مجازًا؛ لأنه أعظمه وأكثره لشدّة الحاجة إليه، واكتفى بذكره عن ذكره؛ لأنه يعلم مَنْ نفى ذلك نفى ما سواه.

قوله: (فالشرط معترض بين الفاعل) وهو أخاف، (وبين المفعول به) وهو عذاب (محذوف الجواب) لدلالة ما قبله عليه.

قوله: (﴿مَّن يُصْرَفْ﴾) بفتح الياء وكسر الراء بالبناء للفاعل والمفعول محذوف ضمير العذاب. (حمزة وعلي) الكسائي (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، وكذا يعقوب وخلف، والباقون بضم الياء وفتح الراء بالبناء للمفعول، والنائب ضمير العذاب، والضمير في عنه يعود على مَنْ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ فلا قادر على كشفه إلا هو ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من غنى أو صحة ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فهو قادر) على إدامته وإزالته ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ مبتدأ وخبر أي الغالب المقتدر ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ خبر بعد خبر أي عال عليهم بالقدرة. والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تنفيذ مراده ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأهل القهر من عباده.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ ﴿أَيُّ شَيْءٍ﴾ مبتدأ و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره و﴿شَهَٰدَةً﴾ تمييز و«أي» كلمة يُراد بها بعض ما تُضاف إليه، فإذا كانت استفهامًا كان جوابها مُسمى باسم ما أضيفت إليه. وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب أي الله أكبر شهادة فـ ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلًا على أنه يجوز إطلاق اسم الشيء على الله تعالى، وهذا لأن الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئًا ولذا نقول الله تعالى شيء لا كالأشياء. ثم ابتدأ (﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾) أي هو شهيد بيني وبينكم، ويجوز أن يكون الجواب ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنه إذا كان الله شهيدًا بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ **(أي ومَن بلغه**

قوله: (فهو قادر) أي إدامته وإزالته بيان لوجه ارتباط الجزاء بالشرط.

قوله: (﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾) المراد بشهادة الله إظهار المعجزة على يد النبيّ ﷺ، فإنّ حقيقة الشهادة ما بيّن به المدعي، وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل، ولا شكّ أنّ دلالة الفعل أقوى من دلالة القول؛ لعروض الاحتمالات في الألفاظ دون الأفعال، فإنّ دلالتها لا يعرض لها الاحتمال، وأنّ المعجزة نازلة من قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني. اهـ كرخي. **قوله:** **(أي ومَنْ بلغه**

القرآن إلى قيام الساعة في الحديث «من بلغة القرآن فكأنما رأى محمدًا ﷺ) و«من» في محل النصب بالعطف على «كم» **(والمراد به أهل مكة يعني)** والعائد إليه محذوف أي ومَن بلغه، وفاعل ﴿بَلَغَۚ﴾ ضمير القرآن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ﴾ **(استفهام إنكار)** و**(تبكيت)** ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُۚ﴾ بما تشهدون وكرّر ﴿قُلْ﴾ توكيدًا ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ «ما» كافة لـ«أن» عن العمل وهو مبتدأ و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره و﴿وَٰحِدٌ﴾ صفة **(أو بمعنى الذي)** في محل النصب بـ«إن» و﴿هُوَ﴾ مبتدأ و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره والجملة صلة «الذي» و﴿وَٰحِدٌ﴾ خبر «إن» وهذا الوجه أوقع ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به.

القرآن) فمن يأتي بعدي **(إلى قيام الساعة)** من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأُمم، فكلّ مَنْ بلغ إليه القرآن وسمعه، فالنبيّ ﷺ نذيرٌ له، **(في الحديث**: «مَنْ **بلغه القرآن، فكأنما رأى محمّدًا** ﷺ»). أخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي، قال: مَنْ بلغه القرآن، فكأنّما رأى النبيّ ﷺ، وفي لفظ: مَنْ **بلغه القرآن** حتى يفهمه ويعقله، كان كمن عاين رسول الله ﷺ. وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب وابن النجّار عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بلغه القرآن كأنما شافَهْتُه به»، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصّفات عن مجاهد في قوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ قال العرب: ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾، قال: العجم.

قوله: (والمراد به أهل مكّة، **يعني**) أنّ قوله: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ خطاب لأهل مكّة. **قوله**: (استفهام إنكار)، أي: لا تنبغي ولا تصحّ منكم هذه الشهادة؛ لأن المعبود واحد لا تعدّد فيه. **قوله**: (تبكيت) أي توبيخ. **قوله**: (أو بمعنى الذي). . . الخ. وهو ضعيف، ويدلّ على صحة الوجه الأوّل تعيينه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النّساء: الآية ١٧١]؛ إذ لا يجوز فيه أن تكون موصولة لخلوّ الجملة عن ضمير الموصول. وقال أبو البقاء: وهذا الوجه أَلْيَق بما قبله، ولا أدري ما وجه ذلك. اهـ سمين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني اليهود والنصارى. والكتاب: التوراة والإنجيل ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي رسول الله ﷺ (بحلْيته) ونعته الثابت في الكتابين ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ (بحلاهم) ونعوتهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوّته ثم قال: (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ من المشركين ومن أهل الكتاب) الجاحدين ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ به.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ استفهام يتضمن معنى النفي أي لا أحد أظلم لنفسه، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأشنعه اتخاذ المخلوق معبودًا ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ اختلق ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فيصفه بما لا يليق به ﴿ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ﴾ بالقرآن والمعجزات ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر والشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ جمعوا بين أمرين باطلين، فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وسمّوا القرآن والمعجزات سحرًا.

قوله: (بحلْيته) أي صفته. **قوله:** (بحلاهم) جمع حِلْية. في المصباح: الحِلْية ـ بالكسر ـ الصفة، والجمع حُلى مقصور وتضمّ الحاء وتُكسر. اهـ. رُوِيَ أنه لمّا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، قال عمر لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنهما: أنزل الله تعالى هذه الآية على نبيّه، فكيف هذه المعرفة؟ فقال: يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشدّ معرفة بمحمّد ﷺ منّي بابني، لأني لا أدري ما صنع النساء، وأشهد أنّه حقٌّ مُرسَل من الله تعالى، فقبّل عمر رأس عبد الله، وقال: وفّقك الله يا ابن سلام، فقد صدقت. **قوله:** (﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾) الظاهر أنه مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ خبره دخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط، فإنّ تضييع المشركين وأهل الكتاب ما به يُكْتَسب الإيمان وهو الفطرة الأصليّة والعقل السليم سبب لعدم الإيمان، فيترتّب عليه عدم الإيمان كما يترتّب الجزاء على الشرط. **قوله:** (مِنَ المشركين ومن أهل الكتاب)، يعني: ليس إشارة إلى الذين آتيناهم الكتاب خاصّة، ولذا كان مبتدأ خبره ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لا نصبًا على الذمّ أو رفعًا كما في ما تقدّم.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ هو مفعول به والتقدير: واذكر يوم نحشرهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ضمير المفعول ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ مع الله غيره توبيخًا، (وبالياء فيهما: يعقوب) ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ كفرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التديّن به، أو ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا: فسُمي فتنة لأنه كذب. (وبرفع الفتنة) مكيّ (وشاميّ وحفص)؛ فمَن قرأ ﴿تَكُن﴾ بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم ﴿تَكُن﴾ و﴿أَن قَالُوا۟﴾ الخبر أي لم تكن فتنتهم إلّا قولهم، ومَن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل ﴿أَن قَالُوا۟﴾ اسم ﴿يَكُن﴾ أي لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومَن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة. (﴿رَبِّنَا﴾ حمزة وعلي)، على النداء أي يا ربنا وغيرهما بالجرّ على النعت من اسم الله.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال (مجاهد): إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ

قوله: (وبالياء فيهما) أي نحشرهم ونقول (**يعقوب**) بن إسحٰق، وليس من السبعة. والباقون بنون العَظَمة فيهما. **قوله:** (وبالياء) على التذكير (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله:** (**وبرفع الفتنة**) مكّي، أي ابن كثير المكّي، (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وحفص**) عن عاصم رحمه الله. والباقون بالنصب، فصار نافع وأبو عمرو وشعبة بالتأنيث والنصب، وابن كثير وابن عامر وحفص بالتأنيث والرّفع، وحمزة وعليّ بالتذكير والنصب. **قوله:** (ربّنا) بنصب الباء (**حمزة وعليّ**) الكسائيّ رحمه الله.

قوله: (**مجاهد**) بن جَبْر الإمام المشهور، وهو تابعيّ إمام متّفق على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث مناقبه كثيرة

للمؤمنين قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا: والله ربّنا ما كنا مشركين، فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ إلـٰهيته وشفاعته.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تتلو القرآن. رُوِيَ أنه اجتمع (أبو سفيان) و(الوليد) و(النضر) و(أضرابهم) يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: ما

مشهورة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

قوله: (أبو سفيان) صَخْر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القريشي الأُمويّ المكّي، أسلم زمن الفتح وكان شيخ مكّة إذ ذاك ورئيس قريش ولقي رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخول مكّة لفتحها فأسلم هناك وشهد حُنينًا وأعطاه النبيّ ﷺ مِنْ غنائمها مائة بعير وأربعين أُوقية، وشهد الطائف وفُقِئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. رَوَى له البخاري ومسلم حديث هِرَقْل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجّار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلّفة، ثم حَسُن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (الوليد) بن المغيرة.

قوله: (النضر) بن الحارث ـ بالضاد المعجمة ـ أُسِرَ يوم بدر، وقُتِل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسِّيَر على أنه قُتِل يوم بدر كافرًا، وإنما قُتِل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، وهذا الذي ذكرته مِنْ قتله يوم بدر كافرًا هو الصواب.

قوله: (أضرابهم) أي أمثالهم.

يقول محمد؟ فقال: والله ما أدري ما يقول محمد إلا أنه يحرّك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية. فقال أبو سفيان: إني لأراه حقًّا فقال **(أبو جهل)**: كلّا فنزلت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ (كراهة أن يفقهوه) ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ **(ثقلا)** يمنع من السمع، ووحد الوقر لأنه مصدر وهو عطف على ﴿أَكِنَّةً﴾ **(وهو حجة لنا في الأصلح على المعتزلة)** ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأُمّة، اسمه عمرو بن هشام، كان يُكْنى أبا الحكم فكنّاه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكُنية. قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة، قَتله عمرو بن الجَمُوح وابن عَفْراء الأنصاريّان، وكانا حَدَثين، وحديثهما في الصحيح مشهور. وقال العلّامة عليّ القاريّ في شرح المشكاة في باب المبعث وبدء الوحي: قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. اهـ. وفي كتب السُّنن أن رسول الله ﷺ حين رآه مقتولًا قال: «قُتِلَ فرعون هذه الأُمّة».

قوله: (كراهة أن يفقهوه) إشارة إلى أن يفقهوه في موضع النصب على أنه مفعول له، فلمّا حُذِفت الكراهة انتقل نصبها إلى أن يفقهوه. **قوله: (ثقلًا)** في مختار الصِّحاح: الثِّقْل واحد الأثْقال كحِمْل وأحمال، والثِّقَل ضدّ الخفّة. اهـ باختصار.

قوله: (وهو حجّة لنا في الأصْلَح على المعتزلة) احتجّ أهل السنّة بهذه الآية على أنه تعالى قد يصرف العبد عن الإيمان ويمنعه عنه ضرورةً لأن القلب إذا جعل في الكنان لا ينفذ فيه الإيمان، والأذن إذا كانت مأوفة بآفة الصَّمم تعذّر أن يتوسّل بها إلى استماع الدليل والبيان. وقال المعتزلة: لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، وإلّا كانت حجّة للكفار على الرسول ﷺ بأن يقولوا لما حكم الله تعالى بأنه منَعَنا من الإيمان لَزِم أن نكون عاجزين عنه، فكيف تدعونا إليه وتذمّنا على تركه؟ ومن المعلوم أنه لا وجه لتكليف العاجز ولا لذمّه على ترك ما عَجِزَ عنه؛ لأن خَتْم القلب وجعله في كنان وغشاوة تمنعه عن إدراك الحقّ وقبوله تركٌ لِمَا هو الأصلح للعبد، فلا يجوز إسناده إليه تعالى عندهم، وأوّلوا نحو هذه الآية بوجوهٍ،

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ «حتى» هي التي تقع بعدها الجمل، والجملة قوله: ﴿إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ في موضع الحال، ويجوز أن تكون جارّة ويكون ﴿إِذَا جَآءُوكَ﴾ في موضع الجرّ بمعنى حتى وقت مجيئهم و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ حال و﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تفسير له، والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك، وفسّر مجادلتهم بأنهم يقولون: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيجعلون كلام الله أكاذيب، وواحد الأساطير (أسطورة).

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَهُمْ﴾ أي المشركون ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول وأتباعه والإيمان به ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلّون ويضلّون ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ بذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا

منها: أن القوم لمّا أعرضوا عن الحقّ وتمكّن ذلك في قلوبهم حتى صار ذلك الإعراض كالحالة الطبيعية لهم شبّه بالوصف الجبلي فأعطى له حكم الحالة الجبليّة، وهو أن يُسند إليه تعالى، فأُسْنِد إليه. وقيل: تارة ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرة: الآية ٧]، وتارة ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، وتارة ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعَام: الآية ٢٥]، فكان إسناده إليه تعالى عبارة عن فرط تمكّنه في قلوبهم، ونحن نقول: القلوب لا تقبل حقيقة الخَتْم والأكنة، فالمراد بجعل القلوب في أكِنّة وبجعلها مختومة أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرّنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيِّهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح، فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحقّ وأسماعهم تعاف استماعه، فيصيرون كأنّهم صمٌّ مختومو القلوبِ، وليس إحداث تلك الهيئة في نفوسهم إجبارًا لهم على الكفر والضلال، بل هو عقوبة مترتّبة على اختيارهم الكفر وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن اتّباع الدليل والبرهان، فتلك الهيئة من حيث إنّ الممكنات بأسرها مستندة إليه تعالى واقعةً بقدرته أُسندت إليه تعالى، ومن حيث إنها مسبّبة عن سوء اختيارهم وتدبيرهم، بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافِقون: الآية ٣]، استحقّوا لأن يذمّوا لها ويوبّخوا عليها. **قوله:** (أسطورة) بضمّ الهمزة.

يظنون أنهم يضرّون رسول الله وقيل: عنى به **(أبو طالب)** لأنه كان ينهى قريشًا عن التعرّض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به والأول أشبه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ حذف جوابه أي ولو ترى لشاهدت أمرًا عظيمًا ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا تمنّوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا وتمّ تمنيهم ثم ابتدءوا بقوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **(واعدين)** الإيمان كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن. (﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ **حمزة وعلي وحفص**) على جواب التمني **(بالواو وبإضمار «أن»)** ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين، **(وافقهما في** ﴿وَنَكُونَ﴾ **شامي)**.

قوله: (أبو طالب) في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطّلب، وبه كان يكنى، وقُثَم والزبير وحمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبد الكعبة وحَجْل ـ بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة ـ وضِرار والغَيْداق، أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريبٌ منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطّلب، وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين. اهـ.

قوله: (واعدين) حال من فاعل ابتدؤوا. **قوله:** (﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ **ونكون**) بنصب الباء والنون منهما **(حمزة وعليّ وحفص)** عن عاصم، كذا في بعض النسخ. والصحيح حمزة وحفص. **قوله:** (بالواو) أي واو المعيّة.

قوله: (وبإضمار أن) بعد واو العطف الواقعة بعد التمني، نحو: ليت لي مالًا وأنفق منه، فإن المتمنّي مجموع الأمرين حصول المال، والإنفاق معًا لأنّ شرط إضمار أن بعد الواو أن يصح وقوع مع في مكانها.

قوله: (وافقهما) أي حمزة وحفصًا **(في** ﴿وَنَكُونَ﴾) بنصب النون **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ. والباقون برفعهما عطفًا على نُرَدّ، أي: يا ليتنا نُردّ ونوفق

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿بَلْ﴾ (**للإضراب عن الوفاء بما**) تمنّوا ﴿بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾ من الناس ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم. وقيل: هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرّونه، أو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوّة رسول الله ﷺ ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الكفر ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ عطف على ﴿لَعَادُوا۟﴾ أي ولو ردّوا لكفروا ولقالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة، أو على قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا (**وهي كناية عن الحياة**)، أو هو ضمير القصة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

للتصديق والإيمان، أو الواو للحال والمضارع خبر لمحذوف، والجملة حال من مرفوع نُردّ، أي نُردّ غير مكذّبين وكائنين من المؤمنين، فيكون تمنّي الردّ مقيّدًا بهاتين الحالتين، فيدخلان في التمنّي.

قوله: (**للإضراب عن الوفاء بما**) تمنّوا، يعني أن كلمة بل هنا ليست للانتقال من قصّة إلى أخرى، بل لإبطال كلام الكفرة، أي ليس الأمر كما قالوه من أنهم لو ردّوا إلى الدّنيا لآمنوا، يعني أن التمنّي الواقع منهم يوم القيامة ليس لأجل كونهم راغبين في الإيمان، بل لأجل خوفهم من العقاب الذي شاهدوه وعاينوه، فإنهم لمّا قالوا: يا ليتنا نكون كذا، فكأنهم قالوا: ردّنا لذلك، فأبطل الله تعالى هذا الكلام الضمنيّ لهم، وهذا يدلّ على أنّ الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلّا إذا كانت تلك الرغبة رغبةً فيه لكونه إيماناً وطاعةً، وأمّا الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيدة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**وهي كناية عن الحياة**)، فإنّ من الضمائر ما يُذْكَر مُبْهمًا ولا يُعلم ما يُرجع إليه إلا بذكر ما بعده.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ **(مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال)** كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيّده ليعاقبه، أو وقفوا على جزاء ربهم ﴿قَالَ﴾ جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل: ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه؟ فقيل: قال: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث. وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقروا وأكدوا الإقرار باليمين ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿(فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ) بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ ببلوغ الآخرة وما يتصل بها، أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر للرؤية ﴿حَتَّىٰٓ﴾

قوله: (مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال) لتعذّر حمل الكلام على ظاهره، فإنّ ظاهر الآية يدلّ على كونهم واقفين على الله تعالى كما يقف أحدنا على الأرض، فيلزم الاستعلاء على ذات الله تعالى، وأنه مُحال باطل بالاتّفاق، فوجب تأويله إمّا بأن يُجعل استعارة تمثيليّة بأن يُشبّه حبس الله تعالى إيّاهم للتوبيخ والسؤال بإيقاف السيّد عبده بين يديه ليُعاتبه، ويقال فيه: إنّ السيد أوقف عبده عليه تشبيهًا للوقوف بين يديه بالوقوف عليه، فكذا الكلام في الآية، أو بأن يُحمل الكلام على حذف المضاف، مثل: وقفوا على جزاء ربّهم، أو بأن يُجعل الوقوف بمعنى المعرفة، كما يقول الرجل لغيره: وقفت على كلامك، أي عرفته. وقد تمسّك بعض المشبّهة بهذه الآية على مذهبه بأنْ قال: ظاهر الآية يدلّ على أنّ أهل القيامة يقفون عند ربّهم بالقرب منه، وإنما يكون كذلك أنْ لو كان في مكان تعالى على ذلك علوًّا كبيرًا، وبهذه التأويلات سقط وجه التمسّك.

قوله: (﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾) خصّ لفظ الذّوق للإشارة إلى أنّ ما يجدونه من العذاب في كلّ حال هو ما يجده الذّائق، لكون ما يجدون بعده أشدّ من الأول.

(غاية لـ ﴿كَذَّبُواْ﴾) لا لـ ﴿خَسِرَ﴾ لأن خسرانهم لا غاية له ﴿إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي القيامة لأن مدة تأخرها مع تأبد ما بعدها كساعة واحدة ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة **(وانتصابها على الحال)** يعني باغتة، أو على المصدر كأنه قيل: بغتتهم الساعة بغتة وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته ﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا﴾ نداء تفجّع معناه يا حسرة احضري فهذا أوانك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا﴾ **(قصرنا)** ﴿فِيهَا﴾ في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ آثامهم ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ خصّ الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدي، وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم. وقيل: إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحًا فيقول: أنا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك اليوم ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس شيئًا يحملونه، وأفاد «ألا» تعظيم ما يذكر بعده.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ جواب لقولهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع، واللهو الميل عن الجد إلى الهزل. قيل: ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو. وقيل: ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لأنها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة ﴿وَلَلدَّارُ﴾ مبتدأ ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ صفتها. **(ولَدَارُ الآخرةِ)** بالإضافة: **(شامي)**. أي ولدار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يُضاف إلى صفته. وخبر المبتدأ **على** القراءتين ﴿خَيۡرٞ

قوله: (غاية لـ ﴿كَذَّبُواْ﴾)، والمعنى أنهم قد كذّبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتةً، فإن قيل: إنما يكذبون إلى أن يموتوا. والجواب: أنّ زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا، وأوّل زمان من أزمنة الآخرة، فمن انتهى تكذيبه إلى هذا الوقت صدق عليه أنه كذب إلى أن ظهرت الساعة بغتة، ولذلك قال عليه الصّلاة والسلام: «مَنْ مات فقد قامت قيامته». **قوله: (وانتصابها على الحال)** أي مِنْ فاعل جاءتهم. **قوله: (قصرنا)** ما مصدريّة.

قوله: («ولَدَارُ الآخِرَةِ») بلام واحدة وهي لام الابتداء وتخفيف الدال، والآخرة بخفض التاء بالإضافة. **(شامي)** أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بلامين: لام الابتداء ولام التعريف مع التشديد للإدغام ورفع الآخرة.

﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (بالتاء: مدنيّ وحفص).

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

ولما قال أبو جهل: ما نكذبك يا محمد وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به نزل ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ (الهاء ضمير الشأن) ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لا ينسبونك إلى الكذب. (وبالتخفيف: نافع وعلي من أكذبه) إذا وجده كاذبًا ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر، وفيه دلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بـ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ أو بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كقوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٠٣] والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات (فهم لا يكذبونك في الحقيقة) وإنما يكذبون الله، لأن تكذيب الرسول تكذيب المرسل.

قوله: (بالتاء) أي بتاء الخطاب (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وحفص) عن عاصم، وكذا ابن عامر الشامي. والباقون بياء الغيب.

قوله: (الهاء) في أنه (ضمير الشأن) والجملة بعده خبره مفسّرة له، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ سادّ مسدَّ المفعولين، فإنها معلّقة عن العمل، وكُسِرت إن لدخول اللام في خبرها، وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ فاعل يحزن وعائده محذوف، أي الذي يقولونه مِنْ نسبتهم إيّاه عليه الصّلاة والسّلام إلى ما لا يليق به، مثل قولهم: إنه ساحرٌ كذّاب مُفتر على الله. **قوله:** (وبالتخفيف: نافع وعليّ) الكسائي (من أكذبه)... الخ. والباقون بالتشديد من كذّب. **قوله:** (فهم لا يكذّبونك في الحقيقة)، أي وإنما يكذّبون الله أشار به إلى دفع ما يتوهّم من التناقض بين قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، وبين قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؛ فإنّ المراد بالآيات هو المعجزات الدالّة على نبوّته عليه الصّلاة والسّلام، وجحودها تكذيبٌ له عليه الصّلاة والسلام، فيلزم أنهم لا يكذّبونه ويكذّبونه، وهذا تناقض ظاهر، فأشار المصنّف رحمة الله عليه إلى وجه الجَمْع بينهما بأن التكذيب المنفيّ عنه عليه الصّلاة والسّلام وهو أن يكون التكذيب المتعلّق به ظاهرًا راجعًا إليه في الحقيقة،

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ وهو دليل على أن قوله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس «إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني» ﴿فَصَبَرُوا﴾ والصبر حبس النفس على المكروه ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لمواعيده من قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصافات: الآيتان ١٧١، ١٧٢] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ بعض أنبائهم وقصصهم وما (كابدوا) من مصابرة المشركين، وأجاز (الأخفش) أن تكون «من» زائدة والفاعل ﴿نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ و(سيبويه) لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبُر على النبيّ ﷺ كفر قومه وإعراضهم ويحبوا مجيء الآيات ليسلموا فنزل:

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ عظم وشقّ ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ منفذًا تنفذُ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ صفة لـ﴿نَفَقًا﴾ ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم﴾ منها ﴿بِآيَةٍ﴾ فافعل، وهو جواب ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ و﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ وجوابها جواب ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ والمعنى إنك لا تستطيع ذلك، والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ لجعلهم بحيث يختارون الهدى، ولكن لما علم أنهم

وليس كذلك، بل هو راجع إليه تعالى من حيث إنه تعالى صدّقه بخلق المعجزاتِ على يده، فمَنْ كذّبه فقد كذّب الله تعالى، والتكذيب المُثبت هو ما تعلّق به في الظاهر. **قوله:** (كابدوا) بالموحدة بمعنى قاسوا، أي تحمّلوا المشاق. **قوله:** (الأخفش) أي أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط رحمه الله. **قوله:** (سيبويه) أي أبو عمرو بن عثمان بن قُنْبر رحمه الله.

يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله (الشيخ أبو منصور) ﵀ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ من الذين يجهلون ذلك. ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي إنما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ مبتدأ أي الكفار ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فحينئذٍ يسمعون وأما قبل ذلك فلا ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل عليه ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما نقترح من جعل الصفا ذهبًا وتوسيع أرض مكة وتفجير الأنهار خلالها ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ كما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الله قادر على أن ينزل تلك الآية، أو لا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلت.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

(﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ﴾) هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في موضع جرّ صفة لـ ﴿دَآبَّةٍ﴾ ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قيد الطيران بالجناحين لنفي المجاز لأن غير الطائر قد يُقال فيه طار إذا أسرع ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلق والموت والبعث والاحتياج إلى مدبر يدبر أمرها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ ما تركنا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ، وكان من كبار العلماء كان يقال له إمام الهدى، له كتاب «التوحيد»، وكتاب «المقالات»، وكتاب «ردّ أوائل الأدلّة» للكعبيّ، وكتاب «بيان وَهْم المعتزلة»، وكتاب «تأويلات القرآن» وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفي، ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدّين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ﵀. اهـ الجواهر المضيئة.

وجب أن يثبت، أو الكتاب القرآن. وقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به (**عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء**) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني الأمم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما رُوِيَ أنه يأخذ (**للجماء**) من القرناء ثم يقول: كوني ترابًا. وإنما قال: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ مع

قوله: (عبارة) عبارة النصّ هي النَّظم المعنويّ المسوق له الكلام، سُمّيت عبارة لأن المستدلّ يعبر من النظم إلى المعنى، والمتكلّم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب الكلام مِنَ الأمر والنهي يسمّى استدلالًا بعبارة النصّ. اهـ التعريفات للعلّامة السيد الشريف ﷺ. **قوله: (إشارة)** الإشارة هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن سيق له الكلام. اهـ التعريفات. وأيضًا فيها إشارة النص هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود ولا سيق له النص؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٣] سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النّسب إلى الآباء. اهـ. **قوله: (دلالة)** الدّلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدالّ، والثاني هو المدلول، وكيفيّة **دلالة** اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأُصول محصورة في عبارة النصّ وإشارة النصّ ودلالة النصّ واقتضاء النصّ، ووجه ضبطه أن الحكم المُستفاد من النّظم إمّا أن يكون ثابتًا بنفس النّظم، أو لا، والأوّل إنْ كان النّظم مسوقًا له فهو العبارة، وإلّا فالإشارة. والثاني: إنْ كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة، فهو الدلالة؛ أو شرعًا، فهو الاقتضاء؛ فدلالة النص عبارة عمّا ثبت بمعنى النصّ لغةً لا اجتهادًا؛ فقوله: لغة، أي يعرفه كلّ مَنْ يعرف هذا اللّسان بمجرّد سماع اللّفظ من غير تأمّل، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣] يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوعٌ من الأذى بدون الاجتهاد. اهـ التعريفات. **قوله: (اقتضاء)** اقتضاء النصّ عبارة عمّا لم يُعمل للنصّ إلّا بشرط تقدَّم عليه، فإنّ ذلك أمرٌ اقتضاه النصّ بصحة ما تناوله النصّ، وإذا لم يصح لا يكون مضافًا إلى النصّ، فكان المقتضى كالثابت بالنصّ، مثاله إذا قال الرجل لآخر: أعتق عبدك هذا عني بألف درهم، فأعتقه يكون العتق من الآمر، كأنّه قال: بِعْ عبدك لي بألف درهم ثم كُنْ وكيلًا لي بالإعتاق. اهـ التعريفات. **قوله: (للجَمّاء)** الجمّاء التي لا قرن لها في رأسها، ضدّ القَرْناء.

إفراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما. ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ﴾ لا يسمعون كلام المنبّه ﴿وَبُكْمٌ﴾ لا ينطقون بالحق خابطون ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمة الجهل والحيرة والكفر، غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه. ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ودخول الواو لا يمنع من ذلك، و﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ خبر آخر. ثم قال إيذانًا بأنه فعال لما يريد ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ أي مَن يشأ الله ضلاله يضلله ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وفيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصي ونفي الأصلح.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ (وبتليين) الهمزة: (مدني، وبتركه: علي)، ومعناه هل علمتم أن الأمر كما يقال لكم فأخبروني بما عندكم، (والضمير الثاني) لا محل له من الإعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلّق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ من تدعون. ثم بكتهم بقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي أتخصّون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضرّ أم تدعون الله دونها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الأصنام آلهة فادعوها لتخلصكم.

قوله: (وبتليين) أي بتسهيل الهمزة الثانية: بين بين. (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. ومعنى التسهيل جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها، فإنْ كانت مفتوحة فبَيْن الهمزة والألف؛ وإنْ كانت مكسورة، فبَيْن الهمزة والياء؛ وإنْ كانت مضمومة، فبين الهمزة والواو؛ فاحفظ هذه القاعدة، فإنّها كثيرة الفائدة. (وبتركه) أي بحذف الهمزة الثانية (عليّ) الكسائيّ. والباقون بإثباتها محققة على الأصل. **قوله:** (والضمير الثاني)، وإنما سُمّي ضميرًا لأن صورته صورة الضمير، وفيه تساهل؛ لأن الكاف ليس بضمير، وقد صرّح بذلك في المفصل، وأشار إليه هنا بقوله: لا محلّ له من الإعراب، فإنه

....

لو كان اسمًا وقد وقع في التركيب لم يكن بدّ من محلّ الإعراب؛ وعلى هذا، فالكاف حرف خطاب أُتِيَ به لتأكيد الخطاب في التاء. اهـ محشيّ ﷺ. وأرأيت هٰهنا بمعنى أخبرني، وإنْ كان بمعنى أأبصرت أو أعلمت يكون تاء الخطاب مطابقًا لما قصد به في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: أرأيت أرأيتما أرأيتم أرأيت... الخ. ولا يجوز أن يلحقها كاف على أنه حرف خطاب، بل إنْ لحقها الكاف كان اسمًا منصوب المحلّ على أنه مفعول أوّل، ويكون مطابقًا لِمَا يُراد به، تقول: أرأيتك أرأيتكما أرأيتموكم أرأيتك ـ بكسر التاء والكاف ـ أرأيتنّ كنّ بنونين مشدّدتين، وإنْ كان بمعنى أخبرني، فحينئذ تثبت له أحكام مختصّة به، منها: أنه لا يلحقه تعليق ولا إلغاء؛ لأن أخبرني لا يلحقه شيء منهما، عند الجمهور. ومنها: أنه يلحقه كاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذي هو التاء، وذلك الكاف يُطابق ما يُراد به من الإفراد والتذكير وضدّيهما، والتاء تبقى على حالةٍ واحدة مفردة مفتوحة أبدًا؛ لأن هذا الكاف إنما لحق الفعل ليدلّ[1] على أحوال فاعله، فيجب أن يبقى الفاعل على حالةٍ واحدة، نحو: أرأيتك أرأيتكما أرأيتكم أرأيتك ـ بفتح التاء وكسر الكاف ـ أرأيتكنّ، وهذا عند البصريّين. وأمّا عند الكوفيّين، فالكاف الذي يلحقه ليس بحرف، بل هو اسم منصوب المحلّ على المفعوليّة، كما أن التاء اسم مرفوع المحلّ على الفاعليّة، فيُطابق كل واحد منهما ما قصد، فيقال: أرأيتك أرأيتكما أرأيتموكم إذا كان أرأيت بصريّة أو علميّة، ولمّا لم يكن الكاف اسمًا عند البصريّين لم يكن له محلّ من الإعراب؛ لأن هذا الفعل يتعدّى إلى مفعولين؛ كقولك: أرأيت زيدًا ما فعل؟ فلو جعلت الكاف معربًا منصوب المحل لكان ثالثًا، ولكان معنى قولك: أرأيتك زيدًا ما شأنه؟ أرأيت نفسك زيدًا ما صنع؟ لأن الكاف عبارة عن المخاطب، وهذا معنى باطل؛ ولأن الكاف لو كان منصوبًا على المفعوليّة لوجب أن تظهر علامة التثنية والجمع والتذكير والتأنيث في التاء، فتقول: أرأيتماكما أرأيتموكم أرأيتنكنَّ. اهـ شيخ زاده ﷺ.

---

(١) قال أبو حيان في النهر: ومذهب البصريين أن التاء هي الفاعل، وما لحقها حرف خطاب يدلّ على اختلاف المخاطب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصّونه بالدعاء دون الآلهة ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي ما تدعونه إلى كشفه ﴿إِن شَآءَ﴾ إن أراد أن يتفضل عليكم ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ **(وتتركون آلهتكم، أو لا تذكرون)** آلهتكم في ذلك الوقت لأن أذهانكم **(مغمورة)** بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضرّ دون غيره، ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ كأنه قيل: أرأيتكم أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلًا فالمفعول محذوف فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ بالبؤس والضرّ، والأول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الأنفس والأموال ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ يتذلّلون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ أي هلا تضرّعوا بالتوبة **(ومعناه نفي التضرّع)** كأنه قيل: فلم يتضرّعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بـ «لولا» ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرّع إلا عنادهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلمْ ينزجروا بما ابتلوا به ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وصاروا معجبين بأعمالهم التي زيّنها الشيطان لهم.

قوله: (وتتركون آلهتكم أو لا تذكرون)، يعني أن النّسيان إمّا مجاز من التّرك، وإمّا حقيقة، وهو عدم الذِّكر. اهـ محشي رحمه الله.

قوله: (مغمورة) أي مملوءة.

قوله: (ومعناه نفي التضرّع). . . الخ. أي لما تقرّر من أن حرف التحضيض مع الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من البأساء والضرّاء أي تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم ﴿(فَتَحۡنَا) عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من الصحة والسعة وصنوف النعمة ﴿فتّحنا﴾ (شامي) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ من الخير والنعمة ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ آيسون متحسّرون وأصله (**الإطراق**) حزنًا لما أصابه أو ندمًا على ما فاته و«إذا» للمفاجأة.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ أي أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجلّ النعم (وأجزل) القسم، أو احمدوا الله على إهلاك مَن لم يحمد الله. ثم دلّ على قدرته وتوحيده بقوله:

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ٤٦﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾ بأن أصمّكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فسلب العقول والتمييز ﴿مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ﴾ بما أخذ وختم عليه. ﴿مَّنۡ﴾ رفع بالابتداء و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره و﴿غَيۡرُ﴾ صفة لـ ﴿إِلَٰهٌ﴾ وكذا ﴿يَأۡتِيكُم﴾ والجملة في موضع مفعولي ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ (وجواب) الشرط محذوف ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ﴾ لهم ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نكررها ﴿ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾ يعرضون عن الآيات بعد ظهورها، والصدوف الإعراض عن الشيء.

قوله: (﴿فتّحنا﴾) بتشديد التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف. قوله: (الإطراق) في مختار الصّحاح: أطرق الرجل أرخى عينيه ينظر إلى الأرض. اهـ.

أي أعظم.

الشرط محذوف تقديره: فمَنْ يأتيكم به؟

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ بأن لم تظهر أماراته ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ بأن ظهرت أماراته. وعن (الحسن): ليلًا أو نهارًا ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (ما يهلك هلاك تعذيب وسخط) إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (بالجنان والنيران) للمؤمنين والكفار، ولن نرسلهم (ليقترح) عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والأدلّة الساطعة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أي داوم على إيمانه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار التابعيّ البصريّ ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاريّ، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه مشهورة. توفي سنة عشر ومائة.

قوله: (ما يهلك) جعل الاستفهام بمعنى النفي؛ لأن عدم ذكر المستثنى منه إنما يصحّ إذا كان الكلام غير مُوجب، ولا يصحّ في الموجب لعدم صحة المعنى، نحو: جاءني إلا زيد، فهٰهنا لمّا لم يذكر المستثنى منه دلّ ذلك على أن الاستفهام بمعنى النفي، وهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لأرأيتكم والأوّل محذوف، والمعنى: أخبرني عذاب الله إن أتاكم هل يهلك المحق. **قوله:** (هلاك تعذيب وسخط) جواب لِمَا يقال: العذاب إذا نزل لا يميّز بين الظالمين وغيرهم، فكيف خصّص الهلاك بهم؟ **وتقرير الجواب**: أن الهلاك وإنْ عمّ الأبرار والأشرار إلّا أن هلاك الأشرار إنما هو لأجل سخط الله وإرادة تعذيبهم به بخلاف الأبرار، فإنّه ليس هلاك سخط وتعذيب، بل هم يستوجبون بسبب نزول ذلك البلاء بهم مثوبات عظيمة ودرجات رفيعة عند الله، فالهلاك في الحقيقة مختصّ بالظالمين، فإنه إذا نزل البلاء بهم فقد خسروا الدنيا والآخرة معًا. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بالجِنان) جمع جَنّة. **قوله:** (والنّيران) جمع نار. **قوله:** (ليقترح) أي ليطلب.

﴿يَحْزَنُونَ﴾ (﴿فَلَا خَوْفُ﴾: يعقوب) ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ جعل العذاب ماسًّا كأنه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (بسبب فسقهم) وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ (أي قسمه بين الخلق وأرزاقه)، ومحل ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ النصب عطفًا على محل ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ لأنه من جملة المقول كأنه قال: لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ أي لا أدّعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية، وإنما أدّعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوّة ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثل للضال والمهتدي، أو لمن اتبع ما يوحى إليه ومَن لم يتبع، أو لمَن يدّعي المستقيم وهو النبوّة والمحال وهو الإلـٰهية (﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾) فلا تكونوا ضالين أشباه (العميان) أو فتعلموا أني ما ادّعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ بما يوحى ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هم المسلمون المقرّون بالبعث) إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أُوحي إليه، أو أهل

قوله: (﴿فَلَا خَوْفُ﴾) بفتح الفاء على البناء (يعقوب) بن إسحـٰق، وليس من السبعة. **قوله:** (بسبب فسقهم) وخروجهم... الخ. إشارة إلى أنّ ما مصدريّة، وأصل معنى الفسق الخروج.

قوله: (أي قسمه بين الخلق وأرزاقه)، يعني أن الخزائن يحتمل أنه مضاف مقدّر، ويحتمل أنه مجاز عن المرزوقات من إطلاق المحلّ على الحال، أو اللازم على الملزوم. **قوله:** (العُميان) جمع أعمى.

قوله: (هم المسلمون المقرّون بالبعث)... الخ. وقيل: المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحّته، ولذلك قال: يخافون أن يحشروا إلى ربّهم.

الكتاب لأنهم مقرّون بالبعث ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُوٓا۟﴾) أي يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعًا لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يدخلون في زمرة أهل التقوى.

ولما أمر النبيّ عليه السلام بإنذار غير المتّقين ليتّقوا، أمر بعد ذلك بتقريب المتّقين ونهى عن طرده بقوله:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم (بِٱلْغَدَوٰةِ) وَٱلْعَشِىِّ﴾ وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها. والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام، أو معناه يصلّون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس. ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ (شامي. ووسمهم) بالإخلاص في عبادتهم بقوله: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته، نزلت في الفقراء (بلال)

قوله: (في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُوٓا۟﴾) إنْ كان المراد مِنَ الذين يخافون الكفّار، فالكلام ظاهر؛ لأن الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يُطاع. وأمّا إن كان المراد بهم المسلمين، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥١] ينافي مذهب أهل السنّة في إثبات الشفاعة للمؤمنين، فلا بدّ أن يقال: شفاعة الملائكة والرُّسل للمؤمنين إنما تكون بإذن الله سبحانه وتعالى، فكانت الشفاعَة في الحقيقة من الله سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾) بضمّ العين وإسكان الدال وواو مفتوحة، (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بفتح الغين والدال وبالألف. قوله: (ووسمهم) في مختار الصِّحاح: وسمه من باب وعد وسِمَةً أيضًا، أي أثّر فيه بسِمة وكَيّ. اهـ.

قوله: (بلال) بن رَباح الحبشي القريشي التيميّ مولى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان بلال رضي الله تعالى عنه قديم الإسلام والهجرة، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وكان يؤذّن لرسول الله ﷺ حياته سفرًا وحضرًا، وهو أوّل مَنْ أذّن في الإسلام. روَى عنه جماعات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، منهم أبو بكر الصدّيق وعمر وعليّ وابن مسعود وابن عمر وأُسامة بن زيد

و(صهيب) و(عمار) و(أضرابهم) حين قال (رؤساء) المشركين: لو طردت هؤلاء (السقاط) لجالسناك.

وكعب بن عُجْرة وجابر وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم، وجماعات من كبار التابعين وفضائله مشهورة. توفي بدمشق سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين، وقيل: ثماني عشرة، وهو ابن أربع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (صهيب) بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن مناة بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربعيّ النمريّ، كذا نسبه الكلبي وأبو نعيم. وقال الواقدي: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن كعب بن سعد. وقال ابن إسحٰق: صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد، فجعل طُفيلًا بدل عقيل، وجعل خزيمة بدل جذيمة، وهو من النَّمر بن قاسط وأُمّه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعيّ بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، كنيته أبو يحيىٰ كناه بها رسول الله ﷺ، وإنما قيل له: الروميّ؛ لأن الروم سَبُوه صغيرًا وكان أبوه وعمّه عاملين لكسرى على الأُبُلّة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، وقيل كانوا على الفرات من أرض الجزيرة، فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيبًا وهو صغير، فنشأ بالروم، فصار ألكن فابتاعته منهم كلب، ثم قَدِمُوا به مكّة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيميّ منهم فأعتقه، فأقام معه إلى أن هلك عبد الله بن جدعان، وقال أهل صهيب وولده ومصعب الزبيريّ: إنه هرب من الروم لما كَبر وعقل فقدم مكّة، فحالف ابن جدعان وأقام معه إلى أن هلك، ولمّا بعث رسول الله ﷺ أسلم، وكان من السابقين إلى الإسلام. قال الواقديّ: أسلم صهيب وعمّار في يوم واحد، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وكان من المُستضعفين بمكّة الّذين عُذِّبُوا. أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد بإسناده إلى أبي زكرياء يزيد بن إياس، قال: وكان اشتراه عبد الله بن جدعان ـ يعني صهيبًا ـ من كلب بمكّة، وكان كلب اشتراه من الروم، فأعتقه وأسلم صُهيب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلًا، وكان من المُستضعفين

....

بمكّة المُعذّبين في الله عزّ وجلّ، وقدم في آخر الناس في الهجرة إلى المدينة عليّ بن أبي طالب وصهيب، وذلك في النصف الأول من ربيع الأوّل ورسول الله ﷺ بقباء لم يَرُم بعد، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الحارث بن الصمّة، ولمّا هاجر صُهيب إلى المدينة تَبِعه نفرٌ من المشركين فنثل كنانته، وقال لهم: يا معشر قريش تعلمون أني أرماكم، ووالله لا تَصِلُون إليَّ حتى أرميكم بكلّ سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بَقِي في يدي منه شيء، فإنْ كنتم تريدون مالي دَلَلْتكم عليه، قالوا: فدلّنا على مالك ونخلّي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلّهم عليه ولحق برسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «رَبِحَ البيع أبا يحيىٰ»، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧]، وشهد صُهيب بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ. أخبرنا أبو منصور بن مكارم بإسناده عن أبي زكرياء، أخبرنا إسحٰق بن الحسن الحربي، حدّثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، حدّثنا عمارة بن ذادان عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «السابق أربعة: أنا سابق العرب، وصُهيب سابق الرّوم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبش». قال: وأخبرنا أبو زكرياء، أخبرنا أحمد بن عبد الصّمد، حدّثنا عليّ بن الحسين، حدّثنا عفيف، حدّثنا سفيان عن منصور عن مجاهد، قال: أوّل مَنْ أظهر إسلامه سبعة: النبيّ ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وصُهيب، وخباب، وعمار بن ياسر، وسُمَيَّة أُمّ عمار رضي الله تعالى عنهم أجمعين. فأمّا النبيّ ﷺ، فمنعه الله. وأمّا أبو بكر، فمنعه قومه. وأمّا الآخرون، فأخذوا وأُلبسوا أدراع الحديد ثم أُصهروا في الشمس. أخبرنا أبو جعفر بن المبارك بن أحمد بن زريق الواسطي إمام الجامع بها، أخبرنا أبو السّعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب، أخبركم أبو الفتح منصور بن الحسن بن أبي القاسم الشاشي فاعترف به، قلت له: أخبركم أبو بكر بن منصور بن خلف المقريّ، أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عليّ الحنبليّ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم بن بالويه، حدّثنا عمران بن موسى، حدّثنا هدبة بن خالد، حدّثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن صُهيب أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار نادى مُنادٍ: يا

....

أهل الجنّة إنَّ لكم عند الله عزّ وجلّ موعدًا يريد أن يُنْجِزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثْقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويُدْخلنا الجنّة ويُخرجنا من النار، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى، فما شيء أعطوه أحبّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة». وروى عنه ابن عمر أنه قال: مررت برسول الله ﷺ وهو يصلّي، فسلَّمت عليه فردّ عليّ إشارة بأصبعه. أخبرنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمّد بن عيسى، حدّثنا محمّد بن إسماعيل الواسطيّ، حدّثنا أبو فروة يزيد بن سنان، عن أبي المبارك عن صُهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن مَنِ استحلَّ محارمه». وكان فيه مع فَضْله وعلوّ درجته مداعبة وحُسْن خلق. رُوِي عنه أنه قال: جئت النبيّ ﷺ وهو نازل بقُباء وبين أيديهم رطبٌ وتمر، وأنا أرمد، فأكلت فقال النبيّ ﷺ: «أتأكل التمر وأنت أرمد»، فقلت: إنما آكل على شقّ عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وكان في لسانه عجمة شديدة، ورَوى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صُهيب حائطًا له بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يناس يناس، فقال عمر: ما له، لا أبا له يدعو بالناس؟ فقلت: إنما يدعو غلامًا له اسمه يحنس، وإنّما قال ذلك لعقدةٍ في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعِيبه يا صهيب إلّا ثلاث خصال لولاهنّ ما قدَّمت عليك أحدًا: أراك تنتسب عربيًا ولسانك أعجميّ، وتكتنى بأبي يحيىٰ اسم نبيّ وتبذّر مالك، فقال: أمّا تبذيري مالي، فما أنفقه إلّا في حقّه، وأمّا اكتنائي بأبي يحيىٰ، فإنّ رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيىٰ، فلن أتركها، وأمّا انتمائي إلى العرب، فإنّ الروم سبَتْني صغيرًا فأخذت لسانهم وأنا رجلٌ من النمر بن قاسِط، ولو انفلقت عني روثة لانتميت إليها. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محبًّا لصهيب، حَسَن الظنّ فيه، حتى إنه لما ضرب أوصى أن يُصلّي عليه صهيب، وأن يصلّي بجماعة المسلمين ثلاثًا حتى تتّفق أهل الشورى على مَنْ يُستخلف. وتوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. وقيل: ابن سبعين سنة. ودُفِن بالمدينة، وكان أحمر شديد الحُمرة ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى

فقال عليه السلام: ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا: اجعل لنا يومًا ولهم يومًا وطلبوا بذلك كتابًا فدعا (عليًا) رضي الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت، فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: الآية ١١٣] ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن

القصر أقرب، كثير شعر الرأس، أخرجه الثلاثة، أي ب د ع[1]. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.

قوله: (عمار) بن ياسر بن عامر بن مالك بن كِنانة، كان من السابقين إلى الإسلام، وكان هو وأبوه وأُمّه سُميّة ممّن أسلم أوّلًا، وكان إسلام عمّار وصهيب في وقتٍ واحد حين كان النبيّ ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلم بعد بضعة وثلاثين، وفي عمار نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وجميع المشاهد. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وستّون حديثًا، اتّفقا على حديثَيْن منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. روى عنه عليّ بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وأبو أُمامة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وابن المسيّب وابن الحنفية وأبو وائل وابنه محمد بن عمّار وآخرون من التابعين. قُتِل بصفّين مع عليّ رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر، سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أضرابهم) أي أمثالهم. **قوله:** (رؤساء) جمع رئيس مثل شريف وشرفاء. **قوله:** (السُقاط) في مختار الصحاح: الساقط والساقطة اللّئيم في حسبه ونفسه، وقوم سَقْطى بوزن مَرْضى، وسُقّاط مضمومًا مشدّدًا. اهـ. **قوله:** (عليًا) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين، المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة. مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم

---

(١) أي أبو عمر بن عبد البرّ وابن منده وأبو نعيم، فعلامة ابن عبد البر صورة ب، وعلامة ابن مندة صورة د، وعلامة أبو نعيم صورة ع. ١٢ منه عمّ فيضهم.

شَيۡءٖ﴾ وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال: حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم ﴿فَتَطۡرُدَهُمۡ﴾ جواب النفي وهو ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم﴾ ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (جواب النهي) وهو ﴿وَلَا تَطۡرُدِ﴾ ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿فَتَطۡرُدَهُمۡ﴾ (على وجه التسبيب) لأن كونه ظالمًا مسبب عن طردهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ ومثل ذلك (الفتن العظيم) ابتلينا الأغنياء بالفقراء ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي الأغنياء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ أي أنعم الله عليهم بالإيمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء (إنكارًا) لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونًا عليهم من بينهم بالخير ونحوه ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: الآية ١١] ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بمن يشكر نعمته.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ﴾ إما أن يكون أمرًا بتبليغ سلام الله إليهم، وإما أن يكون أمرًا بأن يبدأهم بالسلام إكرامًا لهم وتطييبًا لقلوبهم. وكذا

بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. **قوله: (جواب النهي)** نحو: ما تأتينا فتحدّثنا، بنصب فتحدث على أن يكون معنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذي هو الإتيان، والآية الكريمة من هذا القبيل، فإنه لو كان مضرّة حسابهم مستقرّة على المخاطب لكان ذلك سببًا لإبعاد مَنْ يتوهّم الوهن في إيمانه، فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسبّبه الذي هو الطّرد. **قوله: (على وجه التسبيب)** دفع لما يتوهّم من أنه لو جعل عطفًا على جواب النفي لصحّ أن يقع جوابًا للنفي، وليس كذلك؛ إذ لا معنى لقولك: ما عليك من حسابهم، فتكون من الظالمين.

قوله: (الفتن العظيم) استُفيد من لفظ ذلك المشار به إلى هذا الفتن القريب المذكور. **قوله: (إنكارًا)** متعلّق بيقولون مفعول به أو مصدر.

قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدًا مؤكدًا ﴿أَنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ ذنبًا ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة، أو جعل جاهلًا لإيثاره المعصية على الطاعة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد السوء أو العمل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أخلص توبته ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ شاميّ وعاصم). الأول بدل الرحمة، والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ مدنيّ) الأول بدل الرحمة، والثاني مبتدأ. (﴿إِنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) غيرهم على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل: إنه من عمل منكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (بالنصب: مدني. غيره: بالرفع). فرفع السبيل مع التاء والياء لأنها تذكر وتؤنّث، ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول ﷺ يقال: استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته، والمعنى ومثل ذلك التفصيل البيّن نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى إسلامه (ولتستوضح) سبيلهم فتعامل كلّا منهم بما يجب أن يعامل به (فصلنا ذلك التفصيل).

قوله: (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) بالفتح فيهما (شامي) أي ابن عامر الشاميّ (وعاصم). **قوله:** (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) بفتح الهمزة في الأُولى والكسر في الثانية (مدنيّ)، أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **قوله:** (﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ﴾) بالكسر فيهما غيرهم.

قوله: (وبالياء) أي بياء التذكير (حمزة وعليّ) الكسائي (وأبو بكر) عن عاصم. والباقون بالتاء الفوقيّة على التأنيث أو الخطاب، باعتبار رفع السبيل ونصبه. **قوله:** (بالنصب مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني رحمه الله. (غيره) أي الباقون (بالرفع). **قوله:** (ولتستوضح) يا محمّد ﷺ. **قوله:** (فصّلنا ذلك التفصيل) إشارة إلى المقدّر الذي يتعلّق به اللام في لتستبين، وقدّر الماضي نظرًا إلى ما عليه المعنى، وذكر ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ بلفظ المضارع لقصد الاستمرار وتناول الماضي والآتي.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي صُرفتُ وزجرْتُ بأدلّة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله ﴿قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل، وهو بيان للسَّبَب الذي منه وقعوا في الضلال ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضالّ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وما أنا من المهتدين في شيء (**يعني أنكم كذلك**) ولما نفى أن يكون الهوى متبعًا نبّه على ما يجب اتباعه بقوله:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ (**أي بيِّنة من معرفة ربي**) وأنه لا معبود سواه (**على حجة واضحة**) ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ حيث أشركتم به غيره. (**وقيل: على بينة من ربي على حجة من جهة ربي**) وهو القرآن وكذبتم به بالبينة، وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن. ثم عقبه بما دلّ على أنهم أحقّاء بأن يعاقبوا بالعذاب فقال: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تأخير عذابكم (﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ **حجازي**

قوله: (**يعني أنكم كذلك**) يريد أنه من باب التعريض، مثل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٥].

قوله: (**أي بيِّنة من معرفة ربّي**) إشارة إلى تقدير مضاف في أحد الوجهين، وعليه فالخبر مقدّر يتعلّق به على بيِّنة، ومن ربي أي على بيِّنة لأجل معرفة ربّي، ويجوز أن يكون من ربّي صفة بيِّنة ومَنْ اتّصالية، أي بيِّنة متّصلة بمعرفة ربّي مرتبطة بها دالّة عليها. **قوله:** (**على حجّة واضحة**) مستفادة من التنكير. **قوله:** (**وقيل: على بيِّنة من ربي على حجّة من جهة ربّي**)؛ فعلى هذا من ربّي صفة لبيِّنة على معنى كائنة من ربّي صادرة عنه. **قوله:** (﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾) بالصاد المهملة المشدّدة المرفوعة (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: **حجازيّ**، أي نافع المدني،

وعاصم) أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قصّ أثره. **(الباقون يقض الحقّ)** في كل ما يقضى من التأخير والتعجيل، فالحق أي القضاء. **الحق** صفة لمصدر يقضي وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي القاضين بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء، وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ أي في قدرتي وإمكاني ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأهلكتكم عاجلًا غضبًا لربي ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ المفاتح جمع **(مفتح)** وهو المفتاح، أو هي خزائن العذاب والرزق، أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال. **(جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة)** لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال، **(ومَن علم)** مفاتحها وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن

وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكيّ (وعاصم). **قوله: (الباقون يقض الحقّ)** بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء، ولم ترسم إلّا بضاد، كأن الياء حُذِفت خطأً تبعًا للفظِ للساكنين كما في ﴿تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القَمَر: الآية ٥]، وكحذف الواو في ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العَلق: الآية ١٨]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٢٤] ونصب الحقّ بعده صفة لمصدر محذوف، أي القضاء الحقّ.

قوله: (مفتح) بكسر الميم. **قوله: (جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة)**، يعني: الاستعارة بالكناية تشبيهًا للغيب بالأشياء المستوثَق منها بالأقفال وإثبات المفاتح تخييلية كأظفار المنيّة، فقوله: فأراد أنه هو المتوصّل إلى آخره بيان للمراد لا دلالة على أنّ الاستعارة تمثيليّة، وإلّا لكان المناسب أن يقال هذا الكلام استعارة أو تمثيل والحصر مُستفاد من تقديم الخبر، أعني عنده مع التصريح بقوله: لا يعلمها إلّا هو. **قوله: (ومَنْ علم)** موصولة عطف على المفاتح، وتوصل إليها عطف على يتوصّل بها، كما تقول: إن زيداً يقوم وعمروًا يقعد، وقد يجعل شرطية

عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن. قيل: عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح الغيب، فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ﴾ من النبات والدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ من الحيوان والجواهر وغيرهما ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ «ما» للنفي و«من» للاستغراق أي يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾ وداخل في حكمها وقوله: ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (كالتكرير لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾) لأن معنى ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ومعنى ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ واحد وهو علم الله أو اللوح. ثم خاطب الكفرة بقوله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام في المنام ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه من الآثام ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ (ثم يوقظكم في النهار)، أو التقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهم، وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدلّ أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدلّ على نفي ما عداه ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لتوفى الآجال على الاستكمال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم بالبعث بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ليلكم ونهاركم. قال بعض أهل الكلام: إن لكل حاسة من هذه الحواس روحًا تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم، فأما الروح التي تحيا بها النفس فإنها لا تقبض إلا عند انقضاء الأجل. والمراد بالأرواح

ليفيد الإبهام المناسب للمقام ويعتذر لوقوعها اسم إنّ مع وجوب صدارتها بأنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع، وأنت خبير بأنّ عموم الموصولة مُغْنٍ عن ذلك. **قوله:** (كالتكرير لِقولِه: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾) من جهة المعنى على ما بيّن. وأمّا من جهة اللفظ، فهو صفة للمذكورات، كما أن لا يعلمها صفة لورقة. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (ثم يُوقظكم في النهار) يعني أن البعث بمعنى الإيقاظ وضمير فيه للنهار على ما ذهب إليه كثير من المفسّرين.

المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والأخذ والمشي والشمّ. ومعنى ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي يوقظكم ويرد إليكم أرواح الحواس فيستدلّ به على منكري البعث لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردّها إليها فكذا يحيي الأنفس بعد موتها.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تقرأ على رؤوس **(الأشهاد)** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ «حتى» لغاية حفظ الأعمال أي وذلك **(دأب)** الملائكة مع المكلف مدة الحياة إلى أن يأتيه الممات ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه (**«توفيه»**) و(«استوفيه» **بالإمالة**: **حمزة رسلنا أبو عمرو**) ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يتوانون ولا يؤخّرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ **(إلى حكمه وجزائه)** أي ردّ المتوفون برد الملائكة

قوله: (الأشهاد) جمع شهد كصحب، وهو جمع شاهد أو اسم جمع له؛ لأن فاعل لا يُجمع على أفعال إلّا نادرًا. **قوله: (دأب)** أي عادة. في مختار الصِّحاح: الدَّأْب ـ بسكون الهمزة ـ العادة والشأن، وقد يُحرَّك. اهـ. **قوله: (توفيه)** بألف مُمالة بعد الفاء، وهو إمّا فعل مضارع فأصله تتوفاه حُذِفت إحدى التاءين، كتتنزل وبابه. وإمّا ماضٍ، وهو الأظهر، وحُذِفت منه تاء التأنيث لكونه مجازيًا، وللفصل بالمفعول. **(استوفيه بالإمالة)** أي بألف مُمالة بعد الفاء **(حمزة)**، والباقون استوفته بتاء ساكنة من غير ألف ولا إمالة، واستهوته بالتاء الساكنة من غير ألف. **قوله:** (رسلنا) بإسكان السين (أبو عمرو)، والباقون بالضمّ.

قوله: (إلى حكمه وجزائه) يعني أنّ الردَّ إلى الله ليس على ظاهره؛ لكونه تعالى متعاليًا عن المكان والجهة، بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مُطِيعين لقضائه بأن يُساقوا إلى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ (مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم) ﴿ٱلْحَقِّ﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وهما صفتان لله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لا حكم فيه لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل: الرد إلى مَن ربّاك خير من البقاء مع مَن آذاك.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قُلْ مَن (يُنَجِّيكُم)﴾ ﴿يُنَجِّيكُم﴾ ابن (عباس) ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما، أو ظلمات البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما في الغيم والليل ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ حال من ضمير المفعول في ﴿يُنَجِّيكُم﴾ ﴿تَضَرُّعًا﴾ معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال، وكذا ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي مسرّين في أنفسكم (خفية) حيث كان: أبو بكر وهما لغتان (﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ **عاصم وبالإمالة**) حمزة وعلي. (**الباقون «أنجيتنا»**) والمعنى يقولون لئن خلصنا ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات

قوله: (**مالكهم الذي يلي عليهم أُمورهم**) فسّر المولى به لدفع كون قوله تعالى في هذه الآية مناقضًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمّد: الآية ١١]، فإنّ المولى في تلك الآية بمعنى الناصر، ولا ناصر للكفّار، والمولى هٰهنا بمعنى المالك الذي يتولّى أمرهم، والله تعالى مالك الأُمور كلّها في حقّ كل الخلائق، وهذه المناقضة إنما تتوهّم إذا كانت الآية في حقّ جميع المكلّفين من المؤمنين والكفّار، وهو الظاهر وإنْ كانت واردة في حقِّ المؤمنين خاصّة يجوز أن يكون المولى بمعنى الناصر من غير محذور، فإنّ مَنْ يردّ إليه تعالى أصالة هم المؤمنون، والكفار في هذا الأمر تَبَعٌ لهم.

قوله: (﴿يُنَجِّيكُم﴾) من الإنجاء (**عباس**) بن الفضل عن أبي عمرو بن العلاء البصري عبارة تفسير النيسابوريّ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ مِنَ الإنجاء سهل ويعقوب وعباس. والباقون بالتشديد. اهـ. **قوله:** (**خفية**) بكسر الخاء حيث كان أبو بكر شعبة عن عاصم، والباقون بالضمّ. **قوله:** (﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء بلفظ الغيبة بغير إمالة (**عاصم، وبالإمالة**) أي بألف مُمالة حمزة وعليّ الكسائي (**الباقون: «أنجيتنا»**) بياء ساكنة بعد الجيم بعدها تاء مفتوحة على الخطاب

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ (يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد كوفيّ) ﴿مِّنْهَا﴾ من الظلمات ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ وغمّ وحزن ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ولا تشكرون.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ هو الذي عرفتموه قادرًا أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس ﴿عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما غرق فرعون وخسف بقارون، أو من قبل سلاطينكم (وسفلتكم)، أو هو حبس المطر والنبات ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أو يخلطكم فرقًا مختلفين على أهواء (شتى) كل فرقة منكم مشايعة لإمام. ومعنى خلطهم أن (ينشب) القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في (ملاحم) القتال ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ يقتل بعضكم بعضًا. والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام: «سألت الله تعالى أن لا يبعث على أُمتي عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أُمتي بالسيف» ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ بالوعد والوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ

حكاية لدعائهم. **قوله:** (﴿يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد) أي بفتح النون وتشديد الجيم (كوفي)، وبتسكين النون وتخفيف الجيم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان عن ابن عامر.

(سفلتكم) في المصباح: قيل للأراذل سِفلة بكسر الفاء. اهـ. وفي مختار الصحاح: السَّفِلة ـ بكسر الفاء ـ السُّقَّاط من الناس، يقال: هو من السَّفِلة ولا تقل هو سَفِلَة لأنها جمع، والعامّة تقول: رجل سَفِلة من قوم سَفِل، وبعض العرب يخفّف، فتقول: فلان منْ سفْلة الناس، فتُنْقَل كسرة الفاء إلى السِّين. اهـ. **قوله:** (شتّى) جمع شتيت وزان كريم، بمعنى متفرّقة. **قوله:** (ينشب)[1] أي يعلق ويدخل، وهو من باب علم. **قوله:** (ملاحم) جمع مَلْحَمة بمعنى موضع القتال.

---

(١) أصل النشوب التعلّق. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٦٥) ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بالعذاب ﴿قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الصدق أو لا بد أن ينزل بهم ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ وكل إليّ أمركم إنما أنا منذر.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)﴾

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ لكل شيء (ينبأ به) يعني أنبياءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار وحصول لا بد منه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٦٨)﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن يعني يخوضون في الاستهزاء بها والطعن فيها، وكانت قريش في (أنديتهم) يفعلون ذلك ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم وقم عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ غير القرآن مما يحل فحينئذٍ يجوز أن تجالسهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ما نهيت عنه (﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ شاميّ) نسّي وأنسى واحد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد أن تذكر ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)﴾

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم﴾ من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن تكذيبًا واستهزاء ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ أي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم (شيء مما يحاسبون عليه) من ذنوبهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم أن يذكروهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم. ومحل

قوله: (ينبأ به) فالنبأ بمعنى المنبأ به، أو بمعنى المصدر، أي الإنباء.

قوله: (أَندِيَتهم) جمع النَّدي على فعيل مجلس القوم ومُتَحدّثهم. **قوله:** (﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾) بتشديد السين وفتح النون مِنْ نَسِيَ (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، وقرأ الباقون بتخفيفها وسكون النون من أنْسَى.

قوله: (شيء مما يحاسبون عليه) إشارة إلى أن منْ في منْ شيء زائدة، وشيء في محلّ الرفع على أنه فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومِنْ حسابهم حال من شيء؛ لأنه لو تأخر عنه لكان صفة له وصفة النَّكرة متى قدّمت عليها انتصب على الحالية، والمعنى ما استقرّ على الذين يتّقون الشِّرك شيء كائنًا مما

﴿ذِكْرَىٰ﴾ نصب أي ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرًا، أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى؛ فـ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ مبتدأ والخبر محذوف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة (لمساءتهم).

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ سخروا به واستهزءوا. ومعنى ﴿ذَرْهُمْ﴾ أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، واللهو ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ وعظ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (مخافة أن تسلم) إلى (الهلكة) والعذاب وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ﴾ ينصرها بالقوة ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها بالمسألة. ولا وقف على ﴿كَسَبَتْ﴾ في الصحيح لأن قوله: ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليًا وشفيعًا بكسبها ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ (نصب على المصدر) وإن تفد كل (فداء)، والعدل الفدية لأن الفادي يعدل (المفدي) بمثله، وفاعل ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لا ضمير العدل لأن العدل هنا مصدر

يُحاسب المشركون عليه. **قوله:** (لمساءتهم) مصدر أما مضاف للفاعل والمفعول مقدرًا ومضاف للمفعول.

قوله: (مخافة أن تسلم)... الخ. إشارة إلى أنه مفعول لأجله بتقدير مضاف أو أصله أن لا تبسل. **قوله:** (الهَلَكة)، في المصباح: هلك الشيء هلكًا من باب ضرب وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام، فمثلّثة، والاسم الهلك مثل قفل والهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

قوله: (نصب على المصدر)، فإنه يكون في حكم ما أُضيف إليه ونظيره خير مقدّم وكثير نفع. **قوله:** (فداء) بالكسر والمدّ. **قوله:** (المَفْدِي) بفتح الميم وكسر الدّال.

(فلا يسند إليه الأخذ)، وأما في قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: الآية ٤٨] فبمعنى المفدى به فصح إسناده إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المتخذين من دينهم لعبًا ولهوًا وهو مبتدأ والخبر ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ وقوله: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء (سخين) حار خبر ثانٍ لـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والتقدير: أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قُلْ﴾ (لأبي بكر) يقل (لابنه عبد الرحمٰن) وكان يدعو أباه إلى عبادة

قوله: (فلا يُسند إليه الأخذ)؛ لأن الأخذ يتعلّق بالأعيان لا المعاني. **قوله:** (سَخِين) أي حار.

قوله: (لأبي بكر) الصدِّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، وقد أجمع أهل السنّة من أهل الحقّ واليقين أنه أفضل النّاس بعد الأنبياء والمرسلين، واسمه عبد الله على الصحيح ابن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي يلتقي مع النبيّ ﷺ في مرّة، وهو أوّل مَنْ أسلم مِنَ الرجال وأوّل مَنْ جمع القرآن وأوّل مَنْ سمّاه مصحفًا، وأوّل مَنْ سُمّي خليفة، وأوّل من وُلّي الخلافة. أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة: لا نعلم أربعة أدركوا النبيّ ﷺ وأبناءهم إلّا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة وابنه أبو بكر الصدِّيق وابنه عبد الرحمٰن وأبو عتيق بن عبد الرحمٰن واسمه محمّد.اهـ. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: رَوى الصديق عن النبيّ ﷺ مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا، وسبب قلّة روايته أنه تقدّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها. قال الزهري: توفي أبو بكر بصبح يوم الثلاثاء لاثنين وعشرين مضين من جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان سنّه إذ ذاك ثلاثًا وستّين سنة، ومناقبه والأحاديث الواردة في فضائله كثيرة شهيرة لا يحتمل بيانها هذه الأوراق. **قوله:** (لابنه عبد الرحمٰن) يُكنى أبا عبد الله،

الأوثان ﴿أَنَدۡعُواْ﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الضارّ النافع ﴿مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ ما لا

وقيل: أبو محمد بابنه محمّد الذي يقال له أبو عتيق، وقيل: أبو عثمان وأُمّه أمّ رومان[١]، سكن المدينة وتوفي بمكّة ولا يُعرف في الصحابة أربعة ولا أب وبنوه بعده كلّ منهم ابن الذي قبله أسلموا وصحبوا النبيّ ﷺ إلّا أبو قحافة وابنه أبو بكر الصدّيق، وابنه عبد الرحمٰن بن أبي بكر وابنه محمد بن عبد الرحمٰن أبو عتيق، وكان عبد الرحمٰن شقيق عائشة، وشهد بدرًا وأُحدًا مع الكفّار، ودعا إلى البراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: «متّعني بنفسك»، وكان شجاعًا راميًا حَسَن الرَّمي، وأسلم في هُدْنة الحديبيّة وحَسُن إسلامه، وكان اسمه عبد الكعبة فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وقيل: كان اسمه عبد العزّى، وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقَتَل سبعة من أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل رماه بسهم في نحره فقتله، وكان محكم اليمامة في ثلمة في الحصن، فلما قُتِل دخل المسلمون منها. قال الزبير بن بكّار: كان عبد الرحمٰن أسمن ولد أبي بكر، وكان فيه دعابة. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث. رَوَى عنه أبو عثمان النهديّ وعمرو بن أوْس والقاسم بن محمد وموسى بن وردان وميمون بن مهران وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وغيرهم.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن نيال الصوفي يُعرف بترك كنانة، أخبرنا أبو مطيع محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصريّ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن عليّ النقّاش، حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، حدّثنا أحمد بن زياد بن مهران العدل، حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس عن ابن أبي مليكة أنّ عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق قال: قال رسول الله ﷺ: «ائْتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتابًا لا تضلّون بعده»، ثم ولّى قفاه، ثم أقبل علينا فقال: «يأبى الله والمؤمنون إلّا أبا بكر». روى الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحرامي، عن أبيه الضحاك، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزّناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنّ عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق قَدِم الشام في تجارة،فرأى هناك امرأة يقال لها ابنة الجودي،

(١) بضمّ الراء على المشهور، وحكى ابن عبد البرّ فتحها وضمّها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يقدر على نفعنا إن دعوناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه ﴿وَنُرَدُّ﴾ وأنردُ ﴿عَلَىٰٓ

وحولها ولائد فأعجبته، فقال فيها:

تذكّرت ليلى والسماوة دونها — فما لابنة الجودي ليلى وما ليا
وإني تعاطى قلبه حارثيّة — تُدْمن بصرى أو تحلّ الجوابيا
وأنّى تُلاقيها بلى ولعلّها — إنِ الناس حجّوا قابلًا أنْ توافيا

قال: فلما بَعَث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال لصاحب الجيش: إنْ ظفرت بليلى ابنة الجودي عنوةً، فادفعها إلى عبد الرحمٰن بن أبي بكر؛ فظفر بها فدفعها إليه، فأُعجب بها وآثرها على نسائه حتى شكَيْنه إلى عائشة، فعاتَبَتْه على ذلك، فقال: والله لكأني أرشف من ثناياها حبّ الرمّان، ثم إنّه جفاها حتى شكته إلى عائشة، فقالت له عائشة: يا عبد الرحمٰن أحببت ليلى فأفرطت، وأبغضتها فأفرطت، فإمّا أن تُنْصفها وإمّا أن تجهّزها إلى أهلها؛ فجهّزها إلى أهلها، وكانت غسانيّة. وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة. أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقيّ إذنًا، أخبرنا أبي، حدّثنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو الحسين بن النقور، أخبرنا عيسى بن عليّ، أخبرنا عبد الله بن محمّد، حدّثنا ابن عائشة، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا محمد بن زياد أنّ معاوية كتب إلى مروان أنْ يبايع ليزيد بن معاوية، فقال عبد الرحمٰن: جئتم بها هرقليّة تبايعون لأبنائكم، فقال مروان: يا أيّها الناس هذا الذي يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: الآية ١٧] إلى آخر الآية، فغضبت عائشة وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسمّيه لسمَّيته. ورَوى الزبير بن بكار، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهريّ عن أبيه عن جدّه، قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق بمائة ألف درهم بعد أن أبَى البَيْعة ليزيد بن معاوية، فردّها عبد الرحمٰن وأبَى أن يأخذها، وقال: لا أبيع دِيني بدنياي، وخرج إلى مكّة فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد، وكان موته فجاءة من نومة نامها بمكان اسمه حُبْشيّ على نحو عشرة أميال من مكّة، وحُمِل إلى مكّة فدُفِن بها، ولمّا اتّصل خبر موته بأُخته عائشة ظعنت إلى مكّة حاجّة، فوقفت على قبره، فبكَتْ عليه وتمثّلت:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة — من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكًا — لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معًا

﴿أَعۡقَابِنَا﴾ راجعين إلى الشرك ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ للإسلام وأنقذنا من عبادة الأصنام ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ كالذي ذهبت به (الغيلان)

أمَا والله لو حضرتُك لدفنتك حيث متّ، ولو حضرتك ما بكيتك. وكان موته سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس وخمسين، وقيل: سن ستّ وخمسين، والأوّل أكثر. أخرجه الثلاثة، أي ب د ع.اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة. رَوَى عنه أبو عثمان النهدي، وشريح القاضي، وعمر بن أوس، وابن أخيه القاسم بن محمد، وابن أبي مليكة، وميمون بن مهران، وبنته حفصه بنت عبد الرحمٰن وغيرهم. توفي بالحُبْشيّ جبل بينه وبين مكّة ستّة أميال، وقيل: نحو عشر أميال، ثم حُمِل على رقاب الرجال إلى مكّة سنة ثلاث وخمسين، وقيل: خمس وخمسين، وقيل: ستّ، والصحيح الأوّل.اهـ. **قوله: (الغِيْلان)** جمع الغول ـ بالضم ـ السِّعْلاة. في لسان العرب: السِّعْلاة والسِّعْلى الغول، وقيل: هي ساحرة الجنّ، وقيل: السِّعْلاة أخبث الغيلان، وكذلك السِّعْلاء تمدّ وتُقصر والجمع سَعالى وسَعْليات، وقيل: هي الأُنثى من الغيلان. وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا صفر ولا هامة ولا غول، ولكن السعالى» هي جمع سِعْلاة، قيل: هم سحرة الجنّ، يعني أن الغول لا تقدر أن تغول أحدًا أو تضلّه، ولكن في الجنّ سحرة كسحرة الإنس له تلبيس وتخييل، وقد ذكرها العرب في شعرها.اهـ. وأيضًا فيه في فصل الغين المعجمة: وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوى ولا هامَة ولا صفر ولا غول». كانت العرب تقول: إنّ الغِيلان في الفَلَوات تراءى للناس، فتغَوَّلَ تغوّلًا أي تلوّن تلوّنًا فتضلّهم عن الطريق وتُهلكهم، وهي من مَرَدة الجنّ والشياطين، وذِكْرها في أشعارهم فاشٍ، فأبطل النبيّ ﷺ ما قالوا.اهـ. وأيضًا فيه قال ابن الأثير: قوله: «لا غول ولا صفر»، قال: الغول أحد الغيلان وهي جنس من الشياطين والجنّ كانت العرب تزعم أنّ الغول في الفَلاة تتراءى للنّاس فتتغوّل تغوّلًا، أي تتلوّن تلوّنًا في صورٍ شتّى وتغوّلهم، أي تضلّهم عن الطريق وتُهلكهم، فنفاه النبيّ ﷺ وأبطله، وقيل: قوله: «لا غول» ليس نفيًا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلوّنه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: «لا غول» أنها لا تستطيع أن تضلّ أحدًا، ويشهد له الحديث الآخر: «لا

و(مردة **الجن**). والكاف في محل النصب على الحال من الضمير في ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾ أي (أنكص) مشبهين مَن استهوته الشياطين (**وهو استفعال** من هوى) في الأرض (**إذا ذهب**) فيها كأن معناه طلبت هويه ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في

غول ولكن السَّعالى السَّعالى سحرة الجنّ»، أي ولكن في الجنّ سحرة لهم تلبيس وتخييل، وفي حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سَهْوة، فكانت الغول تجيء فتأخذه. اهـ.

قوله: (مَرَدة **الجنّ**) مَرَدة جمع مارد، والمارد العاتي. **قوله:** (**أنكص**) أي أنرجع. **قوله:** (**وهو استفعال**) وسين الاستقبال للمبالغة كأنها طلبت من نفسها هويه وحرصت عليه. اهـ قنوي. **قوله:** (مِنْ هوى) مِنْ باب ضرب. اهـ قنويّ.

قوله: (**إذا ذهب**) المشهور في كتب اللغة: هوى يهوي هوى إذا ذهب مسرعًا، كذا قيل. وهذا معنى ثالث للهوى كما هو الظاهر من كلامه، وقد جاء بمعنى السقوط من الباب الثاني، وبمعنى المودّة من باب علم، وبعضهم حمل على معنى السقوط، لكنه تكلّف. اهـ قنويّ رحمه الله.

وقال العلّامة الشهاب: **قوله:** (من هوى) يهوي إذا ذهب هذا هو المعروف، في اللغة: وأما كونه مِنْ هوى بمعنى سقط يقال: هوى يهوي هوِيًا ـ بفتح الهاء ـ من أعلى إلى أسفل، وبضمّها لعكسه، أو هما بمعنى. اهـ. وفي المصباح: هوى يهوي مِنْ باب ضرب هُويًا ـ بضم الهاء وفتحها ـ وزاد ابن القوطيّة: هوَاءً ـ بالمدّ ـ سقط من أعلى إلى أسفل، قاله أبو زيد وغيره. قال الشاعر:

هويّ الدلو أسلمها الرّشاء

يُروى بالفتح والضمّ، واقتصر الأزهري على الفتح، وهوى يهوي أيضًا هُويًا بالضم لا غير إذا ارتفع. قال الشاعر:

يهوي مخارمها هويّ الأجدل

وقال الآخر:

والدلو في إصعادها عجل الهُويّ

(المهمة) ﴿حَيْرَانَ﴾ حال من مفعول (﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾) أي (تائهًا) ضالًا عن (الجادة) لا يدري كيف يصنع ﴿لَهُۥٓ﴾ لهذا (المستهوي) ﴿أَصْحَٰبٌ﴾ (رفقة) ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ إلى أن يهدوه الطريق. سُمِيَ الطريق المستقيم بالهدى يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ وقد (اعتسف) المهمه تابعًا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم، وهذا مبنيّ على ما يُقال إن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه، فشبّه به الضالّ عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وحده وما وراءه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا﴾ محله النصب بالعطف على محل ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ على أنهما مقولان كأنه قيل: قل هذا القول وقل أمرنا ﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والتقدير: وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة الصلاة ﴿وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة أو محقًا ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ على الخبر دون الجواب ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ و﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ خبره مقدمًا عليه كما تقول «يوم الجمعة قولك الصدق» أي قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين. والمعنى أنه خلق السمٰوات والأرض بالحق والحكمة

اهـ. **قوله:** (المهمة)[1] أي المفازة البعيدة. **قوله:** (تائهًا) في مختار الصحاح: تاه يتيه تَيْهًا وتَيْهانًا ذهب متحيّرًا. **قوله:** (الجادة) معظم الطريق. **قوله:** (المستهوي) بصيغة المفعول. **قوله:** (رفقة) في المصباح: الرّفقة الجماعة ترافقهم في سفرك فإذا تفرّقتم زال اسم الرفقة، وهي بضم الراء في لغة بني تميم، والجمع رفاق مثل برمة وبرام، وبكسرها في لغة قيس والجمع رفق مثل سدرة وسدر. اهـ. **قوله:** (اعتسف) في مختار الصحاح: العَسْف الأخذ على غير الطريق، وبابه ضرب، وكذا المتعسّف والاعتساف. اهـ.

---

(١) أي الصحراء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء، قوله الحق والحكمة أي لا يكوّن شيئًا من السمٰوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ ﴿فِي ٱلصُّورِۚ﴾ هو القرن بلغة اليمن (أو جمع صورة) ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ هو عالم الغيب ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ أي السر والعلانية ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في الإفناء والإحياء ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بالحساب والجزاء.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو اسم أبيه أو لقبه لأنه خلاف بين النسابين أن اسم أبيه (تارح)، وهو عطف بيان لأبيه (وزنه فاعل) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ استفهام توبيخ أي أتتخذها آلهة وهي لا تستحق الإلـٰهية ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما أريناه قبح الشرك ﴿نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي نري بصيرته لطائف خلق السمٰوات والأرض، (ونري حكاية حال ماضية). والملكوت أبلغ من الملك (لأن الواو والتاء تزادان للمبالغة). قال

قوله: (أو جمع صورة) كصوف وصوفة وثوم وثومة، وليس هذا جمعًا صناعيًّا، وإنما هو اسم جنس.

قوله: (تارح) بتاء مثناة فوقية وألف بعدها راء مهملة مفتوحة وحاء مهملة، وضبط بعضهم بالخاء المعجمة، فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان آزر وتارح، مثل يعقوب وإسرائيل اسمان لرجل واحد، فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس، والله سمّاه آزر وإنْ كان عند النسّابين والمؤرخين اسمه تارح ليُعرف بذلك. **قوله:** (وزنه فاعل) المفتوح العين.

قوله: (ونُري حكاية حال ماضية) جواب عمّا يقال: هذه الإرادة حصلت فيما تقدّم من الزمان، فالأنسب أن يقال: وكذلك أريناه أجاب بأنه على سبيل الحكاية عن الماضي تحقيقًا لحصوله وتصويرًا لعظم شأنه. **قوله:** (لأن الواو والتاء تزادان للمبالغة)، ولذا فسّر بأعظم الملك.

(مجاهد): فرجت له السمٰوات السبع فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى نظره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر إلى ما فيهن ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (فعلنا ذلك أو ليستدل، وليكون) من الموقنين (عيانًا بكسر العين) كما أيقن بيانًا.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي أظلم وهو عطف على ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ أي (الزهرة أو المشتري)، وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدٍ إلى أن شيئًا منها ليس بإلٰه لقيام دليل الحدوث فيها، ولأن لها محدثًا أحدثها ومدبرًا دبر طلوعها (وأفولها) وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ أي قال لهم هذا ربي في زعمكم، أو المراد أهذا استهزاء بهم وإنكارًا عليهم، والعرب تكتفي عن حرفِ الاستفهام بنغمة الصوت. والصحيح أن هذا قول مَن ينصف خصمه مع عمله أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من (الشغب)، ثم (يكرّ) عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾

قوله: (مجاهد) وهو تابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (فعلنا ذلك أو ليستدلّ وليكون)... الخ. إشارة إلى ما مرّ في أمثاله من أنه إمّا علّة لفعل مقدّر، أي فعلنا ذلك وليكون... الخ. أو معطوف على علة مقدّرة، أي ليستدلّ وليكون... الخ. وقيل: إنّ الواو زائدة وهو متعلّق بما قبله، وهذه الوجوه جارية في كلّ ما جاء في القرآن من هذا. **قوله:** (عيانًا بكسر العين). اهـ كمالين في سورة البقرة. في المصباح: عاينته معاينة وعيانًا.

قوله: (الزُّهَرة) بضم الزاي وفتح الهاء كتؤدة نجم في السماء الثالثة وتسكين الهاء في غير ضرورة الشعر خطأ. **قوله:** (والمشتري) نجم في السماء السادسة. **قوله:** (أفولها) في المصباح: أفل الشيء أفلًا وأُفولًا من بابي ضرب وقعد غاب، ومنه قيل: أَفَل فلان عن البلد إذا غاب عنها. اهـ. **قوله:** (الشَغْب) بالتسكين تهييج الشرّ، ولا يقال: شغب بالتحريك. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (يكرّ) الكرّ الرّجوع

غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة (الأرباب المتغيرين) عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ مبتدئًا في الطلوع ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ نبّه قومه على أن مَن اتخذ القمر إلـٰهًا فهو ضالّ، (وإنما احتجّ عليهم بالأفول دون البزوغ) وكلاهما انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ (وإنما ذكّره) لأنه أراد الطالع، أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما شيء واحد معنى، وفيه صيانة الرب عن شبهة

وبابه ردّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (الأرباب المتغيرين) إشارة إلى وجه الجمع بالواو والنون.

قوله: (وإنما احتجّ عليهم بالأُفول دون البزوغ) الذي هو الابتداء في الطلوع جواب عمّا يقال: الأُفول إنما يدلّ على الحدوث من حيث إنه حركة، وعلى هذا التقدير يكون الطّلوع أيضًا دليلًا على الحدوث، فلِمَ ترك إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع، وعدل عن إثبات هذا المطلوب إلى الأُفول، وأجاب بأنّ الاحتجاج بالأُفول أظهر؛ لأنه يدلّ على الحدوث من وجهين: من حيث إنه حركة، ومن حيث إنه احتجاب وغيبة، ومَنْ كان إلـٰهًا يجب أن ينعكس منه نور الوجود إلى جميع الموجودات ابتداء وبقاء، فلا يجوز أن يغيب عنها طرفة عين، فلا يجوز الأُفول في حقّه.

قوله: (وإنما ذكّره) ولم يقل: هذه ربّي مع كونه إشارة إلى الشمس، وهي مؤنّث سماعي، لأنه. . . الخ.

التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وإن كان الثاني أبلغ (تفاديًا) من علامة التأنيث ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ من باب استعمال (النصفة) أيضًا مع خصومه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها. وقيل: هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى، والأول أظهر لقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي للذي دلّت هذه المحدثات على أنه منشئها ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ حال أي مائلًا عن الأديان كلها إلى الإسلام ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بالله شيئًا من خلقه.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ في توحيده. (﴿أَتُحَٰٓجُّونِي﴾) مدنيّ (وابن ذكوان) ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ إلى التوحيد، (وبالياء في الوصل: أبو عمرو). ولما خوّفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾ أي لا أخاف معبوداتكم في وقت (قط) لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي (أن يصيبني منها بضرّ)، فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعًا وفيما شاء ضرًّا لا الأصنام ﴿وَسِعَ

قوله: (تفاديًا) أي احترازًا. **قوله:** (النصفة) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عاملْته بالعدل والقسط، والاسم النَّصَفة ـ بفتحتين ـ لأنك أعطيته من الحقّ ما تستحقّه لنفسك. اهـ.

قوله: (﴿أَتُحَٰٓجُّونِّي﴾) بنون خفيفة مكسورة على حذف إحدى النونين (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة.

(وابن ذكوان) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القريشيّ الدمشقي، ويُكنى أبا عمرو، وتوفي بها سنة اثنتين وأربعين ومائتين، عن عبد الله بن عامر الشامي ﵀. والباقون بالتشديد على الإدغام. **قوله:** (وبالياء في الوصل أبو عمرو) البصري. والباقون بحذفها في الحالين. **قوله:** (قَطّ) أي أبدًا. **قوله:** (أن يصيبني منها بضرّ) إشارة إلى أن شيئًا مفعول به ليشاء ففسّر شيئًا به ليعلم أنه مفعول، وليس بمصدر على معنى إلّا أن يشاء ربّي شيئًا من المشيئة.

رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يصيب عبدًا شيء من ضرّ أو نفع إلا بعلمه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتميزوا بين القادر والعاجز.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ معبوداتكم وهي مأمونة الخوف ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة إذ الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة، والمعنى وما لكم تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أي فريقي الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ولم يقل: «فأينا» احترازًا من تزكية نفسه، ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ (وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟) إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ (بشرك عن الصدّيق رضي الله تعالى عنه) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ تمّ كلام إبراهيم عليه السلام.

قوله: (﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾) بفتح الياء وكسر الباء إمّا معطوف على الصلة ولا محلّ له حينئذ، أو جملة حاليّة على معنى الذين آمنوا غير لابسين إيمانهم بظلم.
قوله: (بشرك عن الصدّيق رضي الله تعالى عنه) أخرج الفريابي وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: ما تقولون؟ قالوا: لم يظلموا، قال: حملتم الأمر على الشدّة بظلم بشرك، ألم تسمعوا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]؟ وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في الإفراد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم﴾ شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله أيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذين يعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، إنما هو الشرك». وأخرج أبو الشيخ عن عمر بن الخطاب

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إشارة إلى جميع ما احتجّ به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وهو خبر بعد خبر ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلم والحكمة **(وبالتنوين كوفيّ)** وفيه نقضُ قول المعتزلة في الأصلح ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بالرفع ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأهل.

رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: بشِرْك. وأخرج الفريابي وأبو عبيدة وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وأبو نصر السجزي في الإبانة عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل عن هذه الآية، قال: إنما عنى به الشِّرك، ألم تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمَان: الآية ١٣]. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعَام: الآية ٨٢] قال: ذاك الشِّرْك. وأخرج ابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف يقرأه، فدخل ذات يوم فقرأ سورة الأنعام، فأتى هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أبا المنذر أتيت على هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، وقد ترى أنّا نظلم ونقتل، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ هذا ليس بذاك، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمَان: الآية ١٣]، إنما ذاك الشِّرْك. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعَام: الآية ٨٢]، قال: بشِرْك. وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: عبادة الأوثان. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، يقول: لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

قوله: (وبالتنوين) أي بتنوين التاء (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. والباقون بإضافة درجات وانتصابها على أنها مفعول نرفع. وأمّا على قراءة

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ أي كلهم وانتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿هَدَيْنَا ۚ﴾ ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ أي وهدينا نوحًا ﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾ من قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضمير لنوح أو لإبراهيم، والأوّل أظهر لأن يونس ولوطًا لم يكونا من ذريّة إبراهيم ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ﴾ والتقدير: وهدينا من ذرّيته هؤلاء ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ونجزي المحسنين جزاء مثل ذلك، فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ **(وذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضًا)** لأنه جعله من ذريّة نوح عليه السلام وهو لا يتصل به إلا بالأم، وبذا أُجيب **(الحجاج)** حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبيّ عليه السلام.

الكوفيّين، فانتصاب درجات يحتمل أن يكون على الظرفيّة، ومن نشاء مفعول نرفع، أي نرفع مَنْ نشاء مراتب ومنازل، ويحتمل أن يكون على أنها مفعولٌ ثان قدّم على الأول، وذلك يحتاج إلى تضمين نرفع معنى فعل يتعدّى إلى اثنين، وهو يعطي مثلًا، أي نعطي بالرفع مَنْ نشاء درجات، أي رُتَبًا، فالدَّرجات هي المرفوعة؛ لقوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: الآية ١٥]، وإذا رفعت الدرجة فقد رُفع صاحبها، ويحتمل أن ينتصب بنزع الخافض، أي نرفع إلى منازل وإلى درجات، والمراد بالدرجات هٰهنا درجات العلم والفهم والحكمة كما رفع درجات إبراهيم فيها حتى فاق في زمن صباه شيوخ أهل عصره واهتدى إلى ما لم يهتدِ إليه إلّا أكابر الأنبياء.

قوله: (وذكر عيسى) على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأمّ أيضًا). . . الخ. فيكون الحسن والحسين من ذرّية سيّد المرسلين محمّد ﷺ مع انتسابهما إليه بالأمّ، ومَنْ آذاهما فقد آذى ذُرّيته عليه الصّلاة والسّلام. **قوله:** (الحجّاج) بن يوسف الثقفي، وهو أبو محمد الحجّاج بن

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ (﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ حيث كان بلامين: حمزة وعلي) ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوّة والرسالة ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ في موضع النصب عطفًا على ﴿كُلًّا﴾ أي وفضلنا بعض آبائهم ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي ما دان به هؤلاء المذكورون ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ دين الله ﴿يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ﴾ فيه نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون إن الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لبطلت أعمالهم كما قال ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: الآية ٦٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد الجنس ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ والحكمة أو فهم الكتاب ﴿وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ وهي أعلى مراتب البشر ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بالكتاب والحكم والنبوّة أو بآيات القرآن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون

يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب بن كعب الثقفي، قال ابن قتيبة: هو من الأجلاف، قال: وكان أخفش دقيق الصوت وأوّل ولاية وليها تَبالة ـ بمثناة فوق مفتوحة ثم باء موحدة مخفّفة ـ فلمّا رآها احتقرها فتركها، ثم تولّى قتال ابن الزُّبير رضي الله تعالى عنه فقهره على مكّة والحجاز، وقتل ابن الزبير وصلبه بمكّة سنة ثلاث وسبعين، فولّاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين، وكان يصلّي بالناس ويقيم لهم الموسم، ثم ولّاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فولِيَها عشرين سنة وحطّم أهلها وفعل ما فعل، وتوفي بواسط ودُفِن بها وعفي قبره وأُجْرِيَ عليه الماء، وكان موته سنة خمس وتسعين.

قوله: (﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ حيث كان بلامين) أي بلام مشدّدة وياء ساكنة بعدها (حمزة وعليّ) الكسائي. وقراءة الجمهور بلام واحدة وفتح الياء بعدها.

ومن تابعهم بدليل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ أو أصحاب النبيّ ﷺ، أو كل مَن آمن به (أو العجم). ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه. (**والباء في** ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾ **صلة** ﴿كَٰفِرِينَ﴾) وفي ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ لتأكيد النفي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ أي الأنبياء الذين مرّ ذكرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (**فاختصّ هداهم بالاقتداء**) ولا تقتد إلا بهم، وهذا معنى تقديم المفعول. والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة،

قوله: (**أو العجم**) في مختار الصحاح: العجم ضدّ العرب الواحد عجميّ. اهـ. **قوله:** (**والباء في** ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا﴾ **صلة** ﴿كَٰفِرِينَ﴾) على أن يتعلّق بالمذكور بناء على تجويز إعمال ما بعد حرف الجرّ المَزيدة فيما قبله سيما الظرف.

قوله: (**فاختصّ هداهم بالاقتداء**) أمر بالاختصاص وليس بماض، والباء داخلة على المقصور، كما في قولك: نخصّك بالعبادة، أي اجعل اقتداءك مقصورًا على هداهم وطريقهم، وقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ متعلّق بـ ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ قُدّم عليه ليفيد الاختصاص.

فإن قيل: الواجب في الاعتقاديّات وأصول الدِّين هو اتّباع الدّليل من العقل والسمع، ولا يجوز سيما للنبيّ ﷺ أن يقلّد غيره، فما معنى أمره بالاقتداء بهم؟

قلنا: معناه الأخذ به، لكن لا من حيث إنه طريقهم، بل من حيث إنه طريق العقل والشرع، ففيه تعظيم لهم وتنبيه على أنّ طريقهم هي الحقّ الموافق لدليل العقل والسمع، فكأنه قيل: فخذ ما توافقوا عليه من التوحيد والتنزيه عن كلّ ما يليق بالباري تعالى في الذّات والصّفات والأفعال وأصول الدِّين، مستدلّا بالدليل الذي استدلّوا به على ما اتّفقوا عليه؛ فليس في الآية دليل على أنه عليه الصّلاة والسّلام مكلّف بشرع مَنْ قبله، لأنّ مَنْ ذهب إلى حكم متمسّكًا بدليل يثبته لا يقال له: إنه أخذ ذلك الحكم ممّن قبله، وإنْ وافقه في الاعتقاد بذلك الحكم، وفي الاستدلال عليه بالدليل الذي استدلّ به من قبله وموافقته إيّاهم على هذا الوجه لا

(والهاء في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للوقف تسقط في الوصل، واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء

تدلّ على أن يكون منصبه أقلّ من منصبهم، بل احتجّ العلماء بهذه الآية على أنه عليه الصّلاة والسّلام أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرّقة فيهم؛ فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النّعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البَلِيَّة، ويوسف كان جامعًا بينهما، وموسى عليه الصّلاة والسّلام كان صاحب المعجزات القاهرة، وزكريّا ويحيىٰ وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسمٰعيل كان صاحب الصدق؛ فثبت أنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هذه الأنبياء، لأن الغالب عليه كان خصلة معيّنة من خصال المدح والشرف، ثم إنه تعالى لمّا ذكر الكلّ أمر سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين بأن يقتدي بهم بأسرهم؛ فكأنه تعالى أمره عليه الصّلاة والسّلام بأن يجمع من خصال العبودية أو الطاعة كل الصفات التي كانت متفرّقة فيهم بأجمعهم، ولما أمره الله تعالى بذلك امتنع أن يقال: إنه قصر في تحصيلها، فثبت أنه حصّلها واجتمع فيه مِنْ خِصال الخير ما كان متفرّقًا فيهم، فوجب أن يقال: إنه أفضل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. **قوله:** (**والهاء في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للوقف**)[1] أي هاء السكت التي تُزاد في الوقف ساكنة (**تسقط في الوصل**) ومَنْ أثبتها في الدرج ساكنة؛ كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف. وبعضهم يُحرّكها تشبيهًا لها بهاء الضمير، والعرب كثيرًا ما تعطي للشيء حكم ما يشبهه وتحمله عليه، وقد رُوِي قول المتنبّي:

واحرَّ قلباهُ ممّن قلبه شَبِمُ

بضمّ الهاء وكسرها على أنها هاء السكت شبّهت بهاء الضمير، فحُرِّكت، والأحسن كما في الدُّرّ: أن يجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبه الضمير؛ لأن هاء الضمير لا تُكسر بعد الألف، فكيف بما يشبهها؟اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء**

---

(١) أي وليس بضمير؛ لأن بهداهم متعلق باقتده، وهؤلاء يتعدّى إلى مفعول ثان. ١٢ منه عمّ فيضهم.

في المصحف) ويحذفها (حمزة. وعليّ: في الوصل. ويختلسها: شاميّ). ﴿قُل

في المصحف) الذي يقال له: الإمام، مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي اتّخذه لنفسه يقرأ فيه، وليس هو بخطّه كما توهّمه بعضهم. وقرأ بحذفها، أي بحذف الهاء (حمزة. وعليّ) الكسائي (في الوصل) على أنها للسكت فمحلّها الوقف(١).

(ويختلسها) أي يكسر الهاء بغير إشباع، وهو الذي يسمّيه القرّاء اختلاسًا (شامي) أي ابن عامر الشامي برواية هشام، ويُشْبعها ـ أي يكسرها مع وصلها بياء ـ ابن عامر الشامي برواية ابن ذكوان، على أنها كناية عن المصدر لا هاء الوقف؛ كأنه قال: فبِهُداهم اقتد الاقتداء، والفعل يدلّ على المصدر، فكنى عنه كما حكى سيبويه من قولهم: مَنْ كذب كان شرًّا له، أي كان الكذب شرًّا له. وقوله:

(واحرّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ)

في شرح التبيان للعكبري على ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبّي رحمهما الله تعالى:

واحَـرَّ قَـلْبـاهُ مـمّـن قـلبه شَبِـمُ ومَنْ بجسمي وحالي عنده سَقَمُ

الإعراب قال أبو الفتح: قلباه بكسر الهاء وضمّها وهو غير جائز عند الكوفيّين، ولا يجوز إلّا في الضرورة والوجه. قال أبو الفتح: الكسر لالتقاء الساكنين الألِف والهاء، ومَنْ ضمّها شبّهها بعصاه ورَحاه الكوفيّون ينشدون لبعض الأعراب:

وقـد رابَـنـي قـولـهـا يـا هـنـا ه ويـحـك ألـحـقـت شـرًّا بـشـرِّ

وأنشدوا أيضًا:

يـا ربّ يـا ربّـاه إيّـاك أسـألُ

والبصريّون يقولون: يا هناه ـ الهاء بدل من الواو ـ في هنوك وهنوات، وهي بدل من لام الكلمة، ولذلك جاز ضمّها. وقال أبو زيد في مرحباه أنه شبّهها

---

(١) فيثبت أنها في الوقف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على الوحي أو على تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد

بحرف الإعراب فضمّها، هذا قول الواحدي اختصره من كلام أبي الفتح. وقال أبو الفتح: كان يُنشده بكسر الهاء وضمّها، وهذا لا يعرفه أصحابنا، ولا يجيزون إثبات الهاء في الوصل ساكنة ولا متحرّكة؛ لأنها إنما تُلحق في الوقف لبيان الألف قبلها، فإذا صيّرت إلى الوصل أسقطت عنها باللفظ بما بعدها، تقول في الوقف: وازيداه، فإذا وصلت قلت: وازيدًا وعمراه، فإنك تحذفها في الوصل وتُثْبتها في الوقف. فإنْ قال قائل: هلّا أجريت الهاء في الوصل على حدّ الوقف؟ كما أنشد سيبويه قول رؤبة:

ضخمٌ يجب الخلق الأضخَما

بتشديد الميم لأنهم إذا وقفوا على اسم شدّدوا آخره إذا كان ما قبله متحرّكًا. ألا ترى أنّ مَنْ يقول خالد في الوقف بتشديد الدال وإذا وصل ردّه إلى التّخفيف، إلّا أنه قد يُجريه في الوصل على حدّ مجراه في الوقف، فلذلك جاز للمتنبّي أن يلحق الهاء في الوصل كما كان يثبتها في الوقف. قيل: في هذا أمران: أحدهما مكروه، والآخر خطأ فاحش. فأمّا المكروه، فإثباتها في الوصل على حدّ إثباتها في الوقف ضرورةً مستقبحة للمحدث، وسبيل مثلها أن لا يُقاس عليه إلّا على استكراه. وأمّا الخطأ، فإنّ الذي ذهب إلى هذا واحتجّ به قد عدل عن صوب التشبيه؛ وذلك أنه لا يخلو من أن تجري الكلمة على حدِّ الوقف أو على حدّ الوصل، فإنْ كان على حدّ الوصل، وهو الوجه؛ لأنه ليس واقفًا، فسبيله أن يحذف الهاء وصلًا لما ذكرناه من استغنائه عنها في الوصل بما يتبع الألف، وإنْ كان على حدّ الوقف، فقد خالف ذلك بإثباتها متحرّكة بالضم أو الكسر، فالهاء في الوقف بلا خلاف ساكنة؛ فالذي رامَ إثباتها متحرّكة لا على حدّ الوصل أجراها، فيحذفها؛ ولا على حدّ الوقف أجراها، فيسكّنها. ولا تعلم منزلة بين الوصل والوقف يرجع إليها وتجري الكلمة عليها، فلهذا كان إثبات هذه الهاء متحرّكة خطأ عندنا. وأمّا ما رواه الكوفيّون، فشاذ عندنا. وأمّا ما ذكره في نوادره أبو زيد من أنهم شبّهوا الهاء بحرف الإعراب، فلا وجه له، ولو كانت الهاء في قلباه مشبّهة بحرف الإعراب لما جاز فتحها ولا ضمّها، ولوجب جرّها بإضافة جرّ إليها. ومرحباه الذي أنشده أبو زيد ليس

﴿أَجْرًا﴾ (جعلا). وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ ما القرآن إلا عظة للجن والإنس.

مضافًا إليه، فيجوز أن يشبّهه بحرف الإعراب، انتهى كلامه. وإنما أراد أبو الطيّب على لغة قومه، وكان الأصل قلبي، فأبدل مِنَ الياء ألفًا طلبًا للخفّة، والعرب تفعل ذلك في النداء، واستجلب هاء السَّكت وأثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف، والعرب تفعل ذلك كقراءة ابن ذكوان: «فبهداهم اقتدهي» بكسر الهاء وإثبات الياء وصلًا، وكقراءة هشام بكسر الهاء، وقد استوفينا علّة ذلك في كتابنا الموسوم بالروضة المُزهرة في شرح التذكرة، وحرّك الهاء أبو الطيّب لسكونها وسكون الألف قبلها، وللعرب في ذلك أمران: منهم مَنْ حرَّك بالضم تشبيهًا بهاء الضمير، وأنشدوا:

يا مرحباه بحمار اعفرا

ومنهم مَنْ يُحرِّك بالكسر على ما يوجد كثيرًا في الكلام عند التقاء الساكنين، وأنشدوا:

يا ربّ يا ربّاه اسل عفراء يا ربّاه من قبل الأجل

الغريب: الشَّبِم: البارد، والشَّبِم: البرد، وقد شَبِم ـ بالكسر ـ فهو شبم، والشبم الذي يجد البرد مع الجوع. قال حميد بن ثور:

بعيني قطاميّ نما فوق مرقب غدا شبمًا ينقض فوق الهجارس

المعنى يقول: واحرّ قلبي واحتراقه واستحكام همّه بمن قلبه عني بارد لا اغتناء له لي ولا إقبال به عليّ، ومن بجسمي وحالي مِنْ إعراضه سقم يوجب ألمهما وشكاة تؤذن باختلالهما، والعرب تكني بحرارة القلب عن الاعتناء، وببرده عن الإعراض والترك، وتلخيص المعنى: قلبي حار من حبّه وقلبه بارد من حبّي، وأنا عنده مختلّ الحال معتلّ الجسم. اهـ.

قوله: (جعلا) بضم الجيم وسكون العين كالجعالة والجعيلة ما يجعل للإنسان بفعله، وهو أعمّ من الأجر والثواب؛ كما قاله الراغب رحمه الله.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ **(أي ما عرفوه حق معرفته)** في الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] رُوِيَ أن جماعة من اليهود ـ منهم مالك بن **(الصيف)** ـ كانوا يجادلون النبيّ عليه السلام فقال النبيّ عليه السلام له: «أليس في التوراة **(إن الله يبغض الحبر السمين)**»؟ قال: نعم. قال: «فأنت الحبر السمين» فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، و﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ منصوب نصب المصدر. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا﴾ حال من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ أو «من الكتاب» ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ مما فيه نعت رسول الله ﷺ أي بعَّضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما **(راموا)** من الإبداء والإخفاء. **(وبالياء في الثلاثة: مكيّ وأبو عمرو)** ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ يا أهل الكتاب بالكتاب ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ﴾ من أمور دينكم ودنياكم ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ جواب أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ﴿ثُمَّ

قوله: (أي ما عرفوه حقّ معرفته) عبّر عن المعرفة بالقدر لكونه سببًا لها وطريقًا إليها، يقال: قدّر الشيء يقدّره ـ بالضمّ ـ قدرًا إذا أسبره وحزره، والسّبر تعيين قدر الشيء بالمسبار، يقال: سبرت الجرح إذا نظرت ما غوره، والمسبار ما يسبر به الجرح والحرز التقدير، والخرص إذا أراد أن يعلم مقداره، ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام: «إذا غمّ عليكم الهلال فاقدروا له»، أي فاطلبوا أن تعرفوه. ثم يقال لمن عرف شيئًا: هو يقدر قدره، ولمن لم يعرف بصفاته أنه لا يقدر قدره. **قوله: (الصيف)** بالصاد المهملة ضدّ الشتاء. **قوله: (إنّ الله يبغض الحبر السمين)**؛ لأنه يدلّ على الحُمق والجهل، ولأنه من كثرة التنعّم بالأكل والشرب في الأكثر، والحِبْر ـ بكسر أوّله وفتحه ـ العالم الفصيح، والسَّمين ضدّ المهزول. **قوله:** (راموا) في مختار الصِّحاح: رام الشيء طلبه، وبابه قال. اهـ. **قوله: (وبالياء في الثلاثة)** أي يجعلونه ويُبدونها ويخفون (مكيّ) أي ابن كثير المكّيّ **(وأبو عمرو)** البصري على إسناده للكفار مناسبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾... الخ. والباقون

ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه ﴿يَلْعَبُونَ﴾ (**حال من** ﴿ذَرْهُمْ﴾ **أو «من خوضهم»**).

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ على نبيّنا ﷺ ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثير المنافع والفوائد ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ (**وبالياء: أبو بكر، أي الكتاب**) وهو معطوف على ما دلّ عليه صفة الكتاب كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، وسميت أُم القرى لأنها سرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس (**يؤمونها**) ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ (**أهل الشرق والغرب**) ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يصدقون بالعاقبة ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خصّت الصلاة بالذكر (**لأنها علم الإيمان وعماد الدين**) فمَن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهرًا.

بتاء الخطاب فيهن، أي قل لهم ذلك. **قوله: (حال من ﴿ذَرْهُمْ﴾)** أي من مفعول ذرهم (**أو من خوضهم**) أي من ضمير خوضهم، وجاز ذلك لأنه في قوّة الفاعل؛ لأن المصدر مضاف إلى فاعله.

قوله: (وبالياء) أي بياء الغيبة (**أبو بكر**) شعبة عن عاصم (**أي الكتاب**). والباقون بتاء الخطاب، أي الرّسول عليه الصّلاة والسّلام. **قوله: (يؤمّونها)** أي يقصدونها. **قوله: (أهل الشرق والغرب)** أوّله لعموم بعثته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَأ: الآية ٢٨]، واللفظ متحمّل له وردًا على مَنْ تمسَّك بها؛ لأنه مُرسل للعرب خاصّة، ولا متمسّك فيها لما سمعت على أنه خصّهم، لأنهم أحقّ بإنذاره؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٤]، ولذا نزّل كتاب كل رسول بلسان قومه، مع أنه استدلال لإرساله للعرب، وليس فيه حجّة على نفي غيره. **قوله: (لأنها عَلَم الإيمان)** بمعنى علامته، ولذا أطلق الإيمان عليها مجازًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] أي صلاتكم. **قوله: (وعِماد الدّين)** أي أصله ورأسه، فقِوام الدِّين ليس إلّا بها، كما أن البيت لا يقوم إلّا على عموده.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿(وَمَنْ أَظْلَمُ) مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ هو مالك بن الصيف ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ هو (**مسيلمة**) الكذاب ﴿وَمَن قَالَ﴾ في موضع جر عطف على ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ أي وممن قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي سأقول وأملي هو (**عبد الله بن سعد بن أبي سرح**) كاتب الوحي، وقد أملى النبيّ عليه السلام عليه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إلى ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١٢ ـ ١٤] فجرى على لسانه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٤]. فقال عليه السلام: «اكتبها فكذلك نزلت» فشكّ وقال: إن كان محمد صادقًا فقد أُوحي إليّ كما أُوحي إليه، وإن كان

قوله: (﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾)... الخ. استفهام إنكاريّ معناه النفي، والمراد أنه أظلم من جميع المخلوقات.

قوله: (**مسيلمة**) بكسر اللام، لأن ما بعد ياء التصغير يلزم كسره، والعامّة تغلط فتفتحها، وهو من بني حنيفة أهل اليمامة ادّعى النبوّة في زمن النبيّ ﷺ، وقُتل في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح**) بن الحارث بن حُبيب ـ بضم الحاء المهملة وإسكان المثناة تحت ـ قاله الكلبي وابن ماكولا، وقال ابن حبيب: هو بتشديد الياء. قال الكلبي: إنما شدّده حسّان للحاجة، وهو حبيب بن جذيمة ـ بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ـ ابن حِسْل ـ بكسر الحاء المهملة ـ ابن عامر بن لؤيّ بن غالب القرشي العامريّ، كنيته أبو يحيىٰ، وهو أخو عثمان بن عفّان من الرضاعة أرضعته أُمّ عثمان، أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتدّ وسار إلى مكّة، وقال لقريش: كان يُمْلي عليّ عزيز حكيم، فأقول أو عليم حكيم، فيقول: كلٌّ صواب، فلمّا كان يوم الفتح أمر النبيّ ﷺ بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقيس بن صُبابة، ولو وُجدوا في أستار الكعبة؛ ففرّ ابن أبي سَرْح إلى عثمان فغيّبه ثم أتابه النبيّ ﷺ بعدما اطمأنّ أهل مكة

كاذبًا فقد قلت كما قال، فارتدّ ولحق بمكة. أو (**النضر بن الحارث**) كان يقول: والطاحنات طحنًا فالعاجنات عجنًا فالخابزات خبزًا كأنه يعارض ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف أي لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يريد الذين ذكرهم من اليهود و(**المتنبئة**) فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس فيدخل هؤلاء لاشتماله ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ شدائده وسكراته ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن التشديد في (**الإزهاق**) من غير (**تنفيس وإمهال**) ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أرادوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع. والهون: (**الهوان**) الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك: «رجل سوء» (**يريد العراقة**) في الهوان والتمكّن

فاستأمنه له فصَمَت طويلًا ثم قال: «نعم»، فلما انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «ما صمتّ إلا لتقتلوه»، فقال رجل: أهلّا أومأت إلينا يا رسول الله؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبيّ أن يكون له خَائِنَةَ الأعين»، ثم أسلم بعد ذلك اليوم عبد الله بن أبي سَرْح وحَسُن إسلامه ولم يظهر منه بعده ما ينكر، وهو أحد العقلاء والكُرماء من قريش ثم ولّاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين، ففتح الله على يديه أفريقيّة، وكان فتحًا عظيمًا بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهبًا، وشهد معه هذا الفتح عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن سعد هذا فارس بني عامر بن لؤيّ، وغزا بعد أفريقيّة الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وغزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم، وحين قُتِل عثمانُ بن عفّان اعتزل عبد الله ابن أبي سَرْح الفتنة، فأقام بعسقلان، وقيل بالرَّمْلة، وكان دعا بأن يختم عمره بالصلاة، فسلَّم من صلاة الصبح التسليمة الأُولى ثم همّ بالتسليمة الثانية عن يساره، فتوفي سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سبع وثلاثين، وقيل: سنة تسع وخمسين، والصحيح عندهم الأوّل.

قوله: (النضر بن الحارث) ـ بالضاد المعجمة ـ أُسر يوم بدر، وقُتِل كافرًا.

قوله: (المتنبّئة) في لسان العرب: تنبّأ الرجل ادّعى النبوّة. **قوله: (الإزهاق)** أي الإخراج. **قوله: (تنفيس)** أي إمهال، **وقوله: (وإمهال)** عطف تفسير. **قوله: (الهَوان)** ضدّ العِزّ. **قوله: (يريد العَراقة)** ـ بالعين المهملة ـ الأصالة وأصلها ثبات العروق في الهَوان والتمكّن فيه، كأنه قيل: لا بدّ في الإضافة من الدّلالة على

فيه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ من أن له شريكًا وصاحبة وولدًا. ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ مفعول ﴿تَقُولُونَ﴾ أو وصف لمصدر محذوف أي قولًا غير الحق ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تؤمنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كأسير وأسارى ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ في محل النصب صفة لمصدر ﴿جِئْتُمُونَا﴾ أي مجيئًا مثل ما خلقناكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئات التي وُلدتم عليها في الانفراد ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾ ملكناكم ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ولم تحتملوا منه (نقيرًا) ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ (في استعبادكم) ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بينكم (وصلكم) عن

اختصاص المضاف إليه، فما وجه اختصاص العذاب بالهوان والذلّة، فأجاب عنه بأنه لمّا لم يقصد بالعذاب شيء سوى الهون والحقارة صار العذاب أصيلًا في الهوان متمكّنًا فيه، فأُضيف إليه فأفاد هذا المعنى.

قوله: (نقيرًا) النّقير النّقرة في ظهر النّواة، ويكنى به عن الشيء الحقير. **قوله:** (في استعبادكم) تفسير فيكم، كأنه على حذف المضاف، ولم يجعل المضاف المقدّر عبادتكم؛ لأن جعلهم شركاء في العبادة كان على الحقيقة لا الزعم، وإنما المزعوم كونهم شركاء في اتّخاذهم عبيدًا، لأنهم لمّا سمّوها آلهة وعبدوها كان ذلك زعمًا منهم أنها اتّخذتهم عبيدًا كما الله اتّخذهم عبيدًا. **قوله:** (وصلكم) على قراءة مَنْ قرأ بينكم بالرفع، وهم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر، فإنهم جعلوا بين اسمًا غير ظرف، وجعلوه لفظًا مشتركًا اشتراكًا لفظيًّا يستعمل للوصل والفراق؛ كالجون للأسود والأبيض، فيُعرب على حسب استدعاء العامل، وقيل في وجه قراءة الرفع أن بين ظرف، إلّا أنه اتّسع في هذا الظرف حيث جعل مسندًا إليه، كما قيل: فويلٌ خلفكم وأمامكم فصار كسائر الأسماء للتصرّف فيها على حسب استدعاء العامل، ويدلّ عليه قوله

(الزجاج) والبين: الوصل والهجر قال:

فوالله (لولا البين) لم يكن الهوى ولولا الهوى (ما حنّ للبين) آلف

(﴿بَيْنَكُمْ﴾ مدنيّ وعلي وحفص) أي وقع التقطع بينكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ وضاع وبطل ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (أنها شفعاؤكم عند الله).

تعالى: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصّلَت: الآية ٥]، فاسْتُعْمِل مجرورًا بمِنْ، وقوله: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: الآية ٧٨]، وقوله: ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ [الكهف: الآية ٦١]، وقوله تعالى: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٦] جعل بين في هذه المواضع مضافًا إليه متصرّفًا فيه، ولو كان لازم الظرفية لما جاز استعماله إلّا منصوبًا.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين، وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وله كتاب الأمالي، وكتاب ما فسّر مِنْ جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان وغير ذلك، وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثمّ تركه واشتغل بالأدب فنُسِب إليه. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّة عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (لولا البَيْن) أي الوصل. **قوله:** (ما حَنّ للبَيْن) أي لأجل الفراق آلِف، ومُحبّ. **قوله:** (﴿بَيْنَكُمْ﴾) بنصب النون (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي. (وحفص) بأن يكون تقطع مسندًا إلى ضمير مصدره: لأن تقطع لا بدّ له من فاعل، وبينكم ظرف وليس بفاعل، ففاعله التقطع، والتقدير تقطع التقطع إلّا أنه لا بدّ أن يؤوّل الكلام بأن يجعل تقطع بمعنى وقع؛ لأنه لو أبقى قولنا: تقطع التقطع على أصل معناه حصل الوصل، وهو ضدّ المقصود، فكان معنى الكلام وقع التقطّع بينكم، كما يقال: جمع بين الشيئين بمعنى جمع الجمع بين الشيئين، أي أوقع الجمع بينهما. **قوله:** (أنها شفعاؤكم عند الله) ساد مسدّ مفعولي تزعمون، فإنّ ما في قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ﴾ سواء كانت موصولة أو موصوفة لا بدّ أن تشتمل الجملة الواقعة بعدها على ضمير يعود إليها، وأن تزعمون لا بدّ له من مفعولين، فقدّر الجميع في هذا القول.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالنبات والشجر أي فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة، والفلق: الشق، وعن (**مجاهد**): أراد الشقّين اللذين في النواة والحنطة ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ النبات (**الغضّ**) النامي من الحب اليابس ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ الحب اليابس من النبات النامي، أو الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، فاحتجّ الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنهم أنكروا البعث فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء فهو يقدر على بعثهم. وإنما قال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ بلفظ اسم الفاعل لأنه معطوف على فالق الحب لا على الفعل و﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبينة لقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان دليله قوله: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: الآية ١٩]. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحقّ له الربوبية لا الأصنام ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ هو مصدر سُمِيَ به الصبح (**أي شاقّ عمود الصبح**) عن سواد

قوله: (مجاهد) بن جَبْر تابعيّ ﷺ. **قوله: (الغضّ)** أي الطري، كما في لسان العرب.

قوله: (أي شاق عمود الصبح)... الخ. عمود الصبح: ضوء المشبّه به، وهذا جواب عمّا يقال: ما معنى فلق الصبح؟ والظلمة هي التي تفلق عنه، وحاصله أن الصبح صبحان: صادقٌ وكاذب، تعقبه ظلمة، فإن أُريد الأوّل فالمراد فالقه عن بياض النهار، أو في الكلام مضاف مقدّر، أي فالق ظلمة الإصباح. وإن أُريد الثاني، فالمراد فالقه عن ظلمة آخر اللّيل التي تعقبه وشاقة منه.اهـ شهاب باختصار. وقال العلاّمة الشيخ زاده ﷺ: فإن قيل: ظاهر الآية يدلّ على أنه تعالى فلق الصبح، وليس الأمر كذلك، فإنّ الحقّ تعالى فَلَق الظلمة بالصبح، فكيف

الليل أو خالق نور النهار «وجاعِلُ اللَّيلِ» (﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ كوفي) لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي، فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه ﴿جَعَلَ﴾ لتوافقهما معنى ﴿سَكَنًا﴾ مسكونًا فيه من قوله: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: الآية ٦٧] أي ليسكن فيه الخلق عن (كدّ المعيشة) إلى نوم الغفلة، أو عن وحشة الخلق إلى الأنس بالحق ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ انتصبا بإضمار فعل يدلّ عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر ﴿حُسۡبَانٗاۚ﴾ أي جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما. (والحُسبان) بالضم

الوجه فيه؟ فالجواب الأوّل: أنه تعالى كما يشقّ الظلمة الخالصة الواقعة في الليل ويخرج منها عمود الصبح، وهو صبح المستطيل الذي شبّهه العرب بذنب[1] السّرحان[2]، ويعقبه ظلمة خالصة، كذلك يشقّ ذلك العمود ويخرج منه الظلمة الخالصة، ويخرج منه أيضًا بياض النهار وإسفاره، فإنّ الصبح والصباح والإصباح عبارات عن أوّل ما يبدو من النهار، وأوّل ما يبدو منه صبحان؛ فالصبح الأوّل هو الصبح المستطيل الذي يعقبه الظلمة الخالصة، ثم يطلع بعده الصبح المستطيل في جميع الأُفق، فيصح أن يقال: إنه تعالى فالق الإصباح الأوّل عن ظلمة آخر اللّيل، وفالق الظلمة عن بياض النهار أيضًا. والجواب الثاني: أنّ المراد فالق ظلمة الإصباح على حذف المضاف، والمراد بظلمة الإصباح الغبش الذي يلي الإصباح المستطيل ويعقبه. والغبش ـ بالتحريك ـ البقيّة من الليل، ويقال: إنه ظلمة آخر اللّيل.

قوله: (﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾) بفتح العين واللام من غير ألف فعلًا ماضيًا، واللّيل بالنصب مفعول به (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي. والباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض الليل بالإضافة.

قوله: (**كدّ المعيشة**) الكَدّ الشّدّة في العمل وطلب الكسب، وبابه رد وكدّه أتعبه، فهو لازم ومتعدّ. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (**والحُسبان**) بالضمّ بمعنى

---

(١) بالتحريك واحد الأذناب. اهـ قاموس. وفي المصباح: ذنب الفرس والطائر وغيره، جمعه أذناب مثل سبب وأسباب. اهـ. وأيضًا فيه: وذنب السوط طرفه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بالكسر الذئب. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(مصدر حسب كما أن الحِسبان بالكسر مصدر حسب يحسب) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى جعلهما حسبانًا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي قهرهما وسخرهما ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبيرهما وتدويرهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ خلقها ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليل بالبر وبالبحر، وأضافها إليهما لملابستها لهما **(أو شبّه مشتبهات الطرق بالظلمات)** ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قد بينا الآيات الدالّة على التوحيد لقوم يعلمون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي آدم عليه السلام ﴿(فَمُسْتَقَرٌّ) وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ **(فمستقِرّ)** بالكسر: **(مكيّ وبصريّ)**. فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله، ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها، أو فمنكم مستقِر ومنكم مستودع ﴿(قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ) لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ **(وإنما قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ثم ﴿يَفْقَهُونَ﴾ هنا)** لأن الدلالة ثَمَّ أظهر وهنا أدق، لأن إنشاء الإنس من نفس

الحساب **(مصدر حسب)** يحسب من باب نصر، **(كما أن الحسبان بالكسر)** بمعنى الظنّ والتَّخمين **(مصدر حسب يحسب)** من باب عَلِم، فالماضي من الأوّل بالفتح، ومن الثاني بالكسر.

قوله: (أو شبّه مشتبهات الطرق بالظلمات) أي استعارة تصريحيّة تحقيقيّة، وعلى الأوّل المجاز في الإضافة. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (فمستقِرّ) بكسر القاف اسم فاعل **(مكّي)** أي ابن كثير المكّيّ **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصريّ، وكذا يعقوب البصريّ برواية رَوْح. والباقون بفتحها. **قوله:** (﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾) أي بيّنّاها على وجه انفصل بعضها عن بعض. **قوله:** (وإنما **قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ثم و﴿يَفْقَهُونَ﴾ هنا**) . . . الخ. يعني أن الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفيّ، وأصل تركيب الفقه يدلّ على الشقّ والفتح، والفقيه العالم

واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ (من السحاب) مطرًا ﴿(فَأَخْرَجْنَا) بِهِۦ﴾ بالماء

الذي يشقّ الأحكام ويفتّش عن حقائقها ويفتح ما استُغلق منها. رُوِي أنّ سلمان نزل على نبطيّة بالعراق، فقال: هٰهنا مكان نظيف أصلّي فيه، فقالت: طهّر قلبك وصلّ حيث شئت، فقال: فقهت وفَطِنْتِ للحقّ، أي نظرت نظرًا دقيقًا، فظهر أن الفقه إنما يُطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر، وسُمِّي علم الشريعة فقهًا لأنه عِلْمٌ مُستنبط بالقوانين والأدلّة والأقْيِسة والأنظار الدّقيقة فيها، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ إشارة إلى آيات الآفاق، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إشارة إلى آيات الأنفس، ولا شكّ أن آيات الآفاق أظهر وأجلّ، وآيات الأنفس أدقّ وأخفى؛ فكان ذكر الفقه لها أنسب وأوْلى، كما أنْ نفس بني آدم أدقّ صنعًا وأجمع لآثار القدرة ودلائلها، فكذا الاستدلال بها على وجود الصانع وكمال قدرته أدقّ وأخفى.

قوله: (من السحاب) سمّى السحاب سماء؛ لأن العرب تسمّي كل ما فوقك سماء، فتقول لسقف البيت: سماء البيت، وقال أبو عليّ الجبائيّ في تفسيره: إنّ الله تعالى يخلق المطر في السماء ثم يُنزله من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض؛ قال: لأن ظاهر النصّ يقتضي نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر إلى التأويل، إنما يحتاج إليه عند قيام الدّليل على أنّ إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره. **قوله:** (﴿فَأَخْرَجْنَا﴾) على تلوين الخطاب، أي تغييره إلى لون آخر حيث التفت من طريق المغايبة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ إلى الإخبار عن نفسه بنون العظمة، وهي ليست نون الجمع، حتى يقال: المخرج هو الله تعالى وحده لا شريك له فيه، فما وجه إيراد لفظ الجمع في

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (**نبت كل صنف من أصناف النامي**) أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات (﴿خَضِرًا﴾) أي شيئًا غضًا أخضر. يقال: أخضر وخضر (**وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة**) ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ وهو السنبل الذي تراكب حبّه ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ هو رفع بالابتداء ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبره و(﴿مِن طَلْعِهَا﴾ **بدل منه**) كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو (**العذق**) نظيره «صنو» و«صنوان». ﴿دَانِيَةٌ﴾ من المجتبي لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها، وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطولها (**كقوله**: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾) [النحل: الآية ٨٢] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي وأخرجنا به جنّات ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي مع النخل وكذا ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ (﴿وَجَنَّاتٍ﴾ **بالرفع**: **الأعشى**) أي وثم جنات من أعناب أي مع النخل ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ يقال: اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرًا وتقديره: والزيتون

قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾؟ فإنّ الملك العظيم يعبّر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيمًا له. **قوله: (نبت كل صنف من أصناف النامي)** النّبت والنبات ما يخرج من الأرض من النّاميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم، والمعنى: أخرجنا نبات كل صنف كنبات الحنطة والشعير والرمّان والتفاح وغيرها. قال الفرّاء: قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقتضي أن يكون كل شيء نبات، وليس الأمر كذلك؛ فالمراد فأخرجنا به نبات كل شيء له نبات، فما لا يكون له نبات لا يكون داخلًا في قوله: كل شيء، والمصنّف رحمة الله عليه أفاد ما قاله الفرّاء بقوله: كل صنف من أصناف النامي. **قوله: (وهو ما تشعّب من أصل النبات الخارج من الحبّة)** يعني أغصان الشجر وشعب النجم. **قوله: (﴿مِن طَلْعِهَا﴾)** الطّلع أوّل ما يُرى من عذق النّخلة، والواحدة طلعة. **قوله: (بدل منه)** بدل بعض من كلّ. **قوله: (العذق)** بالكسر، ويقال له الكباسة أيضًا، وهو التمر بمنزلة العنقود للعنب. **قوله: (كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾** [النحل: الآية ٨١])، ولم يقل: وسرابيل تقيكم البرد؛ لأن ذكر أحد الضدّين يدلّ على الثاني، فكذا هٰهنا. **قوله: (﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بالرفع)** والخبر محذوف، أي ثَمّ (**الأعْشى**) أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى عن أبي بكر بن عياش عن عاصم رحمه الله.

متشابهًا وغير متشابه، والرمان كذلك يعني بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ إذا أخرج (ثمره) كيف يخرجه ضعيفًا لا ينتفع به ﴿وَيَنْعِهِ﴾ ونضجه أي انظروا إلى حال نضجه كيف يعود شيئًا جامعًا لمنافع، نظر اعتبار واستدلال على قدرة مُقدِّره ومدَبِّره وناقله من حال إلى حال ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ثَمَرِهِ﴾ (وكذا ما بعده): حمزة وعلي (جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال: ثمرة وثمر وثمار وثمر).

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ (إن جعلت ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ مفعولي ﴿وَجَعَلُوا﴾ كان ﴿الْجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَاءَ﴾) وإلا كان ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ مفعولين قدم ثانيهما على الأول، وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكًا أو جنيًا أو غير

قوله: (ثمره) بضم الثاء والميم، (وكذا ما بعده) أي موضع هذه السورة حمزة وعليّ الكسائي (جمع ثمار، فهو جمع الجمع، يقال: ثمرة وثمر وثمار وثُمُر). وفي الإتحاف: بضم الثاء والميم جمع ثمرة كخشبة وخشب. اهـ. وفي المصباح: الثَّمَر ـ بفتحتين ـ والثمرة مثله، فالأول مذكّر ويُجمع على ثمار مثل جبل وجبال، ثم يجمع الثمار على ثمر، ومثل كتاب وكتب، ثم يُجمع على أثمار مثل عنق وأعناق. والثاني مؤنّث والجمع ثمرات مثل قصبة وقصبات. اهـ. وفي مختار الصّحاح: الثّمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع الثَّمَر ثمار كجبل وجبال، وجمع الثمار ثُمُر مثل كتاب وكتب، وجمع الثمر أثمار مثل عنق وأعناق. اهـ. والباقون بفتحهما اسم جنس كشجر وشجرة وبقر وبقرة وحرز وحرزة. اهـ إتحاف وغيره. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضمّ الثاء وسكون الميم بتخفيف ميم ثمر، كقولهم: رسل ورسل. والباقون بفتح الثاء والميم على أنه جمع ثمرة، نحو بقر وبقرة، وشجر وشجرة. اهـ.

قوله: (إن ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ مفعولي ﴿وَجَعَلُوا﴾ كان ﴿الْجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَاءَ﴾) على أن يكون شركاء مفعولًا أوّلًا، ولله متعلّقًا بمحذوف وهو المفعول الثاني، والجنّ بدل من شركاء مفسّر له، فإنّ البدل قد يُقصد به تفسير المبدل منه، فإن

ذلك، والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما (سوّلت) لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكًا لخالقه؟ والجملة حال، أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره؟ ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ أي **(اختلقوا)** يقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى، أو هو من خرق الثوب إذا شقّه أي اشتقّوا له ﴿بَنِينَ﴾ كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير ﴿وَبَنَاتٍ﴾ كقول بعض العرب في الملائكة. (﴿وَخَرَّقُوا﴾ **بالتشديد**) للتكثير: (مدني) لقوله: ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميًا بقول عن جهالة، وهو حال من فاعل ﴿وَالْأَرْضَ﴾ أي جاهلين بما قالوا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الشريك والولد.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقال بدُع الشيء فهو بديع وهو من إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها **(يعني بديع سمٰواته)** وأرضه، أو هو بمعنى المبدع أي مبدعها **(وهو خبر مبتدأ محذوف)** أو مبتدأ وخبره ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ أو هو فاعل ﴿وَتَعَالَى﴾ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من

قلت: كيف يجوز أن يكون الجنّ بدلًا من شركاء وشرط البدل أن يصح حلوله محلّ المبدلِ منه، ولا يصح ذلك هنا، فإنه لا يصح أن يقال: وجعلوا لله الجنّ؟

والجواب: لا نسلم أنه يجب في كل بدل أن يصحّ حلوله محل المبدل منه، ألا ترى أنه يصح أن يقال: زيد مررت به أبي عبد الله، ولو قلت: زيد مررت بأبي عبد الله لم يجز لعدم العائد إلى المبتدأ. **قوله: (سوّلت)** أي زيّنت. **قوله: (اختلقوا)** بمعنى كذّبوا. **قوله: (﴿وَخَرَّقُوا﴾ بالتشديد)** أي بتشديد الراء للتكثير **(مدنيّ)** أي **نافع** المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. والباقون بالتخفيف.

قوله: (يعني بديع سمٰواته) أي مكوّنه من غير سبق مثال، كما يقال: فلان بديع الشّعر أي بديع شعره، والإبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثال.
قوله: (وهو) أي بديع **(خبر مبتدأ محذوف)** أي هو بديع.

صاحبة ولا صاحبة له، ولأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسمًا حتى يكون له ولد ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي ما من شيء إلا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيًا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ (وما بعده أخبار) مترادفة وهي ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة أي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه (ولا تعبدوا من دونه) من بعض خلقه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال (رقيب) على الأعمال.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم. و(تشبث) المعتزلة بهذه الآية (لا يستتب) لأن المنفي هو الإدراك لا الرؤية، والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده، وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته، فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم، ونفي الإحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فهكذا هذا، على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي إدراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لأن كل ما يرى لا يدرك، وإنما التمدح بنفي الإدراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات، فكانت الآية حجة لنا عليهم. ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا

قوله: (وما بعده أخبار)؛ لأن الله تعالى علم لا يجوز أن يقع صفة لاسم الإشارة. **قوله:** (ولا تعبدوا من دونه) لانتفاء ما يستحقّ به العبادة من الصّفات التي جُعلت مناط الاستحقاق. **قوله:** (رقيب) أي حافظ.

قوله: (تشبّث) أي تعلّق. **قوله:** (لا يستتبّ) أي لا يستقيم.

(التفصي) عن عهدتها، ومَن ينفي الرؤية يلزمه نفي أنه معلوم موجود وإلا فكما يعلم موجودًا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئي، وهذا لأن الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو، فإن كان المرئي في الجهة يرى فيها وإن كان لا في الجهة يرى لا فيها ﴿وَهُوَ﴾ للطف إدراكه ﴿يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ أي العالم بدقائق الأمور ومشكلاتها ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ العليم بظواهر الأشياء وخفياتها (وهو من قبيل اللفّ والنشر).

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما أن البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر وإياها نفع ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنه وضلّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسه عمى وإياها ضرّ (بالعمى) ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر (والله هو الحفيظ) عليكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الكاف في ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في موضع نصب صفة المصدر المحذوف أي نصرف الآيات تصريفًا مثل ما تلونا عليك (﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ جوابه محذوف أي ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ نصرفها) ومعنى ﴿دَرَسْتَ﴾ قرأت كتب أهل

قوله: (التفصّي) أي الخروج. **قوله:** (وهو من قبيل اللفّ والنشر)، فإنّ اللطيف يُناسِبُ كونه غير مُدرَك ـ بالفتح ـ والخبير يناسب كونه مدرِكًا ـ بالكسر ـ.

قوله: (بالعَمَى) بفتحتين. **قوله:** (والله هو الحفيظ) يعني أن تقديم الضمير وإيلائه حرف النفي للحصر، وإنْ كان الخبر صفة لا فعلًا، أي الحفيظ غيري، وهو الله لا أنا. وأمّا تقديم عليكم، فللاهتمام ورعاية الفاصلة فيمن يجوز تقديم الظّرف المعمول لما بعد حرف جرّ المزيد، وإلّا فبمحذوف. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ جوابه محذوف، أي ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ نصرفها) مراده بالجواب المتعلّق. قال المعرب: سمّاه جوابًا لأنه يقع جوابًا للسّائل الذي يقول:

الكتاب. («دارست» مكيّ وأبو عمرو أي دارست أهل الكتاب. ﴿دَرَسْتَ﴾ شاميّ أي قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا: أساطير الأولين) ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أي القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلومًا أو الآيات لأنها في معنى القرآن. (قيل: اللام الثانية حقيقة، والأولى لام العاقبة والصيرورة) أي لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا

أين متعلّق هذا الجار؟ وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: **قوله: (جوابه محذوف)** أي معلّله تشبّهًا له بجواب الشرط الذي هو مسبّب، والشرط سبب، وقدّر المحذوف متأخرًا للاختصاص المناسب للمقام. **قوله: (دارست)** بألف بعد الدال وسكون السّين وفتح التاء على وزن قاتلت (مكّيّ) أي ابن كثير (وأبو عمرو، أي دارست أهل الكتاب ﴿دَرَسْتَ﴾) بغير ألف وفتح السين وسكون التاء بزِنَة ضربت (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (أي قدَمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الأوّلين). والباقون بغير ألف وسكون السين وفتح التاء، أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأوّلين.

قوله: (قيل: اللام الثانية حقيقة، والأولى لام العاقبة والصيرورة)... الخ. في مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: اعلم أنه تعالى قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ثم ذكر الوجه الذي لأجله صرف هذه الآيات، وهو أمران: أحدهما قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾، والثاني قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. أمّا هذا الوجه الثاني، فلا إشكال فيه؛ لأنه تعالى بيَّن أنّ الحكمة في هذا التصريف أن يظهر منه البيان والفهم والعلم، وإنّما الكلام في الوجه الأوّل، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾؛ لأن قولهم للرسول: دارست كفرٌ منهم بالقرآن والرسول، وعند هذا الكلام عاد بحث مسألة الجبر والقدر. فأمّا أصحابنا، فإنهم أجروا الكلام على ظاهره، فقالوا: معناه أنّا ذكرنا هذه الدّلائل حالًا بعد حال، ليقول بعضهم دارست فيزداد كفرًا على كفر، وتثبيتًا لبعضهم فيزداد إيمانًا على إيمان، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]. وأمّا المعتزلة، فقد تحيّروا. قال الجبائيّ والقاضي: وليس فيه إلّا أحد وجهين: الأوّل أن يحمل هذا الإثبات على النفي والتقدير: وكذلك نصرّف الآيات لئلّا يقولوا درست، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن

درست وهو كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: الآية ٨] وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرّة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة، فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبّه به. وقيل: ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الحق من الباطل.

تَضِلُّواْ﴾ [النّساء: الآية ١٧٦]، ومعناه: لئلّا تضلّوا. والثاني: أن تحمل هذه اللام على لام العاقبة، والتقدير: أنّ عاقبة أمرهم عند تصريفنا هذه الآيات أن يقولوا هذا القول مستندين إلى اختيارهم عادلين عمّا يلزم من النظر في هذه الدّلائل. هذا غاية كلام القوم في هذا الباب، ولقائلٍ أن يقول:

أمّا الجواب الأوّل، فضعيف من وجهين: الأوّل أنّ حمل الإثبات على النفي تحريف لكلام الله وتغيير له، وفتح هذا الباب يوجب أن لا يبقى وثوق لا بنفيه ولا بإثباته، وذلك يُخرجه عن كونه حجّة، وأنه باطل. والثاني: أن بتقدير أن يجوز هذا النّوع من التصرّف في الجملة، إلّا أنه غير لائق البتّة بهذا الموضع؛ وذلك لأن النبيّ ﷺ كان يظهر آيات القرآن نجمًا نجمًا، والكفار كانوا يقولون: إنّ محمدًا يضمّ هذه الآيات بعضها إلى بعض ويتفكّر فيها ويُصلحها آية فآية ثم يُظهرها، ولو كان هذا بوحي نازل إليه من السماء، فلِمَ لَمْ يَأْتِ بهذا القرآن دفعة واحدة؟ كما أن موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام أتى بالتوراة دفعةً واحدةً؟! إذا عرفت هذا، فنقول: إنّ تصريف هذه الآيات حالًا فحالًا هي التي أوقعت الشبهة للقوم في أنّ محمّدًا ﷺ إنما يأتي بهذا القرآن على سبيل المدارسة مع التفكّر والمذاكرة مع أقوام آخرين. وعلى ما يقول الجبائي والقاضي، فإنه يقتضي أن يكون تصريف هذه الآيات حالًا بعد حالٍ يوجب أن يمتنعوا من القول بأنّ محمّدًا عليه الصّلاة والسّلام إنما أتى بهذا القرآن على سبيل المدارسة والمُذاكرة، فثبت أنّ الجواب الذي ذكره إنما يصحّ لو جعلنا تصريف الآيات علّة لأنْ يمتنعوا من ذلك القول، مع أنّا بيّنّا أن تصريف الآيات هو المُوجِب لذلك القول، فسقط هذا الكلام.

وأمّا الجواب الثاني، وهو حمل اللام على لام العاقبة، فهو أيضًا بعيد؛ لأن حمل هذه اللام على لام العاقبة مجاز، وحمله على لام العرض حقيقة، والحقيقة

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تتبع أهواءهم ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض (**أكد به إيجاب اتباع الوحي**) لا محل له من الإعراب (**أو حال** ﴿مِن رَّبِّكَ﴾) مؤكدة ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ في الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي إيمانهم فالمفعول محذوف ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ بيّن أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا بمشيئته ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ مراعيًا لأعمالهم مأخوذًا بإجرامهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بمسلط.

أقوى من المجاز؛ فلو قلنا: اللام في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ لام العاقبة، وفي قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ للحقيقة، فقد حصل تقديم المجاز على الحقيقة في الذِّكر، وأنه لا يجوز فثبت بما ذكرنا ضعف هذين الجوابين، وأنّ الحقّ ما ذكرنا أنّ المراد منه عين المذكور في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦]، وممّا يؤكد هذا التأويل قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: أنا ما بيّناه إلّا لهؤلاء، فأمّا الذين لا يعلمون فما بيّنا هذه الآيات لهم، ولما دلّ هذا على أنه تعالى ما جعله بيانًا إلّا للمؤمنين ثبت أنه جعله ضلالًا للكافرين، وذلك ما قلنا، والله أعلم. اهـ.

قوله: (**أكّد به إيجاب اتباع الوحي**)؛ لأن مَنْ هذا وصفه يجب اتّباعه.

قوله: (**أو حال** ﴿مِن رَّبِّكَ﴾) مؤكّدة على تجويزها بعد الجملة الفعلية. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ. قسم ابن مالك في التسهيل الحال المؤكّدة إلى مؤكّدة لعاملها، نحو ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ [النَّمل: الآية ١٠] ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠] وغيرها. ومؤكّدة لغيره في بيان فخر أو يقين أو تعظيم أو نحوه، ويجب أن يتقدّم عليها جملة اسمية ويحذف عاملها وجوبًا، فمن قال: وكونها واقعة بعد الجملة الاسميّة شرط لوجوب حذف عاملها لا لصحتها؛ كقوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠]، فقد خلط بين الحال وقسميها. اهـ شيخ زاده وشهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

وكان المسلمون يسبّون آلهتهم فنهوا عنه لئلا يكون سبّهم سببًا لسبّ الله بقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ منصوب على جواب النهي ﴿عَدْوًا﴾ ظلمًا وعدوانًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من أُمم الكفار ﴿عَمَلَهُمْ﴾ وهو كقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: الآية ٨] **(وهو حجة لنا في الأصلح)** ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ مصيرهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه.

قوله: (وهو حجة لنا في الأصلح) في ضوء المعاني شرح بدء الأمالي للعلامة العمدة الفهّامة عليّ القاري رحمه الله:

(وما إنْ فعل أصلح ذو افتراض   على الهادي المقدّس ذي التعالي)

ما نافية، وكذا إن وجمع بينهما تأكيدًا، وتزن البيت بنقل حركة همزة أصلح إلى ما قبله من تنوين فعل المرفوع على أنه اسم ما، وأصلح صفته. وقوله: ذا افتراض بالنصب خبرها على اللغة الفصحى؛ كقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: الآية ٣١]، وقوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: الآية ٢]. وفي أكثر النسخ: ذو افتراض بالرفع، فيُحمل على اللغة الأخرى. والحاصل أنّ مذهب أهل السنّة أنّ الأصلح للعبد ليس بواجب على الله تعالى، وجمهور المعتزلة على أنه واجب، وذهب بعضهم إلى وجوب رعاية المصلحة لا وجوب الأصلح، وردّ كلامهم أوّلًا بأن الألوهيّة تنافي الوجوب المختصّ بالعبوديّة لا يسأل عمّا يَفعل. وثانيًا بأنّ الأصلح بحسب الظاهر أن يهدي الخلق جميعًا، وقد قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النحل: الآية ٩٣] مع قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: الآية ٩]، فما أراد باختلاف العباد إلّا إظهار عدله وإيثار فضله، وأيضًا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨]، مع أنّ الإملاء لزيادة الإثم ليس بصلاح عند العُقلاء، فللّه الحجّة البالغة والحكم السابقة. اهـ. وقال العلّامة الإمام رضيّ الدين أبو القاسم بن الحسين في شرح بدء الأمالي: واعلم أنّ

....

الفعل الأصلح ليس بواجب على الله تعالى للعباد؛ لأنه مالك المُلك يتصرّف في ملكه كيف يشاء. وقالت المُعتزلة: الأصلح واجب على الله تعالى حتى لو لم يفعل يصير ظالمًا وجائرًا. قلنا: حاشا لله أن يُوصف بالظلم والجور، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: الآية ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: الآية ٩٩]؛ فعلم أنّ الأُلوهيّة تنافي الوجوب عليه، بل له أن يفعل بالعباد ما يشاء إلّا أنه خصّ البعض بالإيمان فضلًا، وخصّ البعض بالكفر عدلًا؛ ولأنه لو كان الأصلح واجبًا على الله تعالى لأعطى الإيمان لِمَنْ في الأرض كلّه، والأمر بخلافه؛ فعلم أنه ليس بواجب على الله تعالى، والله أعلم بالصواب. اهـ. وفي جوهرة التوحيد:

وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب

ألم يروا إيلامه الأطفال وشبهها فحاذِر المحال

قوله: وشبهها أي كالدوابّ والعَجَزة، فإنهم لا نفع لهم في إنزال الأسقام بهم، وقوله: فحاذِرْ المحالا ـ بكسر الميم ـ بمعنى العقاب. قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرّعد: الآية ١٣]، ويصح قراءته بفتح الميم بمعنى الشكّ، وبالضمّ بمعنى الممتنع؛ فالمعنى على الأوّل: فاحذر عقاب الله النازل بهم على إضلالهم. وعلى الثاني: فاحذر الشكّ في ذلك. وعلى الثالث: فاحذر الممتنع، وهو وجوب شيء عليه تعالى. اهـ تحفة المريد على جوهرة التَّوحيد. وأيضًا فيها: واعلم أنّ للمعتزلة عبارتين: الأُولى وجوب الصّلاح، والمراد به ما قابل الفساد؛ كالإيمان في مقابلة الكفر، فيقولون: إذا كان هنا أمران: أحدهما صلاح والآخر فساد، وجب على الله أن يفعل الصلاح منهما دون الفساد، والثانية وجوب الأصلح، والمراد به ما قابل الصلاح ككونه في أعلى الجِنان في مقابلة كونه في أسفله، فيقولون: إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح منه وجب على الله أن يفعل الأصلح منهما دون الصلاح، والمصنّف تكلّم في إبطال مذهبهم على الأُولى دون الثانية؛ لأن الصلاح أعمّ من الأصلح، وإذا بطل الأعمّ بَطُل الأخصّ، وفي كلام المصنّف

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ جهد مصدر وقع موقع الحال أي جاهدين في الإتيان بأوكد الأيمان ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ وهو قادر عليها لا عندي فكيف آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدريكم ﴿أَنَّهَا﴾ أن الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك، وكان المؤمنون يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى: وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى إنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون («إنها» بالكسر: مكيّ وبصريّ وأبو بكر) على أن الكلام تم قبله أي وُما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: إنها إذا جاءت (لا يؤمنون) البتة. ومنهم مَن جعل «لا» مزيدة في قراءة الفتح كقوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)﴾ [الأنبياء: الآية ٩٥] «لا تؤمِنونَ» (شاميّ وحمزة).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)﴾

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن قبول الحق ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عن رؤية الحق عند نزول الآية التي اقترحوها فلا يؤمنون بها. قيل: هو عطف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ داخل

إجمال في نسبة القول بذلك إليهم لعدم تعلّق غرضه بمذهبهم، وإنما غرضه الردّ عليهم، والحاصل أنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى، ثم اختلفوا؛ فذهب معتزلة بغداد إلى أنه يجب على الله تعالى مُراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدِّين والدُّنيا، وذهب معتزلة البصرة إلى أنه يجب عليه تعالى مراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدِّين فقط، ثم اختلفوا أيضًا في المراد بالأصلح؛ فعند البغداديّة أوْفق في الحكمة والتدبير، وعند البصريّة الأنفع. اهـ.

قوله: (إنها ـ بالكسر ـ مكّيّ) أي ابن كثير المكّي، (وبصريّ) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصريّ، وليس من السبعة. (وأبو بكر) بخلف عنه عن عاصم رحمه الله. والباقون بالفتح. **قوله:** (لا تؤمنون) بالخطاب (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (وحمزة). وقرأ الباقون بالغيب.

في حكم ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلّب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كما كانوا عند نزول آياتنا أولًا لا يؤمنون بها ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قيل: وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم يعمهون ويتحيّرون.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما قالوا: لولا أنزل علينا الملائكة ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما قالوا فأتوا بآبائنا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا ﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ (كفلاء) بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل (قِبلًا مدنيّ وشاميّ) أي عيانًا وكلاهما نصب على الحال ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أي هؤلاء لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

(﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات

قوله: (كُفلاء) جمع كفيل. **قوله:** (قِبلًا) بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى مقابلة، أي معاينة (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بضمّ القاف والباء جمع قبيل بمعنى كفيل.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾).. الخ. وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه، ولا شكّ أنّ تلك العداوة معصية وكفر؛ فلَزِما أن يكون خالق الخير والشرّ والمعصية والإيمان والكفر هو الله تعالى لا العبد، فتكون الآية حجّة لنا على المعتزلة، وقالوا في تأويل الآية: المراد بهذا الجعل هو الحكم والبيان، فإنّ الرجل إذا حكم بكفر إنسان قيل: إنه أكفر فلانًا، وإذا أخبر عن

والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾ أو على أنه من المفعول الأول و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثانٍ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض، وعن (**مالك بن دينار**): إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن لأني إذا تعوّذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا. وقال ﷺ: «قرناء السوء شر من شياطين الجن» ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما زيّنوه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ﴿غُرُورًا﴾ خدعًا وأخذًا على (غرّة) وهو مفعول له ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم أنه (أجزل) في

عدالته قيل: عدّله، فكذا هٰهنا. إنه تعالى لمّا بيّن للرسول ﷺ كونهم أعداء لهم لا جرم قال: إنه جعلهم أعداء له.

قوله: (مالك بن دينار) أبو يحيىٰ البصري، كان عالمًا زاهدًا كثير الورع قنوعًا لا يأكل إلّا مِنْ كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، ورُوِي عنه أنّه قال: قرأت في التوراة أنّ الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته، وكان يومًا في مجلس وقد قصّ فيه قاصّ فبكى القوم، ثم ما كان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها، فقيل لمالك: كُلْ، فقال: إنما يأكل الرؤوس مَنْ بكى وأنا لم أبكِ، فلم يأكل منها، وله مناقب عديدة وآثاره شهيرة، فمِنْ ذلك ما حكاه أبو القاسم خلف بن بشكوال الأندلسيّ في كتابه الذي سمّاه كتاب المستغيثين بالله تعالى، فإنه قال: بينا مالك بن دينار يومًا جالس إذ جاء رجل، فقال: يا أبا يحيىٰ ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كربٍ شديدة، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلّا أننا أنبياء، ثم قرأ ثم دعا، فقال: اللّهمّ هذه المرأة إنْ كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلامًا، فإنك تمحو ما تشاء وتُثْبت وعندك أُمّ الكتاب، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم، وجاء رسول إلى الرجل وقال: أدْرِك امرأتك، فذهب الرجل فما حطّ مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلى رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين قد اسْتَوَتْ أسنانه ما قطع سراره، وكان من كبار السادات. وتوفي في سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة قبل الطاعون بيسير رحمه الله تعالى. **قوله:** (غرّة) بالكسر بمعنى الغفلة. **قوله:** (أجزل) أي أعظم.

الثواب ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ عليك وعلى الله فإن الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ولتميل إلى زخرف القول قلوب الكفار وهي معطوفة على ﴿غُرُورًا﴾ أي ليغروا ولتصغى إليه ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكمًا يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ المعجز ﴿مُفَصَّلًا﴾ حال من الكتاب أي مبينًا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء. ثم (عضد) الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي (عبد الله بن سلام) وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ (﴿مُنَزَّلٌ﴾ شاميّ وحفص) ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه أيها السامع، أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق، ولا يَرِبْكَ جحود أكثرهم وكفرهم به.

قوله: (عَضَد) من باب قتل، أي أيّد. **قوله:** (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيليّ الأنصاري ثم الخزرجيّ الصحابي، كنيته أبو يوسف. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: (﴿مُنَزَّلٌ﴾) بتشديد الزاي (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وحفص). والباقون بتخفيفها.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ **(أي ما تكلم به. كلمات ربك)** حجازي **(وشاميّ وأبو عمرو)** أي تمّ كل ما أخبر به وأمر ونهي ووعد وأوعد ﴿صِدْقًا﴾ في وعده ووعيده ﴿وَعَدْلًا﴾ في أمره ونهيه. وانتصبا على التمييز أو على الحال ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا أحد يبدل شيئًا من ذلك ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لإقرار مَن أقرّ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإصرار مَن أصرّ أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الكفار لأنهم الأكثرون ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو ظنّهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحلّ لهم كذا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ أي هو يعلم الكفار والمؤمنين. من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام[1] والخبر ﴿يَضِلُّ﴾ وموضع الجملة نصب بـ «يعلم» المقدر لا بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ **(لأن أفعل لا يعمل في الاسم الظاهر)** النصب **ويعمل** الجر. وقيل: تقديره أعلم بمن يضلّ بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين.

قوله: (أي ما تكلّم به) يعني أن الكلمة قد يُراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابطٍ واحد، كما يقال: قال زُهَيْر في كلمته، أي في قصيدته، فكذلك كلمات الله تعالى كلمة واحدة من حيث إنها كلام الله المنزّل لهداية الخلق. **قوله: (كلمات ربك)** بالألف على الجمع حجازيّ، إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي ابن كثير المكّي ونافع المدنيّ. **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وأبو عمرو)**. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بغير ألف بين الميم والتاء على التوحيد.

قوله: (لأن أفعل) أي أفعل التفضيل **(لا يعمل في الاسم الظاهر)** إلّا عند الكوفيّين، فإن أفعل يعمل عمل الفعل عندهم، ولا يعمل عند غيرهم لا رفعًا ولا نصبًا لعدم كونه بمعنى الفعل؛ لأنّ الفعل لا يدلّ على التفضيل.

---

(١) لفظها لفظ استفهام ولكنّ معناها (اسم موصول بمعنىٰ الذي).

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ هو مسبب عن إنكار اتباع المضلّين الذين يحلّون الحرام ويحرّمون الحلال، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم. فقيل للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم **(أو مات حتف أنفه)**.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾ «ما» استفهام في موضع رفع بالابتداء. و﴿لَكُمْ﴾ الخبر أي وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ بيّن لكم ﴿مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، **(«فصّل» و«وحُرِّم» كوفي غير حفص وبفتحهما**

قوله: (أو مات حتف أنفه) في المصباح: الحَتْف الهلاك. قال ابن فارس وتبعه الجوهري: ولا يبنى منه فعل يقال: مات حتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، زاد الصغاني: ولا غرق ولا حرق. وقال الأزهريّ: لم أسمع للحتف فعلًا، وحكاه ابن القوطيّة فقال: حتفه الله يحتفه حتفًا، أي من باب ضرب إذا أماته، ونَقْل العدل مقبول ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفّس حتى ينقضي رَمَقُه، ولهذا خُصّ الأنف، ومنه يقال للسّمك يموت في الماء ويطفو: مات حَتْف أنفه، وهذه الكلمة تكلّم بها أهل الجاهلية. قال السموأل:

وما مات منّا سيّدٌ حَتْفَ أنفه

قوله: («فصّل») على بناء الفاعل («وحُرِّم») على بناء المفعول على وفق قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الأنعام: الآية ٩٧]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣] **(كوفي غير حفص)**، أي حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، **(وبفتحهما)** على بناء الفاعل فيهما، أي فصّل الله ما حرّم عليكم بإسناد كل واحد من الفعلين إلى ضمير الجلالة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾

مدني وحفص وبضمهما غيرهم) ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (مما حرّم عليكم) فإنه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة إلى أكله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾

[الأنعَام: الآية ١١٨] (مدنيّ) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة، (وحفص) عن عاصم (وبضمّهما) على البناء للمفعول فيهما (غيرهم) أي ابن كثير المكّي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشاميّ بناءً على أنّ قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المَائدة: الآية ٣] تفصيل لما أجمل في هذه الآية؛ فلما وجب في التفصيل أن يقال: حرّمت على بناء المفعول وجب ذلك أيضًا في المُجمل، وهو قوله تعالى: ﴿فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وهو مالك الأعيان ومبيِّن الحلال والحرام، وقال الجمهور المفسرون رحمهم الله: المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ المحرّمات المذكورة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المَائدة: الآية ٣]، وأورد الإمام فخر الدّين الرازي رحمه الله هنا إشكالًا، فقال في سورة الأنعام مكّية، وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ يجب أن يكون ذلك المفصّل متقدِّمًا على هذا المجمل والمدنيّ متأخّر عن المكّيّ فيمتنع كونه متقدّمًا، ثم قال: بل الأَوْلى أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥]، وهذه الآية وإنْ كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل، إلّا أن هذا القدر من المتأخّر لا يمنع أن يكون هو المراد.

قال كاتبه: ولِمَا ذكره المفسّرون وجه، وهو أنّ الله لمّا علم أنّ سورة المائدة متقدّمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ما هو متقدّم في الترتيب، وهو قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المَائدة: الآية ٣] الآية، والله أعلم بمراده. اهـ خازن.

قوله: (مما حرّم عليكم) بيان لما اضطررتم إشارة إلى أن الاستثناء متّصل، والمستثنى منه ما حرّم على أنّ ما مصدرية بمعنى المدّة، أي وقد فصّل لكم الأشياء التي حرِّمت عليكم في جميع الأوقات إلّا وقت الاضّطرار إليها، وما إن جُعلت موصولة تبيّن أن يكون الاستثناء منقطعًا؛ لأن ما اضطرّ إليه حلال، فلا يدخل تحت ما حرّم عليكم، إلا أنّ يقال: المراد بما حرّم جنس ما حرّم مع قطع النظر

(﴿لَيُضِلُّونَ﴾ كوفي) ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي يضلّون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلّق بشريعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بالمتجاوزين من الحق إلى الباطل.

﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ علانيته وسرّه (**أو الزنا في الحوانيت والصديقة في السر**) أو الشرك الجليّ والخفيّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون في الدنيا (﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾)

عن كونه حلالًا أو محرّمًا، فحينئذ لا يكون الاستثناء منقطعًا؛ لأن ما اضطرّ إليه داخل في ذلك الجنس. **قوله:** (﴿لَيُضِلُّونَ﴾) بضمّ الياء (**كوفيّ**) أي عاصم وحمزة والكسائيّ وخلف. والباقون بالفتح، يقال: ضلّ في نفسه وأضلّ غيره، فالمفعول محذوف على قراءة الضمّ، أي يضلون بأنفسهم، أو يضلون غيرهم على قراءتي الفتح والضمّ.

قوله: (**أو الزّنا في الحوانيت**) في لسان العرب: كانت العرب تسمّي بيوت الخمّارين الحوانيت، وأهل العراق يسمّونها المواخير، واحدها حانوت وماخور. اهـ. (**والصديقة**) أي الزّنا بالحبيبة (**في السرّ**). **قوله:** (﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾)... الخ. الآية عامّة في جميع المأكولات والمشروبات، فلهذا ذهب عطاء إلى أنّ كل ما لم يُذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب، فهو حرام. وأمّا سائر الفقهاء، فقد أجمعوا على تخصيصه بالحيوان الذي زالت حياته، فهو مُنحصر في ثلاثة أقسام؛ لأن ما زال حياته ولم يُذكر عليه اسم الله إمّا أن لا يكون مذبوحًا، وهو الميتة. وإمّا أن يكون مذبوحًا، ثم إنه لا يخلو من أن يُذكر عليه اسم غير الله أو لا يذكر عليه اسم الله ولا اسم غير الله، ولا خلاف في حرمة القسمين الأوّلين، وإنما الخلاف في القسم الثالث، وهو الحيوان الذي ذبحه أهل الذّبح ولم يُسمّ عليه أصلًا، ففيه ثلاثة أقوال: الأوّل أنه حرام مطلقًا، نظرًا إلى عموم الآية للأقسام الثلاثة. والثاني: أنه حلال مطلقًا، وعليه الإمام الشافعي، فإنه

عند الذبح ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنِ أكله ﴿لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ ليوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من المشركين ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾ بقولهم: لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما

ذهب إلى حلّ متروك التسمية سواء تركت عمدًا أو خطأ إذا كان الذّابح أهلًا للذَّبح، وخصّص الآية بالقسمين الأوّلين، أي الميتة وما ذُبح على غير اسم الله بناءً على أن التسمية على ذكر المؤمن وفي قلبه ما دام مؤمنًا، فلا يتحقّق منه عدم الذِّكر، فلا يحرم مِنْ ذبيحته إلّا ما أُهلّ به لغير الله؛ ولأنه تعالى جعل أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه فسقًا، حيث قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾، وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية؛ إذ لا يفسق المَرْء بفعل ما هو في محلّ الاجتهاد، فدلّ ذلك على أن المراد بما لم يُذكر اسم الله عليه أحد القسمين الأولين، ويدلّ عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾، فإنّ مجادلتهم إنما كانت في مسألتين: مسألة الميتة حيث قالوا للمسلمين: ما يقتله الصقر والكلب تأكلونه، وما يقتله الله فلا تأكلونه. ومسألة ما ذُبح على اسم غير الله من الأصنام، حيث قالوا للمسلمين: لكم إلٰه ولنا آلهة، ونحن نأكل ما تذبحون على اسم إلٰهكم، فلِمَ لا تأكلون ما نذبحه على اسم آلهتنا؟ فلمّا لم تكن مجادلتهم إلّا في القسمين الأوّلين دلّ ذلك على خصوص النهي بهما، ويدلّ عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، وإنما يكفر الإنسان لو أطاع الكفار في إباحة الميتة والمذبوح على اسم الصنم، لا في أكل متروك التسمية. والقول الثالث أنه حرام إنْ تُرِك اسم الله عمدًا، وحلال إنْ تُرِك سهوًا، وإليه ذهب أبو حنيفة، فإنه قال: الآية عامّة للأقسام الثلاثة دالّة على حُرْمتها، إلّا أنّ متروك التسمية بالنسيان خارجٌ عنها لوجهين: أحدهما أنّ الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ يرجع إلى ترك التسمية، وهو أقرب؛ فالأَوْلى رجوع الضمير إليه. ولا شكّ أنّ إهمال التسمية إنما يكون فسقًا إذا كان عمدًا إذا كان الناسي خارج غير مكلّف، فيكون المعنى: ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عمدًا، فيكون التارك الناسي خارجًا عن الآية. وثانيهما أنّه عليه الصّلاة والسّلام سُئِل عن ترك التسمية نسيانًا، فقال: «كلوه، فإنّ تسمية الله تعالى في قلب كلّ مؤمن»، فإنّه عليه الصّلاة والسّلام لم يجعل الناسي تاركًا حيث جعل تسمية الله تعالى في قلب كل مؤمن، ولم يلحق به العامد؛ لأنه لمّا ترك التسمية عامدًا صار كأنه نفى ما في قلبه. اهـ

تذبحون بأيديكم، والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسي ذاكرًا تقديرًا ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال ما حرّمه الله ﴿إِنَّكُمْ

شيخ زاده رحمه الله. وفي تفسيرات الأحمدية: فالحاصل أن النصّ يقتضي حُرْمة متروك التسمية، وقد اختلفت المذاهب في هذا الباب، فقال أبو حنيفة رحمه الله: يُحرم إذا كان عمدًا، ويحلّ إذا كان ناسيًا. وقال أحمد بن حنبل وكذا رُوِي عن داود الطائي أنه يحرم متروك التسمية عمدًا كان أو سهوًا. وقال الشافعي رحمه الله بخلافه، أي: يحلّ متروك التسمية مطلقًا عمدًا كان أو سهوًا؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي ذكر اسم غير الله عليه، مثلًا اللات والعُزى، أو ماتت حَتْف أنفها؛ وذلك لأن الله تعالى قال في آخر السورة: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، إلى أن قال: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فقد أوقع أهلَّ صفة الفسق وسمّى المذبوح لغير الله - أي الأصنام - فسقًا في تلك الآية، وقد حصر فيها المحرّمات بكلمة لا وإلّا، وههنا أيضًا قال: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، والواو فيه لا يحسن للعطف للزوم عطف الاسمية على الفعليّة، فيكون للحال، فيكون التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقًا. ومِنَ المعلوم أن الفسق الذي لم يُذكر اسم الله عليه هو الذي ذكر اسم غير الله عليه البتّة، لا أن يترك فيه ذكر اسم الله فقط، سواء ذكر اسم غير الله أو لم يذكر على ما تقرّر من قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فلم يبقَ للآية دِلالة على حُرمه متروك التسمية عمدًا كان أو سهوًا، فيكون حلالًا بمقتضى حصر ﴿قُل لَّا أَجِدُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥] صرّح به في المدارك، ونحن نقول: إنّ ظاهر الآية يقتضي حُرمة متروك التسمية مطلقًا على ما ذهب إليه أحمد رحمه الله، ولكنّا جوّزناه إذا كان ناسيًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، وقوله عليه السّلام: «تسمية الله تعالى في قلب كل مسلم»، فقلنا: إذا كان متروك التسمية عمدًا لا يحلّ، وإذا كان ناسيًا يحلّ لقيام ملّة الإسلام مقام الذِّكر.

والجواب عن دليل الشافعي رحمه الله ما ذُكِر في شرح الوقاية، وهو أنه لا ضرورة في جعل الواو للحال، وحمل معناه على قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥]، بل كما أنه يسمّي ذلك فسقًا يسمّي هذا فسقًا أيضًا،

لَمُشْرِكُونَ﴾ لأن مَن اتبع غيرِ الله في دينه فقد أشرك به، ومن حق المتديّن أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم. ومن أوّلَ الآية بالميتة

والحصر المذكور في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥] لا يُوجب ذلك؛ لأنّا نقول: إنه إخبار عمّا أُوحيَ إليه من المحرَّمات، وهو قد كان نازلًا قبل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾، فقد أخبر عمّا كان نازلًا في ذلك الزّمان، ثم نزل حُرمة متروك التسمية بعده، فلا يلزم الكذب، هذا حاصل كلامه.

على أنّي أقول: إنّ الحصر ثمّة إضافي بالنسبة إلى ما اعتقدوه من تحريم الشاة الحلال وغيرها كما مرّ؛ لأنه لو كان حقيقيًا لزم الكذب بحرمة كثير من الأشياء سوى ما ذكر فيه كذي ناب وذي مخلب وغير ذلك، ولعلّه إنما لم يتعرّض لهذا الجواب صاحب شرح الوقاية؛ لأنه حمل الحصر على الحصر الحقيقي بجعل المراد بما أُوحي إليّ ما أوحى إليه في القرآن خاصّة، ولذا اكتفى في نفي الكذب بجعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾ نازلًا بعده، لكن يجب على هذا التقدير أن يقال: آية المنخنقة والموقوذة إلى آخره أيضًا نازل بعد قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٥] لئلّا يلزم الكذب، والأَوْلى أن يقال: إنّ مراده بما أوحى إليّ ما أُوحي في ذلك الزَّمان، ويجعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾، وآية المنخنقة وحرمة ذي الناب وذي المخلب وغيرها نازلًا بعده؛ فلا إشكال. وبالجملة حاصل المذهب جواز متروك التسمية ناسيًا، ومن هٰهنا زعم الشافعي رحمه الله علينا أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عامّ مخصوص البعض عندكم لتخصيص الناسي، فيكون ظنّيًا عندكم، فيجوز تخصيصه في حقّ العامد أيضًا بخبر الواحد وهو قوله عليه السلام: «المسلم يذبح على اسم الله سمّى أو لم يسمّ»، وبالقياس على الناسي. وحاصل ما ذكر أهل الأصول في جوابه في بحث العام أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عامّ قطعيّ لم يلحقه خصوص أصلًا؛ لأن تخصيص الناسي ليس بتخصيص، بل هو في معنى الذّاكر، فلا يجوز تخصيصه بخبر الواحد والقياس هذا لفظهم؛ فلعلّ ما قال صاحب المدارك رحمه الله: أنّ الآية تحرّم متروك التسمية وخصّت حالة النسيان بالحديث محمول على صورة التخصيص لا حقيقة لئلّا يخالف ضابطة الأُصول، هذا هو تحقيق مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى.

وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وقال: إن الواو في ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ للحال لأن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون

وأمّا مذهب مالك، فلم نطّلع على ما في كتبه، والمذكور في كتب غيره مُذَبْذب، حيث قال في الهداية وشرح الوقاية: وعند مالك رحمه الله لا يحلّ في النسيان أيضًا، فعُلِم أنه مع أحمد وداود رحمهم الله. وذكر في البيضاوي لفظ مالك عطف على الشافعي، حيث قال: وقال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى بخلافه، أي بخلاف أحمد رحمه الله؛ فعُلِم أنه مع الشافعي رحمه الله، حتى يحلّ متروك التسمية عنده مطلقًا، وهكذا ذكر في الحسيني والكشاف. وقال الشيخ العصام: وفي رواية وهو مع أبي حنيفة رحمه الله كما ذكر صاحب الانتصاف، وهو مالكيّ، وعليك بتأمّل ما في كتبه ليحصل اليقين، والله أعلم. اهـ باختصار.

قال كاتبه غفر الله ذنوبه وستر عيوبه في شرح الإمام العالم العلّامة الشيخ الدردير المالكي على مختصر الشيخ خليل: «ووجب» في الذكاة بأنواعها نيّتها، أي قصدها، وإنْ لم يلاحظ حلية الأكل احترزًا عمّا لو ضرب حَيرانًا بآلة فأصاب منحره أو أصابت صيدًا أو قصد مجرّد إزهاق روحه من غير قصد تذكية لم يؤكل، «وتسمية» عند التذكية وعند الإرسال في العقر (إن ذكر) وقَدِر، فلا تجب على ناسٍ ولا أخرس ولا مُكره، فالشرط راجع لتسمية فقط، ومحل اشتراطها إنْ كان المذكّي مُسلمًا. وأمّا النيّة، أي قصد الفعل لتؤكل لا قتلها، أي مجرّد إزهاق روحها، فلا بدّ منها حتى من الكتابي، والمراد بالتسمية ذكر الله من حيث هو لا خصوص بسم الله، ولكنه الأفضل، وكذا زيادة والله أكبر. اهـ بحروفه. وفي شرح العلّامة أبي الحسن المالكي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه «وليقل الذابح عند الذبح بسم الله والله أكبر»، وهذا أعني الجمع بين التسمية والتكبير هو الذي مضى عليه عمل الناس. أمّا التكبير، فسنّة. وأمّا التسمية، فتؤخذ من كلامه بعد، وهو مذهب المدوّنة أنها واجبة مع الذّكر والقدرة ساقطة مع العجز والنسيان، وإن اقتصر عليها أجزأه؛ لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، فلم يشترط سوى مجرّد اسم الله تعالى، قالوا: ولا يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم، لأنّ هذا ليس موضعه بخلاف الأكل والشرب والوضوء وقراءة القرآن، فإنه يقولها: «وإن زاد الذّابح» على التسمية والتكبير في ذبح الأضحيّة أو

التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقًا والفسق مجمل فبين بقوله: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلًا لغير الله به فيكون ما

الهدي أو النسك أو العقيقة «ربّنا تقبّل منّا، فلا بأس بذلك»، قيل: استعمل لا بأس هنا بمعنى الاستحباب، وقيل: بمعنى الإباحة. «ومَنْ نسي التسمية في ذبح أُضحية أو غيرها، فإنها تؤكل، وإنْ تعمّد ترك التسمية لم تؤكل»، هذا على مذهب المدونة أنها فرض مع الذِّكر، ساقطة مع النّسيان. «وكذلك مَنْ نَسِي التسمية عند إرسال الجوارح» أو رمي السهم وغيره مما يُصاد به «على الصّيد»، فإنه يؤكل، وإنْ تعمّد ترك التسمية لم يؤكل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: الآية ٤]. اهـ. وفي حاشية الشيخ العالم العلّامة علي الصعيدي العدوي المالكيّ على شرح أبي الحسن على رسالة ابن أبي زيد القيروانيّ ﷺ: قوله: على مذهب المدونة ومقابلة ما نقله ابن شعبان عن أشهب أنه أجاز ترك التسمية مع العمد. اهـ. وفي الخازن نقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما إذا ترك التسمية عامدًا، وإن تركها ناسيًا حلّت. اهـ. وفي شرح معونة أُولي النهى للعلامة زين الدين منصور البُهوتي الحنبلي في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه: تسقط التسمية بسهوٍ لا جهل؛ لحديث شدّاد بن أوس مرفوعًا: «ذبيحة المسلم حلال، وإنْ لم يُسمِّ إذا لم يتعمّد» أخرجه سعيد، ولحديث: «عُفِيَ لأُمّتي عن الخطأ والنسيان»، والآية - أي: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ - محمولة على العمد جمعًا بين الأخبار. اهـ. وأيضًا فيه في كتاب الصيد الشّرط «الرابع: قول بسم الله» لا من أخرس «عند إرسال جارحة» وعند (رَمْي) لنحو سهم أو مِعْراض أو نصب، نحو منجل؛ لأن الفعل الموجود من الصائد فاعتبرت التسمية عنده، (كما) تُعتبر «في ذكاته» وتجزىء بغير عربية، ولو ممّن يحسنها صحّحه في الإنصاف، «إلّا أنها لا تسقط هنا» أي في الصيد «سهوًا» لنصوصه الخاصّة ولكثرة الذبيحة، فيكثر فيها السّهو وأيضًا الذبيحة يقع فيها الذّبح في محلّه، فجاز أن يتسامح فيه بخلاف الصيد. اهـ.

وفي كشف المحذّرات ورياض المزهرات شرح أخصر المختصرات لمحمد بن بدر الدّين بن عبد القادر بن بلبان الخزرجيّ القادريّ الحنبليّ في فقه الحنبلي: «وتسقط» التسمية (سهوًا) ولا تسقط هٰهنا جهلًا. اهـ.

سواه حلالًا بالعمومات المحلّة منها قوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ الآية. فقد عدل عن ظاهر اللفظ.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ أي كافرًا فهديناه لأن الإيمان حياة القلوب ﴿مَّيِّتًا﴾ (مدني) ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ مستضيئًا به والمراد به اليقين ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ أي صفته ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي (**خابط**) فيها ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لا يفارقها ولا يتخلص منها (**وهو حال**). قيل: المراد بهما

وأيضًا: «ولا تسقط» التسمية «معها» أي في الصيد «بحال» أي ولو سهوًا بخلاف الذكاة. اهـ.

وفي هداية الراغب لشرح عمدة الطالب لنيل المآرب للإمام العلّامة الشيخ منصور بن يونس البُهوتي الحنبلي في فقه الحنبلي: «فإن تركها» أي التسمية عمدًا أو جهلًا لم تبح الذبيحة، لما تقدَّم، أي لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ**﴾، «ولا» تحرم إن تركها «سهوًا»؛ لقوله ﷺ: «ذبيحة المسلم حلال، وإن لم يسمّ إذا لم يتعمّد» رواه سعيد، وسقطت التسمية هنا بالسَّهو بخلاف ما يأتي في الصيد، مع أن قياس الشرط أن لا يسقط به لكثرة وقوع الذكاة مع غلبة السَّهو. اهـ.

وأيضًا فيها: والشرط الرابع (قول) صائد «بسم الله عند إرسال جارحة» أو إرسال سهم «فلا يسقط عمدًا ولا سهوًا» ولا جهلًا فيما يظهر، فلا يُباح ما لم يسمّ عليه مطلقًا؛ لمفهوم قوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم الله عليه فكُلْ» متّفق عليه. اهـ. فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

قوله: («**ميتًا**») بتشديد الياء مع الكسرة (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. والباقون بإسكانها. **قوله:** (خابط) الخبط كل سير على غير هدى، أو على غير جادّة. اهـ تاج العروس. **قوله:** (وهو حال) من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر، والمعنى: هو كالذي صفة أنه مستقرّ في الظلمات حال كونه مقيمًا فيها لا يفارقها بحال.

(حمزة) و(أبو جهل). والأصح أن الآية عامّة لكل مَن هداه الله ولكل مَن أضلّه الله، فبين أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجُعل مستضيئًا يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل مَن هو في الظلمات التي لا يتخلص منها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما زيّن للمؤمن إيمانه ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بتزيين الله تعالى كقوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: الآية ٤] ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي أعمالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما جعلنا في مكة (صناديدها) ليمكروا الناس فيها ﴿جَعَلْنَا﴾ صيّرنا ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ﴾ ليتجبروا على

قوله: (حمزة) بن عبد المطّلب عمّ رسول الله ﷺ ورَضِي عنه، يقال له: أسد الرحمٰن، وأسد رسول الله ﷺ، وعمّه وأخوه من الرّضاعة، كنيته أبو عمارة كُنّي بابنٍ له يقال له عمارة من امرأة من بني النجّار، وقيل: كنيته أبو يعلى كني بابنه يعلى ولم يعقب حمزة، وأُمّه هالة بنت أُهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي بنت عمّ آمنة بنت وهب أُمّ رسول الله ﷺ، وهو شقيق صفيّة بنت عبد المطلب أُمّ الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهم، وكان حمزة أسنّ مِنْ رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة. أسلم حمزة في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وبارز وأبْلى فيها بلاءً عظيمًا، وقاتل بسيفين. قال أبو الحسن المدينيّ: أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطّلب حين بعثه في سريّة إلى سيف البحر ـ بكسر السين ـ من أرض جُهينة، وخالفه ابن إسحٰق، فقال: أوّل لواء عقده لعبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب. استشهد يوم أُحد في نصف شوّال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قَتَل أحد وثلاثين من الكفّار، ودُفِن عند أُحد في موضعه وقبره مشهور يُزار ويُتبرّك به، وحَزِن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأُمّة، اسمه عمرو بن هشام، قُتل يوم بدر كافرًا.

قوله: (صناديدها) أي أشرافها وعُظمائها، الواحد صِنْديد.

الناس فيها ويعملوا بالمعاصي. واللام على ظاهرها عند أهل السنّة وليست بلام العاقبة، وخصّ الأكابر وهم الرؤساء لأن ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم، دليله ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: الآية ٢٧] ثم سلى رسوله ﷺ ووعد له النصرة بقوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن مكرهم يحيق بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه **(يحيق)** بهم ﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعول أول والثاني ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدل من ﴿أَكَٰبِرَ﴾ أو الأول ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ والثاني ﴿أَكَٰبِرَ﴾ والتقدير: مجرميها أكابر. ولما قال أبو جهل: **(زاحمنا بني عبد مناف في الشرف)** حتى إذا صرنا **(كفرسي رهان)** قالوا: منا نبيّ يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، نزل:

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي الأكابر ﴿ءَايَةٌ﴾ معجزة أو آية من القرآن بالإيمان ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ أي نعطى من الآيات مثل ما أُعطي الأنبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوّة فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ﴾ (﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ **مكيّ وحفص)** «رسالاته»: **(غيرهما)** ﴿حَيْثُ﴾ مفعول به والعامل

قوله: (يحيق) أي يحيط. **قوله: (زاحمنا بني عبد مناف)** يعني نافسناهم **(في الشرف)**. **قوله: (كفرسي رهان)** هو مثل يُضرب للتساوي، ولمّا كان فرسا الرّهان لا يلزمهما التساوي؛ إذ قد يسبق أحدهما، فسّره في النهاية بقوله: سابقان إلى غاية، وقال غيره: المراد التشبّه باعتبار ابتداء الجري، والخروج للرهان، لا باعتبار الرهان. اهـ شهاب رحمه الله. وقال العلّامة ابن التمجيد: **قوله: (كفرسي رهان)** هو عبارة عن المساواة في الشرف، أي كفرسين يتسابقان في المضمار أيّهما يسبق الآخر، فصاحبه يأخذ الرهان، والرهان ما يرهن به عند أمين يأخذه مَنْ سبق فرسه، فالمعنى حتى إذا صرنا معه مُتساويَيْن في الشرف قالوا.. الخ. اهـ.

قوله: (﴿رِسَالَتَهُۥ﴾) بالإفراد مع نصب التاء **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وحفص)** عن عاصم رسالاته بالجمع مكسور التاء **(غيرهما)**.

محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ من أكابرها ﴿صَغَارٌ﴾ (ذل) و(هوان) ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في القيامة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ في الدارين من القتل والأسر وعذاب النار ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ في الدنيا.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يوسعه وينوّر قلبه. قال عليه السلام: «إذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح» قيل: وما علامة ذلك؟ قال: «(**الإنابة**) إلى دار الخلود (**والتجافي عن دار الغرور**) والاستعداد للموت قبل نزول الموت» «وَمَن يُرِدْ» أي الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ (﴿ضَيْقًا﴾ مكي ﴿حَرَجًا﴾) «حرِجًا» (صفة لـ ﴿ضَيِّقًا﴾ مدني وأبو بكر **بالغًا في الضيق** ﴿حَرَجًا﴾ **غيرهما وصفًا بالمصدر**) ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ كأنه كلّف أن يصعد إلى السماء إذا دُعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه إذا ضاقت عليه الأرض، فطلب مصعدًا في السماء أو (**كعازب**) الرأي طائر القلب في الهواء («**يصْعَد**» مكيّ «يصّاعد» أبو بكر وأصله **يتصاعد الباقون** «يصّعّد») وأصله يتصعد ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ

قوله: (ذُلّ) الذُّل ضد العزّ. **قوله:** (هَوان) الهَوان نقيض العِزّ.

قوله: (**الإنابة**) إلى دار الخلود بمعنى المَيْل إلى ما يقرب من الجنّة. **قوله:** (**والتجافي**) أي البُعد (**عن دار الغرور**) أي عن الدنيا. **قوله:** (﴿ضَيْقًا﴾) بسكون الياء مخفّفًا (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي. والباقون بالكسر مشدّدًا. **قوله:** (﴿حَرِجًا﴾) بكسر الراء (**صفة لـ** ﴿ضَيِّقًا﴾، **مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وأبو بكر**) عن عاصم (**بالغًا في الضّيق**) أي أضيق الضيق (﴿حَرَجًا﴾) بفتحها (**غيرهما وصفًا بالمصدر**) للمبالغة. **قوله:** (**كعازب**) أي كغائب، في مختار الصِّحاح: عَزَبَ بَعُد وغابَ وبابه دخل وجلس. **قوله:** («**يصْعَد**») بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد، أي ارتفع (**مكّيّ**) أي ابن كثير المكي («**يصّاعد**») بتشديد الصاد وبعدها ألف وتخفيف العين (**أبو بكر**) شعبة عن عاصم، (**وأصله يتصاعد**) أي يتعاطى الصعود ويتكلّفه، فأدغم التاء في الصاد تخفيفًا (**الباقون**: ﴿**يصعد**﴾) بفتح الصاد مشدّدة وبتشديد العين دون ألف بينهما مضارع **تصعد**، أي تكلّف الصعود، وأصله يتصعد فأدغم كما في قراءة شعبة.

﴿ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب في الآخرة واللعنة في الدنيا ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والآية حجة لنا على المعتزلة في إرادة المعاصي.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ أي طريقه الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر مَن أراد هدايته وجعله ضيقًا لمَن أراد ضلاله ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ عادلًا (مطردًا وهو حال مؤكدة) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿لَهُمْ﴾ أي لقوم يذكرون ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ (دار الله) يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيمًا لها، أو دار السلامة من كل آفة و(كدر)، أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله: (﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾) [يونس: الآية ١٠]. (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) [الواقعة: الآية ٢٦] ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (في ضمانه) ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ محبّهم أو ناصرهم على أعدائهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

قوله: (مطردًا) إشارة إلى أن الاستقامة بمعنى الاطّراد والدوام. **قوله:** (وهو حال مؤكّدة) أي ليست قيدًا يتقيّد بها عاملها، ويتبيّن بها هيئة تعلّق العامل بذي الحال كالمنتقلة، بل هي أمر لازم لمضمون الجملة التي قبلها، فصار مضمون الحال كأنه عيّن مضمون الجملة المتقدّمة مؤكّد له؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: الآية ٩١]، فإنّ التصديق لازم لحقيقة القرآن، وكذا الاستقامة فإنها لازمة للمشار إليه من صراط الله تعالى، فصارت كل واحدة منهما كأنها عين مضمون ما قبلها مؤكّدة له، فجعلت مؤكّدة له بهذا الاعتبار.

قوله: (دار الله) إشارة إلى أن السلام اسمه تعالى أُضيف إليه للتشريف، أو بمعنى السلامة من المكاره، أو دار تحيّتهم به، فيكون السلام بمعنى التسليم. **قوله:** (كَدَر) الكَدَر ضدّ الصفو. **قوله:** (﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾) فيما بينهم (﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾). **قوله:** (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) في سورة الواقعة (﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾) أي في الجنّة (﴿لَغْوًا﴾) فاحشًا من الكلام (﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾) ما يؤثم (﴿إِلَّا﴾) لكن (﴿قِيلًا﴾) قولًا (﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾) بدل من قيلًا، فإنهم يسمعونه. **قوله:** (في ضمانه) كذا في تفسير الكشاف والبيضاوي. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: في ضمانه، أي معنى العندية أنه تكفّل بها تفضّلًا بمقتضى وعده، فلا يرد عليه أنه تبع

بأعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا في الدنيا بتوفيق الأعمال وفي العقبى بتحقيق الآمال.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ **(وبالياء حفص)** أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أضللتم منهم كثيرًا وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجنود ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم و**(ساعدوهم)** على مرادهم في إغوائهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعنون يوم البعث **(وهذا الكلام اعتراف)** بما كان منهم من طاعة الشياطن واتباع الهوى، والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ **(منزلكم)** ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال والعامل معنى الإضافة كقوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: الآية ٦٦] فـ ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الإضافة إذ معناه الممازجة والمضامّة والمثوى ليس بعامل لأن المكان لا يعمل في شيء ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي يخلّدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب

الزمخشري فيه، وهو على مذهبه في الوجوب على الله. اهـ. وقال العلّامة القنوي: قوله: (في ضمانه) أي أنه تعالى وعده، فكأنه في ضمانه وكفالته بمقتضى وعده، فلا يلزم الوجوب هذا لازم لمعنًى عنده، فهو مجاز مُرْسَل.

قوله: (وبالياء) التحتيّة **(حفص)**. والباقون بالنون. **قوله: (ساعدوهم)** المساعدة المعاونة. **قوله: (وهذا الكلام اعتراف)**... الخ. يعني قوله: ربنا استمتع بعضنا إلى هنا، وإنما جعله للتحسّر لعدم فائدة الخبر ولازمها، وهو ظاهر قوله: **(منزلكم)**، يعني: مثوى اسم مكان بمعنى مكان الإقامة. واسم المكان لمّا لم يعمل عمل الفعل لكونه ليس فيه معنى الفعل جعل ناصب الحال معنى الإضافة.

السعير إلى عذاب (**الزمهرير**) ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ)﴾ فيما يفعل بأوليائه وأعدائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيجزي كلّاً على وفق عمله.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ نُتبع بعضهم بعضًا في النار، أو نسلّط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي، ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ عن (**الضحاك**): بعث إلى الجن رسلًا منهم كما بعث إلى الإنس رسلًا منهم لأنهم بهم آنس (**وعليه ظاهر النص**)، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ لأنه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما (**كقوله**: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾) ٱللُّؤْلُؤُ

قوله: (الزَّمْهَرير) شدّة البرد. **قوله:** (﴿حَكِيمٌ﴾) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه؛ كإكرام المتذكّرين بالآيات بدار السلام، وكونه وليًّا لهم بالحراسة والنّصرة والمعونة وتخليد أولياء الشياطين في النار.

قوله: (**الضحاك**) بن مزاحم أبو محمّد والقاسم الهلالي الخراساني صاحب التفسير، ذُكِر أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبيّ، وكان يركب حمارًا ويدور عليهم إذا عَيِي. اهـ دستور الأعلام. وفي التقريب: الضحاك بن مُزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراسانيّ، صدوق كثير الإرسال من الخامسة، مات بعد المائة. اهـ رحمه الله.

قوله: (**وعليه ظاهر النصّ**) أي ظاهر الآية يدلّ على ذلك؛ لأنه تعالى قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، فخاطب الفريقين جميعًا. وأُجيب عن ذلك بأن الله تعالى قال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، وهذا يقتضي كون الرُّسل بعضًا من أبعاض هذا المجموع، وإذا كان الرّسل من الإنس كان الرسل بعضًا من أبعاض هذا المجموع، وكان هذا القول أوْلى من حمل لفظ الآية على ظاهرها، فثبت بذلك كون الرّسل من الإنس لا من الجنّ. **قوله:** (**كقوله**: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾)

﴿وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٢٢] أو رسلهم رسل نبيّنا (**كقوله**: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) [الأحقاف: الآية ٢٩] ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ يقرءون كتبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يعني يوم القيامة ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل إلينا ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ بالرسل.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن «أنْ» مصدرية، ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، والمعنى (**لأن الشأن**) والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه (**أو ظالمًا**)، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون

أي من العذب والمالح اللؤلؤ والمرجان، مع أن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من المالح دون العذب، وإنما جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: الآية ٥٣]، وهو جائز في كلّ ما اتّفق في أصله؛ فلذلك لمّا اتّفق ذكر الجنّ مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الإنس، وهذا قول الفرّاء والزجّاج ومذهب جمهور أهل العلم. قال الواحدي: وعليه دلّ كلام ابن عباس؛ لأنه قال: يريد أنبياء من جنسهم، ولم يكن من جنس الجنّ أنبياء. **قوله: (كقوله**: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) في تفسير الجلالين في سورة الأحقاف: (﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾) أمَلْنا (﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾) جنّ نصيبين باليمن أو جنّ نِينُوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخلة يصلّي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان (﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ﴾) أي قال بعضهم لبعض (﴿أَنصِتُواْ﴾) اصغوا لاستماعه، (﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾) فرغ من قراءته (﴿وَلَّوْاْ﴾) رجعوا (﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾) مخوّفين قومهم بالعذاب إنْ لم يؤمنوا، وكانوا يهودًا.

قوله: (لأن الشأن) إشارة إلى أنّ اسمها حينئذ ضمير شأن مقدّر. **قوله**: (أو ظالمًا) يعني أن الباء للملابسة، ﴿وبظلم﴾ حال من ربّك، أي ملتبسًا بظلم.

لم يُنْهَوا برسول وكتاب لكان ظالمًا وهو متعال عنه (﴿وَلِكُلٍّ﴾) من المكلفين (﴿دَرَجَٰتٌ﴾ منازل ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾) من جزاء أعمالهم، **(وبه استدلَ أبو يوسف ومحمد)** رحمهما الله **(على أن للجن الثواب بالطاعة لأنه ذكر عقيب ذكر الثقلين)** ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بساه عنه **(وبالتاء شاميّ)**.

قوله: (منازل) على ما يعمّ الدرجات والدَّركات تغليبًا أو نظرًا إلى أصل الوضع.

قوله: **(وبه استدلّ أبو يوسف)** هو الإمام يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات ببغداد سنة إحدى أو اثنين وثمانين ومائة. **(ومحمّد)** هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالريّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة رضي الله تعالى عنهما. **(على أن للجنّ الثواب بالطاعة، لأنه ذكر عقيب ذكر الثّقلين)** في تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله: قوله تعالى: (﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾) استدلّ أبو يوسف ومحمّد رحمهما الله تعالى بهذه الآية على أنّ للجنّ الثواب، وبهذه الآية وعليهم العقاب بالمعاصي كالإنس منعًا على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، فإنه يقول: ليس للجنّ ثواب بالطاعات، ولكن عليهم العقاب بالمعاصي، وقالا: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أخبر أن لكلّ ما سبق ذكره درجات في أعمالهم، وإنما سبق ذكر الفريقين جميعًا، الإنس والجنّ بقوله تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: الآية ١١٢]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٨]، وقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠]، هذا ذكر ما كان من الفريقين جميعًا من الكفر والعصيان، ثم ذكر فيهم ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥] الآية. وإذا كان ما سبق من الوعد والوعيد للفريقين جميعًا، ولهم صرّح الخطاب بالأمر والنهي؛ فعلى ذلك قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ رجع إلى الفريقين منهم جميعًا إن عَمِلوا خيرًا فخير، وإن عملوا شرًّا فشرّ؛ إلّا أن أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه قال: إنّ قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ إنما ذُكِر على إثر آيات كان الخطاب بها للكَفَرة دون المؤمنين؛ لأنه قال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ

....

ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٨]، وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] دلّ هذا أن الخطاب بهذه الآيات للكفرة؛ فعلى ذلك قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ هذا الوعد لهم خاصّة، ويكون قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي دركات ومراتب من العذاب والعقاب مما عَمِلوا من المعاصي والتكذيب للرُسل عليهم السّلام والشّرك في التوحيد، والله أعلم. ولأن الثواب في روحه فضل وتفضيل منه، والعذاب مما تُوجبه الحكمة؛ لأن في الحكمة أن يلزم العذاب والعقوبة لمن عصى الله تعالى وخالف أمره على الطاعات، وذلك بالاعتقاد لِمَا به يصير من الأعداء والعفو عن الأعداء، ليس بحكمة بخلاف، والخلاف من حيث الفعل مع قيام الإيمان على ما عُرِف. فأمّا الثواب، فوجوبه بطريق الفضل؛ لأنه كان من الله إلى الخلق مِنَ النِّعم والفضائل والإحسان ما لو اجتهدوا كلّ جهدهم ما قدروا على أن يؤدّوا شكر واحد منها، فيكون طاعتهم شكرًا لما أنعم عليه، وإذا كان كذلك لم يجعل لأعمالهم ثوابًا إلّا بالبيان من الله عزّ وجلّ، كما لا يقال للملائكة: إنّ لهم بمقابلة طاعتهم لما أنّ الله تعالى لم يجعل لهم ذلك، والله أعلم.

والدّليل على ما ذهب إليه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ما ذكر خبرًا عن الجنّ بقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن: الآية ١٤]، فذكر القاسطين الظالمين للعقوبة بقوله: ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: الآية ١٥]، وقال في حقّ المسلمين: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [الجنّ: الآية ١٤] ولم يذكر الثواب، وقال خبرًا عنهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]، ولم يذكر الثواب في الجنّة، والله أعلم. وقال بعض الناس: إنما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه أن لا ثواب للجنّ من جنس ثواب المؤمنين؛ لأن جنس عملهم من غير جنس عمل البشر، فكذا ثوابهم من جنس طاعتهم، وثواب المؤمنين من جنس طاعتهم، فأمّا أن يقول: لا ثواب لطاعتهم أصلًا، فلا، والله أعلم. اهـ بحروفها.
قوله: (وبالتاء) على تغليب الخطاب على الغيبة لدخول المخاطبين في قوله:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده وعن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ عليهم بالتكليف ليعرّضهم للمنافع الدائمة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ (أيها الظلمة) ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق المطيع ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ﴿إِنَّمَا﴾ ما بمعنى الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾ من البعث والحساب والثواب والعقاب ﴿لَآتٍ﴾ خبر «إن» أي لكائن ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين رد لقولهم مَن مات فقد فات (المكانة) تكون مصدرًا يقال (مكُن) مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله:

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ يحتمل (اعملوا على تمكنكم) من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، (واعملوا على جهتكم) وحالكم التي أنتم عليها، ويقال للرجل إذا أُمِر أن يثبت على حاله: (على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه) ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على مكانتي التي أنا عليها أي اثبتوا على كفركم

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، وقرأ العامّة بياء الغيبة بناءً على قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾.

قوله: (أيها الظلمة) خصّهم لأن التخويف يناسبهم، ومنهم من قدّره أيها الناس، وله وجه. **قوله:** (المكانة) تكون مصدرًا بمعنى التمكّن وهو القوّة والاقتدار. **قوله:** (مُكِّن) بالضمّ.

قوله: (اعملوا على تمكّنكم) بأن تكون المكانة على حقيقة معناها المصدريّ، أو (اعملوا على جهتكم) تكون مجازًا عن التي بمعنى المكان. **قوله:** (على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه) لا تنحرف عنه، فهو اسم فعل

وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد، دليل قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ أي فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة، وهذا طريق لطيف في الإنذار ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الكافرون («مكاناتكم» حيث كان: أبو بكر («يكون») حمزة وعلي). وموضع ﴿مَن﴾ رفع (إذا كان بمعنى «أي») وعلق عنه فعل العلم، أو نصب إذا كان بمعنى الذي.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ أي وللأصنام نصيبًا فاكتفى بدلالة قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ («بزعمهم» علي). وكذا ما بعده أي زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى (الضيفان) والتصدّق على المساكين ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ﴾ من إنفاقهم عليها والإجراء على

بمعنى الأمر. **قوله:** (مكاناتكم) بالألف على الجمع ليُطابق المضاف إليه، وهو ضمير الجماعة، ولكلّ واحد مكانة (**حيث كان**)، وهو هنا وهود معًا ويّس والزمر (**أبو بكر**) شعبة عن عاصم، والباقون بالإفراد على إرادة الجنس. **قوله: (يكون)** بالتذكير (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بالتأنيث، وهما ظاهران؛ إذ التأنيث غير حقيقيّ. **قوله:** (**إذا كان بمعنى أيّ**) يعني إذا كان من استفهاميّة، فهو مبتدأ خبره يكون، وهما مفعولان علّق عنهما فعل العلم بالاستفهام، وإذا كانت موصولة فهو مفعول يعلمون على أنه متعدٍّ إلى مفعول واحد، لكونه بمعنى يعرفون.

قوله: (بزعمهم) بضم الزاي (عليّ) الكسائي، وكذا ما بعده لغة بني أسد. والباقون بفتحها في الموضعين لغة أهل الحجاز، فقيل: هما بمعنى، وقيل: المفتوح مصدر والمضموم اسم. **قوله:** (**الضّيفان**) في مختار الصِّحاح: الضَّيْف واحد وجمع، وقد يُجْمع على أضْياف والضيوف والضِّيْفان، والمرأة ضيف

(سدنتها). رُوِيَ أنهم كانوا يعيِّنون أشياء من حرث (ونتاج) لله وأشياء منهما لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكيًا ناميًا رجعوا فجعلوه للأصنام، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها وقالوا: إن الله غني، وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها. وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ إشارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه. ثم ذم صنيعهم بقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم. وموضع «ما» رفع أي ساء الحكم حكمهم أو نصب أي ساء حكمًا حكمهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي كما زيّن لهم تجزئة المال زيّن (وأد) البنات ﴿قَتْلَ﴾ مفعول زيّن ﴿أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هو فاعل زيّن، (﴿زُيِّنَ﴾ **بالضم** «قتل» **بالرفع** ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ **بالنصب** «شركائهم» **بالجر**: شاميّ **على إضافة القتل إلى الشركاء**) أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول

وضَيْفة. اهـ. **قوله**: (سَدَنتها) السَّدنة ـ بالسين المهملة ـ جمع سادن، وهو خادم الصَّنم. **قوله**: (ونِتاج) في المصباح: النِّتاج ـ بالكسر ـ اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها. اهـ.

قوله: (وأد) أي قتل. اهـ شهاب ﷺ. والوأد دفن الابنة في القبر وهي حيّة، يقال: وَأد ابنته يَئِدُها وَأدًا إذا دفنها في القبر وهي حيّة. اهـ شيخ زاده ﷺ. **قوله**: (﴿زُيِّنَ﴾ **بالضمّ**) أي بضمّ الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول. **قوله**: («قتل» **بالرفع**) أي برفع اللام على النّيابة عن الفاعل (﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ **بالنصب**) على المفعول بالمصدر (**شركائهم بالجرّ شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**على إضافة القتل إلى الشركاء**) فاعلًا، وهي قراءة متواترة صحيحة وقارئها ابن عامر أعلى القرّاء السبعة سندًا وأقدمهم هجرةً، من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة؛ كعثمان بن عفّان وأبي الدرداء ومعاوية وفضالة بن عبيد، وهو مع ذلك عربيّ صريح من صميم العرب وكلامه حجّة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللّحن، فكيف وقد قرأ بما تلقّى وتلقّن وسمع ورأى؛ إذ هي كذلك في

وتقديره: زيّن لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء.

المصحف الشاميّ. وقال بعض الحفّاظ: إنه كان في حلقته بدمشق أربعمائة عريف يقومون عليه بالقراءة، قال: ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئًا على ابن عامر من قراءته ولا طعَن فيها، وحاصل كلام الطّاعنين كالزمخشري أنه لا يفصل بين المتضايفين إلّا بالظرف في الشعر، لأنهما كالكلمة الواحدة أو أشبها الجار والمجرور، ولا يفصل بين حروف الكلمة ولا بين الجار ومجروره، انتهى. وهو كلام غير معوّل عليه، وإن صدر عن أئمّة أكابر لأنه طعن في المتواتر، وقد انتصر لهذه القراءة مَنْ يُقابلهم، وأوردوا من لسان العرب ما يشهد لصحتها نَثْرًا ونظمًا، بل نقل بعض الأئمّة الفصل بالجملة فضلًا عن المفرد في قولهم: غلام إن شاء الله أخيك، وقُرِىء شاذًّا مخلف وعده رسله بنصب وعده وخفض رسله، وصحّ قوله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»، ففصل بالجار والمجرور. وقال في التسهيل: ويفصل في السّعة بالقسم مطلقًا وبالمفعول إنْ كان المضاف مصدرًا نحو: أعجبني دقّ الثوب القصار. وقال صاحب المغرب: يجوز فصل المصدر المضاف إلى فاعله بمفعوله لتقدير التأخير. وأمّا في الشعر، فكثير بالظرف وغيره، منها قوله:

فسقناهم سوق البغال الأداجل

وقـهوله:

سقاها الحجى سقي الرياض السَّحائب

وقوله:

لله درّ السيوم من لامها

وقوله:

فزججتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزادهْ

وقد علم بذلك خطأ مَن قال: إن ذلك قبيح أو خطأ أو نحوه. وأمّا مَنْ زعم أنه لم يقع في الكلام المنثور مثله، فلا يعوّل عليه لأنه نافٍ، ومَنْ أسند هذه

....

القراءة مثبت وهو مقدَّم على النفي اتّفاقًا، ولو نقل إلى هذا الزّاعم عن بعض العرب ولو أمَة أو راعيًا أنه استعمله في النّثر لرجع إليه، فكيف وفيمن أثبت تابع عن الصحابة عن مَنْ لا ينطق عن الهوى ﷺ، فقد بَطُل قولهم وثبت قراءته سالمة عن المعارض، ولله الحمد. وقرأ الباقون: ﴿زَيَّنَ﴾ بفتح الزاي والياء مبنيًّا للفاعل ونصب قتل به أولادهم بالخفض على الإضافة شركاؤهم بالرفع على الفاعلية بزين، وهي واضحة، أي زين لكثير من المشركين شركاؤهم أن قتلوا أولادهم بنحرهم لآلهتهم، أو بالوأد خوف العار والعيلة. اهـ إتحاف. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمة الله عليهما: قرأ العامّة ﴿زَيَّنَ﴾ مبنيًا للفاعل وبنصب قتل على أنه مفعول وجرّ أولادهم بالإضافة ورفع شركائهم على أنه فاعل زين، وهي قراءة واضحة المعنى والتركيب. وقرأ ابن عامر: ﴿زُيِّنَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٧] على بناء المفعول، ورفع قتل على أنه مفعول ما لم يسمّ فاعله، ونصب أولادهم على أنه مفعول المصدر وجرّ شركائهم على إضافة المصدر إليه، وهذه القراءة صحيحة متواترة لا يصح أن يطعن فيها؛ لأن ابن عامر أعلى القرّاء السبعة سندًا وأقدمهم هجرة أمّا علوّ سنده، فإنه قرأ على أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وفَضَالة بن عبيد ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة المخزوميّ، ورُوِيَ أنه قرأ على عثمان نفسه، وناهيك به. وأمّا قدم هجرته، فإنه وُلِد في حياة رسول الله ﷺ، وابن هشام بن عمّار أحد شيوخ البخاريّ أخذ عن أصحاب أصحابه وفضائله كثيرة، وإنّما ذكرنا هذا تنبيهًا على خطأ من ردّ قراءته ونسبه إلى اللّحن واتّباع مجرّد الرسوم فقط، قائلًا: إنّ التقدير حينئذ زيِّن لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، لكنه فَصَل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهو الأولاد، فإنه مفعول المصدر. قال أبو عليّ الفارسي: وهو قبيح قليل في الاستعمال، ولكنه قد جاء في الشِّعر كما أنشده أبو الحسن الأخفش:

فزججتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزادهْ

أي زجّ أبي مزادة القلوص، الزجّ: الطَّعن، والمزجة ـ بكسر الميم ـ الرمح القصير، وأبي مزادة كنية رجل، والقلوص الشابّة من النوق، وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء، وإن لم يتولّوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زيّنوا ذلك ودعوا إليه،

....

فكأنهم فعلوا ذلك. اهـ. وعبارة البيضاوي: وقرأ ابن عامر ﴿زَيَّنَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٧] على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد، وجرّ الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولًا بينهما بمفعوله، وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر؛ كقوله:

فـزجـجـتـهـا بـمـزجـة زجّ القلوص أبي مزادهْ

اهـ. بحروفها. وعبارة الكشاف: وأمّا قراءة ابن عامر قتل أولادَهم شركائِهم برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضروريات وهو الشعر لكان سمجًا مردودًا كما سُمج ورُدّ زجّ القلوصَ أبي مزادة، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي يحمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركايهم مكتوبًا بالياء، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب. اهـ بحروفها. قال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: وهو ضعيف في العربية إشارة إلى أن الفصل بالمفعول ليس بضعيف في نفسه، بل هو حسن، ويدلّ على حسنه ورود القرآن عليه، والطريق إثبات حسن التراكيب بوقوعها في القرآن، لا إثبات حسن ما وقع فيه بوقوعه في غيره. قال الكرماني: قراءة ابن عامر وإن ضعفت في العربية للفصل بين المضاف والمضاف إليه، فقويّة في الرواية عالية، انتهى. وذهب صاحب المفتاح إلى تطبيق هذه القراءة بقاعدة أهل العربية بأن حمل الكلام على حذف المضاف إليه من الأوّل وإضمار المضاف في الثاني والتقدير قتلهم أولادهم قتل شركائهم، والثاني بدل من الأوّل بناء على أن تخطئة الثقات والفصحاء أبعد من ذلك، قال صاحب الانتصاف طاعنًا في صاحب الكشاف: لقد ركب المصنّف في هذا الفصل عمياء وتاه في تيهاء وأنا أبرأ إلى الله تعالى وأبرّىء حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به، فإنه تخيّل أنّ القراء أئمّة الوجوه السبعة اختار كلّ منهم حرفًا قرأ به اجتهادًا لا نقلًا ولا سماعًا، فلذلك غلط ابن عامر في قراءة هذه وأخذ يبيّن وجه الغلط بأنه اعتمد في ذلك على رسم مصحف الشام الذي أرسله عثمان رضي الله تعالى عنه إليه حيث رسم شركائهم فيه بالياء، فاستدلّ بذلك على

....

أنه مجرور وتعيّن عنده نصب أولادهم بالقياس؛ إذ لا يُضاف المصدر إلى أمرين معًا؛ فقرأه منصوبًا لذلك.

وقوله: المصنّف يريد به صاحب الكشاف، وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جرّه بالإضافة وإبدال الشركاء منه، وكان ذلك أوْلى مما ارتكبه، يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي لا يسمع في الشعر فضلًا عن النثْر فضلًا عن الكلام المعجز، وهذا كلّه كما ترى ظنّ من الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيًا منه، وكان الصواب خلافه، ولم يعلم الزمخشري أنّ هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه مما نعلم ضرورةً أنّ النبيّ ﷺ قرأها على جبريل كما أنزلها إليه كذلك، ثم تلاها النبيّ ﷺ على عدد التواتر من الأُمّة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها، ويقرؤون بها خلفًا عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر، فقرأها أيضًا كما سمعها، وهذا معتقد أهل الحقّ في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملةً وتفصيلًا عن أفصح مَنْ نطق بالضاد، أي عن أفصح العرب، فإنّ النُّطق بحرف الضاد مختصّ بلغة العرب، فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممّن لحن ابن عامر، ثم قال: قراءة ابن عامر هذه لا تخالف القياس النحويّ؛ وذلك لأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإنْ كان عسيرًا إلّا أن المصدر إذا أُضيف إلى معموله فهو مقدّر بأنّ مع الفعل وبهذا التقدير عمل، فإضافته إلى معموله وإنْ كانت محضة لكنها تشبه غير المَحْضة، حتى قال بعض النحاة: إنّ إضافته ليست محضة لذلك. فالحاصل أنّ اتّصاله بالمضاف إليه ليس كاتّصال غيره، وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف؛ كما في قول الشاعر:

لله درّ اليوم مَنْ لامَها

يريد: لله درّ مَنْ لامَها اليوم، وقوله:

لأنت معتاد في الهيجا مصابرة

يريد: لأنت معتاد مصابرة في الهيجا، وهي الحرب. وهذه الأمثلة والشواهد ليست من كلام صاحب الانتصاف، وإنما أدرجتها أنا في أثناء كلامه لتوضيح

....

المقام، وقد جاء الفَصْل بينهما في قوله:

هما أخوا في الحرب مَنْ لا أخا له إذا خاف يومًا نبوة فدعاهما

يريد هما أخَوَا مَنْ لا أخًا له في الحرب، وقد جاء الفصل بينهما بغير الظرف أيضًا على قلّة؛ كالفصل بالنداء في قوله:

وفاق كعب بجير متقذ لك من تعجيل مهلكة والخلد في سقر

يريد: وفاق بجير يا كعب. وقول الآخر:

إذا ما أبا حفص أتاك رأيتها على شعر كل الناس يعلو قصيدها

يريد: إذا ما أتاك يا أبا حفص، وقد جاء الفصل بينهما بالنعت أيضًا؛ كقول معاوية يخاطب به عمرو بن العاص:

نجوت وقد بلّ المراديّ سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

يريد: من ابن أبي طالب شيخ الأباطح، فشيخ الأباطح نعت لأبي طالب فصل به بين أبي وبين طالب. وقول الآخر:

ولئن حلفت على يديك لأحلفنّ بيمين أصدق من يمينك مقسم

يريد: .لأحلفنّ بيمين مقسم أصدق من يمينك فأصدق نعت لقوله: بيمين، فصل به بين يمين وبين مقسم، وبالجملة إذا جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه، فلا أقلّ من أن يتميّز المصدر عن غيره لما بيّناه من انفكاكه في التقدير وعدم توغّله في الاتّصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبيًّا عنه، فكأنه ذكر إنْ مع الفعل ثم قدَّم المفعول على الفاعل، وقال أبو شامة في شرح الشاطبية: ولا بعد فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى، وذلك أنه قد عهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظًا، فاستمرّت له هذه المرتبة مع الفاعل المرفوع تقديرًا، فإنّ المصدر لو كان منوّنًا لجاز تقديم المفعول على فاعله، نحو: أعجبني ضرب عمرًا زيد، فكذا في الإضافة، ثمّ قال: وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع أن شدّة الاتّصال بينهما أكثر من شدّته بين المضاف

....

والمضاف إليه؛ كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩] فصل بكلمة ما بين الباء الجارة ومجرورها، ولا التفات إلى قول مَنْ زَعم أنه لم يأتِ في الكلام المنثور مثله؛ لأنه نافٍ، ومَنْ أسند هذه القراءة مثبت، والإثبات مرجح على النفي بالإجماع، ولو نقل إلى بعض الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر لرجع إليه، فما باله لا يكتفي بناقل القراءة عن التابعين عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. اهـ بحروفه.

وقال العلَّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: وهو ضعيف في العربية تبع الزمخشري وهو من سقطاته وسوء أدبه على الله الذي يخشى منه الكفر، كما قاله في الانتصاف القراءات السبعة لا بدّ فيها من نقلٍ صحيح أو متواتر فيما عدا الأداء على المشهور، وأي مسلم يقدم على أن يقرأ كلام الله برأيه ويتبع رسم المصحف من غير سماع خصوصًا هؤلاء الأئمّة الأعلام الواقفين على دقائق الكلام، وهو يظنّ أنّ القرآن يقرأ بالرأي، كما ذهب إليه بعض الجَهَلة، مع أنه ليس بصحيح؛ لأنهم فرّقوا بين المضاف الذي يعمل وغيره، فإنّ الثاني يفصل فيه بالظرف والأول إذا كان مصدرًا ونحوه يفصل بمعموله مطلقًا؛ لأن إضافته في نيّته الانفصال ومعموله مؤخر رتبة ففصله كَلَا فصل، فإن أساغ فيه ولم يخصّ بالشعر كغيره كما صرّح به ابن مالك، وخطأ الزمخشري لعدم فَرْقه بينهما وظنّه أنه ضرورة مطلقًا. وأمّا ادّعاء حذف المضاف إليه من الأوّل، والمضاف من الثاني كما ذهب إليه السكاكي، فتكلّف نحن في غنًى عنه، وكلام الله أحقّ أن تجرى عليه القواعد وترجع إليه، إلّا أن يرجع إلى غيره، والعجب ممّن أثبت تلك القواعد برواية واحد عن جاهليّ من العرب، فإذا جاء إلى النظم توقّف في الإثبات به، ولابن الفاصح في كتاب الطرق هنا كلام نفيس، وهو أنه ذكر أن حمزة رحمه الله رأى ربّ العزّة مرّتين، قال: يا حمزة اقرأ كلامي، فقرأ فقال له: على مَنْ قرأت؟ قال: على فلان، قال: صدق هو كلامي، إلى أن قال: قرأ جبريل عليه الصلاة والسلام، قال: صدق قرأ كلامي، فلمّا انتهى إلى الله قال له: مَنْ قرأ؟ سكت تأدّبًا قال له: قل أنت، وقصّ القصّة قال: ومنها علم أنّ مَن كذّب أحدًا من القرّاء فقد كذّب الله، فنعوذ بالله ونسأله أن ينفعنا

....

بكلامه وببركة نقلته، ونحن نحمد الله لا نشكّ في ذلك، وقد شاهدناه رأي العين. اهـ بحروفه.

وقال العلَّامة التفتازاني في حاشية الكشاف: قوله: والذي حمله هذا عُذْر أشدّ من الجرم، حيث طعن في إسناد القرّاء السبعة وروايتهم وزعم أنهم إنما يقرؤون من عند أنفسهم، وهذه عادة المصنف يطعن في تواتر القراءات السبع، وينسب الخطأ تارة إليهم، كما في هذا الموضع، وتارة إلى الرواة عنهم، وكلاهما خطأ؛ لأن القراءات متواترة، وكذا الروايات عنهم، وهي مما يستشهد بها لا لها، فإذا قد وقع الفَصْل فيها بغير الظرف ينبغي أن يحكم بالجواز. اهـ. قال العلَّامة ابن التمجيد رحمه الله: قال شرّاح الكشاف: إنّ ابن عامر أحد القرّاء السبعة وقراءته منقولة عن النبيّ ﷺ نقلًا متواترًا مقبولة عند علماء الدِّين لم ينكر عليه أحد إلى هذه الغاية، وقد طعن فيها صاحب الكشاف، فقالوا: لا نسلم أن المضاف والمضاف إليه بغير الظرف في غير مقام الضّرورة قبيح، بل حسن، وورود القرآن عليه يدلّ على ذلك، والطريق إثبات غير القرآن به، لا إثباته بغير القرآن. اهـ. وقال العلَّامة القنويّ في حاشية تفسير البيضاوي: قوله: (وهو) أي الفصل بمفعول (ضعيف في العربية) وإنْ كان صحيحًا فصيحًا، لكن عدم الفصل به أفصح، ولا كلام في أبلغية بعض القراءات السبعة بالنسبة إلى بعض آخر، فلا يرد ما أورده المحقّق التفتازاني رحمه الله على العلَّامة الزمخشري. اهـ بحروفه. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي الجمالين للجلالين للعلامة علي القاريّ رحمه الله: قوله: لا يضرّ، أي هذا الفصل، بل الفصل بينهما يدلّ على أنّ هذا الفصل جائز والمطعون مَنْ طعن فيه؛ كالزمخشري، وهذا غاية من الطعن في إسناده قراءة السبعة بزعمه أنهم يقرأون من عند أنفسهم، ونِعْم ما قال التفتازاني: هي مما يستشهد بها لا بها، والعجب من البيضاوي أنه تبع الزمخشري وضعّفه هذا. وفي التسهيل: إنْ كان المضاف مصدرًا جاز أن يُضاف نظمًا ونثرًا إلى فاعله مفصولًا بمفعوله. اهـ بحروفه. وفي غيث النفع في القراءات السبع للعلامة علي النوري الصفاقسي: ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾، قرأ الشاميّ بضمّ لام زاي «زَيَّنَ» وكسر يائه ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وخفض بهمزة شركائهم، والباقون بفتح الزاي

....

والياء ونصب لام قتل وكسر دال أولادهم ورفع همزة شركائهم وتكلّم غير واحد من المفسّرين والنحويّين كابن عطية ومكّيّ وابن أبي طالب والبيضاوي وابن جنيّ والنحاس والفارسي والزمخشري في قراءة الشامي، وضعّفوها للفصل بين المضاف، وهو قتل، والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول وهو أولادهم، وزعموا أنّ ذلك لا يجوز في النثر وهو زعم فاسد؛ لأن ما نفوه أثبته غيرهم. قال الحافظ السيوطي في جمع الجوامع: له مسألة لا يفصل بين المتضايفين اختيارًا إلّا بمفعوله وظرفه على الصحيح، وجوّزه الكوفيّون مطلقًا. قال في شرحه هَمْع الهوامع تبعًا لابن مالك وغيره وحسّنه كون الفاصل فضلة، فإنه يصلح بذلك لعدم الاعتداد وكونه غير أجنبي من المضاف، أي لأنه معموله ومقدّر التأخير، أي لأن المضاف إليه فاعل في المعنى، انتهى مع زيادة شيء للإيضاح والمثبت مقدَّم على النافي، لا سيما في لغة العرب لاتّساعها وكثرة التكلّم بها. رُوِي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان الشعر علم قوم، فلما جاء الإسلام اشتغلوا عنه بالجهاد والغزو، فلمّا تمهّدت الأمصار وهلك مَنْ هلك راجعوه فوجدوا أقلّه، وذهب عنهم أكثره.

ورُوِي عن أبي عمرو بن العلاء قال: ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلّا أقلّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير، قال أبو الفتح بن جني في خصائصهٔ بعد أن نقل هذا، فإذا كان الأمر كذلك لم يقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، انتهى وأشدّهم عليه الزمخشري، ونصّه: وأمّا قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورة، وهو الشعر لكان سمجًا مردودًا كما ردّ زجّ القلوص أبي مزاده، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبًا بالياء، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب، انتهى. فانظر رحمك الله إلى هذا الكلام ما أبشعه وأسمجه وأقبحه، وما اشتمل عليه من الغلظة والفظاظة وسوء الأدب، فحكم على قراءة متواترة تلقاها سيّد من سادات التابعين عن أعيان الصحابة وهم تلقّوها من أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء سيّدنا

....

رسول الله ﷺ بالردّ والسماجة، ولا جرأة أعظم من هذه الجملة، والحَامل له على ذلك أنه يرى رأيًا فاسدًا واضح البطلان، وهو أنّ القراءات كلّها آحاد ولا متواتر فيها، ولذلك يطلق عنان القلم في تخطئة القرّاء في بعض المواضع، ولا يبالي بما يقول، وما زعم أنه سمج مردود هو فصيح شائع ذائع، وأدلّة ذلك من الشِّعر كثيرة ذكرها إمام النحّاة أبو عبد الله محمد بن مالك في شرح الكافية عند قوله فيها بعد ما ذكر جواز الفصل: وحجّتي قراءة ابن عامر وكم لها من عاضد وناصر، فلا نطيل بها. وأمّا أدلّة ذلك من النثر، فقراءة مِنْ قراءة ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٧] بنصب وعده وجرّ رسله، وما رُوِي منه في الصحيح كثير؛ كقوله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» ما حكاه ابن الأنباري عن العرب أنّهم يفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالجملة، فيقولون: هذا غلام إن شاء الله ابن أخيك، وكان ابن الأنباريّ صدوقًا ديّنًا ثقة حافظًا. قال أبو عليّ القالي: كان أبو بكر بن الأنباريّ يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن الكريم، وقيل: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا للقرآن الكريم بأسانيدها، وما حكاه الكسائي من قولهم: هذا غلام والله زيد، بجرّ زيد بإضافة الغلام إليه، والفصل بينهما بالقسم.

فإن قلت: لقائلٍ أن يقول: القراءة شاذّة، والأحاديث مرويّة بالمعنى، وما ذكره ابن الأنباريّ والكسائي ليس كمسألتنا.

قلت: لا خلاف بينهم كما نقله السيوطي أن القراءة الشاذّة تثبت بها الحجّة في العربية، ولو نقل لهذا المجترىء الحائد عن طريق الهدى ناقل لم يبلغ في الرتبة أدنى القرّاء، بل ولا عُشْر معشاره كلامًا، ولو عن راعٍ أو أَمَة من العرب لرجع إليه وبنى قواعده عليه، والقرآن المتواتر الذي نقله ما لا يُعَدّ من العدول الفُضَلاء الأكابر عن مثلهم يحكم عليه بالردّ والسماجة. وأمّا الأحاديث، فالأصل نقلها بلفظها وادّعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلّا بدليل، ومَنْ مارس الأحاديث ورأى تثبّت الصحابة والآخذين عنهم رضي الله تعالى عن جميعهم وتحريهم في النقل حتى أنهم إذا شكّوا في لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها أو تركوا روايته بالكلّية عَلِم عِلْم يقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلّا بألفاظها. وأمّا

....

ما نقله ابن الأنباريّ والكسائيّ، فمسألتنا أخرى، لأنهم إذا كانوا يُجيزون الفصل بالجملة، فبالمفرد أوْلى؛ وهذا كلّه على جهة التنزّل وإرخاء العنان، وإلّا فالذي نقوله ولا نلتفت لسواه: أنّ القراءة المشهورة فضلًا عن المتواترة كهذه لا تحتاج إلى دليل، بل هي أقوى دليل، ومتى احتاج مَنْ هو في ضوء الشمس إلى ضوء النجوم، وقد بنى النحويّون قواعدهم على كلام تلقّوه من العرب لم يبلغ في الصحة مبلغ القراءة الشاذّة ولا قارئها، وقبلوا من ذلك ما خرج عن القياس؛ كقولهم: استحوذ، وقياسه استحاذ؛ كما تقول: استقام واستجاب، وكقولهم: للدن غدوة بالنصب والقياس الجرّ، وهو في العربية كثير ليس هذا محلّ تتبّعه والشاميّ هذا رحمه الله ممن يُحتجّ بكلامه؛ لأنه من صميم العرب وفصحائهم، وكان قبل أن يوجد اللَّحن ويتكلّم به لأنه وُلِد في حياة النبيّ ﷺ على قول، وسنة إحدى وعشرين على قولٍ آخر، فكيف بما تلقّاه ورواه عن كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟ كأبي الدرداء وواثلة بن الأسقع ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم، بل نقل تلميذه الذماريّ أنه قرأ على عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه، فهو أعلى القرّاء السبعة سندًا، وكان رحمه الله مشهورًا بالثقة والأمانة وكمال الدين والعلم أفنى عمره في القراءة والإقراء، وأجمع علماء الأمصار على قبول نقله والثقة به فيه، وقد أخذ البخاري عن هشام بن عمّار وهو قد أخذ عن أصحاب أصحابه، قال المحقّق: ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السّلف على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدّة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئًا من قراءته، ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف. اهـ. ويكفي في فضله وجلالته أنّ أفضل الخلفاء بعد الصحابة المُجمع على ورعه وفضله وعدالته، وهو عمر بن عبد العزيز جمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بمسجد دمشق أحد عجائب الدنيا، وهي يومئذ دار الملك والخلافة ومعدن التابعين ومحل محطّ رحال العلماء من كل قطر، وأعظم من هذا كلّه إجماع الصحابة على كتب شركائهم في مصحف الشام بالياء، وقد نَقَل غير واحد من الثقات المتقدّمين والمتأخّرين أنّهم رأوه فيه كذلك، بل نقل العلّامة القسطلاني رحمه الله. عن بعض الثقات أنه رآه في مصحف الحجاز كذلك.

....

فإن قلت: لو كان في مصحف الحجاز كذلك لقرؤوا كقراءته؛ لأن أهل كل قطر قراءتهم تابعة لرسم مصحفهم، ولم يثبت عن أحد من أهل الحجاز أنه قرأ كقراءة الشامي.

قلت: لا يلزم موافقة التلاوة للرسم؛ لأن الرسم سنّة متّبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه، انظر كيف كتبوا وجاىء بألف قبل الياء، ولا أذبحنه ولا أوضعوا بألف بعد لا، ومثل هذا كثير. والقراءة بخلاف ما رسم، ولذلك حكم وأسرار تدلّ على كثرة عِلْم الصحابة ودقّة نظرهم تطلب من مظانّها. سمعت شيخنا رحمه الله تعالى يقول: لو لم يكن للصحابة رضي الله تعالى عنهم من الفضائل إلّا رسمهم المصحف، لكان ذلك كافيًا. وقوله: والذي حمله على ذلك... إلى آخره، يقتضي أن هذا السيّد الجليل يقلّد في قراءته المصحف، ولو لم تثبت عنده بذلك رواية، وحاشاه من ذلك؛ فإنّ هذا لا يستحلّه مسلم فضلًا عن سيّد من سادات التابعين؛ لأنه خرقٌ للإجماع. قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن الحاج في المدخل: لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلّا بعد أن يتعلّم القراءة على وجهها، أو يتعلّم مرسوم المصحف، وما يخالف منه القراءة، فإنْ فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأُمّة. وقوله: ولو قرأ... الخ. فهذا فحش أو أقبح مما قبله؛ لأنه يقتضي جواز القراءة بما تقتضيه العربية مع صحة المعنى، ولو لم ينقل وهو محرم بالإجماع. قال المحقّق في نشره: وأمّا ما وافق العربية والرسم مع صحة المعنى ولم ينقل البتّة، فهذا ردّه أحقّ ومنعه أشدّ ومُرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر وقد ذكر ذلك عن أبي بكر محمّد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقرىء النحويّ، وكان بعد الثلاثمائة. قال الإمام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان: وقد نبغ نابغ في عصرنا، فزعم أن كل مَنْ صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بدعة ضلّ بها عن قصد السبيل.

قلت: وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقرّاء وأجمعوا على منعه وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه محضر كما ذكره الحافظ أبو بكر بن الخطيب في تاريخ بغداد. اهـ. وأدلّة هذا من أقوال الصحابة والتابعين وأئمّة

﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليخلطوا عليهم و(**يشوبوه**) ودينهم ما كانوا عليه من دين (**إسماعيل**) حتى زلوا عنه إلى الشرك ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ (**وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى**) ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (**وما يفترونه**) من (**الإفك**)، أو وافتراءهم لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾ للأوثان ﴿حِجْرٌ﴾ حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات، وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء، والزعم قول بالظن يشوبه الكذب ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي

القراءة كثيرة تركناها خوف الإطالة، والله أسأل أن يعامل الجميع بفضله ولطفه آمين. اهـ بحروفه.

قوله: (**يشوبوه**) الشوب الخلط، وبابه قال.

قوله: (**إسمٰعيل**) رسول ربّ العالمين ابن إبراهيم خليل الرحمٰن صلّى الله تعالى على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، قال الإمام أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخَضِر الجواليقي في كتابه المعرّب: أسماء الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام كلّها أعجميّة، نحو إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق وإلياس وإدريس وأيوب، إلّا أربعة: آدم وصالحاً وشُعيبًا ومحمّدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإنّ إسمٰعيل ونظائره يكتب بحذف الألف، وفي إسمٰعيل لغتان هذه أشهرها، وبها جاء القرآن والثانية إسمٰعين، واختلف العلماء في الذبيح: هل هو إسمٰعيل أم إسحٰق؟ والأكثرون على أنه إسمٰعيل، وكان إسمٰعيل أكبر من إسحٰق على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام. **قوله:** (**وفيه دليل على أن الكائنات كلّها بمشيئة الله تعالى**)، فيكون فيه رَدّ على المعتزلة فيما قالوا: إن المعاصي ليست بمشيئته. **قوله:** (وما يفترونه) . . . الخ. يعني أنّ ما موصولة أو مصدريّة. **قوله:** (**الإفك**) الكِذب.

(البحائر والسوائب والحوامي) ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ حالة الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام (﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾) هو مفعول له أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر، وقسم لا يركب، وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وعيد.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿(وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ) خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ كانوا يقولون في أجنّة البحائر والسوائب: ما ولد منها حيًّا فهو خالص للذكور لا

قوله: (**البحائر**) كان أهل الجاهليّة إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها، أي شقّوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، واسمها البحيرة. **قوله:** (**السوائب**) كان يقول: إذا قَدِمتُ من سفري أو بُرِئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. **قوله:** (**والحوامي**) إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، قالوا: قد حمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من ماء ولا مرعى. **قوله:** (﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾) في التفسيرات الأحمدية: وينبغي أن يعلم أنّ الله تعالى ذكر مسائل المحلّلات والمحرَّمات كثيرًا ردًّا على الكفّار المحلّلين لمحرّمات الله تعالى، والمحرّمين لمحلّلاته بمجرّد افتراء، وتقول بأبلغ ردّ وآكده وأكثر هذه الرسومات البدعة سيما جعل نصيب من الحرث والأنعام للآلهة، وعدم اشتراكه لله تعالى مما قد اشتهر في زماننا بين النساء الناقصات العقل والدِّين، فإنهنّ كثيرًا ما ينذرن نذورًا للشياطين والأجِنّة أو لبعض بني آدم مما جعلنه متديّنًا في زعمهنّ ويحرمن التناول من تلك النذور ما لم يتصدّقن به على وجه اخترعنه باتّباع الهوى النفايسة ويعتقدن أنها إن أخطأنَ فيها أحيانًا يهلك أموالهنّ ويموت أولادهنّ معاذ الله من ذلك، ولعمري إن ما أخبر الله تعالى بشناعة حال الكفار في ذلك ما أصدق دليلًا على بطلان هذه الرسوم التي اشتهَرت بين بعض الأنام، وتفرّد بهذا خاطري، وهو أعلم بحقيقة الحال وحقيقة المقال.

قوله: (﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾). . . الخ. في التفسيرات الأحمديّة: اعلم أنه قد عرفت في كتب الفقه أن الجنين إذا وُجِد في بطن أُمّه حيًّا

يأكل منه الإناث، وما وُلد ميتًا اشترك فيه الذكور والإناث. وأنّث ﴿خَالِصَةٌ﴾ وهو خبر «ما» للحمل على المعنى لأن «ما» في معنى الأجنّة، وذكّر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حملًا

يحلّ بالذبح بالاتّفاق، وإذا وُجِد في بطن أُمّه ميتًا؛ فعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يحل، وعند أبي يوسف ومحمّد والشافعي رحمهم الله: إذا تمّ خلقه أكل وذكاة الأُمّ ذكاة له، وهذه المسألة وإنْ كانت معروفة في كتب الفقه إلّا أنها لم يثبتها أحد من القرآن ولم يتعرّض له، ونحن نُثْبتها من هذه الآية وهي في بيان رسم آخر للكفار وطريقه أنّ الله تعالى ذكر في هذه الآية أولًا ما يقول الكفار من أن ما في بطون هذه الأنعام، يعني أجِنّة البحائر والسوائب، إن يكنّ حيًّا فهو خالِصَة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهو لجملتنا على السواء من غير تفريق بين الرجال والنساء، ثم اعترض عمّا يقولون بقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، أي سيجزيهم جزاء وصفهم للجنين بهذه الصفة بسوء الجزاء وكمال العقاب، وأيضًا ذمّهم بالخسران في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ﴾، والمراد بهم ربيعة ومُضَر وسائر سُفَهاء العرب الذين كانوا يَئِدُون بناتهم مخافة السَّبْي والفقر، وحرَّموا البحائر والسّوائب وسائر ما حلّله الله تعالى. وبالجملة، فعلم أنّ الله تعالى غير راضٍ بهذا الحكم، أي التفريق في الجنين الحيّ بين الذكور والإناث، وعدم التفريق في الجنين الميت بجعله حلالًا للكل، فهٰهنا أمران وعدم رضائه بهذا الحكم يحتمل أن يكون لأجل كِلا الأمرين، ويحتمل أن يكون لأجل الأوّل فقط، ويحتمل أن يكون لأجل الثاني فقط، ولا قائل بالمذهب الأخير، وهو أن يكون لأجل الثاني فقط؛ لأنه حينئذ يكون تفريقهم بين الذكور والإناث في الجنين الحيّ حسنًا، وإنما يُؤاخذون بجعل الكلّ شريكًا في الميت فقط، فتعيّن الأولان ومال الشافعي رحمه الله إلى الثاني منهما، ولذا حكم بأنّ تفريقهم في الجنين الحيّ بين الذكور والإناث باطل، فقال: إن الجنين الحيّ حلال لكلٍّ منهما، وحكم بأن جعل الكفار شريكًا للذكور والإناث جميعًا في الجنين الميت جائز، فقال بأنّ الجنين الميت حلالٌ مطلقًا وسوق النص يقتضي هذا المعنى؛ لأن الآية في بيان تشنيع أن الكفار حرَّموا ما أحلّ الله لهم، والقرينة عليه عموم قوله تعالى فيما بعد: ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ﴾، وإنّما المراد مما رزقهم الله أعمّ من أن يكون بحائر وسوائب أو الجنين، وأنهم لم يُحرِّموا الميتة

على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ أي وإن يكن ما في بطونها ميتة. («وإن تكن ﴿مَّيْتَةً﴾» أبو بكر) أي (وإن تكن الأجنة ميتة، «وإن تكن ميتةٌ» شاميّ على «كان» التامة، ﴿يَكُن﴾ «ميتةٌ» مكيّ) لتقدم الفعل. وتذكير الضمير في ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ لأن الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في جزائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ باعتقادهم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ (كانوا يئدون) بناتهم مخافة (السبي) والفقر (﴿قَتَّلُوٓاْ﴾ مكيّ وشاميّ).

من الجنين، وإنما حرَّموا الحيّ منها على الإناث، ومال أبو حنيفة رحمه الله إلى الأوّل منهما، يعني كما أنّ تفريقهم في الجنين الحيّ باطل كذلك تعميمهم في الجنين الميت بجعله حلالًا للكل أيضًا باطل، وهذا يحتمل أيضًا وجهين، وهو أن يكون هذا التعميم باطلًا، إمّا لأنه يجري فيه التفريق أيضًا بين الذكور والإناث، وإمّا لأنه ضدّ ما قرّرتم، يعني أنه حرام للكل، والأول باطل؛ لأنه لا قائل به أحد، فتعين الثاني، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله من أنّ الجنين الميت حرامٌ للكل، ولا شكّ أن الاحتياط فيه؛ لأن فيه صرف قوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ إلى إبطال جميع ما اعتقده الكفار، وهذا الذي جرى منّا إنما هو بمجرّد ما نسجه عنكبوت خاطري من غير اطّلاع على الكتب، وبيدك التأمّل والإنصاف، وهو أعلم بما هو الصواب. اهـ.

قوله: («وإن تكن») بالتأنيث (﴿مَّيْتَةً﴾) بالنصب (أبو بكر) شعبة عن عاصم، أي (وإن تكن الأجنّة ميتة، «وإن تكن») بالتأنيث («ميتةٌ») بالرفع (شاميّ، على كان التامة. ﴿يَكُن﴾) بالتذكير («ميتةٌ») بالرفع (مكيّ) أي ابن كثير المكّيّ. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يَكُن﴾ بالتذكير ﴿مَّيْتَةً﴾ بالنصب.

قوله: (كانوا يئدون) أي يقتلون. **قوله:** (السَّبْي) أي الأسر. **قوله:** (﴿قَتَّلُوٓاْ﴾) بتشديد التاء (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف.

﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (لخفة أحلامهم) وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر والسوائب وغيرها ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ مفعول له ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الصواب.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ من الكروم ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ (مسموكات) مرفوعات ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ (متروكات) على وجه الأرض لم تعرش، يقال: عرشت الكرم إذا جعلت له (دعائم) و(سمكًا تعطف) عليه (القضبان) ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا﴾ في اللون والطعم (والحجم) والرائحة، وهو حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفًا وهو كقوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: الآية ٧٣] ﴿أُكُلُهُ﴾ («أُكْله» حجازي) وهو ثمره الذي يُؤكل، والضمير للنخل، والزرع داخل في حكمه لأنه معطوف عليه، أو لكل واحد ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ في اللون ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطعم ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ من ثمر كل واحد، وفائدة ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ أن يعلم أن أول وقت الإباحة

قوله: (لخفَة أحلامهم) أي عقولهم تفسير للسّفه.

قوله: (مسموكات) أي مرفوعات. **قوله:** (متروكات) على وجه الأرض لم تعرش، وقيل: المعروشات ما عرشه الناس فعرشوه، وغير معروشات ما نبت في البراري[1] والجبال، وبالأوّل اكتفى صاحب المدارك، وذكرهما جميعًا غيره. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (دعائم) الدعامة ـ بالكسر ـ العِماد. **قوله:** (سَمْكًا) أي سقفًا. **قوله:** (تعطف) في المصباح: عطفت الشيء عطفًا ثنيته أو أمَلْته فانعطف. اهـ. **قوله:** (القضبان) في مختار الصِّحاح: القَضِيب الغُصْن، وجمعه قضبان ـ بضم القاف وكسرها أيضًا ـ نقلهما الأزهري. اهـ. **قوله:** (والحَجْم) في مختار الصحاح: حَجْم الشيء جسده. **قوله:** («أُكْله») بإسكان الكاف (حجازيّ) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازي، أي نافع المدني وابن كثير المكّيّ.

(١) جمع برية معروف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم أنه لا يُباح إلا إذا (أدرك ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ **عشره وهو حجة أبي حنيفة** رحمه الله **في تعميم العشر** ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾

والباقون بالضمّ. **قوله:** (أدرك) أي نضج وتمّ. **قوله:** (﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ **عشره وهو حجّة أبي حنيفة رحمه الله تعالى في تعميم العشر**) ويسمّى هذا زكاة الخارج في الفقه، وبيان المسألة أنّ عند أبي حنيفة رحمه الله في كلّ ما أخرجته الأرض تجب الزكاة إلّا الحطب والقصب والحشيش، ولكن فرّق بين ما سقي بسيح أو سقته السماء، وبين ما سقي بغرب أو دالية، فإنّ الواجب في الأوّل العُشر، وفي الثاني نصفه لكثرة المُؤْنة فيه، وقلّتها في الأول، ولم يشترط بقاءه سنة ولا بلوغه خمسة أوسق عنده وعند أبي يوسف ومحمّد رحمهما الله، هما شرطان لوجوب الزكاة، فليس في الخضروات ولا في القليل زكاة عندهما، وهكذا يوجب العُشر في العسل إذا أُخذ من أرض العُشر؛ لقوله عليه السّلام: «في العسل العُشر». وعند الشافعي رحمه الله: لا يجب؛ لأنه متولّد من الحيوان، فأشبه الإبريسم، ولكن عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لا فرق بين أن يقلّ العسل أو يكثر، وعن أبي يوسف رحمه الله: أنه يعتبر فيه قيمة خمسة أوسق، وفيه روايات كثيرة عنهما، وهكذا يوجب أبو حنيفة رحمه الله العُشر في جميع ثمار الجبال وعسلها؛ لأن المقصود وهو الخارج حاصل. وعن أبي يوسف رحمه الله: أنه لا يجب؛ لانعدام السبب وهو الأرض النامية، ولكن قول أبي حنيفة رحمه الله راجح لما عرفت من معنى معروشات آخر، وهكذا يجب العُشر في دار جُعلت بستانًا إنْ سقاها المسلم بماء العُشْر. وأمّا إنْ سقاها بماء الخراج فخراج، بخلاف ما إذا سقاها الذمّي، فإنه يجب الخراج، وإنْ سقاها بماء العشر؛ لأنه ليس أهلًا للقربة، وبخلاف الدار التي للسكنى، فإنه لا يجب فيها شيء؛ لأن عمر رضي الله تعالى عنه جعل المساكن عفوًا، وإنما أَطْنَبْنا الكلام في هذا الموضع لأنّ الله تعالى جعل الآية مُشتملة على ذكر بستان ثمار وزروع، وذكر من الثمار ثلاثة: النخل والزيتون والرمّان، فبيّنت كلّ واحد منها بملحقاته ناقلًا عن الهداية، وقد أورد هو هذه المسائل كلّها في كتاب الزكاة بتفاصيلها وتفاصيل دلائلها العقليّة والنقليّة، ولعلّه إنما لم يتعرّض لإثباتها من هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ (يَوْمَ حَصَادِهِۦ)﴾ ذهابًا إلى ما عليه الجمهور، وهو أنّ المراد بالحق ما يتصدّق به يوم الحصاد، وكان ذلك واجبًا، ثم نسخه افتراض العُشر أو نصفه لا

بصري وشامي وعاصم، وبكسر الحاء غيرهم. وهما لغتان) ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ بإعطاء الكل وتضييع العيال. وقوله: ﴿كُلُوا﴾ إلى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ اعتراض.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح، أو الحمولة الكبار التي تصلح للحمل

الزكاة المفروضة المعروفة؛ لأن الآية مكِّيّة، والزكاة إنما فُرِضت بالمدينة، كما اختار الشيخ الأجلّ البيضاوي في تفسيره متابعةً لصاحب الكشاف حيث قدّم هذا التوجيه على غيره، ونقل أنه لمّا نزل الأمر بالإيتاء تصدّق ثابت بن قيس كلّ نخلتها التي كانت قريبة بخمسمائة أو ثلاثمائة حتى لم يبق شيءٌ منها، فنزل النهي عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، أي لا تعطوا الصدقة بكلّ المال، وقيل: معناه لا تمنعوا الصدقة، أي لا تجاوزوا عن حدّها، بل أعطوها. وقال الإمام القشيري: كلّ ما بذل الإنسان لنفسه فهو إسراف، وإنْ كان مثل سُمْسمة، وما بذله لله الفقراء، فليس بإسراف، وإنْ كان ألفًا من الخزائن، وهو أقرب؛ هكذا في الحسيني. وقال الإمام الزاهد: قيل: معناه: لا تُسرفوا بالزيادة على العُشر أو بإمساكه، وهو قريب من الأوّل. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

وقوله: (**أبي حنيفة**) هو الإمام البارع نعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة. **قوله:** (﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾) بفتح الحاء (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصريّ، وكذا يعقوب البصريّ، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وعاصم**) بن أبي النَّجود، ويقال: ابن بَهْدلة، وقيل: اسم أبي النَّجود عبد الله، وبهدلة اسم أُمّه، وهو مولى نضر بن قُعَيْن الأسديّ، ويُكنى أبا بكر، وهو من التابعين لحق الحارث بن حسان وافد بني بكر، وتوفي بالكوفة سنة ثمان، وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة. اهـ تيسير. (**وبكسر الحاء غيرهم، وهما لغتان**) في المصدر؛ كقولهم: جِداد وجَداد.

والفرش الصغار (**كالفصلان والعجاجيل**) والغنم لأنها دانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ما أحلّ الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ طرقه في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فاتهموه على دينكم.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى، والواحد إذا كان وحده فهو فرد، وإذا كان معه غيره من جنسه سُمِيَ كل واحد منهما زوجًا وهما زوجان بدليل قوله: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: الآية ٤٥] ويدلّ عليه قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ ثم فسّرها بقوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ والضأن والمعز جمع ضائن وماعز (**كتاجر وتجر**. **وفتح عين المعز: مكيّ وشاميّ وأبو عمرو وهما لغتان**).

والهمزة في ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ للإنكار. والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز، وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأُنثى من المعز والمعنى إنكار أن يحرّم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئًا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل الإناث، وذلك أنهم كانوا يحرّمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها (**طورًا**) وأولادها كيفما كانت ذكورًا أو إناثًا أو مختلطة تارة، وكانوا يقولون: قد حرّمها الله فأنكر ذلك عليهم. وانتصب ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ بـ ﴿حَرَّمَ﴾ وكذا ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي أم حرم الأنثيين وكذا «ما» في ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ﴾

قوله: (كالفصلان) بضم الفاء وكسرها جمع فصيل، والفصيل ولد الناقة إذا فُصِل عن أُمّه. **قوله: (والعجاجيل)** جمع العجل، ولد البقرة.

قوله: (كتاجر وتجر) مثل صاحب وصحب. **قوله: (وفتح عين المعز، مكّي)** أي ابن كثير المكّيّ **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ، **(وأبو عمرو)** البصريّ. وقرأ الباقون بسكون العين، **(وهما لغتان)** في جمع ماعز كخادم وخَدْم وتاجر وتَجْر. **قوله:** (طَوْرًا) ـ بالفتح ـ أي تارة.

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدلّ على تحريم ما حرمتم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الله حرّمه.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ منهما ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ﴾ أم ما تحمل إناثها ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ «أم» منقطعة أي بل أكنتم شهداء ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ﴾ يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم. ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرّم هذا الذي نحرّمه تهكم بهم في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر. **(فوقع الفاصل)** بين **(بعض المعدود وبعضه اعتراضًا)** غير أجنبي من المعدود، وذلك أن الله تعالى مَنَّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فالاعتراض بالاحتجاج على مَن حرّمها يكون تأكيدًا للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لأن وحي السنّة قد حرّم غيره، أو من الأنعام لأن الآية في رد البحيرة وأخواتها. وأما

قوله: (فوقع الفاصل) أي ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الآية. **قوله:** (بعض المعدود) وهو قوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾. **قوله:** (وبعضه)، وهو قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾. **قوله:** (اعتراضًا) أي للاعتراض.

(**الموقوذة**) و(**المتردية**) و(**النطيحة**) فمن الميتة، وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس ﴿مُحَرَّمًا﴾ حيوانًا حرّم أكله ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ على آكل يأكله ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة («**أن تكون**» مكيّ وشاميّ وحمزة «**ميتةٌ**» شاميّ) ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ مصبوبًا سائلًا فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ نجس ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على المنصوب قبله. وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ منصوب المحل صفة لـ ﴿فِسْقًا﴾ أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، وسُمِيَ بالفسق (**لتوغله**) في باب الفسق ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله (**تارك لمواساته**) ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوز قدر حاجته من تناوله ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يؤاخذه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا (كُلَّ) ذِى ظُفُرٍ﴾ أي (**ما له أصبع**) من دابّة أو طائر ويدخل فيه الإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ أي

قوله: (**الموقوذة**) التي أثخنوها ضربًا بعصًى أو حجر حتى ماتت. **قوله**: (**المتردّية**) التي تردَّت من جبل أو في بئر، فماتت. **قوله**: (**النَّطيحة**) المنطوحة، وهي التي نطحتها أخرى، فماتت بالنّطح. **قوله**: («**أن تكون**») بالتاء على التأنيث (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ، (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وحمزة**). والباقون بالياء على التذكير. **قوله**: («**ميتةٌ**») بالرفع (**شامي**) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بالنصب. **قوله**: (**لتوغله**) في مختار الصّحاح: توغّل في الأرض إذا سار فيها وأبْعَد. اهـ. **قوله**: (**تارك لمواساته**) المواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة فقُلِبت واوًا تخفيفًا. اهـ لسان العرب.

قوله: (﴿كُلَّ﴾ **ما له أصبع**) وذوات الأظلاف، وهي البقر والغنم والظباء لا أصبع لها، فهي محلّلة لهم سواء كان ما بين أصابعه منفرجًا؛ كأنواع السباع

حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه، ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم وهي (**الثروب**) وشحوم (**الكلى**) ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من (**السَّحفة**) ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء (**واحدها حاوياء أو حوية**) ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو (**الألية**) أو (**المخ**) ﴿ذَٰلِكَ﴾ مفعول ثانٍ لقوله: ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ والتقدير جزيناهم ذلك ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبَّب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال: (﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾) [البقرة: الآية ١٨٧].

والكلاب والسنانير[١]، أو لم يكن منفرجًا؛ كالإبل والنّعام والإوزّ والبطّ. **قوله:** (**الثّروب**) جمع ثَرب ـ بالثاء المثلّثة والراء المهملة والموحدة ـ وزان فلس وهو شحم رقيق على الأمعاء والكرش.

قوله: (**الكُلى**) بضم الكاف كُلْيَة معروفة. **قوله:** (**السّحفة**) وهي ـ بفتح السين وسكون الحاء المهملة ـ الشحمة التي على الظهر الملتصقة بالجلد فيما بين الكتفين إلى الوركين، وفي الكواشي: هو ما عَلِق بالظهر والجنب من داخل. **قوله:** (**واحدها حاوياء**) كقاصعاء وقواصع (**أو حويّة**) كسفينة وسفائن. **قوله:** (**الألْية**) بالفتح.

قوله: (**المخ**) الودك الذي في العظم. **قوله:** (﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾) كان الرجل إذا أمسى حلّ له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلّي العشاء الأخيرة أو يرقد، فإذا صلّاها أو رقد ولم يفطر حرُم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إنّ عمر رضي الله تعالى عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الأخيرة، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبيّ ﷺ وأخبره بما فعل، فقال ﷺ: «ما كنت جديرًا بذلك»؛ فنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ حين تُبتم مما ارتكبتم من المحظور، وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة؛ فالآن باشروهنّ وجامعوهنّ في ليالي الصوم، وهو أمر إباحة.

---

(١) جمعه سِنَّوْر، والسنور الهرّ، والأنثى سنورة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾
سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما أوحيت إليك من هذا ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ بها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عذابه مع سعة رحمته ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا جاء فلا تغترّ بسعة رحمته عن خوف نقمته.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ إخبار بما سوف يقولونه ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا نشرك ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ ولكن شاء فهذا عذرنا، يعنون أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم (ما أحلّ الله) لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كتكذيبهم إياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم و(تشبثوا) بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك إذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء، ولأنهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم معذورون به وهذا مردود لأنّ الإقرار بالمشيئة، أو معنى المشيئة هنا الرضا كما قال (الحسن): (أي) رضي الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضي، ألا ترى أنه قال ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر، فيجب حمل المشيئة هنا على (ما) ذكرناه دفعًا للتناقض ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ حتى أنزلنا عليهم العذاب ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ فتظهروه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون.

قوله: (ما أحل الله) مفعول تحريمهم. **قوله:** (تشبّثوا) التشبّث بالشيء التعلّق به. اهـ مختار الصّحاح.

قوله: (الحسن) البصري رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أي ما) أي الذي.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته (﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾) أي فلو شاء هدايتكم (**وبه يبطل**) صولة المعتزلة ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ هاتوا شهداءكم وقربوهم، (**ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث**) عند الحجازيين، (**وبنو تميم تؤنث وتجمع**) ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ أي ما زعموه محرمًا ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلّم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدًا منهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن مَن كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقًا بالآيات موحدًا لله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ هم المشركون ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون الأصنام.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿قُلْ﴾ للذين حرموا الحرث والأنعام ﴿تَعَالَوْا۟﴾ هو من الخاص الذي صار عامًا وأصله أن يقول: مَن كان في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه

قوله: (﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾)، فإن المنتفي فيه هو المشيئة فقط دون الرّضا، فإنّ هداية الجميع مرضية، وإنْ لم يتعلّق بها المشيئة.

قوله: (وبه يبطل) قول المعتزلة، وفي بعض النسخ: وبه تبطل صولة المعتزلة. **قوله**: (**ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث**)، نحو: هلمّ يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات. **قوله**: (**وبنو تميم تؤنّث وتُجمع**)، فيقال: هلمّ هلمّا هلمّوا هلمّي هلمن.

(ثم كثر حتى عمّ) ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ الذي حرّمه ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من صلة حرم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ «أن» مفسرة لفعل التلاوة و«لا» للنهي ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأحسنوا بالوالدين إحسانًا. ولما كان إيجاب الإحسان تحريمًا لترك الإحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الأوامر ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ من أجل فقر **(ومن خشيته)** كقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لأن رزق العبيد على مولاهم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ما بينك وبين الخلق ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ ما بينك وبين الله، ما ظهر **(بدل من الفواحش)** ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقصاص والقتل على الردة والرجم ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ أي المذكور مفصلًا أمركم ربكم بحفظه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لتعقلوا عظمها عند الله.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أشده مبلغ حلمه فادفعوه إليه **(وواحده شدّ)** كفلس وأفلس ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالسوية والعدل ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا

قوله: (ثم كثر حتى عمّ) حيث قاله وتكلّم به كلّ مَنْ طلب أن يتقدّم ويصل إليه شخص، سواء كان الطالب في علوّ أو سفل أو غيرهما. **قوله: (ومن خشيته)**. . . الخ. إشارة إلى أن الآية شاملة لقتل الأولاد للفقر الحاصل بالفعل أو لخشية الفقر في المستقبل، والقرآن يفسّر بعضه بعضًا. وقيل: إنّ الخطاب في كلّ آية لصنف منهم، وليس خطابًا واحدًا، فالمخاطَب بقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ من ابتلي بالفقر، وقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] مَنْ لا فقر له، ولكنه يخشى الفقر؛ ولهذا قدّم رزقهم هنا، فقيل: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وقدّم رزق أولادهم في مقام الخشية، فقيل: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] وهو كلامٌ حسن. **قوله: (بدل من الفواحش)** بدل اشتمال.

قوله: (وواحده شدّ) كفلس وأفلس، مثل كَلْب وأكْلُب.

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلا ما يسعها ولا تعجز عنه، وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفوّ عنه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ فاصدقوا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله: (﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾) [النساء: الآية ١٣٥] ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ يوم الميثاق أو في الأمر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين ﴿أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ﴾ أي ما مرّ ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتخفيف حيث كان: حمزة وعلي وحفص على حذف إحدى التاءين. غيرهم بالتشديد أصله «تتذكرون» فأدغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتتعظوا.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ ولأن هذا صراطي فهو علّة الاتباع بتقدير اللام، (﴿وَأَنْ﴾ **بالتخفيف شامي، وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث. «وإنَّ» على الابتداء: حمزة وعلي**) ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات

قوله: (﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾) ولو كانت الشهادة على أنفسكم، والشهادة على نفسه هي الإقرار على نفسه؛ لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحقّ، وهذا لأنّ الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها في الإخبار عن حقّ لأحد على أحد، غير أن الدّعوى إخبار عن حقٍّ لنفسه على الغير، والإقرار للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير (﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾)، أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأُمّهاتكم وأقاربكم، كذا أفاده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة النساء.

قوله: (**﴿وأنْ﴾ بالتخفيف**) أي بفتح الهمزة وتخفيف النون (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن، والحديث، وإنَّ**) بكسر الهمزة وتشديد النون (**على الابتداء حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير اللام.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ **(فتفرقكم أيادي سبأ)** عن صراط الله المستقيم وهو دين

قوله: (فتفرّقكم) يشير إلى أن الباء للتعدية **(أيادي سبأ)** في موضع الحال، أي حال كونكم مثل أيادي سبأ، أو في موقع المصدر، أي تفرّقًا مثل تفرّقهم، وهو تفرّق لا اجتماع بعده، والفاء في فتفرّق جواب النهي، والمضارع المحذوف التاء منصوب بإضمار أن، وفاعله ضمير السبل. **قوله: (أيادي سبأ)** أي في طرق شتّى، واليد في كلام العرب تُطلق على الطريق، يقال: أخذ يد البحر، أي طريقه. وقيل: أيادي سبأ أولاده؛ لأن الأولاد أعضاد للرجل لتقوّيه بهم، والمعنى: مثل تفرّق أولاد سبأ. وفي المفصل: الأيادي الأنفس كنايةً أو مجازًا وهو أحسن من تفسيره بالطرق، وبالأولاد وسبأ مهموز في الأصل غير أنه التزم التخفيف في هذا المثل.

في مجمع الأمثال: «ذهبوا أيدي سبأ وتفرّقوا أيدي سبأ»، أي تفرّقوا تفرّقًا لا اجتماع معه. أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدّثنا أبو خليفة، حدّثنا أبو همام، حدّثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي جناب، عن يحيىٰ بن هانىء، عن فروة بن مسيك[(١)] قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال: «هو رجل من العرب وَلد عشرة تيامن منهم ستّة وتشاءم منهم أربعة. فأمّا الذين تيامنوا، فالأزد وكنده ومَذْحِج[(٢)]، والأشعرون، وأنمار منهم بجيلة. وأمّا الذين تشاءموا، فعاملة، وغسان، ولخم، وجذام، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم، وذلك أنّ الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن فردموا ما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الرّدم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الثاني، ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذّبوا رسولهم بعث الله جرذًا[(٣)] نقبت ذلك الردم حتى انتقض فدخل الماء جنّتيهم فغرقهما ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: الآية ١٦]»، والعرم جمع عرمة. وهي

---

(١) بمهملة مصغرًا. اهـ تقريب. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) كمجلس. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٣) كَصُرَدٍ ضرب من الفار. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الإسلام. (**رُوِيَ أن رسول الله ﷺ خط خطًا مستقيمًا) ثم قال**: «هذا سبيل الرشد

السَّكْر[١] الذي يحتبس الماء. وقال ابن الأعرابي: العرم السَّيْل الذي لا يُطاق. وقال قتادة ومقاتل: العرم اسم وادي سبأ. وأخبرنا الإمام علي بن أحمد أيضًا، أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هٰرون بن محمد الأستراباذي، أخبرنا إسحٰق بن أحمد الخزاعيّ، أخبرنا أبو الوليد الأرزقي، حدّثنا جدّي، حدّثنا سعيد بن سالم القدَّاح، عن عثمان بن ساج، عن الكلبيّ، عن أبي صالح قال: ألقيت طريقة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيّا ابن ماء السماء، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب، وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنّتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكّة، فأقاموا بمكّة وما حولها، فأصابتهم الحُمّى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمّى، فدعوا طريقة فشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا، قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: مَنْ كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد؛ فكانت أزد عمان، ثم قالت: مَنْ كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدَّهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ؛ فكانت خزاعة، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النَّخل؛ فكانت الأوس والخزرج، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير ويلبس الدِّيباج والحرير، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام؛ فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الثياب الرّقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدّم المهراق، فليلحق بأرض العراق؛ فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة وآل محرّق. اهـ.

قوله: (رُوِي أنّ رسول الله ﷺ خطّ خطًا مستقيمًا). . . الخ. هكذا ذكره جماعة أيضًا، فعلم أن تلاوة رسول الله ﷺ هذه الآية حين أقام تلك الخطوط أنّ

---

(١) وهي سدّ النهر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وصراط الله فاتبعوه» ثم خطّ على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال: «هذه سبل

المراد بالطريق الواحد والطرق المختلفة الفرق التي تكون في أُمّته من ثلاثة وسبعين، فاثنان وسبعون منها هالكة، وواحدة منها ناجية، وهكذا يُفهم من الحديث المشهور، وهو قوله عليه السلام: «ستفترق أُمّتي على ثلاثة وسبعين فرقة، واحدةٌ منها ناجية والبواقي هالكة»، أو «كلّهم في النار إلا واحدة»، وفي بعض الروايات: «على بضع وسبعين فرقة»، وفي بعضها: «على اثنين وسبعين فرقة»، والأصحّ هو الأوّل، وهو أنّ الناجية واحدة والهالكة اثنان وسبعون، ولمّا كان هٰهنا مذكور الفرق الإسلامية ونجاتهم وهلاكهم أوردنا بذيل الآية بيان أسمائهم وتفاصيل أقوالهم وعقائدهم ليكون تذكرةً للإخوان وتبصرةً لذوي الأذهان؛ فنقول: الفرقة التي هي ناجية من الجميع، وإنْ كانت مُبهمة يصرفها كل مؤول إلى مَنْ يشاء، ولكن بالتحقيق والصدق مَنْ كان على طريق السنّة والجماعة، أي تابعًا لما كان عليه الصحابة والتابعين ومضى عليه السّلف الصالحون، إذ رُوِي أنه استُفْسِر عليه السلام عنها، فقال: «مَنْ كان على السنّة والجماعة»، وفي رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي رواية عن ابن عباس أنه «مَنْ كان فيه عشر خصال: تفضيل الشيخين، وتوقير الختنين، وتعظيم القبلتين، والصلاة على الجنازتين، والصلاة خلف الإمامين، وترك الخروج على الإمامين، والمسح على الخفّين، والقول بالتقديرين، والإمساك عن الشهادتين، وأداء الفريضتين»، يعني تفضيل أبي بكر وعمر، وتوقير عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهم، وتعظيم بيت المقدس والكعبة، والصلاة على جنازة الفاسق والصالح جميعًا، وكذا الصلاة خلف الإمام الفاسق والصالح جميعًا، وترك الخروج على السلطان الجائر والعادل جميعًا، والمسح على الخفّين في الحضر والسفر جميعًا، والقول بأن تقدير الخير والشرّ كلاهما من الله تعالى، والإمساك عن شهادة الجنّة والنار لأحد بعينه سوى العشرة المبشّرة ونحوهم، وأداء فرض الصلاة والزكاة جميعًا، ولعلّ هذا معظم مسائل أهل السنّة والجماعة، وإلّا فمثل حقيّة عذاب القبر ورؤية الله تعالى وغير ذلك أيضًا مما هو مختصّ بالسنّة والجماعة، أو نقول: إنّ شرائط السنّة والجماعة هي العشرة، والمسائل الأُخر ليست مشروطًا لها، وإنْ كانت مختصّة بها. والفرق الأُخر التي هالكة جميعًا في الأصل ستّة: الروافض، والخوارج، والجبريّة، والقدريّة،

على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها» وتلا هذه الآية. ثم يصير كل

والجهميّة، والمرجئة، ثم يصير كلّ منها اثنا عشر، فيصير اثنين وسبعين. ففرق الروافض علويّة إبرية شيعيّة إسحٰقيّة زيديّة عباسيّة إماميّة متناسخيّة ناوسيّة لاعنيّة راجعيّة مترابطيّة. وفرق الخوارج: أزارقة إباحيّة تعليّة حازميّة خلفيّة نوريّة معتزلة ميمونيّة كنزيّة محكميّة أخنسيّة ثمراخيّة. وفرق الجبرية: مضطريّة أفعاليّة لعبيّة مفروعيّة نجّارية مطيميّة كسليّة شايقيّة حبيبيّة خوفيّة مكرميّة مكسليّة. وفرق القدريّة: أحمديّة نبويّة كساسيّة شيطانيّة شريكيّة وهميّة رويديّة ناكسيّة مبريّة ناسطيّة نظاميّة منزليّة. وفرق الجهميّة: مخلوقيّة غبريّة وافعيّة قربيّة زنادقيّة نغطيّة رابعيّة متراقبيّة واردسيّة فانيّة محربعيّة معطّليّة. وفرق المرجئة: تاركية شائيّة راجيّة ساكيّة بهتيّة عمليّة منقوصيّة مشيّة أسيريّة بدعيّة حشرويّة مشخصيّة؛ هذه أسامي الفرق، وكلّ منها باطلة عقائدهم فاسدة مذاهبهم؛ لأن الروافض بأجمعهم لا يُسِنّون الجماعة والإقامة والمسح على الخفّين والتراويح ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة والتعجيل في الإفطار وصلاة المغرب، ويظنّون تفضيل فاطمة على عائشة، ويلعنون الصحابة كلّهم إلّا عليًا رضي الله تعالى عنهم، ويلعنون طلحة والزبير وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، وييأسون من الرحمة، ولا يقولون بإيقاع الطلاق الثلاث بلفظ واحد حتى يفردها. والخارجيّة بأجمعهم لا يسنّون الجماعة، ويُكفّرون أهل القبلة بالذنب، ويرون الخروج على الإمام الظالم، ويلعنون عليًا رضي الله تعالى عنه. .والجبرية يقولون: لا اختيار للعبد أصلًا، وإنما عليه الجبر؛ ففيه إبطال الثواب والعقاب والحلال والحرام والفرائض والواجبات، ويقولون: المال محبوب الله تعالى. والقدريّة يقولون: الفعل كلّه للعبد، فيلزم فيه الشّرك لله تعالى، ولا يلزم أحد من المحظورين في مذهبنا؛ لأنهم لا يقولون: الخالق لأفعال العباد هو الله، والكاسب هو العبد؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٩٦]، ويقولون: يجوز أن يكون الشيء كفرًا عند الله إيمانًا عند الخلق، ولا يُوجبون صلاة الجنازة ويُنكرون الميثاق، ويزعمون أنّ التوفيق قبل الفعل؛ كما أنّ الجبرية يقولون: إنه بعد الفعل، وعندنا الاستطاعة مقارن مع الفعل لا قبله ولا بعده، ولا يقولون بحقّية المعراج المعروف، بل يظنّون أنه في النّوم معاذ الله عن ذلك. والجهميّة يقولون: الإيمان بالقلب فقط دون اللّسان، ويُنكرون تكلّم موسى

واحد من الاثني عشر طريقًا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين، وعن ابن عباس ﷺ: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب. وعن (كعب):

عليه السلام مع الله تعالى، وكذا يُنكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير والحوض والكوثر، ويُنكرون ملك الموت، ويزعمون أنه أوهام وخيالات، وإنما القابض للأرواح هو الله تعالى. والمُرجئة يقولون: بأنّ الله تعالى خلق آدم على صورته، وبأن له جسمًا وتحيّزوا العرش مكانه، وبأن العبد لا يضرّه ذنب بعد الإيمان، والمعروض على العباد وهو الإيمان فقط، ويُنكرون الصلاة والزكاة وغيرهما من الفرائض والواجبات، ويزعمون أن النساء مثل الرياحين فليأخذها مَنْ يشاء بغير نكاح، وفي هذه الأقوال إنكار كثير من الآيات والسنن وأقوال الصحابة والتابعين، ثبّتنا الله تعالى على عقيدة السنّة والجماعة، وحَفَظنا الله تعالى عن البدعة والضلالة، ونبيّن الردّ على كلٍّ واحدٍ منهم مما وجدته في القرآن بحسب الوِسْع والإمكان إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ كلّاً من الستّة من هذه الأُصول كما اتّفقوا فيما بينهم في هذه المسائل، فلهم أقوال مختلفة فيما بينهم أيضًا، وفي ذكرها إطناب وإملال، وهذا كله رواية من رسالة ابن السراج.

وفي شرح الوقاية: جعل المعطليّة أصلًا، والجهميّة فرعًا منها، وكذا جعل المشبه أصلًا والمرجئة فرعًا منها بالإجمال. وقيل: الأُصول اثني عشر، ولكلٍّ منها ستّة فروع على ما يشير إليه كلام المفسّرين، وقد ذكرها صاحب المواقف بوجهٍ آخر من حيث جعل الأُصول ثمانية: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمُرْجِئة، والنجاريّة والجبريّة، والمشبّهة، والناجية؛ فالمعتزلة عشرون، والشيعة اثنان وعشرون، والخوارج عشرون، والمُرجئة خمسة، والنجّارية ثلاثة، والجبرية واحدة، وكذا المشبّهة والناجية، وذكر أسمائهم وعقائدهم فيما أجمعوا عليه وفيما اختلفوا فيه على تفصيل مخالف لما سبق تركتها للإملال وخوف الإطناب. اهـ تفسيرات الأحمدية.

قوله: (كعب) بن مَاتع ـ بالتاء المثناة فوق ـ وهو كعب الأحبار التابعي المشهور، أدرك زمن النبيّ ﷺ ولم يرَه، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في

إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتكونوا على رجاء إصابة التقوى. ذكر أولًا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾ لأنهم إذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أي اتعظوا فاتقوا المحارم.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا﴾ أي ثم أخبركم أنَّا آتينا أو هو عطف على ﴿قُلْ﴾ أي ثم قل آتينا، أو «ثم» مع الجملة تأتي بمعنى الواو كقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس: الآية ٤٦] ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ على مَن كان محسنًا صالحًا يريد جنس المحسنين دليله قراءة (عبد الله) «على الذين أحسنوا» أو أراد به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وبيانًا مفصلًا لكل ما يحتاجون إليه في دينهم ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون أي بالبعث والحساب وبالرؤية.

خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وصحب عمر وأكثر الرواية عنه، ورَوى أيضًا عن صُهيب. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو هريرة وخلائق من التابعين، منهم ابن المسيّب، واتّفقوا على كثرة عِلْمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين اليهود. مات في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، سنة اثنتين وثلاثين، ويقال له: كعب الأحبار، وكعب الحِبْر ـ بكسر الحاء وفتحها ـ لكثرة عِلمه، ومناقبه وأحواله وحِكَمِه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (عبد الله) بن مسعود، هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب، وأُمّه أُمّ عبد ودّ بن سواء أسلمت وهاجرت، فهو صحابي ابن صحابيّة. أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطّاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لترحموا ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ **(كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا)** ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أي أهل التوراة وأهل الإنجيل، وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ عن تلاوة كتبهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لا علم لنا بشيء من ذلك «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والأصل: وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن، والخطاب لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿أَوْ تَقُولُوا۟﴾ كراهة أن تقولوا ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لحدة أذهاننا و**(ثقابة)** أفهامنا و**(غزارة)** حفظنا **(لأيام العرب)** ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ

مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بإحدى وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة.

قوله: (كراهة أن تقولوا، أو لئلّا تقولوا) حمله البصريّون على حذف المضاف، والكوفيّون على حذف لا.

قوله: (ثقابة) بمثلّثة وقاف وموحّدة بمعنى نفوذ. **قوله: (غزارة)** أي كثرة. **قوله: (لأيام العرب)** أي وقائعها.

مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي إن صدقتم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع، فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بعدما عرف صحتها وصدقها ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وهو النهاية في (النكاية) ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بإعراضهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فما ينتظرون في ترك الضلالة بعدها ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي ملائكة الموت لقبض أرواحهم (﴿يَأْتِيهِمُ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمر ربك وهو العذاب أو القيامة، وهذا لأن الإتيان متشابه وإتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد إليه (﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾) أي (**أشراط**) الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة ﴿نَفْسًا﴾ ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أي إخلاصًا كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضًا أو توبته وتقديره: لا ينفع إيمان مَن لم يؤمن ولا توبة مَن لم يتب قبل ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ إحدى الآيات الثلاث ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ بكم إحداها.

قوله: (النكاية) بالكسر، أي الانتقام.

قوله: (﴿يَأْتِيهِمُ﴾) بالياء على التذكير (**حمزة وعلي**) الكسائي. والباقون بالتأنيث؛ لأن لفظ مؤنث. **قوله:** (﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾) في التفسيرات الأحمديّة: هذه الآية يُفهم منها أوّلًا أن للقيامة علامات تظهر عند أوانها، ويُفهم منها ثانيًا بيان طلوع الشمس من مغربها خاصّة؛ إذ ذكر الله تعالى قوله: ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ مرّتين. وقال في الحسيني: المراد من الأوّل أشراط الساعة مطلقًا، ومن الثاني طلوع الشمس من مغربها. وبيان الأوّل أنّ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ﴾

....

معطوف على يأتي الأوّلِ، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ للإنكار، ومعنى الآية: أنّا أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدونه من الضلالة، فما ينتظرون في ترك الإيمان بعدها ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي ملائكة العذاب أوالموت لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي أمره، وهو العذاب أو القيامة، أو كلّ آياته، يعني آيات يوم القيامة والهلاك الكلّي. وبالجملة لا يستقيم هذا إلّا بحذف المضاف. ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، يعني أشراط الساعة وعلاماتها، والكفار وإن لم ينتظروا في حقّ الإيمان بهذه الأشياء، ولكن لمّا علم الله أنهم اضطرّوا إلى الإيمان عند معاينة هذه المذكورات نزّلهم منزلة المنتظرين لذلك. فالحاصل أنه يثبت أن للقيامة علامات تظهر عند قربها، فبطل بعض ما يتوهم أن القيامة إنما تجيء بغتةً لا علامات لها، مستدلّاً بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]، فمعنى البغتة عندنا أنه بعد ظهور العلاماتِ لا توقيت لها بالأيام والساعات، بل إنما تجيء بغتةً، فلها علامات صغرى وكبرى، وعلاماتها الصغرى كثيرة والمعظم منها وهو الكبرى عشرة، ولعلّه هو المراد هٰهنا. وهو ما نُقِل عن حُذيفة والبراء بن عازب ﷺ: إنّا كنا نتذاكر الساعة إذ اطّلع علينا رسول الله ﷺ، فقال: «ما تذاكرون»؟ قلنا: نتذاكر الساعة، قال: «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشرة آيات»، فذكر: الدخان، ودابّة الأرض، وخسفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرَةِ العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، ونارًا يخرج من عدن يمن يطرد الناس إلى محشرٍ لهم، هذا لفظ الحديث والله تعالى قد نصّ في كتابه طلوع الشمس من مَغْرِبها، وبيان الدخان والدابّة، ونزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وخروج يأجوج ومأجوج، ولم أطّلع على بيان الخسوف والدجال والنار في كتاب الله تعالى، وسأذكر كلّاً منها في محالّها مفصّلًا إن شاء الله تعالى، هذا ما هو المشهور.

وذكر الإمام الزاهد في سورة النمل في بيان دابّة الأرض برواية ابن مسعود ﷺ أن أشراط القيامة عشرة: خمسٌ منها مضى، وهي: وجود النبيّ ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان، واللزام، والبطشة، وقيل: هو واللزام واحد كلاهما

....

عذاب يوم بدر. وخمسة بقيت، وهي: خروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وطلوع الشمس من المغرب، ونزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وخروج الدابّة من الأرض؛ وهذه الرواية مخالفة لما هو المشهور. وبيان الثاني: أن قوله تعالى: ﴿نَفْسًا﴾ مفعول لقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِيمَٰنُهَا﴾ فاعله وهو قوله تعالى: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة لها. وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ءَامَنَتْ﴾ داخل تحت النفي، ومعنى الآية: يوم يأتي بعض آيات ربّك وهو طلوع الشمس من مغربها لا ينفع الإيمان لمن لم تكن قد آمنت من قبل، أو لم تكن كسبت في إيمانها خيرًا، أي لم تعمل صالحًا من قبل، وهذا على مذهب مَنْ يدخل الأعمال في الإيمان ظاهرًا. وأمّا على مذهبنا، فمشكل وجوابه ما أشار إليه صاحب المدارك: أنّ المراد بالخير الإخلاص أو التوبة، فيكون المعنى على الأول: لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفسًا لم تكسب في إيمانها إخلاصًا، أعني كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، ولا يقبل إخلاص المنافق أيضًا. وعلى الثاني: لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفس توبتها لم تعمل صالحًا، أعني كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، كذلك لا يقبل توبة المؤمن الذي لم يتب من قبل، فحينئذ يكون العمل غير داخل في الإيمان، سواء كان في ذلك اليوم أو في غيره، هذا ما ذُكِر في المدارك. وقد ضعّف الجواب الأول الإمام الزاهد، بأنه يدلّ على وجود مطلق الإيمان للمنافق، وليس كذلك. وأوّل الجواب الثاني بأنّ توبة المؤمن وقت طلوع الشمس من مغربها في مشيئة الله تعالى، لا أنه غير مقبول البتّة، كما هو حال توبة اليأس على ما فصّلناه سابقًا، ولكن نُقِل في الحسيني عن المعالم على وفق الحديث أن إيمان الكافر وتوبة الفاسق لا يُقبل في هذا اليوم. وذكر في بيان قصة طلوع الشمس من مغربها أنه قد جاء في الأثر أنّ ليلة يوم طلوع الشمس فيه من مغربها كانت طويلة غاية الطول يدرك طولها العباد والمتهجّدون، حتى أنهم إذا فرغوا من أورادهم وتهجّدهم انتظروا الصبح ولم يظهر، ثم اشتغلوا بالعبادة زمانًا طويلًا وبعدها انتظروا الصبح حتى لم يظهروه، فعلموا أنّ فيه سرًّا من أسرار الله تعالى ونوعًا من البلايا والآفات، فاشتغلوا بالتضرّع

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه وصاروا فرقًا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث («**افترقت اليهود**) على إحدى وسبعين فرقة كلها

والتوبة والاستغفار حتى رأوا أثر الصبح اطلع من الأفق الغربي، وشاهد ذلك جميع الناس وتحيّروا واضّطروا، واشتغل الكفار بالإيمان والفاسقون بالتوبة، لكنه لا ينفع؛ لأنه حالة الاضّطرار لا الاختيار، وفقني الله تعالى للتوبة من المعاصي التي تصدر قبل طلوع الشمس من مغربها. وقد ذكر القاضي البيضاوي في توجيه الآية عند مَنْ لم يدخل الأعمال في الإيمان ثلاث وجوه: الأول، وهو الحقّ: تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم، أي يوم طلوع الشمس من مغربها، أو يوم الموت كما قيل. وأمّا الجواب: أن الآخران اللذان ذكرهما القاضي البيضاوي من أنه يحتمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى أنه لا ينفع نفسًا لم تكن آمنت أو لم تكن كسبت في الإيمان خيرًا حتى نفسًا خلت عنهما، لا أنها خلت عن العمل فقط، ومن أنه يعطف كسبت على لم تكن، يعني لا ينفع نفسًا إيمانها التي أحدثته حينئذ، وإن كسبت في إيمانها أخيرًا، فمحجوبان بوجوه، ذكرها الشيخ العصام درايةً عن نفسه وروايةً عن غيره، والكلام فيها لا يخلو من إطناب.

وفي التلويح أيضًا كلامٌ يخالفه، وهو أن أو إذا استُعلمت في النفي يفيد شمول العدم إلا إذا قامت قرينة، فيفيد عدم الشمول، كما في هذه الآية حمله جار الله على عدم الشمول، ولهذا قال: يدلّ على عدم الفرق بين النفس الكافرة إذا آمنت عند ظهور أشراط الساعة، وبين النفس التي آمنت قبلها، ولم تكسب خيرًا ولم يحمل على شمول العدم، بمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ للنفس التي لم تقدم الإيمان ولا كسبت الخير في الإيمان؛ لأنه يكون ذكر نفي كسب الخير في الإيمان بعد نفي الإيمان تكرارًا. اهـ.

قوله: (أشراط) جمع شَرَط ـ بفتحتين ـ بمعنى العلاّمة.

قوله: (افترقت اليهود). . . الخ. وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان وصححه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(في الهاوية) إلا واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية وإلا واحدة، وتفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي **(السواد الأعظم»)** وفي رواية «وهي ما أنا عليه وأصحابي» وقيل: فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. («**فارقوا دينهم» حمزة وعلي)** أي تركوا ﴿وَكَانُوا۟ (شِيَعًا)﴾ فرقًا كل فرقة تشيع إمامًا لها ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي من السؤال عنهم وعن تفرّقهم أو من عقابهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟﴾ فيجازيهم على ذلك.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ **(تقديره عشر حسنات أمثالها)** إلا أنه أقام صفة الجنس المميز المقام الموصوف.

قوله: (في الهاوية) هي من أسماء النار، سُمِّيت به لكونها ذات هويّ يسقط المجرمون فيها، يقال: هوى يهوي هويًا إذا سقط. **قوله: (**السواد **الأعظم)** يعبّر به عن الجماعة الكثيرة. **قوله: (فارقوا دينهم)** بألف بعد الفاء وتخفيف الراء من المفارقة، وهي الترك؛ لأن مَنْ آمنَ بالبعض وكفر بالبعض فقد ترك الدِّين القيِّم، أو فاعل بمعنى فعل من التفرقة والتجزئة، أي آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. **(حمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بتشديد الراء بلا ألف فيهما. **قوله: (﴿شِيَعًا﴾)** يقال: شائعة يشايعه شياعًا، أي تبعه.

قوله: (تقديره عشر حسنات أمثالها) يعني أن ظاهره أن يقال: عشرة أمثالها بإلحاق التاء؛ لأن الأمثال جمع مثل وهو مذكّر، وقد تقرّر أن ثلاثة إلى عشرة إذا أُضيف إلى مذكر يجب إلحاق التاء بالعدد، نحو ثلاثة رجال إلى عشرة رجال، ولم يُلحق التاء بالعشرة هٰهنا لأن الأمثال ليس مميّزًا للعشرة، بل مميّزها هو الحسنات والأمثال صفة لمميّزها. روى أبو ذرّ رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصّلاة والسّلام قال: «الحسنة عشرًا وأزيد، والسيّئة واحدة أو أحقر، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره»، وقال عليه الصّلاة والسلام حكايةً عن الله تعالى: «إذا همّ عبدي بحسنة فاكتبوها، وإنْ لم يعملها. وإذا عملها فعشر أمثالها، وإنْ همّ بسيّئة فلا تكتبوها،

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (بنقص الثواب وزيادة العقاب).

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ («رَبِّيَ» أبو عمرو ومدني) ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا﴾ نصب على البدل من محل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ لأن معناه هداني صراطًا بدليل قوله: ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح: الآية ٢٠] (قيّمًا) («قيمًا») فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم ﴿قِيَمٗا﴾ (كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان)

فإنْ عملها فسيّئة واحدة»، فإن قيل: كفر ساعة يوجب عقاب الأبد على نهاية التغليظ، فما وجه المماثلة؟ وأجيب بأن الكافر على عزم أنه لو عاش أبدًا لبقي على ذلك الاعتقاد، فلمّا كان العزم مؤبّدًا عُوقب بعقاب الأبد بخلاف المسلم المذنب، فإنه يكون على عزم الإقلاع عن ذلك الذنب، فلا جرم كانت عقوبة منقطعة. **قوله:** (بنقص الثواب وزيادة العقاب) أي ليس نقص الثواب وزيادة العقاب ظلمًا، لأن له أن يعذّب المطيع ويعفو عن المُسيء؛ إذ لا إيجاب عندنا، فليس هذا مذهب المعتزلة.

قوله: («رَبِّيَ») بفتح ياء الإضافة وصلًا (أبو عمرو ومدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بالإسكان. **قوله:** («قَيِّمًا») بفتح القاف وكسر الياء المشدّدة على أنه صفة مشبّهة «فَيْعِل من قام». . الخ. فأصله قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت، أي دينًا مستقيمًا، قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو: «قِيَماً» بكسر القاف وفتح الياء مخفّفة (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وهو مصدر بمعنى القيام)، والمعنى دينًا قائمًا ثابتًا لا زوال له، مثل رجل عدل. (وصف به) الدِّين مبالغة أو بمعنى ذا قيم. **قوله:** (﴿مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان)، فإنّ الملّة والدِّين وإنْ كانا عبارتين عمّا شرّعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصّلوا باتّباعه إلى أجَلِّ ثوابه، إلّا أن المِلّة لما ذُكرت مضافة كان فيها زيادة التوضيح، فصلُحَت أن تكون عطف بيان للدِّين، والمِلّة من

﴿حَنِيفًاۚ﴾ (حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾) ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله يا معشر قريش.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي عبادتي، والناسك العابد أو ذبحي أو حجّي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ (وما أتيته) في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالصة لوجهه. «محياي ومماتي» بسكون الياء الأول وفتح الثاني: (مدني). وبعكسه غيره ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ في شيء من ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (**لأن إسلام كل نبيّ متقدم على إسلام أُمته**).

أمْلَلت الكتاب، أي أمليته وما شرعه الله تعالى لعباده سُمّي ملّة من حيث إنه يدوّن ويُملى ويُكتب ويتدارس بين مَن اتّبعه من المؤمنين، ويُسمّى دينًا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنّهُ، أي جعله لهم سننًا وطريقًا. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: الدِّين هو الطريقة المخصوصة الثابتة من النبيّ ﷺ يسمّى من حيث الانقياد له دينًا، ومن حيث يُملى ويبيَّن للناس مِلّة، ومن حيث بيَّنها الله، ومن حيث يردها الواردون المتعطّشون إلى زلال نَيْل الكمال شرعًا وشريعة؛ فالدِّين يُضاف إلى الله تعالى وإلى النبيّ ﷺ وإلى آحاد الأُمّة والمِلّة إلى النبيّ ﷺ وإلى الأُمّة، وكذا الشريعة. اهـ. **قوله: (حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾)** وجاز الحال في مثل هذا المضاف إليه لكونه في المعنى بمنزلة الحال عن المضاف الذي هو معمول الفعل. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وما أتيته) يريد أن المَحْيا والممات مجازان عمّا يقارنهما ويكون معهما من الإيمان والعمل الصالح؛ لأنه المناسب للحكم عليه بكونه خالصًا لوجه الله؛ كالصلاة وسائر العبادات، إلّا أنه لا يكفي في العبادات أن يأتى بها كيف كانت، بل يجب أن يُؤتى بها مع تمام الإخلاص، وأنه تعالى لا يقبل إلّا ما كان خالصًا لوجهه. **قوله:** (مدني) أي نافع المدني رحمه الله. **قوله: (لأن إسلام كل نبيّ متقدّم على إسلام أُمّته)**، وإليه الإشارة بقوله **في الحديث**: «أوّل ما خلق الله نوري». اهـ شهاب رحمه الله.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم. والهمزة للإنكار أي منكر أن أطلب ربًّا غيره، وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهم ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جواب عن قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العنكبوت: الآية ١٢] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الأديان التي فرقتموها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ لأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين فأُمته قد خلفت سائر الأُمم، أو لأن بعضهم يخلف بعضًا أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرّفون فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في الشرف والرزق وغير ذلك ﴿دَرَجَـٰتٍ﴾ مفعول ثانٍ، أو التقدير إلى درجات، أو هي واقعة موضع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف (**بالوضيع**) والغني بالفقير والمالك بالمملوك ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن كفر ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها، ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آتٍ قريب (﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾) [النحل: الآية ٧٧] (**عن النبي ﷺ**: «**مَن قرأ ثلاث**

قوله: (بالوضيع) في المصباح: وضع في حسبه بالبناء للمفعول فهو وضيع، أي ساقط لا قدر له. اهـ. **قوله:** (﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾) في قرب كونها وسرعة قيامها (﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾) كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يُعرف زمان أقلّ منه (﴿أَوْ هُوَ﴾) أي الأمر (﴿أَقْرَبُ﴾)، وليس هذا الشكّ المخاطَب، ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار، وقيل: بل هو أقرب، كذا أفاده المصنف رحمه الله في تفسير سورة النّحل. **قوله: (عن النبيّ ﷺ**: «مَن قرأ ثلاث**

آيات من أول الأنعام حين يصبح وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة»).

آيات من أوّل الأنعام حين يصبح وكّل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه، وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة»). أخرج أبو الشيخ عن حبيب أبي محمّد العابد، قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أوّل الأنعام إلى ﴿تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٣] بعث الله له سبعين ألف ملك يدعونه إلى القيامة، وله مثل أعمالهم، فإذا كان يوم القيامة أدخله الجنّة وأسقاه من سلسبيل وغسله من الكوثر، وقال: أنا ربك حقًّا وأنت عبدي حقًّا». وأخرج ابن الضّريس عن حبيب بن عيسى العمّيّ ابن محمد الفارسي قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام بعث الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة، وله مثل أُجورهم، فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنّة وأظلّه في ظلّ عرشه وأطعمه من ثمار الجنّة، وأشربه من الكوثر، واغتسل من السلسبيل، وقال الله: أنا ربّك وأنت عبدي». وأخرج السلفي بسنده عن ابن عباس مرفوعًا: «من قرأ إذا صلّى الغداة ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام إلى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية ٣] نزل إليه أربعون ألف ملك يكتب له مثل أعمالهم، ونزل إليه ملك من فوق سبع سمٰوات معه مرزبّة من حديد، فإن أوحى شيطان في قلبه شيئًا من الشيء ضربه ضربة حتى يكون بينه وبينه سبعون حجابًا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: أنا ربك وأنت عبدي، امْشِ في ظلّي واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وادخل الجنّة بغير حساب ولا عذاب». وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى الفجر في جماعة وقعد في مصلّاه وقرأ ثلاث آيات من أوّل سورة الأنعام وُكّل به سبعون ملكًا يسبّحون الله ويستغفرون له إلى يوم القيامة».

اللّهمّ كما يسّرت لنا إتمام التشرّف بسورة الأنعام يسّر لنا الإتمام، وأجرِ ما عوّدتنا من بدائع الإنعام، في مطلع كل ابتداء ومقطع كل اختتام، واهد عنّا لنبيّك محمّد ﷺ أفضل صلاة وسلام، ومثل ذلك لآله وصحبه الكرام، على مدى الليالي والأيام، تمّ ما يتعلّق بسورة الأنعام، بعون الله الملك العلّام.

(سورة الأعراف)

(مكّيّة وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفيّ ومدنيّ)

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ قال (الزجاج): المختار في تفسيره ما قال (ابن عباس) رضي الله عنهما: أنا الله أعلم وأفصل ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ صفته والمراد بالكتاب السورة ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ شك فيه، وسُمي الشك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأعراف مكِّية، وهي مائتان وخمس آيات بصري وستّ كوفي ومدني)، وكلماتها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها أربعة عشر ألفًا وثلاثمائة وعشرة أحرف.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمّد النّحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، فنُسِب إليه. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى.

قوله: (ابن عباس) بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، كُني بابنه العباس وهو أكبر أولاده، وكان يقال لابن عباس: حبر الأُمّة والبحر لكثرة علمه، دعا له رسول الله ﷺ بالحكمة وحنّكه بريقه حين وُلد وهم في الشعب، وقال ابن مسعود: نِعْم ترجمان

حرجًا (**لأن الشاك ضيق الصدر حرجه**) كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي

القرآن ابن عباس. وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشدّ إليه الرحال ويُقصد من جميع الأقطار، ومشهور في الصحيحين تعظيم عمر بن الخطاب لابن عباس واعتداده به وتقديمه مع حداثة سنة، وعاش بعده ابن عباس نحو سبع وأربعين سنة يُقصد ويُستفاد ويُعتمد، وهو أحد العبادلة الأربعة: ابن عمر، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وابن الزبير. وكان ابن عباس أحد الستة من الصحابة الذين هم أكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ، وهم: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم جابر، وابن عباس، وأنس، وعائشة رضي الله تعالى عنهم. رُوِي لابن عباس عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستّ مائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. رَوى عنه ابن عمر وأنس وأبو الطفيل وأبو أُمامة بن سهيل، وروى عنه خلائق لا يُحصون من التابعين. وُلِد ابن عباس عام الشّعب في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن عشر، وهو ضعيف، وقيل: ابن خمس عشرة، ورجّحه أحمد بن حنبل وغيره. وتوفي بالطائف سنة ثمان وستّين، قاله الواقدي وابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن نمير. وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة سبعين، وحكى ابن الأثير قولًا أنه سنة ثلاث وسبعين، وضعّفه وهو غريب ضعيف أو باطل، وصلّى عليه محمّد ابن الحنفية، وقال: اليوم مات ربّانيّ هذه الأُمّة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (لأن الشاك ضيق الصدر حرجه)، أي الصدر لمّا فسَّر الحرج بالشكّ، ومن المعلوم أن لفظ الحرج ليس حقيقةً فيه، فتعيّن كونه مجازًا فيه احتاج إلى بيان العلاقة بين المعنى الأصليّ والمجازي أن الحرج من لوازم الشكّ، واللفظ المستعمل في الملزوم مع عدم إمكان إرادة المعنى الأصلي مجازًا؛ إذ لا يمكن هٰهنا إرادة الحرج، إذ لا معنى لتحرّج القلب من نفس الكتاب، أو من نفس إنزاله، أو من نفس استناد إنزاله إلى الله تعالى، فإنّ كل ذلك يتمثّل في القلب ويرتسم فيه، فلا يحرج من الجزم بكونه منزّلًا من عند الله تعالى، وإنّما المتصوّر أن يحرج القلب من عدم التيقّن بكونه منزّلًا من عند الله تعالى، فإن الشكّ في

لا شك في أنه منزّل من الله **(أو حرج منه بتبليغه)** لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم، **(والنهي متوجّه إلى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه)**، والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد إنزاله حرج في صدرك. واللام في ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ متعلّق بـ ﴿أُنزِلَ﴾ أي أنزل إليك لإنذارك به، أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار به لأن صاحب اليقين **(جسور)** متوكل على ربه ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل النصب

الحكم لا يستقرّ في قلبه أحد طرفي النسبة فيضيق قلبه منه، ومَنْ في قوله: منه سببّية، أي لا يمكن في قلبك حرج بسببه، وضمير منه يرجع إلى الإنزال المُسنَد إليه تعالى المدلول من قوله: أنزلناه. **قوله: (أو حرج منه بتبليغه)**، فحينئذ يكون الحرج عل أصل معناه، ويُقدّر المضاف، فإنّ الحرج حقيقةً لا يختصّ بالأجسام والضيق المكاني. **قوله: (والنهي متوجّه إلى الحرج، وفيه من المبالغة ما فيه)** مع أنّ الحرج ليس مما يُؤمر ويُنهى بالكون في الصدر أو عدم الكون فيه، والنهي من باب التهييج والإلهاب ليداوم على اليقين ويزيد فيه؛ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: الآية ٩٤]، وقيل: المراد نهي أُمّته عن الشكّ؛ لأن الأمر والنهي إنما يتعلّقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والتّرك، والحرج ليس كذلك، إلّا أنه لما قصد المبالغة في نهي المخاطَب عن كونه في حرجٍ عبّر عن عدم كونه في حرج بعدم كون الحرج في صدره على طريق ذكر اللازم وإرادة الملزوم، فإنّ الكناية أبلغ من الصريح، فإنّ قولك: لا أرينك هٰهنا أبلغ من أن يقال: لا تكوننّ هٰهنا، ولا تحضرنّ فيه، فإنّ عدم كون المخاطب في ذلك المكان ملزوم رؤية المتكلّم إيّاه فيه، فعبّر عن الأول بالثاني لكون نهي المتكلّم عن نفسه عن رؤية المخاطب فيه أبلغ في نهي المخاطَب عن الحضور فيه، لكون النهي الأول كالبيِّنة للثاني، ولا شكّ أن إثبات الشيء ببيِّنة أبلغ من مجرّد الإثبات، ومثله في الأمر قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٣]، فإنّ ظاهره أمر الكفار بأن يجدوا في المؤمنين غلظة، والمراد أمر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار، ولمّا كان وجدان الكفّار غلظة في المؤمنين لازمًا لغلظة المؤمنين عليهم، وكان طلب المؤمنين اللازم أبلغ من طلب الملزوم عبّر عن غلظة المؤمنين عليهم بذلك. **قوله: (جسور)** في

بإضمار فعلها أي لتنذر به وتذكر تذكيرًا، فالذكرى اسم بمعنى التذكير، أو الرفع بالعطف على ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي هو كتاب وذكرى للمؤمنين، **(أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، أو الجر بالعطف على محل** ﴿لِتُنذِرَ﴾) أي للإنذار وللذكرى.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي القرآن والسنة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله ﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾ أي ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره و﴿قَلِيلٗا﴾ نصب بـ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون تذكرًا قليلًا. و«ما» مزيدة لتوكيد القلّة (**«يتذكرون» شاميّ**).

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾

﴿وَكَم﴾ مبتدأ ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ تبيين والخبر ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ **(أي أردنا إهلاكها)** كقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: لآية ٦] ﴿فَجَآءَهَا﴾ جاء أهلها ﴿بَأۡسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين، يقال: بات بياتًا حسنًا ﴿أَوۡ

مختار الصِّحاح: جَسِر على كذا أقدم، يجسر ـ بالضم ـ جسارة ـ بالفتح ـ وتجاسر أيضًا، والجسور ـ بالفتح ـ المِقدم. اهـ. **قوله: (أو بأنه خبر مبتدأ محذوف)**، أي هو ذكرى عطفًا على جملة هو كتاب، فيكون كل من الحكمين مستقلاً بخلاف ما إذا جُعل عطفًا على كتاب، فإنّ المعنى أنه جامع بين كونه كتابًا وتذكيرًا. **قوله: (أو الجرّ بالعطف** على **محل** ﴿لِتُنذِرَ﴾)، فإنّ الفعل فيه منصوب بأن المضمرة بعد لام كي، فانسبك منهما المصدر، فكأنه قيل للإنذار والتذكير، فإنّ ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير.

قوله: («يتذكرون») بياء قبل التاء مع تخفيف الذال **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بتاء فوقية واحدة بلا ياء قبلها، وخفّف الذال حفص وحمزة والكسائي وخلف على أصلهم. والباقون بالتشديد.

قوله: (أي أردنا إهلاكها) قدّر الإرادة لدلالة قوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ على تقديرها؛ إذ لو لم تقدّر لزم أن يكون مجيء البأس بعد الإهلاك وعقيبه، وليس كذلك، بل الأمر بالعكس.

﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾ حال معطوفة على ﴿بَيَٰتًا﴾ كأنه قيل: فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين. وإنما قيل: ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾ بلا «واو» ولا يقال: «جاءني زيد هو فارس» بغير واو، لأنه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالًا لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل. وخصّ هذان الوقتان لأنهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيما أشد وأفظع. وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة. وقيل: ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا أي ليلًا وهم نائمون أو نهارًا وهم قائلون.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ (دعاؤهم وتضرّعهم) ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ لما جاءهم أوائل العذاب ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك. و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ اسم «كان» و﴿أَن قَالُوٓا۟﴾ الخبر ويجوز العكس ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أرسل مسند إلى إليهم أي فلنسألن المرسل إليم وهم الأمم عما أجابوا به رسلهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عما أجيبوا به.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم وعما وجد منهم (ومعنى السؤال التوبيخ) والتقريع (والتقرير إذا فاهوا) بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم.

قوله: (دعاؤهم وتضرّعهم)، فإنّ الدَّعوى قد تجيء بمعنى الدعاء والتضرّع، ومنه ما حكاه الخليل: اللّهمّ أشركنا في صالح دعوى المسلمين، أي في صالح دعائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ١٥]، والمعنى لم يكن دعاؤهم ربّهم إلّا هذا القول لعلمهم بأن ليس الحين حين دعاء.

قوله: (ومعنى السؤال التوبيخ). . . الخ. جواب عمّا يقال: المقصود من السؤال أن يُخبر المسؤول عن كيفيّة أعماله، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنّهم كانوا يقرّون بأنهم كانوا ظالمين، فما فائدة هذا السؤال؟ وتقرير الجواب أنهم لمّا أقرّوا

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَالْوَزْنُ﴾ أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يسأل الله الأمم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين ﴿الْحَقُّ﴾ أي العدل صفته (ثم قيل: توزن صحائف الأعمال) بميزان (له لسان وكفتان

بأنهم كانوا ظالمين مقصّرين سُئِلوا بعد ذلك عن سبب ظلمهم وتقصيرهم تقريعًا وتوبيخًا، وكذلك الرُّسل يُسألون مع العلم بأنهم لا يصدر منهم التقصير البتّة يظهر عدم تقصيرهم في تبليغ ما حملوه من الرسالة، ويلحق التقصير كلّه بالأُمّة، فيتضاعف إكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم من جميع مُوجبات التقصير، ويتضاعف الخزي والإهانة في حقّ الكفار. **قوله:** (إذا فاهوا) أي تكلّموا، يتعلق بقوله: (والتقرير)، يعني إذا تكلّموا بألسنتهم، فكان تقرير الاستحقاق الوعيد.اهـ محشيّ رحمه الله.

قوله: (ثم قيل: تُوزن صحائف الأعمال)... الخ. في تفسير وزن الأعمال قولان: الأوّل ما ورد في الخبر أنّ الله تعالى ينصب ميزانًا له لسان وكفّتان يوم القيامة يُوزن به أعمال العباد خيرها وشرّها، إمّا بأن تصوّر أعمال المؤمنين بصورة حسنة، وتصوّر أعمال الكافر بصورة قبيحة، فتُوزن تلك الصورة أو توزن الصحف التي كتبت فيها أعمال العباد. والقول الثاني، وهو قول مجاهد والضحاك والأعمش أنّ المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا القول، وحَمْل لفظ الوزن على هذا المعنى شائع في اللغة، فإنّ العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر له أثر إلّا بالكيل والوزن في الدنيا، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل بأن يذكر وزن الأعمال، ويُراد القضاء بالعدل في أمر المُجازاة عليها، ويعبّر عن القضاء بالعدل بالوزن لكون الوزن طريقًا لظهور العدل، ويقوّي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره، يقال: إنّ فلاناً لا يقيم لفلان وزنًا، قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥].

قوله: (له لسان) في لسان العرب: لسان الميزان عَذَبَتَه.اهـ. وأيضًا فيه: العَذَبَة الخَيْط الذي يرفع به الميزان.اهـ. **قوله:** (وكفتان) بكسر الكاف وفتحها.اهـ مختار الصِّحاح. وفي لسان العرب: كفّة الميزان الكسر فيها أشهر، وقد حُكِي فيها

إظهارًا للنصفة) وقطعًا للمعذرة. وقيل: هو عبارة عن القضاء السويّ والحكم العادل والله أعلم بكيفيته ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ هم الكفّار فإنه لا إيمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون في ميزانهم خير فتخف موازينهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها في غير موضعها أي جحودها وترك الانقياد لها ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعلنا لكم فيها مكانًا وقرارًا، أو مكنّاكم فيها وأقدرناكم على التصرّف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما. **(والوجه تصريح الياء)** لأنها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة، **(وعن نافع)** أنه همز تشبيهًا بصحائف ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ مثل ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: الآية ٤٢].

الفتح وأباها بعضهم. اهـ. **قوله: (إظهارًا للنُّصفة)** وقطعًا للمعذرة بيان لحكمة الوزن، وقوله: النُّصفة، في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عامَلته بالعدل والقسط، والإسم النَّصَفة ـ بفتحتين ـ. اهـ

قوله: (والوجه تصريح الياء) وعليه الجمهور. **قوله: (وعن نافع)**... الخ. ورُوِي عن نافع: معائش بالهمزة، فقال النحويّون: إنه غلط؛ لأنه لا يهمز عندهم بعد ألف الجمع إلا الياء الزائدة، كصحيفة وصحائف. وأمّا معايش، فياؤه أصليّة في عين الكلمة؛ لأنها من العيش، حتى قال أبو عثمان: إنّ نافعًا لم يكن يدري العربية، وردّ هذا بأن العرب قد تشبه الأصلي بالزائد لكونه على صورته، وقد سمع عنهم هذا في مصائب ومناير ومعايش؛ فالمغلط هو الغالط، والقراءة، وإنْ كانت شاذّة غير متواترة مأخوذة عن الفُصحاء الثقات. وأمّا قول سيبويه: إنها غلط، فإنه عنى أنها خارجة عن الجادّة والقياس، وهو كثير ما يستعمل الغلط في كتابه بهذا المعنى، وإلى ما ذكر أشار المصنّف رحمة الله عليه. اهـ شهاب. وفي غيث النفع

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينًا غير مصوّر ثم صوّرناه بعد ذلك دليله ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ممن سجد لآدم عليه السلام ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «ما» رفع أي أيّ شيء منعك من السجود؟ «ولا» زائدة بدليل ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صٓ: الآية ٧٥]، ومثلها ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: الآية ٢٩] أي ليعلم ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فيه دليل على أن الأمر للوجوب، والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وهي جوهر نوراني ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وهو ظلماني وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل **(لرزانته)** ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار، وفي النار **(الطيش)** والحدة والترفع وذلك دعاه إلى الاستكبار. والتراب عدة الممالك، والنار عدة المهالك. والنار مظنّة الخيانة والإفناء، والتراب **(مئنة)** الأمانة والإنماء، والطين يطفىء النار ويتلفها، والنار لا تتلفه. وهذه فضائل غفل عنها إبليس حتى زلّ بفاسد من المقاييس. وقول نافي

في القراءات السبع: معايش هو بالياء من غير همز ولا مدّ لكل القرّاء، وشذّ خارجة فرواه عن نافع بالهمز وهو ضعيف جدًا، بل جعله بعضهم لحنًا؛ لأنه جمع معيشة وأصلها مفعلة بكسر العين ثم نُقِلت حركة الياء إلى العين تخفيفًا، فالميم زائدة لأنها من العيش والياء أصلية متحرّكة، فلا تُقلب في الجمع همزة، نحو مكايل ومبايع. أمّا لو كانت زائدة أصلها في الواحد السكون لهمزتها في الجمع نحو سفائن وصحائف ومدائن؛ لأن مفرده فعيلة والياء فيه زائدة ساكنة، وكذا تهمز في الجمع إذا كان موضع الياء ألف أو واو زائدتان نحو عجائز ورسائل؛ لأن الواحد عجوز ورسالة. اهـ.

قوله: (لرزانته) الرَّزانة الوَقار. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (الطّيش)** الخفّة. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (مَئِنّة)** أي مَظِنّة.

القياس: أول مَن قاس إبليس قياس. على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس إبليس عناد للأمر المنصوص. وكان الجواب لـ ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أن يقول: «منعني كذا» وإنما قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لأنه قد استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب ـ كأنه قال: منعني من السجود فضلي عليه، **(وزيادة عليه وهي)** إنكار الأمر واستبعاد أن يكون **(مثله)** مأمورًا بالسجود **(لمثله)**، إذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣﴾

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ من الجنة أو من السماء لأنه كان فيها وهي مكان المطيعين والمتواضعين. والفاء في ﴿فَٱهۡبِطۡ﴾ جواب لقوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ أي إن كنت تتكبّر فاهبط ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فما يصح لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصى ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ من أهل **(الصغار والهوان)** على الله وعلى أوليائه، يذمّك كل إنسان ويلعنك كل لسان لتكبّرك، وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار.

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤﴾ أمهلني إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ إلى النفخة الأولى. وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء، وفيه تقريب لقلوب الأحباب أي هذا بري بمن يسيئني فكيف بمن يحبني! وإنما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال علمه بحلم ذي الجلال.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١٦﴾

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أضللتني **(أي فبسبب إغوائك)** إياي. والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب إغوائك أقسم،

قوله: (وزيادة عليه) أي على الجواب. **قوله: (وهي)** الزيادة إنكار الأمر، أي أمر الله سبحانه وتعالى إبليس بالسجود. **قوله: (مثله)** أي إبليس عليه اللّعنة. **قوله: (لمثله)** أي آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام.

قوله: (الصّغار) ـ بالفتح ـ الذُّلّ. **قوله: (الهَوان)** نقيض العزّ.

قوله: (أي فبسبب إغوائك) إشارة إلى أن الباء سببية، وما مصدريّة.

(أو تكون الباء للقسم) أي فأقسم بإغوائك ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأعترضن لهم على طريق الإسلام مترصدًا للرد متعرضًا للصد كما يتعرض العدو على الطريق **(ليقطعه)** على **(السابلة)**. وانتصابه على الظرف كقولك «ضرب زيد الظهر» أي على الظهر. وعن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له **(طاوس)**: تقوم **(أو تقام)**. فقام الرجل فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفقه منه ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ وهو يقول أنا أغوي نفسي.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في الآخرة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغبهم في الدنيا ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل الحسنات ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل السيئات وهو جمع

قوله: (أو تكون الباء للقسم) ولا يقسم إلا بما هو عظيم الشأن وجليل القدر، والإغواء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صحّ أن يقسم به، كأنه قيل: بقدرتك ونفاذ سلطانك فيّ لأقعدنّ لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة بأن أُزيِّن لهم الباطل وما يكسبونه من المأثم، ويدلّ على كونها قسمية قوله تعالى في سورة صّ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [صّ: الآية ٨٢]. **قوله: (ليقطعه)** أي الطريق.

قوله: (السابلة) أبناء السبيل. **قوله: (طاوس)** بن كيسان، أبو عبد الرحمٰن الخولاني اليماني التابعي، أحد الأعلام من أبناء الفرس، كان أعلم التابعين بالحلال، أخذ عن عائشة ﵂ وطائفة. اهـ دستور الأعلام. وفي تهذيب الأسماء: كان يسكن الجَنَد ـ بفتح الجيم والنون ـ بلدة معروفة باليمن، هو من كبار التابعين والعلماء الفُضلاء الصالحين. سمع ابن عباس وابن عمرو وابن عمر وجابر وأبا هريرة وزيد بن ثابت وابن أرقم وعائشة ﵃. روى عنه ابنه عبد الله الصالح ابن الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلائق من التابعين، واتّفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتثبيته. قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا قطّ مثل طاوس. توفي بمكّة في سابع ذي الحجّة سنة ستّمائة، هذا قول الجمهور. وقال الهيثم بن عدي وأبو نعيم: سنة بضع عشر ومائة، والمشهور الأوّل، وقالوا: وكان له بضع وسبعون سنة رحمة الله تعالى عليه. اهـ. قال الصاغاني: والاختيار أن يكتب الطاوس علمًا بواو واحدة كداود. **قوله: (أو تقام)** بغير إرادتك.

شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الأغلب. وعن (**شقيق**): ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم (**فاقرأ** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾) [طه: الآية ٨٢]. ومن خلفي فيخوفني (**الضيعة**) على (**مخلفي**) فاقرأ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: الآية ٦] وعن يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: الآية ٨٣] وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: الآية ٥٤] ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة، وقال في الأولين: «من» لابتداء الغاية وفي الأخيرين «عن» لأن «عن» تدلّ على الانحراف ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ مؤمنين قاله ظنًّا فأصاب لقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: الآية ٢٠] أو سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم.

قوله: (شقيق) بن إبراهيم البلخي من مشائخ خراسان له لسان في التوكّل حسن الكلام فيه، صاحَبَ إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق وهو أستاذ حاتم الأصمّ، وكان قد خرج إلى بلاد التّرك للتجارة وهو حدث، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم: إنّ هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف قال زعمت أن لك خالقًا قادرًا على كل شيء وقد تغيّبت إلى هٰهنا تطلب الرزق؟ قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدّق بجميع ما يملك وطلب العلم، وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمة الله تعالى عليه، ذكره ابن الجوزيّ في الشذور، وفي دستور الأعلام بمعارف الأعلام شقيق بن إبراهيم البلخي، أبو علي الزاهد شيخ خراسان، سافر مرّة وفي صحبته ثلاثمائة مريد، وهو شيخ حاتم الأصمّ. اهـ.

قوله: (فاقرأ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾)، أي فادع هذه الوسوسة بهذه الآية لأنها تدلّ على أنّ الغفران منوط بالتوبة والإيمان والعمل الصالح، فمَنْ ليس له هذا المجموع كيف يأمن.

قوله: (الضَّيعة) أي إيضاع. **قوله: (مُخَلَّفِي)** مخلف الرجل مَنْ يخلف بعده؛ كالأولاد والأقارب.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿مَذْءُومًا﴾ معيبًا من ذأمه إذا ذمّه (والذأم والذم) العيب ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا مبعدًا من رحمة الله. واللام في ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ موطئة للقسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط ﴿مِنكُمْ﴾ منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب ﴿أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ وقلنا يا آدم بعد إخراج إبليس من الجنة ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ اتخذها مسكنًا ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وسوس إذا تكلّم كلامًا خفيًا يكرره وهو غير متئد، ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذي يُلقى إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما. وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور، وأنه لم يزل مستقبحًا في الطباع والعقول. فإن قلت: ما للواو المضمومة في ﴿وُۥرِىَ﴾ لم تقلب همزة كما في «أو يصل» تصغير واصل وأصله «وويصل» فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين؟ قلت: لأن الثانية مدة كألف «وارى» فكما لم يجب همزها في «وعد» لم يجب في ﴿وُۥرِىَ﴾ وهذا لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة، وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها في موضع الثقل لا في غيره. وقرأ (عبد الله) «أورى» بالقلب ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ

قوله: (والذأم) من المهموز العين، **(والذمّ)** من المضاعف.

قوله: (عبد الله) بن مسعود، هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب، وأُمّه أُمّ عبد بنت عبد ودّ بن سواء أسلمت وهاجرت، فهو صحابي ابن صحابية. أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم

﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ (إلا كراهة أن تكونا) ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء. (وقُرِىء ﴿مَلِكَيْنِ﴾) لقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٠] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وأقسم لهما ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنهما من اثنين.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرّهما به من القسم بالله وإنما يخدع المؤمن بالله.

سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلبسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (إلا كراهة أن تكونا) إشارة إلى أنه استثناء مفرغ من أعمّ المفعول له، أي ما نهاكما لأمرٍ ما إلّا كراهة أن تكونا ملكين، بتقدير المضاف عند البصريّين، وقدّره الكوفيّون: إلا أن تكونا وأوهمهما الخبيث بهذا الكلام أنكما إن أكلتما منها تكونان بمنزلة الملائكة، أو تكونان من الخالدين، فرغّبهما في أكلها طمعًا لحصول أحد الأمرين لهما، وقيل: أو هنا بمعنى الواو؛ لأن الترغيب في مجموع الأمرين أدخل في حصول غرض الخبيث من الوسوسة. **قوله: (وقرىء ﴿مَلِكَيْنِ﴾)** بكسر اللام قارئه ابن عباس والحسن والضحاك ويحيىٰ ابن أبي كثير والزهري وابن حكيم عن ابن كثير، وهذه القراءة شاذّة.

وعن (ابن عمر) ﵄ : من خدعهما بالله انخدعنا له ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ وجدا

قوله: (ابن عمر) أي عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنهما القريشي العدويّ المدنيّ الصحابي الزّاهد، أُمُّه وأُمّ أخته حفصة زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي. أسلم مع أبيه قبل بلوغه وهاجر قبل أبيه، وأجمعوا على أنه لم يشهد بدرًا لصغره، وقيل: شهد أُحدًا، وقيل: لم يشهدها، وثبت في الصحيحين عنه أنه قال: عُرِضت على النبيّ ﷺ عام أُحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجِزْني، وعُرِضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وفتح أفريقيّة، وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر، قال: أوّل يوم شهدته يوم الخندق، وكان شديد الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازله ويصلّي في كلّ مكان صلّى فيه ويُبرك ناقته في مبرك ناقته، ونَقلوا أن النبيّ ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تَيْبس. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على مائة وسبعين، وانفرد البخاري بأحد وثمانين، ومسلم بأحد وثلاثين. رَوى عنه أولاده الأربعة: سالم وحمزة وعبد الله وبلال وخلائق لا يُحصون من كبار التابعين وغيرهم، ومناقبه كثيرة مشهورة، بل قلّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء من الأقوال والأفعال وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلّع إلى الرئاسة وغيرها، وكان ابن عمر كثير الصّدقة، فربما تصدّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا. قال نافع: كان ابن عمر إذا اشتدّ عجبه بشيء من ماله تقرّب به إلى الله تعالى، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما لزم أحدهم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: إنّهم يخدعونك، فيقول: مَنْ خدعنا بالله انْخَدعنا له، وكان ابن عمر يسرد الصوم، وهو أحد الصحابة الساردين للصوم، منهم عمر وابنه وأبو طلحة وحمزة بن عمرو وعائشة، واعلم أنّ ابن عمر أحد الستّة الذين هم أكثر الصحابة روايةً عن النبيّ ﷺ، وهم ستّة: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة؛ وهو أحد العبادلة الأربعة، ومناقب ابن عمر وأحواله كثيرة مشهورة. توفي ابن عمر بمكّة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل: بستّة أشهر، وقال يحيىٰ بن بكير:

طعمها آخذين في الأكل منها وهي **(السنبلة أو الكرم)** ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ ظهرت لهما عوراتهما **(لتهافت اللباس عنهما)** وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر. وقيل: كان لباسهما من جنس الأظفار أي كالظفر بياضًا في غاية اللطف واللين فبقي عند الأظفار تذكيرًا للنعم وتجديدًا للندم ﴿وَطَفِقَا﴾ وجعلا يقال: طفق يفعل كذا أي جعل ﴿يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ يجعلان على عورتهما من ورق التين أو **(الموز)** ورقة فوق ورقة ليستترا بها **(كما يخصف النعل)**.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ. ورُوِيَ أنه قال لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألم يكن لك فيما **(منحتك)** من شجر الجنة **(مندوحة)** عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى ولكن ما ظننت أن أحدًا يحلف بك كاذبًا قال: فبعزّتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكدّ يمين وعرق جبين، فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد و**(داس)** و**(ذرى)** و**(طحن)** و**(عجن)** و**(خبز)** ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

توفي ابن عمر بمكّة بعد الحجّ، ودُفِن بالمحصب. قال: وبعض الناس يقول: بفخّ، وفخّ ـ بالخاء المعجمة ـ موضع بقرب مكّة.

قوله: (السنبلة) من الحنطة معروفة. **قوله:** (أو الكرم) وزان فلس: العنب. **قوله:** (لتهافت اللّباس عنهما) التهافت التساقط ويخصّ بما يُكره. **قوله:** (الموز) فاكهة معروفة الواحد موزة، مثل تمر وتمرة، وهو الطَّلح. اهـ مصباح. **قوله:** (كما يخصف النعل) أي يخرز طرفه، أي طاقه وجلده فوق أخرى. في المصباح: خصف الرجل نعله خصفًا من باب ضرب خصاف، وهو فيه كرقع الثوب. اهـ. وأيضًا فيه: خرزت الجلد خرزًا من باب ضرب وقتل، وهو كالخياطة في الثياب. اهـ.

قوله: (منحتك) أي أعطيتك. **قوله:** (مندوحة) أي سعة وكفاية. **قوله:** (داس) الرجل الحنطة يدوسها دوسًا ودياسًا مثل الدّراس، ومنهم من ينكر كونه الديّاس من كلام العرب، ومنهم من يقول: هو مجاز، وكأنه مأخوذ من داس الأرض دوسًا إذا شدّد وطأه عليها بقدمه. اهـ. **قوله:** (ذرى) في المصباح: ذرّيت الطعام تذريةً إذا خلصته من تبنه. اهـ. **قوله:** (عجن) من باب ضرب. **قوله:** (طحن) من باب نفع. **قوله:** (خبز) من باب ضرب.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لأن إبليس هبط من قبل، ويحتمل أنه هبط إلى السماء ثم هبطوا جميعًا إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار أو موضع استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وانتفاع بعيش ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم. وعن **(ثابت البناني)**: لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها: خلّي ملائكة ربي فإنما أصابني ما أصابني فيك. فلما تُوفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترًا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له قبرًا **(ودفنوه بسرنديب)** بأرض الهند وقالوا لبنيه: هذه سنّتكم بعده.

قوله: (ثابت) بن أسلم **(البُناني)** ـ بضمّ الموحدة ونونين مخفّفان ـ أبو محمد البصري، ثقة عابد مات سنة بضع وعشرين بعد المائة، وله ستّ وثمانون. **قوله: (ودفنوه بسَرَنْدِيب)** بأرض الهند. في أخبار الدول وآثار الأُول: دفنوه في جبل أبي قبيس في مكانٍ يقال له: غار الكبرى، فلم يزل آدم عليه السلام في ذلك الغار حتى كان زمن الغرق فاستخرجه نوح وحمله في تابوت معه في السفينة، فلمّا خرج ردَّه إلى مكانه، وقيل: ذهب به إلى بيت المقدس، ويؤيّد ذلك ما ذكره في إتحاف الأَخِصَّاء: أنّ قبر آدم في بيت المقدس، رأسه عند مسجد إبراهيم عليه السلام، ورجلاه عند الصخرة الشريفة، وبينهما ثمانية عشر ميلًا، فإذا كان يوم القيامة أقامه الله تعالى على رجليه ثم يحشر ذرّيته إليه، ويقول الله تعالى: يا آدم إليك حشرت ذرّيتك لكرامتك عليّ. وقيل: دُفِن في مسجد الخَيْف بمنًى، وقيل: دُفِن في مشارق الفردوس عند قرية هي أوّل قرية كانت في الأرض، وعاشت حوّاء بعده سنة واحدة ثم ماتت ودُفنت مع زوجها، وقيل: دُفِنت بجدّة. اهـ. وأيضًا فيها: سرنديب جزيرة في بحر كند بأقصى بلاد الصّين، وهي ثمانون فرسخًا في مثلها، وبها معدن الذهب والفضة ومغاص اللؤلؤ، وبها الجبل الذي أُهبط عليه آدم عليه

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ في الأرض ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ للثواب والعقاب (﴿تَخْرُجُونَ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ جعل ما في الأرض منزلًا من السماء لأن أصله من الماء وهو منها ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ يستر عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين: لباسًا يواري سوءاتكم ولباسًا يزيّنكم ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ ولباس الورع الذي يقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، (**أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ المشار إليه**) خير، أو (﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾) خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين، ثم قال ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وقيل: ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن. ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ (**مدنيّ وشاميّ**) وعلي عطفًا على ﴿لِبَاسًا﴾ أي وأنزلنا عليكم لباس

السلام وبها أثر قدمه مغموسة في الحجر، ويُرى كل ليلة في هذا الجبل مثل البرق من غير سحاب وغيم، ولا بدّ له كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام. اهـ.

قوله: (﴿تَخْرُجُونَ﴾) بفتح التاء وضمّ الراء مبنيًا للفاعل (**حمزة وعليّ**) الكسائي، وكذا ابن ذكوان. والباقون بضمّ التاء وفتح الراء مبنيًا للمفعول. **قوله:** (**أو ﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ**)... الخ. أي ويجوز أن يكون اسم الإشارة صفة للمضاف إلى المعرّف باللام، وقد تقرّر أن حقّ الموصوف أن يكون أخصّ من الصفة أو مساويًا لها بناءً على أنه المقصود بالنسبة، ولا يجوز أن يكون المقصود أقلّ رتبةً من غير المقصود، واسم الإشارة أخصّ من المُعرّف باللام؛ فبالأَوْلى أن يكون أخصّ من المضاف إلى المعرّف باللام، فكيف يكون صفة له؟ أشار إلى الجواب عنه بقوله: (**كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ المشار إليه**)، وتقريره أنّ اسم الإشارة ههنا في تأويل المشار إليه أو المذكور، فجاز أن يقع صفة للمضاف إلى المُعرّف باللام. **قوله:** (﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾) بنصب السين (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي

التقوى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالّة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة على سبيل (الاستطراد) عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهارًا للمنّة فيما خلق من اللباس، ولما في (العري) من الفضيحة وإشعارًا بأن التستر من التقوى.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال أي أخرجهما نازعًا لباسهما بأن كان سببًا في أن نزع عنهما. والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ عوراتهما ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن والحديث ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ﴾ تعديل لنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو (المداجي) يكبدكم من حيث لا تشعرون ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير ﴿يَرَىٰكُمْ﴾ المؤكد بـ ﴿هُوَ﴾، ولم يعطف عليه لأن معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ قال (ذو النون): إن

وعليّ الكسائي، والباقون بالرفع. **قوله:** (**الاستطراد**) سَوْق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذَّات، بل بالعرض. اهـ التعريفات للسيد الشريف. **قوله:** (**العُرْي**) في لسان العرب: العري خلاف اللّبس، عَري من ثوبه يَعْرى عُرْيًا فهو عارٍ. اهـ.

قوله: (**المداجي**) في مختار الصحاح: **المُداجاة المداراة**، يقال: داجاه إذا داراه، كأنه ساتره العداوة. اهـ. **قوله:** (**ذو النون**)، هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، كان أوحد وقته علمًا وورعًا وحالًا وأدبًا وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، وذكر ابن يونس عنه في تاريخه: أنه كان حكيمًا فصيحًا، وكان أبوه نوبيًّا، وسُئِل عن سبب توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عينيّ فإذا أنا

كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله (**الكريم**) الستّار الرحيم (**الغفّار**) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيه دلالة خلق الأفعال.

بقُنْبُرة[١] عمياء[٢] سقطت من وكرها على الأرض، فانشقّت الأرضُ فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضّة، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت: حسبي قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني، وكان قد سعوا به إلى المتوكّل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكّل وردّه مُكرَّمًا، وكان المتوكّل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي، ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيّ هلا بذي النون، وكان رجلًا نحيفًا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللّحية وشيخه في الطريقة شقران العبّاد، ومحاسن الشيخ ذي النون كثيرة، وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين، وقيل: ستّ وأربعين، وقيل: ثمان وأربعين ومائتين رضي الله تعالى عنه بمصر، ودُفن بالقرافة الصغرى وعلى قبره مشهد مبنيّ.

قوله: (الكريم) أي كثير الجود والعطاء الذي لا ينفذ عطاؤه ولا يفنى خزائنه، وهو الكريم المطلق. وقيل: المتفضّل بلا مسألة ولا وسيلة، وقيل: المتجاوز الذي لا يستقصي في العقاب ولا يستحصي في العتاب، وقيل: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على المتمنّي، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإذا رفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى، ويقول: إنّ لنا للآخرة والأُولى، وقيل: المقدّس عن النقائص الموصوف بالنفائس.

قوله: (الغفّار) أي الذي يستر العيوب، وإن كانت كثيرة، والذنوب وإنْ كانت كبيرة في الدنيا بإسبال السَّتْر عليها، وفي العُقبى بترك المُعاتبة والمعاقبة لها، وهو لزيادة بنائه أبلغ من الغفور. وقيل: المبالغة في الغفار باعتبار الكمّية، وفي الغفور باعتبار الكيفية، وأصل الغفر السّتر، فهو من أسماء الأفعال.

---

(١) قنبره بهندى ابابيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) إذا صاح القنبر قال: إلـهي العن مبغض آل محمد. ١٢ جمل.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً﴾ ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت **(عُراة)** وشركهم ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آبائهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم، وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان، لأن أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ **(إذ المأمور به لا بد أن يكون حسنًا وإن كان فيه على مراتب على ما عُرِف في أصول الفقه)** ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ.

قوله: (عُراة) جمع عارٍ. **قوله: (إذ المأمور به لا بدّ أن يكون حسنًا، وإنْ كان فيه)** أي المأمور به في الحسن **(على مراتب على ما عُرف في أصول الفقه)** في شرح مرقاة الوصول المسمّى بمرآة الأُصول، (ولا بدّ له) أي للمأمور به من الحسن لا بمعنى كونه صفة الكمال كالعلم أو موافقًا للغرض كالعدل، أو ملائمًا للطبع كالجلاوة، فإنّ ذلك يُدْرَك بالعقل ورد به الشرع أم لا بالاتّفاق، بل (بمعنى كونه) أي المأمور به (متعلّق المدح) عاجلًا في الدّنيا، (و) متعلق الثواب آجلًا في العقبى، أي كون الفعل بحيث يستحقّ فاعله في حكم الله تعالى المدح والثواب، فإنّ هذا هو محلّ النزاع. (قال الأشاعرة): هو أي الحسن بهذا المعنى (موجب الأمر) أي أثره الثابت به، فالفعل أمر به فحسن، لا أنه حسن، فأمر به والحاكم به، أي بالحسن والمُوجب له هو الشرع[1]، ولا دخل للعقل فيه، (وإنما العقل آلة بفهم الخطاب) الشرعي (ومنّا) أي من الحنفيّة (مَنْ وافقهم) أي الأشاعرة في هذا الرأي، (و) قالت (المعتزلة): الحسن (مدلوله) أي الأمر بمعنى أنه ثابت قبله، وهو دليل عليه، فالفعل عندهم حسن، فأمر به **على** عكس ما عند الأشاعرة (والحاكم) بالحسن والمُوجب له (العقل) بمعنى أنه يقتضي المأمور به شرعًا، وإنْ لم يرد، كما أنهم يحكمون بوجوب الأصلح على الله تعالى عنه علوًّا كبيرًا، ولا دخل للشرع في الحكم، (بل الشرع مبين) للحسن في البعض الذي لا يُدرك العقل فيه الحسن ابتداءً، فإنه ربما يظهر أنه

(١) أي مقصور على الشرع، وهو السمع. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

مقتضى العقل الحاكم عند خفاء الاقتضاء، وإنْ لم يظهر وجه اقتضائه كما في وظائف العبادات، وما في وجوب صوم آخر رمضان، ونحو ذلك. (ومنّا) أي من الحنفية؛ كالشيخ أبي منصور وكثير من مشائخ العراق (مَنْ وافقهم) لا مطلقًا، بل (في إيجاب المعرفة)، فإنهم قالوا؛ العقل حاكم بوجوب معرفة الله تعالى، حتى قالوا بوجوب الإيمان على الصبي العاقل. قال صاحب الكشف: هذا ليس بصحيح؛ لأن الإيجاب على الصبي مخالف لظواهر النصوص وظواهر الآيات. (وقيل) القائل صاحب الميزان: (مدلوله) أي الحسن مدلول الأمر، كما ذهب إليه المعتزلة، لكن لا مطلقًا، بل (في المفهوم) أي فيما يفهم العقل حسنه؛ كالإيمان، وأصل العبادات والعدل والإحسان (موجبه) أي الحسن أثر الأمر كما ذهب إليه الأشاعرة، لا مطلقًا أيضًا، بل (في غيره) أي غير المفهوم كأكثر الأحكام الشرعية، وأدلّة كلّ مِنَ المذاهب مسطورة في المطوّلات، فلا حاجة إلى إيرادها. (والمختار) عندنا (أنه مدلوله مطلقًا)، أي سواء كان في المفهوم أو غيره (لحكمة الآمر، فإنه) تعالى حكيم لا يأمر إلا بما هو حسن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]. واعلم أنّ إفادة ما ذكر هٰهنا وما تُرِكَ من الأدلّة على المختار حسن المأمور به بالمعنى المتنازَع فيه في غاية الإشكال، فلا علينا أن نطوي عن الاشتغال بها كشحَ المقال. (والحاكم) بالحسن (هو الشرع) كما هو رأي الأشاعرة (و) ليس (العقل) مجرّد آلة فهم الخطاب، بَل (هو يعرفه) أي الحسن (في بعض) من الأُمور (الحسنة قبل السمع) متعلّق بيعرفه، وكذا قوله: (بلا كسب) كحسن الصدق النافع، (أو به) كحسن الكذب (النافع) ويعرفه (في) بعض (آخر بعده) أي بعد السمع كأكثر أحكام الشرع. واعلم أن المتنازعين في الحسن متنازعون في القُبْح أيضًا، وإنما تركنا القبح واقتصرنا على الحسن؛ لأن الكلام في حسن المأمور به، وقد علم حكم القُبْح منه. وأمّا أقسامه، فستأتي في مباحث النهي إن شاء الله تعالى. (فالمأمور به) أي إذا كان الحسن مدلول الأمر مطلقًا لا موجبه، فالمأمور به (إمّا حسن لحسن في نفسه) أي يتّصف بالحسن باعتباره حسن ثابت في ذاته، سواء كان لعينه أو لجزئه، بخلاف الحسن لغيره، فإنه يتّصف بحسن ثبت في غيره، فظهر أنّ المراد بالمعنى في قول الجمهور: أمّا حسن لمعنى في نفسه هو الحسن لا أمر آخر حتى يحتاج إلى تكلّف ارتكبه صاحب

....

التنقيح. (حقيقته) بأن لا يكون فيه شبه الحسن لغيره، (فأمّا أن لا يقبل) ذلك الحسن (سقوط التكليف) وهو إلزام ما فيه كلفة، وفي اختياره على قول فخر الإسلام: أمّا أن لا يقبل سقوط هذا الوصف يعني وصف الحسن فائدتان: الأُولى دفع ما يرد إليه أنه لا يلزم[١] من جواز سقوط الإقرار بالإكراه سقوط حسنه حتى لو صبر، فقتل كان مأجور. الثانية: أن التكليف مطلقًا أعمّ من التكليف بنفس الموصوف بالحسن، كما في الصلاة، ومن التكليف بالسعي في حصوله، كما في التصديق، فإنه كيف أو انفعال لا اختيار[٢] في حصوله بنفسه مع ورود الأمر به؛ (كالتصديق) في الإيمان وهو التصديق المنطقيّ المُعبّر عنه في الفارسية: بگرويدن وراست گوئي داشتن، وحاصله الإذعان والقبول لوقوع النسبة أو لا وقوعها وتسميته[٣] تسليمًا زيادة[٤] التوضيح للمقصود وجعله مغايرًا للتصديق المنطقي وهم، وحصوله للكفار ممنوع، ولو سلم في البعض يكون كفره باعتبار جحوده باللّسان واستكباره عن إظهار الإذعان، ثم لا يخفى أنه لا يحتمل سقوط التكليف به في حالٍ من الأحوال، فإقرار المنافق ليس إيمانًا في نفس الأمر، وعندنا إذا علمناه. وأمّا إجراء أحكام الإسلام على الإقرار، فلخفاء التصديق (أو يقبله) أي سقوط التكليف؛ كالإقرار باللّسان، فإنه يسقط حال الإكراه؛ لأن الأصل هو التصديق وهو قلبيّ ليس اللّسان معدنه، وقيام السيف يدلّ على عدم تبدّله، لكن ترك متمكّنه من غير عذر يدلّ على فواته، فلا يكون مؤمنًا، ولو عند الله تعالى لا المصدق الغير المتمكّن، ولو كان نادرًا، ولا المتمكّن عند الإجبار على الإقرار والإنكار، فإنّ الإكراه المُلجىء لا يعدم الاختيار، بل يفسده، والإسلام مما يثبت بالشبهة؛ لأنه يَعْلو ولا يُعلى عليه، فيكفي فيه الاختيار الفاسد. (والصلاة) فإنها تسقط بعذر الجنون والإغماء والحيض والنفاس، وهي وإنْ شاركته في احتمال السقوط، لكن بينهما فرق من وجهين أشار إلى الأول بقوله: (لكنها دونه) أي الصلاة أدنى من الإقرار؛ إذ ليست ركنًا مثله لا حقيقة، وهو

---

(١) أنه لا يلزم بيان ما؛ لأن مَنْ محذوفة من أنّ المفتوحة قياسًا بالاتّفاق كالحذف من المفاعيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) صفة كيف أو انفعال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) منصوب بواو مع. ١٢ حامدي.

(٤) مفعول للتسمية. ١٢ حامدي.

....

ظاهر، ولا إلحاقًا؛ إذ لا تدلّ عليه عدمًا، كالإقرار حال الاختيار، ولا وجودًا إلّا على هيئةٍ مخصوصة، وسرّه أنّ كمال الإيمان في الإنسان بالجمع بين باطنه وظاهره كما هو مجموع من روحه وجسده، فتعيّن لذلك فعل اللّسان؛ لأنه الموضوع للبيان، ولذا جعل رأس الشكر الحمد لا عمل سائر الأركان، وأشار إلى فرق الثاني بقوله: (وتسقط) أي الصلاة (بأعذار) كما سبق، (و) يسقط (هو) أي الإقرار (بعذر) واحد وهو الإكراه، (أو) حسن لحسن في نفسه، لكن لا حقيقةً (بل حكمًا؛ كالصوم) فإنه ليس بحسن في ذاته حقيقة؛ إذ فيه تجويع النفس ومنع نعَم الله عن مملوكه مع النصوص المُبيحة لها، وإنما يحسن بواسطة حسن قهر النفس الأمّارة بالسوء التي هي أعدى أعداء الإنسان زجرًا لها عن ارتكاب العصيان، (والزكاة) فإنّها أيضًا ليست بحسنة في ذاتها حقيقة؛ لأن فيها إضاعة المال، وإنما حَسُنَت بواسطة حسن دفع حاجة الفقير والإحسان إليه، (والحجّ) فإنه في نفسه قطع للمسافة إلى أمكنة مخصوصة وزيارة لها بمنزلة السفر للتجارة وزيارة البلدان، وإنما حسن بواسطة زيارة البيت الشريف بتشريف الله تعالى إيّاه، لكن هذه الوسائط لا تُخرجها عن أن تكون حسنة لعينها؛ لأنّ النفس وإنْ كانت بحسب الفطرة محلاًّ للخير والشرّ، إلّا أنها للمعاصي أقبل وإلى الشهوات أمْيَل، حتى كأنّها بمنزلة أمر جبليّ بمنزلة الإحراق للنار، فبالنظر إلى هذا المعنى لا يحسن قهرها؛ إذ لا قبح في الاضّطراري، والفقير إنما يستحقّ الإحسان من جهة الرحمٰن لا من جهة فقره، والبيت لا يستحق الزيارة والتعظيم لنفسه؛ لأنه بيت كسائر البيوت، فسقط حسن قهر النفس ودفع الحاجة وزيارة البيت عن درجة الاعتبار، وصار كل من الصوم والزكاة والحجّ حسنًا لمعنى في نفسه من غير واسطة وعبارة خالصة بمنزلة الصلاة، ولهذا جُعِلت حسنة لحسن في نفسها شبيهة بالحسن لحسن في غيره بدون العكس، وإنما قلنا: إنّ الوسائط هذه الأُمور دون الشهوة والحاجة وشرف المكان؛ لأن الواسطة ما يكون حسن الفعل لأجل حسنها، وظاهر أن نفس الحاجة والشهوة والشرف ليس كذلك، فإنْ قيل: لا تغاير في الخارج بين تلك الوسائط وبين الزكاة والصوم والحجّ، قلنا: لو سلم فيكفي التغاير الذهني، فليتأمّل. (وحكمه) أي حكم الحسن لحسن في نفسه حقيقيًّا كان أو حكميًا (عدم سقوط إلا بالأداء) أو بسبب (عروض ما يسقطه) مثل الحيض والنفاس

....

للصلاة والصوم (بعينه) احتراز عن الحسن لحسن في غيره؛ كالوضوء والسعي، فإنه يسقط بسقوط الغير ويبقى ببقائه، كما سيأتي. فإن قيل: المراد بالساقط إنْ كان ما ثبت في الذمّة بالسبب يصح قوله أو عروض ما يسقط بعينه؛ لأنه قد يسقط بعد الوجوب بالعوارض الحادثة في الوقت، ولكن لا وجه لإيراده في هذا الموضع؛ لأنه في بيان حسن ما ثبت بالأمر، وإنْ كان المراد به ما ثبت بالأمر، وهو وجوب الأداء لا يستقيم قوله أو عروض ما يسقط بعينه؛ لأن وجوب الأداء بعد ما ثبت لا يسقط بعارض، أُجيب بأن الصلاة قد تسقط بعارض الحيض والنفاس بعد ما ثبت وجوب أدائها بالأمر، فإنّ الخطاب يتوجّه عند ضيق الوقت بحيث لا يسع غير الوقتيّة ثم تسقط عنها إذا حاضت أو نفست في آخر الجزء كما سبق في مباحث المقيد بالوقت.

(وأمّا حسن لحسن في غيره، فأمّا أن يتأدّى ذلك) الغير (بنفس المأمور به) من غير احتياج إلى فعل آخر؛ (كالجهاد) فإنه ليس بحسن لذاته، لأنه تخريب البلاد وتعذيب العباد، وإنما حَسُن لِمَا فيه من إعلاء كلمة الله تعالى، (وصلاة الجنازة) فإنها ليست بحسنة في ذاتها؛ لأنها بدون الميت عبث، وعلى الكافر قبيحة، وإنما حَسُنت لما فيه من قضاء حقّ الميت، (وهذا) الضرب من الحسن لحسن في غيره شبيه (بالأوّل) أي الحسن لحسن في نفسه. وجه المشابهة أنّ مفهوم الجهاد هو القتل والضرب ونحوهما، وهو ليس بمفهوم إعلاء كلمة الله تعالى، لكن لا مغايرة بينهما في الخارج والإعلاء حسن بمعنى في نفسه، فما يتّحد به يكون شبيهًا به، وكذا الحال في صلاة الجنازة، فإن قيل لِمَ شبه هذا بالأول ولم يشبه الحكمي منه بهذا، قلنا: لأنه لا جهة هٰهنا لارتفاع الوسائط وصيرورتها في حكم العدم بخلافها ثمّة، (أو لا يتأدّى ذلك) الغير (بها) أي بنفس المأمور به، بل يحتاج إلى فعل آخر (كالوضوء) فإنه في ذاته تبرّد وإضاعة ماء، وإنما حسن بكونه وسيلة إلى الصلاة (والسعي) إلى الجمعة، فإنه في نفسه تعب، وإنما حسن لكونه وسيلة إلى أداء الجمعة ثم الصلاة لا تتأدّى بالوضوء ولا الجمعة بالسعي، بل بفعل مقصود بعد حصول كل واحد منهما، «**وحكمه**» أي حكم الحسن لحسن في غيره (وجوبه بوجوب الغير الذي) هو الواسطة (وسقوطه به) أي سقوط وجوبه بسقوط وجوب ذلك الغير حتى لو أسلم الكفار يسقط وجوب الجهاد معهم، وإنْ بقي مع البالغين، ولو بغى مسلم أو قطع الطريق

....

يسقط وجوب الصلاة عليه، ولو حاضت يسقط الوضوء، ولو مرض أو سافر يسقط وجوب السّعي. (والأمر المطلق) عن قرينته يدل على الحسن لحسن في نفسه أو غيره (يقتضي الضرب الأوّل)، وهو ما لا يحتمل السقوط (من) القسم (الأوّل) وهو الحسن لحسن في نفسه (لاقتضاء الكمال) أي كمال الأمر، وهو المطلق (الكمال) أي كمال حسن المأمور به، (ثم التكليف). اعلم أنّ ما لا يُطاق على ثلاث مراتب أدناها ما يمتنع لعلم الله تعالى بعدم وقوعه أو لإرادته ذلك، ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلًا عن الجواز، فإنّ مَنْ مات على كفره يُعدّ عاصيًا إجماعًا وأقصاها ما يمتنع لذاته كقلب الحقائق وجمع الضدّيْن أو النقيضين، والإجماع منعقد على عدم وقوع التكليف به والاستقراء أيضًا شاهد على ذلك، والآيات ناطقة به، والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه، لكن لم يقع متعلّقًا لقدرة العبد أصلًا؛ كخلق الجسم، أو عادة كالصعود إلى السماء، وهذا هو محل النزاع، ولهذا قلت: ثم التكليف أي طلب تحقيق الفعل والإتيان به لا على قصد التعجيز وإظهار عدم القدرة (بما لا يقدر عليه المأمور) مطلقًا (مُحال). أمّا عقلًا، فلأن طلب حصول المحال لا يليق من الحكيم المُتعال، فإنْ قيل: هذا يمنع الوقوع فقط. قلنا: بل الجواز أيضًا، لأنّا لا نمنع الوجوب بمقتضى الحكمة والوعد والفضل، كما لا نمنع الإيجاب بتخلّل الاختيار. وأمّا نقلًا؛ فلقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: الآية ٧٨] وغير ذلك، وكلّ ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه يستحيل وقوعه، وإلّا أمكن كذبه وإمكان المحال محال، فظهر أنه ليس دليلًا على عدم الوقوع فقط، وإذا كان التكليف بالمحال محالًا؛ (فلا بدّ له) أي للمأمور (من قدرة) لا بمعنى الاستطاعة المقارنة للفعل، فإنها علّة تامّة، بل بمعنى سلامة الأسباب والآلات المفسّرة بقدرة (بها يتمكّن) المأمور (من أداء ما لَزِمه)، وإنما قال: (بلا حرج غالبًا) ليخرج الحجّ بلا زاد وراحلة، فإنه نادر، وبلا راحلة فقط كثير. وأمّا بهما، فغالب. (وهي) أي القدرة المفسّرة بما ذكر (شرط لوجوب الأداء لا الأداء نفسه لوجوده) أي الأداء (قبلها) أي قبل القدرة المفسّرة كحجّ الفقير والزكاة قبل الحول، فلو كانت شرطًا للأداء لما تقدم عليها؛ (ولا شرط لنفس

....

الوجوب؛ لأنه) أي الوجوب نفسه (جبريّ)[١] غير محتاج إلى القدرة، ولذا يتحقّق في النائم والمُغمى عليه إذا لم يؤدّ إلى الحرج ولا قدرة ثمّه، فإنْ قيل: نفس الوجوب لا ينفكّ عن التكليف المُستلزم للقدرة، فكيف ينفكّ عن لازمه؟ قلنا: عدم الانفكاك ممنوع، ولو سلم فمعنى استلزام التكليف للقدرة أنّ الله تعالى لا يأمر العبد إلّا بما يستطيعه عند إرادة إحداثه، فهذه القدرة لا تلزم التكليف مطلقًا، بل حالئذٍ[٢]، وهي القدرة نوعان: النوع الأول أدنى ما ذكر من قدرة يتمكّن بها من أداء ما لزمه بلا حرج غالباً، (ويسمّى) هذا النوع الممكنة، لكونه وسيلة إلى مجرّد التمكّن والاقتدار على الفعل من غير اعتبار يسر زائد، وهو أي هذا النوع شرط لوجوب أداء كلّ واجب (مطلقًا) بدنيًا كان أو ماليًا وحسنًا لنفسه (أو لغيره)، ولذا ـ أي لكونه شرطًا لوجوب الأداء مطلقًا ـ (لم يلزم ذكر الأداء) في الجزء (الأخير) من الوقت إذا حدث فيه الأهلية، فإنّ الأداء فيه ممتنع، فلو وجب لأدّى إلى التكليف بما لا يُطاق. (قلنا) في جوابه أنه إنما يؤدّي إلى ذلك التكليف إذا كانت بالأداء في ذلك الجزء من الوقت، وهو ممنوع، بل التكليف إنما هو بالأداء مطلقًا، وذلك يتصوّر بوقوع الشروع في الوقت، فإنه (إذا شرع في الوقت يكون) الفعل (أداء)، وإن تمّ بعد الوقت كما سبق، (أو) نقول: سلّمنا أنّ التكليف بالأداء فيه، لكن (لزومه) أي لزوم الأداء ليس لكونه مطلوبًا في نفسه حتى يلزم التكليف بما لا يطاق، بل لزومه (لخلفه) وهو القضاء، فإنّ بعض الأحكام قد يجب أداؤه ثم يخلفه خلفه للعجز عنه، كالوضوء للتيمّم، وكمن حلف على مسّ السماء أو تحويل الحجر ذهبًا، ووجود القدرة بالنظر إلى الخلف الذي هو القضاء كافي. (والجواب) المشهور (بأن) شرط وجوب الأداء ليس إلّا (القدرة بمعنى سلامة الأسباب وهي موجودة) هٰهنا (وكذا) الجواب المشهور (بأنّ القضاء) ليس مبنيًا على وجوب الأداء حتى يلزم ما ذكرتم، بل هو (مبنيّ على نفس الوجوب)، فما يكون سببًا لنفس الوجوب يكون سببًا للقضاء والجزاء الأخير صالح للأوّل؛ لأن نفس الوجوب جبري، كما سبق، فيكون صالحًا

---

(١) أي منسوب إلى جبر الله؛ لأن نفس الوجوب جبر من الله تعالى، بلا اختيار من العبد، لأنه سبب ولا اختيار للمكلّف في السبب. ١٢ حامدي.

(٢) أي حال إرادة إحداث الفعل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

للثاني أيضًا (ضعيف) خبر الجواب. أمّا ضعف الجواب الأوّل، فلأن الوقت الصالح للأداء من جملة الأسباب، فإذا انتفى الصلاحية لا تبقى السلامة. وأمّا ضعف الجواب الثاني، فلأن وجوب القضاء للتكليف، فلو بنى على مجرّد نفس الوجوب وليس القدرة شرطًا له لوقع التكليف بدون شرطه وهو باطل، فليتأمل. (و) النوع (الثاني أقصاه) أي أعلى ما ذكر من القدرة، (ويُسمّى هذا) النوع (الميسرة) لتحصيلها اليُسُر بعد الإمكان، فهي زائدة على الشرط المَحْض اشترطت لوجوب بعض الواجبات كرامةً من الله تعالى وفضلًا، ولذا اشترطت في أكثر الواجبات المالية لكون أدائها أشقّ على النفس عند العامّة، (وبقاؤه) أي بقاء النّوع الثاني (شرط لبقاء الواجب) في الذمّة (لئلّا ينقلب اليسر عسرًا) اعترض عليه أولًا بأنه يؤدّي إلى فوت أداء الزكاة فيما إذا أخّر أداءها خمسين سنة، ثم هلك المال حيث لا يجب عليه شيء، وثانيًا بأنّا لا نسلم أنه يلزم من عدم اشتراط بقائها انقلاب اليسر عسرًا، بل إنما يلزم ثبوت أحد اليسرين، وهو النّماء مثلًا دون الآخر، وهو البقاء، فإنّ حصول القدرة الميسّرة يُسر وبقاؤها يُسرٌ آخر، وأُجيب عن الأوّل بالتزام الفوات في صورة هلاك المال، (ولا محذور في ذلك)؛ لأنه فوّت بهذا الحبس على أحد ملكًا ولا يدًا، بل المال حقّه ملكًا ويدًا، وإنما حقّ الفقير في أن يعين محلاً للصّرف إليه، ولصاحب المال الخيار في اختيار محل الأداء، فلعلّه حبس هذا المحلّ ليؤدّي من محلٍّ آخر، فلا يضمن ألّا يرى أنّ منع المشتري الدار عن الشفيع حتى صار بحرًا، ومنع المولى العبد المديون عن البيع أو العبد الجاني عن أولياء الجناية (من غير اختيار الأرش) حتى هلك لا يوجب الضّمان. وعن الثاني بأنّ معنى انقلاب اليُسر عسرًا أنه وجب بطريق إيجاب القليل من الكثير يسرًا وسهولة، فلو أوجبناه على تقدير الهلاك لو جنب بطريق الغرامة والتضمين فيصير عسرًا، وليس المراد أن نفس اليسر يصير عسرًا، فإنه مُحال عقلًا، وإنما يصير اليسير عسيرًا وبالعكس (دون) بقاء النّوع (الأوّل) فإنه ليس شرطًا لبقاء الواجب؛ (إذ) المفتقر إلى حقيقة هذه القدرة وبقائها هو حقيقة الأداء، (والتمكّن من الأداء) والاقتدار عليه (يستغني عن البقاء) أي بقاء القدرة، بل يكفي مجرّد إمكانها وتوهّمها، وذلك لأنّ القدرة المُمكنة كما كانت شرطًا للتمكّن من الفعل وإحداثه كانت شرعًا محضًا ليس فيه معنى العلّة، فلم يشترط

....

بقاؤها لبقاء الواجب؛ إذ البقاء غير الوجود، وشرط الوجود لا يلزم أن يكون شرطًا للبقاء، كالشهود في النكاح شرطٌ للانعقاد لا البقاء بخلاف الميسرة، فإنها شرطٌ فيه معنى العلّة؛ لأنها غيّرت صفة الواجب من العسر إلى اليسر، فأثرت فيه وأوجبته بصفة اليسر، فيشترط دوامها نظرًا إلى معنى العلّيّة؛ لأن هذه العلّة مما لا يمكن بقاء الحكم بدونها؛ إذ لا يتصوّر بدون اليسر، فلهذا اشترط بقاء القدرة الميسرة دون المُمكنة، مع أن ظاهر النظر يقتضي أن يكون الأمر بالعكس؛ إذ الفعل لا يتصوّر بدون الإمكان، ويتصوّر بدون اليسر. (ولذا) أي ولذلك الاستغناء (قيل) القائل فخر الإسلام ومَنْ تبعه: (لم يشترط) أي بقاء القدرة (للقضاء) بدليل أنّ في النفس الأخير من العمر يلزمه تدارك ما فات من الصلاة والصيامات والحجّ وغيرها، وظاهر أنه ليس بقادرٍ على تداركها، ولا يلزم منه تكليف ما لا يُطاق؛ لأن هذا ليس ابتداء تكليف، بل بقاء التكليف الأوّل على ما هو المختار أنّ القضاء إنما هو بالسبب الأوّل، وليس ذلك كالجزء الأخير من الوقت في حقّ الأداء؛ لأنه إنما اعتبر ليظهر أثره في خلفه كما سبق، ولا خلف للقضاء، كذا قالوا، وفيه بحث، ثم إنه فرع على اشتراط بقاء القدرة الميسرة لبقاء الواجب وعدم اشتراط بقاء الممكنة له، بقوله: (فلا تبقى الزكاة والعشر والخراج بهلاك المال النامي)، فإنّ كلّ واحد منها لمّا وجب بالقدرة الميسّرة انتفى بانتفائها. أمّا الزكاة، فلأنها تجب بالنّماء الذي يحصل به يسر الأداء، فإنّ النصاب لمّا لم يغيّر الواجب من العسر إلى اليسر؛ لأن إيتاء الخمسة من المائتين وإيتاء واحد من الأربعين سواء في اليسر لم يعد من القدرة الميسّرة، بل جعل من شرائط الأهليّة كالعقل والبلوغ أو شرط وجوب الأداء؛ لأن حسن الإغناء لا يتحقّق غالبًا إلّا بالمعنى الشرعيّ. فإنْ قيل: فينبغي أن لا تسقط الزكاة بهلاك النصاب، قلنا: إنما تسقط لفوات القدرة الميسّرة التي هي وصف النّماء، لا لفوات الشرط الذي هو النصاب، ولهذا لا تسقط بهلاك بعض النصاب، مع أن الكلّ ينتفي بانتفاء البعض، ومن هذا ظهر فائدة تقييد المال بالنامي. وأمّا العشر، فلأنّ الله تعالى خصّه بالخارج من الأرض الذي هو نماؤها، وأوجب قليلًا من الكثير؛ إذ القدرة على أداء العشر تستغني عن تسعة الأعشار، وذلك دليل اليسر. وأمّا الخراج، فقد خصّه الله تعالى بنماء الأرض، وهو الخارج حتى لو كانت الأرض سبخة لا يجب عليه،

....

وكذا إذا لم يحصل الخارج بأن زرعها ولم يخرج شيء. وأمّا إذا تمكّن من الزراعة وتركها، فيجب عليه لوجود الخارج تقديرًا؛ لأن التقصير من جهته، فكأنه عسر على نفسه كالاستهلاك في الزكاة بخلاف العشر، فإنه إنما يجب بالخارج تحقيقًا، وإنما كان كذلك لأنّ الواجب في الخراج غير جنس الخارج، فأمكن القول بوجوب الخراج مع انعدام الخارج تحقيقًا بخلاف العشر، فإنّ الواجب فيه جزء من الخارج، فلا يمكن إيجاب جزء من الخارج بدون الخارج، وبقوله: (بخلاف الحجّ وصدقة الفطر) فإنّ كلّاً منهما لمّا وجب بالقدرة المُمكنة لم يشترط بقاؤها لبقائه. أمّا الحجّ، فلأنه وجب بالزّاد والراحلة، وهما من الممكنة؛ لأن غالِبَ التمكّن بهما؛ إذ بدون الزّاد نادر، وبدون الراحلة، وإنْ كان كثيرًا لكنه ليس بغالب، وإنما لم يُعتبر توهّم القدرة بالمشي وغيره فيه كما اعتُبر توهّم الامتداد في وقت الصّلاة، مع أن هذا أقرب منه؛ لأن اعتباره هٰهنا يفضي إلى التلف، ولا خلف حتى يظهر أثره فيه، بخلاف وقت الصلاة. وأمّا صدقة الفطر، فلأنها تجب بنصاب فاضل عن الحاجة الأصليّة، وإن لم يتم حتى لو ملك من ثياب البذلة ما يفضل عنها، أو ملك نصابًا ليلة الفطر يلزمه صدقة الفطر، واعتبار النصاب ليس لليسر، بل ليصير المخاطَب به غنيًّا، فيكون إهلالًا للأغنياء؛ لقوله عليه السلام: «اغنوهم عن المسألة»، وإنما اليسر بالنماء وهو غير معتبر هٰهنا. اهـ بحروفه. وفي حاشية للعلامة الأزميري رحمه الله: قوله: (ولا بدّ له من الحسن) اعلم أن قضية لزوم الحسن للمأمور به إيجابًا أو ندبًا من قضايا الشرع لا من قضايا اللغة؛ لأن صيغة الأمر قد تتحقّق في القبيح أيضًا؛ كالكفر والظلم والسّفه. ألا يرى أنّ السلطان الجائر إذا أمر إنسانًا بالزنى والسرقة والقتل بغير حقّ كان أمرًا حقيقة لغويّة حتى إذا خالفه المأمور يقال: خالف أمر السلطان، إلّا أن الشارع لمّا كان حكيمًا لا يفعل إلا لحكمة وفائِدة ولا يأمر بالفحشاء، قالوا: لا بدّ من الحسن في أمره، ثم اختلفوا في أن الحسن من مُوجبات الأمر، أو من مقتضياته كما سيأتي بيانه، ولا بدّ أوّلًا من معرفة معاني الحسن حتى يظهر محلّ النزاع، قالوا: الحسن والقُبح يُطلقان على أربعة معاني: الأول كون الشيء صفة كمال ونقصان؛ كالعلم والجهل وأفعال الله تعالى وأوصافه تتّصف بهذا المعنى. والثاني: كونه ملائمًا للغرض ومنافرًا له؛ كالعدل والظلم. والثالث: كونه متعلّق الثواب والعقاب في

....

الآخرة. والرابع: كونه متعلّق المدح والذَّم في الدنيا في حكم الله تعالى. والأوّلان يثبتان بالعقل بالاتفاق ورد به الشرع أو لا. والثالث يثبت بالنّقل بالاتّفاق؛ إذ لا مدخل للعقل فيه، واختلفوا في الرابع، والشارح جعل الثالث مع الرابع معنى واحدًا كما في التوضيح، وجعله محلاً للنّزاع، ولما ورد عليه أن يكون المأمور به متعلّق الثواب والعقاب في الآخرة ممّا لا نزاع في ثبوته بالنقل لعدم مدخليّة العقل فيه، وإنما النزاع في الرابع جعلنا كلّاً منهما معنًى مستقلاً ليتّضح محل النزاع.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن الأشاعرة وبعض أصحابنا منهم شمس الأئمّة ذهبوا إلى أن الحسن بالمعنى المنازَع فيه من مُوجبات الأمر، بمعنى أن الحسن ثابت بالأمر ويُعرف به لا بمعنى أنه ثابت العقل، والأمر دليلٌ عليه؛ ولهذا قالوا: الفعل أمر به فحسن، بناء على أن لا حَظّ للعقل فيه أصلًا عندهم، وإنّما يُوجبه الأمر ويُثبته لا العقل، وإنما العقل آلة لمعرفة الأمر المُوجب له، وإليه أشار الشارح ﷺ بقوله: والحاكم به والمُوجب له هو الشرع ولا دخل للعقل فيه، وإنما العقل آلة لفهم الخطاب الشرعيّ، أي لا آلة لفهم حسن المأمور به نفسه، فكان العقل عندهم مهدرًا في حقّ إيجاب حسن المأمور به، وفي حقّ كونه آلة لمعرفة حسنه، ومعتبرًا في حقّ فهم الأمر المُوجب لحسنه، وإليه أشار فخر الإسلام أيضًا، فإنه قال: أولًا عرف حسنه بكونه مأمورًا لا بالعقل نفسه؛ إذ العقل غير موجب بحال، ثم قال في باب بيان العقل: ليس بمهدر بالكلّيّة، بل هو معتبر في إثبات الأهليّة بكونه آلة لفهم الخطاب الشرعي، هذا ما ظهر من كلام الشارح. لكن قال في التقرير: إنّ إثبات الأهليّة بالعقل واعتبار العقل في فهم الخطاب الشرعي هو مختار فخر الإسلام لا الأشاعرة، والأشاعرة على إهدار العقل بالكلّيّة. وقالت المعتزلة وجماعة من أصحاب الشافعي ﷺ: إنّ الحسن مقتضى الأمر، أي لازمه المقدَّم، بمعنى أنه ثابت بالعقل قبل ورود الأمر، وإنّما الأمر دليلٌ عليه، ولهذا قالوا: الفعل حسن، فأمر به والحاكم بالحسن والمُوجِب له هو العقل عندهم، بمعنى أنه يحكم بلزوم الأمر بالفعل على الشارع لكونه أصلح لمعرفة حسنه كما يحكم عليه بوجوب الأصلح للعباد، بناءً على أن حسن الشيء يقتضي المأمور به، وإن لم يرد به الأمر ولا دخل للشرع في الحكم عندهم أصلًا، بل الشرع إذا ورد فيما أدرك العقل حسنه ابتداء؛

....

كالإيمان يكون مؤكّدًا لما أدركه العقل من الحسن، وإذا ورد فيما لا يُدرك العقل حسنه ابتداءً يكون مظهر لمقتضى العقل الحاكم لخفاء اقتضائه؛ كمقادير العبادات، وهذا ما قال في الكشف أنّ الحسن والقُبح ضربان: ضربٌ عُلِم بالعقل كحسن العدل والصدق النافع وشكر النّعمة وقُبح الظلم والكذب الضارّ وكفران النّعمة. وضربٌ عُرِف بالسَّمع؛ كحسن مقادير الأعمال وقبح الزنى وشرب الخمر، وسبيل السمع إذا ورد بموجب العقل أن يكون وروده مؤكّدًا لما في العقل، وهو مذهب المعتزلة، وإليه ذهب كثيرٌ من أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه سيّما العراقيون منهم، فكان العقل عندهم موجبًا لحسن المأمور به قبل ورود الأمر به، إلّا أنّ إيجابه في النّوع الأوّل ظاهر قبل ورود الأمر، فكان الأمر مؤكّدًا له، وفي النوع الثاني خفي، فكان الأمر مزيلًا لخفائه مظهرًا لمقتضاه من الحسن. وقول الشارح: لا مطلقًا بل في إيجاب المعرفة؛ يُشعر بأن هذه الفرقة من أصحابنا لم يوافقوهم إلّا في إيجاب معرفة الله تعالى. قلت: بل وافقوهم أيضًا في الحكم بحسن العدل والصّدق النافع وإنقاذ الغرقى والحرقى؛ كما في شرح البزدوي. وقوله: حتى قالوا بوجوب الإيمان، ذكر الإمام نور الدين في الكفاية: أنّ وجوب الإيمان بالعقل مرويّ عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وذكر الحاكم الشهيد في المنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لا عُذْر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السمٰوات والأرض وخلق نفسه. أمّا في الشرائع، فمعذور حتى تقوم عليه الحجّة. ورُوِي أنه قال: لو لم يبعث الله تعالى رسولًا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم، قال: وعليه مشائخنا من أهل السنّة والجماعة، حتى قال الشيخ أبو منصور في الصبيّ العاقل: أنه يجب عليه معرفة الله تعالى، وهو قول أكثر مشائخ العراق؛ لأنه إنما أوجب على العاقل البالغ لكمال عقله بحيث يقدر على الاستدلال، فإذا بلغ عقل الصبي هذا المبلغ يجب عليه الاستدلال أيضًا، وحمل هؤلاء قوله عليه السلام: «رُفِع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم» الحديث، على الشرائع. وفي الكشف: هذا القول مُوافق لقول المعتزلة من حيث الظاهر، أي في إيجاب الإيمان على الصبيّ العاقل سوى أنهم يجعلون نفس العقل مُوجبًا، وهؤلاء يقولون: الموجب هو الله والعقل معرّف لإيجابه، والصحيح ما اختاره فخر الإسلام في البزدوي؛ لأن الإيجاب

....

على الصبيّ مخالف لظاهر النص. أقول الفرق بين ما اختاره فخر الإسلام وبين قول هؤلاء مشكل؛ لأن حاصل ما اختاره فخر الإسلام: أن حسن المأمور به، إنما يثبت بالأمر ويُعرف به، ولا مدخل للعقل في إثباته ومعرفته، إلّا كونه آلة لمعرفة الخطاب الشرعي، كما سبق، وكذا حاصل قول هؤلاء؛ فإن قيل: الفرق أنّ هؤلاء يُوجبون الإيمان على الصبيّ العاقل دون فخر الإسلام. قلنا: إنّ فخر الإسلام قائلٌ بذلك أيضًا؛ لأن سبب إيجابهم عليه فهمه الخطاب بعقله، وهذا مما لم ينكره فخر الإسلام، بل هو قائلٌ به أيضًا، فالفرق بينهما مشكل. ثم الظاهر من كلام الشارح أنّ مذهب صاحب الميزان العقل مُوجب بحسن الشيء وقبحه مثل مذهب المعتزلة، لكن قال في التقرير: إنّ أصحابنا لم تقل بكون العقل مُوجبًا أصلًا، تأمّل قوله: (وأدلّة كل من المذاهب مسطورة) احتجّت الأشاعرة بوجوه، منها أن العقل منهدر بالكلّية لا عِبْرة له أصلًا بدون السمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: الآية ١٦٥]؛ فلو كان العقل حجّة بدون السمع لما نفى العذاب قبل البعثة، ولكانت حجّة قبل البعثة قائمة في حقّهم، فلا عِبْرة إلا بالسمع. قلنا: لا نصّ في الشرع على أنّ العقل مهدر بالكلّية، وغير الشرع لغوٌ عندكم، فإهدار العقل بالعقل لغو وتناقض، ولا دليل لهم في الآية؛ لأنه يجوز أن يكون المراد بالتعذيب المذكور فيها التعذيب الدنيوي بطريق الاستئصال، أي قَطْع نسلهم بالكلّية لا الأُخرويّ، ولو سلم أنه الأُخرويّ لكن نفيه لا ينافي استحقاقه المُعتبر في مفهوم الواجب، فإنّ المُعتبر في مفهومه الاستحقاق للتعذيب بالتّرك لا التعذيب بالفعل، والمراد بالرسول فيها هو رسول العقل؛ لأن العقل رسول من الله تعالى إلى الخلق كافّة، فكان معناها حتى نبعث العقل على ما فسّره الإمام النّسفي، ويحتمل أن يخصّص عمومها، فيكون معناها: وما كنا معذّبين في الأعمال التي لا سبيل للعقل إليها حتى نبعث رسولًا كما فسّره بعض مشايخنا. ومنها: أنّ الأفعال كلّها متساوية ليس في شيءٍ منها جهة محسنة أو مقبحة في نفسه أو في صفته، حتى يُدرك بالعقل، وإلا لزم قيام العرض بالعرض، وذلك باطل، فالحسن ما حسّنه الشرع، والقبيح ما قبّحه الشرع. أُجيب عنه بوجوه: الأول: إن أردتم بالقيام الاتّصاف به بحيث يصير أحدهما منعوتًا

....

ومحلاً، والآخر ناعتًا وحالًا، فلا نسلم امتناعه، فإنه واقع نحو هذه الحركة سريعة وتلك بطيئة، وإن أردتم به أن العرض لا يقوم بعرضٍ آخر، بل لا بدّ له من جوهر يقوم العرضان به، فالقيام بهذا المعنى لا يلزم على تقدير كون الحسن أو القبح لذات الفعل أو لصفة الجواز أن يكون صفة للفعل ثابتًا له، ولا يكون تابعًا له في التخيير، بل يكون تابعًا للجوهر الذي يقوم به الفاعل كالفاعل؛ إذ لا بدّ من فاعل يتقوّم به الفعل والحسن، وإن أردتم به معنًى آخر، فلا بدّ من بيانه. الثاني: أنّ الحسن أمرٌ اعتباريّ لا وجود له في الأعيان، فقيامه بالفعل لا بدّ أن يكون من باب قيام العرض بالعرض. فإن قيل: إنّ نقيضه لا حسن أمر عدميّ، وإلا لما صدق على المعدوم أنه ليس بحسن ضرورةَ أن الوجودي يقتضي محلاً موجودًا، فيكون الحسن أمرًا موجودًا في الخارج لا معدومًا، وإلا لزم ارتفاع النقيضين. قلنا: إن الصدق على المعدوم لا يقتضي العدميّة لجواز أن يكون مفهومًا كلّيًا يصدق على موجود وعلى معدوم؛ كاللّاممتنع الصادق على الواجب والمعدوم المُمكن. والحاصل أن عدميّة صورة النفي موقوفة على كون ما دخل عليه حرف النفي وجوديًا بدليل أن اللامعدوم وجودي، فلو أثبت وجودية ما دخل عليه حرف النفي، أعني الحسن لعدميّة صورة النفي لزم الدور. (الثالث): أنه مشترك الإلزام لأن الحسن الشرعي الذي أثبتم أيضًا عرض، فيلزم من اتّصاف العقل به قيام العرض بالعرض.

فإن قلتم: إنّ الحسن الشرعيّ أمرٌ اعتباريّ ثبت باعتبار الشارع. قلنا: إنّ الحسن العقلي أيضًا أمرٌ اعتباري، كما عرفت. ومنها: أن فعل العبد إن كان لازم الصدور عنه فاضّطراريّ، وإلّا فإن افتقر إلى مرجح، فإنْ كان ذلك المرجح لازم الصدور عنه فاضّطراريّ أيضًا، وإلّا احتاج إلى مرجّح آخر؛ فتسلسل المرجّحات وهو باطل، وإن لم يفتقر إلى مرجّح، بل يصدر عنه تارة ولا يصدر أخرى مع تساوي الحالين من غير تجدّد أمر من الفاعل، فهو اتّفاقي والاضّطراري والاتّفاقي لا يوصف إنْ بالحسن والقبح عقلًا بالاتّفاق. حاصله أن لا اختيار للعبد في فعله، بل كل أفعاله اضّطراريّ أو اتّفاقي، فلا يوصف بالحسن والقبح عقلًا أُجيب عنه بوجوه:

الأول: إنّا نجد تفرقة ضروريّة بين حركة الآخذ وحركة المرتعش، بأن الأُولى اختيارية، والثانية اضّطرارية، فيكون دليلكم في مقابلة الضرورة، فلا يسمع ورد بأن

....

المعلوم ضرورةً، وهو وجود القدرة لا تأثيرها، فلا يكون دليلنا في مقابلة الضرورة. الثاني: أنه يجري بعينه في فعل الباري، فيلزم أن لا يكون مختارًا في فعله، وهو باطل وردّ بأن مرجح فاعليّته تعالى هو إراداته القديمة، فلا يحتاج إلى مرجّح متجدّد؛ إذ علّة الاحتياج إلى المرجّح عندنا هو الحدوث. الثالث: أنه يلزم أن لا يُوصف بحسن ولا قُبح شرعًا، لأنهما يكونان بالتكليف عندكم، والتكليف بغير المختار غير واقع عندكم، فلا يتّصف بهما، وردّ بأن وجود القدرة وكون الفعل مقدورًا له كافٍ في اتّصافه بالحسن الشرعي، بلا حاجة إلى تأثيرها، ونحن لا نُنكر وجود القدرة، وإنما نُنكر تأثيرها ووجودها كافٍ في التكليف، فكذا في الاتّصاف بالحسن والقُبح الشرعيّين. الرابع: إنّا نختار أنه يحتاج إلى مرجّح، وهو الاختيار، وسواء قلنا يجب الفعل عنده أو لا يجب، يكون اختياريًّا؛ إذ لا معنى للاختياريّ. أمّا ما يترجح بالاختيار حاصله أنّ الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، وردّ بأنّ ذلك المرجّح لا يكون اختيار العبد، وإلا لزم التسلسل، فيكون اختياره تعالى فيبطل استقلال العبد في فعله فيقبح التكليف، لأن مجرّد القدرة لا يكفي في صحة التكليف عندكم، وإذا بطل التكليف لا يتّصف بالحسن والقُبح. الخامس: وهو أقواها الذي اختاره صاحب التوضيح مبنيًّا على المقدّمات الأربع المشهورة، وهو لازم الصدور؛ لأن كل ممكن يجب صدوره عند تمام علّته، ولا يلزم منه الاضطرار المانع عن اتّصافه بالحسن والقبح؛ لأنّ اختيار العبد داخل في العلّة التامّة ضرورةً لأنه لا يجوز أن تكون العلة التامّة بأسرها موجودات محضة، وإلا لزم انتفاء الواجب أو قدم الحادث؛ لأن تلك الموجودات لا بدّ أن تستند إلى واجب قطعًا للتسلسل، فإن لم ينتفِ شيء من تلك الموجودات أصلًا يلزم قدمها ضرورةً دوام المعلول بدوام علّته، وإن انتفى شيءٌ منه يلزم انتفاء الواجب ولا معدومات محضة؛ لأن المعدوم لا يكون علّة للموجود ولا مركبة منهما؛ لأنها لو كانت مركّبة منهما لزم أن لا يكون وجود جميع تلك الموجودات التي كانت جزء من العلّة التامّة مستلزمًا لوجود ذلك الحادث ضرورةً توقفه على المعدومات أيضًا لكونها جزء من العلّة التامّة واللازم باطل لما تحقّق وتقرّر أنه كلّما وجد جميع الموجودات التي يفتقر إليها وجود زيد مثلًا يوجد زيد البتّة من غير توقّف على عدم شيءٍ مّا؛ إذ لو توقف على عدم شيء ولنفرضه عدم عمرو

....

مثلًا، فإمّا أن يتوقّف على عدمه السابق أو عدمه اللاحق، وكلاهما باطلان. أمّا الأوّل، فلأن عدمه السابق قديم، فيلزم قدم زيد أيضًا ضرورةَ تحقّق جميع ما يتوقّف عليه وجوده من الموجودات أو المعدومات في الأزل. أمّا المعدومات، فظاهر. وأمّا الموجودات، فلاستنادها إلى الواجب بالذّات. وأمّا الثاني، فلأن عدمه اللاحق، أعني عدمه بعد وجوده لا يمكن إلّا بزوال شيء مما يتوقّف عليه وجوده، فلذلك الجزء الذي حدث عدم عمرو بزواله إمّا أن يكون موجودًا محضًا أو معدومًا محضًا أو مركبًا منهما، ولا يجوز أن يكون زواله بزوال الموجود المَحض لاستلزامه انتفاء الواجب، كما في القسم الأوّل، بل بزوال المعدوم المحض أو بزوال المركّب من الموجود والمعدوم، وزوال المعدوم لا يتصوّر إلّا بزوال عدمه، وزوال العدم وجود، ولنفرضه وجود بكر فيكون وجود زيد بعد تحقّق مجموع ما يتوقّف عليه من الموجودات موقوفًا على وجود بكر ضرورةَ توقّفه على عدم عمرو الموقوف على زوال جزء علّته الموقوف على وجود بكر هذا خلف؛ لأنّ ما فرضناه مجموع الموجودات التي يتوقّف عليها وجود زيد لا يكون مجموعًا ضرورةَ بقاء بكر الموجود، فإذا ثبت بطلان كون العلّة التامّة بحادث موجودات محضة، أو معدومات محضة، أو مركّبة منهما؛ فلا بدّ أن يدخل فيها أمر لا موجود ولا معدوم غير مخلوق أصلًا، وهو المسمّى بالحال عندهم، وهو القصد والاختيار، فيكون الفعل حينئذٍ واجبًا بالاختيار عند تمام علّته، والوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، بل يحقّقه، فلا يكون اضّطراريًّا.

فإن قيل: ننقل الكلام إلى ذلك الاختيار، فإنْ كان لازم الصدور عن العبد يكون الفعل اضّطراريًّا، وإن لم يكن لازم الصدور عنه، بل قد يصدر وقد لا يصدر يلزم الترجيح بلا مرجّح في صدور الاختيار عنه. قلنا: إنه غير لازم الصدور، وبطلان الترجيح بلا مرجح من الفاعل المختار ممنوع، وإنّما المُحال هو الترجيح بلا مرجح، بمعنى وجود الممكن بلا موجود ولا إيجاد، وذلك غير لازم هٰهنا؛ إذ لا وجود للاختيار، بل أمر لا موجود ولا معدوم، وهو أمرٌ اعتباريّ لا يحتاج إلى الخلق والإيجاد، وقد يُجاب عنه بأنه لازم الصدور من العبد لكن لا يلزم منه كون الفعل اضّطراريًّا؛ لجواز أن يكون المرجّح المُوجب للاختيار اختيارٌ آخر إلى غير

....

النهاية لجواز التسلسل في الأمور الاعتبارية، فيكون الاختيار أيضًا واجبًا بالاختيار، أو يكون اختيار الاختيار عينه، فلا يتسلسل. واحتجّت المعتزلة بقصة إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام حين قال لأبيه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: الآية ٧٤]، وكان ذلك قبل الوحي، ولو لم يكن العقل حجّة مُوجبة لكانوا معذورين، لا في ضلالٍ مبين. قلنا: سلَّمنا ذلك، ولكنه لا يلزم منه كون العقل مُوجبًا بنفسه حاكمًا بذاته، لجواز كفاية كونه آلة لإدراك الحسن في إسقاط العذر، وفي بعض شروح المختصر: أن النزاع بين الأشاعرة والمعتزلة لفظي؛ لأن المعتزلة أرادوا بالحسن ما يكون موافقًا للغرض ولا نزاع في كونه عقليًا والأشاعرة أرادوا بمعنى ما يستحقّ فاعله المدح ولا نزاع للمعتزلة في كونه شرعيًا، وفيه نظر؛ لأنهم صرَّحوا أن نزاعهم في هذا المعنى فيكون معنويًا. قوله: (والمختار عندنا)، حاصلة التوسّط، فإنّ المعتزلة أفرطوا في جعل العقل حاكمًا حتى أوجبوا الإيمان على الصبي العاقل، وأهل الفطرة والأشاعرة فرّطوا في تعطيل العقل وإهداره حتى أبطلوا إيمان الصبي العاقل، وتوسّط أصحابنا وقالوا: إنّ للعقل مدخلًا في معرفة حسن بعض الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع، وليس بحاكم، بل الحاكم هو الله تعالى. قوله: (إنه مدلوله مطلقًا) أي ثابت للمأمور به قبل ورود الأمر، سواء كان ممّا فهمه العقل أو لا، والأشاعرة قالوا: إنه ثابت بالأمر لا قبله. قوله: (لحكمة الآمر)؛ فإن قيل: إذا كان لحكمة الآمر، فكيف يصح تقسيمه إلى حسن بعينه وحسن لغيره، والحسن لغيره لا يكون لعينه، والحسن لحكمة الآمر حسن لغيره. قلنا: إن كونه مأمورًا به من الحكيم دليلٌ على اتّصافه بالحسن لا موجب له، فلا يمنع أن يكون حسنه الذي دلّ عليه بكون الآمر حكيمًا لعينه ولغيره. قوله: (ما ذكر هٰهنا) أعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]، ووجه الإشكال فيه أنه إنما أفاد حسن العدل لكونه مأمورًا به، وقد تقدّم آنفًا أن حسن العدل بمعنى الموافق للغرض، لا بمعنى المتنازع فيه. قوله: (فلا علينا) أي فلا بأس علينا، فكان اسم لا محذوفًا لعدم اللّبس، كما هو المشهور. قوله: (بل هو يعرفه) من المعرفة، ويجوز أن يكون من التعريف. قوله: (إمّا حسن لمعنًى في نفسه)، قال في التقرير: معنى قولهم: حسن لمعنًى في نفسه، أنّ اتّصافه بالحسن إنما هو بالنظر إلى ذات المأمور به مع قطع النظر

....

عن الأُمور الخارجية عنه، كما يقال: إنّ الدار حسنة في نفسها، أي مع قطع النظر عن الأُمور الخارجية، وتحقيقه أن العقل لو كان موجبًا لمعرفة الحسن لدلّ عليه حين النظر في المأمور، وإن فرض عدم كونه مأمورًا به بأمرٍ صادر عن الحكيم؛ كالإيمان مثلًا، فإنه إذا نظر العقل في ماهيّته وجدها شكرًا للمُنعم بتوحيده وتصديقًا له وغير ذلك من محاسنه، فلو فرضنا أنه لا يكون مأمورًا به لكان حسنًا، والحسن لمعنًى في غيره هو ما يكون على خلاف ذلك؛ كالجهاد مثلًا، فإنه تخريب البلاد وقتل العباد، وإذا جرّد العقل النظر إليه قد لا يجده حسنًا إنْ لم يكن مأمورًا به، وكذا الغسل من الجنابة في أيّام الشتاء في البلاد الباردة بالماء البارد. فإن قيل: هذا البيان يستقيم على القول المختار عندنا. وأمّا مذهب الأشاعرة ومَنْ معهم منّا من أن الحسن ثابت بالأمر لا قبله، فما معنى قولهم: حسن لمعنًى في نفسه؟ فالجواب: معناه أنّ الحكيم أمر به مستقلاً بذاته من غير أن يكون بواسطة غيره، أو أن يكون واسطة لغيره، والحسن لمعنًى في غيره على خلاف ذلك، وهو أنّ الشارع أمر به لا مستقلاً بذاته، بل باعتبار أنه واسطة لغيره أو غيره واسطة له، وقيل: معنى الحسن لنفسه عند الأشعري كون الفعل مأمورًا به، فتكون كل المأمورات حسنة لمعنًى في نفسها بهذا المعنى، فلا يتمشّى التقسيم المذكور عنده. قوله: (إلى تكلّف ارتكبه صاحب التنقيح)، قال: والمأمور به في صفة الحسن نوعان: حسن لمعنًى في نفسه، وحسن لغيره؛ وذلك الغير لا بدّ أن يكون حسنًا لعينه قطعًا للتسلسل، وهو إمّا أن يكون جزء ذلك الفعل أو خارجًا عنه، والجزء إمّا صادق على الكلّ؛ كالعبادة تصدق على الصلاة، وهي جزؤها؛ كالإنسان بالنسبة إلى زيد. والحسن لمعنًى في نفسه يعمّ الحسن لعينه، والحسن لجزئه والخارج إمّا صادق على ذلك الفعل نحو الجهاد إعلاء كلمة الله، فالجهاد حسن لكونه إعلاء، والإعلاء خارج عن مفهوم الجهاد. وإمّا غير صادق؛ كالوضوء حسن للصلاة، والصلاة لا تصدق على الوضوء، هذا ما ذكره. ولما ورد على قوله: إن الحسن لمعنًى في نفسه يعمّ الحسن لعينه والحسن لجزئه أنّ هذا إنما يصح في الحسن لجزئه ضرورةَ أن جزء الشيء معنى كائن فيه، ولا يصح في الحسن لعينه؛ إذ ليس ذات الشيء معنًى فيه. أجاب عنه بوجهين: أحدهما أنّ إطلاق الحسن لمعنًى في نفسه على الحسن لعينه إنما هو اصطلاح، ولا مَشاحة في الاصطلاح،

....

وكأنه تغليب باعتبار أن عامّة الأشياء يكون حسنها باعتبار الأجزاء. وثانيهما: أن الحسن لعينه هو الفعل المطلق؛ كالعبادة مثلًا، وهو لا يوجد إلّا في ضمن جزئيّاته الموجودة، وبحثنا في تلك الجزئيّات المعلوم وجودها حسًّا، وهي لا تكون حسنة إلّا لمعنًى في نفسها، أو حسنة لغيرها، ولمّا حمل الشارح قولهم حسن لمعنًى في نفسه على ما ذكره لم يرد عليه ذلك، ولا حاجة إلى ما تكلّف من الجوابين. قوله: (فإمّا أن لا يقبل) شروع في تقسيم الحسن لحسن في نفسه وحسن في غيره، والجملة هٰهنا أن المأمور به في باب صفة الحسن ينقسم إلى نوعين: وحسن لحسن في نفسه وحسن لحسن في غيره، والأوّل ينقسم إلى ما لا يقبل السقوط بحال، وإلى ما يقبله، وإلى ما يكون حسنًا في نفسه ومشابهًا لما حسن لحسن في غيره. والثاني ينقسم إلى ما يتأتّى ذلك الغير بنفس المأمور به، وإلى ما لا يتأتّى به، وهٰهنا قسمٌ آخر، وهو ما حسن لحسن في شرطه بعدما كان حسنًا لحسن في نفسه؛ كالصلاة والزكاة وشرطهما هو القدرة على الأداء، وعدّ هذا القسم في شروح البزدوي من أقسام الحسن لغيره؛ لأن الشرط يُغاير المشروط وسمّوه قسمًا جامعًا لكونه جامعًا للحسن لعينه ولغيره. قوله: (وفي اختياره على قول فخر الإسلام) قال فخر الإسلام: الحسن لمعنًى في نفسه ثلاثة أضرب: ضربٌ لا يقبل سقوط هذا الوصف بحال، وضرب يقبله، وضرب يلحق بهذا القسم، لكنه مُشابه لما حسن لمعنًى في غيره... إلى آخره. والمراد بالوصف وصف الحسن، واعترض عليه بأنّ حسن الإقرار في حالة الإكراه حتى لو صبر وقتل كان شهيدًا مأجورًا، فكيف يكون حسنه ساقطًا بالإكراه، وإنما يسقط به وجوبه، ولا يلزم من سقوط وجوبه سقوط حسنه؛ لأن عدم الوجوب لا يستلزم عدم الحسن؛ كالمندوب، على أنّا لا نسلم أنّ وجوبه ساقط. وأُجيب عنه بأنه لا يلزم من كون الصابر عليه شهيدًا إبقاء حسن الإقرار؛ لأنه لو سقط حسنه لا يلزم منه إباحة ضدّه وهو إجراء كلمة الكفر، بل بقي ذلك حرامًا كما كان، إلّا أنّ الترخص ثبت رعايةً لحقّ نفسه، فإذا صبر حتى قُتل كان شهيدًا بناءً على بقاء حرمة إجراء كلمة الكفر لا على بقاء حسن الإقرار، ولما ورد على هذا الجواب أنّ سقوط أصل الإقرار بالإكراه إنّما كان لرعاية حقّ نفسه، ولا مدخل له في سقوط حسنه أعرض عنه المصنّف كصاحب التنقيح إلى لفظ التكليف، فإنه كما سقط الإقرار

....

حالة الإكراه سقط التكليف به أيضًا. فإن قيل: إن القابل من شرطه أن يوجد مع المقبول والإقرار والتكليف به؛ إذا سقط لم يكن موجودًا. قلنا: إن السقوط وصف اعتباريّ، واشتراط القابل مع المقبول وجودًا إذا كان المقبول وصفًا وجوديًا، ومنه ظهر الجواب عمّا يتوهّم أنّ بقاء الحسن مع سقوط أصل الإقرار محال؛ لأن بقاء الحال بدون المحل مُحال، فإنّ العرض لا يقوم بدون المحلّ، وجهه أنّ ذلك في الوصف الحقيقي والحسن لما كان وصفًا اعتباريًا لا يقتضي محلاً موجودًا يقوم به حقيقة. قوله: (إنّ التكليف مطلقًا أعمّ)، أي لفظ التكليف مع قطع النظر عن وقوعه في هذين الموضعين أعمّ من المعنيين، وإلّا فلفظ التكليف في قوله: لا يقبل سقوط التكليف بمعنى التكليف بالسعي لا أعمّ منه، ومن المعنى الأوّل. وفي قوله: أو يقبله على عكس هذا الأعمّ أيضًا. قوله: (فإنه كيف أو انفعال) إنّ فسّر الصورة الحاصلة في الذّهن يكون كيفًا، وإن فسّر بانتقاش النفس بتلك الصورة يكون انفعالاً.

اعلم أنّ المراد بالتصديق المُعتبر في الإيمان ليس مجرّد معرفة نسبة الصدق إلى محمّد عليه الصّلاة والسّلام، أو إلى قوله: ووقوعها في القلب من غير إذعان وقبول، فإنّ كثيرًا من الكفّار يعرفون صدقه ويقع في قلوبهم نسبة صدقه يقينًا ولا يصدّقونه عنادًا واستكبارًا، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٦]، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: الآية ١٤]، بل المراد به إذعان تلك النسبة وقبولها واطمئنان النفس بها بترك التكبّر والعناد، بحيث يصحّ أن يطلق عليه اسم التسليم، كما صرّح به الغزالي، لكنهم اختلفوا في أن هذا التصديق هل هو من قبيل الأفعال الاختياريّة أو من قبيل العلوم والإدراكات التي هي من مقولة الكيف أو الانفعال؛ فذهب بعضهم إلى الأوّل مستدلّاً بأنّ العلم حاصل للمعاندين من الكفار دون التصديق المُعتبَر في الإيمان، وبأنّ الإيمان مأمورٌ به، والمأمور به لا بدّ وأن يكون فعلًا اختياريًا، والعلم ليس بفعل، بل كيف أو انفعال، وحصولهما ليس باختياريّ، بل تحصيلهما اختياريّ، وبأنّ الإيمان عبارة عن القبول والتسليم، وهو فعل لا عِلم. وعلى هذا القول يقع التكليف بنفس التصديق، كما في الصلاة بلا حاجة إلى جعله للسعي، ثم فسّر بعضهم ذلك الفعل الاختياريّ المُعبّر عنه بالتصديق بربط القلب بالاختيار على ما علم من جملة المؤمن به، وبعضهم بنسبة الصدق إلى

....

المُخبر بالاختيار، وقالوا: إنّ كلّاً من الرّبط والنسبة الاختياريّتين أمرٌ كسبيّ من قبيل الفعل، ولهذا يُثاب عليه. وذهب بعضهم إلى الثاني، ثم اختلفت هذه الفرقة إلى فرقتين: فرقة ذهبت إلى أنه نوع من التصديق المنطقي الذي قسم العلم إليه وإلى التصوّر في أوائل كتب المنطق، وهو التصديق الخاص المقيّد بقيود؛ كالكسب والاختيار وترك الجحود والتصديق المنطقي أعمّ منه، وفرقة أخرى ذهبت إلى أنه عين الصدق المنطقيّ لا نوع منه، واختاره أكثر المحقّقين مستدلّين بأنّا لا نفهم من لفظ التصديق في اللغة والعُرف إلّا نسبة الصدق إلى المخبر، ولا نفهم من تلك النسبة أيضًا إلّا إذعانها وقبولها وإدراكها بالقلب من غير أن يتصوّر هناك فعل وتأثير من القلب أصلًا. ولا شكّ أنّ هذا كيفيّة للنفس قد تحصل بالكسب والاختيار، وقد تحصل بدونهما؛ فغاية الأمر أنه يشترط في التصديق المُعتبر في الإيمان أن يكون تحصيله بالكسب والاختيار على ما هو قاعدة كون الشيء مأمورًا به. وأمّا كون هذا فعلًا وتأثيرًا من النفس لا كيفيّة لها، وكون الاختيار معتبرًا في مفهومه حتى يكون نوعًا خاصًا من التصديق المنطقي؛ فممنوع. كيف وأنّ لفظ التصديق إنما يُطلق على ما يُعتبر في الإيمان بالمعنى المُعتبَر في اللغة؟ إذ الأصل عدم النقل والاختيار غير مُعتبر في معناه اللغوي قطعًا، فإن قيل: الإيمان في الشرع هو التصديق بأُمور مخصوصة، وفي اللغة: هو التصديق المطلق، فيكون من المنقولات الشرعية. قلنا: هذا ليس نقلًا من معنًى لغويّ إلى معنًى آخر، بل معناه في اللغة والشرع واحد، وهو المُعبّر عنه في الفارسية: بگر ويدن، غاية الأمر بيان الفرق بينهما باعتبار متعلّقهما إلا بأصل المعنى، فيكون متعلّقه في اللغة عامًّا وفي الشرع خاصًّا. وأمّا ما قيل إنّ الإيمان مأمورٌ به، فيكون فعلًا اختياريًّا. قلنا: ممنوع؛ إذ كثيرًا ما يكون العلم مأمورًا به أيضًا، نحو: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمَّد: الآية ١٩]، وكذا ما قيل: إنّ العلم حاصل للكافر المُعاند دون الإيمان، فيكون فعلًا ممنوع أيضًا؛ إذ لا يلزم من حصول مطلق العلم للكافر حصول التصديق المُعتبَر في الإيمان له، وباقي الأبحاث ذكرناها في شرحنا على ما رتّبنا في الكلام.

إذا عرفت هذا، فالشارح أشار بقوله: إنه كيف انفعال إلى أن التصديق المُعتبَر في الإيمان من مقولة العلم لا الفعل، ثم صرّح بأنه عين التصديق المنطقيّ المعتبر فيه

....

الإذعان والقبول، لا مجرّد نسبة الصدق في القلب. ثم أشار إلى ردّ مَنْ ذهب إلى أنه عبارة عن التسليم والقبول الذي هو من مقولة الفعل بقوله وتسميته تسليمًا زيادة توضيح للمقصود؛ وذلك لأن المقصود من الإيمان هو تسليم ما جاء به والانقياد إليه، ولفظ التسليم دلّ عليه ثم أشار إلى ردّ مَنْ ذهب إلى أنه نوعٌ خاصّ من التصديق المنطقي، بقوله: وجعله مغايرًا للتصديق المنطقي وَهْم، فإن قيل: لو لم يكن مغايرًا له لزم حصول الإيمان في الكافر، فأجاب بمنع حصول التصديق المنطقيّ في الكافر، وعلى تقدير حصوله لبعض الكفّار لا يلزم منه حصول الإيمان لهم لوجود الجحود باللّسان طوعًا واستكبارًا، فإن قيل: قد صرّح أولًا بأنه عين التصديق المنطقيّ، وقوله: يكون كفره باعتبار جحوده باللّسان واستكباره، يُشعر بأنّه غيره، وأنه نوعٌ خاصٌ منه باعتبار هذا القيد. قلنا: لا يلزم من اعتبار هذا القيد كونه نوعًا خاصًا منه؛ لجواز أن يكون هذا القيد شرطًا خارجيًا. قوله: (في حالٍ من الأحوال) أي حال الإكراه وحال الطَّوع حتى لو تبدّل التصديق بضدّه في حال منهما لكان كافرًا. قوله: (وقيام السيف) إشارة إلى أنّ المراد بالإكراه المُعتبر في إسقاط الإقرار هو الإكراه بالقتل أو بالقطع. قوله: (عدم تبدّله) أي التصديق. قوله: (متمكّنه) أي الإقرار. قوله: (على فواته) أي التصديق؛ لأن الإقرار دليلٌ عليه قائمٌ مقامه لكونه أمرًا باطنًا تعذّر الوقوف عليه، فكان تركه بغير عذر دليلًا عليه؛ لأن انتفاء الدليل انتفاءُ المدلول. قوله: (لا المصدّق الغير المتمكّن، ولو كان نادرًا) معطوف على متمكّنه، أي لا يدلّ المصدق الغير المتمكّن من الإقرار على فوات التصديق، فيكون مؤمنًا. قال فخر الإسلام: ومَنْ لم يصادف وقتًا يتمكّن فيه من البيان، وكان مختارًا في التصديق كان مؤمنًا إن تحقّق ذلك، انتهى. وقال في التقرير: قيّد بكونه مختارًا احترازًا عن التصديق حالة اليأس، فإنه لا ينفع أصلًا. وقوله: أن يحقّق ذلك؛ لأن التصديق الاختياريّ مع عدم التمكّن من الإقرار وما يقوم مقامه في غاية الندرة، فأشار الشارح إلى هذا بقوله: ولو كان نادرًا، لكنه ترك الاختيار لظهوره. وقوله: ولا المتمكّن عطف على الغير المتمكّن، أي لا يدلّ ترك المصدق المتمكّن من الإقرار عند الإجبار على الإقرار على فوات التصديق، بل يحكم بإسلامه؛ كالكافر أجبر على الإسلام فأقرّ، فإنه يُحكم بإسلامه عندنا ذمّيًا أو حربيًا، وكذا المسلم لو أُكره على

....

الإنكار فأنكر، فإنه لا يُحكم بكفره، فإنّ الإكراه المُلجىء لا يعدم الاختيار بل يفسده، فإجبار الكافر على الإقرار والمسلم على الإنكار لا يعدم اختيارهما، وإن أفسده، والاختيار الفاسد معتبر في الإسلام؛ لأنه يعلو ولا يُعلى، فيكفي فيه الاختيار الفاسد.

واعلم أنّ مذهب المحقّقين مِنْ أصحابنا أنّ الإيمان هو التصديق والإقرار ليس جزءٌ منه، وإنما هو شرط إجراء الأحكام الشرعيّة عليه حتى أنّ من صدّق بقلبه ولم يُقِرّ بلسانه مع تمكّنه منه كان مؤمنًا عند الله تعالى غير مؤمن في أحكام الدنيا، أي لا يجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا. وقال كثير من أصحابنا ومن الفقهاء: إنّ الإيمان هو مجموع التصديق والإقرار، واستدلّوا عليه بظواهر النصوص من قوله عليه الصّلاة والسّلام: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلّا الله» الحديث. وقوله عليه الصّلاة والسلام: «أُمِرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلّا الله» إلى غير ذلك، إلّا أنهم لما تقنطوا السقوط الإقرار مع بقاء كون الرجل مؤمنًا، قالوا: إنّ التصديق ركنٌ أصليّ لا يحتمل السقوط أصلًا، حتى لو تبدّل بضدّه طوعًا أو كرهًا كان كافرًا، والإقرار ركن مُلحق بالتصديق في كونه ركنًا لكونه دالًّا عليه، ويقبل السقوط بعذر الإكراه المُلجىء حتى لو تبدّل بضدّه لم يكن كافرًا؛ لأن اللّسان ليس معدن التصديق، والأصل هو التصديق؛ فاللّسان ليس معدن الأصل، فاشتغاله بضدّه لا يدلّ على الكفر، واختار رحمه الله مذهب الأكثر، كما هو الظاهر في مواضع من كتابه، لكن اعترض بعض المحقّقين على دليلهم بأن تلك النصوص تدلّ على أنّ الإيمان هو الإقرار وحده؛ إذ ليس فيه ذكر التصديق، وهو خلاف ما عليه أهل السنّة، ويستلزم أن يكون المنافقون مؤمنين، فيكون متروك الظاهر، وخبر الواحد المتروك الظاهر، وكذا المشهور المتروك الظاهر لا يفيد الركنية في الأُمور القطعيّة. واستدلّ على مذهب المحقّقين بأنّ الإيمان في اللغة والعُرف هو التصديق فقط، ولا تعلّق له باللسان، فإطلاقه على غير التصديق إخراج عن معناه الحقيقيّ، وبأنّ الشيء لا يوجد إلّا مع ركنه، وكلّ مَنْ آمن موصوف بالإيمان على التحقيق من حين آمن إلى أن مات، بل إلى الأبد، فيكون مؤمنًا بوجود الإيمان وقيامه به حقيقة، ولا وجود للإقرار حقيقةً في كل لحظة، بل يكفي وجوده مرّة في عمره؛ فدلّ أنه مؤمن لما معه

....

من التصديق القائم من التصديق القائم بقلبه الدائم بتجدّد أمثاله، أو لبقاء الأعراض، لكن الله أوجب الإقرار ليكون شرطًا لإجراء أحكام الدنيا؛ إذ لا وقوف للعباد على ما في القلب، فلا بدّ لهم من دليل ظاهر ليمكّنهم بناء الأحكام عليه والنصوص معاضدة لهذا القول أيضًا؛ كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢]، ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «ثبت قلبي على دينك». قوله: (إذ ليست ركنًا مثله) أي ليست الصلاة ركنًا من الإيمان، مثل الإقرار أشار به إلى أن الأعمال خارجة عن الإيمان لا داخلة فيه، كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. قوله: (إذ لا تدلّ عليه عدمًا)؛ إذ يلزم من ترك الصلاة اختيارًا عدم الإيمان بخلاف الإقرار، كما عرفت. قوله: (إلّا على هيئة مخصوصة) أي إلّا كائنة على هيئة مخصوصة؛ كالصلاة بجماعة، فإنه يحكم بوجود إيمان مَنْ صلّى بالجماعة لكونها من خصائص هذه الأُمّة بخلاف الصّلاة منفردًا، فإنها لا تدلّ على وجود الإيمان. قوله: (وسرّه)، أي سرّ دخوله الإقرار في الإيمان دون الأعمال، حاصله أنّ الإيمان وصف للإنسان، يقال: إنه مؤمن والإنسان مركّب من الروح والبدن والتصديق عمل الروح القائم في القلب، فجعل عمل شيء من البدن أيضًا داخلًا فيه تحقيقًا لكمال اتّصاف الإنسان بالإيمان ظاهرًا وباطنًا، وتطبيقًا بين الصفة والموصوف في التركيب وتعين فعل اللّسان؛ لأنه المتعيّن لبيان ما في الباطن بحسب الوضع، ولهذا جعل الحمد الذي هو فعل اللّسان رأس الشكر، فكان الإيمان مركّبًا من الدال والمدلول. قوله: (لا حقيقةً بل حكمًا)، وإنما جعل هذا القسم مقابلًا للقسمين المذكورين نظرًا إلى أنه لا ينقسم إلى ما لا يقبل السقوط، وما يقبله، بل كلّه يقبل السقوط. واعلم أن للحسن لعينه درجات أعلاها حسن التصديق، فإنه لا يسقط بحال، ثم حسن الإقرار؛ لأنه وإن كان ركنًا، إلّا أنه يحتمل السقوط، ثم حسن الصلاة لأنها حسنة لعينها بحيث لا تشبه الحسن لغيره، إلّا أنها تحتمل السقوط وليست بركن من الإيمان؛ كالإقرار، فكانت دونه ثم حسن الصوم والزكاة والحجّ، فإنّها مع احتمال السقوط وعدم ركنيّتها تشبه الحسن لمعنًى في غيره، وتحقيقه أن حسن كلّ مِنْ هذه الثلاثة بالغير، إلّا أنه لا اعتبار بحسن ذلك الغير، حتى أنه في حكم العدم، فصار كلّ منها كأنه حسن لا بواسطة أمر، فجعل بهذا الاعتبار من قبيل الحسن لمعنًى في

....

نفسه، فصار هٰهنا مقامان: أحدهما أن هذه الأفعال ليست حسنة في نفسها، بل بواسطة أُمور يعرف العقل أنها المطلوبة بالأمر والمتّصف بالحسن. وثانيهما أنه لا عِبْرة بهذه الوسائط، وأنها في حكم العدم حتى كان المقصود بالأمر هو نفس الأفعال التي ورد الأمر بها. أمّا الأوّل، فلأن الصوم في نفسه تجويع النفس والإضرار بها ومنع نِعَم الله عن عباده مع إباحتها لهم، وإنما تَحْسُن بواسطة حسن قهر النفس. والزكاة في نفسها إضاعة المال، وإنما تحسن بواسطة حسن دفع حاجة الفقير، والحجّ في نفسه قطع للمسافة إلى أمكنة مخصوصة، وزيارة بمنزلة السفر للتجارة وزيارة البلدان والأماكن، وإنما يحسن بواسطة زيارة البيت الشريف المضاف إلى الله تعالى حيث يقال: بيت الله، ففيه تعظيم له. وأمّا الثاني، فهو ما أشار إليه بقوله: لكن هذه الوسائط لا تُخرجها عن أن تكون حسنة لعينها، إلى قوله: بمنزلة الصلاة، وقيل: إنّ هذه الوسائط لم تُعتبر هٰهنا؛ لأنه لا دخل فيها لقدرة العبد واختياره، فلم يجعل الحسن باعتبارها، بل باعتبار نفس الأفعال المطلوبة، واعترض عليه بأنّ هذه الوسائط لا شكّ في كونها باختيار العبد، نعم لو كانت الوسائط نفس الحاجة وشهوة النفس وشرف الأمكنة لكانت مما لا دخل فيه لقدرة العبد، لكنها ليست كذلك. وأُجيب بأنّ قهر النفس ودفع الحاجة وزيارة البيت نفس الصوم والزكاة والحجّ، فكيف تكون وسائط حسنها، وإنما الوسائط هي الحاجة والشهوة وشرف المكان والاختيار للعبد فيها، وردّ بأنّ الواسطة ما يكون حسن الفعل لأجل حسنها، وظاهر أنّ نفس الزيارة والحاجة والشهوة ليست كذلك، ولهذا قال: إنّ الوسائط هي القهر والدّفع والزيارة المخصوصة، ولا خفاء في أنها ليست نفس الصَّوم والزكاة والحجّ، ولو سلم اتّحادهما في الخارج، فلا خفاء في تغايرهما في الذّهن، وهو كافٍ هٰهنا. أقول: فيه نظر؛ لأن كلًّا من القهر والدفع والزيارة لا حسن فيها باعتبار وجودها في الذهن، وإنما يعرض الحسن باعتبار وجودها في الخارج، وإذا اتّحدا في الخارج فكيف يصح أن تكون واسطة باعتبار وجودها في الذهن؛ إذ لا حسن باعتبار وجودها في الذهن حتى تكفي المغايرة فيه، ولعلّه أشار بالتأمّل إلى هذا، فالجواب منع اتّحادهما في الخارج. قوله: (وعبادة خالصة بمنزلة الصلاة) إشارة إلى منشأ حسن الأُمور المذكورة، أعني كونها عبادة؛ كما في الصلاة، فإن قيل: إنها إذا كانت عبادة

....
....

خالصة مثل الصلاة، فلِمَ لم يجعل حسنها بجزئها بدون المشابهة بالحسن في غيره، كما في الصلاة؟ فالجواب عنه بوجهين: أحدهما أنّ كونها عبادة خالصة لا يقتضي كون العبادة جزء منهما؛ لجواز أن تكون خارجة عنها صادقة عليها، كيف لا وأن العبادة ليست جزء من مفهوم الصوم والزكاة والحجّ بخلاف الصلاة، فإنّ العبادة جزءٌ منها؛ وذلك لأن هذه الأفعال إنما هي عبادة بالنسبة إلى الوسائط، وذاتي الشيء لا يكون بالإضافة إلى شيءٍ آخر، وكون الصلاة عبادة ليس بالنسبة إلى شيءٍ آخر، بل هي عبادة في نفسها، فتكون ذاتيّة لها. والثاني: أن الوسائط المذكورة وإنْ جُعِلت معدومة إلّا أن تصوّر وجودها جعل الأُمور المذكورة شبيهة بالحسن لغيرها بخلاف الصلاة؛ إذ لا واسطة فيها أصلًا، فإن قيل: يجوز أن يكون حسن الصلاة بواسطة استحقاق الله تعالى العبادة، ولهذا لا تحسن هي لغير الله تعالى، فيكون حسنًا بالواسطة لا لعينها، أُجيب بأنّ هذا لا ينافي كون حسنها لعينها، بل يؤكّده. ألا ترى أنّ الإيمان بالله تعالى حسن لعينه بخلاف الإيمان بغير الله، وكذا الكفر بالله تعالى قبيحٌ لعينه، وبالجبت والطاغوت حسن لعينه؛ فالمتّصف بالحسن هو الأفعال المُضافة التي ورد الأمر بها من الإيمان بالله والصلاة لا الأفعال المُطلقة عن الإضافة، فمعنى قولهم: إنّ الإيمان والصلاة والصوم والزكاة حسنة لعينها أو لغيرها أنّ هذه الأفعال مضافة إلى الله تعالى حسنة لعينها أو لغيرها؛ فالإضافة إلى الله تعالى مما لا دخل لها في جعل الحسن لعينها أو لغيرها، إلّا أنّ بعض الأفعال حسنها بالنظر إلى نفس الفعل المضاف إلى الله تعالى؛ كالإيمان والصلاة، وبعضها بالنظر إلى الغير بأن يكون المقصود الأصلي بالأمر ذلك الغير، لا نفس الفعل المضاف؛ كالوضوء والجهاد، وبعضها بالنظر إلى نفس الأفعال المضافة، لكنها تشبه بالحسن للغير؛ كالصوم والزكاة والحجّ، فإنها حسنة لعينها لعدم اعتبار الواسطة المذكورة، وتشبّه بالحسن لغيره بالنظر إلى تصوّر الواسطة. فإن قيل: إنّ الوسائط المذكورة، وإن اعتُبرت معدومة، لكن كونها عبادة خارج عنها كما عرفت، فكيف يكون حسنها لعينها، مع أن الحسن لعينه إمّا لذاته أو لجزئه ولم يوجد شيءٌ منهما؟ قلنا: الحسن لعينه نوعان: نوعٌ يكون حسنه لذاته أو لجزئه مع قطع النظر عن كونه عبادة ومأمورًا به؛ كالإيمان، فإنه حسن في ذاته مع قطع النظر عن كونه عبارة ومأمورًا به؛ وكالصلاة، فإنها حسنة

....

لجزئها مع قطع النظر عن كونها عبادة، فإنّ الركوع والسجود حسن في نفسه مع قطع النظر عن كونه مأمورًا به، وكونها حسنة بكونها عبادة أيضًا لا ينافي ذلك، ونوعٌ يكون حسنه باعتبار كونه عبادة ومأمورًا به؛ كما في الصوم والزكاة والحجّ، فلا يضرّ خروج العبادة عنها في كونها حسنة لعينها، بمعنى النوع الثاني. قوله: (فإنه يسقط بسقوط الغير، فإن قيل): إن الوضوء يسقط عدم وجدان الماء بعينه وتألّم عضو الوضوء، وكذا السعي إلى الجمعة يسقط أشياء بعينها، وإنّ الحيض والنفاس يسقطان الصلاة بواسطة إسقاط الطهارة. قلنا: سقوط الوضوء لعدم الماء وتألّم العضو ممنوع، بل الوجوب ثابت إلّا أنه يخرج عن العهدة بالخلف، وهو التيمّم. ولا نسلم أنّ الحيض والنفاس يسقطان الصلاة بواسطة إسقاط الطهارة، بل تسقط بهما الصلاة لفوات الأهليّة شرعًا، فتسقط الطهارة بناءً عليه؛ وهذا لأنّ الحدث الدائم لا ينافي وجوب الطهارة بالإجماع. قوله: (بعد الوجوب) كالصلاة تسقط بعد وجوبها بدخول الوقت بالعوارض، وكذا بعد دخول الشهر. قوله: (أُجيب) هذا باختيار الشقّ الثاني، وأجاب عنه صاحب التحقيق باختيار الشقّ الأوّل بأنّ المراد منه ما ثبت بالسبب، إلّا أن السبب لما عُرِف بالأمر صحّت إضافة ما ثبت به إلى الأمر بواسطة، كما صحّت إضافة ما ثبت بالمقتضى اسم مفعول إلى المقتضي اسم فاعل. قوله: (وأما حسن لحسن في غيره)، قال فخر الإسلام: والذي حَسُن لمعنًى في غيره ثلاثة أضرب أيضًا: ضربٌ منه ما حَسُن لمعنًى في غيره، وذلك الغير قائم بنفسه مقصودًا لا يتأدّى بالذي قبله بحال. وضربٌ منه ما حسُن لمعنًى في غيره، لكن ذلك الغير يتأدّى بنفس المأمور به، فكان شبيهًا بالذي حَسُن لمعنًى في نفسه. وضربٌ منه ما حَسُن لحُسن في شرطه بعد ما كان حسنًا لمعنًى في نفسه أو ملحقًا به، وهذا يسمّى جامعًا. أمّا الضرب الأوّل، فمثل السعي إلى الجمعة، بأنه ليس بفرض مقصود، وإنما حسن لإقامة الجمعة؛ وكالوضوء، إنما حسن لإقامة الصلاة. وأمّا الضرب الثاني، فالجهاد وصلاة الجنازة إنما صارا حسنين لمعنى كفر الكافر وإسلام الميت، وذلك معنًى منفصل عن الصلاة والجهاد، وإنّما عدل عنه المصنّف وقدّم الضرب الثاني لكونه وجوديًا، ولأنه أقرب إلى الحسن لعينه، لكونه مشابهًا له واقتصر على ما ذكره في الإجمال، وصرّح بأنّ المراد بالغير هو إعلاء كلمة الله تعالى وقضاء حقّ الميت لا ما

....

ذكره في التفصيل؛ لأنّ كفر الكافر وإسلام الميت ليس مما يتأدّى بنفس المأمور به، وهو الجهاد وصلاة الجنازة؛ لأن الكفر قائم بالكافر، والإسلام بالميت، والجهاد بالمجاهد، والصلاة بالمصلّي؛ ولأنه لا معنى لقوله: وذلك معنى منفصل عنها؛ لأن المقام ليس مقام بيان انفصالهما عنهما، بل مقام بيان عدم انفصالهما بمعنى تأدّيهما بنفس المأمور به، لأن مراده بالانفصال وعدمه عدم التأدّي بنفس المأمور به، والتأدّي ولهذا تركه واقتصر على التأدّي وعدمه. قوله: (فما يتّحد به) أي في الخارج، يعني أنّ الاتّحاد الخارجيّ يصحّح مشابهته بالأول، والمغايرة الذهنية تصحّح الواسطة على ما ذكره في الحكمي من الأول، وفيه ما فيه. قوله: (بهذا) أي بالأول حاصله أن نحو الجهاد وصلاة الجنازة جعل من الحسن لغيره شبيهًا لعينه، ولم يجعل نحو الصوم والزكاة والحجّ كذلك، بل جعل حسنًا لعينه شبيهًا لغيره، مع أن حسن كلّ منهما بالواسطة. وحاصل الجواب أنّ الوسائط في نحو الصوم والزكاة والحجّ جُعِلت كالعدم ولا جهته هٰهنا لارتفاع الوسائط وصيرورتها كالعدم، فكان حسن هذا لغيره شبيهًا لعينه، وحسن ذلك على عكسه. قوله: (أو لا يتأدّى ذلك الغير) عبارة فخر الإسلام هكذا، وذلك الغير قائمٌ بنفسه مقصودًا لا يتأدّى بالذي قبله، والمراد بالغير هو الصلاة والجمعة، فإنهما لا يتأدّيان بالوضوء والسعي، وإنّما أعرض عنه المصنّف؛ لأن المراد بالقيام بنفسه أن لا يتأدّى بالإتيان بالمأمور به، بل يفتقر إلى إتيان به على حدّه، وكذا مراد صاحب التنقيح بقوله: فلذلك الغير إمّا منفصل عن المأمور به أنْ لا يتأدّى بالإتيان بالمأمور به لا ما لا يفتقر في التحيّز والإشارة إلى التبعيّة للغير، كما في الجواهر؛ لأن الصلاة عرض لا يصح قيامها بهذا المعنى. قوله: (والأمر المطلق عن قرينة تدلّ). اهـ. قال فخر الإسلام: والأمر المطلق في اقتضاء صفة الحسن يتناول الضرب الأوّل من القسم الأوّل؛ لأن كمال الأمر يقتضي كمال صفة المأمور به، وكذلك كونه عبادة يقتضي هذا المعنى، ويحتمل الضرب الثاني بدليل، انتهى. واختلفوا في تفسيره، فقال بعضهم: المراد بالضرب الأول ما لا يحتمل السقوط أصلًا، وبالقسم الأوّل الحسن لعينه مطلقًا حقيقةً أو حكمًا، وقال بعضهم: المراد بالضرب الأول الحسن لعينه، وبالقسم الأول هو التقسيم الأوّل من تقسيم المأمور به إلى الحسن لمعنًى في نفسه، وإلى حسن لمعنًى في غيره،

....

فالمصنّف اختار التفسير الأوّل كما ترى، وترك قوله: وكذلك كونه عبادة يقتضي هذا المعنى؛ لأن هذا المعنى، أي كمال الحسن، ليس من مقتضى كونه عبادة، بل من مُوجبه، فإن قيل: فلِمَ لَمْ يقل وكونه عبادة يُوجب هذا المعنى أيضًا، كما قال في التنقيح: قلنا: لأن المقصود بيان أن مقتضى الأمر ما هو من أقسام الحسن، لا بيان موجب كونه عبادة، فقال: إنّ مقتضى الأمر المطلق هو الضرب الأوّل من القسم الأوّل من أنواع الحسن؛ فعلم منه أنّ ما عدا الضرب الأوّل المفسّر بالتفسير المذكور هو مقتضى الأمر المقيّد بقرينة تدلّ على حسن المأمور به، ولهذا ترك قول فخر الإسلام، ويحتمل الضرب الثاني؛ لكونه معلومًا، فكان الحسن لمعنًى في غيره كالجهاد، وما يحتمل السقوط كالإقرار والصلاة وما يشبه الحسن لغيره من الحسن لمعنًى في نفسه؛ كالصوم والزكاة من مقتضيات الأمر المقيّد بالقرينة؛ ففي الجهاد دلّ الدليل على كونه حسنًا لغيره، وفي الإقرار والصلاة دلّ على احتمال السقوط، وفي الصوم والزكاة على كونها شبيهة بالحسن لغيره. والحاصل أنّ مشائخنا اختلفوا في مقتضى الأمر المطلق عن القرينة الدالّة على حسن المأمور به لعينه أو لغيره، فذهب بعضهم إلى أنّ مقتضاه الحسن لغيره، مستدلّا بأنّ الحسن فيه ضرورة حكمة الأمر، والضرورة تندفع بالأدنى، وهو الحسن لغيره، فلا يُصار إلى الأعلى. وذهب الجمهور إلى أنّ مقتضاه الحسن لعينه مستدلّين بأنّ المطلق ينصرف إلى الكامل، وكمال الأمر يقتضي كمال صفة المأمور به، وهو ما يكون حسنًا لعينه. فإنْ قيل: لو كان مقتضى الأمر المُطلق كمال حسن المأمور به، وهو ما لا يحتمل السقوط أصلًا لزم أن لا يجوز ظُهر المقيم الغير المعذور إذا أدّاه في بيته يوم الجمعة قبل فوت الجمعة، كما قال الشافعي وزُفَر؛ لأن أمر ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] يقتضي حسن المأمور به، وهو الجمعة حسنًا لعينه، ولا يحتمل السقوط أصلًا، مع أنه يجوز عندنا، وأن لا ينتقض ظُهر المعذور الذي أدّاه في بيته يوم الجمعة ثم حضر الجمعة مع الإمام، كما قال الشافعي ﵀؛ لأن المعذور غير مخاطَب بالجمعة، فأمر المطلق اقتضى في حقّه فرضيّة الظهر، فإذا أدّاه لم ينتقض لكونه مقتضى الأمر المُطلق، فالجواب أنه لا خلاف في أن الأمر المُطلق يقتضي كمال حسن المأمور، وإنّ الصحيح المقيم مأمورٌ بالسعي إلى الجمعة، ولكن الشأن في معرفة كيفيّة الأمر

....

بالجمعة في قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩]، أهو بطريق النسخ كما قلتم، أم بطريق التقرير كما قلنا؟ لا سبيل إلى ما قلتم؛ لأنه بعد فوات الجمعة يصلّي الظهر، وليس ذلك قضاء عن الجمعة؛ لأنه لا يصلح قضاءً لها لاختلافهما اسمًا ومقدارًا وشروطًا، ولو سلم صلاحيتها لقضاء الجمعة، فالجمعة لا تقضى بالإجماع، فثبت أن أداء الظهر بعد فوات الجمعة عَوْدٌ إلى الأصل، وثبت أنّ قضية قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] إقامة الجمعة مقام الظهر، فصار الأمر بالجمعة مقرّر للظهر لا ناسخًا له، إلّا أن الأمر في حقّ الغير المعذور حتم دون حقّ المعذور، فإنه رخّص له أن لا يقيمها مقام الظهر، فلو صلّى الصحيح المقيم الظهر في بيته يوم الجمعة صح؛ لأنه فرض وقته ولم يُنسخ بالجمعة، كما في حقّ المعذور، لأنهما سواء في كَوْن الظهر مشروع الوقت في حقِّهما، وإن اختلفا في وجوب الفعل وعدم وجوبه، ولهذا يأثم الصحيح المقيم بأداء الظهر وترك الجمعة، وإنْ كان ما صلّاه فرض الوقت؛ لأنه منهيٌّ عنه، والنهي لغيره لا يمنع المشروعيّة، ولا يأثم المعذور لعدم وجوب الجمعة في حقّه لسقوطها عنه رخصة، لئلّا يلزم الحرج بالسعي إليها، وسقطت عنه رخصة، فلو صلّى الظهر في بيته ثم حضر الجمعة مع الإمام انتقض ظهره، لئلّا يعود على موضوعه بالنقض، فإنها سقطت عنه رخصة لدفع الحرج، فلو لم تجر جمعته بعدما حضر وصلّى مع الإمام اختيارًا للعزيمة كان فيه إثبات الحرج، ولهذا ينتقض ظهره. قوله: (ثم التكليف) شروع في بحث التكليف بما لا يُطاق، وقد فصّله في التنقيح بعنوان الفصل لكثرة مباحثه؛ ولأن القدرة التي هي مَناط التكليف ليست من أقسام المأمور به، بل من شرطه، ومورد القسمة في أقسام الحسن هو المأمور به في صفة الحسن، فلا وجه لدرجه في الأقسام المذكورة، وإنما تركه المصنّف وعطف بكلمة ثم التي للتراخي إشارة ما ذكره فخر الإسلام أنّ مِنْ ضروب الحسن لغيره ضربًا ثالثًا سمّي الجامع وهو ما يكون حسنًا لحسن في شرطه بعدما كان حسنًا لمعنى في نفسه، وهو القدرة التي يتمكّن العبد بها من أداء ما لزمه. قوله: (اعلم أنّ ما لا يطاق). اهـ. واعلم أنّ كلمات القوم هـٰهنا مختلفة جدًّا، فلا بدّ أن يعلم أوّلًا مراتب ما لا يُطاق، فنقول: ما لا يُطاق على ثلاث مراتب أدناها ما يمكن في نفسه، ومن العبد ويمتنع لعلم الله تعالى بعدم وقوعه أو لإرادته ذلك، أو لإخباره

....

به ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلًا عن الجواز، فإنّ مَنْ مات على كفره، ومَنْ أخبر الله تعالى بعدم إيمانه؛ كأبي جهل يُعدّ عاصيًا بالإجماع، ولو لم يقع التكليف بالإيمان لم يكن عاصيًا، واللازم باطل بالإجماع، فكذا الملزوم. وإنّما النزاع في هذه المرتبة في كونه مما يطاق أو مما لا يطاق، فالمانعون يجعلونه مما يُطاق بالنظر إلى إمكانه من العبد وفي نفسه، فيكون مراتب ما لا يطاق اثنتين لا ثلاثًا، والمجوّزون يجعلونه ممّا لا يُطاق بالنظر إلى امتناعه. الحاصل من تعلّق عِلْمه تعالى وإرادته، فتكون مراتب ما لا يُطاق عندهم ثلاثًا، وأقصاها ما يمتنع لذاته؛ كقلب الحقائق وجمع الضدَّيْن أو إعدام القديم، ولا نزاع في عدم جواز التكليف به فضلًا عن وقوعه، واستدلّوا عليه بالإجماع وشهادة الاستقراء وبالنصوص، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، وبأنه لو صحّ التكليف بالممتنع لذاته، لكان الممتنع لذاته مستدعٍ للحصول، واللازم باطل. أمّا المُلازمة، فلأن معنى التكليف طلب حصول المكلّف به من المكلّف. وأمّا بطلان اللازم، فلأن الممتنع لذاته لا يتصوّر وقوعه وطلب حصوله فرع تصوّر وقوعه؛ إذ لا يمكن طلب حصول المجهول، فإذا انتفى تصوّر وقوعه انتفى طلبه أيضًا، وإنما لا يتصوّر وقوعه لأنه لو تصوّر لتصوّر مُثبتًا، واللازم باطل؛ لأنه يلزم منه تصوّر الأمر على خلاف ماهية تنافي ثبوته، وإلّا لم يكن ممتنعًا لذاته، فما يكون ثابتًا فهو غير ماهية الممتنع لذاته، فإن قيل: لو لم يتصوّر المُمتنع لذاته لامتنع التصديق بإحالة اجتماع النقيضين، لأنّ التصديق بصفة الشيء فرع تصوّر الشيء. قلنا: إنّا لا ندّعي انتفاء تصوّره مطلقًا، بل انتفاء تصوّره مثبتًا، ولا يلزم من انتفاء تصوّر الخاص انتفاء مطلق التصوّر والتصديق باستحالة اجتماع النقيضين، إنما يستدعي تصوّره مطلقًا لا تصوّره مثبتًا، وقد نتصوّره منفيًا بمعنى أنه ليس لنا شيء موهوم أو محقّق يصدق عليه اجتماع النقيضين ونحكم عليه بالحكم الثبوتي، أعني أنه محال، وهذا التصوّر ليس تصوّر وقوعه، فإن قيل: الممتنع لذاته قد يتصوّر ثبوته ذهنًا؛ لأنا نحكم عليه بالحكم الثبوتي بأنه معدوم، وثبوت الشيء للشيء فرع ثبوت ذلك الشيء، وما ليس بثابت في الخارج، فهو ثابت في الذهن، وثبوته في الذهن كافٍ في طلبه. قلنا: إنّ الممتنع لذاته هو الوجود الخارجي، ولا يتصوّر ثبوته في الخارج، والمتصوّر هو الثبوت في

....

الذهن، وليس بمُحال؛ فلا يكون مما نحن فيه. فإن قيل: كيف يصح دعوى الاتّفاق في عدم جواز التكليف بالممتنع لذاته، وقد قال في شرح المقاصد: إنّ كلام كثير من المحقّقين يدلّ على أنّ التكليف بالمُمتنع لذاته كجمع النقيضين جائز، بل واقع شرعًا، فإنّ الله تعالى أمر أبا جهل بأن يصدقه ويؤمن في جميع ما يُخبر عنه، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن، فقد أمره بأن يصدقه، وذلك جمع بين النقيضين؛ هكذا ذكره نقلًا عن إمام الحرمين. ثم قال نقلًا عن الإمام الرازي: إنّ الأمر بتحصيل الإيمان مع حصول العلم بعدم الإيمان أمرٌ بجمع الوجود والعدم؛ لأن وجود الإيمان يستحيل أن يحصل مع العلم بعدم الإيمان. أُجيب عنه تارة بأنّا لا نسلم أنّ ما ذكره عن الإمامين يدلّ على أنّ المكلّف به هو الجمع بين التصديق وعدمه، بل تحصيل الإيمان، وهو مُمكن في نفسه ومن العبد بحسب أصله، وإن امتنع بالنظر إلى علمه تعالى وإرادته وإخباره بأنه لا يؤمن، فيكون التكليف به جائزًا، بل واقعًا بالاتفاق، وأخرى بأنّ الإيمان في حقّ مثل أبي لهب وأبي جهل هو التصديق بما عدا هذا الإخبار، وفي كلّ من الجوابين بحث. أمّا في الأوّل، فلأن الكلام فيمن وصل إليه هذا الخبر، أعني أنه لا يؤمن، وكُلّف بالتصديق به على التعيين، فيلزم الجمع بين التصديق والتكذيب بالضرورة. اللّهمّ إلّا أن يقال: إنه يجوز أن لا يخلق الله تعالى العلم بالتصديق لأبي لهب ونحوه، فلا يلزم اجتماع التصديق والتكذيب. نعم إنّ خلق العلم بالعلم ضروري عادي، فيلزم أن يكون من المرتبة الوسطى، وهو يستلزم وقوع التكليف بالمرتبة الوسطى مع أنه غير واقع، وإنْ جاز على ما سنذكره. وأمّا في الثاني، فلأنه يستلزم اختلاف حقيقة الإيمان بالنسبة إلى بعض الأشخاص، وقد يُجاب عن أصل الإشكال، فإنه ليس المراد بالاتفاق اتّفاق جميع العلماء، بل اتّفاق أكثرهم؛ كما صرّح به الفاضل الحليمي، والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه غير ممكن من العبد لعدم وقوعه متعلّقا لقدرة العبد أصلًا؛ كخلق الأجسام، أو عادةً؛ كالصعود إلى السماء وحمل الجبل، وهذا هو الذي وقع النّزاع في جواز التكليف به بمعنى طلب تحقيق الفعل والإتيان به واستحقاق العقاب على تركه لا على قصد التعجيز وإظهار عدم الاقتدار على الفعل، كما في التحدّي بمعارضة القرآن. فقال الأشعري والماتريديّ: يجوز التكليف به عقلًا لجواز أن يخلق الله تعالى فيه قدرة على ذلك

....

الفعل على خلاف العادة، ومنعه المعتزلة لقبحه عقلًا قياسًا على الشاهد، فإنّ مَنْ كلّف الأعمى بنقط المصاحف، والزَّمِن بالمشي، وعبده بالطيران إلى السماء يُعدّ سفيهًا. قلنا: قياس الغائب على الشاهد فاسد، كيف والمكلّف حكيمٌ مطلق، فإن قيل: تكليف الجماد ليس بأبعد منه الجواز أن يخلق الله تعالى فيه الحياة والعلم والقدرة، مع أنهم قالوا: تكليف الجماد لا خلاف في امتناعه. قلنا: إنّ شرط التكليف الفهم، ولا فهم للجماد حين هو جماد؛ (لأن الجمادية تضادّ الفهم).
أقول: هذا القول من الأشعريّ مشكل مع قوله: إنّ العقل مهدرٌ بالكلّيّة؛ إذ لا حكم للعقل أصلًا عندهم كما مرّ، فكيف بقوله: يجوز التكليف به عقلًا؟ ثم النزاع في هذه المرتبة في الجواز؛ إذ لا نزاع في عدم وقوعه بالإجماع، وما نُقِل عن الأشعريّ من وقوع التكليف بما لا يُطاق محمولٌ على المرتبة الأُولى؛ لأنها من قبيل ما لا يُطاق عنده. قوله: (ولا نزاع في وقوع التكليف به)، وإنما النزاع فيه في كونه مما يطاق أو مما لا يطاق، فذهبت الأشاعرة إلى أنه مما لا يُطاق بالنظر إلى امتناعه بتعلّق عِلمه وإرادته تعالى بعدمه، وبالنظر إلى أصلهم من أنّ القدرة الحادثة لا تأثير لها أصلًا، وأنها غير سابقة على الفعل، بل معه، والتكليف لا بدّ أن يكون مقدَّمًا على الفعل، فيكون مقدَّمًا على ما مع الفعل أيضًا، فلا قدرة وقت التكليف. وذهب جمهور الماتريديّة إلى أنه مما يُطاق بالنظر إلى إمكانها من العبد في نفسها مع قطع عن تعلّق علم الله تعالى وإرادته وبناءً على أصلهم من أن علم الله تعالى وإرادته لا يجعلان نقيض متعلّقهما ممتنعًا أصلًا؛ لأن العلم تابع للمعلوم عندهم والإرادة تابعة للعلم التابع للمعلوم، والله تعالى إنما يريد على وفق علمه، والمعلوم فيما نحن فيه هو عدم الإيمان باختيارهم، فكذا المراد، فلا امتناع في الإيمان. فإن قيل: الاستطاعة مع الفعل أيضًا عندنا، فلا قدرة حين التكلف، فيكون مما لا يُطاق. قلنا: المُعتبر عندنا في صحة التكليف هو القدرة بمعنى سلامة الأسباب والآلات، وهذه القدرة توجد قبل الفعل. فإن قيل: نعم، إلّا أنّ التكليف بدون القدرة الحقيقية التي هي مع الفعل محال لامتناع الفعل بدونها. قلنا: امتناع التكليف بدونها ممنوع مع وجود القدرة بمعنى سلامة الأسباب، ولو سلم لكن انتفاء القدرة الحقيقيّة وقت التكليف ممنوع بناءً على أن القدرة الحقيقية صالحة للضدَّيْن عندنا، حتى أنّ القدرة على الإيمان هي

....

بعينها القدرة على الكفر، فالكافر قادرٌ على الإيمان قدرة حقيقيّة. فإن قيل: يلزم أن تكون القدرة الحقيقية قبل الفعل، والمذهب أنها مع الفعل. قلنا: كونها قبل الفعل بمعنى صحة تعلّقها به بدل ضدّه، أي لو لم تتعلّق بضدّه لصحّ تعلّقها به لا ينافي كونها مع الفعل، بمعنى أنها توجد وقت حدوث الفعل وتتعلّق به تعلّق الكسب بالمكسوب. قوله: (والإجماع متعقد) أي إجماع الأكثر وإلّا فقد حُكِي عن إمام الحرمين والرازي أن التكليف بالممتنع لذاته جائز وواقع كالتكليف بإيمان نحو أبي لهب كما ذكرناه، واستدلّ المانعون بالإجماع والنصوص والعقل كما ذكرناه، واستدلّ المجوّزون بوجهين: أحدهما لو لم يجز لم يقع؛ لأن الوقوع مسبوق بالإمكان، لكنه وقع لأن العاصي كلّف بالفعل مع أنه ممتنع لعلمه تعالى بعدم وقوعه؛ ولأن الكافر مكلّف بالإيمان مع أنه يمتنع منه الإيمان لعلمه تعالى وإرادته وإخباره بأنه لا يؤمن، ولأن مَنْ مات قبل تمكّنه من الفعل مكلّف به، مع أنه يمتنع منه لموته قبله، وكذا مَنْ نسخ عنه قبل تمكّنه منه مكلّف به مع امتناعه منه لنسخه قبله، ولأن المكلّف لا قدرة له على الفعل وقت التكليف لكون الاستطاعة مع الفعل والتكليف قبل وجود الفعل لاستحالة التكليف بإيجاده الموجود، فيكون التكليف قبله تكليف بالمحال لعدم قدرته عليه وقت التكليف؛ ولأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، فلا يكون مقدورًا للعبد وإلّا لزم وقوع مقدور واحد بقدرة قادرَيْن، وهو محال، فكان التكليف به تكليفًا بالمحال. أُجيب عنه بوجهين: الأول: لا نسلم أن تكليف العاصي بالطاعة والكفار بالإيمان، ومَنْ مات أو نُسِخ عنه قبل التمكّن بالفعل تكليف بالممتنع بالذات؛ لأنّ الطاعة والإيمان والفعل يمكن تصوّر وقوعها من المكلّف بحسب ذواتها، وإن امتنع صدورها منه بالنظر إلى علمه تعالى وإرادته وإخباره ونسخ المكلّف به وموت المكلّف قبل التمكّن، فلا يكون شيءٌ منها في محل النّزاع؛ لأن النزاع في الممتنع لذاته ومدار صحة التكليف قبل القدرة الحقيقية التي تكون مع الفعل على وجود القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب كما تقدم، وكون الفعل مخلوقًا لله تعالى لا ينافي كون ذلك الفعل مقدورًا للعبد أيضًا بالقدرة الكاسبة، والأمر كذلك لأن كلّ فعل اختياري للعبد مقدور لله تعالى بالقدرة المؤثّرة، وللعبد بالقدرة الكاسبة، فلا يكون تكليفًا بالمحال. والثاني: أنّ الأمر لو كان على ما ذكرتم لزم أن يكون جميع

....

التكليف تكليفًا بالمحال، واللازم باطل. أمّا استلزام الوجهين الأخيرين، فلأن القدرة الحقيقيّة في الجميع، وأنّ الكل مخلوق لله تعالى. وأمّا الوجوه الباقية، فلأنه لو وجب كل ما علم الله تعالى وقوعه، وامتنع كلّ ما علم الله عدم وقوعه لكانت الأفعال كلّها إمّا واجبة أو ممتنعة، والتكليف بهما محال إمّا بالممتنع؛ فلكونه ممتنعًا بالذات، وإمّا بالواجب فلأن التكليف بإيجاد ما يجب وجوده محال. والحاصل أن الممكن لا يجب وجوده بالذات، ولا يمتنع بالذات بتعلق علمه تعالى وإرادته، وثانيهما أنه لو لم يجز لم يقع لكنه وقع، فإنه كلّف أبا جهل بالإيمان وهو تكليف بجمع النقيضين كما تقدم عن الإمامين، وأجيب عنه بوجهين كما ذكرناه. قوله: (وهذا هو محل النزاع)، لا يخفى عليك أن الظاهر من التلويح أنّ النزاع في هذه المرتبة في الوقوع وعدمه، حيث قال: ما لا يطاق إمّا أن يكون ممتنعًا لذاته؛ كإعدام القديم والإجماع منعقد على عدم وقوع التكليف به، وإمّا أن يكون ممتنعًا لغيره بأن يكون ممكنًا في نفسه، لكن لا يجوز وقوعه من المكلّف لانتفاء شرط أو وجود مانع؛ فالجمهور على أن التكليف به غير واقع خلافًا للأشعري، انتهى. فإنّ المراد بالممتنع لغيره هو المرتبة الوسطى لا الأقصى، وهو ظاهر، ولا الأدنى لأنه ذكره بعد هذه، ولأنه لا خلاف في وقوع التكليف بها، وهذا مخالف لما في شرح المقاصد، فإنّه صرَّح فيه بأنّ النزاع في المرتبة الوسطى إنما هو في الجواز لا في الوقوع؛ إذ الوقوع منفيّ قطعًا، وهو الظاهر من المواقف أيضًا حيث قال: نحن نجوّزه وإن لم يقع بالاستقراء ويمنعه المعتزلة، وبه صرّح المولى الخيالي. قوله: (ولهذا) أي ولكون محل النزاع ما لم يكن متعلّقًا لقدرة العبد. قلت: ثم التكليف بما لا يقدر عليه المأمور، ولم أقل ثم التكليف بما لا يُطاق على ما وقع في كثير من الكتب إشعارًا بمحلّ النزاع؛ لأن لفظة ما لا يقدر عليه المأمور أدلّ عليه. قوله: (لا على قصد التعجيز) كما في التحدّي بمعارضة القرآن، بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣]، فإنّ الأمر فيه للتعجيز لا للتكليف؛ إذ لا نزاع في عدم جوازه. قوله: (بما لا يقدره) أي بما لا يقع متعلّقًا لقدرة المأمور أصلًا أو عادة. قوله: (محال) أي غير جائز على ما هو النزاع؛ إذ لا نزاع في عدم الوقوع كما ذكرنا، ولهذا عمّم الدّليل الذي ذكره بعدم الجواز، حيث قال: بل الجواز أيضًا. ثم

....

الظاهر منه أنّ عدم جواز التكليف بالمرتبة الوسطى مما ذهب إليه أصحابنا، والظاهر من المواقف وغيره أنّ عدم الجواز هو قول المعتزلة فقط، وأصحابنا مع الأشعري في القول بجوازه. قوله: (فلأن طلب حصول المحال) أي المحال من العبد بأن يقع متعلّقًا لقدرته أصلًا، أو عادة لا في نفسه، بل هو ممكن في نفسه. قوله: (لا يليق) .اهـ. إذ لو كلّف به يلزم الترك بالضرورة لعدم تعلّق قدرته، فيستحقّ العقاب بترك ما كلّف به، وذلك لا يليق بالحكمة والفضل، وما لا يليق بالحكمة سفه، فالتكليف به سفه. قوله: (هذا) أي الدليل المذكور يمنع وقوع التكليف؛ لأن الترك إنما يلزمه وقوع التكليف لا جوازه. قوله: (لا تمنع الوجوب بمقتضى الحكمة) يعني أن عدم جواز تكليف ما لا يطاق بالمرتبة الوسطى عند المعتزلة مبني على أنه يجب على الله ما هو أصلح لعباده، ولا خفاء في أن عدم تكليف ما لا يطاق أصلح، فيكون واجبًا، فيكون التكليف ممتنعًا، وعند أصحابنا مبنيٌّ على أنه لا يليق بالحكمة والفضل أن يكلّف عباده بما لا يُطيقونه، وما لا يليق بالحكمة والفضل سفه وهو قبيح لا يجوز صدوره عن الحكيم المُتعال، وما لا يجوز صدوره عنه يجب تركه، فيجب ترك التكليف به بمقتضى حكمته وفضله. والحاصل أنّ بين وجوب الترك، ولو بمقتضى حكمه وبين عدم جواز فعله مُلازمة. قوله: (كما لا تمنع الإيجاب) يعني أنّا نقول: إنّ المعلوم يجب وجوده عند وجود جميع ما لا بدّ منه، فيجب إيجاده على الله تعالى، وهذا قول بالإيجاب على الله إلّا أنه إيجاب بالاختيار، فلا تمنعه؛ لأن إرادة الله تعالى واختياره داخل في تلك الجملة، فيجب عليه تعالى إيجاده باختياره. قوله: (وكلّ ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه) دفع لما يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَج: الآية ٧٨] دليلٌ على عدم الوقوع لا على عدم الجواز توضيحه أنه مما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه، وكلّ ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه، فوقوعه محال لأنه يلزم من فرض وقوعه محال، وهو إمكان كذبه تعالى، وكلّ ما يلزم من فرض وقوعه محال فهو محال، فوقوع ما أخبر الله بعدمه محال، فلا يجوز التكليف به؛ ففي كلامه حذف صغرى القياس الأوّل، وكبرى الثاني، وفيه نظر؛ لأن كلّية الكبرى ممنوع، وإنما يصدق لو كان لزوم المحال له لذاته. أمّا لو كان لعارض،

....

كإخباره تعالى بعدمه، فلا تصدق كلّيته لجواز أن يكون هو ممكنًا في نفسه ومنشأ لزوم المحال هو ذلك العارض. قوله: (وإذا كان التكليف بالمحال) من العبد بأن لم يقع متعلّقًا لقدرته أصلًا أو عادة. قوله: (أي للمأمور) لو قال: أي للتكليف من قدرة المأمور، لكان أوْلى. قوله: (المقارنة للفعل) أي توجد حال حدوث الفعل بمعنى الحاصل بالمصدر وتتعلق به حال حدوثه لا قبله، خلافًا للمعتزلة؛ فإنهم قالوا: إنها توجد قبل الفعل وإلّا لما كان الكافر مكلّفًا بالإيمان، ولأن القدرة بهذا المعنى، أي الحقيقة، يلزمها كون الفعل محتاجًا إليها في وجوده، وكونها مع الفعل يلزمه أن يستغني الفعل عنها وقت وجوده، فتنافى اللازمان، وذلك يستلزم تنافي الملزومين أيضًا، فبين مفهوم القدرة وبين كونها مع الفعل منافاة، ولأنها لو لم تكن قبل الفعل يلزم إمّا قدم العالم أو حدوث قدرة الله تعالى ضرورةَ عدم انفكاك أحدهما عن الآخر. والجواب عن الأول: أنّا لا نسلم تلك الملازمة بناءً على جواز التكليف بما لا يُطاق، كما هو رأي الأشعري، ولو سلم أنه لا يجوز لكن صحة التكليف تعتمد على القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، لا على القدرة الحقيقية، ولو سلم أنها تعتمد عليها لكن لا نسلم لزوم وجودها حقيقةً وقت التكليف، لِمَ لا يكفي توهّم وجودها، ولو سلّم لزوم وجودها حقيقةً. لكن لا نسلّم انتفاءها وقت التكليف به بناءً على ما رُوِيَ عن أبي حنيفة وأصحابه أنّ القدرة الحقيقية صالحة للضدَّيْن، حتى أنّ القدرة على الكفر هي بعينها تصلح للإيمان أيضًا بدل الكفر، فتلك الصلاحية تصحّح التكليف، فالكافر حال كفره قادر على الإيمان قدرة حقيقية، فيكون مكلّفًا به. فإن قيل: كيف يصح تعلّقها بالإيمان بدل الكفر، مع أنها توجد ابتداءً إلا وقت حدوث الكفر، وتعلّقت به في ذلك الوقت لا قبله حتى يصح تعلّقها بالإيمان بدل الكفر؟ قلنا: إنها وإن لم توجد إلّا وقت حدوث الكفر، إلّا أنه لم يجب الكفر بها لدخول الاختيار فيها، فإذا لم يجب الكفر بها صح تعلّقها بالإيمان بدل الكفر. فإن قيل: قد تحقّق في محلّه أنّ المعلول يجب وجوده عند تمام علّته والفرض أنّ القدرة الحقيقية عبارة عن جملة ما يتوقّف عليه، فيجب وجود الكفر عندنا. قلنا: نعم إلّا أنّ الوجوب الحاصل من هذه الجملة هو الوجوب بالاختيار، وهو لا يقتضي الوجوب بالذّات، فيمكن التخلّف عنها وعن الثاني بأنا لا نسلّم أن الفعل حال حدوثه مستغني

....

عن القدرة، بل يحتاج إليها وما يتوهم من لزوم إيجاد الموجود ممنوع؛ إذ لم يوجد قبل هذا الإيجاد، بل وُجِد بهذا الإيجاد. وعن الثالث بأنّ كلامنا في قدرة العبد لا في قدرة الله حتى يلزم ما ذكرتم، بل قدرة الله تعالى قديمة ولها تعلّقات حادثة، واستدل أصحابنا بوجوه:

الأول: أنها علّة تامّة، فلو كانت قبل الفعل لزم تخلّف العلّة التامّة عن المعلول. الثاني: أنها عرض، والعرض لا يبقى زمانين، ولو كانت قبله لانعدمت حال الفعل، فيلزم وجود المقدور بدون القدرة. الثالث: أنها لو كانت قبله لكان الفعل قبل زمان وقوعه مقدورًا، فيلزم أن يكون وقوعه قبله مقدورًا، لكنه محال؛ لأنه يلزم من فرض وقوعه قبله أن يكون الفعل موجودًا ومعدومًا معًا، لأنه معدوم قبل وقوعه، وأنْ لا تكون الحالة التي فرضناها سابقة عليه، بل مقارنةً له، وهٰهنا أبحاث ذكرناها في الكلام. قوله: (فإنها علّة تامّة)، فلا تكون قبل الفعل، فلا تكون مَناطًا للتكليف، وفي تعريف هذه القدرة اختلاف كثير ذكرناه في الكلام. قوله: (بل بمعنى سلامة الأسباب) قال في البزدويّ: وهذا فضلٌ من الله تعالى ومنّة عندنا خلافًا للمعتزلة، فإنه عندهم واجب كما عُرف في مسألة الأصلح، واعترض عليه بأنّ هذا الكلام من فخر الإسلام يدلّ على جواز التكليف بدون هذه القدرة عنده، كما هو مذهب الأشعريّة، وما ذكره في بعض مصنّفاته يدلّ على خلافه، فإنّه قال في بعض مصنّفاته: إنّ القدرة بمعنى سلامة الآلات جعلت شرطًا لازمًا للتكليف عدلًا وحكمة كما هو مذهب عامّة أهل السنّة.

وأُجيب عنه تارةً بالتوفيق بينهما بأنّ مراده بما في البزدوي أنّ إعطاء هذه القدرة التي يصير العبد بها أهلًا للتكليف فضلٌ من الله ومنّة؛ لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، وبناء التكليف على هذه القدرة واشتراطها فيه عدل وحكمة، كإعطاء العقل، فإنه فضل ومنّة من الله تعالى، وبناء صحة الخطاب عليه واشتراط في صحة الخطاب عدل وحكمة وأخرى بصرف اسم الإشارة إلى اشتراط القدرة دون إعطائها، وبيان كون اشتراطها فضلًا ومِنَّة من الله تعالى أنّ جواز التكليف مبنيّ على القدرة الحقيقيّة التي بها يوجد الفعل إلا أنها لم تسبق الفعل، بل قارنته، والتكليف لا بدّ وأن يوجد قبل الفعل نقل الحكم عنها إلى سلامة الآلات والأسباب التي

....
....

تحدث هذه القدرة بها عند إرادة الفعل عادةً، فشرطت لصحة التكليف سلامة الآلات والأسباب، مع أن التكليف صحيح بدونها بناءً على توهم وجود القدرة الحقيقيّة عند الفعل فضلًا ومنّة من الله تعالى. هذا والمصنّف رحمه الله لم يذكر أنّ اشتراط هذه القدرة هل هو فضل من الله تعالى ومنّة أو حكمة وعدل إشارة إلى جواز الأمرين. قوله: (بها يتمكن المأمور) أي سواء كان المأمور به حسنًا لعينه أو لغيره حتى أجمعوا أن الطهارة لا تجب على العاجز عنها ببدنه بأن لم يقدر على استعمال الماء ولم يجد مَنْ يستعين به، بل يتيمّم. وأمّا إنْ وجد مَنْ يستعين به، فهل يجوز له التيمّم؟ ففي المبسوط: أنه لا يجوز، وفي قاضيخان: إنْ كان المعين حرًّا أو امرأته جاز له التيمّم في قول أبي حنيفة رحمه الله، لأنه لا يجب عليهما الإعانة له، وإنْ كان مملوكه اختلف المشائخ على قول أبي حنيفة، والفرق على أحد القولين أنّ العبد وجب عليه الإعانة له، فكان بمنزلة بدنه بخلاف الحرّ، ومن هذا قالوا: إنْ كان المُعين يعينه ببدل ويقدر عليه لا يجوز له التيمّم عند الكلّ. قوله: (من أداء ما لزمه) أي لزمه بهذا الأمر لا قبله، تأمّل. قوله: (ليخرج الحجّ) أي ليخرج بقيد غالبًا، يعني إنما قيّد بالغالب لأنه قد يتمكّن من أداء ما لزمه بلا حرج بدون الزّاد والراحلة، وقد يتمكّن منه بلا حرج بدون راحلة فقط، فينقض اشتراط الزّاد والراحلة في الحجّ، وإذا قيّد بالغالب خرج هاتان الصورتان؛ لأن إحداهما نادرة، والأخرى كثيرة لا غالبة، وإنما الغالب بلا حرج هو التمكّن منه بهما، والفرق بين الغالب والكثير أنّ كل ما ليس بكثير نادر، وليس كلّ ما ليس بغالب نادرًا، بل قد يكون كثيرًا، واعتبر بالصحة والمرض والجذام، فإنّ الأول غالب، والثاني كثير، والثالث نادر. قوله: (إذا لم يؤدِّ إلى الحرج) بأن لم يكن الفائت أكثر من صلاة يومٍ وليلة. قوله: (عدم الانفكاك) ممنوع، أي عدم انفكاك نفس الوجوب عن التكليف ممنوع؛ لأن التكليف عبارة عن طلب إيقاع الفعل من العبد، وهو صفة المكلّف الآمر، ونفس الوجوب عبارة عن لزوم الفعل في ذمّة المكلّف، وهو صفة الفعل ولا تلازم بين الصفتين؛ لأن نفس الوجوب يلزم بسببه كدخول الوقت والتكليف يلزم عند تحقّق وجوب الأداء. قوله: (فمعنى استلزام التكليف للقدرة). اهـ.

....

حاصله أن المراد بالقدرة التي كانت لازمة للتكليف هي القدرة الحقيقيّة التي مع الفعل لكن لا مطلقًا، بل باعتبار وجودها عند إرادة العبد إحداث الفعل، فهذا المعنى يتحقّق في النائم والمغمى عليه، وإنما المنتفي عنهما هو القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، ويوضح هذا الجواب ما ذكره في الكشف أن جواز التكليف مبني على القدر الحقيقية إلا أنها لمّا لم تسبق الفعل والتكليف لا بدّ وأن يكون قبله نقل الحكم عنها إلى القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، فاشتراط القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، مع أن التكليف صحيح بدونها بناءً على توهم وجود القدرة الحقيقية عند وجود الفعل فضلٌ من الله تعالى ومنّة على عباده.

قوله: (وحسنًا لنفسه أو لغيره) ذكره بالواو إشارة إلى أنه تفسير آخر لمطلقًا، تأمّل.

قوله: (لم يلزم زفر الأداء) قال: إذا صار أهلًا للتكليف في آخر الوقت بأن أسلم أو بلغ أو طهرت أو أفاق فيه لا يجب عليه أداء الصلاة لعدم قدرته عليه حقيقة لفوات الوقت الذي هو من ضرورات القدرة، وما قيل أن القدرة التي هي شرط التكليف، وإن لم توجد حقيقة، لكن يحتمل أن توجد باحتمال امتداد الوقت، كما وقع لسليمان عليه السلام، وتوهّم القدرة كافٍ لصحة التكليف ممنوع؛ لأن ما يكفي توهّمه هو القدرة الحقيقيّة لا القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، بل لا بدّ من وجودها حقيقةً وإلّا لجاز التكليف بالحجّ بتوهّم الزاد والراحلة، ويصوم الشيخ الفاني بتوهّم القدرة عليه وبالركوع والسجود والقيام بتوهم زوال المرض واللازم باطل فكذا الملزوم، وردّ بأن توهّم هذه القدرة إنما لا يكفي إذا كان المطلوب منه عين ما كلّف به. أمّا إذا كان المقصود غير ما كُلّف به، فهو كافٍ لصحته وهٰهنا المقصود هو الخلف، فيكفي توهّم القدرة فيه. وحاصل ما ذكره المصنّف رحمه الله من الجواب أنّا لا نسلّم أنّ الوجوب في ذلك الجزء يؤدي إلى التكليف بما لا يُطاق، وإنما يُؤدّي إليه أنْ لو كلّف بالأداء في ذلك الجزء، وليس كذلك، ولو سلم ذلك، ولكن لزوم الأداء فيه ليس لكونه مطلوبًا لعينه، بل لكونه مطلوبًا لخلفه وهو القضاء، فلا يلزم التكليف بما لا يطاق، وهذا لأن بعض الأحكام يكلّف به لخلفه كالوضوء يكلف به للتيمّم عند عدم القدرة على استعمال الماء، وكمن حلف ليمسنّ السماء فإنه ينعقد اليمين موجبة للبرّ لتصوّره عقلًا باحتمال القدرة عليه، ثم

....

يحنث للعجز عنه ويلزمه خلفه وهو الكفارة. والحاصل أنّ القدرة على نوعين: حقيقية، وهي مع الفعل. وبمعنى سلامة الآلات والأسباب، وهي مناط التكليف ومتقدمة على الفعل، وهذا النوع على نوعين: أحدهما يصير الفعل به غالب الوجودِ ظاهر التحقيق عادةً كمن أدرك سِعةً في الوقت مع كونه أهلًا لأداء الصلاة، وهذا النوع يظهر أثره في لزوم الأداء لعينه، بمعنى أنه يأثم بترك الأداء. والثاني: يصير الفعل به في حيِّز الجواز عقلًا، وإنْ كان يندر وقوعه، وهذا النوع يظهر أثره في لزوم الأداء لخلفه لا لعينه. قوله: (إنما هو بالأداء مطلقًا) أي سواء أتمّ في الوقت أو بعده، كما هو مقتضى الجواب الأوّل، أو سواء كان مطلوبًا لنفسه أو مطلوبًا لخلفه، كما هو مقتضى الجواب الثاني. قوله: (فإذا انتفى الصلاحية لا تبقى السلامة). قلت: فيه نظر؛ لأنه إن أراد انتفاء الصلاحية للخلف فممنوع، وإنْ أراد انتفاءها للأصل فمسلم ولا يضرّ؛ لأنّ المقصود هٰهنا إيجاب الخلف، فيشترط سلامة آلات الخلف لا سلامة آلات الأصل، كما في الكشف حيث قال: إذا كان المطلوب من التكليف عين ما كلّف به لا يكفي فيه توهّم القدرة التي بمعنى سلامة الآلات والأسباب، وإذا كان المطلوب منه خلفه فتوهّم تلك القدرة كافٍ لصحة التكليف؛ كالأمر بالوضوء إذا كان المقصود منه حقيقة الوضوء لا يصح إلّا عند وجود الماء حقيقةً. وأمّا إذا كان المطلوب منه خلفه وهو التيمّم فتوهّم الماء، وإن كان بعيدًا كافٍ لصحة الأمر به ليظهر أثره في حقّ خلفه، ويشترط أثره في حقّ خلفه، ويشترط حينئذ سلامة الآلات الخلف؛ لأنه هو المقصود لا سلامة آلات الأصل، وفي مسألتنا المقصود من هذا التكليف إيجاب خلفه لا حقيقة الأداء، فيشترط سلامة الآلات في حقّ الخلف وهو القضاء، لا سلامة آلات الأصل وهو الأداء، انتهى. قوله: (فليتأمّل) لعلّه إشارة إلى أنه لو أراد بالقدرة القدرة بمعنى العلّة التامّة، فالملازمة ممنوعة. وإنْ أراد القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، فالملازمة مسلمة، وبطلان اللازم ممنوع، كيف وأنّ التكليف لا يحتاج إلى القدرة بمعنى سلامة الآلات، وإنما شرطت هذه القدرة فضلًا من الله ومِنّة على عباده، كما تقدَّم عن الكشف. قوله: (أي أعلى ما ذكر) لأنها شرط فيه معنى العلّة بخلاف الأُولى، فإنها شرط محض. قوله: (لتحصيلها اليسر) أي يسر الأداء على العبد بعد

....

ثبوت الإمكان إشارة إلى تحقيق ما قالوا أنّ القدرة الميسّرة مغيّرة صفة الواجب إلى اليسر، يعني ليس مرادهم أنها تجعل الواجب متّصفًا بصفة اليسر بعد أنْ كان واجبًا بصفة العسر، بل مرادهم أنها تجعل الواجب ابتداءً مما يتّصف بصفة اليسر بعد إمكان وجوبه بدون صفة اليسر بالقدرة الممكنة تيسيرًا للأمر على عباده فضلًا ومنّة، فكانت هذه القدرة مغيّرة للواجب من الإمكان إلى اليسر. قوله: (فهي زائدة على الشرط المحض) أي الذي ليس فيه معنى العلّة، فلم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب؛ إذ البقاء غير الوجود، وشرط الوجود لا يلزم أن يكون شرط البقاء كالشهود في النّكاح شرط للانعقاد دون البقاء بخلاف اليسر. قوله: (في أكثر الواجبات المالية) كالنماء في الزكاة، والخارج في العشر والخراج. قوله: (حيث لا يجب عليه شيء) يحتمل أن يتعلق بيؤدّي، فتكون الحيثيّة للتعليل، لكن الأوْلى حينئذ أن يقول حيث لم يبق عليه واجب، ويحتمل أن يتعلق بهلك، فتكون للتقييد وعلى التقدير فالاعتراض معارضة. قوله: (في صورة هلاك المال) احتراز بالهلاك عن الاستهلاك بأن ينفق في حاجته أو استبدل مال التجارة بغير مال التجارة بأن ينوي في البدل عدم التجارة عند استبدال السائمة بسائمة من جنسها أو من غير جنسها أو بغير سائمة دراهم أو عروض، فإنّ هذه الصور كلّها استهلاك يلزمه ضمان الزكاة؛ لأن اشتراط بقاء القدرة الميسرة إنّما كان نظرًا للمكلّف، وقد خرج بالتعدّي عن استحقاق النظر له فلم يسقط الوجوب عنه، ولأنا نجعل القدرة الميسرة باقية تقديرًا زجرًا على المتعدّي وردًّا لما قصده من إسقاط الحقّ الواجب عن نفسه، ونظراً للفقير، ثم سقوط الزكاة في صورة الهلاك عندنا. وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: يضمن إذا هلك بعد التمكّن من الأداء بعد الحول بأنْ ظفر بمن يدفع إليه الصدقة من الفقراء والساعي، وبالتمكّن من الأداء تقرّر الواجب في الذمّة، فلا يسقط بالعجز بعده، كما في صدقة الفطر والحجّ وديون العباد، ولأنه منعه بعد كونه مطالبًا بالخطاب فصار كالاستهلاك. قلنا: إنّ الواجب ليس في الذمّة، بل جزء من النصاب تحقيقًا للتيسير المُعتبر في الزّكاة، وعملًا بكلمة الظرف في قوله عليه السلام: «في أربعين شاة شاة» فيسقط بهلاك محلّه كدفع العبد المستحقّ بالدَّيْن أو الجناية، فإنه إذا لم يدفعه المولى إلى صاحب الدَّيْن وولّي الجناية فهلك في يد

....

المولى لم يجب إقامة غيره مقامه ولا عليه ضمانه، بخلاف صدقة الفطر والحجّ وديون العباد، فإنها في الذمّة، وبخلاف أداء القيمة فإنّها وإنْ لم تكن جزءًا من المحل، لكنّها جائزة للإذن بالاستبدال، ومجرّد التأخير بعد توجّه الخطاب بعد الحول سواء طالبه الفقير بالأداء أو لم يُطالبه ليس باستهلاك لا حقيقة، وهو ظاهر، ولا حكمًا بأن استبدل مال التجارة بغيره؛ لأن المصرف ليس بفقير معين، فللمالك أن يصرف إلى مَنْ شاء مِنَ الفقراء في أيّ وقت شاء. وأما تأخيره بعد طلب الساعي، ففيه خلاف. قيل: يضمن لكونه متعيّنًا، وقيل: لا يضمن؛ إذ لا تفويت فيه على أحد لا ملكًا ولا يَدًا، ولأنه يجوز أنه منعه لاختيار الأداء في وقتٍ آخر، قيل: وهو الأصح والأشبه بالفقه؛ لأن الساعي وإن تعيَّن لكن للمالك رأي في اختيار محل الأداء بين العين والقيمة، ثم القيمة شائعة في محالّ كثيرة، والرأي يستدعي زمانًا، فالحبس لذلك. قوله: (ولا محظور في ذلك) قال صاحب التلميح: هذا الجواب فاسد؛ إذ لا محظور هٰهنا أقوى من إبطال حقّ الفقير، غايته أن الفقير غير معين بالشخص، بل المصرف جنس الفقير، وعدم تفويت الملك واليد لا يستلزم عدم تفويت الحقّ، وإليه أشار بقوله: وإنما حقّ الفقير في أن يعين محلاًّ للصرف إليه، يعني أنه فوّت تعيين الفقير مصرفًا لمحلّ الأداء، وهو المال، والفرق بين محلّ الأداء ومحل الصرف أنَّ محل الأداء هو عين المال أو قيمته، ومحلّ الصرف هو الفقر. قوله: (في اختيار محل الأداء) يعني يختار عين الشاة من أربعين شاة مثلًا أو قيمتها. قوله: (هذا المحل) أي العين، وقوله: من محل آخر، أي من القيمة أو لعله حبسه ليؤدّي إلى من يشاء من المصرف أيِّ وقتٍ شاء. قوله: (من غير اختيار الإرش) أي أرش الجناية. قوله: (من الكثير) متعلّق بالقليل أو الإيجاب. قوله: (فإنه محال عقلًا) لامتناع انقلاب الماهيّة. قوله: (فإنه ليس شرطًا لبقاء الواجب) أي الواجب بالقدرة الممكنة، يعني أن بعض الواجب يجب بالقدرة الميسّرة؛ كالزكاة والعشر والخراج، وبعضها بالقدرة المُمكنة كالحجّ أو صدقة الفطر، فبقاء القدرة الميسّرة شرط لبقاء تلك الواجبات لما مرّ بخلاف الممكنة، فإنّ بقاءها ليس شرطًا لبقاء ما يجب بها حتى لو ملك الزّاد والراحلة ثم مات قبل أن يقدر ثانيًا يأثم لبقاء الواجب في ذمّته؛ لأن بقاءه يستغني عن حقيقة

....

تلك القدرة وبقائها؛ إذ المفتقر إلى حقيقة تلك القدرة وبقائها هو نفس أداء الواجب دفعًا لضرورة التكليف بما لا يُطاق. وأمّا التمكّن من أداء الواجب، فلا يفتقر إلى حقيقتها وبقائها، بل يكفي إمكانها أو توهّمها، فتوهّم الزاد والراحلة بعد زوالها كافٍ في بقاء الواجب، بخلاف توهّمها قبل أن يوجد أصلًا، حتى لم يجب الحجّ على مَنْ لم يملك الزّاد والراحلة أصلًا، باعتبار توهّمها. قوله: (وذلك) أي كفاية توهّم القدرة المُمكنة بعد زوالها. قوله: (إذ البقاء غير الوجود)، ولهذا صحّ إثبات الوجود ونفي البقاء بأن يقال: وجد ولم يبق. قوله: (لأن هذه العلة).اهـ. فيه إشارة إلى دفع ما يقال: إن بقاء الحكم قد يستغني عن بقاء العلّة استغناء المشروط عن بقاء الشرط، فينبغي أن لا يشترط دوام القدرة الميسّرة لدوام الواجب، وحاصل الدّفع أنّ ذلك فيما أمكن البقاء بدون العلّة كالرَّمَل في الحجّ، فإنه زوال علّة التشجيع على الكفار، فبقي الحكم إلى الآن. وأمّا إذا لم يمكن، فبقاء العلّة شرط لبقاء الواجب، كما فيما نحن فيه؛ لأن اليسر لا يبقى بدونها، فإذا زالت زال اليسر أيضًا، فلم يبق الواجب واجبًا لأنه لم يشرع إلا بذلك الوصف، هكذا نُقِل عنه في الحاشية. وفيه نظر؛ لأن التفرقة بين ما يبقى بعد زوال العلّة وبين ما لا يبقى من الحكم غير ظاهر، والأصل عدم الفرق، والأَوْلى في الدّفع أن يقال: قياس العلّة على الشرط قياس مع الفارق، والأصل زوال الحكم عند زوال العلّة؛ لأن الحكم ملزوم لوجود العلّة، ووجود الملزوم بدون اللازم مُحال بخلاف المشروط مع الشرط، وزوال علّة الرَّمل في الطواف مع بقائه ممنوع، فإنّ النبيّ ﷺ رَمَل في حجّة الوداع ولا تذكر النعمة إلّا مِنْ بعد الخوف ليشكر عليها، وقد أمرنا الله بذكر نِعَمِهِ وما أمرنا بذكرها إلّا لنشكرها، ويجوز أن يثبت الحكم بعلل متبادلة، فحين غلبة المشركين كان علّة الرَّمَل إيهام المشركين قوّة المؤمنين والتشجيع عليهم، وعند زوال ذلك يكون علّته تذكّر نِعْمة الأمْن، لا يقال: كيف يصح هذا مع أنه لو استهلك المال في باب الزكاة لا يسقط عنه الزكاة، بل يلزمه الضمان، فقد زالت العلّة وبقي الحكم؟ لأنّا نقول: لا نسلم زوال المال، بل جعل موجودًا تقديرًا زجرًا له. قوله: (لم يشترط أي بقاء القدرة للقضاء) استدلّوا على اختصاص القدرة المُمكنة بالأداء بوجهين: أحدهما أن القضاء إنما يجب لبقاء الواجب بالنصّ، وبقاء

....

الواجب غير مشروط ببقاء القدرة المُمكنة، فالقضاء غير مشروط ببقائها ما دام الواجب باقيًا. وثانيهما: أنه يلزم في النفس الأخير من العمر قضاء جميع المتروكات من الصلاة والصوم والحجّ وغيرها مع عدم القدرة عليها قطعًا، فلو كان بقاؤها شرطًا لما يلزم قضاء هذه المتروكات. فإن قيل: لو لم يشترط ذلك للقضاء لزم التكليف بما لا يُطاق. أجاب عنه بقوله: إنّ هذا ليس ابتداء تكليف، بل بقاء التكليف الأوّل على المختار من أن القضاء إنما يجب بما يجب به الأداء من النصّ، لا بنصّ جديد، وإلّا فلا بدّ من اشتراط القدرة المُمكنة فيه كاشتراطها للأداء لئلّا يلزم التكليف بما لا يُطاق. فإن قيل: لا فرق في اشتراط القدرة بين وجود الأداء ووجوب القضاء؛ لأن الأداء إذا كان مطلوبًا بنفسه تشترط فيه حقيقة القدرة، وإذا كان مطلوبًا لغيره يشترط فيه توهّم القدرة، ففي النفس الأخير إنما قالوا بوجوب قضاء المتروكات بناءً على توهم امتداد الوقت فيه ليظهر أثره في الخلف، كما في الجزء الأخير من الوقت. أجاب عنه بأن ذلك ليس كالجزء الأخير من الوقت في حقّ الأداء؛ لأن الجزء الأخير منه إنما اعْتُبِر ليظهر أثره في الخلف، وهو القضاء، ولا خلف للقضاء، وفيه بحث؛ لأن المؤاخذة الأُخرويّة ووجوب الإيصاء يجوز أن يكون خلفًا عن القضاء، كما أنّ القضاء خلف عن الأداء. ألا ترى أن الميت تبقى عليه الواجبات المتروكات في حقّ بقاء الإثم والمؤاخذة في الآخرة، مع أنّ الموت عجز كلّي؟ قلت: ولقائلٍ أن يمنع كون المؤاخذة الأُخرويّة ووجوب الإيصاء خلفًا عن القضاء. قوله: (أمّا الزكاة، فلأنها). اهـ. يعني أمّا عدم بقاء الزكاة بهلاك المال النامي عندنا، فلأنها إنما تجب بالقدرة الميسّرة، والقدرة الميسّرة ما تغيّر الواجب من العسر إلى اليُسْر بالمعنى الذي تقدَّم ذكره، ولا يحصل التغيير إلا بالنَّماء لا بالنصاب؛ لأن إيتاء الخمسة من المائتين وإيتاء واحد من الأربعين الذي بعد المائتين سواء في اليُسْر؛ لأن المدفوع ربع العشر في كل حال، وإذا لم يكن النصاب مغيّرًا للواجب لم يعد من القدرة الميسرة، بل من القدرة المُمكنة التي هي شرط وجوب الأداء عند بعضهم، ولهذا لا يشترط بقاؤه لبقاء الواجب، ويردّ عليه أنّ التمكّن من أداء الزكاة لا يتوقّف على النّصاب، بل يكفي ملك قدر ما يؤدّي، فكيف يكون وجود النصاب من شرائط

....

النصاب وراجعة إلى القدرة الممكنة على أنها عبارة عن سلامة الآلات، والنصاب ليس منها؟ وكذا قال الأكثرون أنه من شرائط أهليّة الوجوب كالعقل والبلوغ، واستدلّوا عليه بالنقل والعقل. أمّا النقل، فلقوله عليه السلام: «لا صدقة إلا عن ظهر غنًى»، فإنه لنفي الوجوب لا لنفي الوجود؛ إذ كثيرًا ما توجد الصدقة من الفقير، فالغنى ليس إلّا شرط الوجوب. وأمّا العقل، فلأن الزكاة إغناء للفقير ولا يصير المرء أهلًا للإغناء إلا بالغنى، كما لا يصير أهلًا للتملك إلا بالملك. فإن قيل: إنّ المُعتبر في الزكاة ليس الإغناء الشرعي، بل الإغناء عن السؤال لدفع حاجة الفقير، وهذا لا يتوقّف على الغنى الشرعي، وهو ملك النصاب. أُجيب عنه: بأنّ المراد أنّ الإغناء لصفة الحسن يتوقّف على الغنى الشرعيّ غالبًا؛ لأن الغالب من حال الفقير عدم الصبر على شدائد الفقر والجزع على مكائد الحاجة، فلا بدّ في أهلية الإغناء المأمور به ووجوبه من الغنى الشرعي لئلّا يؤدّي إلى الجزع المذموم غالبًا. وأمّا من آثر الغير على نفسه مع احتياجه من غير جزع، فنادر؛ فلا يُعتبر به في الشرع. ثم الغنى الشرعي يحصل بكثرة المال ولا حدّ للكثرة تعرف به وأحوال الناس فيه مختلفة، فمنهم مَنْ يحصل له الغنى بمال يسير، ومنهم مَنْ يحصل بكثير، فقدّر الشرع له حدًّا وهو النصاب زائدًا على الأهلية الأصليّة الحاصلة بالعقل والبلوغ. قوله: (فإن قيل: فينبغي).اهـ. منشأه كون النّصاب من شرائط أهلية الوجوب، لا من القدرة الميسّرة، وحاصل الجواب أنّ سقوط الزكاة إنما هو لفوات القدرة الميسّرة بفوات النصاب؛ لأن النّماء يفوت بفوات النصاب الذي هو من شرط الأهليّة أو من القدرة الممكنة على الخلاف السابق. قوله: (ولهذا) أي ولكون سقوط الزكاة لفوات القدرة الميسّرة لا تسقط الزكاة بهلاك بعض النصاب، بل تبقى في حصة الباقي لبقاء النّماء فيه. فإن قيل: إنّ كمال النصاب شرط في الابتداء لوجوب الأهليّة، فلِمَ لَمْ يشترط كماله في البقاء حتى وجبت الزكاة في حصة الباقي بعد هلاك بعض النّصاب؟ قلنا: إنّ كمالها إنما شرط لوجوب الأهليّة، وما هو شرط لوجوب الأهلية لا يُشترط بقاؤها لبقاء الواجب. قوله: (ظهر فائدة تقييد المال) يعني لو لم يقيد به لتوهّم أن المراد بهلاك المال هلاك النّصاب. قوله: (وأمّا الخراج).اهـ.

....

اعلم أنّ الخراج على نوعين: خراج مقاسمة، وهو يتعلق بعين الخارج؛ كالعشر، ويكون الواجب فيه شيئًا معيّنًا من الخارج، وليس لذلك الشيء حدّ معيّن، بل الإمام مُخيّر في تقديره بربع الخارج أو خُمسه أو سُدسه أو سُبعه أو نصفه حين فتح بلده وضرب على أراضيهم شيئًا من الخارج. وخراج وظيفة، وهو يتعلق بالتمكّن من الانتفاع بالأرض لا بعين الخارج، ويكون الواجب فيه شيئًا في الذمّة بتوظيف الإمام على كلّ جريب، ولا يزاد على ما وضعه عمر رضي الله تعالى عنه على أرض السواد لكل جريب، ولا بدّ أن تكون الأرض صالحة للزراعة في النوعين حتى لو كانت سبخة أو انقطع ماؤها أو غلب عليها الماء، لا خراج فيها أصلًا، وكذا لو أصاب الزّرع آفة سمٰويّة لا خراج فيها أصلًا لعدم النَّماء التقديري في بعض السنة، وقد شرط بقاؤه في جميع السنّة لبقاء الواجب كما في الزكاة. وقيل: سقوط الخراج بإصابة الزّرع آفة فيما إذا لم يبق من السنة مقدار ما يتمكّن من الزراعة ثانيًا في تلك السنة، وأما إذا بَقِيَ من المدّة قدر ذلك، فلا يسقط؛ لأنه عطلها، كما إذا تمكّن من الزراعة وتركها بلا مانع، فإنه يجب عليه الخراج الموظّف لوجود الخارج تقديرًا؛ لأن التقصير لمّا كان من جهة جعل الخارج في حكم الموجود زجرًا له، والخراج الموظّف يتعلق بالتمكّن من الانتفاع لا بعين الخارج، وقد وجد التمكّن فلا يسقط بتقصيره؛ لأنه جناية لا يصلح سببًا للتخفيف، والمراد بالخراج في قوله: لأنّ الواجب في الخراج غير جنس الخارج هو الخراج الموظّف لا المقاسمة؛ لأن الواجب في المقاسمة لا بدّ وأن يكون من جنس الخارج؛ لأنها تتعلق بعين الخارج حقيقةً كالعشر. قوله: (لأن غالب التمكّن بهما) يعني أن الحجّ إنما وجب بنفس التمكّن والاستطاعة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٧]، إلّا أنّ الاستطاعة لا تحصل غالبًا إلّا بالزاد والرَّاحلة، فأسند الوجوب إليهما، وكان اشتراطهما لثبوت أدنى تمكّن من الحجّ لا لليسر؛ إذ اليُسْر لا يقع إلا بخدم ومراكب وأعوان، وهذه الأشياء ليست بشرط بالإجماع، فثبت أنّ الزَّاد والراحلة للتمكّن لا لليسر، فلم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب، والمراد بغالب التمكّن بهما هو التمكّن بهما بدون الحرج، وإنما اعْتُبِر الغالب احترازًا عن التمكّن بدون الحرج بلا زاد وراحلة، وعن التمكّن بدون الحرج

....

بلا راحلة، فإن الأوّل نادر، والثاني كثير لا غالب، فلا يرد النقص بهما على اشتراط الزّاد والراحلة في القدرة الممكنة في الحجّ. فإن قيل: لِمَ لَمْ يعتبر هنا توهّم القدرة بالسفر بالمشي والكسب في الطريق كما اعْتُبِر في الصلاة بتوهّم امتداد الوقت مع أنه أقرب إلى الوقوع، فتكون هذه القدرة مُمكنة والزّاد والراحلة ميسّرة، فيكون وجوبه بالقدرة الميسّرة مع أنه لم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب. قلنا: نعم، إلّا أن في ذلك حرجًا يفضي إلى التلف، وهو مدفوع بالنصّ، وإنما اعْتُبِر ذلك في الصلاة للخلف، وهو القضاء لا للأداء نفسه، ولا خلف للحجّ؛ لأنه غير مؤقت بوقتٍ معيَّن، بل متى أتى فهو أداء فيكون وجوبها بالممكنة لا الميسرة، وإلى هذا أشار بقوله: وإنما لم يعتبر توهّم القدرة. اهـ.

قوله: (وأمّا صدقة الفطر، فلأنها تجب بنصاب فاضل عن الحاجة أصلية). فإن قيل: قد تقرّر في محلّه أن سبب صدقة الفطر هو رأس يمونه ويلي عليه لا النصاب، وإنما النّصاب شرط حتى قالوا: إنّه لو عجل صدقة الفطر قبل النصاب، ثم ملك النصاب صح: لأنّ السبب هو الرأس وقد وجد حين الأداء، فلا يلزم تقدم الحكم على السبب، وإنما يلزم تقدّمه على الشرط وهو جائز، والحكم إنما يجب بسببه لا بشرطه، فكيف يصح قوله: تجب بنصاب. قلنا: إن الرأس سبب لنفس الحكم وهو صدقة الفطر والنصاب لوجوب أدائه وشرط له، والمراد بالحاجة الأصلية مسكنه وثيابه وأثاث بيته وفرسه وسلاحه وعبيده الخدم وحوائج عياله ودينه الحاصل وقت الوجوب أو قبله لا بعده.

وأمّا الكتب، فكتب التفسير والعقائد والفقه والمصحف الواحد لا تعتبر نصابًا وما عداها يعتبر نصابًا، ولو كان له داران يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها تعتبر قيمتها في غنى الفطر حتى لو كانت قيمتها مائتي درهم يجب عليه صدقة الفطر. قوله: (ما يفضل عنها) أي عن الحاجة الأصلية. قوله: (أو ملك نصابًا ليلة الفطر) ولم يوجد حولان الحول وهو محقّق للنّماء. قوله: (واعتبار النصاب ليس الميسر حتى) يجب بالقدرة الميسّرة، ويردّ عليه أن القدرة الميسّرة يجب بقاؤها لبقاء الواجب، ولم يجب بقاؤها هٰهنا، انتهى كلام العلّامة الأزميريّ رحمه الله.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (وقيل: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ **أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود** ﴿وَادْعُوهُ﴾) واعبدوه (﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾) أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصًا ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتجّ عليه في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق، والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وهم المسلمون ﴿وَفَرِيقًا﴾ أي أضلّ فريقًا ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ وهم الكافرون ﴿إِنَّهُمُ﴾ إن الفريق الذين حقّ عليهم الضلالة

قوله: (وقيل: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾، أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود). وقال القاضي البيضاوي: توجّهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، أو أقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة، أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم، هذا لفظه. ففي الآية دليل على فرضيّة القيام في الصلاة والتوجّه فيها نحو القبلة وأدائها في المسجد وعدم اختصاصه بمسجد مَا على حسب التوجيهات. وقوله تعالى: (﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾) أي اعبدوا الله حال كونكم مخلصين، ففيه دليل على اشتراط النية في العبادات سيّما في الصلاة على ما ذكر في تنبيه أبي اللّيث. والمشهور في ذلك بين الفقهاء قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيّات»، أي إنما ثواب الأعمال بالنيات، لكن لمّا فات الثواب فات الجواز أيضًا في العبادات المقصودة كالصلاة بخلاف الوضوء، فإنه إذا فات الثواب يبقى وسيلة إلى الصلاة، فلا يشترط فيه النيّة. وعند الشافعي رحمه الله: يقدر حكم الأعمال بالنيّة، وهو يشتمل الجواز والثواب، فلا يجوز عبادة ما بدون النيّة ولا ثواب له أيضًا بدونها، فيشترط النيّة في الوضوء، وذلك معروف في علم الأصول. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي أنصارًا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ والآية حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والإضلال.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

(﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ **لباس زينتكم** ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ **كلما صليتم**). وقيل: الزينة (**المشط**) والطيب، والسنّة أن يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لأن الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزيّن والتعطّر كما يجب التستر والتطهّر

قوله: (﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ **لباس زينتكم** ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ **كلّما صلّيتم**)، هذه هي الآية التي استدلّ بها على وجوب ستر العورة في الصلاة؛ وذلك لأنّ المراد من الزينة الثياب الموارى للعورة، والمراد من المسجد هو الصلاة إنْ كان بمعنى غير العلم كما هو رأي صاحب الهداية، حيث قال: وستر عورته؛ لقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: الآية ٣١]، أي ما يُواري عورتكم عند كل صلاة، هذا لفظه وإليه مال الإمام الزاهد رحمه الله، وكذا الفقيه أبو اللّيث في تنبيهه، وإنْ كان بمعنى العلم يقدر قوله: للصلاة والطواف، كما قال الشيخ الأجلّ القاضي البيضاوي وهو: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٣١] أي ثيابكم لمواراة عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: الآية ٢٩] لطواف أو صلاة. ومن السنّة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، هذا كلامه. وإنما قال: لطواف لأنهم كانوا يطوفون عُراة، فنهاهم الله تعالى عنه، والمراد من قوله: ومن السنّة أن يأخذ. . . إلى آخره، أنّ الزِّينة لمّا كانت في معنى الثياب، وكان الأمر للوجوب كان المفهوم من الآية وجوب السّتر في الصلاة، فلم يعبره بلفظ الزينة دون اللّباس، فقال للإشعار بأخذ اللّباس الحسنة في الصلاة، وحينئذ يستقيم قوله، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، فاندفع ما توهّم من كلامه من كون الأمر للوجوب والندب جميعًا، فافهم وأنصف. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: (المشط)** في المصباح: مشطت الشعر مشطًا من بابي قتل وضرب سرّحته والتثقيل مبالغة، وامتشطت المرأة مشطت شعرها والمشط الذي يمتشط به ـ بضمّ الميم ـ وبميم تكسر، وهو القياس؛ لأنه آلة،

﴿وَكُلُوا﴾ من اللحم و(**الدسم**) ﴿وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بالشروع في الحرام أو في مجاوزة (**الشبع**) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ وعن ابن عباس ﵄: كُل ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف و(**مخيلة**). وكان (**للرشيد**) طبيب نصراني حاذق فقال لعليّ بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان. فقال له عليّ: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فقال النصراني: ولم يروِ عن رسولكم شيء في الطب فقال: قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله ﵇: «المعدة بيت الداء و(**الحمية**) رأس كل دواء وأعطِ كل بدن ما عودته» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم (**لجالينوس**) طبًّا. ثم استفهم إنكارًا على محرم الحلال بقوله:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثياب وكل ما يتجمل به ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ أي أصلها يعني القطن من الأرض و(**القز**) من الدود ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ والمستلذات من المآكل والمشارب. وقيل: كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ غير

والجمع أمْشاط.اهـ. **قوله: (الدَّسَم)** الوَدك من لحم وشحم. **قوله: (الشِّبَع)** بفتح الباء وسكونها تخفيف. **قوله: (مَخِيلة)** أي كبر. **قوله: (للرشيد)** هارون أبي جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس استُخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة. **قوله: (الحِمْية)** في مختار الصِّحاح: حميت المريض الطعام حِمْية وحِمْوة ـ بكسر أوّلها ـ.اهـ. **قوله: (لجالينوس)** في غياث اللغات: جالينوس نام حكيمى ست واين معرب گالينوس ست كه بوا، ومعدوله باشداز رساله معربات.اهـ.

قوله: (القز) في المصباح: القزّ معرب. قال الليث: هو ما يعمل منه الإبريسم، ولهذا قال بعضهم: القزّ والإبريسم مثل الحنطة والدّقيق.اهـ.

خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يشركهم فيها أحد. ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبّه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة والكفار تبع لهم. ﴿خَالِصَةٌ﴾ بالرفع: **(نافع)** فـ ﴿هِيَ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ظرف للخبر، أو ﴿خَالِصَةٌ﴾ خبر ثانٍ أو خبر مبتدأ محذوف أي **(فهي)** خالصة، و**(غيره)** نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نميّز الحلال من الحرام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أنه لا شريك له.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ **(«ربي» حمزة)** ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ ما تفاحش قبحه أي تزايد ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرّها وعلانيتها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ أي شرب الخمر أو كل ذنب ﴿وَالْبَغْيَ﴾ والظلم والكبر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ **(متعلّق بالبغي)**. ومحل ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك **(«ينزل» بالتخفيف: مكيّ وبصريّ، وفيه تهكم)** إذ لا يجوز أن ينزل برهانًا على أن

قوله: (نافع) المدني هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نُعَيْم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أصله من أصفهان ويكنى بارُوَيْم. وقيل: أبا حسن، وقيل: أبا عبد الرحمٰن، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستّين ومائة. **قوله: (فهي)** أي لفظ هي. **قوله: (وغيره)** أي غير نافع ﷺ.

قوله: («ربّي») بإسكان الياء **(حمزة)** بن حبيب بن عُمارة الكوفيّ، ويُكنى أبا عمارة، وتوفي بحُلوان في خلافة أبي جعفر سنة ستّ وخمسين، ويلزم من سكونها وصلًا حذفها في اللفظ لاجتماعها بالساكن بعدها، والباقون بالفتح. **قوله: (متعلّق بالبغي)** مؤكّد له معنًى؛ لأن البغي لا يكون إلّا بغير الحقّ. **قوله: («ينزل» بالتخفيف)** أي بإسكان النون وتخفيف الزاي **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله: (وفيه تهكّم)** واستهزاء.

يشرك به غيره ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **(وإن تتقولوا عليه)** وتفتروا الكذب من التحريم وغيره.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا، وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الإمهال ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إن» الشرطية ضمّت إليها «ما» مؤكدة لمعنى الشرط، لأن «ما» للشرط **(ولذا لزمت فعلها)** النون الثقيلة أو الخفيفة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ يقرءون عليكم كتبي وهو في موضع رفع صفة لـ ﴿رُسُلٌ﴾ وجواب الشرط ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل منكم ﴿(فَلَا خَوْفٌ) عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أصلًا ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ **(يعقوب)**.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ منكم ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾ تعظموا عن الإيمان بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فمن أشنع ظلمًا ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ ممن تقوّل على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

قوله: (وإن تتقوّلوا عليه) في مختار الصِّحاح: تقوّل عليه كذب. اهـ.

قوله: (ولذا لزمت فعلها) النون لئلّا ينحطّ رتبة فعل الشرط عن حرفه.

قوله: (﴿فَلَا خَوْفٌ﴾) حيث وقع بفتح الفاء وحذف التنوين مبنيًّا على الفتح **(يعقوب)**.

جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه. و«حتى» غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي «حتى» التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام هنا الجملة الشرطية وهي ﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أي متوفيهم و«ما» في ﴿قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ في خط المصحف موصولة بـ ﴿أَيْنَ﴾ وحقها أن تكتب مفصولة لأنها موصولة، والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليذبوا عنكم ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابوا عنا فلا نراهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ﴾ أي يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار: ادخلوا ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ في موضع الحال أي كائنين في جملة أُمم مصاحبين لهم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ من كفار الجن والإنس ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ متعلّق بـ ﴿ٱدْخُلُواْ﴾ ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ شكلها في الدين أي التي ضلّت بالاقتداء بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار، فأبدلت التاء دالًا وسكنت للإدغام ثم أُدخلت همزة الوصل ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ منزلة وهي الأتباع والسفلة ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ منزلة وهي القادة والرؤوس: ومعنى ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ﴿رَبَّنَا﴾ يا ربنا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضاعفًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ للقادة بالغواية والإغواء وللأتباع بالكفر والاقتداء ﴿وَلَٰكِن (لَّا تَعْلَمُونَ)﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ **(أبو بكر)** أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر.

قوله: (﴿لَّا تَعْلَمُونَ﴾) بالغيب **(أبو بكر)** شعبة بن عياش بن سالم الكوفي، توفي سنة أربع وتسعين ومائة. والباقون بالخطاب إمّا للسائلين وإمّا لأهل الدنيا.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ **(عطفوا هذا الكلام على قول الله)** تعالى للسفلة ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة. ولا وقف على ﴿فَضْلٍ﴾ أو من قول الله لهم جميعًا والوقف على ﴿فَضْلٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة إذ هي في السماء، أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة، أو لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء، **(وبالتاء مع التخفيف: أبو عمرو وبالياء معه: حمزة وعلي)**. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ حتى يدخل البعير في **(ثقب)** الإبرة أي لا يدخلون الجنة أبدًا لأنه علقه بما لا يكون. **(والخياط والمخيط)** ما يُخاط به وهو الإبرة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء **(الفظيع)** الذي وصفنا ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

قوله: (عطفوا هذا الكلام على قول الله) أي رتّبوه عليه بمعنى أنّ القادة لمّا سمعوا قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] قالوا للسفلة فما لكم فضل علينا.

قوله: (وبالتاء) الفوقية **(مع التخفيف أبو عمرو)** البصريّ **(وبالياء معه)** أي مع التخفيف **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بالتاء الفوقيّة والتشديد، ومن خفّف سكن الفاء ومَنْ شدّد فتح. **قوله: (ثقب)** مثل فلس ومثال قفل لغة بمعنى خرق. **قوله: (والخياط والمخيط)** وزان لحاف وملحف وإزار ومئزر. **قوله: (الفظيع)** الشنيع. في مختار الصّحاح: فَظُع الأمر من باب ظرف، فهو فظيع، أي شديد فظيع شنيع جاوز المقدار. اهـ.

أي الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية جمع غاشية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ طاقتها والتكليف إلزام ما فيه كلفة أي مشقة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ والجملة خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ **(حقد)** كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد والتعاطف، **(وعن علي** رضي الله عنه**)**:

قوله: (حقد) في المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء. اهـ.

قوله: (وعن عليّ رضي الله تعالى عنه)... الخ. هذا يدلّ على أنه كان ذلك بمقتضى الطباع البشريّة فيهم، لكنه نزع بتوفيق الله. وقيل: الأَوْلى أن يُراد عدم اتّصافهم بذلك من أوّل الأمر، وما وقع إنّما كان عن اجتهاد لإعلاء كلمة الله وخصّ هؤلاء لما جرى في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه بينهما ومحاربة طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما في وقعة الجمل، وهذا حديث أخرجه ابن سعد والطبري من رواية معمر عن قتادة كلاهما عن عليّ رضي الله تعالى عنه بسند منقطع، وأخرجه ابن أبي شيبة عن ربعي بسند متّصل؛ كما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى. اهـ شهاب.

قوله: (عليّ) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف، وقيل: اسمه كنيته، واسم هاشم عمرو، وأُمّ **عليّ** فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكنيته أبو الحسن أخو رسول الله ﷺ وصهره على ابنته فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السِّبطين، وهو أوّل هاشميّ بين هاشميّين وأوّل خليفة من

....

بني هاشم، وكان عليّ أصغر من جعفر وعقيل وطالب، وهو أوّل الناس إسلامًا في قول كثير من العلماء على ما نذكره، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، فإنّ رسول الله ﷺ خلفه على أهله، وله في الجميع بلاءٌ عظيم وأثرٌ حسن، وأعطاه رسول الله ﷺ اللّواء في مواطن كثيرة بيده منها يوم بدر، وفيه خلاف، ولمّا قُتِل مصعب بن عُمير يوم أُحد، وكان اللّواء بيده دفعه رسول الله ﷺ إلى عليّ وآخاه رسول الله ﷺ مرّتين، فإنّ رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعليّ في كلّ واحدة منها: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

إسلامه رضي الله تعالى عنه: أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن عليّ بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحٰق، قال: ثم إنّ عليّ بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم، يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها معه، قال: فوجدهما يصلّيان، فقال عليّ: يا محمّد، ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وكفر باللات والعزّى»، فقال له عليّ: هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمرًا حتى أحدّث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا عليّ، إنْ لم تُسلم فاكتم»، فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إنّ الله أوقع في قلب عليّ الإسلام فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمّد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزّى وتبرأ من الأنداد»، ففعل عليّ وأسلم ومكث عليّ يأتيه سرًّا خوفًا من أبي طالب، وكتم عليّ إسلامه، وكان ممّا أنعم الله به على عليّ أنه رُبِّي في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. قال يونس عن ابن إسحٰق: قال: حدّثني عبد الله بن أبي نجيح قال: رواه عن مجاهد، قال: أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين. أنبأنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمّد بن عيسى الترمذي بن محمد بن حميد بن إبراهيم بن المختار، عن شعبة، عن أبي بلخ، عن ابن عباس، قال: أوّل مَنْ أسلم عليّ. ومثله رَوى مقسم عن ابن عباس، واسم أبي بلخ يحيىٰ بن أبي سليم، قال: وحدّثنا أبو عيسى، حدّثنا

....

إسمٰعيل بن موسى، حدّثنا علي بن عباس، عن مسلم الملائيّ عن أنس بن مالك قال: بُعِث النبيّ ﷺ يوم الاثنين وأسلم عليّ يوم الثلاثاء. قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن بشار وابن مثنّى، قالا: حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي حمزة رجل من الأنصار عن زيد بن أرقم قال: أوّل مَنْ أسلم عليّ، قال عمرو بن مرّة: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي، فأنكره وقال: أوّل مَنْ أسلم أبو بكر وأبو حمزة اسمه طلحة بن زيد. أنبأنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله المخزومي بإسناده عن أحمد بن عليّ، حدّثنا أبو هشام الرفاعي، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الأجلح عن سلمة بن كُهَيْل عن حبّة بن جوين عن عليّ قال: لم أعلم أحدًا من هذه الأُمّة عَبَد الله قبلي، لقد عبدته قبل أن يعبده أحد منهم خمس سنين أو سبع سنين، رواه إسماعيل بن إبراهيم بن بسام عن سعيد بن صفوان عن الأجلح نحوه، أنبأنا عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب بإسناده عن أبي داود الطيالسي، حدّثنا شعبة، حدّثنا سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، ، عن حبّة العرني، قال: سمعت عليًا يقول: أنا أوّل مَنْ صلّى مع النبيّ ﷺ. وأنبأنا أبو الطيّب محمد بن أبي بكر بن أحمد المعروف بكلى الأصبهاني كتابةً، وحدّثني به عثمان بن أبي بكر بن جلدك الموصلي عنه، أخبرنا أبو علي الحدّاد، أنبأنا أحمد بن عبد الله بن إسحٰق، أنبأنا سليمان بن أحمد بن أيوب، حدّثنا ابن عبد الأعلى الصنعاني، حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن عكيم الكندي، عن سلمان الفارسي قال: أوّل هذه الأُمّة ورودًا على نبيِّها إسلام عليّ بن أبي طالب. رواه الديري عن عبد الرزاق عن الثوري عن قيس بن مسلم. أنبأنا ذاكر بن كامل الخفّاف، أنبأ الحسن بن محمد بن إسحٰق بن إبراهيم الباقرجي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف المقري العلّاف، أنبأنا أبو علي مخلد بن جعفر بن مخلد الباقرجي، حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ، حدّثنا عبد الأعلى بن واصل، حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن الأسود، عن محمد بن عبيد الله بن عبد الرحمٰن بن مسلم عن أبيه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين»، وذاك أنه لم يصلِّ مع رجلٍ غيره. أنبأنا يحيىٰ بن

....

محمود بن سعد، حدّثنا الحسن بن أحمد قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله أبو نعيم، أنبأنا أبو القاسم الطبراني، حدّثنا العباس بن الفضل الإسقاطي، حدّثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدّثنا علي بن غراب، عن يوسف بن مهيب، عن أبي بُرَيْدة، عن أبيه قال: خديجة أوّل مَنْ أسلم مع النبيّ ﷺ، ثم عليّ. وقال أبو ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري وغيرهم: إنّ عليًا أوّل مَنْ أسلم بعد خديجة وفضله هؤلاء على غيره، قاله أبو عمر. ورَوى معمر، عن قتادة عن الحسن وغيره قال: أوّل مَنْ أسلم عليّ بعد خديجة، وهو ابن خمس عشرة سنة. وسُئِل محمّد بن كعب القرظي عن أوّل مَنْ أسلم عليّ أو أبو بكر؟ قال: سبحان الله عليٌّ أوّلهما إسلامًا، وإنّما اشتبه على الناس لأنّ عليًا أخفى إسلامه عن أبي طالب، وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، وقد ذكرنا حديث عفيف الكندي في أنّ أوّل مَنْ أسلم عليّ في ترجمته، وقال أبو الأسود تيم بن عروة: إنّ عليًا والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين، قال أبو عمرو: ولا أعلم أحدًا يقول بقوله هذا، وقد قال جماعة غير من ذكرنا أنّ عليًا أوّل مَنْ أسلم، وقيل: أبو بكر، والله أعلم.

هجرته رضي الله تعالى عنه: أنبأنا عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحٰق قال: وأقام رسول الله ﷺ - يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة - ينتظر مجيء جبريل عليه السلام وأمره له أن يخرج من مكّة بإذن الله له في الهجرة إلى المدينة حتى إذا اجتمعت قريش فكّرت بالنبيّ، وأرادوا برسول الله ﷺ ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجىٰ ببُرْدٍ له أخضر، ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه. قال ابن إسحٰق: وتتابع الناس في الهجرة، وكان آخر مَنْ قدم المدينة من الناس ولم يُفتن في دينه عليّ بن أبي طالب، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أخره بمكّة وأمره أن ينام على فراشه وأجّله ثلاثًا، وأمره أن يؤدّي إلى كلّ ذي حقٍّ حقّه ففعل، ثم لحق برسول الله ﷺ. أنبأنا محمد بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي إجازةً، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الأعز قراتكين بن الأسعد، حدّثنا أبو محمد الجوينيّ، حدّثنا أبو حفص بن

....

شاهين، حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدّثنا أحمد بن يوسف، حدّثنا أحمد بن يزيد النخعي، حدّثنا عبيد الله بن الحسن، حدّثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي رافع (ح) قال عبيد الله بن الحسن: وحدّثني محمد بن عبيد الله بن عليّ بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي رافع في هجرة النبيّ ﷺ قال: وخلّفه النبيّ ﷺ ـ يعني خلّف عليًّا ـ يخرج إليه بأهله وأمره أن يؤدّي عنه أمانته ووصايا مَنْ كان يوصي إليه، وما كان يُؤتمن عليه مِنْ مال فأدّى علي أمانته كلّها، وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: «إنّ قريشًا لم يفقدوني ما رأوك»، فاضطجع على فراشه، وكانت قريش تنظر إلى فراش النبيّ ﷺ فيرون عليه عليًّا، فيظنّونه النبيّ ﷺ، حتى إذا أصبحوا رأوا عليه عليًّا، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعليّ معه، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبيّ حين رأوا عليًّا، وأمر النبيّ ﷺ عليًّا أن يلحقه بالمدينة، فخرج عليّ في طلبه بعدما أخرج إليه أهله يمشي اللّيل ويكمن النهار حتى قَدِم المدينة، فلمّا بلغ النبيّ ﷺ قدومه قال: «ادعوا لي عليًّا»، قيل: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبيّ ﷺ، فلمّا رآه اعتنقه وبكى رحمةً لِمَا بقدمَيْه من الورم، وكانتا تقطران دمًا، فتفل النبيّ ﷺ في يديه ومسح بهما رجليه ودعا له بالعافية، فلم يشتكهما حتى استشهد رضي الله تعالى عنه.

شهودهُ رضي الله تعالى عنه بدرًا وغيرها: أنبأنا أبو جعفر بن السمين بإسناده إلى يونس بن بكير، عن أبي إسحٰق في تسمية مَنْ شهد بدرًا مِنْ قريش ثم مِنْ بني هاشم، قال: وعليّ بن أبي طالب وهو أوّل مَنْ آمن به، وأجمع أهل التاريخ والسند على أنه شهد بدرًا وغيرها من المشاهد، وأنه لم يشهد غزوة تبوك لا غير؛ لأن رسول الله ﷺ خلفه على أهله. أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سرايا الفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى محمّد بن إسماعيل، حدّثنا أحمد بن سعيد، حدّثنا أبو عبد الله، حدّثنا إسحٰق بن منصور السلولي، حدّثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحٰق قال: سأل رجل البراء، وأنا أسمع: أشهد عليّ بدرًا؟ قال: بارَزَ وظاهر. أخبرنا يحيىٰ بن محمود، أنبأنا عمّ جدي أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد الثقفي، أنبأنا أبو طاهر عمّ والدي وأبو الفتح قالا: أنبأنا أبو بكر بن زادان، حدّثنا

....

أبو عروبة، حدّثنا أبو رفاعة، حدّثنا محمد بن الحسن يُعرف بالهُجيمي، حدّثنا أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب بن سعد عن سعد، قال: لقد رأيته - يعني عليًا - يفلق بالسيف هامَ المشركين، يقول:

شحشح الليل كأني جنى

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين، أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن صرون وأبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني كلاهما إجازةً، قالا: أنبأنا أبو الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: قُرىء على أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيىٰ بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال جدّي أبو الحسين يحيىٰ بن الحسن بن جعفر، قال: كتب إليّ محمد بن علي ومحمد بن يحيىٰ يخبراني عن محمد بن الجيد، حدّثنا حصين بن جنارة، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: لقد أصابت عليًا يوم أُحد ستّ عشرة ضربة كل ضربة تُلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلّا جبرئيل عليه السلام، قال: وحدّثنا جدّي، حدّثنا بكر بن عبد الوهاب، حدّثنا محمد بن عمر، حدّثنا إسمٰعيل بن عياش الحمصي، عن يحيىٰ بن سعيد، عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله ﷺ في المواطن كلّها، فإذا كان وقت القتال أخذها عليّ بن أبي طالب. أنبأنا أبو محمد بن القاسم بن عليّ بن الحسين بن هبة الله الحافظ، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله، أنبأنا البناء قالوا: حدّثنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا أحمد بن سليمان، حدّثنا الزبير بن بكّار، قال: وله - يعني لعليّ بن أبي طالب - يقول أسيد بن أبي إياس بن زنيم، وهو يحرّض مشركي قريش على قتله ويُعيّرهم:

في كل مجمع غاية أخزاكم ... جذع أبر على المذاكي القرح
لله درّكم ألما تنكروا ... قد ينكر الحيّ الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحًا وقتله قعصة لم تذبح
أعطوه خرجًا واتّقوا بضريبة ... فعل الذّليل وبيعة لم تربح

....

أين الكهول وأين كل دعامةٍ في المعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قعصًا وضربًا يفري بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

أنبأنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن المديني بإسناده عن أحمد بن علي بن المثنّى، حدّثنا أبو موسى، حدّثنا محمد بن مروان العقيلي، عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، قال: قال عليّ: لمّا تخلّى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد نظرت في القتلى، فلم أرَ رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفرّ وما أراه في القتلى، ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيّه، فما في خير من أن أُقاتل حتى أُقتل، فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي، فإذا برسول الله ﷺ بينهم. أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الدمشقي، أنبأنا أبو العشائر محمد بن الخليل القيسي، أنبأنا أبو القاسم عليّ بن محمد بن عليّ بن أبي العلاء المصيصيّ، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم، أنبأنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن أبي ثابت، حدّثنا يحيىٰ بن أبي طالب، أنبأنا زيد بن الحباب، حدّثنا الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: لمّا كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللّواء، فلمّا كان من الغد أخذه عمر، وقيل: محمد بن مسلمة، فقال رسول الله ﷺ: «لأدفعنّ لوائي لرجل لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة، ثم دعا باللّواء، فدعا عليًّا وهو يشتكي عينيه، فمسحهما ثم دفع إليه اللّواء، ففتح قال: فسمعت عبد الله بن بريدة يقول: حدّثني أبي أنه كان صاحب مرحب ـ يعني عليًّا ـ وأخباره في حروبه كثيرة لا نطوّل بذكرها.

علمه رضي الله تعالى عنه: رَوَى عليّ عن النبيّ ﷺ فأكثر، ورَوَى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وعمرو وعبد الله بن مسعود وابن عمر وابن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وأبو موسى الأشعري وأبو سعيد الخدري وأبو رافع وصُهيب وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وأبو أُمامة وأبو سُرَيْحة حُذيفة بن أسيد وأبو هريرة وسفينة وأبو جحيفة السّوائي[1] وجابر بن سمرة

---

(١) بضمّ المهملة والمد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وعمرو بن جديث وأبو ليلى والبراء بن عازب وعمارة رؤيبة وبشر بن سحيم وأبو الطفيل وعبد الله بن ثعلبة بن صعير[1] وجرير بن عبد الله وعبد الرحمٰن بن أشيم وغيرهم من الصحابة. وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيّب ومسعود بن الحكم الزرقي وقيس بن أبي حازم وعُبيدة السّلماني وعلقمة بن قيس بن الأسود بن يزيد وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى والأحنف بن قيس وأبو عبد الرحمٰن السلمي وأبو الأسود الديلي وزر بن حُبَيْش وشريح بن هانىء والشعبي وشقيق وخلق كثير غيرهم. أنبأنا يحيىٰ بن محمود، أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا محمد بن عبد الرحمٰن، أنبأنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمٰن، أنبأنا أبو سعد محمد بن بشر بن العباس، أنبأنا أبو الوليد محمد بن إدريس الشامي، حدّثنا سويد بن سعيد، أنبأنا عليّ بن مسهر، عن الأعمش، عن عمرو بن قرّة، عن أبي البحتري عن عليّ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى اليمن ويسألوني عن القضاء ولا عِلْم لي به، قال: «ادْنُ»، فدنوت فضرب بيده على صدري ثم قال: «اللّهمّ ثبّت لسانه واهْدِ قلبه»، فلا والذي فَلَق الحبّة وبرأ النّسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعدُ. أنبأنا زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي وغيره كتابةً قالوا: أنبأنا أبو منصور زُرَيق، أنبأنا أحمد بن عليّ بن ثابت، أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق، أنبأنا أبو بكر بن مكرم بن أحمد بن مكرم القاضي، حدّثنا القاسم بن عبد الرحمٰن الأنباريّ، حدّثنا أبو الصّلت الهرويّ، حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمَنْ أراد العِلْم فليأتِ بابه» رواه غير أبي معاوية عن الأعمش، وكان أبو معاوية يحدّث به قديمًا ثم تركه. ورَوى شعبة عن أبي إسحٰق، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: كنّا نُحدَّث أن أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب، وقال سعيد بن المسيّب: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير عليّ بن أبي طالب. وروى يحيىٰ بن معين، عن عبدة بن سليمان، عن عبد الملك بن سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في

(١) بالمهملتين مصغّرًا. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أصحاب محمّد ﷺ أعلم من عليّ؟ قال: لا والله، لا أعلمه. وقال ابن عباس: لقد أُعطي عليّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشْر العاشر. وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة: يا عمّ لِمَ كان صغو الناس إلى عليّ؟ قال: يا ابن أخي، إنّ عليًّا كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البَسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصِّهر لرسول الله ﷺ، والفقه في السنّة، والنَّجدة في الحرب، والجُود بالماعون. ورَوى ابن عُيينة، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو حسن. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره. وروى يزيد بن هارون، عن قطر، عن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب النبيّ ﷺ: لقد كان لعليّ من السوابق، قالوا: إنّ سابقة منها بين الخلائق لوسعتهم خيرًا، وله في هذا أخبار كثيرة نقتصر على هذا منها، ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره رضي الله عنهم لأطلنا.

زهده وعدله رضي الله تعالى عنه: أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين، أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد، أنبأنا أبو طالب بن غيلان، أنبأنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد المزني، حدّثنا محمد بن المسيّب، قال: سمعت عبد الله بن حنيف يقول: قال يوسف بن أسباط: الدنيا دار نعيم الظالمين، قال: وقال عليّ بْن أبي طالب؛ الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على مخالطة الكلاب. أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله، أنبأنا أبو غالب بن البنا، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن حسنون النرسي، حدّثنا محمد بن إسماعيل بن العباس إملاءً، حدّثنا أحمد بن علي الرقيّ، أخبرنا القاسم بن عليّ بن أبان، حدّثنا سهل بن صقير، حدّثنا يحيىٰ بن هشام الغسّاني، عن عليّ بن جزء قال: سمعت أبا مريم السلولي يقول: سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: «يا عليّ، إنّ الله عزّ وجلّ قد زيَّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها: الزُّهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئًا ولا تنال الدنيا منك شيئًا، ووهب لك حبّ المساكين ورضوا بك إمامًا ورضيت بهم أتباعًا، فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويلٌ لمن أبغضك وكذّب عليك. فأمّا الذين

....

أحبّوك وصدّقوا فيك، فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرك. وأمّا الذين أبغضوك وكذّبوا عليك، فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة». أنبأنا عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد، أنبأنا أبو غالب بن البنّا، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمٰن الزهري، حدّثنا حمزة بن القاسم الإمام، حدّثنا الحسين بن عبيد الله، حدّثني إبراهيم ـ يعني الجوهري ـ حدّثنا المأمون هو أمير المؤمنين، حدّثنا الرشيد، حدّثنا شريك بن عبد الله، عن عاصم بن كليب، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار، ورواه حجاج الأصبهانيّ وأسود عن شريك، فقال: أربعين ألف دينار، ورواه حجاج عن شريك فقال: أربعين ألفًا، لم يُرِد بقوله أربعين ألفًا زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقةً كان الحاصل من دَخْلِها صدقة هذا العدد، فإنّ أمير المؤمنين عليًا رضي الله تعالى عنه لم يدخر مالًا، ودليله ما نذكره من كلام ابنه الحسن رضي الله تعالى عنهما في مقتله أنه لم يترك إلّا ستمائة درهم اشترى بها خادمًا. أخبرني أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو محمد هبة الله بن سهل الفقيه، أنبأنا جدّي أبو المعالي عمر بن محمد بن الحسين قال: وأنبأنا أبي، وأنبأنا زاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين، قالا: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو قتيبة سالم بن الفضل الآدمي بمكّة، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه قال: سمعت أبا نعيم قال: سمعت سفيان يقول: ما بنى عليّ لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحبوته من المدينة في جراب. أنبأنا السيّد أبو الفتوح حيدر بن محمد بن زيد العلويّ الحسيني، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر الدورستي بالموصل، أنبأنا النقيب الطاهر أبو عبد الله أحمد بن علي بن المعمر الحسيني، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنبأنا أبو طاهر محمد بن عليّ بن محمد بن يوسف، أنبأنا أبو بكر بن مالك، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، حدّثنا وكيع، حدّثنا مسعر، عن أبي بحر عن شيخ لهم قال: رأيت على عليّ عليه السلام إزارًا غليظًا، قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحني فيه درهمًا بعته، قال: ورأيت معه دراهم مصرورة، فقال: هذه بقية

....

نفقتنا من ينبع. وحدّثنا عبد الله بن أحمد، حدّثنا محمد بن يحيىٰ الأزدي، حدّثنا الوليد بن القاسم، حدّثنا مطير بن ثعلبة التميمي أبو النواز بياع الكرابيس قال: أتاني عليّ بن أبي طالب ومعه غلام له، فاشترى مني قميص كرابيس فقال لغلامه: اختر أيّهما شئت، فأخذ أحدهما وأخذ عليّ الآخر فلبسه ثم مدّ يده، فقال: اقطع الذي يفضل من قدر يدي، فقطعه وكفّه ولبسه وذهب.

أنبأنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أنبأنا أبو الحسين بن طلحة النعال إجازةً إن لم يكن سماعًا، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، حدّثنا إسماعيل بن محمد بن الصفّار، حدّثنا يحيىٰ بن آدم، حدّثنا جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الملك بن عمير قال: حدّثني رجل من ثقيف قال: استعملني عليّ بن أبي طالب على مدرج سابور، فقال: لا تضربنّ رجلًا سوطًا في جباية درهم، ولا تتبعن لهم رزقًا ولا كسوة شتاءً ولا صيفًا ولا دابّة يعتملون عليها، ولا تقيمنّ رجلًا قائمًا في طلب درهم. قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت ويحك، إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفو، يعني الفضل وزهده وعدله رضي الله تعالى عنه لا يمكن استقصاء ذكرهما، فلنقتصر على هذا.

فضائله رضي الله عنه :

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي الدزداري بإسناده إلى الأستاذ أبي الإسحٰق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسّر قال: رأيت في بعض الكتب أنّ رسول الله ﷺ لمّا أراد الهجرة خلف عليّ بن أبي طالب بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، وقال له: «اتّشح ببُرْدي الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى»، ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّما يُؤثر صاحبه بالحياة، فاختارا كلاهما الحياة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليهما: أفلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يَفْديه بنفسه ويُؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا

....

فكان جبريل عند رأس عليّ وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ، مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب، يُباهي الله عزّ وجلّ به الملائكة؛ فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧]. أنبأنا أبو محمد عبد الله بن عليّ بن سويدة التكريتي، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير الميهني قراءةً عليه، قال: أنبأنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن مثنويه، قال أبو محمد: وأنبأنا أبو القاسم بن أبي الخير الميهني والحسين بن الفرحان السمناني، قالا: أنبأنا عليّ بن أحمد، أنبأنا أبو بكر التميمي، أنبأنا أبو محمد بن حبان، حدّثنا محمّد بن يحيى بن مالك الصبي، حدّثنا محمد بن سهل الجرجاني، حدّثنا عبد الرزّاق، حدّثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٤]، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم، فأنفق باللّيل واحدًا وبالنهارًا واحدًا، وفي السرّ واحدًا وفي العلانية واحدًا، ورواه عفان بن مسلم عن وهيب عن أيوب عن مجاهد عن ابن عباس مثله. أنبأنا إسمٰعيل بن عليّ وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة قال: حدّثنا قتيبة، حدّثنا حاتم بن إسمٰعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية سعدًا فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ قال: أمّا ما ذكرت ثلاثًا قالهنّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمُر النّعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ وخلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أمَا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبوّة بعدي». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطينّ الراية رجلًا يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليًا»، فأتاه وبه رمد فبصق في عينَيْه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه وأُنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٦١]، فدعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحُسينًا فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا سفيان بن وكيع، حدّثنا أبي عن

....

شريك، عن منصور، عن ربعيّ بن خراش، حدّثنا عليّ بن أبي طالب بالرَّحبة، قال: لمّا كان يوم الحُدَيْبية خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأُناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا وليس بهم فقه في الدِّين، وإنما خرجوا فرارًا من أموالنا وضياعنا، فاردُدْهم إلينا، فقال النبيّ ﷺ: «يا معشر قريش، لتنتهن أو ليبعثنّ الله عليكم مَنْ يضرب رقابكم بالسّيف على الدِّين، قد امتُحِن قلبه على الإيمان»، قالوا: مَنْ هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: مَنْ هو يا رسول الله؟ وقال عمر: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: «خاصف النَّعل»، وكان قد أعطى عليًّا نعلًا يخصفها، قال: ثم التفت إلينا عليّ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النار». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا عيسى بن عثمان أخا يحيىٰ بن عيسى الرَّملي، حدّثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زرّ بن حبيش، عن عليّ قال: لقد عهد إليّ النبيّ ﷺ أن لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق. قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن يسار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد قالوا: حدّثنا أبو عاصم عن أبي الجراح قال: حدّثني جابر بن صبح، قال: حدّثني شراحيل عن أُمّ عطية قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشًا فيهم عليّ قالت: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمّ لا تمتني حتى تُرِيني عليًّا». أنبأنا أبو منصور مسلم بن عليّ بن محمد بن السبخي، أنبأنا أبو البركات بن خميس، أنبأنا أبو نصر بن طوق، أنبأنا أبو القاسم بن المرجي، أنبأنا أبو يعلى الموصلي، حدّثنا سعيد بن مطرف الباهلي، حدّثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن أبي المنذر، عن سعيد بن المسيّب، عن عامر بن سعد، عن سعد أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبيّ بعدي». قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعدًا فلقيته فذكرت له ما ذكرني عامر، فقلت: أنت سمعته؟ فأدخل يديه في أُذنيه، وقال: نعم، وإلا فاستكتا. أنبأنا أبو بكر مسمار بن عامر بن العويس البغدادي، أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن الطلابة، أنبأنا أبو القاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا محمد بن هارون الحضرمي أبو حامد، حدّثنا أبو هشام محمد بن

....

يزيد بن رفاعة، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لمّا كان يوم الطائف دعا رسول الله ﷺ عليًّا فناجاه طويلًا فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى ابن عمّه، قال ـ يعني رسول الله ﷺ ـ: «ما أنا انتجيته، ولكن الله انتجاه». أنبأنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب، فمضى في السَّرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه فتعاقد أربعة من أصحاب النبيّ ﷺ، فقالوا: إذا لقينا رسول الله أخبرناه بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ، فسلّموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السرية فسلّموا على رسول الله ﷺ فقال أحد الأربعة: يا رسول الله، ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليهم رسول الله ﷺ والغضب في وجهه فقال: «ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إنّ عليًّا منّي وأنا من عليّ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحٰق قال: حدّثني يحيىٰ بن عبد الله بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: إنما وجد جيش عليّ الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلًا وتعجّل إلى رسول الله ﷺ يُخبره الخبر، فعمد الرجل فكسا كل رجلٍ منهم حلّة، فلما دنوا خرج عليّ يستقبلهم، فإذا عليهم الحلل، فقال عليّ: ما هذا؟ قالوا: كسانا فلان، قال: فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول الله فيصنع ما شاء، فنزع الحُلل عنهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه لذلك، وكان أهل اليمن قد صالحوا رسول الله ﷺ، وإنما بعث عليًّا على جزية موضوعة. أنبأنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي العلاء الواسطي وأبو عبد الله الحسين بن أبي صالح فناخسرو الدَّيلمي التكريتي وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب بن

....

عبد الرحمٰن، عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، قال: «أين عليّ بن أبي طالب»؟ قالوا: يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه» فأتى فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «لتغد على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمُر النِّعم». أنبأنا أبو الفضل بن أبي عبيد الله الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن عليّ، أنبأنا القواريريّ، حدّثنا يونس بن أرقم، حدّثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال: شهدت عليًّا في الرَّحبة يناشد الناس: أنشد الله مَنْ سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، لمّا قام قال عبد الرحمٰن: فقام اثنا عشر بدريًّا، كأني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ: «ألست أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمّهاتهم»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: «مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه». وقد رُوِي مثل هذا عن البراء بن عازب، وزاد: فقال عمر بن الخطاب: يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم وليّ كل مؤمن. أنبأنا الحسن بن محمد بن هبة الله، أنبأنا أبو العشائر محمد بن الخليل القيسي، أنبأنا أبو القاسم عليّ بن محمد بن علي أبي العلاء المصيصيّ، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القسم بن أبي نصر، حدّثنا خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة أبو الحسن الأطرابلسيّ، حدّثنا محمد بن الحسين الحبيبي، حدّثنا أبو حذيفة، حدّثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن ابن ظالم قال: جاء رجل إلى سعيد بن زيد - يعني ابن عمرو بن نفيل - فقال: إنّي أحببت عليًّا حبًّا لم أحبّه أحدًا، قال: أحببت رجلًا من أهل الجنّة، ثم إنه حدّثنا قال: كنّا مع رسول الله ﷺ على حِراء، فذكر عشرة في الجنّة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن مالك وعبد الله بن مسعود. قال: وحدّثنا خيثمة، حدّثنا أبو عبيدة

....

السري بن يحيىٰ، حدّثنا قبيصة، حدّثنا سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: كنّا مع النبيّ ﷺ في سور بالمدينة فقال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة»، فجاء أبو بكر فهنّيناه، ثم قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة»، فجاء عمر فهنّيناه، قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة»، قال: ورأيت رسول الله ﷺ يصغي رأسه من تحت السعف ويقول: «اللّهمّ إن شئت جعلته عليًا»، فجاء عليّ فهنّيناه. أنبأنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد وغيره قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، حدّثنا يوسف بن موسى القطّان البغدادي، حدّثنا علي بن قادم، حدّثنا علي بن صالح بن حيّ، عن حكيم بن جبير، عن جميع بن عمير التيمي، عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تُؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». أنبأنا أبو الفضل الفقيه المخزومي بإسناده إلى أحمد بن عليّ، أنبأنا أبو خيثمة، حدّثنا محمد بن عبد الله الأسدي، حدّثنا سفيان، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أُمّ سلمة أنّ النبيّ ﷺ جلّل عليًا وفاطمة والحسن والحسين كساءً، ثم قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللّهمّ أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا»، قالت أُمّ سلمة: قلت: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: «إنك على خير». وأنبأنا غير واحد بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، حدّثنا خلاد بن أسلم البغدادي، حدّثنا النّضر بن شُميل، حدّثنا عوف، عن عبد الله بن عمرو بن هند الحلي، قال: قال عليّ: كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني، وإذا سكت ابتدأني. قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا نضر بن عليّ الجهضمي، حدّثنا عليّ بن جعفر بن محمد، أخبرني أخي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه عن جدّه عليّ بن أبي طالب أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحُسين وقال: «مَنْ أحبّني وأحب هذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا قُتيبة، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: كنا نعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم عليّ بن أبي طالب. أنبأنا المنصور بن أبي الحسن الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى،

....

حدّثنا الحسن بن حماد، حدّثنا مسهر بن عبد الملك ثقةٌ، حدّثنا عيسى بن عمرو، عن السديّ، عن أنس بن مالك أنّ النبيّ ﷺ كان عنده طائر فقال: «اللّهمّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر»، فجاء أبو بكر فردَّه، ثم جاء عثمان فردَّه، فجاء عليّ فأذن له. ذِكْر أبي بكر وعثمان في هذا الحديث غريب جدًّا، وقد رُوِي من غير وجه عن أنس، ورواه غير أنس من الصحابة. أنبأنا أبو الفرج الثقفي، أنبأنا الحسين بن عيسى، حدّثنا الحسن بن أحمد وأنا حاضر أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدّثنا محمد بن إسحٰق بن إبراهيم الأهوازي، حدّثنا الحسن بن عيسى، حدّثنا الحسن بن السُّميدع، حدّثنا موسى بن أبي أيوب، عن شعيب بن إسحاق، عن أبي حنيفة، عن مسعر، عن حماد، عن إبراهيم، عن أنس قال: أُهدي إلى النبيّ ﷺ طير، فقال: «اللّهمّ ائتني بأحب خلقك إليك»، فجاء عليّ فأكل معه، تفرّد به شُعيب عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه. أنبأنا محمد بن أبي الفتح بن الحسن النقّاش الواسطي، حدّثنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل البزار، أنبأنا زاهر بن طاهر السحامي، أنبأنا أبو سعيد الكنجرودي، أنبأنا الحاكم أبو أحمد، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الحسين الأشعري بحمص، حدّثنا محمد بن مصفّى، حدّثنا حفص بن عمر المعري، حدّثنا موسى بن سعد البصريّ، قال: سمعت الحسن يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: أُهدي لرسول الله ﷺ طير، فقال: «اللّهمّ ائتني برجل يحبّه الله ويحبه رسوله»، قال أنس: فأتى عليّ فقرع الباب، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ مشغول وكنت أحبّ أن يكون رجلًا من الأنصار، ثم إنّ عليًا فعل مثل ذلك، ثم أتى الثالث فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس أدخله، فقد عَنَيْته»، فلما أقبل قال: «اللّهمّ والِ، اللّهمّ والِ»، وقد رواه عن أنس غير واحد حميد الطويل، وأبو الهندي، ويغنم بن سالم - يغنم بالياء تحتها نقطتان، والغين المعجمة والنون وآخره ميم وهو اسم مفرد.

خلافته رضي الله تعالى عنه:

أنبأنا عد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثنا أسود بن عامر، حدّثني عبد الحميد بن أبي جعفر - يعني الفراء - عن

....

إسرائيل، عن أبي إسحٰق، عن زيد بن تبيع، عن عليّ قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ يُؤَمّر بعدك؟ قال: «إن تُؤمِّروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإن تُؤمّروا عمر تجدوه قويًّا أمينًا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تُؤمّروا عليًّا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًّا يأخذ بكم الصراط المستقيم». أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني إجازةً، أنبأنا أبو عليّ بن شاذان، أنبأنا عبد الباقي بن قانع، حدّثنا محمد بن زكريا العلائي، حدّثنا العبّاس بن بكار، عن شريك، عن سلمة، عن الصنابحي، عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنت بمنزلة الكعبة، تُؤْتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلَّموها إليك ـ يعني الخلافة ـ فاقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك». أنبأنا يحيىٰ بن محمود، أنبأنا الحسن بن أحمد قراءةً عليه وأنا حاضر، أنبأنا أبو نعيم، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، حدّثنا أبو الصيرفي، عن يحيىٰ بن عروة المرادي، قال: سمعت عليًّا رضي الله تعالى عنه يقول: قُبِض النبيّ ﷺ وأنا أرى أني أحقّ بهذا الأمر، فاجتمع المسلمون على أبي بكر، فسمعت وأطعت، ثم إن أبا بكر أُصيب فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في عمر، فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أُصيب فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في ستّة أنا أحدهم، فولّوها عثمان، فسمعت وأطعت، ثم إن عثمان قُتِل فجاؤوا فبايعوني طائعين غير مُكرهين، ثم خلعوا بَيْعتي، فوالله ما وجدت إلّا السيف أو الكفر بما أنزل الله عزّ وجلّ على محمّد ﷺ. أخبرنا ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف وغيره إجازةً، قالوا: أخبرنا أبو غالب بن البنا، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد الأنبوسي، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيىٰ بن حنيقا، أنبأنا أبو محمد إسماعيل بن عليّ بن إسماعيل الخطيّ، قال: استخلف أمير المؤمنين عليّ كرَّم الله وجهه وبُويع له بالمدينة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان في ذي الحجّة من سنة خمس وثلاثين، قال: وحدّثنا إسماعيل الخطيّ، حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، حدّثنا هشام بن عمار، حدّثنا محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع القرشي، حدّثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذيب، عن الزهري، عن ابن

....

المسيّب، قال: لما قُتِل عثمان جاء الناس كلّهم إلى عليّ يهرعون أصحاب محمد وغيرهم كلّهم يقول أمير المؤمنين عليّ: حتى دخلوا عليه داره، فقالوا: نبايعك فمُدَّ يدك، فأنت أحقّ بها، فقال عليّ: ليس ذاك إليكم، إنما ذاك إلى أهل بدر، فمَنْ رَضِيَ به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبقَ أحد إلّا أتى عليًا، فقال: فقالوا: ما نرى أحدًا أحقّ بها منك، فمُدَّ يَدَكَ نبايعك، فقال: أين طلحة والزُّبير؟ فكان أوّل مَنْ بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده، فلمّا رأى عليّ ذلك خرج إلى المسجد فصعد المنبر، فكان أوّل مَنْ صعد إليه فبايعه طلحة وتابعه الزبير وأصحاب النبيّ ﷺ ورضي عنهم أجمعين. أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقيّ إجازةً، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو القاسم عليّ بن إبراهيم ابن رشا بن نظيف، حدّثنا الحسن بن إسماعيل، حدّثنا أحمد بن مروان، حدّثنا محمد بن موسى بن حماد، حدّثنا محمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: لما دخل عليّ بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب، فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زِنْت الخلافة وما زانَتْك، ورفعتها وما رفعَتْك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها. أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبّة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدّثنا سفيان بن وكيع، حدّثنا قبيصة، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي وائل، قال: قلت لعبد الرحمٰن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم عليًا؟ فقال: ما ذنبي قد بدأت بعليّ فقلت: أُبايعك على كتاب الله وسنّة نبيِّه وسيرة أبي بكر وعمر، قال: فقال: فيما استطعت، قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها، ولمّا بايعه الناس تخلّف عن بيعته جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وسعد وأُسامة وغيرهم، فلم يلزمهم بالبيعة، وسُئِل عليّ عمّن تخلّف عن بيعته؟ فقال: أُولئك قعدوا عن الحقّ ولم ينصروا الباطل، وتخلّف عنه أهل الشام مع معاوية، فلم يُبايعوه وقاتلوه. أنبأنا أبو القاسم محمد بن سعد بن يحيىٰ بن بوش كتابة، أنبأنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن يوسف، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو الحسين محمد بن المظفّر بن موسى الحافظ، أنبأنا محمد بن الحسن بن ظازاد الموصلي، حدّثنا عليّ بن الحسين الخواص، عن عفيف بن سالم، عن قطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، عن أبي سعيد، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فانقطع شِسْعه فأخذها عليّ

....

يُصلحها، فمضى رسول الله ﷺ فقال: «إنّ منكم رجلًا يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله»، فاستشرف لها القوم، فقال رسول الله ﷺ: «لكنه خاصف النعل»، فجاء فبشّرناه بذلك، فلم يرفع به رأسًا، كأنه شيء قد سمعه من النبيّ ﷺ. أنبأنا أرسلان بن بعان الصوفي، حدّثنا أبو الفضل أحمد بن طاهر بن سعيد بن أبي سعيد الميهني، أنبأنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي، أنبأنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن علي بن دُحيم الشيبانيّ، حدّثنا الحسين بن الحكم الحيريّ، حدّثنا إسماعيل بن أبان، حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم الأزدي، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع مَنْ؟ فقال: «مع عليّ بن أبي طالب معه يُقتل عمّار بن ياسر». قال: وأخبر الحاكم، أنبأنا أبو الحسن علي بن ممشاد العدل، حدّثنا إبراهيم بن الحسين بن ديرك، حدّثنا عبد العزيز بن الخطّار، حدّثنا محمد بن كثير، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن محنف بن سليم، قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري، فقلنا: قاتلتَ بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تُقاتل المسلمين؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتل النّاكثين والقاسطين والمارقين. وأنبأنا أبو الفضل بن أبي الحسن بإسناده عن أبي يعلى، حدّثنا إسماعيل بن موسى، حدّثنا الربيع بن سهل، عن سعيد بن عبيد، عن عليّ بن ربيعة، قال: سمعت عليًّا على منبركم هذا يقول: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. أنبأنا أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة الحلبي، قال: حدّثني عمي أبو المجد عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، أنبأنا أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، حدّثنا أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن سعيد بحلب، حدّثنا الأستاذ أبو النمر الحارث بن عبد السلام بن زغبان الحمصي، حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن خالويه، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي سعيد البزّار، حدّثنا محمد بن الحسن موسى الكوفيّ، حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عبد الله بن حبيب، أخبرني أبي قال: قال ابن عمر حين حضره الموت: ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أُقاتل الفئة الباغية.

....

وقال أبو عمرو: رُوِي من وجوه عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر أنه قال: ما آسى على شيء إلّا أني لم أُقاتل مع عليّ بن أبي طالب الفئة الباغية.

وقال الشعبي: ما مات مسروق حتى تاب إلى الله تعالى من تخلّفه عن القتال مع عليّ، ولعليّ رضي الله تعالى عنه في قتال الخوارج وغيرها آيات مذكورة في التواريخ قد أتينا على ذكرها في الكامل في التاريخ.

مقتله وإعلامه أنه مقتول رضي الله تعالى عنه:

أنبأنا نصر الله بن سلامة بن سالم الهيتمي، أنبأنا القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأُرمويّ، أنبأنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي المأمون، أنبأنا عليّ بن عمر الحافظ، حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن يحيى بن زاهر بن يحيى الرازي بالبصرة، حدّثني أحمد بن محمد بن زياد القطان الرازي، حدّثنا عبد الله بن زاهر بن يحيىٰ، حدّثنا أبي، عن الأعمش، عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان الدُّؤليّ، عن عليّ قال: حدّثني الصادق المصدوق ﷺ قال: «لا تموت حتى تُضرب ضربة على هذه، فتخضب هذه» وأومأ إلى لحيته وهامته «ويقتلك أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود» نسبه إلى جدّه الأدنى، قال عليّ بن عمر: هذا حديث غريب من حديث الأعمش عن زيد بن أسلم عن أبي سنان عن عليّ تفرّد به عبد الله بن زاهر عن أبيه. قلت: قد رواه عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم، أنبأنا به أبو الفضل الطبري بإسناده إلى أبي يعلى عن القواريري، عن عبد الله بن جعفر، عن زيد، عن أبي سنان أتمّ من هذا.

أنبأنا أبو الفضل المخزومي بإسناده، عن أحمد بن عليّ قال: حدّثنا إسحٰق بن إسرائيل، عن سنان، عن عبد الملك بن أعين، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، عن عليّ قال: أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز، فقال لي: لا تقدم العراق، فإني أخشى أن يصيبك فيها ذباب السيف، قال عليّ: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، فقال أبو الأسود: فما رأيت كاليوم قطّ محارب يخبر بذا عن نفسه. قال: وأنبأنا أحمد بن عليّ، أنبأنا أبو خيثمة،

....

حدّثنا جرير، عن الأعمش، عن سلمة بن كُهَيْل، عن سالم بن أبي الجَعْد، عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب فقال: والذي فَلَق الحبّة وبرأ النسمة لتخضبنّ هذه من هذه، يعني لحيته من دم رأسه، فقال رجل: والله لا يقول ذلك أحدٌ إلا أبرنا عترته، فقال: أذكر الله وأنشد أن يقتل مني إلّا قاتلي.

أنبأنا أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كُليب، أنبأنا أبو الخير المبارك بن الحسين بن أحمد الغسال المقريّ الشافعي، حدّثنا أبو محمد الخلال، حدّثنا أبو الطيّب محمد بن الحسين النحّاس بالكوفة، حدّثنا علي بن العباس البجلي، حدّثنا عبد العزيز بن منيب المروزي، حدّثنا إسحٰق - يعني ابن عبد الملك بن كيسان - حدّثني أبي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عليّ - يعني للنبيّ ﷺ -: إنك قلت لي يوم أُحد حين أخّرت عني الشهادة واستشهد من استشهد أنّ الشهادة من ورائك، «فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه بدم»؟ وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه، فقال عليّ: يا رسول الله أما إن تثبت لي ما أثبتَ، فليس ذلك من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والكرامة.

وأنبأنا أبو المنصور بن أبي الحسن بإسناده إلى أحمد بن علي بن المثنى، أنبأنا سويد بن سعيد، حدّثنا راشد بن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن أُسامة بن الهاد، عن عثمان بن صُهيب، عن أبيه قال: قال عليّ: قال لي رسول الله ﷺ: «مَنْ أشقى الأوّلين»؟ قلت: عاقر النّاقة، قال: «صدقت»، قال: «فمَنْ أشقى الآخرين»؟ قلت: لا عِلْم لي يا رسول الله، قال: «الذي يضربك على هذا» وأشار بيده إلى يافوخه، وكان يقول: وددت أنه قد انبعث أشقاكم، «فخضب هذه من هذه» يعني لحيته من دم رأسه.

أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبّة، أنبأنا أبو غالب بن البنّا، حدّثنا محمد بن أحمد بن محمّد بن حسنون، أنبأنا أبو القاسم موسى بن عيسى بن عبد الله السرَّاج، حدّثنا عبد الله بن أبي داود، حدّثنا إسحٰق بن إسماعيل، حدّثنا إسحٰق بن سليمان، عن قطر بن خليفة، عن أبي الطفيل أن عليًّا جمع الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي، فردَّه مرّتين، ثم قال علي: ما يحبس أشقاها،

....

فوالله ليخضبنّ هذه من هذه، ثم تمثّل:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك

أنبأنا أبو ياسر إجازةً، أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمرو بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، حدّثنا الحسين بن فهم، حدّثنا محمد بن سعد، حدّثنا خالد بن مخلد ومحمد بن الصّلت، حدّثنا الربيع بن المنذر، عن أبيه، أن محمد ابن الحنفية قال: دخل علينا ابن ملجم الحمّام وأنا وحسن وحسين جلوس في الحمّام، فلمّا دخل كأنهما اشمأزا منه، وقالا: ما جرّأك تدخل علينا؟ قال: فقلت لهما: دعاه عنكما، فلعمري ما يريد منكم أحشم من هذا، فلمّا كان يوم أُتِيَ به أسيرًا، قال ابن الحنفية: ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمّام، فقال عليّ: إنه أسير، فأحسنوا نُزُله وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن متُّ فاقتلوه ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين.

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين وغير واحد إجازةً، قالوا: أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أنبأنا أبو الفضل بن خيرون وأبو طاهر أحمد بن الحسن الباقلاني كلاهما إجازةً، قالا: أنبأنا أبو علي بن شاذان، قال: قرىء على أبي محمد الحسين بن محمد بن يحيىٰ بن الحسن بن أبي جعفر بن عبيد الله بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال: حدّثنا جدّي أبو الحسين يحيىٰ بن الحسن، حدّثنا سعيد بن نوح، حدّثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن، حدّثنا عبد الجبّار بن العبّاس، عن عثمان بن المغيرة، قال: لمّا دخل شهر رمضان جعل عليّ يتعشّى ليلة عند الحسن وليلة عند الحُسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد على ثلاث لقم، ويقول: يأتي أمر الله وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان. قال: وأنبأنا جدّي، حدّثنا زيد بن علي، عن عبيد الله بن موسى، حدّثنا الحسن بن كثير، عن أبيه قال: خرج عليّ لصلاة الفجر، فاستقبله الأوز يَصِحْن في وجهه، قال: فجعلنا نطردهنّ عنه، فقال: دعوهنّ فإنهنّ نوائح، وخرج فأُصيب، وهذا يدلّ على أنه علم السَّنَة والشهر والليلة التي يُقتل فيها، والله أعلم.

....

أنبأنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد، أنبأنا النقيب طراد بن محمد إجازةً إنْ لم يكن سماعًا، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا الحسين صفوان، أنبأنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدّثني عبد الرحمٰن بن صالح، حدّثنا عمرو بن هاشم الحسيني، عن حكاب، عن أبي عَوْن الثقفيّ، عن أبي عبد الرحمٰن السّلمي، قال: قال لي الحسين بن عليّ: قال لي عليّ: سنح لي الليلة رسول الله ﷺ في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أُمّتك من الأود[1] واللّدد[2]، قال: ادع عليهم، قلت: اللّهمّ أبدلني بهم مَنْ هو خيرٌ لي منهم، وأبدلهم مَنْ هو شرٌّ مني؛ فخرج فضربه الرجل، كذا في هذه الرواية الحسين بن عليّ، وإنما هو الحسن.

أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب إذنًا، أخبرنا أبو بكر الأنصاري، أخبرنا أبو محمد الجوهريّ، أنبأنا أبو عمر بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن فهم، أنبأنا محمد بن سعد قال: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي، وهو من حِمْيَر وعداده في بني مراد، وهو حليف بني حبلة من كندة، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمر بن بكير التميمي؛ فاجتمعوا بمكّة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة عليّ بن أبي طالب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعليّ، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص؛ فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا عليه وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذي سُمّي له ويتوجّه له حتى يقتله أو يموت دونه، فاتّعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان، ثم توجّه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقَدِم عبد الرحمٰن بن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يومًا نفرًا من بني تيم الرباب،

---

(١) قوله: الأود، في القاموس: أوِدَ كفرِحَ يأْوَدُ أوَدًا اعْوَجَّ، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) قوله: اللّدد، في المصباح: لَدَّ يَلُدُّ لَدَدًا من باب تَعِبَ اشتدّت خصومته، فهو ألدّ، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

فرأى امرأة منهم قطام بنت سخبة بن عديّ بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن الرباب، وكان عليّ قتل أباها وأخاها بالنهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوّجك حتى تسني[1] لي، فقال: لا تسأليني شيئًا إلّا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف وقتل عليّ بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المِصْر إلّا قتل عليّ، وقد أعطَيْتك ما سألت، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك، وظلّ ابن ملجم تلك اللّيلة التي عزم فيها أن يقتل عليًا في صبيحها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدّة التي يخرج منها عليّ، قال الحسن بن عليّ: فأتيته سحيرًا فجلست إليه فقال: إني بتّ الليلة أوقظ أهلي، فملكتني عيناي وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أُمتك من الأود واللّدد، فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللّهمّ أبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًّا لهم مني، ودخل ابن التيّاح المؤذّن على ذلك، فقال: الصلاة، فقام يمشي ابن التيّاح بين يديه وأنا خلفه، فلمّا خرج من الباب نادى: أيّها الناس الصلاة الصلاة، كذلك كان يَصْنع كل يوم يخرج ومعه درّته يُوقظ الناس، فاعترضه الرجلان، فقال بعض مَنْ حضر: ذلك بريق السيف، وسمعت قائلًا يقول: لله الحكم يا عليّ لا لك، ثم رأيت سيفًا ثانيًا فضربا جميعًا، فأمّا سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل إلى دماغه.

وأما سيف شبيب، فوقع في الطاق، فسمع عليّ يقول: لا يفوتنّكم الرجل، وشدّ الناس عليهما من كل جانب. فأمّا شبيب فأفلت، وأُخذ ابن ملجم فأُدخل على عليّ فقال: أطيبوا طعامه وألِينوا فراشه، فإنْ أعِشْ فأنا وليّ دمي عفو أو

---

(١) في لسان العرب يقال: سَنَيْت الباب وسَنَوْته إذا فتحته، وأيضًا فيه: سَنَّيْت الشيءَ والأمر إذا فتحتَ وجهه، وأيضًا فيه: يقال: سَنَيْتُ الشيءَ إذا فتحته وسَهَّلْته وتسنّى لي كذا، أي تيَسَّرَ وَتَأتّى وتَسَنّى الشيء علاه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قصاص، وإن أمُتْ فألحقوه بي أخاصمه عند ربّ العالمين، فقالت أُمّ كلثوم بنت عليّ: يا عدوّ الله أقتلت أمير المؤمنين؟ قال: ما قتلت إلّا أباكِ، قالت: والله إني لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس، قال: فلِمَ تبكين إذًا؟ ثم قال: والله لقد سممته شهرًا ـ يعني سيفه ـ فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه. وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس الأشعث صبيحة ضُرِب عليّ، فقال: أي بني، انظر كيف أصبح أمير المؤمنين. فذهب فنظر إليه ثم رجع، فقال: رأيت عينيه داخلتين في رأسه، فقال الأشعث: عيني دميغ وربّ الكعبة، قال: ومكث عليّ يوم الجمعة والسبت وبقي ليلة الأحد لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة أربعين، وتوفي رضوان الله عليه، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، قالوا: وكان عبد الرحمٰن بن ملجم في السجن، فلمّا مات عليّ ودُفِن بعث الحسن بن عليّ إلى ابن ملجم فأخرجه من السجن ليقتله، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار، وقالوا: نحرقه، فقال عبد الله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد ابن الحنفيّة: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه، فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلّم، فكحل عينيه بمسمار محمّى، فلم يجزع وجعل يقول: إنك لتكحل عينيّ عمك بمملول وممض، وجعل يقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلق: الآية ١] حتى أتى على آخر السورة، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعُولج عن لسانه ليقطعه فجزع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك وسمَلْنا عينيك يا عدوّ الله فلم تجزع، فلمّا صرنا إلى لسانك جزعت، قال: ما ذاك من جزع إلّا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقًا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه ثمّ جعلوه في قوصرة فأحرقوه بالنار، والعباس بن عليّ يومئذ صغير، فلم يستأن به بلوغه، وكان ابن ملجم أسمر أبلج في جبهته أثر السجود.

أنبأنا عمر بن محمد بن طبرزد، أنبأنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو بكر بن الطبري، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا أبو علي بن صفوان، حدّثنا ابن أبي الدنيا، حدّثني هارون بن أبي يحيىٰ عن شيخ من قريش أنّ عليًا لمّا ضربه ابن ملجم قال: فُزْت وربّ الكعبة.

....

أنبأنا عبد الوهاب بن أبي منصور بن سكينة، أنبأنا أبو الفتح أحمد بن عبد الباقي بن سلمان، أنبأنا أحمد بن الحسين بن خيرون وأحمد بن الحسن الباقلاني كلاهما إجازةً، قالا: أنبأنا أبو عليّ بن شاذان، قال: قُرِىء على أبي محمّد الحسن بن محمد بن يحيىٰ العلويّ، حدّثني جدّي، حدّثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ، حدّثني إسمٰعيل بن أبان الأزدي، حدّثني فضيل بن الزبير، عن عمرو ذي مرّ قال لمّا أُصيب عليّ بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أرِني ضربتك، قال: فحلّها، فقلت: خدش وليس بشيء، قال: إني مفارقكم، فبكَتْ أُمّ كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لَمَا بكيت، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود والنبيّون، وهذا محمّد ﷺ يقول: يا عليّ البشر، فما تصير إليه خير مما أنت فيه، هذه أُمّ كلثوم هي ابنة علي زوج عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، البرك: بضمّ الموحدة وفتح الراء، وبجرة بفتح الباء والجيم، قاله ابن ماكولا، والذي ضبطه أبو عمر بضمّ الباء وسكون الجيم.

أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الخطيب، أنبأنا أبو سعد المطرز وأبو علي الحدّاد إجازةً، قالا: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حدّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدّثنا محمد بن عبد الله بن أحمد، حدّثنا محمد بن بشر أخي خطاب، حدّثنا عمر بن زُرارة الحدثي، حدّثنا الفياض بن محمد الرقيّ، حدّثنا عمرو بن عبس الأنصاري، عن أبي محتف، عن عبد الرحمٰن بن حبيب بن عبد الله، عن أبيه قال: لمّا فرغ عليّ من وصيّته قال: أقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلم إلّا بلا إلٰه إلّا الله حتى قبضه الله رحمة الله ورضوانه عليه، وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلّى عليه الحسن ابنه وكبّر عليه أربعًا، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، ودُفِن في السَّحر، قيل: إنّ عليًا كان عنده مسك فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به، واختلفوا في عمره، فقال محمد ابن الحنفية: سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى وثمانين هذه لي خمس وستّون سنة، وقد جاوزت سنّ أبي، قال: وكان سنّه يوم قُتل ثلاثًا وستّين سنة. قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا، وقال أبو بكر الرقيّ: توفي

....

علىّ وهو ابن سبع وخمسين سنة، وقيل: توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكانت خلافته خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وستّة أيّام، وقيل: ثلاثة أيام، قال محمد بن عليّ الباقر: كان عليّ آدم مقبل العَيْنين عظيمها ذا بطن أصلع ربعة لا يخضب، وقال أبو إسحٰق السبيعي: رأيته أبيض الرأس واللِّحية، وكان ربما خضب لحيته، وقال أبو رجاء العطاردي: رأيت عليًا ربعة ضخم البطن كبير اللِّحية قد ملأت صدره أصلع شديد الصلع. وقال محمد بن سعد عن أبي نعيم الفضل بن دُكين عن رزام بن سعد الضبي، قال: سمعت أبي ينعت عليًا قال: كان رجلًا فوق الربعة، ضخم المنكبين، طويل اللِّحية، وإن شئت قلت: إذا نظرت إليه قلت آدم، إن تبيَّنته من قريب قلت: أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم. وقال محمد بن سعد: حدّثنا عفان بن مسلم، حدّثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن قدامة بن عتاب قال: كان عليّ ضخم البطن، ضخم مشاش المنكب، ضخم عضلة الذّراع، دقيق مستدقّها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقّها، قال: ورأيته يخطب في يوم من الشتاء عليه قميص وإزار قطريان معتم بشيء مما ينسج في سوادكم. وقال ابن أبي الدنيا: حدّثني أبو هريرة، حدّثنا عبد الله بن داود، حدّثنا مدرك أبو الحجاج قال: رأيت عليًا يخطب، وكان من أحسن الناس وجهًا، وقيل: كان كأنما كُسِر ثم جُبِر، لا يغيّر شَيبه، خفيف المشي، ضحوك السنّ، وبالجملة فمناقبه عظيمة كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر منها ومَنْ يريد أكثر من هذا، فقد جمعنا مناقبه في كتاب جامع لها، والحمد لله ربّ العالمين ورثاه الناس فأكثروا، فمِنْ ذلك ما قاله أبو الأسود الدُّؤلي وبعضهم يرويها لأُمّ الهيثم بنت العريان النخعيّة:

ألا يا عين وَيْحك أسْعِدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
تبكي أُمّ كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي الشهر الحرام فَجعْتُمونا ... بخير الناس طرًّا أجمعينا
قتلتم خير مَنْ ركب المطايا ... فذلّلها ومَنْ ركب السَّفينا
ومَنْ لَبِس النِّعال ومَنْ حذاها ... ومَنْ قرأ المَثاني والمبينا

....

وكـلّ مـنـاقـب الـخـيـرات فـيـه | وحـبّ رسـول ربّ الـعـالـمـيـنـا
لقد علمت قريشًا حيث كانوا | بـأنـك خـيـرهـا حَسَبًا ودينـا
إذا استقبلت وجه إلى حسينٍ | رأيـت الـبـدر راقَ الـنـاظـريـنـا
وكـنّـا قـبـل مـقـتـله بـخـيـرٍ | نـرى مـولـى رسـول الـله فـيـنـا
يُـقـيـم الـحـقّ لا يَـرْتـاب فـيـه | ويَـعْـدِل فـي الـعِـدَا والأقـربـيـنـا
ولـيـس بـكـاتـم عـلـمًـا لـديـه | ولـم يـخـلق مـن الـمـتـجـبّـريـنـا
كـان الـنـاس إذْ فـقـدوا عـلـيًّـا | نـعـام حـار فـي بـلـدٍ سـنـيـنـا
فلا تـشـمـت مـعـاويـة بـن حـربٍ | فـإن بـقـيّـة الـخـلـفـاء فـيـنـا

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فيه أيضًا:

ما كنتُ أحْسَب أنّ الأمرَ منصرف | عن هاشمٍ ثم منها عن أبي حسن
الـبـرّ أوّل مَـنْ صـلّى الـقـبـلة | وأعلم النّاس بالقرآن والسنن
وآخر الـنـاس عـهـدٌ بـالـنـبـيّ ومَنْ | جبريل عونٌ له في الغسل والكفن
مَنْ فـيـه مـا فـيـه لا تـمـتـرون بـه | وليس في القوم ما فيه من الحسن

وقال إسمٰعيل بن محمد الحميري:

سائل قريشًا به إن كنت زاعمه | مَنْ كان أثبتها في الدِّين أوتادا
من كان أقدم إسلامًا وأكثرها | عـلـمًـا وأطـهـرهـا أهـلًا وأولادا
مَنْ وحّد الله إذ كانت مكذّبة | تـدعـو مـن الله أوثـانًـا وأنـدادا
مَنْ كان يُقدم في الهيجاء إن نكلوا | عنها وإن يبخلوا في أزِمّة جادا
مَنْ كان أعدلها حكمًا وأبسطها | كـفًّـا وأصـدقـهـا وعـدًا وإيـعـادا
إن يصدقوك فلن يعدو أبا حسن | إن أنت لم تلق للأبرار أحسادا
إن أنت لم تلق أقواماً ذو صلف | وذا عـنـاد لـحـقّ الله جـحّـادا

ومدائحه ومراثيه كثيرة رضي الله تعالى عنه، فلنقتصر على هذه ففيه كفاية، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

إني لأرجو أن أكون أنا **(وعثمان وطلحة والزبير)** منهم.

روى عليّ رضي الله تعالى عنه خمسمائة حديث وستّة وثمانين حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر. اهـ.

قوله: (وعثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأُمويّ، يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف، يُكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو، وقيل: كان يُكنى أوّلًا بابنه عبد الله وأُمّه رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ثم كُنّي بابنه عمرو وأُمّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فهو ابن عمّة عبد الله بن عامر، وأُمّ أروى البيضاء بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ، وهو ذو النورَيْن وأمير المؤمنين. أسلم في أوّل الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام.

أخبرنا أبو جعفر بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحٰق قال: فلمّا أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه عاد إلى الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجلًا مؤلفًا لقومه محبّبًا سهلًا، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعِلْمه وتجاربه وحُسْن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثَق به مِنْ قومه ممّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان. وطلحة بن عبيد الله، وذكر غيرهم، فانطلقوا ومعهم أبو بكر حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحقّ الإسلام، فآمنوا فأصبحوا مقرّين بحقّ الإسلام، فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلّوا وصدقوا، ولمّا أسلم عثمان زوّجه رسول الله ﷺ بابنته رقيّة، وهاجرا كلاهما إلى أرض الحبشة الهجرتين، ثم عاد إلى مكّة وهاجر إلى المدينة، ولمّا قَدِم إليها نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت، ولهذا كان حسّان يحبّ عثمان ويبكيه بعد قتله، قاله ابن إسحٰق. وتزوّج بعد رقيّة أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ، فلمّا توفيت قال رسول الله ﷺ: «لو إنْ لنا ثالثة لزوّجناك».

....

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، قال: أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، حدّثنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسحٰق المفسّر المقرىء، حدّثنا محمد بن إبراهيم بن مردويه، حدّثنا علي بن أحمد بن بسطام، أخبرنا سهل بن عثمان، حدّثنا النضر بن منصور العنزي، حدّثنا أبو المحبوب عقبة بن علقمة، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنّ لي أربعين بنتًا زوّجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهنّ واحدة»، ووُلِد لعثمان ولد من رقيّة اسمه عبد الله، فبلغ ستّ سنين وتوفي سنة أربع من الهجرة، ولم يشهد عثمان بدرًا بنفسه؛ لأن زوجته رقيّة بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة على الموت، فأمره رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأقام وتوفيت يوم ورد الخبر بظفر النبيّ ﷺ والمسلمين بالمشركين، لكن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه وأجره، فهو كمن شهدها، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة.

أخبرنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أبي نصر، قال: أخبرنا نصر بن أحمد أبو الخطاب إجازةً إنْ لم يكن سماعًا، أخبرنا أحمد بن طلحة بن هارون، أخبرنا أحمد بن سليمان، حدّثنا يحيىٰ بن جعفر، حدّثنا عليّ بن عاصم، حدّثني عثمان بن غياث، حدّثني أبو عثمان النَّهْدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حديقة بني فلان والباب علينا مغلق إذ استفتح رجل، فقال النبيّ ﷺ: «يا عبد الله بن قيس، فافتح له الباب وبشّره بالجنّة»، فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بأبي بكر الصدّيق فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ودخل فسلّم وقعد، ثم أغلقت الباب، فجعل النبيّ ﷺ ينكت بعودٍ في الأرض فاستفتح آخر، فقال: «يا عبد الله بن قيس، قم فافتح الباب وبشّره بالجنّة»، فقمت ففتحت فإذا أنا بعمر بن الخطاب، فأخبرته بما قال النبيّ ﷺ. فحمد الله ودخل فسلّم وقعد وأغلقت الباب، فجعل النبيّ ﷺ ينكت بذلك العود في الأرض إذ استفتح الثالث الباب، فقال النبيّ ﷺ: «يا عبد الله بن قيس قم فافتح الباب له وبشّره بالجنّة على بلوى تكون»، فقمت ففتحت الباب فإذا أنا

....

بعثمان بن عفان، فأخبرته بما قال النبيّ ﷺ، فقال: الله المُستعان وعليه التّكلان. ثم دخل فسلَّم وقعد.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن صفوان. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أحمد بن السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبيد الله بن طوق، أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حيان، حدّثنا محمد بن عبد الله بن عمّار، حدّثنا المعافى بن عمران، عن سعيد بن الحجّاج، عن الحرّ بن الصياح، قال: سمعت عبيد الله بن الأخنس قال: قَدِم سعيد بن زيد هو ابن عمرو بن نفيل، فقال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزُّبير في الجنّة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّة، وسعد في الجنّة» والآخر لو شئت سمّيته ثم سمّى نفسه، قال: وحدّثنا المعافى بن عمران، حدّثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبي طالب، عن سعيد بن زيد أنّ رجلًا قال له: أحببت عليًا حبًا لم أحبّه شيئًا قطّ، قال: أحسنت أحببت رجلًا من أهل الجنّة، قال: وأبغضت عثمان بغضًا لم أبغضه شيئًا قطّ، قال: أسأت، أبغضت رجلًا من أهل الجنّة، ثم أنشأ يحدث، قال: بينما رسول الله ﷺ على حِراء ومعه أبو بكر وعُمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير، قال: «اثبت حِراء ما عليك إلّا نبيّ أو صدّيق أو شهيد».

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي عليّ، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد، حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدّثنا بشر بن موسى، حدّثنا سعيد بن منصور، حدّثنا أبو الأحوص، عن إبراهيم الأسدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا عثمان ما قدَّمت وما أخّرت وما أسْرَرْت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة».

....

أخبرنا أبو الفرج يحيىٰ بن محمود الثقفيّ، أخبرنا الحسن بن أحمد وأنا حاضر أسمع، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو بكر بن الخلاد، حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة (ح) قال أبو نعيم: وحدّثنا عبد الله بن الحسن بن بندار، حدّثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قالا: حدّثنا روح بن عبادة، حدثنا سعيد بن قتادة عن أنس، قال: صعد النبيّ ﷺ أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل فقال: «اثبت نبيّ وصدّيق وشهيدان».

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمّد بن هبة الله الشافعي الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل القيسي، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصيّ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم، حدّثنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة الأطرابلسي، حدّثنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان البنّا بصنعاء، حدّثنا إبراهيم بن أحمد اليمامي، حدّثنا يزيد بن أبي حكيم، حدّثنا سفيان الثوري، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، قال: نزلت في عَشْرة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن عليّ بن أبي القاسم الحسين بن الحسن الأسديّ، أخبرنا جدّي أبو القاسم قال: قرأت على أبي القاسم عليّ بن محمد المصيصيّ، أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن موسى بن عبد الله الغسّاني، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة، حدّثنا هلال بن العلاء، حدّثنا أبي وعبد الله بن جعفر قالا: حدّثنا عبد الله بن عمر، عن زيد بن أبي أنيسة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: حدّثنا أبو سهلة مولى عثمان قال: قلت لعثمان يوم الدار: قاتِل يا أمير المؤمنين، وقال عبد الله: قاتِل يا أمير المؤمنين، قال: لا والله لا أُقاتل، وعدني رسول الله ﷺ أمرًا فأنا صائرٌ إليه. قال: وحدّثنا هلال، حدّثنا أبي، حدّثنا إسحٰق الأزرق، حدّثنا أبو سفيان، عن الضحّاك بن مزاحم، عن النزّال بن سبرة الهلالي، قال: قلنا لعليّ:

....

يا أمير المؤمنين فحدّثنا عن عثمان بن عفان، فقال: ذاك امرؤٌ يُدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضمن له بيتًا في الجنّة.

أخبرنا إسماعيل بن عبيد وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، قال: حدّثنا أبو هشام الرّفاعي، حدّثنا يحيىٰ بن اليمان، عن شيخ من بني زُهرة، عن الحارث بن عبد الرحمٰن بن أبي ذباب، عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيّ رفيق، ورفيقي ـ يعني في الجنّة ـ عثمان». قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا أبو زرعة، حدّثنا الحسن بن بِشْر، حدّثنا الحَكَم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لمّا أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكّة، قال: فبايع الناس، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنّ عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله»، فضرب بإحدى يديه على أخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم.

قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا عبد الوهاب الثقفي، حدّثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني أن خُطباء قامت في الشام فيهم رجال من أصحاب النبيّ ﷺ، فقام آخرهم رجل يقال له مرّة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت ذَكَر الفتن فقربها، فمرّ رجل مقنّع في ثوب، فقال: «هذ يومئذٍ على الهدى»، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم. ورُوِي نحو هذا عن ابن عمر، قال: وحدّثنا محمد بن عيسى، حدّثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي، حدّثنا العلاء بن عبد الرحمٰن العطار، حدّثنا الحارث بن عمير، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كنذا نقول ورسول الله ﷺ حيّ وأبو بكر وعمر وعثمان، فقيل في التفضيل، وقيل في الخلافة.

أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثني أبو قطن، حدّثنا يونس، عن ابن أبي إسحٰق، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور، فقال: أنشد بالله مَنْ

....

سمع رسول الله ﷺ يوم حِراء إذ اهتزّ الجبل فركله[١] برجله ثم قال: «اسكن حِراء، ليس عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد» وأنا معه، فانتشد له رجال، ثم قال: أنشد بالله مَنْ شَهِد رسول الله ﷺ يوم بَيْعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكّة، قال: «هذه يدي وهذه يد عثمان»، فبايع لي، فانتشد له رجال قال: أنشد بالله مَنْ شهد رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يوسع لنا هذا البيت في المسجد ببيت له في الجنّة»، فابتعته من مالي، فوسعت به في المسجد، فانتشد له رجال ثم قال: وأنشد بالله مَنِ شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «مَنْ ينفق اليوم نفقة متقبّلة»، فجهّزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال، قال: وأنشد بالله مَنْ شهد رومة يباع ماؤها من ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل؟ فانتشد له رجال. قال: وحدّثنا عبد الله، حدّثنا أُبيّ، حدّثنا عبد الصمد، حدّثنا القاسم، يعني ابن الفضل، حدّثنا عمرو بن مرّة، عن سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمّار بن ياسر، فقال: إني سائلكم وإني أحبّ أن تصدقوني، نشدتكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان يُؤْثر قريشًا على سائر الناس، ويُؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أُميّة حتى يدخلوا من عند آخرهم، فبعث إلى طلحة والزبير، فقال عثمان: ألا أُحدّثكم عنه ـ يعني عمّارًا ـ أقبلت مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي نتمشّى في البطحاء حتى أتى على أبيه وأُمّه يعذّبون، فقال أبو عمّار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟ فقال له النبيّ ﷺ: «اصبر»، ثمّ قال: «اللّهمّ اغفر لآل ياسر، وقد فعلتَ». قال: وحدّثنا أبي، حدّثنا حجّاج، حدّثنا ليث، حدّثني عقيل، عن ابن شهاب، عن يحيىٰ بن سعيد بن العاص أنّ سعيد بن العاص أخبره أنّ عائشة زوج النبيّ ﷺ وعثمان حدّثاه أن أبا بكر استأذن على النبيّ ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة، فأذن له وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، قالت عائشة: يا رسول الله لم أرك

(١) أي رفسه، ١٢. أي ركضه برجله، ١٢.

....

فزعت لأبي بكر ولا عمر كما فزعت لعثمان، قال رسول الله ﷺ: «إنّ عثمان رجلٌ حيي، وإني خشيت إن أذنت على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ حاجته». وقال اللّيث: قال جماعة الناس: ألا أستحي، ممّن تستحي منه الملائكة.

خـلافته:

أخبرنا مسمار بن عمر بن العويس وأبو الفرج محمد بن عبد الرحمٰن الواسطي وغير واحد قالوا بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر قبل أن يُصاب بأيّام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف فقال: كيف فعلتما؟ أتخافا أن تكونا حمّلتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حمّلناها أمرًا هي له مطيقة، وذكر قصة قتل عمر رضي الله تعالى عنه، قال: فقالوا له: أوْصِ يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النّفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمٰن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعد فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيّكم ما أُمّرَ فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوّلين أن يُعرف لهم حقّهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يُقبل مِنْ مُحسنهم، وأن يُغضى عن مُسيئهم، وأُوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم ردء الإسلام وجباة[1] المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأُوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادّة الإسلام، وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويردّ على فقرائهم. وأُوصيه بذمّة الله وذمّة رسوله، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِنْ ورائهم ولا يكلّفوا إلا طاقتهم؛ فلمّا قُبِض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلّم عبد الله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب، فقال ـ يعني عائشة ـ: أدخلوه، فأُدخل، فوُضِع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا

(١) في المصباح: جبيت المال والخراج أجبيته جِباية: جمعته، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليّ، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمٰن، فقال عبد الرحمٰن: أيّكما يبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فقال: بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمّرتك لتعدلنّ ولئن أمّرت عثمان لتسمعنّ ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلمّا أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له عليّ وولج أهل الدار فبايعوه، وبُويع عثمان بالخلافة يوم السبت غرّة المحرَّم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاثة أيّام، قاله أبو عمر.

قُتِل عثمان رضي الله تعالى عنه بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، قاله نافع. وقال أبو عثمان النّهدي: قُتل في وسط أيام التشريق. وقال ابن إسحٰق: قُتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا واثنتين وعشرين يومًا من مقتل عمر بن الخطاب، وعلى رأس خمس وعشرين من متوفّى رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: قُتل يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلت من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين. وقد قيل إنه قُتل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجّة. وقال الواقدي: حصروه تسعة وأربعين يومًا، وقال الزبير: حصروه شهرين وعشرين يومًا.

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، حدّثنا إسحٰق بن عيسى الطبّاع، عن أبي معشر، قال: وقُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، وقيل: كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا وأربعة عشر يومًا، قال: وحدّثنا عبد الله، حدّثني أبي، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا يونس، عن أبي اليعفور العبدي، عن أبيه، عن أبي سعيد مولى عثمان بن عفان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا ـ يعني وهو محصور ـ ودعا بسراويل فشدّها عليه

....

ولم يلبسها في جاهليّة ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وقالوا لي: اصبر، فإنك تقطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقُتل وهو بين يديه.

أخبرنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى، قال: حدّثنا محمود بن غيلان، حدّثنا حجير بن المثنّى، حدّثنا اللّيث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن النّعمان بن بشير، عن عائشة أنّ النبيّ ﷺ قال: «يا عثمان، إنّه لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم».

وأخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي عليّ، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا أبو مسعود سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، أخبرنا أبو علي بن شاذان، حدّثنا عبد الله بن إسحٰق، حدَّثنا محمد بن غالب، حدّثنا الفضل بن جُبير الورّاق، حدّثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال لعثمان: «تُقتل وأنت مظلوم وتقطر قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله»، قال: فإنها إلى الساعة لفي المصحف، ولما حُصِر عثمان وطال حصره والذين حصروه هم من أهل مصر والبصرة والكوفة ومعهم بعض أهل المدينة أرادوه على أن ينزع نفسه من الخلافة فلم يفعل، وخافوا أن تأتيه الجيوش من الشام والبصرة وغيرهما، ويأتي الحجّاج فيهلكوا فتسوّروا عليه فقتلوه رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وقد ذكرنا كيفيّة قتله وخلافته وجميع فتوحه وأحواله وما نقموا عليه حتى حصروه ومَن الذي حرّض الناس على الخروج عليه في كتاب الكامل في التاريخ، فلا نرى أن نطول بذكره هٰهنا، ولمّا قُتل دُفِن ليلًا وصلّى عليه جبير بن مطعم، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: المسور بن مخرمة، وقيل: لم يصلّ عليه أحد مُنِعوا من ذلك، ودُفِن في حُشّ[1] كوكب بالبقيع، وكان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع وحضره عبد الله بن الزبير وامرأتاه أُمّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ونائلة بنت الفرافصة الكلبية،

(١) وحُشّ كَوْكَبِ موضع من المدينة المنوّرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

فلمّا دلوه في القبر صاحت ابنته عائشة، فقال لها ابن الزبير: اسكتي وإلا قتلتك، فلمّا دفنوه قال لها: صيحي الآن ما بدا لك أن تصيحي.

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدّثني عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جرير، عن جرير، عن أُمّ موسى قالت: كان عثمان من أجمل الناس، وقيل: كان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، رقيق البشرة، كبير اللّحية، أسمر اللّون، كثير الشعر، ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كان يصفّر لحيته ويشدّ أسنانه بالذهب، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ستّ وثمانون سنة، قاله قتادة. وقيل: كان عمره تسعين سنة، ورثاه كثير من الشعراء، قال حسان بن ثابت:

مَنْ سرّه الموت صرفاه لا مزاج له فليأتِ مأدبة في دار عثمانا
ضحّوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا
صبرًا فدى لكم أُمي وما وَلدت قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
لتسمعنّ وشيكًا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

وزاد فيها بعض أهل الشام أبياتًا لا حاجة إلى ذكرها، ومنها:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين عليّ وابن عفّانا

وإنما زادوا فيها تحريضًا لأهل الشام على قتال عليّ ليقوى ظنّهم أنه هو قتله، وقال حسّان أيضًا:

إن تمس دار بني عفان مُوحشةً باب صريع وباب محرق خَرِبِ
فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الجود والحسب

وقال القاسم بن أُميّة بن أبي الصّلت:

لعمري لبئس الذبح ضحيتم به خلاف رسول الله يوم الأضاحيا

ورثاه غيرهما من الشعراء، فلا نطول بذكره، أخرجه الثلاثة. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

....

رُوِيَ لعثمان رضي الله تعالى عنه مائة حديث وستّة وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة.

قوله: (وطلحة) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كِنانة، أبو محمد القرشيّ التيميّ، وأُمّه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرميّة، يُعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض، وهو من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، دعاه أبو بكر الصدّيق إلى الإسلام، فأخذه ودخل به على رسول الله ﷺ، فلمّا أسلم هو وأبو بكر أخذهما نوفل بن خُوَيْلد بن العدويّة فشدّهما في حبلٍ واحد ولم يمنعهما بنو تَيْم، وكان نوفل أشدّ قريش، فلذلك كان أبو بكر وطلحة يسمّيان القرينان. وقيل: إنّ الذي قرنهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة، فشدّهما ليمنعهما عن الصلاة وعن دينهما، فلم يُجيباه فلم يرعهما إلّا وهما مطلقان يصلّيان، ولمّا أسلم طلحة والزبير آخى رسول الله ﷺ بينهما بمكّة قبل الهجرة، فلمّا هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدرًا؛ لأنه كان في الشام، فقَدِم بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر، فكلّم رسول الله ﷺ في سهمه، فقال: «لك سهم»، قال: وأجري؟ قال: «وأجرك»، فقيل: كان في الشام تاجرًا، وقيل: بل أرسله رسول الله ﷺ ومعه سعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسّسان الأخبار ثم رجعا إلى المدينة، وهذا أصحّ؛ ولولا ذلك لم يطلب سهمه وأجره، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أُحد بلاءً عظيمًا، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه واتّقى عنه النّبْل بيده حتى شُلّت أصبعه وضرب ضربة على رأسه وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى صعد الصخرة.

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء الأصبهاني إجازةً بإسناده إلى أبي بكر بن أبي عاصم، حدّثنا الحسن بن عليّ، حدّثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، أخبرني أبي، عن جدّي، عن موسى بن طلحة، عن

....

أبيه طلحة، قال: سمّاني رسول الله ﷺ يوم أُحد طلحة الخير، ويوم العَسرة طلحة الفياض، ويوم حُنين طلحة الجود.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران الشافعي وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى قال أبو سعيد الأشج: حدّثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحٰق، عن يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أُحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبيّ ﷺ حتى استوى على الصخرة، قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوجب طلحة»، قال: وحدّثنا أبو سعيد الأشجّ، حدّثنا أبو عبد الرحمٰن بن منصور العنزي اسمه النّضر، عن عقبة بن علقمة اليشكري، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: سَمِعَت أذني رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنّة».

أخبرنا أبو بكر ممشاد بن عمر بن العويس البنّاء، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي غالب الطلابة، أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أخبرنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدّثنا داود بن رشيد، حدّثنا مكّيّ بن إبراهيم، حدّثنا الصّلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله».

أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الطبري بإسناده عن أبي يعلى، عن أبي كُرَيْب، حدّثنا يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيىٰ، عن موسى وعيسى ابني طلحة، عن أبيهما أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابيّ جاء يسأله عمّن قضى نحبه مَنْ هو؟ قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطّلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «أين السّائل عمّن قضى نحبه»؟ قال الأعرابيّ: أنا يا رسول الله، قال: «هذا مَنْ قضى نحبه». وقُتِل طلحة يوم الجمل، وكان شهد ذلك اليوم محاربًا لعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، فزعم

....

بعض أهل العلم أن عليًّا دعاه، فذكره أشياء من سوابقه على ما قال للزبير، فرجع عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرُمِيَ بسهم في رجله، وقيل: إنّ السَّهم أصاب ثغرة نحره، فمات. رماه مروان بن الحكم.

رَوى عبد الرحمٰن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن يحيىٰ بن سعيد، قال: قال طلحة يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعيّ لما شربت رضى بني جرم برغمي

اللّهمّ خذ لعثمان مني حتى يرضى، وإنما قال ذلك لأنّه كان شديدًا على عثمان رضي الله تعالى عنهما. وقال عليّ: لمّا بلغه مسير طلحة والزبير وعائشة منيت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأكثر الناس غنًى يعلى بن منبه، والله ما أنكروا عليّ شيئًا منكرًا ولا استأثرت بمال ولا مِلت بهوى، وإنهم يطلبون حقًّا تركوه، ودمًا سفكوه، ولقد ولّوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، وما تبعة عثمان إلا عندهم بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استبانوا فيّ حتى يعرفوا جوري من عدلي، وإني لراضٍ بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم، وإني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم فاقبلوه، فالتوبة مقبولة والحقّ أَوْلى ما انصرف إليه، وإن أَبَوْا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافيًا من باطل وناصرًا.

ورُوِيَ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة وعثمان والزُّبير ممّن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجر: الآية ٤٧].

وكان سبب قتل طلحة أنّ مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته، فجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت رجله، وإذا تركوه جرى، فقال: دعوه، فإنما هو سهمٌ أرسله الله تعالى، فمات منه. وقال مروان: لا أطلب بثأري بعد اليوم، والتفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيتك بعض قَتَلة أبيك. ودُفِن إلى جانب الكلا، وكانت وقعة الجمل لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين، وكان عمره ستّين سنة، وقيل: اثنتان وستّون سنة، وقيل: أربع وستّون سنة، وكان آدم حسن الوجه

....

كثير الشّعر ليس بالجعد القطط ولا السبط، وكان لا يغيّر شيبه، وقيل: كان أبيض يضرب إلى الحُمرة، مربوعًا إلى القصر أقرب، رحب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعًا، ضخم القدمين. قال الشعبي: لمّا قُتِل طلحة ورآه عليّ مقتولًا جعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيزٌ عليّ أبا محمد أن أراك مجندلًا تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري، وترحّم عليه، وقال: ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابه عليه، وسمع عليّ رجلًا ينشد:

فتى كان يُدْنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله رحمه الله. قال سفيان بن عُيَيْنة: كانت غلّة طلحة كل يوم ألفًا وافيًا. قال الواقدي: والوافي وزنه وزن الدينار هي وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغليّة.

وروى حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أبيه أنّ رجلًا رأى في منامه أن طلحة بن عبيد الله قال: حوّلوني عن قبري، فقد آذاني الماء، ثم رآه أيضًا حتى رآه ثلاث ليال، فأتى ابن عباس فأخبره فنظروا فإذا شقّه الذي يلي الأرض قد اخضرّ من نزّ الماء، فحوّلوه، فكأني أنظر إلى الكافور في عينيه لم يتغيّر إلا عقيصته، فإنها مالت عن موضعها، فاشتروا له دارًا من دور أبي بكر بعشرة آلاف درهم، فدفنوه فيها.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو الخطّاب بن نضر إجازةً إنْ لم يكن سماعًا، حدّثنا محمد بن أحمد بن رزق، حدّثنا مكرم بن أحمد القاضي، حدّثنا سعيد بن محمد أبو عثمان الأنجدابي، حدّثنا إبراهيم بن الفضل بن أبي سويد، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيّب أنّ رجلًا كان يقع في عليّ وطلحة والزبير، فجعل سعد بن مالك ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى فقام سعد فصلّى ركعتين ثمّ قال: اللّهمّ إنْ كان مسخطًا لك فيما يقول فأرني فيه آفة واجعله للناس آية، فخرج الرجل فإذا هو ببختيّ يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله، فأنا رأيت الناس

....

يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحٰق أُجيبت دعوتك، أخرجه الثلاثة[١]. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

رُوِيَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثًا، واتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة. اهـ.

قوله: (والزبير) بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ القرشيّ الأسديّ، يُكنى أبا عبد الله، أُمّه صفية بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمّة رسول الله ﷺ وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبيّ، وكانت أُمّه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطّلب، واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه عبد الله، فغلبت عليه وأسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، قاله هشام بن عروة. وقال عروة: أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة، رواه أبو الأسود عن عروة. وروى هشام بن عروة عن أبيه أنّ الزبير أسلم وهو ابن ستّ عشرة سنة، وقيل: أسلم وهو ابن ثماني سنين، وكان إسلامه بعد أبي بكر رضي الله تعالى عنه بيسير، كان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، لما آخى بين المهاجرين بمكّة، فلمّا قدم المدينة وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين سلمة بن وقش.

أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن أبي حبّة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي، أخبرنا زكرياء بن عدي، أخبرنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن مروان ولا إخاله يتّهم علينا قال: أصاب عثمان الرعاف سنة الرعاف حتى تخلّف عن الحجّ وأوصى فدخل عليه رجل من قريش، فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: مَنْ هو؟ قال: فسكت، ثم دخل عليه رجل آخر فقال مثل ما قال الأول وردَّ عليه نحو ذلك، قال: فقال عثمان: الزبير بن العوام؟ قال: نعم، قال: أمَا والذي نفسي بيده إنْ كان لأخيرهم ما علمت وأحبّهم إلى رسول الله ﷺ.

(١) أي: ب د ع، ١٢.

....

أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن عبيد الله وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، قال: حدّثنا هناد، أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قُرَيْظة، فقال: «بأبي وأمّي».

قال: وأخبرنا أبو عيسى، أخبرنا أحمد بن منيع، أخبرنا معاوية بن عمرو، وأخبرنا زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبيٍّ حواريًّا، وحواريّ الزبير بن العوام»، ورُوِي عن جابر نحوه، وقال أبو نعيم: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب لمّا قال: «مَنْ يأتينا بخبر القوم؟» قال الزبير: أنا، قالها ثلاثًا، والزبير يقول: أنا. قال: وأخبرنا أبو عيسى، أخبرنا قتيبة، أخبرنا حمّاد بن زيد، عن صخر بن جُويرية، عن هشام بن عروة، قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: ما مني عضو إلّا قد جُرِح مع رسول الله ﷺ، حتى انتهى ذلك إلى فرجه، وكان الزبير أوّل مَنْ سلَّ سيفًا في الله عزّ وجلّ، وكان سبب ذلك أنّ المسلمين لمّا كانوا مع النبيّ ﷺ بمكّة وقع الخبر أن النبيّ ﷺ قد أخذه الكفار، فأقبل الزبير يشقّ الناس بسيفه والنبيّ ﷺ بأعلى مكّة، فقال له: «ما لك يا زبير؟» قال: أُخبرتُ أنك أُخِذْت، فصلّى عليه النبيّ ﷺ ودعا له ولسيفه، وسمع ابن عمر رجلًا يقول: أنا ابن الحواري، قال: إن كنت ابن الزبير، وإلّا فلا. وشَهِد الزبير بدرًا، وكان عليه عمامة صفراء معتجرًا بها، فيقال: إنّ الملائكة نزلت يومئذ على سيما الزُّبير، وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ أُحدًا والخندق والحُديبية وخيبر والفتح وحُنَيْنًا والطائف، وشَهِد فتح مصر وجعله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في الستّة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة.

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقيّ، قال: أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسيّ، أخبرنا أبو القاسم

....

عليّ بن محمد بن عليّ المصيصيّ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أخبرنا أبو خيثمة بن سليمان بن حَيْدرة، أخبرنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، أخبرنا محمد بن الصباح، أخبرنا إسماعيل بن زكرياء، عن النضر أبي عمر الجزاز، عن عكرمة، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ لمّا انتفض حراء قال: «اسكن حراء، فما عليك إلا نبيّ وصدّيق وشهيد»، وكان عليه النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن وسعد وسعيد بن زيد.

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب بإسناده، عن عبد الله بن أحمد، حدّثني أبي، أخبرنا سفيان، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه قال: لمّا نزلت ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: الآية ٨]، قال الزبير: يا رسول الله، وأيّ النعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: «أمَا إنه سيكون»، قيل: كان للزبير ألف مملوك يؤدّون إليه الخراج، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا، كان يتصدّق بذلك كلّه، ومدحه حسان ففضّله على الجميع، فقال:

أقام على عهد النبيّ وهَدْيه ... حواريه والقول بالفعل يَعْدِلُ
أقامَ على منهاجه وطريقه ... يوالي وليّ الحقّ والحقّ أعدل
هو الفارس الشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجل
وإنّ امرءًا كانت صفيّة أُمّه ... ومن أسد في بيته لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجدٌ مؤثّل
فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويُجْزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها ... بأبيض سباق إلى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يذبل

وقال هشام بن عروة: أوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب النبيّ ﷺ، منهم: عثمان، وعبد الرحمٰن بن عوف، والمقداد، وابن مسعود وغيرهم، وكان يحفظ

....

على أولادهم مالهم ويُنفق عليهم من ماله، وشهد الزبير الجمل مقاتلًا لعليّ، فناداه عليّ ودعاه، فانفرد به وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فنظر إليّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: ليس بمزه، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم، فذكر الزبير ذلك، فانصرف عن القتال، فنزل بوادي السباع، وقام يصلّي، فأتاه ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى عليّ فقال: إنّ هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله ﷺ، ثم قال: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار، وكان قتله يوم الخميس لعشرٍ خلون من جمادى الأُولى من سنة ستّ وثلاثين، وقيل: إنّ ابن جرموز استأذن على عليّ فلم يأذن له، وقال للآذن: بشّره بالنار، فقال:

أتيت عليًّا برأس الزبير أرجو لديه به الزلفة
فبشّر بالنار إذ جئته فبِئْس البشارة والتحفة
وسيّان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذي الجحفة

وقيل: إن الزبير لما فارق الحرب وبلغ صفوان أتى إنسان إلى الأحنف بن قيس، فقال: هذا الزبير لقد لقي بصفوان، فقال الأحنف: ما شاء الله كان قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف، ثم يلحق بيته وأهله، فسمعه ابن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن غواة من تميم، فركبوا فأتاه ابن جرموز من خلفه فطعنه طعنة خفيفة وحمل عليه الزبير وهو على فرس له يقال له ذو الخمار، حتى إذا ظنّ أنه قاتله نادى صاحبه، فحملوا عليه فقتلوه، وكان عمره لمّا قُتِل سبعًا وستّين سنة، وقيل: ستًّا وستين سنة، وكان أسمر ربعة، معتدل اللّحم، خفيف اللِّحية، وكثير من الناس يقولون: إن ابن جرموز قتل نفسه لمّا قال عليّ: بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار، وليس كذلك، وإنما عاش بعد ذلك حتى وُلِّي مصعب بن الزبير البصرة، فاختفى ابن جرموز، فقال مصعب: ليخرج فهو آمن أيظنّ أني أقيّده بأبي عبد الله، يعني أباه الزبير، ليس سواء، فظهرت المعجزة بأنه من أهل النار لأنه قتل الزبير رضي الله تعالى عنه، وقد فارق المعركة وهذه معجزة ظاهرة، أخرجه الثلاثة. اهـ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (**حال مَن** «هم» **في** ﴿صُدُورِهِم﴾ **والعامل فيها معنى الإضافة**) ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ لما هو وسيلة إلى هذا الفوز العظيم وهو الإيمان (﴿وَمَا كُنَّا﴾) «ما كنا» بغير «واو»: (**شامي على أنها جملة موضحة**) للأولى ﴿لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (**اللام لتوكيد النفي**) أي وما كان يصح أن نكون

قوله: (حال مَن هم في ﴿صُدُورِهِم﴾) لما تقرّر من أن انتصاب الحال من المضاف إليه جائز إذا كان المضاف جزء من المضاف إليه. **قوله: (والعامل فيها معنى الإضافة)**، هكذا ذكره أبو البقاء. وفي إعراب السمين: لا كما ذكره أبو البقاء من أنّ العامل هو معنى الإضافة، بل العامل في الحال هو العامل في المضاف، وإنْ كانت الحال ليست منه؛ لأنهما لمّا كانا متضايفين وكانا مع ذلك شيئًا واحدًا ساغ ذلك. اهـ. وقال العلاّمة شيخ زاده: ويكون العامل في الحال هو العامل في المضاف، وجاز ذلك، وإنْ لم يكن الحال من هيئات المضاف بناءً على أن المضاف والمضاف إليه لمّا كانا بمنزلة شيء واحد صارت هيئة المضاف إليه كأنها من هيئات المضاف، قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وذلك أنّ أهل الجنّة لمّا انتهوا إلى باب الجنّة إذا هم بشجرة ينبع من أصل ساقها عينان، فيميلون إلى إحداهما فيشربون منها، فيخرج الله منهم ما كان في أجوافهم من غلّ وقذر فيطهّر أجوافهم بذلك، وهو الشراب الطهور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٢١]، ثم يميلون إلى العين الأخرى فيغتسلون منها، فيطيّب الله تعالى أجسامهم من كل دَرَن، وجرت عليهم النضرة؛ فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغيّر وجوههم ولا تشحب، أي لا تتغيّر أجسادهم، ثم يبشّرهم خَزَنة الجنّة قبل أن يدخلوها فيُنادونهم أنّ تلك الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون، فلما استقرّوا في منازلهم، قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] أي لدينه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]. اهـ.

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا﴾) بغير واو (**شامي**) أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بإثباتها. **قوله: (على أنها جملة موضحة)** أي جارية مجرى التفسير؛ لقوله: ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وكمال اتّصال إحدى الجملتين بالأخرى يمنع العطف. **قوله: (اللام لتوكيد النفي)** اختيار لمذهب الكوفيّين، فإنّهم ذهبوا في مثله إلى أنّ

مهتدين لولا هداية الله، وجواب «لولا» محذوف (**دلّ عليه ما قبله** ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) فكان لطفًا لنا وتنبيهًا على الاهتداء فاهدينا، يقولون ذلك سرورًا بما نالوا وإظهارًا لما اعتقدوا ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ «أن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة. والهاء ضمير الشأن، (**أو بمعنى**) أي كأنه قيل لهم تلكم الجنة ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ (**أعطيتموها**) وهو حال من ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ والعامل فيها ما في ﴿تِلْكُ﴾ من معنى الإشارة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سمّاها ميراثًا لأنها لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة. وقال

لام الجحود مع ما بعدها واقعة موقع خبر كان، ويزعمون أنّ الفعل المنصوب بعد اللام لا بإضمار أن بعد اللام، وأنّ اللام زائدة لتأكيد النفي، وعند البصريّين: خبر كان محذوف، ولام الجحود متعلّق بذلك الخبر المحذوف، وينتصب الفعل الواقع بعد اللام بإضمار أن، والتقدير: وما كنّا مريدين للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة، وتقدير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] وما كان الله مريدًا لإضاعة إيمانكم، أي أعمالكم، التي هي ثمرات إيمانكم. **قوله: (دلّ عليه ما قبله)** وهو ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٤٣]، والتقدير: ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.

قوله: (﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) جواب قسم مقدّر والباء في قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعرَاف: الآية ٤٣] يجوز أن تكون للتعدّية، وأن تكون للحال، أي جاؤوا ملتبسين بالحقّ. **قوله: (أو بمعنى)** أي لأن المناداة من القول.

قوله: (أعطيتموها) يعني أن الميراث مجاز عن الإعطاء، فإن قيل: هذه الآية تدلّ على أن العبد يدخل الجنّة بعمله، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: «لن يدخل أحدكم الجنّة بعمله، وإنما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله»، فما وجه التوفيق بينهما؟ فالجواب: أنّ العمل لا يوجب دخول الجنّة لذاته، وإنما يوجبه من حيث إنّ الله تعالى جعله بفضله علامة عليه ووعد بذلك في مقابلته، ولمّا كان الموفّق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنّة في الحقيقة ليس إلّا بفضل الله تعالى.

(الشيخ أبو منصور) رحمه الله: إن المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحًا عليه السلام وأهل الجنة والنار و(إبليس)، لأنه قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: الآية ٩٣] وقال (نوحًا) عليه السلام: (﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾) [هود: الآية ٣٤]، وقال أهل الجنة: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ وقال أهل النار: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] وقال (إبليس ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾).

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبيّ، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، وكذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن علي الحنفي ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة.

قوله: (نوحًا) اسم أعجمي، والمشهور صرفه، وقيل: يجوز صرفه وترك صرفه، قال الإمام الثعلبي في كتابه العرايس: هو نوح بن ملك بن متوشلح بن أَخْنُوخَ بن يَرْد بن مهلائيل بن قينان بن أَنُوش بن شيث بن آدم على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. أرسله الله تعالى في ولد قابيل ومَنْ تابعهم مِنْ ولد شيث، قال ابن عباس: وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صِباحًا وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحًا وفي رجالهنّ دمامًا، فكثرت الفاحشة في أولاد قابيل، وكانوا قد كثروا في طول الأزمان وأكثروا الفساد، فأرسل الله تعالى إليهم نوحًا على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز ويحذّرهم ويخوّفهم، فلم ينزجروا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ [نوح: الآيتان ٥،٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [النجم: الآية ٥٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات:

....

الآية ٤٦]، ولما طال دعاؤه لهم وإيذاؤهم له وتماديهم في غيِّهم سأل الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلّا مَنْ قد آمن، فلما أُخبر أنه لم يبقَ في الأصلاب ولا في الأرحام مؤمن دعا عليهم، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦] إلى آخرها، فأمره الله تعالى باتّخاذ السفينة، فقال: يا ربّ، وأين الخشب؟ فقال: اغرس الشجر، فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة، وكفّ عن الدعاء عليهم وأعقم الله أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد، فلمّا أدرك الشجر أمره الله تعالى بقطعه وتجفيفه وصنعه الفلك، وأعلمه كيف يصنعه وجعل بابه في جَنْبه، وكان طول السفينة ثمانين ذراعًا وعرضها خمسين وسَمْكها إلى السماء ثلاثين ذراعًا، والذراع إلى المنكب. وعن ابن عباس: أنّ طولها ستّمائة وستّون ذراعًا، وعرضها ثلاثمائة وثلاثون ذراعًا، وسمكها ثلاثة وثلاثون ذراعًا، وأمر الله تعالى أن يحمل فيها مِنْ كل زوجين اثنين من الحيوان وحشرها الله تعالى إليه من البرّ والبحر. قال مجاهد وغيره: كان التنّور الذي ابتدأ الفوران منه في الكوفة، ومنها ركب نوح السفينة. وقال مقاتل: هو بالشام بقرية يقال لها عَيْن الوَرْدة قريب من بعلبك. وعن ابن عباس: أنه بالهند، قالوا: وأوّل ما حمل في السفينة من الدواب الذرة، وآخره الحمار، وجعل السّباع والدواب في الطبقة السفلى، والوحوش في الطبقة الثانية، والذرّ والآدميّين في الطبعة العليا. قيل: كان الآدميُّون الذين في السفينة سبعة: نوح وبنوه سام وحام ويافث وأزواج بنيه، وقيل: ثمانية، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان وسبعون، وقيل: ثمانون من الرجال والنساء، حكاه ابن عباس. وعن ابن عباس: أنّ الماء ارتفع حين سارت السفينة على أطول جبل من الأرض خمسة عشر ذراعًا، قال: وطافت السفينة بأهلها الأرض كلّها في ستّة أشهر، ثم استقرّت على الجوديّ وهو جبل بأرض الموصل، وكان ركوبهم السفينة لعشرٍ خلون من رجب ونزلوا منها يوم عاشوراء من المحرم، وبنى هو ومَنْ معه في السفينة حين نزلوا البناء بتاقردى من أرض الجزيرة، ولمّا حضرته الوفاة وصّى إلى ابنه سام، وكان سام قد وُلِد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، ويقال: إنه كان بكره، وقيل: كان نوح أطول الأنبياء عمرًا، ولم ينقص له قوّة والناس بعده من ذرّيته، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصّافات: الآية ٧٧].

....

قوله: (إبليس) عدوّ الله، قال الجوهري وغيره: كنيته أبو مُرّة، واختلف العلماء في أنه من الملائكة مِنْ طائفة يقال لهم: الجنّ أم ليس من الملائكة، وفي أنه اسم عربيّ أم عجميّ، والصحيح أنه من الملائكة، وأنه عجميّ. قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أي آيس والمبلس المكتئب الحزين الآيِس، قال: وعلى هذا هو عربيّ مشتق، قالَ: وقال ابن الأنباريّ: لا يجوز أن يكون مشتقًّا من أبْلَس؛ لأنه لو كان مشتقًّا لصرف كما أن إسحٰق إذا كان عربيًّا مأخوذًا من أسحقه الله إسحٰقًا انصرف، فلو كان إبليس مشتقّ لصرف كإكليل وبابه، فلما لم يصرف دلّ على أنه عجميّ، والعجميّ ليس مشتقًّا.

وقال ابن جرير: إنما لم يُصرف، وإن كان عربيًّا لقلّة نظيره في كلام العرب فشبّهوه بالأعجميّ، وهذا الذي قاله ابن جرير يبطل بباب إفعيل، فإنه مصروف كلّه إلا إبليس، قال الواحديّ: والاختيار أنه ليس بمشتقّ لإجماع النحويّين على أنه مُنِع الصرف للعجمة والمعرفة، قال: واختلفوا في أنه من الملائكة، فرُوِيَ عن طاوس ومجاهد عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، وكان اسمه عزازيل، فلما عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا وسمّاه إبليس، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج وابن جرير، واختاره الزجاج وابن الأنباريّ، قالوا: وهو مستثنى من جنس المستثنى منه، قالوا: وقول الله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠] أي طائفة من الملائكة يقال لهم: الجنّ، وقال الحسن وعبد الرحمٰن بن زيد وشَهْر[1] بن حَوْشب: ما كان من الملائكة قطّ، والاستثناء منقطع والمعنى عندهم أنّ الملائكة وإبليس أُمروا بالسجود، فأطاعت الملائكة إلا إبليس الأمْرَ بالسجود، والصحيح أنه من الملائكة لأنه لم يُنقل أن غير الملائكة أُمِر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المُستثنى منه، والله أعلم. وأما إنظاره إلى يوم الدِّين؛ فزيادة في عقوبته وتكثير معاصيه وعواتبه نسأل الله الكريم اللّطف وخاتمة الخير.

---

(١) بفتح الشين وسكون هاء وراء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ «أن» مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا﴾ حال ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا﴾ وتقديره وعدكم ربكم فحذف «كم» لدلالة ﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ عليه. وإنما قالوا لهم ذلك **(شماتة)** بأصحاب النار واعترافًا بنِعَم الله تعالى ﴿قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ **(وبكسر العين)** حيث كان: **(عليّ)** ﴿فَأَذَّنَ

قــولــه: (﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾)، أي إغواءكم وجواب الشرط دلّ عليه ولا ينفعكم نصحي. اهـ جلالين. **قوله:** (﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾) أضللتني، أي فبسبب إغوائك إيّاي والباء يتعلّق بفعل القسم المحذوف، وتقديره: فبسبب إغوائك نقسم أو تكون الباء للقسم، أي فأقسم بإغوائك.

قوله: (شماتة) وهي الفرح ببلية العدوّ، فإنّ أصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين ويعيّرونهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٢٩] إلى قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٣٤] تشفيًا لقلوبهم وزيادة تعذيب للكفار. قيل: في وجه تيسر المناداة والمكالمة بين أهل الجنّة والنار أن الجنّة عالية وجهنّم سافلة متسفّلة، فيكون أهل الجنّة مشرفين على أهل النار مع أن بُعْد ما بين الجنّة لا يعلم مقداره إلّا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصّافات: الآية ٥٥]، فأمكن لهم تقريع أهل النار وتحسيرهم بقولهم: هل وجدتم ما وعد ربّكم من سعادة مَنْ أطاعه وعقوبة مَنْ عصاه، فإنّ كل واحد منهما كان يحزنهم أشدّ الحزن ويُوقعهم في الحسرة، فأطلق عليه الوعد؛ لأنه يستعمل في الخير والشرّ، مع أنّ بعضه هو الخير الجليل في حقّ المؤمنين. **قوله:** (وبكسر العين) حيث كان (عليّ) الكسائي، والباقون بالفتح وهما لغتان لما رُوِي أنّ عمر رضي الله تعالى عنه سأل قومًا على شيء، فقالوا: نعم بفتح العين، فقال: إنما النَّعم الإبل، قالوا: نعم بكسر العين والفتح لغة أهل الحجاز وعامّة العرب.

﴿مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ نادى منادٍ وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ («أنّ لعنة» مكيّ وشاميّ) وحمزة وعلي.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مفعول ثانٍ لـ «يبغون» أي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالدار الآخرة ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ (وَبَيْنَهُمَا)﴾ وبين الجنة والنار أو بين الفريقين ﴿حِجَابٌ﴾ وهو السور

قوله: (أنّ لعنة) بتشديد أن ونصب التاء، (مكّيّ) أي ابن كثير المكّي برواية البزيّ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذّن المكّي برواية البزيّ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذن المكّيّ يُكنى أبا الحسن ويُعرف بالبزيّ، توفي بمكّة بعد سنة أربعين ومائتين، واختلف عن قنبل، وهو محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرحة المكّي يُكنى أبا عمرو ويلقّب قنبلًا وتوفي بمكّة بعد سنة ثمانين ومائتين، وهو يروي القراءة عن ابن كثير المكّي، فروى عنه بإسكان النون مخفّفة ورفع لعنة وبتشديد النون ونصب لعنة، (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي وحمزة وعليّ الكسائيّ. والباقون بتخفيف النون ورفع التاء.

قوله: (﴿وَبَيْنَهُمَا﴾)... الخ. اختلف الناس في حقّية الأعراف، وهذه الآيات ناطقة بها، وهو المختار عندنا، ومعنى الآية: وبينهما، أي بين الجنّة والنار، أو بين أهلهما حجاب مضروب، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحديد: الآية ١٣]. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] أي أعراف الحجاب، يعني أعاليه رجال يعرفون كلّاً من أصحاب الجنّة والنار بسيماهم، أي بعلامة منهم مثل بياض الوجوه أو سوادها بالإلهام أو التعليم، وهؤلاء الرجال إمّا أعالي المسلمين أو أدانيهم.

وقال الإمام الزاهد: إن الأعراف تلّ من المسك الأبيض، وعليه رجال يشهدون في سبيل الله أو يموتون في طلب العلم من غير رضاء الوالدين فيُحبسون بشومة العقوق عن دخول الجنّة إلّا بعد مدّة. وقال ابن مسعود: هم قوم اسْتَوت

المذكور في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: الآية ١٣] ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ على

حسناتهم وسيّئاتهم، فلا يُسرعون إلى الجنّة والنار. وقال صاحب المدارك: رجالٌ من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولًا في الجنّة لاستواء حسناتهم وسيّئاتهم، أو مَنْ لم يَرْضَ عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين. وقال الخيالي أيضًا: إن أهلها قيل الذين ماتوا في زمان فترة من الرُّسل، أو أطفال المشركين، أو مَنِ اسْتوى حسناته مع سيّئاته. وقال القاضي: طائفة من الموحّدين قصَّروا في العمل، فيُحبسون بين الجنّة والنار، حتى يقضي الله فيهم ما يشاء. وقيل: قومٌ علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء وخيار المؤمنين وعلمائهم، أو الملائكة يُرَوْن في صورة الرجال. وفي الحسيني عن الشعبي: أنهم عبّاس وحمزة وعليّ وجعفر الطيَّار رضي الله تعالى عنهم، وعلى كل حال فهو حقّ بلا شبهة لا يَشُكّ فيها إلّا منافق، واعترف بها صاحب الكشاف أيضًا مع أنه من المعتزلة، غاية الأمر أنها ليست دار القرار والخلد. ثم قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦]، أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة بالتسليم والتحيّة، ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنّة مع طمعهم إيّاها أن كان أهلها مِنْ أصاغر أهل الجنّة، أو لم يدخل أصحاب الجنّة الجنّة الآن مع طمعهم أن كان المراد به أفاضلهم؛ فعلى الأوّل حال من الفاعل، أعني الواو. وعلى الثاني من المفعول، أعني الأصحاب على ما في البيضاوي، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] أي أبصار أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار، قالوا: نعوذ بالله ربّنا ﴿لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧]، وفيه إشارة إلى أن صارفًا يصرف أبصارهم بإذن الله لينظروا فيستعيذوا ويوبّخوا. وقال الإمام الزاهد: إنّ الملائكة يصرفون أبصارهم بإذن الله تعالى، وإنه دليلٌ على استجابة دعاء المؤمن يوم القيامة، فكيف لا يُستجاب في الدنيا. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨]، أعني الكَفَرة الذين يستحقرون في الدنيا فقراء المؤمنين، ويظنّون أنهم يدخلون الجنّة للأموال دون الفقراء المؤمنين، فقالوا لهم ما أغنى عنكم يا أيها الكفرة جمعكم، أي اجتماعكم وكثرتكم أو جمعكم المال، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨] عن الحقّ أو الخلق، أهؤلاء الفقراء المؤمنون الذين أقسمتم في الدنيا في شأنهم أنهم لا ينالهم

أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار (وهي) أعاليه جمع عرف، استعير من (**عُرف الفرس وعُرف الديك**) ﴿رِجَالٌ﴾ من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولًا في الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم، أو مَن لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من زمرة السعداء والأشقياء ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم. قيل: سيما المؤمنين بياض الوجوه (**ونضارتها**). وسيما الكافرين سواد الوجوه و(**زرقة العيون**) ﴿وَنَادَوْا﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أنه سلام أو أي سلام وهو تهنئة منهم لأهل الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف ولا محل له لأنه استئناف كأن سائلًا سأل أصحاب الأعراف فقيل: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها أوله محل وهو صفة لـ ﴿رِجَالٌ﴾.

الله برحمة، ثم التفتوا إلى الفقراء المؤمنين، فقالوا لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]، وهذا على أن يكون أهل الأعراف أراذلهم، وقيل؛ لما عيّر أصحاب الأعراف أهل النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنّة، فقال الله تعالى وبعض الملائكة لهم: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]، ادخلوا يا أهل الأعراف الجنّة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]؛ هذا كلّه ذُكِر في البيضاوي خاصّة. وفي الحسيني: أنّ فقراء المؤمنين بلال وصهيب وعمار وغيرهم، وأنّ الكفار المتكبّرين: أبو جهل وعاص بن وليد وغيرهم، هذا ما فيه.اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (وهي) أي الأعراف. **قوله:** (**عُرف الفرس وعُرف الدِّيك**) في المصباح: عُرف الدِّيك لحمة مستطيلة في أعلى رأسه يشبه به بَظْر الجارية، وعُرْف الدابّة الشعر النابت في محدّب رقبتها.اهـ. وأيضًا فيه الدّيك ذكر الدجاج، والجمع ديوك ودِيَكة، وزان عنبة.اهـ. وأيضًا فيه البظر لحمة بين شفري المرأة، وهي القلفة التي تقطع في الختان، والجمع بظور وأبظر مثل فلس وفلوس وأفلس، والجمع أشفار.اهـ. **قوله:** (**نضارتها**) في المصباح: نضر الوجه بالضمّ نضارة حسن، فهو نضير.اهـ. **قوله:** (**زرقة العيون**) في المصباح: الزّرقة من الألوان والذكر أزرق، والأنثى زرقاء، والجمع زرق مثل أحمر وحمراء وحمر، ويقال للماء الصافي أزرق، والفعل زرق من باب تعب.اهـ.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أبصار أصحاب الأعراف، وفيه أن صارفًا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ﴿تِلْقَآءَ﴾ ظرف أي ناحية ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ ورأوا ما هم فيه من العذاب ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فاستعاذوا بالله و(فزعوا إلى رحمته) أن لا يجعلهم معهم ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من رؤوس الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم واجتماعكم و«ما» نافية ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبر مبتدأ مضمر تقديره أهؤلاء هم الذين ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم في الدنيا، والمشار إليهم فقراء المؤمنين (كصهيب وسلمان الفارسي) ونحوهما ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ جواب ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ وهو داخل في صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم. فيقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ وذلك بعد أن نظروا إلى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

قوله: (فزعوا إلى رحمته) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع أي ملجأ. اهـ.

قوله: (كصهيب) بن سنان، أبو يحيىٰ الرومي، أصله من النَّمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة عليّ، وقيل غير ذلك. اهـ تقريب.

قوله: (وسلمان الفارسي) بكسر الراء وتسكن، الصحابي أوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف عن مشهد بعدها، وكان من فُضَلاء الصحابة وزهّادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتّفاق العلماء على أنّ

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أن مفسرة. وفيه دليل على أن الجنة فوق النار ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ **(من غيره)** من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، أو أريد: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة **(كقولك)**:

علفتها تبنًا وماءًا باردًا

سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وصيّ[1] عيسى ابن مريم. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. توفي بالمدائن في أوّل ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين.

قوله: (من غيره) من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، فإنّ الأصل في الإفاضة أن تُستعمل في الماء وما يجري مجراه من المائعات، فلمّا عطف ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠] على قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠] بكلمة أو كان المطلوب إفاضة أحد الأمرين اللذين يتعلق بهما فعل الإفاضة، فناسب أن يحمل ما رزقكم على المرزوق الكائن من جنس الأشربة، وإن حمل على ما هو من جنس الأطعمة يكون الكلام من قبيل ما حُذِف فيه المعطوف مع بقاء العاطف، ويكون التقدير: أفيضوا علينا شيئًا يسيرًا من الماء، وألقوا علينا شيئًا يسيرًا ممّا رزقكم الله من الطعام والفاكهة، ومثله كثير في كلام العرب. **قوله: (كقولك)** وفي نسخة صحيحة: كقوله:

علفتها تبنًا وماءً باردًا

أي علفتها تبنًا وأسقيتها ماءً باردًا، وضمير علفتها للدابّة، وتمامه:

حتى شتت هَمالةً عيناها

وشتت يُروى له بدله بدت، ومعناهما واحد، هكذا في الإسعاف. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: يقال: شتوت بموضع كذا إذا أقمت به في

---

(١) وفي الإصابة في معرفة الصحابة يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقيل: بل أدرك وصيّ عيسى، انتهى. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة قال أبو نعيم كان سلمان من المعمّرين، يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقرأ الكتابين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أي وسقيتها. وإنما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة لأن المتحيّر ينطق بما يفيد وبما لا يفيد ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هو تحريم منع كما في (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾) [القصص: الآية ١٢] وتقف هنا إن رفعت أو نصبت ما بعده ذمًّا، وإن جررته وصفًا للكافرين فلا.

د﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلّوا ما شاءوا أو دينهم: عيدهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ اغترّوا بطول البقاء ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم في العذاب ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (**أي كنسيانهم وجحودهم**).

الشتاء. اهـ. وهمالة من هملت العين إذا صبّت دمعها ونصبه على التمييز، والبيت من الرجز. قال العيني في شواهده الكبرى: هو مشهور بين العوامّ، ولم أرَ مَنْ عزاه وكذا رواه النحّاة قاطبةً وسائر المُحَشِّين، وكذا العلّامة الشيرازي والفاضل اليمني وأوردوا صدره في الذاريات عجزًا وأنشد صدرًا له غيره، هكذا:

لما حططت الرحل عنها واردًا علفتها تبنًا وماءً باردًا

قوله: (﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾) تحريم مَنْع لا تحريم شرع، أي منعناه أن يرضع ثديًا غير ثدي أُمّه، فكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمّهم ذلك، والمراضع جمع مرضع، وهي المرأة التي تُرضع، أو جمع مرضع وهو موضع الرّضاع، يعني الثدي، أو الرضاع، كذا أورده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة القصص.

قوله: (**أي كنسيانهم وجحودهم**) إشارة إلى أن كلمة ما في قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ [الأعراف: الآية ٥١] مصدريّة مجرورة المحل عطفًا على أختها المجرورة بالكاف التي هي محل النصب على أنّها صفة مصدر محذوف، أي ننساهم كنسيانهم لقاء يومهم هذا، وكونهم منكرين أنّ الآيات من عند الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ **(عالمين)** بكيفية تفصيل أحكامه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حال من منصوب ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ كما أن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال من مرفوعة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه وأعرضوا عنه ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي تبين وصح أنهم جاءوا بالحق فأقرّوا حين لا ينفعهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ جواب الاستفهام ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ **(جملة معطوفة على جملة قبلها داخلة معها)** في حكم الاستفهام كأنه قيل: فهل لنا من شفعاء، أو هل نرد؟ **(ورافعه)** وقوعه موقعًا يصلح للاسم كقولك **(ابتداء)** «هل

قوله: (عالمين) يعني أن على علم حال من فصلنا، ونكر علمًا للتعظيم. **قوله: (جملة معطوفة على جملة قبلها)**، وهي قوله: ﴿لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٣]، وهي مبتدأ وخبر ومن زائدة؛ لأن الكلام منفيّ معنى. اهـ. وإن لزم عطف الجملة الفعلية على الاسميّة على أن هل يستدعي الفعليّة، كأنه عطف الفعلية على مثلها، وفائدة العدول إظهار القصد إلى توخّي الشفعاء، وأنه أهمّ شيء عنه، قال صاحب المفتاح: هل ادّعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل في الإنباء عن استدعاء المقام عدم التجدّد، ومن ثمّ أدخل من الاستغراقيّة على الشفعاء. اهـ ط. اهـ محشي رحمه الله. **قوله: (داخلة)** صفة بعد صفة **(معها)** أي الجملة الأُولى. اهـ محشي رحمه الله. **قوله: (ورافعه)**... الخ. وهو إشارة إلى أن العامل في رفع المضارع معنوي، وهو ما ذكره. اهـ محشي. **قوله: (ابتداء)** يعني ابتداء في الكلام؛ لأن الابتداء صالح لأن يقع فيه الاسم والفعل المضارع، وأما الماضي لما انتفى استحقاقه الأعراف انتفى ما هو مبنيٌّ عليه، وهو استحقاقه الرفع. اهـ. ط. اهـ. محشي رحمه الله.

يضرب زيد»، أو عطف على تقدير: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد ﴿فَنَعۡمَلَ﴾ جواب الاستفهام أيضًا ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ ما كانوا يعبدونه من الأصنام.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أراد السمٰوات والأرض وما بينهما وقد فصلها في «حم السجدة» أي من الأحد إلى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئًا فشيئًا، وللإعلام بالتأني في الأمور، ولأن لكل عمل يومًا، ولأن إنشاء شيء بعد شيء أدلّ على عالم مدبر مريد يصرّفه على اختياره ويجريه على مشيئته ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليًا على جميع المخلوقات، لأن العرش أعظمها وأعلاها. وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل، لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان، لأن التغير من صفات الأكوان. والمنقول عن **(الصادق)** و**(الحسن**

قوله: (الصادق) أي جعفر بن محمد الصادق، هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الهاشمي المدني الصادق، أُمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه. روى عن أبيه والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطّان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن أبي المِقْدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيّين. قال البخاري رحمة الله عليه في تاريخه: وُلِد جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة رحمه الله. **قوله: (الحسن)** هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من

وأبي **حنيفة ومالك)** ﷺ، أن الاستواء معلوم، والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود له كفر، والسؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ («يغشي») (**حمزة وعلي وأبو بكر**). أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ حال من الليل أي سريعًا. والطالب هو الليل كأنه لسرعة مضيّه يطلب النهار ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ أي وخلق الشمس والقمر والنجوم ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حال أي مذللات (﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ شاميّ) ﴿وَٱلشَّمْسَ﴾ (**مبتدأ والباقية معطوفة عليها والخبر** ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾) ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هو أمر تكوين. ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي هو الذي خلق الأشياء وله الأمر ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ كثر خيره أو دام برّه (**من البركة النّماء**) أو من البروك الثبات ومنه البركة ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رحمه الله. **قوله:** (وأبي **حنيفة**) هو الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة رحمه الله. **قوله:** (ومالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر الأصبحي، أبي عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتّقين وكبير المثبتين. مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة رحمه الله. **قوله:** («يغشي») بفتح الغين وتشديد الشين من غشي المضاعف (**حمزة وعليّ**) الكسائي (**وأبو بكر**) عن عاصم. والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين من أغشى. **قوله:** (﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾) برفع الشمس وما عطف عليها، ورفع مسخّرات (شاميّ) أي ابن عامر الشامي، والشمس (**مبتدأ والباقية معطوفة عليها والخبر** ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾)، وقرأ الباقون بالنصب، والنصب في مسخرات بالكسرة، فوجهه أنه عطف على السمٰوات، ومسخّرات حال من هذه المفاعيل. **قوله:** (من البركة النّماء) أو من البروك الثّبات، ومنه البركة. في مختار الصِّحاح: البِرْكة[1] الحوض، والجمع البِرَك. قيل: سمّيت بذلك لإقامة الماء فيها، وكل شيء ثبت وأقام فقد برَك، والبَرَكة النّماء والزيادة. اهـ.

---

(١) بركة الماء معروفة، والجمع بُرَك، مثل سِدْرة وسُدَر. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ نصب على الحال أي ذوي تضرّع وخفية، والتضرّع تفعل من الضراعة وهي **(الذلّ)** أي تذللًا و**(تملّقًا)**. قال ﷺ: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا إنه حكم أينما كنتم». عن **(الحسن)**: بين دعوة السر والعلانية سبعون **(ضعفًا)**. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره. وعن **(ابن جريج)**: الرافعين أصواتهم بالدعاء. وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة. وقيل: هو **(الإسهاب)**

قوله: (الذُّلّ) في مختار الصِّحاح: الذُّلّ ضدّ العزّ، وقد ذلّ يَذِلّ ـ بالكسر ـ ذُلًّا وذِلّة ومَذَلَّة فهو ذليل وهم أذِلاء وأذِلّة والذِّل ـ بالكسر ـ اللّين وهو ضدّ الصعوبة، يقال: دابّة ذلول بيِّنة الذِّلّ، وهنّ دواب ذُلُل وأذِلّة وتذلّل له أي خضع. اهـ باختصار. **قوله: (تملّقًا)** في مختار الصِّحاح: تملّقه وتملّق له تملّقًا وتِمْلاقًا ـ بالكسر ـ أي تودّد إليه وتلطّف به. اهـ. **قوله: (الحسن)** البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ضعفًا)** أي مثلًا، أي من الثواب.

قوله: (ابن جريج) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيم مكرّرة الأُولى مضمومة، القريشي الأُمويّ وهو من تابعي التابعين، سمع طاوسًا وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي مليكة ونافعًا مولى ابن عمر ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري والزهري وخلائق من التابعين وغيرهم. روى عنه الأنصاري وهو شيخه تابعيّ، والأوزاعي والثوري وابن عُيَيْنة واللّيث وابن عليّة ويحيىٰ القطّان والأُمويّ ووكيع وخلائق لا يحصون. قال أحمد بن حنبل: أوّل مَنْ صنّف الكتب **ابن جريج**، وقال عبد الرزّاق: كنت إذا رأيت ابن جريج يصلّي علمت أنه يخشى الله عزّ وجلّ، وأقوال أهل العلم من السلف والخلف والثناء عليه وذِكْر مناقبه أكثر من أن تُحصر. توفي سنة خمسين ومائة، وهذا قول الأكثرين، وقيل: سنة إحدى وخمسين. وقيل: تسع وأربعين، وقيل: سنة ستّين، وقد جاوز المائة رحمه الله.

قوله: (الإسهاب) أي الإطناب. اهـ محشي رحمه الله. وفي مختار الصِّحاح: أسهب أكثر الكلام، فهو مُسْهَب ـ بفتح الهاء ـ ولا يقال بكسر الهاء، وهو نادر. اهـ. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب:

في الدعاء. (وعن النبيّ ﷺ): «سيكون قوم (يعتدون) في الدعاء، وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ثم قرأ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي بالمعصية بعد الطاعة، أو بالشرك بعد التوحيد، أو بالظلم بعد العدل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حالان أي خائفين من الرد طامعين في الإجابة، أو من النيران وفي الجنان، أو من الفراق وفي التلاق، أو من غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية، أو من العدل وفي الفضل ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (ذكر قريب) على تأويل الرحمة بالرحم أو

الإسهاب معناه الإفراط في التطويل، وفي رفع الصوت بالدعاء اختلاف، منهم مَنْ كرهه مطلقًا، ومنهم مَنْ قَبِله مطلقًا، ومنهم مَنْ فضّل، فقال: عند موت الرياء الإخفاء أفضل، فإن لم يخفه فالإظهار أفضل، وفي الانتصاف حسبك في تعيين الإسرار في الدعاء اقترانه بالتضرّع في الآية؛ فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإنّ دعاء لا تضرّع ولا خشوع فيه لقليل الجدوى، وكذا ما لا يصحبه الوقار وكثيرًا ما ترى الناس يعتمدون الصياح في الدعاء خصوصًا في الجوامع ولا يدرون أنهم جمعوا بين بدعتين: رفع الصوت في الدعاء وفي المسجد، وربما حصلت للعوامّ حينئذ رقّة لا تحصل مع الخفض، وهي شبيهة بالرقّة الحاصلة للنساء والأطفال خارجة عن السنّة وسمت السلف الوارد في الآثار. اهـ. **قوله: (وعن النبيّ ﷺ)**... الخ. رواه أبو داود وأحمد في مسنده. **قوله: (يعتدون)** أي يجاوزون.

قوله: (ذكر قريب) مع أن القاعدة في فعيل بمعنى فاعل أن لا يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، كما أن القاعدة في فعيل بمعنى مفعول أن يستويا فيه وقريب بمعنى فاعل أُسند إلى ضمير المؤنّث وهي الرحمة، فينبغي أن تلحق به علامة التأنيث إلّا أنه ذكر لتأويل الرحمة بالرحم ـ بضم الراء وسكون الحاء وضمّهما بمعنى الرحمة ـ قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: الآية ٨١].

الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب، **(أو على تشبيهه لفعيل الذي هو بمعنى مفعول)**، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، أو للإضافة إلى المذكر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ («الريح» مكيّ وحمزة وعلي) ﴿بُشْرًۢا﴾ («نشرًا» حمزة وعلي). مصدر نشر، وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرًا، وإما على الحال أي منشورات (﴿بُشْرًۢا﴾ **عاصم تخفيف «بشرًا»**) جمع

قوله: (أو على تشبيهه لفعيل الذي بمعنى مفعول) فإنه يستوي فيه المذكّر والمؤنث كجريح وأسير وقتيل، كما شبّه ذلك به، أي الفعيل الذي بمعنى مفعول بالفعيل الذي بمعنى فاعل، فقيل: قتلاء وأسراء، أي فجمع قتيل وأسير على قتلاء وأُسراء. قال العلّامة التفتازاني ﷺ: من القاعدة في فعيل بمعنى مفعول أن يستوي فيه المذكّر والمؤنث، وأن يجمع على فعلى كجَرْحَى وقتلى لا على فُعلاء، وفي الذي بمعنى فاعل أن لا يستوي فيه، وأن يجمع على فُعلاء ككرماء ورُحماء، فيجوز أن يكون الاستواء في القريب على التشبيه بما هو بمعنى مفعول، كما أن الجمع في قُتلاء وأُسراء على التشبيه بما هو بمعنى فاعل. اهـ. كما جمع كريم ورحيم على كُرماء ورُحماء، أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض بالنون والقاف والظاء المعجمة، وهو صوت المحامل والرحال، والضغيب وهو صوت الأرنب، والمصدر يلزمه الإفراد والتذكير في جميع الأحوال، فحُمل ما يوازنه عليه.

قوله: (**«الريح»**) بإسكان الياء التحتيّة ولا ألف بعدها على الإفراد **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وحمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بفتح الياء وألف بعدها على الجمع. **قوله:** («نشرًا») بالنون المفتوحة وسكون الشين **(حمزة وعليّ)** الكسائي. **قوله:** (﴿بُشْرًۢا﴾) بالباء الموحدة المضمومة وإسكان الشين **(عاصم تخفيف بشرًا)**

«بشير»، لأن الرياح تبشر بالمطر (**«نشر» شامي تخفيف «نشرًا»**) كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع «نشور» أي ناشرة للمطر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجلّ النعم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلّة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلًا ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء جمع سحابة ﴿سُقْنَٰهُ﴾ الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلًا ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ - ميت - لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه (**﴿مَّيِّتٍ﴾ مدني وحمزة وعلي وحفص**) ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ بالسحاب أو بالسوق وكذلك ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيؤديكم التذكر إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين، لأن كل واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الأرض الطيبة التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بتيسيره وهو موضع الحال كأنه قيل: يخرج نباتة حسنًا وافيًا لأنه واقع في مقابلة ﴿نَكِدًا﴾ ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ صفة للبلد أي والبلد الخبيث ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ أي نباته فحذف للاكتفاء ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن (**ينجع**) فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر، وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر مثل المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التصريف ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نرددها ونكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها.

بضمّتين. **قوله:** (**نشر**) بالنون مضمومة وإسكان الشين (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**تخفيف نشرًا**) بضمّتين. **قوله:** (﴿مَّيِّتٍ﴾) بتشديد الياء التحتية (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وحمزة وعليّ وحفص**) عن عاصم، والباقون بالتخفيف.

قوله: (**ينجع**) أي يؤثر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارًا، وهو (نوح بن لمك) بن (متوشلخ) بن أخنوخ وهو اسم إدريس عليه السلام ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ («غيره» علي. فالرفع على المحل كأنه قيل: ما لكم إلـه غيره فلا تعبدوا معه غيره، والجرّ على اللفظ) ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي الأشراف و(السادة) ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي بين في ذهاب عن طريق الصواب، والرؤية رؤية القلب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ ولم يقل ضلال كما قالوا (لأن الضلالة أخصّ من الضلال) فكانت أبلغ في نفي

قوله: (نوح بن لمك) ـ بفتحتين ـ ولامك كهاجر أبو نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام. **قوله:** (متوشلخ) بوزن المفعول في المشهور، وقيل: هو بفتح الميم وضمّ المثناة الفوقية المشدّدة وسكون الواو وشين معجمة ولام مفتوحة ثم خاء معجمة. **قوله:** («غيره») بخفض الراء وكسر الهاء بعدها (عليّ) الكسائي، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. والباقون برفع الراء وضمّ الهاء على النعت أو البدل من موضع إلـه لأن مَنْ مزيدة فيه وموضعه رفع إمّا بالابتداء أو بالفاعلية، كما قال المصنف: (فالرفع على المحل، كأنه قيل: ما لكم إلـه غيره فلا تعبدوا معه غيره، والجرّ على اللّفظ) أي على النعت أو البدل من إلـه لفظًا.

قوله: (السادة) جمع سيّد. **قوله:** (لأن الضلالة أخص من الضلال) يعني أنهما وإن جاءا في اللغة بمعنًى واحد، كالمِلال والمَلالة، إلّا أن مقابلة الضلالة بالضلال ونفيها عند قصد المبالغة في الهداية يدلّ على أنّ المراد به المرّة والتاء للوحدة فيكون بعضًا من جنس الضّلال، (وهو الفرد الواحد) ويأوّل معناه إلى أقلّ ما يُطلق عليه اسم الضلال، وهذا معنى كونه أخصّ ولا يبعد تفسيره بالأقلّ فردًا،

الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال. (ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة، فقال): ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأن كونه رسولًا من الله مبلغًا لرسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى.

وظاهر أنّ نفيه أبلغ من نفي الجنس المحتمل للكثرة. **قوله**: (ثم استدرك لتأكيد نفي الضَلالة، فقال)... الخ. في الكشاف: فإن قلت: كيف وقع قوله: ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ [الأعراف: الآية ٦١] استدراكًا للانتفاء عن الضلالة؟ قلت: كونه رسولًا من الله مبلّغًا رسالاته ناصحًا في معنى كونه على الصّراط المستقيم، فصحّ لذلك أن يكون استدراكًا للانتفاء عن الضَلالة، فقيل عليه معنى الاستدراك أن يقع للمخالف في الجملة السابقة وَهْم، فيتدارك ذلك الوَهْم بإزالته، فلمّا نفى الضلالة عن نفسه، فربَّما يُتوهّم المخاطَب انتفاء الرسالة أيضًا كما انتفى الضلالة، فاستدركه بلكن كما في قولك: زيد ليس بفقيه لكنه طبيب. وأمّا جوابه بأنّ إثبات الرسالة في معنى الاهتداء، وإثبات الاهتداء استدراك لنفي الضلالة، ففيه بعد؛ لأنه لما نفى الضلالة لم يذهب وَهْم وَاهم إلى نفي الاهتداء أيضًا حتى يحتاج إلى تداركه، ويمكن أن يقال: إذا لم يسلك طريقًا فلا اهتداء ولا ضلال، وقال النِّحرير متعقّبًا له: إنْ كان القصد إلى مجرّد كون لكن يتوسّط بين كلامَيْن متغايرَيْن نفيًا وإثباتًا، فوجه السؤال والجواب ظاهر. وأمّا إذا أُريد بالاستدراك رفع التوهّم الناشيء من الكلام السابق على ما هو المشهور، وعلى ما قاله المصنّف رحمه الله تعالى، معنى الاستدراك أنّ الجملة التيْ يسوقها أولًا يقع فيها وَهْم للمخاطب، فيتدارك ذلك الوَهْم بإزالته؛ كقولك: زيد ليس بفقيه ولكنه طبيب، ففي الكلام إشكال؛ لأن نفي الضلالة ليس مما يقع فيه نفي كونه رسولًا وعلى صراط مستقيم، وما في الكتاب غير وافٍ بحلِّه، بل تَرْك ما ذكره من التأويل أوْلى؛ إذ يمكن ربما يتوهم المخاطَب عند نفي الضّلالة انتفاء الرّسالة أيضًا، لكن توهّم انتفاء الهداية مما لا وجه له؛ إذ من البعيد أن يقال: نفي الضلالة ربما يُوهم نفي سلوك الطريق المستقيم، وحيث لا سلوك لا هداية كما لا ضلالة، والظاهر أنّ المصنّف رحمه الله لم يقصد سوى أنه عند نفي أحد المتقابلين قد سبق الوهم إلى انتفاء المقابل الآخر لا إلى انتفاء الأُمور التي لا تعلّق لها به، فأوّل ما وقع في معرض الاستدراك بما يقابل الضلال، مثلًا يقال: زيد ليس بقائم لكنه قاعد، ولا يقال: لكنه شارب، إلا بعد التأويل بأن الشارب يكون

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ ما أوحي إليّ في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنظائر. («أبلغكم» **أبو عمرو**). وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ وأقصد صلاحكم بإخلاص. يقال نصحته ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة. وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في

قاعدًا، وقد قيل: إنّ القوم لما أثبتوا له الضلالة أرادوا به ترك دين الآباء ودعوى الرّسالة، فهو حين نفى الضلالة توهّم منه أنه على دين آبائه وترك دعوى الرسالة، فوقع الإخبار بأنه رسول وثابت على الصراط المستقيم استدراكًا لذلك، ولا خفاء في أنّ هذا ليس كلام الكتاب. اهـ. وما ذكره تحقيق بديع، لكن المذكور في العربية كما نقله صاحب المغني أنّ للنُّحاة في الاستدراك ولزومه لها قولين، فقيل: الاستدراك أن تُنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لما قبلها سواء تغايرا إثباتًا ونفيًا أوْ لا، وقيل: هو رفع ما يتوهّم ثبوته، وهو التحقيق كما يشهد به مَنْ تتبّع موارد الاستعمال، وما ذكره أوّلًا مخالف للقولين، إلّا أن يرجع إليه بضرب من التأويل. وقال بعض المتأخّرين من علماء الروم: النظر الصائب في الاستدراك هنا أن يكون مثل قوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم... الخ. وقوله:

سوى أنه الضِّرْغام لكنه الوبل

أي ليس بي ضلالة وعيب، لكني رسول من ربّ العالمين، فليتأمّل.

ومحصل كلام المصنّف رحمه الله تعالى أنها واقعة بين متغايرين بحسب التأويل، وهي تفيد التأكيد في مثله، كما صرّح به النحاة، فلا يرد السؤال الذي أورده بعضهم هنا، وهو فإن قيل: لا فائدة في الاستدراك؛ لأن نفي الضلالة يستلزم الهدى. قلنا: المراد من الهدى الهداية الكاملة، ونفي الضلالة لا يستلزمها إثبات. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: («أبلغكم»)**[1] بإسكان الباء وتخفيف اللام (**أبو عمرو**) البصري، والباقون بفتح الباء وتشديد اللام.

---

(١) ينقل بلغ إلى باب الأفعال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

صدق العناية ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم ﴿أَن جَاءَكُمْ﴾ من أن جاءكم ﴿ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ على لسان رجل منكم أي من جنسكم، وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوّة نوح عليه السلام ويقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ليحذركم عاقبة الكفر ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فنسبوه إلى الكذب ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وكانوا أربعين رجلًا وأربعين امرأة وقيل تسعة: بنوه (**سام وحام ويافث**)، وستة ممن آمن به ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ يتعلق بمن معه كأنه قيل: والذين صحبوه في الفلك ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق. يقال: أعمى في البصر و(**عم**) في البصيرة.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ وأرسلنا إلى عاد وهو عطف على ﴿نُوحًا﴾ ﴿أَخَاهُمْ﴾ (**واحدًا منهم**) من قولك: «يا أخا العرب» للواحد منهم. وإنما جعل واحدًا منهم

قوله: (سام وحام ويافث) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة. **قوله:** (عم) أصله عَمِي على وزن خضر فأُعِلَّ كإعلال قاض، قال أهل اللغة: يقال: رجل عم.

قوله: (واحدًا منهم) أي من قبيلة عاد، وعاد في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسُمِّيت به القبيلة، واتّفقوا على أنّ هودًا ما كان أخاهم في الدِّين، واختلفوا في أنه هل كانت هناك قرابة أوْ لا؟ قال الكلبي: إنه كان واحدًا من تلك القبيلة، وقال آخرون: إنه ما كان من تلك القبيلة إلّا أنه لمّا كان من جملة بني آدم لا من الملائكة والجنّ نسب إليهم بالأخوة،

(لأنهم عن رجل منهم أفهم) فكانت الحجة عليهم ألزم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان لـ ﴿أَخَاهُمْ﴾ وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (وإنما لم يقل ﴿فَقَالَ﴾ كما في قصة نوح عليه السلام) لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وكذلك ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح (لأن في أشراف قوم هود من آمن به) منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف، ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن ﴿إِنَّا

والمعنى أنّا بعثنا إلى عاد واحدًا من جنسهم وهو البشر ليكون أنسهم به وفهمهم كلامه أكمل، قيل: إنّ هود اسم عربي وفيه بحث؛ لأنه حُكِي أنّ أهل اليمن تزعم أن يَعرُب بن قحطان بن هود هو أوّل مَنْ تكلّم بالعربية، وبه سمّيت العرب عربًا، فعلى هذا يكون هود أعجميًا اسم رجل، وإنما صُرِف لما ذكر في أخواته من نحو لوط ونوح. **قوله: (لأنهم عن رجل منهم أفهم)** عن رجل متعلّق بما في أفعل التفضيل من أصل الفعل وهو الفهم، ومنهم صفة رجل، ومن التفضيلية محذوفة. والمعنى أنهم أشدّ فهمًا لكلام صدر **عن** رجل هو من أفرادهم منهم لكلام صدر عن رجل ليس منهم.

قوله: (وإنما لم يقل، ﴿فَقَالَ﴾ كما في قصة نوح) على نبيّنا (وعليه السلام)... الخ. إشارة إلى الغرق بين ما ذُكِر من قصة نوح وهود على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، حيث قيل في الأول، فقال: وفي الثاني قال بغير عاطف، وهو أنه أُشير في الأوّل إلى أن دعوة نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لم تتأخر عن إرساله، وأنه باشر الدّعوة قبيل الإرسال، وفي الثاني جعل الكلام جواب سائل. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (لأن في أشراف قوم هود من آمن به)... الخ. **فعلى هذا** ما ورد في سورة المؤمنين: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٤]... الخ.

﴿لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ في خفة (حلم) و(سخافة) عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر. وجعلت السفاهة ظرفًا مجازًا (يعني أنه متمكن فيها غير منفك عنها) ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائك الرسالة.

في وصف نوح على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسلام محمول على أنه هناك للذمّ لا للتمييز، وإنما لم يذمّ هٰهنا للإشارة إلى التفرقة بين قوم نوح وقوم هود على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسلام، ولو حمل الوصف على الذمّ هنا وفرّق بأن مقتضى المقام ذمّ قوم هود لشدَّة عنادهم؛ لقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٦] مع كونه معروفًا بينهم بالحلم والرشد، وذمّ قوم نوح في سورة المؤمنون لعنادهم لقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ٢٤، ٢٥] لِمَا فيه من فرط العناد، ثم إنه قيل: إنّ الظاهر أنّ ما نُقِل هنا عن قوم نوح صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلّم مقالتهم في مجلس أو مقالة بعضهم، وما نُقِل في سورة المؤمنون مقالتهم في مجلسٍ آخر أو مقالة بعض آخر، فرُوعِيَ في المقامَيْن مقتضى كلّ من المقالتَيْن، ثم إنّ شدَّة عناد مَنْ عاند مِنْ قوم هود صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلم لا تنافي قرب جملتهم من جملة قوم نوح، حيث آمَنَ بعض أشرافهم دون أشراف قوم نوح صلّى الله تعالى على نبيِّنا وعليه وسلّم، فإن قلت: قوله: إذا كان من أشراف قومه مَنْ آمن يقتضي أنّ قوم نوح على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام ليسوا كذلك، وهو ينافي قوله في تفسير قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [هود: الآية ٥٨] أنه آمن معه أربعون رجلًا وأربعون امرأة، وقوله تعالى: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: الآية ٣٦]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: الآية ٤٠]. قلت: هؤلاء لم يكونوا من السادات كما هو المعتاد في أتباع الرُسُل عليهم الصلاة والسلام، وقيل: إنه وقت مخاطبة نوح صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلّم لقومه لم يكونوا آمنوا بخلاف قوم هود ومثله يحتاج إلى النقل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (حِلْم) بالكسر بمعنى العقل. **قوله:** (سخافة) بالفتح بمعنى رقّة العقل. **قوله:** (يعني أنه متمكّن فيها غير منفكَ عنها) حيث لم يقل سفيهًا وجعله متمكّنًا فيها تمكّن الظرف في المظروف.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

ما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾ على ما أقول لكم. وإنما قال هنا ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ لقولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي ليقابل الاسم الاسم. وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام مَن ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضلّ الناس وأسفههم، أدب حسن وخلق عظيم، وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضّون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي خلفتموهم في الأرض أو في مساكنهم. و«إذ» مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم ﴿مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ طولًا وامتدادًا فكان أقصرهم ستين ذراعًا (**وأطولهم مائة ذراع** ﴿بَصْۜطَةً﴾: **حجازي وعاصم وعلي**)

قوله: (وأطولهم مائة ذراع) قال المجلي رحمه الله في سورة الفجر: إنّ طويلهم كان أربعمائة ذراع. اهـ. والمراد بالأذرع في جميع الأقوال أذرعهم، وكان رأس الواحد منهم قدر القبّة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع[1]. اهـ من الخطيب. وعبارة الكاذروني في سورة الفجر: وكان طول الطويل منهم خمسمائة ذراع، وطول القصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه. اهـ. **قوله:** (﴿بَصْۜطَةً﴾) بالصاد (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّيّ (**وعاصم وعليّ**) الكسائي، والباقون بالسين. وعبارة الإتحاف في سورة البقرة: واختلف في ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ [البَقَرَة:

(١) وهي سَبُعٌ كالذئب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ في استخلافكم وبسطة **(أجرامكم)** وما سواهما من عطاياه. **(وواحد الآلاء)** «إلى» **(نحو** «إنى» و«آناء») ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

الآية ٢٤٥] هنا، و﴿فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ [الأعراف: الآية ٦٩] بالأعراف، فالدّوري عن أبي عمرو وهشام وخلف عن حمزة وكذا رُويس وخلف بالسين فيهما على الأصل، وأفقههم اليزيدي والحسن، واختلف عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد، فأمّا قنبل فابن مجاهد عنه بالسين، وابن شنبوذ عنه بالصاد. أمّا السوسي، فابن حبش عن ابن جرير عنه بالصاد فيهما، وكذا روى ابن جمهور عن السوسي، وروى سائر الناس عنه السين فيهما، وهو في الشاطبية وغيرها. وأمّا ابن ذكوان فالمطوعي عن الصوري والشذاي عن الرملي عن ابن ذكوان بالسين فيهما، وروى زيد والقباب عن الرمليّ وسائر أصحاب الأخفش عنه الصاد فيهما إلّا النقّاش، فإنه روى عنه السين هنا والصاد في الأعراف، وبه قرأ الداني على عبد العزيز بن محمد، وبالصاد فيهما قرأ على سائر شيوخه في رواية ابن ذكوان، ولم يذكر وجه السين فيهما عن الأخفش إلّا فيما ذكر، ولم يقع ذلك للداني تلاوةً، وكذا في النشر قال فيه: والعجب كيف عوّل عليه ـ أي على السين ـ الشاطبي، ولم يكن من طرقه، ولا من طرق التيسير، وعدل عن طريق النقّاش الذي لم يذكر في التيسير غيرها، وهذا الموضع مما خرج فيه عن التيسير وطرقه، فليُعلم. وأمّا حفص، فالوليّ عن الفيل وذرعان كلاهما عن عمرو عن حفص بالصاد فيهما، وروى عبيد عنه بالسين فيهما، ونصّ له على الوجهين المهدويّ وابن شريح وغيرهما. وأمّا خلّاد فابن الهيثم من طريق ابن ثابت عنه بالصاد فيهما، وروى ابن نصر عن ابن الهيثم والنقّاش عن ابن شاذان كلاهما عن خلّاد بالسين فيهما، وعن ابن محيصين الخلف فيهما أيضًا، والباقون بالصاد فيهما. قال أبو حاتم: وهما لغتان، ورسمهما بالصاد تنبيهًا على البدل.اهـ.

قوله: (أجرامكم) في المصباح: الجرم ـ بالكسر ـ الجسد، والجمع أجرام مثل حمل وأحمال. **قوله: (وواحد الآلاء)** إلَى ـ بكسر ففتح ـ مقصور كعنب وأعناب، أو بكسر الهمزة وسكون اللام كحمل وأحمال. **قوله: (نحو إنى وآناء)** في المصباح: الأناء على أفعال هي الأوقات، وفي واحدها لغتان إنى ـ بكسر الهمزة والقصر ـ وأنى وزان حمل.اهـ..

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾

ومعنى المجيء في ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾ أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه (يتحنث) فيه كما يفعل رسول الله ﷺ (بحراء) قبل المبعث، فلما أُوحي إليه جاء قومه يدعوهم ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبًّا لما نشئوا عليه ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بنا.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ۝٧١﴾

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ أي قد نزل ﴿عَلَيۡكُم﴾ جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب «قد كان» ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌۖ﴾ سخط ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ﴾ حجة ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ ذلك.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٧٢﴾

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ أي من آمن به ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ الدابر الأصل أو الكائن خلف الشيء، وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم

قوله: (يتحنّث) أي يتعبّد. **قوله:** (بحراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وحُكي فتحها والقصر وهو مصروف إن أُريد المكان وممنوع إن أُريد البقعة، فهي أربعة: التذكير والتأنيث والمدّ والقصر، وكذا حكم قباء وقد نظم بعضهم أحكامهما في بيت فقال:

حرا وقبا ذكر وأنثهما معًا وَمُدَّ أو قصر واصرفن وامنع الصرفا

وحِرا جبل بينه وبين مكّة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى.

عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ فائدة نفي الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خصّ المكذبين. وقصتهم أن عادًا قد تبسطوا في البلاد ما بين (عمان وحضرموت، وكانت لهم أصنام) يعبدونها (صُداء وصمود والهَباء)، فبعث الله إليهم هودًا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين. وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام (فأوفدوا إليه ـ قيل) ابن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد ـ وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك (العماليق) أولاد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر، فنزلوا عليه (بظاهر مكة) فقال لهم مرثد: لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدًا وخرجوا فقال قيل:

قوله: (عُمان) وزان غراب موضع باليمن وعمان فعال بالفتح والتشديد بلدة بطرف الشام من بلاد البلقاء. اهـ مصباح. **قوله**: (حضرموت) بُلَيْدة من اليمن بقرب عدن. اهـ مصباح. **قوله**: (وكانت لهم أصنام) يعبدونها. **قوله**: (صُداء) بالضم (وصمود) بالفتح (والهَباء) كافي شعر مرثد بن سعد بن عفير حيث قال لهم:

صنم يقال له صَمود يقابله صُداء والهَباء

قوله: (فأوفدوا إليه)... الخ. في الخازن: فلمّا قحطت عاد وقلّ عنهم المطر، قالوا: أجهزوا منكم وفدًا إلى مكّة يستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم، فبعثوا قيل بن عِنْزٍ ونُعَيْم بن هَزال من هذيل، وعقيل بن صندين بن عاد الأكبر، ومَرْثَد بن سعد بن عفير، وكان مسلمًا يكتم إسلامه، وجهلمة بن الخيبري خال معاوية بن بْكر سيّد العماليق، ولقمان بن عاد؛ فانطلق كلّ رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه، فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلًا. اهـ. **قوله**: (قَيْل) ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ عَلَم وهو السيّد الذي يُسمع قوله، وأصله قيول وأُعِلّ إعلال ميتُ وأطلق على كل ملك من حمير. **قوله**: (العَماليق)[1] في مختار الصّحاح: العَمَاليق والعَمالقة قوم من ولد عِمْليق[2] بن إرم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وهم أُمم تفرّقوا في البلاد. اهـ. **قوله**: (بظاهر مكّة)

---

(١) بفتح العين وكسر اللام. اهـ قنويّ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بكسر العين وسكون الميم وكسر اللام مع المدّ. اهـ قنوي. ١٢ منه عمّ فيضهم. وكقنديل. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

اللهم اسقِ عادًا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثًا بيضاء وحمراء وسوداء، ثم **(ناداه منادٍ من السماء)**: يا قيل اختر لنفسك ولقومك، فاختار السوداء على ظن أنها أكثر ماء فخرجت على عاد من وادٍ لهم فاستبشروا وقالوا: ﴿(هَٰذَا عَارِضٌ) مُّمْطِرُنَا﴾، فجاءتهم منها **(ريح عقيم)** فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ وأرسلنا إلى ثمود. **(وقرىء)** ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودٍ﴾ بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر، ومنع الصرف بتأويل القبيلة، وقيل: سميت ثمود لقلّة مائها **(من الثمد)** وهو الماء القليل وكانت مساكنهم **(الحجر)** بين الحجاز والشام ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوّتي فكأنه قيل: ما هذه البينة؟ فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ وهذه إضافة تخصيص وتعظيم لأنها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ حال من الناقة والعامل معنى الإشارة في ﴿هَٰذِهِۦ﴾ كأنه قيل: أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية وهي ثمود لأنهم عاينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم **(مؤنتها)** ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ ولا

خارجًا عن الحرم. اهـ. كشاف. **قوله: (ناداه منادٍ من السماء)**. . . الخ. قيل: كان كذلك يفعل الله مَنْ دعاه إذ ذاك. **قوله: (﴿هَٰذَا عَارِضٌ﴾)** أي سحاب عرض في أُفق السماء ﴿مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤]، أي ممطر إيانا. **قوله: (ريح عقيم)** لا مطر فيها.

وقوله: (وقرىء) قارئه الأعمش والحسن البصري ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودٍ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] بكسر الدال منوّنة.

قوله: (من الثَّمْد) بسكون الميم وفتحها. **قوله: (الحجر)** ـ بكسر الحاء ـ اسم أرض معروف. **قوله: (مؤنتها)** في المصباح: المُؤْنة الثقل، وفيها لغات

تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها إكرامًا لآية الله ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ جواب النهي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)﴾

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ ونزلكم، والمباءة المنزل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في أرض الحجر بين الحجاز والشام ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ غرفًا للصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ للشتاء، و﴿بُيُوتًا﴾ حال مقدرة نحو «خط هذا الثوب قميصًا» إذ الجبل لا يكون بيتًا في حال النحت ولا الثوب قميصًا في حال الخياطة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ رُوِيَ أن عادًا لما أهلكت **(عمرت)** ثمود بلادها **(وخلفوها)** في الأرض **(وعمروا)** أعمارًا طوالًا، فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات، وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم صالحًا وكانوا قومًا عربًا وصالح من أوسطهم نسبًا، فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم، فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة **(عشراء)** فصلّى ودعا

إحداها على فعولة بفتح الفاء وبهمزة مضمومة، والجمع مؤونات على لفظها، ومأنت القوم أمأنهم مهموز بفتحتين، واللغة الثانية مئنة بهمزة ساكنة. قال الشاعر:

أميرنا مؤنته خفيفة

والجمع مُؤَن، مثل غرفة وغُرف، والثالثة مونة بالواو، والجمع مُوَن، مثل سورة وسُوَر، يقال: منها مانه يمونه من باب قال. اهـ.

قوله: (عمرت) بتخفيف الميم من العمارة، ولا يجوز تشديدها إلّا إذا كانت من العمر. **قوله: (وخلفوها)** بتخفيف وفتح اللام، أي صاروا خلفًا عنهم. **قوله: (وعمّروا)** مجهول مشدّد الميم من العمر. **قوله: (عشراء)** كعلماء التي أتى عليها عشرة أشهر بعد طروق الفحل.

ربه (**فتمخضت تمخض النتوج**) بولدها فخرجت منها ناقة كما شاءوا فآمن به (**جندع**) ورهط من قومه.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ («وقال» شامي) ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ للذين استضعفهم رؤساء الكفار ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من «الذين استضعفوا» بإعادة الجار، وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان في تقدير إعادة العامل، والضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ راجع إلى قومه وهو يدلّ على أن استضعافهم كان مقصورًا على المؤمنين، أو إلى «الذين استضعفوا» وهو يدلّ على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ قالوه على سبيل السخرية ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وإنما صار هذا جوابًا لهم لأنهم سألوهم عن العلم بإرساله أمرًا معلومًا مسلمًا كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ فوضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضع أرسل به ردًا لما جعله المؤمنون معلومًا مسلمًا ﴿فَعَقَرُوا۟

قوله: (فتمخّضت) بالمعجمة أي تحرّكت (تمخض النتوج)[1] أي كحركة الحامله بولدها. **قوله:** (جُنْدُع) بن عَمرو سيّد الثمود.

قوله: (وقال) بزيادة واو للعطف، قيل: قال (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بغير واو اكتفاءً بالرّبط المعنوي.

(١) النّتوج: الناقة التي أدركت الوقت الذي تنتج فيه.اهـ شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱلنَّاقَةَ﴾ أسند العقر إلى جميعهم وإن كان العاقر (قدار) بن سالف لأنه كان برضاهم. وكان قدار أحمر أزرق قصيرًا كما كان فرعون كذلك. وقال ﷺ: «يا علي، أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك» ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أو شأن ربهم وهو دينه ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾ في بلادهم أو مساكنهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ميتين قعودًا. يقال: (الناس جثم) أي قعود لا حراك بهم ولا يتكلمون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما عقروا الناقة ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ﴾ عند فراقه إياهم ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة (منيحة تدرأ) الفضيحة، ولكنها (وخيمة) تورث (السخيمة). رُوِيَ أن عقرهم الناقة كان (يوم الأربعاء) فقال صالح: تعيشون بعده ثلاثة أيام، تصفرّ وجوهكم أول يوم، وتحمرّ في الثاني، وتسود في الثالث، ويصيبكم العذاب في

قوله: (قدار) بضمّ القاف والذال المعجمة وفي آخره راء مهملة. اهـ كمالين. وذكره في تاج العروس من جواهر القاموس وغيره بالدال المهملة. **قوله:** (الناس جثم) في لسان العرب: جثم الإنسان والطائر والنّعامة والخِشْف والأرنب واليربوع يجثِمُ جَثْمًا وجُثُومًا فهو جاثم لزم مكانه، فلم يبرح، أي تلبَّدَ بالأرض، وقيل: هو أن يقع على صدره.

قوله: (منيحة) في المصباح: منحه منحًا من بابي نفع وضرب أعطيته، والاسم المنيحة. اهـ. **قوله:** (تدرأ) أي تدفع. **قوله:** (وخيمة) أي ثقيلة. **قوله:** (السَّخيمة) الحِقْد والضغينة. **قوله:** (يوم الأربعاء) ممدود وهو بكسر الباء ولا نظير له في المفردات، وإنما يأتي وزنه في الجمع، وبعض بني أسد يفتح الباء، والضمّ لغة قليلة فيه. اهـ مصباح.

الرابع وكان كذلك. رُوِيَ أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، فلما علم أنهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿(وَلُوطًا) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ أي واذكر لوطًا («وإذ» **بدل منه**) ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام: «سبقك بها (**عكاشة**)» ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ «من» زائدة

قوله: (﴿وَلُوطًا﴾)... الخ. وهو وإنْ كان واردًا في قصة لوط، ولكن قد عَلِمْنا من ضابطة الأُصول أنّ شرائع مَنْ قبلنا يلزمنا إذا قصّ الله ورسوله من غير إنكار، وهذا قد قصّ الله بها مِرارًا من غير إنكار، فيلزمنا؛ فيدلّ على حُرْمة اللّواطة، ولا حدّ فيها عندنا على أحد، ولكن يجب التعزير، فقيل: بالإحراق، وقيل: بالإغراق، وقيل: بالإلقاء من الأعلى وإتباع الأحجار من فوقه، وهكذا اختلف الصحابة فيه، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله: يجب فيها حدّ الزّنا؛ لأنها مثله في الحُرمة والشهوة وسفح الماء، ونحن نقول: إنه قياس في اللغة، وهو مردود وتفصيله في كتب الأُصول، وهكذا الحال في اللّواطة من الأجنبيّة. وأمّا اللّواطة من المنكوحة ومملوكته، فحكمها الحرمة عندنا بدون التعزير.اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: (وإذ بدل منه)** أي بدل اشتمال.

قوله: (عُكاشة) بضمّ العين وتشديد الكاف وقد تخففت، وهو ابن محصن الأسدي ـ بكسر الميم ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنّة مِنْ أُمّتي زمرة هم سبعون ألفًا يضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»، فقام عكاشة بن محصن الأسدي، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ اجعله منهم»، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة»، والضمير للدعوة.اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال العلّامة علي القاري في شرح المشكاة: لعلّ وجه الامتناع من الدعاء أن لا ينفتح هذا الباب المتفرّع عليه الاكتفاء. قال ابن الملك: لأنه لم يُؤْذَن له في المجلس بالدّعاء إلا الواحد، وفيه حثّ على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين؛ لأن في التأخير آفات. وقيل: كان الرجل منافقًا، فأجابه عليه

لتأكيد المنفي وإفادة معنى الاستغراق ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «من» للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولًا بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ ثم وبّخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها.

السلام بكلام محتمل ولم يصرّح بأنك لست منهم لحسن خلقه، انتهى. وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي، ولم يحصل ذلك للآخر. وقال القاضي عياض: إن الرجل الثاني لم يكن ممّن يستحق تلك المنزلة، ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة، وفي شرح الطيبي قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه قال في كتابه في الأسماء المبهمة، يقال: إنّ هذا الرجل هو سعد بن عبادة، فإنْ صحّ هذا بطل قول مَنْ زعم أنه منافق.اهـ. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرّة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس، يُكنى أبا محصن، كان من سادات الصحابة وفُضلائهم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وانكسر في يده سيف فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا أو عودًا، فعاد في يده سيفًا يومئذ شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردَّة، وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمّى العون، وشهد أُحدًا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وبشّره رسول الله ﷺ أنه ممّن يدخل الجنّة بغير حساب، وقُتِل في قتال أهل الردّة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قتله طليحة[١] بن خويلد الأسدي الذي ادّعى النبوّة، قُتل هو وثابت[٢] بن أقرم يوم بزاخة[٣]، هذا قول أهل السِّيَر والتواريخ، وكان عكاشة يوم توفي النبيّ ﷺ ابن أربع وأربعين سنة، وكان من أجمل الرجال. روى عنه أبو هريرة وابن عباس أخرجه الثلاثة عكاشة ـ بتخفيف الكاف وتشديدها ـ وحرثان ـ بضم الحاء المهملة وسكون الراء وبالثاء المثلثة وبعد الألف نون ـ.

---

(١) قال في الإصابة: إن طُلَيْحة عاد إلى الإسلام. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) قتله طُليحة. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٣) بضمّ الباء وتخفيف الزاي وبالخاء المعجمة، موضع كانت به وقعة للمسلمين في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، كذا في لسان العرب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ ـ أئنكم لتأتون الرجال ـ بيان لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ والهمزة مثلها في ﴿أَتَأْتُونَ﴾ للإنكار. (﴿إِنَّكُمْ﴾) على الإخبار: (مدني وحفص). يقال: أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة، ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي لا من النساء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثَمَّ أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ أي لوطًا ومَن آمن معه يعني ما أجابوه بما يكون جوابًا عما كلّمهم به لوط من إنكار الفاحشة، ووصفهم بصفة الإسراف الذي هو أصل الشر، ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومَن معه من المؤمنين من قريتهم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يدَّعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما: عابوهم بما يتمدح به ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ ومَن يختصّ به من ذويه أو من المؤمنين ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل (سدوم)، ورُوِيَ أنها التفتت فأصابها حجر فماتت.

قوله: (﴿إِنَّكُمْ﴾) بهمزة واحدة على الإخبار (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (وحفص). والباقون بهمزتين على الاستفهام، فابن كثير ورُويس بتسهيل الثانية بلا ألف، وأبو عمرو بالتسهيل مع الألف. والباقون بالتخفيف بلا ألف، ولهشام وجهٌ ثانٍ وهو التحقيق مع الألف.

قوله: (سدوم) بفتح السين والدال مهملة ومعجمة، كما ذكره الأزهري وغيره قرية قوم لُوط، سُمِّيت باسم رجل. اهـ شهاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وأرسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيبًا قالوا: أمطر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل: خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم. وقال (أبو عبيدة): أمطر في العذاب ومطر في الرحمة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إلى مدين وهو اسم قبيلة ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه) وكانوا أهل

قوله: (أبو عبيدة) ـ بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره ـ مَعْمر ـ بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء ـ ابن المُثنّي ـ بضم الميم وفتح الثاء المثلثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثنّاة من تحتها ـ بخلاف القاسم بن سلام، فإنه أبو عبيد بغير هاء، وكان أبو عبيدة معمر بن المثني من كبار أئمّة اللغة، وهو مذكور فيمن كان يعتقد مذهب الخوارج من أهل الأهواء، قال أبو منصور الأزهري في أوّل تهذيب اللغة: ذكر أبو عُبيد القاسم بن سلّام أن أبا عبيدة تَيْمي من تَيْم قريش، وأنه مولى لهم، قال: وكان أبو عبيد توثقه ويكتب الرواية عنه في كتبه، قال: ولأبي عبيدة كتب كثيرة في الصفات والغرائب، وكتب أيامَ العرب ووقائعها، وكان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب، وكان مُخِلًّا بالنَّحو كثير الخطأ في مقاييس الإعراب، ومتّهمًا في رأيه مقرّ بنشر مثالب العرب جامعًا لكل غِثّ وسمين، فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به، هذا كلام الأزهري. وقال الإمام أبو جعفر النحّاس في أوّل كتابه صناعة الكتاب: توفي أبو عبيدة سنة عشر ومائتين، ويقال: إحدى عشرة، وقد قارب المائة.

قوله: (يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا يقول:

(بخس) للمكاييل والموازين ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ (أي معجزة) وإن لم تذكر في القرآن ﴿فَأَوۡفُواْ

«ذاك خطيب الأنبياء» لحسن مراجعته قومه، والمراجعة مفاعلة من الرجوع، وهي مجاز عن المحاورة، يقال: راجعه القول، وإنما عنى النبيّ ﷺ ما ذكر في هذه السورة، كما يُعلم بالتأمّل فيه. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (بخس)** أي نقص. **قوله: (أي معجزة)** لأنه إنما أمَرَ قومه بعبادة الله تعالى ونهاهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته إليهم، فلا بدّ له أن يدّعي النبوّة، ومِنَ المعلوم أنّ مُدّعي النبوّة لا بدّ له من إظهار المعجزة، وإلا لكان متنبئًا؛ فهذه الآية دلّت على أنه حصلت له معجزة دالّة على صدقه. وأمّا أن تلك المعجزة من أيّ الأنواع كانت، فليس في القرآن دلالة عليه كما لم يحصل في القرآن دلالة على كثير من معجزات نبيّنا ﷺ. قال صاحب الكشاف: ومِنْ معجزات شُعيب أنه حين دفع إلى موسى غنمه دفع إليه عصًا فتلك العصا صارت تنّينًا دافعًا عن غنمه، بأن ابتلعت التنين الكائن في المرعى، ومن معجزاته أيضًا ولادة الغنم الدُّرع خاصّة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها، والدرع ـ بضم الدال المهملة وسكون الراء والعين المهملتين ـ جمع أدرع، وهو من الخيل والشياه ما اسودّ رأسه وابيضّ سائر جسده، والأُنثى درعاء مثل أحمر حمراء حمر، ووقوع عصا آدم عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام على يده في المرّات السّبع وغير ذلك من الآيات، فهذه كلّها كانت قبل نبوّة موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسلام، فكانت معجزات لشعيب على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام؛ لأن المعجزة ما يكون مسبوقًا بدعوى الرسالة، وهذا الكلام مبنيّ على أصل مختلف فيه بين أصحابنا وبين المعتزلة، وذلك أنه يجوز عندنا أن يظهر الله تعالى على يد مَنْ سيصير نبيًّا ورسولًا في المستقبل أنواع الخوارق، ويسمّى ذلك إرهاصًا، وعند المعتزلة: لا يجوز ذلك؛ فالأحوال التي حكاها صاحب الكشاف من قبيل الإرهاصات لنبوّة موسى عندنا، وعند المعتزلة: معجزات لشعيب لما أن الإرهاص لا يجوز عندهم، واعترض عليه بأنّ ما رُوِيَ من الأحوال متأخّر عن هذه المقالة، فكيف يصحّ من شعيب أن يقول في حقّها: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] بلفظ الماضي، وباحتمال كونها كرامة لموسى وإرهاصًا لنبوّته، بل هو المتعيّن لأنه قد رُوِي أنّ موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام، إنما أدرك شعيبًا بعد

﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتموهما والمراد (﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ ووزن الميزان، **أو يكون الميزان**) كالميعاد (**بمعنى المصدر**) ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ ولا تنقصوا حقوقهم (**بتطفيف**) الكيل ونقصان الوزن، وكانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعتهم. «وبخس» يتعدى إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول: (**بخست**) زيدًا حقّه أي نقصته إياه ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء. وإضافته كإضافة ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣] أي بل مكركم في الليل والنهار ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانية وحسن (**الأحدوثة**) ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مصدقين لي في قولي.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ مَن آمن بشعيب بالعذاب ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن العبادة ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بالله وقيل: كانوا يقطعون الطرق. وقيل: كانوا (**عشارين**) ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ (**وتطلبون لسبيل الله**)

هلاك قومه؛ ولأن ذلك لم يكن في معرض التحدّي. **قوله:** (﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾) بمعنى المِكْيال (**ووزن الميزان**) بتقدير مضاف، هو مصدر (**أو يكون الميزان**) مصدرًا ميميًّا بمعنى الوزن كالميعاد بمعنى الوعد، (**بمعنى المصدر**). **قوله:** (**بتطفيف**) أي نقص. **قوله:** (**بخست**) بابه قطع. **قوله:** (**الأُحْدوثة**) بوزن الأُعْجوبة ما يتحدّث به. اهـ مختار الصِّحاح. والأُحدوثة هٰهنا الذِّكر الجميل، وقد ورد ذلك في كلام العرب، وإنْ قال الرضا: إنها تختصّ بما لا يحسن، كما بيّناه في حواشيه. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (**عشارين**) في مختار الصِّحاح: عَشَرهم يَعْشُر بالضمّ عُشْرًا بضم العين أخذ عُشْرَ أموالهم، ومنه العاشر والعَشَّار بالتشديد. اهـ. **قوله:** (**وتطلبون لسبيل الله**) إشارة إلى أنه على الحذف والإيصال.

﴿عِوَجًا﴾ أي تصفونها للناس بأنها سبيل (معوجة) غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها. ومحل ﴿تُوعِدُونَ﴾ وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تقعدوا موعدين وصادّين عن سبيل الله وباغين عوجًا ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ «إذ» مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلًا (عددكم) ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ الله و(وفر) عددكم. وقيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود ولوط عليهم السلام.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ أي بين الفريقين بأن ينصر المحقّين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم، أو هو (حثّ) للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار، والكافرون على ما يسوءهم من إيمان مَن آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه (الجور).

قوله: (مُعْوجة) في مختار الصِّحاح: اعْوَجّ الشيء اعوجاجًا فهو مُعْوَجّ بوزن مُحْمَرّ وعصًا مُعْوَجَّة أيضًا. اهـ. **قوله:** (عددكم) العدد - بالفتح - معروف وبالضم عدّة، وهو ما يُعَدّ للنوائب من مال وسلاح وغيره. **قوله:** (وفر) في لسان العرب: وفّر الشيء وَفْرًا وفِرَة ووفّره كثّره. اهـ.

قوله: (حثّ) في مختار الصِّحاح: حثّه على الشيء من باب ردّ واستحثّه، أي حضّه. اهـ. **قوله:** (الجور) في مختار الصِّحاح: الجَوْر المَيْل عن القصد وبابه قال يقول جار عن الطريق، وجار عليه في الحكم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا: نعم. ثم قال شعيب: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملّتكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ﴾ خلصنا الله. فإن قلت: كيف قال شعيب ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ والكفر على الأنبياء عليهم السلام محال؟ قلت: أراد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئًا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ وما ينبغي لنا وما يصح ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ إلا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها إذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرّها ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ تمييز أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي احكم و(الفتاحة) الحكومة والقضاء بالحق بفتح الأمر المغلق فلذا سُمي فتحًا، ويسمي أهل عمان القاضي فتاحًا ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على

قوله: (الفتاحة) بالضمّ.

الإيفاء والتسوية. وجواب القسم الذي وطأته اللام في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ﴾ وجواب الشرط ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ (فهو سادّ مسدّ الجوابين).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ﴾ لم يقيموا فيها. (غني بالمكان) أقام ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لا من قالوا لهم إنكم إذًا لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل: الذين كذبوا شعيبًا هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم، لأن الذين اتبعوا شعيبًا قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعيبًا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون، وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ بعد أن نزل بهم العذاب ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ اشتدّ حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه فقال: كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم، أو أراد لقد أعذرت لكم في الإبلاغ والتحذير مما (حلّ) بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم.

قوله: (فهو سادّ مسدّ الجوابين) أي جواب القسم وجواب الشرط، أي جواب للقسم بدليل عدم اقترانه بالفاء ومغن عن جواب الشرط، فكأنه جوابه لإفادته معناه وسدّه مسدّه، لا أنّه جواب لهما معًا، فإنه مع مخالفته القواعد النحويّة يلزم فيه أن يكون جملةً واحدةً لها محل من الإعراب، ولا محل لها، وإنْ جاز باعتبارين. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (غَني بالمكان) بابه صَدِي.

قوله: (حلّ) في مختار الصحاح: حلّ يَحُلُّ بالضم حُلولًا، أي نزل. اهـ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ يقال لكل مدينة قرية، وفيه حذف أي فكذّبوه ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ (بالبؤس) والفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الضرّ والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيّهم، أو هما نقصان النفس والمال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ ليتضرّعوا ويتذلّلوا ويحطوا أردية الكبر ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾ أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة: (**الرخاء**) والسعة والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم: «عفا النباب» إذا كثر، ومنه قوله ﷺ: «و(**اعفوا**) اللحى» ﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضرّاء والسراء وقد مسّ آباءَنا نحو ذلك وما

قوله: (بالبؤس) في لسان العرب: البؤس الشدّة والفقر. اهـ. **قوله: (الرخاء)** بالفتح والمدّ سعة العيش. **قوله: (اعفوا)** بفتح الهمزة اللُّحىٰ بالضمّ والكسر جمع لحية، أي وفروها وأكثروا شعرها، **رواه البخاري ومسلم** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها، قال الطيبيّ: هذا لا ينافي قوله عليه السلام: «اعفوا اللّحى لأن المنهيّ هو قصها كفعل الأعاجم، أو جعلها كذنب الحمام، والمراد بالإعفاء التوفير منها كما في الرواية الأخرى، والأخذ من الأطراف قليلًا لا يكون من القصّ في شيء، انتهى. وعليه سائر شرّاح المصابيح من زين العرب وغيره، وقيّد الحديث في شرح الشرعة بقوله: إذا زاد على قدر القبضة، وجعله في التنوير من نفس الحديث، وزاد في الشرعة: وكان يفعل ذلك في الخميس أو الجمعة ولا يتركه مدة طويلة، وفي النهاية شرح الهداية: واللّحية عندنا طولها بقدر القبضة ـ بضم القاف ـ وما وراء ذلك يجب قطعه، رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان يأخذ من اللّحية من طولها وعرضها، أورده أبو عيسى في جامعه، وقال: مِنْ سعادة الرجل خفّة لحيته، انتهى. وقوله: يجب بمعنى ينبغي، والمراد به أنه سنّة مؤكّدة قريبة إلى الوجوب، وإلّا فلا يصح على إطلاقه. وقال ابن الملك: تسوية شعر اللّحية سنّة، وهي أن يقصّ كل شعرة أطول من غيرها يستوي جميعها، وفي

هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ (فجأة) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

واللام في ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إشارة إلى أهل القرى التي دلّ عليها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ كأنه قال: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بدل كفرهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك مكان ارتكابه ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ (﴿لَفَتَّحْنَا﴾ شاميّ) ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الأنبياء ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ بكفرهم وسوء كسبهم، ويجوز أن تكون اللام للجنس.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريد الكفار منهم ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلًا (أي وقت بيات)، يقال: بات بياتًا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم

الإحياء: قد اختلفوا فيما طال من اللّحية، فقيل: إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة، فلا بأس به، وقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة ومن تبعهما، وقالوا: تركها عافية أحبّ لقوله عليه السلام: «اعفوا اللّحى»، لكن الظاهر هو القول الأوّل، فإنّ الطول المُفرط يشوّه الخلقة، ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة إليه، فلا بأس للأخذ عنه على هذه النيّة، كذا أفاده العلّامة علي القاري في شرح مشكاة المصابيح في باب الترجّل في الفصل الثاني. **قوله:** (فِجْأة) بالكسر وفُجاءة بالضم والمدّ، وفَجاءة بالفتح والمدّ أيضًا. اهـ مختار الصِّحاح. وفي لغة وزان تمرة. اهـ. وقال العلّامة القنوي الفصيح فيها فتح الفاء وسكون الجيم بعدها همزة بلا ألف على وزن بغتة. اهـ.

قوله: (﴿لَفَتَّحْنَا﴾) بتشديد التاء (شامي) أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بالتخفيف.

قوله: (أي وقت بيات) على أن يكون بمعنى البيتوتة ومنصوبًا على الظرفية

﴿بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارًا. والضحى في الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت. والفاء والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و﴿أَوَ أَمِنَ﴾ حرفا عطف دخل عليهما همزة الإنكار، والمعطوف عليه ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم (فجأة)، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ﴿بَيَاتًا﴾ وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى («أَوْ أمن» شامي وحجازي) على العطف بـ «أو» والمعنى إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلًا أو ضحى، فإن قلت: كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافي الاستفهام؟ قلت: التنافي في المفرد لا في عطف جملة على جملة لأنه على استئناف جملة بعد جملة ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يشتغلون بما لا (يجدي) عليهم.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿أَفَأَمِنُوا﴾ تكرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ ﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ أخذه العبد من حيث لا يشعر. وعن (الشبلي) قدّس الله روحه العزيز: مكره بهم تركه إياهم

بتقدير المضاف. **قوله**: (أَوْ أمن) بسكون الواو على أنّ أو حرف عطف للتقسيم، (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ، (وحجازيّ) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّيّ، والباقون بفتحها على أنّ واو العطف دخلت عليها همزة الإنكار وورش[1] على أصله في نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفها. **قوله**: (يُجْدِي) أي ينفع.

قوله: (الشبلي) الزاهد المشهور شيخ التصوّف وصاحب الأحوال الفقيه المالكي أبو بكر دُلف بن جحدر وحيد عصره حالًا وعلمًا صحب الجُنيد ومَنْ في عصره، عاش سبعًا وثمانين سنة، ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقبره ببغداد.

---

(١) هو عثمان بن سعيد المصري يروي عن نافع المدني ﷺ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

على ما هم عليه. وقالت ابنة **(الربيع بن خُثَيم)** لأبيها: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ (﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ **إلا الكافرون**) الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار.

قوله: (الربيع بن خُثَيم) ـ بضم المعجمة وفتح المثلثة ـ ابن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مُخَضْرم[1]، قال له ابن مسعود ﷺ: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبَّك، مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستّين.

قوله: (﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ إلا الكافرون)... الخ. في التفسيرات الأحمدية: في مسألة أنّ الأمن من عذاب الله كفر، قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩] ج ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩]، يعني أفأمِنَ أهل القرى من قرية شُعيب ولوط وسائر النبيّين من مكر الله، وهو أن يأتيهم عذابنا وإهلاكنا في غفلة منه وقت الفجر أو البيات، فلا يأمنه إلّا القوم الخاسرون، فقد يُفهم من هذه الآية أنّ الأمْن من مكر الله، أي مِن استدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب خسران، أي كفران، فلا يأمن منه إلّا القوم الكافرون، ثم كما أن الأمن من مكر الله كفرٌ كذلك الإياس من رحمة الله كفر؛ لأنه قال في سورة يوسف حكاية عن قول يعقوب عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسّلام لبنيه: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٧]، هكذا ذكره التفتازاني في شرحه للعقائد، والظاهر أنه إنما تمسّك بهاتين الآيتين باعتبار أنّ النصّ لا يختصّ بمورده، وإلّا فالآيتان وردتا في قصّة شعيب عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسلام وغيره من النبيّين مع قومهم وقصّة يوسف عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسّلام وإخوته مع أبيهم، فاندفع ما يتوهّم أن الآيتين في باب الأمن والإياس في حقّ الدنيا، فكيف يصح التمسّك بهما في حقّ الآخرة؛ وذلك لأن النصّ قد بقي عامًّا بين أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، ومن هذا قيل: إنّ الإيمان دائرٌ بين الخوف والرجاء، لا أنه مجرّد خوف حتى يكون آيسًا من رحمته؛ لأنه كفر بالنصّ ولا أنه مجرّد رجاء حتى يكون آمنًا من عذابه؛ لأنه

---

(١) مَنْ أدرك الجاهلية والإسلام. ١٢.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يبيّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾ مرفوع بأنه فاعل ﴿يَهْدِ﴾ «وأن» مخففة من الثقيلة أي أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين، (وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين) ﴿وَنَطْبَعُ﴾ مستأنف أي ونحن نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ كقوله: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: الآية ٧٢] في أنه مبتدأ وخبر وحال، أو تكون ﴿الْقُرَى﴾ صفة ﴿تِلْكَ﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ خبرًا والمعنى: تلك القرى المذكور من قوم نوح إلى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيء الرسل بالبينات ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل، أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولًا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرّين على تتابع الآيات، واللام لتأكيد النفي. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الضمير للناس على

أيضًا كفر بالنصّ، فينبغي أن يكون في رجاء أن يكون أكمل أهل الجنّة، وفي خوف أنه لعلّه يدخل النار حتى يكون مؤمنًا، هكذا قالوا. اهـ.

قوله: (وإنما عدّى فعل الهداية باللام) مع أن فعل الهداية يتعدّى إلى مفعوله الأوّل بنفسه؛ (لأنه بمعنى التبيين).

الإطلاق يعني أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان، (والآية اعتراض)، أو للأمم المذكورين فإنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرّ ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا ﴿وَإِن﴾ وإن الشأن والحديث ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ لخارجين عن الطاعة، والوجود بمعنى العلم بدليل دخول «إن» المخففة واللام الفارقة، (ولا يجوز ذلك) إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ الضمير للرُّسل في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ أو للأمم ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ فكفروا بآياتنا، أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من وادٍ واحد ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣] أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا مَن آمن، أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلمًا حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صاروا مغرقين ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ﴾ يقال لملوك مصر «الفراعنة» كما يقال لملوك فارس «الأكاسرة»، وكأنه قال: يا ملك مصر ـ واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان ـ ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك. قال فرعون: كذبت. فقال موسى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي أنا حقيق على قول الحق أي واجب عليّ قول الحق أن أكون قائله والقائم به.

قوله: (والآية اعتراض) أي قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢] اعتراض إنْ كان الضمير في قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٠٠] للناس، وإنْ كان الضمير للأُمم المذكورين فلا يكون اعتراضًا، بل يكون من تتمّة الكلام السابق، وهذا تصريحٌ بأنّ الاعتراض لا يجب أن يتوسّط بين الكلامين، بل قد يقع في آخر الكلام. **قوله: (ولا يجوز ذلك)** أي دخول أنْ المخفّفة.

(«**حقيق عليّ**») نافع أي واجب **عليّ** ترك القول على الله إلا الحق أي الصدق، وعلى هذه القراءة تقف على ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وعلى الأول يجوز الوصل على جَعْل ﴿حَقِيقٌ﴾ وصف الرسول، و«علي» بمعنى الباء كقراءة (**أُبيّ**) أي إني رسول (**خليق**) بأن لا أقول، أو يعلق «على» بمعنى الفعل في الرسول أي إني رسول حقيق (**جدير**) بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بما يبين رسالتي ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فخلهم يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم. وذلك أن يوسف عليه السلام لما تُوفي غلب فرعون على نسل (**الأسباط**) واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان

قوله: («**حقيق عليّ**») بفتح الياء مشدّدة دخل حرف الجرّ على ياء المتكلّم فقُلِبت ألفها ياء وأُدغمت فيها وفتحت نافع. والباقون بالألف لفظًا على أن على التي هي حرف جرّ دخلت على أن. **قوله**: (**أُبيّ**) بن كعب السيّد القارىء الأنصاري الخزرجيّ النجاريّ، له كنيتان إحداهما أبوالمنذر كناه بها رسول الله ﷺ، والثانية أبو الطفيل كناه بها عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه، أي بابنه الطفيل. شَهِد العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة **حديث** وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم أبو أيوب، وابن عباس، وأبو موسى الأشعري وآخرون، ومن التّابعين ابنه الطفيل وسويد بن غَفْلة وزرّ بن حُبَيْش وعبد الرحمٰن بن الأسود وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وآخرون، ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ قرأ على أُبيّ بن كعب سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [البيّنة: الآية ١]، وقال: أمرني الله عزّ وجلّ أن أقرأ عليك، وهي منقبة عظيمة لأُبيّ لم يشاركه فيها أحد من الناس. وفي كتاب الترمذي وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «أَقْرأُ أُمتي أُبيّ بن كعب». توفي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وهذا هو الصحيح. **قوله**: (**خليق**) أي جدير. **قوله**: (**جدير**) أي لائق. **قوله**: (**الأسباط**) في مختار الصّحاح: الأسْباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، انتهى. وقال المصنّف رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ

بين اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام (﴿مَعِيَ﴾ حفص).

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ من عند من أرسلك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فأتني بها لتصحّ دعواك ويثبت صدقك فيها ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى عليه السلام ﴿عَصَاهُ﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ ﴿إِذَا﴾ هذه للمفاجأة وهي من ظروف المكان بمنزلة «ثمة» و«هناك» ﴿ثُعْبَانٌ﴾ حية عظيمة ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر أمره. رُوِيَ أنه كان ذكرًا (**فاغرًا**) فاه بين (**لحييه**) ثمانون ذراعًا، وضع لحيه الأسفل في الأرض والأعلى على (**سور القصر**)، ثم توجّه نحو فرعون (**فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك**)، وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا قتل بعضهم بعضًا، فصاح فرعون: يا موسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصًا.

أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٠] الأسباط أولاد الولد جمع سبط، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا، هم أولاد يعقوب على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. **قوله:** («بـ ﴿مَعِيَ﴾) بفتح ياء معي (حفص) والباقون بالإسكان.

قوله: (**فاغرًا**) بالفاء والغين المعجمة والراء المهملة، بمعنى فاتح. **قوله:** (**لَحْيَيه**) اللَّحْي بفتح اللام العظم الذي عليه الأسنان. **قوله:** (سور القصر) بمعنى أعلى حائط. **قوله:** (فهرب) في مختار الصِّحاح: الهَرب الفرار وقد هَرَب يَهْرُبُ هَرَبًا مثل طَلَب يَطْلُب طلبًا. اهـ.

قوله: (وأحدث) أي استطلق بطنه في ثيابه حتى علم به جلساؤه، (**ولم يكن أحدث قبل ذلك**) ذكر في الوسيط: أنه قام به بطنه في ذلك اليوم ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك. نقل صاحب التيسير عن وهب: أنّ موسى وهارون على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام لمّا دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقّن الله تعالى موسى دعوةً دعا بها، فقال: لا إلـه إلّا الله الحليم الكريم سبحان ربّ السمٰوات السبع وربّ العرش العظيم والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمّ إني أدرأُ بك في نحره

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي فإذا هي بيضاء **(للنظارة)**، ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضًا عجيبًا خارجًا عن العادة يجمع الناس للنظر إليه. رُوِيَ أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه؟ فقال: يدك ثم أدخلها في جيبه ونزعها فإذا هي بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم **(شديد الأدمة)**.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل إلى الناس العصا حية والآدم أبيض. وهذا الكلام قد (عزي) إلى فرعون في سورة «الشعراء» وأنه قال للملأ، وهنا عزي إليهم فيحتمل أنه قد قاله هو وقالوه هم فحُكي قوله ثَمّة وقولهم هنا، أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ يعني مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي، وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾.

وأعوذ بك من شرّه وأستعينك عليه، فاكْفِنِيه بما شئت؛ فتحوّل ما في قلب موسى من الخوف أمْنًا، وتحوّل ما في قلب فرعون من الأمْن خوفًا، فمَنْ دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمّنه(١) الله ونفّس كربته وخفّف عنه كُرَب الموت.

قوله: (للنظارة) في مختار الصحاح: النُّظّارة مشدّدًا القوم ينظرون إلى شيء.
قوله: (شديد الأدمة) وهي السُّمْرة.

[illegible] أي نسب من باب عدى ورمى.

---

(١) في تاج العروس: قد أمِنَهُ كسمع، وأمّنه تأمينًا وأتمنه واسْتَأْمَنَه بمعنًى واحد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾﴾

(﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾ **بسكون الهاء: عاصم وحمزة**) أي أخر واحبس أي أخر أمره ولا تعجل، أو كأنه همّ بقتله فقالوا: أخّر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعين ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿١١٢﴾﴾ (**«سحار» حمزة وعلي**).

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾ **بسكون الهاء عاصم وحمزة**) عبارة الإتحاف: وقرأ ﴿أرجئه﴾ هنا، وفي الشعراء بهمزة ساكنة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو بكر من طريق أبي حمدون ونفطويه وافقهم ابن محيصين واليزيدي والحسن والباقون بغير همز فيهما، وهما لغتان. يقال: أرجأت أرجيته، أي أخّرته كتوضّأت وتوضيت. والحاصل من اختلافهم في الهمز وهاء الكناية فيها ستّ قراءات متواترة: ثلاثة مع الهمز، وثلاثة مع تركه، فأوّلها قراءة قالون وابن وردان من طريق ابن هارون وهبة الله: ﴿أَرۡجِهۡ﴾ [الأعراف: الآية ١١١] بكسر الهاء مختلسة بلا همز، ثانيها قراءة ورش والكسائي وابن جماز وابن وردان من طريق ابن شبيب وخلف في اختياره: «أرجهي» بإشباع كسرة الهاء بلا همز. ثالثها: قراءة عاصم من غير طريق نفطويه وأبي حمدون عن أبي بكر وحمزة: «أرجه» بسكون الهاء بلا همزة وافقهما الأعمش. وأمّا الثلاثة التي مع الهمز؛ فأوّلها قراءة ابن كثير وهشام من طريق الحلواني: «أرجئهو» بضم الهاء مع الإشباع والهمز وافقهما ابن محيصين. الثانية: قراءتي أبي عمرو وهشام من طريق الداجوني وأبي بكر من طريق أبي حمدون ونفطويه ويعقوب: «أرجئه» باختلاس ضمّة الهاء مع الهمز وافقهم اليزيدي والحسن. الثالثة: قراءة ابن ذكوان: «أرجئه» بالهمز واختلاس كسرة الهاء؛ فلهشام وجهان: اختلاس ضمّة الهاء وإشباعها كلاهما مع الهمز، ولأبي بكر وجهان أيضًا: ترك الهمز مع إسكان الهاء والهمز مع اختلاس ضمّتها؛ ولابن وردان وجهان: ترك الهمز مع اختلاس كسرة الهاء ومع إشباعها. اهـ. **قوله:** (**«سحّار»**) بتشديد الحاء وفتحها وألف بعدها على وزن فعال للمبالغة (**حمزة وعليّ**) الكسائي، وأمال الدوري عن الكسائي، والباقون بألف بعد السين وكسر الحاء خفيفة كفاعل من غير إمالة.

أي يأتوك بكل ساحر عليم مثله في (**المهارة أو بخير منه**).

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ﴾ يريد فأرسل إليهم فحضروا ﴿قَالُوٓاْ (إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ **بهمزة واحدة على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازي وحفص**). ولم يقل «فقالوا» لأنه على تقدير سؤال سائل ما قالوا إذ جاءوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ (**لجعلًا**) على الغلبة. والتنكير للتعظيم كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ (نَعَمۡ﴾ إن لكم لأجرًا ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ عندي فتكونون أول مَن يدخل وآخر مَن يخرج، وكانوا ثمانين ألفًا أو سبعين ألفًا أو (**بضعة**) وثلاثين ألفًا.

قوله: (المهارة) الحذق في الشيء.اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (**أو بخير منه**) تفسير لقراءة «سحار».

قوله: (﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ **بهمزة واحدة على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وابن كثير المكّي (**وحفص**) عن عاصم، والباقون بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فالبصري يسهل ويدخل وهشام يحقّق ويدخل من غير خلاف. والباقون يحقّقون بلا إدخال. **قوله:** (**لجعلًا**) في مختار الصحاح: الجُعل ـ بالضم ـ ما جُعِل للإنسان من شيء على فعل، وكذا الجَعالة بالكسر، والجَعِيلة أيضًا، انتهى. **قوله:** (﴿نَعَمۡ﴾) قرأ عليّ الكسائي بكسر العين، والباقون بالفتح. **قوله:** (**بِضْعة**) في المصباح: بضع في العدد بالكسر، وبعض العرب يفتح، واستعماله من الثلاثة إلى التسعة. وعن ثعلب: من الأربعة إلى التسعة يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، فيقال: بضع رجال وبضع نسوة، ويُستعمل أيضًا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكّر وتُحذف مع المؤنث؛ كالنيّف، ولا يُستعمل فيما زاد على العشرين، وأجازه بعض المشايخ، فيقول: بضعة وعشرون رجلًا وبضع وعشرون امرأة، وهكذا قاله أبو زيد. وقالوا: على هذا معنى البضع والبضعة في العدد وقطعة مبهمة غير محدودة.اهـ.

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ لما معنا، وفيه دلالة على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر ﴿قَالَ﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿أَلْقُواْۖ﴾ (تخييرهم إياه أدب حسن) راعوه معه كما يفعل المتناظرون (قبل أن يتحاور) الجدال، وقد (سوغ لهم) موسى ما رغبوا فيه (ازدراء) لشأنهم وقلّة مبالاة بهم واعتمادًا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدًا ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أروها بالحيل (والشعوذة) وخيلوا إليهم ما الحقيقة بخلافه. رُوِيَ أنهم ألقوا حبالًا غلاظًا وخشبًا طوالًا فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضًا ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (وأرهبوهم إرهابا شديدا) كأنهم استدعوا رهبهم بالحيلة ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في باب السحر أو في عين مَن رآه.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ ـ (﴿تَلْقَفُ﴾) ـ تبتلع ﴿تَلْقَفُ﴾ (حفص) ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ «ما» موصولة أو مصدرية

قوله: (تخييرهم إياه أدب حسن) قال المشايخ: ولمراعاتهم للأدب رُزِقوا السعادة الأبديّة. قوله: (قبل أن يتحاور) والتحاور التجاوُب. اهـ مختار الصِّحاح. قوله: (سوغ لهم) في مختار الصِّحاح: سوّغ له تسويغًا، أي جوّزه. اهـ. قوله: (ازدراء) أي تحقيرًا. قوله: (والشعوذة) خفّة في اليد وأُخَذٌ كالسحر يُرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. اهـ قاموس. وفيه: الأُخْذَةُ بالضم رقية كالسِّحر. اهـ. قوله: (وأرهبوهم إرهابا شديدا)... الخ. يعني أن الاسترهاب بمعنى الإرهاب البليغ، فالطلب مجاز في المبالغة والزيادة؛ لأن المطلوب من شأنه أن يهتمّ به ويبالغ فيه، وإليه أشار المصنّف رحمة الله عليه بقوله: كأنهم... الخ.

[illegible] بسكون اللام وتخفيف القاف من لقف يلقف كعلم يعلم، يقال: لقفتُ الشيء أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعته، [illegible]. والباقون بفتح اللام وتشديد القاف من تلقّف يتلقّف، والأصل تتلقّف بتاءين فحُذِفت إحداهما، وقرأ

يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه، أو (إفكهم) تسمية للمأفوك بالإفك، رُوِيَ أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال، ورفعها موسى فرجعت عصًا كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة، أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعِصِّينا.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ فحصل وثبت ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾ أي فرعون وجنوده والسحرة ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ **(وصاروا أذلّاء مبهوتين)** ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ وخرّوا سجدًا لله كأنما ألقاهم ملقٍ لشدّة خرورهم، أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفارًا سحرة وفي آخره شهداء **(بررة)**.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ هو بدل مما قبله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ **(﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الخبر: حفص. وهذا توبيخ منه لهم. وبهمزتين: كوفي غير حفص. فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد)** ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾

البزي في الوصل بتشديد التاء، والباقون بالتخفيف. **قوله:** (إفكهم) بفتح الهمزة مصدر إفكه، بمعنى قلبه.

قوله: (وصاروا أذلّاء مبهوتين) أي الانقلاب مجاز عن الصيرورة لظهور المناسبة بينهما، وأذلّاء جمع ذليل. **قوله:** (بَرَرة) جمع البارّ.

قوله: (﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الخبر: حفص. وهذا توبيخ منه لهم. وبهمزتين: كوفي غير حفص. فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد) عبارة الإتحاف: وأمّا «آءمنتم» هنا وطٰه والشعراء، فالقرّاء فيها على أربع مراتب:

(الأولى): قراءة قالون والأزرق والبزي وأبي عمرو وابن ذكوان وهشام من طريق الحلواني والداجوني من طريق زيد وأبي جعفر بهمزة محققة، وأخرى

قبل إذني لكم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ إن صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض لكم

مسهلة وألف بعدها في الثلاث، وللأرزق فيها ثلاثة البدل، وإن تغيّر الهمز كما مرّ، ولم يبدل أحد عنه الثانية ألفًا، فقول الجعبري وورش على بدله بهمزة محقّقة، وألف بدل عن الثانية، وألف أخرى بدل عن الثالثة، ثم تُحذف إحداهما للساكنين تعقبه في النشر، ثم قال: ولعلّ ذلك وَهْم من بعضهم حيث رأى بعض الرواة عن ورش يقرؤها بالخبر، فظنّ أن ذلك على وجه البدل، وليس كذلك؛ بل هي رواية الأصبهاني، ورواية أحمد بن صالح ويونس وأبي الأزهر كلّهم عن ورش يقرؤونها بهمزة كحفص، فمن كان من هؤلاء يرى المدّ لما بعد الهمز عدّ ذلك، فيكون مثل آمنوا، إلّا أنه بالاستفهام وأبدل وحذف، انتهى. ونقله في الأصل وأقرّه على عادته، قال: فظهر أن مَنْ يقرأ عن ورش بهمزة واحدة إنما يقرأ بالخبر.

(المرتبة الثانية): لورش من طريق الأصبهاني وحفص ورُويس بهمزة محقّقة بعدها ألف في الثلاث، وهي تحتمل الخبر المَحْض والاستفهام، وحذف الهمزة اعتمادًا على قرينة التوبيخ.

(المرتبة الثالثة): لقنبل، وهو يفرق بين السور الثلاث فهنا أبدل همزتها الأُولى واوًا خالصة حالة الوصل؛ واخْتُلِف عنه في الهمزة الثانية، فسهّلها عنه ابن مجاهد وحقّقها مفتوحة ابن شنبوذ. وأمّا إذا ابتدأ، فبهمزتين ثانيتهما مسهّلة كرفيقه البزي وأمّا طَهَ والشعراء فسبق، ويأتي الحكم فيهما إن شاء الله تعالى.

(المرتبة الرابعة): لهشام، فيما رواه عنه الداجوني من طريق الشذائي وأبي بكر وحمزة والكسائي ورَوح وخلف بهمزتين محقّقتين وألف بعدهما من غير إدخال ألف بينهما في الثلاث، ولم يختلفوا في إبدال الثالثة ألفًا؛ لأنها فاء الكلمة أُبدلت لسكونها بعد فتح، وذلك أنّ أصل هذه الكلمة: أأأمنتم بثلاث همزات: الأُولى للاستفهام الإنكاري، والثانية همزة أفعل، والثالثة فاء الكلمة؛ فالثالثة يجب قلبها ألفًا على القاعدة، والأُولى محقّقة ليس إلّا غير أن حمزة إذا وقف يسهّلها بين بين في وجه لكونها ح من المتوسط بغيره المفصل. وأمّا الثانية، ففيها الخلاف، ولم يدخل أحد من القرّاء ألفًا بين الهمزتين في هذه الكلمة لئلّا يجتمع أربع

وهو أن تخرجوا من مصر **(القبط)** وتسكنوا بني إسرائيل ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد أجمله ثم فصله بقوله:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ من كل شق طرفًا ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هو أول مَن قطع من خلاف وصلب ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ فلا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته، أو إنا جميعًا يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الإيمان **(ومنه قوله)**:

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب)

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي اصبب صبًّا **(ذريعًا)**. والمعنى هب لنا برًّا واسعًا وأكثره علينا حتى يفيض علينا و**(يغمرنا كما يفرغ الماء)** إفراغًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام.

متشابهات. اهـ. **قوله: (القبط)** في مختار الصِّحاح: القبط بوزن السِّبْط أهل مصر، وهم بَنْكُها، أي أصلها. اهـ.

قوله: (ومنه قوله) أي قول النابغة الذبياني: **(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، بهن فُلول)** جمع فَلّ وهو كسر في حدّ السيف **(من قراع الكتائب)** القراع الضّراب، والكتائِب جمع كتيبة، وهي الجيش، والمعنى إذا لم يكن فيهم عيب إلا الشجاعة، وهي من أخصّ أوصاف المدح، فلا عَيْب فيهم. **قوله: (ذريعًا)** أي واسعًا. **قوله: (يغمرنا)** في القاموس: غمره الماء غمرًا واغتمره غطّاه. اهـ. **قوله: (كما يفرغ الماء)** إشارة إلى أنّ قولهم: أفرغ استعارة تبعيّة، وصبرًا قرينة شبه إنزال الصبر وإكثاره عليهم إفراغ الماء في الفيضان والغمر؛ لأن إفراغ الماء هو صبّه بالكلّية من الإناء، فيكون غامرًا لما يُصَبّ عليه، ثم قيل: أفرغ بدل أنزل، وأكثر على الاستعارة التبعية.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفر ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ عطف على ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾ قيل: صنع فرعون لقومه أصنامًا وأمرهم أن يعبدوها تقرّبًا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله (**زلفى**)، ولذلك ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: الآية ٢٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون مجيبًا للملإ ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ (﴿سَنُقَتِّلُ﴾ **حجازي**) أي سنعيد عليهم قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، ولئلّا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده (**فيثبطهم**) ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدًا بالنصر عليهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ اللام للعهد أي أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولًا أوليًا ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فيه تمنيته إياهم أرض مصر ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط. وأُخْلِيَتْ هذه الجملة عن الواو لأنها جملة مستأنفة بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ لأنها معطوفة على ما سبقها من قوله: ﴿قَالَ

قوله: (**زلفى**) قربة. **قوله:** (﴿سَنُقَتِّلُ﴾) بفتح النون وإسكان القاف وضمّ التاء مخفّفة (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازيّ، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. والباقون بضمّ النون وفتح القاف وكسر التاء مشدّدة للتكثير، لتعدّد المحال. اهـ. **قوله:** (**فيثبطهم**) في مختار الصِّحاح: ثَبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ.

﴿ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبىء وإعادته عليهم بعدلك، وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم **(على حسب ما يوجد منكم. وعن عمرو بن عبيد)** أنه دخل على **(المنصور)** قبل الخلافة وعلى مائدته **(رغيف)**

قوله: (على حسب ما يوجد منكم) في لسان العرب: الحَسَب والحَسْب قدر الشيء، كقولك: الأجر بحسَب ما علمت وحَسْبه. اهـ.

قوله: (عمرو بن عبيد) بن عبيد بن باب - بموحدتين - التميمي مولاهم، أبو عثمان البصري المعتزليّ المشهور، كان داعية إلى بدعة اتّهمه جماعة مع أنه كان عابدًا. مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها بعد المائة.

قوله: (المنصور) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وأمّه سلامة البربرية أُمّ ولد، وُلِد سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرْوِ عنه، ورَوى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهدي وبُويع بالخلافة بعهدٍ من أخيه - يعني السفاح - أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم، وكان المنصور فحلَ بني العباس هَيْبةً وشجاعةً وحزمًا ورأيًا وجبروتًا جَمّاعًا للمال تاركًا للّهو واللعب، كامل العقل جيّد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قَتَل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه، وهو الذي ضَرَب الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه على القضاء ثم سجَنَه فمات بعد أيّام، وقيل: إنه قتله بالسمّ لكونه أفتى بالخروج عليه، وكان فصيحًا بليغًا مفوّهًا خليقًا للإمارة، وكان غايةً في الحِرْص والبخل، فلُقِّب أبا الدوانيق لمحاسبة العُمّال والصُّنّاع على الدوانيق والحبّات، وكانت وفاته في سنة ثمان وخمسين بالبطن في ذي الحجّة، ودُفِن بين الحَجون وبين بئر ميمون.

قوله: (رغيف) في مختار الصّحاح: الرّغيف من الخبز، والجمع أرْغِفَة ورُغُف ورُغْفان. اهـ.

أو رغيفان، وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال: قد بقي ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ سني القحط وهن سبع سنين، والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة و(**النجم**) ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قيل: السنون لأهل (**البوادي**) ونقص الثمرات للأمصار ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر، ولأن الناس في حال الشدة (**أضرع خدودًا**) و(**أرقّ أفئدة**). وقيل: عاش فرعون أربعمائة سنة لم يرَ مكروهًا في ثلاثمائة وعشرين سنة، ولو أصابه في تلك المدة (**وجع**) أو (**جوع**) أو حمى لما ادعى الربوبية.

قوله: (النَّجم) في مختار الصِّحاح: النَّجم الكوكب والنجم الثُّريّا، وهو اسم لها علم كزيد وعمرو، فإذا قالوا: طلع النجم يريدون الثريّا، وإن أخرجت منه الألف واللام تنكّر. اهـ. **قوله: (البوادي)** جمع البادية. اهـ مصباح. **قوله: (أضرع)** في المصباح: ضرع له يضرع ـ بفتحتين ـ ضراعة ذلّ وخضع فهو ضارع، وضرع ضرعًا فهو ضرع من باب تعب لغة. اهـ. **قوله: (خدودًا)** في المصباح: الخدّ جمعه خدود، وهو من المحجر إلى اللِّحى من الجانبين. اهـ. وأيضًا فيه: الحجر مثال مجلس ما ظهر من النّقاب من الرجل والمرأة من الجفن الأسفل، وقد يكون من الأعلى، وقال بعض العرب: هو ما دار بالعين من جميع الجوانب، وبدا من البرقع، والجمع المحاجر. اهـ. **قوله: (أرقّ)** في المصباح: رقّ الشيء يرقّ من باب ضرب خلاف غلظ، فهو رقيق. اهـ. **قوله: (أفْئِدة)** في المصباح: الفؤاد القلب، وهو مذكّر، والجمع أفْئِدَةٌ. اهـ. **قوله: (وجع)** في المصباح: وجع فلانًا رأسُه أو بطنُه تجعل الإنسان مفعولًا والعضوَ فاعلًا، وقد يجوز العكس، وكأنه على القلب لفهم المعنى يوجَع وجَعًا من باب تَعِب، فهو وجِعٌ أي مريض متألّم، ويقع الوَجَع على كل مرض وجمعُه أوْجاعٌ مثل سبب وأسباب ووُجاع أيضًا بالكسر، مثل جبل وجبال، وقوم وَجِعُون ووَجْعى مثل مَرْضى ونساء وجِعات ووجاعى، وربما قيل: أوجعه رأسه بالألف والأصل وجعه ألم رأسه وأوجعه ألم رأسه لكنه حذف للعلم به، وعلى هذا فيقال: فلان موجوع، والأجود موجوع الرأس، وإذا قيل: زيد يوجَع رأسَه بحذف المفعول انتصب الرأسُ، وفي نصبه قولان: قال الفراء:

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الصحة و(الخصب) ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي هذه التي نستحقها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ (جدب) ومرض ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾ أصله «يتطيروا» فأُدغمت التاء في الطاء لأنها من طرف اللسان وأصول (الثنايا) ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا. وإنما دخل («إذا») في الحسنة وعُرفت الحسنة و(«إن») في السيئة ونُكرت السيئة، لأن جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ سبب خيرهم وشرّهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكمه ومشيئته والله هو الذي قدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية ٧٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ أصل «مهما» ما ما، فما الأولى للجزاء ضمت إليها «ما» المزيدة المؤكدة (للجزاء) في قولك «متى» ما تخرج أخرج ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ [النساء: الآية ٧٨]، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الزخرف: الآية ٤١] إلا أن الألف قلبت هاء استثقالًا لتكرير المتجانسين وهو المذهب

وجعت بطنَك مثل رَشِدتَ أمركَ؛ فالمعرفة هنا في معنى النَّكرة، وقال غير الفراء: نصبُ البطنِ بنزع الخافض، والأصل وجعت من بطنك ورشِدتَ في أمرك؛ لأن المفسّرات عند البصريّين لا يكون إلا نكرات، وهذا على القول بجعل الشخص مفعولًا واضح. أمّا إذا جعل الشخص فاعلًا والعضو مفعولًا، فلا يحتاج إلى هذا التأويل. اهـ. **قوله:** (جوع) في المصباح: جاع الرجل جَوْعًا والاسم الجوع بالضمّ. اهـ. وفي مختار الصّحاح: الجُوْع ضد الشَّبَع. اهـ.

قوله: (الخصب) بالكسر ضدّ الجَدْب. **قوله:** (جدب) الجَدْب هو المَحْلْ وزنًا ومعنى، وهو انقطاع المطرُ ويبس الأرض. اهـ مصباح. **قوله:** (الثَّنايا) جمع ثنيّة. **قوله:** (إذا) أداة التحقيق. **قوله:** (إن) حرف الشكّ.

قوله: (للجزاء) أي للشرط لأنهم يسمّون الشرط جزاء.

(**السديد**) البصري، وهو في موضع النصب بـ ﴿تَأْتِنَا﴾ أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به، و﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ تبيين لـ ﴿مَهْمَا﴾ والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ و﴿بِهَا﴾ راجع إلى ﴿مَهْمَا﴾ إلا أن الأول ذكر على اللفظ والثاني أنّث على المعنى لأنها في معنى الآية، وإنما سمّوها آية اعتبارًا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ (**ما طاف بهم**) وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: (**طفا**) الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسًا ولا قمرًا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره. وقيل: دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء (**إلى تراقيهم**)، فمن جلس (**غرق**) ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، أو هو (**الجدري**) أو (**الطاعون**) ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكلت زروعهم

قوله: (السديد) أي الصواب. في لسان العرب: السديد والسّداد الصواب من القول. وفي المصباح: السَّداد ـ بالفتح ـ الصواب من القول والفعل، وأسدّ الرجل بالألف جاء بالسّداد، وسدّ يسدّ من باب ضرب سدودًا أصاب في قوله وفعله، فهو سديد. اهـ.

قوله: (ما طاف بهم). . . الخ. يعني هو فعلان اسم جنس من الطواف، وقيل: إنه في الأصل مصدر كنقصان، وهو اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات ويعمّ كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف، قاله أبو إسحٰق. وقد رُوِي عن النبيّ ﷺ تفسيره بالموت لكنه اشتهر في طوفان الماء، وهو معروف. وقيل: هو اسم جنس واحده طوفانة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (طفا)** أي علا بابه عدا وسما. **قوله: (إلى تراقيهم)** التّراقي جمع تِرْقوة أعلى الصّدر، أي واصلًا إلى تراقيهم. في المصباح: التّرقوة وزنها فعلوة ـ بفتح الفاء وضم اللام ـ وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبَيْن، والجمع التراقي. قال بعضهم: ولا تكون التّرقوة لشيءٍ من الحيوانات إلّا للإنسان خاصّة. اهـ. **قوله: (غَرق)** من باب طَرِب. **قوله: (الجدري)** بفتح الجيم وضمّها، وأمّا الدال فمفتوحة فيهما: قروح تنفط عن الجلد ممتلئة ماء، ثم تنفتح وصاحبها جدير مجدّر، ويقال: أوّل من عذّب به قوم فرعون. اهـ مصباح. **قوله: (الطاعون)** الموت من الوباء. اهـ مصباح

وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ وهي **(الدبا)** وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها، أو **(البراغيث، أو كبار القردان)** و**(الضفادع)** وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى إذا تكلم الرجل تقع في فيه (﴿وَٱلدَّمَ﴾ **أي الرعاف**). وقيل: مياههم انقلبت دمًا حتى إن القبطي والإسرائيلي إذا اجتمعا على إناء فيكون ما **(يلي)** الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دمًا. وقيل: سال عليهم **(النيل)** دمًا ﴿ءَايَٰتٍ﴾ حال من الأشياء المذكورة ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ظاهرات **(لا يشكل)** على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بموسى ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب الأخير وهو الدم، أو العذاب المذكور واحدًا بعد واحد ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ «ما» مصدرية أي

ومختار الصِّحاح. **قوله: (الدبا)** وزان عصا الجراد يتحرّك قبل أن تنبت له أجنحة. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: الدَّبَا الجراد قبل أن يطير[1]، الواحدة دَباة. اهـ. **قوله: (البراغيث)** في مختار الصِّحاح: البُرغوث ـ بضم الباء ـ معروف. اهـ. وفي الصِّحاح: البرغوث واحد البراغيث. . اهـ. **قوله: (أو كبار القُرْدان)** بضم القاف وسكون الراء المهملة جمع القراد. في المصباح: القراد مثل غراب ما يتعلّق بالبعير ونحوه، وهو كالقمل للإنسان، الواحد قرادة، والجمع قردان، مثل غربان. اهـ. وقيل: القمل هي صغار الذر، وقيل: هو بمعنى القمل بفتح فسكون، كما قُرِىء به أيضًا. **قوله: (الضفادع)** جمع الضفدع ـ بكسرتين ـ الذَّكر، والضفدعة الأُنثى، وناس يقولونه: بفتح الدال، وأنكره الخليل. **قوله: (الرُّعاف)** الدم يخرج من الأنف. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (يلي)** الولي مثل فلس القرب. اهـ مصباح. **قوله: (النِّيل)** بالكسر نهر مصر. اهـ قاموس. **قوله: (لا يشكل)** في المصباح: أشكل الأمر ـ بالألف ـ التبس. اهـ.

---

(١) لكونها لم ينبت لها أجنحة بعد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

بعهده عندك (وهو النبوّة)، والباء تتعلق بـ ﴿ٱدۡعُ﴾ أي ادع الله لنا متوسلًا إليه بعهده عنـــدك ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ إلى حد من الزمان ﴿هُم بَٰلِغُوهُ﴾ (لا محالة) فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ (أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث ولم يؤخروه).

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾) هو ضد الإنعام كما أن العقاب هو ضد الثواب ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ هو البحر الذي لا يدرك قعره، أو هو (لجة البحر) ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المنتفعين به يقصدونه ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾

قوله: (وهو النبوّة) وسمّيت النبوّة عهدًا؛ لأن الله تعالى عهد إكرام الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام بها، وعهدوا إليه تحمّل أعباءها، أو لأن لها حقوقًا تُحفظ كما تُحفظ العهود، أو لأنها بمنزلة عهد ومنشور من الله. **قوله:** (لا محالة) أي لا بدّ. **قوله:** (أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث) أي بادروه (ولم يؤخّروه) عن ابتداء وقوع الكشف مبنيّ على محافظة ما ذهبوا إليه من أن ما يلي كلمة لمّا من الفعلين يجب أن يكون ماضيًا لفظًا أو معنى؛ فجواب لما بالحقيقة هو هذا الفعل المقدّر، وكِلَا الاسمين ـ أعني لمّا وإذا ـ معمول له، ولما ظرفية، وإذا مفعول به، والنّكث النقض، وأصله من نكث الصوف ليغزل ثانيًا، فاستُعِير لنقض العهد بعد إحكامه وإبرامه، كما في خيوط الأكسية إذا نكثت بعدما أُبرمت، وهذا من أحسن الاستعارات.

قوله: (﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾) فأردنا الانتقام منهم. اهـ بيضاوي. قوله: فأردنا الانتقام لمّا كان الانتقام عين الإغراق أوّله به ليتفرّع عليه، أو الفاء مفسّرة له عند مَنْ أثبتها. اهـ شهاب ﵀. **قوله:** (لجة البحر) في مختار الصّحاح: لجّة الماء

أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلّة فكرهم فيها ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ **يعني أرض مصر والشام**) ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب وسعة الأرزاق وكثرة الأنهار والأشجار ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٩]، أو ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: الآية ٥]. والحسنى تأنيث الأحسن صفة الكلمة (و«**على**» صلة «**تمت**») أي مضت عليهم واستمرت من قولك تمّ عليّ الأمر إذا مضى عليه ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بسبب صبرهم وحسبك به حاثًا على الصبر ودالّا على أن مَن قابل البلاء (**بالجزع وكله لله إليه**)، ومَن قابله بالصبر (**ضمن**) الله له (**الفرج**) ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارات وبناء القصور ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ من الجنات، أو ما كانوا يرفعون من الأبنية (**المشيدة**) في السماء كصرح هامان وغيره. (**وبضم الراء: شامي وأبو بكر**). وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله.

- بالضم - معظمه، وكذا اللُّجّ ومنه بحر لُجِّيٌّ. اهـ. **قوله:** (﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ **يعني أرض مصر والشام**)، وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها. **قوله:** (﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾) أي ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين (**ملك فرعون**) ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: الآية ٦] (**أرض مصر والشام**) ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦] يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه. **قوله:** (**وعلى صلة تمّت**) أي على بني إسرائيل متعلق بقوله: ﴿وَتَمَّتْ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٧]. **قوله:** (**بالجزع**) في مختار الصِّحاح: **الجَزَع** ضدّ الصبر، وبابه طرب. **قوله:** (**وكله الله إليه**) في المصباح: وكلته إلى نفسه من باب وعد، ولولا لم أقم بأمره ولم أُعِنْه. اهـ. **قوله:** (**ضمن**) في مختار الصِّحاح: ضَمِنَ الشيء - بالكسر - ضَماناً كَفَل به، فهو ضامن وضمين. اهـ. **قوله:** (**الفرج**) بفتحتين **قوله:** (**المُشَيَّدة**) المرتفعة. **قوله:** (**وبضم الراء: شامي**) أي ابن عامر الشاميّ، (**وأبو بكر**) شُعْبة عن عاصم، والباقون بالكسر.

ثم أتبعه قصة بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك، ليتسلى رسول الله ﷺ **(مما رآه من بني إسرائيل بالمدينة)**.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

(وجاوزوه) ﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ رُوِيَ أنهم **(عبر بهم)** موسى **(يوم عاشوراء بعدما أهلك الله فرعون وقومه)** فصاموه شكرًا لله ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ فمرّوا

قوله: (مما رآه من بني إسرائيل بالمدينة)، فإنهم جروا على دَأْب أسلافهم مع موسى عليه وعلى نبيِّنا الصّلاة والسلام.

قوله: (وجاوزوه)... الخ. البحر بحر القلزم، وأخطأ مَنْ قال إنه نيل مصر، كما في البحر.اهـ شهاب. **قوله: (عبر بهم)** أي جاوز بهم البحر. **قوله: (يوم عاشوراء)** عاشر المحرّم. **قوله: (بعدما أهلك الله فرعون وقومه)** هذا صريح في أنّ عُبُور موسى وقومه بعد هلاك فرعون وقومه، لكن الآية المذكورة في سورة الشعراء من قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان ٦٥، ٦٦] صريح في أنّ عبور موسى وقومه قبل هلاك فرعون وقومه، اللّهمّ إن يلتزم أن عبور موسى وقومه على البحر كان مرّتين: مرّة قبل هلاك فرعون، وهو مدلول الآية في سورة الشعراء وسورة يونس. ومرّة بعد هلاكهم، وهو مدلول الرواية المذكورة، فتأمّل. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قيل: يحتمل أن تكون البعدية رتبية، فإنّ عبور الجمّ الغفير البحر العميق من غير أن يبتلّ قدم أحد أعظم آية من هلاك فرعون وقومه، وهو دَفْعٌ لما ورد عليه وعلى الكشاف من أنه وقع في سورة الشعراء: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان ٦٥، ٦٦]، وهو صريح في أن عبور موسى صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلّم وقومه قبل هلاك فرعون، وكلام المصنّف رحمه الله في سورة البقرة يدلّ عليه، ولذا قيل: إنّ عبور موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام وقومه البحر وقع مرّتين: مرّة قبله ومرّة بعده، فتأمّل. وفي حاشيته للعلامة القنوي: وما نطق به النصّ الكريم عبوره بهم قبل مَهْلك فرعون

عليهم ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يواظبون على عبادتها وكانت (تماثيل) بقر. (وبكسر الكاف: حمزة وعلي). ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ صنمًا نعكف عليه ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ أصنام يعكفون عليها. و«ما» كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها. قال يهودي لعلي ﷺ: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجفّ ماؤه. فقال: قلتم ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ ولم تجفّ أقدامكم ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني عبدة تلك التماثيل ﴿مُتَبَّرٞ﴾ مهلك من (التبار) ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي. وفي إيقاع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسمًا لـ «إن» وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لها (وَسْم) لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرّضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحل ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حال أي على عالمي زمانكم.

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ («أنجاكم» شاميّ) ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها، وهو استئناف لا محل له، أو حال من

وأمّا بعده، فلا دلالة النصّ عليه ولا الإشارة إليه، ولعلّ لهذا عرَض المصنّف، فقال: رُوِيَ. اهـ. **قوله:** (تماثيل) أي صُوَر. **قوله:** (بكسر الكاف حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بالضم.

قوله: (التَّبار) ـ بالفتح ـ الهلاك. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله:** (وَسْم) أي علامة.

قوله: (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون، (شاميّ) أي ابن عامر الشامي، والباقون بياء ونون بعد الجيم وألف بعدهما.

المخاطبين، أو من ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ («يقتلون» نافع) ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ أي في الإنجاء أو في العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ (نعمة أو محنة) ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾لإعطاء التوراة ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ رُوِيَ أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يومًا وهي شهر ذي القعدة، فلما أتمّ الثلاثين أنكر (خُلوف فيه) فتسوك، فأوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ ما وقت له من الوقت وضربه له ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نصب على الحال أي تم بالغًا هذا العدد، ولقد أجمل ذكر الأربعين في «البقرة» وفصلها هنا ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ هو عطف بيان ﴿لِأَخِيهِ﴾ ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (ما يجب أن يصلح) من أمور بني إسرائيل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ومَن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه.

قوله: (يَقْتُلون) بفتح الياء وإسكان القاف وضمّ التاء مخفّفة (نافع)، والباقون بضمّ الياء وفتح القاف وكسر التاء مشدّدة. **قوله:** (نعمة أو محنة)؛ لأن البلاء بمعنى الابتلاء والاختبار، وهو يكون بكلٍّ منهما، وفيه لفّ ونشر مرتّب. اهـ شهاب. وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: فإن البلاء يُطلق على كلّ واحدة منهما، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٨] وفيه لفّ ونشر، فإنّ البلاء النّعمة على تقدير أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمحنة على تقدير أن تكون إلى العذاب. اهـ.

قوله: (خُلوف فيه) ـ بضمّ الخاء ـ تغيّر رائحة الفمّ. **قوله:** (ما يجب أن يصلح) على أن يقدّر له مفعول.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا. ومعنى اللام الاختصاص أي اختصّ مجيئه لميقاتنا ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة ولا كيفية. ورُوِيَ أنه (**كان يسمع الكلام من كل جهة**. **وذكر الشيخ في التأويلات**) أن موسى عليه السلام سمع صوتًا دالًّا على كلام الله تعالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتًا تولّى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبًا لأحد من الخلق، وغيره يسمع صوتًا مكتسبًا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى، فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ثاني مفعولي ﴿أَرِنِىٓ﴾ محذوف أي أرني ذاتك أنظر إليك يعني مكنّي من رؤيتك بأن تتجلّى لي حتى أراك (**«أرْني» مكيّ**. **وبكسر الراء مختلسة: أبو عمرو، وبكسر الراء مشبعة: غيرهما**) وهو دليل لأهل السنّة على جواز الرؤية، فإن موسى عليه السلام اعتقد أن الله تعالى يُرَى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية، وهو دليل لنا أيضًا لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفيًا للجواز، ولو لم يكن مرئيًا لأخبر بأنه ليس بمرئي إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان ﴿(وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ) فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ بقي على

قوله: (**كان يسمع الكلام من كلّ جهة**) المراد بالسّماع من كل جهة عدم اختصاص ما سمعه بجهة من الجهات. **قوله**: (**وذكر الشيخ**) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ (**في التأويلات**) أي في كتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب.

قوله: (**أرْني**) بإسكان الراء (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو**) البصري (**وبكسر الراء مشبعة**) أي بالكسرة الكاملة (**غيرهما**). واتفقوا على إسكان يائه.

قوله: (﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾)، والجبل قيل: جبل زبير - بزاي معجمة مفتوحة وباء موحدة مكسورة وراء مهملة - بوزن أمير، اسم هذا الجبل؛ كما في

حاله ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ وهو دليل لنا أيضًا لأنه علّق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن، وتعليق الشيء بما هو ممكن يدلّ على إمكانه كالتعليق بالممتنع يدلّ على امتناعه، والدليل على أنه ممكن قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ ولم يقل «اندكّ» وما أوجده تعالى كان جائزًا أن لا يوجد لو لم يوجده لأنه مختار في فعله، ولأنه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالًا لعاتبه كما عاتب نوحًا عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: الآية ٤٦] حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر وبان ظهورًا بلا كيف. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: معنى التجلّي للجبل ما قاله (الأشعري) إنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلمًا ورؤية حتى رأى ربه، وهذا نصّ في إثبات كونه مرئيًا، وبهذه الوجزة يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالمًا بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: الآية ٥٥] فلطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئي باطل إذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا إليك ثم يقول له: لن يروني. ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر، وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره، ألا ترى أنهم لما قالوا له: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ لم يمهلهم بل ردّ عليهم من ساعته بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ مدكوكًا

القاموس. والمشهور أنه الطّهور. اهـ شهاب. وعبارة القاموس: الزبير كأمير الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام. اهـ.

قوله: (الأشعريّ) أي أبو الحسن عليّ الأشعري، وهو صاحب الأُصول والقائم بنصرة مذهب السنّة، وإليه تنسب الطائفة الأشعريّة وشهرته تُغني عن الإطالة في تعريفه. توفي سنة نيّف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين فجأة، والأشعري ـ بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء ـ هذه النِّسْبة إلى أشعر، واسمه نَبْت بن أُدد بن زيد بن يشجب، وإنما قيل له أشعر؛ لأن أُمّه ولدته والشعر على بدنه، هكذا قاله السمعاني، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مصدر بمصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير (**والدقُّ والدكُّ**) أخوان. («**دكاء**» **حمزة وعلي**). أي مستوية بالأرض لا (**أكمة**) فيها وناقة دكاء لا (**سنام**) لها ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ حال أي سقط مغشيًّا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من السؤال في الدنيا ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بعظمتك وجلالك، وبأنك لا تعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها. وقال (**الكعبي والأصمّ**): معنى قوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأني أنظر إليك ﴿لَن تَرَانِي﴾ لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ فإني أظهر له آية، فإن ثبت الجبل لتجليها و﴿اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ فسوف تثبت لها وتطيقها. وهذا فاسد لأنه قال: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ولم يقل «إليها» وقال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكًّا؟

قوله: (والدقّ والدكّ) أخوان، أي نظيران، ومعناهما واحد. **قوله:** («دكّاء») بالمدّ والهمز من غير تنوين بوزن حمراء (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بالتنوين بلا مدّ ولا همز. **قوله:** (أكمة) في المصباح: الأكمة تلّ، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكانٍ واحد، وربما غلظ، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأكمات، مثل قصبة وقصب وقصبات، وجمع الأكم آكام مثل جبل وجبال، وجمع الآكام أُكُم ـ بضمّتين ـ مثل كتاب وكتب، وجمع الأُكُم آكام، مثل عنق وأعناق. اهـ.

قوله: (سَنام) ـ بالفتح ـ في لسان العرب: سَنام البعير والناقة أعلى ظهرها، والجمع أسْنِمَةٌ. اهـ.

قوله: (الكعبي) البلخي المتكلّم رأس الكعبية من المعتزلة وصاحب التصانيف والمقالات، أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود، وكان من مقالاته أنّ الله سبحانه وتعالى ليست له إرادة، وأنّ جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها، وله اختيارات في عِلْم الكلام. توفي مستهلّ شعبان سنة سبع عشرة وثلاثمائة، والكعبي ـ بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة ـ هذه النسبة إلى بني كعب، والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله:** (**والأصمّ**) أي وأبو بكر الأصمّ من المعتزلة.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ اخترتك على أهل زمانك «برسالتي» (هي أسفار التوراة «برسالتي»: حجازي) ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ و(بتكليمي إياك) ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ أعطيتك من شرف النبوّة والحكمة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم. قيل: خرّ موسى صعقًا (يوم عرفة)، وأعطي التوراة (يوم النحر). ولما كان هارون وزيرًا وتابعًا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح. وقيل: سبعة وكانت من (زمرد).

قوله: (هي أسفار التوراة) أي كتب التوراة ومجلّداتها وألواحها، وهو جمع سفر، وهو الكتاب. يقال: سفره أي كتبه، فتكون الرسالة عبارة عن نفس الشيء المُرسَل به إلى الغير، فينبغي أن يقدّر المضاف، أي بتبليغ رسالته. **قوله: (برسالتي)** بغير ألف بعد اللام على التوحيد **(حجازيّ)** إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وابن كثير المكي. والباقون بإثبات الألف على الجمع. **قوله: (بتكليمي)** أي الكلام هنا مصدر على أصله، لا اسم اللفظ. **قوله: (إيّاك)** أي المفعول في النّظم الجليل محذوف. **قوله: (يوم عرفة)** تاسع ذي الحجة عَلَم لا يدخلها الألف واللام، وهي ممنوعة من الصرف للتأنيث والعلمية. اهـ مصباح. **قوله: (يوم النَّحر)** عاشر ذي الحجّة يوم الأضحى؛ لأن البُدْن تُنْحر فيه. اهـ لسان العرب.

قوله: (زمرّد) في المصباح: الزمرّد ـ مثقل الراء مضمومة والذال معجمة ـ هو الزَّبرجد، قال ابن قُتيبة: والدال المهملة تصحيف، وحُكي في البارع عن الأصمعيّ: الصواب بذال معجمة الواحدة زمرّدة. اهـ. وفي مختار الصِّحاح: الزمرّد بضم الزاي والراء وتشديدها الزّبرجد، وهو معرب. اهـ. وفي القاموس: الزُّمُرُّد بالضمات وشدّ الراء الزبرجد معرب. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله

وقيل: من (**خشب**) نزلت من السماء فيها التوراة ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ في محل النصب على أنه مفعول «كتبنا» ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (**بدل منه**) والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام.

وقيل: أنزلت التوراة وهي سبعون (**وقر بعير**) لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر: موسى و(**يوشع**) وعزير وعيسى ﴿فَخُذْهَا﴾ فقلنا له خذها عطفًا على «كتبنا» والضمير للألواح أو ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لأنه في معنى الأشياء ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة فعل (**أولي العزم**) من الرسل ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ (**أي فيها ما هو حسن وأحسن**)

الوهاب: زمرّد بضم الزاي المعجمة والميم والراء المهملة، وعن الأزهري: فتح الراء وبالذال المعجمة آخره، وهو غير الزبرجد، كما هو معلوم عند أهله.اهـ. وفي تاج العروس: (الزمرد بالضمّات وشدّ الراء هو الزبرجد) هكذا في الصحاح، (وهو معرب) قال ابن قتيبة: داله مهملة وصوّب الأصمعي الإعجام، ونقله في البارع وصححه، وقال بعض بالوجهين، وعن الأزهريّ فتح الراء أيضًا. قال التيفاشي في كتاب الأحجار: قال الفرّاء في كُتُبه: إن الزبرجد تعريب الزمرّد، وليس كذلك، بل الزبرجد نوعٌ آخر من الحجارة. وقال ابن ساعد الأنصاري: وقيل: إن معدنه بالقرب من معدن الزمرّد. قال شيخنا: وهذا نصّ في المغايرة، وقال: وفرّق جماعة آخرون بأن الزمرّد أشد خضرةً من الزبرجد، والله أعلم، انتهى. **قوله: (خشب)** في مختار الصحاح: جمع الخَشَبة خَشَب ـ بفتحتين ـ وخُشُب ـ بضمّتين ـ وخُشْب كقفل وخُشْبان كغفران.اهـ. وفي المصباح: الخشب معروف الواحد خشبة، والخشب ـ بضمّتين وإسكان الثاني ـ تخفيف مثله، وقيل: المضموم جمع المفتوح، كالأُسُد بضمتين جمع أسد بفتحتين. **قوله: (بدل منه)** أي من الجار والمجرور، يعني: أن كل شيء في محل النصب على أنه مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلًا بدل منه، فتكون كلمة مَنْ فيه مزيدة لا تبعيضيّة. **قوله: (وقر بعير)** في المصباح: الوَقْر بالكسر حَمْل البغل والحمار، ويُستعمل في البعير.اهـ. **قوله: (يوشع)** ـ بضمّ التحتية وفتح الشين ـ ابن نون. **قوله: (أولي العزم)** ذوي الثّبات والصبر على الشدائد. **قوله: (أي فيهما ما هو حسن وأحسن)**... الخ. إشارة إلى جواب ما يقال من أنه تعالى لمّا تعبّد بكلّ ما في التوراة وجب أن يكون

كالقصاص والعفو و(الانتصار) والصبر، فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: الآية ٥٥]، ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ دار فرعون وقومه وهي مصر، ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف (أقفرت) منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكّل بكم مثل نكالهم أو جهلهم.

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧﴾

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ عن فهمها. قال (ذو النون) قدّس الله روحه: أبى الله أن يكرم قلوب الباطلين بمكنون حكمة القرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ يتطاولون على الخلق و(يأنفون) عن قبول الحق. وحقيقته التكلّف للكبرياء التي اختصّت بالباري

الكلّ حسنًا، وقوله: ﴿يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥] يقتضي أن يكون فيها ما ليس بأحسن، وأنه لا يجوز الأخذ به، وهو متناقض، وأجاب عنه بأنّ ما في التوراة من التكاليف متفاوت منه ما هو أحسن، ومنه ما هو حسن؛ كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، وكل واحد منها وإنْ كان مشروعًا حسنًا في حكم التّوراة إلّا أنه تعالى أمرهم بطريق النّدب أن يأخذوا بالأفضل، فإنه أكثر ثوابًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزُمَر: الآية ٥٥]، وقوله: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزُمَر: الآيتان ١٧، ١٨]، ولا يرد أن يقال: إنه تعالى لمّا أمر بالأحسن، فقد مَنَع عن الأخذ بالحسن، وذلك يقدح في كونه حسنًا؛ لأنّا نقول: إنما أمرهم بالأخذ بالأحسن على طريق النّدب، فيزول التناقض والإشكال. **قوله:** (الانتصار) أي الانتقام. **قوله:** (أقفرت) أي خلت فينكل بهم مثل نكالهم. في مختار الصِّحاح: نكّل به تنكيلًا، أي جعله نَكالًا وعِبْرة لغيره. اهـ.

قوله: (ذو النون) المصري، أبو الفَيْض ثوبان بن إبراهيم. **قوله:** (يأنفون) في المصباح: أنِفَ من الشيء أنفًا من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة، أي

عزّت قُدرته ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو حال أي يتكبرون غير محقين لأن التكبّر بالحق لله وحده ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ طريق صلاح الأمر وطريق الهدى. («الرَّشَد»: **حمزة وعلي**). وهما كالسقم والسقم ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومحل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرفع أي ذلك الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بسبب تكذيبهم ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ هو من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ خبر ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الإرسال.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذهابه إلى الطور ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ وإنما نسبت إليهم مع أنها كانت (عواري) في أيديهم لأن الإضافة تكون لأدنى ملابسة، وفيه دليل على أن مَن حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دارًا استعارها يحنث، على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم. وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها، نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فأسند الفعل إليهم. (والحلي) جمع «حلى» وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة («حليهم»: حمزة وعلي للاتباع) ﴿عِجْلًا﴾ مفعول «اتخذ» ﴿جَسَدًا﴾ بدل منه أي بدنًا ذا لحم ودم كسائر الأجساد ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ هو صوت

استنكف وهو الاستكبار. اهـ. قوله: («الرَّشَد») بفتح الراء والشين (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بضمّ الراء وإسكان الشين، وهما لغتان كالسُّقْم والسَّقَم.

قوله: (عواري) في القاموس: العاريّة ـ مشدّدة وقد يخفّف ـ والعارة ما تداولوه بينهم، والجمع عَوَارِيُّ ـ مشدّدة ومخفّفة ـ. اهـ. قوله: (والحلي) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء وقد تُكسر الحاء، جمع حَلْي بفتح الحاء وسكون اللام. [illegible] بكسر الحاء واللام وتشديد الياء مكسورة [illegible] الكسائي [illegible] أي لإتباع الحاء لكسرة اللام كدليّ وعصيّ، جمعَيْ دلو وعصا

البقر والمفعول الثاني محذوف أي إلـهًا. ثم عجب من (**عقولهم السخيفة**) فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ حين اتخذوه إلـهًا ﴿أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على مَن ﴿(لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) مِدَادًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] (**لكلماته**) ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾) [الكهف: الآية ١٠٩] كلماته، وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق (بما أركز) في العقول من الأدلة وبما أنزل في الكتب. ثم ابتدأ فقال: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلـهًا فأقدموا على هذا الأمر المنكر ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل. وأصله أن من شأنه من اشتد ندمه أن يعضّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطًا فيها لأن فاه وقع فيها

أصلهما دلو وعصو، وقُلِبت الواو الأخيرة ياءً لوقوعها طرفًا بعد ضمّة، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقُلِبت الواو ياء وأُدغمت وكُسِرت عين الكلمة، وإنْ كانت مضمومة في الأصل لتصحّ الياء، ثم لك بعد ذلك فيه وجهان: تَرْك الفاء على ضمّها واتّباعها للعين في الكسرة، وهذا مطرد في كل جمع على فعول من معتلّ اللام سواء كانت لامه واوًا كما في عصيّ ودليّ، أو ياءً كما في حليّ وثديّ في جمع حَلْي وثَدْي أصلهما حلوى وثدوى نحو فلوس في جمع فلس، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء إمّا مفرد أريد به الجمع، أو اسم جمع مفرده حلية كقمح وقمحة. والباقون بضمّ الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة جمع حلى كفلس وفلوس، والأصل حلوى، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قُلِبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء وكُسِرت عين الكلمة. **قوله:** (**عقولهم السّخيفة**) في لسان العرب: السَّخْف والسُّخْف والسخافة رقّة العقل، سَخُف ـ بالضم ـ سخافة فهو سخيف، ورجل سخيف العقل بيِّن السَّخَف، وهذا من سخفة عقلك والسَّخْف ضَعْف العقل. اهـ. **قوله:** (﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾) أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يُكتب به (لكلماته) الدالّة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به لنفد البحر في كتابتها. **قوله:** (بما أركز) في المِصْباح: ركزت الرمح ركزًا من باب قتل أثبته بالأرض فارتكز. اهـ.

وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية. وقال (الزجاج): معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال: «حصل في يده مكروه» وإن استحال أن يكون في اليد تشبيهًا لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ وتبينوا ضلالهم تبينًا كأنهم أبصروه بعيونهم ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا﴾ («لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا» حمزة وعلي). وانتصاب ﴿رَبَّنَا﴾ (على النداء) ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ المغبونين في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من الطور ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ بني إسرائيل ﴿غَضۡبَٰنَ﴾ حال من ﴿مُوسَىٰ﴾ ﴿أَسِفٗا﴾ حال أيضًا أي حزينًا ﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾ قمتم مقامي وكنتم خلفائي ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ والخطاب لعبدة العجل من السامري و(أشياعه)، أو لهارون ومَن معه من المؤمنين، ويدلّ عليه قوله: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله، (وفاعل «بئس» مضمر يفسره «ما خلفتموني») والمخصوص بالذم محذوف

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النَّحوي. **قوله:** («لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا») بتاء الخطاب في الفعلين (حمزة وعليّ) الكسائي، وانتصاب ربَّنا أي نصب الباء من ربّنا (على النداء). والباقون بياء الغيب فيهما ورفع ربّنا **على** أنه فاعل.

قوله: (أشياعه) أي أتباعه. في المصباح: الشِّيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزًا[1] لجماعة مخصوصة، والجمع شِيَع مثل سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع. اهـ. **قوله:** (وفاعل «بئس» مضمر يفسّره «ما خلفتموني»)، فإنّ الفاعل في باب نعم وبئس إذا كان مضمرًا يجب أن يفسّره بنكرة موصوفة، أو بما، وفسّر هٰهنا بقوله: ما خلفتموني، ولا يجوز أن

---

(١) أي لقبًا. ١٢ مصباح

تقديره بئس (**خلافة**) خلفتمونيها من بعدي (**خلافتكم**). ومعنى ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ بعد قوله: ﴿خَلَفۡتُمُونِي﴾ من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه، أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف ﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ أسبقتم بعبادة العجل ﴿أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ وهو إتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة. وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه. وقيل: عجلتم بمعنى تركتم (وألقى الألواح) (ضجرًا) عند استماعه حديث العجل غضبًا لله، وكان في نفسه شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبًا، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى، فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ﴾ (بشعر رأسه) غضبًا عليه حيث لم يمنعهم من عبادة العجل ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ عتابًا عليه لا (هوانًا) به وهو حال من موسى ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾ (بني الابن مع الأم على الفتح كـ «خمسة عشر» وبكسر الميم: حمزة وعلي وشامي)، لأن أصله أُمّي فحذف الياء اجتزاء

يكون ما خلفتموني فاعل بئس؛ لأن فاعله يجب أن يكون معرّفًا باللام، أو مضافًا إلى المعرّف باللام، وهو ليس واحدًا منهما، فتعيّن أن يكون الفاعل مضمر أو لا يضمر الفاعل فيه إلّا بشرط التفسير ومفسّره قوله: ما خلفتموني. **قوله**: (خلافة) بالنصب تفسير لما. **قوله**: (خلافتكم) هو المخصوص بالذمّ. **قوله**: (ضجرًا) في مختار الصِّحاح: الضَّجَر القَلَق من الغمّ وبابه طَرِب، فهو ضَجِر ورجل ضجور. اهـ. **قوله**: (بشعر رأسه)؛ لأنه الذي يُمْسك ويُؤْخَذ. **قوله**: (هوانًا الهوان) نقيض العِزّ. **قوله**: (بني الابن مع الأمّ على الفتح كخمسة عشر) أي كتركيبها تركيب خمسة عشر بالشّبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافًا لأُمّ، بل مركّب معها، ومذهب الكوفيّين أن ابن مضاف لأُم، وأُمّ مضافة للياء قُلِبت الياء ألفًا تخفيفًا، فانفتحت الميم؛ كقوله: يا بنت عمّا لا تلومي واهجعي، ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالّة عليها، [illegible] الكسائي [illegible] أي ابن عامر الشامي، وكذا أبو بكر شعبة عن عاصم كسر بناء عند البصريّين لأجل ياء المتكلّم. والباقون بفتحها على جعل الاسمين اسمًا واحدًا، وبُنِيَا على الفتح كما تقدّم.

عنها بالكسرة، (وكان ابن أمه وأبيه). وإنما ذكر الأم لأنها كانت مؤمنة ولأن ذكرها أدعى (إلى العطف) ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ أي إني (لم آل) جهدًا في كفّهم بالوعظ والإنذار ولكنهم استضعفوني وهمّوا بقتلي (﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾) الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي قرينًا لهم بغضبك علي. فلما اتضح له عذر أخيه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ ليرضي أخاه وينفي الشماتة عنه بإشراكه معه في الدعاء، والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولأخي إن كان فرط في حسن الخلافة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلـهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ خروجهم من ديارهم فالغربة تذلّ الأعناق أو ضرب الجزية عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ الكاذبين على الله (ولا فِرية) أعظم من قول السامري «هذا إلـهكم وإلـه موسى».

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾ رجعوا إلى الله ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ وأخلصوا الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي السيئات أو التوبة

قوله: (وكان ابن أمّه وأبيه) على الأصح. **قوله:** (إلى العطف) أي الرحمة ورقّة القلب. **قوله:** (لم آل) من باب عدا، أي لم أقصّر. في القاموس: ألى ألْوًا وأُلُوًّا وأُلِيًّا وألّا وائْتَلى قصّر. اهـ. **قوله:** (﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾) يقال: شمّت به شماتة من باب علم يعلم إذا فرح ببليّة أصابت عدوّه، ثم ينقل إلى باب الأفعال للتعدية، وشماتة العدوّ أشدّ من كل بليّة. قال الشاعر:

والموت دون شماتة الأعداءِ

قوله: (ولا فِرْية) الفِرْية ـ بالكسر ـ بمعنى الكذب.

﴿لَغَفُورٌ﴾ لستور عليهم محاء لما كان منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ منعم عليهم بالجنة. و«إن» مع اسمها وخبرها خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم أولًا، ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن عظمت فعفوه أعظم.

ولما كان الغضب لشدته كأنه هو الآمر لموسى بما فعل قيل:

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ وقال الزجاج: معناه سكن **(وقرىء به)** ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ **(وفيما نسخ منها)** أي كتب **(فعلة بمعنى مفعول)** كالخطبة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ **(دخلت اللام)** لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ **(أي من قومه)** فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ قيل: اختار من اثني عشر سبطًا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلًا

قوله: (وقرىء به) قرأ بها معاوية بن قرّة. **قوله: (وفيما نسخ منها)** أي من الألواح المنكسرة مبنيّ على ما رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لمّا ألقى موسى الألواح تكسّرت، فصام أربعين يومًا، فأعاد الله الألواح وفيها نقش ما في الأولى، وعلى قول مَنْ قال إن الألواح لم تنكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٤] المكتوب فيها. **قوله: (فعلة بمعنى مفعول)** حاصله أنّ نسخة فعلة بمعنى مفعولة، أي منسوخة. **قوله: (دخلت اللام)**... الخ. هذه لام التقوية الدّاخلة على المعمول المقدَّم.

قوله: (أي من قومه) اختار يتعدّى إلى اثنين إلى أوّلهما بنفسه، وإلى ثانيهما بحرف الجرّ، يقال: اخترت زيدًا من الرِّجال ثم يتّسع ويُحذف الجار ويُوصل الفعل

فقال: ليتخلف منكم رجلان فقعد (كالب) و(يوشع) ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ لاعتذارهم عن عبادة العجل ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ﴾ بما كان منهم من عبادة العجل ﴿وَإِيَّٰيَۖ﴾ لقتلي القبطي ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العجل ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ ابتلاؤك وهو راجع إلى قوله: ﴿قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ [طه: الآية ٨٥]، فقال موسى: هي تلك الفتنة التي أخبرتني بها أو هي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء، ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥] ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَن تَشَآءُ﴾ من علمت منهم اختيار الضلالة ﴿وَتَهۡدِي﴾ بها ﴿مَن تَشَآءُ﴾ من علمت منهم اختيار الهدى ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ مولانا القائم بأمورنا ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا﴾ وأثبت لنا واقسم ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ عاقبة وحياة طيبة وتوفيقًا في الطاعة ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب. ﴿قَالَ عَذَابِيٓ﴾ من صفته أني ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ أي لا أعفو عنه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ أي من صفة رحمتي أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتي في الدنيا ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي هذه الرحمة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك من أمة محمد ﷺ ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بجميع كتبنا ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ لا يكفرون بشيء منها.

بنفسه، وقد يُحذف المفعول الثاني رأسًا، فيقال: اخترت زيدًا وقومه مفعول ثان وسبعين أوّلهما، والتقدير: واختار موسى سبعين رجلًا من قومه، والاختيار افتعال من لفظ الخير كاصطفى من الصفوة، يقال: اختار الشيء إذا أخذ خيره وخياره، قيل: وفيه دليل على أنّ كلّهم لم يعبدوا العجل. **قوله: (كالب)** بفتح اللام. **قوله: (يوشع)** ـ بضم التحتية وفتح الشين ـ ابن نون.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الذي نوحي إليه كتابًا مختصًا به وهو القرآن ﴿النَّبِيَّ﴾ صاحب المعجزات ﴿الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾ أي يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (**بخلع الأنداد**) وإنصاف العباد ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة (**كالشحوم**) وغيرها، أو ما طاب في الشريعة مما ذُكر اسم الله عليه من الذبائح (**وما خلا كسبه من السحت**) ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ما **يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير** الله به)، أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة (**ونحوهما من المكاسب الخبيثة**) ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾) هو الثقل الذي

قوله: (**بخلع الأنداد**) أي بترك الشركاء في العبادة. **قوله:** (**كالشحوم**) جمع شحم مثل فلس وفلوس. **قوله:** (**وما خلا كسبه من السُّحت**) في مختار الصِّحاح: السُّحْت ـ بسكون الحاء وضمّها ـ الحرام. اهـ. **قوله:** (﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ما **يستخبث** كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به) أي ذُبح على اسم غيره تعالى، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذِّبح لآلهتهم. اهـ جلالين. أو ما خبث في الحكم؛ كالربا والرشوة مثلثة. اهـ قاموس. (ونحوهما من المكاسب **الخبيثة**)، وفيه دليل على حُرْمة ما سوى السَّمك من حيوان البحر؛ لأن كلّها خبيث، فيكون ردًّا على الشافعي رحمه الله في حلّية جميع حيوان البحر، كذا في الهداية. اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾) أي الثّقل والتكاليف الشاقّة التي كانت عليهم، مثل الغلّ، والأظهر أنهما جميعًا عبارتان عن التكاليف الشاقّة، كما هو رأي القاضي البيضاوي، والأكثرون على الفرق بينهما، فقال صاحب الكشاف: والإصر مثل لثقل تكليفهم، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، والأغلال مثل لِمَا كان في شرائعهم من الأشياء الشاقّة،

(**يأصر**) صاحبه أي يحبسه عن (**الحراك**) لثقله، والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة. («**آصارهم**» **شامي على الجمع** ﴿وَٱلْأَغْلَـٰلَ﴾ ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ هي الأحكام الشاقة نحو: (**بت القضاء بالقصاص**)

نحو بتّ القضاء بالقصاص عمدًا كان أو خطأ من غير شرع الدّية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللّحم، وتحريم السبت. وعن عطاء: كانوا بني إسرائيل إذا قاموا للصلاة لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة، هذا لفظه. وذكر صاحب المدارك: قطع الأعضاء الخاطئة من الإصر، وزاد في الأغلال ظهور الذنوب على الأبواب، وجعل صاحب الحُسينيّ قطع العضو والثوب من الإصر، وقتل النفس والقصاص وإحراق الغنيمة من الأغلال. وذكر الإمام الزاهد فرضيّة الصلاة في اللّيل والزكاة بربع المال وتحريم السبت من الإصر، وقطع الأعضاء الخاطئة من الأغلال، وقال أيضًا: إنّ ما قال الشافعي رحمه الله تعالى في موت ما ليس له دم سائل يفسد الطعام، وقليل النجاسة يمنع جواز الصّلاة يؤدي إلى إثبات الأغلال والآصار وإبطال مِنّة الله تعالى، هذا كلامه. ومرجع كل ذلك إلى جعل الإصر أشدّ من الأغلال تارة، وعكسه أخرى، وزاد بعضهم: وجوب خمسين صلاة في يوم وليلة، واقتصار جواز الصلاة في المسجد، وحرمة الجماع في أيّام الصوم بعدَ العَتْمة، وحُرمة الطعام بعد النّوم، وإحراق المستقبل من الصدقات أيضًا، ومجازاة الحسنة بحسنة لا بعشر حسنات من الأغلال، هكذا ذكر بعض أهل الأُصول وقالوا: إنّ وضع هذه الآصار والأغلال عنّا يسمّى رخصة مجازًا؛ إذ الأصل ساقط لم يبق مشروعًا أصلًا، فلم يكن في الحقيقة إلا نسخًا، فهو من أتمّ نوعي المجاز من أنواع الرخصة، هذا لفظهم. والمقصود هنا هو بيان تحريم الخبائث ووضع الإصر والأغلال. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله**: (**يأصر**) بابه ضرب. **قوله**: (**الحراك**) بحاء مكسورة وراء مهملة الحركة. **قوله**: («**آصارهم**») بفتح الهمزة ومدّها وفتح الصاد وألف بعدها (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**على الجمع**). والباقون بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد بلا ألف على الإفراد اسم جنس. **قوله**: (بَتّ) أي قطع (**القضاء بالقصاص**) أي تعيّن القضاء بالقصاص في

(عمدًا) كان أو خطأ من غير شرع الديّة، (وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب)، وإحراق (الغنائم) وظهور الذنوب على أبواب البيوت، و(شبهت بالغلّ) للزومها لزوم الغلّ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وعظموه أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو ـ وأصل العزر المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن «ومع» متعلق بـ ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبيّ والعمل بسنته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل خير والناجون من كل شيء.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى كافة الإنس و(كافة) الجن ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿إِلَيْكُمْ﴾ ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ في محل النصب بإضمار أعني وهو نصب على المدح ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل من الصلة وهي ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ وكذلك ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ وفي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وفي ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ بيان لاختصاصه بالإلهية إذ لا يقدر

القتل، وقد أورد عليه أنه ينافي ما ذكره في قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥]، من تفسيره بالعفو عن القصاص على طريقة الندب، وجمع بأنه كان مأمورًا به في الألواح أوّلًا ثم تعيّن عليهم القصاص تشديدًا عليهم جزاءً لما صدر عنهم. **قوله:** (عمدًا) بابه ضرب. **قوله:** (وقرض) أي قطع (موضع النجاسة من الجلد[1]) أي من البدن (والثوب) بالمِقْراض. **قوله:** (الغنائم) جمع غنيمة. **قوله:** (شُبّهت بالغلّ) الغلّ ـ بالضم ـ طوق من حديد يُجعل في العنق، والجمع أغلال مثل قفل وأقفال. اهـ مصباح.

قوله: (كافة) أي جميع.

---

(١) قال المحقّق التفتازاني في تفسير الجلد: كالخفّ والفرو. ١٢ منه عمّ فيضهم.

على الإحياء والإماتة غيره ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي الكتب المنزلة ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (لتجري عليه الصفات) التي أُجريت عليه، ولما في الالتفات من (مزية) البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته (كائنًا من كان ـ أنا أو غيري ـ إظهارًا للنصفة وتفاديًا) من العصبية لنفسه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي يهدون الناس محقّين أو بسبب الحق الذي هم عليه ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون. قيل: هم قوم وراء (الصين) آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج، أو هم (عبد الله بن سلام) و(أضرابه).

قوله: (لتجري عليه الصّفات) التي أُجريت عليه، فإن الضمير لا يُوصف ولا يُوصف به. **قوله**: (مزْية) في لسان العرب: المَزِية في كل شيء التَّمام والكمال، والمِزْية الفضيلة. اهـ باختصار. **قوله**: (كائنًا) حال عامله معنى الإشارة في هذا الشخص، واسمه الضمير العائد إليه وخبره (مَن كان) على أن مَنْ موصوفة بكان للإبهام، أي شخص كان بمعنى أيّ شخص حصل ووجد، وكان تامّة، وهذه الكلمة جرت مجرى المثل في التعميم حتى لا يغيّر لفظ كائنًا عن الإفراد نظرًا إلى الخبر، وإنْ كان مرجع الضمير جمعًا نحو: أيّها العلماء كائنًا مَنْ كان، قالوا: وهذا حال فيه معنى الشرط، أي إن كان هذا وإنْ كان ذلك (ـ أنا أو غيري ـ) بدل من هذا الشخص (إظهارًا) مفعول له ليُعْلَم. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله**: (للنصفة) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عامَلْته بالعدل والقسط، والاسم النّصفة بفتحتين، لأنك أعطيته من الحقّ ما تستحقّه لنفسك. اهـ. **قوله**: (تفاديًا) في لسان العرب: تفادى فلان من كذا إذا تحامى وانْزوى عنه. اهـ.

قوله: (الصين) بلد معروف. **قوله**: (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيليّ الأنصاري، ثم الخزرجيّ الصحابي، كنيته أبو يوسف. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث، وانفرد البخاري بآخر.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ وصيّرناهم قطعًا أي فرقًا وميّزنا بعضهم من بعض ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ كقولك اثنتي عشرة قبيلة، **(والأسباط أولاد الولد جمع سبط)** وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا **(من ولد يعقوب** عليه السلام). نعم **(مميز ما عدا العشرة)** مفرد فكان ينبغي أن يُقال اثني عشر سبطًا، **(لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة)** وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع «أسباط» موضع «قبيلة» ﴿أُمَمًا﴾ بدل من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ أي وقطعناهم أممًا لأن كل أسباط كانت أُمة عظيمة وكل واحدة

توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة. **قوله: (أضرابه)** أي أمثاله.

قوله: (والأسباط أولاد الولد جمع سبط) كحمل وأحمال. **قوله: (من ولد يعقوب عليه)** وعلى نبيّنا **(الصّلاة والسّلام)**. في مختار الصحاح: الولد يكون واحدًا وجمعًا، وكذلك الوُلْد بوزن القُفْل، وقد يكون الوُلْد **جمع** وَلَد كأسَد وأُسْد. اهـ. وفي المصباح: الولد ـ بفتحتين ـ كل ما ولده شيء، ويُطلق على الذّكر والأُنثى والمثنّى والمجموع فعل بمعنى مفعول، وهو مذكّر، وجمعه أولاد، والولد وزان قفل لغة فيه، وقيس تجعل المضموم جمعَ المفتوح، مثل أُسْد **جمع** أسَد. اهـ. **قوله: (مميز ما عدا العشرة)** أي مميّز أحد عشر إلى تسعة عشر.

قوله: (لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة)... الخ. أي جوّز أن يكون أسباطًا تمييزًا له بناء على أنّ كل فرقة من الفرق المنقطعة من بني إسرائيل ليس سبطًا واحدًا، بل أسباطًا؛ لأن السبط ولد الولد، فلو قيل: قطعناهم اثني عشر سبطًا، لكان المعنى: اثني عشر ولد، وليس المراد ذلك؛ بل المراد اثنتا عشرة قبيلة أسباطًا، فحذف ما هو المميّز حقيقةً، وهو القبيلة، وأُقيم صفته وهو أسباطًا مقامه، وأُعرب بإعرابه. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وهو تعالى لمّا أخرجهم من أرض مصر وأدخلهم البريّة جعلهم اثنتي عشرة فرقة

كانت (تؤم) خلاف ما تؤمه الأخرى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضرب ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ هو اسم جمع (غير تكسير) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ وجعلناه ظليلًا عليهم في (التيه) ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم (النعم) ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ولكن كانوا يضرّون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ واذكر إذ قيل لهم ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ

قبائل شتّى ليكون أمر كل سبط متعرّفًا من جهة رئيسهم، فيخفّ الأمر على موسى عليه السلام فيما يحتاج إليه من تعرّف أحوالهم ويسهل عليه جمعهم، ويعلم كل فريق مرجعهم في أُمورهم، وانحصار الفرق في اثنتي عشرة فرقة لأنهم كانوا من اثني عشر رجلًا من أولاد يعقوب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام؛ فأنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم أحوالهم، ولئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهَرج والمَرَج.

قوله: (تؤمّ) في المصباح: أمّه أمًّا من باب قتل قصده.اهـ. **قوله:** (غير تكسير) بدليل عَوْد الضمير المفرد إليه وتصغيره على لفظه، ولأن فعالًا بالضمّ ليس من صِيَغ الجمع، وما يقال في كتب اللغة: إنّ رخالًا ـ بالضمّ ـ جمع رخل ـ بكسر الخاء ـ وهي الأُنثى من ولد الضأن، فمبنيّ على أنهم يعنون بالجمع ما يعمّ اسم الجمع، كما يقولون: إنّ ركبًا جمع راكب.اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (التِّيه) ـ بكسر التاء ـ المفازة.اهـ مصباح. **قوله:** (النِّعم) جمع نِعمة.

﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ﴾ («تُغفَر لكم» مدني وشامي «خطيئاتكم» مدني «خطاياكم» أبو عمرو «خطيئتكم» شامي) ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٦٢﴾ ولا تناقض بين قوله: ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ في هذه السورة وبين قوله في سورة «البقرة» ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ﴾ [البقرة: الآية ٨٥] لوجود الدخول والسكنى. وسواء قدموا الحطّة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما. وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته، وقوله: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة، وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتّب على قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وكذلك (زيادة منهم) زيادة بيان و﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ و﴿أَنزَلۡنَا﴾ و﴿يَظۡلِمُونَ﴾ و﴿يَفۡسُقُونَ﴾ من وادٍ واحد.

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣﴾

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ﴾ واسأل اليهود ﴿عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ (أيلة) أو مدين (وهذا السؤال للتقريع)

قوله: (تُغفَر لكم) بالتأنيث مَبْنيًّا للمفعول (مدني) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي، وكذا يعقوب البصري. والباقون بالنون مبنيًّا للفاعل («خطيئاتكم») بجمع السلامة ورفع التاء على النيابة عن الفاعل، (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وكذا يعقوب البصري («خطاياكم») على وزن عطاياكم بجمع التكسير مفعولًا لتغفر (أبو عمرو) البصري («خطيئتكم») بالإفراد ورفع التاء (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون بجمع السلامة وكسر التاء نصبًا على المفعوليّة. **قوله:** (زيادة منهم) أي لفظ منهم.

قوله: (أيلة) ـ بفتح الهمزة وسكون الياء ـ قرية بين مِدْين والطور، وفي بعض النسخ: إيْلِياء ـ هي بالمدّ والتخفيف ـ اسم مَدِينَةِ بيت المقدس، وقد تشدد الياء الثانية وتقصر الكلمة. في فتح القدير: واختلف أهل التفسير في هذه القرية، أيّ قرية هي؟ فقيل: أيْلة، وقيل: طَبَرِيّة، وقيل: مِدْين، وقيل: إيلياء، وقيل: قرية من قرى ساحل الشام.اهـ. **قوله:** (وهذا السؤال للتقريع) والتوبيخ، أي ليس المقصود

بقديم كفرهم ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ قريبة منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ إذ يتجاورون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ في محل الجرّ بدل من ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ منصوب بـ ﴿يَعْدُونَ﴾ أو بدل بعد بدل ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان، والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد، والمعنى إذ يعدون في تعظيم اليوم وكذا قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدلّ عليه ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ ظرف ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوف على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ وحكمه كحكمه في الإعراب ﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما ركبوا (الصعب) والذلول في موعظتهم لآخرين (لا يقلعون) عن وعظهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ـ معذرةً ـ (أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله) لئلّا ننسب في

من السؤال استعلام ما لم يعلمه السائل؛ لأنه عليه الصّلاة والسّلام قد عَلِم هذه القصة من قِبَل الله تعالى بالوحي، بل المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على إقدامهم على الكفر والمعاصي قديمًا، وأن إصرارهم على الكفر بمحمّد ﷺ وإنكار نبوّته ومُعجزاته ليس شيء قد حدث منهم في زمانه، بل إصرارهم على الكفر كان حاصلًا لأسلافهم في قديم الزَّمان.

قوله: (الصَّعْب) خلاف السَّهْل نقيض الذلول. اهـ لسان العرب. **قوله:** (لا يقلعون) الإقلاع عن الأمر الكفّ عنه، يقال: أقلع عمّا كان عليه وأقلعت عنه الحمّى. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله:** (أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله) أبليت فلانًا

النهي عن المنكر إلى (**التفريط** ﴿مَعْذِرَةً﴾ **حفص**) على أنه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ولطمعنا في أن يتقوا.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ أي أهل القرية (**لما تركوا**) ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ﴾ ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ من العذاب الشديد ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين، فعن (**الحسن**): نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد. يقال: بؤس يبؤس بأسًا إذا اشتدّ فهو بئيس. («**بئس**»: **شامي** «**بيس**» **مدني** «**بيئس**» **على وزن فيعل: أبو بكر غير حماد**) ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

عذرًا، أي بيّنت فيما بيني وبينه بما لا لَوْم عليّ بعد. اهـ محشي رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله:** (**التفريط**) أي التقصير. **قوله:** (﴿مَعْذِرَةً﴾) بالنصب (**حفص**) عن عاصم. والباقون بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي موعظتنا، أو هذه معذرَة.

قوله: (**لما تركوا**)... الخ. يعني قوله تعالى: ﴿نَسُوا﴾ [الأعراف: الآية ٥١] استعارة تبعيّة شبّه تركهم عمدًا لما وُعِظوا به بترك مَنْ تركه سهوًا ونسيانًا، فأطلق عليه اسم النّسيان استعارة تصريحيّة، فاشتقّ منه نسوا وصير إلى المجاز لتعذّر الحمل على الحقيقة. **قوله:** (**الحسن**) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** («**بئس**») بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها على أنه صفة على وزن فَعِل أصله بَئِس ـ بفتح الباء وكسر الهمزة ـ فخفّف، كما في كبد وكتف، بأن قيل: كِبْد وكِتْف. (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي («**بيس**») بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة بعدها من غير همز مثل عيس على قلب الهمزة ياء، أو على أنه فعل الذمّ نُقِل إلى الاسميّة فوُصِف به. (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. («**بيئس**») بياء مفتوحة ثم ياء ساكنة ثمّ همزة مفتوحة (**على وزن**) ضَيْغم صفة على وزن (**فيعل، أبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم (**غير حماد**) بن زياد، فإنه رُوِي عنه بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة على وزن رئيس وصف على فعيل كشديد للمبالغة، وبه قرأ الباقون.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ أي جعلناهم قردة (أذلّاء) مبعدين. وقيل: فلما عتوا تكرير لقوله ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ والعذاب البئيس: هو المسخ. قيل: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون، والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث. وقيل: بقيت وتناسلت.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي أعلم **(وأُجري مجرى فعل القسم)**، ولذا أُجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ من يوليهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فكانوا يؤدّون الجزية إلى **(المجوس)** إلى أن بعث محمد ﷺ فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم **(إلى آخر الدهر)** ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ للكفار ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وفرّقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة ﴿(أُمَمًا) مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ

قوله: (أذلّاء) جمع ذليل.

قوله: **(وأُجري مجرى فعل القسم)** من حيث دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به. **قوله:** (المجوس) جِيْل معروف. **قوله:** (إلى آخر الدَّهر) هذا لا ينافيه نزول عيسى على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسّلام ورفع الجزية؛ لأنه مِنْ أشراط الساعة المُلحقة بأُمور الآخرة.

قوله: (﴿أُمَمًا﴾) مفعول ثانٍ أن جعل قطع بمعنى صيّر، أو حال إن بقي على أصل معناه، ومنهم الصالحون صفة لأُممًا أو بدل منه، فيكون مفعولًا ثانيًا، أو حالًا من مفعول قطعناهم، أي فرّقناهم حال كونهم منهم الصالحون. **قوله:**

ذَٰلِكَ﴾ ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم (الفسقة) ومحل ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (بالنعم والنقم والخصب) والجدب ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ينتهون فينيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المذكورين «خلف» وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ، (والخلْف بدل السوء بخلاف الخلَف فهو الصالح) ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ووقفوا على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هو حال من الضمير في ﴿وَرِثُوا۟﴾ والعرض: المتاع (أي حطام هذا الشيء الأدنى) يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب، والمراد ما كانوا يأخذونه من (الرشا) في الأحكام على تحريف (الكلم) وفي قوله: ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ تخسيس وتحقير ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يؤاخذنا الله بما أخذنا، والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجرور أي لنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (أي الميثاق المذكور في الكتاب) ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الصدق، وهو عطف بيان لـ ﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ وقرءوا ما في الكتاب وهو عطف على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ لأنه تقرير فكأنه قيل: أخذ عليهم

(الفَسَقة) جمع فاسق، **قوله**: (بالنِّعم والنِّقم) لأنهما مما يُختبر بهما. **قوله**: (الخصب) ـ بالكسر ـ ضدّ الجَدْب، أي القَحْط.

قوله: (والخلف) بسكون اللام (بدل السوء بخلاف الخلف) بفتح اللام (فهو الصالح). **قوله**: (أي حطام هذا الشيء الأدنى) الحطام ـ بالضم ـ المتكسّر من اليبس، والمراد حقارته. **قوله**: (الرّشا) بضمّ الراء وكسرها جمع رشوة. **قوله**: (الكلم) جمع كلمة. **قوله**: (أي الميثاق المذكور في الكتاب) إشارة إلى أن الإضافة

ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العرض الخسيس ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الرشا والمحارم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ـ أفلا يعقلون ـ أنه كذلك (وبالتاء: مدني وحفص).

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ (بِٱلْكِتَٰبِ)﴾ «يـمْسكون» أبو بكر) والإمساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلّق بشيء ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ خصّ الصلاة مع أن التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لأنها (عماد الدين) و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ (أي إنا لا نضيع أجرهم). وجاز أن يكون مجرورًا عطفًا على ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراض.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ واذكروا إذا قلعناه ورفعناه كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: الآية ٦٣] ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ هي كل ما أظلّك من

على معنى في. **قوله:** (وبالتاء) أي بتاء الخطاب (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، (وحفص) عن عاصم، وكذا ابن عامر الشاميّ وسهل ويعقوب، وليسا من السبعة. والباقون بياء الغيبة.

قوله: («يمْسكون») بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك، وهو متعدٍّ، فالمفعول محذوف، أي دينهم أو أعمالهم (﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾) والباء للحال، أو الآلة (أبو بكر) عن عاصم. والباقون بالفتح والتشديد من مسك بمعنى تمسّك، فالباء للآلة، كهي في تمسّكت بالحبل. **قوله:** (عماد الدين) في لسان العرب: العِماد والعَمود الخشبة التي تُقيم عليها البيت. اهـ. وأيضًا فيه: العماد: ما أُقيم به. اهـ. **قوله:** (أي إنا لا نضيع أجرهم) يعني أن الخبر الجملة لا بدّ فيها من رابط يربطها بالمبتدأ، وذلك الرابط الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير، فإنّ مقتضى الظاهر أن يقال: إنّا لا نضيّع أجرهم، إلّا أنه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيهًا على أنه تعالى لا يضيّع أجرهم لأجل إصلاحهم.

(سقيفة) أو سحاب ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ وعلموا أنه (**ساقط عليهم**)، وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخًا في فرسخ. وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم. فلما نظروا إلى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدًا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل (**فرقًا**) من سقوطه، فلذلك لا ترى يهوديًا يسجد على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة، وقلنا لهم ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٖ﴾ وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأوامر والنواهي ولا تنسوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أي واذكر إذ أخذ ﴿مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ بدل من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ والتقدير: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ (**هذا من باب التمثيل**)، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلّة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيها وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلّة الشاهدة على صحتها العقول، كراهة أن يقولوا ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم ننبّه عليه.

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾

﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ﴾ أو كراهة أن يقولوا ﴿إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلّة على التوحيد وما نبّهوا عليه قائم معهم فلا

قوله: (سقيفة) في المصباح: السقيفة الصفة، وكل ما سُقف في جناح وغيره. اهـ. **قوله:** (ساقط عليهم) إشارة إلى أن الباء بمعنى على كما في إن تأمنه بقنطار، وهو أحد معانيها. **قوله:** (فرَقًا) أي خوفًا.

قوله: (هذا من باب التمثيل) ومعنى التمثيل تشبيه الحال بالحال.

عذر لهم في الإعراض عنه والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي كانوا السبب في شركنا **(لتأسيسهم)** الشرك وتركه سنة لنا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التفصيل البليغ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ لهم **(﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم نفصلها)**. إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير، منهم **(الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري)**، وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله

قوله: (لتأسيسهم) في المصباح: أسّسته تأسيسًا جعلت له أساسًا.اهـ. وأيضًا فيه: أُسّ الحائط ـ بالضمّ ـ أصله وجمعه آساس، مثل قفل وأقفال، وربما قيل: أساس مثل عُسّ وعِساس، والأساس مثله، وجمعه أُسُس، مثل عَناق وعُنق.اهـ.

قوله: (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم نفصلها) عبارة تفسير الكشاف: (﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾) وإرادة إن رجعوا عن شركهم نفصّلها.اهـ.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريديّ رحمه الله.

قوله: (والزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النَّحوي.

قوله: (والزمخشري) هو محمود بن عمر، أبو القاسم جار الله الزمخشري نسبةً إلى زمخشر، قرية من قرى خُوارزم، كان إمام عصره بلا مدافع، نحويًا ذكيًا، فقيهًا مناظرًا بيانيًا متكلّمًا مناظرًا أديبًا شاعرًا مفسّرًا من أكابر الحنفيّة، حنفي المذهب، معتزليّ المعتقد، له في العلوم آثار ما ليست لغيره من أهل العصر، ومِنْ تصانيفه: الكشاف في التفسير، والفائق في اللغة في تفسير الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، وربيع الأبرار، ومتشابه أساس الرواة، والنصائح الكبار، والنصائح الصغار، والرائض في علم الفرائض، والمفصّل في النَّحو، والأُنموذج، والمفرد، وشرح أبيات سيبويه، وشقائق النعمان وغير ذلك. وُلِد سنة (٤٦٧) سبع وستين وأربعمائة، ومات سنة (٥٣٨) ثمان وثلاثين وخمسمائة. ذكر السمعاني أن زمخشر ـ بفتح الزاي وسكون الخاء بينهما ميم مفتوحة وبعد الخاء شين معجمة ـ قرية كبيرة من قرى خُوارزم، مثل بليدة، وقال: المشهور منها محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم، كان يُضْرَب به المثل في الأدب والنَّحو، بقية

تعالى أخرج ذريّة آدم من ظهر آدم (مثل الذر) وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجابوه بـ ﴿بَلَىٰ﴾. قالوا: وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وقال ابن عباس ﵄: أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه إياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال: هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق أن يعبدوني. قيل: كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف. وقيل: بعد النزول من الجنة. وقيل: في

الأفاضل الكبار وصنّف التصانيف في التفسير والأحاديث واللغة وظهر له جماعة أصحاب، وكانت ولادته بزمخشر في رجب سنة ٤٦٧، وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨، انتهى. وفي بُغْية الوعاة: كان كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، مُتْقِنًا في كل علم، معتزليًا قويًا في مذهبه، مُجاهِرًا به، حنفيًا، وَرَدَ بغداد غير مرّة وأخذ الأدب عن أبي الحسن عليّ بن المظفّر النيسابوريّ وأبي نعيم الأصبهاني، وجاور بمكّة وتلقّب بجار الله وفخر خوارزم أيضًا، وأصابه خراج في رجله فقطعها، وصَنَع عوضَها رجلًا من خشب، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظنّ أنه أعرج، انتهى. وفي مرآة الجنان في حوادث سنة ٥٣٨: فيها توفي العلّامة اللغويّ النحويّ المفسّر المعتزليّ أبو القاسم محمود الزمخشري، كان مُتْقنًا في التفسير والحديث والنَّحو واللغة والبيان، إمام عصره في فنونه، وله التصانيف الكبيرة البديعة الممدوحة، عدّ بعضهم منها ثلاثين، انتهى. وذكر العلَّامة السيوطي في البغية، من تصانيفه: المُسْتَقْصَى في الأمثال، وأطواق الذهب، وشرح مشكلات المفصل، والكلم النوابغ، والقسطاس في العروض، والأحاجي النَّحويّة وغير ذلك مما مرّ. وذكر العلَّامة القاري ﵀ منها: المنهاج في الأُصول، والرسالة الناصحيّة، ومقدّمة الأدب، ورؤوس المسائل في الفقه، وصميم العربية، وديوان التمثيل، والأمالي، ومعجم الحدود والمياه والأماكن والجبال، وضالّة الناشد، وقال: هو حنفي الفروع معتزلي الأُصول له دسائس خُفِيَت على أكثر الناس، فلهذا حرّم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره لِمَا فيه من سوء تعبيره في تأويله وتغييره. اهـ. وأفاد العلَّامة الفهّامة الأفندي داده جونكي في حاشيته على شرح السَّعد في التصريف: قال العلّامة أكمل الدين في شرح الكشاف: أنه قد تاب من مذهب الاعتزال، وصنّف النصائح الصغار ونصائح الكبار بعد توبته من الاعتزال، انتهى.

قوله: (مثل الذرّ) أي النمل.

الجنة. (والحجة للأولين أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ ولم يقل من ظهر آدم، ولأنا لا نتذكر ذلك فأنى يصير حجة).

قوله: (والحجَة للأولين أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾، ولم يقل من ظهر آدم؛ ولأنا لا نتذكّر ذلك، فأنى يصير حجَة) قال العلّامة التفتازاني: وما ورد في الحديث الصحيح من إخراج الذرّيَّة من ظهر آدم لا ينافي ذلك؛ لأن بني آدم من ظهر آدم، فالمخرج من ظهورهم مُخرج من ظهره. اهـ. وفي تفسير الخازن: **فإن قلت**: إذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب جمهور المفسّرين من السلف في ذلك، وأنّ الله أخرج الذُّرّيّة من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم، كما ورد في الحديث أيضًا، فكيف يُحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول؟

قلت: قد صحّ الحديث بأنّ الله مسح ظهر آدم فأخرج ذرّيته وأخذ عليهم الميثاق، ولا مُنافاة بين الآية والحديث، كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذُرِّيّة آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض، كما في الخارج، وكلّهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم، فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث؛ إذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدلّ على بطلان ذلك ونفيه، وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته، فوجب المصير إليه والأخذ به جمعًا بين الآية والحديث. وحَكى الواحديّ عن صاحب النّظم أنّه قال: ليس بين قوله عليه الصّلاة والسّلام أنّ الله مسح ظهر آدم، فأخرج منه ذرّيته، وبين الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه تعالىٰ إذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذرّيته، لأن ذرّية آدم ذرّيّة كذرّية بعضهم من بعض، قال: وتحصل الفائدة بهذا الفصل بأنه تعالى ثبت الحجّة على كل منفوس ممن بلغ ومَنْ لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على مَنْ بلغ منهم الحجّة بالآيات والدّلائل التي نصبها بالرسل المنفذة إليهم مبشّرين ومنذرين وبالمواعظ، وقال غيره: فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أنّ مَنْ مات منهم صغيرًا أُدخل الجنّة بإقراره بالميثاق الأوّل، وهذا على قول مَنْ يقول: إنّ أطفال المشركين يدخلون الجنّة إذا ماتوا صغارًا، فأمّا مَنْ لا يحكم لهم بالجنّة، فإنه يقول: مَنْ كان مِنْ أهل الشقاوة مِنَ الذُّرِّيّة السوداء، وإنما أقرّوا بالمعرفة كرهًا، فلم يُغْنِ عنهم ذلك شيئًا، ومَنْ بلغ وعَقِل لم يُغْنِ عنه إقراره بالميثاق الأوّل شيئًا حتى يؤمن ويصدّق عند بلوغه وعقله بأنّ الله ربّه وخالقه،

....

ويصدّق رُسُله فيما جاؤوا به من عنده، وإنما فعل ذلك لئلّا يقول الكفّار: إنّا كنّا عن هذا الميثاق أو الإيمان بأن الله ربّنا غافلين، أو لئلّا يقول أخلافهم: إنما أشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم، ظنًّا منهم أنّ الحق ما كانوا عليه.

فإن قلت: إنّ ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم، فكيف يكون حجّة عليهم اليوم؟ أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتجّ عليهم به؟

قلت: لما أخرج الذرّيّة من صلب آدم ركّب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق، فلما أُعيدوا إلى صلب آدم بَطُل ما ركّب فيهم، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق، لاقتضاء الحكمة الإلـهيّة نسيانهم له، ثم ابتدأهم بالخطاب على ألسنة الرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام وأصحاب الشرائع، فقام ذلك مقام الذِّكر؛ إذ الدار دار تكليف وامتحان، ولو لم ينسوه لانْتَفَت المِحْنة والابتلاء والتكليف، فقامت الحجّة عليهم لإمدادهم بالرُّسل وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم، وبذلك قامت الحجّة عليهم أيضًا يوم القيامة لإخبار الرسل إيّاهم بذلك الميثاق في الدنيا، فمن أنكره كان مُعانِدًا ناقضًا للعهد، ولزمتهم الحجّة ولم تسقط الحجّة عنهم بنسيانهم، وعدم حفظهم بعدم إخبار الصادق صاحب الشّرع والمعجزات الباهرات. اهـ بحروفه.

وفي التفُسيرات الأحمدية: وقد ذكر الإمام الزّاهد هـٰهنا في تفسير الآية كلامًا طويلًا، حاصله أنه قيل: لا ميثاق وقت آدم، إنما هو الآن على المكلّفين، وقيل: إنما هو للكافر فقط، وقيل: للمسلم فقط، وقيل: لهما، ولكن المسلم أجاب طَوْعًا والكافر كُرْهًا، والكلّ غلط، والصحيح أنه أخذ الميثاق من الكلّ، وأجاب الكلّ بطوع واختيار واستنطقهم وجعلهم سامعين عاقلين، وليس ذلك بعجب؛ فصدَّقوا بقلوبهم وأقرّوا بلسانهم، وأشهد عليهم السمـٰوات السبع والأرضين السبع والملائكة، وأشهد عليهم آدم، فهو حقّ غايته أنه لم يذكره أحد من المؤمنين والكافرين، ولا يضرّ ذلك؛ لأن الدنيا دار تعب ومِحْنة، ولو كانوا ذاكرين لذلك العهد لارتفع الابتلاء؛ ولأن الله لم يكتفِ بذلك العهد، بل جدَّده في كل عصر على ألْسِنة الرُّسل، فمَنْ قَبِله نفعه العهد الأوّل، ومَنْ لا فلا؛ والدليل على إقرارهم

(«ذرياتهم» مدني وبصري وشامي «أن يقولوا» «أو يقولوا»: أبو عمرو).

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ على اليهود ﴿نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ هو عالم من علماء بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، وعلى تصديقهم قوله تعالى: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، والدليل على تعميم الميثاق قوله تعالى: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عِمران: الآية ١٠٦]، فإنه يدلّ على أن الكفار كلّهم آمنوا يوم الميثاق، وكفروا بعد، وإلّا لكان مختصًا بالمرتدّين، وإنما لم يبقوا على الإيمان في الدار الدنيا، وإن أقرُّوا قبله لأنّ الخلق في الدنيا إنما هو على موافقة علمه الأزليّ، فأحدث كما علم، وإنما جاز استرقاق أطفال الكَفَرة ونحوه، وإن لم يوجد منهم الكفر؛ لأنّ ذلك بحكم الله يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد. وأما أحكامهم في الآخرة، فتوقف فيه الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه واختلف فيه غيره، وإنما يحلّ أخذ الجزية من الكفار ومناكحة أهل الكتاب؛ لأن عدمه موقوف على الإيمان الابتدائي، ولم يوجد منهم، هذا حاصل ما فيه. وقد ذكر الإمام فخر الإسلام البزدوي وغيره في بحث الأهليّة: أنّ الآدمي يُولد وله ذمّة صالحة للوجوب بناءً على عهد الميثاق، ولكنه لمّا لم يصلح للأداء قبل البلوغ لم يجب عليه؛ لأن المقصود من الوجوب الأداء، وهذا أهليّة وجوب، ثم بعدها أهليّة أداء، وهي نوعان: كاملة وقاصرة، وهكذا سرد الكلام إلى آخره، وفيه تفصيل لا يليق بهذا المختصر، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قوله: («ذرياتهم») بإثبات الألف بعد الياء التحتية مع كسر التاء على الجمع، (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بحذف الألف ونصب التاء الفوقيّة على الإفراد. **قوله:** («أن يقولوا») يوم (**أو يقولوا**) إنما بياء الغيب فيهما (**أبو عمرو**)، والباقون بتاء الخطاب فيهما.

وقيل: هو (بلعم) بن باعوراء أُوتي علم بعض كتب الله ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينًا له ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فصار من الضالين الكافرين. رُوِيَ أن قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى ومَن معه فأبى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء ﴿بِهَا﴾ بتلك الآيات ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا ورغب فيها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إيثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ أي تزجره وتطرده ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ غير مطرود (﴿يَلْهَث﴾) والمعنى فصفته التي هي مثل في الخسّة و(الضعة) كصفة الكلب في أخسّ أحواله وأذلّها وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه أي شدّ عليه و(هيج) فطرد، أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا حرّك، أما الكلب فيلهث في الحالين فكان مقتضى الكلام أن يُقال: ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط. ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلًا دائم الذلّة لاهثًا في الحالين. وقيل: لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل

قوله: (بلعم) بفتح الموحدة بزنة أرقم، ابن باعورا ـ بالموحدة والألف المقصورة في آخره ـ. اهـ كمالين.

قوله: (﴿يَلْهَث﴾) يدلع[1] لسانه، أي يُخرجه. **قوله:** (الضعة) بفتح الضاد وكسرها. في المصباح: وضع في حسبه بالبناء للمفعول، فهو وضيع، أي ساقط لا قدر له، والاسم الضِّعَة بفتح الضاد وكسرها. **قوله:** (هيج) في المصباح: هاجَ

(١) في القاموس: دلع لسانه كمَنَع، أخرجه كأدلعه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يلهث كما يلهث الكلب. وقيل: معناه هو ضالّ وعظ أو ترك. وعن (عطاء): مَن علم ولم يعمل فهو كالكلب (ينبح) إن طرد أو ترك ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من اليهود بعد أن قرؤوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه ﴿فَٱقْصُصِ (ٱلْقَصَصَ)﴾ أي قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي مثل القوم فحذف المضاف، وفاعل ﴿سَآءَ﴾ مضمر أي ساء المثل مثلًا. وانتصاب ﴿مَثَلًا﴾ على التمييز ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ معطوف على ﴿كَذَّبُوا۟﴾ فيدخل في حيّز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم، أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب، وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصّوا أنفسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ حمل على اللفظ ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي ومن يضلله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ حمل على المعنى، ولو كان الهدي من الله البيان كما قالت المعتزلة، لاستوى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت في حق الفريقين فدلّ أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة، ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن.

الشيء هَيَجانًا وهَيَاجًا ـ بالكسر ـ ثار وهجته يتعدّى ولا يتعدّى، وهيَّجته بالتثقيل مبالغة.اهـ. **قوله:** (عطاء) بن أبي رَباح، كان من أجلّاء الفقهاء وتابعي مكّة وزُهّادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاريّ وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقًا كثيرًا من الصحابة رضوان الله عليهم. ورَوَى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير رحمهم الله، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكّة في زمانهما. توفي سنة خمس عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (ينبح) في مختار الصحاح: نبح الكلب من باب ضرب وقطع نبيحًا أيضًا ونُباحًا ـ بضم النون وكسرها ـ وربما قالوا: نبح الظَّيْر.اهـ. **قوله:** (﴿ٱلْقَصَصَ﴾) مصدر بمعنى اسم المفعول.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبّر آيات الله، والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده، وأما مَن علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه. فالحاصل أن مَن علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة، ومَن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك، وكم من عام يراد به الخصوص! وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرارًا عن إرادة المعاصي عدول عن الظاهر ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ولا يتفكرون فيه ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الرشد ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الوعظ ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه، والنظر: الاعتبار والاستماع للتفكر ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول. فالأنعام تطلب منافعها و(**تهرب**) عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار، وكيف يستوي المكلّف المأمور والمخلي المعذور؟ فالآدمي روحاني شهواني سماوي أرضي، فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السمٰوات، وإن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التي هي أحسن الأسماء لأنها تدلّ على معانٍ حسنة؛ فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، والواحد الذي ليس كمثله شيء، ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم، ومنها ما يوجب

قوله: (تهرب) في مختار الصِّحاح: الهرَب الفرار، وقد هَرَب يَهْرُب هَرَبًا مثل طلب يَطْلُب طَلَبًا. اهـ.

التخلّق به كالفضل والعفو، ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر، ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ فسمّوه بتلك الأسماء ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ (واتركوا تسمية الذين) يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولون: يا سخي يا رفيق، لأنه لم يسم نفسه بذلك. ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلّة («يلحدون») حمزة لحد وألحد مال ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾ للجنة لأنه في مقابلة ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ﴾ ﴿أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ في أحكامهم. قيل: هم العلماء (والدعاة) إلى الدين، وفيه دلالة على أن إجماع كل عصر حجة ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ (سنستدنيهم) قليلًا قليلًا إلى ما يهلكهم ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع (انهماكهم) في الغي، فكلما جدّد الله عليهم نعمة ازدادوا (بطرًا) وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانّين أن ترادف النعم (أثرة) من الله تعالى وتقريب وإنما هو (خذلان) منه وتبعيد، وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ عطف على ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ وهو غير داخل في حكم السين أي أمهلهم ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ أخذي شديد.

قوله: (واتركوا تسمية الذين) إشارة إلى أنّ فيه مضافًا مقدّرًا، وهو تسمية بقرينة المقام. **قوله:** («يلحدون») بفتح الياء من لَحَدَ ثلاثيًا حمزة، والباقون بضمّ الياء وكسر الحاء من ألحد.

قوله: (والدُّعاة) جمع الدَّاعي. **قوله:** (سنستدنيهم) الاستدناء استفعال من الدنوّ، وهو القُرب، أي سنقرّبهم. **قوله:** (انهماكهم) في المصباح: انهمك في الأمر انهماكًا جدَّ فيه ولجّ فهو منهمك. اهـ. **قوله:** (بطرًا) أي فخرًا وتكبّرًا. **قوله:** (أثرة) في القاموس: الأُثْرَة ـ بالضم ـ المَكْرُمة المتواترة. اهـ. **قوله:** (خذلان) في مختار الصِّحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضمّ ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عَوْنه ونصرته.

سمّاه كيدًا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان. ولما نسبوا النبيّ ﷺ إلى الجنون نزل:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ و«ما» نافية بعد وقف أي أو لم يتفكروا في قولهم، ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ منذر من الله (موضح إنذاره) ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟﴾ نظر استدلال ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الملكوت الملك العظيم ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾ «أن» مخففة من الثقيلة وأصله «وأنه عسى»، والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجرّ بالعطف على ﴿مَلَكُوتِ﴾، والمعنى أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى ﴿أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به، وهو متعلق بـ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت؟ وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق؟ وبأي حديث أحقّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

[redacted]

لا يهده أحد ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ **والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم. الباقون: بالنون)** ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون. ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ وهي من الأسماء الغالبة (**كالنجم للثريا**). وسُميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة (**أو لسرعة حسابها، أو لأنها عند الله على طولها**) كساعة من الساعات عند الخلق ﴿أَيَّانَ﴾ متى واشتقاقه، من «أي» (**فعلان منه**) لأن معناه أي وقت ﴿مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها (**مصدر**) مثل المدخل بمعنى الإدخال، أو وقت إرسائها أي إثباتها، والمعنى متى يرسيها الله ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي علم وقت إرسائها عنده قد (**استأثر**) به لم يخبر به أحدًا من ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ (**لا يظهر أمرها**) ولا يكشف خفاء علمها إلا

لا يهده أحد، ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ **والرفع**) أي رفع الراء (**على الاستئناف وهو يذرهم**) أبو عمرو وعاصم ويعقوب. (**الباقون**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي وابن عامر الشاميّ (**بالنون**) ورفع الراء على الاستئناف.

قوله: (كالنَّجم للثريَا) في المصباح: إذا أطلقت العرب النَّجم أرادوا الثريّا، وهو علم عليها بالألف واللام.اهـ. **قوله: (أو لسرعة حسابها)**، فأُطلقت على ذلك اليوم بهذا الاعتبار. **قوله: (أو لأنها عند الله على طولها)**. . . الخ. أي سُمِّيت بذلك لذلك، وفرّق بين الوجوه بأن مبنى الأوّل أنها اسم لزمان قيام الناس، لا للزمان المديد، ومبنى غيره على أنها اسم لزمان ممتدّ.اهـ شهاب. **قوله: (فعلان منه)** زيدت الألف والنون على أي فصار أيّان. **قوله: (مصدر)** ميميّ. **قوله: (استأثر)** أي انفرد. **قوله: (لا يظهر أمرها)** إشارة إلى أن التَّجلية إظهار الشيء، والتجلّي ظهوره، وقدّر المضاف في قوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] لأنه

هو وحده ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي كل مَن أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة، ويتمنى أن يتجلّى له علمها وشقّ عليه خفاؤها، وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يخافون شدائدها وأهوالها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (فجاءة) على غفلة منكم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (كأنك عالم بها) وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها، لأن مَن بالغ في المسألة عن الشيء و(التنقير) عنه استحكم علمه فيه. وأصل هذا التركيب المبالغة، ومنه (إحفاء الشارب)، أو ﴿عَنْهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وكرر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ و﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ للتأكيد ولزيادة ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة، منهم (محمد بن الحسن) رحمه الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه المختص بالعلم بها.

تعالى قد كشف وأظهر نفس قيام الساعة بدلائل قطعيّة ونصوص متعاضدة، وليس المنفي إلا إظهار أمرها في حقّ وقتها وتعيينه، والمعنى لا يعلم الوقت الذي فيه يحصل قيام الساعة إلّا الله سبحانه وتعالى. **قوله:** (فُجاءة) بالضم والمدّ، وفي لغة: وزان تمرة. اهـ مصباح.

قوله: (كأنك عالم بها)... الخ. لما ورد أن يقال: لو كان الحفي بمعنى العالم، لوجب أن يُعدّى بالياء، فكيف قيل: حفي عنها؟ أجاب عنه: بأنّ الحفاوة لمّا كان أصل معناه الاستقصاء في السؤال كان معنى السؤال ملحوظًا في معناها الكنائي فعدّى تعديته، وقيل: إنما يرد الإشكال على تقدير أن تكون عنها متعلّقة بقوله: حفي، وليس كذلك، بل هي متعلّقة بيسألونك. وقوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] معترض بينهما وصلة حفي محذوفة، وتقدير الكلام: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (التنقير) أي البحث. **قوله:** (إحفاء الشارب) في المصباح: أحفى الرجل شاربه بالغ في قصّه، وأحفاه في المسألة بمعنى ألحّ وألْحَفَ. اهـ. وأيضًا فيه: الشارب الشعر الذي يسيل على الفمّ. اهـ.

قوله: (محمد بن الحسن) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالريّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختصّ بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي **(اجتلاب)** نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ أي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسّني شيء منها، ولم أكن غالبًا مرة ومغلوبًا أخرى في الحروب. وقيل: الغيب الأجل، والخير العمل، والسوء **(الوجل)**. وقيل: لاستكثرت لاعتددت من **(الخصب)** للجدب. والسوء الفقر وقد ردّ. ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرًا وبشيرًا، وما من شأني أن أعلم الغيب. واللام في ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يتعلّق بالنذير والبشير لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم، أو بالبشير وحده والمتعلّق بالنذير محذوف أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء خلقها من جسد آدم **(من ضلع من أضلاعه)** ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾ ليطمئن ويميل لأن الجنس إلى الجنس أميل خصوصًا إذا كان بعضًا منه، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه **(بضعة)** منه. وذكر ﴿لِيَسْكُنَ﴾ بعدما

قوله: (اجتلاب) في القاموس: جلبه يجلبه جَلْبًا وجَلَبًا واجتلبه ساقه من موضع إلى آخر. اهـ. **قوله: (الوَجَل)** الخوف. **قوله: (الخِصْب)** ضدّ الجدب، أي القَحْط.

قوله: (من ضلع من أضلاعه) أي من عظم جنبه، أي من ضلعه الأيسر، ولذا كان كلّ إنسان ناقصًا ضلعًا من الجانب الأيسر، فجهة اليمين أضلاعها ثمانية عشر، وجهة اليسار سبعة عشر. **قوله: (بضعة)** البضعة ـ بالفتح ـ القطعة من

أنّث في قوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ وخلق منها زوجها ذهابًا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ خفّ عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض (الحبالى) من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ فمضت به إلى وقت (ميلاده من غير إخداج. والإزلاق)، أو حملت حملًا خفيفًا يعني النطفة فمرّت به فقامت به وقعدت ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ (حان) وقت ثقل حملها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو (الحقيق) بأن يُدعى ويلتجأ إليه فقالا: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ لئن وهبت لنا ولدًا سويًّا قد صلح بدنه أو ولدًا ذكرًا لأن الذكورة من الصلاح ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك. والضمير في ﴿ءَاتَيۡتَنَا﴾ و﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكل مَن يتناسل من ذريتهما.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السويّ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ (أي جعل أولادهما له شركاء) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أي آتى أولادهما دليله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريئان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله

اللَّحم، وعامّة ما هو مِنْ هذا القبيل بالكسر، كالكسرة والقطعة. اهـ تفتازاني رحمه الله.
قوله: (الحبالى) جمع حُبْلى. **قوله:** (ميلاده) مصدر. **قوله:** (من غير إخداج) في الصِّحاح: خدجت الناقة تخدج خِداجًا، فهي خادج، والولد خديج إذا ألْقَت ولدها قبل تَمام الأيام، وإنْ كان تامّ الخلق، وأخدجَت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإنْ كانت أيّامه تامّة، فهي مخدج، والولد مخدج. اهـ. **قوله:** (والإزلاق) في الصِّحاح: ازلقت الناقة أسقطت. اهـ. **قوله:** (حان) أي قَرُب. **قوله:** (الحقيق) أي اللّائق.

قوله: (أي جعل أولادهما له شركاء) احتراز عن نسبة إثبات الشركاء لله إلى آدم وحوّاء، وإنْ كان بمعنى تسمية ولدهم بعبد الحارث اتّباعًا لأمر إبليس المسمّى في الملائكة بالحارث، على ما نقل أحمد بن حنبل والترمذي عن سَمُرة بن جندب، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما حملت حواء وطاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحارث، فسمَّته فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، فإن قيل: الإشراك فيما آتاهما الله ليس إشراكًا على الحقيقة؛ لأن

تسميتهم أولادهم بعبد العزى و(بعبد مناف وعبد الدار) وعبد شمس ونحو ذلك، مكان عبد الله وعبد الرحمٰن وعبد الرحيم، أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة (قصي)، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار. والضمير في ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك. («شِركًا» مدني وأبو بكر) أي ذوي شرك وهم الشركاء.

معناه في حقّ الأولاد أيضًا تسميتهم أولادهم بعبد العزّى وعبد مَناة وعبد شمس، والأعلام لا يُقصد بها مفهوماتها الأصليّة، والحديث صريح في أنّ المراد آدم وحوّاء، وتقدير المضاف لا يُصار إليه إلّا عند الحاجة، وكلمة لما لا يستقيم على هذا التقدير؛ لأن إشراك أولادهما لم يكن حين آتاهما الله تعالى صالحًا، بل بعده بأزمنة متطاولة. قلنا: إشراكهما بالله ولو بمعنى تسمية الولد بعبد الحارث اتباعًا لأمر الشيطان مرجوح، وإنْ لم يكن محظورًا على أنهم لا يخلون الأعلام المضافة عن إيماء إلى المعاني الأصلية وملاحظة لها، وهذا القدر من الحاجة كافٍ في تقدير المضاف، والحديث من باب الآحاد، ولم يَرِد في معرض البيان، وليست كلمة لما للزمان المتضايق، بل الممتدّ، فلا يلزم أن يقع مضمون الشرط والجزاء في يوم واحد أو شهر أو سنة، بل يختلف ذلك باختلاف الأُمور. تقول: لمّا ظهر الإسلام طهرت البلاد عن دَنَس الشِّرك والإلحاد، ولمّا ركب السلطان قمع آثار الشرور والفساد، على أنّ تسمية ولد بعبد الحارث جعل شريك لا شركاء، إلّا بتأويل وعدول عن الظاهر، وكذا جعل؛ فتعالى الله عمّا يشركون غير متعلّق بهذا الإشراك، بل تخلّصًا إلى حال المشركين خلاف الظاهر. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (بعبد مناف) مَناف اسم صنم. **قوله:** (عبد الدار) وهي دار النّدوة المعروفة. **قوله:** (قُصي) مصغّر اسم رجل. اهـ لسان العرب. وفي القاموس: كسُمَيّ قُصَيّ بن كلاب اسمه زيدًا. اهـ. **قوله:** («شِركًا») بكسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز اسم مصدر، أي ذوي شِرْك، أي إشراك (مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، (وأبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بضمّ الشين وفتح الراء وبالمدّ والهمز بلا تنوين، جمع شريك.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ يعني الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أجريت الأصنام مجرى أُولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة، والمعنى أيشركون مالًا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لأن الله خالقهم، أو الضمير في ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ للعابدين أي أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم، أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأُولي العلم تغليبًا للعابدين ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها ما (**يعتريها**) من الحوادث كالكسر وغيره بل (**عبدتهم**) هم الذين يدفعون عنهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ وإن تدعوا هذه الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إلى ما هو هدى و(**رشاد**) أو إلى أن يهدوكم أي وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. لا («**يتْبَعوكم**» **نافع**) ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم، والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لرؤوس الآي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي مخلوقون مملوكون أمثالكم ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ لجلب نفع أو دفع ضرّ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ فليجيبوا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنهم آلهة. ثم أبطل أن يكونوا عبادًا أمثالهم فقال:

قوله: (يعتريها) يُصيبها. **قوله:** (عبدتهم) العَبَدة جمع عابد.

قوله: (رشاد) الرَّشاد ضدّ الغيّ. **قوله:** («يتْبَعوكم») بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (**نافع**) المدنيّ، والباقون بفتح التاء مشدّدة وكسر الموحدة، وهما لغتان؛ ولهذا جاء في قصة آدم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٨]، وفي موضع آخر: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ [طه: الآية ١٢٣]، وقيل: تبعه بمعنى اقتفى أثره واتّبعه بالتشديد، بمعنى اقتدى به.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ مشيكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ يتناولون بها ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي فلم تعبدون ما هو دونكم ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ جميعًا أنتم وشركاؤكم. (وبالياء: يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل) ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فإني

قوله: (وبالياء) في الحالَيْن (يعقوب) البصريّ، وليس من السبعة. (وافقه أبو عمرو) البصري، (في الوصل) لا في الوقف. عبارة تفسير النّيسابوري: ﴿كيدوني﴾ بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شبنوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد وإسمٰعيل والحلواني عن هشام في الوصل.اهـ. وفي الإتحاف: وأثبت الياء في ﴿كيدوني﴾ وصلًا أبو عمرو وهشام من طريق الداجوني وأبو جعفر، وفي الحالين قنبل من طريق ابن شنبوذ وهشام من طريق الحلواني ويعقوب.اهـ. وفي غيث النفع: ﴿ثم كيدوني﴾ قرأ البصري بإثبات الياء وصلًا لا وَقْفًا، وهشام بإثباتها في الحالَيْن. والباقون بحذفها فيهما، وإنما لم نذكر الخلاف الذي ذكره الشاطبي فيها لهشام، حيث قال:

وكيدوني في الأعراف حجّ ليحملا

بخلف وتبعه على ذلك كثير؛ لأنه يبعد أن يكون الخلاف لهشام فيها من طريقه وطريق أصله، بل لم يثبت من طرق النّشر إلّا في حالة الوقف خاصّة. قال المحقّق فيه: ورَوَى بعضهم عنه، أي عن هشام، الحذف في الحالَيْن، ولا أعلمه نصًّا من طرق كتابنا لأحد من أئمّتنا، ثم قال: وكِلَا الوجهين ـ يعني الحذف والإثبات ـ صحيحان عنه، أي عن هشام، نصًّا وأداءً حالة الوقف. وأمّا حالة الوصل، فلا آخذ بغير الإثبات من طرق كتابنا.اهـ. فإن قلت: مستنده قول صاحب التيسير فيه لما تكلم على زوائد سورة الأعراف في آخرها وفيها محذوفة: «ثم كيدون» فلا وأثبتها في الحالين هشام بخلاف عنه. قلت: هذا لا دليل فيه؛ لأن الداني كثير ما يذكر الخلاف على سبيل الحكاية، وإنْ كان هو لا يأخذ به، وليس من طرقه، وهذا منه ويدلّ على ذلك قوله في المفردات بعد أن ذكر الخلاف له،

لا أُبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك. (**وبالياء يعقوب**).

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ﴾ ناصري عليكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أوحى إليّ وأعزني برسالته ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده (**ولا يخذلهم**) ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ مــن دون الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ (**يشبهون الناظرين**) إليك

وبالإثبات في الوصل والوقف آخذ. وقوله في جامع البيان: وبه قرأت على الشيخين أبي الفتح وأبي الحسن من طريق الحلواني عنه، بل يدلّ عليه كلامه في التيسير، فإنه قال فيه في باب الزوائد: وأثبت ابن عامر في رواية هشام الياء في الحالَيْن، في قوله تعالى: «ثم كيدوني» في الأعراف، فجزم بالإثبات ولم يحكِ خلافه، ومن المعلوم المقرّر أنّ العلماء يعتنون بتحقيق المسائل في أبوابها أكثر من اعتنائهم بذلك إذا ذكروها استطرادًا تتميمًا للفائدة، فربّما يتساهلون اتكالًا على ما تقدّم، أو ما سيأتي لهم في الباب، فثبت من هذا أنّ الخلاف لهشام حالة الوصل عزيز، وإنما الخلاف حالة الوقف، لكن لا ينبغي أن يقرأ به من طريق القصد، وأصله: وبالإثبات في الحالين قرأت على شيخنا رحمه الله، وقال في مقصورته: كيدون حلواني، روى زيادة في حالتيه عن هشام، وقرأ. اهـ.

قوله: (**وبالياء**) في الحالين (**يعقوب**) البصري، وليس من السبعة.

قوله: (**ولا يخذلهم**) في مختار الصحاح: خذله يخذُله بالضمّ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عَوْنه ونصرته. اهـ. **قوله:** (**يشبهون الناظرين**) من باب الأفعال، أي يُشابهونهم، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] استعارة تبعيّة شبّه مقابلة الأصنام له عليه السلام بنظرها إليه، أي يخيّل إليك أنهم ينظرون؛ لأنّ لها أعينًا مصنوعة مركّبة بالجواهر وهم غيرُ ناظرين ومبصرين في الحقيقة، وكون الضمير المنصوب في ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] للأصنام يستدعي أن يكون

لأنهم صوّروا أصنامهم بصورة من قلب (**حدقته**) إلى الشيء ينظر إليه ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ المرئي.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

(﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾) هو ضد الجهد (**أي ما عفا لك**) من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله ﷺ: («**يسروا ولا تعسروا**») ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ بالمعروف والجميل من الأفعال، أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم، وفسّرها جبريل ﷺ بقوله: (**صِل مَن قطعك**) وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك. (**وعن الصادق**) أمر الله نبيّه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

المنصوب في تدعوهم أيضًا للأصنام، فيكون الضمير المرفوع للمشركين، والمعنى: أيُّها المشركون إن تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم ولا يسمعوا دعاءكم. **قوله:** (حدقته) في المصباح: حَدَقة العين سوادَها. اهـ.

قوله: (﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾) هو ضدّ الجهد، (**أي ما عفا لك**)... الخ. أي العفو مصدر عفا بمعنى تسهّل وتيسّر وأُريد به ما يتيسّر، وخذ بمعنى اقبل وارْضَ مجازًا، أي ارْضَ منهم ما تيسّر من أخلاقهم وأفعالهم ولا تدقّق وتشدّد، والجهد بمعنى المشقّة.

قوله: (**يسّروا**) من اليُسْر ضدّ العسر، أي يسّروا على الناس بذكر ما يؤلّفهم لقبول الموعظة والتعليم (**ولا تُعسّروا**) قال العلقميّ: ذكر تأكيدًا، وإلّا فالأمر بالشيء نهي عن ضدّه؛ ولأنه لو اقتصر على اليُسْر صدق على مَنْ أبى به مرّة، وبالعُسْر بعض أوقاته، فلمّا قال: ولا تعسّروا انتفى العُسْر في كلّ الأوقات؛ رواه الإمام أحمد وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**صِلْ مَنْ قطعك**) بأن تفعل معه ما تعدُّ به واصلًا من نحو تودّد.

قوله: (**وعن الصادق**) هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، الهاشمي المدني الصادق ﷺ.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ **(وإما ينخسنك منه نخس)** أي بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ولا تطعه. والنزغ: النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. وجعل النزغ نازغًا كما قيل جد جده، أو أُريد بنزغ الشيطان **(اعتراء الغضب)** كقول **(أبي بكر)** ﷺ: إن لي شيطانًا يعتريني ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لنزغه ﴿عَلِيمٌ﴾ بدفعه.

قوله: (وإمّا ينخسنك منه نخس) من باب قتل، وهو إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد، كما يفعله السائق لحثّ الدواب، شبّه وسوسته للناس إغراءً لهم على المعاصي وإزعاجًا بغرز السائق ما يسوقه، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠] استعارة تبعيّة شبّه إغراء الشيطان الناس على المعاصي بوسوسته بالنَّزغ والغرز، واسْتُعِير له اسم النَّزغ ثم اشتقّ منه ينزغنك، وإلّا فليس هناك نزغ وغرز. **قوله: (اعتراء الغضب)** أي عروضه. في تاج العروس شرح القاموس: فلان تعروه الأضياف وتعتريه، أي تغشاه.اهـ.

قوله: (أبي بكر) الصدِّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، مَنْ يُحْصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ. رُوِيَ للصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلّة رواياته مع تقدُّم صحبته وملازمته النبيّ ﷺ أنه تقدَّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبيّ ﷺ يُكرمه ويُجلّه ويُعرّف أصحابه مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة، ومناقبه غير مُنحصرة أجمعت الأُمّة على صحة خلافته وقدَّمته الصحابة رضي الله تعالى عنهم لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بَيْعته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله تعالى عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس، وأنا حاضر غير غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدِّمني لقدَّمني، فرضِينا لدُنْيانا مَنْ رَضِيَه الله ورسوله لدِيننا. مات في جمادى الأُولى آخر يوم الاثنين سنة ثلاث عشرة، والصحيح أنه توفي وله ثلاث وستون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ («**طيف**» **مكي وبصري وعلي أي لمة منه مصدر من قولهم «طاف به الخيال يطيف طيفًا». وعن أبي عمرو**:) هما واحد وهي الوسوسة. وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان (**وإلمام**) بوسوسته ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ ما أمر الله به ونهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فأبصروا (**السداد**) ودفعوا وسوسته. وحقيقته أن يفرّوا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وأما إخوان الشياطين من شياطين الإنس فإن الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ أي يكونون مددًا لهم فيه (**ويعضدونهم «يُمِدُّونهم» من الإمداد**:

قوله: («**طيْف**») بياء ساكنة من غير ألف ولا همزة على وزن ضَيْف (**مكّيّ**) أي ابن كثير المكّي (**وبصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بألف وهمزة مكسورة من غير ياء اسم فاعل من طاف يطوف، (**أي لمّة منه**) بفتح اللام من لمّ به إذا جاءه، أي عارضه من جهة الشيطان، والذي من جهته لا يكون إلّا الوسوسة، وطيف الشيطان لمّته وهو الخاطر الشيطاني، وطيف الخيال الصورة المتمثّلة في محل القوّة المتخيّلة، والأصل أنّ الخيال اسم بمعنى التخيّل وارتسام الصورة المذكورة في محلّها وطيْفها نزولها فيه، فالطيف (**مصدر من قولهم: طاف به الخيال**) أي ألمّ به ونزل (**يطيف طيْفًا**) والطائف ما دار حول الشيء.

قوله: (**وعن أبي عمرو**) بن العلاء البصري، أحد القرّاء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النَّحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكان أبو عمرو رأسًا في حياة الحسن البصري مقدّمًا في عصره. توفي سنة أربع وخمسين ومائة بالكوفة. **قوله**: (**إلْمام**) أي نزول. **قوله**: (**والسّداد**) بالفتح، وهو الصواب.

قوله: (**ويعضدونهم**) في مختار الصِّحاح: عَضَده من باب نصر أعانه. اهـ. **قوله**: («**يمِدّونهم**») بضمّ الياء وكسر الميم (**من الإمداد**،

مدني) ﴿ثُمَّ (لَا يُقْصِرُونَ)﴾ ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصرّوا ولا يرجعوا، وجاز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلّق به إلى الجاهلين والأول أوجه، لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا. وإنما جمع الضمير في «إخوانهم» والشيطان مفرد لأن المراد به الجنس.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ (مقترحة) ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلا اخترتها أي (اختلقتها) كما اختلقت ما قبلها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ ولست بمقترح لها ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

فنزل ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ (ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن) في الصلاة وغيرها.

مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وقرأ الباقون بفتح الياء وضمّ الميم من مدّ. **قوله:** (﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾) من أقصر إذا أقلع وأمسك، وقُرِىء: «يقصرون» من قصر، وهو مجاز عن الإمساك أيضًا. اهـ شهاب. وفي فتح القدير: قرأ عيسى بن عمر: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٢] بفتح الياء وضمّ الصاد وتخفيف القاف. اهـ.

قوله: (مقترحة) أي مطلوبة. **قوله:** (اختلقتها) في مختار الصِّحاح: اختلقه وتخلّقه افتراه. اهـ.

قوله: (ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن)... الخ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: اختلف في سبب نزولها على وجه يبنى عليه معناها، فقال الجَصّاص: سببها كما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ النبيّ ﷺ قرأ في الصلاة وقرأ معه أصحابه، فخلطوا عليه؛ فنزلت. وكذا رَوى الشعبي وغيره، وهي تدلّ للحنفيّة في أنه لا يقرأ في سرّية ولا جهرية؛ لأنها

وقيل: معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له.

تقتضي وجوب الاستماع عند قراءة القرآن في الصّلاة وغيرها، وقد قام الدّليل في غيرها على جواز الاستماع وتركه، فبقي فيها على حالة في الإنصات للجهر، وكذا في الإخفاء لعِلْمنا بأنّه يقرأ وإنْ لم نسمعه، وقال مالك ﷺ: ينصت في الجهرية، ويقرأ في السرّية؛ لأنه لا يقال له مستمع، وقال الشافعي ﷺ: يقرأ في الجهريّة والسرّية في رواية المزني، وفي رواية البُويطيّ: أنه يقرأ في السرِّية أمّ القرآن ويضمّ السورة في الأُوليين، ويقرأ في الجهريّة أُمّ القرآن فقط، وسبب نزول الآية كما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنهم كانوا يتكلّمون في الصلاة، فنزلت؛ فالنهي إنما هو التكلّم لا عن القراءة، وكون الاستماع خارج الصلاة مستحبًّا متفق عليه.اهـ.

وفي التفسيرات الأحمديّة: استدلّ بها بعض علماء الحنفيّة في أن ترك القراءة للمؤتمّ فرض؛ وذلك لأنّ الله تعالى أمر باستماع القرآن والإنصات عند قراءة القرآن مطلقًا، سواء كان في الصلاة أو في غيرها، ولكن لمّا كان عامّة العلماء غير قائلين بوجوب الاستماع خارج الصلاة، بل باستحبابه، وكان الآية ردّ على رجل من الأنصار يقرأ خلف رسول الله ﷺ في الصلاة على ما في الحُسينيّ، وكان جمهور الصحابة على أن الآية في استماع المؤتمّ خاصة، وقيل: في الخطبة، والأصح أنه فيهما جميعًا، على ما في المدارك ثبت أنّ القرآن واجب الاستماع في الصلاة وكمال ذلك لا يكون إلا بالسكوت، لا بالقراءة الخفيّة؛ لأنه لما أوجب الإنصات للاستماع فيْ الصلاة أوجبه بكماله، وذلك فيما قلنا لا فيما قاله الشافعي رحمة الله عليه أنّ المؤتمّ يقرأ الفاتحة خلف الإمام سرًّا، ومن جملة حججه استدلاله بقوله تعالى فيما بعد: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٥] بأنه أمر للمؤتمّ بقراءة القرآن سرًّا خلف الإمام على وجه كما ذكره القاضي البيضاوي في تفسيره، والجواب أنه عند الأكثرين محمول على غيره، كما سيأتي تفصيله. ومن مشهور أدلّته المذكورة في كتب أصولنا قوله عليه الصّلاة والسّلام: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب»، فإنه محكم فلا يعارضه الآية المحتملة للمعاني، والجواب إن سلَّمنا أنّ لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، ولكنّا نقول: قراءة الإمام للفاتحة كأنه قراءة المؤتم إيّاها، وأيضًا قد رَوَى مالك: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب والسورة»، فإيجاب الفاتحة على المؤتمّ دون السورة ترك العمل بما رواه الإمام مالك رحمه الله، وهذا حجّة

وجمهور الصحابة ﷺ على أنه في استماع (المؤتَم). وقيل: في استماع الخطبة. وقيل: فيهما وهو الأصح.

إلزام عليه، لا يقال: إنّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤] لمّا كان عامًّا بين الصّلاة وخارجها، فاختصاصه في حقّ الصلاة و(المؤتم) تخصيص للعام، فيكون مخصوص البعض، وهو ظنّيّ؛ فكيف يتمسّك به لأنه لمّا كان ظنيًّا خرج عن الفرضية، بمعنى أنه لا يكفر جاحده، فبقي الوجوب، وهو كالفرض في حقّ العمل. وكذا لا يقال: إنه ينبغي أن يقرأ المؤتمّ في صلاة الظهر والعصر؛ إذ لا جهر فيهما حتى يفوت الاستماع، وذلك لأنه رُوِي أنّ المشروع في أوّل الإسلام هو الجهر في جميع الصلاة، ثم سقط في الصلاتين بعذر، وبَقِيت أحكامه جميعًا على حالها، وله نظائر كثيرة.

وكذا لا يقال: إنّ الآية إنما نزلت في حقِّ مَنْ يتكلّمون في الصلاة على ما في الكشاف والبيضاوي، فيوجب الإنصات عن كلام الدّنيا لا عن قراءة القرآن؛ لأن النص مطلق عن ذلك، فلا يخصّ بمورده. وكذا لا يقال: إنّ معناه عند البعض إذا تلا عليكم الرّسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له، على ما صرّح به صاحب المدارك على وجه؛ لأنه لا يخلو عن الظنّ بالمقصود لعموم اللفظ.

غاية ما في الباب أنّ الآية لمّا احتملت هذه الوجوه كان الاستدلال بقوله عليه السّلام: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام قراءة له»، كما تمسّك به صاحب الهداية أوضح من الاستدلال بهذه الآية، ومجال الاختلاف في المسألة بالغ أقصاه حتى أوجب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه الوعيد على القارىء، والشافعي رضي الله تعالى عنه: على التارك، فإن رأيت الطائفة الصوفية والمشائخ الحنفية تراهم يستحسنون قراءة الفاتحة للمؤتمّ كما استحسنه محمّد رحمه الله أيضًا احتياطًا فيما رُوي عنه. اهـ بحروفها.

وفي الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان رضي الله تعالى عنه: (والمؤتمّ لا يقرأ مطلقًا) ولا الفاتحة في السرّية اتّفاقًا وما نُسِب لمحمد ضعيف، كما بسّطه الكمال، (فإن قرأ كُرِه تحريمًا)، وتصح في الأصح. وفي درر البحار عن مبسوط جواهر زاده: أنها تفسد ويكون فاسقًا،

....

وهو مرويّ عن عدّة من الصحابة، فالمنع أحوط، بل يستمع إذا جهر وينصت إذا أسرّ؛ لقول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كنّا نقرأ خلف الإمام فنزل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤]، انتهى. وفي حاشيته للعلامة الشيخ محمد أمين الشهير بابن العابدين المسمّاة ردّ المحتار على الدرّ المختار. قوله: (ولا الفاتحة بالنصب) معطوف على محذوف تقديره: لا غير الفاتحة ولا الفاتحة، وقوله في السرّية: يعلم منه نفي القراءة في الجهرية بالأَولى، والمراد التعريض بخلاف الإمام الشافعي، وبردّ ما نُسِب لمحمّد. قوله: (اتّفاقًا) أي بين أئمّتنا الثلاثة. قوله: (وما نُسِب لمحمّد) أي من استحباب قراءة الفاتحة في السرّية احتياطًا. قوله: (كما بسطه الكمال) حاصله أنّ محمدًا قال في كتابه الآثار: لا نرى القراءة خلف الإمام في شيء من الصلوات يجهر فيها أو يسرّ، ودعوى الاحتياط ممنوعة، بل الاحتياط ترك القراءة؛ لأنه العمل بأقوى الدليلَيْن، وقد رُوي الفساد بالقراءة عن عدّة من الصحابة، فأقواهما المنع. قوله: (أنها تفسد) هذا مقابل الأصحّ. قوله: (وهو) أي الفساد المفهوم من تفسد. قوله: (مرويّ عن عدّة من الصحابة) قال في الخزائن وفي الكافي: ومنع المؤتمّ من القراءة مأثور عن ثمانين نفرًا من كبار الصحابة منهم المرتضى والعبادلة، وقد دوّن أهل الحديث أساميهم. قوله: (وينصت إذا أسرّ)، وكذا إذا جهر بالأولى. قال في البحر: وحاصل الآية أنّ المطلوب بها أمران الاستماع والسكوت، فيعمل بكلّ منهما، والأوّل يخصّ الجهرية، والثاني لا؛ فيجري على إطلاقه، فيجب السكوت عند القراءة مطلقًا. اهـ بحروفها. وفي حاشيته للعلامة الطحطاوي: قوله: (والمؤتمّ لا يقرأ) ودعوى أنّ الاحتياط في القراءة خلفه ممنوعة، بل الاحتياط تركها؛ لأن العمل بأقوى الدليلَيْن. وقد رُوِي عن عدّة من الصحابة فساد الصلاة بالقراءة خلفه، فأقواهما المنع بجرّ. قوله: (ولا الفاتحة في السرّية) تفسيرًا للإطلاق، ورُوِي عن محمّد استحسانها في السرّية، وهو ضعيف كما أفاده الشارح بقوله: وما نُسِب... الخ. فالحقّ أنّ قول محمّد كقولهما، كما في الفتح. قوله: (كُره تحريمًا) إنما لم يطلقوا اسم الحُرْمة عليها لِمَا عُرِف مِنْ أصلهم أنهم لا يُطْلِقونها إلّا إذا كان الدليل قطعيًا. قوله: (وتصحّ في الأصحّ)، ورُوِي عن عدّة من الصحابة فسادها، كما في

....

الزاهدي والظهيريّة، وعن ابن مسعود ﷺ: أنه يملأ فمه ترابًا. وعن الشعبي: أدركت سبعين بدريًا كلّهم قالوا: لا يقرأ خلف الإمام، كما في الكرمانيّ. قوله: (وفي درر البحار) مقابل الأصحّ. قوله: (ويكون فاسقًا) الظاهر أنّ ذلك عند الاعتياد؛ لأنه صغيرة، ولا يفسق بمرّة. قوله: (وهو) أي الفساد المأخوذ من تفسد. قوله: (وينصت إذا أسرّ) تبع في هذا صاحب النهر، وفي البحر: الإنصات لا يخصّ الجهريّة، فظاهره أنه يعمّ السرّية والجهريّة. قوله: (فنزل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾)... الخ. أفاد أنّ الآية نزلت في الصلاة، وهو قول أهل التفسير، ومنهم مَنْ قال: نزلت في الخطبة، ولا تنافي بينهما؛ لأنهم إنما أُمِرُوا بهما فيها لِمَا فيها من قراءة القرآن كافي، والعِبْرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولذا وجب الاستماع لقراءته خارج الصلاة أيضًا.اهـ بحروفها. وفي الدرّ المختار: يجب الاستماع للقراءة مطلقًا؛ لأن العبرة لعموم اللفظ. انتهى. وفي حاشيته ردّ المحتار. قوله: (يجب الاستماع للقراءة مطلقًا) أي في الصلاة وخارجها؛ لأن الآية وإنْ كانت واردة في الصلاة على ما مرّ، فالعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ثم هذا حيث لا عذر، ولذا قال في القنية: صبي يقرأ في البيت وأهله مشغولون بالعمل يُعْذرون في ترك الاستماع إن افتتحوا العمل قبل القراءة، وإلّا فلا؛ وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن، وفي الفتح عن الخلاصة: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن، فلا يمكنه استماع القرآن، فالإثم على القارىء، وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم.اهـ. أي لأنه يكون سببًا لإعراضهم عن استماعه، أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم، تأمّل. وفي شرح المنية: والأصل أنّ الاستماع للقرآن فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقّه بأن يكون ملتفتًا إليه غير مضيّع، وذلك يحصل بإنصات البعض، كما في ردّ السلام حين كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، إلا أنه يجب على القارىء احترامه بأن لا يقرأه في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإذا قرأه فيها كان هو المضيّع لحرمته، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعًا للحرج، وتمامه في ط ـ يعني حاشية الطحطاوي على الدرّ المختار ـ ونقل الحموي عن أستاذه قاضي القضاة يحيىٰ الشهير بمنقاري زاده أنّ له رسالة حقّق فيها أنّ استماع القرآن فرض عين.اهـ بحروفها. وعبارة حاشية

....

الطحطاوي: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكنه استماع القرآن، فالإثم على القارئ، ولو قرأ على السطح في اللّيل جهرًا والناس نيام يأثم. الصبيّ إذا كان يقرأ القرآن وأهله يشتغلون بالأعمال، ولا يستمعون إنْ كانوا شرعوا في العمل قبل قراءته لا يأثمون، ولا أثموا بحر، ولو كان القارئ في المكتب واحدًا يجب على المارّين الاستماع، وإنْ كانوا أكثر ويقع الخلل في الاستماع لا يجب عليهم ويكره للقوم أن يقرؤوا القرآن جملةً لتضمّنها ترك الاستماع والإنصات. وقيل: لا بأس به، كذا في القنية. وهذا لا يظهر إلّا إذا لم يكن هناك مستمع غيرهم، وإلّا لا يكره لما قالوا: إنّ الاستماع فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقّه من الالتفات إليه وعدم إضاعته، وذلك يحصل بإنصات البعض، كما في ردّ السلام حيث كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، ويجب على القارئ احترامه بأن لا يقرأ في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإنْ قرأ فيها كان هو المضيّع لحُرْمته، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعًا للحرج في إلزامهم ترك اشتغالهم المحتاج إليها، وكذا لو قرأ عند مَنْ يستغلّ بالتدريس أو بتكرار الفقه؛ لأنه إذا أُبيح ترك الاستماع لضرورة المعاش الدنيويّ، فلأن يُباح لضرورة الأمر الدّيني أوْلى، فيكون الإثم على القارئ، هذا إذا سبق الدَّرس على القراءة. أمّا إذا كان ابتداء القراءة قبل الدّرس، فالإثم على المتأخّر، والفرق بين هذا وبين موضع الاشتغال حيث يكون الإثم على القارئ وإن ابتدأ قبل أخذهم في أعمالهم بأنّ تلك المواضع مُعدَّة لهم يَعْسُر عليهم الاشتغال عنها، بخلاف الدَّرْس. اهـ شرح المنية. اهـ بحروفها.

وفي تيسير الوصول إلى جامع الأُصول عن جابر، قال: «مَنْ صلّى ركعة لم يقرأ فيها بأُمّ القرآن، فلم يصلّ إلّا وراء الإمام» أخرجه مالك والترمذي. اهـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، انتهى.

وفي عمدة القاري شرح البخاري قال بعضهم: استدلّ مَنْ أسقط قراءة الفاتحة عن المأموم مطلقًا، يعني أَسَرّ الإمام أو جهر، كالحنفيّة بحديث: «مَنْ صلّى خلف الإمام فقراءة الإمام قراءة له»، لكنّه حديث ضعيف عند الحفّاظ، وقد استوعب طرقه، وعلّله الدارقطني وغيره.

....

قلت: هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة، وهم جابر بن عبد الله، وابن عمر، وأبوسعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم؛ فحديث جابر أخرجه ابن ماجة عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام، فإنّ قراءة الإمام له قراءة»، وحديث ابن عمر أخرجه الدارقطني في سننه عنه عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كان له إمام فقراءته له قراءة»، وحديث أبي سعيد أخرجه الطبراني في الأوسط عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام فقراءته له قراءة»، وحديث أبي هريرة أخرجه الدارقطني في سننه من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا نحوه سواء، وحديث ابن عباس أخرجه الدارقطني أيضًا عنه عن النبيّ ﷺ قال: «يكفيك قراءة الإمام خافَتَ أو جهر»، وحديث أنس أخرجه ابن حبان في كتاب الضعفاء عن غنيم بن سالم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام، فقراءة الإمام له قراءة».

فإن قلت: في حديث جابر بن عبد الله جابر الجعفر، وهو مجروح كذّبه أبو حنيفة ﷺ، وفي حديث أبي سعيد إسماعيل بن عمرو بن نجيح وهو ضعيف، وحديث ابن عمر موقوف، وقال الدارقطني: رفعه وهم، وحديث ابن عباس عن أحمد هو حديث منكر، وقال الدارقطني: حديث أبي هريرة ﷺ لا يصح عن سهيل، وتفرّد به محمد بن عبادة، وهو ضعيف. وفي حديث أنس غنيم بن سالم قال ابن حبان: هو مخالف الثقات في الروايات، فلا تعجبني الرواية عنه، فكيف الاحتجاج؟!

قلت: أمّا حديث جابر، فله طرق أخرى يشدّ بعضها بعضًا، منها طريق صحيح، وهو ما رواه محمد بن الحسن في الموطأ عن أبي حنيفة، قال: أخبرنا الإمام أبو حنيفة، حدّثنا أبو الحسن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شداد، عن جابر عن النبيّ عليه السلام: «مَنْ صلّى خلف الإمام، فإنّ قراءة الإمام له قراءة».

فإن قلت: هذا الحديث أخرجه الدارقطني في سننه، ثم البيهقي عن أبي حنيفة مقرونًا بالحسن بن عمارة، وعن الحسن بن عمارة وحده بالإسناد المذكور،

....

ثم قال: هذا الحديث لم يُسنده عن جابر بن عبد الله غير أبي حنيفة، والحسن بن عمارة وهما ضعيفان، وقد رواه سفيان الثوري وأبوالأحوص وشعبة وإسرائيل وشريك وأبو خالد الدالاني وسفيان بن عيينة وغيرهم عن أبي الحسن بن أبي عائشة عن عبد الله بن شدّاد عن النبيّ عليه السلام مرسلًا، وهو الصواب.

قلت: لو تأدّب الدارقطني واستحى لما تلفّظ بهذه اللفظة في حقّ أبي حنيفة، فإنه إمام طبق على علمه الشرق والغرب، ولمّا سُئِل ابن معين عنه، فقال: ثقة مأمون ما سمعنا أحدًا ضعّفه، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدّث إليه، وشعبة شعبة. وقال أيضًا: كان أبو حنيفة ﷺ من أهل الدِّين والصدق، ولم يتهم بالكذب، وكان مأمونًا على دين الله صدوقًا في الحديث، وأثنى عليه جماعة من الأئمّة الكبار مثل عبد الله بن المبارك، ويُعَدّ من أصحابه، وسفيان بن عُيَيْنة وسفيان الثوري وعبد الرزاق وحماد بن زيد ووكيع، وكان يفتي برأيه، والأئمّة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وآخرون كثيرون، فقد ظهر لك من هذا تحامل الدارقطني عليه وتعصّبه الفاسد، وليس له مقدار بالنسبة إلى هؤلاء حتى يتكلّم في إمام متقدّم على هؤلاء في الدِّين والتقوى والعلم وبتضعيفه إيّاه مستحقّ هو التضعيف، أفلا يرضى بسكون أصحابه عنه؟! وقد رُوِي في سننه أحاديث سقيمة ومعلولة ومُنكرة وغريبة وموضوعة، ولقد روى أحاديث ضعيفة في كتب الجهر بالبسملة واحتجّ بها مع علمه بذلّك حتى بعضهم استحلفه على ذلك، فقال: ليس فيه حديث صحيح، ولقد صدق القائل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   والقوم أعداءٌ له وخصوم

إلى هنا عبارة عُمْدة القاري شرح البخاري.

وقال العلّامة العيني رحمه الله: في شرح الهداية بعد هذا الشعر وفي المثل السائر: البحر لا يكدره وقوع الذباب، ولا ينجسه ولوغ الكلاب، وحديث أبي حنيفة حديث صحيح. أمّا أبو حنيفة وأبو الحسن موسى بن أبي عائشة الكوفي من الثقات الأثبات ومن رجال الصحيحَيْن، وعبد الله بن شداد من كبار الثالثة وثقاتهم، انتهى بحروفه.

....

وفي عمدة القاري شرح البخاري: وأمّا قوله: وقد رواه سفيان الثوري. . . إلى آخره، فلا يضرّنا؛ لأن الزيادة من الثقة مقبولة، ولئن سلّمنا، فالمرسل عندنا حجّة.

وجوابنا عن الأحاديث التي قالوا في أسانيدها ضعف؛ لأن الضعف يتقوّى بالصحيح ويقوّي بعضها بعضًا. وأمّا قوله: في بعضها هو موقوف، فالموقوف عندنا حجّة؛ لأن الصحابة عدول، ومع هذا رُوِيَ منع القراءة خلف الإمام عن ثمانين من الصحابة الكرام منهم المرتضى والعبادلة الثلاثة وأساميهم عند أهل الحديث، فكان اتّفاقهم بمنزلة الإجماع، فمِنْ هذا قال صاحب الهداية من أصحابنا: وعلى ترك القراءة خلف الإمام إجماع الصحابة، فسمّاه إجماعًا باعتبار اتّفاق الأكثر، ومثل هذا يسمّى إجماعًا عندنا، وذكر[1] الشيخ الإمام عبد الله ابن يعقوب الحارثي السُّبَذْموني في كتاب كشف الأسرار: عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: كان عشرة من أصحاب النبيّ ﷺ ينهون عن القراءة خلف الإمام أشد النهي: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم.

قلت: روى عبد الرزاق في مصنّفه: أخبرني موسى بن عقبة أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا ينهون عن القراءة خلف الإمام، انتهت.

وأيضًا فيها: فإن قلت: أخرج البيهقي من حديث الجريري عن أبي الأزهري، قال: سُئِل ابن عمر عن القراءة خلف الإمام، فقال: إني لأستحي من ربّ هذه البنية أن أصلّي صلاة لا أقرأ فيها بأُمّ القرآن.

---

(١) قوله الشيخ الإمام عبد الله ابن يعقوب، أي: عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن الخليل الحارثي السبذموني - بضم السين أو فتحها وفتح الباء الموحدة وسكون الذال المعجمة وضمّ الميم، وفي آخرها نون - نسبة إلى قرية من قرى بخارى المعروف بالأستاذ، كان مُكثرًا من الحديث، وله كتاب كشف الآثار في مناقب أبي حنيفة، ومصنف مسند أبي حنيفة ولما أملى مناقب أبي حنيفة كان يشمل عليه أربعمائة مشتمل، وله تصانيف. المتوفّى سنة ٣٤٠ أربعين وثلاثمائة. ١٢ ح عمّ فيضهم.

....

قلت: هذه معارضة باطلة، فإنّ إسناد ما ذكره منقطع، والصحيح عن ابن عمر عدم وجوب القراءة خلف الإمام.

فإن قلت: قوله عليه الصّلاة والسلام: «قراءة الإمام قراءة له» معارض لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ﴾ [المُزمّل: الآية ٢٠]، فلا يجوز تركه بخبر الواحد.

قلت: جعل المقتدي قارئًا بقراءة الإمام، فلا يلزم التَّرك، أو نقول: إنه خصّ منه المقتدي الذي أدرك الإمام في الركوع، فإنه لا تجب عليه القراءة بالإجماع، فتجوز الزيادة عليه حينئذ بخبر الواحد، انتهت.

وأيضًا فيها: ومما يؤيّد ما ذهب إليه أصحابنا ما أخرجه أبو داود من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جُعِل الإمام ليُؤْتَمّ به» بهذا الخبر وزاد: «وإذا قرأ فأنصتوا»، ورواه النسائي وابن ماجة والطحاوي، وهذا حجّة صريحة في أن المقتدي لا يجب عليه أن يقرأ خلف الإمام أصلًا على الشافعيّ في جميع الصلوات، وعلى مالك في الظهر والعصر.

فإن قلت: قد قال أبوداود عقيب إخراجه هذا الحديث: وهذه الزيادة ـ يعني: «إذا قرأ فأنصتوا» ـ ليست بمحفوظة الوهم من أبي خالد عندنا، وأبو خالد أحد رواته، واسمه سليمان بن حيان ـ بفتح الحاء وتشديد الياء آخر الحروف ـ وهو من رجال الجماعة، وقال البيهقي في المعرفة: أجمع الحفّاظ على خطأ هذه اللفظة، وأسند عن ابن معين في سننه الكبرى، قال في حديث ابن عَجْلان وزاد: «وإذا قرأ فأنصتوا» ليس بشيء، وكذا قال الدارقطني في حديث أبي موسى الأشعري: «وإذا قرأ الإمام فأنصتوا» وقد رواه أصحاب الحفّاظ عنه منهم هشام الدَّسْتَوائيّ وسعيد وشعبة وهُمام وأبو عوانة وأبان وعديّ بن أبي عمارة، ولم يقل واحد منهم: «وإذا قرأ فأنصتوا»، قال: وإجماعهم يدلّ على وَهْمه. وعن أبي حاتم: ليست هذه الكلمة محفوظة، إنما هي من مغاليط ابن عَجْلان.

قلت: لي في هذا كلّه نظر. أمّا ابن عجلان، فإنه وثّقه العجلي وابن وفى الكمال ثقة كثير الحديث، وقال الدارقطني: إنّ مسلمًا أخرج له في صحيحه.

....

قلت: أخرج له الجماعة البخاري مستشهدًا، وهو محمد بن عجلان المدني، فهذا زيادة ثقة فتُقبل، وقد تابعه عليها خارجة بن مصعب ويحيىٰ بن العلاء، كما ذكره البيهقي في سننه الكبير. وأمّا أبو خالد، فقد أخرج له الجماعة كما ذكرنا. وقال إسحٰق بن إبراهيم: سألت وكيعًا عنه، فقال: وأبو خالد ممّن يسأل عنه، وقال أبو هشام الرفاعي: أبو خالد الأحمر الثقة الأمين، ومع هذا فلم ينفرد بهذه الزيادة، وقد أخرج النسائي كما ذكرنا هذا الحديث بهذه الزيادة من طريق محمد بن سعد الأنصاري، ومحمد بن سعد وثّقه يحيىٰ بن معين، وقد تابع ابن سعد هذا أبو خالد، وتابعه أيضًا إسمٰعيل بن أبان كما أخرجه البيهقي في سننه، وقد صحّح مسلم هذه الزيادة من حديث أبي موسى الأشعري، ومن حديث أبي هريرة وقال أبو بكر لمسلم حديث أبي هريرة، يعني: «إذا قرأ فأنصتوا»، قال: هو عندي صحيح، فقال: لِمَ لا تضعه هٰهنا؟ قال: ليس كل شيء صحيح وضعته هٰهنا، وإنما وضعت هٰهنا ما أجمعوا عليه، وتوجد هذه الزيادة أيضًا في بعض نسخ مسلم عقيب الحديث المذكور، وفي التمهيد بسنده عن ابن حنبل أنه صحّح الحديثين - يعني حديث أبي موسى وحديث أبي هريرة - والعجب من أبي داود أنه نَسَب الوهم إلى أبي خالد، وهو ثقة بلا شكّ، ولم ينسبه إلى ابن عَجْلان، وفيه كلام، ومع هذا أيضًا فابن خزيمة صحّح حديث ابن عجلان، انتهت. هذا والتفصيل فيها إن شئت، فارجع إليها.

وقال العلّامة العينيّ رحمه الله في شرح الهداية: وهذا مسلم جبل من جبال أئمّة الحديث وأهل النقل قد حكم بصحّة هذا الحديث، وردّ بهذا كلام البيهقي وأمثاله، انتهى.

وقال العلّامة علاء الدين علي رحمة الله عليه: ذكر البيهقي باب مَن قال لا يقرأ خلف الإمام على الإطلاق حديث الحسن بن صالح عن جابر، وليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر، قال ﷺ: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، ثم قال: جابر الجعفي وليث لا يحتجّ بهما.

قلت في مصنّف ابن أبي شيبة: ثنا مالك بن إسمٰعيل، عن حسين بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كان له إمام فقراءته له

....

قراءة»، وهذا سند صحيح، وكذا رواه أبو نعيم عن الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، ولم يذكر الجعفي، كذا في أطراف المزي، وتوفي أبو الزبير سنة ثمان وعشرين ومائة، ذكره الترمذي. وعمرو بن عليّ والحسن بن صالح وُلد سنة مائة، وتوفي سنة سبع وستّين ومائة، وسماعه من أبي الزبير مُمكن، ومذهب الجمهور أنّ مَنْ أمكن لقاءه لشخص ورَوى عنه فروايته محمولة على الاتّصال، فيُحْمل على أنّ الحسن سمعه من أبي الزبير مرّة بلا واسطة، ومرّة أخرى بواسطة الجعفي وليث، انتهى.

وأيضًا قال: الصحيح عن جابر أن المؤتمّ لا يقرأ مطلقًا، كما صرَّح به البيهقي أوّلًا، وقال ابن أبي شَيْبة في المصنّف: حدَّثنا وكيع، عن الضحاك بن عثمان، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر قال: لا تقرأ خلف الإمام، وهذا سند صحيح متّصل على شرط مسلم، انتهى.

وأيضًا قال عن ابن مسعود بسند صحيح: أنه لا قراءة خلف الإمام مطلقًا، ورواه ابن مسعود عن النبيّ ﷺ، قال البزار: حدَّثنا محمد بن بشار وعمرو بن عليّ قالا: حدَّثنا أبو أحمد، أنا يونس بن أبي إسحٰق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبيّ عليه السلام، فقال: «خلطتم عليّ القرآن»، وهذا سند جيّد، ثم ذكر البيهقي عن ابن عمر قال: «من صلّى وراء الإمام كفاه قراءة الإمام»، ثم قال: هذا هو الصحيح من قوله، وقد رُوِي عنه بخلافه، ثم ذكر بسنده أنه سُئِل عن القراءة خلف الإمام، فقال: إني لأستحي من رب هذه البنية أن أصلّي صلاة لا أقرأ فيها بأُمّ القرآن.

قلت: المشهور عنه عدم وجوب القراءة خلف الإمام، وقد ذكر البيهقي بعد هذا من طريقين عنه ما يدلّ على ذلك، وروى عبد الرزّاق في مصنّفه عن الثوري، عن ابن ذكوان، عن زيد بن ثابت وابن عمر كانا يقرءان خلف الإمام، ورُوِي أيضًا عن هشام بن حسان، عن أنس بن سيرين: سألت ابن عمر: أقرأ مع الإمام؟ فقال: إنك لضخم البطن، يكفيك قراءة الإمام. ورُوِي أيضًا: أنا داود بن قيس، عن زيد بن أسلم أنّ ابن عمر كان ينهى عن القراءة خلف الإمام، انتهى.

....

وفي شرح الموطأ للإمام محمد للعلّامة علي القاري رحمه الله: (أخبرنا مالك، حدّثنا نافع، عن ابن عمر أنّه كان إذا سُئِل: هل يقرأ أحد مع الإمام؟ قال: إذا صلّى أحدكم مع الإمام فحسبه قراءة الإمام)، أي يكفيه وظاهره المنع عن قراءة المأموم، كما يشير إليه قوله: (وكان ابن عمر لا يقرأ مع الإمام) أي مطلقًا على ما هو الظاهر، وهذا يؤيّد مذهبنا، انتهى.

وأيضًا فيه: (قال محمد: لا قراءة خلف الإمام فيما جهر فيه، ولا فيما لم يجهر بذلك جاءت الآثار)، أي أكثر الأخبار (وهو قول أبي حنيفة) أي وأصحابه الأخيار. وفي شرح الهداية لابن الهمام: قال محمد في الآثار في القراءة خلف الإمام بعدما أسند إلى علقمة بن قيس: أنه ما قرأ قطّ فيما يجهر فيه وفيما لا يجهر فيه، وبه نأخذ لا نرى القراءة خلف الإمام في شيء من الصلاة يجهر فيه أو لا، انتهى.

وقال العلّامة علاء الدين علي رحمه الله في أحكام القرآن للطحاوي: حدَّثنا أحمد بن داود، أنا يوسف بن عدي، حدَّثنا عبيد الله بن عمرو، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال رسول الله ﷺ ثلاثًا: «أتقرأون والإمام يقرأ»؟ فقالوا: إنا لنفعل، فقال: «لا تفعلوا»، ثم ذكر البيهقي عن عليّ ما يدلّ على القراءة خلف الإمام، ثم قال: وفي كل ذلك دلالة على ضعف ما رُوِي عن عليّ بخلافه بأسانيد لا تسوى ذكرها لضعفها.

قلت: الصواب أن يقال: لا تساوي، ثم المرويّ عن عليّ منع القراءة خلف الإمام، ذكره ابن أبي شيبة في مصنّفه، فقال: حدَّثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن عبد الرحمٰن ابن الأصبهاني، هو ابن عبد الله، عن ابن أبي ليلى، عن عليّ قال: مَنْ قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة، ومحمد ابن الأصبهاني قال الذهبي: صدوق، وقال أبو حاتم: قوله يحتجّ به، وقال في الكاشف: أخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجة، وقوّاه ابن حبان وباقي السند على شرط الصحيح، وقد جاء لمحمد ابن الأصبهاني في ذلك متابعة، فروى الدارقطني في سننه من طريق عبد العزيز بن محمد، حدَّثنا قيس، عن عبد الرحمٰن ابن الأصبهاني فذكره بسنده،

....

وهذا الأثر وإن اضطرب سنده لكنه من هذا الوجه لا بأس به، وروى عبد الرزاق في مصنّفه عن داود بن قيس، عن محمد بن عَجْلان، قال: قال عليّ: مَنْ قرأ مع الإمام فليس على الفطرة[١]، قال: وقال ابن مسعود: مُلِيء فوه ترابًا، قال: وقال عمر بن الخطّاب: وددت[٢] أنّ الذي يقرأ خلف الإمام في فيه حجر[٣]، وقال صاحب التمهيد: ثبت عن عليّ وسعد وزيد بن ثابت أنّه لا قراءة مع الإمام لا فيما أسرّ ولا فيما جهر، ورَوى عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود، قال: وددتّ أنّ الذي يقرأ خلف الإمام مُلِيء فوه ترابًا، وعن معمر عن أبي إسحٰق أنّ علقمة قال: وددت الذي يقرأ خلف الإمام مليء فوه ـ أحسبه قال: ترابًا ـ أو رضفًا[٤]، وقال ابن أبي شيبة: حدَّثنا الأحمر عن الأعمش عن إبراهيم قال: أوّل ما أحدثوا القراءة خلف الإمام، وكانوا لا يقرؤون، ثم ذكر البيهقي عن ابن مسعود أنه قرأ خلف الإمام في الظهر والعصر.

قلت: في سنده شريك هو القاضي، قال البيهقي في باب الرجل يأخذ حقّه ممن يمنعه: لم يحتجّ به أكثر أهل العلم بالحديث، وقال في باب مَنْ زرع في أرض غيره بغير إذنه: كان يحيىٰ القطان لا يروى عنه ويضعّف حديثه جدًّا، وقد مرّ عن ابن مسعود خلاف هذا، وجاء أيضًا عنه بسند صحيح أنه لا قراءة خلف الإمام. قال ابن أبي شيبة: حدَّثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: أقرأ خلف الإمام؟ فقال: إنّ في الصلاة شغلًا وسيكفيك قراءة الإمام، ثم ذكر البيهقي أنّ ابن عباس ممّن رُوِيَ عنه القراءة خلف الإمام.

---

(١) في عمدة القاري شرح البخاري: أي إذ ليس على شرط الإسلام، وقيل: ليس على السنّة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في الموطأ للإمام أحمد: أن عمر بن الخطاب قال: ليت في فم الذي يقرأ خلف الإمام حجرًا. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي ليمنعه عن القراءة، أو أراد زجره بهذه العبارة، كذا في شرح الموطأ للإمام أحمد للعلامة علي القاري رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) في المصباح: الرّضف الحجارة المُحمّاة، الواحدة رضفة، مثل تمر وتمرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قلت: رُوِي عنه خلاف هذا، قال الطحاوي في أحكام القرآن: حدَّثنا إبراهيم بن أبي داود، حدَّثنا أبو صالح عبد الغفار بن داود الحرّاني، حدَّثنا حماد بن مسلمة، عن أبي جمرة: قلت لابن عباس: أقرأ والإمام بين يديّ؟ قال: لا، ثم ذكر البيهقي أنّ أبا الدرداء وجابرًا منهم.

قلت: قد جاء عنهما خلاف هذا، فذكر البيهقي في باب مَنْ قال لا يقرأ حديث جابر: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، ثم قال: الصحيح أنه من قول جابر، ثم ذكر حديث أبي الدرداء: «ما أرى الإمام إذا أمّ القوم إلّا قد كفاهم»، ثم حُكِي عن الدارقطني أنه قال: الصواب أنه من قول أبي الدرداء، انتهى.

وفي فتح القدير: قد رُوِي من طرق عديدة مرفوعًا عن جابر بن عبد الله عنه عليه الصّلاة والسّلام، وقد ضعّف واعترف المضعّفون رفعه، مثل الدارقطني والبيهقي وابن عدي بأن الصحيح أنه مرسل؛ لأن الحفّاظ كالسفيانين وأبي الأحوص وشعبة وإسرائيل وشريك وأبي خالد الدالاني وجرير وعبد الحميد وزائدة وزهير رَوَوْهُ عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شدّاد عن النبيّ ﷺ فأرسلوه، وقد أرسله مرّة أبو حنيفة رحمه الله كذلك.

فنقول: المرسل حجّة عند أكثر أهل العلم، فيكفينا فيما يرجع إلى العمل على رأينا، وعلى طريق الإلزام أيضًا بإقامة الدليل على حجّية المرسل، وعلى تقدير التنزّل على حجيّته فقد رفعه أبو حنيفة رحمه الله بسند صحيح. روى محمد بن الحسن في موطئه: أخبرنا أبو حنيفة رحمه الله، حدَّثنا أبو الحسن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شدّاد، عن جابر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَنْ صلّى خلف الإمام، فإن قراءة الإمام له قراءة». وقولهم: إنّ الحفّاظ الذين عدوهم لم يرفعوه غير صحيح، قال أحمد بن منيع في مسنده: أخبرنا إسحٰق الأزرق، حدَّثنا سفيان وشريك عن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شدّاد، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، قال: وحدّثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شدّاد، عن

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (متضرّعا وخائفا) ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ

النبيّ ﷺ فذكره، ولم يذكر عن جابر، ورواه عبد الحميد، حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبيّ ﷺ فذكره، وإسناد حديث جابر الأوّل صحيح على شرط الشيخين، والثاني على شرط مسلم؛ فهؤلاء سفيان وشريك وجرير وأبو الزبير رفعوه بالطرق الصحيحة، فبطل عدّهم فيمن لم يرفعه، ولو تفرّد الثقة وجب قبوله؛ لأن الرفع زيادة، وزيادة الثقة مقبولة، فكيف ولم يتفرّد؟ والثقة قد يسند الحديث تارة ويرسله أخرى. انتهى هذا. والتفصيل فيه إن شئت فارجع إليه.

وأيضًا فيه: إن حديث المَنْع: «مَنْ كان له إمام» أصح، فبطل ردّ المتعصّبين وتضعيف بعضهم لمثل أبي حنيفة مع تضعيفه في الرواية إلى الغاية، انتهى باختصار.

وفي شرح الموطأ للإمام محمد رحمه الله للعلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري، قال محمد: أخبرنا داود بن قيس، قال محمد: حدَّثنا عمر بن محمد بن زيد، عن موسى بن سعد بن زيد بن ثابت يحدّثه عن جدّه، أي زيد بن ثابت الأنصاري كاتب الوحي وأعلم الصحابة بالفرائض ومن أجلّاء أئمّة القراءات بالمدينة سنة خمس وأربعين أنه (قال: من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له)، أي كاملة، وقيل صحيحة، انتهى بحروفه.

وأيضًا فيه وفي غيره نقلًا عن ابن الهمام: لا يخفى أن الاحتياط في عدم القراءة خلف الإمام؛ لأن الاحتياط هو العمل بأقوى الدليلَيْن، وليس مقتضى أقواهما القراءة، كيف وقد رُوِيَ عن عدَّة من الصحابة فساد الصلاة بالقراءة خلفه، فأقواهما المَنْع. انتهى.

قوله: (متضرّعا وخائفا) أي هو حال بتأويله باسم الفاعل، وأصل خيفة خوفة، فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة فقُلِبت ياء، فهو واويّ من الخوف. **قوله:**

﴿ٱلْقَوْلِ﴾ (ومتكلّمًا كلامًا) دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر ﴿(بِٱلْغُدُوِّ) وَٱلْآصَالِ﴾ لفضل هذين الوقتين. وقيل: المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر. ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات، (﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أُصُل والأصل جمع أصيل وهو العشي) ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ مكانة ومنزلة لا مكانًا ومنزلًا يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ وينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم.

(ومتكلّمًا كلامًا)... الخ. أي هو صفة لمعمول حال محذوفة. **قوله:** (﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾) جمع غدوة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. **قوله:** (﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أُصُل) بضمّتين (والأصل جمع أصيل) فهو جمع الجمع. **قوله:** (وهو العشيّ) في المصباح: العشيّ قيل: ما بين الزوال إلى الغروب، ومنه يقال للظهر والعصر: صلاتا العشيّ، وقيل: هو آخر النهار، وقيل: العشيّ من الزوال إلى الصباح، وقيل: العشي والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة.

هذا آخر ما أردنا تعليقه على سورة الأعراف، اللّهمّ يسّر لنا الإتمام ببركة خاتم الأنبياء عليه وعلى آله وعلى سائر الأنبياء وآلهم أفضل الصلاة والسلام.

(سورة الأنفال)

(مدنية وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ (النفل) الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه، والأنفال الغنائم. ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف نقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أو للأنصار أم لهم جميعًا؟ فقيل له: قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم. ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختصّ بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوّضًا إلى رأي أحد ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال التي تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، وقال (الزجّاج): معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ حقيقة وصلكم. والبين الوصل أي فاتقوا الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنفال، مدنية، وهي خمس أو ستَ أو سبع وسبعون آية)، وألف وخمس وسبعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانون حرفًا.اهـ خازن. **قوله:** (النَفل) ـ بالفتح ـ واحد الأنفال، مثل سبب وأسباب.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النَّحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به. قال (عبادة بن الصامت) ﵁: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إنما الكاملو الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (فزعت) لذكره استعظامًا له وتهيبًا من جلاله وعزّه وسلطانه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ازدادوا بها يقينًا وطمأنينة، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه، أو زادتهم إيمانًا بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعتمدون ولا يفوّضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكّل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.

قوله: (عبادة بن الصامت) الصحابي الأنصاري الخزرجي، شَهِد العقبة الأُولى والثانية مع رسول الله ﷺ، وشَهِد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، رُوِي له عن رسول الله ﷺ مائة وأحد وثمانون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بآخرَيْن. توفي ببيت المقدس، وقيل: بالرَّمْلة، سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة خمس وأربعين، والأول أصح وأشهر. **قوله:** (فزعت[١]) لذكره استعظامًا له، يعني أن المراد من الوجَل الذي هو الخوف والفزع هٰهنا هو الخوف المتفرّع على مجرّد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله، فإنّ هذا الخوف لا يزول عن قلب مَنْ ذكر الله تعالى عالمًا بنعوت جلاله وصفات كماله، سواء كان ملكًا مقرّبًا أو نبيًّا مرسلًا أو مؤمنًا تقيًّا، فإنّ كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى يلاحظ عظمة الله تعالى واستغناءه عن جميع ما سواه، ويعلم احتياجه إليه في جميع مهمّاته، فلا

(١) من باب تعِبَ، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ هو صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانًا حقًّا، أو هو مصدر مؤكّد للجملة التي هي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كقولك: «هو عبد الله حقًّا» أي حق ذلك حقًّا. وعن (**الحسن**) رَحِمَهُ اللَّهُ أن رجلًا سأله أمؤمن أنت؟ قال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. فلا أدري أنا منهم أم لا. وعن (**الثوري**): من زعم أنه مؤمن بالله حقًّا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية، أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقًّا فلا يقطع بأنه مؤمن حقًّا، (**وبهذا يتشبث من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله**).

جرم يهابه ويقشعرّ جلده وتغلب عليه الدهشة، بحيث يكاد يعني وجوده. وأمّا خوف العقاب، فهو لا يحصل من مجرّد ذكر الله تعالى، وإنما يحصل بملاحظة معصيته، وذكر قهر الله وعقابه، واللائق بهذا المقام هو الحمل على خوف العظمة والجلال؛ لأنه اللازم لكمال الإيمان. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (**الحسن**) هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصريّ - بفتح الباء وكسرها - الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**الثوري**) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين، اتّفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحقّ وغير ذلك من المحاسن وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يُحصر وأوضح من أن يُشهر، وهو أحد أصحاب المذاهب الستّة المتبوعة، وأجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (**وبهذا**) أي بما ذكره الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ من النكتة (**يتشبّث**) التشبّث بالشيء التعلّق به. اهـ مختار الصّحاح. أي يتمسّك (**مَنْ يقول: أنا مؤمن إن شاء الله**)...

وكان (أبو حنيفة) رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقول ذلك. وقال (لقتادة): لم تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعًا لإبراهيم في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء: الآية ٨٢]، فقال له: هلّا اقتديت به في قوله: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٦].

وعن (إبراهيم التيمي): قل أنا مؤمن حقًّا فإن صدقت أثبت عليه، وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك. وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما: مَن لم يكن منافقًا فهو مؤمن حقًّا.

الخ. وهي مسألة الموافاة المشهورة وتحقيقها أنّ الاستثناء، أعني إن شاء الله، إنْ كان للتبرّك وتفويض الأُمور إلى مشيئته تعالى، أو للشكّ في الخاتمة، أو في الإيمان المنجّي الذي يترتّب عليه دخول الجنّة، أو لتعليق الإيمان الكامل الذي يدخل فيه الأعمال جاز، وبالجملة ليس للشكّ في حصول الإيمان في الحال، فيرتفع النزاع ويتبيّن أنه لفظيّ، كما ذهب إليه شرّاح الكشاف بأسرهم. اهـ شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (أبو حنيفة) هو الإمام البارع النّعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة.

قوله: (لقتادة) بن دعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ البصريّ التابعي، وُلِد أعمى. أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفَضْله. توفي سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين سنة رحمه الله.

قوله: (إبراهيم التيميّ) هو إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي، أبو إسحٰق المدني، ثقة، مات سنة عشر ومائة، وله أربع وستّون رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حبر الأُمّة والبحر لكثرة علمه، رُوِي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستّمائة حديث وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. توفي بالطائف سنة ثمان وستّين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

وقد احتجّ (عبد الله) على (أحمد) فقال: (أيش) اسمك؟ فقال: أحمد، فقال: أتقول أنا أحمد حقًّا أو أنا أحمد إن شاء الله؟ فقال: أنا أحمد حقًّا. فقال: حيث سمّاك والداك لا تستثني وقد سمّاك الله في القرآن مؤمنًا تستثني. ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز لسيئاتهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ صافٍ عن كد الاكتساب وخوف الحساب.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾

الكاف في ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر، والتقدير: قل الأنفال استقرّت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتًا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون ﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها لأنها (مهاجره) ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ إخراجًا متلبسًا بالحكمة والصواب ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم. وذلك أن (عير قريش) أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبًا منهم

قوله: (عبد الله) بن المبارك واضح أبو عبد الرحمٰن الإمام المُجمع على إمامته وجلالته في كل شيء الذي يستنزل الرحمة بذكره، وترتجى المغفرة بحبّه، وهو من تابعي التابعين، توفي سنة إحدى وقيل: اثنتين وثمانين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أحمد) بن حنبل، هو الإمام البارع أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانيّ المروزيّ ثم البغداديّ، وُلِد في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين ومائة، وتوفي ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين ومائتين، ودُفِن ببغداد وقبره مشهور معروف يتبرّك به رحمه الله.

قوله: (أيش) تحريف أيّ شيءٍ.

قوله: (مهاجره) بفتح الجيم على صيغة اسم المفعول، المراد به اسم المكان، أي موضع هجرته.

قوله: (عير قريش) العير ـ بكسر العين ـ الإبل التي تَحْمل المتاع، والمراد هنا القافلة من التجّار.

(أبو سفيان)، فأخبر جبريل النبيّ ﷺ فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلّة القوم، فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج (أبو جهل) بجميع أهل مكة وهو النفير (في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير). فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت، فأبى وسار بمن معه إلى بدر -

---

قوله: (أبو سفيان) صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القريشيّ الأُمويّ المكّي، أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكّة إذ ذاك ورئيس قريش، ولَقِيَ رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخول مكّة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حُنَيْنًا وأعطاه النبيّ ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أُوقية، وشهد الطائف، وفُقِئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. رَوَى له البخاري ومسلم حديث هرقل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجّار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلّفة ثم حَسُن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وأخواتهم ﭫ.

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأُمّة، اسمه عمرو بن هشام، وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهل المعروف، وكان يُكنى أبا الحكم فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قُتِل يوم بدر كافرًا، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة قتله عمرو[١] بن الجموح وابن عفراء الأنصاريّان، وكانا حدَثَيْن وحديثهما في الصحيح مشهور. **قوله:** (في المثل السائر) أي الجاري بين الناس (لا في العير ولا في النفير) قال المُفَضَّل: أوّل مَنْ قال ذلك أبو سفيان بن حرب، وذلك أنه أقبل بعير قريش، وكان رسول الله ﷺ قد تحيّن انصرافها من الشام، فندب المسلمين للخروج معه، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفًا شديدًا، فقال لمُجْدِي بن عمرو: هل أحسست من أحد من أصحاب محمّد؟ فقال: ما رأيت مِنْ أحد أنكره إلا راكبين أتيا هذا المكان، وأشار إلى مكان عديّ وبَسْبَس عيني رسول الله ﷺ، فأخذ أبو سفيان أبعارًا من أبعار بعيريهما ففتّها، فإذا فيها نوى، فقال: علائف يَثْرب، هذه عيون محمّد، فضرب وجوه عيره فساحل بها

---

(١) في المرقاة: قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود ﭬ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يومًا في السنة - ونزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشًا. فاستشار النبيّ ﷺ أصحابه وقال العير «أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: بل العير

وترك بدرًا يسارًا، وقد كان بعث إلى قريش حين فصل من الشام يُخبرهم بما يخافه من النبيّ ﷺ، فأقبلت قريش من مكّة، فأرسل إليهم أبو سفيان يُخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع، فأبَتْ قريش أن ترجع ورجعت بنو زهرة من ثنيّة أجدى عدلوا إلى الساحل منصرفين إلى مكّة، فصادفهم أبو سفيان، فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير، قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر، فواقعهم رسول الله ﷺ فأظفره الله تعالى بهم، ولم يشهد بدرًا من المشركين من بني زهرة أحد. قال الأصمعي: يُضرب هذا للرجل يُحَطّ أمره ويُصَغّر قدرُه، ورُوِي أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخي، لقد هممت اليَوْم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له: والله بِئْسما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولِيّ عهد المسلمين، فقال: إنّ خَيْلي مرّت به فتعبّث بها وأصْغرها وأصغرني، فقال خالد: أنا أكفيكه، فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الوليد مرّت به خيل ابن عمّه عبد الله بن يزيد بن معاوية، فتعبّث بها وأصغره، وعبد الملك مُطرق فرفع رأسه وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾ [النمل: الآية ٣٤]. . . إلى آخر الآية، فقال خالد: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٦]. . . إلى آخر الآية، فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلّمني؟ والله لقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنًا، فقال خالدًا: فعلى الوليد تقوّل؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن، فإن أخاه سليمان لا، فقال خالد: وإنْ كان عبد الله يلحن، فإن أخاه خالدًا لا؛ فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تُعَدُّ في العير ولا في النّفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال: ويحك مَن في العير والنفير غير جدّي أبو سفيان صاحب العير، وجدّي عُتْبة بن ربيعة صاحب النّفير، ولكن بوقلت غُنَيْمات وحُبَيْلات والطائف، ورحم الله عثمان، قلنا: صدقت عنى بذلك طرد رسول الله ﷺ الحكم إلى الطائف إلى مكان يُدعى غنيمات، وكان يأوي إلى حَبْلة وهي الكرمة، وقوله: رحم الله عثمان لردّه إيّاه. اهـ مجمع الأمثال.

أحبّ إلينا من لقاء العدو. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، ثم ردَّد عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبيّ ﷺ (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما

قوله: (أبو بكر) الصدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر مَنْ يُحصي مناقبه ويُحيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ. رُوِي للصدّيق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلّة رواياته مع تقدّم صحبته وملازمته النبيّ ﷺ أنّه تقدَّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبيّ ﷺ يُكْرمه ويُجلّه ويُعرّف أصحابه مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة، ومناقبه غير مُنحصرة. أجمعت الأُمّة على صحة خلافته، وقدَّمته الصحابة رضي الله عنهم لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بيعته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله عنه: قدَّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلّي بالناس وأنا حاضرٌ غير غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدّمني لَقَدَّمَني، فرَضِينا لدنيانا مَنْ رَضِيَه الله ورسوله لديننا. توفي في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، والصّحيح أنه توفي وله ثلاث وستّون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب توفي في آخر يوم الاثنين.

قوله: (وعمر) بن الخطّاب بن نُفيل اتّفقوا على أنه أوّل مَنْ سُمّي أمير المؤمنين، وإنما كان يقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فَهْمه وزهده وتواضعه، ورفعه المسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين، وإكرامه أهل الفضل والخير، وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيّته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة وفي حقوق المسلمين أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تُحصر، وطُعِنَ عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِن يوم

(فأحسنا)، ثم قام (سعد بن عبادة) فقال: (انظر أمرك فامض فيه)، فوالله لو سرت إلى (عدن أبيَن) ما تخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال:

الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين يومًا، وقيل غير ذلك.

قوله: (فأحسنا) أي الكلام في انقياد الرسول ﷺ.

قوله: (سعد بن عُبادة) بن دُلَيم بن حارثة الأنصاري الخزرجيّ أحد النقباء وأحد الأجواد، وقع في صحيح مسلم أنه شَهِد بدرًا، والمعروف عند أهل المغازي أنه تهيّأ للخروج فنُهِس[1]، فأقام. مات بأرض الشام سنة خمس عشرة، وقيل غير ذلك. اهـ تقريب. وفي تهذيب الأسماء: قالوا: يقال: إنّ الجنّ قتله، وأنشدوا فيه البيتين[2] المشهورَيْن. اهـ.

قوله: (انظر أمرك) أي في أمرك. **قوله:** (فامْض فيه) أي افعل ما تريد، فنحن معك ولا نخالفك. **قوله:** (عدن أبْين) جزيرة باليمن أقام بها أبْيَنُ. اهـ قاموس. وفي لسان العرب: العَدَن موضع باليمن، وعَدَن أبْيَن ويَبْين نسب إلى أبْيَن رجل من حِمْيَر، لأنه عَدَن به، أي أقام. قال الأزهري: وهي بلد على سَيْف البحر في أقصى بلاد اليمن، وفي الحديث ذكر عدن أبْيَن هي مدينة معروفة باليمن أضيفت إلى أبْيَن بوزن أبيض، وهو رجل من حِمْيَر. اهـ. ذكره لغاية بعده، لأنه نهاية اليمن، وبعده البحر. وقال القاضي المرتضى اليمني: أبْيَن اسم قصبة بينها

---

(١) في المصباح: نَهَسه الكلب وكلّ ذي ناب نَهْسًا، من بابي ضرب ونفع عضّه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) وهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة فرميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وقيل:

نحن قتلنا سيّد الخز رج سعد بن عباده
ورميناه بسهـ ـمٍ فلم نُخطيء فؤاده

وقيل:

قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباده
رميناه بسهم فلم يخطّ فؤاده

١٢ منه عمّ فيضهم.

(المقداد بن عمرو): امضِ (لما أمرك الله) فإنا معك حيث (أحببت)، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾

وبين عدن مقدار ثلاثة فراسخ تجلب منها إلى عدن الفواكه والخضروات، فكانت الإضافة لمجرّد الملابسة.

قوله: (المقداد بن عمرو) الكندي الصحابي، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة حقيقةً، واشْتُهر بالمِقداد بن الأسود؛ لأنه كان في حجر الأسود بن عبد يغوث فتبنّاه فنُسِب إليه، ويقال له: المِقْداد الكندي، لأنه أصاب دمًا في بهراءَ فهرب منهم إلى كندة، فحالفهم ثم أصاب دمًا فيهم فهرب منهم إلى مكّة، فحالف الأسود بن عبد يغوث فهو بهرانيّ، ويقال: كندي، ويقال: زهريّ، وهو قديم الإسلام والصُّحبة من السابقين إلى الإسلام. قال ابن مسعود ﷺ: أوّل مَنْ ظهر إسلامه بمكّة سبعة منهم المقداد بن الأسود، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكّة، ثم هاجر إلى المدينة، وشَهِد مع رسول الله ﷺ بدرًا وسائر المشاهد، ولم يثبت أنه شهد بدرًا فارس مع رسول الله ﷺ غير المقداد، وقيل: كان الزبير فارسًا أيضًا. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وأربعين حديثًا، اتّفقا على حديثٍ واحد، ولمسلم ثلاثة. ورَوَى عنه من الصحابة عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والسائب بن يزيد وسعيد بن العاص والمستورد بن شداد وطارق بن شهاب. وروى عنه خلائق من التابعين، منهم عبيد الله بن عدي وهمام بن الحارث وعبدُ الرحمٰن بن أبي ليلى وأسلم بن عامر وميمون بن أبي شبيب وجبير بن نُفير وأبو ظبية ـ بالظاء المعجمة ـ وغيرهم. توفي بالجُرْف على عشرة أميال من المدينة، وحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وقيل: توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، وصلّى عليه عثمان، وأوصى إلى الزبير، وشهد فتح مصر ومناقبه كثيرة. وفي الترمذي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة وأخبرني أنه يحبّهم»، قيل: يا رسول الله سمّهم لنا، فقال: «عليٌّ منهم» يقول ذلك ثلاثًا «وأبو ذرّ والمقداد وسلمان»، قال الترمذي: حديث حسن رضي الله تعالى عنه.
قوله: (لما أمرك الله) بكسر اللام لما كان فعل النبيّ ﷺ بالوحي. **قوله:** (أحببت) من الأحباب أفعال من الحب.

[المائدة: الآية ٢٤]. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ما دامت عين منّا (**تطرف**)، فضحك رسول الله ﷺ. وقال (**سعد بن معاذ**): امضِ يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق (**لو استعرضت بنا هذا البحر**) فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، فسر بنا على بركة الله. ففرح رسول الله ﷺ

قوله: (تطرف) في المصباح: طرف البصر طرفًا من باب ضرب تحرّك وطرف العين نظرها. اهـ.

قوله: (**سعد** بن معاذ) الأنصاري الصحابي، كان من أعظم الناس بركةً في الإسلام، ومن أنفعهم لقومه، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق وقريظة، ونزلوا على حكمه، فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذرية، فقال النبيّ ﷺ: «لقد حكَمْتَ فيهم بحكم الله تعالى». وتوفي شهيدًا عام الخندق من جرحٍ أصابه من قتال الخندق، وثبت في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «اهتزّ عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ»، وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ مثله. قال العلماء: اهتزاز العرش فرح الملائكة لقدومه لما رأوا من منزلته. وفي الصحيحين عن البراء ﷺ، قال: أُهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلنا نلمسه ونتعجّب منه، فقال النبيّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة خيرٌ من هذا وألْيَن». وفي الصحيحين عن أنس مثله، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن **معاذ** في الجنّة أحسن من هذا». وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ حين بعث إلى سعد بن معاذ، فجاء على حمار فبلغ قريبًا من المسجد، وقال: «قوموا إلى سيِّدكم»، أو قال: «خيركم». وفي الترمذي عن أنس ﷺ: قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخفّ جنازته، وذلك لحكمه في قريظة، فقال النبيّ ﷺ: «إنّ الملائكة كانت تحمله»، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، ومناقب سعد رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة، وأنشدوا شعر:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعدٍ أبي عمرو

رَوى له البخاري حديثًا من رواية ابن مسعود، وفيه معجزة من معجزات النبيّ ﷺ. **قوله: (لو استعرضت بنا هذا البحر)** أي لو طلبت منّا أن نعبره عرضًا،

ونشطه قول سعد ثم قال: «سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى (**مصارع القوم**)» وكانت الكراهة من بعضهم لقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ قال (**الشيخ أبو منصور**) رحمه الله: يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادًا، ويحتمل أن يكونوا مخلصين، وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنهم غير متأهبين له.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾ الحق الذي جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم

وخصّ ذلك لأنه أصعب من الطول، والباء تحتمل التعدية والمصاحبة، والأخير أنسب. وفي الصحاح: استعرض أي طلب أن يعرض ما عنده من الأمر، أي لو طلبت من البحر عرض ما عنده من الأمواج والأهوال حال ركوبك فيه ونحن في صحبتك لخُضْناه وما خفناه، وهذا مجاز من القول وفيه مبالغة. **قوله: (مصارع القوم)** المصارع الأمكنة التي سقطت أجسادهم مقتولين، والمراد بالقوم كفّار قريش، واللام للعهد.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمّد بن محمد بن محمود الماتريديّ، كان من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي، وكتاب بيان وَهْم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، ولا يُدانيه شيء من تصانيف مَنْ سبقه في ذلك الفنّ، وله كتب شتّى. مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخطّ شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفي، ورأيت بخطّ شيخنا قطب الدِّين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة. نسبته إلى ماتريد بفتح الميم ثم الألف وضمّ التاء المنقوطة باثنتين من فوق وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتيّة في آخره دال مهملة، ويقال: ماتريت ـ بالتاء الفوقية المثناة موضع الدال ـ محلّة بسمرقند، ذكره السمعاني.

القتال ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من **(يعتل)** إلى القتل ويساق على **(الصغار)** إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها. وقيل: كان خوفهم **(لقلة العدد)** وإنهم كانوا **(رجّالة وما كان فيهم إلا فارسان)**.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ «إذ» منصوب بـ «اذكر» و﴿إِحْدَى﴾ مفعول ثانٍ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ وهما الغير والنفير والتقدير: وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي العير وذات الشوكة ذات السلاح، والشوكة كانت في النفير **لعددهم** وعدتهم أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ **(أي يثبته ويعليه)** ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من قتلهم وطرحهم في **(قليب بدر)** ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر. وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة

قوله: (يُعْتل) العتل: الجذب بعنف، وبابه ضرب. **قوله: (الصغار)** - بالفتح - الذلّ. **قوله: (لقلّة العدد)** لأنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة رجال فيهم فارسان، وقيل: فارس واحد، والمشركون ألف ذو عِدّة وعُدّة. **قوله: (رجالة)** بفتح وتشديد جمع راجل، وهو الماشي. **قوله: (وما كان فيهم إلا فارسان)** هما المقداد بن الأسود والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما، وفي مسند أحمد عن عليّ كرَّم الله وجهه: ما كان منّا فارسًا يوم بدر إلّا المقداد بن الأسود.

قوله: (أي يثبته ويعليه) يشير إلى أنه من حقّ بمعنى ثبت، فأحقّه أثبته وإعلاؤه إظهاره على غيره، وهو تفسير للحقّ؛ لأن الحقّ حقّ في نفسه لا يحتاج إلى إحقاق، كما أنّ الباطل باطل في حدّ ذاته لا يحتاج إلى إبطال؛ فالمراد بإحقاق الحقّ وإبطال الباطل إظهار كونه حقًّا وباطلًا لئلا يلزم تحصيل الحاصل. **قوله: (قليب بدر)** في المصباح: القليب البئر، وهو مذكّر. قال الأزهري: القليب عند

و(**سفساف الأمور**)، والله تعالى يريد معالي الأمور ونصرة الحق وعلوّ الكلمة، (**وشتّان**) ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزّكم وأذلّهم.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ متعلّق بـ «يقطع» أو بمحذوف تقديره ليحق الحق ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ فعل ذلك والمقدّر متأخر ليفيد الاختصاص أي ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه، وليس هذا بتكرار لأن الأول تمييز بين (**الإرادتين**)، وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (**بدل من «إذ يعدكم»**) أو متعلق بقوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال (**طفقوا يدعون الله**) يقولون أي ربنا انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا. (**وهي**) طلب الغوث وهو التخليص من المكروه ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فأجاب. وأصل ﴿أَنِّى

العرب: البئر العادية القديمة مطويّة كانت أو غير مطويّة، والجمع قُلُب، مثل بريد وبُرُد. اهـ. **قوله:** (**سفْسَاف الأُمور**) السَّفْساف الرّديء الحقير من الأُمور، ويُقابلها المعالي. وفي الحديث: «إن الله تعالى يحبّ معالي الأُمور ويبغض سفسافها». **قوله:** (**شَتّان**) أي بَعُد.

قوله: (**الإرادتين**) إرادة الله تعالى إثبات الدِّين، وإرادتهم الفائدة العاجلة، وما هو من سفسافها.

قوله: (**بدل من «إذ يعدكم»**) بأن يكون إذ عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه والاستغاثة في البعض. **قوله:** (**طفقوا يدعون الله**) في مختار الصِّحاح: طفق يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٢]، وبعضهم يقول: من باب جلس. اهـ. **قوله:** (**وهي**) أي الاستغاثة.

﴿مُمِدُّكُم﴾ «بأني ممدكم» فحذف الجار وسلّط عليه «استجاب» **(فنصب محله)** ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ـ («مردَفين» ـ مدني. **غيره بكسر الدال)**. فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم، والفتح على أنه أردف كل ملك ملكًا آخر. يقال: ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا اتبعه.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد الذي دلّ عليه ممدكم ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ يعني أنكم استغثتم وتضرّعتم لقلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينًا منكم وربطًا على قلوبكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة، أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور مَن نصره الله. واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل: نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها **(علي)** رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض

قوله: (فنصب محلّه) لأن إضمار الجار ضعيف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: («مردَفين»)** بفتح الدال اسم مفعول، أي مردفين بغيرهم **(مدنيّ)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(غيره)** أي الباقون **(بكسر الدال)** اسم فاعل.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي المكّي المدني الكوفي، أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمواخاة وصهره على فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السِّبْطين، وأوّل هاشمي وُلِد بين هاشميَيْن، وأوّل خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربّانيّين والشجعان المشهورين والزهّاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة. وأمّا علمه، فكان من العلوم بالمحلّ

و(عمائم) بيض قد أرخوا (أذنابها) بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل (لابن مسعود): من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة.

العالي، رَوَى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستّة وثمانين حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وأحوال عليّ رضي الله تعالى عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير مُنْحصرة، وُلّي الخلافة خمس سنين، وقيل: خمس سنين إلّا شهرًا، بُويع في الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان ﷺ، لكونه أفضل الصحابة حينئذ، وذلك في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين. ضربه عبد الرحمٰن بن مُلْجم المرادي من الخوارج بسيفٍ مسموم في جبهته فأوصله دماغه في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلة الجمعة، ثم توفي عليّ رضي الله تعالى عنه في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح وقول الأكثرين.

قوله: (عمائم) جمع عمامة. **قوله:** (أذنابها) أي أطراف العمائم، والأذناب جمع ذنب، مثل سبب وأسباب.

قوله: (لابن مسعود) هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب وأُمّه أُمّ عبد بنت عبد ودّ بن سواء أسلمت وهاجرت فهو صحابي ابن صحابيّة، أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطّاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرّضوان وسائر المشاهد وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبِسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد[1] والسواك

---

(١) في الإصابة: قال له رسول الله ﷺ: «آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك» أخرجه أصحاب الصحيح. اهـ. وفي النهاية في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال له: «آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سِوادي حتى أنهاك السِّواد السِّرار». اهـ السّرار المُسارّة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قال: فهم غلبونا لا أنتم. وقيل: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون (السواد) ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كافٍ في إهلاك أهل الدنيا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَكِيمٌ﴾ بقهر أعدائه.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

(﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ بدل ثانٍ من «إذ يعدكم» أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. «يُغْشيكم» مدني ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ النوم والفاعل هو الله على القراءتين. «ويُغشيكم النعاس» مكي وأبو عمرو) ﴿أَمَنَةً﴾ مفعول له أي إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنًا أي لأمنكم، أو مصدر أي فأمنتم أمنة فالنوم يزيح (الرعب) ويريح النفس ﴿مِّنْهُ﴾ صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف: مكي

والنعل[1]. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستّين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستّين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (السَّواد) أي الجماعة.

قوله: (﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ **بدل ثان من «إذ يعدكم»، أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. «يُغْشيكم»**) بضم الياء وسكون الغين وبياء بعدها من أغشى (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ **النّوم**) الخفيف بالنصب مفعول به، (**والفاعل هو الله**) تعالى (**على القراءتين**) أي يغشيكم - بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشدّدة وبياء بعدها - (﴿**ويُغشيكم**﴾) بضمّ الياء وسكون الغين وبياء بعدها («**يغشاكم**») بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وألف بعدها لفظًا (﴿**النعاس**﴾) بالرفع على الفاعليّة من غشي يغشى (**مكيّ**) أي ابن كثير المكّيّ (**وأبو عمرو**) البصريّ، والباقون بضمّ الياء وفتح الغين وكسر الشين مشدّدة وبياء بعدها ونصب النعاس من غَشّى. (**الرعب**) بضم العين وبسكونها، يعني الخوف. **قوله:** (﴿وَيُنَزِّلُ﴾ **بالتخفيف**) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي (**مكّي**) أي

---

(١) والوِسادة - بكسر الواو - المخدّة، والمطهرة: إناء يتطهّر به. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وبصري، وبالتشديد): غيرهم ﴿عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ بالماء من الحدث والجنابة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش، أو الجنابة من الاحتلام لأنه من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ أي بالماء إذ الأقدام كانت (**تسوخ**) في الرمل، أو بالربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ يُوحِى﴾ بدل ثالث من «إذ يعدكم» أو منصوب بـ «يثبت» ﴿رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالنصر ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالبشرى وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ هو امتلاء القلب من الخوف و(﴿ٱلرُّعُبَ﴾ **شامي وعلي**) ﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ أمر للمؤمنين أو الملائكة، وفيه دليل على أنهم قاتلوا ﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي أعالي الأعناق التي هي المذابح تطييرًا للرؤوس، أو أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب (**الهام**) ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (**هي الأصابع**) يريد

ابن كثير المكّي (**وبصريَ**) أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، (**وبالتشديد**) أي بفتح النون وتشديد الزاي غيرهم. **قوله: (تسوخ)** أي تدخل وتغيب.

قوله: (﴿ٱلرُّعُبَ﴾) بضم العين (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بالإسكان. **قوله: (الهام)** في المصباح: الهامة من الشخص رأسه، والجمع هام. اهـ. **قوله: (هي الأصابع)** اختلف أهل اللّغة في البنان، فقيل: هو الأصابع، واحده بنانة، وقيل: إطلاقه عليها مجاز مرسل من تسمية الكلّ بالجزء، وقيل: هي المفاصل، وقيل: هي مخصوصة باليد، وقيل: تعمّ اليد والرّجل، ويقال: بنام ـ بالميم ـ وأشار المصنف بقوله: يريد الأطراف إلى أن المراد بالبنان مجازًا مطلق الأطراف لوقوعه في مقابلة الأعناق والمَقاتِل؛ إذ المراد: ضربوهم كيف ما اتّفق من المقاتِل وغيرها، وإنما خصّت لأن بها المدافعة. **قوله:**

الأطراف، والمعنى فاضربوا المقاتل (**والشوَى**) لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في (**شقّ**) خلاف شقّ صاحبه، وكذا المعاداة والمخاصمة لأن هذا في (**عدوة وخُصم**) أي جانب وذاك في عدوة وخصم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد، وفي ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ للكفرة على طريقة الالتفات، ومحله الرفع على «ذلكم العقاب أو العقاب» ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾. والواو في ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بمعنى «مع» أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾) حال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

(والشَّوَى) ما كان غير مقتل. في لسان العرب: الشَّوَى اليدان والرِّجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس، وهي جلدة الرأس يقال لها: شَوَاه وما كان غير مقتل، فهو شَوَى. اهـ.

قوله: (شقّ) ـ بالكسر ـ وهو الجانب. **قوله:** (عدوة) ـ بالضم والكسر ـ وهو الجانب. **قوله:** (**خصم**) بالضمّ، وهو الجانب كما بيَّنه أهل الاشتقاق. وقوله: أي جانب تفسير للخصم، أوْ له ولما قبله.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ **الآية**) هذه الآية مُحكمة لا يحتمل النسخ، فلهذا قيل: إن الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معهم في الحرب، والأظهر أنّ الآية مخصوصة بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ

....

عَنكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، ومحمولة على ما إذا لم يكن الكفار زائدين بالضعف؛ لأنه إنْ كان الكفار زائدين على التضاعف كما إذا كان المسلم واحدًا والكافر ثلاثًا لا يحرم الفرار، وإنما يحرم إذا كان المسلم واحدًا والكافر اثنين على ما سنذكره آنفًا في آخر هذه السورة، هكذا ذكره القاضي البيضاوي. والمختار للإمام الزاهد أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، هذا كلّه واضح ولا يتعلق به مقصود؛ لأنه مسألة معروفة مذكورة في القرآن غير مرّة، وإنّما الغرض إثبات أنّ الخدع في الحرب ليس بممنوع. وبيانه أنّ الله تعالى حيث أوجب الوعيد على الفارّ استثنى منه اثنين، فقال: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦]، وهو جملة معترضة بين الشرط والجزاء وانتصاب متحرّفًا أو متحيّزًا على الحال، وإلّا لغو لا عمل له أو استثناء من المولين، أي إلا رجلًا متحرّفًا أو متحيّزًا، ومعنى الأوّل وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦] إلا من يفر حال كونه متحرفًا لقتال، أي بحيث يحسب الخصم والعدوّ أنه يفرّ من جيوش المسلمين، فيغفل العدوّ ثم يكرّون بعد الفرّ، وهذا من جملة خدع الحرب، هكذا ذكره المفسّرون، فهو مشروع بخلاف الغدر، فإنه حرام كما سيأتي في آخر السورة.

والفرق على ما ذُكِر في شرح الوقاية أن الغدر أن يقول المسلم عن الخصم: إني لا أُقاتلك اليوم، ثم يقاتله بغفلة. والخداع أن لا يقول ذلك، ولكن يشغل بأفعال يَعلم منها الخصم أنه لن يُقاتل اليوم ليكون غافلًا، ثم يقاتل معه، ومعنى الثاني وهو قول تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦] إلا من يفر حال كونه متحيّزًا أو ملتجئًا أو منحازًا إلى فئة أخرى من المسلمين يطلبهم للتقوية ويستعينهم، فحينئذ يجوز الفرار بشرط أن يكون تلك الفئة قريبة، ومنهم مَنْ لا يشترط القرب، لما رَوى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه لما كان في سرية بعثهم رسول الله ﷺ، ففرّوا إلى المدينة، فقلت: يا رسول الله نحن الفرّارون؟ فقال: «بل أنتم العكّارون، وأنا فئتكم»، أي أنتم المائلون إلى فئةٍ من المسلمين وجماعتهم، وهم أنا وأصحابي هكذا ذُكِر في البيضاوي. وفي الكشاف: أنه فرّ رجل من القادسيّة، فأتى المدينة إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت وفررت عن الزحف، فقال عمر: وأنا فئتك. اهـ التفسيرات

والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كأنه (يزحف أي يدب) دبيبًا من زحف الصبي إذا دبّ (على استه) قليلًا قليلًا سُمِيَ بالمصدر ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل، فلا تفروا فضلًا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ مائلًا ﴿لِّقِتَالٍ﴾ (وهو الكرّ بعد الفرّ) يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمًا

الأحمدية. **قوله: (يزحف)** يقال: زحف يزحف زحفًا من باب فتح يفتح، أي مشى إليه ودنا قليلًا قليلًا. **قوله: (أي يدبّ)** في المصباح: دبّ الصغير يدبّ من باب ضرب دبيبًا ودبّ الجيش دبيبًا أيضًا ساروا سيرًا ليّنًا. اهـ. **قوله: (على استه)** في المصباح: الاست همزته وصل ولامه محذوفة، والأصل سته، وسيأتي. اهـ. وفيه في كتاب السين: الاست العجز، ويُراد به حلقة الدُّبر، والأصل سته بالتحريك، ولهذا يُجمع على أستاه، مثل سبب وأسباب ويصغر على ستيه، وقد يقال: سَهْ بالهاء، وسَتْ بالتاء، فيُعرب إعراب يد ودم، وبعضهم يقول في الوصل بالتاء، وفي الوقف بالهاء على قياس هاء التأنيث. قال الأزهري: قال النحويّون: الأصل سَتْهٌ ـ بالسكون ـ فاستثقلوا الهاء لسكون التاء قبلها، فحذفوا الهاء وسكنت السين ثم اجْتُلِبت همزة الوصل، وما نقله الأزهري في توجيهه نظر؛ لأنهم قالوا: سَتِه سَتَها من باب تعِب إذا كبرت عجيزته، ثمّ سُمّي بالمصدر ودخله النقص بعد ثبوت الاسم، ودعوى السكون لا يشهد له أصل، وقد نسبوا إليه سَتَهِيّ بالتحريك، وقالوا في الجمع: أَستاه، والتصغير وجمع التكسير يَرُدَّان الأسماء إلى أصولها. اهـ بحروفه. وأيضًا فيه: العَجْز من الرجل والمرأة ما بين الوَدكين، وهي مؤنّثة وبنو تميم يذكرون، وفيها أربع لغات: فتح العين وضمّها، ومع كل واحد ضمّ الجيم وسكونها، والأفصح وزان رَجُل، والجمع أعجاز. اهـ.

قوله: (وهو الكرّ بعد الفرّ) الكرّ من كرّ عليه العدوّ إذا حمل، والفرّ الرجوع.

﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ إلى جماعة من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في ﴿يُوَلِّهِمْ﴾ ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ و**(وزن متحيز «متفيعل»)** لا «متفعل»، لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوز. ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخرًا قتلت وأسرت قيل لهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ والفاء جواب لشرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. **(ولما قال جبريل للنبي ﷺ: خذ قبضة من تراب)** فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال:

قوله: (وزن متحيّز متفيعل) أصله متحيوز من تحيوز قُلِبت الواو ياء، فأُدغمت، ولو كان وزنه متفعلًا لقيل: إلا متحوّزًا؛ لأنه يُبنى من حاز يحوز حوزًا وهو واويّ، ويقال: في بناء التفعّل منه تحوّز يتحوّز تحوّزًا، فلمّا قيل: متحيّزًا علم أنه من تفيعل لا من تفعّل.

قوله: (ولما قال جبريل للنبيّ ﷺ: خذ قبضة من تراب) بضمّ القاف ويجوز فتحها: ملء الكفّ. قال العلّامة التفتازاني رحمه الله: المحدثون على أن الرمية لم يكن إلّا يوم حنين، انتهى. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه ابن جرير عن عروة مرسلًا، وليس فيه أمر جبريل عليه الصّلاة والسّلام له بذلك. (وروى ابن جرير) وابن مردويه أمر جبريل له بذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ولم يقف عليه الطيبيّ، فقال: لم يذكر أحد من أئمّة الحديث أن هذه الرَّمية كانت يوم بدر، إنما هي في حُنَيْن، واغترّ به مَنْ قال المحدثون على أن الرَّمْية لم تكن إلّا يوم حُنين، وليس كما قالا، والطيبي لم يبلغ درجة الحفّاظ، ومنتهى نظره الكتب الستّة، وكثيرًا ما يقصر في التخريج، انتهى ـ يعني كلام[1] السيوطي ـ وقد سبقه الحافظ ابن حجر إلى هذا، وخرّج الرمي في بدر من طرق عديدة، انتهى.

---

(١) الذي ذكره العلّامة الشهاب قبل هذا. ١٢ منه عمّ فيضهم.

«(**شاهت الوجوه**)» فلم يبق مشرك إلا (**شغل**) بعينه فانهزموا قيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ (**يا محمد**) ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وفي الآية بيان أن فعل العبد مضاف إليه كسبًا وإلى الله تعالى خلقًا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة، لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، («**ولكن الله قتلهم**»، «**ولكن الله رمى**» **بتخفيف لكن**

وأخرج عبد الرزّاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] قال: رماهم بالحَصْباء.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧]، قال: نزلت يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزموا.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن حكيم بن حِزام رضي الله تعالى عنه قال: لمّا كان يوم بدر سَمِعْنا صوتًا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزمنا، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] الآية.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت صوت حصيات وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست، فلما اصطفّ الناس أخذهنّ رسول الله ﷺ فرمى بهنّ في وجوه المشركين، فانهزموا؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ١٧].

قوله: (شاهت الوجوه) أي قَبُحَت إمّا بمعنى الدعاء، أو الماضي للتفاؤل.
قوله: (شُغِل) بالبناء للمجهول، بمعنى اشتغل.

قوله: (يا محمد) فيه دفع توهّم جواز كون الخطاب لكل مَنْ يصلح للخطاب من أُولي الألباب. **قوله: («ولكن الله قتلهم»، «ولكن الله رمى» بتخفيف لكن)** أي

شامي وحمزة وعلي) ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وليعطيهم ﴿مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ عطاء جميلًا، والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨﴾

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الأمر ذلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معطوف على ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي المراد إبلاء المؤمنين و(توهين) كيد الكافرين. (﴿مُوهِنُ كَيۡدِ﴾ **شامي وكوفي غير حفص**. ﴿مُوهِنُ كَيۡدِ﴾ **حفص**، ﴿مُوهِنٌ﴾ **غيرهم**).

﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾

﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة، لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلّقوا بأستار الكعبة قالوا: اللهم إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على الحق فانصرنا. وقيل: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ للكافرين أي ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن عداوة رسول الله ﷺ ﴿فَهُوَ﴾ أي الانتهاء ﴿خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ﴾ وأسلم ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لمحاربته ﴿نَعُدۡ﴾ لنصرته عليكم ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ﴾ جمعكم ﴿شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡۚ﴾ عددًا

بتخفيف[(١)] النون ورفع الجلالة الشريفة فيهما **(شاميّ)** أي ابن عامر الشامي، **(وحمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون بفتح النون مشدّدة ونصب الجلالة الشريفة.

قوله: (توهين) أي تضعيف. **قوله:** (﴿مُوهِنُ كَيۡدِ﴾) بسكون الواو وتخفيف الهاء والتنوين على أنه اسم فاعل من أوهن كأكرم معدّى بالهمزة والتنوين على الأصل في اسم الفاعل، وكيد بالنصب على المفعولية به، **(شاميّ)** أي ابن عامر الشامي **(وكوفي غير حفص)** أي شعبة وحمزة والكسائي (﴿موهن كيد﴾) بإسكان الواو وتخفيف الهاء وترك التنوين وخفض دال كيد للإضافة، **(حفص** ﴿موهن﴾**)** بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب كَيْد مفعول به أيضًا **(غيرهم)**.

---

(١) أي بكسر نون مخفّفة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (بالفتح مدني وشامي وحفص) أي ولأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك، (والكسر غيرهم. ويؤيده قراءة عبد الله «والله مع المؤمنين»).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ عن رسول الله ﷺ، لأن المعنى أطيعوا رسول الله كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: الآية ٨٠] فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقوله: «الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان» أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وأمثاله، وأصله ولا تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفًا ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي وأنتم تسمعونه، أو ولا تتولوا عن رسول الله ﷺ ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصّمّ المكذبين من الكفرة ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أي ادعوا السّماع وهم المنافقون وأهل الكتاب ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامِعين، والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوّة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع مَن لا يؤمن. ثم قال:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي إن شرّ مَن (يدبّ) على وجه الأرض البهائم، وإن شرّ البهائم الذين هم صمٌّ عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرّها لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ﴾ في هؤلاء الصم والبكم ﴿خَيْرًا﴾ صدقًا ورغبة

قوله: (بالفتح مدنيّ) أي نافع المدني (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي (وحفص). **قوله:** (والكسر) على الاستئناف (غيرهم. **قوله:** (ويؤيّده قراءة عبد الله) ابن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه (والله مع المؤمنين).

قوله: (يدبّ) أي يمشي.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا﴾ عنه أي ولو أسمعهم وصدقوا لارتدّوا بعد ذلك ولم يستقيموا ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن الإيمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وحد الضمير أيضًا كما وحده فيما قبله، لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته، والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ **(من علوم الديانات)** والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت **(قال الشاعر:**

لا تعجبنّ الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن)

قوله: (من علوم الدّيانات)... الخ. فحيث يكون احترازًا عن الأُمور الدُّنيوية والعلوم الغير الدِّينية من العلوم الفلسفيّة.اهـ قنوي. أي أطلقت الحياة على العلم، كما يطلق الموت على الجهل، وهو استعارة معروفة ذكرها الأدباء وأهل المعاني.اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (قال الشاعر:

لَا تُعْجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُهُ فَذاكَ مَيتٌ وَثَوبُهُ كَفَنُ)

لا تعجبنّ: من الإعجاب بمعنى التعجّب، أو من العجب خطاب لكل من يصلح للخطاب بقرينة، فذاك مفعوله الجهول، وحلّته بدل منه بدل اشتمال.اهـ قنوي. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: البيت المذكور للزمخشري كما قرأته في ديوانه من قصيدة مدح بها المؤتمن بالله الخليفة، وأوّلها:

حدّث إلى أين مرّت الظّعن فعندهنّ الفؤاد مرتهن

ومنها:

لا تعْجبنّ الجهول حلّته فذاك مَيتٌ وثوبُهُ كفن

وقد أَلِمَ فيه بقول أبي الطيب من قصيدته التي أوّلها:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطن

أو لمجاهدة الكفّار لأنهم لو **(رفضوها)** لغلبوهم وقتلوهم، أو للشهادة لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ **(أي يميته)** فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب، فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله، أو بينه وبين ما تمنّاه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم **(على حسب)** سلامة القلوب وإخلاص الطاعة.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ عذابًا ﴿لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ هو جواب للأمر أي إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم، وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر **(لأن فيه معنى النهي)** كما إذا قلت «انزل عن الدابة لا تطرحك» وجاز «لا تطرحنك». و«من» في ﴿مِنكُمْ﴾ للتبعيض ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عاقب.

ومنها:

لا تعجبنّ مضيمًا حُسْن بزّته وهل تروق دفينًا جودة الكفن

والعجب من النِّحرير في شرح قول الكشاف، وبعضهم: لا تعجبنّ... الخ. حيث قال: هذا كما هو عادته إذا أنشد شعرًا لنفسه أن يقول لبعضهم، والبيت لأبي الطيّب، وهذا من عدم التتبّع لكن خلطه بين بيتين من بحرين أعجب، مع تصريح الإمام الطيبي به، والحلّة معروفة، ومنهم مَنْ رواه: حليته، وجوّز فيه البدليّة من المجهول بدل اشتمال، فقد حرّفه كما يدريه مَنْ يدري الشعريّة. اهـ.

قوله: (رفضوها) في مختار الصِّحاح: رفضه تركه، وبابه نصر، ويرفض أيضًا - بالكسر - رَفَضًا - بفتحتين - فهو رفيض ومرفوض. اهـ. **قوله: (أي يُميته)**... الخ. فشبّه الموت بالحيلولة بين المَرْء وقلبه الذي به يعقل في عدم التمكّن من علم ما ينفعه علمه. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (على حسب)** بفتح السين وسكونها، أي قدر.

قوله: (لأن فيه معنى النّهي) لأن المعنى لا تتعرّضوا لها.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ «إذ» مفعول به لا ظرف أي واذكروا وقت كونكم (أقلة أذلة) ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مكة قبل الهجرة: أتستضعفكم قريش ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ لأن الناس كانوا لهم أعداء (مضادين) ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ هذه النعم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾

(﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾) بأن تعطلوا فرائضه ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ بأن لا تستنوا به ﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾ جزم عطف على ﴿لَا تَخُونُواْ﴾ أي ولا تخونوا ﴿أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ فيما

قوله: (أقِلّة) جمع قليل. **قوله:** (أذِلّة) جمع ذليل. **قوله:** (مضادّين) بالتشديد والضاد المعجمة بمعنى معادين مخفّفة مفاعلة من العداوة.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾)... الخ. قال صاحب الكشاف في نزوله: رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى رسول الله ﷺ إلّا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسلْ إلينا أبا لُبابة مروان بن المنذر، وكان مناصحًا لهم؛ لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا له: ما ترى هل ننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله؛ فنزلت، فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله ورسوله عليّ، فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشيًّا عليه ثم تاب الله عليه، فقيل: قد تِيب عليك، فحُلّ نفسك، فقال: لا والله لا أحلّها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني، فجاءه فحلّه بيده، فقال: إنّ مِنْ تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال عليه السلام: «يجزيك الثلث أن تصدق به». وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، هذا لفظه، وقد ذكره الإمام الزّاهد مع

بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (تبعة ذلك) ووباله، أو وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح، ومعنى الخون النقص كما أن معنى الإيفاء التمام، ومنه تخوّنه إذا انتقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم والعذاب، أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا

اختصار، وصاحب الحُسينيّ مع توجيه آخر، وهو أن الصحابة كانوا يفشون السرّ إلى الكفار، فنُهوا عن ذلك. وعلى كل تقدير ففي الآية نهي عن خيانة الله ورسوله وخيانة الأمانة، وقد مضى بيان الأمانة في سورة النساء مع بعض أحكامه، وهي في القرآن كثيرة. وذكر القاضي البيضاوي قصة أبي لُبابة بالتفصيل الذي قلت، وقال في معنى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٧] بتعطيل الفرائض والسُّنن، أو بأن تضمروا خلاف ما تُظهرون، أو بالغلول في المغانم، هذا لفظه. فحينئذ ثبت من الآية حُرْمة الغلول في المغانم أيضًا على ما ذكره الفقهاء حيث قالوا: بلا غدر وغلول ومثلة، وهو المقصود هٰهنا، والأَوْلى أن يقال: خيانة الله والرسول عامّة في جميع ما أمرا به أو نَهَيا عنه، وأنّ خيانة الأمانة عامّة في كل جنس من الخيانات في جميع الأمانات؛ كالعارية والوديعة والمضاربة والشركة والإجارة والوكالة وغيرها، هكذا يخطر بالبال. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (تبعة ذلك) في مختار الصحاح: التَّبعة ما اتُّبعَ به ذكره الفارابي في الديوان. اهـ. وفي المصباح: التّبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. اهـ. وأيضًا فيه: الظلم اسم من ظلمه ظلمًا من باب ضرب، ومظلمة ـ بفتح الميم وكسر اللام ـ وتجعل المظلمة اسمًا لما تطلبه عند الظالم؛ كالظلامة ـ بالضم ـ. اهـ.

تحرصوا على جمع المال وحب الولد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ نصرًا لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله، أو بيانًا وظهورًا (**يشهر أمركم ويبث صيتكم**) وآثاركم في (**أقطار**) الأرض من قولهم «سطع الفرقان» أي طلع الفجر، أو مخرجًا من الشبهات وشرحًا للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلًا ومزية في الدنيا والآخرة ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ أي الصغائر ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ ذنوبكم أي الكبائر ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ على عباده.

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لما فتح الله عليه ذكّره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم. والمعنى واذكر إذ يمكرون بك، وذلك أن قريشًا لما أسلمت الأنصار فرقوا أن (**يتفاقم أمره**) فاجتمعوا في (**دار الندوة**) متشاورين في أمره، فدخل عليهم (**إبليس**) في صورة شيخ وقال: أنا شيخ من (**نجد**) دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن

قوله: (يشهر أمركم) في مختار الصّحاح: الشهرة وضوح الأمر، تقول: شهر الأمر من باب قطع، وشهره أيضًا فاشتهر وشهّرته أيضًا تشهيرًا.اهـ. **قوله: (ويثبت صيتكم)** - بالكسر - الذّكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح، يقال: ذهب صِيْتُه في الناس، وربما قالوا: انتشر صوته في الناس، بمعنى صيت.اهـ. مختار الصّحاح. **قوله: (أقْطَار)** جمع قُطر - بالضم - بمعنى الناحية والجانب.

قوله: (يتفاقم أمره) في مختار الصحاح: تفاقم الأمر عَظُم.اهـ. **قوله: (دار النّدوة)** ندا القوم ندوًا حضروا النديّ، وهو على فعيل مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا تفرّقوا فليس بنديّ، ومنه سُمّيت دار الندوة بمكّة التي بناها قصيّ؛ لأنهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعون للمشاورة. **قوله: (إبليس)** عدوّ الله كان اسمه عزازيل، فلمّا عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا، وسمّاه إبليس. **قوله: (نجد)** من بلاد العرب، وهو خلاف الغور، فالغور تِهامة وكلّ ما ارتفع عن تِهامة إلى أرض العراق، فهو نجد، وهو مذكّر.اهـ مختار الصحاح.

أحضركم (**ولن تعدموا**) مني رأيًا ونصحًا. فقال (**أبو البحتري**): رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا (**وثاقه**) وتسدوا بابه غير (**كوّة**) تلقون إليه طعامه وشرابه منها (**وتتربصوا**) به (**ريب المنون**). فقال إبليس: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم. فقال (**هشام بن عمرو**): رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من (**بين أظهركم**) فلا يضركم ما صنع واسترحتم. فقال إبليس: بئس الرأي، يفسد قومًا غيركم ويقاتلكم بهم. فقال أبو جهل لعنه الله: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلامًا وتعطوه سيفًا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرّق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، (**فإذا طلبوا العقل عقلناه**)

قوله: (ولن تعدموا) من عدم يعدم، وهو ظاهر، وليس من الإعدام كما توهّم. **قوله:** (أبو البحتري) ـ بضم الباء والتاء بينهما حاء مهملة ساكنة، وبعضهم قال: بالخاء المعجمة، وبعضهم قال: بفتح الباء والتاء وبينهما خاء معجمة والراء مكسورة ـ ابن هشام بن عمرو بن الحارث بن أسد، مات كافرًا. **قوله:** (وثاقه) الوثاق ـ بفتح الواو وكسرها ـ ما يُوثَق به ويُشدّ. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (كوّة) في المصباح: الكوّة ـ تُفتح وتُضمّ ـ الثقبة في الحائط، وجمع المفتوح على لفظه كوّات، مثل حبّة وحبّات، وكواء أيضًا ـ بالكسر والمد ـ مثل ظبيّة وظباء وركوة وركاء، وجمع المضموم كُوى ـ بالضمّ والقصر ـ مثل مدية ومُدى، والكوّة بلغة الحبشة المشكاة، وقيل: كل كوّة غير نافذة مشكاة أيضًا، وعينها واو، وأمّا اللام فقيل: واو، وقيل: ياء، والكوّ ـ بالفتح مع حذف الهاء ـ لغة حكاها ابن الأنباريّ، وهو مذكّر، فيقال: هو الكوّ. اهـ. **قوله:** (تتربّصوا) التربّص الانتظار. **قوله:** (رَيْب المَنُون)[1] حوادث الدّهر، فيهلك كما هلك مَنْ قبله. **قوله:** (هشام بن عمرو) بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، أسلم بعد ذلك، وله أثرٌ عظيم في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطّلب في مقاطعتهم واعتزالهم، وأن لا يبيعوهم ولا يبتاعون، وكان هشام لبني هاشم واصلًا ـ يعني لما كانوا بالشِّعب ـ وكان ذا شرف في قومه رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (بين أظهركم) بمعنى بينكم. **قوله:** (فإذا طلبوا العقل عقلناه) في المصباح: عقلت القتيل عقلًا من باب ضرب

---

(١) المنون: الدهر فعول من منّه إذا قطعه، فإن الدهر يقطع الأعمار، وقد يُطلق على الموت لأنه يقطع الأجل، والرَّيْب ما يقلق النفوس من الحوادث. ١٢ منه عمّ فيضهم.

واسترحنا. فقال اللعين: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيًا، فتفرّقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الله في الهجرة، فأمر عليًا فنام في مضجعه وقال له: (اتّشح ببردتي) فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه. وباتوا مترصدين، فلما أصبحوا (ثاروا) إلى مضجعه فأبصروا عليًا (فبهتوا) وخيّب الله سعيهم (واقتصّوا أثره) فأبطل الله مكرهم ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك ويوثقوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ ويخفون المكايد له ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرًا.

أدّيت دِيَّته. قال الأصمعي: سمّيت الدِّية عقلًا تسمية بالمصدر؛ لأن الإبل كانت تعقل بفناء وليّ القتيل، ثم كَثُر الاستعمال حتى أُطلق العقل على الدِّية إبلًا كانت أو نقدًا. اهـ. **قوله:** (اتّشِحْ) في المصباح: توشّح بثوبه، وهو أن يدخله تحت إبطه الأيمن ويُلقيه على منكبه الأيسر، كما يفعله المحرم، قاله الأزهري. واتّشح بثوبه كذلك. اهـ. وفي لسان العرب: قد توشّحت المرأة واتَّشحت. اهـ. وأيضًا فيه: قال أبو منصور: التوشّح بالرّداء مثل التأبّط والاضطباع، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيُلْقيه على منكبه الأيسر، كما يفعل المحرم. اهـ. وأيضًا فيه: وفي الحديث أنه كان يتوشّح بثوبه، أي يتغشّى به. اهـ. (بِبُرْدتي) في المصباح: البُرْدة كساء صغير مربّع، ويقال: كساء أسود صغير. اهـ. وفي لسان العرب: البُردة كساء يُلْتَحف به. اهـ. **قوله:** (ثاروا) في المصباح: ثار الغبار يثور ثورًا وثُؤرًا على فعول، وثورانًا هاج، ومنه قيل للفتنة: ثارت وأثارها العدوّ وثار إلى الشر نهض. اهـ باختصار. **قوله:** (فبُهتوا) في مختار الصحاح: بَهت بوزن علم، أي دَهِشَ وتحيّر وبَهُتَ بوزن ظرُف مثله وأفصح منهما بُهِتَ، كما قال الله تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٨]، لأنه يقال: رجل مبهوت، ولا يقال: باهت ولا بَهِيت. اهـ. **قوله:** (واقتصّوا أثره) في مختار الصّحاح[1]: قَصّ أثره تَتَبّعَه من باب رد، وقصصًا أيضًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: الآية ٦٤]، وكذا اقتصّ أثره. اهـ.

---

(١) بالفتح لغة في الصحيح، كما في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرأ القرن ويذكر أخبار القرن الماضي في قراءته فقال (**النضر بن الحارث**): لو شئت لقلت مثل هذا. وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث (**رستم وأحاديث العجم**) فنزل:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهذا (**صلف**) منهم و(**وقاحة**)، لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا﴾ أي القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ هذا اسم «كان» و«هو» فصل و﴿ٱلْحَقَّ﴾ خبر «كان». رُوِيَ أن النضر لما قال: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال له النبيّ عليه الصلاة والسلام: «ويلك هذا كلام الله» فرفع النضر رأسه إلى

قوله: (**النضر بن الحارث**) ـ بالضاد المعجمة ـ أُسِرَ يوم بدر وقُتل كافرًا، قَتَله عليّ بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسِّيَر على أنه قُتل يوم بدر كافرًا، وإنما قُتِل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، وهذا الذي ذكرته مِنْ قَتْله يوم بدر كافرًا هو الصواب. **قوله**: (**رستم**) بفتح التاء وقد يُضمّ. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي القاموس: رُسْتُم بضمّ الراء[1] وفتح المثناة فوق وقد تُضمّ. وفي شمس اللّغات: رستم بضمّ معروف أو رابيليتن وتهمتن گويندكه زورهشتادپيل داشت. اهـ. **قوله**: (**وأحاديث العجم**) أي كاسفنديار وبهرام والأكاسرة وملوك الحِيرَة[2].

قوله: (**صَلَفٌ**) الصَّلَف هو الغلوّ في الظرف والزيادة على المِقْدار مع تكبّر. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه الصَّلَف مجاوز القدر في الظرف والبراعة والادّعاء فوق ذلك تكبّرًا. اهـ. **قوله**: (**وقاحة**) في مختار الصِّحاح: وَقُح الرجل

---

(١) وسكون السين. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) في القاموس: قرية بفارس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

السماء وقال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره **(بالسجيل)** كما فعلت بأصحاب الفيل ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بنوع آخر من جنس العذاب الأليم **(فقتل يوم بدر صبرًا)**. وعن **(معاوية)** أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له.

من باب ظرف قلّ حياؤه، فهو وَقِح. اهـ. **قوله: (بالسُّجيل)**[١] أي الطين المطبوخ. **قوله: (فقُتل يوم بدر صبرًا)** أي مصبورًا، أي محبوسًا. **قوله: (معاوية)** بن أبي سفيان الصحابي ابن الصحابي، هو أبو عبد الرحمٰن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، كان أحد الكتّاب لرسول الله ﷺ، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وثلاثة وستون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على أربعةٍ منها، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة. رَوَى عنه من الصحابة ابن عباس وأبو الدرداء وجرير بن عبد الله ونعمان بن بشير وابن عمرو وابن الزبير وأبو سعيد الخدريّ والسائب بن يزيد وأبو أُمامة بن سهل، ومن التابعين: ابن المسيّب وحميد بن عبد الرحمٰن وغيرهما، واتّفقوا على أنه توفي بدمشق ثم المشهور أنه توفي يوم الخميس لثمانٍ بقَيْن من رجب[٢]، وقيل: لنصف رجب سنة ستين من الهجرة، وقيل: سنة تسع وخمسين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمان وسبعين سنة، وقيل: ست وثمانين. روى الترمذي عن عبد الرحمٰن بن أبي عميرة الصحابي عن النبيّ ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللّهمّ اجعله هاديًا مهديًّا»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي صحيح البخاري في كتاب المناقب عن ابن أبي مُلَيْكة قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، ما أوتر إلّا بواحدة؟ قال: أصاب، إنه فقيه. اهـ تهذيب الأسماء باختصار.

---

(١) معرب سنگ گل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) منصرف. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ **(اللام لتأكيد النفي)** والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم، لأنك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لا يعذب قومًا عذاب استئصال ما دام نبيّهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ **هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم)** أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما

قوله: (اللام[1] لتأكيد النفي) يعني أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] لام الجحود، والفعل بعدها منصوب بإضمار أنّ وشرطها أن يتقدمها كون منفي، وذهب البصريّون إلى أن خبر كان محذوف، وتتعلّق هذه اللام بذلك الخبر المحذوف، والمعنى: وما كان الله مريدًا لتعذيبهم، وذهب الكوفيون إلى أن هذه اللام مع ما بعدها في محل الخبر ولا يقدرون شيئًا محذوفًا، ويزعمون أن الفعل بعدها منصوب بنفس اللام بإضمار أن، وأن اللام زائدة لتأكيد النفي، وظاهر كلام المصنّف يُشعر بأنه اختار مذهب الكوفيّين، إلّا أنه لا ينافي إتيانه على مذهب البصريّين؛ لأن انتفاء إرادة العذاب أبلغ وآكد من نفي العذاب، صرّح في خبر كان الأول بلام الجحود دون خبرها الثاني؛ للدلالة على أن كينونته عليه الصلاة والسّلام فيهم أبلغ في كونها سببًا لعدم تعذيبهم من استغفارهم، فأين بركة وجوده عليه الصّلاة والسّلام من بركة استغفارهم؟

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ هو في موضع الحال، ومعناه نفي الاستغفار عنهم) قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: ذكر فيه ثلاثة أوجه: الأول أنّ المراد استغفار مَنْ بَقِيَ بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين. قال الطيبيّ: وهذا الوجه أبلغ، لدلالته على أنّ استغفار الغير مما يدفع به العذاب عن أمثال هؤلاء الكَفَرة، وهو المرويّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في كتاب الأحكام. والثاني: أنّ المراد به دعاء الكَفَرة بالمغفرة، وقولهم: غفرانك، فيكون مجرّد طلب المغفرة منه تعالى مانعًا من عذابه، ولو من

---

(١) هذه هي التي تسمّى لام الجحود ولام النفي؛ لاختصاصها بمعنى كان الماضية لفظًا ومعنًى، وهي تُفيد التأكيد باتّفاق النُحاة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

عذبهم، أو معناه وما كانَ الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلّف عن رسول الله ﷺ من المستضعفين.

الكفرة. والثالث: أنّ المراد بالاستغفار التوبة والرجوع عن جميع ما هم عليه من الكفر وغيره، وهو منقول عن قتادة والسُّديّ ومجاهد رحمهم الله، فيكون القيد منفيًّا في هذا ثابتًا في الوجهين، ومبنى الاختلاف فيها ما نُقِل عن السّلف في تفسيره، والقاعدة المقرّرة وهي أن الحالَ بعد الفعل المنفيّ، وكذا جميع القيود قد يكون راجعًا إلى النفي قيدًا له دون المنفيّ، وقد يكون راجعًا إلى ما دخله النفي، وعلى الثاني فله معنيان: أحدهما، وهو الأكثر، أن يكون النفي راجعًا إلى القَيْد فقط، ويثبت أصل الفعل. وثانيهما: أن يقصد نفي الفعل والقيد معًا بمعنى انتفاء كلّ من الأمرين، والمعنى انتفاء الفعل من غير اعتبار لنفي القيد وإثباته، والحاصل أنّ القيد في الكلام المنفيّ قد يكون لتقييد النفي، وقد يكون لنفي المقيّد، بمعنى انتفاء كلّ من الفعل والقيد، أو القيد فقط، أو الفعل فقط؛ كما قرّره النِّحرير في سورة آل عمران، وقد مرّ تفصيله وتحقيقه في سورة البقرة.

وأمّا قول الشارح النِّحرير هنا: أنّ الدالّ على انتفاء الاستغفار هنا على الوجه الأخير القرينة والمقام لا نفس الكلام، وإلّا لكان معنى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] نفي كونه فيهم.

فإنْ قيل: الحال قيد والنفي في الكامل راجع إلى القيد.

قلنا: وأنت فيهم حال أيضًا.

فإن قيل: الاستغفار من الكفر ينافي التعذيب، وقد ثبت أنهم يُعذّبون بمفارقة النبيّ ﷺ، وبقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٤] فينتفي الاستغفار.

قلنا: وكذلك كونه فيهم ينافي بحكم العادة، وقضيّة الحكمة تعذيبهم، وقد بيَّن أنهم يعذّبون.

فإن قيل: كونه فيهم ليس مما يستمرّ، بل يزول البتّة، فيحدث التعذيب.

قلنا: الاستغفار عن الكفر يحتمل ذلك، غايته أنه احتمال بعيد، ويمكن أن يقال: هم يستغفرون للاستمرار، فينتفي بالتعذيب، ولو بعد حين؛ بخلاف أنت

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

(﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾) أي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم ألا يعذبهم الله ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله ﷺ (**عام الحديبية**)، وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصدّ وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصدّ مَن نشاء وندخل مَن نشاء فقيل: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ وما استحقّوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ من المسلمين. وقيل: الضميران راجعان إلى الله ﴿وَلَكِنَّ

فيهم، فإنه لمجرّد الثبوت، وهو متحقّق ما لم يُفارقهم ولم يُصِبْهم العذاب، وهذا إنما يتمّ إذا جعل وأهلها مصلحون للاستمرار والدوام دون الثبوت. اهـ. فلا يخفى ما فيه من التطويل، وما بين كلاميه من التنافي، ولبعض الناس هنا خبط تركه أوْلى من ذِكْره، وعلى الوجه الأوّل المستغفرون هم المسلمون، والاستغفار طلب المغفرة والتوفيق للثبات على الإيمان، والضمير للجميع لوقوعه فيما بينهم، ولجعل ما صدر عن البعض بمنزلة الصادر عن الكلّ، فلا يلزم تفكيك الضمائر كما قيل. اهـ.

قوله: (﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾)... الخ. قال النسفيّ: إن نزول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] وهو ﷺ بمكّة ثم خرج من بين أظهرهم، فاستغفر مَنْ بها مِنَ المسلمين، فنزل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]، أي وفيهم أحد من المسلمين؛ فخرج المستغفرون من مكّة، فنزل: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٤]... الخ. وأذن له في فتح مكّة. **قوله:** (**عام الحُديبية**) وهي السنة السادسة من الهجرة، والحُديبية الحجازيّون يخفّفونها، والعراقيون يثقلونها، والحديبية قرية سُمّيت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، وبين الحديبية والمدينة تسع مراحل، وبينها وبين مكّة مرحلة، قيل: هي مِنَ الحرم، وقيل: بعضها من الحرم. قال المُحبّ الطبري: هي قرية قريبة من مكّة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكّة. وفي شفاء الغرام: ومسجد الشجرة بالحديبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت

﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك **(كأنه استثنى)** مَن كان يعلم وهو يعاند **(أو أراد بالأكثر الجميع)** كما يراد بالقلّة العدم.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ صفيرًا **(كصوت المكاء)** وهو طائر مليح الصوت، وهو فعال من مكا يمكوا إذا صفر ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ وتصفيقًا **(تفعلة من الصدى)**، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت **(عراة وهم مشبكون بين أصابعهم)** ويصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ

تحتها بيعة الرضوان، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، وهذا المسجد عن يمين طريق جدّة، وهو المسجد الذي يزعم الناس أنه الموضع الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وثمّةَ مسجد آخر وهذان المسجدان والحديبية لا تُعرف اليوم، والله أعلم بذلك. **قوله: (كأنه استثنى)** أي أخرج بقوله أكثرهم الأقلين الذين كانوا يعلمون ويُعاندون. **قوله: (أو أراد بالأكثر الجميع)**؛ لأن للأكثر حكم الكلّ في كثير من الأحكام، ولكونه الجزء الذي عليه مدار الجميع.

قوله: (كصوت المكاء) ـ بضمّ الميم وبالمدّ والتشديد ـ طائر يصوّت في الرياض يسمّى مُكاء؛ لأنه يمكو، أي يصفّر كثيرًا، ووزنه فعال كخطاف، والأصوات فيْ الأكثر تأتي على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والجؤار ونحوه، وجمعه المكاكيّ، وهذا الطائر يصفّر ويصوّت كثيرًا. قال البغوي في تفسيره: المكاء الصفير، وهو في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير. قال ابن السكِّيت في إصلاح المنطق: فقال: مكا الطائر ومكا الرجل يملك مكوًا إذا جمع يديه وصفّر فيهما، وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح، وجمعه المكاكي، والمكاء الصفير، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، أي صفيرًا وتصفيقًا. وقال ابن قتيبة: المُكاء الصفير، أي بالتخفيف، والمكّاء ـ بالتشديد ـ طائر يصفر في الرياض، ويمكو أي يصفر. **قوله: (تفعلة من الصّدى)** وهو ما يُسمع من رَجْع الصوت عند جبل ونحوه. **قوله: (عراة)** جمع عار. **قوله: (وهم مشبكون بين أصابعهم)** تصوير لمكائهم، فإن المكاء

رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون عليه ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ عذاب القتل والأسر يوم بدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم. ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلًا وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم **(عشر جزائر)**.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي كان غرضهم في الإنفاق الصدّ عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ثم تكون عاقبة إنفاقها ندمًا وحسرة، فكأن ذاتها تصير ندمًا وتنقلب حسرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ آخر الأمر وهو من دلائل النبوّة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ والكافرون منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ لأن منهم مَن أسلم وحسن إسلامه. واللام في ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ الفريق الخبيث من الكفار ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي من الفريق الطيب من المؤمنين، متعلقة بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾ (﴿لِيُمَيِّزَ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ﴾ الفريق الخبيث ﴿بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ فيجمعه ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ﴾ أي الفريق الخبيث ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الفريق الخبيث ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أنفسهم وأموالهم.

عبارة عن تشبيك الأصابع، ثم وضعها على الفم وأن ينفخ فيها. **قوله: (عشر جزائر)** جمع جزور، وهو البعير، ذكرًا كان أو أنثى، إلَا أن لفظه مؤنّث، تقول: هذه الجزور؛ فلذلك لم يقل: **عشرة** جزائر، بالتاء.

قوله: (﴿لِيُمَيِّزَ﴾) بضم الياء الأُولى وفتح الميم وكسر الثانية مشدّدة **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بفتح الياء وكسر الميم وإسكان الياء.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (أي أبي سفيان وأصحابه) **﴿إِن يَنتَهُواْ﴾** عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام **﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾** لهم من العداوة **﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾** لقتاله **﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾** بالإهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، أو معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي، (**وبه احتجَ أبو حنيفة** رحمه الله **في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة**).

قوله: (أي أبي سفيان) أبو معاوية رضي الله عنه؛ لأنه لم يدخل في الإسلام بعد (**وأصحابه**) فالتعريف في الذين كفروا للعهد الخارجي، والمعهود أبو سفيان وأصحابه.

قوله: (وبه احتجّ أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة) أخذ ذلك كلام صاحب الكشاف، وأورد منه بالإيجاز، وصرّح صاحب الكشاف بأنّ الحربيّ إذا أسلم لم يبق عليه تَبعة قطّ. وأمّا الذِّميّ، فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى عليه حقوق الآدميّين، وبه احتجّ أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتدّ إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الرِّدَّة وقبلها، وفسّر أن يعودوا بالارتداد، ولعلّ وجه الاحتجاج أنه لمّا حكم على الكفار جميعًا بالمغفرة عن العصيان بعْد الإسلام، فالظاهر أنّ المرتدّ كذلك؛ لأنه داخل في الكفار، وإن اختصّ باسم آخر، فإن يدخل في الإسلام يُغْفر له ما قد سلف من ارتداده وسائر ذنوبه من قضاء الصلاة والصوم وجميع أحكام الشرع، وهذا أمر معقول؛ لأنه حين ارتدّ لم يجب الصلاة والصوم، فلم يلزم القضاء، وكذا أسقط ما قبلها، وإنما فسّر أن يعودوا بالارتداد؛ لأنه فسّر ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] بالانتهاء عن الكفر، فلا بدّ أن يكون العَوْد بالعَوْد إلى الكفر، وهو الارتداد، لا لأن له دخلًا في الاحتجاج، وإنما قيّد بقوله أبو حنيفة رحمه الله؛ لأن الشافعي لمّا أوجب العبادات على الكفار بتقدير الإسلام اقتضاء، فأوْلى أن يوجب ذلك على المرتدّ، ولكن لا يظهر ثمرته ما دام مرتدًّا، فيلزم القضاء بعد الإسلام ولم يتعرّض القاضي للوجه الثاني رعايةً لمذهبه. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يثيبهم على إسلامهم ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ لا يضيع من تولّاه ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ لا يغلب مَن نصره. والمخصوص بالمدح محذوف.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ «ما» بمعنى «الذي»، ولا يجوز أن يكتب إلا مفصولًا إذ لو كتب موصولًا لوجب أن تكون «ما» كافة و﴿غَنِمْتُم﴾ صلته والعائد محذوف والتقدير: الذي غنمتموه ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ بيانه قيل حتى **(الخيط والمخيط)** ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ والفاء إنما دخلت لما في «الذي» من معنى المجازاة و«أن» وما عملت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره: فالحكم أن لله خمسة ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: **تنبيه**: قال النِّحرير: المراد بالذين كفروا هو الكفر الأصليّ وما سلف ما مضى في حال الكفر، فاحتجاج أبي حنيفة رحمه الله على أنّ مَنْ عصى طول العمر ثم ارتدّ ثم أسلم لم يبق عليه ذنب في غاية الضعف، انتهى. وهذا ليس بشيء، فإنّ أبا حنيفة ومالكًا أبْقيا الآية على عمومها؛ لحديث «الإسلام يهدم ما قبله»، وقالا: إنه يلزمه حقوق الآدميّين دون حقوق الله، كما في كتاب أحكام القرآن لابن عبد الحقّ، وخالفهما الشافعي رحمه الله، وقال: يلزمه جميع الحقوق. اهـ.

قوله: (الخيط) كناية عمّا قلَّ مطلقًا. **قوله: (والمخيط)** في مختار الصحاح: المِخْيَط بوزن المِبْضَع الإبْرَة. اهـ.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ **(فالخمس كان في عهد رسول الله ﷺ يقسم على خمسة أسهم)**:

قوله: (فالخمس كان في عهد رسول الله ﷺ يُقسم على خمسة أسهم)... الخ. قد اتّفق أهل المذاهب على أنّ ما أخذ من الكفار قهرًا يُقسم خمسة أخماس: أربعة منها للغانمين، ولكنهم اختلفوا في الخُمس الباقي، فقال بعضهم: يُقسم الخمس على ستّة أسهم: سهم لله، وسهم للرسول، وهكذا القياس عملًا بظاهر الآية، ويصرف سهم الله إلى الكعبة على ما ذهب إليه أبو العالية، وقيل: لبيت المال، وقيل: مضموم إلى سهم الرّسول، والجمهور على أنّ ذكر الله تعالى للتبرّك يدلّ عليه تقدُّمه على خلاف سُنن المعطوفات، وكأنه قال: فإن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصّين به، فيقسم الخمس على خمسة أسهم، هكذا فعله رسول الله ﷺ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم بعد وفاته؛ فعند الشافعي رحمه الله: يُصرف سهم الرسول إلى مصالح المسلمين، كما فعله الشيخان. وقيل: يُصرف إلى الإمام، وقيل: إلى الأصناف الأربعة، وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكلّ مصروفًا إلى الثلاثة الباقية، وعن مالك رضي الله تعالى عنه: الأمر فيه مفوّض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهمّ.

وسهم ذوي القربة يُصرف إليهم، وهم: بنو هاشم وبنو المطّلب، وقيل: بنو هاشم وحدهم، وقيل: جميع قريش، والغنيّ والفقير سواء في ذوي القربى عند الشافعي رضي الله عنه، وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل، وقيل: الخمس كلّه لذوي القربى لسقوط سهم الرسول بعد موته عليه السلام، ويكون المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل مَنْ كان منهم، وإنما العطف للتخصيص، هذا كلّه ذُكر في بيضاوي أخذ ذلك من كلام صاحب الكشاف مع نوع تغيّر.

وذكر الإمام الزاهد: أن مبنى الاختلاف بيننا وبين الشافعي رحمه الله على أن نسخ القرآن بالخبر المتواتر جائز عندنا لا عنده، فإنّ سهم ذوي القربى منصوص في الكتاب، ولم يعمل به الخلفاء الراشدون، فصار منسوخًا به عندنا لا عنده، واقتصر صاحب المدارك على بيان مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وتقديره على ما في الكتب أنه قال أبو حنيفة رحمه الله: يقسم الخمس بعد وفاته ﷺ على ثلاثة أسهم: سهم لليتامى،

....

وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل؛ لأن ذكر الله تعالى للتبرّك، وسهم الرسول سقط بموته ﷺ، وسهم ذوي القربى أيضًا يسقط بموته ﷺ؛ لأن المراد من ذوي القربى ذوو قربى رسول الله ﷺ بالإجماع، ولفظ مشترك بين القرابة الصلبية المودّة، وهٰهنا الأخير مراد خاصّته بدليل أنّ رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان لعبد مناف أربعة[1] أبناء: هاشم، والمطّلب، وعبد شمس، ونوفل؛ وكان عثمان بن عفان من أولاد عبد شمس، وجبير بن مطعم من أولاد نوفل، فلمّا قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر أعطى خمس الخمس بني هاشم وبني المطلب، ولم يُعْطِ عثمان وجبيرًا أصلًا، فقالا: إنا لا ننكر فضل بني هاشم لمكانك الذي وضعك الله فيهم، يعني أنك منهم، وهم إخوتك، ولكن نحن وبنو المطّلب سواء، فما بالك أعطيتهم وحرمتنا؟ فقال عليه السلام: «إنهم لم يفارقوني في الجاهلية ولا في الإسلام»، وشبك[2] بين أصابعه، فعُلِم أنّ المراد قرابة المودّة؛ لأنه لو كان المراد القرابة الصّلبيَّة لأعطى عثمان وجبيرًا أيضًا، كما أعطى بني هاشم وبني المطّلب، فإذا كان المراد قرابة المودة فقد فات ذلك بوفاة رسول الله ﷺ؛ لأنه علّله بصحبته، وهي لم تبقَ، فلا يستحقّون السهم بعد وفاته إذا كانوا أغنياء.

غاية ما في الباب أنهم يستحقّونه إذا كانوا فقراء، وذلك لأنهم لما طلبوا الزكاة فمنعها عليه السلام عنهم، وقال: «يا معشر بني هاشم، إنّ الله حرَّم عليكم غسالة الناس وأوساخهم وعوّضكم عنها بخمس الخمس من الغنيمة»، فقد جعل رسول الله ﷺ خمس الخمس عوضًا عن الزكاة، والزكاة إنما يستحقّها الفقراء، فكذا هذا. وقد صحّ أن الخلفاء الراشدين كلّهم قسموا على نحو ما نقلنا، هكذا

---

(١) وقال العلاّمة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وكان لعبد مناف خمس بنين: هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب وأبو عمرو، كلّهم أعقبوا إلا أبا عمرو.اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) التشبيك إدخال بطن الأصابع ببطن أصابع أُخر، وتشبيكه عليه السلام بين أصابعه إشارة إلى كمال اختلاطهم به، وعدم مفارقتهم له، وبيان عدم المفارقة بالفعل بعد بيانه بالقول؛ لأنه أدخل في البيان مع البرهان. ١٢ منه عمّ فيضهم.

سهم لرسول الله، وسهم لذي قرابته من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذٍ بالنصرة لقصة (عثمان) و(جبير) بن مطعم،

في شرح الوقاية. وقال صاحبه الهداية: إن هذا قول الكرخي، وعن الطحاوي: إن سهم الفقراء أيضًا ساقط بالإجماع، ولكن الأصحّ أن الساقط بالإجماع هم الأغنياء، والفقراء يدخلون في الأصناف الثلاثة المذكورة، وهذا غاية ما بذلوا فيه جهدهم، وفيه بحث وهو أن الزكاة إنما تُحرم على بني هاشم خاصّةً، فينبغي أن يكون بنو المطّلب غير مستحقّين لسهم الغنيمة، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، على ما قيل، وسيجيء هذا الكلام مع نوع تدقيق وزيادة توضيح مني في سورة الحشر إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

وفي هامشها: وقد ذكر في كتب الفقه أن آل بني هاشم آل عليّ وعباس وجعفر وعقيل وحارث بن عبد المطّلب ومواليهم، ولا يتوهّم منه أن آل المطّلب داخل في بني هاشم لأن عبد المطّلب غير المطّلب، والأوّل هو ابن هاشم، ويدخل فيه، والثاني هو أخوه، فكيف يدخل فيه؟. اهـ منه رحمه الله.

قوله: (عثمان) بن عفان أمير المؤمنين، هو أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله وأبو ليلى، عثمان بن عفّان بن أبي العاصي بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ الأُموي، المكيّ ثم المدني، أمير المؤمنين. رُوِيَ لعثمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستّة وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة. قُتِل شهيدًا يوم الجمعة لثمان عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وقيل: قُتِل يوم الأربعاء، وهو ابن تسعين سنة، وقيل: ثمانٍ وثمانين، وقيل: ثنتين وثمانين، وقيل غير ذلك، وبُويع له بالخلافة غرّة المحرّم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلّا ليالي. قال ابن عبد البرّ: بُويع له يوم السبت بعد دَفْن عمر رضي الله تعالى عنه بثلاثة أيّام، وحجّ فيها بالناس عشر سنين متوالية، وصلّى عليه جُبير بن مطعم ودُفِن ليلًا بالبقيع، وأُخفي قبره ذلك الوقت ثم أُظهر، وقيل: دُفِن بحش كوكب. قال ابن قُتيبة: هي أرض اشتراها عثمان وزادها بالبقيع، والحُشّ البستان، وكوكب اسم رجل من الأنصار. وعثمان بن

وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل، وأما بعد رسول الله ﷺ فسهمه ساقط بموته، وكذلك سهم ذوي القربى، وإنما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على التيامى والمساكين وابن السبيل. وعن ابن عباس ﷺ أنه كان على ستة: لله والرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر ﷺ الخمس على ثلاثة، وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء ﷺ، ومعنى ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ لرسول الله كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ معطوف على ﴿بِٱللَّهِ﴾ أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ يوم بدر ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذٍ وهو بدل من ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ يقدر على أن ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر.

عفّان أحد العشرة المبشّرة لهم بالجنّة، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الرّاشدين السابقين إلى الإسلام، وأحد المُنْفقين في سبيل الله الإنفاق العظيم، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، ولم يلبس السراويل في جاهليّته ولا إسلامه إلى يوم قتله، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف ففتحه فقُتل وهو بين يديه، وأعتق عشرين مملوكًا، وهو محصور رضي الله تعالى عنه.

قوله: (جبير) بن مطعم الصحابي، ومطعم ـ بكسر العين ـ هو أبو محمد، ويقال: أبو عدي، جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ القرشيّ النوفليّ المدني، أسلم قبل عام خيبر، وقيل: أسلم يوم فتح مكّة. رُوي له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ستّة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. رَوَى عنه سليمان بن صرد الصحابي، وابناه نافع ومحمد ابنا جبير، وسعيد بن المسيّب وآخرون. قال الزبير بن بكار: كان من علماء قريش وساداتهم. توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقال ابن قتيبة: سنة تسع وخمسين رضي الله تعالى عنه.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ أَنتُم﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أو التقدير: اذكروا إذ أنتم ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ (شطر الوادي، وبالكسر فيهما: مكي وأبو عمرو) ﴿الدُّنْيَا﴾ القربى إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى، (وكلتاهما فعل من بنات الواو)، والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى، وأما القصوى (فكالقود) في مجيئه على الأصل ﴿وَالرَّكْبُ﴾ (أي العير) وهو جمع راكب في المعنى ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ نصب على الظرف أي مكانًا أسفل من مكانكم يعني في أسفل الوادي (بثلاثة أميال)، وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ

قوله: (شطر الوادي) أي جانبه. **قوله:** (وبالكسر) أي بكسر العين (فيهما مكّي) أي ابن كثير المكي (وأبو عمرو) البصري. والباقون بالضمّ فيهما، وهما لغتان لأهل الحجاز.

قوله: (وكلتاهما فعل من بنات الواو) أي من ذوات الواو. أمّا الدنيا، فلأنها من دنا يدنو دنوًّا. وأمّا القصوى، فلأنها من قصا المكان يقصو قصوًّا إذا بَعُد. **قوله:** (فكالقود). . . الخ. فإنه كان القياس فيه قلب الواو ألفًا لكنها لم تُقلب، فهي موافقة للاستعمال دون القياس. اهـ شهاب. وفي مختار الصحاح: القَوَد - بفتحتين - القصاص. اهـ.

قوله: (أي العير) أي القافلة. **قوله:** (بثلاثة أميال) المِيل بالكسر عند القدماء من أهل الهيئة: ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدّثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظيّ؛ لأنهم اتّفقوا على أن مقداره ستّ وتسعون ألف أصبع، والأصبع ستّ شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدّثون يقولون أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قُسِم الميل على رأي القدماء كلّ ذراع اثنين وثلاثين أصبعًا كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإنْ قُسِم على رأي المحدّثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكلّ ثلاثة

﴿فِي ٱلۡمِيعَـٰدِ﴾ لتخالف بعضكم بعضًا (**فثبطكم**) قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم: ما في قلوبهم (**من تهيب رسول الله ﷺ**) والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ﴿وَلَٰكِن﴾ جمع بينكم بلا ميعاد ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ من إعزاز دينه وإعلاء كلمته، أو اللام تتعلق بمحذوف أي ليقضي الله أمرًا كان ينبغي أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنًا، أو ليتم أمرًا كان قد أراده، وما أراد كونه فهو مفعول (**لا محالة**) وهو عزّ الإسلام وأهله و(**ذلّ الكفر وحزبه**) ويتعلّق بـ «يقضي» ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ (﴿حَيَّ﴾ **نافع وأبو عمرو**)، فالإدغام لالتقاء المثلين، والإظهار لأن حركة الثاني غير لازمة، لأنك تقول في المستقبل «يحيا» والإدغام أكثر. استعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام مَن أسلم أيضًا عن يقين وعلم بأن دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به، وذلك أن وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرًا لنفسه مغالطًا لها،

أميال، وإذا قدر الميل بالغلوات[1]، وكانت كل غلوة أربعمائة ذراع، كان ثلاثين غلوة، وإنْ كانت الغلوة مائتي ذراع كان ستّين غلوة. اهـ مصباح. **قوله: (فثبطكم)**... الخ. في مختار الصحاح: ثبّطه عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ. **قوله:** (**من تهيب رسول الله ﷺ**) في مختار الصحاح: الهَيْبة المَهابة، وهي الإجلال والمخافة وقد هابه يهابه والأمر منه هَبْ ـ بفتح الهاء ـ وتهيَّبْتُه خفتُه وتهيّبني خوّفني. اهـ. وفي لسان العرب: قال ابن سيّده: تَهَيَّبْتُ الشيءَ وَتَهَيَّبَني خِفْتُه وخَوَّفَني. اهـ. **قوله: (لا مَحالة)** أي لا بدّ. **قوله: (ذلّ الكفر)** الذُّل ـ بالضمّ ـ ضدّ العزّ. **قوله:** (وحِزْبه) أي أصحابه. **قوله:** (﴿حَيَّ﴾) بكسر الياء الأُولى مع فكّ الإدغام وفتح الثانية (**نافع**) المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وأبو عمرو**) الصواب أبو بكر كما في نسخة صحيحة، وكذا البزيّ وقنبل من طريق ابن شنبوذ ويعقوب وخلف عن نفسه. والباقون بياء مشدّدة مفتوحة، وبه قرأ قنبل

---

(١) جمع غلوة، مثل شهوة وشهوات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ولهذا ذكر فيها (مراكز) الفريقين، وأن العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى، وذلك أن العدوة القصوى التي (أناخ) بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضًا لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي (خبار تسوخ) فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب ومشقّة، وكانت العِيرُ وَرَاء ظهور العدو مع كثرة (عددهم) وعدّتهم وقلّة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بكفر مَن كفر وعقابه وبإيمان مَن آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ نصب بإضمار «اذكر»، أو هو متعلق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي بعلم المصالح إذ يقللهم في عينك ﴿فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ﴾ أي في رؤياك، وذلك أن الله تعالى أراه إياهم في رؤياه قليلًا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعًا لهم على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ (لجبنتم) و(هبتم) الإقدام ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ

من طريق ابن مجاهد. **قوله:** (مراكز) جمع مركز. في المصباح: المركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ. وفي مختار الصحاح: مركز الدائرة وسطها، ومركز الرجل موضعه، يقال: أخلّ فلان بمركزه. اهـ. **قوله: (أناخ)** في مختار الصحاح: أَنَخْت الجمل فاستناخ، أي أبركته فبرك. اهـ. **قوله:** (خبار) ـ بفتح الخاء المعجمة ـ أي أرض رخوة. في القاموس: الخبار كَسَحاب ما لَانَ من الأرض واسترخى. اهـ. **قوله:** (تسوخ) فيها الأرجل، أي تغيب وتزلّ. **قوله:** (عددهم) العدد ـ بضمّ العين ـ جمع عُدّة، وهو ما يُعَدّ للحرب وغيره كالسلاح.

قوله: (لجبنتم) في المصباح: جبن جبنًا وزان قرب قربًا، وجبانة بالفتح، وفي لغة من باب قتل فهو جبان، أي ضعيف القلب، وامرأة جبان أيضًا، وربما قيل: جبانة، وجمع المذكّر جبناء، وجمع المؤنّث جبانات. اهـ. **قوله:** (هبتم) في المصباح: هابه يهابه من باب تعب هيبة حذره. قال ابن فارس: الهَيْبة الإجلال، فالفاعل هائب والمفعول هيوب ومهيب أيضًا، ويهيبه من باب ضرب لغة. اهـ.

﴿ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ عصم وأنعم بالسلامة من (الفشل) والتنازع والاختلاف ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجراءة (والجبن) والصبر والجزع.

﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ﴾ الضميران مفعولان أي وإذ يبصركم إياهم ﴿إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ﴾ وقت اللقاء ﴿فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾ هو نصب على الحال. وإنما قللهم في أعينهم تصديقًا لرؤيا رسول الله ﷺ، وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا. قال ابن مسعود ﷺ: لقد قلّلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة وكانوا ألفًا ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم (أكلة جزور). قيل: قد قلّلهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثّرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلّة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا، ويجوز أن يبصروا الكثير قليلًا بأن يستر الله بعضهم بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين (الحول) ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه (ديك واحد) فقال: ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة: ﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ فيحكم فيها بما يريد (﴿تَرۡجِعُ﴾ شامي) وحمزة وعلي.

قوله: (الفشل) بمعنى الجبن. **قوله:** (الجُبْن) في مختار الصحاح: الجُبْن صفة الجَبان والجُبُن بضمّتين لغة.اهـ.

قوله: (أكلة) بوزن كَتَبَة جمع آكل بوزن فاعل، (جزور) أي ناقة مثل يُضْرَب به في القلّة، أي قلّتهم بحيث تُشْبعهم جزور واحدة. **قوله:**

(الحُوْل) جمع أحْوَل. **قوله:** (ديك واحد) الدِّيك ذَكَر الدّجاج[1].اهـ مصباح. **قوله:** (﴿تَرۡجِعُ﴾) بفتح التاء وكسر الجيم بالبناء للفاعل، (شاميّ) أي ابن

(١) تفتح الدال وتكسر، ومنهم مَنْ يقول: الكسر لغة قليلة.اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: فتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطة.اهـ. وفي القاموس: الدجاجة م للذكر والأُنثى ويثلث.اهـ. وفي شرحه تاج العروس: والفتح أفصح ثم الكسر.اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم غالب للقتال ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لقتالهم ولا تفرّوا ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم: اللهم اخذلهم اللهم اقطع **(دابرهم)** ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأن على العبد أن **(لا يفتر)** عن ذكر ربه **(أشغل وما يكون قلبًا)** وأكثر **ما** يكون همًّا، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت **(متوزعة)** عن غيره.

عامر الشامي، وحمزة وعلي الكسائي، وكذا يعقوب وخلف. والباقون بضمّ التاء وفتح الجيم.

قوله: (دابرهم) أي آخرهم. في لسان العرب: دابر الشيء آخره، وقطع الله دابرهم، أي آخِر مَنْ بَقِيَ منهم، وفي التنزيل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنعام: الآية ٤٥] أي استؤصل أمرهم، ودابرة الشيء كدابره، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٦٦]، قولهم: قطع الله دابره. قال الأصمعي وغيره: الدابر الأصل، أي أذهب الله أصله، وفي حديث الدعاء: «وابعث عليهم بأسًا تقطع به دابرهم» أي جميعهم حتى لا يبقى منهم أحد، ودابر القوم آخر مَنْ يبقى منهم ويجيء في آخرهم. اهـ باختصار. **قوله: (لا يفتر)** الفَتْرة الانكسار والضعف، وقد فتر الحرّ وغيره من باب دخل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (أشغل) حال من ضمير **لا** يفتر أو من العبد وانتصابه على الظرفيّة **(وما)** مصدريّة، وضمير **(يكون)** للعبد أي أشغل أكوانه بمعنى أوقات كونه، وهذا تركيب شائع مستفيض، إلّا أن جعل **(قلبًا)** تمييزًا أورث فيه إشكالًا، ولا إشكال لأنه إذا جاز إثبات الشغل للوقت فليُجِز إثبات شغل القلب بلا فرق، ومَنْ جعل ما بمعنى شيء، أي أشغل شيء يكون، أي فرد وإنسان بمعنى أشغل الناس قلبًا إذا فُصِلوا فردًا فردًا، فقد ذهب بماء العبارة ورونقها. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله: (متوزّعة)** أي متفرّقة.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأمر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ فتجبنوا وهو منصوب بإضمار «أن» ويدلّ عليه ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي دولتكم يقال: «هبّت رياح فلان» إذا (دالت) له الدولة ونفذ أمره، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها. وقيل: لم يكن نصر (قطّ) إلا بريح يبعثها الله، (وفي الحديث «نصرت بالصبا) وأهلكت عاد بالدبور» ﴿وَاصْبِرُوا﴾ في القتال مع العدو وغيره ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي معينهم وحافظهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال: حتى نقدم بدرًا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور و(تعزف) علينا (القيان) ونطعم بها العرب، فذلك بطرهم ورياؤهم الناس بإطعامهم (فوافوها فسقوا كؤوس المنايا) مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القِيان، فنهاهم أن يكونوا

قوله: (دالت) أي دارت. **قوله:** (قطّ) أي أبدًا. **قوله:** (وفي الحديث: «نُصرت بالصبا»). . . الخ. أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والصَبا ريح تهبّ في المستوى مطلع الشمس ويقابلها الدبور. اهـ شهاب رحمه الله. وفي مختار الصحاح: الصبا ريح ومهبّتها المُسْتوى، أي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها الدبور. اهـ. وفي المصباح: الدبور وزان رسول ريح تهبّ من جهة المغرب تقابل الصبا، ويقال: يقبل من جهة الجنوب ذاهبةً نحو المشرق. اهـ.

قوله: (تعزفُ) من العَزْفِ ـ بعين مهملة مفتوحة وزاي ساكنة وفاء ـ وهو الطرب والضرب بالدفوف. **قوله:** (القِيان) بكسر القاف جمع قَيْنة ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ الجارية مغنيّة أو لا، لكن المراد هنا المغنيّة. **قوله:** (فوافوها) أي جاؤوها. **قوله:** (فسقوا) أي شربوا. **قوله:** (كؤوس) جمع كأس. قال ابن الأعرابي: لا تسمّى الكأس كأسًا إلّا وفيها الشراب. (المنايا) جمع منيّة، أي

مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى **(والكآبة)** والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله. **(والبطر)** أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها. ويصدون عن سبيل الله، دين الله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عالم وهو وعيد.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ واذكر إذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ﷺ، ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون. وغالب مبنيّ نحو «لا رجل» و﴿لَكُمُ﴾ في موضع رفع خبر «لا». تقديره: لا غالب كائن لكم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فلما تلاقى الفريقان ﴿نَكَصَ﴾ الشيطان هاربًا ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ **(أي رجع القهقرى)** ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان. رُوِيَ أن إبليس تمثل لهم في صورة **(سراقة بن مالك بن جعشم)** في جند من الشياطين معه راية، فلما رأى الملائكة تنزل نكص

الموت. **قوله: (الكآبة)** ـ بالمدّ ـ سوء الحال والانكسار من الحزن. **قوله: (والبطر)** بفتحتين.

قوله: (أي رجع القهقرى) في مختار الصِّحاح: **القهقرى** الرجوع إلى خلف، ورجع القهقرى أي رجع الرجوع المعروف بهذا الاسم؛ لأن القهقرى ضربٌ من الرجوع. اهـ. وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: رجع القهقرى قيل: هذا أصل معنى النكوص، إلا أنه قد اتّسع فيه حتى اسْتُعْمِل في كل رجوع وإن لم يكن قهقرى، والمراد مطلق الرجوع؛ لأنه كناية عن الفرار، وفيه بحث؛ لأن غالب الفرار حال القتال إنّما هو كما ذكر، وهو رجوع القهقرى لخوف الفارّ من جهة العدوّ. وقوله: ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨]، حال مؤكّدة؛ لأن رجوع القهقرى إنما يكون على العقبين. اهـ.

قوله: (سراقة بن مالك بن جعشم) هو أبو سفيان سراقة بن مالك بن جُعْشُم بن مالك الكناني والمدلجي الحجازيّ الصحابيّ، وجُعْشُم ـ بضم الجيم

فقال له (الحارث بن هشام): أتخذلنا في هذه الحالة؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ أي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقة. فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أي عقوبته ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ اذكروا.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بالمدينة ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ **(هو من صفة المنافقين، أو أُريد والذين هم على حرف)** ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون أن المسلمين اغترّوا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر

والشين المعجمة ـ هذا قول الجمهور من الطوائف، وحكى الجوهري ضمّ الشين وفتحها، وسراقة من مشهوري الصحابة. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ تسعة عشر حديثًا، روى البخاري أحدها. ورَوى عنه ابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهما، ومن التابعين سعيد بن المسيّب، وابنه محمد بن سراقة، وكان ينزل قديدًا ـ بضم القاف ـ بين مكّة والمدينة، وقيل: سكن مكّة ويعدّ في أهل المدينة. أسلم عند النبيّ ﷺ بالجعرانة حين انصرف من حنين والطائف. توفي سراقة في أوّل خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة أربع وعشرين، وقيل: توفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه، والصحيح الأوّل.

قوله: (الحارث بن هشام) بن مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمٰن المكّيّ، من مسلمة الفتح. استشهد بالشام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وله ذكر في الصحيحين أنه سأل عن كيفية مجيء الوحي.

قوله: (هو من صفة المنافقين) وتوسّطت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ لأن هذه صفة للمنافقين لا تنفكّ عنهم. **قوله: (أو أُريد والذين هم على حرف)** أي شكّ، وهم قوم من أهل مكّة تكلّموا بالإسلام، ولم يقوَ الإسلام في قلوبهم ولم يتمكّن، فلما خرج كفار قريش إلى حرب رسول الله ﷺ خرجوا معهم إلى بدر، فلمّا نظروا قلّة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤٩].

إلى (زهاء) ألف. ثم قال جوابًا لهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يكل إليه أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب يسلّط القليل الضعيف على الكثير القوي ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يسوي بين وليه وعدوه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ ولو عاينت وشاهدت (**لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي**) كما ترد «إن» الماضي إلى معنى الاستقبال ﴿إِذْ﴾ نصب على الظرف ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقبض أرواحهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعل ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حال منهم ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ إذ أقبلوا ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم و(**أستاههم**) إذا أدبروا، أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام. وقيل: في ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضمير الله تعالى، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر والأول الوجه، لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله (**قراءة ابن عامر «تتوفى» بالتاء**) ﴿وَذُوقُوا۟﴾ ويقولون لهم ذوقوا معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (**أي مقدمة عذاب النار**)، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به، أو يقال لهم يوم القيامة: ذوقوا. وجواب «لو» محذوف أي لرأيت أمرًا (**فظيعًا**).

قوله: (زهاء) بضم الزاي المعجمة والمدّ بمعنى قريب منه سواء كانوا أقلّ أو أكثر.

قوله: (**لأن «لو» تردّ المضارع إلى معنى الماضي**) قال العلّامة التفتازاني رحمه الله: لا بدّ أن يحمل معنى المضيّ هٰهنا على الفرض، والتقدير كأنه قيل: قد مضى هذا المعنى ولم تره، ولو رأيته لرأيت أمرًا فظيعًا، وإلا فظاهر أنه ليس المعنى هٰهنا على حقيقة المضيّ. اهـ.

قوله: (أستاههم) جمع استه - بالتحريك - مثل سبب وأسباب بمعنى العجز، ويُراد به حلقة الدُّبر. **قوله:** (قراءة ابن عامر) الشامي («تتوفى» بالتاء) على التأنيث، والباقون قرؤوا بياء الغيبة. **قوله:** (أي مقدمة عذاب النار) يعني أنّ عذاب الحريق إشارة إلى عذاب نار جهنّم، لكن على حذف المضاف. **قوله:** (فظيعًا) أي شنيعًا.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي كسبت وهو رد على (**الجبرية**)، وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة. و﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء و﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ خبره ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لأن تعذيب الكفار من العدل. (**وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد**)، أو لنفي أنواع الظلم.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

الكاف في ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه ﴿وَٱلَّذِينَ مِن

قوله: (الجبرية) في المصباح: الجبر وزان فلس خلاف القدر، وهو القول بأنّ الله يجبر عباده على فعل المعاصي، وهو فاسد، وتُعرف أدلّته من علم الكلام، بل هو قضاء الله على عباده بما أراد وقوعه منهم؛ لأنه تعالى يفعل في مُلكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء، وينسب إليه على لفظه فيقال: جبريّ، وقوم جبريّة ـ بسكون الباء ـ وإذا قيل: جبريّة وقدريّة جاز التحريك للازدواج. اهـ. **قوله:** (وقيل: **ظلّام للتكثير لأجل العبيد**) جواب عمّا يقال ظلّام بناء المبالغة، فمدلول الآية انتفاء كونه تعالى كثير الظلم، وهو لا ينافي جواز اتّصافه تعالى بأصل الظلم، بل يدلّ على اتّصافه به بناءً على قاعدة رجوع النفي إلى القَيْد، وهو محال.

وتقرير الجواب: أنّ الظلّام للتكثير، فيدلّ على كثرة الظلم بالقياس إلى كلّ فرد من أفراد العبيد حتى يقال: انتفاء كثرة الظلم بالقياس إلى كل فرد لا ينافي أن يظلمه في الجملة، بل الكثرة المنفيّة إنما هي بإزاء كثرة إفراد العبيد على طريق التوزيع، كما يقال في مقابلة الجمع بالجمع، فإنّ العبيد يدلّ على الكثرة، بل على الاستغراق، فالظالم لهم يكون كثير الظلم لإصابة كلّ واحد منهم ظلمًا على حِدَة، فصار المعنى أنه تعالى ليس بظالم لهذا ولا لذاك إلى ما لا يحصى، والمنفيّ عن كل عبد إنّما هو أصل الظلم، وهو المطلوب.

﴿قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من قبل قريش أو من قبل آل فرعون ﴿كَفَرُواْ﴾ تفسير لدأب آل فرعون ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فأجرى عليه مثل ما فعل بهم في التعذيب ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب أو الانتقام ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ بسبب أن الله لم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيّروا ما بهم من الحال، نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة، لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات فكذّبوه وسعوا في إراقة دمه، غيّروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغيّر الله ما أنعَمَ به عليهم من الإمهال وعاجَلهم بالعذاب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقول مُكذّبوا الرُّسُل ﴿عَلِيمٞ﴾ بما يفعلون.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ تكرير للتأكيد، أو لأن في الأُولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك، وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ **(وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ زيادة دلالة)** على كفران النعم وجحود الحق ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ﴾ بماء البحر ﴿وَكُلّٞ﴾ وكلهم من **(غرقى)** القبط و**(قتلى)** قريش ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي أصرّوا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان.

قوله: (وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ زيادة دلالة) حيث لم يقل بها أو بآياته مع سبق بآيات الله، بل ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنفال: الآية ٥٤] بلفظ الربّ المضاف إليهم المُشْعِر بكونه مالكهم والمنعم عليهم. **قوله: (غرقى)** جمع غريق. **قوله: (قتلى)** جمع قتيل.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾) بدل من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي الذين عاهدتهم من الذي كَفَروا وجعلهم شرّ الدواب، لأن شرّ الناس الكفار وشرّ الكفار المصرّون وشرّ المصرّين الناكثون للعهود ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ في كل معاهدة ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾). . . الخ. الحاصل أنّ هذه الآية يُفهم منها عدّة مسائل، منها: أن الذميّ إذا نقض عهده فحُكمه حكم الحربيّ حيث أمر بإكثار قتلهم، وبه تمسّك بعض مشايخنا سلّمه الله تعالى في بعض رسائله أنّ مَنْ يسكنون في القرى ويعطون خراج كلاّ أو بعضًا في وقت إقامة السلطان وتسلّط الحكّام ويلحقون مع أهل الحرب في أدنى تفرقة للحكام، ويخرّبون بيوت المسلمين وأمصارهم وقراهم من مواشيهم وأهليهم مع أهل الحرب ويلحقون بدار الحرب، كما هو المتعارف في زماننا، والأكثر في بلادنا والمعروف في أطرافنا، فهم حربيّون قطعًا ويقينًا بلا شبهة ولا رَيْب يجب قتلهم بالنصّ المنادى كل مرّة، وسيجيء الآيات الأُخر الواردة في هذا الباب في سورة البراءة إن شاء الله تعالى.

ومنها أن الغدر منع؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٥٨] على حسب ما ذكر في التفاسير: فاطرح عليهم العهد، وقل لهم: إنّا لا نعاهد منكم، بل نغلب عليكم ونقتلكم. وقال في شرح الوقاية أيضًا: النَّبْذ نقض المصالحة مع إخبارهم بذلك، فقد شرط الإخبار بنقض العهد مع خوف الخيانة، فالعذر هو الغَلَبة عليهم مع الإخبار بخلافه أوْلى أن يمنع منه. ومنها أنّ طرح العهد عند خوف الخيانة واجب على ما هو الظاهر، وهذا إذا لم يوجد منهم خيانة، ويكون مجرّد خوف. أمّا إذا وجد منهم خيانة، فإنْ كان مِنَ البعض من غير منعة لا يكون نقضًا للعهد، وإنْ كان مِنْ منعة يكون نقضًا في حقّهم دون غيرهم، وإنْ كان ذلك بإذن الملك أو كان ذلك باتّفاق الكلّ كان ذلك نقضًا للعهد وخيانة، فإنْ وجد منهم ذلك بدأ، فلا حاجة إلى النبذ، أي قوتلوا قبل نبذ لو بدؤوا بالخيانة. وأمّا إذا عدم خوف الخيانة ووجودها، وقد كان صالحهم الإمام قبل ذلك، فإنْ كان نقض الصلح أنفع نبذ إليهم وقاتلهم؛ لأن المصلحة تبدل حينئذ كما نصّ به في الهداية، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)﴾

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ فإما (**تصادفنهم وتظفرن بهم**) ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ ففرق عن محاربتك و(**مناصبتك**) بقتلهم شرّ قتلة (**والنكاية**) فيهم (**من وراءهم**) من الكفرة حتى لا (**يجسر**) عليك بعدهم أحد اعتبارًا بهم واتعاظًا بحالهم. وقال الزجاج: افعل بهم ما تفرّق به جمعهم وتطرد به مَن عداهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (**لعل المشردين**) من ورائهم يتعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ (**معاهدين**) ﴿خِيَانَةً﴾ نكثًا بأمارات تلوح لك ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ (**فاطرح إليهم العهد**) ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ إليهم (**أي حاصلين**) على استواء في العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ الناقضين للعهود.

قوله: (تصادفنّهم) أي تلاقينّهم، ولما لم يكن الملاقاة مستلزمة للظفر مع أن المقصود الظفر، قال: **قوله:** (وتظفرن بهم).اهـ قنوي. وفي لسان العرب: صادفت فلانًا، أي لاقَيْته ووجدته.اهـ. **قوله:** (مناصبتك) ـ بالصاد المهملة والباء الموحدة ـ وهي المعاداة والمحاربة. **قوله:** (النّكاية) في مختار الصحاح: نكى في العَدُوّ قتل فيهم وجرح ينكي نكايةً.اهـ. وفي المصباح: نكأت في العدوّ نكأ من باب نفع أيضًا لغة في نكيت فيه أنكى من باب رمى، والاسم النِّكاية ـ بالكسر ـ إذا قتلت وأثخنت.اهـ. **قوله:** (مَن ورائهم) مفعول فرق. **قوله:** (يجسر) في مختار الصحاح: جَسَر على كذا إقدام، يجسُر ـ بالضمّ ـ جَسَارة بالفتح.اهـ. **قوله:** (لعلّ المشردين) بصيغة المفعول، يعني أن ضمير ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٥٧] مرجعه من خلفهم، فإنهم إذا رأوا ما حلّ بالناظرين تذكّروا واتّعظوا.

قوله: (معاهدين) هذا الوصف مستفاد من خيانة؛ إذ النقض بعد العهد. **قوله:** (فاطرح إليهم العهد) النّبذ: الطَّرح، وهو مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد بعد اليوم، فشبّه العهد بالشيء الذي يُرمى لعدم الرغبة فيه، وأثبت النّبذ له تخييلًا ومفعوله محذوف، وهو العهد. **قوله:** (أي حاصلين) أي أنت وهم.اهـ التفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء وفتح السين: **(شامي)** و**(حمزة)** و**(يزيد)** و**(حفص)**، وبالتاء وفتح السين: **(أبو بكر)**، وبالتاء وكسر السين: غيرهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ فاتوا و**(أفلتوا)** من أن يظفر بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ **(أنهم)** لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم «أنهم» **(شامي)** أي لأنهم، وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح؛ فمَن قرأ بالتاء فـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مفعول أول والثاني ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ ومَن قرأ بالياء فـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فاعل و﴿سَبَقُوٓا۟﴾ مفعول تقديره أن سبقوا فحذف «أن»، و«أن» مخففة من الثقيلة أي أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين، أو يكون الفاعل مضمرًا أي ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومَن ادّعى. تفرد حمزة بالقراءة، ففيه نظر لما بيناه من عدم تفرّده بها. وعن **(الزهري)** أنها نزلت فيمن **(أفلت من فلّ المشركين)**.

قوله: **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. **قوله:** **(حمزة)** بن حبيب الزيّات. **قوله:** **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وقارة موضع من المدينة، وليس من السبعة. **قوله:** **(حفص)** عن عاصم. **قوله:** **(أبو بكر)** شعبة بن عياش عن عاصم رحمه الله. **قوله:** **(أفلتوا)** في المصباح: أفلت الطائر وغيره إفلاتًا تخلّص، وأفلته إذا أطلقته وخلصته يستعمل لازمًا ومتعدّيًا. **قوله:** **(«أنهم»)** بفتح الهمزة على إسقاط لام العلّة **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ، والباقون بكسرها.

قوله: **(الزهريّ)** هو أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشي الزهريّ المدني، سكن الشام، وكان بأيْلة، ويقولون تارةً الزهري، وتارة ابن شهاب، ينسبونه إلى جدّ جدّه وهو تابعي ومناقبه والثناء عليه وعلى حفظه أكثر من أن تُحصر. توفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ودُفِن بقرية له بأطراف الشام، يقال لها شغبد ـ بشين مفتوحة وغين ساكنة معجمتين وباء موحدة مفتوحة ثم دال مهملة مفتوحة مخفّفة ـ. **قوله:** **(أفلت)** أي خلص. **قوله:** **(من فلّ المشركين)** بفتح الفاء وتشديد اللام أي منهزميهم، والفلّ القوم المنهزمون، وهو مصدر سُمّي به يقع على الواحد والاثنين والجمع.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَأَعِدُّواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ لناقضي العهد أو لجميع الكفار ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ من كل **(ما يتقوّى به في الحرب من عددها وفي الحديث)** «ألا إن القوة **(الرمي)**» قالها ثلاثًا على المنبر. وقيل: هي الحصون ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ **(هو اسم للخيل التي تربط)** في سبيل الله، **(أو هو جمع ربيط)** كفصيل وفصال، **(وخصّ الخيل)** من بين ما يتقوّى به كقوله: ﴿(وَجِبْرِيلَ) وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨] ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ بما استطعتم ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿وَءَاخَرِينَ

قوله: (ما يتقوّى به في الحرب) أي فأطلق عليه القوّة مبالغةً. **قوله: (من عددها)** العُدد ـ بضم العين ـ جمع عدّة، وهو ما يُعدّ للحرب وغيرها كالسلاح. **قوله: (وفي الحديث)**: «ألا إنّ القوة»... الخ. أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ. **قوله: (الرّمي)** أي الرمي بالنشّاب والقسيّ. **قوله: (هو اسم للخيل التي تربط)**... الخ. قيل: يلزم عليه إضافة الشيء لنفسه حينئذ، وردّ بأنّ المراد أن الرباط بمعنى المربوط مطلقًا، إلّا أنه اسْتُعْمل في الخيل وخصّ بها، فالإضافة باعتبار عموم المفهوم الأصلي. وقيل: إنّ قوله: اسم للخيل التي تربط تفسير لمجموع رباط الخيل لا للرباط وحده، فلا يحتاج إلى توجيه، وهذا بالآخرة يرجع إلى ما ذكره المجيب، وليس غيره كما توهّم. وقيل: الرباط مشترك بين معانٍ أُخر؛ كانتظار الصلاة وغيره، فإضافته لأحد معانيه للبيان كعين الشمس، ومنه يُعلم أنه يجوز إضافة الشيء لنفسه إذا كان مشتركًا، وإذا كان من إضافة المطلق للمقيّد، فهو على معنى من التبعيضيّة، وفيه ما مرّ. اهـ شهاب ﷺ. **قوله: (أو هو جمع ربيط)** بمعنى مربوط. **قوله: (وخصّ الخيل)**... الخ. أي هذا العطف من قبيل عطف الخاصّ على العام للتنبيه على فضلها حتى كأنها ليست من جنس القوّة، بل هي أمر وراء القوّة؛ لأن فيها مِزية وشرفًا ليست في غيرها، فباعتبار ذلك كأنها خرجت من إعداد أفراد العام، ولا يُعرف حكمها منها، فصحّ العطف بالنظر إلى هذا التغاير الوصفي المنزل منزلة التغاير الذاتي، وإلى هذا التفصيل أشار بقوله: **(كقوله: (﴿وَجِبْرِيلَ﴾)... الخ.**

مِن دُونِهِمْ﴾ غيرهم وهم اليهود، أو المنافقون، أو أهل (فارس) أو كفرة الجن. في الحديث «إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارًا فيها فرس (عتيق)». ورُوِيَ أن (صهيل الخيل) يرهب الجن ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ (لا تعرفونهم بأعيانهم) ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يوفر عليكم جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ في الجزاء بل تعطون على التمام.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

(﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾) مالوا، جنح له وإليه مال ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصلح

قوله: (فارس) بلد. **قوله:** (عتيق) أي سابق. **قوله:** (صَهيل الخيل) الصَّهيل - بالفتح - صوت الفرس. **قوله:** (لا تعرفونهم بأعيانهم) جعل العلم بمعنى المعرفة لتعدّيه لواحد، وقد جوّز أن تكون على أصله ومفعوله الثاني محذوف، أي لا تعلمونهم محاربين لكم، أو معادين وهو تكلّف، وقال بأعيانهم لأن المعرفة تتعلّق بالذوات.

قوله: (﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾)... الخ. الآية دليل على أنّ الصُّلح معهم جائز وقت المصلحة، وإليه ذهب صاحب الهداية، حيث قال: وإذا رأى الإمام أن يُصالح أهل الحرب أو فريقًا منهم، وكان ذلك مصلحة للمسلمين، فلا بأس به؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: الآية ٦١]، ووادع رسول الله ﷺ أهل مكّة عام الحُديبية على أن يضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، هذا لفظه. وقال صاحب الكشاف: وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: الآية ٢٩]. وعن مجاهد: بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥]، والصحيح أنّ الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبدًا أو يُجابوا إلى الهدنة[1] أبدًا، وقال القاضي: والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتّصالها بقصّتهم، وقيل: عامّة نسختها آية السيف، ولعلّ منشأ كل ذلك كَوْن الأمر للوجوب أو الجواز، فإنْ كان للوجوب فالأمر كما قاله القاضي، وإنْ كان للجواز

---

(١) بالضمّ المصالحة. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(وبكسر السين) : أبو بكر (وهو) مؤنّث (تأنيث ضدها وهو الحرب) ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فمل إليها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالك.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ يمكروا ويغدروا ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ كافيك الله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾ قواك ﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعًا أو بالأنصار ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قلوب (الأوس والخزرج) بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي بلغت عداوتهم مبلغًا لو أنفق منفق في إصلاح (ذات بينهم) ما في الأرض من الأموال لم يقدر عليه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته، فأحدث بينهم التوادّ والتحابّ و(أماط) عنهم التباغض والتماقت ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ يقهر مَن يخدعونك ﴿حَكِيمٌ﴾ ينصر مَن يتبعونك.

ومقيّدًا بالمصلحة فالأمر كما قال صاحب الكشاف والهداية، ولم يتعرّض له باقي المفسّرين. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (وبكسر السين) أبو بكر وشعبة عن عاصم رحمه الله. والباقون بالفتح لغتان. **قوله:** (وهو) أي السِّلم مؤنّث (تأنيث ضدّها وهو الحرب)، فإنها مؤنّثة سماعيّة.

قوله: (الأوْس) قبيلة من اليمن، وهو أوْس بن قَيْلة أخو الخزرج منهما الأنصار وقَيْلة أُمّهما. اهـ لسان العرب. **قوله:** (الخزرَج) قبيلة الأنصار غير قبيلة الأنصار هي الأوس وهي الخزرج ابنا قَيْلة، وهي أُمّهما نُسِبا إليها وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن. اهـ لسان العرب. **قوله:** (ذات بينهم) أي العداوة. **قوله:** (أماط) أي أبْعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ الواو بمعنى «مع» وما بعده منصوب، والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرًا. ويجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين. قيل: أسلم مع النبيّ ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

(﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾) التحريض المبالغة في الحثّ على

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾) إلى قوله: (﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هاتان الآيتان أوّلهما منسوخة والأخرى ناسخة لها، وما من آية في القرآن منسوخة عقيبها ناسختها تلاوةً سوى هذه الآية والتي في المجادلة، وبيانها واضح وهو أنّ الآية الأُولى ذكر فيها تحريض المؤمنين على القتال أوّلًا بقوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] يعني بالغ في حثّهم على القتال، وإليه الإشارة في كلام صاحب الهداية، حيث قال: إنّ التنفيل من جملة التحريض المندوب إليه، أي بقوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] على ما مرّ، ثم ذكر فيها أن الكفار إذا كانوا مضاعفين على المسلمين بعشرة درجات يكون فرار المؤمنين منهم ممنوعًا، مثلًا أن يكون المؤمنون عشرين، وكانت الكفار مائتين يجب على المؤمنين القتال معهم، وهكذا إنْ كان المسلمون مائة والكفار ألفًا يجب على المؤمنين القتال معهم، ويكون الفرار في هاتين الصورتين ذنبًا كبيرًا، وهكذا القياس، وكان هذا الحكم مشروعًا أوّلًا ثم بعد ذلك لمّا ضاقت صدور المؤمنين وحسبوه ثقيلًا نسخ الله ذلك الحكم بالآية المتصلة عقيبها، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، فلهذا خفّف عنهم الأثقال وأوجب الحكم على المضاعفة بحسب درجة واحدة، مثلًا إنْ كان المسلم مائة والكفار مائتين يجب القتال ويُحرم الفرار، وإن كان المسلم ألفًا والكافر ألفين يجب القتال ويُحرم الفرار، وهكذا القياس.

الأمر من (الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت) ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته، بخلاف مَن يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله. قيل: كان عليهم أن لا يفرّوا ويثبت الواحد للعشرة، ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفّف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله:

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ (﴿ضَعْفًا﴾ عاصم وحمزة) ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ (بالياء فيهما: كوفي، وافقه البصري) في الأولى

قوله: (الحَرَض) بفتحتين (وهو أن ينهكه المرض) أي يضعفه ويجعله نحيفًا مهزولًا (حتى يشفى) من الأفعال، أي يشرُف ويقرب (على الموت)، وهذا أصله ثم استُعمل في حثّ الإنسان على شيء حتى يعلم أنه حارض، أي مُشرف على الهلاك لكمال جهده في تحصيله وانهماكه في كسبه، وبهذا البيان يُعلم المناسبة بين أصله وفرعه، وهذا الوجه مما استبعده بعضهم. وقال الراغب: كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتدّ به، انتهى. يريد أن باب التفعيل وبناءه للإزالة كقذيته، أي أزلت عنه القذى، فأصل المعنى: حرّض المؤمنين، أي كن مزيلًا عنهم ما لا خير فيه، ثم استُعمل في ترغيب ما فيه خير وعاقبة حميدة، ولو بزعم المرغب. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (﴿ضعفًا﴾) بفتح الضاد (عاصم وحمزة)، والباقون بضمّها، وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في العقل والرأي والضمّ في البدن. **قوله:** (بالياء) من تحت (فيهما) أي في ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟﴾ [الأنفال: الآية ٦٥]، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي للفصل بالظرف، ولأن التأنيث مجازيّ (وافقه البصري) أي أبو عمرو البصريّ، وكذا

والمراد الضعف في البدن ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ **(وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده، للدلالة على أن الحال مع القلّة والكثرة لا تتفاوت، إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين)**.

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ﴾ ما صحّ له ولا استقام ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ **(«أن تكون»: بصري)** ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهي

يعقوب البصري ـ وليس من السبعة ـ في الأولى وقرأ بالتأنيث في الثانية؛ لأن وصفه بالمؤنّث وهو صابرة قوّاه، والباقون بالتأنيث فيهما لأجل اللفظ، وخرّج بإسناده إلى المائة إن يكن منكم عشرون، وإن يكن منكم ألف المتّفق على تذكيرها.

قوله: (وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلّة والكثرة) واحدة **(لا تتفاوت)** في النصرة. اهـ كشاف. **(إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين)**؛ إذ الحال في الأوّل ضيّق، وفي الثاني وسيع، ولعلّه لهذا المعنى وصف الأوّل بالصابرة دون الثاني. اهـ التفسيرات الأحمديّة. وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: قوله: إذ الحال قد تتفاوت تعليل لاحتياج إلى هذه الدلالة والبيان، بمعنى ربما لا يقاوم العشرة المائة ويقاوم المائة الألف، وكذلك ربما لا يقاوم العشرة العشرين ويقاوم الألف الألفين. اهـ.

قوله: («أن تكون») بالتأنيث **(بصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري ـ وليس من السبعة ـ لكون الجمع في تأويل الجماعة، فإن أسرى جمع أسير، فأسارى جمع الجمع مثل جريح وجرحى. وقرأ الباقون بالتذكير لكون الفعل متعدّيًا وكون تأنيث أسرى غير حقيقيّ؛ لأن المراد بهم الذكور، وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل، وكل واحد من هذه الثلاثة إذا انفرد جاز تذكير الفعل، وعند

الغلظ والكثافة حتى (يذلّ) الكفر بإشاعة القتل في أهله، و(يعزّ) الإسلام بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيرًا ـ فيهم (**العباس**) عمه و(**عقيل**) ـ فاستشار النبيّ عليه السلام أبا بكر فيهم فقال: قومك وأهلك، استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوّي بها أصحابك. وقال عمر

اجتماع الكلّ يكون أوْلى. اهـ شيخ زاده رحمه الله. لكن على قراءة التاء الفوقية تتعيّن الإمالة في أسرى، وعلى قراءة الياء التحتية تجوز الإمالة[١] وتركها. اهـ جمل.

قوله: (يذل) في مختار الصحاح الذلّ ضدّ العزّ وقد ذَلّ يَذِلّ بالكسر ذَلًّا[٢] وذِلّة ومَذَلّة، فهو ذليل وهم أذلّاء وأذلّة. اهـ. **قوله:** (يعِز) بكسر العين.

قوله: (العبّاس) بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ خرج مع المشركين إلى بدر مُكرَهًا وأُسر وفدا نفسه وابني أخويه عقيلًا ونوفل بن الحارث وأسلم عقيب ذلك، وقيل: أسلم قبل الهجرة وكان يكتم إسلامه مقيمًا بمكّة يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان عونًا للمسلمين المستضعفين بمكّة، قالوا: وأراد القدوم إلى المدينة، فقال له النبيّ ﷺ: «مقامك بمكّة خير»، وكان رسول الله ﷺ يعظّمه ويُكرمه ويبجّله، وكانت الصحابة تُكرمه وتعظّمه وتقدّمه وتشاوره وتأخذ برأيه. توفي بالمدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن نحو ثمانٍ وثمانين سنة، وهو معتدل القامة وقبره مشهور بالبقيع. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وثلاثون حديثًا، اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (عقيل) بن أبي طالب الصحابي، هو بفتح العين القريشي الهاشمي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، وهو أخو عليّ وجعفر وطالب لأبيهم، كان طالب أسنّ من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسنّ من عليّ بعشر سنين، حضر بدرًا مع المشركين مُكْرهًا وأُسر يومئذ ففداه عمّه العباس،

---

(١) فقرأ حمزة والكسائي وخلف مع الإمالة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في المصباح: ذَلَ ذُلًّا من باب ضرب، والاسم الذُل ـ بالضم ـ والذِّلّة ـ بالكسر ـ والمَذَلّة إذا ضَعُف وهان، فهو ذَليل، والجمع أذلاء وأذلّة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ﷺ: كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله أغناك عن (الفداء، مكّن عليًا) من عقيل، و(حمزة) من العباس، (ومكّني من فلان لنسيب له)، فلنضرب أعناقهم. فقال عليه السلام: «مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم حيث قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٦] ومثلك يا عمر كمثل نوح (حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾) [نوح: الآية ٢٦]. ثم قال رسول الله ﷺ لهم: «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدّتهم» فقالوا: بل نأخذ الفدا فاستشهدوا بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها يعني الفداء سمّاه عرضًا لقلّة بقائه وسرعة فنائه ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ أي ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقهر الأعداء ﴿حَكِيمٌ﴾ في عتاب الأولياء.

ثم أسلم قبل الحُديبية، وجاء إلى المدينة مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ سنة ثمان وشهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر، ثم رجع فعرض له مرض فلم يسمع له بذكر في فتح مكّة، ولا غزوة حُنين والطائف وأعطاه النبيّ ﷺ من خيبر مائة وأربعين وسقًا كل سنة. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث وهو قليل الحديث. توفي في خلافة معاوية، وقد كُفّ بصره ودُفِن بالبقيع وقبره مشهور عليه قبّة في أوّل البقيع.

قوله: (الفداء) بالكسر. **قوله**: (مكّن عليًا) يقال: مكّنته من الشيء وأمكنته منه إذا أقدرته عليه فتمكّن واستمكن، والمراد الإذن والرخصة.

قوله: (حمزة) بن عَبْد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ورضي عنه، يقال له أسد الرحمٰن وأسد رسول الله ﷺ وعمّه وأخوه من الرّضاعة، كنيته أبو عمارة أسلم في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وبارز وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وقاتل بسيفين. استشهد يوم أُحد في نصف شوّال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل أحدًا وثلاثين من الكفار، ودُفِنَ عند أُحد في موضعه وقبره مشهور يُزار ويتبرّك به وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم. **قوله**: (ومكّني من فلان) أي خلّ بيني وبينه (لنسيب) أي قريب النسب (له) أي لعمر. **قوله**: (حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾) أي نازل دار، والمعنى أحدًا. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وفي قوله: ﴿لَا تَذَرْ

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لولا حكم من الله ﴿سَبَقَ﴾ أن لا يعذب أحدًا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادًا منهم لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببًا في إسلامهم، وأن فداءهم يتقوّى به على الجهاد، وخفي عليهم إن قتلهم أعزّ للإسلام وأهيب لمن وراءهم، أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر، أو ألا يؤاخذ قبل البيان والإعذار.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

(**وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكر القياس**). ﴿كِتَٰبٌ﴾ مبتدأ و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفته أي لولا كتاب ثابت من الله و﴿سَبَقَ﴾ صفة أخرى له، وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود، و﴿سَبَقَ﴾ لا يجوز أن يكون خبرًا لأن «لولا» لا يظهر أبدًا ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ (**لنالكم**) وأصابكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من فداء الأسرى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ رُوِيَ أن عمر ﷺ دخل على رسول الله ﷺ (**فإذا هو وأبو بكر يبكيان**) فقال: يا رسول الله

عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦] دقيقة، وهي الإشارة إلى ما وقع في خلافته من تطهير أرض الحجاز من الكَفَرة. اهـ. **قوله: (وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد، فيكون حجّة على منكر القياس)**، وأيضًا فيه دلالة على أن المجتهد إذا أخطأ لم يكن معاقبًا في عمله، أي مجتهد كان. وأيضًا فيه دلالة على أنّ الحكم إذا اجتهد فيه ثم نزل نصّ بخلافه لم يسقط العمل بذلك الاجتهاد، ولم يجب العمل بذلك النصّ؛ لأن النبيّ عليه السلام لمّا حكم بأخذ الفداء بالاجتهاد ثم نزل بعده نصّ بخلافه، وهو هذه الآية لم ينقل مَنْ أخذ الفداء إلى القتل، بل استقرّ عليه، بخلاف ما إذا اجتهد المجتهد بحكم، ثم ظهر نصّ بخلافه، يعني كان نازلًا قبل الاجتهاد، ولكن ظهر الآن بأن يقف عليه آنفًا، فإنه يجب العمل بالنصّ ويسقط الاجتهاد كأبي حنيفة رحمه الله مثلًا يحكم بمسألة بالاجتهاد، ثم ظهر نص بخلافه يجب العمل به، فكم مِنْ فَرْق بين ظهور النصّ بخلاف الاجتهاد وبين نزوله بخلافه، هكذا صرّح في البزدويّ وحواشيه.

قوله: (لنالكم) أي وقع بكم. **قوله: (فإذا هو وأبو بكر يبكيان)** فإذا للمفاجَأة أما بكاء أبي بكر رضي الله تعالى عنه على نفسه وعلى إخوانه، وأمّا بكاؤه عليه

(أخبرني) فإن وجدت بكاء بكيت وإم لم أجد بكاء **(تباكيت)**. فقال: «أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء (ولقد عرض) عليّ عذابهم **(أدنى من هذه الشجرة)**» لشجرة قريبة منه. **(ورُوِيَ أنه** عليه السلام **قال**: «**لَو نزل**) عذاب من السماء **(لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ)**» لقوله: كان الإثخان في القتل أحب إليّ.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ رُوِيَ أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدّوا أيديهم إليها فنزلت. وقيل: هو إباحة للفداء **(لأنه من جملة الغنائم. والفاء للتسبيب)** والسبب

السلام على أصحابه. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله: (أخبرني)** عن سبب بكائك وبكاء أبي بكر. **قوله: (تباكيت)** أي أظهرت البكاء. **قوله:** (ولقد عُرض) أي وبالله لقد عرض. **قوله: (أدنى من هذه الشجرة)** أي حال كون ذلك العذاب أقرب إليهم من قرب هذه الشجرة إليّ، وينبغي أن يكون هذا منه عليه الصّلاة والسلام إشارة إلى ما نزل بهم يوم أُحد. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: أدنى من هذه الشجرة، أي أقرب منها يراه ويشاهده. قيل: والمراد به ما وقع بأُحد، واستشهد منهم سبعون كما وقع في الحديث: «إن شئتم فاديتموهم»، واستشهد منكم بعدتهم كما في الكشاف. اهـ. وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن جرير وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بنحوه. **قوله: (وروي أنه عليه السلام قال: لو نزل)** عذاب من السَّماء **(لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ)** لقوله: «كان الإثخان في القتل أحبّ إليّ» أخرجه ابن جرير عن محمد بن إسحاق بلفظ: «لو أُنزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»؛ لقوله: «كان الإثخان في القتل أحبّ إليّ»، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عمر، لكن لم يذكر فيه سعد بن معاذ، وهذا يدلّ على أنّ المراد بالعذاب عذاب في الدنيا غير القتل مما لم يعهد؛ لقوله: أنزل من السماء. وأمّا أنهم يستشهد منهم بعدتهم، فالشهادة لا تسمّى عذابًا. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (لأنه من جملة الغنائم) إذ الغنيمة هو المأخوذ قهرًا وغلبة لا اختلاساً وسرقة، كما في الهداية. **قوله: (والفاء للتسبيب)** داخلة على المسبب.

محذوف، ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا ﴿حَلَٰلًا﴾ مطلقًا عن العتاب والعقاب من حلّ (العقال) وهو نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر أي أكلًا حلالًا ﴿طَيِّبًاۚ﴾ لذيذًا هنيئًا أو حلالًا بالشرع طيبًا بالطبع ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فعلتم من قبل ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإحلال ما غنمتم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ (في ملكتكم) كأن أيديكم قابضة عليهم (﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾) جمع أسير من الأسارى (أبو عمرو جمع أسرى) ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ خلوص إيمان وصحة نيّة ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ رُوِيَ أنه قدم على رسول الله ﷺ مال (البحرين) ثمانون ألفًا، فتوضأ

قوله: (العقال) في لسان العرب: عقل البعير يَعْقِله عقلًا وعقله واعتقله ثنى وظيفه مع ذراعه وشدّهما جميعًا في وسط الذّراع، وكذلك الناقة، وذلك الحبل العِقال والجمع عُقُل. اهـ. وأيضًا فيه الوظيف لكل ذي أربع ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. اهـ. وأيضًا فيه، وقال ابن الأعرابي: الوظيف من رسغ البعير إلى ركبتيه في يديه، وأمّا في رجليه، فمن رسغيه إلى عُرْقوبيه. اهـ. وأيضًا في الجوهري: الوظيف مستدقّ الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع الأَوْظِفَة. اهـ. وأيضًا فيه: العُرْقوب العَصَب الغليظ المُوتَّر فوق عَقِب الإنسان، وعرقوب الدابّة في أرجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها. اهـ.

قوله: (في مَلَكَتِكم) ـ بالتحريك ـ أي مِلككم. **قوله:** (﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾) بضم الهمزة وفتح السين وبألف بعدها مع الإمالة (أبو عمرو) البصريّ (جمع أسرى) جمع أسير، فهو جمع الجمع، وقرأ أبو جعفر بضمّ الهمزة وفتح السين على وزن فعالى بلا إمالة، والباقون بفتح الهمزة وسكون السين بلا ألف على وزن فعلى مع الإمالة في قراءة حمزة والكسائي وخلف بلا إمالة في قراءة غيرهم. **قوله:** (البحرين) بلد.

لصلاة الظهر وما صلّى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة، وكان له عشرون عبدًا وإن أدناهم ليتجر في عشرين ألفًا وكان يقول: أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر.

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نكث ما بايعوك عليه من الإسلام بالردّة أو منع ما ضمنوه من الفداء ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ (فأمكنك منهم) أي أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمال ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر في الحال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ من مكة حبًّا لله ورسوله ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم المهاجرون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ أي آووهم على ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي يتولّى بعضهم بعضًا في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (وقيل: أراد به النصرة والمعاونة) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟﴾ من مكة ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾

قوله: (فأمكنك منهم) أي قدرك عليهم، وأشار إلى أنّ مفعوله محذوف.

قوله: (وقيل أراد به النّصرة والمعاونة)، فتكون محكمة. اهـ شهاب رحمه الله. أي يتولّى بعضهم بعضًا بالنّصرة والمعونة، فإنّ أولياء جمع وليّ نحو صديق وأصدقاء، والوليّ ضدّ العدوّ، يقال منه تولّاه، والوليّ يجيء بمعنى الناصر أيضًا، وكل واحد من الفريقين صديق للآخر يعظمه ويهتمّ بشأنه ويخصّه بمعاونته ومظاهرته، بل لفظ الولاية غير مُشعر بمعنى الوراثة، إلّا أن المفسّرين حملوه على هذا المعنى بناءً على

من توليهم في الميراث («ولايتهم» حمزة). وقيل: هما واحد ﴿مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر ممن آمن وهاجر، ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة، دلّ على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ﴾ أي مَن أسلم ولم يهاجر ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أي إن وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذير عن تعدّي حد الشرع.

أن الولاية المُثبتة في هذه الآية هي الولاية المنفيّة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، والولاية المنفيّة فيه ليست بمعنى النّصرة؛ لأنه تعالى عطف عليه. قوله: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، ولا شكّ أنّ ذلك عبارة عن المُوالاة في الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، فوجب أن يكون المراد من الولاية المذكورة أمرًا مغايرًا لمعنى النّصرة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** («**ولايتهم**») بكسر الواو (حمزة)، والباقون بفتح الواو، وفي تفسير البيضاوي: قرأ حمزة: ﴿ولايتهم﴾ بالكسر تشبيهًا لها بالعمل والصناعة؛ كالكتابة والإمارة، كأنه بتولّيه صاحبه يزاول عملًا. اهـ. قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله في حاشيته: قوله: تشبيهًا لها بالعمل، يريد أن المصدر الذي يجيء على فعالة بالكسر إنما يكون في الصناعات، وما يكون بمزاولة العمل كالكتابة والزراعة والخياطة والحراثة والنجارة والقصارة والصباغة ونحوها، والولاية ليست من هذا القبيل إلّا على سبيل التشبيه، فإنّ الوليّ بتولّيه صاحبه ونصرته كأنه يزاول عملًا، فشبَّه التولّي بالعمل ثم اسْتُعير له الولاية بالكسر. اهـ. وقال العلَّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: جاء في اللغة: الولاية مصدرًا بالفتح والكسر، فقيل: هما لغتان فيه بمعنًى واحد، وهو القرب الحسّي والمعنويّ، وقيل: بينهما فرق فالفتح ولاية مولى النسب ونحوه، والكسر ولاية السلطان، قاله أبو عبيدة. وقيل: الفتح من النصرة، والنسب والكسرة من الإمارة، قاله الزجاج، وخطأ الأصمعي قراءة الكسر، وهو المخطىء لتواترها، واختلفوا في ترجيح إحدى القراءتين، ولمّا قال المحقّقون من أهل اللغة: إنّ فعالة بالكسر في الأسماء لما

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ ظاهره إثبات الموالاة بينهم، ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم و(مصارمتهم) وإن كانوا أقارب وأن يُتركوا يتوارثون بعضهم بعضًا. ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولّي بعضهم بعضًا حتى في التوارث تفضيلًا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تجعلوا قرابة الكفار كَلا قرابة ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأن المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرًا والفساد زائدًا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن

يحيط بشيء، ويجعل فيه كاللّفافة والعمامة، وفي المصادر يكون في الصناعات، وما يزاول بالأعمال كالكتابة والخياطة ذهب الزجّاج وتبعه غيره إلى أن الولاية لاحتياجها إلى تمرّن وتدرب شبّهت بالصناعة، فلذا جاء فيها الكسر كالإمارة، وهذا يحتمل أن الواضع حين وضعها شبّهها بذلك، فتكون حقيقة ويحتمل كما في بعض شروح الكشاف أن تكون استعارة كما سمّوا الطب صناعة، لكنها وإنْ كان التصرّف فيها في الهيئة لا في المادّة استعارة أصليّة لوقوعها في المصدر دون المشتقّ، ومنه يعلم أنّ الاستعارة الأصلية قسمان ما يكون التجوّز في مادّته وما يكون في هيئته، وقوله: كأنه بتولّيه... الخ. أي كأنّ صاحبه يزاول عملًا بتولّيه، أي يحاوله ويعالجه وضمير كأنه للوليّ أو للشأن.

قوله: (مصارمتهم) في لسان العرب: الصَّرْم القطع البائن، وعمّ بعضهم به القطع أي نوع كان صرمه يصرمه صَرْمًا وصُرْمًا وانصرم.اهـ. وأيضًا فيه المصارمة بين الاثنين.اهـ.

ومفارقة الأهل و(**السكن**) والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا منّة فيه ولا (**تنغيض**) ولا تكرار، لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ﴾ يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ جعلهم منهم تفضلًا وترغيبًا ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ ﴿مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (**في حكمه وقسمته أو في اللوح**)، أو في القرآن وهو آية المواريث (**وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام**) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه. قسم الناس أربعة أقسام: قسم آمنوا وهاجروا، وقسم آمنوا ونصروا، وقسم آمنوا ولم يهاجروا، وقسم كفروا ولم يؤمنوا.

قوله: (السَّكَن) - بفتحتين - كل ما سكنت إليه. اهـ مختار الصِّحاح. وفي المصباح: السّكن ما يسكن إليه من أهلٍ ومال وغير ذلك، وهو مصدر سكنت إلى الشيء من باب طلب. اهـ. **قوله:** (تنغيض) أي تنقيص.

قوله: (**في حكمه وقسمته أو في اللَوح**)... الخ. لأن كتاب الله يُطلق على كلّ منها، وليس المراد آية المواريث؛ لأنه لا يناسب ما بعده، بل المراد هذه الآية، وفيه تأمل. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام**)؛ لأن هذه الآية نسخ بها التوارث بالهجرة، ولم يفرّق بين العصبات وغيرهم، فهو حجّة في إثبات ميراث ذوي الأرحام الذين لا قسمة لهم ولا تعصيب، وبها احتجّ أيضًا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه على أنّ ذوي الأرحام أوْلى من مولى العتاقة، وخالفه سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما يصح الاستدلال إذا لم يكن المراد بكتاب الله تعالى آيات المواريث السابقة في سورة النساء، وهذا آخر ما يتعلق بسورة الأنفال. **اللّهمَ اجعلنا ببركتها ممَن غنم رضاك وفاز بجزيل عطاياك وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.**

(سورة التوبة)

(مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية، كوفي ومائة وثلاثون غيره)

لها أسماء: براءة، التوبة، **(المقشقشة)**، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي **(تبرىء)** منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها **(وتثيرها وتحفر)** عنها، **(وتفضحهم)** و**(تنكلهم)** و**(تشردهم)** و**(تخزيهم)** و**(تدمدم عليهم)**. وفي ترك **(التسمية)** في ابتدائها أقوال؛ فعن علي وابن عباس ﷺ، **(إن بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان)**. وعن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة التوبة مدنيّة) أي بالاتّفاق، وقيل: إلا آيتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، فإنهما نزلتا بمكّة، **(وهي مائة وتسع وعشرون آية، كوفيّ ومائة وثلاثون غيره)** وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمانٍ وثمانون حرفًا. اهـ خازن. **قوله: (المقشقشة)**... الخ. كلّها بصيغة الفاعل. **قوله: (تبرىء)** من التفعيل. **قوله: (وتُثيرها)** أي تُظهرها. **قوله: (وتحفر)** أي تبحث. **قوله: (تفضحهم)** من البابِ الثالث. **قوله: (تنكلهم)** من التَّنكيل، أي تُعاقبهم، أي تُخبر وتبين عقابهم في الآخرة. **قوله: (تشردهم)** أي تطردهم وتفرّقهم. **قوله: (تُخزيهم)** من الأفعال بالخاء المعجمة والزاي المعجمة. **قوله: (تُدمدم عليهم)** أي تُهلكهم. **قوله: (التسمية)** أي البسملة. **قوله: (إن بسم الله أمان)** لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة. **قوله: (وبراءة نزلت لرفع الأمان)** لأنها نزلت بالسيف ونبذ العهد والبراءة من عصمة المعاهدين ليس فيها

إذا نزلت عليه سورة أو آية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وتُوفي رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال لأن فيها ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود، فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع. وقيل: اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال، وقال بعضهم: هما سورتان (**فتركت بينهما فرجة**) لقول مَن قال هما سورتان، وتركت بسم الله لقول مَن قال هما سورة واحدة.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾

﴿بَرَآءَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من لابتداء الغاية متعلّق بمحذوف، وليس بصلة كما في قولك: «برئت من الذين» أي هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول: «كتاب من فلان إلى فلان». أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ كقولك: «رجل من بني تميم في الدار» والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فسيروا في الأرض كيف شئتم. والسيح: السير على (**مهل**). رُوِيَ أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسًا منهم ـ وهم (**بنو ضمرة وبنو كنانة**) ـ فنبذ العهد إلى الناكثين وأُمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرّض لهم، وهي

أمان، فلا يليق أن يكتب في أوّل سورة افتتحت بالمقاتلة ونبذ العهود. **قوله:** (**فتركت بينهما فرجة**). . . الخ. رعاية للجانبين، فإن قيل: ما حكمها شرعًا؟ قلنا: الحكم فيها استحباب تركها. وأمّا القول بحُرْمتها ووجوب تركها كما نقل عن بعض مشائخ الشافعيّة، فليس بثابت. اهـ قنوي.

قوله: (**مهل**) في مختار الصحاح: المَهَل ـ بفتحتين ـ التُّؤَدَة. اهـ. **قوله:** (**بنو ضمرة وبنو كنانة**) في لسان العرب: بنو ضمرة من كنانة رهط عمرو بن أُميّة الضَّمْري. اهـ. وأيضًا فيه كنانة قبيلة من مُضَر، وهو كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن

الأشهر الحُرم في قوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها. وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها (عتاب بن أسيد)، وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر (على موسم) سنة تسع، ثم أتبعه عليًا راكب (العضباء) ليقرأها على (أهل الموسم) فقيل له: (لو بعثت بها إلى أبي بكر). فقال: (لا يؤدّي عني إلا رجل مني.

إلياس بن مُضَر، وبنو كنانة أيضًا من تغلِب بن وائل، وهم بنو عَكَب يقال لهم: قريش تَغْلِبَ. اهـ.

قوله: (عتابِ بن أسِيدَ) الصحابي، هو أبو عبد الرحمٰن، ويقال: أبو محمّد عَتّاب بن أسِيد ـ بفتح الهمزة ـ ابن أبي العَيْص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القريشيّ العَبْشمي، أسلم يوم الفتح واستعمله النبيّ ﷺ على مكّة حين انصرف عنها بعد الفتح وسنّه يومئذ عشرون سنة. رَوَى عنه ابن المسيّب وعطاء بن أبي رباح وروايتهما عنه مرسلة لم يدركاه بلا شكّ، ولم يزل عتاب على مكّة حتى توفّي بها. قال الواقديّ وآخرون منهم أولاد عتاب أنه توفي باليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وقال آخرون: جاء نعي أبي بكر إلى مكّة يوم دُفِن عتاب، وتوفي أبو بكر يوم الإثنين لثمان، وقيل: لثلاث بقين من جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان عتاب خيّرًا مباركًا وفاضلًا، وأُمّ عتاب زينب بنت عمرو بن أُميّة بن عبد شمس.

قوله: (على موسم) أي أهل موسم والموسم زمان الحجّ، وأمير الموسم أمير الحاج المنصوب من قِبَل الإمام. **قوله:** (العَضْباء) ـ بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والباء الموحدة، بوزن حمراء الناقة المشقوقة الأذن ـ وهي لقب ناقة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ولم يكن في أذنيها شقّ، كما في بعض كتب اللغة وشروح الكشّاف. **قوله:** (أهل الموسم) أي الحجّاج. **قوله:** (لو بعثت بها إلى أبي بكر) أي ليت بعثت، فلو للتمنّي، فلا يقتضي الجواب، أو على ظاهره، فجوابه محذوف، أي لو بعثت لكان أسهل. **قوله:** (لا يؤدّي عني إلّا رجل منّي) أي قريب منّي نسبًا وذلك بوحي كما في حديث. اهـ شهاب. أي لا ينبغي أن يبعث بها إلى أبي بكر؛ إذ لا يؤدّي عني إلا رجلٌ مني، وأبو بكر ليس منّي ومن أهل بيتي، وإنْ كان أفضل وزيري. اهـ قنوي. وقد جرت العادة أن لا يتولّى تقرير العهد

فلما دنا) علي سمع أبو بكر **(الرغاء)** فوقف وقال: **(هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ)**. فلما لحقه قال: **(أمير أو مأمور؟)** قال: مأمور. فلما كان **(قبل التروية)** خطب أبو بكر وحثّهم على مناسكهم وقال عليّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم فقالوا: بماذا؟ **(فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية)**، ثم قال: **(أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده)**، فقالوا عند ذلك: يا علي أبلغ ابن عمك أنّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا،

ونقضه إلّا رجل من الأقارب، فلو تولّاه أبو بكر لجازَ أن يقولوا هذا خلاف ما يُعرف فينا من نقض العهود، فربّما لم يقبلوا، فأرسل إليهم بتولية ذلك عليًّا. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (فلما دنا)** أي قرُب من أبي بكر رضي الله تعالى عنه. **قوله: (الرغاء)** - بضم الراء والمدّ - صوت الإبل. **قوله: (هذا)** أي هذا الصوت **(رغاء ناقة رسول الله ﷺ)** وفي إرسالها أمر خطير، فوقف حتى لَحِقه. **قوله: (أمير)** أي أنت أمير الحاجّ بدلًا مني **(أو مأمور)** بانقياد إلينا كسائر أصحابنا، وقيل: أو أنت مأمور بأمرٍ آخر. **قوله: (قبل التروية)** وهو السابع من ذي الحجّة، ويوم التروية ثامن ذي الحجّة سُمّي بها لأنهم يسقون إبلهم في هذا اليوم، والتروية لسقي الماء بقدر ما يزيل العطش. **قوله: (فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية)** أي من أوّل هذه السورة. **قوله: (أُمِرْتُ بأربع)**... الخ. أي بأن أخبر بها مناديًا. **قوله: (أن لا يقرب)** هذا **(البيت)** أي أن لا يدخله للحجّ أو العمرة، هذا مذهبنا والتفصيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبَة: الآية ٢٨] الآية، **(بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)** ومَنْ يطوف بالبيت عريانًا هم المشركون؛ ففي الحقيقة يرجع إلى الأوّل، **(ولا يدخل الجنّة إلّا كل نفس مؤمنة)**، وكان العلم بأنه لا يدخل الجنّة كافر لم يكن حاصلًا للمشركين قبل ذلك، أو المراد أنه لا يقبل منهم بعد ذلك إلّا الإيمان، أو السيف. قال الطيبي: فهو من باب لا أرينك هٰهنا، أي أُمِرت بأن أُنادي بأن يتّصفوا بما يستعدّوا به أن يكونوا أهلًا للجنّة؛ إذ لا يقبل منهم سوى هذا، أو إخبارهم بأنّ عداوة المؤمنين للكفَرة ومفارقتهم لهم ثابتة في الدنيا والآخرة، **(وأن يتمّ)** على صيغة البناء للمجهول **(إلى كل ذي عهد عهده)** بالرفع قائمٌ مقام فاعله،

وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن **(بالرماح)** وضرب بالسيوف؛ والأشهر الأربعة: شوال **(وذو القعدة)** وذو الحجة والمحرم، **(أو عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر)**، وكانت حرمًا لأنهم أومنوا فيها وحرّم قتلهم وقتالهم، **(أو على التغليب)** لأن ذا الحجة والمحرم منها. والجمهور على إباحة القتال في الأشهر الحُرم وأن ذلك قد نسخ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ ارتفاعه كارتفاع ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على الوجهين، ثم الجملة معطوفة على مثلها، والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء، والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى إخبار بثبوت البراءة، والثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت. وإنما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين، وعلق الأذان بالناس، لأن البراءة مختصّة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأما الأذان فعام لجميع الناس مَن عاهد ومَن لم يعاهد، ومَن

وتمام العهد تكميل زمانه؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٤]. **قوله: (بالرِّماح)** الرِّماح: جمع رمح في لسان العرب: الرُّمح من السلاح معروف. **قوله: (وذو القعدة)** بفتح القاف وكسرها. **قوله: (أو عشرون من ذي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشر من ربيع الآخر)**؛ لأن التبليغ كان يوم النَّحر، وهذا القول أصوب، وعليه الأكثرون. **قوله: (أو على التغليب)** عطف على لأنهم أومنوا، أي إطلاق اسم الأشهر الحرم على عشرين من ذي الحجّة إلى عشرٍ من ربيع الآخر من جهة تغليب ما هو منها على ما هو ليس منها. واعلم أنّ الصحيح النّاطق به الأحاديث الصّحاح الواقع عليه الاتّفاق أنّ الأشهر الحُرُم أربعة: ثلاث متتابعات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد: رجب، والاختلاف المذكور إنما هو في هذه الأربعة المشار إليها بقوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: الآية ٢].

(نكث) من المعاهدين ومَن لم ينكث ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يوم عرفة **(لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج)**، أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي، ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي بأن الله حذفت صلة الأذان تخفيفًا ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ عطف على المنوي في ﴿بَرِيٓءٞ﴾ أو على الابتداء وحذف الخبر أي ورسوله بريء، **(وقرىء بالنصب عطفًا على اسم «أن»)**، والجرّ **على** الجوار، أو على القسم كقولك

قوله: (نكث) في مختار الصحاح: **نكث** العهد والحبل نقضه، وبابه نصر. اهـ. **قوله: (لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحجّ)**؛ لأن مَنْ أدرك الوقوف فقد أدرك الحجّ، ومَنْ فاته فقد فاته الحجّ. **قوله: (وقرىء)** شاذًّا **(بالنّصب عطفًا على اسم «أنّ»)** وقارئه عيسى بن عمر وزيد بن عليّ وابن أبي إسحٰق رحمه الله، **«والجرّ على الجوار أو على القسم؛ كقوله: لعمرك»** قارئه الحسن رحمه الله. في فتح القدير للشوكاني رحمه الله: وقرىء ﴿ورسوله﴾ بالجرّ على أنّ الواو للقسم، رُوِي ذلك عن الحسن، وهي قراءة ضعيفة جدًا؛ إذ لا معنى للقسم برسول الله ﷺ هٰهنا مع ما ثبت من النهي عن الحلف بغير الله. وقيل: إنه مجرور على الجوار. اهـ بحروفه. وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: قوله: وبالجرّ على الجوار هو في غاية السماجة، وليس جوار المشركين مما يحسن، بل يجوز عطف رسوله. وأمّا القسم بالرسول، فجائز من الله، ولهذا مثل بقوله: لعمرك، إلّا أنه في مثل هذا الموضع الملتبس كان ينبغي أن لا يجوز، والوجه ردّ قراءة الجرّ. اهـ. وهذه القراءة يبعد صحتها للإيهام، حتى أنه يُحْكَى أن أعرابيًا... الخ. وفي جمع الجوامع عن أبي مُليكة رضي الله عنه قال: قدم أعرابيّ في زمان عمر قال: مَنْ يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل براءة، فقال: ﴿أنّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بالجرّ، فقال له أعرابيّ: أوَقد بريء الله من رسوله، إنْ يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابيّ، أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألتُ مَنْ يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: ﴿إنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ﴾، فقلت: أوَقد بريء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه؛ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابيّ، قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ

«لعمرك». وحُكِيَ أن أعرابيًا سمع رجلًا يقرؤها فقال: إن كان الله بريئًا من رسوله فأنا منه بريء، **(فلببه الرجل)** إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلّم العربية ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ﴾ **(أي التوبة)** ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ من الإصرار على الكفر ﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن التوبة أو تبتم على التولّي والإعراض عن الإسلام ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ﴾ غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ والمعنى: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا

ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [التوبة: الآية ٣] بالضمّ، فقال الأعرابي: فأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه؛ فأمر عمر بن الخطّاب ﷺ أن لا يقرىء الناس إلّا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود، فوضع النحو، ابن الأنباري في الوقف والابتداء كرأي أخرجه ابن الأنباري وابن عساكر. اهـ. وفي إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واتّفقوا على الرفع في ﴿ورسوله﴾ عطفًا على الضمير المستكنّ في بريء، أو على محل أنّ واسمها في قراءة مَنْ كسر إن. نعم روى زيد عن يعقوب النّصب عطفًا على اسم أن، وليس من طرقنا. اهـ. وقوله في قراءة مَنْ كسر أن في الإتحاف، وعن الحسن كسر همزة «إن الله بريء» على إضمار القول. اهـ. وفي تفسير النّيسابوري: ﴿ورسوله﴾ بالنصب روح وزيد، والباقون بالرفع. اهـ. وأيضًا فيه: قوله: ﴿ورسوله﴾ بالرفع مبتدأ محذوف الخبر، أي ورسوله أيضًا كذلك، أو هو معطوف على المنويّ في بريء، أو بريء هو ورسوله، وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل المفصل، وقرىء بالجرّ على الجوار، أو على أن الواو للقسم؛ كقوله سبحانه: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [الحجر: الآية ٧٢]. **قوله: (فلببه الرجل)** في القاموس: لَبّبه تلبيبًا جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة، ثم جرّه. وقال العلّامة التفتازاني ﷺ: لببته إلى القاضي إذا جمعت ثيابه عند نحره، ثم جررته إلى الخصومة، وأصله الأخذ بالثياب. **قوله: (أي التوبة)** أي الضمير المقدّر المفهوم من تبتم كاعدلوا هو.

إلا الذين عاهدتم منهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد أي وفّوا بالعهد ولم ينقضوه. (**وقُرىء «لم ينقضوكم» أي عهدكم**) وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لأنه في مقابلة التمام ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ولم يعاونوا عليكم عدوًا ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ (**فأدوه إليهم**) تامًّا كاملًا ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (**أي تمام مدّتهم، والاستثناء بمعنى الاستدراك**) كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين: لكن الذين لم ينكثوا فأتمّوا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن (**قضية**) التقوى ألا يسوّي بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ مضى أو خرج ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ التي أُبيح فيها للناكثين أن يسيحوا ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين نقضوكم وظاهروا عليكم ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حلّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأسروهم، والأخذ: الأسر ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ وقيّدوهم وامنعوهم من التصرّف في البلاد ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل ممر و(**مجتاز**)

قوله: (وقرىء) شاذًّا (**«لم ينقضوكم»**) بالضاد المعجمة، وهي على حذف المضاف، (**أي**) ينقضوا (**عهدكم**) فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه. وقارئه عطاء بن السّائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد، وقرأ الجمهور: ﴿يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبَة: الآية ٤] بالصاد المهملة، وهو يتعدّى إلى واحد وإلى اثنين، ويجوز هنا جعله متعدّيًا إلى اثنين بأن يكون كم مفعولًا أوّلًا، وشيئًا مفعولًا ثانيًا، وإلى واحد، فيكون شيئًا منصوبًا على المصدر، أي شيئًا من النقصان. **قوله: (فأدّوه إليهم)** أي أتمّوا، بمعنى أدّوا، ولذلك عدّى بإلى. **قوله: (أي تمام مدّتهم)** إشارة إلى تقدير مضاف؛ لأن مدّتهم لا يصح أن تكون غاية، بل الغاية آخرها، وهو المراد بالتمام؛ لأنه ما يتمّ به الشيء، وهو جزؤه الأخير، وقيل: المدّة بمعنى آخرها، وهو تكلّف. **قوله: (والاستثناء بمعنى الاستدراك)** أي استثناء منقطع وسمّاه استدراكًا لأنه يقدّر بلكن. **قوله: (قضية)** أي مقتضى.

قوله: (مجْتاز) في لسان العرب: الاجتياز: السلوك، والمجتاز مُجتاب الطريق.

ترصدونهم به، **(وانتصابه على الظرف)**. ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر، أو فكفّوا عنهم ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بستر الكفر والغدر بالإسلام ﴿رَّحِيمٌ﴾ برفع القتل قبل الأداء بالالتزام.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ ﴿أَحَدٌ﴾ مرتفع بفعل شرط مضمر يفسّره الظاهر أي وإن استجارك أحد استجارك، والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر على أن المستأمن لا يؤذى وليس له الإقامة في دارنا ويمكن من العود ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر بالإجارة في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ﴾ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه، فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتالهم. ثم استدرك ذلك بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ﴾ أي ولكن الذين عاهدتم منهم ﴿عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ ولم يظهر منهم نكث أي فما أقاموا على وفاء العهد ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ على الوفاء. و«ما» شرطية أي فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين.

قوله: (وانتصابه على الظرف) أي انتصاب كل على الظرفية، وكل وإن لم يكن ظرفًا لكن لها حكم ما يُضاف إليه؛ لأنه عبارة عنه.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلومًا أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا﴾ (لا يراعوا حلفًا ولا قرابة) ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهدًا ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الإيمان والوفاء بالعهد ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ناقضون العهد أو متمردون في الكفر، لا مروءة تمنعهم عن الكذب، ولا شمائل (تردعهم) عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من (التفادي) عنهما.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿اشْتَرَوْا﴾ استبدلوا ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بالقرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا (وهو) إتباع الأهواء والشهوات ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بئس الصنيع صنيعهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ولا تكرار، لأن الأول على الخصوص حيث قال: ﴿فِيكُمْ﴾ والثاني على العموم لأنه قال: ﴿فِي مُؤْمِنٍ﴾ ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة ﴿فَإِن تَابُوا﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾

قوله: (لا يُراعوا حلفًا ولا قرابة) وفي نسخة صحيحة: حلفًا أو قرابة. وعبارة الكشاف: لا يراعوا حلفًا، وقيل: قرابة. اهـ. والحلف ككتف القسم. **قوله:** (تردعهم) أي تمنعهم. **قوله:** (التفادي) التجانب والتباعد، يقال: تفادى الرجل عن كذا إذا تحاماه واحترز عنه.

قوله: (وهو) أي الثمن القليل الذي اختاره المشركون عن اتّباع أحكام القرآن.

(فهم إخوانكم على حذف المبتدأ) ﴿فِي ٱلدِّينِۗ﴾ لا في النسب ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ ونبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون فيتفكرون فيها (وهذا اعتراض)، كأنه قيل: وإن مَن تأمّل تفصيلها فهو العالم تحريضًا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي نقضوا العهود المؤكدة بالأيمان ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ وعابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ﴾ فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك، أو (زعماء) قريش الذين همّوا بإخراج الرسول **(وقالوا: إذا طعن الذميّ في دين الإسلام طعنًا ظاهرًا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده)** وخرج من الذمّة.

قوله: (فهم إخوانكم على حذف المبتدأ) والجملة الاسمية في محل الجزم على جواب الشرط. **قوله:** (وهذا اعتراض) أي جملة معترضة[1] حيث وقعت بين كلامين متناسبين، فإنه تعالى بيّن أوّلًا حال مَنْ لا يراقب في الله إلّا ولا ذمّة وينقض العهد ويقول بلسانه ما يأبى عنه قلبه ويتعدّى ما حدّ له، ثم بيّن أنهم إنْ تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة فحينئذ تثبت لهم أحكام الإيمان جميعًا، وبيَّن الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبَة: الآية ١١]. ثم بيَّن أنهم إن نكثوا أيمانهم، أي نقضوا عهدهم بإمّا بأن ارتدّوا عن الإيمان والعياذ بالله تعالى على أن يحمل العهد على مبايعة الإسلام بقرينة ذكره في مقابلة قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ [التوبَة: الآية ٥] الآية، بأن نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، واستمرّوا عليه بشهادة أنّ الآية وردت في ناقضي العهد، وأنه تعالى جعلهم صنفين: أحدهما مَنْ تاب منهم، والآخر مَنْ أقام على نقض عهده، فلمّا كانت الشرطيّتان متناسبتَيْن كانت جملة قوله: ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبَة: الآية ١١] معترضة بينهما. **قوله:** (زُعَماء) أي رؤساء. **قوله:** (وقالوا إذا طعن الذميّ في دين الإسلام طعنًا ظاهرًا جاز قتله؛ لأن العهد معقودٌ معه على أن لا يطعن، فإذا طعن فقد نكث عهده). قال

---

(١) بين فإن تابوا وإن نكثوا للتأكيد، كما اعترضت فيه. اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

الجصّاص في أحكام القرآن: إنّ الآية تدلّ على أن أهل الذِّمّة ممنوعون من إظهار الطعن في دين الإسلام، وهو يشهد لقول مَنْ قال مِنَ الفقهاء: إنّ مَنْ أظهر شتم النبيّ ﷺ مِنْ أهل الذِّمّة فقد نقض عهده ووجب قتله. وقال أصحابنا: يُعزر ولا يُقتل، وهو قول الثوري والمنقول عن مالك والشافعي، وهو قول اللّيث قتله، وأفتى به ابن الهُمام كما في شرح الهداية، وفيه كلام مفصّل في الفروع. وفي التفسيرات الأحمديّة: ذكر في كتب الفقه في بيان نقض العهد: أن نقض العهد عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه إنما يكون بأن غلب على موضع لحربنا أو لحق بدار الحرب لا بأن امتنع مِنَ الجزية أو زنى بمسلمة أو قتلها أو سبّ النبيّ عليه السلام، فلا يُقتل الذمّي بسبِّ النبيّ عليه السلام، بل يُعزر، على ما في الفتاوى. وعند الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله: سبّ النبيّ عليه السلام أيضًا ناقض للعهد، فيُقتل الذمّي إن سبَّ النبيّ عليه السلام، وظاهر عبارة القرآن يقتضي هذا الحكم؛ لأنه قال: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا﴾ [التوبة: الآية ١٢]، ولا شكّ أن ليس طعن في الدِّين أكبر من سبّ النبيّ عليه السلام؛ إذ فيه إهانة الشرع وهَتْك حُرْمة الإسلام، والحقّ أن يكون فتوى أهل العلم في زماننا على هذا؛ إذ ليس في التعزير الذي قال أبو حنيفة رحمه الله: تهديد بحسب ما كان ذلك في القتل، مع أنّ في الرواية عن شرح ابن الهُمام أن أبا يوسف رحمه الله معهم. وأمّا سبّ المسلمون، فموجب للقتل بالإجماع، وإن تاب بعده وأصلح، فينبغي أن يُقتل البتّة إذا أظهر، وقد ذكر في تحقيقه المحشي الحلبي على شرح الوقاية كلامًا مشبعًا طويلًا نافعًا، فليرجع إليه. اهـ. وفي الدرّ المختار: (وينتقض عهدهم بالغَلَبة على موضع للحرب أو باللّحاق بدار الحرب)، زاد في الفتح: أو بالامتناع عن قبول الجزية (أو بجعل نفسه طليعة للمشركين)، بأن يبعث ليطلع على أخبار العدوّ، فلو لم يبعثوه لذلك لم ينتقض عهده، وعليه يحمل كلام المحيط. (وصار) الذمّيّ في هذه الأربع صور (كالمرتدّ) في كلّ أحكامه، (إلّا أنه) لو أُسر (يُسْتَرَقّ) والمرتد يُقتل (ولا يُجبر على قبول الذمّة)، والمرتدّ يُجبر على الإسلام (لا) ينتقض عهده (بقوله: نقضت العهد)، زيلعيّ. (بخلاف الأمان) للحربيّ، فإنه ينتقض بالقول، بحر. (ولا بالإباء عن) أداء (الجزية)، بل عن قبولها، كما مرّ.

(﴿أَيِمَّةَ﴾ **بهمزتين: كوفي وشامي، الباقون: بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة**)، أصلها «أأممة» لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة، فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأُدغمت في الميم الأُخرى. فمن حقّق الهمزتين أخرجهما على الأصل، ومَن قلب الثانية ياء فلكسرتها ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ وإنما

ونقل العينيّ عن الواقعات قتله بالإباء عن الأداء، قال: وهو قول الثلاثة، لكن ضعّفه في البحر. (و) لا (بالزنى بمسلمة، وقتل مسلم) وإفتان مسلم عن دينه وقطع الطريق (وسبّ النبيّ ﷺ)؛ لأن كفره المقارن له لا يمنعه، فالطارىء لا يرفعه، فلو من مسلم قتل، كما سيجيء. (ويؤدّب الذمّيّ ويعاقب على سبّه دين الإسلام أو القرآن أو النبيّ) ﷺ، حاوي وغيره. قال العينيّ: واختار في السبّ أن يُقتل. اهـ. وتبعه ابن الهُمام. قلت: وبه أفتى شيخنا الخير الرمليّ، وهو قول الشافعي، ثم رأيت في معروضات المفتي أبي السعود أنه ورد أمر سلطاني بالعمل يقول: أئمّتنا القائلين بقتله إذا ظهر أنه معتاده، وبه أفتى ثم أفتى في بكر اليهوديّ، قال لبشر النصراني: نبيّكم عيسى ولد زنى بأنه يقتل لسبّه للأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. اهـ.

قلت: ويؤيّده أنّ ابن كمال باشا في أحاديثه الأربعينيّة في الحديث الرابع والثلاثين: «يا عائشة لا تكوني فاحشة»، ما نصه: والحقّ أنه يُقتل عندنا إذا أعلن بشتمه عليه الصّلاة والسّلام، صرّح في سير الذخيرة حيث قال: واستدلّ محمد لبيان قتل المرأة إذا أعلنت بشتم الرسول بما رُوي أنّ عمر بن عديّ لما سمع عصماء بنت مروان تؤذي الرسول، فقتلها ليلاً مدحه ﷺ على ذلك، انتهى فليُحفظ. اهـ بحروفه.

قوله: (﴿أَيِمَّةَ﴾ **بهمزتين كوفيّ**) أي عاصم وحمزة وعليّ الكسائي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة**). . . الخ. في السمين: قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أئمة﴾ بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا ألف بينهما، والكوفيّون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير إدخال ألف بينهما، وهشام كذلك، إلّا أنه أدخل بينهما ألفًا، هذا هو المشهور بين القرّاء السبعة، ونقل الشيخ عن نافع قارىء أهل المدينة

أثبت لهم الإيمان في قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ لأنه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينًا، ومعناه عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يوفون بها لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث. («لا إيمان» شامي) أي لا إسلام ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ متعلّق بـ ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ وما بينهما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم، وهذا من غاية كرمه على المسيء. ثم حرض على القتال فقال:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ التي حلفوها في المعاهدة ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتال والبادىء أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم، وبخهم بترك مقاتلتهم وحضّهم عليها، ثم وصفهم بما يوجب الحضّ عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب ﴿ٱلۡعِقَابِ﴾ توبيخ على الخشية منهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فاخشوه **(أي إن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه)** ولا يبالي بمن سواه. ولما وبّخهم الله على ترك القتال جرّد

وابن كثير قارىء أهل مكّة، وأبي عمرو بن العلاء رأس النحّاة البصريّين أنهم يُبدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نُقِل عن نافع المدني بينهما، أي بين الهمزة والياء. اهـ. وفي الإتحاف: ورد طعن الزمخشري ومَنْ تبعه كالبيضاوي، في وجه الإبدال. اهـ. **قوله:** («**لا إيمان**») بكسر الهمزة مصدر آمن (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالفتح جمع يمين، وأجمعوا على فتح الثانية.

قوله: (أي أن قضيّة الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلّا ربّه) القضية هنا بمعنى المقتضى، أي مقتضى إيمان المؤمن الذي يتحقّق أنه لا ضارّ ولا نافع إلّا الله، ولا يقدر أحد على مضرّة ونفع إلّا بمشيئة الله أن لا يخاف إلّا من الله، ومَنْ خاف الله خاف منه كل شيء والحصر من حذف متعلّق أحقّ المقتضى للعموم، أي أحقّ من كل شيء بالخشية، فلا ينبغي أن يخشى سواه.

لهم الأمر به بقوله:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤﴾

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ قتلًا ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ أسرًا ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يغلّبكم عليهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ طائفة منهم **(وهم خزاعة عيبة رسول الله ﷺ)**.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلًا على صحة نبوّته ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضًا، فقد أسلم ناس منهم **(كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل)**

قوله: (وهم خزاعة) هم حلف رسول الله ﷺ الذين عاهدوا قريشًا عام الحُدَيْبية على أن لا يُعينوا عليهم بني بكر، وكان فيهم قوم مؤمنون **(عَيْبَة رسول الله ﷺ)** أي موضع سرّه، وفي الحديث: «كانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مؤمنهم وكافرهم»، وهو في الأصل ظرف يجعل فيه الثياب. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي القاموس: الخزع كالمَنْع القطع كالتخزيع والتخلّف عن الصَّحب، والخزاعة القطعة تقتطع من الشيء، وبلا لام حيّ من الأزد سمُّوا لأنهم تخزّعوا عن قومهم، وأقاموا بمكّة. اهـ. قال مجاهد والسّديّ: أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم، ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبيّ ﷺ وأصحابه، رُوِيَ أنّ النبيّ ﷺ قال يوم فتح مكّة: «ارفعوا السّيف إلّا خزاعة من بني بكر إلى العصر»، ذكره البغوي رحمه الله.

قوله: (كأبي سفيان) صخر بن حرب، والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (عكرمة بن أبي جهل) الصحابي، ابن عدوّ الله، هو أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن

و(**سهيل بن عمرو**)، وهي ترد على المعتزلة قولهم: «إن الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم». ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان ﴿حَكِيمٌ﴾ في قبول التوبة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ «أم» منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (**أي بطانة**) من الذين يضادون رسول الله ﷺ والمؤمنين ولما معناها التوقع، وقد دلّت على أن تبين ذلك متوقع كائن، وأن الذين

يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشي المخزومي، وكان أبو جهل يُكنى في الجاهلية أبا الحكم فسمّاه النبيّ ﷺ أبا جهل، وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشدّ الناس عداوةً لرسول الله ﷺ، فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافرًا، وبَقِيَ عِكْرمة ثم هداه الله تعالى، فأسلم عكرمة بعد الفتح بقليل وحَسُن إسلامه، ثم كان من صالحي المسلمين، ولمّا أسلم قال: يا رسول الله، لا أدع مالًا أنفقته عليك إلا أنفقت في سبيل الله مثله، واستعمله النبيّ ﷺ على صدقة هوازن عام حجّة الوداع، وله في قتال أهل الرِّدّة أثرٌ عظيم. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث رضي الله تعالى عنه.

قوله: (سهيل بن عمرو) الصحابي، هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن ودّ بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ بن غالب القريشي العامري أحد سادات قريش وأشرافهم وخُطبائهم، أسره المسلمون يوم بدر وعلى يديه انبرم[1] الصلح يوم الحُديبية، ثم أسلم يوم الفتح، وهو والد أبي جندل رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (أي بطانة) أي صديقًا معتمدًا عليه.

---

(١) في المصباح: أبرمت العقد إبرامًا أحْكَمْته، فانْبَرَم.اهـ ١٢ منه عمّ فيضهم.

لم يخلصوا دينهم لله يميّز بينهم وبين المخلصين ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ﴾ معطوف على ﴿جَٰهَدُواْ﴾ داخل في حيّز الصلة كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك: «ما علم الله مني ما قيل فيّ». تريد ما وجد ذلك مني، والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من خير أو شر فيجازيكم عليه.

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ **(ما صحّ لهم)** وما استقام ﴿أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ **(«مسجد الله» مكيّ وبصريّ)** يعني المسجد الحرام، **(وإنما جمع في القراءة بالجمع لأنه قبلة)** المساجد وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد، ولأن كل بقعة منه مسجد، أو أريد جنس **(المساجد وإمامها)** وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس، وهو آكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول: «فلان لا يقرأ كتب الله» فإنه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ باعترافهم بعبادة الأصنام وهو حال من الواو في ﴿يَعۡمُرُواْ﴾ والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين

قوله: (ما صحّ لهم)، وإنّما لم يحمل على نفي الوجود، كما هو الظاهر، ليُطابق الواقع، فإنهم عمروها كما يدلّ عليه قوله الآتي، فلا وجه للحمل على نفي الوجود. **قوله: («مسجد الله»)** بالتوحيد **(مكّيّ)** أي ابن كثير المكّي **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بالجمع. **قوله: (وإنما جمع في القراءة بالجمع؛ لأنه قبلة المساجد)** حاصله: إنما جمع للتعظيم كالملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٢] الآية، ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٩] الآية. وجه التعظيم ما ذكره المصنّف رحمه الله. **(وإمامها)** بكسر الهمزة، جعل المسجد الحرام كالإمام للمساجد لتوجّه محاريبها إليه توجّه المقتدي لجهة إمامه، فيكون التعبير عنه بالجمع مجازًا، علاقته ما ذكر وأما فتح همزة إمامها فركيك مفوّت للمبالغة، والمعنى الذي قصده المصنف رحمه الله: فلا تغترّ بمن قال إنّ معناهما واحد.

عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ دائمون.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ عمارتها (رَمُّ ما استرم) منها (وقمها) وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا، لأنها بنيت للعبادة والذكر (ومن الذكر درس العلم) ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام (لما علم أن الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها، أو دلّ عليه بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾) وفي قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تنبيه على الإخلاص، (والمراد الخشية

قوله: (رَمُّ ما استرمّ) في مختار الصّحاح: رَمّ الشيء يَرِم - بضم الراء وكسرها - رمًّا ومَرَمَّة أصلحه. اهـ. **قوله:** (قمها) في المصباح: قم البيت قمًّا من باب قتل كنسه. اهـ. **قوله:** (ومن الذكر درس العلم) أي العلوم الشرعيّة دون العلوم المنسوبة إلى الفلاسفة، لا سيّما العلم الإلـهيّ. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله:** (لما علم أنّ الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها)، فإنه أينما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكره عليه الصّلاة والسّلام مقارنًا لذكره تعالى، فلما كانا مزدوجين صارا كأنما شيءٌ واحد غير منفكّ أحدهما عن صاحبه، فكان الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام مندرجًا تحت ذكر الإيمان بالله تعالى. **قوله:** (أو دلّ[١] عليه بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾)؛ لأن الصلاة لا تتمّ إلّا بالأذان والإقامة والتشهّد، وهذه الأشياء مشتملة على ذكر النبوّة، فاكتفى بذكر إقامتها عن ذكر الإيمان به عليه الصّلاة والسلام؛ لأن إقامتها تُوجب الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام، ولأن الصلاة والزكاة لما ذكرتا بلام العهد، والمعهود من الصلاة والزكاة عند المسلمين ليس إلّا الأعمال التي أتى بها رسول الله ﷺ، وإتيان تلك الأعمال يستلزم الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام. **قوله:** (والمراد الخشية

---

(١) بالدّلالة الاستلزامية، وجه الدّلالة أن إقامة الصلاة إنما يكون بتصديق مبلّغها، وكذا الكلام في سائر المبرّات. اهـ قنوي رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

في أبواب الدين) بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف، إذ المؤمن قد يخشى (المحاذير) ولا (يتمالك) أن لا يخشاها. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها: فأريد نفي تلك الخشية عنهم ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء و(حسم لأطماعهم) في الانتفاع بأعمالهم لأن ﴿عَسَىٰ﴾ كلمة إطماع، والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدًا بها عند الله دون مَن سواهم.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ السقاية والعمارة مصدران من (سقى) وعمر كالصيانة والوقاية، ولا بد من مضاف محذوف تقديره:

في أبواب الدّين)... الخ. جواب عمّا يقال: كيف قيل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: الآية ١٨]، والحال أنّ المؤمن يخشى مما يؤذيه ويضرّه، كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها، ولا يتمالك أن لا يخشى شيئًا منها؟

وتقرير الجواب: أنّ المعنى ـ والله أعلم ـ أنه تعالى إذا كلّف العبد بشيءٍ من الأُمور المتعلّقة بالدِّين كالحجّ والجهاد ونحوهما، وعرض له ما يمنعه من إقامة ذلك الأمر بأن يضرّه ويفوّت عليه شيئًا من حقوق نفسه على تقدير إقامة ذلك الأمر الذي كلّف به ينبغي أن لا يخاف مما يفوّت عليه حقّ نفسه، بل يجتهد في إقامة حقّ الله تعالى خوفًا من غضبه وعقابه ولا يختار على رضى الله رضى غيره خوفًا من ذلك الغير، كما قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ١٣]، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٥]، فإنّ الخوف من المضار النفسانيّة أمرٌ جبليّ لا محذور فيه، إنّما المحذور ترجيح حقّ نفسه على حقّ الله تعالى، وأن يجعل فوات حظّ نفسه كعذاب الله. **قوله:** (المحاذير) جمع محذور. **قوله:** (يتمالك) أي يقدر. **قوله:** (حسم) أي قطع (لأطماعهم) جمع طمع.

قوله: (سقى) من باب رمى. وعمر بالتخفيف من باب كتب؛ لأن عمر المشدّدة إنما يقال في عُمر الإنسان لا في العَمارة.

أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله. وقيل: المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة **(ابن الزبير «سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام»)** والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوي بينهم، وجعل تسويتهم ظلمًا بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما. نزلت جوابًا لقول العباس حين أسر **(فطفق)** علي ﷺ يوبخه بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا. فقيل: أو لكم محاسن؟ فقال: نعمر المسجد ونسقي الحاج و**(نفك العاني)**. وقيل: افتخر العباس بالسقاية و**(شيبة)** بالعمارة، وعليّ ﷺ بالإسلام والجهاد، فصدق الله تعالى عليًا.

قوله: (ابن الزبير)، أي عبد الله بن الزبير بن العوام هو أبو بكر، ويقال: أبو خُبيب ـ بضم الخاء المعجمة ـ القريشي الأسديّ المكّي المدنيّ الصحابي ابن الصحابي، وأمّه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنهما، وأبوه الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وحواريّ النبيّ ﷺ، وهو أوّل مولود وُلِد للمهاجرين في المدينة بعد الهجرة، وفرح المسلمون بولادته فرحًا شديدًا؛ لأن اليهود كانوا يقولون: قد سحرناهم، فلا يُولد لهم؛ فأكذبهم الله تعالى، فحنّكه رسول الله ﷺ بتمرٍ لاكَها، فكان ريق رسول الله ﷺ أوّل شيءٍ نزل في جوفه، وسمّاه عبد الله، وكناه أبا بكر بكنية جدّه أبي بكر الصديق، وسمّاه باسمه. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثًا، اتّفقوا على ستّة، وانفرد مسلم بحديثين. رَوَى عنه أخوه عروة وابن مُليكة وعباس بن سهل وثابت البناني وعطاء وعبيدة السلماني وخلائق آخرون.

قوله: (سقاة الحاجّ) ـ بضم السين ـ جمع ساقٍ، **(وعَمَرة المسجد الحرام)** ـ بفتحتين ـ جمع عامر. **قوله: (طَفِقَ)** أي جعل. **قوله: (نفك العاني)** أي الأسير والفكّ الإطلاق.

قوله: (شيبة) بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ القريشي العبدري الحجبي من أهل مكّة، يُكنى أبا عثمان، وقيل: أبا صفيّة، وأبوه عثمان يُعرف بالأوْقص قتله عليّ يوم أُحد كافرًا، وأسلم شيبة يوم الفتح، وقيل: أسلم يوم حنين، وكان شَيْبة من خيار المسلمين ودفع له رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة وإلى ابن عمّه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقال:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أولئك ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ من أهل السقية والعمارة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ لا أنتم والمختصون بالفوز دونهم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ («يَبْشُرهم» حمزة) ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾ تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف ﴿لَّهُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿نَعِيمٌ (مُّقِيمٌ﴾ دائـــم) . ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ لا ينقطع. لما أمر الله النبيّ ﷺ بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم مَن يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم مَن تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي آثروه (واختاروه) ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي ومَن يتول الكافرين

«خذوها خالدة مخلّدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني أبي طلحة، لا يأخذها منكم إلّا ظالم»، وهو جدّ هؤلاء بني شَيْبة الذين يَلُون حِجابة البيت الذين بأيديهم مفتاح الكعبة إلى يومِنا هذا. توفي سنة تسع وخمسين، وقيل: بل توفّي أيام يزيد بن معاوية وذكره بعضهم في المؤلّفة وحَسُن إسلامه. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: («يَبْشُرهم») بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشين والتخفيف من الثلاثيّ، (**حمزة**) والباقون بضمّ الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة. **قوله:** (﴿مُّقِيمٌ﴾ **دائم**) يعني أن المقيم استعارة للدّائم. اهـ شهاب رحمه الله..

قوله: (**واختاروه**) عطف تفسير.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقاربكم و(«عشيراتكم» أبو بكر) ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ فوات وقت (نفاقها) ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ والآية (تنعي) على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين، إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. وقيل: إن المواطن التي نصر الله فيها النبيّ عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنًا، ومواطن الحرب مقاماتها و(مواقفها) ﴿وَيَوْمَ﴾ أي واذكروا يوم (﴿حُنَيْنٍ﴾ وادٍ بين مكة والطائف) كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفًا، وبين (هوازن وثقيف) وهم أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: (لن نغلب اليوم من قلّة، فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام) ﴿إِذْ﴾ بدل من

قوله: («عشيراتكم») بالألف بعد الراء جمع سلامة؛ لأن لكلّ منهم عشيرة (أبو بكر) شعبة عن عاصم رحمه الله. والباقون بغير ألف على الإفراد، أي عشيرة كلّ منكم. **قوله:** (نفاقها) ـ بفتح النون ـ بمعنى رواجها، والرَّواج ضدّ الكساد. **قوله:** (تنعي) أي تخيّر.

قوله: (مواقفها) بقاف بعدها فاء، أي محلّ مضاف الحرب والوقوف لها. **قوله:** (﴿حُنَيْنٍ﴾ وادٍ بمكّة والطائف) على ثلاثة أميال من مكّة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (هوازن وثقيف) هما قبيلتان معروفتان. **قوله:** (لن نُغلب اليوم) ـ مجهول ـ (من قلّة) من أجلها صفة لمحذوف أي لن نُغلب اليوم غَلَبة ناشئة من قلّة، والمراد إثبات الغَلَبة بالكثرة كناية. **قوله:** (فساءت رسول الله ﷺ)، وإنما ساءته عليه الصّلاة والسّلام تلك الكلمة لأن فيها اعتمادًا على الكثرة واعتبارًا لها، ولا يليق بهم الاعتماد إلّا على الله ونصرته، فلذلك أعلمهم الله تعالى بقوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ

﴿يَوۡمَ﴾ ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزلّ عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ **(فلّهم)** مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت **(في مركزه)** ليس معه إلا عمه العباس آخذًا بلجام دابته، **(وأبو سفيان)** بن الحارث ابن عمه آخذًا بركابه فقال للعباس: «**(صِحْ)** بالناس» وكان **(صيّتا)**، فنادى: **(يا أصحاب الشجرة)** فاجتمعوا وهم يقولون: لبيك، لبيك نزلت الملائكة عليهم الثياب **(البيض)** على

كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: الآية ٢٥] أنهم ليسوا بكثرتهم يغلبون، وإنما يغلبون بنصر الله إيّاهم، فلما نظروا في ذلك اليوم إلى كثرتهم انهزموا ثم تداركهم بنصره حين التجؤوا إليه تعالى وتضرّعوا. **قوله: (فلّهم)** الفَلّ ـ بفتح وتشديد ـ المُنهزم يقع على الواحد وغيره. **قوله: (في مركزه)** أي مقرّه ومحلّه الأوّل. **قوله: (وأبو سفيان)** بن الحارث ابن عمّه ﷺ، فإنه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، واختلفوا في اسمه، فقال هشام بن الكلبيّ وإبراهيم بن المنذر والزبير بن بكّار وغيرهم: اسم أبي سفيان هذا المغيرة، وقال آخرون: اسمه كنيته لا اسم له غيره، وهو أخو النبيّ ﷺ من الرّضاعة، أرضعتهما حليمة، وكان يشبه النبيّ ﷺ هو وجعفر بن أبي طالب والحسن بن عليّ وقثم بن العباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكان شاعرًا أسلم وحَسُن إسلامه وشَهِد مع النبيّ ﷺ حُنينًا وأبلى فيها بلاء حسنًا، وهو من فُضلاء الصحابة، وقال أبو سفيان عند موته: لا تبكوا عليّ، فلم أفعل خطيئة منذ أسلمت. توفي بالمدينة سنة عشرين، وصلّى عليه عمر بن الخطاب، وقيل: توفي سنة خمس عشرة ﷺ.

قوله: (صِحْ) أمر من الصَّيْحة بوزن بع. **قوله: (صيّتا)** بتشديد الياء، أي جهوري الصوت شديده، وهو بيان لسبب تخصيصه بالأمر. **قوله: (يا أصحاب الشجرة)** المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية ١٨]، كأنه رضي الله تعالى عنه قصد بها النداء تذكيرهم ببيعتهم والتنبيه على أن مَنْ كان حاله هذا، فكيف يفرّ مع أنّ النبيّ ﷺ في مركزه. **قوله: (البيض)** في المصباح: شيء أبيض ذو بياض، وهو اسم فاعل، والأُنثى بيضاء، والجمع بيض، والأصل بضمّ الباء لكن كُسرت لمجانسة الياء. اهـ

(**خيول بلق**)، فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال: «انهزموا ورب الكعبة» فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذٍ «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية والباء بمعنى «مع» أي مع رُحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك: «دخلت عليه بثياب السفر» أي متلبسًا بها، والمعنى لم تجدوا موضعًا لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ثم انهزمتم.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة أو ستة عشر ألفًا ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر و(**سبي النساء والذراري**) ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ وهم الذي أسلموا منهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ بستر كفر العدو بالإسلام ﴿رَّحِيمٌ﴾ بنصر الولي بعد الانهزام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي ذوو (**نجس**) وهو مصدر، يقال: نجس نجسًا و(**قذر وقذرًا**) لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم

باختصار. **قوله: (خيول)** جمع خيل. **قوله: (بلق)** في مختار الصحاح: البُلَق سواد وبياض، وكذا البُلْقة ـ بالضم ـ يقال: فرس أبْلق وفرس بَلْقاء. اهـ.

قوله: (سبي النساء) السَّبي الأسر **(والذّراري)** جمع ذرية.

قوله: (نجس) ـ بالكسر ـ نَجَسًا ـ بفتحتين ـ **قوله: (قذر وقذرًا)** من باب تَعِب.

لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾) فلا يحجّوا ويعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبو بكر ﷺ على الموسم، ويكون المراد من نهي القربان النهي عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام

قوله: (﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾) قيل: المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد، وقيل: جميع الحرم، وهو الأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: الآية ٢٨]؛ وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد، فلو كان المقصود من هذه الآية المَنْع من المسجد خاصّة لَمَا خافوا بسبب هذا المَنْع، وإنّما يخافون العيلة إذا مُنِعوا من حضور الأسواق والمواسم، يؤكّد هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: الآية ١]، مع أنّهم أجمعوا على أنه إنما رُفِع الرسول عليه الصّلاة والسلام من بيت أُمّ هانىء، ويؤيّده قوله عليه السلام: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»، وهي من أقصى عدن أبْيَن إلى ريف العراق طولًا، ومن جدّة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضًا. واعلم أن جملة بلاد الإسلام في حقّ الكفار ثلاثة أقسام: القسم الأول الحرم، فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمّيًا كان ومستأمنًا؛ لظاهر هذه الآية: وإذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام، والإمام في الحرم لا يأذن له في دخوله، بل يبعث إليه مَنْ يسمع رسالته خارج الحَرَم، وإن دخل مُشرك في الحرم متواريًا فمرض فيه أخرجناه مريضًا، وإنْ مات ودُفِن ولم نعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن، هذا مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه. وجوّز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحَرَم، وإنما يُمْنع من الحجّ والعمرة. والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز، فيجوز للكافر دخولها بالإذن، ولكن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيّام لِمَا رُوِيَ عن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَئِنْ عشت إلى قابل لأُخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلّا مسلمًا»، فمضى رسول الله ﷺ وأوصى، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، فلم يتفرّغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته، وأجّل لمن يقدم منهم تاجرًا ثلاثًا. والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام

وسائر المساجد عندنا، وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره. (**وقيل: نهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه**) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي (فقرًا) بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من (الإرفاق) والمكاسب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر (حجيج) الإسلام (﴿إِن شَآءَ﴾) هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال إليه

يجوز للكافر أن يُقيم فيها بذمّة أو أمان، ولكن لا يدخل المساجد إلّا بإذن مسلم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (وقيل: نهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه)، قال صاحب الكشاف: وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحَرَم كلّه، وأنّ على المسلمين أن لا يمكّنوهم من دخوله، ونهي المشركين عن أن يقربوا راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه. وقيل: المراد أن يُمنعوا عن تولّي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويفرقوا عن ذلك، هذا لفظه.

ويُفهم منه أنّ للآية محملًا سوى الحَمْل على الحجّ والعمرة، أعني المَنْع عن التولّي، وعلى كِلَيْهما يُمكن حَمْل عبارة الهداية وإنْ كان بعيدًا بحسب اللفظ، حيث قال: ولنا أنّ النبيّ ﷺ أنزل وفد ثقيف في مسجده وهم كفّار، ولأن الخبث في اعتقاده، فلا يؤدّي إلى تلويث المسجد، والآية محمولة على الحضور استيلاء واستعلاء أو طائفين عُراة، كما كانت عادتهم في الجاهلية، هذا لفظه. فقوله: استيلاء واستعلاء إشارة إلى الوجه الأخير، وقوله: أو طائفين عُراة إلى الوجه الأخير، وقوله: أو طائفين عراة إلى الوجه الأوّل، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (فقرًا) أي عيلًا مِنْ عال، بمعنى افتقر. قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: الآية ٨]. **قوله:** (**الإرفاق**) جمع رفق، وهو المنفعة. **قوله:** (**حجيج**) جمع حاجّ. **قوله:** (﴿إِن شَآءَ﴾) قيّده بالمشيئة، مع أن القيد بها ينافي ما هو المقصود من الآية، وهو إزالة خوفهم من العَيْلة لفوائد، الفائدة الأُولى: أن لا يعتمد على حصول هذا المطلوب الموعود، بل يكون الإنسان أبدًا متضرّعًا إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات. والثانية: أنّ الإغناء الموعود ليس يجب

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تحقيق آمالكم، أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب.

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ لأن اليهود مثنيّة والنصارى مثلثة ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لأنهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا أكل في الجنة ولا شرب ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنّة، أو لا يعملون بما في التوراة والإنجيل ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ ولا يعتقدون دين الإسلام الذي هو الحق. يقال: فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بيان للذين قبله، وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية، وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما رُوِيَ (الزهري) أن النبيّ ﷺ صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا مَن كان من العرب (﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾) إلى أن يقبلوها، وسميت جزية لأنه مما يجب على

عليه تعالى، بل هو متفضّل به في ذلك، ولا يتفضّل به إلّا عن مشيئته وإرادته. والثالثة: التنبيه على أن الموعود ليس بموعود بالنسبة إلى جميع الأشخاص، بل بالنسبة إلى جميع الأمكنة والأزمان، وكان إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لاحظ هذه الحكمة في دعائه بقوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: الآية ١٢٦]، فإنّ مَنْ التبعيضيّة في ذلك الدعاء بمنزلة قَيْد إنْ شاء في هذا الوعد. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (الزهريّ)، هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشي الزهري المدني، وهو تابعيّ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾)... الخ. ولمّا كان هٰهنا بيان الجِزْية، لا بدّ من بيان قدرها، وبيان مَن يجب عليه، ومَنْ لا يجب عليه؛ فاعلم أنه قد ذُكِر في كتب الفقه أنّ الجِزْية نوعان: جزية يقع عليها الاتّفاق والصّلح، فيقدّر بحسب ذلك. وجزية يبتدىء الإمام بوضعها، وذلك على الغني ثمان وأربعون درهمًا يأخذ في كل شهر أربعة دراهم؛ وعلى المتوسّط نصفها، وهو أربعة وعشرون درهمًا؛ وعلى فقير يكسب ربعها، وهو اثنا عشر درهمًا، أو لا يجب على فقير لا يكسب ولا على

أهلها أن يجزوه أي يقضوه، أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تذليل ﴿عَن يَدٍ﴾ أي عن يدٍ (**مواتية**) غير ممتنعة ولذا قالوا: أعطى بيده إذا انقاد، وقالوا: نزع يده عن الطاعة. أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدًا غير نسيئة لا مبعوثًا على يدِ أحد ولكن عن يدي المعطي إلى يد الآخذ ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي تؤخذ منهم على (**الصغار والذل**) وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيًا غير راكب، ويسلمها وهو قائم، والمتسلم جالس، وأن (**يتلتل**) تلتلة و(**يؤخذ بتلبيبه ويقال له: أدِّ**) الجزية (**يا ذميّ**) وإن كان يؤديها و(**يزخ في قفاه**) وتسقط بالإسلام.

صبي وامرأة ومملوك وأعمى وزَمِن وراهب لا يخالط. وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه: أقلّ الجزية في كل سنة، دينار، سواء فيه الغنيّ والفقير، فيجب على كلٍّ منهما هذا المقدار على السواء، نصّ به في البيضاوي. ودلائل كل ذلك مذكورة في موضعها بتمامها. **قوله: (مواتية)** بالمثناة الفوقيّة من المواتاة، بمعنى الموافقة. **قوله: (الصَّغار)** - بالفتح - الذلّ. **قوله: (الذل)** - بضمّ - ضدّ العزّ. **قوله: (يتلتل)** تلتلة في مختار الصحاح: تلتله زعزعه وأقلعه وزلزله. **قوله: (يؤخذ بتلبيبه)** في لسان العرب: التلبيب من الإنسان ما في موضع اللَّبَب من ثيابه، ولبب الرجل جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قبضه وجرّه وأخَذَ بتلبيبه كذلك، وهو اسم كالتمتين. التهذيب: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجرّه. اهـ. **قوله: (ويقال له: أدِّ يا ذمّي)** ذكر في كتب الفقه: أنه ميّز الذمّي في زيّه ومركبه وسرجه وسلاحه، فلا يركب خيلًا ولا يعمل بسلاح ويظهر الكستي، وهو الخيط الذي يكون معهم، ويركب على سرج كإكاف، ومُيِّزت نساؤهم في الطريق لئلا تشتبه بنساء المسلمين، ويُعلّم على دورهم، أي يجعل على بيوتهم كَيْلا يتوهّم السائل أنّه بيت المسلم، فيستغفر له؛ فانظروا يا أيها المؤمنون هل في هذا الزّمان ذمّيّ؟ وتفكّروا يا أيها المسلمون إن هم إلا حربيّ وما يعقلها إلّا العالمون، وقد طال الكلام في زماننا في بيان الذمّيّ والحربيّ بالإفراط والتفريط، والحقّ ما بيّنه بعض مشائخنا سلّمه الله تعالى في بعض رسائله، فطالِعه إن شئت، وقد ذكر في تحقيقهما الأعظم الثاني كلامًا لا مزيد عليه، فليرجع إليه. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: (يزخ في قفاه)** في لسان العرب: زخّ في قفاه يزخّ زخَاء دفع، وقال ابن دريد: كل دفع

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ (كلهم أو بعضهم) ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر كقوله: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وعزير اسم أعجميّ، ولعجمته وتعريفه

زَخّ. اهـ.

قوله: (كلّهم أو بعضهم) روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، والنعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلتنا، وأنت لا تزعم أن عُزير ابن الله؟ فأنزل الله هذه الآية. وقال عُبيد بن عُمَيْر: إنما قال هذه المقالة رجل واحِد من اليهود اسمه فِنْحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: إنّ الله فقير، ونحن أغنياء؛ فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد، وإنما نُسِب ذلك إلى اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [التوبة: الآية ٣٠] جريًا على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد، تقول العرب: فلان يركب الخيل، وإنما يركب فرسًا واحدًا، وتقول العرب: فلان يجالس الملوك، ولعلّه لم يُجالِس إلا واحدًا منهم، ورَوى عطيّة العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إنما قالت اليهود ذلك من أجل أنّ عزيرًا كان فيهم، وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعَمِلوا بغير الحقّ، فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يردّ إليه التوراة، فبينما هو يصلّي مُبتهلًا إلى الله عزّ وجلّ نزل نورٌ من السماء، فدخل جوفه، فعادت إليه، فأذن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردّها إليّ، فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إنّ التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلّمهم عُزير على ما في التابوت، فوجدوه مثله، فقالوا: ما أُوتي عزير هذا إلّا أنه ابن الله. وقال الكلبي: إن بخت نصّر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وقتل مَنْ قرأ التوراة كان عُزَيْرًا إذ ذاك صغيرًا فلم يقتله لصغره، فلمّا رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم مَنْ يقرأ التوراة بعث الله لهم عُزيرًا ليجدّد لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة

امتنع صرفه، (ومن نوَّنَ. وهو عاصم وعلي ـ فقد جعله عربيًا ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي قـــــــول لا

سنة. قال: فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره، فلمّا أتاهم قال: أنا عزير، فكذّبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم، فأَمْلِ علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إنّ رجلًا منهم قال: إنّ أبي حدّثني عن جدّي أنّ التوراة جُعِلت في خابية ودُفِنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعارَضُوها بما كَتَبَ لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفًا، فقالوا: إنّ الله لم يقذف التوراة في قلب عُزير إلّا أنه ابنه؛ فعِنْد ذلك قالت اليهود: عزير ابن الله؛ فعلى هذين القولين أنّ هذا القول كان فاشيًا في اليهود جميعًا، ثم إنه انقطع وانْدَرَس، فأخبر الله به عنهم وأظهره عليهم، ولا عِبْرة بإنكار اليهود ذلك، فإنّ خبر الله عزّ وجلّ أصدق وأثْبَت من إنكارهم. اهـ خازن.

قوله: (**ومن نوّن**) أي قرأ بالتنوين مكسورًا على الأصل، (**وهو عاصم وعليّ**) الكسائيّ، وكذا يعقوب البصريّ، وليس من السبعة (**فقد جعله عربيًا**) من التعزير، وهو التعظيم، فهو اسم أمكن، والباقون بغير تنوين. **قوله:** (﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾) قال في الخازن: وأمّا قول النصارى المسيح ابن الله، فكان السّبب فيه أنهم كانوا على الدِّين الحقّ بعد رفع عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام إحدى وثمانين سنة يصلّون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام، ثم قال بولص لليهود: إنْ كان الحقّ مع عيسى، فقد كفَرْنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنّة، فإنّي سأحتال وأضلّهم حتى يدخلوا النار معنا. ثم إنّه عمد إلى فرسٍ كان يقاتل عليه، فعرقبه وأظهر النّدامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عدوّكم بولص، فقد نُودِيت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تتنصّر، وقد تُبت وأتيتكم، فأدْخَلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتًا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلّم الإنجيل، ثم خرج وقال: قد نُوديت أنّ الله قبل توبتك، فصدَّقوه وأحبّوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عمد إلى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم: نسطور، والآخر يعقوب، والآخر ملكان؛ فعلّم نسطور أنّ

(ويعضده) برهان ولا يستند إلى بيان، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته **(كالألفاظ المهملة)** ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولُهم قولَهم، ثم حذف المضاف وأُقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعًا يعني أن الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث، أو الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قول اليهود ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ لأنهم أقدم منهم (﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ **عاصم**). وأصل المضاهاة

عيسى ومريم والإلٰه ثلاثة، وعلّم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان، ولكنه ابن الله، وعلَّم ملكان أنّ عيسى هو الله لم يزل ولا يزال؛ فلما استمكن ذلك فيهم دعا كلّ واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالصتي وادع الناس لما علّمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحيةٍ من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رَضِيَ عنّي، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرّبًا إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه، وتفرّق أُولئك الثلاثة؛ فذهب واحد إلى الرّوم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرّقوا واختلفوا ووقع القتال، فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله.

وقال الإمام فخر الدّين الرازي رحمه الله، بعد أن حكى هذه الحكاية: والأقرب عندي أن يقال: لعلّه ذكر لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل في حقّ إبراهيم على سبيل التشريف، فبالغوا وفسّروا لفظ الابن بالبنوّة الحقيقيّة، والجُهّال قَبِلُوا ذلك منهم، وفَشَا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، والله أعلم بحقيقة الحال. اهـ.

قوله: (ويعضده) أي يعينه. **قوله: (كالألفاظ المهملة)**، فإن القول بأنّ له تعالى وَلَدًا ليس له معنى يقبله العقل للعلم بأنه تعالى مُنزَّه عن الحاجة والشّهوة والصَّاحبة، فما هو إلّا مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمل. **قوله: (﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾)** بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها واو **(عاصم)**، والباقون بضمّ الهاء وواو بعدها، فهما بمعنى واحد، وهو المشابهة، وفيه لغتان: ضاهأت وضاهيت.

قوله: (امرأة ضَهْياء) بالمدّ كحمراء. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق

المشابهة، والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم («امرأة ضهياء») وهي التي أشبهت الرجال بأنها لا تحيض كذا قاله (الزجاج)، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي هم (أحقاء) بأن يقال لهم هذا ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾ أي أهل الكتاب (﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ **علماؤهم** ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾ **نساكهم**) ﴿أَرْبَابًا﴾ آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله كما يُطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عطف على ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ أي اتخذوه ربًا حيث جعلوه ابن الله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾ يجوز الوقف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء يصلح وصفًا لواحدًا ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيه له عن الإشراك.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد ﷺ بالتكذيب

إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله. **قوله:** (أحِقّاء) جمع حقيق، بمعنى خليق، أي لائق.

قوله: (﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ **علماؤهم** ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾ **نساكهم**) الأحبار جمع حَبْر، وقيل: جمع حِبْر ـ بالكسر ـ وقيل: هما لغتان بمعنًى، وهو الفقيه العالم ذميًّا كان أو مسلمًا، بعد أن يكون مِنْ أهل الكتاب. قال أهل المعنى: الحِبْر العالم الذي صناعته يحبر المعاني بحُسْن البيان عنها، والرّاهب الذي تمكّنت الخشية والرّهبة من قلبه وظهرت آثار الرّهبة على وجهه ولسانه، فصار الأحبار مختصًا بعلماء اليهود من ولد هارون على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، والرهبان بعلماء النصارى أصحاب الصوامع. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

بحال مَن يريد أن ينفخ في (**نور عظيم منبثّ**) في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطفئه بنفخه. (**أجرى** ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ **مجرى** «**لا يريد الله**») ولذا وقع في مقابله ﴿يُرِيدُونَ﴾ وإلا لا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيدًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا عليه السلام ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام (﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ **ليعليه** ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر

قوله: (نورٌ عظيم) مُستفاد من إضافة النور إلى الله تعالى. **قوله:** (منبثّ) أي منشر. **قوله:** (**أجرى** ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ **مجرى** «**لا يريد الله**») . . . الخ. يعني الاستثناء المفرغ، وإن اختصّ بالنفي إلّا أنه قد يُمال مع المعنى القرائن ومناسبة المقامات، فيجري بعض الإجابات مجرى النفي في صحة التفريغ معها؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٩]، وهذا ما يقال: إنه لا يجري في الإثبات إلّا أن يستقيم المعنى، ولو اكتفى بمجرّد جعل المثبت بمعنى نفي مقابله لجرى في كل مثبت ككرهت بمعنى ما أردت، وأبغضت بمعنى ما أجبت، وهكذا.

قوله: (﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ **ليعليه** ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) قال أبو هريرة والضحاك رضي الله عنهما: ذلك عند نزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، فلا يبقى أهل دين إلّا دخلوا في الإسلام، ويدلّ على صحة هذا التأويل ما رُوِيَ عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، قال: قال النبيّ ﷺ: «ويهلك في زمانه المِلل كلّها إلّا الإسلام»، وأخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللّات والعُزّى»، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أظنّ حين أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبَة: الآية ٣٣] أنّ ذلك تامّ، قال:

دين الحق على كل دين ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ استعار الأكل للأخذ ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي **(بالرّشا)** في الأحكام ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ **(سفلتهم)** ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم: أخذ الرشا وكنز الأموال و**(الضنّ)** بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يُراد المسلمون الكانزون غير المنفقين، ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظًا. وعن النبيّ ﷺ: «ما أُدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنًا، وما بلغ أن يزكي فلم يزكَّ فهو كنز وإن كان ظاهرًا» ولقد كان كثير من الصحابة ﷺ **(كعبد الرحمٰن بن عوف)**

«إنه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحًا طيّبة تتوفّى كلَّ مَنْ كان في قلبه مثقال حبّة من خردل مِنْ إيمان، فيبقى مَنْ لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم».

قوله: (بالرّشا) جمع رشوة. في المصباح: الرّشوة ـ بالكسر ـ ما يُعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد، وجمعها رشى مثل سدرة وسدر، والضم لغة، وجمعه رُشًى ـ بالضم أيضًا ـ ورشَوْته رَشْوًا من باب قتل: أعطَيْته رشوة فارْتَشى، أي أخذ. اهـ. **قوله: (سَفَلتهم)** في مختار الصحاح: السَّفِلة ـ بكسر الفاء ـ السُّقاط من الناس، يقال: هو مِنَ السَّفِلة ولا تقل: هو سَفِلة؛ لأنها جمع، والعامّة تقول: رجل سَفِلة من قوم سَفِل، وبعض العرب يخفّف، فتقول: فلان من سِفْلة الناس، فتُنْقل كسرة الفاء إلى السِّين. اهـ. **قوله: (الضّنّ)** في مختار الصِّحاح: ضَنَّ بالشيء يضَنّ ـ بالفتح ـ ضِنًّا ـ بالكسر ـ وضَنانة ـ بالفتح ـ أي بخل، فهو ضَنِين. اهـ.

قوله: (كعبد الرحمٰن بن عوف) الصحابي، هو أبو محمّد عبد الرحمٰن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة القريشي الزهريّ المدنيّ، كان اسمه في الجاهليّة عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وأمّه الشّفا بنت عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وُلِد بعد الفيل بعشر سنين. أسلم عبد الرحمٰن قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهو أحد الثمانية السابقة إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الستّة الذين هم أهل شورى الذين

و(طلحة يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية، لأن الإعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح) لا يذم صاحبه ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ

أوصى إليهم عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنهم بالخلافة، وقال: إنّ رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، وكان من المهاجرين الأوّلين، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشَهِد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبَيْعة الرّضوان وسائر المشاهد، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يوم إحدى وثلاثين عبدًا. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وستّون حديثًا، اتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاريّ بخمسة. رَوَى عنه ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وجُبير بن مطعم وغيرهم من الصحابة وخلائق من التابعين منهم بَنُوه إبراهيم وحميد ومصعب بنو عبد الرحمٰن. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين، وقيل: خمس وسبعين، وقيل: ثمانٍ وسبعين. ودُفِن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (طلحة) بن عبيد الله الصحابي، أحد العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وسمّاه رسول الله ﷺ طلحة الخير وطلحة الجُود، وهو من المهاجرينَ الأوّلين، ولم يشهد بدرًا، ولكن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره كمن حضر، وشَهِد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذا ذكر أحدًا قال: ذلك يوم كان كلّه لطلحة. رُوِيَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثًا، اتّفقا منها على حديثين، وانْفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة. قُتِل رضي الله تعالى عنه يوم الجمل لعشرٍ خلَوْن من جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثلاثين، وهذا لا خلاف فيه، وكان عمره أربعًا وستّين سنة، وقيل: ثمانيًا وخمسين، وقيل: اثنين وستّين، وقبره بالبصرة مشهور يُزار ويُتبرّك به. رَوَى عنه بَنُوه موسى وعيسى ويحيىٰ وعامر بن سعد وخلائق غيرهم من التابعين رضي الله تعالى عنهم. **قوله: (يقتنون الأموال ويتصرّفون فيها وما عابَهم أحد ممَن أعرض عن القنية؛ لأن الإعراض اختيار للأفضل، والاقتناء مباح)**...

﴿ٱللَّهِ﴾ الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهما دنانير ودراهم، فهو كقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: الآية ٩]. أو أُريد الكنوز والأموال، أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله:

(فإني وقيار بها لغريب)

وقيار كذلك. وخصا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما **(قانون التموّل)** وأثمان الأشياء. وذكر كنزهما دليل على ما سواهما ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الخ. في مختار الصّحاح: قنوت الغنم وغيرها قِنْوة وقَنَيْتُها أيضًا قِنْية ـ بكسر القاف وضمّها فيهما ـ إذا اقْتَنيْتَها لنفسك لا للتجارة، واقْتِناء المال وغيرها اتّخاذه. اهـ. **قوله:**

(فإني وقيار بها لغريب)

أوّله:

فمَنْ يكُ أمسى بالمدينةِ رَحْله

وهو لضابىء بن الحارث البُرْجميّ، وقَيّار قيل: هو اسم جمل ضابىء بن الحارث، وقيل: هو اسم لفرسه، يقول: مَنْ كان بالمدينة بيته ومنزله فلست منها ولا لي بها منزل، وكان عثمان رضي الله تعالى عنه حبسه لفرية افتراها، وذلك أنه استعار كلبًا من بعض بني نَهْشل يقال له قرحان، فطال مَكْثه عنده وطلبوه، فامتنع عليهم فعرضوا له وأخذوه منه فغضب فرمى أُمّهم بالكلب، وله في ذلك شعر معروف، فاعتقله عثمان وحبسه إلى أنْ مات عثمان رضي الله تعالى عنه، وكان همّ بقتل عثمان لما أمَرَ بحبسه، ولهذا يقول:

هَمَمْتُ ولم أفعل وكدت ولَيْتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

اهـ لسان العرب.

قوله: (قانون التموّل) القانون لفظ رومي معرب جمعه قوانين، وهو في الأصل بمعنى المسطر، ثم استعمل بمعنى الأصل. اهـ شهاب رحمه الله.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ومعنى قوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أن النار تحمى عليها أي توقد، وإنما ذكر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور، أصله يوم تحمى النار عليها، فلما حذفت النار قيل: ﴿يُحْمَىٰ﴾ لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول: «رفعت القصة إلى الأمير» فإن لم تذكر القصة قلت: «رفع إلى الأمير» ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وخصّت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير **(عبسوا)**، وإذا ضمّهم وإياه مجلس **(ازورُّوا)** عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم، أو معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ **(أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه، أو وبال كونكم كانزين)**.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ من غير زيادة، والمراد بيان أن أحكام الشرع تبتني على الشهور القمريّة المحسوبة بالأهلة دون الشمسية ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما أثبته وأوجبه من حكمته أو في اللوح ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

قوله: (عبسوا) بابه جَلَس. **قوله: (ازورُّوا)** فعل ماض من باب احمر احمرارًا، والازْوِرار الانحراف، أي انحرفوا وعَدلوا.

قوله: (أي وبال المال الذين كنتم تكنزونه) إشارة إلى موصوليّة ما، وتقدير العائد بتقدير المضاف.

قوله: (أو وبال كونكم كانزين) إشارة إلى أنّ ما مصدريّة، وقدّر المضاف؛ إذ نفس الكنز ليس بمذوق.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ **(ثلاثة سرد: ذو القعدة)** للقعود عن القتال، و**(ذو الحجة)** للحج، **(والمحرم)** لتحريم القتال فيه، وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه أي لتعظيمه ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ أي الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعني أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ في الحرم أو في الاثني عشر ﴿أَنفُسَكُمۡۚ﴾ بارتكاب المعاصي (﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾) حال من الفاعل أو المفعول ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ جميعًا ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي ناصر لهم حثّهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها.

قوله: (ثلاثة سرد) أي متوالية من سرْد[1] العدد تابعَه. **قوله:** (ذو القعدة) بكسر القاف وفتحها. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (ذو الحِجّة) بكسر الحاء.

قوله: (والمحرم) لا يستعمل بغير الألف لكونه علمًا بالغَلَبة، ولا يجوز في الأعلام التصرّف والتغيّر.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾)... الخ. اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحُرُم، فقال قوم: كان كبيرًا حرامًا ثم نُسِخ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ [التوبَة: الآية ٣٦]، يعني في الأشهر الحُرُم وفي غيرهنّ، وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهريّ وسفيان الثوري، قالوا: لأنّ النبيّ ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفًا بالطائف وحاصرهم في شوّال وبعض ذي القعدة، وقال آخرون: إنه غير منسوخ. قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحلّ للناس أن يغزوا في الحَرَم ولا في الأشهر الحُرُم، وما نُسِخت إلّا أن يُقاتَلوا فيها. اهـ خازن.

---

(١) في المصباح: سردت الحديث سَرْدًا من باب قتل، أتَيْتُ به على الولاء، وقيل لأعرابيّ: أتعرف الأشهر الحُرُم؟ فقال: ثلاثة سُرُد وواحد فَرْد. اهـ منه. عمّ فيضهم.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

(﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ **بالهمزة**) مصدر نسأه إذا أخره، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر. وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شقّ عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرًا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم (﴿يُضَلُّ﴾ **كوفي غير أبي بكر**) ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالنسيء. والضمير في ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ للنسيء أي إذا أحلّوا شهرًا من الأشهر الحرم عامًا رجعوا فحرموه في العامل القابل ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ليوافقوا العدّة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين. واللام تتعلق بـ ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ و«يحرمونه» (**أو بـ «يحرمونه»**) فحسب (**وهو الظاهر**) ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي فيحلوا بمواطأة العدّة وحدها من غير تخصيص ما حرّم الله من القتال، أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ زيّن الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ حال اختيارهم الثبات على الباطل.

قوله: (﴿ٱلنَّسِىٓءُ﴾ **بالهمزة**) المضمومة الممدودة بعد الياء، وهو قراءة الجمهور. وقرأ ورش بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قبلها فيها، فيصير اللفظ بياء مشدّدة. **قوله:** (﴿يُضَلُّ﴾) بضم الياء وفتح الضاد مبنيًا للمفعول من أضل معدّى ضلّ (**كوفيّ غير أبي بكر**) شعبة عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ يعقوب بضمّ الياء وكسر الضاد مبنيًا للفاعل من أضلّ، وفاعل يضلّ ضمير الباري تعالى، أو الذين كفروا والمفعول محذوف، أي أتباعهم. والباقون بفتح الياء وكسر الضاد بالبناء للفاعل من ضلّ، وفاعله الموصول. **قوله:** (**أو بيحرمونه**) فحسب، أي فقط (**وهو الظاهر**)، وهو مقتضى مذهب البصريّين، فإنهم يعملون الثاني من المتنازعين لقربه، ومذهب الكوفيّين يقتضي أن تكون متعلقة بيحلّونه؛ لأنهم يعملون الأول لسبقه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟﴾ اخرجوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم وهو أصله إلا أن التاء أُدغمت في الثاء فصارت ثاء ساكنة، فدخلت ألف الوصل لئلّا يبتدأ بالساكن أي تباطأتم ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ضمن معنى الميل والإخلاد فعُدي بـ «إلى» أي ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط و(**قيظ**) مع بعد (﴿ٱلشُّقَّةُ﴾) وكثرة العدو فشقّ عليهم ذلك. وقيل: ما خرج رسول الله ﷺ في غزوة (**إلا ورّى عنها**) بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام (**العدة**) ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بدل الآخرة ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ في جنب الآخرة ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ إلى الحرب ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ (**سخط**) على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قومًا آخرين خيرًا منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئًا. وقيل: الضمير في ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ للرسول عليه السلام لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعده

قوله: (قَيظ) شدّة حرّ الصيف. **قوله: (﴿ٱلشُّقَّةُ﴾)** بالضم والكسر مسافة بعيدة يشقّ قطعها. **قوله: (إلا ورّى عنها)** أي سرّها وأظهر غيرها. **قوله: (العُدّة)** بالضم الاستعداد والتأهب، والعدّة ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عدد مثل غرفة وغرف. اهـ مصباح.

قوله: (سخط) في مختار الصحاح: السَّخَط ـ بفتحتين ـ والسُّخْط بوزن القُفْل ضدّ الرّضاء، وقد سخِط أي غضب، وبابه طرب، فهو ساخط. اهـ.

كائن **(لا محالة)** ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من التبديل والتعذيب وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، فدلّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **(أسند الإخراج إلى الكفار)** لأنهم حين همّوا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أحد اثنين كقوله: «ثالث ثلاثة» وهما رسول الله وأبو بكر، وانتصابه على الحال ﴿إِذْ هُمَا﴾ بدل من ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾ ﴿فِى ٱلْغَارِ﴾ هو **(نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة)** على مسيرة ساعة **(مكثا فيه ثلاثًا)** ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثانٍ ﴿لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بالنصرة والحفظ. قيل: **(طلع المشركون)** فوق الغار **(فأشفق)** أبو بكر على رسول الله ﷺ فقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام: «**(ما ظنك)** باثنين الله ثالثهما». وقيل: لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله ﷺ: «اللهم

قوله: (لا مَحالة) أي لا بدّ.

قوله: (أسند الإخراج إلى الكفّار) مع أنّ المُسْنَد إليهم ليس إلّا الهمّ بإخراجه أو قتله، وهو عليه الصّلاة والسّلام، وإنما أُخرج بإذن الله تعالى لا بإخراج الكَفَرة إيّاه. **قوله: (نَقْب)** بفتح النون وسكون القاف، أي ثَقْب، أي كوّة **(في أعلى ثور)** بفتح الثاء وسكون الواو، فسّره المصنف بقوله: **(وهو جبل في يمنى مكّة)** أي في الجهة اليمنى، والمراد بالجهة اليمنى ما يلي المغرب. اهـ قنوي. **قوله: (مكثا فيه ثلاثًا)** أي ثلاث ليالٍ. **قوله: (طلع المشركون)** أي أشرفوا **قوله: (فأشفق)** أي خاف. **قوله: (ما ظنّك)** باثنين... الخ. أي أتظنّ بهما شرًّا وضررًا.

أعم أبصارهم» فجعلوا (يترددون) حول الغار ولا (يفطنون) قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا: مَن أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك **(لسائر الصحابة)** ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه ﴿عَلَيْهِ﴾ على النبيّ ﷺ أو على أبي بكر لأنه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه، أو أيّده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي دعوتهم إلى الكفر ﴿ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ دعوته إلى الإسلام ﴿هِىَ﴾ فصل ﴿ٱلْعُلْيَا﴾ (﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ **بالنصب**: **يعقوب بالعطف**)، والرفع على الاستئناف أوجه إذ هي كانت ولم تزل عالية ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يعزّ بنصره أهل كلمته ﴿حَكِيمٌ﴾ يذلّ أهل الشرك بحكمته.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا﴾ في النفور لنشاطكم له ﴿وَثِقَالًا﴾ عنه لمشقته عليكم، أو خفافًا لقلّة عيالكم وثقالًا لكثرتها، أو خفافًا من السلاح وثقالًا منه، أو ركبانًا و**(مشاة)** أو **(شبابًا)** وشيوخًا، أو **(مهازيل)**

قوله: (يترددون) بمعنى يجيؤون ويذهبون مِرارًا. **قوله:** (يفطنون) من بابي تعب وقتل. **قوله:** (لسائر الصحابة) في المصباح: اتّفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلًا كان أو كثيرًا. قال الصَّغاني: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعهم كما زعم مَنْ قَصَر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام. اهـ. **قوله:** (﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ **بالنصب**) أي بنصب التاء **(يعقوب)** البصري، وليس من السبعة **(بالعطف)** على كلمة الذين. والباقون بالرفع على الابتداء، وهو أبلغ ـ كما في البيضاوي ـ لِمَا فيه من الإشعار بأنّ كلمة الله عالية في نفسها، وإنْ فاق غيرها فَلا ثَباتَ لتفوّقه، ولا اعتبار، ولذا وسط الفصل.

قوله: (مُشاة) جمع ماشٍ. **قوله:** (شَبابًا) جمع شابّ. في مختار الصحاح: الشَّباب جمع شابٌّ، وكذا الشُّبّان والشباب أيضًا: الحداثة. اهـ. **قوله:** (مهازيل) في لسان العرب: الهُزال نقيض السمن، وقد هَزَل الرجل والدابّة هَزالًا على ما لم يُسمّ

و(سِمانًا، أو صحاحًا ومراضًا) ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ إيجاب للجهاد بهما إن

فاعله، وهَزل هو هَزْلًا وهُزالًا. اهـ. وأيضًا فيه: وفي الهزال يقال: هُزِل الرجل يُهْزَل، فهو مهزول. اهـ. **قوله:** **(سِمانًا)** جمع سمين. في لسان العرب: السِّمن نقيض الهُزال، والسمين خلاف المهزول، وشيء سامن وسمين، والجمع سِمان. اهـ باختصار. **قوله:** **(أو صِحاحًا)** جمع صحيح. في المصباح: صحّ الشيء يصحّ من باب ضرب، فهو صحيح، والجمع صِحاح، مثل كريم وكِرام. اهـ. **(ومِراضًا)** جمع مريض. اهـ لسان العرب. وفي التفسيرات الأحمدية: إنْ كان معناه صِحاحًا ومِراضًا كان منسوخًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١]، وبقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: الآية ٩١] الآية، وأنه ناسخ للآيات التي نهى فيها عن القتال، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٠] وأمثاله.

وقد أورد صاحب البيضاويّ كلامًا يدلّ على أنّه إنْ كان معناه صِحاحًا ومِراضًا كان منسوخًا بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١]، حيث قال: أو صِحاحًا ومِراضًا، ولذلك لمّا قال ابن أُمّ مكتوم لرسول الله ﷺ: أعليّ أن أنفر؟ قال: «نعم» حتى نزل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١] الآية، وكذلك قال صاحب الكشاف. ثم قال: وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نُسِخت بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: الآية ٩١]. ثم نقل عن صفوان والزهري ما يدلّ على بقائها، سواء كان ندبًا أو وجوبًا. وفي الحُسينيّ عن أسباب النزول: أنه نزل حين تخلّف جماعة عن غزوة تبوك بحيلة حَمْل الأثقال، فقيل لهم: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] عن الأحمال، ﴿وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] معها. ولم يتعرّض صاحب المدارك والإمام الزاهد بنسخه ولا عدمه على أحد من التقدير، وكلام صاحب الهداية في أوّل باب الجهاد يدلّ على أن الآية محمولة على النّفير العام من غير نسخ مطلقًا، حيث قال: إلّا أن يكون النّفير عامًّا فيصير من فروض الأعيان؛ لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] الآية.

أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ الجهاد

وصاحب الإتقان قد جعل الآية منسوخة بالآيات الثلاث مطلقًا، سواء كان بمعنى صحاحًا أو مِراضًا أو غيره، وأعمّ من أن يكون النّفير عامًّا أو لا، وأن يكون الأمر للوجوب أو لا، هذا ما قالوا.

وأقول: قد تقرّر بين الفقهاء أنّ النفير إذا كان عامًّا فرض الخروج على المسلمين جميعًا، سوى الأعمى والمُقعد والأقطع وأشباههم، وإذا لم يكن النّفير عامًّا يكون الخروج فرض كفاية إن أقامه البعض سقط عن الباقين، وإنْ تركوا أثِمُوا، فإن لم يكن الآية محمولة على النّفير العامّ، فإن كان الأمر للوجوب تكون الآية منسوخة بأيِّ معنًى أخذ الخفاف والثّقال؛ لأن التعميم حاصل على جميع معانيها، أو تكون محمولة على غزوة تبوك خاصّة، وإنْ كان الأمر للندب كانت الآية باقية على جميع مِنَ المعاني، وإنْ كانت الآية محمولة على النّفير العام، والأمر للوجوب؛ فحينئذ تكون منسوخة على تقدير أن يكون معناه صِحاحاً ومِراضًا، سواء كان بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾ [التّوبَة: الآية ١٢٢]، وبقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ [النّور: الآية ٦١] الآية، أو بقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ [التّوبَة: الآية ٩١] الآية، وإنْ كان الأمر للندب حينئذ، ففي نسخها وعدمه احتمال، والأَوْلى عدمه.

واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾ [التّوبَة: الآية ١٢٢] دالّ بالالتزام على عدم وجوب القتال على المرضى، والآيتان الباقيتان تدلّان بالمطابقة على ذلك، وأنّ المريض في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النّور: الآية ٦١] مقابل للأعمى والأعرج، وهو إمّا عامّ منهما أو مبائن لهما، ولكن العُرف العام يطلق المريض على الأعمى والأعرج، فيكون عامًّا؛ ولمّا لم يكن نفي الأخصّ مستلزمًا لنفي الأعمّ، قال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النّور: الآية ٦١]، وفي قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ [التّوبَة: الآية ٩١] مقابل بالضعفاء، فيكون الضعفاء هم الشيخ الفاني ونحوه، ويشتمل المرضى الأعمى والأعرج أيضًا. وبالجملة، فعلم أنّ المريض لا يفرض عليه الجهاد، وإنْ كان النّفير عامًّا، ولكنّ المريض قد يُطلق على ذي مرض، مثل الحمّى ووجع الرأس؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كون ذلك خيرًا فبادروا إليه. ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا﴾ هو ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه (البرّ) والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه مغنمًا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطًا مقاربًا، والقاصد والقصد المعتدل ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ لوافقوك في الخروج ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة (الشاطة) الشاقة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. من دلائل النبوّة لأنه أخبر بما سيكون بعد (القفول) فقالوا كما أخبر، و﴿بِاللَّهِ﴾ متعلّق بـ ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾، أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد

[البَقَرَة: الآية ١٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ [النِّساء: الآية ٤٣]. وقد يُطلق على مثل الأعمى والأعرج والمُقعد والأقطع والزَّمِن. والمريض المذكور في مقابلة الصَّحيح في قوله: صحاحًا ومراضًا إنْ كان موافقًا للمريض المذكور في الناسخ في أيّ إطلاقٍ كان، كان نسخه به صحيحًا، وإلّا لا.

ومجال الشُّبهة في هذا المقام كثير، وجعل الصِّحاح والمِراض تفسيرًا للخِفاف والثِّقال يناسب أن يكون الصِّحة والمرض هو ما يطرأ على الإنسان مع سلامة الآلات، وكذا آيتان: قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ﴾ [النُّور: الآية ٦١] بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ﴾ [النُّور: الآية ٦١] يدلّ على أنّ المراد هو ما يطرأ عليه مع سلامة الآلات، ولكن أبدًا. وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ [التّوبَة: الآية ٩١] بعد قوله تعالى: ﴿عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التّوبَة: الآية ٩١] يدلّ على أنه يشتمل الأعمى والأعرج أيضًا، فيعمّ كِلَا المعنيَيْن، ولا يجب عليه الجهاد، والأَوْلى التعميم في الكلّ على ما لا يخفى؛ هذا كلّه يخطر بالبال ولم ينصّ به أحدٌ فيما أرى، والله أعلم بحقيقة الحال، وحقّية المقال. اهـ.

قوله: (البَرّ) - بالفتح - خلاف الفاجر. **قوله:** (الشاطّة) البعيدة. في لسان العرب: الشِّطاط: البُعْد شطَّت داره تَشُطّ وتَشِط شَطًّا وشطوطًا بَعُدت، وكل بعيد شاطّ. اهـ. **قوله:** (القُفول) الرجوع من السفر، وبابه دخل. اهـ مختار الصِّحاح.

في الوجهين أي سيحلفون ـ يعني المتخلفين ـ عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا. (**وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سد مسد جوابي القسم و﴿لَوْ﴾ جميعًا**). ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان (**كأنهم تمارضوا**) ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بدل من ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾ أو حال منه أي مهلكين، والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب، أو حال من ﴿لَخَرَجْنَا﴾ أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك المشقة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما يقولون.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلّوا لك بعللهم وهلا (**استأنيت**) بالإذن! ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه. وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يُؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفدية من الأسارى، فعاتبه الله. وفيه دليل

قوله: (وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سدَّ مسدَّ جوابي القسم، و﴿لَوْ﴾ جميعًا) فإنهما إذا اجتمعا وتقدَّم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهما جوابًا للقسم ويحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: فيه مذهبان، أحدهما: أن لخرجنا جواب القسم، وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم، وهو اختيار ابن عصفور رحمه الله. والآخر: أن لخرجنا جواب لو، وهي وجوابها جواب القسم، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله. وأمّا كونه سادًّا مسدّ جوابي القسم والشرط، فقيل عليه: إنّه لم يذهب إليه أحدٌ من أهل العربية. وأُجيب عنه بأن مُراده أنه لما حذف جواب لو ودلّ عليه جواب القسم جعل كأنه سدّ مَسَدّ الجوابَيْن. اهـ. **قوله: (كأنهم تمارضوا)** التّمارض أن يُرِي مِنْ نفسه المرضَ، وليس به. اهـ مختار الصِّحاح.

قوله: (استأنيت) استأخرت، من التأنّي.

جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه ﷺ إنما فعل ذلك بالاجتهاد، وإنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأفضل وهم يعاتبون على ترك الأفضل.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟﴾ ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ عدة لهم بأجزل الثواب يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلًا ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون لأن التردد (**ديدن المتحير**) كما أن الثبات ديدن المتبصر.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ للخروج أو للجهاد ﴿عُدَّةً﴾ (**أُهْبة**) لأنهم كانوا (**مياسير**)، ولما كان ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ معطيًا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ (**نهوضهم**) للخروج كأنه

قوله: (**دَيْدَن المتحير**) الدَّيْدَن والدِّين العادة، تقول: ما زال ذلك دَيْدَنه ودَيْدُونَه ودِينه ودأبه وعادته وسَدَمَه وهَجِيرَه وهجيراه وإهْجِيراه ودُرابته. اهـ لسان العرب.

قوله: (**أُهْبة**) بهمزة مضمومة تَليها هاء وموحدة، هي هنا ما يحتاج إليه المسافر؛ كالزاد والرَّاحلة. **قوله:** (**مياسير**) في لسان العرب: أَيْسَر الرجل إيسارًا ويُسْرًا عن كراع. واللّحياني: صار ذا يسار[1]، والصحيح أنّ اليُسْر الاسمُ، والإيسار المصدر، ورجل مُوسر والجمع مَياسِير، عن سيبويه. قال أبو الحسن: وإنما ذكرنا مثل هذا الجمع؛ لأن حكم مثل هذا أن يُجمع بالواو والنون في المذكّر والألف والتاء في المؤنث. **قوله:** (**نهوضهم**) في مختار الصحاح: نَهَض

---

(١) اليَسَار: الغِنَى. اهـ لسان العرب منه عمّ فيضهم.

قيل: ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض، أو قاله الرسول ﷺ غضبًا عليهم، أو قاله الشيطان بالوسوسة ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ هو ذمّ لهم وإلحاق بالنساء والصبيان **(والزمنى)** الذين شأنهم القعود في البيوت.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم معكم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إلا فسادًا وشرًّا، والاستثناء متصل لأن المعنى ما زادوكم شيئًا إلا خبالًا، والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك: «ما زادوكم خيرًا إلا خبالًا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلًا لأن الخبال بعضه ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ ولسعوا بينكم **(بالتضريب)** و**(النمائم)** وإفساد ذات البين. يقال: وضع البعير وضعًا إذا أسرع. وأوضعته أنا. والمعنى ولأوضعوا **(ركائبهم)** بينكم، والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي. وخط في المصحف «ولا أوضعوا» بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفًا قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريبًا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفًا وفتحها ألفًا

قام، وبابه قطع وخضع. اهـ. **قوله: (والزّمنى)** في المصباح: زمن الشخص زمنًا وزمانة، فهو زَمِنٌ مِنْ باب تعب، وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا، والقوم زَمْنى مثل مرضى. اهـ.

قوله: (بالتضريب) أي الإفساد، من قولهم: ضرب البرد النبات إذا أفسده. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (النمائم)** في المصباح: نمّ الرجل الحديث نمًّا من بابي قتل وضرب سعى به ليوقع فتنة أو وحشة، فالرجل نمّ تسمية بالمصدر، ونمّام مبالغة، والاسم النّميمة، والنّميم أيضًا. اهـ. **قوله: (ركائبهم)** في لسان العرب: يجمع الركاب رَكائب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الرِّكاب الإبل التي يُسارع عليها، الواحدة راحلة، ولا واحد لها من لفظها. اهـ.

أخرى ونحوه «أو لا أذبحنه» [النمل: الآية ٢١] ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ حال من الضمير في «أوضعوا» ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالمنافقين.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ بصد الناس أو (**بأن يفتكوا به** عليه السلام **ليلة العقبة، أو بالرجوع يوم أُحد**) ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل غزوة تبوك ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ ودبروا لك (**الحيل**) والمكايد ودوّروا الآراء في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو تأييدك ونصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وغلب دينه وعلا شرعه ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ (**أي على رغم منهم**).

قوله: (بأن يفتكوا به عليه السلام) في مختار الصحاح: الفَتْك: القتل على غِرّة، أي غفلة ـ بفتح الفاء وضمّها وكسرها ـ وقد فَتَكَ به يَفْتِك بالضمّ والكسر. اهـ. **(ليلة العقبة)** قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: وقف اثنا عشر رجلًا من المنافقين على ثنيّة الوداع[1] ليلة العقبة ليفتكوا به ﷺ، فأخبره الله تعالى بذلك وسلّمه منهم. اهـ. **(أو بالرجوع يوم أُحد)**، فإنّ ابن أبيّ انصرف يوم أُحد مع أصحابه، وهم ثلاثمائة، وبقي النبيّ ﷺ مع خُلّص المؤمنين، وهم سبعمائة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (الحِيَل)** جمع حِيلة. اهـ لسان العرب. وفي المصباح: الحِيلة الحذق في تدبير الأمور، وهو تقليب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود، وأصلها الواو. اهـ. **قوله: (أي على رغم منهم)** أي المراد بقوله: ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٤] لازمه، وهو جعلهم أذلّاء مستحقرين. اهـ قنوي رحمه الله.

---

(١) موضع معروف شامي المدينة، وهو بفتح المثلثة وكسر النّون وتشديد الياء: العقبة، والوداع ـ بفتح الواو ـ سُمّي بها لأنه يودع الخارج بها. وقيل: الوداع اسم واد خلفها. اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلّفت بغير إذنك أثمت، أو لا تلقني في (**الهلكة**) فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي. وقيل: قال (**الجد بن قيس**) المنافق: قد علمت الأنصار إني (مستهتَر) بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر - يعني نساء الروم - ولكني أعينك بمالي فاتركني ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ يعني أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلّف ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (**الآن لأن أسباب الإحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة**).

قوله: (الهَلَكة) مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ مصباح. **قوله:** (**الجدّ بن قيس**) بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله، وهو ابن عمّ البراء بن معرور. رَوَى عنه جابر وأبو هريرة، وكان ممّن يظنّ فيه النفاق، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: الآية ٤٩]، وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده، وجعل مكانه في النقاية عمرو بن الجموح، وحضر يوم الحديبية بايع الناس رسول الله ﷺ إلّا الجدّ بن قيس، فإنه استتر تحت بطن ناقته ﷺ، وقيل: إنه تاب وحَسُنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: (مُسْتَهتَر) - بفتح التاءين - أي مولَع - بفتح اللام - بمعنى كثير الشغف والمحبّة، يعني فاحش العشق لهنّ أو مواقعتهنّ من غير حِلّ.

قوله: (**الآن لأن أسباب الإحاطة معهم، أو هي تُحيط بهم يوم القيامة**)؛ فعلى الأول المجاز في جهنّم حيث استعمل في الأسباب. وعلى الثاني في محيطة حيث استعمل في الاستقبال، أو الكلام تمثيل شبّهت حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض الغزوات ﴿حَسَنَةٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ (نكبة) وشدّة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ الذي نحن متسمون به من الحَذَرِ والتيقظ والعمل (**الحزم**) ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل ما وقع ﴿وَيَتَوَلَّوا﴾ عن مقام التحدث بذلك إلى أهاليهم ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي قضى من خير أو شر ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي الذي يتولانا ونتولاه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ تنتظرون بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ وهما النصرة والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءيين إما ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ وهو (**قارعة**) من السماء كما نزلت على (**عاد وثمود**) ﴿أَوْ﴾ بعذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ بنا ما ذكرنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

قوله: (نكبة) في المصباح: النكبة المصيبة، والجمع نكبات مثل سجدة وسجدات. اهـ. **قوله:** (**الحزم**) في مختار الصّحاح: الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة. اهـ.

قوله: (**قارعة**) القارعة: الداهية والمصيبة. **قوله:** (**عاد**) قبيلة وهم قوم هود على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. اهـ مختار الصّحاح.

قوله: (ثمود) قبيلة، ويُصرف ويُضمّ الثاء، وقُرِىء به أيضًا. اهـ قاموس. وهم قوم صالح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام.

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟﴾ في وجوه البر ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ طائعين أو مكرهين نصب على الحال. (﴿كَرْهًا﴾ **حمزة وعلي**) وهو أمر في معنى الخبر ومعناه ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ أنفقتم طوعًا أو كرهًا ونحوه ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٠] وقوله:

(أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ديـنـا ولا مـقـليـة إن تـقـلت)

أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت، وقد جاز عكسه في قولك: «رحم الله زيدًا»، ومعنى عدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أو لا يثيبها الله. وقوله: ﴿طَوْعًا﴾ أي من غير

قوله: (﴿كَرْهًا﴾) بضمّ الكاف (**حمزة وعلي**) الكسائي، والباقون بالفتح، وهما لغتان. **قوله:**

(أسِيئي بنا أو أحْسِنِي لا ملومة لـديـنـا ولا مـقـليّـة إن تـقـلّت)

هو لكثير عزّة من قصيدته المشهورة، يقول لعزة: امتحني لطف محلّك عندي وقوّة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة، فلا نلومك. وقال العلّامة التفتازانيّ رحمه الله: قوله:

أسِيئي بنا أو أحْسِنِي لا ملومة لـديـنـا ولا مـقـليّـة إن تـقـلّت

في صورة الأمر تأكيد لعدم تفاوت الحال، كأنه يأمرها بذلك لتحقّق ثباته على العهد وتبيّن غاية التبيّن، ولا في لا ملومة بمعنى غير، وإن تقلت التفات.اهـ بحروفه. وقال الجوهري: وتَقَلّى أي تبغّض. قال كثير:

أسِيئي بنا أو أحسني لا ملومة لـديـنـا ولا مـقـليّـة إن تـقـلّت

خاطبها ثم غايَبَ.اهـ لسان العرب. وكثير عزّة هو عبد الرحمـٰن بن أبي جمعة، الأسود بن عامر بن عويمر، أبو صخر الخزاعي الشاعر المشهور أحد عشّاق العرب، وإنما صغّروه لأنه كان شديد القصر. حدّث الوقاصيّ، قال: رأيت كثيرًا يطوف بالبيت، فمن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار، فلا تصدّقه، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله

إلزام من الله ورسوله و﴿كَرْهًا﴾ أي ملزمين، وسمي الإلزام إكراهًا لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقًا عليهم كالإكراه ﴿إِنَّكُمْ﴾ تعليل لرد إنفاقهم ﴿كُنتُمْ قَوْمًا فَسِقِينَ﴾ متمردين عاتين.

تعالى يقول له: طأطيء رأسك لا يصيبه السقف، وكان يلقب زبّ[1] الذباب، وكان أوّل أمره مع عزّة التي يتعشقها أنه مرّ بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم، فأرسلن إليه عزّة، وهي صغيرة، فقالت له: يقلن لك النسوة: بعنا كبشًا من هذه الغنم، وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع؛ فأعطاها كبشًا وأعجبته، فلمّا رجع جاءته امرأة منهنّ بدراهمه فقال: وأين الصبيّة التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها؟ هذه دراهمك، قال: لا آخذ دراهمي إلّا ممّن دفعت إليه، وولّى وهو يقول:

قضى كل ذي دين فوفّى غريمه وعزّة ممطول معنى غريمها

فقلن له: أَبَيْت إلّا عزّة، وأبْرَزْنها له، وهي كارهة، ثم إنها أحبّته بعد ذلك أشدّ من حبّه لها.

وعن الهيثم بن عديّ أن عبد الملك سأل كثيرًا عن أعجب خبر له مع عزّة، فقال: حججت سنة من السنين وحجّ زوج عزّة بها، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه، فلمّا كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعامًا لأجل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمة حتى دخلت إليّ، وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري سهمًا لي، فلما رأيتها جعلت أبري وأنظر إليها ولا أعلم حتى بَرَيْت ذراعي وأنا لا أشعر والدم يجري، فلمّا تبيّنت ذلك دخلت إليّ فأمسكت بيدي وجعلت تمسح الدم بثوبها، وكان عندي نحي[2] من سمن، فحلفت لتأخذنّه، فجاءت به إلى زوجها، فلمّا رأى الدّم سألها عن خبره، قال: فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنّه، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي، فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي: يا ابن الزانية، وهي تبكي ثم

---

(١) الزُّبّ ـ بالضمّ ـ الذَّكر. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) النّحي ـ بالكسر ـ الزقّ أو مكان السمن خاصّة، كالنّحي والنحى كفتى. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ أنهم فاعل «منع» وهم و ﴿أَن تُقْبَلَ﴾ مفعولاه أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ جمع (كسلان) ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى، وصفهم بالطوع في قوله: ﴿طَوْعًا﴾ وسلبه عنهم هٰهنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ﷺ، أو من رؤسائهم، وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الإعجاب بالشيء أن تسرّ به سرور راضٍ به متعجب من حسنه، والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها، أو بالإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له، أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم، أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وتخرج أرواحهم، وأصل الزهوق الخروج بصعوبة، ودلّت الآية على بطلان القول بالأصلح لأنه أخبر أن إعطاء الأموال والأولاد لهم

انصرفا، فذلك حيث أقول:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقليّة إن تقلَّتِ
هنيئًا مريئًا غير داء مخامر ... لعزّة من أعراضنا ما استحلّت

وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك رحمهم الله. اهـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص باختصار.

قوله: (وبالياء) التحتيّة (حمزة وعليّ) الكسائي؛ لأن التأنيث غير حقيقيّ، والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله:** (كَسْلان) بفتح الكاف.

للتعذيب والإماتة على الكفر وعلى إرادة الله تعالى المعاصي، لأن إرادة العذاب بإرادة ما يعذب عليه، وكذا إرادة الأمانة على الكفر.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ لمن جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام **(تقية)** ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ مكانًا يلجئون إليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ أو **(غيرانًا)** ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أو **(نفقًا يندسون)** فيه **(وهو)** مفتعل من الدخول ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾ لأقبلوا نحوه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون إسراعًا لا يردهم شيء **(من الفرس الجموح)**.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾ ومن المنافقين ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ «إذا» للمفاجأة أي وإن لم يعطوا منها فاجؤوا السخط، وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله، لأنه ﷺ استعطف قلوب أهل مكة يومئذٍ بتوفير الغنائم عليهم **(فضجر)** المنافقون منه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ

قوله: (تقيّة) التقيّة ما يظهر لأجل اتّقاء الضرر، وليس عن اعتقاد. **قوله: (غيرانًا)** بكسر الغين جمع غار، كنيران ونار. **قوله: (نفقًا)** ـ بفتحتين ـ أي حجرًا في الأرض. **قوله: (يندسّون)** في القاموس: اندسّ انْدَفَنَ. **قوله: (وهو)** مفتعل من الدخول، وهو بناء مبالغة في هذا المعنى، والأصل مدتخل، فأُدغمت الدال في تاء الافتعال كما في ادَّان من الدَّين. **قوله: (من الفرس الجَموح)** ـ بالفتح ـ النفور الذي لا يردّه لجام.

قوله: (فضجر) في مختار الصحاح: الضَّجَر القلَق من الغمّ وبابه طَرِب، فهو ضَجِر ورجل ضَجُور. اهـ.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ جواب «لو» محذوف تقديره: ولو أنهم رضوا لكان خيرًا لهم، والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قلّ نصيبهم وقالوا: كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أُخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن **(يغنمنا ويخوّلنا)** فضله لراغبون.

ثم بيّن مواضعها التي توضع فيها فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم كقولك: «إنما الخلافة لقريش» تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم، فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا، **(وعن حذيفة بن اليمان وابن عباس)** وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا:

قوله: (يغنمنا) في مختار الصّحاح: المَغْنَم والغنيمة بمعنًى، وقد غَنِم ـ بالكسر ـ غُنْمًا وغَنّم تغنيمًا، أي نَفّله. اهـ. **قوله: (يخولنا)** في مختار الصحاح: خوّله الله الشيء تخويلًا ملّكه إيّاه. اهـ.

قوله: (حُذيفة بن اليمان) الصحابي، هو أبو عبد الله. أسلم حُذيفة وأبوه وهاجر إلى رسول الله ﷺ وشهدا جميعًا أُحُدًا وقتل أبوه يومئذ قتله المسلمون خطأً، فوهب لهم دمه، وأسلمت أُمّ حُذيفة وهاجرت، وكان صاحب سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده. توفي بالمدائن سنة ستّ وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما بأربعين ليلة، وقُتل عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، ولم يُدرك حُذيفة وقعة الجمل لأنها كانت في جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثين، ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما.

في أي صنف منها وضعتها أجزأتك. **(وعند الشافعي)** ﷺ: **(لا بد من صرفها إلى الأصناف)** وهو المروي عن **(عكرمة)**.

قوله: (وعند الشافعي)، هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب رضي الله تعالى عنهم، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأُسِرَ وفدى نفسه ثم أسلم، فقيل له: لِمَ لَمْ تُسلم قبل أن تَفْدي نفسك؟ فقال: ما كنت أحرم المؤمنين مطعمًا لَهم فِيَّ، رحمه الله. **(لا بدّ من صرفها إلى الأصناف)** أي يجب أن يُقسم زكاةَ ماله على الموجودين من الأصناف الستّة الذين سمّاهم: ثمانية أقسام قسمة على السَّواء؛ لأنّ سهم المؤلّفة ساقط، وسهم العامل ساقط إذا قسم زكاته بنفسه، ثم حصّة كل صنف من الأصناف الستة لا يجوز أن تُصرف إلى أقل من ثلاثة منهم إنْ وجد منهم ثلاثة أو أكثر، فلو فاوت بين أُولئك الثلاثة جاز، فإن لم يجد من بعض الأصناف إلّا واحدًا دفع حصّته ذلك الصنف إليه ما لم يخرج من حدِّ الاستحقاق، فإن انتهت حاجته وفَضُل شيء ردَّه إلى الباقين. اهـ خازن. وفي السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشيخ الإمام الخطيب الشربيني قدّس الله روحه وعمّ بالرحمة ضريحه: يجب تعميم الأصناف الثمانية في القسم إن أمكن بأن قسم الإمام ولو بنائبه ووجد، والظاهر الآية سواء في ذلك زكاة الفطر وزكاة المال، وإن لم يمكن بأن قسم المالك؛ إذ لا عامل أو الإمام، ووجد بعضهم كأن جعل عاملًا بأجرة من بيت المال، فتعميم مَنْ وجد منهم، وعلى الإمام تعميم آحاد كلّ صنف من الزكاة الحاصلة عنده؛ إذ لا يتعذّر عليه ذلك، وعلى المالك أيضًا إن انحصر الآحاد بالبلد بأن سهّل عادة ضبطهم ومعرفة عددهم ووفى بهم المال، فإن أخلّ أحدهما بصنفٍ ضمن، وإن لم ينحصروا ولم يَفِ بهم المال، ويجب إعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع، وهو المراد في سبيل الله وابن السبيل الذي هو للجنس، ولا عامل في قسم المالك، ويجوز حيث كان أن يكون واحدًا إن حصلت به الكفاية، كما يُستغنى عنه فيما مرّ، وتجب التسوية بين الأصناف غير العامل، لا بين آحاد الصنف، إلا أن يقسم الإمام وتتساوى الحاجات، فتجب التسوية؛ لأن عليه التعميم، بخلاف المالك إذا لم ينحصروا ولم يَفِ بهم المال، هذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

....

وقال الرازي وغيره: لا دلالة في الآية على قول الشافعي في أنه لا بدّ من صَرْفها إلى جميع الأصناف؛ لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الأصناف. وأمّا أنّ صدقة زيد بعينها يجب توزيعها على الأصناف كلّها، فلا؛ كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: الآية ٤١] الآية، يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتّفاق، وما ذهب إليه الشافعي رضي الله تعالى عنه قول عكرمة، وما ذهب إليه الأئمّة الثلاثة من جواز صرفها إلى صنفٍ واحد هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين، وكلٌّ على هدًى من ربّهم. اهـ باختصار.

قوله: (عكرمة)، هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله، مولى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أصله من البربر من أهل المغرب كان لحصين بن الخير العنبريّ، فوهبه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين ولى البصرة لعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، واجتهد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تعليمه القرآن والسنن وسمّاه بأسماء العرب. حدّث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهو أحد فقهاء مكّة وتابعيها، وكان ينتقل من بلد إلى بلد. ورُوِي أنّ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال له: انطلق، فأفْتِ الناس. وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: عكرمة. وقد تكلّم الناس فيه؛ لأنه كان يرى رأي الخوارج. ورَوَى عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ورَوى عنه الزهري وعمرو بن دينار والشعبي وأبو إسحٰق السبيعي وغيرهم. ومات مولاه ابن عباس وعكرمة على الرقّ ولم يُعتقه، فباعه علي بن عبد الله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة مولاه عليًا فقال: بِعْتَ عِلْم أبيك بأربعة آلاف دينار، فاستقاله فأقاله فأعتقه، وقال عبد الله بن أبي الحارث: دخلت على عليّ بن عبد الله بن عباس وعكرمة مُوثَق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا لمولاكم؟ فقال: إنّ هذا يكذب على أبي. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان للقاضي أحمد الشهير بابن خلكّان عليه رحمة الله تعالى المنّان.

....

وفي تهذيب الأسماء: وهو من كبار التابعين، سمع الحسن بن عليّ وأبا قتادة وابن عباس وابن عمرو وأبا هريرة وأبا سعيد ومعاوية وغيرهم. رَوَى عنه جماعة من التابعين منهم أبو شعثاء الشعبي والنخعيّ والسبيعي وابن سيرين وعمرو بن دينار وخلائق غيرهم من التابعين وخلائق من غيرهم. قال ابن معين: عكرمة ثقة، قال: وإذا رأيت مَنْ يتكلّم في عكرمة على الإسلام. وقال أبو حاتم: هو ثقة، وإنما أنكر عليه مالك ويحيىٰ بن سعيد لرأيه، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلّا يحتجّ بعكرمة. وقال محمد بن سعد: كان كثير العلم بحرًا من البحور، وليس يُحتجّ بحديثه ويتكلّم الناس فيه. وذكر ابن سعد عن عمرو بن دينار، قال: دفع إليّ أبو الشعثاء مسائل أسأل عنها عكرمة، وقال: هو البحر، فاسألوه. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عكرمة ثقة، وهو بريء مما يرميه به الناس. وقال عكرمة: إني لأخرج إلى السوق، فأسمع الرجل يتكلّم بكلمة فيفتح لي خمسون بابًا من العلم. وقال أبو حاتم: أعلم موالي ابن عباس عكرمة. وقال أبو أحمد بن عديّ: لم يمتنع الأئمّة من الرواية عن عكرمة، وأدخله أصحاب الصحاح صحاحهم. قال البيهقي: رَوى له البخاري دون مسلم.اهـ. وفي وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان: وتوفي عكرمة في سنة سبع ومائة، وقيل: سنة ستّ، وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة خمس عشرة، والله أعلم. وعمره ثمانون، وقيل: أربع وثمانون سنة. وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن الخالد بن القاسم البياضي، قال: مات عكرمة وكثير عزّة الشاعر في يوم واحد سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعًا صلّي عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى، وكان موتهما بالمدينة. وقيل: إنّ عكرمة مات بالقيروان، والأوّل أصح. وكان عكرمة كثير الطواف والجولان في البلاد، دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرهما من البلاد.

وعِكْرمة ـ بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة ـ وهو في الأصل اسم الحمامة الأُنثى، فسُمّي به الإنسان. وعُمارة بن حمزة مولى المنصور الموصوف بالتّيه من أولاده، وقال الخطيب البغداديّ: هو ابن عكرمة المذكور، والله أعلم.اهـ.

(ثم الفقير الذي لا يسأل) لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئًا فهو أضعف حالًا منه.

قوله: (ثم الفقير الذي لا يسأل) . . . الخ.

فائدة عظيمة:

اختلف العلماء في حدِّ الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة، فقال الأكثرون: حدّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة، وهو قول مالك والشافعي. وقال أصحاب الرأي: حدّه أن يملك مائتي درهم، وقال قوم: مَنْ ملك خمسين درهمًا أو قيمتها لا تحلّ له الصدقة، لِمَا رُوِي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش» أو «خدوش أو كدوح». قيل: يا رسول الله، وما يُغنيه قال: «خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحٰق، وقالوا: لا يجوز أن يعطي الرجل أكثر من خمسين درهمًا من الزكاة. وقيل: أربعين درهمًا، لما رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل وله قيمة أُوقية فقد ألحف»، أخرجه أبو داود، وكانت الأُوقيّة في ذلك الزَّمان أربعين درهمًا. اهـ خازن.

وأيضًا فيه: وكل مَنْ دفع إليه شيئًا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق، فلا يزيد الفقير على قدر غِناه، وهو ما يحتاج إليه، فإن حصل أدنى اسم الغِنى فلا يعطى بعده شيئًا، وإنْ كان محترفًا لكنّه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته؛ فالاعتبار عند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ما يدفع الحاجة من غير حدّ. وقال أحمد بن حنبل ﷺ: لا يُعطى الفقير أكثر من خمسين درهمًا. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، فإن أعطيته أجزأ. اهـ. وفي الطريقة المحمّدية للفاضل المحقّق والحبر المدقّق محمد الحنفي رَحِمَهُ اللهُ في بيان آفات اليد وهي أخذ الزكاة والنذر والعشر والفطر والكفّارة واللقطة وما وجب تصدقه من المال الخبيث إن كان غنيًّا غنى الأضحية، وهو مَنْ يملك مائتي درهم أو قيمتها فارغتين عن الدَّين والحوائج الأصليّة. اهـ.

....

وفي حاشية العالم العلّامة الشيخ أحمد الطحطاوي على مراقي الفلاح: قوله: وعن حاجته الأصليّة كثيابه المحتاج إليها لدفع الحرّ والبرد، وكالنفقة ودور السكنى وآلات الحرب والحِرفة وأثاث المنزل ودوابّ الركوب وكتب العلم لأهلها، فإذا كان عنده دراهم أعدّها لهذه الأشياء وحال عليها الحول لا تجب فيها الزكاة، وكتب العلم لغير أهلها ليست من الحوائج الأصليّة، وإن كانت الزكاة لا تجب على صاحبها بدون نيّة التجارة، بحر بتصرف. وقوله: وكالنفقة لا زكاة فيها، ولو حال عليها الحَوْل، قال فيه: وهو مخالف لما في المِعْراج والبدائع أن الزكاة تجب في النقد كيف أمسكه للنفقة أو للنماء. اهـ انتهت بحروفها.

وفي حاشية العلّامة السيّد أحمد الطحطاوي على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار: يشترط في النّصاب ذهبًا أو فضّة لوجوب الزكاة فيه أن لا يحتاج إلى إنفاقه في الحاجة الأصليّة، وهو يفيد أنه إنْ كان معه دراهم أمسكها للنفقة لا زكاة فيها، ولو حال عليها الحول. قال في البحر: ويُخالفه ما في المِعْراج. الدراية والبدائع: إنّ الزكاة تجب في النقد كيف أمسكه للنماء أو للنفقة. اهـ.

وفي ردّ المحتار على الدرّ المختار: قال في البدائع: قدر الحاجة هو ما ذكره الكرخي في مختصره، فقال: لا بأس أن يُعطى من الزكاة مَنْ له مسكن وما يتأثث به في منزله وخادم وفرس وسلاح وثياب البدن وكتب العلم، إن كان من أهله، فإن كان له فَضْل عن ذلك تبلغ قيمته مائتي درهم حَرُم عليه أخذ الصدقة، لِمَا رُوِي عن الحسن البصري قال: كانوا ـ يعني الصحابة ـ يُعطون من الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من السّلاح والفرس والدار والخدم، وهذا لأن هذه الأشياء من الحوائج اللازمة التي لا بدّ للإنسان منها. وذكر في الفتاوى فيمن له حوانيت ودور للغلّة، لكن غلّتها لا تكفيه ولعياله أنه فقير، ويحلّ له أخذ الصدقة عند محمّد، وعند أبي يوسف: لا يحلّ، وكذا لو له كرم لا تكفيه غلّته، ولو عنده طعام للقوت يساوي مائتي درهم، فإن كان كفاية شهر يحلّ أو كفاية سنة. قيل: لا يحلّ، وقيل: يحلّ؛ لأنه مستحقّ الصرف إلى الكفاية، فيلحق بالعدم وقد ادّخر عليه الصّلاة والسّلام لنسائه قوت سنة، ولو له كسوة الشتاء وهو لا يحتاج إليها في الصيف يحلّ، ذَكَر هذه الجملة في الفتاوى. اهـ.

....

وظاهر تعليله للقول الثاني في مسألة الطعام اعتماده. وفي التتارخانيّة عن التهذيب: أنه الصحيح، وفيها عن الصغرى: له دار يسكنها لكن تزيد على حاجته بأن لا يسكن الكلّ يحلّ له أخذ الصدقة في الصحيح، وفيها سُئِل محمد عمّن له أرض يزرعها أو حانوت يشتغلها أو دار غلّتها ثلاثة آلاف، ولا تكفي لنفقته ونفقة عياله سنة يحلّ له أخذ الزكاة، وإنْ كانت قيمتها تبلغ الوفاء، وعليه الفتوى، وعندهما لا يحلّ. اهـ ملخّصًا بحروفه.

فـائدة:

في حاشية العلّامة الشيخ أحمد الطحطاوي على مراقي الفلاح: يجوز للعامل الأخذ وإنْ كان غنيًا؛ لأنه فرغ نفسه لهذا العمل، فيحتاج إلى الكفاية. قال في المنح: وبهذا التعليل يقوى ما نُسِب للواقعات من أنّ طالب العلم يجوز له أخذ الزكاة، ولو غنيًا إذا فرغ نفسه لإفادة العلم واستفادته لعجزه عن الكسب والحاجة داعية إلى ما لا بدّ منه. اهـ انتهت بحروفها.

وفي الدرّ المختار: وعامل يعمّ الساعي والعاشر فيعطى، ولو غنيًا لا هاشميًا؛ لأنه فرغ نفسه لهذا العمل، فيحتاج إلى الكفاية، والغنى لا يمنع من تناولها عند الحاجة؛ كابن السبيل. بحر عن البدائع.

وبهذا التعليل يقوى ما نُسِب للواقعات من أن طالب العلم يجوز له أخذ الزكاة، ولو غنيًا إذا فرغ نفسه لإفادة العلم واستفادته لعجزه عن الكسب، والحاجة داعية إلى ما لا بدّ منه، كذا ذكره المصنف.

(بقدر علمه) ما يكفيه وأعوانه بالوسط، لكن لا يزاد على نصف ما يقبضه. اهـ. وقوله: يعمّ الساعي، هو مَنْ يسعى في القبائل لجمع صدقة السوائم. والعاشر مَنْ نصبه الإمام على الطرق ليأخذ العُشْر ونحوه من المارّة. اهـ طحطاويّ. وقوله: (ولو غنيًا) لأن ما يأخذ له شبه بالأجرة وشبه بالصدقة، فللأوّل يحلّ للغنيّ ولا يعطى لو هلك المال أو أدّاها صاحب المال إلى الإمام، وللثاني لا يحلّ للهاشمي، ويسقط الواجب عن أرباب الأموال لو هلك المال في يده؛ لأن يده كَيَد الإمام، بحر. قوله: (لا هاشميًا) في النهاية: ما يفيد صحة توليته، وعبارتها:

....

استعمل الهاشمي على الصدقة فأجرى له منها رزق لا ينبغي له أخذه، ولو عمل ورُزق من غيرها، فلا بأس به. قال في النهر: لكن ما مرّ أنّ من شرائط الساعة ـ يعني ومثله العامل ـ أن لا يكون هاشميًا هو الذي ينبغي أن يعوّل عليه.اهـ موضحًا. وعلى رواية أبي عصمة من جواز دفعها للهاشمي يجوز توليته عليها وأخذه الأجر. قوله: (لأنه فرغ نفسه)... الخ. علّة لقوله: ولو غنيًا، كما أفاده صاحب البحر، وهذا التعليل يفيد استحقاق الجزاء بالغًا ما بلغ، سواء هلك في يده أم لا، وهو غير التحقيق، والتحقيق ما قدّمنا من أن له شبهين... الخ. ذكره صاحب البحر. قوله: (وبهذا التعليل) قد علمتَ أنه غير التحقيق ولا ينتج دعواه، فلا تتقوّى به دعوى أخرى.اهـ طحطاويّ. قوله: (ما نُسِب للواقعات) ذكر المصنّف أنه رآه بخط ثقة مغريًا إليها.

قلت: ورأيته في جامع الفتاوى ونصّه وفي المبسوط: لا يجوز دفع الزكاة إلى مَنْ يملك نصابًا إلّا إلى طالب العلم والغازي ومنقطع الحجّ؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «يجوز دفع الزكاة لطالب العلم وإن كان له نفقة أربعين سنة».اهـ.

قوله: (من أن طالب العلم) أي الشرعيّ. قوله: (إذا فرّغ نفسه) أي عن الاكتساب، قال ط ـ أي العلّامة السيّد أحمد الطحطاوي ـ: المراد أنه لا تعلّق له بغير ذلك، فنحو البطالات المعلومة وما يجلب له النشاط من مُذهبات الهموم لا ينافي التفرّغ بل هو سعي في أسباب التحصيل. قوله: (واستفادته) لعلّ الواو بمعنى أو المانعة الخلوّ .ط. قوله: (لعجزه) علّة لجواز الأخذ. (طحطاوي). قوله: (والحاجة داعية)... الخ. الواو للحال، والمعنى: أنّ الإنسان يحتاج إلى أشياء لا غِنًى له عنها، فحينئذ إذا لم يجز له قبول الزكاة مع عدم اكتسابه أنفق ما عنده ومكث محتاجًا، فينقطع عن الإفادة والاستفادة، فيضعف الدين لعدم مَنْ يتحمله، وهذا الفرع مخالف لإطلاقهم الحُرْمة في الغنى، ولم يعتمده أحد. (طحطاوي).

قلت: وهو كذلك، والأوْجه تقييده بالفقير، ويكون طلب العلم مرخّصًا لجواز سؤاله من الزكاة وغيرها، وإنْ كان قادرًا على الكسب إذ بدونه لا يحلّ له السؤال، ومذهب الشافعية والحنابلة أنّ القدرة على الاكتساب تمنع الفقر، فلا يحلّ له الأخذ فضلًا عن السؤال، إلا إذا اشتغل عنه بالعلم الشرعيّ.اهـ ردّ المحتار.

وعند الشافعي رحمه الله على العكس ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ هم السُّعاة الذين يقبضونها (﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾) على الإسلام أشراف من العرب، كان رسول الله ﷺ يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرًا لهم على الإسلام ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ (هم المكاتبون) يعانون منها (﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ الذين ركبتهم الديون) ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقراء (الغزاة)

قوله: (﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾)... الخ. قال ابن الهُمام: المؤلّفة كانوا ثلاثة أقسام: قسم كفّار، كان رسول الله ﷺ يُعطيهم ليتألّفهم على الإسلام. وقسم كان يُعطيهم ليدفع شرّهم. وقسم أسلموا، وفيهم ضعف إسلام، فكان يتألّفهم ليقوّي إيمانهم. **قوله:** (**هم المكاتبون**) الذين يحتاجون لبدل الكتابة ليتأدّوا إلى صاحبهم، فيُعان في فكّ رقبتهم منها، هذا عندنا. وعند الشافعي رحمه الله، وهو المنقول عن سعيد بن جبير والزهري والشعبي على ما في شروح الهداية: وعند مالك وأحمد بن حنبل رحمه الله معناه أن يشتري بمال الزكاة عبيد فيُعتقون، وقيل: بأن يفدي الأسارى منها، نصّ بذلك في البيضاوي أخذًا من كلام صاحب الكشاف.اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ **الذين ركبتهم الدُّيون**) بغير معصية، ولا يملكون نصابًا فاضلًا عن دينهم، فيُعانوا في قدر أداء ديونهم.اهـ التفسيرات الأحمديّة. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: الغارم والغريم وإنْ كان قد يُطلق كل واحد منهما على مَنْ له الدَّيْن، إلّا أن المراد بالغارم في الآية الذي عليه الدَّين، وأصل الغرم في اللغة لزوم ما يشقّ، والغرام العذاب اللازم، ويسمّى الدَّين غرامًا لكونه شاقًّا على الإنسان ولازمًا له. وفي الصحاح: الغرامة ما يلزم أداؤه، وكذلك المغرم والغريم، وقد غرم الرجل الدِّية، والمديون الذي لزمه الدَّيْن بسبب معصيته لا يدخل في الآية؛ لأن المقصود مِنْ صرف المال الإعانة، والمعصية لا تستوجب الإعانة، والدَّيْن الذي حصل بسبب غير معصية قسمان: دَيْن حصل بسبب نفقات ضروريّة أو في مصلحة، ودَيْن حصل بسبب حمالات وإصلاح ذات بَيْن، والكلّ داخل في الآية. والحَمالة ـ بالفتح ـ ما يتحمّله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل أن تقع حرب بين فريقين بسفك الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمّل ديات القتل عنهم على نفسه لإصلاح ذات البَيْن.اهـ. **قوله:** (**الغزاة**) جمع غازٍ كقاضٍ وقُضاة.

أو (**الحجيج المنقطع بهم**) ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ المسافر المنقطع عن ماله، وعدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممن سبق ذكره، لأن «في» للوعاء، فنبّه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها. وتكرير «في» في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين. (**وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين**) ليدلّ بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم، (**حسمًا**) لأطماعهم وإشعارًا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، (**فما لهم وما لها، وما سلطهم**) على التكلّم فيها ولمز قاسمها! وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر ﷺ لأن الله أعزّ الإسلام وأغنى عنهم، والحكم متى ثبت معقولًا لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ في معنى المصدر المؤكد لأن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ معناه فرض الله الصدقات لهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمصلحة ﴿حَكِيمٞ﴾ في القسمة.

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سُمِيَ بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أُذن سامعة، وإيذاؤهم له هو قولهم فيه ﴿هُوَ (أُذُنٞۚ)﴾ قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب و(**الغرة**)، ففسّره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال: ﴿(قُلۡ أُذُنُ)﴾

قوله: (**الحجيج**) جمع حاجّ. **قوله**: (**المنقطع بهم**) على لفظ اسم المفعول والباء للتعدية، يقال: هو منقطع به إذا انقطع به السفر دون طلبه لنفاد زاده أو عطب دابته. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله**: (وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين) ومكائدهم. **قوله**: (حسمًا) أي قطعًا. **قوله**: (فما لهم) أي فما لهم وللصدقات (وما لها) أي وما للصدقات وللمنافقين؛ ففي الكلام حذف واختصار (وما سلطهم) استفهام وتعجيب ثالث.

قوله: (﴿أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ﴾) قرأ نافع بإسكان الذال فيهما، والباقون بالضمّ. **قوله**: (الغرّة) ـ بالكسر ـ الغفلة.

﴿خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ كقولك «رجل صِدق» تريد الجودة والصلاح كأنه قيل: نعم هو أذن ولكن نِعم الأُذن، ويجوز أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأُذن في غير ذلك. ثم فسّر كونه أذن خير بأنه ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلّة ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ويقبل من المؤمنين (الخُلّص) من المهاجرين والأنصار، وعُدي فعل الإيمان بالباء إلى الله، لأنه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به، وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: الآية ١٧] كيف ينبو عن الباء ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ بالعطف على ﴿أُذُنٌ﴾ (﴿وَرَحۡمَةٞ﴾: حمزة) عطف على ﴿خَيۡرٖ﴾ أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾ أي وهو رحمة الذين آمنوا منكم أي أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين، أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الدارين.

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾ الخطاب للمسلمين، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين كما تزعمون، فأحق مَن أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق. (وإنما وحّد الضمير) لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك «إحسان زيد وإجماله نعشني» أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

قوله: (الخُلّص) جمع خالص. **قوله:** (﴿وَرَحۡمَةٞ﴾) بخفض التاء (حمزة) عطف على خير، والجملة ح متعارضة بين المتعاطفتين. والباقون بالرفع.

قوله: (وإنما وحّد الضمير) . . . الخ. جواب عمّا يقال: كيف قيل: ﴿أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] بإفراد الضمير، مع أنه ضمير الله ورسوله، فالواجب

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ﴾ أن الأمر والشأن ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يجاوز الحد بالخلاف (وهي مفاعلة من الحدّ) كالمشاقة من الشق ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ على حذف الخبر أي فحق أن له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ (﴿تُنَزَّلَ﴾) بالتخفيف: (مكيّ وبصريّ) ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الكفر والنفاق، والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم دليله ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾، أو الأولان للمؤمنين، والثالث للمنافقين، وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم، وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال بعضهم: وددت أني قدّمت فجلدت مائة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا.

تثنية الضمير؟ أجاب عنه أوّلًا بأنّ الإرضاءين متلازمان، فاكتفى بذكر أحدهما لكون ذكره وحده في حكم ذكرهما معًا؛ كقولك: إحسان زيد وإجماله رفعني. وثانيًا: بأنّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٥] مبتدأ و﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] خبره، و﴿رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٧] مبتدأ ثانٍ وخبره محذوف لدلالة خبر الأوّل عليه.

قوله: (وهي مفاعلة من الحدّ) الذي هو الجهة والجانب، فإنّ كل واحد من المخالفين والمُعاندين في غير حدّ صاحبه؛ كما يقال: شاقه إنْ كان في شقّ غير شقّ صاحبه، وعاداه إن كان في عدوة غير عدوة صاحبه.

قوله: (﴿تُنَزَّلَ﴾) بالتخفيف، أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصريّ) أي أبو عمرو البصري. والباقون بفتح النّون وتشديد الزاي.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (بينا رسول الله ﷺ) يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها، (هيهات هيهات). فأطلع الله نبيّه على ذلك فقال: احبسوا عليّ الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا. فقالوا: يا نبيّ الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك؟ لقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ

قوله: (﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾)... الخ. المقصود أنّ الآية بظاهرها تدلّ على أنّ الاستهزاء بالشرائع يوجب الكفر؛ لأنه تعالى رتّبه على استهزائهم بقوله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٦]، وهذا ذكر محيي السنّة رضي الله تعالى عنه في ترجمة الأحكام بالتفصيل، ولم أرَ في غيرها هذا الاستدلال، ونفس المسألة معروفة في علم الكلام، وقد ذكرها سعد المِلّة والدِّين بالتفصيل، وقال: إنّ من سَخِر باسم مِنْ أسماء الله تعالى أو بأمرٍ من أوامره أو تمنّى أن لا يكون نبيّ من الأنبياء على قصد استخفاف أو عداوة أو ضحك على وجه الرضاء لمن تكلّم بالكفر، أو جلس على مكانٍ مرتفع وحوله جماعة يسألونه مسائل ويضحكونه ويضربونه بالوسائد، أو أطلق كلمة الكفر، استخفافًا لا اعتقادًا، يكفر. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (بينا رسول الله ﷺ)... الخ. أصل بَيْنا بين، فأُشبعت الفتحة، فصارت ألفًا، ويقال: بيننا وبينما، وهما ظرفا زمان، بمعنى المفاجأة، ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جواب يتمّ به المعنى، والأفصح في جوابهما أن لا يكون فيه إذ وإذا، وقد جاءا في الجواب كثيرًا، تقول: بينا زيد جالس دخل عليه عمرو، وإذ دخل عليه، وإذا دخل عليه. اهـ لسان العرب باختصار. **قوله:** (هيهات هيهات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر، أي بعد بعد. اهـ جلالين. وقوله: اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر، أي منزل منزلة المصدر، أي بعدًا. اهـ كمالين.

كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (لم يعبأ) باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون، باستهزائهم وبأنه موجودٌ فيهم حتى وبّخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سرّكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ قد أظهرتم كفركم باستهزائكم ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ مصرّين على النفاق غير تائبين منه (﴿إن يعف تعذب طائفة﴾ غير عاصم).

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي كأنهم نفس واحدة، وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ وتقرير لقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ثم وصفهم بما يدلّ على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ بالكفر والعصيان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ عن الطاعة والإيمان ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ (شحًا) بالمبارّ والصدقات والإنفاق في سبيل الله ﴿نَسُوا ٱللَّهَ﴾

قوله: (لم يعبأ) من عبأت بفلان، عَبَأ بالبيت واعتددت به.

قوله: (﴿إن يُعف﴾) بياء مضمومة وفتح الفاء مبنيًا للمفعول (﴿تعذب﴾) بتاء مضمومة وفتح الذال كذلك ﴿طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة: الآية ٦٦] بالرفع نائب الفاعل، ونائب الفاعل في الأوّل الظرف بعده **(غير عاصم)**، فعاصم ﴿نعف﴾ بنون العظمة مفتوحة وفاء مضمومة بالبناء للفاعل، و﴿عَن طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة: الآية ٦٦] محلّه النصب به، و﴿نعذب﴾ بنون العظمة وكسر الذال، ﴿طائفة﴾ الثاني منصوب مفعول به.

قوله: (شُحًا) أي بخلًا.

تركوا أمره أو أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ فتركهم من رحمته وفضله ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ **(هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرّد)** في الكفر والانسلاخ عن كل خير، **(وكفى المسلم زاجرًا وأن يلمّ)** بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمّهم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود فيها ﴿هِىَ﴾ أي النار ﴿حَسْبُهُمْ﴾ فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لا يزاد عليه ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق، والظاهر المخالف للباطن خوفًا من المسلمين وما يحذرونه أبدًا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الكاف في ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ محلها رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم، أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أي

قوله: (هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرّد)... الخ. الكمال مستفاد من تعريف الجنس في الفاسقين الدال على أنّهم هم الجنس كلّه، ولم لم يحمل عليه لما صحّ الحصر المستفاد من ضمير الفصل وتعريف الخبر؛ لأنه كم من فاسق سواهم، وفسّر الفُسق بالتمرّد؛ لأن الكافر إذا وصف بالفسق دلّ على المبالغة في الخروج عن أمر الله وطاعته. **قوله: (وكفى المسلم)** فاعله ضمير يعود إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، **(وزاجرًا)** تمييز أو حال **(وأن يلمّ)** متعلّق به أي زاجرًا عن الإلمام.

تلذّذوا (**بملاذ الدنيا**). والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير ﴿وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ (**كالفوج الذي خاضوا، أو الخوض الذي خاضوا**). والخوض الدخول في الباطل واللهو، وإنما قدم ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ وقوله: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ مغن عنه ليذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا (**والتهائهم**) بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ في مقابلة قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ هو بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ﴿(وَعَادٍ وَثَمُودَ) وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ (**مدائن قوم لوط**)، وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فما صح منه أن

قوله: (بملاذ الدنيا) الملاذّ ـ بتشديد الذال ـ جمع لذّة على خلاف القياس، كالمحاسن جمع حسن على خلاف القياس **قوله: (كالفوج الذي خاضوا أو الخوض الذي خاضوا)** أي موصوف الذي مفرد اللفظ مجموع المعنى، وهو الفوج، أو الذي صفة للخوض المحذوف، وهو مصدر مفرد، أي كالخوض الذي خاضوه، والضمير للمصدر. **قوله: (والتهائهم)** هو افتعال من اللّهو، أي تلهيهم ولعبهم.

قوله: (﴿وَعَادٍ﴾) قوم هود. **قوله:** (﴿وَثَمُودَ﴾) قوم صالح. **قوله: (مدائن قوم لوط)**. . . الخ. عبارة تفسير الكشاف: مدائن قوم لوط، وقيل: قُريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهنّ انقلاب أحوالهنّ عن الخير والشرّ. اهـ. فافهم، وأصل معنى الائتفاك الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفله بالخسف، وهو قد وقع في قريات قوم لوط عليه الصّلاة والسّلام؛ فإن كانت مرادة به، فهي على حقيقتها،

يظلمهم بإهلاكهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير (جُرْم) ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفر وتكذيب الرسل.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في التناصر والتراحم ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالطاعة والإيمان ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ عن الشرك والعصيان ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في «سأنتقم منك يومًا» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب ﴿حَكِيمٞ﴾ واضع كلا موضعه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾ يطيب فيها العيش وعن **(الحسن البصري)** رحمه الله: قصورًا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر **(والزبرجد)** ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ هو علم بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [مريم: الآية ٦١] وقد عرفت أن «الذي» و«التي» وضعا لوصف المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وشيء من رضوان الله ﴿أَكۡبَرُۚ﴾ من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة

وإنّ كان المراد مُطلق قرى المكذبين، وهي لم تُخسف بأجمعها، فيكون المراد به مجازًا انقلاب حالها من الخير تشبيهًا له بالخسف على طريق الاستعارة؛ كقول ابن الروميّ:

وما الخسف أن تلقى أسافل بلدة   أعاليها بل أن تسود الأراذل

وقريات ـ بالتصغير ـ جمع قرية، لأن جمع المكبّر قرى. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (جُرْم) أي ذَنْب.

قوله: (الحسن البصري) التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (والزبرجد) هو غير الزمرّد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وحده دون ما يعده الناس فوزًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف (﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ **بالحجة**) ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ في الجهادين جميعًا **(ولا تحابهم)**، وكل مَن وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنم. **(أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن)** ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع مَن معه. منهم **(الجلاس بن سويد)** فقال: والله لئن كان ما يقول محمد حقًا لأخواننا الذين خلّفناهم وهم سادتنا فنحن

قوله: (﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ **بالحجّة**)، ولا تجوز المحاربة والمجاهدة بالسيف معهم؛ لأنهم يظهرون الإسلام ويُنكرون الكفر، وحكم شريعتنا أن يحكم بالظاهر؛ لقوله ﷺ: «نحن نحكم بالظاهر»، وقد أمر الله تعالى بالجهاد معهم، وهو عبارة عن بذل الجهد بالصرف عن المنكر والإرشاد إلى الحقّ، وليس في لفظ جاهد ما يدلّ على كون ذلك الجهاد بالسيف أو باللّسان أو بطريقٍ آخر، فنقول: الآية تدلّ على وجوب الجهاد مع المنافقين. وأمّا كيفيّة تلك المجاهدة؛ فلفظ الآية لا يدلّ عليها، وإنما تُعرف هي مِنْ دليل آخر قد دلّت الدلائل المنفصلة على أن المجاهدة مع الكفّار يجب أن تكون بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجّة تارة باليد وتارة باللّسان؛ فمَنْ لم يستطع فبالقلب. **قوله: (ولا تحابهم)** من المُحاباة بمعنى المَيْل مجزوم بحذف آخر كذا، قيل[١]: ولا يبعد أن يكون من المُفاعلة من المحبّة، والمفاعلة على الوجهين للمبالغة. اهـ قنوي. **قوله: (أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين)**... الخ. أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير. **قوله: (ينزل عليه)** جملة حالية. **قوله: (القرآن)** أي طائفة من القرآن، فإن القرآن يطلق على البعض كما يُطلق على المجموع.

قوله: (الجلاس بن سويد) بن صامت الأنصاري الأوسيّ، له صحبة وله ذكر في المغازي، وكان الجلاس منافقًا فتاب وحَسُنت توبته. وقال العلّامة الشهاب عليه

---

(١) أي قائله العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

شر من (الحمير). فقال (عامر بن قيس) الأنصاري للجلاس: (أجل) والله إن محمدًا صادق وأنت شر من الحمار. وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر فحلف بالله ما قال، فرفع عامر يده فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيّك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل:

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شرّ من الحمير، أو هي استهزاؤهم فقال الجلاس: يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام، وفيه دلالة على أن الإيمان والإسلام واحد لأنه قال: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ (﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من قتل محمد عليه السلام) أو قتل عامر لردّه على الجلاس. (وقيل: أرادوا أن يتوّجوا ابن أُبيّ) وإن لم يرض رسول الله ﷺ ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ وما أنكروا وما عابوا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن

رحمة الله الوهاب: الجلاس بضم الجيم والسين المهملة وتخفيف اللام بوزن غراب، رجل من الصحابة كان منافقًا وقد حَسُن إسلامه بعد ذلك. اهـ. **قوله:** (الحمير) جمع حمار. **قوله:** (عامر بن قيس) الأنصاريّ الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أَجَلْ) أي نعم.

قوله: (﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من قتل محمد عليه) الصّلاة و(السّلام)، قيل: هم اثنا عشر رجلًا من المنافقين بقتل رسول الله ﷺ، فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه، فجاء جبريل عليه السّلام فأخبره وأمره أن يرسل إليهم مَنْ يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل حُذيفة لذلك. **قوله:** (وقيل: أرادوا أن يتوجوا ابن أُبيّ) أي عبد الله بن أُبيّ من باب التفعيل بتشديد الواو، أي يلبسوه التاج. قال السُّديّ: قال المنافقون: إذا رجعنا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أُبيّ ابن سلول تاجًا، فلم يصلوا إليه. اهـ.

﴿فَضۡلِهِۦۚ﴾ وذلك أنهم كانوا حين (قَدِم) رسول الله ﷺ المدينة في (ضنك) من (العيش) لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة، (فآثروا) بالغنائم (وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألفًا) فاستغنى ﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ عن النفاق ﴿يَكُ﴾ التوب ﴿خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ وهي الآية التي تاب عندها الجلاس ﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ يصروا على النفاق ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالقتل والنار ﴿وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ ينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ رُوِيَ أن (ثعلبة بن حاطب) قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا فقال عليه السلام: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقّه. فدعا

وعبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول المنافق، وسلول أُمّ عبد الله، ولهذا قال العلماء: الصواب في ذلك أن يقال: عبد الله بن أُبي ابنُ سلول بتنوين أُبيّ، وكتابة ابن سلول بالألف، ويُعرب إعراب عبد الله؛ لأنّه صفة له لا لأُبيّ، وكان عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين، ونزل في ذمّه آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺ وكفّنه في قميصه قبل النّهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلّى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا.

قوله: (قَدِم) بفتح القاف وكسر الدال المخفّفة. **قوله:** (ضَنك) ـ بالفتح ـ أي ضيق. **قوله:** (العيش) ما يتعيّش به كالمأكل وغيره. **قوله:** (فآثروا) أي استغنوا وكَثُرت أموالهم، والثراء كثرة المال. **قوله:** (وقتلوا للجلاس مولى) المولى بمعنى القريب، أو المعتق الذي له إرثه؛ (فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألفًا) الدّية عشرة آلاف درهم، فزيادة الألفين على عادتهم في الزيادة تكرّمًا، وكانوا يسمّونها شنقًا ـ بفتح الشين المعجمة ونون وقاف ـ وهو ما زاد على الدية.

قوله: (ثعلبة بن حاطب) بن عمرو بن عبيد بن أُميّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، قاله محمد بن إسحٰق وموسى بن عقبة، وهو الذي سأل النبيّ ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالًا. وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، أخرجه ابن عبد البرّ

له فاتخذ غنمًا (**فنمت**) كما ينمى (**الدود حتى ضاقت بها**) المدينة، فنزل واديًا وانقطع عن الجمعة والجماعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى (**لا يسعه وادي**) فقال: «(**يا ويح ثعلبة**)» فبعث رسول الله ﷺ (**مصدّقين**) لأخذ الصدقات (**فاستقبلهما الناس بصدقاتهم**)، ومرا بثعلبة فسألاه (**الصدقة**) فقال: ما هذه إلا جزية وقال: ارجعا (**حتى أرى رأيي**)، فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ

وابن مندة وأبو نعيم ونسبوه كما ذكرنا، كلّهم قالوا: إنه شهد بدرًا، وقال ابن الكلبي: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة ـ يعني ابن زيد ـ بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري من الأوْس، شهد بدرًا وقُتل يوم أُحد، فإن كان هذا الذي في هذه الترجمة، فإمّا أن يكون ابن الكلبي قد وهم في قَتْله أو يكون القصة غير صحيحة، أو يكون وهو هو لا شكّ فيه.اهـ أسد الغابة باختصار.

وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وهذا ثعلبة بن حاطب، ويقال: ابن أبي حاطب الأنصاري الذي ذكره ابن إسحٰق فيمن بنى مسجد الضّرار، وليس هو ابن عمرو الأنصاريّ البدريّ؛ لأنه استشهد بأُحد، ولأنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحُديبية»، ومَنْ كان بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه، فينزل فيه ما نزل فهو غيره، كما قال ابن حجر في الإصابة: وإن كان البدري هو المشهور بهذا الاسم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.اهـ.

قوله: (**فنَمَتْ**) أي زادت. **قوله:** (**الدود**) ـ بدالين مهملتين ـ معروف، وهو إذا حصل في شيء يتضاعف بسرعة. **قوله:** (**حتى ضاقت بها**) أي عليها. **قوله:** (**لا يسعه وادي**) أي وادٍ واحد، بل أودية. **قوله:** (**يا وَيْح ثعلبة**) ويح كلمة ترحّم لِمَا ناله من فتنة الدنيا، والمنادى محذوف، أي يا ناس أو يا زائدة للتنبيه، أو المنادى وَيْح؛ كقوله: يا حسرتى، كأنه نادى ترحّمه عليه ليحضر.اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (**مصدّقين**) بتخفيف الصاد المهملة المفتوحة وتشديد الدال المهملة المكسورة، وهم الذين يأخذون الصدقات. **قوله:** (**فاستقبلهما الناس**) فمصدّقين بصيغة التثنية، وفي نسخة: فاستقبلهم الناس أي استقبلوا (**بصدقاتهم**) بلا طلب منهم فَرِحِين بما آتاهم الله من فضله، والباء بصدقاتهم إمّا للمصاحبة كما هو الظاهر، أو للتعدية، أي جعل الناس صدقاتهم مستقبلة، وفيه مجاز مع المبالغة. **قوله:** (**الصدقة**) أي الزكاة. **قوله:** (**حتى أرى رأيي**) من الرؤية البصريّة أو القلبية،

قبل أن يكلماه: «يا ويح ثعلبة» مرتين، فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال: إن الله منعني أن أقبل منك (**فجعل التراب على**) رأسه، فقبض رسول الله ﷺ (**فجاء بها إلى أبي بكر** ﷺ **فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها، وهلك**) في زمان عثمان ﷺ ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي المال ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ لنخرجن الصدقة والأصل «لنتصدقن» ولكن التاء أُدغمت في الصاد لقربها منها ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بإخراج الصدقة.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أعطاهم الله المال ونالوا مناهم ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ مصرّون على الإعراض ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فأورثهم البخل نفاقًا متمكنًا في قلوبهم لأنه كان

والثاني أنسب، والأوّل أبلغ، والمعنى: ارجعا فأتفكر حتى أعلم أيّ من العطاء أو الإمساك تقرّر فكري ورأيي. **قوله: (فجعل التراب على)** رأسه حثوه التراب ليس للتوبة، فإنّ الله تعالى يقبل التوبة ويعفو عن السيّئات، بل للعار في عدم قبول ما أعطاه وظهور حاله في الجملة بين المسلمين. **قوله: (فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها)** وجه عدم قبول الشيخين صدقته ما مرّ من الإصرار على النفاق ومتابعة لسيّد أرباب الوفاق. اهـ قنوي. وفي فتح القدير: ثم أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، اقبل مني صدقتي فقد عرفت منزلتي من الأنصار، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها!! فلم يقبلها أبو بكر، ثم وُلّي عمر بن الخطاب، فأتاه فقال: يا أبا حفص، يا أمير المؤمنين اقبل مني صدقتي، قال: ويثقل عليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج النبيّ ﷺ، فقال عمر: لم يقبَلْها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، أقبلها أنا!! فأبى أن يقبلها، ثم وُلّي عثمان فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبَلْها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك!! فلم يقبلها منه. اهـ بحروفه.

قوله: (وهلك) أي مات من غير إظهار التوبة عن نفاقه، بل مات على كفره ونفاقه، كما يُشعر به قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ [التوبة: الآية ٧٧] الآية.

سببًا فيه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدّق والصلاح وكونهم كاذبين، **(ومنه جعل خلف الوعد ثلث: النفاق)**.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسرّوه من النفاق بالعزم على إخلاف ما وعدوه ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿ٱلَّذِينَ﴾ محله النصب أو الرفع على الذم، أو الجر على البدل من الضمير في ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ﴿يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ يعيبون المطوعين المتبرعين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ متعلق بـ ﴿يَلْمِزُونَ﴾. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ **(حثّ على الصدقة)** فجاء **(عبد الرحمٰن بن عوف)** بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال عليه السلام: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له **(حتى صُولحت تماضر امرأته عن ربع**

قوله: (ومنه جعل خلف الوعد ثلث: النفاق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

قوله: (حثّ على الصدقة) أي رغّبهم وحضّهم عليها في خطبةٍ خطبها قبل خروجه إلى غزوة تبوك. **قوله: (عبد الرحمٰن بن عوف)** أحد العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة رضي الله تعالى عنهم. **قوله: (حتى صُولحت تُماضر)** - بضم التاء وكسر الضاد المعجمة وآخرها راء مهملة - بنت الأصبغ - بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم غين معجمة - ابن عمرو بن ثعلبة بن حصين كلب الكلبيّة التي طلّقها عبد الرحمٰن بن عوف في مرضه، فورثها عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنهم. **(امرأته عن ربع**

الثمن على ثمانين ألفًا)، وتصدّق **(عاصم بن عدي بمائة وسق)** من تمر ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ ﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم. **(وعن نافع «جَهدهم»)** وهما واحد. **(وقيل: الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر)** فقال: بت ليلتى **(أجر بالجرير)** على صاعين فتركت صاعًا لعيالي، وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمٰن وعاصم إلا رياء، وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ فيهزءون ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

الثمن على ثمانين ألفًا) أي ثمانين ألف درهم يدلّ على أن عبد الرحمٰن رضي الله تعالى عنه خلف أربع زوجات، وأن ثمن ماله كان أكثر من ثلاثمائة ألف وعشرين ألفًا ليصحّ أن يصالح إحدى الزوجات الأربع عن رُبع الثمن على ثمانين.

قوله: (عاصم بن عَدِي) هو أبو عبد الله، ويقال: أبو عَمْرو، ويقال: أبو عُمر، عاصم بن عَدِي بن الجَدّ ـ بفتح الجيم ـ ابن العجلان بن الحارثة ـ بالحاء المهملة ـ ابن ضُبَيْعة ـ بضم الضاد المعجمة ـ القُضاعي العجلاني حليف الأنصار، شهد أُحدًا ولم يشهد بدرًا بنفسه، كان رسول الله ﷺ استعمله على قباء وأهل العالية وضرب له بسهم، فكان له حكم مَنْ شَهِدَها، وهو صاحب عُويمر العجلاني في قصّة اللعان.

قوله: (بمائة وَسْق) الوَسْق ـ بفتح فسكون ـ ستّون صاعًا، والصاع ثمانية أرطال، وهو كَيْل معروف، وهذه القصة رواها ابن جرير عن أبي إسحٰق. **قوله: (وعن نافع «جَهدهم»)** قرأ الجمهور: جهد ـ بضمّ الجيم ـ وقرأ ابن هرمز وجماعة بالفتح. اهـ شهاب. **قوله: (وقيل: الجُهْد)** بالضمّ **(الطاقة، والجَهد)** بالفتح **(المشقّة)**. **قوله: (وجاء أبو عقيل)** الأنصاريّ مختلف في اسمه، فقيل: جَيْحاب، قاله قتادة. **(بصاع من تمر)**. . . الخ. رواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والطَّبراني وابن مردويه عن أبي عقيل، والكلّ سبب للنزول. **قوله: (أجر بالجَرير)** الجَرِير حبل يجرّ به البعير بمنزلة العِذار للدابّة، والباء زائدة، أي أجُرّ الجرير، والمعنى بتّ أستقي للناس على أجرة صاعين.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

ولما سأل (**عبد الله بن عبد الله بن أبي**) رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه في مرضه نزل ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (**وقد مرّ**) أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ والسبعون جارٍ مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية، إذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لأنهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به، والمعنى وإن بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم. وقد

قوله: (عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ) بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ الصحابي، وأبوه هو عبد الله بن أُبيّ ابنُ سَلُول المنافق، تقدَّم ذكره. وكان عبد الله بن عبد الله هذا من فُضَلاء الصحابة وساداتهم، وكان اسمه الحُباب، وبه كان أبوه يُكنى، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وشَهِد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، واستأذن النبيّ ﷺ في قتل أبيه على نفاقه فنهاه، واستشهد عبد الله بن عبد الله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة. اهـ تهذيب الأسماء. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: وكانت الخزرج قد أجمعت على أن يتوّجوا أباه عبد الله بن أُبيّ ويُملّكوه أمرهم قبل الإسلام، فلمّا جاء النبيّ ﷺ رجعوا عن ذلك، فحسد النبيّ ﷺ وأخذته العزّة، فأضمر النفاق، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق: لَئِن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فقال ابنه عبد الله للنبيّ ﷺ: هو والله الذّليل وأنت العزيز يا رسول الله، إن أذِنْتَ لي في قتله قتلته، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أحد أبرّ بوالده منّي، ولكني أخشى أن تأمر به رجلًا مسلمًا فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي على الأرض حيًّا حتى أقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار؛ فقال النبيّ ﷺ: «بل تحسن صحبته ونترفّق به ما صحبنا، ولا يتحدّث الناس أنّ محمّدًا ﷺ يقتل أصحابه، ولكن برّ أباك وأحْسِن صحبته». اهـ.

قوله: (وقد مرّ) أي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥٣].

وردت الأخبار بذكر السبعين وكلها تدلّ على الكثرة لا على التحديد والغاية، ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أن العدد قليل وكثير، فالقليل ما دون الثلاث، والكثير الثلاث فما فوقها، وأدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية. والعدد أيضًا نوعان: شفع ووتر، وأول الأشفاع اثنان، وأول الأوتار ثلاثة، والواحد ليس بعدد، **(والسبعة أول الجمع الكثير)** من النوعين لأن فيها أوتارًا ثلاثة وأشفاعًا ثلاثة، والعشرة كمال الحساب لأن ما جاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولك «اثنا عشر وثلاثة عشرة» إلى «عشرين»، والعشرون تكرير العشرة مرتين، والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك إلى مائة، فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه، وكمال الحساب والكثرة منه، فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى اليأس من المغفرة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولا غفران للكافرين ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الإيمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان.

قوله: (والسبعة أول الجمع الكثير)... الخ. بيانه أن الستّة عند الحساب عدد تامّ، والعدد التامّ عندهم ما ساوى مجموع كسوره المنطقة وما عداه زائدًا أو ناقص، وكسوره سدس وهو واحد وثلث وهو اثنان ونصف، وهو ثلاثة ومجموعها ستّة، فإذا زِيد عليها واحد كانت أتمّ في الكمال، ولذا قال ابن عيسى الربعيّ: السبعة أكمل الأعداد؛ لأن الستّة أوّل عدد تامّ، وهي مع الواحد سبعة، فكانت كاملة؛ إذ ليس بعد التّمام سوى الكمال، ولذا سمّي الأسد سبعًا لكمال قوّته، والسبعون غاية الغاية؛ إذ الآحاد غايتها العشرات. وقال العلّامة القاضي البيضاوي في شرح المصابيح: السبعة تُستعمل في الكثرة، يقال: سبّع الله أجرك، أي كثّره، وذلك أن السبعة عدد كامل جامع لأنواع العدد كلّه؛ إذ الأعداد إمّا زوج أو فرد، وإمّا زوج زوج وإما زوج فرد؛ فالزوج هو الاثنان، والفرد هو الثلاثة، وزوج الزوج هو الأربعة، وزوج الفرد هو الستّة، والواحد[1] ليس من

---

(١) وذلك لأن الوحدة تقابل الكثرة لغة وعرفًا، فالمناسب عدم دخول الواحد في العدد لئلا يفوت المقابلة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المنافقون الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فأذن لهم وخلّفهم بالمدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم عن الغزو ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مخالفة له وهو مفعول له، أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له ﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين (تثبيطًا) ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ استجهال لهم لأن مَن تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوّن في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ أي فيضحكون قليلًا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرًا جزاء في العقبى، إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيرهُ. يُروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا (لا يرقأ)

الأعداد عندهم، لكنه منشأ العدد؛ فالسبعة ستّة وواحد، فهي مشتملة على جملة أنواع العدد ومنشئها؛ فلهذا استعمل في التكثير. اهـ. وقيل: إنها جامعة للعدد، لأنه ينقسم إلى فرد وزوج وكلّ منهما إمّا أوّل وإمّا مركّب، فالفرد الأوّل الثلاثة، والمركب الخمسة، والزوج الأوّل اثنان، والمركب أربعة، وينقسم إلى منطق كأربعة وأصمّ كستّة، والسبعة تشتمل جميعها، فإذا أُريد المبالغة جُعِلت آحادها عشرات، ثم عشراتها مئات، وهذه مناسبات ليس البحث فيها من دأب التحصيل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (تثبيطًا) التثبيط: التعويق.

قوله: (لا يرقأ) أي لا يسكن، وبابه قطع.

لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من النفاق ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي ردّك من تبوك. وإنما قال: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ لأن منهم مَن تاب من النفاق ومنهم مَن هلك ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ إلى غزوة بعد غزوة تبوك ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ (وبسكون الياء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ ﴿مَعِيَ﴾ حفص ﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أول ما دعيتم إلى غزوة تبوك ﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ مع مَن تخلّف بعد.

وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنًا أن يكفن النبيّ ﷺ أباه في قميصه ويصلّي عليه فقبل، فاعترض عمر ﷺ في ذلك فقال ﷺ: «ذلك لا ينفعه وإني أرجو أن يؤمن به ألف من قومه» فنزل:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

(﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾) من المنافقين يعني صلاة الجنازة.

قوله: (وبسكون الياء: حمزة وعليّ) الكسائي، (وأبو بكر) شعبة عن عاصم. والباقون بالفتح.

قوله: (﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾)... الخ. هذه الآية صريحة في أنه لا يجوز الصلاة على الكافر بحال؛ إذ قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُم﴾ [التوبة: الآية ٨٤] الضمير فيه عائد إلى الكافر، ومات مجرور المحل على أنه صفة لأحد، وأبدًا يحتمل أن يكون ظرف ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] أي لا تصلّ عليهم أبدًا، ويحتمل أن يكون ظرف مات أبدًا؛ لأن إحياء الكَفَرة للتعذيب دون التمتّع، فكأنّهم ميّتون أبدًا، كذا في الحسيني. والأول هو المذكور في المدارك، والثاني هو المذكور في البيضاويّ، وإنما اختاره لأنه على التقدير الأوّل يجوز أن يكون النفي راجعًا إلى القَيْد، فيفهم جواز الصلاة عليه في بعض الأحوال، وهو باطل. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] عطف على ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبة: الآية ٨٤]، أي لا تقف على قبره للدفن أو الزيارة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] إلى آخره تعليل لتأبيد الموت، أو لعدم جواز الصلاة والقيام على القبر. ومعنى

....

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] وهم كافرون؛ لأن الصلاة على الفاسق جائز بإجماع الصحابة والتابعين، ومضى عليه العلماء الصالحون، وهو مذهب أهل السنّة والجماعة، وإنما اختلف فيه الروافض خاصّة، فيجب حَمْله على معنى الكفر؛ إذ هو الفسق المُطلق، وقد شاع استعماله في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٨] وغيره، ولمّا علّل الله تعالى على عدم جواز الصلاة بمجموع الكفر والموت، وكان حُسْن الخاتمة وقُبْحها أمرًا غيبيًّا عنّا حكمنا بأنّ مَن استقرّ على كلمة الإسلام إلى آخر الوقت يجوز الصلاة عليه، وإن كان يحتمل أن يسبق عليه الكتاب ويخرج من الدنيا كافرًا، ومن استقرّ على كلمة الكفر إلى آخر الوقت لم يجز الصلاة عليه، وإنْ كان يحتمل أن يسبق عليه الكتاب فيموت مؤمنًا، ثم في هذا التعليل دليلٌ على جواز الصلاة على المؤمنين؛ لأن سبب عدم جواز الصلاة هو الكفر والموت عليه.

وأمّا فرضيّة أو كونه كفاية، فقد ثبت بالسنّة المشهورة وليس في القرآن آية يستدلّ بها على فرضية صلاة الجنازة على المؤمنين سوى هذه. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ﴾ [التوبَة: الآية ١٠٣]، فلا يدلّ عليها، فإنّ المراد بالصلاة ثمّة الدعاء في حالة الحياة؛ إذ الضمير في عليهم راجع إلى قوم مخصوص كانوا أحياء لم يلتفت إليهم رسول الله ﷺ، ولم يأخذ من أموالهم صدقة، فأمر بأخذ الصدقة منهم وبالدعاء والاستغفار لهم وعفو عصيانهم، فهو المراد ثمّة لا صلاة الجنازة المعروفة على ما سيجيء.

لا يقال: إن صاحب البيضاوي قد صرّح في هذه الآية أيضًا بأنّ المراد من الصلاة الدعاء والاستغفار للميت كما مرّ، فكيف يستدلّ بها على عدم جواز الصلاة على الكافر؟ لأنّا نقول: إنّ الدعاء والاستغفار لمّا مُنِع مطلقًا في حقّ الميت الكافر كان مَنْع صلاة الجنازة التي هي أكمل الدعاء أوْلى. ولا يلزم في الآية جمع الحقيقة العرفية والمجاز الذي هو الحقيقة اللغويّة؛ لأن صلاة الجنازة في الحقيقة دعاء واستغفار، فكان المراد هو الدعاء لا غير، وإنّما صلاة الجنازة فرد من أفراده. والأوْلى أنّ مَنْع الدعاء والاستغفار مطلقًا يُفْهم من آيات أُخر، وهذه الآية في دعاء مخصوص هو صلاة الجنازة. وممّا ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أنّ الفقهاء ذكروا

(رُوِيَ أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرّك بثوب النبيّ ﷺ)
﴿مَاتَ﴾ صفة لـ ﴿أَحَدٌ﴾ ﴿أَبَدًا﴾ ظرف لـ ﴿تُصَلِّ﴾ وكان عليه السلام إذا دفن الميت

أنّ الصلاة لا تجوز على الكافر بحال، وإنْ كان له وليّ مسلم، حتى قالوا: إنه فيمن اشتبه عليه أنه مؤمن أو كافر لا يُصلّى عليه؛ لأن الصلاة على الكافر لا تجوز بحال، وترك الصلاة على المؤمن جائز في الجملة بخلاف غيرها من الأحكام، فإنه إذا مات كافر وله وليّ مسلم يغسله مثل غسل النجاسة، لا كالغسل المسنون، ويكفّن في خرقة تستر عورته، لا أن يكفّنه بالطريق المسنون، ويحفر حفرة ويُلقيه فيها، لا أن يحفر القبر ويلحد فيه ويدفن بالطريق المسنون؛ هذا ما قالوا. ولا يردّ عليهم أنّ الله تعالى كما منعهم عن الصلاة عليه بقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: الآية ٨٤] كذلك مَنعهم عن القيام على القبر للدفن والزيارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] على ما ذكرت آنفًا؛ لأنّا نقول: النهي مخصوص بالنبيّ عليه السّلام، أو نقول: إنه نهي عن الدَّفن والزيارة، وما ذكرت من إلقاء الكفرة في الحفرة إلقاء لا دفن له؛ إذ المطلوب ترك تعظيمهم وترك استغفارهم، وهما موجودان ح. لكن بقي شيء وهو أنّ المسألة المذكورة تدلّ على أنه إن لم يكن له وليّ مسلم لا يجوز أن يُقبر، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] يدلّ على أنه يجوز أن يُقبر، وإنما المنع قيام المسلم للدّفن والزيارة، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (رُوِيَ أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرّك بثوب النبيّ ﷺ). في تفسير روح البيان للفاضل الكامل إسمٰعيل حقّي رحمة الله عليه: رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رئيس المنافقين عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول دعا رسول الله ﷺ في مرضه، فلمّا دخل عليه سأله أن يستغفر له ويصلّي عليه إذا مات ويقوم على قبره، ثم إنه أرسل إليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفّن فيه، فأرسل إليه القميص الفوقاني، فردّه فطلب الذي يلي جلده، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: تعطي قميصك للرجس النجس، فقال عليه السلام: «إنّ قميصي لا يُغني عنه من الله شيئًا، وأرجو من الله تعالى أن يدخل به ألف في الإسلام»؛ وذلك أنّ المنافقين كانوا لا يُفارقون ابن أُبيّ، فلما رأوه يطلب منه عليه السلام قميصه يتبرّك به، ويرجو أن ينفعه القميص في دفع عذاب الله وجلب رحمته

وقف على قبره ودعا له فقيل: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ تعليل للنهي أي أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله

وفضله أسلم ألف من الخزرج، وإنما قال عليه السلام: «إنّ قميصي لا يُغني» لعدم الأساس الذي هو الإيمان، ومثله إنما يؤثر عند صلاح المحلّ، ويدلّ عليه قوله عليه السلام: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإنّ الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحيّ بجار السوء»، وما يُروى: «الأرض المقدّسة لا تقدّس أحدًا، إنما يقدّس المَرْء عمله»، وقد ثبت أنّ عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه لمّا قتل سفيان بن خالد الهذلي ووضع بين يديه عليه السلام دفع إليه عصًا كانت بيده، وقال: «تحضر بهذه في الجنّة»، أي توكأ عليها، فكانت تلك العصا عنده، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يجعلوها بين جلده وكفنه، ففعلوا. وثبت أنه عليه السلام حلق رأسه الشريف معمر بن عبد الله فأعطى نصف شعر رأسه لأبي طلحة، وفرّق النصف الآخر بين الأصحاب شعرة وشعرتين، فكانوا يتبرّكون بها وينصرون ما داموا حاملين لها، ولذا قال في الأسرار المحمّدية: لو وُضِع شعر رسول الله ﷺ أو عصاه على قبر عاصٍ لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإنْ كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكّانها بلاء ببركته، وإن لم يشعروا به، ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة أسار الكعبة والتكفّن بها وكتابة القرآن على القراطيس والوضع في أيدي الموتى، انتهى.

أقول: إن قلت: قد ثبت أن في خزانة السلاطين خصوصًا في خزانة آل عثمان شيئًا مما يتبرّك به من خرقة النبيّ عليه السلام وغيرها، ورأيناهم قد لا يُنصرون ومعهم شيء من لوائه عليه السلام، ويصيب بلدتهم آفات كثيرة. قلت: ذلك لهتكهم الحُرمة، ألا ترى أن مكّة والمدينة كان لا يدخلهما طاعون، فلمّا هتك السكّان حرمتهما دخلهما، والله الغفور.

فلمّا مات ابن أُبي انطلق ابنه، وكان مؤمنًا صالحًا إلى النبيّ ﷺ ودعاه إلى جنازة أبيه، فقال عليه السلام: «ما اسمك»؟ قال: الحباب بن عبد الله، فقال عليه السلام: «أنت عبد الله بن عبد الله، إن الحباب هو الشيطان» أي اسمه ـ كما في القاموس ـ ثم قال: «صلِّ عليه وادفنه»، فقال: إن لم تصلِّ عليه يا رسول الله لا يصلّي عليه مسلم، أنشدك الله أن لا تشمّت بي الأعداء، فأجابه عليه السلام تسليةً

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم، ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الأخرى.

له ومراعاةً لجانبه، فقام ليصلّي عليه، فجاء عمر رضي الله تعالى عنه فقام بين رسول الله ﷺ وبين القبلة لئلا يصلّي عليه، وقال: أتصلّي على عدوّ الله القائل كذا وكذا يوم كذا وكذا، وعدّ أيّامه الخبيثة؛ فنزلت الآية. وأخذ جبريل عليه السلام بثوبه، وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: الآية ٨٤]، فأعرض عن الصلاة عليه؛ وهذا يدلّ على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله تعالى عنه، فإنّ الوحي كان ينزل على وِفْق قوله في آياتٍ كثيرة منها هذه الآية، وهو منصبٌ عالٍ ودرجة رفيعة له في الدِّين؛ فلذا قال عليه السلام في حقّه: «لو لم أُبعث لبعثت نبيًّا يا عمر»، وقال: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون فإنه إن كان في أُمّتي هذه فإنه عمر بن الخطّاب» رضي الله تعالى عنه. والمُحدَّث ـ بفتح الدال المشدّدة ـ هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فراسةً، وهي الإصابة في النظر، ويكون كما قال، وكأنه حدّثه الملأ الأعلى، وهذه منزلةٌ جليلة من منازل الأولياء، ولم يردّ النبيّ عليه السلام بقوله: «إن كان في أُمّتي» التردّد في ذلك؛ لأن أُمّته أفضل الأُمم وإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أوْلى، بل أراد به التأكيد لفضل عمر، كما يقال: إن يكن لي صديق فهو فلان، يُراد به اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء، وقد قيل في فضيلة عمر رضي الله تعالى عنه:

له فضائل لا تخفى على أحدٍ   إلا على أحد لا يعرف القمرا

وكذا في شرح المشارق لابن مالك.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: إنه عليه السلام رغب في أن يصلّي عليه بعد أن عَلِم أنه كافر مات على الكفر، وأن صلاته عليه دعاءٌ له بالمغفرة، وقد مَنَعه الله من أن يستغفر للمشركين، وأعلمه أنه لا يغفر للكفار، وأيضًا الصلاة عليه ودفع قميصه إليه تُوجب إعزازه، وهو مأمور بإهانة الكفار.

فالجواب أن الخبيث لما طلب منه أن يُرسل إليه قميصه الذي يمسّ جلده الشريف ليُدْفن فيه غلب على ظنّه أنه قد تاب عن نفاقه وآمن؛ لأن ذلك الوقت

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ يجوز أن يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ بأن آمنوا (**أو هي «أن» المفسرة**) ﴿وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ ذوو الفضل والسعة ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ مع الذين لهم عذر في التخلّف (**كالمرضى والزمنى**) ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي النساء جمع «خالفة» ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ

وقت توبة الفاجر وإيمان الكافر، فلما رأى منه إظهار الإسلام وشاهد منه هذه الأمارات الدالّة على إسلامه غلب على ظنّه أنه صار مسلمًا، فرغب في أن يصلّي عليه، فلمّا أتى جبريل وأخبره بأنه مات على كُفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه. وقيل: نزلت الآية بعدما صلّى ولبث يسيرًا، فما صلّى بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره. وأمّا دفع القميص إليه، فذكروا فيه وجوهًا، منها: أن العباس عمّ النبيّ عليه السلام لما أُخذ أسيرًا يوم بدر ولم يجدوا له قميصًا يُساوي قدّه، وكان رجلًا طويلًا، كساه عبد الله قميصه، فهو عليه السلام إنما دفع إليه قميصه مكافأة لإحسانه ذلك لا إعزازًا له. ومنها: أنه تعالى أمره أن لا يردّ سائلًا، حيث قال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: الآية ١٠]، فالضنة بالقميص وعدم إرساله سيّما وقد سُئِل فيه مخلّ بالكرم. ومنها: أنه لعلّه أُوحي إليه أنك إن دفعت إليه قميصك صار ذلك حاملًا لدخول ألف نفرٍ من المنافقين في الإسلام، فعل ذلك بناءً عليه، والله أعلم بحقيقة الحال وما علينا إلا القبول وطيّ المقال، وهو الهادي إلى طريق التحقيق. اهـ.

قوله: (أو هي «أن» المفسرة) لأنه قد تقدّمها ما هو بمعنى القول، وعلى الأوّل كانت مصدريّة على حذف حرف الجرّ، وفي قوله: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ [التوبة: الآية ٨٦] التفات من الغَيْبة إلى الخطاب، ومقتضى الظاهر أن يقال: استأذنه بناء على لفظ رسوله. **قوله: (كالمرضى)** جمع مريض. **قوله: (والزمنى)** جمع زَمِن بفتح الزاي وكسر الميم وهو المقعد.

قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليهم لاختيارهم الكفر والنفاق ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد من الفوزوالسعادة وما في التخلّف من الهلاك والشقاوة.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ﴾ أي إن تخلّف هؤلاء فقد (نهض) إلى الغزو من هو خير منهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ﴾ تناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ. وقيل: الحور لقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ [الرحمـٰن: الآية ٧٠] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل مطلوب ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ قوله: ﴿أَعَدَّ﴾ دليل على أنها مخلوقة.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿(وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ) مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ هو من عذّر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى، وحقيقته أن يوهم أن له عذرًا فيما فعل ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل: هم (أسد وغطفان) قالوا: إن لنا عيالًا وإن بنا (جهدًا) فأذن لنا

قوله: (نهض) قام، وبابه قطع وخضع.

قوله: (﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾) في الإتحاف: واختلف في ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٩٠]، فيعقوب بسكون العين وكسر الذال مخفّفة من أعذر يعذر، كأكرم يُكرم، وافقه الشنبوذي. والباقون بفتح العين وتشديد الذال إمّا من فعل مضعفًا بمعنى التكلّف، والمعنى: أنه يوهم أنّ له عذرًا ولا عُذر له، أو من افتعل، والأصل اعتذر، فأُدغمت الدال في الذال. **قوله:** (أسد وغطفان) هما قبيلتان معروفتان من العرب. **قوله:** (جهدًا) الجهد المشقّة التي تلحقهم بمفارقة الأهل.

في التخلّف ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ من الأعراب ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾

(﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الهرمى) والزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ هم الفقراء من (مزينة وجهينة وبني عذرة) ﴿حَرَجٌ﴾ إثم وضيق في التأخر ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بأن آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المعذورين الناصحين ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ أي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ يغفر تخلفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

قوله: (﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾). . . الخ. قد ذكرت فيما سبق أنّ ثلاثة آيات ناسخة لقوله تعالى: ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١]، وهذه الآية أوْلى منها. والمعنى: ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجذون ما يُنفقون لفقْرهم ـ كجُهَيْنة وبنو عُذْرة ـ ﴿حَرَجٌ﴾ [التوبة: الآية ٩١] إثم في التأخير إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السرّ والعلانية، كما يفعل الموالي الناصح، على ما في الكشاف والمدارك، أو بما قدروا عليه فعلًا أو قولًا يعود على الإسلام والمسلمين بالصّلاح، على ما في البيضاوي، آخرًا بإظهار معذرته للتخلّف من أصحابه حتى لا يجترىء به غيره، على ما في الزاهدي. أو بإصلاح الفعل مع إخلاص النيّة، على ما في الحسينيّ. وبالجملة، فيُوضع من هؤلاء المذكورين الجهاد.

والمرضى في هذه الآية مقابل بالضعفاء، فلعلّ الضعفاء هم الشيخ الفاني وأمثاله، والمرضى شامل للأعمى والأعرج والمريض جميعًا بخلاف ما في قوله

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ لتعطيهم (الحمولة) ﴿قُلۡتَ﴾ حال من الكاف في ﴿أَتَوۡكَ﴾ و«قد» قبله مضمرة أي إذا ما أتوك قائلًا ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ﴾ هو جواب «إذا» ﴿وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ أي تسيل كقولك: «تفيض دمعًا» وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض و«من» للبيان كقولك: «أفديك من رجل»، ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز، ويجوز أن يكون ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ﴾ استئنافًا كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل: ما لهم تولوا باكين؟ فقيل: ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض ﴿حَزَنًا﴾ مفعول له ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ لئلّا يجدوا ما

تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النور: الآية ٦١]، ولهذا وحّد هذا وجمع ثمّة، هكذا يخطر بالبال. ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: الآية ٩١] ليس عليهم جُناح ولا إلى مُعاتبتهم سبيل، فوضع المُحسنين موضع المضمر للدّلالة على إحسانهم، وكلام صاحب الهداية يدلّ على أنّ المعنى: ما على الناصحين غُرم وحجّة، ولذا قال في بيان مذهب أبي يوسف ومحمّد رحمهما الله: أنّ مَنْ أرسل صيدًا من يد المحرم لا ضمان عليه؛ لأنه آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، وما على المُحسنين من سبيل؛ هذا لفظه. وعند أبي حنيفة رحمه الله: يضمن لأجل المُلك على ما هو أصله، وأصلهما في سائر آيات البدع واللّهو، وهذا فصل يطول شرحه، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (الهرمى) جمع هَرِم ـ بفتح الهاء وكسر الراء ـ وهو الضعيف من كبر السّنّ. **قوله:** (مُزَيْنة وجُهَيْنة) بوزن التصغير فيهما (وبني عُذْرة) مجموعها اسم قبائل.

قوله: (الحمولة) ـ بالفتح ـ الإبل التي تحمل. اهـ مختار الصّحاح.

ينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له، وناصبة ﴿حَزَنًا﴾ والمستحملون (**أبو موسى الأشعري وأصحابه، والبكاؤون**) وهم ستة نفر من الأنصار.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التخلّف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ وقوله: ﴿رَضُوا۟﴾ استئناف كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رضوا ﴿بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي بالانتظام في جملة الخوالف ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

قوله: (أبو موسى الأشعري) هو عبد الله بن قيس بن سُليم بن حضّار بن بكر بن عامر بن عذَر بن وائل بن ناجية بن جماهر بن الأشعر، وهو نَبْت بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب بن يُعرب بن قحطان، أبو موسى الأشعري الصحابي الكوفي. قَدِم على رسول الله ﷺ مكّة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر، فأسهم لهم منها ولم يُسهم منها لأحد غاب عن فتحها غيرهم. قال الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود السّجستاني في كتابه شريعة القاري: لأبي موسى مع حُسْن صوته بالقرآن فضيلة ليست لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: هاجر ثلاث هجرات: هجرة من اليمن إلى رسول الله ﷺ، وهجرة من مكّة إلى الحبشة، وهجرة من الحبشة إلى المدينة. قال غيره: واستعمله رسول الله ﷺ على زَبيد وعَدَن وساحل اليمن. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثلاثمائة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسين، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة عشرة. توفي بالكوفة سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

قوله: (وأصحابه) من أهل اليمن. **قوله: (والبكّاؤون)** جمع بكّاء بصيغة المبالغة، وهم جماعة من الصحابة لم يكن لهم قدرة على ما يركبون للغزو مع النبيّ ﷺ طلبوا منه ذلك، فلمّا أجابهم بكوا وحزنوا حزنًا شديدًا، فاشتهروا بهذا، وتفصيلهم في سيرة ابن هشام.

يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يقيمون لأنفسهم عذرًا باطلًا ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ من هذه (السَّفْرة) ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ بالباطل ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾ علة لانتفاء تصديقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ (أتنيبون) أم تثبتون على كفركم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي تردون إليه وهو عالم كل سر وعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيكم على حسب ذلك.

﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ لتتركوهم ولا توبخوهم ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾ فأعطوهم طلبتهم ﴿إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾ تعليل لترك معاتبتهم أي أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لأنهم أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتابًا وتوبيخًا فلا تتكلّفوا عتابهم ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ أي يجزون جزاء كسبهم ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ﴾ أي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطًا عليهم وكانوا (عرضة) لعاجل عقوبته وآجلها، وإنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم.

قوله: (السَّفْرة) بفتح السين وسكون الفاء. **قوله:** (أتنيبون) من الإنابة.

قوله: (عرضة)[1] أي نُصبًا.

---

(١) العُرْضة فُعْلة بمعنى المفعول، كالقبضة يطلق لما يُعْرض دون الشيء، وللمعرَّض للأمر. اهـ بيضاوي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾ **(أهل البدو)** ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل **(الحضر)** لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟﴾ وأحق بأن لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام: «إن **(الجفاء بالمدّ والقسوة في الفدادين» يعني الأكرة لأنهم يفدون)** أي يصيحون في حروثهم والفديد الصياح ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إمهالهم.

قوله: (أهل البدو) إشارة إلى أن الأعراب، وإن كان على صورة الجمع، نحو حجر وأحجار إلّا أنه ليس جمعًا لعرب، وإلّا لزم أن يكون الجمع أخصّ من الواحد، فإنّ العرب هو الصّنف الخاص من بني آدم، سواء سكن البوادي أم سكن القرى. وأمّا الأعراب، فلا يُطلق إلّا على مَنْ يسكن البوادي فقط، فعلى هذا يكون العرب أعمّ من الأعراب. وقيل: العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى، والأعراب أهل البدو؛ فعلى هذا هما متباينان. قال أهل اللغة: يقال: رجل عربيّ إذا كان نسبته إلى العرب، وجمعه العرب، كما يقال: مجوسيّ ويهوديّ، ثم تُحذف ياء النسبة في الجمع، فيقال: مجوس ويهود، ورجل أعرابي بالألف إذا كان بدويًا يطلب مساقط العشب والكلأ، سواء كان من العرب أو من مواليهم، ويُجمع على الأعراب. والأعرابي إذا قيل له: يا عربيّ فَرِح، والعربي إذا قيل له: يا أعرابيّ غَضِب، فمَن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومَن نزل البادية فهم أعراب، ويدلّ على الفرق قوله: «حبّ العرب من الإيمان». وأمّا الأعراب، فقد ذمّهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، فقد ظهر بما قرّرنا أنّ الأعراب جمع أعرابيّ، وقد تقرّر أن الأصل في الجمع المحلّى بالألف واللام أن ينصرف إلى المعهود السابق، فإن لم يوجد المعهود السابق حُمل على الاستغراق للضرورة؛ إذ لو لم يُحمل عليه لزم الإجمال، فلذلك قال بعض العلماء: المراد بالأعراب هٰهنا جمع معيّنون من منافقي العرب يُوالون منافقي المدينة، فصرفوا هذا اللّفظ إليهم.

وفي التيسير: إنّ هذه الآية تتصل بقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبَة: الآية ٩٠]، أي أنّ سكان البوادي إذا كانوا كفّارًا أو منافقين، فهم أشدّ كفرًا

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ أي يتصدّق ﴿مَغْرَمًا﴾ **(غرامة وخسرانًا)** لأنه لا ينفق إلا تقيّة من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾) أي دوائر الزمان وتبدل الأحوال بدور الأيام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي عليهم تدور المصائب

ونفاقًا من أهل الحضر؛ وذلك لأن أهل البدو يشبهون الوحوش، فهم مجبولون على الامتناع عن الطّاعة والانقياد، ولأن استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيد قساوة قلوبهم، ولأن مَنْ لم يدخل تحت تأديب مؤدّب ولم يُخالط أهل العلم والمعرفة، ولم يستمع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسوله ﷺ بآياته الشافية، كيف يكون مساويًا لمن أصبح وأمسى في صُحبة أهل العلم والحكمة، مُستمعًا لمواعظ الأحكام والكتاب والسنّة؟ وإن شئت أن تعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية، فقابل الفواكه الجبليّة بالفواكه البستانيّة، ومَنْ كانوا أبعد عن سماع القرآن والسّنن وكانوا أجدر وأوْلى وأحقّ بأن لا يعلموا حدود العبادات والشرائع المنزلة على رسول الله ﷺ.

قوله: (الحضر) ـ بفتحتين ـ خلاف البادية. **قوله: (الجَفاء بالمدّ)** وهو ضدّ الوفاء، والمراد هنا غلظ الألسنة **(والقسوة في الفدادين)** بالتشديد **(يعني الأكرة)** في المصباح: أكرت الأرض حرثتها، واسم الفاعل أكّار للمبالغة، والجمع أكرة، كأنه جمع آكر وزان كفرة جمع كافر. اهـ. **(لأنهم يَفِدون)** في مختار الصحاح: الفديد الصوت، وقد فدّ الرجل يَفِدّ ـ بالكسر ـ فديدًا، ورجل فدّاد ـ بالفتح والتشديد ـ أي شديد الصوت. اهـ.

قوله: (غرامة وخسرانًا) إشارة إلى أن المغرم مصدر بمعنى الغرامة، وهي التزام ما لا يلزم، وهو لا يكون إلّا بضياع رأس المال، فلذلك عطف عليه قوله: وخسرانًا، وأصلها الملازمة، ومنها الغريم للزومه. **قوله: (﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾)** التربّص الانتظار، والدوائر جمع دائرة وهي ما يُحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة، فمعنى تربّص الدوائر انتظار المصائب بأن ينقلب الزمان على المسلمين بموت

والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين. (﴿السُّوء﴾ مكيّ وأبو عمرو وهو العذاب)، و(﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح ذم للدائرة) كقولك: «رجل سوء» في مقابلة قولك: «رجل صدق» ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في الجهاد والصدقات ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ أسبابًا للقربة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُ﴾ ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي دعاءه لأنه ﷺ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم (كقوله: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى») ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي النفقة أو صلوات الرسول ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ (﴿قُرُبَةٌ﴾ نافع). وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه، والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه، وكذلك ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أي جنته وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدلّ هذا

الرسول ﷺ، وغلَبة الكفار عليهم. قوله: (﴿السُّوء﴾) بضمّ السين (مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وأبو عمرو) البصريّ، (وهو) أي بمعنى المضموم (العذاب) والضّرر والبلاء. والباقون (﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح) وهو (ذمّ للدائرة) والإضافة فيه مِنْ إضافة الموصوف إلى صفته، وصفت الدائرة بالمصدر في الأصل للمبالغة، كما في نحو: رجل عدل، ثم أُضيفت إلى صفتها؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: الآية ٢٨].

قوله: (كقوله) ﷺ (اللهمّ صلّ على آل أبي أوفى) أخرجه أصحاب الستة غير الترمذي، أوْفى ـ بفتح الهمزة والفاء والقصر ـ والد عبد الله وزيد ابني أبي أوْفى، اسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم بن قُصَيّ بن حارثة الأسلميّ، من أصحاب بَيْعة الرّضوان. رَوَى له البخاري وهو آخر مَنْ بَقِيَ مِنَ الصحابة رضوان الله عليهم بالكوفة. توفي سنة سبع وثمانين. قوله: (﴿قُرُبَةٌ﴾) بضم الراء (نافع) والباقون بسكونها.

الكلام على رضا الله من المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يستر عيب المخلّ ﴿رَّحِيمٌ﴾ يقبل جهد (المُقلّ).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾ صفة لهم ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ تبيين لهم وهم الذين صلّوا إلى (القبلتين)، أو الذين شهدوا بدرًا (أو بيعة الرضوان) ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ عطف على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي ومن الأنصار (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ من المهاجرين والأنصار فكانوا سائر الصحابة.

قوله: (المُقِلّ) أي الفقير.

قوله: (القبلتين) إحداهما: البيت الحرام، والأخرى: بيت المقدس. **قوله:** (أو) شهد (بيعة الرضوان) بالحديبية، سُمّيت بيعة الرضوان لقوله تعالى في حقّهم: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: الآية ١١٩].

قوله: (وهم أهل بيعة العقبة الأُولى) كانت في سنة إحدى عشرة من البعثة، والثانية في سنة اثنتي عشرة، وفي عدد مَنْ بايع بها، وذكره بسط في السِّيَر. اهـ شهاب ﷺ. وهي عقبة منى التي يُرمى بها الجمار في الحجّ. اهـ مجمع البحار. وفي سفينة الراغب ودفينة المطالب للإمام الراغب من شرح البخاري للكرماني عليه الرحمة: اعلم أنّ رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطًا من الخزرج، فقال: «ألا تجلسون أكلّمكم»؟ قالوا: بلى، فجلسوا فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا من اليهود أنّ النبيّ عليه السّلام قد أظلّ زمانه، فقال بعضهم لبعض: والله إنه لذاك، فلا يسبقنّ اليهود عليكم؛ فأجابوه، فلمّا انصرفوا إلى بلادهم وذكروه لقومهم فَشَا أمر رسول الله ﷺ فيهم، فأتى في العام القابل اثنا عشر رجلًا إلى الموسم من الأنصار أحدهم عبادة بن الصامت، فلقوا رسول الله ﷺ

....

بالعقبة، وهي بيعة العقبة الأُولى، فبايعوه بيعة النساء، يعني ما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [المُمتَحنَة: الآية ١٢]، ثم انصرفوا. وخرج في العام الآخر سبعون رجلًا إلى الحجّ، فواعَدهم عليه السلام العقبة أوْسط أيّام التشريق، قال كعب بن مالك: لمّا كانت اللّيلة التي واعدنا فيها، بتنا أوّل اللّيل مع قومنا، فلمّا استقبل الناس من النّوم تسلّلنا من فُرُشِنا حتى اجتمعنا بالعقبة، فأتانا رسول الله ﷺ مع عمّه العبّاس، فقال العبّاس: يا معشر الخزرج، إنّ محمّدًا حيث علمتم، في منعة ونصرة من قومه وعشيرته، وقد أبى إلّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم وَافِين بما وعدتموه فأنتم وما تحمّلتم، وإلّا فاتركوه في قومه؛ فتكلّم رسول الله ﷺ داعيًا إلى الله ومرغّبًا في الإسلام وتاليًا للقرآن، فأجبناه بالإيمان، فقال: «إني أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم به آباءكم»، فقلنا: ابْسِط يديك نُبايعك عليه، فقال عليه السلام: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا»، فأخرجنا من كل فرقة نقيبًا، وكان عبادة نقيب بني عوف، وهذه بيعة العقبة الثانية. اهـ.

وفي تفسير الخازن: وأمّا السابقون من الأنصار، فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وهي العقبة الأُولى، وكانوا ستّة نفر: أسعد بن زُرارة، وعوف بن مالك، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رباب. ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلًا، ثم أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين رجلًا، منهم: البراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، وسعد بن عُبادة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة؛ فهؤلاء سبّاق الأنصار. اهـ.

وفي تاريخ الخميس: في السنة الحادية عشرة من النبوّة كان ابتداء إسلام الأنصار، رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتبع آثار الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في الموسم، ويقول: «مَنْ يُؤْويني؟ مَنْ ينصرني حتى أبلغ رسالة ربّي، فله الجنّة». وفي سيرة مغلطاي: فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، فيردّونه أقبح ردّ، ويُؤْذونه ويقولون:

....

قومك أعلم بك، وكان ممّن سمّى لنا من تلك القبائل: بنو عامر بن صَعْصَعَة ومحارب بن حفصة وفزارة وغسان ومُرّة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نضر[١] والبكاء وكنده وكعب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة إلى أن أراد الله إظهار دينه، فساقه عليه الصّلاة والسّلام إلى هذا الحيّ من الأنصار، وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبيّ ﷺ، وإنما كانوا يسمّون أولاد قَيْلة، والأوْس والخزرج، فأسلم أسعد بن زُرارة، وقيس بن ذكوان، انتهى كلام مغلطاي. فخرج في هذا الموسم يعرض نفسه على القبائل، كما كان يصنع في كل موسم، فبَيْنا هو عند العقبة؛ إذ لقي جماعة من الخزرج فقال: «من أنتم»؟ قالوا: من الخزرج، قال: «أفلا تجلسون حتى أُكلّمكم»؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان أُولئك قد سمعوا من اليهود أنه قد أظلّنا زمان نبيّ يُبعث.

وفي المواهب اللدنيّة: كان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء، قالوا: إنّ نبيًا سيُبعث الآن قد أظلّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه، فلمّا كلّمهم قال بعضهم لبعض: والله إنه للنبيّ الذي يعدكم به اليهود، فلا يسبقنّكم إليه، فأسلم منهم ستّة نفر، كلّهم من الخزرج، وهم: أبو أُمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن ذئاب[٢]، فقال لهم النبيّ ﷺ: «تمنعون ظهري حتى أبلّغ رسالة ربّي»، فقالوا: يا رسول الله، إنّما كانت بعاث العام الأوّل يوم مِنْ أيّامنا اقتتلنا به، وإن تقدم، ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا، لعلّ الله يصلح ذات بيننا ندعوهم إلى ما دعَوْتنا وموعدنا وموعدك الموسم العام القابل، وانصرفوا إلى بلادهم، ويسمّى هذا ابتداء إسلام الأنصار ومقتضى ما سنذكره بعد المعراج أن

---

(١) ابن عامر عدي بن نابي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) قوله: ابن ذئاب، وفي نسخة صحيحة ابن رباب، كما في أسد الغابة: جابر بن عبد الله ابن رباب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

تسمّى هذه بيعة العقبة الأُولى، كذا في الوفاء. ولمّا قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فَشَا فيهم الإسلام، فلم يبقَ دار من دُور الأنصار إلّا فيها ذكر رسول الله ﷺ.اهـ.

وأيضًا في تاريخ الخميس بعد ذكر قصة المعراج: وفي السنة الثانية عشر وقعت بيعة العقبة الأُولى، ومقتضى ما قدَّمناه قبل المعراج أن تكون هذه الثانية، كذا في الوفاء والمواهب اللدنيّة. ولمّا كان العام المقبل الموعد، وخرج رسول الله ﷺ عامئذٍ إلى الموسم، فلقيه اثنا عشر رجلًا. وفي الإكليل: أحد عشر رجلًا، وهي العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورة، وهم أبو أُمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن ذئاب(١) لم يحضرها، والسبعة تتمّة الاثني عشر، هم: معاذ بن الحارث، ورفاعة ـ وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور ـ وذكوان بن عبد القيس الزرقيّ، وقيل: إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكّة فسكنها معه، فهو مهاجريّ أنصاري، قُتل يوم أُحد، وعُبادة بن الصامت بن قيس، وأبو عبد الرحمٰن يزيد بن ثعلبة البلويّ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة، وهؤلاء من الخزرج. والأوس رجلان: أبو الهيثم بن التَّيْهان من بني عبد الأشهل، وعُويمر بن ساعدة؛ فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، أي وفق بيعتهنّ التي نزلت بعد فتح مكّة، وهي أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسّمع والطاعة في العُسْر واليسر والمَنْشط والمكره، وأثرة علينا أن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقّ حيث كنّا لا نخاف في الله لَوْمة لائم، قال عليه السلام: «فإن وفَّيْتم فلكم الجنّة، ومَنْ غشَّني وفعل مِنْ ذلك شيئًا كان أمره إلى الله إنْ شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه»، ولم يعرض يومئذ القتال، ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث رسول الله ﷺ معهم مُصعب بن عمير إلى المدينة يعلّم أهلها الأحكام، ويقرىء القرآن؛ فنزل على أسعد بن زُرارة.

---

(١) قوله: ابن ذئاب كذا في نسخة، وفي نسخة صحيحة بإسقاط هذا القول. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وفي المواهب اللّدنيّة: أظهر الله الإسلام ـ أي في المدينة ـ وكان أسعد بن زُرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم ﷺ وكتبت الأوْس والخزرج إلى النبيّ ﷺ: ابعث إلينا مَنْ يُقرئنا القرآن، فبعث إليهم مُصعب بن عُمير، فأسلم خلقٌ كثير، وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم، فأذن له، فجمع بهم في دار سعد بن خيثمة، وكان أوّل مَنْ جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، ثم قَدِم مُصعب على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه كما سيجيء في العقبة الثانية، فأقام مصعب بمكّة قليلًا ثم قَدِم قبل رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا، فهو أوّل مَنْ قَدِمها، والله أعلم.

وفي ذي الحجّة من السنة الثالثة عشر من النبوّة قبل الهجرة بثلاثة أشهر وقعت بيعة العقبة الكبرى، وبعضهم يسمّيها العقبة الثانية، ومقتضى ما قدّمناه أن تسمّى الثالثة، كذا في الوفاء.

وفي التاريخ الأوسط للبخاري ﷺ: أنّ أهل مكّة سمعوا هاتفًا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ، وهو يقول:

فإن يسلم السعدان يُصْبِحُ محمّدٌ بمكّة لا يخشى خلاف مخالفِ

وفي رواية:

من الأمن من لا يخشى خلاف مخالف

فقالت قريش: لو عَلِمْنا مَنِ السّعدان؟ قال عند ذلك:

أيا سعد سعد الأوس إن كنت ناصرًا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنَّيَا على الله في الفردوس منية عارف

قال أهل السِّيَر: في السنة الثالثة عشر من النبوّة قَدِمَ مكّة في موسم الحجّ قريب من خمسمائة نفر، وفي رواية: ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج، وخرج معهم مصعب بن عمير إلى مكّة، واتّفق منهم سبعون رجلًا. قال ابن سعد: يزيدون رجلًا أو رجلين، وامرأتان[1]: نسيبة بنت كعب أُمّ عمارة، وأسماء بنت

(١) قوله: نسيبة هذه ـ بفتح النون وكسر السين ـ قاله الأمير أبو نصر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

عدي بن عمرو. وقال ابن إسحٰق: ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان. وقال الحاكم: خمس وسبعون نفسًا لاقوا رسول الله ﷺ، فواعدهم أن يحضروا شعب العقبة في الليلة الثانية من ليالي التشريق للمبايعة.

وفي الصفوة: جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ، فقيل لهم: هو في بيت العبّاس، فدخلوا عليه، فقال لهم العبّاس: إنَّ معكم مِنْ قومكم مَنْ هو مخالفٌ لكم، فأخفوا أمركم حتى يتصدّع هذا الحاجّ ونلتقي نحن وأنتم، فنوضح لكم هذا الأمر، فتدخلون فيه على أمرٍ بيِّن؛ فوعدهم رسول الله ﷺ اللّيلة التي في صبيحتها النفر الآخر. وفي رواية: فواعدوه العقبة من أوسط أيام التشريق، والمعنى واحد أن يوافيهم أسفل العقبة، وأمرهم أن لا ينبّهوا نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا، ولمّا فرغوا من الحجّ، وكانت اللّيلة الموعودة خرج القوم بعد هدء الناس. وفي المنتقى: باتوا تلك الليلة في رِحالهم حتى إذا مضى ثلث اللّيل خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله ﷺ يتسلّلون مُستخفين تسلّل القطا حتى اجتمعوا في الشّعب عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلًا، ومعهم امرأتان: أُمّ عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن، وأسماء بنت عدي بن عمرو إحدى نساء بني سليم، وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العبّاس وليس معه غيره، وهو يومئذ على دين قومه إلّا أنه يحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له، فلمّا جلس واجتمعوا له كان أوّل مَنْ تكلّم العبّاس، فقال: يا معشر الخزرج ـ وكانت الأوس والخزرج تُدعى الخزرج ـ قد دعَوْتم محمّدًا إلى ما دعَوْتُموه، ومحمد من أعزّ الناس في عشيرته يمنعه والله مَنْ كان على قوله، ومَنْ لم يكن كذلك، مَنَعَه للحسب والشرف، وقد أبى محمّد الناس كلّهم غيركم. وفي وفاء الوفاء: وقد أبى إلا الانحياز إليكم، فإن كنتم أهل قوّة وجَلَد ونظر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبةً، فإنها سترميكم عن قوس واحدة، فارتؤوا رأيكم وائتمروا أمركم، فلا تفرّقوا إلا عن اجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه، وأُخرى صِفُوا إليّ الحرب كيف تقاتلون عدوّكم؟ فسكت القوم وتكلّم عبد الله بن عمرو بن حِزام، فقال: نحن والله أهل الحرب غُذينا بها ومُرِينا وورثناها عن آبائنا كابرًا عن كابرٍ، نرمي بالنَّبْل حتى تفنى، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر، ثم نمشي بالسيوف فنضرب بها حتى يموت الأعجل منّا، أو من عدوّنا.

....

فقال العباس: هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة، وقال البراء بن معرور: قد سمِعْنا ما قلت، والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكن نريد الوفاء والصدق وبذل المُهَج وأنفسنا دون رسول الله ﷺ. وعن الشعبيّ قال: انطلق رسول الله ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة، فقال العباس: ليتكلّم متكلّمكم ولا يطيل الخطبة، فإنّ عليكم مِنَ المشركين عينًا، وإن يعلموا بكم فيفضحوكم. فقال قائلهم ـ وهو أسعد ـ: يا محمّد، سَلْ لربِّك ما شئت، ثم سَلْ لنفسك وأصحابك ما شئت، ثمّ أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك، فقال: «أسألكم لربّي أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا ممّا تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة»، قالوا: فلك ذلك. وفي المنتقى: تكلَّم رسول الله ﷺ، فتَلَا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغّب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم»، قال: «بايعوني»، قالوا: على أيِّ شيءٍ نُبايعك يا رسول الله؟ قال: «بايعوني على السّمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله ولا تخافوا لومة لائم، وعلى أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم وأزواجكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحقّ نبيًّا لنمنعنّك مما نمنع منه العزيز فينا، فبايعوا رسول الله ﷺ والعباس آخذٌ بيد رسول الله ﷺ يؤكّد له البيعة على الأنصار، وقالوا: فنحن والله أهل الحرب والحلقة ورثناها كابرًا عن كابر؛ فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التّيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس ـ يعني اليهود ـ حبالًا وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم». وفي رواية: «المحيا محياكم والممات مماتكم، أنتم منّي وأنا منكم، أُحارب مَنْ حاربتم وأُسالم مَنْ سالمتم»، وقال: «أخرجوا منكم اثني عشر رجلًا نقيبًا يكونون على قومهم»، فأخرجوا اثني عشر نقيبًا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وقال رسول الله ﷺ للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء ككفالة الحواريّين لعيسى ابن مريم»؟ قالوا: نعم.

....

رُوِيَ عن عاصم بن عمرو بن قتادة: أنّ القوم لمّا اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصاري: يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تُبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةٌ وأشرافكم قَتْلٌ، أسلمتموه، فمِنَ الآن، وهو والله خزي الدنيا والآخرة إنْ فعلتم، وإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نهك الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إنْ نحن وفَيْنا؟ قال: «الجنّة»، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

قال عاصم بن عمرو: والله ما قال العباس ذلك إلا ليشدّ العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم. وقال عبد الله بن أبي بكر: والله ما قال العباس ذلك إلّا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، فيكون أقوى لأمر القوم، فالله تعالى أعلم أيّ ذلك كان؛ فبنو النجار يزعمون أن أبا أُمامة أسعد بن زُرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التّيهان، وقال كعب بن مالك: أوّل مَنْ ضرب على يدي رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم. قال كعب: فلمّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ: يا أهل الجباجب[1]، هل لكم في مُذَمّم والصبأة معه قد جُمِعُوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أزَبُّ[2] العقبة»، وفي رواية: «ابن أزَبِّ العقبة، لأفرغنّ لك أي عدوّ الله، ارجعوا إلى رحالكم نصركم الله»، فقال له العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة: والذي بعثك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ غدًا على أهل منى بأسيافنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، فرجعنا إلى مضاجعنا، فنِمْنا عليها، فلما أصبحنا غدت علينا جلّة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنّا قد بَلَغنا أنكم جئتم إلى

(١) قوله: الجباجب: الطبل، وجبال مكّة حرسها الله تعالى أو أسواقها أو منحر بمنى كان يُلْقى به الكروش والضِّخام من النُّوق. انتهى قاموس.

(٢) هو شيطان اسمه أزَبُّ العقبة. ١٢ قاموس.

وقيل: هم الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة والخبر ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما أفاض عليهم من نعمته الدينية

صاحبنا هذا، فتستخرجونه من بين أظهرنا وتُبايعون على حربنا؟ والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث مَنْ هناك مِنْ مُشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وقد صَدَقوا لم يعلموا، ثم إنّ قريشًا أتوا عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، فذكروا له ما قد سمعوا من أصحابه، فقال: وما كان قومي ليتفوّتوا عليّ بمثل هذا وما علمته. ثم إنّهم قالوا لرسول الله ﷺ: أتخرج معنا، قال: «ما أُمِرْتُ به». قال رزين: وقد قيل: وقع بين قريش والأنصار كلام في سبب خروج النبيّ ﷺ معهم، ثم أُلقي الرعب في قلوب قريش، فقالوا: ليس يخرج معكم إلّا في بعض أشهر السنة ولا تتحدّث العرب بأنكم غلبتمونا، فقالت الأنصار: الأمر في ذلك لرسول الله ﷺ، ونحن سامعون لأمره؛ فأنزل الله على رسوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٦٢]، أي إن كان كفار قريش يريدون المَكْر فسيمكر الله بهم، فانصرفت الأنصار إلى المدينة.

وفي سيرة ابن هشام، قال: ونفر الناس من منى، فتفتش القوم الخبر فوجدوه قد كان. قال ابن إسحٰق: وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عُبادة بإذاخر، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيبًا، وقيل: إنّ قريشًا بدا لهم فخرجوا في آثارهم، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلّفا في أمر فردّوهما إلى مكّة: المنذر والعبّاس بن عُبادة، فأدركهما جُبير بن مطعم والحارث بن أُميّة، فخلصاهما فلحقا بأصحابهما. وفي رواية: إنّ الرجلين هما المنذر وسعد بن عُبادة. فأمّا المنذر، فأعجز القوم ونجا. وأمّا سعد، فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بشِسْع[1] رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة يضربونه ويجذبونه بجمّته، وكان ذا شعرٍ كثير، ثم خلّصه منهم جُبير بن مُطعم والحارث بن أُميّة؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما ويمنعهم أن يُظْلموا ببلده. اهـ.

---

(١) الشِّسْع ـ بالكسر ـ قبال النعل. انتهى قاموس.

والدنيوية ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿رَضِيَ﴾ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (﴿مِن تَحْتِهَا﴾: مكيّ) ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يعني حول بلدتكم وهي المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ (**وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حولها**) ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ عطف على خبر المبتدأ الذي هو «ممن حولكم» والمبتدأ ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت «ومن أهل المدينة قوم» ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف، وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلامًا مبتدأ، أو صفة لـ ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره، ودلّ على مهارتهم فيه بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ أي يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط (**تنوقهم**) في (**تحامي**) ما يشككك في أمرهم. ثم قال: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرّهم غيره، لأنهم يبطنون الكفر في (**سويداء قلوبهم ويبرزون**) لك ظاهرًا كظاهر المخلصين من

قوله: (﴿مِن تَحْتِهَا﴾) بمن الجار وخفض تحتها بها كسائر المواضع (مكّيّ) أي ابن كثير المكّي. والباقون بحذف من وفتح تحتها على المفعولية فيه.

قوله: (**وهم: جُهَيْنة وأَسْلم وأَشْجَع وغِفار كانوا نازلين حولها**)، كذا ذكره جماعة من المفسّرين المتأخرين؛ كالبغوي والواحدي وابن الجوزي وما ذكروه مشكل؛ لأن النبيّ ﷺ دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم، فإنْ صحّ نقل المفسّرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبَة: الآية ١٠١] على القليل؛ لأن لفظة مِنْ للتبعيض، ويُحمل دعاء النبيّ ﷺ لهم على الأكثر والأغلب، وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسّرين ودعاء النبيّ ﷺ لهم. اهـ خازن. **قوله:** (**تنوقهم**) التنوق: التصنّع والتكلّف بإظهار النيقة، وهي الحذق وما يعجب الناظر. **قوله:** (**تحامي**) أي اجتناب. **قوله:** (**سويداء قلوبهم**) في مختار الصّحاح: سَواد القلب حَبّته، وكذلك أسْوَده وسَوْداؤه وسُوَيْداؤه. اهـ. **قوله:** (**ويبرزون**) أي يظهرون.

المؤمنين ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ هما القتل وعذاب القبر، (أو الفضيحة) وعذاب القبر، أو أخذ الصدقات من أموالهم (ونهك أبدانهم) ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي عذاب النار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ أي قوم آخرون سوى المذكورين ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة، فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم على (سواري المسجد) فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلّى ركعتين، وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا أن لا (يحلوا) أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم فقال: وأنا أقسم أن لا أحلّهم حتى أومر فيهم فنزلت، فأطلقهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا (التي خلفتنا) عنك فتصدّق بها وطهرنا فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا، فنزل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ ﴿خَلَطُوا۟﴾ (﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خروجًا إلى الجهاد ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفًا عنه)، أو التوبة والإثم (وهو من قولهم «بعت الشاء) شاة

قوله: (أو الفضيحة) وذلك ما رُوي أنه ﷺ قام خطيبًا يوم الجمعة، فقال: «اخرج يا فلان، فإنك منافق»، فأخرج من المسجد ناسًا وفضحهم. **قوله:** (ونهك أبدانهم) أي جعلها ضعيفة قريبة من التلاشي والاضمحلال. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الأمراض في الدنيا وعذاب الآخرة، فإنّ مرض المؤمن يفيد تكفير السيّئات، ومرض الكافر تعذيب مَحْض.

قوله: (سواري المسجد) السارية الأسطوانة. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (يحِلُّوا) بابه ردّ. **قوله:** (التي خلفتنا) أي جعلت سببًا لتخلّفنا.

قوله: (﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خروجًا إلى الجهاد ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفًا عنه) أي العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله ﷺ إلى سائر الغزوات، والسيِّىء هو تخلّفهم عنه، وغزوة تبوك. **قوله:** (وهو من قولهم: بعت الشاء

(ودرهمًا») أي شاة بدرهم، فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للإلصاق فيتناسبان، أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك: «خلطت الماء واللبن» تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك: «خلطت الماء باللبن» لأنك جعلت الماء مخلوطًا واللبن مخلوطًا به. وإذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطًا بهما كأنك قلت: «خلطت الماء باللبن واللبن بالماء» ﴿(عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ولم يذكر توبتهم لأنه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة.

ودرهمًا)[١]. . . الخ. جواب عمّا يقال: إنّ الخلط يستدعي مخلوطًا به. وفي الآية قد عطف أحد المخلوطين على الآخر، فما المخلوط به؟ أجاب عنه أوّلًا بأن الواو مستعار لمعنى الباء بناءً على أنّ الواو للجمع، والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق من وادٍ واحد، فصحّ أن يستعمل ما وُضِع لأحدهما فيما وُضع له الآخر بطريق الاستعارة، كما في قولهم: بعت الشاء[٢] شاة ودرهمًا، أي شاة بدرهم. وثانيًا بأن المخلوط به في كلّ واحد من المخلوطين هو المخلوط في الخلط الآخر؛ لأن الخلط لما اقتضى مخلوطًا به فهو إمّا الآخر أو غيره، والثاني مُنتفٍ بالأصل وبالقرينة لدلالة سياق الكلام في مثل قولك: خلطت الماء واللّبن على أنّ كلّ واحدٍ منهما مخلوط ومخلوطٌ به، وهو أبلغ من أن يقال: خلطت الماء باللّبن، لأنك إذا عيّنت المخلوط به يكون الخلط واحدًا يقصد أحدهما أوّلًا، ويجعل مخلوط بالآخر، وإذا كان بالواو يكون الخلط متعدّدًا يقصد كل واحد من الخلطَيْن، فيجعل مخلوطًا بالآخر، فيكون الماء واللّبن مخلوطَيْن ومخلوطًا بهما، فكأنك قلت: خلطت الماء باللّبن واللّبن بالماء، فيكون ما قلت بالواو أبلغ مما قلت بالباء.

قوله: (﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾)، قال المفسّرون: عسى من الله يدلّ على الوجوب إلّا أن كلامه تعالى ينزل على حسب ما يتعارف الناس، فالسّلطان العظيم إذا التمس المحتاج منه شيئًا، فإنه لا يجيب إلا بما يدلّ على الترجّي والطمع، كلعلّ وعسى تنبيهًا على أن ليس لأحدٍ أن يلزمني شيئًا، وإني لا أفعل ما أفعل إلّا

---

(١) بدل من الشاء، أي درهم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بالمدّ والهمزة آخره، وهمزة بدل من الهاء بدليل جمعه على شياء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ كفارة لذنوبهم، وقيل: هي الزكاة ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن الذنوب وهو صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾ **(والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث)**. والتاء في ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ للخطاب لا محالة ﴿بِهَا﴾ بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى **(الإنماء)** والبركة في المال ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ **(واعطف عليهم بالدعاء لهم)** وترحم، **(والسُّنّة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها)** ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ ﴿صَلَوٰتَكَ﴾ **(كوفي غير أبي بكر)**. قيل: الصلاة أكثر من الصلوات لأنها للجنس ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم من الندم والغمّ لما فرط منهم.

على سبيل التفضّل والكرم، فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى ولعلّ في مثل هذا الموضع. في تفسير البيضاوي: (﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾) أن يقبل توبتهم. اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: التوبة إذا أسندت إلى العبد معناها ظاهر، وإذا أُسندت إلى الله تعالى فمعناها قبولها؛ لأن أصل معناها العود، فالعبد يعود إلى الطاعة، والله يعود بإحسانه وتفضّله عليه. اهـ.

قوله: (والتاء للخطاب) للنبيّ ﷺ، **(أو لغيبة المؤنث)** وضمير المؤنث للصدقة. **قوله: (الإنماء)** وهو الزيادة. **قوله: (واعطف عليهم بالدعاء لهم)** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معنى الصلاة عليهم أن يدعو لهم، وهو معنى قوله: «اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى». **قوله: (والسُّنّة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها)**، قال النوويّ في شرح مسلم: قال الفقهاء: الدعاء لدافع الزكاة سنّة لا واجب، خلافًا لبعض الشافعيّة عملًا بظاهر الآية، واستحبّ الشافعي أن يقول في دعائه: آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورًا وبارك لك فيما أبقيت، والصحيح أنه لا يستحبّ، انتهى. **قوله:** (﴿صَلَوٰتَكَ﴾) بالتوحيد وفتح التاء **(كوفي غير أبي بكر)** شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، والمراد بها الجنس. والباقون بالجمع وكسر التاء.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ **(إذا صحت)** ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ **(ويقبلها)** إذا صدرت على خلوص النيّة وهو للتخصيص أي إن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردّها فاقصدوه بها ووجهوها إليه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يعفو **(الحوبة)**.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَقُلِ﴾ لهؤلاء التائبين ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي فإن عملكم لا يخفى ـ خيرًا كان أو شرًّا ـ على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم، أو

قوله: (إذا صحت) باستجماع شرائطه، فإذا لم يستجمع بشرائطه لا يقبل، وإن أطلق عليه التوبة فقيد إذا صحت احترازيّ. اهـ قنويّ. **قوله: (ويقبلها)** جعل قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: الآية ١٠٤] استعارة تبعيّة؛ لأن الآخذ حقيقة هو الرّسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]، ثم عيّن لأخذها غيره، كما قال ﷺ لمعاذ رحمه الله تعالى: «خذها من أغنيائهم وردّها إلى فقرائهم»، فإنّه يدلّ على أن آخذ تلك الصدقات هو معاذ يأخذها ليصرفها إلى الفقراء، فوجب أن يكون لأخذ المسند إليه تعالى بمعنى القبول. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: يعني أن الأخذ هنا استعارة للقبول والإثابة، لا كناية كما قيل؛ لأن الكريم والكبير إذا قبل شيئًا عوّض عنه؛ إذ الآخذ هو الرّسول ﷺ، لا الله تعالى، وقد يجعل الإسناد إلى الله تعالى مجازًا مرسلًا. وقيل في نسبة الأخذ إلى الرّسول ﷺ في قوله: خذ، ثم إلى ذاته تعالى إشارة إلى أن أخذ الرسول ﷺ قائم مقام أخذ الله تعالى تعظيمًا لشأن نبيّه ﷺ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، فهو على حقيقته، ولا يخفى ما فيه من البُعد في ادّعاء الحقيقة، وإنْ كان ما فَهِمه معنى حسنًا. اهـ. **قوله: (الحوبة)** ـ بفتح الحاء ـ الخطيئة.

غير التائبين ترغيبًا لهم في التوبة، فقد رُوِيَ أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا **(كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم)** فنزلت. وقوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ ما يغيب عن الناس ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما يشاهدونه ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبئة تذكير ومجازاة عليه.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ **(بغير همز: مدني وكوفي غير أبي بكر. «مرجئون» غيرهم)** من أرجيته وأرجأته إذا أخرته، **(ومنه المرجئة)** أي وآخرون من المتخلفين

قوله: (كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يُجالَسون، فما لهم) عبارة شيخ زاده رحمه الله: كانوا بالأمس معنا، فما لهم اليوم لا يأتون. اهـ.

قوله: (بغير همز مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. **(وكوفي غير أبي بكر)** شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف. **(«مرجئون»)** بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة **(غيرهم)** أي ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري - وليس من السبعة - وابن عامر الشاميّ، وأبو بكر عن عاصم رحمه الله.

قوله: (ومنه المرجئة) هم الذين لا يقطعون في حقّ أهل الكبائر بشيء مِن عقوبة أو عفو، بل يؤخرون الحكم في ذلك إلى يوم القيامة. وأمّا أهل السنّة، فيقطعون بأنّ حكمهم العقاب بمقتضى الوعيد لا الوجوب، لكن يجوز العفو. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: وسُمِّيت المرجئة بهذا الاسم لأنهم يؤخّرون العمل عن الإيمان الذي هو الاعتقاد في المرتبة، ويقولون: لا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومنهم مَنْ يقول: المعرفة الإيمان بالله والخضوع والمحبّة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الصّفات فهو مؤمن، ولا يضرّ معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصي، ولا يعاقَب عليها، وإبليس كان عارفًا بالله، وإنما كفر باستكباره وترك الخضوع لله؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٣٤]. وفي الحواشي القطبيّة: المُرْجئة هم الذين لا يقطعون على أهل الكبائر بشيء من عقوبة أو عفو، بل يؤخّرون الحكم

موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن أصروا ولم يتوبوا ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا وهم ثلاثة: (كعب بن مالك)، و(هلال بن أمية)، و(مرارة بن الربيع)،

في ذلك إلى يوم القيامة. وقال الإمام: وسُمِّيت المرجئة بهذا الاسم لأنهم لا يجزمون على القول بمغفرة التائب، ولكن يؤخّرون الأمر فيها إلى مشيئة الله تعالى. وقال الإمام الأوزاعي: لأنهم يؤخّرون العمل عن الإيمان. اهـ.

قوله: (كعب بن مالك) الصحابي، هو أبو عبد الله، وقيل: هو أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو محمّد، وقيل: أبو بشر كعب بن مالك بن عمرو بن القَيْن بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة ـ بكسر اللام ـ ابن سعد بن عليّ الأنصاريّ الخزرجيّ السَّلمي ـ بفتح السين واللام ـ. شهد العقبة وأُحدًا وسائر المشاهد إلا بدرًا وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذي تاب الله عليهم وأنزل فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: الآية ١١٨] الآية. رُوِي لكعب عن رسول الله ﷺ ثمانون حديثًا، اتّفقا على ثلاثة، وللبخاري حديث ولمسلم حديثان. جُرِح كعب يوم أُحد أحد عشر جرحًا في سبيل الله، وهو أحد شعراء رسول الله ﷺ، وكانوا ثلاثة: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. وكان حسّان يقبل على الأنساب، وابن رواحة يُعيّرهم بالكفر، وكعب يخوّفهم الحرب. توفي بالمدينة في زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين، وقيل: سنة خمسين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (هلال بن أمية) الصحابي، وهو هلال بن أُمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف، واسمه مالك بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفيّ المدنيّ، شهد بدرًا وأُحدًا، وكان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سمحاء، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، وذكرهم في سورة براءة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (مُرارة[1] بن الرَّبيع)، ويقال: ابن ربيعة الأنصاري العَمري الصحابي من بني عمرو بن عوف. شَهِد بدرًا على الصحيح، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم رضي الله تعالى عنه.

---

(١) بمضمومة وفتح راء خفيفتين بينهما ألف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تخلّفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ برجائهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إرجائهم، وإما للشك **(وهو راجع إلى العباد)** أي خافوا عليهم العذاب وأرجو لهم الرحمة. ورُوِيَ أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شدّ أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغمّ، فلما علموا أن أحدًا لا ينظر إليهم فوّضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾ تقديره: ومنهم الذين اتخذوا. (﴿ٱلَّذِينَ﴾ **بغير واو. مدني وشامي)**، وهو مبتدأ خبره محذوف أي جازيناهم. رُوِيَ أن بني عمرو بن عوف لما بنوا **(مسجد قباء)** بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلّى فيه **(فحسدتهم إخوانهم ـ بنو غنم)** بن عوف ـ وقالوا: نبني مسجدًا ونرسل إلى رسول الله يصلّي فيه ويصلّي فيه **(أبو عامر الراهب)** إذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله عليه السلام يوم أُحد: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم،

قوله: (والضابط مكّة) في أكثر النسخ الصحيحة: (ضابط مكّة). **قوله: (وهو راجع إلى العباد)** جواب عمّا يقال: أمّا وإمّا للشكّ، والله تعالى مُنزّه عنه، فما وجه إيراده هٰهنا؟ فأجاب عنه بأنّ الترديد بكلمة إمّا هٰهنا لشكّ العباد، ومثله كلمة أو، في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧]، ولعلّ في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طـه: الآية ٤٤]، فالمعنى ليكن أمرهم عندكم بين الخوف والرجاء.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ﴾ **بغير واو مدنيّ)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشامي، والباقون بزيادة واو قبلها، أي قبل الذين. **قوله: (مسجد قباء)** ـ بضم القاف والمدّ ـ محل بقرب المدينة، ويجوز فيه الصرف وعدمه. **قوله: (فحسدتهم إخوانهم)** سمّاهم إخوانًا لأنهم أبناء أخَوَيْن. **قوله: (بنو غَنْم)** بالفتح.

قوله: (أبو عامر الراهب) هو والد حنظلة غسيل الملائكة، أي الذي استشهد يوم أُحد وغسلته الملائكة، وكان أبو عامر قد ترهّب في الجاهليّة ولبس المسوح

فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدًا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبيّ ﷺ: بنينا مسجدًا **(لذي العلّة والحاجة)** ونحن نحب أن تصلّي لنا فيه فقال: «إني **(على جناح سفر)** وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه». فلما **(قفل)** من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فقال: **(لوحشي ـ قاتل حمزة ـ**

وتنصّر، فلمّا قَدِم النبيّ ﷺ المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الدِّين الذي جئت به، فقال له النبيّ ﷺ: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، فقال أبو عامر: فأنا عليها، فقال له النبيّ ﷺ: «إنك لست عليها»، قال أبو عامر: بلى ولكنّك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبيّ ﷺ: «ما فعلت، ولكن جئت بها بيضاء نقيّة»، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منّا طريدًا وحيدًا غريبًا، فقال النبيّ ﷺ: «آمين»، وسمّاه الناس أبا عامر الفاسق، فلمّا كان يوم أُحد قال أبو عامر الفاسق للنبيّ ﷺ: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حُنين، فلمّا انهزمت هوازن يَئِس أبو عامر وخرج هاربًا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوّة وسلاح، وابنوا لي مسجدًا، فإني ذاهِبٌ إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجندٍ من الروم، فأُخرج محمّدًا وأصحابه، فبنوا مسجد الضّرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِرْصَادًا﴾ [التوبَة: الآية ١٠٧] يعني: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، يعني أبا عامر الفاسق، ليصلّي فيه إذا رجع من الشام ﴿مِن قَبْلُ﴾ [التوبَة: الآية ٣٠] يعني أن أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضّرار. **قوله:** **(لذي العلّة)** يعني المريض (و) لذي **(الحاجة)**، يعني مَنْ شغلته حاجة عن المجيء للجماعة حتى ضاق الوقت. **قوله:** **(على جناح سفر)** أي آخذين في السفر وشارعين فيه استعارة من جناح الطائر. **قوله:** **(قفل)** بمعنى رجع، ومنه القافلة تفاؤلًا.

قوله: **(لوحشيّ)** بن حرب الصحابي، كنيته أبو دُسْمَة، وهو من سودان مكّة، ويقال له الحبشيّ، وهو مولى طُعْمة بن عدي، وقيل: مولى جُبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، **(وهو قاتل حمزة)** رضي الله تعالى عنه يوم أُحد، وشارك في قتل مسيلمة الكذّاب يوم اليمامة، وكان يقول: قتلت في جاهليّتي خير الناس، وقتلتُ بعد إسلامي شرّ الناس. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ أربعة أحاديث، وقيل: ثمانية. روى البخاري منها حديثًا في قتله حمزة. روى عنه ابنه حرب بن

ومعن بن عدي وغيرهما): «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه (كناسة) تلقى فيها (الجيف) و(القمامة، ومات أبو عامر بالشام) ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول له وكذا ما بعد أي مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ وتقوية للنفاق ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم كانوا يصلّون مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرّقوا عنه وتختلف كلمتهم ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ﴾ وإعدادًا لأجل من ﴿حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهو الراهب أعدوه له ليصلّي فيه ويظهر على رسول الله ﷺ (وقيل: كل مسجد بني مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار) ﴿مِن قَبْلُۚ﴾ متعلق:

وحشيّ وعبيد الله بن عدي بن الجبار وجعفر بن عمرو بن أُميّة، قيل: سكن دمشق، والصحيح المشهور أنه سكن حمص.

قوله: (حمزة) بن عبد المطّلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورَضِيَ عنه. **قوله:** (معن بن عديّ) بن الجدّ بن العجلان البلوي حليف الأنصار، وهو أخو عاصم بن عديّ، ذكره ابن إسحٰق فيمن شهد أُحدًا، وقُتل معن بن عدي يوم اليمامة شهيدًا رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وغيرهما) كمالك بن الدُّخْشُم، وعامر بن السَّكن رضي الله عنهما. **قوله:** (كناسة) في مختار الصّحاح: الكُناسة القمامة. اهـ. وفي المصباح: الكُناسة ـ بالضمّ ـ ما يكنس، وهي الزبالة والسباطة والكساحة بمعنًى. اهـ. **قوله:** (الجيف) جمع الجِيفة جُثّة الميت إذا أراح. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (القُمامة) الكناسة. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (ومات أبو عامر) الراهب (بالشام) غريبًا وحيدًا. **قوله:** (وقيل: كل مسجد بني مباهاةً أو رياءً أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيّب؛ فهو لاحق بمسجد الضّرار). قال صاحب الكشاف: وعن عطاء: لمّا فتح الله الأمصار على عمر رضي الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وأن لا يتّخذوا في مدينة مسجدَيْن يضارّ أحدهما صاحبه، هذا لفظه. فالعجب من المشايخين المتعصّبين في زماننا يبنون في كلّ ناحية مساجد طلبًا للاسم والرسم واستعلاء لشأنهم واقتداءً بآبائهم، ولم يتأمّلوا ما في هذه الآية والقصة من شناعة حالهم وسوء فعالهم، وقد ذكر علماء الأُصول: أنّ الصلاة في الأرض المغصوبة منهيّة لغيرها، أعني لشغل ملك الغير، لا لأنها صلاة، ولكن لمّا لم يتّصل المكان بالصلاة اتّصال الوقت بها أو بالصوم لم يكن

بـ ﴿حَارَبَ﴾ أي من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ كاذبين ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلّين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في حلفهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ للصلاة ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ اللام للابتداء و﴿أُسِّسَ﴾ نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلّى فيه أيام مقامه بقباء وهي **(يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء)** والخميس وخرج يوم الجمعة، أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ **(من أيام وجوده)**. قيل: القياس فيه مذموم

الصلاة في المكان المغصوب مكروهًا، كالصلاة في الأوقات المكروهة، ولا فاسدة كالصوم في يوم النّحر. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قال العلّامة الشيخ الأجلّ مولانا أحمد المعروف بملا جين صاحب التفسيرات الأحمدية في المنهيّة: المقصود من هذا الكلام تتميم مسألة المساجد المذكورة بما يناسبها، والتنبيه على أن قُبح المكان بمثل هذه الوجوه لا يفسد الصلاة ولا يكرهها، وإن كان موجبًا للإثم. ونهي الصلاة في مسجد الضّرار مخصوص به، فلا يتعدّى إلى ملحقاته. اهـ. **قوله:** (مباهاة) أي مفاخرة.

قوله: **(يوم الاثنين)** همزته وصل. اهـ مصباح. **(والثلاثاء)** ممدود. اهـ مصباح. وفي القاموس: بالمدّ ويضمّ. اهـ. **(والأربعاء)** ممدود، وهو بكسر الباء، ولا نظير له في المفردات، وإنما يأتي وزنه في الجمع وبعض بني أسد يفتح الباء، والضمّ لغة قليلة فيه. اهـ مصباح. **قوله:** **(من أيام وجوده)** قال السُهيلي نوّر الله مرقده في الآية من الفقه: صحة ما اتّفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع عمر رضي الله تعالى عنه حين شاورهم في التاريخ، فاتّفق رأيهم على أن يكون من عام الهجرة؛ لأنه الوقت الذي عزّ فيه الإسلام، والحين الذي أمن فيه النبيّ ﷺ، وبُنيت المساجد وعُبد الله كما يحبّ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أنّ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨] أن ذلك اليوم هو أوّل أيام التاريخ الذي يؤرّخ به الآن، فإنْ كان الصحابة رضوان الله

لأنه لابتداء الغاية في الزمان، و«من» لابتداء الغاية في المكان، **(والجواب أنّ من عام في الزمان والمكان)** ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ مصليًا ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ قيل: لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس فقال: أمؤمنون أنتم؟ **(فسكت القوم)**. ثم أعادها فقال عمر: يا رسول الله إنهم لمؤمنون **(وأنا معهم)**، فقال عليه السلام: «أترضون بالقضاء»؟ قالوا: نعم. قال: «أتصبرون على البلاء»؟ قالوا: نعم. قال: «أتشكرون في **(الرخاء)**»؟ قالوا: نعم. قال عليه السلام: «مؤمنون أنتم **(ورب الكعبة)**». فجلس ثم قال: «يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط»؟ فقالوا: يا رسول الله **(نتبع الغائط**

تعالى عليهم أجمعين أخذوه من هذه الآية، فهو الظنّ بهم لأنهم أعلم الناس بتأويل كتاب الله، وأفهمهم بما في القرآن من الإشارات، وإن كان ذلك على رأي واجتهاد، فقد علمه الله وأشار إلى صحته قبل أن يفعل؛ إذ لا يُعقل قول القائل: فعلته أوّل يوم إلّا بالإضافة إلى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ معلوم، وليس هٰهنا إضافة في المعنى إلّا إلى هٰذا التاريخ المعلوم؛ لعدم القرائن الدالّة على غيره من قرينة لفظ أو حال، فتدبّره ففيه معتبر لمن ادّكر وعلم لمن رأى بعين فؤاد واستبصر.

قوله: (والجواب أنّ من عام في الزمان والمكان) هذا مذهب الكوفيّين وأنها للابتداء مطلقًا، ولهم أدلّة من القرآن كهذه الآية. وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الرُّوم: الآية ٤]، ومِنْ كلام العرب كما فصل في النّحو ومنع البصريّون دخولها على الزّمان وخصّوه بمذ ومنذ، وتأوّلوا الآية بأنها على حذف مضاف، أي من تأسيس أوّل يوم وقدروا مثله فيما ورد من كلامهم. وقال أبو البقاء: إنه ضعيف؛ لأن التأسيس المقدّر ليس بمكان حتى يكون لابتداء الغاية وسبقه إليه الزجّاج. قلت: إنما فرّوا من كونها لابتداء الغاية في الزّمان، وليس في كلامهم ما يدلّ على أنها لا تكون لابتداء الغاية، إلّا في المكان. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (فسكت القوم) سكوتهم حياءً من النبيّ ﷺ. **قوله: (وأنا معهم)** بضمير المتكلم، أو بكسر الهمزة وضمير الجمع. **قوله: (الرخاء)** ـ بالمدّ ـ سِعَة الرزق وعدم الشِّدّة. **قوله: (وربّ الكعبة)** قَسَم. **قوله: (نتبع الغائط**

الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار بالماء فتلا النبيّ عليه السلام: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾). قيل: هو عام في التطهر عن النجاسات كلها. وقيل: هو التطهر من

الأحجار الثلاثة، ثم نتبع الأحجار بالماء؛ فتلا النبيّ ﷺ: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾)، فثبت أن الاستنجاء بالماء أفضل؛ لأنه يحتمل أن يكون مدحهم بالتطهير بمجموع الأحجار والماء، ويحتمل أن يكون لاستعمالهم الماء بعد الأحجار، وإليه مال صاحب الهداية؛ لأنه قال: وغسله أفضل؛ لقوله تعالى فيه: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨]، وأنزلت في قوم يتّبعون الحجارة بالماء، هذا كلامه. فقد أورد الآية دليلًا على كون الاستنجاء بالماء أفضل، ووجه كون الآية دليلًا عليه أنّ الله تعالى قد بالغ في مدحهم به، وقد ثبت منه كونه محبوبًا لله وأدنى درجاته أن يكون مستحبًّا، فيُحمل عليه المتيقّن ما لم يدلّ دليل آخر على كونه فوقه، وهذا إذا لم يجاوز النَّجس المخرج. أمّا إذا جاوز النَّجس المخرج يجب الاستنجاء بالماء. وأمّا الاستنجاء بالأحجار، فإنه وإن كان ثبوته محتمل الآية بأن يكون المدح للمجموع، لكن لا يُفهم منها كونه سنّة حين حمل المحبوبيّة على ما هو الأدنى، وهو الاستحباب، ولهذا قال صاحب الهداية: إنّ الاستنجاء بالأحجار سُنّة؛ لأنه واظب النبيّ عليه السلام عليها، أي مع التَّرك أحيانًا، وهو دليل السنّة؛ هذا ما قالوا.

وبهذه الآية استدلّ أهل الأُصول على أن مسّ الذَّكر غير ناقض للوضوء؛ وذلك لأن الله تعالى قد مدح المستنجين بالماء، ولا شكّ أنّ في ذلك مسّ الذَّكر، فلو كان مسّ الذكر ناقضًا للوضوء، كيف يكون المستنجي بالماء أهلًا للمدح؟ وهذا وإنْ كان استدلالًا غير تامّ، كما هو ظاهر، لكنه صلح إلزامًا على الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما قال: إنّ مسّ الذكر ناقض للوضوء قائلًا بأنه مسّ الذكر فكان حدثًا، كما إذا مسّه وهو يبول؛ لأن رتبة الجواب الموافقة بدليل المستدلّ الفاسد بالفاسد، والصحيح بالصحيح، فلا إيراد على الحنفية في أنّ مسّ الذكر خارج الوضوء غير مسّ الذكر إذا خلا فيه.

نعم في هذا المقام شبهة أخرى، وهي أن الفقهاء ذكروا في بيان الاستنجاء بالأحجار والماء أن السُّنَّة عند البعض الاستنجاء بالأحجار الثلاث، ولكن المرأة تدبر بالحجر الأول، وتُقبل بالثاني، وتُدبر بالثالث في كل حال، وهكذا يفعل

الذنوب بالتوبة. ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء، ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ وضع أساس ما يبنيه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه، والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه، خير أم مَن أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله شفا جرف هار في قلّة الثبات **(والاستمساك)**، وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازًا عما ينافي التقوى. والشفا: **(الجرف والشفير)**،

الرجل إن كان الزمان صيفًا، ويعكس إنْ كان شتاءً، ثم يأخذ الماء بعدها فضلًا إن لم يجاوز النَّجس المخرج، ووجوبًا إن جاوز، وهذا كلّه يدلّ على أنّ المراد من الاستنجاء طلب النجوّ بعد الغائط في موضع الدُّبر، وأن الاستنجاء بالصفة المذكورة إنما يُطلق عليه، والتطهير الذي يكون بعد البول في موضع الحشفة إنما يُطلق عليه الاستبراء، كما يُستفاد من بعض مصنّفات شهاب الملّة والدِّين.

وما ذِكر أهل الأُصول يدلّ على أنه يعمّ التطهير الذي بعد البول، والتطهير الذي بعد الغائط كما لا يخفى وجهه، ولكنّ الحقّ أنّ مراد الفقهاء أيضًا أعمّ؛ كما يدلّ عليه قولهم: والاستنجاء من كلّ حدث أي خارج من السبيلين سنّة.

غاية ما في الباب أن الاستنجاء بعد الغاية لمّا احتاج إلى زيادة تفصيل عقبوه بقولهم: يُدبر بالحجر الأول، ويقبل بالثاني من غير إظهار أنّ هذا طريق الاستنجاء المخصوص. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (الاستمساك) الثبات واشتداد بعضه ببعض، كأنه يُمسكه. **قوله: (الجرف)** ـ بضمّتين وبسكون الراء ـ البئر التي لم تُطْوَ، وقيل: هو الهوّة وما يجرفه السيول من الأودية لجرف الماء له، أي أكله وإذهابه. **قوله: (الشّفير)** في مختار الصحاح: حرف كل شيء شَفْره وشفيره، كالوادي ونحوه. اهـ. وفي المصباح:

وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء **(وتجرفه السيول)** فيبقى **(واهيًا)**، والهار الهائر وهو المتصدع الذي **(أشفى)** على التهدم والسقوط، ووزنه **(فَعِلَ)** قصر عن فاعل كخلف مَن خالف، وألفه ليس بألف فاعل إنما هي عينه وأصله «هور» فقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل و**(كُنْه أمره ﴿أفمن أسَّس بنيانه﴾**، **«أمن أُسِّس بنيانه»** **شاميّ ونافع** **(«جرْف» شاميّ وحمزة ويحيىٰ ﴿هَارٍ﴾ بالإمالة: أبو عمرو)** وحمزة في رواية ويحيىٰ **﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾** **(فطاح به)** الباطل في نار جهنم. ولما جعل الجرف الهائر مجازًا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليصوّر أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف **(فهوى)** في قعرها.

شفير كل شيء حرفه كالنهر وغيره. اهـ. **قوله: (وتجرفه السيول)** أي تأكله وتذهب به. **قوله: (واهيًا)** في المصباح: وَهَى الحائط وَهْيًا من باب وعد ضعف واسترخى. اهـ. وأيضًا فيه: وَهَى الشيء إذا ضَعُفَ أو سقط. اهـ. **قوله: (أشفى)** أي أشرف. **قوله: (فَعِلَ)** بكسر العين. **قوله: (كنه أمره)** كُنْه الشيء نهايته. اهـ مختار الصحاح. **قوله: (﴿أفمن أسّس بنيانه﴾، «أمن أُسِّس بنيانه»)** في الموضعين بضم الهمزة وكسر السين فيهما على البناء للمفعول ورفع النون فيهما على النيابة عن الفاعل، **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(ونافع)**، والباقون بفتحهما على البناء للفاعل، ونصب بنيانه بعدهما مفعول به، والفاعل ضمير مَنْ. **قوله: (جرْف)** بسكون الراء **(شاميّ)** أي ابن عامر الشامي **(وحمزة)** بن حبيب الزيّات، **(ويحيىٰ)** بن آدم القريشي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم. والباقون بالضمّ. **قوله: (﴿هَارٍ﴾ بالإمالة أبو عمرو)** البصري وحمزة في رواية، ويحيىٰ بن آدم عن أبي بكر عن عاصم. **والإمالة** أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرًا، وهي المحضة. ويقال لها: الكسرى والاضجاع والبطح، وهي المرادة عند الإطلاق، وقليلًا وهو بين اللفظين، ويقال له: التقليل وبين بين والصغرى، ويجتنب في الإمالة المحضة القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه. **قوله: (فطاح به)** في مختار الصحاح: طاح هلك وسقط، وبابه قال وباع. اهـ. **قوله: (فهوى)** في مختار الصحاح: هَوَىٰ يَهْوِي كَرَمَى يرمي هَوْيًا - بالفتح - سقط إلى أسفل. اهـ.

قال (جابر): رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾

﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ شاميّ وحمزة وحفص أي تتقطع).

قوله: (جابر) بن عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما، هو أبو[1] عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو محمد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ـ بالراء ـ ابن ساردة ـ بالسين المهملة ـ ابن تزيد ـ بالتاء المثناة فوق ـ ابن جُشَم بن الخزرج الأنصاري السلمي ـ بفتح السين واللام ـ المدني، وهو أحد المُكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ. رَوى ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على ستّين حديثًا، وانفرد البخاري بستّة وعشرين، ومسلم بمائة وستّة وعشرين، ومناقبه كثيرة. استشهد أبوه يوم أُحد فأحياه الله وكلّمه: «يا عبد الله ما تريد؟» فقال: أن أرجع إلى الدنيا فأستشهد مرّة أخرى. وثبت في صحيح مسلم عن جابر، قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة ولم أشهد بدرًا ولا أُحدًا، منعني أبي، فلمّا قُتِل أبي يوم أُحد لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قطّ. توفي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل: ثمان وستّين، وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه، وكان ذهب بصره في آخر عمره وحيث أطلق جابر في هذه الكتب، فهو جابر بن عبد الله، وإذا أراد ابن سمرة قيّده.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾) بفتح التاء مبنيّ للفاعل (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (وحمزة) بن حبيب (وحفص) عن عاصم، وكذا أبو جعفر المدنيّ ويعقوب البصريّ، وليسا من السبعة. (أي تتقطّع) أي أصله تتقطّع مضارع تقطع،

---

(١) في الإصابة في تمييز الصحابة: يُكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمٰن وأبا محمد أقوال، وفي تهذيب التهذيب في بيان جابر أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمٰن، ويقال: أبو محمّد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(غيرهم «تُقطع») أي إلا أن تقطع قلوبهم قطعًا وتفرّق أجزاء فحينئذٍ يسلون عنه، وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة، **(ثم يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير لحال زوال الريبة عنها، ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها)** وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار، أو معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على تفريطهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بعزائمهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في جزاء جرائمهم.

حُذِفت منه إحدى التاءين. **(غيرهم)** أي الباقون **(«تُقطع»)** بضمّ التاء بالبناء للمفعول مضارع قطّع بالتشديد.

قوله: (ثم يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير لحال زوال الرَّيْبة عنها، ويجوز أن يُراد حقيقة تقطيعها). . . الخ. كذا في تفسير الكشاف. وفي تفسير البيضاوي: إلّا أن تقطع قلوبهم قطعًا، بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار، وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعمّ الأزمنة. وقيل: المراد بالتقطّع ما هو كائن بالقتل، أو في القبر، أو في النار. وقيل: التقطّع بالتوبة ندمًا وآسِفًا. اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك. . . الخ. أي لا يزال بنيانهم رَيْبة في كل وقت إلّا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلّا حال تقطيعها، وهو كناية عن تمكّن الرَّيْبة في قلوبهم التي هي محلّ الإدراك وإضمار الشكّ، بحيث لا يزول منها ما داموا أحياء، إلّا إذا قطعت ومُزِّقت؛ فحينئذ تخرج الرَّيْبة منها وتزول، والمبالغة في الريبة واضحة، وهذا على التصوير والفرض، فلا تقطيع فيه. وعلى الوجه الذي بعده، فالتقطيع والتمزيق بالموت وتفريق أجزاء البدن، فهو حقيقيّ، ويفيد لزوم الرّيبة ما داموا أحياء. وعلى الثالث المراد: إلّا أن يتوبوا ويندموا ندامةً عظيمة تفتّت قلوبهم وأكبادهم، فتقطيع القلب مجازًا وكناية عن شدّة الأسف، والفرق بين الوجوه ظاهر، لكنه قيل: إيّاك أن تتوهّم أنّ مراده بالأوّل ما في الكشاف، من أنه تصوير لحال زوال الرَّيْبة عنها؛ إذ ليس في كلامه ما يدلّ عليه، وكأنّه لم يَرْض به؛ لأن احتمال الحقيقة في الوجه الثاني يمنع الحمل على التمثيل، لأن المجاز مشروط بالقرينة وقد دفع بأن جعل الكلام محتملًا للحقيقة، والمجاز في كلامهم كثير، ومبناه على أن القرينة لا يجب أن تكون قطعيّة، بل قد تكون احتماليّة؛ فإن اعتبرت جعل مجازًا، وإلّا جعل

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ (**مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء. ورُوِيَ: تاجرهم، فأغلى لهم الثمن**). وعن (**الحسن**): أنفسًا هو خلقها وأموالًا هو رزقها. ومرّ برسول الله ﷺ أعرابي وهو يقرؤها فقال: بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بيان محل التسليم ﴿فَيَقۡتُلُونَ

حقيقة وكناية، ومَنْ لا يسلمه قال: يتعيّن هنا أنه كناية، ولا يخفى أنه ليس في كلام المصنّف ما يخالف كلام الكشاف، حتى يقال: إنه لم يرتضه، ومثله من المتكلّفات الباردة. اهـ.

قوله: (مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء)؛ إذ لا يمكن حمل الكلام على الحقيقة؛ لأنه لا يجوز أن يشتري الله شيئًا في الحقيقة، فإنه مالك الكلّ، فإنّ أنفسنا مخلوقة لله تعالى، وأموالنا رزقه، فأخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيليّة زيادة في الدعاء إلى الطاعة. **قوله: (وروي: تاجَرهم فأغلى لهم الثمن)**، كذا في تفسير الكشاف. وفي تفسير العلّامة ابن كثير: قال الحسن وقتادة: بايعهمُ الله فأغلى ثمنهم، انتهى. وقوله: تاجرهم، في غياث اللغات: مُتاجرة باهم تجارت كردن. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، قال: ثامَنهم والله وأغلى لهم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، قال: ثامَنَهم والله فأغلى لهم الثمن. وقوله: ثامَنهم في لسان العرب: يقال: ثامَنْت الرجل في المبيع أُثامنُه إذا قاولتَه في ثمنه وساومته على بيعه واشترائه، انتهى.
قوله: (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه.

﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ أي تارة يقتلون العدو وطورًا يقتلهم العدو. («فيُقْتلون ويَقْتلون» حمزة وعليّ) ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ مصدر أي وعدهم بذلك وعدًا ﴿حَقًّا﴾ صفته، أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ وهو دليل على أن أهل كل ملّة أمروا بالقتال ووعدوا عليه. ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين، ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن منه وأبلغ ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ فافرحوا غاية الفرح فإنكم تبيعون فانيًا بباقٍ ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قال (الصادق): ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها.

قوله: («فيُقْتلون ويَقْتلون») بناء الأوّل للمفعول، والثاني للفاعل (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون ببناء الأوّل للفاعل، والثاني للمفعول، أي تقديم كونهم مقتولين على كونهم قاتلين للإشعار بأن طائفة كثيرة من المسلمين وإن صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعًا للباقين عن المُقاتلة، بل يبقون بعد ذلك مع الأعداء قاتلين لهم بقدر الإمكان، كما قال: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٦]، أي ما وَهِن مَنْ بَقِي منهم. وقرأ الباقون بتقديم المبني للفاعل على المبنيّ للمفعول للدّلالة على أنّهم يقتلون ولا يرجعون عنهم، إلّا أن يصيروا مقتولين.

قوله: (الصادق) أي جعفر بن محمد الصادق، هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، الهاشميّ المدني الصادق، أُمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه. رَوَى عن أبيه والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسُّفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطّان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن المِقْدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين. قال البخاري رحمة الله عليه في تاريخه: وُلِد جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمانٍ وأربعين ومائة رحمه الله.

﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفع على المدح أي هم التائبون **(يعني المؤمنين المذكورين)**، أو هو مبتدأ خبره ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة، وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وعن **(الحسن)**: هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ على نعمة الإسلام ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون لقوله ﷺ: **(«سياحة أمتي الصيام»، أو طلبة العلم)** لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ المحافظون على الصلوات ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالإيمان والمعرفة والطاعة ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي **(ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام)**، أو للتضاد بين الأمر

قوله: (يعني المؤمنين المذكورين) أي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة: الآية ١١١] وعدّ لهم الجنة أولًا، ثم بيّن في هذه الآية أنّ أُولئك هم الموصوفون بهذه الصفات. **قوله: (الحسن)** البصريّ التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (سياحة أمتي الصيام)**، وإنما سمّى الصائم سائحًا لأنه يمتنع عن الشهوات كالسائح في الأرض، فإنه يقنع بما تيسّر له مما يُوصله إلى مقصده، ولا يتوسّع في استيفاء اللذّات واتّباع الشهوات؛ لأن الصائم لمّا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسدّ على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكمة والمعرفة، ومالت نفسه إلى عالم المعقولات، وانتقل من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة، وهذا الانتقال هو السياحة في عالم الروحانيات، فلذلك شبّه الصائم بالسائح في الأرض، وقال عليّ كرّم الله وجهه: المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] الغزاة في سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل إلى أن يَصِلوا إلى ديار الكفرة، فيُجاهدوهم. **قوله: (أو طلبة العلم)**... الخ. قاله عكرمة رحمة الله عليه. **قوله: (ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام)** وقيل: إنما دخلت الواو فيه لأنها واو الثمانية؛ كقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ [الكهف: الآية ٢٢]. قال بعض النحويّين: هي لغة فصيحة لبعض العرب، يقولون: إذا عدوا واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستّة سبعة وثمانية تسعة عشرة. قال القرطبيّ: وهي

والنهي (**كما في قوله**: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾) [التحريم: الآية ٥] ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ أوامره ونواهيه، أو معالم الشرع ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المتصفين بهذه الصفات.

(**وهَمّ** عليه السلام **أن يستغفر لأبي طالب فنزل**):

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ أي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك، ثم ذكر عذر إبراهيم فقال:

لغة قريش. **قوله**: (**كما في قوله**: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾) في سورة التحريم، (﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾) ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: الآية ٥] أي طلّق النبيّ أزواجه (﴿أَن يُبۡدِلَهُۥٓ﴾) بالتشديد والتخفيف (﴿أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾) خبر عسى، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (﴿مُسۡلِمَٰتٖ﴾) مقرّات بالإسلام (﴿مُّؤۡمِنَٰتٖ﴾) مخلصات (﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾) مُطيعات (﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ﴾) صائمات أو مهاجرات (﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾).

قوله: (**وهَمّ عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب، فنزل**)... الخ. في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطّلب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحَجْل ـ بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة ـ وضِرار، والغَيْداق، أسلم منهم: حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًّا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العبّاس قريب منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطّلب، وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

قال العلّامة الفاضل الكامل الشيخ إسمٰعيل حقي رحمه الله: بقي هٰهنا أن الجمّ الغفير من العلماء ذهبوا إلى أن النبيّ ﷺ مرّ على عقبة الحجون في حجّة الوداع، فسأل الله أن يحيي أُمّه، فأحياها فآمنت به وردّها الله تعالى، أي روحها، قال في إنسان العيون: لا يقال على ثبوت هذا الخبر وصحته التي صرّح بها غير واحد من الحفّاظ، ولم يلتفتوا إلى مَنْ طعن فيه كيف ينفع الإيمان بعد الموت؟ ولا

....

يُعترض؛ لأنّا نقول: هذا من جملة خصوصيّاته ﷺ. وفي كلام القرطبي: قد أحيى الله تعالى على يده جماعة من الموتى، فإذا ثبت ذلك، فما يمنع إيمان أبويه بعد إحيائهما؟ ويكون زيادةً في كرامته وفضيلته، ولو لم يكن إحياء أبويه نافعًا لإيمانهما وتصديقهما لما أُحييا، كما أن ردَّ الشمس لو لم يكن نافعًا في بقاء الوقت لم تردّ، والله أعلم، انتهى.

يقول الفقير: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبويّ النبيّ عليه السلام، وكذا إيمان عمّه أبي طالب، وجدّه عبد المطّلب بعد الإحياء في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: الآية ١١٩]، فارجع إليه. وجاء أن عبد المطلب رفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحّد الله وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنّة بها، منها الوفاء بالنّذر، والمَنْع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المَوْءُودَة، وتحريم الخمر والزنى، وأن لا يطوّف بالبيت عريان، كذا في كلام سَبْط ابن الجوزيّ. وقال في أبكار الأفكار في مشكل الأخبار: إن عبد المطّلب قد كان يتعبّد في كثير من أحواله بشريعة إبراهيم عليه السلام، ويتمسّك بسُنَن إسماعيل عليه السلام، ولم ينكر نبوّة محمّد عليه السلام؛ إذ لم يكن قد بُعِث في أيّامه، ولا يقطع بكفر مَنْ مات في زمن الفَتْرة، فلم يكن حكمه حكم الكفّار المشركين الذين شهد النبيّ عليهم السلام بأنهم فحم جهنّم، انتهى. قال في السيرة الحلبية: منع الاستغفار لأُمّه عليه السلام إنما يأتي على القول بأنّ مَنْ بدّل دينه أو غيّره أو عَبد الأصنام من أهل الفَتْرة مُعذَّب، وهو قولٌ ضعيف مبنيٌّ على وجوب الإيمان والتوحيد بالعقل، والذي عليه أكثر أهل السنّة والجماعة أن لا يجب ذلك إلا بإرسال الرسل، ومن المقرّر أن العرب لم يُرسل إليهم رسول بعد إسمٰعيل عليه السلام، وأنّ إسمٰعيل انتهت رسالته بموته كبقيّة الرسل؛ لأن ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبيّنا ﷺ، وأنّ أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم، وإن غيّروا أو بدّلوا أو عبدوا الأصنام، والأحاديث الواردة بتعذيب مَنْ ذكر أو بدّل أو غيّر أو عبد الأصنام مؤوّلة، أو خرّجت مخرج الزجر للحَمْل على الإسلام. ثم رأيت بعضهم رجّح أن التكليف بوجوب الإيمان بالله تعالى وتوحيده، أي بعدم عبادة الأصنام، يكفي فيه وجود

....

رسول دعا إلى ذلك، وإن لم يكن الرسول مرسلًا لذلك الشخص بأن لم يدرك زمنه حيث بلغه أنه دعا إلى ذلك أو أمكنه علم ذلك، وأنّ التكليف بغير ذلك من الفروع لا بدّ فيه من أن يكون ذلك الرسول مرسلًا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته؛ وعلى هذا، فمَنْ لم يُدرك زمن نبيّنا ﷺ ولا زمن مَنْ قبله من الرُّسل مُعذَّب على الإشراك بالله بعبادته الأصنام؛ لأنه على فرض أن لم تبلغه دعوة أحد من الرُّسل السابقين إلى الإيمان بالله وتوحيده، ولكنه كان متمكّنًا من علم ذلك، فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله، وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبراني في الأوسط بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بعث الله نبيًّا إلى قوم ثم قبضه إلّا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنّم». ولعل المراد المبالغة في الكثرة، وإلّا فلا. أخرج الشيخان عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لا تزال جهنّم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربّ العزة فيها قدمه فيرتدّ بعضها إلى بعض، وتقول: قطّ قط» أي حسبي بعزّتك وكرمك.

وأمّا بالنسبة لغير الإيمان والتوحيد من الفروع، فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول إليهم، فأهل الفترة وإنْ كانوا مقرّين بالله إلّا أنهم أشركوا بعبادة الأصنام، فقد حكى الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣]، ووجه التفرقة بين الإيمان والتوحيد وغير ذلك أنّ الشرائع بالنسبة للإيمان بالله والتوحيد كالشريعة الواحدة؛ لاتّفاق جميع الشرائع عليه. هذا وقد جاء أنهم ـ أي أهل الفترة ـ يُمتحنون يوم القيامة، فقد أخرج البزار عن ثوبان أنّ النبيّ عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهليّة يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربّهم فيقولون: ربنا لم تُرسل إلينا رسولًا ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولًا لكنّا أطْوَع عبادك، يقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمرٍ أن تطيعوني؟ فيقولون: نعم، فيأخذ على ذلك مواثيقهم، فيُرسل إليهم: أن ادخلوا النار، فينطلقون حتى إذا رأوها فَرَقوا ورجعوا، فقالوا: ربّنا فرَقْنا منها، ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها داخرين»، فقال النبيّ ﷺ: «لو دخلوها أوّل مرّة كانت عليهم بردًا وسلامًا».

....

قال الحافظ ابن حجر: فالظنّ بآله ﷺ، يعني الذين ماتوا قبل البعثة، أنهم يُطيعون عند الامتحان إكرامًا للنبيّ عليه السلام لتقرّ عينه، ونرجو أن يدخل عبد المطّلب الجنّة في جماعة مَنْ يدخلها طائعًا، إلّا أبا طالب، فإنه أدرك البعثة ولم يُؤمن به بعد أن طلب منه الإيمان، انتهى كلامه.

ولعلّه لم يذهب إلى مسألة الإحياء، ولذا قال ما قال في حقِّ أبي طالب:

نا اميدم مكن از سابقهٔ لطفِ ازل

توچه دانى كه پسِ پرده كه خوبست وكه زشت. اهـ بحروفه.

وقوله: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبوي النبيّ عليه السلام.... الخ. عبارته في سورة البقرة هكذا: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية ١١٩] ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلّغت؟ والجحيم المكان الشديد الحرّ والقرّ، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٩] ـ بفتح التاء وجزم اللام ـ على أنه نهي لرسول الله ﷺ عن السؤال عن حال أبويه، على ما رُوِي أنه عليه السلام قال: «ليت شعري ما فعل أبواي»؟ أي ما فعل بهما، وإلى أيِّ حالٍ انتهى أمرهما، فنزلت.

واعلم أنّ السلف اختلفوا في أن أبوي النبيّ ﷺ: هل ماتا على الكفر، أو لا؟ وذهب إلى الثاني جماعة متمسّكين بالأدلّة على طهارة نسبه عليه الصّلاة والسّلام منْ دَنَس الشِّرك وشَيْن الكفر وعبادة قريش صنمًا، وإنْ كانت مشهورة بين الناس، لكن الصواب خلافه؛ لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٥]، وقوله تعالى في حقِّ إبراهيم: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: الآية ٢٨]. وذهب إلى الأوّل جمع منهم صاحب التيسير، حيث قال: ولمّا أمر رسول الله ﷺ بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أين والديّ؟ فقال: «في النار»، فحَزِن الرجل فقال عليه السلام: «إن والدَيْك ووالديّ ووالدي إبراهيم في النار»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٩]، فلم يسألوه شيئًا بعد ذلك؛ وهو كقوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠١].

....

وذهب نفر من هذا الجَمْع بنجاتهما من النار، منهم الإمام القرطبي حيث قال في التَّذكرة: إن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: حجّ بنا رسول الله ﷺ حجّة الوداع، فمرّ على عقبة الحجون، وهو باكٍ حزين مغتمّ، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ، ثم إنه طفر، فنزل فقال: «يا حُمَيْراء[1] استمسكي» أي زمام الناقة، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلًا، ثم إنه عاد إليّ وهو فَرِحٌ متبسّم فقلت له: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتمّ، فبكيت لبكائك يا رسول الله، ثم إنك عدت إليّ وأنت فَرِح مبتسم، فعمّاذا يا رسول الله؟ فقال: «ذهبت لقبر آمنة أُمّي فسألت الله أن يُحييها فأحياها فآمنت».

ورُوِيَ أنّ الله أحيى له أباه وأُمّه وعمّه أبا طالب وجدّه عبد المطلب. قال الحافظ شمس الدِّين الدمشقي:

حَبَا الله النبيّ مزيد فَضْلٍ على فضلٍ وكان به رؤوفا
فأحيى أُمّه وكذا أباه لإيمانٍ به فَضْلًا لطيفا
فسلّم فالقديم به قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

وفي الأشباه والنظائر: مَنْ مات على الكفر أُبيح لعنه، إلا والدي رسول الله ﷺ؛ لثبوت أن الله تعالى أحْياهما له حتى آمَنَا، كذا في مناقب الكردري. وذكر أنّ النبيّ عليه السلام بكى يومًا بكاءً شديدًا عند قبر أبويه وغرس شجرة يابسةً، وقال: «إن اخضرّت، فهو علامة إمكان إيمانهما»، فاخضرّت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبيّ ﷺ وأسلما ثم ارتحلا. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سرّه: وممّا يدلّ على ذلك أنّ اسم أبيه كان عبد الله، والله من الأعلام المختصّة بذاته تعالى لم يسمّ به صنم في الجاهلية، فإنّ اسم بعض أصنامهم اللّات وبعضها العزّى، انتهى كلامه.

وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعًا عقلًا ولا شرعًا، وقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى،

---

(١) يعني عائشة رضي الله تعالى عنها، كان يقول لها أحيانًا: يا حُمَيْراء، تصغير الحمراء، يريد البيضاء. اهـ لسان العرب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وكذلك نبيّنا عليه السلام أحيى الله على يديه جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا، فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادةً في كرامته وفضيلته؟ وما رُوِي من أنه عليه السلام زار قبر أُمّه وأبكى مَنْ حوله، فقال: «استأذنت في أن أستغفر لها، فلم يُؤذن لي. واستأذنت في أن أزور قبرها، فأُذن لي؛ فزوروا القبور فإنها تذكّركم الموت»، فهو متقدّم على إحيائهما؛ لأنه كان في حجّة الوداع، ولم يزل عليه السلام راقيًا في المقامات السَّنِيَّة صاعدًا في الدرجات العَلِيَّة إلى أن قَبَض الله روحه الطاهرة؛ فمِنَ الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد أن لم تكن.

فإن قلت: الإيمان لا يقبل عند المُعاينة، فكيف بعد الإعادة؟

قلت: الإيمان عند المعاينة إيمان بأس، فلا يقبل بخلاف الإيمان بعد الإعادة، وقد دلّ على هذا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨]، وورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحجّون ويكونون من هذه الأُمّة تشريفًا لهم بذلك. وورد مرفوعًا: «أصحاب الكهف أعوان المهدي»، فقد اعتدّ بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت، ولا بِدع أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبيّ عمر، ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفائه تلك اللحظة الباقية، وآمَنَا فيها فيعتدّ به، وتكون تلك البقيّة بالمدّة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيّه ﷺ، كما أنّ تأخير أصحاب الكهف هذه المدّة من جملة ما أُكْرِمُوا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأُمّة. وذهب خاتمة الحفّاظ والمحدثين الإمام السخاوي في هذه المسألة إلى التوقّف، حيث قال في المقاصد الحسنة بعدما أورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقيّ: وقد كتبت فيه جزءًا، والذي أراه الكفّ عن التعرّض لهذا إثباتًا ونفيًا، انتهى.

وسُئل القاضي أبو بكر بن العربيّ أحد الأئمّة المالكيّة عن رجل قال: إنّ آباء النبيّ عليه السلام في النار؟ فأجاب بأنه ملعون؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧]، وفي الحديث: «لا تُؤذوا الأحياء بسبب الأموات». وسُئِل الإمام الرستغفي عن قول بعض الناس:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ أي وعد أبوه إياه أن يسلم **(أو هو وعد أباه)** أن يستغفر وهو قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾

أن آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزّلّة اسودّ منه جميع جسده، فلمّا أُهبط إلى الأرض أُمِرَ بالصيام والصلاة، فصام وصلّى فابيضّ جسده، أيصحّ هذا القول؟ قال: لا يجوز في الجملة القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدّي إلى العيب والنقصان فيهم، وقد أُمِرْنا بحفظ اللّسان عنهم؛ لأن مرتبتهم أرفع وهم على الله أكرم، وقد قال عليه السلام: «إذا ذكرت أصحابي فأمسكوا»، فلمّا أُمِرْنا أن لا نذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشيء يرجع إلى العَيْب، فلأن نُمسك ونكفّ عن الأنبياء أوْلى وأحقّ؛ فحقّ المسلم أن يُمسك لسانه عمّا يُخِلّ بشرف نسب نبيِّنا عليه السلام ليست من الاعتقاديات، فلا حظّ للقلب منها. وأمّا اللّسان، فحقّه أن يُصان عمّا يتبادر منه النقصان، خصوصًا إلى وَهْم العامّة لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه، فهذا هو البيان الشافي في هذا الباب بطرقه المختلفة التقطته من الكتب النفيسة، وقرنت كل نظير إلى مثله، والحمد لله تعالى وحده. اهـ بحروفه في تبيين المحارم للعلامة سنان افندي في باب النهي عن الاستغفار للكفار.

روى القرطبي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله ﷺ أحيا والديه فآمَنا به، وهما الآن مؤمنان يأكلان ويشربان في الجنّة، وصحّح القرطبي هذا الحديث وتبعه جماعة من العلماء، في هذا القول انتهى. وأيضًا فيه: ونقل بعضهم أنّ عيسى عليه السلام إذا نزل من السماء إلى الأرض يحيي والدي رسول الله ﷺ فيجعل والده ﷺ رئيس عسكره في قتال الدجّال ومَنْ تبعه من اليهود، والله تعالى أعلم بالصواب. اهـ.

قوله: (أو هو وعد أباه) بفتح الهمزة والباء الموحدة، يعني أنّ فاعل وعد ضمير إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإياه ضمير عائد على أبيه بدليل ما قرأه حماد الراوية والحسن وابن السّميقع وابن نَهِيك ومعاذ القارىء، كما في الدرّ المصون، فإنه قرأوا (أباه) بالموحدة.

[الممتحنة: الآية ٤] (**دليله قراءة الحسن «وعدها أباه»**) ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يغفر له ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ﴾ من جهة الوحي ﴿لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُۥ﴾ أن أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بأن يموت كافرًا وانقطع رجاؤه عنه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وقطع استغفاره (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾) هو المتأوه (**شفقًا وفرقًا**)، ومعناه أنه (**لفرط**) ترحمه ورقّته كان يتعطف على أبيه الكافر ﴿حَلِيمٌ﴾ هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى، لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ أي ما أمر لله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه (**محظور**)، لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام، ولا يخذلهم إلا إذا قدموا

قوله: (**دليله قراءة الحسن**) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه وغيره، كحماد وابن السميقع وابن نهيك ومعاذ القاري كما في الدرّ المصون. (**«وعدها أباه»**) بالباء الموحدة، وهذه قراءة شاذّة. **قوله:** (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾) لَكثير التأوّه، وهو أن يقول الرجل عند الشّكاية والتوجّع: آه من كذا، وأصله: أوه ـ بسكون الواو وكسر الهاء ـ فقلبوا الواو ألفًا وقالوا: آه من كذا، وربما شدّدوا الواو وكسروها وسكّنوا الهاء، فقالوا: أوّه، وربما حذفوا الهاء، فقالوا: أوّ، وبعضهم يفتح الواو مع التشديد، فيقول: أوّه، وبعضهم يقول: أوّاه ـ بالمدّ والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء ـ لتطويل الصوت بالشكاية. وفي الحديث: «الأوّاه الخاشع المتضرّع»، وقيل: معنى كون إبراهيم ﷺ أوّاهًا أنه كلّما ذكر لنفسه تقصيرًا أو ذكر له شيئًا من شدائد الآخرة كان يتأوّه إشفاقًا واستعظامًا له. **قوله:** (**شَفقًا**) محرّكة، أي خوفًا. في القاموس: الشَّفَق ـ محرّكة ـ الخوف والشفقة، وشفق وأشفق حاذَرَ. اهـ باختصار. **قوله:** (**فَرَقًا**) في مختار الصّحاح: الفَرَق الخوف، وقد فَرِق منه من باب طرب. اهـ. **قوله:** (**لفرط**) الفَرَط: الغَلَبة.

قوله: (**محظور**) بالحاء المهملة والظاء المعجمة، بمعنى ممنوع.

عليه بعد بيان **(حظره)** وعلمهم بأنه واجب الاجتناب، وأما قبل العلم والبيان فلا، وهذا بيان لعذر مَن خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين، والمراد بـ ﴿مَّا يَتَّقُونَ﴾ ما يجب اتقاؤه للنهي، فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلّف عنه كقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: الآية ٤٣] ﴿وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ فيه بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبيّ ﷺ والمهاجرين والأنصار ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ في غزوة تبوك ومعناه في وقتها. والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظَّهر **(يعتقب العشرة على بعير واحد)**، ومن الزاد تزودوا **(التمر المدود والشعير المسوس)** و**(الإهالة الزنخة)**، وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا **(كرشها)**

قوله: (حظره) بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي منعه.

قوله: (يعتقب العشرة على بعيرٍ واحد) أي يتعاقبونه في الركوب واحدًا بعد واحد. **قوله: (التمر المدوّد)** في مختار الصِّحاح: داد الطعام يَداد دَوْدًا بوزن يخاف خوفًا، وأداد ودوّد وتدويدًا كلّه بمعنى، أي وقع فيه السوس. اهـ. **قوله: (والشعير المسوّس)** في مختار الصحاح: السُّوس يقع في الصوف والطعام، وسَاس الطعام يساس سَوْسًا بوزن قول إذا وقع فيه السوس، وكذا أساس الطعام وسوّس تسويسًا. اهـ. **قوله: (الإهالة)** بالكسر الودك المُذاب. اهـ مصباح. **قوله: (الزنخة)** في مختار الصّحاح: زنخ الدهن تغيّر، فهو زنخ وبابه طرب. اهـ. **قوله: (كرشها)** في مختار الصحاح: الكَرِش بوزن الكَبِد، والكِرْش بوزن الكِبْد، الكلّ مجترّ بمنزلة المَعِدة[1] للإنسان، وتؤنّثها العرب. اهـ.

---

(١) المِعْدة بوزن الرعدة لغة فيها. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وشربوه، وفي شدة زمان من **(حمارّة القيظ)** ومن **(الجدب)** والقحط ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه. وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم: «ليس خلق الله مثله» أي ليس الشأن خلق الله مثله (﴿يَزِيغُ﴾ **حمزة وحفص**) ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ تكرير للتوكيد ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ أي وتاب على الثلاثة وهم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أُمية، وهو عطف على ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن الغزو ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ **(برحبها)** أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانًا يقرّون فيه **(قلقًا)** و**(جزعًا)** ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغمّ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بعد خمسين يومًا ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ ليكونوا من جملة التوابين ﴿إِنَّ

قوله: (حمارة القَيْظ) في لسان العرب: حمارّة القيظ ـ بتشديد الراء ـ وحَمَارَته شدّة حَرّه ـ بالتخفيف ـ عن اللّحيانيّ: وقد حُكِيَت في الشتاء، وهي قليلة، والجمع حمَارّ. اهـ. وفي مختار الصحاح: القَيْظ حارّة الصيف. اهـ. **قوله: (الجدب**[1]**)** ضدّ الخِصْب. **قوله:** (﴿يَزِيغُ﴾) بالياء على التذكير **(حمزة)** بن حبيب **(وحفص)** عن عاصم. والباقون بالتأنيث.

قوله: (برحبها) بضمّ الراء إشارة إلى أنّ ما مصدريّة، والباء للملابسة. **قوله: (قَلَقًا)** القلق الانزعاج، وقد قَلِق من باب طرب، فهو قَلِق، يقال: بات فلان قلِقًا وأقلقه غيره. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (جزعًا)** الجَزَع ضد الصبر، وبابه طرب، وقد جَزِع وأجْزَع غيره. اهـ مختار الصحاح.

(١) بمعنى القحط. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عن (أبي بكر الورّاق) أنه قال: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ في إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا، أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولًا وعملًا. والآية تدلّ على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ المراد بهذا النفي النهي وخصّ هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس في ذلك، لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ ولا أن (يضنوا) ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ عما يصيب نفسه أي لا يختاروا لبقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضرّاء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن التخلّف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (عطش) ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ (مجاعة) ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الجهاد (﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾) ولا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم

قوله: (أبي بكر) محمد بن عمر الحكيم، (الورّاق) أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، لَقِي أحمد بن خضرويه وصحب محمد بن سعد الزاهد ومحمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات.اهـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار.

قوله: (يَضِنوا) في مختار الصحاح: ضَنّ بالشيء يضَن ـ بالفتح ـ ضِنًّا ـ بالكسر ـ وضَنَانة ـ بالفتح ـ أي بخل، فهو ضَنِين به. قال الفراء: ضَنَّ يَضِنّ بالكسر لغة.اهـ. **قوله:** (عطش) العطش ضدّ الريّ، وبابه طرب. **قوله:** (مجاعة) أي جوع. **قوله:** (﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾)... الخ. قال صاحب الكشاف: وبهذه

وأرجلهم ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يغضبهم ويضيق صدورهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ عن ابن عباس ﵄: لكل روعة سبعون ألف حسنة. يقال: نال منه إذا (رزأه) ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم. وفيه دليل على أن مَن قصد خيرًا كان سعيه فيه مشكورًا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك، وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأن وطء ديارهم مما يغيظهم، وقد أسهم النبيّ ﷺ لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب. والموطىء إما مصدر كالمورد، وإما مكان. فإن كان مكانًا فمعنى ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يغيظهم وطؤه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ في سبيل الله ﴿صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ (**مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة**) ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾

الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة ﵀، أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة؛ لأن وطأ ديارهم مما يغيظهم وينكىء فيهم، ولقد أسهم النبيّ عليه السلام لابنَي عامر، وقد قدما بعد تقضي الحرب، وأمدّ أبو بكر الصدِّيق المهاجرين إلى أميّة وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس، فلحقوا بعدما فتحوا، فأسهم لهم. وعند الشافعي ﵀: لا يُشارك المَدَد الغانمين، هذا لفظه. وهكذا ذكر صاحب الهداية هذا الخلاف من غير تعرّض للآية، فقال: وإذا لحقهم المَدد في دار الحرب قبل أن يُخرجوا الغنيمة إلى دار الإسلام شاركوهم فيه، خلافًا للشافعي ﵀ بعد انقضاء القتل، هكذا سرد الكلام... الخ. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (رزأه) في مختار الصحاح: رزأته أي أصابته مصيبة، ورزأ أي نَقَصَ. اهـ.

قوله: (**مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالى عنه**)، وهو ألف دينار، قيل: وألف جمل أعان به المسلمين (**في جيش العسرة**) أي في غزوة تبوك.

أي أرضًا في ذهابهم ومجيئهم وهو كل (منفرج) بين جبال (وآكام) يكون منفذًا للسيل، وهو في الأصل فاعل من «ودى» إذا سال ومنه (الودْيُ)، وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ من الإنفاق وقطع الوادي ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق بـ ﴿كُتِبَ﴾ أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرًا لأجرهم.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾) اللام لتأكيد النفي أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم

قوله: (منفرج) ـ بضمّ الميم وبفتح الراء ـ اسم مكان بمعنى ما انعطف يمنةً أو يسرة؛ لأنه منخفض بين جبال يجري فيه سيولها، وهو (منعطف) في الأكثر.
قوله: (آكام) في المصباح: الأكمة تلّ، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربما غلظ، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأُكمات، مثل قَصبة وقُصُب وقصبات، وجمع الأكم آكام، مثل جبل وجبال، وجمع الآكام أُكُم ـ بضمّتين ـ مثل كتاب وكتب، وجمع الأُكم آكام، مثل عنق وأعناق.اهـ.
قوله: (الوَدْي) ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول يخفَّف ويثقل، قال الأزهري: قال الأُموي: الوَدي والمَذي والمني مشدّدات وغيره يخفّف، وقال أبو عبيدة: المنيّ مشدّد والآخران مخفّفان، وهذا أشهر.اهـ مصباح.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾). . . الخ. اعلم أن للآية توجيهين ذكروهما، واكتفى الإمام الزاهد وصاحب الحسيني بالثاني فقط، أحدهما: أن ضمير ليتفقهوا ولينذروا ورجعوا راجع إلى الطائفة، والقوم هو الفرقة. والآخر: أن يكون بالعكس، فعلى الأول معناها ما استقام للمؤمنين أن ينفروا إلى تحصيل العلم كافّةً، فهلّا نفر مِنْ كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ليتفقّهوا، أي الطائفة النافرة، ولينذروا قومهم الباقية إذا رجعوا إلى قومهم، يعني يجعلوا غاية سَعْيهم ومعظم غرضهم من الفَقاهة إرشاد القوم وإنذارهم لا الترفّع على الناس

يكن نفير الكافة (فهلّا نفر) ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي من كل جماعة كثيرة

والتبسّط في البلاد لعلهم يحذرون، أي إرادة أن يحذروا عمّا ينذرون منه، فيكون في الآية دليل على أن الفقه من فروض الكفاية، وعلى أن خبر الواحد حجّة للعمل؛ لأنه جعل إنذار الطائفة النافرة للفرقة الباقية مفيدًا للعمل، وهو اسم للواحد والاثنين فصاعدًا، هكذا ذكره القاضي البيضاوي. وذكر الإمام فخر الإسلام في أوّل الكتاب: أنّ الله تعالى ندب للفقه في هذه الآية ودعاهم إلى الإنذار، والإنذار هو العلم والعمل جميعًا؛ فدلّ على أن العمل داخل في الفقه وفي أقسام السنّة أن خبر الواحد يوجب العمل؛ لأن الله تعالى دعاهم إلى العمل بقول: ﴿طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] وهو اسم للواحد والاثنين فصاعدًا، وعلى الثاني قيل في نزولها: لما نزل في المتخلّفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفر وانقطعوا عن الفقه، فأصرُّوا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفقّهون لئلّا ينقطع التفقّه الذي هو الجهاد الأكبر. فمعناها ما استقام للمؤمنين أن ينفروا كافّةً لغزو، فهلّا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة للغزو، وليتفقّهوا - أي الجماعة الكثيرة الباقية - ولينذروا قومهم، أي الطائفة النافرة إذا رجعوا إلى تلك الفرقة، فلا يكون الآية دليلًا على حجّية خبر الواحد، نعم يستقيم أن يكون دليلًا على حجية الخبر المشهور كما لا يخفى على المُنصف، وعلى الجهاد لا يفرض على كل واحد، وأن التفقّه أيضًا من الفروض الكفاية، ولعلّ ذلك فيما احتاج المسلمون إلى الغزو والعلم جميعًا. أو يقال: إنّ الآية محمولة على ما لم يكن النفر عامًّا، فيكون الجهاد فرض كفاية، وأن التفقّه هو الاجتهاد، ومن المعلوم أنه فرض كفاية، وإنما فرض العين هو تعلّم المسائل لا الفقه؛ كما قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، هذا ما يخطر بالبال، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (فهلّا نفر) يعني أن لولا هنا تحضيضيّة لا امتناعيّة، وهي مع الماضي تفيد التوبيخ على ترك الفعل، ومع المضارع تفيد طلبه والأمر به، لكن اللَّوْم على التَّرك فيما يمكن تلافيه قد يفيد الأمر به في المستقبل، ولذا قيل: إنّ الآية تدلّ على وجوب طلب العلم، لا لما قيل: إنّ التوبيخ على الترك يقتضي الوجوب. اهـ شهاب رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: يعني أن لولا تحضيضيّة مثل هلّا، وقد تقرّر أن حرف التحضيض إذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل،

جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ **(ليتكلفوا الفقاهة)** فيه **(ويتجشموا المشاق)** في تحصيلها ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ وليجعلوا **(مرمى)** همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ دون الأغراض الخسيسة من التصدّر والترؤس والتشبّه بالظلمة في المراكب والملابس ﴿لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ ما يجب اجتنابه. وقيل: إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثًا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعًا عن التفقه في الدين، فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد، ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرًا من الجهاد **(بالنصال)**. والضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ﴾ للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصّلوا في أيام غيبتهم من العلوم. وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه.

والتوبيخ إنما يكون على ترك الواجب، فيُستفاد منه كون الفعل واجبًا، فظهر أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] الأمر بالنفير بعدما بيَّن أنه لا يمكن نفير الكافّة لأيّ مطلوبٍ كان من المطالب الدينيّة، أي لأي مطلوب كان من المطالب؛ كالغزو والتفقّه في الدّين والتفقه في معرفة أحكام الدين، وهو ينقسم إلى فرض عين؛ كعلم الطهارة والصوم والصلاة. وفرض كفاية، مثل أن يتعلّم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والفتيا، والمراد من العلم في قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ما يكون تعلّمه فرض عين. اهـ.

قوله: (ليتكلّفوا الفَقاهة) فيه إشارة إلى أن صيغة التفعّل المتكلّف، وليس المراد به معناه المتبادر، بل مقاساة الشدّة في طلبه لصعوبته، وأنه لا يحصل بدون جهد وجدّ. **وقوله: (الفَقاهة)** ـ بالفتح ـ في لسان العرب: فَقُه فَقَاهة وهو فقيه. اهـ. وفي القاموس: الفقه ـ بالكسر ـ العلم بالشيء والفهم له والفِطْنة، وغلب على علم الدِّين لشرفه، وفَقُه ككرم وفَرِح، فهو فقيه. اهـ. **قوله: (ويتجَشموا المشاق)** أي يرتكبوها. **قوله: (مَرمى)** أي مقصد. **قوله: (بالنّصال)** في مختار الصِّحاح: النَّصْل نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع نُصول ونِصال. اهـ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ يقربون منكم ﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾. القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب. وقد حارب النبيّ ﷺ قومه، ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره، وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة و(عنفًا) في المقال قبل القتال ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة والغلبة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ («ما» صلة) مؤكدة ﴿فَمِنْهُم﴾ فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ بعضهم لبعض ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ إنكارًا واستهزاء بالمؤمنين و﴿أَيُّكُمْ﴾ مرفوع بالابتداء وقيل: هو قول المؤمنين للحثّ والتنبيه ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يقينًا وثباتًا أو خشية أو إيمانًا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلًا ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرًا مضمومًا إلى كفرهم ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني

قوله: (عنفًا) في المصباح: عنف به وعليه عُنْفًا من باب قرب إذا لم يرفق به، فهو عنيف. اهـ.

قوله: («ما» صلة) بالكسر، أي زائدة.

المنافقين **(وبالتاء: حمزة خطاب للمؤمنين)** ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ نفقة صغيرة ﴿وَلَا﴾ عن نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لا يعتبرون. أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ لا يتوبون بما يرون من دولة الإسلام، ولا هم يذكرون بما يقع بهم من **(الاصطلام)**.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ **(تغامزوا بالعيون)** إنكارًا للوحي وسخرية به قائلين ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم، أو إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته عليه السلام ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عن حضرة النبيّ عليه السلام مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن فهم القرآن ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبرون حتى يفقهوا.

قوله: (وبالتاء) أي بتاء الخطاب **(حمزة خطاب للمؤمنين)** على جهة التعجّب. والباقون بياء الغيب رُجوعًا على الذين في قلوبهم مرض.

قوله: (﴿فِي كُلِّ عَامٍ﴾) الاستغراق هنا العرفي، أي في كلّ عام مِنْ أعوامهم زمن نفاقهم (﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾)، والمراد مجرّد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور، وهذا المعنى وإن فُهِم من قوله مرّتين؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [المُلك: الآية ٤] الآية، لكن أُريد المبالغة، فاختير ما ذكر في النظم، فكلمة أو بمعنى بل؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٧]، لكن حمله على الترديد أُدخل في إفادة المبالغة. اهـ قنوي. **قوله: (الاصطلام)** الاستئصال. اهـ مختار الصِّحاح.

قوله: (تغامزوا بالعيون) يعني أن المراد من النظر النظر المخصوص الدالّ على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها..

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

(﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ **محمد** عليه السلام) ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديد عليه شاق ـ لكونه بعضًا منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ على إيمانكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ فاستعن بالله وفوّض إليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فوّضت أمري إليه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ هو أعظم خلق الله. خلق مطافًا لأهل السماء وقبلة للدعاء ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ بالجر وقرىء بالرفع على نعت الرب جلّ وعزّ. عن أبيّ: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية.

قوله: (﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ **محمّد عليه السلام**)... الخ. يقول كاتب الحروف غفر الله له ولوالديه وأشياخه وأحبابه: قد رأيت رسالة للعلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري في المدينة المنوّرة على صاحبها الصّلاة والسّلام ونسختها، فأحببت أن أُلحقها بتفسير هذه الآية الشريفة لتزيد بها الفائدة، وتتمّ بها العائدة، وهي هذه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحمد الله الأزلي الأبدي، على ما أضاء النور الأحمدي، وأشرق الضياء المحمّديّ، المَنْعوتَ بالمحمود، في العالم والوجود، وأفاء على العرب والعجم، بأنواع النِّعَم، وأضاف الجود، وأهداه إلى الناس كافّة، إرسال هداية وهديّة ورحمة ورأْفة، وهو الرَّحيم الوَدُود، بإبراز هذا المولود، في أحسن المَوْرود، وهو شهر ربيع الأوّل، على ما عليه المعول، صلّى الله تعالى عليه وسلم، وشرّفه وكرّم، وأحسن إليه، وقرَّبه واصطفاه لديه، ولقد أحسن المقال مَنْ قال، مِنْ بعض أرباب

....

الحال: شعر(١):

لهذا الشهر في الإسلام فضل ومنقبة تفوق على الشهور
فمولود به واسمٌ ومعنًى وآيات بهرن لدى الظهور
ربيعٌ في ربيعٍ في ربيعٍ ونورٌ فوق نورٌ فوق نور

وقد قال تعالى في القرآن العظيم، والفرقان الحكيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وأظهر هذا الإخبار، المتضمّن لحصول الأنوار، مصدِّرًا بالقسم المقدّر ومؤكِّدًا بحرف التحقيق، إشارةً إلى أنّ مجيئه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إليهم من علامات العناية وأمارات التوفيق، والخطاب عامٌّ شامل للمؤمنين والكافرين، لكنه هدى للمتّقين، وحجّة على الآخرين، كماء النِّيل ماءٌ للمحبوبين، ودعاء للمحجوبين، وإيماءً إلى أنّ مجيئه موعودٌ إليكم، ومقصودٌ لديكم، بمقتضى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٣٩]، وفي الإتيان بالشرطية المُؤَكَّدة بما المزيدة في إتيان الرسول، ومجيئه المقبول، دلالة كاملة، وعلامة شاملة، إلى أن بعث الرسول ليس بواجب عليه سبحانه إلا بموجب وعده، وفضله وكرمه على عباده، وفيه إشعار بأنه لولا إرسالنا إياه بالمجيء إليكم، لما تنزّل عن مرتبته ولا نزل باختياره عليكم، فإنه من المقرّبين إلينا، ومن المعظَّمين لدينا، وهو لا يحب الغَيْبة عن حضرة الحقّ، بالإقبال والتوجّه إلى الخلق. أمَا ترى إلى أيازٍ الخاص، حيث كان من عبيده الخواصّ، كلما عرض عليه سيّده وسلطانه من المناصب الجليلة، لم يقبله وأقبل على إقبال الحضرة العَلِيَّة، لكنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ترك ما يريد لما يختاره الله تعالى ويُريد، كما هو شأن المراد والمريد، وقد قال قائلهم: شعر:

أُريد وِصالَه ويريد هَجْري فأترُكُ ما أُريد لما يُريد

---

(١) من الوافر وأجزاؤه مَفَاعِلَتُنْ ستّ مرّات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مَفَاعِلَتُنْ مَفَاعِلَتُن فُعُولُن مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مقطوفه مقطوف

....

فهذه مرتبة أهل الكمال، من أرباب الحال، الجامعين بين تجلّيات الجمال والجلال، الفانين عمّا سواه في الإدبار والإقبال، ولذا لمّا قيل لأبي يزيدَ: ما تريد؟ قال: أريد أن لا أُريد. وقد قال بعض أرباب التوفيق، من أصحاب التحقيق والتدقيق: هذه أيضًا إرادة عند الصوفية السادة، إذًا إرادة عدم الإرادة من باب الزّيادة، تلميحًا إلى مقام الفناء عن السِّواء، وحالة التسليم والرّضاء في قضاء القَضاء، ثم التنوين في رسولٌ للتعظيم، المحتوي للتكريم، فكأنه تعالى قال: لقد جاءكم أيها الكرام رسولٌ كريم، من ربٍّ كريم، بكتاب كريم، فيه دعاء إلى رَوْح ورَيْحان وجنّةِ نعيم، وزيادةُ بشارة إلى لقاءِ كريم، وإنذارٍ عن الحميم والجحيم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحِجر: الآيتان ٤٩، ٥٠]، من عظمة هذا الرسول أنه أخذ الميثاق من الأنبياء الكرام، والرُّسل العِظام، أن كل مَنْ أدرك وقت مجيئه بالرسالة، على جهة العَظَمة والجلالة، آمَنَ به ونصره وأظهر كماله، كما أشار إليه المفسّرون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: الآية ٨١]، وقد هَدَى عليه السلام إلى هذا المقام العالي، بقوله: «لو كان موسى حيًّا لما وَسِعَه إلّا اتّباعي»، وأومأ إلى ذلك، بل إلى أنه فوق ما هنالك، في المرتبة بقوله: «آدمُ ومَنْ دونه تحت لوائي يوم القيامة»، ثمّ كأنه سبحانه يقول: اعلموا أنه صلّى الله تعالى عليه وسلم ما جاءكم إلى جانبكم إلا باعتبار القالب الصُّوري، على وجه الظهور النُّوري، ولكنه باعتبار القلب الحضوريّ واقفٌ عند بابنا، حاضرٌ في جنابنا، لا يَغيب من البَيْن لَمْحة عين، فهو مجمع البحرين؛ لأنه غريب عندكم وقريبٌ إلينا، وبائنٌ عنكم وكائنٌ علينا، وقرشي معكم وعرشي لدينا، ومع هذا مرجعه إلى الحضرة وإنْ طالت الغيبة كما هو شأن الرسول بالنسبة إلى المُرْسِل، بعد حصول المقصد المُوصِل، ففيه مَزْج الهناءِ بالعِزاء، على ما عليه جميع نِعَم الدنيا بظهور البقاء وتعقيب الفناء، ومن الغريب أنهما وَقَعا في موسم واحد وربيع متّحد على السَّواء، كما وقع من عجائب التاريخ أن عُرس[1] ميمونةَ رضي الله تعالى عنها كانت بسَرِف حيث بنى بها وهنّاها، ووقع فيه موتها ودفنها

(١) بالضمّ الزّفاف مثل كتاب، وهو إهداؤها إلى الزوج. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وعزاؤها، فسبحان الحيّ الذي لا يموت ولا يفوت ولا يزول ولا يحول، والحمد لله الذي أحيانا بالإسلام، وجعلنا من أُمّة محمّد عليه السلام الذي هو متمنّى الأنبياء الكِرام، فمجيئه عليه الصّلاة والسّلام من تَمام النِّعمة وغاية الإكرام، فوجب الإقبال والاستقبال، في زمانِ الإرسال ومكان الإيصال، وقد جمع الله تعالى من مَحْض الإفضال بين حصول النعمتين العظيمتين، لأهل البقعتين الكريمتين، أعني الحرمَيْن الشريفَيْن، والمحلَّيْن المنيفَيْن، زادهما الله تشريفًا وتكريمًا، ومَهابةً وتعظيمًا، حيث وقع المولد المُكرَّم بمكّة الأمينة، والمَدْفَن المعظَّم في المدينة السَّكينة، على ساكنها من الصلوات أفضلها، ومن التحيّات أكملها، وقد قام أهل كلٍّ بما هو أهلٌ له، وفعل كلٌّ من الجميل بما هو ميسّر وسُهّل له، من زيارة المولد والمولود، وحصل لهم غاية الفوز ونهاية المقصود. قال شيخ مشائخنا الإمام العلّامة، الحبر البحر الفهّامة، شمس الدين محمد السخاوي، بلغه الله المقام العالي، وكنت ممن تشرّف بإدراك المولد في مكّة المشرّفة عدَّة سنين، وتعرّف ما اشتمل عليه من البركة المشار لبعضها بالتعيين، وتكرّرت زيارتي فيه لمحل المولد المستفيض، وتصوّرَتْ فكرتي ما هنالك من الفخر الطويل العريض، قال: وأصل عمل المولد الشريف لم يُنْقَل عن أحدٍ من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حَدَثَتْ بعدها بالمقاصد الحسنة والنيّة التي للإخلاص شاملة، ثم لا زال أهل الإسلام، في سائر الأقطار والمدن العِظام، يحتفلون في شهر مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وشرّف وكرّم، بعمل الولائم البديعة، والمطاعم المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويُظهرون المسرّات ويزيدون في المبرّات، بل يَعْتَنُون بقراءة مولده الكريم، ويَظهرُ عليهم من بركاته كل فضلٍ عظيم عَمِيم، بحيث كان مما جُرّب؛ كما قال الإمام شمس الدين بن الجزري المقرىء المقرّب، ومن خواصّه أنه أمان تامّ في ذلك العام، وبشرى تعجيلِ نبيل ما يُبْتَغى ويُرام، قال: وأكثرهم بذلك عنايةً أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من إنعام أعظم مقام، قال: ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر بَرْقوق رحمه الله بقلعة الجبل العَلِيّة فرأيت ما هالَني، وسرّني وما ساءَني، وحرّرت ما أنفق في تلك الليلة على القرّاء والحاضرين، من الوعّاظ والمُنشدين، وغيرهم من الأتباع

....

والغلمان والخدّام المتردّدين، بنحو عشرة آلافِ مثقالٍ من الذَّهب العَين، بالحَدْس المُصيب لا المَيْن[١]، ما بين خلع ومطعوم ومشروب ومشموم ومشموع، وغيرها مما يستقيم به الضّلوع، وعددت في ذلك خمسًا وعشرين جُوقةً من القرّاء الصِّنْتِيتِينَ[٢]، المرجوّ كونهم مثبتين[٣]، ولم ينزل واحد منهم إلّا بنحو عشرين خلعة من السلطان، ومن الأمراء الأعيان. قال السخاوي: قلت: ولم يزل ملوك مصر خدّام الحرمين الشريفين، ممن وفّقهم الله لهدم كثير من المناكير والشَّيْن، ونظروا في أمر الرّعية كالوالد لولده، وشهّروا أنفسهم بالعدل فأسعفهم الله بجنده ومَدَده، كالملك السعيد الشهيد الظاهر المصدّق أبي سعيد جَقْمَق، يعتنون به، ويتوجهون لطريق سببه، بحيث ارتفعت جوق القرّاء في أيّامه بيقين، للزيادة على الثلثين، فذكروا بكل جميل، وكَفَوْا من المهمات كل عريض وطويل. وأما ملوك الأنْدَلُس والغرب فلهم فيه ليلة تسير بها الركبان، يجتمع فيها أئمّة العلماء الأعلام ممن يليهم من كلّ مكان، وتعلوها بين أهل الكفر كلمة الإيمان، وأظنّ أهل الروم لا يتخلّفون عن ذلك، اقتفاءً بغيرهم من الملوك فيما هنالك، وبلاد الهند تزيد على غيرها بكثير، مما أعلمنيه بعض أولي النقل والتحرير. قلت: وأمّا العجم، فمن حيث دخل هذا الشهر المعظم، والزمان المُكرَّم، لأهلها مجالس فخام، من أنواع الطعام، للقرّاء الكرام، والعلماء العظام، وللفقراء من الخاصّ والعام، وقراءات الختمات، والتلاوات المتواليات، والإنشادات المعتمدات، وأجناس المبرّات والخيرات، وأنواع السرور، وأصناف الحبور، حتى بعض العجائز من غزلهنّ ونسجهنّ يجمعن ما يقمن بجمعهن الأكابر والأعيان، وبضيافتهنّ ما يقدرْنَ عليه في ذلك الزمان، ومن تعظيم مشائخهم وعُلمائهم هذا المولد المعظّم، والمجلس المكرَّم، إنه لا يأباه أحد في حضوره، رجاء إدراك نوره وسروره، وقد وقع لشيخ مشائخنا مولانا زين الدين محمود البهدايني النقشبندي، قُدِّس سرّه العليّ، أنه أراد سلطان الزمان، وخاقان الدوران، همايون بادشاه، تغمّده الله وأحسن مثواه، أن يجتمع به، ويحصل له المَدَد والمُدَد بسببه، فأباه الشيخ وامتنع

---

(١) أي الكذب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الصِّنْتِيت كالصِّنْدِيد وزنًا ومعنًى، أي السيد ومهترو بزرك. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي مثبتين وجودهم بالفضائل العَلِيّة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أيضًا أن يأتيه السلطان، استغناءً بفضل الرحمٰن، فألَحّ السلطان على وزيره بَيْرام خان، بأنه لا بدّ من تدبير الاجتماع في المكان، ولو في قليلٍ من الزّمان، فسمع الوزير أن الشيخ لا يحضر في دعوة من هناء وعزاء إلّا في مولد النبيّ عليه السلام، تعظيمًا لذلك المقام، فأنْهى إلى السلطان فأمره بتهيئة أسبابه الملوكانيّة، من أنواع الأطعمة والأشربة ومما يُشَمّ به ويُتبخّر في المجالس العلميّة، ونادى الأكابر والأهالي، وحضر الشيخ مع بعض الموالي، فأخذ السلطان الإبريق، بيد الأدب ومعاونة التوفيق، والوزير أخذ الطّشت من تحت آمِره، رجاء لطفه ونظره، وغَسَلا يد الشيخ المكرّم، وحصل لهما ببركة تواضعهما لله ولرسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، المقامُ المعظم، والجاهُ المفخّم. قال السخاوي: وأما أهل مكّة، معدن الخير والبركة، فيتوجّهون إلى المكان المتواتر بين الناس أنه محل مولده، وهو في سوق اللّيل رجاء بلوغ كلّ منهم بذلك لمقصَده، ويزيد اهتمامهم به على يوم العيد، حتى قلّ أن يتخلّف عنه أحد من صالح وطالح ومقلّ وسعيد، سيما الشريف صاحب الحجاز، بدون تَوَارٍ وانْحِجازٍ. قلت: الآن، سيما الشريف لا يُبان، في ذلك المكان، ولا في ذلك الزمان، وجدّد قاضيها وعالمها البرهاني الشافعي رَحِمَه الله تعالى إطعام غالب الواردين، وكثير من القاطنين المشاهدين، فاخرَ الأطعمة والحلوى، ويمدّ للجمهور في منزله صُبَيْحَتها سماطًا جامعًا رجاءً لكشف البلوى، وتَبِعه ولده الجمّالي في ذلك، للقاطن والسالك. قلت: أمّا الآن، فما بقي من تلك الأطعمة إلا الدخان، ولا يظهر مما ذكر إلا ريحُ الريحان؛ فالحال، كما قال[1]:

أمّا الخيام فإنها كخيامهم ... لٰكِنْ نساءُ الحيّ غير نساءها

قال: ولأهل المدينة كثّرهم الله تعالى به احتفال، وعلى فِعله إقبال، وكان للملك المظفّر صاحب إرْبِلَ[2] رحمه الله بذلك فيها أتَمُّ العناية، واهتمامها ما بشأنه جاوز الغاية، أثنى عليه به العلّامة أبو شامة، أحد شيوخ النوويّ السابق في الاستقامة، في كتابه الباعث، على إنكار البدع والحوادث، وقال مثل هذا لحَسَنٌ

(١) من الكامل، وأجزاؤه: متفاعلن ستّ مرات. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) كاثريد، بلد قريب الموصل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

يندب إليه، ويُشكر فاعله ويُثنى عليه، زاد ابن الجزريّ: ولم يكن في ذلك إلّا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان. قال ـ يعني ابن الجزري ـ: وإذا كان أهل الصليب اتّخذوا ليلة مولد نبيّهم العيد الأكبر، فأهل الإسلام أوْلى بالتكريم وأجدر. قلت لما يرد عليه: إنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب، ولم يظهَر من هذا الشيخ لهذا السؤال جواب. قال على سبيل الإضراب: بل خرّج شيخ مشائخ الإسلام، خاتمة الأئمّة الأعلام، أبو الفَضْل ابن حجر، الأستاذ المُعتبر، تغمّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّته، فعلَه على أصلٍ ثابت يميل إلى الاستناد إليه كلّ حبر هُمام، وهو ما ثبت في الصحيحَيْن من أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قَدِم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّى موسى عليه السلام، فنحن نصومه شكرًا لله عزّ وجلّ؛ فقال ﷺ: «فأنا أحقّ بموسى عليه السلام منكم» فصامه، وأمر بصيامه، وقال: «إنْ عِشْتُ إلى قابل» الحديث. قلت: وافقهم أوّلًا للألفة، ثم خالفهم آخرًا تحقيقًا لصورة المخالفة، قال ـ أي الشيخ ـ فيُستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما مَنّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة، أو دَفْع نَقْمة، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كلّ سنة والشكر لله تعالى يُحَصِّلُ أنواع العبادة؛ كالصّلاة والصيام والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم؟! قلت: وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] إشعارٌ بذلك، وإيماءٌ إلى تعظيم وقت مجيئه لما هنالك، قال: وعلى هذا فينبغي أن يُقْتَصَر فيه على ما يُفَهِّم الشكرَ لله تعالى من نحو ما ذكر وأما ما يتبعه من السّماع واللّهو وغيرهما، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مُباحًا(١) بحيث يعين السرور بذلك اليوم فلا بأس بإلحاقه، وما كان حرامًا أو مكروهًا فيُمْنَع، وكذا ما كان فيه خلاف، بل(٢) يحسن في أيام الشهر كلّها ولياليه، يعني كما جاء عن ابن جماعة تمنّيه، فقد اتّصل بنا أن الزاهد القدْوة المُعَمر أبا إسحٰق إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن جماعة لمّا كان في المدينة النبويّة، على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل التحيّة، كان يعمل طعامًا في المولد النبويّ ويُطعم الناس ويقول: لو

(١) كالمسابقة في الرّمي والفرس والإبل والإقدام. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) إضراب عن فلا بأس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

تمكّنت عملت بطول الشهر كل يوم مولد. قلت: وأنا لما عجزت عن الضيافة الصورية، كتبت هذه الأوراق لتصير ضيافة معنوية نورية، مستمرّة على صفحات الدهر، غير مختصّة بالسَّنة والشهر، وسمّيته بالمورد الرَّويّ، في المولد النبويّ. قال: وأمّا قراءة المولد ينبغي أن يُقْتَصَر منه على ما أورده أئمّة الحديث في تصانيفهم المختصّة بذلك، كالمورد الهنيّ، وغير المختصّة به بل ذُكِرَ ضمنًا كدلائل النبوّة للبيهقيّ، ولا بأس بلطائف المعارف لابن رجب في ذلك لأن أكثر ما بأيدي الوُعّاظ منه كذب واختلاق، بل لم يزالوا يولِّدون ما هو أقبح وأسمح ممّا لا تحلّ روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانَه إنكارُه، والأمر بترك قراءته على أنها لا ضرورة إلى سياق ذكر المولد بل يكتفي بالتلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبويّة والزهديّة، المحرّكة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة، والصلاة والسلام على صاحب المولد. واعلم أنّ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، أي رجل موصوف بوصف النبوّة والرّسالة، ومنعوت بنعت العظمة والجلالة، إمّا إشارة إلى مآله حين بلوغ زمان كماله، وظهور أوان جماله، أو إيماء إلى ما ورد من قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطّين»، وهو وإن قال بعض الحفّاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه في طرق صحيحة. منها: ما رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن العِرْباض بن سارية رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم، قال: «إني مكتوب عند الله خاتَم النبيّين وإنّ آدم لمُنْجدل في طينته»، أي لطريحٌ ملقًى على الأرض قبل نفخ الروح فيه. ومنها: ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم عن ميسرة الضّبّي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، متى كنتَ نبيًّا؟ فقال: «وآدم بين الماء والطّين»، ويُروى: «كُتِبْتَ» من الكتابة. ومنها: خبر الترمذي وحسّنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد». وورد: «أنا أوّل الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا». وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: أنه صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة،

....

وكان عرشه على الماء». ومن جملة ما كتب في الذِّكر وهو أُمّ الكتاب أن محمّدًا خاتم النبيّين، والمراد ظهور نبوّته للملائكة المقرّبين وعلوّ روحه في أعلى مقام علّيّين إعلامًا بعظيم شرفه وتميّزه على سائر الأنبياء والمُرسلين، ثم خصّ الإظهار بحالة كون آدم عليه السلام بين الروح والجسد؛ لأنه أوان دخول الأرواح إلى عالم الأجساد، وتميز الذرّيّة والأولاد، من الآباء والأجداد. وأجاب الإمام حجّة الإسلام في كتاب النفخ والتسوية عن وصفه صلّى الله تعالى عليه وسلم نفسه بالنبوّة قبل وجود ذاته، وتحقّق كمالات صفاته، بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الإيجاد، فإنه قبل أن تحمل به أُمّه لم يكن مخلوقًا موجودًا، ولكن العنايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود. وقال[1]: وهو معنى قولهم: أوّل الفكر آخر العمل، وآخر العمل أوّل الفكر؛ فقوله: «كنت نبيًّا» أي في التقدير قبل تمام خلقة آدم؛ إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذرّيته محمّد ﷺ، وتحقيقه: أن للدار في ذهن المهندس وجودًا ذهنيًّا سببًا للوجود الخارجي وسابقًا عليه، فالله تعالى يقدّر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيًا، انتهى ملخّصًا. وذهب السبكي رحمه الله إلى ما هو أحسن، وللمقصود أبْيَن، وهو أنه جاء أن الأرواح خُلِقَتْ قبل الأجساد، فالإشارة بكنت نبيًّا إلى روحه الشريفة أو حقيقةٍ من حقائقه ولا يعلمها إلّا الله تعالى ومَنْ حَبَاه بالاطّلاع عليها، ثم إنه تعالى يؤتي بكلّ حقيقة منها ما شاء في أيّ وقت شاء، فحقيقته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قد تكون من حين خُلِقَ آدم عليه السلام آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيّئة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبيًّا، وكتب اسمه الشريف على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخر جسده الشريف المتّصف بها فحينئذ تَنَجُّزُ إيتائه النبوّة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجّل لا تأخر فيه، وإنما المتأخّر تكوّنه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتمّ، صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم. قال: ومن فسّر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبيًّا لم يصل لهذا المعنى؛ لأن عِلمه تعالى مُحيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوّة في ذلك الوقت ينبغي أن يُفهم منه أنه أمرٌ ثابت له فيه، وإلّا لم يختصّ بأنه نبيّ؛ إذ الأنبياء كلّهم كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه.

---

(١) القائل هو الإمام المذكور رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قال القسطلاني[١] رحمه الله: لمّا تعلقت إرادة الله تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمّدية، من الأنوار الصّمديّة، في حضرة الأحديّة، ثم سلخ منها العوالم كلّها، عِلْوَها وسِفلِها، على صورة حُكْمِه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوّته، وبشّره برسالته هذا ولم يكن آدم إلّا كما قال: «بين الروح والجسد»، ثم انبجست منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحْلى، فهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، لما انتهى الزّمان بالاسم الباطن في حقّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزّمان إلى اسم الظاهر فظهر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بكليّته روحًا وجسمًا، فهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إن تأخّرت طينته، فقد عُرِفَتْ قيمته، فهو خزانة السرّ، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفُذ أمرٌ إلّا منه، ولا ينتقل خبرٌ إلّا عنه، كما قال:

ألَا[٢] بأبي مَنْ كان ملكًا وسَيِّدًا ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذلك الرسول الأبطحي محمّد ... له في العلى مجدٌ تليد[٣] وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدى ... وكان في كلّ عصر مواقف
إذا رام أمرًا لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارف

قال: ورويناه في جزء من أمالي أبي سهل القطّان عن سهل بن صالح الهَمْداني، قال: سألت أبا جعفر محمدَ بنَ عليّ: كيف صار محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتقدّم الأنبياء، وهو آخر مَنْ بُعِث؟ قال: إنّ الله تعالى لمّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، كان محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أوّل مَنْ قال: بلى. وأخرج ابن سعد عن الشعبي: متى

---

(١) بالفتح منسوب بطريق قسطلة، وبالضم خطأ.

(٢) من الطويل، وأجزاؤه: فعولن مفاعيلن أربع مرّات. ١٢.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن
مقبوضة ... مقبوض

(٣) كأمير قديم وهو نقيض الطارف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

اسْتُنْبِئْتَ يا رَسُول الله؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ الميثاق مني»، وهو يدلّ على أن آدم لما صوّر طينًا استخرج منه محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ونُبِّىء وأُخذ منه الميثاق، ثم أُعيد إلى ظهره ليخرج أوانَ وجوده، فهو أوّلهم خلقًا، وخلقُ آدم السابق كان مواتًا لا روح فيه، وهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان حيًّا حين استخرج ونُبِّىء وأُخذ منه ميثاقه، فهو أوّل النبيّين خلقًا وآخرهم بعثًا، ولا ينافي هذا أنّ استخراج ذريَّة آدم إنّما كان بعد نفخ الروح فيه؛ لأنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خُصّ من بين بني آدم بذلك الاستخراج الأوّل. وفي تفسير العماد ابن كثير عن عليّ وابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨١] الآية، أنّ الله لم يبعث نبيًّا إلّا أخذ العهد عليه في محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لئن بُعِث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، ويأخذ العهد بذلك على قومه. وأخذ السبكي رحمه الله من الآية أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم على تقدير مجيئهم في زمانه مرسل إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّةً لجميع الخلق من آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم من أُمّته، يعني في الجملة؛ فقوله: «وبُعِثْت إلى الناس كافّة» يتناول مَنْ قَبْل زمانه أيضًا، وبه يتبيّن معنى «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد»، وحكمة كون الأنبياء في الآخرة تحت لوائه وَصَلاته بهم ليلة الإسراء. قلت: ويؤيّده ما ذكره الإمام فخر الرازي في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرقان: الآية ١]، يشمل الملائكة وغيرهم. قال: وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي، أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنّة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنيّ ولا إنسيّ، فلمّا أراد الله أن يخلق الخَلْق قسم ذلك النور بأربعة أجزاءٍ[١]، فخلق من الجزء الأوّل القلم، ومن الثاني اللّوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجْزاءٍ، فخلق من الأوّل

(١) أي زاد فيه، لا أنه قسم ذلك النور الذي هو نور المصطفى؛ إذ الظاهر أنه حيث صوّره بصورة مماثلة لصورته التي سيصير عليها لا يقيسه إليه ولا إلى غيره. اهـ زرقاني.

....

حَمَلة العرش، ومن الثاني الكرسيّ، ومن الثالث بقيّة الملائكة. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأوّل السمٰوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنّة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاءٍ، فخلق من الأوّل نور أبصار[1] المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور ألسنتهم وهو التوحيد لا إلـه إلّا الله محمّد رسول الله» الحديث. قلت: ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: الآية ٣٥] أي نور محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: الآية ٣٥] الآية، واختلفوا في أوّل المخلوقات بعد النور المحمّدي، فقيل: العرش، لما صحّ من قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، فهذا صريح في أنّ التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أوّل خلق القلم؛ لحديث عُبادة بن الصّامت مرفوعًا: «أوّل ما خلق الله القلم، وقال له: اكتب، قال: يا ربّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء»، رواه أحمد والترمذي وصحّحه ولكن صحّ في حديث مرفوع من حديث أبي رُزَيْن العقيليّ رواه أحمد والترمذي «أن الماء خُلِق قبل العرش»، وفي قوله تعالى: ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: الآية ١] إشارة إليه ودلالة عليه. وروى السُّدِّيّ بأسانيد متعدّدة: «الله تعالى لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء»؛ فعُلِم أنّ أوّل الأشياء على الإطلاق النور المحمّدي، ثم الماء، ثم العرش، ثم القلم؛ فذِكْر الأوّلية في غير نوره صلّى الله تعالى عليه وسلّم إضافيّة، وورد: «لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلمع في جبينه ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته وأمرهم فطافوا به في السمٰوات ليرى عجائب ملكوته». قال جعفر بن محمد: مَكَثَتْ الروح في رأس آدم مائة عام، وفي صدره مائة عام، وفي ساقَيْه وقدمَيْه مائة عام، ثم علّمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات، ثم أمر الملائكة بالسجود سجود تعظيم وتحيّة لا سجود عبادة؛ كسجود إخوة يوسف له، فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى، وآدم كالقبلة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان يوم الجمعة من وقت الزّوال إلى

---

(١) بمعنى بصائر أو الأعم منها ومن الحسية. ولم يعتبر أيضًا الكفار لأنهم لما فقدوا نفعها كانت مضرّة عليهم لا منفعة لهم. زرقاني.

....

العصر، ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، وسُمّيت حواء لأنها خُلِقت من حيّ، فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومَدّ يده لها، فقالت الملائكة: مَهْ يا آدم، قال: ولِمَ، وقد خلقها لي؟ فقالوا: حتى تؤدّي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلّي على محمّد ثلاث مرات. وقد ذكر ابن الجزري في كتاب سَلْوة[١] الأحزان أنه لما رامَ القرب منها طلبت المهر منه، فقال: يا ربّ وماذا أُعطيها؟ قال: يا آدم صلّ على حبيبي محمّد بن عبد الله عشرين مرّة، ففعل. قلت: ولعلّ الثلاث كان مهرًا معجّلًا، والعشرين صَداقًا مؤجّلًا. وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ، أسألك بحقّ محمد إلّا غفرت لي؟ فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ لأنك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إلٰه إلّا الله محمّد رسول الله، فعَلِمْتُ أنك لم تُضِف إلى اسمك إلّا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدَقْتَ يا آدم، لأنه أحبّ الخلق إليّ، وإذا سألتني بحقّه فقد غفرتُ لك ولولا محمّد ما خلقتك»، رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وقال: تفرّد به عبد الرحمٰن، ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك». وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال: «هبط جبريل على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقال: إنّ ربك يقول: إن كنت اتّخذت إبراهيم خليلًا فقد اتّخذتك حبيبًا، وما خلقتُ خلقًا أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا»، ولله درّ العارف الوليّ سيدي عليّ الوفوديّ[٢]:

سَكَنَ الفؤاد فعِشْ هنيئًا يا جَسَدْ ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود خيال من هو واحد ... لولاه ما تمّ الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصَّدْر وجميعهم ... هم أعينٌ هو نُورُها لمّا ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أوّل مَنْ سجد

---

(١) بالفتح ويضمّ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) من الكامل، وأجزاؤه: متفاعلن ستّ مرات.

....

أو لـو رأى الـنـمـروذُ نـور جـمـالـه عَبَدَ الجَليل مع الخليل ولا عَنَد

لـكـن جـمـال الله جـلّ فـلا يـرى إلا بـتـخـصـيـص من الله الـصـمـد

وإنما خلق الله تعالى حواء لتسكن إلى آدم ويسكن إليها، فحين صار لديها فاضت بركاته عليها، فولدت له في تلك الأعوام الحسنى، أربعين ولدًا في عشرين بطنًا، ووضعت شيثَ وحدَه، كرامةً لمن أطلع الله بالنبوّة سَعْدَه. ولمّا توفي آدم عليه السلام كان شيث عليه السلام وصيًّا على ولده، ثم أوصى شيث ولده بوصيّة آدم أن لا يضع هذا النور إلّا في المطهّرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية جاريةً تُنقَل من قرنٍ إلى قرنٍ إلى أن أدّى الله النور إلى عبد المطّلب وولده عبد الله، وطهّر الله تعالى هذا النسب الشريف من سِفاح الجاهلية، كما ورد عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في الأحاديث المرضيّة. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما رواه البيهقي في سننه: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «ما ولدني من سِفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام». قال القسطلاني: والسفاح ـ بكسر السين المهملة ـ الزّنا، والمراد به هنا أن المرأة تسافح الرجل مدّة، ثم يتزوّجها بعد ذلك. ورَوى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبي عن أبيه، قال: كتبت للنبيّ ﷺ خمسمائة أمّ، فما وجدت فيهن سفاحًا، ولا شيئًا مما كان عليه من أمر الجاهلية. وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأُمي، لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء» رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر. ورَوى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «لم يلتق أبواي قطّ على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة مصفًّى مهذّبًا لا تتشعّب شعبتان إلا كنت في خيرهما». وعنه في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَراء: الآية ٢١٩]، قال: «من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجتك نبيًّا» رواه البزار، ورواه أبو نعيم نحوه. وفيه تنبيه على أنه عليه السلام انتقل من أصلاب الأنبياء الكرام، وليس معناه أنّ الآباء كلّهم من الأنبياء، فإنه خلاف ما عليه إجماع العلماء، ولا أن آباءه جميعهم من أهل الإسلام، فإنّ فيهم مَنْ أجمع على كفره الفقهاء الأعلام، كعبد المطلب وأبي إبراهيم عليه

....

السلام، وأبويه[1] صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما بيّنت في غير هذا المقام، مما ألّفت في تحقيق هذه المسألة، رسالة مستقلّة، وأدّيت بالأدلّة القاطعة القامعة، في ردّ ما ألّفه السيوطي من الرسائل الثلاثة في هذه المادّة اللامعة، ثم قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي جنسكم وهو بشر مثلكم لكنه رسول منّا مبلّغ عنّا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: الآية ١١٠]، والحكمة فيه أن الجنسيّة علّة الانضمام، وبها يحصل الالتئام وكمال النظام، وأيضًا يسهل الاقتداء به على وجه التّمام؛ إذ لو أرسل ملك لقيل له القوّة الملكيّة، ونحن عاجزون عن متابعته لضعف البشريّة، بخلاف ما إذا كان الرّسول بشرًا، فإنه يُقتدى به قولًا وفعلًا وحالًا وأثرًا، فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم واسطة بين المرسَل والمرسل إليه بأخذ الفَيْض من الحقّ، وإيصاله إلى الخلق، ولم يُفهم هذا المعنى، وغفل عن هذا المَبْنى، جَمْع من الكفّار، حيث قالوا بطريق الإنكار، أبعث الله بشرًا رسولًا؟ وهذا يدلّ على سَخافة عقولهم حيث رضوا أن يكون الإلٰه حجرًا، واستبعدوا أن يكون الرسول بشرًا. والحاصل أن مجيء الرسول نعمة جسيمة، وكونه من جنس البشر منحةٌ عظيمة، وقال بعضهم: قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي جنس العرب وهو لا ينافي ما سبق، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: الآية ٤]، وقد صحّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأسانيد متعدّدة أنه قال: «ليس من العرب قبيلة إلّا وقد وَلَدَتِ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُضَريها وربيعِيها ويمانيها»، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣]. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لم يكن بطن من قريش إلّا ولرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فيهم قرابة، فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣]، أي أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم، وقُرِىء: ﴿مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] بفتح الفاء أي من أعظمكم قدرًا نقله الحاكم عن ابن عباس رضي

---

(١) مما يجب أن يقال في هذا المقام جزى الله تعالى السيوطي ومن حذى حذوه من الأئمة الحنفية والشافعية وسامح الله تعالى هذا المؤلف بما زلّ به قدمه ويرجى لكثرة علمه أن لا يكون معتقدًا في آخر أمره. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

الله تعالى عنهما. وأخرج ابن مَرْدَوَيْه عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التّوبَة: الآية ١٢٨]، فقال عليّ بن أبي طالب: يا رسول الله، ما معنى أنفسكم؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «أنا أنفسكم نَسَبًا وصهرًا وحَسَبًا، ليس فيّ ولا في آبائي مِنْ لدنّ آدم سِفاح، كلنا نكاح». وأخرج البيهقي في الدّلائل عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خطب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبويّ فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدنّ آدم حتى انتهيتُ إلى أبي وأُمّي، فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبًا». وأخرج أحمد والترمذي وحسّنه عن العباس بن عبد المطّلب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إن الله حين خلق الخلق جعلني في خير خلقه، ثم حين فرّقهم جعلني في خير الفريقين، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا، أي خيرهم أصلًا ونسبًا وخيرهم ذاتًا وحسبًا». وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الله تعالى خلق الخلق فاختار مِنَ الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مُضَر، واختار من مُضَر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيارٍ إلى خيار». وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: ذُكِر لنا أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «إذا أراد الله أن يبعث نبيًّا نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة، فيبعث من خيرها رجلًا». ويُرْوَى عن زين العابدين عليّ بن الحسين عن جدّه عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم رفعه: «كنت نورًا بين يديّ الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عَشَر ألفَ عام، فلمّا خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه، فلم يزل

....

ينقله من صلبٍ إلى صُلْب حتى استقرّ في صلب عبد المطّلب»، وكذا عند القاضي عياض في الشفا بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ قريشًا كانت نورًا بين يديّ الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفَيْ عام، يسبّح ذلك النور وتسبّح الملائكة بتسبيحه، فلمّا خلق الله آدم ألقى ذلك النّور في صُلْبه، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة، والأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبويّ ولم يلتقيا على سفاحٍ قطّ». ولبعضهم شعر:

حَفِظ الإلٰه كرامةً لمحمّد آباءه الأمجاد صَوْنًا لاسمه
تركوا السفاح فلم يُصِبْهم عارُهُ من آدم إلى أبيه وأُمّه

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم، قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه». قال السخاوي ﷺ: فالرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم سيّد الأوّلين والآخرين والملائكة المقرّبين، وسند الخلائق أجمعين، وحبيب ربّ العالمين، المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الدِّين، مولانا أبو القاسم وأبو إبراهيم محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب، واسمه شَيْبة الحمد، قيل: وإنما قيل له عبد المطّلب لأن أباه هاشمًا قال لأخيه المطلب، وهو بمكّة حين حضرته الوفاة: أدرِك عبدك بيثرب، وقيل: إنّ عمه المطلب جاء به إلى مكّة رديفه، وهو بهيئة بَذّة، فكان يُسْأل عنه، فيقول: هو عبدي، حياءً أن يقول ابنُ أخي، فلمّا أدخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابنُ أخيه، وهو أوّل مَنْ خَضَبَ بالسواد من العرب، وعاش مائة وأربعين سنة. ابن هاشم واسمه عمرو، وإنما قيل له هاشم لأنه كان يَهْشِم الثّريد لقومه حين الجدب. ابن عبد مناف بن قصيّ تصغير قصيّ، أي بعيد، لأنه بَعُد عن عشيرته في بلاد قُضاعة حين احتملت أُمّه فاطمة، ابن كلاب وهو إمّا منقول من المصدر الذي في معنى المُكالبة، نحو كالَبْتُ العَدُوّ مكالبةً، أي مشادّة ومضايقة. وإمّا من الكلاب جمع كلب، لأنهما يريدون الكَثْرة كما تَسَمَّوْا بسباع. وسُئِل أعرابي: لِمَ تسمّوا أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمّي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا، يريدون أن

....

الأبناء عدّة للأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء، ابن مرّة بضمّ الميم وتشديد الراء، ابن كعب وهو أوّل مَنْ سَمّى يوم الجمعة يوم العَرُوبة، وكان يخطُب فيه وتجتمع قريش لسماعه، وأوّل مَنْ قال: أما بعد، وربما أنذر في خطبته بخروج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويعلمهم بأنه من ولده، ويأمرهم باتّباعه، ويقول شعر:

يا ليتني[1] شاهدٌ فحواءَ دعوته حينَ العشيرةُ تنفي الحقّ خِذْلانا

ابن لؤي تصغير اللأي[2]، ابن غالب بن فهر بكسر الفاء واسمه قريش، أو لقبه وفهر اسمه، وإليه ينتهي نسب قريش، فمن لم يكن مِنْ وَلَده فليس بقرشيّ، بل كِناني، وهذا هو الأصحّ وعليه نُسّاب قريش ابن مالك بن النضر، وقيل: إنه لقبه لنضارة وجهه واسمه قيس، وعند كثيرين أنه جِماع قريش، ابن كنانة بكسر الكاف، أبو قبيلة، ابن خزيمة تصغير خَزَمة ـ بالخاء والزاي المعجمتين ـ ابن مدركة على صيغة الفاعل ابن إلياس بكسر الهمزة قطعًا في قول الأنباري، وقيل: بفتحها وصلًا، وهو قول قاسم بن ثابت ضدّ الرجاء باسم النبيّ المشهُور، واللام فيه للتعريف، وقال السهيليّ: وهذا أصح، ويذكر أنه كان يَسْمَع في صلبه تلبية النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بالحجّ، ويُذْكر أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «لا تسبّوا إلياس، فإنه كان مؤمنًا» ذكر ذلك السهيلي في روضته. وحكى الزبير أنه كان ينكر على بني إسمٰعيل ما غيّروا من سُنن آبائهم، وكان يقوم فيهم ويَعِظهم حتى جمعهم على رأيه ورضوا به رضى مَنْ لم يرضوا من أحد بعد أُدَدٍ[3]، وهو أوّل مَنْ أهدى البُدْن إلى البيت، ولم تَبْرَح العربُ تعظّمه تعظيم أهل الحكمة. ابن مضر على وزن عُمَر، قيل: لأنه كان يَضِير قلب من رآه حسنه وجماله، وكان حسن الصوت، فاتّفق أنه سقط عن بعيره[4] فأُصيبت يده وهو يقول: وايَدَاهْ وَايَدَاهْ، فنَشِطت الإبل لسماع صوته ذلك،

(١) من البسيط، وأجزاؤه: مستفعلن فاعلن أربع مرات: مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلن مستفعلن (مخبونة)، فاعلن مستفعلن فَعْلن (مقطوع).
(٢) كالسعي الإبطاء والاحتباس والشدّة. ١٢.
(٣) كعُمر مصروفًا بضمّتين أبو قبيلة. ١٢ قاموس.
(٤) يقع على الذّكر والأنثى. ١٢ مصباح.

....

بحيث كان ذلك أصل الحُداء[١] في العرب، وصدق قول القائل: أنه أول من حَدا، ومن كلماته مَنْ يزرع شرًّا يحصِدْ ندامة، وخير الخير أعْجله. ويُرْوَى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا تسبّوا مُضر وربيعة ـ يعني أخاه ـ فإنهما كانا مسلمين على ملّة إبراهيم عليه السلام، بل يُرْوى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معهما أيضًا خُزَيْمة الماضي، ومَعَدٌّ وعَدْنانُ وأُدَدُ وقَيْسٌ وتميمٌ وأسدٌ وضَبَّةُ، وأنهم ماتوا على مِلّة إبراهيم عليه السلام، فلا تذكروهم إلا بما يذكر به المسلمون. ابن نزار ـ بكسر النّون وتخفيف الزاي ـ مأخوذ من النُّزر، وهو القليل؛ لأنه كان فريد عصره. وقيل: لأنه لمّا وُلِد ونظر أبوه نور محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بين عينيه فَرِح فرحًا شديدًا، وأطعم طعامًا كثيرًا زمانًا مديدًا، وقال: إن هذا كلّه نِزارٌ، أي قليل لحقّ هذا المولود. ابن معدّ ـ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال ـ. ويُرْوى أن بُخْت نصّر لما غزا بلاد العرب أوحى الله تعالى إلى أرميا نبيّ بني إسرائيل إذ ذاك: أن ائْتِ مَعَدًّا، فأخرجه عن بلاده واحمله إلى الشام وتولّ أمره، فإنه يخرج من ولده محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خاتَم النبيّين، ففعل به ذلك. ويُروى أنّ أولاده لمّا بلغوا عشرين أو أربعين أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فانتهوا فدعا موسى عليهم، فأوحى الله تعالى إليه: لا تَدْعُ عليهم. وفي لفظ: أنه دعا فلم يُجَبْ حتى فعلوا ذلك ثلاثًا، فقال: يا ربِّ دعوتك على قوم أغاروا علينا فلم تُجِبْني فيهم، فقال: يا موسى دعَوْتني على قوم فيهم خِيرَتي في آخر الزّمان. ابن عدنان ـ بفتح العين ـ وإلىٰ هنا من النسب الشريفً لا خلاف فيه، وإنما الخلاف فيمن فوق عدنان، على أقوالٍ كثيرة متباينة جدًّا، ولذا يُروى أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كان إذا بلغ في النسب إلى عدنان أمْسَك، وقال: «كذب النسّابون»، قال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفُرقان: الآية ٣٨]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ولو شاء الله أن يُعَلّمه لعلّمه. وقال ابن دِحْية: أجمع العلماء والإجماع حجّة على أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إنما انْتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه. وفي مُسْنَد الفِرْدوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كان إذا انتسب لم يتجاوز مَعَدّ بن عدنان ثم يُمسك، ويقول: «كَذَبَ

(١) كغراب وهو الغناء لها. ١٢ مصباح.

....

النسَّابون». وقال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. وقال غيره: كان ابن مسعود ﷺ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٩] قال: كَذَبَ النسّابون، يعني أنهم يدّعون علم الأنساب، ونفى الله علمها عن العباد في الكتاب. ورُوِيَ عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: إذا انتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بين عدنان وإسمٰعيل ثلاثون أبًا لا يُعْرَفُون. وقال عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما: ما وجدنا أحدًا يعرف بعد معد بن عدنان. وسُئِل مالك رضي الله تعالى عنه عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فكره ذلك وقال من أخبره ذلك، وكذا رُوِيَ عنه في رفع نسب الأنبياء عليهم السلام. وعن ابن شهاب أنّ أوّل ما ذكر من فضائل عبد المطلب أنّ قريشًا خرجت من الحَرَم لمَا قَدِم عليهم أصحاب الفيل، وقال هو: والله لا أخرج من حرم الله أبْغِي العِزّ من غيره، ولا أبْغِي سواه عنه بَدِيلًا، وأقام عند البيت المحرم، حتى كان من أمره مع صاحب الحبشة حين خرج إليه مطلوبًا ما عظم به عنده وعند قومه أولي الوجاهة والكرم، وأهلك الله سبحانه الحبشة، وردهم عن بيته وأزال عن أهله تلك الوحشة، وكان السقاية والرّفادة لعبد المطّلب بعد عمّه المطّلب، فإنه أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمونه لهم من قبله، فشَرُف بذلك شرفًا لم يبلغه آباؤه، ولا وصل أحد منهم إلى مثله وأحبَّه قومُهُ، وعَظُم خَطَرُه فيهم واعتمدوه في إرشادهم وتنبيههم والرّفادة شيء كانت قريش في الجاهلية تتخارجه من بينهم على قدر طاقتهم، بحيث يجتمع من ذلك كثير، ثم يشترون به طعامًا وزبيبًا للنبيذ ويطعمون الناس ويَسْقوْنهم أيام موسم الحجّ حتى تنقضي. ويُرْوى عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»، يعني بهما جدّه إسمٰعيل عليه السلام وأباه عبدَ الله. والقصة أخرجها الطبراني من طريق ابن وهب عن أُسامة بن زيد، عن الزهري، عن قَبِيصة بن ذُؤَيْب أن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عبد المطلب نذر إن كَمُل له عشرة من الولدان أن يَنْحر أحدهم، فلمّا كَمُل عشرة أقرع بينهم أيّهم يَنْحر، فطارت القرعة على عبد الله، وكان أحبّ الناس إلى عبد المطلب، فقال: اللّهمّ هو أو مائة من الإبل؟ ثم أقرع فطارت القرعة على المائة

....

من الإبل. وذكر الزّبير بن بَكّارٍ أنه نحرها وتركها للناس، فأخذوها. قال السخاوي: وصارت الدية مشروعة بتعيين مائة من الإبل بين المسلمين بعد أن كانت في الجاهلية عشرة، ولهذا اقتصر على هذا العدد في القرعة المتكرّرة حيث كان عبد المطلب يزيد عشرة ثم عشرة إلى أن صارت مائة، فجاءت عليها القرعة. قال القسطلاني: وكان سبب نذره حَفْر أبيه عبد المطلب زمزم؛ لأن الجُرْهُمّي عَمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيّض الله لهم مَنْ أخرجهم من مكّة، فعمد عمرو إلى نفائس، فجعلها في زمزم، وبالغ في طمّها وفرّ إلى اليمن بقومه، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رُفِعت عنها الحُجُب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلّته على حفرها بأمارات عليها، فمنعَتْه قريش من ذلك، ثم آذاه من السفهاء مَنْ آذاه، واشتدّ بذلك بلواه، ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولدٌ سواه، فنذر لئن جاءَهَ عشرة بنين وصاروا له أعوانًا، ليذبحنّ أحدهم قربانًا، ثم احتفر عبد المطّلب زمزم فكانت له فخرًا وعزًّا. وذكر البرقي في سبب تزويج عبد الله بآمنة أنّ جدّه كان يأتي اليمن، فينزل عند عظيم من عظمائهم، فنزل عنده مرّة، فإذا عنده رجل ممّن قرأ الكتب، فقال: ائذن لي، أُفَتِّش مِنْخَرك، فقال: دونك فانظر، فقال: أرى نبوّة ومُلكًا، وإنما هي في المَنافِيّيْنِ، يعني عبد مناف بن قصيّ وعبد مناف بن زهرة، فلمّا انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فزوّجه بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، وتزوّج هو بابنة عمّها هالة ابنة أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة. قال كعب الأحبار: وأعطى الله آمنة عند ذلك من النور والبهاء والوقار والجمال والكمال ما كانت تُدعى به سيّدة قومها، وبقي عبد الله والنور بين عينيه لا يخرج حتى أذن الله للنور أن يخرج إلى بطن أُمّه. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق مَعْمَر عن الزهريّ قال: كان عبد الله من أحسن فَتًى في قريش، فمرّ بنسوة مجتمعات فقالت امرأة منهنّ: يا نساء قريش أيتكنّ تتزوّج هذا الفتى، فتصطاد النّور الذي بين عينيه؟ قال: فتزوّج آمنة، فحملت برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم. قال ابن عبد البرّ: لمّا تزوّج عبد الله آمنة كان ابن ثلاثين سنة، وقيل: ابن خمسٍ وعشرين، وقال غيره: ثمانية عشر. قال السخاويّ: وهو الراجح. وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ: لمّا أراد الله خلق

....

محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في بطن أُمّه، وذلك في ليلة الجمعة من رجَب أمر الله تعالى في تلك اللّيلة رضوان خازن الجِنان أن يفتح أبواب الفردوس، وينادي مُنادٍ في السمٰوات والأرضين: ألَا إنّ النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أُمّه الذي فيه يتمّ خلقه ويخرج إلى الناس نذيراً. وذكر الزبير بن بكّار أنّه كان في أيّام التشريق في شِعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، وللواقدي من جهة وهب بن زمعة عن عمّته قالت: كنا نسمع أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لمّا حملت به أُمّه آمنة كانت تقول: ما شَعَرْتُ أنّي حَمَلْتُ به ولا وجدتُ ثِقَلًا كما تجد النّساء إلا أنّي أنكرتُ رفع حيضتي، وربما كانت تقول: وأتاني آتٍ وأنا بين النائم واليَقْظان، فقال: هل شَعَرْتِ أنكِ حملتِ؟ فكأني أقول: ما أدري، فقال: إنكِ حملتِ بسيّد هذه الأُمّة ونبيِّها، وسمِّيه محمّدًا، وذلك يوم الاثنين. ولابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن جعفر عن حليمة السعدية مرضعته: أن آمنة قالت لها: إنّ لابني هذا شأنًا، إني حَمَلت حملًا فلم أحْمِل حملًا قطّ كان أخفّ عليّ، ولا أعظم بركةً منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت له أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع[١] واضعًا بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء. وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند أحمد وغيرهم عن العِرْباض بن سارية السّلمي، قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إني عند الله في أُمّ الكتاب لخاتَم النبيّين، وإن آدم لمُنْجَدل في طينته، وسأُنبئكم بأوّل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى قومه، ورؤيا أُمّي التي رأت أنه خرج منها حين وضعت نورًا أضاءت له قصور الشام». قال السخاوي: قوله: ببصرى، قال شيخنا: يحتمل أن يُقْرأ بضمّ الموحدة وسكون المهملة مقصورًا، ويحتمل أن يقرأ ببصرى ـ بفتح الباء والصاد ـ أي أنها رأت رؤيا عين ببصرها، قال: وبُصْرى على الأوّل بلدة معروفة بطرف الشرق من عمل دِمَشْق مما يلي حَوْران، وهي قصبة من جهة الحجاز بينها وبين الشام نحو مرحلتين. والنكتة في تخصيصها بالذّكر مع أنه في رواية: «أضاء ما بين المشرق والمغرب»، وفي لفظ: «الأرض»، وهما أشمل كونه

(١) أي وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وصل بنفسه الشريفة إليها وما جاوزها، وقال بعضهم: الإشارة إلى ما خصّ الشام به من نور نبوّته، فإنها دار ملكه، كما ذكر أنّ في الكتب السالفة محمّد رسول الله مولده بمكّة، ومهاجره بيَثْرب وملكه بالشام، فمن مكّة بُدِأتْ نبوّة محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وإلى الشام تنتهي، ولهذا أُسْرِيَ بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إلى بيت المقدس، وهو من الشام، كما هاجر إبراهيم عليه السلام قبله إلى الشام، بل قال بعض السلف: ما بعث الله نبيًّا إلّا من الشام، فإن لم يُبْعَث منها هاجر إليها، وفي آخر الزمان يستقرّ العلم والإيمان بالشام، فيكون نور النبوّة فيها أظهر منه في سائر البلاد، انتهى. وما وقع من اختلاف الروايات في خروج النور أهو حين الحمل أو الوضع لا مانع من وقوعه في الوقتين، وإنّ كانت الرواية حين الوضع أوْلى بالاتّصال.

وبالجملة، فهذا النور إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وامتداد ملك أُمّته ودين ملّته إلى الآفاق بالطول والعَرْض، وهما أكثر مما بين الجنوب والشمال، بحيث زالت به ظلمة الشرك منهما والضلال، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: الآيتان ١٥، ١٦]. وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، وقد قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كما في مسلم وغيره عن ثوبان: «زُوِيَتْ ـ أي جُمِعَت ـ لي مشارقُ الأرض ومغاربُها، وسيبلغ مُلْك أُمّتي ما زُوِيَ منها». وقولها: فلم أحْمِل حَمْلًا كان أخفَّ عليَّ منه يُفهم منه أنها حملت بغيره، وسيما عند ابن سعد مما هو أصْرَحُ منه حديثُ إسحٰق بن عبد الله، قالت: قالت أُمّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: قد حَمَلْتُ الأولاد، فما حملت. وقال ابن سعد: قال الواقديّ: وهذا مما لا يُعرف عندنا ولا عند أهل العلم، فلم تَلِدْ آمنة ولا عبد الله غير رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم. قال الواقديّ: وحدّثني ابن أخي الزهريّ عن عمّه قال: قالت آمنة: لقد عَلَقْتُ به فما وجدت له مشقّة حتى وضعته، وهو عند غيره بلفظ: ما شَعَرْت به ولا وجدت له ثقلًا كما تجد النساء. قال السخاويّ:

....

واللفظان يمكن التأويل فيهما على ما سبق عن إسحٰق بن عبد الله إن كان هو ابن طلحة، فهو مُرْسَلٌ رجالُه رجال الصحيح لا يَمْنَع أن تكون آمنةِ أسْقَطَتْ من عبد الله سِقْطًا، فأشارت بذلك إليه، وبه يجتمع الروايات إن قَبِلنا كلام الواقديّ. وقد قال ابن الجوزي: أجمع علماء النَّقْل على أن آمنة لم تحمل بغير النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقولها: لم أحمل خرج على وجه المبالغة، أو على أنه وقع اتّفاقًا، والجمع الذي قيل أنسب. وأما دعوة إبراهيم عليه السلام، فيشير بها إلى أنه لمّا شرع في بناء الكعبة دعا الله تعالى أن يجعل ذلك البلد آمنًا، ويجعل أفئدة الناس تَهْوي إليهم ويَرْزُقهُم من الثمرات، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: الآية ١٢٩]، فاستجاب الله دعاءه في هذا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وجعله الرسول الذي سأل إبراهيم عليه السلام ودعاه أن يبعث إلى أهل مكّة، والمعنى أنّ الله تعالى لما قضى أن يجعل محمّدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خاتَم النبيّين وأثبت ذلك في أُمّ الكتاب أنْجَزَ هذا القضاء بأن قيّض إبراهيم عليه الصّلاة والسلام للدعاء الذي ذكره ليكون إرساله إيّاه بدعائه كما يكون نقله من صُلبه إلى أصلاب أولاده. وأما بشرى عيسى عليه الصّلاة والسّلام، فيشير بها إلى أن الله تعالى أمره به فبشّر به صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قومه فعرّفه بنو إسرائيل قبل أن يُخْلق كما حكى تعالى عنه في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصّف: الآية ٦]. قال السخاوي: وقد كانت السَّنَة التي حُمِل فيها به صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فيما نقل سنة شديدة الجَدْب والضِّيْق على قريش، فاخضرّت لهم الأرض وحملت الأشجار وأخْصَبَتْ مكّةُ خِصْبًا عظيمًا بحيث سُمِّيت سنة الفتح والابتهاج، وأتاهم الرِّفْد من كل مكان بهذا الإفراج، وعبد المطّلب وهو يومئذ صاحب أحكام قريش وسائر العرب يخرج في كل يوم متوشّحًا ويطوف بالبيت، ويقول: يا معشر القريش إني أنظر إلى تمثال شخص مُمَثلًا بين عينيّ كأنه قطعة نور كامل لا أمَلُّ رؤيته، وتجحد قريش رؤيته كذلك إمّا حَسَدًا أو عمًى. **بل** نُقِل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ كل دابّة لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِل بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وربّ الكعبة. وهو إمام الدنيا وسِراج أهلها، ولذا لم يبقَ كاهنة في قريش ولا قبيلة من

....

قبائل العرب إلا حُجِبتْ عن صاحبها، وانتزع علم الكَهَنة منهم، ولم يبق سريرُ مَلِكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ذلك، ومرّت وَحْش المشارق إلى وحش المغارب بالبشارات، وكذا بشّر أهل البحار بعضهم بعضًا، ونُودِي في كل شهر من شهوره عليه السلام في كلّ من السماء والأرض، أنْ أبْشِروا فقد آن لأبي القاسم محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يخرج إلى الأرض ميمونًا مباركًا. قال: وبقي في بطن أُمّه تسعة أشهر كملًا[1] لا تشكو وَجَعًا ولا ريحًا ولا ما يعرض للنّساء ذوات الحمل. قال الواقدي: وفي غُضُون[2] هذا الحَمْل المكمّل بَعَث جدّه عبد المطلب بابنه عبد الله إلى غزّة من بلاد الشام يمتار لهم طعامًا مع تجّار قريش، ولمّا رجعوا مَرِض فتخلّف لذلك بالمدينة النبويّة عند أخوال أبيه بَني عَدِيّ بن النجّار شهرًا، ثم مات بالمدينة. وعند ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب: أنه بعثه يمتار لهم تمرًا من يَثْرِب، فمات بها ودُفِن بها في دار النّابغة. وهذا القول هو الذي رجّحه ابن إسحٰق، ورواه ابن سعد أيضًا وجزم به الزبير بن بكّار وغير واحد. وقال ابن الجوزيّ: هو الذي عليه مُعْظم أهل السِّيَر، وأطلق غيره عَزْوه للجمهور، وقال بعضهم؛ مات بعد وضعه، فقد أخرجه يحيىٰ بن سعيد الأُمويُّ في المغازيّ من طريق عثمان بن عبد الرحمٰن الوقّاصيّ أحد الضعفاء عن الزهري عن سعيد بن المسيّب أن آمنة لمّا وضعته أمر عبد المطّلب ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب، فطاف به حتى استأجر حليمة على إرضاعه، وذكر أنه قام عندهم ستّ سنين حتىٰ كان مِنْ شقّ صدره ما كان، فردّته إلى أُمّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، واختلفوا كم كان سِنُّهُ حينئذٍ؟ فقيل: ابن سنتين وأربعة أشهر، حكاه ابن إسحٰق. وقيل: ابن سبعة أشهر، حكاه ابن سعد. ويقال: إنّ عبد الله خرج وهو في هذا السنّ إلى أخوال أبيه بالمدينة زائرًا، فتوفّي بها. ويقال: إن الملائكة قالت: إلٰهنا

---

(١) قوله: كَمَلًا ـ بفتحتين ـ أي كاملًا وافيًا. قال اللّيث: هكذا يتكلّم به، وهو سواء في الجمع والواحد، وليس بمصدر ولا نعت، إنما هو كقولك: أعطيته المال الجميع، كذا في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الغَضنُ ويُحرّك كُلّ تَثَنّ في ثوب أو جلد أو درع، ج. غضون والعناء والتعب. ١٢ قاموس.

....

وسيّدنا بَقِيَ نبيّك يتيمًا، فقال الله عزّ وجلّ: أنا له وليٌّ وحافظ ونصير. وقيل لجعفر الصادق: لِمَ يَتِمَ[١] النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم من أبويه؟ فقال: لئلّا يكون عليه حقّ لمخلوق، نقله عنه أبو حيّان[٢] في البحر[٣]. قال السخاويّ: وقد خلّف أبوه جارية أُمّ أيْمَن بركة الحبشية وخمسة أجمال وقطعة غنم، فوَرِث ذلك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فكانت أُمّ أيمن رضي الله تعالى عنها تحضُنُه، ثم إن الخؤولة المشارَ إليها كون هاشم بن عبد مناف تزوّج في المدينة سلمى ابنة عمرو أحَدَ بني عَدِي بن النجّار، فولدت عبدَ المطّلب، وقد ثبت في الصحيح في حديث الهجرة قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إني أنْزِلُ على أخوال عبد المطلب أُكْرِمُهم بذلك». وأما ما وقع في رواية أخرى من قوله: «أنْزِلُ على أخواله» أو قال: «على أجداده»، فالشكّ فيه من رواية ابن إسحٰق السَّبِيعيّ. وأيًّا ما كان، فمجاز؛ فالخؤولة من جهة الأُمومة، والنزول إنْ كان على بني مالك بن النجّار لا على بَني عديّ. وروى البيهقي في الدلائل والطبراني وأبو نعيم من طريق محمّد بن أبي سُوَيْد الثقفيّ عن عثمان بن أبي العاص: حدّثتني أُمّي فاطمة ابنة عبد الله الثقفيّة إحدى الصحابيّات أنها حضرت آمنة لمّا ضربها المخاض ليلًا، قالت: فجعلت أنظر إلى النجوم تدلّى وتدنُو حتى قلت: ليقعن عليّ، فلما وَلَدَتْ خرج منها نورٌ أضاء له البيت والدار. قال ابن سعد: أخبرنا الهَيْثَم بن خارجة، حدثنا يحيىٰ بن حمزة، عن الأوزاعيّ، عن حسّان بن عطيّة، أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لمّا وُلِد وقع على كفَّيْه وركبتَيْه شاخصًا بَصَره إلى السماء، وهو مُرْسَل قويّ. ومن مرسل إسحٰق بن أبي طلحة: أنّ آمنة قالت: وضعتُه نظيفًا ما ولدته كما يولَدُ السَّخْلُ[٤] ـ أي المولود المحبّ إلى أهله ـ ما به قَذَر، وهو جالس على الأرض بيده. ولأبي الحُسين بن بِشْران عن ابن السّمّال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء، قالت آمنة: ولدته جاثيًا على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضة من الأرض، وأهوى ساجدًا، قالت: وكبّيت عليه إناء فوجدته قد انفلق الإناء عنه وهو يمصّ

---

(١) كضَرَب وعَلِم يتمًا ويفتح وهو يتيم. ١٢ قاموس.

(٢) محمد بن يوسف أندلسي المتوفّى سنة ٧٤٩. ١٢.

(٣) يعني البحر المحيط في التفسير. ١٢. (٤) ولد الشاة ما كان. ١٢ مصباح.

....

إبهامه يشخَب[١] لَبَنُها. قال السخاويّ: وكانت آمنة لما وضعته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أرسلت إلى جدِّه أنه قد وُلِد لك الليلة غلام، فانظر إليه؛ فلما جاء أخبرته خَبَرَهُ وحدّثته بما رأتْ حين حملت به، فأخذه وقام يدعو الله ويشكره، لما أعطاه ويقول: شعر[٢]:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيّب الأردان
وقد ساد في المهد على الغلمان ... أُعيذه بالبيت ذي الأركان

وذهبت ثُويبة جارية أبي لهب عمّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فبشّرته أنه وُلِد لأخيه عبد الله غلام، فأعتقها في الحال. قال القسطلاني: وهي ممّن أرضعته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قال: وقد رُؤي[٣] أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلّا أنه خفّف عني كل ليلة الاثنين وأمصّ من بين أصبعيّ هاتين ماءً، وأشار لرأس أصبعيه، وأن ذلك بإعتاق ثُوَيْبة عندما بشّرتني بولادة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وبإرضاعها له. قال ابن الجزري: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمّه جُوزِيَ في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فما حال المسلم الموحّد من أُمّته عليه السلام يُسَرّ بمولده؟ ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم؛ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يُدخله بفضله العميم جنّات النّعيم. ورَوَى الحاكم[٤] في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان بمكّة يهودي سكن يتّجر بها، فلمّا كانت اللّيلة التي وُلِد فيها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قال: يا معشر قريش، هل وُلِد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا، فإنه وُلِد في هذه اللّيلة نبيّ هذه الأمّة الأخيرة بين كتفَيْه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن

---

(١) شخب اللبن وكل مائع شخبًا درّ وسال. ١٢ مصباح.
(٢) من الرجز، وأجزاؤه: مستفعلن ستّ مرات. ١٢. مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن (مقطوع).
(٣) والرائي له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر، ذكره السهيلي وغيره. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٤) أي الحافظ أبو الخير شمس الدّين. ١٢.

....

عُرُفُ فرس - بضم العين، وقد تضمّ راؤه - أي شعر عنقه لا يرضع ليلتين، إنّ عفريتًا من الجنّ وضع يده على فمه، فانظروا؛ فسألوا فقيل لهم: قد وُلِد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أُمّه، فقالوا لها: أخرجي إلينا ابْنَكِ، فأخرجَتْهُ وكشفوا عن ظهره، فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشيًّا عليه، فلما أفاق قيل له: وَيْلك ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوّة من بني إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطونَ بكم سطوة يخرج خبرها بين المشرق والمغرب. قال السخاوي: وهو دليل على أنه وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بخاتم النبوّة بين كتفيه، وهو من العلامات التي كان يعرفه بها أهل الكتاب، ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها، حتى أنه رُوِيَ أن هِرَقْل بعث إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مَنْ ينظر له خاتَم النبوّة، ثم يخبره عنه، ولكن سيأتي أن الملكين اللذين شقّا صدره ومَلآهُ حكمةً هما اللذان خَتَماه بخاتَم النبوّة، وهو أصحّ ممّا قبله. قلت: الجمع بينهما ممكن، قال: وأمّا ما رُوِي من رفعه بعد موته من بين كتفيه، فسنده ضعيف. ورَوَى الخطيب من حديث محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أُمّه فاطمة ابنة الحسين بن علي عن أبيها، قال: لمّا كانت اللّيلة التي وُلِد فيها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قال حبرٌ كان بمكّة: يُولد اللّيلة في بلدكم هذا النبيُّ الذي وُصِف بأنه يعظّم موسى وهارون ويقتل أُمّتهما، فإن أخطأكم فبشّروا به أهل الطائف أو أهل أَيْلَةَ[1]، قال: فوُلِد في تلك الليلة، فخرج الحِبْر[2] حتى دخل الحِجْر، ثم قال: أشهد أنّ لا إلـه إلّا الله وأنّ موسى حقّ، وأنّ محمّدًا حقّ، قال: ثم فُقِد الحِبْر فلم يُقْدَرْ عليه. وروى أبو نعيم في الدّلائل من طريق شُعيب بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جدّه، قال: كان بِمَرِّ الظهران راهب يُدْعى عِيْصًا، فذكر حديثًا وفيه: أنه أعلم عبد المطلب ليلة وُلِد له النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بأنه نبيُّ هذه الأُمّة، وذكر له أشياء من صفته. قال السخاوي: والعلامات التي ظرت عند مولده وبعده جمّة فضلًا عمّا وقع في الإسلام من حين المبعث وهلمّ جرًّا ممّا هو مشهور بين الأئمّة من الأُمّة، وقد اعتنى بجمعها جماعة؛

---

(١) بلد بين يَنْبُعَ ومصر. ١٢ قاموس.

(٢) العالم والجمع أحبار، مثل حِمْل وأحمال، والحَبْر - بالفتح - لغة فيه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

كأبي نعيم والسهيلي، وجمع ما وقع من ذلك قبل المبعث، بل قبل المولد الحاكم في الإكليل وأبو سعيد النّيسابوري في شرف المصطفى، وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوّة وصاحب الشفا. وقد أخرج ابن السُّبكي وغيره في معرفة الصحابة من حديث مخزوم بن هانيء عن أبيه، وكان قد أتَتْ عليه مائة وخمسون سنة أنه ارتجس إيوان كسرى، أي اضطرّب وتحرّك حركة سُمِع لها صوت مَهُول[١] بحيث انْصدع وانشقّ مِنْ أعلاه. قال شيخ مشايخنا ابن الجزريّ: وهذا الشقّ إلى الآن بادٍ أخبرنا بذلك جماعة ممّن رآه بالمدائن، وأنه سقط عن أعلى الإيوان أربع عشرة شُرفة، وهي واحدة الشُّرَف[٢] التي تكون على حيطان السور وغيرها ليحسن منظرها، وخَمِدت نار فارسٍ التي كانوا يعبدونها، ولم تُخْمَد قبل ذلك بألفَيْ عام يعدّونها، بل كانت تُوقَد وتُضْرَم ليلًا ونهارًا، فلم يستطع أحد تلك الليلة إضرامها عجزًا لا اختيارًا، وغاضت بحيرة ساوة، المُظْهر أهلها الشِّرك والعداوة، وكانت بحيرة كبيرة أكبر من فرسخ بمملكة عراق العجم، بين هَمَذان وقُمّ، يُركب فيها السُّفُن ويُسافَر بها إلى ما حَوْلها من البلاد والمُدُن، مثل فرغانة والريّ، فأصبحت من ليلة مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ناشفة يابسة الأرض، كأن لم يكن بها شيء من الماء في الطول والعرض بل غار ماؤُها وذهب حتى بُنِيَ موضعها مدينة، تُسمّى ساوة باقية إلى اليوم حصينة، ورأى الموبذان، وهو قاضيهم الأعلى بترك بتلك الجهات والبلدان، إبلًا صعابًا، تقود خيلًا عِرابًا، وقد قطعت دِجْلة، وانتشرت في بلادها ووهادها[٣]، ووقع من تلك الليلة رمي الشياطين بالشُّهُب الثواقب، وكان قبل ذلك تسترقّ السَّمع من كلّ جانب، وحُجِب إبليس عن السماء، كما يُروى ولعلّه كان يقعد فيسترق السمع ويشير إليه بالإيماء، وذكر بقيّ[٤] بن مُخْلَدٍ صاحب السند، في تفسيره: وممّا رويناه عن مجاهد أنه رنّ ـ أي نخر ـ أربع رنّات: حين لُعِن وحين أُهبط وحين وُلِدَ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم. وفي لفظ: حين بُعث وحين أُنزلت فاتحة الكتاب، واختلف في كونه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلد بخاتم النبوّة، كما تقدّم في حديث

(١) كمقول. ١٢ منه عمّ فيضهم. (٢) مثل غُرْفةٍ وغُرَف. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٣) جمع الوهدة وهي الأرض المنخفضة كالوهد. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٤) كرضي حافظ الأنْدَلُس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

عائشة رضي الله تعالى عنها، أو حين وضعه، أو حين ختمه أحد الملكين حين شقّ صدره عِند مرضعته؟ وممّن حكى الأوّل ابن سيّد الناس، والثاني مغلطاي عن يحيىٰ بن عابد بصيغة التمريض، والثالث ثَبَت؛ ففي حديث عائشة عند الطيالسيّ والحارث في مسندَيْهما، وأبي نعيم في الدّلائل قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «وختم - يعني جبرئيلُ - في ظهري حتى وجدت مسَّ الخاتم في قلبي»، ومثله في حديث أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه عند أحمد والبيهقي في الدلائل. قلت: والجمع ممكن بظهور الزيادة في كل مرتبة وإفادة، وكذا اختلف أوُلِد وهو مختون، أو خُتِن بعد ذلك؟ فروى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «مِنْ كرامتي على الله أني وُلدت مختونًا ولم ير أحد سَوْأتِي»، وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراسانيّ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبيه رضي الله تعالى عنه أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلِد مختونًا مسرورًا، أي مقطوع السُّرة، ففَرِح به جدّه، وقال: ليكوننّ لابني هذا شأن. وقال أبو جعفر الطبريّ في تاريخه: وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم معذورًا، أي مختونًا. وقال الحكيم أبو عبد الله الترمذيّ: أنه وُلِد مختونًا. ورَوى ابن عبد البرّ في التمهيد أن جدّه ختنه يوم السابع، وعمل له مأْدُبَة. قلت: لعلّه لما عُمِل المأدبة[1] وقت الختان، ظُنّ أنه خُتِن في ذلك الزمان، فمعنى قوله: خَتَنه أظهر الختان، وأنه عليُّ الشأن جليّ البرهان؛ إذ في رواية لابن عبد البرّ أنه لمّا كان يوم السابع ذبح كبشًا، ودعا إلى طعامه قريشًا، فلمّا أكلوا قالوا: يا عبد المطّلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وضعه، ما سمّيته؟ فقال: محمّدًا، فقالوا له: لِمَ رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله عزّ وجلّ في السماء، وخلقه في الأرض هذا وقد أغرب مَنْ قال: ختنه جبريل عليه السلام. وقال العراقي: لا يثبت في هذا كلّه شيء. وتوقف الإمام أحمد في كون جدّه ختنه، وكذا توقّف في مقابله، فقال المزّيّ[2]: إنه سُئِل: هل وُلِد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله

---

(١) طعام صُنع لدعوة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) المِزّة - بالكسر - قرية بدمشق من ديار قضائه وإليها يُنْسَب الإمام الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن الزكي المِزّي. ١٢ تاج العروس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وسلّم مختونًا؟ فقال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري، قال: قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أئمّة الحنابلة: قد رُوِي أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلِد مختونًا مسرورًا، ولم يختر أبو عبد الله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل ـ على تصحيح هذا الحديث. وقال بعض الأئمّة: إنّ ختان جدّه له ما روى المرويّ به أشبه، لكن قال الحاكم: إنّ الأوّل قد تواترت به الرواية. قال السخاوي: وهو الذي أميل إليه سيّما مع قول أُمّه: ولدته نظيفًا. قال بعض الأئمّة: ألهم الله عزّ وجلّ أهله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أن يسمّوه محمّدًا، لما فيه من الصفات المحمودة ليطابق الاسم المسمّى، وقد قيل: الأسماء تنزل من السماء، وما أحسن قولَ حسّان: شعر[1]

فضم الإلـه اسم النبيّ إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشـقّ لـه مـن اسـمـه لـيُـجـلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد

قال السخاويّ: وتسمية جدّه له بذلك كانت بتوفيق من الله تعالى إمّا ابتداء أو بمنام رآه، فقد قال أبو الربيع بن سالم الكُلاعيّ: زعموا أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضّة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرفٌ في الأرض، وطرفٌ في المشرق، وطرفٌ في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كلّ ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فقصّها، فعُبّرت له بمولود ويكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سمّته به على ما حدّثت به آمنة من أمرها بتسميته بذلك، فمحمد وأحمد اسمان له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، كما نطق به القرآن، في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]، وفي قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصّف: الآية ٦]. وأخرج الحاكم في صحيحه: أن آدم عليه السلام رأى اسم محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مكتوبًا على العرش، وأنّ الله تعالى قال لآدم: لولا محمّد ما خلقتك. وأمّا حديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك»، فمعناه صحيح وإنْ قال الصغاني: إنه موضوع. قال القاضي عياض: فأمّا أحمد، فأفعل تفضيل مبالغة من صفة الحمد منه، ومحمّد مفعّل من كثرة الحمد فيه، فهو أجلّ من حمد وأكثر الناس حمدًا في الدنيا والآخرة، فهو أحمد

(١) من الطويل. ١٢.

....

المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد في المحشر يوم القيامة ليتمّ له كمال الحمد ويشتهر في العرصات بصفة الحمد، ويبعث المقام المحمود، ويحمده الأوّلون والآخرون، ويفتح عليه فيه من المحامد كما ثبت في الصحيحين ما لم يُعط غيره، وسمّيت أُمّته في كتب أنبيائه بالحمّادين، فحقيقٌ أنه يسمّى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم محمّدًا وأحمد، وفي هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فنّ آخر، وهو أنّ الله عزّ وجلّ حمى أن يسمّى بهما أحدٌ قبل زمانه. أمّا أحمد الذي ذُكِر في الكتب وبشّرت به الأنبياء، فمنع الله بحكمته أن يسمّى به أحدٌ غيره، ولا يدعى به مدعوٌّ قبله، حتى لا يدخل اللَّبْس ولا الشكّ على ضعيف القلب، وكذلك محمّد أيضًا لم يُسَمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أنْ شاع قبيل وجوده وميلاده، أن نبيًّا يبعث اسمه محمّد فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم حمى الله تعالى كل من يُسمّى به أن يدّعي النبوّة أو يدّعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكّك أحدًا في أمره، حتى تحقّقت السّمتان له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ولم يُنازع له أحدٌ فيهما. قال السخاويّ: وأسماؤه كثيرة جدًّا، قيل: إنها بلغت ألفًا، لكن اشتقّ أكثرها من أفعال وصف صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بها، وقد اجتمع لي منها في القول البديع ممّا لم أُسبق إلى جمعه نحو النّصف، ولا شكّ أن كثرة الأسماء دليلٌ على جلالة المُسمّى، وناهيك بشرفه تشريف الله عزّ وجلّ له بما سمّاه به من أسمائه الحُسْنى، ووصفه به من صفاته العلى، كما بيّنه صاحب الشفاء وغيره. قلت: وقد جمعها شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته له أيضًا بلغت خمسمائة، وأخذت منها عُمدتها وزبدتها العُلْيا، واقتصرت على تسعةٍ وتسعين وزان أسماء الحسنى: شعر

هذا الحبيب فمثله لا يولد ... والنور من وجناته يتوقّد
جبريل نادى في منصّة حسنه ... هذا مديحُ الكون هذا أحمد
هذا مليح الوجه هذا المصطفى ... هذا جميل الوصف هذا المسند
هذا جليل النعت هذا المرتضى ... هذا كحيل الطرف هذا الأمجد
هذا الذي خلعت عليه ملابسٌ ... ونفائسٌ فنظيره لا يوجد

....

وكان مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عام الفيل، كما رواه الترمذي في جامعه من حديث قيس بن مخرمة وابن أشْيَم، والبيهقي في الدلائل من حديث سُوَيْد[1] بن غَفَلة أحد المُخضرمين[2]، والبيهقي أيضًا وشيخه الحاكم وصححه كلاهما من طريق حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحٰق عن أبيه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، ورواه ابن سعد بلفظ: يوم الفيل، ورواه الحاكم أيضًا من طريق حميد بن الربيع عن حجاج كذلك، وقال: إن حميدًا تفرّد بقوله: يوم الفيل، وتعقّب برواية ابن معين، ولكن المحفوظ بلفظ عام الفيل، وقد لا ينافيه اللفظ الآخر لعدم صراحته في ذلك لِمَا فيه من الاحتمال. قال ابن عبد البرّ: إنه يحتمل أن يكون أراد باليوم الذي حبس الله الفيل عن وطء الحرم، وأهلك الذين جاؤوا به، ويحتمل أن يكون أراد باليوم العام. قال السخاويّ: ومال شيخنا إلى الأوّل حيث قال: قد يُطلق اليوم ويُراد به مطلق الوقت، كما يقال: يوم الفتح ويوم بدر، فإنّ المراد حقيقة اليوم، فيكون أخصّ من الأوّل، وبذلك صرّح ابن حبان في أول تاريخه، فإنه قال: وُلِد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله الطَّيْر الأبابيل على أصحاب الفيل. وأخرجه البيهقي أيضًا من مرسل محمد بن جبير بن مطعم بلفظ عام. وقد عاين ذلك حكيم بن حزام، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى، وحسان بن ثابت، وكلّ منهم عاش مائة وعشرين سنة. وقال إبراهيم بن المنذر: هو الذي لا شكّ فيه عند أحد من عظمائنا، وممّن حكى الإجماع ابن قتيبة ثم عياض. وقال ابن دحية: اتّفاق العلماءُ بالأثر والسنن عليه، انتهى. وكأنهم عمدة ابن القيم في الاتّفاق، ولكن الخلاف فيه ثابت، ويتحصّل منه أقوال أُخر بعد الفيل بأربعين سنة، قاله أبو زكريا العلائيّ حكاه ابن عساكر في الترجمة النبويّة من أوّل تاريخه أو بثلاثين سنة حكاه موسى بن عقبة عن الزهري، أو بثلاث وعشرين أورده ابن عساكر من رواية شعيب بن شعيب، أو بخمس عشرة، حكاه ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، لكن المُعتمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقدَّم،

---

(١) من كبار التابعين، قَدِم المدينة يوم دَفْن النبيّ ﷺ وكان مسلمًا في حياته، وثّقه يحيى بن معين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) المُخَضْرَم ـ بفتح الراء ـ: مَنْ أدرك الجاهلية والإسلام. ١٢.

....

أو شَهْر حكاه ابن عبد البرّ، وبعشرٍ أورده ابن عساكر من طريق عبد الرحمٰن[١] بن أبْزى، أو بثلاثين يومًا أو بأربعين يومًا. قال السخاويّ: وأمّا ما يُذكر على الألسنة بلفظ: «ولدت في زمن الملك العادل» فشيء لا أصل له، على أن بعضهم اغترّ به، وقال مما جازف فيه أنه لا خلاف بين العلماء أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلِد بمكّة في أيام كسرى أنوشِرْوان العادل. قلت: وقد قال الزركشي: كذب باطل. وقال السيوطي: قال البيهقي في شعب الإيمان: تكلّم شيخنا أبو عبد الله الحافظ في بطلان ما يرويه بعض الجُهَلاء عن نبيِّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: وُلِدت في زمن الملك العادل، يعني أنوشِرْوان، ثم رأى بعض الصالحين رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في المنام، فحكى له ما قال أبو عبد الله فصدّقه في تكذيب هذا الحديث وإبطاله، وقال: ما قلته قطّ. فإن قلت: تربة الشخص مدفنه، فكأن مقتضى هذا يكون مدفنه عليه السلام بمكّة حيث كان تربته منها. فقد أجاب عنه صاحب العوارف أفاض الله علينا من عوارفه، وتعطّف علينا بعواطفه، بأنه قيل: إنّ الماء لما تموّج رمى الزبد إلى النَّواحي، فوقعت جوهرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إلى ما يُحاذي تربته في المدينة، فكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مكّيًّا مدنيًّا حنينه إلى مكّة، وتربته بالمدينة. ثم اختلف في الشهر الذي وُلِد فيه، والمشهور أنه وُلِد في شهر ربيع الأوّل، وهو قول جمهور العلماء، ونقل ابن الجوزيّ الاتّفاق عليه، وفيه نظر، فقد قيل: في صفر، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب ـ ولا يصحّ ـ وقيل: في شهر رمضان، ورُوِيَ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بإسناد لا يصح، وهو موافق لمن قال: إن أُمّه حملت به في أيام التشريق، وأغرب مَنْ قال: وُلِد في عاشوراء، وكذا اختلف أيضًا في أيّ يوم من الشهر؟ فقيل: إنه غير معيّن، إنما وُلِد يوم الاثنين[٢] منه، فقيل: لليلتَيْن خَلَتا، وقيل: لثمانٍ خلت منه. قال الشيخ قطب الدين القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونُقِل عن ابن عباس وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهم، وهو إطلاق أكثر مَنْ له معرفة بهذا الشأن، واختاره الحميديّ وشيخه ابن حزم، وحكى القضاعيّ في عيون المعارف، إجماع

---

(١) قال البخاري: له صحبة، وقال ابن أبي داود: تابعي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) من ربيع الأول من غير تعيين، والجمهور على أنه يوم معين.

....

أهل التاريخ عليه، وقيل: لاثني عشرة، وعليه أهل مكّة في زيارتهم موضع ولادته في هذا الوقت، وقيل: لسبع عشرة، وقيل: لثمان بقين منه، والمشهور أنه وُلِد في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأوّل، وهو قول ابن إسحـٰق وغيره. واختلف أيضًا في الوقت الذي وُلِد فيه، والمشهور أنه يوم الاثنين؛ فعن أبي قتادة الأنصاري أنه سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عن صيام يوم الاثنين، قال: «ذاك يوم وُلدت فيه، وأُنزلت عليّ فيه النبوّة» رواه مسلم، وهذا يدلّ على أنه وُلد نهارًا. وفي المسند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال؛ وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يوم الاثنين، واسْتُنبِىء يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكّة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، ووقع الحجر يوم الاثنين. قال القسطلاني: وكذا فتح مكّة، ونزول سورة المائدة يوم الاثنين، يعني المشتملة على آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: الآية ٣]، وهي آخر سورة نزلت، وقد روى ابن أبي شيبة وأبو نعيم في الدلائل أنه وُلِد عند طلوع الفجر، وقيل: وُلِد ليلًا. قال الزركشي: والصحيح أن ولادته عليه السلام كانت نهارًا. قلت: وأغرب القسطلاني وقال: ليلة مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الإطلاق، مع أن الأفضليّة ليست إلّا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النصّ القرآني: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: الآية ٣]، ولا تُعرف هذه الفضيلة لليلة مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لا من الكتاب ولا من السنّة ولا من أحد من علماء الأئمّة. وأما تضعيف ابن دحية رواية سقوط النّجم عند مولده بأنه وُلِد نهارًا، فغير صحيح؛ لأن سقوطها خارق للعادة، فلا فرق فيه بين الليل والنهار، على أنه بعد الفجر، وللنجوم حينئذ سلطان كما في اللّيل، أو يقال: سقوط النّجم كان في ليلة مولده إظهارًا لدنوّه وقربه، وما قارب الشيء يعطى حُكمه. ثمّ اخْتُلِف في مدّة الحمل، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة، وقيل ستة. قال القسطلاني: ووُلِد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمّد بن يوسف أخي الحجّاج، ويقال: بالشّعب، ويقال: بالرَّدم، ويقال: بعسفان. قال شيخنا ابن الحجر المكّي: الصحيح، بل الصواب، بمكّة بمولده المشهور الآن. قال العلماء: ولو لم يكن مولده صلّى الله تعالى عليه

....

وآله وسلّم في المحرم، ولا في رجب، ولا في رمضان، لئلا يتشرّف بالزمان، وإنما الزّمان يتشرّف به كالمكان. قال القسطلاني ﷺ: وقد ذكر أنه لمّا وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قيل: مَنْ يكفل هذه الدرة اليتيمة؟ التي لا يوجد لمثلها قيمة، فقالت الطيور: نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة، وقال الوحوش: نحن أوْلى بذلك ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة أنْ يا جميع المخلوقات إنّ الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة، أنّ نبيّه الكريم يكون رضيعًا لحليمة السعديّة، قالت حليمة ـ فيما رواه ابن إسحٰق وابن راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم ـ: قَدِمت مكّة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرُّضَعاء في سنة شَهباء[1]، فقَدِمْت على أتانٍ لي ومعي صبيّ لنا وشارف لنا ـ أي ناقة مُسِنّة هَرِمَة ـ والله ما تبضّ بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبيّنا ذلك لا يجد في ثدييّ ما يُغنيه، ولا في شارفنا ما يُغذّيه، فقدِمْنا مكّة، فوالله ما علِمَتْ منّا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فتأباه إذا قيل يتيم، فوالله ما بَقِيَ من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلمّا لم أجد غيره قلت لزوجي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقنّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّه، فذهبتُ فإذا هو مُدْرَج في ثوبِ صوف أبيض من اللّبن، ويفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدٌ على قفاه يغطُّ، فأشفقت أن أُوقظه من نومه لحُسْنه وجماله، فدنَوْت منه رويدًا، فوضعت يدي على صدره فتبسّم ضاحكًا، وفتح عينيه ينظر إليّ فخرج من عينيه نورٌ حتى دخل خلال السماء، وأنا أنظر، فقبّلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، فحوّلته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد. قال أهل العلم: أعلمه الله أنّ له شريكًا، فألهمه العدل، فقالت: فرُوِيَ ورُوِيَ أخوه، ثم أخذته فما هو إلّا أن جئت به رَحْلي وقام صاحبي ـ تعني زوجها ـ إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى رُوِينا، وبِتْنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذتِ نسمة مباركة، ألم تري ما بِتْنا به الليلة من الخير والبركة، حين أخذناه؛ فلم يزل الله يزيدنا خيرًا، قالت حليمة: فودّعت الناس بعضهم بعضًا،

---

(١) سنة شهباء: لا خضرة فيها ولا مطر. ١٢ قاموس.

....

وودّعت أنا أمّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ثم ركبت أتاني، وأخذت محمّدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بين يديّ، قالت: فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات، ورفعت رأسها إلى السماء، ثمّ مشت حتى سبقت دوابّ الناس الذين كانوا معي، وصار الناس يتعجّبون مني ويقلن لي النساء وهنّ ورائي: يا بنت أبي ذُوَيْب هذه أتانك التي كنتِ عليها؟ وأنت جائية معنا تخفضك طورًا، وترفعك أخرى؟ فأقول: تالله إنها هي، فيتعجّبن منها. ويقلن: إن لها شأنًا عظيمًا، قال: فكنت أسمع أتاني تنطق، وتقول: إنّ لي شأنًا ثم شأنًا، بعثني الله بعد موتي وردّ لي سمني بعد هزلي، ويحكنّ يا نساء بني سعد، إنكن لفي غفلة، وهل تدرين مَنْ على ظهري خير النبيّين، وسيّد المرسلين، وأفضل الأوّلين والآخرين، وحبيب ربّ العالمين. قالت حليمة ـ فيما ذكره ابن إسحٰق وغيره ـ: ثم قَدِمْنا منازل بني سعد، ولا أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قَدِمْنا به شِباعًا لُبّنًا[1]، فنحلب ونشرب وما يَحْلَبُ إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر مِنْ قومنا يقولون لرُعَيَائهم: اسرحوا حيث يسرح غنم بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جوعًا ما تبضّ بقطرة لبن، وتروح أغنامي شباعًا لبنًا، فللّه درّها من بركة كَثُرت بها مواشي حليمة ونمَتْ وارتفع قدرُها وسَمُنَت، ولم تزل حليمة تتعرّف الخير والسعادة، وتفوز منه بالحسنى والزيادة: شعر

لقد بلغت بالهاشمي حليمةٌ مقامًا علا في ذروة العزّ والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها وقد عمّ هذا السعد كل بني سعد

وفي كتاب الترقيص لأبي عبد الله محمّد بن المعلّى الأزديّ أن من شعر حليمة مما كانت ترقّص به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: شعر

يا ربّ إذ أعطيته فأبقه وأعله إلى العلا وأرقه
وَادْحَضْ أباطيل العدى بحقّه وزدت[2] أنا بحقّه بحقّه

---

(١) ذوات اللبن: غزيره. ١٢.

(٢) من كلام المؤلف رحمة الله تعالى عليه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وأخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر في تاريخهما عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله دعاني للدخول في دينك أمارةً لنبوّتك، رأيتك في المهد تناغي القمر، وتُشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال: «إني كنت أحدّثه ويحدّثني ويُلهيني عن البكاء، وأسمعُ جبته يسجد تحت العرش». في فتح الباري عن سيرة الواقدي: أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم تكلّم في أوائل ما وُلد، وذكر ابن سبع في الخصائص: أنّ مهده كان يتحرّك بتحريك الملائكة. وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كانت حليمة تحدّث أنها أوّل ما فطمت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقال: «الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا»، فلمّا ترعرع[1] كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث، وقد رَوَى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانًا بعيدًا، فغفلت عنه فخرج معه أخته الشَّيْماء في الظهيرة إلى البُهُم، فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع أخته، فقالت: في هذا الحرّ، فقالت أُخته: يا أُمّه، ما وجد أخي حرًّا، رأيت غمامة تظلّ عليه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارَتْ، حتى انتهى إلى هذا الموضع. . . الحديث. قالت حليمة: فلما فصلته ـ أي فطمته ـ قَدِمْنا به على أُمّه ونحن أحرص شيء على مَكْثه عندنا لما نرى من بركته، فكلّمنا أُمّه، وقلنا: لو تركته عندنا حتى يغلظ، فإنا نخشى عليه وباء مكّة، ولم نزل به حتى ردّته معنا، فرجعنا به؛ فوالله إنه لبَعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرّضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتدّ، فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقّا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتدّ نحوه فنجده قائمًا منتقعًا لونه فاعتنقه أبوه، وقال: يا بُنَيّ، ما شأنك؟ قال: «جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني، ثم استخرجا مني شيئًا فطرحاه، ثم ردّاه كما كان» فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة، لقد خشيتُ أن يكون ابني أُصيب، فانطلقي فردّيه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوّف، قالت حليمة: فاحتملناه حتى قَدِمْنا به إلى أُمّه، فقالت: ما ردَّكما به، فقد كنتما حريصَيْن عليه؟

(١) تحرّك ونشأ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قلنا: نخشى الإتلاف والأحداث، قالت: ما ذاك بكما، فاصدقاني بشأنكما، فلم تدَعنا حتى أخبرنا خبره، قالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ فلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابْني هذا شأن، فدعا عنكما هذا وقد وقع شقّ صدره الشريف مرّة أخرى عند مجيء جبرائيل له بالوحي في غار حِرَاء، ومرّة أخرى ليلة الإسراء، ولمّا بلغ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أربع سنين، وقيل: خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهرًا وعشرة أيّام ماتت أمّه بالأبواء، وهو موضع بين مكّة والمدينة، وقيل: بشعب أبي ربّ بالحجون. وفي القاموس: ودار رائعة[١] بمكّة فيه مدفن آمنة أُمّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وقد أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن الزهري وعن عاصم بن عمرو بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: لمّا بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ستّ سنين خرجت به أُمّه إلى أخواله بني عديّ بن النجّار بالمدينة تزورهم، ومعه أُمّ أيمن، فنزلت به دار النابغة، فأقامت به عندهم شهرًا، فكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يذكر أُمورًا كانت في مقامه ذلك، ونظر إلى الدار، فقال: «هٰهنا نزلت بي أُمّي»، وأحسنت القوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليّ، قالت أُمّ أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبيّ هذه الأُمّة، وهذه دار هجرته، فوعَيْت ذلك كلّه من كلامهم، ثم رجعت به أُمّه إلى مكّة، فلمّا كانت بالأبواء توفيت. وقد جزم الحافظ جلال الدين السيوطي بأن أبويه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ناجيان، والجمهور على خلافه، وقد بيّنته في رسالة مستقلّة. وقد كانت أُمّ أيمن دايته وحاضنته بعد موت أُمّه، وكان عليه السلام يقول لها: «أنت أُمي بعد أُمّي».

ومات جدّه عبد المطلب كافله، وله ثمان سنين، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل: ستّ، ولجدّه عشر ومائة سنة، وقيل: مائة وأربعون سنة، وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف، وكان عبد المطّلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله. ولمّا

(١) ضبطه الصاغاني بالعين المهملة، وفي التبصير للحافظ: رائغة بالغين المعجمة امرأة تُنسب إليها دار بمكّة يقال لها: دار رائغة، قيّدها مؤتمن الساجي هكذا، فتنبّه لذلك. ١٢ تاج العروس.

....

بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم اثني عشرة سنة خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرا الراهب، واسمه جِرْجِيس، فعرفه بصفته، فقال وهو آخذٌ بيده: هذا سيّد العالمين، هذا يبعثه رحمةً للعالمين، فقيل له: وما علمك بذلك؟ فقال: إنّكم حين أشرفتم به من العقبة فلم يبقَ شجر ولا حجر إلّا خرَّ ساجدًا، ولا يسجد إلّا لنبيّ، وإني أعرفه بخاتَم النبوّة في أسفل من غُضْروف كتفه مثل التفّاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يردّه، خوفًا عليه من اليهود... الحديث. رواه ابن أبي شيبة، وفيه: أنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، أقبل، وعليه غمامة تظلّه، ولله درّ القائل: شعر [من الكامل]

إن قال يومًا ظلّته غمامةٌ ... هي في الحقيقة تحت ظلّ القائل

وأخرج ابن مندة بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ أبا بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه صحب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وهو ابن ثمان عشرة، والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلا منزلًا فيه سدرة، فقعد في ظلّها، ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء، فقال له: مَنِ الرجل الذي في ظلّ الشجرة؟ فقال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبيّ ما استظلّ تحتها بعد عيسى عليه السّلام إلّا محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، ووقع في قلب أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، فلمّا بعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم اتّبعه.

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة: إن صحّت هذه القصة، فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب، ثم خرج صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خُويلد بن أسد في تجارةٍ لها حتى بلغ سوق بصرى، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فنزل تحت شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت ظلّ هذه الشجرة إلا نبيّ، وفي رواية: بعد عيسى. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلّانه من الشمس، ولمّا رجعوا إلى مكّة في ساعة الظهيرة، وخديجة في عِلّية لها، فرأت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وهو على بعيره، وملكان يظلّان عليه، رواه أبو نعيم.

....

وتزوّج صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يومًا، وقيل: كان سنّه إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين، وكانت تُدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي، فولدت له هندًا وهالة، وهما ذكران، ثم تزوّجها عتيق بن عائذ المخزوميّ، فولدت له هندًا، وكان لها حين تزويجها بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم من العمر أربعون سنة، وكانت عرضت نفسها عليه، فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها، فتزوّجها صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأصدقها عشرين بَكْرة[1]، وحضر أبو بكر ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم وذرع إسمٰعيل، وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حَضَنة بيته، وسُوّاس حرمه، وجعل لنا محجوجًا وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحُكّام على الناس، ثم إنّ ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلّا رجح به، فإن كان في المال قلّ، فإن المال ظلّ زائل، وأمرٌ حائل، ومحمّد قد عرفتم مراتبه. وقد خطب خديجة، وبذل لها من الصَّداق[2] ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جزيل، فزوَّجها.

ولما بلغ صلّى الله تعالى عليه وسلّم خمسًا وثلاثين سنة، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول، فأمروا باقُوِهِ[3] مولى سعيد بن العاص، بأن يبني الكعبة المعظَّمة، وحضر ﷺ، وكان ينقل معهم الحجارة، وكانوا يضعون أُزرهم على عَواتقهم، ويحملون الحجارة، ففعل ذلك ﷺ، فلبط به ـ أي سقط ـ من قيام ـ كما في القاموس ـ ونُودي: عورتك، فكان ذلك أوّل ما نُودِي، فقال له أبو طالب أو العباس: يا ابن أخي، اجعل إزارك على رأسك، فقال: «ما أصابني ما أصابني إلا من التعرّي».

ولما بلغ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أربعين سنة، قيل: وأربعين يومًا، وقيل: عشرة أيام، وقيل: وشهرين، يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان،

---

(١) فتية من الإبل. ١٢.
(٢) ككتاب وسحاب مهر المرأة. ١٢ قاموس.
(٣) الرومي النجار صانع منبره الشريف. ١٢ قاموس.

....

وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة، وقال ابن عبد البرّ: يوم الاثنين لثمان من ربيع الأوّل، سنة إحدى وأربعين من الفيل بعثه الله رحمةً للعالمين ورسولًا إلى كافّة الثّقلين أجمعين. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] قال: جعله الله من أنفسكم فلا تحسدوه على ما أعطاه الله من النبوّة والكرامة، عزيز عليه ما عنَتَ مؤمنهم حريصٌ عليكم حريص على ضالّكم أن يهديه الله. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، قال: شديدٌ عليه ما شقَّ عليكم، حريص عليكم أن يؤمن كفّاركم.

والحاصل أنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي شاقٌّ عليه وصعب لديه عنتكم وتعبكم، ولذا رفع ببركته الخطأ والنسيان والإكراه عنكم، ووضع عنكم الآصار والأغلال التي كانت على الأُمم الماضية، حيث أتى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بالمِلّة الحنيفية السّمحاء، والطريقة المرضية النوراء، ويحتمل أن يكون قوله: عزيز، منفصل عمّا قبله متّصل بما سبق له، فهو صفة لرسول، أي هو عزيز الوجود، وكامل الجود، وبديع الجمال، وعديم المثال، أو عزيز مكرَّم لدينا فأعزّوه وأكرموه وانصروه وعظّموه ويؤيّده القراءة الشاذّة بالزائين في قوله تعالى: «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعززوه»، أو معناه غالب على جميع المرسلين، لكونه خاتَم النبيّين أو لكون دينه غالبًا على جميع الأديان، شاملًا لكلّ زمان ومكان، أو هو منتقم بأعدائه، كما هو رحيم بأحبّائه، عزيز عليه ما عنتّم أي ضرر عليه ضرركم، وشاقّ عليه مِحَنكم، لكونه رحمةً للعالمين، ورأفةً للمؤمنين، حريصٌ عليكم أي على الخصوص رؤوف رحيم، في غاية من الرأفة والشفقة، ونهاية من اللُّطف والمرحمة، وقد أخرج ابن حاتِم عن عكرمة قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «جاء جبريل فقال لي: يا محمّد، إن ربّك يُقرئك السلام، وهذا ملك الجبال، قد أرسله إليك، وأمره أن لا يفعل شيئًا إلا بأمرك، إن شئت هدمت عليهم الجبال، وإن شئت رمَيْتهم بالحَصْباء، وإن شئت خسفت بهم الأرض؟ قال: يا ملك الجبال، فإني آنٍ بهم لعلّه أن يخرج منهم ذرّية يقولون: لا إلـه إلّا الله، فقال ملك الجبال: أنت كما سمّاك ربّك رؤوف رحيم».

....

وأخرج ابن مردويه عن أبي صالح الحنفيّ قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إنّ الله رحيم، ولا يضع رحمته إلا على رحيم»، قلنا: يا رسول الله، كلّنا نرحم أموالنا وأولادنا، قال: «ليس بذلك، ولكن كما قال الله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]»؛ ففي الحديث إشارة إلى أن الرَّحمة ينبغي أن تكون عامّة وخاصّة، كما قال في الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه». وفي الصحيح أيضًا: «الرّاحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء». ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي أعرضوا، يعني الكفار عن الإيمان بك أو جميع الخلق عنك وعن متابعتك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي كافيّ في جميع أُموري. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: الآية ٣١] أي ليس ربّ سواه، فلا أعبد إلا إيّاه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي اعتمدت وإليه استندت، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] بالجرّ على أنه صفة العرش، وقرىء بالرفع على صفة أنه الربّ، أي الهيكل الجسيم المحيط بجميع المخلوقات.

وقد ورد أن الأرضين السبع في جنب السماء الدنيا كحلقة في فلاة، وكذا كل سماء بالنسبة إلى أخرى، ثم جميع الأرضين والسمٰوات العُلى بجنب الكرسي كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، ومع هذا رُوِي في الحديث القدسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». وأخرج أبو داود عن أبي الدرداء موقوفًا وابن السنيّ عنه مرفوعًا: «مَنْ قال حين يصبح وحين يُمسي: حسبي الله لا إلٰه إلّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم سبع مرّات كفاه الله ما أهمّه من أمر الدنيا والآخِرة». وأخرج ابن أبي شيبة وغير واحد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: آخر آية نزلت على النبيّ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: الآيتان ١٢٨، ١٢٩]. وفي رواية قال أُبيّ: هذا آخر ما نزل من القرآن، فختم الأمر بما فتح به،

....

وهو لا إلـه إلّا هو، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥].

فلنختم بما ختم الله تعالى به نزول كلامه المبين على خاتَم النبيين، رجاء أن يختم لنا بالخاتمة الحُسنى، وأن يبلّغنا المقام الأسْنى، فضلًا من الله وتوفيقًا، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصّالحين وحَسُن أُولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا، والحمد لله أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وحديثًا وقديمًا، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا، وزاده تكريمًا وتشريفًا ومَهابةً وتعظيمًا، آمين، يا أرحم الراحمين، انتهت عبارة رسالة العلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري بحروفها.

قوله: (شديد عليه شاق) من عزّ عليه بمعنى صَعُب. قوله: (﴿عَنِتُّمْ﴾) إشارة إلى أن ما مصدرية، والمصدر فاعل عزيز، والعَنَت ـ بالتحريك ـ ما يكره ويشقّ. وقيل: عزيز صفة رسول، وعليه ما عنتم ابتداء كلام، أي يهمّه ويشقّ عليه عنتكم. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (على إيمانكم) قدّر المضاف لأن الحرص لا يتعلّق بذواتهم. قوله: (ناصَبوك) ناصبه مناصبةً قاوَمه وعاداه. قوله: (معرّتهم) المعرّة الأمر المكروه والأذى مفعلة من العرّ، أي الحرب. قوله: (وقُرِىء بالرفع) قارئه ابن محيصن صفة لربّ، وقد رُوِيت هذه القراءة عن ابن كثير رحمه الله. قوله: (أُبي) بن كعب السيّد القارىء الأنصاري الخزرجي النجاري ـ بالنون ـ شهد أُبيّ رضي الله تعالى عنه العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، رُوِي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. توفي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان. قال أبو نعيم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح. قوله: (آخر آية نزلت) مراده بالآية الجنس، وإلا فالمذكور آيتان، وهذا القول مرجوح، والراجح أن آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨١] كما تقدّم هناك. وعبارة الخازن وأبي السعود: رُوِي عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨]

....

إلى آخر السورة آخر القرآن نزولًا، انتهت.اهـ الفتوحات الإلـٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحقيّة. وأيضًا فيها في تفسير سورة البقرة، قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ [الآية ٤٨] في الآية وعيد شديد. قال ابن عباس ﷺ: وهذه آخر آية نزل بها جبريل، وقال للنبيّ ﷺ: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة»، وعاش رسول الله ﷺ بعدها إحدى وعشرين يومًا، وقيل: إحدى وثمانين، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث ساعات.اهـ بيضاوي. وقوله: في رأس المائتين والثمانين، تقدّم أن السورة مائتان وستّ وثمانون آية، فتكون هذه الحادية والثمانين وآية الدِّين الثانية والثمانين. وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣] الثالثة والثمانين. وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى ﴿قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] الرابعة والثمانين. وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥] الخامسة والثمانين. وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] إلى آخر السورة السادسة والثمانين، انتهت. وأيضًا فيها في آخر سورة النساء، قوله عن البراء ـ أي ابن عازب رضي الله تعالى عنهما ـ: أنها ـ أي آية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: الآية ١٧٦] . . . الخ ـ آخر آية نزلت من الفرائض(١)، أي من آيات الفرائض. وفي البخاري مع القسطلاني عليه ما نصّه: رُوِي عن البراء بن عازب أنّه قال: آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: الآية ١٧٦]. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: آخر آية نزلت الرّبا، وآخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ①﴾ [النصر: الآية ١]. ورُوي أنه ﷺ بعدما نزلت سورة النصر عاش عامًا، ونزلت بعدها براءة، وهي آخر سورة نزلت كاملة، فعاش ﷺ بعدها ستّة أشهر، ثم نزلت في طريق حجّة الوداع: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: الآية ١٧٦] فسمّيت آية الصيف؛ لأنها نزلت في الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٣]، فعاش بعدها إحدى وثمانين يومًا، ثم نزلت آية الرّبا، ثم نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾

---

(١) فلا يعارض ما رواه البخاري عن ابن عباس: آخر آية أُنزلت آية الرّبا.اهـ كمالين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

[البَقَرَة: الآية ٢٨١]، فعاش بعدها إحدى وعشرين يومًا، انتهت والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّ ما علقناه على سورة التوبة بالمسجد الحرام تحت ميزاب الرحمةِ على يد المؤلّف الفقير إلى الباري سبحانه، المرتجي كرمه وإحسانه وامتنانه، محمّد عبد الحقّ ابن الشيخ شاه محمد بن يار محمد عاملهم الله بفضله العميم ربّنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم، ولا تضرب به وجوهنا يا إلـٰه العالمين، ويا خير الناصرين، اللّهمّ يسِّر لنا الإتمام، ببركة سيّدنا محمّد عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، والحمد لله وحده، وصلّى الله على مَنْ لا نبيّ بعده، سيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيته وأهل بيته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

تمّ الجزء الأول من الحاشية المسماة بالإكليل،
على مدارك التنزيل، وحقائق التأويل،
للعلّامة مولانا عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين
أبي البركات النسفي الحنفي تغمّده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى جنانه،
ويليه الجزء الثاني أوّله سورة يونس

(سورة يونس) عليه السلام

(مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها إلى سورة النور)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

(﴿الٓر﴾ **ونحوه أمال: حمزة وعلي وأبو عمرو**)، وهو تعديد للحروف على

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (**سورة يونس**) مكِّية (**وكذا ما بعدها إلى سورة النور**)، وهي (**مائة وتسع آيات**) وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة، وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفًا. اهـ خازن. وفي تفسير الخطيب: وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفًا، وهي أوّل المئين إنْ جعلنا براءة مع الأنفال من الطّوال، وإلّا فبراءة أُولاهنّ. اهـ.

قوله: (﴿الٓر﴾ **ونحوه أمال حمزة وعلي وأبو عمرو**) أي قرأ بكسر الراء على الإمالة المحضة حمزة وعلي الكسائي وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر. وقرأ بفتح الراء والألف بعدها ابن كثير وقالون وحفص. وقرأ ورش بين الفتح والكسر، واختلف القرّاء في الحروف المقطّعة التي في أوائل السور إذا كان آخرها ألفًا مقصورة، وهي را وطا وها ويا وحا، هل تُقرأ بالإمالة أو بالتفخيم؟ فأمال را من جميع سورها إمالة محضة الكوفيون، إلّا حفصًا وأبو عمرو وابن عامر. وأمال الإخوان وأبو بكر طا من جميع سورها نحو ﴿طسٓ﴾ [النمل: الآية ١]، و﴿طسٓمٓ ۝١﴾ [الشعراء: الآية ١]، و﴿طه ۝١﴾ [طه: الآية ١]. وأمال أبو بكر وحمزة والكسائي يا من ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: الآية ١] و﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: الآية ١]،

(طريق التحدي) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ **ذي الحكمة)** لاشتماله عليها، **(أو المحكم)** عن الكذب **(والاقتراف)**.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

والهمزة في ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ **(لإنكار التعجب والتعجيب منه)** ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ اسم «كان» و﴿عَجَبًا﴾ خبره، واللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلّق بمحذوف هو صفة لـ ﴿عَجَبًا﴾ فلما تقدم صار حالًا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ (أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ)﴾ بأن أنذر أو هي مفسّرة إذ الإيحاء فيه معنى القول ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ﴾

ووافقهم ابن عامر في إمالة ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريَم: الآية ١] دون ﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ [يس: الآية ١]، وأمال حمزة والكسائي وأبو عمرو وورش وأبو بكر «ها» من ﴿طه ﴿١﴾﴾ [طه: الآية ١]، وكذلك أمالها من ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريَم: الآية ١] أبو عمرو والكسائي، وأبو بكر وابن ذكوان، وأمال أبو عمرو وورش وحمزة والكسائي وأبو بكر وابن ذكوان «حا» من جميع آل «حم» السبع، إلّا أن أبا عمرو وورشًا يُميلان بين بين، والباقين يميلون إمالة محضة، وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام ﴿حم﴾ بفتح الحاء في جميع سورها، وكلها ألفات صحيحة على أن الأصل في هذه الكلمات ترك الإمالة؛ لأن ألفاتها ليست منقلبة عن الياء، ومَنْ أمالها فقد قصد بإمالتها على أنها أسماء لا حروف؛ لأنها أسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف. **قوله**: على **(طريق التحدّي)** أي طلب المعارضة. **قوله**: (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ **ذي الحكمة)** على أنه للنسبة كلابن وتامر. **قوله**: **(أو المحكم)** على أن يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول. **قوله**: **(والاقتراف)** وفي نسخة صحيحة: والاختلاف.

قوله: **(لإنكار التعجّب)** أي لإنكار تعجب الكفار، أي من الإيحاء، كما سيذكره. قوله: **(والتعجيب منه)** أي لتعجيب السّامعين من تعجيبهم لوقوعه في غير محلّه. **قوله**: (﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾) فـ أن مصدرية أو مفسّرة، وقد جوّز كونها مخفّفة من المثقلة على حذف ضمير الشأن، والقول من الخبر والمعنى أنّ الشأن قولنا:

بأن لهم. **(ومعنى اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ أنهم جعلوه لهم أعجوبة)** يتعجبون منه، والذي تعجبوا منه أن يوحي إلى بشر وأن يكون رجلًا **(من أفناء رجالهم)** دون عظيم من عظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولًا يرسله إلى الناس إلا **(يتيم أبي طالب)**، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرًا مثلهم، وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضًا، لأن الله تعالى إنما يختار للنبوّة من جمع أسبابها، والغنى والتقدم في الدنيا ليس من أسبابها. والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبًا، إنما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ **(أي سابقة)** وفضلًا ومنزلة رفيعة. ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدمًا كما سميت النعمة يدًا لأنها تعطى باليد، **(وباعًا)** لأن صاحبها يبوع بها، فقيل: «لفلان قدم في الخير» **(وإضافتها إلى ﴿صِدْقٍ﴾ دلالة على زيادة فضل)** وأنه من السوابق العظيمة، **(أو مقام صدق)** أو سبق السعادة ﴿قَالَ

أنذر الناس. **قوله: (ومعنى اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ أنهم جعلوه لهم أعجوبة)** بضم الهمزة وسكون العين مثل أُحدوثة: ما يتعجّب منه، يعني أن اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ للبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٣]، أي هذا الخطاب لك وليس متعلّقًا بقوله: عجبًا على طريق المفعولية، كما في قولك: عجبت لسعي زيد في حاجتي؛ لأن معمول المصدر لا يتقدّم عليه. **قوله: (من أفناء رجالهم)** أي ممّن لا يُعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك ممّا يعدّونه من أسباب العزّ والجلال، وليس المراد أنه ﷺ ليس من مشاهيرهم نسبًا؛ لأن شرف نسبه عندهم أظهر من الشمس، وأفناء ـ بفتح الهمزة وسكون الفاء والنون والمدّ ـ جمع فنى بوزن فتى، أو جمع فناء بوزن قباء، وهو ناحية من الناس. الجوهري: فناء الدار ما امتدّ من جوانبها، ويقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممّن هو. **قوله: (يتيم أبي طالب)** لأنه كان معه في صغره. **قوله: (أي سابقة)**. . . الخ. والسابقة هنا مصدر بوزن فاعلة بمعنى السّبق والسبق كالتقدم بمعنى فضلهم على غيرهم لما خصّوا به من سائر الأُمم. **قوله: (وباعًا)** في المصباح: الباع، قال أبو حاتم: هو مذكّر، يقال: هذا باع وهو مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما يمينًا وشمالًا، وباع الرجل الحبل يبوعه بوعًا إذا قاسه بالباع، والجمع أبواع. اهـ. **قوله: (وإضافتها إلى ﴿صِدْقٍ﴾ دلالة على**

ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ (مُّبِينٌ)﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ الكتاب (﴿لَسِحْرٌ﴾ **مدني وبصري وشامي. ومَن قرأ** ﴿لَسَٰحِرٌ﴾) فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرًا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ) عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (**أي استولى، فقد يقدس الديان عن المكان**) والمعبود عن المحدود ﴿يُدَبِّرُ﴾ يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ أي أمر الخلق كله وأمر ملكوت السمٰوات

زيادة فضل)، فوجهه أن الإضافة لدلالتها على الاختصاص الكامل أفادت أن الصدق كأنه مالك تلك السابقة التي القدم عبارة عنها؛ فدلّت الإضافة على زيادة تعلّق السابقة بالصدق وزيادة التعلق بالصدق زيادة فضل السابقة. **قوله**: (**أو مقام صدق**) كمقعد صدق بإطلاق الحال وإرادة المحل. **قوله**: (﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ **مدني وبصري وشامي، ومَنْ قرأ** ﴿لَسَٰحِرٌ﴾)... الخ. في الإتحاف: قرأ (﴿لَسَٰحِرٌ﴾) بالألف وكسر الحاء ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بغير ألف مع سكون الحاء. اهـ. وفي تفسير الخطيب قرأ نافع[1] وأبو عمرو[2]، وابن عامر بكسر السين (**شامي**) وسكون الحاء على أنّ الإشارة للقرآن المشتمل على ذلك. والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أن الإشارة للنبيّ ﷺ. اهـ. وقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: الآية ٧٦] المراد به الحاصل بالمصدر، وهم كاذبون في ذلك عند أنفسهم أيضًا، وبهذا الاعتبار يكون دليل عجزهم؛ لأن التعجّب أولًا ثم التكلّم بما هو معلوم الانتفاء قطعًا حتى عند نفس المُعارِضِ من دأب العاجز المفحم.

قوله: (**أي استولى فقد تقدّس الديّان عن المكان**). في لسان العرب: الديّان الله عزّ وجلّ والقهار، وقيل: الحاكم والقاضي وهو فعّال من دانَ الناس، أي قهرهم على الطاعة دنتُهم فدانُوا، أي قهرتهم فأطاعوا. اهـ.

---

(١) صوفي. (٢) بصري.

والأرض والعرش. ولما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السمٰوات والأرض والاستواء على العرش، أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره، وكذلك قوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ دليل على عزّته وكبريائه ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ العظيم الموصوف بما وصف به ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وهو الذي يستحق العبادة ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحّدوه ولا تُشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلاً عن جماد لا يضرّ ولا ينفع ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتدبرون فتستدلون بوجوب المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ حال أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه. والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه (﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) أي

في حاشية العلامة شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي رحمه الله (قالوا: قوله تعالى: ﴿(ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ) عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ لا يمكن أن يكون معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السمٰوات والأرضين، بدليل أنه تعالى قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية ٧] يدلّ على أنّ وجود العرش سابق على تخليق السمٰوات والأرض، ولا يتوهّم أيضًا من استوائه على العرش كونه معتمدًا عليه مستقرًّا فوقه، بحيث لولا العرش لسقط ولنزل؛ لأن ذلك مستحيل في حقّه تعالى لاتّفاق المسلمين على أنه تعالى هو المُمسك للعرش والحافظ، وأنه لا يحتاج إلى شيءٍ ممّا سواه، بل المراد من الاستواء على العرش ـ والله أعلم ـ الاستيلاء عليه ونفاذ التصرّف، وخصّ العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودمٍ مهراق

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ من استوى أو مستأنف لا محلّ له. اهـ بحروفه.

الحكمة بإبداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (﴿بِالْقِسْطِ﴾) بالعدل وهو متعلّق بـ «يجزي» أي ليجزيهم (بقسطه ويوفيهم أجورهم، أو بقسطهم) أي بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا إذ الشرك ظلم ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، وهذا أوجه لمقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ (مِّنْ حَمِيمٍ) وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

(ولوجه كلامي) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ الياء فيه منقلبة عن واو «ضواء» لكسرة ما قبلها، وقلبها (قُنْبُلٌ) همزة لأنها للحركة أجمل ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس ﴿وَقَدَّرَهُ﴾ وقدر القمر (أي وقدر مسيره) ﴿مَنَازِلَ﴾ (أو وقدره ذا منازل) كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: الآية ٣٩] ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾ أي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور

قوله: (بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم)... الخ. يعني أن الألف واللام عوض عن الضمير المضاف إليه، وهو إما ضمير الله أو ضمير المؤمنين. **قوله**: (﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾) وهو ماء حار قد انتهى حرّه.

قوله: (ولوجه كلامي) في تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه قوله تعالى: (﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾) قيل: بالعدل، ولكن في هذا التأويل نظر؛ لأن جزاء العبادة يكون إفضالًا وإحسانًا لا استحقاقًا واستيجابًا، وما كان بطريق العدل فهو مستحقّ لا محالة. وأمّا جزاء الكفر بطريق العدل، وكذا جزاء العصيان، لكن جزاء المعصية يحتمل العفو والمغفرة بلا توبة، بخلاف جزاء الكفر على ما يُعرف، والله الموفق. انتهى. **قوله**: (قُنْبُلٌ) هو يروي عن ابن كثير المكّي، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكّي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، يلقّب قنبلًا، ويقال: هم أهل بيت بمكّة يُعرفون بالقنابلة، وتوفي بمكّة بعد سنة ثمانين ومائتين رحمه الله. **قوله**: (أي وقدر مسيره) يشير إلى أن هنا مضافًا مضمرًا، وهو اسم مكان ومنازل مفعول ثان على تضمين التقدير معنى التصيير. **قوله**: (أو وقدره ذا منازل) فيكون منازل أيضًا

﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور (﴿إِلَّا﴾ ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثًا (﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ مكيّ وبصريّ وحفص، وبالنون غيرهم) ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فينتفعون بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر، أو في اختلاف لونيهما ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلائق ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ خصّهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ (لا يتوقعونه) أصلًا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق، أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء، أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يُخاف ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ وسكنوا فيها سكون مَن (لا يزعج) عنها فبنوا شديدًا وأملوا بعيدًا ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيها، ولا وقف عليه لأن خبر «إن» ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ و﴿مَأْوَىٰهُمُ﴾ مبتدأ

مفعولًا ثانيًا، لكن بتقدير مضاف في المنازل، فلا يقدر مضاف حينئذ في المفعول الأول، أعني مسيرًا، وقيل: أصله قدر له منازل، فهو مفعول به. **قوله**: (﴿إِلَّا﴾ ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾) يعني أن الباء للملابسة وهو حال. **قوله**: (﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ مكّي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة. (وحفص) بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز الكوفي بياء الغيب جريًا على اسم الله تعالى، (وبالنون غيرهم) التفاتًا من الغيبة إلى التكلّم للتعظيم.

قوله: (لا يتوقعونه).. الخ. قالوا: الرجاء يُطلق بمعنى توقّع الخير، وهو الأصل كالأمل. ويُطلق على الخوف وتوقّع الشر، ويُطلق على مطلق التوقّع، وهو في الأول حقيقة وفي الآخرين مجاز. **قوله**: (لا يزعج) أي يحرك.

ثانٍ و﴿ٱلنَّارُ﴾ خبره والجملة خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والباء في ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ يتعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام وهو جوزوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدّي إلى الثواب ولذا جعل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بيانًا له وتفسيرًا، إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها، أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة، (**ومنه الحديث «إن المؤمنَ إذا خرج من قبره**) صوّر له عمله في صورة حسنة فيقول له: أنا عملك فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، والكافر إذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة سيئة فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال: ﴿بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ ولم يضم إليه العمل الصالح ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ متعلق بـ ﴿تَجۡرِي﴾ أو حال من ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

قوله: (**ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره**)... الخ. كذا في تفسير الخطيب. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ قال: حدّثنا الحسن، قال: بلغنا أن النبيّ ﷺ قال: «المؤمن إذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك خير امرء صدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنّة. وأمّا الكافر، فإذا خرج من قبره صُوِّر له عمله في صورةٍ سيّئة وريح مُنتنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك عين امرىء سوء، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يُدخله النار». أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾، قال: يمثل لهم في صورة حسنة وريح طيّبة يعارِضُ صاحبه ويبشّره بكل خير، فيقول: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيجعل له نورًا من بين يديه حتى يُدخله الجنّة، والكافر يمثل له عمله في صورة سيّئة وريح مُنتنة، فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار، انتهى بحروفه.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ **(أي دعاؤهم)** لأن ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ نداء لله ومعناه **(اللهم إنا نسبحك)** أي يدعون الله بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ تلذذًا بذكره لا عبادة ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ أي يحيِّي بعضهم بعضًا بالسلام، أو هي تحية الملائكة إياهم، وأضيف المصدر إلى المفعول، أو تحية الله لهم ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ﴿أَنِ﴾ مخففة من الثقيلة، وأصله أنه الحمد لله رب العالمين، **(والضمير للشأن)**. قيل: أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارًا بسرعة إجابته لهم، والمراد أهل مكة وقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] أي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ﴾ لأميتوا وأهلكوا

قوله: (أي دعاؤهم) يعني أنّ الدعوى بمعنى الدعاء، ويدلّ عليه: اللّهمّ، فإنه نداء في معنى: يا الله، دعا يدعو دعاء ودعوى، كما يقال: شكا يشكو شكاية وشكوى، و﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ هو المنادى له، وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لا يجوز إظهاره، وأشار إليه المصنّف بقوله: **(اللّهمّ إنّا نسبّحك)**، فلما حذف الفعل أُضيف المصدر إلى مفعوله.

قوله: (والضمير للشأن) والجملة بعدها في محل الرفع على أنها خبر لها، وأن مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتدأ الأوّل، وهو قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾.

(﴿لَقَضَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ شامي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل) ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ شركهم وضلالهم ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يترددون، ووجه اتصاله بما قبله أن قوله: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾ متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزامًا للحجة عليهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٢﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أصابه والمراد به الكافر ﴿ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ أي دعا الله لإزالته ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ في موضع الحال بدليل عطف الحالين أي ﴿أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾ عليه أي دعانا مضطجعًا. وفائدة ذكر هذه الأحوال أن معناه أن المضرور لا يزال داعيًا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضرّ، فهو يدعونا في حالاته كلها سواء كان مضطجعًا عاجزًا عن (**النهوض**)، أو قاعدًا لا يقدر على القيام، أو قائمًا لا يطيق المشي ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾ أزلنا ما به ﴿مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ أي مضى على طريقته الأولى قبل مسّ الضرّ ونسي حال الجهد، أو مرّ عن موقف الابتهال والتضرّع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به، والأصل «كأنه لم يدعنا» فخفّف وحذف ضمير الشأن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ للمجاوزين الحد في الكفر زيّن الشيطان بوسوسته ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر.

قوله: (﴿لَقَضَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ **شامي**) أي ابن عامر الشامي (**على البناء للفاعل، وهو الله عزّ وجلّ**) في تفسير النيسابوريّ ﴿لقضي إليهم﴾ مبنيًا للفاعل ﴿أجلهم﴾ بالنصب ابن عامر ويعقوب. الآخرون مبنيًّا للمفعول ورفع ﴿أجلهم﴾. اهـ.

قوله: (**النُهوض**) القيام.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أشركوا وهو ظرف لـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ والواو في ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرّون على كفرهم، وهو عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ أو اعتراض، واللام لتأكيد النفي يعني أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم للرسل، وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ﴾ الخطاب للذين بعث إليهم محمد أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناها ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي لننظر أتعملون خيرًا أو شرًّا فنعاملكم على حسب عملكم. و﴿كَيْفَ﴾ في محل النصب بـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لا بـ «ننظر»، لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله، والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون، أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم؟ قال عليه السلام: («**الدنيا حلوة خضرة**) وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون».

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها، فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله:

قوله: (الدنيا حلوة خُضْرَة) أي روضة خضراء مستحلاة الطعم.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ ما يحل لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ لا أتبع إلا وحْيَ الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل، لأن الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي يوم القيامة. وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان، وقد ظهر لهم العجز عنه إلا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا. ولا يحتمل أن يريدوا بقوله: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من جهة الوحي لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وغرضهم **(في هذا الاقتراح)** الكيد، أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل **(فلاختبار الحال)**، وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه، أو لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحًا لافترائه على الله.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمرًا عجيبًا خارجًا عن العادات، وهو أن يخرج رجل أُمي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابًا فصيحًا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم، **(مشحونًا)** بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا الله ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ من قبل نزول القرآن أي فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيًا شيئًا من نحوه ولا قدرت عليه، ولا كنت موصوفًا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لا من مثلي، وهذا جواب عما دسّوه تحت قولهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ من إضافة الافتراء إليه.

قوله: (في هذا الاقتراح) في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيَّاه من غير رَوِيَّةٍ. اهـ. **قوله: (فلاختبار الحال)** يقال: خبره واختبره إذا بلاه، أي امتحنه. اهـ اختري.

قوله: (مشحونًا) أي مملوءًا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد، وأن يكون (تفاديًا) مما (أضافوه) إليه من الافتراء ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ بالقرآن، فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوا عبادتها ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوها ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي الأصنام ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨] أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله، وإذا لم يكن معلومًا له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئًا. وقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو معدوم ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه ذاته عن أن يكون له شريك. (وبالتاء: حمزة وعليّ)، وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به، أو عن إشراكهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حنفاء متفقين على ملّة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم، وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان

قوله: (تفاديًا) **تفاعل** من الفداء وأُريد به تخلّصًا مجازًا؛ إذ التفادي إعطاء الفداء مستلزم للتخلّص. **قوله**: (أضافوه) أي نسبوه. **قوله**: (وبالتاء) على الخطاب؛ لقوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة، فكأنه قيل للنبيّ ﷺ: قل أنت: سبحانه وتعالى عمّا يشركون، ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي نزّه نفسه عمّا قالوه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. اهـ خطيب.

حين (لم يذر) الله من الكافرين (ديارًا) ﴿فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ فصاروا (مللًا) ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ عاجلًا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ فيما اختلفوا فيه وليَميزَ المحق من المبطل وسَبْقُ كلمته لحكمة، وهي أن هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ أي آية من الآيات التي اقترحوها ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ أي هو المختصّ بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال الآيات المقترحة لا غير ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾ أهل مكة ﴿رَحۡمَةٗ﴾ (خصبًا) وسعة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ يعني القحط والجوع ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ أي مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها. رُوِيَ أنه تعالى سلّط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم (بالحيا)، فلما رحمهم

قوله: (لم يذر) أي لم يدع. **قوله**: (ديارًا) أي نازل دار، والمعنى أحدًا. **قوله**: (مللًا) في المصباح: المِلّة ـ بالكسر ـ الدِّين، والجمع ملل مثل سدرة وسدر. اهـ.

قوله: (خِصْبًا) في المصباح: الخصب وزان حِمْل النّماء والبركة، وهو خلاف الجَدْب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الخصب ـ بالكسر ـ ضد الجَدْب، ويقال: بلد خِصْب وأخْصابٌ أيضًا، وصفوه بالجمع كأنهم جعلوا الواحد أجزاءً وله نظاير. اهـ.

قوله: (بالحَيا) في مختار الصحاح: الحَيَى ـ مقصور ـ المطر والخِصْب. اهـ. وفي لسان العرب: وقد جاء الحيا الذي هو المطر والخصب ممدودًا. انتهى. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: الحيا بالمدّ والقصر المطر، والمراد به هنا الخصب. انتهت. **قوله**:

(طفقوا) يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ﷺ ويكيدونه فـ ﴿إِذَا﴾ الأولى للشرط، والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٦] أي وإن تصبهم سيئة قنطوا، وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا. والمكر إخفاء الكيد وطيّه (من الجارية الممكورة المطوية الخَلْق)، ومعنى مستهم خالطتهم حتى (أحسّوا) بسوء أثرها فيهم. وإنما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلّت على ذلك كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مسّ الضراء ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ (يعني الحَفَظة) ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ إعلام بأن ما تظنونه خافيًا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم. (وبالياء: سهل).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية في البحار، أو يخلق فيكم السير (﴿ينشركم﴾ شاميّ)

(طفقوا) في مختار الصحاح: طَفِقَ يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب. اهـ. قوله: (من الجارية الممكورة المطوية الخَلْق) الممكورة المفتولة الخلق غير مسترخية الأعضاء. قوله: (أحَسُّوا) أي أدركوا. قوله: (يعني الحَفَظة) الكرام الكاتبين، والحَفَظة جمع حافظ. قوله: (وبالياء: سهل) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري، وليس من السبعة. وعبارة تفسير النيسابوري: يمكرون بياء الغيبة سهل ورَوْح. والباقون بالتاء الفوقية، انتهت. وروح يروي عن يعقوب إسحٰق الحضرمي البصري، كما يروي عنه زيد ورُوَيْس ويعقوب ليس من السبعة.

قوله: (﴿ينشركم﴾) بفتح الياء وسكون النون وضمّ الشين المعجمة من النشر، وهو التفريق والبسط الذي هو ضدّ الطيّ، (شامي) أي ابن عامر الشامي. وقرأ الباقون: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٢] بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشدّدة من التسيير، والتضعيف للتعدية، يقال: سار الرجل وسيّرته أنا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ (أي السفن) ﴿وَجَرَيۡنَ﴾ أي السفن ﴿بِهِم﴾ بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بتلك الريح للينها واستقامتها ﴿جَآءَتۡهَا﴾ أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقتها ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ (ذات عصف أي شديدة الهبوب) ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ﴾ هو ما علا على الماء (﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ من البحر أو من جميع أمكنة الموج) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحي مثلًا في الإهلاك ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذٍ معه غيره يقولون ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال أو من هذه الريح ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك، (ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر) ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بما في حيّزها كأنه

قوله: (أي السفن) نبّه به على أن الفلك جَمْع[1] هناك، كما يدلّ عليه: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وأمّا في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١١٩]، فمفرد والفرق بين مفردِه وجمعه اعتباري، فحركته إذا كان جمعًا كحركة بدن جمع بدنة، وإذا كان مفرد كحركة قفل. **قوله**: (ذات عصف) أي العاصف صيغة نسبة ليس بجارٍ على الفعل، بل هو اسم صيغ لذي الشيء. ألا يرى أنه لا يقال: عصف، كما لا يقال: تمر ولبن في تامر ولابن، ولذلك قيل: الفرق بينه وبين اسم الفاعل أنه لا يؤنّث إذا كان بمعنى ذي كذا، ومِنْ هذا لا يجيء عاصفة بالتأنيث، مع أن الريح مؤنّثة لا تذكّر بدون تأويل. **قوله**: (أي شديدة الهبوب) لازم معناه: إذ العصف، وهو الكسر أو النبات المتكسّر؛ لأن الرِّيح الشديدة تفعل به. **قوله**: (﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ من البحر أو من جميع أمكنة الموج) تخصيص له؛ لأنه ليس على ظاهره. **قوله**: (ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر)... الخ. فإن قيل: كيف جعل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ غاية لقوله: ﴿يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾، وغاية الشيء تكون بعده، والحال أن السير في البحر بعد الكون في الفلك؟ قلنا: أجاب المصنّف رحمه الله بأنّ الغاية ليس مجرّد الكون في الفلك، بل الغاية هي الكون في

---

(١) أي جمع مكسر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان (كَيت وكَيت) من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء، (**وجواب: ﴿إِذَا﴾ ﴿جَآءَتۡهَا﴾ و﴿دَعَوُاْ﴾ بدل من ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾**) لأن دعاءهم من لوازم ظنّهم للهلاك فهو ملتبس به.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يفسدون فيها ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ باطلًا (**أي مبطلين**) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ أي ظلمكم يرجع إليكم كقوله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: الآية ٤٦] (**﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ حفص**) أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا «وعلى أنفسكم» خبر لـ «بغيكم». غيره بالرفع على أنه خبر ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ صلته كقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: الآية ٧٦] ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم، أو هو خبر و﴿مَّتَٰعَ﴾ خبر بعد خبر، أو ﴿مَّتَٰعَ﴾ خبر مبتدأ مضمر أي هو متاع الحياة الدنيا، وفي الحديث («**أسرع الخير ثوابًا صلة الرحم، وأعجل الشر عقابًا البغي واليمين الفاجرة**») ورُوِيَ «ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي (**وعقوق الوالدين**»).

الفلك مع ما عطف عليه من قوله: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾، فإنّ هذا المجموع بعد السير في البحر. **قوله**: (**كَيت وكَيت**) وإن شئت كسرتَ التاء، وهي كناية عن الأمر، نحو كذا وكذا. اهـ لسان العرب باختصار. **قوله**: (**وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿جَآءَتۡهَا﴾**) عبارة تفسير الكشاف: فإن قلت: ما جواب إذا؟ قلت: ﴿جَآءَتۡهَا﴾، انتهت. **قوله**: (**و﴿دَعَوُاْ﴾ بدل من ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾**) بدل اشتمال.

قوله: (**أي مبطلين**) إشارة إلى أن بغير الحقّ حال من ضمير يبغون. **قوله**: (**﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ حفص**) بنصب العين على أنه مصدر مؤكّد. **قوله**: («**أسرع الخير ثوابًا**) أي أعجل أنواع الطاعة جزاءً من الله سبحانه وتعالى، (**صلة الرحم**) أي الأقارب، (**وأعجل الشرّ**) أي الفساد والظلم (**عقابًا البغي واليمين الفاجرة**) أي الكاذبة. **قوله**: (**وعقوق الوالدين**») يقال: عقّ الولد أباه عقوقًا من باب قعد إذا عصاه وترك الإحسان إليه، فهو عاقّ، والجمع عققة. اهـ مصباح.

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «لو بغى جبل على جبل لدكّ الباغي منهما». وعن محمد بن كعب: ثلاث مَن كنّ فيه كنّ عليه: البغي والنكث والمكر).
قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: الآية ٢٣]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: الآية ٤٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنخبركم به ونجازيكم عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: (وعن ابن عباس) هو عبد الله بن عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ النبيّ ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمّى البحر والحبر لسِعَة عِلْمه، مات سنة ثمانٍ وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة (رضي الله تعالى عنهما: «لو بغى جبل على جبل») أي تعدّى عليه («لدكّ الباغي منهما») أي انهدم واضمحلّ، رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس، ورواه ابن لال عن أبي هريرة. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو بغى جبل على جبل لدكّ الباغي منهما». أخرج ابن مردويه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مثله، انتهى بحروفه.

قوله: (وعن محمد بن كعب) القرظي المدني ثم الكوفي، قال ابن عون: ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعًا كثير الحديث، وكذا وثّقه أبو زرعة والعجلي، مات سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: سنة عشرين. **قوله**: (ثلاث مَنْ كُنّ فيه كنّ عليه: البغي) أي مجاوزة الحدّ في الاعتداء، (والنّكْث) بمثلثةٍ: نقض العهد (والمكر) أي الخداع. **قوله**: (﴿وَلَا يَحِيقُ﴾) يحيط، (﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾) وهو الماكر. **قوله**: (﴿فَمَن نَّكَثَ﴾) نقض البيعة، (﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾) يرجع وبال نقضه (﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾).

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من السحاب ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ **(أي فاشتبك بسببه)** حتى خالط بعضه بعضًا ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ يعني الحبوب والثمار والبقول ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يعني الحشيش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها بالنبات واختلاف ألوانه ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وتزينت به وهو أصله **(وأُدغمت التاء في الزاي)** وهو كلام فصيح، جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ عذابُنا وهو ضرب زرعها ببعض **(العاهات)** بعد أمنهم واستيفائهم أنه قد سلم ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فجعلناها زرعًا ﴿حَصِيدًا﴾ **(شبيهًا)** بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم يغن زرعها أي **(لم يلبث)**، حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ هو مقل في الوقت القريب كأنه قيل: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ **(آنفًا)** ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فينتفعون بضرب الأمثال، **(وهذا من التشبيه المركب)** شبهت حال الدنيا في سرعة **(تقضيها)** وانقراض نعيمها

قوله: **(أي فاشتبك بسببه)**... الخ. أي بسبب الماء كثر النبات حتى التفّ بعضه بعضًا. **قوله**: **(وأُدغمت التاء في الزاي)** أي بعد تسكينها وبعد الإدغام اجتلبت همزة الوصل توصّلًا للنطق بالساكن ثم حُذِفت همزة الوصل لمّا دخل العاطف. **قوله**: (العاهات) في المصباح: العاهة الآفة، وهي في تقدير فعلة بفتح العين، والجمع عاهات.اهـ. **قوله**: **(شبيهًا)** أي الكلام على التشبيه البليغ. **قوله**: **(لم يلبث)** باللام والباء الموحدة والثاء المثلّثة، أي لم يمكث ويقم وهو تفسير له؛ لأن غنى بالمكان معناه أقام وسكن وعاش، ومنه المغني للمنزل. في مختار الصحاح: لَبِث أي مَكَث وبابه فهم ولَباثًا أيضًا ـ بالفتح ـ فهو لابث، ولَبِث أيضا ـ بكسر الباء ـ.اهـ. **قوله**: (آنفًا) يقال: مرّ آنفًا أي قريبًا أو هذه الساعة. **قوله**: **(وهذا من التشبيه المركّب)** حيث شبّهت الهيئة المُنتزعة من إجماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضائها بالهيئة المُنتزعة من اجتماع خضرة الأرض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشيئة إلـهيّة. **قوله**: (تقضيها) في مختار الصحاح: انقضى الشيء وتقضّى بمعنى انتهى.

بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه (**حطامًا**) بعدما التفّ وتكاثف وزيّن الأرض بخضرته (**ورفيفه**) وحكمة التشبيه، التنبيه على أن الحياة (**صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها**) كما أن صفو الماء في أعلى الإناء قال:

ألم تر أن العمر كأس (**سلافة**) فأولـه صـفـو وآخـرهُ كـدْر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين، فالطينة الطيبة تنبت بساتين الأنس، ورياحين الروح، وزهرة الزهد، و(**كروم**) الكرم، وحبوب الحب، و(**حدائق الحقيقة، وشقائق الطريقة**)، والخبيثة

قوله: (**حطامًا**) فتاتًا[١]، **قوله**: (**ورفيفه**) في لسان العرب: الرفيف والوريف لغتان، يقال للنبات الذي يهتزّ خُضْرةً وتلألؤًا قد رفّ يَرِفّ رفيفًا.اهـ. **قوله**: (**صفوها**) في المصباح: صفو الشيء بالفتح خالصه، والصفوة بالهاء والكسر مثله، وحُكِي التثليث.اهـ. **قوله**: (**شبيبتها**) في لسان العرب: الشباب الفَتاء والحِداثة شبّ يَشِبُّ شَبابًا وشَبِيبَة.اهـ.

قوله: (**وكدرها**) في مختار الصحاح: الكَدَر ضدّ الصفو.اهـ. **قوله**: (**شَيْبَتُها**) في لسان العرب: الشَّيْب معروف قليله وكثيره بياض الشعر والمشيب مثله، وربما سُمّي الشعر نفسه شَيْبًا شاب يشيب شيبًا ومَشيبًا وشَيْبة.اهـ. **قوله**: (**سُلافة**) في لسان العرب: السُّلافة من الخمر أطيبها وأفضلها.اهـ. وأيضًا فيه سلاف الخمر وسلافتها أوّل ما يُعْصَر منها، وقيل: هو ما سال من غير عَصْر، وقيل: هو أوّل ما ينزل منها، وقيل: السلافة أوّل كل شيء عصر.اهـ. **قوله**: (**كُرُوم**) الكَرْم وزان فلس العنب.اهـ مصباح. وفي لسان العرب: الكَرْم شجرة العنب واحدتها كَرْمة، وقيل: الكَرْمة الطاقة الواحدة من الكَرْم وجمعها كُرُوم.اهـ باختصار.

قوله: (**حدائق الحقيقة**) الحدائق البساتين والشجر الملتفّ، والحقيقة مشاهدة الربوبيّة، أي رؤيته إيَّاها بقلبه، أي دوام النظر إلى الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (**وشقائق الطريقة**) الشقائق الزهر الأحمر المعروف، والطريقة سلوك طريق الشريعة،

---

(١) الفتات التفتت أي التكسّر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تخرج (**خلاف الخلف، وثمام الإثم**)، وشوك الشرك، (**وشيح الشح، وحطب العطب، ولعاع اللعب**)، ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايله الحياة مغترًا كما (**يهيج**) النبات مصفرًا فتغيب جثة في (**الرَّمس**) كأن لم تغن بالأمس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث، وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره، ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من أخذ الزاد، وآخذ المال لا يخلو من زلّة، كما أن خائض الماء لا ينجو من (**بلّة**)، وجمعه وإمساكه تلف صاحبه، وإهلاكه فما دون النصاب (**كضحضاح**) ماء يجاوز بلا احتماء، والنصاب كنهر حائل بين المجتاز. والجواز إلى المفاز لا يمكن إلا بقنطرة وهي الزكاة، وعمارتها بذل (**الصلات**)، فمتى اختلّت القنطرة غرّقته أمواج (**القناطير المقنطرة**)، وعن هذا قال عليه السلام: («**الزكاة قنطرة الإسلام**») وكذا المال يساعد (**الأوغاد**) دون

أي العمل بمقتضاها. **قوله**: (**خِلاف الخُلْف**) الخلاف وزان كتاب شجر الصفصاف الواحدة خلافة، ونصوا على تخفيف اللام، وزاد الصغاني وتشديدها من لحن العوام. اهـ مصباح. وأيضًا فيه: الصفصاف بالفتح **الخلاف** بلغة الشام، قاله الأزهري. اهـ. **قوله**: (**وثمام الإثم**) الثُّمام وزان غراب نبت يسدّ به خصاص البيوت، الواحدة ثمامة. اهـ مصباح. **قوله**: (**وشيح الشُّح**) في مختار الصِّحاح: الشِّح نَبْتٌ. اهـ. وأيضًا فيه: الشُّحُ البخل مع حرص. اهـ.

قوله: (**وحطب العطب**) العَطَب الهلاك. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**لُعاع اللعب**) في لسان العرب: اللُّعاع أوّل النَّبْت، وقيل: هو بقل ناعم في أوّل ما يبدو ورقيق ثم يغلظ، واحدته لعاعة. اهـ باختصار. **قوله**: (**يهيج**) ييبس. **قوله**: (الرَّمس) التراب. **قوله**: (**بلّة**) في مختار الصحاح: البِلّة ـ بالكسر ـ النّداوة. اهـ. **قوله**: (**كضَحْضَاح**) ماء في لسان العرب: ماءٌ ضحضاحٌ أي قريب القَعْر. اهـ.

قوله: (**الصِّلات**) الصدقات. **قوله**: (**القناطير**) الأموال الكثيرة (**المقنطَرة**) المجتمعة. **قوله**: (**الزكاة قنطرة الإسلام**) أي جسره الذي يُعبر منه إليه، فإيتاؤها طريق إلى التمكّن في الدِّين لِمَا فيها من إظهار عزّ الإسلام بكسر أنفة من أبى واستكبر عن المواساة، رواه الطبراني والبيهقي في الشعب، وابن عدي عن أبي الدرداء. قال ابن حجر بإسناد ضعيف لضعف الضحاك بن حمزة. **قوله**: (**الأوغاد**)

(الأمجاد) كما أن الماء يجتمع في (الوهاد) دون (النجاد)، وكذلك المال لا يجتمع إلا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع إلا بسد المسيل، ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكفّ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ هي الجنة أضافها إلى اسمه تعظيمًا لها، أو السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه. وقيل: لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) [الواقعة: الآية ٢٦] ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (ويوفق من يشاء) ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى الإسلام أو طريق السنّة، فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة، والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية، والمعنى يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون.

في لسان العرب: الوَغْد الخفيف الخفيف الأحمق الضعيف العقل الرِّذل الدَّنِيّ، وقيل: الضعيف في بدنه، وقد وَغد وغادة، ويقال: فلان من أوغاد القوم ومن وُغدان القوم ووِغْدان القوم، أي من أذلّائهم وضعفائهم. اهـ. **قوله**: (الأمجاد) أي الأشراف الكِرام. **قوله**: (الوهاد) في لسان العرب: الوَهْد والوَهْدة المطمئنّ من الأرض والمكان المنخفض كأنه حُفْرة، والوَهْد يكون اسمًا للحُفْرة، والجمع أوْهُد ووَهْد ووِهادٌ. **قوله**: (النِّجاد) جمع نَجْد والنَّجْد من الأرض قفافها وصلابتها وما غَلُظ منها وأشرف وارتفع واستوى.

قوله: (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) في تفسير الجلالين: (﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾) في الجنّة (﴿لَغْوًا﴾) فاحشًا من الكلام (﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾) ما يُؤثم (﴿إِلَّا﴾) لكن (﴿قِيلًا﴾) قولًا (﴿سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾) بدل من قيلًا، فإنهم يسمعونه. اهـ. **قوله**: (ويوفّق من يشاء) أشار إلى أن المراد بالهداية خلق الاهتداء، فيقتضي الوصول إلى المطلوب. وأمّا الهداية بمعنى الدلالة على ما يُوصل إلى البغية، أو بمعنى تركيب العقل وإفاضة القوى، وبمعنى نصب الدّلائل، وبمعنى إرسال الرُّسل وإنزال الكتب، فلا يناسب هنا لعدم مقابلته بالدعوة.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ آمنوا بالله ورسوله ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ (المثوبة الحسنى) وهي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ رؤية الرب عز وجل كذا (عن أبي بكر وحذيفة وابن عباس وأبي موسى الأشعري وعبادة بن الصامت) رضي الله عنهم، وفي بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر إلى الله تعالى. (وعن صهيب) أن النبيّ ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ ـ قال: ـ فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال: إنه (حديث) مدفوع مع أنه (مرفوع) قد أورده صاحب المصابيح في الصحاح.

قوله: (المثوبة الحسنى) توجيه لتأنيث الحسنى. **قوله**: (عن أبي بكر) بن أبي قحافة الصدّيق أوّل الرجال إسلامًا ورفيق سيّد المرسلين في هجرته، شهد المشاهد وكان من أفضل الصحابة، توفي سنة ثلاث عشرة من ثلاث وستين سنة. **قوله**: (وحُذَيفة) بن اليمان، صحابي جليل من السابقين، أعلمه رسول الله ﷺ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة من الفتن والحوادث، مات سنة ستّ وثلاثين.

قوله: (وابن عباس) هو عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (وأبي موسى الأشعري) صحابي مشهور. **قوله**: (عبادة بن الصامت) الأنصاري الخزرجي أحد النُّقباء بدري مشهور، وكان ممّن جمع القرآن على عهد النبيّ ﷺ. **قوله**: (وعن صهيب) بن سنان الرومي صحابي مشهور، شهد بدرًا. **قوله**: (حديث مرفوع) كذا في بعض النسخ، وفي بعض النسخ: حديث مدفوع، والصحيح (حديث مرقوع) بالقاف، أي مفترى. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: مرقوع بالقاف مِنْ رَقع الثوب أي مخترع من هٰهنا وهٰهنا، وهذا لقصوره في باب الحديث، وإلّا فهو حديث مرفوع إلى حضرة الرسالة بإسناد مسلم وأحمد بن حنبل والترمذي وغيرهم من أئمّة الحديث. وفي حاشية البيضاوي

وقيل: الزيادة المحبة في قلوب العباد. وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ ولا يغشى وجوههم ﴿قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ ولا أثر (هوان)، والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

عطف على ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ أي وللذين كسبوا ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فنون الشرك ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾ الباء زائدة كقول: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] أو التقدير جزاء سيئة مقدر بمثلها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ ذلّ وهوان ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عقابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ أي جعل عليها غطاء من سواد الليل أي هم سود الوجوه. و﴿قِطَعًا﴾ جمع قطعة وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿أُغْشِيَتْ﴾ (﴿قِطْعًا﴾ مكي وعليّ) من قوله: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: الآية ٨١] وعلى هذه القراء ﴿مُظْلِمًا﴾ صفة لقطع، وعلى الأول حال من ﴿ٱلَّيْلِ﴾ والعامل فيه ﴿أُغْشِيَتْ﴾ لأن ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ صفة لـ ﴿قِطَعًا﴾ فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، (**أو معنى الفعل في** ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب وقوله: إنه حديث مرقوع بالقاف، أي مفترى، ولا ينبغي أن يصدر من مثله، فإنه حديث متفق **على** صحته، فحرّف وأساء الأدب. اهـ بحروفها. **قوله**: (**هوان**) في لسان العرب: الهَوَان نقيض العِزّ. اهـ.

قوله: (﴿قِطْعًا﴾) بإسكان الطاء (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي، (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بفتحها جمع قطعة. **قوله**: (**أو معنى الفعل في** ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾) أي متعلّقه المقدّر، مثل كائنة، أي قطعًا كائنة من اللّيل في حال كونه مظلمًا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الكفار وغيرهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ (أي الزموا مكانكم) لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنتُمْ﴾ أكد به الضمير في ﴿مَكَانَكُمْ﴾ لسده مسد قوله الزموا ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ففرّقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ من عبدوه من دون الله من أولي العقل أو الأصنام ينطقها الله عز وجل ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله (أندادًا) فأطعتموهم وهو قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ (كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ)﴾ [سبأ: الآيتان ٤٠، ٤١].

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي كفى الله شهيدًا وهو تمييز ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ (﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة) واللام فارقة بينها وبين النافية

قوله: (أي الزموا مكانكم) أي مكانكم منصوب بإضمار الزموا. **قوله**: (أندادًا) شركاء في العبادة. **قوله**: (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾)... الخ. في تفسير الجلالين: واذكر (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾) المشركين (﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾) بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: الآية ٤١]، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [سبأ: الآية ٤١] تنزيهًا لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: الآية ٤١] أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا، ﴿بَلْ﴾ [سبأ: الآية ٨] للانتقال (﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ: الآية ٤١]) الشياطين، أي يُطيعونهم في عبادتهم إيّانا، وقوله: وإبدال الأولى ياء هذا سبق قلم من الشارح؛ إذ لم يقرأ بهذه القراءة أحد، فالذي في كلامه قراءتان تحقيقهما، وإسقاط الأُولى وبقي ثالثة، وهي تسهيل الأُولى مع تحقيق الثانية وعكسه، وإبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأُولى؛ فالقراءات خمسة وكلّها سبعية. اهـ شيخنا. اهـ جمل.

قوله: (﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة) أي أنا.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان أو في ذلك الوقت (**على استعارة اسم المكان للزمان**) ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تختبر وتذوق ﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن، أنافع أم ضارّ، أمقبول أم مردود، وقال (**الزجاج**): تعلم كل نفس ما قدمت. («**تتلوا**» **حمزة وعلي**)، أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو النار، أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر، كذا عن (**الأخفش**) ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ ربهم الصادق في ربوبيته لأنهم كانوا يتولَّون ما ليس لربوبيته حقيقة، أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدًا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (**وضاع عنهم**) ما كانوا يدّعون أنهم شركاء لله، أو بطل عنهم ما كانوا (**يختلقون**) من الكذب وشفاعة الآلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ مَن يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سُوِّيا عليه من الفطرة

قوله: (**على استعارة اسم المكان للزمان**)، كما في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: الآية ١١]، أي في ذلك الوقت. **قوله**: (**الزجاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد، توفي سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. **قوله**: (﴿**تتلوا**﴾) بتاءين منقوطتين من فوق، (**حمزة وعليّ**) الكسائي. وقرأ الباقون: ﴿تبلوا﴾ من البلاء، وهو الاختبار.

قوله: (**الأخفش**) الأخافش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر. والثاني أبو الحسن سعيد بن مَسْعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط. والثالث أبو الحسن عليّ بن سليمان تلميذ المُبرِّد، وهو الأخفش الأصغر؛ وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور، فإن أُريد الأكبر أو الأصغر قيّدوه. مات ـ أي المشهور ـ في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. **قوله**: (**وضاع عنهم**) وضاع ضمن معنى غاب، ولذا عدّى بعن. **قوله**: (**يختلقون**) يفترون.

العجيبة، أو مَن يحميهما من الآفات مع كثرتها في **(المدد الطوال)** وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ أي الحيوان **(والفرخ)** والزرع، والمؤمن والعالم من النطفة، والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ ومَن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ فسيجيبونك عند سؤالك إن القادر على هذه هو الله ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشرك في العبودية إذا اعترفتم بالربوبية.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي من هذه قدرته هو الله ﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ثابتًا لا ريب فيه لمن حقق النظر ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ أي لا واسطة بين الحق والضلال، فمن تخطّى الحق وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الحق ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (﴿كلمات﴾ **شاميّ ومدنيّ**)، أي كما حقّ وثبت أن الحق بعده الضلال، أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقّت كلمة ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾ تمرّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من «الكلمة» أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان، أو حقّ عليهم كلمة الله أن إيمانهم غير كائن، أو أراد بالكلمة العدَة بالعذاب أنهم لا يؤمنون تعليل أي لأنهم لا يؤمنون.

قوله: **(المدد)** في المصباح: المدة البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير، والجمع مُدد مثل غرفة وغُرف.اهـ. **قوله**: **(الطِّوال)** بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام. وأمّا بالضمّ، فالرجل الطويل. **قوله**: **(والفرخ)** في المصباح: الفرخ من كل بائض كالولد من الإنسان.اهـ.

قوله: **(﴿كلمات﴾)** بالألف بعد الميم على الجمع، **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. **(ومدني)** أي نافع وأبو جعفر، وليس من السبعة. وقرأ الباقون بغير الألف بعد الميم على الإفراد.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إنما ذكر ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم غير مقرّين بالإعادة لأنه لظهور برهانها جعل أمرًا مسلمًا على أن فيهم مَن يقرّ بالإعادة، أو يحتمل إعادة غير البشر كإعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال والنبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أمر نبيّه بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلّم عنهم ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن قصد السبيل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يرشد إليه ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال: شرى بمعنى اشترى، **(ومنه قراءة حمزة وعلي** ﴿أَمَّن لَّا يَهْدِيٓ﴾) بمعنى يهتدي (**﴿لا يَهَدّي﴾**) بفتح الياء والهاء **(وتشديد الدال: مكيّ وشاميّ وورش، وبإشمام الهاء فتحة)**: أبو

قوله: **(ومنه قراءة حمزة وعلي**: ﴿أَمَّن لَّا يَهْدِيٓ﴾) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال. **قوله**: **(لا يَهَدّي)** بفتح الياء والهاء، أي بفتحتين **(وتشديد الدال: مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وورش)** عن نافع المدني، وهو عثمان بن سعيد المصري، ويُكنى أبا سعيد، وورش لقب لُقِّب به فيما يقال لشدّة بياضه، وتوفي بمصر سبع وتسعين ومائة.

قوله: **(وبإشمام الهاء فتحة)** أبو عمرو، وروى المغاربة قاطبةً وكثير من العراقيين عنه اختلاس فتحة الهاء، وعبّر عنه بالإخفاء وبالإشمام وبالإشارة وبتضعيف الصوت، وهو عسير في النُّطق جدًّا، وهو الذي لم يقرأ الداني على شيوخه بسواه، ولم يأخذ إلّا به. وروى أكثر العراقيين إتمام فتحة الهاء، كابن كثير ومَنْ معه.

عمرو، (**وبكسر الهاء وفتح الياء: عاصم غير يحيىٰ**)، والأصل ﴿يَهْتَدِي﴾ وهي قراءة عبد الله فأدغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين، وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال: يحيىٰ لاتباع ما بعدها، (**وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنيّ غير ورش**)، والمعنى أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل، فهل من شركائكم ـ الذين جعلتم أندادًا لله ـ أحد يهدي إلى الحق مثل هداية الله؟ ثم قال: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ﴾ بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله. وقيل: معناه أم مَن لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل، أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيًّا ناطقًا فيهديه ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله (**والمراد بالأكثر الجميع**) ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ بغير دليل وهو اقتداؤهم بإسلافهم ظنًّا منهم إنهم

فـائدة:

الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بثلثي الحركة وهذا لا يضبط إلّا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة.

قوله: (**وبكسر الهاء وفتح الياء**) وتشديد الدال (**عاصم غير يحيىٰ**) بن آدم القرشي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم. **قوله:** (**وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (**غير ورش**) واستشكلت قراءة سكون الهاء مع تشديد الدال من حيث الجمع بين الساكنين. قال النحاس: لا يقدر أحد أن ينطق به، وقال المُبرِّد: مَنْ رام هذا لا بدّ أن يُحرِّك حركة خفيفة. وأجاب عنه القاضي بأن المدغم في حكم المتحرِّك. وقال السمين: لا بعد فيه، فقد قرىء به في نعمًا وتعدوا.

قوله: (**والمراد بالأكثر الجميع**) لأن إبقاءه على أصل معناه يدلّ على أن اعتقاد بعضهم فيما ذهب إليه من قاعدة الشرك، وأنّ شركاؤهم شفعاؤهم عند

مصيبون ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو العلم ﴿شَيْـًٔا﴾ في موضع المصدر أي إغناء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من اتباع الظن وترك الحق.

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي افتراء من دون الله، والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله في علوّ أمره وإعجازه مفترى ﴿وَلَـٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هو ما تقدمه من الكتب المنزلة ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ (وتبيين ما كتب وفرض) من الأحكام والشرائع من قوله: ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢٤] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ داخل في حيّز الاستدراك كأنه قال: ولكن كان تصديقًا وتفصيلًا منتفيًا عنه الريب كائنًا من رب العالمين، ويجوز أن يُراد: ولكن كان تصديقًا من رب العالمين وتفصيلًا منه لا ريب في ذلك، فيكون ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ متعلقًا بـ ﴿تَصْدِيقَ﴾ ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ ويكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضًا كما تقول: «زيد لا شك فيه كريم».

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ (بل أيقولون) اختلقه ﴿قُلْ﴾ إن كان الأمر كما تزعمون ﴿فَأْتُوا۟﴾ أنتم على وجه الافتراء ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلي في العربية ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي وادعوا من دون

الله يستند على برهان، وليس كذلك؛ بل كلّهم متّفقون على اتّباع الظنّ والتقليد.

قوله: (وتبيين ما كتب وفرض)... الخ. على أن الكتاب من كتب، بمعنى فَرَضَ وقدّر وحكم.

قوله: (بل أيقولون) إشارة إلى أن أم هذه منقطعة مقدّرة ببل والهمزة، أضرب عن الكلام الأوّل وأخذ في إنكار قولهم أنه ﷺ اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى، ثم احتجّ عليهم بأنه يقول إن كان الأمر كما تزعمون

الله مَن استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنه افتراء.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في (بديهة السماع) قبل أن يفقهوه ويعلموا (كنه أمره)، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم و(شرادهم) عن مفارقة دين آبائهم. (ومعنى التوقع في ﴿وَلَمَّا﴾) ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدًا للآباء، وكذبوه بعد التدبر تمردًا وعنادًا، فذمّهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علوّ شأنه وإعجازه لما كرّر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيًا وحسدًا. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني كفار الأُمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]، فإن لم يَفِ عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يُعارِضُ القرآن فاجتمعوا وَلْيَفِ بعضكم بعضًا في هذه المعارضة، مع أنه لم يَفِ، ولو اجتمع الإنس والجنّ بعضهم ظهيرًا لبعض؛ لأن قدرة البشر عاجزة عنها، فعُلِم أن نظمه وتنزيله ليس إلّا من قِبَل الله تعالى.

قوله: (بديهة السَماع) في مختار الصحاح: بدهه أمر فجأه وبابه قطع وبدهه بأمر إذا استقبله به، وبادهه فاجأه، والاسم البَدَاهة والبديهة. اهـ. **قوله**: (كنه أمره) في مختار الصّحاح: كُنْه الشيء نهايته. **قوله**: (شِرادهم) بالكسر أي نفورهم. **قوله**: (ومعنى التوقّع في ﴿وَلَمَّا﴾)، فإنّه يدلّ على أن الفعل المنفي به أمر متوقع لما قيل: إنه لنفي ما قد يفعل، وكلمة لم لنفي ما فعل، يعني أنه أتى بكلمة التوقّع في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ للدلالة على إتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان أمرًا متوقّعًا منتظرًا، ومع ذلك سارعوا إلى التكذيب لقلّة ثباتهم وغلبة اتّباع الآباء على طباعهم.

وقبل تدبرها عنادًا وتقليدًا للآباء، ويجوز أن يكون معنى ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز، وقبل أن يجربوا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ بالنبيّ أو بالقرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لا يصدق به ويشك فيه، أو يكون للاستقبال أي ومنهم مَن سيؤمن به ومنهم مَن سيصرّ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالمعاندين أو المصرّين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ وإن تمّوا على تكذيبك ويئست من إجابتهم ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ جزاء عملي ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فكل مؤاخذ بعمله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلّمت الشرائع ولكنهم (لا يعون) ولا يقبلون فهم كالصمّ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أتطمع أنك تقدر على إسماع الصمّ ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم، لأن الأصمّ العاقل ربما (تفرّس) واستدلّ إذا وقع في (صماخه دوِيّ الصوت)، فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تمّ الأمر.

قوله: (لا يعون) في المصباح: وعَيْت الحديث وَعْيًا من باب وعد: حفظته وتدبّرته. اهـ. **قوله:** (تفرّس) في المصباح: تفرّست فيه الخير تعرّفته بالظنّ الصائب. اهـ.

قوله: (صماخه) في مختار الصحاح: الصِّماخ ـ بالكسر ـ خَرْق الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها، والسين لغة فيه. اهـ. **قوله:** (دَوِي الصوت) الدَّوِيّ صوت ليس بالعالي.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلّة الصدق وأعلام النبوّة ولكنهم لا يصدقون ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ أتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة، لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد (**يحدس**)، وأما العمى مع (**الحمق**) فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصمّ والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ﴾ **حمزة وعليّ**). أي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادًا وهم أحياء.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (**وبالياء: حفص**) ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أو في قبورهم لهول ما يرون ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضًا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلًا وذلك عند خروجهم من القبور، ثم ينقطع التعارف بينهم لشدّة الأمر عليهم ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ حال من «هم» أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة. و«كأن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنهم. و﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ حال بعد حال، أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادة من الله على خسرانهم، والمعنى أنهم (**وضعوا**) في تجارتهم وبيعهم

قوله: (**يحدس**) في المصباح: حدس حدسًا من باب ضرب، إذا ظنّ ظنًّا مؤكّدًا. اهـ. **قوله**: (**الحُمق**) فساد في العقل، قاله الأزهري. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿وَلَٰكِنِ النَّاسُ﴾) بكسر النون مخفّفة ورفع السين (**حمزة وعليّ**) الكسائي، وقرأ الباقون بنصب النون مشدّدة ونصب السين.

قوله: (**وبالياء حفص**) والباقون بالنون. **قوله**: (**وُضعوا**) أي خسروا.

الإيمان بالكفر ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ للتجارة عارفين بها وهو استئناف **(فيه معنى التعجب)** كأنه قيل ما أخسرهم.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل عذابهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب «نتوفيك» وجواب ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف أي وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا **(فذاك)**، أو نتوفينَّك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل: ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقيل: «ثم» هنا بمعنى «الواو».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين النبيّ ومكذبيه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل فأنجى الرسول وعذّب المكذبين، أو ولكل أمة من الأُمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قُضي بينهم بالقسط ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يعذب أحد بغير ذنبه. ولما قال: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أي من العذاب استعجلوا لما وُعِدوا من العذاب نزل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي وعد العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبيّ والمؤمنين ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ من مرض أو فقر ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ من صحة أو غنى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء

قوله: (فيه معنى التعجّب) والمراد التعجّب بالنسبة إلى العباد.

قوله: (فذاك) أي فذاك حقٌّ وصواب، أو فذاك ثابت وواقع في الدنيا. أو فذاك يسرّك ويكون باعثًا لتشفّيك، أو فذاك منحة لك؛ إذ به يزداد شوكة الإسلام ويظهر بطلان الشرك والكفر بين الأنام، فيكون الجواب جملة حذف المسند ليذهب السامع إلى كل ما يمكن اعتباره.

منقطع أي (ولكن ما شاء الله من ذلك كائن) فكيف أملك لكم الضرّ وجلب العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ الذي تستعجلونه ﴿بَيَـٰتًا﴾ نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي من العذاب، والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ والاستفهام في ﴿مَّاذَا﴾ يتعلق بـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون. وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه. ولم يقل: «ماذا يستعجلون منه» لأنه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام، أو ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ جواب الشرط نحو «إن أتيتك ماذا تطعمني» ثم تتعلق الجملة بـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أو ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ العذاب ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ جواب الشرط و﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ اعتراض. والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان. ودخول حرف الاستفهام على «ثم» كدخوله على «الواو» و«الفاء» في ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ

قوله: (ولكن ما شاء الله من ذلك) النفع والضرّ (كائن) بمشيئة الله تعالى، لا بأن أملكه وأقدر عليه مستقلاً بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متّصلًا، فيكون الاستثناء من فاعل ﴿لَّآ أَمْلِكُ﴾ [يونس: الآية ٤٩] على تقدير أن يكون منقطعًا، وتقديره: لا أملك أنا ولكن الله تعالى هو المالك لكل ما يشاء يفعله بمشيئته.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي بالعذاب تكذيبًا واستهزاء (﴿الآن﴾ **بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام: نافع**) ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على «قيل» المضمر قبل ﴿ءَآلْئَنَ﴾ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والتكذيب.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ ويستخبرونك فيقولون ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود ﴿قُلْ﴾ يا محمد (﴿إِي وَرَبِّي﴾) نعم والله ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ إن العذاب كائن (**لا محالة**) ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت وأشركت وهو صفة لـ ﴿نَفْسٍ﴾ أي ولو أن لكل نفس ظالمة ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لجعلته فدية لها. (**يقال: فداه فافتدى**)، ويقال: افتداه أيضًا بمعنى فداه ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ وأظهروها من قولهم: «أسرَّ الشيء» إذا أظهره، أو أخفوها عجزًا عن النطق لشدّة الأمر فأسرَّ من الأضداد ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بين الظالمين والمظلومين دلّ على ذلك ذكر الظلم ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله: (﴿الآن﴾ بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام، نافع) في تفسير النيسابوري: ﴿الآن﴾ بوزن عالان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام حيث كان، أبو جعفر ونافع. اهـ بحروفه.

قوله: (﴿إِي وَرَبِّي﴾) إي حرف جواب مثل نعم، إلا أنه لا يجاب به إلّا مقرونًا بالقسم. **قوله: (لا محالة)** في لسان العرب: يقولون في موضع: لا بُدَّ لا مَحَالَة. اهـ. **قوله: (يقال: فداه فافتدى)**. . . الخ. الافتداء يجيء بمعنيين مطاوع فداه، فيكون لازمًا، يقال: فديته فافتدى، ويكون بمعنى فداه، فيتعدّى إلى واحد، يقال: فداه وافتداه إذا أعطاه فداءه، وهو في الآية بالمعنى الثاني؛ لأن النفس الظالمة هي المُعطية لفدائها.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكيف يقبل الفداء، وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالثواب أو بالعذاب ﴿حَقٌّ﴾ كائن ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ هو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإلى حسابه وجزائه المرجع فيُخاف ويُرجى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد، والموعظة التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل موهوب فما في القرآن من الأوامر والنواهي داعٍ إلى كل مرغوب وزاجر كل موهوب، إذ الأمر يقتضي حسن المأمور به فيكون مرغوبًا وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي صدوركم من العقائد الفاسدة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمَن آمن به منكم.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا، والتكرير للتأكيد، والتقدير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصُّوهما بالفرح، أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والإسلام. (في الحديث «من هداه) الله (للإسلام) وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر

قوله: (في الحديث: «مَنْ هداه للإسلام»)... الخ. في الدرّ المنثور: أخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ هداه للإسلام وعلّمه القرآن ثم شكى الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه»، ثم تلى النبيّ ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، أي من عَرَضِ الدنيا من الأموال. اهـ بحروفه. **قوله**:

بين عينيه إلى يوم يلقاه» وقرأ الآية (﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وبالتاء شامي، فلتفرحوا يعقوب).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ (﴿مَّا﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾) أي أخبرونيه ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] نِعَم الأرزاق تخرج من الأرض ولكن لما (نيطت) أسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تُنبت الأرض النبات، والشمس التي بها (النضج

(﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وبالتاء) على الخطاب (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالياء على الغيبة. **قوله**: (﴿فلتفرحوا﴾) بتاء الخطاب (يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي، وليس من السبعة. والباقون بالغيب.

قوله: (﴿مَا﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾) يريد أن كلمة ﴿مَا﴾ يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة على أنها مفعول أوّل لـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾، والعائد محذوف، والتقدير: أخبروني ما أنزل الله، ومفعوله الثاني هو قوله: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، والعائد من هذه الجملة إلى المفعول الأول محذوف، تقديره: آلله أذن لكم فيه، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ [يونس: الآية ١٥] يمنع من كون الجملة بعده مفعولًا ثانيًا، والجواب أن كلمة قل في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ هي قل المذكورة أوّلًا كرّرت للتأكيد؛ لأنه لو حذف من الكلام. وقيل: قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالًا آلله أذن لكم فيه يتم الكلام بدونه؛ فعُلِم بذلك أنها إنما ذُكِرت للتأكيد، فلا تمنع كون ما بعدها معمولًا لما قبلها، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ [يونس: الآية ٥] استفهامية منصوبة المحل بـ ﴿أَنزَلَ﴾، وهي حينئذ تكون متعلّقة لـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾ [يونس: الآية ٥٠]، وتكون سادّة مسدّ المفعولين، والمعنى: أخبروني أي شيء أنزل الله من رزق فبعّضتموه، والمقصود الإنكار لتجزئتهم الرزق. **قوله**: (**نيطت**) في المصباح: ناطه نوطًا من باب قال علقه واسم موضع التعليق مناط بفتح الميم.اهـ. **قوله**: (**النضج**) في المصباح:

وينع الثمار)، أُضيف إنزالها إلى السماء ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾ و﴿قُلْ﴾ تكرير للتوكيد، والمعنى أخبروني آلله أذِن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه، أو الهمزة للإنكار و«أم» منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرًا للافتراء. والآية زاجرة عن التجوّز فيما يُسأل من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان وإلا فهو مُفْتَرٍ على الديان.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ ينسبون ذلك إليه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي أيّ شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث أنعم عليهم بالعمل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ «ما» نافية والخطاب للنبي ﷺ والشأن الأمر ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾ من التنزيل كأنه قيل: وما تتلو من التنزيل ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ لأن كل جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذِّكر تفخيم له أو من الله عزَّ وجلّ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم جميعًا ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عمل ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ شاهدين رقباء نحصي عليكم ﴿إِذْ

نضج اللحم والفاكهة نضجًا من باب تعب: طاب أكله، والاسم النضج بضمّ النون وفتحها لغة. اهـ. **قوله:** (وينع الثمار) في المصباح: ينعت الثمار يَنْعًا من باب نفع وضرب: أدركت، والاسم الينع بضم الياء وفتحها وبالفتح، قرأ السبعة. اهـ.

﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ وما يبعد وما يغيب، و(بكسر الزاي: علي حيث كان) ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن نملة صغيرة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ رفعهما حمزة على الابتداء والخبر ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ونصبهما غيره على نفي الجنس، وقدِّمت الأرض على السماء هنا وفي «سبأ» قدِّمت السمٰوات، لأن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ (هم الذين يتولّونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة)، أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي أتاهم فتولَّوا القيام بحقه والرحمة لخلقه، أو هم المُتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، أو هم المؤمنون المتّقون بدليل الآية الثانية ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف الناس ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حزن الناس. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ منصوب بإضمار أعني، أو لأنه صفة لأولياء، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك والمعاصي.

قوله: (بكسر الزاي علي) الكسائي (حيث كان)، والباقون بضمّها لغتان في مضارع عَزَب. في مختار الصحاح: عَزَب بَعُد وغاب وبابه دخل وجلس. اهـ.

قوله: (هم الذين يتولَّونه بالطاعة ويتولّاهم بالكرامة)، أي يتقرّبون إليه ويتقرّب هو تعالى إليهم، فإنّ الولى القرب ووَلي كل شيء هو الذي يكون قريبًا منه، والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال، بل القرب منه إنما يكون بطاعته والاستغراق في معرفته؛ بحيث إذا رأى رأى دلائل قدرته، وإذا سمع سمع آياته، وإذا نطق نطق بالثناء عليه، وإذا تحرّك تحرّك في خدمته، وإذا اجتهد اجتهد في طاعته؛ فبهذه الحيثيّة يكون في غاية القرب منه تعالى، ويكون وليًّا له عزّ وجلّ، فيكون الله تعالى وليًّا له أيضًا؛ كما قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٧]، لأن القرب لا يكون إلّا من الجانبين، وإليه أشار المصنّف رحمة الله تعالى عليه بقوله: يتولونه ويتولاهم.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما بشَّر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه، وعن النبي ﷺ («**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**»). وعنه عليه السلام («**ذهبت النبوَّة وبقيت المُبَشِّرات**) والرؤيا الصالحة (**جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة**»). وهذا لأن مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة، وكان في ستة أشهر منها يؤمر في النوم بالإنذار، وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءًا، أو هي محبة الناس له والذِّكر الحَسَن، أو لهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه في الجنة ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ هي الجنة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مُبشَّرين في الدارين ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وكِلتا الجملتين اعتراض، (**ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام**) كما تقول: «فلان ينطق بالحق والحق (**أبلج**») وتسكت.

قوله: («**هي الرؤيا الصالحة**) أي الحسنة أو الصادقة، وهي ما فيه بشارة أو تنبيه عن غفلة وأمثال ذلك. **قوله**: (**يراها المسلم**) لنفسه (**أو تُرى**) بصيغة المجهول، أي يراها مسلم آخر (**له**»)، أي لأجله أو لأجل مسلم آخر. **قوله**: («**ذهبت النبوّة**) اللام للعهد والمعهود نبوّته (**وبقيت المبشرات**) بكسر الشين المعجمة جمع مبشّرة، وهي البشرى وفسّرها بأنها الرؤيا الصالحة، والمراد أنها أشرفت على الذهاب لقرب موته، أي قرب ذهابها. **قوله**: (جزء من **ستّة وأربعين** جزء من النبوّة») هو ما في أكثر الأحاديث.

قوله: (**ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام**) جواب عمّا يقال: كل واحدة من الجملتين كيف تكون اعتراضًا والاعتراض إنما يكون في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين لا في آخرهما، وقد انقطع الكلام عندهما، وتقرير الجواب أنّ ما ذكر كلام أكثري لا كلّي، فإنه لا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام، كما تقول: فلان ينطق بالحقّ والحقّ أبلج وتسكت وحَدَثَ لي حادث والحوادث جمّة وتسكت، ومن شرط ذلك فهو تذنيب لا اعتراض. **قوله**: (أبلج) أظهر.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم **(وتهديدهم)** وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ **(استئناف)** بمعنى التعليل كأنه قيل: ما لي لا أحزن؟ فقيل: إن العزة ﴿لِلَّهِ﴾ إن الغلبة والقهر في ملكه لا يملك أحد شيئًا منهما، لا هم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرك عليهم (﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ﴾) [المجادلة: الآية ٢١]، (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾) [غافر: الآية ٥١]، أو به يتعزّز كل عزيز فهو يعزّك ودينك وأهلك، والوقف لازم على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ لئلا يصير ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ مقول الكُفّار ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مُكافئهم بذلك.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني العقلاء وهم الملائكة **(والثقلان)**، وخصّهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مَملَكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكًا له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له **(ندًا)** وشريكًا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ «ما» نافية أي

قوله: **(وتهديدهم)**، فإنه تعالى لمّا أبطل جميع شهادتهم المتعلّقة بالبطلان في النبوّة وعدلوا إلى طريقٍ آخر في القَدْح في أمره ﷺ، وهو أنّهم هدّدوه وخوّفوه بأنهم أصحاب أموال وأتباع، فنسعى في قهرك وفي إبطال أمرك، أجاب تعالى عن طريقتهم بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾. **قوله**: **(استئناف)** أي جواب سؤال مقدّر. **قوله**: (﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾) في اللوح المحفوظ أو قضى (﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيٓ﴾) بالحجّة أو السيف. **قوله**: (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾) أي بالحجّة والانتقام لهم من الكَفَرة ولو بعد تمامهم، كما نصر يحيىٰ بن زكريا لما قُتِل قَتَل به سبعون ألفًا، وقيل: الحكم أكثري أو خاص بالرّسل المأذون لهم في القتال.

قوله: **(والثّقلان)** الإنس والجنّ. اهـ مختار الصّحاح. **قوله**: **(ندًا)** في مختار الصحاح: النّدّ ـ بالكسر ـ المِثل والنظير. اهـ.

وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمّونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية مُحال ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا ظنهم أنهم شركاء الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يحزرون (ويقدرون) أن تكون شركاء تقديرًا باطلًا، أو استفهامية أي وأيّ شيء يتبعون و﴿شُرَكَآءَ﴾ على هذا نصب بـ ﴿يَدْعُونَ﴾ وعلى الأول بـ ﴿يَتَّبِعُ﴾ وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاءَ شركاءَ، فاقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ أو موصولة معطوفة على ﴿مَن﴾ كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

ثم نبّه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي جعل لكم الليل مظلمًا لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئًا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع مذكر معتبر ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب (**من كلمتهم الحمقاء**) ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ علّة لنفي الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيفٌ ليتقوّى به، أو فقير ليستعين به، أو ذليل ليتشرّف به، والكل أمارة الحاجة فمن كان غنيًا غير محتاج كان الولد عنه منفيًا، ولأن الولد بعض الوالد فيستدعي أن يكون مركبًا، وكل مركّب ممكن، وكل ممكن يحتاج إلى الغير فكان حادثًا فاستحال القديم أن يكون له ولد ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: (ويقدرون) تفسير ليحزرون، فإن الحزر التقدير.

قوله: (**من كلمتهم**[1] **الحمقاء**) المراد من الكلمة الجملة كما في كلمة التوحيد، ووُصِفت بالحمقاء مجازًا بوصف قائلها مبالغةً في وصف القائل بالحمق. في المصباح: الحمق فساد العقل، قاله الأزهري. وحمق يحمق فهو حمق من باب تعب، وحمق ـ بالضم ـ فهو أحمق، والأنثى حمقاء، والحماقة اسم منه، والجمع

(١) قوله: من كلمتهم الحمقاء مجاز كذكر حكيم، أي الأحمق قائلها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ ملكًا ولا تجتمع النبوة معه ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ ماعندكم من حجة بهذا القول، (**والباء حقها أن تتعلق بقوله**: ﴿إِنْ عِندَكُم﴾) على أن يجعل القول مكانًا لـ ﴿سُلْطَٰنِۭ﴾ كقولك: «ما عندكم بأرضكم (موز)» كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان، ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بإضافة الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر (**ومناصبة النبي ﷺ بالتظاهر**) به ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ المخلد (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾) بكفرهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ واقرأ عليهم ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره مع قومه والوقف عليه لازم إذ لو وصل لصار «إذ» ظرفًا لقوله: ﴿وَٱتْلُ﴾ بل التقدير واذكر ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ عظم وثقل كقوله ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: الآية ٤٥] ﴿مَّقَامِي﴾ مكاني يعني نفسه كقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمٰن: الآية

حمقى وحُمُق مثل أحمر وحمراء وحمر. اهـ. **قوله**: (**والباء حقها أن تتعلق بقوله**: ﴿إِنْ عِندَكُم﴾)؛ لأنه يظهر منه الاستقرار والتمكّن. **قوله**: (**مَوْز**) في المصباح: الموز فاكهة معروفة الواحدة موزة مثل تَمْر وتَمْرة، وهو الطَّلح. اهـ.

قوله: (**ومناصبة النبيّ ﷺ**) أي معاداته ﷺ معاذ الله. **قوله**: (**بالتظاهر**) في مختار الصِّحاح: التظاهر التعاون. **قوله**: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾) الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب كونهم كافرين. اهـ سمين.

٤٦] أي خاف ربه، أو قيامي ومكثي بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عامًا، أو مقامي ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيّنًا وكلامهم مسموعًا ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوّضت أمري إليه ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ الواو بمعنى «مع» أي فأجمعوا أمركم مع شركائكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي غمًّا عليكم وهمًّا والغمّ والغمّة كالكرب والكربة، أو ملتبسًا في (**خفية**). والغمّة السترة من غمّه إذا ستره ومنه الحديث «لا غُمَّة في فرائض الله» أي لا تستر ولكن يجاهر بها، والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورًا عليكم ولكن مكشوفًا مشهورًا تُجاهرونني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدّوا إليّ ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل (**غريمه**)، أو اصنعوا ما أمكنكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فإن أعرضتم عن تذكيري ونصحي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فأوجب التولّي، أو فما سألتكم من أجْر ففاتني ذلك بتوليكم ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ وهو الثواب الذي يُثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لله لا لغرض من أغراض الدنيا، (**وفيه دلالة منع أخذ الأجْر على تعليم القرآن والعلم الديني**).

قوله: (**خفية**) بضم الخاء وكسرها. **قوله**: (**غريمه**) في مختار الصحاح: الغريم الذي عليه الدَّيْن، يقال: خذ من غريم السوء ما سنح، وقد يكون الغريم أيضًا الذي له الدَّيْن. اهـ.

قوله: (**وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدّيني**) في تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه في هذه الآية وأمثالها دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجر على ذلك لكان لهم عذرًا أن لا يبذلوا ذلك ولا يتعلّموا شيئًا من ذلك، وفي هذا هدم شرائع الله وإسقاطها. اهـ بحروفها.

....

فائــدة:

في الدرّ المختار: لا تصح الإجارة لأجل الطاعات، مثل الأذان والحجّ والإمامة وتعليم القرآن والفقه ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقه والإمامة والأذان، ويُجير المستأجر على دفع ما قبل، فيجب المسمّى بعقد وأجر المثل؛ إذ لم تذكر مدة شرح وهبانية من الشركة، (ويُحبس به) به يُفتى (ويُجبر على دفع الحلوة المرسومة) هي ما يهدى للمعلّم على رؤوس بعض سور القرآن سُمِّيت بها لأن العادة إهداء الحلاوى، انتهى بحروفه. وفي ردّ المحتار: قوله: لا لأجل الطاعات، الأصل أنّ كل طاعة يختصّ بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها عندنا؛ لقوله عليه السلام: «اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به»، وفي آخر ما عهد رسول الله ﷺ إلى عمرو بن العاص: «وإن اتّخذت مؤذنًا فلا تأخذ على الأذان أجرًا»، ولأن القربة متى حصلت وقعت عن العامل، ولهذا تتعيّن أهليّته، فلا يجوز له أخذ الأجرة من غيره، كما في الصوم والصلاة هداية. قوله: ويفتى اليوم بصحّتها لتعليم القرآن... الخ. قال في الهداية: وبعض مشائخنا رحمهم الله استحسنوا الاستئجار على تعليم القرآن اليوم لظهور التواني في الأُمور الدينيّة؛ ففي الامتناع تضييع حفظ القرآن، وعليه الفتوى.اهـ. وقد اقتصر على استثناء تعليم القرآن أيضًا في متن الكنز، ومتن مواهب الرحمٰن وكثير من الكتب، وزاد في مختصر الوقاية ومتن الإصلاح: تعليم الفقه، وزاد في متن المجمع: الإمامة، ومثله في متن الملتقى ودُرر البحار، وزاد بعضهم: الأذان والإقامة والوعظ، وذكر المصنّف معظمها، ولكن الذي في أكثر الكتب الاقتصار على ما في الهداية؛ فهذا مجموع ما أفتى به المتأخّرون من مشائخنا وهم البلخيّون على خلاف في بعضه مخالفين ما ذهب إليه الإمام وصاحباه، وقد اتّفقت كلمتهم جميعًا في الشروح والفتاوى على التعليل بالضرورة، وهي خشية ضياع القرآن كما في الهداية، وقد نقلت لك ما في مشاهير متون المذهب الموضوعة للفتوى، فلا حاجة إلى نقل ما في الشروح والفتاوى، وقد اتّفقت كلمتهم جميعًا على التصريح بأصل المذهب من عدم الجواز، ثم استثنوا بعده ما علمته؛ فهذا دليلٌ قاطع وبرهانٌ ساطع على أن المفتى به ليس هو جواز الاستئجار على كل طاعة، بل

....

على ما ذكروه فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن أصل المذهب من طروّ المنع، فإنّ مفاهيم الكتب حجّة، ولو مفهوم لقب على ما صرّح به الأُصوليّون، بل هو منطوق، فإنّ الاستثناء من أدوات العموم كما صرّحوا به أيضًا وأجمعوا على أنّ الحجّ عن الغير بطريق النيابة لا الاستئجار، ولهذا لو فضل مع النائب شيء من النَّفقة يجب عليه ردّه للأصيل أو ورثته، ولو كان أجرة لما وجب ردّه، فظهر لك بهذا عدم صحة ما في الجوهرة من قوله: واختلفوا في الاستئجار على قراءة القرآن مدة معلومة، قال بعضهم: لا يجوز، وقال بعضهم: يجوز، وهو المختار. اهـ. والصواب أن يقال على تعليم القرآن، فإنّ الخلاف فيه كما علمت لا في القراءة المجرّدة، فإنّه لا ضرورة فيها، فإنْ كان ما في الجوهرة سَبْق قلم، فلا كلام. وإنْ كان عن عمد، فهو مخالف لكلامهم قاطبةً، فلا يُقبل وقد أطنب في ردّه صاحب تبيين المحارم مستندًا إلى النقول الصريحة؛ فمن جملة كلامه: قال تاج الشريعة في شرح الهداية: إنّ القرآن بالأجرة لا يستحقّ الثواب لا للميّت ولا للقارىء. وقال العيني في شرح الهداية: ويمنع القارىء للدنيا والآخذ والمعطي آثمان؛ فالحاصل أنّ ما شاع في زماننا من قراءة الأجزاء بالأُجرة لا يجوز؛ لأن فيه الأمر بالقراءة وإعطاء الثواب للآمر والقراءة لأجل المال، فإذا لم يكن للقارىء ثواب لعدم النيّة الصحيحة، فأين يصل الثواب إلى المستأجر؟ ولولا الأجرة ما قرأ أحد لأحد في هذا الزمان؛ بل جعلوا القرآن العظيم مكْسبًا ووسيلة إلى جمع الدنيا إنّا لله وإنّا إليه راجعون. اهـ.

وقد اغترّ بما في الجوهرة صاحب البحر في كتاب الوقف، وتبعه الشارح في كتاب الوصايا حيث يشعر كلامهما بجواز الاستئجار على كل الطاعات ومنها القراءة، وقد ردّه الشيخ خير الدين الرَّملي في حاشية البحر في كتاب الوقف، حيث قال: أقول المفتى به جواز الأخذ استحسانًا على تعليم القرآن لا على القراءة المجرّدة، كما صرَّح به في التاترخانية، حيث قال: لا معنى لهذه الوصية ولصلة القارىء بقراءته؛ لأن هذا بمنزلة الأجرة والإجارة في ذلك باطلة وهي بدعة ولم يفعلها أحد من الخلفاء، وقد ذكرنا مسألة تعليم القرآن على استحسان. اهـ. يعني للضرورة ولا ضرورة في الاستئجار على القراءة على القبر. وفي الزّيلعي وكثير من

....

الكتب: لو لم يفتح لهم باب التعليم بالأجر لذهب القرآن فأفتوا بجوازه ورأوه حسنًا، فتنبّه. اهـ كلام الرملي. وما في التاترخانية فيه ردّ على مَنْ قال: لو أوصى لقارىء يقرأ على قبره بكذا ينبغي أن يجوز على وجه الصّلة دون الأجر، وممّن صرَّح ببطلان هذه الوصيّة صاحب الولوالجية والمحيط والبزازيّة، وفيه ردّ أيضًا على صاحب البحر حيث علّل البطلان بأنه مبنيّ على القول بكرامة القرآن على القبر، وليس كذلك؛ بل لما فيه من شبه الاستئجار على القراءة كما علمت، وصرّح به في الاختيار وغيره، ولذا قال في الولوالجية ما نصّه: ولو زار قبر صديق أو قريب له وقرأ عنده شيئًا من القرآن فهو حسن. أمّا الوصية بذلك، فلا معنى لها ولا معنى أيضًا لصلة القارىء؛ لأن ذلك يشبه استئجاره على قراءة القرآن وذلك باطل، ولم يفعل ذلك أحد من الخلفاء. اهـ. إذ لو كانت العلّة ما قاله لم يصح قوله هنا، فهو حسن. وممّن أفتى ببطلان هذه الوصية الخير الرملي كما هو مبسوط في وصايا فتاواه، فراجعها.

ونقل العلامة الخلوتي في حاشية المنتهى الحنبلي عن شيخ الإسلام تقي الدِّين ما نصّه: ولا يصح الاستئجار على القراءة وإهدائها إلى الميت؛ لأنه لم يُنقل عن أحدٍ من الأئمّة الإذن في ذلك، وقد قال العلماء: إنّ القارىء إذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له، فأيّ شيء يهديه إلى الميت، وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح والاستئجار على مجرّد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة، وإنما تنازعوا في الاستئجار على التعليم. اهـ بحروفه. وممّن صرّح بذلك أيضًا الإمام المبركوي قدّس سرّه في آخر الطريقة المحمّدية، فقال: الفصل الثالث في أُمور مبتدعة باطلة أكبّ الناس عليها على ظنّ أنها قُرَبٌ مقصودة، إلى أن قال: ومنها الوصية من الميت باتّخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده وبإعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه أو يسبّح أو يهلّل له، وكلّها بِدَع منكرات باطلة، والمأخوذ منها حرامٌ للآخذ وهو عاصٍ بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا. اهـ ملخصًا. وذكر أنّ له فيها أربع رسائل، فإذا عَلِمْتَ ذلك ظهر لك حقّية ما قلناه، وأنّ خلافه خارج عن المذهب وعمّا أفتى به البلخيّون وما أطبق عليه أئمّتنا متونًا وشروحًا وفتاوى، ولا ينكر ذلك إلا غمر مكابر أو جاهل لا يفهم كلام الأكابر، وما استدلّ به بعض المحشين على الجواز

....

بحديث البخاري في اللديغ، فهو خطأ؛ لأن المتقدمين المانعين الاستئجار مطلقًا جوّزوا الرقية بالأُجرة ولو بالقرآن، كما ذكره الطحاوي لأنها ليست عبادة محضة، بل من التداوي، وما نُقِل عن بعض الهوامش وعزي الحاوي الزاهديّ من أنه لا يجوز الاستئجار على الختم بأقل من خمسة وأربعين درهمًا، فخارجٌ عمّا اتّفق عليه أهل المذاهب قاطبةً، وحينئذ فقد ظهر لك بطلان ما أكبّ عليه أهل العصر من الوصية بالختمات والتهاليل مع قطع النظر عمّا يحصل فيها من المنكرات التي لا ينكرها إلّا مَنْ طُمِست بصيرته، وقد جمعتُ فيها رسالة سمّيتها شفاء العليل وبلّ الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، وأتيت بها بالعجب العجاب لذوي الألباب وما ذكرته هنا بالنسبة إليها كقطرة من بحر وشذرة من عقد نحر وأطلعت عليها محشي هذا الكتاب فقيه عصره ووحيد دهره السيد أحمد الطحطاوي مفتي مصر سابقًا، فكتب عليها وأثنى الثناء الجميل، فالله يجزيه الخير الجزيل وكتب عليها غيره من فقهاء العصر، انتهى كلام صاحب ردّ المحتار عليه رحمة الله العزيز الغفّار.

وفي رسالة رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة، لحضرة مولانا السعيد السند محمود أفندي الخمراوي مفتي دمشق الشام، فقد سُئِلت عمّا حرَّره العالم الفاضل السيد محمد عابدين في ردّ المحتار والتنقيح ورسالة شفاء العليل من عدم جواز الاستئجار على تلاوة القرآن العظيم، هل هو المفتى به في المذهب أو لا؟ فأجبت بأنّ ما ذكره المنقح في هذه المحلات الثلاث مبنيّ على مذهب المتقدّمين من عدم جواز الإجارة على الطاعات، إلّا أن المشائخ نصّوا على أنّ المفتى به جواز الاستئجار على التلاوة، وهو مذهب عامّة المتأخرين والنقول في ذلك كادت تبلغ التواتر كلّها موشحة بعلامة الفتوى أو أفتى به مشاهير العلماء الأعلام في سائر بلاد الإسلام، وها أنا أسرد نقولهم، فسَرَدها من أربعين كتابًا مَنْ شاء فلينظر ثمة:

منها أنه نُقِل عن تكملة البحر ونصّه: وفي الحاوي للكواشي: إذا استأجره ليختم عنده القرآن ولم يسمّ له أجرًا ليس له أن يأخذ أقلّ من خمسة وأربعين درهمًا

....

شرعيًا. أمّا إذا سمّى له أجر ألزم ما سمّى ويأثم المستأجر إذا عقد على أقلّ منها، إلا أن يَهِب المستأجر ما بَقِيَ من تمام العقد أو يشترط أن يكون ثواب ما فوقه لنفسه، وهذا يجب حفظه كما في المبسوط.

ومنها أنه نقل عن فتاوى المحقّق ابن كمال باشا أجرة القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم على ما رَوَى عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أربعة دنانير ونصف دينار، واتّفق المتقدِّمون والمتأخّرون على ذلك؛ كذا في الكواشي.

ومنها أنه نقل عن نهج النجاة لكمال الدِّين بن حمزة من الوقف، ونصّه في الأشباه: لو شرط أن يقرأ على قبره، فالتعيين باطل، انتهى هذه المسألة في القنية. والظاهر أنه مبنيّ على قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كراهة القراءة على القبور، والصحيح المختار للفتوى قول محمد رحمه الله تعالى من عدم كراهة القراءة على القبور، كما في كثير من كتب المذهب المُعتمدة.

ومنها أنه نقل عن تنوير البصائر، ونصّه قوله: ولو شرط أن يقرأ على قبره إلى آخره، أقول: هكذا وقع في القنية وفهم بعضهم من هذه المسألة أنه لا يتعيّن المكان الذي عيّنه الواقف لقراءة القرآن أو التدريس، وليس الأمر كذلك؛ بل يتعيّن المكان الذي عيّنه الواقف، فلو لم يباشر فيه لا يستحقّ المشروط لما في شرح المنظومة. أمّا لو شرط الواقف يجب اتّباعه وبالمباشرة في غير المكان الذي عيّنه الواقف يفوت غرضه من إحياء تلك البقعة، والظاهر أن الذي ذكره في القنية مبنيّ على قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من كراهة القرآن على القبور، والله سبحانه أعلم بطل التعيين والصحيح المختار للفتوى قول محمد رحمه الله تعالى من عدم كراهة قراءة القرآن على القبور كما في كثير من كتب المذاهب المعتمدة، وعليه فلا يبطل التعيين، كما هو الظاهر.

ومنها أنه نقل عن شرح الملتقى للملائي، ونصه: (ولا تجوز) وتبطل (الإجارة) عند المتقدمين (على الطاعات) أي كل عبادة غير واجبة، فلو على مُباح؛

....

كتعليم كتابة جازت اتّفاقًا، ولو على واجب كما إذ كان المعلم أو الإمام أو المفتي واحد لم تصح اتّفاقًا ذكره الكرماني وغيره؛ كالأذان والحجّ والإمامة وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما، إلى أن قال: (ويفتى اليوم) أي يفتي المتأخرون (بالجواز) للإجارة على هذه العبادة لفتور الرغبات ومنع العطيات، انتهى. فعطف القراءة على التعليم.

ومنها أنه نقل عن رسالة السيد محمد الخلوتي التي ألّفها رادًّا على التنقيح: ومن جملة ما نقوله حاشية مسكين للشيخ الإسقاطي عند قول صاحب الكنز: والفتوى اليوم على جواز الاستئجار لتعليم القرآن، ونصّه قوله: لتعليم القرآن وكذا لقراءته والمستأجر للختم ليس له أن يأخذ أقلّ من خمسة وأربعين درهمًا إذا لم يسمّ له شيءٌ من الأجر، ذكره في المبسوط. انتهى. كذلك ألّف رسالة الشيخ صالح الدسوقي سماها كشف الغمّة رادًّا فيها على البركوي، ورسالة المنقح وأتى بنقول من المذاهب الأربعة في صحة الاستئجار على التلاوة.

ومنها أنه نقل عن مهمات المفتي لابن الكمال، ونصّه: أجرة القرآن على عهد رسول الله ﷺ كما روى عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أربعة دنانير، وكل دينار عشرة دراهم. وأمّا من قرأ بأقل مِنْ هذا لا يكون ثوابه ولا للمقري له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٤١]. واتّفق المتقدّمون والمتأخّرون على ذلك من تفسير الكواشي. ثم قال في آخرها: ويحتمل أن ما لم أره أكثر أتقول إنّ علماء هذه الأُمّة من بخاريّين وهنديّين وروميين ومصريّين وشاميين شروحًا وحواشي وفتاوى لم يعلموا المفتى به في المذهب، حاشا؛ بل كل نقل على خلاف هذا فهو مبنيّ على غير المُفتى به من مذهب المتقدّمين والحمد لله ربّ العالمين. فرغ من تحريرها في رمضان سنة اثنتين وثلاثمائة وألف على يد جامعها الفقير محمود الخمراوي مفتي دمشق الشام غفر الله تعالى له ولوالديه ومشائخه الذنوب والآثام، آمين. وهكذا أفتى بالجواز مفتي مكّة المكرمة مولانا عبد الرحمٰن سراج، ومفتي المدينة المنورة مولانا محمد تاج الدين إلياس رحمة الله عليهما.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من المستسلمين لأوامره ونواهيه (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ بالفتح: مدني وشامي وأبو عمرو وحفص).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فداوموا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ في السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ يخلفون الهالكين بالغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله ﷺ عن مثله وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ أي هودًا وصالحًا وإبراهيم ولوطًا وشعيبًا ﴿فَجَآءُوهُم (بِٱلْبَيِّنَٰتِ)﴾ بالحجج (**الواضحة المثبتة لدعواهم**) ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ فأصرّوا على الكفر بعد المجيء ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ من قبل مجيئهم، يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرُّسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرُّسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ من ذلك الطبع نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المُجاوِزين الحدّ في التكذيب

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ **بالفتح**) أي بفتح ياء الإضافة (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر، وليس من السبعة. (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وأبو عمرو وحفص**) وقرأ الباقون بالسكون.

قوله: (﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) الباء للتعدية، ويحتمل أن يكون للملابسة[1]، أي جاء كل رسول بالبيِّنة التي اخْتُصَّت به. **قوله**: (**الواضحة**) أي في نفسها حيث لا تخفى على أحد. **قوله**: (**المثبتة**) أي المُوضحة (**لدعواهم**) النبوّة والرسالة. **قوله**:

(١) أي ملتبسين بالبينات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ من بعد الرسل ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (بالآيات التسع) ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن قبولها، وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبيّنها ويتعظموا عن قبولها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كُفَّارًا ذوي آثام عِظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردّها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله ﴿قَالُوٓا۟﴾ لحبهم الشهوات ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ هو إنكار ومقولهم محذوف أي هذا سحر، ثم استأنف إنكارًا آخر فقال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ خبر ومبتدأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ (أي لا يظفر).

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدّقين فيما جئتما به (﴿وَيَكُونَ﴾ حماد ويحيىٰ) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ («سحّار»: حمزة وعلي).

(بالآيات التسع) وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر.

قوله: (أي لا يظفر) من باب طَرِب.

قوله: (﴿وَيَكُونَ﴾) بياء الغيبة (حماد) بن أحمد عن حمزة بن حبيب الزيّات، (ويحيىٰ) بن آدم القرشي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم؛ لأنه تأنيث مجازي. والباقون بتاء التأنيث نظرًا للفظ. **قوله**: (سحّار) بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها على وزن فَعّال دال على زيادة قلق فرعون (حمزة وعليّ) الكسائي،

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ «ما» موصولة واقعة مبتدأ، أو ﴿جِئْتُم بِهِ﴾ صلتها و﴿ٱلسِّحْرُ﴾ خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرًا من آيات الله. (﴿آلسحر﴾ بعد وقف: أبو عمرو على الاستفهام)، فعلى هذه القراءة «ما» استفهامية أيْ أيّ شيء جئتم به؟ أهو السحر؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ يُظهِر بُطلانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لا يثبته بل (يدمره) ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ ويثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بأوامره وقضاياه أو يُظهِر الإسلام بعِداته بالنصرة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ في أول أوامره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه، وذلك أنه دعا الآباء فلم يُجيبوه خوفًا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع

والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة، ولا ألف بعدها بوزن فاعل. **قوله**: (آلسحر)[1] بهمزتين الأولى همزة الاستفهام، فهي مفتوحة والثانية همزة وصل (**بعد وقف**: **أبو عمرو على الاستفهام**) أي على أن الهمزة للاستفهام؛ فعلى هذه القراءة إمّا أن تُبدل الثانية ألفًا وتمدّ مدًّا لازمًا أو تسهل من غير قلب؛ ففي هذه القراءة وجهان، وعلى كليهما تجب الإمالة في موسى بخلاف قراءة الهمزة الواحدة، فيجوز فيها الإمالة وتركها. وقرأ الباقون بهمزة وصل، فتسقط في الوصل. **قوله**: (**يدمره**) في المصباح: دمّر الشيء يدمّر من باب قتل، والاسم الدَّمار مثل الهلاك وزنًا ومعنى، ويعدّى بالتضعيف فيقال: دمّره الله ودمّر عليه. اهـ.

---

(١) على هذه القراءة يوقف علي به. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الخوف، أو الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ لفرعون والذرِّيّة مؤمن آل فرعون وآسية امرأته (وخازنه) وامرأة خازنه (وماشطته). والضمير في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له، أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفًا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يريد أن يعذبهم فرعون ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لغالب فيها ظاهر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادّعائه الربوبية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ صدقتم به وبآياته ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ فإليه أسنِدوا أمركم في العصمة من فرعون ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (**شرط في التوكّل الإسلام**) وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة لا حظّ للشيطان فيها، لأن التوكّل لا يكون مع التخليط ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين، لا جرم أن الله قبِل توكلهم وأجاب دعاءهم

قوله: (وخازنه) أي خازن فرعون. **قوله**: (وماشطته) أي ماشطة فرعون؛ لأنه كان لفرعون ضفائر وشعائر عيّن امرأة لتسريحها. في مختار الصحاح: امْتَشطت المرأة ومَشَطَتْها الماشطة من باب نصر.اهـ. وفي المصباح: مشطت الشعر مشطًا من بابي قتل وضرب سرحته، والتثقيل مبالغة، وامتشطت المرأة مشطت شعرها.اهـ.

قوله: (شرط في التوكّل الإسلام)... الخ. وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين، فإنّ الآية وإن اعتبر فيها شرطان مختلفان، وهما الإيمان بالله والإسلام، فإنّ الإيمان بالله عبارة عن التصديق بأنه واجب الوجود لذاته واحد، وأن جميع ما سواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرّفه، والإسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد للتكاليف الصادرة من الله تعالى وإظهار الخضوع وترك التمرّد، ولا شكّ أنهما أمران مختلفان، إلا أن المعلّق على هذين الشرطين حكمٌ واحد من وجهٍ واحد، وهو وجوب التوكّل، وإلّا لزم أن لا يجب التوكّل بمجرّد الإيمان بالله

ونجاهم، وأهلك مَن كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه، فمَن أراد أن يصلح للتوكل على ربّه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا والفاتِن المُضِلّ عن الحق ﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي من تعذيبهم وتسخيرهم.

تعالى؛ لأن المشروط لا يَحْصل إلا عند تحقّق شرطه، والشرط إذا كان أُمورًا متعدّدة لا يحكم بتحقّقه إلّا إذا تحقّق جميع أجزائه، فإنْ قال الشارع: إنْ كان المكلّف زانيًا محصنًا فارجموه لا يجب الرجم إلّا عند تحقّق مجموع الأمرين، فكذا في هذه الآية لو علّق وجوب التوكّل على مجموع الإيمان بالله تعالى والإسلام للزم أن لا يجب التوكّل إلّا عند تكامل الشرط بجميع أجزائه، وليس كذلك؛ بل هناك حُكمان علّق كل واحد منهما بشرط على حِدَة: علّق وجوب التوكّل على الإيمان بالله وحصول التوكّل على الإسلام، وهو أن يُسَلّموا نفوسهم لله تعالى، أي يجعلوها سالمة خالصة لا حظّ للشيطان فيها، فإنّ مَنْ لم يسلّم وجهه لله تعالى بأن جعل للشيطان مدخلًا فيها لا يحصل له التوكّل، وهو تفويض الأمر بالكلّية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى، وإنما قال: ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾، ولم يقل: توكلوا عليه؛ لأن الأول يفيد الحصر حيث يدلّ عليه أنّ موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام أمر قومه بالتوكّل عليه ونهاهم عن التوكّل على غيره تعالى، والمراد في هذا المقام هو التوكّل على هذا الوجه؛ لأنه الذي يقتضيه الإيمان بالله، فإنّ مَنِ اعتقد أنّ كل ما سوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع أن يتوكّل على غيره، وقد مرّ أن نوحًا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكّل على هذه الوجه حيث قال: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يونس: الآية ٧١]، وكذلك موسى عليه الصّلاة والسلام. ثم إنه تعالى بيّن أنّ موسى عليه الصلاة والسلام لمّا أمَر بذلك قومه قبلوه، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾، لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين أنفسهم له تعالى. اهـ شيخ زاده رحمه الله تعالى.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ (أَن تَبَوَّءَا) لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ تبوّأ المكان (اتخذه مباءة) كقوله: «توطنه» إذا اتخذه وطنًا، والمعنى اجعلا بمصر بيوتًا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعًا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومَن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الإسلام بمكة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في بيوتكم حتى تأمنوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يا موسى، ثنى الخطاب أولًا ثم جمع ثم وحّد آخرًا لأن اختيار مواضع العبادة مما يفوّض إلى الأنبياء، ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على (**الجمهور**)، وخصّ موسى عليه السلام بالبشارة تعظيمًا لها وللمبشّر بها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ هو ما يتزين به من لباس أو (**حلي**) أو فرش أو (**أثاث**) أو غير ذلك ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ أي نقدًا

قوله: (﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ **اتخذه مباءة**) أي منزلًا. في الصحاح: المباءة منزل القوم في كل موضع، يقال: تبوّأت منزلًا، أي نزلته وبوّأت للرجل منزلًا وبوّأته منزلًا، يعني هيّأته ومكّنت له فيه، وكلمة ﴿أَنْ﴾ فيه يجوز أن تكون مفسّرة؛ لأنه قد تقدَّمها ما هو بمعنى القول والإيحاء، ويجوز أن تكون مصدرية، فيكون ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ [يونس: الآية ٨٧] في موضع النصب بـ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ مفعولًا به، أي أوحينا إليهما التبوّؤ وهو النزول والرجوع، يقال: تبوّأ المكان إذا اتّخذه مباءة ومنزلًا. **قوله**: (**الجمهور**) في لسان العرب: جُمْهور كل شيء مُعْظَمه. اهـ.

قوله: (**حلي**) في مختار الصحاح: الحَلي حَلي المرأة والجمع حُلِيّ مثل ثَدْي وثُدِيّ، وقد تُكسر الحاء وقرئ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضمّ الحاء وكسرها. اهـ. **قوله**: (**أثاث**) في المصباح: الأثاث متاع البيت الواحد أثاثة، وقيل:

و(نعمًا) و(ضيعة) ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ (﴿لِيُضِلُّوا﴾ **الناس عن طاعتك، كوفي**) ولا وقف على ﴿الدُّنْيَا﴾ لأن قوله: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ متعلق بـ ﴿ءَاتَيْتَ﴾ و﴿رَبَّنَا﴾ تكرار. الأول للإلحاء في التضرّع. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: إذا علم منهم أنهم يضلّون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلّوا عن سبيله وهو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨]. فتكون الآية حجة على المعتزلة ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلِكها وأذهِب آثارها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك، والطمس المحو والهلاك. قيل: صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئاتها منقوشة. وقيل: وسائر أموالهم كذلك ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب الدعاء الذي هو اشدد ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ إلى أن يروا العذاب الأليم وكان كذلك، فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل. وإنما دعا عليهم بهذا لما أيِس

لا واحد له من لفظه.اهـ. **قوله: (نعمًا)** في مختار الصحاح: النَّعَم واحد الأنعام وهي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. قال الفراء هو ذكر لا يؤنث، يقولون: هذا نَعَم وارد، وجمعه نُعْمان محَمَل وحُمْلان، والأنعام يذكر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: الآية ٦٦]، وقال: ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: الآية ٢١]، وجمع الجمع أناعيم.اهـ. وفي المصباح: النعم المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. قال أبو عبيد: النعم الجمال[1] فقط، ويؤنّث ويذكر وجمعه **نعمان** مثل حمل وحملان وأنعام أيضًا. وقيل: النعم الإبل خاصّة، والأنعام ذوات الخفّ والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم. وقيل: تُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فإذا انفردت الإبل فهي نعم، وإن انفردت البقر والغنم لم تُسمّ نعمًا.اهـ. **قوله: (ضيعة)** في المصباح: الضيعة العقار والجمع ضياع، مثل كلبة وكلاب.اهـ. وأيضًا فيه: العقار مثل سلام كل مُلك ثابت له أصل، كالدار والنخل. قال بعضهم: وربما أطلق على المتاع والجمع عقارات. **قوله: (﴿لِيُضِلُّوا﴾)** بضمّ حرف المضارع (**الناس عن طاعتك، كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي. وقرأ الباقون بالفتح أي يضلون في أنفسهم.

---

(١) جمع الجَمَل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

من إيمانهم وعلم بالوحي أنهم لا يؤمنون، فأما قبل أن يعلم بأنهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان، وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرًا.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ قيل: كان موسى عليه السلام يدعو وهارون (يؤمِّن) فثبت أن التأمين دعاء فكان إخفاؤه أولى، والمعنى أن دعاءكما مُستَجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الإجابة وحكمة الإمهال فقد كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾) بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهًا بنون التثنية: شامي،

قوله: (**يؤمن**) بالتشديد أي يقول: آمين وآمين، بمعنى استجب.

قوله: (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾) بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهًا بنون التثنية شامي أي ابن عامر الشامي برواية ابن ذكوان. وقرأ الباقون بتشديدها؛ لأن نون التوكيد تثقل وتخفّف. وفي فتح القدير للشوكاني رحمه الله: قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتشديد النون للتأكيد وحرّكت بالكسر لكونه الأصل ولكونها شبهت نون التثنية، وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي لا على النهي. اهـ. وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة، وهي قراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش.

مسألة:

وروى ابن ذكوان في غير رواية هبة الله: ﴿ولا تتبعان﴾ بتخفيف النون وجهًا واحدًا، وروى هبة الله عن ابن ذكوان وهشام عن ابن عامر الوجهين التخفيف والتشديد. الباقون بتشديد النون وجهًا واحدًا. اهـ بحروفه. وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واختلف عن ابن عامر في (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾)؛ فروى ابن ذكوان والداجوني عن أصحابه عن هشام بفتح التاء وتشديدها وكسر الباء وتخفيف النون على أنّ لا نافية ومعناه النهي، نحو: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾

وخطأه بعضهم لأن النون الخفيفة واجبة السكون. وقيل: هو إخبار عمّا يكونان عليه وليس بنهي، أو هو حال وتقديره فاستقيما غير مُتَّبِعين.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ هو دليل لنا على خلق الأفعال ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فلحقهم. (يقال: تبعته حتى أتبعته) ﴿بَغْيًا﴾ (تطاولاً) ﴿وَعَدْوًاۖ﴾ ظلمًا وانتصبا على الحال أو على المفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ ولا وقف عليه لأن ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾ جواب ﴿إِذَآ﴾ ﴿أَنَّهُۥ﴾ - (﴿إِنَّهُۥ﴾) - (حمزة وعلي) على الاستئناف بدل من ﴿ءَامَنتُ﴾ وبالفتح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الإيمان ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث قال: ﴿ءَامَنتُ﴾ ثم قال: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، كرر

[البَقَرَة: الآية ٢٣٣] أو يجعل حالاً من فاستقيما، أي ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ غير متبعين، وقيل: نون التوكيد الثقيلة خفّفت، وقيل: أكّد بالخفيفة على مذهب يونس والفراء، وانفرد ابن مجاهد عن ابن ذكوان بتخفيف التاء الثانية وإسكانها وفتح الباء مع تشديد النون، ورواه سلامة بن هارون أداءً عن الأخفش عن ابن ذكوان، والوجهان في الشاطبية. لكن في النشر نقلًا عن الداني أنه غلط من أصحاب ابنْ مجاهد ومن سلامة؛ لأن جميع الشاميين رووا عن ابن ذكوان بتخفيف النون وتشديد التاء، ثم ذكر أنها صحت من طرق أخرى وبيّنها، ثم قال: وذلك كلّه ليس من طرقنا، ولذا لم يعرج عليها في الطيبة على عادته في الانفرادات. وروى الحلواني عن هشام بتشديد التاء الثانية وفتحها وكسر الباء وتشديد النون، وبه قرأ الباقون؛ فتكون لا للنهي، ولذا أكد بالنون لأن تأكيد النفي ضعيف. اهـ بحروفه.

قوله: (**يقال: تبعته حتى اتّبعته**) أي مشيت من بعده حتى لحقته. **قوله**: (**تطاولًا**) في لسان العرب في معنى هو الاستطالة على الناس إذا هو رفع رأسه، ورأى أنّ له عليهم فضلًا في القَدْر. اهـ. **قوله**: (﴿إِنَّهُۥ﴾) كسر همزة إنه (**حمزة وعلي**) الكسائي.

فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصًا على القبول ثم لم يُقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار.

﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيِسْت من نفسك. قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ من الضالين المُضِلِّين عن الإيمان. رُوِيَ أن جبريل عليه السلام أتاه بفُتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادّعى السيادة دونه؟ فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيد الكافر (نعماءه) أن يغرق في البحر، فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه (فعرفه).

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نلقيك (بنجوة) من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ﴿بِبَدَنِكَ﴾ في موضع الحال أي الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملًا سويًّا لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو عريانًا لست إلا بدنًا من غير لباس، أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يُعرَف بها. (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴿بأبدانك﴾) وهو (مثل قولهم: هو «بأجرامه») أي ببدنك كله وافيًا بأجزائه، أو

قوله: (نعماءه) النعماء وزان الحمراء، مثل النعمة وجمع النعمة نِعَم مثل سدرة وسدر وأنعم أيضًا مثل أفلس، وجمع النعماء أنعم مثل البأساء يجمع على أبؤس. اهـ مصباح. **قوله**: (فعرفه) فقال جبريل على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام: هذا ما حكمت به على نفسك.

قوله: (بنجوة) النجوة المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك من السيل. **قوله**: (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴿بأبدانك﴾) بالجمع بجعل كل عضو بمنزلة البدن، فأطلق الكلّ على الجزء مجازًا، (مثل قولهم: هو[1] بأجرامه) فإنه

---

(١) أي سقط.

بدروعك (لأنه ظاهر بينها) ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنًا من أن يغرق. وقيل: أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه. وقيل: ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية أن يُظهر للناس عبوديته وأن ما كان يدّعيه من الربوبية مُحال، وأنه مع ما كان عليه من عظم الملك (آل) أمره إلى ما ترون لعصيانه ربّه فما الظن بغيره ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (**منزلًا صالحًا مرضيًا**) وهو مصر والشام ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ﴾ في دينهم ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلفت أمة محمد ﷺ في تأويل الآيات من القرآن، أو المراد العلم بمحمد ﷺ واختلاف بني إسرائيل - وهم أهل الكتاب - اختلافهم في صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يميز المحق من المبطل ويجزي كلًّا جزاءه.

بمعنى جرمه وجسمه، فأطلق الجمع لما ذكر وليس بمعنى ذنوبه كما توهّم. **قوله**: (**لأنه ظاهر بينها**) أي بين الدروع، أي لبس بعضها فوق بعض، يقال: ظاهر وطابق وطارق؛ إذا لبس ثوبًا على ثوب أو درعًا على درع. **قوله**: (آل) في مختار الصحاح: آلَ رجع وبابه قال، يقال: طبخ الشراب فآل إلى قدر كذا وكذا، أي رجع. اهـ.

قوله: (**منزلًا صالحًا مرضيًا**) إشارة إلى أن ﴿مُبَوَّأَ﴾ اسم مكان ووصف بالصدق مدحًا لهم، أي أسكنّاهم مكانًا محمودًا، فإنّ عادة العرب إذا مدحت شيئًا أضافته إلى الصدق، تقول: رجل صدق، قال تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٨٠].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ لمّا قدَّم ذِكر بني إسرائيل ـ (وهم قرَّاء الكتاب) ـ ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوّته ﷺ ويُبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شك ـ فرضًا وتقديرًا، وسبيل مَن خالجَته شُبهة أن يُسارع إلى حلّها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته أو بمُباحثة العلماء ـ فَسَل علماء أهل الكتاب فإنهم من الإحاطة بصحة ما أُنزِل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلًا عن غيرك. فالمراد وصف الأحْبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أُنزل إلى رسول الله ﷺ لا وصف رسول الله ﷺ بالشك فيه. ثم قال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الشَّاكِّين ولا وقف عليه للعطف.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥﴾ أي فاثبت ودُم على ما أنت عليه من انتفاء المِريَة عنك والتكذيب بآيات الله، أو هو على طريقة (التهييج) والإلهاب كقوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾) [القصص: الآية ٨٦]. (﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾) [القصص: الآية ٨٧]. ولزيادة التثبيت والعِصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: «لا شك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق»، أو خُوطِب رسول الله ﷺ والمراد أُمته، أي وإن كنتم في شكٍّ

قوله: (وهم قرّاء الكتاب) وفي نسخة: قَرَأَة الكتاب جمع قارىء. في المصباح: الفاعل قارىء وقرأة وقرّاء وقارئون، مثل كافر وكفرة وكفار وكافرون.

قوله: (التهييج) التحريض. **قوله**: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾) معينًا (﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾) على دينهم الذي دعوك إليه، (﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾) أصله يصدوننك حُذِفت نون الرفع للجازم والواو والفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (﴿عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾)، أي لا ترجع إليهم في ذلك. اهـ جلالين.

مما أنزلنا إليكم كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب: («إذا عزَّ أخوك فهن») أو «إن» للنفي أي فما كنت في شكٍّ فاسأل، أي لا نأمرك بالسؤال لأنك شاكٌّ ولكن لتزداد يقينًا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمُعاينة إحياء الموتى. فإن قلت: إنما يجيء «إن» للنفي إذا كان بعده «إلا» كقوله: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: الآية ٢٠]. قلت: ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: الآية ٤١]، فـ «إن» للنفي وليس بعده «إلا».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفّارًا، أو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ولا وقف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ تتعلق بما قبلها ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم، أو عند القيامة ولا يقبل منهم ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فهلَّا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها ثابتْ عن الكفر وأخلَصَت الإيمان قبل المُعاينة ولم تُؤخَر كما أَخَّر فرعون إلى أن (أُخِذ بمِخنقهِ)

قوله: (إذا عزَّ أخوك فهُنْ) قال أبو عبيد: معناه مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك منه، فتدخلك الحمية به، إنما هو حُسن خلق وتفضّل، فإذا عاسرك فياسره. وكان المفضل يقول: إن المثل لهذيل بن هبيرة التغلبيّ وكان أغار على بني ضبّة فغنم، فأقبل بالغنائم فقال له أصحابه: اقسمها بيننا، فقال: إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يُدرككم الطلب، فأبَوْا فعندها قال: إذا عزّ أخوك فَهُنْ، ثم نزل فقسم بينهم الغنائم. وينشد لابن أحمر:

دببت له الضراء وقلت أبقى إذا عزّ ابن عمّك أن تهونا

اهـ مجمع الأمثال.

قوله: (أُخِذَ بمُخنَقِه) في لسان العرب: أَخَذْتُ بمُخْنَقِهِ أي موضع الخِناق. اهـ.

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ بأن تقبَّل الله إيمانها منها بوقوعه في وقت الاختيار ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس، أو متصل والجملة في معنى النفي كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى آجالهم. رُوِيَ أن يونس عليه السلام بعث إلى (نينوى) من أرض (الموصل) فكذبوه فذهب عنهم مُغاضِبًا، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا (المسوح) كلهم و(عجّوا) أربعين ليلة وبرزوا إلى (الصعيد) بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابّهم، وفرَّقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها، (فحنّ بعضهم إلى بعض) وأظهروا الإيمان والتوبة، فرحمهم وكشف عنهم ـ وكان (يوم عاشوراء) يوم الجمعة ـ وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه (أساس) بُنيانه فيردّه. وقيل: خرجوا لمّا نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم: قولوا يا حيّ حين لا حيّ، ويا حَيُّ مُحيي الموتى، ويا حيُّ لا إله إلا أنت. فقالوها فكشف الله عنهم. وعن (الفُضَيل) قدّس الله روحه قالوا: اللَّهمَّ إن ذنوبنا قد عَظُمَت وجَلَّت وأنت أعظم منها وأجلّ، افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

قوله: (نِيْنَوى) بكسر النون الأُولى بعدها ياء ساكنة ثم نون مفتوحة ثم واو. **قوله**: (الموصل) بفتح الميم وكسر الصاد بلدة مشهورة. **قوله**: (المسوح) بضمّ الميم. جمع مسح بكسر الميم صفة مشبَّهة بوزن ملح، أي لبسوا الألبسة البذلة والخلِقَة لغاية الابتهال والتضرّع لعلّ الله يرحمهم، فرحمهم. اهـ قنوي. وفي المصباح: المسح البلاس والجمع مسوح، مثل حمل وحمول. اهـ. **قوله**: (عجوا) أي رفعوا أصواتهم من باب ضرب. **قوله**: (الصعيد) وجه الأرض. **قوله**: (فحنّ) أي مال (بعضهم إلى بعض) ورقّ قلوبهن واحترق كبودهنّ من خوف هلاك أولادهنّ. **قوله**: (يوم عاشوراء) عاشر المحرّم. **قوله**: (أساس) بالفتح أصل.

قوله: (وعن الفضيل) بن عياض، توفي بمكّة أوّل سنة سبع وثمانين ومائة أجمعوا على توثيقه والاحتجاج به وصلاحِه وزهده وورعه ونحوها من طريق الآخرة، ومناقبه كثيرة مشهورة.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ على وجه الإحاطة والشمول ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه، أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لو شاء لآمن مَن في الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به مَن علم منه اختيار الإيمان به، وشاء الكفر ممَّن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به. وقول المعتزلة: المراد بالمشيئة مشيئة **(القسر)** و**(الإلجاء)** أي لو خلق فيهم الإيمان جبرًا لآمنوا لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيارًا فلم يؤمنوا دليله ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ ـ أي ليس إليك مشيئة الإكراه والجبر في الإيمان إنما ذلك إليَّ ـ فاسد لأن الإيمان فِعْل العبد وفِعْله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار. وتأويله عندنا أن الله تعالى لطفًا لو أعطاهم آمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق. والاستفهام في ﴿أَفَأَنتَ﴾ بمعنى النفي أي لا تملك أنت يا محمد أن تُكرههم على الإيمان لأنه يكون بالتصديق والإقرار ولا يمكن الإكراه على التصديق.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي العذاب أو **(السخط)** أو الشيطان أي ويسلط الشيطان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا ينتفعون بعقولهم، (﴿وَنَجْعَلُ﴾) حماد **(ويحيىٰ)** ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾ نظر استدلال واعتبار ﴿مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات

قوله: **(القسر)** في المصباح: قَسَره على الأمر قَسْرًا من باب ضرب قهره واقتسره كذلك. اهـ. **قوله**: **(الإلجاء)** في المصباح: ألجأته إليه ولجأته بالهمزة والتضعيف اضطرته وأكرهته. اهـ.

قوله: **(السخط)** في المصباح: سخط سخطًا من باب تعب، والسخط بالضم اسم منه وهو الغضب. **قوله**: (﴿وَنَجْعَلُ﴾) حماد بن زيد عن عاصم **(ويحيىٰ)** بن

(**والعِبَر**) باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ﴾ «مَا» نافية (﴿وَٱلنُّذُرُ﴾) والرُّسُل المنذورون أو الإنذارات ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (**يعني وقائع الله فيهم**) كما يقال أيام العرب لوقائعها ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾ معطوف على كلام محذوف يدل عليه ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رُسُلنا على حكاية الأحوال الماضية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومَن آمن معهم ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ (**اعتراض**) أي حقّ ذلك علينا حقًّا. (﴿نُنَجِّى﴾ **بالتخفيف: علي وحفص**).

آدم القرشي عن أبي بكر عاصم، والآخرون بالياء التحتانية. **قوله**: (**والعبر**) جمع العبرة مثل سدرة وسدر. **قوله**: (﴿وَٱلنُّذُرُ﴾) جمع نذير بمعنى إنذار أو منذر، وعلى المصدرية جمع لإرادة الأنواع، ويجوز في النذر أن يكون مصدرًا بمعنى الإنذار.

قوله: (**يعني وقائع الله فيهم**) أي الأيام مجاز عن الوقائع والحوادث لكونها واقعة فيها، فذكر المحل وأُريد الحال. **قوله**: (**اعتراض**) أي بين العامل ومعموله اهتمامًا بالإنجاء وبيانًا لأنه كائن لا محالة؛ إذ جعله كالحق الواجب عليه. **قوله**: (﴿نُنجِ﴾ **بالتخفيف**) أي بسكون النون الثانية (**علي**) الكسائي (**وحفص**). والباقون بفتحها. وأمّا الوقف عليها، فجميع القرّاء يقفون على الجيم لأنها مرسومة في المصحف بالجيم بلا ياء، فهي في القرآن وقفًا ووصلًا بلا ياء لجميع القرّاء.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ وصحته (وسداده) فهذا ديني فاستمعوا وصفه، ثم وصف دينه فقال: ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يُميتكم، ووصفه بالتوفّي ليُريهم أنه (**الحقيق**) بأن يخاف ويتّقي ويعبد دون ما لا يقدر على شيء ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بأن أكون يعني أن الله أمرني بذلك بما رُكِّب فيَّ من العقل وبما أوحى إليَّ في كتابه ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي وأوحى إليَّ أن أقم ليُشاكِل قوله أُمِرْتَ أي استقم مُقبِلًا بوجهك على ما أمرك الله، أو استقم إليه ولا تلتفت يمينًا ولا شمالًا ﴿حَنِيفًا﴾ حال من الدين أو الوجه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن (خذلته) ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنّى عنه بالفعل إيجازًا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ «إذًا» جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدّر كأن سائلًا سأل (**عن تبعة عبادة الأوثان**)، وجعل ﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنه لا ظُلم أعظم من الشِّرك.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾ يُصِبْك ﴿بِضُرٍّ﴾ مرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لذلك الضُّرّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا الله ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ عافية ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ فلا رادَّ لمُراده (﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ **بالخير**) ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ قطع بهذه الآية على عباده طريق

قوله: (وسداده) السّداد ـ بالفتح ـ الصواب. **قوله**: (الحقيق) الجدير. **قوله**: (خذلته) تركته. **قوله**: (عن تبعة عبادة الأوثان) تبع بوزن صرد بضمّ الفاء وفتح العين، وتبعة كقربة بفتح الفاء وكسر العين ما يتبعه بعده من الإثم.

قوله: (﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ **بالخير**) أي أرجع الضمير للخير لقربه، ولو جعل لما ذكر صح، ولكن هذا أظهر وأنسب بما بعده.

الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ المُكفّر بالبلاء ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المُعافي بالعطاء، اتبعَ النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضرّ. إن الله هو الضّارّ النافع الذي إن أصابك بضُرٍّ لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد، فكيف بالجماد الذي لا شعور به؟ وكذا إن أرادك بخير لم يردّ أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان؟ وهو الحقيق إذًا بأن تُوَجَّه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٣٨] وإنما ذكر المسّ في أحدهما والإرادة في الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضرّ والخير، وأنه لا رادّ لِما يريد منهما ولا مُزيل لِما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدلّ بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن أو الرسول ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ اختار الهدى واتّبع الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ فما نفع باختياره إلا لنفسه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ومَن آثر الضلال فما ضرَّ إلا نفسه ودلّ اللام و«على» على معنى النفع والضرر ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم إنما أنا بشير ونذير ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه المُطّلع على السرائر فلا يحتاج إلى بيّنة وشهود.

تمّ تعليقنا على سورة يونس والحمد لله على إحسانه وأفضل صلاة وسلام على أفضل مخلوقاته وآله وصحبه.

(سورة هود) عليه السلام

(مكيّة وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ أي هذا كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ صفة له أي نظمت نظمًا (رصينًا) مُحكمًا لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المُحكَم (﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ كما تفصّل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد) والأحكام والمواعظ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة هود عليه السلام مكّية عند الجمهور) ولذا اختاره المصنّف رحمه الله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مكّية كلّها، إلّا قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [هُود: الآية ١٢] الآية. وقال مقاتل: مكّية، إلا قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [هُود: الآية ١٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ [هُود: الآية ١٧] الآية، نزلت في ابن سلام وأصحابه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: الآية ١١٤] الآية. (وهي مائة وثلاث وعشرون آية)، وكلماتها ألف وسبعمائة وخمس عشر، وحروفها سبعة آلاف وستّمائة وخمسة أحرف. **قوله**: (رصينًا) الرصين المُحكم الثابت وقد رصُن من باب ظرف. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ **كما تفصل القلائد بالفرائد** من دلائل التوحيد)... الخ. بالفرائد متعلق بفصلت، ومِنْ دلائل التوحيد بيان

والقصص، أو جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية، أو فرّقت في التنزيل ولم تنزل جملة، أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بيّن ولخّص. (وليس معنى ﴿ثُمَّ﴾ التراخي في الوقت، ولكن في الحال) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (صفة أخرى لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾) أو خبر بعد خبر، أو صلة لـ ﴿أُحْكِمَتْ﴾ و﴿فُصِّلَتْ﴾ أي من عنده أحكامها وتفصيلها.

للفرائد، يقال: عقد مفصل إذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: الآية ١] أن آياته زيّنت بالفرائد كما زُيّنت القلائد بالفرائد. في مختار الصحاح: الفريد الدرّ إذا نظم وفصل بغيره. اهـ. **قوله**: (وليس معنى ﴿ثُمَّ﴾ التراخي في الوقت، ولكن في الحال[1]) أي ثم للتراخي في الرتبة لا للتراخي في الوقوع في الزمان، فإنّ تفصيل آياتها ليس متراخيًا عن إحكامها بحسب الزّمان، بل هو مُتراخٍ عنه بحسب الرتبة، فإنّ التفصيل بأيّ معنى كان أقوى وأدخل في المدح بالنسبة إلى الإحكام أو للتراخي في الإخبار، فإنّ الشائع في الجُمل أن يُراد بها نفس مفهومها، إلّا أنه قد يُراد بها الإخبار بمفهومها، والظاهر أن المراد من التراخي هو مجرّد الترتيب، فظهر أن حقيقة التراخي منتفية بين الإخبارين ضرورة أن الإخبار بالتفصيل وقع عقيب الإخبار بالإحكام. **قوله**: (صفة أخرى لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾)، فإنّ ﴿أُحْكِمَتْ﴾ في محل الرفع على أنه صفة لكتاب، فيكون تقدير الكلام: الر كتاب من لدنْ حكيم خبير، وإن كان خبرًا بعد خبر يكون التقدير: الر من لدن حكيم خبير، وإنْ كان صلة أي معمولاً لأحد الفعلين من حيث صناعة الإعراب على سبيل التنازع يكون متعلّقًا بهما من حيث المعنى، ويكون المعنى: أحكمها حكيم وفصّلها، أي شرحها وبيّنها خبيرٌ عالم بكيفيّات الأُمور؛ وعلى كلّ تقدير يكون المقصود منه تقرير إحكامها وتفصيلها، فإنه لما وصف مَنْ أنزلها وأحكمها وفصّلها بأنه ربٌّ حكيم، أي مُحكم للأُمور واضع كل شيء موضعه، وبأنه خبير لا يعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري شيءٌ في الملك والملكوت إلّا ويكون عنده خبره، فإنّ الخبير بمعنى العليم، لكن العلم إذا

---

(١) قوله: ولكن في الحال، يحتمل أمرين أن يراد التراخي في الرتبة، فإن التفصيل أقوى من الإحكام، وأن يراد التراخي في الإخبار، فإن الجملة يراد بها مفهومها وقد يُراد بها الإخبار بمفهومها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ (مفعول له) أي لئلا تعبدوا (أو ﴿وَأَنِ﴾ مفسّرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول) كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أي من الله ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي استغفروه من الشِّرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضيّة من عيشة واسعة ونعمة متتابعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يتوفاكم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ﴾ ويُعطِ في الآخرة كل مَن كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا (يبخس) منه شيئًا ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ وإن تتولوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادرًا على إعادتكم.

أُضيف إلى الخفايا الباطنة يسمّى خبره ويسمّى صاحبه خبيرًا، ولكون الخبير أبلغ من العليم أورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣].

قوله: (مفعول له) لقوله: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ أو ﴿فُصِّلَتْ﴾ على طريق التنازع.
قوله: (أو ﴿أَنِ﴾ مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول) وأن المفسرة في تقدير القول؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٠٤]، تقدير ناديناه وقلنا يا إبراهيم، ولهذا لا تجيء بعد صريح القول؛ لأن تقدير القول بعد صريحه لا معنى له، وإنما تجيء بعد كلام فيه معنى القول ليدلّ على القول، فكأنه قيل هٰهنا: ثم فصلت من لدنّ حكيم خبير قال: لا تعبدوا إلا الله. **قوله:** (يبخس) يُنقص وبابه قطع.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ (يزورّون) عن الحق وينحرفون عنه لأن مَن أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومَن ازْوَرّ عنه وانحرف (**ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه**) ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ﴾ ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطّلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها أي يريدون الاستخفاء حين يستغشوا ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: الآية ٧] ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصّلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مُطَّلع على ثَنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونِفاقهم غير نافق عنده. قيل: نزلت في المنافقين ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما فيها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تفضلًا لا وجوبًا ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانه من الأرض ومسكنه ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ حيث كان مودعًا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بَيضة ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبيّن ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: (يزورّون) في مختار الصحاح: قد ازْوَرّ عن الشيء ازْوِرارًا أي عدل عنه وانحرف. اهـ. **قوله**: (**ثنى عنه صدره**) في مختار الصحاح: ثنى الشيء عطفه وبابه رمى وثناه أيضًا كفّه وثناه صرفه عن حاجته. اهـ. قوله: (**وطوى عنه كشحه**) في الصحاح: فلان طوى كشحه إذا أعلا بوده. اهـ. وفي مختار الصحاح: الكَشْح بوزن الفَلْس ما بين الخاصرة إلى الضِّلْع الخَلْف وطوَى فلان عني كشحه أي قَطَعني، والكاشح الذي يضمر بك العداوة. اهـ. وفي المصباح: والكاشح الذي يطوي كشحه على العداوة، وقيل: الذي يتباعد عنك. اهـ.

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ وما بينهما ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من الأحد إلى الجمعة تعليمًا للتأني ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السمٰوات والأرض إلا الماء، وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السمٰوات والأرض. قيل: بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحًا فأقرّ الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء، وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لأهل الأفكار ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما (**للمُمتحَن فيهما**) ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أكثر شكرًا. وعنه عليه السلام «أحسن عقلًا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فمَن شكر وأطاع أثابه ومَن كفر وعصى عاقبه»، ولمّا أشبه ذلك اختبار المختبر قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليفعل بكم ما يفعل المُبتلي لأحوالكم كيف تعملون ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطِق بالبعث، فإذا جعلوه سحرًا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره (**﴿ساحر﴾ حمزة وعلي**) يريدون الرسول والساحر كاذب مُبطِل.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ إلى جماعة من الأوقات ﴿مَّعْدُودَةٍ﴾ معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ ما يمنعه من النزول استعجالًا له على وجه التكذيب والاستهزاء ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ﴾ العذاب ﴿مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ ﴿مَصْرُوفًا﴾ أي ليس العذاب مصروفًا عنهم يوم يأتيهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وأحاط بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ العذاب الذي كانوا به يستعجلون. وإنما وضع ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء.

قوله: (**للممتحن فيهما**)، وفي نسخة صحيحة: ليمتحن فيها. **قوله**: (**﴿ساحر﴾**) على وزن فاعل (**حمزة وعليّ**) الكسائي. والباقون: ﴿سِحْرٌ﴾ [هُود: الآية ٧] بكسر السين وسكون الحاء.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو للجنس ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة من صحة وأمْن و(جِدَّة). واللام في ﴿لَئِنْ﴾ لتوطئة القَسَم ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القَسَم ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المَسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ﴿كَفُورٌ﴾ عظيم الكفران لما سلف له من التقلّب في نعمة الله (نسَّاء) له.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ وسَّعنا عليه النِّعمة بعد الفقر الذي ناله ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ (أَشِر بطِر) ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أذاقه الله من نَعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ في المحنة والبلاء ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وشكروا في النعمة و(الرخاء) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يعني الجنة. كانوا (يقترحون) عليه آيات (تعنّتًا) لا استرشادًا، لأنهم لو كانوا مُسترشِدين لكانت آية

قوله: (جدة) في لسان العرب نقلًا عن التهذيب: يقال: وجدت في الماء وُجْدًا ووَجْدًا ووِجْدًا ووِجْدانًا وجِدَة، أي صرت ذا مال. اهـ. وعبارة المحكم: وجد المال وغيره يجده وجدًا مثلّثة وجدة كعدة استغنى. اهـ. **قوله**: (نَسَّاءٌ) بفتح النون وتشديد السين. في مختار الصحاح: النسيان بكسر النون وسكون السين ضدّ الذِّكر والحفظ. اهـ.

قوله: (أشِر) متكبّر بطر. **قوله**: (بطر) بكسر الطاء صفة مشبّهة بُنِيت للمبالغة، أي أشر ومتكبّر. **قوله**: (الرَّخاء) في المصباح: رخى ورخو من بابي تعب وقرب رخاوة ـ بالفتح ـ إذا لانَ، وكذلك العيش رخى ورخوًا إذا اتّسع، فهو رخي على فعيل، والاسم الرخاء. اهـ. **قوله**: (يقترحون) في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيّاه من غير رَويّة. اهـ. **قوله**: (تعنّتًا) في لسان العرب: تعَنّته تَعَنُّتًا سأله عن شيءٍ أراد به اللَّبس عليه. اهـ.

واحدة مما جاء به كافية في (رشادهم). ومن اقتراحاتهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: الآية ٧].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾

وكانوا لا يعتدّون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله ﷺ أن يُلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، (فهيّجه) لأداء الرسالة و(طرح المُبالاة) بردّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردّهم له وتهاونهم به ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بأن تتلوه عليهم. (ولم يقل «ضيق») ليدلّ على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان (أفسح) الناس صدرًا ولأنه أشكل بـ ﴿تَارِكُۢ﴾ ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ (مخافة أن يقولوا) ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ هلّا أنزل عليه ما

قوله: (رشادهم) في المصباح: الرشد الصلاح وهو خلاف الغيّ والضّلال وهو إصابة الصواب، ورشد رشدًا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل، فهو راشد والاسم الرّشاد. اهـ.

قوله: (فهيّجه) في المصباح: هاج الشيء هَيَجانًا وهِياجًا بالكسر ثار وهيّجته يتعدّى ولا يتعدّى وهيَّجتُه بالتثقيل مبالغة. اهـ. **قوله**: (طرح) أي ترك. **قوله**: (المبالاة) بالاه وبالى به مبالاةً وبِلاءً وبالةً وبالًا على غير قياس، وأصلهما باليةً وباليًا اهتمّ به واكترث له. **قوله**: (ولم يقل ضيق) بصيغة الصفة المشبّهة... الخ. يعني أن قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقُۢ﴾ عطف على قوله: و﴿تَارِكُۢ﴾، وعدل عن ضيق إليه وإن كان ضيق أكثر منه استعمالًا؛ لأن المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار، بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعروض؛ فلذلك عدل إلى ما يدلّ عليه، وهو صيغة الفاعل، فإنك إذا أردت السيادة والجواد الثابتين المستقرّين قلت: سيّد وجيد، وإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد، وكذا الفرق بين حاسن وثاقل وسامن، وبين حسن وثقيل وسمين. **قوله**: (أفسح) أشرح. **قوله**: (مخافة أن يقولوا) علّة لقوله: وضائق، حذف وأُقيم المضاف إليه مقامه وأعرب

اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لنصدقه ولِمَ أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾ أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك أن ردّوا أو تهاونوا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل، فتوكل عليه وكل أمرك إليك، وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير مُلتَفِت إلى استكبارهم ولا مُبالٍ بسفههم واستهزائهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ (﴿أم﴾ منقطعة) ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ الضمير لما يُوحَى إليك ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ﴾ تحدّاهم أولًا بِعَشْرِ سور ثم بسورة واحدة كما يقول (**المخاير في الخط**) لصاحبه: اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب. فإذا تبيَّن له العجز عن ذلك قال: اقتصرت منك على سطر واحد ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ في الحسن و(**الجزالة**). ومعنى ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ أمثاله (ذهابًا) إلى مماثلة كل واحدة منها له ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ صفة لـ «عشر سور». لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله، أرخى معهم العنان وقال: (هبوا) أني (**اختلقته**) من عند نفسي فأتوا أنتم أيضًا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنه مُفترى.

إعرابه محلاً وضمير ﴿بِهِۦ﴾ يعود على ﴿بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾. وقيل: مبهم تفسيره ﴿أَن يَقُولُواْ﴾.

قوله: (﴿أم﴾ منقطعة) فيقدّر ببل والهمزة، أي بل أيقولون. **قوله**: (**المخاير في الخطّ**) في تاج العروس من جواهر القاموس: خايره في الخط مخايرةً غلبه.اهـ. **قوله**: (**الجزالة**) أي الفصاحة. **قوله**: (ذَهابًا). . . الخ. مفعول له يعني وضع الله مثله موضع أمثاله ليدلّ على إفراد المعدود واحدًا واحدًا. **قوله**: (هَبُوا) في القاموس: هَبْني فعلت كذا، أي احسبني واعْدُدْني كلمة للأمر فقط.اهـ. لا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى، تقول في تصريفه: هَبْ هَبَا هَبُوا هَبِي هَبَا هَبْنَ. **قوله**: (اختلقته) افتريته.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي أنزل ملتبسًا بما لا يعلمه إلا الله من نظم مُعجِز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليها، واعلموا عند ذلك أن لا إلٰه إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم، وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ﴾ لأن الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ، أو لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يحدّثونهم، أو لأن الخطاب للمشركين. والضمير في ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ لمَن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم مَن تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي بإذنه أو بأمره ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مُتبِعون للإسلام بعد هذه الحجة القاطعة. ومَن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينًا على أنه مُنَزّل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير (بخس) في الدنيا، وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق، وهم الكفّار أو المنافقون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي كان عملهم في نفسه باطلًا لأنه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له.

قوله: (بخس) أي نقص.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ **(أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بيّنة من ربّه)** أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعني أن بين الفريقين تبيانًا بيّنًا وأراد بهم مَن آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، كان على بيّنة من ربّه أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حقٌّ وهو دليل العقل ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ **(ويتبع ذلك البرهان)** ﴿شَاهِدٌ﴾ يشهد بصحته وهو القرآن ﴿مِّنْهُ﴾ من الله أو من القرآن فقد مرَّ ذكره آنفًا ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ ومن قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضًا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام ﴿إِمَامًا﴾ كتابًا مؤتمًّا به في الدين قدوة له ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة عظيمة على المنزل إليهم وهما حالان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي مَن كان على بيّنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني أهل مكة **(ومَن ضامّهم)** من المتحزّبين على رسول الله ﷺ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ مصيره ومورده ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن أو من الموعد ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بيّنة من ربّه)... الخ. في الكشاف: أفمن كان على بيّنة، معناه: أمَّن كان يريد الحياة الدنيا، فمن كان على بيّنة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم، يريد أن بين الفريقين تفاوتًا بعيدًا وتباينًا بيّنًا، وأراد بهم مَنْ آمَنَ مِنَ اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره كان على بيّنة، إلى هنا كلامه. يعني أن الفاء يستدعي معطوفًا عليه وهو مقدّر هٰهنا، تقديره: أمّن كان فمن كان، ولا بدّ من تقدير فعل ليصح المعنى، أي أيذكر أُولئك فيذكر هؤلاء أو يقال فيقال، والهمزة لإنكار هذا التعقيب، وإليه الإشارة بقوله: أي لا يعقّبونهم ولا يُقاربونهم. **قوله**: (ويتبع ذلك البرهان) أي يتلو من التلو بمعنى التبع لا بمعنى التلاوة. في المصباح: تلوت الرجل أتلوه تلوًّا على فعول تبعته، فأنا له تالٍ وتلوًا أيضًا وزان حمل وتلوت القرآن تلاوة. **قوله**: (ومن ضامّهم) في مختار الصحاح: ضمّ الشيء إلى الشيء فانضمّ إليه، وبابه ردّ وضامّه وتضامّ القوم انضمّ بعضهم إلى بعض. اهـ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ **(يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم)** ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدًا وشريكًا ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكاذبين على ربهم، والأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يصرفون الناس عن دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ **(يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد)** ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ **(﴿هُمْ﴾ الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به)**.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ﴾ أي ما كانوا ﴿مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ﴾ لأنهم أضلّوا الناس عن دين الله.

قوله: **(يُحبسون في الموقف وتُعرض أعمالهم)** إشارة إلى أنه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه، وأنّ المراد عرضهم على الموقف المقدّر للحساب والسؤال وحبسهم فيه إلى أن يقضي الله عزّ وجلّ بين العباد. **قوله**: **(يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يَعوجّوا بالارتداد)** فسّر طلب العوج لسبيل الله أوّلًا بوصفهم إيّاها بالانحراف عن الحقّ بطريق إطلاق اسم السبب على المسبّب، وثانيًا بطلب العوج لأهلها على حذف المضاف. **قوله**: **(﴿هُمْ﴾ الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به)** أمّا التأكيد، فمن تكريرهم، فإنّ تكرير المسند إليه يفيد تأكيد شأنه في الاتّصاف بمضمون الخبر. وأمّا الاختصاص، فلتقديم ﴿هُمْ﴾ على الكافرين، كما لو قال: هم يكفرون.

(﴿يُضَعَّف﴾ مكي وشامي) ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ أي استماع الحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ الحق.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (بالصَّدّ والصدود) وفي لا جرم أقوال أحدها أن لا ردّ لكلام سابق أي ليس الأمر كما زعموا، ومعنى ﴿جَرَمَ﴾ كسب وفاعله مُضمَر و﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ في محل النصب والتقدير: كسب قولهم خسرانهم في الآخرة، وثانيها أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمتان ركبتا فصار معناهما حقًّا و«أن» في موضع رفع بأنه فاعل لحقَّ أي حق خسرانهم، وثالثها أن معناه (لا محالة).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع (من الخبت وهي الأرض المطمئنة) ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

قوله: (﴿يُضَعَّف﴾) بالتشديد والقصر (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي.

قوله: (**بالصدّ والصدود**) في مختار الصحاح: صدّ عنه يَصُدُّ بالضمّ صُدودًا أعرض وصدَّه عن الأمر منعه وصرفه من باب ردّ. اهـ. **قوله**: (**لا محالة**) أي لا بدّ، أي لا فراق أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قوله: (من **الخبت**) يعني أن الإخبات أصله نزول الخبت، وهو المنخفض من الأرض، فأطلق على الخشوع واطمئنان النفس استعارة تشبيهًا للمعقول بالمحسوس، ثم صار حقيقةً شرعيّة فيه. **قوله**: (**وهي الأرض المطمئنة**) المنخفضة والمتسفلة.

ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ يعني الفريقين ﴿مَثَلًا﴾ تشبيهًا وهو نصب على التمييز ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ فتنتفعون بضرب المثل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي بأني والمعنى أرسلناه **(ملتبسًا بهذا الكلام)** وهو قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بالكسر فلما اتصل به الجار فتح له كما فتح في «كأن»، **(والمعنى على الكسر وبكسر الألف شامي ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول)** ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ «أن» مفسّرة متعلقة بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿نَذِيرٌ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ يريد الأشراف لأنهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس **(أبّهة)**، أو لأنهم ملئوا **(بالأحلام)** والآراء الصائبة ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا

قوله: (ملتبسًا بهذا الكلام)... الخ. جعل الجار والمجرور حالًا من المفعول، وإنما قال: (والمعنى على الكسر)؛ لأن قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ في الأصل مقول والكسر لازم بعد القول، فاتّصل به الجار فغيّر اللفظ دون المعنى؛ كما في قولك: كأن زيدًا أسد، والأصل إنَّ زيدًا كالأسد، فنقل الكاف ففتح الهمزة. **قوله: (وبكسر الألف شامي)** أي ابن عامر الشامي، (ونافع وعاصم وحمزة) الكسائي (على إرادة القول) أي على إضمار القول، والتقدير: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ فقال لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، أي مخوّف مبين، أي مظهر ذلك الإنذار على أكمل طريقة. وقرأ الباقون بالفتح على إضمار حرف الجرّ.

قوله: (أبهة) في محيط المحيط: الأُبَّهة والأُبْهَة العظمة والبهجة والكِبْر والنّخوة. اهـ. **قوله: (بالأحلام)** أي العقول.

﴿مِثْلَنَا﴾ أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملِكًا أو ملَكًا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ **(أخسّاؤنا جمع الأرذل)** ﴿بَادِيَ﴾ **(وبالهمزة)**: أبو عمرو ﴿ٱلرَّأْيِ﴾ **(وبغير همز: أبو عمرو)** أي اتبعوك ظاهر الرأي، أو أول الرأي من بَدَا يبدو إذا ظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولًا، وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم، فحذف ذلك وأُقيم المضاف إليه مقامه، أرادوا أن اتباعهم لك شيء **(عَنَّ لهم بديهة)** من غير **(رَوِيّة)** ونظر ولو تفكّروا ما اتبعوك. وإنّا استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخّرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهّالًا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا، فكان الأشرف عندهم مَن له جاه ومال كما ترى **(أكثر المُتَسمين بالإسلام)** يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم، ولقد **(زلّ)** عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرّب أبدًا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ في مال ورأي عنَوا نوحًا وأتباعه ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ أي نوحًا في الدعوة ومُتّبِعِيه في الإجابة والتصديق يعني تواطأتم على الدعوة والإجابة تسبيبًا للرياسة.

قوله: (أخسّاؤنا) الإخساء جمع خسيس مثل نبيّ وأنبياء. **قوله**: **(جمع الأرذل)** بفتح الهمزة؛ كقوله تعالى: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٣]، وقوله ﷺ: «أحاسنكم أخلاقًا»، أو جمع أُرْذُل بضم الذال جمع رذل بسكونها نحو كلب وأُكْلُبٌ وأكالب. **قوله**: (وبالهمزة) أي بهمزة مفتوحة بعد الدال **(أبو عمرو)**. وقرأ الباقون بياء مفتوحة. **قوله**: (وبغير همز: **أبو عمرو**) أي أبدل همزة الرأي أي ألفًا وقفًا ووصلًا. **قوله**: (عنَّ لهم) **في مختار الصحاح**: عنَّ له كذا يَعُنُّ بضم العين وكسرها عَنَنًا، أي علا واعترض.اهـ.

قوله: (بديهة) **في مختار الصحاح**: بدَهَه أمر فجأه وبابه قطع، وبدهه بأمر إذا استقبله به، وبادهه فاجأه، والاسم البداهة والبديهة.اهـ. **قوله**: (رويّة) الروية الفكر والتدبّر، وهي كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفًا، وهي من روَّأت في الأمر بالهمز إذا نظرت فيه.اهـ مصباح. **قوله**: **(أكثر المتّسمين بالإسلام) في** مختار الصحاح: اتّسم الرجل جعل لنفسه سِمَةً يُعْرَف بها.اهـ. **قوله**: (زَلّ) تنحّى.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ برهان ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وشاهد منه يشهد بصحة دعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ يعني النبوّة ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ ـ ﴿فعَمِيَتْ﴾ ـ أي خفيت (﴿فَعُمِّيَتۡ﴾: حمزة وعلي وحفص) أي أخفيت أي فعميت عليكم البيِّنة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هادٍ، وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي الرحمة ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا تريدونها، والواو دخلت هنا تتمة للميم. **(وعن أبي عمرو إسكان الميم، ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونًا وهو لحن، لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر).**

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ﴾ ﴿مَا لًا﴾ أجرًا يثقل عليكم إن أدّيتم أو عليّ إن أبيتم

قوله: (﴿فَعُمِّيَتۡ﴾) بضم العين وتشديد الميم على ما لم يُسمّ فاعله، (حمزة وعلي) الكسائي (وحفص)، وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم مبنيًا للفاعل.
قوله: (وعن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة، فظنّها الراوي سكونًا وهو لحن؛ لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر) عبارة تفسير النيسابوري: ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾، باختلاس ضمّة الميم عباس. اهـ.

فائــدة:

الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بتثليثها.

(﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ مدني وشامي وأبو عمرو وحفص) ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به (أنفة) من المجالسة معهم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ فيشكونني إليه إن طردتهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ مَن يمنعني من انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ فأدعي فضلًا عليكم بالغِنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ حتى أطّلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم، وهو معطوف على ﴿عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا لي ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ ولا أحكم على مَن استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ﴾ في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولًا على هواكم ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ﴾ من صدق الاعتقاد وإنما عَلَيَّ قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطّلع على خفي أسرارهم ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلت شيئًا من ذلك. والازدراء افتعال (من زرى عليه) إذا عابه (وأصله تزتري فأبدلت التاء) دالًا.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ٣٣﴾

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعدك ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ أي

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾) بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو وحفص). والباقون بسكون الياء. **قوله**: (أنفةً) بفتحتين، في المصباح: أَنِفَ من الشيء أنفًا من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة، أي استنكف وهو الاستكبار. اهـ. **قوله**: (من زرى عليه) في المصباح: ذرى عليه ذريًا من باب رمى، وزرية وزراية ـ بالكسر ـ عابه واستهزأ به. اهـ. **قوله**: (وأصله تزتري فأُبدلت التاء) دالًا لتجانس الزاي في الجهر، فإن التاء مهموسة.

ليس الإتيان بالعذاب إليّ وإنما هو إلى مَن كفرتم به ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لم تقدروا على الهرب منه.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ هو إعلام موضع الغيّ ليتقي والرشد ليقتفي (﴿وَلَٰكِنِّىٓ﴾ ﴿إِنِّىٓ﴾ ﴿نُصْحِىٓ﴾ مدني وأبو عمرو). ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي يضلّكم، وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدَّمًا في الحكم لما عرف. تقديره: إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم، وهو دليل بيِّن لنا في إرادة المعاصي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فيتصرف فيكم على قضية إرادته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيُجازيكم على أعمالكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل أيقولون افتراه ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ أي إن صحّ أني افتريته فعليَّ عقوبة إجرامي أي افترائي. يقال أجرم الرجل إذا أذنب ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ﴾ أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه. ومعنى ﴿مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إليَّ فلا وجه لإعراضكم ومُعاداتكم.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقَّع، وفي دليل على أن للإيمان حكم التجدّد كأنه قال: إن الذي آمن يؤمن في حادث الوقت، وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت في الإيمان بالقرآن

قوله: (﴿وَلَٰكِنِّىٓ﴾) أراكم (﴿إِنِّىٓ﴾) أراكم (﴿نُصْحِىٓ﴾) إن أردت بالفتح[1] (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وأبو عمرو).

---

(١) أي بفتح ياء الإضافة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فلا تحزن حزن بائس (مستكين)، والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر، والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظًا وحقيقته مُلتبِسًا بأعيننا كأن الله معه أعينًا (تكلؤه) من أن يزيغ في صنعته عن الصواب ﴿وَوَحْيِنَا﴾ وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع. عن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل (جؤجؤ الطير) ﴿وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ محكوم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجفَّ القلم فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ من عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له: يا نوح صرت بحّارًا بعدما كنت نبيًّا ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ عند رؤية الهلاك ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا عند رؤية الفلك. رُوِيَ أن نوحًا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب (الساج) في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفًا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعًا أو ستمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعًا، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسِّباع و(الهوام)، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب نوح ومَن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزّاد، وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزًا بين الرجال والنساء.

قوله: (مستكين) أي خاضع وذليل. **قوله**: (تكلؤه) تحفظه. **قوله**: (جُؤْجُؤ الطير) الجُؤْجُؤ الصدر. اهـ لسان العرب.

قوله: (الساج) وهو شجر عظيم يكثر في الهند. **قوله**: (الهوام) في المصباح: الهامّة ما له سمّ يقتل كالحية، قاله الأزهريّ. والجمع الهوامّ مثل دابة ودوابّ، وقد تُطلق على ما لا يقتل كالحشرات. اهـ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ «من» في محل نصب بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي فسوف تعلمون الذي يأتيه ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ وينزل عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذاب الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي التي يبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد، ومابينهما من الكلام حال من ﴿يَصْنَعُ﴾ أي يصنعها والحال أنه كلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه، وجواب ﴿كُلَّمَآ﴾ ﴿سَخِرُواْ﴾ ﴿وَقَالَ﴾ استئناف على تقدير سؤال سائل، أو ﴿قَالَ﴾ جواب و﴿سَخِرُواْ﴾ بدل من ﴿مَرَّ﴾ أو صفة لـ ﴿مَلَأٌ﴾ ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ هو كناية عن اشتدادِ الأمر وصعوبته. وقيل: معناه (جاش) الماء من تنّور الخبز، وكان من حجر لحوّاء فصار إلى نوح عليه السلام. وقيل: التنّور وجه الأرض ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾) تفسيره (في سورة «المؤمنين») ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ عطف على ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ وكذا ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم، واستثنى من أهله مَن سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وإرادته جلّ خالق العباد عن أن يقع في الكون خلاف ما أراد ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال عليه السلام: «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم»، وقيل: كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة. وقيل:

قوله: (جاش) في المصباح: جاشت القدر تجيش جيشًا غلت. اهـ. **قوله**: (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾) تفسيره (في سورة المؤمنون) قال المصنف رحمة الله عليه في تفسير سورة المؤمنون: (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾) من كل أمتين زوجين، وهما أمة الذّكر وأمّة الأُنثى، كالجِمال والنُّوق والحُصُن[1] والرِّماك[2] (﴿ٱثْنَيْنِ﴾)

(١) جمع حصان. (٢) جمع رمكه.

كانوا اثنين وسبعين ـ رجالًا ـ ونساءً ـ وأولاد نوح: (سام وحام ويافث) ونساؤهم، فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ متصل بـ ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾ حالًا من الواو أي اركبوا فيها مُسَمِّين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم: («**خفوق النجم**»)، ويجوز أن يكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني أن نوحًا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أي باسم الله إجراؤها وإرساؤها، وكان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجَرَت، وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فَرَسَت: ﴿مَجْر۪ىٰهَا﴾ (**بفتح الميم وكسر الراء**) من جرى إما مصدر أو وقت: حمزة وعلي وحفص، (**وبضم الميم وكسر الراء**): أبو عمرو، والباقون: بضم الميم وفتح الراء ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ لمَن آمَن منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث خلَّصهم.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ متصل بمحذوف دلَّ عليه ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون بسم وهي تجري بهم أي السفينة تجري وهم فيها ﴿فِى

واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحِصان والرَّمَكة، رُوِيَ أنه لم يحمل إلا ما يلدُ ويبيض من ﴿كُلٍّ﴾ حفص والمفضل، أي من كل أُمّة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادةَ بيان، انتهى بحروفه. **قوله**: (سام وحام ويافث) بمنع الصرف للعلمية والعُجْمة.

قوله: (**خفوق النَّجم**) أي طلوعه أو غروبه، فهو من الأضداد. **قوله**: (**بفتح الميم وكسر الراء**) للإمالة. **قوله**: (**وبضمّ الميم وكسر الراء**) للإمالة من أجرى.

﴿مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله، شبَّه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ كنعان. وقيل: يام. والجمهور على أنه ابنه الصلبي. وقيل: كان ابن امرأته ﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ عن أبيه وعن السفينة «مفعل» عن عزله عنه إذا نحّاه وأبعدَه أو في معزِل عن دين أبيه (﴿يَٰبُنَيَّ﴾) بفتح الياء: عاصم، اقتصارًا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك: «يا بنيا». غيره بكسر الياء اقتصارًا عليه. من ياء الإضافة ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة أي أسلم واركب ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ﴾ ألجأ ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ يمنعني من الغرق ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ إلا الراحم وهو الله تعالى، أو لا عاصِم اليوم من الطوفان إلا مَن رحم الله أي إلا مكان مَن رحم الله من المؤمنين، وذلك أنه لمّا جعل الجبل عاصمًا من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قطّ من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان مَن رحمهم الله ونجّاهم يعني السفينة، أو هو استثناء منقطع كأنه قيل: ولكن مَن رحمه الله فهو المعصوم كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: الآية ١٥٧]، ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾ بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ فصار أو فكان في علم الله.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ انشفي وتشرَّبي، والبلع: (النشف) ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أمسكي ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومُتعَدٍّ ﴿وَقُضِيَ

قوله: (﴿يَٰبُنَيَّ﴾) وذلك لأن أصل ابن بنو صغِّر على بنيو، فاجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون قلبت الواو ياء وأُدغمت فيها، ثم لحقها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقُلِبت ألفًا ثم حذفت الألف اجتزاءً عنها بالفتحة.

قوله: (النّشف) في مختار الصِّحاح: نَشِف الثوبُ والعَرَق ونَشِف الحوض الماء شربه وبابه فهم.اهـ.

﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾ وأنجز ما وعد الله نوحًا من إهلاك قومه ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ وهو جبل بـ **(الموصل)** ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي سحقًا لقوم نوح الذين غرقوا. **(يقال: بعد بعدًا وبَعَدًا إذا أرادوا البُعد البعيد)** من حيث الهلاك والموت ولذلك خُصَّ بدعاء السوء.

والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة **(علم البيان)** وهو النظر فيما فيها **(من المجاز والاستعارة والكناية)** وما يتصل بها فنقول: إن الله تعالى لمّا أراد

قوله: **(الموصل)** مثل مسجد بلد معروف، وهو على دجلة من الجانب الغربي. **قوله**: **(يقال: بعد)** من باب علم **(بعدًا)** بضمّ الباء وسكون العين **(وبَعَدًا)** بفتحتين **(إذا أرادوا البُعد البعيد)**[1] من قبيل ظلّ ظليل. **قوله**: **(علم البيان)** علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله**: **(من المجاز والاستعارة)** المجاز اسم لما أُريد به غير ما وُضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسدًا وهو مفعل بمعنى فاعل من جاز إذا تعدّى كالمولى بمعنى الوالي سُمِّي به لأنه متعدٍّ من محل الحقيقة إلى محل المجاز، قوله: لمناسبة بينهما احترز به عمّا استُعمل في غير ما وضع له لا لمناسبته، فإنّ ذلك لا يُسمّى مجازًا، بل كان مرتجلًا أو خطأً، والمجاز إمّا مرسل أو استعارة؛ لأن العلاقة المصحّحة له إمّا أن تكون مشابهة المنقول إليه بالمنقول عنه في شيء. وإمّا أن تكون غيرها، فإنْ كان الأوّل يسمى المجاز استعارة كلفظ الأسد إذا استُعمل في الشجاع، وإنْ كان الثاني فيسمّى مرسلًا كلفظ اليد إذا استعمل في النّعمة، كما يقال: جلت أياديه عندي أي كثرت نعمه لديّ، واليد في اللغة العضو المخصوص، والعلاقة كون ذلك العضو مصدرًا للنّعمة، فإنّها تصل إلى المُنْعم عليه من اليد. والفرق بين المعنيَيْن أنّ الاستعارة في الأوّل اسم للفظ المنقول، وفي الثاني للنقل، وعلى الثاني يسمّى المشبّه به وهو الحيوان المفترس مستعارًا منه، والمشبّه وهو الشجاع مستعارًا له، واللفظ هو لفظ الأسد مستعارًا، والمتلفّظ وهو المستعمل للفظ الأسد في الشجاع مستعير، ووجه الشبه وهو الشجاعة ما به الاستعارة، ولا تصح هذه الاشتقاقات في الاستعارة بالمعنى الأوّل، وهو الظاهر. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله**: **(والكناية)** الكناية عند علماء

---

(١) وصف البعد بكونه بعيدًا للمبالغة كجد جده. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أن يبيِّن (**معنى أردنا**) أن نردّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغِيضَ، وأن نقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنّا وعدناه من إغراق قومه فقضي، وأن نسوِّي السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظلمة غرقى، (**بُني الكلام**) على تشبيه المراد بالأمر الذي لا يتأتى منه لكمال (**هيبةِ**) العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ (**في تكوّن المقصود**) تصويرًا لاقتداره العظيم، وأن السمٰوات والأرض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرًا وتبديلًا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته، وأحاطوا علمًا بوجوب الانقياد لأمره (**والإذعان**) لحكمه (**وتحتّم**) بذل المجهود عليه في تحصيل مراده. ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عزَّ وجل: ﴿وَقِيلَ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ ثم قال مخاطبًا لها: ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو أعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي، ثم استعار الماء للغذاء تشبيهًا له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في الإنبات كتقوي الآكل بالطعام، ثم قال: ﴿مَآءَكِ﴾ بإضافة الماء إلى الأرضِ على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالِك، ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأني، ثم قال: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾ ولم يصرِّح بمَن أغاض الماء، ولا بمَن قضى الأمر، وسوى السفينة وقال بُعدًا، كما لم يصرِّح بقائل ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ سلوكًا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية، وأن تلك الأمور العِظام لا تكون إلا بفِعل فاعل قادر وتكوين مُكوِّن قاهر، وأن فاعلها

البيان هي أن يعبّر عن شيء لفظًا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدّلالة عليه لغرضٍ من الأغراض كالإبهام على السامع، نحو: جاء فلان، أو لنوع فصاحة، نحو: فلان كثير الرماد، أي كثير القرى.اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله**: (**معنى أردنا**) أي هذا الكلام، وهو أردنا. **قوله**: (**بني الكلام**) جواب لما. **قوله**: (**هيبةِ**) أي هيبة المأمور من الأمر. **قوله**: (**في تكون المقصود**) أي في حصوله ووجوده. **قوله**: (**والإذعان**) أي الطاعة. **قوله**: (**وتحتم**) عطف على وجوب.

واحد لا يُشارك في فِعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، ولا أن يكون الغائض والقاضي والمُسَوّي غيره. ثم ختم الكلام (بالتعريض) تنبيهًا لسالِكِي مَسلكهم في تكذيب الرُّسُل ظلمًا لأنفسهم، إظهارًا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم.

ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها، وذلك أنه اختير «يا» دون أخواتها لكونها أكثر استعمالًا، ولدلالتها على بُعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزَّة والجبروت، وهو تبعيد المنادى (المؤذن) بالتهاون به، ولم يقل: «يا أرضي» لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعي القُرب، ولم يقل: «يا أيتها الأرض» للاختصار. (واختير لفظ الأرض والسماء) لكونهما أخفّ (وأدور)، واختير ﴿ٱبْلَعِي﴾ على «ابتلعي» لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين ﴿أَقْلِعِي﴾، وقيل: ﴿أَقْلِعِي﴾ ولم يقل: «عن المطر»، وكذا لم يقل: «يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت» اختصارًا، (واختير ﴿وَغِيضَ﴾ على «غُيّض» وقيل: ﴿ٱلْمَآءُ﴾ دون أن يقول: «ماء الطوفان» و﴿ٱلْأَمْرُ﴾) ولم يقل «أمر نوح وقومه» لقصد الاختيار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك، ولم يقل: «وسوّيت على الجودي» أي أقرّت على نحو: ﴿قِيلَ﴾ ﴿وَغِيضَ﴾ اعتبارًا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ إرادة للمطابقة، ثم قيل: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ﴾ ولم يقل («ليبعد) القوم» (طلبًا للتوكيد) مع الاختصار. هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم، وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل، فذلك أنه قدَّم النداء على الأمر: فـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ ولم يقل: «ابلَعِي يا أرض وأقلعي يا سماء» جريًا على مقتضى الكلام فيم كان مأمورًا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى

قوله: (بالتعريض) لسائر الظلمة. قوله: (المؤذن) صفة تبعيد المنادي. قوله: (واختير لفظ الأرض والسماء) دون سائر الأسماء كالغبراء والخضراء مثلًا. قوله: (وأدور) على ألسنة الفُصَحاء. قوله: (واختير ﴿وَغِيضَ﴾ على غُيّض، وقيل: ﴿ٱلْمَآءُ﴾ دون أن يقال ماء الطوفان و﴿ٱلْأَمْرُ﴾) أي ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ ولم يقل: أمر نوح وقومه لقصد الاختصار. قوله: (ليبعد) من بَعِد ـ بكسر العين ـ في الماضي وفتحها في المستقبل. قوله: (طلبًا للتوكيد)؛ وذلك لأن قوله بعدًا مصدر

قصدًا بذلك (لمعنى الترشيح)، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها، ثم أتبع ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ لاتصاله بقصة الماء (وأخذه بحجزتها)، ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي أنجز الموعود من إهلاك الكَفَرَة وإنجاء نوح ومَن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر.

ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثّر الفكر في طلب المراد، (ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد). ومن جهة الفصاحة اللفظية، فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن (البشاعة)، عذبة على (العذبات)، سَلِسَة على (الأسلات)، كلٌّ منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرِّقَّة، ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، ولله (درّ) شأن التنزيل لا يتأمل العامل آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظنَّنَّ الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله: ﴿رَبِّ﴾ مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي بعض أهلي لأنه كان

وإظهار المصدر يدلّ على التأكيد، نحو ضربت ضربًا. **قوله**: (لمعنى الترشيح) الاستعارة الترشيحيّة هي إثبات ملائم المشبّه به للمشبّه. اهـ تعريفات. **قوله**: (وأخذه بحجزتها) أي بحجزة قصة الماء استعارة عن شدّة الاتّصال من حجزة الإزار. في المصباح: حجزة الإزار معقده وحجزة السراويل مجمع شدّه، والجمع حُجَز مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: (ولا التواء) أي الاعوجاج (يشيك الطريق) أي يجعلها ذا شوك (إلى المرتاد) أي المطلوب. **قوله**: (البشاعة) الكراهة. **قوله**: (العَذَبات) جمع عذبة، وهي طرف اللسان مثل قصبة وقصبات، كذا في المصباح. **قوله**: (الأسَلَات) جمع أسَلة، وهي طرف اللّسان؛ كذا في لسان العرب. **قوله**: (درّ) أي خير.

ابنه من صلبه أو كان ربيبًا له فهو بعض أهله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ وإن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به، وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي أعلم الحكّام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، ورُبَّ غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة، ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ثم علّل لانتفاء كونهِ من أهله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ وفيه إيذان بأن قرابة الدين (غامرة) لقرابة النسب، (وإن نسيبك في دينك وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا لصيقك)، ومَن لم يكن على دينك وإن كان أمسّ أقاربك رحمًا فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملًا غير صالح مبالغة في ذمّه (كقولها:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)

أو التقدير: إنه ذو عمل، وفيه إشعار بأنه إنما أنجى مَن أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أُبوّته. (﴿عَمِلَ غَيْرَ صَٰلِحٍ﴾ علي) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه كان ينافق وإلا لا يحتمل أن يقول: ﴿ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ ويسأله نجاته، وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم

قوله: (غامرة) في المصباح: غمره البحر غمرًا من باب قتل علاه، وأيضًا فيه: غمرته أغمره سترته أستره وزنًا ومعنًى.اهـ. **قوله**: (وإن نسيبك في دينك) ومعتقدك من الأباعد في المنصب (وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا لصيقك) وخصيصك. **قوله**: (كقولها:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)

أي كقول الخنساء، وهي امرأة من فُصحاء الجاهلية تصف ناقة فقدت ولدها بنحر أو موت أو ندّ ترعى إذ غفلت حتى إذا ادّكرت، فإنما هي إقبال وإدبار، كأنها نفس الإقبال والإدبار.

قوله: (﴿عَمِلَ﴾) بكسر الميم ونصب اللام بغير تنوين (﴿غَيْرَ صَٰلِحٍ﴾) بنصب الراء على أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى أن ابنك عمل عملًا غير صالح أشرك وكذب (علي) الكسائي. والباقون بفتح الميم ورفع اللامِ منوّنة ورفع الراء.

﴿مُّغْرَقُونَ﴾ فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يُظهِرون الموافقة لنبيِّنا عليه السلام ويُضمِرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه عليه، وقوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾ اجتزأ بالكسرة عن الياء: كوفي ﴿تسألْني﴾ بصري ﴿تسألَنّي﴾ مدني ﴿تسألَنِّ﴾ شامي فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد ﴿تسألَنَّ﴾ مكّي) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ بجواز مسألته ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هو كما نهى رسولنا بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدّبًا بأدبك واتّعاظًا بموعظتك ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بالعصمة عن العَوْد إلى مثله ﴿أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ بتحية منّا أو بسلامة من الغرق ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذرِّيّته وأتباعه، فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريّته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ «من» (للبيان)، فتُراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات، أو قيل لهم أُمم لأن الأُمم تتشعب منهم، أو لابتداء الغاية أي على أُمم ناشئة ممن معك وهي الأُمم إلى آخر الدهر وهو الوجه ﴿وَأُمَمٌ﴾ رفع بالابتداء ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا

قوله: (﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾) بسكون اللام وتخفيف النون وكسرها بدون الياء (**اجتزأ بالكسرة عن الياء، كوفي**). **قوله**: (﴿تسألْني﴾) بسكون اللام وتخفيف النون وكسرها بإثبات الياء (**بصري**). **قوله**: (﴿تسألَنّي﴾) بفتح اللام وتشديد النون المكسورة بإثبات الياء (مدني). **قوله**: (﴿تسألَنِّ﴾) بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير إثبات الياء بعدها (شامي، فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد). **قوله**: (﴿تسألَنَّ﴾) بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة (مكّي).

قوله: (للبيان) أي لبيان الجنس.

بالسعة في الرزق (والخفض في العيش) صفة والخبر محذوف تقديره. وممَّن معك أُمم سنمتِّعهم، وإنما حذف لأن ﴿وَمِمَّن مَّعَكَ﴾ يدل عليه ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الآخرة، والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أُمم مؤمنين ينشؤون ممّن معك. وممَّن معك أُمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار، وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء، (والخلق بعد الطوفان) منه (وممَن كان معه في السفينة)، وعن (محمد بن كعب): دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب مُوحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ الوقت أو من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح، وتوقع في العاقبة لك ولمَن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ في الفوز والنصر والغلبة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشِّرك.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ واحدًا منهم، وانتصابه للعطف على ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحَّدوه ﴿مَا

قوله: (والخفض في العيش) في المصباح: وهو في خفضٍ من العيش، أي في سعة وراحة. اهـ. قوله: (والخلق) الحادث (بعد الطوفان) نشأ منه (وممَن كان معه في السفينة).

قوله: (محمد بن كعب) بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد نزل الكوفة مُدّة، ثقة عالم، وُلد سنة أربعين على الصحيح، ووهم مَنْ قال: وُلِد في عهد النبيّ ﷺ، فقد قال البخاري: إنّ أباه كان ممّن لم ينبت من سبي قريظة. مات محمد سنة عشرين بعد المائة، وقيل قبل ذلك.

﴿لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (بالرفع): نافع (صفة على محل الجار والمجرور، وبالجر: عليّ على اللفظ) ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ﴾ ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحضها إلا (حسم) المطامع، وما دام يتوهّم شيء منها لم (تنجع) ولم تنفع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تردون نصيحة مَن لا يطلب عليها أجرًا إلا من الله وهو ثواب الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ آمنوا به ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ من عبادة غيره ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ أي المطر ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ حال أي (كثير الدرور) ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوّة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء. وكانوا (مدلّين) بما أُوتوا من شدة البطش والقوة. وقيل: أراد القوة بالمال أو على النكاح. وقيل: حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولا على الإيمان والاستغفار. وعن (الحسن بن علي) رضي الله عنهما أنه

قوله: (بالرفع صفة على محل الجار والمجرور، وبالجرّ عليّ) الكسائي صفة (على اللفظ) عبارة تفسير الخطيب: قرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ، والباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور، ومنْ زائدة.اهـ.

قوله: (حَسْم) أي قطع. **قوله**: (تنجع) كتنفع لفظًا ومعنًى.

قوله: (كثير الدرور) أي السيلان والنزول والتتابع. **قوله**: (مدلّين) مفتخرين. **قوله**: (الحسن بن علي) بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه ﷺ وحفظ عنه مات شهيدًا بالسمّ سنة تسع وأربعين وهو

(وفد) على **(معاوية)**، فلما خرج قال له بعض **(حُجّابه)**: إني رجل ذو مال ولا يولد لي علمني شيئًا لعل الله يرزقني ولدًا. فقال الحسن: عليك بالاستغفار، فكان يُكثِر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلّا سألته مِمَّ قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، وقول نوح: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: الآية ١٢]، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟﴾ ولا تعرضوا عني وعما أدعو إليه ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مُصِرِّين على إجرامكم وآثامكم.

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الرعد: الآية ٢٧] مع فَوْت آياته الحصر ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ هو حال من الضمير في «تاركي آلهتنا» كأنه قيل: وما نترك آلهتنا **(صادرين)** عن قولك: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وما يصحّ من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه **(إقناطًا له)** من الإجابة ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ «إن» حرف نفي فنفى جميع القول إلا قولًا واحدًا وهو قولهم: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ بجنون و**(خبل)** وتقدير ما نقول قولًا إلا هذه المقالة أي قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى

ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها رضي الله عنه. **قوله: (وفد)** بابه وعد. **قوله: (معاوية)** بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمية الأُمويّ أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ستّين، وقد قارب الثمانين رضي الله تعالى عنه. **قوله: (حجابه)** في المصباح: جمع الحاجب حجاب مثل كافر وكفار. اهـ.

قوله: (صادرين) راجعين. **قوله: (إقناطًا له)** مفعول له أي قالوا هذا إقناطًا له. **قوله: (خبل)** في المصباح: الخبل بسكون الباء الجنون وشبهه كالهَوَج والبله. اهـ. وفي مختار الصحاح: رجل أهْوَجُ بَيِّن الهَوَج ـ بفتحتين ـ أي طويل،

﴿بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ﴾ أي من إشراككم آلهة من دونه، والمعنى إني أشهد أني بريء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضًا إني بريء من ذلك. وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمَن (**يبس الثرى**) بينه وبينه: اشهد على أني أحبك تهكمًا به واستهانة بحالة ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أنتم وآلهتكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهلون فإني لا أُبالي بكم وبكيدكم، ولا أخاف معرَّتكم وإن تعاونتم عليَّ، وكيف تضرّني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضرّ ولا ينفع؟ وكيف تنتقم مني إذا نِلْتُ منها وصددت عن عبادتها بأن (**تخبلني وتذهب بعقلي**)؟

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي مالكها. ولما ذكر توكّله على الله وثقته بحفظه و(**كلاءته**) من كيدهم، وصفه بما يوجِب التوكّل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ إن ربي على الحق لا يعدل عنه، أو إن ربي يدل على صراط مستقيم ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ كلام مستأنف أي ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ بتولّيكم ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾ من ضرر قطّ إذ لا يجوز عليه المضار وإنما تضرّون أنفسكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم، أو مَن كان رقيبًا على الأشياء كلها حافِظًا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضرّ مثله مثلكم.

وفيه تسرُّعٌ وحُمْقٌ. اهـ. وفي المصباح: بله بلها من باب تعب ضعف عقله فهو أبْله والأُنثى بلهاء، والجمع بُلْه مثل أحمر وحمراء وحُمُر. اهـ. **قوله**: (يبس الثرى) عبارة عن عدم المحبّة. **قوله**: (**تخبلني**) من باب ضرب، **قوله**: (**وتذهب بعقلي**) عطف تفسير.

قوله: (**كِلاءته**) بالكسر والمدّ بمعنى حفظه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أي بفضل منا لا بعملهم أو بالإيمان الذي أنعمنا عليهم ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وتكرار ﴿نَجَّيْنَا﴾ للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه و﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رُسُل الله لا نفرّق بين أحد من رسله ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد رؤساؤهم ودُعاتهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويُعاندون بهم ومعنى اتّباع أمرهم طاعتهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ تكرار «ألا» مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم، والدعاء بـ ﴿بُعْدًا﴾ بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطف بيان لـ «عاد» وفيه فائدة لأن عادًا عادان: الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم، والأخرى إرم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لم ينشئكم منها إلا هو وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وجعلكم عُمَّارها وأراد منكم عمارتها، أو استعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف، وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطِّوال مع ما فيهم من الظلم، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربّه عن سبب تعميرهم، فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ فاسألوه مغفرته بالإيمان ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ داني الرحمة ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا﴾ فيما بيننا ﴿مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ للسيادة والمشاورة في الأمور، أو كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ (حكاية حال ماضية) ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوّة، أتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بيّنة، لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدّروا أني على بيِّنة من ربي وأنني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ فمَن يمنعني من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الأوثان ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ بقولكم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إيّاكم إلى الخسران.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ نصب على الحال (قد عمل فيها ما دلَّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل) و﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿ءَايَةً﴾ حالًا منها متقدمة، لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدَّمت انتصبت على الحال ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾

قوله: (حكاية حال ماضية) يعني الظاهر أن يقال: ما عبدت آباؤنا؛ لأن المقام مقام المضي، فعدل عن الظاهر وجِيء بصيغة المستقبل على حكاية الحال الماضية.

قوله: (قد عمل فيها ما دلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل)، والمعنى أشير ناقة الله آية.

عقر أو نحر ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ عاجل ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ يوم الأربعاء ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ استمتعوا بالعيش ﴿فِي دَارِكُمۡ﴾ في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يُدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾ ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ (أي غير مكذوب فيه) فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به، أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر (كالمعقول).

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بالعذاب أو عذابنا ﴿نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ قال الشيخ رحمه الله: هذا يدل على أن مَن نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله» ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ﴾ بإضافة الخزي إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة. (وبفتحها مدني وعلي)، لأنه مضاف إلى «إذ» وهو مبني، وظروف الزمان إذا أُضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله:

(على حين عاتبت المشيب على الصبا)

قوله: (أي غير مكذوب فيه) أوّله أو به لعدم إمكان حمله على ظاهره؛ لأن الوعد إنّما يوصف بكونه غير مكذوب إذا كان من شأنه أن يكون مكذوبًا، وليس كذلك؛ لأن المصدوق والمكذوب مَنْ كان مخاطبًا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له، فلا يوصف بهما إلّا الإنسان الصالح للخطاب، فلذلك جعل أصل الكلام وعد غير مكذوب فيه، فحذف حرف الجرّ فاتّصل الضمير المجرور باسم المفعول بإقامته مقام المفعول به توسّعًا. **قوله**: (كالمعقول) فإنه مصدر بمعنى العقل.

قوله: (وبفتحها) أي بفتح الميم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي والباقون بالكسر. **قوله**:

(على حين عاتبت المشيب على الصبا) فقلت ألمّا أصبح والشيب وازع

والواو للعطف وتقديره: ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحته، ولا خزي أعظم من خزي مَن كان هلاكه بغضب الله وانتقامه. وجاز أن يريد بـ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ القادر على تنجية أوليائه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب بإهلاك أعدائه.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ﴾ منازلهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ميتين ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ﴾ لم يقيموا فيها ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾ (﴿ثَمُودَ﴾ **حمزة وحفص** ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾) - ﴿لِّثَمُودٍ﴾ - (**علي**): فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر، ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكًا ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأول أظهر ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾ (**سلمنا عليك سلامًا**) ﴿قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ (**أمركم سلام** ﴿سِلم﴾: **حمزة وعلي**)

قوله: (﴿ثَمُودَ﴾) بغير تنوين للعلمية والتأنيث على إرادة القبيلة (**حمزة وحفص**). والباقون بالتنوين مصروفًا على إرادة الحيّ. **قوله**: (﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾) بكسر الدال مع التنوين (**علي**) الكسائي. والباقون بغير تنوين مع فتحها.

قوله: (**سلّمنا عليك سلامًا**) على أن يكون سلامًا في النظم منصوبًا على أنه مصدر لفعل محذوف، وذلك الفعل في محل النصب بالقول، فلمّا حذف الفعل أُقيم المصدر مقامه. **قوله**: (**أمركم سلام**) أو جوابي سلام على أن سلام خبر مبتدأ محذوف. **قوله**: (سلم) بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الألف، قال الفراء: وهما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال (**حمزة وعليّ**) الكسائي. وقرأ

بمعنى السلام ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ﴾ فما لبث في المجيء به بل عجَّل فيه، أو فما لبث مجيئه، والعجل ولد البقرة وكان مال إبراهيم البقر ﴿حَنِيذٍ﴾ مشوي بالحجارة المحماة ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ نكر وأنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه إذا مسَّ مَن يطرقهم طعامهم أمّنوه وإلا خافوه. والظاهر أنه أحسن بأنهم ملائكة، ونكرهم لأنه تخوَّف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله: ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً﴾ أي أضمر منهم خوفًا ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٍ﴾ بالعذاب، وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فِيمَ أُرسلوا، وإنما قالوا: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ لأنهم رأوا أثر الخوف والتغيّر في وجهه.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رؤوسهم تخدمهم ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ سرورًا بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الخبائث، أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب، أو فحاضت ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ وخُصَّت بالبشارة لأن النساء أعظم سرورًا بالولد من الرجال، ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ﴾ ومن بعده ﴿يَعۡقُوبَ﴾ بالنصب: (شامي) وحمزة وحفص، بفعل مضمر دلَّ عليه ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾ أي فبشرناها بإسحٰق ووهبنا لها يعقوب من وراء إسحٰق. وبالرفع: غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول: «في الدار زيد».

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ الألف مبدلة من ياء الإضافة، وقرأ الحسن ﴿يَٰوَيۡلَتِيٓ﴾ بالياء على الأصل ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ ابنة تسعين سنة ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ ابن مائة وعشرين سنة ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿بَعۡلِي﴾ خبره و﴿شَيۡخًاۖ﴾ حال، والعامل معنى الإشارة التي دلَّت عليه «ذا»، أو معنى التنبيه الذي دلَّ عليه «هذا» ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ

الباقون، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح السين واللام وبألف بعدها. **قوله**: (شامي) أي ابن عامر الشامي.

عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ قدرته وحكمته. وإنما أنكرت الملائكة تعجبها لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوفر **(ولا يزدهيها)** ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوّة، وأن تسبّح الله وتمجّده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به ربّ العزّة ويخصّكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوّة فليست بمكان عجيب، وهو كلام مستأنف علّل به إنكار التعجّب كأنه قيل: إياك والتعجّب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم. وقيل: الرحمة: النبوّة، والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم. و﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ نصب على النداء أو على الاختصاص ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمود بتعجيل النِّعَم ﴿مَّجِيدٌ﴾ ظاهر الكلام بتأجيل النِّقَم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملىء سرورًا بسبب البشرى فزع للمجادلة. وجواب ﴿فَلَمَّا﴾ محذوف تقديره أقبل يجادلنا، أو ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ جواب ﴿فَلَمَّا﴾ **(وإنما جيء به مضارعًا لحكاية الحال)**، والمعنى **(يجادل رسلنا)**. ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنّا مُهلِكو أهل هذه

قوله: **(ولا يزدهيها)** في لسان العرب: ازدهاه فازدهى استخفّ فخفّ. اهـ. وأيضًا فيه: ازدهَيْت فلانًا أي تهاونت به وازدهى فلان فلانًا إذا استخفّه. وأيضًا فيه زهاه وازدهاه استخفّه وتهاون به، انتهى.

قوله: **(وإنما جِيءَ به مضارعًا لحكاية الحال)** يعني كان الظاهر أن يقال: جادلنا على لفظ المضيّ، فإنّ لما موضوعة للاستعمال في الماضي، فوجب في العدول عن الظاهر من نكتة، وتلك النكتة هي قصد تصوير الصورة الماضية بصورة الحال الحاضرة تعجيبًا للسامعين، ويسمّيه النحاة حكاية الحال الماضية. **قوله**: **(يجادل رسلنا)** فالمضاف محذوف إشعارًا بأنّ الملائكة المرسلين إليه بمنزلة منه تعالى، وأنّ مجادلته معهم هي مجادلة مع الله.

القرية فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنًا أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا حتى بلغ العشرة، قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ﴾ قالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: الآية ٣٢] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول على كل مَن أساء إليه أو كثير الاحتمال ممَّن آذاه، صفوح عمَّن عصاه ﴿أَوَّٰهٌ﴾ كثير التأوّه من خوف الله ﴿مُّنِيبٌ﴾ تائب راجع إلى الله، وهذه الصفات دالَّة على رِقَّة القلب والرأفة والرحمة، فبيَّن أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يُحدِثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه فقالت الملائكة:

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ﴾ الجدال وإن كانت الرحمة **(ديدنك)** ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾ قضاؤه وحُكمه ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ لا يُرَدّ بجدال وغير ذلك عذابٌ مرتفع باسم الفاعل وهو ﴿ءَاتِيهِمْ﴾ تقديره وإنهم يأتيهم. ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجِّهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط **(أربعة فراسخ)**.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ لما أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم ﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾ أحزن لأنه حسب أنهم إنْس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومُدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ تمييز أي وضاق بمكانهم صدره ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد. رُوِيَ أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم مُنطَلِقًا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرّ قرية في الأرض عملًا. قال

قوله: (دَيْدَنُكَ) أي عادتك. **قوله**: (أربعة فراسخ) الفرسخ ثلاثة أميال[1]، والمِيل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا.

---

(١) جمع ميل بالكسر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ذلك أربع مرات ـ فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون كأنما يدفعون دفعًا ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى **(مرنوا)** عليها وقَلَّ عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مُجاهِرين لا يكفهم حياء ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فتزوّجوهنّ أراد أن يَقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم، وكان تزويج المسلمات من الكُفَّار جائزًا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الأُمة، فقد زوَّج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران. وقيل: كان لهم سيدان مُطاعان فأراد لوط لو أن يزوّجهما ابنتيه ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أحلّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ و﴿بَنَاتِى﴾ عطف بيان و﴿هُنَّ﴾ فصل و﴿أَطْهَرُ﴾ خبر المبتدأ، أو ﴿بَنَاتِى﴾ خبر و﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بإيثارهنّ عليهم ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي، أو ولا تُخجِلوني من **(الخزاية)** وهي الحياءُ، وبالياء: أبو عمرو في الوصل ﴿فِى ضَيْفِىٓ﴾ في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد **(خزي)** الرجل وذلك من **(عراقة)** الكرم وأصالة المروءة ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أي رجل واحد يهتدي إلى طريق الحق وفِعْل الجميل والكفّ عن السوء ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا، فمذهبنا إتيان الذكران ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة.

قوله: (مرنوا) من باب قعد، يقال: مرن على الشيء يمرن مرونًا ومرانة، أي تعوّده واستمرّ عليه. **قوله:** **(الخزاية)** بالفتح. **قوله:** **(خزي)** من باب علم. **قوله:** **(عراقة)** أصالة.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ جواب «لو» محذوف أي لفعلت بكم ولصنعت. والمعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنّع به فيحميني منكم، فشبَّه القوي العزيز (**بالركن من الجبل**) في شدّته ومنعته. رُوِيَ أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادّهم ما حكى الله عنه ويجادلهم. (**فتسوَّروا**) الجدار، فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ﴾ إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ فافتح الباب ودعنا وإيّاهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربّه في عقوبتهم فأذِن له، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ [القمر: الآية ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون: (**النجاء، النجاء**) فإن في بيت لوط قومًا سَحَرَة ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره ﴿فَأَسۡرِ﴾ (**﴿فاسر﴾ بالوصل**): حجازي (**من سُرى**) ﴿بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ طائفة منه أو نصفه ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ بقلبه إلى ما خلف أو لا ينظر إلى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد

قوله: (**بالركن**[1] **من الجبل**) الركن بسكون الكاف وضمّها الناحية من الجبل وغيره. **قوله**: (**فتسوروا**) **تصعدوا** سور الجدار.

قوله: (**النّجاء النّجاء**) أي اطلبوا النجاة أو انجوا بأنفسكم نجاةً، فهو إمّا مفعول به لاطلبوا، أو مفعول مطلق لانجوا، والتكرير للتأكيد، والنجاء ممدود ومقصور، أي يستعمل بالمدّ والقصر. **قوله**: (**﴿فاسر﴾ بالوصل**) أي بهمزة وصل حجازي، إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل حجازيّ، (**مِن سُرى**) بضمّ السين مصدر سرى بوزن هدى. والباقون بهمزة قطع مفتوحة من الإسراء وكلاهما بمعنى

(١) يعني جانبه.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ مستثنى من ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾. (وبالرفع: مكي وأبو عمرو على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾)، وفي إخراجها مع أهله روايتان. رُوِيَ أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدّة العذاب) التفتت (وقالت: يا قوماه. فأدركها حجر فقتلها. ورُوِيَ أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإنّ هواها إليهم فلم يَسْرِ بها، واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين) ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ أي

واحد، وباء ﴿بِأَهۡلِكَ﴾ للملابسة أو التعدية. **قوله:** (وبالرفع مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾)، واستشكل ذلك بأنه يلزم منه أنهم نُهُوا عن الالتفات إلّا المرأة، فإنها لم تُنه عنه، وهذا لا يجوز؛ ولذا جعله في المعنى مرفوعًا بالابتداء، والجملة بعده خبر والمستثنى الجملة. قال: ونظيره: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ [الغاشية: الآيات ٢٢ - ٢٤]. اهـ إتحاف. وقرأ الباقون بالنصب مستثنى من ﴿بِأَهۡلِكَ﴾. **قوله:** (وفي إخراجها مع أهله روايتان: رُوي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلّا هي، فلمّا سمعت هدَّة) أي صوت وقوع (العذاب وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها. ورُوِي أنه أُمِر أن يخلفها مع قومها، فإنّ هواها إليهم، فلم يَسِرْ بها. واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين) هكذا في الكشاف، وردّه ابن الحاجب بأنه باطل؛ لأن القراءتين ثابتتان قطعًا، فيمتنع حملها على وجهين: أحدهما باطل قطعًا، والقصة واحدة، فهو إمّا أن يسري بها أو لا، فإنْ كان قد سرى بها فليس مستثنى إلّا من قوله: ولا يلتفت. وإنْ كان ما سرى بها، فهو مستثنى من قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، فقد ثبت أن أحد التأويلين باطل قطعًا، فلا يُصار إليه في أحد القراءتين الثابتتين؛ فالأوْلى أن يكون ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ في الرفع والنصب مثل ما فعلوه ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [النساء: الآية ٦٦]، ولا يبعد أن يكون بعض القرّاء على الوجه الأقوى وأكثرهم على وجهٍ مرجوح، بل جوّز بعضهم أن يتّفق القرّاء على القراءة بغير الأقوى، وأجاب عنه بعض فُضَلاء المغرب بأنه يمكن حمله على أنه لا تخالف بين الروايتين بأن يكون ما سرى بها وخلفها لكنها سرت بنفسها وتبعتهم، فعلى تقدير صحة هذا لا تدخل في المخاطبين بقوله: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ﴾، لكن ابن مالك نقل هذا في توضيحه وقال: إنه تكلّف ولا شبهة فيه، وإن استحسنه المعربون وغيرهم وارتضاه أبو شامة، وقال: إنّ فيه اختصارًا، وأصله: فإن خرجت معكم

إن الأمر. ورُوِيَ أنه قال لهم متى موعد هلاكهم؟ قالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أسرع من ذلك فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

وتبعتكم من غير أن تكون أنت سريت بها، فانه أهلك عن الالتفات غيرها، فإنّها ستلتفت فيصيبها ما أصاب قومها، فكانت قراءة النصب دالّة على مجموع المعنى المراد وارتضاه الشارح المدقّق في الكشف وتمّمه بدفع ما يرد على الكشاف من أنه يلزم من قوله: واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين شكٌّ في كلام لا ريب فيه من ربّ العالمين، بأنّ معناه اختلاف القراءتين جالب وسبب لاختلاف الروايتين، كما تقول: السلاح للغزو، أي أداة وصالح ونحوهما ولم يرد أن اختلاف القراءتين قد حصل. ولا شكّ أن كل رواية تناسب قراءة، وهذا ما أمكنني في تصحيحه وأورد عليه أنه مع بُعده فيه أنه تنقلب حينئذ الرواية دراية لاتّحادهما من ظاهر القراءة، وأيضًا فيه التزام استلزام اختلاف الروايتين أمرًا محذورًا هو الجمع بين متنافيَيْن، وكلاهما غير وارد، فتأمّل.

وقال في المغني: الذي أجزم به أن قراءة الأكثرين ليست مرجوحة، وأن الاستثناء على القراءتين من (أَسْرِ) بدليل قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وأن الاستثناء منقطع بدليل سقوط، (ولا يلتفت) في سورة الحجر، والمراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته؛ كما في قوله لنوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هُود: الآية ٤٦]، ووجه الرفع أنه مبتدأ والجملة بعده خبره؛ كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ﴾ [الغاشية: الآيات ٢٢ - ٢٤] إلّا أنه جعل النصب على اللغة الحجازية والرفع على التميمية، ولم يجعل المستثنى جملة وهو أوْلى ليكون الرفع على اللغتين لضعف اللغة التميمية، والمعنى: أَسْرِ بالمؤمنين لكن امرأتك مصيبها ما أصابهم، وهو وجهٌ حسن. وذهب الرضي إلى أن الاستثناء متّصل ولا تناقض، قال: لما تقرّر أن الاتّباع هو الوجه مع الشرائط المذكورة، ولمّا كان أكثر القرّاء على النصب هنا تكلّف الزمخشري له ما مرّ، فاعترضَ عليه ابن الحاجب بما قرّرناه، والجواب أنّ الإسراء وإنْ كان مطلقًا في الظاهر إلا أنه مقيّد في المعنى بعدم الالتفات، فمآله أَسْرِ بأهلك إسراء لا التفات فيه إلّا امرأتك، فإنك تسري بها إسراء مع الالتفات، فاستثن على هذا إن شئت من (أَسْرِ) أو (لا يلتفت)، ولا تناقض. وهذا كما تقول: امش ولا تتبختر، أي امش

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراها، ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء **(نباح الكلاب)** وصِياح **(الديكة)**، ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا

مشيًا لا تتبختر فيه، فكأنه قيل: ولا يلتفت منكم أحد في الإسراء، وكذا امش ولا تتبختر في المشي، فحذف الجار والمجرور للعلم به، وقد ذكر مثله بعينه الفاضل اليمني. وفي شرح المغني أنه كثيرًا ما يأخذ كلام الرضيّ بعبارته كما يعرفه مَنْ تتبع وقد أورد عليه السيد قدّس سرّه في حواشيه: أن الاستثناء إذا رجع إلى القيد كان المعنى: فأَسْرِ جميع أهلك إسراء لا التفات فيه إلّا من امرأتك، فيكون الإسراء بها داخلًا في المأمور به، وإذا رجع إلى المقيّد لم يكن الإسراء داخلًا في المأمور به، فيكون المحذور باقيًا بحاله، ولا دفع له إلّا بأنّ تناول العامّ إيّاها ليس قطعيًّا لجواز أن يكون مخصوصًا، فلا يلزم من رجوع الاستثناء إلى قوله: **(ولا يلتفت)** كونه مأمورًا بالإسراء بها، وحينئذ يوجّه الاستثناء بما ذكر من أنها تَبِعتهم وأسرى بها مع كونه غير مأمور بذلك؛ إذ لا يلزم من عدم الأمر به النهي، فتأمّل. اهـ.

وفيه بحث، لأن قوله: وإذا رجع إلى المقيّد... الخ. إن أراد به أنّه لا يكون داخلًا في المأمور به مطلقًا، فليس بصحيح لتقيّده بالقيد المذكور. وإنْ أراد لا يدخل في المأمور به المقيّد، فلا ضرر فيه؛ لأنه إذا أمر بالإسراء مع التفاتهم وأخرجت المرأة من مجموع الإسراء، فالالتفات لا ينافي ذلك الأمر بالإسراء بها من غير التفات، فتأمّله فإنه غير وارد مع احتمال التخصيص من غير دليل لا وجه له، ومراده بالتقييد أنه ذكر شيئان متعاطفان، فالظاهر أن المراد الجمع بينهما؛ لأن الجملة حالية فلا يرد عليه أن الحمل على التقييد مع أن الواو للنسق ممنوع، وكذا جعلها للحال مع لا الناهية، وأيضًا القراءة بإسقاطها تدلّ على عدم اعتبار ذلك التقييد؛ فتأمّل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (نباح) بالضم صوت **(الكلاب)** جمع الكلب. **قوله**: **(الدِّيَكة)** وزان عِنَبة، جمع الدِّيك.

عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ هي كلمة معربة من سنك كل (بدليل قوله): ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: الآية ٣٣]، ﴿مَّنضُودٍ﴾ نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معدٌّ للعذاب ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ نعت لـ ﴿حِجَارَةً﴾ أي معلمة للعذاب. قيل: مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه أو في حكمه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ بشيء بعيد، وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرَض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾ هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن إبراهيم أي وأرسلنا شعيبًا إلى ساكني مدين أو إلى بني مدين ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ﴾ أي المكيل بالمكيال ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ والموزون بالميزان ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ (بثروة) وسعة تُغنيكم عن (التطفيف)، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ مُهلِك من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: الآية ٤٢] وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتمّوهما ﴿بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بالعدل. نُهوا أولًا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي

قوله: (بدليل قوله) في موضعٍ آخر.

قوله: (بثروة) الثروة كثرة المال. اهـ مصباح. **قوله**: (**التطفيف**) في المصباح: الطفيف مثل القليل وزنًا ومعنًى، ومنه قيل: التطفيف المكيال والميزان تطفيف، وقد طفّفه فهو مطفّف إذا كال أو وزن ولم يُوف. اهـ.

هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه، وجيء به مقيدًا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ البخس: النقص، كانوا يُنقِصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنُهوا عن ذلك ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **(العثى والعيث)** أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيًا منهم في الأرض.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ يبقى لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا هو حرام عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرط أن تؤمنوا. نعم بقية الله خير للكفَرة أيضًا لأنهم يَسلَمون معها من تَبِعَة البَخْس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر، وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه، أو المراد إن كنتم مصدِّقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ لنِعَمه عليكم فاحفظوها بترك البَخْس.

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ **(وبالتوحيد: كوفي غير أبي بكر)** ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ﴾ كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له: ما تستفيد بهذا؟ فكان يقول: إنها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح. فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا، أو أن نترك التبسّط في أموالنا ما نشاء من إيفاء ونقص. وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازًا كما سمّاها الله تعالى ناهية مجازًا ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أي السفيه الضالّ وهذه تسمية على القلب استهزاء، أو إنك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك.

قوله: (العثى والعيث) نحو جذب وجبذ.

قوله: (وبالتوحيد) أي بالإفراد (كوفي غير أبي بكر) أي قرأه حفص وحمزة والكسائي. والباقون بالجمع والتاء بالرفع في القراءتين.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ﴾ من لدنه ﴿رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ يعني النبوّة والرسالة أو مالًا حلالًا من غير بخس وتطفيف. وجواب ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ محذوف أي أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيًّا على الحقيقة، أيصحّ لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصي، والأنبياء لا يُبعَثون إلا لذلك؟ يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مُوَلٍ عنه، وخالفني عنه إذا ولّى عنه وأنت قاصده. ويلقاك الرجل صادرًا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء يريد، أنه قد ذهب إليه وارِدًا وأنا ذاهب عنه صادرًا، ومنه قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها (**لأستبدّ بها دونكم**) ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ ما أريد إلا أن أُصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهي عن المنكر ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكّنًا منه لا (آلو) فيه جهدًا ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ وما كوني موفَّقًا لإصابة الحق فيما آتي (وأذر) إلا بمعونته وتأييده ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ اعتمدت ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في السَّرَّاء والضَّرَّاء. «جرم» مثل «كسب» في تعدّيه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين ومنه قوله:

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم﴾ أي لا يكسبنّكم خلافي إصابة العذاب ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ وهو الغرق والريح

قوله: (**لاستبدّ بها دونكم**) في المصباح: استبدّ بالأمر انفرد به من غير مشارك له فيه. اهـ. **قوله**: (آلو) في مختار الصحاح: ألى من باب عدى، أي قصر، وفلان لا يألوك نُصْحًا فهو آلٍ. اهـ. **قوله**: (وأذر) في مختار الصحاح: تقول: ذَرْه أي دَعْه وهو يَذَره، ولا يقال: وذره ولا واذِر، لكن تركه فهو تارك. اهـ.

والرجفة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم، أو في المكان فمنازلهم قريبة منكم، أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوىء. **(وسُوِّي في قريب وبعيد)** وقليل وكثير بين المذكَّر والمؤنَّث لورودها على زِنَة المصادر التي هي **(الصهيل والنهيق)** ونحوهما.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ يغفر لأهل **(الجفاء)** من المؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ يحبّ أهل الوفاء من الصالحين ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي لا نفهم صحة ما تقول وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة لك ولا عِزَّ فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهًا ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم ـ وهو شرّ قتله ـ وكان رهطه من أهل مِلّتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي لا تعزّ علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعزّ علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا. **(وقد دلَّ إيلاء ضمير حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل)** كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزّة علينا ولذلك ﴿قَالَ﴾ في جوابهم.

قوله: **(وسوي في قريب وبعيد)**... الخ. إشارة إلى جواب ما يقال من أن لفظ القوم مؤنّث؛ كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٠٥]، فالقياس أن يقال ببعيدة. **قوله**: **(الصهيل)** صوت الخيل **(والنهيق)** والشهيق صوت الحمار.

قوله: **(الجَفاء)** ممدود ضدّ البرّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(وقد دلّ إيلاء ضمير)** أي إيلاء الضمير الذي هو عبارة عن شُعيب عليه الصلاة والسلام **(حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل)** بأن يتفق المتكلّم والمخاطب على وجود أصل الفعل، لكن المخاطب يخطىء في تعيين الفاعل، والمتكلّم يقصد أن يردّ إلى الصواب، وهذا يقتضي أن يكون أصل الكلام ما عززت أنت فقدم أنت للاختصاص، فإنه قد تقرّر أن تقديم المسند إليه يفيد تخصيصه بالخبر، أي قصر الخبر عليه إنْ وقع المسند إليه بعد حرف النفي بلا فصل، نحو: ما أنا قلت، أي

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ۝٩٢﴾

﴿يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولو قيل وما عززت علينا لم يصحّ هذا الجواب. وإنما قال: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعِزَّة عليهم دونه، لأن تهاونهم به - وهو نبيّ الله - تهاون بالله، وحين عزَّ عليهم رهطه دونه كان رهطه أعزّ عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: الآية ٨٠]، ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة إلى الأمس (إمسي) ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ قد أحاط بأعمالكم علمًا فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ۝٩٣﴾

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ هي بمعنى المكان يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة، أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكّن من الشيء يعني اعملوا فارّين على جهتكم التي أنتم عليها من الشِّرْك، و(الشنآن) لي، أو اعملوا متمكّنين من عداوتي مُطيقين لها ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ﴾ على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد

لم أقله مع أنه مقول لغيري، فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذي نفي عن المذكور، وإنما التزم تحقق التقديم في مثله؛ لأن كلمة ما لنفي الحال، والحال له اختصاص بالزمان؛ فالقياس أن يكون مدخولها فعلًا أو شبهه، وحيث وُجِد الاسم بعدها لا سيما الضمير دلّ ذلك على أن أصل الكلام ما عزّزت أنت، وأن التقديم لأجل الاهتمام والاختصاص. قال صاحب المفتاح في تفسير الآية: أي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت، لكونهم من أهل ديننا، ولذلك قال عليه الصّلاة والسلام في جوابهم:

﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ٩٢]، أي من نبيّ الله. **قوله**: (إمسي) بكسر الهمزة.

قوله: (الشنآن) البغض.

ويمكنني ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ «مَن» استفهامية معلّقة لفعل العلم من عمله فيها كأنه قيل: سوف تعلمون أيّنا يأتيه عذاب يُخزيه أي يفضحه، وأيّنا هو كاذب. أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم. وإدخال الفاء في ﴿سَوْفَ﴾ وصل ظاهر بحرف وضع للوصل، ونزعها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدَّر كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون. والإتيان بالوجهين للتفنّن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ وانتظروا العاقِبَة وما أقول لكم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر، والرقيب بمعنى الراقِب من رقبه كالضريب بمعنى الضارِب، أو بمعنى المُراقب كالعشير بمعنى المعاشر، أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا. وإنما ذكر في آخر قصة عاد ومَدين ﴿وَلَمَّا جَآءَ﴾ وفي آخر قصة ثمود ولوط ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كقولك: «وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت». وأما الأُخريان فقد وقعتا مبتدأين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ الجاثم اللازم لمكانه (لا يريم) يعني أن جبريل صاح بهم صيحة (فزهق) روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة.

قوله: (لا يُريم) في مختار الصحاح: رامَ يُريم أي برح، يقال: لا رِمْتَ أي لا بَرِحْتَ، وهو دعاء بالإقامة، أي لا زِلْتَ مقيمًا.اهـ. **قوله:** (فزهق) أي خرج.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (كأن لم يقيموا) في ديارهم أحياء متصرِّفين متردِّدين ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ (البُعْد بمعنى البَعَد) وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (وقرىء ﴿كَمَا بَعُدَتْ﴾) والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القُرب إلا أنهم فرَّقوا البُعد من جهة الهلاك وبين غيره، فغيَّروا البناء كما فرَّقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ المراد به العصا لأنها (أبهرها) ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا﴾ أي الملأ ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هو تجهيل لمُتَّبِعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين، وذلك أنه ادّعى الألُوهية وهو بشر مثلهم، وجاهَر بالظلم والشَّرّ الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل

قوله: (كأن لم يقيموا) من غنى بالمكان أي أقام. **قوله**: (البُعْد) بضمّ الباء وسكون العين (بمعنى البَعَد) ـ بفتحتين ـ وهو الهلاك.

قوله: (وقرىء ﴿كَمَا بَعُدَتْ﴾) بالضمّ، وهي قراءة شاذّة، وقارئه السلمي، والجمهور على كسر العين من (بعدت) على أنها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، بمعنى هلك يهلك أرادت العرب أن تفرّق بين البعد بمعنى الهلاك، وبين البعد الذي هو ضدّ القرب، ففرّقوا بينهما بصيغة البناء، فقالوا: بَعُد ـ بالضم ـ في ضدّ القرب، وبعِد ـ بالكسر ـ في ضدّ السلامة، والبُعْد ـ بالضمّ وسكون ـ مصدر لهما، والبعد ـ بفتحتين ـ إنما يُستعمل في مصدر مكسور العين، وقرىء بضمّ العين أخذًا من ضدّ القرب؛ لأنهم إذا هلكوا فقد بعدوا، ومنه قول الشاعر:

مَنْ كان بينك في التراب وبينه شبر فذا في غاية البعد

قوله: (أبهرها) في المصباح: بَهَرَه بَهْرًا من باب نفع غلبه وفضله، ومنه قيل للقمر: الباهر؛ لظهوره على جميع الكواكب. اهـ.

عن الألوهية. وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المُبين وعلِموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتّباعه إلى اتّباع مَن ليس في أمره رشد قطّ، أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة، ويكون قوله:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يتقدَّمهم وهم على عقبه تفسيرًا له وإيضاحًا أي كيف يرشد أمر مَن هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضي كما استعمل الغيّ في كل ما يذمّ ويقال قدَمه بمعنى تقدّمه ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أدخلهم. وجيء بلفظ الماضي لأن الماضي يدلّ على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل: يقدمهم فيُورِدهم النار لا مَحالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدَّمهم إلى النار وهم يتبعونه ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾ المورود و﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾ الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالوارِدة ثم قال: وبئس الوِرْد المورود الذي يَردونه النار لأن الوِرْد إنما يُراد لتسكين العطش والنار ضدّه ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ رفدهم **(أي بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى)**.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ خبر ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المُهلَكة مقصوص عليك ﴿مِنْهَا﴾ من القرى ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي بعضها باقٍ وبعضها **(عافي الأثر)** كالزرع القائم على ساقه والذي حصد، والجملة مُستأنفة لا محل لها من الإعراب.

قوله: **(أي بِئْس العَوْن المُعان أو بِئس العطاء المُعطى)** فإن الرفد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطيّة، تقول: رفدته أرفده رفدًا إذا أعطيته، وكذلك إذا أعنته، والإرفاد الإعطاء والإعانة.

قوله: **(عافي الأثر)** في المصباح: عفا المنزل يَعْفو عفوًا وعفوًّا وعَفَاء ـ بالفتح والمدّ ـ درس.اهـ. وأيضًا فيه: درس المنزل دروسًا من باب قعد عفا وخفيت آثاره.اهـ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بارتكاب ما به أهلكوا ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ فما قدرت أن تردّ عليهم بأس الله ﴿ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾ يعبدون وهي حكاية حال ماضية ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه و﴿لَّمَّا﴾ منصوب بـ «ما أغنت»، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير. يقال: تبَّ إذا خسر، وتبَّبه غيره أوقعه في الخسران يعني وما أفادتهم عبادة غير الله شيئًا بل أهلكتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (محل الكاف الرفع) أي ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ حال من ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾، ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفّار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يُبادر التوبة ولا يغترّ بالإمهال.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما قصّ الله من قصص الأُمم الهالكة ﴿لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي اعتقد صحته ووجوده ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دلّ عليه ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس. وإنما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم. وإنه أثبت أيضًا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكّون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي مشهود فيه (فاتسع في الظرف بإجرائه) مجرى المفعول به أي يشهد

قوله: (محل الكاف الرفع) على أنه خبر مقدّم للمصدر المذكور بعده.

قوله: (فاتّسع في الظرف بإجرائه) أي بحذف الجار وتعلّق الفعل بالظرف على صورة تعليقه بالمفعول به اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي القنوي: أي جوّز فيه

فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ أي اليوم المذكور. الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، والعدّ إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ﴾ إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف، أو ما نؤخر هذا اليوم إلا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ **(وبالياء مكي، وافقه أبو عمرو ونافع وعلي) في (الوصل)**، وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة تُوجب حذفها، وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ﴿مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ [الكهف: الآية ٦٤] وفاعل ﴿يَأۡتِ﴾ ضمير يرجع إلى قوله: ﴿يَوۡمٌ مَّجۡمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ لا اليوم المضاف إلى ﴿يَأۡتِ﴾ و﴿يَوۡمَ﴾ منصوب باذكر أو بقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ أي لا تتكلم ﴿نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ أي لا يشفع أحد إلا بإذن الله، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ الضمير لأهل الموقف لدلالة ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ عليه وقد مرَّ ذكر الناس في قوله: ﴿مَّجۡمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ ﴿شَقِيٌّ﴾ معذب ﴿وَسَعِيدٌ﴾ أي ومنهم سعيد أي منعم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ هو أول نهيق الحمار ﴿وَشَهِيقٌ﴾ هو آخر، **(أو هما إخراج النفي وردّه)**، والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار.

فجعل اليوم نفسه مشهودًا مع أنه وصف الخلائق بملابسة الظرفية والمظروفية، وله نظائر كثيرة كصام نهاره، وقام ليله، وهذا أُريد به المبالغة، وهنا أُريد به تعظيم اليوم وتفضيحه.اهـ. **قوله**: (وبالياء مكّي) أي ابن كثير المكي وصلًا ووقفًا، **(وافقه أبو عمرو ونافع وعليّ)** الكسائي في (الوصل)، والباقون بالحذف في الحالين لقصد التخفيف على حدّ لا أدر[1] اكتفاءً بالكسر.

قوله: (أو هما إخراج النفس وردّه) عبارة تفسير البيضاوي: الزفير إخراج النفس والشهيق ردّه، واستعمالهما في أوّل النهيق وآخره.اهـ. وفي مختار

---

(١) سمع من العرب: لا أذر ولا أبال، وهي لغة لهذيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال مقدّرة ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ في موضع النصب أي مدة دوام السمٰوات والأرض، والمراد سمٰوات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل على أن لها سمٰوات وأرضًا قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، وقيل: ما دام فوق وتحت ولأنه لا بدَّ لأهل الآخرة مما (**يقلّهم**) ويظلّهم إما سماء أو عرش وكلّ ما أظَلَّكَ فهو سماء، أو هو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب: (**ما لاح**) كوكب، وغير ذلك من كلمات التأبيد ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء من الخلود في عذاب النار، وذلك لأن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار، أو ﴿مَا شَآءَ﴾ بمعنى مَن شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضًا لمُفارقتهم إياها بكونهم في النار أيامًا، فهؤلاء لم يشقوا شقاوة مَن يدخل النار على التأبيد، ولا سُعِدُوا سعادة مَن لا تمسّه النار، وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ بالشقي والسعدي.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾، (﴿سُعِدُواْ﴾ وحمزة وعلي وحفص لازم، وسعَده يسعَده مُتعَدّ) ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء

الصحاح: الزّفير أوّل صوت الحمار والشهيق آخره؛ لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه.اهـ. وأيضًا فيه في فصل الشين: شهيق الحمار آخر صوته وزفيره أوّله.اهـ. وأيضًا فيه وقيل: الشهيق ردّ النفس، والزفير إخراجه.

قوله: (**يقلهم**) أي يحملهم. **قوله**: (ما لاح) أي أوْمض.

قوله: (﴿سُعِدُواْ﴾) بضم السين بالبناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده (**حمزة وعلي**) الكسائي (**وحفص**)، وقرأ الباقون بفتحها مبنيًّا للفاعل من اللازم، (**سعد**) من باب سَلِم (**لازم وسعده يسعده**) بفتحتين (**متعدّ**).

من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه، أو معناه إلا مَن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الاستثناء في الآيتين لأهل الجنة» ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها، ولا يكون له أيضًا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء، والمعتزلة لما لم يروا خروج العُصاة من النار ردّوا الأحاديث المروية في هذا الباب وكفى به إثمًا مُبينًا ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: الآية ٢٥] وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء. قيل: (كفرت الجهمية) بأربع آيات ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: الآية ٣٥]، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: الآية ٩٦]، ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: الآية ٣٣].

لما قصَّ الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحلَّ بهم من نقمه وما أعدَّ لهم من عذابه قال:

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ۝١٠٩ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١١٠﴾

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ أي فلا تشك بعدما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله ﷺ وعِدَة بالانتقام منهم ووعيدًا لهم. ثم قال: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ﴾ يريد أن حالهم في الشِّرك مثل حال آبائهم، وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله، وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية و«ما» في ﴿مِّمَّا﴾ و﴿كَمَا﴾ مصدرية أو موصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم، أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حال من ﴿نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ أي كاملًا ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

قوله: (كفرت الجهميّة) أصحاب جهم بن صفوان، يقول: إن الجنّة والنار تفنيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلية لرسول الله ﷺ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ إنه لا يُعاجلهم بالعذاب ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن أو من العذاب ﴿مُرِيبٍ﴾ من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه يعني وإن كلهم أي وإن جميع المختلفين فيه (﴿وَإِنَّ﴾ مشددة ﴿لَّمَا﴾ مخفف: **بصري وعلي**)، «ما» مزيدة جيء بها ليفصل بها بين لام «إن» ولام ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ وهو جواب قسم محذوف، واللام في ﴿لَمَا﴾ موطئة للقسم والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينّهم ﴿رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم من إيمان وجحود وحسن وقبيح. (**بعكس الأول: أبو بكر، مخففان: مكي ونافع**) على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارًا لأصلها الذي هو التثقيل، ولأن «إن» تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو «لم يكن» و«لم يك» فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل. وأحسن ما قيل فيه أنه من (**لممت**) الشيء جمعته لمًّا، ثم وقف فصار «لما» ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما نفيه ألف التأنيث من المصادر. وقرأ (**الزهري**) ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمًّا﴾ بالتنوين كقوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: الآية ١٩]. وهو

قوله: (و﴿وَإِنَّ﴾ مشدّدة ﴿لَمَا﴾ **مخفّف بصري**) أي أبو عمرو بن العلاء البصري ويعقوب البصري، وليس من السبعة، (**وعليّ**) الكسائي. **قوله**: (**بعكس الأوّل: أبو بكر**) أي قرأ أبو بكر بتخفيف النون وتشديد الميم جعل ﴿إِن﴾ نافية، و﴿لَّمَّا﴾ كـلا، وكلا منصوب بمفسر بقوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هُود: الآية ١١١]، أو بتقدير أمري. اهـ إتحاف. **قوله**: (**مخفّفان**) أي بتخفيف نون ﴿أَن﴾ وميم ﴿لَّمَا﴾ [هُود: الآية ١٠١] (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي، (**ونافع**) المدني. **قوله**: (**لممت**) بابه ردّ. **قوله**: (**الزهري**) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. وروى عنه جماعة من

يؤيد ما ذكرنا والمعنى، وإن كلّا ملمومين أي مجموعين كأنه قيل: وإن كلّا جميعًا كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر: الآية ٣٠]. وقال صاحب الإيجاز: «لما» فيه معنى الظرف وقد دخل في الكلام اختصار كأنه قيل: وإن كلّا لما بعثوا ليوفينَّهم ربك أعمالهم. وقال الكسائي: ليس لي بتشديد «لما» علم. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل عنها ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ معطوف على المستتر في «استقم» وجاز للفاصل يعني فاستقم أنت وليستقم مَن تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصًا ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مُجازيكم فاتقوه. قيل: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية كانت أشقّ عليه من هذه الآية ولهذا قال: «شيبتني هود».

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

(﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾) ولا تميلوا. (قال الشيخ) رحمه الله: هذا خطاب لأتباع الكَفَرَة أي لا تركنوا إلى القادة والكُبَراء في ظلمهم وفيما يدعونكم

الأئمّة، منهم مالك بن أنس، وسفيان بن عُيينة، وسفيان الثوري. توفي ليلة الثلاثاء سبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة. والزهري ـ بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء ـ هذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرّة، وهي قبيلة كبيرة من قريش.

قوله: (قال الشيخ) . . . الخ. عبارة الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾) وإن خرج مخرج العموم فهو خاصّ؛ لأنه لا كلّ ظالم يركن إليه تمسّه النار، وكان هذا لأتباع الكفرة، أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم إليه، فتمسَّكم النار، والله أعلم. انتهت.

إليه ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وقيل: الركون إليهم الرِّضا بكفرهم. وقال قتادة: ولا تلحقوا بالمشركين. (وعن الموفق) أنه صلى خلف الإمام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما أفاق قيل له فقال: هذا فيمن ركن إلى مَن ظلم فكيف بالظالم! وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟﴾ وقال سفيان: في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القرّاء الزائرون للملوك. وعن (الأوزاعي): ما من شيء أبغض إلى الله من عالِم يزور عامِلًا. وقال رسول الله ﷺ: «مَن دعا لظالم بالبقاء فقد أحبَّ أن يعصى الله في أرضه». ولقد سُئِل (سفيان الثوري) عن ظالم أشرف على الهلاك في بريَّة هل يسقى شربة ماء فقال: لا، فقيل له: يموت قال: دعه يموت ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ حال من قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة، ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم. ومعنى «ثم» الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة.

قوله: (وعن الموفّق) أي موفق الدِّين الموصلي البغدادي الإمام العلامة ذي الفنون وصاحب التصانيف أبي محمد عبد اللّطيف بن يوسف رحمه الله مولده ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ومات بها في ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة. **قوله**: (الأوزاعي) هو أبو عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحْمِد إمام أهل الشام لم يكن بالشام أعلم منه، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت. رُوِيَ أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، فحلَّ سفيان بعيره من القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مرّ بجماعة قال: الطريق للشيخ. سمع من الزهري وعطاء، وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كثيرة، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. والأوزاعي بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة هذه النسبة إلى أوْزاع، وهي بطن من ذي الكلاع من اليمن، وقيل: بطن من همدان، واسمه مرثد بن زيد، وقيل: الأوزاع قرية بدمشق على طريق باب الفراديس، ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم، فنُسِب إليهم. **قوله**: (سفيان الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي، كان إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم،

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ غدوة وعشية ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ﴾ وساعات من الليل (جمع زلفة) وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قرَّبه. وصلاة الغدوة الفجر، وصلاة العشية الظهر والعصر، لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء، وانتصاب ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك: «أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره». تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ إن الصلوات الخمس يُذهِبْن الذنوب وفي الحديث «إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب» أو الطاعات. قال عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» أو سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ فما بعده أو القرآن ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ عِظَة للمتَّعظين. نزلت في (عمرو بن غزية الأنصاري) بائع التمر قال لامرأة: في البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيًا باكيًا فنزلت فقال عليه السلام: «هل شهدت معنا العصر»؟ قال: نعم. قال: «هي كفَّارة لك». فقيل: أله خاصة؟ قال: «بل للناس عامّة». ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على امتثال ما أمرت به والانتهاء عمّا نهيت عنه فلا يتمّ شيء منه إلا به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهي من قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ وغير ذلك من الحسنات. .

وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمّة المجتهدين، مولده في سنة خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع وتسعين للهجرة، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة. والثوري ـ بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء مهملة ـ هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.

قوله: (جمع زلفة) كظُلَم وغُرَف في جمع ظُلْمة وغُرْفة. **قوله:** (عمرو بن غزية) ـ بغين معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وتحتانية ثقيلة ـ ابن عمرو بن ثعلبة، شهد العقبة وبدرًا رضي الله عنه. (الأنصاري) الخزرجي.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فهلّا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل ﴿أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أولو فضل وخير، وسُمّي الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلًا في الجودة والفضل. ويقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم، ومنه قولهم: «في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا» ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عجب محمد عليه السلام وأمته أن لم يكن في الأُمم التي ذكر الله إهلاكهم في هذه السورة جماعة من أُولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع أي ولكن قليلًا ممَّن أنجينا من القرون نُهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي. و«من» في ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للنّاهين وحدهم بدليل قوله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ١٦٥]. ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي التاركون للنهي عن المنكر، وهو عطف على مضمر أي قليلًا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على «نهوا» ﴿مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ أي أتبعوا ما عرفوا فيه من التنعّم والترفّه من حبّ الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ (اعتراض) وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ اللام لتأكيد النفي ﴿بِظُلْمٍ﴾ حال من الفاعل أي لا يصحّ أن يهلك الله القرى ظالمًا لها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ قوم ﴿مُصْلِحُونَ﴾ تنزيهًا لذاته عن الظلم. وقيل: الظلم الشِّرْك أي لا يهلك القرى بسبب شِرك أهلها

قوله: (اعتراض) جعله اعتراضًا بناءً على أنه يكون في آخر الكلام عند أهل المعاني.

وهم مُصلِحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمون إلى شِركهم فسادًا آخر ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي متفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك. وقالت المعتزلة: هي مشيئة قسر، وذلك رافع للابتداء فلا يجوز ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الكفر والإيمان أي ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلا ناسًا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي ولما هم عليه من الاختلاف فعندها خلقهم للذي علم أنهم سيصيرون إليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم أنه سيصيرون إليه، كذا في شرح التأويلات ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لعلمه بكثرة مَن يختار الباطل.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَكُلًّا﴾ التنوين فيه عِوَض من المضاف إليه كأنه قيل: وكل نبأ وهو منصوب بقوله: ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ بيان لكل وقوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ بدل من ﴿وَكُلًّا﴾، ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصّة ما هو حق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على مكانتنا ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحو ما اقتصّ الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فلا بدّ أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم. (﴿يُرْجَعُ﴾: **نافع وحفص**) ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيك وكافلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (**وبالتاء: مدني**

قوله: (﴿يُرْجَعُ﴾) بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول (**نافع وحفص**)، والباقون بفتح الياء وكسر الجيم. **قوله**: (**وبالتاء**) على الخطاب (**مدني**) أي نافع

وشامي وحفص)، أي أنت وهم على تغليب المخاطب. قيل: خاتمة التوراة هذه الآية وفي الحديث «مَن أَحَبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى».

المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وحفص)**، والباقون بالياء على الغيبة.

تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود
والحمد للمنعم الودود والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد
صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود
وعلى آله وصحبه ما تجدّد الموجود وتباعد المفقود

(سورة يوسف) عليه السلام

(مكيَّة مائة وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ①﴾، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات هذه السورة، و﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ السورة أي تلك الآيات التي أُنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاب العرب، أو التي تبيَّن لمَن تدبّرها أنها من عند الله لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام، فقد رُوِيَ أن علماء اليهود قالوا للمشركين: سَلوا محمدًا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يوسف عليه السلام

قوله: (سورة يوسف عليه السلام، مكية مائة وإحدى عشرة آية) بالاتّفاق، وعدد كلماتها ألف وتسعمائة وستّ وتسعون كلمة، وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستّة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنًا عربيًا، وسُمِّي بعض القرآن قرآنًا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ لكي تفهموا معانيه ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: الآية ٤٤]، ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ نبيِّن لك أحسن البيان. والقاصّ الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن **(الزجّاج)**، وقيل: القصص يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص تقول: قصَّ الحديث يقصّه قصصًا، ويكون فعلًا بمعنى مفعول كالنقض والحسب، فعلى الأول معناه نحن نقصّ عليك أحسن الاقتصاص ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون ﴿أَحۡسَنَ﴾ منصوبًا نصب المصدر لإضافته إليه والمقصوص محذوف لأن ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ مُغْنٍ عنه. والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتصّ على أبدع طريقة وأعجب **(أسلوب)** فإنك لا ترى اقتصاصه في كتب الأوّلين مُقارِبًا لاقتصاصه في القرآن. وإن أُريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقصّ عليك أحسن ما يقصّ من الأحاديث، وإنما كان أحسن لما يتضمن من **(العبر)** والحكم والعجائب التي ليست في غيره. والظاهر أنه أحسن ما يقتصّ في بابه كما يقال: «فلان أعلم الناس» أي في فنّه، واشتقاق القصص من قصّ أثره إذا تبعه لأن الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئًا فشيئًا ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ الضمير

قوله: **(الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّيّ بن سهل النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وأخذ الأدب عن المُبرِّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنُسِب إليه، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله**: **(أسلوب)** في مختار الصِّحاح: الأُسلُوب الفنّ.اهـ. وأيضًا فيه: الفَنّ واحد الفُنُون وهي الأنواع والأفانين، الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه ورجل مُتَفَنِّن أي ذو فُنُون وافنَنَّ الرجل في حديثه وفي خطبته بوزن اشتوَّ جاء بالأفانين. **قوله**: (العبَر) جمع عبرة مثل سدرة وسدر.

يرجع إلى «ما أوحينا»، ﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ عنه «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارِقة بينها وبين النافية يعني وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به.

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾

﴿إِذۡ قَالَ﴾ (بدل اشتمال) من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ لأن الوقت مشتمل على القصص أو التقدير: اذكر إذ قال ﴿يُوسُفُ﴾ اسم (عبراني) لا عربي إذ لو كان عربيًا لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب (﴿يَٰٓأَبَتِ﴾) «أبت» (شامي) وهي تاء تأنيث عوّضت عن ياء الإضافة لتناسبهما، لأن كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف. (**وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر كما في: رجل ربعة**)، وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة. ومَن فتح التاء فقد حذف الألف من («يا أبتا») واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من

قوله: (**بدل اشتمال**) لاشتمال الظرف وهو وقت قول يوسف عليه السلام لأبيه بالمظروف، وهو ما يقصّ في ذلك الوقت، والمراد بالوقت الأمر الممتدّ يتّسع ما يقص فيه جميعًا. اهـ قنوي. **قوله**: (**عبراني**) أي أنه علم أعجمي؛ إذ العجمة ما عدا العربية. وفي لسان العرب: العِبْرانيّة لغة اليهود والعِبْريّ بالكسر العِبْرانيّ لغة اليهود. اهـ. **قوله**: (﴿يَٰٓأَبَتِ﴾) بفتح التاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالكسر. عبارة الخطيب: قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أصله يا أبي، فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة، ولذلك قَلبها ابن كثير وابن عامر هاء في الوقف، ووقف الباقون بالتاء كالرسم، وفي الوصل بالتاء للجميع، وفتح التاء في الوصل ابن عامر وكسرها الباقون، انتهت بحروفها. **قوله**: (**وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر**) فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر؟ أُجيب بأنه كثيرًا ما يوصف المذكّر بما فيه تاء التأنيث (**كما في: رجل ربعة**) الرّبعة بسكون الباء مربوع الخلق لا قصير ولا طويل. **قوله**: (**يا أبتا**) وإنما جاز يا أبتا ولم يجز يا أبتي؛ لأنه جمع بين العوض والمعوض، وهذا لا يجوز. وأمّا علة جواز يا أبتا هو أنه جمع بين العوضين، ولا كلام في جوازه ووقوعه.

حذف الياء في «يا غلام» ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ (من الرؤيا لا من الرؤية) ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (أسماؤها ببيان النبي عليه السلام): جربان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب إخوته. قيل: الواو بمعنى «مع» أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر. وأجريت مجرى العقلاء في ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية بالحال، أو الثانية كلام مُستأنف على تقدير سؤال وقع جوابًا له كأن أباه قال له: كيف رأيتها؟ فقال: رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين وهو حال، وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة أو ثمانون.

قوله: (من الرؤيا لا من الرؤية)، لقوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾... الخ. يعني كليهما مصدر لرأى، لكن فرّق بين كونها بصرية بجعل مصدرها رؤية وحُلمية بجعله رؤيا. **قوله**: (أسماؤها ببيان النبيّ عليه السلام)... الخ. رُوِيَ عن جابر أن يهوديًا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهنّ يوسف؛ فسكت، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك، فقال: «إذا أخبرتك فهل تُسلم»؟ قال: نعم، قال: «جربّان والطارق والذُّيّال وقابس وعمودان والفليق والمصبِّح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له»، فقال اليهوديّ: أي والله إنها لأسماؤها، هذا الحديث أخرجه جماعة كابن أبي حاتم والحاكم وجماعة من المفسّرين، واختلف في صحته فقال أبو زرعة وابن الجوزي: إنه منكر موضوع، وقال الحاكم: إنه صحيح على شرط مسلم، وذكروا أن اسم اليهودي سنان، وجربان ـ بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الباء ـ منقول من اسم طوق القميص، والطارق معلوم ما يطلع ليلًا، والذّيال من ذوات الأذناب، وقابس ـ بقاف وموحدة وسِين ـ مقتبس النار، وعمودان تثنية عمود، والفليق نجم منفرد، والمصبّح ما يطلع قبيل الفجر، والفرغ ـ بفاء وراء مهملة ساكنة وغين معجمة ـ نجم عند الدلو، ووثاب ـ بتشديد المثلثة ـ سريع الحركة، وذو الكتفين تثنية كتف نجم كبير. اهـ بيضاوي وشهاب وقنوي.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ **(بالفتح حيث كان: حفص)** ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾ هي بمعنى الرؤية إلا أنها مختصّة بما كان منها في المنام دون اليقظة، وفرّق بينهما بحر في التأنيث **(كما في القربة والقربى)** ﴿عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾ جواب النهي أي إن قَصصتها عليهم كادوك. عرف يعقوب عليه السلام أن الله يصطفيه للنبوّة ويُنعِم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الإخوة. وإنما لم يقل فيكيدوك كما قال: ﴿فَكِيدُونِي﴾ [هود: الآية ٥٥] **(لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام)** ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو «فيحتالوا لك» ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو ﴿كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ **(ظاهر العداوة)** فيحملهم على الحسد والكيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الاجتباء الذي دلّت عليه رؤياك ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يصطفيك، والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبيت الماء في الحوض جمعته ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل: وهو يعلّمك ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي تأويل الرؤيا، وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا، أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله

قوله: (بالفتح حيث كان: حفص) على أن أصلها: يا بنيا، الذي أصله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، أُبدلت ياء الإضافة ألفًا؛ كما قيل في يا غلامي يا غلاما بناءً على أن الألف والفتحة أخفّ من الياء والكسرة، وقرأ الباقون: ﴿يَٰبُنَيِّ﴾ بحذف ياء الإضافة اكتفاءً بالكسرة، كما قيل: يا غلام، في يا غلامي، فإن ابن يصغّر على بنيّ فإذا أُضيف إلى ياء المتكلم قيل: يا بني. **قوله: (كما في القربة)** للتقرّب المعنوي بعبارة ونحوها، (والقربى) للنسبى. **قوله: (لأنه ضمن معنى فعل يتعدّى باللام)** كأنه قيل: فيكيدوك محتالين لك، أو فيحتالوا كائدين. **قوله:** (ظاهر العداوة) بيان لأن ﴿مُّبِينٌ﴾ من أبان اللازم.

(وهو اسم جمع للحديث) وليس بجمع أحدوثة ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أي جعلهم أنبياء الدنيا وملوكًا، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة. وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم، وأصل آل أهل بدليل تصغيره على «أهيل» إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له (**خطر**)، يقال: آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام، ولكن أهله، وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبيًا وإخوته أنبياء استدلالًا بضوء الكواكب فلذا قال: ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أراد الجد وأبا الجد ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عطف بيان لـ ﴿أَبَوَيْكَ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ يعلم مَن يحقّ له الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي في قصتهم وحديثهم ﴿ءَايَٰتٌ﴾ علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء. (﴿آيةٌ﴾ مكي) ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ لمن

قوله: (**وهو اسم جمع للحديث**) ولم يجعله جمعًا للحديث لأن فعيلًا لا يجمع على أفاعيل، بل يجمع على فعل، نحو: قبيل وقبل، وعلى أفعلة نحو قفيز وأقفزة، وفعلان قفيز وقفزان، وعلى أفعلاء نحو نبيّ وأنبياء، وعلى فُعَلاء نحو شهيد وشُهَداء، وعلى فعال نحو كريم وكرام، وعلى أفعال نحو شريف وأشراف؛ فنحو أقاطيع وأحاديث ينبغي أن يجعل اسم جمع حديث وقطيع. قال صاحب الكشاف عفا الله عنه في سورة المؤمن: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ، وتكون جمعًا للأُحدوثة الذي هو مثل الأضحوكة والأُعجوبة، ولا يصحّ أن يجعل جمع أُحدوثة في الآية؛ لأنها عبارة عما سيحدث به الناس تلهيًا بحيث يتعجّب منه ويضحك؛ لأنه يقال: أحاديث الشيء، ومن الممتنع أن يُطلق على الكلام النبوي أُحدوثة، وقيل: إنه جمع لواحد غير ملفوظ به، كأنهم جمعوا حديثًا على أحدثة، ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأقاطيع. **قوله**: (خطَر) أي قدرٌ ومنزلة.

قوله: (﴿آيةٌ﴾ مكّي) أي قرأ ابن كثير المكّي: ﴿آيةٌ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، والباقون بالجمع تصريحًا بالمراد.

سأل عن قصتهم وعرفها، أو آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وأسماؤهم: (**يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي**) وزبولون ويشجر وأمهم (**ليا بنت ليان**)، ودان ونفتالي وجاد وآشر (**من سُرّيّتين زلفة وبلهة**)، فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل (**فولدت له بنيامين ويوسف**).

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شُبهة فيه. وإنما قالوا ﴿وَأَخُوهُ﴾ وهم إخوته أيضًا لأن أُمهما كانت واحدة، وإنما قيل: ﴿أَحَبُّ﴾ في الاثنين (**لأن أفعل من**) لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث، (**ولا بد من الفرق مع لام التعريف**) وإذا أُضيف ساغ الأمران. والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ للحال أي أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كُفاة نقوم بمرافقه، فنحن أحقّ بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا. والعصبة العشرة فصاعدًا.

قوله: (**يهوذا**) بدال مهملة وأصله بالمعجمة بالعبرانية، لكن تصرفت فيه العرب فأهملوها. اهـ شيخنا. اهـ جمل. وهو أكبرهم وأحسنهم رأيًا، وهو أبو الملوك. **قوله**: (**وروبيل**) وهو أكبرهم سنًّا. **قوله**: (**وشمعون**) بكسر الشين. اهـ قنوي. وفي المغني: بفتح معجمة. اهـ. **قوله**: (**ولاوى**) ويُروى: ليوى، كأنه إمالته، وهو أبو الأنبياء عليهم السلام. **قوله**: (**ليا بنت ليان**) وهي ابنة خال يعقوب. **قوله**: (**من سُرّيّتين**) بضم السين وتشديد الراء والياء، أي من جاريتين (**زلفة وبُلهة**). **قوله**: (**فولدت له بنيامين ويوسف**) بنيامين ـ بكسر الباء ـ قال مولانا سعدى: وماتت راحيل من نفاسه، فيكون بنيامين آخر ولده، فعلم أن يوسف عليه السلام أكبر سنًّا منه، فتقديمه في الذِّكر للترقّي.

قوله: (**لأن أفعل من**) أي لأن أفعل التفضيل المستعمل بلفظة من. **قوله**: (**ولا بدّ من الفرق**) إذا كان معرّفًا (**مع لام التعريف**).

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ من جملة ما حكى بعد قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ كأنهم أطبقوا على ذلك إلا مَن قال لا تقتلوا يوسف. وقيل: الآمِر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف **(ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة)** ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد سلامة محبته لهم ممَّن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، وجاز أن يُراد بالوجه الذات كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: الآية ٢٧]، ﴿وَتَكُونُوا﴾ مجزوم عطفًا على ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير إلى مصدر «اقتلوا» أو «اطرحوا» ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيًا ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فإن القتل عظيم ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر.

قوله: (ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة) يعني أن قوله: ﴿أَرْضًا﴾ [يوسف: الآية ٩] منصوب على أنه ظرف مكان، وظرف المكان إنما ينصب بتقدير في إذا كان مبهمًا غير محدود، ولفظ ﴿أَرْضًا﴾ [يوسف: الآية ٩] لمّا كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهمًا وتنكيرها في حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن أرض أبيه، فازداد بذلك إبهاماً. فإن قيل: المعلوم أن يوسف عليه الصّلاة والسلام لم يخلُ من الكون في أرض، فتبيّن أنهم أرادوا أرضًا بعيدة غير التي هو فيها، ومثل هذا المكان لا يتعدّى إليه إلّا بواسطة في، فلا بدّ أن يكون انتصابه مبنيًا على إسقاط الخافض؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦]. فالجواب أن الظرف المبهم عبارة عمّا ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه، و﴿أَرْضًا﴾ [يوسف: الآية ٩] في الآية الكريمة من هذا القبيل.

(**غيابات وكذا ما بعده: مدني**) ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ بعض الأقوام (**الذين يسيرون**) في الطريق ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ به شيئًا.

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه، وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف (**استنزاله عن رأيه**) وعادته في حفظه منهم، وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ - نرتع - نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرتعة السَّعة ﴿وَيَلْعَبْ﴾ - ونلعب - نتفرج بما يُباح كالصيد والرمي والركض. (**بالياء فيهما مدني وكوفي، وبالنون فيهما: مكي وشامي وأبو عمرو، وبكسر العين: حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي**) ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه.

قوله: (**غيابات**) بالجمع (**وكذا ما بعده: مدني**) أي قرأه نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، كأنه كان لتلك الجبّ غيابات، وهي - أي الغيابة - قعره أو حفرة في جانبه، والباقون بالإفراد؛ لأنه لم يُلْقَ إلّا في واحدة، والجبّ البئر التي لم تُطْوَ. **قوله**: (**الذين يسيرون**) أي ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾، اللام فيها موصولة، وهي بمعنى المضارع كما هو مقتضى المقام.

قوله: (**استنزاله عن رأيه**) أي تبديل رأي يعقوب على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام من خوفه عليه منهم. **قوله**: (**بالياء فيهما مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي (**وبالنون فيهما مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وأبو عمرو. وبكسر العين حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: **حجازي**. (**من ارتعى يرتعي افتعال من الرَّعْي**) وسكن العين أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي رحمه الله مضارع رتع: انبسط في الخصب، فيكون صحيح الآخر جزمه بالسكون.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ اعتذر إليهم بأن ذهابهم به مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة وأنه يخاف عليه من (**عدوة** ﴿ٱلذِّئْبُ﴾) إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ اللام مُوطِئة للقَسَم، والقَسَم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب. والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جواب للقسم مُجزِىء عن جزاء الشرط أي إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذًا وخسرناها، وأجابوا عن عذره الثاني دون الأول (**لأن ذلك كان يغيظهم**).

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥﴾

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ (**أي عزموا على إلقائه**) في البئر وهي بئر على ثلاثة (**فراسخ**) من منزل يعقوب عليه السلام، وجواب «لما» محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد رُوِيَ أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا، فلما أرادوا إلقاءه في

قوله: (عَدْوَة) بالفتح. **قوله**: (﴿ٱلذِّئْبُ﴾) يُهمز ولا يُهمز، ويقع على الذَّكر والأُنثى، وربما دخلت الهاء في الأنثى، فقيل: ذئبة. اهـ مصباح. **قوله**: (**لأن ذلك كان يغيظهم**) ويُذيقهم **الأمَرِّيْن** ـ بكسر[1] الراء ـ قال أبو منصور: جاء هذا على لفظة الجماعة بالنون عن العرب أي الدواهي فأعاروه آذانًا صمًّا ولم يعبؤوا به. اهـ كشاف.

قوله: (**أي عزموا على إلقائه**) إشارة إلى معنى أصل الإجماع، أي أصل معنى الإجماع العزم المصمّم، وأنه **على** حذف الجار من متعلّقه، **أي على** أن يجعلوه. **قوله**: (**فراسخ**) جمع الفرسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذّراع أربع وعشرون أصبعًا، والأصبع ستّ شعيرات، بطن كل واحدة إلى

---

(١) وبفتحها على التثنية عن ابن الأعرابي. منه عمّ فيضهم.

الجبّ تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطِّخوه (بالدم) فيحتالوا به على أبيهم ودلوه في البئر، وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام. ويُروَى أن إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار جُرِّد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحٰق، وإسحٰق إلى يعقوب فجعله يعقوب في (تميمة) علَّقها في عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قيل: أوحي إليه في الصغر كما أُوحي إلى يحيىٰ وعيسى عليهما السلام. وقيل: كان إذ ذاك (مدركًا) ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي لتحدِّثنَّ إخوتك بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك، وذلك أنهم حين دخلوا عليه (ممتارين) فعرفهم وهم له منكِرون، دعا (بالصّواع) فوضعه على يديه ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس، أو يتعلق ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بـ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ أي آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ للاستتار والتجسّر على الاعتذار ﴿يَبْكُونَ﴾ حال عن (الأعمش) لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف، فلما سمع صوتهم فزع وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا. قال: فما بالكم وأين يوسف؟

الأخرى. **قوله**: (بالدم) أي بدم سخلة ذبحوها. **قوله**: (تميمة) التميمة عُوذة تُعلَّق على الإنسان. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (مدركًا) أي بالغًا كاملًا أشدّه. **قوله**: (ممتارين) في المصباح: مارهم ميرًا من باب باع أتاهم بالميرة - بكسر الميم - وهي الطعام وامتارها لنفسه. اهـ. **قوله**: (بالصُّواع) في مختار الصحاح: الصُّواع لغة في الصاع، وقيل: هو إناء يشرب فيه. اهـ.

قوله: (الأعمش) هو أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي الإمام المشهور كان ثقة عالمًا فاضلًا، توفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ أي نتسابق في العدو أو في الرمي. والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ بمصدِّق لنا ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ ولو كنّا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيىء الظن بنا غير واثق بقولنا؟!

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ (ذي كذب) أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزّور بذاته. رُوِي أنهم ذبحوا (سخلة ولطخوا) القميص بدمها وزلَّ عنهم أن يمزقوه، ورُوِيَ أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال: أين القميص، فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى (خضب) وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كاليوم ذئبًا أحلَم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه. وقيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلًا ليعقوب على كذبهم (﴿أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾)، ودليلًا على براءة يوسف حين قُدَّ من دبره. ومحل ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ النصب على الظرف كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ زيَّنت أو سهَّلت ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ عظيمًا ارتكبتموه ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ خبر أو مبتدأ لكونه موصوفًا أي فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل وهو ما لا (شكوىٰ) فيه إلى الخلق ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ أي أستعينه ﴿عَلَىٰ﴾ احتمال ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ من هلاك يوسف والصبر على (الرزء) فيه.

قوله: (ذي كذب)... الخ. بيان؛ لأنه وصف بالمصدر كرجل عدل، فإمّا أن يكون بتقدير مضاف أو أنه وصف بالمصدر مبالغة. **قوله:** (سخلة) في المصباح: السخلة تُطلق على الذّكر والأُنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد. اهـ. **قوله:** (ولطخوا) في مختار الصحاح: لَطَخه كذا من باب قطع فتلطخ به لوّثه به فتلوّث. اهـ. **قوله:** (خَضَب) من باب ضرب. **قوله:** (﴿أَلۡقَىٰهُ﴾) طرح القميص (﴿عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ﴾) رجع (﴿بَصِيرٗا﴾). **قوله:** (شَكْوى) بالفتح. **قوله:** (الرَّزْء) بالفتح المصيبة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)﴾

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رفقة تسير من قبل (مدين) إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب، فأخطؤوا الطريق فنزلوا قريبًا منه، وكان الجبّ في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحًا (فعذب) حين أُلقي فيه يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾ أرسل الدلو ليملأها (فتشبث) يوسف بالدلو فنزعوه ﴿قَالَ يا (بشرى﴾ كوفي) نادى البشرى كأنه يقول: تعالي فهذا أوانك. غيرهم «بشراي» على إضافتها لنفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافًا إلى نفسه ﴿هَٰذَا غُلَامٌ﴾ قيل: ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة، أو لإخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد (أبق) فاشتروه منّا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ﴿بِضَاعَةً﴾ حال أي أخفوه متاعًا للتجارة، والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)﴾

﴿وَشَرَوْهُ﴾ وباعوه ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾(مبخوس) ناقص عن القيمة نقصانًا ظاهرًا (أو زيف) ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من «ثمن»، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة تُعَدّ عدًّا ولا تُوزَن لأنهم كانوا يعدّون ما دون الأربعين ويزِنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهمًا

قوله: (مدين) هي قرية جهة الشام. **قوله**: (فعذب) بابه سهل. **قوله**: (فتشبّث) في مختار الصِّحاح: التشبّث بالشيء التعلّقُ به. **قوله**: (بشرى) بغير ياء الإضافة (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي. **قوله**: (أبَق) في مختار الصحاح: أبِق العبد يَأْبُقُ بكسر الباء وضمّها أي هرب. اهـ.

قوله: (مبخوس) يعني أن البخس مصدر بخسه حقّه يبخسه، أي نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدري، فلذلك جعله بمعنى المبخوس إما لرداءة عينه، أو لنقصان وزنه. **قوله**: (أو زَيْف) في المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفًا

﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ ممَّن يرغب عمّا في يده فيبيعه بالثمن (**الطفيف**)، أو معنى ﴿وَشَرَوْهُ﴾ واشتروه يعني الرفقة من إخوته ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أي غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق. ويُروَى أن إخوته اتبعوهم وقالوا: استوثقوا منه لا يأبق. و﴿فِيهِ﴾ ليس من صلة ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أي غير راغبين (**لأن الصلة**) لا تتقدم على الموصول، وإنما هو بيان كأنه قيل: في أيّ شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر ـ والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز برنَّته ورقًا ـ وحريرًا ومِسْكًا وهو ابن سبع عشرة سنة، وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ (**راعيل أو زليخا**) واللام متعلقة بـ ﴿قَالَ﴾ لا بـ ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ اجعلي منزله ومقامه عندنا كريمًا أي حسنًا مرضيًّا بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾. وعن الضحاك: بطيب معاشه (**ولين لباسه**) ووطيء فراشه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ لعله إذا (**تدرّب**) وراضَ الأمور فهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أو نتبنّاه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيمًا وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه. والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي كما

من باب سار ردأت ثم وصف بالمصدر، فقيل: درهم زيف.اهـ. **قوله**: (**الطفيف**) مثل القليل وزنًا ومعنًى.اهـ مصباح. **قوله**: (**لأن الصِّلة**) أي متعلّق **الصلة**.

قوله: (**راعيل أو زليخا**) الأول بمهملات بوزن هابيل والثاني بفتح الزاي وكسر اللام والخاء المعجمة وفي آخره ألف وهو المشهور، وقيل: إنه بضمّ أوّله على هيئة المصغر، وقيل: أحدهما لقبها والآخر اسمها. **قوله**: (**ولين لباسه**) وفي نسخة: لين رياشه، أي ملبوسه. **قوله**: (تدرّب) اعتاد.

أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكّنا له ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أرض مصر وجعلناه ملكًا يتصرف فيها بأمره ونهيه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ **(كان ذلك الإنجاء والتمكين)** ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ لا يمنع عمّا شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد إخوته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكمًا بين الناس وفقهًا ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تنبيه على أنه كان مُحسِنًا في عمله متقيًا في **(عُنفوان أمره)**.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي طلبت يوسف أن يُواقعها والمُراودة مُفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فِعْل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن **(التمحّل)** لمُواقعته إياها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ وكانت سبعة ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ هو اسم لتعال وأقبل وهو مبني على الفتح **(﴿هَيۡتُ﴾ مكي بناه على الضم،**

قوله: **(كان ذلك الإنجاء والتمكين)** لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل. اهـ كشاف. وفي تفسير الخازن: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ أي مكنّا له في الأرض، لكي نعلمه من تأويل الأحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها. اهـ. وفي تفسير الجلالين وغيره: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدَّر متعلّق بـ ﴿مَكَّنَّا﴾، أي لنملكه أو الواو زائدة. اهـ.

قوله: **(عُنْوان أمره)** في المصباح: عُنوان كل شيء ما يستدلّ به عليه ويُظهره. اهـ.

قوله: **(التمحّل)** أي الاحتيال. **قوله**: **(﴿هَيۡتُ﴾)** بفتح الهاء وضمّ التاء بينهما ياء ساكنة **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(بناه على الضمّ)** تشبيهًا بحيث

﴿هِيتَ﴾ مدني وشامي) واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هَلُمَّ لك ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ (أعوذ بالله معاذًا) ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إن الشأن والحديث ﴿رَبِّيٓ﴾ سيدي ومالكي يريد قطفير ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ حين قال لك ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ فما جزاؤه أن أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الخائنون (أو الزناة)، أو أراد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ الله تعالى لأنه مُسَبِّب الأسباب ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ هم عزم ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

وقال (الشيخ أبو منصور) رحمه الله: وهَمَّ بها هَمَّ خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه، ولو كان معه كهمّها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين. وقيل: وهمَّ بها (وشارف) أن يهمّ بها، يقال: هَمَّ بالأمر إذا قصده وعزم عليه. وجواب ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ محذوف أي لكان ما كان. وقيل: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جوابه ولا يصحّ، لأن جواب «لولا» لا يتقدم عليها لأنه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة. ويجوز أن يكون ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ داخلًا في حكم القسم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾، ويجوز أن يكون خارجًا. ومن حق القارىء إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلامًا برأسه أن يقف على ﴿بِهِۦ﴾ ويبتدىء بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، وفيه أيضًا إشعار بالفرق بين الهمَّين. وفسَّر همَّ يوسف بأنه حل (تكة سراويله) وقعد

(﴿هِيتَ﴾) بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي. وقراءة الأكثرين ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة. **قوله**: (أعوذ بالله معاذًا) إشارة إلى أنه منصوب على المصدرية بفعل محذوف. **قوله**: (أو الزناة) بضمّ جمع زان، مثل قاضٍ وقضاة.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي يقال له إمام الهدى له المصنّفات الجليلة، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة رحمة الله عليه. **قوله**: (وشارف) أي دنا وقارَبَ. **قوله**: (تكة سراويله) التّكة معروفة،

(بين **شُعَبها الأربع**) وهي مستلقية على قفاها، وفسَّر البرهان بأنه سمع صوتًا إياك وإياها مرتين فسمع ثالثًا أعرض عنها (**فلم ينجع فيه**) حتى مثل له يعقوب (**عاضًا على أُنملته**)؛ وهو باطل، ويدلّ على بُطلانه قوله: (﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾) ولو كان ذلك منه أيضًا لما برَّأ نفسه من ذلك، وقوله: (﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾) ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفًا عنه وقوله: (﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾) ولو كان كذلك لخانه بالغيب، وقوله: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾، ﴿ٱلْـَٔـٰنَ (حَصْحَصَ) ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي النون وداود عليه السلام، وقد سمَّاه الله مخلصًا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أُولي العزم ناظرًا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثَّناء. ومحل الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب أي مثل ذلك التثبيت ثبَّتناه، أو رفع أي الأمر مثل ذلك ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ خيانة السيد

والجمع تكك مثل سدرة وسدر. قال ابن الأنباري: وأحسبها معرّبة واستكّ بالتكة أدخلها في السراويل.اهـ مصباح. **قوله**: (**بين شُعَبها الأربع**) أي يديها ورجليها والشعب النواحي، واحدتها شعبة. **قوله**: (**فلم ينجع فيه**) في مختار الصحاح: نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي دخل وأثر وبابه خضع.اهـ.

قوله: (**عاضًا على أنملته**) في المصباح: عضضت اللّقمة وبها وعليها عضًّا أمسكتها بالأسنان، وهومن باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن، ومن باب نفع لغة قليلة، وفي أفعال ابن القطاع من باب قتل.اهـ. وأيضًا فيه الأنملة من الأصابع العُقْدة، وبعضهم يقول: الأنامل رؤوس الأصابع، وعليه قول الأزهري الأنملة المفصِل الذي فيه الظُّفُر، وهي بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمّها، وابن قتيبة يجعل الضمّ من لحن العوام، وبعض المتأخّرين من النحاة، حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم، فيصير تسع لغات.اهـ. **قوله**: (﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾) أي طلبتني بالجماع. **قوله**: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) أريناه البرهان (﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾) الخيانة (﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾) الزنا. **قوله**: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي طلب البراءة (﴿لِيَعْلَمَ﴾) العزيز (﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾) في أهله (﴿بِٱلْغَيْبِ﴾) حال. **قوله**: (﴿حَصْحَصَ﴾) وضح.

﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ الزّنا ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (**بفتح اللام حيث كان: مدني وكوفي**) أي الذين أخلصهم الله لطاعته، وبكسرها غيرهم أي الذين أخلصوا دينهم لله. ومعنى ﴿مِنۡ عِبَادِنَا﴾ بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥﴾

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ وتسابقا إلى الباب، هي للطلب وهو (**للهرب**)، على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] أو على تضمين ﴿وَٱسۡتَبَقَا﴾ معنى ابتدرا ففرَّ منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحّد الباب وإن كان جمعه في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ لأنه أراد الباب البرّاني الذي هو المخرج من الدار، ولما هرب يوسف جعل (**فراش القفل**) يتناثر ويسقط حتى خرج ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾ اجتذبته من خلفه فانقدَّ أي انشقَّ حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ وصادفا بعلها قطفير مقبلًا يريد أن يدخل، فلما رأته احتالت لتبرئة (**ساحتها**) عند زوجها من (**الريبة**) ولتخويف يوسف طمعًا في أن يُواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ «ما» نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب (**بالسِّياط**)، ولم تصرِّح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءًا لأنها قصدت العموم أي كل مَن أراد بأهلك سوءًا

قوله: (**بفتح اللام حيث كان: مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي.

قوله: (**للهَرب**) في مختار الصحاح: الهَرب الفرار وقد هَرَب يهرُب هَرَبًا مثل طلب يطلب طلبًا.اهـ. **قوله**: (**فراش القفل**) في مختار الصحاح: فراشة القُفْل ـ بالتخفيف ـ ما ينشب فيه يقال: أقْفَل فأفْرَشَ.اهـ. وأيضًا فيه نَشِب الشيء في الشيء بالكسر نشوبًا عَلِق فيه.اهـ. **قوله**: (**ساحتها**) في لسان العرب: الساحة الناحية.اهـ. **قوله**: (**الرِّيْبَة**) التُّهمة. **قوله**: (**بالسَياط**) في المصباح: السوط معروف والجمع أسواط وسياط مثل ثوب وأثواب وثياب.اهـ.

فحقه أن يُسجَن أو يُعَذَّب، لأنه ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف. ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ﴾ ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ (هو ابن عم لها)، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان مَن هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف. وقيل: كان ابن خال لها وكان صبيًّا في المهد. وسُمِّي قوله شهادة لأنه أدَّى مؤدَّى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ والتقدير: وشهد شاهد فقال: إن كان قميصه. وإنما دلَّ قُدَّ قميصه من قبل على أنها صادقة لأنه يسرع خلفها ليلحقها (فيعثر) في مقادم قميصه فيشقّه، ولأنه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل. وأما تنكير ﴿قُبُلٍ﴾ و﴿دُبُرٍ﴾ فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر، (**وإنما جمع بين «إن» التي للاستقبال وبين «كان»**) لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قُدَّ.

قوله: (هو ابن عمٍّ لها) وكان رجلًا حكيمًا ذا لحية، واتّفق في ذلك الوقت أنّه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها، وقال: قد سمعت من وراء الباب صوت شقّ القميص، إلا أني لا أدري أيّكما قدام صاحبه، فإن كان شقّ القميص من قدّامه فأنت صادقة والرجل كاذب، وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة.

قوله: (فيعثر) في المصباح: عثر الرجل في ثوبه يعثر، والدابّة أيضًا من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب عِثارًا ـ بالكسر ـ والعثرة المرّة، ويقال للزلّة: عثرة؛ لأنها سقوط في الاسم، وفرّق بينهما في مختصر العين بالمصدر، فقال: عثر الرجل عثورًا أو عثر الفرس عِثارًا.

قوله: (وإنما جمع بين إن التي للاستقبال وبين كان) يعني أن كلمة إن تدلّ على الاستقبال، وكان على المضيّ، فينبغي أن لا يجمع بينهما؛ لأن المعنى أن

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ قطفير ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ إن قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال لنيل الرجال ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الخطاب لها ولأمتها ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ لأنهن (ألطف) كيدًا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال، (والقصريات) منهن معهن ما ليس مع غيرهن من (البوائق). وعن بعض العلماء: إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٧٦]، وقال لهن: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ﴿يُوسُفُ﴾ حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ الأمر واكتمه ولا تتحدث به. ثم قال لراعيل: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ من جملة القوم المتعمّدين للذنب. يقال: خطيء إذا أذنب متعمّدًا، وإنما قال بلفظ التذكير تغليبًا للذكور على الإناث، وكان العزيز رجلًا حليمًا قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ جماعة من النساء وكنّ خمسًا: امرأة الساقي وامرأة الخبّاز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب. والنسوة اسم مفرد

يعلم أنه كان قميصه يعني أن الشرط وإنْ كان ماضيًا بحسب اللّفظ، لكنه في تأويل المضارع؛ لأن المراد إرشاد العزيز إلى أن يتبع الإمارة التي تدلّ على تعيين الصادق وتمييزه من الكاذب، وهو نظير قولك: إن أحسنت إليّ فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمنن عليك بإحسانه، فإنّ المعنى إن تمنن عليّ بإحسانك أمنن عليك بإحساني السابق، وإن تعد إحسانك إليّ فيما مضى، فأعد إحْساني إليك فيه، فلمّا كان الشرط في تأويل المستقبل ارتفعت المُنافاة بينه وبين كلمة أن. **قوله**: (ألطف) أي أخفى. **قوله**: (والقصريّات) أي الساكنات في القصر. **قوله**: (البوائق) في المصباح: البائقة النازلة، وهي الداهية والشرّ الشديد وباقَتِ الداهية إذا نزلت، والجمع البوائق. اهـ.

لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون **(وضمها)** ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ يردن قطفير، والعزيز الملك بلسان العرب ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾ لتنال شهوتها منه ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي قد شغفها حبّه يعني خرق حبّه **(شغاف)** قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ في خطأ وبُعْد عن طريق الصواب.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ راعيل ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومَقَتها. **(وسُمّي الاغتياب مَكرًا)** لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره. **(وقيل: كانت استكتمتهن سرّها)** فأفشينه عليها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن. قيل: دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ وهيَّأت افتعلت **(من العتاد)** ﴿لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ ما يتكئن عليه من **(نمارق)** قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها، لأن المتكىء إذا بهت لشيء وقعت يده

قوله: (وضمّها) وبالضمّ قرأ المفضل والأعمش والسلمي، كما قال القرطبي رحمه الله؛ فلا عبرة بمن أنكرها. اهـ شهاب. **قوله**: **(شغاف)** بالفتح.

قوله: **(وسُمّي الاغتياب مكرًا)**... الخ. أي إنما سمّى اغتيابهنّ مكرًا، والغيبة ليس من قبيل المكر تشبيهًا له بالمكر بجامع الإخفاء، فالمكر من باب الاستعارة المصرَّحة. اهـ تمجيد. **قوله**: **(وقيل: كانت استكتمتهنَ سرّها)** أي طلبت منهنّ كتمان سرّها في حبِّ يوسف، فوعدن بذلك لكن ما وفَيْن بالوعد، بل أفْشَيْن سرّها بالاغتياب بين الناس، فعلى هذا يكون المكر على حقيقته؛ لأن حقيقة المكر إيصال المكروه إلى من خفي عنه ذلك. اهـ تمجيد. **قوله**: **(من العتاد)** بالفتح. **قوله**: **(نمارق)** جمع نمرقة الوسائد. في مختار الصحاح: النُمْرُق والنُمْرُقة وسادة صغيرة، والنِمرقة بالكسر لغة فيه. اهـ. وفي القاموس: النمرق والنمرقة مثلثة

على يده ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وكانوا لا يأكلون في ذلك الزمان إلا بالسكاكين كفِعْل الأعاجم ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ (**بكسر التاء: بصري**) وعاصم وحمزة، وبضمها: غيرهم.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ (**أعظمْنَه وهِبْنَ**) ذلك الحُسْن (**الرائق**) والجمال الفائق، وكان فضل يوسف على الناس في الحُسْن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وكان إذا سار في (**أزِقَّة**) مصر يُرى تلألؤ وجهه على (**الجدران**)، وكان يشبه آدم يوم خلقه ربّه. وقيل: ورث الجمال من جدّته سارة. وقيل: «أكبرن» بمعنى حِضْنَ (**والهاء للسكت**)، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنه لا يتعدى إلى

الوسادة الصغيرة. اهـ. **قوله**: (**بكسر التاء بصري**) أي أبو عمرو البصري، ويعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**أعظمنه**[1]) فعلى هذا يكون همزة أفعل في ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ للوجدان، أي وجدنه كبيرًا. اهـ تمجيد. **قوله**: (**وهِبْنَ**) جمع مؤنّث من هابَ يهاب، والواو للعطف، ففعل به ما فعل ببعن، وهذا لازم معناه إذ المراد بتعظيمه تعظيم حسنه لا تعظيم ذاته، والقرينة عليه ما بعده ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، فإنه يدلّ على أن حُسْنه وجماله غير معهود للبشر. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (**الرّائق**) في المصباح: راقني جماله أعجبني. اهـ. وفي نسخة: الرائع، في المصباح: راعني جماله أعجبني. اهـ.

قوله: (**أزقة**) في المصباح: الزقاق دون السكّة، نافذة كانت أو غير نافذة. قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنّثون الزقاق والطريق والسبيل والسوق والصّراط. وتميم تذكر والجمع أزقّة، مثل غراب وأغربة. اهـ. **قوله**: (**الجدران**) في المصباح: الجدار الحائط والجمع جُدُر، مثل كتاب وكُتُب، والجدر لغة في الجدار، وجمعه جدران. اهـ. وفي مختار الصّحاح: الجَدْرُ كالفَلْس والجِدار الحائط، وجمع الجدار جُدُر، وجمع الجَدْر جُدْران، كبَطْن وبُطْنان. اهـ. **قوله**: (**والهاء للسَّكت**[2]) في القاموس: هاء السَّكْتِ وهي اللاحقة لبيان حركة أو حرف، نحو ماهِيَه وهاهُنَاه، وأصلها أن يوقف عليها، وربما وُصِلت بنية الوقف. اهـ.

---

(١) فأكبره بمعنى كبّره أي عظّمه. اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) وأجرى الوصل مجرى الوقف وحرّكت تشبيهًا له بالضمير. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مفعول، يقال: أكبرت المرأة حاضت، وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حدِّ الصغر وكأن (**أبا الطيب**) أخذ من هذا التفسير (**قوله**:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق)

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (**وجرحنها**) كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدُهِشْن لمّا رأينه (**فخدشن**)

قوله: (**أبا الطيب**) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور، هو من أهل الكوفة وقَدِم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من المُكثرين من نقل اللغة والمطّلعين على غريبها وحواشيها ولا يسئل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النَّظم والنثر، وإنما قيل له المتنبّي لأنه ادّعى النبوّة في بادية السماوة وتبعه خلقٌ كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرّق أصحابه وحبسه طويلًا ثم استتابه وأطلقه، وقيل غير ذلك، وهذا أصحّ. قُتِل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، ومولده في سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة في محلّة تسمّى كندة، فنُسِب إليها، وليس هو من كندة التي هي قبيلة، بل هو جعفيّ القبيلة ـ بضمّ الجيم وسكون العين المهملة وبعدها فاء ـ وهو جعفي بن سعد العشيرة ابن مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وإنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل في ثلاثمائة من ولده وولد ولده، فإذا قيل له: مَنْ هؤلاء؟ قال: عشيرتي، مخافة العين عليهم.
قوله: (**قوله**)... الخ. وهو من قصيدة مدح بها الحسين بن إسحٰق التنوخي، (**خِفِ الله واستر ذا الجمال**) بنصب الجمال نعت، ذا اسم إشارة، وجوَّز فيه أن يكون ذا بمعنى صاحب، والجمال مجرور بالإضافة، والمراد بذي الجمال الوجه، والأول أوْلى روايةً ودرايةً، أي استر جمالك (**ببرقع**) ترسله على وجهك (**فإن لُحْتَ**) أي إن ظهرتَ (**حاضت**) عشقًا وصبابةً (**في الخُدور**) جمع خِدر ـ بالكسر ـ وهو ستر يُمَدّ في جانب البيت للنساء (**العواتق**)، جمع عاتق، وهي المرأة الشابّة.
قوله: (**وجرحنها**) يعني أن القطع ليس بمعنى الإبانة كما قيل؛ لأنه خلاف الظاهر، وهذا معنى حقيقيّ له أيضًا. وقال صاحب الكشف: الأصح أنه مجاز. **قوله**: (**فخدشن**) في المصباح: خدشته خدشًا من باب ضرب جرحته في ظاهر الجلد

أيديهن ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ «حاشا» كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول: أساء القوم حاشا زيد. وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة، (**فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله. وقراءة أبي عمرو «حاشا لله»**) نحو قولك: سقيًا لك كأنه قال: براءة، ثم قال: لله، لبيان مَن يُبَرِّىء وينزّه. (**وغيره «حاش لله» بحذف الألف الأخيرة**) والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية و(**بتتن**) بها الحكم لما (**ركز**) في الطِّباع أن لا أحسن من الملَك كما ركَّز فيها أن لا أقبح من الشيطان.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنَّني فيه، تعني إنكن لم تصوّرنه حقّ صورته وإلا (**لعذرتنني**) في الافتتان به ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفّظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها،

وسواء دمي الجلد أو لا، ثم استُعمل المصدر اسمًا وجمع على خدوش. اهـ. **قوله**: (**فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله**) وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة. اهـ كشاف. (**وقراءة أبي عمرو: «حاشا لله»**) بألف حال الوصل، فإذا وقف حذفها اتباعًا للخطّ في تفسير الكشاف. وقراءة أبي عمرو: «حاش لله» بحذف الألف الآخرة. اهـ. فافهم. وأيضًا فيه: فإن قلت: فلِمَ جاز في «حاشا لله» أن لا ينوّن بعد إجرائه مجرى براءة لله؟ قلت: مراعاةً لأصله الذي هو الحرفيّة. اهـ. وأيضًا فيه قراءة أبي السمال: «حاشًا لله» بالتنوين. اهـ. **قوله**: (**وغيره: ﴿حاش لله﴾ بحذف الألف الأخيرة**) وقفًا ووصلًا. **قوله**: (**بَتَتْنَ**) البَتُّ القطع. اهـ مختار الصحاح. من باب ضرب وقتل. اهـ مصباح. **قوله**: (**ركز**) في المصباح: ركزت الرُّمح ركزًا من باب قتل أثبته بالأرض فارتكز، والمركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ.

قوله: (**لعذرتنني**) أي لجعلتنني معذورة.

وهذا بيان جليّ على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسّر به أولئك الفريق الهَمُّ والبرهان. ثم قلن له: أطِعْ مولاتك، فقالت راعيل: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ الضمير راجع إلى «ما» وهي موصولة، (**والمعنى ما آمره به. فحذف الجار**) كما في قوله: «أمرتك الخير»، أو «ما» مصدرية والضمير يرجع إلى يوسف أي ولئن لم يفعل أمري إياه أي مُوجِب أمْري ومقتضاه ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ليحبسنَّ، والألف في ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بدل من نون التأكيد الخفيفة ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾ مع السرّاق (**والسفاك والأباق**) كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق، فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني هنا كل ذلك، ومَن لم يرضَ بمثلي في الحرير على السرير أميرًا حصل (**في الحصير على الحصير حسيرًا**). فلما سمع يوسف تهديدها.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ﴾ أسند الدعوة إليهن لأنهن قلن له ما عليك لو أجَبْتَ مولاتك، أو افتتنت كل واحدة به فدعته إلى نفسها سرًّا فالتجأ

قوله: (**والمعنى ما آمرهُ به. فحذف الجار**) من به وأوصل الفعل إليه. **قوله**: (**والسُّفاك**) جمع سافك، في المصباح: سفكت الدَّم والدمع سفكًا من باب ضرب، وفي لغة: من باب قتل أرَقْتَه، والفاعل سافك وسفّاك للمبالغة. **قوله**: (**والأُباق**) جمع آبق، في المصباح: أبِقَ العبد أبْقًا من بابي تعب وقتل في لغة، والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيِّده من غير خوف ولا كَدّ عمل، هكذا قيّده في العين. وقال الأزهري: الأَباق هروب العبد من سيّده، والإباق - بالكسر - اسم منه، فهو آبق، والجمع أُباق، مثل كافر وكُفّار. اهـ. **قوله**: (**في الحصير**) أي الحبس (**على الحصير**) أي البارية، في المصباح: الحصير الحبس، والحصير البارية. اهـ. وأيضًا فيه: البارية الحصير الخشن وهو المشهور في الاستعمال، وهي في تقدير فاعولة، وفيها لغات إثبات الهاء وحذفها، والبارياء على فاعلاء مخفّف ممدود، وهذه تؤنّث، فيقال: هي البارياء، كما يقال: هي البارية بوجود علامة التأنيث. وأمّا مع حذف العلامة، فمذكّر فيقال: هو الباريء، وقال المطرزي: الباري الحصير، ويقال له بالفارسية البورياء. اهـ بحروفه. **قوله**: (**حسيرًا**) ذليلًا.

إلى ربه، قال ربّ السجن أحب إليّ من ركوب المعصية ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ (فزع منه إلى الله) في طلب العصمة ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ أمل إليهن. والصبوة الميل إلى الهوى (ومنه الصَّبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها) ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن مَن لا (جدوى) لعلمه فهو ومَن لم يعلم سواء، أو من السفهاء، فلما كان في قوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ معنى طلب الصرف والدعاء قال:

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي أجاب الله دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعوات المُلتجئين إليه ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحاله وحالهن ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ (فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي)، والضمير في ﴿لَهُم﴾ للعزيز وأهله ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ وهي الشواهد على براءته كقدّ القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ لإبداء

قوله: (فزع منه إلى الله) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع أي ملجأ. اهـ. **قوله**: (ومنه الصَّبا) ـ بالفتح ـ وهو ريح يهبّ من جانب الشرق ويقابله الدبور، وإنما سُمِّيت هذه الريح بالصبا (لأن النفوس تصبو) أي تميل (إليها لطيب نسيمها) في المصباح: النسيم نفس الريح. اهـ. (وروحها) في مختار الصحاح: الرَّوْح ـ بالفتح ـ من الاستراحة. **قوله**: (جَدْوىٰ) أي نفع.

قوله: (فاعله مضمر لدلالة ما يفسّره عليه، وهو ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾، والمعنى: بدا لهم بداء، أي ظهر لهم رأي) كذا في تفسير الكشاف. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلاّمة شهاب عليه رحمة الله الوهاب: وجملة ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ تحتمل ثلاثة أوجه: أن تكون مفعولًا لقول مضمر، والتقدير: قالوا ليسجننه، وإليه ذهب المبرد. وأن تكون مفسّرة للضمير المستتر في بَدَا، فلا موضع لها، والضمير إما للبداء بمعناه المصدري، أو بمعنى الرأي أو للسجن بالفتح المفهوم من الكلام. وأن تكون جوابًا لبدا؛ لأن بدا من أفعال القلوب، والعرب تُجريها مجرى القسم وتتلقاها بما يتلقّى به، ففي الفاعل له أقوال، واختار أبو حيان رحمه الله تعالى أنه

عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مِطواعًا لها (وجُمَيْلًا ذلولًا)، زمامه في يدها وقد طمعت أن يذلّله السجن ويسخِّره لها، أو خافت عليه العيون وظَنَّت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس، (والوجل) من البأس، إلى أن رضيت بالحجاب، مكان خوف الذهاب، لتشتفي بخبره، إذا منعت من نظره ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمان كأنها اقترحت أن يُسجَن زمانًا حتى تُبصِر ما يكون منه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ عبدان للملك خبّازه و(شرابيه) بتهمة السم، فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن «مع» يدل على معنى الصحبة تقول: خرجت مع الأمير تريد مُصاحِبًا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مُصاحبين له ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ أي شرابيه ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ أي في المنام (وهي حكاية حال ماضية) ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي عنبًا تسمية للعنب بما يؤول إليه، (أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب) ﴿وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ﴾ أي خبّازه ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ

للسجن. اهـ. **قوله**: (وجُمَيْلًا) تصغير جمل. **قوله**: (ذلولًا) في المصباح: ذلّت الدابّة ذلًّا ـ بالكسر ـ سهلت وانقادت، فهي ذلول، والجمع ذلل مثل رسول ورسل. اهـ. **قوله**: (الوجل) الخوف.

قوله: (شرَّابيه) منسوب إلى الشراب، أي ساقيه، والنسبة لتولية الشراب وسقيه الملك. **قوله**: (وهي حكاية حال ماضية) وإلّا فالظاهر أن يقال: إني رأيت، فإنه من الرؤيا ورؤياه قد مضت، فعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى صيغة الحال استحضارًا للصورة الماضية وتصويرها كما رأى. **قوله**: (أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب) في المصباح: عُمَان وزان غراب موضع باليمن. اهـ. وأما الذي بالشام، فهو عمّان ـ بالفتح والتشديد ـ. اهـ مختار الصِّحاح. وفي لسان العرب: والعرب تسمّي العنب خمرًا. قال ابن سيّده: وأظنّ ذلك لكونها منه، حكاها أبو حنيفة قال: وهي لغة يمانية، وقال في قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أن الخمر

نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ بتأويل ما رأيناه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (من الذين يحسنون عبارة الرؤيا) أو من المحسنين إلى أهل السجن فإنك تداوي المريض (وتعزّي) الحزين وتوسع على الفقير، فأحسِن إلينا بتأويل ما رأينا. وقيل: إنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي: إني رأيت كأني في بستان، فإذا بأصل (حبلة) عليها ثلاثة (عناقيد) من عنب (فقطفتها وعصرتها) في كأس الملك وسقيته وقال الخبّاز: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث (سلال) فيها أنواع الأطعمة، فإذا سِباع الطير (تنهش) منها.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ أي لبيان ماهيته وكيفيته (لأن ذلك يشبه تفسير المشكل) ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان (افترص) ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار

هنا العنب. اهـ. **قوله**: (من الذين يحسنون عبارة الرؤيا) لعِلْمهم بذلك؛ إذ عبّر لبعضهم رؤياه. **قوله**: (وتعزي) في المصباح: عزى يعزي من باب تعب صبر على ما نابه، وعزّيته تعزية قلت له: أحسن الله عزاءك، أي رزقك الصبر الحسن، والعزاء مثل سلام اسم من ذلك مثل سلم سلامًا وكلَّم كلامًا. اهـ. **قوله**: (حَبَلة) بفتح الباء، ويجوز حَبْلة بالجزم، أي عنبة. في لسان العرب: الحَبْل شجر العنب، واحدته حَبَلة. اهـ. **قوله**: (عناقيد) في مختار الصِّحاح: العُنْقُود ـ بالضمّ ـ واحد عناقيد العِنَب. **قوله**: (فقطفتها) في المصباح: قطفت العنب ونحوه قطفًا من بابي ضرب وقتل قطعته. اهـ. **قوله**: (وعصرتها) من باب ضرب. **قوله**: (سلال) في لسان العرب: السَّلَّة كالجُونة المُطْبَقة، والجمع سَلٌّ وسِلال. اهـ. **قوله**: (تَنْهَشُ) منها بالمهملة والمعجمة، أي تأخذ منها وتقضم بمقدَّم الفم، وفعله على مثال منع.

قوله: (لأن ذلك يشبه تفسير المشكل) أي لأن بيان ماهية الطعام وكيفيّته قبل الإتيان إليهما يشبه تفسير المشكل، يريد بيان وجه ذكر لفظ التأويل المستعمل في بيان المشكل من القرآن والحديث. اهـ تمجيد. **قوله**: (افترص) أي اغتنم. **قوله**:

بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول: يأتيكما طعام مَن صفته (**كيت وكيت**) فيكون كذلك، ويجعل ذلك تخلّصًا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزيّنه لهما ويقبح إليها الشِّرك. وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو (**بصدده**)، وغرضه أن (**يقتبس**) منه ما لم يكن من باب التزكية ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ إشارة لهما إلى التأويل (**أي ذلك التأويل**) والإخبار بالمغيبات ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ وأوحى به إليَّ ولم أقله عن تكهّن وتنجّم ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ يجوز أن يكون كلامًا مبتدأ وأن يكون تعليلًا لما قبله أي علّمني ذلك وأوحى به إليَّ لأني رفضت ملّة أولئك وهي أهل مصر ومَن كان الفتيان على دينهم.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ وهي الملّة الحنيفية، وتكرير «هم» للتوكيد وذكر الآباء ليُريهما أنه من بيت النبوّة بعد أن عرّفهما أنه نبي يُوحَى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوّي رغبتهما في اتّباع قوله، والمراد به ترك الابتداء لا أنه كان فيه ثم تركه ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ ما صحَّ لنا (**معشر الأنبياء**) ﴿أَن

(كيت وكيت) في لسان العرب: وكان من الأمر كَيْتَ وكَيْتَ، وإن شئتَ كسرت التاء، وهي كناية عن القصة أو الأُحدوثة، حكاها سيبويه. اهـ. **قوله**: (بصدده) في المصباح: الصَّدد ـ بفتحتين ـ القرب. اهـ. وفي لسان العرب: الصَّدَد الناحية، والصدد ما استقبلك وهذا صَدَدُ هذا بصدده وعلى صدده، أي قُبالته، والصدد القرب، والصدد القصد. قال ابن سيّدة: قال سيبويه: هو صددك ومعناه القصد. اهـ. **قوله**: (يقتبس) أي يستفاد. **قوله**: (أي ذلك التأويل) المراد بالتأويل كشفه عن الطعام قَبْلَ مجيئه؛ لأنه لمّا ذكره لهما قالا له: هذا كهانة، أي سحرًا وتنجم، أي استخراج له بما عَلِم من عِلْم النجوم، فقال: لا بل هو مما علّمني الله تعالى بوحيه وإلهامه.

قوله: (معشر الأنبياء) أي جماعة الأنبياء قاطبةً، الظاهر أنه منصوب بتقدير، يعني بالضمير معشر الأنبياء.

﴿نُشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ (أي شيء كان) صنمًا أو غيره. ثم قال: (﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد) ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ فضل الله فيُشركون به ولا ينتهون.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ (يا ساكني السجن كقوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾) [البقرة: الآية ٣٩]، و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [البقرة: الآية ٨٢] ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ يريد التفرّق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب (شتى) يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما ربٌّ واحد قهّار لا يُغالَب ولا يُشارَك في الربوبية؟ وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله ﴿إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي سمّيتم ما لا يستحق الإلـهية آلهة ثم (طفقتم) تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مُسمَّيات لها، ومعنى ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ سمَّيتم بها

قوله: (أي شيء كان) أي كلمة من زائدة في المفعول، سواء كان مفعولًا مطلقًا أو مفعولًا به[١]، فيفيد العموم، أي لا نشرك بالله في العبادة شيئًا من الأشياء، قليلًا أو حقيرًا، صنمًا أو ملكًا أو جنًّا أو غير ذلك. **قوله**: (﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد) جعل المشار إليه التوحيد المأخوذ من نفي صحة الشِّرك لقربه.

قوله: (يا ساكني السجن) أي المراد بالصاحب الساكن؛ إذ الصُّحبة بمعنى السكنى شائع؛ (كقوله) تعالى: (﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾) لملازمتهم بالسكنى لها. **قوله**: (شتّى) جمع شتيت، أي متفرّقون من ذهب وفضّة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك. **قوله**: (طفقتم) في مختار الصحاح: طَفِق يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب. اهـ. وفي لسان العرب: طَفِق يفعل كذا يطفَق طَفَقًا جعل يفعل وأخذ. اهـ. أي أخذتم.

---

(١) أي شيئًا من الإشراك. ١٢ منه.

يقال: سمَّيته زيدًا وسمَّيته بزيد ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بتسميتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ في أمر العبادة والدين ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثم بيَّن ما حكم به فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الثابت الذي دلّت عليه البراهين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يدلّ على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه.

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

ثم عبَّر الرؤيا ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ يريد الشرابي ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ أي يعود إلى عمله ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ أي الخبّاز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ رُوِيَ أنه قال للأول: ما رأيت من **(الكرمة)** وحُسنها هو الملك وحُسْن حالك عنده، وأما **(القضبان)** الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه. وقال للثاني: ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل. ولما سمع الخبّاز صَلْبه قال: ما رأيت شيئًا، فقال يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ **(أي قطع وتم)** ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي ما يجرّ إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظّانّ هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي فالظّانّ هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ صِفني عند الملك بصفتي وقصَّ عليه قصتي لعله يرحمني ويخلّصني من

قوله: **(الكرمة)** في لسان العرب: الكَرْمُ شجرة العنب، واحدتها كَرْمَة. اهـ. **قوله**: **(القضبان)** في مختار الصحاح: القضيب الغُصْن وجمعه قُضبان ـ بضم القاف وكسرها أيضًا ـ نقلهما الأزهري. اهـ. وفي المصباح: قضبت الشيء قضبًا من باب ضرب، فانقضب قطعته فانقطع واقتضبته مثل اقتطعته وزنًا ومعنى، ومنه قيل للغصن المقطوع قضيب فعيل بمعنى مفعول، والجمع قضبان ـ بضم القاف والكسر ـ لغة. اهـ. **قوله**: **(أي قطع وتمّ)**... الخ. قيل: إنه مخصوص بيوسف النبيّ صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم؛ لأنه علم بالوحي كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ

هذه **(الورطة)** ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فأُنسي الشرابي ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ **(أن يذكره لربه أو عند ربه)**، أو فأُنسِي يوسف ذكر الله حين وكَّل أمره إلى غيره، وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعًا».
﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ أي سبعًا عند الجمهور، والبضع ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريَّان بن الوليد رؤيا عجيبة هالَتْه، رأى سبع بقرات سِمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عِجاف فابتلعت العِجاف السِّمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حَبُّها وسبعًا أُخر يابسات قد **(استحصدت وأدركت فالتوت)** اليابسات على الخُضْر حتى **(غلبن عليها)**، فاستعبرها فلم يجد في قومه مَن يُحسِن عبارتها. وقيل: كان ابتداء بلاء

﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾، والتعليم إنما هو بالوحي. **قوله**: **(الوَرْطَة)** الهلاك وأصلها الوحل يقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلّص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص. اهـ مصباح. **قوله**: **(أن يذكره لربّه أو عند ربِّه)** يعني مقتضى الظاهر أن يقال: فأنساه الشيطان ذكره عند ربّه، لكن عدل عن مقتضى الظاهر إلى أن يقال ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ بإضافة الذِّكر إلى ربِّه مكان ذكره عند ربّه، وهذه ليس بإضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، فصحّحها بأنها إضافة لأدنى ملابسة الذِّكر لربِّه في أن ربّه هو الذي ألقى إليه الخبر وخُوطِب به عند الذِّكر وإلقاء الخبر. اهـ تمجيد. وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده: يعني الظاهر أن يقال ذكره لربّه على إضافة المصدر إلى مفعوله؛ لأن الشائع في إضافته أن يُضاف إلى الفاعل أو إلى المفعول به الصريح، إلا أنه أُضيف إلى غير الصريح للملابسة. اهـ.

قوله: **(استحصدت)** أي قَرُب وقت حصادها. **قوله**: **(وأدركت)** أي نضجت. **قوله**: **(فالتوت)** أي التفَّت عليها. **قوله**: **(غلبن عليها)** أي عصرتها حتى أذهبتها ولم يبقَ منها شيء كما أكلت السِّمان العجاف.

يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضًا الرؤيا. سِمان: جمع سمين و(**سمينة**)، والعجاف: المهازيل، و(**العجف**) الهزال الذي ليس بعده سمانة، والسبب في وقوع عجاف جمعًا لعجفاء ـ وأفعل وفعلاء لا يُجمعان على فعال ـ حمله على نقيضه وهو سمان، ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. وفي الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعًا كالخضر لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السِّمان والعِجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأُخَر السبع ويكون قوله: ﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ بمعنى سبعًا أخر ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ اللام في ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ للبيان، كقوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه (**فعضد بها**)، تقول: عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت، أو يكون ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ خبر «كان» كقولك: «كان فلان لهذا الأمر» إذا كان مستقلًا به متمكّنًا منه، و﴿تَعْبُرُونَ﴾ خبر آخر أو حال. وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول: «عبرت النهر» إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه «أوّلت الرؤيا» إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها. وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤)﴾

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث ما جمع من

قوله: (سمينة) وهي الممتلئة لحمًا وشحمًا. **قوله**: (العجف) في المصباح: عَجف الفرس عجفًا من باب تعِب وضعُف، ومن باب قرب لغة فهو أعجف وشاة عجفاء، وجمع الأعجف عِجاف على غير قياس، وإنما جمع على عِجاف إمّا حملًا على نقيضه وهو سمان، وإمّا حملًا على نظيره وهو ضعاف، ويعدّى بالهمزة فيقال: أعجفته وربما عُدّي بالحركة، فقيل: عجَفته عَجْفًا من باب قتَل. اهـ. **قوله**: (فعضد بها) في مختار الصحاح: عَضَده من باب نصر أعانه. اهـ.

أخلاط النبات (وحُزَم) من أنواع الحشيش، الواحد ضغث فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من أيّ أضغاث من أحلام. وإنما جمع وهو (حلم) تزايدًا في وصف الحلم بالبُطلان، وجاز أن يكون قد قصَّ عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا: ليس لها عندنا تأويل، إنما التأويل للمنامات الصحيحة، أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ من القتل ﴿مِنْهُمَا﴾ من صاحب السجن ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ بالدال هو الفصيح وأصله «اذتكر» فأبدلت الذال دالًا والتاء دالًا وأدغمت الأولى في الثانية لتقارب الحرفين. وعن الحسن: و«اذكر» ووجهه أنه قلب التاء ذالًا وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه (وأعضل) على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ أنا أخبركم به عمَّن عنده علمه ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ وبالياء (يعقوب بن إسحٰق) أي فابعثوني إليه لأسأله فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرَّف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أوَّل ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ

قوله: (وحُزم) في المصباح: حزمت الشيء جعلته حُزْمة، والجمع حُزَم مثل غرفة وغُرف. اهـ. **قوله**: (حلم) في مختار الصحاح: الحُلْم ـ بضم اللام وسكونها ـ ما يراه النائم. اهـ.

قوله: (وأعضل) في مختار الصحاح: وقد أعضل الأمر اشتدّ واستغلق، وأمرٌ مُعْضِل لا يُهتدى لوجهه، والمُعْضِلات الشدائد. اهـ. **قوله**: (يعقوب بن إسحٰق) الحضرمي البصري، وليس من السبعة.

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إلى الملك وأتباعه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هو خبر في معنى الأمر كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ [الصف: الآية ١١]. دليله قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه ﴿دَأَبًا﴾ ﴿دأْبًا﴾ بسكون الهمزة وحفص يحرّكه (وهما مصدرا دأب في العمل) وهو حال من المأمورين أي دائبين ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ كي لا يأكله (السوس) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك السنين ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾ هو من إسناد المجاز جعل أَكْلَهُنَّ مسندًا إليهن ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي في السنين (المخصبة) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون و(تخبئون).

قوله: (وهما مصدرا دأب في العمل) في مختار الصحاح: دأب في عمله جدَّ وتَعِبَ وبابه قطع وخضع، فهو دائب بالألف لا غير، انتهى. **قوله**: (السُّوس) الدود الذي يأكل الحنطة ونحوها فيُفسدها؛ إذ غلال مصر ونواحيها إن لم تترك في سنبله بل ميّز حبوباته عن تبنه، فاستولى عليه السوس فيُفسده، فأرشده عليه السلام إلى صلاح الأمر، وهو دوس ما أرادوا أكله وترك الباقي في سنبله. **قوله**: (المخصبة) في المصباح: الخصب وزان حمل النّماء والبركة، وهو خلاف الجدب، وهو اسم من أخصب المكان بالألف، فهو مخصب. وفي لغة: خصب يخصب من باب تعب، فهو خصيب، وأخصب الله الموضع إذا أنبت به العشب والكلأ. اهـ. وفي مختار الصحاح: الخِصْب ـ بالكسر ـ ضد الجَدْب، ويقال: بلد خِصْب وأخْصابٌ أيضًا، وصفوه بالجمع؛ كأنهم جعلوا الواحد أجزاء وله نظائر وقد أخْصَبَتِ الأرض ومكان مُخْصِب وخَصِيب، انتهى. **قوله**: (تخبئون) في المصباح: خبأت الشيء خبأ مهموز من باب نفع سترته، ومنه الخابية، وترك الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وربما همزت على الأصل، وخبّأته حفظته، والتشديد تكثير ومبالغة، والخَبْء ـ بالفتح ـ اسم لما خبِّىء، انتهى.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۝٤٩﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ أي من بعد أربع عشرة سنة عام ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ (من الغوث) أي يُجاب مُستغيثهم، (أو من الغيث) أي يمطرون يقال: غيثت البلاد إذا مطرت ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ العنب والزيتون (والسِّمْسِم) فيتخذون الأشربة والأدهان («تعصرون» حمزة) فأول البقرات السِّمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب. والعجاف واليابسات بسنين (مجدبة). ثم بشَّرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركًا كثير الخير (غزير) النِّعَم، وذلك من جهة الوحي.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليخرجه من السجن ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي الملك ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ أي حال النسوة ﴿ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾

قوله: (من الغَوْث) أي يجوز أن تكون ألف يغاث مبدلة من الواو على أن تكون من الغوث الذي هو الفرج وزوال الهمّ والكرب، وعلى هذا يكون فعله رباعيًّا، يقال: استغاث الله تعالى فأغاثه، أي أنقذه من الكرب الذي فيه، وهو القحط في قصة الرؤيا. **قوله:** (أو من الغيث) أي يجوز أن تكون ألف يغاث مقلوبة من الياء على أن يكون مشتقًّا من الغيث الذي هو مصدر قولك: غاث الله البلاد يُغيثها غيثًا إذا أنزل بها الغيث وهو المطر، وقد غيثت الأرض تُغاث إذا أمطرت. **قوله:** (السِّمْسِم) في مختار الصِّحاح: السِّمْسِمُ حَبّ الحَلّ. اهـ. وأيضًا فيه الحَلّ دُهْن السِّمْسِم. اهـ.

قوله: («تعصرون») بالتاء على الخطاب؛ لأن الكلام كلّه مع الخطاب (حمزة)، وفي تفسير البيضاوي وغيره قرأ حمزة والكسائي بالتاء. اهـ. والباقون بالياء على الغيبة رَدًّا إلى الناس. **قوله:** (مجدبة) في المصباح: الجَدْب هو المحل وزنًا ومعنى، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض، يقال: جدب البلد ـ بالضمّ ـ جدوبة فهو جدب وجديب وأرض جدبة وجدوب وأجدبت إجدابًا وجدبت تجدب من باب تعب مثله، فهي مجدبة والجمع مجاديب. اهـ. **قوله:** (غزير) أي كثير.

إنما تَثَبَّتَ يوسف و(تأنّى) في إجابة الملك وقدَّم سؤال النسوة ليُظهِر براءة ساحته عمّا رُمِيَ به وسجن فيه لئلا (يتسلق) به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سُلَّمًا إلى حطّ منزلته لديه، لئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير. وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التّهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها، وقال عليه السلام: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره (والله يغفر له) حين سُئِل عن البقرات العِجاف والسِّمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يُخرِجوني، ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ولو كنت مكانه ولبثت في السجن لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العُذْرَ إن كان لحليمًا (ذا أناة)». ومن كلامه وحُسْن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المُقَطِّعات أيديهنَّ ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ أي إن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله وهو مجازيهن عليه. فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المُقَطِّعات أيديهنّ ودعا امرأة العزيز ثم.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾

﴿قَالَ﴾ لهنّ ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ ما شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ هل وجدتن منه ميلًا إليكن ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تعجّبًا من قدرته على خلق عفيف مثله

قوله: (تأنى) تمكث ولم يعجل. **قوله**: (يتسلّق) في لسان العرب: التسلُّق الصعود على حائط أمْلَسَ. اهـ. وأيضًا فيه: تَسَلَّق صَعِد على حائط. اهـ. **قوله**: (والله يغفر له) ونحوه مقدَّمة تذكر أمام المقصود تعظيمًا لمن قيل له ذلك وتوقيرًا، وهو كما تقول لمن تعظّمه: عفا الله عنك ما صنعت في أمري. **قوله**: (ذا أناة) في المصباح: تأنّى في الأمر تمكث ولم يعجل، والاسم منه أناة وزن حصاة. اهـ. قال البغوي: وصفه بالأناة والصبر حيث لم يبادر إلى الخروج حين جاءه الرسول بالعفو عنه مع طول سجنه، بل قال: ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ [يوسف: الآية ٥٠] ... الخ. إقامةً للحجّة على ظلمه، وإنما قال النبيّ ﷺ ذلك تواضعًا منه لا أنه لو كان مكانه بادر وعجل، وإلا فحلمه ﷺ وتحمّله معلوم. اهـ شهاب.

﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ﴾ من ذنب ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ ظهر واستقر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ﴾ ولا مزيد على شهادتهم له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن إنه لم يتعلق بشيء مما قُذِفَ به.

ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي امتناعي من الخروج والتثبّت لظهور البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ بظهر الغيب في حُرمته، و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني، أو ليعلم الملك أني لم أخن العزيز ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي وليعلم أن الله ﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها. ثم أراد أن يتواضع لله و(يهضم) نفسه لئلا يكون لها مُزَكِّيًا وليبيِّن أن ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ﴾ من (الزلل) وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أُزكِّيها في عموم الأحوال، أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهمّ الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريقِ القصد والعزم ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ﴾ إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة، ويجوز أن يكون ﴿مَا رَحِمَ﴾ في معنى الزمان

قوله: (يهضم) من باب ضرب، أي يكسر.

قوله: (الزلل) في المصباح: زلّ عن مكانه زلّاً من باب ضرب تنحّى عنه وزلّ زَلَلًا من باب تعب لغة، والاسم الزّلة ـ بالكسر ـ والزَّلة ـ بالفتح ـ المرّة، والمزلّة المكان الدّحضُ وهو بفتح الميم، وأما الزاي فالكسر أفصح من الفتح، يقال: أرضٌ مزلّة تَزِلّ فيها الأقدام، وزلّ في منطقه أو فِعْله يزلّ من باب ضرب زَلّة أخطأ. اهـ.

(أي إلا وقت رحمة ربي) يعني أنها أمّارة بالسوء في كل وقت إلا وقت العصمة، **(أو هو استثناء منقطع)** أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سُئلت عنه، وما أُبرىء نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قَذَفْتُهْ وقلت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ وأودعته السجن، تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إلا نفسًا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وإنما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه. وقيل: هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ متصل بقوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ **(أجعله خالصًا لنفسي)** ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ وشاهد منه ما لم يحتسب ﴿قَالَ﴾ الملك ليوسف ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ **(ذو مكانة ومنزلة، أمين مؤتمن)** على كل شيء. رُوِيَ أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبًا وسبعون مركبًا وبعث إليه لباس الملوك فقال: أجب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله: اللَّهمَّ **(اعطف)** عليهم قلوب الأخيار **(ولا تعمّ عليهم الأخبار)**

قوله: **(أي إلا وقت رحمة ربّي)** يريد أن الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾، مفرغ وما في ﴿مَا رَحِمَ﴾ دوامية يعني مصدرية بتقدير وقت مضاف إلى ﴿مَا رَحِمَ﴾ فالمعنى أن النفس لأمّارة بالسوء في جميع الأوقات إلّا وقت رحمة ربّي، فإنّها لا تأمر بالسوء في ذلك الوقت. **قوله**: **(أو هو استثناء منقطع)** فعلى هذا لا يقدر الوقت قبل ما رحم، وما مصدريّة ﴿وإلا﴾ بمعنى لكن، وما بعده مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: لكن رحمة ربّي هي التي تصرف الإساءة.

قوله: **(أجعله خالصًا لنفسي)** أي باب الاستفعال للتعدية لا للطلب. **قوله**: **(ذو مكانة ومنزلة)** أي مكين من المكانة وصيغة فعيل، وهو مكين للنسبة كلابن وتامر. **قوله**: **(أمين مؤتمن)** على كل شيء من أُمور السلطنة ولوازم الوزارة. **قوله**: **(اعطف)** أي أمل. **قوله**: **(ولا تُعَمِّ عليهم الأخبار)** في مختار الصَّحاح:

فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات. وكتب على باب السجن: هذه منازل البلواء وقبور الأحياء و(**شماتة الأعداء**) وتجربة الأصدقاء. ثم اغتسل وتنظف من (**درن**) السجن ولبس ثيابًا (**جُدُدًا**)، فلما دخل على الملك قال: اللَّهمَّ إني أسألك (**بخيرك**) من خيره، وأعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه، ثم سلّم عليه ودعا له بالعبرانية فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانًا فكلَّمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال: أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك. قال رأيت بقرات فوصف لونهنّ وأحوالهنّ ومكان خروجهنّ، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له: من حقك أن تجمع الطعام في (**الأهراء**) فيأتيك الخلق من النواحي و(**يمتارون**) منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك. قال الملك: ومَن لي بهذا ومَن يجمعه؟

عَمِي عليه الأمر التبس، ومنه قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القَصَص: الآية ٦٦]، وقرىء ﴿فعُمّيت عليهم﴾ بالتشديد. **قوله: (شماتة الأعداء)** في مختار الصحاح: الشَّماتة الفَرَح ببلية العدوّ وبابه سَلِم. اهـ. **قوله: (دَرَن)** وَسَخ. **قوله: (جددًا)** بضمّتين جمع جديد كسُرُر وسرير. **قوله: (بخيرك)** بنصرك وفتحك وعونك وصونك وسائر أنواع فضلك من خيره، أي من خير الملك لفظة مِنْ ابتدائية من منشائية وإضافة الخير إلى الملك لأدنى ملابسة، والخير كلّه منه تعالى، والمعنى: أَطلب منك خيرك الكائن من خير أودعته في يد الملك وأظهرته فيها، ولهذا السرّ لم يقل: اللّهمّ إنّي أسألك بخيره من خيرك، وكون من تبعيضية بعيد، والسؤال كما يعدّى بعن لتضمّنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء، ولا يبعد أن يكون زائدة، وأعوذ بعزّتك وقدرك من شرّه، ولم يقل من شرِّك مع أن الكل من عند الله لمراعاة الأدب، ولا يخفى حُسْن موقع صفة العزَّة والقدرة هنا من سائر الصّفات العلى. اهـ قنوي.

قوله: (الأهْراء) واحدها هُرْي وهو الأنبار. في القاموس: الهُرْيُ ـ بالضمّ ـ بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان، ج أهْراءٌ، انتهى. **قوله: (يمتارون)** أي يشترون، وفي المصباح: مارهم ميرًا من باب باع أتاهم بالمِيرة ـ بكسر الميم ـ وهي الطعام، وامتارها لنفسه. اهـ.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ﴾ وَلِّني على خزائن أرضك يعني مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ أمين أحفظ ما تستحفظنيه ﴿عَلِيمٌ﴾ عالِم بوجوه التصرف. وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممَّن يولّونه. وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكّن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحبّ الملك والدنيا، وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخّر ذلك سنة» قالوا: وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان (**عمالة**) من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به. وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التمكين الظاهر ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (**أرض مصر**) وكانت أربعين (**فرسخًا**) في أربعين، والتمكين الإقدار وإعطاء (**المكنة**) ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلًا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه. (﴿نَشَآءُ﴾ **مكي**) ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النِّعم ﴿مَن نَّشَآءُ﴾ مَن اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا.

قوله: (عِمالة) ـ مثلثة ـ أجر العمل، كذا في نسخة. وفي أكثر النسخ: عملًا بدل عمالة.

قوله: (أرض مصر) فاللام للعهد الخارجي. **قوله**: (فرسخًا) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا. **قوله**: (المكنة) القوّة والشدَّة. **قوله**: (﴿نَّشَآءُ﴾ [يوسف: الآية ٥٦]) بالنون على أنها نون العظمة لله تعالى (مكّي) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالياء، والضمير ليوسف.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك والفواحش. قال (**سفيان بن عيينة**): المؤمن يُثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من (**خلاق**) وتلا الآية. رُوِي أن الملك توَّج يوسف وختمه بخاتمه (**ورداه بسيفه**) ووضع له سريرًا من ذهب مكللًا بالدّرّ والياقوت، فقال: أما السرير (**فأشد**)

قوله: (**سفيان بن عيينة**) كان إمامًا عالـمًا ثَبِتًا زاهدًا وَرِعًا مُجمَعًا على صحة حديثه وروايته، وحجّ سبعين حجّة، وروى عن الزهري وأبي إسحٰق السبعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزّناد وعاصم بن أبي النجود المقرىء والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء، وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن إسحٰق وابن جريج والزبير بن بكار وعمّه مصعب وعبد الرزّاق بن هُمام الصنعاني ويحيىٰ بن أكثم القاضي وخلق رضي الله تعالى عنه. قال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتمّ لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأوّل من صيّرني محدثًا أبو حنيفة فذاكرته، فقال لي: يا بنيّ ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث، ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة، ونقله أبوه إلى مكّة وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل أوّل يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكّة، ودُفِن بالحجون رحمه الله تعالى. وعُيينة بضم العين المهملة وفتح الياء الأُولى وسكون الثانية المثناتين من تحتهما وفتح النون وبعدها هاء ساكنة، والحجون بفتح الحاء المهملة وضمّ الجيم وبعد الواو الساكنة نون، جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها، وهو من تابعي التابعين، وكان يُعدّ من حكماء أصحاب الحديث، وكان حديثه نحو سبعة آلاف، ولم يكن له كتب.

قوله: (**خلاق**) نصيب. **قوله**: (**وردّاه بسيفه**) أي قلّده سيفه. **قوله**: (**فأشدّ**) في المصباح: شدّ الشيء يشدّ من باب ضرب شدّة قوي، فهو شديد وشددته شدًّا من باب قتل أوثقته. اهـ.

به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير و(دانت) له الملوك، وفوَّض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوَّجه الملك امرأته، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيرًا مما طلبت! (فوجدها عذراء) فولدت له ولدين - افرائيم وميشا - وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سِنِي القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبقَ معهم شيء مِنها، ثم (بالحليّ) والجواهر في الثانية، ثم بالدواب في الثالثة، ثم بالعبيد والإماء في الرابعة، ثم (بالدُّور والعقار) في الخامسة، ثم بأولادهم في السادسة، ثم برِقابهم في السابعة حتى استرقَّهم جميعًا، ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم وردّ عليهم أملاكهم، وكان لا يبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير، وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر (فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا) وذلك قوله:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ بلا تعريف ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لتبدّل (الزّيّ) ولأنه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة، ورُوِيَ أنه لمّا رآهم وكلّموه بالعبرانية قال لهم: أخبروني مَن أنتم وما شأنكم؟ قالوا: نحو

قوله: (دانت) خضعت. **قوله**: (فوجدها عذراء) إذ القطفير كان عنّينًا. في المصباح: عذرة الجارية بكارتها، والجمع عُذر مثل غرفة وغُرف، وامرأة عذراء مثل حمراء، أي ذات عذرة، وجمعها عذارى بفتح الراء وكسرها. اهـ. **قوله**: (بالحلي) في مختار الصحاح: الحَلْيُ حَلْيُ المرأة والجمع حُلِيّ مثل ثدي وثُدِيّ، وقد تكسر الحاء وقرىء: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضم الحاء وكسرها. اهـ. **قوله**: (بالدُّوْر) جمع دار. **قوله**: (والعَقار) بالفتح مخفّفاً الأرض والضِّياع. **قوله**: (فأرسل يعقوب) على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (بنيه ليمتاروا) لاستماعه أن ملك مصر بذل العطاء واجتهد في الكرم والندى.

قوله: (الزيّ) اللّباس والهيئة. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الزِّي - بالكسر - الهيئة، وأصله زويّ. اهـ.

قوم من أهل الشام (رُعاة) أصابنا (الجهد) فجئنا نَمْتار. فقال: لعلكم جئتم (عيونًا) تنظرون عورة بلادي. فقالوا: معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفَقْد ابن كان أحبّنا إليه وقد أمسك أخًا له من أُمه يستأنس به فقال: ائتوني به إن صدقتم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ﴾ أعطى كل واحد منهم حِمْل بعير، وقُرِىء بكسر الجيم شاذًا ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ أتمّه ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم رغّبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ فلا أبيعكم طعامًا ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ أي فإن لم تأتوني به تُحرَموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ أو هو بمعنى النهي ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنُخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك لا محالة لا نفرّط فيه ولا نتوانى. قال: فدعوا بعضكم رهنًا، فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيًا في يوسف.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ كوفي غير أبي بكر «لفتيته» غيرهم، وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ، وفعلة للقلة، وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيّالين ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم وكانت نِعالًا أو (أدمًا) أو ورقًا وهو أليق (بالدّسّ) في (الرِّحال)

قوله: (رعاة) بالضم جمع راعٍ مثل قاضٍ وقضاة. **قوله**: (الجهد) ـ بالفتح ـ المشقّة. **قوله**: (عيونًا) جمع عين بمعنى الجواسيس[1].

قوله: (أدمًا) بفتحتين وبضمّتين أيضاً وهو القياس جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ. **قوله**: (بالدسّ) أي الإخفاء. **قوله**: (الرحال) جمع رحل وهو الوعاء

---

(١) بِمعنًى جاسوس.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ يعرفون حقّ ردّها وحقّ التكرّم بإعطاء البدلين ﴿إِذَا انقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ (وفرَّغوا ظروفهم) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يُعيدهم لردّ الأمانة، أو لم يرَ من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنًا.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ بالطعام وأخبروه بما فعل ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ يريدون قول يوسف: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ لأنهم إذا أُنذِروا بمنع الكيل فقد مُنِع الكيل ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نرفع المانع من الكيل ونَكْتَل من الطعام ما نحتاج إليه. («يكتل» حمزة وعلي) أي يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ يعني أنكم قلتم في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ كما تقولونه في أخيه ثم (خُنتم) بضمانكم فما يأمنني من مثل ذلك؟ ثم قال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا﴾ كوفي غير أبي بكر. فتوكل على الله فيه ودفَعه إليهم وهو حال أو تمييز، ومَن قرأ (﴿حَـٰفِظًا﴾) فهو تمييز لا غير. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجو أن يُنعِم عليَّ بحفظه

الذي يجعل المسافر أسبابه فيه. **قوله:** (وفرغوا ظروفهم) في المصباح: فرغ الشيء خلا ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أفرغته وفرّغته. اهـ.

قوله: (يكتل) بالياء من تحت (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بالنون.

قوله: (خنتم) من باب قال. **قوله:** (﴿حَـٰفِظًا﴾) بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء كوفي غير أبي بكر، أي قرأه حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون: ﴿حفظاً﴾ بكسر الحاء وسكون الفاء.

ولا يجمع عليّ مصيبتين. قال (كعب): لما قال ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي (لأُرُدنّ عليك كِلَيهما).

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ «ما» للنفي (أي ﴿مَا نَبْغِي﴾ في القول) ولا تتجاوز الحق أو ما نبغي شيئًا وراء ما فعل بنا

قوله: (كعب) بن ماتع الحِمْيَري، أبو إسحٰق المعروف بكعب الأحبار ثقة مُخَضْرَمٌ أي أدرك الجاهلية والإسلام، من أهل اليمن، فسكن الشام مات في خلافة عثمان، وقد زاد على المائة؛ كذا في تقريب التهذيب. وفي كتاب تهذيب الأسماء: كعبُ بنُ ماتِع بالتاء المثناة فوق هو كعب الأحبار التابعي المشهور مذكور في المختصر في جزاء الصَّيد، وفي المهذب وآخر الاستسقاء: هو أبو إسحٰق كعب بن ماتع بن هينوع، ويقال: هيسُوع، ويقال: عمرو بن قيس بن معمر بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قَطَن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حِمْير بن سبأ الحميري المعروف بكعب الأحبار، أدرك زمن النبيّ ﷺ ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما، وصحب عمر وأكثر الرواية عنه، وروى أيضاً عن صُهيب. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو هريرة، وخلائق من التابعين منهم ابن المسيَّب، وكان يسكن حمص ذكره أبو الدرداء فقال: إن عنده علمًا كثيرًا، واتّفقوا على كثرة عِلمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين اليهود وكان يسكن اليمن، مات في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين، ودُفِن بحمص متوجّهًا إلى الغزو ويقال له: كعب الأحبار، وكعب الحبر ـ بكسر الحاء وفتحها ـ لكثرة علمه ومناقبه وأحواله وحِكمه كثيرة مشهورة، انتهى بحروفه. **قوله**: (لأردنّ عليك كليهما) بعدما توكّلت عليّ.

قوله: (أي ﴿مَا نَبْغِي﴾ في القول)... الخ. أي لا نكذب ولا نتعدّى فيما نتكلّم في وصفه مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال على أن البغي بمعنى التعدي لا بمعنى الطلب.

من الإحسان، أو ما نريد منك بضاعة أخرى، أو للاستفهام أيْ أيّ شيء نطلب وراء هذا؟ ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ جملة مستأنفة مُوَضِّحة لقوله: ﴿مَا نَبۡغِيۖ﴾ والجُمَل بعدها معطوفة عليها أي أن بضاعتنا رُدَّت إلينا فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك أي نجلب له ميرة وهي طعام يُحمَل من غير بلدك ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما نخافه ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ نزداد (وسق بعير) باستصحاب أخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ سهل عليه متيسِّر لا يتعاظمه.

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦﴾

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ﴾ (وبالياء: مكي) ﴿مَوۡثِقٗا﴾ عهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والمعنى حتى تعطوني ما أتوثَّق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله. وإنما جعل الحلف بالله موثقًا منه لأن الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذِنَ الله في ذلك فهو إذْن له ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ إلا أن تُغلَبوا فلم تطيقوا الإتيان به فهو مفعول له، والكلام المُثبَت وهو قوله: ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم يعني لا تُمنَعوا منه لعلّة من العِلل إلا لعلّة واحدة وهو أن يُحاط بكم، فهو استثناء من أعمّ العامّ في المفعول له، والاستثناء من أعمّ العام لا يكون إلا في النفي فلا بدَّ من تأويله بالنفي ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ قيل: حلفوا بالله ربّ محمد عليه السلام ﴿قَالَ﴾ بعضهم يسكت عليه لأن المعنى قال يعقوب: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من طلب الموثق وإعطائه ﴿وَكِيلٞ﴾ (رقيب مُطَّلِع) غير أن (السكتة) تفصل

قوله: (وسق بعير) أي حِمل بعير.

قوله: (وبالياء) أي بإثبات الياء بعد النون وقفًا ووصلًا، (مكي) أي ابن كثير المكي، وقرأ أبو عمرو بإثبات الياء وصلًا لا وقفاً، وحذفها الباقون وقفًا ووصلًا. **قوله**: (رقيب مطّلع) فسّره به لأن الوكيل بالأمر يراقبه ويحفظه، فالمراد لازمه؛ إذ معنى الوكيل وهو القائم بأُمور عباده ليس يناسب هنا، وإنما عبّر به للمبالغة في الحفظ؛ إذ الوكالة نوع التزام إيّاه بخلاف المراقبة، وذكر المطلع للتنبيه على أن الرقيب بمعنى العليم.اهـ قنوي. **قوله**: (السكتة) وقفة

بين القول والمَقول وذا لا يجوز، فالأولى أن يُفرَّق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ الجمهور على أنه خاف عليهم (**العين**) لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرّق في الكَرَّة الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكَرَّة الأولى، فالعين حق عندنا وُجودُهُ بأن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانًا فيه وخللًا، وكان النبي ﷺ يعوِّذ (**الحسن والحسين**) رضي الله عنهما فيقول: «أعيذكما (**بكلمات الله التامة**) من كل (**هامة**) ومن كل عين (**لامة**) وأنكر (**الجبائي**) **العين** وهو مردود بما ذكرنا.

لطيفة من غير تنفّس، كذا في المنح الفكرية في شرح الجزرية لملّا علي القاري رحمه الله تعالى.

قوله: (**العين**) أي إصابة العين. **قوله**: (**الحسن**) بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسمّ سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها. **قوله**: (**والحسين**) بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين وله ستّ وخمسون سنة.

قوله: (**بكلمات الله التامّة**) المراد بكلمات الله: كتبه المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. **قوله**: (**هامة**) واحدة الهوام، وهي الحيات وكل ذي سمّ يقتل. وأمّا ما لا سُمّ له يقتل، فهو السَّوام وواحدتها سامّة؛ كالعقرب والزنبور، وقد تقع الهوام على كل ما يدبّ من الحيوان. **قوله**: (**لامّة**) اللامة الملمّة من ألْمَمت به، أي نزلت وجيء بها على فاعلة، ولم يقل: ملمّة؛ لازدواج **هامة**، ويجوز أن تقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشرّ على المعيون من لمَّه يلمّه إذا جمعه، يقال: إن دارك تلمّ الناس، أي تجمعهم. **قوله**: (**الجبائي**) بضم الجيم وتخفيف **الباء** وتشديدها منسوب إلى الجباء، وهي قرية من قرى البصرة، وهو أبو

وقيل: إنه أحبَّ أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي إن كان الله أراد بكم سوءًا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرتُ به عليكم من التفرّق وهو مصيبكم (لا محالة) ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي متفرّقين ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ دخولهم من أبواب متفرقة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي شيئًا قطّ حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرّقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصّواع في رَحْله وتضاعف المصيبة على أبيهم ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة ﴿فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ وهي شفقته عليهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ﴾ يعني قوله: وما أُغني عنكم وعلمه بأن (القدر) لا يُغني عنه (الحذر) ﴿لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضمَّ إليه بنيامين. ورُوِيَ أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم: أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأَجْلَسَ كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيًّا لأجلَسَني معه فقال يوسف: بقي أخوكم وحيدًا فأجلسه معه على مائدته وجعل يُؤاكله وقال له: أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالِك؟ قال: ومَن يجد

علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام ـ بتخفيف اللام ـ كان شيخ المعتزلة، وُلد في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة. **قوله**: (لا محالة) بضمّ الميم وفتحها.

قوله: (القدر) في مختار الصحاح: القَدْر والقَدَر أيضاً ما يقدّره الله تعالى من القضاء. اهـ. **قوله**: (الحذر) في مختار الصّحاح: الحذر والحَذَر: التحرّز.

أخًا مثلك ولكن لم يَلِدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يُوسُف ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى فإن الله قد أحسَنَ إلينا وجمعنا على خير ولا تُعلِمهم بما أعْلَمْتك. ورُوِيَ أنه قال له: فأنا لا أُفارقك. قال: لقد علمت اغتمام والدي بي فإن (حبستك) ازداد غمّه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يحمد. قال: لا أُبالي فافعل ما بَدَا لك. قال: فإني أدسّ صاعي في رَحْلك ثم أُنادي عليك بأنك سرقته ليتهيَّأ لي رَدّك بعد تسريحك معهم فقال: افعل.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ هيَّأ أسبابهم وأوفى الكَيل لهم ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ السقاية هي (مشربة) يُسقَى بها وهي الصّواع. قيل: كان يُسقى بها الملك ثم جُعِلَت صاعًا يُكال به لعزّة الطعام وكان يشبه (الطاس) من فضة أو ذهب ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ ثم نادى مُنادٍ آذنه أي أعلمه، وأذَّن: أكثر الإعلام، ومنه المؤذِّن لكثرة ذلك منه. رُوِيَ أنهم ارتحلوا وأمهَلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ هي الإبل التي عليها الأحْمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب العير ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ كناية عن سرقتهم إياه من أبيه.

﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ هو الصَّاع ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ يقوله المؤذِّن يريد وأنا

قوله: (حبستك) من باب ضرب.

قوله: (مشربة) بكسر الميم إناء يُشرب به. وأمّا المشربة ـ بفتح الميم ـ فهو معنى الغرفة، كذا في شرح الكشاف، وهو القياس. وقد نقل في الأوّل الفتح لكونه محلاًّ للماء المشروب، وهذا وإنْ صح لكن اعتبار كونه آلة للشرب أوْلى. اهـ قنوي. **قوله:** (الطاس) الذي يُشرب فيه.

بحمل البعير كفيل أؤدّيه إلى مَن جاء به وأراد وسق بعير من طعام (جعلًا) لمَن حصّله.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ (قسم فيه معنى التعجب) مما أُضيف إليهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استشهدوا بعلمهم لمَا ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعًا أو طعامًا لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رِحالهم ﴿وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾ وما كنّا نُوصَف قطّ بالسرقة ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الضمير للصّواع أي فما جزاء سرقته ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في جحودكم وادّعائكم البراءة منه ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ أي جزاء سرقته أخذ مَن وُجِد في رَحْله، وكان حُكم السارق من آل يعقوب أن يُسترَقّ سنة فلذلك استُفتُوا في جزائه. وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ تقرير للحكم أي فأخْذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير، أو ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره (﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾) أي السُّرَّاق بالاسترقاق.

قوله: (جُعْلًا) ـ بالضمّ ـ ما يُجعل للشخص في مقابلة عمله.

قوله: (قسم فيه معنى التعجّب) أي يلازمه التعجّب غالبًا، ومنه قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٥]، والمعنى: ما أعجب حالكم أنتم تعلمون علمًا حاليًّا لا رَيْب فيه لما شاهدتم من أحوالنا أننا بريئون مما تنسبونه إلينا، فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون؟

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾) محلّ الكاف النصب على النعت لمصدر محذوف، أي نجزي السارقين جزاء مثل ذلك، والإشارة إلى الحكم، وهو من كلام إخوة يوسف صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم، أي هذا شرعنا في جزاء السارق.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وِعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال: ما أظن هذا أخذ شيئًا فقالوا: والله لا نتركه حتى تنظر في رَحْله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي الصُّواع ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ ذكر ضمير الصُّواع مرات ثم أنَّثه لأن التأنيث يرجع إلى السقاية، أو لأن الصُّواع يُذَكَّر ويُؤنَّث.

الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ (في محل نصب) أي مثل ذلك الكَيد العظيم ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَۖ﴾ (يعني علَّمناه إياه) ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ (تفسير للكَيد وبيان له) لأن الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يُغَرَّم مثلي ما أخذ لا أن يُستعبَد ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ﴾ (بالتنوين: كوفي) ﴿مَّن نَّشَآءُۗ﴾ أي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه

قوله: (في محلّ النصب) على أنه نعت لمصدر محذوف، أي كدنا له كيدًا مثل ذلك الكيد العظيم، يعني علَّمناه إياه وأوحينا به إليه. **قوله**: (**يعني علَّمناه إياه**) فسّر الكيد المسنَد إليه تعالى بالتعليم والإيحاء؛ لأن حقيقة الكيد مستحيل في حقِّه تعالى، وذلك لأن الكيد عبارة عن المكر والخديعة، وهو أن تُوهم غيرك خلاف ما تُخفيه، فهو في حقّ الله تعالى محمول على التمثيل، فإنّ صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصّلاة والسّلام أن لا يحكم على إخوته حكم الملك، وهو أن يضرب السارق ويغرمه مثلي ما أخذه، بل يحكم عليهم على سُنن مذهبهم وهو أن يستعبد السارق سنة صورة صنع مَنْ يُوهم الغير خلاف ما يخفيه؛ لأن مقصود يوسف عليه الصّلاة والسلام إيواء أخيه إليه، وكان لا يتمّ ذلك إلّا بهذه الحيلة، ولمّا كان قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ هو عين الكيد قال المصنّف رحمة الله عليه: (تفسير للكيد وبيان له). **قوله**: (**بالتنوين**) أي بتنوين التاء (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بغير تنوين على الإضافة.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ فوقه أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عزَّ وجلّ.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ﴾ أرادوا يوسف. قيل: دخل **(كنيسة)** فأخذ تمثالًا صغيرًا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه. وقيل: كان في المنزل **(دجاجة)** فأعطاها السائل. وقيل: كانت **(منطقة)** لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحٰق، ثم وقعت إلى ابنته ـ وكانت أكبر أولاده ـ **(فحضنت)** يوسف وهي عمّته بعد وفاة أُمه وكانت لا تصبر عنه، فلما **(شَبَّ)** أراد يعقوب أن ينزعه منها **(فعمدت)** إلى المِنطقة **(فحزمتها)** على يوسف تحت ثيابه وقالت: فَقَدْتُ مِنطقة إسحٰق فانظروا مَن أخذها، فوجدوها **(مجزومة)** على يوسف، فقالت: إنه لي سَلَم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت. ورُوِيَ

قوله: (كنيسة) في المصباح: الكنيسة متعبّد اليهود، وتُطلق أيضًا على متعبّد النصارى معربة.اهـ. **قوله**: (دجاجة) في مختار الصِّحاح: الدجاج معروف وفتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة ذكراً كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطّة.اهـ. **قوله**: (منطقة) بالكسر ما يُشدّ في الوسط. **قوله**: (فحضنت) في مختار الصحاح: الحِضْن ما دون الإبط إلى الكشح، وحَضَن الطائر بيضه من باب نصر ودخل إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحِه، وحضنت المرأة ولدها حِضانةً أي جعلته في حِضْنها وحِضانة الصبي التي تقوم عليه في تربيته.اهـ. **قوله**: (شبّ) في المصباح: شبّ الصبي يشبّ من باب ضرب شبابًا وشبيبة وهو شاب، وذلك سنّ قبل الكهولة.اهـ. وأيضًا فيه: الكهل مَنْ جاوز الثلاثين، ووخطه(١) الشَّيب، وقيل: مَنْ بلغ الأربعين.اهـ. **قوله**: (فعمدت) في المصباح: عمدت للشيء عمدًا من باب ضرب، وعمدت إليه قصدت.اهـ. **قوله**: (فحزمتها) من باب ضرب: أي فشدّتها. **قوله**: (مجزومة) أي مشدودة.

(١) قوله: وخطه الشيب كوعده خالَطه.اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أنهم لمّا استخرجوا الصَّاع من رَحْل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له: (فضحتنا) وسَوَّدْتَ وجوهنا يا بني راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذتَ هذا الصَّاع؟ فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصُّواع في رَحْلي الذي وضع البضاعة في رِحالكم ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ أي مقالتهم إنه سرق كأنه لم يسمعها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ تمييز أي أنتم شرّ منزلة في (السَّرَق) لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ تقولون أو تكذبون.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ في السن (وفي القدر) ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ﴾ أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا فأتمِم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجْرِ على عادتك ولا تغيِّرها ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ أي نعوذ بالله معاذًا من أن نأخذ فأُضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ «إذًا» جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا، وهذا لأنه وجب على قضية فَتْواكم أخْذ مَن وُجِد الصَّاع في رَحْله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلمًا في مذهبكم فلِمَ تطلبون ما عرفتم أنه ظلم.

قوله: (فضحتنا) في مختار الصحاح: فضحه فافتضح، أي كشف مساوئه، وبابه قطع والاسم الفَضيحة والفُضُوحة أيضًا بضمّتين. اهـ. **قوله**: (السَّرَق) بفتحتين.

قوله: (وفي القدر) لأنه نبيّ من أولاد الأنبياء على نبيِّنا وعليهم الصلاة والسلام.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ يئسوا **(وزيادة السين والتاء للمبالغة)** كما مرَّ في ﴿استعصم﴾، ﴿مِنْهُ﴾ من يوسف وإجابته إيّاهم ﴿خَلَصُوا۟﴾ انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم ﴿نَجِيًّا﴾ ذوي نجوى أو فوجًا نجيًّا أي مُناجيًا لمُناجاة بعضهم بعضًا، **(أو تمحضوا تناجيًا)** لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجِدٍّ واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته.

فالنجيّ يكون بمعنى المُناجي كالسمير بمعنى المسامِر، وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أيّ صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن وهو روبيل، أو في العقل والرأي وهو يهوذا، أو رئيسهم وهو شمعون ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ «ما» **(صلة)** أي ومن قبل هذا قصَّرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم، أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ فلن أُفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ في الانصراف إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ بالخروج منها أو بالموت **(أو بقتالهم)** ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالعدل.

قوله: (وزيادة السين والتاء للمبالغة)، فإن السين للطلب؛ فتدلّ على أنهم كانوا في يأس، وهو انتفاء الطمع، فطلبوا من أنفسهم الزيادة على ما هم فيه، وبناء استفعل بمعنى المجرّد إلا أنه أبلغ منه.

قوله: (أو تمحضوا تناجيًا) أي انفردوا عن الناس، فصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كائنين تناجيًا محضًا. **قوله: (صلة)** أي مزيدة. **قوله: (أو بقتالهم)** فأقاتلهم حتى أستردّ أخي.

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ **(وقرىء «سرّق»)** أي نسب إلى السرقة ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ﴾ عليه بالسرقة ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ من سرقته وتيقنّا إذ الصُّواع استخرج من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن **(كُنهِ القصة)** ﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ وأصحاب العير وكانوا قومًا من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ أردتموه وإلا فمَن أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترقّ لولا فتواكم وتعليمكم ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ بيوسف وأخيه وكبيرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه. **(والألف بدل من ياء الإضافة،**

قوله: (وقرىء «سرّق») بالتشديد هذه القراءة منقولة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وليست بمتواترة.

قوله: (كُنهِ القصة) في المصباح: كنه الشيء حقيقته ونهايته وعرفته كنه المعرفة، والكنه الغاية، والكنه الوقت. قال الشاعر:

فإن كلام المرء في غير كنهه

أي: غير وقته، ولا يُشتقّ منه فعل. اهـ.

قوله: (والألف بدل من ياء الإضافة)، والأصل: يا أسفي ففتحت الفاء وصيرت الياء ألفًا طلبًا للتخفيف؛ لأن الفتحة والألف أخفّ من الكسرة والياء،

والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلّف ونحوه: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: الآية ٣٨]، (﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾) [الأنعام: الآية ٢٦]، و﴿وَهُمْ (يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]، (﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾) [النمل: الآية ٢٢]. وإنما تأسف دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين، وفيه دليل على أن **(الرزء)** فيه مع **(تقادم)** عهده كان **(غضًا)** عنده طريًا ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ **(إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة)** سواد العين وقلبته إلى بياض كدر.

وليحصل امتداد الصوت الذي هو المقصود في الندامة، ونداء مثل الأسف والحسرة مجاز، والمقصود إنشاء التأسّف والتحزّن لتحقّق ما يُوجبهما، وقوّة ما يدعو إليهما من الأسباب والعِلل؛ كأنه يقول: هذا أوانك أيّها الأسف فاحضر. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (والتجانس بين)** لفظتي **(الأسف ويوسف)** مما يقطع مطبوعًا **(غير متكلّف)** أي غير متعمل فيملح ويبدع **(ونحوه:** ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ﴾) [الأنعام: الآية ٢٦]، و(﴿يَحْسَبُونَ﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]) يظنّون (﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]، (﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾) [النمل: الآية ٢٢]. **قوله:** (﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾) بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل، أي تباطأتم وملتم عن الجهاد إلى الأرض والقعود فيها. **قوله:** (﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾) الناس (﴿عَنْهُ﴾) أي عن اتّباع النبيّ ﷺ (﴿وَيَنْئَوْنَ﴾) يتباعدون (﴿عَنْهُ﴾) فلا يؤمنون به. **قوله:** و(﴿يَحْسَبُونَ﴾) يظنون (﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾) عملًا يُجازون عليه. **قوله:** (﴿مِن سَبَإٍ﴾) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سُمّيت باسم جدٍّ لهم وباعتباره صرف (﴿بِنَبَإٍ﴾) بخبر.

قوله: (الرُّزْء)(١) بضم الراء وسكون الزاي المعجمة وبالهمزة وهو المصيبة. **قوله:** (تقادم) في مختار الصحاح: قَدُم الشيء بالضم قِدَمًا بوزن عِنَب فهو قديم وتقادم مثله. اهـ. **قوله:** (غضًا) في مختار الصّحاح: شيء غَضّ وغَضِيض أي طَرِيّ. اهـ. وأيضًا فيه شيء طَرِيّ بيِّن الطّراوة. اهـ. **قوله:** (إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة) في مختار الصحاح: العَبْرة ـ بالفتح ـ تحلّب الدمع، وعَبِر الرجل والمرأة والعين من باب طَرِب، أي جرى دَمْعه، والنعت في الكل عابر،

---

(١) وزان قفل ١٢.

وقيل: قد (عَمِي) بصره. وقيل: كان قد يدرك إدراكًا ضعيفًا ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ لأن الحزن سبّب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن. قيل: ما جفّت عينا يعقوب من وقت فِراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عامًا وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المَبلغ لأن الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن (**فلذلك حَمَد صبره، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم**)، وقال: «القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرّبّ وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون».

وإنما المذموم (**الصياح والنّياحة ولَطْم الصدور**) والوجوه (**وتمزيق الثياب**) ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى

واستعبرت[1] عينه أيضًا، والعَبْران الباكي. اهـ. **قوله**: (عَمِي) من باب صَدِي[2]. **قوله**: (**فلذلك حمد صبره**) وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن. **قوله**: (**ولقد بكى رسول الله ﷺ**) حديث صحيح أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله عنه. **قوله**: (**على ولده إبراهيم**) أبناء النبيّ ﷺ ثلاثة: القاسم وبه يُكنى؛ إذ هو أوّل أولاده عاش سنتين ومات قبل البعثة بمكّة، وعبد الله وهو الطيّب الطّاهر مات في الرّضاع بعد البعثة ودُفِن بمكّة، وهما من خديجة رضي الله تعالى عنها؛ وإبراهيم من مارية القبطيّة، وُلد في ذي الحجّة في ثمان من الهجرة عقّ عنه عليه السلام بكبشين يوم سابع ولادته وحلق رأسه وتصدّق بزِنَة شعره فضّة على المساكين وأمر بشعره فدُفِن في الأرض ومات في الرّضاع، وهو ابن ثمانية عشر شهرًا ودُفِن بالبقيع. **قوله**: (**الصّياح**) في المصباح: صاح بالشيء يصيح به صيحة وصياحًا صرخ. اهـ. وفي مختار الصحاح: الصُياح الصوت، وقد صاح يصيح صيحًا وصيحة وصِياحًا - بكسر الصاد وضمّها - وصَيَحانًا - بفتح الياء - والمصايحة والتصايح أن يصيح القوم بعضهم ببعض. اهـ. **قوله**: (**النّياحة**) في مختار الصحاح: ناحت المرأة من باب قال، ونِياحًا - بالكسر - والاسم النِّيَاحة. **قوله**: (**ولطم الصدور**) أي ضربها بباطن الكفّ، وبابه ضرب. **قوله**: (**وتمزيق الثياب**) في

---

(١) أي دمعت. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الصَّدَى العطش، قد صَدِي بالكسر صَدًى فهو صَدٍ وصَدْيان وامرأة صَدْياء. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مفعول بدليل قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: الآية ٤٨] (من كظم السقاء) إذا شدّه على ملّته.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ أي لا تفتأ (فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس) إذ لو كان إثباتًا لم يكن بُدٌّ من اللام والنون. ومعنى لا تفتأ لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ (مُشفيًا على الهلاك) مرضًا ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ البثّ أصعب الهمّ الذي لا يصير عليه صاحبه (فيبثّه) إلى الناس أي ينشره أي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى الله ربي داعيًا له ومُلتَجئًا إليه (فخلّوني وشكايتي). ورُوِيَ أنه أوحى إلى يعقوب: (إنما وجدت عليكم) لأنكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تُطعِموه وإن أحبَّ خلقي إليّ الأنبياء ثم المساكين فأصنع طعامًا وأدعُ عليه المساكين. وقيل: اشترى

المصباح: مزّقت الثوب مزقًا من باب ضرب شققته، ومزّقته بالتثقيل فتمزّق.اهـ. **قوله:** (من كظم السقاء) إذا شدّه على ملئه، فإنه إذا شدّ فم السقاء يكون ما فيه مستورًا مخفيًّا. في مختار الصحاح: السِّقاء يكون للّبن والماء، والقِرْبة للماء خاصّة.اهـ. **قوله:** (فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس) بالإثبات، و﴿تَفْتَؤُا۟﴾ هٰهنا جواب القسم في قوله: ﴿تَٱللَّهِ﴾ [يوسف: الآية ٧٣]، وتقديره: لا تفتأ ويدلّ عليه، أي على حذف حرف النفي فيه أنه لو كان مثبتًا لكان بلام الابتداء ونون التوكيد معًا عند البصريّين، نحو: والله ليفعلنّ، أو بأحدهما عند الكوفيّين؛ فلو قيل: والله أحبك، كان المراد لا أحبّك، وهو من قبيل التورية، فإنّ كثيرًا من الناس يتبادر ذهنهم منه إلى إثبات المحبّة، وليس كذلك، فظهر أن المعنى: لا تفتأ.اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (مُشْفيًا على الهلاك) أي مشرفًا عليه وقريبًا منه. **قوله:** (فيبثّه) من باب ردّ. **قوله:** (فخلوني وشكايتي) الواو بمعنى مع. **قوله:** (إنما وجدت عليكم) في المصباح: وجدت عليه مَوْجِدة غضبت.اهـ. وفي لسان العرب: وَجَد عليه في الغضب يَجِدُ ويَجُد وُجْدًا وجِدَة ومَوْجِدَةً ووِجْدانًا غضب، وفي حديث الإيمان:

جارية مع ولدها فباع ولدَها فبكت حتى عَمِيَت ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأعلم من رحمته أنه يأتيني (بالفرج) من حيث لا أحتسب، ورُوِيَ أنه رأى مَلَك الموت في منامه فسأله: هل (قبضت) روح يوسف؟ فقال: لا والله هو حيٌّ فاطلبه وعلَّمه هذا الدعاء «يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدًا ولا يحصيه غيرك فرِّج عنِّي».

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعّل من الإحساس وهو المعرفة ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر والشأن ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لأن مَن آمَن يعلم أنه متقلّب في رحمة الله ونعمته، وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في نعمته فييأس من رحمته، فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ على يوسف ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ (الهزال) من الشدة والجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارًا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته. وقيل: كانت (دراهم زيوفًا) لا تؤخذ إلا (بوضيعة). وقيل: كانت صوفًا و(سمنًا) ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ الذي هو حقنا ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾

«إني أسائلك فلا تَجِدْ عليّ»، أي لا تَغضب من سؤالي، ومنه الحديث: «لم يَجِد الصائم على المفطر»، انتهى. **قوله**: (بالفرج) في المصباح: فرّج الله الغمّ - بالتشديد - كشفه، والاسم الفرج - بفتحتين - وفرجه فرجًا من باب ضرب لغة. اهـ. **قوله**: (قبضت) بابه ضرب.

قوله: (الهُزال) نقيض السِمَن. **قوله**: (دراهم زيوفًا) في المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفًا من باب سار ردأت، ثم وصف بالمصدر فقيل: درهم زيف، وجُمع على معنى الاسمية، فقيل: زيوف مثل فلس وفلوس. اهـ. أي دراهم معيبة. **قوله**: (بوضيعة) في لسان العرب: الوضيعة الخَسَارة. اهـ. **قوله**: (سَمْنًا) في المصباح: السمن ما يُعْمل من لبن البقر والغنم، والجمع سُمْنان مثل ظهر وظهران

وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زِدْنا على حقنا أو هَبْ لنا أخانا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ولما قالوا مسَّنا وأهلنا الضّرّ وتضرّعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدَّق عليهم (ارفضّت عيناه) ولم يتمالك أن عرَّفهم نفسه حيث قال:

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ أي هل علمتم قُبْح ما فعلتم بيوسف ﴿وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ لا تعلمون قبحه أو إذ أنتم في حدّ (السَّفه والطيش) وفِعْلهم بأخيه تعريضهم إيّاه للغمّ بإفراده عن أخيه لأبيه وأُمه وإيذاؤهم له بأنواع الأذى ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ﴾ (بهمزتين: كوفي وشامي) ﴿لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ﴾ اللام لام الابتداء و﴿أَنتَ﴾ مبتدأ و﴿يُوسُفُ﴾ خبره، والجملة خبر «إن» ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ﴾

وبطن وبطنان. اهـ. **قوله**: (ارفضّت عيناه) في لسان العرب: ارفضّ الدمع ارْفِضاضًا وترَفَّضَ سال وتفرّق وتتابع سَيَلانه وقطرانه، وارفَضَّ دمعه ارْفِضاضًا إذا انهَلَّ متفرّقًا، وارفضاض الدمع تَرَشُّشُه. اهـ.

قوله: (السَّفه) نقص في العقل، وأصله الخفّة. اهـ مصباح. **قوله**: (الطيش) الخفة. اهـ مصباح. **قوله**: (بهمزتين كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي. عبارة الخطيب: قرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر، وقرأ قالون[١] وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام، وقرأ ورش[١] بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضًا. وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين مع القصر، ولهشام[٢] وجهٌ ثانٍ وهو المدّ، انتهت بحروفها. وعبارة كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وقرأ: (﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ﴾) بهمزة واحدة ابن كثير وأبو جعفر، والباقون بهمزتين على الاستفهام التقريريّ، وهم على أصولهم، فقالون وأبو عمرو بتسهيل

---

(١) يُروَى عن نافع ١٢.
(٢) يُروى عن ابن عامر الشامي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان في ذكر أخيه بيان لِما سألوه عنه ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بالأُلفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالمَلامة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ الفحشاء ﴿وَيَصْبِرْ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجْرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين. وقيل: مَن يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دُنياه وعقباه.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ وإن شأننا وحالنا أنّا كنّا خاطئين متعمِّدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جَرَم أن الله أعزَّك بالمُلْك وأذلّنا بالتمسكن بين يديك ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ لا تعيير عليكم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ متعلق بالتثريب أو بـ ﴿يَغْفِرُ﴾ والمعنى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مَظَنَّة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام! ثم ابتدأ فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم. يقال: غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع، أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجِل غفران الله. ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ أخذ (بعضادتي باب الكعبة) يوم الفتح فقال لقريش: «ما ترونني فاعلًا بكم»؟ قالوا: نظن خيرًا أَخٌ كريم وابن أخ كريم، وقد (قدرت). فقال: «أقول ما

الثانية مع الفصل بالألف، وورش ورُوَيْس[1] كذلك لكن بلا فصل، وقرأ الحلواني من مشهور طرقه عن هشام، وكذا الشذائي عن الداجوني بالتحقيق مع الفصل، وقرأ الداجوني غير الشذائي عنه بالتحقيق بلا فصل، وبه قرأ الباقون، انتهت بحروفها.

قوله: (بعضادتي باب الكعبة) في المصباح: العضادة ـ بالكسر ـ جانب العتبة من الباب. اهـ. **قوله**: (قدرت) في المصباح: قدرت على الشيء أقدر من

---

(١) يُروى عن يعقوب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قال أخي يوسف لا تثريب عليك اليوم». ورُوي أن (**أبا سفيان**) لمّا جاء ليسلّم قال له (**العباس**): إذا أتيت رسول الله فاتلُ عليه ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ ففعل فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك ولمَن علّمك». ويُروَى أن إخوته لمّا عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى طعامك بكرةً وعشيًّا ونحن نستحي منك لما فرط منّا فيك، فقال يوسف: إن أهل مصر وإن مُلِّكتُ فيهم فإنهم ينظرون إليَّ بالعين الأولى ويقولون سبحان مَن بلغ عبدًا بيع بعشرين درهمًا ما بلغ، ولقد (**شرفت**) الآن بكم حيث علم الناس أني من (**حفدة**) إبراهيم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي إذا رحمتكم وأنا الفقير (**القتور**) فما ظنكم بالغني الغفور؟ ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا: إنه عَمِيَ من كثرة البكاء قال:

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ قيل: هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف، وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مُبتَلى ولا سقيم إلا عُوفِي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يصر بصيرًا. تقول: جاء البناء محكمًا أي صار، أو يأتِ إليَّ وهو بصير. قال يهوذا: أنا أحمل قميص

باب ضرب قويت عليه وتمكّنت منه، والاسم القدرة والفاعل قادر وقدير. اهـ. وفي مختار الصحاح: قدر على الشيء قُدْرة وقُدْرَانًا أيضًا بضمّ القاف وقَدِر يقدَر لغة فيه كعلم يعلم. اهـ. **قوله**: (**أبا سفيان**) صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأُمويّ صحابي مشهور أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل بعدها رضي الله عنه.

قوله: (**العباس**) بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النبيّ ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**شُرِّفت**) مبني للمفعول من التشريف. **قوله**: (**حَفَدة**) ـ بفتحتين ـ أولاد أولاد. في المصباح: حفد حفدًا خدم فهو حافد، والجمع حفدة، مثل كافر وكفرة، ومنه قيل للأعوان حفدة، وقيل لأولاد الأولاد حفدة؛ لأنهم كالخدّام في الصِّغر. **قوله**: (**القتور**) في المصباح: قتر على عياله قترًا وقتورًا من بابي ضرب وقعد ضيّق في النفقة وأقتر إقتارًا وقتر تقتيرًا مثله. اهـ.

الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء. وقيل: حمله وهو (**حافٍ حاسر**) من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخًا ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لينعموا بآثار مُلكي كما اغتمّوا بأخبار (**هَلَكي**).

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ (**خرجت من عريش مصر**). قال: فصل من البلد فصولًا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لولد ولده ومَن حوله من قومه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ التفنيد النسبة إلى (**الفند**) وهو الحزن وإنكار العقل من هرم. يقال: شيخ مفند. والمعنى لولا تفنيدكم إيّاي لصدّقتموني ﴿قَالُوا﴾ أي (**أسباطه**) ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ لفي ذهابك عن الصواب قديمًا في

قوله: (**حاف**) في المصباح: حفي الرجل يحفى من باب تعب حفاء مثل سلام مشى بغير نعل ولا خفّ فهو حافٍ، والجمع حُفاة مثل قاضٍ وقُضاة.اهـ. **قوله**: (**حاسر**) أي مكشوف الرأس. **قوله**: (**هُلْكى**) في المصباح: هلك الشيء هلكًا من باب ضرب، وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام، فمثلثة والاسم الهلك مثل قفل.اهـ.

قوله: (**خرجت من عريش مصر**) أي عمرانها.اهـ جمالين. وفي الكمالين: خرجت من عرش مصر، أي من بيوتها، والعرش ـ بضم العين والراء ـ جمع عريش.اهـ. وفي الفتوحات الإلـٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدّقائق الخفية للعلّامة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله: قوله: خرجت من عريش مصر، أي خرجت من مصر ووصلت إلى العريش، ثم خرجت منه متوجّهًا إلى أرض كنعان، والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأوّل بلاد الشام، وهذا أحد قولين. والثاني: أنها خرجت من نفس مصر.اهـ من الخازن. وفي المختار: وفصل من الناحية خرج منها وبابه جلس.اهـ بحروفه. **قوله**: (**الفند**) ـ بفتحتين ـ ضعف الرأي من الهَرَم.اهـ مختار الصحاح. وأيضًا فيه: الهَرَم كِبَر السنّ.اهـ. **قوله**: (**أسباطه**) في المصباح: السِّبط ولد الولد، والجمع أسباط مثل حمل وأحمال.اهـ.

إفراط محبتك ليوسف أو في خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم أنه قد مات.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ أي يهوذا ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب ﴿فَٱرْتَدَّ﴾ فرجع ﴿بَصِيرًا﴾ يقال: ردّه فارتدّ وارتدّه إذا ارتجعه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني قوله: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أو قوله: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾. وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ورُويَ أنه سأل البشير كيف يوسف؟ قال: هو ملك مصر. فقال: ما أصنع بالملك، على أيّ دين تركته؟ قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمّت النعمة ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي سَل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك إنا تُبنا واعترفنا بخطايانا ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ أخّر الاستغفار إلى وقت السَّحَر، أو إلى ليلة الجمعة، أو ليتعرّف حالهم في صدق التوبة، أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم. ثم إن يوسف وجّه إلى أبيه جهازًا ومائتي راحِلَة ليتجهّز إليه بمَن معه، فلما بلغ قريبًا من مصر خرج يوسف والملِك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقّوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ ضمّ إليه ﴿أَبَوَيْهِ﴾ واعتنقهما. قيل: كانت أُمه باقية. وقيل: ماتت وتزوج أبوه خالته ـ والخالة أم كما أن العمّ أب ـ ومنه قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٣] ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم في (مضرب) خيمة أو

قوله: (مضرب) في لسان العرب: المِضْرَب فسطاط المَلِك.اهـ.

قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه ﴿وَقَالَ﴾ لهم بعد ذلك ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجوارٍ أو من القحط. ورُوِيَ أنه لمّا لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يا مُذهِب الأحزان، وقال له يوسف: يا أبت بكيت عليَّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى ولكن خشيت أن يُسلَب دينك فيُحال بيني وبينك. وقيل: إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء، وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلًا سوى الذرية و(الهرمى)، وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ قيل: لمّا دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويًا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخرّوا له ـ يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين ـ سُجَّدًا، وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد. وقال (الزجاج): سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم. وقيل: ما كانت إلا انحناء دون (تعفير) الجباه وخرورهم سُجَّدًا يأباه. وقيل: وخرّوا لأجل يوسف سُجَّدًا لله وشكرًا (وفيه نبوّة) أيضًا واختلف في استنبائهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا﴾ أي

وأيضًا فيه: قال الزمخشري: الفُسْطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السَّرادِق.اهـ. وأيضًا فيه: السرادق ما أحاط بالبناء.اهـ. **قوله**: (**الهرمى**) جمع هرم. في المصباح: هرم هرمًا من باب تعب، فهو هرم كبر وضعف وشيوخ هرمى مثل زمن وزمنى، وامرأة هرمة ونسوة هرمى وهرمات أيضًا.اهـ.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق بن إبراهيم بن محمد. **قوله**: (**تعفير**) في المصباح: العفر ـ بفتحتين ـ وجه الأرض، ويُطلق على التراب، وعفرت الإناء عفرًا من باب ضرب دلكته بالعفر فانعفر هو واعتفر وعفّرته ـ بالتثقيل ـ مبالغة فتعفّر.اهـ. **قوله**: (وفيه نبوة) أيضًا في لسان العرب: نَبا عن الشيء نَبْوًا ونَبْوةً

الرؤيا ﴿رَبِّي حَقًّا﴾ أي صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ يقال: أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجبّ لقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ من البادية لأنهم كانوا أصحاب مَواشٍ ينتقلون في المياه (والمناجع) ﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي أفسد بيننا و(أغرى) ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ (أي لطيف التدبير) ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ بتأخير الآمال إلى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ مُلك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا و«من» فيهما للتبعيض إذ لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ انتصابه على النداء ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] وعن الضحاك: مخلصًا. وعن (التستري): مسلِّمًا إليك أمري وفي عصمة الأنبياء إنما دعا به يوسف ليقتدي به

زايَلَه. اهـ. وفي المصباح: نَبا الشيء بعد. اهـ. يعني أنّ في الكلام نَبْوة عنه. قال صاحب الكشف: لأنه جعله تأويل رؤياه من قبل وقد ذكر فيها: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤]، انتهى. وفي تفسير العلّامة أبي السعود: وقيل: خرّوا لأجله سجدًا لله شكرًا، ويردّه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٠]... الخ. **قوله**: (والمناجع) في القاموس ولسان العرب: المُنْتَجَع المنزل في طلب الكلأ. اهـ. وفي لسان العرب: ويقال للمُنْتَجَع مَنْجَعٌ وجمعه مَناجِعُ. اهـ. **قوله**: (أغرى) أي ألقى الفتنة. **قوله**: (أي لطيف التدبير) يعني اللّطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأُمور المدبّر لها والمسهّل لصعابها.

قوله: (التُّسْتَري) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع،

قومه ومن بعده ممَّن ليس بمأمون العاقبة، لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي أو على العموم. رُوِيَ أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال: يا بنيَّ ما أعقَّك عندك هذه القراطيس وما كتبت إليَّ على ثمان مراحل. فقال: أمرني جبريل. قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني فاسأله. فقال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ فهلا خفتني.

ورُوِيَ أن يعقوب أقام معه أربعًا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحٰق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثًا وعشرين سنة، فلما تمَّ أمره طلبت نفسه المُلْك الدائم فتمنى الموت. وقيل: ما تمنّاه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبًا طاهرًا، فتخاصم أهل مصر

وكان صاحب كرامات ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكّة، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار، فإنه قال: قال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت له: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلّبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي الله ناظر إليَّ الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة، فلمّا كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة؛ فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، مَنْ كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه إياك والمعصية، فكان ذلك أوّل أمره.

وسكن البصرة زمانًا وعبادان مدّة، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائتين رضي الله تعالى عنه بالبصرة. والتستري ـ بضم التاء المثنّاة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء المثنّاة من فوقها الثانية وبعدها راء ـ هذه النسبة إلى تستر، وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان، يقول الناس بها ششتر ـ بشينين معجمتين ـ بها قبر البراء بن مالك رضي الله تعالى عنه.

و(تشاحَوا) في دفنه كلٌّ يحبّ أن يُدفَن في محلتهم حتى همّوا بالقتال، فرأوا أن يعملوا له صندوقًا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه (شرعًا) حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته إلى بيت المقدس. وولد له إفرائيم وميشا، وولد لإفرائيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولقد توارثت (الفراعنة) من (العماليق) بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبران ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى بني يعقوب ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على ما همّوا به من إلقاء يوسف في البئر ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

قوله: (تشاحوا[1]) الرجلان على الأمر لا يريدان أن يفوتهما. اهـ. وفي لسان العرب: وتشاحُّوا في الأمر وعليه شحّ به بعضهم على بعض، وتبادروا إليه حذر فوته، ويقال: هما يتشاحان على أمر إذا تنازعاه لا يريد كلّ واحد منهما أن يفوته، والنعت شحيح والعدد أشحّة، وتشاح الخصمان في الجدل كذلك. اهـ. **قوله**: (شرعًا) أي سواء. في مختار الصحاح: قولهم الناس في مدّ الأمر شرع، أي سواء يحرّك ويُسكّن ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث. اهـ. وفي لسان العرب: ونحن في هذا سواء وشرعٌ واحدٌ، أي سواء لا يفوق بعضنا بعضًا يحرّك ويسكّن والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث فيه سواء. اهـ.

قوله: (الفراعنة) في مختار الصحاح: فرعون لقب الوليد بن مُصْعَب ملك مصر وكل عات فرعون، والعُتات الفراعنة. اهـ. **قوله**: (العماليق) في مختار الصحاح: العماليق والعمالقة قومٌ من ولد عَمْليق بن لاوز بن إرَم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وهم أُمم تفرّقوا في البلاد. اهـ.

---

(١) وفي مختار الصحاح: تشاح.

بيوسف ويبغون له (الغوائل)، والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على إلقاء أخيهم في البئر ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على التبليغ أو على القرآن ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾ جعل ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ ما هو إلا موعظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ و(حثٌّ) على طلب النجاة على لسان رسول من رسله ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا﴾ عن الآيات ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الأُمم الهالكة وغير ذلك من (العبر).

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السمٰوات والأرض إلا وهو مُشرِك بعبادة الوثن الجمهور على أنها نزلت في المشركين لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم، وإذا (حزبهم) أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يُشرِكون به غيره. من جملة الشِّرك ما

قوله: (**الغوائل**) في مختار الصحاح: فلان قليل الغائلة والمغالة ـ بالفتح ـ أي الشرّ، و**الغوائل** الدَّواهي. وأيضًا فيه: الداهية الأمر العظيم، ودواهي الدهر ما يُصيب الناس من عظيم نُوَبه. اهـ.

قوله: (**حثّ**) في المصباح: حثثت الإنسان على الشيء حثًّا من باب قتل وحرّضته عليه بمعنى. اهـ. **قوله**: (**العِبَر**) جمع **العبرة** مثل سدرة وسدر.

قوله: (**حزبهم**) ـ بحاء مهملة وزاي مفتوحة وموحدة مخفّفة ـ أي أهمّهم ونزل بهم.

يقوله **(القدرية)** من إثبات قدرة التخليق للعبد، والتوحيد المحض ما يقوله أهل السُّنَّة وهو أنه لا خالق إلا الله ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغۡتَةٗ﴾ حال أي **(فجأة)** ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانها.

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق يُذَكَّران ويُؤَنَّثان. ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير **(عمياء)** ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد للمستتر في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه مَن اتبعني، أو ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأ و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبر مقدَّم و﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ عطف على ﴿أَنَا۠﴾ يخبر ابتداء بأنه ومَن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ **(وأنزِّهه عن الشركاء)** ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مع الله غيره.

قوله: **(القدرية)** بفتح الدال وتسكن هم المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم ودواعيهم لا بقدرة الله وإرادته، وإنما نسب هذه الطائفة إلى القدر لأنهم يبحثون في القدر كثيرًا. اهـ مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح. **قوله**: **(فجأة)** بفتح الفاء وسكون الجيم مع القصر ويجوز ضمّ الفاء ومدّ الجيم. اهـ قنوي. وفي حاشية البيضاوي للعلاّمة الشهاب رحمه الله: فجأة بضم الفاء والمدّ وبالفتح والقصر بمعنى المفاجأة والبغتة. اهـ. وفي المصباح: فَجِئت الرجل أفجؤه مهموز من باب تعب، وفي لغة بفتحتين جئته بغتة، والاسم الفُجاءة ـ بالضمّ والمدّ ـ وفي لغة وزان تمرة، وفَجِئه الأمر من باب تعب ونفع أيضًا، وفاجأه مفاجأة أي عاجله. اهـ.

قوله: **(عمياء)** في المصباح: عمي فقد بصره، فهو أعمى والمرأة عمياء، والجمع عُمْي من باب أحمر وعميان أيضًا. اهـ. **قوله**: **(وأنزهه عَن الشركاء)** على أن سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر، أي أسبّح الله تسبيحًا من الشركاء.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون: لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة، أو ليست فيهم امرأة (﴿نُّوحِيٓ﴾) بالنون (**حفص**) ﴿إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل و(**الجفاء**) ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي ولدار الساعة الآخرة ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ الشِّرك وآمنوا به ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (**وبالياء: مكي وأبو عمرو وحمزة وعلي**).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ يئسوا من إيمان القوم (﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾) ـ كذّبوا ـ (**وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم. وبالتخفيف: كوفي أي وظن المُرسَل إليهم أن الرُسُل قد كذبوا أي أخلفوا**)، أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرُسُل أي كذبتهم الرُسُل في أنهم يُنْصَرونَ عليهم ولم يصدقوهم فيه

قوله: (﴿نُّوحِيٓ﴾) **بالنون**، أي بنون العظمة وكسر الحاء مبنيًّا للفاعل (**حفص**) وحده، والباقون بضمّ الياء من تحت وفتح الحاء مبنيًّا للمفعول. **قوله**: (**الجَفاء**) ممدود ضدّ البر.اهـ مختار الصِّحاح. **قوله**: (**وبالياء مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو وحمزة وعليّ**) الكسائي، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، وليسا من السبعة بالتاء على الخطاب.

قوله: (﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾) بالتشديد، كما قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (**وأيقن الرسل أن قومهم كذّبوهم، وبالتخفيف**) أي بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول (**كوفي**) **أي** قرأه عاصم وحمزة والكسائي (**أي وظنّ المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، أي أخلفوا**) بالبناء للمفعول، أي أخلفهم الله وعده إيّاهم بالنصر، فمعنى كذبوا بالتخفيف أخلفوا، أي أخلف الله وعدهم بالنصر. وعلى

﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ للأنبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب ﴿فَنُجِّيَ﴾ (**بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء: شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل** ﴿مَن﴾. **الباقون (فننجي)** ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي النبي ومَن آمن به ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

(﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾) أي في قصص الأنبياء وأُممهم أو في قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ حيث نقل من غاية الحب، إلى غيابة الجب، ومن الحصير، إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر (**وخامة**) وندامة ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ ما كان القرآن حديثًا مُفترى كما زعم الكفّار ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولكن تصديق الكتب التي تقدمته ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السُّنَّة والإجماع والقياس ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وأنبيائه (**وما نصب بعد «لكن» معطوف على**

قراءة التخفيف يكون الظنّ على بابه. **قوله**: (**بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وعاصم على لفظ الماضي المبنيّ للمفعول والقائم مقام الفاعل** ﴿مَن﴾). وقرأ (**الباقون**: «**فننجي**») بنونين مضمومة فساكنة فجيم مكسورة مخفّفة فياء ساكنة مضارع أنجى ﴿وَمَن﴾ مفعوله.

قوله: (﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾) الآية. في الدرّ المنثور **أخرج** ابن السنيّ والدَّيلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عسر على المرأة ولادتها أخذ إناء نظيف وكُتِب عليه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٣٥] إلى آخر الآية، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: الآية ٤٦] إلى آخر الآية، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسُف: الآية ١١١] إلى آخر الآية، ثم يُغسل وتُسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها» انتهى بحروفه. **قوله**: (وخامة) أي ثِقْل. **قوله**: (**وما نصب بعد «لكن» معطوف على**

خبر «كان» **عن رسول رسول الله ﷺ: «علّموا أرقّاءكم سورة يوسف)** فأيما عبد تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه هوَّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلمًا» قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: في ذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله ﷺ على أذى قريش كأنه يقول: إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك، فأنت مع مخالفتهم إياك في الدين **(أحرى)** أن تصبر على أذاهم. وقال **(وهب)**: إن الله تعالى لم ينزل كتابًا إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم.

خبر كان) عبارة تفسير الكشاف: وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان. اهـ. **قوله: (عن رسول الله ﷺ: «علموا أرقّاءكم سورة يوسف»)** الأرقّاء - بالمدّ - جمع رقيق، الحديث رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه. **قوله: (أحرى)** ألْيَق. **قوله: (وهب)** بن منبه أبو عبد الله اليماني صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسِيَر الملوك، وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه كان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابًا، ورأيت له تصنيفًا ترجمه بذكر الملوك المتوَّجة من حِمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم في مجلّد واحد، وهو من الكتب المفيدة. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان. وتوفي وهب في المحرّم سنة عشر، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ستّ عشرة ومائة بصنعاء اليمن، وعمره تسعون سنة رضي الله تعالى عنه. اهـ وفيات الأعيان. وفي تقريب التهذيب: وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبْنَاوي - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون - ثقة. اهـ.

تمت سورة يوسف عليه الصّلاة والسلام والحمد لله حقّ حمده على جميع آلائه والصلاة والسلام على رسوله خاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه ما دُعِيَ الحق بأسمائه وتُقرِّب إلى الله بتلاوة الآيات وأستغفر الله لي ولجميع أهل الإسلام من قرابتي وأحبّائي ولجميع المؤمنين والمؤمنات. اللّهمّ يسّر لنا خدمة كلامك ووفّقنا لفهم معانيه بإلهامك، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير

(سورة الرعد)

(مكية، وهي ثلاث أو خمس وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓمٓرۚ﴾ أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أُريد بالكتاب السورة (أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة) العجيبة في بابها ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن كله ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر ﴿وَٱلَّذِى﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيقولون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الرعد مكّية وهي ثلاث أو خمس وأربعون آية)، وعدد كلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف. اهـ خطيب.

قوله: (أي تلك الآيات، آيات السورة الكاملة) معنى الكمال مستفاد من التعريف الجنسي في الكتاب، كما يقال: زيد هو الرجل، أي هو الكامل في

(تقوّله) محمد ثم ذكر ما يُوجِب الإيمان فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ والخبر ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ حال وهو جمع عماد أو عمود ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير يعود إلى السمٰوات أي ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان، أو إلى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾ أي بغير عمد مرئية ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لمنافع عباده ومصالح بلاده ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء الدنيا ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أمر ملكوته وربوبيته ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ يبيّن آياته في كتبه المنزلة ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لعلكم توقنون بأن هذا المدبر والمفصل لا بدَّ لكم من الرجوع إليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ (جبالًا ثوابت) ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ جارية ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير (وما أشبه ذلك) ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ (يلبسه مكانه)

الرجولية دلالة على أنه لاستجماعه صفات الرجولية على التّمام كان كأنه الجنس كلّه، وليس رجل غيره. **قوله:** (تقوّله) اختلق القرآن.

قوله: (جبالًا ثوابت) من رسى الشيء إذا ثبت جمع راسية أشار إلى موصوفها المقدّر، وقوله: ثوابت، أي تمسكها عن الاضّطراب. **قوله:** (وما أشبه ذلك) من الأصناف المختلفة كالحار والبارد.

قوله: (يُلْبِسُه مكانه) يَعْني أن الإغشاء إلباس الشيء الشيء، ولمّا كان إلباس اللّيل والنهار وتغطية النهار به غير معقول؛ لأنهما متضاذان لا يجتمعان، واللّباس لا بدّ أن يجتمع مع اللابس قدّر المضاف وهو مكانه، ومكان النهار هو الجوّ، وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبّه إحداث الظلمة في الجوّ الذي هو مكان الضوء بإلباسها إيّاه وتغطيته بها، فأطلق عليه اسم الإغشاء والإلباس، فاشتقّ منه لفظ يغشى، فصار استعارة تبعيّة.

فيصير أسود مظلمًا بعد ما كان أبيض منيرًا. (﴿يُغَشِّى﴾ **حمزة وعلي وأبو بكر**) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن لها صانعًا عليمًا حكيمًا قادرًا.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ (**بقاع**) مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة، إلى (**سبخة**) وكريمة، إلى (**زهيدة**) وصلبة، إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ معطوفة على ﴿قِطَعٌ﴾، ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ (**بالرفع مكي وبصري وحفص عطف على** ﴿قِطَعٌ﴾) غيرهم: بالجر بالعطف على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾، والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد (**وعن حفص بضم الصاد**) وهما لغتان ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ (**وبالياء عاصم وشامي**) ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (**وبالياء: حمزة وعلي**) ﴿فِي ٱلْأُكُلِ﴾ في الثمر. (**وبسكون الكاف: نافع ومكي**) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ

قوله: (﴿يُغَشِّى﴾) وبفتح الغين وتشديد الشين (**حمزة وعلي وأبو بكر**)، والباقون بالسكون والتخفيف من أغشى.

قوله: (بِقاع) جمع بُقْعة. **قوله**: (**سبخة**) بكسر الباء وإسكانها تخفيف وفتح الباء أيضًا، أي ملحة. **قوله**: (**زهيدة**) قليلة الخير. **قوله**: (**بالرفع**) أي برفع الأربعة (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وحفص عطف على** ﴿قِطَعٌ﴾) أي فرفع ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ بالعطف على قطع ورفع ﴿صِنْوَانٌ﴾ لكونه تابعًا لـ ﴿وَنَخِيلٌ﴾ و﴿وَغَيْرُ﴾ لعطفه عليه. **قوله**: (**وعن حفص بضم الصاد**) قال في الجمالين: ولعلّه رواية شاذّة، انتهى. **قوله**: (**وبالياء**) من تحت على التذكير أي المذكور (**عاصم، وشامي**) أي ابن عامر الشامي، وقراءة الباقين بالتاء على التأنيث، أي الجنّات وما فيها. **قوله**: (**وبالياء**) من تحت (**حمزة وعليّ**) الكسائي ليُطابق قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، والباقون بالنون. **قوله**: (**وبسكون الكاف نافع ومكّي**) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالرفع.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن (**الحسن**) مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن مَن قدر على إنشاء ما عدّد عليك كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم (**أعجوبة من الأعاجيب**)﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿قَوْلُهُمْ﴾. (**قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين**) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ أولئك الكافرون

قوله: (**الحسن**) البصري، كان من سادات التابعين وكُبرائهم وجمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة، وتوفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه، وكانت جنازته مشهورة. قال حميد الطويل: توفي الحسن عشيّة الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففزعنا من أمره، وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفنّاه، فتبع الناس كلّهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تُركت منذ كان الإسلام إلّا يومئذ؛ لأنهم تبعوا كلّهم الجنازة حتى لم يبقَ بالمسجد مَنْ يصلّي العصر، وأغمي على الحسن عند موته ثم أفاق، فقال: لقد نبّهتموني من جنّات وعيون ومقام كريم، وقال رجل قبل موت **الحسن** لابن سيرين: رأيت كأن طائرًا أخذ أحسن حصاة بالمسجد، فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن إلّا قليلًا حتى مات الحسن رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**أُعْجوبة من الأعاجيب**) في مختار الصحاح: العجيب والعجاب ـ بالضمّ ـ الأمر الذي يتعجّب منه، وكذا العُجّاب وبتشديد الجيم وهو أكثر، وكذا الأُعْجُوبة والتعاجيب والعجايب ولا يجمع عَجَبٌ ولا عجيب، وقيل: جمع عجيب عجائب، مثل أفيل وأفايل وتبيع وتبايع، وقولهم: أعاجيب كأنه جمع أُعجوبة مثل أُحدوثة وأحاديث.اهـ. **قوله**: (**قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين**) عبارة الخطيب: (تنبيه): هنا آيتان في كلٍّ منهما همزتان، فقرأ قالون بتحقيق الهمزة الأُولى وتسهيل الثانية، ويدخل بينهما ألفًا على الاستفهام. وفي الآية الثانية بهمزة

المُتمادون في كفرهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ (وصف لهم بالإصرار) أو من جملة الوعيد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دلّ تكرار أولئك على تعظيم الأمر.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، (والمثلة) العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم. قال (السدي): يعني المؤمنين وهي

مكسورة وبعدها نون مشدّدة على الخبر، وورش كذلك إلّا أنه لا يدخل بين الهمزتين في ﴿أَءِذَا﴾ ألفًا، وينقل في الثاني على أصله، وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير إدخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الأُولى وتسهيل الثانية فيهما، وأبو عمرو كذلك مع إدخال ألف بينهما، وابن عامر في الأوّل بهمزة مكسورة بعدها ذال مفتوحة على الخبر، وفي الثاني بهمزة مفتوحة محقّقة وهمزة مكسورة محقّقة على الاستفهام، وأدخل هشام(١) بينهما ألفًا بخلافٍ عنه. والباقون بهمزتين محقّقتين الأُولى مفتوحة، والثانية مكسورة، ولا ألف بينهما في الموضعين، انتهت بحروفها. **قوله**: (وصف لهم بالإصرار)... الخ. يعني هذه الجملة إن نظر إلى ما قبلها وجعلت وصفًا لهم بامتناعهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر، فهي تشبيه وتمثيل لحالهم في الدنيا في الإصرار وعدم الالتفات إلى الحقّ بحال طائفة في أعناقهم أغلال لا يمكنهم الالتفات، وإن نظر إلى ما بعدها يكون لوصف حالهم في الآخرة.

قوله: (والمثلة) بفتح الميم وضمّ الثاء المثلثة. **قوله**: (السدّي) في المصباح: السدّة الباب ويُنسب إليها على اللفظ، فيقال: السدّي، ومنه الإمام

---

(١) يُروى عن أبي عامر الشامي ﷺ.

أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تُزيلها وترفعها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ على الكافرين أو هما جميعًا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب مَن يشاء.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المُنَزَّلة على رسول الله ﷺ عنادًا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما أنت رجل أرسلت منذرًا مخوفًا لهم من سوء العاقبة وناصحًا كغيرك من الرُّسُل، **(وما عليك إلا الإتيان بما يصحّ به أنك رسول منذر)**، وصحة ذلك حاصلة بأيِّ آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خصَّ بها لا بما يريدون ويتحكمون.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ «ما» في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأُنوثة، وتمام **(وخداج)**، وحسن وقبح، وطول **(وقصر)** وغير ذلك، وما تغيضه الأرحام أي ويَعلمُ ما تنقصه. يقال: غاض الماء وغَضَتُّه أنا، وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة، أو جسد الولد فإنه يكون تامًّا ومخدجًا، أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيَد عليها **(إلى سنتين عندنا، وإلى أربع**

المشهور وهو إسمٰعيل السدِّي، لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة. اهـ.

قوله: (وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر) من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك.

قوله: (خداج) نقصان. **قوله**: (قِصَر) في مختار الصحاح: قَصُر الشيء ضدّ طال، يقصُر بالضمّ قِصَراً بوزن عِنَبٍ. اهـ. **قوله**: (إلى سنتين عندنا، وإلى أربع

عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك)، أو مصدرية أي يعلم حمل كل أُنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية ٤٩].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الخلق ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما شاهدوه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها. (وبالياء في الحالين: مكي).

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ أي في علمه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ (متوار) ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ ذاهب في (سربه) أي في طريقه ووجهه. يقال: (سرب) في الأرض سروبًا. (و﴿وَسَارِبٌ﴾ عطف على ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على «مستخف» أو على «مستخفّ» غير أن ﴿وَمَنْ﴾ في معنى الاثنين)، والضمير في

عند الشافعي، وإلى خمس[1] عند مالك) وعن أحمد ﷺ روايتان المشهور كمذهب الشافعي ﷺ، والآخر كمذهب إمامنا الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وبالياء) بعد اللام (في الحالين) أي في الوقف والوصل (مكّي) ابن كثير المكّي، والباقون بغير ياء وقفًا ووصلًا.

قوله: (متوار) أي مستتر. **قوله**: (سربه) بفتح السين وسكون الراء. **قوله**: (سَرَب) بابه دخل. **قوله**: (﴿وَسَارِبٌ﴾ عطف على ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على مستخفٍ، أو على مستخفّ غير أن ﴿وَمَنْ﴾ في معنى الاثنين) جواب عمّا يقال: إنّ الاستواء يقتضي شيئين، فكيف يصحّ أن يعطف سارب على قوله مستخفّ، مع أنه

(١) وفي رواية عنه: أربع سنين أو سبع سنين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿لَهُۥ﴾ مردود على ﴿مَّنۡ﴾ كأنه قيل: لمن أسرَّ ومن جهر ومن استخفى ومن سرب ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه، والأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه لأن بعضهم يعقب بعضًا، أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أي قدامه ووراءه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل: له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ فلا يدفعه شيء ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ من دون الله ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم.

مستلزم تحقّق الأشياء بالاستواء في شخصٍ واحد له صفتان: الاستخفاء والبروز؛ وذلك لأن جملة قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾، وهما مبتدأ حكم عليهما بالاستواء، فلمّا عطف عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ لزم أن يكون هذا المعطوف أيضًا محكومًا عليه بالاستواء، وهو شخص واحد له صفتان؛ فحقّ العبارة أن يقال: ومَنْ هو مُستخفٍ بالليل ومَنْ هو سارب بالنهار، ليتحقّق شيئين يحكم عليها بالاستواء.

وأجاب المصنف عنه رحمه الله تعالى بوجهين: تقرير الأوّل ما ذكر إنما يلزم أنْ لو كان ﴿وَسَارِبُۢ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿مُسۡتَخۡفِۭ﴾ وليس كذلك، بل هو معطوف على ﴿وَمَنۡ﴾، فيتحقّق شيئان كأنه قيل: سواء منكم إنسان وهو مستخفٍ وسارب. وتقرير الوجه الثاني: سلّمنا أنه معطوف على مُستخفٍ لكن لا نسلّم استلزامه لكون الاستواء في شخص واحد بناءً على أن كلمة ﴿وَمَنۡ﴾ عبارة عن الاثنين، كأنه قيل: سواء منكم اثنان هما مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار، وعلى الوجهين تكون كلمة ﴿وَمَنۡ﴾ موصوفة لا موصولة، فيحمل الأوّلان أيضًا على ذلك ليتوافق الكلّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ انتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين، والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال (أبو الطيب):

(فتى كالسحاب الجون يُخْشَى ويُرْتجى يُرَجّى الحَيا منه وتخشى الصواعق)

أو يخاف المطر مَن له فيه ضرر كالمسافر ومَن له بيت (يكف) ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، ويطمع فيه مَن له نفع فيه، ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾ (هو اسم جنس) والواحدة سحابة ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ بالماء وهو جمع ثقيلة، تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثِقال.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قيل: (يسبِّح سامِعو الرعد) من العباد الراجين للمطر أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله. (وعن النبي ﷺ أنه قال: «الرعد) مَلَك

قوله: (أبو الطيب) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصَّمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. **قوله**: (فتى كالسحاب) جمع سحابة. اهـ **شواهد الكشاف**. (الجون) الأسود هٰهنا، ورواه ابن جنيّ بضم الجيم. وفي مختار الصحاح: الجون الأبيض، والجون الأسود، وهو من الأضداد. اهـ. (يُخْشَى ويُرْتجى، يُرَجّى الحيا منه) في المصباح: الحَيَا مقصور الغيث. اهـ. وفي مختار الصحاح: الحَيَا مقصور المطر والخِصْب (وتخشى الصواعق) جمع صاعقة. **قوله**: (يكف) في مختار الصحاح: وكف البيت قَطَر وبابه وعد. اهـ. **قوله**: (هو اسم جنس) جمعي.

قوله: (يسبّح سامعو الرعد) بحذف مضاف أو إسناد مجازي لكونه سببًا حاملًا، وهو الأرجح. اهـ قنوي. (وعن النبي ﷺ أنه قال: «الرعد»)... الخ. أخرجه الترمذي وصححه النسائي.

موكل بالسحاب معه (مخاريق) من نار يسوق بها السحاب» والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ ويسبح الملائكة (من هيبته) وإجلاله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ الصاعقة: نار تسقط من السماء. لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دلَّ على قدرته (الباهرة) ووحدانيته قال: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني الذين كذبوا رسول الله ﷺ يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: مَن يحيي العظام (وهي رميم). ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله. أو الواو للحال أي فيصيب بها مَن يشاء في حال جدالهم، وذلك أن (أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري) قال لرسول الله ﷺ حين (وفد) عليه مع عامر بن (الطفيل) قاصدين لقتله، (فرمى الله عامرًا بغدَّة كغدة البعير وموت في بيت سلولية)، وأرسل على أربد صاعقة فقتله: أخبرني عن ربنا أمِن نحاس هو أم من حديد. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي المماحلة وهي شدة المُماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلَّف لاستعماله الحيلة واجتهد فيه، (ومَحَلَ بفلان) إذا كاده وسعى به إلى السلطان، والمعنى أنه شديد المكر والكَيْد لأعدائه يأتيهم (بالهلكة) من حيث لا يحتسِبون.

قوله: (مخاريق) جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يُلَفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضًا، والمراد به هٰهنا آلة يسوق بها الملائكة السَّحاب. **قوله**: (من هيبته) أي هيبة الله تعالى وجلاله، وقيل: الضمير للرعد. **قوله**: (الباهرة) الغالبة. **قوله**: (وهي رميم) أي بالية، ولم يقل بالتاء؛ لأنه اسم جامد لما بلي من العظام لا صفة بمعنى فاعل حتى يجب تأنيثه، كذا قاله الزمخشري. **قوله**: (أربد) بوزن أفعل بالباء الموحدة. **قوله**: (أخا لبيد بن ربيعة العامري) لأُمّه. **قوله**: (وَفَدَ) أي ورد وبابه وعد. **قوله**: (الطفيل) مصغّر. **قوله**: (فرمى الله عامرًا بغُدّة كغُدَة البعير، وموت في بيت سلولية) الغدّة الطاعون للإبل، وقلَّما تسلم منه، يقال: أغد البعير، أي صار ذا غُدّة وهي الطاعون. وسلول قبيلة من العرب أقلّهم وأرذلهم، كان عامر يقول: ابْتُليت بأمرين كل واحد منهما شرٌّ من الآخر، أحدهما: أنّ غُدّتي كغُدّة البعير، وأن موتي موت في بيت أرذل الخلائق. **قوله**: (ومحل بفلان) بابه قطع. **قوله**: (بالهَلكة) في المصباح: الهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أُضيفت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة مُلابسَة للحق وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى أن الله سبحانه يُدعَى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سُؤْله فكانت دعوة مُلابسة للحق لكونه حقيقًا بأنه يوجّه إليه الدعاء لما في دعوته من **(الجدوى والنفع)** بخلاف ما لا ينفع **(ولا يجدي)** دعاؤه. واتصال ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ و﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ بما قبله على قصة أربد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة مَحال من الله ومكر به من حيث لم يشعر، وقد دعا رسول الله ﷺ عليه وعلى صاحبه بقوله: «اللّهمَّ اخسفهما بما شئت» فأُجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق. وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله ﷺ بحلول مَحاله بهم وإجابة دعوة رسول الله ﷺ فيهم إن دعا عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوهم الكفّار ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ **(من طلباتهم)** ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دلَّ عليها لا يستجيبون لأن الفعل بحروفه يدل على المصدر، وبصيغته على الزمان، وبالضرورة على المكان والحال، فجاز استثناء كلٍّ منها من الفعل فصار التقدير: لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كفَّيه إلى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كفَّيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه. والماء جماد لا يشعر ببَسْط كفَّيه ولا **(بعطشه)** وحاجته إليه، ولا يقدر أن يُجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد **(لا يحس)** بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. واللام في ﴿لِيَبْلُغَ﴾ متعلق بـ «باسط كفيه»، ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ وما الماء ببالغ

قوله: **(الجَدْوى)** بالفتح **(والنفع)** عطف تفسير. **(ولا يُجْدي)** أي لا ينفع. **قوله**: **(من طلباتهم)** بيان لشيء وهو جمع طلبة بمعنى مطلوب. **قوله**: **(بعَطَشه)** العَطَش ضدّ الرِّيّ، وبابه طرب. **قوله**: **(لا يحسّ)** في المصباح: أحسّ الرجل الشيء إحساسًا عَلِم به يتعدّى بنفسه مع الألف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عمران: الآية ٥٢]، وربما زيدت الباء فقيل: أحسّ به على معنى شَعُر به وحسست به من باب قتل لغة فيه، والمصدر الحِسّ بالكسر يتعدّى بالباء على معنى شعَرت أيضًا، ومنهم مَنْ يخفّف الفعلين بالحذف، فيقول: أحَسْتُه

فاه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ في (ضياع) لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سجود تعبّد وانقياد ﴿طَوْعًا﴾ حال يعني الملائكة والمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على ﴿مَن﴾ جمع ظل ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ جمع غداة، (كقني) وقناة (﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾ جمع أُصُل أصيل). قيل: ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والآصال، وظل الكافر يسجد كرهًا وهو كاره، وظل المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ حكاية لاعترافهم لأنه إذا قال لهم مَن ربّ السمٰوات والأرض لم يكن لهم بُدٌّ من أن يقولوا: الله، دليله قراءة

وحَسْتُ به، ومنهم مَنْ يخفّف فيهما بإبدال السين ياء، فيقول: فحَسَيْت وأحْسَيْت وحَسِسْتُ بالخبر من باب تَعِب ويتعدّى بنفسه، فيقال: حَسَسْتُ الخبرَ من باب قتل، فهو محسوس وتحسّسته تطلبته ورجل حسّاس للأخبار كثير العلم بها، وأصل الإحساس الإبصار، ومنه: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: الآية ٩٨]، أي هل ترى. ثم استعمل في الوجدان والعلم بأيّ حاسّة كانت، وحواس الإنسان مشاعره الخمس: السمع والبصر والشمّ والذوق واللّمس، الواحدة حاسّة مثل دابّة ودوابّ. اهـ.

قوله: (ضياع) في مختار الصحاح ضاع الشّيء يضيع ضِياعًا بكسر الضاد وفتحها هلك. اهـ.

قوله: (كقني) بضم القاف وكسر النون وتشديد الياء وقناة بفتح القاف وهي الرمح، ويُطلق على مجرى الماء. **قوله**: (﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾) أصله ءأصال ـ بهمزتين ـ فقلبت الثانية ألفًا. **قوله**: (جمع أُصُل) والأصل جمع (أصيل) وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس.

(ابن مسعود) و(أُبَيّ) «قالوا الله» أو هو تلقين أي فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هذا ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أبعد أن علمتموه ربّ السمٰوات والأرض اتخذتم من دونه آلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررًا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي الكافر والمؤمن أو مَن لا يُبصر شيئًا ومَن لا يخفى عليه شيء ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى (ٱلظُّلُمَٰتُ) وَٱلنُّورُ﴾ مَثَلُ الكفر والإيمان. (﴿يَسْتَوِى﴾ **كوفي غير حفص**) ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ خلقوا مثل خلقه وهو صفة لـ ﴿شُرَكَآءَ﴾ أي أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما (قدر) الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يُعبَد، ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلًا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي خالق الأجسام والأعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة، ومَن قال إن الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المتوحّد بالربوبية ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور.

قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: (أُبيّ) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، سيّد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضًا من فُضلاء الصحابة، اختُلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك. **قوله**: (﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾) جمعها لأن الكفر أنواع متعدّدة والإيمان شيء واحد، فلذلك أفرد النور. **قوله**: (﴿يَسْتَوِى﴾) بالياء على التذكير (**كوفي غير حفص**) أي قرأه أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي، والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله**: (قدر) من باب ضرب.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَنزَلَ﴾ أي الواحد القهّار وهو الله سبحانه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من السحاب ﴿مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ﴾ جمع وادٍ وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، وإنما نكر لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضارّ ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ﴾ **(أي رفع)** ﴿زَبَدٗا﴾ هو ما علا على وجه الماء من **(الرغوة)** والمعنى علاه زبد ﴿رَّابِيٗاۖ﴾ منتفخًا مرتفعًا على وجه السيل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ﴾ **(بالياء كوفي غير أبي بكر)** و«من» لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد الماء، أو للتبعيض أي وبعضه زبد ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي مما توقدون عليه ثابتًا في النار ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في ﴿تُوقِدُونَ﴾، ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ من الحديد و**(النحاس)** و**(الرصاص)** يتخذ منها **(الأواني)** وما يتمتع به في الحضر والسفر، وهو معطوف على ﴿حِلۡيَةٍ﴾ أي زينة من الذهب والفضة ﴿زَبَدٞ﴾ **(خبث)** وهو مبتدأ ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ نعت له ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ خبر له أي لهذه **(الفلزات)** إذا أغليت زبد مثل زبد الماء.

قوله: **(أي رفع)** إشارة إلى أن احتمل بمعنى حمل، فإن افتعل قد يكون بمعنى فعل، نحو: جال واجْتال. **قوله**: **(الرغوة)** في المصباح: الرغوة الزَّبد يعلو الشيء عند غليانه بفتح الراء وضمّها، وحُكي الكسر وجمع المفتوح رغوات مثل شهوة وشهوات، وجمع المضموم رغى مثل مدية ومُدى. اهـ. **قوله**: **(وبالياء كوفي غير أبي بكر)** أي قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به، والباقون بالتاء على الخطاب. **قوله**: **(الأواني)** جمع آنية، وهي معروفة. **قوله**: **(النحاس)** معروف. **قوله**: **(الرصاص)** بالفتح معروف والعامّة تقوله بالكسر. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(خبث)** بفتحتين ما نفاه الكير بالكسر، هو منفاخ الحدّاد، أي زقّ الحدّاد الذي ينفخ به ويكون من جلد غليظ ذي حافات. **قوله**: **(الفلزات)** جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزّاي

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي مثل الحق والباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ حال أي متلاشيًا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان، والجفء الرمي وجفأت الرجل صرعته ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء و(**الحلي**) والأواني ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الأرض مدة طويلة ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ليُظهر الحق من الباطل. وقيل: هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثَّل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في (**صوغ الحلي منه**) واتخاذ الأواني والآلات المختلفات، وذلك ماكث في الأرض باقٍ بقاء ظاهرًا يثبت الماء في منافعه، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبّه الباطل في سرعة اضمحلا له و(**وَشْك**) زواله بزبد السيل الذي يرمي به. وبزبد الفلز الذي (**يطفو**) فوقه إذا أُذيب. قال الجمهور: وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل، فالماء القرآن نزل لحياة (**الجنان**) كالماء للأبدان والأودية: القلوب. ومعنى ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بقدر سعة القلب وضيقه، والزبد (**هواجس**) النفس ووساوس الشيطان، والماء الصافي المنتفع به في مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلًا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السَّنِيَّة والأخلاق الزكية، وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص، فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب، وأما الزبد فالرّياء والخلل و(**الملل**) والكسل.

وهو ما في الأرض من الجواهر المعدنية أو نحوها كالذهب والفضّة والنحاس والرصاص وغيرها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**الحلي**) بوزن رمى أو بضمّ الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ما يُتحلّى ويُتزيّن به. **قوله**: (**صوغ الحلي منه**) في المصباح: صاغ الرجل الذهب يصوغه صوغاً جعله حليًا، فهو صائغ وصوّاغ وهي الصياغة. اهـ. **قوله**: (وشْك) أي سُرْعة. **قوله**: (**يطفو**) أي يعلو. **قوله**: (**الجنان**) بالفتح القلب. **قوله**: (هواجس) خواطر. **قوله**: (**الملل**) في المصباح: مللته ومللت منه مَلَلًا من باب تعب وملالة سئمت وضجرت والفاعل ملول. اهـ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

واللام في ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ أي أجابوا متعلقة بـ ﴿يَضْرِبُ﴾ أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي صفة لمصدر ﴿ٱسْتَجَابُوا۟﴾ أي استجابوا الاستجابة الحسنى ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ أي للكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مَثَلا الفريقين. وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين أي لو ملكوا الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله. والوجه أن الكلام قد تمّ على الأمثال وما بعده كلام مستأنف و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ مبتدأ خبره «لو» مع ما في حيّزه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ المناقشة فيه (في الحديث «مَن نوقش الحساب عُذِّب»). ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ومرجعهم بعد المحاسبة النار ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المكان الممهّد والمذموم محذوف أي جهنم.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء في ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ضرب من المثل في أن حال مَن علم ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ كبُعْد ما بين الزبد والماء والخبث و(الإبريز) ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا.

قوله: (في الحديث: «مَن نوقش الحساب) أي عُوسر فيه (عُذِّب») أي تكون نفس تلك المضايقة عذابًا أو سببًا مغضبًا للعذاب، رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

قوله: (الإبريز) الحلي الصافي من الذهب. اهـ لسان العرب. **قوله**: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أنت ربّنا.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾... ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الرعد: الآية ٢٥]، وقيل: هو صفة لأولي الألباب والأول أوجه، وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم و(الذّبّ) عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب و(الخدم) والجيران والرفقاء في السفر ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده كله ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ خصوصًا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يُحاسَبوا.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يُعاب في الجزع ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داوموا على إقامتها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي من الحلال (وإن كان الحرام رزقًا عندنا) ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يتناول

قوله: (الذَّبُّ) المنع والدفع وبابه رَدَّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (الخدم) في مختار الصحاح: الخادم واحد الخَدَم غلاماً كان أو جارية. اهـ.

قوله: (وإنْ كان الحرام رزقاً عندنا) في ضوء المعالي لبدء الأمالي للعلامة علي القاري رحمة الله عليه أنّ الحرام مرزوق مثل الحلال؛ لأن الرزق ما يسوقه الله إلى الحيوان لينتفع به حراماً كان أو حلالًا، وفي المسألة خلاف، المعتزلة مستدلّين بأن الرزق مستند إليه سبحانه في الجملة والمسند إليه يقبح أن يكون

النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض (**لأن المجاهر بها أفضل نفيًا للتهمة**) ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون بالحسن من الكلام ما يردّ عليهم من سيء غيرهم، أو إذا حُرموا أعطوا، وإذا ظُلموا عفوا، وإذا قُطِعوا وصلوا، وإذا أذنبوا تابوا، وإذا (هربوا) أنابوا، وإذا رأوا منكرًا أمروا بتغييره، (**فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة**) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون (**عاقبة الدنيا**) ومرجع أهلها.

حراماً يعاقبون عليه. أُجيب بأنه لا قبيح بالنسبة إليه تعالى؛ لأنه يفعل ما يشاء في ملكه ويحكم ما يريد في مُلكه وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسباب الأحكام مع أنه يلزم المعتزلة أن المنتفع بالحرام طول الأيّام من عمره لم يرزقه الله أصلًا، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: الآية ٦]. اهـ.

قوله: (**لأن المجاهر بها أفضل نفياً للتّهمة**). وفي الجمالين: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرًّا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن يعرف به. اهـ. **قوله**: (هربوا) في مختار الصِّحاح: الهَرْب الفرار هَرَبَ يَهْرُب هَرَباً مثل طَلَب يطلُب طلبًا. اهـ. **قوله**: (**فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنّة**). عبارة الخازن: قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خِلال مشيرة إلى أبواب الجنّة الثمانية. **قلت**: إنما هي تسع خِلال، فيحتمل أنه عدّ خلّتين بواحدة، انتهت.

قوله: (**عاقبة الدنيا**) أي التي تخلف الدنيا وتجيء بعدها، وكلّ ما جاء بعد شيء فهو عاقبته والتاء لتأنيث الموصوف، وهي الجنّة، فإنها هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها والنار، وإنْ كانت عاقبة الدنيا بالنسبة إلى الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرّعد: الآية ٣٥]، إلا أنها لمّا كانت عاقبة لها بالنسبة إليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصودًا بالذات، قال الواحدي رحمه الله تعالى: العقبى كالعاقبة ويجوز أن يكون مصدرًا كالشورى والقربى والرجعى أُضيف إلى فاعله، والمعنى: أُولئك لهم أن تعقب أعمالهم الدار التي هي الجنّة. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، ﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾ أي آمن ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ (وَأَزۡوَٰجِهِمۡ) وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ (وقرىء ﴿صَلَحَ﴾) والفتح أفصح و﴿مَّن﴾ في محل الرفع بالعطف على الضمير في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ و(ساغ) ذلك وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلًا. وأجاز (الزجّاج) أن يكون مفعولًا معه، ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لا تنفع بنفسها، (والمراد أبو كل واحد منهم) فكأنه قيل من آبائهم وأُمهاتهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرِّضا.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۖ﴾ في موضع الحال إذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات، أو على أمر الله، (أو بسلام) أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والأول أوجه ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ الجنات ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بالكفر والظلم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ الإبعاد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾

قوله: (﴿وَأَزۡوَٰجِهِمۡ﴾) أي اللاتي مُتن في عصمتهم. اهـ جمل. **قوله**: (وقرىء ﴿صَلَحَ﴾) بضمّ اللام قارئه ابن أبي عبلة. **قوله**: (ساغ) أي جاز. **قوله**: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله، توفي سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد. **قوله**: (والمراد أبوا كل واحد منهم) عبارة تفسير الكشاف: وآباؤهم جمع أبوي كلّ واحد منهم. اهـ.

قوله: (أو) متعلّق (بسلام)... الخ. وفي حاشية البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: لا بسلام؛ لأنه لا يفصل بين المصدر ومعموله بالخبر؛ لأنه أجنبي، قاله أبو البقاء وجوّزه غير أبي البقاء. قال في الدرّ المصون: وجهه أنّ المنع إنما هو في المصدر المؤوّل بحرف مصدريّ وفعل وهذا ليس منه، والمصنّف

يحتمل أن يُراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار، وأن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده وهو يبسط الرزق ويقدر دون غيره ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما بسط لهم من الدنيا **(فرح بطر وأشر)** لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجَروا بنعيم الآخرة ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئًا **(نزرًا)** يتمتع به **(كعجالة الراكب)** وهو ما يتعجّله من تُميرات أو شربة سويق.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي الآية المقترحة ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ

رحمه الله تبع فيه أبا البقاء مع الرضى جوّزه مع التأويل أيضًا، وقال: لا أراه مانعًا، لأن كل مؤوّل بشيء لا يثبت له جميع أحكامه. وقال صاحب الكشف: إن عليكم بحسب أصله ليس بأجنبي، فلذا أجاز الفصل به. اهـ.

قوله: (فرح بطر) في مختار الصحاح: البَطَر الأشَر، وهو شدّة المرح، وبابه طرب. اهـ. وأيضًا فيه المرح شدّة الفَرح والنّشاط، وبابه طرِب. اهـ. **قوله**: (وأشر) في مختار الصحاح: الأشر البَطر وبابه طَرِب فهو أشِر. اهـ. وفي المصباح: أشر أشرًا فهو آشر من باب تعب بطر وكفر النعمة، فلم يشكرها. اهـ. **قوله**: (نَزرًا) أي قليلًا. في مختار الصحاح: النَّزْر التافه القليل، وبابه ظرف وعطاء منزور أي قليل. اهـ. وفي المصباح: نَزر الشيء ـ بالضم ـ نزارة ونزورًا، فهو نزر ونزورًا ـ بالفتح ـ ونزير أي قليل. اهـ. **قوله**: **(كعجالة الراكب)** بضم العين.

﴿أَنَابَ﴾ ويرشد إلى دينه مَن رجع إليه بقلبه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هم الذين أو محله النصب بدل من ﴿مَنْ﴾، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ تسكن ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ على الدوام أو بالقرآن أو بوعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ خبره وهو مصدر من طاب كبشرى. ومعنى طوبى لك أصبت خيرًا وطيبًا، **(ومحلها النصب أو الرفع)** كقولك طيبًا لك وطيب لك وسلامًا لك وسلام لك. واللام في ﴿لَهُمْ﴾ للبيان مثلها في سقيا لك. والواو في ﴿طُوبَىٰ﴾ منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن. والقراءة في ﴿وَحُسْنُ مَئَابٍ﴾ مرجع. **بالرفع والنصب** تدل على مَحلِّيها.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ **(مثل ذلك الإرسال)** أرسلناك إرسالًا له شأن وفضل على سائر الإرسالات. ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي أرسلناك في أمة قد تقدَّمتها أُمم كثيرة فهي آخر الأُمم وأنت خاتم الأنبياء ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ وحال هؤلاء أنهم يكفرون ﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالبليغ الذي وَسِعَت رحمته كل شيء ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ ورب كل شيء ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نصرتي عليكم ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ مرجعي فيثيبني على مصابرتكم. «متابي» و«عقابي» و«مآبي» في الحالين: **(يعقوب)**.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ

قوله: **(ومحلّها النصب)** على المصدرية، كأنه قيل: طيّب الله طوبى وحسنهم حسن مآب **(أو الرفع)** بالابتداء، وإن كانت نَكرة لأنها للدعاء.

قوله: **(مثل ذلك الإرسال)** أي إرسال الرسل المتقدّمين إلى أُممهم. **قوله**: **(يعقوب)** وليس من السبعة.

كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن مقارها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ حتى تتصدع وتتزايل قطعًا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فتسمع وتجيب **(لكان هذا القرآن)** لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف، فجواب «لو» محذوف. أو معناه: ولو أن قرآنًا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيئهم لما آمنوا به ولما تنبّهوا عليه كقوله: (﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾) [الأنعام: الآية ١١١]. **(الآية)** ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أفلم يعلم وهي لغة قوم من **(النخع)**. وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالِم بأنه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك، دليله قراءة علي رضي الله عنه «أفلم يتبين» وقيل: إنما كتبه الكاتب **(وهو ناعس مستوي السينات)** وهذه والله **(فرية)** ما فيها مرية ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من كفرهم وسوء أعمالهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بما

قوله: (لكان هذا القرآن)... الخ. وهذا معنى قول قتادة، فإنه قال: معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم. **قوله: (كقوله:** ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ **الآية)** وآخر الآية: ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١١١]. **قوله: (النخع)** في القاموس: النَّخَع محرّكة قبيلة باليمن، وهو ابن عَمْرو بن علّة بن خالد بن مالك بن أدد.اهـ. **قوله: (وهو ناعس)** في المصباح: نعس ينعس من باب قتل والاسم النعاس، فهو ناعس والجمع نعّس مثل راكع وركّع والمرأة ناعسة والجمع نواعس، وربما قيل: نعسان ونعسى حملوه على وسنان ووسنى، وأوّل النوم النعاس، وهو أن يحتاج الإنسان إلى النَّوم.اهـ. **قوله: (مستوي السينات)** أي السنّات تسمية للجزء الذي هو العمدة باسم الكل؛ إذ ما عدا السنّات يطرح في الدرج، وفي لسان العرب قال أبو سعيد: وقولهم: فلان لا يحسن سينة يريدون شعبة من شُعَبه وهو ذو ثلاث شعب.اهـ. **قوله: (فرية)** ـ بالكسر ـ في مختار الصحاح: فرى كذبًا خلقه وافتراه اختلقه، والاسم الفرية.اهـ. **قوله:** مرية في

يحلّ الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أو تحلّ القارعة قريبًا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم (**شررها**) ويتعدى إليهم شرورها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ أي موتهم أو القيامة، أو ولا يزال كفّار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن جيش رسول الله (**يغير**) حول مكة ويختطف منهم، (**أو تحل أنت يا محمد**) قريبًا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أي لا خلف في موعده.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الإملاء الإمهال وأن يترك (**ملاوة**) من الزمان في (**خفض**) وأمن ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ صالحة أو (**طالحة**) ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعلم خيره وشرّه ويعدّ لكل جزاءه كمن ليس كذلك. ثم استأنف فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي الأصنام ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي

مختار الصحاح المِرْية الشكّ، وقد يُضمّ بهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: الآية ١٧]. اهـ. **قوله**: (**شررها**) الشّرر واحد شرارة، وهي ما يتطاير من النار. **قوله**: (**يغير**) مِنْ أغار على العدوّ. **قوله**: (**أو تحلَ أنت يا محمّد**)... الخ. وقد حلّ ﷺ بالحديبية في السنة السادسة ومنعوه من دخول مكّة وصالحوه على أن يمكّنوه من الدخول في السنة التي بعدها، وقد دخل في السابعة، واعتمر وفتح مكّة في الثامنة، وحجّ في العاشرة مرّة ولم يحجّ غيرها.

قوله: (**ملاوة**) بفتح الميم وضمّها وكسرها، أي حينًا. **قوله**: (**خفض**) أي راحة. **قوله**: (**طالحة**) في لسان العرب: الطلاح نقيض الصلاح، والطالح خلاف

سمّوهم له مَن هم ونبِّئوه بأسمائهم ثم قال: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على «أم» المنقطعة أي بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السمٰوات والأرض، فإذا لم يعلمهم علم أنهم (ليسوا بشيء) والمراد نفي أن يكون له شركاء ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٣٠، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: الآية ٤٠] ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ (كيدهم للإسلام بشركهم) ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن سبيل الله (**بضم الصاد: كوفي، وبفتحها: غيرهم**)، ومعناه وصدّوا المسلمين عن سبيل الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ من أحد يقدر على هدايته ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وأنواع (**المِحَن**) ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد لدوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ من حافظ من عذابه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ صفتها التي هي في غرابة المَثل، وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يُتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (**كما تقول صفة زيد أسمر**) ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ ثمرها دائم الوجود لا

الصالح.اهـ. **قوله**: (ليسوا بشيء) يتعلق به العلم. **قوله**: (**كيدهم للإسلام بشركهم**) المكر حيلة يجلب بها مضرّة، فالمكر هنا مجازًا والإسلام ليس من شأنه الكيد، فالمراد إخلالهم له بشركهم وإضرارهم له.اهـ قنوي باختصار. **قوله**: (**بضمّ الصاد**) على البناء للمفعول، (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي (**وبفتحها**) على البناء للفاعل (**غيرهم**). **قوله**: (**المِحَن**) جمع مِحْنة مثل سدرة وسدر.

قوله: (كما تقول صفة زيد أسمر) جواب عمّا يقال: كيف يصح أن يكون المثل هٰهنا بمعنى الصفة، ثم يكون مبتدأ وخبره: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فإنّ المثل إذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنّة فيها أنهار، والحال أنه لا

ينقطع (﴿وَظِلُّهَا﴾) دائم (**لا ينسخ**) كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد مَن أسلم من اليهود (**كابن سلام**) ونحوه ومن النصارى بأرض (**الحبشة**) ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه (**والسيد والعاقب وأشياعهما**) ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم، وكانوا ينكرون نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرَّفوه وبدَّلوه من الشرائع ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ هو جواب للمنكرين أي قل إنما أُمرت فيما أنزل إليَّ بأن أعبد الله ولا أُشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادّعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يُشرك به ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾ خصوصًا لا أدعو إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره ﴿مَـَٔابِ﴾ مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأثورًا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حكمة عربية مترجمة

معنى لقولنا: صفة الجنة فيها أنهار؛ لأن الأنهار في نفس الجنّة لا في صفتها، وتقدير الجواب أنّ ما ذُكِر إنما يلزم أن لو كان ضمير فيها راجعًا إلى الصفة في قولنا: صفة الجنّة فيها أنهار، وليس كذلك؛ كما إذا قيل: صفة زيد أسمر، يريد أن ضمير أسمر راجع إلى نفس زيد لا إلى صفته، فلا يردّ ما ذُكِر لأنه إنما يردّ أنْ لو كان ضمير أسمر راجعًا إلى الصفة، وليس كذلك؛ بل هو راجع إلى نفس زيد، كأنه قيل: صفة السُّمْرة فيه. **قوله**: (﴿وَظِلُّهَا﴾) مبتدأ حُذِف خبره، كما أشار له المصنّف رحمة الله تعالى عليه. **قوله**: (**لا ينسخ**) أي لا يزال. **قوله**: (**كابن سلام**) بتخفيف اللام. **قوله**: (**الحبشة**) ـ بفتحتين ـ الجماعة من الحبش، وهم طائفة من السودان. **قوله**: (**والسيد والعاقب**) علمان لأسقفي نجران. **قوله**: (**وأشياعهما**) أتباعهما.

بلسان العرب وانتصابه على الحال، كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يشاركهم فيها فقيل: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ أي لا ينصرك ناصر ولا يَقِيك منه واق، وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزلّ زالٌّ عند الشُّبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان. وكانوا يُعيبونه (**بالزواج والولاد**) ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ نساء وأولادًا ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس في وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (**لكل وقت حُكْمٌ يُكتَب**) على العباد أي يُفرَض عليهم على ما تقتضيه حكمته.

قوله: (**بالزواج**) في المصباح: الزواج ـ بالفتح ـ يجعل اسمًا من زوج مثل سلَّم سلامًا وكلَّم كلامًا، ويجوز الكسر ذهابًا إلى أنه من باب المفاعلة؛ لأنه لا يكون إلّا من اثنين كالنكاح والزِّنا. اهـ. **قوله**: (**والولاد**) في مختار الصِّحاح ولسان العرب: وَلَدَتِ المرأة ولادًا أو ولادة. اهـ.

قوله: (**لكل وقت حكم يُكتب**) يعني أنّ الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلّفين بالشرائع والأحكام؛ لأن الطاعنين في نبوّته ﷺ قالوا: لو كان صادقًا في دعوة النبوّة لم ينسخ الأحكام التي نصّ الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدِّمة في التوراة والإنجيل، لكنه نسخها وحرّفها نحو تحريف القبلة ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل؛ فوجب أن لا يكون نبيًا حقًّا. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: **لكل** وقت حكم يليق بصلاح أهله وحالهم، فإنّ الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب الأعصار والأُمم، وعلى حسب تخصيص المشيئة الإلٰهيّة أهل كل عصر بحكم على حِدة؛ كما قال الله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (**ينسخ ما يشاء نسخه** ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ **بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ**)، أو يمحو من ديوان الحَفَظَة ما يشاء ويثبت غيره، أو يمحو كُفْر التائبين ويثبِّت إيمانهم، (**أو يميت مَن حان أجَلُه وعكسه** ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ **مدني وشامي وحمزة وعلي**) ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)﴾

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفَّيناك قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة (**فحسب**) ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنَّك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ إنْ فسّر بما ذكره المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (**ينسخ ما يشاء نسخه**، ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ **بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ**). **قوله**: (**أو يُميت مَنْ حان**) أي قَرُب (**أجله وعكسه**) قال الحسن: يمحو ما يشاء، أي مَنْ جاء أجله يذهب به ويثبت مَنْ لم يجيء أجله إلى أجله. اهـ. وعن ابن عباس وغيره: يمحو ما يشاء إلّا الشقاوة والسعادة والحياة والممات وعن كثير من السّلف كعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللّهمّ إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثْبِتنا فإنك تمحو ما تشاء وتُثبت وعندك أُمّ الكتاب. وهذا الدعاء نقل في الحديث قراءته في ليلة النصف من شعبان. اهـ جمالين. **قوله**: (﴿وَيُثْبِتُ﴾) بفتح الثاء وتشديد الباء الموحدة من التثبيت (**مدني**) أي نافع المدني (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعليّ**) الكسائي. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بسكون الثاء المثلّثة وتخفيف الباء الموحدة من أثبت.

قوله: (**فحسب**) أي فقط.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الكَفَرة ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغَلَبة، والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونُتِمّ ما وعدناك من النصرة والظفر ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ لا رادّ لحُكمه. والمعقِّب الذي (يكرّ) على الشيء فيُبطله، وحقيقته الذي يعقِّبه أي يقفّيه أي بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقِّب لأنه يقفّي غريمه بالاقتضاء والطلب، والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس. ومحل ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ النصب على الحال كأنه قيل: والله يحكم نافذًا حكمه كما تقول: جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرًا ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ **(فعمّا قليل)** يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كُفَّار الأُمم الخالية بأنبيائهم والمكر إرادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ثم فسَّر ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ يعني العاقبة المحمودة لأن مَن علم ما تكسب كل نفس وأعدَّ لها جزاءها فهو المكر كله، لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عمَّا يُراد بهم **(الكافر)**. على **(إرادة الجنس حجازي وأبو عمرو)**.

قوله: **(يكرّ)** في مختار الصحاح: الكَرّ الرجوع وبابه ردّ.اهـ. **قوله**: **(عمّا قليل)** من الزّمان، وما زائدة.

قوله: **(الكافر)** بالألف بعد الكاف على الإفراد، والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخفّفة على **(إرادة الجنس حجازي)** أي إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي قرأه نافع المدني وابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)**، وقرأ الباقون بالألف بعد الفاء على الجمع، فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشدّدة، فمن قرأ بالإفراد

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾ المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود قالوا: لست مُرسَلًا، ولهذا قال عطاء هي مكيَّة إلا هذه الآية ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الأدلة على رسالتي، والباء دخلت على الفاعل و﴿شَهِيدًۢا﴾ تمييز ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هو الله عزَّ وجلّ، والكتاب: اللوح المحفوظ (**دليله قراءة مَن قرأ** ﴿وَمَنْ عِندِهِۦ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقيل: ومَن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم. وقال ابن سلام: فيَّ نزلت هذه الآية. وقيل: هو جبريل عليه السلام. ﴿وَمَنْ﴾ في موضع الجر بالعطف على لفظ ﴿ٱللَّهِ﴾ أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور إذ التقدير: كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدَّر في الظرف فيكون فاعلًا، لأن الظرف صلة لـ «من» و«من» هنا بمعنى الذي والتقدير مَن ثبت عنده علم الكتاب، وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة يعمل عَمَل الفعل نحو: «مررت بالذي في الدار أخوه» فأخوه فاعل كما تقول: «بالذي استقر في الدار أخوه» (**وفي القراءة بكسر ميم «من» يرتفع العلم بالابتداء**).

أراد الجنس؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العَصر: الآية ٢] ليوافق الجمع.

قوله: (**دليله قراءة مَنْ قرأ**: ﴿وَمِنْ عِندِهِۦ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) بكسر الميم والدال، وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهي من الشواذ. **قوله**: (**وفي القراءة بكسر ميم** «من») على أنه حرف جرّ (**يرتفع العلم بالابتداء**) أي يكون علم الكتاب مرفوعًا على الابتداء وما قبله خبره.

تمّت سورة الرعد والحمد لله على التمام،

وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام

(سورة إبراهيم) عليه السلام

(مكيَّة: اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة، والجملة التي هي ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ في موضع الرفع صفة للنكرة ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ بدعائك إياهم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بتيسيره وتسهيله (مُستعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب) وذلك ما يمنحهم من التوفيق ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ بدل من ﴿ٱلنُّورِ﴾ بتكرير العامل ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب بالانتقام ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على الإنعام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة إبراهيم عليه السلام مكّية اثنتان وخمسون آية) وعدد كلماتها ثمانمائة وإحدى وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاثون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله**: (مستعار من الإذن الذي هو تسهيل[1] الحجاب) أي

(١) المراد به الرفع المانع. ١٢ منه.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱللَّهِ﴾ **(بالرفع مدني وشامي على هو «الله»)** وبالجر غيرهما **على** أنه **(عطف بيـان لـ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾)** ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا. ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعَّد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال: (﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ **وهو مبتدأ وخبر، وصفة)**.

مجاز مرسل على طريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ لفظ الإذن حقيقة في الإطلاق ورفع الحجاب ويلزمه التسهيل والتيسير، فإنّ الدخول في حقّ الغير وملكه متعذّر، فإذا صُودف الإذن يكون تسهيلًا وتيسيرًا، فلمّا كان التسهيل من لوازم الإذن صحّ استعمال لفظ الإذن فيه مجازًا، فالمراد بقوله: مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو مصطلح أهل البيان. وقوله: ﴿لِتُخْرِجَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يجوز أن يتعلّق بالإخراج، أي لتخرجهم بتسهيله وتيسيره، وأن يتعلّق بمحذوف على أنه حال من ضمير الفاعل، أي مأذونًا لك أو من الناس، أي مأذونًا لهم شبّه الكفر بالظلمات لأنها نهاية ما يتحيّر الرجل فيه ولا يهتدي به إلى الحقّ والصواب، وشبّه الإيمان بالنور لأنه نهاية ما يتجلّى به الحقّ المطلوب، وجمع الظلمات لتعدّد طرق الكفر وأنواعه. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بالرفع مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(على هو الله)** أي على أنه خبر مُضمر، أي هو الله أو مبتدأ خبره الموصول. **قوله: (عطف بيان لـ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾)** لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته على المعبود بحقّ. **قوله: (﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو مبتدأ وخبر وصفة)** أي ﴿وَوَيْلٌ﴾ مبتدأ، و﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ خبره، ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في موضع رفع صفة لويل بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز أن يتعلق بويل من أجل الفصل بينهما بالخبر. اهـ تبيان في إعراب القرآن للإمام محبّ الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ويؤثرون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون لسبيل الله زيغًا واعوجاجًا، والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾ عن الحق. ووصف الضلال بالبُعْد من الإسناد المجازي والبُعد في الحقيقة للضالّ لأنه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فِعْله كما تقول جَدَّ جدّه، أو مجرور صفة للكافرين، أو منصوب على الذمّ، أو مرفوع على أعني الذين، أو هم الذين.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ إلا متكلِّمًا بلغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له: لِمَ نفهم ما خُوطِبنا به. فإن قلت: إن رسولنا ﷺ بعث إلى الناس جميعًا بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨] بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة. قلت: لا يخلو ما إن ينزل بجميع الألسنة أو بواد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعيَّن أن ينزل لسان واحد، وكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ مَن آثر سبب الضلالة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ مَن آثر سبب الاهتداء ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يُغالَب على مشيئته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا يخذل إلا أهل الخذلان. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ (بأن أخرج أو أي أخرج) لأن الإرسال فيه

قوله: (بأن أخرج أو أي أخرج) أشار إلى أنّ ﴿أَنْ﴾ في ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ [إبراهيم: الآية ٥] يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون مفسّرة لوقوعها بعد فعل في

معنى القول كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له: أخرج قومك ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود، ومنه أيام العرب لحروبها (وملاحمها) أو بأيام الإنعام حيث ظلّل عليهم الغَمام وأنزل عليهم المَنّ والسلوى وفلق لهم البحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ على البلايا ﴿شَكُورٖ﴾ على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٦﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ «إذ» ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت، أو بدل اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ ذكر في البقرة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [الآية ٤٩]، وفي الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الآية ٤١] بلا واو، وهنا مع الواو. والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرًا للعذاب وبيانًا له، وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ الإشارة إلى العذاب (والبلاء المحنة) أو إلى الإنجاء والبلاء والنعمة. ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ﴾ أي آذن ونظير «تأذن» و«آذن» توعد وأوعد. ولا بدَّ في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل: وإذ آذن ربكم إيذانًا بليغًا تنتفي عنده

معنى القول. **قوله**: (وملاحمها) الملاحِم جمع مَلْحَمة، والمَلْحَمة هي الحرب وموضع القتال. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه: المَلْحمة الحرب ذات القتل الشديد، والملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة. اهـ.

قوله: (والبلاء المحنة)... الخ. لأن البلاء يكون ابتلاء بالنّعمة والمحنة جميعًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه، وانتصابه للعطف على ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما (خوّلتكم) من نعمة الإنجاء وغيرها ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود. وقيل: إذا سمعت النعمة نغمة الشكر تأهّبت للمزيد. وقال (ابن عباس) رضي الله عنهما: لئن شكرتم بالجدّ في الطاعة لأزيدنكم بالجدّ في المَثوبة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ ما أنعَمْتُ به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ لمَن كفر نعمتي، أما في الدنيا فسلب النّعَم، وأما في العقبى فتوالي النِّقَم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ والناس كلهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾ وإن لم يحمدهُ الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بدّ لكم منه ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضًا، أو عطف ﴿ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اعتراض، والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبًا لا يعرفون. ورُوِيَ أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية:

قوله: (خولتكم) أعطيتكم. **قوله**: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمى البحر والحبر لسِعَة علمه، مات سنة ثمانٍ وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.

(كذب النسّابون) ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ الضميران يعودان إلى الكفَرَة أي أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجّبًا أو عضّوا عليها تغيّظًا، أو الثاني يعود إلى الأنبياء أي ردَّ القوم أيديهم في أفواه الرُّسل كيلا يتكلموا بما أُرسِلوا به ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾ من الإيمان بالله والتوحيد ﴿مُرِيبٖ﴾ موقع في الريبة.

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ أُدخِلَت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ﴾، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى الإيمان (﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ إذا آمنتم) ولم تجيء مع «من» إلا في خطاب الكافرين كقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح: الآيتان ٣، ٤]، ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]، وقال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ إلى أن قال: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [الصَّف: الآيات ١٠ ـ ١٢] وغير ذلك مما يُعرَف بالاستقراء، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوِّي بين الفريقين في الميعاد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ إلى وقت وقد سمّاه وبيَّن مقداره.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي القوم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلِمَ تُخَصّون بالنبوّة دوننا ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ

قوله: (كذب النسّابون) لأنهم يدَّعون علم الأنساب، وقد نفى الله علمها عن العباد.

قوله: (﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ إذا آمنتم) في الأشباه: أن الحربي يُغفَر له كل ذنب، والذمّي يغفر له ما عدا المظالم. اهـ.

ءَابَآؤُنَا﴾ يعني الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بيِّنة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات، وإنما أرادوا بالسلطان المُبين آية قد اقترحوها **(تعنتًا ولجاجًا)**.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ تسليم لقولهم إنهم بشر مثلهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالإيمان والنبوّة كما مَنَّ علينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ جواب لقولهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ والمعنى أن الإتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمر منهم للمؤمنين كافَّة بالتوكّل وقصدوا به أنفسهم قصدًا أوليًا كأنهم قالوا: ومن حقنا أن نتوكَّل على الله في الصبر على معاندتكم ومُعاداتكم وإيذائكم، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ معناه وأيّ عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ وقد فعل بنا ما يُوجِب توكّلنا عليه وهو التوفيق لهداية كلٌّ منّا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين. قال **(أبو تراب)**: التوكّل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والشكر عند العطاء، والصبر عند البلاء ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يُمسِكوا عن دعائهم

قوله: **(تعنتًا)** في لسان العرب: تعنّته تعنّتًا سأله عن شيء أراد به اللَّبْس عليه والمشقّة. **قوله**: **(لجاجًا)** في مختار الصِّحاح: لَجِجْتُ ـ بالكسر ـ لَجاجًا ولَجاجَة ـ بفتح اللام فيهما ـ فأنت لَجُوج ولَجُوجة والهاء للمبالغة، ولجَجْتَ ـ بالفتح ـ تَلِجُّ ـ بالكسر ـ لغة، والمُلاَجّة التمادي في الخصومة. اهـ.

قوله: **(أبو تراب)** عسكر بن حصين النخشبي صحب حاتم الأصمّ وأبا حاتم العطّار المصري، مات سنة خمس وأربعين ومائتين، قيل: مات بالبادية نهسته السِّباع رحمة الله عليه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي فليثبت المتوكّلون على توكّلهم حتى لا يكون تكرارًا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ﴾، (﴿سُبُلَنَا﴾، ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ **أبو عمرو**) ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ من ديارنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك، (**والعود بمعنَى الصيرورة**) وهو كثير في كلام العرب، أو خاطبوا به كل رسول ومَن آمن معه (**فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد**) ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (**القول مضمر**) أو أجرى الإيحاء مجرى القول (**لأنه ضرب منه**). ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي أرض الظالمين وديارهم. في الحديث «من آذى جاره ورثه الله داره» ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والإسكان أي ذلك الأمر حق ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ موقفي وهو موقف الحساب، (**أو المقام**) مُقحَم، أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: الآية ٣٣]، والمعنى أن ذلك حقٌّ للمتقين ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾، ﴿عَذَابِى﴾ (**وبالياء: يعقوب**).

قوله: (﴿سُبُلَنَا﴾ و﴿رُسُلُهُم﴾ **أبو عمرو**) أي أسكن باء ﴿سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] وسين ﴿رُسُلُهُم﴾ [إبراهيم: الآية ٩] أبو عمرو، والباقون بالرفع. **قوله**: (**والعود بمعنَى الصَّيْرورة**) أي والعود هٰهنا خارج عن أصل معناه الذي وضع هو له وهو الرجوع إلى ما كان عليه أولًا، فهذا جواب عمّا عسى يُسْأَل، ويقال: إن لفظ العود يُشعر بأنهم كانوا على ملّتهم وليس كذلك، فما معنى العود؟ فأُجيب بأن ليس المراد بالعَوْد حقيقة معناه، بل المراد به الصيرورة مجازًا. **قوله**: (**فغلبوا في الخطاب الجماعة**) وهم الذين آمنوا معه (**على الواحد**) أي الرسول؛ إذ كل قوم خاطبوا نبيّهم الذي بُعِث إليهم وهو الواحد. **قوله**: (**القول مُضمر**) أي فعل الإيحاء لا يلائم ليهلكن. اهـ شهاب. **قوله**: (**أو المقام**) أي لفظ المقام مُقحم، أي مزيد. **قوله**: (**لأنه ضربٌ منه**) أي لأن الإيحاء نوعٌ من القول، ولمّا كان الإيحاء نوعًا منه، فأية حاجة إلى اعتبار إضمار القول. **قوله**: (**وبالياء**) في الحالين (**يعقوب**) وليس من السبعة.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ وخسر كل متكبّر بطر ﴿عَنِيدٍ﴾ مُجانِب للحق. معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبّار عنيد وهم قومهم. وقيل: الضمير للكفّار ومعناه واستفتح الكفّار على الرُّسُل ظنًّا منهم بأنهم على الحق والرُّسُل على الباطل، وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ **من بين يديه**) ﴿جَهَنَّمُ﴾ وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها، أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يَلقى فيها ما يَلقى ويُسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ ما يسيل من جلود أهل النار، و﴿صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لماء لأنه مبهم فبيِّن بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: الآية ٤٠] أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده، وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أي لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكًا ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأنه لو مات لاستراح ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ ومن بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابًا أشد مما قبله وأغلظ. وعن (**الفضيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد**).

قوله: (﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ **من بين يديه**) قال أبو عبيدة: هو من الأضداد، يعني أنه يقال: وراء بمعنى خلف، وبمعنى أمام.

قوله: (**الفضيل**) بن عياض مات بمكّة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة رحمة الله عليه. **قوله**: (**هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد**) أي لا يمكنه أن يتنفّس لاستيلاء اللّهب والدخان عليه.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ١٨﴾

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين ﴿كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾، (**الرياحُ مدني**) ﴿فِي (يَوْمٍ عَاصِفٍ)﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك: «يوم ماطر»، وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرِّقاب وفداء الأسرى وعَقْر الإبل للأضياف وغير ذلك، شبَّهها في حبوطها لبنائها على غير (**أساس**) وهو الإيمان بالله تعالى ـ برماد طيَّرته الريح العاصف ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي لا يرون له أثرًا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المُطيَّر في الريح على شيء ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ إشارة إلى بُعْد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ٢٠﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم الخطاب لكل أحد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (﴿خَٰلِقُ﴾ **مضافًا: حمزة وعلي**) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثًا ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق

قوله: (**الرياحُ**) بالجمع (مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بالإفراد. **قوله**: (﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة؛ كقولهم: نهاره صائم وليله قائم. اهـ. بيضاوي. **قوله**: (**أساس**) بالفتح أصل البناء.

قوله: (﴿خَٰلِقُ﴾ **مضافًا**) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف اسم فاعل وخفض ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على الإضافة ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ على العطف عليه، (**حمزة وعلي**) الكسائي، والباقون بفتح الخاء واللام بلا ألف وفتح القاف فعلًا ماضيًا ونصب السمٰوات بالكسرة، والأرضَ على المفعولية.

مكانهم خلقًا آخر على شكلهم، أو على خلاف شكلهم إعلامًا بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ بمتعذّر.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ويبرزون يوم القيامة. وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عزّ وجلّ لصدقه كأنه قد كان ووجد. ونحوه ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠]، وغير ذلك، ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا عند أنفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية، أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ في الرأي وهم السَّفَلَة والأتباع. وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ مَن يفخِّم الألف قبل الهمزة فيُميلها إلى الواو ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدّوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تابعين. جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب، **(أو ذوي تبع)** والتبع الأتباع يقال: تبعه تبعًا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه. و«من» الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل: فهل أنتم مُغنون عنّا بعض الشيء الذي هو عذاب الله، أو هما للتبعيض أي فهل أنتم مُغنون عنّا بعض شيء هو بعض عذاب الله؟ لما كان قول الضعفاء توبيخًا لهم وعتابًا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم ﴿قَالُواْ﴾ لهم مُجيبين معتذرين ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ أي لو هدانا الله إلى الإيمان في الدنيا لهديناكم إليه، أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق **(الهلكة)** ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ **(مستويان علينا الجزع**

قوله: (أو ذوي تبع) على إضمار مضاف أو مصدر نعت به. **قوله**: (الهَلَكة) مثال قَصَبة بمعنى الهلاك. اهـ مصباح. **قوله**: (مستويان علينا الجزع

والصبر)، والهمزة وأم للتسوية. رُوِيَ أنهم يقولون في النار: تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع، فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر، ثم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعًا مما هم فيه، فقالوا لهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ يريدون أنفسهم وإيّاهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مُجتَمِعين فيها يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ، ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ **(منجي)** ومهرَب جزعنا أم صبرنا، ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمُستكبِرين جميعًا.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ حُكِم بالجنة والنار لأهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، ورُوِيَ أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبًا على منبر من نار فيقول لأهل النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ كذبتكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ من تسلّط واقتدار ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ لكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني،

والصبر) أشار إلى أن ﴿سَوَآءٌ﴾، إنما أفرد لأنه في الأصل مصدر والمراد التثنية، وضميره راجع إلى الجزع والصبر لكونهما مبتدأ مقدَّمان عليه.اهـ قنوي. وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: مستويان علينا الجزع والصبر إشارة إلى أن قوله: ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ في محلّ الرفع على الابتداء، والجملة إنما يمتنع الإخبار عنها إذا كانت نسبتها ملحوظة تفصيلًا. وأما إذا أُريد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمنًا على الاتّساع، فهي كالاسم في الإضافة والإسناد إليه.اهـ. وفي مختار الصحاح: الجَزَع ضدّ الصبر، وبابه طرب.اهـ. **قوله: (منجي)** بالقصر.

والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ﴾ (فأسرعتم إجابتي) ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ لأن مَن تجرَّد للعداوة لا يُلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمٰن قد قال لكم: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٧]، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان. وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصِّلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين، باطل لقوله: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي إلى الإيمان ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] كما مرَّ ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ لا ينجي بعضنا بعضًا من عذاب الله ولا يغيثه. والإصراخ الإغاثة (﴿بِمُصْرِخِيِّ﴾ حمزة) اتباعًا للخاء، غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ، فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ (وبالياء بصري) و«ما» مصدرية ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بـ ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾ أي كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: الآية ١٤] ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: الآية ٤]، أو ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بـ ﴿كَفَرْتُ﴾ و«ما» موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عزَّ وجل. تقول: أشركني فلان أي جعلني له شريكًا، ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزيِّنه لهم من عبادة الأوثان وهذا آخر قول الشيطان، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قول الله عزَّ وجلّ. وقيل: هو من تمام كلام إبليس، **(وإنما حكى الله عزَّ وجلّ ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين).**

قوله: (فأسرعتم إجابتي) إشارة إلى أن استجاب وأجاب وإن كان بمعنى واحد إلّا أنّ استجاب أبلغ. **قوله**: (﴿بِمُصْرِخِيِّ﴾) بكسر الياء مع التشديد (حمزة) اتباعًا للخاء. **قوله**: (وبالياء بصري) أي أثبت ياء ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾ وصلًا أبو عمرو البصري، وفي الحالين يعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**وإنما حكى الله عزّ وجلّ ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين**) في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بدّ لهم من الوصول إليه، وأن يتصوّروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يخلّصهم منه وينجيهم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ عطف على ﴿بَرَزُوا۟﴾، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿وَأُدْخِلَ﴾ أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي وصفه وبيّنه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ نصب بمُضمَرٍ أي جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ نحو شرَّف الأمير زيدًا كساه حلّة وحمله على فرس، أو انتصب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿كَلِمَةً﴾ بـ ﴿ضَرَبَ﴾ أي ضرب كلمة طيبة مثلًا يعني جعلها مثلًا ثم قال: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة طيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي في الأرض ضارِب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وأعلاها ورأسها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان، وفرعها إقرار باللسان، وأكلها عمل الأركان، وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملًا فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملًا ولكن الأشجار لا تُراد إلا للثمار، فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت **(الإخفار)** في عهد الإثمار. والشجرة كل شجرة مُثمِرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة، فعن **(ابن عمر)** أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي؟ **(فوقع الناس في شجر البوادي)**، وكنت صبيًّا فوقع في قلبي أنها النخلة **(فهِبْت)** رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا

قوله: **(الإخفار)** في مختار الصحاح: أخفره نقض عهده وغدر. اهـ.

قوله: **(ابن عمر)** هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما العدوي أبو عبد الرحمٰن، وُلِد قبل البعثة بيسير واستصغر يوم أُحُد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشدّ الناس اتّباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها وأوّل التي تليها. **قوله**: **(فوقع الناس في شجر البوادي)** أي ذهبت أفكارهم إليها دون النّخلة. **قوله**: **(فهِبْت)** في المصباح: هابَ

أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ: «ألا إنها النخلة» فقال عمر: يا بني لو كنت قلتها لكانت أحبّ إليَّ من (حُمر النَّعم).

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ تُعطَى تمرها كل وقت وقَّته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾ بتيسير خالِقِها وتكوينه ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث أنها شجرة (**الحنظل**) ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثَّة كلها وهو في مقابلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي استقرار، يُقال قرَّ الشيء قرارًا كقولك ثبت ثبوتًا، شبَّه بها القول الذي لا (**يعضد**) بحجة فهو (**داحض**) غير ثابت.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يُديمهم عليه ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هو قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى إذا فُتِنوا في دينهم لم يزلوا

يَهابُه من باب تعب هيبة خدره ويهيبه من باب ضرب لغة. اهـ باختصار. **قوله**: (**حُمر النَّعَم**) بضم حاء وسكون ميم أي أقواها وأجلدها، أي الإبل الحُمر وهي أنفس أموال العرب.

قوله: (**الحنظل**) نبات يخرج أغصانًا وأوراقًا مفروشة على الأرض له بطاطيخ مدوّرة هي مرّة شديدة المرارة. اهـ تمجيد. **قوله**: (**يعضد**) في المصباح: عضدت الرجل عضدًا من باب قتل أصبت عضده أو أعنته فصرت له عضدًا، أي مُعينًا وناصرًا. اهـ. **قوله**: (**داحض**) أي باطل.

(كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود) وغير ذلك ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب، فعن **(البراء)** أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثم تُعاد روحه في جسده فيأتيه مَلَكان فيُجلِسانه في قبره فيقولان له مَن ربك **(وما دينك)** ومَن نبيّك؟ **(فيقول: ربي الله)** وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فينادي مُنادٍ **(من السماء أن صدق)** عبدي فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ ثم يقول المَلَكان: عشت سعيدًا

قوله: (كما ثبت الذين فَتَنهم أصحاب الأُخدود) الشقّ في الأرض، رُوي مرفوعًا: «أن ملكًا كان له ساحر، فلما كبر ضم إليه غلامًا ليعلّمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حيّة قد حبست الناس، فأخذ حجرًا وقال: اللّهمّ إنْ كان الراهب أحبّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها، وكان الغلام بعده يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك: مَنْ أبرأك؟ فقال: ربّي، فغضب الملك فدلّ على الغلام فَغَرَّبَهُ، فعزّ على الراهب فقده فدعا فهلك مَنْ معه ونجا فأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهمًا من كنانتي، وتقول: باسم رب الغلام ثم ترميني به، فرماه فوقع السهم في صدعه فمات، فآمن الناس فأمر بأخاديد أوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبيّ: أُمّاه اصبري، فإنّك على الحق، فاقتحمت». اهـ شيخ زاده رحمه الله. وكان ذلك في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، ورُوي أنّه كان ذلك قبل مولد النبيّ ﷺ بسبعين سنة. اهـ كمالين.

قوله: (البراء) بن عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاري الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة استُصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لِدَة، مات سنة اثنتين وسبعين. **قوله: (وما دينك)** أي الذي اخترته من بين الأديان. **قوله: (فيقول: ربي الله)** بفتح الياء ويسكن ولو كان الميت أعجميًا صار عربيًا. **قوله: (من السماء)** أي من جهتها. **قوله: (أن صدق)** أَن مفسّرة للنداء، لأنه في معنى القول.

و(مُتَّ) حميدًا (نَمْ) نومة (العروس) ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ فلا يثبّتهم على القول الثابت في مواقف الفتن و(تزل) أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضلّ وأزلّ ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ (أي شكر نعمة الله) ﴿كُفۡرٗا﴾ لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا، فكأنهم غيَّروا الشكر إلى الكفر وبدَّلوه تبديلًا وهم أهل مكة، كرَّمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ الذين تابعوهم على الكفر ﴿دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ دار الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ وبئس المقر جهنم. ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ أمثالًا في العبادة أو في التسمية ﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾ (وبفتح الياء: مكي وأبو عمرو) ﴿قُلۡ تَمَتَّعُواْ﴾ في الدنيا والمراد به

قوله: (مُتْ) في مختار الصحاح: مَاتَ يموت ويَمات أيضًا فهو مَيّت وميْت مشدّدًا ومخفّفًا. اهـ. **قوله**: (نم) أمر من نام ينام. **قوله**: (العروس) يُطلق على الذّكر والأُنثى في أوّل اجتماعهما. **قوله**: (تزلّ) في مختار الصحاح: زلّ في طين أو مَنْطِق يَزِلّ بالكسر زَلِيلًا، وقال الفراء: زَلّ يَزَلُّ بالفتح زَلَلًا والاسم الزَّلّة. اهـ.

قوله: (أي شكر نعمة الله) قدّر المضاف لأن الكفر المذكور بجنب النعمة يُراد به الكفران، ومقابلة الشكر. واعلم أن بدّل يتعدّى إلى مفعولين إلى أوّلهما بنفسه وإلى ثانيهما بواسطة الباء، وأن المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار، وقد يُحذف حرف الجرّ فيتعدّى الفعل إليهما بنفسه، كما في هذا المقام والمجرور بالباء هٰهنا هو النعمة لأنها هي المتروكة، والذي تعدّى الفعل إليه بنفسه هو الكفران، فهو المفعول الأوّل.

قوله: (وبفتح الياء) من ضلّ يضلّ (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو)، والباقون بضم الياء من أضلّ يضلّ. واللام في ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ سواء قرىء

(الخذلان) والتخلية. وقال (ذو النون): التمتّع أن يقضي العبد ما استطاع من شهوته ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ مرجعكم إليها.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خصّهم بالإضافة إليه تشريفًا. و(**بسكون الياء شامي وحمزة وعلي والأعشى**) ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ المقول محذوف لأن ﴿قُل﴾ تقتضي مَقولًا وهو أقيموا وتقديره: قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا. وقيل: إنه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا، فحذف اللام لدلالة ﴿قُل﴾ عليه، ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ انتصبا على الحال أي ذوي سر وعلانية يعني مُسِرّين ومعلنين، أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية، أو على المصدر أي إنفاق سر وإنفاق علانية، والمعنى إخفاء التطوّع وإعلان الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ أي لا انتفاع فيه بمبايعة (**ولا مخالة والخلال المخالة**)،

بفتح الياء أو ضمّها لام العاقبة؛ لأن كل واحد من الضلال والإضلال نتيجة اتّخاذ الأنداد وعاقبته. **قوله**: (الخِذْلان) في مختار الصحاح: خذله يخذُله بالضمّ خذلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (ذو النون) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، وقيل: الفيض بن إبراهيم توفي سنة خمس وأربعين ومائتين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**بسكون الياء شاميَ**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعلي**) الكسائي (**والأعشى**)(١) أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى، وفتح ياء الإضافة من ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم ورُوَيْس وأبو جعفر وخلف عن نفسه. اهـ إتحاف. **قوله**: (**ولا مخالة**) أي خلال مصدر فاعل كالمفاعلة. **قوله**: (**والخلال المخالة**) وهي المصاحبة والمصادقة، يقال: خالَلْته خلالًا ومخالّة.

---

(١) يُروى عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله. بفتحهما: (مكي) و(بصري)، والباقون بالرفع والتنوين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خبره ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ من السحاب مطرًا ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقًا هو ثمرات أو ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مفعول ﴿أَخْرَجَ﴾ و﴿رِزْقًا﴾ حال من المفعول ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي **(يدأبان)** في سيرهما وإنارتهما **(ودرئهما)** الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقبان **(خلفة)** لمعاشكم **(وسباتكم)**.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ «من» للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه، أو وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه فـ «ما» موصولة والجملة صفة لها، وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨١]. **(﴿من كلٍّ﴾ عن أبي عمرو)** و﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

قوله: (مكي) أي ابن كثير المكي. **قوله**: (بصري) أبو عمرو البصري.

قوله: (يدأبان) أي يدأبان ويستمران ويعبران أبدًا فيما يسند إليهما من الأفعال، يقال: دأب فلان في عمله دؤوبًا، أي جدّ وتعب. **قوله**: (ودرئهما) أي دفعهما. **قوله**: (خلفة) أي يخلف كل منهما الآخر فيما ينبغي أن يفعل فيه. **قوله**: (سباتكم) راحتكم.

قوله: (﴿من كلٍّ﴾) بالتنوين (عن أبي عمرو) عبارة تفسير النيسابوري: ﴿مِن كُلِّ﴾ بالتنوين يزيد وعباس، والباقون بالإضافة، انتهت. وقوله: يزيد، هو أبو

نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائِليه، أو «ما» موصولة أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تطيقوا عدّها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ بظلم النعمة بإغفال شكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ شديد الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفَّار في النعمة (**يجمع ويمنع**) والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران مَن يوجدان منه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ واذكر إذ قال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ أي البلد الحرام ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمَن أهلها، وفي الثاني أن يُخرجه من صفة الخوف إلى الأمْن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنًا ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ وبعِّدني أي ثبِّتني وأدِمْني على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ١٢٨] أي

جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. وقوله: عباس، هو العباس بن الفضل يروي عن أبي عمرو بن العلاء، وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة: وهي قِراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش.

مسألة: قرأ الأعمش: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بتنوين كلٍّ تفرّد بذلك الباقون من كلِّ ما من غير تنوين على الإضافة. اهـ بحروفه. وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: وعن الحسن والأعمش ﴿مِّن كُلٍّ﴾ بتنوين ﴿كُلٍّ﴾ و﴿مَا﴾ بعدها إما نافية أو موصولة، فالجمهور على إضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾. اهـ بحروفه. وفي كتاب المُحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ولغات العرب، ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسين والضحّاك ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد ويعقوب: ﴿مِّن كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بالتنوين. اهـ. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله: (يجمع ويمنع)**، أي يجمع المال ويمنعه من مستحقّيه.

ثبّتنا على الإسلام ﴿وَبَنِيَّ﴾ أراد بنيه من صلبه ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ من أن نعبد الأصنام ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ جعلن مُضِلَّات على طريق التسبيب لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على مِلَّتي وكان حنيفًا مسلمًا مثلي ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ فيما دون الشِّرك ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أو ومَن عصاني عصيان شِرْك فإنك غفور رحيم إن تاب وآمن.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ بعض أولادي وهم إسماعيل ومَن وُلِد منه ﴿بِوَادٍ﴾ هو وادٍ بمكة ﴿غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ لا يكون فيه شيء من زرع قطّ ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ هو بيت الله سُمِّي به لأن الله تعالى حرَّم التعرّض له والتهاون به وجعل ما حوله حرمًا لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنعًا يهابه كل جبّار، أو لأنه محترم عظيم الحُرمة لا يحلّ انتهاكها، أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سُمِّي عتيقًا لأنه أعتق منه ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اللام متعلقة بـ ﴿أَسْكَنتُ﴾ أي ما أسكنتهم بهذا الوادي (**البلقع**) إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرَّم ويعمروه بذِكرِك وعبادتك ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أفئدة من أفئدة الناس و«من» للتبعيض لما رُوِي عن (**مجاهد**): لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والتُّرْك والهند. (**أو للابتداء**) كقولك: «القلب مني سقيم» تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس، ونكرت المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة

قوله: (**البَلْقَع**) الأرض القفراء التي لا شيء بها، والقَفْراء مفازة لا نبات بها ولا ماء. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى واثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: (**أو للابتداء**) كقولك: القلب مني سقيم، أي القلب الكائن مني، وأفئدة كائنة من الناس، والمصنّف رحمه الله نكر لفظ الناس حيث قال: أفئدة ناس، مع أنه في الآية معرف باللام، لأن الأفئدة في الآية وقعت منكرة، ولما أراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس أضاف الأفئدة إليهم، ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير

﴿تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقًا ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سكناهم واديًا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد (**الشاسعة**) ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ النعمة في أن يُرزَقوا أنواع الثمرات في وادٍ ليس فيه شجر ولا ماء.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿رَبَّنَا﴾ النداء المكرر دليل التضرّع (**واللجأ**) إلى الله ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ تعلم السر كما تعلم (**العلن**) ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من كلام الله عزَّ وجل تصديقًا لإبراهيم عليه السلام، أو من كلام إبراهيم و«من» للاستغراق كأنه قيل: وما يخفى على الله شيء ما ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ «على» بمعنى «مع» وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ رُوِيَ أن إسماعيل وُلِدَ له وهو ابن تسع وتسعين سنة، ووُلِد له إسحٰق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة ورُوِيَ أنه وُلِد له إسماعيل لأربع وستين، وإسحٰق لتسعين، وإنما ذكر حال الكِبْر لأن المِنَّة بهبة الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم، ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ مُجيب

﴿أَفْئِدَةً﴾ في الآية، فإنّ تنكير المضاف إليه يفيد ما يُستفاد من تنكير المضاف في مقام الإثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع، فمعنى أفئدة ناس أي مما يُطلق عليه لفظ ناس، وهو معنى قوله: ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وإنْ كان لفظ الناس المعرّف باللام في هذا التعبير محمولًا على العموم. **قوله**: (**الشاسعة**) البعيدة، في المصباح: شسع المكان يشسع ـ بفتحتين ـ بَعُد فهو شاسع وبلاد شاسعة. اهـ. وفي مختار الصحاح. الشاسع والشُسُوع ـ بالفتح ـ البعيد. اهـ.

قوله: (**اللّجأ**) في مختار الصحاح: لجأ إليه يلجأ مثل قطع يقطع لَجَأ ـ بفتحتين ـ انتهى. **قوله**: (**العَلَن**) في مختار الصحاح: العلانية ضدّ السرّ، يقال: علن الأمر من باب دخل وطرب. اهـ. وفي المصباح: علن الأمر علونًا من باب قعد ظهر وانتشر، فهو عالِن وعلن علنًا من باب تعب لغة، فهو علن وعلين

الدعاء من قولك: «سمع الملك كلام فلان» إذا تلقّاه بالإجابة والقبول، ومنه (**سمع الله لمَن حمده**) وكان قد دعا ربّه وسأله الولد فقال: ربِّ هَب لي من الصالحين، فشكر الله ما أكرمه به من إجابته. وإضافة السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها (**وأصله** ﴿لسميعٌ ٱلدُّعَآءِ﴾) وقد ذكر (**سيبويه**) فعيلًا في جملة أبنية المبالغة العامِلَة عمل الفعل كقولك: «هذا رحيم أباه».

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ وبعض ذريتي عطفًا على المنصوب في ﴿ٱجْعَلْنِي﴾ وإنما بعَّض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفّار، عن (**ابن عباس**) رضي الله عنهما: لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم

والاسم العلانية مخفّف.اهـ. **قوله**: (**سمع الله لمن حمده**) معناه: قَبِل **حَمْد** مَنْ حمده، واللام في لمن للمنفعة والهاء في حمده للكناية، وقيل: للسكتة والاستراحة، ذكره ابن الملك. وقال الطيبي: أي أجاب حمده وتقبله يقال: اسمَعْ دعائي، أي أجِبْ؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول، انتهى. فهو دعاء بقبول الحمد، كذا قيل، ويحتمل الإخبار.اهـ مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح. **قوله**: (وأصله ﴿لسميعٌ﴾) بالتنوين (﴿ٱلدُّعَآءِ﴾).

قوله: (**سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبَر أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنحو، توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيّف وأربعون سنة، وسيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء البتّة، وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفّاح. وقال إبراهيم الحربي: سُمّي سيبويه لأن وجنتيه كأنّهما تفّاحتان، وكان في غاية الجمال رحمه الله.

قوله: (**ابن عباس**) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحبر لسِعَة علمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء

الساعة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ بالياء في الوصل والوقف: (مكّي)، وافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل. الباقون بلا ياء أي استجب دعائي (**أو عبادتي** ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ) وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: الآية ٤٨]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ أي آدم وحواء، أو قاله قبل النهي واليأس عن إيمان أبويه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله إسنادًا مجازيًّا مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلًا كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وكما جاء في الأمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٣٦]، وقيل: المراد به الإيذان بأنه عالِم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء، وأنه مُعاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣]، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي عقوبتهم ﴿لِيَوْمٍ (تَشْخَصُ) فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي أبصارهم لا تقرّ في أماكنها من هَوْل ما ترى.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى الداعي ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (**صفر**) من

الصحابة. **قوله**: (مكّي) أي ابن كثير المكّي رحمه الله. **قوله**: (**أو عبادتي**) بدليل قوله تعالى: ﴿(وَأَعْتَزِلُكُمْ) وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: الآية ٤٨].

قوله: (﴿تَشْخَصُ﴾) صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره في مكانه من حدّة النظر، وقيل: بقاؤه مفتوحًا بحيث لا يغمض ولا يرتدّ إليه طرفه.

قوله: (**صِفْر**) وزان حِمْل أي خالٍ.

الخير لا (**تعي**) شيئًا من الخوف، والهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان (**جبانًا**) لا قوة في قلبه ولا (**جرأة**). وقيل: جوف لا عقول لهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي يوم القيامة. و﴿يَوْمَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿أَنذِرِ﴾ لا ظرف إذ الإنذار لا يكون في ذلك اليوم ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي الكفار ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ أي رُدَّنا إلى الدنيا وأمهِلْنا إلى (**أمد**) وحدّ من الزمان قريب نتدارك ما فرَّطنا فيه من إجابة دعوتك واتّباع رُسُلك فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ أي حلفتم في الدنيا أنكم إذا مُتّم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨] و﴿مَا لَكُم﴾ جواب القَسَم. وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال، أو أُريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فإنهم يسألون يومئذ أن يؤخِّرهم ربّهم إلى أجل قريب.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

(**يقال: سكن الدار**) وسكن فيها ومنه ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر لأن السكنى من السكون وهو اللبث والأصل تعديته بـ «في» نحو

قوله: (تعي) تحفظ. **قوله**: (جَبَانًا) ضعيف القلب. **قوله**: (جرأة) وزان غرفة أي شجاعة.

قوله: (أمد) في مختار الصحاح: الأمَد ـ بفتحتين ـ الغاية. اهـ.

قوله: (يقال: سكن الدار)... الخ. أي وقد يُستعمل بمعنى التبوّؤ، فيجري مجراه.

«قرَّ في الدار وأقام فيها» ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تُصرَف فيه فقيل: «سكن الدار» كما قيل: «تبوأه»، ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة مَن قبلهم في الظلم والفساد لا يحدِّثونها بما لقي الأولون من أيام الله، وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا و(**يرتدعوا**) ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بالأخبار أو المشاهدة. وفاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ مُضمَر دلَّ عليه الكلام أي تبيَّن لكم حالهم و﴿كَيْفَ﴾ ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما نصب ﴿كَيْفَ﴾ بقوله: ﴿فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ أي أهلكناهم وانتقمنا منهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (**أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم**) وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾ أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبُطلان الإسلام ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ وهو مضاف إلى الفاعل الأول، والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مُجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، أو إلى المفعول أي عند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بكسر اللام الأولى ونصب الثانية والتقدير: وإن وقع مكرهم لزوال أمر النبي ﷺ، فعبّر عن النبي عليه السلام بالجبال لعِظَم شأنه، و«كان تامّة» و«إن» نافية، واللام مؤكدة لها كقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] والمعنى ومُحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال (**الراسية**) ثباتًا وتمكّنًا دليله قراءة (**ابن مسعود**) «وما كان مكرهم»

قوله: (**يرتدعوا**) في مختار الصحاح: رَدَعه عن الشيء فارتدع، أي كفَّه فكفَّ وبابه قطع. اهـ. **قوله**: (**أي صفات ما فعلوا**) من المناهي والمكروهات (**وما فعل بهم**) من تدميرهم بأنواع العقوبات.

قوله: (الراسية) الثابتة الراسخة. **قوله**: (**ابن مسعود**) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن، من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو في

(وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية: عليّ)، أي وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فـ «إن» مخففة من «إن» واللام مؤكدة.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ يعني قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: الآية ٢١]. ﴿مُخْلِفَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ وأضاف ﴿مُخْلِفَ﴾ إلى ﴿وَعْدِهِۦ﴾ وهو المفعول الثاني له والأول ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ والتقدير مُخْلِف رُسُله وعده، وإنما قدَّم المفعول الثاني على الأول ليُعْلَم أنه لا يُخلِف الوعد أصلًا كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: الآية ٩]، ثم قال: ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ ليُؤذِن أنه إذا لم يخلف وعده أحدًا فكيف يخلفه رُسُله الذي هم (خِيرته) وصفوته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يُماكِر ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

وانتصاب ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ على الظرف للانتقام، أو على إضمار اذكر، والمعنى يوم تُبَدَّل هذه الأرض التي تعرفونها أرضًا أخرى غير هذه المعروفة، وتبدّل السمٰوات غير السمٰوات، وإنما حذف لدلالة ما قبله عليه، والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك: «بدّلت الدراهم دنانير»، وفي الأوصاف كقولك: «بدّلت الحلقة خاتمًا» إذا أذَبْتها وسوَّيتها خاتمًا فنقلتها من شكل إلى شكل. واختلف في تبديل الأرض والسمٰوات فقيل: تبدّل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها (وتفجر بحارها) وتُسَوَّى فلا ترى فيها (عوجًا) ولا (أمتًا). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (هي تلك الأرض وإنما تغير). وتبدّل السماء بانتثار

التي بعدها بالمدينة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**وبفتح اللام الأُولى ورفع الثانية عليّ**) الكسائي، والباقون بكسر الأُولى ونصب الثانية.

قوله: (**خيرته**) بفتح الياء وتسكينها يوصف به الواحد والجمع.

قوله: (**وتفجر بحارها**) أي يبست. **قوله**: (**عوجًا**) انخفاضًا. **قوله**: (**أمْتًا**) ارتفاعًا. **قوله**: (**هي تلك الأرض وإنما تغير**) صفاتها.

كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابًا. وقيل: تخلق بدلها أرض وسمٰوات أُخَر. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة. وعن (عليّ) رضي الله عنه: تبدّل أرضًا من فضة وسمٰوات من ذهب ﴿وَبَرَزُواْ﴾ وخرجوا من قبورهم ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ هو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦] لأن المُلْك إذا كان لواحد (غلّاب) لا يُغالب (فلا مُستَغاث) لأحد إلى غيره كان الأمر في غاية الشدة.

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ (قرن) بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغلّلين ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ متعلق بـ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي يقرنون في الأصفاد، أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفَّدين، والأصفاد القيود أو الأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ (هو ما يتحلب من شجر يسمى الأبُهل) فيطبخ (فتهنأ) به الإبل الجربى فيُحرَق

قوله: (عليّ) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. **قوله**: (غلاب) اسم فاعل بزنة المبالغة. **قوله**: (فلا مُستغاث) الظاهر أنه مصدر، أي لا طلب العون لأحد من غيره.

قوله: (قرن) بالتشديد والتخفيف. **قوله**: (هو ما يتحلّب) أي يتقاطر (من شجرٍ يسمّى الأبهل) بضمّ الهمزة وسكون الباء وضمّ الهاء. اهـ شهاب رحمه الله. وفي ترجمة القاموس: الأبهل بوزن أحمد. اهـ. **قوله**: (فتهنأ[1]) بضمّ التاء الفوقيّة

(١) أي تُطلى ١٢ منه.

الجَرَب بحدَّته وحرِّه، ومن شأنه أن يُسرِع في اشتعال النار، وهو أسود اللون مُنتِن الريح فيُطلَى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم (لذع القطران) وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح، على أن (التفاوت بين القطرانين) كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله أو وعَدَهُ به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره، وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمُسَمَّيات ثَمَّة نعوذ بالله من سخطه وعذابه (﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾) زيد (عن يعقوب) نحاس مُذاب بلغ حَرَّه إناه ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تعلوها باشتعالها. وخصَّ الوجه لأنه أعزَّ موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: الآية ٧].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ﴾ أيْ يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت، أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم على أنه يُثيب المؤمنين بطاعتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع العباد في أسرع من لَمْح البصر ﴿هَٰذَا﴾ أي ما وصفه في قوله: ﴿وَلَا

وسكون الهاء وفتح النون وفي آخره همزة مقصورة من الهنا كالطلا لفظًا ومعنى. **قوله**: (لذع القطران) بفتح اللام وسكون الذال المعجمة والعين المهملة الإحراق. في مختار الصحاح: لذعته النار أحرقته وبه قطع. اهـ.

قوله: (التفاوت بين القطرانين) أي قطران الدنيا والآخرة. **قوله**: (﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾) بفتح القاف وكسر[1] الطاء وتنوين الراء[2] وآنٍ على وزن رام، فيكون قطر آن كلمتين والقطر النحاس المُذاب والآني اسم فاعل من أنى يأني أنًا، أي تناهى في الحرارة، قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: الآية ٤٤]، زيد بن أحمد بن إسحٰق (عن يعقوب) وليس من السبعة.

---

(١) كما في الدرّ المصون، ويقال فيه: قطر بكسر فسكون. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) كذا في حاشية شيخ زاده وشهاب. ١٢ منه.

تحسبن﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾، ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ كفاية في التذكير والموعظة ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقول.

تمت سورة إبراهيم بحمد الله وحُسن توفيقه

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الحجر)

(مكّية تسع وتسعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب، والقرآن المُبين السورة، وتنكير القرآن للتفخيم، والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابًا وأي قرآن مبين كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال وللغرابة في البيان ﴿رُّبَمَا﴾ (**بالتخفيف: مدني وعاصم، وبالتشديد: غيرهما**)، و«ما» هي الكافَّة لأنها حرف يجرّ ما بعده، ويختصّ بالاسم النكرة فإذا كفَّت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم. وإنما جاز ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لأن المترقّب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل: ربما ودّ، وَوِدادتهم تكون عند النَّزع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلمًا، كذا رُوِيَ عن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الحجر** مكّية) أي إجماعًا (**تسع وتسعون آية**) أي إجماعًا أيضًا وستّمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستّون حرفاً. **قوله**: (**بالتخفيف**) أي بتخفيف الباء الموحدة (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وعاصم، وبالتشديد غيرهما**) لغتان.

ابن عباس رضي الله عنهما (﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ **حكاية ودادتهم**). وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مُخبَر عنهم كقولك: «حلف بالله ليفعلن» ولو قيل: «حلف بالله لأفعلن» و«لو كنّا مسلمين» لكان حسنًا وإنما قلّل بـ «ربّ» لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمنّي فإذا أفاقوا من سَكرات العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين. وقول مَن قال: إن «ربّ» يعني بها الكثرة سهو لأنه ضد ما يعرفه أهل اللغة لأنها وُضعَت للتقليل.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ذَرْهُمْ﴾ أمر إهانة أي اقطع طمعك من (**ارعوائهم**) ودعهم عن النهي عمّا هم عليه والصّدّ عنه بالتذكرة والنصيحة وخَلِّهم ﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذّذ والتنعّم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ ولها كتاب جملة واقعة صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢٠٨] وإنما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تأكيدًا لذلك. والوجه أن تكون هذه الجملة حالًا لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ لكونها في حُكم الموصوفة كأنه قيل: وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفًا. وقوله: ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي مكتوب معلوم وهو أجَلها الذي كُتِب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ في موضع

قوله: (﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ **حكاية ودادتهم**) يعني أنّ قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ حكاية لودادتهم بقول مقدّر، والتقدير يودّ الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين، فالظاهر حينئذٍ أن يقال: لو كنّا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكيّ، إلّا أنه جيء بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذي ذكر قبلها، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قوله: (**ارعوائهم**) بمعنى انزجارهم وانكشافهم عن القبيح.

كتابها ﴿وَمَا يَسْتَـْخِرُونَ﴾ أي عنه وحذف لأنه معلوم، وأنّث الأمة أولًا ثم ذكرها آخرًا حملًا على اللفظ والمعنى.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ أي الكفار ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ يعنون محمدًا عليه السلام، وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: الآية ٢٧] وكيف يقرّون بنزول الذِّكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكّم (سائغ) ومنه ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ٢١]، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: الآية ٨٧]، والمعنى إنك لتقول قول المجانين حيث تدَّعي أن الله نزّل عليك الذِّكر ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ «لو» ركبت مع «لا» و«ما» لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتحضيض، و«هل» رُكِّبَت مع «لا» للتحضيض (فحسب)، والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك، أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقًا.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

(﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ كوفي غير أبي بكر)، ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ (أبو بكر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي تتنزل: غيرهم) ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا تنزيلًا ملتبسًا بالحكمة ﴿وَمَا كَانُوٓاْ

قوله: (سائغ) جائز. **قوله**: (فحسب) أي فقط.

قوله: (﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾) بنونين الأولى مضمومة والأخرى مفتوحة وكسر الزاي مشدّدة مبنيًا للفاعل ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ بالنصب مفعولًا به (**كوفي غير أبي بكر**) يعني قرأه حفص وحمزة والكسائي ﴿تُنَزَّلُ الملائكة﴾ بضمّ التاء وفتح النون والزاي مشدّدة مبنيًا للمفعول الملائكة بالرفع نائب الفاعل (**أبو بكر** ﴿تَنَزَّلُ الملائكة) بفتح التاء والنون والزاي مشدّدة مبنيًا للفاعل مسنداً للملائكة، (**أي تتنزّل**) أي وأصله تتنزّل حذفت إحداهما تخفيفًا الملائكة بالرفع فاعله (**غيرهم**).

﴿إِذًا مُّنظَرِينَ﴾، (﴿إِذًا﴾ جواب لهم وجزاء) الشرط مقدَّر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إذًا وما أخَّر عذابهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ للقرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (وهو ردٌّ لإنكارهم واستهزائهم) في قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [الحجر: الآية ٦] ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأكد عليهم إنه هو المُنَزِّل على القطع وأنه هو الذي نزَّله محفوظًا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتولَّ حفظها وإنما استحفظها الربَّانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فوقع التحريف، ولم يَكِل القرآن إلى غير حفظه وقد جعل قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ دليلًا على أنه مُنَزَّل من عنده آية إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرَّق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه، أو الضمير في ﴿لَهُ﴾ لرسول الله ﷺ كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
(١١) كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣)
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤)﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠)﴾ أي ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلًا في الفِرَق الأولين، والشيعة: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ﴿وَمَا

قوله: (﴿إِذًا﴾ **جواب لهم وجزاء**) فإنّ ﴿إِذًا﴾ إنما يذكر حيث خاطبك أحد بشيء وتريد أن تجيبه فتقول في جواب كلامه: إذًا يكون كما إذا قال لك إنسان: أنا آتيك فتقول: إذًا أُكرمك، كأنك قلت هٰهنا إن كان الأمر كما ذكرت أكرمك؛ فكذا هذه الآية. **قوله: (وهو ردّ لإنكارهم واستهزائهم)** فإنّ الكفرة قالوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ فقد أنكروا أن ينزل عليه ذكرٌ من ربّه، واستهزؤوا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين أنه عليه الصّلاة والسلام غير موصوف به، فكأنهم قالوا: يا أيها المفتري إنّ الله تعالى لم ينزل عليك الذِّكر، وهذا الذي تزعم أنه من عند الله ليس منه، بل هو من إلقاء الجنّ و﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، وأكّده من وجوه تصدير الجملة بأن توسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلّم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والإجلال وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتقريره وإسمية الجملة.

﴿يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على المضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماضٍ إلا وهو قريب من الحال ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعزي نبيّه عليه السلام ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ أي كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الأولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أُمتك مَن اختار ذلك. يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الأصلح وخلق الأفعال ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالله أو بالذكر وهو حال ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مضت طريقتهم التي سَنَّها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ **(حُيرت أو حُبست من الإبصار من السُّكر أو)** من **(السَّكْر، ﴿سُكِرَتْ﴾ مكي)** أي حبست كما يحبس النهر من الجري، والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوّهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسّر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمد بذلك، أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانًا لقالوا ذلك. وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مُستوضِحين لِما يرون وقال: إنما ليدلّ على أنهم يبتّون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرًا للأبصار.

قوله: **(حُيرت)** بالبناء للمفعول **(أو حُبست من الإبصار)** بكسر الهمزة من الإفعال مصدر أبصر **(من السُّكر)** بضم السين ضد الصَّحو، ولما كانت الحيرة لازمة له فسّر ﴿سُكِّرَتْ﴾ بحيّرت، **(أو)** من **(السَّكْر)** بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر أسكره إذا سددته. **قوله**: **(﴿سُكِرَتْ﴾)** بتخفيف الكاف وبناء المفعول **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي رحمه الله. وباقي السبعة قرؤوا على بناء المفعول أيضًا إلّا أنهم شدّدوا الكاف.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ﴾ خلقنا فيها ﴿بُرُوجًا﴾ نجومًا أو قصورًا فيها (الحرس) أو منازل للنجوم ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي السماء ﴿لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا﴾ أي السماء ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ ملعون أو مَرمي بالنجوم ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ أي المسموع و«من» في محل النصب على الاستثناء ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ نجم ينقض فيعود ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر للمُبصِرين. قيل: كانوا لا يحجبون عن السمٰوات كلها فلما وُلِد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سمٰوات، فلما وُلِد محمد ﷺ مُنِعوا من السمٰوات كلها.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها من تحت الكعبة، (والجمهور على أنه تعالى مدّها على وجه الماء) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ في الأرض (جبالًا ثوابت) ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ وزن بميزان الحكمة وقدِّر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان، أو له وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة، أو ما يُوزَن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، وخَصَّ ما يُوزَن (لانتهاء الكيل إلى الوزن).

قوله: (الحرس) جمع حارس مثل خادم وخدم.

قوله: (والجمهور على أنه تعالى مدّها على وجه الماء)، وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء، وهو الجزء المعمور منها، واعتذروا عن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بأنّ الكرة إذا كانت عظيمة كان كلّ جزء منها كالسطح العظيم، فثبت بهذا الأمر أن الأرض محدودة مبسوطة وأنها كرة، وردّ هذا أصحاب التفاسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وأنها مبسوطة، ولو كانت كرة لأخبر بذلك، والله أعلم بمراده وكيف مدّ الأرض. اهـ خازن. **قوله**: (جبالًا ثوابت) من رسى الشيء إذا ثبت جمع راسية. **قوله**: (لانتهاء الكيل إلى الوزن) لأن الصاع والمدّ مقدّران بالوزن.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعَٰيِشَ﴾ ما يُعاش به من المطاعم جمع معيشة (وهي بياء صريحة) بخلاف الخبائث ونحوها (**فإن تصريح الياء فيها خطأ**) ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾، ﴿وَمَن﴾ في محل النصب بالعطف على ﴿مَعَٰيِشَ﴾ (أو على محل ﴿لَكُمْ﴾) كأنه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم مَن لستم له برازقين، أو جعلنا لكم فيها معايش ولمَن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخَدَم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزَّاق يرزقهم وإياهم، ويدخل فيه الأنعام والدوابّ ونحو ذلك. ولا يجوز أن يكون محل ﴿وَمَن﴾ جرًّا بالعطف على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارّ ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلًا لاقتداره على كل مقدور.

قوله: (وهي بياء صريحة) لكونها ياء أصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش. **قوله**: (**فإن تصريح الياء فيها خطأ**) والصواب الهمزة؛ لأن الهمزة فيها زائدة لبناء فعائل كما في نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحمالة وحمائل. **قوله**: (**أو على محل** ﴿لَكُمْ﴾) وهو النصب؛ لأنه مفعول كأنه قيل: جعلناكم معايش، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ لكن حذف الجار وأوصل الفعل، وإنما قال على محل لكم لِمَا تقرّر في النحو من أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلّا بإعادة الجار في حال السعة والاختيار عند البصريّين، ويجوز ترك الإعادة حال الضرورة؛ كما في قوله:

فاليوم قد بت تهجونا وتشمتنا   فاذهب وما بك والأيام من عجب

وأجاز الكوفيُّون ترك الإعادة في حال السعة بقوله تعالى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النِّساء: الآية ١] بالجرّ في قراءة حمزة إذا تقرّر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محلّ مجموع الجار والمجرور والذي لم يجوّزه البصريون حال السعة هو الأول دون الثاني.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقِحَة بها من لقحت الناقة حملت وضدّها العقيم. (﴿ٱلرِّيحُ﴾ **حمزة**) ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فجعلناه لكم **(سقيًا)** ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أي نحيي بالإيجاد ونُميت بالإفناء، أو نُميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الأعمال على التقديم والتأخير إذ الواو للجمع المطلق ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كلهم. وقيل: للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ مَن تقدَّم ولادةً وموتًا ومَن تأخر، أو مَن خرج من أصلاب الرجال ومَن لم يخرج بعد، أو مَن تقدم في الإسلام أو في الطاعة أو في وصف الجماعة أو في صفّ الحرب ومَن تأخر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ **(باهر الحكمة)** واسع العلم.

قوله: (﴿ٱلرِّيحُ﴾) بالإفراد على تأويل الجنس **(حمزة)** والباقون بالجمع.
قوله: **(سقيًا)**[1] بضمّ السين وسكون القاف كبشرى بمعنى مسقى يسقي به الأرض والمواشي، فليس أسقاه بمعنى سقاه، وإن ورد بهذا المعنى أيضًا.

قوله: **(باهر الحكمة)** أي عالم بالأشياء على ما هي عليه وفاعل لها كما ينبغي.

---

(١) أي جعلنا لكم ماء المطر معدًا لسقي أنفسكم وأراضيكم ومواشيكم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس غير مطبوخ ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ أي خلقه من صلصال كائن من حمإٍ أي طين أسود متغيّر ﴿مَّسْنُونٍ﴾ مصوّر وفي الأول كان ترابًا فعجن بالماء فصار طينًا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصوِّر ويبس فصار صلصالًا فلا تناقض ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن كآدم للناس أو هو إبليس وهو منصوب بفِعل مُضمَر يفسِّره ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ من نار الحر الشديد **(النَّافذ في المسام. قيل: هذه السموم)** جزء من سبعين جزءًا من سموم النار التي خلق الله منها الجانّ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ واذكر وقت قوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممتَ خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وجعلت فيه الروح وأحييته **(وليس ثمّة نفخ)** وإنما هو تمثيل والإضافة للتخصيص ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ هو أمر من وقع يقع أي أسقطوا على الأرض يعني اسجدوا له، ودخل الفاء لأنه جواب «إذا» وهو دليل على أنه يجوز تقدّم الأمر عن وقت الفعل ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فالملائكة جمع عامّ محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله:

قوله: (النافذ في المسام) لشدّة لطفها وقوّة حرارتها، فإذا دخلت في الإنسان قتلته، والمسام هي ثقب البدن جمع سم بكسر السين على غير قياس كمحاسن جمع حسن. **قوله: (قيل: هذه السموم)**. . . الخ. قائله عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وليس ثمّة نفخ) ولا منفوخ.

﴿كُلُّهُمْ﴾ وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾، ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جنس المستثنى منه. وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة. قلنا: غير المأمور لا يصير بالتَّرك ملعونًا. وقال في الكشاف: كان بينهم مأمورًا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك: «رأيتُهم إلا هندًا» ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ امتنع أن يكون معهم و﴿أَبَىٰٓ﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلَّا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه. وقيل: معناه ولكن إبليس أبى.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ حرف الجر مع أن محذوف تقديره ما لك في أن لا تكون مع الساجدين أي أيّ غرض لك في إبائك السجود ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ اللام لتأكيد النفي أي لا يصحّ مني أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لأن اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ ضرب يوم الدين حدًّا للعنة لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم، والمراد به إنك مذموم مدعو عليك باللعنة في السمٰوات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذّبت بما ينسى اللعن معه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ فأخِّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾، ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكًا بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يُبعَثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يُجَب إلى ذلك وأُنظِر إلى آخر أيام التكليف.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ الباء للقسم و«ما» مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم ومعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ونحوه قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ [الحجر: الآية ٣٩]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: الآية ٨٢] في أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام (**بصفة الذات**) والثاني بصفة الفعل، وقد فرّق الفقهاء بينهما فقال العراقيون: الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزّة يمين، والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين. والأصح أن الأيمان مبنية على العُرْف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينًا ومالًا فلا، والآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال. وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا التي هي دار الغرور، وأراد إني أُقدَر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدَر. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ (ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ **وبكسر اللام: بصري ومكي وشامي**) استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (**أي هذا طريق حقّ عليَّ أن أُراعيه**) وهو أن لا يكون لك

قوله: (**بصفة الذات**). . . الخ. وصفة الذات ما لا يجوز أن يوصف بضدّه، وصفة الفعل ما يجوز أن يُوصف بضدّه، فإنه تعالى يرضى بالإيمان ولا يرضى بالكفر. **قوله**: (﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾) قرأه نافع وعاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية (**وبكسر اللام بصري**) أي أبو عمرو البصري (**ومكّي**) أي ابن كثير المكّي، (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب.

قوله: (**أي هذا طريق حقّ عليَّ أن أُراعيه**) نحو: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: الآية ٤٧].

سلطان على عبادي إلا مَن اختار اتباعك منهم لغوايته. وقيل: معنى ﴿عَلَيَّ﴾ إلي. («عَلِيٌّ» **يعقوب**) من علو الشرف والفضل.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ الضمير للغاوين ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ نصيب معلوم (**مفرز**). قيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها، فأعلاها للموحِّدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصائبين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ (وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ **وبضم العين: مدني وبصري وحفص**). المتقي على الإطلاق مَن يتقي ما يجب إتقاؤه مما نهي عنه. (**وقال في الشرح: إن دخل أهل الكبائر**) في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر وإلا فالمراد به الذين اتقوا الشرك.

قوله: (عَلِيٌّ) بكسر اللام وضم الياء منوّنة (**يعقوب**) وليس من السبعة، والباقون بفتح اللام والياء بلا تنوين.

قوله: (**مفرز**) في مختار الصحاح: فرز الشيء عزله عن غيره وأفرزه أيضًا وفارز شريكه فاصله وقاطعه. اهـ.

قوله: (﴿وَعُيُونٍ﴾) بكسر العين ابن كثير وابن ذكوان وأبو بكر وحمزة والكسائي (**وبضمّ العين مدني**) أي نافع (**وبصري**) أي أبو عمرو (**وحفص**). **قوله**: (**وقال في الشرح: إن دخل أهل الكبائر**)... الخ. عبارة التأويلات للإمام أبي منصور الماتريدي رحمة الله عليه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ إن دخل أهل الكبائر في قوله لها سبعة أبواب، فيكون المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتّقوا الكبائر، وإن كان أصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، فيكون المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتّقوا الشرك، والله أعلم. انتهت بحروفها.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي يقال لهم ادخلوها ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ حال أي سالمين أو مسلَّمًا عليكم تسلِّم عليكم الملائكة ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الخروج منهما ومِنَ الآفات فيها وهو حال أخرى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ وهو الحقد الكامن في القلب أي إن كان لأحدهم غلّ في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم. وعن **(علي)** رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا و**(عثمان)** و**(طلحة)** و**(الزبير)** منهم. وقيل: معناه طهَّر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غلّ وألقى فيها التوادد والتحابب ﴿إِخْوَٰنًا﴾ حال ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ كذلك قيل تدور بهم **(الأسِرَّة)** حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضًا ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ في الجنة تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فتمام النعمة بالخلود. ولما أتمّ ذكر الوعد والوعيد أتبعه.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين المرجح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح.

قوله: (عثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس الأمويّ أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأوّلين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشّرة، استشهد في ذي الحجّة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون، وقيل أكثر وقيل أقلّ.

قوله: (طلحة) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي أبو محمد المدني أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ستّ وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستّين. **قوله**: (الزبير) بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، قُتِل سنة ستّ وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله**: (الأسرّة) جمع السرير.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ تقريرًا لما ذكر وتمكينًا له في النفوس. قال عليه السلام: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورّع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه (لبخع نفسه) في العبادة ولما أقدم على ذنب» وعطف ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ وأخبر أمتك. عطفه على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ ليتخذوا ما أحلَّ من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكًا، والضيف يجيء واحدًا وجمعًا لأنه مصدر ضافه ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي نسلّم عليك سلامًا أو سلّمنا سلامًا ﴿قَالَ﴾ أي إبراهيم ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون لامتناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغيرِ وقت.

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي إنك مبشّر آمن فلا توجل. (وبالتخفيف وفتح النون: حمزة) ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحٰق لقوله في سورة هود ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: الآية ٧١] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي أبشرتموني مع مسّ الكِبْر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكِبْر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ هي «ما» الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل: فبأي أُعجوبة تبشّرون، وبكسر النون والتشديد: (مكّي)، والأصل «تبشرونني» فأدغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت

قوله: (لبخع نفسه) في مختار الصحاح: بخع نفسه قتله غمًّا وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: الآية ٦]. اهـ.

قوله: (وبالتخفيف وفتح النون) أي بفتح النون وسكون الباء وضمّ الشين مخفّفة (حمزة)، والباقون بضمّ النون وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة. **قوله**: (مكّي) أي ابن كثير المكّي.

الكسرة دليلًا عليها. («تبشرونِ» بالتخفيف: نافع)، والأصل «تبشرونني» فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين، و(الباقون: بفتح النون)، وحذف المفعول والنون نون الجمع.

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا (لُبس) فيه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ من الآيسين من ذلك ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ (وبكسر النون: بصري وعليّ) ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧] أي لم أستنكر ذلك (قنوطًا) من رحمته ولكن استبعادًا له في العادة التي أجراها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فما شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ أي قوم لوط ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يريد أهله المؤمنين، والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام والمستثنى ليس كذلك، أو متصل فيكون استثناء من الضمير في ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم، والمعنى يختلف باختلاف الاستثنائين لأن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم

قوله: («تبشرونِ») بكسر النون (بالتخفيف: نافع). **قوله**: (الباقون: بفتح النون) مخفّفة.

قوله: (لُبس) بالضمّ أي شبهة. **قوله**: (وبكسر النون: بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، (وعليّ) الكسائي، والباقون بفتحها. **قوله**: (قنوطًا) في مختار الصحاح: القُنُوط اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم، فهو قَنِط وقَنُوط وقانط وقرىء: ﴿فلا تكن من القَنِطين﴾. وأمّا قنط يقنط ـ بالفتح ـ فيهما، وقنِط يقنِط ـ بالكسر ـ فيهما، فإنما هو على الجمع بين اللغتين. اهـ.

الإرسال يعني أنهم أُرسِلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يُرسَلوا إلى آل لوط أصلًا، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قومًا مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال يعني أن الملائكة أُرسِلوا إليهم جميعًا ليهلكوا وينجوا هؤلاء. وإذا انقطع الاستثناء جرى ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى: لكن آل لوط مُنجون، وإذا اتصل كان كلامًا مستأنفًا كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إنّا لمنجّوهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ مستثنى من الضمير المجرور في ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ وليس باستثناء من الاستثناء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتّحد الحكم فيه بأن يقول: «أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته»، وهنا قد اختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ و﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ متعلق بـ ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ فكيف يكون استثناء من استثناء. (**﴿لمنْجوهم﴾ بالتخفيف: حمزة وعلي** ﴿قَدَّرْنَآ﴾ **وبالتخفيف: أبو بكر**) ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. قيل: لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح «إن» لأنه مع اسمه وخبره مفعول ﴿قَدَّرْنَآ﴾ ولكنه كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٥٨] وإنّما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي لا أعرفكم أي ليس عليكم (**زيّ السفر**) ولا أنتم من أهل (**الحضر**) فأخاف أن (**تطرقوني**

قوله: (**﴿لمنْجوهم﴾ بالتخفيف**) أي بسكون النون وتخفيف الجيم (**حمزة وعليّ**) الكسائي. **قوله**: (**﴿قَدَّرْنَآ﴾**) بتشديد الدال (**وبالتخفيف أبو بكر**) شعبة، والباقون بالتشديد وهما لغتان بمعنى التقدير لا القدرة، أي كتبنا.

قوله: (**زيّ السفر**) في المصباح: الزِّي ـ بالكسر الهيئة، وأصله زوى.اهـ. **قوله**: (**الحضر**) بفتحتين خلاف البدو.اهـ مصباح. **قوله**: (**تطرقوني**

بشر) ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه سرورك وتَشَفِّيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكّون ويكذّبونك ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الإخبار بنزوله بهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ في آخر الليل أو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾وسرّ خلفهم لتكون مُطَّلعًا عليهم وعلى أحوالهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن مَن يلتفت لا بدَّ له في ذلك من أدنى وقفة ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ **(عدّى ﴿قضينا﴾ بـ «إلى» لأنه ضمّن معنى أوحينا)** كأنه قيل: وأوحينا إليه مَقضيًا مبتوتًا، وفسّر ذلك الأمر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ودابرهم آخرهم أي يَستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ وقت دخولهم في الصبح **(وهو حال من** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾**)**.

بشرَ) في تاج العروس[1]: طرق القوم يطرقهم طرقًا وطروقًا جاءهم ليلًا، فهو طارق. انتهى.

قوله: (عدّى ﴿قضينا﴾ بإلى لأنه ضمّن معنى أوحينا) وإلّا ففعل القضاء لا يتعدّى بإلى، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، وقد عدى هٰهنا إلى لوط عليه الصّلاة والسلام بكلمة إلى باعتبار المضمن. **قوله: (وهو حال من** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾**)**، وجاز لكون المضاف بعض

(١) وأيضًا فيه: يقال: طرقه الزمان بنوائبه ونعوذ بالله من طوارق السوء، وقال الراغب: كنى عن الحوادث ليلًا بالطوارق. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ (سدوم) التي ضرب بقاضيها المثل في الجور ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بالملائكة طمعًا منهم في ركوب الفاحشة ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي لأن مَن أساء إلى ضيفي أساء إليَّ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ (أي ولا تذلوني بإذلال ضيفي من الخزي) وهو الهوان. (وبالياء فيهما: يعقوب) ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ عن أن نُجير منهم أحدًا أو تدفع عنهم فإنهم كانوا يتعرَّضون لكل أحد، وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرّض له فأوعدوه وقالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفّار جائزًا ولا تتعرَّضوا لهم ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحلَّ الله دون ما حرَّم فقالت الملائكة للوط عليه السلام ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ أي في غوايتهم التي أذهَبَت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيَّرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك، أو الخطاب لرسول الله ﷺ وهو قَسَم بحياته وما أقسم

المضاف إليه؛ إذ الدابر أصل الشيء وجزؤه باعتبار هؤلاء كلاًّ، فيكون الدابر جزؤه ولكون الدابر نائب الفاعل باعتبار ضميره المستكن في مقطوع، فكأنه حال مِنْ مفعول ما لم يسمّ فاعله.

قوله: (سدوم) بفتح السين على وزن فعول وذاله معجمة، ورُوي إهمالها، وقيل: إنه خطأ. **قوله**: (أي ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي) وهو الهوان، أو ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء. اهـ بيضاوي. (وبالياء فيهما) أي في ﴿تَفْضَحُونِ﴾، و﴿تُخْزُونِ﴾ [الحجر: الآية ٦٩] في الحالين (يعقوب).

بحياة أحد قطّ تعظيمًا له. (والعَمر والعُمر) واحد وهو البقاء إلا أنهم خصّوا القَسَم بالمفتوح إيثارًا للأخف لكثرة دَور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل عليه السلام ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في الشروق وهو (بزوغ) الشمس.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ للمتفرّسين المتأمّلين كأنهم يعرفون باطن الشيء (بِسِمَة) ظاهرة ﴿وَإِنَّهَا﴾ وإن هذه القرى يعني آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد. وهم يُبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصَّافَّات: الآيتان ١٣٧، ١٣٨]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ لأنهم المُنتَفِعون بذلك.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وإن الأمر والشأن كان أصحاب الأيكة أي (**الغيضة**) ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فأهلكناهم لمّا كذبوا شعيبًا ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لبطريق واضح (**والإمام اسم ما يُؤتَمّ به**) فسُمّي به الطريق (**مطمر البناء**) لأنهما مما يُؤتَمّ به ﴿وَلَقَدْ

(والعَمر) بفتح العين (والعُمر) بضمّها. **قوله:** (بزوغ) أي طلوع.

قوله: (بِسِمَة) أي بعلامة.

قوله: (الغَيْضة) في الأصل: اسم للشجر الملتفّ والمراد بها هنا البقعة التي فيها شجر مزدحم، ففي الكلام مجاز من إطلاق اسم الحال على المحل. **قوله:** (والإمام اسم ما يُؤتَمّ به) أي ما يُقتدى به. **قوله:** و(مطمر البناء) المطمر بكسر

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ـ هم ثمود، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام ـ المُرسَلين يعني بتكذيبهم صالحًا لأن كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرُّسُل جميعًا، فمَن كذب واحدًا منهم فكأنما كذبهم جميعًا، **(أو أراد صالحًا ومَن معه من المؤمنين كما قيل «الخُبَيبيّون» في ابن الزبير وأصحابه)**.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ أي ينقبون في الجبال بيوتًا أو يبنون من الحجارة ﴿ءَامِنِينَ﴾ لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن **(نقب اللصوص)** والأعداء، أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ العذاب ﴿مُصْبِحِينَ﴾ **(في اليوم الرابع وقت الصبح)** ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ من بناء البيوت الوثيقة و**(اقتناء الأموال النفيسة)**.

الميم كالمِطمار خيط البنائين الذي يقدرون به البناء. **قوله**: **(أو أراد صالحاً ومَنْ معه مِنَ المؤمنين)** بطريق تغليب صالح على أُمّته المؤمنين **(كما قيل الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه)**، هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشيّ الأسدي أبو بكر وأبو خُبَيْب بالمعجمة مصغّرًا، كان أوّل مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين، قُتل في ذي الحجّة سنة ثلاث وسبعين رضي الله تعالى عنهما.

قوله: **(نقْب)** أي خرق. في المصباح: نقبت الحائط ونحوه نقبًا من باب قتل خرقته. اهـ. **قوله**: **(اللّصوص)** جمع اللّصّ السارق بكسر اللام وضمّها لغة حكاها الأصمعيّ. **قوله**: **(في اليوم الرابع وقت الصبح)** قال ابن عباس: إنه تعالى لمّا أمهلهم تلك الأيام الثلاثة فقد رغّبهم في الإيمان، ثم قالوا لصالح عليه السلام: وما علامة ذلك؟ قال: تصير وجوهكم في اليوم الأوّل مصفرّة، وفي الثاني محمرّة، وفي الثالثة مسودّة، ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع؛ فلما رأوا وجوههم مسودّة أيقنوا حينئذٍ بالعذاب، فتحنّطوا واستعدّوا للعذاب، فصبّهم اليوم الرابع. **قوله**: **(اقتناء الأموال النفيسة)** في المصباح: اقتنيته اتّخذته لنفسي قنية لا للتجارة، هكذا قيّدوه. اهـ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ **(إلا خلقًا مُلتَبسًا بالحق)** لا باطلًا وعبثًا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي القيامة لتوقعها كل ساعة ﴿لَءَاتِيَةٌ﴾ وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويُجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السمٰوات والأرض وما بينهما إلا لذلك ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ فأعرض عنهم إعراضًا جميلًا بحلم **(وإغضاء)**. قيل: هو منسوخ بآية السيف، وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي **(الطِّوال)**، واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما، **(وقيل: سورة يونس)** أو أسباع القرآن ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ هي من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما يتكرر في الصلاة، أو من الثَّناء لاشتمالها على ما هو ثناء من الله، والواحدة **(مَثْناة)** أو **(مُثنية)** صفة للآية. وأما السور أو الأسباع فلِما وقع

قوله: **(إلّا خلقًا ملتبسًا بالحقّ)** أشار إلى أن الباء للملابسة، وبالحقّ صفة للمفعول المطلق المحذوف. **قوله**: **(وإغضاء)** في المصباح: أغضى الرجل عينه بالألف قارَب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم، فقيل: أغضى على القذى، إذا أمسك عفوًا عنه. اهـ.

قوله: **(الطِّوال)** بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام واقتصر عليه. في الصحاح: وأمّا بالضم فالرجل الطويل كما صرح به ابن مالك في مثلثه. **قوله**: **(وقيل: سورة يونس)** أي السابعة، هي سورة يونس. **قوله**: **(مثناة)** بفتح الميم وسكون الثاء، وهو إمّا من التَّثْنِية، أي من الثني بمعنى التثنية، أو هو من الثناء وهو إمّا مصدر سُمّي به المفعول مبالغة أو اسم مكان سُمّي به المفعول مبالغةً أيضاً. **قوله**: (مثنية) بضم الميم وكسر النون اسم فاعل أسند الثناء إليها إسنادًا مجازًا لاشتمالها الثناء على الله تعالى.

فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله، وإذا جعلت السبع مثاني فـ «من» للتبيين، وإذا جعلت القرآن مثاني فـ «من» للتبعيض ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لأنه إذا أُريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: الآية ٣]. يعني سورة يوسف، وإذا أُريد به الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعِظَم.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

ثم قال لرسوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي (لا تطمح ببصرك طموح راغب) فيه مُتَمَنٍّ له ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافًا من الكفَّار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أُوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدنّ عينيك إلى متاع الدنيا. وفي الحديث («ليس منا مَن لم يتغنَّ بالقرآن»)،

قوله: (لا تطمح ببصرك) الباء المتعدية، وطمح بمعنى ارتفع. **قوله**: (طموح راغب) قيّد به لأنه المنهيّ عنه. **قوله**: (ليس منّا مَنْ لم يتغنّ بالقرآن) أي مَنْ لم يتغنّ على أن يكون التغنّي المقصور وهو اليسار، وقد جاء التغنّي في الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصّلاة والسلام: «إن الخيل لرجل أجر[1] ولآخر ستر[2] ولثالث وزر»[3]، ثم قال: «وأما الذي هي له ستر، فرجلٌ ربطها تغنّيًا وتعفّفًا، ثم لم ينسَ حق الله تعالى في رقابها»، والمشهور حمله على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود، فإن التغنّي بهذا المعنى أشهر، كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث: يا أبا محمّد، أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال:

---

(١) أي ثواب عظيم. ١٢ منه.
(٢) أي كحاله في معيشته لحفظه من الاحتياج والسؤال. ١٢ منه.
(٣) أي ثقل وأثم.

وحديث (أبي بكر) «مَن أُوتي القرآن فرأى أن أحدًا أُوتي من الدنيا أفضل مما أُوتي (فقد صغَّر) عظيمًا وعظَّم صغيرًا» ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتمنَّ أموالهم ولا تحزن عليهم (أنهم لم يؤمنوا) فيتقوَّى بمكانهم الإسلام والمسلمون ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وتواضع لمَن معك من فقراء المؤمنين وطِب نفسًا عن إيمان الأغنياء.

﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ وهم أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أجزاء (جمع عِضة وأصلها عضوة) فعلة (من عضّى الشاة إذا جعلها أعضاء) حيث قالوا بعنادهم:

يحسّنه ما استطاع، ويشهد له الحديث الآخر: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم». وقيل: المراد من التغنّي بالقرآن الإفصاح بألفاظه، وقيل: إعلانه والجهر به، وقيل: قراءته على خشية من الله ورقّة من فؤاده، وقيل: معناه كشف الغموم بقراءته وذلك أن الإنسان إذا أصابه غمّ ربما تغنّى بالشعر فطلب بذلك وجه مما هو فيه، والصدّيقون همومهم المعاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولا يفرّجون كربهم إلا بذكر كلام ربّهم، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا»، أي مَنْ لم يتفرّج من غمومه بقراءة القرآن والتدبّر فيه، فليس منّا خلقًا وسيرة.

قوله: (أبي بكر) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي، أبو بكر بن أبي قُحافة الصدِّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جُمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستّون سنة.
قوله: (فقد صغر)... الخ. علّة للمحذوف تقديره: فقد خاب وخسر خسرانًا مبينًا؛ لأنه صغّر عظيمًا. **قوله**: (أنهم لم يؤمنوا) بفتح الهمزة بدل اشتمال من الضمير المجرور، ويجوز أن يكون على تقدير اللام، أي لأنهم لم يؤمنوا.

قوله: (جمع عِضة) بكسر العين وفتح الضاد بمعنى جزء فهو معتلّ اللام، ولذا قال: (وأصلها عضوة من عضّى الشاة) بالتشديد (إذا جعلها أعضاءً) وأجزاءً فاعل فصار عضة.

بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مُخالِف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي، ويقول الآخر سورة آل عمران لي. أو أُريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه؛ فاليهود أقرَّت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرَّت ببعض الإنجيل وكذبَت ببعض، ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ منصوبًا بـ ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ أي أنذر المعضين الذين يجزِّئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المُقتَسِمِين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مدخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين ليُنفِّروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ يقول بعضهم: لا تغترّوا بالخارج منّا فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر (**فأهلكهم الله**). ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ على الوجه الأول اعتراض بينهما، لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسّف على كُفرهم ومن الأمر بأن يُقبِل بكليَّته على المؤمنين.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدًا واحدًا من هؤلاء المقتسمين عمّا قالوه في رسول الله ﷺ أو في القرآن أو في كتب الله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فاجهر به وأظهِره. يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارًا من الصديع وهو الفجر، أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أُمِرْتَ به

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هو أمر استهانة بهم.

قوله: (فأهلكهم الله) يوم بدر.

﴿إِنَّا كَفَيْنَكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إِنَّا كَفَيْنَكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الجمهور على أنها **(نزلت في خمسة نفر)** كانوا يُبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله وهم: الوليد بن المغيرة **(مرّ بنبّال)** فتعلق بثوبه سهم فأصاب عرقًا في عقبه فقطعه فمات، والعاص بن وائل دخل في **(أخمصه)** شوكة فانتفخت رجله فمات، والأسود ابن عبد المطلب عَمي، والأسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، والحارث بن قيس **(امتخط قيحًا)** ومات ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ **(عاقبة)** أمرهم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ فيك أو في القرآن أو في الله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ **(فافزع فيما نابك)** إلى الله، والفزع إلى الله هو الذِّكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغمّ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ﴾ ودُمْ على عبادة ربك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي الموت يعني ما دمت حيًّا فاشتغِل بالعبادة وكان رسول الله ﷺ **(إذا حَزَبَه)** أمر فزع إلى الصلاة.

قوله: (**نزلت في خمسة نفر**)... الخ. كونهم خمسة قول، وفي شرح البخاري بأنهم سبعة، وفي بعض أسمائهم اختلاف مفصّل في كتب الحديث. **قوله**: (مرّ بنبّال) بفتح النون وتشديد الباء الموحدة من يَصْنع النبال، أي السّهام. **قوله**: (**أخمصه**) الأخمص ما دخل في باطن القدم بحيث لا يصيب الأرض. **قوله**: (**امتخط قيحًا**) أي خرج قيح من أنفه بدل مخاطه. **قوله**: (**عاقبة**) أشار إلى مفعوله.

قوله: (**فافزع**) الفزع هنا بمعنى الالتجاء. **قوله**: (**ما نابك**) بمعنى ما نزل بك. **قوله**: (**إذا حَزَبَه**) بالباء الموحدة والنون أيضًا، أي أهمّه ونزل به (**أمر فزع إلى الصلاة**) أي قام إليها واشتغل بها.

تمت سورة الحجر والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة النحل)

(مكِّيَّة، وهي مائة وثمانٍ وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاءً وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرًا لقُرْب وقوعه ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تبرَّأ جلَّ وعزَّ عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم، فـ «ما» موصولة أو مصدرية، واتصال هذا باستعجالهم من حيث إن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشِّرك ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ **(وبالتخفيف مكي وأبو عمرو)** ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي أو بالقرآن لأن كلًّا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يُحيي القلوب الميتة بالجهل ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ أن مفسّرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة النحل) وتسمى سورة النعم جمع نعمة لما ذكر فيها مما أنعم الله به على الإنسان من المآكل والمراكب وغيره، كما ستراه. **(مكِّية، وهي مائة وثمانٍ وعشرون آية)** وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة، وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف.
قوله: (وبالتخفيف) أي بتخفيف الزاي **(مكِّي)** أي ابن كثير المكِّي **(وأبو عمرو)**

معنى القول ومعنى أنذروا ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ اعلموا بأن الأمر ذلك (من نذرت بكذا إذا علمته)، والمعنى أعلِموا الناس قولي لا إلٰه إلا أنا فاتقون فخافون. (وبالياء: يعقوب). ثم دلَّ على وحدانيته وأنه لا إلٰه هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السمٰوات والأرض وهو قوله:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ (وبالتاء في الموضعين: حمزة وعلي). وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ أي فإذا هو (مِنطيق مجادل) عن نفسه (مكافح) لخصومه (مُبيِّن لحجته) بعدما كان نطفة لا حِسَّ به ولا حركة، أو فإذا هو خصيم لربِّه مُنكِر على خالقه قائل مَن يحيي العظام (وهي رميم). وهو وصف للإنسان (بالوقاحة) والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بدّ منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله:

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ﴾ (هي الأزواج الثمانية)، وأكثر ما يقع على الإبل، وانتصابها بمُضمَر يفسِّره الظاهر كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: الآية ٣٩]، أو

والباقون بتشديدها. (من نذرت بكذا إذا علمته) وإذا دخلت عليه همزة التعدية صار بمعنى أعلمته. **قوله**: (وبالياء) في الحالين (يعقوب) وليس من السبعة.

قوله: (وبالتاء في الموضعين حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة. **قوله**: (مِنطيق) بكسر الميم صيغة مبالغة (مجادل) معنى خصيم والمنطيق لازم متقدّم ثابت باقتضاء النصّ. **قوله**: (مكافح) مستقبل. **قوله**: (مُبيِّن لحجّته) فهو من أبان المتعدّي. **قوله**: (وهي رميم) أي بالية ولم يقل بالتاء لأنه اسم جامد لما بلي من العظام لا صفة. **قوله**: (بالوقاحة) في المصباح: الوقاحة ـ بالفتح ـ قلّة الحياء. اهـ.

قوله: (هي الأزواج الثمانية) وهي الضأن والمعز والإبل والبقر والغنم اسم للجنس المتناول للضأن والمعز.

بالعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم (**يا جنس الإنسان**) ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ هو اسم ما (**يدفأ**) به من لباس معمول (**من صوفٍ أو وبر أو شعر**) ﴿وَمَنَافِعُ﴾ وهي نَسْلها ودرها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدَّم الظرف وهو يُؤذِن بالاختصاص، وقد يُؤكَل من غيرها لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم، وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر (**فكغير المعتدّ به وكالجاري مجرى التفكّه**).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها من مراعيها (**إلى مُراحها**) بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها بالغداة (**إلى مسارحها**). من الله تعالى بالتجمّل بها كما مَنَّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي، لأن (**الرُّعيان**) إذا روَّحوها بالعشيِّ وسرَّحوها بالغداة تزيَّنت بإراحتها وتسريحها (**الأفنية**)، وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحُرمة عند الناس. وإنما قدِّمت الإراحة على التسريح لأن الجمال في الإراحة أظْهَر إذا أقبلت (**ملأى**) البطون (**حافِلة الضروع**).

قوله: (**يا جنس الإنسان**) إشارة إلى أنه التفات من الغيبة إلى الخطاب. **قوله**: (**يدفأ**) أي يسخن. **قوله**: (**من صوف**) للضأن (**أو وبر**) للإبل (**أو شعر**) للمعز. **قوله**: (**فكغير المعتد به**) في الأغلب (**وكالجاري مجرى التفكّه**) فخرج، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فخرج الأغلب في الأكل من هذه الأنعام.

قوله: (**إلى مراحها**) بضمّ الميم وهو اسم للمكان الذي تأوي إليه الإبل والغنم بالليل، يقال: أراح إبله أي ردَّها إلى المراح، وذلك لا يكون إلّا بعد الزوال. **قوله**: (**إلى مسارحها**) جمع مَسْرَح وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرّعي. **قوله**: (**الرُّعيان**) بالضم جمع راعٍ. **قوله**: (**الأفنية**) جمع فناء الدار بالكسر والمدّ وهو ما حولها من الفضاء. **قوله**: (**ملأى**) بفتح الميم وسكون اللام تأنيث ملآن كعطشان وعطشى. **قوله**: (**حافلة الضروع**) أي ممتلئة الضروع لبنًا، يقال: حفل الوادي بالسيل أي امتلأ.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ (**وبفتح الشين: أبو جعفر**) وهما لغتان في معنى المشقَّة.

وقيل: المفتوح مصدر شقّ الأمر عليه شقًّا وحقيقته راجعة إلى الشّقّ الذي هو (**الصدع، وأما الشّق**) فالنصف كأنه يُذهِب نصف قوّته لِما ينال من (**الجهد**). والمعنى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالِغيه لو لم تخلق الإبل إلا بجهد ومشقّة فضلًا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم، أو معناه لم تكونوا بالِغيه بها إلا بشقّ الأنفس. وقيل: أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والإنس ومنه ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: الآية ٢] أي بني آدم ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ عطف على ﴿الْأَنْعَامِ﴾ أي وخلق هذه للركوب والزينة، (**وقد احتجّ أبو حنيفة رحمه الله على حُرمة أكل لحم**) الخيل بأنه علَّل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام، ومنفعة الأكل أقوى، والآية سِيقَت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في مواضع المِنَّة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما. وانتصاب ﴿زِينَةً﴾ **على** المفعول له عطفًا على محل ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومَنْ هذا وصفه يتعالى عن أن يُشرَك به غيره.

قوله: (**وبفتح الشين: أبو جعفر**) يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة، والباقون بكسرها. **قوله**: (**الصدع**) الإبانة والتفريق. **قوله**: (**وأما الشّق**) بالكسر. **قوله**: (**الجَهد**) ـ بالفتح ـ المشقّة.

قوله: (**وقد احتجّ أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم**)... الخ. في حاشية تفسير البيضاوي للعلامة شيخ زاده ﷺ: رُوِيَ عن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله أنّهما يبيحان أكل لحم الخيل لما رُوِيَ عن جابر رضي الله تعالى عنه،

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المراد به الجنس) ولذا قال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد. يقال: سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمّه السَّالِك لا يعدل عنه، ومعناه أن هداية الطريق المُوصِل إلى الحق عليه كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ [الليل: الآية ١٢] وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضّلًا. وقيل: معناه وإلى الله. وقال (الزجّاج): معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي من السبيل مائل عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد الهدى العام.

أنه قال: كنّا قد جعلنا في قدورنا لحم الخيل ولحم الحمار، فنهانا عليه الصّلاة والسلام أن نأكل لحم الحمار، وأمرنا بأن نأكل لحم الخيل. ورُوِيَ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أنها قالت: نحرنا فرسًا في عهد رسول الله ﷺ، فأكلناه. ورُوِيَ عن حسن عن أبي حنيفة أنّه كان يحرّم أكلها، والرواية الظاهرة عن أبي حنيفة أنه لا يحرّم الأكل بل يكرهه كراهة تنزيه، ولم يصرّح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف، انتهت بحروفها. وفي الدرّ المختار: وقيل: إنّ أبا حنيفة رجع عن حرمته قبل موته بثلاثة أيام، وعليه الفتوى عماديه.اهـ. وفي ردّ المحتار على الدُّرِّ المختار: قوله: وعليه الفتوى، فهو مكروه كراهة تنزيه وهو ظاهر الرواية كما في كفاية البيهقي، وهو الصحيح على ما ذكره فخر الإسلام وغيره قهستاني، ثم نقل تصحيح كراهة التحريم عن الخلاصة والهداية والمحيط والمغني وقاضيخان والعمادي وغيرهم وعليه المتون، وأفاد أبو السعود أنه على الأوّل لا خلاف بين الإمام وصاحبيه؛ لأنهما وإنْ قالا بالحلّ لكن مع كراهة التنزيه كما صرّح به في الشرنبلالية عن البرهان. قال السيد أحمد الطحطاوي ؒ: والخلاف في خيل البرّ، أمّا خيل البحر فلا تؤكل اتّفاقًا.اهـ بحروفه. **قوله**: (المراد به الجنس) أي هو شامل للمستقيم وغيره، فإضافة القصد بمعنى المستقيم إليه من إضافة الخاص إلى العام لا من إضافة الصفة إلى الموصوف. **قوله**: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾، ﴿لَّكُم﴾ متعلق بـ ﴿أَنزَلَ﴾ (أو خبر لـ ﴿شَرَابٌ﴾) وهو ما يُشرَب (﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ سامت الماشية إذا رعَت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة) وهي العلامة (لأنها تؤثّر بالرعي علامات في الأرض) ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلّها للتذكرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بنصب الكل: عليّ وجعل النجوم مسخرات (﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ فقط: حفص ﴿وَٱلشَّمْسَ

إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (أو خبر لـ ﴿شَرَابٌ﴾) والجملة صفة لقوله ماء. **قوله:** (﴿وَمِنْهُ﴾) أي من الماء (﴿شَجَرٌ﴾) أي ينبت بسببه. **قوله:** (﴿فِيهِ﴾) أي الشجر (﴿تُسِيمُونَ﴾) أي ترعون مواشيكم (من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السُّومة) بضمّ السين كالسِّمة ـ بكسرها ـ بمعنى العلامة، والقراءة المشهورة بضم التاء من الأسامة، وقرىء شاذًا بفتحها على أنّ الإسناد مجاز عقلي؛ إذ السوم حال المواشي، والمعنى حينئذ تسيم مواشيكم. **قوله:** (لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض) بيان المناسبة، يعني أن المواشي تؤثر علامات في الأرض والأماكن التي ترعاها، فلذا سُمّيت أسامة.

قوله: (﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾) بالرفع فيهما (فقط: حفص) على الابتداء والخبر، فيكون تعميمًا للحكم بعد تخصيصه (﴿وَٱلشَّمْسَ

﴿وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾ **شامي على الابتداء والخبر** ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ جمع الآية. وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبيَن شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معطوف **على** ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا﴾ حال ﴿أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون ﴿(وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ) لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ووصفه (**بالطراوة**) لأن الفساد يُسرع إليه فيؤكل سريعًا طريًا خيفة الفساد، وإنما لا يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحمًا (**لأن مبنى الإيمان على العُرْف**). ومَن قال لغلامه: اشترِ بهذه الدراهم لحمًا، فجاء بالسمك كان حقيقًا

﴿وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ﴾) بالرفع في الأربعة (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**على الابتداء والخبر**)، والباقون بنصب الجميع وكسر تاء ﴿مُسَخَّرَٰتٌ﴾.

قوله: (﴿وَهُوَ﴾) أي لا غيره، وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمّها (﴿ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾) أي ذلّله وهيّأه لعيش ما فيه من الحيوان وتكوّن الجواهر وغير ذلك، قال علماء الهيئة: ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في الماء، فذاك هو البحر المحيط، وجعل في هذا الربع المسكون سبعة أبحر، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: الآية ٢٧]، والبحر الذي سخّره الله تعالى للناس هو هذه البحار، فمِنْ تسخيرها للخلق ما مرّ ومنه جعلها بحيث يتمكّن الناس من الانتفاع بها بالركوب وبالغَوْص وبغير ذلك؛ فمنافع البحار كثير، وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع، الأُولى: قوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾. الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾. الثالثة قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾. اهـ خطيب باختصار. **قوله**: (**بالطّراوة**) هي ضد اليبوسة. **قوله**: (**لأن مبنى الإيمان على العُرْف**) أي على ما يتفاهمه الناس في عُرفهم لا على الحقيقة اللغويّة ولا على استعمال القرآن.

بالإنكار ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ (**هي اللؤلؤ والمرجان**) ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ المراد بلبسهم ليس نسائهم ولكنهن إنما يتزينَّ بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾ (**جواري**) تجري جريًا وتشقّ الماء شقًّا، والمَخْر (**شقّ الماء بحيزومها**) ﴿فِيهِ﴾ في البحر ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ هو عطف على محذوف أي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ما أنْعَمَ عليكم به.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ
وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ (**جبالًا ثوابت**) ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهية أن تميل بكم وتضطرب أو لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر. خلق الأرض فجعلت تميد فقالت الملائكة: (**ما هي بمقرّ أحد على ظهرها**) فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال لم تُدْرِ الملائكة مِمَّ خلقت ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وجعل فيها أنهارًا لأنّ ألقى فيه معنى جعل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم أو إلى توحيد ربكم. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ هي (**معالم**) الطرق وكل ما يستدلّ به (**السابلة**) من جبل وغير ذلك ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ المراد بالنجم (**الجنس**) أو (**هو الثريا والفرقدان وبنات**

قوله: (**هي اللؤلؤ والمرجان**) في تهذيب الأسماء: المرجان فسّره الواحدي بعظام اللؤلؤ، وقال أبو الهيثم: صغاره، وقال آخرون: هو جوهر أحمر يسمّى النسيد، وهو قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وهو المشهور في عرف الناس. **قوله**: (**جواري**) فهو جمع ماخرة بمعنى جارية. **قوله**: (**شقّ الماء بحيزومها**) بالحاء المهملة والزاي المعجمة، أي بوسط صدرها. قال أهل اللغة: مخر السفينة شقّها الماء بصدرها.

قوله: (**جبالًا ثوابت**) ﴿رَوَٰسِىَ﴾ بمعنى ثوابت صفة لموصوف محذوف. **قوله**: (ما هي **بمقرّ أحد على ظهرها**) مقرّ بفتح الميم اسم مكان من القَرار والباء زائدة. **قوله**: (**معالم**) جمع مَعْلم وهو ما يُستدلّ به على شيء. **قوله**: (**السابلة**) الفرقة التي تسلك سبيلًا ويُطلق على الطريق نفسها، وليس بمراد هنا. **قوله**: (**الجنس**) الاستغراق. **قوله**: و(**هو الثريّا والفرقدان**) نجومٌ معروفة. **قوله**: (**وبنات**

نعش) و**(الجدي)**. فإن قلت: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ مخرج **(عن سنن الخطاب)** مقدَّم فيه النجم مُقحَم فيه هم كأنه قيل: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون فمَن المراد بهم؟ قلت: كأنه أراد قريشًا فلهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزَم لهم فخُصِّصوا.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ﴾ أي الله تعالى ﴿كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ أي الأصنام وجيء بـ «مَنْ» الذي هو لأُولي العلم لزعمهم حيث سمّوها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أُولي العلم، أو لأن المعنى أن مَن يخلق ليس كمَن لا يخلق من أُولي العلم فكيف بما لا علم عنده. وإنما لم يقل: أفمَن لا يخلق كمَن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزامًا للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهًا بالله لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيهًا بها فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ وهو حجة على المعتزلة في خلق الأفعال ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون فساد ما أنتم عليه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلًا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر، وإنما اتبع ذلك ما عدَّد من نعمة تنبيهًا على أن ما وراءها لا

نعش) قال الجوهري: اتّفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة والتأنيث، قال البدر الدماميني: الظاهر أن المراد ترك الصَّرف جوازًا لا وجوبًا لأنه ثلاثي ساكن الأوسط كهند، فيجوز الأمران. **قوله**: **(الجدي)** نجم عند القطب تُعرف به القِبلة والمنجّمون يقولون له جُدَي بالتصغير فرقًا بينه وبين اسم البرج المعروف، فيصح قراءته في عبارة المصنّف رحمه الله مصغرًا ومكبّرًا. اهـ شهاب. وفي حاشية القنوي: الجَدْي نجم عند القطب يُعرف به القبلة ويُستدلّ به على الطريق المطلوب الواقع في جانب القبلة، وهو ليس بمصغّر؛ لأنه من تحريف المنجمين للفرق بينه وبين اسم البرج المعروف. اهـ. **قوله**: **(عن سنن الخطاب)** أي عن طريقه إلى طريق الغيبة.

ينحصر ولا يُعَدّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوهم الكفّار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (وبالتاء: **غير عاصم**) ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ﴾ أي هم أموات ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ نفى عنهم خصائص الإلـٰهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالِمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخَلْق بأنهم مخلوقون أموات جاهِلون بالبَعْث، ومعنى ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس في ذلك. والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للدَّاعين أي لا يشعرون متى تُبعَث عَبدَتهم، وفيه تهكّم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بَعْثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم، وفيه دلالة على أنه لا بدَّ من البَعْث.

﴿إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي ثبت بما مرَّ أن الإلـٰهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عنها وعن الإقرار بها (﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا) ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي سرّهم

قوله: (وبالتاء غير عاصم) مناسبة لـ ﴿تُسِرُّونَ﴾ التفاتًا من الخطاب العام إلى الخاصّ، وعاصم بياء الغيبة على الالتفات من خطاب عام للمؤمنين إلى غيب خاص للكافرين.

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا). . . الخ. في هذه اللفظة خلاف بين النحاة، فذهب الخليل وسيبويه والجمهور رحمهم الله إلى أن لا جرم اسم مركّب مع لا تركيب خمسة عشر، وبعد التركيب صار معناها معنى فعل وهو حقّ وما بعدهما

وعلانيتهم فيُجازيهم وهو وعيد ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن التوحيد يعني المشركين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ لهؤلاء الكفار ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ﴿مَّاذَآ﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أي أيَّ شيء أنزل ربكم، أو مرفوع على الابتداء أي أيُّ شيء أنزله ربكم، و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، قيل: هو قول المُقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفّرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم **(وفود الحاجّ)** عمّا أنزل على رسول الله ﷺ قالوا: أساطير الأولين أي أحاديث الأولين وأباطيلهم واحدتها **(أسطورة)**، وإذا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ يخبرونهم بصدقه وأنه نبيّ فهم الذين قالوا خيرًا.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ أي قالوا ذلك إضلالًا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار مَن ضلَّ بضلالهم وهو وزر الإضلال، لأن المُضِلّ والضّالّ شريكان واللام للتعليل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول أي يضلّون مَن لا يعلم أنهم **(ضُلّال** ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾) محل «ما» رفع.

مرتفع بالفاعلية لمجموع لا جرم لتأويله بالفعل أو بمصدر قائم مقامه وهو حقًّا على ما ذكره أبو البقاء رحمه الله، فقوله: حقًّا تفسير له على مذهب الجمهور على مسلك أبي البقاء فيه، وقيل: لا نافية لما تقدَّم، وجرم فعل معناه حقّ، وأن وما في حيِّزه فاعله وقيل غير ذلك.

قوله: **(وُفُود)** جمع وافد. **قوله**: **(الحاجّ)** أن يراد به الجنس، وقد يكون اسمًا للجنس .اهـ. لسان العرب. **قوله**: **(أسطورة)** بالضم.

قوله: **(ضُلّال)** جمع ضالّ. **قوله**: (﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾) يعني: ألا بِئْس ما يحملون.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي من جهة القواعد وهي الأساطين، وهذا تمثيل يعني أنهم **(سوّوا منصوبات)** ليمكروا بها رُسُل الله فجعل هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانًا وعمَّدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن **(ضعضعت)** فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا، والجمهور على أن المراد به **(نمرود بن كنعان)** حين **(بنى الصرح ببابل)** طوله خمسة آلاف ذراع ـ وقيل ـ **(فرسخان)** فأهَبَّ الله الريح **(فخرَّ عليه وعلى قومه)** فهلكوا (﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾) ـ أي أمره ـ بالاستئصال ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

قوله: **(سوّوا منصوبات)** سوى بمعنى صنع ورتّب والمنصوبة هي الحيلة، كما نقل عن الزمخشري، أي رتّبوا حيلًا. **قوله**: **(ضُعْضعت)** على البناء للمفعول، بمعنى هُدِّمت. **قوله**: **(نمرود)** بضم النون آخره دال مهملة وهو اسم رجل أبله عدوّ الله خاصم مع إبراهيم خليل الله على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام **(ابن كنعان)** بكسر الكاف والفتح مرويّ فيه. **قوله**: **(بنى الصرح)** أي أمر ببناء الصرح، أي القصر. **قوله**: **(ببابل)** اسم ناحية معروفة مذكورة في القرآن. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: هي في سواد الكوفة، ومنع صرفها للعلمية والتأنيث.

قوله: **(فرسخان)** الفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعاً. **قوله**: **(فخرّ عليه وعلى قومه)** فهلكوا يقتضي أن هلاك نمرود إذ ذاك بما ذكر، والمعروف أنه عاش بعده وأهلكه الله تعالى ببعوضة وصلت لدماغه إظهارًا لكمال خسّته وعجزه وجازاه من جنس عمله؛ لأنه صعد إلى جهة السماء بالنسور فأهلكه الله تعالى بأخسّ الطيور، وعلى هذا لا يكون تمثيلًا.

قوله: (﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾) أي أمره أوّله بتقدير المضاف لاستحالة الإتيان له تعالى، فإنّ الإتيان المجيء بسهولة.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلّهم بعذاب الخزي سوى ما عُذّبوا به في الدنيا ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبّخهم بها على طريق الاستهزاء بهم ﴿كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم. (﴿تُشَٰٓقُّونِ﴾ نافع أي تشاقونني) فيهم لأن مشاقَّة المؤمنين كأنها مشاقَّة الله ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي الأنبياء والعلماء من أُممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعِظونهم فلا يلتفتون إليهم ويشاقّونهم يقولون ذلك (شماتة) بهم أو هم الملائكة ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾ الفضيحة ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (وبالياء: حمزة) وكذا ما بعده ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر بالله ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أي الصلح والاستسلام أي (أخبتوا) وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من (الشقاق) وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة فردّ عليهم أُولو العلم وقالوا: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يُجازيكم عليه وهذا أيضًا من الشماتة وكذلك ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ جهنم.

قوله: (﴿تُشَٰٓقُّونِ﴾) بكسر النون (نافع، أي تشاقونني) فحذف إحدى النونين لزوم التخفيف ثم حذف الياء اكتفاءً بالكسرة عنها والباقون بفتحها. **قوله**: (شماتة) في المصباح: شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة. اهـ. وفي مختار الصحاح: الشماتة الفرح ببليّة العَدُوّ، وبابه سَلِم. اهـ.

قوله: (وبالياء) التحتانية حمزة) وكذا ما بعده؛ إذ لا تأنيث في الملائكة، والباقون بالتاء الفوقانية نظرًا إلى لفظ الملائكة. **قوله**: (أخبتوا) بخاء معجمة وباء موحدة ومثناة فوقية، من قولهم: أخبت لله، بمعنى ذلّ وتواضع. **قوله**: (الشّقاق) الخلاف.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّرْك ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾ وإنما نصب هذا ورفع ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ لأن التقدير هنا أنزل خيرًا فأطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الأولين (فعدلوا بالجواب عن السؤال) ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا: لا إلـٰه إلا الله ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة (وهو بدل من ﴿خَيْرًا﴾) حكاية لقول ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ أي قالوا هذا القول فقدَّم عليهن تسميته خيرًا. ثم حكاه، (أو هو كلام مُستأنف) عِدَة للقائلين وجعل قولهم من جملة إحسانهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٨] ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدّم ذكره.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿جَنَّٰتُ (عَدْنٍ)﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو هو المخصوص بالمدح ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ حال ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ قيل: إذا (أشرف العبد المؤمن) على الموت جاءه مَلَك،

قوله: (فعدلوا بالجواب عن السؤال) فقالوا: هو أساطير الأوّلين، وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم عدلوا ولم يعتقدوا كونه منزلًا. **قوله**: (وهو بدل من ﴿خَيْرًا﴾) فمحله النصب. **قوله**: (أو هو كلام مستأنف) أي ابتداء كلام.

قوله: (﴿عَدْنٍ﴾) أي إقامة. **قوله**: (أشرف العبد المؤمن) في لسان العرب: أشرف على الموت قارب. اهـ. وأخرج مالك وابن جرير والبيهقي وغيرهم: «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك». . . الخ.

فقال: السلام عليك يا وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، ويبشّره بالجنة ويقال لهم في الآخرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بعملكم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ (ما ينتظر) هؤلاء الكفَّار ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم. (وبالياء: علي وحمزة) ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي العذاب المستأصل أو القيامة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل من الشِّرْك والتكذيب ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ (بتدميرهم) ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما استحقّوا به التدمير ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ (جزاء سيئات أعمالهم) ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (وأحاط بهم جزاء استهزائهم).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادًا لكان صوابًا ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ يعني البَحِيرة والسائبة ونحوهما ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا الرُّسُل وحرَّموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ

قوله: (ما ينتظر) نبّه به على أن ﴿يَنظُرُونَ﴾ من النظر بمعنى الانتظار، و﴿هَلْ﴾ للإنكار الوقوعي الإبطالي يفيد النفي. **قوله**: (وبالياء) على التذكير (علي وحمزة) والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله**: (بتدميرهم) أي بإهلاكهم. **قوله**: (جزاء سيئات أعمالهم) على حذف المضاف. **قوله**: (وأحاط بهم جزاء استهزائهم) يعني أن ما مصدرية، وفي الكلام مضاف مقدّر.

﴿ٱلۡمُبِينُ﴾ إلا أن يبلغوا الحق ويطّلعوا على بُطلان الشِّرْك وقُبحه ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ بأن وحّدوه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ الشيطان يعني طاعته ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ لاختيارهم الهدى ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ أي لزمته لاختياره إيّاها ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم. ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم وأعلَمه أنهم من قسم مَن حقّت عليه الضلالة فقال:

﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾

﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾ (**بفتح الياء وكسر الدال: كوفي. والباقون: بضم الياء وفتح الدال**)، والوجه فيه أن ﴿مَن يُضِلُّ﴾ مبتدأ و﴿لَا يَهۡدِي﴾ خبره ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يمنعونهم من (**جريان**) حُكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعدَّ لهم.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ معطوف على ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾، ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ﴾ هو إثبات لِما بعد النفي أي بلى يبعثهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ وهو

قوله: (**بفتح الياء وكسر الدال**) على البناء للفاعل، أي لا يهدي الله من يضلّه، فمن مفعول بيهدي ويجوز أن يكون يهدي بمعنى يهتدي، فمَنْ فاعله (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي، (**والباقون بضم الياء وفتح الدال**) على البناء للمفعول. في البيان للعلاّمة أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري النحوي المتوفّى سنة ستّ عشرة وستّمائة: **قوله** تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ يُقرأ بفتح الياء وكسر الدال على تسمية الفاعل و﴿لَا يَهۡدِي﴾ خبر إنّ و﴿مَن يُضِلُّ﴾ مفعول ﴿يَهۡدِي﴾، ويُقرأ (لا يُهْدَى) بضم الياء على ما لم يُسمّ فاعله، وفيه وجهان أحدهما: أن ﴿مَن يُضِلُّ﴾ مبتدأ و﴿لَا يَهۡدِي﴾ خبره، والثاني أن ﴿لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ بأسره خبر أن؛ كقولك: إن زيدًا لا يُضرَب أبوه، انتهى بحروفه. **قوله**: (جَرَيان) بالتحريك.

مصدر مؤكد لما دلّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾ لأن ﴿يَبْعَثُ﴾ موعد من الله وبيَّن أن الوفاء بهذا الوعد حق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن وعده حق أو أنهم يُبعثون ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ متعلق بما دلّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾ أي يبعثهم ليبيِّن لهم، والضمير لـ ﴿مَن يَمُوتُ﴾ وهو يشمل المؤمنين والكافرين ﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ هو الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ في قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ أي فهو يكون، وبالنصب: (شامي وعلي)، على جواب. كن ﴿قَوْلُنَا﴾ مبتدأ و﴿أَن نَّقُولَ﴾ خبره و﴿كُن فَيَكُونُ﴾ من «كان» التامة التي بمعنى (الحدوث) والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف، وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد تبيِّن أن مُرادًا لا يمتنع عليه، وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المُطاع إذا ورد على المأمور المُطيع المتمثِّل ولا قول ثَمَّ. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات؟ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

(في حقه ولوجهه) ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم مَن هاجر إلى (الحبشة) ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم مَن هاجر إلى المدينة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ صفة للمصدر أي تبوئة حسنة أو (﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ مباءة حسنة) وهي المدينة حيث آواهم أهلها

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. **قوله:** (وعليّ) الكسائي. **قوله:** (الحدوث) بالضمّ كون الشيء لم يكن قبله وبابه دخل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (في حقّه ولوجهه) بتقدير المضاف أو في بمعنى اللام. **قوله:** (الحَبَشة) بفتحتين اسم جنس بمعنى الحَبَش، وهم جيل معروف ويُطلق على بلادهم، وهو المراد هنا وكأنه مجاز. **قوله:** (أو ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ مباءة حسنة) المباءة

ونصروهم ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ الموقف لازم عليه لأن جواب ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ محذوف والضمير للكفار أي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين أو للمهاجرين أي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح أي صبروا على مُفارقة الوطن الذي هو حَرَم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم، وعلى المُجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يُفوِّضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

ولما قالت قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا نزل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ (ـ يُوحى إليهم ـ) على ألسنة الملائكة. (﴿نُّوحِىٓ﴾ حفص) ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب ليُعلِموكم أن الله لم يبعث إلى الأُمم السالفة إلا بشرًا. وقيل للكتاب الذِّكْر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي بالمعجزات والكتب والباء يتعلق بـ ﴿رِجَالًا﴾ صفة له أي رجالًا مُلتبسين بالبيِّنات، أو بأرسلنا مُضمَرًا كأنه قيل: بِمَ أرسل الرُسُل؟ فقيل: بالبيِّنات، أو بـ ﴿يُوحِى﴾ أي يوحي إليهم بالبيِّنات أو بـ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في الذِّكر مما أُمِروا به ونُهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في تنبيهاته فينتبهوا. ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (أي المكرات السيئات،

بالمدّ المنزل مِنْ بوّأه أنزله، فهو صفة ظرف أو مفعول به إن ضمن الفعل معنى نعطيهم. **قوله:** (يوحى إليهم) بضم الياء من تحت وفتح الحاء مبنيًا للمفعول. **قوله:** (﴿نُّوحِىٓ﴾) بالنون مبنيًا للفاعل (حفص) وحده. **قوله:** (أي المكرات السيئات) هنا صفة المكرات فانتصابها على المصدر، وجمع السيّئات إشارة إلى أن

وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام) ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فعل بمَن تقدَّمهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي بغتة.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ **(متقلّبين في مسايرهم ومتاجرهم)** ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ متخوِّفين وهو أن يُهلِك قومًا قبلهم فيتخوَّفوا فيأخذهم العذاب وهم مُتخوِّفون مُتوقِّعون وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٢٥]، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث يحلم عنكم ولا يُعاجلكم مع استحقاقكم، والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنما رأفته تَقِيكم ورحمته تحميكم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ **(وبالتاء: حمزة وعليّ وأبو بكر)** ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ «ما» موصولة بـ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ وهو مبهم بيانه ﴿مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ أي يرجع من موضع إلى موضع. **(وبالتاء: بصري)** ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾

موصوفها يراد به الأنواع، وإلّا فالمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. **قوله: (وهم أهل مكّة وما مكروا به رسول الله عليه السلام)** يعني أن الضمير في مكروا لأهل مكّة، والمراد بالمكر ما مكروا به.

قوله: (متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم) يشير إلى أن قوله: ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٤٦] حال. اهـ شهاب.

قوله: (وبالتاء حمزة وعليّ) الكسائي **(وأبو بكر)** لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ﴾، والباقون بالغيب لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾. وعبارة تفسير الخطيب وغيره: قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله، والباقون بالياء على الغيبة، انتهت. **قوله: (وبالتاء: بصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري

(أي الأيمان) ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ جمع شمال ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال من الظلال. عن (مجاهد): إذا زالت الشمس سجد كل شيء ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون وهو حال من الضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل. وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك مَن يعقِل فغلب. والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لا ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب، مُنقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخَّرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها، داخرة أيضًا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ «من» بيان لما في السمٰوات وما في الأرض جميعًا على أن في السمٰوات خلقًا يدبّون فيها كما تدبّ الأناسي في الأرض، أو بيان لما في الأرض وحده والمراد بما في السمٰوات ملائكتهنّ، وبقوله: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ملائكة الأرض من الحَفَظَة وغيرهم. قيل: المراد بسجود المكلّفين طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله. ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبِّر عنهما بلفظ واحد. وجيء بـ «ما» إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بـ «من» لتناول العقلاء خاصة ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ هو حال من الضمير في ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي لا يستكبرون خائفين ﴿مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ إن علقته بـ ﴿يَخَافُونَ﴾ فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم، وإن علقته بـ ﴿رَبَّهُم﴾ حالًا منه فمعناه يخافون ربهم غالبًا لهم قاهرًا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: الآية ٦١]، ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ وفيه دليل على أن الملائكة مُكلّفون مُدارون على الأمر والنهي وأنهم بين الخوف والرجاء.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا: عندي رجال ثلاثة، لأن المعدود

وليس من السبعة لتأنيث الجمع، والباقون بالياء لأن تأنيثه مجازي. **قوله**: (أي الأيمان) إشارة إلى أن اليمين في قوّة الجمع؛ إذ المراد به الجنس. **قوله**: (مجاهد) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى واثنتين أو ثلاث وأربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص، فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدّ فلا حاجة إلى أن يُقال: «رجل واحد ورجلان اثنان». قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالٌّ على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص. فإذا أُريدت الدلالة على أن المعنيّ به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدلَّ به على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: «إنما هو إلٰه» ولم تؤكده بواحد لم يحسُن وخُيِّل إنك تثبت الإلٰهية لا الوحدانية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترغيب من قوله: «فإياي فارهبوا». («فارهبوني» يعقوب).

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ أي الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾ واجبًا ثابتًا لأن كل نعمة منه فالطاعة واجِبة له على كل مُنعَم عليه، (وهو) حال عمل فيه الظرف، أو وله الجزاء دائمًا يعني الثواب والعقاب ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ (وأيّ شيء اتصل بكم من نعمة) عافية وغِنًى و(خصب) ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ فهو من الله ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر (والجدب) ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ فما تتضرعون إلا إليه، و(الجؤار) رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

قوله: (فارهبوني) بإثبات الياء في الحالين (يعقوب) وليس من السبعة.

قوله: (وهو) أي قوله تعالى: ﴿وَاصِبًاۚ﴾. **قوله**: (وأي شيء اتّصل بكم من نعمة) على أن ما شرطية، وفعل الشرط بعدها محذوف، وقوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ جواب للشرط، ويحتمل أن تكون كلمة ﴿مَا﴾ موصولة و﴿بِكُم﴾ صلة، فهي مبتدأ. وقوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمّن الموصول معنى الشرط، و﴿مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ بيان للموصول أو التقدير: والذي استقرّ بكم من نعمة فهو من الله. **قوله**: (خِصْب) في مختار الصحاح: الخِصْب بالكسر ضدّ الجَدْب.اهـ. **قوله**: (والجَدْب) ضد الخِصْب.اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (الجؤار) بالضمّ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الخطاب في ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ إن كان عامًّا فالمراد بالفريق الكَفَرَة، وإن كان الخطاب للمشركين فقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ للبيان لا للتبعيض كأنه قال: فإذا فريق كافر وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم مَن اعتبر كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ (فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ)﴾ [لقمان: الآية ٣٢]، ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم (كأنهم جعلوا غرضهم في الشِّرْك كُفران النعمة)، ثم أوعدهم فقال: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هو عدول إلى الخطاب على التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ أي لآلهتهم، (ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) أنهم يسمّونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضرّ وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لأنها جماد لا تضرّ ولا تنفع، أو الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة أي

(﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾) متوسّط بين الكفر والإيمان، فلا يغلو في كفره لانزجاره بعض الانزجار، ومنهم باقٍ على كفره. قوله: (كأنهم جعلوا غرضهم في الشِّرك كفران النعمة) إشارة إلى أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ لام العاقبة كما في قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: الآية ٨]، ولما كان شركهم مؤدّيًا إلى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضًا مطلوبًا من الشِّرك، فأدخل عليه لام العلّة تشبيهًا لعاقبة الشيء بعلّته.

قوله: (ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾). . . الخ. فالمعنى: ويجعلون لآلهتهم التي ليس اعتقادهم في حقّها علمًا، فإنهم يعتقدون أنها آلهة وأنها تنفع وتضرّ وأن طاعتهم إيّاها تنفعهم وإعراضهم عنها يضرّهم، وليس شيء من هذه الاعتقادات علمًا لكونها مخالفة للواقع، فصحّ أن يقال إنهم لا يعلمونها، فإنّ من رأى شيئًا واعتقد أنه إنسان وهو شجر أو حجر صحّ أن يقال: إنه لا يعلم ذلك الشيء، مع أنه يعرف ذاته، ولو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها يفسد المعنى؛ لأنه

لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبًا في أنعامهم وزروعهم أم لا، وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرّبًا إليهم ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنها آلهة وأنها أهل للتقرّب إليها ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ كانت (**خزاعة وكنانة**) تقول الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه (**أو تعجب من قولهم**) ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين. ويجوز في «ما» الرفع على الابتداء و﴿لَهُم﴾ الخبر، والنصب على العطف على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾، و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ أي صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة (**لأن أكثر الوضع يتفق بالليل**) فيظل نهاره مغتمًّا مُسْوَدّ الوجه من (**الكآبة**) والحياء من الناس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء (**حنقًا**) على المرأة ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ يستخفي منهم من أجل سوء المُبَشَّر به ومن أجل تعييرهم ويحدّث نفسه وينظر ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أيمسك ما بُشِّر به على هون وذلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ (**أم يئده**) ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم مَن هو على عكس هذا الوصف.

يستحيل أن يجعل الشخص نصيبًا من رزقه لمن لا يعلمه. **قوله**: (**خُزَاعة**) حيّ من الأزد. **قوله**: (**كِنانة**) قبيلة من مُضَر، وكنانة بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر. **قوله**: (**أو تعجب من قولهم**) بالنسبة إلى العباد.

قوله: و(**لأن أكثر الوضع يتّفق بالليل**)... الخ. يعني أن أصل معناه: داوم على الفعل، فإمّا أن يكون على أصل معناه؛ لأن أكثر الوضع يكون ليلًا فيشير به في يوم ليلته فيظلّ نهاره مغتمًّا، أو أنه بمعنى صار كما يستعمل أصبح وأمسى وبات بمعنى الصيرورة. **قوله**: (**الكآبة**) ـ بسكون الهمزة وفتحها ممدودة ـ الغمّ وسوء الحال والانكسار من حزن. **قوله**: (**حَنقًا**) الحَنَق الغيظ والجمع حِناق كجبل وجبال. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**أم يئده**) في مختار الصحاح: وَأَدَ بنتَه دفنها حيّة وبابه وعد. اهـ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث، و(**وأدهنّ خشية الإملاق**) ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو الغني عن العالمين و(**النزاهة**) عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في تنفيد ما أراد ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في إمهال العِباد ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ (**قطّ**) ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين. عن (**أبي هريرة**) رضي الله عنه: إن (**الحبارى**) لتموت في (**وكرها**) بظلم الظالم.

قوله: (وأدهُنّ) أي دفنهنّ أحياء. **قوله**: (**خشية**) مخافة. **قوله**: (**الإملاق**) أي الفقر. **قوله**: (**النَّزاهة**) أي البُعْد. **قوله**: (**قطّ**) مشدّدة الطاء اسم مبنيّ على الضمّ، مثل حيث ومنذ والعرب تستعملها فيما مضى من الزَّمان كما تستعمل لفظة أبدًا فيما يستقبل، فيقولون: ما كلَّمته قطّ ولا أُكلِّمه أبدًا.

قوله: (**أبي هريرة**) قد اختلف الناس في اسم أبي هريرة ونسبه اختلافًا كثيرًا وأشهر ما قيل فيه: كان في الجاهلية عبد شمس أو عبد عمر، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمٰن، وهو دوسي. قال الحاكم: أبو أحمد أصحّ شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبد الرحمٰن بن صخر وغلب كنيته، فهو كمن لا اسم له. أسلم عام خيبر وشهدها مع النبيّ ﷺ ثم لزمه وواظب راغبًا في العلم راضيًا بشَبْع بَطْنه وكان يدور معه حيث ما دار، مِنْ أحفظ الصحابة. قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين الصحابة والتابعين، فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس. قال النووي: اسمه عبد الرحمٰن بن صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولًا وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلاثَمائة وأربعة وستين، والصحيح أنه توفي بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين، ودُفن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**الحبارى**) ـ بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحّدة ـ طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذّكر والأُنثىٰ، واحده وجمعه سواء. **قوله**: (**وَكْرها**) في

وعن (ابن مسعود) رضي الله عنه: كاد (الجعل) يهلك في (جحره بذنب ابن آدم). وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ من مُشرك يدبّ ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي أجَل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مع ذلك أي ويقولون الكذب ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقًّا كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: الآية ٥٠]، و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (بدل من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾)، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾، (﴿مفرطون﴾ نافع ﴿مفرّطون﴾

المصباح: وَكْر الطائر عُشّه أين كان في جبل أو شجر، والجمع وكار مثل سهم وسهام، وأوكار أيضًا مثل ثوب وأثواب. اهـ. **قوله:** (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين من كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة ﷺ. **قوله:** (الجُعل) ـ بضم جيم وفتح عين ـ دُوَيْبة سوداء تُدَهْده الخراء، أي تديره. **قوله:** (جحره) الجحر بضم جيم فساكنة ما يحتفره الهوامّ والسباع. **قوله:** (بذنب ابن آدم) أي بشؤمه وعدم يُمْنه. **قوله:** (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر لسِعَة عِلمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (بدل من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾) بدل كلّ من كل. **قوله:** (مفرِطون) بكسر الراء مخفّفة اسم فاعل من أفرط إذا تجاوز (نافع: مفرّطون) بكسر الراء مشدّدة من فرّط

أبو جعفر). فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانًا (وفرطته) في طلب الماء إذا قدَّمته، أو مَنسيّون متروكون من أفرطت فلانًا خلفي إذا خلفته ونسيته. والمكسور المخفّف من الإفراط في المعاصي، والمشدّد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي أرسلنا رسلًا إلى مَن تقدَّمك من الأمم ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والتكذيب بالرُّسُل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي قرينهم في الدنيا تولي إضلالهم بالغرور، أو الضمير لمُشركِي قريش أي زيَّن للكفّار قبلهم أعمالهم فهو وليّ هؤلاء لأنهم منهم، أو هو على حذف المضاف أي فهو وليُّ أمثالهم اليوم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامة ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ هو البعث لأنه كان فيهم مَن يؤمن به ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (**معطوفان على محل** ﴿لِتُبَيِّنَ﴾) إلا أنهما انتصبا **على** أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب. ودخلت اللام على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ لأنه فِعْل المخاطب لا فِعْل المنزِّل ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ سماع إنصاف وتدبّر لأن مَن لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع.

قصّر (أبو جعفر) وليس من السبعة، وفي رواية عنه بالفتح والتضعيف، والباقون بالفتح مع التخفيف. **قوله**: (وفرطته) من التفريط.

قوله: (**معطوفان على محل** ﴿لِتُبَيِّنَ﴾)... الخ. وإنما ينصب مفعولًا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلّل بمعنى أنهما انتصبا مفعولًا له والناصب ﴿أَنزَلْنَا﴾، ولمّا اتّحد الفاعل في العلّة والمعلول وصل الفعل لهما بنفسه، ولما لم يتّحد في ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ لأن فاعل الإنزال هو الله تعالى، وفاعل التبيّين الرسول ﷺ وصلت العلّة بالحرف.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نَّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ (**وبفتح النون: نافع وشامي وأبو بكر**). قال (**الزجّاج**): سقيته وأسقيته بمعنى واحد. (**ذكر سيبويه الأنعام في الأسماء المفردة**) الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير إليه مفردًا، وأما في بطونها في سورة «المؤمنين» فلأن معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل: كيف العبرة؟ فقال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، ﴿مِنۢ بَيْنِ (فَرْثٍ) وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ أي يخلق الله اللبن وسيطًا بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله. (**قيل: إذا أكلت**) البهيمة العلف فاستقر في (**كرشها**) طبخته فكان أسفله فرثًا وأوسطه لبنًا وأعلاه دمًا، والكبد مُسَلَّطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم (**ينحدر**)، وفي ذلك عبرة لمَن اعتبر. وسُئِل (**شقيق**)

قوله: (**وبفتح النون**) مضارع سقى (**نافع وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وأبو بكر**) شعبة، والباقون بضمّها. **قوله**: (**الزجاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: (**ذكر سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان كان أعلم المتقدِّمين والمتأخّرين بالنَّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه (**الأنعام**) في باب ما لا ينصرف (**في الأسماء المفردة**)... الخ. **قوله**: (﴿فَرْثٍ﴾[1]) في مختار الصحاح: الفَرْث بوزن الفَلْس السِّرجين ما دام في الكَرِش، والجمع فروث كفلوس. اهـ. **قوله**: (**قيل: إذا أكلت**)... الخ. قائله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**كرشها**) في مختار الصحاح: الكَرِش وزن الكَبِد، والكِرْش بوزن الكِبْد محل مجترّ بمنزلة المعدة للإنسان تؤنّثها العرب. اهـ. وفي المصباح: الكرش لذي الخفّ والظِّلف كالمعدة للإنسان. اهـ. وأيضًا فيه خف البعير جمعه أخفاف، مثل قفلٍ وأقفال. اهـ. وأيضًا فيه الظّلف من الشاء والبقر ونحوه كالظفر من الإنسان، والجمع أظلاف مثل حِمْل وأحمال. اهـ. **قوله**: (**ينحدر**) في مختار الصحاح: الانحدار الانهباط. **قوله**: (**شقيق**) هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشائخ خراسان له لسان

---

(١) أي روث.

عن الإخلاص فقال: (تميز العمل عن العُيوب) كتمييز اللبن من بين فرث ودم ﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يَغُص أحد باللبن قطّ و«مِن» الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها، والثانية لابتداء الغاية.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

ويتعلق ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ﴾ بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرهما وحذف لدلالة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ قبله عليه، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ بيان وكشف عن كُنْه الإسقاء، (أو ﴿تَتَّخِذُونَ﴾) ومنه من تكرير الظرف للتوكيد، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يرجع إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، والسكر الخمر سُمِّيت بالمصدر من (سَكِر سَكَرًا وسُكرًا) نحو رَشَدَ رَشْدًا ورَشَدًا. ثم فيه وجهان: أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة، وثانيهما أن يجمع بين (العتاب والمِنَّة). وقيل: السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله إلى حدّ السُّكْر، ويحتجّان بهذه الآية وبقوله عليه السلام: «الخمر حرام لعينها والسُّكْر من كل شراب». وبأخبار (جَمّة) ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ هو الخلّ و(الرُّب) والتمر والزبيب وغير ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

في التوكّل، وكان أستاذ حاتم الأصمّ مات شهيدًا في غزوة كولان سنة أربعة وتسعين، وقيل: ثلاث وخمسين ومائة. **قوله:** (تميز العمل عن العُيوب) كذا في نسخة: والصحيح من العيوب مكان عن العمر، كما في النسخ الصحيحة.

قوله: (أو ﴿تَتَّخِذُونَ﴾) عطف على محذوف في قوله يتعلق بمحذوف، وفي نسخة: أو بتتخذون أي أو يتعلق بتتخذون. **قوله:** (سَكِر سَكَراً) بفتحتين (وسُكرًا) بالضمّ. **قوله:** (العتاب) بالنسبة إلى الخمر (والمِنّة) بالنسبة إلى الرزق الحسن، ولا يبعد أن العتاب بالنسبة إلى شربها والمنّة بالنسبة إلى جعلها خَلاًّ، ولما كان العتاب والتهديد أهمّ قدّمه. **قوله:** (والسكر من كل شراب) حرام. **قوله:** (جَمّة) أي كثيرة. **قوله:** (الرُّب) بالضم سُلافة خُثارة كل ثمرة بعد

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ وألهم ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ هي «أن» المفسّرة لأن الإيحاء فيه معنى القول. قال الزجَّاج: واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا، و«من» في ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي (تعسل فيها) للتبعيض لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش، والضمير في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ للناس، (وبضم الراء: شامي وأبو بكر).

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي ابني البيوت ثم كُلي كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتِها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فادخلي الطرق التي ألهَمَكِ وأفْهَمَكِ في عمل العسل، أو إذا أكلتِ الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سُبُل ربك لا تضلّين فيها ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول وهي حال من السُّبُل لأن الله تعالى ذلَّلها وسهَّلها، أو من الضمير في ﴿فَٱسْلُكِى﴾ أي وأنتِ ذلل منقادة لما أُمِرْتِ به غير ممتنعة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يريد العسل لأنه مما يُشرَب تُلقيه من فِيْها ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ (منه أبيض وأصفر وأحمر) من الشباب والكهول والشُّيَّب أو على ألوان أغذيتها ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ لأنه من جملة الأدوية النافعة، وقلَّ معجون من

اعتصارها. اهـ قاموس. وفي لسان العرب: الرُّبُّ الطِّلاء الخاثر، وقيل: هو دِبْس كل ثمرة وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ، والجمع الربوب والرِّباب. اهـ. وفي غياث اللغات: ربّ بالضم وتشديد آب انكور وانار وسيب وغيره كه بيز ندتا غليظ شود. اهـ.

قوله: (تعسل فيها) تفعيل من العسل، أي تصنع العسل فيها. **قوله:** (وبضم الراء شامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة، والباقون بكسرها.

قوله: (منه أبيض وأصفر وأحمر)... الخ. فالأبيض لفتيّها وصغيرها، وهو أقوى وأنفع؛ فالأصفر لكهلها، والأحمر لمسنّها، وهذا معلوم بالاستقرار ولا يرام

المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل. وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك، وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخص، (وشكى رجل استطلاق بطن أخيه) فقال عليه السلام: (اِسقه عسلًا) فجاءه وقال: زاده شرًا. فقال عليه السلام: («صدق الله وكذب بطن أخيك) اسقه عسلًا» فسقاه فصَحَّ. (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشِّفاءين: القرآن والعسل»، ومن بدع الروافض) أن المراد بالنحل عليّ وقومه. وعن بعضهم أن رجلًا قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم. فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك (المهدي)،

له دليل. اهـ قنوي. **قوله:** (وشكى رجل)... الخ. هذا الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (استطلاق بطن أخيه) أي مشيه وهو تواتر الإسهال. **قوله:** (اِسقه) بكسر الهمزة وجوّز فتحها أي أطعم أخاك (عسلًا) وظاهر الأمر بسقيه أنه كان صرفًا، ويحتمل أن يكون ممزوجًا.

قوله: (صدق الله) أي فيما قال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ (وكذب بطن أخيك) أي أخطأ، كما تقول العرب: كذب سمعي إذا أخطأ، وأراد بخطئه عدم حصول الشفاء له بالعسل. **قوله:** (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور؛ فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل») رواه ابن ماجة والحاكم.

قوله: (ومن بدع الروافض)... الخ. في كتاب حياة الحيوان الكبرى: وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ إنما يُراد بها أهل البيت من بني هاشم، وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور، فقال له رجل: جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين وأبهت القائل، انتهى. **قوله:** (المهدي) هو أبو عبد الله محمد ابن المنصور وُلِد سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ستّ وعشرين.

وحدَّث به (**المنصور**) فاتخذوه (**أُضحوكة**) من أضاحيكهم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علمًا بذلك وفطنها (**كما أوْلىٰ**) أعطى العقول عقولهم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بقبض أرواحكم من أبدانكم (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾) إلى أخَسِّه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بحُكْم التحويل إلى الأرذل من الأكمل أو إلى الإفناء من الإحياء ﴿قَدِيرٌ﴾ على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي جعلكم مُتفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما زرق مماليككم وهو بشر مثلكم ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ في الرزق يعني المُلّاك ﴿بِرَادِّي﴾ بمُعطي ﴿رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فكان ينبغي أن تردّوا فضل ما رُزقتموه عليهم حتى تتساووا في المَلْبَس والمَطْعَم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره: فما الذين فُضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق، وهو مَثَلٌ ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم: أنتم لا تُسَوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنْعَمْتُ به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم

قوله: (المنصور) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وُلد سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرْوِ عنه. **قوله**: (أُضحوكة) في مختار الصحاح: الأُضْحوكة ما يُضْحك منه.اهـ. **قوله**: (كما أوْلىٰ) أي أعطى.

قوله: (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾)... الخ. قال ابن عباس: ليس هذا في المسلمين؛ لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلّا كرامة عند الله وعقلًا ومعرفة. وقال عكرمة: مَنْ قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد

أن تجعلوا عبيدي لي شركاء؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (وبالتاء: **أبو بكر**)، فجعل ذلك من جملة جحود النعمة.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي من جنسكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ جمع حافِد وهو الذي (**يحفد**) أي يُسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت:

وإليك نسعى ونحفد

واختلف فيه فقيل: (**هم الأختان على البنات**. **وقيل**: **أولاد الأولاد**. **أو المعنى وجعل لكم حَفَدَة أي خدمًا**) يحفدون في مصالحكم ويُعينوكم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا (**أنموذج**) منها ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي

علم شيئًا. اهـ خازن. **قوله**: (**وبالتاء**) على الخطاب (**أبو بكر**) والباقون بالياء على الغيبة.

قوله: (**يحفد**) بابه ضرب. **قوله**: (**هم الأختان على البنات**) متعلّق بمحذوف، أي قوّامون على البنات احتراز عن سائر الأختان. اهـ قنوي. وفي مختار الصحاح: الخَتَن كل ما كان من قِبَل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان، هكذا عند العرب. وأمّا العامة، فختن الرجل عندهم زوج ابنته. اهـ. قال ابن مسعود والنخعي: الحَفَدة أَختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضًا: أنهم أصهاره، فهو بمعنى الأوّل؛ فعلى هذا القول معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوّجونهم فيجعل لكم بسببهم الأختان والأصهار.

قوله: (وقيل: **أولاد الأولاد**) قائله ابن عباس رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**أو المعنى: وجعل لكم حَفَدة أي خدمًا**)... الخ. قاله الحسن وعكرمة والضحاك. **قوله**: (**أنموذج**) في شرح القاموس المسمّى تاج العروس من جواهر القاموس: (النموذج) بفتح النون والذّال المعجمة والميم مضمومة وهو (مثال

الإسلام ﴿هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ أو الباطل الشيطان والنعمة محمد ﷺ، أو الباطل ما يُسَوّل لهم الشيطان من تحريم (**البَحِيرة والسائبة**) وغيرهما ونعمة الله ما أحلّ لهم.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا﴾ أي الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيئًا، فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيۡـٔٗا﴾ أي لا يملك أن يرزق شيئًا، وإن أردت المرزوق كان ﴿شَيۡـٔٗا﴾ بدلًا منه أي قليلًا، و﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ صلة للرزق إن كان مصدرًا أي لا يرزق من السمٰوات مطرًا ولا من الأرض نباتًا، وصفة إن كان اسمًا لِما يرزق، والضمير في ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ لما لأنه في معنى الآلهة بعد

الشيء) أي صورة تتّخذ على مثال صورة الشيء ليُعرف منه حاله (**معرب**) نموده، والعوام يقولون: نمونه، ولم تعربه العرب قديمًا ولكن عربه المحدثون. قال البحتري:

أو أبلق يلقى العيون إذا بدا من كل شيء معجب بنموذج

والأُنموذج بضم الهمزة لحن كذا قاله الصاغاني في التكملة، وتبعه المصنّف. قال شيخنا نقلًا عن النواجي في تذكرته: هذه دعوى لا تقوم عليها حجّة، فما زالت العلماء قديمًا وحديثًا يستعملون هذا اللفظ من غير نكير حتى أن الزمخشري، وهو من أئمّة اللغة سمّى كتابه في النحو الأُنموذج، وكذلك الحسن بن رشيق القيرواني وهو إمام المغرب في اللغة سمّى به كتابه في صناعة الأدب، وكذلك الخفاجيّ في شفاء العليل نقل عبارة المصباح، وأنكر على من ادّعى فيه اللّحن، ومثله عبارة المغرب للناصر بن عبد السيد المطرزي شارح المقامات، انتهى بحروفه. **قوله**: (**البحيرة**) فعيلة بمعنى مفعولة واشتقاقها من البحر وهو الشقّ، واختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، فيشقّ أذنها فيترك فلا تركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. **قوله**: (**والسائبة**) كان يقول الرجل: إذا قَدِمْتُ من سفري أو بَرِئْت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها.

ما قال لا يملك على اللفظ، والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتّى ذلك منهم ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فلا تجعلوا لله مثلًا فإنه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أنه لا مثل له من الخلق ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك أو إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ثم ضرب المثل فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ هو بدل من ﴿مَثَلًا﴾ ﴿مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ مصدران في موضع الحال أي مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل مَن سَوَّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حُرّ مالِك قد رزقه الله مالًا فهو يتصرَّف فيه وينفق منه ما شاء. وقيّد بالمملوك ليميِّزه من الحرّ لأن اسم العبد يقع عليهما جميعًا إذ هما من عباد الله، وبـ ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ ليمتاز من المُكاتَب والمأذون فهما يقدران على التصرف. و«من» موصوفة أي وحرًّا رزقناه ليُطابق عبدًا، أو موصولة ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ جمع الضمير لإرادة الجمع أي لا يستوي القبيلان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الأبكم الذي وُلِد أخرس (**فلا يَفهَم ولا يُفهِم**) ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ أي (**ثقل وعيال**) على (**من يلي أمره**) و(**يعوله**) ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ حيثما يرسله ويصرفه في

قوله: (**فلا يَفْهم**) لعدم السمع (**ولا يُفهِم**) غيره من التفهيم لعدم نطقه، والإشارة لا يعتدّ بها لعدم تفهيمها حقّ التفهيم لكل أحد. **قوله**: (**ثقل**) بكسر فسكون بمعنى ثقيل. **قوله**: (**وعيال**) عِيال جمع عَيِّل كجياد وجَيِّد ويكون اسمًا للواحد وعليه استعمال المصنِّف رحمه الله تعالى. **قوله**: (**من يلي أمره**) تفسير لمولاه، وله معان أُخر. **قوله**: (**يعوله**) في مختار الصحاح: عال عياله قاتهم

مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأتِ (**بنجح**) ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي ومَن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثانٍ ضربه لنفسه ولِما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته، وللأصنام التي هي أموات لا تضرّ ولا تنفع.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ﴾ أي يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد وخَفِي عليهم علمه، أو أراد بغيب السمٰوات والأرض يوم القيامة على أن علمه عن أهل السمٰوات والأرض لم يطَّلع عليه أحد منهم ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ في قُرْب كونها وسرعة قيامها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿أَوْ هُوَ﴾ أي الأمر ﴿أَقْرَبُ﴾ وليس هذا لشك المُخاطَب ولكن المعنى، كونوا في كونها على هذا الاعتبار. وقيل: بل هو أقرب. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على أن يُقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

ثم دلَّ على قدرته بما بعده فقال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (**وبكسر الألف وفتح الميم: عليّ اتباعًا لكسرة النون، وبكسرهما: حمزة، والهاء**

وأنفق عليهم وبابه قال وعيالةً أيضًا، يقال: عاله شهرًا إذا كفاه معاشه.اهـ. وفي المصباح: عال الرجل اليتيم عولًا من باب قال كفله وقام به.اهـ. **قوله**: (**بنجح**) بضم النون وسكون الجيم والحاء المهملة هو الظفر والفوز.

قوله: (**وبكسر الألف وفتح الميم عليّ**) الكسائي (**إتباعًا لكسرة النون، وبكسرهما حمزة**) والباقون بضم الألف وفتح الميم. **قوله**: (**والهاء**

مَزيدة في **أُمهات للتوكيد)** كما زِيدَت في «أراق» فقيل: «أهراق» **(وشذَّت زيادتها في الواحدة)** ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ حال أي غير عالِمين شيئًا من حق المُنعِم الذي خلقكم في البطون ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي وما ركَّب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتُّم عليه، واجتلاب العلم والعمل به من شُكْر المُنعِم وعبادته والقيام بحقوقه. والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلّة التي جَرَت مجرى جموع الكثرة لعدم السَّماع في غيرها.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ **(وبالتاء: شامي وحمزة)** ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذلَّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب **(المؤاتية)** لذلك (﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾) هو الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في قبضهن وبسطهن ووقوفهن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته، وفيه نفي لِما يصوِّره الوهم من خاصيَّة القوى الطبيعية

مزيدة في أُمّهات للتوكيد)؛ إذ أصلها الأُمّات. **قوله**: **(أراق)** من أراق يُريق. **قوله**: **(وشذّت زيادتها في الواحدة)** في المصباح: الأمّ الوالدة، وقيل: أصلها أُمّهة، ولهذا تجمع على أُمّهات. وأُجيب بزيادة الهاء وأن الأصل أُمّات. قال ابن جنّي؛ دعوى الزيادة أسهل من دعوى الحذف، وكَثُر في الناس أُمّهات وفي غير الناس أُمّات للفرق، والوجه ما أورده في البارع أنّ فيها أربع لغات: أُمّ بضم الهمزة وكسرها، وأُمّة وأُمّهة؛ فالأُمّهات والأُمّات لغتان ليست إحداهما أصلًا للأخرى، ولا حاجة إلى دعوى حذف ولا زيادة. اهـ.

قوله: (وبالتاء) على أنه خطاب (شامي) أي ابن عامر (وحمزة) والباقون بالياء على الغيبة. **قوله**: (المؤاتية) أي الموافقة، يقال: آتية على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته، والعامّة تقول: واتية. **قوله**: (﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾) قال كعب الأحبار: إن الطير ترتفع في الجوّ اثنى عشر ميلًا ولا ترتفع فوق ذلك. اهـ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بأن الخلْق لا غِنَى به عن الخالِق ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو (إِلْف) ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ هي (قِباب الأدم) ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ ترونها خفيفة المَحمَل في الضرب والنقض والنقل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين: (كوفي وشامي)، وبفتح العين: (غيرهم). والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قراركم في منازلكم، والمعنى أنها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحَضَر على أن اليوم بمعنى الوقت ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي أصوافِ الضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ وأوبار الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ وأشعار المَعز ﴿أَثَٰثًا﴾ متاع البيت ﴿وَمَتَٰعًا﴾ وشيئًا ينتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ مدة من الزمان.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ كالأشجار والسقوف ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ جمع (كِن) وهو ما سترك من (كهف أو غار) ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ هي (القمصان) والثياب من الصوف و(الكتان) والقطن ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾

قوله: (إِلْف) في لسان العرب: الإلف الذي يألفه. **قوله**: (قِباب) جمع قبّة وهي دون الخيمة. **قوله**: (الأدم) بفتحتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو اسم جمع له. **قوله**: (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. **قوله**: (وشامي) ابن عامر. **قوله**: (غيرهم) أي نافع وابن كثير وأبو عمرو.

قوله: (كِنّ) بالكسر. **قوله**: (كهف) في مختار الصحاح: الكهف كالبيت المنقور في الجبل. اهـ. **قوله**: (أو غار) في المصباح: الغار ما يُنحت في الجبل شبه المغارة، فإذا اتّسع قيل: كهف والجمع غيران مثل نار ونيران. اهـ. وفي مختار الصحاح: الغار والمُغار والمغارة كالكهف في الجبل، وجمع الغار غِيران وتصغيره غويرة. اهـ. وفي نسخة صحيحة: وغار بالواو. **قوله**: (القمصان) في مختار الصحاح: القميص الذي يلبس والجمع القُمْصان. اهـ. **قوله**: (الكتّان) بفتح الكاف معروف.

وهي تَقِي البرد أيضًا إلا أنه اكتفى بأحد الضِّدَّين، ولأن الوقاية من الحَرّ أهم عندهم لكون البرد يسيرًا مُحتمَلًا ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ ودروعًا من الحديد تَرُدُّ عنكم سلاح عدوّكم في قتالكم، والبأس: شدة الحرب والسِّربال عامٌّ يقع على ما كان من حديد أو غيره ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإسلام.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي فلا (تبِعَة) عليك في ذلك لأن الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي عددناها بأقوالهم فإنهم يقولون إنها من الله ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بأفعالهم حيث عبدوا غير المُنعِم أو في الشدَّة ثم في الرَّخاء ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي الجاحدون غير المُعترِفين، أو نعمة الله نبوَّة محمد ﷺ كانوا يعرفونها ثم يُنكِرونها عنادًا وأكثرهم الجاحدون المُنكِرون بقلوبهم، و«ثُمَّ» يدل على أن إنكارهم أمر مُستبعَد بعد حصول المعرفة لأن حقَّ مَن عرف النِّعمَة أن يعترف لا أن يُنكِر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ﴾ انتصابه بـ «اذكر» ﴿نَبْعَثُ﴾ نحشر ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ نبيًّا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الاعتذار، والمعنى لا حجة لهم فدلَّ بترك الإذْن على أن لا حجة لهم ولا عُذر ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا هم يُسترضَوْن أي لا يقال لهم ارضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل. ومعنى «ثم» أنهم (يمنون أي يبتلون) بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو (أطم) وأغلب منها، وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يُؤذَن لهم في إلقاء

قوله: (تبعة) وزان كلمة.

قوله: (يمنون أي يبتلون) قال الجوهري: منوته ومنيته إذا ابتلَيْته. **قوله:** (أطمّ) أي أغلب.

معذرة (ولا إدلاء بحجّة) ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي العذاب بعد الدخول ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمهلون قبله.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ أوثانهم التي عبدوها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ أي آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾ أي نعبد ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادًا لا تعرف من عبدها، ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهًا لله عن الشِّرك ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ يعني الذين ظلموا ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحُكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وبَطُل عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذّبوهم وتبرؤوا منهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في أنفسهم ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وحملوا غيرهم على الكفر ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي عذابًا بكفرهم وعذابًا بصدّهم عن سبيل الله ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ بكونهم مُفسِدين الناس بالصَّدّ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني نبيّهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ على أمتك. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ (تِبْيَٰنًا﴾ بليغًا) ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أمور الدين. أما في

قوله: (ولا إدلاء بحجّة) في مختار الصحاح: أدْلى بحجّة، أي احتجّ بها. اهـ.

قوله: (تبيانًا بليغًا) إشارة إلى أن التبيان اسم في معنى البيان كالتّلقاء في معنى اللّقاء كما نقل عن الزجاج، إلّا أنه روى ثعلب عن الكوفيّين والمبرد عن

الأحكام المنصوصة فظاهر، وكذا فيما ثبت بالسُّنَّة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس، لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتّباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: الآية ٩٢] وحثّنا على الإجماع فيه بقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١١٥] وقد رضي رسول الله ﷺ لأمّته باتّباع أصحابه بقوله: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم». وقد اجتهدوا وقاسوا ووطّئوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: الآية ٢] فكانت السُّنَّة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تِبيان الكتاب فتبيَّن أنه كان تِبيانًا لكل شيء ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى مَن أساء إليكم أو هما الفرض والندب لأن الفرض لا بدَّ من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ وإعطاء ذي القرابة وهو صلة الرَّحم ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ عن الذنوب المُفرطة في القبح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما تنكره العقول ﴿وَالْبَغْيِ﴾ طلب التطاول بالظلم والكبر ﴿يَعِظُكُمْ﴾ حال أو مُستأنف ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بمواعظ الله. وهذه الآية سبب إسلام (**عثمان بن مظعون**) فإنه قال: ما كنت أسلمت إلا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض عليَّ الإسلام، ولم يستقر الإيمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا

البصريّين أنهم قالوا: لم يأتِ من المصادر على تفعال إلّا حرفان تبيان وتِلْقاء، فعلى هذا يجب أن تكون المصادر التي تكون على تفعال كلّها مفتوحة التاء؛ كالتستار والتذكار والتكرار والتلعاب، وأن يكون ما هو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء أسماء نحو التمساح والتمثال، وقوله: بليغًا إشارة إلى أن صيغة تفعال سواء كانت مفتوحة التاء أو مكسورتها إذا كانت مصدرًا أو اسمًا بمعنى المصدر تكون من أبنية المبالغة وتكرير الفعل؛ فالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكرّ والذِّكر واللّعب. **قوله**: (**عثمان بن مظعون**) بن حبيب بن وهب بن حذافة يكنى أبا

عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال: والله إن له

السائب، أسلم أوّل الإسلام. قال ابن إسحٰق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلًا وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأُولى مع جماعة من المسلمين فبلغهم وهم بالحبشة أن قريشًا قد أسلمت فعادوا. وعن ابن إسحٰق قال: فلمّا بلغ مَنْ بالحبشة سجود أهل مكّة مع رسول الله ﷺ أقبلوا، ومَنْ شاء الله منهم وهم يرون أنهم قد تابعوا النبيّ ﷺ، فلمّا دنوا من مكّة بلغهم الأمر فثَقُل عليهم أن يرجعوا وتخوّفوا أن يدخلوا مكّة بغير جوار، فمكثوا حتى دخل كل رجل منهم بجوار من بعض أهل مكّة، وقدم عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة. قال ابن إسحٰق: فحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبيه عمّن حدّثه قال: لما رأى عثمان ما يَلْقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال عثمان: والله إنّ غدوّي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشِّرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص شديد في نفسي، فمضى إلى الوليد بن المغيرة فقال: يا أبا عبد شمس وفت ذمّتك قد كنت في جوارك وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ، فلي به وبأصحابه أُسوة؛ فقال الوليد: فلعلّك يا ابن أخي أُوذيت أو انْتُهكت؟ قال: لا، ولكن أرضى بجوار الله ولا أُريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلِقْ إلى المسجد فارْدُد عليّ جواري علانيةً كما أجرتك علانية، فقال: انطلق فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليردّ عليَّ جواري، فقال عثمان: صدق وقد وجدته وفيًا كريم الجوار، وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله عزّ وجلّ، وقد رددتُ عليه جواره. ثم انصرف عثمان بن مظعون ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسي في مجلس قريش، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. قال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل

لحلاوة، وإن عليه (**لطلاوة**)، وإن أعلاه لمُثمِر، وإن أسفله (**لمُغدِق**)، وما هو بقول البشر. وقال (**أبو جهل**): إن إلـٰهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشَّرّ، ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عِظَة جامعة لكل مأمور ومنهي.

فقال عثمان: كذِبْت، فالتفت القوم إليه، فقالوا للبيد: أعِدْ علينا، فأعاد لبيد وأعاد له عثمان بتكذيبه مرّة وبتصديقه مرّة، وإنما يعني عثمان إذا قال: كذبت يعني نعيم الجنّة لا يزول، فقال لبيد: والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا، فقام سفيه منهم إلى عثمان بن مظعون فلطم عينه فاخضرّت، فقال له مَنْ حوله: والله يا عثمان لقد كنت في ذمّة منيعة، وكانت عينك غنيّة عما لَقِيَت، فقال عثمان: جوار الله آمَن وأعزّ، وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لَقِيَت أختها ولي برسول الله ﷺ وبمَنْ آمَنَ معه أُسوة. فقال الوليد: هل لك في جواري؟ فقال عثمان: لا إرب لي في جوار أحد إلّا في جوار الله. ثم هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدرًا وكان من أشدّ الناس اجتهادًا في العبادة يصوم النهار ويقوم اللّيل، ويجتنب الشهوات ويعتزل النساء، واستأذن رسول الله ﷺ في التبتّل والاختصاء، فنهاه عن ذلك، وهو ممّن حرّم الخمر على نفسه وقال: لا أشرب شرابًا يُذهب عقلي ويضحك بي مَنْ هو أدنى مني، وهو أوّل رجل مات بالمدينة مِنَ المهاجرين مات سنة اثنتين من الهجرة، قيل: توفي بعد اثنين وعشرين شهرًا بعد شهوده بدرًا، وهو أوّل مَنْ دُفِن بالبقيع. وعن عائشة أنّ النبيّ ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت وهو يبكي وعيناه تهراقان، ولما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «اِلْحَق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون»، ورُوِي أنّ النبيّ ﷺ قال ذاك لابنته زينب عليها السلام، وأعلم النبيّ ﷺ على قبره بحجر، وكان يزوره. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: (**لطلاوة**) في مختار الصحاح: الطلاوة بضم الطاء وفتحها الحسن يقال ما عليه طلاوة. اهـ. وعبارة الصحاح: الطلاوة والطلاوة الحسن والقبول، يقال: ما عليه طلاوة. اهـ. وفي المصباح: وعليه طلاوة ـ بالضم والفتح لغة ـ أي بهجة، انتهى. **قوله:** (**لمُغْدق**) أي مبتلّ ريّان. **قوله:** (**أبو جهل**) عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية، قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ أيمان البيعة ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد توثيقها باسم الله. و«أكد» و«وكد» لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ شاهدًا ورقيبًا لأن الكفيل مُراعٍ لحال المكفول به **(مهيمن)** عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من البر والحنث فيجازيكم به.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ في نقض الأيمان ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ كالمرأة التي **(أنحت)** على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته ﴿أَنكَـٰثًا﴾ **(جمع نكث)** وهو ما **(ينكث)** فتله. قيل: هي **(ريطة)** وكانت **(حمقاء)** تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهنّ فينقضن ما غزلن ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ حال كـ ﴿أَنكَـٰثًا﴾ ﴿دَخَلًۢا﴾ ﴿تَتَّخِذ﴾ أحد مفعولي ﴿تَتَّخِذ﴾ أي ولا تنقضوا أيمانكم متَّخِذِيها دَخلًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي مفسدة وخيانة ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش ﴿هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ هي أزيَد عددًا وأوفر مالًا من أمة من جماعة المؤمنين. ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾ مبتدأ وخبر، في موضع الرفع صفة لـ ﴿أُمَّةٌ﴾ و﴿أُمَّةٌ﴾ فاعل

قوله: **(مُهيمن)** أي رقيب.

قوله: **(أنحت)** أي أقبلت. **قوله**: **(جمع نكث)** بكسر النون وسكون الكاف بمعنى منكوث، أي منقوص. **قوله**: **(ينكث)** أي يحلّ. **قوله**: **(ريطة)** بفتح الراء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الطاء المهملة وهو علم لامرأة معروفة. **قوله**: **(حمقاء)** أي قليلة العقل.

﴿تَكُونَ﴾ وهي تامة و﴿هِيَ﴾ ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ الضمير للمصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكّدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ، أم تغترّون بكثرة قريش (**وثروتهم**) وقلّة المؤمنين وفقرهم ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب، وفيه تحذير عن مخالفة مِلّة الإسلام ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حنيفة مسلمة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ مَن عَلِمَ منه اختيار الضلالة ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ مَن عَلِمَ منه اختيار الهداية ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يوم القيامة فتُجزَوْنَ به.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدًا عليهم وإظهارًا لعظمه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ فتزلّ أقدامكم عن (**مَحَجَّة الإسلام**) بعد ثبوتها عليها. وإنما وحّدَت القدم ونكرت لاستعظام أن تَزِلّ قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾ بصدودكم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وخروجكم عن الدين، أو بصدّكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدّوا لاتخذوا نقضها سُنّة لغيرهم يستنّون بها ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ ولا تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عَرَضًا من الدنيا يسيرًا كأن قومًا ممّن أسلم بمكة زيَّن لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غَلَبَة قريش واستضعافهم المسلمين، ولِما كانوا يَعِدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبّتهم الله ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من ثواب الآخرة ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (وثروتهم) في المصباح: الثروة كثرة المال. اهـ.

قوله: (محجّة الإسلام) بفتح الميم والحاء والجيم المشدّدة، أي طريقه.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من أعراض الدنيا ﴿يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من خزائن رحمته ﴿بَاقٍ﴾ لا ينفد ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ (وبالنون: مكي وعاصم) ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على أذى المشركين ومَشاقّ الإسلام ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ «من» مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فبيَّن بقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ليعمّ الموعد النوعين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط الإيمان لأن أعمال الكُفَّار غير مُعْتَدٍّ بها وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ أي في الدنيا لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٨] وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح مُوسِرًا كان أو مُعسِرًا يعيش عيشًا طيبًا إن كان مُوسِرًا فظاهر، وإن كان مُعسِرًا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرِّضا بقسمة الله تعالى. وأما الفاجر فأمر بالعكس؛ إن كان مُعسِرًا فظاهر، وإن كان مُوسِرًا فالحرص **(لا يدعه أن يتهنأ)** بعيشه. وقيل: الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله، وصدق المقام مع الله، وصدق الوقوف على أمر الله، والإعراض عمَّا سوى الله.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فإذا أردت قراءة القرآن ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فعبَّر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب له، والفاء للتعقيب إذ القراءة المُصدَّرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني إبليس ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ المطرود أو

قوله: (وبالنون) قبل الجيم (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وعاصم) أي: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ نحن، والباقون بالياء: «وليجزينّ» الله. **قوله**: (لا يدعه) أي لا يتركه. **قوله**: (أن يتهنّأ) بالهمزة في آخره، وقد تُبدل ألفًا.

الملعون. (**قال ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت**) على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي: «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام».

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ﴾ لإبليس ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ (**تسلّط وولاية**) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فالمؤمن من المتوكل لا يقبل منه وساوسه ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾ يتخذونه وليًا ويتبعون وساوسه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ (**الضمير يعود إلى ربهم أو إلى الشيطان**) أي بسببه ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ تبديل الآية مكان الآية هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ (**وبالتخفيف: مكي وأبو عمرو**) ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ هو جواب ﴿إِذَا﴾. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراض، كانوا يقولون إن محمدًا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشقّ بالأهون والأهون بالأشق ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الحكمة في ذلك.

قوله: (**قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: قرأت**)... الخ. رواه الثعلبي والواحدي ولم يتعقّبه العراقي في تخريجه.

قوله: (**تسلّط وولاية**) إشارة إلى أن السلطان هنا مصدر بمعنى التسلّط وهو الاستيلاء والتمكّن من القهر، فعطف الولاية عليه للتفسير.

قوله: (**الضمير يعود إلى ربّهم**) والباء للتعدية (**أو إلى الشيطان**) والباء للسببية. **قوله**: (**وبالتخفيف**) من الإنزال (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ أي جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطُّهْر (**كما يقال**: «**حاتم الجود**»)، والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ من عنده وأمره ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ حال أي نزله مُلتَبِسًا بالحكمة ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربّنا، والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، حكم لهم بثبات القدم وصحّة اليقين وطمأنينة القلوب ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ﴾ مفعول لهما معطوفان على محل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ والتقدير تثبيتًا لهم وإرشادًا وبشارة ﴿لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخِصال لغيرهم.

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ أرادوا به غلامًا كان (**لحويطب**) قد أسلم وحَسُن إسلامه، (**اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب**)، أو هو (جبر) غلام رومي (**لعامر بن الحضرمي**)، أو عبدان: جبر، ويسار، كانا يقرآن

قوله: (**كما يقال**: **حاتم الجود**) بمعنى حاتم جواد أو صاحب جود، وكذا روح القدس بمعنى روح مقدّس أو صاحب قدس أُضيف الموصوف إلى صفته للإشعار باختصاصه بها وأنه ليس له شأن سوى الاتّصاف بها.

قوله: (**لحُويطب**) بن عبد العزّى القريشي أسلم يوم الفتح وشهد حُنينًا والطائف مسلمًا مات بالمدينة آخر خلافة معاوية، وقيل: بل مات سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة، حديثه في الموطأ في صلاة القاعد، وحُويطب بالحاء المهملة والطاء المهملة أيضًا تصغير حاطب وهو جامع الحطب. **قوله**: (**اسمه عائش**) بدون التاء مذكّر عائشة (**أو يعيش**) بوزن يبيع. **قوله**: (**وكان صاحب كتب**) أي كان له دراسة وعلم بالكتب القديمة كالإنجيل. **قوله**: (**جبر**) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة والراء المهملة. **قوله**: (**لعامر بن الحضرمي**)

التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ﷺ يسمع ما يقرآن، أو (**سلمان الفارسي**) ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ (**وبفتح الياء والحاء: حمزة وعلي**) ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (**أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بَيِّن، وهذا القرآن**) لسان عربي مُبين (**ذو بيان وفصاحة**) ردًّا لقولهم وإبطالًا لطعنهم، وهذه الجملة أعني ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ لا محل لها لأنها مُستأنفة جواب لقولهم. واللسان اللغة. ويقال: اللَّحد القبر، ولحده

بالضاد المعجمة نسبة إلى حضرموت بحذف الجزء الثاني واسمه على ما ذكره السهيلي في الأعلام عبد الله بن عباد، وله من الأولاد العلاء وعمر وعامر، أسلم العلاء وصحب النبيّ ﷺ.

قوله: (**سلمان الفارسي**) أبو عبد الله ويُعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، وسُئِل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام أصله من فارس من رامَ هُرْمُزْ، وقيل: إنه من جيّ، وهي مدينة أصفهان أوّل مشاهده الخندق، توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وقيل: أوّل سنة ستّ وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، والأوّل أكثر. قال العباس بن زيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأمّا مائتان وخمسون فلا يشكّون فيه. قال أبو نعيم: كان سلمان من المعمّرين يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم وقرأ الكتابين وكان له ثلاث بنات بنت بأصبهان، وزعم جماعة أنهم من ولدها وابنتان بمصر.

قوله: (**وبفتح الياء والحاء حمزة وعليّ**) والباقون بالضمّ والكسر، أي بضم التحتية وكسر الحاء. **قوله**: (**أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه**) أي ينسبون إليه التعليم، وفيه إشارة إلى أن مفعوله محذوف، وقوله: يميلون عن الاستقامة معنى يلحدون. **قوله**: (**لسان أعجمي**) بمعنى أنه صفة موصوف مقدّر. **قوله**: (**غير بين**) تفسير لـ ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ لمقابلته بقول ﴿مُّبِينٌ﴾. **قوله**: (**وهذا القرآن**) الحاضر المعلوم لكل مسلم، وقد سبق ذكره في ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾. **قوله**: (**ذو بيان**) أي المبيّن من أبان اللازم وهو بيان حاصل المعنى لا إشارة إلى أنه من صِيَغ النسب. **قوله**: (**وفصاحة**) عطف تفسير له.

وهو ملحد وملحود إذا أمالَ حفره عن الاستقامة فحفر في شقٍّ منه، ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا: (لحد) فلان في قوله، وألحَدَ في دينه ومنه المُلحِد لأنه أمالَ مذهبه عن الأديان كلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ ما داموا مُختارين الكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة على كفرهم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ على الله ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي إنما يليق افتراء الكذب بمَن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابًا عليه وهو ردٌّ لقولهم ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وأولئك ﴿هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو وأولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ جوَّزوا أن يكون ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ﴾ شرطًا مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دالٌّ عليه كأنه قيل: مَن كفر بالله فعليهم غضب ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ ساكن به. ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي طاب به نفسًا واعتقده ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وأن يكون بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ على أن يجعل ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ اعتراضًا بين البدل والمبدل منه. والمعنى: إنما يفتري الكذب مَن كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المُكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وأن يكون بدلًا من المبتدأ الذي هو ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي ومَن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو من الخبر الذي هو ﴿ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ أي وأولئك هم مَن كفر بالله من بعد إيمانه، (وأن ينتصب على الذم.

قوله: (لحد) من باب قطع.

قوله: (وأن ينتصب على الذمّ) بتقدير أعني أو أذمّ.

رُوِيَ) أن ناسًا من أهل مكة فُتِنوا فارتدّوا، وكان فيهم مَن أُكرِه فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو مُعتقدٌ للإيمان منهم (عمّار بن)، وأما أبواه (ياسر) و(سُمَيّة) فقد قُتِلا وهما أول قتيلين في الإسلام فقيل لرسول الله ﷺ: إن عمَّارًا كفر فقال: «كلا إن عمَّارًا مُلِيء إيمانًا (من قرنه) إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمّار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال: («ما لَكَ) إن عادوا لك فعِدْ لهم بما قلت»، وما فعل أبو عمّار أفضل لأن في الصبر على القتل إعزازًا للإسلام.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾ (آثروها) ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي بسبب إيثارهم الدنيا على

قوله: (رُوِيَ)... الخ. خرَّج هذا الحديث ابن حجر رحمه الله على اختلاف في طرقه وألفاظه.

قوله: (**عمّار بن ياسر**) بن عامر بن مالك وهو وأبوه، وأُمّه سُمَيّة من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، وكان إسلام عمّار بعد بضعة وثلاثين. شهد بدرًا وأُحدًا وغيرهما. **قوله**: (سُمَيّة) بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية أُمّ عمار مولاة أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، كانت سابع سبعة في الإسلام وأوّل الشهداء طعنها أبو جهل رضي الله عنها. **قوله**: (من **قرنه**) في لسان العرب: قَرْن الرجل حدّ رأسه وجانبها. اهـ. **قوله**: (ما لك) أي ما **لك** تبكي وتجزع من ذلك، أي لأي شيء تبكي، فلا تبك على ما قلت حتى إن عادوا لك بإكراه تكلّم كلمة الكفر فعد إلى طمأنينة القلب وثباته بما قلت، أي بسبب **ما** قلته من كلمة الكفر.

قوله: (آثروها) بالمدّ أي اختاروها، وقدّموها وفسّره به إشارة إلى تعدّي الاستحباب بعلى لتضمّنه معنى الإيثار.

الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ما داموا مُختارين للكفر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فلا يتدبَّرون **(ولا يصغون إلى المواعظ)** ولا يُبصِرون طريق الرشاد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ أي الكاملون في الغفلة لأن الغفلة عن تدبّر العواقب هي غاية الغفلة ومُنتهاها ﴿(لَا جَرَمَ) أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ «يدل» على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة أي أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليُّهم وناصِرهم لا عدوّهم وخاذِلهم كما يكون المُلك للرجل لا عليه فيكون مَحميًّا منفوعًا غير مضرور ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ بالعذاب والإكراه على الكفر (﴿فَتَنُواْ﴾): شامي أي بعد ما عذّبوا المؤمنين ثم أسلموا ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ المشركين بعد الهجرة ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الجهاد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد هذه الأفعال **(وهي الهجرة والجهاد والصبر)** ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم لما كان منهم من التكلّم بكلمة الكفر تقية ﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يعذّبهم على ما قالوا في حالة الإكراه.

قوله: **(ولا يصغون إلى المواعظ)** في مختار الصحاح: صغا أي مال، وبابه عدا وسما، ورَمى وصدى وصُغِيًّا أيضًا. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: الآية ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأنعام: الآية ١١٣]، وأصغى إليه مال بسمعه نحوه، وأصغى الإناء أماله. اهـ. **قوله**: (﴿لَا جَرَمَ﴾) أي لا شكّ.

قوله: (﴿فَتَنُواْ﴾) بفتح الفاء والتاء مبنيًّا للفاعل **(شامي)** أي ابن عامر الشامي، وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون فتنوا بمعنى افتتنوا، أي كفروا، ويحتمل أنه متعدٍّ أي فتنوا الناس عن الإيمان. وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر التاء مبنيًّا للمفعول. **قوله**: **(وهي الهجرة والجهاد والصبر)** ولو زاد الفتن كان أظهر، وتركه لدخوله في الصبر.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ **(منصوب برحيم)** أو بـ «اذكر» ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ وإنما أُضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي، فالنفس الأولى هي الجملة، والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته **(لا يهمه)** شأن غيره كلٌّ يقول: **(نفسي نفسي)**. ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم: ﴿هَٰؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: الآية ٣٨]، ﴿(رَبَّنَآ) إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] **(الآية)**، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٣]، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ تُعطى **(جزاء عملها)** وافيًا، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في ذلك.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي جعل القرية التي هذه حالها مثلًا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولَّوا فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن يُراد **(قرية مقدَّرة على هذه الصفة)**، وأن تكون في قرى الأوَّلين **(قرية)** كانت هذه

قوله: **(منصوب برحيم)** أي على الظرفية، ولا يضرّ تقييد الرحمة بذلك اليوم؛ لأن الرحمة في غيره تثبت بالطريق الأولى، وهذا أحسن لارتباط النظم به ومقابلته لقوله في الآخرة: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. **قوله**: **(لا يهمّه)** من أهمّه الأمر أقلقه وأحزنه. **قوله**: **(جزاء عملها)** يعني أنه تجوّز بجعل الجزاء كأنه عين العمل أو فيه مضاف مقدّر. **قوله**: **(نفسي نفسي)** مفعول لفعل محذوف أي أطلب خلاص نفسي نفسي والتكرار لمزيد العناية بها أو نجّ نفسي من العذاب ونحو ذلك، والتكرار لمزيد الضّراعة والابتهال. **قوله**: **(الآية)** أي ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] أي طريق الهدى. **قوله**: **(﴿رَبَّنَآ﴾)** بالجرّ نعت والنصب نداء.

قوله: **(﴿قَرْيَةً﴾ مقدّرة على هذه الصفة)** غير معيّنة. **قوله**: **(قرية)** معيّنة.

حالها فضربها الله مثلًا لمكة إنذارًا من مثل عاقبتها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من القتل والسبي ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ **(لا يزعجها)** خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من كل بلد ﴿فَكَفَرَتْ﴾ أهلها (﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ **جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء)** كدرع وأدرع، **(أو جمع نِعَم)** كبؤس وأبؤس ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ الإذاقة واللباس استعارتان والإذاقة المُستَعارة موقعة على اللباس المُستَعار، ووجه صحة ذلك أن الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسّ الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضّرّ، وأذاقه العذاب شبّه ما يُدرَك من أثر الضرر والألم بما يُدرَك من طعم المرّ **(والبشع)**.

وأما اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، **(وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف)** فلأنه لمّا وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويُلابِس فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف.

قوله: **(لا يزعجها)** في المصباح: أزعجته عن موضعه إزعاجًا أزَلْته عنه. اهـ.

قوله: (﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ **جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء)** لأن المطّرد جمع فعل على أفعل، فنعمة لا تُجمع على أنعم إلّا بملاحظة إسقاط التاء.

قوله: **(أو جمع نعم)** بضمّ النون بمعنى النعمة. **قوله**: **(والبشع)** في مختار الصحاح: شيء بَشِع، أي كَرِيه الطعم يأخذ بالحلق. اهـ.

قوله: **(وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف)**... الخ. لمّا كان في الآية إشكال من حيث إن الله تعالى أوقع الإذاقة على اللباس، مع أن اللّباس ليس مما يُدْرَك بالذَّوق، ثم أضاف اللّباس إلى الجوع والخوف وليس لهما لباس، فكيف صحّت إضافة اللّباس إليهما؟ أشار المصنف رحمة الله عليه إلى دفع الإشكال المذكور بأن جعل الذوق مستعارًا لإدراك أثر الضرر بأن شبه إدراك الإنسان أَثَر ما يضرّه بإحساس طعم الشيء المرّ بالفم الذي هو الذوق، فأطلق

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ أي محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي في حال التِباسهم بالظلم قالوا: إنه القتل بالسيف يوم بدر. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ وجّه إلى أهل مكة في سِنِي القَحْط بطعام ففرّق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ على يديّ محمد ﷺ ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ بدلًا عمّا كنتم تأكلونه حرامًا خبيثًا من الأموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تطيعون أو إن صحَّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده. ثم عدَّد عليهم مُحَرَّمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم

على المشبه الذي هو أمر عقلي اسم المشبّه به وهو الذوق، وجعل اللّباس مستعاراً لِمَا غَشِيَهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بأنْ شبّه ما يغشى الإنسان ويلتبس به من أثر الجوع والخوف باللّباس الحقيقي والجامع بينهما كونهما مشتملين على الإنسان وغاشِيَيْن له، ثم أطلق اسم اللّباس على ما يغشى الإنسان من أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقيّ، فكلّ واحد من الإذاقة واللّباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخرة، ثم أوقعت الإذاقة المستعارة على اللّباس المستعار بأن جعل اللّباس مفعولًا للإذاقة بالنظر إلى المستعار له، يعني أن الإذاقة بمعنى الإصابة والإيصال، وإنْ لم تكن ملائمة للمعنى الذي اسْتُعِير منه اللّباس لكنها ملائمة للمعنى الذي اسْتُعِير له اللّباس وهو أثر الخوف والجوع الذي يغشى الإنسان كما يغشاه اللّباس، فأوقعت الإذاقة بمعنى الإصابة على اللّباس، فإطلاق الإذاقة بمعنى الإصابة أو الإيصال على اللّباس بالمعنى المجازي بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو أثر الجوع والخوف، فإنّ الاستعارة على ثلاثة أقسام مطلقة ومجرّدة ومرشحة، فالمطلقة ما لم تُقرن بصفة مما يلائم المستعار له أو المستعار منه، والاستعارة المجرّدة ما

بأهوائهم فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ «إنما» للحصر أي المحرَّم هذا دون (**البَحيرة**) وأخواتها وباقي الآية قد مرَّ تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ هو منصوب بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾ أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحِلّ والحُرمَة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي أو إلى القياس المُستَنبَط منه. واللام مثلها في قولك لا تقولوا لِما أحلَّ الله هو حرام. وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بدل من الكذب ولك أن تنصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿تَصِفُ﴾ وتجعل «ما» مصدرية وتعلق ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بـ ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب، أي ولا تحرِّموا ولا تحلِّلوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم

قُرِنت بما يلائم المستعار له، والاستعارة المرشَّحة ما قُرِنت بما يلائم المستعار منه.

قوله: (﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾) أي دعته ضرورة المخمصة إلى تناول شيء من ذلك (﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾) على مضطرٍّ آخر (﴿وَلَا عَادٍ﴾) متعدٍّ قدر الضرورة وسدّ الرمق، فالله لا يؤاخذه بذلك. اهـ شهاب.

قوله: (**البحيرة**) اختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر فيشقّ أذنها فتترك فلا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء وقيل غير ذلك.

ويجول في أفواهكم لأجل حجة وبَيِّنة ولكن (**قول ساذج**) ودعوى بلا برهان. (**وقوله: و﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام**) جعل قولهم كأنه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلَّت الكذب بحِليته وصورته بصورته كقولك: «وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر». (**واللام في ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض**) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ

قوله: (قول ساذج) في لسان العرب: حجة ساذجة وساذَجَة ـ بالفتح ـ غير بالغة، قال ابن سِيِّده: أراها غير عربية إنما يستعملها أهل الكلام فيما ليس ببرهان قاطع، وقد يُستعمل في غير الكلام والبرهان، وعسى أن تكون أصلها **سادَة** فعرّبت كما اعتيدَ مثل هذا في نظيره من الكلام المعرّب، انتهى.

قوله: (**وقوله: و﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام**).. الخ. جواب عمّا يقال: الكذب مصدر لكَذَب والألف واللام فيه لتعريف الحقيقة، وألسنتهم لا تصف، أي لا توضح ولا تبين حقيقة الكذب وماهيته، بل تتكلّم كلامًا موصوفًا بالكذب، فما وجه كون الكذب مفعول ﴿تَصِفُ﴾؟

وتقرير الجواب: نعم إنّ مقتضى الظاهر أن يقال: مما تصف ألسنتكم الكلام الكاذب وتظهره إلّا أنه جعل الظاهر المتبيّن بألسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغةً في وصف كلامهم بالكذب، فإنّ أصل الكلام مما تَصِف ألستكم الكلام الكاذب، ثم عدل عنه فقيل: الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف وأُقيم الكذب مقامه، فقيل: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾، كما يقال: وجهها يصف الجمال، مع أن وجهها إنما يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال لا نفس الجمال، وحقيقته إلا أن وجهها لما كان في غاية الحسن والجمال صار كأنه عين حقيقة الجمال، فإذا وصف الشكل الجميل صحّ أن يقال: إنه وصف نفس الجمال، وكذلك العين لمّا كانت تشبه الساحر وتصفه كمال المشابهة والتوصيف صحّ أن قال: إنها تصف السِّحر.

قوله: (**واللام في ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض**)، يعني أن اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا للتعليل الصريح؛ إذ

ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في سورة الأنعام يعني ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا (كُلَّ ذِى ظُفُرٍ)﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] **(الآية)**. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرَّمنا عليهم عقوبة على معاصيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبِّرين للعاقِبَة لغَلَبَة الشهوة عليهم، ومُرادهم لذَّة الهوى لا عصيان المولى ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم.

ليس الافتراء على الله غرضًا لهم من التحريم والتحليل من غير حجّة، بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إليه تعالى، ويقولون: إنه تعالى أمرنا بذلك، فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى.

قوله: (﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾) وهو ما لم تفرق بين أصابعه، أي ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير؛ كالإبل والنّعام والإوزّ والبطّ.

قوله: **(الآية)** وهي ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١] (بمعنى الواو) ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (الأمعاء) ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (منه وهو شحم الإلية أي المذكور من الأنواع الثلاثة أحلّ لهم) ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٨] (التحريم) ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (به) ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء) ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (في أخبارنا ومواعيدنا).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إنه كان وحده أمة من الأُمم لكماله في جميع صفات الخير (كقوله:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد)

وعن (**مجاهد**): كان مؤمنًا وحده والناس كلهم كفَّار، أو كان أُمة بمعنى مأموم يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ هو القائم بما أمره الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن (**معاذًا**) كان أُمة قانتًا لله فقيل له: إنما هو إبراهيم عليه السلام. فقال: الأُمة الذي يعلم الخير والقانِت المُطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك. وقال (**عمر**) رضي الله عنه: لو كان معاذ حيًّا لاستخلفته فإني سمعت

قوله: (**كقوله**) أي قول أبي نواس الشاعر المشهور يمدح به الفضل بن الربيع الوزير:

(ليس[1] على الله بمستنكر)

أي ليس بمستغرب.

(أن يجمع العالم في واحد)

أي خواص العالم في شخصٍ واحد بأن يوجد في هذا الشخص من المناقب والفضائل إلتي لا توجد إلّا مفرقًا في أشخاص العالم.

قوله: (**مجاهد**) بن جَبْر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: (**معاذًا**) أي معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمٰن من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المُنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**عمر**) بن الخطاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغرًا ـ ابن عبد العزّى بن رباح ـ بتحتانية ـ ابن عبد الله بن قرط ـ بضمّ القاف ـ ابن رزاح ـ براء ثم زاي

---

(١) يعني أن الله قادر أن يجمع في واحد ما في الناس من أنواع الفضل والكمال. ١٢ منه رحمه الله.

رسول الله ﷺ يقول: («**أبو عبيدة**) أمين هذه الأُمة، ومعاذ أُمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون». ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن الأديان إلى ملَّة الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشِّرك تكذيبًا لكُفَّار قريش لزعمهم أنهم على مِلَّة أبيهم إبراهيم، وحذف النون للتشبيه بحروف اللِّين.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ رُوِيَ أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفًا فأخَّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيّلوا له أن بهم جذامًا فقال: الآن وجبت مؤاكلتكم شكرًا لله على أنه عافاني وابتلاكم ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اختصّه واصطفاه للنبوّة ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى ملّة الإسلام ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نبوّة وأموالًا وأولادًا، أو (**تنويه الله بذكره**) فكل أهل دين يتولَّونه، أو قول المصلّي منّا كما صلَّيت على إبراهيم ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لمَن أهل الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ في «ثم» تعظيم منزلة نبيّنا عليه السلام وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما

خفيفة ـ ابن عدي بن كعب القرشي العدويّ أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.

قوله: (أبو عبيدة) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة، أسلم قديمًا وشهد بدرًا، مشهور، مات شهيدًا بطاعون عَمْواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وخمسون سنة.

قوله: (تنويه الله بذكره) في المصباح: ناه بالشيء نوهًا من باب قال ونوّه به تنويهًا رفع ذكره وعظَّمه. اهـ.

أُوتي خليل الله من الكرامة اتّباع رسولنا ملّته ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ رُوِيَ أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يومًا للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم فرغ الله فيه من خلق السمٰوات والأرض وهو السبت، إلا (شرذمة) منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة، فأذِنَ الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون، و(أعقابهم) لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيُجازي كل واحد من الفريقين بما هو أهله.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل المُوَضِّح للحق المُزيل للشُّبْهَة ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تُناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها، أو بالقرآن أي ادعُهُم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، أو الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرِّفْق اللّيِّن من غير (فظاظة)، أو بما يُوقِظ القلوب ويَعِظ النفوس ويجلو العقول وهو ردٌّ على مَن يأبى المُناظرة في الدين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي هو أعلم بهم فمَن كان فيه خير كفَاه الوعظ القليل ومَن لا خير فيه عجزت عنه الحِيَل.

قوله: (شِرْذِمة) الشرذمة الطائفة القليلة. اهـ كمالين. **قوله**: (أعقابهم) جمع العقب بكسر القاف وبسكونها للتخفيف الولد وولد الولد. اهـ مصباح.

قوله: (فظاظة) في مختار الصحاح: الفَظّ من الرجال الغليظ، وقد فظّ يفظ ـ بالفتح ـ فظاظةً بفتح الظاء. اهـ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ سمّى الفعل الأول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] فالثانية ليست بسيئة، والمعنى إن صنع بكم صَنيع سوء مِن قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه. رُوِيَ أن المشركين (**مَثَّلوا بالمسلمين**) يوم أُحُد، (**بَقَروا**) بطونهم وقطعوا مَذاكيرهم، فرأى النبي عليه السلام حمزة مَبقور البطن فقال: «أما والذي أحلف به لأُمَثِّلَنَّ (**بسبعين مكانك**)» فنزلت فكَفَّر عن يمينه وكَفَّ عمّا أراده. ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الأخبار بالنهي عنها حتى (**بالكلب العقور**) ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ الضمير في ﴿لَهُوَ﴾ يرجع إلى مصدر ﴿صَبَرْتُمْ﴾ والمراد بالصابرين المُخاطَبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون على الشدائد، ثم قال لرسول الله ﷺ.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ﴾ أنت فعزم عليه بالصبر ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على الكُفّار أن لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكُفّار

قوله: (**مثّلوا بالمسلمين**) من التمثيل، في المصباح: مثّلت بالقتيل مثلًا من بابي قتل وضرب إذا جدّعته وظهرت آثار فعلك عليه تنكيلًا والتشديد مبالغة، والاسم المثلة وزان غرفة. اهـ. **قوله**: (**بقروا**) في المصباح: بقرت الشيء بقرًا من باب قتل شققته. اهـ.

قوله: (**بسبعين**) حذف مميّزه وهو رجلًا للقرينة عليه. **قوله**: (**مكانك**) خطاب لحمزة رضي الله تعالى عنه لتنزيله منزلة الحيّ لكونه سيّد الشهداء. **قوله**: (**بالكلب العَقُور**[1]) وهو كل سبع يجرح ويقتل ويفترس؛ كالأسد والنمر والذئب سمّاها كلبًا لاشتراكها في السبعيّة.

(١) أي العضوض وألحق به كل سبع. ١٢ منه برّد الله مضجعه.

فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (﴿ضَيْقٍ﴾ **مكي. والضيق تخفيف الضَّيق**) أي في أمر ضيِّق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول، والمعنى ولا يضيقنَّ صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾) أي هو وليُّ الذين اجتنبوا السيئات ووليُّ العامِلِين بالطاعات. قيل: مَن اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله. ومَعِيَّته نُصرته في المأمور وعصمته في المحظور.

قوله: (﴿ضَيْقٍ﴾) بكسر الضاد (مكّي) أي ابن كثير المكِّي، والباقون بفتحها. **قوله:** (والضيق) بالفتح (**تخفيف الضيق**) المشدّد كمَيْت في ميّت. **قوله:** (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾) قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته: أوْصِ، فقال: إنّ الوصية في المال ولا مال لي، ولكني أُوصيك بخواتيم سورة النحل.

تمّ ما يتعلق بسورة النحل بحُسن توفيقه وكمال لطفه وعونه
والحمد لله أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا والصلاة والسلام على رسولناسيّد الأنبياء وعلى آله وأصحابه أئمّة الهدى ومَنْ تَبِعه إلى يوم الحشر والجزاء

سورة الإسراء

(سورة بني إسرائيل)
(مكية وهي مائة وعشر آيات بصري وإحدى عشرة آية كوفي وشامي)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزيه الله عن السوء (**وهو علم للتسبيح**) كعثمان للرجل، وانتصابه بفِعْل مُضمَر متروك إظهاره تقديره أُسَبِّح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسدَّ مَسَدَّه ودلَّ على التنزيه البليغ ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف وقيَّده بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد،

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة بني إسرائيل) وتسمّى سورة إسراء وسبحان (مكّية وهي مائة وعشر آيات بصري، وإحدى عشر آية كوفي وشامي) وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ستّة آلاف وأربعمائة وستّون حرفًا. اهـ خطيب.

قوله: (وهو عَلَم للتسبيح) دائمًا وهو علم جنس؛ لأن علم جنس كما يوضح للذوات يوضح للمعاني. وقال ابن الحاجب رحمه الله: إنه إذا أُضيف ليس بعلم، لأن الأعلام لا تُضاف إلّا شذوذًا، وإذا لم يضف فهو علم.

أو ليدلّ بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء وأنه أُسْرِي به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل: أُسْرِي به من دار **(أم هانيء)** بنت أبي طالب. والمراد بالمسجد الحرام لإحاطته بالمسجد والتِباسه به. وعن **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: الحرم كله مسجد. وقيل: هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر، فقد قال عليه السلام: «بينا أنا في المسجد الحرام في **(الحِجْر)** عند البيت **(بين النائم واليقظان)** إذ أتاني جبريل **(بالبُراق)** وقد عُرِجَ بي إلى السماء في تلك الليلة»، وكان العروج به من **(بيت المقدس)** وقد أخبر قريشًا عن **(عِيرهم)** وعدَّد **(جمالها)** وأحوالها، وأخبرهم أيضًا بما رأى في السماء من العجائب، وأنه

قوله: (أمّ هانيء) بالهمز بنت أبي طالب الهاشميّة اسمها فاختة، وقيل: هند، لها صحبة وأحاديث، ماتت في خلافة معاوية ﷺ. **قوله**: **(ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحَبر لسِعَة عِلْمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله**: **(الحجر)** ـ بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء المهملة ـ ما يلي الميزاب من الحوطة المعروفة المفرزة من البيت بحائط قصير.

قوله: (بين النائم واليقظان) اليقظان بسكون القاف صفة من اليقظة بفتحها ولا تسكنْ إلّا في ضرورة الشعر، والمراد بكونه بينهما أنه قد عرضت له سنة وفتور يعتري قبل النوم على ما هو عادته ﷺ إذا نزل عليه الوحي، وهو مستيقظ حقيقة. **قوله**: (بالبُراق) ـ بضم الباء ـ من دوابّ الجنّة سمّي به لشدّة سرعته كالبرق الخاطف. **قوله**: (بيت المقدس) بالإضافة بوزن مجلس اسم مكان أو مصدر ميميّ من القدس وهو الطُّهر، أي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر من عبادة الأصنام، وجاء فيه ضمّ الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة وقد تُكسر، ويقال أيضًا: البيت المقدّس بالتوصيف، والأشهر الإضافة. **قوله**: (عيرهم) في المصباح: العِير ـ بالكسر ـ الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة. **قوله**: (جمالها) في مختار الصحاح: الجَمَل من الإبل الذكر والجمع جِمال وأجْمال وجمالات وجَمائل. اهـ.

لَقِي الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسِدرَة المنتهى. وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة، وعن **(عائشة)** رضي الله عنها أنها قالت: **(والله ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ ولكن عُرِجَ بروحه)**. وعن **(معاوية)** مثله، وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة **(للحالِم ولا مِزية)** للنائم ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ هو بيت المقدس **(لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد)** ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ يريد بركات الدين والدنيا لأنه مُتَعَبَّد الأنبياء عليهم السلام ومَهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المُثمرة ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي محمدًا عليه السلام ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّة على وحدانية الله وصدق نبوّته برؤيته السمٰوات وما فيها من الآيات ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بالأفعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلِّم فقيل: ﴿أَسْرَىٰ﴾ ثم ﴿بَٰرَكْنَا﴾ ثم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة.

قوله: **(عائشة)** بنت أبي بكر الصدّيق أُمّ المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ إلّا خديجة، ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح رضي الله تعالى عنهم. **قوله**: **(والله ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ، ولكن عرج بروحه)** إن الإسراء كان مرّتين: مرّة بروحه قبل البعثة، ومرّة بجسده بعدها، وبهذا يجمع بين ما في الروايات من الاختلاف مع صحتها، ثم إنه لكون رؤيا الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام تقع بعينها وتجيء كفلق الصبح أُسْرِيَ به بعد ذلك حقيقةً، وكان الإسراء الروحاني تقدمة لهذا وتعليمًا لطريق الدخول في حظائر القدس. اهـ شهاب. **قوله**: **(معاوية)** بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُميّة الأُموي، أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستّين، وقد قارب الثمانين رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(للحالم)** في المصباح: حلم يحلم من باب قتل حُلُمًا - بضمّتين وإسكان الثاني تخفيف - واحتلم رأى في منامه رؤيا. اهـ.

قوله: **(ولا مِزية)** أي فضيلة، في مختار الصحاح: المِزية الفضيلة، يقال: عليه مِزْية أي فضيلة ولا يُبْنى منه فعل. اهـ. **قوله**: **(لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد)** وجه لتسميته بالأقصى بمعنى الأبعد، فهو أبعد بالنسبة إلى مَنْ بالحجاز ثم بقي هذا الاسم، وإنْ كان وراءه مسجد.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب وهو التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ **(أي لا تتخذوا. وبالياء: أبو عمرو أي لئلا يتخذوا)** ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ **(ربًا تكلون إليه أموركم)** ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ **(نصب على الاختصاص أو على النداء)** فيمن قرأ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ بالتاء على النهي أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلًا يا ذرية مَن حملنا مَعَ نوح ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن نوحًا عليه السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والشكر مقابلة النعمة بالثَّناء على المُنعِم. ورُوِيَ أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله، وأنتم ذرِّيَّة مَن آمن به وحمل معه فاجعلوه أُسوتكم كما جعله آباؤكم أُسوتهم، وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء بسُنَّة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الأبناء كذلك.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأوحينا إليهم وحيًا مَقضيًّا أي مقطوعًا مبتوتًا بأنهم يُفسِدون في الأرض لا محالة، والكتاب التوراة، و﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواب قسم محذوف، أو جرى القضاء المبتوت مجرى القَسَم فيكون ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جوابًا له كأنه قال: وأقْسَمْنا لتُفسِدنَّ في الأرض ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس **(أرمياء عليه السلام)** حين أنذرهم سخط الله، والأخرى

قوله: (أن لا تتخذوا) مجزوم بحذف النون ولا ناهية وأن زائدة، كما قال: **(أي لا تتخذوا)**. **قوله**: **(وبالياء أبو عمرو)** وقرأ غيره بالتاء. **قوله**: **(أي لئلا يتخذوا)** يعني أنّ أنْ مصدرية ولام التعليل مقدّرة. **قوله**: **(ربًّا تكِلُون إليه أُموركم)** إشارة إلى أن وكيل فعيل بمعنى مفعول وهو الموكول إليه أي المفوّض إليه الأُمور، وهو الربّ. **قوله**: **(نصب على الاختصاص)** هو مفعول لأخصّ، أو أعني مقدّرًا. **قوله**: **(أو على النداء)** فيا محذوفة فيه.

قوله: **(أرمياء عليه السلام)** في مطالع المسرّات بجلاء دلائل الخيرات: هو في بعض النسخ المعتمدة بفتح الهمزة، والذي في القاموس أنه بكسرها، وعند ابن

قتل يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام ﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ ولتستكبرَنَّ عن طاعة الله من قوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: الآية ٤] والمراد به البغي والظلم وغَلَبَة المُفسِدِين على المُصلِحِين.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥﴾

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي وعد الله عقاب أُولاهما ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ سلَّطنا عليكم ﴿عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أشدَّاء في القتل يعني **(سنحاريب)** وجنوده أو **(بخت نصّر)** أو جالوت، قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرَّبوا المسجد وسَبوا منهم سبعين ألفًا ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ تردَّدوا للغارة فيها. قال **(الزَّجَّاج: الجوس)** طلب الشيء بالاستقصاء ﴿وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ وكان وعد العقاب وعدًا لا بدَّ أن يفعل.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ﴾ أي الدولة والغَلَبَة ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على الذين بعثوا عليكم حين تُبتُم ورجعتم عن الفساد والعلو. قيل: هي قتل بختنصّر واستنفاذ بني إسرائيل **(أسراهم)** وأموالهم ورجوع المُلْك إليهم. وقيل: أعَدْنا لكم الدولة بملك

حجر أنه بكسرها، وقيل بضمّها، وأشبعوا واوًا، انتهت. وفي الكشف: أن أرميا بضمّ الهمزة وكسرها وتشديدها وتخفيفها، وفي القاموس: أنه نبيّ.

قوله: (سنحاريب) يُروى بالجيم وهو المعروف، ورُوِي بالحاء المهملة اسم ملك بابل. **قوله: (بخت نصّر)** بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معرب بوخت بالعبرانية معناه ابن، ونصّر بفتح النون وتشديد الصاد المهملة اسم صنم وهو علم أعجمي مُركّب، قال في القاموس: كان وجد عند الصنم ولم يُعرف له أب، فنُسِب إليه. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله. **قوله: (الجوس)** بفتح الجيم وضمّها. اهـ شيخ زاده ولسان العرب.

قوله: (أسْراهم) جمع أسير.

طالوت وقتل داود جالوت. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مما كنتم وهو تمييز جمع (نفر) وهو مَن (ينفر) مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾ قيل: اللام بمعنى «على» كقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] والصحيح أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة كانت أو سيئة يعني أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن (عليّ) رضي الله عنه: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وعد المرة الآخرة بعثناهم (﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟﴾) أي هؤلاء ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ وحذف لدلالة ذكره أوّل عليه أي ليجعلوها (**بادية آثار المساءة والكآبة**) فيها كقوله:

قوله: (**نفر**) بسكون الفاء. **قوله**: (**ينفر**) أي يذهب.

قوله: (**عليّ**) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته، من السابقين الأوّلين المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. اهـ تقريب. **قوله**: (**بادية آثار المساءة**) بنصب بادية منوّنًا ورفع آثار به، يعني أنه عدّى المساءة إلى الوجوه وإنْ كانت عليهم؛ لأن آثار الأعراض النفسانية إنما تظهر في الوجه كنضارة الوجه وإشراقه بالفرح وكلوحه وسواده بالخوف والحزن، فالوجه عبارة عن الذات لظهور الآثار فيه فهو مجاز مرسل، وقيل: إنه استعارة تبعية، وقيل: الوجوه بمعنى الرؤساء، وهو تكلّف، واخْتير هذا على ليسوؤكم مع أنه أخصر وأظهر إشارة إلى أنه جمع عليهم ألم النفس والبدن المدلول عليه بقوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾. اهـ شهاب.

قوله: (**والكآبة**) في المصباح: كئب يكأب من باب تعب كآبة بمدّ الهمزة وكأبا وكأبة مثل سبب وتمرة حزن أشدّ الحزن فهو كئب وكئيب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الكآبة ـ بالمدّ ـ سوء الحال والانكسار من الحزن، وقد كَئِب من باب

(﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) [الملك: الآية ٢٧]. «ليسوء» (**شامي وحمزة وأبو بكر**)، والضمير لله عزَّ وجلَّ أو للوعد أو للبعث. («لنسوء» **علي**). ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ مفعول لـ «يتبروا» أي ليهلكوا (**كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم**).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ بعد المرة الثانية إن تُبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ مرة ثالثة ﴿عُدۡنَا﴾ إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط (**الأكاسرة**) وضرب (**الأتاوة**) عليهم. وعن ابن عباس رضي الله

سَلِم وكآبة أيضًا بوزن رَهْبة فهو كَئِيب وامرأة كئيبة وكَأْبَاء بالمدّ واكتأب مثله.اهـ. **قوله**: (﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) قال المصنف رحمة الله عليه في سورة الملك: (﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾) أي الوعد، يعني العذاب الموعود (﴿زُلۡفَةً﴾) قريبًا منهم وانتصابها على الحال (﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي أساءت رؤية الوعد وجوههم بأن عَلَتْها الكآبة والمساءة وغَشِيَتْها القَتَرة والسواد.اهـ. **قوله**: (﴿لِيَسُـُٔواْ﴾) بالياء وفتح الهمزة والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وأبو بكر**)... الخ. (**لنسؤ**) بنون العظمة وفتح الهمزة والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي (**عليّ**) الكسائي، والباقون بالياء وضمّ الهمزة وبعدها واو ضمير الجمع العائد على العباد والنفير وهو موافق بقوله تعالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ﴾... الخ. **قوله**: (**كل شيء غلبوه واستولوا عليه**) يعني أن ما موصولة والعائد محذوف. **قوله**: (**أو بمعنى مدّة علوهم**) يعني أن ما مصدرية ظرفيّة.

قوله: (**الأكاسرة**) في المصباح: كسرى ملك الفرس، قال أبو عمرو بن العلاء: بكسر الكاف لا غير، وقال ابن السرّاج كما رواه عنه الفارسي واختاره ثعلب وجماعة: الكسر أفصح، والنسبة إلى المكسور كسري وكِسْروي بحذف الألف وبقلبها واو النسبة إلى المفتوح بالقلب لا غير، والجمع أكاسرة.اهـ. **قوله**: (**الأتاوة**) الخراج.اهـ مختار الصحاح.

عنهما: سلَّط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسًا. يقال: للسجن (محصر) وحصير.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (﴿وَيَبْشُرُ﴾ **حمزة وعلي**). ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأن لهم ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي الجنة ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ وبأن الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أي أعددنا قُلِبَت تاء ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني النار. والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر (**الفسقة**).

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير، أو يطلب النفع العاجل وإن قلَّ بالضرر الآجل وإن جلَّ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يتسرَّع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنَّى فيه تأنِّي المتبصِّر، أو أُريد بالإنسان الكافر وأنه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعوه بالخير إذا مسَّته الشدة. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال؟ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: الآية

قوله: (**محصر**) بفتح الميم وسكون الحاء وكسر الصاد.

قوله: (﴿وَيَبْشُرُ﴾) بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضمّ الشين مخفّفة (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشدّدة. **قوله**: (**الفَسَقة**) جمع فاسق.

٣٢٢] **(الآية)**. فأُجيب **(فضُربت)** عُنقه **(صبرًا. وسقوط الواو من** ﴿يَدۡعُ﴾ **في الخط على موافقة اللفظ)** ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً﴾ أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين **(كإضافة العدد إلى المعدود)** أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة، أو جعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعًا كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بيّنة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يُبصِر في ضوئها كل شيء ﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف في معايشكم ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ﴾ باختلاف **(الجديدين)** ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ يعني حساب الآجال ومواسم الأعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح **(حراص)**

قوله: **(الآية)** أي: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢]. **قوله**: **(فضربت)** عنقه يوم بدر **(صبرًا)** أي مصبورًا، يقال: قُتِل فلان صبرًا إذا حُبِس على القتل حتى يُقتل بخلاف مَنْ قُتل في حرب أو على غفلة منه، وصبرًا منصوب على المصدرية، أي قتلا صبرًا.

قوله: **(وسقوط الواو من** ﴿وَيَدۡعُ﴾ **في الخطّ على موافقة اللفظ)**، وفي الخطيب: حُذِفت واو يدع أي التي لام الفعل خطأ في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظًا في العربية، لكنها لمَّا كانت لا تظهر في اللّفظ حُذِفت في الخط ونظيره قوله: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق: الآية ١٨]، ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١٤٦]، ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ [ق: الآية ٤١]، ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القَمَر: الآية ٥].

قال الفراء: ولو كان ذلك بالواو والياء لكان صوابًا. وقال الرازي: أقول هذا يدلّ على أنه سبحانه وتعالى قد عظّم هذا القرآن المجيد عن التحريف والتغيير، فإن إثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن، وعدم إثباتها في هذه المواضع المعدودة يدلّ على أن هذا القرآن نُقل كما سُمِع وأن أحدًا لم يتصرّف فيه بمقدار فهمه وقوّة عقله. **قوله**: **(كإضافة العدد إلى المعدود)** كأربع نسوة مثلًا. **قوله**: **(الجديدين)** الليل والنهار. **قوله**: **(حراص)** جمع حريص مثل ظريف وظراف وغليظ وغلاظ

المكتسبين و(التجار) ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ بيّنّاه بيانًا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ يعني أن عمله لازم له لزوم (القلادة) أو (الغلّ) للعنق لا يفك عنه ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ﴾ هو صفة لـ ﴿كِتَابًا﴾. (يُلَقَّاه شامي) ﴿مَنشُورًا﴾ حال مَن ﴿يَلْقَاهُ﴾ يعني غير مطوي ليمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ أي كتاب أعمالك وكلٌّ يُبعَث قارئًا ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ﴾ الباء زائدة (أي كفى نفسك) ﴿حَسِيبًا﴾ تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليك كذا، أو بمعنى الكافي. وضع موضع الشهيد فعُدِّي بـ «على» لأن الشاهد يكفي المُدَّعي ما

وكريم وكِرام. اهـ مصباح. **قوله**: (التجار) في المصباح: تَجِر تجرًا من باب قتل واتَّجر، والاسم التجارة وهو تاجر والجمع تجر مثل صاحب وصحب وتجار بضم التاء مع التَّثْقيل وبكسرها مع التخفيف. اهـ.

قوله: (القلادة) بكسر القاف ما يُعلَّق في العنق. اهـ كمالين. **قوله**: (الغلّ) في المصباح: الغلّ بالضم طوق من حديد يُجْعل في العنق، والجمع أغلال مثل قِفل وأقفال. اهـ.

قوله: (يُلَقَّاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف مضارع لَقِي بالتشديد (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف مضارع لَقِيَ. **قوله**: (أي كفى نفسك) يعني أن كفى فعل ماض فاعله نفسك والباء زائدة كما في بحسبك درهم، وذكروا إن كان مثله يؤنث؛ كقوله: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: الآية ٦] لأن تأنيثه مجازي. اهـ شهاب. وقال العلّامة شيخ زاده عليه الرحمة: على هذا ينبغي أن يؤنّث الفعل لتأنيث فاعله، كما في قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٤]، إلّا أنه ذكّر لكونه مسندًا إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي، وفي مثله يجوز الأمران. اهـ.

أهَمَّه. وإنما ذكر حسيبًا لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل: كفى نفسك رجلًا حسيبًا، أو تؤوّل النفس بالشخص.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ**﴾ أي كل نفس حاملة وزرًا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وما صحّ منّا أن نعذّب قومًا عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولًا يلزمهم الحجة ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي أهل قرية ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجّاج ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ أي خرجوا عن الأمر كقولك: «أمرته فعصى» أو أَمَرنا كَثّرنا، دليله **(قراءة يعقوب آمرنا)** ومنه الحديث (**«خير مال المرء سكة مأبورة ومهرة مأمورة»**) أي كثيرة النَّسْل ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ فوجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ فأهلكناها إهلاكًا ﴿وَكَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بيان لكم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ﴾ يعني عادًا وثمود وغيرهما ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ وإن أخفوها في الصدور ﴿بَصِيرًا﴾ وإن أرخوا عليها الستور.

قوله: **(قراءة يعقوب)** بن إسحٰق وليس من السبعة: **(آمرنا)** بالمدّ من الأفعال. **قوله**: **(خير المال)**... الخ. في الجامع الصغير: (**«خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة حم طب)** يعني رواه الإمام أحمد والطبراني. **(عن سويد بن هبيرة)** بن عبد الحارث، ورجاله ثقات.اهـ بزيادة. **قوله**: **(سِكّة)** أي نخل مصفوف. **قوله**: **(مأبورة)** بالباء الموحدة والراء المهملة أي مؤبّرة. **قوله**: **(مُهْرَة)** مثل غرفة أُنثى الخيل.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾﴾

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ لا ما يشاء ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بَدَل من ﴿لَهُۥ﴾ بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى ﴿مَّن﴾ أي مَن كانت العاجلة هَمَّه ولم يُرد غيرها ـ كالكَفَرَة ـ تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا الحال، ترى كثيرًا من هؤلاء يتمنّون ولا يعطون إلا بعضًا منه، وكثيرًا منهم يتمنّون ذلك البعض وقد حُرِموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقي فقد اختار غِنى الآخرة؛ فإن أوتي حظًا من الدنيا فَبِها وإلا فربما كان الفقر خيرًا له ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يَصۡلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذۡمُومٗا﴾ ممقوتًا ﴿مَّدۡحُورٗا﴾ مطرودًا من رحمة الله ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ **(هو)** مفعول به **(أو حقها من السعي)** وكفاءها من الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ مصدق لله في وعده ووعيده ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ مقبولاً عند الله مثابًا عليه. عن بعض السلف: مَن لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ونيّة صادقة وعمل مُصيب وتلا الآية. فإنه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورًا: إرادة الآخرة والسعي فيما كلف والإيمان الثابت.

﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾﴾

﴿كُلّٗا﴾ كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو منصوب بقوله: ﴿نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلّٗا﴾ أي نمد هؤلاء ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي مَن أراد العاجلة ومَن أراد الآخرة ﴿مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ﴾ رزقه و«من» تَتعلّقُ بـ «نمد» والعطاء اسم للمعطي أي نزيدهم من عطائنا ونجعل **(الآنف)** منه مددًا **(للسالف)** لا نقطعه

قوله: (هو) أي قوله: سعيها. **قوله**: **(أو حقّها من السعي)** إشارة إلى أن قوله: سعيها مفعول مطلق مبيّن للنوع.

قوله: **(الآنف)** بالمدّ ما استُؤنف مرّة بعد أخرى. **قوله**: **(للسالف)** ما سبق منه.

فنرزق المطيع والعاصي جميعًا على وجه التفضل ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعًا عن عباده وإن عصوا ﴿انظُرْ﴾ بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في المال والجاه والسعة والكمال ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ رُوِيَ أن قومًا من الأشراف فمَن دونهم اجتمعوا بباب (**عمر**) رضي الله عنه فخرج الإذْن (**لبلال**) و(**صهيب**) فشقّ على (**أبي سفيان**) فقال (**سهيل بن عمرو**): إنما آتينا من قبل. إنهم دعوا ودعينا ـ يعني إلى الإسلام ـ فأسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعدّ الله لهم في الجنة أكثر.

قوله: (**عمر**) رضي الله تعالى عنه ابن الخطاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغرًا ـ ابن عبد العزى بن رباح ـ بتحتانية ـ ابن عبد الله بن قرط ـ بضم القاف ـ ابن رزاح ـ براء ثم زاي خفيفة ـ ابن عدي بن كعب القرشي العدويّ أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب، استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا. **قوله**: (**لبلال**) بن رباح المؤذن، وهو ابن حمامة وهي أُمّه، أبو عبد الله مولى أبي بكر ﷺ، من السابقين الأوّلين شهد بدرًا والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشر أو ثمان عشرة، وقيل: عشرين، وله بضع وستّون سنة. **قوله**: (**صُهيب**) بن سنان أبو يحيىٰ الرومي أصله من النّمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة عليّ، وقيل قبل ذلك. **قوله**: (**أبي سفيان**) صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي صحابي شهير أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: بعدها. **قوله**: (**سهيل بن عمرو**) هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب القريشي العامريّ أحد سادات قريش وأشرافهم وخطبتهم، أسره المسلمون يوم بدر، على يديه انْبرم الصلح يوم الحديبية ثم أسلم يوم الفتح، قال سعيد بن مسلم: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين أسلموا يوم الفتح أكثر صلاة وصومًا وصدقة واشتغالًا بما ينفعه في آخرته من سُهيل بن عمرو وحتى شحب لونه وتغيّر، وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن، كان يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن ويبكي حتى خرج معاذ من مكّة، فقيل له: تختلف إلى هذا الخزرجي لو كان اختلافك إلى رجلٍ من قومك، فقال: هذا

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ فتصير جامعًا على نفسك الذّم و(**الخذلان**). وقيل: مشتومًا بالإهانة محرومًا عن الإعانة، إذ الخذلان ضد النصر والعون. دليله قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٠]. حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ (**وأمر أمرًا مقطوعًا به**) ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ «أن» مفسّرة

الذي صنع بنا ما صنع حتى سُبقنا كل السبق، لعمري اختلف لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ورفع الله بالإسلام قومًا كانوا في الجاهلية لا يُذكرون، فلَيْتنا كنّا مع أُولئك فتقدَّمنا، وإني لأذكر ما قسم الله لي في تقدّم أهل بيتي من الرجال والنساء فأسرّ به وأحمد الله عليه وأرجو أن يكون الله نفعني بدعائهم أن لا أكون متُّ على ما مات عليه نظرائي، فقد شهدت مواطن أنا فيها معاندٌ للحق، ولمّا توفي رسول الله ﷺ وبلغ خبره مكّة ارتجّت مكّة لما رأت من ارتداد العرب، فقام سُهيل بن عمرو خطيبًا فقال: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم وأوّل مَنِ ارتدَّ، والله ليمتدنّ هذا الدِّين امتداد الشمس والقمر... في خطبة طويلة، وخرج بأهل بيته إلى الشام مجاهدًا فاستشهد باليرموك، وقيل: بمرج الصُّفَّر، وقيل: توفي في طاعون عَمْواس سنة ثماني على أحد الأقوال في تاريخها، وهو والد أبي جندل رضي الله تعالى عنهما. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (**الخذلان**) في مختار الصحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضمّ ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (**وأمر أمرًا مقطوعًا به**) يعني أن القضاء في أصل اللغة: إتمام الشيء والفراغ منه، وما تمّ وفرغ منه يلزمه أن يتقرّر ولا يتغيّر، أي لا يقبل النسخ والتغيير، فإذا استُعمل القضاء في موضع الأمر والإلزام كما في هذه الآية يُفهم منه

و﴿لَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ نهي (أو بأن لا تعبدوا) ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ (وأحسنوا بالوالدين إحسانًا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا) ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ﴾ «إما» هي «إنْ» الشرطية زِيدَت عليها «ما» تأكيدًا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت «إن» لم يصحّ دخولها لا نقول: «إن تكرمن زيدًا يكرمك» ولكن «إما تكرمنَّه» ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿يَبۡلُغَنَّ﴾ (وهو في قراءة حمزة وعليّ «يبلغان» بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين) ﴿أَوۡ كِلَاهُمَا﴾ عطف على ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلًا وبدلًا (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ مدني وحفص ﴿أُفَّ﴾ مكي وشامي.

أن الإيجاد والتكوين على ذلك الوجه دون الآخر أمر مقرّر موافق للحكمة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [فُصّلت: الآية ١٢]، وقد يُطلق القضاء على تعلّق الإرادة الإلـٰهيّة بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه، ويُطلق أيضًا على وجود جميع الموجودات في اللَّوح المحفوظ إجمالًا، والقدر: هو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في موادّ الأحكام الخارجية واحدًا بعد واحد. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (أو بأن لا تعبدوا) إشارة إلى أنّ أنْ مصدرية مقدّر قبلها الباء، ولا نافية. **قوله**: (وأحسنوا بالوالدين إحسانًا) على أن يكون قوله: ﴿إِحۡسَٰنًاۚ﴾ واقعًا موقع فعل المحذوف، ويكون ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ متعلّقًا بذلك المحذوف، وتكون هذه الجملة الأمرية معطوفة على ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾، على أن تكون ﴿أَن﴾ فيها مفسّرة و﴿لَا﴾ ناهية عطف الجملة الأمرية على النهي، ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين أنّ السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو الله تعالى، والسبب الظاهر الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي ثم أتْبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري.
قوله: (أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا) على أنّ أنْ مصدرية ولا نافية، وأنّ الباء في قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ متعلّقة بقضى. **قوله**: (وهو في قراءة حمزة وعليّ «يبلغان») بألف التثنية قبل نون التوكيد الشديدة المكسورة (بدل) بعض (من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين) وكلاهما عطف عليه بدل كل، ولولا أحدهما لكان كلاهما توكيدًا للألف والباقون بغير ألف وفتح النون على التوحيد لأنها تفتح مع غير الألف وأحدهما فاعله وكلاهما عطف عليه. **قوله**: (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾) بتشديد الفاء مع كسرها منوّنة (مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جَعْفَر المدني، وليس من السبعة (وحفص: ﴿أُفَّ﴾) بفتح الفاء من غير تنوين فيها (مكّي) أي ابن كثير المكي

﴿أُفٍّ﴾ **غيرهم**). وهو صوت يدل على (**تضجر**)، فالكسر على أصل (**التقاء الساكنين**)، والفتح للتخفيف، والتنوين (**لإرادة التنكير أي أتضجر تضجرًا**)، وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجّر المعلوم ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ (**ولا تزجرهما**) عما يتعاطيانه، مما لا يعجبك والنهي والنهر (**أخوان**) ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (**جميلًا**) ليّنًا كما يقتضيه حُسْن الأدب، أو هو أن يقول: (**يا أبتاه**) يا أُماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من (**الجفاء**)، ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**نحلني أبو بكر**) كذا، وفائدة ﴿عِندَكَ﴾ أنهما إذا صار (**كلًّا**) على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته و(**كنفه**) وذلك أشق

(**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (﴿أُفِّ﴾) بكسرها بلا تنوين (**غيرهم**)، ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء. **قوله**: (**تضجر**) في المصباح: ضجر من الشيء ضجرًا فهو ضَجِر من باب تعب اغتمّ وقلق مع كلام منه وتضجّر منه كذلك وأضجرته منه فضجر وهو ضجور. اهـ. **قوله**: (**التقاء الساكنين**) وهما الفاآن. **قوله**: (**لإرادة التنكير**[1]) أي الدال على أن مدخوله غير معيّن (**أي أتضجّر تضجّرًا**) ما، وأمّا إذا لم ينوّن فيراد التضجّر المخصوص في وقت مخصوص. **قوله**: (**ولا تزجرهما**) من باب نصر. **قوله**: (**أخوان**) أي متقاربان في المعنى **قوله**: (**جميلًا**) أي حسنًا. **قوله**: (**يا أبتاه**) بإلحاق الألف بعد التاء جمعًا بين العِوَضين التاء والألف؛ لأنه يجوز أن يكون لشيء عوضان، فكما قالوا بتعويض التاء وحدها: يا أبتِ، وتعويض الألف وحدها: يا أبا، قالوا بتعويضهما معًا: يا أبتاه، والهاء للسَّكت. قوله: (يا أباه) بقلب ياء المتكلّم ألفًا والهاء للسَّكت. **قوله**: (**الجفاء**) ممدود ضدّ البِرّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**نحلني**) أي أعطاني، في مختار الصحاح: النُّحْل ـ بالضم ـ مصدر نَحله ينحله ـ بالفتح ـ نُحْلًا أي أعطاه. اهـ. **قوله**: (**أبو بكر**)[2] عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة التيمي الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستّون سنة. **قوله**: (**كلًّا**) ثقيلًا. **قوله**: (**كنفه**) أي منزله. اهـ. وفي مختار الصحاح: كنفه حاطه وصانه وبابه نصر، والكنف ـ بفتحتين ـ الجانب،

---

(١) أي: لا تقل لهما أفّ ما في وقعت ما. ١٢.
(٢) ابن أبي قحافة، ١٢.

عليه، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما «أف» فضلًا عمّا يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة **(تنفلت)** من المتضجّر مع مُوجِبات الضَّجَر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها.

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أي اخفض لهما جناحك كما قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: الآية ٨٨] فأضافه إلى الذل **(كما أضيف حاتم إلى الجود)** والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ **(من فرط رحمتك لهما)** وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى مَن كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس. وقال الزجَّاج: وألِن جانبك متذلّلًا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ولا تكتفِ برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادعُ الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك. والمراد بالخطاب غيره عليه السلام، والدعاء مختصٌّ بالأبوين المسلمين، وقيل: وَإذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية. **(وعن النبي ﷺ «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»)**. ورُوِيَ يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاقّ ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة». وعنه عليه السلام «إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد

وتكنَّفوه واكتنفوه وكنّفوه تكنيفًا أحاطوا به، والكِنف ـ بكسر الكاف ـ وِعاء يكون فيه أداة الراعي وبتصغيره جاء في الحديث: «كُنَيْف مُلِيء علمًا»، والكَنِيف الساتر، ومنه قيل للمذهب كنيف. اهـ. **قوله: (تنفلت)** في المصباح: انفلت خرج بسرعة.

قوله: (كما أُضيف حاتم إلى الجود) أي إضافته إلى الذلّ من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته. **قوله: (من فرط رحمتك لهما)** إشارة إلى أن كلمة (مِنْ) للتعليل؛ كما في قوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: الآية ٢٥]، أي واخفض جناحك من أجل الرحمة وفرط الرحمة زيادتها والمبالغة فيها. **قوله: (وعن النبي ﷺ: «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»)** أخرجه الترمذي.

ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد عاقٌّ ولا قاطع رَحِم ولا شيخ زانٍ ولا جارّ إزاره (خُيَلاء) إن الكبرياء لله ربّ العالمين».

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين ومن (النشاط) والكرامة في خدمتهما ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند (حرج الصدر هنة) تؤدي إلى أذاهما ثم إبتُم إلى الله واستغفرتم منها ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ الأواب الذي إذا أذنب بادر إلى التوبة فجاز أن يكون هذا عامًا لكل مَن فرطت منه جناية، ثم تاب منها ويندرج تحت الجاني على أبويه التائب من جنايته (لوروده على إثره).

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ منك ﴿حَقَّهُ﴾ أي النفعة إذا كانوا محارِم فقراء ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أي وآتِ هؤلاء حقهم من الزكاة ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ولا تسرف إسرافًا. قيل: التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل؛ فعن (مجاهد): لو أنفق (مدًا)

قوله: (خُيَلاء) وهو الكبر والإعجاب.

قوله: (النشاط) ضدّ الكَسَل. اهـ لسان العرب. **قوله**: (حرج الصدر) ضِيقه. **قوله**: (هنة) الهَنُ مخفّفة النون وقد تشدّد النون في الشعر كناية عن كل اسم جنس ومعناه شيء يقال هذا هَنُك، أي شيئك، والأنثى هَنَةٌ. **قوله**: (لوروده على إثره) أي لوقوعه بعده، وهو تعليل للاندراج.

قوله: (مجاهد) بن جبر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون رَحِمَهُ اللهُ. **قوله**: (مدًا) في المصباح: المدّ ـ بالضمّ ـ كيل، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز فهو ربع صاع؛ لأن الصاع خمسة أرطال وثلث، والمدّ رطلان عند أهل العراق. اهـ. وأيضًا فيه: الرطل معيار يُوزَن به وكسره أشهر من فتحه، وهو بالبغدادي اثنتا عشرة أُوقية، والأُوقية أستار وثلثا أستار، والأستار أربعة مثاقيل ونصف مثقال، والمِثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستّة دوانق، والدّانق

في باطل كان تبذيرًا. وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه: لا خير في (**السَّرف**) فقال: لا سرف في الخير.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أمثالهم في الشرارة وهي غاية المَذَمَّة لأنه لا أَشَرَّ من الشيطان، أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ فما ينبغي أن يُطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ إن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الردّ ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي وإن أعرضت عنهم لفَقْد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك ـ فسمَّى الرزق رحمة ـ فرُدَّهم ردًّا جميلًا، فوضع الابتغاء موضع الفَقْد لأن فاقِد الرزق مُبتَغٍ له فكان الفَقْد سبب الابتغاء، والابتغاء مُسبَّبًا عنه، فوضع المسبّب موضع السبب. يقال: (**يُسِرَ الأمر وعُسِر**) مثل

ثمان حبّات وخمسا حبة؛ وعلى هذا، فالرطل تسعون مثقالًا وهي مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم، والجمع أرطال. اهـ. وفي مجمع بحار الأنوار: الصاع هو مكيال يسع أربعة أمداد، والمد رطل وثلث بالعراقي، وبه يقول الشافعي وفقهاء الحجاز، وقيل: هو رطلان وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق، فيكون الصاع خمسة أرطال وثلثًا أو ثمانية أرطال. اهـ. **قوله**: (**السَّرف**) في المصباح: أسرف إسرافًا جاز القصد، والسرف ـ بفتحتين ـ اسم منه. اهـ.

قوله: (**يُسِرَ الأمر**) بصيغة المجهول وكذا ما بعده، فكأنه لم يسمع إلّا مجهولًا إذا تعدّى، في المصباح: يَسِرَ الأمر يَيْسَرِ يَسَرًا من باب تعب[1] ويسر يسرًا من باب قرب، فهو يسير أي سهل. اهـ. **قوله**: (**وعُسِر**) في المصباح: عسر الأمر عسرًا مثل قرب قربًا، وعسارة ـ بالفتح ـ فهو عسير أي صعب شديد، ومنه قيل للفقر: عسر، وعسر الأمر عسرًا فهو عسر من باب تعب وتعسّر واستعسر

(١) وضرب، ١٢ منه.

(سَعِد الرجل ونُحِس فهو مفعول). وقيل: معناه: فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسّر عليهم فقرهم كأن معناه قولًا ذا ميسور وهو اليُسر أي دعاء فيه يسر. و﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ مفعول له أو مصدر في موضع الحال و﴿تَرْجُوهَا﴾ حال.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ ﴿كُلَّ﴾ نصب على المصدر لإضافته إليه. (وهذا تمثيل لمنع الشحيح) وإعطاء المُسرِف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف (والتقتير) ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فتصير ملومًا عند الله لأن المُسرِف غير مرضي عنده. وعند الناس يقول الفقير: أعطى فلانًا وحرمني، ويقول الغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعًا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا أثّر فيه أثرًا بليغًا أو عاريًا

كذلك، وعسر الرجل عسرًا فهو عسر أيضًا وعسارة بالفتح قلّ سماحه في الأُمور. **قوله**: (**سَعِد الرجل**) في المصباح: سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعدًا.اهـ. وأيضًا فيه: سُعِد ـ بالضم ـ خلاف شقي.اهـ. **قوله**: (**ونُحِس**) في مختار الصحاح: النَّحْس ضد السَّعْد وقرىء قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [القَمَر: الآية ١٩] على الصفة والإضافة أكثر وأجود، وقد نَحِس الشيء من باب فهم نَحِسٌ بكسر الحاء ومنه قيل: أيام نَحِسات. **قوله**: (**فهو مفعول**) يعني أنه اسم مفعول من يسر كما أن المسعود المنحوس كذلك يقال: سُعِد الرجل فهو مسعود ونُحِس فهو منحوس.اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**وهذا تمثيل لمنع الشحيح**) أي لامتناع البخيل عن إنفاق ماله على المحاويج مثل حال مَنْ يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على شيء من التصريف، وحال من يُسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شيء في كفّه، ثم استعمل ألفاظ الممثّل به في الممثل، والمعنى لا تجعل يدك في الانقباض عن الإنفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط، ولا تتوسّع في الإنفاق توسّعًا بحيث لا يبقى في يدك شيء. **قوله**: (**والتقتير**) في مختار الصحاح: قتر على عياله أي ضيّق عليهم في النفقة، وبابه ضرب ودخل وقتّره تقتيرًا وأقتر أيضًا ثلاث لغات.اهـ.

من **(حسر)** رأسه. وقد **(خاطرت)** مسلمة **(ضَرَّتها)** اليهودية في أنه ـ يعني محمدًا عليه السلام ـ أجودُ من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانًا فأُقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت. ثم سلى رسول الله ﷺ عمّا كان يرهقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك، ولكن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فليس البسط إليك ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي هو يضيق فلا لوم عليك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ بمصالحهم فيمضيها ﴿بَصِيرًا﴾ بحوائجهم فيقضيها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ قتلهم أولادهم **(وأدهم بناتهم)** ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ إثمًا عظيمًا. يقال: **(خطىء خطأ كأثم إثمًا**. ﴿خَطَـًٔا﴾) شامي وهو ضد الصواب **(اسم)** من **(أخطأ)**. وقيل: والخطء كالحذر والحذر (**«خطاء» بالمدّ والكسر: مكي**) ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾ (ٱلزِّنَىٰٓ﴾ **القصر فيه أكثر والمدّ لغة وقد قرىء به**) وهو نهي عن دواعي الزنا كالمسّ والقبلة ونحوهما، ولو أُريد النهي عن نفس الزنا

قوله: **(حسر)** من باب ضرب. **قوله**: **(خاطرت)** في تاج العروس: المخاطرة المراهنة. اهـ. **قوله**: **(ضَرّتها)** أي امرأة زوجها.

قوله: **(وأدهم بناتهم)** أي دفنها حيّة كما كانوا يفعلونه في الجاهلية. **قوله**: **(خطىء خطأ)** بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها من باب علم **(كأثم إثمًا)** أي لفظًا ومعنى، ويكون بمعنى تعمّد الكذب، وليس بمراد هنا. (و﴿خَطَـًٔا﴾) بفتح الخاء والطاء من غير مدّ. **قوله**: **(اسم)** أي اسم مصدر من **(أخطأ)** إخطاء فهو مغاير الخطأ الذي يقابل العمد. **قوله**: **(خطّاء بالمدّ والكسر)** بوزن قتّال **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء ولا مدّ بعد الطاء، والباقون بكسر الخاء وسكون الطاء. قال الرماني: الخطء بكسر ثم سكون لا يكون إلّا تعمّدًا إلى خلاف الصواب والخطأ أي محرّكًا قد يكون من غير تعمّد. اهـ خطيب. **قوله**: (﴿ٱلزِّنَىٰٓ﴾ **القصر فيه أكثر والمدّ لغة، وقد قرىء به**) في مختار الصحاح:

لقال: «ولا تزنوا» ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ معصية مجاوزة حدّ الشرع والعقل ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ وبئس طريقًا طريقه.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي بارتكاب ما يُبيح الدم ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مرتكب ما يُبيح الدم ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ تسلّطًا على القاتل في الاقتصاص منه ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف المثلة، **(أو الضمير للقاتل الأول «فلا تسرف» حمزة وعلي)** على خطاب الوليّ أو قاتل المظلوم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير للوليّ أي حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزِد على ذلك، أو للمظلوم أي الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وبنصره في الآخرة بالثواب، أو للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه كان منصورًا بإيجاب القصاص على المسرف. وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجري بين الحُرّ والعبد وبين المسلم والذِّمّي لأن أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة في الآية لكونها محرَّمة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي ثمانية عشرة سنة ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾

الزّنا يمدّ ويقصر، فالقصر لأهل الحجاز وبه نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾، والمدّ لأهل نجد.اهـ. وفي لسان العرب قال اللِّحيانيّ: الزنا مقصور لغة أهل الحجاز، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ بالقصر، والزناء ممدود لغة بني تميم، وفي الصحاح: المدّ لأهل نجد.اهـ.

قوله: (أو الضمير للقاتل الأوّل) أي مريد القتل ومباشرة ابتداء أي لا يُسرف القاتل المبتدىء. **قوله: («فلا تُسرف») بالتاء (حمزة وعليّ)** الكسائي رحمه الله، والباقون بالياء على الغيبة.

بأوامر الله تعالى ونواهيه ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ مطلوبًا **(يطلب من المعاهد أن لا يضيّعه)** ويَفِي به، **(أو أن صاحب العهد كان سؤولا)**.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ﴾ **(بكسر القاف: حمزة وعلي وحفص)**، وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها. **(وقيل: هو القرسطون أي القبّان)** ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ المعتدل ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه.

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ ولا تتبع ما لم تعلم أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت. وعن **(ابن الحنفية)**: لا تشهد بالزور. وعن ابن عباس: لا تَرْمِ أحدًا بما لا تعلم.

قوله: **(يطلب من المعاهد أن لا يضيّعه)** يعني أن قولك سألته الشيء معناه طلبته منه، وليس المراد من كون العهد مسؤولًا كون ذاته مطلوبًا، بل المعنى أن عدم تضييع العهد كان مطلوبًا من المعاهد، وأن المعاهد كان مسؤولًا مطلوبًا فحذف المضاف والمضاف إليه، وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادًا على دلالة المقام على المراد. **قوله**: **(أو أن صاحب العهد كان مسؤولًا)** أي يقدر مضاف قبل العهد.

قوله: **(بكسر القاف حمزة وعليّ)** الكسائي **(وحفص)**، والباقون بضمّها. **قوله**: **(وقيل: هو القَرَسْطُون)** في لسان العرب: القرسطون أعجمي؛ لأن فَعَلُّولًا وفَعَلُّونًا ليسا من أبنيتهم. اهـ. **قوله**: **(أي القبّان)** كشدّاد، في لسان العرب: القَبَّان الذي يوزن به لا أدري أعربي أم معرب. قال الجوهري: القبّان القسطاس معرب. اهـ.

قوله: **(ابن الحنفية)** هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفيّة، واسمها خولة من سبي بني حنيفة، وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلم بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، كنيته محمد هذا أبو

....

القاسم، ويقال أبو عبد الله، وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقال ابن أبي حاتم: لثلاث بقين، وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان وأباه رضي الله تعالى عنهم، روى عنه بنوه الحسن وعبد الله وإبراهيم وعون وجماعات من التابعين، روينا عنه عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله! إنْ وُلِد لي مولود بعدك أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك، قال: «نعم»، قال: أحمد بن عبد الله العُقَيلي الإمام الحافظ ثلاثة يسمّون محمد أرخص في كنيتهم بأبي القاسم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن عليّ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله. وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الحافظ: لا نعلم أحدًا أسند عن عليّ عن النبيّ ﷺ أكثر ولا أصحّ مما أسند محمد ابن الحنفية، قال عمرو بن علي وأبو نُعَيم في روايات عنه: مات محمد ابن الحنفية سنة أربع عشرة ومائة، وقال البخاري: قال أبو نعيم: مات سنة ثمانين، وقال يحيى بن بكير: سنة إحدى وثمانين، وقال المدائني: سنة ثلاث وثمانين. وفي طبقات الفقهاء للشيخ أبي إسحٰق عن الهيثم بن عدي: سنة ثلاث أو اثنتين وسبعين. وفي تاريخ البخاري عن أبي حمزة ـ بالحاء ـ قال: قضينا نُسُكَنا حين قُتل ابن الزبير ثم رجعنا إلى المدينة مع محمد ابن الحنفية، فمكث ثلاثة أيام ثم توفي، وهذا يوافق قول الهيثم، فإنّ ابن الزبير قُتل سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة اثنتين.

فصل

(يقال لمحمد هذا) ابن الحنفية، ويقال: محمد بن عليّ، ويقال: محمد بن علي ابن الحنفية، فينسب إلى أبيه وأُمّه جميعًا؛ فعلى هذا يشترط أن ينوّن عليّ ويكتب ابن الحنفية بالألف ويكون إعرابه إعراب محمّد؛ لأنه وصف لمحمد لا لعليّ، ولهذا نظائر وقد أفردتها في جزء منها عبد الله بن مالك بن بُحَيْنة مالك أبوه، وبحينة أُمّه، وعبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول المنافق أُبيٌّ أبوه وسلول أُمّه، وإسماعيل بن إبراهيم ابن علية مثلهما، والمقداد بن عمرو ابن الأسود أبوه الحقيقي عمرو وتبنّاه الأسود فنُسِب إليه، وإسحٰق بن إبراهيم ابن راهويه، فراهويه هو إبراهيم، ومثله محمد بن يزيد ابن ماجه صاحب السنن ماجه هو يزيد وآخرون كذلك. اهـ تهذيب الأسماء.

ولا يصحّ (**التثبت به**) لمُبطِل الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم (**فإن علمتموهنّ مؤمنات**)، وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات ولنا في العمل بخَبَر الواحد لما ذكرنا ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد لأن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم كقول (**جرير**:

قوله: (**التَّشَبُّث به**)، أي التعلّق.اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**فإن علمتموهن مؤمنات**) في سورة الممتحنة: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾) بألسنتهنّ (﴿مُهَٰجِرَٰتٖ﴾) من الكفار بعد الصلح منهم في الحديبيّة على أن مَنْ جاء منهم إلى المؤمنين يرد (﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾) بالحلف أنهنّ ما خرجن إلّا رغبةً في الإسلام لا بغضًا لأزواجهنّ الكفّار ولا عشقًا لرجالٍ من المسلمين، كذا كان النبيّ ﷺ يحلفهنّ (﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ﴾) ظننتموهن بالحلف (﴿مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ﴾) ترددهنّ (**إلى الكفار**).اهـ جلالين. قال المصنف رحمة الله عليه: في السورة المذكورة (﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾) العِلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظنّ الغالب لظهور الأمارات، وتسمية الظنّ علمًا يُؤذن بأن الظنّ الغالب وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾.اهـ.

قوله: (**جرير**) هو أبو حَزْرَة ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء بعدها هاء ساكنة ـ وهي المرّة من الحزر، جرير بن عطية بن حذيفة ولقب حذيفة الخطفي ـ بفتح المعجمة والمهملة والفاء ـ يزيد بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوح بن حنظلة بن زيد الشاعر المشهور، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائص وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، ولمّا مات الفرزدق وبلغ خبره جريرًا بكى وقال: أمَا والله إني لا أعلم أني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحدًا وكل واحد منّا مشغول بصاحبه، وقلَّما مات ضدًّا وصديق إلّا وتبعه صاحبه، وكذلك كان. وتوفي في سنة عشر ومائة، وفيها مات الفرزدق.

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام)

و﴿عَنۡهُ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولًا عنه، فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: الآية ٧]. يقال للإنسان: لِمَ سمعت ما لم يحلّ لك سماعه، ولِمَ نظرت إلى ما لم يحلّ لك النظر إليه، ولِمَ عَزَمْتَ على ما لم يحلّ لك العزم عليه؟ كذا في الكشاف، وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل، فأما إذا تقدّما فلا.

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ هو حال أي **(ذا مرح)** ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ لن تجعل فيها خرقًا بدوسك لها وشدة وطئتك ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ بتطاولك وهو

قوله:

(ذمّ[1] المنازل بعد منزلة اللّوى والعيش بعد أُولئك الأيام)

اللّوى موضع بعينه، يعني أن المنزلة الطيّبة والعيش الطيّب ما مضى بمنزلة اللّوى وما سوى ذلك مذموم في جنبه.اهـ شرح أبيات كشاف. وفي تفسير الخطيب: يجوز في ذمّ فتح الميم وكسرها وضمّها، وقوله: بعد منزلة اللّوى أي بعد مفارقتها، والإضافة في منزلة اللّوى للبيان، وهو ممدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان له.اهـ.

قوله: (ذا مرح) إشارة إلى أن المرح ـ بفتح الراء ـ مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف، والمرح شدّة الفرح، يقال: مرح يمرح مرحًا فهو مَرِح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها.

(١) أمر من ذم يذم، ومعناه أنه يخاطب صاحبه ويقول له: اذمم كل منزل وكل حياة بعد تلك المنازل وأيامها الخالية منها، واللوى موضع معروف، ١٢ منه رحمه الله تعالى.

تهكّم بالمختال، أو لن تحاذيها قوة (وهو حال من الفاعل أو المفعول) ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ (سَيِّئُهُۥ﴾ **كوفي وشامي على إضافة سيىء إلى ضمير «كل» سيّئة غيرهم)** ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ذكر ﴿مَكْرُوهًا﴾ لأن السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات **(فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول: «الزنا سيئة»، كما تقول: «السرقة سيئة»)**، فإن قلت: الخِصال المذكورة بعضها سيىء وبعضها حَسَن قرأ مَن قرأ ﴿سَيِّئَةً﴾، بالإضافة أي ما كان من المذكور سيئًا كان عند الله مكروهًا، فما وجه قراءة مَن قرأ ﴿سَيِّئَةً﴾؟ قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخِصال المعدودة.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى هذه الغاية ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس **(بإسوته)** ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا من الرحمة. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام، أولها ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وآخرها ﴿مَّدْحُورًا﴾ ولقد

قوله: (وهو) أي ﴿طُولًا﴾ **(حال من الفاعل أو المفعول)** ويجوز أن يكون تمييزًا ومفعولًا له ومصدرًا من معنى ﴿تَبْلُغَ﴾. **قوله**: (﴿سَيِّئُهُۥ﴾) بضم الهمزة والهاء وإشباع ضمّتها **(كوفي)** أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(على إضافة سيِّىء إلى ضمير «كل» سيّئة)** بفتح الهمزة وبالتاء منوّنة منصوبة **(غيرهم)**. **قوله**: **(فلا اعتبار بتأنيثه)** ولا فرق بين سيئة وسيئ **(ألا تراك تقول: الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة)**؛ فلا فرق بين إسنادها إلى مذكّر ومؤنّث.

قوله: **(بإسوته)** في المصباح: الإسوة ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ القدوة، وتأسَّيْت به وائتسيت اقتديت. اهـ. وأيضًا فيه: القدوة اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسّيًا، وفلان قدوة أي يُقتدى به، والضمّ أكثر من الكسر. قال ابن فارس: ويقال إنّ القدوة الأصل الذي يتشعّب منه الفروع. اهـ.

جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشِّرك لأن التوحيد (**رأس كل حكمة وملاكها**)، من عدمه لم تنفعه حكمة وإن (**بذ**) فيها الحكماء وحكَّ (**بيافوخه**) السماء، وما أغنت عن (**الفلاسفة أسفار الحكم**) وهم عن دين الله أضلّ من (**النَّعم**). ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله:

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ الهمزة للإنكار يعني أفخصَّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم، فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ حيث أضفتم إليه الأولاد وهي من خواصّ الأجسام، ثم فضّلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي التنزيل

قوله: (**رأس كل حكمة**) الرأس معروف، ويُطلق على الأوّل والأشرف. **قوله**: (**ملاكها**) في مختار الصحاح: مِلاك الأمر ـ بفتح الميم وكسرها ـ ما يقوم به. اهـ. **قوله**: (**بَذّ**) أي غلب. **قوله**: (**بيافوخه**) في المصباح: اليأفوخ ـ بهمز ـ وهو أحسن وأصوب، ولا يهمز ذكر ذلك الأزهري، فمَنْ همزه قال: هو في تقدير يفعول، ومنه يقال: أفخته إذا ضربت يافوخه، ومن ترك الهمز قال في تقدير فاعول، ويقال: يفخته واليافوخ وسط الرأس، ولا يقال: يافوخ حتى يصلب ويشتدّ بعد الولادة. اهـ.

قوله: (**الفلاسفة**) الفلسفة باليونانية محبّة الحكمة، والفيلسوف هو فيلا وسوفا، وفيلا هو المحبّ، وسوفا هو الحكمة، أي هو مُحبّ الحكمة. **قوله**: (**أسفار الحكم**) في مختار الصحاح: السِّفْر ـ بالكسر ـ الكتاب والجمع أسفار، قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجُمُعَة: الآية ٥]. اهـ.

قوله: (**النَّعَم**) المال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. اهـ مصباح.

والمراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ (وبالتخفيف: حمزة وعلي)، أي كرّرناه ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق. وكان (الثوري) إذ قرأها يقول: زادني لك خضوعًا ما زاد أعداءك نفورًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ مع الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ (وبالياء: مكي وحفص). ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (يعني لطلبوا) إلى مَن له المُلْك والربوبية سبيلًا بالمُغالبة

قوله: (وبالتخفيف) أي بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذِّكر الذي هو بمعنى التذكر (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بفتح الذال والكاف مع تشديدها. **قوله:** (الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر الثوري الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين، وُلد سنة سبع وتسعين، سمع سفيان الثوري أبا إسحٰق السبيعي وعبد الملك بن عمير وعمرو بن مرّة وخلائق من كبار التابعين وغيرهم، روى عنه محمد بن عجلان والأعمش وهما تابعيّان، ومعمر والأوزاعي وابن أبي إسحٰق ومالك وابن عُيينة وشعبة والفُضَيْل بن عياض وأبو الأحوص وأبو إسحٰق الفزاري وابن المبارك وزائدة وابن مهدي ووكيع وأبو نعيم ويحيىٰ القطّان ومحمد بن يوسف الفريابي وخلائق، واتّفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزُّهد وخشونة العيش والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن، وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يحصر، وأوضح من أن يشهر. قال محمد بن سعد: أجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة رضي الله تعالى عنه، والثوري بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء، هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.

قوله: (وبالياء) على الغيبة (مكي) أي ابن كثير المكّي (وحفص)، والباقون بالخطاب. **قوله:** (يعني لطلبوا)... الخ. فقوله: ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ بمعنى إلى

كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، **(أو لتقربوا إليه)** كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ﴿وَإِذًا﴾ دالَّة على أن ما بعدها وهو ﴿لَّٱبْتَغَوْاْ﴾ جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ «لو» ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ **(وبالتاء: حمزة وعلي)** ﴿عُلُوًّا﴾ أي تعاليًا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ﴿كَبِيرًا﴾ وصف العلو بالكِبْر مبالغة في معنى البراءة والبُعْد مما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿تُسَبِّحُ﴾ **(وبالتاء: عراقي غير أبي بكر)** ﴿لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده. عن **(السدي)** قال عليه السلام: «ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى» ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ﴾ لاختلاف اللغات أو لتعسّر الإدراك أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدّالّ على الخير كفاعله. والوجه الأول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عن جهل العباد ﴿غَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين.

مقابلته ومغالبته. **قوله**: **(أو لتقربوا إليه)** فالسبيل بمعنى الوسيلة المُوصِلة إليه. **قوله**: **(وبالتاء)** على الخطاب **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة.

قوله: **(وبالتاء عراقي غير أبي بكر)** شعبة، وقوله: عراقي إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل **عراقي**، وعبارة غيث النفع: قرأ الحرميان والشامي وشعبة بالياء، والباقون بتاء التأنيث. اهـ. وعبارة علامة شيخ زاده قوله: (وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر ﴿يُسَبِّحُ﴾ بالياء) أي الياء المنقوطة من تحت لإسناد الفعل إلى ظاهر المؤنّث الغير الحقيقي، ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنّث، والباقون بتاء التأنيث. اهـ. **قوله**: **(السدي)** أي إسماعيل بن عبد الرحمٰن وهو بالضمّ والتشديد نسبة إلى سدّة جامع الكوفة أي بابه؛ لأنه كان يبيع عنده. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. وفي المصباح: السدّة الباب ويُنْسب إليها على اللفظ، فيقال: السدّي، ومنه الإمام المشهور، وهو إسماعيل السدّي لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة، والجمع سُدد مثل غرفة وغرف. اهـ. وفي دستور الإعلام بمعارف الأعلام: السدّي الكبير الكوفي المفسّر الأعور أبو محمد

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ **(ذا ستر)** أو حجابًا لا يرى فهو مستور ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾ جمع كنان وهو الذي يستر الشيء ﴿**أَن يَفْقَهُوهُ**﴾ **(كراهة أن يفقهوه)** ﴿**وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ **(ثقلًا)** يمنع عن الاستماع ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ يقال: وحد يحد وحدًا وحدة نحو وعد يَعِد وعدًا وعِدَة فهو مصدر سدّ مسدّ الحال **(أصله يحد وحده)** بمعنى واحدًا ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ﴾ رجعوا على أعقابهم ﴿نُفُورًا﴾ مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تُذكَر معه آلهتهم لأنهم مُشرِكون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا.

إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة التابعي، روى عن أنس بن مالك وابن عباس، روى له الجماعة إلّا البخاري والصغير الكوفي المفسّر صاحب الكلبي وهو متروك الحديث محمد بن مروان.اهـ. مات إسماعيل سنة سبع وعشرين بعد المائة.اهـ.

قوله: (ذا ستر) على أن مستورًا من باب النسب كلابن وتامر، وهو وإن اشتهر في فاعل فقد جاء في مفعول أيضًا، كما نبّهوا عليه وله نظائر كرجل مرطوب، أي ذي رطوبة، ومكان مهول وجارية مغنوجة أي ذي هول وذات غنج، وكان وعده مأتيًا بمعنى ذي إتيان، لا أنه يُؤتى إليه والحجاب ليس بمستور بل المستور ما وراءه، فلذلك جعل المستور للنسب، ويحتمل أن يكون توصيف الحجاب بكونه مستورًا عبارة عن كونه غير مرئيّ على طريق إطلاق الملزوم وإرادة لازمه؛ لأن ما يكون مستورًا يلزمه أن لا يُرى. **قوله: (كراهة أن يفقهوه)** يعني أنه مفعول به بتقدير مضاف. **قوله: (ثقلًا)** بفتح القاف ضدّ الخفّة، وأمّا بسكونها، فهو واحد الأثقال، أي الأحمال، ويمكن إرادته هنا أيضًا. **قوله: (أصله يحدّ وحدّه)** فيحدّ فعل مضارع حال من ربك، فوحده مفعول مطلق فحذف يحده ووضع وحده موضعه.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٤٧ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٤٨﴾

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ أي نحن أعلم بالحال أو الطريقة التي يستمعون القرآن بها، فالقرآن هو المُستمع وهو محذوف و﴿بِهِۦٓ﴾ حال وبيان لـ «ما» أي يستمعون القرآن هازئين لا جادِّين والواجب عليهم أن يستمعوه جادِّين ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ نصب بـ ﴿أَعۡلَمُ﴾ أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ وبما يتناجون به إذ هم (**ذوو نجوى**) ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بدل من ﴿إِذۡ هُمۡ﴾ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ سُحِرَ فجُنَّ ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ (**مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون**)، ﴿فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ أي فضلّوا في جميع ذلك ضلال مَن يطلب في التِّيه طريقًا فلا يقدر عليه فهو متحيِّر في أمره لا يدري ما يصنع.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ۝٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٥٢﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا (وَرُفَٰتًا) أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ أي مجددًا و﴿خَلۡقٗا﴾ حال أي مخلوقين ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ أي السمٰوات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ﴾ يعيدكم ﴿ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ يعيدكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويردّه إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظامًا يابسة مع

قوله: (ذوو نجوى) إشارة إلى تقدير المضاف. **قوله**: (**مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون**) أي قالوا تارة هذا وتارة هذا، مع عِلمهم بخلافه؛ فإنما قصدوا تشبيه حالك فيما قلته ونطقت به من القرآن بحال هؤلاء، فمثَّلوك بمعنى شبّهوك إمّا على أن الأمثال: جمع مثل بفتحتين، أو مثل بكسر فسكون.

قوله: (﴿وَرُفَٰتًا﴾) الرّفات ما بَلِيَ فتفتّت، وقيل: إنه تراب.

أن العظام بعض أجزاء الحيّ بل هي عمود خلقه الذي يُبنَى عليه سائره، فليس بِبِدْعٍ أن يردّها الله بقدرته إلى الحالة الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة وهو أنْ تكونوا حجارة أو حديدًا لكان قادرًا على أن يردّكم إلى حال الحياة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فسيحرِّكونها نحوك تعجّبًا واستهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي البعث استبعادًا له ونفيًا ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي هو قريب و«عسى» للوجوب ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى المحاسبة وهو يوم القيامة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي تُجيبون حامدين والباء للحال. عن (**سعيد بن جبير**): ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللَّهمّ وبحمدك ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لبثًا قليلًا أو زمانًا قليلًا في الدنيا أو في القبر.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ وقل للمؤمنين ﴿يَقُولُوا۟﴾ للمشركين الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وألين ولا يخاشنوهم وهي أن يقولوا يهديكم الله ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يُلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقّة. والنزغ: إيقاع الشر وإفساد ذات البين. وقرأ طلحة ﴿يَنزِغُ﴾ بالكسر وهما لغتان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهر العداوة أو فسر ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ (**بالخذلان**) أي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ اعتراض

قوله: (سعيد بن جبير) الكوفي أحد أعلام التابعين، قُتل بين يدي الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة بواسط، ومات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة المذكورة، ولم يسلّطه الله عزّ وجلّ بعده على قتل أحد إلى أن مات.

قوله: (بالخذلان) في مختار الصحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضمّ ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ حافظًا لأعمالهم وموكولًا إليك أمرهم وإنما أرسلناك بشيرًا ونذيرًا (فدارهم) ومُر أصحابك بالمُداراة.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم. ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ دلالة على وجه تفضيله وإنه خاتم الأنبياء، وأن أُمته خير الأُمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى: ﴿(وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ) يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٥]. وهم محمد وأمته. ولم يعرف الزبور هنا وعرفه في قوله: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ لأنه (كالعباس وعباس والفضل وفضل) ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ إنها آلهتكم ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله وهم الملائكة، أو عيسى وعزير، أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ أي ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحوِّلوه من واحد إلى آخر.

قوله: (فدارهم) في المصباح: داريته مداراة لاطَفْته ولَايَنْته. اهـ.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾) كتاب داود عليه السلام (﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾) التوراة (﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾) أي الشام، كذا أفاده المصنف رحمه الله في سورة الأنبياء. **قوله:** (كالعباس، وعباس) في تقريب التهذيب: عباس بن عبد المطّلب بن هاشم عمّ النبيّ ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمانٍ وثمانين. اهـ. (والفضل، وفضل) في تقريب التهذيب: الفضل بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وأكبر ولد العبّاس، استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه. اهـ. يعني أن الزبور علم لكتاب داود على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، فكيف عرّف تارة ونكّر أُخرى، والتعريف العلمي يُغني عن التعريف اللاميّ. وأجاب عنه: بأنه ليس من الأعلام المرتجلة، بل هو من الأعلام المنقولة، فإنه منقول عن اسم صفة كعباس أو عن اسم معنى كفضل؛ لأنه اسم فعول بمعنى

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله عزَّ وجل ﴿أَيُّهُمۡ﴾ بدل من واو ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ و«أي» موصولة أي يبتغي مَن هو ﴿أَقۡرَبُ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل: يحرصون أيّهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ حقيقًا بأن يحذره كل أحد من ملك مُقرَّب ونبي مُرسَل فضلًا عن غيرهم.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٥٨﴾

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾ قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَسۡطُورٗا﴾ مكتوبًا. وعن **(مقاتل)**: وجدت في كتب **(الضحاك)** في تفسيرها: أما مكة فيخرِّبها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالتُّرك،

مفعول كحلوب، أو بمعنى المصدر كقبول وبعدما نقل إلى العلميّة جاز تعريفه تلميحًا وإشارة إلى أصله، وجاز تنكيره اعتبارًا للعلمية؛ كالعباس وعباس والفضل وفضل.

قوله: **(مقاتل)** بن سليمان، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور، وكان من العلماء الأجلّاء، حُكِيَ عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام. توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى. **قوله**: **(الضحاك)** بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد

و(**الجبال**) بالصواعق والرواجف. أما (**خراسان**) فعذابها ضروب، وأما (**بلخ**) فتصيبهم (**هدَّة**) فيهلك أهلها، وأما (**بدخشان**) فيخرِّبها أقوام، وأما (**ترمذ**) فأهلها يموتون بالطاعون، وأما (**صفانيان**) إلى (**وأشجِرد**) فيُقتَلون بقتل (**ذريع**)، وأما (**سمرقند**) فيغلب عليها (**بنو قنطور**) فيقتلون أهلها قتلًا ذريعًا، وكذا

الخراساني صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة. **قوله**: (**الجبال**) في أخبار الدول وآثار الأُوَل: الجِبَال ناحية مشهورة يقال لها بالفارسية كوهستان شرقيّها مفازة خراسان وفارس وغربيّها آذربيجان، وأهلها أصحّ الناس مزاجًا وأحسنهم صورة، قالوا: إنها تربة ديلميّة لا تقبل العدل والإنصاف، ومن وَلِيها عصى ومُعظم بلادها أصفهان والريّ وهمدان وقزوين وبها من الجبال والأودية ما لا يُحصى. اهـ. **قوله**: (**خراسان**) في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: خراسان بلاد مشهورة فيما وراء النهر[1] من أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيرًا وأهلها أحسن الناس صورة وأكملهم عقلًا وأكثرهم رغبة في الدِّين والعلم وبها الثعلب الطيّار وهو صنف من الثعلب له جناحان يطير بهما. اهـ. **قوله**: (**بلخ**) في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: بلخ مدينة عظيمة من أُمّهات بلاد خراسان بناها منوجهر بن أيرج بن أفريدون، وكان بها بيت النار وهو من أعظم بيوت الأصنام، وكان في خدمته برمك جدّ البرامكة، وكان يحكم في تلك البلاد إلى أن فُتِحت خراسان في أيام عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه، وانتهت السدانة إلى برمك أبي خالد فرغب في الإسلام وسار إلى عثمان رضي الله تعالى عنه وضمن منه المدينة. اهـ. **قوله**: (**هَدَّة**) الهدّ الهَرْم الشديد والصوت الغليظ، والهدّة المرّة. **قوله**: (**بدخشان**) في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: بَدَخْشان مدينة مشهورة بأعلى طخارستان بها معدن البلخس وبها معدن اللاجورد ومعدن البلّور الخالص. اهـ. **قوله**: (**ترمذ**) مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له: جيحون. **قوله**: (**صفانيان**) في القاموس: صفانيان كُورةٌ عظيمة بما وراء النهر. **قوله**: (**وأشجِرد**) بكسر الجيم وسكون المعجمة قبلها والراء المهملة وراء النهر. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. **قوله**: (**ذريع**) أي فظيع. **قوله**: (**سَمَرْقَنْد**) مدينة مشهورة بما وراء النهر. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل. **قوله**: (**بنو قنطور**) في القاموس: بنو قَنْطُوراء الترك أو السودان، أو هي جارية

---

(١) يُراد به ما وراء نهر جيحون. ١٢ أخبار الدول.

(فرغانة) و **(الشاش)** و **(أسبيجاب)** و **(خوارزم)**، وأما **(بخارى)** فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطًا وجوعًا، وأما **(مرو)** فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد، وأما **(هراة)** فيُمطَرون بالحيَّات فتأكلهم أكلًا، وأما **(نيسابور)** فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم، وأما **(الري)** فيغلب عليها **(الطبرية والديلم)** فيقتلونهم، وأما **(أرمينية)** و **(أذربيجان)** فيهلكها

لإبراهيم على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسلام، من نَسْلها الترك. اهـ. **قوله: (فَرْغانة)** في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: فَرْغانة ناحية مشتملة على بلاد كثيرة مُتاخمة لبلاد الترك. اهـ. **قوله: (الشاش)** مدينة وراء نهر جيحون. اهـ لبّ الأسباب. **قوله: (اسبيجاب)** بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ثم جيم ثم ألف ثم باء موحدة، ويقال: بالفاء موضع الباء الأُولى بلدة كبيرة من ثغور الترك. **قوله: (خوارَزْم)** ناحية مشهورة ذات مدن وقرى كثيرة. اهـ أخبار الدول وآثار الأُول. **قوله: (بُخارىٰ)** مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل. **قوله: (مَرْو)** من أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرًا وأحسنها منظرًا. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل. **قوله: (هَرَاة)** في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: هَرَاة مدينة ببلاد فارس قرب إصطخر كثيرة البساتين والخيرات. اهـ. وأيضًا فيه: وهراة أيضًا مدينة عظيمة من مدن خراسان بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة بناها الإسكندر. اهـ. **قوله: (نَيْسابُور)** في أخبار الدُّول وآثار الأُول: نَيْسابور مدينة من مدن خراسان. اهـ. **قوله: (الريّ)** مدينة مشهورة. **قوله: (الطَّبَرية)** اسم مدينة، انتهى. لسان العرب. وفي أخبار الدول وآثار الأُول: طبرية موضعان، الأوّل: مدينة جليلة قديمة، وهي من أعظم مدن الشام مُشرفة على بحيرة طبرية، وهي قصبة كورة الأردن والنسبة إليها طبراني، والثاني قرية من قرى واسط والنسبة إليها طبريّ، انتهى باختصار. **قوله: (والدَّيْلم)** كحَيْدر جِيل[1] معروف وهم أصحاب الشُّور الأعاجم من بلاد الشرق، وقال كراع: هم الترك وهم بنو الدَّيلم بن باسل بن ضَبّة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، قاله ابن الكلبي. **قوله: (أَرْمِينِيَة)** بلدة حصينة بأذربيجان. **قوله: (آذَرْبيجان)** ناحية واسعة ومملكة متّسعة بها مدن كثيرة

---

(١) الجِيْل كل صنف من الناس، التُّرك جيل، والصِّين جيل، والعرب جيل، والروم جيل؛ كذا في لسان العرب. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

(**سنابك**) الخيول والجيوش والصواعق والرواجف، وأما (**همذان**) فالديلم يدخلها ويخرِّبها، وأما (**حلوان**) فتمرّ بها ريح ساكنة وهم نِيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من (**جهينة**) فيدخل (**مصر**)، فويل لأهلها ولأهل (**دمشق**)، وويل لأهل (**إفريقية**) وويل لأهل (**الرملة**)، ولا يدخل بيت المقدس، وأما (**سجستان**) فيصيبهم ريح عاصف أيامًا ثم هدّة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما (**كرمان وأصبهان وفارس**) فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تنخلع القلوب وتموت الأبدان.

وقرى وجبال وأنهار كثيرة. **قوله**: (**سنابك**) أي حوافر. **قوله**: (**هَمَذان**) مدينة مشهورة من مدن الجبال بناها همذان بن علوج بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ أخبار الدُّول وآثار الأُول. **قوله**: (**حلوان**) بضم الحاء وسكون اللام أربعة مواضع: الأوّل: مدينة بين همدان وبغداد، وهي آخر مدن العراق، وهي الآن خَراب. والثاني: حلوان قرية عند فسطاط مصر. والثالث: بليدة من نواحي نيسابور. والرابع: قرية من قرى كوهستان. اهـ أخبار الدول وآثار الأُول. **قوله**: (**جُهَيْنة**) اسم قبيلة. **قوله**: (**مِصْر**) مدينة مشهورة. **قوله**: (**دِمَشْق**) كحِضَحر وقد تكسر ميمه قاعدة الشام. اهـ قاموس.

قوله: (**إفرْيقيَة**) مدينة كبيرة بالمغرب. **قوله**: (**الرَّمْلة**) مدينة بفلسطين. **قوله**: (**سِجِسْتان**) ناحية كبيرة واسعة عمّرها سجستان بن فارس. اهـ أخبار الدُّول وآثار الأُول. **قوله**: (**كرمان**) أربعة مواضع بفتح الكاف ومنهم من يكسرها، الأوّل: ناحية مشهورة بين فارس وخراسان يُنسب إلى كرمان بن فارس بن طهمورث، وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات بها خشب لا تحرقه النار، ولو تُرِكَ أيّامًا، وبها معدن التوتيا تحمل منها إلى جميع الدنيا تشتمل على مدن كثيرة. والثاني: بلد بين غرس وبلاد الهند. والثالث: بلد بحجر اليمامة من ديار العرب. والرابع: كرمانية محلّة بنيسابور. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل.

قوله: (إصبهان) بكسر أوّله وفتح الباء، ويقال: بالفاء، وأصبهان أشهر بلاد الجبال. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. **قوله**: (فارس) ناحية مشهورة سُمّيت باسم فارس بن الأسور بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ أخبار الدول وآثار الأُول.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ﴾ استعير المنع لترك إرسال الآيات. و«أن» الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنها مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنَعَنَآ﴾ و«أن» الثانية مع صلتها في موضع الرفع لأنها فاعل ﴿مَنَعَنَآ﴾ والتقدير: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين. والمراد بالآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبًا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وسُنَّة الله في الأُمم أن مَن اقترح منهم آية فأُجيب إليها ثم لم يؤمن أن يُعاجِل بعذاب الاستئصال. والمعنى: وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود، وأنها لو أُرسِلَت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعُذِّبوا العذاب المستأصل، وقد حكمنا أن نؤخِّر أمر مَن بعثت إليهم إلى يوم القيامة. ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأوَّلون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا **(واحدة)** وهي ناقة صالح عليه السلام، لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يُبصِرها صادرهم ووارِدهم فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ باقتراحهم ﴿مُبْصِرَةً﴾ **(آية بيِّنة)** ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ فكفروا بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ إن أراد بها الآيات فالمعنى لا نرسلها ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ من نزول العذاب العاجل **(كالطليعة والمقدمة له)**، فإن لم يخافوا وقع عليهم، وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفًا وإنذارًا بعذاب الآخرة وهو مفعول له.

قوله: (واحدة) مفعول ذكر. **قوله**: (آية بيّنة) قدّر الموصوف ليُشعر بأنها من الآيات التي كذّب بها الأوّلون، وهي منصوبة على الحال. **قوله**: (بيّنة) يشير إلى أن المُبصرة للنسبة بمعنى ذي بصارة.

قوله: (كالطليعة) في المصباح: الطليعة القوم يُبعثون أمام الجيش يتعرّفون طلع العدوّ بالكسر أي خبره، والجمع طلائع. اهـ. **قوله**: (والمقدمة له) في المصباح: مقدّمة الجيش للذين يتقدَّمون بالتثقيل اسم فاعل، ومقدّمة الكتاب مثله. اهـ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علمًا وقدرة فكلهم في قبضته، فلا تُبالِ بهم وامضِ لأمرك وبلِّغ ما أُرسِلْتَ به، أو بشَّرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: الآية ٤٥]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٢]. فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سُنَّته في إخباره، ولعل الله تعالى أراه (**مصارعهم**) في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر «والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» وهو يُومِىء إلى الأرض ويقول: «هذا مَصرَع فلان» (**فتسامَعَت**) قريشًا بما أُوحي إلى رسول الله ﷺ من أمر بدر وما أُرِي في منامه من مَصارِعِهِم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فإنهم حين سمعوا بقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: الآية ٤٣] جعلوها سخرية قالوا: إن محمدًا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قَدَروا الله حقَّ قدره إذا قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار، (**فوبر السمندل**) ـ وهو دُوَيبَة ببلاد الترك ـ يتخذ منه مناديل إذا اتَّسخت طُرِحَت في النار فذهب (**الوسخ**) وبقي المنديل سالمًا لا تعمل فيه النار، وترى النعامة تبتلع (**الجمر**) فلا يضرّها، وخلق في كل شجرة نارًا فلا تحرقها، فجاز أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها. والمعنى أن الآيات إنما تُرسَل تخويفًا للعباد، وهؤلاء قد خُوِّفوا بعذاب الدنيا

قوله: (﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾) أي الأدبار، وإنما أفرد محافظة للفواصل على إرادة الجنس، أو لأن كلّ أحد يولّي دبره. اهـ كمالين. **قوله**: (﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾) الفراش هي. **قوله**: (**مصارعهم**) المصارع جمع مصرع وهو محل صرع فيه القتيل. **قوله**: (**فتسامعت**) قريش أي سمعوه، فالتسامع ليس على بابه. **قوله**: (فوَبَر) أي صوف. **قوله**: (السَّمندل) بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام في آخره. **قوله**: (الوَسَخ) الدَّرَن. **قوله**: (**الجَمْر**) جمع جَمْرة من النار.

- وهو القتل يوم بدر - وخُوِّفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقّوم فما أثّر فيهم. ثم قال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات؟ وقيل: الرؤيا هي الإسراء، والفتنة ارتداد مَن استعظم ذلك وبه تعلّق مَن يقول: كان الإسراء في المنام، ومَن قال: كان في اليقظة، فَسَّر الرؤيا بالرؤية. وإنما سمّاها رؤيا على قول المُكَذِّبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادًا منهم كما سمّى أشياء بأساميها عند الكَفَرَة كقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الصَّافات: الآية ٩١]، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: الآية ٢٧]، أو هي رؤيا أنه سيدخل مكة، والفتنة الصدّ بالحديبية. فإن قلت: ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم. قلت: معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكَفَرَة لأنه قال: ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ فوُصِفَت بلعن أهلها على المجاز، ولأن العرب تقول: لكلّ طعام مكروه ضارّ ملعون، ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ هو تمييز أو حال من الموصول، والعامل فيه ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ على أأسجد له وهو طين أي أصله طين ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ الكاف لا موضع لها ذُكِرَت للخطاب تأكيدًا، هذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي ﴿كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ أي فضّلته، لِمَ كرّمته عليَّ وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فحذف ذلك اختصارًا لدلالة ما تقدّم عليه. ثم ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ (وبلا ياء: كوفي وشامي). واللام موطئة للقسم المحذوف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ لأستأصلنهم

قوله: (وبلا ياء: كوفي وشامي) أي ابن عامر الشامي وقفًا ووصلًا اتباعًا للرسم، وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد النون في «أخرتني» عند الوصل، وحذفها في الوقف، وأثبتها ابن كثير وصلًا ووقفًا.

بإغوائهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم المخلصون. قيل: من كل ألف واحد. وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام أو لأنه رأى أنه خلق شهواني.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وإنما معناه امضِ لشأنك الذي اخترته (**خذلانًا**) وتخلية. ثم عقَّبه بذِكر ما جرَّه سوء اختياره فقال: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ والتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾ وانتصب ﴿جَزَآءً (مَّوْفُورًا)﴾ أي موفرًا بإضمار تُجازون ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ استزلّ أو استخفّ استفزّه أي استخفّه والفز الخفيف. ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بالوسوسة أو بالغناء أو بالمِزمار ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ اجمع (**وصح**) بهم من (**الجلبة**) وهو الصِّياح ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ بكل راكب وماشٍ من أهل (**العيث**)، فالخيل (**الخيالة، والرجل اسم جمع للراجل**) ونظيره الرَّكب والصِّحب (﴿وَرَجِلِكَ﴾ **حفص**) على أن فعلًا بمعنى فاعل كتعب وتاعب، معناه (**وجمعك الرجل**) وهذا لأن أقصى ما يُستَطاع في طلب الأمور والخيل والرجل. وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل (**ورجال**) ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ قال (**الزجّاج**): كل معصية في مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالرِّبا والمكاسب

قوله: (**خذلانًا**) بكسر الخاء. **قوله:** (﴿مَّوْفُورًا﴾) أي موفرًا، وفي الجلالين: ﴿مَّوْفُورًا﴾ وافرًا كاملًا، انتهى. أشار إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، والفز الخفيف ضدّ الثقيل. **قوله:** (**وصح**) بالكسر أمر من صاح يصيح صيحة. **قوله:** (**الجلبة**) بفتحات. **قوله:** (**العيث**) الإفساد. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (**الخيالة**) ـ بفتح الخاء وتشديد الياء ـ ركبان الخيل وأصحابها. **قوله:** (**والرجل اسم جمع للراجل**)... الخ. لا جمع لغلبة وزنه في المفردات، والراجل خلاف الفارس. **قوله:** (﴿وَرَجِلِكَ﴾) بكسر الجيم مع فتح الراء (**حفص**) والباقون بسكون الجيم. **قوله:** (**وجمعك الرجل**) أي الرجال، والرجل مفعول جمعك لأنه مصدر. **قوله:** (**ورجال**) جمع راجل. **قوله:** (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن

المحرَّمة و(**البَحيرة**) و(**السائبة**) والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العُزَّى وعبد شمس ﴿وَعِدْهُمْۚ﴾ المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجِل ونحو ذلك ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو تزيين الخطأ بما يُوهِم أنه صواب.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ الصالحين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ يد بتبديل الإيمان ولكن (**بتسويل**) العصيان ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظًا لهم عنك، والكل أمر تهديد فيعاقب به أو إهانة أي لا يخل ذلك بمُلْكي.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يجري ويسير ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ يعني الربح في التجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ ذهب عن أوهامكم كل مَن تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه، أو ضلَّ مَن تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ﴾ عن الإخلاص بعد الخلاص ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿كَفُورًا﴾ للنِّعَم.

محمد ﷺ. **قوله**: (**البحيرة**) فعيلة بمعنى مفعولة، واشتقاقها من البحر، وهو الشقّ، واختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، فيشقّ أذنها فتترك فلا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. **قوله**: (**السائبة**) بوزن فاعلة بمعنى مسيَّبة مفعولة من باب ساب يسوب إذا ذهب كانوا يسيِّبونها، أي يرسلونها لآلهتهم فلا يُحمل عليها شيء.

قوله: (**بتسويل**) أي بتزيين.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ (الهمزة للإنكار) والفاء للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم (فحملكم) ذلك على الإعراض ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ انتصب ﴿جَانِبَ﴾ بـ ﴿يَخْسِفَ﴾ مفعولًا به كالأرض في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: الآية ٨١] و﴿بِكُمْ﴾ حال، والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه (وأنتم عليه)، والحاصل أن الجوانب كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب برًّا كان أو بحرًا سَبَبٌ من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصًّا به، بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف، وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ هي الريح التي تحصب أي (ترمي بالحصباء) يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يصرف ذلك عنكم.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أم أمنتم أن يقوّي دواعيكم ويوفِّر حوائجكم إلى أن ترجعوا البحر الذي نجّاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسِر للفلك ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفرانكم النعمة هو

قوله: (الهمزة للإنكار) بمعنى أنه لا ينبغي إلّا من. **قوله**: (فحملكم)... الخ. إشارة إلى أن الفاء تفيد سببية لما قبله، كما تقول: تأهّب الشتاء فقد دنى وقته فهو معطوف عليه، والجملة معترضة. اهـ شهاب.

قوله: (وأنتم عليه) معنى بكم؛ لأن الباء للملابسة حال من جانب البرّ، أي مصحوبًا بكم، قوله: وأنتم عليه حاصل المعنى. اهـ قنوي. **قوله**: (ترمي بالحصباء) وهي الحجارة الصغار.

إعراضكم حين نجاكم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ **(مطالبًا)** من قوله ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٨] أي مطالبة، والمعنى إنّا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحدًا يطالبنا بما فعلنا انتصارًا منّا ودركًا **(للثأر)** من جهتنا وهذا نحو قوله: (﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ١٥﴾) [الشمس: الآية ١٦] **(«أن نخسف» «أو نرسل» «أن نعيدكم» «فنرسل» «فنغرقكم» بالنون مكّي وأبو عمرو)**.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠﴾

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي. وعن **(الرشيد)** أنه أحضر طعامًا فدعا **(بالملاعق)** ـ وعنده

قوله: **(مطالبًا)** فعيل بمعنى مفاعل. **قوله**: **(للثّأر)** وهو طلب الدم. **قوله**: (﴿وَلَا يَخَافُ﴾) تعالى (﴿عُقْبَٰهَا﴾) تَبِعتها كما يخاف الملوك عاقبة ما يفعله. اهـ جلالين مع الكمالين. وفي الجمالين: قوله تَبِعتها أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود، فيبقي بعض الإبقاء. اهـ. **قوله**: **(«أن نخسف» «أو نرسل» «أن نعيدكم» «فنرسل» «فنغرقكم» بالنون)** في الأفعال الخمسة **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)** البصري، والباقون بالياء.

قوله: **(الرشيد)** هارون أبو جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، استُخلف بعهدٍ من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة، وكان أبيض طويلًا جميلًا مليحًا فصيحًا له نظر في العلم والأدب، وكان يصلّي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلّا لعلّة ويتصدّق من صُلْب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحبّ العلم وأهله ويعظّم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدّين والكلام في معارضة النصّ، ومات في الغزو بطوس من خراسان، ودُفِن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله خمس وأربعون سنة، وصلّى عليه ابنه صالح. اهـ تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي بالتقاط. **قوله**: **(بالملاعق)** الملعقة ـ بكسر الميم ـ آلة معروفة، والجمع المَلَاعِق. اهـ مصباح.

(أبو يوسف) رحمه الله تعالى ـ فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ باللذيذات أو بما كسبت أيديهم ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي على الكل كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٢٣] قال **(الحسن)**: أي كلهم، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [يونس: الآية ٣٦] ذكر في الكشاف أن المراد بالأكثر الجميع. وعنه عليه السلام: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة»، وهذا لأنهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة، وفي البهائم شهوة بلا عقل، وفي الآدمي كلاهما، فمَن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة، ومَن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم، ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الباء للحال والتقدير مختلطين بإمامهم أي **(بمَن ائتمّوا به)** من نبي، أو مقدَّم في الدين أو كتاب أو دين فيقال: يا أتباع فلان، يا أهل دين كذا أو كتاب كذا. وقيل: بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ من هؤلاء المدعوين ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ وإنما قيل أولئك لأن «من» في معنى الجمع ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ **(ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)**. ولم يذكر الكفار

قوله: (أبو يوسف) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وكانت ولادة أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة، وتوفي يوم الخميس أوّل وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد. **قوله: (الحسن)** البصري، كان من سادات التابعين وكُبرائهم وجمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة، توفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (بمن ائتمّوا به) أي بمن اقتدوا به. **قوله: (ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)** يعني أن المراد من المظلوميّة المنفيّة نقص ما يستحقّونه من الثواب

وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله:

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ كذلك ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ من الأعمى أي أضلّ طريقًا، والأعمى مُستَعار ممَّن لا يدرك المبصرات لفساد حاسَّته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة، أما في الدنيا فلفَقْد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه. (وقد جوَّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل) بدليل عطف ﴿وَأَضَلُّ﴾ ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول مُمالًا والثاني مفخَّمًا، لأن أفعل التفضيل تمامه بـ «من» فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة، وأمالهما حمزة وعلي وفخَّمهما الباقون.

ولمّا قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣﴾

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارِقَة بينها وبين النافية، والمعنى (إن الشأن قاربوا) أن يفتنوك أي يخدعوك فاتِنين ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ

الموعود بإزاء عملهم وأن الفتيل مستعار للشيء التافه الحقير، وهو في الأصل اسم للقشرة الرقيقة التي تكون على ظهر النواة، وسُمِّيت فتيلًا لأنه إذا أراد الإنسان استخراجها انفتلت، وقيل: الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الإنسان بين سبابته وإبهامه، وهو فعيل بمعنى مفعول.

قوله: (وقد جوَّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل) يعني قيل: إن لفظ أعمى في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ ليس أفعل التي للصفة، بل هي صيغة التفضيل بمعنى أشدّ عمى.

قوله: (إن الشأن) إشارة إلى أن اسمها ضمير شأن مقدّر. **قوله**: (قاربوا) بمعنى كادوا.

﴿إِلَيْكَ﴾ من أوامرنا ونواهينا ووعدنا وعيدنا ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ لتتقوّل علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدًا والوعيد وعدًا ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ (أي: ولو اتبعت مرادهم) لاتخذوك خليلًا ولكنت لهم وليًّا وخرجت من ولايتي.

﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ ولولا (تثبيتنا) وعصمتنا ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ لقاربت (أن تميل) إلى مكرهم ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ركونًا قليلًا، وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت ﴿إِذًا﴾ لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة ﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوّتك كما قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٠] (الآية). وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان: عذاب في الممات وهو عذاب القبر، وعذاب في الآخرة وهو عذاب النار. والعذاب يُوصَف بالضِّعف كقوله: ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] أي مضاعفًا فكأنه أصل الكلام لأذقناك عذابًا ضعفًا في الحياة وعذابًا ضعفًا في الممات، ثم حذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه وهو الضعف، ثم أُضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات. ويجوز أن يُراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا، وبضعف الممات مما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار. وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب

قوله: (أي: **ولو اتّبعت مرادهم**) إشارة إلى أن إذا حرف جواب وجزاء، فأقام أداة الشرط مقامها دليلًا على تضمينها معنى المجازاة، وقوله: ﴿لَّاتَّخَذُوكَ﴾ جواب قسم مقدّر تقديره: إذن والله لاتّخذوك، وليس مراد المصنّف أنّ كلمة لو مقدّرة في النظم ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ﴾ جواب لها؛ إذ لا حاجة إلى تقديرها، وإنما المراد تفسير المعنى وهو لا يُوجبه الإعراب.

قوله: (**تثبيتنا**) إشارة إلى أن المصدرية. **قوله**: (**أن تميل**) تفسير للركون.
قوله: (**الآية**) أي مبنية يضاعف لها العذاب ﴿ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

المضاعف في الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عِظَم شأن فاعله. ولما نزلت كان عليه السلام يقول: «اللَّهمَّ **(لا تكلني)** إلى نفسي **(طرفة عين)**». ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مُعينًا لك يمنع عذابنا عنك.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

(﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ **أي أهل مكة)** ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من أرض مكة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾ لا يبقون («**خلْفك**» **بعدك أي بعد إخراجك** (﴿خِلَٰفَكَ﴾ **كوفي غير أبي بكر وشامي بمعناه)** ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زَمانًا قليلًا فإن الله مُهلِكهم وكان كما قال، فقد أُهلِكوا ببدر بعد إخراجه

قوله: (لا تَكِلْني) من الوكول من باب ضرب، أي لا تسلّمني ولا تفوّضني بترك الفضل والتوفيق. **قوله: (طرفة عين)** لحظة ولمحة.

قوله: (﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ **أي أهل مكّة)** أي وأن الشأن قرب أهل مكّة ليزعجوك من أرض مكّة على أنّ أنْ مخفّفة واللام فارقة، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركي مكّة، وحمل الأرض على أرض مكّة، على ما قاله مجاهد وقتادة؛ لأن الآية مكّية وما قبلها إخبار عن أحوال مكّة، يعني هَمَّ المشركون أن يُخرجوه من مكّة، فكفَّهم الله تعالى عنه وأمره عليه الصّلاة والسّلام بالهجرة فخرج بنفسه، فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: الآية ١٣] يعني أهلها، وهو صريح في أنهم أخرجوه، وذكر هٰهنا: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ فكيف الجمع بينهما على قول مَنْ قال: المراد بالأرض هٰهنا مكّة؟ أُجيب بأن قوله: ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمّد: الآية ١٣] من قبيل إسناد الحكم إلى سببه، فإنهم همّوا بإخراجه عليه الصّلاة والسّلام منها إلّا أنه عليه الصّلاة والسلام ما خرج بإخراجهم، وإنما خرج بأمر الله تعالى، فزال التناقض. **قوله: («خلفك»)** بفتح الخاء وإسكان اللام بلا ألف نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر، **(بعدك، أي بعد إخراجك** ﴿خِلَٰفَكَ﴾**)** بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها **(كوفي غير أبي بكر)** أي حفص وحمزة والكسائي **(وشامي)** ابن عامر الشامي **(بمعناه)** أي هما بمعنى.

بقليل، أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا (**عن بَكْرَة أبيهم**) ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربّه. وقيل: من أرض العرب أو من أرض المدينة ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسُنَّة الله أن يُهلِكهم، ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سَنَّ الله ذلك سُنَّة ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلًا.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ لزوالها. وعلى هذه الآية جامعة للصلوات الخمس، أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ هو الظلمة هو وقت صلاة العشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر سُمِّيت قرآنًا وهو القراءة لكونها ركنًا كما سُمِّيت ركوعًا وسجودًا، وهو حجة على (**الأصم**) حيث زعم أن القراءة ليست بركن، أو سُميت قرآنًا لطول قراءتها وهو عطف على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار، أو يشهده الكثير من المُصلِّين في العادة.

قوله: (**عن بَكْرَة أبيهم**) بفتح الباء وسكون الكاف، وهي التي يستقى عليها الماء، وهذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفير العدد، أي لم يبق منهم أحد.

قوله: (**الأصمّ**) هو أبو عبد الرحمٰن حاتم[1] بن علوان هو من قدماء المشائخ بخراسان من أهل بلخ صحب شقيقًا البلخي وهو أستاذ أحمد بن خضرويه، مات بواشجرد سنة سبع وثلاثين ومائتين، ودُفن عند رباط يقال له سروند على جبل فوق واشجرد. اهـ طبقات شعراني رحمه الله. وفي الرسالة القشيرية: قيل: لم يكن أصمّ وإنما تصامم مرّة فسُمّي به سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق رحمه الله يقول: جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة فاتّفق أنه خرج منها في

(١) حاتم بن علوان، ويقال: حاتم بن يوسف الأصمّ. اهـ الرسالة القشيرية. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وعليك (**بعض الليل**) ﴿فَتَهَجَّدۡ﴾ (**والتهجّد ترك الهجود**) للصلاة (**ويقال في النوم أيضًا: تهجد**) ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع ﴿نَافِلَةٗ﴾ موضع «تهجّدًا» لأن التهجّد عبادة زائدة فكان التهجّد والنافلة يجمعهما معنى واحد، والمعنى أن التهجُّد زِيدَ لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوّع لهم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيُقيمك مقامًا محمودًا، أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور، ويدلّ عليه الأخبار أو هو مقام يُعطَى فيه لواء الحمد.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ (**هو مصدر**) أي أدخِلني القبر إدخالًا مرضيًّا على طهارة من الزَّلَّات ﴿وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ أي أخرجني مِنْهُ عند البعث إخراجًا مرضيًّا (**ملقى بالكرامة**) آمنًا من الملامة، دليله ذكره على أثر ذِكر البعث. وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة، أو هو عامٌّ في كل ما يدخل فيه ويُلابسه من أمر ومكان ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ حجة

تلك الحالة صوت فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك، فأرى من نفسه أنه أصمّ فسُرَّت المرأة بذلك، وقالت إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الصَّمم. اهـ.

قوله: (**بعض اللّيل**) إشارة إلى أنّ مِنْ تبعيضيّة. **قوله**: (**والتهجّد ترك الهجود**) بالضمّ أصل معناه النوم والتفعل للسلب كتأثم بمعنى ترك الإثم. **قوله**: (**ويقال في النوم أيضًا: تهجّد**) عبارة حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وقيل: الهجود من الأضداد يكون بمعنى اليقظة والنوم. اهـ.

قوله: (هو مصدر) ميمي. **قوله**: (ملقى بالكرامة) أي بإكرام الله والملائكة عليهم الصّلاة والسّلام.

تنصرني على مَن خالفني أو ملكًا وعزًّا قويًّا ناصرًا للإسلام على الكفر مُظهِرًا له عليه ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ﴾ وذهب وهلك ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ الشِّرْك أو جاء القرآن وهلك الشيطان ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ كان مضمحلًا في كل أوان.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَنُنَزِّلُ﴾ **(وبالتخفيف)**: أبو عمرو ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ **(«من» للتبيين)** ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من أمراض القلوب ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الحديث «مَن لم يَسْتَشْفِ بالقرآن فلا شفاه الله» ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ ضلالًا لتكذيبهم به وكفرهم ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالصحة والسَّعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يولِّيه عرض وجهه والنأي بالجانب أي يلوي عنه **(عطفه)** ويولِّيه ظهره، أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المُستكبرين (﴿وَنَـَٔا﴾ **بالإمالة)** حمزة **(وبكسرها عليّ)** ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والمرض **(أو نازلة)** من النوازل ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ شديد اليأس

قوله: **(وبالتخفيف)** أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، أبو عمرو البصري، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله**: **(«من» للتبيين)** فإن قيل: من البيانية لا بدّ أن يتقدَّمها ما يحتاج إلى البيان لا أن تُقدَّم هي عليه، وهاهنا قد تقدَّمت عليه، فكيف تكون بيانية؟ فالجواب: أن المبيّن لا يجب تقدُّمه لفظًا، بل يكفي تقدّمه رتبة وهو حاصل هاهنا، فإنّ قوله: من القرآن، بيان لمفعول ﴿وَنُنَزِّلُ﴾، وهو قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾، وحال منه كما أنّ ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحَجّ: الآية ٣٠] في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ [الحَجّ: الآية ٣٠] من الأوثان حال من الرجس وبيان له، وذو الحال متقدّم من حيث الرتبة على الحال. **قوله**: **(عطفه)** بكسر العين أي جانبه.

قوله: (﴿وَنَـَٔا﴾) بفتح النون **(بالإمالة)** أي إمالة الهمزة مثل رمى حمزة (وبكسرها) أي بكسر النون **(عليّ)** الباقون بفتحتين كَرَمى. **قوله**: **(أو نازلة)** في

من **(روح الله)** ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ على مذهبه وطريقته التي تُشاكِل حاله في الهدى والضلال ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أسَدُّ مذهبًا وطريقة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي من أمر يعلمه ربي، الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه. وعن **(أبي هريرة)**: لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح، وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد اتفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه. والحكمة في ذلك تعجيز العقل من إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدلّ على أنه عن إدراك خالِقِهِ أعجَز، ولذا ردّ ما قيل في حدِّه أنه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان. وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤]. وعن الحسن: القرآن دليله، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، ولأن به حياة القلوب و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر. ورُوِيَ أن اليهود

المصباح: النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس. اهـ. **قوله**: **(روح الله)** بفتح الراء بمعنى رحمة.

قوله: **(أبي هريرة)** الدّوسي الصحابي الجليل حافظ الصحابة، اختُلف في اسمه واسم أبيه، قيل: عبد الرحمٰن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، وقيل: ابن عمرو، وقيل: سكين بن رزمة، وقيل: ابن هانيء، وقيل: ثرمل، وقيل: ابن صخر، وقيل: عامر بن عبد شمس، وقيل: ابن عمير، وقيل: يزيد بن عشرقة، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد شمس، وقيل: غنم، وقيل: عبيد بن غنم، وقيل: عمرو بن غنم، وقيل: ابن عامر، وقيل: سعيد بن الحارث هذا الذي وقفنا عليه من الاختلاف في ذلك، ويقطع بأن عبد شمس وعبد نهم غيره بعد أن أسلم واختلف في أيُّها أرجح؛ فذهب الأكثرون إلى الأوّل، وذهب جمع من النسّابين إلى عمرو بن عامر مات سنة سبع، وقيل: سنة ثمان،

بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيّن لهم القصتين وأبهَم أمر الروح **(وهو مبهم)** في التوراة فندموا على سؤالهم. وقيل: كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا. وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ دليل خلق الروح فكان هذا جوابًا ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الخطاب عامّ فقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ لمّا قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصّون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال: «بل نحن وأنتم لم نُؤتَ من العلم إلا قليلًا»، وقيل: هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أُوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله. فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية، فالحكمة التي أُوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أُضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة. ثم نبّه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله:

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على «إن» توطئة للقسم، والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرًا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به مَن يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظًا مسطورًا ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ أي إلا إن يرحمك ربك فيردّه عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظًا بعد المِنَّة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابًا لقول النضر: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: الآية ٢١].

وقيل: تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. اهـ تقريب التهذيب. **قوله: (وهو مُبهم)** أي غير مبيّن في التوراة يشير إلى أن عدم بيانه لا ينافي النبوّة.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ مُعينًا و﴿لَا يَأْتُونَ﴾ جواب قسم محذوف، **(ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابًا للشرط كقوله:**

يقول لا غائب مالي ولا حرم)

لأن الشرط وقع ماضيًا أي لو **(تظاهروا)** على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحُسْن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله.

قوله: **(ولولا اللام الموطئة)** فإن القسم مقدّر معها. **قوله**: **(لجاز أن يكون)** قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ﴾ **(جوابًا للشرط)** غير مجزوم بناءً على أن حرف الشرط إذا لم يعمل فيما هو أقرب منه فلأن لا يعمل في الأبعد أوْلى كما في البيت، فإنه رفع يقول فيه مع أنه جواب الشرط لما ذكرنا. **قوله**: **(كقوله)** أي زُهير بن أبي سُلَمى[1] بن رباح المزني الشاعر المشهور:

(يقول لا غائب مالي ولا حرمُ)

أوّله:

وإن أتاه خليل يوم مسألةٍ

يمدح به هَرَم بن سنان المرّي أحد أمراء العرب في الجاهلية، والخليل الفقير من الخلّة ـ بالفتح ـ أي الحاجة أو الحبيب من الخلّة ـ بالضم ـ يوم مسألة أي يوم يسأل الناس فيه لقحطهم، وفي رواية: يوم مسغبة أي جوع، والمال واحد يقول: أي هرم بن سنان بالرفع وهو محل الاستشهاد، والحرم بكسر الراء كحذر صفة مشبّهة من الحرمان، والمعنى إن سأله سائل لم يتعلّل بل أعطاه وأغناه، والمناسب أن يجعل المصدر بمعنى المفعول، أي لا غائب مالي ولا محروم من حرمة المال إذا جعلته ممنوعًا عنه. **قوله**: **(تظاهروا)** بمعنى اجتمعوا وتعاونوا.

(١) بضم السين وليس في العرب سُلمى بالضمّ غيره. ١٢ منه ﷺ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ رددنا وكررنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحُسنه ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا. (وإنما جاز) ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ولم يجز «ضربت إلا زيدًا» لأنَّ أبى مُتأوّل بالنفي كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورًا. ولمّا تبيَّن إعجاز القرآن وانضمَّت إليه المعجزات الأُخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحيِّر.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ (وبالتخفيف: كوفي) ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي مكة ﴿يَنۢبُوعًا﴾ عينًا (غزيرة) من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع، يفعول من نبع الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ﴾ (والتشديد هنا مجمع عليه) ﴿ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ (بفتح السين: مدني وعاصم). أي قطعًا يقال: أعطني كسفة من هذا الثوب. وبسكون

قوله: (وإنما جاز)... الخ. يعني أن قوله: ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ مستثنى مفرغ في الكلام الموجب، وقد تقرّر أن عدم ذكر المستثنى منه إنما يجوز في غير الموجب لفساد المعنى، فكان القياس أن لا يجوز أن يقال: أبى أكثر الناس إلّا كفورًا، إلّا أنه جاز من حيث إن قوله: أبى أكثر الناس في قوة لم يفعلوا ولم يرضوا إلّا كفورًا.

قوله: (وبالتخفيف) أي بفتح التاء وسكون الفاء وضمّ الجيم مخفّفة مضارع فجر الأرض شقّها (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بضمّ التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشدّدة مضارع فجر للتكثير. **قوله**: (غزيرة) كثيرة الماء.اهـ مصباح. **قوله**: (والتشديد هنا مجمع عليه) للتصريح بمصدرها. **قوله**: (بفتح السين: مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (وعاصم) وكذا ابن ذكوان[1]

---

(١) يروي عن ابن عامر كما يروي عنه هشام بن عمار. ١٢ منه رحمه الله.

السين: غيرهما (**جمع كسفة كسدرة وسدر**) يعنون قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: الآية ٩]، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ كفيلًا بما تقول شاهدًا بصحته، (**والمعنى: أو تأتي بالله قبيلًا وبالملائكة قبلًا كقوله: «كنت منه ووالدي بَريئًا» أو مقابلًا**) كالعشير بمعنى المعاشر ونحو: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: الآية ٢١]. أو جماعة حالًا من الملائكة.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ تصعد إليها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لأجل رقيّك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ (**وبالتخفيف: أبو عمرو**) ﴿كِتَٰبًا﴾ أي من السماء فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ صفة كتاب ﴿قُلْ﴾ (﴿قَالَ﴾ **مكي وشامي**)

جمع كسفة كقطعة وقطع. **قوله: (جمع كسفة)** أيضًا (**كسدرة وسدر**). **قوله: (والمعنى: أو تأتي بالله قبيلًا وبالملائكة قبلًا)** بضمّتين جمع قبيل بمعنى كفلاء وشهداء، فهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها، أي والملائكة قبلًا؛ (**كقوله: كنت منه ووالدي بريئًا**) أي كما حذف الخبر في قول الفرزدق:

رماني بأمرٍ كنت منه ووالدي بريئًا ومن جُوْل الطَّوِيّ رماني

الجول[1] - بضم الجيم - جدار البئر، قال أبو عبيدة: وهو كل ناحية من نواحي البئر من أعلاها إلى أسفلها، وفي المثل: رماني من جول الطَّوِيّ، أي رماني بما هو راجع إليه. **قوله: (أو مقابلًا)** والمعنى: أوَ تأتي بالله مقابلًا وبالملائكة مقابلين.

قوله: (وبالتخفيف أبو عمرو) ويعقوب، الآخرون بالتشديد. اهـ تفسير النيسابوري. **قوله:** (﴿قَالَ﴾) بصيغة الماضي (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون: ﴿قُلْ﴾ بصيغة الأمر من الله تعالى لنبيّه ﷺ.

---

(١) البئر من داخل. ١٢ منه رحمه الله.

أي قال الرسول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب من اقتراحاتهم عليه ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي أنا رسول كسائر الرُّسُل بشر مثلهم، وكان الرُّسُل لا يأتون قومهم إلا بما يُظهِره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إليَّ إنما هو إلى الله، فما بالكم تتخيَّرونها عليّ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني أهل مكة، ومحل ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ نصب بأنه مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنَعَ﴾ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ النبي والقرآن ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ فاعل ﴿مَنَعَ﴾ والتقدير: وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوّة محمد ﷺ إلا قولهم ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي إلا شبهة تمكّنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ للإنكار **(وما أنكروه ففي قضية حكمته منكر)**.

ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنس، ولا يطّيّرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ حال أي ساكنين في الأرض قارّين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ يعلّمهم الخير ويهديهم المراشد، فأما الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوّة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم و﴿بَشَرًا﴾ و﴿مَلَكًا﴾ حالان من ﴿رَّسُولًا﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني بلّغتُ ما أُرسِلْتُ به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم ﴿شَهِيدًۢا﴾ تمييز أو حال ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾ المنذِرين والمنذَرين ﴿خَبِيرًۢا﴾ عالمًا بأحوالهم ﴿بَصِيرًا﴾ بأفعالهم فهو مُجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفَرة.

قوله: (وما أنكروه، ففي قضية حكمته منكر) عبارة تفسير الكشاف: وما أنكروه، فخلافه هو المنكر عند الله؛ لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلّا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء. اهـ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ (**وبالياء: يعقوب وسهل، وافقهما أبو عمرو**)، (**ومدني في الوصل**) أي مَن وفَّقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ أي ومَن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي أنصارًا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي (**يُسْحَبونَ**) عليها كقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: الآية ٤٨]، (**وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام**): كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يُمشيهم على وجوههم» ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامّون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك لا يُبصِرون ما يقرّ أعينهم ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم ولا ينطِقون بما يقبل منهم ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ طَفِىء لهبها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ (**توقدًا**).

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾ أي ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء فجعل الله جزاءهم أن سلَّط النار على أجزائهم تأكلها ثم تُعيدها، لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسّرهم على تكذيبهم البعث.

قوله: (**وبالياء**) بعد الدال في الحالين (**يعقوب**) بن إسحٰق (**وسهل**) بن محمد وليسا من السبعة، (**وافقهما أبو عمرو**) البصري (**ومدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة (**في الوصل**) دون الوقف والباقون بحذف الياء وقفًا ووصلًا. **قوله**: (**يُسْحَبونَ**) يُجَرّون. **قوله**: (**وقيل لرسول الله ﷺ**)... الخ. حديث صحيح، ووقع في البخاري بمعناه عن أنس رضي الله تعالى عنه، والمشي على الوجه هو الزحف منكسًا. **قوله**: (**توقدًا**) إشارة إلى أن السعير مصدر بمعنى التسعير، وهو التوقّد والتلهّب كالنذير والنّكير بمعنى الإنذار والإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ **(أو لم يعلموا)** ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ من الإنس ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت أو القيامة ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا مع وضوح الدليل ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ تقديره: لو تملكون أنتم لأن «لو» تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بدَّ من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل ـ وهو الواو ـ ضمير منفصل ـ وهو أنتم ـ لسقوط ما يتصل به من اللفظ فـ ﴿أَنتُمْ﴾ فاعل الفعل المضمر و﴿تَمْلِكُونَ﴾ تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب. وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن ﴿أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصّون بالشّح المُتبالغ ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ رزقه وسائر نِعَمه على خلقه ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ أي **(لبخلتم)** خشية أن يفنيه الإنفاق ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلًا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم **(والحجر)** والبحر والطور الذي

قوله: (أو لم يعلموا) إشارة إلى أن رأى هنا علمية؛ لأنه المناسب. **قوله: (لبخلتم)** إشارة إلى أن أمسكتم لا يقدّر له مفعول ويجعل لازمًا لتضمّنه معنى بخلتم، ويجوز أن يجعل متعدّيًا ويقدّر له مفعول أي ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ المال والخيرات التي ملكتموها إلّا أنه لمّا حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه، و﴿خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ مفعول له لقوله: «أمسكتم».

قوله: (والحجر) قيل: كان الرجل منهم مع أهله في الفراش، وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرًا، ورُوِيَ أن عمر بن عبد العزيز سأل

(**نتقه**) على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان و(**السنون**) ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فقلنا له اسأل بني إسرائيل أي سلهم مَن فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل. وقوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ متعلق بقوله المحذوف أي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ سُحِرْتَ فخولط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ أي موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿بَصَآئِرَ﴾ حال أي بيِّنات مكشوفات إلا أنك مُعانِد ونحوه ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: الآية ١٤]، (﴿عَلِمْتُ﴾) بالضم: (**علي**) أي إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر، وأن هذه الآيات منزلها ربّ السمٰوات والأرض. (**ثم قارع ظنه بظنه**) بقوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ كأنه قال: إن ظننتني مسحورًا فأنا أظنك مثبورًا هالكًا وظني أصحّ من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومُكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك (**فكذب بحت**)، لأن قولك مع علمك بصحة أمري ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ قول كذب. وقال (**الفراء**): مثبورًا مصروفًا عن الخير من قولهم: «ما ثبرك عن هذا» أي ما منعك وصرفك؟

محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس، فقال عمر: هذا يجب أن يكون الفقيه، ثم قال: يا غلام أخرج ذلك الجراب، فأخرجه فإذا فيه بيض مكسّر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وبصل وعدس كلّها حجارة. اهـ خازن. **قوله**: (**نتقه**) أي رفعه من أصله. **قوله**: (**السنون**) أي القحط.

قوله: (﴿عَلِمْتُ﴾) بضم التاء مسندًا لضمير موسى (**عليّ**) الكسائي، والباقون بالفتح على جعل الضمير للمخاطب، وهو فرعون. **قوله**: (**ثم قارعَ ظنَه بظنّه**) أي قابله به لدفعه كما يتقابل المتقارعان بالرماح، فهو استعارة. **قوله**: (**فكذب بَحت**) بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة والتاء الفوقية، أي خالص لا يطابق واقعًا ولا اعتقادًا ولا أمارة عليه، وإنما سُمّي ظنًّا لتعبيره به. اهـ شهاب. **قوله**: (**الفراء**) هو

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)﴾

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يُخرجهم أي موسى وقومه ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ فحاق به مكره بأن استفزَّه الله بإغراقه مع قبطه ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد فرعون ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ التي أراد فرعون أن يستفزكم منها. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جمعًا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميِّز بين سعدائكم وأشقيائكم، واللفيف الجماعات من قبائل شتى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسًا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظًا **(بالرصد)** من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين. قال الراوي: اشتكى **(محمد بن السماك)** فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصراني، فاستقبلنا رجل حَسَن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا: إلى أين؟ فقلنا له: إلى فلان الطبيب نُريه ماء ابن السماك. فقال: سبحان الله تستعينون على وليّ الله بعدو الله! اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماك

أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلميّ الكوفي كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنَّحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه الله، والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فرّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها؛ لأنه كان يفري الكلام.

قوله: (بالرَّصد) جمع راصد كحرس وحارس لفظًا ومعنى. **قوله**: (محمد بن السمّاك) كان زاهدًا عابدًا حسن الكلام صاحب مواعظ جمع كلامه وحفظ ولقي جماعة من الصدر الأوّل وأخذ عنهم مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما، وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد، فمكث بها مدّة ثم رجع إلى الكوفة، فمات بها سنة ثلاث وثمانين ومائة رحمه الله تعالى، والسماك بفتح السين المهملة والميم المشدّدة وبعد الألف كاف،

وقولوا له: ضع يدك على موضع (الوجع) وقل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ ثم غاب عنّا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجه قال ما قال الرجل وعُوفِي في الوقت وقال: كان ذلك الخَضر عليه السلام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ أي فصلناه أو فرّقنا فيه الحق من الباطل ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على (تؤدة) وتثبت ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم. ثم علّل بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي التوراة من قبل القرآن ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ حال.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ لقوله: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ أي أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرًا منهم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه، فإذا تلي عليهم خرّوا سُجّدًا وسبّحوا الله تعظيمًا لأمره لإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور. «إن» بمعنى «إنه» وهي تؤكد الفعل كما أن «إن» تؤكد الاسم، وكما أكدت «إن» باللام في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٥٨] أكدت «إن» باللام في ﴿لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه، وإنما خصّ الذقن لأن أقرب

هذه النسبة إلى بيع السمك وصيده. **قوله:** (الوَجع) في مختار الصحاح: الوَجع الم ﷺ والجمع أوْجاع ووِجاع مثل جَبَل وأجْبال وجِبال. اهـ.

قوله: (تؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة والدال المهملة هي التأني والتمهّل في الفعل.

الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن. يقال: خرَّ على وجهه وعلى ذقنه، وخرَّ لوجهه ولذقنه. أما معنى «على» فظاهر، وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور، واختصَّه به إذ اللام للاختصاص. وكرر ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ لين قلب ورطوبة عين.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ لما سمعه **(أبو جهل)** يقول يا ألله يا رحمٰن قال: إنه نهانا أن نعبد إلٰهين وهو يدعو إلٰهًا آخر فنزلت. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذلك الرحمٰن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وأو للتخيير أي سمّوا بهذا الاسم، أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ عوض من المضاف إليه و«ما» زِيدَت للتوكيد و«أيا» نصب بـ ﴿تَدْعُواْ﴾ وهو مجزوم بأي أي هذين الاسمين ذكرتم وسمّيتم ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والضمير في ﴿فَلَهُۥ﴾ يرجع إلى ذات الله تعالى، والفاء لأنه جواب الشرط أي أيًا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنه إذا حَسُنَت أسماؤه حَسُن هذان الاسمان لأنهما منها، ومعنى كونها أحسن الأسماء إنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس، إذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأُمِرَ بأن يخفض من صوته، والمعنى ولا تجهر حتى تُسمِع المشركين ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ حتى لا تسمع من خلفك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ وسطًا، أو معناه ولا

قوله: (أبو جهل) عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم، فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغِ بين ذلك سبيلًا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعمت اليهود والنصارى و(**بنو مليح**) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما زعم المشركون ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي لم يذلّ فيحتاج إلى ناصر أو لم يُوالِ أحدًا (**من أجل مذلّة به ليدفعها**) بموالاته ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمّى النبي الآية آية العز (**وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية**).

قوله: (**بنو مُلَيح**) بطن. اهـ لسان العرب. وفي تاج العروس: بنو مليح كزبير حيّ من خزاعة، وهم بنو مليح بن عمرو بن ربيعة وعمرو هو جماع خزاعة. اهـ. **قوله**: (**من أجل مذلّة به**) يشير إلى أن مَنْ هنا تعليليّة. **قوله**: (**ليدفعها**) أي ليمنعها عنه قبل لحوقها أو بعده. **قوله**: (**وكان إذا أفصح الغلام**) أي أنطق لسانه بالكلام وفهم ما يلقى إليه (**من بني عبد المطلب علمه هذه الآية**)، والمراد بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: الآية ١١١] إلى آخر السورة، وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزّاق وغيرهما، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

تمّت سورة بني إسرائيل بحمد الله وعونه

ويليه شرح سورة الكهف

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين

وسلّم تسليمًا كثيرًا، كثيرًا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(سورة الكهف)

(مائة وإحدى عشرة آية بصري وعشر آيات كوفي)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن، لقَّن الله عباده ووفَّقهم كيف يُثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ **(أي شيئًا من العِوج والعَوج في المعاني كالعوج في الأعيان)**، يقال في رأيه عوج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية بصري، وعشر آيات كوفي)** وهي مكِّية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة، وحروفها ستّة آلاف وثلاثمائة وستّون حرفًا. **قوله**: **(أي شيئًا من العِوَج)** العموم مستفاد من وقوع النَّكرة في سياق النفي.

قوله: **(والعِوج)** بكسر العين وفتح الواو **(في المعاني)** أي فيما يُدرك بالبصيرة **(كالعوج)** بفتحتين **(في الأعيان)** أي فيما يدرك بالبصر، يعني أن المكسور يكون فيما لا يُدرَك بالبصر بل بالبصيرة، والمفتوح فيما يدرك به ولا يرد عليه قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ [طه: الآية ١٠٧] أي في الأرض مع أن

وفي عصاه عوج، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة.

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا وانتصابه بمضمر (وتقديره جعله قيمًا)، لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة ـ وفي أحدهما غِنى عن الآخر ـ التأكيد، فرُبَّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفّح، أو قيمًا على سائر الكتب مُصَدِّقًا لها شاهِدًا بصحتها ﴿لِّيُنذِرَ﴾ «أنذر» مُتَعَدٍّ إلى مفعولين كقوله: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: الآية ٤٠] فاقتصر على أحدهما، وأصله لينذر الذين كفروا ﴿بَأْسًا﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا﴾ وإنما اقتصر على أحد مفعولي «أنذر» (لأن المنذر به هو المَسوق إليه فاقتصر عليه) ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ (صادرًا من عنده) ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي الجنة (﴿ويَبْشُر﴾: حمزة وعليّ).

عِوَجها يُدرك بالبصر، ولذا ذهب ابن السكِّيت إلى أن المكسور أعمّ من المفتوح، كما سيأتي تفصيله ثمة؛ لأن عِوَج الأرض الواسعة لمّا كان يُعرف بالمساحة كان مُدركًا بالبصيرة، فلذا أُطْلق عليها. **قوله**: (وتقديره جعله قيّمًا) بزيادة بل أيضًا، أي ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ بل جعله ﴿قَيِّمًا﴾. **قوله**: (لأن المنذر به هو المَسوق إليه فاقتصر عليه) فإن الغرض من إنزال الكتاب ذكر المنذر به الذي هو البأس من غير نظر إلى المنذرين مَنْ هم، فترك ذكر ما هو غير منظور إليه وطوى من البَيْن لعدم تعلّق غرض به، ولمّا كان المقصود الأصلي ذكر المنذر به وجب الاقتصار عليه. **قوله**: (صادرًا من عنده) إشارة إلى أن من لدن متعلق بمحذوف منصوب على أنه نعت لـ ﴿بَأْسًا﴾، أو حال من الضمير في ﴿شَدِيدًا﴾ وأن لدنْ بمعنى عنك. **قوله**: (﴿ويَبْشُر﴾) بفتح الياء التحتية وسكون الموحدة وضمّ الشين مخفّفة (حمزة وعليّ) الكسائي رَحِمَهُ اللَّهُ، والباقون بضم التحتية وفتح الموحدة وكسر الشين مشدّدة.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾

﴿مَّٰكِثِينَ﴾ حال من «هم» في ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مُفرط، فإن قلت: اتخاذ الله ولدًا في نفسه مُحال فكيف قيل: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؟ قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق المُوصِل إليه، (أو لأنه في نفسه مُحال). ﴿وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ﴾ المُقلّدين ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نصب على التمييز وفيه معنى التعجّب كأنه قيل: ما أكبرها كلمة! والضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾ يرجع إلى قولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ وسُمِّيت كلمة كما يسمّون القصيدة بها ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾ صفة لـ ﴿كَلِمَةً﴾ تفيد استعظامًا لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرًا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوَّهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ما يقولون ذلك إلا كذبًا هو صفة لمصدر محذوف أي قولًا كذبًا.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتل نفسك ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ أي آثار الكفّار، شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على تولّيهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدًا عليهم وتلهفًا على فراقهم ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ بالقرآن ﴿أَسَفًا﴾ مفعول له أي لفرط الحزن، والأسف المبالغة في الحزن والغضب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ أي ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ

قوله: (أو لأنه في نفسه مُحال) لا يمكن تعلّق العلم به وما نحن فيه من قبيل الثاني.

﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها. ثم زهد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا﴾ أرضًا (ملساء) ﴿جُرُزًا﴾ يابسًا لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء (مُعْشِبَة)، والمعنى نعيدها بعد عمارتها خرابًا بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: الغار الواسع في الجبل، والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي كانوا آية عجبًا من آياتنا وصفًا بالمصدر أو على ذات عُجب ﴿إِذْ﴾ أي اذكر إذ ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ أي الذي نحن عليه من مُفارقة الكفّار ﴿رَشَدًا﴾ **(حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشدًا كله)** كقولك: «رأيت منك أسدًا» أو يسّر لنا طريق رضاك.

قوله: (ملساء) في المصباح: مَلَس الشيء من بابي تعب وقرب ملاسةً إذا لم يكن له شيء يستمسك به وقد لان ونَعُم ملمسه، فهو أملس والأُنثى **ملساء**، مثل أحمر وحمراء. اهـ. **قوله**: (مُعْشِبَة) في المصباح: العُشب الكلأ الرَّطب في أوّل الربيع وعشب الموضع يَعْشب من باب تعب نبت عشبه وأعشب بالألف كذلك فهو عاشب على تداخل اللّغتين وعشبت الأرض وأعشبت فهي عَشِيبة ومُعْشِبة. اهـ.

قوله: **(حتى نكون بسببه راشدين مهتدين)** أي دائمين على الرشد أو راشدين إلى ما لم يوجد فيهم بعد، وقوله: **(بسببه)** مستفاد من لفظة من لأنها إن كانت ابتدائية فهي منشؤه، وإن كانت للأجل فهو ظاهر. **قوله**: **(أو اجعل أمرنا رشدًا كلّه)** على أن تكون كلمة مِنْ في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ تجريدية؛ إذ هو الأمر بعينه مبالغة في إرشاده، ولهذا قال: اجعل أمرنا كله رشدًا كلّه، والتجريد من

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾ أي ضربنا عليها حجابًا من النوم يعني أنَمْناهم إنامة ثقيلة لا تنبِّههم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ (ذوات عدد) فهو صفة لسنين. قال (الزجّاج): أي تعدّ عددًا لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عُدَّ، فأما ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: الآية ٢٠] فهي على القلّة لأنهم كانوا يعدّون القليل ويزنون الكثير ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم من النوم ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وكان الذين قالوا ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أيّ الحزبين المختلفين من غيرهم ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ غاية. و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماضٍ و﴿أَمَدًا﴾ ظرف لـ ﴿أَحْصَىٰ﴾ أو مفعول له، والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو ـ أي والمبتدأ مع خبره ـ سدَّ مَسَدّ مفعولي «نعلم». والمعنى أيّهم ضبط أمدًا لأوقات لبثهم وأحاط علمًا بأمَد لبثهم؟ ومَن قال: «أحصى» أفعل من الإحصاء وهو العدّ فقد زلَّ لأن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس. وإنما قال ﴿لِنَعْلَمَ﴾ مع أنه تعالى لم يزل عالمًا بذلك، لأن المراد ما تعلَّق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانًا واعتبارًا، وليكون لطفًا لمؤمني زمانهم، وآية بيِّنة لكفَّاره. أو المراد لنعلم اختلافهما موجودًا كما علمناه قبل وجوده.

المحسنات البديعية المعنوية، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرٌ آخر مماثل لذلك الأمر ذي الصفة في تلك الصفة لأجل المبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر ذي الصفة حتى كأنه بلغ من الاتّصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة، فإن جعلت كلمة مِنْ في الآية تجريدية يكون مطلوبهم أن يبلغ أمرهم في الرّشد والهداية حدًّا يصحّ مع ذلك الحدّ أن يستخلص منه أمرٌ آخر مثله في الرّشد، وفي الوجه الأوّل تكون مِنْ متعلقة بـ هيّىء، ويكون المعنى أنهم لمّا هربوا إلى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدّين سألوا ربّهم أن يهيِّىء لهم الرشد والاستقامة في مفارقتهم الكفار. **قوله**: (ذوات عدد) أي الوصف به بتقدير المضاف. **قوله**: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ﴾ **(جمع فتيّ)** والفتوة بذْل **(النَّدى)** وكفّ الأذى وترك **(الشكوى)** واجتناب المحارم واستعمال المكارم. وقيل: الفتى مَن لا يدَّعي قبل الفعل ولا يزكِّي نفسه بعد الفعل ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ يقينًا، وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف الله في قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضًا وقالوا: ليخل اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يُضمِر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان.

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥﴾

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ وقويناهم بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض **(الغيران)** وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ بين يدي الجبار ـ وهو **(دقيانوس)** ـ من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مفتخرين ﴿لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ﴾ ولئن سمَّيناهم آلهة ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ قولًا ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه **(من شطّ يشِطّ ويشُطّ)** إذا بعد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوۡمُنَا﴾ عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾ خبر وهو إخبار في معنى الإنكار ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾ هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾ بحجة ظاهرة

قوله: **(جمع فَتِيّ)** كصبيّ وصبية. اهـ بيضاوي. أي بفتح الفاء وكسر التاء وتشديد الياء أصله فتوى بوزن فعول واوي قلبت واوه ياء ثم أدغمت الياء في الياء وكسر التاء لمحافظة الياء، وكذا صبي أصله صبوي. قوله: صبية بكسر الصاد وسكون الياء المخفّفة وفتح الباء والتاء الفوقية. **قوله**: (النَّدى) الخير. **قوله**: **(الشكوى)** بالفتح.

قوله: **(دقيانوس)** بكسر الدال اسم ملك مشرك. **قوله**: **(الغيران)** جمع غار مثل نار ونيران. **قوله**: (من **شطّ يشطّ ويشطّ**) من بابي ضرب وقتل.

وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان مُحال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب مَن بعضهم لبعض حين صمَّمت عزيمتهم على الفرار بدينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ نصب عطف على الضمير أي وإذ اعتزلتموهم وإذا اعتزلتم معبودهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء متصل لأنهم كانوا يقرّون بالخالق ويُشركون معه غيره كأهل مكة، أو منقطع أي وإذ اعتزلتم الكفّار والأصنام التي يعبدونها من دون الله، أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ صيروا إليه أو اجعلوا الكهف مأواكم ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ من رزقه ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (﴿مَرْفِقًا﴾ **مدني وشامي**) وهو ما يرتفق به أي ينتفع. وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكّلهم عليه (**ونصوع يقينهم**)، أو أخبرهم به نبي في عصرهم.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ **بتخفيف الزاي: كوفي ﴿تزْوَرُّ﴾ شامي**)،

قوله: (﴿مَرْفِقًا﴾) بفتح الميم وكسر الفاء (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء، فقيل: هما لغتان بمعنى واحد في الجارحة وفي ما يرتفق به، أي ينتفع به، وقد يُستعمل كلّ واحدٍ منهما في موضع الآخر، وقيل: هما لغتان فيما يرتفق به. وأما الجارحة فبكسر الميم فقط. **قوله**: (**ونصوع يقينهم**) أي خلوص يقينهم عن شَوْب الشكّ، والناصع الخالص من كل شيء.

قوله: (﴿تَزَٰوَرُ﴾ **بتخفيف الزاي**) أي بفتح الزاي مخفّفة وألف بعدها وتخفيف الراء وأصله نتزاور حذفت إحدى التائين تخفيفًا (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي («**تزْوَرّ**») بإسكان الزاي وتشديد الراء بلا ألف من الازورار كتحمَرُّ (**شامي**) أي ابن عامر الشامي («**تزَّاور**») بفتح الزاي مشدّدة وبعدها ألف

﴿تَّزَاوَرُ﴾ **(غيرهم)** وأصله تتزاور بإدغام التاء في الزاي أو حذفها والكل **(من الزَّوَر)** وهو الميل، ومنه زاره إذا مال إليه، **(والزور)** الميل عن الصدق ﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾ أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ **(جهة اليمين وحقيقتها)** الجهة المسماة باليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تقطعهم أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ في متَّسع من الكهف. والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس من طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح مُعَرَّض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم. وقيل: منفسح من غارهم ينالهم فيه **(رَوح الهواء)** و**(برد النسيم)** ولا يحسّون **(كرب الغار)** ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله يعني أن ما كان في ذلك **(السمت)** تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصًا لهم بالكرامة. وقيل: باب الكهف شمالي مُستقبِل **(لبنات نعش)** فهم في **(مقنأة)** أبدًا، ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ (فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ **مثل ما مرَّ في «سبحان»)** وهو ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السَّنِيَّة ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ أي مَن أضلَّه فلا هادي له.

(غيرهم). **قوله**: (من الزَّوَر) بفتحتين. **قوله**: (والزور) بالضمّ. **قوله**: (جهة اليمين) أي من طرف اليمين من الجهات، وهذا حاصل المعنى، ولذا قال: (وحقيقتها) أي أصلها... الخ. **قوله**: (روح الهواء) بفتح الراء المهملة طيبه، وهو الهواء الذي يهبّ من موضع طيّب كالنسيم والريح الذي يهبّ من مطلع الشمس إذا استوى اللّيل والنهار.اهـ قنوي. **قوله**: (برد النسيم) في المصباح: النسيم نفس الريح. **قوله**: (كرب الغار) المراد بالكرب ثقلته وركود[1] هوائه. **قوله**: (السَّمت) ـ بالفتح ـ الجهة. **قوله**: (لبنات نعش) علَم لكواكب معروفة في السماء. **قوله**: (مقنأة) أي موضع لا يقع عليه الشمس، وفي لسان العرب: المقنوة خفيفة من الظلّ حيث لا يصيبه الشمس في الشتاء، قال أبو عمرو: ومقناة ومقنوة بغير همز.اهـ. **قوله**: (﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ مثل ما مرّ في سبحان) أي (بالياء) بعد الدال في الحالين (يعقوب) بن إسحٰق (وسهل) بن محمد وليسا من السبعة،

---

(١) أي كون الهواء راكدًا فيه. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾

﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ﴾ (بفتح السين: **شامي وحمزة وعاصم غير الأعشى**)، وهو خطاب لكل أحد ﴿أَيۡقَاظٗا﴾ (**جمع يقظ**) ﴿وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ نيام. قيل: عيونهم مُفتَّحة وهم نِيام فيحسبهم النَّاظر لذلك أيقاظًا ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ قيل: لهم تقلّبتان في السنة. وقيل: تقلّبة واحدة في يوم عاشوراء ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ (**حكاية حال ماضية**) لأن اسم الفاعل (**لا يعمل إذا كان في معنى المضي**) ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ (**بالفناء أو بالعتبة**) ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم

(وافقهما أبو عمرو) البصري، (ومدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (في الوصل) دون الوقف، والباقون بحذف الياء وقفًا ووصلًا، انتهى ما أفاده المصنف رحمه الله. في سبحان بزيادة. قوله: (السَّنيّة) الرفيعة.

قوله: (**بفتح السين: شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعاصم غير الأعشى**)[1] وهو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال رحمه الله، والباقون بكسرها. **قوله**: (**جمع يقظ**) بكسر القاف وفتحها. اهـ فتح القدير للشوكاني رحمه الله. وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله: يقظ ـ بضم القاف وكسرها ـ وهو اليقظان. اهـ. **قوله**: (**حكاية حال ماضية**) معنى حكاية الحال الماضية عند النحّاة أنّ القصة الماضية كأنها عَبّر عنها في وقوعها بصيغة المضارع كما هو حقّها، ثم حكى تلك الصيغة بعد مضيّها؛ كذا في الحواشي السعدية في أواخر سورة النون. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (**لا يعمل إذا كان في معنى المضيّ**) أو الاستمرار وإن أجازه الكسائي مستدلًا بهذه الآية، فأشار إلى جوابه بما ذكره حاصله أن عمل باسط هنا لكونه بمعنى الحال، ولو محكيًا. **قوله**: (**بالفِناء**) ـ بكسر الفاء والمدّ ـ الرَّحبة التي يرتفق بها عند الدار ونحوها. **قوله**: (**أو بالعَتَبة**) العَتَبة ما يحاذيه من الأرض لا المتعارف حتى يرد أن الكهف لا باب له ولا عتبة، مع أنه لا مانع منه. قال السهيلي: والحكمة في كونه خارجًا أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا

---

(١) يروي عن أبي بكر شعبة، وهو يروي عن عاصم. ١٢ منه رحمه الله.

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾ لأعرضت عنهم و(هربت) منهم ﴿فِرَارًا﴾ منصوب على المصدر لأن معنى ﴿وليت منهم﴾ فررت منهم ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (**وبتشديد اللام بعد الميم حجازي**) للمبالغة ﴿رُعْبًا﴾ تمييز. و(**بضم العين: شامي**) و(**علي**)، وهو الخوف الذي يُرعب الصدر (**أي يملؤه**) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعِظَم أجرامهم. وعن (**معاوية**) أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف فقال: أريد

تدخل بيتًا فيه كلب. اهـ شهاب. **قوله**: (**هربت**) في مختار الصحاح: الهَرَب الفرار وقد هَرَب يهرُب هَرَبًا مثل طلَبَ يَطْلُب طَلَبًا. اهـ. **قوله**: (**وبتشديد اللام بعد الميم حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، يعني قرأه نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكيّ، والباقون بتخفيفها وأبو شعيب[1] السُّوسي بإبدال الهمزة ياء على أصله وقفًا ووَصْلًا وحمزة في الوقف فقط. **قوله**: (**بضمّ العين: شامي**) أي ابن عامر الشامي، (**علي**) الكسائي، والباقون بسكونها. اهـ خطيب.

قوله: (**أي يملؤه**) إشارة إلى أنه تمييز محوّل عن الفاعل. **قوله**: (**معاوية**) بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأُموي أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين. اهـ تقريب. رُوِيَ له عن النبيّ ﷺ مائة حديث وثلاثة وستّون حديثًا. روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو الدرداء وجرير البجلي والنعمان بن بشير وغيرهم، ومن التابعين ابن المسيّب وحميد بن عبد الرحمٰن بن أبي عميرة وغيرهما، وكان من الموصوفين بالدهاء[2] والحِلم، أخرج الترمذي وحسّنه عن عبد الرحمٰن بن أبي عميرة الصحابي عن النبيّ ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللّهمّ اجعله هاديًا مَهْديًا». وأخرج أحمد في مسنده عن العِرْباض بن سارية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمّ علّم معاوية الكتاب والحساب وقِه العذاب». وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ: «يا معاوية، إذا ملكتَ فأحْسِنْ»، ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام سار معاوية مع

---

(١) يروي عن اليزيدي يحيىٰ بن المبارك عن أبي عمرو رحمه الله. ١٢ منه رحمه الله تعالى.
(٢) الدَّهاء جودة الرأي والأدب، قاموس. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

أن أدخل فقال (**ابن عباس رضي الله تعالى عنهما**): لقد قيل (**لمن هو خير منك**) ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فدخلت جماعة بأمره (**فأحرقتهم**) ريح.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ وكما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهارًا للقدرة على الإنامة والبعث جميعًا ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضهم بعضًا ويتعرَّفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلّوا على عِظَم قدرة الله ويزدادوا يقينًا ويشكروا ما أنعم الله به عليهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ رئيسهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ كم مدة لبثكم؟ ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ بمدة لبثكم إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله. ورُوِيَ أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك. وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على أن الصحيح أن عددهم سبعة لأنه قد قال في الآية: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ وهذا واحد، وقالوا في جوابه: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وهو جمع وأقله ثلاثة، ثم قال: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وهذا قول

أخيه يزيد بن أبي سفيان، فلمّا مات يزيد استخلفه على دمشق فأقرّه عمر ثم أقرّه عثمان وجمع له الشام كلّه، فأقام أميرًا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**ابن عباس رضي الله تعالى عنهما**) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحِبْر لسِعَة عِلْمه مات سنة ثمان وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله**: (**لمن هو خيرٌ منك**) ومن جميع المخلوقات ﷺ. **قوله**: (**فأحرقتهم**) وفي نسخة: فأخرجتهم، وفي أخرى: فأهلكتهم.

جمع آخرين فصاروا سبعة ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا أحدكم - أي يمليخا - ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، (**وبسكون الراء: أبو عمرو وحمزة وأبو بكر**) ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ هي (**طرسوس**) وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكّلين على الله دون المُتَّكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات. وعن بعض العلماء أنه كان شديد (**الحنين**) إلى بيت الله ويقول: ما لهذا السفر إلا شيئان شدّ (**الهِمْيان**) والتوكّل على الرحمٰن ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ﴾ (**أي أهلها**) فحذف كما في ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢] و«أي» مبتدأ وخبره ﴿أَزۡكَىٰ﴾ أحلّ وأطيب أو أكثر وأرخص ﴿طَعَامٗا﴾ تمييز ﴿فَلۡيَأۡتِكُم (بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ) وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ (**وليتكلَّف اللطف**) فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفّي حتى لا يعرف ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ (**ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا**) من غير قصد منه فسمّى ذلك إشعارًا منه بهم لأنه سبب فيه.

قوله: (**وبسكون الراء: أبو عمرو**) البصري (**وحمزة وأبو بكر**) شعبة، والباقون بكسرها. ومَنْ سكَّن فخَّم الراء، ومن كسر رقّق. **قوله:** (**طرسوس**) بفتح الراء بلد[1] إسلامية معروفة. **قوله:** (**الحَنِين**) في مختار الصحاح: الحنين الشوق وتَوقان النفس. اهـ. **قوله:** (**الهِمْيان**) كيس يجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط، وجمعه همايين، قال الأزهري: وهو معرب دخيل في كلامهم ووزنه فعيال وعكس بعضهم فجعل الياء أصلًا والنون زائدة، فوزنه فعلان. اهـ مصباح. **قوله:** (**أي أهلها**) يعني أنه بتقدير مضاف.

قوله: (﴿بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾) إن كان الضمير للطعام فمِن لابتداء الغاية أو للتبعيض، وإن كان للورق فللبدل. **قوله:** (**وليتكلّف اللّطف**) يعني أن التفعّل هنا لإظهار أمر وتكلّفه وبيّن وجه إظهاره بأمرين. **قوله:** (**ولا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا**) أي ذكر المسبّب وأُريد السبب مجازًا أو كناية؛ إذ الإشعار يتحقّق لا محالة إن فعل ما يؤدّي إليه فلا مساغ لنهي الإشعار بلا نهي عن سببه، فلا جرم

---

(١) البلد يُذكّر ويؤنّث، كذا في المصباح. ١٢ منه رحمه الله.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ راجع إلى الأهل المقدّر في ﴿أَيُّهَا﴾ ﴿إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ يطلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم أخبث القتلة ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بالإكراه، والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ ﴿إِذًا﴾ يدل على الشرط أي ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبدًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ أي الذين أطلعناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ وهو البعث ﴿حَقٌّ﴾ كائن لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال مَن يموت ثم يُبعَث ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ متعلق بـ ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أي أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول: تُبعَث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تُبعَث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبيَّن أن الأجساد تُبعَث حيَّة حسَّاسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت ﴿فَقَالُواْ﴾ حين توفَّى الله أصحاب الكهف ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي على باب كهفهم لئلا يتطرَّق إليهم الناس (ضنًّا) بتربتهم ومحافظة عليها **(كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة)** ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك

أن المراد نهيه عن السبب ويستلزم النهي عن المسبّب والنون المشدّدة لتأكيد النهي.

قوله: (ضِنًّا) بالكسر أي بخلًا، وفي نسخة: صيانة بدل ضنًّا. **قوله: (كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة)** وهي في الأصل الموضع الذي يُحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل تَقِيها الحرّ والبرد والريح. اهـ لسان العرب. قال الجمال الإسنوي في رسالةٍ له في منع الولاة من استعمال النصارى: أن الملك العادل نور

قالوا: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ﴾ أو من كلام الله عزّ وجلّ ردًّا لقول الخائضين في حديثهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾ على باب الكهف ﴿مَّسْجِدًا﴾ يصلّي فيه المسلمون ويتبرّكون بمكانهم.

الدين الشهيد رأى النبيّ ﷺ في نومه في ليلة ثلاث مرات، وهو يشير إلى رجلين أشقرين، ويقول: أنجدني أنقذني من هذين، فأرسل إلى وزيره وتجهّزا في بقيّة ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين نفرًا، وصحب مالًا كثيرًا وقَدِمَ المدينة في ستة عشر يومًا، فزارا ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدّق عليهم ويتأمل تلك الصفة إلى أن انقضت الناس، فقال: هل بَقِي أحد؟ قالوا: لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة، فطلبهما فرآهما فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبيّ ﷺ، فسأل عن منزلهما فأُخبر أنهما في رباط بقرب الحجرة، فأمسكهما ومضى إلى منزلهما فلم ير إلا ختمتين وكتبًا في الرقائق ومالًا كثيرًا، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير، فرفع السلطان حصيرًا في البيت فرأى سردابًا محفورًا ينتهي إلى صوب الحجرة، فارتاعت الناس لذلك، وقال لهما السلطان: أصدقاني، وضربهما ضربًا شديدًا فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما سلطان النصارى في زِيّ حجّاج المغاربة وأمالهما بأموال عظيمة ليتحيّلا في الوصول إلى الجناب الشريف ونقله وما يترتّب عليه، فنزلا بأقرب رباط وصارا يحفران ليلًا ولكلّ منهما محفظة جلد والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيع بعلّة الزيارة، فلمّا قَرُبا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم، فقَدِمَ السلطان صبيحة تلك اللّيلة فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاءً شديدًا وأمر بضرب رقابهما، فقُتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقًا عظيمًا إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلّها وأذيب ذلك الرصاص وملئ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة كلها سورًا رصاصًا إلى الماء، انتهى. اهـ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للعلّامة الشيخ السمهودي رحمه الله. وفي كتاب مطالع المسرّات بجلاء دلائل الخيرات: وصفة الروضة على ما هي عليه الآن بعد إنشائها عام ستّة وثمانين وثمانمائة على ما ذكره بعض المتأخّرين عمّا أخبره به الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بركات الحطّاب عن

رُوِيَ أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأُكرِهوا على عبادتها وممَّن شدّد في ذلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشِّرْك وتوعَّدهم بالقتل وتوعَّدهم بالقتل فأبوا إلا الثَّبات على الإيمان **(والتصلّب فيه)**، ثم هربوا إلى الكهف ومرّوا بكلب فتبعهم فطردوه. فأنطقه الله تعالى فقال: ما تريدون مني إني أُحبّ أحِبَّاء الله فناموا وأنا أحرسكم. وقيل: مرّوا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على

والده، وقد حضر إنشاءها أن القبور الشريفة ليس عليها علامة سوى ارتفاع الأرض، ثم بُنِيت عليها قبّة صغيرة كقباب صلحائنا في هذا الزّمان ليست بمثلّثة ولا مربّعة ولا مخمّسة مطموسة بالبنيان من أسفل ومن فوق، ولم يبق لها عدا طاقة في أعلاها يخرج منها النور كهذه، ثم على القبة المذكورة قبّة أخرى أعظم منها لكنها إلى التخميس أقرب، وهي ثلاث طبقات: الطبقة الأُولى التي تلي الأساس، والأساس منشأ بحجارة سود ملبس بالرخام الأبيض غير الرخام التي فيها المسمار الفضي، فإنها حمراء جدًّا؛ والطبقة الثانية من الآجر؛ والطبقة الثالثة من العود فيها تربط الكسوة وليست بمطمسة كما هي الأُولى، ثم على القبّتين قبّة شامخة تعلو الصومعة أو تقرب منها، وهي مربّعة على أركان أربعة وسوار عشر غير الروضة الصغيرة، وأرضها مفروش بالرخام غير الموضع الذي يُذكر أنه يُدفن فيه عيسى عليه السلام في السهوة وهو معروف عند الخدّام ومَنْ شاهد ذلك، ولها أربعة أبواب: باب التوبة، وهو في قبلة المسجد في شباك النحاس يفتح عند نزول الشدائد ليس إلّا. وباب الوقود يفتح كل ليلة لوقود المصابيح، وباب فاطمة كذلك يدخل منه بالشمع وبالمبخّرات كل ليلة، وفي ليلة الجمعة لكشف الصندوق المواجه لرأسه عليه السلام ورشّه بماء الورد وغيره من الطِّيب، وفي صبيحتها لكنس الحجرة، وباب التهجّد تارة بتارة، وفي يوم الجمعة أيضًا تُحلَّل الأبواب كلّها بحُلل الحرير، انتهى. اهـ. صلّى الله وسلم على صاحبها وآله وصحبه وأتباعه ونوّابه وعلينا معهم بمنّه وكرمه ورزقنا زيارته كرّات بعد مرّات ومرّات بعد كرّات وحسن الختام بجواره صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قوله: (والتصلّب فيه) في تاج العروس: يقال: قد تصلّب فلان، أي تشدّد. اهـ.

آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله مَلَكَ مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البَعْث مُعتَرِفين وجاحدين، فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس (**مسحًا**) وجلس على (**رماد**) وسأل ربه أن يبيِّن لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من (**رُعيانهم**) فهدم ما سدّ به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه. ولما دخل المدينة مَن بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق ـ وكان من ضَرْب دقيانوس ـ اتهموه بأنه وجد كنزًا فذهبوا به إلى الملك فقصَّ عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدَّالَّة على البَعْث. ثم قالت الفِتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شرِّ الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفَّى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من (**السّاج**) وبنى على باب الكهف مسجدًا.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الضمير في ﴿سَيَقُولُونَ﴾ لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من المؤمنين، وأهل الكتاب سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخَّر الجواب إلى أن يُوحَى إليه فيهم فنزلت إخبارًا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأن المُصيب منهم مَن يقول سبعة وثامنهم كلبهم. ويُروَى أن السيد والعاقِب وأصحابهما من أهل (**نجران**) كانوا عند النبي ﷺ، فجرى ذِكْرُ أصحاب

قوله: (مسحًا) المِسْح بوزن الملح البَلَاس. **قوله**: (رماد) بالفتح معروف. **قوله**: (رعيانهم) الرعيان بالضم جمع الراعي. **قوله**: (السَّاج) ضرب من الشجر.

قوله: (نجران) علَم موضع كان به قوم من نصارى العرب وفدوا على النبيّ ﷺ.

الكهف فقال السيد (ـ وكان **يعقوبيًا** ـ): كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقال العاقِب ـ وكان نسطوريًّا ـ: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. فحقق الله قول المسلمين. وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ. وبما ذكرنا من قبل. وعن (**عليّ**) رضي الله عنه: هم سبعة نفر أسماؤهم: يمليخا ومكشلينا ومشلينا ـ هؤلاء أصحاب يمين الملك ـ وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش ـ وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره ـ (**والسابع الراعي**) الذي

قوله: (**وكان يعقوبيًا**) النصارى ثلاث فرق: يعقوبيّة[١]، ونسطورية[٢]، وملكانية[٣]. **قوله**: (**عليّ**) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين، المرجح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. اهـ تقريب. رُوِي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستّة وثمانون حديثًا، روى عنه بنوه الثلاثة: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو موسى وأبو سعيد وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وأبو أُمامة وأبو هريرة وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. أخرج مسلم عن عليّ، قال: والذي فَلق الحبّة وبَرَأَ النَّسَمة لعَهَد النبيّ الأُمّي إليَّ .أنه لا يحبّني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق. وأخرج الترمذي والحاكم عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي وقد بيَّنتُ حاله في التعقيبات على الموضوعات. اهـ تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي بالتقاط. **قوله**: (**والسابع الراعي**) واسمه كفيشططيونس.

---

(١) هم الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: الآية ١٧]. ١٢ قنوي.

(٢) هم الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: الآية ٧٣]. اهـ قنوي. وفي البيضاوي: نسطورية قالوا: إنه ابن الله. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

(٣) قالوا: هو ثالث ثلاثة. ١٢ بيضاوي.

رافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، (واسم مدينتهم أفسوس) واسم كلبهم قطمير. وسين الاستقبال وإن دخل في الأول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك: «قد أكرم وأنعم» تريد معنى التوقع في الفعلين جميعًا، أو أُريد بـ «يفعل» معنى الاستقبال الذي هو صالح له ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة، وكذلك ﴿خَمْسَةٌ﴾ و﴿سَبْعَةٌ﴾ و﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لـ ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ رميًا (بالخبر الخفي وإتيانًا به) كقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: الآية ٥٣] أي يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل: «ظنًّا» بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبقَ عندهم فرق بين العبارتين. والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالًا عن المعرفة في قولك: «جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف». وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتّصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قالوه عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ وأتبع القول الثالث قوله: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ أي قل ربي أعلم بعدّتهم وقد أخبركم بها بقوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من ذلك القليل. وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في ﴿سَيَقُولُونَ﴾ على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ إلا جدالًا ظاهرًا غير متعمّق فيه وهو أن تقصّ عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد (من غير تجهيل لهم) أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾

قوله: (واسم مدينتهم) في الجاهلية (أفسوس) بضم الهمزة وسكون الفاء. وأمّا في الإسلام، فاسمها طَرَسوس. **قوله**: (بالخبر الخفيّ) تفسير للغيب بمعنى الغائب عنهم. **قوله**: (وإتيانًا به) أي بالخبر معطوف على رميًا تفسير للمراد به. **قوله**: (من غير تجهيل لهم) أي بطريق التصريح بجهلهم، كأن يقال: أنتم جاهلون

ولا تسأل أحدًا منه عن قصتهم سؤال متعنّت له حتى يقول شيئًا فتردّه عليه (وتزيف) ما عنده ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾، لأجل شيء تعزم عليه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ الشيء ﴿غَدًا﴾ أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن تقوله بأن يأذن ذلك لك فيه، أو ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته، وهو في موضع الحال أي ملتبسًا بمشيئة الله قائلًا إن شاء الله. وقال (الزجّاج): معناه: ولا تقولن إني أفعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى، لأن قول القائل: «أنا أفعل ذلك إن شاء الله» معناه لا أفعله إلا بمشيئة الله، وهذا نهي تأديب من الله لنبيّه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال: ائتوني غدًا أُخبركم ولم يستثنِ فأبطأ عليه الوحي حتى شقّ عليه ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبّهت عليها فتداركها بالذِّكر. عن (الحسن): ما دام في مجلس الذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ولو بعد سنة. وهذا محمول على تدارك التبرّك بالاستثناء، فأما الاستثناء المغير حكمًا فلا يصحّ إلا متصلًا، وحُكِيَ أنه بلغ (المنصور) أن

لحصول التجهيل بالقراءة عليهم ما يخالفهم قولهم. **قوله**: (وتزيف) التزييف بيان زيف الدراهم أي مغشوشها، وهو هنا بمعنى الردّ استعارة منه.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله. **قوله**: (الحسن) البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم، توفي بالبصرة سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (المنصور) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأُمّه سلامة البربرية أمّ ولد. وُلِد سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرْوِ عنه، وروى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهدي وهو الذي ضرب أبا

(أبا حنيفة) رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة: هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده. أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدًا في البعث على الاهتمام بها، أو صَلِّ صلاة نسيتها إذا ذكرتها، أو إذا نسيت **(شيئًا)** فاذكره ليذكرك **(المنسي)** ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ يعني إذا نسيت **شيئًا** فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا **المنسي** أقرب منه رشدًا وأدنى خيرًا ومنفعة (**«أن يهديني»**، **«إن ترني»**، **«أن يؤتيني»**، **«أن تعلمني»**: **مكي في الحالين، ووافقه أبو عمرو ومدني في الوصل**).

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ يريد لبثهم فيه أحياء مضروبًا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمَل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ

حنيفة رحمه الله على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام، وقيل: إنه قتله بالسمّ لكونه أفتى بالخروج عليه، وكانت وفاته بالبطن في ذي الحجّة، ودُفِن بين الحَجُون وبين بئر ميمون. **قوله:** **(أبا حنيفة)** النعمان بن ثابت وُلِد سنة ثمانين وهو الصحيح، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة، وهو ابن سبعين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (شيئًا) من الأشياء.

قوله: (المنسيّ)[1] اسم مفعول نسي أصله منسوي، أو من التفعيل بفتح السين والقصر. **قوله:** (**«أن يهديني»**، **«إن ترني»**، **«أن يؤتيني»**، **«أن تعلمني»**) بالياء (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**في الحالين ووافقه أبو عمرو**) البصري (**ومدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة بالياء (**في الوصل**).

---

(١) بوزن مرميّ، ١٢ منه رحمه الله.

سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ وسنين عطف بيان لثلاثمائة. (**ثلاثمائة سنين بالإضافة: حمزة وعليّ على وضع الجمع موضع الواحد**) في التمييز كقوله: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٣]، ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه ﴿تِسْعًا﴾ مفعول به لأن «زاد» تقتضي مفعولين فـ «ازداد» يقتضي مفعولًا واحدًا.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به، أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب و﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ ردٌّ عليهم، والجمهور على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم كذا مدة ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر اختصاصه بعلم (**ما غاب**) في السمٰوات والأرض (**وخفي**) فيها (**من أحوال أهلها** ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾) ﴿وَأَسْمِعْ﴾ أي وأسمع به

قوله: (**ثلاثمائة سنين**) بغير تنوين (**بالإضافة حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بالتنوين. **قوله**: (**على وضع الجمع موضع الواحد**) فإنّه لا وجه لقراءة الإضافة سوى أن يكون سنين تمييزًا وحقّ مائة أن يُضاف إلى مميّزه مفردًا، ويقال: ثلاثمائة سنة كما يقال: ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم. قال ابن الحاجب: ومميّز مائة وألف وتثنيتهما وجمعهما مخفوض مفرد، فقد ظهر أن الأصل في الاستعمال إفراد مميّز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة في الدّلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد في قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٣]، فإن الأصل فيه بالأخسرين عملًا لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد أخفّ لكن أُوثر الجمع مبالغةً وتنصيصًا على الأنواع بأن كل نوع كأنه جنس مستقلّ يكفي لزيادة خسرانهم.

قوله: (**ما غاب**) يعني أن ﴿غَيْبُ﴾ مصدر بمعنى الغائب. **قوله**: (**وخفي**) تفسير للغيب. **قوله**: (**من أحوال أهلها**) بيان لـ ﴿ما﴾. **قوله**: (﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾[1])

---

(١) زيدت الباء في الفاعل إصلاحًا للفظ، قال نجم الدين الأستراباذي في شرح الكافية: وأما أحسن بزيد فعند سيبويه لفظ أفعل صورته الأمر ومعناه الماضي من أفعل، أي صار ذا فعل=

والمعنى (**ما أبصره**) بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع ﴿مَا لَهُم﴾ لأهل السمٰوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ من مُتَوَلٍّ لأمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ﴾ في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم، (﴿**ولا تشرك**﴾ **على النهي: شامي**). كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ أي من القرآن ولا تسمع لما (**يَهْزَءون**) به من طلب التبديل فإنه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ (**أي لا يقدر أحد على تبديلها**) أو تغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ تعدل إليه أن هممت بذلك. ولما قال قوم من رؤساء الكَفَرَة لرسول الله ﷺ: (**نحِّ**) هؤلاء الموالي وهم (**صهيب**) و(**عمّار**)

أي بالله. **قوله**: (**ما أبصره**) أي الله. **قوله**: (﴿**ولا تشرك**﴾) بالتاء على الخطاب وجزم الكاف (**على النهي**: **شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالغيب ورفع الكاف على الخبر.

قوله: (**يَهْزَءون**) يسخرون. **قوله**: (**أي لا يقدر أحد على تبديلها**) أي بطريق من طرق النسخ مع أن النسخ ليس بتبديل في الحقيقة، بل المنسوخ مغيى إلى وقت طريان الناسخ، فالنسخ كالغاية له، فكيف يكون تبديلاً؟اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**نح**) في مختار الصحاح: نحّاه عن موضعه فتنحى.اهـ. **قوله**: (**صهيب**) بن سنان بن مالك أبو يحيىٰ الرومي أصله من النمر، يقال: كان اسمه عبد الملك وصُهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة عليّ، وقيل قبل ذلك. **قوله**: (**عمّار**) بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي ـ بالنون ساكنة ومهملة ـ أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين

= كلحم، أي صار ذا لحم، والباء بعده زائدة في الفاعل.اهـ. ومحله النصب على المفعولية عند الأخفش. فإن قولك: أحسن بزيد أمر لكل أحد بأن يجعل زيدًا حسنًا، أي بأن يصفه بالحسن، فكأنه قيل: صفه بالحسن كيف شئت، فإن فيه كل ما يمكن أن يكون في الشخص. ١٢ منه رحمه الله.

و(خباب) و(سلمان) وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نُجالسك نزل:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ واحبسها معهم وثبّتها ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ **(دائبين)** على الدعاء في كل وقت، أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير، والعشي لطلب عفو التقصير، أو هما صلاة الفجر والعصر. («**بالغُدْوَة» شامي**) ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ رضا الله ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تجاوز، عداه إذا جاوزه وعدي بـ «عن» **(لتضمن «عدا» معنى «نبا»)** في قولك: «نبت عنه عينه»، **(وفائدة التضمين إعطاء مجموع معنيين)** وذلك أقوى من إعطاء معنى قد ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

الأوّلين بدريّ قُتل مع عليّ بصفّين سنة سبع وثلاثين. **قوله**: **(خباب)** بموحّدتين الأُولى مثقلة ابن الأرَتّ التميمي أبو عبد الله من السابقين إلى الإسلام وكان يعذّب في الله، وشهد بدرًا ثم نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين. **قوله**: **(سلمان)** الفارسي أبو عبد الله، ويقال له سلمان الخير أصله من أصبهان، وقيل: من رَامَهُرْمُزْ أول مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين يقال: بلغ ثلاثمائة سنة.

قوله: **(دائبين)** في مختار الصحاح: دأب في عمله جَدَّ وتَعِبَ وبابه قطع وخضع، فهو دائب بالألف لا غير. اهـ. **قوله**: **(«بالغُدْوَة»)** بضمّ الغين المعجمة وسكون الدال وبعدها واو مفتوحة **(شاميّ)** أي ابن عامر الشامي، والباقون بفتح الغين والدال وألف بعدها، والرسم في المصحف بالواو هنا وفي سورة الأنعام. **قوله**: **(لتضمّن «عدا» معنى نَبا[١])** يقال: نبا الشيء عنه ينبو، أي تجافى وتباعد ونبا بصري عن الشيء إذا اقتحمه ولم يعلق به، ويقال: اقتحَمَتْه عيني، أي ازدرته. **قوله**: **(وفائدة التضمين إعطاء مجموع معنيين)** معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام، ولو قيل: ولا تنب عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولم يفهم معنى المجاوزة، فجمع بين مادّة العدوّ وكلمة عن ليحصل مجموع المعنيين وذلك أبلغ من إفادة المعنى الواحد. قوله: فذ في المصباح: الفذّ الواحد، وجمعه فذوذ. اهـ.

---

(١) بمعنى على وبعد المتعدّي بعن. ١٢ منه رَحِمَهُ اللهُ.

في موضع الحال ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ مَن جعلنا قلبه غافلًا عن الذِّكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالِق أفعال العباد ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ مجاوزًا عن الحق.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩﴾

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ أي الإسلام أو القرآن، و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ أي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك. وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيّهما شاء فكأنه مُخيَّر مأمور بأن يتخيَّر ما شاء من (**النجدين**). ثم ذكر جزاء مَن اختار الكفر فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ هيّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ للكافرين فقيد بالسياق كما تركت حقيقة الأمر والتخيير بالسياق وهو قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ (**شبّه ما يحيط بهم من النار بالسرادق**) وهي الحجزة التي تكون حول (**الفسطاط**)، أو هو دخان يحيط بالكفّار قبل دخولهم النار، (**أو هو حائط من نار يطيف بهم**) ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾ من العطش ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ هو (**دردي الزيت**) أو ما أُذيب من

قوله: (**النجدين**) أي الطريقين. **قوله**: (**شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق**) فتكون الإضافة في ﴿سُرَادِقُهَاۚ﴾ بمعنى من، كما في خاتم فضّة. **قوله**: (**الحجزة**) ـ بالزاي ـ أي ما يحجز ويمنع من الوصول إليه من خندق ونحوه، أو بالمهملة أي الحظيرة التي تُجعل حوله. **قوله**: (**الفسطاط**) الخيمة. **قوله**: (**أو هو حائط من نار**) رُوِيَ عنه عليه الصّلاة والسلام أنه قال: «سرادق النار أربعة جُدُر، كل جدار مسيرة أربعين سنة»، والمعنى أنهم وراء هذه الجدر، فهي بهم محيطة. **قوله**: (**يطيف بهم**) في المصباح: طاف بالشيء يطوف طوفًا وطوافًا استدار به والمطاف موضع الطواف وطاف يطيف من باب باع وأطافا بالألف واستطاف به كذلك، وأطاف بالشيء أحاط به.اهـ. **قوله**: (**دردي الزيت**) وهو ما يبقى في أسفله.

جواهر الأرض وفيه تهكّم بهم ﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾ إذا قَدِم ليشرب انشوى الوجه من حرارته ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ ذلك ﴿وَسَآءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ (متكأ) من الرِّفق وهذه لمشاكلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

وبيّن جزاء مَن اختار الإيمان فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ كلام مستأنف بيان للأجر المبهم، ولك أن تجعل ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ خبرين معًا. والمراد مَن أحسن منهم عملًا كقولك: «السمن منوان بدرهم»، أو لأن ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ينتظمهما معنى واحد فأقام من «أحسن» مقام الضمير ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ «من» للابتداء، وتنكير أساور ـ وهي جمع أسورة التي هي جمع سوار ـ لإبهام أمرها في الحُسْن ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ «من» للتبيين ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ ما رَقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه أي يجمعون بين النوعين ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ خصَّ الاتّكاء لأنه هيئة المتنعّمين والملوك على أسِرَّتهم ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجنة ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الجنة والأرائك ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل، أحدهما كافر اسمه (قطروس)، والآخر مؤمن اسمه

قوله: (متكأ) من المرفق وهو موصل الذراع والعضد، فسّر المرتفق في الآية بالمتّكأ وهو موضع الاتّكاء على مرفق يده بأن ينصبه ويجعله دعامة نحره، وذلك إنما يكون للاستراحة، ولا استراحة لأهل النار فلا اتّكاء.

قوله: (قطروس) بضم الفاء أو القاف كما في شروح الكشاف، وبعده طاء وراء وسين مهملات.

(يهوذا). وقيل: هما المذكوران في «والصافات» في قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الصافات: الآية ٥١] ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين، فاشترى الكافر أرضًا بألف دينار فقال المؤمن: اللَّهمَّ إن أخي اشترى أرضًا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضًا في الجنة بألف فتصدق به، ثم بنى أخوه دارًا بألف فقال: اللَّهمَّ إني أشتري منك دارًا في الجنة بألف فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال: اللَّهمَّ إني جعلت ألفًا صداقًا للحور، ثم اشترى أخوه خدمًا ومتاعًا بألف دينار فقال: اللَّهمَّ إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدَّق به، ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمرَّ به في حشمه فتعرَّض له فطرده ووبَّخه على التصدّق بماله ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ بساتينَ من (كروم) ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وجعلنا النخل محيطًا بالجنتين وهذا مما يُؤْثره (الدهاقين) في كرومهم أن يجعلوها (مؤزرة) بالأشجار المثمرة. يقال: حفوه إذا أطافوا به، وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو مُتَعَدٍّ إلى مفعول واحد فتزيد الباء مفعولًا ثانيًا ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ جعلناها أرضًا جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسَّطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب (الأنيق).

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ﴾ أعطت حمل على اللفظ لأن لفظ «كلتا» مفرد ولو قيل «آتتا» على المعنى لجاز ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾ ولم تنقص من أُكُلِها ﴿شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ نعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يُسقَى به وهو النهر الجاري فيها.

قوله: (يهوذا) بذال معجمة أو مهملة بعدها ألف. **قوله**: (كُرُوم) في لسان العرب: الكَرْم شجر العنب واحدتها كَرْمة. اهـ. وأيضًا فيه الكَرْمة الطاقة الواحدة من الكرم وجمعها كُرُوم. اهـ. **قوله**: (الدهاقين) في المصباح: الدِّهقان معرّب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى مَنْ له مال وعقار، وداله مكسورة وفي لغة تُضمّ، والجمع دهاقين. اهـ. **قوله**: (مؤزرة) التأزير التغطية. **قوله**: (الأنيق) العجيب وزنًا ومعنى.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ لصاحب الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ (أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره) أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (له ثمر. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الميم والثاء: عاصم، وبضم الثاء وسكون الميم: أبو عمرو وبضمهما: غيرهما) ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويُريه ما فيهما ويُفاخره بما مَلَك من المال دونه ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ أنصارًا و(حشمًا)، أو أولادًا ذكورًا لأنهم (ينفرون) معه دون الإناث.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧﴾

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ إحدى جنتيه أو سمّاها جنة لاتحاد الحائط، وجنتين للنهر الجاري بينهما ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ ضارٌّ لها بالكفر ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ أي أن تهلك هذه الجنة، شك في بيدودة جنته لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق بألسنة أحوالهم بذلك

قوله: (أنواع من المال) فالأنواع مستفاد من التنوين؛ لأنه للتكثير في النوع بمعونة المقام، وكذا من المادّة؛ ولذا قال: (من ثمر ماله إذا كثّره) بالأنواع لا بالأشخاص.

قوله: (له ثمر ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بفتح الميم والثاء: عاصم) وهو جمع ثمرة كشجر وشجرة (وبضمّ الثاء وسكون الميم: أبو عمرو) وتخفيفًا أو جمع ثمرة كبدنة وبدن (وبضمهما غيرهما) جمع ثمار كالحمار والحُمر والكتاب والكتب، ويجوز أن يكون ثُمُر ـ بضمّتين ـ جمعًا لثَمَر ـ بفتحتين ـ كخشب وخُشُب. قوله: (حشمًا) بفتحتين أي خدمًا، في المصباح: الحشم خدم الرجل. قال ابن السكّيت: هي كلمة في معنى الجمع ولا واحد لها من لفظها، وفسّرها بعضهم بالعيال والقرابة ومَن يغضب له إذا أصابه أمر. اهـ. قوله: (ينفرون) أي يذهبون.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ (كائنة) ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ إقسام منه على أنه إن ردّ إلى ربّه على سبيل الفرض ـ كما يزعم صاحبه ـ ليجدنّ في الآخرة خيرًا من جنته في الدنيا إدعاء لكرامته عليه ومكانته عنده ﴿مُنقَلَبًا﴾ تمييز أي مرجعًا وعاقبة ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقًا له ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي خلقك من نطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ عدلك وكملك إنسانًا ذكرًا بالغًا مَبلَغ الرجال جعله كافرًا بالله لشكّه في البعث.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿لَّٰكِنَّا﴾ بالألف في الوصل: (شامي)، الباقون بغير ألف، وبالألف في الوقف اتفاق، وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر «أنا» والراجع منها إليه ياء الضمير، وهو استدراك لقوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ قال لأخيه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحّد كما تقول: زيد غائب لكن عمرًا حاضر، وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ﴾ وهلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ «ما» موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله، اعترافًا بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله، وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها؛ ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ إقرارًا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده. مَن قرأ ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ بنصب ﴿أَقَلَّ﴾ فقد جعل (﴿أَنَا۠﴾ فصلًا)، ومَن

قوله: **(كائنة)** إشارة إلى أن القيام الذي هو من صفات الأجسام المراد به التحقّق والوقوع مجازًا جرى في العرف مجرى الحقيقة.

قوله: (شاميّ) أي ابن عامر الشامي. **قوله**: (﴿أَنَا۠﴾ **فصلًا**) بين مفعولي رأى وهي علميّة.

رفع ـ وهو الكسائي ـ جعله مبتدأ و﴿أَقَلَّ﴾ خبره والجملة مفعولًا ثانيًا لـ «ترني». وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ نصرة لمَن فسّر النفر بالأولاد في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا أو في العقبى ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضًا بيضاء **(يزلق)** عليها **(لملاستها)** ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ غائرًا أي ذاهبًا في الأرض ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ فلا يتأتّى منك طلبه فضلًا عن الوجود، والمعنى إن تَرَنِ أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرًا من جنتك، ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هو عبارة عن إهلاكه وأصله مَن أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ﴿فَأَصْبَحَ﴾ أي الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يضرب إحداهما على الأخرى ندمًا تحسّرًا. وإنما صار تقليب الكفَّين كناية عن الندم والتحسّر لأن النادِم يقلب كفَّيه ظهرًا لبطن كما كنى عن ذلك بِعَضِّ الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عُدِّي تعديته بـ «على» كأنه قيل: فأصبح يندم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني أن كُرومِها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركًا حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه

قوله: (يزلق) الزَّلق الزّلل في المشي لوحلٍ ونحوه. **قوله:** (لملاستها) في المصباح: ملس الشيء من بابي تعب وقرب ملاسة إذا لم يكن له شيء يستمسك به، وقد لَانَ ونَعُم ملمسه فهو أملس، والأنثى ملساء مثل أحمر وحمراء. اهـ. وفي مختار الصحاح: الملاسة ضدّ الخُشُونة وبابه سلم. اهـ.

التمنّي، ويجوز أن يكون توبة من الشّرك وندمًا على ما كان منه ودخولًا في الإيمان.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ يقدرون على نصرته ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لحكمة ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ وما كان (**ممتنعًا**) بقوته عن انتقام الله ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، (﴿يَكُن﴾ **بالياء و﴿والوِلاية﴾ بكسر الواو: حمزة وعلي**) فهي بالفتح النصرة والتولّي، وبالكسر السلطان والملك، والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرًا لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ كلمة ألجىء إليها فقالها جزعًا مما (**دهاه**) من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها. أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكَفَرَة وينتقم لهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر (**أخاه**) المؤمن وصدق قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ويؤيده قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي لأوليائه، أو ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية ١٦]. ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بالرفع: أبو عمرو وعلي صفة لـ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق. غيرهما بالجر صفة لله و(﴿عُقْبًا﴾ **بسكون القاف: عاصم وحمزة، وبِضمّهما: غيرهما، وفي الشواذ «عقبى» على وزن «فعلى» وكلها بمعنى العاقبة**).

قوله: (ممتنعًا) إشارة إلى أن النصرة عما حلّ به من الله بمعنى امتناعه وحفظه منه، وهو ظاهر. **قوله**: (﴿يَكُن﴾ **بالياء**) على التذكير لأن تأنيث فئة مجازيّ (و﴿والوِلاية﴾ **بكسر الواو حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بالتاء على التأنيث و﴿الوَلاية﴾ بفتح الواو. **قوله**: (دهاه) أصابه. **قوله**: (**أخاه**) مفعول نصر. **قوله**: (﴿عُقْبًا﴾ **بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمّهما غيرهما، وفي الشواذ: ﴿عقبى﴾ على وزن فعلى**) كبشرى (**وكلّها بمعنى العاقبة**)؛ إذ كلّها مصدر.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ﴾ **(أي هو كماء)** أنزلناه ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ فالتفّ بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضًا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى **(رُوي)** ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يابسًا متكسّرًا الواحدة هشيمة ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ﴾ تنسفه وتطيره. (﴿**الريح**﴾: **حمزة وعلي**) ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ قادرًا، شبّه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والإفناء بحال النبات يكون أخضر ثم **(يهيج)** فتطيره الريح كأن لم يكن.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ لا زاد القبر و**(عدة)** العقبى ﴿وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، أو الصلوات الخمس، أو سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلّا الله والله أكبر ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاء ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لأنه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعني أن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾، (**«تُسيَّر الجبال» مكي وشامي وأبو عمرو**) أي تسير في الجو، أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثورًا

قوله: **(أي هو كماء)** أي المثل... الخ. وهو إشارة إلى أنه خبر مبتدأ مقدّر. **قوله:** **(روي)** كرضي أي تمّ شربه.

قوله: (﴿**الريح**﴾) بالتوحيد **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بالجمع. **قوله:** **(يهيج)** أي ييْبَس.

قوله: **(عدّة)** في المصباح: العدّة ـ بالضمّ ـ الاستعداد والتأهّب، والعدّة ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عدد، مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله:** (**«تسير الجبال»**) بالتاء المضمومة وفتح الياء التحتية ورفع ﴿الجبال﴾ **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(وأبو عمرو)** البصري، والباقون

(منبثًا) ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً﴾ ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ أي الموتى ﴿فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ أي فلم نترك غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء و(الغدير) ما (غادره) السيل.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨﴾

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾ مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدًا، شبّهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ أي قلنا لهم لقد جئتمونا، وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب في ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ﴾، ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة، أو جئتمونا عُراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولًا. وإنما قال: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ ماضيًا بعد ﴿نُسَيِّرُ﴾ و﴿تَرَى﴾ للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال. كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ وقتًا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة.

﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾

﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي صحف الأعمال ﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي لا يترك شيئًا من المعاصي ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ حصرها وضبطها ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ

بالنون المضمومة وكسر الياء ونصب ﴿الجبال﴾. **قوله**: (منبثًا) متفرّقًا وهو بالثاء المثلّثة. **قوله**: (الغدير[1]) نهر صغير سمّي به لأنه يبقى من السيل، فكأنه تركه. اهـ شهاب. **قوله**: (غادره) تركه.

---

(١) هو مجمع الماء. ١٢ قنوي.

حَاضِرًاۗ﴾ في الصحف (**عتيدًا**) أو جزاء ما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ سجود تحية أو سجود انقياد ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو مستأنف كأن قائلًا قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ خرج عمّا أمره ربّه به من السجود وهو دليل على أنه كان مأمورًا بالسجود مع الملائكة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ وتستبدلونهم بي؟ ومن ذريته «لا قيس» موسوس الصلاة و«الأعور» (**صاحب الزّنا**) و«بتر» (**صاحب المصائب**) و«مطوس» (**صاحب الأراجيف**) و«داسم» يدخل ويأكل مع مَن لم يُسَمِّ الله تعالى ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢ﴾ أعداء ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله.

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي إبليس وذريته ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم الإلهية بقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأعتضد بهم في خلقها أو أُشاورهم فيه أي تفرَّدت بخلق الأشياء فأفردوني في العبادة ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: الآية ٢٩] ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ أي وما كنت متخذهم ﴿عَضُدًا﴾ أي أعوانًا فوضع ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾ موضع الضمير ذمًّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضدًا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟

قوله: (**عتيدًا**) حاضرًا. **قوله**: (**صاحب الزّنا**) ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة.

قوله: (**صاحب المصائب**) يزيّن خمش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب. **قوله**: (**صاحب الأراجيف**) أي الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلًا.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله للكفّار، (وبالنون: حمزة) ﴿نَادُواْ﴾ ادعوا بصوت عالٍ ﴿شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم فيكم شركائي ليمنعوكم من عذابي، وأراد الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخًا لهم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ (مهلكًا) من وبق يبق وبوقًا إذا هلك، أو مصدر كالموعد أي وجعلنا بينهم واديًا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركًا يهلكون فيه جميعًا، أو الملائكة وعزيرًا وعيسى. والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدًا بعيدًا لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن
يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ
قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ فأيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ (مُخالطوها واقعون فيها) ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا﴾ عن النار ﴿مَصْرِفًا﴾ معدلًا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ تمييز أي أكثر الأشياء التي يتأتّى منها الجدل إن فصلتها واحدًا بعد واحد خصومة و(مُماراة) بالباطل يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي سببه وهو الكتاب والرسول ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ «أن» الأولى نصب، والثانية رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سُنَّة الأولين وهي

قوله: (وبالنون: حمزة)، والباقون بالياء. **قوله**: (مهلكًا) بفتح الميم ويجوز كسر اللام وفتحها لأن فعله كضرب وعلم ومنع شذوذًا اسم مكان من الهلاك على أن وَبَق ـ بالفتح ـ بمعنى هلك.

قوله: (مخالطوها) مأخوذ من مفاعلة الوقوع لأنها تقتضيه. **قوله**: (واقعون فيها) بيان للمراد منه. **قوله**: (مماراة) في المصباح: مارَيْته أُماريه مُماراة ومِراء

الإهلاك، أو انتظار أن يأتيهم العذاب أي عذاب الآخرة (﴿قُبُلًا﴾ كوفي) أي أنواعًا جمع قبيل. (الباقون ﴿قِبلا﴾) أي عيانًا.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يُوقف عليه ويستأنف بقوله: ﴿وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ هو قولهم للرُّسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ليُزيلوا ويُبطِلوا بالجدال النبوّة ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى﴾ القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ «ما» موصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب، أو مصدرية أي وإنذارهم ﴿هُزُوًا﴾ موضع استهزاء (بسكون الزاي والهمزة: حمزة، وبإبدال الهمزة واوًا: حفص، وبضم الزاي والهمزة: غيرهما).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بالقرآن ولذلك رجع الضمير إليها مذكرًا في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكّر فيها ولا ناظر في أن المُسيء والمُحسِن لا بدَّ لهما من جزاء. ثم علَّل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع

جادلته. اهـ. **قوله**: (﴿قُبُلًا﴾) بضمّ القاف والباء (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. **قوله**: (الباقون: «قِبلا») بكسر القاف وفتح الباء.

قوله: (بسكون الزاي والهمزة: حمزة، وبإبدال الهمزة واوًا: حفص، وبضمّ الزاي والهمزة: غيرهما) عبارة غيث النفع: ﴿هُزُوًا﴾ [الكهف: الآية ٥٦] قرأ حمزة بإسكان الزاي، والباقون بالضمّ وحفص بالواو، والباقون بالهمز إلّا أن حمزة في الوقف يبدلها واوًا كحفص، وله أيضًا نقل حركة الهمزة إلى الزاي وحذفها. اهـ.

على قلوبهم بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية جمع (**كنان وهو الغطاء**) ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ﴾ ثقلًا عن استماع الحق وجمع بعد الإفراد حملًا على لفظ من ومعناه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ إلى الإيمان ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ فلا يكون منهم اهتداء البَتَّة (﴿إِذًا﴾ **جزاء وجواب**) فدلَّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببًا في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم حرصًا على إسلامهم؟ فقيل: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾، مدة التكليف كلها.

قوله: (**كنان وهو الغطاء**) وزنًا ومعنى. **قوله**: (﴿إِذًا﴾ **جزاء**[1] **وجواب**)... الخ. قال الدماميني في شرح التسهيل: الصواب أن يقال: كونها جوابًا لا ينفكّ عنها بخلاف الجزائية، فإنها قد تنفكّ عنها، ومعنى كونها جوابًا أنها لا تقع إلّا في كلام يُجاب به كلام آخر إمّا محقّق وإمّا مقدَّر، ومعنى كونها جزاءً أنه يُجازى بها أمر وقع، وليس المراد بالجواب والجزاء معناهما الاصطلاحي حتى يكونا بمعنى واحد، كذا ونبّه المصنّف بقوله: على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم، على أن إذن هنا جواب لكلام مقدّر، وأن الجواب هو مجموع الشرط وجوابه والحاصل أن إذن جزاء للفعل وجواب للقول، وهنا لمّا لم يوجد القول صراحةً حاول بيان وجه كونه جوابًا للقول، فقال: على تقدير ما لي لا أدعوهم، فأُجيب هذا القول بأنه إن دعوت فلن يهتدوا أبدًا، بناءً على أن ما لي لا أدعوهم في قوة أدعوهم؛ إذ الاستفهام للإنكار والتعجّب، وهذا البيان تضمّن أنه جزاء لفعل الدعوة، فإنّ الدعوة يليق أن يُجازى بالاهتداء لكنهم لكونهم مطبوعي القلب جعلوا ما يجب أن يكون سببًا للاهتداء سببًا لانتفائه، فجوزي فعل الدعوة بعدم الاهتداء، نظيره: أنا آتيك إذن أضربك، ودليل تقدير هذا قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ [الكهف: الآية ٦]، فإنه منع من الدعوة على هذا الوجه المؤدّي إلى أمرٍ غريب لا منع الدعوة مطلقًا. اهـ قنوي.

---

(١) كذا في عامة كتب النحو، وللنحاة فيه كلام، فقال الفارسي: إن المراد أنها تارة تكون كذا وتارة كذا فالأول نحو آتيك غدًا، فتقول: إذًا أكرمك، والثاني نحو أن يقول: آتيك غدًا، فتقول: إذًا أظنك صادقًا، إذ لا جزاء فيها هنا، ١٢ منه رحمه الله تعالى.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾ (**البليغ المغفرة**) ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ أي ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلًا مع (**فرط**) عداوتهم لرسول الله ﷺ ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ (**وهو يوم بدر**) ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ منجى ولا ملجأ (**يقال: وَأَلَ إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه**) ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أو ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ نصب بإضمار «أهلكنا» على شريطة التفسير، والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ مثل ظالم أهل مكة ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ وضربنا لإهلاكهم وقتًا

وفي حاشية تفسير البيضاوي لابن التمجيد رحمه الله: قوله: جزاء وجواب أما أنه جزاء؛ فلأنه جَعَل دعوة الرسول سببًا لانتفاء اهتدائهم أبدًا لأنهم لعنادهم يزيد ضلالهم ويشتدّ شكيمتهم بسبب دعوة الرسول حتى يستحيل اهتداؤهم وينتفي أبدًا، فجعلوا ما يكون سببًا لوجوب اهتدائهم سببًا لانتفائه، منهم مَنْ يقول: لا يصحّ كونه جزاء إلّا على تقدير الإخبار والإعلام، وقد خفي عليه أن الجزاء ليس مجرّد انتفاء الاهتداء، بل انتفاء الاهتداء أبدًا، ودعوة الرسول سبب لأبدية انتفاء الاهتداء لما ذكرنا أنهم لعنادهم يزيد ضلالتهم ويشتدّ شكيمتهم بسبب دعوة الرّسول. وإمّا أنه جواب، فلما قال المصنّف: على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم، يعني كأنه عليه الصّلاة والسلام قال: ما لي لا أدعوهم؟ فأُجيب بأنك إن ﴿تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ [الكهف: الآية ٥٧]. اهـ.

قوله: (البليغ المغفرة) هذا مستفاد من صيغة المبالغة. **قوله**: (فرط) في مختار الصحاح: أفرط في الأمر جاوز فيه الحدّ، والاسم منه الفَرْط ـ بالتسكين ـ يقال: إيّاك والفَرْط في الأمر. اهـ. وأيضًا فيه أمر فُرُطٌ ـ بضمّتين ـ أي مجاوز فيه الحدّ. اهـ. **قوله**: (وهو يوم بدر) إشارة إلى أن موعدًا اسم مكان. **قوله**: (يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه) إشارة إلى أن المنجا والملجأ بمعنى واحد،

معلومًا لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته. **(وبفتح الميم وكسر اللام: حفص، وبفتحهما: أبو بكر)** أي لوقت هلاكهم أو لهلاكهم والموعد وقت أو مصدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ هو يوشع بن نون. وإنما قيل: ﴿فتاه﴾ لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم **(﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال)** وقد حذف الخبر لدلالة الحال والكلام عليه، أما الأولى فلأنها كانت حال سفر وأما الثاني فلأن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بدَّ أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وُعِدَ فيه موسى لقاء **(الخضر)** عليهما السلام **(وهو ملتقى بحر فارس والروم)**. وسُمِّي خضرًا لأنه أينما يصلِّي يخضرّ ما حوله ﴿أَوْ أَمْضِىَ (حُقُبًا)﴾ أو أسير زمانًا طويلًا، قيل: ثمانون سنة. رُوِيَ أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط سأل ربّه: أي عبادك أحبّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: فأيّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو تردّه عن (ردى)، فقال: إن كان في عبادك مَن هو أعلم مني فدلّني عليه. قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه؟ قال: على

والفرق إنما هو في التعدية بإلى وعدمه. **قوله**: **(وبفتح الميم وكسر اللام: حفص، وبفتحهما: أبو بكر)**، والباقون بضمّ الميم وفتح اللام على جعله مصدرًا ميميًّا لأهلك مضافًا للمفعول كمخرج أو اسم زمان منه.

قوله: **(﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال)** فهي ناقصة من أخوات كان. **قوله**: **(الخضر)** بفتح الخاء وكسر الضاد وتسكن وتكسر خاؤه أيضًا، ودخول اللام عليه للإشارة إلى الوصفية مثل الحسن والحسين. **قوله**: **(وهو ملتقى بحر فارس والروم)** مما يلي المشرق، قيل: إنهما لا يلتقيان إلّا في البحر المحيط، فلعلّ المراد به مكان يقرب فيه التقاؤهما. **قوله**: **(﴿حُقُبًا﴾)** في مختار الصحاح: الحقب ـ بضمّتين ـ الدّهر، وجمعه أحقاب.اهـ. **قوله**: **(ردى)** الرَّدى الهَلاك، والمراد عمّا يوقعه في الهلاك،

الساحل عند الصخرة. قال: يا ربِّ **(كيف لي به)**؟ قال: **(تأخذ حوتًا)** في **(مِكتَل فحيث فقدته)** فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا **(يمشيان)** فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه، فسلَّم عليه موسى فقال: وانى بأرضنا السلام: فعرَّفه نفسه فقال: يا موسى أنا على علم علَّمْنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علَّمَكه الله لا أعلمه أنا.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ مجمع البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي نسي أحدهما ـ وهو يوشع ـ لأنه كان صاحب الزاد دليله ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ وهو قولهم: «نسوا زادهم» وإنما ينساه متعهّد الزاد. قيل: كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطىء عين الحياة ونام موسى، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي اتخذ طريقًا له من البر إلى البحر ﴿سَرَبًا﴾ نصب على المصدر أي سرب فيه سربًا يعني دخل فيه واستربه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ تعبًا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ هي موضع الموعد ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ ثم اعتذر فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ **(وبضم الهاء: حفص)** ﴿إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب ﴿أَن

قوله: (كيف لي به) أي كيف السبيل لي بلقائه؟ أو كيف يتيسّر لي الظفر به. **قوله: (تأخذ حوتًا)** قيل: إنه كان مملحًا، وقيل: مشويًا، وهل هو نصف أو كامل؟ قولان. **قوله: (مِكتل)** بكسر الميم وفتح التاء الفوقانية الزنبيل، كما في شرح البخاري، وليس المراد به كيل كما قيل. **قوله: (فحيث فقدته)** أي الحوت. **قوله: (يمشيان)** إشارة إلى أن الوصول إلى العلم إنما هو بترك الراحة وارتكاب المشقّة.

قوله: (وبضمّ الهاء: حفص)، والباقون بالكسر.

﴿أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل من الهاء في ﴿أَنسَىٰنِيهُ﴾ أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ وهو أن أثره بقي إلى حيث سار.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلب. (**وبالياء: مكي، وافقه أبو عمرو وعلي ومدني في الوصل، وبغير ياء فيهما: غيرهما**) اتباعًا لخط المصحف و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى اتخاذه سبيلًا أي ذلك الذي كنّا نطلب لأن ذهاب الحوت كان علمًا على لقاء الخضر عليه السلام ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه ﴿قَصَصًا﴾ يقصّان قصصًا أي يتبعان آثارهما اتباعًا. قال الزجّاج: القصص اتّباع الأثر.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ أي الخضر راقدًا تحت ثوب أو جالسًا في البحر ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ (**هي الوحي والنبوة**) أو العلم أو طول الحياة ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني الإخبار بالغيوب. وقيل: العلم اللدنّي ما حصل للعبد بطريق الإلهام.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ أي علمًا ذا رشد أرشد به في ديني (﴿رَشَدًا﴾ **أبو عمرو**) وهما لغتان كالبخل والبخل، وفيه

قوله: (**وبالياء**) في الحالين (**مكي**) أي ابن كثير المكّي (**وافقه أبو عمرو**) البصري، (**وعليّ**) الكسائي. (**ومدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة (**في الوصل**) لا في الوقف (**وبغير ياء فيهما غيرهما**).

قوله: (**هي الوحي والنبوّة**) لأن الرحمة أطلقت عليهما في مواضع من القرآن والأكثرون على نبوّته ﷺ، وقيل: إنه وليّ، وقيل: ملك. اهـ شهاب.

قوله: (﴿**رَشَدًا**﴾) بفتح الراء والشين (**أبو عمرو**) البصري، والباقون بضمّ الراء وإسكان الشين.

دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمَن هو أعلم منه.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ﴾ **(وبفتح الياء: حفص)**، وكذا ما بعده في هذه السورة ﴿صَبْرًا﴾ أي عن الإنكار والسؤال ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ تمييز، نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلَّل ذلك بأنه يتولى أمورًا هي في ظاهرها **(مناكير)** والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيًا!.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ من الصابرين عن الإنكار والإعراض ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ في محل النصب عطف على ﴿صَابِرًا﴾ أي ستجدني صابرًا وغير عاصٍ، أو هو عطف على ﴿سَتَجِدُنِيٓ﴾ **(ولا محل له)** ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ **(بفتح اللام وتشديد النون: مدني وشامي، وبسكون اللام وتخفيف النون: غيرهما)**، والياء ثابتة فيهما إجماعًا ﴿عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي فمن شرط اتّباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئًا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من أدب المتعلّم مع العالم والمتبوع مع التابع.

قوله: (وبفتح الياء: حفص)، والباقون بالإسكان. **قوله: (مناكير)** أي منكرات.

قوله: (ولا محلّ له) لعلّ هذا على رأي مَنْ يقول: الجملة واقعة بعد قال ليست مفعوله، بل مفعوله محذوف، وهو قولًا والجملة تفسير له. **قوله: (بفتح اللام وتشديد النون: مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي والأصل: «تسألنني»، حُذِفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء، **(وبسكون اللام وتخفيف النون: غيرهما)** على أنّ النون للوقاية.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾ فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها هما من اللصوص، وقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء فحملوهما (**بغير نَوْل**)، فلما (**لججوا**) أخذ الخضر (**الفأس**) فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسدّ الخرق بثيابه ثم ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، (﴿**ليَغرق**﴾ **حمزة وعلي من غرق**). ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أتيته شيئًا عظيمًا من أمر الأمر إذا عظم ﴿قَالَ﴾ أي الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فلما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يفرّ من السفينة.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ (**بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني**) أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (**رهقه**) إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرًا من أمري وهو اتّباعه إياه أي ولا تعسر على متابعتك ويسرها عليّ (**بالإغضاء**) وترك المناقشة ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾

قوله: (**بغير نَوْل**) أي بغير أجر ولا جُعْل. **قوله**: (**لججوا**) في لسان العرب: لَجَّجُوا ركبوا اللُّجَة.اهـ. وأيضًا فيه: لُجَة البحر حيث لا يُدْرَك قعره.اهـ. **قوله**: (**الفأس**) هو التبر. **قوله**: («**ليغرق**») بالياء مفتوحة وفتح الراء وضمّ لام ﴿أَهْلَهَا﴾ (**حمزة وعليّ من غرق**)، والباقون بالتاء مضمومة وكسر الراء ونصب اللام.

قوله: (**بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني**) يعني ما يجوز فيها أن تكون موصولة أو موصوفة أو مصدريّة. **قوله**: (**رَهِقَه**) بابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]. **قوله**: (**بالإغضاء**) في المصباح: أغضى الرجل عينيه بالألف قارب بين جفنيهما، ثم استعمل في الحلم

قيل: (ضرب برأسه **الحائط**). وقيل: أضجعه ثم ذبحه بالسكين. وإنما قال: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء وقال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بغير فاء، لأن ﴿خَرَقَهَا﴾ جعل جزاء للشرط وجعل ﴿قتله﴾ من جملة الشرط معطوفًا عليه والجزاء ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام ﴿زَكِيَّةً﴾، (﴿زاكية﴾ **حجازي وأبو عمرو**) وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (**أي لم تقتل نفسًا فيقتصّ منها**). وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن (**نجدت الحروري**) كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال (**الولدان**) ما علمه موسى فلك (**أن تقتل**).

فقيل: أغضى عليّ القذى، إذا أمسك عفوًا عنه. اهـ. **قوله**: (**ضرب برأسه الحائط**) إمّا من القلب أي ضرب رأسه بالحائط، والاعتبار اللّطيف بيان شدَّة الضرب كأنه ضرب الحائط بالرأس أو تجوّز، أي رمى برأسه إلى جانب الحائط. **قوله**: (﴿**زاكية**﴾) بالألف بعد الزاي وتخفيف الياء اسم فاعل (**حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: **حجازي**، أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) البصري، والباقون بتشديد الياء من غير ألف. **قوله**: (**أي لم تقتل نفسًا فيقتصّ منها**) ولعلّ في شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي، بل قالوا: إنه كان في شرعنا كذلك قبل الهجرة. (قال البيهقي في المعرفة: إنما صارت) الأحكام متعلّقة بالبلوغ بعد الهجرة بعد وقعة أُحد. اهـ كمالين.

قوله: (**نَجْدت الحروري**) أي نَجْدَت بن عامر **الحَرُوري** الحنفي. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه: حَرُورًا موضع بظاهر الكوفة ينسب إليه الحَرُوريّة من الخوارج؛ لأنه كان أوّل اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليًّا رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**الولدان**) دون الولد مع أنه الواقع في القصّة ليعمّه وغيره ممّن يكون مثله. **قوله**: (**أن تقتل**) أي يقع منك القتل مطلقًا لولدًا أو الولدان، وهذا تعليق بالمحال؛ لأن العلم مثل الخضر لا يمكن قطعًا ألا يرى أن كليم الله لم يعلم ما علمه الخضر حتى أنكره، فأراد بقوله: فلك أن تقتل المحاجة والإحالة على ما لم يمكن قطعًا قصرًا للمسافة في المحاجّة في قصة الخضر.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ **(وبضم الكاف حيث كان: مدني وأبو بكر)** وهو المنكر. وقيل: النكر أقل من الأمر الأوّل لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، أو معناه جئت شيئًا أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسدّ ولا يمكن تدارك القتل.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ زاد ﴿لَّكَ﴾ هنا لأن النكر فيه أكثر ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ بعد هذه الكرة أو المسألة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أعذرت فيما بيني وبينك في الفراق. **(و﴿لدني﴾ بتخفيف النون: مدني وأبو بكر)**.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي **(أنطاكية)** أو **(الأُبُلّة)** وهي أبعد أرض الله من السماء ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ استضافًا ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ ضيفه أنزله وجعله

قوله: (وبضمّ الكاف حيث كان: مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني، **(وأبو بكر)** شعبة، وكذا ابن ذكوان، والباقون بالسكون.

قوله: (و﴿لدني﴾ بتخفيف النون) وضمّ الدال **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني **(وأبو بكر)** شعبة، إلّا أنه يشم[1] الدال فتصير ساكنة قريبة من الضمّ، والباقون بضمّ الدال وتشديد النون.

قوله: (أنطاكية) بتخفيف الياء معروفة. **قوله: (الأُبُلّة)** بضم الهمزة والباء واللام المفتوحة المشدّدة.

(١) أو هو الإيماء بالشفتين إلى الضمة بعد سكون الدال، يعني اختلف عنه في ضمة الدال فأكثر أهل الأداء على إشمامها الضم بعد إسكانها وهو الإيماء بالشفتين إلى الضمة بعد سكون الدال، وهو الذي في الكافي والتذكرة وغيرهما ولم يذكره في الشاطبية كالتيسير وغيره، وذهب كثير إلى اختلاس ضمة الدال كالهذيلي وغيره، والوجهان في جامع البيان. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

ضيفه، قال عليه السلام: «كانوا أهل قرية لئامًا»، وقيل: (**شرّ القرى**) التي تبخل (**بالقِرى**) ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ في القرية ﴿جِدَارًا﴾ طوله مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يكاد يسقط استعيرت الإرادة للمُداناة (**والمشارفة**) كما استعير الهمّ والعزم لذلك ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ بيده، أو مسحه بيده فقام واستوى، أو نقضه وبناه، كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد (**لزتهما**) الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مُواسيًا، فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي لطلبت على عملك جُعْلًا حتى تستدفع به الضرورة. ﴿لَتَخِذْتَ﴾ بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال: (**بصري**)، وبإظهارها: (**مكي**)، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال: حفص، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الذال في التاء: غيرهم. والتاء في «تخذ» أصل كما في «تبع»، و«اتخذ» افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ هذا إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق، (**والأصل ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾، وقد قرئ به**) فأُضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة خمسة منهم (**زمنى**) وخمسة يعملون في البحر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم

قوله: (**شرّ القرى**) بضم القاف جمع قرية. **قوله**: (**بالقِرى**) ـ بالكسر ـ في مختار الصحاح: قرى الضيفَ يَقْرِيه قَرَاءً بالفتح والمدّ أحسن إليه. اهـ. **قوله**: (**والمشارفة**) أي قربه من الوقوع. **قوله**: (**لزتهما**) في مختار الصحاح: لزّه شدّه وألصقه وبابه ردّ. اهـ. **قوله**: (**بصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي.

قوله: (**والأصل ﴿هذا فراقٌ بيني وبينك﴾**) أي بتنوين ﴿فراقٌ﴾ ونصب بين على الظرفية (**وقد قرئ به**) قارئه ابن أبي عبلة رحمه الله. **قوله**: (**زمنى**) في المصباح زمن الشخص زمنًا وزمانة فهو زَمِن من باب تعب وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا،

مَّلِكٌ﴾ **(أمامهم أو خلفهم)** وكان طريقهم **(في رجوعهم عليه)** وما كان عندهم خبرة فأعلم الله به الخضر وهو **(جلندى)** ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصبًا وإن كانت معيبة تركها، وهو مصدر أو مفعول له. فإن قلت: قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مُسبَّب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب. قلت: المراد به التأخير **(وإنما قدّم للعناية)**.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ وكان اسمه الحسين ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانًا عليهما و**(كفرًا لنعمتهما بعقوقه)** وسوء صنيعه **(ويلحق)** بهما شرًّا وبلاء، **(أو يعديهما بدائه)** ويُضلّهما بضلاله فيرتدًّا بسببه وهو من كلام الخضر. وإنما خشي الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وإن كان من قول الله تعالى، فمعنى ﴿فَخَشِينَآ﴾ فعلمنا إن عاش أن يصير سببًا لكفر والديه.

والقوم زَمْنى مثل مرضى.اهـ. **قوله**: **(أمامهم أو خلفهم)** لأن وراء يطلق عليهما لأنه من الأضداد. **قوله**: **(في رجوعهم عليه)** راجع للثاني لدفع توهّم أنه إذا كان خلفهم سَلِموا منه. **قوله**: **(جُلَنْدى)** أي بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال المهملة ثم ألف مقصورة ابن كَرْكَر، وكان كافرًا. **قوله**: **(وإنما قدم للعناية)** أي للاعتناء والاهتمام به، ووجه العناية أن موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام بنى إنكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤدّيًا إلى إغراق أهلها، فمن خرقها فإنما يريد إغراق أهلها، فكان الأهمّ بالنسبة إلى المجيب أن يدفع مبنى إنكاره فدفعه بأن خرقها لإرادة تعييبها، لا لأجل الإغراق.

قوله: **(كفراً لنعمتهما بعقوقه)** فالمراد بالكفر كفران النعمة له منهما بتربيته وكونهما سبب وجوده، والباء سببية متعلّقة بـ ﴿وَكُفْرًا﴾. **قوله**: **(ويلحق)** من الإلحاق. **قوله**: **(أو يعديهما بدائه)** أي بعلّته وهو من العدوى بمعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه إلى غيره، يقال: أعدى[1] فلان فلانًا من خلقه أو من علّة به أو جرب.

---

(١) من أعداه بمرضه. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، (﴿يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ **مدني وأبو عمرو**) ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ طهارة و(**نقاء**) من الذنوب ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة (**وعطفًا**)، و﴿زكاة﴾ و(﴿**رُحُمًا**﴾) تمييز. رُوِيَ أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيًّا أو سبعين نبيًّا أو أبدلهما ابنًا مؤمنًا مثلهما (**شامي**) وهما لغتان.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾ (**أصرم وصريم**) ﴿يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هي القرية المذكورة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ أي لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمَن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، و(**عجبت**) لمن يعرف الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها، (**لا إلـه إلّا الله محمد رسول الله**). أو مال مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والأول أظهر. وعن (**قتادة**): أحلّ الكنز لمَن قبلنا وحرم علينا، وحرمت الغنيمة عليهم وأحلّت لنا.

قوله: (﴿يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾) بفتح الباء وتشديد الدال من بدل (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وأبو عمرو**) البصري، والباقون بإسكان الباء وتخفيف الدال من أبدل. **قوله**: (**نقاء**) في المصباح: نقى الشيء ينقى من باب تعب نقاءً بالفتح والمدّ ونقاوة بالفتح نظف فهو نقي على فعيل ويعدى بالهمزة والتضعيف. اهـ. **قوله**: (**وعطفًا**) بالفتح. **قوله**: (﴿**رُحُمًا**﴾) بضم الحاء (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالإسكان.

قوله: (**أصرم وصريم**) مصغّرًا بالصاد المهملة. **قوله**: (**عَجِبْت**) من باب طَرِب. **قوله**: (**لا إلـه إلّا الله محمد رسول الله**) كتابته لعلم الأمم السالفة بأنه سيكون رسولًا صلّى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم وأتباعهم أجمعين. **قوله**: (**قتادة**) بن دعامة البصري كان تابعيًّا وكان

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ قيل: جدّهما السابع ﴿صَٰلِحًا﴾ ممّن يصحبني. وعن **(الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنهما)** أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بِمَ حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما. (قال: **فأبي وجدي خير منه**) ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي **(الحُلُم)** ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً﴾ مفعول له أو مصدر منصوب بـ ﴿أراد ربك﴾ لأنه في معنى رحمهما ﴿مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ وما فعلت ما رأيت ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ عن اجتهادي وإنما فعلته بأمر الله والهاء تعود إلى الكل أو إلى الجدار ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأجوبة الثلاثة ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ حذف التاء تخفيفًا.

وقد زلّ أقدام أقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جليّ حيث **قالوا**: أمر موسى بالتعلّم من الخضر وهو وليّ. والجواب أن الخضر نبي وإن لم يكن كما زعم البعض، فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام على أن أهل الكتاب يقولون: إن موسى هذا ليس موسى بن عمران إنما هو موسى بن مانان، ومن المُحال أن يكون الوليّ وليًا إلا بإيمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الوليّ، **(ولا غضاضة)** في طلب موسى العلم لأن الزيادة في العلم مطلوبة. وإنما ذكر أولًا ﴿فَأَرَدتُّ﴾ لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله، وثالثًا ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ لأنه إنعام محض وغير مقدور البشر، وثانيًا ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ لأنه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل. وقال الزجّاج: معنى فأردنا فأراد الله عزّ وجلّ ومثله في القرآن كثير.

عالمًا كبيرًا، توفي سنة سبع عشر ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(الحسين بن علي)** بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته، حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين وله ستّ وخمسون سنة **(رضي الله تعالى عنهما)**.

قوله: **(قال: فأبي وجدّي خيرٌ منه)** فقال: قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون. **قوله**: **(الحُلُم)** أي البلوغ. **قوله**: **(ولا غضاضة)** في مختار الصحاح: يقال: ليس عليه في هذا الأمر غَضَاضَةٌ، أي ذِلّة ومَنْقَصةٌ.اهـ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهود على جهة الامتحان، أو **(أبو جهل)** و**(أشياعه)** ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ هو الإسكندر الذي ملك الدنيا. قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين وسليمان، وكافران: **(نمروذ وبخت نصر)** وكان بعد نمرود. وقيل: كان عبدًا صالحًا ملّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخّر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه. وقيل: نبيًا. وقيل: ملكًا من الملائكة. وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدًا صالحًا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله، فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسُمّي ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه. قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى. وقال عليه السلام «سُمّي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا» يعني جانبيها شرقها وغربها. وقيل: كان له قرنان أي ضفيرتان، أو انقرض في وقته **(قرنان من الناس)**، أو لأنه ملك الروم وفارس أو الترك والروم، **(أو كان لتاجه قرنان)** أو على رأسه ما يشبه القرنين، أو كان كريم الطرفين أبًا وأمًّا وكان من الروم ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعلنا له فيها مكانة واعتلاء ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سَبَبًا﴾ طريقًا موصلًا إليه ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

قوله: **(أبو جهل)** عمرو بن هشام بن المغيرة يكنى أبا الحكم، فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. **قوله**: **(أشياعه)** أي أتباعه. **قوله**: **(نمروذ)** بضمّ النون والذال المعجمة. **قوله**: **(وبخت نصّر)** بضمّ الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثنّاة معرب بوخة بالعبرانية معناه ابن، ونصّر بفتح النون وتشديد الصاد المهملة اسم صنم وهو علم أعجمي مركّب. قال في القاموس: كان وُجِد عند الصنم ولم يُعرف له أب فنُسِب إليه. **قوله**: **(قرنان من الناس)** القرن من الناس أهل زمان واحد، ويُطلق القرن أيضًا على ثمانين سنة، وقيل: على ثلاثين سنة وعلى ما يُماثلك في السنّ، تقول؛ هو على قرني أي على سنّي. **قوله**: **(أو كان لتاجه قرنان)** قرنا التاج ما ارتفع من أعْلاهُ على تشبيه الصورة بالصورة.

والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببًا. يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فأتبع سببًا، وأراد بلوغ السدين فأتبع سببًا. ﴿(فَأَتْبَعَ) سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ ﴿ثم اتْبع﴾ كوفي وشامي والباقون: **بوصل الألف وتشديد التاء)**. عن (**الأصمعي: أتبع لحق**) واتبع اقتفى وإن لم يلحق.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال ﷺ: «بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين» ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ (حَمِئَةٍ)﴾ ذات حمئة) البئر إذا صارت فيها الحمأة. (﴿حامية﴾ **شامي وكوفي غير حفص**) بمعنى حارة. عن

قوله: (﴿(فَأَتْبَعَ)﴾ ﴿**ثم اتْبع**﴾) بقطع الهمزة وإسكان التاء (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**والباقون: بوصل الألف وتشديد التاء**) مفتوحة. **قوله**: (**الأصمعي**) بفتح الألف وسكون الصاد المهملة وفتح الميم والعين المهملة في آخره هذه النسبة إلى الجدّ وهو الإمام المشهور أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع بن مُظَهِّر بن رباح عمر بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن علم بن قتيبة بن مالك بن أعصر الباهلي الأصمعي من أهل البصرة، توفي بها سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: سنة عشرة، وقيل: سبع عشر وبلغ ثمان وثمانين سنة، وكان الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحو وإمامًا في الأخبار والنوادر والمُلَح والغرائب، سمع شعبة بن الحجّاج والحمّادَيْن ومسعر بن كدام وغيرهم، وروى عنه عبد الرحمـٰن ابن أخيه عبد الله وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السِّجستاني وأبو الفضل الرياشي وغيرهم. **قوله**: (**اتّبع لحق**) أي أتبع بالقطع معناه اللّحوق؛ كقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: الآية ١٠].

قوله: (﴿حَمِئَةٍ﴾ **ذات حمئة**) وهي الطينة السوداء. **قوله**: (**مِنْ حمئت**) من باب تعب. **قوله**: (حامية) بألف بعد الحاء وإبدال الهمزة ياء مفتوحة اسم فاعل (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وكوفي غير حفص**)، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو

(أبي ذر): كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال: «أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية». وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية ﴿حامية﴾ فقال ابن عباس: ﴿حَمِئَةٍ﴾ فقال معاوية (لعبد الله بن عمر): كيف تقرؤها؟ فقال: كما يقرأ أمير المؤمنين. ثم وجّه إلى (كعب الأحبار) كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما، ولا تنافي فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعًا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفّارًا ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ إن كان نبيًّا فقد أوحى الله إليه بهذا وإلا فقد أُوحي إلى نبي فأمره النبي به، أو كان إلهامًا خير بين أن يعذبهم بالقتل إن أصرّوا على أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسنًا بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا، أو التعذيب القتل واتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر إلى القتل إحسان.

وحفص ويعقوب بالهمز من غير ألف صفة مشبَّهة. **قوله**: (أبي ذرّ) الغفاري الصحابي المشهور اسمه جندب بن جنادة على الأصح، وقيل: برير بموحدة مصغّرًا أو مكبّرًا، واختلف في أبيه فقيل: جندب، أو عشرقة أو عبد الله أو السكن تقدَّم إسلامه وتأخّرت هجرته فلم يشهد بدرًا ومناقبه كثيرة جدًّا، مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان ﷺ .اهـ تقريب. **قوله**: (لعبد الله بن عمر) بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمٰن وُلد بعد المبعث بيسير واستُصْغر يوم أُحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشدّ الناس اتّباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أوّل التي تليها. **قوله**: (كعب الأحبار) هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحٰق المعروف بكعب الأحبار ثقة مُخضرم كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان وقد زاد على المائة وأسلم في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وروى عن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وكان قد قرأ الكتب الأول، روى الناس عنه. والحِمْيري بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء المثناة من تحتها وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى حِمْير وهو من أصول القبائل التي باليمن، والمُخَضْرَم الذي أدرك الجاهلية والإسلام.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في القيامة يعني أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشِّرك فذاك هو المعذَّب في الدارين.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي عمل ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة. (﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **كوفي غير أبي بكر**) أي فله الفعلة الحسنى جزاء ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ **(أي ذا يسر)** أي لا نأمره بالصعب الشاقّ ولكن بالسهل المتيسِّر من الزكاة والخراج وغير ذلك.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ **(هم الزنج)** ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ من دون الشمس ﴿سِتْرًا﴾ أي أبنية عن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم، أو الستر اللباس. عن **(مجاهد)**: مَن لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيمًا لأمره ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك ﴿خُبْرًا﴾ نصب على المصدر لأن في ﴿أَحَطْنَا﴾ معنى خبرنا، أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها، أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب

قوله: (﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾) بنصب الهمزة والتنوين وكسره للساكنين (**كوفي غير أبي بكر**) أي قرأ حفص وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالرفع من غير تنوين. **قوله**: (**أي ذا يسر**) بتقدير مضاف.

قوله: (**هم الزَّنْج**) بالفتح ويكسر جيل من السودان. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون.

عليهم يعني أنهم كَفَرَة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمَن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى مَن آمن منهم.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين وهما جبلان سدّ ذو القرنين ما بينهما (﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾ و﴿سَدًّا﴾ **مكي وأبو عمرو وحفص و﴿السُّدين﴾** و﴿سَدًّا﴾ **حمزة وعلي، وبضمهما: غيرهم. قيل: ما كان**) مسدودًا خلقة فهو مضموم، وما كان عمل العباد فهو مفتوح. وانتصب ﴿بَيْنَ﴾ **على** أنه مفعول به لـ ﴿بَلَغَ﴾ كما انجرّ بالإضافة في ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ (**وكما ارتفع في** ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾) [الأنعام: الآية ٩٤] لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفًا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ﴿وَجَدَ (مِن دُونِهِمَا)﴾ من ورائهما ﴿قَوْمًا﴾ هم الترك ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقّة من إشارة ونحوها. (﴿يُفقهون﴾ **حمزة وعلي**) أن لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبيّنونه لأن لغتهم غريبة مجهولة.

قوله: (﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾ و﴿سَدًّا﴾) بفتح السين (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) البصري (**وحفص، و﴿السُّدين﴾**) بضمّ السين و(﴿سَدًّا﴾) بفتح السين (**حمزة وعلي**) الكسائي (**وبضمّهما: غيرهم**) لغتان بمعنى واحد، و(**قيل ما كان**)... الخ. وقيل بالعكس.

قوله: (**وكما ارتفع في** ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾) قرأ نافع وحفص والكسائي بنصب النون ظرف لتقطع، والفاعل مضمر يعود على الاتّصال لتقدّم ما يدلّ عليه، وهو لفظة شركاء، أي تقطع الاتّصال بينكم، والباقون بالرفع على أنه اتّسع في هذا الظرف فأسند الفعل إليه فصار اسمًا. **قوله**: (﴿مِن دُونِهِمَا﴾) أي أمام السدّين. **قوله**: (﴿يَفْقَهُونَ﴾) بضم الياء وكسر القاف من أفقه غيره مُعدّى بالهمزة فالمفعول الأوّل محذوف، (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بفتح الياء والقاف.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، و(**همزهما عاصم فقط**). وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من (**الجيل والديلم**) ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئًا أخضر إلا أكلوه، ولا يابسًا إلا احتملوه، ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح. وقيل: هم على صنفين (**طوال**) مُفرِطوا الطول وقصار مُفرِطو القصر ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ (﴿**خراجًا**﴾) حمزة (**وعلي**) أي (**جُعلًا**) نخرجه من أموالنا ونظيرهما النَّوال والنُّوال ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ بالإدغام (**وبفكه: مكي**) ﴿فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أي ما جعلني فيه (**مكينًا**) من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخرج فلا حاجة لي إليه ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ بفعلة و(**صناع**) يُحسِنون البناء والعمل وبالآلات ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ جدارًا وحاجزًا حصينًا موثقًا والردم أكبر من السدّ.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة. قيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المُذاب والبُنيان من زبر الحديد

قوله: (همزهما عاصم فقط)، والباقون بألف خالصة بلا همز. **قوله**: (الجيل) بكسر الجيم قوم معروفون. **قوله**: (الدَّيْلم) جيل من الناس، أي صنف منهم. **قوله**: (طوال) بالضمّ. **قوله**: («خَراجًا») بفتح الراء وألف بعدها حمزة (وعلي) الكسائي، والباقون بإسكان الراء بلا ألف بعدها. **قوله**: (جُعْلًا) أي أجرًا. **قوله**: (وبفكّه مكي) أي قرأ ابن كثير المكي وحده بنونين خفيفتين الأُولى مفتوحة والثانية مكسورة على الإظهار الأصل، والباقون بنون واحدة مشدّدة مكسورَة بإدغام النون التي هي لام الفعل في نون الوقاية. **قوله**: (مكينًا) أي متمكّنًا قادرًا. **قوله**: (صُنّاع) جمع صانع.

بينها الحطب والفحم حتى سدّ ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صبّ النحاس المُذاب على الحديد المحمَّى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار (**جلمدًا**) و(**صلدًا**)، وقيل: بعد ما بين السدين مائة (**فرسخ**) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ بفتحتين جانبي الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان. (﴿**الصُّدُفين**﴾ **مكي وبصري وشامي**. ﴿**الصُّدْفين**﴾ **أبو بكر**) ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ أي قال ذو القرنين للعَمَلَة: انفخوا في الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي المنفوخ فيه وهو الحديد ﴿نَارًا﴾ كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾ أعطوني ﴿أُفۡرِغۡ﴾ أصبّ ﴿عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ نحاسًا مُذابًا لأنه يقطر وهو منصوب بـ ﴿أُفۡرِغۡ﴾ وتقديره آتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه (﴿قَالَ ٱئۡتُونِي﴾ **بوصل الألف: حمزة وإذا ابتدأ بكسر الألف**) أي جيئوني.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف التاء للخفّة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ أن يعلوا السد ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾ أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي﴾ فإذا دنى مجيء يوم القيامة و(**شارف**) أن يأتي ﴿جَعَلَهُۥ﴾ أي السد ﴿دَكَّآءَۖ﴾ أي مدكوكًا

قوله: (**جَلْمدًا**) في مختار الصحاح: الجَلْمَد والجَلْمُود الصَّخْر. اهـ. **قوله**: (**صلدًا**) في مختار الصحاح: حجر صَلْدٌ أي صَلْب أملس. اهـ. **قوله**: (**فرسخ**) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل بالكسر عند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والذّراع أربع وعشرون أصبعًا. **قوله**: (﴿**الصُّدُفين**﴾) بضمّ الصاد والدال (**مكّي**) أي ابن كثير المكي (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي («**الصُّدْفين**») بضم الصاد وإسكان الدال (**أبو بكر**) شعبة، والباقون بفتحهما. **قوله**: (﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾ **بوصل الألف حمزة وإذا ابتدأ كسر الألف**)، والباقون بقطع الهمزة ومدّها.

قوله: (**شارف**) أي دنا.

مبسوطًا مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندكّ. (﴿دَكَّآءَ﴾ **كوفي أي أرضًا مستوية**) ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ آخر قول ذي القرنين.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا﴾ وجعلنا ﴿بَعْضَهُمْ﴾ بعض الخلق ﴿يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ﴾ يختلط ﴿فِي بَعْضٍ﴾ أي يَضْطَرِبون ويختلطون (**إنسهم وجنّهم حيارى**)، ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد. ورُوِيَ أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر ومَن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله (**نغفًا**) في (**أقفائهم**) فيدخل في آذانهم فيموتون ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي جمع الخلائق للثواب والعقاب ﴿جَمْعًا﴾ تأكيد.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾ عن آياتي التي

قوله: (﴿دَكَّآءَ﴾) بالمدّ والهمز ممنوع الصرف (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بتنوين الكاف بلا همز مصدر دككته. **قوله**: (**أي أرضًا مستوية**) إشارة إلى أنه على قراءة دكّاء بألف التأنيث الممدودة لا بدّ أن يقدّر له موصوف مؤنّث، وهو إذا كان بمعنى مدكوكًا مدقوقًا فهو مؤوّل بالمفعول أو وُصِف به مبالغة.

قوله: (**إنسهم وجنهم**) بدل من الضمير أو مبتدأ خبره حيارى. **قوله**: (**حيارى**) في مختار الصحاح: حارَ يحار حَيْرة وحَيْرًا بسكون الياء وتحيّر في أمره فهو حَيْران وقوم حَيارى. اهـ. **قوله**: (**نغفًا**) النَّغَف ـ بالتحريك ـ والغين معجمة هو الدود الذي يكون في أُنوف الإبل والغنم. **قوله**: (**أقفائهم**) في مختار الصحاح: القفا مقصور مؤخّر العنق يذكّر ويؤنّث والجمع قُفِيّ بالضم وأَقْفَاء وأَقْفِيَةٌ وهو على غير قياس؛ لأنه جمع المدود كأكْسِيَة. اهـ.

(**يُنْظَر إليها**) أو عن القرآن (**فأُذكِّره بالتعظيم**) أو عن القرآن وتأمّل معانيه ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي وكانوا صُمًّا عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم يستطيع السمع إذا صِيحَ به وهؤلاء (**كأنهم أصميت أسماعهم**) فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أفطن الكفار اتخاذهم عبادي. ـ يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام ـ أولياء (**نافعهم**) بئس ما ظنوا. وقيل: «أن» بصلتها سدّ مسدّ مفعولي ﴿أَفَحَسِبَ﴾ و﴿عِبَادِى﴾ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مفعولًا ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾ (**وهذا أوجه**) يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ هو ما يُقام للتنزيل وهو الضيف ونحوه فبشّرهم بعذاب أليم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾، ﴿أَعْمَٰلًا﴾ تمييز. وإنما جمع والقياس أن يكون مفردًا لتنوّع الأهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ (**ضاع**) وبطل وهو

(**ينظر إليها فأذكره بالتعظيم**) لفظ ينظر وأذكر كلاهما على لفظ صيغة المجهول، والمراد بالعين عين البصيرة لا حاسّة البصر؛ لأن التذكير المدلول عليه بقوله: ﴿عَن ذِكْرِى﴾ إنما يكون بنظر القلب. اهـ ابن التمجيد.

قوله: (**كأنهم أصميت أسماعهم**) أي أبطلت وأُزيلت قواهم السامعة من قولهم: أصميت الصيد إذا رمَيْته فقتلته وأنت تراه، وفي بعض النسخ: أصمّت بصيغة المجهول، أي جعلت مصمتة لا جوف لها.

قوله: (**نافعهم**) هو المفعول الثاني لحسب، والأول اتّخاذهم وحذف أحد مفعولي باب علمت وإن لم يكن جائزًا عند النحّاة لكن حذف هنا لقيام قرينة كحذف خبر المبتدأ عند وجود القرينة ومفعولا حسبت وأخواته مبتدأ وخبر في الأصل. **قوله**: (**وهذا أوجه**) ولعلّ هذا الوجه أوْلى من الأولى، فإنّ في الأوّل ارتكاب ما لم يجوّزه أئمّة النّحو. **قوله**: (**ضاع**) يعني أن الضّلال هنا بمعنى

في محل الرفع أي هم الذين ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار ﴿(ذَٰلِكَ) جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هي عطف بيان لجزاؤهم ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ حال ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (تحوّلًا) إلى غيرها رضًا بما أعطوا. يقال: حال من مكانه حولًا أي لا مزيد عليها حتى (**تنازعهم أنفسهم**) إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أيّ نعيم كان فهو (**طامح**) مائل الطرف إلى أرفع منه، أو المراد نفي التحوّل وتأكيد الخلود. ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي ماء البحر ﴿مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ قال (أبو عبيدة): المداد ما يكتب به أي لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادًا لها والمراد بالبحر

الضياع ومنه الضالّة، فإسناده حقيقيّ. **قوله**: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي الأمر ذلك على أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: الأمر ذلك الذي ذكرت من هبوط أعمالهم وخساسة أقدارهم.

قوله: (تحوّلًا) يعني هو مصدر. **قوله**: (تنازعهم أنفسهم) بمعنى تُطالبهم وتجاذبهم كما ترى في أحوال الدنيا. **قوله**: (طامِحٌ) في مختار الصحاح: طمح بصره إلى الشيء ارتفع وبابه خضع. اهـ.

قوله: (أبو عبيدة) بضمّ العين المهملة وإثبات الهاء في آخره معمر بن المثنّى، قال الجاحظ في حقّه: لم يكن في الأرض خارجيّ ولا جماعيّ أعلم بجميع العلوم منه، ولم يزل يصنّف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتي مصنّف؛ فمنها كتاب مجاز القرآن الكريم، وكتاب غريب القرآن، وكتاب معاني القرآن،

الجنس ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا﴾ لنفد أيضًا والكلمات غير نافدة. و﴿مَدَدًا﴾ تمييز نحو «لي مثله رجلًا» والمدد مثل المداد وهو ما يمدّ به. (﴿يَنفَدُ﴾ **حمزة وعلي**)، وقيل: قال (**حيي بن أخطب**): في كتابكم ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]، ثم تقرؤون ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٥] فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ فمَن كان يأمل حُسْن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رِضًا وقبول، أو فمَن كان يخاف سوء لقاء ربّه والمراد باللقاء القدوم عليه. وقيل: رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خالصًا لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره. وعن (**يحيىٰ بن معاذ**): هو ما لا يستحي منه ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هو نهي عن الشِّرك أو عن الرياء قال ﷺ: «اتقوا الشِّرك الأصغر»، قالوا: وما الشِّرك الأصغر؟ قال: «الرياء»، قال ﷺ: «مَن قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون، فإن يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال، ومَن قرأ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ إلى آخرها عند

وكتاب غريب الحديث؛ ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها. توفي سنة تسع ومائتين بالبصرة، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة عشر، وقيل: سنة ثلاث عشر ومائتين.

قوله: (﴿يَنفَدُ﴾) بالياء المثنّاة تحت على التذكير (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بالتاء من فوق. **قوله**: (**حُيي بن أخطب**) من أحبار اليهود.

قوله: (**يحيىٰ بن معاذ**) الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصًا وكلام في المعرفة، خرج إلى بلخ وأقام بها مدّة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين.

مضجعه كان له نور يتلألأ من **(مضجعه)** إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه، وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور **(يتلألأ)** من مضجعه إلى البيت المعمور **(حشو ذلك النور)** ملائكة يصلّون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ».

قوله: **(مضجعه)** محلّ نومه. **قوله**: **(يتلألأ)** بالهمز بمعنى يُشرق. **قوله**: **(حشو ذلك النور)** أي في وسطه، أي هو مملوّ بالملائكة عليهم الصلاة والسلام يدعون له إلى البيت المعمور، والبيت المعمور في السماء معروف، والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه
اللّهمّ ببركة كتابك العظيم نوّر بصائرنا وأبصارنا بنور الهداية والتوفيق لما يرضيك، وصلّ وسلِّم على أشرف مخلوقاتك سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ونوّابه صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم القيامة

(سورة مريم عليها السلام)

(مكيّة، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية) مدني وشامي

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ قال (السدي): هو اسم الله الأعظم، وقيل: هو اسم للسورة. **(قرأ عليّ الكسائي ويحيىٰ بن آدم بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب، وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وحمزة بعكسه)**،

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة مريم عليها السلام مكّية، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية) وسبعمائة واثنان وستّون كلمة، وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان. اهـ خطيب. **قوله:** (السّدي) الكبير الكوفي المفسّر الأعور أبو محمد إسمٰعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة التابعي، روى عن أنس بن مالك وابن عباس، روى له الجماعة إلّا البخاري. والصغير الكوفي المفسّر صاحب الكلبي وهو متروك الحديث محمد بن مروان مات إسمٰعيل بن عبد الرحمٰن سنة سبع وعشرين بعد المائة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والسدّي بالضم والتشديد نسبة إلى سدّة جامع الكوفة أي بابه، لأنه كان يبيع عنده. **قوله:** (قرأ علي الكسائي ويحيىٰ[1] بن آدم بكسر الهاء والياء) أي بإمالة الهاء والياء (ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب) يعني أنه أمال الألف بجعلها بين مخرج الألف ومخرج الياء على السواء، لا بأن جعل إمالتها نحو الياء أكثر. اهـ

---

(١) يروى عن أبي بكر عن عاصم. ١٢ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وغيرهم بفتحهما ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ أي هذا ذكر ﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعول الرحمة (﴿زَكَرِيَّآ﴾) بالقصر: **(حمزة وعلي وحفص)** وهو بدل من ﴿عَبْدَهُۥ﴾.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾

﴿إِذْ﴾ ظرف للرحمة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ دعاه دعاء سرًّا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرّياء وأقرب إلى الصفاء، أو أخفاه لئلا يُلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة ﴿قَالَ رَبِّ﴾ هذا تفسير الدعاء وأصله «يا ربي» فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصارًا ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضعف. وخصّ العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن **(تداعى)** وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهَن كان ما وراءه أوهَن، ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام أشد ما تركّب منه الجسد قد أصابه الوهن.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تمييز أي فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار إذا تفرَّقت في التهابها وصارت شعلًا، **(فشبّه الشيب)** بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار. ولا ترى كلامًا أفضل من هذا، ألا ترى أن أصل الكلام يا رب قد شخت إذ **(الشيخوخة)** تشتمل على ضعف البدن

شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (وأبو عمرو بكسر الهاء)** أي بإمالة الهاء محضة **(وفتح الياء، وحمزة بعكسه)** أي بفتح الهاء وإمالة الياء محضة. **قوله:** (﴿زَكَرِيَّآ﴾) بالقصر بلا همز **(حمزة وعليّ وحفص)**، والباقون بالهمز والمدّ.

قوله: (تداعى) أي آذن بالسقوط. **قوله: (الشيخوخة)** مصدر شاخ يشيخ. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: قد شاخ الرجل يشيخ شيخوخة وشَيَخًا أيضًا بفتح الياء(١). اهـ. **قوله: (فشبّه الشَّيب)** أي تشبيهًا مضمرًا في النفس بشواظ النار، أي بلهبها الخالص عن الدخان، واقتصر من طرفي التشبيه على ذكر المشبّه وهو الشيب، كما اقتصر على ذكر المشبّه في أنشبت المنية أظفارها، ودلّ على هذا

---

(١) وفي القاموس محركة. ١٢ منه رحمه الله.

وشيب الرأس المتعرِّض لهما، وأقوى منه ضعفَ بدني وشابَ رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل، وأقوى منه وهَنَت عظام بدني فيه عُدُول عن التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه، وأقوى منه أنا وهنت عظام بدني، وأقوى منه إني وهنت عظام بدني، وأقوى منه إني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريقي الإجمال والتفصيل، وأقوى منه إني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن، وأقوى منه ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ لشمول الوهن العظام فردًا فردًا باعتبار ترك جمع العظم إلى الإفراد لصحة حصول وَهَن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد، ولهذا تركت الحقيقة في شابَ رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي، وأبلغ منه اشتعل رأسي شيبًا لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومَنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس إذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبًا، وزان اشتعل النار في بيتي **(واشتعل بيتي نارًا)** والفرق نير، **(ولأن فيه الإجمال**

التشبيه بإثبات الاشتعال للشيب، كما دلّ على تشبيه المنيّة بالسبع بإثبات الأظفار لها، فتشبّه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية وإثبات الاشتعال له استعارة تخييلية، وشبّه انتشار الشيب في شعر الرأس باشتعال النار، ودلّ عليه بإثبات لازم المشبّه به حيث اقتصر وأخرج التشبيه الثاني مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث أطلق اسم المشبّه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازي واشتقّ منه لفظ اشتعل، فكان استعارة تصريحية تبعيّة، وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية، فإن قيل: اللّفظ المستعار في الاستعارة التخييلية يجب أن لا يتحقّق معناه لا حسًّا ولا عقلًا، بل يكون معناه صورة وهمية مَحْضة كلفظ الأظفار، فإنّ الوهم اخترع للمنيّة صورة شبيهة بصورة الأظفار المحققة، ثم عبّر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبّه به، وهو الأظفار فمعناه صورة وهمية لا تحقّق لها حسًّا ولا عقلًا، والمعنى الذي عنى بلفظ اشتعل ليس صورة وهمية، بل أمرٌ ثابت للشيب. فالجواب أن الاشتعال بمعنى الانتشار، والنشور أمرٌ محقق ثابت للشيب حسًّا إلّا أن الاشتعال الحقيقي الذي هو من لوازم المشبّه وهو الشواظ إنما ثبت له باختراع الوهم، وهذا القدر كافٍ في كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية، وكونها صورة وهمية لا تحقّق لها حسًّا ولا عقلًا. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (واشتعل بيتي نارًا)** يفيد احتراق جميع ما فيه دون اشتعل النار في بيتي. **قوله: (ولأن فيه الإجمال**

والتفصيل) كما عرف في طريق التمييز، وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيبًا لما مرّ، وأبلغ منه ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ ففيه اكتفاء بعلم المُخاطَب إنه رأس زكريا بقرينة العطف على ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ﴾ ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيّٗا﴾ أي كنت مُستَجاب الدعوة قبل اليوم سعيدًا به غير شقي فيه. يقال: سَعِد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشَقِي إذا خابَ ولم ينلها. وعن بعضهم أن مُحتاجًا سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا فقال: مرحبًا بمَن توسَّل بنا إلينا وقت حاجته وقضى حاجته.

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥﴾

﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ هم عصبته إخوته وبنو عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يُحسِنوا الخلافة على أمته فطلب عقبًا صالحًا من صلبه يقتدى به في إحياء الدين ﴿مِن وَرَآءِي﴾ بعد موتي، **(وبالقصر وفتح الياء كـ ﴿هُدَايَ﴾: مكي)**. وهذا الظرف لا يتعلق بـ ﴿خِفۡتُ﴾ لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن **(بمحذوف)**، أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فِعْل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خِفت الذين يَلُون الأمر من ورائي ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ عقيمًا لا تَلِد ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ **(اختراعًا)** منك بلا سبب لأن امرأتي لا تصلح للولادة ﴿وَلِيّٗا﴾ ابنًا يلي أمرك بعدي.

والتفصيل)... الخ. فإن شيبًا تمييز منقول من الفاعلية؛ إذ الأصل اشتعل شيب الرأس، فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الإجمال أبهم ما هو المشتعل حقيقةً، ثم ميَّز بقوله: ﴿شَيۡبٗا﴾ لتعيين أن المشتعل هو الشيب.

قوله: (وبالقصر وفتح الياء كـ ﴿هُدَايَ﴾: مكي) أي ابن كثير المكّي. ورُوِيَ عنه أنه قرأ بالهمز والمدّ وفتح الياء، والباقون بالهمز والمدّ وسكون الياء. **قوله: (بمحذوف)** مقدّر بعد ﴿خِفۡتُ﴾ [مريم: الآية ٥] مضاف إلى ﴿ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ [مريم: الآية ٥]، فالتقدير: خفت فعل الموالي من ورائي. **قوله: (اختراعًا)** أي إنشاء وابتداعًا.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفعهما صفة لـ ﴿وَلِيًّا﴾ أي هب لي ولدًا وارثًا مني العلم ومن آل يعقوب النبوّة، ومعنى وراثة النبوّة أنه يصلح لأن يُوحَى إليه ولم يرد أن نفس النبوّة تُورث. (وبجزمهما: **أبو عمرو وعلي على أنه جواب للدعاء**) يقال ورثته وورثت منه ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعقوب بن إسحٰق ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مرضيًا ترضاه أو راضيًا عنك وبحكمك فأجاب الله تعالى دعاءه وقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ تولّى الله تسميته تشريفًا له. (﴿نَبْشُرُكَ﴾ **بالتخفيف: حمزة**) ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم يُسَمَّ أحد بيحيىٰ قبله وهذا دليل على أن الاسم الغريب (**جديرًا بالأثرة**). وقيل: مثلًا وشبيهًا ولم يكن له مثل في أنه لم يعصَ (**ولم يهم**) بمعصية قطّ وأنه وُلِد بين شيخ وعجوز (**وإن كان حصورًا**)، فلما بشّرته الملائكة به.

قوله: (وبجزمهما: **أبو عمرو**) البصري، (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بالرفع. **قوله**: (**على أنه جواب للدعاء**) أي في جواب الأمر الذي قصد به الدعاء وعبّر به تأدُّبًا.

قوله: (﴿نَبْشُرُكَ﴾ **بالتخفيف**) أي بفتح النون وإسكان الباء وضمّ الشين مخفّفة (**حمزة**)، والباقون بضمّ النون وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة. **قوله**: (**جديرًا**) أي لائق. **قوله**: (**بالأثرة**) في مختار الصحاح: استأثر(١) بالشيء استبدّ به، والاسم الأَثَرة بفتحتين. اهـ. **قوله**: (**ولم يهمّ**) في مختار الصحاح: همّ بالشيء أراده وبابه ردّ. اهـ.

قوله: (**وإن كان حَصورًا**) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه، أي منعًا لها من الشهوات، كذا أفاده المصنّف رحمه الله في سورة آل عمران.

---

(١) الاستئثار الانفراد. اهـ لسان العرب. ١٢ منه رحمه الله.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأيّ طريق يكون أيُوهَب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يُحَوَّلان شابَّين ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي بلغت عتيًّا وهو اليبس **(والجساوة)** في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر **(والطعن)** في السن العالية (﴿عِتِيًّا﴾ و﴿صِلِيًّا﴾ و﴿جِثِيًّا﴾ و﴿بِكيًا﴾ **بكسر الأوائل: حمزة وعلي والكسائي وحفص إلا في﴿بكيًا﴾**).

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيًّا ۝١٠﴾

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أو نصب بـ ﴿قَالَ﴾ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي خلق يحيىٰ من كبيرين سهل ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ﴾ أو جدتك من قبل يحيىٰ. (﴿**خلقناك**﴾ **حمزة وعلي**) ﴿وَلَمۡ تَكُ شَيۡـًٔا﴾ لأن المعدوم ليس بشيء ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ علامة أعرف بها حبل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيًّا﴾ حال من ضمير تكلم أي حال كونك سوى الأعضاء واللسان يعني علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك **(خرس)** ولا **(بُكم)**. ودلّ ذكر الليالي هنا والأيام في «آل عمران» على أن المنع من الكلام

قوله: (والجساوة) بالسين المهملة والجيم بمعنى اليبس. **قوله: (والطعن)** أي الدخول. **قوله:** (﴿عِتِيًّا﴾ و﴿صِلِيًّا﴾ و﴿جِثِيًّا﴾ و﴿بِكيًا﴾ **بكسر الأوائل**) الأربعة **(حمزة وعليّ والكسائي) (وحفص)** أي قرأ حفص كذلك **(إلّا في** ﴿وَبُكِيًّا﴾**)**، والباقون بضمّها.

قوله: ﴿**خلقناك**﴾ بنون مفتوحة وألف على لفظ الجمع **(حمزة وعليّ)**، والباقون بالتاء المضمومة بلا ألف على التوحيد. **قوله: (خَرَسٌ)** في مختار الصحاح: خَرِس من باب طَرب، فهو أخرس.اهـ. **قوله: (بُكم)** في مختار الصحاح: رجل أبكم وبكيم، أي أخرس بيّن البَكَم وبابه طرب.اهـ.

استمر به ثلاثة أيام ولياليهن، إذ ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالي وكذا ذكر الليالي يتناول ما بإزائها من الأيام عُرْفًا.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أشار بإصبعه ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلّوا و«أن» هي المفسرة ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ صلاة الفجر والعصر ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ أي وهبنا له يحيىٰ وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيىٰ ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ حال أي بجد و(**استظهار**) بالتوفيق والتأييد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة وهو فهم التوراة والفقه في الدين ﴿صَبِيًّا﴾ حال. قيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال: ما للَّعب خلقنا.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَحَنَانًا﴾ شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما عطفًا على الحكم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي طهارة وصلاحًا فلم (**يعمد**) بذنب ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ مسلمًا مطيعًا ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وبارًّا بهما لا يعصيهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبِّرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ أمان من الله له ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من فتّاني القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ من الفزع الأكبر. قال (**ابن عيينة**): إنها أوحش المواطن.

قوله: (**استظهار**) أي حفظ، يقال: استظهر الكتاب إذا حفظه.

قوله: (**يعمد**) من باب ضرب. **قوله:** (**ابن عُيينة**) أي سفيان بن عيينة، أبو محمد الكوفي ثم المكّي ثقة حافظ فقيه إمام حجّة إلّا أنه تغيّر حفظه بآخره، وكان ربما دلس لكن عن الثقات. مات في رجب سنة ثمان وتسعين وله إحدى وتسعون سنة.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾ أي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها ﴿إِذِ﴾ بدل من ﴿مَرۡيَمَ﴾ بدل اشتمال إذ الأحيان مشتملة على ما فيها، وفيه أن المقصود بذكر مريم وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ﴿ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ أي اعتزلت ﴿مَكَانٗا﴾ ظرف ﴿شَرۡقِيّٗا﴾ أي تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بين المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس. وقيل: قعدت في **(مشرقه)** للاغتسال من الحيض ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ جعلت بينها وبين أهلها حجابًا يسترها لتغتسل وراءه ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جبريل عليه السلام والإضافة للتشريف، وإنما سُمِّي روحًا لأن الدين يحيا به وبوحيه ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا﴾ أي فتمثل لها جبريل في صورة آدمي شاب أمرد وَضِيء الوجه **(جعد الشعر)** ﴿سَوِيّٗا﴾ مستوي الخلق. وإنما مثَّل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه.

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾﴾ أي إن كان يُرجَى منك أن تتقي الله فإني عائذة به منك ﴿قَالَ﴾ جبريل عليه السلام ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أمَّنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمي بل هو رسول مَن استعاذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ بإذن الله تعالى أو لأكون سببًا في هبة الغلام بالنفخ **(في الدرع**.

قوله: **(مشرقة**[١]) مثلّثة الراء محل شروق الشمس والقعود فيه شتاء. اهـ شهاب. **قوله**: **(جعد الشعر)** في المصباح: جعد الشعر بضمّ العين وكسرها جعودة إذا كان فيه التواء وتقبض فهو جعد، وذلك خلاف المسترسل. اهـ.

قوله: (في الدِّرْع) أي القميص إشارة إلى ردِّ ما قيل إن النفخ في الفرج، فإنه غير صحيح ولا مناسب.

---

(١) بضمّ الميم وفتح الراء موضع القعود في الشمس. اهـ ابن التمجيد. ١٢ منه رحمه الله.

﴿ليهب لك﴾ أي الله: **أبو عمرو ونافع)** ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ طاهرًا من الذنوب أو ناميًا على الخير والبركة.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ابن ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ زوج بالنكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرَة تبغي الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولا يكون الولد عادة إلا من أحد هذين، والبغي فعول عند **(المبرد)** «بغوي» فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت العين إتباعًا ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في «امرأة صبور وشكور»، وعند غيره هي «فعيل» ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى «مفعولة» وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الأعراف: الآية ٥٦] ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿كَذَٰلِكِ﴾ أي الأمر كما قلت لم يمسسك رجل نكاحًا أو **(سفاحًا)** ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي إعطاء الولد بلا أب عليّ سهل ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبيِّن به قدرتنا ولنجعله آية للناس أي عبرة وبرهانًا على

قوله: (**«ليهب لك»**) بالياء بعد اللام (**أي الله: أبو عمرو ونافع)**، والباقون بالهمز والضمير للمتكلم وهو الملك أسنده لنفسه على طريق المجاز، ويحتمل أن يكون محكيًا بقول محذوف، أي قال: ﴿لِأَهَبَ﴾.

قوله: **(المُبرّد)** هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، كان إمامًا في النَّحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب، منها كتاب الكامل، ومنها الروضة والمقتضب وغير ذلك، أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وكان ولادة المبرّد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين، وقيل: سنة سبع ومائتين. وتوفي يوم الاثنين لليلتين بَقِيَتا من ذي الحجة، وقيل: ذي القعدة سنة ستّ وثمانين، وقيل: خمس وثمانين ومائتين ببغداد، وصلّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى. والمبرّد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشدّدة وبعدها دال مهملة، وهو لقب عُرِف به. **قوله**: **(سفاحًا)** في مختار الصحاح: السِّفاح بالكسر الزنا. اهـ.

قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّآ﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلق عيسى ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقدّرًا مسطورًا في اللوح فلما اطمأنت إلى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي الموهوب وكانت سِنّها ثلاث عشرة سنة أو عشرًا أو عشرين ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ اعتزلت وهو في بطنها، والجار والمجرور في موضع الحال، عن **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: كانت مدة الحمل ساعة واحدة **(كما حملته نبذته)**. وقيل: ستة أشهر. وقيل: سبعة. وقيل: ثمانية. **(ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى)**. وقيل: حملته في ساعة ووضعته في ساعة ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدًا من أهلها وراء الجبل وذلك لأنها لمّا أحسَّت بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاء بها. وقيل: ألجأها وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى مَعْنى الإلجاء، **(ألا تراك لا تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيد)** ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ وَجَعُ الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أصلها وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مُشعِر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أي جذع

قوله: **(ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحِبْر لسِعَة علمه، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة مات سنة ثمانٍ وستّين بالطائف رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(كما حملته نبذته)** أي وضعته وولدته عقيب الحمل من غير مضيّ مدّة طويلة، وهذه الكاف تسمّى كاف المفاجأة وكاف القرآن. **قوله**: **(ولم يعش مولود وضع لثمانية إلّا عيسى)** فهو من خواصّ عيسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام عندهم وقد صرح به أهل التنجيم.

قوله: **(ألا تراك لا تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيد)**، كما تقول: بلغته وأبلغنيه.

هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليُطعمها منها الرُّطَب لأنه (خُرْسَة النفساء) أي طعامها. ثم ﴿قَالَتْ﴾ جزعًا مما أصابها ﴿يَلَيْتَنِي (مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ اليوم) ـ ﴿مِتُّ﴾ ـ (مدني وكوفي غير أبي بكر)، وغيرهم: بالضم. يقال: (مات يموت ومات يمات) ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ شيئًا متروكًا لا يُعرَف ولا يُذكَر. بفتح النون: حمزة وحفص، بالكسر: غيرهما ومعناهما واحد وهو الشيء الذي حقه أن يُطرَح ويُنسى لحقارته.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ ـ ﴿مَّن﴾ ـ أي الذي تحتها فـ ﴿مَّن﴾ فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنه كان بمكان منخفض عنها، أو عيسى عليه السلام لأنه خاطبها من تحت ذيلها. (﴿مِن تَحْتِهَا﴾ مدني) وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام، أو جبريل والهاء في ﴿تَحْتِهَا﴾ للنخلة. ولشدة ما لقيت سليت بقوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ لا تهتمّي بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس و«أن» بمعنى أي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ﴾ بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته أن يقف وقف ﴿سَرِيًّا﴾ نهرًا صغيرًا عند الجمهور، وسُئِل النبي ﷺ عن السري فقال: هو (الجدول). وعن (الحسن): سيدًا كريمًا يعني عيسى عليه السلام. ورُوِيَ أن (خالد بن صفوان) قال له: إن العرب تسمّي الجدول سريًّا.

قوله: (خرسة النفساء) بضم الخاء وسكون الراء. **قوله:** (﴿مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ اليوم) بكسر الميم (مدني) أي نافع المدني، (وكوفي غير أبي بكر) أي حفص وحمزة والكسائي. **قوله:** (مات يموت) كقال يقول (ومات يمات) كخاف يخاف.

قوله: (﴿مِن تَحْتِهَآ﴾) بكسر الميم وجر تحتها (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وكوفي سوى أبي بكر، أي حفص وحمزة والكسائي. والباقون بفتح الميم ونصب تحتها، فمن موصولة والظرف صلتها.

قوله: (الجدول) النهر الصغير.

قوله: (الحسن) البصري كان من سادات التابعين وكُبَرائهم، توفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (خالد بن صفوان) في لسان العرب: صَفْوانُ اسمٌ.اهـ.

فقال الحسن: صدقت ورجع إلى قوله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرَّت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها:

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَهُزِّىٓ﴾ حرِّكي ﴿إِلَيْكِ﴾ إلى نفسك ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ قال (**أبو علي**): الباء زائدة أي هزِّي جذع النخلة.

﴿(تسَّقَط) عَلَيْكِ﴾ (**بإدغام التاء الأولى في الثانية: مكي ومدني وشامي وأبو عمرو وعلي وأبو بكر، والأصل تتساقط بإظهار التاءين**) و﴿تساقط﴾ بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين: حمزة. و﴿يساقط﴾ بفتح الياء والقاف وتشديد السين: (**يعقوب وسهل وحماد ونصير. و﴿تُسَٰقِطْ﴾ حفص من المفاعلة**). و﴿تَسْقُطُ﴾ و﴿**يسقط**﴾ (**وتسقط ويسقط**) التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراءات ﴿رُطَبًا﴾ تمييز أو مفعول به على حسب القراءة ﴿جَنِيًّا﴾ طريًّا وقالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت. وقيل: ما للنفساء خير من الرُّطَب ولا للمريض من العسل.

قوله: (**أبو علي**) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحويّ، وكان إمام وقته في علم النَّحو العديم المثل وصاحب التصانيف، منها كتاب الحجّة في القراءات والتذكرة، توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله.

قوله: (﴿**تسَّقَط**﴾) بفتح التاء وتشديد السين مفتوحة وفتح القاف (**بإدغام التاء الأُولى في الثانية مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**ومدني**) أي نافع المدني (**وشامي**) ابن عامر الشامي (**وأبو عمرو وعليّ**) الكسائي (**وأبو بكر**) شعبة. **قوله**: (**والأصل: تتساقط بإظهار التاءين**) أي وقرىء الأصل. **قوله**: (**يعقوب**) بن إسحٰق (**وسهل**) بن محمد، وليسا من السبعة. **قوله**: (**وحماد**) بن زياد يروي عن عاصم. **قوله**: (**ونُصَيْر**) بن يوسف النحوي يروي عن عليّ الكسائي. **قوله**: (**و﴿تُسَٰقِطْ﴾**) بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين (**حفص من المفاعلة**). **قوله**: (**وتسقط**) أي وقرىء تسقط (**ويسقط**) بضمّ حرف المضارعة وهي التاء في الأُولى والياء في الثانية وبسكون السين وكسر القاف من أسقط. **قوله**: (**وتسقط**) أي وقرئ **وتسقط**

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ٢٦﴾

﴿فَكُلِي﴾ من الجني ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من السري ﴿وَقَرِّي عَيْنًاۖ﴾ بالولد الرضي و﴿عَيْنًاۖ﴾ تمييز أي طيبي نفسًا بعيسى و(**ارفضي**) عنك ما أحزنك ﴿فَإِمَّا﴾ أصله إن ما فضُمَّت إن الشرطية إلى ما وأُدغِمَت فيها ﴿تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي فإن رأيت آدميًا يسألك عن حالك فقولي إني نذرت للرحمٰن صمتًا وإمساكًا عن الكلام، وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب. وقيل: صيامًا حقيقة وكان صيامهم فيه (**الصمت**) فكان التزامُه التزامَه، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخًا فينا. وإنما أُمِرَت أن تنذر السكوت لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرىء به (**ساحتها**) ولئلا تجادل السفهاء، وفيه دليل على أن السكوت عن السفيه واجب وما (**قُدِعَ**) سفيه بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل (**العراض**). وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقد تسمى الإشارة كلامًا وقولًا ألا ترى إلى قول الشاعر في وصف القبور وتكلمت عن أوجه تبلى. وقيل: كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوَّغ لها هذا القدر بالنطق ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ آدميًا.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩﴾

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَوْمَهَا﴾ بعدما طَهُرَت من نفاسها ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ حال منها، أي أقبلت نحوهم حاملة إياه فلما رأوه معها ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾

(**ويسقط**) بفتح حرف المضارعة التي هي التاء في الأُولى والياء في الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتأويله بالثمرة على قراءة التاء.

قوله: (**ارفضي**) اتركي. **قوله**: (**ساحتها**) في لسان العرب: الساحة الناحية. اهـ. **قوله**: (**الصمت**) أي السكوت وبابه نصر ودخل، وصماتًا أيضًا بالضم. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**قدع**) في لسان العرب: القدع الكفّ والمنع. اهـ. **قوله**: (**العراض**) المعارضة.

بديعًا عجيبًا، والفري القطع كأنه يقطع العادة ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بني إسرائيل، أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخا همدان أي يا واحدًا منهم، أو رجل صالح أو طالح في زمانها شبَّهوها به في الصلاح أو شتموها به ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ عمران ﴿ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ زانيًا ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ﴾ حنّة ﴿بَغِيّٗا﴾ زانية ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ إلى عيسى أن يجيبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها: لا تحزني وأحيلي بالجواب عليَّ. وقيل: أمرها جبريل بذلك. ولما أشارت إليه غضبوا وتعجَّبوا و﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ حَدَث ووُجِد ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ المعهود ﴿صَبِيّٗا﴾ حال.

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم، رُوِيَ أنه أشار بسبَّابته وقال بصوت رفيع: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ وفيه ردٌّ لقول النصارى ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ رُوِيَ عن الحسن أنه كان في المهد نبيًا وكلامه معجزته. وقيل: أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ **(نفاعًا حيث كنت)** أو معلِّمًا للخير ﴿وَأَوۡصَٰنِي﴾ وأمرني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ إن ملكت مالاً. وقيل: صدقة الفِطْر أو تطهير البدن، ويحتمل وأوصاني بأن آمركم بالصلاة والزكاة ﴿مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾ نصب على الظرف أي مدة حياتي ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ عطفًا على ﴿مُبَارَكًا﴾ أي بارًّا بها أُكرمها وأُعظِّمها ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا﴾ متكبرًا ﴿شَقِيّٗا﴾ عاقًا.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ﴾، ﴿يَوۡمَ﴾ ظرف، والعامل فيه الخبر وهو ﴿عَلَيَّ﴾، ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أي ذلك السلام الموجّه إلى يحيىٰ في المواطن الثلاثة مُوَجَّه إليَّ إن كان حرف التعريف للعهد، وإن كان للجنس فالمعنى وجنس

قوله: **(نفّاعًا حيث كنت)** حيث ينتفع أصحاب الآفات بسبب دعائه، فإنه كان يُحيي الموتى ويُبرىء الأكمه والأبرص.

السلام عليَّ، وفيه تعريض باللعنة على أعداء مريم وابنها لأنه إذا قال وجنس السلام فقد عرض بأن ضدّه عليكم إذ المقام مقام مُناكرة وعناد فكان (مئنة) لمثل هذا التعريض.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ﴿عِيسَى﴾ خبره ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ نعته أو خبر ثانٍ أي ذلك الذي قال إني كذا وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى إنه إلـٰه أو ابن الله ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله، وقيل: له كلمة الله (**لأنه وُلِد بقوله:** ﴿كُن﴾) بلا واسطة أب. وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من عيسى. (**ونصبه شامي وعاصم**) على المدح أو على المصدر أي أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بإلـٰه كما يدعونه ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون من المِريَة الشك أو يختلفون من المِراء، فقالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ ما ينبغي له ﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ جيء بـ ﴿مِن﴾ لتأكيد النفي ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ نـزّه ذاته عن اتخاذ الولد ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ﴾ (﴿كُن فَيَكُونُ﴾ **بالنصب شامي**) أي كما قال لعيسى: كن فكان من غير أب، ومَن كان متّصفًا بهذا كان مُنزَّهًا أن يشبه الحيوان الوالد ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ (**بالكسر**) شامي (وكوفي **على الابتداء**) وهو من كلام عيسى يعني كما أنا عبده فأنتم عبيده، عليَّ

قوله: (مئنة) أي مظنّة. اهـ لسان العرب.

قوله: (**لأنه وُلد بقوله**: ﴿كُن﴾)... الخ. فسمّى المسبّب باسم السبب.

قوله: (**ونصبه شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وعاصم**)، وقرأ الباقون بالرفع.

قوله: (﴿كُن فَيَكُونُ﴾ **بالنصب**) أي بنصب النون بتقدير أَن، أو على الجواب (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالرفع بتقدير هو. **قوله**: (**بالكسر**) **شامي** أي ابن عامر الشامي (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي (**على الابتداء**)، والباقون بفتحها.

وعليكم أن نعبده. ومن فتح عطف على ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم، أو علّقه بما بعده أي ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴿هَٰذَا﴾ ذكرت ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ فاعبدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فِرَق: نسطورية ويعقوبية وملكانية ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس، وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم هم: يعقوب ونسطور وملكان. فقال يعقوب: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء. وقال نسطور: كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه. وقال الثالث: كذبوا كان عبدًا مخلوقًا نبيًّا فتبع كل واحد منهم قوم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر، أو من مكان الشهادة أو وقتها، أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيمًا **(لفظاعة)** ما شهدوا به في عيسى.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يُوصَف بالتعجيب ولكن المراد **(إن أسماعهم وأبصارهم جدير)** بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صُمًّا وعُمْيًا في الدنيا. قال قتادة: إن عموا وصُمُّوا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم! و﴿بِهِمْ﴾ مرفوع المحل على الفاعلية (كـ «**أكرم بزيد**») فمعناه كرم زيد جدًّا ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ﴾ أقيم الظاهر

قوله: (لفظاعة) في مختار الصحاح: فَظُع الأمر من باب ظرف، فهو فظيع، أي شديد فظيع شنيع جاوز المقدار. اهـ.

قوله: (إن أسماعهم) جمع سمع بمعنى المصدر أو القوى السامعة، **(وأبصارهم)** جمع بصر بالمعنيين **(جدير)** أي حقيق ولائق خبر أن. **قوله: (كأكرِم بزيد)** أصله:

مقام المضمر أي لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين **(يجدي)** عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلـٰهًا معبودًا مع ظهور آثار الحدث فيه إشعارًا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوّفهم ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ يوم القيامة لأنه يقع فيه **(الندم)** على ما فات، وفي الحديث «إذا رأوا منازلهم في الجنة أن لو آمنوا» ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ أو ظرف للحسرة وهو مصدر ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب **(وتصادر الفريقان)** إلى الجنة والنار ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ هنا عن الاهتمام لذلك المقام ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون به ﴿وَهُمْ﴾ ﴿وَهُمْ﴾ حالان أي وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي نتفرّد **(بالملك)** والبقاء عند تعميم **(الهلك)** والفناء وذكر مَن لتغليب العقلاء ﴿وَإِلَيْنَا

أكْرَمَ زيد، أي صار زيد ذا كرم، كأغدّ البعير بمعنى صار ذا غدّة، إلّا أنه أخرج لفظ الماضي الذي معناه الخبر على لفظ الأمر، كما أخرج على لفظ الخبر ما معناه الأمر والدعاء؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٨]، والمراد الأمر وقولهم: رحمه الله والمراد الدعاء والباء زائدة لازمة إصلاحًا للَّفظ؛ لأنه لو لم تزد الباء لكان ما هو على لفظ الأمر الحاضر مسندًا إلى الاسم الظاهر، وقد تقرّر أنّ فاعله لا يكون إلّا ضميرًا مستترًا وللتنبيه على نقله إلى معنى إنشاء التعجّب، فالباء زائدة في المرفوع؛ كما في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٧٩]، فيكون الجار والمجرور في موضع الرفع على الفاعليّة. **قوله**: **(يُجْدي)** أي ينفع.

قوله: **(الندم)** في مختار الصحاح: نَدِم على ما فعل من باب طَرِب وسلم.اهـ. **قوله**: **(وتصادر الفريقان)** أي صدر كل من موقف الحساب إلى مقرّه إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار. **قوله**: **(بالملك)** بالضمّ هو التصرّف في المملكة بالأمر والنهي، وبالكسر هو التملّك والمالكية. **قوله**: **(الهلك)** في المصباح: هلك الشيء هَلْكًا من باب ضرب وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام فمثلثة،

﴿يُرْجَعُونَ﴾ بضم الياء وفتح الجيم (وفتح الياء: **يعقوب**) أي يردون فيُجازون جزاءً وفاقًا.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢)﴾

﴿وَاذْكُرْ﴾ لقومك ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ قصته مع أبيه ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ بغير همز وهمزه نافع. قيل: الصادق المستقيم في الأفعال والصديق المستقيم في الأحوال، فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كان مصدِّقًا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيًّا في نفسه، وهذه الجملة وقعت اعتراضًا بين إبراهيم وبين ما هو بدل منه وهو ﴿إِذْ قَالَ﴾ وجاز أن يتعلق ﴿إِذْ﴾ بـ ﴿كَانَ﴾ أو بـ ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ أي كان جامعًا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الشعراء: الآية ٦٩] وإلا فالله عزَّ وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله ﴿لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ بكسر التاء (**وفتحها: ابن عامر**) والتاء عِوَض من ياء بالإضافة ولا يقال يا أبتي لئلا يجمع بين العَوَض والمُعَوَّض منه ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ المفعول فيهما مَنْسِيٌّ غير مَنْوي، ويجوز أن يقدر أي لا يسمع شيئًا ولا يُبصِر شيئًا ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ يحتمل أن يكون ﴿شَيْئًا﴾ في موضع المصدر أي شيئًا من الإغناء وأن يكون مفعولًا به من قولك أغنِ عني وجهك أي بعِّد.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)﴾

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحي أو معرفة الرب ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ «ما» في ﴿مَا لَا يَسْمَعُ﴾ و﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ﴾ أرشدك ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ مستقيمًا.

والاسم الهلك مثل قفل. اهـ. **قوله**: (**وفتح الياء**) مبنيًّا للفاعل (**يعقوب**) بن إسحٰق وليس من السبعة، والباقون بضمّ الياء وفتح الجيم مبنيًّا للمفعول.

قوله: (**وفتحها: ابن عامر**) الشامي، والباقون بكسر التاء.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ لا تُطعه فيما (سوّل) من عبادة الصنم ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ عاصيًا.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ قيل: أعلم ﴿أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ قرينًا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المُجاملة والرِّفْق والخلق الحسن كما أمر ففي الحديث «أُوحي إلى إبراهيم إنك خليلي حَسِّن خُلُقَكَ ولو مع الكفَّار تدخل مداخل الأبرار» فطلب منه أولًا العلة في خطئه طلب منه على تماديه مُوقِظ لإفراطه وتناهيه، لأن مَن يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الأنبياء كان محكومًا عليه بالغيِّ المُبين فكيف بمَن يعبد حجرًا أو شجرًا لا يسمع ذِكْر عابِدِه ولا يرى هيآت عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضي له حاجة؟ ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفِّقًا به متلطِّفًا، فلم يُسَمِّ أباه بالجهل المُفرِط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إن معي شيئًا من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، (**فهب**) أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل و(**تتيه**)، ثم ثلَّث بنهيه عمّا كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمٰن الذي جميع النِّعَم منه أوقعك في عبادة الصنم وزيَّنها لك فأنت عابده في الحقيقة، ثم ربَّع بتخويفه سوء العاقبة و(**ما يجرّه ما هو فيه من التَّبِعَة والوبال**) مع مراعاة الأدب حيث لم يصرِّح بأن العقاب لاحِق به وأن العذاب لاصق به بل قال: أخاف أن يمسَّك عذاب بالتنكير المُشعِر بالتقليل كأنه قال: إني أخاف أن يصيبك (**نَفيان**) من عذاب الرحمٰن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر

قوله: (سوّل) زيّن.

قوله: (فهبْ) بمعنى احسب. **قوله**: (تَتِيْه) أي تحيّر. **قوله**: (وما يجرّه) عطف على قوله: سوء العاقبة، والضمير في يجرّه راجع إلى ما. **قوله**: (ما هو) أي الأب (فيه) من الكفر فاعل لقوله يجر. **قوله**: (التَّبِعة) وزان كلمة، في مختار الصحاح: التَّبِعَة ما أُتْبِع به، ذكره الفارابي في الديوان. اهـ. **قوله**: (نَفيان) في لسان العرب: النَّفَيان ما وقع عن الرّشاء من الماء على ظهر المُستقى؛ لأن الرشاء

من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدَّر كل نصيحة بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ توسّلًا إليه واستعطافًا وإشعارًا بوجوب احترام الأب وإن كان كافرًا **(فثَمَّ)**.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ آزر توبيخًا: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ أي أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بـ «يا بُنَيّ» وقدَّم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن شتم الأصنام ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ لأقتلنك **(بالرجام)** أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنَّك ﴿وَٱهْجُرْنِى﴾ عطف على محذوف يدلّ عليه ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ تقديره فاحذرني واهجرني ﴿مَلِيًّا﴾ ظرف أي زمانًا طويلًا من **(الملاوة)**.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع ومُتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن

تنفيه، وقيل: هو ما تطاير من الماء عن الرّشاء عند الاستقاء. اهـ. **قوله**: **(فثَمّ)** بفتح الثاء المثلّثة.

فائـدة:

كثيرًا ما تُكتب هذه الكلمة بالهاء بعد الميم، وهذه الهاء هي صورة هاء الوقف ولا يجب إثبات هذه الهاء في اللفظ وقفًا، بل هو جائز ولكونه جائزاً لم تلزم كتابتها ولا يجوز إثبات هذه الهاء في اللفظ وصلًا ولا إبدالها تاء، ولا نقط صورتها أصلًا.

قوله: **(بالرجام)** في مختار الصحاح: الرجام وهي حجارة ضخام. اهـ. **قوله**: **(الملاوة)** يجوز في ميمها الحركات الثلاث، يقال: أقمت عنده ملاوة من الدهر، أي حينًا وبرهة، ومضى مليّ من النهار أي ساعة طويلة.

يهديك للإسلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ملطفًا بعموم النِّعَم أو رحيمًا أو مكرمًا و(الحفاوة) الرأفة والرحمة والكرامة ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي ما تعبدون من أصنامكم ﴿وَأَدْعُواْ﴾ وأعبد ﴿رَبِّى﴾ ثم قال تواضعًا وهضمًا للنفس ومُعَرِّضًا بشقاوتهم بدعاء آلهتهم ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ أي كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فلما اعتزل الكفَّار ومعبودهم ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلة ليستأنس بهما ﴿وَكُلًّا﴾ كل واحد منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أي لما ترك الكفار الفجّار لوجهه عوّضه أولادًا مؤمنين أنبياء ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ هي المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً حسنًا وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم في الصلوات، وعبَّر باللسان عمّا يوجد باللسان كما عبَّر باليد عمَّا يطلق باليد وهي العطية ﴿عَلِيًّا﴾ رفيعًا مشهورًا.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ (**كوفي غير المفضل**) أي أخلصه الله واصطفاه و﴿مُخْلِصًا﴾ بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة بأصل الفطرة، ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهِمَّة ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبيء عن الله عزَّ وجلَّ وإن لم يكن معه كتاب كيوشع ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ دعوناه وكلَّمناه ليلة الجمعة ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ هو جبل بين مصر ومدين ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ من اليمين أي من ناحية اليمين، والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين له، والمعنى

قوله: (الحَفاوة) بفتح الحاء.

قوله: (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي (**غير المفضل**) بن محمد يروي عن عاصم رحمه الله.

أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان ﴿نَجِيًّا﴾ حال أي مُناجيًا كنديم بمعنى منادم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه ﴿أَخَاهُ﴾ مفعول ﴿هَٰرُونَ﴾ بدل منه ﴿نَبِيًّا﴾ حال أي وهبنا له نبوَّة أخيه وإلا فهارون كان أكبر سنًّا منه.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ هو ابن إبراهيم في الأصح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ وافيه. وعد رجلًا أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد، و**(ناهيك)** أنه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى. وقيل: لم يَعِد ربّه موعدًا إلا أنجزه، وإنما خصَّه بصدق الوعد وإن كان موجودًا في غيره من الأنبياء تشريفًا له ولأنه المشهور من خصاله ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى **(جُرْهُم)** ﴿نَّبِيًّا﴾ مخبرًا منذرًا ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ أمته لأن النبي أبو أمته وأهل بيته وفيه دليل على أنه لم يُداهن غيره ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ يحتمل أنه إنما خصَّت هاتان العبادتان لأنهما أُمَّا العبادات البدنية والمالية ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ **(قرىء ﴿مرضوا﴾ على الأصل)**.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ هو **(أخنوخ)** أول مرسل بعد آدم عليه السلام، وأول مَن خطَّ بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل. وقولهم سُمِّي به لكثرة دراسته

قوله: (ناهِيك) أي كافيك. **قوله**: (جُرْهُم) في لسان العرب: جُرْهُم حيّ من اليمن نزلوا مكّة وتزوّج فيهم إسمٰعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهم أصهاره ثم ألحدوا في الحرم فأبادهم الله تعالى. اهـ. وفي القاموس: جُرْهُم كقُنْفُذٍ حيّ من اليمن تزوّج فيهم إسمٰعيل عليه السلام. اهـ. **قوله**: (وقرىء ﴿مَرضوًّا﴾ على الأصل) وهي قراءة شاذّة.

قوله: (أخنوخ) بضم الهمزة وفتحها.

كتب الله (لا يصح) لأنه لو كان «أفعيلًا» من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفًا فامتناعه من الصرف دليل العجمة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ هو شرف النبوّة والزّلفى عند الله. وقيل: معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة، وقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج فيها. وعن الحسن: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وذلك أنه حبَّب لكثرة عبادته إلى الملائكة فقال لملك الموت: أذِقْني الموت يَهُن عليَّ، ففعل ذلك بإذن الله فحيي، وقال: أدخِلني النار أزْدَد رهبة ففعل، ثم قال: أدخِلني الجنة أزْدَد رغبة، ثم قال: اخرج. فقال: قد ذُقْت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة، فقال الله عزَّ وجلّ: بإذني فعل وبإذني دخل فدعه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى إدريس ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ «من» للبيان لأن جميع الأنبياء مُنعَم عليهم ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ «من» للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقُربه منه لأنه جدّ أبي نوح ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم من ذرية مَن حمل مع نوح لأنه ولد سام بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحٰق ويعقوب ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسى لأن مريم من ذريته ﴿وَمِمَّنْ﴾ (يحتمل العطف على «مَن» الأولى والثانية) ﴿هَدَيْنَآ﴾ لمحاسن الإسلام ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ من الأنام أو لشرح الشريعة وكشف الحقيقة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف. إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبرًا

قوله: (**لا يصح**)... الخ. لأنه لو كان مشتقًّا كان عربيًّا وهو أعجمي لمنع صرفه بالاتّفاق وجريان الاشتقاق في غير العربي مما لم يقل به أحد.

قوله: (**يحتمل العطف على «مَن» الأولى والثانية**)، والمعنى على الأوّل: أنعم الله عليهم من النبيّين وممّن هدينا واجتبَيْنا، وعلى الثاني: أنعم الله عليهم من النبيّين الذين هم بعض ذرّية آدم وبعض مَنْ حملنا مع نوح وبعض من هدَيْنا واجتبَيْنا.

لـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وإن جعلته صفة له كان خبرًا. ﴿يُتْلَىٰ﴾ بالياء: (قتيبة) لوجود الفاصل مع التأنيث غير حقيقي ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم رغبة (﴿وَبُكِيًّا﴾) باكين رهبة جمع باكٍ كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث («**اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا**»)، وعن (**صالح المري**): قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا صالح: «هذه القراءة فأين البكاء؟» ويقول في سجود التلاوة: سبحان ربي الأعلى ثلاثًا.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فجاء من بعد هؤلاء المفضَّلين ﴿خَلْفٌ﴾ أولاد سوء وبفتح اللام العقب الخير. عن ابن عباس: هم اليهود ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوا الصلاة المفروضة ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ملاذّ النفوس. وعن عليّ رضي الله عنه: من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور. وعن قتادة رضي الله عنه: هو في هذه الأمة ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ جزاء غيّ وكل شرّ عند العرب غيّ وكل خير رشاد. وعن ابن عباس وابن مسعود: هو وادٍ في جهنم أعدّ للمُصِرّين على الزّنا وشارِب الخمر وآكِل الرِّبا والعاقّ وشاهِد الزُّور ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ رجع عن كفره ﴿وَءَامَنَ﴾ بشرطه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد إيمانه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ (**بضم الياء وفتح الخاء: مكي وبصري وأبو بكر**) ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي لا ينقصون شيئًا من جزاءِ أعمالهِم ولا يمنعونه بل يضاعَف لهم أو لا يُظلَمون شيئًا من الظلم.

قوله: (**قتيبة**) بن سعيد الثقفي، وثّقه ابن معين وأبو حاتم، توفي سنة أربعين ومائتين. **قوله**: (﴿وَبُكِيًّا﴾) أصله بكوى. **قوله**: («**اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا**») رواه البزار وغيره. **قوله**: (**صالح المرّي**) بضم الميم وتشديد الراء، وهو صالح بن بشير يروي عن ثابت والحسن وابن سيرين.

قوله: (**بضم الياء وفتح الخاء**) مبنيًّا للمفعول (**مكّي**) أي ابن كثير (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري (**وأبو بكر**)، والباقون بفتح الياء وضمّ الخاء.

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيًّا ﴿٦١﴾﴾

﴿جَنَّٰتِ﴾ بدل من ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح ﴿عَدۡنٍ﴾ معرفة **(لأنها عَلَم لمعنى العدن)** وهو الإقامة أو علم لأرض الجنة لكونها مقام إقامة ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذِكرهم ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها ﴿إِنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن أو ضمير الرحمٰن ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي موعوده وهو الجنة ﴿مَأۡتِيًّا﴾ أي هم يأتونها.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغۡوًا﴾ فحشًا أو كذبًا أو ما **(لا طائل تحته)** من الكلام وهو المطروح منه، وفيه تنبيه على وجوب تجنّب اللغو واتّقائه حيث نزّه الله عنه داره التي لا تكليف فيها ﴿إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ أي لكن يسمعون سلامًا من الملائكة أو من بعضهم على بعض، أو لا يسمعون فيها إلا قولًا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور. وقيل: معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ أي يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا إذ لا ليل ولا نهار، ثم لأنهم في النور أبدًا وإنما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها.

قوله: (لأنها عَلَم لمعنى العدن) بمعنى الإقامة، أي لحقيقة معنى الإقامة وجنسها، فإنّ أعلام الأجناس موضوعة للحقائق الذهنيّة المتعيّنة؛ كأُسامة، فإنه علم للحقيقة الذهنيّة الأسدية، وكلفظ برّة فإنه اسم للمبرّة المعرّف بلام الجنس، وكذا لفظ عدن فإنه عَلَم لمعنى العدن المعرّف تعريف الجنس، يعني أن المجرّد من اللام علم للمعرّف بها.

قوله: (لا طائل تحته) الطائل النفع والفائدة.

والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف الله جنته بذلك. وقيل: أراد دوام الرزق كما تقول: «أنا عند فلان بكرة وعشيًّا» تريد الدوام ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها. وقيل: يرثون المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا لأن الكفر موت حكمًا ﴿مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ عن الشِّرك.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فنزل ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ والتنزّل على معنيين معنى **(النزول على مهل)** ومعنى النزول على الإطلاق والأول أليق هنا يعني أن نزولنا في **(الأحايين وقتًا غب وقت)** ليس إلا بأمر الله ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي له ما قدّامنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فأنّى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذِنَ لنا فيه.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ **(بدل من ﴿رَبُّكَ﴾)** أو خبر مبتدأ محذوف أي هو ربّ السمٰوات والأرض. ثم قال لرسوله: لمّا عرفت أنه مُتَّصف بهذه الصفات ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ فاثبت على عبادته ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي اصبر على مكافأة

قوله: **(النزول على مهل)** بفتح الهاء وتسكن، أي وقتًا بعد وقت. **قوله:** **(الأحايين)** جمع الأحْيان، والأحيان جمع الحين. **قوله:** **(وقتًا غِبّ)**[1] بالكسر **(وقت)** أي وقتًا بعد وقت.

قوله: **(بدل من ﴿رَبُّكَ﴾)** في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾.

(١) بمعنى بعد. ١٢ منه رحمه الله.

الحسود، لعبادة المعبود، واصبر على المشاقّ، لأجل عبادة الخلاق، أي لتتمكن من الإتيان بها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ شبيهًا ومثلًا، أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أي إذا صحَّ أن لا معبود توجّه إليه العِباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بُدٌّ من عبادته والاصطبار على مشاقّها.

فتهافت (أُبي بن خلف **الجمحي**) عظمًا وقال: أنبعث بعدما صرنا كذا؟ فنزل:

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ والعامل في ﴿أَءِذَا﴾ ما دلَّ عليه الكلام وهو أبعث أي إذا ما متّ أُبعَث وانتصابه بـ ﴿أُخْرَجُ﴾ ممتنع لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول: «اليوم لزيد قائم» ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة، فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال. و«ما» في «إذا ما» للتوكيد أيضًا فكأنه قال: «أحقًّا إنّا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك» على وجه الاستنكار والاستبعاد. وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار (من قبل أن) ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارهم.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ **(خفيف شامي ونافع وعاصم من الذكر، والإستار**

قوله: (أُبيّ) بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية (**ابن خلف الجمحيّ**).

قوله: (من قِبَل أنّ) بكسر القاف وفتح الباء.

قوله: (**خفيف**) أي بإسكان الذّال وضمّ الكاف مخفّفة (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**ونافع وعاصم من الذِّكر والإستار**) بكسر الهمزة أربعة في العدد، قال أبو سعيد: سمعت العرب تقول للأربعة إستار لأنه بالفارسية چهار فأعربوه وقالوا إستار، ومثله قال الأزهري، وفي بعض النسخ: والساير مكان والإستار. في

بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أُبيّ) فأُدغِمَت التاء في الذال أي أو لا يتدبر، والواو عطفت ﴿أَوَلَا يَذَّكَّرُ﴾ على ﴿يَقُولُ﴾ ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك أدلّ على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود. وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردّها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ هو دليل على ما بيّنا وعلى أن المعدوم ليس بشيء خلافًا للمعتزلة.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي الكفار المنكِرين للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الواو للعطف وبمعنى «مع» أوقع أي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة. وفي إقسام الله باسمه مضافًا إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ حال جمع جاثٍ أي بارِك على الركَب ووزنه «فعول» لأن أصله («**جثوو**») كسجود وساجِد أي يعتلون من المحشر إلى

المصباح: اتّفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلاً كان أو كثيرًا. قال الصغاني: سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم، كما زعم مَنْ قَصُر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام. اهـ. أي الباقون من القرّاء السبعة، وهم الأربعة **(بتشديد الذال والكاف)** أي قرأ ابن كثير وحمزة وعليّ وأبو عمرو بالتشديد مع فتح الكاف **(وأصله «يتذكر» كقراءة أُبيّ)** عبارة الكشاف: وفي حرف أُبيّ ﴿يتذكّر﴾. وفي التقريب: أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجيّ، أبو المنذر سيّد القرّاء ويكنى أبا الطُّفيل أيضًا من فُضلاء الصحابة اختُلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك. اهـ.

قوله: (جثوو) بواوين قلبت الواو الثانية ياء ثم الأُولى كذلك وأُدغمت الياء في الياء وكُسِرت الثاء لتصحّ الياء والجيم مكسورة ومضمومة قراءتان سبعيّتان.

(**شاطىء**) جهنم (**عتلًا**) على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جُثاة على رُكَبهم غير مُشاة على أقدامهم.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ طائفة شاعت أي تُبعَث غاويًا من الغُواة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ جراة أو فجورًا أي لنخرجنَّ من كل طائفة من طوائف الغيّ أعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نقدِّم أولاهم بالعذاب فأولاهم. وقيل: المراد بأشدّهم عِتِيًا الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضُلَّالًا ومُضِلِّين. قال (**سيبويه**): ﴿أَيُّهُمْ﴾ مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو «هو» من «هو أشد» حتى لو جيء (**به**) لأعرب بالنصب، (**وقيل: أيّهم هو أشد**) وهذا لأن الصلة توضِّح الموصول وتبيِّنه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصّصه، فكما أن حذف المضاف إليه في «من قبلُ» يُوجِب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها مُوجِبًا للبناء وموضعها نصب بـ «نزع»، وقال (**الخليل**): هي معربة وهي مبتدأ و﴿أَشَدُّ﴾ خبره وهو رفع على الحكاية تقديره: لننزعنَّ الذين يقال فيهم أيّهم أشدّ على الرحمٰن عِتِيًّا. ويجوز أن يكون النّزع واقعًا على ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ كقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ أي لننزعنّ بعض كل شيعة فكأن قائلًا قال: مَن هم؟ فقيل: أيّهم أشدّ عِتِيًا، و«على» يتعلق بأفعل أي عتوّهم أشد على الرحمٰن.

قوله: (**شاطىء**) جانب. **قوله**: (**عَتْلًا**) في مختار الصحاح: عتل الرجل جذبه جَذْبًا عَنِيفًا وبابه ضرب ونصر. اهـ.

قوله: (**سيبويه**) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر كان أعلم المتقدِّمين والمتأخّرين بالنَّحو ولم يُوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وقيل غير ذلك. **قوله**: (**به**) أي بصدر الجملة وهو هو. **قوله**: (**وقيل: أيَهم هو أشد**) بالنصب. **قوله**: (**الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم كان إمامًا في النَّحو وهو الذي استنبط علم العروض، وأخرجه إلى الوجود وأخباره كثيرة، وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، توفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة رحمه الله تعالى.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بالنار ﴿صِلِيًّا﴾ تمييز أي دخولًا والباء تتعلق بـ ﴿أَوْلَىٰ﴾ ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ داخلها، والمراد النار، والوُرود: الدخول عند علي وابنِ عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السُّنَّة لقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: الآية ٩٨]، ولقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: الآية ٩٩]، ولقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول ولقوله عليه السلام: «الورود الدخول لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم وتقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي».

وقيل: الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفَّار لقراءة ابن عباس ﴿وَإِنَّ مِنهُمْ﴾ وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات. وعن (عبد الله): الورود الحضور لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: الآية ٢٣]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠١]، وأُجيب عنه بأن المراد عن عذابها. وعن (الحسن) و(قتادة): الورود المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار. وعن (مجاهد): ورود المؤمن النار هو مسّ الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام: «الحمّى حظ كل مؤمن من النار» وقال رجل من الصحابة

قوله: (عبد الله) بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمَّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله:** (الحسن) البصري كان من سادات التابعين وكُبرائهم توفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (قتادة) بن دعامة البصري، كان تابعيًّا وكان عالمًا كبيرًا، توفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثمان عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (مجاهد) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجّاج ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى واثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

لآخر: أيقنت بالورود؟ قال: نعم. قال: وأيقنت بالصدر؟ قال: لا. قال: **(ففيم الضحك وفيمَ التثاقل)**؟ ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ أي كان ورودهم واجبًا كائنًا محتومًا والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمِّي به الموجب كقولهم: «ضرب الأمير».

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ **(وعلي: بالتخفيف)** ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عن الشِّرك وهم المؤمنون ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ فيه دليل على دُخولِ الكل لأنه قال: ﴿وَّنَذَرُ﴾ ولم يقل وندخل، والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة. وقالت المرجئة الخبيثة: لا يعاقب لأن المعصية لا تضرّ مع الإسلام عندهم. وقالت المعتزلة: يخلد.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ أي القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات الإعجاز أو حججًا وبراهين حال مؤكدة كقوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: الآية ٩١] إذ آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججًا ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مُشركو قريش وقد **(رجلوا شعورهم)** وتكلفوا في **(زيهم)** ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ للفقراء ورؤوسهم شعثة وثيابهم خشنة

قوله: **(فَفِيم الضحك وفِيمَ التثاقل)** في الدرّ المنثور: أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد؟ فيقول: نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج؟ فيقول: لا، فيقول: فَفِيم الضحك إذن؟اهـ. وأيضًا فيه: أخرج ابن المبارك عن الحسن قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك واردٌ النار؟ قال: نعم، قال: هل أتاك أنك صادرٌ عنها؟ قال: لا، قال: فَفِيم الضحك؟ فما رأيته ضاحكًا حتى مات.اهـ.

قوله: **(وعليّ)** الكسائي **(بالتخفيف)** أي بإسكان النون وتخفيف الجيم، والباقون بفتح النون وتشديد الجيم.

قوله: **(رجّلوا شعورهم)** في مختار الصحاح: ترجيل الشعر تَرْسيله بمَشْطه.اهـ. **قوله:** **(زيّهم)** بالكسر، في مختار الصحاح: الزِّيّ اللِّباس.اهـ.

﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن. (**وبالضم مكي**) وهو موضع الإقامة (**والمنزل**) ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلسًا يجتمع القوم فيه للمشاورة. ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبّر فيها إلى الافتخار (**بالثروة**) والمال وحُسْن المنزل والحال فقال تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ فـ ﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و﴿مِّن﴾ تبيين لإبهامها أي كثيرًا من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ في محل النصب صفة لـ ﴿كَمْ﴾ ألا ترى أنك لو تركت ﴿هُمْ﴾ كان أحسن نصبًا على الوصفية ﴿أَثَٰثًا﴾ (**هو متاع البيت**) أو ما جَدَّ من الفرش ﴿وَرِءْيًا﴾ منظرًا وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت و(﴿ريا﴾ **بغير همز مشددًا: نافع وابن عامر**) على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام، (**أو من الري الذي هو النعمة**).

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ الكفر ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ جواب ﴿مَّن﴾ لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أي مَن كفر مدَّ له الرحمٰن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانًا وضلالًا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران:

قوله: (**وبالضمّ مكّي**) أي ابن كثير المكّي، والباقون بفتح الميم. **قوله**: (**والمنزل**) إن كان بضمّ الميم بمعنى النزول فهو عطف على الإقامة، وإن كان بفتحها فهو عطف على موضع. **قوله**: (**بالثروة**) في المصباح: الثروة كَثْرة المال.

قوله: (**هو متاع البيت**) مطلقًا جديدًا أوْ لا. **قوله**: («ريا» **بغير همز مشدّدًا نافع وابن عامر**)... الخ. والباقون بالهمز من رؤية العين. **قوله**: (**أو من الريّ**) بفتح الراء (**الذي هو النَّعمة**) بفتح النون ويجوز كسرها التنعّم والترفّه.

الآية ١٧٨] وإنما أخرج على لفظ الأمر إيذانًا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به المتمثِّل ليقطع **(معاذير)** الضلال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ هي متصلة بقوله: ﴿خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ وما بينهما اعتراض أي لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين ﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ في الدنيا وهو تعذيب المسلمين إياه بالقتل والأسْر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ أي القيامة وما ينالهم من الخزي **(والنكال)** فهما بدلان مما يوعدون ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ منزلًا ﴿وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ أعوانًا وأنصارًا أي فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدَّروه وأنهم شرٌّ مكانًا وأضعف جندًا لا خير مقامًا وأحسن نديًّا، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم. وجاز أن تتصل بما يليها، والمعنى إن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكّون عن ضلالتهم إلى أن يُعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة. **(وحتى هي التي يحكي بعدها الجمل)** ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: ﴿إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ معطوف على موضع ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾ لوقوعه موضع الخبر تقديره: مَن كان في الضلالة مدَّ أو يمدّ له الرحمٰن ويزيد أي يزيد في ضلال الضَّال بخذلانه، ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدًى ثباتًا على الاهتداء أو يقينًا وبصيرة بتوفيقه ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ مما يفتخر به الكفَّار ﴿وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ أي مرجعًا وعاقبة تهكم بالكفَّار لأنهم قالوا للمؤمنين ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾.

قوله: (معاذير) جمع معذرة على غير قياس. **قوله:** **(والنكال)** بالفتح العقوبة. **قوله:** (**وحتى هي التي يحكى بعدها الجمل**)... الخ. فهي مستأنفة وحتى ليست جارّة ولا عاطفة.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ ثم **(وبضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع: ـ هٰهنا وفي الزخرف ونوح ـ حمزة وعلي جمع وُلْد كأسد في أُسد، أو بمعنى الولد كالعُرْب)** في العرب. ولما كانت رؤية الأشياء طريقًا إلى العلم بها وصحة الخبر عنها استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كأنه قال: أَخْبِر أيضًا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك. وقوله: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ جواب قسم مضمر.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ من قولهم: «اطّلع الجبل» إذا ارتقى إلى أعلاه، الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي انظر في اللوح المحفوظ فرأى **(منيّته)** ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ موثقًا أن يؤتيه ذلك أو العهد كلمة الشهادة. وعن الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة، **(والمشهور أنها في العاص بن وائل)**، فقد رُوِي أن **(خباب بن الأرت)** صاغ للعاص بن وائل حليًا فاقتضاه الأجْر فقال: إنكم تزعمون أنكم تُبعَثون وأن في الجنة ذهبًا وفضة فأنا أقضيك ثُمَّ فإني أُوتى مالًا وولدًا حينئذ.

قوله: (وبضمّ الواو وسكون اللام في أربعة مواضع: هٰهنا) أي: ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: الآية ٧٧]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم: الآية ٨٨]، ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: الآية ٩١]، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: الآية ٩٢]. **(وفي الزخرف)** ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: الآية ٨١] **(ونوح)** ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ [نوح: الآية ٢١] **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(جمع ولد كأسد في أُسد، أو بمعنى الولد كالعُرْب)** في العَرَب، في مختار الصحاح: العُرْب والعَرَب واحد كالعُجْم والعَجَم. اهـ. والباقون بفتح الواو واللام في أربعة مواضع: هٰهنا وفي الزخرف، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في نوح: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ [نوح: الآية ٢١] بفتح الواو واللام، والباقون بضمّ الواو وسكون اللام.

قوله: (مُنيَته) بالضمّ ويكسر. **قوله**: **(والمشهور أنها في العاص بن وائل)**، والعاص بن وائل أبو عمرو بن العاص، وكان من عظماء قريش ولم يوفّق للإسلام، وهذا هو الصحيح في كتب الحديث. **قوله**: **(خَبّاب)** بخاء معجمة وبائين موحدتين كشدّاد صحابي معروف **(ابن الأرَتّ)** براء مهملة وتاء مثناة فوقية. في التقريب: خبّاب ـ بموحدتين الأُولى مثقلة ـ ابن الأرتّ التميمي، أبو عبد الله من السابقين إلى الإسلام، وكان يُعذّب في الله وشهد بدرًا ثم نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين. اهـ.

﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطىء فيما تصوَّره لنفسه فليرتدع عنه ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي قوله **(والمراد سنظهر له)** ونعلمه أنّا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [قٓ: الآية ١٨] وهو كقوله:

(إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة)

أي علم وتبين بالانتساب أني لست بابن لئيمة ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد، يقال: مدّه وأمدّه ﴿مَدًّا﴾ أكد بالمصدر **(لفرط غضبه)** تعالى.

قوله: (والمراد سنظهر له) يعني أن سين التسويف وإن دخلت فعل الكتبة[1] التي لا تتأخر عما يصدر من المكلّف من القول والعمل؛ كما قال تعالى: (﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾) أي حافظ (﴿عَتِيدٌ﴾) أي حاضر، إلّا أن المراد بتسويف الكتبة تعريف تبيينها وظهورها على طريقة قوله:

(إذا ما انتسبنا لم تَلِدْني لئيمة) ولم تَجِدي من أن تقرّي بها بدًّا

فإن قوله: لم تَلِدْني جواب، وإذا ظرف لما يستقبل من الزّمان، وليس المراد عدم الولادة في المستقبل؛ لأن الولادة قد وقعت قبل الانتساب، بل المراد أن تبين ويظهر في المستقبل أنه لم تَلِدْه في الماضي لئيمة، وقوله: لم تجدي بدًّا أي فراقًا وخلاصًا يقال: لا بدّ من كذا، أي لا فراق منه، يقول: إذا انتسبنا وعيّن كل واحد منّا من اتّصلت نسبته إليه علمتِ يا فلانة أنّي لست بابنِ لئيمة، وظهر لك ما تضطري إلى الإقرار بذلك. اقتصر الشاعر على ذِكر الأمّ لأن الأُمّ إذا كانت من الكِرام، فالأب أَوْلى، ويجوز أن يريد به التعريض بكون أمّ المخاطبة لئيمة. **قوله: (لفَرْط غضبه)** في مختار الصحاح: أفرط في الأمر جاوز فيه الحدّ، والاسم منه الفَرْط ـ بالتسكين ـ يقال: إيّاك والفرط في الأمر. اهـ. وأيضًا فيه: وأمر فُرُط ـ بضمّتين ـ أي مجاوز فيه الحدّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: الآية ٢٨]. اهـ.

---

(١) بكسر كاف الكناية. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي **(نزوي)** عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ حال أي بلا مال ولا ولد كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] فما **(يجدي)** عليه تمنّيه **(تألّيه)**. ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ أي اتخذ هؤلاء المشركون أصنامًا يعبدونها ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ أي ليعتزّوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصارًا ينقذونهم من العذاب.

﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ **(ردع)** لهم عمّا ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ الضمير للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون، أو للمشركين أي ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٣] ﴿وَيَكُونُونَ﴾ أي المعبودون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين ﴿ضِدًّا﴾ خصمًا لأن الله تعالى ينطقهم فتقول: يا ربّ عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك. والضدّ يقع على الواحد والجمع وهو في مقابلة ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾ والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم **(ضدًّا)** لما قصدوه أي يكونون عليهم ذلًّا لا لهم عزًّا، وإن رجع الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ ﴿وَيَكُونُونَ﴾ إلى المشركين فالمعنى (﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ﴾ **أي أعداءهم)** ضدًّا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها. ثم عجب نبيّه عليه السلام بقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي خليناهم وإياهم من أرسلت البعير أطلقته أو سلّطناهم عليهم بالإغواء ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تغريهم على المعاصي إغراء

قوله: (نزْوِي) في المصباح: زوَيْته أزويه جمعته وزوَيْت المال عن صاحبه زيًّا أيضًا. اهـ. **قوله**: (يُجْدي) ينفع. **قوله**: (تأليه) أي خلقه.

قوله: (ردع) أي زجر. **قوله**: (﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أي أعداءهم) أي بمعنى أعدائهم و(ضدا) خبر بعد خبر، والمعنى: ويكون المشركون أعداء الآلهة ويكفرون بهم بعد أن كانوا يعبدونها.

والأز والهز إخوان ومعناهم التهييج وشدة **(الإزعاج)** ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي أعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء، وقرأها **(ابن السماك)** عند **(المأمون)** فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لهم مدد فما أسرع ما تنفد.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ ركبانًا على **(نُوق)** رحالها ذهب وعلى **(نجائب)** سروجها ياقوت ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضلّ من الأنعام ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ **(عطاشًا)** لأن مَن يَرِد الماء لا يرده إلا لعطشٍ، وحقيقة الوِرْد المسير إلى الماء فيسمى به الوارِدون، فالوفد جمع وافد كركب وراكب، والورد جمع وارد. ونصب ﴿يَوْمَ﴾ بمضمر أي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف أي اذكر يوم نحشر. ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذي **(غمرهم)** برحمته كما يَفِد الوفود

قوله: **(الإزعاج)** في المصباح: أزعجته عن موضعه إزعاجًا أزَلْته عنه. **قوله**: **(ابن السمّاك)** هو محمد بن السماك، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهذه النسبة إلى بيع السمك وصيده رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: **(المأمون)** عبد الله أبو العباس بن الرشيد، وُلِد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأوّل، وقرأ العلم في صِغْره، سمع الحديث من أبيه وهُشَيْم وعبّاد بن العوام ويوسف بن عطية وأبي معاوية الضّرير وإسمٰعيل بن عليّة وحجّاج الأعور وطبَّقهم، وأدّبه اليزيدي وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وأيّام الناس، ولمّا كَبُر عَنَى بالفلسفة وعلوم الأوائل ومَهَر فيها فجرّه ذلك إلى القول بخلق القرآن. روى عنه ولده الفضل ويحيىٰ بن أكثم وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي والأمير عبد الله بن طاهر وأحمد بن الحارث الشيعي ودعبل الخزاعي وآخرون، وكان من أفضل رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلمًا ورأيًا ودهاء وهَيْبة وشجاعةً وسُؤْدَدًا وسماحة، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن، ولم يَلِ الخلافة من بني العباس أعلم منه، وكان فصيحًا مفوَّهًا. اهـ تاريخ الخلفاء للعلَّامة جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: **(نُوْق)** جمع الناقة، وهي الأُنثى من الإبل. **قوله**: **(نجائب)** في مختار الصحاح: النَّجيب من الإبل، وجمعه نُجُب - بضمّتين - ونجائب. اهـ. **قوله**: **(عطاشًا)** فالورد مجاز عنه لأنه لازمه كما بيّنه. **قوله**: **(غمَرهم)** سترهم.

على الملوك (**تبجيلًا**) لهم، والكافرون بأنهم يُساقون إلى النار كأنهم (**نَعَمٌ**) عِطاش تُساق إلى الماء استخفافًا بهم.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ حال، والواو إن جعل ضميرًا فهو للعباد ودلّ عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة، ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتي في «أكلوني البراغيث» والفاعل من ﴿ٱتَّخَذَ﴾ لأنه في معنى الجمع ومحل ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ رفع على البدل من واو ﴿يَمْلِكُونَ﴾ أو على الفاعلية، أو نصب على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعة مَن اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بأن آمن. في الحديث «مَن قال: لا إلـٰه إلا الله كان له عند الله عهد». وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدًا؟» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول اللّٰهمَّ فاطر السمٰوات والأرض عالِم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك وإنك إن تكلني إلى نفسي تقرِّبني من الشر وتُباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهدًا تُوفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه (**بالطابع**) ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة» أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ أي النصارى واليهود ومَن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات،

قوله: (**تبجيلًا**) تعظيمًا. **قوله**: (**نَعم**) ـ بفتحتين ـ واحد الأنعام وهي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (**بالطابع**) بالفتح الخاتم، يريد أنه يختم عليه ويوضع كما يفعله الإنسان بما يعزّ عليه.

أو أمر نبيه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك، والإد العجب أو العظيم المنكر، والإدة الشدة، وأدّني الأمر أثقلني وعَظُم عليَّ أدًّا ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تقرب (وبالياء: نافع وعليّ) ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ (وبالنون بصري وشامي) وحمزة (وخلف وأبو بكر) الانفطار من فطره إذا شقه والتفطّر من فطره إذا شققه ﴿مِنْهُ﴾ من عظم هذا القول ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ تنخسف وتنفصل أجزاؤها ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾ تسقط ﴿هَدًّا﴾ كسرًا أو قطعًا أو هدمًا، والهدّة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أي تهدّ هدًّا من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهدودة.

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿أَن دَعَوْا﴾ لأن سمّوا ومحله جر بدل من الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ أو نصب مفعول له، علّل الخرور بالهد، والهد بدعاء الولد للرحمٰن، (أو رفع فاعل ﴿هَدًّا﴾ أي هدّها) دعاؤهم ﴿دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ «انبغى» مطاوع بغى إذ طلب، أي ما يتأتّى له اتخاذ الولد وما يطلب لو طلب مثلًا لأنه مُحال غير داخل تحت الصحة، وهذا لأن اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو مُنَزَّه عنهما. وفي اختصاص الرحمٰن وتكريره كرّات بيان أنّه الرحمٰن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره، لأن أُصول النِّعَم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك غطاؤه فمَن أضاف إليه ولدًا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمٰن.

قوله: (وبالياء: نافع وعليّ) الكسائي، والباقون بالتاء الفوقية. **قوله**: (وبالنون) ساكنة وكسر الطاء مخفّفة (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، (وشاميّ) أي ابن عامر الشامي وحمزة (وخَلَف) بن هشام البزّار وليس من السبعة وله اختيار، (وأبو بكر) شعبة، وقرأ نافع وابن كثير وحفص وعليّ الكسائي بتاء فوقية مفتوحة بعد الياء وتشديد الطاء مفتوحة.

قوله: (أو رفع فاعل ﴿هَدًّا﴾ أي هدّها) إشارة إلى أنه يقدّر مصدرًا مبنيًّا للفاعل لا مبنيًّا للمفعول.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِن كُلُّ مَن﴾ نكرة موصوفة صفتها ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وخبر ﴿كُلُّ﴾ ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ووحد ﴿ءَاتِي﴾ و﴿ءَاتِيهِ﴾ حملًا على لفظ ﴿كُلُّ﴾ وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أي يأتيه ﴿عَبْدًا﴾ حال أي خاضعًا ذليلًا منقادًا، والمعنى ما كل مَن في السمٰوات والأرض من الملائكة والناس إلا هو يأتي الله يوم القيامة مُقِرًّا بالعبودية، والعبودية والبنوَّة تتنافيان حتى لو مَلَك الأب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى فكيف يكون البعض ولدًا والبعض عبدًا! وقرأ ابن مسعود ﴿آت الرحمٰن﴾ **(على أصله)** قبل الإضافة.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ أي حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردًا بلا مال ولا ولد أو بلا مُعين ولا ناصر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ مودَّة في قلوب العباد قال **(الربيع)** يحبهم ويحببهم إلى الناس، وفي الحديث يُعطى المؤمن **(مِقَة)** في قلوب الأبرار ومهابة في قلوب الفجّار. وعن قتادة و**(هرم بن حيّان)**: ما

قوله: **(على أصله)** أي بالتنوين ونصب المفعول.

قوله: **(الربيع)** بن خشيم ـ بضم المعجمة وفتح المثلثة ـ ابن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ **لأحبَّك**. مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستّين. **قوله**: **(مِقَة)** في مختار الصحاح: المِقَة المحبّة وَمِقَه يمِقُه بكسر الميم فيهما أحبّه، فهو وامِق.اهـ. **قوله**: (هرم بن حيان) العبدي، قال ابن عبد البرّ: هو من صغار الصحابة، وأخرج البخاري في تاريخه من طريق الأعمش: حدَّثنا عامر، حدّثني أن زيد بن خليفة أنّه لَقِيَ رجلًا من أصحاب النبيّ ﷺ هرم بن حيّان من عبد القيس، فقال: أَمِنْ أهل

أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وعن (**كعب**): ما يستقر لعبد ثناء في الأرض حتى يستقر له في السماء.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ سهّلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك حال ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ شدادًا في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون (**في كل لديد**) أي شق من المراء والجدال جمع ألدّ يراد به أهل مكة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ تخويف لهم وإنذار ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي هل تجد أو ترى أو تعلم والإحساس الإدراك بالحاسّة ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾ صوتًا خفيًا ومنه (**الركاز**) أي لما أتاهم عذابنا لم يبقَ شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبّر ما أُنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهُن عليك أمرهم والله أعلم.

الكوفة أنت؟ قال: نعم، قال: تسألني وفيكم عبد الله بن مسعود؟ وعدّه ابن أبي حاتم في الزهّاد الثمانية، من كبار التابعين وقال العسكري: كان من خيار التابعين، وقال ابن سعد: ثقة له فضل. اهـ الإصابة في تمييز الصحابة باختصار. **قوله**: (**كعب**) الأحبار أسلم في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وكان قد قرأ الكتب الأُوَل.

قوله: (**في كلِّ لديد**) أي جانب من الخصومة، ولديدُ الوادي جانباه. **قوله**: (**الرِّكاز**) المال المدفون.

تمّ هنا ما يتعلّق بسورة مريم عليها السلام،
وصلّى الله تعالى على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدِّين، آمين

(سورة طه صلّى الله عليه وآله وسلّم)

(مكيَّة، وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ۝١﴾

﴿طه ۝١﴾ (فخّم الطاء لاستعلائها) وأمال الهاء، وأبو عمرو، وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر، وفخمهما على الأصل غيرهم. وما رُوِيَ عن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة طه صلّى الله عليه وآله وسلّم، مكّية وهي مائة وخمس **وثلاثون آية كوفي**)، واثنان وثلاثون بصري، وأربع وثلاثون حجازي أي مدنيان ومكّي، وثمان وثلاثون حمصي، وأربعون دمشقي، وعدد كلماتها ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون كلمة، وعدد حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفًا.

قوله: (**فخّم الطاء**) التفخيم ضدّ الإمالة هنا، ويكون مقابل الترقيق أيضًا وليس بمراد هنا. **قوله**: (**لاستعلائها**) فيناسبها التفخيم والهاء من المنخفضة فيناسبها بخلافه، والمستعلية سبعة أحرف أربعة منها مطبقة: الصاد والضاد والطاء والظاء، وثلاثة منها غير مطبقة، وهي: الغين والخاء والقاف، ونسبة الاستعلاء إلى العرف مجاز؛ فإنّ الاستعلاء بالحقيقة إنما يكون للّسان لا للحرف، والإطباق أن تطبق على مخرج الحرف من اللسان ما حاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه. **قوله**:

(**مجاهد والحسن والضحاك وعطاء**) وغيرهم أن معناه يا رجل فإن صحَّ فظاهر وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة.

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إن جعلت ﴿طه ﴿١﴾﴾ تعديدًا لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسمًا للسورة احتملت أن تكون خبرًا عنها وهي في موضع المبتدأ، و﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ ظاهر أوقع موقع المضمر لأنها قرآن وأن يكون جوابًا لها وهي قسم ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسّرك على أن يؤمنوا، أو بقيام الليل فإنه رُوِيَ أنه عليه السلام صلّى بالليل حتى (**تورمت**) قدماه فقال له جبريل: (**أبقِ على نفسك**) فإن لها عليك حقًّا أي ما أنزلناه (**لتنهك**) **نفسك** بالعبادة وما بعثت إلا (**بالحنيفية السمحة**).

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ لمَن يخاف الله أو لمن يؤول أمره إلى الخشية ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من ﴿تَذْكِرَةً﴾ إذا

(**مجاهد**) بن جبر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ من كبار التابعين، إمامٌ في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون رحمه الله. **قوله**: (**والحسن**) البصري كان من سادات التابعين وكُبرائهم، توفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رحمه الله. **قوله**: (**والضحاك**) بن مزاحم الهلالي أبو القاسم وأبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة. **قوله**: (**وعطاء**) بن أبي رباح بفتح الراء الموحدة، واسم أبي رباح أسلم القرشيّ مولاهم المكّي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال، مات سنة أربع عشرة بعد المائة على المشهور.

قوله: (تورَّمت) انتفخت. **قوله**: (**أبقِ على نفسك**) في مختار الصحاح: أبقى على فلان إذا رعى عليه ورحمه. **قوله**: (**لتنهك**) في المصباح: نهكته الحمّى نهكًا من باب نفع وتعب هزلته.اهـ. **قوله**: (**بالحَنِيفيَة**) أي ملّة الإسلام. **قوله**: (**السَّمْحة**) السَّهْلة.

جعل حالًا ويجوز أن ينتصب بـ «نزل» مضمرًا أو على المدح بـ ﴿يَخْشَىٰ﴾ مفعولًا أي أنزله الله تذكرة لمَن يخشى تنزيل الله ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿مِّمَّنْ﴾ يتعلق بـ ﴿تَنزِيلًا﴾ صلة له ﴿ٱلْعُلَى﴾ جمع **(العليا)** تأنيث الأعلى ووصف السمٰوات بالعلى دليل ظاهر على عِظَم قدرة خالقها.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ رفع **(أو على المدح)** أي هو الرحمٰن ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى. عن **(الزجّاج)**، ونبّه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره. وقيل: لمّا كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقال: استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير البتّة وهذا كقولك: «يد فلان مبسوطة» أي جواد وإن لم يكن له يد رأسًا، والمذهب قول **(عليّ)** رضي الله عنه: **(الاستواء غير مجهول)** والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بِدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغيّر عمّا كان.

قوله: (أو على المدح) بتقدير أعني. **قوله: (العليا)** بضم العين والقصر كالكبرى. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد ﷺ. **قوله: (عليّ)** بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. **قوله: (الاستواء غير مجهول)**... الخ. **(وقد تمسّك المشبّهة بهذه)** الآية في أن معبودهم جالس مستقرّ على العرش، وهو باطل بالعقل والنقل، واختلف أهل الحقّ في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: إن انقطع بأن الله تعالى منزّه عن المكان والجهة، وأنه تعالى لم يُرد الاستواء الجلوس والاستقرار، بل مراده به شيءٌ آخر، إلّا أنّا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفًا من الخطأ. وقال البعض الآخر: لمّا قامت الأدلّة العقلية على امتناع الاستقرار ودلّ ظاهر لفظ الاستواء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشيء منزّهًا عن المكان وحاصلًا

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خبر ومبتدأ ومعطوف **﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾** أي ذلك كله مُلْكه ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ما تحت سبع الأراضين أو هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ ترفع صوتك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ما أسررته إلى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ منه وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك وما ستسرّه فيها ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ أي هو واحد بذاته وإن افترقت عبارات صفاته ردٌّ لقوله: إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى **(و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تأنيث الأحسن)**.

فيه معًا، ولا سبيل أيضًا إلى ترك العمل بهما لأنه يستلزم ارتفاع النقيضين معًا وهو باطل، ولا إلى ترجيح النقل على العقل؛ لأن العقل أصل للنقل، فإنه ما لم يثبت بالدّلائل العقلية وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعثه للرسول لم يثبت النقل؛ فالقدح في العقل لأجل تصحيح النقل يقتضي القدح في العقل والنقل معًا، فلم يبقَ إلّا أن يقطع بصحة العقل ويشتغل بتأويل النقل، ثم إنهم اختلفوا في تأويله. فقال بعض العلماء: المراد من الاستواء الاستيلاء والاقتدار؛ كما في قول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق

والمراد من العرش هو الذي تحمله الملائكة، وقال صاحب الكشاف: العرش سرير الملك والاستيلاء عليه كناية عن الملك؛ لأنه من توابع الملك وروادفه، فإنه يقال: استوى فلان على العرش قصدًا للإخبار عنه بأنه ملك وإن لم يقعد على العرش البتّة، والتعبير عن الشيء بطريق الكناية أبلغ وأوقع من الإيضاح بذكره؛ لأنك مع الكناية كمدعي الشيء بالبيِّنة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تأنيث الأحسن)** أي فهي اسم تفضيل يُوصف به الواحد من المؤنّث والجمع من المذكّر، ومراد المصنّف رحمه الله بهذا الجواب عمّا قال: لِمَ لم يقل الحِسان؟

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾

﴿وَهَلْ﴾ أي وقد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ خبره قفّاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسّى به في تحمّل **(أعباء)** النبوّة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى.

﴿إِذْ رَءَا﴾ ظرف لمضمر أي حين رأى ﴿نَارًا﴾ **(كان كيت وكيت)** أو مفعول به لِاذْكر. رُوِيَ أن موسى عليه السلام استأذن شعيبًا في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة **(مثلجة)**، وقد ضلّ الطريق وتفرّقت ماشيته ولا ماء عنده و**(قدح فصَلَد زنده)** فرأى عند ذلك نارًا في زعمه وكان نورًا ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ أقيموا في مكانكم ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا﴾ والإيناس رؤية شيء يؤنس به ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا﴾ بنى الأمر على الرجاء لئلا يعِدُ ما ليس يستيقن الوفاء به ﴿بِقَبَسٍ﴾ نار مقتبسة في رأس عود أو فتيلة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ ذوي هدى أو قومًا يهدونني الطريق. ومعنى الاستعلاء في ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ **(إن أهل النار يستعلون المكان القريب منها)**.

قوله: (أعباء) جمع عِبْء مهموز مثل الثِّقْل وزنًا ومعنى. **قوله**: (كان كيت وكيتَ) فيْ لسان العرب: كان من الأمر كيتَ وكيتَ وإن شئت كسرت التاء، وهي كناية عن القصة أو الأُحدوثة، حكاها سيبويه. اهـ.

قوله: (مثلجة) أي ذات ثلج. **قوله**: (قدح) في تاج العروس: قدح بالزَّنْد يقدح قدحًا رام الإيراء به كاقتدح اقتداحًا.

قوله: (فصَلَد زَنْده) أي صوّت ولم يخرج نارًا، يقال: صلد الزَّنْد يصلد بالكسر صلودًا إذا صوّت لم يخرج نار، في المصباح: الزَّنْد الذي يقدح به النار وهو الأعلى وهو مذكّر والسفلى زنده بالهاء، ويُجمع على زِناد مثل سهم وسِهام. اهـ. **قوله**: (إن أهل النار يستعلون المكان القريب منها)، فإنه جعل اللّصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي النار وجد نارًا بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وكانت شجرة العنّاب أو (**العوسج**) ولم يجد عندها أحدًا. ورُوِيَ أنه كلما طلبها بَعُدَت عنه فإذا تركها قربت منه فثَمَّ ﴿نُودِيَ﴾ موسى.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ﴾ بكسر الهمزة أي نود فقيل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ﴾ أو لأن النداء ضرب من القول فعُومِل معاملته، (**وبالفتح: مكي وأبو عمرو**) أي نودي بأني ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشُّبْهة. رُوِيَ أنه لمّا نُودِي يا موسى قال: مَن المتكلم؟ فقال الله عزَّ وجلّ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾. فعرف أنه كلام الله عزَّ وجلّ بأنه سمعه من جميع جهاته الستّ وسمعه بجميع أعضائه. ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ انزعهما لتصيب قدميك بَرَكَة الوادي المقدس، أو لأنها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ، أو لأن (**الحُفوة**) تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين، والقرآن يدلّ على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المطهّر أو المبارك ﴿طُوٗى﴾ حيث كان مُنَوَّن: (**شامي وكوفي**) لأنه اسم علم للوادي وهو بدل منه، وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة. وقرأ (**أبو زيد**) بكسر الطاء بلا تنوين.

قوله: (**العَوْسج**) بفتح العين شجرة ذات شوكة تكون في البوادي ثمره بقدر الحمّص مع طول. اهـ كمالين. **قوله**: (**وبالفتح**) أي فتح همز «أني» (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) البصري، والباقون بالكسر. **قوله**: (**الحفوة**) بكسر الحاء وجوَّز ضمّها وهي المشي بدون نعل. **قوله**: (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة وعلي الكسائي وخلف بن هشام وليس من السبعة وله اختيار. **قوله**: (**أبو زيد**) الأنصاري اللغوي البصري صاحب التصانيف سعيد بن أوس بن ثابت غلب عليه النوادر كالأصمعيّ، مع أن الأصمعي كان يقبّل رأسه ويقول: أنت سيّدنا منذ خمسين سنة، وكانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ستّ عشرة ومائتين، وعمّر عمرًا طويلًا حتى قارب المائة، وقيل: عاش ثلاثًا وتسعين سنة، وقيل: خمسًا وتسعين، وقيل: ستًّا وتسعين رحمه الله تعالى، يروي عن المفضل بن محمد عن عاصم رحمه الله.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ اصطفيتك للنبوّة، (﴿وأَنَّا اخترناك﴾ **حمزة**) ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك (**للذي يوحى أو للوحي**)، واللام يتعلق بـ ﴿ٱسْتَمِعْ﴾ أو بـ ﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ وحدني وأطعني ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، أو لذكري خاصة (**لا تشوبه**) بذكر غيري، أو لتكون لي ذاكرًا غير ناس، (**أو لأوقات ذكري**) وهي مواقيت الصلاة لقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا)﴾ [النساء: الآية ١٠٣]. وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصحّ بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي، وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ (**لا محالة**) ﴿أَكَادُ﴾ أريد عن (**الأخفش**) وقيل صلة ﴿أُخْفِيهَا﴾ قيل: هو من الأضداد أي أظهرها أو أسترها عن العباد فلا أقول هي آتية

قوله: (﴿وأَنَّا﴾) بفتح الهمزة وتشديد النون («**اخترناك**») بنون مفتوحة وبعدها ألف ضمير المتكلّم المعظّم نفسه (**حمزة**)، والباقون بتخفيف نون أنا مع فتح الهمزة أيضًا ﴿ٱخْتَرْتُكَ﴾ بالتاء المضمومة من غير ألف على لفظ الواحد حملًا على ما قبله. **قوله**: (**للذي يوحى أو للوحي**) يعني أن ﴿ما﴾ موصولة أو مصدرية. **قوله**: (**لا تشوبه**) أي لا تُخالطه، وهو مُستفاد من التخصيص بالذكر. **قوله**: (**أو لأوقات ذكري**) على أن تكون اللام في قوله تعالى: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: الآية ١٤] لام التاريخ، بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: الآية ٢٤]، أي قدَّمت الخيرات أو الطاعات في أوقات حياتي في الدنيا، ولام التاريخ لا تدخل إلّا على الوقت ظاهرًا أو مقدّرًا، فلذلك قال: لأوقات ذكري، أي صلاتي. **قوله**: (﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾) مكتوبًا محدودًا بأوقات معلومة.

قوله: (**لا مَحالة**) أي لا بُدّ. **قوله**: (**الأخفش**) الأخافش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر.

لإرادتي إخفاءها، ولولا ما في الأخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وَجَل منها في كل وقت لما أخبرت به ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلق بـ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ بسعيها من خير أو شر.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ فلا يصرفنّك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة فالخطاب لموسى والمراد به أمته ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ لا يصدق بها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في مخالفة أمره (﴿فَتَرْدَىٰ﴾) فتهلك ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ «ما» مبتدأ و﴿تِلْكَ﴾ خبره وهي بمعنى هذه و﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال عمل فيها معنى الإشارة أي قارة أو مأخوذة بيمينك. (**أو** ﴿تِلْكَ﴾ **موصول صلته** ﴿بِيَمِينِكَ﴾) والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبّت، أو للتوطين لئلا يهوله انقلابها حيَّة، أو للإيناس ورفع الهيبة للمكالمة.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها إذا (**أعييت**) أو وقفت على رأس (**القطيع**) وعند (**الطفرة**) ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ (**أخبط ورق الشجر**) على

والثاني: أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط. والثالث: أبو الحسن عليّ بن سليمان تلميذ المبرّد، وهو الأخفش الأصغر. وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور، فإن أُريد الأكبر أو الأصغر قيدوه. مات ـ أي المشهور ـ في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها.

قوله: (﴿فَتَرْدَىٰ﴾) مرفوع، أي فأنت تردى أو منصوب في جواب النهي. **قوله**: (**أو** ﴿تِلْكَ﴾ **موصول**) بمعنى التي (**صلته** ﴿بِيَمِينِكَ﴾) أي ما التي التبست بيمينك وهذا ليس مذهب البصريّين، فإنهم لم يجعلوا شيئًا من أسماء الإشارة موصولًا إلّا كلمة ذا. وأما الكوفيّون، فيجوّزون ذلك في جميعها، ولم يقل بيدك لاحتمال أن يكون في يده اليسار شيء من الخاتم ونحوه، فلو أجمل اليد لتحيّر في الجواب. **قوله**: (**أعْيَيْت**) في المصباح: أعياني كذا بالألف أتعبني، فأعييت يستعمل لازمًا ومتعدّيًا.اهـ. **قوله**: (**القطيع**) الغنم المجتمعة. **قوله**: (**الطَّفْرة**) في مختار الصحاح: الطَّفْرة الوثبة، وبابه جلس.اهـ. **قوله**: (**أخبط ورق الشجر**)،

غنمي لتأكل ﴿(وَلِيَ فِيهَا) مَآرِبُ﴾ - ﴿وَلِيَ﴾ - حفص جمع مأربة **(بالحركات الثلاث)** وهي الحاجة ﴿أُخْرَىٰ﴾ والقياس أخر. وإنما قال: ﴿أُخْرَىٰ﴾ ردًّا إلى الجماعة أو لنسق الآي وكذا ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ ولما ذكر بعضها شكرًا أجمل الباقي حياء من التطويل، أو ليسأل عنها الملك العلّام فيزيد في الإكرام. والمآرب الأُخر أنها كانت تُماشيه وتحدِّثه وتحارب العدو والسِّباع وتصير **(رشاء)** فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوًا وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها **(نضب)**، وكانت تقيه الهوام. والزيادة على الجواب لتعداد النِّعَم شكرًا، أو لأنها جواب سؤال آخر لأنه لما قال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ قيل له: ما تصنع بها فأخذ يعدِّد منافعها.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ اطرح عصاك لتفزع مما تتكيء عليه فلا تسكن إلا بنا وترى فيها كُنْه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ فطرحها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تمشي سريعًا قيل انقلبت ثعبانًا يبتلع الصخر والشجر، فلما رآها تبتلع كل شيء خاف. وإنما وُصِفَت بالحية هنا وبالثعبان - وهو العظيم من الحيَّات وبالجانّ وهو الدقيق - في غيرها لأن الحية اسم جنس يقع على الذَّكر والأُنثى والصغير والكبير، وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جُرْمها حتى تصير ثعبانًا فأُريد بالجانّ أول حالها وبالثعبان مآلها، أو لأنها كانت في عِظَم الثعبان وسرعة الجانّ. وقيل: كان بين **(لحييها)** أربعون ذراعًا.

يعني أن ﴿وَأَهُشُّ﴾ بفتح الهمزة وضمّ الهاء بمعنى أخبط، ومفعوله محذوف وهو ورق الشجر، أي اليابس، والمعنى أضربه. في مختار الصحاح: خبط الشجر ضربها بالعصا ليسقط ورقها، وبابه ضرب. اهـ. **قوله**: (﴿وَلِيَ فِيهَا﴾) بفتح الياء حفص، والباقون بالإسكان. **قوله**: **(بالحركات الثلاث)** أي بتثليث الراء. **قوله**: **(رشاء)** بالكسر الحبل الذي يُستقى به. **قوله**: **(نضب)** بالضاد المعجمة والموحدة، أي غار وغاب وبابه دخل.

قوله: **(لحييها)** في مختار الصحاح: اللَّحْيُ منبتِ اللِّحية من الإنسان وغيره، وهما لَحْيان وثلاثة ألْحٍ والكثير لُحِيّ فعول واللِّحية معروفة والجمع لُحَى بكسر اللام وضمّها نظير الضمّ في ذِرْوة وذُرّى. اهـ.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

ولما ﴿قَالَ﴾ له ربه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلَحْيَيها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ سنردّها ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ تأنيث الأول، والسيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان (**غريزية**) كانت أو مكتسبة وهي في الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة. وانتصبت على الظرف أي سنُعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصًا. والمعنى نردّها عصًا كما كانت، وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حيّة عند فرعون، ثم نبّه على آية أخرى فقال: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك (**تحت العضد**) وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سُمّيا جناحين لأنه (**يجنحهما**) أي يميلهما عند الطيران والمعنى أدخلها تحت عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ لنبوّتك بيضاء وآية حالان معًا ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك: «ابيضّت من غير سوء» وجاز أن ينتصب ﴿ءَايَةً﴾ بفعل محذوف يتعلق به الأمر.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ أي خذ هذه الآية أيضًا بعد قلب العصا حيّة لنُريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى، أو نُريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنُريك من آياتنا الكبرى ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ جاوز حدّ العبودية إلى دعوى الربوبية، ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي وعرف أنه كلّف أمرًا عظيمًا يحتاج إلى صدر فسيح ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ وسعه ليحتمل الوحي والمشاقّ ورديء الأخلاق من فرعون وجنده ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾ وسهّل عليَّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون. واشرح لي

قوله: (غريزية) في المصباح: الغريزة الطبيعة. اهـ. **قوله**: (**تحت العضد**) وهو من المرفق إلى الإبط. **قوله**: (**يجنحهما**) أي يميلهما.

صدري آكد من اشرح صدري لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل لأنه يقول اشرح لي ويسِّر لي علم أن ثمة مشروحًا ومُيسّرًا ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر ﴿وَٱحْلُلْ﴾ افتح ﴿عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ وكان في لسانه **(رتّة)** للجمرة التي وضعها على لسانه في صِباه، وذلك أن موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فأراد قتله فقالت **(آسية)**: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في طشت نارًا وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لَكنَة منها. ورُوِيَ أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولمّا دعاه قال: إلى أيِّ ربّ تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها. و﴿مِّن لِّسَانِي﴾ صفة لعقدة كأنه قيل: عقدة من عقد لساني، وهذا يُشعِر بأنه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ عند تبليغ الرسالة.

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ ظهيرًا أعتمد عليه **(من الوِزْر)** الثِّقل لأنه يتحمَّل عن الملك أوْزاره ومؤنته، **(أو من الوزَر)** الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجىء إليه في أموره، أو مُعينًا من الموازرة وهي المعاونة فـ ﴿وَزِيرًا﴾ مفعول أول لـ ﴿ٱجْعَل﴾ والثاني ﴿مِّنْ أَهْلِي﴾ أو ﴿لِّي﴾ أو ﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاه وقوله: ﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان لـ ﴿وَزِيرًا﴾ وقوله: ﴿أَخِي﴾ بدل أو عطف بيان آخر و﴿وَزِيرًا﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾ مفعولاه وقدَّم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾ قوِّ به ظهري وقيل الأزْر القوة ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ اجعله شريكي في النبوَّة والرسالة.

قوله: (رتّة) بضمّ الراء المهملة وتشديد المثنّاة الفوقية حبسة ولُكْنة في اللّسان. **قوله**: (آسية) امرأة فرعون.

قوله: (من الوزر) بكسر فسكون. **قوله**: (أو من الوزر) بفتحتين.

(و﴿ٱشْدُدْ﴾ و﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ **على حكاية النفس شامي على الجواب، والباقون على الدعاء والسؤال)** ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ﴾ نصلّي لك وننزّهك تسبيحًا ﴿كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ في الصلوات وخارجها ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ عالمًا بأحوالنا فأجابه الله تعالى حيث ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أعطيت مسؤولك فالسُّؤْل الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز. (﴿**سولك**﴾ **بلا همز: أبو عمرو**).

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً﴾ كَرّة ﴿أُخْرَىٰٓ﴾ قبل هذه ثم فسّرها فقال: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ إلهامًا أو منامًا حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك. و﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿مَنَنَّا﴾ ثم فسّر ما يُوحَى بقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ و﴿أَنِ﴾ مفسِّرة لأن الوحي بمعنى القول ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ النِّيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ الجانب وسُمّي ساحلًا لأن الماء يسحله أي (**يقشره**)، والصيغة أمر ليناسب ما تقدَّم ومعناه الإخبار أي يُلقيه اليمّ بالساحل ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني فرعون والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت يُفضي إلى (**تناثر**) النظم والمقذوف في البحر والمُلقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت. رُوِيَ أنها جعلت في التابوت قطنًا

قوله: (و﴿ٱشْدُدْ﴾) بقطع همزة اشدد مع فتحها؛ لأنه من فعل ثلاثي وهمزة المضارع وقطع وحكمها أن تَثْبت في الحالَين مفتوحة، وجزم الفعل جوابًا للدعاء، (و﴿وَأَشْرِكْهُ﴾) بضمّ الهمزة مع القطع لأنه فعل مضارع من رباعي، وجزم بالعطف على ما قبله (**على حكاية النفس شاميّ**) أي ابن عامر الشامي (**على الجواب، والباقون**) بوصل همزة ﴿ٱشْدُدْ﴾ وضمّها في الابتداء وفتح همزة ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ (**على**) جعلهما أمرين بمعنى (**الدعاء والسؤال**). («**سولك**» **بلا همز أبو عمرو**)، والباقون بالهمزة.

قوله: (**يقشره**) من باب ضرب ونصر، أي يكشفه. **قوله**: (**تناثر**) وفي بعض النسخ: تناذر.

(محلوجًا) فوضعته فيه و(قيرته) ثم ألقته في اليمّ، وكان (يشرع منه) إلى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس (بركة) مع آسية إذا بالتابوت (فأمر به) فأخرج ففتح فإذا بصبي (أصبح الناس) وجهًا فأحبّه فرعون حبًّا شديدًا فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ يتعلق ﴿مِّنِّي﴾ بـ ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ يعني إني أحببتك ومَن أحبّه الله أحَبَّته القلوب فما رآه أحد إلا أحبّه. قال (قتادة): كان في عيني موسى ملاحة ما رآه أحد إلا أحبّه ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ معطوف على محذوف تقديره وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي لتُرَبَّى بمرأى مني وأصله من صنع الفرس أي أحسن القيام عليه، يعني أنا مُراعيك ومُراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به (﴿ولْتصنعْ﴾ بسكون اللام والجزم: يزيد) على أنه أمر منه.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِذْ تَمْشِيٓ﴾ بدل من ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾ لأن مشي أُخته كان مِنَّة عليه ﴿أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ رُوِيَ أن أُخته مريم جاءت متعرِّفة خبره فصادفتهم

قوله: (محلوجًا) في المصباح: حلجت القطن حلجًا من باب ضرب، والمِحلج بكسر الميم خشبة يحلج بها حتى يخلص الحبّ من القطن، وقطن حليج بمعنى محلوج. اهـ. **قوله**: (قيرته) أي طليته بالقار، وهو الزفت لئلا يدخل فيه الماء فيهلك. **قوله**: (يشرع منه) أي يدخل من اليمّ، يقال: شرعت الدواب في الماء شرعًا وشروعًا، أي دخلت. **قوله**: (بركة) بكسر الباء الموحدة وسكون الراء المهملة مجتمع الماء بدون بناء، والحوض ما بُنِي منه في أكثر الاستعمال. **قوله**: (فأمر به) أي بإخراجه، ففيه مضاف مقدّر. **قوله**: (أصبح الناس) أي أكملهم صباحة، أي جَمالة، يقال: **صبح** ـ بالضمّ ـ صباحة فهو صبيح، أي جميل حسن. **قوله**: (قتادة) البصري التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **قوله**: (﴿ولْتصنعْ﴾ **بسكون اللام والجزم**) أي جزم العين على أن اللام للأمر والفعل مجزوم بها (يزيد) بن القعقاع المدني وليس من السبعة، فيجب عنده الإدغام، والباقون بكسر اللام ونصب الفعل بأنْ مضمرة بعد لام كي.

يطلبون له مُرضِعَة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت: هل أدلّكم على مَن يضمّه على نفسه فيُربّيه وأرادت بذلك المُرضِعة الأم. وتذكير الفعل للفظ ﴿مَن﴾، فقالوا: نعم فجاء بالأُم فقبل ثديها وذلك قوله: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ فرددناك ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ كما وعدناها بقولنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: الآية ٧]، ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقك ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قبطيًا كافرًا ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ من (القَوَد). قيل: الغمّ: القتل بلغة قريش. وقيل: اغتمَّ بسبب القتل خوفًا من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: الآية ١٦]، ونجّاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ ابتليناك ابتلاء بإيقاعك في المِحَن وتخليصك منها، والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أي فتنّاك ضروبًا من الفتن، والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة (﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾) [الأنبياء: الآية ٣٥]، ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هي بلدة شعيب عليه السلام على ثمان (**مراحل**) من مصر. قال (**وهب بن منبّه**): لبث عند شعيب ثمانيًا وعشرين سنة، عشر منها مهر (**لصفورا**)، وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها حتى وُلِد له أولاد. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ أي موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على إرادتي ومحبتي. قال الزَّجّاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجّتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم. ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾

قوله: (**القَوَد**) ـ بفتحتين ـ القصاص. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (﴿وَنَبْلُوكُم﴾) نختبركم (﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾) كفقر وغنى وسقم وصحة (﴿فِتْنَةً﴾) مفعول له، أي لننظر أتصبرون وتشكرون أو لا، أو مصدر من غير لفظه. **قوله**: (**مراحل**) في المصباح: المَرْحلة المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم، والجمع المراحل. اهـ. **قوله**: (**وهب بن مُنبّه**) من التابعين، كانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسِيَر الملوك، توفي في المحرم سنة عشر، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ستّ عشر ومائة بصنعاء اليمن، وعمره تسعون سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**لصفورا**) ابنة شعيب.

بمعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير ﴿فِى ذِكْرِى﴾ أي اتخذا ذكري جناحًا تطيران به أو أُريد بالذِّكر تبليغ الرسالة فالذِّكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها.

﴿اَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

﴿اَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ كرر لأن الأول مطلق والثاني مقيد ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ جاوز الحدّ بادّعائه الربوبية ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ الطُفا له في القول لما له من حق تربية موسى، أو كنّياه وهو من ذوي **(الكنى)** الثلاث: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة. **(أوعداه)** شبابًا **(لا يهرم)** بعده وملكًا لا ينزع عنه إلا بالموت، أو هو قوله: (﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾) [النازعات: الآيتان ١٨، ١٩] فظاهره الاستفهام و**(المشورة)** ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ أي يتّعظ ويتأمل

قوله: **(الكنى)** في المصباح: الكنية اسم يُطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص وأبي الحسن أو علامة عليه، والجمع كُنى بالضمّ في المفرد والجمع والكسر فيهما لغة مثل برمة وبرم وسدرة وسُدَر. اهـ. **قوله**: **(أوعداه)** هو تثنية أمر الحاضر من **وعد** يعد، يعني قيل: المراد بالقول اللّيّن أن موسى أتاه و**وعده** على قبول الإيمان شبابًا لا يهرم، وملكًا لا يُنزع منه إلّا بالموت، وأن تبقى عليه لذّة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنّة؛ فأعجبه ذلك، وكان لا يقطع أمرًا دون هامان، وكان غائبًا حينئذٍ، فلمّا قَدِم أخبره بالذي دعاه إليه موسى، وقال: أردت أن أقبل منه، فقال له هامان: كنت أرى لك عقلًا ورأيًا، أنت ربّ وتريد أن تكون مربوبًا، وأنت تُعبَد وتريد أن تَعْبُد؟ فقلبه عن رأيه. وحُكِي عن عمرو بن دينار أنّه قال: بلغني أن فرعون عمّر أربعمائة سنة وتسع سنين، فقال له موسى: إن أطعتني عمّرت مثل ما عمّرت، فإذا متّ دخلتَ الجنّة. **قوله**: **(لا يهرم)** في مختار الصحاح: الهَرَم كِبَر السِّنّ وقد هَرِمَ من باب طَرِب فهو هَرِم وقوم هرمى. اهـ. **قوله**: (﴿هَل لَّكَ﴾) أدعوك (﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾) وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلّا الله (﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾) أدلّك على معرفته بالبرهان (﴿فَتَخْشَىٰ﴾) فتخافه. اهـ جلالين. **قوله**: **(المشورة)** بضمّ الميم وضمّ الشين وسكون الواو كمثوبة وهو

(فيذعن) للحق ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجرّه إنكاره إلى **(الهلكة)**. وإنما قال: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ مع علمه أنه لا يتذكر لأن الترجّي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة مَن يطمع أن يُثمر عمله. و**(جدوى)** إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة. وقيل: معناه لعله يتذكر متذكّر ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ خاشٍ وقد كان ذلك من كثير من الناس. وقيل: ﴿لَعَلَّ﴾ من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكّر. وقيل: تذكر فرعون وخشي وأراد اتّباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع أمرًا دونه. وتُلِيَت عند **(يحيىٰ بن معاذ)** فبكى وقال: هذا رفقك بمَن يقول: أنا إلٰه فكيف بمَن قال: أنت الإلٰه؟ وهذا رِفقك بمَن قال: أنا ربكم الأعلى فكيف بمَن قال: سبحان ربي الأعلى؟

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ يعجل علينا بالعقوبة ومنه **(الفارط)**، يقال: فرط عليه أي عجل ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ يجاوز الحدّ في الإساءة إلينا ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ أي حافظكما وناصركما ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالكما ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالكما. قال **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأُجيبه وأرى ما يُراد

الأفصح، ويجوز سكون الشين مع فتح الواو ومعناها المشاورة. **قوله**: **(فيذعن)** في مختار الصحاح: أذعَن له خضع وذل.اهـ. **قوله**: **(الهَلكة)** في المصباح: الهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك.اهـ. **قوله**: **(جدْوى)** أي فائدة. **قوله**: **(يحيىٰ بن معاذ)** الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصًا وكلام في المعرفة، خرج إلى بلخ وأقام بها مدّة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين.

قوله: **(الفارط)** المتقدّم للمورد والمنزل. **قوله**: **(ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفَهْم في القرآن، فكان يُسمّى البَحْر

بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ أي فرعون ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بتكليف المشاق ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ بحجة على صدق ما ادّعيناه، وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى - وهي ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ - مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببيِّنتها وهي المجيء بالآي فقال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي سَلِمَ من العذاب مَن أسلم وليس بتحية. وقيل: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ في الدنيا والعقبى ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان وهي أرجى آي القرآن لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء، فأتياه وأدّيا الرسالة وقالا له ما أمرا به.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوّة وهارون تابعه ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾، ﴿خَلْقَهُۥ﴾ أول مفعولي ﴿أَعْطَىٰ﴾ **(أي أعطى خليقته)** كل شيء يحتاجون إليه و**(يرتفقون)** به، أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المَنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأُذُن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذا الأنف والرِّجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المَنوطة بها، **(وقرأ نصير** ﴿خَلَقَهُۥ﴾) صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاء ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى.

والحِبْر لسِعَة عِلْمه وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة مِنْ فقهاء الصحابة، مات سنة ثمان وستين بالطائف رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (أي أعطى خليقته) أي مخلوقاته، فالخلق بمعنى المخلوق، والضمير يرجع إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وهو الربّ تعالى. **قوله:** (يرتفقون) بمعنى ينتفعون. **قوله:** (وقرأ نُصَيْر) بن يوسف النَّحوي يروي عن عليّ الكسائي رحمه الله (﴿خَلَقَهُۥ﴾) بفتح اللام فعلًا ماضيًا.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ فما حال الأمم (الخالية) و(الرمم) البالية، سأله عن حال مَن تقدَّم من القرون وعن (شقاء) مَن شقي منهم وسعادة مَن سعد ﴿قَالَ﴾ موسى مُجيبًا ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ مبتدأ وخبر ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ أي اللوح خبر ثانٍ أي هذا سؤال عن الغيب وقد (استأثر) الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علّام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ أي لا يخطىء شيئًا يقال: ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتدِ له أي لا يخطىء في سعادة الناس وشقاوتهم ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ثوابهم وعقابهم. وقيل: لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافِقُ معلومه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾

﴿ٱلَّذِى﴾ مرفوع صفة لـ ﴿رَبِّى﴾ (أو خبر مبتدأ محذوف) أو منصوب على المدح ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ (مَهْدًا﴾ كوفي وغيرهم ﴿مِهَٰدًا﴾) وهما لغتان لما يبسط ويفرش ﴿وَسَلَكَ﴾ أي جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي مطرًا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء. نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المُطاع

قوله: (**الخالية**) الماضية. **قوله**: (**الرُّمم**) في المصباح: الرمّة العظام البالية، وتُجمع على رُمَم مثل سدرة وسُدَر. اهـ. وأيضًا فيه: بَلِيَ الثوب يَبْلى من باب تعب بِلًى بالكسر والقصر وبلاء بالفتح والمدّ خَلِقَ فهو بالٍ وبلى الميت أفْنَته الأرض. اهـ. **قوله**: (**شقاء**) بالفتح ضدّ السعادة. **قوله**: (**استأثر**) استبدّ أي تفرّد.

قوله: (**أو خبر مبتدأ محذوف**) أي هو الذي. **قوله**: (﴿**مَهْدًا**﴾) بفتح الميم وإسكان الهاء بلا ألف (**كوفي**) أي عاصم والكسائي وخلف (**وغيرهم** ﴿**مِهَٰدًا**﴾) بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها.

للافتنان. وقيل: تمَّ كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ وقيل: هذا كلام موسى أي فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ هو مصدر سُمِّي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع ﴿شَتَّىٰ﴾ صفة للأزواج أو للنبات جمع شتيت كمريض ومرضى أي إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم، ومن نعمة الله تعالى أن أرزاقنا تُحَصَّل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجاتنا مما لا نقدر على أكله قائلين.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ حال من الضمير في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مُبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في الذي ذكرت ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لدلالات ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول **(واحدها نُهية)** لأنها تنهى عن المحظور أو ينتهي إليها في الأمور.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

﴿مِنْهَا﴾ من الأرض ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أباكم آدم عليه السلام. وقيل: يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معًا أو لأن النطفة من الأغذية وهي من الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إذا مُتُّم فدفنتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلِّف أجزاءهم المتفرِّقة المختلطة بالتراب ويردّهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر، عدَّد الله عليهم ما علق بالأرض من **(مرافقهم)** حيث جعلها لهم فراشًا ومهادًا يتقلَّبون عليها، وسوَّى لهم فيها مسالك يتردَّدون فيها كيف شاؤوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرَّعوا، وأُمّهم التي منها وُلِدوا وهي **(كفاتهم)** إذا ماتوا.

قوله: (واحدها نهية) بضمّ النون كغرفة وغُرَف.

قوله: (مرافقهم) أي منافعهم. **قوله**: (كفاتهم) أي ضَامّتهم وجامِعَتُهم.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ **(وهي تسع آيات: العصا، واليد، وفلق البحر، والحجر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونتق الجبل)** ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآيات ﴿وَأَبَىٰ﴾ قبول الحق ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ فيه دليل على أنه خاف منه خوفًا شديدًا وقوله: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ تعلّل وإلا فأيّ ساحر يقدر أن يخرج ملكًا من أرضه ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ فلنعارضنّك بسحر مثل سحرك ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ هو مصدر بمعنى الوعد ويقدّر مضاف أي مكان موعد. والضمير في ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ للموعد. قرأ **(يزيد)** بالجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع على الوصف للموعد ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ **(هو)** بدل من المكان المحذوف، ويجوز أن لا يقدّر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدًا لا نخلفه، وانتصب ﴿مَكَانًا﴾ **(مصدر أو بفعل يدل عليه المصدر)** ﴿سُوًى﴾ بالكسر **(حجازي)** وأبو عمرو وعليّ وغيرهم بالضم وهو نعت لـ ﴿مَكَانًا﴾ أي مُنصِفًا بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية.

قوله: **(وهي تسع آيات: العصا، واليد، وفلق البحر، والحجر**[1]**، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونتق الجبل)** واعْتَرَض عليه بأن الحجر ونتق الجبل جاء بهما موسى عليه الصّلاة والسّلام لبني إسرائيل بعد هلاك فرعون، وأنه لم يكذب بعد فلق البحر، وردّ بأنه كذب إلى أن أدركه الغرق، وغرضه من دخوله البحر بعد فلقه إهلاك موسى عليه الصّلاة والسلام. وأمّا الأوليان، فلعلّ إراءتهما بمعنى الإخبار بأنهما سيقعان. **قوله**: **(يزيد)** بن القعقاع المدني وليس من السبعة. **قوله**: **(هو مصدر)** ميمي. **قوله**: **(أو بفعل يدلّ عليه المصدر)** أي عدّ مكانًا بصيغة الأمر. **قوله**: **(حجازي)** إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي.

---

(١) قيل: كان الرجل منهم مع أهله في الفراش، قيل: وقد صارا حجرين، والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرًا. اهـ خازن. ١٢ منه رحمه الله.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم **(أو يوم النيروز)** أو يوم عاشوراء. وإنما استقام الجواب بالزمان وإن كان السؤال عن المكان على التأويل الأول، لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان، وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ أي تجمع في موضع رفع أو جرّ عطفًا على ﴿يَوْمُ﴾ أو ﴿ٱلزِّينَةِ﴾ ﴿ضُحًى﴾ أي وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق و**(ليشيع)** في جميع **(أهل الوبر)** والمدر.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدبر عن موسى مُعرِضًا ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ مكره، وسَحَرَته **(وكانوا اثنين وسبعين)** أو أربعمائة أو سبعين ألفًا ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ للموعد ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي للسَّحَرَة ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرًا (﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ **كوفي غير أبي بكر)** يهلككم ويفتح الياء والحاء غيرهم، والسحت والإسحات بمعنى الإعدام وانتصب على جواب النهي ﴿بِعَذَابٍ﴾ عظيم ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ مَن كذب على الله.

قوله: (أو يوم النيروز) فيعول بفتح أوّله والنوروز لغة فيه، وهو مُعرب اسم لوقت نزول الشمس في أوّل الحمل، والياء أشهر لفقد فوعول في كلام العرب. **قوله: (ليشيع)** في المصباح: شاع يشيع شيوعًا ظهر. اهـ. **قوله: (أهل الوبَر)** أي أهل الأخْبية **(والمَدَر)** أي المُدُن.

قوله: (وكانوا اثنين وسبعين) اثنان منهم من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وهذا أقلّ ما قيل في عددهم. **قوله:** (﴿فَيُسْحِتَكُم﴾) بضمّ الياء وكسر الحاء مِنْ أسْحت رباعيًا **(كوفي غير أبي بكر)** أي حفص وحمزة والكسائي وخلف.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ﴾ اختلفوا أي السَّحَرَة فقال بعضهم: هو ساحر مثلنا. وقال بعضهم: ليس هذا بكلام السَّحَرَة أي ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ الآية ﴿أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ أي تشاوروا في السر وقالوا: إن كان ساحرًا فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر، **(والنجوى يكون مصدرًا واسمًا)**.

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾

ثم (لفقوا) هذا الكلام يعني ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ يعني موسى وهارون. **(قرأ أبو عمرو ﴿إن هذين لساحران﴾)** وهو ظاهر **(ولكنه مخالف للإمام)**، وابن كثير

قوله: (والنَّجوى يكون مصدرًا أو اسمًا)، في مختار الصحاح: النَّجوى السرّ بين الاثنين، يقال: نجَوْته نَجْوَى أي سارَرْتُه وكذا ناجَيْته وانْتجى القوم وتَنَاجَوْا تشاورا، وانْتَجاه خصّه بمُناجاته، والاسم النَّجْوى، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ [الإسراء: الآية ٤٧] جعلهم هم النجوى، والنجوى فعلهم، كما تقول: قوم رِضًى، وإنما الرضى فِعْلهم. اهـ.

قوله: (لفّقوا) تلفيق الحديث ضمّ كلماته إلى بعضها اختراعًا من عند أنفسهم من غير قصد إلى حكاية ما في الواقع وإظهاره وبناء التفعيل فيه للتكلّف، وأحاديث ملفقة، أي أكاذيب مزخرفة. **قوله:** (قرأ أبو عمرو: **﴿إن هذين لساحران﴾**) إن بتشديد النون، وهذين بالياء مع تخفيف النون، وهذه القراءة واضحة من حيث الإعراب والمعنى. أمّا الإعراب، فـ﴿هذين﴾ اسم ﴿إن﴾ المشدّدة وعلامة نصبه الياء، و﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خبرها، ودخلت اللام تأكيدًا. وأمّا من حيث المعنى، فإنهم أثبتوا لهما السّحر بإلحاق أداة التأكيد لكلّ واحدٍ من طرفي الجملة، لكن اسْتُشكلت من حيث خطّ المصحف، وذلك أنّ هذين رسم بغير ألف ولا ياء ولا يَرِد بهذا على أبي عمرو، وكم جاء في الرسم عمّا هو خارج عن القياس مع صحة القراءة به وتواترها، وحيث ثبت تواتر القراءة فلا يُلْتفت لطعن الطاعن فيها. **قوله: (ولكنه مخالف للإمام)** أي لرسم عثمان رضي الله تعالى عنه، والإمام اسم للمصحف العثماني وهو لا يختصّ بما كان عنده رضي الله تعالى عنه، وهو شهير لتعدّده.

وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو واللغة ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ **(بتخفيف)** ﴿إن﴾ مثل قولك: «إن زيد لمنطلق» واللام هي الفارقة بين «إن» النافية والمخفّفة من الثقيلة. وقيل: هي بمعنى «ما» واللام بمعنى إلا أي ما هذان إلا ساحران دليله قراءة **(أُبَيّ)** (إن ذان إلا ساحران) **(وغيرهم)** ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قيل هي لغة **(بلحارث)** بن كعب و**(خثعم ومراد وكنانة)** فالتثنية في لغتهم بالألف أبدًا فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد **(غايتاها)**

وقال الزجّاج: إن بمعنى نعم، قال الشاعر:

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت **(فقلت إنه)**

أي نعم، والهاء للوقف. و﴿هَٰذَانِ﴾ مبتدأ و﴿ساحران﴾ خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره: هذان لهما ساحران فيكون دخولهما في موضعها الموضوع لها وهو الابتداء، وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال:

خالي لأنت ومن جرير خاله

قوله: **(بتخفيف)** ﴿إن﴾، وقرأ ابن كثير: ﴿هذانّ﴾ بالألف مع تشديد النون، وقرأ حفص بالتخفيف. **قوله**: **(أُبيّ)** بن كعب رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(وغيرهم)**: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طٰه: الآية ٦٣] بتشديد ﴿إن﴾، وهذان بالألف وتخفيف النون.

قوله: **(بلحارث)** بفتح الباء وسكون اللام أصله بني الحارث فخفّف بحذف النون بعد حذف نون الجمع للإضافة وحرف العلّة لالتقاء الساكنين، وهذا مخالف للقياس وغير مشهور لكنه مسموع من العرب، وبنو الحارث قبيلة معروفة. **قوله**: **(خَثْعَم)** اسم قبيلة. **قوله**: **(مُراد)** أبو قبيلة من اليمن، وهو مُراد بن مالك بن زيد بن كُهلان بن سبأ. اهـ لسان العرب. **قوله**: **(كِنانة)** قبيلة من مُضَر، وهو كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر. اهـ لسان العرب.

قوله: **(غايتاها)** أي غايتيها. **قوله**: **(فقلت إنه)** أي فقلت نعم، والهاء للسَّكت.

قال: فعرضته على (**المبرد**) فرضيه وقد (**زيّفه أبو عليّ**). ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل.

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾

(﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾) فأحكموا أي اجعلوه مجمعًا عليه حتى لا تختلفوا ﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾ (**أبو عمرو ويعضده**) ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ ﴿كَيْدَكُمْ﴾ هو ما يكاد به ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ مصطفين حال أمروا بأن يأتوا صفًّا لأنه أهيب في صدور الرائين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ وقد فاز مَن غلب وهو اعتراض.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي السحرة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك أولًا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ما معنا وموضع «أن» مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر، أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا. وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلم موسى اختيار إلقائهم أولًا حتى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ أنتم أولًا ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويُظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل (**فيدمغه**)، ويسلّط المعجزة على السحر (**فتمحقه**) فيصير آية نيّرة للناظرين وعبرة

قوله: (**المبرّد**) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر رحمه الله. **قوله**: (**زيّفه**) أي ردّه. **قوله**: (**أبو علي**) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي رحمه الله.

قوله: (﴿فَأَجْمِعُوا۟﴾) بوَصْل الهمزة وفتح الميم من جمع ضدّ فرّق (**أبو عمرو**)، والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الميم من أجمع رباعيًا. **قوله**: (**ويعضده**) أي يُعينه.

قوله: (**فيدمغه**) أي يُذهبه. **قوله**: (**فتمحقه**) في مختار الصحاح: محقه أبطله ومحاه، وبابه قطع. اهـ.

بَيِّنة للمُعتَبرين فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ يقال في ﴿إذا﴾ هذه: إذا المفاجأة والتحقيق أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبًا لها وجملة تضاف إليها، وخصَّت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلًا مخصوصًا وهو فعل المفاجأة **(والجملة ابتدائية)** لا غير والتقدير: ففاجأ موسى وقت تخيّل سعي حبالهم وعِصِيّهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعِصِيّهم مخيلة إليه السعي ﴿يُخَيَّلُ﴾ **(وبالتاء: ابن ذكوان)** ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى موسى ﴿مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ رفع بدل اشتمال

قوله: **(والجملة)** التي يُضاف إليها إذا المفاجأة **(ابتدائية)** أي اسميّة، فإنه لا يقع بعدها إلا المبتدأ أو الخبر، فقوله: ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ مبتدأ و﴿يُخَيَّلُ﴾ خبره، و﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ مفعول يخيّل أُقيم مقام الفاعل، أي يخيل إليه سَعْيها، فإنّ قراءة الجمهور ﴿يُخَيَّلُ﴾ بضم الياء الأُولى وفتح الثانية مبنيًا للمفعول.

وقوله: ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ يخيل لما أُضيف إليه كلمة إذا صار في حكم المفرد، وهو تخيّل حبالهم وعصيّهم، وكذا قوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ لمّا كان مفعول يخيّل صار في معنى سعيها، فإذا قدّر فاجأ قبل كلمة إذا عاملًا فيها صار التقدير: فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيّل حبالهم وعصيّهم سَعْيها، إلّا أن المصنّف قال في تقدير المعنى: فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيّل سَعْي حبالهم وعصيّهم من سحرهم، فأضاف تخيّل إلى مفعوله ولم يذكر فاعله، وأضاف السعي إلى لفظ حبالهم وعصيّهم بدل إضافته إلى ضمير سعيها، وهذا تصوير لإعراب نظم الآية، والمعنى على تخييل مفاجأة موسى بالحبال والعصيّ مخيلة سَعْيها وعلّق فعل المفاجأة في تصوير المصنّف بظرفه تعلّقه بالمفعول به اتّساعًا في التعلّق مثل الاتّساع في إضافة اسم الفاعل إلى الظرف في قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: الآية ٤]، أي أنه تعالى مالك الأمور كلّها في يوم الدِّين.

قوله: **(وبالتاء)** من فوق على التأنيث على إسناده لضمير العصيّ والحبال، وأنها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير. **قوله**: **(ابن ذكوان)** يُروى عن عبد الله بن عامر الشامي، والباقون بالياء من تحت على التذكير.

من الضمير في ﴿يُخَيَّلُ﴾ أي يخيّل الملقى. رُوِيَ أنهم لطَّخوها (**بالزئبق**) فلما ضربت عليها الشمس اضطربت (**واهتزت**) فخيلت ذلك.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ أضمر في نفسه خوفًا ظنًّا منه أنها تقصده للجِبلة البشرية أو خاف أن (**يخالج الناس شك**) فلا يتبعوه ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ الغالب القاهر. وفي ذكر «إن» و«أنت» وحروف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بيِّنة.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ ﴿تَلْقَفْ﴾ **بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف: حفص.** و«**تلَقَّفُ**» **ابن ذكوان، الباقون** «**تلقَّفْ**» ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ (**زوّروا وافتعلوا**) أي اطرح عصاك (**تبتلع عِصِيّهم وحبالهم**). ولم يقل عصاك تعظيمًا لها أي (**لا تحتفل بما صنعوا**) فإن ما في يمينك أعظم منها، أو تحقيرًا أي لا تُبالِ بكثرة حبالهم وعِصِيِّهم

قوله: (**بالزّئبق**) في مختار الصحاح: الزِّئْبَق فارسي معرّب، وقد عُرِّب بالهمزة ومنهم مَنْ يقول بكسر الباء فيلحقه بالزِّئْبِرِ.اهـ. **قوله**: (**اهتزَّت**) تحرَّكت.

قوله: (**يخالج الناس شكّ**) أي يعرُض لهم ويختلج في خواطرهم شكّ وشبهة في معجزة العصا.

قوله: (﴿تَلْقَفْ﴾ **بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف: حفص**) مِنْ لقف يلقف كعلم يعلم (و«**تلقَّفُ**») بفتح اللام وتشديد القاف ورفع الفاء على الاستئناف، أي فإنها تلقف أو حال مقدّر من المفعول (**ابن ذكوان**) عن ابن عامر الشاميّ، (**الباقون** «**تلقَّفْ**») بالتشديد والجزم على جواب الأمر. **قوله**: (**زَوَّروا**) في مختار الصحاح: التزوير تزيين الكذب.اهـ. **قوله**: (**وافتعلوا**) أي كذّبوا، يقال: افتعل الكذب إذا اختلقه. **قوله**: (**تبتلع عِصِيهم وحبالهم**) التلقّف وهو التناول باليد أو الفم، والمراد هنا الثاني. (**لا تحتفل بما صنعوا**) أي لا تباله ولا تهتمّ به.اهـ مصباح.

وألقِ العويد الفرد الذي في يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ (**كوفي غير عاصم**: «**سحر**») بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر، و﴿كَيْدُ﴾ بالرفع على القراءتين و«ما» موصولة أو مصدرية. وإنما وحّد ﴿سَٰحِرٍ﴾ ولم يجمع لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد، فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي هذا الجنس ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ أينما كان فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلعظم ما رأوا من الآية وقعوا إلى السجود فذلك قوله:

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾، قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حِبالهم وعِصِيّهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفَرْق بين الإلقاءين. رُوِيَ أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤوسهم ثم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ وإنما قدّم «هارون» هنا وأخّر في الشعراء محافظة للفاصلة ولأن الواو لا تُوجِب ترتيبًا ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ﴾ (**بغير مدّ**: **حفص**، **وبهمزة ممدودة**: **بصري وشامي وحجازي**، **وبهمزتين**: **غيرهم**) ﴿لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي لموسى. يقال: آمن له وآمن به

قوله: (**كوفي غير عاصم**: «**سحر**») أي قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر السين وإسكان الحال بلا ألف، والباقون بفتح السين وبالألف وكسر الحاء فاعل من سحر.

قوله: (**بغير مدّ**) أي بهمزة واحدة بعدها ألف على الخبر (**حفص**، **وبهمزة ممدودة**) أي بهمزتين الأُولى محقّقة والثانية مسهّلة ثم ألف (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصري، (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وحجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكّي (**وبهمزتين**) محقّقتين (**غيرهم**).

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ لعظيمكم أو لمعلمكم، تقول أهل مكة للمعلم: أمرني كبيري ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرِّجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رِجْل وهذا يمين وذاك شمال، و«من» لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشيء من مخالفة العضو، ومحل الجارّ والمجرور النصب على الحال يعني لأقطعنَّها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضًا فقد اتّصفت بالاختلاف، شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن المظروف في الظرف فلهذا قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ وخصَّ النخل لطول جذوعها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ أنا على ترك إيمانكم بي أو ربّ موسى على ترك الإيمان به. وقيل: يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عَلَيه بدليل قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ٦١]، ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أدوم.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ القاطعة الدّالّة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عطف على ﴿مَا جَآءَنَا﴾ أي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا، أو قسم وجوابه ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ مقدّم على القَسَم ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ فاصنع ما أنت صانع من القتل والصَّلْب قال:

وعليهما (مسرودتان) قضاهما

أي صنعهما أو احكم ما أنت حاكم ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي في هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أي إنما تحكم فينا مدة حياتنا.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ «ما» موصولة منصوبة بالعطف على ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ ﴿مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ حال من «ما»، رُوِيَ أنهم قالوا لفرعون:

قوله: (مسرودتان) في تاج العروس ولسان العرب: المسرودة الدِّرع المثقوبة. اهـ.

أرنا موسى نائمًا ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا: ما هذا بسحر الساحر إذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر وضرَّ فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٌ﴾ ثوابًا لمن أطاعه ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ عقابًا لمن عصاه وهو ردٌّ لقول فرعون: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبۡقَىٰ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنًا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ هو ضمير الشأن ﴿مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمًا﴾ كافرا ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ للمجرم ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح بالموت ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياة ينتفع بها ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنًا﴾ مات على الإيمان ﴿قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد الإيمان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ **(جمع العلياء)** ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ﴾ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشِّرك يقول لا إله إلا الله. قيل: هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم. وقيل: خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر.

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقًا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلًا ويأخذ بهم طريق البحر ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقًا فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهمًا ﴿يَبَسًا﴾ أي يابسًا وهو مصدر وصف به يقال **(يبس يَبسًا ويُبسًا)** ﴿لَا تَخَفۡ﴾ حال من الضمير في ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ أي اضرب لهم طريقًا غير خائف. ﴿لَا تَخَفۡ﴾ **(حمزة على الجواب)**

قوله: (جمع العلياء) مؤنّث أعلى.

قوله: (يبس) من باب علم **(يبسًا)** بفتحتين **(ويُبسًا)** بضمّ الياء وسكون الباء.

قوله: (﴿لَا تَخَفۡ﴾) بحذف الألف وإسكان الفاء **(حمزة على الجواب)**، والباقون

﴿دَرَكًا﴾ هو اسم من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الغرق وعلى قراءة حمزة ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ استئناف أي وأنت لا تخشى **(أو يكون الألف للإطلاق)** كما في ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: الآية ١٠] فخرج بهم موسى من أول الليل وكانوا سبعين ألفًا وقد استعاروا حُلِيّهم فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط **(فقصّ أثرهم)** فذلك قوله:

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ هو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أصابهم من البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلّتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم **(كنهه)** إلا الله عزَّ وجلّ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ وما أرشدهم إلى الحق **(والسداد)** وهذا ردٌّ لقوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: الآية ٢٩].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾

ثم ذكر مِنّته على بني إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أوحينا إلى موسى أن أَسْرِ بعبادي وقلنا: يا بني إسرائيل ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ أي فرعون ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾ بإيتاء الكتاب ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ وذلك أن الله عزَّ وجلّ وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلًا يحضرون معه لنزول التوراة. وإنما نسب إليهم المُواعدة لأنها كانت لنبيّهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم. و﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾ نصب لأن صفة ﴿جَانِبَ﴾ وقُرِىء بالجرّ على الجوار ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ في

بإثبات الألف بعد الخاء ورفع الفاء. **قوله**: **(أو يكون الألف للإطلاق)** يعني أنه مجزوم بحذف آخره، وهذه ألف زائدة لوقوعه فاصلة. **قوله**: **(فقصّ أثرهم)** أي اتبعه.

قوله: **(كنهه)** في مختار الصحاح: كُنْه الشيء نهايته. اهـ. **قوله**: **(والسداد)** ـ بالفتح ـ الصواب.

التّيه وقلنا لكم:

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ (﴿أنجيتكم﴾ ﴿وواعدتكم﴾ ﴿ورزقتكم﴾ **كوفي غير عاصم**) ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ولا تتعدّوا حدود الله فيه بأن تكفروا النِّعَم وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضًا ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ عقوبتي ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ هلك أو سقط سقوطًا (**لا نهوض**) بعده، وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه (**سقط من شرف الإيمان**) إلى (**حفرة**) من حُفَر النيران. (**قرأ علي ﴿فيحُل﴾ ﴿ويحلل﴾ والباقون بكسرهما**). فالمكسور في معنى الوجوب من حلَّ الدين يحلّ إذا وجب أداؤه، والمضموم في معنى النزول.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ عن الشّرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحّد الله تعالى وصدقه فيما أنزل ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدّى الفرائض ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح. ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ أي وأيّ شيء عجل بك

قوله: (**﴿أنجيتكم﴾ ﴿وواعدتكم﴾ ﴿ورزقتكم﴾ كوفي غير عاصم**) أي قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء المتكلّم من غير ألف في الثلاثة مناسبةً لقوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾، والباقون بنون العظمة مفتوحة وألف بعدها فيهنّ، وقرأ: «وعدناكم» بغير ألف أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب. **قوله**: (**نُهوض**) أي قيام. **قوله**: (**سقط من شرف الإيمان**) في مختار الصحاح: الشَّرَف العلوّ والمكان العالي. اهـ. وأيضًا فيه: شُرْفة القصر واحدة الشُّرَف كغُرْفة وغُرَف. اهـ. **قوله**: (**حفرة**) في مختار الصحاح: الحفرة ـ بالضمّ ـ واحدة الحُفَر. اهـ. **قوله**: (**قرأ عليّ**) الكسائي (**﴿فيحُل﴾**) بضم الحاء (و**﴿يحلل﴾**) بضمّ اللام الأُولى، (**والباقون بكسرهما**).

﴿عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدَّمهم شوقًا إلى كلام ربّه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ أي وأيّ شيء أوجب عجلتك استفهام إنكار و﴿مَآ﴾ مبتدأ و﴿أَعْجَلَكَ﴾ الخبر ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم إلا مسافة يسيرة. ثم ذكر مُوجِب العجلة فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ﴾ أي إلى الموعد الذي وعدت ﴿لِتَرْضَىٰ﴾ لتزداد رِضًا وهذا دليل على جواز الاجتهاد.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ ألقيناهم في فتنة ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة. وقيل: كان **(عِلجًا)** من كرمان فاتخذ عجلًا واسمه موسى بن **(ظفر)** وكان منافقًا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من مُناجاة ربه ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ شديد الغضب أو حزينًا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملًا ولا وعد أحسن من ذلك ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ أي مدة مفارقتي إيّاكم، والعهد الزمان، يقال: طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلًا يجب به عليكم الغضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده باتخاذ العجل.

قوله: (عِلجا) في مختار الصِّحاح: العِلْج بوزن العِجْل الواحد من كفّار العجم. اهـ. **قوله**: (ظفر) ـ بفتحتين ـ علم.

﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ بفتح الميم: مدني وعاصم، وبضمها: حمزة وعلي، وبكسرها: غيرهم، أي ما أخلفنا موعدك بأنه ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخُلِّينا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكنا غُلبنا من جهة السامري وكيده ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ بالضم والتشديد: (حجازي) و(شامي) وحفص، وبفتح الحاء والميم مع التخفيف: غيرهم ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أثقالًا من حليّ القبط، أو أرادوا بالأوزار أنها آثام وتَبِعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن لنا غدًا عيدًا، فقال السامري: إنما حبس موسى لشؤم حُرمتها لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمِن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحلّ حينئذ فأحرقوها فخبأ في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلًا مجوّفًا فحارَ بدخول الريح في مجار منه أشباه العروق. وقيل: نفخ فيه ترابًا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيي (فخار) ومالت طِباعهم إلى الذهب فعبدوه ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحُليّ في النار أو ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السامري من الحفرة ﴿عِجْلًا﴾ خلقه الله تعالى من الحُلِيّ التي سبكتها النار ابتلاء ﴿جَسَدًا﴾ مجسدًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت وكان يخور كما تخور (العجاجيل) ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ فأجاب

قوله: (حجازي) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. **قوله**: (شامي) أي ابن عامر الشامي. **قوله**: (فخار) أي صاح.

قوله: (العجاجيل) في مختار الصحاح: العِجْل ولد البقرة، وكذا العِجْوَل والجمع العجاجيل. اهـ.

عامّتهم إلا اثني عشر ألفًا ﴿فَنَسِيَ﴾ أي فنسي موسى ربّه هنا وذهب يطلبه عند الطور، أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أي نسي السامري ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر، أو نسي السامري الاستدلال على أن العجل لا يكون إلـٰهًا بدليل قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ أي أنه لا يرجع فـ ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يجيبهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي هو عاجز عن الخطاب والضرّ والنفع فكيف تتخذونه إلـٰهًا! وقيل: إنه ما خار إلا مرة.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لمن عبدوا العجل ﴿هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ لا العجل ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ كونوا على ديني الذي هو الحق ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ في ترك عبادة العجل ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ﴾ أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا.

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾

فلما رجع موسى ﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾﴾ بعبادة العجل ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بالياء في الوصل والوقف: (مكي)، وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل، وغيرهم بلا ياء (أي ما دعاك إلى أن لا تتبعني) لوجود التعلّق بين الصارف عن فعل الشي وبين الداعي إلى تركه. وقيل: «لا» مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني؟ أو ما منعك أن تتبعني في الغضب لله، وهلا قاتلت مَن كفر بمَن آمن وما لك لم تباشر الأمر كما كنت أُباشره أنا لو كنت شاهدًا؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ أي الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم. ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضبًا وإنكارًا عليه لأن الغيرة في الله ملكته.

قوله: (مكّي) أي ابن كثير المكّي رحمه الله. **قوله**: (أي ما دعاك إلى أن لا تتبعني) فأقام منعك مقام دعاك.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ (**وبخفض الميم: شامي وكوفي غير حفص**)، وكان لأبيه وأُمه عند الجمهور ولكنه ذكر الأم استعطافًا وترفيقًا ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ ثم ذكر عذره فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ إن قاتلت بعضهم ببعض ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أو خفت أن تقول إن فارقتهم واتبعتك ولحق بي فريق وتبع السامري فريق: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ ولم تحفظ ﴿قَوْلِي﴾ اخلفني في قومي وأصلح. وفيه دليل على جواز الاجتهاد.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾

ثم أقبل موسى على السامري منكرًا عليه حيث ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك الذي تخاطب عليه؟ ﴿يَسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ (**وبالتاء: حمزة وعلي**)، وقال الزجّاج: بصر علم وأبصر نظر أي علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل. قال موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس الحياة فأُلقي في نفسي أن أقبض من أثره فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ القبضة المرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية بالمفعول بالمصدر لـ «ضرب» الأمير. (**وقرىء «قبصت قبصة» فالضاد بجميع الكفّ والصاد بأطراف الأصابع**)

قوله: (**وبخفض الميم**) أي بكسرها (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وكوفي غير حفص**) أي أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالفتح.

قوله: (**وبالتاء**) من فوق خطابًا لموسى وقومه (**حمزة وعليّ**) الكسائي وخلف، والباقون بالياء على الغيبة مسندًا للغائبين بالنسبة إليه، أي بما لم ير بنو إسرائيل. **قوله**: (**وقرىء «قبصت قبصة»**) قرأه الحسن بالصاد المهملة فيهما وبضمّ القاف من الكلمة الثانية كالغُرْفة، والجمهور على المعجمة فيهما وفتح القاف، (**فالضاد**) وهي القبض (**بجميع الكفّ، والصاد**) وهي القبض (**بأطراف الأصابع**).

﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي من أثر فرس الرسول **(وقرىء بها)** ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ فطرحتها في جوف العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ﴾ زينت ﴿لِي نَفۡسِي﴾ أن أفعله ففعلته اتّباعًا لهواي وهو اعتراف بالخطأ واعتذار.

﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾ من بيننا طريدًا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ ما عشت ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن أراد مخالطتك جاهلًا بحالك ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾ أي لا يمسّني أحد ولا أمسه فمنع من مخالطة الناس منعًا كليًا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته، وإذا اتفق أن يماسّ أحدًا حُمَّ الماسّ والممسوس. وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس ويقال: إن ذلك موجود في أولاده إلى الآن. وقيل: أراد موسى عليه السلام أن يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ﴾ أي لن يُخلفك الله موعده الذي وعدك على الشِّرك والفساد في الأرض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذاك في الدنيا **(﴿لن تُخلِفه﴾ مكي وأبو عمرو وهذا من أخلفت الموعد)** إذا وجدته خلفًا ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ﴾ وأصله ظللت فحذف اللام الأولى تخفيفًا ﴿عَاكِفٗاۖ﴾ مقيمًا ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لنذرينّه ﴿فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حبًّا له فظهرت على شِفاههم صُفرة الذهب. ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ﴿٩٨﴾﴾ تمييز أي وسع علمه كل شيء.

قوله: (وقرئ بها) أي قرأ عبد الله بن مسعود من أثر فرس الرسول.

قوله: (﴿لن تُخلِفه﴾) بضمّ التاء وكسر اللام مبنيًا للفاعل متعدّيًا لمفعولين أحدهما الهاء ضميرًا لوعد، والثاني محذوف، أي لن تخلفه الله **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)** ويعقوب، والباقون بفتح اللام على البناء للمفعول متعدّيًا لاثنين أيضًا أحدهما الضمير المستتر المرفوع على النيابة، والثاني الهاء. **قوله: (وهذا من أخلفت الموعد)** كأجبنته وجدته جبانًا، يعني أن تكون همزة أخلف للوجدان بمعنى لم تجد فيه خلفًا.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾

ومحل الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب أي مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من أخبار الأُمم الماضية تكثيرًا لبيّناتك وزيادة في معجزاتك ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنًا فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمَن أقبل عليه، وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكّر والاعتبار ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن هذا الذِّكر وهو القرآن ولم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ عقوبة ثقيلة سمّاها وزرًا تشبيهًا في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي (ينقض) ظهره (ويلقي عليه بهره)، أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿يَحْمِلُ﴾ وإنما جمع على المعنى ووحّد في ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ حملًا على لفظ من ﴿فِيهِ﴾ في الوِزْر أي في جزاء الوِزْر وهو العذاب ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره ﴿حِمْلًا﴾ وهو تمييز واللام في ﴿لَهُمْ﴾ للبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] والمخصوص بالذّمّ محذوف لدلالة الوِزْر السابق عليه تقديره ساء الحمل حملًا وزرهم.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، (﴿ننفخ﴾) أبو عمرو ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن أو هو جمع صورة أي ننفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور (بفتح الواو جمع صورة) ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ حال أي عميًا كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

قوله: (ينقض) أي يثقل. **قوله**: (ويلقي عليه بهره) في مختار الصحاح: البُهْر ـ بالضمّ ـ تتابع النَّفَس وبالفتح المصدر، يقال: بَهَره الحمل، أي أوقع عليه البُهْر فابتهر أي تتابع نَفَسه. اهـ.

قوله: (﴿ننفخ﴾) بنون العظمة مفتوحة مبنيًا للفاعل مسندًا إلى الأمر به، والنافخ إسرافيل، والباقون بالياء من تحت مضمومة وفتح الفاء بالبناء للمفعول ونائب الفاعل الجارّ والمجرور بعده. **قوله**: (بفتح الواو جمع صورة) كغرفة

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] وهذا لأن (حدقة) مَن يذهب نور بصره تزرق ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ يتسارّون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي يقول بعضهم لبعض سرًّا لهَوْل ذلك اليوم ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ ما لبثتم في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ أي عشر ليالٍ يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكّرهم أيام النعمة والسرور فيتأسّفون عليها ويصفونها بالقصر، لأن أيام السرور قِصار، أو لأنها ذهبت عنهم والذَّاهِب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء، أو ستطالتهم الآخرة لأنها أبدًا يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لَبْثهم في الآخرة، وقد رجّح الله قول مَن يكون (أشد تقالًا) منهم بقوله: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلُهم قولًا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ وهو كقوله: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ (ٱلْعَآدِّينَ) ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٣].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ سألوا النبي ﷺ ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟ وقيل: لم يُسئَل وتقديره إن سألوك ﴿فَقُلْ﴾ ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: الآية ٢٢٢]، وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٠]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ (أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا) قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟﴾ [الكهف: الآية ٨٣]، لأنها سؤالات تقدَّمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرّقها (كما يذرى الطعام). وقال

وغُرف. **قوله**: (حدقة) في المصباح: حَدَقة العين سوادها، والجمع حُدَق وحدقات مثل قصبة وقصب وقصبات، وربما قيل: حداق مثل رقبة ورقاب. اهـ. **قوله**: (أشدّ تقالًا) أي استقلالًا وهو تفاعُل من تقالّ بمعنى استقلّ أي عدّ قليلًا. **قوله**: (﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾) أي الملائكة المُحصين أعمال الخلق.

قوله: (﴿أَيَّانَ﴾) متى (﴿مُرْسَىٰهَا﴾) إرساؤها أي إثباتها واستقرارها. **قوله**: (كما يذرى الطعام) في المصباح: ذَرت الرِّيح الشيء تَذْروه ذروًا نسفته وفرّقته

(الخليل): يقلعها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ **(فيذر مقارها)** أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: الآية ٤٥] ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ مستوية **(ملساء)**.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ ارتفاعًا **(والعِوَج بالكسر وإن كان في المعاني كما أن المفتوح في الأعيان)** والأرض عين، ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وإن دقَّت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال أي يوم إذ نسفت وجاز أن يكون بدلًا بعد بدل من يوم القيامة ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المحشر أي صوت الداعي وهو إسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العِظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هَلُمِّي إلى عرض الرحمٰن فيقبلون

وذريت الطعام تذريه إذا خلّصته من تبنه.اهـ. **قوله: (الخليل)** هو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد النحوي. **قوله: (فيذر مقارها)** فالضمير للجبال وفي الكلام مضاف مقدّر. **قوله: (ملساء)** في المصباح: مَلَس الشيء من بابي تعب وقَرُب ملاسة إذا لم يكن له شيء يستمسك به وقد لان ونَعُم ملمسه فهو أملس، والأُنثى ملساء مثل أحمر وحمراء.اهـ.

قوله: (والعِوَج بالكسر وإن كان في المعاني) أي فيما يُدرك بالبصيرة، **(كما أن المفتوح**[١] **في الأعيان)** أي فيما يُدرك بالبصر، إشارة إلى الفَرْق بين العِوَج والعوج المنقول عن أهل اللغة، كما في الجمهرة بأنه بالكسر في عدم الاستقامة المعنوية، وهو ما لا يُدرَك بالعين، بل بالبصيرة؛ كعوج الدين، وبفتح العين فيما يُدْرَك بها كعوج الحائط والعود، ولمّا كانت الأرض محسوسة واستقامتها واعوجاجها يُدرك بالبصر، فكان ينبغي فتح عينه بحسب الظاهر، وجهه بأنه لمّا أُريد به ما خَفِيَ عنه حتى احتاج إثباته إلى المساحة الهندسيّة المدركة بالعقل أُلْحِق بما هو عقليّ صرف، فأطلق عليه ذلك لذلك، وما في القاموس من أن الاسم منه

---

(١) يعني العوج بفتحتين. ١٢ منه رحمه الله.

(من كل أوب إلى صوبه) لا يَعْدِلونَ عنه ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لا يعوجّ له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متَّبِعين لصوته ﴿وَخَشَعَتِ﴾ وسكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ هيبة وإجلالًا ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتًا خفيفًا لتحريك الشفاه. وقيل: هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا **(خَفْق)** الأقدام ونقلها إلى المَحشَر.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ محل من رفع على البدل من ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة مَن أذِن له الرحمٰن أي أذِن للشَّافِع في الشفاعة ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ أي رضي قولًا لأجله بأن يكون المشفوع له مسلمًا أو نصب على أنه مفعول ﴿تَنفَعُ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي يلمّ ما تقدَّمهم من الأحوال وما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير إلى «ما» أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمُحاط به ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلَّت **(ومنه قيل للأسير: عانٍ)** ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ أي أصحابها ﴿لِلْحَيِّ﴾ الذي لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق ﴿وَقَدْ

كعنب أو يقال لكل منتصب كالحائط والعصا كفرح، وفي غيره كعنب، وكذا هو عن ابن السكِّيت لا يخالف ما هنا كما توهّم؛ لأن ذكر القائم المنتصب لأنه في رأي العين أظهر، وليس المراد الحصر، ولذا جمع بينهما الراغب في مفرداته، واختار المرزوقي في شرح الفصيح أنه لا فرق بينهما. قال أبو عمرو: يقال في الكل عِوَج بالكسر، وأما العَوَج ـ بالفتح ـ فمصدر عوج، وصحّ الواو فيه لأنه منقوص من أعوج، ولما صحّ في الفعل صحّ في المصدر أيضًا. **قوله: (من كل أوب إلى صوبه)** الأوب الجانب، والصوب الناحية والجهة. **قوله: (خفق)** أي صوت.

قوله: (ومنه قيل للأسير: عانٍ) لخضوعه وذلّته لمن هو في يده.

خَابَ﴾ يئس من رحمة الله ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ من حمل إلى موقف القيامة شركًا لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك مَن خلقه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الصالحات الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مصدق بما جاء به محمد عليه السلام، وفيه دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة وأن الإيمان شرط قبولها ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي فهو لا يخاف (﴿فلا يخف﴾ **على النهي: مكي**) ﴿ظُلْمًا﴾ أن يزداد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على كذلك نَقُصُّ أي ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يجتنبون الشِّرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ الوعيد أو القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ عِظَة أو شرفًا بإيمانهم به وقيل «أو» بمعنى الواو ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام وتنزّه عن (**مضاهاة**) الأنام ومشابهة الأجسام ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي يحتاج إليه الملوك ﴿ٱلْحَقُّ﴾ المحقّ في الألوهية. ولما ذكر القرآن وإنزاله قال (**استطرادًا**): وإذا لقَّنك جبريل ما يُوحَى إليك من القرآن فتأنَّ عليك (**ريثما**) يُسمعك ويُفهمك ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ ﴿وَقُل

قوله: (﴿**فلا يخف**﴾) بغير ألف بعد الخاء وجزم الفاء (**على النهي: مكّي**) أي ابن كثير المكي، والباقون بالألف ورفع الفاء خبر المحذوف، أي فهو لا يخاف والموضع عليهما جزم جواب الشرط.

قوله: (**مضاهاة**) أي مشاكلة. **قوله**: (**استطرادًا**) الاستطراد ذكر الكلام على سبيل التبعية. **قوله**: (**ريثما**) أي قدر ما.

﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ بالقرآن ومعانيه. وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة. يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدَّم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه، فعطف قصة آدم على ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ والمعنى وأقسم قسمًا لقد أمرنا أباهم آدم ووصَّيناه أن لا يقرب الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل وجودهم فخالف إلى ما نُهِيَ عنه كما أنهم يخالفون يعني أن (**أساس أمر بني آدم**) على ذلك و(**عرقهم**) راسخ فيه ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد أي النهي والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلّفوا لحفظوه ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ قصدًا إلى الخلاف لأمره أو لم يكن آدم من أُولي العزم. والوجود بمعنى العلم ومفعولاه ﴿لَهُۥ عَزْمًا﴾ أو بمعنى نقيض العدم أي وعد منّا له عزمًا و﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ ﴿نَجِدْ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ قيل: هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلّل أو كان آدم كالقِبلة لضرب تعظيم له فيه ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبليس كان ملكًا من جنس المستثنى منهم. وقال الحسن: الملائكة لُباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السَّموم. وإنما صحَّ استثناؤه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ﴾ جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال: لِمَ لم يسجد؟ والوجه أن لا يقدّر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حيث لم يسجد لك ولم يرَ فضلك ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ فلا يكوننَّ سببًا لإخراجكما ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ فتتعب في طلب القوت ولم يقل: «فتشقيا» مراعاة لرؤوس الآي، أو دخلت تبعًا، أو لأن الرجل هو الكافل

قوله: (أساس أمر بني آدم) في مختار الصحاح: الأساس أصل البناء. اهـ.
قوله: (عِرْقهم) أي أصلهم.

لنفقة المرأة، ورُوِيَ أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ عن الملابس لأنها مُعَدَّة أبدًا فيها ﴿وَأَنَّكَ﴾ بالكسر: نافع **(وأبو بكر)** عطفًا على «إن» الأولى، وغيرهما بالفتح عطفًا على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾ ومحله نصب بـ «أن» وجاز للفصل كما تقول: «إن في علمي أنك جالس» ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ **(لا تعطش)** لوجود الأشربة فيها ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا يصيبك حَرّ الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها في ظلّ ممدود.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي أنهى إليه الوسوسة كأسرَّ إليه ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن مَن أكل منها خلَدَ بزعمه ولا يموت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ لا يفنى ﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ عوراتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كـ «كاد» في وقوع الخبر فعلاً مضارعًا إلا أنه للشروع في أول الأمر وكاد للدنو منه ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي **(يلزقان)** الورق بسوءاتهما للتستّر وهو ورق التين ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ ضلَّ عن الرأي. وعن **(ابن عيسى)** خاب، والحاصل أن

قوله: (وأبو بكر) شعبة يروي عن عاصم رحمه الله. **قوله: (لا تعطش)** بابه طَرِب.

قوله: (يُلْزقان) أفعال من لزق، في مختار الصحاح: لَزِق به بالكسر لُزُوقًا ـ بالضم ـ والتزق به أي لَصِق به. اهـ. **قوله: (ابن عيسى)** أي القاسم[1] بن عيسى

---

(١) في بُغية الوُعاة في طبقة اللغويّين والنحّاة للعلامة الحافظ عبد الرحمٰن السيوطي رحمه الله: القاسم بن عيسى النحوي أبو الفضل، قال ابن يونس في تاريخ مصر: كان عالمًا بالنَّحو واللغة.. الخ. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

العصيان وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمدًا فيكون ذنبًا وقد لا يكون عمدًا فيكون زلّة. ولما وصف فِعْله بالعصيان خرج فِعْله من أن يكون رشدًا فكان غيًّا، لأن الغيّ خلاف الرُّشد. وفي التصريح بقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ والعدول عن قوله: و«زلَّ آدم» مزجرة بليغة وموعظة كافَّة للمكلَّفين كأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف **(نعيت)** على النبي المعصوم حبيب الله زلّته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلًا عن الكبائر.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قرَّبه إليه واصطفاه. وقُرِىء به **(وأصل الكلمة الجمع)** يقال: جبى إليَّ كذا فاجتبيته ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبِلَ توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ وهداه إلى الاعتذار والاستغفار. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ يعني آدم وحواء ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يا ذرية آدم ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب وشريعة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في العقبى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضَمِن الله لمَن اتّبع القرآن أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة يعني أن **(الشقاء)** في الآخرة هو عقاب مَن ضَلَّ في الدنيا عن طريق الدين، فمَن اتّبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ عن القرآن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ضيقًا وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكّر والمؤنّث. عن

كان عالمًا بالنّحو واللغة، حُمِل عنه ومات في ذي الحجّة سنة سبعين ومائتين، والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله**: **(نُعِيَتْ)** يقال: نعى فلان على فلان ذنوبه، أي أظهر ذنوبه وشهره.

قوله: **(وأصل الكلمة)** أي مادة الكلمة معناه **(الجمع)**. **قوله**: **(الشقاء)** بالفتح ضدّ السعادة.

(ابن جبير): يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكّل فتكون حياته طيبة، ومع الإعراض الحرص و(الشحّ) فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوّفة: لا يُعرِض أحدكم عن ذكر ربه إلا ظلم عليه وقته وتشوّش عليه رزقه ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن الحجة. عن ابن عباس: أعمى البصر وهو كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] وهو الوجه.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ في الدنيا ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك فعلت أنت. ثم فسّر فقال: ﴿أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المُعتَبر وتركتها وعَمِيت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نُزيل غطاءه عن عينيك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ لِما توعَّد المُعرِض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبدًا أشد من ضيق العيش المنقضي ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي الله بدليل قراءة (زيد عن يعقوب) بالنون ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ﴾ حال من الضمير المجرور في ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ يريد أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويُعاينون آثار هلاكهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى

قوله: (ابن جبير) أي سعيد بن جبير الأسدي التابعي ثقة ثبت فقيه قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس بعد المائة. **قوله**: (الشحّ) البخل مع الحرص. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (زيد) بن أحمد بن إسحٰق (عن يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي، وليس من السبعة.

﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول إذا تفكّروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لازمًا فاللزام مصدر لزم فوصف به ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ القيامة وهو معطوف على (كلمة)، والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازمًا لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك ﴿وَسَبِّحْ﴾ وصَلّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال وأنت حامِد لربك على أن وفَّقك للتسبيح وأعانك عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ﴿وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ أي وتعهَّد أناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصًا لها بصلاتك.

وقد تناول التسبيح في آناء الليل و(صلاة العتمة)، وفي أطراف النهار صلاة المغرب، وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصَّت في قوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨] (عند البعض). وإنما جمع ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ وهما طرفان لأمن الإلباس وهو عطف على قبل ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ لعلّ للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسرّ قلبك. (﴿وتُرضى﴾ عليّ وأبو بكر) أي يُرضيك ربك.

قوله: (صلاة العتمة) ـ بفتحات ـ أي العشاء. **قوله**: (عند البعض) أي بعض المفسّرين. **قوله**: (﴿وتُرضى﴾) بضمّ التاء مبنيًّا للمفعول (عليّ) الكسائي (وأبو بكر)، والباقون بفتحها مبنيًّا للفاعل.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ **(أي نظر عينيك)** ومدّ النظر تطويله وأن لا يكاد يردّه استحسانًا للمنظور إليه وإعجابًا به، وفيه أن النظر غير الممدود معفوٌّ عنه وذلك أن يُبادرَ الشيء ثم يغضّ الطرف. ولقد شدَّد المُتَّقون في وجوب غضّ البصر عن أبنية الظلمة وعُدَد الفَسَقَة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن: **(لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفَسَقَة)**، ولكن انظروا كيف يلوح ذلّ المعصية من تلك الرّقاب. وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالنَّاظِر إليها مُحصّل لغرضهم **(ومُغْرٍ)** لهم على اتخاذها ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ **(أصنافًا من الكَفَرَة)** ويجوز أن ينتصب حالًا من هاء الضمير **(والفعل واقع على** ﴿مِّنْهُمْ﴾**)** كأنه قال إلى الذي متّعنا به **(وهو أصناف بعضهم وناسًا منهم)** ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها وانتصب على الذّمّ أو على إبداله من محل ﴿بِهِۦ﴾ أو على إبداله من ﴿أَزْوَٰجًا﴾ على تقدير ذوي زهرة ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ مما رزقوا.

قوله: **(أي نظر عينيك)** إشارة إلى تقدير مضاف أو تجوّز في النسبة. **قوله**: **(لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفَسَقَة)** في لسان العرب: الدَّقْدَقة حكاية حوافر الدواب في سرعة تردّدها، مثل الطَّقْطَقَة. اهـ. وأيضًا فيه: الهِمْلاج من البراذين واحد الهماليج. اهـ. وأيضًا فيه: البَرَاذين من الخيل ما كان من غير نِتاج العِراب. اهـ.

قوله: **(ومُغْرٍ)** من الاغراء، في لسان العرب: غرى بالشيء يغرّ إغراء وغراء أوْلع به، وكذلك أغرى به إغراء. **قوله**: **(أصنافًا من الكفرة)** تفسير لأزواجًا، وإشارة إلى أن من بيانية. **قوله**: **(والفعل واقعٌ على** ﴿مِّنْهُمْ﴾**)** أي المفعول لفظ منهم على أن من تبعيضيّة وتأويلها باسم وهو بعض. **قوله**: **(وهو أصناف)** تفسير للحال. **قوله**: **(بعضَهم)** بالنصب مفعول ﴿مَتَّعْنَا﴾ **(وناسًا منهم)** عطف تفسير.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أمتك أو أهل بيتك ﴿بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ﴾ أنت داوم ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم فلا تهتم لأمر الرزق وفرّغ بالك لأمر الآخرة مَن كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن **(عروة بن الزبير)** أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾. الآية ثم ينادي الصلاة، الصلاة رحمكم الله. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله **(خصاصة)** قال: قوموا فصلّوا بهذا أمر الله ورسوله. وعن **(مالك بن دينار)** مثله. وفي بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمر بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي وحُسْن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكافرون ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هلّا يأتينا محمد بآية من ربه تدلّ على صحة نبوّته ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ (﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ **مدني وحفص وبصري)** ﴿بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ أي الكتب المتقدمة يعني أنهم اقترحوا على عادتهم في التعنّت آية على النبوّة فقيل لهم: أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في

قوله: (عروة بن الزبير) هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوّام المدني التابعي الجليل فقيه المدينة أحد الفقهاء السبعة فقهاء المدينة، وأمّه أسماء بنت أبي بكر وخالة عائشة، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيهًا عالمًا مأمونًا ثَبْتًا ومناقبه كثيرة مشهورة، وهو مجمع على جلالته وعلوّ مرتبته ووفور علمه، قال الجمهور: توفي سنة أربع وتسعين، وقال البخاري: سنة تسع وتسعين رحمه الله تعالى. **قوله: (خصاصة)** أي فقر. **قوله: (مالك بن دينار)** البصري، كان عالمًا زاهدًا كثير الورع قنوعًا لا يأكل إلّا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وله مناقب عديدة وآثار شهيرة، وكان من كبار السادات، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة قبل الطاعون بيسير رحمه الله.

قوله: (﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾) بالتاء من فوق على التأنيث **(مدني)** أي نافع المدني **(وحفص وبصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة،

باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل الرسول أو القرآن ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ﴾ بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء ﴿ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بنزول العذاب ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في العقبى ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي كل واحد منّا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ مُنتَظِر للعاقبة وبما (يؤول) إليه أمرنا وأمركم ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ﴾ مبتدأ وخبر ومحلهما نصب ﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ إلى النعيم المقيم. قال رسول الله ﷺ: (**«لا يقرأ أهل الجنة إلا سورة طـه ويٓس»**) والله أعلم بالصواب.

والباقون بالياء على التذكير. **قوله**: (يؤول) يرجع، في مختار الصحاح: آل رجع وبابه قال. اهـ. **قوله**: (**لا يقرأ أهل الجنة إلّا سورة طـه ويٓس**) في الدرّ المنثور: أخرج ابن مردويه عن أبي أُمامة رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ قال: «كل القرآن يوضع على أهل الجنّة فلا يقرأون منه شيئًا إلّا سورة **طـه ويٓس**، فإنهم يقرون بهما في **الجنّة**». اهـ. والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّت سورة طـه بحمد الله ومنّه
وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

(سورة الأنبياء)

(مكية، وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية مدني وبصري)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾

﴿اقْتَرَبَ﴾ دنا ﴿لِلنَّاسِ﴾ (اللام صلة ﴿لاقترب﴾). عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين ﴿حِسَابِهِم﴾ وقت محاسبة الله إياهم ومُجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة، وإنما وصفه بالاقتراب لقلّة ما بقي بالإضافة إلى ما مضى ولأن كل آتٍ قريب ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عن حسابهم وعمّا يفعل بهم ثم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن (التأهب) لذلك اليوم فالاقتراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنبياء مكّية، وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية مدني وبصري) وألف ومائة وستّون كلمة وأربعة آلاف وثمان وتسعون حرفًا. اهـ خطيب.

قوله: (اللام صلة ﴿لاقترب﴾) أي متعلق به، فيكون ظرفًا لغوًا. **قوله**: (التأهّب) في مختار الصحاح: تأهب استعدّ.

عام والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلَّفين، فرُبَّ غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه، ورُبَّ غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية المولى، والأولى إنما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تُحاسِب نفسك قبل أن تُحاسَب وتَتَنبَّه للعرض قبل أن تُنَبَّه، وتُعرِض عن الغافلين وتشتغل بذِكْر خالِق الخَلْق أجمعين لتفوز بلقاء ربّ العالمين.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ شيء من القرآن ﴿مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ في التنزيل إتيانه، مبتدأة تلاوته، قريب عهده باستماعهم، والمراد به الحروف المنظومة. ولا خلاف في حدوثها ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾ من النبي عليه السلام أو غيره ممَّن يتلوه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزؤون به.

﴿لَاهِيَةً﴾ حال من ضمير يلعبون أو ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ و﴿لَاهِيَةً﴾ حالان من الضمير في استمعوه. (**ومَن قرأ «لاهيةٌ» بالرفع**) يكون خبرًا بعد خبر لقوله: ﴿وَهُمْ﴾ وارتفعت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بـ ﴿لَاهِيَةً﴾ وهي (**من لهى عنه**) إذا ذهب وغفل، والمعنى قلوبهم غافلة عمّا يُراد بها، ومنها قال (**أبو بكر**) الوَرّاق: القلب اللاهي: المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ (**وبالغوا في إخفاء** ﴿ٱلنَّجْوَى﴾) وهي اسم من التناجي. ثم أبدل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من واو

قوله: (**ومَنْ قرأ «لاهيةٌ» بالرفع**) وهو ابن أبي عبلة ﷫، وهي قراءة شاذّة. **قوله**: (**من لهى عنه**) من باب علم. **قوله**: (**أبو بكر**) محمد بن عمر الحكيم (**الورّاق**) نسبة إلى بيع الورق أصله من ترمذ وأقام ببلخ لَقِيَ أحمد بن خضرويه وصحب محمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضيات والآداب والمعاملات. **قوله**: (**وبالغوا في إخفاء** ﴿ٱلنَّجْوَى﴾) جواب عمّا يقال من أن النجوى اسم من التناجي، فلا تكون إلّا خفية، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾؟ أجاب عنه بأن معناه بالغوا في إخفائها.

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ إيذانًا بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسرّوا به، أو جاء على لغة مَن قال: «أكلوني البراغيث»، أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلًا من الناس، **(أو هو منصوب المحل على الذمّ)**، أو هو مبتدأ خبره ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ فقدّم عليه أي والذين ظلموا أسرّوا النجوى ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلام كله في محل النصب بدل من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ أي وأسرّوا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بـ «قالوا» مضمرًا والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكًا وإن كل مَن ادَّعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتُعاينون أنه سحر.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿قُل رَّبِّي﴾ حمزة و**عليّ** وحفص أي قال محمد وغيرهم: ﴿قُل رَّبِّي﴾ أي قل يا محمد للذين أسرّوا النجوى: ﴿يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي يعلم قول كل قائل هو في السماء أو الأرض سرًّا كان أو جهرًا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في ضمائرهم. ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهّمها وحيًا من الله إليه، ثم إلى أنه كلام مُفتَرًى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا **(الباطل لجلج)** والمُبطل رجاع غير ثابت على قول واحد، ثم قالوا إن كان صادقًا في دعواه وليس الأمر كما يظن ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ بمعجزة ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء **(الأكمه)** وإحياء الموتى، وصحة التشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من حيث إنه في معنى كما أتى الأوّلون بالآيات لأن إرسال الرُسُل متضمن للإتيان بالآيات، ألا ترى أنه لا فرق بين قولك: «أرسل محمد»، وبين قولك: «أتى محمد بالمعجزة» فردَّ الله

قوله: (أو هو منصوب المحل على الذمّ) أي بفعل مقدّر.

قوله: (الباطل لَجْلَجٌ) أي ملتبس، قال المبرّد ﷺ: أي يتردّد فيه صاحبه ولا يصيب منه مخرجًا. اهـ أمثال ميداني. **قوله**: (الأكمه) الذي يولد أعمى.

عليهم قوله بقوله:

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ من أهل قرية ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ صفة لـ ﴿قَرۡيَةٍ﴾ عند مجيء الآيات المُقتَرَحَة لأنهم طلبوها تعنتًا ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتَى منهم، والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون (لنكثوا) أيضًا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ﴿(نُوحِيَ) إِلَيۡهِمۡ﴾، ﴿نُّوحِيٓ﴾ (حفص) ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالكتابين فإنهم يعرفون أن الرُّسُل المُوحَى إليهم كانوا بشرًا ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم: ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك. ثم بيَّن أنه كمَن تقدّمه من الأنبياء بقوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا﴾ وحَّد الجسد لإرادة الجنس ﴿لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفة لـ ﴿جَسَدٗا﴾ يعني وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ كأنهم قالوا هلّا كان ملَكًا لا يطعم ويخلد، إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مُسمِّين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودًا.

قوله: (لنكثوا) في مختار الصحاح: نكث العهد والحبل نقضه وبابه نصر. اهـ.

قوله: (﴿نُّوحِيٓ﴾) بنون العظمة مع البناء للفاعل (حفص) أي نحن و﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ محلّه نصب (والمفعول محذوف) أي القرآن أو الذِّكر، والباقون بالياء من تحت وفتح الحاء على البناء للمفعول، و﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ محلّه رفع على النيابة عن الفاعل.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم (**والأصل في** ﴿الْوَعْدَ﴾) مثل ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] أي من قومه ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ مما حلّ بقومهم ﴿وَمَن نَّشَاءُ﴾ هم المؤمنون ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المُجاوزين الحدّ بالكفر ودلّ الإخبار بإهلاك المسرفين على أن مَن نشاء غيرهم ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شرَّفكم إن عملتم به أو لأنه بلسانكم (**أو فيه موعظتكم**) أو فيه ذكرُ دينكم ودنياكم والجملة أي فيه ذكركم صفة لـ ﴿كِتَابًا﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضّلتكم به على غيركم فتؤمنوا.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَكَمْ﴾ نصب بقوله: ﴿قَصَمْنَا﴾ أي أهلكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها بدليل قوله: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة (**وهي واردة عن غضب شديد**) وسخط عظيم لأن القصم (**أفظع الكسر**) وهو الكسر الذي يبيّن تلاؤم الأجزاء بخلاف القصم فإنه كسر بلا إبانة ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ فسكنوا مساكنهم.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾ أي المهلكون ﴿بَأْسَنَا﴾ عذابنا أي علموا علم حسّ ومشاهدة ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ من القرية و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة و﴿هُم﴾ مبتدأ والخبر ﴿يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين، والركض ضرب الدابة بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين

قوله: (**والأصل في** ﴿الْوَعْدَ﴾) يعني أن صدق يتعدّى إلى مفعولين إلى ثانيهما بحرف الجرّ، وقد يحذف ويقال: صدقتك الحديث، أي في الحديث. **قوله**: (**أو فيه موعظتكم**) فالذِّكر بمعنى التّذكرة والموعظة بالوعد والوعيد.

قوله: (**وهي واردة عن غضب شديد**) أي دالّة عليه للتعبير فيها بالقَصْم وهو كسر تفرّق الأجزاء، ويذهب الْتِئامها، ولذا أتى فيه بالقاف الشديدة بخلاف الفصم بالفاء الرخوة، فإنّه لمّا أبانه فيه فأتى بتركيب اللفظ على وفق المعنى. **قوله**: (**أفظع الكسر**) في مختار الصحاح: فَظُع الأمر من باب ظرف فهو فظيع، أي شديد

من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، أو شبَّهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم:

﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَا تَرْكُضُوا۟﴾ والقائل بعض الملائكة ﴿وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش. قال الخليل: المُترَف الموسع عليه عيشه القليل فيه همّه ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ أي يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تُسئلون غدًا عمّا جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومَن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بِمَ تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المُنعمين المخدمين، أو يسألكم الناس في **(أنديتكم)** المُعاون في **(نوازل الخطوب)**، أو يسألكم **(الوافدون)** عليكم والطمَّاع ويستمطرون سحاب أكفّكم، أو قال بعضهم لبعض: لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالًا وخراجًا فلا تقتلون، فنُودِي من السماء **(يا لثارات الأنبياء)** وأخذتهم السيوف فثَمَّ ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف.

فظيع شنيع جاوز المقدار، وكذا أفظع الأمر فهو مُفْظع وأفظع الشيء واستفظعه وجده فَظِيعًا. اهـ.

قوله: **(أنديتكم)** النادي وهو مجلس القوم ومتحدّثهم، وجمع النادي أندية. **قوله**: **(نوازل الخطوب)** في لسان العرب: النازلة الشدّة من شدائد الدهر تنزل بالناس نسأل الله العافية وجمعها النوازل. اهـ. وأيضًا فيه الخطب الشأن والأمر صَغر أو عَظُم، وجمعه خطوب. اهـ. **قوله**: **(الوافدون)** في مختار الصحاح: وفد فلان على الأمير، أي ورد رسولًا وبابه وعد، فهو وافد. اهـ. **قوله**: **(يا لثارات الأنبياء)** اللام مفتوحة فيه للاستغاثة، والثأر الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول، يقال: ثأر القتيل بالقتل أي قتل قاتله وبابه قطع، أي: يا أيها الناس أحضروا قَتَلة الأنبياء.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ هي إشارة إلى يا ويلنا ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ دعاءهم و﴿تِلْكَ﴾ مرفوع على أنه اسم ﴿زَالَت﴾ و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ الخبر ويجوز العكس ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ **(مثل الحصيد)** أي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر ﴿خَٰمِدِينَ﴾ ميتين خمود النار و﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ مفعول ثانٍ لـ «جعل» أي جعلناهم جامعين لمُماثلة الحصد والخمود كقولك: «جعلته حلوًا حامضًا» أي جعلته جامعًا للطعمين ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ اللعب فعل **(يروق)** أوله ولا ثبات له، ولاعبين حال من فاعل ﴿خَلَقْنَا﴾ والمعنى وما سوّينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب، وإنما سوّيناها ليستدلّ بها على قدرة مدبّرها ولنجازي المُسن والمُسيء على ما تقتضيه حِكمتنا، ثم نزّه ذاته عن **(سمات)** الحدوث بقوله:

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي ولدًا أو امرأة كأنه ردّ على مَن قال: عيسى ابنه ومريم **(صاحبته)** ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من الولدان أو الحور ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي إن كنا ممّن يفعل ذلك ولسنا ممّن يفعله لاستحالته في حقنا. وقيل: هو نفي كقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٩] أي ما كنّا فاعلين ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ «بل» إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال: سبحاننا أن نتخذ اللهو بل من

قوله: **(مثل الحصيد)** يشير إلى أنه تشبيه بليغ مقدّر فيه هذا المضاف الذي يطلق على الواحد وغيره، لأنه مصدر في الأصل. **قوله**: **(يروق)** في مختار الصحاح: راقني الشيء يروقني أي أعجبني، ومنه قولهم: غلمان روقة وجوار روقة، أي حِسان وهو جمع رائق مثل فاره وفرهة وصاحب وصحبة وروق أيضًا مثل بازل وبزل وراق الشراب يروق روقًا أي صفا. اهـ. **قوله**: **(سمات)** جمع السِّمة بمعنى العلامة.

قوله: (صاحبته) زوجته.

سُنَّتنا أن نقذف أي نرمي ونسلّط ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الشيطان أو بالإسلام على الشِّرك أو بالجدّ على اللعب ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ فيكسره و(يدحض) الحق الباطل، وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسِّي والمُستَعار له عقلي فكأنه قيل: بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيُبطله إبطال الجسم القوي الضعيف ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ أي الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾ هالك ذاهب ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به من الولد ونحوه.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا فأنّى يكون شيء منه ولدًا له وبينهما تنافٍ ويُوقف على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ لأن ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ منزلة ومكانة لا منزلًا ولا مكانًا يعني الملائكة مبتدأ خبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (ولا يعيون) ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ (لَا يَفْتُرُونَ) ﴿٢٠﴾﴾ حال من فاعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا تَتخلله (فترة) بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جارٍ مجرى التنفّس منّا. ثم أضرب عن المشركين منكِرًا عليهم وموبِّخًا فجاء بـ «أم» التي بمعنى «بل» والهمزة فقال:

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ يحيون (الموتى) ومن الأرض صفة لـ ﴿ءَالِهَةً﴾ لأن آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر أو تعبد في الأرض فنسبت إليها كقولك: «فلان من المدينة» أي مدني، أو

قوله: **(يدحض)** في المصباح: دحضت الحجة دحضًا من باب نفع بطلت وأدحضها الله في التعدي. اهـ.

قوله: **(ولا يعيون)** أي لا يتعبون. **قوله**: (﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾) أي لا يضعُفون ولا يسأمون. **قوله**: **(فترة)** أي انقطاع.

قوله: **(الموتى)** بيان لمفعوله المحذوف.

متعلق بـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ، وفي قوله: ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحيي الموتى، وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار، لأن العاجز عنه لا يصحّ أن يكون إلـهًا إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات. (**وقرأ الحسن: «يَنشُرون» بفتح الياء**) وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها.

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي غير الله وصفت آلهة بـ «إلا» كما وصفت بـ «غير» لو قيل آلهة غير الله، ولا يجوز رفعه على البدل لأن «لو» بمنزلة «إن» في أن الكلام معه مُوجِب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ [هود: الآية ٨١] ولا يجوز نصبه استثناء لأن الجمع إذا كان منكرًا لا يجوز أن يُستثنَى منه عند المحقِّقين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء، والمعنى لو كان يدبر أمر السمٰوات والأرض آلهة (**شتى**) غير الواحد الذي هو فاطرهما ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ لخربتا لوجود (**التمانع**) وقد قررناه في أصول الكلام. ثم نزّه ذاته فقال: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك.

﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ لأنه المالك على الحقيقة، ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وَعُدَّ سفهًا، فمن هو مالك الملوك وربّ الأرباب وفعله صواب كله أولى بأن لا

قوله: (**وقرأ الحسن: «يَنشُرون» بفتح الياء**) وضمّ الشين من نشر، والجمهور بضمّ الياء وكسر الشين من أنشر.

قوله: (**شتى**) جمع شتيت، في المصباح: شيء شتيت وزان كريم متفرّق وقوم شتّى على فعلى متفرّقون. اهـ. **قوله**: (**التمانع**) تفاعل من المنع وهو منع كل منها للآخر عمّا يريده.

يعترض عليه ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ لأنهم مملوكون خطاؤون **(فما أخلقهم)** بأن يقال لهم لِمَ فعلتم في كل شيء فعلوه. وقيل: وهم يُسْألون يرجع إلى المسيح والملائكة أي هم مسؤولون فكيف يكونون آلهة والألوهية تنافي الجنسية والمسؤولية.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ الإعادة لزيادة الإفادة فالأول للإنكار من حيث العقل، والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك وذا عقليٌّ وهو يأباه كما مرّ، أو نقليٌّ وهو الوحي وهو أيضًا يأباه فإنكم لا تجدون كتابًا من الكتب السمٰوية إلا وفيه توحيده وتنزيهه عن **(الأنداد)** ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يعني أمته ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ يعني أمم الأنبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه. **(﴿مَعِيَ﴾ حفص)**. فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي القرآن وهو نصب بـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ **(وقرىء ﴿الحقُّ﴾)** أي هو الحق ﴿فَهُم﴾ لأجل ذلك ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ﴾ **(﴿إِلَّا نُوحِىٓ﴾ كوفي غير أبي بكر وحماد)** ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وحّدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد.

قوله: (فما أخلقهم) صيغة تعجب، أي چه سزاوار اند.

قوله: (الأنداد) أي الشركاء، في المصباح: الندّ ـ بالكسر ـ المثل، ولا يكون الند إلّا مخالفًا والجمع أنداد، مثل حِمل وأحمال.اهـ. **قوله**: (﴿مَّعِيَ﴾) بفتح الياء **(حفص)** وحده، والباقون بالإسكان. **قوله**: (وقرىء) أي شاذًّا (﴿**الحقُّ**﴾) بالرفع قارئه الحسن وابن محيصين، والجمهور بالنصب.

قوله: (﴿إِلَّا نُوحِىٓ﴾) بالنون مبنيًا للفاعل (كوفي غير أبي بكر) شعبة عن عاصم **(وحماد)** بن زيد عن عاصم رحمه الله، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف. والباقون بضمّ الياء من تحت وفتح الياء مبنيًا للمفعول.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ﴾ **(نزلت في خزاعة)** حيث قالوا: **(الملائكة بنات الله)** فنزّه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ أي بل هم عباد مكرمون مشرّفون مقرّبون وليسوا بأولاد، إذ العبودية تنافي الولادة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي بقولهم فأُنيبت اللام مَناب الإضافة، والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضًا مبني على أمره لا يعملون عملًا لم يؤمَروا به.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما قدّموا وأخّروا من أعمالهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي لمن رضي الله عنه وقال: لا إلٰه إلا الله ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله (﴿إِنِّىَ﴾ **مدني وأبو عمرو**) ﴿فَذَٰلِكَ﴾ مبتدأ أي فذلك القائل خبره ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ وهو جواب الشرط ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين الذين وضعوا الإلٰهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقّق عصمتهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما و**(قتادة والضحاك)**: قد تحقق الوعيد في إبليس فإنه ادّعى الإلٰهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته.

قوله: **(نزلت في خُزاعة)** هي قبيلة معروفة، والآية شاملة لكل من نسب له ذلك كالنصارى. **قوله**: **(الملائكة بنات الله)** وأضافوا إلى ذلك أنه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (﴿إِنِّىَ﴾) بفتح الياء **(مدني)** أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وأبو عمرو)** البصري، والباقون بالإسكان. **قوله**: **(قتادة)** البصري التابعي رحمه الله. **قوله**: **(والضحاك)** بن مزاحم التابعي رحمه الله.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ (﴿ألم ير﴾ مكي) ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا﴾ أي جماعة السمٰوات وجماعة الأرض فلذا لم يقل كن ﴿رَتْقًا﴾ بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صَلُحَ أن يقع موقع مرتوقتين ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فشققناهما، والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق. فإن قيل: متى رأوهما رتقًا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلنا: إنه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد، ولأن الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان في العقل، فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بدّ له من مخصّص وهو القديم جلّ جلاله. ثم قيل: إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء. وقيل: كانت السمٰوات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سمٰوات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين. وقيل: كانت السماء رتقًا لا تمطر والأرض رتقًا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: الآية ٤٥]، أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبّه له وقلّة صبره عنه كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٧]، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بما يشاهدون.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت من رسا إذا ثبت ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ لئلا تضطرب بهم فحذف «لا» واللام، وإنما جاز حذف «لا» لعدم الالتباس كما تُزاد لذلك في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: الآية ٢٩]، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ أي طرقًا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من ﴿سُبُلًا﴾ متقدمة، فإن قلت: أيّ فرق بين قوله تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: الآية ٢٠]. وبين هذه؟ قلت: الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقًا واسعة، والثاني لبيان

قوله: (﴿ألم ير﴾) بحذف الواو بعد همزة الاستفهام التوبيخي (مكّي) أي ابن كثير المكي رحمه الله، والباقون بإثباتها عطفًا على السابق.

أنه حين خَلْقِها خَلَقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ في موضعه عن السقوط كما قال: (﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾) [الحج: الآية ٦٥] أو محفوظًا بالشهب عن الشياطين كما قال: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: الآية ١٧] ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفّار ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ عن الأدلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكِّرين فيها فيؤمنون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لتتصرَّفوا فيه ﴿وَٱلشَّمْسَ﴾ لتكون سراج النهار ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ ليكون سراج الليل ﴿كُلٌّ﴾ التنوين فيه عِوَض عن المضاف إليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع، وجمع جمع العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة ﴿فِى فَلَكٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: (**الفلك السماء**). والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون أي يدورون والجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ البقاء الدائم ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ (**بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر**) ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ والفاء الأول لعطف جملة على جملة

قوله: (﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾) من (﴿أَن﴾) **أو لئلا** (﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾) فتهلكوا. **قوله**: (**الفلك السماء**) الذي فيه ذلك الكوكب، فكلّ كوكب يجري في السماء الذي قدّر فيه.

قوله: (**بكسر الميم مدني**) أي نافع المدني (**وكوفي غير أبي بكر**) شعبة، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بالضمّ.

والثاني لجزاء الشرط، كانوا يقدّرون أنه سيموت فنفى الله عنه **(الشماتة)** بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشر أفإن متّ أنت أيبقى هؤلاء ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم﴾ ونختبركم، سُمِّي ابتلاء وإن كان عالـمًا بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ بالفقر والضّرّ ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾ الغنى والنفع ﴿فِتْنَةًۖ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ من غير لفظه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنُجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر. **(وعن ابن ذكوان** ﴿تَرْجِعُونَ﴾**)**.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾ نزلت في **(أبي جهل)** مرَّ به النبي ﷺ فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ﴾ يعيب ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾ والذِّكر يكون بخير وبخلافه فإن كان الذّاكِر صديقًا فهو ثناء وإن كان عدوًّا فذمّ ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي بذِكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ لا يصدقون به أصلًا فهم أحقّ أن يُتَّخذوا هزوًا منك فإنك مُحِقٌّ وهم مُبطِلون. وقيل: بذكر الرحمٰن أي بما أنزل عليك من القرآن وهم كافرون جاحدون، والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزوًا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى، وكرر ﴿هُمْ﴾ للتأكيد، أو لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر فأُعيد المبتدأ.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ فُسِّر بالجنس. وقيل: نزلت حين كان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب. والعجل والعجلة مصدران وهو تقديم الشيء على

قوله: **(الشماتة)** في مختار الصحاح: الشَّماتة الفرح ببلية العدو، وبابه سَلِم. اهـ. **قوله**: **(وعن ابن ذكوان)** عن عبد الله بن عامر الشامي (﴿تَرْجِعُونَ﴾) بالبناء للفاعل.

قوله: **(أبي جهل)** عمرو بن هشام بن المغيرة، يُكنى أبا الحكم، فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية، قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

وقته، والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه، والعرب تقول لمن يكثُر منه الكرم: «خُلِق من الكرم» فقدَّم أولًا ذمّ الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال: **(ليس ببدع)** منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه و**(سجيَّته)** فقد ركب فيه. وقيل: العجل الطين بلغة **(حمير)** قال شاعرهم:

والنخل ينبت بين الماء والعجل

وإنما منع من الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركَّبها فيه، لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة و﴿مِنْ عَجَلٍۚ﴾ حال أي عجلًا ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ **(نقماتي)** ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالإتيان بها **(وهو بالياء عند يعقوب وافقه سهل وعباس)** في الوصل.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ إتيان العذاب أو القيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قيل: هو أحد وجهي استعجالهم ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ جواب «لو» محذوف و﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾ أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وهو وقت تحيط بهم فيه النار **(من وراء وقدامُ)** فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصرًا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هوَّنه عندهم ﴿بَلْ

قوله: (ليس ببدع) أي غرابة. **قوله**: (سجيته) أي غريزته أي طبيعته. **قوله**: (حمْير) قبيلة. **قوله**: (نقماتي) جمع نقمة بمعنى انتقام. **قوله**: (وهو بالياء) في الحالين **(عند يعقوب)** بن إسحاق البصري وليس من السبعة، **(وافقه سهل)** بن محمد السجستاني وليس من السبعة، (وعباس) بن الفضل عن أبي عمرو البصري رحمه الله في الوصل.

قوله: **(من وراءُ وقدّامُ)** بالرفع كبعد وقبل.

﴿تَأْتِيهِم﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيّرهم أي لا يكفّونها بل تفجأهم فتغلبهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ فلا يقدرون على دفعها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ فحلّ ونزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم﴾ جزاء ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ سَلي رسول الله ﷺ عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء أُسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي من عذابه إن أتاكم ليلًا ونهارًا ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ أي بل هم مُعرضون عن ذكره ولا يُخطِرونه ببالهم فضلًا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا **(الكلاءة)** منه عرفوا من الكالىء وصلحوا للسؤال عنه، والمعنى أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالىء، ثم بيَّن أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذِكر مَن يكلؤهم.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

ثم أضرب عن ذلك بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ لما في «أم» من معنى «بل» فقال: ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا. ثم استأنف بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ فبيّن أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره. ثم قال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منّا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعًا لهم بالحياة الدنيا وإمهالًا كما متّعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم **(الأمد)** فقَسَت قلوبهم وظنّوا أنهم دائمون على ذلك

قوله: **(الكلاءة)** بالكسر والمدّ.

قوله: **(الأمَد)** الزَّمن.

وهو أمل كاذب ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ أي ننقص (أرض الكفر) ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام، وذكر ﴿نَأْتِي﴾ يشير بأن الله يُجريه على أيدي المسلمين وإن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أفكفّار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله ﷺ وأصحابه بنصرنا.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أُخوِّفكم من العذاب القرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ بفتح الياء والميم ورفع الصُّمّ، (﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ **شامي**) على خطاب النبي ﷺ ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ يُخوَّفون. واللام في ﴿ٱلصُّمُّ﴾ للعهد وهو إشارة إلى هؤلاء المنذَرين، والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذَرون فوضع الظاهر موضع المضمر (**للدلالة على تصامّهم**) وسدّهم أسماعهم إذا ما أنذِروا ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ دفعة يسيرة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ صفة لـ ﴿نَفْحَةٌ﴾ ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي ولئن مسّهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقرّوا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصامّوا وأعرضوا، وقد بُولِغ حيث ذكر المسّ والنفحة لأن النفح يدلّ على القلّة يقال نفحه بعطية: (**رضخه بها**)

قوله: (أرض الكفر) فالتعريف للعهد.

قوله: (﴿وَلَا تُسْمِعُ﴾) بضم التاء من فوق وكسر الميم (﴿ٱلصُّمَّ﴾) بالنصب على المفعولية و﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ ثان (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون ﴿يَسْمَعُ﴾ بفتح الياء من تحت والميم ﴿ٱلصُّمُّ﴾ بالرفع على الفاعلية و﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ مفعول به.
قوله: (للدلالة على تصامّهم) التصامّ إظهار الصَّمم بالتكلّف وهو من دلالة الحال لا من اللفظ.اهـ شهاب. وجه الدلالة أن تعريف الصمّ للعهد والمعهود هؤلاء المنذَرون وهم ليسوا بصمّ حقيقةً، فلمّا سُمُّوا صمًّا دلَّ على أنهم شُبِّهوا بالصمّ لتصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون.اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (رضخه بها) في مختار الصحاح: رضخ له أعطاه قليلًا وبابه قطع.

مع أن بناءها للمرة. **(وفي المسّ والنفحة ثلاث مبالغات)** لأن النفح في معنى القلّة **(والنزارة)** يقال: **(نفحة الدابة وهو رمح لين)**، ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جمع ميزان وهو ما يُوزن به الشيء فتعرف كميته. وعن الحسن: هو ميزان له **(كفتان)** ولسان. وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: الآية ٥١] والوزن لصحائف الأعمال في قول ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط، أو على حذف المضاف أي ذوات القسط ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لأهل يوم القيامة أي لأجلهم ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ **(من الظلم)** ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وإن كان الشيء مثقال حبة **(﴿مثقالُ﴾ بالرفع: مدني)** وكذا في «لقمان» على «كان» التامة ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لـ ﴿حَبَّةٍ﴾ ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها. وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم: «ذهبت بعض أصابعه» ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ عالمين حافظين، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لأن مَن حفظ شيئًا حسبه وَعَلَّمَهُ.

قوله: **(وفي المسّ والنفحة ثلاث مبالغات)** الأُولى في لفظ المسّ، والثانية والثالثة في لفظ نفحة من حيث معناها وبناءها. **قوله**: **(والنَّزارة)** بمعنى القلّة. **قوله**: **(نفحة الدابّة)** في المصباح: نفحت الدابّة ضربت بحافرها. اهـ. **قوله**: **(وهو رمح لين)** أي يسير، في المصباح: رمح ذو الحافر رمحًا من باب نفع ضرب برجله. اهـ.

قوله: **(كفتان)** بالكسر والضمّ لغة. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: كَفّة الميزان بكسر الكاف وفتحها، والجمع كِفَف. اهـ. **قوله**: **(من الظلم)** إشارة إلى أنه منصوب على المصدريّة. **قوله**: **(﴿مثقالُ﴾ بالرفع: مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بالنصب على أنها ناقصة واسمها مُضمر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ قيل: هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل، وضياء **(يُستَضاء به)** ويتوصل به إلى سبيل النجاة، وذكر أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس إليه في مصالح دينهم. ودخلت الواو على الصفات كما في قوله: ﴿(وَسَيِّدًا وَحَصُورًا) وَنَبِيًّا﴾ [آل عمران: الآية ٣٩]، وتقول: «مررت بزيد الكريم والعالم والصالح». ولما انتفع بذلك المتقون خصّهم بقوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ومحل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جر على الوَصْفِيَّةِ **(أو نصب على المدح أو رفع عليه بتقديرهم)** ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافونه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال أي يخافونه في الخلاء ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثير الخير **(غزير)** النفع ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ **(استفهام توبيخ)** أي جاحدون أنه مُنَزَّل من عند الله.

قوله: (يُستضاء به) أي يُهتدى به. **قوله: (﴿وَسَيِّدًا﴾)** أي هو الذي يَسُود قومه أي يفوقهم في الشرف، وكان يحيىٰ فائقًا على قومه لأنه لم يَرْتكِبْ سيّئة قطّ، وبابها من سيادة. وقال الجنيد: هو الذي جاد بالكونين عِوضًا عن المكوّن (﴿وَحَصُورًا﴾) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه، أي منعًا لها من الشهوات، كذا أفاده المصنف رحمة الله عليه في سورة آل عمران.

قوله: (أو نصب على المدح) أي أمدح الذين أو أعني الذين. **قوله: (أو رفع عليه بتقديرهم)** أي هم الذين. **قوله: (غزير)** أي كثير، في مختار الصحاح: الغَزَارة الكثرة، وبابه ظرف فهو غزير. اهـ. **قوله: (استفهام توبيخ)** عيّر الله سبحانه وتعالى أهل مكّة بأن القرآن مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الأوصاف مُشتملٌ على أمرٍ زائد على ما فيها وهو كونه معجزًا لاشتماله على الأمور

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ هُداهُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل موسى وهارون أو من قبل محمد عليه السلام ﴿وَكُنَّا بِهِۦ﴾ بإبراهيم أو برشده ﴿عَٰلِمِينَ﴾ أي علمنا أنه أهل لما آتيناه ﴿إِذْ﴾ إما أن تتعلق بـ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ أو بـ ﴿رُشْدَهُۥ﴾، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أي الأصنام المصوَّرة على صورة السِّباع والطيور والإنسان، وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي لأجل عبادتها مقيمون. فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ فقلَّدناهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أراد أن المقلِّدين والمقلَّدين (منخرطون) في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل، وأكد بـ ﴿أَنتُمْ﴾ ليصحّ العطف لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بالجدّ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ أي أجادٌّ أنت فيما تقول أم لاعب استعظامًا منهم إنكاره عليهم واستبعادًا لأن يكون ما هم عليه ضلالًا، فثَمّ أضرب عنهم مخبرًا بأنه جادٌّ فيما قال غير لاعب مثبتًا لربوبية الملك العلّام وحدوث الأصنام بقوله: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ أي التماثيل فأنّى يُعبَد المخلوق ويُترك الخالِق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ المذكور من التوحيد شاهد ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ﴾ أصله «والله» وفي التاء معنى التعجب من تسهيل

العجيبة والبلاغة البديعة وعلى الأدلّة العقلية وبيان الشرائع الحكميّة، فمثل هذا الكتاب لا يتجاسر على إنكاره مَنْ له أدنى تمييز.

قوله: (منخرطون) أي داخلون.

الكيد على يده مع صعوبته وتعذّره لقوة سلطة (نمروذ) ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ لأكسرنّها ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم، قال ذلك سرًّا من قومه فسمعه رجل واحد فعرَّض بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: الآية ٨٩] أي سأسقم ليتخلَّف.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾

فرجع إلى بيت الأصنام ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ **(قطعًا)** من الجذ وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج (﴿جِذاذًا﴾ بالكسر: علي)، جمع جذيذ أي مجذوذ كخفيف وخفاف ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ للأصنام أو للكفّار أي فكسرها كلها **(بفأس)** في يده إلا كبيرها فعلق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيسألونه عن كاسرها فَيَتَبَيَّنُ لهم عجزه، أو إلى إبراهيم ليحتجّ عليهم، أو إلى الله لما رأوا عجز آلتهم ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الكفّار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إن مَن فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة **(الحقيقة)** عندهم بالتوقير والتعظيم.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ **(الجملتان صفتان لـ ﴿فَتًى﴾**

قوله: (نمروذ) بضمّ النون والذال المعجمة، في أمالي ثعلب: نمروذ بالذال المعجمة، وأهل البصرة يقولون: نمرود بالدال المهملة، وعلى هذا عوّل كثيرون فجوَّزوا الوجهين. اسم ملك من الجبابرة معروف.

قوله: (قطعًا) جمع قطعة. **قوله**: (﴿جِذاذًا﴾ **بالكسر عليّ**) الكسائي، والباقون بالضمّ. **قوله**: (بفأس) بالهمز. **قوله**: (**الحقيقة**) الجديرة.

قوله: (**الجملتان صفتان لـ** ﴿فَتًى﴾) هذا إن قيل: إنّ سَمِعَ يتعدّى إلى مفعولٍ واحد فقط، كما إذا دخل على مسموع، فإنه يتعدّى إلى مفعولٍ واحد اتّفاقًا والفعل بعده حال إنْ كان المفعول معرفة؛ كقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول، أو

إلا أن الأول وهو ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ **أي يَعيبُهم لا بدَّ منه للسمع)** لأنك لا تقول: «سمعت زيدًا» وتسكت حتى تذكر شيئًا مما يسمع بخلاف الثاني. وارتفاع ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ بأنه فاعل ﴿يُقَالُ﴾ فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم ﴿قَالُوا۟﴾ أي نمرود وأشراف قومه ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ﴾ أحضِروا إبراهيم ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ في محل الحال بمعنى مُعايَنًا مُشاهَدًا أي **(بمرأى منهم)** ومنظر ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما سمع منه أو بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بيّنة أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

فلما أحضروه ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ﴾ إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ عن الكسائي: إنّهْ يقف عليه، أي فعله من فعله، وفيه حذف الفاعل وإنه لا يجوز، وجاز أن يكون الفاعل مسندًا إلى الفتى المذكور في قوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أو إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ في قوله: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وهو مبتدأ وخبر. والأكثر أنه لا وقف، والفاعل ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ وهذا وصف أو بدل، ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي تبكيتًا لهم وإلزامًا للحجة عليهم لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وأنه لا يصلح إلـٰهًا، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابًا بخط **(رشيق أنيق)**: أأنت كتبت هذا وصاحبك أُمي فقلت له: «بل كتبته أنت» كان قصدك بهذا

صفة إن كان نكرة كما في نحن فيه؛ لأن الذات لا يسمع، وإذا وُصِف بما يسمع يصحّ إيقاع السمع عليه باعتبار وصفه أو حاله. **قوله: (إلا أن الأوّل وهو** ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾، **أي يَعيبُهم لا بدّ منه للسمع)** فإن فتى نفسه ليس من قبيل المسموعات؛ لأن المسموع لا يكون إلّا من قبيل الأصوات، فإذا وُصف بيذكر يكون الوصف قيدًا له، فيرجع السمع إلى القيد. **قوله: (بمرأى منهم)** اسم مكان من الرؤية، ويجوز أن يكون مصدرًا ميميًّا.

قوله: (رشيق) بمعنى حسن لطيف، وأصله في حسن القدّ واللَّطافَةِ. **قوله: (أنيق)** مثل عجيب وزنًا ومعنى.

الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي، لأن إثباته للعاجز منكما والأمر كائن بينكما استهزاء به وإثبات للقادر، ويمكن أن يقال: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفَّة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه، ويجوز أن يكون حكاية **(لما يقود إلى تجويزه مذهبهم)** كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق مَن يعبد ويدعى إلـٰهًا أن يقدر على هذا، ويُحكى أنه قال: غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن، أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الأصنام فيكون نفيًا للمُخبَر عنه أي بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ **(اعتراض)**. وقيل: عرض بالكبير لنفسه وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ عن حالهم ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ وأنتم تعلمون عجزهم عنه.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فرجعوا إلى عقولهم وتفكَّروا بقلوبهم لما **(أخذ بمخانقهم)** ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا مَن ظلمتموه حين قلتم: ﴿مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فإن من لا يدفع عن رأسه الفاس، كيف يدفع عن عابديه **(البأس)**؟ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة أيْ ردّوا إلى الكفر بعد أن أقرّوا على أنفسهم بالظلم، يقال: نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل **(والمكابرة)** وقالوا: ﴿لَقَدْ

قوله: **(لما يقود إلى تجويزه مذهبهم)** أي لما يلزم من مذهبهم جوازه. **قوله**: **(اعتراض)** بين الشرط والجزاء.

قوله: **(أخذ بمخانقهم)** في لسان العرب: أخذتُ بمخنقه، أي موضع الخِناق. اهـ عبارة عن الإلزام. **قوله**: **(البأس)** العذاب. **قوله**: **(والمكابرة)** في المصباح: كابرته مكابرة غالبته مغالبة وعاندته. اهـ. وفي تعريفات السيّد الشريف

عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها؟ والجملة سدّت مسدّ مفعولي ﴿عَلِمْتَ﴾ والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم؟

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ محتجًا عليهم ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ هو في موضع المصدر أي نفعًا ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن لم تعبدوه ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ «أف» صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجّر، (ضجر) مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفّف بهم واللام لبيان المتأفّف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف (﴿أُفٍّ﴾ **مدني وحفص**. ﴿أُفَّ﴾ **مكي وشامي** ﴿أُفِّ﴾ **غيرهم**) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلـٰهًا.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظع ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام منه ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرًا (**مؤزرًا**) فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الإحراق بالنار وإلا (**فرطتم**) في نصرتها، والذي أشار بإحراقه نمرود أو رجل (**من أكراد فارس**).

رحمه الله: المكابرة هي المنازعة في المسألة العلميّة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم. اهـ.

قوله: (**ضجر**) في المصباح: ضجر من الشيء ضجرًا فهو ضجر من باب تعب اغتمّ منه وقلق مع كلام منه، وتضجّر منه كذلك. اهـ. **قوله**: (﴿أُفٍّ﴾) بكسر الفاء منوّنة (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وحفص**: ﴿أُفَّ﴾) بفتح الفاء من غير تنوين (**مكّي**) أي ابن كثير المكي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (﴿أُفِّ﴾) بكسر الفاء بلا تنوين (**غيرهم**).

قوله: (**مؤزّرًا**) بتشديد الزاي المفتوحة الموزر البالغ في القوّة من الأزر وهو القوّة. **قوله**: (**فرّطتم**) قصّرتم. **قوله**: (**من أكراد فارس**) وهم الذين يسكنون

وقيل: إنهم حين همّوا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتًا (**بكُوثى**) وجمعوا شهرًا أصناف الخشب ثم أشعلوا نارًا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو (**من وهجها**)، ثم وضعوه في (**المنجنيق**) مقيّدًا مغلولًا فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله ونِعْمَ الوكيل، وقال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. قال: فسَل ربك. قال: (**حسبي من سؤالي علمه بحالي**). وما أحرقت النار إلا (**وثاقه**). وعن ابن عباس: إنما نجا بقوله: «حسبي الله ونِعْمَ الوكيل».

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ أي ذات برد وسلام فبُولِغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أراد (**ابرُدي**) فيسلم منك إبراهيم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها. والمعنى أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحرّ والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ إحراقًا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فأهلكته ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَلُوطًا﴾ ابن أخيه هارون من العراق ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أرض الشام وبركتها أن أكثر الأنبياء منها فانتشرت في العالمين آثارهم الدينية وهي أرض

البادية، كذا أفاده المحشي. **قوله**: (بكُوثى) ـ بضم الكاف والثاء المثلثة مقصور ـ قرية بالعراق. **قوله**: (من وهجها) في مختار الصحاح: الوَهَج ـ بفتحتين ـ حرّ النار، والوَهْج بسكون الهاء مصدر، قولك: وَهَجت النار من باب وعد، ووَهَجَانًا أيضًا بفتح الهاء أي اتّقدت. اهـ. **قوله**: (المنجنيق) بفتح الميم والجيم في الأشهر آلة معروفة تُرمى بها الحجارة، قيل: اتّخذوه بتعليم من إبليس؛ إذ لم يُصْنع قبله، كذا نُقل عن البحر. **قوله**: (حسبي من سؤالي علمه بحالي) أي يكفيني ويُغنيني عن السؤال، فمِنْ بيانية مقدَّمة. **قوله**: (وثاقه) الذي ربط به الوِثاق بكسر الواو اسم مفرد ما يُشدّ به كالحِزام، وليس جمع وثيقة كما توهّم.

قوله: (ابرُدي) بضم الراء أمر من باب نصر وكرم.

(خصب) يطيب فيها عيش الغني والفقير. وقيل: ما من ماء عذب في الأرض إلا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس. رُوِيَ أنه نزل **(بفلسطين)** ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة. وقال عليه السلام: «إنها ستكون **(هجرة بعد هجرة)** فخيار الناس إلى **(مهاجر إبراهيم)**».

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قيل: هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبنا له هبة: وقيل: هي ولد الولد وقد سأل ولدًا فأُعطيه وأُعطي يعقوب نافلة أي زيادة فضلًا من غير سؤال وهي حال من ﴿يَعْقُوبَ﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ أي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهو المفعول الأول لقوله: ﴿جَعَلْنَا﴾ والثاني ﴿صَٰلِحِينَ﴾ في الدين والنبوّة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يُقتدَى بهم في الدين ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ بوحينا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة **(وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات)** ثم فعل الخيرات. وكذلك قوله:

قوله: **(خصب)** في مختار الصحاح: الخِصْب بالكسر ضد الجَدْب. اهـ. **قوله**: **(بفلسطين)** بكسر فاء وفتح لام كورة معروفة ما بين الأردن وديار مصر، وأُمّ ديارها بيت المقدس. **قوله**: **(هجرة بعد هجرة)** أراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها. اهـ خازن. وقال الطيبي رحمه الله: أي ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى مكة. اهـ. **قوله**: **(مهاجر إبراهيم)** بفتح جيم موضع المهاجرة إلى الشام؛ لأن إبراهيم عليه السلام لمّا خرج من أرض العراق مضى إلى الشام وأقام به.

قوله: **(وأصله[1] أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات)** وإنما كان كذلك لأن كل مصدر ذُكر له معمول فهو بتأويل أن مع الفعل، وإذا أُوِّل به عمل عمله فينوّن

---

(١) لأن استعمال أوحَيْنَا يكون بأن، والفعل فالموحى لا يكون نفس الفعل الذي هو صادر عن فاعله، بل ألفاظ تدلّ عليه. اهـ كمالين. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ والأصل وإقامة الصلاة إلا أن المضاف إليه جعل بدلًا من الهاء ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ لا للأصنام فأنتم يا معشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه في ذلك.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَلُوطًا﴾ انتصب بفعل يفسّره ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة وهي ما يجب فعله من العمل أو فصلًا بين الخصوم أو نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ من أهلها وهي **(سدوم)** ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ اللواطة **(والضراط)** وحذف المارّة بالحصى وغيرها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في أهل رحمتنا أو في الجنة ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقابًا على فسادهم.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَنُوحًا﴾ أي واذكر نوحا ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي دعا على قومه بالهلاك ﴿مِن قَبْلُ﴾ هؤلاء المذكورين ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي دعاءه ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي المؤمنين من ولده وقومه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان ﴿(وَنَصَرْنَـٰهُ) مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ منعناه منهم أي من أذاهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأُنثاهم.

ويذكّر معموله ثم يخفّف بحذف التنوين ويضاف لمعموله وأن تفعل على البناء للمجهول ورفع الخيرات فالمصدر مصدر المجهول والخيرات في قوله: ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٣] مرفوعة أيضًا على القيام مقام فاعله.

قوله: **(سدوم)** المشهور عند أهل اللغة أنه بالدال المهملة، وقد رُوي بالذال المعجمة. **قوله:** **(والضراط)** في المجالس.

(﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾) ضمن معنى المنع فعدّى بمن، ولذا قال المصنف رحمه الله: منعناه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي واذكرهما ﴿إِذْ﴾ بدل منهما ﴿يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ في الزرع أو (الكرم) ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿يَحْكُمَانِ﴾ ﴿نَفَشَتْ﴾ دخلت ﴿فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ ليلًا فأكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم ليلًا بلا راعٍ ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ أرادهما والمتحاكمين إليهما ﴿شَٰهِدِينَ﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منّا.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومة أو الفتوى ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه. وقصته أن الغنم رَعَت الحرث وأفسدته بلا راعٍ ليلًا فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أي قيمةً الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة ـ غير هذا أرفق بالفريقين، (فعزم عليه) ليحكمنَّ فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى ربّ الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادّان. فقال: القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك، وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان في شريعتهم، فأما في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل. وقال (الجصاص): إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها. ونسخ الضمان بقوله عليه السلام:

قوله: (الكَرْم) شجر العنب.

قوله: (فعزم عليه) أي أقسم عليه. **قوله**: (الجصّاص) بفتح الجيم والصاد المشدّدة المهملة وفي آخرها صاد أخرى، هو أحمد بن علي الرازي يُكنى بأبي بكر صاحب التصانيف في الفروع والأُصول، له شرح مختصر الكرخي وشرح مختصر الطحاوي وغيرهما، تفقّه على أبي الحسن الكرخي وإليه انتهت رئاسة أصحاب أبي حنيفة ببغداد بعد الشيخ أبي الحسن الكرخي، وكانت ولادته سنة خمس وثلاثمائة،

(«**العجماء جبار**»). وقال (**مجاهد**): كان هذا صلحًا وما فعله داود كان حكمًا والصلح خير ﴿وَكُلًّا﴾ من داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ معرفة بموجب الحكم ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ وذللنا ﴿مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلًا قال: كيف سخَّرهنَّ؟ فقال: يسبحن ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوف على الجبال أو مفعول معه، وقدّمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لأنها جماد. رُوِيَ أنه كان يمرّ بالجبال مسبّحًا وهي تُجاوِبُه: وقيل: كانت تسير معه حيث سار ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجبًا عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي عمل اللبوس والدروع (**واللبوس اللباس**) والمراد الدرع (﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ **شامي وحفص أي الصنعة، وبالنون: أبو بكر وحماد**) أي الله عزَّ وجلّ، وبالياء: غيرهم أي اللبوس أو الله عزَّ وجلّ ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ من حرب عدوكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر أي فاشكروا الله على ذلك.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ حال أي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لأنها تجري باختيار فكانت في وقت رخاء وفي

ومات ببغداد سنة سبعين وثلاثمائة. **قوله**: (العَجْماء) أي البهيمة (**جبار**) بضمّ جيم وخفّة موحدة الهدر أي البهيمة إذا أتلفت شيئًا نهارًا ولم يكن معها سائق ولا قائد لا يضمن. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ من كبار التابعين.

قوله: (واللّبوس اللّباس) أي يُطلق على ما يُلبس، درعًا كان أو غيره. **قوله**: (﴿لِتُحْصِنَكُم﴾) بالتاء على التأنيث (شامي) أي ابن عامر الشامي، (**وحفص أي الصنعة، وبالنون**: أبو بكر) شعبة عن عاصم، (**وحماد**) بن أحمد عن حمزة.

وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بأمر سليمان ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأنهار والأشجار والثمار والمراد الشام، وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي وسخرنا منهم ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحار بأمره لاستخراج الدرّ وما يكون فيها ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي دون الغوص وهو بناء **(المحاريب والتماثيل)** والقصور والقدور **(والجفان)** ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ **(أن يزيغوا)** عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخّرون فيه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي واذكر أيوب ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي دعا بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ الضّرّ بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض أو **(هزال)** ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرّح بالمطلوب فكأنه قال: أنت أهل أن ترحم وأيوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضّرّ الذي مسّه. عن **(أنس)** رضي الله عنه:

قوله: (المحاريب) أبنيته مرتفعة يصعد إليها بدرج. **قوله: (والتماثيل)** جمع تمثال، وهو كل شيء مثله بشيء أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتّخاذ الصور حرامًا في شريعته. **قوله: (والجفان[1])** جمع جفنة كالقَصْعة. **قوله: (أن يزيغوا)** أي يعدلوا.

قوله: (هزال) الهُزال ضدّ السِّمن، يقال: هُزِلت الدابة على ما لم يُسمّ فاعله هُزالًا وهَزَلها صاحبها من باب ضرب، فهي مَهْزُولة. اهـ. **قوله: (أنس)** بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجيّ خادم رسول الله ﷺ خَدَمَه عشر سنين، صحابي مشهور مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة رضي الله

(١) القدر الكبير، ١٢ منه.

أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على **(النهوض)** إلى الصلاة ولم يشتكِ وكيف يشكو من قيل له ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: الآية ٤٤]، وقيل: إنما شكا إليه تلذّذًا بالنجوى لا منه تضرّرًا بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البُعْد.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أجَبْنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ فكشفنا ضُرَّه إنعامًا عليه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ رُوِيَ أن أيوب عليه السلام كان روميًّا من ولد إسحٰق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة **(فدان)** يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين، وقالت له امرأته يومًا: لو دعوت الله عزَّ وجلّ. فقال: كم كانت مدة **(الرخاء)**؟ فقالت: ثمانين سنة. فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ هو مفعول له ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ يعني رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيُثابوا كثوابه.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَإِدْرِيسَ﴾ بن شيت بن آدم ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ أي اذكرهم وهو إلياس أو زكريا أو يوشع بن نون، وسُمِّي به لأنه ذو الحظ من

تعالى عنه. **قوله**: **(النهوض)** في مختار الصحاح: نهض قام وبابه قطع وخضع. اهـ.

قوله: **(فدان)** في المصباح: الفدّان بالتثقيل آلة الحرث، ويُطلق على الثورين يُحرث عليهما في قران، وجمعه فدادين وقد يخفّف فيُجمع على أفْدِنة وفُدُن. اهـ. وفي مختار الصحاح: الفدّان آلة الثورين للحرث، وقال أبو عمرو: هي البقر التي تحرث، والجمع الفَدَادين مخففًا. **قوله**: **(الرخاء)** بالمدّ المراد به عدم البلاء.

الله والكفل الحظ ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي هؤلاء المذكورة كلهم موصوفون بالصبر.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ﴾ نبوّتنا أو النعمة في الآخرة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي ممّن لا (**يشوب**) صلاحهم (**كدر الفساد**).

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف إليه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ حال أي (**مُراغمًا**) لقومه. ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها. رُوِيَ أنه (**بَرِم**) بقومه لطول ما ذكَّرهم فلم يتّعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبًا لله وبُغضًا للكفر وأهله وكان عليه أن يُصابِر وينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتُلِي ببطن الحوت ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ﴾ نضيِّق ﴿عَلَيْهِ﴾ وعن (**ابن عباس رضي الله عنهما**) أنه دخل يومًا على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن

قوله: (يشوب) في مختار الصحاح: الشَّوْب الخلط، وبابه قال. **قوله**: (كدر الفساد) في مختار الصحاح: الكَدَر ضدّ الصفو وبابه طرب وسَهُل فهو كَدِر وكَدْر مثل فَخِذ وفَخْذ.

قوله: (مراغمًا) في مختار الصحاح: المراغمة المغاضَبة، يقال: راغم فلان قومه إذا نابذهم وخرج عنهم.اهـ. **قوله**: (بَرِم) أي ملّ. **قوله**: (ابن عباس رضي الله عنهما) أي عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحِبْر لسِعَة عِلْمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة، من فقهاء الصحابة.

(البارحة) فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خَلاصًا إلا بك. قال: وما هي يا **(معاوية)**؟ فقرأ الآية. فقال: أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ قال: هذا **(من القدر)** لا من القدرة ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: الآية ١٧] أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ﴿أَن﴾ أي بأنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ أو بمعنى أي ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي في الحديث (**«ما من مكروب**) يدعو بهذا الدعاء إلا استُجيب له». وعن **(الحسن)**: ما نجّاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ غم الزلّة والوحشة والوحدة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا دعونا واستغاثوا بنا. (﴿نجى﴾ **شامي وأبو بكر**) بإدغام النون في الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم في الجيم. وقيل: تقديره نجى النجاء

قوله: (معاوية) رضي الله عنه ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُميّة الأُموي أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ستّين وقد قارب الثمانين. اهـ تقريب. **قوله**: **(البارحة)** في المصباح: برح الشيء يبرح من باب تعب براحًا زال من مكانه، ومنه قيل لليلة الماضية البارحة، والعرب تقول: قبل الزّوال فعلنا الليلة كذا لقُرْبها من وقت الكلام، وتقول بعد الزوال: فعلنا البارحة. اهـ. **قوله**: **(من القدر)** يقال: قدر على عياله قدرًا، قال الله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرّعد: الآية ٢٦]، أي يضيّق، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطّلاق: الآية ٧] أي ومن ضيّق. **قوله**: **(ما من مكروب)** أي واقع في كرب وشدّة، رواه الحاكم والترمذي وصحّحاه. **قوله**: **(الحسن)** البصري كان من سادات التابعين وكُبرائهم رضي الله تعالى عنه.

قوله: (﴿نجى﴾) بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم وسكون الياء **(شامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وأبو بكر)** شعبة، والباقون بضم النون الأُولى وإسكان الثانية وتخفيف الجيم من أنْجى.

المؤمنين فسكن الياء تخفيفًا وأسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز، وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات. وقيل: أصله «ننجي» من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين في ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [القدر: الآية ٤].

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ (لَا تَذَرْنِى) فَرْدًا﴾ سأل ربه أن يرزقه ولدًا يرثه ولا يدعه وحيدًا بلا وارث، ثم ردّ أمره إلى الله مستسلمًا فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي فإن لم ترزقني مَن يرثني فلا أُبالي فإنك خير وارث أي باقٍ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ ولدًا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ جعلناها صالحة للولادة **(بعد العقار أي بعد عقرها)** أو حسنة وكانت سيئة الخُلُق ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الأنبياء المذكورين ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي أنهم إنما استحقّوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومُسارعتهم في تحصيلها ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي طمعًا وخوفًا كقوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٩] وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا والرهبة منّا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ متواضعين خائفين.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَٱلَّتِىٓ﴾ أي واذكر التي ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من الحلال والحرام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في

قوله: (﴿لَا تَذَرْنِى﴾) وإن كان على صورة النهي إلّا أن مثل هذه العبارة إذا كان من العبد للسيّد يكون تضرّعًا وتعوّذًا ودعاء. **قوله**: **(بعد العقار أي بعد عقرها)** في لسان العرب: العَقْر والعُقْر العُقْم وهو استِعْقام الرَّحم وهو أن لا تحمل، وقد عقرت المرأة عَقارة وعِقارة وعقرت تَعْقِر عَقْرًا وعُقْرًا وعَقِرت عقارًا، وهي عاقر. اهـ.

جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها، وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾ مفعول ثانٍ ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ وإنما لم يقل آيتين كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: الآية ١٢] لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل، أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فـ ﴿ءَايَةً﴾ مفعول المعطوف عليه ويدلّ عليه قراءة من قرأ ﴿ءَايَتَيْنِ﴾.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لأمة الملّة وهذه إشارة إلى ملّة الإسلام وهي ملّة جميع الأنبياء. و﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال أي متوحّدة غير متفرقة والعامِلُ ما دلّ عليه اسم الإشارة أي أن ملّة الإسلام هي ملّتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يُشار إليها ملّة واحدة **(غير مختلفة)** ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي ربيتكم اختيارًا فاعبدوني شكرًا وافتخارًا والخطاب للناس كافّة.

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أصل الكلام وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، والمعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا وصاروا فرقًا وأحزابًا. ثم توعَّدهم بأن هؤلاء الفِرَق المختلفة ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ فنجازيهم على أعمالهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ شيئًا ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي فإن سعيه مشكور مقبول **(والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه**

قوله: **(غير مختلفة)** تفسير لكونها واحدة.

قوله: **(والكفران مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه)**، فيكون من قبيل الاستعارة التمثيلية، وإنما لم يحمل على معناه الحقيقي لأن حقيقة الشكر هي الثناء على المُحسن على ما أوْلاه من المعروف، وهذا في حقّ الله تعالى محال؛ فشبَّه معاملته مع مَنْ أطاعه وعمل صالحًا بثناء مَنْ قد أحسن إليه غَيْره

وقد **نفى نفي الجنس**) ليكون أبلغ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للسعي أي الحَفَظَة بأمرنا ﴿كَٰتِبُونَ﴾ في صحيفة عمله فنثيبه به.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَحَرَٰمٌ﴾ (﴿وحِرْم﴾ **كوفي غير حفص وخلف**) وهما لغتان كحل وحلال وزنًا وضدّه معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ والمعنى ممتنع على مهلك غير ممكن أن لا يرجع إلى الله بالبعث، أو حرام على قرية أهلكناها أي قدَّرنا إهلاكهم أو حكمنا بإهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور أنهم لا يرجعون من الكفر إلى الإسلام.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ (**هي التي يُحكى بعدها الكلام**)، والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني ﴿إِذَا﴾ و«ما» في حيِّزها ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي فتح سدّهما فحذف المضاف (**كما حذف المضاف إلى قرية** ﴿فُتّحت﴾: **شامي**) وهما قبيلتان من جنس الإنس. يقال: الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج ﴿وَهُم﴾ راجع إلى الناس المَسوقين إلى المحشر. وقيل: هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ (**نشز**) من الأرض أي ارتفاع ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون.

وأوْلاه من معروفه، ثم استعمل في جانب المشبّه ما كان مُستعملًا في المشبّه به من لفظ الشكور وفي عكسه الكفران بعين هذا التأويل. **قوله**: (**وقد نفى نفي الجنس**) أي قيل: لا كفران دون لا نكفر؛ لأن نفي الجنس مُستلزم له وأبلغ لعمومه.

قوله: (﴿وحِرْم﴾) بكسر الحاء وسكون الراء بلا ألف (**كوفي غير حفص، وخلف**) أي أبو بكر وحمزة والكسائي، والباقون بفتح الحاء والراء وبألف **بعدهما**.

قوله: (**كما حذف المضاف إلى قرية**) في قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ أي على أهلها. **قوله**: (**هي التي يُحكى بعدها الكلام**) يعني أنها ابتدائية لا جارّة كما ذهب إليه بعضهم. **قوله**: (﴿فُتّحت﴾) بتشديد التاء الأُولى (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالتخفيف. **قوله**: (نشز) ـ بفتحتين آخره زاي معجمة ـ ما ارتفع من الأرض.

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي القيامة وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ وهي «إذا» المُفاجِئة وهي تقع في المُجازاة (سادّة مسدّ الفاء) كقوله: ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٦] فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط (فيتأكد)، ولو قيل فهي شاخصة أو إذا هي شاخصة كان سديدًا وهي ضمير مُبهَم يوضحه الأبصار ويفسره ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي مرتفعة (الأجفان) لا تكاد (تطرف) من هَول ما هم فيه ﴿يَٰوَيۡلَنَآ﴾ متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا و﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها.

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾

﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتّباعهم خطواتهم في حكم عِبادَتِهم ﴿حَصَبُ﴾ حطب (وقرىء ﴿حطب﴾) ﴿جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ فيها داخلون ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾ ما دخلوا النار ﴿وَكُلّٞ﴾ أي العابد

قوله: (سادّة مسدّ الفاء) الجزائية، أي في الربط وليست عِوَضًا عنها حتى يلزم الجمع بين العوض والمعوض. **قوله**: (فيتأكد) أي يتقوّى الوصل بلا محذور. **قوله**: (الأجفان) جفن العين غطاؤها من أعلاها وأسفلها. اهـ مصباح. **قوله**: (تطرف) في مختار الصحاح: طرف بصره من باب ضرب إذا أطبق أحد جَفْنَيْه على الآخر. اهـ.

قوله: (وقرىء) في الشواذ (﴿حطب﴾) قرأه عليّ بن أبي طالب وعائشة عليهما السلام وابن الزبير وأُبيّ بن كعب وعكرمة رضي الله تعالى عنهم، وقرىء في الشواذ أيضًا: «حَضَبَ» بالضاد المعجمة بمعنى الحطب قارئه ابن عباس رضي

والمعبود ﴿فِيهَآ﴾ في النار ﴿خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ﴾ للكفار ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ (أنين) وبكاء و(عويل) ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئًا ما لأنهم صاروا صُمًّا وفي السَّماع نوع أنس فلم يعطوه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة فنزلت جوابًا لقول (ابن الزبعري) عند تلاوته عليه السلام على (صناديد قريش) ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ أليس اليهود عبدوا عزيرًا، والنصارى المسيح، (وبنو مُلَيْح) الملائكة على إن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لا يتناولهم لأن «ما» لمن لا يعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد في البيان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعني عزيرًا والمسيح والملائكة ﴿عَنْهَا﴾ عن جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ لأنهم لم يرضوا بعبادتهم. وقيل: المراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ جميع المؤمنين لما رُوِيَ أن (عليًا) رضي الله

الله تعالى عنهما. **قوله**: (أنين) في المصباح: أنّ الرجل يئنّ بالكسر أنينًا وأُنانًا بالضمّ صَوّت، فالذكر آنّ على فاعل والأُنثى آنّة. اهـ. **قوله**: (عويل) في مختار الصحاح: العَويل رفع الصوت بالبكاء. اهـ.

قوله: (ابن الزِّبَعْري) بكسر الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح الرّاء المهملة والقصر، معناه سيِّىء الخلق الغليظ، وهو لقب والد عبد الله القرشيّ، وهو شاعر وقد أسلم بعد هذه القصّة وصار من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (صناديد قريش) أي أشرافهم وعُظمائهم الواحد صِنْديد. **قوله**: (وبنو مُلَيْح) بطن. اهـ لسان العرب. وفي تاج العروس: بنو مُلَيْح كزبير حيّ من خزاعة، وهم بنو مليح بن عمرو بن ربيعة، وعمرو هو جماع خزاعة. اهـ. **قوله**: (عليًا) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته، من السابقين الأوّلين المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وسِتّون سنة على الأرجح.

عنه قرأ هذه الآية ثم قال: «أنا منهم و(**أبو بكر**) و(**عمر**) و(**عثمان**) و(**طلحة**) و(**الزبير**) و(**سعد**) و(**عبد الرحمٰن بن عوف**)». وقال (**الجنيد**) رحمه الله: سبقت لهم منّا العناية في البداية ظهرت لهم الولاية في النهاية.

قوله: (**أبو بكر** ﷺ) في التقريب: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي، أبو بكر بن قحافة الصدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة. اهـ. **قوله**: (**عمر**) بن الخطاب بن نُفَيل ـ بنون وفاء مصغرًا ـ ابن عبد العزى بن رباح ـ بتحتانية ـ ابن عبد الله بن قرط ـ بضم القاف ـ ابن رزاح ـ براء ثم زاي خفيفة ـ ابن عديّ بن كعب القرشي العدويّ، أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب، استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا. **قوله**: (**عثمان**) بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس الأُمويّ أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأوّلين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشّرة، استشهد في ذي الحجّة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكان خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون، وقيل أكثر وقيل أقلّ. **قوله**: (**طلحة**) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي، أبو محمد المدني، أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ستّ وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستّين. **قوله**: (**الزبير**) بن العوام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، قُتِل سنة ستّ وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله**: (**سعد**) بن أبي وقّاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، أبو إسحٰق أحد العشرة وأوّل من رَمى بسهم في سبيل الله ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور وهو آخر العشرة وفاةً. **قوله**: (**عبد الرحمٰن بن عوف**) بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي الزهري، أحد العشرة أسلم قديمًا ومناقبه شهيرة، ومات سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك. **قوله**: (**الجنيد**) بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج، فلذلك يقال له القواريريّ، وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته، وهو ابن عشرين سنة، صحب

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها الذي يحسّ وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الإبعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها وصوت مَن فيها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَالِدُونَ﴾ مُقيمون والشهوة طلب النفس اللذة ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تستقبلهم الملائكة مُهنّئين على أبواب الجنة يقولون: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)﴾

العامل في ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ أو ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ﴾ (﴿**تطوى السماء**﴾ **يزيد**)، وطيّها (**تكوير نجومها**) ومحو رسومها أو هو ضدّ النشر نجمعها ونطويها ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ أي لصحيفة (﴿لِلْكُتُبِ﴾ **حمزة وعلي وحفص**) أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة (**وغيرهم** ﴿**للكتاب**﴾) أي كما يطوى (**الطوما**) للكتابة، أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب. وقيل: السجل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا رُفِعَت إليه.

خاله السرّي والحارث المحاسبي ومحمد بن عليّ القصاب، مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

قوله: («**تُطوَى السماء**») بضم التاء من فوق على التأنيث وفتح الواو مبنيًا للمفعول، والسماء بالرفع نائب الفاعل. (**يزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة، والباقون بنون العظمة والسماء بالنصب مفعول به. **قوله**: (**تكوير نجومها**) أي ذهاب ضوئها. **قوله**: (﴿لِلْكُتُبِ﴾) بضمّ الكاف والتاء بلا ألف على الجمع (**حمزة وعليّ وحفص**). **قوله**: (**وغيرهم**: «**للكتاب**») بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد والرسم يحتملهما. **قوله**: (**الطوما**) الذي يُكتب فيه.

(وقيل: **كاتب كان لرسول الله ﷺ**). والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطّي مضاف إلى الفاعل وعلى الأول إلى المفعول ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ انتصب الكاف بفعل مضمر يفسّره ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ و«ما» موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرف لـ ﴿بَدَأْنَآ﴾ أي أول ما خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى. وأول الخلق إيجاده أي فكما أوجده أو لا يعيده ثانيًا تشبيهًا للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء. والتنكير في ﴿خَلْقٍ﴾ مثله في قولك: «هو أول رجل جاءني» تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلًا رجلًا فكذلك معنى ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ﴿وَعْدًا﴾ مصدر مؤكد لأن قوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ عِدَة للإعادة ﴿عَلَيْنَآ﴾ أي وعدًا كائنًا لا محالة ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك أي محقّقين هذا الوعد فاستعدوا له وقدّموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال.

قوله: (وقيل: **كاتب كان لرسول الله ﷺ**) قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب؛ هذا قول واهٍ جدًّا؛ لأنه لم يعرف أحد من الصحابة اسمه سجل. اهـ. وقال العلّامة شيخ زاده ﵀: وهو بعيد؛ لأن كتّاب رسول الله عليه الصّلاة والسّلام كانوا رجالًا معروفين وليس منهم مَنْ سُمّي بهذا الاسم. اهـ. وقال العلّامة الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح البخاري في الإصابة في تمييز الصحابة: سنجل كاتب النبيّ ﷺ، أخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: السجل كاتب النبيّ ﷺ، وروى النسائي من وجه آخر عن أبي الجوزاء عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] قال: السجل هو الرجل، زاد ابن مردويه: والسجل هو الرجل بالحبشة، وروى ابن مردويه وابن منده عن طريق حمدان بن سعيد عن ابن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر، قال: كان للنبيّ ﷺ كاتب يقال له السجل، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤]، وأخرجه أبو نعيم لكن قال حمدان بن علي: ووهم ابن منده في قوله ابن سعيد، قال ابن منده: تفرّد به حمدان.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ كتاب داود عليه السلام ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ التوراة ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي الشام ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ﴾ ساكنة الياء: حمزة غيره بفتح الياء ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أي أمة محمد عليه السلام، أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الأنبياء من الكتب. والذِّكر أم الكتاب يعني اللوح لأن الكل أخذوا منه. دليله **(قراءة حمزة وخلف بضم الزاي)** على **(جمع الزُّبر)** بمعنى المزبور والأرض أرض الجنة.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ أي القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ ﴿لَبَلَٰغًا﴾ لكفاية وأصله **(ما تبلغ به البغية)** ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ مُوَحِّدين وهم أمة محمد عليه السلام ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ قال عليه السلام: «إنما أنا رحمة مهداة» ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتّبعوه ومَن لم يتّبع فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيّع نصيبه منها. وقيل: هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها. وقيل: هو رحمة

قلت: إن كان هو ابن عليّ، فهو ثقة معروف واسمه محمد بن علي بن مهران، وكان من أصحاب أحمد، ولكن قد رواه الخطيب في ترجمة حمدان بن سعيد البغدادي من تاريخه، فرجحت رواية ابن منده، ونقل عن البرقاني[1] أن الأزدي قال: تفرّد به ابن نمير.

قلت: ابن نمير من كبار الثقات، فهذا الحديث صحيح بهذه الطرق، وغفل من زعم أنه موضوع، انتهى بحروفه.

قوله: **(قراءة حمزة وخلف بضمّ الزاي)** والباقون بالفتح. **قوله**: **(جمع الزِّبْر)** بالكسر كقِدْر وقُدُور.

قوله: **(ما تُبلَغ به البغية)** أي المطلوب.

---

(١) بكسر الباء وكثيرًا ما يقال بالفتح، ١٢ منه رحمه الله.

للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف. و﴿رَحْمَتَ﴾ مفعول له أو حال أي ذا رحمة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ **(إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم)** نحو: «إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد». وفاعل ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ والتقدير يُوحَى إليَّ وحدانية إلٰهي، ويجوز أن يكون المعنى أن الذي يُوحَى إليَّ فتكون «ما» موصولة ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر أي أسلموا ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإسلام ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم ما أمرت به ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال أي مستوين في الإعلام به ولم أُخصّص بعضكم، وفيه دليل بُطلان مذهب الباطنية ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يُطلعني عليه ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة، أو لا أدري متى يحلّ بكم العذاب إن لم تؤمنوا.

قوله: (إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم)... الخ. يعني أن كلمة إنما سواء كانت مفتوحة الهمزة أو مكسورتها قد تكون لقصر الحكم على الشيء، نحو: إنما يقوم زيد، وقد تكون لقصر الشيء على الحكم، نحو: إنما زيدٌ قائم؛ فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ الآية من قبيل قصر الحكم على الشيء حيث يدلّ على أن حكم ما يُوحى إليه عليه الصّلاة والسلام منحصر في مضمون قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، فإنه في محلّ الرفع على أنه قائم مقام فاعل الفعل السابق؛ إذ التقدير: إنما يوحى إليّ وحدانية الله تعالى، وأنّ قوله: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد، أي يقوم زيد لا غير، فكأنه قيل: لم يُوحَ إليّ شيء إلّا التوحيد، ولما ورد أن يقال: كيف يصح هذا مع الحصر مع أنه قد أُوحي إليه أشياء غير التوحيد؟ أشار القاضي البيضاوي رحمه الله إلى دفعه بقوله: وذلك؛ لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصورٌ على التوحيد.اهـ. يعني أن ما ذكر إنما يرد على تقدير أن يكون الحكم المقصود ما أُوحي إليه مطلقًا، وليس كذلك؛ بل المراد ما أُوحي إليه مقصودًا بالقصد الأصليّ الأوّليّ. وقوله

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ إنه عالِم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام وما تكتمونه في صدوركم من (**الأحقاد**) للمسلمين وهو مُجازيكم عليه.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ اقضِ بيننا وبين أهل مكة بالعدل، أو بما يحق عليهم من العذاب (**ولا تُحابهم**) وشدِّد عليهم كما قال: («**واشدد وطأتك على مضر**»). ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾ **حفص**) على حكاية قول رسول الله ﷺ: (﴿**ربُّ احكم**﴾) يزيد

تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ من قبيل قصر الشيء على الحكم بمنزلة: إنما زيد قائم، أي لا يفعل زيد سوى القيام. فإن قلت: هذا الحصر يستلزم أن لا يكون الله تعالى موصوفًا بغير الوحدانية، مع أنّ قوله تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى؛ فالجواب: أن الحصر ليس حقيقيًّا، إذ المقصود نفي ما يصفه المشركون.

قوله: (**الأحقاد**) في المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء، وحَقَد عليه من باب ضرب، وفي لغة من باب تعب، والجمع أحقاد. اهـ.

قوله: (**ولا تُحابهم**) في المصباح: حاباه محاباة سامحه. اهـ. **قوله**: (**واشْدُد**) بهمزة وصل (**وَطْأتك**) بفتح واو وسكون طاء وبهمزة أي عقوبتك (**على مُضَر**) أي على كفار قريش أولاد مُضَر. **قوله**: (﴿قَٰلَ رَبِّ﴾) بصيغة الماضي (**حفص**)، والباقون قل بصيغة الأمر. **قوله**: (﴿**ربُّ احكم**﴾) بضمّ الباء على أحد اللغات الجائزة في المضاف لياء المتكلّم، نحو: يا غلامي، تبنيه على الضمّ، وتنوي الإضافة وليس منادى مفردًا؛ لأنه ليس من نداء النكرة. المقبل عليها،

(﴿ربي أحكَمُ﴾ زيد عن يعقوب) ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ العاطف على خلقه ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (وعن ابن ذكوان بالياء)، كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذَّب الله ظنونهم وخيَّب آمالهم ونصر رسولَ الله ﷺ والمؤمنين (**وخذلهم**) أي الكفَّار وهو المُستَعان على ما يصفون.

يزيد، هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة، والباقون بكسر الباء اجتزاءً بالكسرة عن ياء الإضافة، وهي الفصحى. **قوله**: (﴿ربيَ أحكَمُ﴾) بياء ثابتة وفتح الألف والكاف ورفع الميم على أنه مبتدأ **أحكم** على صيغة التفضيل (**زيد عن يعقوب**) بن إسحٰق، وليس من السبعة. **قوله**: (**وعن ابن ذكوان**) عن عبد الله بن عامر الشامي (بالياء) من تحت على الغيب من تحت الصوري، والباقون بالتاء من فوق على الخطاب وهي رواية الأخفش عن ابن ذكوان. **قوله**: (**وخذلهم**) أي الكفار، وهو المستعان على ما يصفون، والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّت سورة الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام،
وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحجّ مستعينًا بالله تعالى

سورة الحج

(مكية وهي ثمان وسبعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أمر بني آدم بالتقوى، ثم علَّل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوَّروها بعقولهم حتى **(يبقوا على أنفسهم)** ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردّي بلباس التقوى الذي يؤمِّنهم من تلك الأفزاع. والزلزلة شدة التحريك **(والإزعاج)**، وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تزلزل الأرض على المجاز الحكمي، أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣] ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الحجّ** مكية، **وهي ثمان وسبعون آية**) وألف ومائتان وإحدى وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسة وسبعون حرفًا. اهـ خازن.

قوله: (**يبقوا على أنفسهم**) أي يترحموا عليها، في مختار الصحاح: أبقى على فلان إذا رعى عليه ورَحِمَه. اهـ. **قوله**: (**والإزعاج**) عطف تفسيري.

الشمس من مغربها، ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئًا فإن هذا اسم لها حال وجودها.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

وانتصب ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أي الزلزلة أو الساعة بقوله: ﴿تَذْهَلُ﴾ تغفل. و(**الذهول**): الغفلة ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل. وقيل: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذ المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي (**والمرضع**) التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حبلى ﴿حَمْلَهَا﴾ ولدها قبل تمامه. عن الحسن: تذهل المُرضِعَة عن ولدها (**لغير فِطام**) وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ أيها الناظر ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ على التشبيه لما شاهدوا بساط العزّة وسلطنة (**الجبروت**) و(**سرادق**) الكبرياء حتى قال كل نبي: نفسي نفسي ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ على التحقيق ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطيّر تمييزهم وردهم في نحو حال مَن يذهب السُّكْر بعقله وتمييزه. وعن الحسن: وترى الناس سكارى من الخوف وما هم

قوله: (**الذُهول**) بالضمّ. **قوله**: (**والمرضع**) بلا تاء. **قوله**: (**لغير فِطام**) في مختار الصحاح: فطام الصبي فِصاله عن أُمّه، يقال: فطمت الأُمّ ولدها تَفْطِم بالكسر فِطامًا فهو فطيم. اهـ. وفي المصباح: فطمت المرضع الرضيع فطمًا من باب ضرب فصلته عن الرّضاع، فهي فاطمة والصغير فطيم، والجمع فُطُم ـ بضمّتين ـ مثل بريد وبُرُد، وأفطم الصبيّ دخل في وقت الفطام، مثل أحصد الزّرع إذا حان حصاده. اهـ.

قوله: (**الجبروت**) بفتح الباء أي الكِبْر. **قوله**: (**سرادق**) في المصباح: السرادق ما يُدار حول الخيمة من شُقَق بلا سقف، والسرادق أيضًا ما يُمَدّ على صحن البيت، وقال الجوهري: كل بيت من كرسف سرادق، وقال أبو عبيدة: السرادق الفسطاط. اهـ.

بسكارى من الشراب. (﴿سَكْرى﴾ فيهما بالإمالة: **حمزة وعلي**) وهو كعطشى في عطشان. رُوِيَ أنه نزلت الآيتان ليلًا في (**غزوة بني المصطلق**) فقرأهما النبي عليه السلام فلم يرَ أكثر باكيًا من تلك الليلة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ في دين الله ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ حال. نزلت في (**النضر بن الحارث**) وكان جدلًا يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن: أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من (بلي)، أو هي عامّة في كل مَن يخاصم في الدين بالهوى ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في ذلك ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ عاتٍ مستمر في الشر. ولا وقف على ﴿مَّرِيدٖ﴾ لأن ما بعده صفته.

قوله: (﴿سَكْرى﴾) بفتح السين وإسكان الكاف مع حذف الألف (**فيهما بالإمالة**) جمع سكران (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون بضمّ السين وفتح الكاف مع الألف على وزن كسالى، فهو جمع سكران أيضًا، وقيل: اسم جمع. وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو وورش بين بين، والباقون بالفتح. **قوله**: (**غزوة بني المصطلق**) ـ بضمّ الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام بعدها قاف ـ لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خزاعة ـ بضمّ الخاء وفتح الزاي المخفّفة ـ قال في القاموس: حيّ من الأزد، وسُمُّوا بذلك لأنهم تخزعوا أي تخلّفوا عن قومهم وأقاموا بمكّة، وسمّي جذيمة بالمصطلق لحُسْن صوته، وهو أوّل مَنْ غنى مِنْ خُزاعة، والأصل في مصطلق مصتلق بالتاء الفوقية فأُبدلت طاء لأجل الصاد، وهي غزوة المريسيع ـ بضمّ الميم وفتح الراء وسكون التحتية وكسر السين المهملة بعدها تحتية ساكنة فعين مهملة ـ قال في القاموس: مصغر مرسوع بئر أو ماء لخزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم. وإليه تُضاف غزوة بني المصطلق وفيه سقط عقد عائشة، ونزلت آية التيمّم.

قوله: (**النضر بن الحارث**) قُتل يوم بدر. **قوله**: (بَلي) في المصباح: بَلِي الثوب يَبْلى من باب تَعِب، بِلى ـ بالكسر والقصر ـ وبلاء بالفتح والمدّ خَلِق، فهو بالٍ وبلى الميت أفْنَتْه الأرض. اهـ.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه أي تبع الشيطان ﴿فَأَنَّهُ﴾ فأن الشيطان ﴿يُضِلُّهُ﴾ عن سواء السبيل ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ النار. قال (الزجّاج): الفاء في فأنه للعطف و«أن» مكررة للتأكيد. وردَّ عليه (أبو علي) وقال: إن «من» إن كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط، وإن كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير: فالأمر أنه يضلّه. قال: والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول، والمعنى كتب على الشيطان إضلال مَن تولّاه وهدايته إلى النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾

ثم ألزم الحجة على مُنكِري البعث فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ يعني إن ارتبتم في البعث فمُزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء ترابًا وماءً، وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا وهو صيرورة الخلق ترابًا وماءً ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقتم ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي قطعة دم جامدة ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ أي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة (المُسوّاة) الملساء من النقصان والعيب كأن الله عزّ وجلّ يخلق المضغة متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم. وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله. **قوله**: (أبو عليّ) الحسن بن أحمد بن غفار الفارسي النحويّ. رحمه الله.

قوله: (المسوّاة) بالتشديد الملساء، أي لا شيء بها.

إلى خلقة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ بهذا التدريج كمال **(قدرتنا وحكمتنا)**، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولًا ثم من نطفة ثانيًا ـ ولا مناسبة بين التراب والماء ـ وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظامًا قادر على إعادة ما بدأه ﴿وَنُقِرُّ﴾ **(بالرفع عند غير المفضل)** مستأنف بعد وقف. أي نحن نثبت ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ثبوته ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من الرحم ﴿طِفْلًا﴾ حال وأريد به **(الجنس الصادق)** فلذا لم يجمع، أو أُريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلًا ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ ثم نربّيكم لتبلغوا ﴿أَشُدَّكُمْۖ﴾ كمال عقلكم وقوتكم **(وهو)** من ألفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أخسّه يعني **(الهرم)** و**(الخَرَف)** ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ﴾ أي لكيلا يعلم شيئًا من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علمًا وينسى ما كان عالمًا به.

ثم ذكر دليلًا آخر على البعث فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ميتة يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ **(تحركت بالنبات)** ﴿وَرَبَتْ﴾ وانتفخت. و(﴿**ربأت**﴾ **حيث كان: يزيد**) ارتفعت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن صار للناظرين إليه.

قوله: **(قدرتنا وحكمتنا)** القدرة ثابتة بأصل الخلق والحكمة بالتدريج. **قوله**: **(بالرفع عند غير المفضل)** بن محمد عن عاصم ﷺ. في تفسير النيسابوري: ﴿وَنُقِرُّ﴾ و﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ بالنصب فيهما المفضل. اهـ. **قوله**: **(الجنس الصادق)** على الكثير. **قوله**: **(وهو)** أي أشدّ. **قوله**: **(الهَرَم)** كبر السنّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(الخَرَف)** ـ بفتحتين ـ هي فساد العقل من الكبر. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(تحرّكت بالنبات)** أي تحرّكت في رأي العين بسبب حركة النبات. **قوله**: («**ربأت**») بهمزة مفتوحة بعد الموحدة **(حيث كان)** أي هنا وحم والسجدة **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة، أي ارتفعت وأشرفت وزادت من جهة العلوّ، يقال: فلان يربأ بنفسه عن كذا، أي يرتفع. والباقون بحذف الهمزة فيهما، أي زادت من أي جهة كانت من ربا يربو.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا وهو أن الله هو الحق أي الثابت الوجود ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما أحيا الأرض ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ أي أنه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بدَّ أن يَفِي بما وعد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ في صفاته فيصفه بغير ما هو له. نزلت في **(أبي جهل)** ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ضروري ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي استدلال لأنه يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أي وحي والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ حال أي **(لاويًا عنقه)** عن طاعة الله كبرًا و**(خيلاء)**. وعن الحسن: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ **(بفتح العين مصدر)** أي مانع تعطفه إلى غيره ﴿لِيُضِلَّ﴾ تعليل للمجادلة. (﴿لِيَضِلَّ﴾ **مكي وأبو عمرو**) ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ أي القتل يوم بدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي جمع له عذاب الدارين.

قوله: **(أبي جهل)** عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قتله ابنا عفراء، وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. **قوله**: **(لاويًا عنقه)** في المصباح: لوى برأسه وبرأسه أماله، وقد يُجعل بمعنى الإعراض. اهـ. **قوله**: **(خُيلاء)** في مختار الصحاح: الخُيلاء ـ بضم الخاء وكسرها ـ الكِبْر. اهـ. **قوله**: **(بفتح العين مصدر)** بمعنى التعطّف والبرّ. **قوله**: (﴿لِيُضِلَّ﴾) بفتح الياء **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)** أي ليضلّ هو في نفسه، والباقون بضمّها والمفعول محذوف، أي ليضلّ غيره.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدّمت نفسه من الكفر والتكذيب، وكنى عنها باليد لأن اليد آلة الكسب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فلا يأخذ أحدًا بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على ﴿بِمَآ﴾ أي وبأن الله. وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد، ولأن قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منّا.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون و(طمأنينة) وهو حال أي مضطربًا ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ صحة في جسمه وسعة في معيشته ﴿ٱطْمَأَنَّ﴾ سكن واستقر ﴿بِهِۦ﴾ بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ شرٌّ وبلاء في جسده وضيق في معيشته ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ جهته أي ارتدّ ورجع إلى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمة (قرّ) واطمأن وإلا فرَّ وطار على وجهه. قالوا: نزلت في (أعاريب) قَدِموا المدينة مُهاجرين وكان أحدهم إذا صحَّ بدنه و(نتجت) فرسه (مهرًا سَوِيًا) وولدت

قوله: (طُمَأْنِينَة) في مختار الصحاح: اطمأنّ الرجل اطْمِئنانًا وطُمَأْنِينَةً أي سكن، وهو مطمئنّ إلى كذا، وذاك مُطْمَأَنّ إليه.اهـ. **قوله**: (قرّ) بمعنى ثبت على حاله. **قوله**: (أعاريب) جمع أعراب، فهو جمع الجمع.اهـ شهاب. وفي مختار الصحاح: العرب جِيل[1] من الناس والنسبة إليهم عربي، وهم أهل الأمصار والأعراب منهم سكّان البادية خاصّة، والنسبة إليهم الأعرابي وليس الأعراب جمعًا لعرب، بل هو اسم جنس.اهـ. **قوله**: (نتجت) بمعنى ولدت مجهول. **قوله**: (مهرًا) في مختار الصحاح: المُهُر[2] ولد الفرس.اهـ. **قوله**: (سَوِيًا) بمعنى كريمًا

---

(١) بالكسر صنف.اهـ. قاموس ١٢ منه رحمه الله.

(٢) بالضمّ.اهـ. قاموس. ١٢ منه رحمه الله.

امرأته (غلامًا سَويًا) وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرًا (واطمأن)، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شرًّا وانقلب عن دينه ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ حال «وقد» مقدَّرة دليله (قراءة روح وزيد ﴿خاسر الدنيا والآخرة﴾) والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في النار ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي خسران الدين ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهر الذي لا يخفى على أحد.

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الصنم فإنه بعد الرِّدَّة يفعل كذلك ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عبده ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الصواب ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ والإشكال أنه تعالى نفى الضرّ والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا. والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى (سفَّه الكافر) بأنه يعبد جمادًا لا يملك ضرًّا ولا نفعًا وهو يعتقد فيه أنه ينفعه ثم قال يوم القيامة: (يقول: هذا الكافر بدعاء وصراخ) حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة لمن ضرّه أقرب من نفعه

نفيسًا. **قوله**: (**غلاماً سويًا**) بمعنى تامّ الخلقة. **قوله**: (**واطمأن**) بمعنى ثبتَ هو أو قلبه. **قوله**: (**قراءة روح**) ـ بفتح الراء ـ ابن عبد المؤمن عن يعقوب وليس من السبعة، (**وزيد**) بن أحمد بن إسحٰق عن يعقوب («**خاسر الدنيا والآخرة**») على وزن اسم فاعل منصوب على الحال، والآخرة بالجرّ عطفًا على الدنيا المجرورة بالإضافة. والجمهور بحذف الألف فعلًا ماضيًا ونصب الآخرة عطفًا على الدنيا المنصوبة على المفعولية.

قوله: (**سفه الكافر**) في المصباح: سفه سفهًا من باب تعب، وسُفُه ـ بالضمّ ـ سفاهة فهو سفيه، والأُنثى سفيهة، والجمع سفهاء والسّفه نقص في العقل وأصله الخفّة، وسفه الحقّ جهله، وسفّهته تسفيهًا نسبة إلى السّفه، أو قلت له: إنه سفيه. اهـ. **قوله**: (**يقول: هذا الكافر بدعاء وصُراخ**)... الخ. فلمّا كان **يدعو** الثاني بمعنى يقول مضمنًا معنى الدعاء والصراخ كان النافي للضرر والنفع عن

﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ أي الناصر الصَّاحِب ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ المُصاحب **(أو كرر يدعو)** كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه ثم قال لمن ضرّه بكونه معبودًا أقرب من نفعه بكونه شفيعًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ هذا وعد لمَن عَبَدَ الله بكل حال لا لمَن عَبَدَ الله على حرف ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمَن ظن من **(أعاديه)** غير ذلك ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى سماء بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثم ليختنق به، وسُمِّي الاختناق قطعًا لأن المختنق يقطع **(نَفَسَه)** بحبس مجاريه. **(وبكسر اللام بصري وشامي)** ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ أي الذي يغيظه أو «ما» مصدرية أي غيظه، والمعنى فليصوِّر في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه. وسُمِّي فِعْله

الأصنام هو الله تعالى، والمُثبت لهما هو الكافر؛ فاندفع التناقض بهذا الوجه. وقوله: صُراخ، في مختار الصحاح: الصراخ ـ بالضمّ ـ الصوت. **قوله: (أو كرّر يدعو)** فعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ جملة معترضة بين المؤكّد والمؤكَد؛ لأن فيها تشديدًا وتأكيدًا للكلام، ويكون قوله تعالى: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ كلامًا مستأنفًا واللام فيه للابتداء، ومن موصولة وضرّه مبتدأ وأقرب خبره، والجملة صلة من وليس جواب قسم مقدّر، والقسم المقدّر مع جوابه خبر للمبتدأ الذي هو الموصول.

قوله: (أعاديه) الأعادي جمع الأعداء، والأعداء جمع عدوّ. **قوله: (نفسه)** بفتحتين. **قوله: (وبكسر اللام)** على الأصل في لام الأمر **(بصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل البصري ويعقوب البصري وليسا من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، وكذا ورش عن نافع المدني. والباقون بالسكون للتخفيف.

كيدًا على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكِد به مَحسوده إنما كادَ به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ومثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كله ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ **(أي ولأن الله يهدي به)** الذين يعلم أنهم يؤمنون، أو يثبت الذي آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيِّنًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ قيل: الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد للرحمٰن، والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في الأحوال والأماكن فلا يُجازيهم جزاء واحدًا ولا يجمعهم في موطن واحد. وخبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ كما تقول: «إن زيدًا إن أباه قائم» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ عالِم به حافظ له فلينظر كل امرىء معتقده، وقوله وفِعْله وهو أبلغ وعيد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد علمًا يقوم مقام العيان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ قيل: إن

قوله: (أي ولأن الله يهدي به) أي الجارّ محذوف كما هو القياس، قوله: به، إشارة إلى أنه عطف على ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، والالتفات من التكلّم إلى الغيبة لتربية المهابة، والجارّ متعلق بأنزله كذلك، والتقديم للحصر الإضافي أو للاهتمام به.

الكل يسجد له ولكنا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]. وقيل: سمي مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودًا له تشبيهًا لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونُ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة، أو هو مرفوع على الابتداء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ صفة له والخبر محذوف وهو مُثاب ويدلّ عليه قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي وكثير منهم حقَّ عليه العذاب بكفره وإبائه السجود ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ بالسعادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإكرام والإهانة وغير ذلك، وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي فريقان مختصمان؛ فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ (المعنى) و﴿هَٰذَانِ﴾ للَّفظ والمراد المؤمنون والكافرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رجع إلى أهل الأديان المذكورة: فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾ في دينه وصفاته، ثم بيَّن جزاء كل خصم بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهو فصل الخصومة المعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ كأن الله يقدِّر لهم نيرانًا على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقِّق ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ﴾ بكسر الهاء والميم، (بصري)، وبضمهما: حمزة وعلي وخلف، وبكسر الهاء وضم الميم: غيرهم ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحارّ. عن ابن عباس رضي الله عنهما: لو سقطت منه (نقطة) على جبال الدنيا لأذابتها.

قوله: (المعنى) بصيغة المفعول. **قوله**: (بصري) أي أبو عمرو البصري.

قوله: (نقطة) أي قطرة.

﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٢٢﴾

﴿يُصۡهَرُ﴾ يُذاب ﴿بِهِۦ﴾ بالحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ أي يُذيب (**أمعاءهم وأحشاءهم**) كما يُذيب جلودهم فيؤثّر في الظاهر والباطن ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ سِياط مختصّة بهم ﴿مِنۡ حَدِيدٖ﴾ يُضربون بها ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ من النار ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ بدل الاشتمال من منها بإعادة الجار، أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعني كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غمّ يلحقهم فخرجوا ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ بالمقامع، ومعنى الخروج ـ عند الحسن ـ أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فضربوا بالمقامع (**فهووا**) فيها (**سبعين خريفًا**)، والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها ﴿وَذُوقُواْ﴾ أي وقيل لهم ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٢٣﴾

ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة

قوله: (**أمعاءهم**) في المصباح: المِعا المصران وقصره أشهر من المدّ، وجمعه أمعاء مثل عنب وأعناب. اهـ. وأيضًا فيه: المصير المِعى والجمع مصران مثل رغيف ورُغْفان[1]، ثم المصارين جمع الجمع. اهـ. **قوله**: (**أحشاءهم**) في المصباح: الحشا مقصور المعا والجمع أحشاء مثل سبب وأسباب. اهـ. **قوله**: (**فهووا**) أي فسقطوا. **قوله**: (**سبعين خريفًا**) أي مسافة **سبعين خريفًا** هو الزمان المعروف من فصول السنّة ما بين الصيف والشتاء، ويريد به سبعين سنة؛ لأن الخريف لا يكون في السنة إلّا مرّة، فإذا انقضى سبعون خريفًا فقد مضت سبعون سنة.

---

(١) بالضم. اهـ. ١٢ منه رحمه الله.

جمع سوار ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (**بالنصب: مدني**) وعاصم وعلي ويؤتون لؤلؤًا وبالجرّ: غيرهم عطفًا على ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ (**وبترك الهمزة الأولى في كل القرآن: أبو بكر وحماد**) ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (**إبريسم**).

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أي أرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد و﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي الإسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم أن يقولوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة. والحميد الله المحمود بكل لسان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي يمنعون عن الدخول في الإسلام ويصدّون، حال من فاعل ﴿كَفَرُواْ﴾ أي وهم يصدّون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال: فلان يحسن إلى الفقراء» فإنه يُراد به استمرار وجود الإحسان منه في الحال والاستقبال ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي ويصدّون عن المسجد الحرام والدخول فيه ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ مطلقًا من غير فرق بين حاضر وبادٍ، فإن أُريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب: حفص مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ أي جعلناه مستويًا ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ وغير المقيم.

قوله: (**بالنصب: مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. **قوله**: (**وبترك**[١] **الهمزة الأولى في كل القرآن: أبو بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم (**وحماد**) بن زياد عن عاصم رحمه الله. **قوله**: (**إبريسم**) في المصباح: الإبريسم معرب وفيه لغات كسر الهمزة والراء والسين، وابن السكيت يمنعها ويقول: ليس في الكلام إفعِيلل بكسر اللام بل بالفتح، مثل: إهليلج وإطريفل، والثانية فتح الثلاثة، والثالثة كسر الهمزة وفتح الراء والسين. اهـ.

---

(١) أي بإبدالها واوًا ساكنة. ١٢ منه رحمه الله.

(بالياء: مكي وافقه أبو عمرو في الوصل وغيره) بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه والباد سواء، والجملة مفعول ثانٍ ﴿لِلنَّاسِ﴾ حال ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ في المسجد الحرام ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالان مترادفان ومفعول ﴿يُرِدْ﴾ متروك ليتناول كل متناول كأنه قال: ومَن يُرد فيه **(مرادًا ما)** عادلًا عن القصد ظالمًا، فالإلحاد العدول عن القصد ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الآخرة وخبر «إن» محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إن الذين كفروا ويصدّون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل مَن ارتكب فيه ذنبًا فهو كذلك.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت **(مباءة)** أي مرجعًا يرجع إليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء، فأعلَم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها **(فكنست)** مكان البيت فبناه على **(أُسّه)** القديم ﴿أَن﴾ هي المفسّرة للقول المقدّر أي قائلين له ﴿لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأصنام والأقذار: **(وبفتح الياء: مدني وحفص)** ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ لمَن يطوف به ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ والمُقيمين بمكة ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ المُصلّين جمع راكع وساجد.

قوله: **(بالياء)** في الحالين **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة **(وافقه أبو عمرو)** البصري **(في الوصل)** وكذا ورش عن نافع، وأبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بحذفها وصلًا ووقفًا. **قوله**: **(وغيره)** أي وغير حفص. **قوله**: **(مرادًا ما)** ما هنا تأكيد للنّكرة.

قوله: **(مباءة**[1]**)** المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع، وأصل التبوّء جعل المكان مَباءة ومقرًّا. **قوله**: **(فكنست)** بمعنى أزالت ما عليه من التراب ليظهر آثاره. **قوله**: **(أُسّه)** في مختار الصحاح: الأُسّ ـ بالضم ـ أصل البناء. اهـ. **قوله**: **(وبفتح الياء: مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. **(وحفص)** وكذا هشام عن ابن عامر، والباقون بالإسكان.

---

(١) المباءة بفتح الميم المنزل والمرجع. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ نادِ فيهم، والحج هو القصد البليغ إلى مقصد (منيع). ورُوِيَ أنه صعد (أبا قبيس) فقال: يا أيها الناس حجّوا بيت ربكم. فأجاب مَن قُدِّر له أن يحجّ من الأصلاب والأرحام بلبَّيك اللَّهمَّ لبَّيك. وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يفعل ذلك في (حجة الوداع). والأول أظهر وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (مُشاة) جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوفة على رجال كأنه قال: رجالًا و(ركبانًا). والضامر البعير (المهزول)، وقدَّم الرجال على الرُّكبان إظهارًا لفضيلة المُشاة (كما ورد في الحديث) ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة

قوله: (منيع) قويّ. **قوله**: (أبا قُبَيْس) اسم جبل معروف. **قوله**: (حجّة الوداع) بالفتح، ويُروى بالكسر أيضًا وبهما ضبطه شرّاح البخاري في حجة الوداع وهو الواقع في كتب الغريب، قاله شيخنا. اهـ تاج العروس. **قوله**: (مشاة) جمع الماشي كقُضاة. **قوله**: (ركبانًا) جمع راكب. **قوله**: (المهزول) في مختار الصحاح: الهُزال ضد السِّمن، يقال: هُزِلت الدابّة على ما لم يُسمّ فاعله هُزالًا وهَزَلها صاحبها من باب ضرب، فهي مَهْزولة. اهـ.

قوله: (كما ورد في الحديث). أخرج ابن خزيمة والحاكم وصحّحه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حجّ من مكة ماشيًا حتى يرجع إلى مكّة كتب الله له بكلّ خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: بكلّ حسنة مائة ألف حسنة.

أخرج ابن سعد وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول للحجّاج: «الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، والماشي بكلّ قدم سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: «الحسنة بمائة ألف حسنة».

أخرج البيهقي في الشعب وضعّفه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الملائكة لتصافح ركاب الحجاج وتعتنق المشاة». اهـ الدرّ المنثور.

لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ لأنه في معنى الجمع. (وقرأ عبد الله) ﴿يأْتُونَ﴾ صفة للرجال والركبان ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد. قال محمد بن ياسين: قال لي شيخ في الطواف: من أين أنت؟ فقلت: من خراسان. قال: كم بينكم وبين البيت؟ قلت: مسيرة شهرين أو ثلاثة. قال: فأنتم جيران البيت؟ فقلت: أنت من أين جئت؟ قال: من مسيرة خمس (سنوات) وخرجت وأنا شاب (**فاكتهلت**). قلت: والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال:

زر من هويت وإن (**شطت**) بك الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنَّك بُعْدٌ عن زيارته إن المُحِبَّ لمَن يَهواه زوَّار

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

واللام في ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ ليحضروا متعلق بـ ﴿وَأَذِّن﴾ أو بـ ﴿يَأْتُوكَ﴾ ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ نكرها لأنه أراد منافع مختصّة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة شُرِّعَت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم، أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمّل الأثقال وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهَجْر البلاد والأوطان وفرقة الأولاد و(**الخِلّان**)،

قوله: (وقرأ عبد الله) بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: (سنوات) في المصباح: السنة الحَوْل وهي محذوفة اللام وفيها لغتان، أحدهما: جعل اللام هاء ويبنى عليها تصاريف الكلمة والأصل سنهة، وتُجمع على سنهات، مثل سجدة وسجدات، وتصغّر على سنيهة. والثانية جعلها واوًا يبنى عليها تصاريف الكلمة أيضًا، والأصل سنوة وتُجمع على سنوات مثل شهوة وشهوات، وتصغّر على سنيّة. اهـ باختصار. **قوله**: (فاكتهلت) في مختار الصحاح: اكتهل صار كهلًا. اهـ. وأيضًا فيه: الكَهْل من الرجال الذين جاوزوا الثلاثين ووخَطه الشَّيْب. اهـ. **قوله**: (شَطَّت) أي بَعُدت.

قوله: (الخُلّان) جمع الخليل.

والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء. فالحاجّ إذا دخل البادية لا يتَّكل فيها إلا على **(عتاده)**، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من **(شاطىء)** الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يُؤنِس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده، وغسل مَن يحرم و**(تأهبه)** و**(لُبْسه)** غير المخيط وتطيّبه **(مرآة)** لما سيؤتي عليه مَن وضعه على سريره لغسله وتجهيزه. مُطيّبًا **(بالحنوط)** ملففًا في كفن غير مخيط. ثم المُحرِم يكون **(أشعث)** حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر **(لهفان)**، ووقوف **(الحجيج)** بعرفات آملين رَغَبًا ورَهَبًا سائلين خوفًا وطمعًا وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: الآية ١٠٥] والإفاضة إلى **(المزدلفة)** بالمساء هو السوق لفصل القضاء، **(ومِنًى)** هو **(موقف المُنَى)** للمذنبين إلى شفاعة الشافِعين، وحَلْق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيت الحرام الذي مَن دخله كان آمنًا من الإيذاء والقتال **(أُنموذج)** لدار السلام التي هي مَن نزلها بقي سالمًا من الفناء والزوال غير أن الجنة حُفَّت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة **(حُفَّت)** بمتالف البادية، فمرحبًا

قوله: (عَتَاده) في لسان العرب: العتاد الشيء الذي تُعِدُّه لأمْر ما وتُهَيِّئُه له، يقال: أخذ للأمر عُدَّته وعَتاده، أي أُهْبَتَه وآلته. اهـ. **قوله**: **(شاطىء)** جانب. **قوله**: **(تأهبه)** أي استعداده. **قوله**: **(لُبْسه)** بالضمّ. **قوله**: **(مِرْآة)** وزان مفتاح معروفة. **قوله**: **(بالحنوط)** في المصباح: الحنوط والحناط مثل رسول وكتاب طيب يُخلط للميت خاصّة، وكل ما يطيّب به الميت من مسك وذريرة وصندل وعنبر وكافور وغير ذلك مما يذر عليه تطييبًا وتجفيفًا لرطوبته فهو حنوط. اهـ. **قوله**: **(أشعث)** في مختار الصحاح: الأشعث وهو مُغْبَرّ الرأس. اهـ. **قوله**: **(لَهْفان)** في مختار الصحاح: اللَّهْفان المتحسِّرُ. اهـ. **قوله**: **(الحجيج)** جمع الحاجّ. **قوله**: **(المزدلفة)** موضع بمكّة. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(ومِنًى)** مقصور موضع بمكّة، وهو مذكّر مصروف. . اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(موقف المنى)** في لسان العرب: المنى ـ بضم الميم ـ جمع المنية، وهو ما يتمنّى الرجل. اهـ. **قوله**: **(أُنموذج)** بضمّ الهمزة ما يدلّ على صفة الشيء وهو معرّب، وفي لغة: نموذج بفتح النون والذال معجمة مفتوحة مطلقًا. **قوله**: **(حُفَّت)** أي حُجِبت، أي

بمَن جاوز مهالك البوادي شوقًا إلى اللقاء يوم التنادي. ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ عند الذبح ﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول **(ابن عباس)** رضي الله عنهما، وأكثر المُفَسِّرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول **(ابن عمر)** رضي الله عنهما ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبيَّنت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن **(والمعز)**.

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ من لحومها، والأمر للإباحة، ويجوز الأكل من هَدِي التطوّع والمتعة والقِران لأنه دم نُسُك فأشبه الأُضحية، ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾ الذي أضعفه الإعسار.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ ثم ليزيلوا عنهم **(أدرانهم)** كذا قاله **(نفطويه)**.

لا يُوصل إليها إلّا بارتكاب المكاره، وهي الاجتهاد في العبادات. **قوله: (ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفَهْم في القرآن فكان يسمّى البحر والحِبْر لسِعَة عِلمه مات سنة ثمانٍ وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله: (ابن عمر)** هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ، أبو عبد الرحمٰن وُلِد بعد المبعث بيسير واستُصغر يوم أُحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشدّ الناس اتّباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أوّل التي تليها. **قوله: (والمَعْز)** من الغنم ضد الضأن، وهو اسم جنس، وكذا المعز بفتح العين. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (أدرانهم) في مختار الصحاح: الدَّرَن الوَسَخ. اهـ. **قوله: (نفطويه)** بكسر النون وفتحها والكسر أفصح والفاء ساكنة، هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي، الملقب ابن نفطويه النَّحوي الواسطي، له التصانيف الحِسان في الآداب، وكان

قيل: قضاء التفث قصّ الشارب والأظفار ونتف الإبط (**والاستحداد**)، والتفث: الوسخ والمراد قضاء إزالةِ التفث. وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: قضاء التفث مناسك الحج كلها ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ مواجب حجّهم والعرب تقول لكل مَن خرج عمّا وجب عليه: وفَى بنذره وإن لم (ينذر)، أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجّهم، (﴿وَلْيُوفُوا۟﴾) بسكون اللام والتشديد: (**أبو بكر**) ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلّل. اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبي عمرو ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ القديم لأنه أول بيت وُضِع للناس بناه آدم ثم جدَّده إبراهيم، أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها، وعتاق الرقيق لخروجه من ذلّ العبودية إلى كرم الحرية، أو لأنه أعتق من الغرق لأنه رفع زمن الطوفان، أو من أيدي الجبابرة؛ كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله، أو من أيدي الملاك فلم يملك قطُّ وهو مطاف أهل (**الغبراء**) كما أن العرش مطاف أهل السماء، فإن الطالب إذا (**هاجته مَيْعَة الطرب**) وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع (**مناكب**) الأرض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل، فإذا عاين البيت لم يزده التسلّي به إلا اشتياقًا ولم يفده التشفّي باستلام الحجر إلا احتراقًا، فيردّه (**الأسف لهفان**) ويردّده (**اللهف**) حوله في الدوران، وطواف الزيارة

عالمًا بارعًا، وُلِد سنة أربع وأربعين ومائتين، وقيل: سنة خمسين ومائتين بواسط، وسكن بغداد، وتوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة يوم الأربعاء لستّ خلَوْن منه بعد طلوع الشمس بساعة، وقيل: توفي سنة أربع وعشرين، ودُفِن ثاني يوم بباب الكوفة رحمه الله. **قوله**: (**والاستحداد**) هو حلق العانة بالحديد. **قوله**: (**ينذر**) من باب ضرب ونصر. **قوله**: (﴿وَلْيُوفُوا۟﴾) بسكون اللام وبفتح الواو والتشديد، أي تشديد الفاء مضارع وفى مضعفًا لقصد التكثير. **قوله**: (**أبو بكر**) شعبة بن عياش، والباقون بالإسكان والتخفيف مضارع أو في لغة في وفى. **قوله**: (**الغبراء**) ـ بالمدّ ـ الأرض. **قوله**: (**هاجته**) في مختار الصحاح: هاجَ الشيء ثار وبابه باع. **قوله**: (**ميعة الطرب**) في لسان العرب: مَيْعة كل شيء مُعْظمه، والمَيْعة سيلان الشيء المصبوب، والميعة ضرب من العطر. اهـ. **قوله**: (**مناكب**) جوانب. **قوله**: (**الأسَف**) أشدّ الحزن. **قوله**: (**لهفان**) اللَّهْفان المتحسّر. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**اللّهف**) في لسان العرب: اللَّهْف واللَّهَف الأسى والحزن

آخر فرائض الحج الثلاث، وأولها الإحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام حتى لا يرتفض بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه، كما أن عقد الإسلام لا ينحلّ بازدحام الآثام وترتفع ألف **(حوبة)** بتوبة. وثانيها الوقوف بعرفات **(بسِمَة الابتهال)** في صفة **(الاهتبال)**، وصدق الاعتزال عن دفع الاتّكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الحرمة ما لا يحلّ **(هتكه)** وجميع ما كلفه الله عزَّ وجلّ هذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عامًّا في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصًّا بما يتعلق بالحج. وقيل: حرمات الله البيت الحرام و**(المشعر الحرام)** والشهر الحرام والبلد الحرام ﴿فَهُوَ﴾ أي التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي كلها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه وذلك قوله: (﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾) [المائدة: الآية ٣] **(الآية)**. والمعنى أن الله تعالى أحلَّ لكم

والغيظ، وقيل: الأسَى على شيء يفوتك بعدما تُشْرِف عليه. اهـ **(حوبة)** بفتح الحاء بمعنى الإثم. **قوله**: **(بسمة الابتهال)** أي بعلامة التضرُّع. **قوله**: **(الاهتبال)** أي الخوف، كذا قاله المحشي، وفي لسان العرب: الاهتبال الاغتنام. اهـ.

قوله: **(هتكه)** الهَتْك شقّ الستارة وتمزيقها ليظهر ما خلفها. **قوله**: **(المشعر الحرام)** هو قُزَحُ، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة، المشعر: المعلم؛ لأنه معلم لعباده ووصف بالحرام لحُرْمته، وسُمّيت المزدلفة وجمعًا لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلفت إليه أو دنى منها، أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين، أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى، أي يتقرّبون بالوقوف فيها، كذا أفاده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة البقرة. **قوله**: (﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها **(الآية)** أي (﴿وَٱلدَّمُ﴾) أي المسفوح وهو السائل (﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾) وكلّه نجس، وإنما خصّ اللّحم لأنه معظم المقصود

الأنعام كلها إلا ما بيّن في كتابه، فحافظوا على حدوده ولا تحرِّموا شيئًا مما أحلَّ كتحريم البعض (**البحيرة**) ونحوها، ولا تحلّوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما. ولمّا حثَّ على تعظيم حرماته أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها (**حظرًا**). و﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل: فاجْتَنِبوا الرجس الذي هو الأوثان. وسمّى الأوثان رجسًا على

(﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾) أي رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم اللات والعزّى عند ذبحه. (﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾) التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بالشبكة أو بغيرها. (﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾) التي أثخنوها ضربًا بعصا أو حجر حتى ماتت، (﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾) التي تردَّت من جبل أو في بئر فماتت (﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾) المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى، فماتت بالنطح. (﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾) بعضه ومات بجرحه (﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾) إلّا ما أدركتم ذكاته، وهو يَضْطَرِبُ اضطرابَ المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها، فإنه إذا أدْرَكها وبها حياة فذبحها وسمّى عليها حلَّت (﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظِّمونها بذلك، ويتقرّبون به إليها تسمّى الأنصاب، واحدها نُصُب، أو هو جمع والواحد نصاب. (﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾) في موضع الرفع بالعطف على الميتة، أي ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣] وكذا وكذا، والاستقسام بالأزلام وهي القداح المُعلَّمة كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا أو تجارة أو نكاحًا أو غير ذلك يعمد إلى قداح ثلاثة على واحدٍ منها مكتوب: أمرني ربّي، وعلى الآخر: نهاني ربّي، والثالث: غُفْل، فإنْ خرج الآمر مضى لحاجته، وإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يُقسم له بالأزلام ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: الآية ٣] أي الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة، ويحتمل أن يعود على كل محرّم في الآية، انتهى ما أفاده المصنّف رحمة الله عليه في تفسير سورة المائدة باختصار. **قوله**: (**البحيرة**) فعيلة بمعنى مَفْعُولة واشتقاقها من البحر وهو الشقّ، يقال: بحر ناقته إذا شقّ أُذنها، واختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر فيشقّ أُذنها فيترك فلا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. **قوله**: (**حظرًا**)

طريقة التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطِباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها. وجمع بين الشِّرك وقول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزُّور وهو **(من الزَّوَر)** وهو الانحراف، لأن الشِّرك من باب الزور إذ المُشرِك زاعم أن الوثن يحق له العبادة.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ حال كحنفاء ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى الأرض ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ أي تسلبه بسرعة (﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾) أي تتخطفه **(مدني)** ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي تسقطه و**(الهوي السقوط)** ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد. **(يجوز أن يكون هذا تشبيهًا مركبًا، ويجوز أن يكون مفرقًا)**. فإن كان تشبيهًا مركبًا فكأنه قال: مَن أشرَك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكًا ليس بعده بأن صوَّر حاله بصورة حال من خرَّ من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعًا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هَوَت به في بعض المهالك البعيدة. وإن كان مفرّقًا فقد شبّه الإيمان في علوّه بالسماء، والذي أَشْرَكَ بالله

في مختار الصحاح: الحظر الحَجْر وهو ضدّ الإباحة وحظره فهو محظور، أي محرَّم، وبابه نصر. **قوله**: **(من الزَّوَر)** بفتحتين.

قوله: (﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾) بفتح الخاء والطاء مشدّدة مضارع تخطفه، أي تتخطفه، أي والأصل فتختطفه حُذِفت إحدى التاءين على حدّ تكلّم **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بسكون الخاء وفتح الطاء مخفّفة مضارع خطف. **قوله**: **(الهوي السقوط)** في لسان العرب: هوى بالفتح يَهْوِي هَوِيًّا وهُوِيًّا وهوَيَانًا وانْهوى سقط. اهـ.

قوله: **(يجوز أن يكون هذا تشبيهًا** مركّبًا) ومعنى كون التشبيه مركّبًا أن يقصد إلى عدّة أشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبّهًا أو مشبّهًا به، ولهذا صرَّح صاحب المفتاح في تشبيه المركب بالمركب بأن كلّاً من المشبِّه والمشبّه به هيئة مُنتزعة. **قوله**: **(ويجوز أن يكون مفرّقًا)** وهو أن تأخذ أشياء فرادى تشبّهها بأمثالها.

بالساقط من السماء. والأهواء المردية بالطير المتخطفة والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت بهِ في بعض المهاوي المتلفة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ تعظيم الشعائر وهي الهدايا لأنها من معالم الحج أن يختارها عظام الأجرام حسانًا (سمانًا) غالية الأثمان ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات. وإنما ذكرت القلوب لأنها (مراكز) التقوى ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ (أي وقت وجوب نحرها منتهية) ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتّساع قولك: «بلغت البلد» وإنما اتصل مسيرك بحدوده. وقيل: الشعائر المناسك كلها وتعظيمها إتمامها ومحلها إلى البيت العتيق إيّاه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة مؤمنة قبلكم ﴿جَعَلْنَا﴾ (﴿مَنسَكًا﴾ حيث كان) بكسر السين بمعنى الموضع: (عليّ وحمزة) أي موضع قربان. وغيرهما: بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح (القرابين) ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ دون غيره ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ

قوله: (سمانًا) جمع سمين. **قوله**: (مراكز) في المصباح: المركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ. **قوله**: (أي وقت وجوب نحرها) إلى أن المحل اسم زمان بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها، أي وقت حلول نحرها ووجوبه؛ لأن المحلّ مشتقّ من حلّ الدَّيْن إذا وجب. **قوله**: (منتهية) إشارة إلى متعلق إلى، ويصح تقديره مقربة.

قوله: (﴿مَنسَكًا﴾ حيث كان) أي هنا وآخر السورة بكسر السين بمعنى الموضع (عليّ) الكسائي (وحمزة). **قوله**: (القرابين) جمع القُربان بالضمّ.

﴿بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي عند نحرها وذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلٰهكم إلٰه واحد، وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرّب، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك. وقوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالمًا أي خالصًا (لا تشوبوه) بإشراك ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من (الخبت) وهو المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقيل: تفسيره ما بعده أي.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت منه هيبة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من المِحَن والمصائب ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدَّقون.

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ جمع (بدنة) سُمِّيت لعِظَم بدنها وفي الشريعة يتناول الإبل والبقر، وقرىء برفعها وهو كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: الآية ٣٩] ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها و﴿مِن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ ثاني مفعولي ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ النفع في الدنيا والأجْر في العقبى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَآفَّ﴾ حال من الهاء أي قائمات (قد صففن أيديهن) وأرجلهن ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط (وجبة) إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على

قوله: (لا تشوبوه) الشَّوْب الخلط وبابه قال. **قوله**: (**الخبت**) بفتح الخاء وسكون الباء.

قوله: (بدنة) بفتحتين. **قوله**: (قد صففن أيديهنّ) محمول على التغليب. اهـ قنويّ. **قوله**: (وَجْبَة) بوزن ضَرْبَة.

الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ السائل (**من قنعت إليه**) إذا خضعت له وسألته قنوعًا ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الذي يُريك نفسه ويتعرَّض ولا يسأل. وقيل: القانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال (**من قنعت قنعًا**) وقناعة، والمعتر المتعرِّض للسؤال ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم، أو هو كقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ﴾ ثم استأنف فقال: ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي ذللناها لكم مع فوتها وعِظَم أجرامها لتتمكنوا من نحرها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ أي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى، أو لن يصيب رِضا الله اللحوم المتصدّق بها ولا الدماء المُراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء، والمعنى لن يرضى المُضَحّون والمُقَرَّبون ربهم إلا بمراعاة النِّيَّة والإخلاص ورعاية شروط التقوى. وقيل: كان أهل الجاهلية إذا نحروا الإبل (**نضحوا**) الدماء حول البيت ولطَّخوه بالدم، فلما حجَّ المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ أي البُدْن ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ لتسمّوا الله عند الذبح أو لتعظّموا الله ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ على ما أرشدكم إليه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الممتثلين أوامره بالثواب. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ - (﴿**يدفع**﴾ - **مكي وبصري وغيرهما**: ﴿يُدَافِعُ﴾

قوله: (**من قنعت إليه**) بالفتح في العين من باب خضع (**من قنِعت قنعًا**) من باب تَعِب.

قوله: (**نضحوا**) النَّضح الرشُّ والضرب.

قوله: («**يدفع**») بفتح الياء والفاء وإسكان الدال بلا ألف كيسأل أُسند إلى ضمير اسم الله تعالى لأنه الدافع وحده، (**مكّي**) أي ابن كثير المكي (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، (**وغيرهما**: ﴿يُدَافِعُ﴾) بضمّ الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء، كيقاتل إسنادًا إليه تعالى على

أي يبالغ في الدفع عنهم) ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ أي يدفع **(غائلة المشركين)** عن المؤمنين ونحوه ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: الآية ٥١] ثم علّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمة الله أي لأنه لا يحبّ أضدادهم وهم الخونة الكَفَرَة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نِعَم الله و**(يغمطونها)**.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

(﴿أُذِنَ﴾ **مدني وبصري وعاصم)** ﴿لِلَّذِينَ (يُقَٰتَلُونَ)﴾ بفتح التاء **(مدني وشامي وحفص)**، والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ﴾ بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ، كان مشركو مكة يؤذونهم أذًى شديدًا وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب و**(مشجوج يتظلمون)** إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر

جهة المفاعلة مبالغة **(أي يبالغ في الدَّفْع عنهم)**. **قوله: (غائلة المشركين)** أي ضررهم. **قوله: (يغمطونها)** في مختار الصحاح: غمط النعمة من باب فهم وضرب ولم يشكرها. اهـ.

قوله: (﴿أُذِنَ﴾) بضمّ الهمزة مبنيًا للمفعول وإسناده إلى الجارّ والمجرور **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري **(وعاصم)**، والباقون بفتحها[1] مبنيًا للفاعل مسندًا لضمير اسم الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (﴿يُقَٰتَلُونَ﴾) بفتح التاء مبنيًا للمفعول لأن المشركين قاتلوهم **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(وحفص)**، والباقون بكسرها مبنيًا للفاعل أي يقاتلون المشركين. **قوله: (مشجوج)** في المصباح: شجّه شجًّا من باب قتل على القياس، وفي لغة من باب ضرب إذا شقّ جلده. اهـ. وأيضًا فيه: الشجّة الجراحة، وإنما تسمّى بذلك إذا كانت في الوجه أو الرأس، والجمع شجاج مثل كلبة وكلاب، وشجّات أيضًا على لفظها. اهـ. **قوله: (يتظلّمون)** أي يشتكون. **قوله**:

(١) أي إذن بالكسر ١٢ منه رحمه الله.

فأنزلت هذه الآية، **(وهي أول آية أذن فيها بالقتال)** بعدها نهى عنه **(في نيّف وسبعين آية)** ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ﴾ على نصر المؤمنين ﴿لَقَدِيرٌ﴾ قادر وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل جرّ بدل من ﴿لِلَّذِينَ﴾ أو نصب بـ «أعني» أو رفع بإضمارهم ﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ بمكة ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ أي بغير مُوجِب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون مُوجِب التمكين لا مُوجِب الإخراج ومثله (﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾) [المائدة: الآية ٥٩] ومحل أن يقولوا جرّ بدل من ﴿حَقٍّ﴾ والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم: **﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾** (**﴿دفاع﴾ مدني**) ويعقوب ﴿ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ﴾ **(وبالتخفيف حجازي)** ﴿صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ﴾ أي لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل المِلَل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعًا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أي كنائس. ـ وسُمِّيت الكنيسة صلاة لأنها يُصَلَّى فيها ـ ولا للمسلمين مساجد، أو لغلب المشركون في أمة محمد ﷺ على المسلمين

(وهي أول آية أذِنَ فيها بالقتال) هذه رواية الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (في نيّف وسبعين آية)** النيّف الزيادة يخفّف ويشدّد، ويقال: عشرة ونيف ومائة ونيف، وكل ما زاد على العقد فهو نيّف حتى يبلغ العقد الثاني.

قوله: (﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾) يعني هل تعيبون منا وتنكرون إلّا بالإيمان بالله. **قوله**: (**﴿دفاع﴾**) بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، ويعقوب بن إسحٰق وليس من السبعة، والباقون بفتح الدال وإسكان الفاء بلا ألف. **قوله: (وبالتخفيف)** أي بتخفيف الدال **(حجازي)** إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي ابن كثير

وعلى أهل الكتاب الذين في ذمّتهم وهدموا متعبدات الفريقين، وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجودًا أو لقربها من التهديم ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ في المساجد أو في جميع ما تقدّم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ **(أي ينصر دينه)** وأوليائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصر أوليائه ﴿عَزِيزٌ﴾ على انتقام أعدائه.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤١)﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ محله نصب بدل من ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أو جرّ تابع لـ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ هو إخبار من الله عمّا ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكّنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين، وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عزّ وجلّ أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة. وعن الحسن: هم أُمة محمد ﷺ ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي مرجعها إلى حكمه وتقديره، وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)﴾

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ هذه تسلية لمحمد ﷺ من تكذيب أهل مكة إياه أي لست **(بأوحدي)** في التكذيب ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَثَمُودُ﴾ صالحًا ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إبراهيم ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ شعيبًا ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذبه فرعون و**(القبط)** ولم يقل وقوم

المكّي ونافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. والباقون بالتشديد للتكثير. **قوله: (أي ينصر دينه)** إمّا بيان للمعنى أو لتقدير مضافٍ فيه.

قوله: (بأوحديّ) بمعنى منفرد وياء النسبة للمبالغة. **قوله: (القِبْط)** بوزن السِّبْط أهل مِصْرَ وهم بَنْكُها، أي أصلها. اهـ مختار الصحاح.

موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه، أو كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضًا مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره! ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم وأخَّرت عقوبتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ عاقبتهم على كفرهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ **(إنكاري)** وتغييري حيث أبدلتهم بالنِّعَم (نقمًا) وبالحياة هلاكًا وبالعمارة خرابًا. (**﴿نكيري﴾ بالياء في الوصل والوقف: يعقوب**).

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ (**﴿أهلكتها﴾ بصري**) ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ حال وأهلها مشركون ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة (**من خوى النجم**) إذا سقط ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يتعلق بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ والمعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرَّت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، ولا محل لـ ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ من الإعراب لأنها معطوفة على ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ وهذا الفعل ليس له محل، (**وهذا إذا جعلنا ﴿كأين﴾ منصوب المحل**) على تقدير كثيرًا من القرى أهلكناها ﴿وَبِئْرٍ

قوله: (إنكاريّ) إشارة إلى أنّ النكير مصدر كالنذير بمعنى الإنذار، وأن ياء الضمير المضاف إليها محذوفة في الفاصلة. **قوله:** (نقمًا) جمع نِقْمَة مثل نِعَم جمع نِعْمة. **قوله:** («نكيري» **بالياء في الوصل والوقف يعقوب**) بن إسحاق وليس من السبعة، وكذا ورش عن نافع وصلًا، والباقون بحذفها مطلقًا.

قوله: («**أهلكتها**») بالتاء من فوق مضمومة بلا ألف؛ لقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ و﴿أَخَذْتُهُمْ﴾، (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، والباقون بنون العظمة مفتوحة وبعدها ألف على حد ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ فجاءها. **قوله:** (من **خوى النّجم**) من باب رمى.

قوله: (**وهذا إذا جعلنا «كأين» منصوب المحل**)... الخ. فإن جعل ﴿أهلكنا﴾ خبر «كأين» تكون جملة ﴿خَاوِيَةٌ﴾ في محل الرفع أيضًا لعطفها على الخبر.

﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي متروكة لفَقْد دلوها (ورشائها وفَقْد تفقّدها)، أو هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عُطِّلت أي تُرِكَت لا يستقي منها لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ مجصص من (الشيد) الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه، والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطّلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أي أهلكنا البادية والحاضرة جميعًا فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها والأظهر أن البئر والقصر على العموم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (هذا حَثٌّ على السفر) ليروا مصارع من أهلهم بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ﴿(فَتَكُونَ) لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي يعقلون (ما يجب) أن يعقل (من التوحيد) ونحوه ويسمعون (ما يجب سماعه) من الوحي ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الضمير في ﴿فَإِنَّهَا﴾ ضمير القصة أو ضمير مُبهَم يفسّره) ﴿الْأَبْصَارُ﴾ أي فما

قوله: (ورشائها) في المصباح: الرّشاء الحبل، والجمع أرشية مثل كساء وأكْسِية. اهـ. **قوله**: (وفَقْد) وفي نسخ صحيحة: ورفض أي ترك. **قوله**: (تفقّدها) في المصباح: تفقّدته طلبته عند غيبته. **قوله**: (الشيد) بالكسر.

قوله: (هذا حثّ على السفر)... الخ. يحتمل أنهم ما سافروا فحثّوا على السفر ليروا مصارع مَنْ أهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا، فنزلوا منزلة مَنْ لم يسافر ولم ير لخلوّ سفرهم الحاصل عن المقصود؛ فلذلك قيل في حقّهم على سبيل الإنكار: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. **قوله**: (﴿فَتَكُونَ﴾) منصوب على جواب الاستفهام أو النفي. **قوله**: (ما يجب)... الخ. هو مفعول ﴿يَعْقِلُونَ﴾ المحذوف لدلالة المقام عليه اختصارًا. **قوله**: (من التوحيد) بيان لما. **قوله**: (ما يجب سماعه) مفعول ﴿يَسْمَعُونَ﴾. **قوله**: (الضمير في ﴿فَإِنَّهَا﴾ ضمير القصّة) يعني أنه ضمير الشأن مفسّر بالجملة بعده وأنّث باعتبار **القصّة**، فإنه يجوز تذكيره وتأنيثه بدليل أنه قرىء فإنه في الشواذ، (أو) هو (ضمير مُبْهم يفسّره

عميت أبصارهم عن (الإبصار) بل قلوبهم عن الاعتبار. ولكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه وعينان في قلبه، فإذا أبصر ما في القلب وعَمِي ما في الرأس لم يضرّه، وإن أبصر ما في الرأس وعَمِي ما في القلب لم ينفعه، وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولئلا يقال: إن القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال: «القلب (**لب كل شيء**)».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الآجل استهزاء ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ كأنه قال: ولم يستعجلونك به كأنهم يجوِّزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد مَن يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنَّهم ولو بعد حين ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (﴿يَعُدُّونَ﴾ **مكي وكوفي غير عاصم**) أي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سِنِيكم لأن أيام الشدائد طوال.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حينًا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع إليَّ فلا يفوتني شيء. وإنما كانت الأولى أي ﴿فَكَأَيِّن﴾ معطوفة بالفاء وهذه أي ﴿وَكَأَيِّن﴾ بالواو لأن الأولى وقعت بدلًا عن ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وأما هذه فحُكمها حُكم ما تقدَّمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ

الإبصار) وكأن أصله: فإنها الأبصار لا تعمى. **قوله**: (**لبّ كل شيء**) أي خالصه.

قوله: (﴿يَعُدُّونَ﴾) بالياء من تحت لقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ (**مكّي**) أي ابن كثير المكي (**وكوفي غير عاصم**) أي حمزة والكسائي وخلف، والباقون بالتاء من فوق على الخطاب لعموم المسلمين وغيرهم.

وَعَدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ وإنما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداء لهم وهم الذين قيل فيهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ ووصفوا بالاستعجال. وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا، أو تقديره نذير مبين وبشير فبشّر أولًا فقال:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي حسن. ثم أنذر فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ﴾ سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ حال (﴿معجّزين﴾ حيث كان: مكي وأبو عمرو). وعاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه. والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سمّوها سحرًا وشعرًا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي النار الموقدة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ «من» لابتداء الغاية ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ «من» زائدة لتأكيد النفي ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ هذا دليل بيّن على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد. و(سُئل النبي ﷺ عن الأنبياء) فقال: «مائة ألف وأربعة

قوله: (﴿معجّزين﴾) بالقصر وتشديد الجيم اسم فاعل من عجزه معدّى عجز، أي قاصدين التعجيز بالإبطال (حيث كان) أي هنا وموضعي سبأ (مكّي) أي ابن كثير المكي (وأبو عمرو)، والباقون بالمدّ والتخفيف في الثلاثة اسم فاعل من عاجزه فأعجزه وعجّزه إذا سابقه فسبقه؛ لأن كلًا من الفريقين يطلب حجج خصمه.

قوله: (سُئل النبيّ ﷺ عن الأنبياء)... الخ. قال ابن الجوزي رحمه الله: إنه موضوع، وليس كما قال، فإنه رواه ابن حبان والحاكم كما قاله ابن حجر وفي

وعشرون ألفًا»، فقيل: فكم الرُّسُل منهم؟ فقال: «ثلثمائة وثلاثة عشر» والفرق بينهما أن الرسول مَن جمع إلى المعجزة الكتاب المُنَزَّل عليه، والنبي مَن لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة مَن قبله. وقيل: الرسول واضِع شرع والنبي حافِظ شرع غيره ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ، (قال):

(تمنى) كتاب الله أول ليلة تمني داود الزبور على (رسل)

﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ تلاوته. قالوا: إنه عليه السلام كان في (نادي قومه) يقرأ «والنجم» فلما بلغ قوله: (﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾) [النجم: الآية ٢٠] جرى على لسانه («**تلك الغرانيق**) العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ولم (**يفطن**) له حتى أدركته العصمة فتنبّه عليه. وقيل: نبَّهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان. وهذا القول غير مرضي لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبي عليه السلام بها عمدًا وإنه لا يجوز لأنه كفر ولأنه بعث طاعنًا للأصنام لا مادحًا لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبرًا بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: الآية ٦٥]. ففي حقه أولى، أو جرى ذلك على لسانه سهوًا وغفلة وهو مردود أيضًا لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله، ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: الآية ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩]، فلما بطلت هذه

سنده ضعف جُبِر بالمتابعة. اهـ شهاب. **قوله**: (قال) أي حسان رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (تمنى) ضمير تمنّى لعثمان رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (رسل) ـ بالكسر ـ الرسل والترسّل في القراءة الترتيل، والقراءة بتؤدة وسكينة من غير سرعة. **قوله**: (نادي قومه) النادي المجلس، والمراد مجلس اجتمع فيه المسلمون والمشركون. **قوله**: (﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾) للّتين قبلها (﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾) صفة ذمّ للثالثة، أي المتأخّرة في الرتبة الوضعية المقدار. **قوله**: (**تلك الغرانيق**) جمع غرنوق كزنبور أو فردوس طائر مائيّ معروف أبيض، قيل: أسود كالكركي، وقيل: إنه الكركي، ويتجوّز به عن الشاب الناعم، والمراد بها الأصنام لأنهم بزعمهم إنما تقرّب إلى الله وتشفع شبّهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع. **قوله**: (يفطن)

الوجوه لم يبقَ إلا وجه واحدٍ وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله: «ومناة الثالثة الأخرى» **(فتكلم الشيطان بهذه الكلمات)** متصلًا بقراءة النبي ﷺ فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذي تكلم بها، فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه، فقد رُوِيَ أنه نادى يوم أحد أَلا إن محمدًا قد قتل وقال يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨]. ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي يذهب به ويُبطله ويخبر أنه من الشيطان ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يدعه حتى يكشفه ويزيله. ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله تعالى به قومًا بقوله:

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ محنة وابتلاء ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون المكذِّبون فيزدادوا به شكًّا وظلمة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي المنافقين والمشركين وأصله و«إنهم» فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله وبدينه وبالآيات ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿فَتُخْبِتَ﴾ فتطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيتأولون ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة **(ولا تعتريهم)** شبهة.

من بابي تعب وقتل. **قوله:** (فتكلَّم الشيطان بهذه الكلمات) مُحاكيًا صوت النبيّ ﷺ.

قوله: (ولا تعتريهم) أي تُصيبهم.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن أو من الصراط المستقيم ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ **(فجاءة)** ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير. أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن **(الضحاك)** أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٖ﴾ أي يوم القيامة والتنوين عِوَض عن الجملة أي يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم ﴿لِّلَّهِ﴾ فلا مُنازع له فيه ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يقضي. ثم بيَّن حُكمه فيهم بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾ ثم خصَّ قومًا من الفريق الأول بفضيلة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خرجوا من أوطانهم مجاهدين ﴿ثُمَّ **(قتّلوا)**﴾ **شامي** ﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ **حتف أنفهم)** ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا

قوله: **(فجاءة)** بالضم والمد، وفي لغة وزان تَمْرَة. **قوله**: **(الضحّاك)** بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم وأبو محمد الخراساني من التابعين، مات بعد المائة.

قوله: (﴿قتّلوا﴾) بتشديد التاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالتخفيف. **قوله**: (﴿أَوْ مَاتُواْ﴾ **حتف أنفهم**) في المصباح: الحَتْف الهلاك، قال ابن فارس وتبعه الجوهريّ: ولا يُبْنَى منه فعل يقال: مات حَتْفَ أنْفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، وزاد الصغاني: ولا غَرَق ولا حَرَق، وقال الأزهري: لم أسمع للحتف فعلًا، وحكاه ابن القوطيّة فقال: حتفه الله يحتفه حتفًا، أي من باب ضرب إذا أماته، ونقل العدل مقبول ومعناه: أن يموت على فراشه فيتنفس حتى

حَسَنًاۚ﴾ قيل: (الرزق الحسن) الذي لا ينقطع أبدًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنه المخترع للخلق بلا مثال، المتكفِّل للرزق بلا ملال.

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا﴾ (بفتح الميم مدني) والمراد الجنة ﴿يَرۡضَوۡنَهُۥۚ﴾ لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوال (مَن قضى نحبه) مجاهدًا، وآمال مَن مات وهو ينتظر مُعاهدًا ﴿حَلِيمٞ﴾ بإمهال مَن قاتلهم معاندًا. رُوِيَ أن طوائف من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله: هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك وما بعده مستأنف ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ (سُمّي الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث إنه سبب وذلك مَسَبَّب عنه)

ينقضي رمَقُه، ولهذا خُصّ الأنفَ، ومنه يقال للسمك يموت في الماء ويطفو: مات حَتْفَ أنفه، وهذه الكلمة تكلَّم بها أهل الجاهلية. قال السَّمَوْأل: وما مات منّا سيّدٌ حتف أنفه. **قوله:** (الرزق الحسن) الذي لا ينقطع أبدًا وهو رزق الجنّة.

قوله: (بفتح الميم مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بالضمّ. **قوله:** (من قضى نحبه) مات أو قُتل في سبيل الله، والنَّحب النذر استُعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كلّ حيوان، وقيل: يجوز أن يكون النّذر على حقيقته، فقد كان رجال من الصحابة نذروا أنهم إذا استشهدوا النبيّ ﷺ حربًا قاتلوا حتى يستشهدوا.

قوله: (سمّي الابتداء بالجزاء عقوبة) العقوبة اسم لما يُعاقَب به ويعقب الجرم من الجزاء، وسُمّي المكروه الذي أوقع ابتداء عقوبة حيث قيل: بمثل ما عُوقب به، مع أنه ليس جزاء لعقوبة الجريمة؛ (لملابَسَتِهِ له من حيث إنه سبب وذلك مسبّب عنه)، فإنّ ما وقع ابتداءً سببٌ لما وقع جزاء وعقوبة، فسمّى السبب باسم المسبّب.

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ أي مَن جازى بمثل مافعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحقَّ على الله أن ينصره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يمحو آثار الذنوب ﴿غَفُورٌ﴾ يستر أنواع العيوب. وتقريب الوصفين بسياق الآية أن المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٧]. فحيث لم يؤثِر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامِن لنصره في الكَرَّة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغي، وعَرَضَ مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين، أو دلَّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضدّه كما قيل: «العفو عند القدرة».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ أي ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا، أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات، بصير بما يفعلون ولا يستر عنه شيء بشيء في الليالي وإن توالت الظلمات. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ **عراقي غير أبي بكر)** ﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجري فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن الله الحق

قوله: (﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾) بالياء من تحت على الغيب (**عراقي غير أبي بكر**) إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي، أي قرأه أبو عمرو البصري ويعقوب البصري وليس من السبعة، وحفص وحمزة والكسائي وخلف. وقرأ الباقون بالتاء من فوق على الخطاب للمشركين الحاضرين.

الثابت إلٰهيته وأن كل ما يدعى إلـٰهًا دونه باطل الدعوة **(وأنه لا شيء أعلى منه)** شأنًا وأكبر سلطانًا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات بعدما كانت مُسْوَدَّة يابِسَةً وإنّما صرف إلى لفظ المضارع ولم يَقُل فأصبَحت ليفيدَ بقاءَ أثَرِ المطرِ زمانًا بعدَ زمان كما تقول: «أنعم عليَّ فلان فأروح وأغدوا شاكرًا له» ولو قلت: «فرحت وغدوت» لم يقع ذلك الموقع. **(وإنما رفع ﴿فَتُصْبِحُ﴾ ولم ينصب جوابًا للاستفهام)** لأنه لو نصب لبطل الغرض، وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك: «ألم ترَ أني أنعمت عليك فتَشكر»، إن نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه، وإن رفعته أثبت شكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ واصل عمله أو فضله إلى كل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف المختصّ بدقيق التدبير والخبير المحيط بكل قليل وكثير.

قوله: (وأنه لا شيء أعلى منه)... الخ. بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسّط ضمير الفصل بين اسم أن وخبرها المحلّى بالألف واللام.

قوله: (وإنما رفع ﴿فَتُصْبِحُ﴾) عطفًا على ﴿أَنزَلَ﴾. قوله: (ولم ينصب جوابًا للاستفهام)... الخ. قال أبو حيان: إنما امتنع النصب جوابًا للاستفهام هنا لأن النفي إذا دخل عليه الاستفهام، وإنْ كان يقتضي تقريرًا في بعض الكلام، هو معامَل معاملة النفي المَحض في الجواب. ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، وكذلك الجواب بالفاء إذا أجبت النفي كان على معنيين في كلٍّ منهما ينتفي الجواب، فإذا قلت: ما تأتينا فتحدّثنا بالنصب، فالمعنى: ما تأتينا محدثًا إنما تأتينا ولا تحدّث، ويجوز أن يكون المعنى: أنك لا تأتي، فكيف تحدّثنا؟ فالحديث مُنتفٍ في الحالين، والتقرير بأداة الاستفهام كالنفي المحض في الجواب يثبت ما دخلته همزة الاستفهام وينتفي الجواب، فيلزم من هذا الذي قرّرناه إثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار، وهو خلاف المقصود.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ (مِلكًا ومُلكًا) ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السمٰوات وما في الأرض ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود بنعمته قبل فَناءِ مَن في السمٰوات ومَن في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم مذلَّلة للركوب في البر ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي ومن المراكب جارية في البحر، ونصب ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ عطفًا على «ما» و﴿تَجْرِى﴾ حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يحفظها (من أن تقع ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾) بأمره أو بمشيئته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بتسخير ما في الأرض ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإمساك السماء لئلا تقع على الأرض، عدد آلاءه مقرونة بأسمائه ليشكروه على آلائه ويذكروه بأسمائه. وعن (أبي حنيفة) رحمه الله أن اسم الله الأعظم في الآيات الثمانية يُستَجاب لقراءتها ألبَتَّة.

قوله: (مِلكًا) بالكسر (ومُلكًا) بالضمّ. **قوله**: (من أن تقع) إشارة إلى ﴿أَن تَقَعَ﴾ على حذف حرف الجرّ، وهو من، فهو في محل نصب بنزع الخافض، أو في محل جرّ على إرادته. **قوله**: (﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾) الظاهر أنه استثناء مفرغ من أعمّ الأحوال، وهو لا يقع في الكلام الموجب إلّا أن قوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في قوّة النفي، فلذلك جازَ فيه التفريغ؛ إذ التقدير: ولا يتركها تقع في حالٍ من الأحوال إلّا في حال كونها ملتبسة بأمره. **قوله**: (أبي حنيفة) النعمان بن ثابت، وُلِد سنة ثمانين وهو الصحيح وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة رضي الله تعالى عنه، في كتاب الخيرات الحسان في مناقب إمامنا الأعظم وهُمامنا الأفخم أبي حنيفة النعمان عليه رحمة الرحمٰن للشيخ الأجلّ أحمد بن حجر المكّي رحمهما الله في فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر أنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين، فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لأحد من أئمّة الأمصار المعاصرين له؛ كالأوزاعي بالشام، والحمّادَيْن بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة الشريفة، واللّيث بن سعد بمصر، انتهى. وحينئذ فهو من أعيان التابعين شملهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ لإيصال جزائكم ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ لجحود لما أفاض عليه من ضروب النِّعَم ودفع عنه من صنوف النِّقَم، أو لا يعرف نعمة الإنشاء المبدىء للوجود ولا الإفناء المقرِّب إلى الموعود ولا الإحياء الموصل إلى المقصود ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ﴾ أهل دين ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ مرَّ بيانه وهو ردٌّ لقول مَن يقول إن الذبح ليس بشريعة الله إذ هو شريعة كل أمة ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكِّنهم من أن ينازعوك ﴿فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ أمر الذبائح أو الدين. نزلت حين قال المشركون للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة ﴿وَٱدۡعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عبادة ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ طريق قويم. ولم يذكر الواو في ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ﴾ بخلاف ما تقدم لأن تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر (النسائك) فعطفت على أخواتها، وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد (معطفًا).

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ مراء وتعنتًا كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا

بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠]. اهـ. وفي البزازية في كتاب الوقف أن أبا حنيفة سيّد التابعين، فإنه قد حجّ خمسًا وخمسين حجّة، ولَقِيَ في الحرمين الصحابة، فصار من التابعين الذين اتّبعوهم بإحسان. اهـ.

قوله: (النسائك) جمع نسيكة وهي الذبيحة. **قوله**: (معطفًا) أي محلاً للعطف.

القول، والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مُجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين وتأديب يُجاب به كل متعنّت ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب، و(مسلاة) لرسول الله ﷺ مما كان يَلقى منهم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السمٰوات والأرض ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الموجود فيهما ﴿فِى كِتَـٰبٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي علمه بجميع ذلك عليه يسير. ثم أشار إلى جهالة الكفّار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ (﴿يُنْزِلْ﴾ مكي وبصري) ﴿سُلْطَـٰنًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ﴾ أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصركم ويصوّب مذهبهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ الإنكار بالعبوس والكراهة والمنكر (مصدر) ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾

قوله: (مَسْلاة) هي مفعلة من سلَوْت عنه وسلَيْت عنه.

قوله: (﴿يُنْزِلْ﴾) بسكون النون وتخفيف الزاي (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

قوله: (مصدر) ميمي.

يبطشون والسطو الوثب والبطش ﴿بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ هم النبي ﷺ وأصحابه ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرࣲّ مِّن ذَٰلِكُمُۚ﴾ من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة و(**الضجر**) بسبب ما تُلي عليكم (﴿ٱلنَّارُ﴾) خبر مبتدأ محذوف كأن قائلًا قال: ما هو؟ فقيل: النار أي هو النار ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ استئناف كلام ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلࣱ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابࣰا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـࣰٔا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

ولمّا كانت دعواهم بأن لله تعالى شريكًا جارية في الغرابة والشُّهْرة مجرى (**الأمثال المُسَيَّرة**) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ بين ﴿مَثَلࣱ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ لضرب هذا المثل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ (﴿يَدۡعُونَ﴾ **سهل ويعقوب**) ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهة باطلة ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابࣰا﴾ «لن» تأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على أن خلق الذُّباب منهم مستحيل كأنه قال: مُحال أن يخلقوا. وتخصيص الذُّباب لمَهانته وضعفه واستقذاره، وسُمّي ذُبابًا لأنه كلما ذبَّ لاستقذاره آبَ لاستكباره ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ لخلق الذُّباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذُّباب مشروطًا عليهم اجتماعهم جميعًا لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أُنزل في تجهيل قريش حيث وَصَفوا بالإلـٰهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها (**صورًا**) وتماثيل يستحيل منها أن يقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذلّه لو اجتمعوا لذلك ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـࣰٔا﴾، ﴿شَيۡـࣰٔا﴾ ثاني مفعولي ﴿يَسۡلُبۡهُمُ﴾ ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ أي

قوله: (الضَّجَر) القلق من الغمّ وبابه طَرِب. **قوله**: (﴿ٱلنَّارُ﴾) هو المخصوص بالذمّ المحذوف وضمير ﴿وَعَدَهَا﴾ الظاهر أنه المفعول الثاني، أي وعد الذين كفروا بها، ويجوز أن يكون الأوّل كأنها وعدت بهم لتأكلهم.

قوله: (الأمثال المسيرة) أي الجارية بين الناس. **قوله**: (﴿يَدۡعُونَ﴾) بالياء من تحت على الغيب (**سهل**) بن محمد (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة، والباقون بالتاء من فوق. **قوله**: (صورًا) مفعول وصفوا.

هذا الخلق الأقل الأذلّ لو اختطف منهم شيئًا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا (**يطلونها**) بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذُّباب عجز الأصنام عن أخذه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ أي الصنم بطلب ما سُلِب منه ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذُّباب بما سَلَب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذُّباب في الضعف، ولو حقّقت وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذُّباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عرفوه حقّ معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكًا له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي إن الله قادر وغالب فكيف يتّخذ العاجز المغلوب شبيهًا به، أو لقوي بنصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ يختار ﴿مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلًا كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام. هذا ردٌّ لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رُسُل الله على ضربين مَلَك وبشر. وقيل: نزلت حين قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [القمر: الآية ٢٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لقولهم: ﴿بَصِيرٌ﴾ بمَن يختاره لرسالته، أو سميع لأقوال الرُّسُل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الأُمم في الرّدّ والقبول ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما لم يأتِ أو ما عملوه وما سيعملوه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي إليه مرجع الأمور كلها، والذي هو بهذه الصفات لا يُسئَل عمّا يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رُسُله (﴿تَرْجِعُ﴾ **شامي وحمزة وعليّ**).

قوله: (**يطلونها**) من باب رمى.

قوله: (﴿تَرْجِعُ﴾) بفتح التاء وكسر الجيم ببنائه للفاعل (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعليّ**) الكسائي، وكذا يعقوب وخلف، والباقون بضمّ التاء وفتح الجيم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ في صلاتكم، وكان أول ما أسلموا يصلّون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود، وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان **(وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة)** ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ قيل: لمّا كان للذّكر (مزية) على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولًا إلى الصلاة التي هي ذِكْرٌ خالص لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: الآية ١٤] ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما، ثم عمَّ بالحثّ على سائر الخيرات. وقيل: أُريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي كي تفوزوا أو افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مُستيقنين ولا تتّكلوا على أعمالكم.

﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾

﴿وَجَـٰهِدُوا۟﴾ أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر أو هو كلمة حق عند أمير جائر ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أي في ذات الله ومن أجله ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ وهو أن لا يخاف في الله لومة لائم. يقال: هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقًا

قوله: (وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة) في الجمالين قال القاضي: والآية آية سجدة عندنا خلافًا لأبي حنيفة ومالك، وقال: لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود، قال سعدي فيه: إنّ الأمر على التفسيرين السابقين إنما هو لسجدة الصلاتية لا لسجدة التلاوة، ولا حجّة في المحتمل. ثم قال القاضي: وبقوله ﷺ: «فُضِّلت سورة الحجّ بسجدتين مَنْ لم يسجدهما فلا يقرأهما»، قال السعدي: رواه الترمذي وضعّفه. أقول: وعلى تقدير صحته المراد بسجدتين أوّلهما التلاوتية، والأخرى الصلاتية، انتهى. **قوله: (مزْية)** أي فضيلة.

وجدًّا ومنه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى مُلابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصًا بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحَّت إضافته إليه. (**ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله**:

ويوم شهدناه سليمًا وعامرا)

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم لدينه ونصرته ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ ضيق بل رخَّص لكم في جميع ما كلَّفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمّم وبالإيماء وبالقصر والإفطار لعُذر السفر والمرض وعدم الزَّاد والرَّاحِلَة.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ أي اتّبعوا ملّة أبيكم، أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملَّة أبيكم. وسمّاه أبًا وإن لم يكن أبًا للأمة كلها، لأنه أبو رسول الله ﷺ فكان أبًا لأمته لأن أُمة الرسول في حُكم أولاده قال عليه السلام: «إنما أنا لكم مثل الوالد» ـ سبحانه ـ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي الله بدليل قراءة (أُبيّ): ﴿الله سماكم المسلمين﴾، ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الكتب المتقدمة ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي في القرآن أي فضَّلكم على سائر الأُمم (**وسمّاكم بهذا الاسم الأكرم**) ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

قوله: (**ويجوز أن يتّسع في الظرف**) قالوا: الاتّساع لأنه كان أصله حقّ جهاد فيه، فحذف لفظ في وأُضيف إليه اتّساعًا، أي مجازًا؛ (**كقوله**:

ويوم شهدناه سليمًا وعامرًا)

أي شهدنا فيه. **قوله**: (أُبيّ) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيّد القراء ويُكنى أبا الطفيل أيضًا من فضلاء الصحابة، اخْتُلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك. **قوله**: (**وسمّاكم بهذا الاسم الأكرم**).

تنبيـه:

قال السيوطي: التسمية بالمسلمين مخصوص بهذه الأُمّة، وفي فتاوى ابن الصلاح: إنه غير مختصّ بهم كما تشهد الآيات والأحاديث، وهو الظاهر، فكأنه لم يقف عليه. اهـ شهاب.

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد بلَّغكم رسالة ربكم ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بتبليغ الرُسُل رسالات الله إليهم وإذ خصَّكم بهذه الكرامة و(الأثَرة) ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ بواجباتها ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ بشرائطها ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي مالِكِكُم وناصركم ومتولّي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي الناصر هو حيث أعانكم على طاعتكم وقد أفلح مَن هو مولاه وناصره والله المُوَفِّق للصواب.

قوله: (الأثْرة) المَكْرمة. اهـ لسان العرب. والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلمه أتمّ.

تمّ ما يتعلق بسورة الحجّ، والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونِعْم الوكيل والصّلاة والسّلام على أفضل أنبيائه وعلى آله وأصحابه وخلص أوليائه وأصفيائه، وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين

(سورة المؤمنون)

(مكية وهي مائة وثمانِ عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ «قد» نقيضة لما **(هي تثبت المتوقع ولما تنفيه)**، وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة - وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم - فخُوطِبوا بما دلَّ على ثبات ما توقَّعوه. والفلاح الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا، والإيمان في اللغة التصديق، والمؤمن المصدق لغة. وفي الشرع كل مَن نطق بالشهادتين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة المؤمنين مكّية، وهي مائة وثماني عشرة آية)** وألف وثمانمائة وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وثمانمائة حرف. اهـ خطيب.

قوله: **(هي تثبت المتوقّع)** أي تدلّ على تحقيق أمر متوقّع وثبوته سواء أكان ماضيًا أم مستقبلًا، وهو القول المشهور، وأنكر بعضهم كونها للتوقع في الماضي؛ لأن التوقّع انتظار الوقوع وهو قد وقع، وردّه ابن هشام بأن المراد أنها تدلّ على أن الماضي كان قبل الإخبار متوقّعًا، لا أنه الآن متوقّع **قوله**: **(ولما تنفيه)** أي تنفي ما يتوقّع ثبوته؛ كقوله تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [صٓ: الآية

(مُواطِئًا) قلبه لسانه فهو مؤمن. قال عليه السلام: «خلق الله الجنة فقال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون ثلاثًا أنا حرام على كل بخيل مَرّاء» لأنه بالرِّياء أَبْطَلَ العبادات البدنية وليس له عبادة مالية.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح. وقيل: الخشوع في الصلاة جمع الهِمَّة لها والإعراض عمّا سواها وأن لا يجاوز بصره مُصَلَّاه **(وأن لا يلتفت ولا يعبث ولا يسدل ولا يفَرقع أصابعه ولا يقلِّب الحصى)** ونحو ذلك. وعن **(أبي الدرداء)**: هو إخلاص المَقال وإعظام المَقام

٨]، أي هم لم يذوقوه إلى الآن، وأن ذوقهم له متوقّع فيما بعده. **قوله**: (مواطئًا) أي موافقًا.

قوله: (وأن لا يلتفت) بوجهه كلّه أو بعضه، فإنه يكره تحريمًا وببصره يكره تنزيهًا وبصدره تفسد. **قوله**: (ولا يَعْبَثُ) بثوبه وبجسده، فإنه يكره تحريمًا. **قوله**: (ولا يسدل) قال في شرح المنية: السَّدل هو الإرسال من غير لبس ضرورة أن إرسال ذيل القميص ونحوه لا يسمّى سدلًا. اهـ. ودخل في قوله ونحوه عذبة العمامة، وقال في البحر: وفسّره الكرخي بأن يجعل ثوبه على رأسه أو على كتفيه ويرسل أطرافه من جانبيه إذا لم يكن عليه سراويل. اهـ. فكراهته لاحتمال كشف العورة، وإنْ كان مع السراويل، فكراهته للتشبّه بأهل الكتاب، فهو مكروه تحريمًا مطلقًا، وسواء كان للخيلاء أو غيره. اهـ. ثم قال في البحر: وظاهر كلامهم يقتضي أنه لا فرق بين أن يكون الثوب محفوظًا من الوقوع أو لا؛ فعلى هذا تكره في الطيلسان الذي يُجعل على الرأس، وقد صرّح به في شرح الوقاية. اهـ. أي إذا لم يدره على عنقه، وإلّا فلا سدل.

قوله: (ولا يفرقع أصابعه) فرقعة الأصابع هو غمزها أو مدّها حتى تصوّت، وهي كراهة تحريم. **قوله**: (ولا يقلب الحصى) بالقصر جمع حصاة الحجارة الصغار. **قوله**: (أبي الدرداء) عُوَيْمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مُختلفٌ في اسم أبيه، وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعُوَيْمر لقب، صحابيّ جليل أول مشاهده أُحد، وكان عابدًا مات في آخر خلافة عثمان، وقيل عاش بعد ذلك.

واليقين التام وجمع الاهتمام. وأُضيفت الصلاة إلى المُصَلِّين لا إلى المُصَلَّى له لانتفاع المُصَلِّي بها وحده وهي (**عدته**) وذخيرته، وأما المصلَّى له فغَنِيٌّ عنها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ اللغو كل كلام ساقط حقه أن يُلغَى كالكذب والشتم والهزل يعني أن لهم من (**الجد**) ما شغلهم عن الهزل. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والتَّرك الشَّاقَّين على الأنفس اللذين هما (**قاعدتا بناء التكليف**).

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ مؤدّون ولفظ ﴿فَٰعِلُونَ﴾ يدل على المداومة بخلاف («**مؤدون**»). وقيل: الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يُخرِجه المُزَكِّي من النِّصاب إلى الفقير، وعلى المعنى وهو فِعْل المُزَكِّي الذي هو التزكية وهو المراد هنا، فجعل المُزَكِّين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعمّ جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما. تقول للضَّارِب والقاتل والمُزَكِّي فَعَل الضرب والقتل والتزكية، ويجوز أن يُراد بالزكاة العين ويقدّر مضاف محذوف وهو الأداء، ودخل اللام لتقدّم المفعول وضعف اسم الفاعل في العمل فإنك تقول: «هذا ضارِب لزيد» ولا تقول: «ضرب لزيد».

قوله: (عدّته) في المصباح: العُدّة ـ بالضمّ ـ الاستعداد والتأهّب، والعدّة ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عدد مثل غرفة وغرف.اهـ.

قوله: (**الجِدّ**) بكسر الجيم وهو ضدّ الهزل. **قوله:** (**قاعدتا بناء التكليف**) القاعدة الأساس.

قوله: (مؤدون) يشير بتفسيره بالأداء إلى أن المراد بالزكاة العين، فلا حاجة إلى تقدير المضاف، فإن قيل: السورة مكّية وإنما فُرضت الزكاة بالمدينة؟ قلت: إنما فُرضت بالمدينة نصابها وقدرها. وأمّا أصلها، فقد كان واجبًا بمكّة.اهـ كمالين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ الفرج يشمل (**سَوْءة الرجل والمرأة**) ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ في موضع الحال أي الوالِينَ على أزواجهم أو قوّامين عليهن من قولك: «كان زياد على البصرة» أي واليًا عليها. والمعنى أنها لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال تزوّجهم أو (**تسرّيهم**)، أو تعلق «على» بمحذوف يدلّ عليه غير مَلومين كأنه قيل: يُلامون إلا على أزواجهم أي يُلامون على كل مُباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير مَلومين عليه. وقال (**الفرّاء: إلا من أزواجهم أشار به**) أي زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي إمائهم ولم يقل «من» لأن المَملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يُباع كما تُباع البهائم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ طلب قضاء شهوة من غير هذين ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكفّ لإرادة الشهوة. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾، (﴿**لأمانتهم**﴾ **مكي وسهل**). سمّى الشيء

قوله: (**سوءة الرجل والمرأة**) في المصباح: السوءة العورة، وهي فرج الرجل والمرأة، والتثنية سوءتان، والجمع سوآت سُمّيت سوءة لأن انكشافها للناس يسوء صاحبها. اهـ. **قوله**: (**تسرّيهم**) التسرّي وطء الجارية سرًّا، أي وطئًا سرًّا، والأصل التسرّر قلبت الراء الأخيرة ياء، كما في تقضى البازي. **قوله**: (**الفرّاء**) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنّحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه الله تعالى، والفرّاء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فرّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها، لأنه كان يفري الكلام. **قوله**: (**إلّا من أزواجهم أشار به**) إلى أن ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى من.

قوله: («**لأمانتهم**») بغير ألف على الإفراد (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وسهل**) بن محمد وليس من السبعة، والباقون بالألف على الجمع.

المؤتمن عليه والمُعاهَد عليه أمانة وعهدًا ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: الآية ٥٨] وإنما تؤدّى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعُوهِدوا من جهة الله عزَّ وجلَّ ومن جهة الخلق ﴿رَٰعُونَ﴾ حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ (﴿صَلَاتِهِمْ﴾ **كوفي غير أبي بكر**) ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يُداومون في أوقاتها. وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم، ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها، أو لأنها وحّدت أولًا ليُفاد الخشوع في جنس الصلاة أيّة صلاة كانت، وجمعت آخرًا ليُفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسُّنن والنوافل ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الجامِعون لهذه الأوصاف ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الأحقّاء بأن يسمّوا وُرَّاثًا دون مَن عداهم. ثم (**ترجم**) الوارثون بقوة ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ﴾ من الكفّار في الحديث «ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله». ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر. وقال (**قطرب**): هو أعلى الجِنان ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أنّث الفردوس بتأويل الجنة.

قوله: (﴿صَلَاتِهِمْ﴾) بالإفراد على إرادة الجنس (**كوفي غير أبي بكر**) أي حمزة والكسائي وخلف، والباقون بالجمع على إرادة الخمس أو غيرها كالرواتب. **قوله**: (ترجم) أي فسّر. **قوله**: (قطرب) هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النَّحوي اللغوي البصري أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريّين، وكان حريصًا على الاشتغال والتعلّم، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يومًا: ما أنت إلا قُطرب ليل، فبقي عليه هذا اللّقب، وقطرب اسم دُوَيْبة لا تزال تدبّ ولا تفتر وهو بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضمّ الراء وبعدها باء موحدة، وكان من أئمّة عصره وله من التصانيف كتاب معاني القرآن، وكتاب الاشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب النّوادِر، وكتاب الأزمنة، وكتاب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ أي آدم ﴿مِن سُلَـٰلَةٍ﴾ «من» للابتداء والسلالة الخُلاصة لأنها (تسلّ) من بين الكدر. وقيل: إنما سمّى التراب الذي خلق آدم منه سلالة لأنه (سل) من كل تربة ﴿مِّن طِينٍ﴾ «من» للبيان كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ﴾ أي نسله فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه لأن آدم عليه السلام لم يَصِرْ نطفة وهو كقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ (مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ) ﴿٨﴾﴾ [السجدة: الآيتان ٧، ٨]، وقيل: الإنسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمّى النطفة سلالة أي ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام ﴿نُطْفَةً﴾ ماء قليلًا ﴿فِى قَرَارٍ﴾ (مستقر) يعني الرّحِم ﴿مَّكِينٍ﴾ حصين.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ﴾ أي صيَّرناها بدلالة تعدّيه إلى مفعولين والخلق يتعدّى إلى مفعول واحد ﴿عَلَقَةً﴾ قطعة دم والمعنى أحلْنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمًا قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا﴾ فصيَّرناها عظامًا ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا﴾ فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس (﴿عظمًا﴾ ﴿العظم﴾

الفرق، وكتاب الأصوات، وكتاب الصّفات، وكتاب العِلل في النَّحو، وكتاب الأضداد، وكتاب غريب الحديث، وكتاب الردّ على المُلحدين في تشابه القرآن وغير ذلك، وتوفي سنة ستّ ومائتين رحمه الله تعالى، ويقال: إن اسمه أحمد بن محمد، وقيل: الحسن بن محمد، والأوّل أصح والله أعلم بالصواب.

قوله: (تسلّ) أي تنزع وتستخرج من بين الكدر، أي المختلط. **قوله**: (سل) أي نزع واستخرج. **قوله**: (﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾) ضعيف هو النطفة. **قوله**: (مستقرّ) بفتح القاف.

قوله: (﴿عَظْمًا﴾ ﴿العَظْم﴾) بفتح العين وإسكان الظاء بلا ألف فيهما على التوحيد إرادة للجنس على حدّ ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مريم: الآية ٤].

شامي وأبو بكر ﴿**عظمًا**﴾ ﴿ٱلۡعِظَٰمِ﴾) زيد (**عن يعقوب** ﴿عِظَٰمًا﴾ ﴿ٱلۡعَظۡمُ﴾ **عن أبي زيد**)، وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللَّبْس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ﴾ الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور ﴿خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ أي خلقًا مُباينًا للخلق الأول حيث جعله حيوانًا وكان جمادًا وناطِقًا وسميعًا وبصيرًا وكان بضدّ هذه الصفات، ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخَت عنده يضمن البيضة ولا يُرَدّ الفرخ لأنّه خلق آخر سوى البيضة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ فتعالى أمره في قدرته وعلمه ﴿أَحۡسَنُ﴾ بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه عِوَض من «من» ﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ المقدّرين أي أحسن المقدّرين تقديرًا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه. وقيل: إن (**عبد الله بن سعد بن أبي سرح**) كان يكتب للنبي

(**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وأبو بكر**) شعبة عن عاصم (﴿**عظمًا**﴾ ﴿**العظام**﴾) زيد بن أحمد بن إسحٰق (**عن يعقوب**) بن إسحاق وليس من السبعة، (﴿عِظَٰمًا﴾ ﴿ٱلۡعَظۡمُ﴾ **عن أبي زيد**) سعيد بن أوس الأنصاري عن المفضل بن محمد بن عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والباقون بالجمع فيهما على الأصل على حدّ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٩].

قوله: (**عبد الله بن سعد بن أبي سرح**) بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حلّ بن عامر بن لؤيّ القرشي العامري قريش الظواهر وليس من قريش البِطاح، يُكنى أبا يحيىٰ وهو أخو عثمان بن عفّان من الرّضاعة، أرضعت أُمّه عثمان، أسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله ﷺ وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتدّ مشركًا وصار إلى قريش بمكّة فقال لهم: إني كنت أصرّف محمّدًا حيث أُريد، كان يُملي عليّ عزيز حكيم، فأقول: أو عليم حكيم، فيقول: نعم، كلٌّ صواب؛ فلمّا كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة، ولو وُجدوا تحت أستار الكعبة؛ ففرّ عبد الله بن سعد إلى عثمان بن عفان فغيّبه عثمان حتى أتى به إلى رسول الله ﷺ بعدما اطمأنّ أهل مكّة فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلًا ثم قال: «نعم»، فلمّا انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «ما صمتّ إلّا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه»، فقال رجل من الأنصار: فهلّا أوْمأْتَ إليّ يا رسول الله، فقال: «إنّ النبيّ لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين»، وأسلم ذلك اليوم فحَسُن إسلامه ولم يظهر منه بعد ذلك

عليه السلام فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله ﷺ: «اكتب هكذا نزلت» فقال عبد الله: إن كان محمد نبيًا يُوحَى إليه فأنا نبيٌّ يُوحَى إليَّ فارتدّ ولحق بمكة

ما يُنكر عليه، وهو أحد العُقلاء الكرماء من قريش، ثم ولّاه عثمان بعد ذلك مصر سنة خمس وعشرين ففتح الله على يديه أفريقية، وكان فتحًا عظيمًا بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهبًا، وسهم الراجل ألف مثقال وشهد معه هذ الفتح عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكان فارس بني عامر بن لؤي وكان على ميمنة عمرو بن العاص لمّا افتتح مصر وفي حروبه هناك كلّها، فلمّا استعمله عثمان على مصر وعزل عنها عمرًا جعل عمرو يطعن على عثمان ويؤلّب[١] عليه ويسعى في إفساد أمره، وغزا عبد الله بن سعد بعد أفريقية الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين وهو الذي هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم وغزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم، ولمّا اختلف الناس على عثمان رضي الله تعالى عنه سار عبد الله من مصر يريد عثمان، واستخلف على مصر السائب بن هشام بن عمرو العامري، فظهر عليه محمد بن أبي حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن أُميّة الأُموي، فأزال عنها السائب وتأَمر على مصر، فرجع عبد الله بن سعد، فمنعه محمد بن أبي حذيفة من دخول الفسطاط، فمضى إلى عسقلان فأقام بها حتى قُتل عثمان ﷺ، وقيل: بل أقام بالرملة حتى مات فارًّا من الفتنة، وقد ذكرنا هذه الحروب والحوادث مُستقصاة في الكامل في التاريخ، ودعا عبد الله بن سعد فقال: اللّهمّ اجعل خاتمة عملي الصلاة، فصلّى الصبح فقرأ في الركعة الأُولى بأُمّ القرآن والعاديات، وفي الثانية بأُمّ القرآن وسورة وسلّم عن يمينه ثم ذهب يسلّم عن يساره فتوفّي ولم يبايع لعليّ ولا لمعاوية، وقيل: بل شهد صفّين مع معاوية، وقيل: لم يشهدها وهو الصحيح، وتوفي بعسقلان وقيل: بأفريقية سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سنة سبع وثلاثين، وقيل: بقي إلى آخر أيام معاوية، فتوفي سنة تسع وخمسين والأول أصح أخرجه الثلاثة، يعني أبا عمر بن عبد البرّ، وابن منده، وأبا نعيم.

---

(١) التّأليب الإفساد. اهـ قاموس. ١٢ منه رحمه الله.

ثم أسلم يوم الفتح. **(وقيل: هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية. وقيل: القائل عمرًا أو معاذ رضي الله عنهما).**

قلت: قد وهم ابن منده وأبو نعيم في نسبه، فإنهما قدّما حبيبًا على الحارث وليس بشيء، ثم قالا: جذيمة بن نصر بن مالك، وإنما جذيمة هو ابن مالك ثم قالا: القرشي من بني معيص وهذا وهم ثانٍ، فإن حسلًا أخو معيص بن عامر وليس بأبٍ له ولا ابن، والصواب تقديم الحارث على حبيب، قال الزبير بن بكّار: وإليه انتهت المعرفة بأنساب قريش، قال: وولد عامر بن لؤيّ بن غالب بن حسل بن عامر ومعيص بن عامر فولد حسل بن مالك بن حسل، فولد مالك بن حسل نصرًا، وجذيمة بن مالك بن حسل، ثم ذكر ولد نصر بن مالك ثم قال: وولد جذيمة وهو شحام بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ حبيبًا، وهو ابن شحام، فولد حبيب بن جذيمة الحارث، فولد الحارث بن حبيب ربيعة وأبا سرح، وولد أبو السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل سعدًا فولد سعد عبد الله بن سعد، وكان أخا عثمان من الرضاعة، هذا معنى ما قاله الزبير، ومثله قال ابن الكلبي.

حُبيب بضم الحاء المهملة وتخفيف الياء تحتها نقطتان، قاله الكلبي وابن ماكولا وغيرهما. وقال الكلبي: إنما ثقله حسان للحاجة، وقال ابن حبيب: هو حبيب بتشديد الياء. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.

قوله: (وقيل: هذه الحكاية غير صحيحة؛ لأن ارتداده كان بالمدينة، وهذه السورة مكّية) قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وأمّا القول بأنّ الرواية غير صحيحة لأن السورة مكّية وارتداده بالمدينة كما اعترف الراوي، فجرأة على الحديث بالردّ وكونها مكية باعتبار أكثرها، وقد مرّ ما يشير له، ولهذا تفصيل في محلّه. اهـ.

قوله: (وقيل: القائل عمرًا ومعاذ رضي الله تعالى عنهما) في التقريب: عمر بن الخطاب بن نفيل - بنون وفاء مصغّرًا - ابن عبد العزّى بن رياح - بتحتانية - ابن عبد الله بن قرط - بضمّ القاف - ابن رزاح - براء ثم زاي خفيفة - ابن عدي بن كعب القرشي العدوي، أمير المؤمنين، مشهور جمّ المناقب، استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا. اهـ. وأيضًا فيه:

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما ذكرنا من أمركم ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ تُحيَون للجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ جمع طريقة وهي السمٰوات لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ أراد بالخلق السمٰوات كأنه قال: خلقناها فوقكم وما كنّا غافلين عن حفظها، أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم لِيَفْتَحَ عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلًا عنهم وعمّا يُصلحهم.

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمٰن من أعيان الصحابة شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المُنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة مشهورًا. اهـ.

في الدرّ المنثور: أخرج الطيالسي وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: وافقت ربّي في أربع، قلت: يا رسول الله لو صلّينا خلف المقام؛ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله لو اتّخذت على نسائك حجابًا، فإنه يدخل عليك البرّ والفاجر؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]. وقلت لأزواج النبيّ ﷺ: لينتهنّ أو ليبدلنّه أزواجًا خيرًا منكنّ؛ فنزلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التّحريم: الآية ٥] الآية، ونزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ الآية إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. اهـ.

وأيضًا فيه: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال: لمّا نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ إلى آخر الآية، قال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. اهـ.

وأيضًا فيه: أخرج ابن راهويه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال: أملى عليّ رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرًا ﴿بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يسلمون معه من المَضَرَّة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ كقوله: (﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾) [الزمر: الآية ٢١]، وقيل: جعلناه ثابتًا في الأرض فماء الأرض كله من السماء. ثم استأدى شكرهم بقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه فقيِّدوا هذه النعمة بالشكر ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى النخيل والأعناب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي من الجنات أي من ثمارها، ويجوز أن هذا من قولهم: «فلان يأكل من حِرفَة يحترِفها ومن صَنْعَة يغتلها»، أي أنها طعمته وجهته التي منها يُحَصِّلُ رزقه كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها تُرزَقون وتتعيَّشون.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿جَنَّاتٍ﴾ وهي شجرة الزيتون ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾ و﴿طور سينين﴾ لا يخلو إما أن يضاف (الطور) إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسمًا للجبل مركَّبًا من مضاف ومضاف إليه

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾، فقال معاذ بن جبل: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فضحك رسول الله ﷺ فقال له معاذ: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: «بما ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين». اهـ.

قوله: (﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾) أدخله أمكنة نبع (﴿فِي الْأَرْضِ﴾) أي أمكنة ينبع منها حيث إنها قريبة من وجه الأرض، فلم يجعله في أسفلها جدًّا بحيث لا يستخرج منها.

قوله: (الطور) اسم للجبل المخصوص أو لكل جبل، وهو عربيّ، وقيل: معرب.

(كامرىء القيس) وهو جبل **(فلسطين)**. وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين **(كقراءة الحجازي وأبي عمرو)** للتعريف والعجمة، أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ قال **(الزجّاج)**: الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن (﴿تُنبِتُ﴾ **مكي وأبو عمرو**). إما **(لأن أنبت بمعنى نبت كقوله: «حتى إذا أنبت البقل»، أو لأن مفعوله محذوف والباء للحال)**، أي تنبت زيتونها وفيه الدهن ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ أي (إدام) لهم. قال **(مقاتل)**: جعل الله تعالى في هذه إدامًا ودهنًا، فالإدام الزيتون والدهن الزيت. وقيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان. وخَصَّ هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع.

قوله: (كامرىء القيس) أي هو مركب إضافي جُعِل علمًا. **قوله**: **(فلسطين)** بكسر فاء وفتح لام بلدة بالشام. **قوله**: (**كقراءة الحجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكّي **(وأبي عمرو)** البصري.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: (﴿تَنۢبُتُ﴾) بضم التاء وكسر الموحدة مضارع أنبت (مكّي) أي ابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)**، وكذا رُوَيْس عن يعقوب وليس من السبعة. (إمّا لأن **أنبت بمعنى نبت**) فيكون لازمًا؛ (كقوله: حتى إذا أنبت البقل، **أو** لأن مفعوله **محذوف والباء للحال**)، والباقون بفتح التاء وضمّ الباء مضارع نبت لازم و﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠] حال الفاعل، أي تنبت ملتبسة بالدهن. **قوله**: (إدام) في المصباح: الإدام ما يُؤْتدم به مائعًا كان أو جامدًا، وجمعه أُدم، مثل كتاب وكتب. ويسكن للتخفيف فيعامل معاملة المفرد، ويجمع على آدام، مثل قفل وأقفال. اهـ. **قوله**: (مقاتل) بن سليمان بن بشير، وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وأبي إسحٰق السبيعي والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم، وكان من الأجلاء، حُكِيَ عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام. توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمة الله عليه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ جمع نُعْم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ﴾ (**وبفتح النون: شامي ونافع وأبو بكر**) وسقى وأسقى لغتان ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي نُخرج لكم من بطونها لبنًا (﴿سَائِغًا﴾) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى الألبان وهي منافع (**الأصواف والأوبار والأشعار**) ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي لحومها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ في أسفاركم، وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفُلْك التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال (**ذو الرمة**:

سفينة برّ تحت خدي زمامها)

يريد ناقته.

قوله: (**وبفتح النون شامي**) أي ابن عامر الشامي (**ونافع وأبو بكر**) شعبة عن عاصم، وكذا يعقوب، وقرأ أبو جعفر بالتاء من فوق مفتوحة على التأنيث، والباقون بالنون المضمومة. **قوله**: (﴿سَائِغًا﴾) أي سهل المرور في الحلق لا يغصّ[1] به، أي يأخذ بالحلق. **قوله**: (**الأصواف والأوبار والأشعار**) قال المفسّرون وأهل اللّغة: الأصواف للضأن والأوبار للإبل والأشعار للمعز. اهـ خطيب في تفسير سورة النّحل. **قوله**: (**ذو الرُمّة**) هو أبو الحارث غَيْلان بن عَقْبة بن نهيس الشاعر المشهور المعروف بذي الرمّة، والرُمة بضم الراء وتشديد الميم قطعة من الحبل الخلق، أي البالي ويجوز كسرها، أحد فحول الشعراء، توفي سنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى. **قوله**:

(**سفينة برّ تحت خدي زمامها**)

الشعر لذي الرمّة من قصيدة مشهورة له، وقبله:

ألا خيلت ميّ وقد نام صحبتي فما يقرأ التهويم إلّا سلامها
طروقًا وجِلب الرحل مشدودة به سفينة برّ تحت خدي زمامها

---

(١) بالغين المعجمة وتشديد الصاد منه. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ معبود ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ بالرفع على المحل: وبالجر على اللفظ، و(**الجملة استئنافية تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة**) ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي أشرافهم لعوامّهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يأكل ويشرب ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يطلب الفضل عليكم ويترأس ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (**إرسال رسول**) ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ لأرسل ملائكة ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي بإرسال بشر رسولًا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسبّ آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوّة للبشر ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ فلما أيِسَ من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم،

قوله: خيلت أي أرسلت خيالها أو جاءت في الخيال على معنى إدراكها خيالًا، والتهويم أوّل النوم مطروقًا نصب على المصدر؛ لأن التخييل في الليل طروق أو بمعنى طارقة، وجلب الرجل ضمًّا وكسرًا بميدانه.

قوله: (**الجملة استئنافية تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة**) أي قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٣] جملة مستأنفة استئنافًا بيانيًّا بتقدير سؤال هو: لِمَ أمرتنا بعبادته؟ فكأنه قيل: إنكم لا إلـٰه لكم غيره، وهي تُفيد تخصيصه بالعبادة وما كان علّة لتخصيص العبادة كان علّة لها.

قوله: (**إرسال رسول**) هو مفعول المشيئة المقدّر المفهوم من السياق.

والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي إذ في نصرته إهلاكهم، أو ﴿ٱنصُرۡنِي﴾ بدل ﴿ما كذبون﴾ كقولك: «هذا بذاك» أي بدل ذاك والمعنى أبدلني من غَمِّ تكذيبهم **(سلوة النصرة عليهم)**.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي أجبنا دعاءه فأوحينا إليه ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إياك، أو بحفظنا **(وكلاءتنا)** كأن معك من الله حفاظًا يكلَؤونك بعيونهم لئلا يتعرَّض لك ولا يفسد عليك مُفسِد عملك ومنه قولهم: «عليه من الله عين كالئة». ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أمرنا وتعليمنا إياك صنعتها. رُوِيَ أنه أُوحي إليه أن يصنعها على مِثال **(جؤجؤ الطائر)**.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي عذابنا بأمرنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي فار الماء من تنور الخبز أي أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الإنذار والاعتبار. رُوِيَ أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من التنّور فاركب أنت ومَن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنّور أخبرته امرأته فركب وكان تنّور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة. واختلف في مكانه فقيل: **(في مسجد الكوفة)**. وقيل: بالشام. وقيل: بالهند. ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ فأدخل في السفينة ﴿مِن كُلِّ زَوۡجَيۡنِ﴾ من كلٍّ أُمتي زوجين وهما أمة الذَّكر وأُمة الأُنثى كالجِمال والنُّوق والحصن والرماك

قوله: (سلوة النصرة عليهم) أي نعمة النصرة عليهم تسليني عن الغمّ.

قوله: (وكلاءتنا) بالكسر والمدّ عطف تفسير. **قوله:** (جُؤجُؤ الطائر) الجؤجؤ الصدر، وقيل: عظامه. اهـ لسان العرب. **قوله:** (في مسجد الكوفة) عن يمين الدَّاخل مما يلي باب كندة[1].

(١) وباب كندة باب لذلك المسجد معروف، وكندة علم لقبيلة. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ (واحدين مزدوجين كالجمال) و(النُّوق والحصن والرماك). رُوِيَ أنه لم يحمل إلا ما يَلِد ويبيضّ من كل (حفص والمفضل) أي (﴿مِن كُلٍّ﴾) أمة زوجين اثنين و﴿اثنين﴾ تأكيد وزيادة بيان ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ ونساءك وأولادك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ من الله بإهلاكه وهو ابنه وإحدى زوجتيه فجيء بـ «على» مع سبق الضارّ كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات: الآية ١٧١] ونحوها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾، ﴿مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ ولا تسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ فإذا تمكَّنتم عليها راكبين ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم. ولم يقل فقولوا وإن كان ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾ في معنى إذا استويتم لأنه نبيِّهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوّة ﴿وَقُل﴾ حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا﴾ أي إنزالاً أو موضع إنزال

قوله: (**كالجمال**) جمع الجمل، في المصباح: الجمل من الإبل بمنزلة الرجل يختصّ بالذَّكر، قالوا: ولا يسمّى بذلك إلّا إذا نَزَّل وجمعه جمال وأجمال وأجمل وجمالة بالهاء، وجمع الجمال جمالات. اهـ. **قوله**: (**النُّوق**) جمع الناقة الأُنثى من الإبل. **قوله**: (**والحصن**) جمع حصان مثل كتاب وكتب، في المصباح: الحصان ـ بالكسر ـ الفرس العتيق، قيل: سُمّي بذلك لأن ظهره كالحصن لراكبه، وقيل: لأنه ضَنَّ بمائه فلم يَنْزل إلّا على كريمة ثم كَثُر ذلك حتى يسمّى كل ذكر من الخيل حصانًا، وإن لم يكن عتيقًا، والجمع حُصُن مثل كتاب وكُتُب. اهـ. **قوله**: (**والرماك**) جمع رمكة مثل رقبة ورقاب، في المصباح: **الرمكة** الأُنثى من البراذين، والجمع رماك مثل رقبة ورقاب. اهـ.

قوله: (**واحدين مزدوجين**) تفسير لزوجين إشارة إلى أن المراد فردان لا صنفان. **قوله**: (﴿مِن كُلٍّ﴾) بالتنوين (**حفص**) عن عاصم (**والمفضل**) بن محمد عن عاصم والباقون بغير تنوين.

(﴿مَنزِلًا﴾ أبو بكر أي مكانا) ﴿مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النَّسْل وتتابع الخيرات.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فِيمَ فعل بنوح وقومه ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لعِبَرًا ومواعظ ﴿وَإِن﴾ (هي المخفَّفة من المثقلة) واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (مصيبين) قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد، أو مُختَبَرين بهذه الآيات عبادنا لننظر مَن يعتبر ويذكر كقوله تعالى: (﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾) [القمر: الآية ١٥].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد نوح ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٩] ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في «الأعراف» و«هود» و«الشعراء» ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ الإرسال يُعدَّى بـ «إلى» ولم يعد بـ «في» هنا وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد: الآية ٣٠]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٩٤] ولكن

قوله: (﴿مَنزِلًا﴾) بفتح الميم وكسر الزاي (أبو بكر) شعبة عن عاصم (أي مكانًا) أي مكان نزول، والباقون بضمّ الميم وفتح الزاي، فيجوز أن يكون مصدرًا أو مكانًا أي إنزالًا أو موضع نزول.

قوله: (هي المخفَّفة من المثقلة) على الأصح، وقيل: نافية واللام بمعنى ألا، والجملة حالية. **قوله**: (مصيبين) إشارة إلى أن الابتلاء إمّا من البليّة بمعنى المصيبة، أو بمعنى الاختبار. **قوله**: (﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾) أي أبقينا هذه الفعلة، أي إغراق الكفار وإنجاء نوح أي خبرها، وقيل: أراد السفينة، قال قتادة: ألقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل الأُمّة، أخرجه عبد الرزاق. (﴿ءَايَةً﴾) لمن يعتبر بها، أي شاع خبرها واستمرّ (﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾) معتبر ومتّعظ بها، وأصله مذتكر أُبدلت التاء دالًا مهملة، وكذا المعجمة وأُدغمت فيها.

الأُمة والقرية جعلت موضعًا للإرسال كقول (رؤبة:

أرسلت فيها مصعبًا ذا إقحام)

﴿رَسُولًا﴾ هو هود ﴿مِّنْهُمْ﴾من قومهم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ («أن» مفسّرة) لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله.

قوله: (رؤبة) ـ بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة ـ ابن العجاج هو وأبوه راجزان مشهوران، كلّ منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، وهما مجيدان في رجزهما، وكان بصيرًا باللغة قيّمًا بحواشيها[1] وغريبها، توفي سنة خمس وأربعين ومائة، وكان قد أسنّ رحمه الله، ولمّا مات قال الخليل: دفنّا الشعر واللّغة والفصاحة. **قوله**:

(أرسلت فيها مصعبًا ذا إقحام)

تمامه:

(طبًّا فقيهًا بذوات الإيلام)

يقال: أصعب الجمل إذا لم يُركب ولم يُذلّل، فهو مصعب وبه سُمّي الرجل المسوّد مصعبًا، وقوله: ذا إقحام أي يقحم في الأُمور ويدخل فيها بغير تلبّث ولا رويّة، وأعرابي مقحم نشأ في المفازة لم يخرج منها، والطبّ الحاذق يقال: اعمل هذا عمل من طبّ لمن حبّ يقول: أرسلت في هذه القضية رجلًا مسوّدًا مقحمًا في الأُمور حاذقًا بعلاج ذي الإيلام وهي جراحة الرحم، وإنما خصّ علاج هذا لأن مَنْ كان حاذقًا أن يأسو[2] جراحة الرحم ذات الخطر المستترة عن العيون كان في غاية الحذاقة.

قوله: («أن» مفسّرة) بمعنى أي وشرطها تقدّم ما فيه معنى القول دون حروفه، وإرسال الرسل لمّا كان للتبليغ كان كذلك، وإليه أشار بقوله: أي قلنا... الخ.

---

(١) الحُوشي ـ بالضمّ ـ الغامض من الكلام. اهـ قاموس. ١٢ منه رحمه الله.
(٢) أي يُداوي ويُعالج. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾ ذكر مقالة قوم هود في جوابه في «الأعراف» وهو بغير واو لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال قومه؟ فقيل له: قالوا: كيت وكيت، وهٰهنا مع الواو لأنه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول، ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي ﷺ متصل بكلامه ولم يكن بالفاء، وجيء بالفاء في قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع عقيبه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ صفة للملأ أو لقومه ﴿وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ ونعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿مَا هَٰذَآ﴾ أي النبي ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أي من أين يدّعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿إِنَّكُمْ (إِذًا﴾ واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم) ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ بالانقياد لمثلكم، ومن حمقهم أنهم أبوا اتّباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ (بالكسر): نافع وحمزة وعلي وحفص، وغيرهم بالضم ﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى ﴿أَنَّكُمْ﴾ للتأكيد، وحسن ذلك للفصل بين الأول والثاني بالظرف و﴿مُّخْرَجُونَ﴾ خبر عن الأول والتقدير: أيعدكم أنكم مخرجون إذا مُتُّم وكنتم ترابًا

قوله: (﴿إِذًا﴾ واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاوَلوهم من قومهم)، فكأن بعض القوم قالوا لبعضهم: ماذا يكون علينا لو أطعنا بشرًا مثلنا؟ فأجابوهم: بـ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾، أي لو أطعتموه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾، وفيه مسامحة لأن الجزاء جملة إنكم إذًا لخاسرون.

قوله: (بالكسر) أي بكسر الميم.

وعظامًا ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ (وبكسر التاء: يزيد، ورُوِيَ عنه بالكسر والتنوين فيهما)، والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع بعد فاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب، أو فاعلها ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿إِنْ هِيَ﴾ هذا ضمير لا يعلم ما (يعني) به إلا بما (يتلوه) من بيانه وأصله إن الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ ثم وضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة لأن الخبر يدلّ عليها ويبيِّنها، والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها ودَنَت منّا، وهذا لأن «إن» النافية دخلت على «هي» التي في معنى الحياة الدّالّة على الجنس فنفتها فوازنت «لا» التي لنفي الجنس ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعض ويُولَد بعض، ينقرض قرن فيأتي قرن آخر، أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة (أُبَيّ وابن مسعود) رضي الله عنهما ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي ما هو إلا مُفْتَرٍ على الله فيما يدّعيه من استنبائه وفيما يعدنا من البعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدِّقين.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٦﴾﴾ فأجاب الله دعاء الرسول بقوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾، ﴿قَلِيلٍ﴾ صفة للزمان كقديم وحديث في قولك: «ما رأيته قديمًا

قوله: (وبكسر التاء) من غير تنوين فيهما (يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. **قوله:** (وروي عنه بالكسر والتنوين فيهما)، والباقون بالفتح فيهما بلا تنوين.

قوله: (يعني) أي يُراد. **قوله:** (يتلوه) أي يتبعه. **قوله:** (أبي) بن كعب سيّد القرّاء من فضلاء الصحابة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾) عن للمجاوز بعد هنا.

ولا حديثًا» وفي معناه عن قريب و«ما» زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف ﴿(لَّيُصْبِحُنَّ) نَدِمِينَ﴾ إذا عاينوا ما يحلّ بهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي صيحة جبريل صاح عليهم **(فدمرهم)** ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق أي بالعدل ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ شبّههم **(في دمارهم بالغثاء)** وهو **(حميل)** السيل مما **(بلى)** واسودّ من **(الورق والعيدان)** ﴿فَبُعْدًا﴾ فهلاكًا يقال بعد بعدًا أو أُبعِدَ أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل **(إظهارها)** ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **(بيان لمن دُعِيَ عليه بالبُعد)** نحو ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

قوله: (﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾) يصبح بمعنى يدخل في وقت الصباح، ويكون بمعنى يصير وهو المراد هنا.

قوله: (فدمَرهم) أهلكهم. **قوله**: **(في دمارهم بالغثاء)** فإن أخصّ أوصاف الغثاء أن يذهب به السيل، فلا يظفروا به أبدًا، فشبَّهوا به تشبيهًا بليغًا في ذلك، والجعل هٰهنا بمعنى التصيير و﴿غُثَآءً﴾ مفعوله الثاني، والدمار بالمهملة كالهلاك لفظًا ومعنى. **قوله**: **(حميل)** السيل أي ما يحمله. **قوله**: (بلى) في المصباح: بلى الثوب يبلى من باب تعب **بلى** بالكسر والقصر، وبَلاء ـ بالفتح والمدّ ـ خلق، فهو بالٍ. اهـ.

قوله: **(الورق)** بفتحتين من الشجرة الواحدة ورقة. اهـ مصباح. **قوله**: **(والعيدان)** في المصباح: عود الخشب جمعه أعواد وعيدان، والأصل عودان لكن قُلِبت الواو ياءً لمجانسة الكسرة قبلها. **قوله**: **(إظهارها)** من إضافة الصفة للموصوف، أي لا تُستعمل مظهرة. **قوله**: **(بيان لمن دُعِيَ عليه بالبُعد)**، فهي متعلّقة بمحذوف، أي أقول ذلك للقوم... الخ.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ (﴿مِنْ﴾ **صلة**) أي ما تسبق أمة ﴿أَجَلَهَا﴾ المكتوب لها والوقت الذي حدَّد لهلاكها وكتب ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ لا يتأخرون عنه.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا (تَتْرَا)﴾ فَعْلى والألف للتأنيث كسكرى لأن الرُّسُل جماعة ولذا لا ينوَّن لأنه غير منصرف ﴿تَتْرًا﴾ بالتنوين: (**مكي وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق بجعفر كأرطى**)، وهو نصب على الحال في القراءتين أي متتابعين واحدًا بعد واحد، وتاؤها فيهما بدل من الواو والأصل «وَتْرى» من الوتر وهو الفرد فقُلِبَت الواو تاء (**كتراث**) ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ الرسول يُلابس المُرسِل والمُرسَل إليه والإضافة تكون بالمُلابسة فتصحّ إضافته إليهما ﴿فَأَتْبَعْنَا﴾ الأمم والقرون ﴿بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أخبارًا يسمع بها ويتعجب منها، والأحاديث تكون (**اسم جمع للحديث**) ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وتكون جمعًا للأُحدوثة وهو ما يتحدث به الناس تلهيًا وتعجبًا وهو المراد هنا ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (﴿مِنْ﴾ **صلة**) أي زائدة للاستغراق يعني أنها زيدت في الفاعل لتأكيد الاستغراق المُستفاد من النَّكرة الواقعة في سياق النفي، وضمير يستأخرون لأنه باعتبار معناه.

قوله: (﴿تَتْرًا﴾) بالتنوين (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**) البصري، (**ويزيد**) هو أبو جعفر (**على أن الألف للإلحاق بجعفر كأرطى**[1]) أي كهي في أرطى، والباقون بالألف بلا تنوين. **قوله**: (**كتراث**) أصله وراث فأبدل الواو المضمومة في أوّل الكلمة تاء. **قوله**: (**اسم جمع للحديث**) تبع فيه الزمخشري، ولا يذهب عليك أن اصطلاحه أن يُطلق اسم الجمع على الجمع الذي ليس بقياسي كاسم المصدر للمصدر غير القياسي لا على ما اصطلح عليه النحّاة من أنه ما دلّ

---

(١) أَرطى: نبات شُجيرى من الفصيلة البَطاطية ينبت في الرملِ ويخرج من أصل واحد كالعصيّ تأكلهُ الإبل.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل من ﴿أَخَاهُ﴾ (﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾) التسع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحجة ظاهرة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ امتنعوا عن قبول الإيمان ترفّعًا وتكبّرًا ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين مترفِّعين ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ (**البشر يكون واحدًا وجمعًا**) ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ أي بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ خاضعون مُطيعون وكلّ مَن (دان) لملك فهو عابد له عند العرب ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ (**بالغرق**).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ أي قوم موسى ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعملون بشرائعها ومواعظها ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ تدل على قدرتنا على مانشاء لأنه خلق من غير نطفة وَحْدَه، لأن الأُعجوبة فيهما واحدة، أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأُمه آية فحذِفت الأولى لدلالة الثانية عليها ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾ جعلنا مأواهما أي

على معنى الجمعية ولم يكن على شيء من أوزانها، وليس اسم جنس جمعي، فلا يرد عليه ما.قاله أبو حيان من تخطئته بأن أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع، فالصواب أنه جمع حديث على غير القياس.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾) التسع، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدَّم، والحجر، والبحر، والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان، والسنون، ونقص الثمرات مكان الحجر، والبحر، والطور؛ كذا أفاده المصنّف رحمه الله في سورة بني إسرائيل. **قوله**: (**البشر يكون واحدًا وجمعًا**) لأنه اسم جنس. **قوله**: (دان) في مختار الصحاح: دانه يدينه دِينًا بالكسر أذلّه واستعبده.اهـ. **قوله**: (**بالغرق**) في بحر قلزم.اهـ بيضاوي. قلزم كقنفذ بلد بين مصر ومكّة بقرب الطور، وإليه يضاف بحر القلزم، والمعروف فيه التعريف بأل.اهـ شهاب.

منزلهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ **شامي وعاصم**. ﴿ربوةٌ﴾ **غيرهما**) أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو (**دمشق**) أو (**الرملة**) أو مصر ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من أرض مستوية (**منبسطة**) أو ذات ثمار وماء يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها **ساكنوها** ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء ظاهر جارٍ على وجه الأرض (**أو أنه مفعول أي مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه**)، أو فعيل لأنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أُرسِلوا متفرقين في أزمنة مختلفة، وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نُودِي بذلك ووصَّى به ليعتقد السامع أن أمرًا نودي له جميع الرُّسُل ووصّوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه، أو هو خطاب لمحمد عليه السلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم، أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذِكره وكان يأكل من غزل أُمه وهو أطيب الطيبات، والمراد بالطيبات ما حلَّ والأمر للتكليف أو ما يُستَطاب ويستلذ والأمر للترفيه والإباحة ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ موافقًا للشريعة ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم على أعمالكم.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

(﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ﴾ **كوفي على الاستئناف**. ﴿وَأَنَّ﴾ **حجازي وبصري**) بمعنى ولأن

قوله: (﴿رَبْوَةٍ﴾) بفتح الراء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وعاصم**. ﴿ربوةٌ﴾) بالضم (**غيرهما**). **قوله**: (دِمَشْق) كحِضَجْر، وقد تُكسر ميمه قاعدة الشام. **قوله**: (**الرَّمْلة**) مدينة بفلسطين. **قوله**: (**منبسطة**) بمعنى مستوية، ويجوز أن يريد سارة، فإنه يستعمل بهذا المعنى. **قوله**: (**أو أنه مفعول**) أي وزنه في الأصل مفعول فاعل إعلال ومعيب وبابه فالميم زائدة (أي **مدرك بالعين لظهوره من عانه إذا أدركه بعينه**) أي أبصره بعينه.

قوله: (﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ﴾) بكسر الهمزة وتشديد النون (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**على الاستئناف**، ﴿وَأَنَّ﴾) بفتح الهمزة وتشديد النون (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكي (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا

أي فاتقون لأن هذه، أو معطوف على ما قبله أي بما تعملون عليم وبأن هذه. أو تقديره واعلموا أن هذه ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملّتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملّة واحدة وهي شريعة الإسلام. وانتصاب ﴿أُمَّةً﴾ على الحال والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الإسلام ومثله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: الآية ١٩] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ وحدي ﴿فَاتَّقُونِ﴾ فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤)﴾

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ تقطّع بمعنى قطع أي قطعوا أمر دينهم (﴿زُبُرًا﴾ **جمع زبور أي كتبًا مختلفة**) يعني جعلوا دينهم أديانًا. وقيل: تفرّقوا في دينهم فِرَقًا كل فرقة (**تنتحل**) كتابًا. وعن (**الحسن**): قطعوا كتاب الله قطعًا وحرّفوه. (**وقرىء** ﴿زبَرًا﴾ **جمع زبرة**) أي قطعًا ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ كل فرقة من فِرَق هؤلاء المختلفين المتقطّعين دينهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الكتاب والدين أو من الهوى والرأي ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون معتقدون أنهم على الحق ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ جهالتهم وغفلتهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ أي إلى أن يقتلون أو يموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥)﴾ «ما» بمعنى الذي وخبر «أن» ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والعائد من خبر «أن» إلى اسمها محذوف أي نُسارع لهم به،

يعقوب البصري وليس من السبعة، وقرأ ابن عامر الشامي وحده بفتح الهمزة وتخفيف النون على أنها المخفّفة من الثقيلة وهذه رفع.

قوله: (﴿زُبُرًا﴾) بضم الباء (**جمع زبور**) بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه، وقيل: بمعنى الفرقة والطائفة (**أي كتبًا مختلفة**) أراد بالكتب ما كتبوه بأيديهم لا ما هو المُنزل من السماء، لأنه غير مجعول بجعلهم. **قوله**: (**تنتحل**) أي تدّعي. **قوله**: (**الحسن**) البصري كان من سادات التابعين وكُبرائهم. **قوله**: (**وقرىء** ﴿زبَرًا﴾) بفتح الباء (**جمع زبرة**) وهي القطعة من الشيء المُتّخذ من المعدنيات المتجسّدة كالفضة والحديد، قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: الآية ٩٦] اسْتُعيرت لأمر الدِّين تشبيهًا له بها في التعدّد والاختلاف.

والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجًا لهم إلى المعاصي وهم يحسبونه مُسارعة لهم في الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حُسْن صنيعهم. وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له في الدين، وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بل استدراك لقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ أي أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراج أو مُسارعة في الخير. ثم بيَّن ذِكْر أوليائه فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أي خائفون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي بكتب الله كلها لا يفرِّقون بين كتبه كالذين تقطَّعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ كمُشركي العرب ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ (**أي يعطون ما أعطوا**) من الزكاة والصدقات. وقرىء ﴿يأتون ما أتوا﴾ بالقصر أي يفعلون ما فعلوا ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أي لا تقبل منهم لتقصيرهم ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ (**الجمهور على أن التقدير لأنهم**) وخبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يرغبون في الطاعات فيبادرونها ﴿وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ أي لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ أي طاقتها يعني أن الذي وُصِفَ به الصالحون غير خارج عن حدِّ الوسع والطاقة، وكذلك كل ما كلَّفه عباده وهو رد على من

قوله: (**أي يعطون ما أعطوا**) تفسير على قراءة الأكثر من الإيتاء فيهما بمعنى الإعطاء للصدقات، وقراءة غيرهم من الإتيان فيهما وهو الفعل للطاعات وهو المرويّ عن عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم. **قوله**: (**الجمهور على أن التقدير لأنهم**) فالمحذوف لام الجارّة أو المحذوف من الجارّة الابتدائية متعلق بـ ﴿وَجِلَةٌ﴾ إذ الخوف يتعدّى بمَنْ.

جَوَّزَ تكليف ما لا يُطاق ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ أي اللوح أو صحيفة الأعمال ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان، ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف مالا وسع له به.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ بل قلوب الكَفَرَة **(في غفلة غامرة لها)** مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ وعليها مقيمون **(لا يفطمون عنها)** حتى يأخذهم الله بالعذاب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ مُتَنَعِّميهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام، أو قتلهم يوم بدر. و«حتى» هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام الجملة الشرطية ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ يصرخون استغاثة **(والجؤار الصراخ)** باستغاثة فيُقال لهم: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ فإن الجؤار غير نافع لكم ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ترجعون القهقرى والنكوص أن يرجع **(القهقرى)** وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ما

قوله: (في غفلة غامرة) أي ساترة (لها) قدّر الموصوف وجعل ﴿غَمْرَةٍ﴾ على معنى غامرة ضميرها المستتر راجع إلى القلوب وضميرها للغفلة. **قوله:** (لا يفطمون عنها) أي لا يُمْنَعون عنها. **قوله:** (الجُؤار) بالضمّ. **قوله:** (الصُراخ) الصوت أو الشديد منه.

قوله: (القَهقَرى) الرجوع إلى خَلْف، فإذا قلت: رجعت القَهْقَرى، فكأنك قلت: رجعت الرجوع الذي يُعْرف بهذا الاسم؛ لأن القهقرى ضربٌ من الرجوع.

وراءه ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ متكبِّرين على المسلمين حال من ﴿نَنكِصُونَ﴾ ﴿بِهِۦ﴾ بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا أحد لأنّا أهل الحرم، والذي **(سوغ)** هذا الإضمار شُهرتهم بالاستكبار بالبيت أو بـ ﴿ءَايَٰتِى﴾ لأنها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارًا. ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعُدِّي تعديته أو يتعلق الباء بقوله: ﴿سَٰمِرًا﴾ **(تسمرون)** بذكر القرآن وبالطعن فيه، وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامّة سَمَرهم ذكر القرآن وتسميته شعرًا وسحرًا. والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع **(وقرىء ﴿سمّارًا﴾)**. أو بقوله: (**﴿تُهجِرون﴾**) وهو من **(الهجر)** الهذيان ﴿تَهْجُرُونَ﴾: **(نافع من أهجر)** في منطِقِه إذا أفحش.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمَن جاء به ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ محمدًا بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحُسْن الأخلاق أي عرفوه بهذه الصفات ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ بغيًا وحسدًا ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلًا وأثقبهم ذهنًا ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ **(الأبلج)** والصراط المستقيم وبما

قوله: (سوّغ) سوّغه تسويغًا جوّزه. اهـ قاموس. **قوله**: **(تسمرون)** في مختار الصحاح: السَّمَر والمسامرة الحديث باللّيل وبابه نصر، وسَمَرًا أيضًا ـ بفتحتين ـ فهو سامر والسامر أيضًا السُّمَّار وهم القوم الذين يسمرون، كما يقال للحُجّاج: حاجّ. اهـ. **قوله**: **(وقرىء سُمّارًا)** قارئه أبو رجاء، فهذا ككاتب وكُتّاب وشارب وشُرّاب. **قوله**: **(الهجر)** بفتح الهاء والجيم. **قوله**: (**﴿تُهجِرون﴾**) بضم التاء وكسر الجيم **(نافع من أهجر)** إهجارًا، والباقون بفتح التاء وضمّ الجيم.

قوله: **(الأبلج)** المُضيء المُشرق، يقال: صُبْحٌ **أبلج** بَيِّن. اهـ مختار الصحاح.

خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مردًّا ولا مدفعًا فلذلك نسبوه إلى الجنون ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ وفيه دليل على أن أقلهم ما كان كارهًا للحق بل كان تاركًا للإيمان به (**أنفة**) و(**استنكافًا**) من توبيخ قومه وأن يقولوا (**صبأ**) وترك دين آبائه (**كأبي طالب**).

قوله: (**أنفة**) في مختار الصحاح: أنِف عن الشيء من باب طرب، وأَنَفَةً أيضًا ـ بفتحتين ـ أي استنكف. اهـ. وهو الاستكبار. اهـ مصباح. **قوله**: (**استنكافًا**) في المصباح: استنكفت إذا امتنعت أنفة واستكبارًا. اهـ.

قوله: (**صبأ**) خرج من دين إلى دين، وبابه خضع. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**كأبي طالب**) كُنّي باسم أكبر ولده، وهم: طالب، فعقيل، فجَعفر، فعليّ؛ وكل أكبر ممّن يليه بعشر سنين، وأختهم أُمّ هانىء قيل وحمانة أخت لهم ثانية وأسلموا كلّهم إلّا طالبًا فمات كافرًا، والصحيح أن أبا طالب وأُمّه فاطمة بنت عمرو لم يسلم وذكر جمع من الرّافضة أنه مات مسلمًا وتمسّكوا بأشعار وأخبار واهية تكفّل بردّها في الإصابة، واسم أبي طالب عبد مناف، قال في الإصابة: على المشهور، وقال في الفتح: عند الجميع، وشذّ من قال: عمران، بل هو قولٌ باطل نقله ابن تيمية في كتاب الردّ على الروافض، فقال: إنهم زعموا أنه المراد بقوله تعالى: ﴿وَءَالَ عِمْرَنَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٣]، وقال الحاكم: أكثر المتقدّمين على أن اسمه كنيته، انتهى. أي فسمّى ولده حين وُلد بما يوافق اسم أبيه على ذا القول. اهـ شرح الزرقاني على المواهب اللّدنيّة. وأيضًا فيه: والقول بإسلام أبي طالب لا يصحّ، قاله ابن عساكر وغيره. اهـ.

فائـــدة:

في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم: الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطّلب وبه كان يكنى، وقثم، والزبير، وحمزة، والعبّاس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحجل ـ بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة ـ وضرار، والغَيْداق. أسلم منهم حمزة والعباس وكان حمزة أصغرهم سنًّا لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العبّاس قريبٌ منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين. اهـ.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الله ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ كما قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢] ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ خصّ العقلاء بالذكر لأن غيرهم تبع ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم، أو بالذِّكر الذي كانوا يتمنّونه ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الصافات: الآيتان ١٦٧، ١٦٨] الآية. ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بسوء اختيارهم.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ (خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ **حجازي وبصري وعاصم**، ﴿**خرجًا فخرج**﴾ **شامي**، ﴿**خراجًا فخراج**﴾ **علي وحمزة**)، وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته (**وجعله**)، والخرج أخصّ من الخراج تقول: «خراج القرية وخرج الكوفة» فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت لقراءة الأولى

قوله: (﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾) كتابًا (﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾) أي من كتب الأُمم الماضية (**الآية**) أي (﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾)، العبادة له قال تعالى: (﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾) أي بالكتاب الذي **جاءهم** وهو القرآن **الأشرف** من تلك الكتب (﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾) عاقبة كفرهم.

قوله: (﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ **حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي قرأ ابن كثير المكّي ونافع المدني (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري (**وعاصم**) بإسكان الراء وحذف الألف في الأول وبفتح الراء وإثبات الألف في الثاني. **قوله**: («**خرجًا فخرج**») بإسكان الراء وحذف الألف فيهما (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. **قوله**: («**خراجًا فخراج**») بفتح الراء وإثبات الألف فيهما (**عليّ**) الكسائي (**وحمزة**). **قوله**: (**وجُعْله**) في مختار الصحاح: الجُعل ـ بالضمّ ـ ما جُعِل للإنسان من شيء على فعل. اهـ.

يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلًا من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أفضل المُعطين ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ وهو دين الإسلام فحقيق أن يستجيبوا لك.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا (**العلهز**) جاء (**أبو سفيان**) إلى رسول الله ﷺ فقال

قوله: (**العلهز**) بكسر العين والهاء وبينهما لام ساكنة طعام كانوا يتّخذونه من الدم ووبر البعير في سِني المجاعة، وقيل: هو القراد مع الصوف كانوا يدقّونهما ممتزجين. **قوله**: (**أبو سفيان**) صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأُموي، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما، وُلِد قبل الفيل بعشر سنين، وكان من أشراف قريش، وكان تاجرًا يجهّز التجّار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم، وكان يخرج أحيانًا بنفسه، وكان أبو سفيان صديق العباس وأسلم ليلة الفتح وشهد حُنينًا والطائف مع رسول الله ﷺ، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أُوقية، كما أعطى سائر المؤلفة وأعطى ابنَيْه يزيد ومعاوية كل واحد مثله، فقال له أبو سفيان: والله إنك لكريم، فداك أبي وأُمي، والله لقد حاربتك فلنِعْم المحارب كنت، ولقد سالَمْتُك فنِعْم المسالم أنت، جزاك الله خيرًا. وفُقِئت عين أبي سفيان يوم الطائف، وفُقئت الأُخرى يوم اليرموك، وشهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد يُقاتل ويقول: يا نصر الله اقترب، وكان يقف على الكراديس يقصّ ويقول: الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار المشركين، اللّهمّ هذا يوم من أيّامك، اللّهمّ أنزل نصرك على عبادك؛ وكان من المؤلّفة وحَسُن إسلامه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وصلّى عليه عثمان رضي الله تعالى عنه، وقيل: صلّى عليه ابنه معاوية وكان عمره ثمانيًا وثمانين سنة، وقيل؛ ثلاث وتسعون وقيل غير ذلك. اهـ أسد

له: (أنشدك الله والرحم) ألست (تزعم) أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بلى» فقال: (قتلت الآباء بالسيف) والأبناء بالجوع فنزلت الآية. والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو القحط الذي أصابهم برحمته لهم ووجدوا (الخصب) ﴿لَّلَجُّواْ﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله ﷺ والمؤمنين، ولذهب عنهم هذا التملّق بين يديه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ استشهد على ذلك بأنّا أخذناهم أولًا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسْرهم، فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرّع. وقوله ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرّعوا. ووزن استكان استفعل (من الكون) أي انتقل (من كون إلى كون) كما قيل: «استحال» إذا انتقل من حال إلى حال.

الغابة في معرفة الصحابة بالتقاط واختصار. **قوله:** (أنشدك الله والرحم) مضارع نشد ينشد بمعنى سأل، أي أسألك بالله وبالرَّحِم، والله منصوب بنزع الخافض وهو قسم استعطاف واسترحام. **قوله:** (تزعم) لغلوّه في الكفر قبل إسلامه. **قوله:** (قتلت الآباء بالسيف) المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسْرهم حيث قَتَل منهم سبعون وأسَر مِنْ صناديدهم سبعون، وهو جمع صنديد وهو السيّد الشجاع، وهذه الرواية تدلّ على أنّ هذه الآيات مدنية، وأنّ ما أصاب قريشًا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول ﷺ كان بعد الهجرة، وقد ذهب المفسّرون إلى أن هذه السورة مكّية إلّا أن يقال: هذه الآيات مدنية، وجُعلت السورة مكّية اعتبارًا للأغلب. **قوله:** (الخِصْب) بالكسر ضدّ الجَدْب.

قوله: (من الكون) أي بمعنى الصيرورة والانتقال لا بمعنى الثبوت. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله:** (من كون إلى كون) أي من حال إلى حال، فالمعنى فما انتقلوا من حال الطغيان والعَمَه إلى حال الخضوع والانقياد، وسين استفعل للتحوّل كما في استحجر الطين. اهـ قنوي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا﴾ (﴿فتّحنا﴾ يزيد) ﴿عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ أي باب الجوع الذي هو أشد من الأسْر والقتل ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ متحيِّرون آيِسون من كل خير. وجاء (**أعتاهم**) وأشدهم (**شكيمة**) في العناد ليستعطفك أو (**محناهم**) بكل محنة من القتل والجوع فما رُئي فيهم لين (مقادة) وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ (يُبۡلِسُ) ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝١٢﴾ [الروم: الآية ١٢] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ خصَّهما بالذِّكر لأنها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ أي تشكرون شكرًا قليلًا. (و«ما» **مزية للتأكيد بمعنى حقًّا**)، والمعنى إنكم لم تعرفوا عِظَم هذه النِّعَم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم وأسماعكم في آيات الله وأفعاله، ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٩﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ خلقكم و(**بثكم**) بالتناسل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم.

قوله: (﴿**فتّحنا**﴾) بالتشديد (**يزيد**) بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. **قوله**: (**أعتاهم**) أي أشدّهم عتوًّا، وهو أبو سفيان قبل إسلامه رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**شكيمة**) أي أنفة، في مختار الصحاح: فلان شديد الشَّكِيمَة إذا كان شديد النفس آنفًا أبيًّا. اهـ. **قوله**: (**مَحنَاهم**) في المصباح: محنته محنًا من باب نفع اختبرته. اهـ. **قوله**: (**مَقَادة**) في لسان العرب: القَود نقيض السَّوق يقود الدابّة من أمامها ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام، والسَّوْق من خَلْف، قدت الفرس وغيره أقوده قَوْدًا ومَقَادة وقَيْدُودة. اهـ. **قوله**: (﴿يُبۡلِسُ﴾) ييأس ويتحيّر. **قوله**: (**وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقًّا**) أي حقًّا أنكم تشكرون شكرًا قليلًا، وقيل: ليس المراد أن لهم شكرًا قليلًا، بل هو من قبيل قولك للكفور الجاحد للنعمة: ما أقلّ شكر فلان للنّعمة.

قوله: (**بثكم**) أي فرّقكم ونشركم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي يحيي (النسم) بالإنشاء ويُميتها بالإفناء ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي مجيء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما في الظلمة والنور أو في الزيادة والنقصان وهو مختصٌّ به ولا يقدر على تصريفهما غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلّوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا ﴿بَلْ قَالُوٓا۟﴾ أي أهل مكة ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي الكفّار قبلهم. ثم بيّن ما قالوا بقوله:

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (﴿مِتْنَا﴾ **نافع وحمزة وعلي وحفص**) ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿مِن قَبْلُ﴾ مجيء محمد ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمع (**أسطار جمع سطر**) وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له (**وجمع أسطورة أوفق**).

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾

ثم أمر نبيّه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجّة على المشركين بقوله ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ فإنهم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأنهم مُقِرّون

قوله: (النَّسَم) النفوس.

قوله: (﴿مِتْنَا﴾) بكسر الميم (**نافع وحمزة وعليّ وحفص**)، والباقون بالضمّ. **قوله**: (**أسطار جمع سطر**) بفتح الطاء كفرس وأفراس وسبب وأسباب، فيكون الأساطير جمع الجمع. **قوله**: (**وجمع أسطورة أوفق**) وذلك أن هذا البناء لما يتلهّى به كالأُضحوكة والأُحدوثة والأُعجوبة، ولأن الأصل عدم جمع الجمع.

بأنه الخالق فإذا قالوا: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أن مَن فطر الأرض ومَن فيها كان قادرًا على إعادة الخَلْق، وكان حقيقًا بأن لا يُشرك به بعض خَلْقه في الربوبية. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (بالتخفيف): حمزة وعلي وحفص، وبالتشديد: غيرهم ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أفلا تخافونه فلا تشركوا به، أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء؟ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فتُنبيء عن عِظَم المُلْك ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أجرْتُ فلانًا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث مَن يشاء ممَّن يشاء ولا يُغيث أحد منه أحدًا.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ تخدعون عن الحق أو عن توحيده وطاعته، والخادع هو الشيطان والهوى (**الأول لله بالإجماع إذ السؤال لمَن، وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة**) على المعنى لأنك إذا قلت: مَن ربّ هذا؟ فمعناه لمَن هذا؟ فيُجاب لفلان كقول الشاعر:

إذا قيل مَن ربّ (**المزالف**) والقرى ورَبّ (**الجياد الجرد**) قيل لخالد

قوله: (**بالتخفيف**) أي بتخفيف الذال.

قوله: (**الأوّل لله بالإجماع؛ إذ السؤال لمن، وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة**)... الخ. اختلف في ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ الأخيرين؛ فأبو عمرو البصري وكذا يعقوب البصري بإثبات ألف الوصول قبل اللام وفتح اللام وتفخيمه ورفع هاء الجلالتين والابتداء بهمزة مفتوحة لمطابقة الجواب السؤال ح لفظًا؛ لأن السؤال به مرفوع المحل وهو ﴿من﴾ فجاء جوابه مرفوعًا مبتدأ لخبر محذوف تقديره الله ربّها الله بيده، والباقون ﴿لله﴾ بغير ألف ولام مسكورة ولام مفتوحة مرقّقة وجرّ الهاء فيهما جواب على المعنى، وخرج الأوّل المتفتى على أنه ﴿لله﴾ بغير ألف. **قوله:** (**المزالف**) في لسان العرب: المزالف البلد، وقيل: القرى الذي بين البرّ والبحر. اهـ. **قوله:** (**الجياد**) في المصباح: جاد الفرس جودة ـ بالضمّ والفتح ـ فهو جواد وجمعه جياد. اهـ. وفي الجلالين: جمع جواد، وهو السابق. اهـ. **قوله:** (**الجُرْد**) جمع أجرد، في القاموس: فرس أجرد قصير الشعر رقيقه. اهـ.

أي لمَن المزالف. ومَن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لأنك إذا قلت: مَن ربّ هذا؟ فجوابه فلان ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بأن نسبة الولد إليه مُحال والشِّرك باطل ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولهم اتخذ الله ولدًا ودعائهم الشريك.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

ثم أكّد كذبهم بقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لأنه مُنزَّه عن **(النوع)** و**(الجنس)** وولد الرجل من جنسه ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ وليس معه شريك في الأُلوهية ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ لانفرد كل واحد من الآلهة بالذي خلقه **(فاستبدّ به)** ولتمييز ملك كل واحد منهم عن الآخر ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ ولغلب بعضهم بعضًا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم مُتغالبون، وحين لم تروا أثرًا لتمايز المماليك وللتغالب فاعلموا أنه إلٰه واحد بيده ملكوت كل شيء، ولا يقال: ﴿إِذًا﴾ لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وهٰهنا وقع ﴿لَّذَهَبَ﴾ جزاءً وجوابًا ولم يتقدّمه شرط ولا سؤال سائل لأن الشرط محذوف وتقديره: ولو كان معه آلهة لدلالة ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ عليه وهو جواب لمَن حاجّه من المشركين ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الأنداد والأولاد.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿عَٰلِمُ﴾ بالجر صفة لله، **(وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدأ محذوف)** ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ﴾ السر والعلانية ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الأصنام وغيرها.

قوله: **(النَّوع)** في المصباح: النوع من الشيء الصنف، قال الصغاني: النوع أخصّ من الجنس، وقيل: هو الضرب من الشيء كالثياب والثمار حتى في الكلأ. اهـ. **قوله**: **(الجنس)** في المصباح: **الجنس** الضرب من كل شيء، والجمع أجناس وهو أعمّ من النوع؛ فالحيوان جنس والإنسان نوع. اهـ. **قوله**: **(فاستبدّ به)** أي استقلّ به تصرّفًا وملكًا.

قوله: (وبالرفع) أي برفع الميم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني **(وكوفي غير حفص)** أي أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي وخلف **(خبر مبتدأ محذوف)** أي هو عالم، والباقون بالجرّ.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ «ما» والنون مؤكدان أي إن كان لا بدَّ من أن تريني ما تَعِدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي فلا تجعلني قرينًا لهم ولا تعذبني بعذابهم، عن الحسن رضي الله عنه: أخبره أن له في أُمته نقمة ولم يخبره متى وقتها، فأمر أن يدعو هذا الدعاء. ويجوز أن يسأل النبي المعصوم ﷺ ربّه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارًا للعبودية وتواضعًا لربّه، واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك، والفاء في ﴿فَلَا﴾ لجواب الشرط و﴿رَبِّ﴾ اعتراض بينهما للتأكيد ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم: إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار؟

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفصيل كأنه قال: ادفع بالحسنى السيئة والمعنى (**الصفح**) عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، وعن (**ابن عباس**) رضي الله عنهما: هي شهادة أن لا إله إلا الله. والسيئة: الشِّرك أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة. وقيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: محكمة إذ (**المُدارة**)

قوله: (**الصَّفح**) الإعراض. **قوله**: (**ابن عباس**) أي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمّى البحر والحِبر لسِعَة عِلمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.

قوله: (**المدَارة**) أي مداراة الناس، أي ملاينتهم وحُسْن صحبتهم واحتمالهم لئلّا ينفروا عنك.

محثوث عليها ما لم تؤدِ إلى (ثلم) دين ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ من الشِّرك أو بوصفهم لك وسوء ذِكرهم فنُجازيهم عليه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ من وساوسهم ونخساتهم، و(**الهمزة: النخس**)، والهمزات جمع الهمزة ومنه (**مهماز الرائض**)، والمعنى أن الشياطين يحثّون الناس على المعاصي كما تهمز (**الراضة**) الدواب حثًّا لها على المشي ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ أمر بالتعوّذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوّذ من أن يحضروه أصلًا أو عند تلاوة القرآن أو عند النزع ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ (﴿حَتَّىٰ﴾ تتعلق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾) أي لا يزالون يُشرِكون إلى وقت مجيء الموت، أو لا يزالون على سوء الذِّكر إلى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض، والتأكيد (**للإغضاء**) عنهم مُستَعينًا بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم (**ويغريه**) على الانتصار منهم ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ أي ردّوني إلى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك.

قوله: (ثلم) في المصباح: الثلمة في الحائط وغيره الخَلل، والجمع ثلم مثل غرفة وغرف، وثلمت الإناء ثلمًا من باب ضرب كسرته من حافّته، فانْثلم وتثلّم. اهـ.

قوله: (**الهمزة النخس**) بالنون والخاء المعجمة والسين المهملة، أي الطعن، يقال: نخسه بعود أي طعنه؛ إذ النخس هو الطعن. **قوله**: (**مهماز الرائض**) المهماز حديدة تكون في مؤخر خفّ الرائض، ورائض الفرس الصعب مَنْ ألانها وأزال صعوبتها. **قوله**: (**الراضة**) كالسادة جمع رائض، وهو مَنْ يروض الخيل على الجري أي يحرّضه عليه.

قوله: (﴿حَتَّىٰ﴾ يتعلق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾) أي الثانية وهي ابتدائية. **قوله**: (**للإغضاء**) أي الصفح. **قوله**: (**ويغريه**) أي يحرّضه.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبى، قال (**قتادة**): ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى (**عشيرة**) ولكن ليتدارك ما فرط. (﴿لَعَلِّيٓ﴾ **ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب**) ﴿كَلَّآۚ﴾ (**ردع**) عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ (**المراد بالكلمة**) الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾، ﴿هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ (**أي أمامهم والضمير للجماعة**) ﴿بَرۡزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ قيل: إنها النفخة الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ وبالإدغام: أبو عمرو لاجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مُثابين ومُعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالأنساب إذ يفرّ المرء من

قوله: (قتادة) البصري التابعي رحمه الله. **قوله:** (عشيرة) في المصباح: العشيرة القبيلة ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر. اهـ. **قوله:** (﴿لَعَلِّيٓ﴾ ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب) وليسا من السبعة، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر بفتح الياء. **قوله:** (ردع) أي زجر. **قوله:** (المراد بالكلمة)... الخ. يعني ليس المراد بها معناها المشهور لغةً واصطلاحًا، بل هي هنا بمعنى الكلام؛ كما يقال: كلمة الشهادة وهي في هذا المعنى مجاز عند النحّاة. وأمّا عند أهل اللغة، فقيل: إنه حقيقة، وقيل: مجاز مشهور. **قوله:** (أي أمامهم) يعني أن لفظ وراء مشتقّ من توارَيْت عنك إذا سترت وأخفيت عنه، فكلّ ما توارى عنك سواء كان أمامك أو خلفك فهو وراءك، أو من الأضداد. **قوله:** (والضمير للجماعة) يعني جمع الضمير في ورائهم بعد التوحيد لشيوع هذا النهي في جنس الكفار وجماعتهم.

أخيه وأمه وأبيه (﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾) وبنيه، وإنما يكون بالأعمال. ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لأن كلّا مشغول عن سؤال صاحبه بحاله. ولا تناقض بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: الآية ٢٧] فللقيامة مواطن. ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون فيتساءلون.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله: (﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾) [الكهف: الآية ١٠٥]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات والمراد الكفّار ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ (**غبنوها**) ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ بدل من ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ولا محل للبدل والمُبدَل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف ﴿تَلْفَحُ﴾ أي تحرق ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ عابسون فيقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ أي القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وتزعمون أنها ليست من الله تعالى.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ (**ملكتنا**) ﴿شِقْوَتُنَا﴾ (﴿**شقاوتنا**﴾ **حمزة وعليّ**) وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها. وقول أهل التأويل غلب

قوله: (﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾) زوجته.

قوله: (﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾) أي لا نجعل لهم قدرًا. **قوله**: (**غبنوها**) أي جعلوها مغبونة.

قوله: (**ملكتنا**) يعني أنه من غلب فلان على كذا إذا أخذه وتملّكه. **قوله**: («**شقاوتنا**») بفتح الشين والقاف وألف بعدها (**حمزة وعليّ**) الكسائي وخلف، والباقون بكسر السين وإسكان القاف بلا ألف.

علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصحّ، لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوبًا ومضطرًا في الفعل، وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول اعتذارًا لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يجمل أن يطلبوا لأنفسهم عذرًا فيما كان منهم ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الحق والصواب ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفسنا.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت (ذلّة) و(هوان) ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف. قيل: هو آخر كلام يتكلمون به ثم ولا كلام بعد ذلك إلا (**الشهيق والزفير**) أن يحضروني. ﴿ارجعوني﴾، ﴿ولا تكلموني﴾ بالياء في الوصل والوقف: (**يعقوب**) وغيره بلا ياء ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر والشأن ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ مفعول ثانٍ و(**بالضم**: **مدني وحمزة وعلي**)، وكلاهما (**مصدر سخر**) كالسخر إلا أن في ياء النسبة مبالغة. قيل: هم الصحابة رضي الله عنهم. وقيل: (**أهل الصفة**) خاصة

قوله: (ذِلّة) بالكسر. **قوله**: (هَوان) في لسان العرب: الهَوان نقيض العزّ. اهـ. **قوله**: (**الشهيق**) صوت ضعيف. **قوله**: (**والزفير**) صوت شديد. **قوله**: (**يعقوب**) بن إسحاق وليس من السبعة. **قوله**: (**بالضمّ**) أي بضمّ السين (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وحمزة وعليّ**) الكسائي وخلف، والباقون بكسرها. **قوله**: (**مصدر سخر**) من باب علم. **قوله**: (**أهل الصفة**) فقراء المهاجرين ومَنْ لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلّل في مسجد المدينة. قال الكرماني: وهو بضم صاد وتشديد فاء، وهم زهّاد من الصحابة فقراء غرباء، وكانوا سبعين ويقلّون حينًا ويكثرون. وفي شرح جامع الأُصول: يسكنون صفة المسجد لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد وكانوا

ومعناه اتخذتموهم (هزؤًا) وتشاغلتم به ساخرين ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ﴾ بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ﴿ذِكۡرِي﴾ فتركتموه أي كان التشغّل بهم سببًا لنسيانكم ذِكري ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ استهزاء بهم ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ بصبرهم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ أي لأنهم ﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ ويجوز أن يكون مفعولًا ثانيًا أي جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدّى إلى اثنين ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢﴾ [الدهر: الآية ١٢] (﴿إِنَّهُمۡ﴾ **حمزة وعلي على الاستئناف**) أي إنهم هم الفائزون لا أنتم.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾

﴿قَٰلَ﴾ أي الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة (﴿قُلۡ﴾ **مكّي وحمزة وعلي**) أمر لمالك أن يسألهم ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في الدنيا ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي كم عدد سنين لبثتم بـ ﴿لَبِثۡتُمۡ﴾ و﴿عَدَدَ﴾ تمييز ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها، لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مرَّ عليه من أيام (**الدّعة**) ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ أي الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم (﴿فسل﴾ **بلا همز: مكي وعليّ**).

متوكّلين ينتظرون مَنْ يتصدّق عليهم بشيء يأكلونه ويلبسونه. **قوله**: (هزؤًا) مصدر بمعنى مفعول، أي مهزوء بهم، وقد يقدّر المضاف أي مكان هزؤًا وأهل هزؤًا وهو من قبيل زيد عدل. **قوله**: (﴿إِنَّهُمۡ﴾) بكسر الهمزة (**حمزة وعليّ**) الكسائي (**على الاستئناف**) وثاني مفعولي ﴿جَزَيۡتُهُمُ﴾ [المؤمنون: الآية ١١١] محذوف، أي الخير أو النعيم أو نحوه، والباقون بالفتح.

قوله: (﴿قُلۡ﴾) بغير ألف على الأمر (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وحمزة وعلي**) الكسائي، والباقون بالألف على الخبر عن الله أو الملك. **قوله**: (**الدّعة**) في المصباح: وقد ودع زيد ـ بضم الدال وفتحها ـ وداعة ـ بالفتح ـ والاسم الدعة وهي الراحة وخفض[1] العيش، والهاء عوض من الواو.اهـ. **قوله**: (**«فسل» بلا همز**) أي بنقل حركة الهمزة إلى السين وحذفها (**مكّي**) أي ابن كثير المكي (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بغيرنقل.

---

(١) في المصباح: وهو في خفض من العيش أي فما سعة وراحة، ١٢ منه.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ﴾ أي ما لبثتم إلا زمنًا قليلًا أو لبثًا قليلًا ﴿لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ صدقهم الله تعالى في تقالهم لسِني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها (﴿قُل إِن﴾ **حمزة وعلي**) ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ (**وبفتح التاء وكسر الجيم: حمزة وعلي ويعقوب**) وهو معطوف على ﴿أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ أو على ﴿عَبَثٗا﴾ أي للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف، ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنُثيب المُحسِن ونعاقب المُسيء.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عن أن يخلق عبثًا ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ (**الذي يحق له الملك**) لأن كل شيء منه وإليه، أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. (**وقرىء شاذًا برفع** ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾) صفة للرّب تعالى.

قوله: (﴿قُل إِن﴾) بغير ألف على الأمر (**حمزة وعليّ**) الكسائي، والباقون ﴿قال﴾ على الخبر. **قوله**: (**وبفتح التاء وكسر الجيم: حمزة وعليّ**) الكسائي، (**ويعقوب**) وخلف، والباقون بضمّ التاء وفتح الجيم.

قوله: (**الذي يحقّ له الملك**) مطلقًا، فالحقّ بمعنى الحقيق بالمالكية، كما يقال: هو السلطان حقًّا وبحقّ. **قوله**: (**وقرىء شاذًا برفع** ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾) في كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر عن ابن محيصين: ﴿ٱلۡكَرِيمِ﴾ برفع الميم نعت . وفي السمين قرأه أبو جعفر وابن محيصين وإسمٰعيل[1] عن ابن كثير وأبان بن ثعلب.اهـ سمين، فافهم.

---

(١) أي إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ﴾ أي لا حجة ﴿لَهُۥ بِهِۦ﴾ اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك: «مَن أحسن إلى زيد ـ لا أحقّ بالإحسان منه ـ فإن الله مُثيبه» أو (صفة لازمة) جيء بها للتوكيد كقولك: «يطير بجناحيه لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان» ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي فهو يُجازيه لا مَحالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ جعل فاتحة السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ وخاتمتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (فشتّان) ما بين الفاتحة والخاتمة. ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ ثم قال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ لأن رحمته إذا أدركت أحدًا أغْنَتْه عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تُغنيه عن رحمته.

قوله: (صفة لازمة) أي لا مقيّدة ومخصّصة، بل مؤكّدة. **قوله:** (فشتّان) أي بَعُد، والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

تمّ حامدًا لله ما تيسّر لي من حلّ ما وقع
في تفسير سورة المؤمنين بحَوْله وتوفيقه المُعين،
فالآن أشرع في حلّ ما في تفسير سورة النور مُستعينًا بالله ومرتجيًا منه
أنْ يعصمني عن الخطأ ويهديني بلطفه إلى طريق الحقّ والصواب،
وهو يقول الحقّ ويهدي السبيل. اللّهمّ أخلص نيتي فيه
ووفّقني أن أجعل تعبي في ذلك خالصًا لوجهك الكريم وبك أعتصم وأقول

(سورة النور)

(مدنية) وهي ستون وأربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾

﴿سُورَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ صفة لها. وقرأ (طلحة بن مصرف) ﴿سُورَةً﴾ على «زيدًا ضربته» أو على «اتل سورة». والسورة الجامعة لجُمَل آيات بفاتحة لها وخاتمة (واشتقاقها من سور المدينة) ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ أي فرضنا أحكامها التي فيها. وأصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعًا بها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة النور مدنية**) وهي ستّون وأربع آيات، وقيل: اثنتان وستّون آية. **قوله**: (**طلحة**[1] **بن مصرف**) بن عمرو بن كعب اليامي ـ بالتحتانية ـ الكوفي، ثقة قارىء فاضل، مات سنة اثنتي عشرة أو بعدها بعد المائة رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: (**واشتقاقها من سور المدينة**) قال العلامة شيخ زاده رحمه الله في سورة البقرة: إن واو السورة يحتمل أن تكون أصلية وأن تكون منقلبة عن همزة، فإن كانت أصلية يحتمل أن تكون سورة القرآن منقولة من سور المدينة وهو حائطها، وأن تكون منقولة من السورة بمعنى الرتبة والدرجة الرفيعة، وعلى التقديرين تكون سورة

---

(١) قال ابن إدريس كانوا يسمونه سيد القرّاء، ١٢ منه رَحِمَهُ اللَّهُ.

(**وبالتشديد مكي وأبو عمرو**) للمبالغة في الإيجاب وتوكيده، أو لأن فيها فرائض شتى، أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي دلائل واضحات ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لكي تتعظوا. (**وبتخفيف الذال: حمزة وعليّ وخلف وحفص**). ثم فصل أحكامها فقال:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني على جَلدهما، أو الخبر ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾ ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره: التي زَنَت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول مَن زنى فاجلدوه. وكقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ [النور: الآية ٤]. وقرأ (**عيسى بن عمرو**) بالنصب على إضمار فعل يفسِّره الظاهر وهو أحسن من ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ لأجل الأمر.

القرآن مجازًا من قبيل الاستعارة التصريحيّة بأن شبّهت بسور المدينة من حيث كونها محيطة بطائفة من القرآن كإحاطة سورة البلد بالجميع، حيث جمعوا سورة القرآن على سور بفتح الواو، وجمعوا سورة البلد على سور بسكونها أو بأن شبّهت سور القرآن بالمراتب والمنازل من حيث إن القارىء يترقّى فيها واحدة بعد واحدة، ويحتمل أن يكون إطلاق السور بمعنى الرُتب على سور القرآن مبنيًّا على تقدير المضاف، أي ذوات سور، فإن لها مراتب الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة، وإنْ كان واوها منقلبة عن الهمزة تكون منقولة من السؤر بمعنى القطعة والبقيّة، ومنه يقال: أسأر في الإناء أبقى فيه قطعة وبقية من الماء، فيكون تسمية سورة القرآن بها لكونها قطعة منه. اهـ.

قوله: (**وبالتشديد**) أي بتشديد الراء (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو**)، والباقون بالتخفيف. **قوله**: (**وبتخفيف الذال: حمزة وعليّ**) الكسائي، (**وخلف وحفص**)، والباقون بالتشديد.

قوله: (**عيسى بن عمرو**) الثقفي النحوي البصري كان صاحب تقعير في كلامه واستعمال الغريب فيه وفي قراءته، وكانت بينه وبين أبي عمرو بن العلاء

﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ الجلد ضرب الجلد وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ ليصل الألم إلى اللحم. والخطاب للأئمة لأن إقامة الحدّ من الدين وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام مَنابهم، وهذا حكم حرّ ليس **(بمحصن)** إذ حُكْم المُحصَن الرَّجم **(وشرائط إحصان الرَّجم)**: الحرية والعقل

صحبة ولهما مسائل ومجالس، وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن أبي إسحٰق، وروى الحروف عن عبد الله بن كثير وابن محيصن، وسمع الحسن البصري وله اختبار في القراءة على قياس العربية، وروى القراءات عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي وهارون بن موسى النحوي والأصمعي والخليل بن أحمد وسهل بن يوسف وعبيد بن عقيل وشجاع بن أبي نصر، وأخذ سيبويه عنه النحو وله الكتاب الذي سمّاه الجامع في النَّحو، ويقال: إن سيبويه أخذ هذا الكتاب وبسّطه وحشا عليه من كلام الخليل وغيره، ولمّا كَمُل بالبحث والتحشية نُسِب إليه وهو كتاب سيبويه المشهور، والذي يدلّ على صحة هذا القول أن سيبويه لمّا فارق عيسى بن عمرو المذكور ولازم الخليل بن أحمد سأله الخليل عن مصنّفات عيسى، فقال له سيبويه: صنّف نيِّفًا وسبعين مصنّفًا في النَّحو وآن بعض أهل اليسار جمعها وهو بأرض فارس عند فلان، والآخر الجامع وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه؛ فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال: رحم الله عيسى، وأنشد:

ذهب النَّحو جميعًا كلّه غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك كمال وهذا جامعٌ وهما للناس شمسٌ وقمر

فأشار بالإكمال إلى الغائب، وبالجامع إلى الحاضر، وكان الخليل قد أخذ عنه أيضًا. وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة رحمه الله تعالى.

قوله: **(بمحصن)** بفتح الصاد من أحصن إذا تزوّج، وهي ممّا جاء اسم فاعله على لفظ اسم المفعول، ومنه أسهب فهو مُسهب إذا أطال في الكلام، وألفج ـ بالفاء ـ فهو ملفج إذا افتقر.

قوله: **(وشرائط إحصان الرجم)** الإضافة بيانية، أي الشرائط التي هي الإحصان؛ فالإحصان هو الأُمور المذكورة، فهي أجزاؤه وقيّد بالرجم لأن إحصان

والبلوغ **(والإسلام والتزوّج بنكاح صحيح)** والدخول. وهذا دليل على أن **(التغريب)** غير مشروع لأن الفاء إنما يدخل على الجزاء وهو **(اسم للكافي، والتغريب المروي منسوخ)** بالآية كما نسخ الحبس والأذى في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ﴾، وقوله: ﴿فَـَٔاذُوهُمَآ﴾ [النساء: الآية ١٥] بهذه الآية ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي رحمة **(والفتح لغة، وهي قراءة مكي)**. وقيل: الرأفة في دفع المكروه والرحمة في إيصال المحبوب. والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطِّلوا الحدود أو يخففوا الضرب ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي في طاعة الله أو حكمه ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ **(من باب التهييج)** وإلهاب الغضب لله ولدينه، وجواب الشرط مضمر أي فاجلدوا ولا تعطِّلوا الحدّ ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ وليحضر موضع حدّهما وتسميته عذابًا دليل على أنه عقوبة ﴿طَآئِفَةٌ﴾ فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجروا وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شيء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أربعة إلى أربعين رجلًا ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصَدِّقين بالله.

القذف غير هذا، كما سيأتي. **قوله**: **(والإسلام)** لحديث: «مَنْ أشرك بالله فليس بمُحصن»، ورَجْمه ﷺ اليهوديّين إنما كان بحكم التوراة قبل نزول آية الرَّجم ثم نُسِخ. **قوله**: **(والتزوّج بنكاح صحيح)** خرج الفاسد كالنكاح بغير شهود، فلا يكون به محصنًا. **قوله**: **(التغريب)** أي تغريب الزاني غير المحصن، أي نفيه عن بلده. **قوله**: **(اسم للكافي)** أي اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم: جزاه، أي كفاه، وقال ﷺ: «يجزيك ولا يَجْزي بعدك أحدًا»، أي يكفيك؛ ومنه قول القائل: أجزيت الإبل بالعشب عن الماء، وإنما تقع الكفاية بالجلد إذا لم يجب معه شيء يقتضي نسخ كونه كافيًا.

قوله: **(والتغريب المرويّ)**، وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» **(منسوخ)**... الخ. أو محمول على وجه **التعزير** والتأديب من غير وجوب. اهـ كشاف. **قوله**: (والفتح) أي فتح الهمزة (لغة، وهي **قراءة مكي**) أي ابن كثير المكي، والباقون بالسكون. **قوله**: (من باب التهييج) كما يقال: إن كنت رجلًا فافعل كذا، ولا شكّ في رجوليّته، وكذا المخاطبون هنا مقطوعٌ

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي الخبيث الذي من شأنه الزِّنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب في خبيثة من شكله، أو في مشركة والخبيثة (**المسافحة**) كذلك لا يرغب في نكاحها الصُّلَحاء من الرجال وإنما يرغب فيها مَن هو من شكلها من الفَسَقَة، أو المشركين فالآية تزهيد في نكاح (**البغايا**) إذ الزِّنا (**عديل**) الشِّرك في القبح، والإيمان قرين (**العفاف**) والتحصّن وهو نظير قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: الآية ٢٦]، وقيل: كان نكاح الزانية مُحَرَّمًا في أول الإسلام ثم نسخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ (ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ)﴾ [النور: الآية ٣٢]، وقيل: المراد بالنكاح الوطء، لأن غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يؤدي إلى قولك: «الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زانٍ». وسُئِل ﷺ عمَّن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال: «أوله سفاح وآخره نكاح» ومعنى الجملة الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر، ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها (**للأعفاء**) ولكن (**للزناة**) وهما معنيان مختلفان. وقدِّمت الزانية على الزاني أولًا ثم قدِّم عليها ثانيًا لأن تلك الآية سيقت لعقوبتهما على

بإيمانهم لكن قصد تهييجهم وتحريك حميتهم وعزّتهم لله، فلا يُتوهّم أنه ليس المحل محلّ ﴿إن﴾؛ لأنه ليس المقصود به الشكّ، بل التهييج لإبرازه في معرضه.

قوله: (**المسافحة**) السِّفاح ـ بالكسر ـ الزِّنا، وسافحها مسافحة وسِفاحًا.اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**البغايا**) في المصباح: بغت المرأة تبغي بغاء ـ بالكسر والمدّ ـ فَجَرت، فهي بغيّ والجمع بَغَايا وهو وصف مختصّ بالمرأة، ولا يقال للرجل بغيّ، قاله الأزهري.اهـ.

قوله: (**عَدِيل**) أي مثل. **قوله**: (**العَفاف**) وهو الكفّ عن الحرام. **قوله**: (﴿ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾) وهو جمع أيِّم وهي مَنْ لا زوجَ لها فدخلت الزانية في أيامى المسلمين. **قوله**: (**للأعفّاء**) جمع عفيف. **قوله**: (**للزُّناة**) جمع الزاني.

ما جَنَيا، والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لأنها لو لم تُطمِع الرجل (**ولم تومض**) له ولم تمكِّنه لم يطمع ولم يتمكّن، فلما كانت أصلًا في ذلك بدىء بذِكرها. وأما الثانية فمَسوقة لذِكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الخاطِب ومنه بدء الطلب. و(**قُرِىء** ﴿لَا يَنكِحُ﴾ **بالجزم على النهي، وفي المرفوع أيضًا معنى النهي**) ولكن أبلغ وآكد، ويجوز أن يكون خبرًا محضًا على معنى أن عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يُدخِل نفسه تحت هذه العادة ويتصوّن عنها ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسّب بالزّنا أو لما فيه من التشبيه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبّب

قوله: (**ولم تُومض له**) في لسان العرب: أوْمضت المرأة سارقت النظر. اهـ.

قوله: (**قرىء** ﴿لَا يَنكِحُ﴾ **بالجزم على النهي**) قارئه عمرو بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه (**وفي المرفوع أيضًا معنى النهي**) أي النفي ﴿لَا يَنكِحُ﴾ و﴿لَا يَنكِحُهَآ﴾ [النُور: الآية ٣] بمعنى النهي عن مُناكحة الزواني، فإن لفظ الخبر قد يُستعمل في معنى الإنشاء مثل رحمه الله، فإنه مُستعمل في معنى ليرحمه الله، ويؤيّده القراءة بالجزم، فالحرمة حينئذ في ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على ظاهرها وهو حقيقة الحرام غير محمولة على التنزيه، وحكم التحريم حينئذ يكون مخصوصًا بالسبب الذي ورد فيه غير متجاوز عن مورد وهو نكاح الموسرات من بغايا المشركين أو منسوخًا بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النُور: الآية ٣٢]، فإنه يتناول المسافحات. والحاصل أن قوله عزّ قائلًا: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ إذا حُمِل على الخبر يكون معنى الحرمة في ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ التنزيه عبّر عنه بالتحريم للتغليظ والتشديد، فالمعنى أن من شأن الفاسق الخبيث وعادته إذا أراد التزوّج أن يناكح بمثله في الفسق والفجور؛ فاللائق بالمؤمن الطاهر عن دَنَس الفسق أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة الخبيثة، بل يتنزّه عنها ويتصفون؛ فعلى هذا الظاهر من قوله عليه الصّلاة والسلام: «أوّله سفاح وآخره نكاح» مبنيّ على هذا الوجه، والآية غير منسوخة، وإذا حمل على النهي يكون قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُور: الآية ٣] على ظاهره مؤكّدًا للنهي السابق، والآية منسوخة بالآية الواردة في إباحة نكاح الأيامى. اهـ ابن تمجيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

لسوء القالَة فيه والغيبة ومُجالسة الخطّائين كم فيها من التعرّض (**لاقتراف الآثام**) فكيف بمُزاوجة الزواني (**والقحاب**).

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ (**وبكسر الصاد: عليّ**)؛ أي يقذفون بالزِّنا الحرائر والعفائف المسلمات المُكَلَّفات. والقذف يكون بالزِّنا وبغيره والمراد هنا قذفهنّ بالزِّنا بأن يقول يا زانية لذِكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط أربعة شهداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزِّنا لأن القذف بغير الزِّنا بأن يقول: يا فاسق يا آكِل الرِّبا يكفي فيه شاهدان وعليه التعزير. وشروط إحصان القذف: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والعِفَّة عن الزِّنا. والمُحصَن كالمحصنة في وجوب حدّ ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ إن كان القاذف حُرًّا، ونصب ﴿ثَمَٰنِينَ﴾ نصب المصادر كما نصب ﴿مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ و﴿جَلْدَةً﴾ نصب على التميز ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ نكر شهادة في موضع النفي فتعمّ كل شهادة. وردّ الشهادة من الحدّ عندنا (**ويتعلق باستيفاء الحدّ أو بعضه على ما عُرِف**)، وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق ردّ شهادته بنفس القذف. فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيِّز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرَّامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية.

قوله: (**لاقتراف الآثام**) في المصباح: اقتراف الذنب فعله. اهـ. **قوله**: (**القحاب**) جمع القحبة[1]، في المصباح: القحبة المرأة البغيّ، والجمع قحاب مثل كلبة وكلاب. اهـ.

قوله: (**وبكسر الصاد: عليّ**) الكسائي، والباقون بالفتح. **قوله**: (**ويتعلق باستيفاء الحدّ أو بعضه على ما عُرف**) لا يقبل شهادة المحدود في القذف إذا حدّ حدًّا تامًّا، كذا في المبسوط، وهو قولهما. وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه

(١) الفاجرة، ١٢ منه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي القذف ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أحوالهم استثناء من الفاسقين ويدلّ عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر ذنوبهم ويرحمهم. وحقّ الاستثناء أن يكون منصوبًا عندنا لأنه عن موجب، وعند مَن جعل الاستثناء متعلقًا بالجملة الثانية أن يكون مجرورًا بدلًا من «هم» في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾

ولمّا ذكر حكم قذف الأجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ أي يقذفون زوجاتهم بالزّنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي لم يكن لهم على تصديق قولهم مَن يشهد لهم به ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ يرتفع على البدل من شهداء ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ﴾ **(بالرفع: كوفي غير أبي بكر)** على أنه خبر والمبتدأ ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ وغيرهم بالنصب لأنه في حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر، والعامل فيه المصدر الذي هو ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ وعلى هذا خبره محذوف تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع ﴿شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رماها به مِنَ الزّنا.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ لا خلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير والشهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فهي مبتدأ وخبر ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزّنا ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ﴾ إن الزوج ﴿لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماني به من الزّنا.

ثلاث روايات إحداها هذه، والثانية: إذا أُقيم أكثره، والثالثة: إذا ضرب سقطت شهادته.

قوله: (بالرفع) أي برفع العين **(كوفي غير أبي بكر)** أي حفص وحمزة والكسائي وخلف.

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ﴾ أي الزوج ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رماني به من الزِّنا. ونصب حفص ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ﴾ عطفًا على ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ وغيره رفعها بالابتداء و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ خبره. **(وخفّف نافع: ﴿أن لعنة الله﴾، و﴿وأن غضِب الله﴾ بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة و﴿وأنْ غضب الله﴾ سهل ويعقوب)** وحفص وجعل الغضب في جانبها لأن النساء يستعملن اللعن كثيرًا كما ورد به الحديث. فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللَّعن على ألسنتهنّ وسقوط وقوعه عن قلوبهنّ، فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادِعًا لهن. والأصل أن اللِّعان عندنا شهادات مؤكدات بالأيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حدّ القذف في حقه ومقام حدّ الزِّنا في حقّها، لأن الله تعالى سمّاه شهادة. فإذا قذف الزوج زوجته بالزِّنا ـ وهما من أهل الشهادة ـ صحَّ اللِّعان بينهما. وإذا التَعَنا كما بيَّن في النهر لا تقع الفرقة حتى يفرِّق القاضي بينهما. وعند (زفر) رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة، وعند (أبي يوسف) وزفر

قوله: **(وخفّف نافع: ﴿أن لعنة الله﴾، و﴿وأن غضب الله﴾ بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة)** أي قرأ نافع بإسكان ﴿أنْ﴾ فيهما مخفّفة ولعنة الله برفع التاء وجرّ هاء الجلالة، و﴿أن غضب﴾ بكسر الضاد وفتح الباء فعلًا ماضيًا ورفع الجلالة على الفاعلية، و﴿أن﴾ المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المقدّر. **قوله**: (﴿وأنْ غضب الله﴾ **سهل ويعقوب**) أي وقرأ سهل ويعقوب بإسكان ﴿أنْ﴾ فيهما أيضًا ورفع ﴿لعنة﴾ وجرّ الجلالة، و﴿غضب﴾ بفتح الضاد ورفع الباء وجرّ هاء الجلالة، وعليها فغضب مبتدأ مضاف إلى فاعله والظرف بعده خبره، وكذا ﴿لعنة الله عليه﴾ والباقون بتشديد ﴿أنّ﴾ فيهما على الأصل ونصب ﴿لعنة﴾ و﴿غضب﴾ اسمها مضافًا إلى الجلالة والظرف بعدها خبر. **قوله**: **(زفر)** بن الهذيل البصري الإمام صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة عشر ومائة، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة وله ثمانٍ وأربعون سنة، قال أبو عمرو: وكان زفر ذا عقل ردين وفهم وورع وكان ثقة في الحديث. اهـ جواهر مضيئة باختصار. **قوله**: **(أبي يوسف)** يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب الإمام أبي

(والشافعي) تحريم مؤبّد. ونزلت آية اللِّعان في **(هلال بن أمية أو عويمر)** حيث

حنيفة ﷺ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة رحمة الله عليه. **قوله: (والشافعي)** أي الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع رضي الله تعالى عنه، توفي سنة أربع ومائتين بمصر. **قوله: (هلال بن أُمَيّة)** الصحابي ابن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف، واسمه مالك بن امرء القيس بن مالك بن أوس الأنصاري الواقدي، مدني شهد بدرًا وأُحدًا وكان قديم الإسلام وكان يكسر أصنام بني واقف وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سَمْحاء، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم وذكرهم في سورة براءة، وهم: هلال، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع رضي الله تعالى عنهم. اهـ تهذيب الأسماء. **قوله: (أو عُويمر)** العَجْلاني الصحابي ابن أبيض الأنصاري العجلاني، وهو صاحب اللّعان الذي رمى زوجته بشريك بن سَمْحاء، وكان لعانهما في شعبان سنة تسع من الهجرة حين قدم رسول الله ﷺ من تبوك. اهـ تهذيب الأسماء.

قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قد اختلف المحدثون في سبب النزول هنا على ثلاثة أقوال، فقيل: هو هلال بن أُمية، وقيل: عاصم بن عدي، وقيل: عُويمر. قال السهيلي: إن هذا هو الصحيح، ونسب غيره للخطأ. اهـ. وقوله: عاصم بن عدي الصحابي بن الجدّ ـ بفتح الجيم ـ ابن العجلان بن حارثة ـ بالحاء المهملة ـ ابن ضبيعة ـ بضم الضاد المعجمة ـ القضاعي العجلاني حليف الأنصار، شَهِد أُحدًا ولم يشهد بدرًا بنفسه، كان رسول الله ﷺ استعمله على قباء وأهل العالية وضرب له سهم، فكان له حكم مَنْ شَهِدَها، وهو صاحب عُويمر العجلاني في قصة اللّعان. اهـ تهذيب الأسماء. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: وهو الذي سأل رسول الله ﷺ لعويمر العجلاني، فنزلت قصة اللّعان. توفي عاصم سنة خمس وأربعين، وقد عاش مائة سنة وخمس عشرة سنة، وقيل: عاش مائة سنة وعشرين سنة. اهـ. وفي إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للعلّامة القسطلاني في تفسير سورة النور: قال النووي: اختلفوا في نزول آية اللّعان، هل هو بسبب عُويمر أم بسبب هلال؟ والأكثرون أنها نزلت في هلال. وأما قوله عليه السلام لعويمر: «إن الله قد أنزل فيك وفي صاحبتك»، فقالوا: معناه الإشارة إلى

قال: وجدت على بطن امرأتي **(خولة شريك بن سحماء)** فكذبته فلاعن النبي ﷺ بينهما ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ تفضله ﴿عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ نعمته ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جواب «لولا» محذوف أي لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة.

ما نزل في قصة هلال؛ لأن ذلك حكمٌ عامّ لجميع المسلمين، ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعًا، فلعلّهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما، وسبق هلال باللّعان، انتهى.

قال في الفتح: ويؤيّد التعدّد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود والطبريّ، والقائل في قصة عويمر عاصم بن عديّ كما في حديث سهل السابق، ولا مانع أن تتعدّد القصص ويتحد النزول، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين، وأنكر جماعة ذكر هلال فيمن لاعن، والصحيح ثبوت ذلك، وكيف يجزم بخطأ حديث ثابت في الصحيحين بمجرّد دعوى لا دليل عليها. وقول النووي في تهذيبه: اختلفوا في الذي وَجد مع امرأته رجلًا وتلاعنا على ثلاثة أقوال: هلال بن أُمية أو عاصم بن عدي أو عويمر العجلاني، قال الواحدي: أظهر هذه الأقوال أنه عُويمر لكثرة الأحاديث، واتّفقوا على أن الموجود زانيًا شريك بن سمحاء تعقبوه بأن قصة ملاعنة عُويمر وهلال ثبتتا فكيف يختلف فيهما؟ وإنما المختلف فيه سبب نزول الآية في أيهما وقد سبق تقريره، وبأن عاصمًا لم يلاعن قطّ، وإنما سأل لعويمر العجلاني عن ذلك، وبأن قوله: واتفقوا على أن الموجود زانيًا شريك ممنوع؛ إذ لم يوجد زانيًا، وإنما هم اعتقدوا ذلك ولم يثبت ذلك في حقّه في ظاهر الحكم، فصواب العبارة أن يقال: واتّفقوا على أن المرميّ به شريك بن سمحاء. اهـ بحروفه.

قوله: (خولة) بنت عاصم امرأة هلال بن أُميّة التي لَاعَنها ففرّق النبيّ ﷺ بينهما، كما رواه ابن منده وكانت حاملًا. **قوله: (شريك بن سحماء)** ويقال السمحاء الصحابي، والسحماء بسين مفتوحة وحاء ساكنة مهملتين وبالمدّ، وهي أُمّه وأُمّ البراء بن مالك وهو **شريك** بن عَبْدة بن معتب ـ بضم الميم وفتح العين المهملة ـ ابن الجدّ بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة ـ بضمّ الضاد المعجمة ـ البَلَوي، وهو ابن عمّ مَعَن وعاصم ابني عديّ بن الجد، وهو حليف الأنصار وهو

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، و(**أصل الإفكُ**) وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها، قالت عائشة: (**فَقَدْتُ عقدًا**) في غزوة (**بني المصطلق**) فتخلَّفت ولم يعرف خلو (**الهودج**) لخفتي، فلما ارتحلوا (**أناخ**) لي (**صفوان بن المعطل**)

صاحب اللّعان، قيل: إنه شهد مع أبيه أُحُدًا. قال الخطيب: شهد أبوه عبدة بدرًا. اهـ تهذيب الأسماء. وفي إرشاد الساري: ولا يمتنع أن يُتَّهم شريك بن سحماء بهذه المرأة وامرأة عُويمر معًا.

قوله: (**أصل الإفك**) بفتح الهمزة وسكون الفاء. **قوله**: (**فقدت**) من باب ضرب. **قوله**: (**عِقدًا**) ـ بكسر المهملة ـ القلادة ـ بكسر القاف ـ ما يُعلَّق في العنق. **قوله**: (**بني المُصطلق**) بضمّ الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام بعدها قاف، وقد تقدَّم في أول سورة الحجّ شرحه بالتفصيل. **قوله**: (**الهَوْدج**) مركب معروف. **قوله**: أي (**أناخ**) أي أجلس.

قوله: (**صفوان بن المعطّل**) بضمّ الميم وتشديد الطاء المكسورة، كذا قاله العلَّامة الشهاب. وقال العلَّامة القسطلاني بتشديد الطاء المفتوحة، انتهى. ابن ربيضة بن خزاعي بن محارب بن مرّة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم بن منصور السلمي الذكواني، كذا نسبه أبو عمرو. وقال الكلبي: صفوان بن **المعطّل** بن رخصة بن المؤمّل بن خزاعي بن محارب بن مرّة بن هلال بن فالج وذكره يكنى أبا عمرو، أسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع. وقال الواقدي: شهد صفوان الخندق والمشاهد بعدها، وكانت الخندق سنة خمس وكان مع كرز بن جابر الفهري في طلب العرنيين الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ، وكاد يكون على ساقة جيش رسول الله ﷺ، روى عنه أبو هريرة وأبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث، وأثنى عليه رسول الله ﷺ فقال: «ما علمتُ منه إلَّا خيرًا»، وهو الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، فبرّأه الله عزّ وجلّ ورسوله وحديثه مشهور، ولما بلغ صفوان أن حسان بن ثابت ممّن

بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا (**فهلك فِيَّ مَن هلك**)، فاعتللت شهرًا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل «كيف أنت»؟ ولا أرى منه لطفًا كنت أراه حتى (**عَثَرَتْ خالة أبي أم مِسطَح**) فقالت:

قال فيه ضربه بالسيف فجرحه، وقال:

تلق ذباب السيف مني فإنّني غلامٌ إذا هوجيتُ لستُ بشاعر
ولكنني أحمي حماي وأشتفي من الباهت الرامي البراء الطواهر

فشكى حسان إلى النبيّ ﷺ فعوّضه حائطًا من نخل وسيرين جارية، فولدت له عبد الرحمٰن بن حسان، وكان صفوان شجاعًا خيّرًا فاضلًا وله دار بالبصرة، وقُتل في غزوة أرمينية شهيدًا وأمير الجيش يومئذ عثمان بن أبي العاص الثقفي، سنة سبع عشرة في خلافة عمر ﷺ، قاله ابن إسحٰق. وقيل: مات بالجزيرة بناحية شمشاط، ودُفِن هناك، وقيل: إنه غزا الروم في خلافة معاوية ﷺ، فاندقّت ساقه ثم لم يزل يُطاعن حتى مات، وذلك سنة ثمان وخمسين، والله أعلم. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.

قوله: (**فهلك**) أي بسبب الإفك (**فيّ**) أي في شأني (**مَنْ هلك**). **قوله**: (**عَثَرَتْ**) بالثاء والعين والراء المفتوحات، في المصباح: عثر الرجل في ثوبه يعثر والدابّة أيضًا من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب، عِثارًا بالكسرة والعثرة المرّة، ويقال للزلّة عثرة لأنها سقوط في الإثم، وفرّق بينهما في مختصر العين بالمصدر، فقال: عثرَ الرجل عثورًا وعثر الفرس عِثارًا. اهـ. **قوله**: (**خالة أبي أُمّ مسطح**) - بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملات - ابن أُثاثة - بضم الهمزة ومثلثتين بينهما ألف من غير تشديد - ابن عبادة بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصيّ القريشي المطلبي، ويقال اسمه عوف ومسطح لقب له، واسم أُمّ مسطح سَلْمىٰ بنت أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف، وأُمّها رائطة بنت صخر بن عامر بن كعب خالة[1] أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وقيل: أُمّ مسطح خالة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. شهد مسطح بدرًا، وقيل: شهد صفّين مع عليّ، وقيل: توفي قبلها سنة أربع وثلاثين، والأول أكثر فعلى هذا

---

(١) اسمها رائطة، حكاه أبو نعيم. ١٢ فتح الباري.

(**تَعِس مِسطَح**) فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك، فلما سمعت ازددتُ مرضًا وبِتُّ عند أبوَيَّ (**لا يرقأ**) لي دمع وما أكتحل بنوم (**وهما يظنان**) أن الدمع (**فالِق**) كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام: («**أبشِري يا حُميراء**» فقد أنزل الله براءتك». فقلت: بحمد الله لا بحمدك ﴿**عُصْبَةٌ**﴾ جماعة من العشرة إلى الأربعين واعصوصبوا اجتمعوا وهم: (**عبد الله بن أُبَي**) رأس النِّفاق، و(**زيد بن رفاعة**)، و(**حسان بن ثابت**)، ومِسطَح بن أثاثة،

قالوا: مات سنة سبع وثلاثين. **قوله**: (**تعِس مسطح**) بفتح العين قيّده الجوهري، وكلام ابن الأثير يقتضي أن الأعرف كسرها أي أكبّه الله لوجهه أو هلك. **قوله**: (**لا يرقأ**) بالقاف والهمز أي لا ينقطع. **قوله**: (**وهما يظنّان**) أبي وأُمّي. **قوله**: (**فالق**) شاقّ. **قوله**: (**أبْشري**) بقطع الهمزة. **قوله**: (**يا حُمَيْراء**) يعني عائشة رضي الله تعالى عنها كان يقول لها أحيانًا: «يا حُميراء» تصغير الحمراء، يريد البيضاء. اهـ لسان العرب. **قوله**: (**عبد الله بن أُبَيّ**) بنُ سلول، وسلّول أُمّ عبد الله؛ فلهذا قال العلماء: الصواب في ذلك أن يقال: عبد الله بن أُبيّ ابنُ سلول بتنوين أُبيّ وكتابة ابن سلّول بالألف ويُعرب إعراب عبد الله لأنه صفة له لا لأُبيّ، وكان عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين ونزل في ذمّه آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺ وصلّى عليه وكفّنه في قميصه قبل النهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلّى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (**زيد بن رِفاعة**) في حاشية العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب على تفسير البيضاوي في البخاري: قال عروة: ولم يسمّ مِنْ أهل الإفك إلّا حسّان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة وحِمْنة بنت جحش في أُناسٍ آخرين لا عِلْم لي بهم، والذي تولّى كبره عبد الله بن أُبي رأس المنافقين، وكان ابتداء صدوره منه لعداوته لرسول الله ﷺ ومَنْ عداه فلتة[1]؛ فعلى هذا يجوز كون زيد بن رِفاعة منهم لأن منهم أُناسًا لم يُعلموا، والمصنّف رحمه الله ربما ظفر بنقلٍ فيه، فإنه وقع في كثير من التفاسير وقد خطّأه بعضهم فيه. اهـ. **قوله**: (**حسّان بن ثابت**) بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، يُكنى أبا الوليد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وقيل أبا

---

(١) في القاموس: كان الأمر فلتة، أي فجأة من غير تدبير ١٢ منه رَحِمَهُ اللهُ.

و(**حمنة بنت جحش ومَن ساعدهم**) ﴿مِنكُمْ﴾ من جماعة المسلمين وهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفَّار دون مَن كان من المؤمنين ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أي الإفك ﴿شَرًّا لَّكُم﴾ عند الله ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية، والخطاب لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان ومَن ساءه ذلك من المؤمنين ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي على كل امرىء من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه، وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت.

الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ ولتقطيعه أعراض المشركين، يقال له: شاعر رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ ينصب له منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يؤيّد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ»، وأن رسول الله ﷺ جلد الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين ثمانين: حسّان بن ثابت، ومسطح بن أُثاثة وحمنة بنت جحش، وكان حسّان ممّن خاض في الإفك فجلد فيه في قول بعضهم، وأنكر قومٌ ذلك. وكان حسان من أجبن الناس حتى أن النبيّ ﷺ جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق، ولم يشهد مع النبيّ ﷺ شيئًا من مشاهده لجُبْنه، وتوفي حسان قبل الأربعين في خلافة عليّ، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، ولم يختلفوا في عمره وأنه عاش ستّين سنة في الجاهلية وستّين في الإسلام، وكذلك عاش أبوه ثابت وجدّه المنذر وأبو جدّه حرام عاش كلّ واحد منهم مائة وعشرين سنة ولا يُعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلبٍ واحد وعاش كلّ منهم مائة وعشرين سنة غيرهم.اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة باختصار.

قوله: (**حمنة**) بفتح الحاء وإسكان الميم وبعدها نون (**بنت جحش**) بجيم مفتوحة ثم حاء ساكنة ثم شين معجمة، وهي أخت زينب بنت جحش أُمّ المؤمنين زوج النبيّ ﷺ، وكانت ممّن قال في الإفك على عائشة رضي الله تعالى عنها، فعلت ذلك حميّة لأختها زينب إلّا أن زينب رضي الله تعالى عنها لم تقل فيها شيئًا، فقال بعضهم: إنها جُلدت مع مَنْ جُلِد فيه، وقيل: لم يجلد أحدًا.اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. **قوله**: (**ومَنْ ساعدهم**) في المصباح: **ساعده** مساعدة بمعنى عاوَنه.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ أي عظمه عبد الله بن أُبَيّ ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من العصبة ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي جهنم. يُحكَى أن صفوان مرَّ بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال: مَن هذه؟ فقالوا: عائشة. فقال: والله ما نَجَت منه ولا نجا منها.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

ثم وبَّخ الخائضين فقال: ﴿لَّوْلَآ﴾ هلَّا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي الإفك ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله: (﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾) [الحجرات: الآية ١١] ﴿خَيْرًا﴾ عفافًا وصلاحًا وذلك نحو ما يُروَى أن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذُّباب على جلدك لأنه يقع على النجاسات فتلطَّخ بها، فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لا يعصمك عن صحبة مَن تكون متلطِّخة بمثل هذه الفاحشة؟ وقال عثمان: إن الله ما أوقع ظلّك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل، فلما لم يمكن أحدًا من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحدًا من تلويث عرض زوجتك؟ وكذا قال علي رضي الله عنه: إن جبريل أخبرك أن على نعليك قذرًا وأمرك بإخراج النَّعل عن رِجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطِّخة بشيء من الفواحش. ورُوِيَ أن (**أبا أيوب الأنصاري**) قال لامرأته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنتَ تظن (**بحرم رسول الله ﷺ**) سوءًا؟ فقال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خُنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك. وإنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل: «ظننتم بأنفسكم خيرًا وقلتم» ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات، وليدلّ التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على

قوله: (﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ «**لا تعيبوا فتُعابوا**») أي لا يَعِب بعضكم بعضًا. **قوله**: (**أبا أيوب الأنصاري**) خالد بن زيد بن كليب من كبار الصحابة، شهد بدرًا ونزل النبيّ ﷺ حين قدم المدينة عليه، مات غازيًا بالروم سنة خمسين، وقيل بعدها. **قوله**: (**بحرم رسول الله ﷺ**) حَرَم ـ بفتحتين ـ وهو كناية عن أهله كما اشتهر استعماله بهذا المعنى.

أُختها قول غائب ولا طاعِن، وهذا من الأدب الحَسَن الذي قلَّ القائم به والحافظ له، وليتك تجد مَن يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوانه ﴿وَقَالُوٓاْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب ظاهر لا يليق بهما.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ هلَّا جاؤوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ الأربعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حكمه وشريعته ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ أي القاذِفون لأن الله تعالى جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها، والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم يكن لهم بيِّنة على قولهم فكانوا كاذبين ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ «لولا» هذه لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدَّم أي: ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النِّعَم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أترحَّم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿مَسَّكُمْ﴾ أو لـ ﴿أَفَضْتُمْ﴾ ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ يأخذه بعضكم من بعض. يقال تلقَّى القول وتلقنه وتلقفه ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي أن بعضكم كان يقول لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت (ولا نادٍ) إلا طار فيه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إنما قيَّد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولًا يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٧]

قوله: (ولا نادٍ) أي مجلس.

﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾ أي خوضكم في عائشة رضي الله عنها ﴿هَيِّنًا﴾ صغيرة ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ كبيرة. جزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال: أخاف ذنبًا لم يكن مني على (بالٍ) وهو عند الله عظيم.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ﴾ وهلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ فصل بين ﴿لَوْلَآ﴾ و﴿قُلْتُم﴾ بالظرف لأن للظروف شأنًا وهو تنزّلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتّسع فيها ما لا يتسع في غيرها. وفائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب عليهم (أن يتفادوا) أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم قدم، والمعنى هلّا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصحّ لنا أن نتكلم بهذا ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ للتعجّب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل أن يسبّح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، أو لتنزيه الله من أن تكون (حرمة نبيّه) فاجرة. وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفّار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفِّرهم عنه والكفر غير مُنفِّر عندهم، وأما (الكشخنة) فمن أعظم المُنفِّرات ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾ زُور يبهت مَن يسمع ﴿عَظِيمٌ﴾ وذكر فيما تقدم هذا إفك مبين، ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبرِّي.

قوله: (بالٍ) حال.

قوله: (أن يتفادوا) في لسان العرب: تفادى فلان من كذا إذا تحامى وانْزَوى عنه. اهـ. **قوله**: (حرمة نبيه) حُرمة ـ بضم فسكون ـ بمعنى المرأة، كما في المصباح. والمراد زوجته رضي الله تعالى عنها. **قوله**: (الكَشْخَنة) في القاموس: الكَشْخان ويكسر الديوث، وكَشَّخه تكشيخًا وكَشْخَنَةً قال له: يا كَشْخانُ. اهـ. وفي المعزب: الكَشْخان الديوث الذي لا غَيْرَة له وكَشخه وكَشَخْتَه شَتَمه وقال له: يا كَشْخان. اهـ. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: الكشخان الذي امرأته فاجرة تدعو الرجال إلى نفسها، وهو يعرف حالها أي زوج الفاجرة.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ﴾ في أن تعودوا ﴿لِمِثۡلِهِۦٓ﴾ لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم أحياء مكلَّفين ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فيه تهييج لهم ليتّعظوا وتذكير بما يُوجِب ترك العود وهو الإيمان الصّادّ عن كل قبيح ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ﴾ الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝١٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي ما قبح جدًّا، والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبة لها ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالحدّ. **(ولقد ضرب النبي ﷺ ابن أُبَيّ وحسانًا ومِسطَحًا الحدّ)** ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالنار وعدها إن لم يتوبوا ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ بواطن الأمور وسرائر الصدور ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي أنه قد علم محبة مَن أحبّ الإشاعة وهو معاقبه عليها ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لعجَّل لكم العذاب وكرَّر المِنَّة بترك المُعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في المِنَّة عليهم والتوبيخ لهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ﴾ حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بغفرانه جناية القاذف إذا تاب.

قوله: (ولقد ضرب النبيّ ﷺ ابن أُبيّ وحسّانًا ومسطحًا الحدّ) في الخميس، ولما نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ﴾ الآية جلد رسول الله ﷺ بعد تنازع بين الأصحاب أربعة: عبد الله بن أُبيّ، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أُثاثة، وحمنة بنت جحش أخت زينب التي عصمها الله بالورع، جلدهم ثمانين ثمانين. وفي رواية: وجلد زيد بن رِفاعة خامس الأربعة المذكورة.اهـ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ فإن الشيطان ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما أفرط قبحه ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ ما تُنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ولولا أن الله تفضَّل عليكم بالتوبة الممحِّصة لما طَهُر منكم أحد آخر الدهر من دَنَس إثم الإفك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ﴾ يطهِّر التائبين بقبول توبتهم إذا محَّضُوها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائرهم وإخلاصهم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف مَن ائتلى إذا حلف افتعال (**من الألية**) أو لا يقصر (**من الألو**)﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ في الدين ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في الدنيا ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ أي لا يؤتوا إن كان من الألية ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي لا يحلفوا على أن لا يُحسِنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصروا في أن يُحسِنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم (**شحناء**) لجناية (**اقترفوها**) ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ﴾ العفو الستر والصَّفْح الإعراض أي ليتجاوزوا عن (**الجفاء**) وليُعرِضوا عن العقوبة ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ فليفعلوا بهم ما يرجون أن يُفعَل بهم مع كثرة خطاياهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فتأدّبوا بأدب الله واغفروا وارحموا، نزلت في شأن أبي بكر الصديق

قوله: (**من الألية**) بفتح الهمزة وكسر اللام والياء المشدّدة الحلف، في المصباح: الألية الحلف، والجمع ألايا مثل عطية وعطايا. اهـ. ويكون بمعنى التودّد، وليس بمراد هنا. **قوله**: (**من الألوّ**) بمعنى التقصير، ومنه: لم آلُ جهدًا في كذا، وإليه أشار بقوله: أو لا يقصر. **قوله**: (**شحناء**) في المصباح: الشحناء العداوة والبغضاء. اهـ. **قوله**: (**اقترفوها**) أي فعلوها. **قوله**: (**الجفاء**) في مختار الصحاح: الجفاء ممدود ضدّ البرّ. اهـ.

رضي الله عنه حين حلف أن لا يُنفِق على مِسطَح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكينًا بدريًا مُهاجِرًا، ولمّا قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أُحبّ أن يغفر الله لي وردّ إلى مِسطَح نفقته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ السليمات الصدور النقيّات القلوب اللاتي ليس فيهن (دهاء) ولا مَكْر لأنهنّ لم يجرّبن الأمور ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بما يجب الإيمان به. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هُنَّ أزواجه عليه الصلاة والسلام. وقيل: هُنَّ جميع المؤمنات إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وقيل: أُريدت عائشة رضي الله عنها وحدها. وإنما جمع لأن مَن قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهنّ ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جعل القَذَفَة ملعونين في الدارين وتوعَّدهم بالعذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

والعامل في ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ يُعَذَّبون (وبالياء حمزة وعلي والكسائي) ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي بما أفِكوا أو بُهِتوا والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ بالنصب صفة للدِّين وهو الجزاء، ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله. وقرأ (مجاهد) بالرفع صفة لله كقراءة (أُبيّ) ﴿يوفيهم الله الحق دينهم﴾ وعلى قراءة النصب يجوز أن يكون ﴿ٱلْحَقُّ﴾ وصفًا لله بأن ينتصب على المدح ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ لارتفاع الشكوك

قوله: (دَهاء) أي عقل. اهـ لسان العرب. أي فطانة. اهـ محشي.

قوله: (وبالياء) من تحت (حمزة وعليّ الكسائي) وخلف، والباقون بالتاء من فوق، وجه التذكير أن التأنيث مجازي، وفصل بينهما أيضًا. **قوله**: (مجاهد) بن جبر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ من كبار التابعين. **قوله**: (أُبيّ) بن كعب من

وحصول العلم الضروري. ولم يُغلِظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفْك عائشة رضي الله عنها، فأوجز في ذلك وأشبَع وفصَّل وأجْمَل وأكَّد وكرَّر، وما ذاك إلا لأمر. وعن ابن عباس رضي الله عنه: مَن أذنَب ذنبًا ثم تاب منه قُبِلَت توبته إلا مَن خاضَ في أمر عائشة. وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الإفك. ولقد برَّأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، **(وموسى عليه السلام من قول اليهود)** فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم رضي الله عنها بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العِظام في كتابه المُعجِز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على **(إنافة)** محله ﷺ وعلى آله.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من القول تُقال: ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال والنساء ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ منهم يتعرَّضون ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ من القول وكذلك ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُولَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي فيهم و﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكَلِم، وهو كلام جارٍ مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رُمِيَت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب، ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك، وأن يُراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث، والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ مستأنف أو خبر بعد خبر ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال: لا تخافي لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحًا بما تلا. وقالت عائشة رضي الله

فضلاء الصحابة ﷺ. **قوله**: **(وموسى عليه السلام من قول اليهود)**... الخ. أشار به إلى ما ورد في الحديث مِنْ رَمْيهم له ﷺ بالأُدْرَة، أي انتفاخ الخصية لاستتاره في غسله عن أعين الناس، فاغتسل مرّة ووضع ثوبه على حجر ففرّ به، فذهب خلفه حتى رأوه سليمًا مما ذكروه به. **قوله**: **(إنافة)** أي رفعة.

عنها: لقد أُعطيت تسعًا ما أُعطيتهن امرأة، نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجني، وتزوَّجني بكرًا وما تزوَّج بكرًا غيري، وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في (**حجري**)، وقبر في بيتي، وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه وأنا ابنة خليفته وصدّيقه، ونزل عُذري من السماء، وخلقت طيبة عند طيب، ووعدت مغفرة ورزقًا كريمًا. وقال حسان معتذرًا في حقها:

(**حصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَن بريبة** ... **وتصبح غرثى عن لحوم الغوافل**
حليلة) خير الناس دينًا ومنصبًا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل
(**عقيلة حيّ**) من لؤي بن غالب ... كرام (**المساعي**) مجدها غير زائل
مهذبة قد طيَّب الله (**خيمها**) ... وطهرها من كل (**شين**) وباطل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ أي بيوتًا لستم تملكونها ولا تسكنونها ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ أي تستأذنوا، **عن** ابن عباس رضي الله عنهما

قوله: (**حجري**) في المصباح: حجر الإنسان بالفتح وقد يُكسر حضنه، وهو ما دون إبطه إلى الكشح، والجمع حجور. اهـ.

قوله: (**حَصان رزان**) بفتح الحاء المهملة والزاي من الثاني وقبلها راء مهملة مخفّفة، أي عفيفة كاملة العقل (**ما تزن**) بضم الفوقية وفتح الزاي وتشديد النون، أي ما تُتهم (**بريبة**) براء مهملة فتحتية ساكنة فموحدة (**وتصبح غرثى**) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح المثلّثة جائعة (**عن لحوم الغوافل**) العفيفات، أي لا تغتابهنّ؛ إذ لو كانت تغتاب لكانت آكلة، وهو استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحُجرات: الآية ١٢].

قوله: (**حليلة**) زوجة. **قوله**: (**عقيلة**) كريمة. **قوله**: (**حيّ**) قبيلة. **قوله**: (**المساعي**) وفي نسخة المباغي أي المطالب. **قوله**: (**خيمها**) الخِيْم - بالكسر - الشيمة والطبيعة والخُلق والسجية، وقيل: الأصل فارسي معرب لا واحد له من لفظه. **قوله**: (**شين**) في مختار الصحاح: الشَّيْن ضدّ الزَّيْن، وقد شانه من باب باع. اهـ.

(وقد قرأ به)، والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف استفعال **(من آنس)** الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفًا أي حتى تستعلموا أيُطلق لكم الدخول أم لا، وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات، فإن أُذِن له وإلا رجع، وقيل: إن تلاقيا يقدّم التسليم وإلا فالاستئذان ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تحية الجاهلية و**(الدمور)** وهو الدخول بغير إذن فكأن الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره **(يقول: حييتم صباحًا وحييتم مساء)** ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ﴾ في البيوت ﴿أَحَدًا﴾ من الآذنين ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى تجدوا مَن يأذن لكم، أو فإن لم تجدوا فيها أحدًا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرّف في مُلْك الغير لا بدَّ من أن يكون برضاه ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا﴾ أي إذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا

قوله: **(وقد قرأ به)** في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب: ومن ذلك قال ابن عباس ﷺ: أخطأ الكاتب إنما هي تستأذنوا، يعني قوله: ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾، وكذلك يروى عن عبد الله، ورُوِيَ عن أُبيّ: «حتى تسلموا أو تستأذنوا»، وكذلك قرأ ابن عباس ﷺ .اهـ. **قوله**: **(من آنس)** بالمدّ بمعنى أبصر. **قوله**: **(الدمور)** دَمَرَ يَدْمُر دُمُورًا دخل بغير إذن. **قوله**: **(يقول: حييتم صباحًا)** أي إذا دخل صباحًا **(وحيّيتم مساء)** أي إذا دخل مساء، قال الجوهري رحمه الله: الحياة ضدّ الموت والحيّ ضدّ الميت، وحيّاه الله تعالى فحيي وحيّ أيضًا والإدغام أكثر إلى أن قال: التحية الملك، قال زهير:

ولكل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية

ويقال: حيّاك الله أي ملكك، والتحيات لله، قال يعقوب: أي الملك لله.

﴿فَٱرۡجِعُواْۖ﴾ ولا تُلِحّوا في إطلاق الإذن (**ولا تلجوا**) في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب، لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك، وعن (**أبي عبيد**): ما قرعت بابًا على عالِم قطّ. ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۖ﴾ أي الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبُعْد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيرًا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه.

قوله: (**ولا تلجُّوا**) في المصباح: لجّ في الأمر لججًا من باب ولجاجًا ولجاجة فهو لجوج ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه ومن باب ضرب لغة. اهـ. **قوله**: (**أبي عبيد**) بغير تاء القاسم بن سلّام وهو معدود في مَن أخذ الفقه عن الشافعي، وكان إمامًا بارعًا في علوم كثيرة منها التفسير والقراءة والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ، وسمع أبا عبيد إسماعيل بن جعفر وشريكًا وإسماعيل بن عباس وإسماعيل بن علية وهشيمًا وسفيان بن عُيَيْنة ويزيد بن هارون ويحيى القطان وحجاج بن محمد وأبا معاوية وعبد الرحمٰن بن مهدي ومروان بن معاوية وأبا بكر بن عبّاس وآخرين، روى عنه محمد بن إسحٰق الصاغاني وابن أبي الدنيا والحارث بن أُسامة وعليّ بن عبد العزيز البغوي وآخرون، أقام ببغداد ثم ولي قضاء طَرَسُوس ثماني عشرة سنة ثم سكن مكّة حتى مات بها، قال عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيه الفارسي: كان أبو عبيد من علماء بغداد المحدثين النحويّين على مذهب الكوفيّين ومن رواة اللغة والغريب وعلماء القرآن وجمع صنوفًا من العلم وصنّف الكتب في كل فنّ وأكثر، وكان ذا فضل ودين ومذهب حسن، روى عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم من البصريّين وابن الأعرابي وأبي زياد الكلابي والأُمويّ وأبي عمرو الشيباني والكسائي والأحمر والفرّاء من الكوفيّين، وروى الناس من كتبه المصنّفة بضعة وعشرين كتابًا وكتبه مستحسنة مطلوبة في كل بلد، والرواة عنه ثقات مشهورون. خرج أبو عبيد إلى مكة سنة تسع عشرة ومائتين وتوفي بها سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل: سنة ثلاث. وقال الخطيب: بلغني أنه بلغ سبعًا وستّين سنة رحمة الله عليه. اهـ. تهذيب الأسماء باختصار.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا﴾ في أن تدخلوا ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها (**كالخانات والربط وحوانيت التجّار**) ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ أي منفعة (**كالاستكنان**) من الحرّ والبرد (**وإيواء الرّحال**) والسلع والشراء والبيع. وقيل: الخربات (**يتبرز**) فيها (**والمتاع التبرّز**) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيد للذين يدخلون الخربات والدُّور الخالية من أهل الريبة.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ «من» للتبعيض والمراد غضّ البصر عمّا يحرم والاقتصار به على ما يحلّ ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن الزنا ولم يدخل «من» هنا لأن الزّنا لا رخصة فيه بوجه، (**ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفّيها وقدميها في رواية**)،

قوله: (**كالخانات**) هي التي ينزلها التجار بأمتعتهم ويسكنون فيها. اهـ كمالين. **قوله**: (**والربط**) ـ بضمّ الراء والباء وطاء مهملة ـ جمع رباط ـ بكسر الراء ـ مكان يقيم فيه المجاهدون وتُربط فيه خيولهم، والمرابطة محافظة الثغور الإسلامية مترصّدين مستعدّين للغزو، والفرق بينه وبين الخانات ظاهر؛ لأن الخانات منازل التجار أو أبناء السبيل، والرباط محل الغازين، فيجوز الدخول فيها بلا استئذان، فإذا دخل جماعة فيها تكون مسكونة يحتاج في الدخول إلى الاستئذان إذ الشرط كون البيوت غير مسكونة. **قوله**: (**وحوانيت التجار**) واحدها حانوت وهو الدكان. **قوله**: (**كالاستكنان**) أي الاختفاء. **قوله**: (**وإيواء الرحال**) أي إنزال الرحال وجعلها مأوى لها. **قوله**: (**يتبرّز**) أي يقضي الحاجة. **قوله**: (**والمَتاع التَبرُّز**) قضاء الحاجة من البَراز وهو الفضاء والصَّحراء.

قوله: (**ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفّيها وقدميها في رواية**)، عبارة شيخ زاده رحمه الله: ومن الحرة الأجنبية إلى وجهها وكفّيها، وفي رواية: والقدم عند إرادة العقد. اهـ.

وإلى رأس المحارم والصدر والساقين والعضدين ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي غضّ البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي أطهر من دنس الإثم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف (**يجيلون**) أبصارهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أُمِرْنَ بغض الأبصار فلا يحلّ للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرّته إلى ركبتيه، وإن اشتهت غضّت بصرها رأسًا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضّ بصرها من الأجانب أصلًا أولى بها. وإنما قدّم غضّ الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر (**بريد الزّنا ورائد الفجور**) فبذر الهوى (**طموح العين**) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة ما تزيّنت به المرأة من حليّ أو كحل أو خضاب، والمعنى ولا يُظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهي الحليّ ونحوها مُباح فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهي في مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها، ومواضعها الرأس والأُذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي (**للإكليل**) و(**القرط**) و(**القلادة**)

قوله: (**يُجيلون**) يديرون.

قوله: (**بريد الزنا**) البريد بمعنى الرسول، وأُريد به الدواعي، أي يحمل الناظر على الزنى ويؤدّي إليه. **قوله**: (**ورائد الفجور**) الرائد بمعنى الرّسول. **قوله**: (**طموح العين**) طمح بصره إليه طَمْحًا وطِماحًا وطموحًا ارتفع ونظره شديدًا. **قوله**: (**للإكليل**) شبه عصابة تزين بالجواهر ويسمّى التاج إكليلًا. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**القُرْط**) الذي يُعلّق في شحمة الأذن. **قوله**: (**القِلادة**) بالكسر ما

و(الوشاح والدملج والسِّوار والخلخال) ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلا ما جرت العادة والجِبِلَّة على ظهوره وهو الوجه والكفَّان والقدمان، ففي سترها حرج بيِّن فإن المرأة لا تجد بُدًّا من مُزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصًا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصَّة الفقيرات منهنّ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ وليضعن من قولك: «ضربت بيدي على الحائط» إذا وضعتها عليه ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع خمار ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (بضم الجيم: مدني وبصري وعاصم). كانت جيوبهنّ واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكُنَّ يسدلن الخُمُر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأُمِرْن بأن يسدلنها من أقدامهنَّ حتى تغطينها.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ لأزواجهن جمع بعل ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارم ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارم أيضًا ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم (النوافل) وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ (أي الحرائر) لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر ﴿أَوْ مَا

تُجعل في العنق من الحلى. **قوله**: (الوشاح) بالكسر شبه قلادة يُنسج من أديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها[١]. **قوله**: (والدُّمْلُج) بضم الدال واللام وهي حلقة تحملها المرأة على عضدها. **قوله**: (والسِّوار) والسُّوار القُلب وهو حلية كالطوق تلْبسه المرأة في زندها[٢]. **قوله**: (والخلخال) حلية من فضة كسوار كبير تلبسه النساء في أرجلهنّ. **قوله**: (بضم الجيم مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وبصري) أي أبو عمرو البصري وسهل البصري ويعقوب البصري وليسا من السبعة (وعاصم)، وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي بكسر الجيم. **قوله**: (النوافل) جمع نفل وهو ولد الولد. **قوله**: (أي الحرائر) قال في غاية البيان: وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي الحرائر المسلمات؛ لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرّد بين يدي مشركة أو كتابية. اهـ.

(١) الكشح مثل فلس ما بين الخامرة إلى الضلع الخلف. اهـ مصباح. ١٢ منه رحمه الله.
(٢) الزَّند مَوْصِل طرف الذراع في الكفّ وهما زندان. اهـ قاموس. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ أي إمائهنّ ولا يحلّ لعَبْدِها أن ينظر إلى هذه المواضع منها (**خصيًا**) كان أو (**عنينًا**) أو (**فحلًا**). وقال (**سعيد بن المسيب**): لا تغرَّنّكم سورة النور فإنها في الإماء دون الذكور. وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ﴾ بالنصب: (**شامي**) و(**يزيد**) وأبو بكر على الاستثناء أو الحال، وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية ﴿أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ الحاجة إلى النساء. قيل: هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم (**بُلهٌ**) لا يعرفون شيئًا من أمرهنّ، أو (**شيوخ**) صلحاء، أو العنين أو الخصي و(**المخنث**). وفي الأثر أنه (**المجبوب**) والأول الوجه ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ حال

ونقله في العناية وغيرها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهو تفسير مأثور. وفي شرح العلامة عبد الغني النابلسي على هدية ابن العماد عن شرح والده الشيخ إسماعيل على الدرر والغرر: لا يحلّ للمسلمة أن تنكشف بين يدي يهودية أو نصرانية أو مشركة، إلّا أن تكون أمَة لها؛ كما في السراج ونصاب الاحتساب، ولا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة الفاجرة لأنها تصفها عند الرجال، فلا تضع جلبابها ولا خمارها، كما في السراج. اهـ.

قوله: (**خصيًا**) الخَصِي الذي سُلَّت خصيتاه. **قوله**: (**عنينًا**) العِنّين كسِكّين مَنْ لا يأتي النساء عجزًا لا يريدهن. اهـ قاموس. **قوله**: (**فحلًا**) الفحل الذَّكر من كل حيوان. **قوله**: (**سعيد بن المسيَّب**) هو الإمام الجليل، أبو محمد التابعي إمام التابعين أحد فُقهاء المدينة السبعة، وأبوه المسيّب وجدّه حزن صحابيان أسلما يوم فتح مكّة المعظَّمة، ويقال: المسيب بفتح الياء وكسرها والفتح هو المشهور، روى البخاري في تاريخه: ابن المسيّب حجّ أربعين حجّة، وأقوال السلف والخلف متظاهرة على إمامته وجلالته وعظم محلّه في العلم والدِّين، توفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: أربع وتسعين، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة مَن مات فيها من الفقهاء. **قوله**: (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. **قوله**: (**يزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. **قوله**: (**بُلهٌ**) جمع الأبله، وهو الغافل عن الشرّ. **قوله**: (**شيوخ**) جمع شيخ، وهو المُسنّ. **قوله**: (**المُخنث**) الذي في أعضائه لِين وتكسّر بأصل الخلقة ولا يشتهي النساء، فإنه رخص بعض مشائخنا في ترك مثله مع النساء. **قوله**: (**المجبوب**) مَنْ قُطع ذكره وخصيتاه.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ﴾ هو جنس فصلح أن يراد به الجمع ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي لم يطّلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء إذا اطّلع عليه، أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء من ظهر على فلان إذا قوي عليه ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع (قعقعة) خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنُهينَ عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سُمّي صوت الحليّ وسواسًا ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (﴿أيهُ﴾ شامي) إتباعًا للضمة قبلها بعد حذف الألف لالتقاء الساكنين، وغيره على فتح الهاء لأن بعدها ألفًا في التقدير ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهد. فلذا وصّى المؤمنين جميعًا بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا وقيل: أحوج الناس إلى التوبة مَن توهّم أنه ليس له حاجة إلى التوبة، وظاهر الآية يدلّ على أن العصيان لا ينافي الإيمان.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الأيامى جمع أيّم وهو مَن لا زوج له رجلًا أو امرأة، بكرًا كان أو ثيّبًا، وأصله أيائم (فقلبت) ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي الخيّرين أو المؤمنين، والمعنى زوّجوا مَن تأيّم منكم من الأحرار والحرائر ومَن كان فيه صلاح ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ أي من غلمانكم وجواريكم والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ﴾ من المال ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين، وفي الحديث «التمسوا الرزق بالنكاح» **(وعن عمر رضي الله تعالى عنه رُويَ مثله)** ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غنيٌّ ذو سعة **(لا يرزؤه)** إغناء الخلائق ﴿عَلِيمٌ﴾ يبسط

قوله: (قعقعة) صوت. **قوله**: (﴿أيهُ﴾) بضم الهاء (شامي) أي ابن عامر الشامي.

قوله: (فقلبت) قلب مكان. **قوله**: **(وعن عمر رضي الله تعالى عنه رُويَ مثله)** قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: عَجبتُ لمن يبتغي الغنى بغير النكاح، والله تعالى يقول: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. **قوله**: **(لا يرزؤه)** أي ينقصه.

الرزق لمن يشاء ويقدر. وقيل: في الآية دليل على أن تزويج النساء والأيامى إلى الأولياء كما أن تزوّج العبيد والإماء إلى الموالي. قلنا: الرجل لا يَلي على الرجل الأيّم إلا بإذنه فكذا لا يَلي على المرأة إلا بإذنها لأن الأيّم ينتظمها.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ﴾ وليجتهدوا في العفَّة كأن المُستَعِفّ طالِب من نفسه العفاف ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ استطاعة تزوّج من المهر والنفقة ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ حتى يقدرهم على المهر والنفقة. قال عليه الصلاة والسلام («**يا معشر الشباب مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومَن لم يستطع فعليه**

قوله: (يا معشر الشباب) بفتح الشين وتخفيف الموحدة جمع شاب، وهو مَنْ بلغ ولم يتجاوز ثلاثين، والمعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف كالشباب والشيخوخة والنبوة (**مَن استطاع منكم الباءة**) بالمدّ والهاء، وهي اللغة الفصيحة الشهيرة الصحيحة، والثانية بلا مد، والثالث بالمدّ بلا هاء، والرابعة بهاءين بلا مدّ، وهي الباهة ومعناها الجماع مشتقّ من المباءة المنزل، ثم قيل لعقد النكاح: باه، لأن مَنْ تزوج امرأة بوّأها منزلًا وفيه حذف مضاف، أي مؤنة الباءة من المهر والنفقة. قال النووي: ولا بدّ من هذا التأويل؛ لأن قوله عليه السلام: «ومن لم يستطع» عطف على من استطاع، ولو حمل الباءة على الجماع لم يستقم، قوله: «فإن الصوم له وِجاء»، لأنه لا يقال للعاجز هذا، وإنما يستقيم إذا قيل للقادر المتمكّن من الشهوة إن حصلت لك مؤن النكاح تزوّج وإلّا فصُمْ، ولهذا السرّ خصّ النداء بالشباب، (**فليتزوَج**) قيل: الأمر فيه للوجوب؛ لأنه محمول على حالة التوقان بإشارة قوله: «يا معشر الشباب»، فإنهم ذوو التوقان على الجبلة السليمة، (**فإنه**) أي التزوّج (**أغضّ للبصر**) أي أخفض وأدفع لعين المتزوّج على الأجنبية من غضّ طرفه، أي خفضه وكفّه (**وأحصن**) أي أحفظ (**للفرج**) أي عن الوقوع في الحرام، (ومَنْ لم يستطع) أي مُؤَن الباءة (فعليه

بالصوم) فإنه له وِجاء». فانظر كيف رتّب هذه الأوامر، فأمر أولًا بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعه المعصية وهو غضّ البصر ثم بالنكاح المحصن للدين المُغني عن الحرام، ثم بعزّة النفس الأمّارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ أي المماليك الذين يطلبون الكتابة فـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسّره ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾ وهو للندب ودخلت الفاء لتضمّنه معنى الشرط. والكتاب والمُكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول لمملوكه: كاتبتك على ألف درهم. فإن أدّاها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تَفِي بذلك. أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت عليّ العِتْق، ويجوز حالًا ومؤجلًا ومنجّمًا وغير منجّم لإطلاق الأمر ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ قدرة على الكسب أو أمانة وديانة والندبية معلّقة بهذا الشرط ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المُكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧]، وعند الشافعي رحمه الله: معناه حطّوا من بدل الكتابة ربعًا. وهذا عندنا على وجه الندب والأول الوجه لأن الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحطّ. سأل **(صبيح)**

بالصوم) قيل: هو من إغراء الغائب وبتقديم قوله: «مَن استطاع منكم» صار كالحاضر، وقيل: الباء زائدة، أي فعليه الصوم؛ فالحديث بمعنى الخبر لا الأمر، وقيل: من إغراء المخاطب، أي أشيروا عليه بالصوم **(فإنه)** أي الصوم **(له)** أي لمن قدر على الجماع ولم يقدر على التزوّج لفقره **(وجاء)** بالكسر والمدّ، أي كسر الشهوة وهو في الأصل رضّ الخصيتين ودقّهما لتضعف الفحولة، فالمعنى أن الصوم يقطع الشهوة ويدفع شرّ المني كالوجاء، رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾) وهو للندب.

فائـدة:

قال الدميري رحمه الله تعالى: الكتابة لفظة إسلامية وأوّل مَنْ كاتبه المسلمون عبدٌ لعمر رضي الله تعالى عنه يسمّى أبا أُمّية. **قوله**: **(صبيح)** مولى حُويطب بن

مولاه **(حويطبًا)** أن يُكاتبه فأبى فنزلت. واعلم أن العبيد أربعة: قن **(مقتنى)** للخدمة، ومأذون في التجارة، ومكاتب، و**(آبق)**. فمثال الأول ولي العزلة الذي حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة، والثاني **(ولي العشرة)** فهو نجي الحضرة يخالط الناس **(للخبرة)** وينظر إليهم **(بالعبرة)** و**(يأمرهم)** بالعبرة فهو

عبد العزّى جدّ محمد بن إسحٰق من قِبَل أُمّه فيما ذكر سلمة عن محمد بن إسحٰق عن خاله عبد الله بن صبيح عن أبيه، وكان جدّ ابن إسحٰق أبا أُمّه، قال: كنت مملوكًا كالحويطب، فسألت الكتابة فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، أخرجه ابن منده وأبو نعيم. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. وفي الإصابة في تمييز الصحابة: صُبَيْح مولى حويطب بن عبد العزّى، قال ابن السكن وابن حبان: يقال له صحبة، وقال البخاري في تاريخه: عبد الله بن صُبَيْح عن أبيه: كنت مملوكًا لحويطب هو خال محمد بن إسحٰق، انتهى. وذكر ابن السَّكن والباوردي من طريق ابن إسحٰق عن خاله عن عبد الله بن صَبيح عن أبيه: وكان جدّ ابن إسحٰق أبا أُمّه، قال: كنت مملوكًا لحاطب فسألته الكتابة، ففيّ أنزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ الآية، قال ابن السكن: لم أرَ له ذكرًا إلّا في هذا الحديث، انتهت بحروفها. **قوله**: **(حُويطبًا)** بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤيّ القرشي العامري، يكنى أبا محمد، وقيل: أبا الأصبع أسلم عام الفتح وشهد حُنينًا والطائف مسلمًا، وكان من المؤلّفة وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بتجديد أنصاب الحرم. قال البخاري رحمه الله: عاش مائة وعشرين سنة، وقال الواقدي: مات في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين. **قوله**: **(مقتنى)** أي متّخذ. **قوله**: (آبق) في المصباح: أبق العبد أبقًا من بابي تعب وقتل في لغة، والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيّده من غير خوف ولا كدّ عمل، هكذا قيّده في العين. وقال الأزهري: الأباق هروب العبد من سيّده، والإباق ـ بالكسر ـ اسم منه، فهو آبق، والجمع أُبّاق، مثل كافر وكفار. اهـ. **قوله**: (ولي العشرة) عاشره معاشرة خالطه وصاحبه، والاسم العِشْرة بالكسر. **قوله**: **(للخِبْرة)** بالكسر العلم بالشيء والمعرفة والتجربة والخُبرة بالضم العلم بالشيء. **قوله**: **(بالعِبْرة)** العبرة النظر في الأحوال والعِظة يتّعظ بها. **قوله**: **(يأمرهم)** بالغيرة، وفي نسخة:

خليفة رسول الله ﷺ يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله، فالدنيا سوق تجارته، والعقل رأس بضاعته، والعدل في الغضب والرِّضا ميزانه، **(والقصد في الفقر والغِنى عنوانه)**، والعز **(مفزعه)** و**(منجاه)**، والقرآن كتاب الإذن من مولاه، هو كائن في الناس بظواهره، **(بائن)** منهم بسرائره، فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطنًا، ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهرًا:

(وما هو منهمو بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام)

يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون، وما يُدريهم أنه ضَيْف الله يرى السمٰوات والأرض قائمات بأمره وكأنه قيل فيه:

(فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال)

بالعبرة. **قوله**: **(والقصد)** أي التوسّط وخير الأُمور أوسطها **(في الفقر)** هو انزواء الدنيا والخلق منها **(والغنى)** بكسر الغين مقصورًا وهو اليسار ضدّ **الفقر**، والقصد في الحالتين هو باتّباع الأمر والوقوف عند الحدود فيهما وترك الإقتار والإسراف **(عِنْوانه)** سمته.

قوله: **(مفزعه)** أي ملجأه. **قوله**: **(منجاه)** أي مَهْربه. **قوله**: **(بائن)** منقطع. **قوله**:

(وما هو منهُمُ بالعيش فيهم ولكِنْ معدنُ الذهبِ الرَّغامُ)

في ديوان المتنبي: وما أنا منهم، البَيْت. الرَّغام التراب والمعدن موضع الإقامة وعدن بالمكان أقام به وتوطّنه، ولهذا قيل له: معدن ـ بكسر الدال ـ لأن الناس يقيمون فيه، المعنى: يقول ما أنا منهم وإن كنت حيًّا مقيمًا فيهم، فأنا فوقهم كالذهب مقامه في التراب، وهو أشرف منه. **قوله**:

(فإن تَفِق الأنامَ وأنتَ منهم فإنّ المسك بعض دم الغَزال)

المعنى: يقول: إن فضلت الناس وأنتَ من جملتهم فقد يفضل بعض الشيء الكلّ جملة كالمسك وهو بعض دم الغزال يفضله فضلًا كثيرًا، والمعنى إن فاق الأنام وهو منهم وفضلهم مع مشاركته في الجنس لهم، فالمسك من دم الغزلان في

فحال وليّ العزلة أصفى وأحلى، وحال وليّ العشرة أوفى وأعلى، ونزل الأول من الثاني في حضرة الرحمٰن منزلة **(النديم)** من الوزير عند السلطان. أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن **(الشذرين)** ومجمع الحالين ومنبع الزلالين، فباطن أحواله مهتدي وليّ العزلة، وظاهر أعماله مقتدى وليّ العشرة، والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب **(الضرائب)** كنجوم المكاتب عليه في اليوم والليلة **(خمس)**، وفي المائتي درهم خمسة، وفي السنة **(شهر)**، وفي العمر **(زورة)**، فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكاك رقبته خوفًا من البقاء في ربقة العبودية، وطمعًا في فتح باب الحرية ليسرح في رياض الجنة **(فيتمتع بمناه)** ويفعل ما يشاؤه ويهواه.

والرابع **(الإباق)** فما أكثرهم فمنهم القاضي **(الجائر)**، والعالم غير العامل، والعامل المرائي، والواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله الفضول وعلى كل ما لا ينفعه **(يصول)** فضلًا عن السارق والزاني والغاصب فعنهم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله لينصر هذا الدين بقوم **(لا خلاق)** لهم في الآخرة».

أصله وسائر دم الحيوان يقصر عنه، وربّ واحد قد بذّ[1] أمّه وبعض قذفات جملة. **قوله: (النديم)** الرفيق والمصاحب. **قوله: (الشذرين)** الشّذْر قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة.

قوله: (الضرائب) جمع ضريبة وهي المال المعيَّن المقسَّط. **قوله: (خمس)** من الصلوات. **قوله: (شهر)** للصوم. **قوله: (زورة)** بالفتح. **قوله: (فيتمتع بمناه)**، في لسان العرب: المنى بضم الميم جمع المنية وهو ما يتمنّى الرجل. **قوله: (الإباق)** جمع آبق مثل كافر وكفار. **قوله: (الجائر)** الظالم. **قوله: (يصول)** في المختار: صال عليه استطال وصال عليه وثب وبابه قال.اهـ. **قوله: (لا خلاق)** أي نصيب.

(١) أي سبق وغلب. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ كان (**لابن أبيّ**) ست جوار: (**معاذة ومسيكة**

قوله: (**لابن أبي**) رأس المنافقين. **قوله**: (**مُعاذَة**) جارية عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، روى اللّيث عن عقيل عن الزهري عن محمد بن ثابت أخي بني الحارث بن الخزرج في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾، قال: نزلت في معاذة جارية عبد الله بن أُبي ابن سلول، وذلك أنه كان عنده أسير فكان عبد الله يضربها لتمكّنه من نفسها رجاء أن تحبل منه فيأخذ في ذلك فداء، وهو العَرَض الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾، وكانت الجارية تأبى عليه وهي مسلمة، قال الزهري: كانت مسلمة فاضلة، فأنزل الله هذه الآية، ثم إنها عتقت وبايعت النبيّ ﷺ بيعة النساء، فتزوّجها بعد ذلك سهل بن قرطة أخو بني عمرو بن عوف، فولدت عبد الله بن سهل وأُمّ سعيد بنت سهل، ثم هلك عنها أو فارقها فتزوّجها الحمير بن عدي القاري أخو بني خطمة، فولدت له توأمًا الحارث وعديًا ابني الحمير، ثم فارقها فتزوّجها عامر بن عدي رجل من بني خطمة أيضًا، فولدت له أُمّ حبيب بنت عامر، قيل في نسبها: معاذة بنت عبد الله بن خير بن الضرير بن أُمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج، وقال ابن ماكولا: وأما الضرير بضم الضاد المعجمة وفتح الراء، فمعاذة بنت عبد الله بن خير بن الضرير بن أُمية بن خدارة بن الحارث بن الخزرج، وذكر من أمرها نحو ما تقدّم، أخرجها أبو عمرو وأبو موسى إلّا أن أبا عمرو قال: معاذة بنت عبد الله، وقيل: مسيكة، قال الزهري: معاذة، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر: اسمها مسيكة، قال: والصحيح قول ابن شهاب إن شاء الله تعالى، وقد روى أبو صالح عن ابن عباس ﵄ القصة وسمّى الجارية مسيكة، فوافق الأعمش، والله أعلم.

قلت: قول ابن شهاب في نسبها ما ذكرناه إلى خدارة يدلّ على أن الأنصار قد كان يسبي بعضهم بعضًا في الجاهلية، فإن بني خدرة وخدارة هم من ولد الحارث بن الخزرج وعبد الله بن أُبي من بني الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج، فكلّهم خزرجيّون، ومع ذا فقد كانت معاذة من خدارة، وهي أَمَة لعبد الله بن أُبي، والله أعلم. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. **قوله**: (**ومُسَيْكة**) جارية عبد الله بن أُبي ابن سلول نزل فيها وفي أُميمة: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى

وأميمة) وعمرة وأروى وقتيلة، يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب، فشكت اثنتان منهنَّ إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت. ويكنَّى بالفتى والفتاة عن العبد والأَمَة والبغاء الزِّنا للنساء خاصة وهو مصدر لبَغَت ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعفّفًا عن الزِّنا. وإنما قيَّده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصّن، فآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرهًا ولا أمره إكراهًا، ولأنها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة، وفيه توبيخ للموالي أي إذا رغبن في التحصّن فأنتم أحقّ بذلك ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي لتبتغوا بإكراههنّ على الزنا أُجورهنَّ وأولادهنَّ ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي لهنّ، **(وفي مصحف ابن مسعود كذلك)** وكان الحسن يقول: لهنّ والله لهنّ والله. ولعلَّ الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آثمة أو لهم إذا تابوا.

ٱلْبِغَآءِ﴾، قاله ابن مندة. ورُوِيَ عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أن أُميمة ومسيكة جاريتا عبد الله شكتا إلى النبيّ ﷺ عبد الله بن أبيّ؛ فنزلت: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾. أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الطبري الفقيه بإسناده عن أبي يعلى أحمد بن علي، حدثنا ابن نمير، حدثنا ابن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، قال: كانت جارية لعبد الله بن أُبي يقال لها مسيكة فأكرهها، فأتت النبيّ ﷺ فشكت ذلك إليه؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية، أخرجها ابن مندة وأبو نعيم. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. **قوله**: (وأُمَيْمَة) جارية عبد الله بن أُبي ابن سلّول، أخبرنا يحيىٰ بن محمود وأبو ياسر بإسنادهما إلى مسلم بن الحجّاج: حدّثني أبو كامل الجحدري، حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أن جارية لعبد الله بن أُبي يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أُميمة، وكان يريدهما على الزّنا، فشكتا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة. **قوله**: **(وفي مصحف ابن مسعود كذلك)**، وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير: ﴿مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ [النُّور: الآية ٣٣] لهن ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. اهـ المحتسب في بيان وجوه شواذّ القراءات ولغات العرب.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ (**بفتح الياء: حجازي وبصري**) وأبو بكر وحمّاد. والمراد الآيات التي بيَّنت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود، وجاز أن يكون الأصل مبيّنًا فيها فاتّسع في الظرف أي أجري مجرى المفعول به كقوله: (**«ويوم شهدناه»**) وبكسرها غيرهم أي بيَّنت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها مجازًا أو من بيَّن بمعنى تبيَّن ومنه المثل:

(**«قد بيَّن الصبح لذي عينين»**)

﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ومثلًا من أمثال مَن قبلكم (**أي قصة**) عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي هم المنتفعون بها وإن كانت موعظة للكل.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ

قوله: (**بفتح الياء: حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي ابن كثير المكي ونافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، وأبو بكر شعبة عن عاصم وحماد بن زياد عن عاصم. **قوله**: (**ويوم شهدناه**) أي شهدنا فيه. **قوله**:

(**قد بيَّن الصبح لذي عينين**)

بيَّن هٰهنا بمعنى تبيَّن، يضرب للأمر يظهر كل الظهور. **قوله**: (**أي قصة**) . . . الخ. يعني أن المثل هنا بمعنى القصة المستغربة، و﴿من﴾ ابتدائية اتّصالية أو بيانية، والمراد أنها من جنس القصص المستغربة في الأُمم السالفة لأنها كقصة يوسف عليه الصّلاة السلام، ومريم عليها السلام حيث أسند إليهما مثل هذا الإفك فبرأهما الله تعالى منه.

تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

نظير قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ و﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ قولك زيد كرم وجود ثم تقول: ينعش الناس بكرمه وجوده، والمعنى ذو نور السمٰوات و﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الحق شبَّههُ بالنور في ظهوره وبيانه كقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٧] أي من الباطل إلى الحق. وأضاف النور إليهما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السمٰوات والأرض، وجاز أن المراد أهل السمٰوات والأرض وأنهم يستضيئون به ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مشكاة وهي **(الكوّة)** في الجدار غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي **(سراج ضخم ثاقب)** ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل من زجاج **(شامي)** بكسر الزاي ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مُضِيٌّ **(بضم الدال وتشديد الياء)** منسوب إلى الدّرّ لفرط ضيائه وصفائه، **(وبالكسر والهمزة أبو عمرو وعليّ)** كأنه **(يدرأ)** الظلام بضوئه، وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة شُبِّه في **(زهوته)** بأحد الكواكب الدراري كالمشتري **(والزهرة ونحوهما)** ﴿يُوقَدُ﴾

قوله: **(الكوّة)** في المصباح: الكوة تُفتح وتضمّ الثقبة في الحائط، وجمع المفتوح على لفظة: كوّات مثل حبة وحبات، وكِوَاء أيضًا بالكسر والمدّ مثل ظبية وظِباء وركوة وركاء، وجمع المضموم كُوى بالضمّ مثل مدية ومُدى، والكوّة بلغة الحبشة المشكاة، وقيل: كل كوّة غير نافذة مشكاة أيضًا، وعينها واو وأما اللام فقيل: واو وقيل ياء. اهـ. **قوله**: **(سراج ضخم)** أي عظيم **(ثاقب)** بمعنى شديدة الإنارة كأنه يثقب الهواء بضوئه المفرط. **قوله**: **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. **قوله**: **(بضم الدال وتشديد الياء)** من غير مدّ ولا همز نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب وخلف عن نفسه. **قوله**: **(وبالكسر)** أي بكسر الدال وبتشديد الراء بعدها ياء **ساكنة** (والهمزة) الممدودة كسِكِّين **(أبو عمرو وعليّ)** الكسائي. **قوله**: **(يدرأ)** أي يدفع. **قوله**: (زهوته) بفتح الزاي أي بهجه وحسنه وبضمّها أي بياضه وحسنه والمآل واحد. **قوله**: (والزهرة) بضم الزاي وفتح الهاء وتسكينها خطأ اسم للكوكب المعروف. **قوله**: (ونحوهما) من المريخ وزحل

ـ (﴿توقد﴾ ـ **بالتخفيف: حمزة وعلي وأبو بكر الزجاجة و﴿يُوقَدُ﴾ بالتخفيف: شامي ونافع وحفص و﴿توقد﴾ بالتشديد: مكي وبصري أي هذا المصباح)** ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ **(أي ابتداء ثقوبه)** من زيت شجرة الزيتون يعني **(رُوِيَت ذبالته)** بزيتها ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الأرض التي بُورِك فيها للعالمين. وقيل: بارك فيها سبعون نبيًا منهم إبراهيم عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من ﴿شَجَرَةٍ﴾ نعتها ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل: ليست مما تطّلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعها فهي شرقية وغربية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ دهنها ﴿يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ وصف الزيت بالصفاء **(والوميض)** وأنه **(لتلألؤه)** يكاد يضيء من غير نار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ أي هذا النور الذي شبّه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبقَ بقية مما يقوّي النور، وهذا لأن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه.

وعطارد والشمس والقمر. **قوله: (﴿توقد﴾ بالتخفيف)** أي بالتاء من فوق مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التأنيث مضارع أوقد مبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود على زجاجة على حدّ أوقدت القنديل **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(وأبو بكر الزجاجة و﴿يُوقَدُ﴾ بالتخفيف)** أي بياء من تحت مضمومة مع إسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير مبنيًا للمفعول، من أوقد أي المصباح **(شامي)** أي ابن عامر **(ونافع وحفص، ﴿وتوقد﴾ بالتشديد)** أي بتاء من فوق مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف على وزن تفعل فعلًا ماضيًا فيه ضمير يعود على المصباح **(مكي)** أي ابن كثير المكي **(وبصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة **(أي هذا المصباح)**. **قوله: (أي ابتداء ثقوبه)** أي المصباح إشارة إلى أن ﴿من﴾ ابتدائية والثقوب الإضاءة. **قوله: (روِيت)** من التفعيل بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ومعناه سقيت. **قوله: (ذبالته)** بضمّ الذال المعجمة وتخفيف الموحدة هي الفتيلة. **قوله: (والوميض)** بالميم والضاد المعجمة البريق واللّمعان. **قوله: (لتلألؤه)** التلألؤ الإنارة، ومنه اللؤلؤ

والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه، وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود لا بعلي غير مُعاين ولا مشهود فـ **(أبو تمام)** لما قال في **(المأمون)**:

إقدام عمرو في **(سماحة)** حاتم في حلم **(أحنف)** في **(ذكاء إياس)**

لصفائه وإشراقه. **قوله**: **(أبو تمام)** الطائي شاعر عصره والمنسوب إليه كتاب الحماسة المشهور وغيره حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل غير ذلك. **قوله**: **(المأمون)** عبد الله أبو العباس ابن الرشيد وُلد سنة سبعين ومائة. **قوله**: **(سماحة)** السماحة الجود والكرم. **قوله**: **(أحنف)** بن قيس سيّد بني تميم المضروب بحلمه وعقله المثل، أبو بحر الضحّاك، وقيل: صخر بن قيس بن معاوية، قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: أدرك النبيّ ﷺ ولم يره ودعا له النبيّ ﷺ، فمِنْ أجل ذلك ذكرناه في الصحابة لأنه أسلم على عهد النبيّ ﷺ. اهـ دستور الأعلام. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: الأحنف بن قيس، والأحنف لقب له لحنف كان برجله، واسمه الضحاك، وقيل: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرّة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم أبو بحر التميمي السعدي، أدرك النبيّ ولم يره ودعا له النبيّ ﷺ، فلهذا ذكروه، وأُمّه امرأة من باهلة. أخبرنا أبو الفرج يحيىٰ بن محمود بن سعد الثقفي إجازة بإسناده إلى ابن أبي عاصم قال: حدّثنا محمّد بن المثنى، أنبأنا حجاج، حدّثنا ابن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال: بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ أخذ رجل من بني ليث بيدي، فقال: أنا أبشرك، قلت: بلى، قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك، فجعلت أعْرِضُ عليهم الإسلام وأدعوهم إليه فقلت أنت: إنك لتدعو إلى خير وتأمر به وإنه ليدعو إلى الخير؛ فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: «اللّهمّ اغفر للأحنف»، فكان الأحنف يقول: فما شيء من عملي أرجى عندي من ذلك، يعني دعوة النبيّ ﷺ، وكان الأحنف أحد الحكماء الدهاة العقلاء، وقدِم على عمر في وفد البصرة فرأى منه عقلًا ودينًا وحسن سمت فتركه عنده سنة ثم أحضره، وقال: يا أحنف أتدري لِمَ احتبستك عندي؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: إن رسول الله ﷺ حذّرنا كل منافق عليم، فخشيت أن تكون

....

منهم، ثم كتب معه كتابًا إلى الأمير على البصرة يقول له: الأحنف سيّد أهل البصرة، فما زال يعلو من يومئذ، وكان ممّن اعتزل الحرب بين عليّ وعائشة رضي الله تعالى عنهما بالجمل وشهد صفّين مع عليّ وبقي إلى إمارة مصعب بن الزبير على العراق، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستّين ومشى مصعب بن الزبير وهو أمير العراق لأخيه عبد الله في جنازته، وذكر أبو الحسن المدائني أنه خلّف ولدًا بحرًا وبه كان يكنى، وتوفي بحر وانْقَرَضَ عقبه من الذكور، والله أعلم. أخرجه ثلاثتهم، يعني ابن عبد البرّ وابن مندة وأبا نعيم.اهـ.

قوله: (ذكاء) بالفتح سرعة الفطنة. **قوله**: (إياس) بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال، وهو اللَّسِن البليغ والألمعي المصيب والمعدود مثلًا في الذكاء والفطنة ورأسًا لأهل الفصاحة والرجاحة، وكان صادق الظنّ لطيفًا في الأُمور مشهورًا بفرط الذكاء وتُضرب الأمثال في الذكاء وإيّاه عنى الحريريّ في المقامات بقوله في المقامة السابعة: فإذا ألمعيتي، ألمعيّة ابن عباس وفراستي فراسة إياس، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة، وكان لإياس جدّ أبيه صحبة مع رسول الله ﷺ، وقيل لمعاوية بن قرّة والد إياس: كيف ابنك لك؟ قال: نِعْم الابن كفاني أمر دنياي وفرّغني لآخرتي، وكان إياس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة. ويُحكى من فطنته أنه كان في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهنّ، فقال: هذه ينبغي أن تكون حاملًا، وهذه مرضعًا، وهذه عذراء؛ فكشف عن ذلك، فكان كما تفرّس فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلّا على أعزّ ما له ويخاف عليه، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها، فاستدللتُ بذلك على حملها، ورأيت المرضع قد وضعت يدها على ثديها فعلمت أنها مرضع، والعذراء وضعت يدها على فرجها، فعلمت أنها بكر. وسمع إياس بن معاوية يهوديًا يقول: ما أحمق المسلمين يزعمون أن أهل الجنّة يأكلون ولا يحدثون، فقال إياس: أفكلّما تأكله تحدثه؟ قال: لا، لأن الله تعالى يجعله غذاء، قال: فلم تنكر أن الله تعالى يجعل كل ما يأكله أهل الجنّة غذاء؟ ونظر يومًا إلى آجرّة بالرحبة وهو بمدينة واسط، فقال: تحت هذه الآجرّة دابّة، فنزلوا الآجرّة فإذا تحتها حية منطوية، فسألوه عن ذلك، فقال: إني رأيت ما

....

بين الآجرتين نديًا من بين جميع تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئًا يتنفّس. ومرّ يومًا بمكان، فقال: أسمع صوت كلب غريب، فقيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال: بخضوع صوته وشدّة نباح غيره من الكلاب، فكشفوا عن ذلك فإذا كلب غريب مربوط والكلاب تنبحه. ونظر يومًا إلى صدع في الأرض، فقال: في هذا الصدع دابّة؟ فنظروا فإذا فيه دابّة، فسألوه عنه فقال: إن الأرض لا تنصدع إلّا عن دابة أو نبات. قال الجاحظ: إذا نظر الإنسان إلى موضع منفتح في أرض مستوية، فيتأمّله، فإن رآه يتصدّع في تهيل وكان تفتحه مستويًا علم أنها كمأة، وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابّة، وله في هذا الباب من الفراسة أشياء غريبة كثيرة، ولولا خوف الإطالة لبسطت القول في ذلك، وبعض العلماء قد جمع جزءًا كبيرًا من أخباره وكتب عمر بن عبد العزيز الأُمويّ رضي الله تعالى عنه في أيام خلافته إلى نائبه بالعراق، وهو عَديّ بن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الحرشي فولِّ قضاء البصرة أنفذهما، فجمع بينهما، فقال له إياس: أيها الأمير سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن البصري ومحمد بن سيرين، وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال له: لا تسأل عني ولا عنه، فوالله الذي لا إلـه إلّا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء، فإن كنت كاذبًا فما يحلّ لك أن توليني، وأنا كاذب، وإن كنت صادقًا فينبغي لك أن تقبل قولي، فقال له إياس: إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم، فنجّى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف، فقال عَدي بن أرطأة: أمّا إذ فهمتها فأنت لها، واستقضاه.

ورُوِيَ عن إياس أنه قال: ما غلبني أحدٌ قطّ سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني وذكر حدوده وهو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت، ثم قال: منذ كم يحكم سيّدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقت له: الحقّ معك، وأجزت شهادته. وكان يومًا في برّية فأعْوَزهم الماء، فسمع نباح كلب فقال: هذا على رأس بئر، فاستقروا النباح فوجدوه كما قال، فقيل له في ذلك، فقال: لأني سمعت الصوت كالذي يخرج

قيل له: إن الخليفة فوق من مثلته بهم فقال (**مرتجلا**):

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلًا (**شرودًا**) في (**الندى والباس**)
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلًا من المشكاة و(**النبراس**)

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي لهذا النور الثاقب ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عباده أي يوفّق لإصابة الحق مَن يشاء من عباده بإلهام من الله أو بنظره في الدليل ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريبًا إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيبيِّن

من بئر، وكان له في ذلك غرائب. وقال أبو إسحٰق بن حفص: رأى إياس في المنام أنه لا يدرك النحر فخرج إلى ضيعة له بعبدسى، وعبدسى قريبة من أعمال دشت ميسان بين البصرة وخوزستان، فتوفي بها في سنة اثنتين وعشرين ومائة، وقال غيره سنة إحدى وعشرين وعمره ستّ وسبعون سنة، وقال إياس في العام الذي توفي فيه: رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين فجريا معًا فلم أسبقه ولم يسبقني، وعاش أبي ستًّا وسبعين سنة، وأنا فيها؛ فلما كان آخر لياليه قال: أتدرون أيّ ليلة هذه؟ ليلة استكمل فيها عمر أبي ونام فأصبح ميتًا، وكان وفاة أبيه معاوية سنة ثمانين للهجرة رحمه الله تعالى. وإياس بكسر الهمزة، وقرّة بضم القاف، وتراءى هلال شهر رمضان جماعة فيهم أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وقد قارب المائة، فقال: قد رأيته هو ذلك، وجعل يشير إليه فلا يرونه، ونظر إياس إلى أنس وإذ شعرة من حاجبه قد انثنت فمسحها إياس وسوّاها بحاجبه، ثم قال: يا أبا حمزة أرِنا موضع الهلال، فجعل ينظر ويقول: ما أراه. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. وفي تهذيب التهذيب للعلامة الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله البرّ قال ابن سعد: كان (إياس) ثقة، وله أحاديث، وكان عاقلًا من الرجال فَطِنًا، وقال ابن معين والنسائي: ثقة. اهـ. وأيضًا فيه قبيل هذا: روى عن أنس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وأبيه معاوية وأبي مجلز وغيرهم. اهـ.

قوله: (**مرتجلًا**) في المصباح: ارتجلت الكلام أتيت به من غير رويّة ولا فكر. اهـ. **قوله**: (**شرودًا**) أي سائر. **قوله**: (**الندى**) الجود. **قوله**: (**الباس**) الشجاعة والشدّة في الحرب والقوّة. **قوله**: (**النّبراس**) بالكسر المصباح. **قوله**:

كل شيء بما يمكن أن يعلم به. وقال **(ابن عباس)** رضي الله عنه: مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن. وقرأ **(ابن مسعود)** رحمه الله ﴿مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة﴾ وقرأ **(أُبَيّ)** ﴿مثل نور المؤمن﴾.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلق بـ ﴿مشكاة﴾ أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل: مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت، أو بـ ﴿توقد﴾ أي توقد في بيوت، أو بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي يسبّح له رجال في بيوت. و﴿فِيهَآ﴾ تكرير فيه توكيد نحو «زيد في الدار جالس فيها» أو بمحذوف أي سبّحوا في بيوت ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي أمر ﴿أَن تُرْفَعَ﴾ تُبنى كقوله: (﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾) [النازعات: الآيتان ٢٧، ٢٨]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ (ٱلْقَوَاعِدَ)﴾ [البقرة: الآية ١٢٧] أن تعظم من الرِّفعة. وعن **(الحسن)**: ما أمر الله أن تُرفَع بالبناء ولكن بالتعظيم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ يُتلى فيها كتابه أو هو عامٌّ في كل ذكر ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ أي يصلّي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وإنما وحّد الغدو لأن صلاته صلاة واحدة، وفي الآصال صلوات والآصال **(جمع أُصُل)** جمع أصيل وهو العشي.

(ابن عباس) أي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما الصحابي ابن الصحابي. **قوله**: **(ابن مسعود)** أي عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(أُبيّ)** أي أُبي بن كعب سيّد القراء رضي الله تعالى عنه.

قوله: (﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا﴾) تفسير لكيفية البناء، أي جعل سمتها من جهة العلوّ رفيعًا، وقيل: ﴿سَمْكَهَا﴾ [النَّازعات: الآية ٢٨] سقفها (﴿فَسَوَّىٰهَا﴾) جعلها مستوية بلا عيب. **قوله**: (﴿ٱلْقَوَاعِدَ﴾) الأُسس بضمّ الهمزة والسين، جمع أساس وهو الأصل لما فوقه والقاعدة صفة غالبة ومعناه الثابتة أو الجدر ـ بضمّتين ـ جمع جدار، فإن كل جدار قاعدة السقف. **قوله**: **(الحسن)** البصري. **قوله**: **(جمع أُصُل)** كعُنُق.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿رِجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ (﴿يُسَبَّحُ﴾ **شامي وأبو بكر**) ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو و﴿رِجَالٌ﴾ مرفوع بما دلَّ عليه ﴿يُسَبَّحُ﴾ أي يسبّح له ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجَـٰرَةٌ﴾ في السفر ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ في الحضر. وقيل: التجارة الشراء إطلاقًا لاسم الجنس على النوع أو خصَّ البيع بعدما عمَّ لأنه أوغل في الإلهاء من الشراء لأن الربح في البيعة الرابحة متيقن وفي الشراء مظنون ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ باللسان والقلب ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي وعن إقامة الصلاة. التاء في إقامة عِوَض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام، فلما قلبت الواو ألفًا اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عِوَضًا عن المحذوف، فلما أُضيفت أُقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت ﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي وعن إيتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة، أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متثاقلين كأولياء العشرة.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي يوم القيامة و﴿يَخَافُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿تُلْهِيهِمْ﴾ أو صفة أخرى لـ ﴿رِجَالٌ﴾ ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ ببلوغها إلى الحناجر ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ (**بالشخوص والزرقة**) أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله: (﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾) [ق: الآية ٢٢]، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي يسبّحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفًا ويزيدهم على الثواب

قوله: (﴿يُسَبَّحُ﴾) بفتح الموحدة مبنيًّا للمفعول (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وأبو بكر**) شعبة عن عاصم، والباقون بكسرها على البناء للفاعل. **قوله**: (**بالشخوص**) في المصباح: شخص شخوصًا ارتفع. اهـ. **قوله**: (**والزُّرقة**) من الألوان. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾) حادّ تدرك به ما أنكرته في الدنيا.

الموعود على العمل تفضلًا ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي يثيب مَن يشاء ثوابًا لا يدخل في حساب الخلق.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾

هذه صفات المهتدين بنور الله، فأما الذين ضلّوا عنه فالمذكورون في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ﴾ هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر (**يسرب**) على وجه الأرض كأنه ماء يجري ﴿بِقِيعَةٖ﴾ بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المُستَوي من الأرض كجيرة في جار ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ﴾ يظنه العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ أي جاء إلى ما توهّم أنه ماء ﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ كما ظنه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾ أي جزاء الله كقوله: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: الآية ١١٠] أي يجد مغفرته ورحمته ﴿عِندَهُۥ﴾ عند الكافر ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ أي أعطاه جزاء عمله وافيًا كاملًا. وجد بعد تقدم الجمع حملًا على كل واحد من الكفّار ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ لأنه لا يحتاج إلى عدّ وعقد ولا يشغله حساب عن حساب، أو قريب حسابه لأن ما هو آتٍ قريب شبَّه ما يعمله مَن لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتُنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر (**بسراب**) يراه الكافر (﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾) وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد (**زبانية الله**) عنده يأخذونه (**فيعتلونه**) إلى جهنم فيسقونه (**الحميم**) و(**الغساق**) وهم الذين قال الله

قوله: (يسرب) أي يجري. **قوله**: (بسراب) متعلق بشبه. **قوله**: (﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾) أي أرض القيامة، والساهرة الأرض البيضاء المستوية، سُمِّيت بذلك لأن السرب يجري فيها من قولهم: عين ساهرة للتي يجري ماؤها، وفي ضدّها نائمة أو لأن سالكها يسهر خوفًا. **قوله**: (زبانية الله) المراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خَزَنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء، سُمُّوا زبانية لأنهم يزبنون الكفار، أي يدفعونهم في جهنّم. **قوله**: (يَعْتِلونه) أي يقودونه بعنف، في مختار الصحاح: عتل الرجل جذبه جَذْبًا عنيفًا وبابه ضرب. **قوله**: (الحميم) الماء الحارّ الذي انتهى حرّه. **قوله**: (الغساق) صديد أهل النار.

فيهم: (﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾) [الغاشية: الآية ٣]، (﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]. قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهَّب ملتمسًا للدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ﴾ («أو» **هنا كـ «أو» في** ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾) [البقرة: الآية ١٩]، ﴿لُّجِّىٍّ﴾ عميق كثير الماء منسوب إلى **(اللُّج)** وهو معظم ماء البحر ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يغشى البحر أو مَن فيه يعلوه ويغطيه ﴿مَوْجٌ﴾ هو ما ارتفع من الماء ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ من فوق الموج الأعلى سحاب ﴿ظُلُمَٰتٌۢ﴾ أي هذه ظلمات، ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ أي الواقع فيه ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ مبالغة في لم

قوله: (﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾) تعمل ما تتعب فيه كجرّ السلاسل وخوضها في النار خوض الإبل في الوحل ـ بفتح الحاء ـ الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها، التلال جمع تل وهو الجبل الصغير، والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئنّ، أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ. **قوله**: (﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾) يظنّون (﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾) عملًا يجازون عليه.

قوله: **(أو هنا كأو في** ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾) في السمين: في ﴿أو﴾ خمسة أقوال أظهرها أنها **للتفصيل**: بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته. **والثاني**: أنها للإبهام، أي أن الله تعالى أبهم على عباده تشبيههم بهؤلاء أو بهؤلاء. **الثالث**: أنها للشكّ بمعنى أن الناظر يشكّ في تشبيههم. **الرابع**: أنها للإباحة. **الخامس**: أنها للتخيير أي أبيح للناس أن يشبهوهم بكذا أو بكذا، وخيّروا في ذلك. وزاد الكوفيّون فيها معنيين آخرين أحدهما كونها بمعنى الواو، والثاني كونها بمعنى بل. اهـ اختصار. **قوله**: **(اللُّج)** بالضمّ.

يرها أي لم يقرب أن يراها فضلًا عن أن يراها، شبَّه أعمالهم أولًا في فَوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد مَن خدعه من بعيد شيئًا ولم يكفه خيبة و(**كمدًا أن لم**) يجد شيئًا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية (**تعتله**) إلى النار، وشبَّهها ثانيًا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوِّها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لجِّ البحر والأمواج والسحاب ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ مَن لم يهده الله لم يهتدِ عن (**الزجّاج**) في الحديث «خلق الله الخلق في ظلمة ثم رشّ عليهم من نوره فمَن أصابه من ذلك النور اهتدى ومَن أخطأه ضلّ».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد علمًا يقوم مقام العَيان في الإيقان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ﴾ عطف على ﴿مَن﴾ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال من ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ أي يصففن أجنحتهن في الهواء ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ الضمير في ﴿عَلِمَ﴾ لـ ﴿كُلٌّ﴾ أو لله، وكذا في صلاته وتسبيحه. والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يُلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (**لا يعزب**) عن علمه شيء.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأنه خالقهما ومَن مَلَكَ شيئًا فبتمليكه إياه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ مرجع الكل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى﴾ يسوق إلى حيث يريد

قوله: (كمدًا) في المصباح: الكَمَد ـ بفتحتين ـ الحزن المكتوم. **قوله**: (**أن لم**) بفتح أن **قوله**: (**تَعْتِله**) أي يقوده بعنف. **قوله**: (**الزجاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله.

قوله: (**لا يعزب**) أي لا يغيب.

﴿سَحَابًا﴾ جمع سحابة دليله ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ وتذكيره للفظ أي يضمّ بعضه إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ متراكمًا بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ من **(فتوقه)** ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ (﴿**وينْزل**﴾ **مكي**) ومدني **(وبصري)** ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء ﴿مِن جِبَالٍ﴾ «من» للتبعيض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي ﴿فِيهَآ﴾ في السماء ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض، ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها. وعلى الأول مفعول ﴿يُنَزِّلُ﴾ ﴿مِن جِبَالٍ﴾ أي بعض جبال فيها ومعنى ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال: «فلان يملك جبالًا من ذهب» ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي يصيب الإنسان وزرعه ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فلا يصيبه أو يعذب به مَن يشاء ويصرفه عمَّن يشاء فلا يعذبه ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ **(ضوئه)** ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يخطفها به (﴿يُذْهِبُ﴾ **يزيد)** على زيادة الباء.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يصرفهما في الاختلاف طولًا وقصرًا والتعاقب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في إزجاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار ﴿لَعِبْرَةً

قوله: **(فتوقه)** جمع فتق، وهو الشقّ. **قوله**: (﴿**وينْزل**﴾) بإسكان النون وتخفيف الزاي **(مكي)** أي ابن كثير المكي، **(وبصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله**: **(ضوئه)** أي ضوء برق السحاب، يعني أن السنا مقصورًا بمعنى الضوء، يقال: سنا يسنو سنًا أي أضاء يضيء، والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالأبصار من شدّة ضوئه، والبرق الذي يكون صفة ذلك لا بدّ أن يكون نارًا عظيمة خالصة، والنار ضدّ الهواء والبرد، فظهوره في خلال السحاب يقتضي ظهور الضدّ من الضدّ؛ وذلك لا يمكن إلّا بقدرة قادر حكيم. **قوله**: (﴿يُذْهِبُ﴾) بضم الياء وكسر الهاء من أذهب **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، والباقون بفتح الياء والهاء.

﴿لِأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لذوي العقول. وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح مَن في السمٰوات والأرض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر، فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمَن نظر وتدبَّر. ثم بيَّن دليلًا آخر فقال تعالى.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ﴾ (﴿خَٰلِقُ كُلِّ﴾ **حمزة وعلي**) ﴿دَآبَّةٍ﴾ كل حيوان **(يدب)** على وجه الأرض ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ أي من نوع من الماء مختصٌّ بتلك الدابَّة أو من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها **(هوام)** ومنها **(بهائم)** ومنها أناسي وهو كقوله: (﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ﴾) [الرعد: الآية ٤]، وهذا دليل على أن لها خالقًا ومدبِّرًا وإلا لم تختلف لاتفاق الأصل. وإنما عرف الماء في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]. لأن المقصود ثم أن أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وأنه هو الأصل وإن تخلَّلت بينه وبينها وسائط. قالوا: إن أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين، فخلق من النار الجنّ، ومن الريح الملائكة، ومن الطين

قوله: (﴿خَٰلِقُ كُلِّ﴾) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وجرّ ﴿كل﴾ على الإضافة **(حمزة وعليّ)** الكسائي، وكذا خلف رحمه الله. والباقون بترك الألف وفتح اللام والقاف ونصب لام كل. **قوله**: (يدِبّ) بالكسر من باب ضرب. **قوله**: (هوامّ) بالتشديد جمع هامة اسم لِخشاش[١] الأرض والقمل، وشبهه مما يدبّ من الحيوانات. **قوله**: (بهائم) جمع بهيمة. **قوله**: (﴿يُسْقَىٰ﴾) بالتاء أي الجنّات وما فيها، والياء أي المذكور (﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾) بالنون والياء (﴿بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِۚ﴾) بضم الكاف وسكونها فمنه حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى.

---

(١) خشاش الأرض وزان الكلام وكسر الأول لغة دوابها الواحدة خشاشة وهي الحشرة والهامة. اهـ. مصباح ١٢ منه رحمه الله.

آدم ودواب الأرض، ولمّا كانت الدابّة تشمل المميّز وغير المميّز غلب المميّز فأعطى ما وراءه حُكمه كأن الدواب كلهم مميّزون فمن ثم قيل: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيّة والحوت. وسُمّي الزحف على البطن مشيًا استعارة كما يقال في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر، أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾ كالبهائم وقدّم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ﴾ كيف يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يتعذّر عليه شيء.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ بلطفه ومشيئته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى دين الإسلام الذي يوصل إلى جنته والآيات لإلزام حجته لما ذكر إنزال الآيات، ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق: فرقة صدقت ظاهرًا وكذبت باطنًا وهم المنافقون، وفرقة صدقت ظاهرًا وباطنًا وهم المخلصون، وفرقة كذبت ظاهرًا وباطنًا وهم الكافرون على هذا الترتيب. وبدأ بالمنافقين فقال: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ بألسنتهم ﴿وَأَطَعْنَا﴾ الله والرسول ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُعرض عن الانقياد لحُكم الله ورسوله ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ﴾ أي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنّا، وأطعنا، لا إلى الفريق المتولّي وحده. وفيه إعلام من الله بأن جميعهم مُنْتَفٍ عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء والإعراض وإن كان من بعضهم فالرّضا بالإعراض من كلهم.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي إلى رسول الله كقولك: «أعجبني زيد وكرمه» تريد كرم زيد ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الرسول ﴿بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي فاجأ من فريق منهم الإعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض

فجعل اليهودي يجرّه إلى رسول الله ﷺ والمنافق إلى (**كعب بن الأشرف**) ويقول: إن محمدًا (﴿يَحِيفَ﴾) علينا.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي إذا كان الحق لهم على غيرهم ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ إلى الرسول ﴿مُذْعِنِينَ﴾ حال أي مُسرعين في الطاعة طلبًا لحقهم لا رِضًا بحُكم رسولهم. قال الزجَّاج: الإذعان الإسراع مع الطاعة. والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المرّ والعدل (**البحت**) يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من (**أحداقهم**) بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمَّة الخصم.

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ قسم الأمر في صدورهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوّته أو خائفين الحيف في قضائه. ثم أبطل خوفهم حيفة بقوله: ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يُريدون أن يظلموا مَن له الحق عليهم، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة إليه.

(**كعب بن الأشرف**) من كبار اليهود، وهو الذي سمّاه الله تعالى الطاغوت. قال العلّامة علي القاري رحمه الله في الجمالين: ينبغي أن يقرأ بالسين المهملة. اهـ. **قوله**: (﴿يَحِيفَ﴾) في المصباح: حاف يحيف حيفًا جارَ وظلم وسواء كان حاكمًا أو غير حاكم فهو حائف، وجمعه حافة وحيف. اهـ.

قوله: (**البحت**) الخالص. **قوله**: (**أحداقهم**) في لسان العرب: حَدَقة العين سوادها الأعظم، والجمع حَدَق وأحْداق وحِدَاق. اهـ.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (**وعن الحسن** ﴿قَوْلُ﴾ **بالرفع**)، والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسمًا لكان (**أوغلهما**) في التعريف (**وأن يقول: أوغل بخلاف** ﴿قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (﴿لِيَحْكُمَ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام ليحكم، أي ليفعل الحكم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بحكم الله الذي أنزل عليه ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا﴾ قوله: ﴿وَأَطَعْنَاۚ﴾ أمره ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في سُننه ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ على ما مضى من نوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتُلِيَت له هذه الآية. وهي جامعة لأسباب الفوز

قوله: (**وعن الحسن**) البصري (﴿قَوْلُ﴾ **بالرفع**) أي برفع اللام على أنه اسم كان وأن وما في حيّزها الخبر، والجمهور على نصبه خبرًا لكان والاسم أن المصدرية وما بعدها، وهو الأرجح؛ لأنه متى اجتمع معرفتان فالأَولى جعل الأعرف الاسم، وإن كان سيبويه خيّر بين كل معرفتين ولم يفرّق هذه التفرقة. **قوله**: (**أوغلهما**) أي أدخلهما خبر أن. **قوله**: (وأن يقول: **أوغل بخلاف** ﴿قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾)؛ وذلك لأن الفعل المصدر بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف إلى الفاعل، فإذا كان فاعله معرفة كما في هذا المقام كان في معنى المصدر المضاف إلى المعرفة، فيكون معرفة ولا يمكن تنكيره؛ لأن عزل الفعل عن فاعله غير متصوّر بخلاف قول المؤمنين؛ لأنه إذا لم يضف وقيل: قول المؤمنين عاد نكرة ولأن أن بصلتها تشبه المضمر من حيث إنه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضمر، والمضمر أعرف من قول المؤمنين. **قوله**: (﴿لِيَحْكُمَ﴾) في الموضعين بالبناء للمفعول (**يزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة، ونائب الفاعل ضمير المصدر، أي ليحكم هو أي الحكم، والمعنى ليفصل الحكم بينهم، قاله أبو حيان.

(﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بسكون الهاء: أبو عمرو وأبو بكر بنيَّة الوقف، وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة: حفص، وبكسر القاف والهاء، و(غيرهم).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾) أي حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم. وجهد يمينه مُستَعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مَن قال بالله فقد جهد يمينه. وأصل أقسم جهد اليمين أقسم بجهد اليمين جهدًا فحذف الفعل وقدَّم المصدر فوضع موضعه مضافًا إلى المفعول كقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: الآية ٤] وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال: جاهدين أيمانهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ أي لئن أمرنا محمد بالخروج إلى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ (أمثل) وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة (الخُلَّص) من المؤمنين لا أيمان تُقسِمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضِحكم لا محالة ومُجازيكم على نفاقكم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ في (تبكيتهم) ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا

قوله: (﴿وَيَتَّقْهِ﴾ **بسكون الهاء**) أي مع كسر القاف (**أبو عمرو وأبو بكر بنية الوقف، وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة: حفص، وبكسر القاف والهاء غيرهم**) أي مع إشباع كسرة الهاء وبدونه.

قوله: (**أمثل**) أي أفضل. **قوله:** (**الخُلَّص**) جمع خالص.

قوله: (**تبكيتهم**) التبكيت إلزام الحجّة.

حُمِّلْتُمْ﴾ يريد فإن تتولّوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلّفه من أداء الرسالة فإذا أدّى فقد خرج عن عُهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلّفتم من التلقّي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ أي وإن أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى، فالضرر في تولّيكم والنّفع عائدان إليكم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وما على الرسول إلا أن يبلغ ما له نفع في قلوبكم ولا عليه ضرر في تولّيكم. والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية، والمبيّن الظاهر لكونه مقرونًا بالآيات والمعجزات.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

ثم ذكر المخلصين فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمَن معه و﴿مِنكُمْ﴾ للبيان. وقيل: المراد به المهاجرون و«من» للتبعيض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض الكفّار. وقيل: أرض المدينة. والصحيح أنه عامّ لقوله عليه الصلاة والسلام: «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل». ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾ (**﴿استُخلِف﴾ أبو بكر**) ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ (**﴿وليبْدلنهم﴾ بالتخفيف: مكي وأبو بكر**) ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام، وتمكينه تثبيته

قوله: (**﴿استُخلِف﴾**) بضم التاء وكسر اللام مبنيًا للمفعول، فالموصول نائب الفاعل ويبتدىء بهمزة الوصل مضمومة (**أبو بكر**) شعبة، والباقون بفتحها مبنيًا للفاعل، وهو ضمير الجلالة في ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾، و﴿الذين﴾ مفعوله وإذا ابتدؤوا كسروا همزة الوصل. **قوله**: (**﴿وليبْدِلنهم﴾ بالتخفيف**) أي بسكون الموحدة وتخفيف الدال من أبدل (**مكي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو بكر**) شعبة، والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال.

وتعضيده وأن يؤمن (**سَرْبهم**) ويُزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه. وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة (**عشر سنين**) خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يُصبحون في السلاح ويُمسون فيه حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام: «(**لا تغبرون**) إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم مُحتَبِيًا ليس معه حديدة» فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعد بلاد المشرق والمغرب ومزّقوا (**ملك الأكاسرة**) وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا. والقسم المتلقى باللام والنون في ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو نزل وعد الله في تحقّقه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل: أقسم الله ليستخلفنهم ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ إن جعلته استئنافًا فلا محل له كأنه قيل: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال: يعبدونني موحّدين، ويجوز أن يكون حالًا بدلًا من الحال الأولى. وإن جعلته حالًا من وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحله النصب ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني مُوَحِّدين، ويجوز أن يكون حالًا بدلًا من الحال الأولى.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: الآية ١١٢] ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ هم (**الكاملون في فسقهم**) حيث كفروا تلك النعمة (**الجسيمة**) و(**جسروا**) على (**غمطها**). قالوا:

قوله: (**سَرْبهم**) بالفتح أي طريقهم. **قوله**: (**عشر سنين**) قيل: إنه مخالف لما اشتهر من أنه ﷺ أقام بمكّة ثلاث عشرة سنة، وموافق لمن قال عمره ﷺ ستّون سنة، فإنه بُعِث على رأس أربعين، وأقام بالمدينة عشر سنين بلا خلاف. قلت: اختلف الروايات في سنّه ﷺ، فقيل: ثلاث وستّون، وقيل: ستّون، والأول أصح، وقد جمع بين الأقوال بأنها ستّون وأشهر، فمن قال: ستون لم يعد الكسور، ومن زاد عدّها وتفصيله في كتب الحديث. **قوله**: (**لا تغبرون**) من باب قعد غبر الشيء يغبر أي بقي، والغابر الباقي، والغابر الماضي وهو من الأضداد. **قوله**: (**ملك الأكاسرة**) جمع كِسْرى ملك الفرس. **قوله**: (**الكاملون في فسقهم**) توجيه للحصر بأنه باعتبار الكمال. **قوله**: (**الجسيمة**) العظيمة. **قوله**: (**جسروا**) أقدموا. **قوله**: (**غمطها**) أي سترها.

أول مَن كفر هذه النعمة قَتَلَة عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا إخوانًا وزال عنهم الخوف، والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوف على ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ ولا يضرّ الفصل وإن طال ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيدًا لوجوبها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي لكي تُرحَموا فإنها من مُستَجلِبات الرحمة ثم ذكر الكافرين فقال: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها، فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ و﴿مُعْجِزِينَ﴾ **(وبالياء شامي وحمزة)** والفاعل النبي ﷺ لتقدّم ذِكره والمفعولان ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ و﴿مُعْجِزِينَ﴾ ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ **(معطوف على** ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ **(كأنه قيل)**: الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي المرجع النار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ

قوله: **(وبالياء شامي)** أي ابن عامر الشامي **(وحمزة)** والباقون بالفوقية. **قوله**: **(معطوف على** ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) وهي جملة إنشائية فعلية، وهذه الجملة خبرية اسمية، فلا وجه لعطف أحدهما على الأخرى، إلّا أن الجملة الفعلية الإنشائية لمّا كانت في حكم الاسمية الخبرية جاز أن تعطف عليها الاسمية؛ وذلك لأن دخول فعل الحسبان وعدم دخوله **على** الجملة الاسمية لا يغيّر المعنى الأصلي، فكان قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ في قوّة أن يقال: الذين كفروا ليسوا معجزين؛ لأن المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الإعجاز. **قوله**: **(كأنه قيل)**... الخ. أوّله ليصح عطف الخبر على الإنشاء.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أمر بأن يستأذن العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار، **(وقرىء بسكون اللام تخفيفًا)** ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في اليوم والليلة وهي ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب **(اليقظة)** ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وهي نصف النهار في **(القيظ)** لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرّد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ أي هي أوقات ثلاثة عورات فحذف المبتدأ والمضاف. **(وبالنصب: كوفي غير حفص)** بدلًا من ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي أوقات ثلاث عورات. وسُمِّي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها، والعورة: الخلل ومنها الأعور المختلّ العين. دخل غلام من الأنصار يقال له **(مدلج)** بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه: وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالإذن، فانطلق إلى النبي ﷺ وقد نزلت عليه الآية. ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن. ثم بيّن العلّة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ أي هم طوّافون بحوائج البيت ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف

قوله: (وقرئ بسكون اللام تخفيفًا) عبارة الكشاف: وعن أبي عمرو ﴿ٱلْحُلُمَ﴾ [النور: الآية ٥٨] بالسكون. اهـ. **قوله: (اليقظة)** بفتحتين. **قوله: (القيظ)** في مختار الصحاح: القيظ حارّة الصيف. اهـ. وفي المصباح: القيظ شدّة الحرّ والقيظ الفصل الذي يسمّيه الناس الصيف. اهـ. **قوله: (وبالنصب: كوفي غير حفص)** أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف، والباقون برفعها خبر محذوف، أي هنّ ثلاث. **قوله: (مدلج)** بن عمرو الأنصاري، قال له النبيّ ﷺ: «أنت ممن يَلج الجنّة». اهـ الإصابة في تمييز الصحابة.

لدلالة ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ عليه، ويجوز أن تكون الجملة بدلًا من التي قبلها وأن تكون مبيِّنة مؤكِّدة يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام، فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرح بالنص ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي كما بيَّن حكم الاستئذان يبيِّن لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ في بيان مراده.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أي الأحرار دون المماليك ﴿ٱلْحُلُمَ﴾ أي الاحتلام أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟﴾ الآية. والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذْن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسِّنِّ وجب أن (**يفطموا**) عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن، والناس عن هذا غافلون، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ثلاث آيات جحدهن الناس: الإذْن كله وقوله: (﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾) [الحجرات: الآية ١٣]، (﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾) [النساء:

قوله: (**يفطموا**) أي يمنعوا. **قوله**: (﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾)، فقال ناس: أعظمكم بيتًا. **قوله**: (﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾) أي قسمة التركة (﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾) ممن لا يرث (﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾) من الأجانب (﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾) فأعطوهم (﴿مِّنْهُ﴾) مما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر ندب، وهو باقٍ لم ينسخ، وقيل: كان واجبًا في الابتداء ثم نُسخ بآية الميراث. (﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾) عذرًا جميلًا وعدة حسنة، وقيل: القول المعروف أن يقولوا لهم: خذوا بارك الله عليكم ويستقلّوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم، كذا أفاده المصنف رحمة الله عليه في سورة النساء.

الآية ٨]. وعن (**سعيد بن جبير**): يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح الأنام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يبيِّن من الأحكام.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ جمع قاعد لأنها من الصفات المختصّة بالنساء كالطالِق والحائض أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ حال ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه وهي في مَحَلِّ الرفع صفة للمتبدأ وهي القواعد والخبر ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ إثْم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام ﴿أَن يَضَعْنَ﴾ في أن يضعن ﴿ثِيَابَهُنَّ﴾ (**أي الظاهرة كالملحفة والجلباب**) الذي فوق الخمار ﴿غَيْرَ﴾ حال ﴿مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ أي غير مُظهِرات زينة يريد الزينة الخفيَّة كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرّج ولكن التخفيف، وحقيقة التبرّج تَكلف إظهار ما يجب إخفاؤه ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي يطلبن العِفَّة عن وضع الثياب فَيَسْتَتِرْنَ وهو مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يعلنَّ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يقصدن.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ

قوله: (**سعيد بن جبير**) الأسدي التابعي ثقة ثبت فقيه، قُتل بين يدي الحجاج سنة خمس بعد المائة رحمة الله عليه.

قوله: (**أي الظاهرة**) خصّ الثيابَ بالظاهرة؛ لأنه لا شكّ في أنه تعالى لم يأذن لهنّ في أن يضعن جميع ثيابهنّ لما فيه من كشف العورة كلها. **قوله**: (**كالملحفة**) بالكسر هي الملاءة التي تلتحف بها المرأة. اهـ مصباح. **قوله**: (**والجلباب**) في المصباح: الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرّداء. اهـ.

أَشْتَاتًاۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ قال (**سعيد ابن المسيب**): كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم، وكانوا يتحرّجون من ذلك ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي حرج ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية، وقد قال عليه الصلاة والسلام: («**أنت ومالك لأبيك**») أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ جمع مفتح وهو ما يفتح به (**الغلق**)، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو وكيل الرجل (**وقيمه**) في (**ضيعته**) وماشيته، له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته. وأُريد بملك المفاتح كونها في يده وحفظه. وقيل: أريد به بيت عبده لأن العبد وما في يده لمولاه ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدًا وجمعًا وهو مَن يصدقك في مودّته وتصدقه في مودّتك، وكان الرجل من السَّلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه

قوله: (سعيد بن المسيب) هو الإمام الجليل أبو محمد التابعي إمام التابعين أحد فقهاء المدينة السبعة، وأبوه المسيّب وجده حزن صحابيان أسلما يوم فتح مكّة المعظّمة، ويقال: المسيّب بفتح الياء وكسرها، والفتح هو المشهور. **قوله**: (**أنت ومالك لأبيك**) رواه أبو داود وابن ماجة. **قوله**: (الغلق) في مختار الصحاح: الغَلَق ـ بفتحتين ـ المِغْلاق، وهو ما يُغلق به الباب. اهـ. **قوله**: (قيمهُ) في لسان العرب: القَيِّم سائس الأمر، وقَيِّم القوم الذي يقوّمهم ويسوس أمرهم. اهـ. **قوله**: (ضيعته) في لسان العرب: الضَّيْعة مال الرجل من النخل والكرم. اهـ. وأيضًا فيه: الضَّيْعة الأرض المُغِلّة. اهـ.

فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورًا بذلك، فأما الآن فقد غلب **(الشُّحّ)** على الناس فلا يُؤكَل إلا بإذْن.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين (﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ **متفرِّقين جمع شت)**. نزلت في **(بني ليث بن عمرو وكانوا يتحرَّجون أن يأكل الرجل وحده)** فربما قعد منتظرًا نهاره إلى الليل فإن لم يجد مَن يُؤاكله أكل ضرورة، أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم، أو تحرَّجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت لتأكلوا ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينًا وقرابة أو بيوتًا فارغة أو مسجدًا فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿تَحِيَّةً﴾ نصب بـ ﴿سلموا﴾ لأنها في معنى تسليمًا نحو «قعدت جلوسًا» ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وصفها بالبركة والطِّيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعقلوا وتفهموا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ أي ويأذن لهم. ولما أراد الله عزَّ وجلّ أن

قوله: **(الشحّ)** البخل مع حرص. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ **متفرّقين جمع شتّ)** والشتت مصدر معناه التفرّق، فوصف به وشتّى جمع شتيت كمرضى ومريض. **قوله**: **(بني ليث بن عمرو)** من كنانة. **قوله**: **(وكانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده)** أي يعدّونه حرجًا وإثمًا.

يُريهم عِظَم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع، جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله، وجعلهما **(كالتشبيب له)** والبساط لذكره. وذلك مع تصدير الجملة بـ ﴿إِنَّمَا﴾ وإيقاع المؤمنين مبتدأ مُخبَرًا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين، ثم عقبه بما يزيده توكيدًا وتشديدًا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وضمّنه شيئًا آخر وهو أنه جعل الاستئذان **(كالمصداق)** لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسلّلهم لِواذًا ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾ في الانصراف ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لا يستأذن. قالوا: وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدّميهم في الدين والعلم **(يظاهرونهم)** ولا يتفرّقون عنهم إلا بإذن، قيل: نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان.

﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ أي إذا احتاج رسول الله ﷺ إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرّقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم بعضكم بعضًا، ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمّي بعضكم بعضًا ويناديه باسمه الذي سمّاه به أبواه،

قوله: (كالتشبيب له) من تشبيب الكتب، وهو الابتداء بها والأخذ فيها، وليس من تشبيب[1] النساء في الشعر، وهو ترقيقه بذكر النساء. **قوله:** (كالمصداق) بمعنى المصدق. **قوله:** (يظاهرونهم) أي يُعاونوهم.

---

(١) شبب بالمرأة قال فيها الغزل. والتشبيب بالأصل ذكر أيام اللهو والغزل، ويكون في ابتداء القصائد سمي ابتدائها مطلقًا، وإن لم يكن فيه ذكر الشباب وفي لسان العرب: تشبب الشعر ترقيق أوله بذكر النساء. ١٢ تاج العروس.

فلا تقولوا يا محمد ولكن يا بني الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ يخرجون قليلًا قليلًا ﴿مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ حال أي ملاوذين اللواذ. والملاوذة (**هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا**) أي ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي الذين يصدرون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون. (**يقال: خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه**: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾) [هود: الآية ٨٨]، (**وخالفه عن الأمر إذا صدَّ عنه دونه**). والضمير في ﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول ﴿يَحْذَرِ﴾ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الربّ أو إسباغ النِّعَم استدراجًا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. والآية تدل على أن الأمر للإيجاب.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ «ألا» تنبيه على أن يُخالفوا أمر مَن له ما في السموات والأرض ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أدخل «قد» ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، والمعنى أن

قوله: (**هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا**) ويَسْتُر بعضهم بعضًا، وفي تفسير الخطيب: اللّواذ والملاوذة التستّر، يقال: لاذ فلان بكذا، إذا استتر به.اهـ. **قوله**: (**يقال: خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه**) فيكون حقيقة الكلام خالفه، أي ذاهبًا إلى الأمر فيكون إلى الأمر حالًا من فاعل خالف. (**ومنه**) قوله تعالى: (﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾) أي ذاهبًا إلى ما أنهاكم عنه، (**وخالفه عن الأمر إذا صدّ عنه دونه**) أي خالفه صادًّا أي معرضًا عن الأمر، فيكون عن الأمر حالًا من فاعل خالف، ومحصول كونه مخالفًا له صادّ عن الأمر دونه. والأصل يخالفون المؤمنين عن أمره على معنى يخالفونهم صادّين عن أمره، فيكون عن أمره حالًا من فاعل ﴿يُخَالِفُونَ﴾ [النور: الآية ٦٣].

جميع ما في السمٰوات والأرض مختص به خلقًا وملكًا وعلمًا فكيف تخفى عليه أحوال المُنافقين وإن كانوا يجهدون في سترها؟ ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ (وبفتح الياء وكسر الجيم: يعقوب) أي ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة. والخطاب والغيبة في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يجوز أن يكونا جميعًا للمُنافقين على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ عامًّا و﴿يُرْجَعُونَ﴾ للمنافقين ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويُجازيهم حق جزائهم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ فلا يخفى عليه خافية. ورُوِيَ أن ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسَّرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم.

قوله: (وبفتح الياء وكسر الجيم) مبنيًّا للفاعل (يعقوب) البصري وليس من السبعة، والباقون بالبناء للمفعول، والله سبحانه وتعالى أعلم، وعِلْمه أتمّ.

الحمد لله على الختم والتتميم، وعلى رسولنا أكمل التحية والتسليم،
اللّهمّ كما وفّقتني إلى حلّ ما في تفسير سورة النور وفّقني بجميل فضلك
وجزيل كرمك إلى حلّ ما في تفسير سورة الفرقان،
اللّهمّ أخلص نيّتي في تعبي هذا ووفّقني أن أجعلها خالصة لوجهك الكريم،
ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري،
اللّهمّ لا عِلْم لنا إلّا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم الجواد الكريم،
اللّهمّ يا حيّ يا قيّوم معتصمًا بك، أشرع وأقول:

(سورة الفرقان)

(مكية وهي سبع وسبعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته، ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي **(فحسب)** ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما، وسُمِّي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام، أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفرقًا مفصولًا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله: (﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾) [الإسراء: الآية ١٠٦] ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الفرقان مكية، وهي سبع وسبعون آية)** وثمانمائة واثنتان وسبعون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون حرفًا.اهـ خطيب. **قوله**: **(فحَسْبُ)** أي فقط. **قوله**: (﴿وَقُرْءَانًا﴾) منصوب بفعل يفسّره فرّقناه نزّلناه مفرّقًا في عشرين سنة أو وثلاث (﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾) مهل بسكون الهاء ويحرك وتؤدة وبضم التاء وفتح الهمزة وسكونها هي الرزانة والتأنّي ليفهموه، (﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾) شيئًا بعد شيء على حسب المصالح.

﴿لِيَكُونَ﴾ العبد أو الفرقان ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ للجن والإنس وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام ﴿نَذِيرًا﴾ (منذرًا) أي مخوفًا أو إنذارًا كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: الآية ١٨].

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِى﴾ رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾ وجوّز الفصل بين البدل والمُبدَل منه بقوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ لأن المُبدَل منه صلته ﴿نَزَّلَ﴾ وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتمّ إلا به (**أو نصب على المدح**) ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على الخصوص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ (**كما زعمت الثنوية**) ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي أحدث كل شيء وحده (**كما لا يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان وأهْرَمَن**). ولا شُبهة فيه لمن يقول إن الله شيء ويقول بخلق القرآن، لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولًا له على أن لفظ شيء اختصّ بما يصحّ أن يخلق بقرينة وخلق، وهذا أوضح دليل لنا على

(منذرًا) على أن فعيل صيغة مشبهة بمعنى نذيرًا، ومصدر كالنكير وجعل نفس الإنذار مبالغة كرجل عدل، وليس هذا على طريق اللفّ والنشر المرتب؛ لقوله: العبد أو الفرقان، كما قيل.

قوله: (**أو نصب على المدح**) بتقدير أمدح أو أعني. **قوله**: (**كما زعمت الثنوية**) فإنهم يقولون بتعدّد الآلهة فيُثبتون للإله شريكًا. **قوله**: (**كما لا يقوله المجوس**) القائلين بأن للعالم إلٰهين خالق الخير وهو يزدان وخالق الشر وهو أهرمن أي الشياطين، وقيل: المجوس يقولون: الخير من فعل النور، والشرّ من فعل الظلمة. اهـ مرقاة المفاتيح. (والثنوية) فإنهم قالوا: فاعل الخير هو النور، وفاعل الشرّ هو الظلمة. اهـ قنوي. (من النور والظلمة، ويزْدان وأهْرَمَن) في حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله في أوائل سورة الأنعام رُوِيَ عن الضحاك أنه قال: هذه الآية نزلت تكذيبًا للمجوس في قولهم: الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات، والمعنى أن الله واحد لا شريك له وهو الذي خلق السمٰوات

المعتزلة في خلق أفعال العباد ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ فهيَّأه لما يصلح له بلا خلل فيه كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي تراه فقدَّره للتكاليف والمصالح المَنوطة به في الدين والدنيا أو قدرة للبقاء إلى (أمد) معلوم.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾

﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو لدلالة ﴿نَذِيرًا﴾ عليهم لأنهم المنذرون ﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾ أي الأصنام ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ أي أنهم آثروا على عبادة مَن هو منفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا﴾ إماتة ﴿وَلَا حَيَوٰةٗ﴾ أي إحياء ﴿وَلَا نُشُورٗا﴾ إحياء بعد الموت وجعلها كالعقلاء لزعم عابِدِيها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾ ما هذا القرآن ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ كذب ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ (اختلقه) واخترعه محمد من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ أي اليهود و(عداس

والأرض، وهو الذي خلق الظلمات والنور، وفي التيسير أنها ردّ على الثنوية في إضافتهم خلق النور إلى يزدان، وخلق الظلمات إلى أهرمن، وبنوا على ذلك خلق كل خير وشرّ. اهـ. **قوله**: (أمَد) أي غاية.

قوله: (اختلقه) أي اخترعه. **قوله**: (عداس) في أسد الغابة في معرفة الصحابة: عداس مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من أهل نينوى الموصل، كان نصرانيًا له ذكر في صفة النبيّ ﷺ، أخبرنا أبو منصور بن مكارم بإسناده إلى زكريا بن يزيد بن إياس: حدّثنا أبو شعيب الحرّاني، حدّثنا البقيلي عن محمد بن إسحٰق عن يزيد بن زياد عن محمّد بن كعب القرطبي، وذكر قصة مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف وما لقي من ثقيف، قال: فألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس وهما فيه، فعمد إلى ظلّ حبلة فجلس فيه وابنا

ويسار وأبو فكيهة الرومي) قاله (نضر بن الحارث) ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ هذا

ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، فتحرك له رحمهما فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب فضعه بين يدي ذلك الرجل، ففعل عداس وأقبل حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلمّا وضع رسول الله ﷺ يده قال: «بسم الله» ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أيِّ البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال: نصراني من أهل نينوى، فقال له رسول الله ﷺ: «من أهل قرية الرجل الصالح يونس بن متى»، قال عداس: وما يدريك ما يونس؟ قال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي كان نبيًا وأنا نبيّ»، فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك؛ فلما جاء عداس قالا له: ويلك يا عداس ما لك تقبّل يدي هذا الرجل ورأسه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، قالا: ويحك يا عداس لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينك خير من دينه، أخرجه أبو نعيم وابن مندة واستدركه أبو زكريا على جدّه أبي عبد الله بن مندة وقد أخرجه جدّه. اهـ بحروفه. وفي الكشاف: عدّاس مولى حويطب بن عبد العزى. اهـ. **قوله**: (ويسار) مولى للعلاء الحضرمي. اهـ كشاف. **قوله**: (وأبو فكيهة الرومي) في أسد الغابة: أبو فكيهة مولى بني عبد الدار، يقال: إنه من الأزد أسلم قديمًا بمكّة، وكان يعذّب ليرجع عن دينه فيمتنع، وكان قوم من بني عبد الدار يخرجونه نصف النهار في حرٍّ شديد وفي رجله قيد من حديد ويلبس ثيابًا ويبطح في الرمضاء، ثم يؤتى بالصخرة فتُوضع على ظهره حتى لا يعقل، فلم يزل كذلك حتى هاجر أصحاب النبيّ ﷺ إلى الحبشة الهجرة الثانية فخرج معهم، وقال ابن إسحٰق الطبري: هو مولى صفوان بن أُميّة بن خلف الجمحي أسلم حين أسلم بلال، فأخذه أُمية فربطه في رجله وأمر به فجرّ ثم ألقاه إلى الرمضاء، ومرّ به جعل فقال: أليس هذا ربّك؟ فقال: الله ربّي وربّك، فخنقه خنقًا شديدًا ومعه أخوه أُبيّ بن خلف يقول: زِدْه عذابًا، فلم يزالوا كذلك حتى ظنّوه قد مات، فمرّ به أبو بكر اشتراه فأعتقه، قال: وقيل إن بني عبد الدار كانوا يعذّبونه وكان مولًى لهم، فعذّبوه حتى دلع لسانه ولم يرجع عن دينه وهاجر ومات قبل بدر، أخرجه أبو عمر. اهـ. **قوله**: (نضر بن الحارث) بن عبد الدار.

إخبار من الله ردٌّ للكَفَرَة فيرجع الضمير إلى الكفَّار وجاء يستعمل في معنى فعل فيُعَدَّى تعديتها، أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور. وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلامًا عربيًّا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب، والزُّور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره (**جمع أسطار وأسطورة**) كأحدوثة ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ (كتبها) لنفسه ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي تلقى عليه من كتابه ﴿بُكۡرَةٗ﴾ أول النهار ﴿وَأَصِيلٗا﴾ آخره فيحفظ ما يُملَى عليه ثم يتلوه علينا.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿أَنزَلَهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي يعلم كل سر خفي في السمٰوات والأرض، يعني أن القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم، دلَّ ذلك على أنه من عند علَّام الغيوب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ فيُمهلهم ولا يُعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمُكابرتهم.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سُنَّة لا تُغَيَّر، وتسميتهم إياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا: أي شيء لهذا الزَّاعِم إنه رسول ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ حال والعامل فيها «هـذا» ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ

قوله: (جمع **أسطار**) جمع سطر بمعنى الخطّ. **قوله**: (وأسطورة) أي أو جمع **أسطورة** بضم الهمزة وسكون السين وضم الطاء بمعنى البطلان. **قوله**: (كتبها) أي أمر بكتابتها.

﴿لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي إن صحَّ أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردَّد في الأسواق لطلب المعاش كما تردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكًا مستغنيًا عن الأكل والتعيّش، ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنسانًا معه ملك حتى (**يتساندا**) في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا إلى أن يكون (**مرفودًا**) بكنز يُلقى إليه من السماء (**يستظهر**) به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا إلى أن يكون رجلًا له بستان يأكل هو منه (**كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة علي وحمزة**). وحسن عطف المضارع وهو ﴿يُلْقَىٰٓ﴾ و﴿تَكُونُ﴾ على ﴿أُنزِلَ﴾ وهو ماضٍ لدخول المضارع وهو ﴿فَيَكُونَ﴾ بينهما وانتصب ﴿فَيَكُونَ﴾ على القراءة المشهورة لأنه جواب ﴿لَوْلَآ﴾ بمعنى «هلا» وحكمه حكم الاستفهام. وأراد بالظالمين في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر (**تسجيلًا عليهم**) بالظلم فيما قالوا وهم كفّار قريش ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سحر فجن (**أو ذا سحر وهو الرئة**) عنوا أنه بشر لا ملك.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟﴾ بيّنوا ﴿لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ الأشباه أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المُفتري والمُملي عليه والمسحور ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحق ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فلا يجدون طريقًا إليه.

قوله: (يتساندا) في لسان العرب: تسانَدتُ إليه استندت وساندت الرجل مساندة إذا عاضدته وكاتفته. اهـ. **قوله**: (مرفودًا) في مختار الصحاح: الرِّفد ـ بكسر الراء ـ العطاء والصلة، وبفتحها المصدر ورَفَده أعطاه ورفده أعانه وبابهما ضرب. اهـ. **قوله**: (يستظهر) بمعنى يتقوّى. **قوله**: (كالمياسير) جمع موسر بمعنى غني. **قوله**: (أو «نأكل» **نحن كقراءة عليٍ وحمزة**) بنون الجمع، والباقون بالياء من تحت على إسناده إلى الرسول عليه الصّلاة والسلام. **قوله**: (**تسجيلا عليهم**) في المصباح: سجّل القاضي ـ بالتشديد ـ قضى وحكم وأثبت حكمه في السجل. اهـ. **قوله**: (**أو ذا سحر**) بفتح السين وسكون الحاء وقد تُفتح (**وهو الرئة**) مهموزة، يعني أنه للنسب كتامر ولابن مفعول كفاعل يأتي للنسب، والمراد به أنه بشرٌ لا ملك، كما ذكره المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ أي تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرًا مما قالوا، وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور. و﴿جَنَّٰتٍ﴾ بدل من ﴿خَيْرًا﴾، (﴿وَيَجْعَلَ﴾ بالرفع: مكي وشامي وأبو بكر) لأن الشرط إذا وقع ماضيًا جاز في جزائه الجزم والرفع.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكى عنهم يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، أو متصل بما يليه كأنه قال: بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون (إلى هذا الجواب) وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها؟ ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ وهيأنا للمكذبين بها (نارًا شديدة) في (الاستعار).

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي النار أي قابلتهم ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي إذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا (وَزَفِيرًا)﴾ أي سمعوا صوت غليانها

قوله: (﴿وَيَجْعَلَ﴾ بالرفع) أي برفع اللام (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون بجزمها عطفًا على محل جعل لأنه جواب الشرط، ويلزم منه وجوب الإدغام لاجتماع مثلين أوّلهما ساكن.

قوله: (**إلى هذا الجواب**)، وهو قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: الآية ١٠]. **قوله**: (**نارًا شديدة الاستعار**) أي التوقد والالتهاب، والشدّة من صيغة فعيل، فإنها للمبالغة والتأنيث باعتبار النار.

قوله: (﴿وَزَفِيرًا﴾) أي صوتًا.

وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر، أو إذا رأتهم (زبانيتها) تغيظوا وزفروا غضبًا على الكفار.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾ من النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ (﴿ضَيِّقًا﴾ مكي) فإن الكرب مع الضيق كما أن (الروح) مع السَّعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السمٰوات والأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يضيق عليهم كما يضيق (الزجاج) في الرمح ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرَّنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم (الأصفاد) ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ﴾ حينئذ (﴿ثُبُورًا﴾) هلاكًا أي قالوا:

قوله: (زبانيتها) المراد بالزبانية ملائكة العذاب، وهم خَزَنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء، سُمُّوا زبانية لأنهم يزبنون الكفار، أي يدفعونهم في جهنّم.

قوله: (﴿ضَيِّقًا﴾) بسكون الياء (مكّي) أي ابن كثير المكي، والباقون بكسرها. **قوله:** (الروح) بالفتح الراحة.

قوله: (الزجاج) ـ بالضم ـ الحديدة التي في أسفل الرمح. اهـ مختار الصحاح ومصباح. وفي لسان العرب: الزُّجّ الحديدة التي تركّب في أسفل الرمح والسِّنان يركب عاليته، والزُّج يركز به الرمح في الأرض، والسِّنان يطعن به. اهـ. وعبارة العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إن جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزجّ على الرمح، والزجّ الحديدة التي في رأس الرمح وسُئِل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «والذي نفسي بيده إنهم يكرهون في النار كما يكره الوتد في الحائط»، ولقد جمع الله على أهل النار أنواع البلاء حتى ضمّ إلى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابًا فوق عذابهم، انتهت بحروفها. **قوله:** (الأصْفاد) القُيُود، واحدها صَفَد. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (﴿ثُبُورًا﴾) في المصباح: ثبر الله تعالى الكافر ثبورًا من باب قعد أهلكه وثبر هو ثبورًا يتعدّى ولا يتعدّى. اهـ.

واثبوراه أي تعالَ يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم:

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ أي إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدًا إنما هو ثبور كثير ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي المذكور من صفة النار خير ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي وعدها فالراجع إلى الموصول محذوف، وإنما قال: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، ولا خير في النار توبيخًا للكفّار ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا. وإنما قيل ﴿كَانَتْ﴾ لأن ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوبًا في اللوح قبل أن خلقهم.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ أي ما يشاؤونه ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿يَشَآءُونَ﴾ والضمير في ﴿كَانَ﴾ لـ ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا﴾ أي موعودًا ﴿مَّسْـُٔولًا﴾ مطلوبًا أو حقيقًا أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم (﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾) [آل عمران: الآية ١٩٤]، (﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾) [البقرة: الآية ٢٠١]، (﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾) [غافر: الآية ٨].

قوله: (﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾) أعطنا (﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾) (﴿عَلَىٰ﴾) ألسنة (﴿رُسُلِكَ﴾) من الرحمة والفضل. **قوله**: (﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾) نعمة (﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾) جنّة. **قوله**: (﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾) في سورة غافر (﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾) مبتدأ (﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾) عطف عليه (﴿يُسَبِّحُونَ﴾) خبره (﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾) ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده (﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾) تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته تعالى (﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) يقولون: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾) أي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء (﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾) من الشّرك (﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾) دين

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالبعث عند الجمهور، وبالياء: مكي ويزيد ويعقوب وحفص).

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير. وعن (**الكلبي**) يعني الأصنام يُنطِقها الله. وقيل: عامّ وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أُريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ﴿فَيَقُولُ﴾ (**وبالنون شامي**) ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ والقياس ضلّوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق. وضلَّ مطاوع أضلّه والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بإدخال الشبه أم هم ضلّوا عنه بأنفسهم؟ وإنما لم يقل: «أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلّوا السبيل» وزيد «أنتم» و«هم» لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده لما توجّه هذا العتاب، وإنما هو عن متولّيه فلا بدَّ من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه

الإسلام (﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾) النار (﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾) إقامة (التي وعدتهم) ومَن صلح عطف على هم في وعدتهم أو في ﴿أدْخلهم﴾ (﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾) في صنعك (﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾) أي عذابهما (﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾) يوم القيامة (﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾).

قوله: (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾) بالنون (**بالبعث عند الجمهور، وبالياء: مكي**) أي ابن كثير المكي (**ويزيد**) هو أبو جعفر **يزيد** بن القعقاع المدني وليس من السبعة، (**ويعقوب**) البصري وليس من السبعة (**وحفص**). **قوله**: (**الكلبي**) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر صاحب التفسير وعلم النسب، كان إمامًا في هذين العلمين، توفي سنة ستّ وأربعين ومائة بالكوفة رحمه الله، والكلبي بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحدة، هذه النسبة إلى كلب بن وبرة، وهي قبيلة كبيرة من قضاعة ينسب إليها خلقٌ كثير. **قوله**: (**وبالنون شامي**) أي ابن عامر الشامي رحمه الله، والباقون بالياء.

المسؤول عنه. وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فتزيد حسرتهم.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تعجب منهم مما قيل لهم وقصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندًّا. ثم قالوا: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي ما كان يصحّ لنا ولا يستقيم أن نتولى أحدًا دونك فكيف يصحّ لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك؟ (﴿نَّتَّخِذَ﴾ يزيد). و«اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد نحو «اتخذ وليًّا» وإلى مفعولين نحو: «اتخذ فلانًا وليًّا» قال الله تعالى: (﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾) [الأنبياء: الآية ٢١]. وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: الآية ١٢٥] فالقراءة الأولى لواحد وهو من أولياء والأصل أن تتخذ أولياء وزيدت «من» لتأكيد معنى النفي، والقراءة الثانية من المتعدِّي إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بُني له الفعل والثاني من أولياء و«من» للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء لأن من لا تُزاد في المفعول الثاني بل في الأول تقول: «ما اتخذت من أحد وليًّا» ولا تقول: «ما اتخذت أحدًا من ولي»، ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بالأموال والأولاد والشرائع ﴿وَكَانُوا۟﴾ عند الله ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي (هلكى) جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال للكفّار بطريق الخطاب عدولًا عن الغيبة.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ وهذه المفاجأة والإلزام حسنة (رائعة) وخاصة إذا انضمَّ إليهاالالتفات وحذف القول ونظيرها: (﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ

قوله: (﴿نَّتَّخِذَ﴾) بضم النون وفتح الخاء مبنيًّا للمفعول (**يزيد**) بن القعقاع، والباقون بفتح النون وكسر الخاء على البناء للفاعل. **قوله**: (﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً﴾) مفعول أوّل (﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾) مفعول ثان كحجر وذهب وفضّة. **قوله**: (**هُلكىٰ**) جمع هالك.

قوله: (**رائعة**) عجيبة. **قوله**: (﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ

فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾) [المائدة: الآية ١٩]، وقول القائل:

(قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا)

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم إنهم آلهة، (والباء على هذا كقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾) [ق: الآية ٥] والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل: فقد كذبوا بما تقولون. وعن (قنبل) بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ (والباء على هذا) كقولك: «كتبت بالقلم» ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ - ﴿فما يستطيعون﴾ - أي فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصرونكم. (وبالتاء حفص) أي فما تستطيعون أنتم يا كفّار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم. ثم خاطب المكلّفين على العموم بقوله: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي يشرك لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومَن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

فَتْرَةٍ﴾) أي انقطاع (﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾) أي أن تقولوا أي كراهة ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: الآية ١٩] ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ [المائدة: الآية ١٩]. . . الخ. والفاء في فقد جاءكم متعلق بمحذوف، أي لا تعتذروا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ [المائدة: الآية ١٩] بشير للمؤمنين ونذير للكافرين. **قوله:**

(قالوا خراسان أقصى ما يُرادُ بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا)

في البيت التفات وحذف القول، أي: فقولوا لهم قد جئنا خراسانًا وآن لنا أن نتخلّص، **وقوله:** (القفول) الرجوع. **قوله:** (والباء على هذا) صلة كذّبوا (**كقوله:** ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾) فإن كذّب إنما يتعدّى إلى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء، وقد عدّى هٰهنا إلى كم بنفسه، فلا جرم أن تكون بدلًا منه. **قوله:** (قنبل) عن عبد الله بن كثير المكي أحد القرّاء السبعة، وهو محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكي المخزومي، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين، وله ستّ وتسعون سنة رحمه الله. **قوله:** (والباء على هذا) للآلة كقولك: كتبت بالقلم. **قوله:** (وبالتاء) من فوق على خطاب العابدين (حفص)، والباقون بالياء على الغيب على إسناده إلى المعبودين.

[لقمان: الآية ١٣]، ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ فسّر بالخلود في النار وهو يليق بالشّرك دون الفاسق إلا على قول المعتزلة والخوارج.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كسرت «إن» لأجل اللام في الخبر (**والجملة بعد «إلا» صفة لموصوف محذوف**)، والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين إلا آكلين وماشين، وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: الآية ١٦٤] أي وما منّا أحد. قيل: هو احتجاج على مَن قال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ وتسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي محنة وابتلاء، وهذا تصبير لرسول الله ﷺ عمّا عيّروه به من الفقر ومشيه في الأسواق يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيُغني مَن يشاء ويفقر مَن يشاء ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبروا فيزداد غمّكم. وحُكِي أن بعض الصالحين (**تبرم بضنك عيشه**) فخرج ضجرًا فرأى خصيًا في (**مواكب**) ومراكب فخطر بباله شيء فإذا بمَن يقرأ هذه الآية فقال: بلى (**فصبرًا ربّنا**). أو جعلتك فتنة لهم لأنك لو كنت غنيًّا صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيرًا لتكون طاعة مَن

قوله: (**والجملة بعد «إلّا» صفة لموصوف محذوف**). اعلم أنّ في الآية حذفين، والتقدير: وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين إلّا رسلًا إنهم ليأكلون الطعام، فحذف أحدًا وأُقيمت صفته، وهي من المرسلين مقامه، وكذا حذف رسلًا وأُقيمت الجملة التي بعده مقامه. **قوله**: (**تبرم**) في المصباح: بَرِم بالشيء برمًا فهو برم مثل ضجر ضجرًا فهو ضجر وزنًا ومعنى، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أبرمت به وتبرَّم مثل برم.اهـ. وفي مختار الصحاح: بَرِم به من باب طرب، وتبرّم به أي سَئِمه وأبرمه أملّه وأضجره.اهـ. **قوله**: (**بضنك عيشه**) في مختار الصحاح: الضَّنْك الضيق.اهـ. **قوله**: (**مواكب**) في مختار الصحاح: الموكب بوزن الموضع بابهُ من السير، وهو أيضًا الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفُرْسان. **قوله**: (**فصبرًا ربّنا**) الصحيح نصبر ربّنا كما في النسخ الصحيحة.

يُطيعك خالصة لنا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ عالمًا بالصواب فيما يبتلي به أو بمَن يصبر ويجزع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يأملون ﴿لِقَآءَنَا﴾ بالخير لأنهم كفرة لا يؤمنون بالبعث أولا يخافون عقابنا إما لأن الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف، أو لأن الرجاء في لغة تهامة الخوف ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ رسلًا دون البشر أو شهودًا على نبوّته ودعوى رسالته ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ جهرة فيخبرنا برسالته واتّباعه ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم ﴿وَعَتَوْ﴾ وتجاوزوا الحدّ في الظلم ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ وصف العتو بالكِبْر فبالغ في إفراطه أي أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو. واللام في ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي يوم الموت أو يوم البعث و﴿يَوْمَ﴾ منصوب بما دلّ عليه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى. وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكد لـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ أو بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بـ ﴿يَرَوْنَ﴾ لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بـ ﴿بُشْرَىٰ﴾ لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله ولأن المنفي بلا لا يعمل فيما قبل «لا» ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ظاهر في موضع ضمير أو عامّ يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الأسماء يتناول أكمل المُسَمَّيات ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الملائكة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ حرامًا محرَّمًا عليكم البشرى أي جعل الله ذلك حرامًا عليكم إنما البشرى للمؤمنين. والحجر مصدر **(والكسر والفتح لغتان وقرىء بهما)** وهو من حجره إذا منعه، وهو من المصادر

قوله: (والكسر والفتح لغتان وقرىء بهما)، والعامّة على كسر الحاء، والضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمّها، وهو لغة فيه، وحكى أبو البقاء فيه لغة

المنصوبة بأفعال متروك إظهارها، و﴿مَّحْجُورًا﴾ لتأكيد معنى الحجر كما قالوا: «(موت) مائت».

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة **(ملهوف)** وقِرَى ضيف ونحو ذلك بحال مَن خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرًا. والهباء ما يخرج به من الكوّة مع ضوء الشمس شبيهًا بالغبار، والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع. ثم بيّن فضل أهل الجنة على أهل النار فقال:

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مكانًا يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، ولا نوم في الجنة ولكنه سُمِّي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلًا على طريق التشبيه. ورُوِيَ أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وفي لفظ الأحسن تهكّم بهم ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ والأصل تتشقق **(فحذف التاء كوفي وأبو عمرو)** وغيرهم أدغمها في الشين ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ لما كان انشقاق السماء **(بسبب طلوع الغمام منها)** جعل

ثالثة وهي الفتح، قال: وقد قرىء بها، فعلى هذا يكمل فيه ثلاث لغات مقروء بهنّ. **قوله**: (موت) مائت أي شديد. اهـ تاج العروس.

قوله: (ملهوف) مظلوم.

قوله: (فحذف التاء كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وأبو عمرو) البصري. **قوله**: (بسبب طلوع الغمام منها) يعني أن الباء للسببية كالسماء منفطرٌ به.

الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول: «شققت السنام بالشفرة فانشقّ بها» ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾. قوله: (﴿وننُزلُ الملائكة﴾ مكي)، و﴿تَنزِيلًا﴾ على هذا مصدر من غير لفظ الفعل. والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱلْمُلْكُ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته ومعناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ خبره ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ شديدًا. يقال عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين ففي الحديث «يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخفّ من صلاة مكتوبة صلّوها في الدنيا».

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عضّ اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من (روادفهما) فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من (الروعة) ما لا يجده عند لفظ المكنّى عنه، واللام في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ للعهد وأريد به عقبة لما تبين أو للجنس فيتناول (عقبة) بن أُبيّ وغيره من الكفّار ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى النجاة والجنة وهو الإيمان.

قوله: (﴿وننُزلُ الملائكة﴾) بنون مضمومة ثم ساكنة مع تخفيف الزاي المكسورة ورفع اللام مضارع أنزل، والملائكة بالنصب مفعول به (مكّي) أي ابن كثير المكي، والباقون بنون واحدة وكسر الزاي المشدّدة وفتح اللام ماضيًا مبنيًّا للمفعول والملائكة بالرفع نائب الفاعل.

قوله: (روادفهما) أي توابعهما. **قوله**: (الرَّوْعة) الخوف. **قوله**: (عَقْبة) بن أَبيّ مُعَيْط بن أُمية عبد شمس بن عبد مناف قُتل يوم بدر صبرًا أمر النبيّ ﷺ عليًّا رضي الله عنه بقتله.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ وقرىء ﴿ياويلتي﴾ بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي **(هلكته)** يقول لها تعالي فهذا أوانك. **(وإنما قلبت الياء ألفًا)** كما في «صحارى» و(«**مدارى**») ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ فلان كناية عن الأعلام فإن أريد بالظالم عقبة لما رُوِيَ أنه اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له **(أُبيّ بن خلف)** وهو خليله: وجهي من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد. فالمعنى يا ليتني لم أتخذ أُبيًّا خليلًا، فكنّى عن اسمه. وإن أُريد به الجنس فكل مَن اتخذ من المُضِلّين خليلًا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه. وقيل: هو كناية عن الشيطان.

﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي عن ذكر الله أو القرآن أو الإيمان ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ من الله ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي خليله سمّاه شيطانًا لأنه أضلّه كما يُضلّه الشيطان، أو إبليس لأنه الذي حمله على مخالة المُضِلّ ومخالفة الرسول ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾ المُطيع له ﴿خَذُولٗا﴾ هو مبالغة من **(الخذلان)** أي من عادة الشيطان ترك مَن يواليه وهذا حكاية كلام الله أو كلام الظالم.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ أي محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ قريشًا ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ متروكًا أي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران

قوله: (هلكته) في مختار الصحاح: الهُلكة الهلاك. اهـ. **قوله**: (وإنما قلبت الياء ألفًا) للتخفيف. **قوله**: (مَدارى) الألف بدل من الياء وهو جمع المِدرى، بمعنى القرن. اهـ لسان العرب. **قوله**: (أُبيّ بن خلف) قتله النبيّ ﷺ بيده يوم أُحد. اهـ خازن. وفي تفسير الكشاف: وطعن رسول الله ﷺ أُبيًّا بأحد، فرجع إلى مكّة فمات. اهـ.

قوله: (الخذلان) في مختار الصحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضم ـ خِذلانًا بكسر الخاء ترك عونه ونصرته. اهـ.

وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ في هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حلّ بهم العذاب ولم ينظروا. ثم أقبل عليه مسليًا ووعده النصرة عليهم فقال:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديًا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم، وناصرًا لك عليهم. والعدو يجوز أن يكون واحدًا وجمعًا والباء زائدة أي وكفى ربك هاديًا وهو تمييز.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي قريش أو اليهود ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾ حال من القرآن أي مجتمعًا ﴿وَٰحِدَةً﴾ يعني هلّا أُنزل عليه دفعة واحد في وقت واحد كما أنزلت **(الكتب الثلاثة)**، وماله أنزل على التفاريق؟ وهو فضول من القول ومماراة بما **(لا طائل تحته)**، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرّقًا. و﴿نُزِّلَ﴾ هنا بمعنى أنزل وإلا لكان متدافعًا بدليل ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدّوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى **(لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة)** وبذلوا **(المُهَج)**

قوله: **(الكتب الثلاثة)** هي التوراة والإنجيل والزبور هذا بناء على المشهور من أنها نزلت دفعة واحدة. **قوله**: **(لا طائل تحته)** الطائل النفع والفائدة. **قوله**: **(لاذوا)** في المصباح: لاذَ الرجل بالجبل يلوذ لواذًا بكسر اللام، وحكي التثليث وهو الالتجاء. اهـ. **قوله**: **(بالمناصبة)** في الصحاح: نصبت لفلان نصبًا إذا عادَيْته وناصبته الحرب مناصبةً. اهـ. وفي تاج العروس: ناصبه الشرّ والحرب والعداوة مناصبة أظهره له كنصبه ثلاثيًا. اهـ. **قوله**: **(وفزعوا إلى المحاربة)** في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزعٌ أي ملجأ. اهـ. **قوله**: **(المهج)** المُهْجة بالضم الدم أو دم القلب والروح، يقال: خرجت مهجته، أي روحه، وقيل: المُهجة خالص

وما مالوا إلى الحجج ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جواب لهم أي كذلك أُنزِل مفرَّقًا في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين و«ذلك» في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى مدلول قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾ لأن معناه لِمَ أنزل عليك القرآن مفرَّقًا فاعلم أن ذلك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ﴾ بتفريقه ﴿فُؤَادَكَ﴾ حتى تَعِيه وتحفظه لأن المتلقِّن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئًا بعد شيء وجزءًا عقيب جزء ولو أُلقي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه، أو لنثبت به فؤادك عن (الضجر) بتواتر الوصول وتتابع الرسول لأن قلب المُحِبّ يسكن بتواصل كتب المحبوب ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ معطوف على الفعل الذي تعلق به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كأنه قال: كذلك فرَّقناه ورتّلناه أي قدَّرنا آية بعد آية ووقفة بعد وقفة، أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمّل: الآية ٤] أي اقرأه بترسّل وتثبّت أو بيّناه تبيينًا، والترتيل التبيين في (ترسّل) وتثبّت.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البُطلان ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ إلا أتيناك بالجواب الحق الذي لا (محيد) عنه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن معنى ومؤدّى من مثلهم أي من سؤالهم. وإنما حذف من مثلهم لأن في الكلام دليلًا عليه كما لو قلت: «رأيت زيدًا وعَمروًا وإن كان عمروًا أحسن وجهًا» كان فيه دليل على أنك تريد من زيد. ولما كان التفسير هو التكشيف عمّا يدلّ عليه الكلام وُضِع موضع معناه فقالوا: تفسير هذا الكلام (كيت وكيت) كما قيل: معناه كذا وكذا. أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون

النفس. وقال الأزهري: بذلت له مهجتي، أي نفسي وخالص ما أقدر عليه. **قوله**: (**الضَّجَر**) القلق من الغمّ، وبابه طَرِب. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (تَرسَّلَ) أي تمهّل، في المصباح: تمهّل في الأمر تمكث ولم يعجل. اهـ.

قوله: (**محيد**) في مختار الصحاح: حاد عنه يحيد حَيْدة وحَيُودًا وحَيْدُودة أي مال وعدل. وفي لسان العرب: حاد عن الشيء يحيد حَيْدًا وحَيَدانًا ومَحِيدًا وحيدودة مال عنه وعداه. اهـ. **قوله**: (كَيْتَ وكَيْتَ) وإن شئت كسرت التاء، قال ابن الأثير: هي كناية عن الأمر كذا وكذا.

هلَّا أُنزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحقّ لك في حكمتنا أن تُعطاه وما هو أحسن تكشيفًا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرّقًا وتحديثهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها، أدخل في الإعجاز من أن ينزل كله جملة.

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ثانٍ و﴿شَرّٞ﴾ خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مع ﴿شَرّٞ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أو التقدير: هم الذين أو أعني الذين و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مستأنف ﴿مَّكَانٗا﴾ أي مكانة ومنزلة أو مسكنًا ومنزلًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ أي وأخطأ طريقًا، (**وهو من الإسناد المجازي**). والمعنى (**أن حاملكم**) على هذه السؤالات أنكم تضلّون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته، ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من (**المسحوبين**) على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شرٌّ من مكانه وسبيلكم أضلّ من سبيله، وفي طريقته قوله: (﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾) [المائدة: الآية ٦٠] (**الآية**). وعن النبي ﷺ «يُحشَر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم»

قوله: (**وهو من الإسناد المجازي**) أي وصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي، ووصفه بالضلال مستفاد من وقوع المميّز فاعلًا في المعنى؛ لأن المعنى أُولئك شرّ مكانهم وأضلّ سبيلهم برفع المكان والسبيل جعل سبيلهم ضالًّا مبالغة في ضلالهم، والأصل أُولئك أضلّ منه في السبيل، لكن جعل السبيل تمييزًا ليؤذن أن سبيلهم ضالّ لقوّة الضلال منهم، نحو: مكان سائر. اهـ ابن تمجيد. اهـ.

قوله: (**أن حاملكم**) أي الداعي والباعث. **قوله**: (**المسحوبين**) المجرورين. **قوله**: (﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم﴾) أخبركم (﴿بِشَرّٖ مِّن﴾) أهل (﴿ذَٰلِكَ﴾) الذي تنقمونه (﴿مَثُوبَةً﴾) ثوابًا بمعنى جزاء (﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾) هو (﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾) أبعده عن رحمته (﴿وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ **الآية**) أي (﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾) بالمسخ، (﴿و﴾) من (﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾) الشيطان بطاعته وراعى في ﴿منهم﴾ معنى من وفيما قبله لفظها

قيل: يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «الذي أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة كما آتيناك القرآن ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿وَزِيرًا﴾ هو في اللغة مَن يرجع إليه من **(الوزر)** وهو الملجأ، والوزارة لا تنافي النبوّة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضًا ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ التدمير الإهلاك بأمر عجيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة أعني إلزام الحجة ببعثة الرُّسُل واستحقاق التدمير بتكذيبهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي ودمرنا قوم نوح ﴿لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ يعني نوحًا وإدريس وشيثًا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبًا للجميع ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وهيّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تظليمهم فأظهر، أو هو عامٌّ لكل مَن ظَلَم ظُلْم شِرك ويتناولهم بعمومه ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي النار.

وهم اليهود، وفي قراءة بضم باء «عبد» مع فتح العين وإضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة. (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾) تمييز لأن مأواهم النار (﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾) طريق الحق، وأصل السَّواء الوسط، وذكر ﴿شرّ﴾ ﴿وأضلّ﴾ في مقابلة قولهم: لا نعلم شرًّا من دينكم.

قوله: (الوزر) في مختار الصحاح: الوَزَر ـ بفتحتين ـ الملجأ. اهـ.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَعَادًا﴾ دمرنا عادًا (﴿وَثَمُودَ﴾ **حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما، وثمودًا)** على تأويل الحيّ أو لأنه اسم الأب الأكبر ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيبا فَبَيْنَاهم حول الرس (**ـ وهي البئر غير مطويّة ـ انهارت)** بهم فخسف بهم وبديارهم. وقيل: الرس قرية قتلوا نبيّهم فهلكوا، (**أو هم أصحاب الأُخدود والرس: الأُخدود)** ﴿وَقُرُونًۢا﴾ وأهلكنا أممًا ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا﴾ لا يعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بيّنّا له القصص العجيبة من قصص الأولين ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أي أهلكنا إهلاكًا. ﴿وَكُلًّا﴾ الأول منصوب بما دلّ عليه ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ وهو أنذرنا أو حذّرنا والثاني بـ ﴿تَبَّرْنَا﴾ لأنه فارغ له.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟﴾ يعني أهل مكة ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ﴾ (**سدوم**) وهي أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسًا أهلك الله أربعًا مع أهلها (**وبقيت واحدة**) ﴿ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾

قوله: (﴿وَثَمُودَا۟﴾) بغير تنوين (**حمزة وحفص على تأويل القبيلة**) أي ممنوعًا من الصرف للعلمية والتأنيث مرادًا به القبيلة (**وغيرهما**: ﴿**وثمودًا**﴾) بالتنوين مصروفًا على تأويل الحيّ... الخ. **قوله**: (**وهي البئر غير مطوية**) أي مبنيّة، يقال: طويت البئر إذا بنيتها بالحجارة. **قوله**: (**انهارت**) بمعنى انهدمت وغارت. **قوله**: (**أو هم أصحاب الأُخدود والرسّ الأُخدود**) والأُخدود الشقّ في الأرض اختلف فيهم مع اتّفاقهم أن بعض الكفرة عمدوا إلى بعض المؤمنين عشرين ألفًا أو أقلّ أو أكثر من أهل فارس أو اليمن أو الحبشة أو نجران أو الشام أن يرجعوا إلى الكفر، قالوا: فحفروا لهم في الأرض أخاديد وأجّجوا فيها نيرانًا وأوعدوهم عليها، فلم يقبلوا الكفر فقذفوهم فيها.

قوله: (**سدوم**) عن اللّيث أنه بالدال المهملة، وقيل: إنه بالذال المعجمة. **قوله**: (**وبقيت واحدة**) أهلك الله أهلها، وهي سدوم.

أي أمطر الله عليها الحجارة يعني أن قريشًا مرّوا مرارًا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أُهلكت بالحجارة من السماء، و﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ مفعول ثانٍ والأصل أمطرت القرية مطرًا، أو مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ بل كانوا قومًا كَفَرَة بالبعث لا يخافون بعثًا فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشورًا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ إن نافية (﴿إِلَّا هُزُوًا﴾) اتخذه هزوًا في معنى استهزاء أي قائلين ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ والمحذوف حال والعائد إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ محذوف أي بعثه ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ «أن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على (**فرط مجاهدة رسول الله ﷺ**) في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط (**لجاجهم**) واستمساكهم بعبادة آلهتهم ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن

قوله: (﴿إِلَّا هُزُوًا﴾) على أن يكون «هزؤا» مصدرًا على تقدير المضاف، وإنْ كان فعلًا بمعنى مفعول، فالتقدير مهزوءًا به. **قوله**: (**فرط مجاهدة رسول الله ﷺ**) في مختار الصحاح: أفرط في الأمر جاوز فيه الحدّ، والاسم منه الفَرْط ـ بالتسكين ـ يقال: إياك والفرط في الأمر. اهـ. وأيضًا فيه: أمرٌ فُرُط ـ بضمّتين ـ أي مجاوزٌ فيه الحدّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: الآية ٢٨]. اهـ.

قوله: (**لَجاجهم**) في المصباح: لجّ في الأمر لججًا ولجاجةً من باب تعب، ولجاجًا فهو لجوج ولجوجة مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه، ومن باب ضرب لغة. اهـ.

طالت مدة الإمهال ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هو كالجواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ لأنه نسبة لرسول الله ﷺ إلى الضلال إذ لا يضلّ غيره إلا مَن هو ضالٌّ في نفسه.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي مَن أطاع هواه فيما يأتي (ويذر) فهو عابد هواه وجاعله إلـٰهه فيقول الله تعالى لرسوله: هذا الذي لا يرى معبودًا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى. يُروَى أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرَّ بحَجَر أحسن منه ترك الأوَّل وعبد الثاني. وعن الحسن: هو في كل مُتبع هواه ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي حفيظًا تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه، أفأنت تكون عليه موكلًا فتصرفه عن الهوى إلى الهدى، عرفه أن إليه التبليغ فقط.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ «أم» منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المَذمَّة أشدّ من التي تقدَّمتها حتى حقَّت بالإضراب عنها إليها وهي كونها مسلوبي الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أُذُنًا ولا إلى تدبّره عقلًا، ومشبّهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركَّبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال، ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الأنعام تسبّح ربّها وتسجد له وتطيع مَن يعلفها وتعرف مَن يُحسِن إليها ممَّن يُسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرّها وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوّهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتّقون العقاب الذي هو أشدّ المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو (المشرَّع

قوله: (يذر) تقول: ذَرْه أي دَعْه، وهو يَذَره ولا يقال: وذره ولا أذِر لكن تركه فهو تارك. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (المَشْرَع) هو مورد الشاربة.

الهنيء) و**(العذب الروي)**، وقالوا: للملائكة. روح وعقل، وللبهائم نفس وهوى، والآدمي مجمع الكل ابتلاء. فإن غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام، وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام. وإنما ذكر الأكثر لأن فيهم مَن لم يصدّه عن الإسلام إلا حبّ الرياسة وكفى به **(داءً عضالًا)** ولأن فيهم مَن آمن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي بسطه فعمَّ الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة، وهو كما قال في ظل الجنة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣٠] إذ لا شمس معه ولا ظلمة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي دائمًا لا يزول ولا تُذهِبه الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل فالأشياء تعرف بأضدادها.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي أخذنا ذلك الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا﴾ إلى حيث أردنا ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ سهلًا غير عسير أو قليلًا قليلًا أي جزاءً فجزاءً بالشمس التي تأتي عليه. **(وجاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ لتفاضل ما بين الأمور)** فكأن الثاني أعظم من الأول، والثالث

قوله: **(الهنيء)** هو فعيل من هنوء بالضم والهمز هناء ممدودًا، وهو ما لا تلحق فيه مشقّة ولا تعقبه وخامة، ويجوز إبقاء همزه على أصله، ويجوز إبدال الهمزة التي هي لام الكلمة ياء وإدغام ياء المدّ فيها. **قوله**: **(العذْبُ)** الماء الطيّب، وبابه سَهْل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: **(الرويّ)** هو فعيل من روى يروى كبقي يبقى، والريّ حالة هي ضدّ العطاش تحدث عند أخذ الطبيعة كفايتها من المشرب. **قوله**: **(داءً عضالا)** شديدًا أعيى الأطباء.

قوله: **(وجاء بـ ﴿ثُمَّ﴾ لتفاضل ما بين الأُمور)**... الخ. لا للتراخي الزماني؛ إذ لا يصح جعلها له في هذا المقام، إذ ليس المعنى أنه تعالى بعد

أعظم من الثاني، شبّه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ جعل الظلام الساتر كاللباس ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم وقطعًا لأعمالكم، والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته. وقيل: السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠] و(**يعضده**) ذكر النشور في مقابلته ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ إذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت أن ينشر فيه الخلق للمعاش. وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالِق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية، وفي النوم و(**اليقظة**) المُشَبَّهين بالموت والحياة عِبرة لمَن اعتبر. وقال لقمان لابنه: كما تنام فتُوقَظ كذلك تموت فتُنشَر.

ذلك المدّ بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلًا، فوجب حمله على المجاز بأن تجعل كلمة ﴿ثم﴾ استعارة تبعية، بأن شبّه تفاضل الأُمور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني، فاستُعير لجانب المشبّه لفظ ثم الموضوعة للتراخي الزماني، ووجه كون الأُمور متباعدة في الرتبة والفضل أن حدوث الظلّ ممدودًا مبسوطًا على وجه الأرض، وإنْ كان في نفسه دالًا على وجود الصانع الحكيم، إلّا أن جعل الشمس دليلًا عليه لدلالته على أمرٍ زائد مرتّب على ذلك أفضل منه رتبة، وقبض الظلّ قبضًا يسيرًا أعظم من الثاني؛ لأن الإزالة مع التدرّج والمهملة بانبساط ضوء الشمس على الأجرام تحصل بها المنافع المرتّبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظلّ بالكلّية، وهي منفعة زائدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والأوقات التي يُناط بها أكثر أحكام الشرع ولأن في التدرّج حكمًا ومصالح أخرى.

قوله: (يعضده) في مختار الصحاح: عَضَده من باب نصر أعانه. اهـ. **قوله**: (اليقظة) بفتح القاف وتسكن لضرورة الشعر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ (﴿ٱلرِّيحَ﴾ **مكي**) والمراد به الجنس (﴿بُشْرًۢا﴾) تخفيف بشر جمع بشور ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر وهذه استعارة (**المحيية**) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿طَهُورًا﴾ بليغًا في طهارته. والطهور صفة كقولك: «ماء طهور» أي طاهر، واسم كقولك لِما يتطهَّر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضَّأ به وتوقد به النار، ومصدر بمعنى التطهّر كقولك: تطهَّرت طهورًا حسنًا، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة إلا بطهور» أي بطهارة. وما حُكِي عن (**ثعلب**) هو ما كان طاهرًا في نفسه مطهِّرًا لغيره

قوله: (﴿ٱلرِّيحَ﴾) بالإفراد (مكّي) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالجمع.

قوله: (﴿بُشْرًۢا﴾) بموحدة مضمومة وإسكان الشين تخفيف بُشُر ـ بضمّتين ـ جمع بَشُور كرسول كما يخفّف جمع رسول بتسكين السين وهذه قراءة عاصم، وقرأ ابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين وهي مخفّفة من قراءة الضمّ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون المفتوحة وسكون الشين مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة أو منشورة أو ذات نشر، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بضم النون والشين جمع ناشر كنازل ونزل وشارف وشرف، وكذا في الإتحاف. وفي تفسير الكشاف: وَنَشْرًا إحياء ونُشُرًا جمع نَشُور، وهي (**المُحْيِيَة**) ونشرًا تخفيف نشر وبشرًا تخفيف بُشُر جمع بَشُور وبشرى. اهـ.

قوله: (**ثعلب**) هو أبو العباس أحمد بن يحيىٰ بن زيد بن سيار النَّحوي، كان إمام الكوفيّين في النَّحو واللغة سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار، وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر بن الأنباري وأبو عمر الزاهد وغيرهم، وكان ثقةً حجة صالحًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم مقدّمًا عند الشيوخ منذ هو حدث، وكان ابن الأعرابي إذا شكّ في شيء قال له: ما تقول يا أبا العباس في هذا ثقة بغزارة حفظه، وكان يقول: ابتدأت في طلب العربية واللغة في سنة ستّ عشرة ومائتين، ونظرت في حدود الفرّاء وسني ثماني عشرة سنة وبلغت خمسًا وعشرين سنة، وما بقيت عليّ مسألة للفرّاء إلّا وأنا أحفظها، وقال أبو بكر بن مجاهد المقري: قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغل

وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: الآية ١١] وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء، وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لأن بناء الفعول للمبالغة، فإن كان الفعل متعدِّيًا فالفعل مُتَعَدٍّ وإن كان لازمًا فلازم.

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿بَلْدَةً (مَّيْتًا)﴾ ذكر ﴿مَّيْتًا﴾) على إرادة البلد أو المكان ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ أي ونسقي الماء البهائم والناس. و﴿مِمَّا خَلَقْنَآ﴾ حال من ﴿أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ﴾ أي أنعامًا وأناسي، مما خلقنا.

أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة؛ فانصرفت من عنده فرأيت النبيّ ﷺ تلك اللّيلة في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس عني السلام، وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل، قال أبو عبد الله الروذباريّ: العبد الصالح أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه. وصنّف كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة، وكان له شعر. ومن تصانيفه كتاب المصون، وكتاب اختلاف النحويين، وكتاب معاني القرآن، وكتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب القراءات، وكتاب معاني الشعر، وكتاب التصغير، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب ما يجري وما لا يجري، وكتاب الشواذ، وكتاب الأمثال، وكتاب الإيمان، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب الألفاظ، وكتاب الهجاء، وكتاب المجالس، وكتاب الأوسط، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب المسائل، وكتاب حدّ النحو وغير ذلك، توفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأُولى، وقيل: لعشر خلون منها، سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ودُفِن بمقبرة باب الشام رحمه الله تعالى.

قوله: (﴿مَّيْتًا﴾) اتّفق السبعة على تخفيفه. **قوله**: (ذكر ﴿مَّيْتًا﴾) مع أن موصوفه مؤنث.

وسقى أو أسقى لغتان. **(وقرأ المفضل)** والبرجمي (﴿وَنَسْقِيَهُ﴾) والأناسي جمع إنسي على القياس ككرسي وكراسي، أو إنسان وأصله أُناسين **(كسرحان)** وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت. وقدّم إحياء الأرض على سقي الأنعام والأناسي لأن حياتها سبب لحياتهما، وتخصيص الأنعام من الحيوان الشَّارِب لأن عامّة منافع الأناسي متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقي الأنعام كالإنعام بسقيهم، وتنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس مُنيخون بالقرب من الأودية والأنهار فيهم غنية عن سقي السماء **(وأعقابهم)** وبقاياهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته، وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المُتَبَعِّدين عن مظانّ الماء. ولما سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالظهور إكرامًا لهم، وبيان أن من حقهم أن يُؤثِروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ (﴿لِيَذْكُرُوا۟﴾ **حمزة وعلي**) يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المُنَزَّلة على الرُّسُل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حقَّ النعمة فيه فيشكروا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها **(وقلّة الاكتراث لها)**. أو صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى

قوله: **(وقرأ المفضل)** بن محمد عن عاصم والبرجمي أي عبد الحميد بن صالح البرجمي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمه الله (﴿وَنَسْقِيَهُ﴾) بفتح النون، والباقون بضمّها والبرجمي بضمّ الباء الموحدة وسكون الراء وضمّ الجيم هذه النسبة إلى البراجم، وهي قبيلة من تميم. **قوله**: (كسرحان) في المصباح: السِّرحان بالكسر الذئب والأسد والجمع سراحين، ويقال للفجر الكاذب: سرحان، على التشبيه.اهـ. **قوله**: **(وأعقابهم)** أي بقاياهم.

قوله: (﴿لِيَذْكُرُوا۟﴾) بسكون الذال وتخفيف الكاف مضمومة **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بتشديد الذال والكاف مع فتحها. **قوله**: **(وقلّة الاكتراث لها)** في مختار الصحاح: يقال: ما أكترث له، أي ما أبالي به.

الصفات المتفاوتة من **(وابل وطل)** و**(جود)** و**(رذاذ)** و**(ديمة)**، فأبوا إلا الكفور **(وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا)** ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما) ما من عام أقل مطرًا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية. ورُوِيَ أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد، وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي. ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله تعالى كفر، وإن رأى أن الله تعالى خالِقها وقد نصب **(الأنواء)** أمارات ودلالات عليها لم يكفر.

قوله: **(وابل)** الوابل: المطر الشديد. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(وطلّ)** الطَّلّ أضعف المطر، وجمعه طلال. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(جَوْد)** الجَوْد ـ بالفتح ـ وهو المطر الواسع الغزير. اهـ لسان العرب.

قوله: **(رَذاذ)** الرَّذاذ الساكن الدائم القطر الصغار كأنه غبار، وقيل: هو بعد الطل. اهـ لسان العرب. **قوله**: **(ديمة)** الديمة بالكسر المطر يدوم أيّامًا. اهـ مصباح.

قوله: (**وأن يقولوا: مُطرنا بنوء كذا**) والنوء ـ كما في أدب الكاتب ـ سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق مِنْ ناء نهض لأن الطالع ينهض، وبعضهم يجعل النوء السقوط فهو من الأضداد، وكانوا إذا سقط نجم وطلع آخر، فكان عنده مطر أو ريح أو برد أو حرّ نسبوه إلى الساقط إلى أن يسقط الذي بعده، فإنْ سقط ولم يكن مطر قيل **خوى**[1] وأخوى، انتهى.

قوله: (**الأنواء**) النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه في جانب المشرق من ساعته، والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها، وقيل: إلى الطالع منها.

---

(١) في المصباح: خوت النجوم من باب رمى سقطت من غير مطر، وانخوت بالألف مثله. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لو شئنا لخففنا عنك (أعباء نذارة) جميع القرى، ولبعثنا في كل قرية نبيًّا يُنذرها، ولكن شئنا أن تجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظَّمناك به فتكون وحدك ككلهم، ولذا خوطب بالجمع ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدّد، فلا تُطِع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم (ومداهنتهم)، وكما آثرتك على جميع الأنبياء فآثر رضائي على جميع الأهواء، وأُريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرِّعهم بالعجز عنه ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاقّ، ويجوز أن يرجع الضمير في ﴿بِهِ﴾ إلى ما دلَّ عليه ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ من كونه نذير كافَّة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرًا لوجب على كل نذير مُجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له: وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادًا كبيرًا جامعًا لكل مجاهدة.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلَّاهما متجاورين متلاصقين. تقول: مرجت الدابة إذا خليتها ترعى، وسمَّى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين ﴿هَذَا﴾ أي أحدهما ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ صفة لـ ﴿عَذْبٌ﴾ أي شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ صفة لـ ﴿مِلْحٌ﴾ أي شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حائلًا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وسترًا ممنوعًا عن الأعين كقوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٤٥].

قوله: (أعباء نذارة) أي أثقالها، في المصباح: العبء مهموز مثل الثقل وزنًا ومعنى. اهـ. **قوله**: (ومداهنتهم) المداهنة وهي أن ترى منكرًا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظًا لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلّة مبالاة الدِّين. اهـ تعريفات للسيد السند قدّس سرّه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي النطفة ﴿بَشَرًا﴾ إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ﴾ أراد تقسيم البشر قسمين: ذوي نسب أي ذكورًا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر (أي إناثًا يصاهر بهن) كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة: الآية ٣٩] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة بشرًا نوعين ذكرًا وأُنثى. وقيل: فجعله نسبًا أي قرابة وصهرًا مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ﴾ إن تركوه ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ على معصية ربّه ﴿ظَهِيرًا﴾ مُعينًا ومُظاهرًا. وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة، والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمـٰن. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا ۖ﴾ منذرًا للكافرين ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ ۖ﴾ جعل ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ والمراد (إلا فعل مَن شاء واستثناؤه من الأجْر قول ذي شفقة) عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابًا على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورة بصورة الثواب كأنه يقول: إن حفظت مالك اعتدّ حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرِضا المُثاب بالثواب، (ولعمري) إنه عليه الصلاة والسلام مع أمته

قوله: (أي إناثًا يصاهر بهن) المصاهرة التزوّج أي يقع التزوّج بهنّ. **قوله**: (جعل) في مختار الصحاح: الجُعل ـ بالضمّ ـ ما جُعِل للإنسان من شيء على فعل. اهـ.

قوله: (إلا فِعْلَ مَنْ شاء). . . الخ. مبتدأ. **قوله**: (واستثناؤه من الأجر) مجرور عطف تفسيري على قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ [الفرقان: الآية ٥٧] على الحكاية. **قوله**: (قول ذي شفقة) خبر مبتدأ. **قوله**: (ولعمري) على حذف المضاف، أي لواهب عمري وارتفاعه على الابتداء وخبره محذوف أي قسمي ويميني، والواو فيه للاستئناف واللام للابتداء. قال في المغرب: العُمر ـ بالضم والفتح ـ البقاء إلّا أن الفتح غلب في القسم

(**بهذا الصدد**). ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلًا تقرّبهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة. وقيل: المراد لكن مَن شاء أن يتخذ بالإنفاق إلى رِضاء ربّه سبيلًا فليفعل. وقيل: تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرًا إلا اتخاذ المدعو سبيلًا إلى ربّه بطاعته فذلك أجري لأن الله يأجرني عليه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ اتخذ مَن لا يموت وكيلًا لا يكِلك إلى مَن يموت ذليلًا يعني ثِق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حيٍّ يموت. وقرأها بعض الصالحين فقال: لا يصحّ لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق والتوكّل الاعتماد عليه في كل أمر ﴿وَسَبِّحْ﴾ مَن لا يَكِل إلى غيره من توكّل عليه ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ بتوفيقه الذي يُوجِب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزِّهه عن كل العيوب بالثناء عليه ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي كفى الله خبيرًا بذنوب عباده يعني أنه خبير بأحوالهم كافًا في جزاء أعمالهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي في مدة مقدار هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار. رُوِيَ عن (**مجاهد**): أوّلها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليمًا لخلقه الرِّفق والتثبّت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي هو الرحمن فـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مبتدأ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبره (﴿**فسل**﴾ **بلا همزة مكي وعليّ**) ﴿بِهِۦ﴾ صلة «سل» كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ [المعارج: الآية

حتى لا يجوز فيه الضمّ. اهـ. **قوله**: (**بهذا الصدد**) في لسان العرب: الصَّدَد الناحية، والصدد ما استقبلك، وهذا صدد هذا وبصدده وعلى صدده، أي قبالته، والصَّدد القرب والصدد القَصْد. اهـ.

قوله: (**مجاهد**) بن جَبْر - بفتح الجيم وسكون الموحدة - من كبار التابعين رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: (﴿**فسل**﴾ **بلا همزة**) أي بنقل حركة الهمزة إلى السين وحذفها (**مكي**) أي ابن كثير المكّي (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بإسكان السين وهمزة مفتوحة.

١]، كما تكون «عن» صلته في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: الآية ٨] فاسْأَلْ به كقولك اهتمّ به واشتغل به واسأل عنه كقولك: ابحث عنه وفتش عنه أو صلة ﴿خَبِيرًا﴾ ويكون ﴿خَبِيرًا﴾ مفعول ﴿سَلْ﴾ أي فاسأل عنه رجلًا عارفًا يخبرك برحمته، أو فاسأل رجلًا خبيرًا به وبرحمته، أو الرحمٰن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل: فاسأل بهذا الاسم مَن يخبرك من أهل الكتب حتى يعرف مَن ينكره، ومن ثم كانوا يقولون: ما نعرف الرحمٰن إلا الذي باليمامة ـ يعنون (مُسيلمة) ـ وكان يقال له رحمٰن اليمامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ صلّوا لله واخضعوا له ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي لا نعرف الرحمٰن فنسجد له، فهذا سؤال عن المسمَّى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بـ «ما» أو «عن» معناه لأنه لم يكن مستعملًا في كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ للذي تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منّا به. (﴿يأمرنا﴾ عليّ وحمزة) كأن بعضهم قال لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمٰن ولا نعرف ما هو؟ فقد عاندوا لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي

قوله: (مُسيلمة) الكذاب قَتَله وحشيّ قاتل حمزة في خلافة سيّدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وكان لمسيلمة الكذاب لعنه الله يوم قُتِل مائة وخمسون سنة، ومولده قبل مولد عبد الله والد النبيّ ﷺ. اهـ تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي رحمه الله. وفي تهذيب الأسماء: مُسَيْلمة الكذاب عدوّ الله هو مسيلمة بن حبيب، وهو من بني حنيفة، قال ابن قتيبة: كنيته أبو ثُمامة، وكان صاحب نَيْرنجيّات وهو أوّل مَنْ أدخل البيضة في قارورة، قال: ولا عقب له، وجمع جموعًا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سُفهاء العرب وغَوْغَائهم وقصد قتال الصحابة في إثر وفاة رسول الله ﷺ، فجهز إليه أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه الجيوش وأميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه سنة إحدى عشرة من الهجرة فقاتلوه فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرًا، قيل: قتله وحشيُّ بن حرب، وقيل غيره، وقتل خلائق من تُبّاعه وانهزم مَنْ أفلت منهم وطُفِيت آثارهم. اهـ.

قوله: (﴿يأمرنا﴾) بالياء من تحت (عليّ) الكسائي (وحمزة)، والباقون بالخطاب والإسناد عليهما إليه ﷺ.

لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من أبنية المبالغة تقول: رجل عطشان إذا كان في نهاية (العطش) ﴿وَزَادَهُمْ﴾ قوله ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾، ﴿نُفُورًا﴾ تباعدًا عن الإيمان.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ (هي منازل الكواكب السيَّارة) لكل كوكب بيتان يقوِّي حاله فيهما. وللشمس بيت وللقمر بيت. فالحمل والعقرب بيتا (المريخ)، والثور والميزان بيتا (الزهرة)، والجوزاء والسنبلة بيتا (عطارد)، والسرطان بيت (القمر)، والأسد بيت (الشمس)، والقوس والحوت بيتا (المشتري)، والجدي والدلو بيتا (زُحَل). وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج: فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. سُمِّيت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البروج من التبرّج لظهوره. وقال (الحسن وقتادة) ومجاهد: البروج هي النجوم الكبار لظهورها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ في السماء ﴿سِرَٰجًا﴾ يعني الشمس لتوقّدها. (﴿سُرُجًا﴾ حمزة وعليّ أي نجومًا) ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مُضيئًا بالليل.

قوله: (العَطَش) ضد الريّ وبابه طرب، فهو عَطْشانُ وقوم عَطْشى بوزن سَكْرى وعَطَاشى بوزن حَبالى وعطاش بالكسر وامرأة عَطْشى ونسوة عطاش. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (هي منازل الكواكب السيارة) أي محالّها التي تسير فيها. **قوله**: (المريخ) بكسر الميم، وهو نجم في السماء الخامسة. **قوله**: (الزهرة) بفتح الهاء كما في المختار نجم في السماء الثالثة. **قوله**: (عطارد) ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهو بضمّ العين ويصرف ويُمنع من الصرف، كما في القاموس. اهـ جمل. وفي تاج العروس: يحتاج إلى نظر في موجب المنع مع العلمية. اهـ. وهو نجم في السماء الثانية. **قوله**: (القمر) في السماء الأُولى. **قوله**: (الشمس) في السماء الرابعة. **قوله**: (المشتري) نجم في السماء السادسة. **قوله**: (زُحَل) يمنع الصرف وللعلمية والعدل كعمر نجم في السماء السابعة. **قوله**: (الحسن) البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم. **قوله**: (وقتادة) البصري التابعي. **قوله**: (﴿سُرُجًا﴾) بضم السين والراء بلا ألف على الجمع الشمس والكواكب، وذكر القمر تشريفًا (حمزة وعليّ) الكسائي (أي نجومًا)، والباقون بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على التوحيد وهو الشمس فقط.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما كالآخر، والمعنى جعلهما (ذوي ﴿خِلۡفَةً﴾) يخلف أحدهما الآخر عند مضيّه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ يتدبَّر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبِّرهما. (﴿يُذۡكَرَ﴾ حمزة وخلف) أي يذكر الله أو المنسي فيقضي ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي يشكر نعمة ربّه عليه فيهما.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ أو أولئك يجزون و﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ وما بعدهما صفة (والإضافة إلى الرحمٰن للتخصيص) والتفضيل. وصف أولياءه بعدما وصف أعداءه ﴿عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾ حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشيًا هينًا. والهون الرِّفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون (مرح واختيال) وتكبّر فلا يضربون بأقدامهم (ولا يخفقون بنعالهم أشَرًا وبطرًا) ولذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ولقوله: ﴿وَيَمۡشُونَ فِى ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ أي السفهاء بما يكرهون ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ (سدادًا) من القول يسلمون فيه (من الإيذاء والإفك

قوله: (ذوي ﴿خِلۡفَةً﴾) ذوي تثنية ذو. **قوله:** (﴿يَذَّكَّرَ﴾) بسكون الذال وضمّ الكاف مخفّفة (حمزة وخلف)، والباقون بتشديدهما مفتوحتين.

قوله: (والإضافة إلى الرحمٰن للتخصيص)، أي لأن تفيد لهم خصوصية وشرفًا وتفضلهم على العباد الذين لم يتّصفوا بتلك الصفات، وإلّا فالخلق كلهم عباد الله. **قوله:** (مرح) المَرح شدّة الفرح والنّشاط وبابه طَرِب فهو مَرِحٌ بكسر الراء. **قوله:** (واختيال) أي إعجاب بالنفس. **قوله:** (ولا يخفقون بنعالهم) في المصباح: خفق النعل صوت. اهـ. **قوله:** (أشرًا) في المصباح: أشر أشرًا فهو أشر من باب تعب بطر وكفر النعمة فلم يشكرها. **قوله:** (وبطرًا) في المصباح: بطر بطرًا فهو بطر من باب تعب بمعنى أشر أشرًا، وتقدم في الألف. اهـ. وفي مختار الصحاح: البطر الأشر، وهو شدّة المَرَح وبابه طرب. اهـ. **قوله:** (سدادًا) بفتح السين أي صَوابًا من القول، فعلى هذا الوجه يكون سلامًا إشارة إلى ما قالوه من حيث المعنى، ولا يكون ﴿سَلَٰمًا﴾ عين عبارتهم. **قوله:** (من الإيذاء والإفك) في مختار الصحاح: الإفك الكذب، وفي

أو تسلمًا منكم) نتارككم ولا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلم. وقيل: نسختها آية القتال. ولا حاجة إلى ذلك (**فالإغضاء**) عن السفهاء مُستحسَن شرعًا ومروءة. هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمًا﴾ جمع قائم والبيتوتة خلاف (**الظلول**) وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تَنَم. وقالوا: مَن قرأ شيئًا من القرآن في صلاة وإن قلّ فقد بات ساجدًا وقائمًا. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء. والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ هلاكًا لازمًا ومنه (**الغريم**) لملازمته. وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقَّبه بذِكر دعوتهم هذه إيذانًا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مُبتهِلون مُتضرِّعون إلى الله في صرف العذاب عنهم.

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ أي إن جهنم. و«ساءت» في حكم «بئست» وفيها ضمير مُبهَم يفسِّره ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرًا ومقامًا هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم «إن» وجعلها خبرًا لها، أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم «إن» و﴿مُسْتَقَرًّا﴾ حال أو تمييز،

نسخة: والإثم بدل والإفك. **قوله**: (أو تسلمًا منكم) يعني أن سلامًا منصوب على أنه مصدر فعل محذوف، والأصل نتسلم منكم تسلمًا، فأقيم السلام مقام التسلم، فالمعنى: إذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى وكلام قبيح قالوا: نتسلم منكم تسلمًا، أي لا نجاهلكم ولا نتلبس بشيء من أُموركم، وهو الجهل وما يُبتنى على خفة العقل. **قوله**: (فالإغضاء) أي إغماض العين.

قوله: (الظُّلول) في لسان العرب: ظلّ نهاره يفعل كذا وكذا يَظَلّ ظَلّاً وظُلُولاً وظَلَلت أنا وظَلْتُ وظِلْت لا يقال ذلك إلّا في النهار. اهـ. **قوله**: (الغريم) الذي له الدَّيْن، وقد يكون الغريم أيضًا الذي عليه الدَّيْن.

(ويصحَ أن يكون التعليلان متداخلين) و**(مترادفين)** وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم.

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ لم يجاوزوا الحدّ في النفقة أو لم يأكلوا للتنعّم ولم يلبسوا **(للتصلّف)**. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم ينفقوا في المعاصي فالإسراف مجاوزة القدر. وسمع رجلٌ رجلًا يقول: لا خير في الإسراف. فقال: لا إسراف في الخير، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن منع حقًّا فقد قتّر ومَن أعطى في غير حق فقد أسرف» ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ **(بضم التاء كوفي، وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي)**، وبفتح الياء وكسر التاء **(مكّي وبصري)**. والقتر والإقتار والتقتير والتضييق الذي هو نقيض الإسراف ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ أي عدلًا بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أي ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٩]، خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير، وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام: (﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ **الآية)**. وسأل **(عبد الملك بن مروان**

قوله: (ويصح أن يكون التعليلان) وهما ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، و﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ **(متداخلين)** بأن يكون الأوّل تعليلًا لسؤال صرف عذاب جهنم عنهم، والثاني تعليلًا لمضمون التعليل الأوّل، وأن يكونا **(مترادفين)** بأن يكون كلاهما تعليلًا لسؤال صرف العذاب.

قوله: **(للتصلّف)** أي التكبّر. **قوله: (بضمّ التاء)** أي بفتح الياء وضمّ التاء كيقتل **(كوفي)** أي عاصم وحمزة وعلي الكسائي وخلف رحمه الله وليس من السبعة وله اختيار، **(وبضمّ الياء وكسر التاء مدني)** أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي وبفتح الياء وكسر التاء كيحمل **(مكّي)** أي ابن كثير المكي **(وبصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله:** (﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾) أي لا تُمسكها عن الإنفاق كلّ المسك **(الآية)** أي ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأوّل ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً لا شيء عندك راجع للثاني. **قوله: (عبد الملك بن مروان)** بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو الوليد، وُلِد سنة ستّ وعشرين،

عمر بن عبد العزيز) عن نفقته حين زوَّجه ابنته فقال: الحسنة بين السيئتين. فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية. وقيل: أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعّم واللذة، ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة

بُويع بعهدٍ مِنْ أبيه في خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته وبقي متغلّبًا على مصر والشام ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قُتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فصحّت خلافته من يومئذ واستوثق الأمر. **قوله**: (**عمر بن عبد العزيز**) بن مروان الخليفة الصالح أبو حفص خامس الخلفاء الراشدين، قال سفيان الثوري: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعمر بن عبد العزيز؛ أخرجه أبو داود في سننه، وُلِد عمر بحُلْوان قرية بمصر وأبوه أميرٌ عليها سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستّين، جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدّب بها، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم، فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوّجه ابنته فاطمة، بُويع بالخلافة بعهدٍ من سليمان بن عبد الملك في صفر سنة تسع وتسعين فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة الصدِّيق رضي الله تعالى عنه مَلأَ فيها الأرض عدلًا وردّ المظالم وسنّ السُّنَن الحسنة، قالت فاطمة امرأته: ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه، وقال سهل بن صدقة: لمّا استخلف عمر سمع في منزله بكاءً، فسألوا عن ذلك فقالوا: إن عمر خيّر جواريه، فقال: قد نزل بي أمرٌ قد شغلني عنكم، فمن أحب أن أُعتقه أعتقته، ومَنْ أحبّ أن أمسكه أمسكته، وإن لم يكن مني إليها حاجة؛ فبكين إياسًا منه. قالت فاطمة امرأته: كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليله أجمع.

وقال الوليد بن أبي السائب: ما رأيت أحدًا قطّ أخوف من عمر، وقال عطاء بن أبي رباح: حدّثتني فاطمة امرأة عمر أنها دخلت عليه وهو في مصلاه تسيل دموعه على لحيته، فقالت: يا أمير المؤمنين أَلِشيءٍ حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلّدتُ من أمر أُمّة محمّد ﷺ أسودَها وأحمرَها، فتفكّرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أنّ ربّي سائلي عنهم يوم القيامة، فخشيتُ أن لا يثبت لي حجّة، فبكيت. وقال مكحول: لو حلفت وتصدقت ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز. وقال سعيد بن أبي عروبة: كان

ولكن لسدّ (الجوعة) وستر العورة ودفع الحرّ و(القرّ). وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفًا أن لا يشتهي الرجل شيئًا إلا أكله.

عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله. وقال عطاء: كان عمر بن عبد العزيز يجمع في كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. وقال عبيد الله بن العَيْزار: خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام على منبر من طين، فقال: أيّها الناس، أَصْلِحُوا أسراركم تصلح علانيّتكم واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم، واعلموا أنّ رجلًا ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لمعرقٌ[1] له في الموت، والسلام عليكم. وقال غسّان عن رجل من الأزد: قال رجل لعمر بن عبد العزيز: أوْصِني، قال: أوصيك بتقوى الله وإيثاره تخف عنك المُؤْنَةُ وتحسن لك من الله المعونة. توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بدَيْر سِمْعان ـ بكسر السين ـ من أعمال حمص لعشرٍ بقين ـ وقيل: لخمس ـ بقين من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستّة أشهر، وكانت وفاته بالسمّ كانت بنو أُميّة قد تبرّموا به لكونه شدّد عليهم وانتزع من أيديهم كثيرًا مما غصبوه، وكان قد أهمل التحرز فسقوه السمّ. قال مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول الناس فيّ؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، وإني لأعلم الساعة التي سُقِيتُ فيها، ثم دعا غلامًا له فقال: ويحك ما حملك أن تَسْقيني السمّ؟ قال: ألف دينار أُعْطِيتُها وعلى أن أُعتق، قال: هاتها، قال: فجاء بها ألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراكِ أحدٌ. اهـ تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي بالتقاط.

قوله: (الجوعة) في مختار الصحاح: الجُوع ضد الشَّبع، يقال: جاع يجوع جوعًا ومجاعة أيضًا الفتح والجَوْعة بالفتح المرّة الواحدة. اهـ. **قوله:** (القرّ) في المصباح: قرّ اليوم قرًّا برد، والاسم القرُ ـ بالضمّ ـ فهو قر تسمية بالمصدر، وقارّ على الأصل، أي بارد وليله قرّة وقارّة. اهـ. وفي لسان العرب: القُرُّ البَرْد عامّة بالضمّ، وقال بعضهم: القَرّ في الشتاء والبرد في الشتاء والصيف، يقال: هذا يوم ذو قرّ، أي ذو برد. اهـ.

---

(١) أي يصير له عرق فيه، يعني أنه أصيل كما يقال إنه لمعرق له في الكرم، أي له عرقٌ في ذلك يموت لا محالة. اهـ تاج العروس.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أي لا يشركون ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي حرمها **(يعني حرم قتلها)** ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ **(بقود)** أو رجم أو ردة أو شرك أو سعي في الأرض بالفساد، **(وهو متعلق بالقتل المحذوف)** أو بـ ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ﴾ ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونفى هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنه قيل: والذين طهَّرهم الله مما أنتم عليه ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي المذكور ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء الإثم.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿يُضَاعَفْ﴾ بدل مَن يلقَ لأنهما في معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هي لقاء الآثام كقوله:

(متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبًا جزلًا ونارًا تأججا)

قوله: (بقود) بفتحتين أي قِصاص. **قوله: (يعني حرم قتلها)** لأن الحرمة والحلّ من صفات الأفعال ولا يُوصف بهما الأعيان. **قوله: (وهو متعلّق بالقتل المحذوف)** أي حرّمَ الله قتلها بجميع الأسباب إلّا بسبب الحقّ أو بـ ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ﴾ [الفرقان: الآية ٦٨] أي لا يقتلون بسبب من الأسباب ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، أي بسبب الذي يحلّ به قتل المرءِ المسلم وهو الردَّة بعد الإيمان، والزنى بعد الإحصان، وقتل النفس المعصومة من غير أن يطرأ عليها ما يُوجب قتلها، فإنّ الأصل في النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل إنما يثبت بعارِض فمن يحلّ قتله بسبب العارِض يدخل في النفس التي حرَّم الله قتلها نظرًا إلى حدّ نفسها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:**

(متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبًا جزلًا وَنارًا تأججا)

تلمم بمعنى تنزل، وبنا متعلق به بدل من تأتنا، والاستشهاد به لمجرّد الإبدال من المجزوم بالشرط، وليس تلمم جواب الشرط لعدم الفائدة فيه، قيل: الألف في

فجزم «تلمم» لأنه بمعنى «تأتنا» إذ الإتيان هو الإلمام. (﴿يضعّفْ﴾ **مكي ويزيد ويعقوب**. ﴿يضعّفُ﴾ **شامي** ﴿يُضَٰعِفُ﴾ **أبو بكر**) على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي يعذب على مرور الأيام في الآخرة عذابًا على عذاب. وقيل: إذا ارتكب المُشرِك معاصي مع الشِّرك عذب على الشِّرك وعلى المعاصي جميعًا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المُعاقَب عليه ﴿وَيَخْلُدْ﴾ جزمه جازم ﴿يُضَٰعِفُ﴾ ورفعه رافعه لأنه معطوف عليه ﴿فِيهِۦ﴾ في العذاب («**فيهى**» **مكي وحفص بالإشباع**). وإنما خصّ حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد. والعرب تمدّ للمبالغة مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع ﴿مُهَانًا﴾ حال أي ذليلًا.

قوله: تأججا بدل من نون التأكيد الخفيفة أصله تتأججن ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوّه عن معنى الطلب للضرورة، قال سيبويه: يجوز في الضرورة أنت تفعلن وقيل تأججا فعل ماض والألف فيه للإشباع وذكر ضمير النار فيه لتأوّلها بالشهاب، وقيل: هو ماضٍ والألف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار، ومعنى البيت: أنهم يوقدون غلاظ الحطب لتقوى نارهم فتأتي إليها الضِّيفان من بعيد فيقصدونها. **قوله**: (**جزلًا**) الجزل ما عَظُم من الحطب ويبس. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**تأججا**) في المصباح: أجتِ النار تؤجّ بالضمّ أجيجًا توقّدت. اهـ.

قوله: (﴿**يضعّفْ**﴾) بحذف الألف وتشديد العين وجزم الفاء (**مكي**) أي ابن كثير المكّي (**ويزيد**) هو أبو جعفر المدني، وليس من السبعة (**ويعقوب**) البصري وليس من السبعة.

قوله: (﴿**يضعّفُ**﴾) بحذف الألف وتشديد العين ورفع الفاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (﴿**يُضَٰعِفُ**﴾) **بالألف** والتخفيف والرفع في الفاء (**أبو بكر**) شعبة عن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي ﴿يُضَٰعَفْ﴾ بألف بعد الضاد وتخفيف العين وجزم الفاء. **قوله**: («**فيهى**») بصلة هاء ﴿فيه﴾ بياء في الوصل (**مكي**) أي ابن كثير المكي (**وحفص بالإشباع**)، والباقون بغير صلة.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن الشِّرك (وهو استثناء من الجنس) في موضع النصب ﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بعد توبته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ أي يوفِّقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبِّت مَكانَ الحسنات الإيمان والطاعة، ولم يُرِد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا. (﴿يبدل﴾ **مخففًا البرجمي**) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ يكفِّر السيئات ﴿رَّحِيمًا﴾ يبدلها بالحسنات.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ أي ومَن تاب وحقَّق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك إلى الله تعالى متابًا مُرضِيًا عنده مكفِّرًا للخطايا محصِّلًا للثواب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي الكذب يعني ينفرون عن

قوله: (**وهو استثناء من الجنس**) في موضع النصب المشهور بين المفسّرين أنه استثناء متّصل؛ لأنه من الجنس، وقيل: لا يظهر مع الاتصال؛ لأن المستثنى منه محكومٌ عليه بأنه يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعفَ، فيصير التقدير: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، فإنه لا يضاعف له العذاب؛ فالأَوْلى أن يكون استثناءً منقطعًا، والمعنى: لكن من تاب وآمن وعمل صالحًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾، وإذا كان كذلك فلا يلقى عذابًا البتّة، انتهى ما قيل. وأجيب عنه بأن الظاهر ما قاله جمهور المفسّرين، وما قاله القائل المذكور غير لازم؛ إذ المقصود الإخبار بأنّ مَنْ فعل كذا فإنه يحل به ما ذكر إلا أن يتوب، وأمّا إصابة أصل العذاب وعدمها، فلا تعرض له في الآية. **قوله**: (﴿يبدل﴾ **مخفّفًا**) من الإبدال (**البرجمي**) هو عبد الحميد بن صالح البرجمي ـ بضمّ الباء الموحدة وسكون الراء وضمّ الجيم ـ هذه النسبة إلى البراجم، وهي قبيلة من تميم، وعبد الحميد بن صالح يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم.

محاضر الكذابين ومجالس الخطّائين فلا يقربونها تنزّهًا عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه، وكذلك النظارة إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعِلِيه في الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل على الرِّضا. وسبب وجود الزيادة فيه وفي مواعظ عيسى عليه السلام: إياكم ومُجالسة الخاطئين. أو لا يشهدون شهادة الزُّور على حذف المضاف. وعن **(قتادة)**: المراد مجالس الباطل. وعن **(ابن الحنفية)**: لا يشهدون اللهو والغناء. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ بالفحش وكل ما ينبغي أن يُلغى ويطرح، والمعنى وإذا مرّوا بأهل اللغو والمُشتغلين به ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ مُعرِضين أنفسهم عن التلوّث به كقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: الآية ٥٥] وعن **(الباقر)** رضي الله عنه: إذا ذكروا الفروج كنّوا عنها.

قوله: **(قتادة) بن دعامة** ـ بكسر الدال المهملة ـ البصري التابعي، وُلد أعمى، أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله، توفي سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين رحمه الله تعالى. **قوله**: **(ابن الحنفيّة)** هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، المعروف بابن الحنفية، واسمها خولة من سبي بني حنيفة، وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلم بن تغلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة كنيته محمد هذا أبو القاسم، ويقال: أبو عبد الله، وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقال ابن أبي حاتم: لثلاث بقين، وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان وأباه رضي الله تعالى عنهم، وروى عنه بنوه الحسن وعبد الله وإبراهيم وعون وجماعات من التابعين، قال عمرو بن علي وأبو نعيم في روايات عنه: مات محمد ابن الحنفية سنة أربع عشرة ومائة وقيل غير ذلك رحمة الله عليه. **قوله**: **(الباقر)** هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، القرشي الهاشمي المدني أبو جعفر المعروف بالباقر سُمّي بذلك لأنه بقر العلم ـ أي شقّه ـ فعرف أصله وعلم خفيّه، وأُمّه أمّ عبد الله بنت حسن بن عليّ بن أبي طالب، وهو تابعي جليل إمام بارع مجمع على جلالته معدودٌ في فقهاء المدينة وأئمّتهم سمع جابرًا وأنسًا وسمع جماعات من كبار التابعين؛ كابن المسيب وابن الحنفية وغيرهما، روى عنه أبو إسحٰق السبيعي وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار والأعرج ـ وهو أسنّ منه ـ والزهري وربيعة وخلائق آخرون من التابعين وكبار الأئمّة، وروى له البخاري ومسلم، قال الزبيري: توفي سنة أربع

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي قُرِىء عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ هذا ليس بنفي الخرور بل هو إثبات له ونفي (الصَّمم) و(العَمَى) ونحوه «لا يلقاني زيد مسلمًا. هو نفي للسلام لا للقاء يعني أنهم إذا ذُكّروا بها خرّوا سُجّدًا وبُكِيًّا سامعين بآذان واعية مُبصرين بعيون واعية لما أُمِروا ونُهُوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: الآية ٥٨].

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ «من» للبيان كأنه قيل: هب لنا قرّة أعين. ثم بيِّنت القرّة وفسّرت بقوله من أزواجنا ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين (وهو من قولهم: «رأيت منك أسدًا» أي أنت أسد)، أو للابتداء على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح («﴿وذريتنا﴾») أبو عمر (وكوفي غير حفص) لإرادة الجنس (وغيرهم: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾) ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وإنما نكر لأجل تنكير القرّة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال: هَب لنا منهم سرورًا وفرحًا. وإنما قيل: ﴿أَعْيُنٍ﴾ على القلّة دون «عيون» لأن

عشرة ومائة، وقال يحيىٰ بن معين: سنة ثمان عشرة، وقال المدائني: سنة سبع عشرة وهو ابن ثلاث وستّين سنة، وقال الواقدي: ابن ثلاث وسبعين سنة، وفي تاريخ البخاري عن ابنه جعفر أنه توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة رحمه الله تعالى. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (الصَّمَم) بفتحتين. **قوله**: (العَمى) ذهاب البصر. اهـ مختار الصحح.

قوله: (وهو من قولهم: رأيت منك أسدًا، أي أنت أسد) فيه إشعار بأنّ من البيانية في كل موضع تجريدية؛ لقوله: وهو من قولهم رأيت منك أسدًا. **قوله**: («وذريتنا») بغير ألف بعد الياء على الإفراد أبو عمرو البصري (وكوفي غير حفص) أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف لإرادة الجنس (وغيرهم: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾) بألف

المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: الآية ١٣]. ويجوز أن يقال في تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾ إنها أعين خاصة وهي أعين المتّقين، والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجًا وأعقابًا عمّالًا لله تعالى يُسَرّون بمكانهم وتقرّ بهم عيونهم. وقيل: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مُطيعين لله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي أئمة يقتدون بنا في الدين **(فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللَّبْس)**، أو واجعل كل واحد منّا إمامًا. قيل: في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تُطلَب ويُرغَب فيها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ أي الغُرُفات وهي **(العلالي)** في الجنة فوحّد اقتصارًا على الواحد الدّالّ على الجنس دليلة قوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: الآية ٣٧]. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ **(أي بصبرهم)** على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفّار ومُجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ (﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ **كوفي غير حفص)** ﴿تَحِيَّةً﴾ دعاء بالتعمير ﴿وَسَلَٰمًا﴾ ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيّونهم ويسلّمون عليهم أو يحيّي بعضهم بعضًا ويسلّم عليه.

بعد الياء على الجمع بيانًا للمعنى. **قوله**: **(فاكتفى بالواحد)** مع أنه مفعول ثانٍ؛ لقوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا﴾، فينبغي أن يطابق المفعول الأوّل في الإفراد والجمع بأن يقال: واجعلنا أئمّة **(لدلالته على الجنس)** الشامل للقليل والكثير، **(ولعدم اللَّبْس)** أي الالتباس لكون المراد واحدًا للقرينة القائمة على إرادة الجمع.

قوله: **(العلالي)** في مختار الصحاح: العُلِّيّة[1] الغرفة، والجمع العَلَالِي. اهـ. **قوله**: **(أي بصبرهم)** على أن ما مصدريّة ولم يقيّد الصبر بالمتعلّق، بل أطلق ليتّسع في كل مصبور عليه. **قوله**: (﴿وَيُلْقَوْنَ﴾) بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف من لقي يلقى مبنيًا للفاعل معدًّى لواحد وهو ﴿تَحِيَّةً﴾ **(كوفي غير حفص)** أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بضمّ الياء وفتح اللام

---

(١) بالضم والكسر. اهـ قاموس. ١٢ منه رحمه الله.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿حَسُنَتْ﴾ أي الغرفة ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع قرار وإقامة وهي في مقابلة ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ «ما» متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي (لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو) لولا عبادتكم له أي أنه خلقكم لعبادته كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٦]. أي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم. أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، وهو كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٧]، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ رسولي يا أهل مكة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي ذا لزام أو مُلازمًا وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل، وقال (الضحاك): ما يعبأ ما يُبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلـهًا آخر.

وتشديد القاف من الرباعي مبنيًا للمفعول معدًى لاثنين أحدهما ناب عن الفاعل فارتفع وهو الواو والثاني ﴿تَحِيَّةً﴾.

قوله: (لولا دعاؤه إيَّاكم إلى الإسلام)، فالمصدر على هذا المضاف إلى المفعول، فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر. **قوله**: (الضحاك) بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني، صدوق كثير الإرسال مات بعد المائة رحمه الله. والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

تمّت سورة الفرقان والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

(سورة الشعراء)

(مكيّة إلاّ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ إلى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾

(﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾ ﴿طسٓ﴾، و﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ و﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ **مُمالة كوفي غير الأعشى والبرجمي وحفص، ويُظهِر النون عند الميم يزيد**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الشعراء مكية إلا ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ إلى آخر السورة، وهي مائتان وسبع وعشرون آية) وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله**: (﴿طسٓمٓ ﴿١﴾﴾، ﴿طسٓ﴾، و﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ و﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ **ممالة كوفي غير الأعشى**) هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال (والبرجمي) هو عبد الحميد بن صالح كلاهما عن أبي بكر شعبة عن عاصم، (وحفص) عن عاصم، أي قرأ أبو بكر برواية يحيىٰ بن آدم وحمزة والكسائي وخلف بإمالة فتحة طا ويا وحا وألفها؛ لأن فواتح السور ليست بحُروف، بل هي أسماء لما يتهجّى به، فجازت الإمالة فيها، وقرأ الباقون بتفخيم ألفها على الأصل. **قوله**: (**ويظهر النون عند الميم يزيد**) هو

وحمزة. وغيرهما يدغمها) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه، وصحّة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن، والمعنى آيات هذا المؤلَّف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المُبين.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ قاتل **(و«لعل» للإشفاق)** ﴿نَّفْسَكَ﴾ من الحزن **(يعني أشفق على نفسك)** أن تقتلها حسرة وحزنًا على ما فاتك من إسلام قومك ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ **(لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا)** ﴿إِن نَّشَأْ﴾ إيمانهم ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ دلالة واضحة ﴿فَظَلَّتْ﴾ أي فتظل لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل تقول: إن زرتني أكرمتك أي أُكرمك كذا، قاله **(الزجّاج)** ﴿أَعْنَٰقُهُمْ﴾ رؤساؤهم ومُقدِّموهم أو جماعاتهم يقال: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم ﴿لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ مُنقادين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت فينا وفي بني أمية فتكون لنا عليهم الدُّولَة فتذلّ لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هَوان بعد عِزَّة.

أبوجعفر المدني وليس من السبعة، **(وحمزة)** أي لم يدغماها في الميم لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع عمّا بعدها، فوجب إظهارها لأنها إنما تخفى متّصلة بحرفٍ من حروف الفم إذا لم تتصل بها لم يوجد شيء يوجب إخفاءها ظاهرًا **(وغيرهما يدغمها)** أي النون في الميم نظرًا إلى اتّصالها بحرف الشفة.

قوله: (ولعلّ للإشفاق) أي الخوف وهو تعالى منزّهٌ عن الخوف والمعنى أنه تعالى يأمره الإشفاق على نفسه، فلا يتحسّر لئلا تؤديه الحسرة إلى الهلاك، وهو قول المصنف **(يعني أشفق على نفسك)**. **قوله: (لئلا يؤمنوا)** يعني أن قوله: أن لا يؤمنوا في موضع النصب على أنه مفعول بحذف لام التعليل من أن كما هو المشهور. **قوله: (أو لامتناع إيمانهم)** إشارة إلى أن الكون بمعنى الصحة، فهو عطف تفسيري. **قوله: (أو خيفة أن لا يؤمنوا)** بحذف المضاف أو إقامة المضاف إليه مقامه. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾ أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرًا إلا جدَّدوا إعراضًا عنه وكُفْرًا به ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ محمدًا ﷺ فيما أتاهم به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ فسيعلمون ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ أخبار ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهذا وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسَّهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به ـ وهو القرآن ـ وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا﴾ ﴿كَمْ﴾ نصب بـ ﴿أَنۢبَتْنَا﴾ ﴿فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف من النبات ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود كثير المنفعة يأكل منه الناس والأنعام كالرجل الكريم الذي نفعه عامّ. وفائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والإحاطة أن كلمة ﴿كُلِّ﴾ تدل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل و﴿كَمْ﴾ تدل على أن هذا المحيط متكاثر مُفرِط الكثرة، وبه نبّه على كمال قدرته.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ أي إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن مُنبتها قادر على إحياء الموتى، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مُرجَى إيمانهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من الكفَرة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمَن آمن منهم. ووحَّد آية مع الإخبار بكثرتها لأن ذلك مُشار به إلى مصدر أنبتنا، أو المراد إن في كل واحد من تلك الأزواج لآية أي آية.

﴿وَإِذْ﴾ مفعول به أي اذكر إذ ﴿نَادَىٰ﴾ دعا ﴿رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ﴾ أن بمعنى أي ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر وبني إسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد (**سجل**) عليهم بالظلم، ثم عطف.

قوله: (**سجل**) بالتشديد أي قضى وحكم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ﴾ عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدًّى واحد ﴿قَوْمَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ أي ائتهم زاجرًا فقد آنَ لهم أن يتقوا، وهي كلمة حثٍّ وإغراء. ويحتمل أنه حال من الضمير في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأُدخِلت همزة الإنكار على الحال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ الخوف غمٌّ يلحق الإنسان لأمر سيقع ﴿أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم إيّاي مستأنف أو عطف على ﴿أَخَافُ﴾ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأن تغلبني الحَمِيَّة على ما أرى من المُحال وأسمع من الجدال (**وبنصبهما يعقوب**) عطفًا على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ فالخوف متعلق بهذه الثلاثة على هذا التقدير وبالتكذيب وحده بتقدير الرفع ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أي أرسل إليه جبريل واجعله نبيًّا يُعينني على الرسالة، وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبيًّا بالشام. ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفًا في الامتثال بل التماس عون في تبليغ الرسالة، وتمهيد العُذر في التماس المُعِين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر، وكفى بطلب العون دليلًا على التقبّل لا على التعلّل.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ (**أي تبِعة ذنب**) بقتل القبطي فحذف المضاف، (**أو سمّى تبِعة الذنب ذنبًا**) كما سمّى جزاء السيئة سيئة ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ أي يقتلوني به قصاصًا، وليس هذا تعلّلًا أيضًا بل استدفاع للبَليَّة المتوقعة، و(**فرِق**) من أن يقتل قبل أداء الرسالة ولذا وعده (**بالكلاءة**) والدفع بكلمة الردع.

قوله: (**وبنصبهما يعقوب**) وليس من السبعة، والباقون بالرفع.

قوله: (**أي تبعة ذنب**) التّبعة حقّ يجب للمظلوم قبل الظالم، يقال لي: قبل فلان تبعة، أي ظلامة وهي ما تطلبه عند الظالم. **قوله**: (**أو سمَى تبعة الذنب ذنبًا**) للمشاكلة. **قوله**: (فرِقٌ) أي خوف. **قوله**: (**بالكلاءة**) بالكسر والمدّ أي الحفظ.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾

وجمع له الاستجابتين معًا في قوله: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا﴾ لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الله الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه رسالة أخيه فأجابه بقوله: ﴿اذْهَبَا﴾ أي جعلته رسولًا معك فاذهبا. وعطف ﴿فَاذْهَبَا﴾ على الفعل الذي يدلّ عليه ﴿كَلَّا﴾ كأنه قيل: ارتدع يا موسى عمّا تظن فاذهب أنت وهارون ﴿بِآيَاتِنَا﴾ مع آياتنا وهي اليد والعصا وغير ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ أي معكما بالعون والنصرة ومع مَن أرسلتما إليه بالعلم والقدرة ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ خبر لـ «إن» و(﴿مَعَكُم﴾) لغو، أو هما خبران أي سامِعون، والاستماع في غير هذا الإصغاء للسَّماع يقال: استمع فلان إلى حديثه أي أصغى إليه ولا يجوز حمله هٰهنا على ذلك فحمل على السَّماع.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ لم يثنِ الرسول كما ثنى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: الآية ٤٧] لأن الرسول يكون بمعنى المُرسَل وبمعنى الرسالة فجعل ثَمَّة بمعنى الرُّسُل فلم يكن بُدٌّ من تثنيته، وجعل هنا بمعنى الرسالة فيستوي في الوصف به الواحد والتثنية والجمع، أو لأنهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد، أو أُريدان كل واحد منّا ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وفيه معنى القول ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يريد خلِّهم يذهبوا معنا إلى (فلسطين) وكان مسكنهما فأتيا بابه فلم يُؤذَن لهما سنة حتى قال البوّاب: إن هٰهنا إنسانًا يزعم أنه رسول ربّ العالمين فقال: ائذن له لعلنا نضحك منه. فأدّيا إليه الرسالة فعرف فرعون موسى.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

فعند ذلك ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ وإنما حذف فأتيا فرعون فقال اختصارًا. والوليد الصبي لقُرب عهده من الولادة أي ألم تكن صغيرًا فربَّيناك ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قيل: ثلاثين سنة.

قوله: (﴿مَعَكُم﴾) لغو أي متعلق بـ ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾.

قوله: (فلسطين) بكسر فاء وفتح لام.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعني قتل القبطي فعرض إذ كان ملكًا ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بنعمتي حيث قتلت خبّازي أو كنت على ديننا الذي تسمّيه كُفْرًا، وهذا افتراء منه عليه لأنه معصوم من الكفر وكان يُعايشهم بالتقية ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي إذ ذاك ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ الجاهلين بأنها تبلغ القتل والضّالّ عن الشيء هو الذاهب عن معرفته، أو الناسين من قوله: (﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾) [البقرة: الآية ٢٨٢] فدفع وصف الكفر عن نفسه وَوضع ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ موضع الكافرين و﴿إِذًا﴾ جواب وجزاء معًا، (**وهذا الكلام**) وقع جوابًا لفرعون وجزاء له لأن قول فرعون ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ معناه أنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى: نعم فعلتها مجازيًا لك تسليمًا لقوله لأن نعمته كانت (**جديرة**) بأن تُجازى بنحو ذلك الجزاء.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ إلى مدين ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل فرعون ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ [القصص: الآية ٢٠] (**الآية**). ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ نبوّة وعلمًا فزال عني الجهل والضلالة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ من جملة رسله ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ كرَّ على امتنانه عليه

قوله: (﴿أَن تَضِلَّ﴾) أي وتعدد النساء لأجل أن تضل تنسى (﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾) الشهادة لنقص عقلهنّ وضبطهن (﴿فَتُذَكِّرَ﴾) بالتخفيف والتشديد (﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾) الذاكرة (﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾) الناسية. **قوله**: (وهذا الكلام)... الخ. جواب سؤال، وهو أن يقال: إذن جواب وجزاء معًا، والكلام وقع جوابًا لفرعون، فكيف وقع جزاءً؟ لأن معنى الجزاء أن يكون مدخول إذن مما يصح أن يكون مسببًا عن فعل فرعون نحو قولك: إذن أكرمك، لمن قال: أنا آتيك، وذلك مفقودٌ هنا. **قوله**: (جديرة) أي لائقة.

قوله: (الآية) أي ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: الآية ٢٠].

بالتربية فأبطله من أصله وأبى أن تسمى نعمة لأنها نقمة حيث بيَّن أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته، ولو تركهم لرباه أبواه فكأن فرعون امتنَّ على موسى بتعبيد قومه وإخراجه من حِجْر أبويه إذا حقَّقت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدًا. ووحَّد الضمير في ﴿تَمُنُّهَا﴾ و﴿عَبَّدتَّ﴾ وجمع في ﴿مِنكُمْ﴾ و﴿خِفْتُكُمْ﴾ لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: الآية ٢٠]. وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد. و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى خصلة شنعاء مُبهَمَة لا يُدرَى ما هي إلا بتفسيرها، ومحل ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ الرفع عطف بيان لتلك أي تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها عليَّ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ أي إنك تدَّعي أنك رسول ربّ العالمين فما صفته لأنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول: ما زيد؟ تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب نصّ عليه صاحب الكشاف وغيره ﴿قَالَ﴾ موسى مُجيبًا له على وفق سؤاله ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي وما بين الجنسين ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلًا، أو إن كان يُرجَى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع. والإيقان العلم الذي يُستَفاد بالاستدلال ولذا لا يقال الله موقن.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ أي فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه وهم خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ معجبًا قومه من جوابه لأنهم يزعمون قِدمهما ويُنكِرون حُدوثهما وأن لهما رَبًّا فاحتاج موسى إلى أن يستدلّ بما شاهدوا حدوثه وفناءه فاستدلّ حيث ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ هو خالقكم وخالق آباؤكم فإن لم تستدلّوا بغيركم فبأنفسكم. وإنما قال: ﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾ لأن فرعون كان يدَّعي الربوبية على أهل عصره دون مَن تقدمهم.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ أي فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ حيث يزعم أن في الوجود إلـٰهًا غيري وكان فرعون ينكر إلـٰهيّة غيره ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم، وهذا غاية الإرشاد حيث عمّم أولًا بخلق السمٰوات والأرض وما بينهما، ثم خصّص من العامّ للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومَن وُلِد منه وما شاهد من أحواله من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، ثم خصّص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد (**الخافقين**) وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مُستَوٍ من أظهر ما استدلّ به، ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الرحمٰن عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود بن كنعان. وقيل: سأله فرعون عن الماهيّة جاهِلًا عن حقيقة سؤاله، فلما أجاب موسى بحقيقة الجواب وقع عنده أن موسى (**حاد**) عن الجواب حيث سأله عن الماهيّة وهو يُجيب عن ربوبيته وآثار صُنعه فقال مُعجبًا لهم من جواب موسى: ألا تستمعون؟ فعاد موسى إلى مثل قوله الأول فجننه فرعون زاعمًا أنه (**حائد**) عن الجواب، فعاد ثالثًا إلى مثل كلامه الأول مبيّنًا أن الفرد الحقيقي إنما يُعرَف بالصفات وأن السؤال عن الماهية مُحال وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إن كان لكم عقل علمكم أنه لا تمكن معرفته إلا بهذا الطريق، فلما تحيّر فرعون ولم يتهيأ له أن يدفع ظهور آثار صنعه.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى﴾ أي غيري إلـٰهًا ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ أي لأجعلنك واحدًا ممّن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ مَن يريد

قوله: (**الخافقين**) في مختار الصحاح: الخافقان أُفُق المشرق والمغرب؛ لأن اللّيل والنهار يخفقان[1] فيهما. اهـ. **قوله**: (**حاد**) أي مال وعدل. **قوله**: (**حائد**) أي مائل.

---

(١) عبارة القاموس: يختلفان مكان يخفقان. ١٢ منه رحمه الله.

سجنه فيطرحه في (هوَة) ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردًا لا يُبصِر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل. ولو قيل لأسجننَّك لم يؤدِّ هذا المعنى وإن كان أخصر ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي جائيًا بالمعجزة.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ﴾ بالذي يبيّن صدقك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أن لك بيِّنة وجواب الشرط مقدّر أي فأحضره ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء (المزوّرة بالشعوذة) والسحر. رُوِيَ أن العصا ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطَّت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول: يا موسى مُرْني بما شئت. ويقول فرعون: أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها، فأخذها فعادت عصا. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ فيه دليل على أن بياضها كان شيئًا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نوريًا. رُوِيَ أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده فقال لفرعون ما هذه؟ قال فرعون: يدك، فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسدّ الأفق.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ أي فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ هو منصوب نصبين نصب في اللفظ والعامل فيه ما يقدر في الظرف، ونصب في المحل وهو النصب على الحال من

قوله: (هوَة) أي حفرة.

قوله: (المزوّرة) في مختار الصحاح: التزوير تزيين الكذب، وزوّر الشيء تزويرًا حسّنه وقوَّمه. اهـ. **قوله**: (بالشعوذة) في المصباح: شعوذ الرجل شعوذة، ومنهم مَنْ يقول: شعبذ شعبذة، وهو بالذال معجمة، وليس من كلام أهل البادية وهي لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسِّحر. اهـ.

الملأ أي كائنين حوله والعامل فيه ﴿قَالَ﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بالسحر. ثم أغوى قومه على موسى بقوله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا﴾ منصوب لأنه مفعول به من قولك أمرتك الخير ﴿تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة، أو من الأمر الذي هو ضدّ النهي.

﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

لما تحيَّر فرعون برؤية الآيتين وزال عنه ذكر دعوى الإلٰهية وحطّ عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت **(فرائصه)** خوفًا **(طفق)** يؤامر قومه الذي هم بزعمه عبيده وهو إلٰههم، أو جعلهم آمرين ونفسه مأمورًا ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّر أمرهما **(ولا تباغت المباغتة)** قتلهما خوفًا من الفتنة ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ **(شُرَطا يحشرون)** السَّحَرَة وعارضوا قول فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بقولهم: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقّته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: الآية ٥٩]. والميقات ما وقّت به أي حدّد من زمان أو مكان **(ومنه مواقيت الإحرام)** ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله: **(فرائصه)** في مختار الصحاح: الفريصة لَحْمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة، وجمعها فَرِيصٌ وفرائص.اهـ. **قوله**: **(طفق)** أي جعل. **قوله**: **(ولا تباغت المباغتة)** المفاجأة. **قوله**: **(شرطا يحشرون)** إشارة إلى أن قوله: ﴿حَٰشِرِينَ﴾ صفة موصوف، وهو مفعول ﴿وَٱبْعَثْ﴾ وشرطًا بضمّ الشين وفتح الراء جمع شرط بفتح الراء وسكونها وهم أعوان الولاة، وقد يرد بمعنى خيار الجند، وليس بمناسب هنا، ويحشرون السَّحرة يجمعهم عندك.

قوله: **(ومنه مواقيت الإحرام)** يقال: هذا ميقات أهل الشام للموضع الذي يحرمون منه.

أي اجتمعوا (وهو استبطاء لهم) في الاجتماع والمراد منه استعجالهم ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ في دينهم ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَالِبِينَ﴾ أي غلبوا موسى في دينه وليس غرضهم اتّباع السَّحَرَة وإنما الغرض الكلي أن لا يتّبعوا موسى فساقوا الكلام مَساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا مُتّبعين لموسى.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ﴾ (وبكسر العين: علي)، وهما لغتان ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي قال فرعون نعم لكم أجر عندي وتكونون مع ذلك من المقرّبين عندي في المرتبة والجاه فتكونون أول مَن يدخل علي وآخر مَن يخرج. ولما كان قولهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفًا عليه دخلت ﴿إِذًا﴾ قارّة في مكانها الذي تقضيه من الجواب والجزاء ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ من السحر فسوف ترون عاقبته ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ﴾ سبعين ألف حبل ﴿وَعِصِيَّهُمْ﴾ سبعين ألف عصا. وقيل: كانت الحبال اثنين وسبعين ألفًا وكذا العصي ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ﴾ أقسموا بعزّته وقوّته وهو من أيمان الجاهلية.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم ويزوّرونه ويخيلون في حِبالهم وعصيِّهم أنها حَيّات تسعى ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ عبّر عن الخرور بالإلقاء بطريق المُشاكلة لأنه ذكر مع

قوله: (وهو استبطاء لهم) يعني أن الاستفهام هنا مجاز عن الحثّ والاستعجال، وهو المراد بالاستبطاء هنا.

قوله: (وبكسر العين) مع فتح النون. (علي) الكسائي، والباقون بالفتح.

الإلقاءات ولأنهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ عن (عكرمة) رضي الله عنه: أصبحوا سَحَرَة وأمْسوا شهداء ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ عطف بيان لـ ﴿رب العالمين﴾ لأن فرعون كان يدَّعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه. وقيل: إن فرعون لمّا سمع منهم ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: إيّاي عنيتم؟ قالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٩﴾

﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾ بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾ وقد تواطأتم على أمر ومَكْر ﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ﴾ وبال ما فعلتم. ثم صرَّح فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ من أجل خلاف ظهر منكم ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ كأنه أراد به ترهيب العامّة لئلا يتّبعوهم في الإيمان.

﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١﴾

﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ﴾ لا ضرر وخبر «لا» محذوف أي في ذلك أو علينا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ﴾ لأن كنا ﴿أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من أهل المشهد أو من رعية فرعون. أراد وإلا ضرر علينا في ذلك بل لنا أعظم النفع لِما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا، أو لا ضَير علينا فيما تتوعَّدنا به إنه لا بدَّ لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت، والقتل أهون أسبابه وأرجاها، أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب مَن يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لِما رزقنا من السَّبق إلى الإيمان.

قوله: (عكرمة) بن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعته مات سنة سبع ومائة، وقيل بعد ذلك رضي الله تعالى عنه.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ﴾ (ويوصل الهمزة: حجازي) ﴿بِعِبَادِيٓ﴾ بني إسرائيل سمّاهم عباده لإيمانهم بنبيِّه أي سِر بهم ليلًا وهذا بعد سنين من إيمان السَّحَرَة ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه علّل الأمر بالإسراء باتّباع فرعون وجنوده آثارهم يعني إني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتَّبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم من طريق البحر فأهلكهم. ورُوِيَ أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه. ورُوِيَ أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبح (الجداء) واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتًا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبْكار القبط، واخبزوا (خبزًا فطيرًا) فإنه أسرع لكم، ثم أسْرِ بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي جامعين للناس بعنف، فلما اجتمعوا قال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدَّال على القلّة، ثم جعلهم قليلًا بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلًا. واختار جمع السلامة الذي هو للقلَّة أو أراد بالقلّة الذلّة لا قلّة العدد أي أنهم لقلَّتهم لا يبالي بهم ولا تتوقع غلبتهم. وإنما استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا لكثرة مَن معه. فعن (الضحاك): كانوا سبعة آلاف ألف.

قوله: (ويوصل الهمزة) أي بكسر النون ووصل همزة ﴿أَسْرِ﴾ من سرى الثلاثي (حجازي) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكِّي، والباقون بإسكان النون وقطع همزة ﴿أَسْرِ﴾ وفتحها من أسرى الرباعي. **قوله**: (الجداء) في المصباح: الجدي، قال الأنباري: هو الذكر من أولاد المعز والأُنثى عناق، وقيّده بعضهم بكونه في السنة الأُولى والجمع أجْد وجِداء مثل دلو وأدْل ودِلاء. **قوله**: (خبزًا فطيرًا) الفطير خلاف العجين أي الذي لا يختمر.

قوله: (الضحاك) بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني صدوق مات بعد المائة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي أنهم يفعلون أفعالًا تغيظنا وتضيق صدورنا وهي خروجهم من مصرنا وحملهم حليّنا وقتلهم أبكارنا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ (حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ **شامي وكوفي وغيرهم** ﴿**حذرون**﴾) فالحذر الميقّظ والحاذر الذي يجدد حذره. وقيل: (**المؤدّى في السلاح**) وإنما يفعل ذلك حذرًا احتياطًا لنفسه يعني ونحن قوم من عادتنا التيقّظ (**والحذر**) واستعمال (**الحزم**) في الأمور، فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى (**حسم**) فساده، وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به العجز والفتور.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ وأنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ وأموال ظاهرة من الذهب والفضة وسمّاها كنوزًا لأنهم لا ينفقون منها في طاعة الله تعالى ﴿وَمَقَامٍ﴾ ومنزل ﴿كَرِيمٍ﴾ (**بهيّ بهيج**). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المنابر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتمل النصب على ﴿أخرجناهم﴾ مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا، والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عن

قوله: (﴿حَٰذِرُونَ﴾) بألف بعد الحاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**وغيرهم** «حذرون») بحذفها. **قوله**: (**المؤدى في السلاح**) بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل أي قوي من جهة الأداة والسلاح. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي حاشية العلّامة الشهاب رحمه الله: أي الداخل في عدّة الحرب كالدِّرع، فإن المؤدي بالهمز هو صاحب السلاح؛ لأنه صاحب أداة أي آلة، وآلة الحرب تسمّى حذرًا مجازًا، كما في قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: الآية ٧١]. **قوله**: (**والحذر**) بفتح الحاء والذال وبكسر فسكون وهو الاحتراز. **قوله**: (**الحزم**) في مختار الصحاح: الحَزْم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة. **قوله**: (**حسم**) أي قطع.

قوله: (بهيّ) أي حسن. قوله: (بهيج) أي حسن.

الحسن: لما عبروا النهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾) فلحقوهم (﴿**فاتبعوهم**﴾) يزيد ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ حال أي داخلين في وقت شروق الشمس وهو طلوعها أدرك قوم فرعون موسى وقومه وقت طلوع الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه والمراد بنو إسرائيل والقبط ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي قرب أي يلحقنا عدونا وأمام البحر ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ثقة بوعد الله إياه ﴿كَلَّآ﴾ ارتدعوا عن سوء الظن بالله فلن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِىَ﴾ (﴿مَعِىَ﴾ **حفص**) ﴿رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ أي سيهديني طريق النجاة من إدراكهم وادرارهم (﴿**سيهديني**﴾ **بالياء: يعقوب**).

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي القلزم أو النيل ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ أي فضرب فانفلق وانشق فصار اثني عشر فرقًا على عدد الأسباط ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي جزء تفرّق منه ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ كالجبل (**المنطاد**) في السماء ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾ حيث انفلق البحر ﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾ قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو من البحر ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ من الغرق.

قوله: (﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾) بقطع الهمزة من أتبعه بمعنى لحقه، قراءة العامة. **قوله**: («**فاتبعوهم**») بوصل الهمزة وتشديد التاء بمعنى اللّحاق. **قوله**: (**يزيد**) بن أحمد بن إسحٰق عن يعقوب وليس من السبعة، والباقون بقطع الهمزة وسكون التاء.

قوله: (﴿مَعِىَ﴾) بفتح الياء (**حفص**)، والباقون بالإسكان. **قوله**: («**سيهديني**» بالياء) في الحالين (**يعقوب**).

قوله: (**المنطاد**) في تاج العروس: (الانطياد الذهاب في الهواء صعدًا بضمّتين)، ومن ذلك قولهم: (بناء منطاد أي مرتفع) ذاهب في الهواء. اهـ.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۝٦٦﴾ فرعون وقومه، وفيه إبطال القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث فإنهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طوالعهم. رُوِيَ أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم. ويستقبل القبط فيقول: (رويدكم) يلحق آخركم بأولكم. فلما انتهى موسى إلى البحر قال يوشع لموسى: أين أمرت فهذا البحر أمامك وغشيك آل فرعون؟ قال موسى: هٰهنا. (فخاض يوشع الماء) وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا. ورُوِيَ أن موسى عليه الصلاة والسلام قال عند ذلك: يا مَن كان قبل كل شيء والمكوّن لكل شيء والكائن بعد كل شيء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما فعلنا بموسى وفرعون ﴿لَآيَةً﴾ لعبرة عجيبة لا توصف ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أي المغرقين ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ قالوا: لم يؤمن منهم إلا (آسية) و(حزقيل) مؤمن آل فرعون ومريم التي دلّت موسى على قبر يوسف ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ بالانتقام من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالإنعام على أوليائه.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على مشركي قريش ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ خبره ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ قوم إبراهيم أو قوم الأب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي أيّ شيء تعبدون؟ وإبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة الأصنام ولكنه سألهم ليُريهم أن ما يعبدونه ليس بمستحق للعبادة ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وجواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أصنامًا كـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾

قوله: (رويدكم) هذه الكاف التي ألحقت لتبيين المخاطب في رويد ولا موضع لها من الإعراب، أي أمهلوا وتأنّوا وارفقوا. **قوله**: **(فخاض يوشع الماء)** أي مشى فيه. **قوله**: (آسية) امرأة فرعون. **قوله**: (حزقيل) مؤمن آل فرعون كان اسم ذلك الرجل حزقيل، قيل: عند ابن عباس وأكثر العلماء. وقال ابن إسحٰق: كان اسمه جبريل، وقيل: حبيب. اهـ خازن. وقال في مبهمات القرآن: الأصح أن اسمه شمعان بفتح الشين المعجمة بوزن سلمان.

﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٩]، ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: الآية ٢٣] لأنه سؤال عن المعبود لا عن العبادة. وإنما زادوا ﴿نَعْبُدُ﴾ في الجواب افتخارًا ومُباهاة بعبادتها ولذا عطفوا على ﴿نَعْبُدُ﴾ ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ فنُقيم على عبادتها طول النهار. وإنما قالوا: ﴿فَنَظَلُّ﴾ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل أو معناه الدوام ﴿قَالَ﴾ أي إبراهيم ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف لدلالة ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ عليه.

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموها ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إن تركتم عبادتها ﴿قَالُواْ بَلْ﴾ إضراب أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضرّ ولا نعبدها لشيء من ذلك ولكن ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فقلدناهم ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ الأولون ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ العدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتهم لكانوا أعداء لي في يوم القيامة كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: الآية ٨٢]، وقال الفراء: هو من المقلوب أي فإني عدوهم. وفي قوله: ﴿عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ دون «لكم» زيادة نصح ليكون أدعى بهم إلى القبول، ولو قال: «فإنهم عدو لكم» لم يكن بتلك (المثابة) ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنه قال: لكن ربّ العالمين.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ بالتكوين في القرار المكين ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ لمناهج الدنيا ولمصالح الدين والاستقبال في يهديني مع سبق العناية لأنه يحتمل يهديني للأهم الأفضل والأتم الأكمل، أو الذي خلقني لأسباب خدمته فهو يهديني إلى آداب

قوله: (المثابة) أي المنزلة والمرتبة كما أفاده مولانا مصطفى بن شمس الدين الأختري عليه رحمة الله الباري.

خلته ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾ أضاف الإطعام إلى وليّ الإنعام لأن الركون إلى الأسباب عادة الأنعام ﴿وَيَسْقِينِ﴾ قال ابن عطاء: هو الذي يحييني بطعامه ويرويني بشرابه ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ وإنما لم يقل أمرضني لأنه قصد الذكر بلسان الشكر فلم يضف إليه ما يقتضي الضرّ. قال ابن عطاء: وإذا مرضت برؤية الخلق ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ بمشاهدة الحق. قال (الصادق): إذا مرضت برؤية الأفعال فهو يشفين بكشف مِنّة الإفضال.

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ ولم يقل إذا متّ لأنه الخروج من حبس البلاء ودار الفناء إلى روض البقاء لوعد اللقاء. وأدخل «ثم» في الإحياء لتراخيه عن الإفناء، وأدخل الفاء في الهداية والشفاء لأنهما يعقبان الخلق والمرض لا معًا معًا. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ طمع العبيد في الموالي بالإفضال لا على الاستحقاق بالسؤال ﴿أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ قيل: هو قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: الآية ٨٩]، ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٣]، ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: الآية ٧٦] (للبازغ) هي أُختي لسارة، وما هي إلا (معاريض) جائزة وليست بخطايا يُطلَب لها الاستغفار، واستغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم وتعليم للأُمم في طلب المغفرة ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء.

قوله: (الصادق) هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني الصادق، روى عن أبيه والقاسم بن محمد ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم، روى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطّان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته، قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين، قال البخاري في تاريخه: وُلِد جعفر سنة ثمانين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

قوله: (للبازغ) أي الطالع. **قوله:** (معاريض) أي تورية قصد بها خلاف الظاهر، كما قيل: إن في المعارضِ لمندوحة عن الكذب.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ حكمة أو حكمًا بين الناس بالحق أو نبوّة لأن النبي عليه السلام ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي الأنبياء ولقد أجابه حيث قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي ثناءً حسنًا وذكرًا جميلًا في الأمم التي تجيء بعدي فأُعطي ذلك فكل أهل دين يتولَّونه ويثنون عليه، ووضع اللسان موضع القول لأن القول يكون به.

﴿وَاجْعَلْنِي مِن﴾ يتعلق بمحذوف أي وارثًا من ﴿وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي من الباقين فيها ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام وكان وعده الإسلام يوم فارقه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الكافرين.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ الإخزاء من الخزي وهو الهوان أو من (**الخزاية**) وهو الحياء وهذا نحو الاستغفار كما بيَّنَّا ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير فيه للعباد لأنه معلوم، أو للضالِّين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه أي ولا تُخزني في يوم يبعث الضالّون وأبي فيهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ﴾ هو بدل من يوم الأول ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ (أحدًا) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ عن الكفر والنِّفاق فقلب الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: الآية ١٠] أي إن المال إذا صُرِف في وجوه البر وبنوه صالحون فإنه ينتفع به ويهم سليم القلب، أو جعل المال والبنون في معنى الغنى كأنه قيل: يوم لا ينفع غِنًى إلا غِنى مَن أتى الله بقلب سليم لأن غِنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غِناه في دنياه بماله وبَنيه. وقد جعل ﴿مَنْ﴾ مفعولًا لـ ﴿يَنفَعُ﴾ أي لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلًا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلَّمهم الشرائع. ويجوز على هذا إلا مَن أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين. وقد صوَّب الجليل استثناء

قوله: (الخزاية) بفتح الخاء مصدر. قوله: (أحدًا) على أن يكون مفعول لا ينفع محذوفًا وهو قوله: أحدًا، وتكون من نكرة موصوفة في محل النصب على

الخليل إكرامًا له ثم جعله صفة له في قوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: الآيتان ٨٣، ٨٤] **(وما أحسن ما رتّب عليه السلام)** كلامه مع المشركين حيث سألهم أولًا عمّا يعبدون سؤال مقرّر لا مُستفهم، ثم أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضرّ ولا تنفع ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلًا عن أن يكون حجة، ثم صوَّر المسألة في نفسه دونهم حتى تخلَّص منها إلى ذكر الله تعالى فعَظَّم شأنه وعدَّد نعمته من حين إنشائه إلى وقت وفاته مع ما يرجّي في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين وابتهل إليه ابتهال الأوّابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنّي الكرَّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي قرّبت عطف جملة على جملة أي تزلف من موقف السعداء فينظرون إليها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أي أظهرت حتى يكاد يأخذهم لهبها ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ للكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يوبَّخون على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرهم لكم، أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ أنكسوا وطرح بعضهم على بعض ﴿فِيهَآ﴾ في الجحيم ﴿هُمْ﴾ أي الآلهة ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ وعبدتهم الذين برزت لهم. والكبكبة **(تكرير الكبّ)** جعل التكرير في اللفظ دليلًا

أنها بدل من المفعول المحذوف، أو على الاستثناء المتّصل منه. **قوله**: **(وما أحسن)** تعجّب (ما رتب) إبراهيم **(عليه السلام)**.

قوله: **(تكرير الكبّ)** أي تكرير عينه بنقله إلى باب التفعيل لتكثير الفعل والكبّ الطرح والإلقاء منكوسًا، يقال: كببت الإناءَ أكبّه كبًّا إذا قلبته، فأصل كبكبوا كببوا، فاستثقل اجتماع الباءات فأبدلت الثانية كافًا، كما في زحزح من زحه يزحه أي نحّاه عن موضعه، ثم نقل إلى باب التفعيل لتكثير الفعل، قيل: زححه فأبدلت الحاء الثانية زايًا فقيل: زحزحه، أي باعده جعل التكرير في لفظ كبكب دليلًا على

على التكرير في المعنى كأنه إذا أُلقي في جهنم ينكبّ مرة (إثر) مرّة حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ شياطينه أو مُتّبعوه من عُصاة الإنس والجن ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصحّ التقاول والتخاصم، ويجوز أن يجري ذلك بين العُصاة والشياطين ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ نعدلكم أيها الأصنام ﴿بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في العبادة ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي رؤساؤهم الذين أضلّوهم أو إبليس وجنوده ومَن سَنَّ الشِّرك.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ كما للمؤمنين من الأنبياء والأولياء والملائكة ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ كما نرى لهم أصدقاء إذ لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: الآية ٦٧]، أو ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ١٠٠، ١٠١] من الذين كنّا نعدّهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس. والحميم ـ من الاحتمام وهو الاهتمام ـ الذي يهمّه ما يهمّك، أو من الحامَّة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص. وجمع الشافع ووحّد الصديق لكثرة الشُّفَعاء في العادة، وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمّه ما أهمّك فقليل. وسُئِل حكيم عن الصديق فقال: اسم لا معنى له. وجاز أن يُراد بالصديق الجمع ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (وجواب «لو» محذوف) وهو لفعلنا كيت

التكرير في معناه، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكبّ مرة بعد أخرى حتى يبلغ قعرها.
قوله: (إثر) بكسر الهمزة وسكون الثاء وبالتحريك، والثاني أفصح بمعنى بعد.

قوله: (وجواب «لو» محذوف) وعلى هذا يكون نصب قوله: فتكون بأن مضمرة عطفًا على كرة.

وكيت، أو لو في مثل هذا بمعنى التمنِّي كأنه قيل: فليت لنا كرَّة. (لما بين معنى «لو» و«ليت» من التلاقي) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكر من الأنباء ﴿لَآيَةً﴾ أي لعبرة لمَن اعتبر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فيه أن فريقًا منهم آمنوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المُنتَقِم ممَّن كذب إبراهيم بنار الجحيم ﴿الرَّحِيمُ﴾ المسلم كل ذي قلب سليم إلى جنة النعيم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ القوم يُذَكَّر ويؤنَّث. قيل: ولد نوح في زمن آدم عيه السلام (ونظير قوله ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ والمراد نوح عليه السلام قولك): «فلان يركب الدواب ويلبس البرود» وما له إلا دابَّة أو (بُرْد)، أو كانوا يُنكِرون بعث الرُّسُل أصلًا فلذا جمع، أو لأن مَن كذب واحدًا منهم فقد كذب الكل لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرُّسُل وكذا جميع ما في هذه السورة ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نسبًا لا دينًا ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ خالق الأنام فتتركوا عبادة الأصنام ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ كان مشهورًا بالأمانة فيهم كمحمد عليه الصلاة والسلام في قريش ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأدعوكم إليه من الحق. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على هذا الأمر ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جزاء (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ بالفتح مدني وشامي

قوله: (لما بين معنى لو وليت من التلاقي) في معنى التقدير أي تقدير المعدوم وفرضه، فإن معنى ليت لي مالًا تقدير المعدوم كما أن المعنى في قولك: لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم إلّا أنه في التمني مقرون بالطلب، وفي لو ليس كذلك، ويدلّ على أن كلمة لو هنا للتمنّي أنه نصب جوابه مع الفاء.

قوله: (ونظير قوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ والمراد نوح عليه السلام قولك)... الخ. يعني أنه للجنس، فهو يتناول الواحد. **قوله:** (بُرْد) بالضم من الثياب جمعه بُرُود وأبْراد. **قوله:** (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ بالفتح) أي بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر

وأبو عمرو وحفص) ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلذلك أُريده ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرره ليقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلّة، فعلّة الأول كونه أمينًا فيهما بينهم، وعلّة الثاني **(حسم)** طمعه منهم كأنه قال: إذا عرفتم رسالتي وأمانتي فاتقوا الله، ثم إذا عرفتم احترازي من الأجْر فاتقوا الله.

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ﴾ الواو للحال و«قد» مضمرة بعدها دليله **(قراءة يعقوب ﴿وأتباعك﴾)** جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ السِّفلة والرذالة الخسّة والدناءة. وإنما استرذلوهم **(لاتّضاع)** نسبهم وقلّة نصيبهم من الدنيا. وقيل: كانوا من أهل الصناعات الدنيئة والصناعة **(لا تزرى)** بالديانة فالغنى غِنى الدِّين والنسب نسب التقوى، ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلًا وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسبًا وما زالت أتباع الأنبياء كذلك ﴿قَالَ (وَمَا عِلْمِى)﴾ وأيّ شيء أعلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الصناعات إنما أطلب منهم الإيمان. وقيل: إنهم طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وقالوا: إن الذين آمنوا بك ليس في قلوبهم ما يُظهرونه فقال: ما عليَّ إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن السرائر.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ (لَوْ تَشْعُرُونَ) ﴿١١٣﴾﴾ أن الله يحاسبهم على ما في قلوبهم ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ أي ليس من شأني أن أتبع شهواتكم بطرد المؤمنين طمعًا في إيمانكم.

الشامي، **(وأبو عمرو)** البصري، **(وحفص)**، والباقون بالإسكان. **قوله: (حسم)** أي قطع.

قوله: (قراءة يعقوب) وليس من السبعة (**«وأتباعك»**) بقطع الهمزة وسكون التاء وبألف بعد الباء ورفع العين، والباقون بوصل الهمزة مع تشديد التاء وفتح العين بلا ألف فعلًا ماضيًا. **قوله: (لاتّضاع)** أي انحطاط. **قوله: (لا تزري)** أي لا تُعابُ. **قوله:** (﴿وَمَا عِلْمِى﴾) ﴿ما﴾ فيه استفهامية في محل الرفع على الابتداء، و﴿علمي﴾ خبره والباء متعلقة بعلمي.

قوله: (﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾). . . الخ. ما عيّرتموهم بصنعائهم.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ ما عليَّ إلّا أن أُنذركم إنذارًا بيِّنًا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ﴾ عمّا تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ من المقتولين بالحجارة ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ ليس هذا إخبارًا بالتكذيب لعلمه أن عالِم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أنهم كذبوني في وحيك ورسالتك ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي فاحكم بيني وبينهم حكمًا، (**والفتاحة الحكومة**) والفتّاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سُمِّي فيصلًا لأنه يفصل بين الخصومات ﴿وَنَجِّنِى (وَمَن مَّعِىَ)﴾ ﴿مَعِىَ﴾ (حفص) ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من عذاب عملهم.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى (ٱلْفُلْكِ)﴾ الفُلْك السفينة وجمعه فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾ (**المملوء من البشر**) ومنه شحنة البلد أي الذي يملؤه كفاية ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بعد إنجاء نوح ومَن آمن ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنتقم بإهانة مَن جحد وأصر ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المنعم بإعانة مَن وحَّد وأقرّ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ هي قبيلة وفي الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة.

قوله: (والفتاحة) بالكسر والضمّ (الحكومة) يقال: ما أحسن فتاحته، أي حكومته. اهـ تاج العروس. **قوله**: (﴿وَمَن مَّعِىَ﴾) بفتح ياء معي (حفص) وورش، والباقون بالإسكان.

قوله: (﴿ٱلْفُلْكِ﴾) في المصباح: الفلك مثال قفل السفينة يكون واحدًا فيذكّر وجمعًا فيؤنّث. اهـ. **قوله**: (المملوء من البشر) وجميع الحيوانات.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تكذيب الرسول الأمين ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿آيَةً﴾ برج حمام أو بناء يكون لارتفاعه كالعلامة يسخرون بمَن مرَّ بهم ﴿تَعْبَثُونَ﴾ تلعبون ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ (مآخذ الماء) أو قصورًا مشيدة أو حصونًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلود في الدنيا ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ أخذتم أحدًا بعقوبة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قتلًا بالسيف وضربًا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في البطش ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ من النِّعَم. ثم عدَّدها عليهم فقال: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ قرن البنين بالأنعام لأنهم يُعينونهم على حفظها والقيام عليها ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ إن عصيتموني ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أي لا نقبل كلامك ودعوتك وعظت أم سكت. ولم يقل أم لم تعظ لرؤوس الآي ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت واتخاذ الابتناء إلا عادة الأولين، أو ما نحن عليه دين الأولين. (﴿إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ مكي وبصري ويزيد

قوله: (مآخذ الماء) يعني الحياض.

قوله: (﴿إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾) بفتح الخاء وإسكان اللام (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، (ويزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع

وعليّ) أي ما جئت به اختلاق الأولين وكذب المتنبئين قبلك كقولك أساطير الأولين، **(أو خلقنا كخلق الأولين نموت ونحيا)** كما حيوا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ في الدنيا ولا بعث ولا حساب.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٤٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ۝١٤٦ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي هودًا ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ **(بريح صرصر عاتية)**. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٤٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٥ أَتُتْرَكُونَ﴾ إنكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم لا يزالون عنه ﴿فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ﴿ءَامِنِينَ﴾ من العذاب والزوال والموت. ثم فسّره بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وهذا أيضًا إجمال ثم تفصيل ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾ وعطف ﴿وَنَخْلٍ﴾ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ مع أن الجنة تتناول النخل أول شيء تفضيلًا للنخل على سائر الشجر ﴿طَلْعُهَا﴾ هو ما يخرج من النخل **(كنصل السيف)** ﴿هَضِيمٌ﴾ لين نضيج كأنه قال: ونخل قد أرطب ثمره.

المدني وليس من السبعة، **(وعليّ)** الكسائي، والباقون بضم الخاء واللام. **قوله: (أو خلقنا كخلق الأوّلين نموتُ ونَحْيا)** أي نموت كما ماتوا ونَحْيا كما حَيُوا، وعبارة الكشاف: ونَحْيا كما حَيُوا ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب.

قوله: (﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾) شديد الصوت من الصرّ ـ بفتح الصاد ـ الصَّيحة، وقيل: باردة من الصرّ ـ بالكسر ـ البرد (﴿عَاتِيَةٍ﴾) قوية شديدة على عادٍ مع قوّتهم وشدّتهم. **قوله: (كنصل السيف)** أي طلوعًا مشابهًا له في الهيئة، في لسان العرب: نصل السيف حدّ يده. اهـ.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ تنقبون ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ (﴿فَٰرِهِينَ﴾ **شامي وكوفي حاذقين حال وغيرهم** ﴿فرهين﴾) أشرين، و**(الفراهة الكيس والنشاط)** ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾ الكافرين أو التسعة الذين عقروا الناقة جعل الأمر مطاعًا **(على المجاز الحكمي)** والمراد الآمر وهو كل جملة أخرجت الحكم المُفاد بها عن موضوعه في العقل **(لضرب من التأوّل)** كقولهم: «أنبت الربيع البقل» ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظلم والكفر ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالإيمان والعدل والمعنى أن فسادهم

قوله: (﴿فَٰرِهِينَ﴾) بألف بعد الفاء **(شامي)** أي ابن عامر الشامي **(وكوفي)** أي عاصم وحمزة الكسائي وخلف، أي **(حاذقين حال، وغيرهم** «فرهين») بغير ألف صفة مشبّهة بمعنى أشِرين. **قوله**: **(الفراهة)** بالفتح **(الكيس)** وزان فلس الظُّرف والفطنة، وقال ابن الأعرابي: العقل **(والنشاط)** بالفتح. **قوله**: **(على المجاز الحكمي)** أي المنسوب إلى حكم العقل أو الحكم الذي هو أشرف أفراده وأغلب أو إلى النسبة بأن يراد بالحكم مُطلق النسبة، ويسمّى مجازًا عقليًا ومجازًا في الإثبات وإسنادًا مجازيًا. **قوله**: **(لضرب من التأوّل)** ومعنى التأوّل تطلب ما يؤول الإسناد المجازي إليه من الحقيقة، أو تطلب (الموضع) أي المعنى المناسب الذي يؤول الإسناد المجازي إليه من جهة العقل.

اعلم أن المجاز العقلي تارة يكون له حقيقة، أي فاعل يكون الإسناد له حقيقة، نحو: أنبت الربيع البقل، فإن حقيقته أنبت الله البقل، وتارة لا يكون له حقيقة، أي فاعل حقيقي، نحو: أقدمني بلدك حقّ لي على فلان، فالإقدام ليس له فاعل حقيقي يكون الإسناد له حقيقة؛ إذ هو أمر اعتباري بخلاف قدم اللازم، فإن له فاعلًا حقيقيًا؛ لأن القدوم أمرٌ موجود، فلا بدّ له من موجد تقول: قدمت بلدك لأجل حق لي على فلان، وتوضيح ذلك أن المجازي الذي لا حقيقة له كما في أقدمني بلدك حقٌ لي على فلان إذا سمعت النفس ذلك لا ترضى بالإسناد لكون الحقّ ليس فاعلًا للإقدام؛ لأنه أمرٌ متوهّم لا فاعل له، فتطلب النفس الحقيقة، فيلاحظ العقل أن القدوم أصل للإقدام، وأن الأصل قدمت لحقّ لي على فلان، وإن لم يكن ذلك ثابتًا في الواقع، فالإقدام له محل من جهة العقل، وهو القدوم.

(مُصْمَت) ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المُفسدين مخلوطة ببعض الصلاح.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ **(المسحر الذي سحر كثيرًا)** حتى غلب على عقله. وقيل: هو من السحر الرئة **(وإنه بشر)** ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ في دعوى الرسالة ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾ نصيب من الماء فلا تزاحموها فيه ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ لا تزاحمكم هي فيه، رُوِيَ أنهم قالوا: نريد **(ناقة عشراء)** تخرج من هذه الصخرة فتلد **(سقبًا)**، فجعل صالح يتفكّر فقال له جبريل: صَلِّ ركعتين واسأل ربك الناقة، ففعل فخرجت الناقة ونتجت سقبًا مثلها في العظم وصدرها ستون ذراعًا، وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، وإذا كان يوم شربهم لا تشرب فيه الماء، وهذا دليل على جواز **(المهايأة)** لأن قولهم: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ من المهايأة.

قوله: **(مُصْمَت)** كمكْرَم.

قوله: **(المسحر الذي سحر كثيرًا)** على أن يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرّة بعد أخرى، وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للنسبة إلى السحر بفتح السين وضمّها وسكون الحاء. **قوله**: **(وإنه بشر)** عطف تفسيري؛ لأن السِّحر كناية عن أنه بشر. **قوله**: **(ناقة عشراء)** في المصباح: عشرت الناقة بالتثقيل فهي عشراء أتى على حملها عشرة أشهر، والجمع عشار ومثله نفساء ونفاس ولا ثالث لهما. اهـ.

قوله: **(سقبًا)** في لسان العرب: السَّقْب ولد الناقة، وقيل: الذكر من ولد الناقة بالسين لا غير، وقيل: هو سَقْب ساعة تضعه. قال الأصمعي: إذا وضعت الناقة ولدها فولدَها ساعة تضعه سَلِيل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى، فإذا علم فإنْ كان ذكرًا فهو سَقْبٌ، أُمّه مُسْقِب. اهـ. **قوله**: **(المهايأة)** في المصباح: تهايأ القوم تهايؤوا من الهيئة جعلوا لكل واحد هيئة معلومة، والمراد النوبة وما يأته مهايأة، وقد تُبدل للتخفيف يقال: هاييته مهاياة. اهـ.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ بضرب (أو عقر) أو غير ذلك ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ (**عظم اليوم لحلول العذاب فيه**) ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب، لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها (**قدار**) ولكنهم راضون به فأُضيف إليهم، رُوِيَ أن عاقِرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في (**خدرها**) فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ على عقرها خوفًا من نزول العذاب بهم لا ندم توبة أو ندموا حين لا ينفع الندم وذلك عند مُعاينة العذاب أو على ترك الولد ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ المقدَّم ذكره. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أراد بالعالمين الناس، أتطؤون الذُّكور

قوله: (**أو عقر**) في المصباح: عقره عقرًا من باب ضرب جرحه وعقر البعير بالسيف عقرًا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر في غير القوائم، وربما قيل: عقره إذا نحره، فهو عقير وجمال عقرى. اهـ. **قوله**: (**عظم اليوم**) بصيغة الماضي من التفعيل أي نسب إليه العظم بوصفه به أو هو مصدر بكسر العين وفتح الظاء مبتدأ خبره (**لحلول العذاب فيه**). **قوله**: (**قدار**) بضم القاف وبالذال المعجمة أصح. **قوله**: (**خدرها**) في المصباح: الخدر هو الستر، والجمع خدور، ويُطلق الخدر على البيت إنْ كان فيه امرأة وإلّا فلا. اهـ.

من الناس مع كثرة الإناث، (**أو أتطؤون أنتم من بين مَن عداكم من العالمين الذكران**) أي أنتم مختصّون بهذه الفاحشة والعالمين على هذا كل ما (**ينكح**) من الحيوان ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ﴾ «من» تبيين لما خلق، أو تبعيض والمراد بما خلق العضو المُباح منهنّ وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم، وفيه دليل على تحريم أدبار الزوجات والمملوكات ومَن أجازه فقد أخطأ خطأً عظيمًا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ العادي المتعدّي في ظلمه المتجاوز فيه الحدّ أي بل أنتم قوم أحقّ بأن توصفوا (**بالعدوان**) حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا وتقبيح أمرنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ من جملة مَن أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلدنا، (**ولعلهم كانوا يُخرِجون مَن أخرجوه على أسوأ حال**) ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم

قوله: (**أو أتطؤون أنتم من بين مَنْ عداكم مِنَ العالمين الذكران**) فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالًا من فاعل، ﴿أَتَأْتُونَ﴾ أنكر عليهم تفرّدهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين أي الناكحين، وعلى الأوّل يكون حالًا من الذكران أنكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة العالمين مع كثرة الإناث فيهم. **قوله**: (**ينكح**) أي يطأ. **قوله**: (**بالعدوان**) أي الظلم.

قوله: (**ولعلهم كانوا يخرجون مَنْ أخرجوه على أسوأ حال**) يعني أنهم لم يقولوا: لنخرجنك، بل قالوا: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، بلام العهد للمبالغة في الوعيد، والإشارة إلى أنهم يفعلون به من الإخراج على الحالة السيّئة ما فعلوه بغيره، ولمّا جاز مع هذا الاحتمال أن تكون اللام لجنس المُخرجين، فتكون إشارة إلى أنهم أخرجوا كثيرًا من الناس وهم قادرون على إخراجه أيضًا، قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولعلّهم بطريق الاحتمال لغيره، وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون قوله: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٩]. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وفي حاشية تفسير البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب قوله: ولعلهم كانوا يخرجون... الخ. كأخذ أمواله، وإنما ذكر هذا لأن الإخراج من بين أظهر القوم

﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ ١٦٨﴾ هو أبلغ من أن يقول قال، فقول: «فلان من العلماء» أبلغ من قولك: «فلان عالِم» لأنك تشهد بأنه (**مُساهِم لهم في العلم**). والقلى البغض يقلي الفؤاد والكبد، وفيه دليل على عظم المعصية لأن قلاه من حيث الدين ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٦٩﴾ من عقوبة عملهم ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٧٠﴾ يعني بناته ومَن آمن معه ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأة لوط وكانت راضية بذلك والراضي بالمعصية في حكم العاصي، واستثناء الكافرة من الأهل وهم مؤمنون للاشتراك في هذا الاسم وإن لم تشاركهم في الإيمان ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ صفة لها في الباقين في العذاب فلم تنجُ منه، (**والغابر**) في اللغة الباقي كأنه قيل: إلا عجوزًا غابرة أي مقدَّرًا غُبورها إذ الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ١٧٢ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ١٧٣﴾

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ١٧٢﴾ والمراد بتدميرهم (**الائتفاك**) بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ عن (**قتادة**): أمطر الله (**على شذاذ القوم**) حجارة من السماء فأهلكهم الله.

الظالمين لا يصلح للتهديد به فتعريف المخرجين للعهد كما مرّ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٩]، ولذا عدل عن لنخرجنك بالأخصر إليه. اهـ.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾) متعلق بمحذوف، أي لقال من القالين ومبغض من المبغضين، وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله: إني و﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١٦٨] صفته، وقوله: ﴿لِعَمَلِكُم﴾ متعلق بالخبر المحذوف، ولو جعل قوله: ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ خبر إني لعمل القالين في عملكم، فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول، قال أبو البقاء: أي لقال ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ فمن صفة للخبر متعلقة بمحذوف، واللام متعلقة بالخبر المحذوف، وبهذا يتخلّص من تقديم الصلة؛ إذ لو جعلت ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ الخبر لأعملته في ﴿لِعَمَلِكُم﴾. **قوله**: (**مُساهم لهم في العلم**) أي مشارك بخطّ العلم. **قوله**: (**والغابر**) في اللغة: الباقي، في مختار الصحاح: غبر الشيء بقي وغبر أيضًا مضى، وهو من الأضداد وبابه دخل. اهـ.

قوله: (**الائتفاك**) يقال: ائتفكت البلاد بأهلها إذا انقلبت ملتبسة بهم، والمؤتفكات البلاد التي قلبها الله على قوم لوط، سُمِّيت مؤتكفات لكونها منقلبات ملتبسة بأهلها. **قوله**: (**قتادة**) البصري التابعي رحمه الله. **قوله**: (**على شذاذ القوم**)

وقيل: لم يرضَ بالائتفاك حتى أتبعه مطرًا من حجارة ﴿فَسَآءَ﴾ فاعله ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ والمخصوص بالذمّ وهو مطرهم محذوف ولم يرد بالمنذرين قومًا بأعيانهم بل المراد جنس الكافرين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ (﴿أَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ﴾ **بالهمزة والجر هي غيضة تنبت ناعم الشجر عن الخليل**

بمعجمات بوزن جهّال جمع شاذّ، وهو من انفرد عنهم في الطريق أو مَنْ كان غريبًا من غير قبائلهم.

قوله: (﴿أَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ﴾ **بالهمزة والجرّ**) أي بهمزة وصل وسكون اللام وبعدها همزة مفتوحة وبكسر التاء (**هي غيضة**) بغين وضاد معجمة هي مكان كثير الأشجار (**تنبت ناعم الشجر**) ليِّنه ما كان أخضر غير الشوك أو غير كثير الشوك؛ إذ الناعم الأملس.

قوله: (**عن الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، ويقال: الفرهودي الأزدي اليحمديّ، كان إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العَرُوض وأخرجه إلى الوجود، وأخبار الخليل كثيرة، وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويقال: إن أباه أحمد أوّل من سُمِّي بأحمد بعد رسول الله ﷺ، وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة، وتوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة، وقيل: عاش أربعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. والفراهيديّ بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثنّاة من تحتها وبعدها دال مهملة، هذه النسبة إلى فراهيد وهي بطن من الأزد، والفرهوديّ واحدها، والفرهود ولد الأسد بلغة أزد شنوءة، وقيل: إن الفراهيد صغار الغنم. واليحمدي: بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة نسبة إلى يحمد، وهو أيضًا بطن من الأزد خرج منه خلقٌ كثير، ويُحكى أن الخليل كان ينشد كثيرًا هذا البيت، وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

﴿ليكة﴾ **حجازي وشامي**) وكذا في «صٓ» علم لبلد. قيل: أصحاب الأيكة هم أهل مَديَن التجؤوا إلى غيضة إذ (ألحّ) عليهم (الوهج). والأصح أنهم غيرهم نزلوا غيضة بعينها بالبادية وأكثر شجرهم (المقل) بدليل أنه لم يقل هنا «أخوهم شعيب» لأنه لم يكن من نسبهم بل كان من نسب أهل مَدين ففي الحديث أن شعيبًا أخا مَدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾ أتمّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ولا تنقصوا الناس حقوقهم فالكيل وافٍ وهو مأمور به، وطفيف وهو منهيٌّ عنه، وزائد وهو مسكوت عنه، فتركه دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعل فلا شيء عليه ﴿وَزِنُوا (بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ **وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر**) وهو الميزان (**أو القبان**)، فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي.

قوله: («ليكة») بلام مفتوحة بلا ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها وفتح تاء التأنيث غير منصرفة للعلمية والتأنيث كطلحة مضاف إليه لأصحاب (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكّي، (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي. **قوله**: (**ألح**) أي اشتدّ. **قوله**: (الوَهَج) بفتحتين حرّ النار.اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**المقل**) بالضم هو من شجر البادية يشبه صغار النخل.

قوله: (﴿بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ **وبكسر القاف كوفي غير أبي بكر**) أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون الضمّ لغتان. **قوله**: (**أو القبّان**) كشدّاد الذي يُوزن به.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾ يقال: **(بخسته)** حقه إذا نقصته إياه ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ دراهم ودنانيرهم بقطع أطرافهما ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تُبالغوا فيها في الإفساد نحو: قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع. وكانوا يفعلون ذلك فنُهُوا عنه. يقال: عثا في الأرض إذا أفسد **(وعثي)** في الأرض لغة في عثا. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾، ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ عطف على «كم» أي اتقوا الذي خلقكم وخلق الجبلة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الماضين.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ إدخال الواو هنا ليفيد معنيين كلاهما مُنافِ الرسالة عندهم: التسحير والبشرية. وتركها في قصة ثمود ليفيد معنًى واحدًا وهو كونه مسحرًا، ثم كرر بكونه بشرًا مثلهم ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة واللام دخلت للفرق بينها وبين النافية. وإنما تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه لأن أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك «إن زيدًا لمنطلق» فلما كان بابا «كان» و«ظننت» من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل: إن كان زيد لمنطلقًا وإن ظننته لمنطلقًا ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا﴾ (﴿كِسَفًا﴾ ﴿كِسَفًا﴾ **حفص وهما جمعا كسفة)** وهي القطعة **(وكسفه قطعه)** ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي السحاب أو الظلة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي إن كنت صادقًا أنك نبي فادع الله أن يُسقِط علينا كسفًا من السماء أي قطعًا من السماء عقوبة.

قوله: **(بخسته)** بابه قطع. **قوله**: **(وعثي)** بالكسر.

قوله: (﴿كِسَفًا﴾ ﴿كِسْفًا﴾) بفتح السين **(حفص)** جمع كسفة كقطعة وقطع، والباقون بالإسكان جمع كسفة أيضًا كسدرة وسدر؛ كما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهما جمعا كسفة)**. **قوله**: **(وكَسَفه قطعه)** في لسان العرب: كَسَف الشيء يكسِفه كَسْفًا وكَسَّفه كلاهما قَطَعه، وخصّ بعضهم به الثوب والأديم.اهـ.

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾

﴿قَالَ رَبِّي﴾ بفتح الياء: حجازي وأبو عمرو، وبسكونها: غيرهم ﴿أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي إن الله أعلم بأعمالكم وبما تستحقون عليها من العذاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقابًا آخر فإليه الحكم والمشيئة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ هي سحابة أظلّتهم بعدما حبست عنهم الريح وعذبوا بالحرّ سبعة أيام فاجتمعوا تحتها مُستَجيرين بها مما نالهم من الحرّ فأمطرت عليهم نارًا فاحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾ وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريرًا لمعانيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر، ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مُنَزَّل منه ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ مخفف والفاعل ﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ أي جبريل لأنه أمين على الوحي الذي فيه الحياة. حجازي وأبو عمرو (وزيد) وحفص، وغيرهم بالتشديد. ونصب ﴿ٱلرُّوحَ﴾ والفاعل هو الله تعالى أي جعلَ الله الروح نازلًا به، والباء على القراءتين للتعدية ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ (أي حفظك) وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى: الآية ٥]، ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ﴾ بلغة قريش (وجُرْهُم) ﴿مُّبِينٖ﴾ فصيح ومصحّح عما (صحفته) العامة. والباء إما أن يتعلق بـ ﴿ٱلۡمُنذِرِينَ﴾

قوله: (وزيد) بن أحمد بن إسحٰق عن يعقوب. **قوله**: (أي حفَّظك) بتشديد الفاء. **قوله**: (وجُرْهُم) بضم الجيم وسكون الراء وضمّ الهاء حيّ من اليمن نزلوا مكّة وتزوّج فيهم إسمٰعيل بن إبراهيم على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، وهم أصهاره ثم ألحدوا في الحرم فأبادهم الله تعالى. **قوله**: (صحفته) التصحيف تغيير اللفظ حتى يتغيّر المعنى المراد من الموضع، وأصله الخطأ، يقال: صحفه

أي لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام، أو بـ ﴿نَزَّلَ﴾ أي نزله بلسان عربي لتنذر به لأنه لو نزله بلسان أعجمي **(لتجافوا)** عنه أصلًا ولقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه فَيَتَعَذَّرُ الإنذار به. وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهّمه قومك، ولو كان أعجميًا لكان نازلًا على سمعك دون قلبك لأنك تسمع **(أجراس حروف)** لا تفهم معانيها ولا **(تعيها)**، وقد يكون الرجل عارفًا بعدّة لغات فإذا كلّم بلغته التي نشأ عليها لم يكن قلبه ناظرًا إلا إلى معاني الكلام، وإن كلّم بغيرها كان نظره أولًا في ألفاظها ثم في معانيها، وإن كان ماهرًا بمعرفتها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية. وقيل: إن معانيه فيها، وفيه دليل على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية **(فيكون دليلًا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة)** ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ (**﴿أولم تكن لهم آية﴾**) شامي، جعلت آية اسم «كان» وخبره ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ أي القرآن لوجود ذكره في التوراة. وقيل: في ﴿تكن﴾ ضمير القصة و﴿ءَايَةٌ﴾ خبر مقدّم

فتصحف، أي غيّره فتغيّر حتى التبس. اهـ مصباح. **قوله: (لتجافوا)** تباعدوا. **قوله: (أجراس حروف)** في مختار الصحاح: الجرس بفتح الجيم وكسرها الصوت. اهـ. **قوله: (تعيها)** تحفظها.

قوله: (فيكون دليلًا على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة). اعلم أن الإمام رضي الله تعالى عنه رجع إلى قول الصاحبين في اشتراط القراءة بالعربية إلّا عند العجز؛ لأن المأمور به قراءة القرآن وهو اسم للمنزل باللفظ العربي المنظوم هذا النظم الخاص المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلًا متواترًا، والأعجمي إنما يسمى قرآنًا مجازًا ولذا يصح نفي اسم القرآن عنه، فلقوه دليل قولهما رجع إليه.

قوله: (﴿أولم تكن لهم آية﴾) تكن بالتاء من فوق، وآية بالرفع شامي أي ابن عامر الشامي.

والمبتدأ ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ والجملة خبر «كان». وقيل: «كان» تامّة والفاعل ﴿آيةٌ﴾ و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بدل منها **(أو خبر مبتدأ محذوف)** أي أو لم تحصل لهم آية. وغيره ﴿يَكُنْ﴾ **(بالتذكير)** و﴿ءَايَةً﴾ بالنصب على أنها خبره و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ هو الاسم وتقديره: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل آية ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ **(كعبد الله بن سلام)** وغيره قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: الآية ٥٣] وخط في المصحف علماء بواو قبل الألف.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ جمع أعجم وهو الذي لا يُفصِح وكذلك الأعجمي إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد، ولمّا كان مَن يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبّهوه بمَن لا يفصح ولا يبيّن، والعجمي الذي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح. **(وقرأ الحسن ﴿الأعجميين﴾)**، وقيل: الأعجمين تخفيف الأعجميين كما قالوا الأشعرون أي الأشعريون بحذف يا النسبة ولولا هذا التقدير **(لم يجز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه عجماء)** ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ والمعنى أنّا أنزلنا القرآن

قوله: **(أو خبر مبتدأ محذوف)** أي هي أن يعلمه. **قوله**: **(بالتذكير)** أي بياء التذكير من تحت. **قوله**: **(كعبد الله بن سلام)** ـ بالتخفيف ـ الإسرائيلي أبو يوسف حليف بني الخزرج، قيل: كان اسمه الحصين فسمّاه النبيّ ﷺ عبد الله، مشهور له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين.

قوله: **(وقرأ الحسن)** هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة، توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **(﴿الأعجميين﴾)** بيائين مكسورة مشدّدة فساكنة جمع أعجمي، والجمهور بياء واحدة ساكنة جمع أعجمي بالتخفيف.اهـ إتحاف. **قوله**: **(لم يجز أن يجمع جمع السلامة لأن مؤنثه عجماء)** ثم إن كون أفعل فعلاء لا يجمع هذا الجمع مذهب البصريّين والفراء وغيره من الكوفيّين

على رجل عربي مُبين ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه مُعجِز، وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتاب قبله على أن البشارة بإنزاله وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصحَّ بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا، فلم يؤمنوا به وسمّوه شعرًا تارة وسحرًا أخرى وقالوا هذا من افتراء محمد عليه الصلاة والسلام، ولو نزّلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلًا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزًا لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرًا ولسمّوه سحرًا.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ أي أدخلنا التكذيب أو الكفر وهو مدلول قوله ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾، ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ الكافرين الذين علمنا منهم اختيار الكفر والإصرار عليه يعني مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وقرَّرناه فيها فكيفما فعل بهم وعلى أيّ وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عمّا هم عليه من الكفر به والتكذيب له كما قال: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبًا فِي قِرۡطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ٧]. وهو حجّتنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد خيرها وشرّها. وموقع قوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن من قوله: ﴿سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ موقع الموضح والملخص لأنه مَسُوق لثبات كونه مكذبًا مجحودًا في قلوبهم، فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يُعاينوا الوعيد، ويجوز أن يكون حالًا أي سلكناه فيها غير مؤمن به ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ المراد معاينة العذاب عند الموت ويكون ذلك إيمان يأسٍ فلا ينفعهم.

﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ بإتيانه ﴿فَيَقُولُواْ﴾ وفيأتيهم معطوفان على ﴿يَرَوُاْ﴾ ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلا يُجابون إليها

يُجيزونه كما في الدرّ المصون، فلا يرد عليه الاعتراض على مَنْ جعله جمع أعجم عجماء كما توهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ توبيخ لهم وإنكار عليهم قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢]. ونحو ذلك.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ قيل: هي سنو مدة الدنيا ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ من العذاب ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ به في تلك السنين. والمعنى أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتَّعون بأعمار طِوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى: **(أشرًا)** وبطرًا واستهزاءً واتّكالًا على الأمل الطويل، ثم قال: **(هب)** أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطِيب معايشهم؟ قال **(يحيىٰ بن معاذ)**: أشد الناس غفلة مَن اغترّ بحياته والتذّ بمُراداته وسكن إلى مألوفاته والله تعالى يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾، وعن **(ميمون بن مهران)** أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال: عِظني فلم

قوله: **(يحيىٰ بن معاذ)** أبو زكريا الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصًا وكلام في المعرفة، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. **قوله**: **(أشرًا)** الأشَر البطر، وهو شدّة الفرح والنّشاط. **قوله**: **(هَبْ)** بمعنى احْسِبْ يقال: هَبْ زيدًا منطلقًا، أي احْسِبْه يتعدّى إلى مفعولين ولا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى، كذا في الصراح. وفي منتخب اللغات: هَبْ بالفتح وتخفيف باپندار وسلمنا. اهـ.

قوله: **(ميمون بن مهران)** الجزري، أبو أيوب أصله كوفي نزل الرقّة ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، وثّقه النسائي وأحمد والعجلي وابن سعد، قال أبو المليح: ما رأيت أفضل منه، ومن كلامه: من أساء سرًّا فليتب ومَنْ أساء علانية فليتب علانية، فإنّ الناس يعيرون ولا يغفرون، والله يغفر ولا يعيّر، مات سنة سبع عشرة ومائة.

يزده على تلاوة هذه الآية. فقال ميمون: قد وعظت فأبلغت. وعن (عمر بن عبد العزيز) أنه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ رسل ينذرونهم. ولم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ [الحجر: الآية ٤] لأن الأصل عدم الواو إذ الجملة صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾ وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف ﴿ذِكْرَىٰ﴾منصوبة بمعنى تذكرة لأن أنذر وأذكر متقاربان فكأنه قيل: مذكرون تذكرة. أو حال من الضمير في ﴿مُنذِرُونَ﴾ أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو مفعول له أي ينذرون لأجل التذكرة والموعظة، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية، أو صلة بمعنى منذرون ذوو ذكرى، أو تكون ذكرى متعلقة بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ مفعولاً له، والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية إلا ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فنهلك قومًا غير ظالمين.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

ولما قال المشركون: إن الشياطين تُلقي القرآن على محمد أنزل ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ أي القرآن ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ وما يتسهل لهم ولا يقدرون عليه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ لممنوعون بالشُّهب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ مورد النهي لغيره على التعريض والتحريك له

قوله: (عمر بن عبد العزيز) الخليفة الراشد والإمام العادل القرشي التابعي بإحسان أجمعوا على جلالته وفضله ووفور علمه وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين وحُسن سيرته فيهم وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله وحرصه على اتّباع آثار رسول الله ﷺ والاقتداء بسنّته وسنّة الخلفاء الراشدين، وهو أحد الخلفاء الراشدين ومناقبه أكثر من أن تُحصر.

زيادة الإخلاص ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ خصّهم لنفي التهمة إذ الإنسان يساهل قرابته، أو ليعلموا أنه لا يُغني عنه من الله شيئًا وأن النجاة في اتّباعه دون قربة. ولما نزلت (صعد) الصفا ونادى الأقرب فالأقرب وقال: «يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عمّ النبي يا (صفية) عمّة رسول الله إني لا أملك لكم من الله شيئًا».

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ وألِن جانبك وتواضع، وأصله أن الطائر إذا أراد أن ينحطّ للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلًا في التواضع ولين الجانب ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من عشيرتك وغيرهم ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض جناحك لهم، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشّرك بالله وغيره ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ على الذي قهر أعداءك بعزّته وينصرك عليهم برحمته يكفِك شرّ مَن يعصيك منهم ومن غيرهم، والتوكّل: تفويض الرجل أمره إلى مَن يملك أمره ويقدر على نفعه وضرّه، وقالوا: (المتوكّل مَن إذا دَهِمه) أمر (لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله). وقال

قوله: (صَعِد) بالكسر من باب تعب. **قوله**: (صفية) بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية عمّة رسول الله ﷺ، وهي أُمُّ الزبير بن العوام وأُمّها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي شقيقة حمزة والمقوّم وحجل بني عبد المطلب لم يُختلف في إسلامها من عمّات النبيّ ﷺ، واختُلف في عاتكة وأروى، والصحيح أنه لم يسلم غيرها كانت في الجاهلية قد تزوّجها الحارث بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس أخو أبي سفيان بن حرب فمات عنها فتزوّجها العوّام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة وعاشت كثيرًا وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ولها ثلاث وسبعون سنة ودُفِنت بالبقيع.

قوله: (المتوكّل مَنْ إذا دَهِمه) أمر من باب تعب، وفي لغة: من باب نفع فاجأه (لم يحاول) أي لم يرد (دفعه عن نفسه بما هو معصية لله)؛ فعلى هذا إذا

(الجنيد) رضي الله عنه: التوكل أن تُقبِل بالكلية على ربك وتُعرِض بالكلية عمّ دونه فإن حاجتك إليه في الدارين. (﴿فَتَوَكَّلْ﴾ **مدني وشامي**) عطف على ﴿فَقُلْ﴾ أو ﴿فَلَا تَدْعُ﴾.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ متهجِّدًا ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ أي ويرى تقلبك ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ في المُصَلِّين. أتبع كونك رحيمًا على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجّد وتقلّبه في تصفّح أحوال المتهجّدين من أصحابه ليطّلع عليهم من حيث لا يشعرون، وليعلم أنهم كيف يعبدون الله ويعملون لآخرتهم. وقيل: معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة. وتقلّبه في الساجدين تصرّفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذ أمَّهم. وعن **(مقاتل)** أنه سأل أبا حنيفة: هل تجد الصلاة بالجماعة في القرآن؟ فقال: لا يحضرني فتلا له هذه الآية. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما تقوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما

وقع في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حدّ التوكُّل لأنه لم يحاول دفع ما نزل عن نفسه بمعصية الله. اهـ كشاف. **قوله:** **(الجنيد)** هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة وإمامهم، أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجّاج فلذلك يقال له القواريري، وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور وكان يفتي في حلقته بحضرته، وهو ابن عشرين سنة، صحب خاله السري والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصّاب، مات سنة سبع وتسعين ومائتين. **قوله:** (﴿فَتَوَكَّلْ﴾) بالفاء **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، والباقون بالواو.

قوله: **(مقاتل)** بن سليمان بن بشير أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدّث بها وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وأبي إسحٰق السبيعي والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم، وروى عنه بقيّة بن الوليد الحمصي وعبد الرزّاق بن همام الصنعاني وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم، وكان من العلماء الأجلّاء، حكى عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس

تنويه وتعلمه، هوَّنَ عَليه (**معاناة**) مَشاقّ العبادات حيث أخبر برؤيته له إذ لا مشقَّة على مَن يعلم أنه يعمل بمرأى مولاه وهو كقولك:

بعيني ما يتحمل المتحمّلون من أجلي

نزل جوابًا لقول المشركين إن الشياطين تلقي السمع على محمد ﷺ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي هل أخبركم أيها المشركون ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ ثم نبأ فقال: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ مرتكب للآثام وهم الكهنة والمتنبئة (**كسطيح**

كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام، توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان باختصار. **قوله: (معاناة)** أي مقاساة.

قوله: (كسطيح) كاهن بني ذئب كان يتكهن في الجاهلية، واسمه ربيعة بن عدي بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان، كان يخبر بمبعث نبيّنا ﷺ، عاش ثلاثمائة سنة ومات في أيام أنوشروان بعد مولده ﷺ، سُمّي بذلك لأنه كان إذا غضب قعد منبسطًا فيما زعموا، وقيل: سمّي بذلك لأنه لم يكن له بين مفاصله قصب تعمده، فكان أبدًا منبسطًا منسطحًا على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: ما كان فيه عظم سوى رأسه وهو خال عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسّاني، كذا في شرح المواهب وفي المضاف والمنسوب أن سطيحًا كان يُطوى كما تُطوى حصيرة، ويتكلّم بكل أُعجوبة. اهـ تاج العروس من جواهر القاموس. وفي لسان العرب: وسطيحٌ هذا الكاهن الذِّئبي من بني ذِئْب كان يتكهّن في الجاهلية سُمّي بذلك لأنه إذا غضب قعد منبسطًا فيما زعموا، وقيل: سُمّي بذلك لأنه لم يكن له بين مفاصله قَصَب تَعْمِده، فكان أبدًا منبسطًا مُنْسَطِحًا على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود، ويقال: كان لا عظم فيه سوى رأسه، روى الأزهري بإسناده عن مخزوم بن هانيء المخزومي عن أبيه وأتت له خمسون ومائة سنة، قال: لمّا كانت الليلةُ التي وُلِد فيها سيّدنا رسول الله ﷺ ارتَجَس إيوان كِسْرى وسقطت منه أربع عشرة شُرْفة وخَمِدت نار فارسَ ولَم تَخْمد قبل ذلك مائة

وطليحة ومسيلمة)، ومحمد ﷺ يشتم الأفَّاكين ويذمّهم فكيف تنزل الشياطين عليه.

عام، وغاضت بُحيرة سَاوَة ورأى المُوبْذان[1] إبلًا صعابًا تقود خيلًا عَرابًا قد قطعت دِجْلة وانتشرت في بلادها، فلمّا أصبح كسرى أفزعه ما رأى، فلبس تاجه وأخبر مرازِبَته بما رأى فورد عليه كتاب بخمود النار، فقال المُوبذانُ: وأنا رأيت في هذه الليلة وقصّ عليه رؤياه في الإبل، فقال له: وأيّ شيء يكون هذا؟ قال: حادث من ناحية العرب، فبعث كِسْرى إلى النُّعمان بن المنذر أن ابعَثْ إليّ برجل عالم ليخبرني عما أسأله؛ فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن نُفَيْلة الغَسَّاني فأخبره بما رأى، فقال: عِلْم هذا عند خالي سَطِيح، قال: فأتِه وسَلْه وائتني بجوابه، فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت؛ فأنشأ يقول:

أصَمّ أم يسمع غِطْريف اليمن ... (أم فازوا زلَمّ) به شاؤا العَنَنْ
يا فاصل الخُطّة أعْيَتْ مَنْ ومَنْ ... أتاك شيخ الحيّ من آلِ سَنَنْ
رسول قَيْل (الفَجّ يسري للوتَنْ) ... وأُمّه من آلِ ذئب بن حَجَنْ
أبيض فَضْفاض الرِّداءِ والبَدَنْ ... يخرّب بي الأرض على ذات شَجنْ
تَرْفَعُني وَجْنًا وتهوي بي وَجَنْ ... حتى أرى عاري الجَبين والقطن
لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيْب الزَّمَنْ ... تَلُفّه في الرِّيح بَوْغاءُ الدِّمَنْ

كأنما (حَشْشَنَ) من حِضْنَى تَكَنْ

قال: فلمّا سمع سَطِيح شعره رفع رأسه، فقال:

عبد المسيح على جمل مُسِيح ... إلى سطيح وقد أوفَى على الضَّريح

بعثك مِلك بني ساسان، لارتجاس الإيوان وخمود النيران، ورؤيا المُوبَذان، رأى إبلًا صِعابًا، تقود خيلًا عرابًا، يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وبُعث صاحب الهراوة، وغاضت بُحَيْرَة ساوَة، فليس الشام لسطيح شَامًا، يملك منهم ملوكٌ ومَلِكات، على عَدَد الشُّرفات، وكل ما هو آتٍ آتْ.

---

(١) بضم الميم وفتح الباء فقيه الفرس وحاكم المجوس. اهـ قاموس. وفي تاج العروس شرح القاموس: وحُكِي فتح الميم أيضًا، وحكى ابن ناصر كسر الباء أيضًا. ١٢ منه رحمه الله.

....

ثم قبض سطيح مكانه ونهض عبد المسيح إلى راحلته، وهو يقول:

شَمِّر فإنك ما عُمِّرت شِمِّير لا يُفْزِعَنَّك تفريق وتغيير
إن يُمْسِ مُلكُ بني ساسان أفْرَطَهُمْ فإن ذا الدَّهْرَ أطوارٌ دهارير
فرُبَّما رُبَّما أضحَوْا بمنزلة تخاف صولهم أُسْدٌ مهاصِيرُ
منهم أخو الصَّرحِ بَهْرامُ وإخوتُهُمُ وهُرْمُزانٌ وسابورٌ وسابورُ
والناس أولادُ علّاتٍ فمن عَلِمُوا أن قَدْ أقلَّ فمهجورٌ ومحقورُ
وهم بنو الأُمِّ لمّا أنْ رأوْا نَشَبًا فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ
والخير والشر مقرونان في قَرَنٍ فالخير مُتَّبَعٌ والشرّ محذورُ

فلما قدم على كسرى أخبره بقول سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكًا تكون أمورٌ، فملك منهم عَشَرةٌ في أربع سنين، وملك الباقون إلى زمن عثمان رضي الله تعالى عنه. قال الأزهري: وهذا الحديث فيه ذكر آية من آيات نبوّة سيّدنا محمد ﷺ قبل مبعثه، قال: وهو حديث حسن غريب، انتهى بحروفه. قوله: (وطَلَيْحة) بن خُوَيْلد بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعمي، كان يعدّ بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم وحَسُن إسلامه. اهـ تاج العروس. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: طليحة بن خُوَيْلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن معين بن الحارث بن ذودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر الأسديّ الفقعسيّ، كان من أشجع العرب وكان يُعدّ بألف فارس، قال الواقدي: قدم وفد أسد بن خزيمة على النبيّ ﷺ وفيهم طليحة بن خويلد سنة تسع ورسول الله ﷺ مع أصحابه فسلّموا، وقالوا: يا رسول الله، جئناك نشهد أن لا إله إلّا الله وأنك عبده ورسوله ولم تبعث إلينا ونحن لمن وراءنا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: الآية ١٧] الآية، فلمّا رجعوا تنبّأ طليحة في حياة النبيّ ﷺ، فأرسل إليه النبيّ ﷺ ضرار بن الأزور الأسدي ليقاتله فيمن أطاعه ثم توفي رسول الله ﷺ فعظم أمر طليحة وأطاعه الحليفان أسد وغطفان، وكان يزعم أنه يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي، فأرسل إليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد فقاتله بنواحي سميراء وبزاخة، وكان خالد قد أرسل ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن فقتل طليحة أحدهما وقتل أخوه الآخر، وكان معه عُيينة بن حصن فلما كان وقت القتال أتاه عُيينة بن حصن، فقال: هل أتاك جبريل؟ فقال: لا،

....

فأعاد إليه مرّتين كل ذلك يقول: لا، فقال عيينة: لقد تركك أحوج ما كنت إليه، فقال طُلَيْحة: قاتلوا عن أحسابكم، فأمّا دين فلا دين؛ ولمّا انهزم طليحة لحق بنواحي الشام فأقام عند بني جفنة حتى توفي أبو بكر ثم خرج محرمًا في خلافة عمر بن الخطاب فقال له عمر: أنت قاتل الرجلين الصالحين ـ يعني ثابت بن أقرم وعكاشة ـ فقال طليحة: أكرمهما الله بيدي ولم يهنّي بأيديهما، وإن الناس قد يتصالحون على الشنآن، وأسلم طليحة إسلامًا صحيحًا وله في قتال الفرس في القادسية بلاء حسن، وكتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن رضي الله تعالى عنهما: أن استعِنْ في حربك بطليحة وعمرو بن معدي كرب واستشرهما في الحرب، ولا تولّهما من الأمر شيئًا، فإن كل صانع أعلم بصناعته، أخرجه أبو عمر وأبو موسى. اهـ بحروفه. **قوله:** (ومسيلمة) الكذّاب عدوّ الله اسمه هارون بن حبيب من بني حنيفة، وكنيته أبو ثمامة ولقبه مسيلمة وهو قبيح الخلقة دميم الصورة وصفته على عكس صفة رسول الله ﷺ، وكان يزعم أن جبريل عليه السلام نزل عليه بالقرآن، وكان يقال له رحمـٰن اليمامة؛ لأنه كان يقول: الذي يأتيني اسمه رحمـٰن، أو هو من باب تعنّتهم في الكفر كما هو في الكشاف. وعن رافع بن خديج قال: قدمت على النبيّ ﷺ وفود العرب، فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوبًا ولا أحرى أن يكون الإسلام لم يقرّ في قلوبهم من بني حنيفة، وقد ذكر مسيلمة لرسول الله ﷺ، فقال: أمَا إنه ليس بشرّكم مكانًا، لمّا كانوا أخبروه به من أنهم تركوه في رحالهم حافظًا لها. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنّ رسول الله ﷺ ذكر له أن مُسيلمة قال عندما قدم في قوله: لو جعل لي محمد الخلافة من بعده لاتّبعته، فجاءه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ ميتخة[1] من نخل، فوقف عليه ثم قال: لئن أقبلت ليفعلن الله بك ولئن أدبرت ليقطعنّ الله دابرك، وما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رأيت، ولئن سألتني هذه الشظية لشظية من الميتخة التي في يده ما أعطيتكها، وهذا ثابت يجيبك، قال ابن عباس: سألت أبا هريرة عن قول النبيّ ﷺ: «ما أراك إلا الذي رأيت فيه ما رأيت»، قال: كان رسول الله، قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فنفختهما فطارا فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن، قيل: ما أوّلتهما يا رسول الله؟ قال: أوّلتهما كذّابين يخرجان من بعدي، ولمّا انصرف في قومه

---

(١) الميتخة بمعنى العصا. ١٢ منه رحمه الله.

....

إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وادّعى الشركة في النبوّة مع النبيّ ﷺ، وقال للوفد الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أمَا أنه ليس بشرّكم مكانًا ما ذاك إلّا لما علم أني أشركت في الأمر معه، وكتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أمّا بعد؛ فإني قد أُشركت في الأمر معك وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يعتدون. وبعث الكتاب مع رجلين من أصحابه، فقال لهما رسول الله ﷺ حين قرأ كتابه: «أتشهدان أني رسول الله»؟ قالا: نعم، قال: «أتشهدان أن مسيلمة رسول الله»؟ قالا: نعم، قد اشترك معك في الأمر، فقال: «أمَا والله لولا أن الرُّسل لا تُقتل لضربت أعناقكما». وعن ابن مسعود قال: جاء ابن النواحة وابن أثال رسولا مسيلمة إلى النبيّ ﷺ، فقال لهما: «أتشهدان أني رسول الله»؟ قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال النبيّ ﷺ: «آمنت بالله ورسوله لو كنت قاتلًا رسولًا لقتلتكما»، قال عبد الله: فمضت السنّة أن الرسول لا يقتل، رواه أحمد كذا في المشكاة ثم كتب إلى مسيلمة في جوابه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذابِ، السلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وقد أهلكت أهل الحجر أبادك الله ومن صوّت معك»، فلمّا وصله كتاب رسول الله أخفاه وكتب عن رسول الله كتابًا وصله بثبوت الشركة بينهما، وأخرج ذلك الكتاب إلى قومه، فافتتنوا بذلك. وفي الاكتفاء قال ابن إسحٰق: وكان ذلك يعني كتاب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ وكتابه إلى مسيلمة في آخر سنة عشر. وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: وقد قيل: إن دعوى الكذّابين مسيلمة والعنسي للنبوّة في عهد النبيّ ﷺ بعد انصراف النبيّ ﷺ من حجّة الوداع ووقوعه في المَرَضِ الذي توفّاه الله فيه، والله أعلم. وفي المواهب اللدّنية: لمّا انصرف وفد بني حنيفة من عند النبيّ ﷺ وقدموا اليمامة ارتدّ عدوّ الله مسيلمة وتنبّأ، وقال: إني أُشركت معه، ثم اشتغل بالمعارضة الركيكة التي هي ضحكة العقلاء وجعل يسجع السجعات، فيقول فيما يقول مُضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا، وقال آخر: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين شراسيف وحشا، وقال آخر: الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل،

....

له ذنب وثيل[١]، ومشفر[٢] وخرطوم طويل، إن ذلك من خلق ربنا لقليل، ويقول في التشبيه بالسّوَر القصار: يا ضفدع نقّي كم تنقّين ـ النقيق صوت الضفدع فإذا رجع صوته قيل: نَقْنَق، كذا في نهاية ابن الأثير ـ أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين؛ كذا في شرح المواهب اللدَّنية. وفي الاكتفاء: أنه كان يقول: يا ضفدع بنت ضفدعين، لحسن ما تنقنقين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، امكثي في الأرض حتى يأتيك الخفاش بالخبر اليقين، لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم لا يعدلون. وسجع اللعين على سورة إنا أعطيناك الكوثر، فقال: إنا أعطيناك الجواهر، فصلِّ لربك وهاجر، إن مبغضك رجل فاجر. وفي رواية: إنا أعطيناك الجماهر، فخذ لنفسك وبادر، واحذر أن تحرص أو تكاثر؛ وفي رواية: إنا أعطيناك الكواثر، فصلِّ لربك وبادر، في الليالي الغوادر؛ ولمّا سمع الملعون والنازعات غرقًا، قال: والزارعات زرعا، فالحاصلات حصلا، والذاريات قمحا، والطابخات طبخا، والحافرات حفرا، والخابزات خبزا، فالثاردات ثردا، فاللاقمات لقما، والآكلات أكلا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر. رُوي أن امرأة أتت مسيلمة، فقالت: ادع الله لنا ولنخلنا ولمائنا، فإنّ محمدًا دعا لقومه فجاشت آبارهم وكَثُر ماؤها، قال: كيف صنع؟ قالت: دعا بسجل، فدعا لهم فيه ثم تمضمض ومجّ فيه فأفرغوه في تلك الآبار، ففعل مسيلمة كذلك فغارت تلك المياه.

وفي المواهب اللدنية: ولمّا سمع اللَّعين أن النبيّ ﷺ تفل في عين عليّ وكان أرمد فبرىء تفل في عين بصير فعمي، ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درّها ويبس ضرعها، وحفرت بنو حنيفة بئرًا فأعذبوها نقاخًا[٣]، فجاؤوا إلى مسيلمة وطلبوا إليه أن يأتيها وأن يبارك فيها فأتاها فبصق فيها فعادت أجاجًا، وتوضأ مسيلمة في حائط فصبّ وضوءه فيه فلم ينبت، وقال له رجل: بارك على ولدي، فإن محمدًا يبارك على أولاد

(١) كأمِير الليف والرشاء الضعيف. ١٢ قاموس منه رحمه الله.
(٢) بكسر الميم كالجَحْفَلة من الفرس. اهـ مصباح. والجحفلة للحافر كالشفة للإنسان. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه رحمه الله.
(٣) النقّاخ كغراب العَذْب الصافي. اهـ قاموس.

....

أصحابه؛ فلم يؤت بصبيّ مسح مسيلمة رأسه أو حكّه إلّا قرع[١] أو لثغ[٢]، وجاءه رجل وقال: يا أبا ثمامة إني ذو مال وليس مولود يبلغ سنتين حتى يموت غير هذا المولود، وهو ابن عشر سنين، ولي مولود ولد أمس أحبّ أن تبارك فيه وتدعو أن يطيل الله عمره، فقال: سأطلب لك الذي طلبت، فجعل عمر المولود أربعين سنة، فرجع الرجل إلى منزله مسرورًا فوجد الأكبر قد تردّى في بئر، ووجد الصغير ينزع في الموت، فلم يُمْسِ من ذلك اليوم حتى ماتا جميعًا، تقول أمّهما: فلا والله ما لأبي ثمامة عند إلـٰهه مثل منزلة محمد عليه السلام، قيل: إنه أدخل البيضة في القارورة وادّعى أنها معجزة، فافتضح بنحو ما ذكر أن النوشادر إذا ضُرب في الخلّ ضربًا جيّدًا وجُعلت فيه البيضة بنت يومها يومًا وليلة فامتدت كالخيط، فتُجعل في القارورة ويصبّ عليها الماء البارد، فإنها تجمد؛ كذا في المواهب اللّدنية. وفي ربيع الأبرار قال الجاحظ: كان مسيلمة قبل ادّعاء النبوّة يدور في الأسواق التي بين دور العرب والعجم؛ كسوق الأُبلّة وسوق بقة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتمس تعلّم الحِيَل والنيرنجات واحتيالات أصحاب الرقى والنجوم، ومن حِيَله أنه صبّ على بيضة من خلّ حاذق قاطع، فلانت حتى إذا مددتها استطالت واستدقّت كالعلك، ثم أدخلها قارورة ضيّقة الرأس وتركها حتى انضمّت واستدارت وعادت كهيئتها الأُولى، فأخرجها إلى قومه وهم قوم أعراب وادّعى النبوّة، فآمن به جماعة ووضع في الآخر الصلاة عن قومه وأحلّ الخمر والزنا ونحو ذلك، واتّفق معه بنو حنيفة إلّا أفذاذًا من ذوي عقولهم ومَنْ أراد الله به الخير منهم، وكان من أعظم ما فَتَن به قومه شهادة الدجّال ابن عنفوة له بإشراك النبيّ ﷺ إيّاه في الأمر، وكان من قصّة الدجّال أنه قدم مع قومه وافدًا على النبيّ ﷺ، فقرأ القرآن وتعلّم السنن، وكان يأتي أُبيًّا يقرئه، فقدم اليمامة وشهد لمسيلمة على رسول الله أنه أشركه في الأمر من بعده، فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من غيره، قالوا: وسمع الدجال يقول: كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا، وكان عمير اليشكري من سراة أهل اليمامة وأشرافهم، وكان مسلمًا يكتم

(١) القرع ـ بفتحتين ـ الصلع، وهو مصدر قرع الرأس من باب إذا لم يبق عليه شعر. ١٢ مصباح.

(٢) اللّثغة وزان غرفة حبسته، في اللسان: حتى تصير الراء لامًا أو غينًا أو السين ثاء ونحو ذلك. ١٢ مصباح.

....

إسلامه، وكان صديقًا للدجال فقال شعرًا فشا في اليمامة حتى كانت المرأة والوليدة والصبي ينشدونه، وهو:

يا سعاد الفؤاد بنت أثال طال ليلي بفتنة الدجّال
فتن القوم بالشهادة والله عزيز ذو قوّة ومحال
لا يساوي الذي يقول من الأمر قبالًا وما احتذى من قبال
إن ديني دين النبيّ وفي القو م رجال على الهدى أمثالي
أهلك القوم محكم بن طفيل ورجال ليسوا لنا برجال
بزّهم أمرهم مسيلمة اليو م فلن يرجعوه أخرى اللّيالي
قلت للنفس إذا تعاظمها الصبر وساءت مسألة الأقوال
ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقال
إن تكن ميتتي على فطرة الله حنيفًا فإنني لا أبالي

فبلغ ذلك مسيلمة ومحكمًا وأشراف أهل اليمامة، فطلبوه ففاتهم ولحق بخالد بن الوليد، فأخبره بحال أهل اليمامة ودلّه على عوراتهم، واستضاف مسيلمة إلى ضلالته في دين الله وتكذّبه على الله ضلالة سجاح، وكانت امرأة من بني تميم، وفي القاموس: سجاح كقطام امرأة تنبّأت وادّعت أنها نبيّة، وفي الاكتفاء: أجمع قومها على أنها نبيّة، فادَّعت الوحي واتّخذت مؤذنًا وحاجبًا ومنبرًا، فكانت العشيرة إذا اجتمعت تقول: الملك في أقربنا من سجاح، وفيها يقول عطارد بن حاجب بن زرارة:

أضحت نبيّتنا أُنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

ثم إن سجاح جيّشت جيوشًا ورحلت تريد حرب مسيلمة وأخرجت معها من قومها مَنْ تابعها على قولها، وهم يرون أن سجاح أوْلى بالنبوّة من مُسيلمة، فلما قدمت عليه خلَا بها، وقال لها: تعالي نتدارس النبوّة أيُّنا أحقّ بها؟ فقالت له سجاح: قد أنصفت، وفي الخبر بعد هذا ما يحقّ الإعراض عن ذكره، وقيل: إن سجاح توجّهت إلى مسيلمة مستجيرة به لما وطىء خالد العرب ورأت أنه لا أحد أعزّ لها منه، وقد كانت أمرت مؤذنها شيث بن ربعي أن يؤذن بنبوّة مسيلمة، فكان يفعل، فلمّا قدمت على مسيلمة قالت: اخترتك على مَنْ سواك ونوّهت باسمك حتى أن مؤذني ليؤذن بنبوّتك، فخلا بها ليتدارسا النبوّة. وفي روضة الأحباب: بعث مسيلمة إليها بهدية وخطبها، فقبلت الخطبة

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ هم الشياطين كانوا قبل أن يحجبوا بالرجم يستمعون إلى الملأ الأعلى فيحفظون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يُوحون به إلى أوليائهم. و﴿يُلْقُونَ﴾ حال، أي تنزل ملقين السمع، أو صفة لـ ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ لأنه في معنى الجمع فيكون في محل الجزاء، أو استئناف فلا يكون له محل كأنه قيل: لم تنزل على الأفّاكين؟ فقيل: يفعلون (كيت وكيت) ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا. وقيل: يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة. وقيل: الأفّاكون يلقون السمع إلى الشياطين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يُوحوا إليهم، **(والأفاك)** الي يُكثِر الإفك، ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفّاكين قَلَّ مَن يصدق منهم فيما يحكي عن الجنّي وأكثرهم مُفْتَرٍ عليه، وعن الحسن: وكلهم. وإنما فرّق بين ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾، و﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾، وهُنَّ أخوات، لأنه إذا فرّق بينهن بآيات ليست منهن ثم رجع إليهنّ مرة بعد

وسارت إلى اليمامة فتزوّجها وجعلت مهرها إسقاط صلاتي الفجر والعشاء، انتهى. ولما قُتِل مسيلمة أخذ خالد بن الوليد سجاح فأسلمت ورجعت إلى ما كانت عليه ولحقت بقومها وبقيت إلى زمان معاوية رضي الله تعالى عنه، وصارت مقبولة الإسلام. وفي المنتقى: واتّفقت مع مسيلمة أكثر بني حنيفة وغلب على حجر اليمامة، وأخرج ثمامة بن أثال عامل رسول الله ﷺ على اليمامة، فكتب ثمامة إلى رسول الله يخبره، فلما توفي رسول الله كتب إلى أبي بكر الصدّيق يخبر أن مسيلمة قد استغلظ، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد في جيشٍ كثير إلى حرب مسيلمة، وذلك بعد قتال طليحة، فإنه أوّل مَنْ قُوتل من أهل الردّة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وآخر من ارتدّ. اهـ تاريخ الخميس. وفي تهذيب الأسماء: فجهّز له أبو بكر الصدّيق الجيوش وأمرهم خالد بن الوليد ﷺ سنة إحدى عشرة من الهجرة فقاتلوه، فظهروا على مسيلمة فقتلوه كافرًا، قيل: قتله وحشي بن حرب، وقيل غيره، وقتل خلائق من أتباعه وانهزم مَنْ أفلت منهم وطُفِئت آثارهم. اهـ.

قوله: (كَيْت وكَيْت) وإن شِئْت كسرت التاء وهي كناية عن الأمر نحو كذا وكذا. **قوله:** (والأفاك)... الخ. جواب عمّا قيل: كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعدما حكم عليهم بأنْ كل واحد منهم أفّاك.

مرة دلَّ ذلك على شدة العناية بهنَّ كما إذا حدَّثت حديثًا وفي صدرك اهتمام بشيء فتُعيد ذِكره ولا تنفكّ عن الرجوع إليه. ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول نحن نقول كما يقول محمد ﷺ واتبعهم غُواة من قومهم يستمعون أشعارهم.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ أي لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب ومدح مَن لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاوون أي السفهاء أو الراوون أو الشياطين أو المشركون. قال (الزجَّاج): إذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحبَّ ذلك قوم وتابعوه فهم الغاوون (﴿يَتْبَعُهُمُ﴾ نافع) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ من الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾ خبر «أن» أي في كل فن من الكذب يتحدثون أو في كل لغو وباطل يخوضون، والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وهو تمثيل لذهابهم في كل (شعب) من القول (واعتسافهم) حتى يفضلوا أجبن الناس على (عنترة) وأبخلهم على (حاتم). عن (الفرزدق) أن

قوله: (الزجَاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله. **قوله**: (﴿يَتْبَعُهُمُ﴾) بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (نافع)، والباقون بتشديد الفوقية وكسر الباء الموحدة. **قوله**: (شعب) في المصباح: الشعب ـ بالكسر ـ الطريق، وقيل: الطريق في الجبل، والجمع شعاب. اهـ. **قوله**: (واعتسافهم) في المصباح: عسف في الأمر فعله من غير رويّة، ومنه عسفت الطريق إذا سلكته على غير قصد والتعسّف والاعتساف مثله. اهـ. **قوله**: (عَنْتَرة) اسم رجل شجاع. في لسان العرب: عنترةُ اسم رجل وهو عنترة بن معاوية بن شدّاد العبسي، انتهى بحروفه. وفي منتهى الأرب في لغات العرب قال في شأنه: إنه من فرسان العرب وشُعرائهم. **قوله**: (حاتم) ـ بكسر التاء ـ اسم سخيّ مشهور، وهو ابن عبد الله بن سعدِ بن الحشرج بن امرىء القيس الطائي، وهو حاتم المشهور والذي يُضرب به المثل في الجود والكرم. **قوله**: (الفرزدق) رحمه الله اسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس صاحب جرير، وكان أبوه غالب من جلّة قومه ومن سراتهم وكنيته أبو الأخطل لولد كان له اسمه الأخطل، وهو شاعر أيضًا، ووهم بعضهم فيه فظنّه الأخطل التغلبي النصراني، وجعله أخًا للفرزدق، وهذا من أعجب العجب؛ إذ الفرزدق مسلم وأبوه وجدّه صعصعة صحابي رضي الله تعالى عنه،

(سليمان بن عبد الملك) سمع قوله: ....

فكيف يتصوّر أن يكون الأخطل النصراني أخًا له وصعصعة رضي الله تعالى عنه له صحبة لكنه لم يهاجر، وهو الذي أحيى الوئيدة وبه افتخر الفرزدق في قوله:

وجدّي الذي منع الوائدات فأحيى الوئيد ولم يُوئِد

وقيل: إنه رضي الله تعالى عنه أحيى ألف موؤودة وحمل على ألف فرس، وأمّ الفرزدق ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس رضي الله تعالى عنه، روى الفرزدق رحمه الله عن عليّ بن أبي طالب وأبي هريرة والحسين وابن عمرو وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم أجمعين. ووفد على الوليد وسليمان ابني عبد الملك ومدحهما، قال ابن النجار: ولم أرَ له وفادة على عبد الملك بن مروان، وقال الكلبي رضي الله تعالى عنه: وفد على معاوية ولم يصح، روى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: دخلت على الفرزدق فتحرّك، فإذا في رجليه قيد، قلت: ما هذا يا أبا فراس؟ قال: حلفت أن لا أخرجه من رجليّ حتى أحفظ القرآن، وكان كثير التعظيم لقبر أبيه، فما جاءه أحد واستجار به إلّا قام معه وساعده على بلوغ غرضه، وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المفاضلة بينهما، والأكثرون على أن جريرًا أشعر منه، وقد أنصف الأصفهاني، فقال: أمّا مَنْ كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدّة أسره فيقدّم الفرزدق، وأمّا مَنْ كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح الغزل فيقدّم جريرًا. اهـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. وأيضًا فيه: توفي سنة عشر ومائة، وقيل: سنة اثنتي عشرة، وقيل: سنة أربع عشرة. اهـ. وعبارة الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف: وليس بالأخطل التغلبي كما توهّمه بعضهم؛ لأن الفرزدق مسلم ابن مسلم وجدّه صعصعة له صحبة، فكيف يكون أخاه نصرانيًّا؟اهـ.

قوله: (سليمان بن عبد الملك) أبو أيوب، كان من خيار ملوك بني أُمّية، وَلِيَ الخلافةَ بعهدٍ من أبيه بعد أخيه في جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين، روى قليلًا عن أبيه وعبد الرحمٰن بن هُبَيْرة، روى عنه ابنه عبد الواحد والزهري وكان فصيحًا مُفَوّهًا مؤثرًا للعدل محبًّا للغزو ومولده سنة ستّين، ومن محاسنه أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير، فكان يمتثل أوامره في الخير، فعزل عُمّال الحجاج وأخرج من كان في سجن العراق وأحْيَى الصلاة لأول مواقيتها، وكان بنو أُمية أمَاتُوها بالتأخير، قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها واختتمها باستخلافه عمر بن

فبتن بجانبيّ مصرعات وبتّ (أفض) أغلاق الختام

فقال: وجب عليه الحدّ. فقال: قد (درأ) الله عني الحدّ بقوله:

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ حيث وصفهم بالكذب والخلف في الوعد. ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (كعبد الله بن

عبد العزيز، وكان سليمان ينهى عن الغناء وكان من الأكَلة المذكورين أكل في مجلس سبعين رُمّانة وخَرُوفًا[1] وستّ دجاجات ومكُّوك[2] زبيب طائفي، قال يحيىٰ الغسّاني: نظر سليمان في المِرْآة فأعجبه شبابه وجماله، فقال: كان محمّد ﷺ، وكان أبو بكر صدّيقًا، وكان عمر فاروقًا، وكان عثمان حَيِيًّا، وكان معاوية حليمًا، وكان يزيد صبورًا، وكان عبد الملك سائسًا، وكان الوليد جبّارًا، وأنا الملك الشاب، فما دار عليه الشهر حتى مات وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين. اهـ تاريخ الخلفاء للإمام الجلال السيوطي رحمه الله. **قوله**: (أفض) في المصباح: فضضت الختم فضًّا من باب قتل كسرته، وفضضت البكارة أزلْتها على التشبيه بالختم، قال الفرزدق:

فبتن بجانبي مصرّعات وبتّ (أفضّ) أغلاق الختام

مأخوذ من فضضت اللؤلؤة إذا خرقتها. اهـ بحروفه. **قوله**: (درأ) أي دفع.

قوله: (كعبد الله بن رواحة) الصحابي الأنصاري الحارثي المدني شهد العقبة وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، إلّا الفتح وما بعدها، فإنه توفي قبلها، يوم مُؤتة، وكان أحد الشعراء المُحسنين الذين يردون الأذى عن رسول الله ﷺ والإسلام والمسلمين، استشهد في غزوة مُؤتة في

---

(١) قوله: خروفًا في المصباح: الخَروف الحَمَل وفيه الحِمْل بفتحتين ولد الضائنة في السنة الأولى. ١٢ منه رحمه الله.

(٢) في المصباح: المكوك مكيال وهو مذكر وهو ثلث كيلجات والكيلجة منًا وسبعة أثمان مَنٍّ. اهـ. وأيضًا فيه: المَنَا الذي يكال به السمن وغيره، وقيل: الذي يوزن به رطلان والتثنية مَنَوان والجمع أمْناء مثل سبب وأسباب، وفي لغة تميم: منّ بالتشديد والجمع أمنان والتثنية منّان على لفظه. ١٢ منه رحمه الله.

رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك) رضي الله عنهم ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي ان ذكر الله وتلاوة القرآن أغلب عليهم من الشعر وإذ قالوا شعرًا قالوه في توحيد الله تعالى والثَّناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والأدب ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الأمة ونحو ذلك مما ليس فيه ذنب. وقال **(أبو يزيد)**: الذكر الكثير

جمادى الأُولى سنة ثمان من الهجرة ﷺ. **قوله: (وحسان بن ثابت)** الصحابي الأنصاري الخزرجي المدني شاعر رسول الله ﷺ، قالوا: عاش حسان بن ثابت وأبوه ثابت وأبوه المنذر وأبوه حرام كلّ واحد من الأربع مائة وعشرين سنة، وهذه طرفة عجيبة لا تُعرف في غيرهم، كذا قاله أبو نعيم وجماعات من الأئمّة، وعاش حسّان ستين سنة في الجاهلية وستّين في الإسلام، وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين وشاركه في هذا حكيم بن حزام، فعاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وتوفي بالمدينة سنة أربع وخمسين ولا يعرف لهما ثالث في هذا، والمراد بالإسلام من حين انتشر وشاع في الناس، وذلك قبل هجرة رسول الله ﷺ بنحو ستّ سنين. **قوله: (وكعب بن زهير)** الشاعر الصحابي، كان هو وأخوه بُجَير - بضم الباء وفتح الجيم - ينويان القدوم إلى رسول الله ﷺ فتقدّم بجير ليكشف أمر النبيّ ﷺ، ويأتي كعبًا فيخبره، فلمّا جاء بجير عَرَضَ عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعبًا فأنشد أبياتًا ينكر فيها على أخيه إسلامه ويتعرّض لغيره، فأهدر النبيّ ﷺ دمه، وقال: «مَنْ لقيه فليقتله»، فبعث إليه أخوه يُعلمه بذلك، ويقول: إنك لن تفلت من المسلمين وأنّ رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد فيسلم إلّا قبل منه وأسقط ما كان قبله، فإذا أتاك كتابي هذا فأقبل وأسلم، فجاء كعب إلى رسول الله ﷺ فأسلم وأنشده قصيدته المشهورة بانت سعاد، وكان قدومه وإسلامه بعد انصراف رسول الله ﷺ من الطائف، وكان لكعب ابنان: عقبة والعوّام، وكان كعب وابناه وأخواه وأبوه زهير شعراء أشعرهم زهير ثم كعب. **قوله: (وكعب بن مالك)** الصحابي الأنصاري الخزرجي السلمي - بفتح السين واللام شهد العقبة وأُحدًا وسائر المشاهد إلّا بدرًا وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، والثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أُميّة؛ جُرِح كعب يوم أُحد أحد عشر جرحًا في سبيل الله، وهو أحد شعراء رسول الله ﷺ، وكانوا ثلاثة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك؛ فكان حسان يقبل على الأنساب، وابن رواحة يعيّرهم بالكفر، وكعب يخوّفهم الحرب؛ توفي بالمدينة في زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين، وقيل: سنة خمسين ﷺ. **قوله: (أبو يزيد)**

ليس بالعدد والغفلة لكنه بالحضور ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ وهجوا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ هُجوا أو رَدُّوا هجاء مَن هجا رسول الله ﷺ والمسلمين، وأحقّ الخلق بالهجاء من كذب رسول الله ﷺ وهجاه. وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال له: «اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من (النبل)». وكان يقول لحسان «قل و(روح القدس) معك». وَختم السورة بما يقطع أدبارَ المتكبِّرين وهو قوله: ﴿وَسَيَعۡلَمُ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وإطلاقه، وقوله: ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ وإبهامه، **(وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد إليه)** وكان السلف يتواعظون بها. قال **(ابن عطاء)**: وسيعلم المُعرِض عنّا ما الذي فاته منّا. و﴿أَيَّ﴾ منصوب بـ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ على المصدر لا بـ ﴿يَعۡلَمُ﴾ لأن أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها أي ينقلبون أيّ انقلاب.

البسطامي العارف المشهور شيخ مشائخ السادة الصوفية طيفور بن عيسى بن سروسان، وسروسان كان مجوسيًّا فأسلم، قيل: مات سنة إحدى وستّين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين. **قوله**: (النبل) في المصباح: النبل السهام العربية، وهي مؤنّثة ولا واحد لها من لفظها، بل الواحد سهم، فهي مفردة اللفظ مجموعة المعنى. اهـ. **قوله**: **(روح القدس)** يعني جبرئيل عليه السلام. **قوله**: **(وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما حين عهد إليه)** أي حين أوصاه من العهد وهو الوصية، قال الله: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ [يس: الآية ٦٠]، أي ألم أوصِ إليكم؛ رُوِيَ أنه لما أَيِسَ أبو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا: أمّا عهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر، قال بعدما غُشِيَ عليه وأفاق: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإن عدل فذاك ظنّي فيه وإن لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، اللّهمّ اجعلنا ممّن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها. **قوله**: (ابن عطاء) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي ـ بفتح الهمزة والمهملة ـ نسبة إلى بيع الأدمى جمع أديم من كبار مشائخ الصوفية وعلمائهم كان الخزاز يعظّم شأنه، وهو من أقران الجنيد وصحب إبراهيم، مات سنة تسع وثلاثمائة والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلمه أتمّ. اهـ.

تمّت سورة الشعراء بعون الملك الوهّاب

وحسبنا الله ونِعْم الوكيل

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة النمل)

(مكيَّة وهي ثلاث وتسعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ أي وآيات كتاب مبين (و﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة)، والكتاب المبين: اللوح، وآياته أنه قد خطَّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة النمل، مكّية، وهي ثلاثة وتسعون آية) وألف ومائة وتسع وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفًا.اهـ خطيب. **قوله:** (و﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة) بناءً على أن ﴿طسٓۚ﴾ اسم لهذه السورة الكريمة، وهو مبتدأ و﴿تِلۡكَ﴾ مبتدأ ثان و﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأوّل والإشارة قائمة مقام العائد ولا بدّ في المبتدأ الأول من تقدير المضاف، أي آيات ﴿طسٓۚ﴾ لتصحّ الإشارة إليه بتلك ويخبر عنه بأنها آيات القرآن، وقرىء مرفوعًا بالعطف على آيات، وهذه القراءة لما استلزمت أن يُشار إلى شيئين أحدهما مذكّر والآخر مؤنّث باسم إشارة المؤنث ولا وجه له؛ لأنه لا يقال: تلك هند وزيد، احتيج في توجيه هذه القراءة إلى تقدير المضاف، أي تلك آيات القرآن وآيات ﴿كتاب مبين﴾.اهـ شيخ زاده رحمه الله.

فيه كل ما هو كائن فهو (**يبين للناظرين فيه**) آياته، أو القرآن وآياته إنه يبيِّن ما أودع فيه من العلوم والحِكَم وعلى هذا عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى نحو (**هذا فعل السخي والجواد**). ونكر الكتاب ليكون أفخم له. وقيل: إنما نكر الكتاب هنا وعرفه في «الحجر» وعرف القرآن هنا ونكره ثَمَّ، لأن القرآن والكتاب اسمان عَلَمان للمُنَزَّل على محمد عَليه الصلاة والسلام ووصفان له لأنه يقرأ ويكتب، فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم، وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ في محل النصب على الحال من آيات أي هداية وبشارة فالعامل فيها ما في تلك من (**معنى الإشارة**)، أو الجرّ على أنه بدل من ﴿وَكِتَابٍ﴾ أو صفة له أو الرفع على هي هدى وبشرى، أو على البدل من ﴿ءَايَـٰتُ﴾ أو على أن يكون خبرًا بعد خبر لـ ﴿تِلْكَ﴾ أي تلك آيات وهادية من الضلالة ومُبَشِّرة بالجنة. وقيل: هدى لجميع الخلق وبشرى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خاصة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يُديمون على فرائضها وسننها ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يؤدّون زكاة أموالهم ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ من جملة صلة الموصول. ويحتمل أن تتم الصلة عنده وهو استئناف كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاةِ هم الموقنون بالآخرة، ويدل عليه أنه عقد جملة اسمية وكرر فيها المبتدأ الذي هو ﴿هُمْ﴾ حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامِعون بين الإيمان والعمل الصالح لأن خوف العاقبة (**يحملهم على تحمّل المشاقّ**).

قوله: (يبيّن) من الأفعال وهو المناسب لقوله: ﴿مُّبِينٍ﴾، وقد جوّز كونه من التفعيل. **قوله**: (**للناظرين فيه**) أي للملائكة الناظرين فيه. **قوله**: (**هذا فعل السخي والجواد**) أي هذا فعل الرجل السخي والجوّاد.

قوله: (**معنى الإشارة**) أشير أو أنبّه، وهو الذي سمّته النحّاة عاملًا معنويًّا. **قوله**: (**يحملهم على تحمّل المشاق**) المراد بالمشاقّ التكاليف الدينية وتحملها

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بخلق الشهوة حتى رأوا ذلك حسنًا كما قال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: الآية ٨] ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون في ضلالتهم كما يكون حال الضالّ عن الطريق ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ **(القتل والأسْر يوم بدر)** بما كان منهم من سوء الأعمال ﴿وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ أشد الناس خسرانًا لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ **(لتؤتاه)** وتلقنه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ من عند **(أيّ حكيم وأيّ عليم)** وهذا معنى تنكيرهما، وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿إِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» كأنه قال: على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ لزوجته ومَن معه عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق لأنه كان

إنما يعتدّ به إذا وافق الباطن الظاهر، أو هو بالنظر إلى الأغلب، فلا يردُ من يعمل رياء.

قوله: (القتل والأسر يوم بدر) حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ على قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

قوله: (لتؤتاه) قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٥] أي وما يؤتاها. **قوله**: (أيّ حكيم وأيّ عليم) إشارة إلى أن التنكير فيهما للتعظيم.

قد ضلّه ﴿أَوْ ءَاتِيكُم (بِشِهَابٍ﴾ **بالتنوين: كوفي**) أي شعلة مضيئة ﴿قَبَسٍ﴾ نار مقبوسة بدل أو صفة. (**وغيرهم: ﴿بشهاب قبس﴾ على الإضافة**) لأنه يكون قبسًا وغير قبس. ولا تدافع بين قوله ﴿سَآتِيكُم﴾ هنا و﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ في القصص مع أن أحدهما ترجٍّ والآخر تيقّن، لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة، ومجيئه بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة، بـ «أو» لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجَتَيْهِ جميعًا لم يعدم واحدة منها إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ولم يدرِ أنه ظافر على النار بحاجَتَيْهِ الكليتين وهما عزّ الدنيا والآخرة، واختلاف الألفاظ بين هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى، وجواز النكاح بغير لفظ التزوّج. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بالنار من البرد الذي أصابكم، والطاء بدل من تاء افتعل لأجل الصاد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي النار التي أبصرها ﴿نُودِيَ﴾ موسى (﴿أَن بُورِكَ﴾ **مخففة من الثقيلة وتقديره**): و(**نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن**،

قوله: (﴿بِشِهَابٍ﴾ **بالتنوين**) على القطع عن الإضافة (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف. **قوله**: (**وغيرهم: ﴿بشهاب قبس﴾**) بغير تنوين (**على الإضافة**) لبيان النوع، أي من قبس كخاتم فضّة.

قوله: (﴿أَن بُورِكَ﴾ **مخفّفة من الثقيلة، وتقديره: نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن**)، ولما ورد أن يقال: كيف جاز أن تكون مخفّفة وهي إذا دخلت على الفعل، وكان ذلك الفعل من الأفعال المتصرّفة وجب أن تفصل المخفّفة من الفعل بحرف من حروف التعويض، وهي السين نحو: علم أن سيقوم، وسوف، نحو: أن سوف يقوم، وقد، نحو: ليعلم أن قد أبلغوا، أو من حروف النفي نحو: علمت أن لم يقم، وأن لن يقوم، وأن لا يقوم وما قام وما يقوم فرقًا بينها وبين أن المصدرية، فإنّ أن المصدرية لا يفصل بينها وبين الفعل بشيءٍ من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى، فلا يفصل بينها وبين ما يؤثّر فيها لضعفها وتسمّي النحّاة هذه الحروف التي بعد أن المخفّفة بحروف التعويض لكونها

وجاز ذلك من غير عِوَض) وإن منعه الزمخشري لأن قوله ﴿بُورِكَ﴾ دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة، أو مفسّرة لأن في النداء معنى القول أي قيل له بورك أي قدّس أو جعل فيه البركة والخير ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي بورك مَن في مكان النار وهم الملائكة ومَن حول مكانها أي موسى لحدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو من جملة ما نودي فقد نزّه ذاته عمّا لا يليق به من التشبيه وغيره.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ الضمير في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾ للشأن والشأن أنا الله مبتدأ وخبره و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان للخبر، أو يرجع إلى ما دلَّ عليه ما قبله أي إن مُكَلِّمك أنا والله بيان لأنا و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان للمبين، وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يده من المعجزات ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ لتعلم معجزتك فتأنس بها وهو عطف على ﴿بُورِكَ﴾ لأن المعنى نودي أن بورك مَن في النار وأن ألقِ عصاك كلاهما تفسير لـ ﴿نُودِىَ﴾ والمعنى قيل له: بورك مَن في النار، وقيل له: ألقِ عصاك، ويدلّ على ما ذكر في سورة القصص ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ بعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: الآية ٣٠] على تكرير حرف التفسير ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك حال من الهاء في ﴿رَءَاهَا﴾ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حيَّة صغيرة حال من الضمير في ﴿تَهْتَزُّ﴾ ﴿وَلَّىٰ﴾ موسى ﴿مُدْبِرًا﴾ أدبر عنها وجعلها تلي ظهره خوفًا من وُثُوب الحيَّة عليه ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت أو لم يرجع. يقال قد عقَّب فلان إذا رجع يقاتل بعد أن ولَّى فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي لا يخاف عندي المرسلون حال خطابي إياهم أو لا يخاف لدي المرسلون من غيري. ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي لكن مَن ظلم من غيرهم لأن الأنبياء لا يظلمون، أو لكن مَن ظلم منهم مَن زَلَّ من المُرسَلين فجاء غير ما أذِنْت له مما يجوز على الأنبياء كما فرَّط من آدم ويونس وداود وسليمان عليهم السلام ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ أي أتبع توبة ﴿بَعْدَ

كالعوض عن إحدى نوني أنّ لما وردت هذه الشبهة أجاب عنها بقوله: **(وجاز ذلك من غير عوض)**... الخ.

﴿سُوٓءٍ﴾ زلَّه ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل توبته وأغفر زلَّته وأرحمه فأُحقِّق أُمنيته وكأنه تعريض بما قال موسى حين قتل القبطي: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ جيب قميصك وأخرجها ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ نَيِّرة تغلب نور الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص وبيضاء ومن غير سوء حالان ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ كلام مستأنف و«في» يتعلق بمحذوف (**أي اذهب** ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾) أو وألقِ عصاك وأدخل يدك (**في جملة** ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾) ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ «إلى» يتعلق بمحذوف أي مرسلًا إلى فرعون وقومه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن أمر الله كافرين.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي معجزاتنا ﴿مُبْصِرَةً﴾ حال أي ظاهرة بيِّنة (**جعل الإبصار لها**) وهو في الحقيقة لمتأمِّليها لمُلابستهم إياها بالنظر والتفكّر فيها، (**أو جعلت كأنها تُبصِر فتهدي**) لأن الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلًا أن يهدي غيره

قوله: (أي اذهب ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾) في بمعنى مع. اهـ شهاب رح. وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظًا متحصّنًا من بأس الأعداء بسببها كما يتحصّن مَنْ هو داخل الحصن المحيط به من شرّ مَنْ يُعاديه. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (في جملة ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾) فعلى هذا تكون الآيات تسعًا، وتكون هاتان الآيتان داخلتين في جملتهنّ وعدادهنّ ويكون قوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هما داخلتان في جملة تسع آيات.

قوله: (جعل الإبصار لها)... الخ. يعني أن الإبصار في الحقيقة صفة من نظر وتأمّل في الآيات وجعل نفس الآيات مبصرة على الإسناد المجازي للملابسة بينها وبين المتأمّلين فيها، والمتأمّلون إنما يبصرون بسبب تأمّلهم فيها، فلما كانت سببًا لإبصارهم نسب الإبصار إليها إسنادًا مجازيًّا. **قوله**: (أو جعلت كأنها تبصر فتهدي)، وفي تفسير البيضاوي: أو ذات بصر من حيث إنها تهدى والعُمْي لا

ومنه قولهم: «كلمة عيناء وعوراء» لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر لمَن تأمّله وقد قُوبِل بين المبصرة والمبين.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ قيل: الجحود لا يكون إلا مِن علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح، لأن الجحود هو الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنّتًا كذا ذكره في شرح التأويلات. وذكر في الديوان يقال جحد حقه وبحقه بمعنى. والواو في ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ﴾ للحال و«قد» بعدها مضمرة والاستيقان أبلغ من الإيقان ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ أي جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم ﴿ظُلْمًا﴾ حال من الضمير في ﴿وَجَحَدُواْ﴾ وأيّ ظلم أفحش من ظلم مَن استيقن أنها آيات من عند الله ثم سمّاها سحرًا بيّنًا ﴿وَعُلُوًّاۚ﴾ ترفّعًا عن الإيمان بما جاء به موسى ﴿فَٱنظُرْ (كَيْفَ) كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وهو الإغراق هنا والإحراق ثمة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ﴾ **(طائفة)** من العلم **(أو علمًا سَنِيًّا)** غزيرًا والمراد علم الدين والحكم ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والآيات حجة لنا على المعتزلة في ترك الأصلح وهنا محذوف ليصحّ عطف الواو عليه ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء كقولك: «أعطيته

تهتدي فضلًا عن أن تَهْدي. اهـ. وفي حاشيته للعلامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: أو ذات بصر على أن يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن، فيكون إثبات البصر لها تخييلًا للاستعارة المكنية بأن شبّه الآيات بالشخص الهادي، وأثبت لها الإبصار على وجه التخييل قرينة لها؛ لأن الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلًا عن أن يهدي غيره. اهـ.

قوله: (﴿كَيْفَ﴾) خبر كان قدم عليها وعاقبة اسمها.

قوله: (طائفة) أي طائفة مِن العلم على أن يكون التنكير للنوعية؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧]. **قوله**: (أو علمًا سنيًّا) أي

فشكر»، وتقديره: آتيناهما علمًا فعَمِلا به وعلّماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذي فضَّلنا، والكثير المفضل عليه مَن لم يُؤتَ علمًا أو مَن لم يؤتَ مثل علمهما، وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير. وفي الآية دليل على شرف العلم وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجلّ النِّعَم، وأن مَن أُوتيه فقد أُوتي فضلًا على كثير من عباده، وما سمّاهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء إلا لمُداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله، وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة أن يحمدوا الله على ما أُوتوه، وأن يعتقد العالِم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عَلَيْهِ مثلهم، (**وما أحسن قول عمر رضي الله عنه: كل الناس أفقه من عمر**) رضي الله عنه.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ ورث منه النبوّة والملك دون سائر بَنِيه (**وكانوا تسعة عشر**) قالوا: أُوتي النبوّة مثل أبيه فكأنه ورثه وإلا فالنبوَّة لا تورث ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ تشهيرًا لنعمة الله تعالى واعترافًا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير. والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد، وكان سليمان عليه السلام يفهم منها كما يفهم بعضها من بعض. رُوِيَ أنه صاحب (**فاختة**) فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم

رفيعًا على أن يكون التنوين للتعظيم. **قوله**: (**وما أحسن قول عمر رضي الله عنه: كل الناس أفقه من عمر**)، قال المصنّف ﷺ في سورة النساء: قال عمر رضي الله تعالى عنه على المنبر: لا تغالوا بصدقات النساء، فقالت امرأة: أنتبع قولك أم قول الله: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: الآية ٢٠]، فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر، تزوّجوا على ما شئتم. اهـ.

قوله: (**وكانوا تسعة عشر**) أي كان لداود تسعة عشر ابنًا وأعطى من بينهم سليمان ما أعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين، قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكًا من داود، وكان داود أشدّ تعبّدًا من سليمان. **قوله**: (**فاختة**) واحدة الفواخت من ذوات الأطواق، وهي بفتح الفاء وكسر الخاء

يخلقوا، وصاح طاوس فقال: يقول: (**كما تدين تُدان**)، وصاح (**هدهد**) فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبين، وصاح (**خطاف**) فقال: يقول: قدِّموا خيرًا تجدوه. وصاحت (**رخمة**) فقال: تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمري فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى. وقال: (**الحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله**). والقطاة تقول: مَن سكت سلم. والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت. (**والعقاب**) يقول: في البُعد من الناس أنس. (**والضفدع**) يقول: سبحان ربي القدّوس ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ المراد به كثرة ما أُوتي كما تقول فلان يعلم كل شيء ومثله ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ قوله وارد على سبيل الشكر كقوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي أقول هذا القول شكرًا ولا أقوله فخرًا، والنون في ﴿عُلِّمْنَا﴾ و﴿وَأُوتِينَا﴾ نون الواحد المُطاع وكان ملكًا مطاعًا فكلّم أهل طاعته على الحال التي كان عليها وليس التكبّر من لوازم ذلك.

المعجمة وبالتاء المثنّاة في آخرها، قاله في الكفاية، ويقال للفاختة الصلصل أيضًا بضم الصادَيْن المهملتين، انتهى. اهـ حياة الحيوان الكبرى للعلّامة الدميري رحمه الله.
قوله: (كما تُدين تُدان) أي كما تفعل تُجازى بفعلك سمّى الفعل المبتدأ جزاء والجزاء هو الفعل الواقع بعده ثوابًا كان أو عقابًا للمشاكلة، كما سمّى جزاء السيّئة سيّئة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، مع أن الجزاء المُماثل مأذون فيه شرعًا، فيكون بحسب الأشياء.

قوله: (هدهد) بضم الهائين وإسكان الدال المهملة بينهما. **قوله**: (**خطاف**) بضم الخاء المعجمة وهو من الطيور القواطع إلى الناس تقطع البعيدة إليهم رغبة في القرب منهم، ثم إنها تبني بيوتها في أبعد المواضع عن الوصول إليها. **قوله**: (رخمة) بالتحريك طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة.

قوله: (الحدأة) بكسر الحاء المهملة مهموز مثل عِنَبة. **قوله**: (تقول: كل **شيء هالك إلا الله**) وفي حياة الحيوان تقول في صياحها: كل شيء هالك إلا وجهه. **قوله**: (والعقاب) بالضمّ طائر معروف. **قوله**: (**والضفدع**) بكسرتين.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَحُشِرَ﴾ وجمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ رُوِيَ أن **(معسكره)** كان **(مائة فرسخ)** في مائة فرسخ، خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة **(سرية)**، وقد نسجت له الجن بساطًا من ذهب و**(إبريسم)** فرسخًا في فرسخ، وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب وفضة فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول

قوله: **(معسكره)** في المصباح: العسكر الجيش، قال ابن الجواليقي: فارسي معرب وشهدت العسكرين أي عرفة ومنى، لأنهما موضعا جمع وعسكرت الشيء جمعته، فهو معسكر وزان دحرجته، فهو مدحرج ومنه معسكر القوم على صيغة المفعول لموضع اجتماع العسكر وبكسر الكاف اسم فاعل لجامع العسكر. اهـ. **قوله**: **(مائة فرسخ)** الفرسخ ثلاثة أمْيال، والمِيل عند القدماء من أهل الهيئة ثلاث آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتّفقوا على أن مقداره ستّ وتسعون ألف إصبع، والإصبع ستّ شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون إصبعًا، والمحدثون يقولون: أربع وعشرون إصبعًا، فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنين وثلاثين كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع وإن قسم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكلّ ثلاثة أميال. **قوله**: **(سرية)** في مختار الصحاح: السُّرّيَّة الأمة التي بَوّأتها بيتًا وهي فُعْلِيّة منسوبة إلى السِّر وهو الجماع والإخفاء؛ لأن الإنسان كثيرًا ما يَسْتُرها ويُسِرُّها عن حُرّته، وإنما ضُمَّتْ سِينه لأن الأبنية قد تغير في النِّسَب خاصة، كما قالوا في النسبة إلى الدَّهْر دُهْريّ وإلى الأرض السَّهْلة سُهْلي بضمّ أولهما والجمع السَّرَاري، وقال الأخفش: هي مشتقة من السُّرور لأنه يُسَرّ بها، يقال: تسرّر جارية وتَسَرَّى كما قالوا: تظنَّن وتظنّى. اهـ. **قوله**: **(إبريسم)** في مختار الصحاح: الإبْرِيسَمَ معرّب، وفيه ثلاث لغات والعرب تَخْلط فيما ليس من

الناس الجن والشياطين، وتظلّه الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه حرّ الشمس، وترفع ريح الصّبا البساط فتسير به مسيرة شهر. وُيروَى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك، فيُحكَى أنه مرَّ (بحراث) فقال: لقد أُوتي آل داود ملكًا عظيمًا فألقته الريح في أُذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال: إني جئت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أُوتي آل داود ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم أي يوقف (سلاف العسكر) حتى يلحقهم التوالي ليكونوا مجتمعين وذلك للكثرة العظيمة. والوزع: المنع، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: «ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ أي ساروا حتى إذا بلغوا وادي النمل وهو واد بالشام كثير النمل. (وعُدِّي بـ «علَى») لأن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ عرجاء تسمى طاخية أو منذرة. وعن (قتادة) أنه دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس فقال: سلوا عمّا شئتم فسأله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو

كلامها، قال ابن السِّكِّيت: هو الإِبْرِيْسَم، وقال غيره هو الإِبْرِسيم، وقال ابن الأعرابي: هو الإِبْرِيسَمَ بكسر الهمزة والراء وفتح السين، قال: وليس في الكلام إِفْعِلِيل بالكسر، ولكن إِفْعِيلَل مثل اهْلِيلَج وإِبْرِيسْمَ.اهـ. **قوله**: (**بحرَّاث**) في المصباح: حرث الأرض حَرْثًا أثارها للزراعة، فهو حَرَّاث.اهـ. **قوله**: (**سُلّاف العسكر**) مقدمة الجيش وفي الأساس سلف القوم تقدَّموا سلوفًا وهم سلف لمن وراءهم، وهم أسلاف العسكر.اهـ. وفي المصباح: سلف سلوفًا من باب قعد مضى وانقضى فهو سالف، والجمع سَلَف وسُلّاف مثل خَدَم وخُدَّام ثم جمع السلف على أسلاف ومثل سبب وأسباب.اهـ.

قوله: (وعدّي بـ «علَى») مع أنه يتعدّى بنفسه أو بإلى. **قوله**: (قتادة) كان تابعيًّا وكان عالمًّا كبيرًا رضي الله تعالى عنه.

شاب عن نملة سليمان أكانت ذكرًا أم أُنثى؟ (فأفحم، فقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه): كانت أُنثى. فقيل له: بماذا عرفت؟ فقال: بقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولو كانت ذكرًا لقال قال نملة، وذلك أن النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أُنثى وهو وهي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ ولم يقل: «ادخلن» لأنه لما جعلها قائلة والنمل مقولًا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسرنكم، والحطم الكسر وهو نهي مستأنف وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهنّ عن البروز والوقوف (على طريقة «لا أُرينك هٰهنا») أي لا تحضر هذا الموضع. (وقيل: هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لأنه من ضرورات الشعر) ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ قيل: أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون بمكانكم أي لو شعروا لم يفعلوا، قالت ذلك على وجه العذر واصفة سليمان وجنوده بالعدل فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال.

قوله: (**فأُفحم**) أي أُسكت. **قوله**: (فقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه)... الخ. يعني أن التأنيث لفظي ومعنوي واللفظي لا يعتبر في لحوق علامة التأنيث بالفعل البتّة، بدليل أنه لا يجوز: قامت طلحة ولا حمزة على مذكّر، فتعيّن أن يكون اللحوق إنما هو للتأنيث المعنوي. **قوله**: (**على طريقة: لا أرينك هٰهنا**) أي كما أن النهي في لا أرينك هٰهنا متوجه بحسب الظاهر إلى المتكلم، لكنه كناية عن نهي المخاطب عن الوقوف في مكانه فيراه، فإن وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلّم إيّاه، فجعل النهي عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم.

قوله: (**وقيل: هو جواب الأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد؛ لأنه من ضرورات الشعر**) عبارة تفسير البيضاوي: لا جواب له، فإن النون لا يدخله في السعة. اهـ. وفي حاشيته للقنوي رحمه الله قوله: فإن النون قد جوّز كونه جوابًا له، وأجاب عن هذا في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: الآية ٢٥] الآية، فبين كلامه تدافع ولعلّه أن فيه قولين اختار أحدهما هناك والآخر هنا. اهـ.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ متعجبًا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل، أو فرحًا لظهور عدله. و﴿ضَاحِكًا﴾ حال مؤكدة لأن تبسّم بمعنى ضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسّم كذا قاله (**الزجّاج**) ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني وحقيقته كفّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من النبوّة والمُلْك والعلم ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ لأن الإنعام على الوالدين إنعام على الولد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ في بقية عمري ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ وأدخلني الجنة برحمتك لا بصالح عملي إذ (لا يدخل الجنة أحد إلا برحمته **كما جاء في الحديث**) ﴿فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي في زمرة أنبيائك المرسلين أو مع عبادك الصالحين. رُوِيَ أن النملة (**أحسّت**) بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا (**يذعرن**) حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة.

قوله: (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد ﷺ. **قوله**: (**كما جاء في الحديث**) أخرج البيهقي في الدعوات الكبير عن عائشة عن النبيّ ﷺ قال: «هل تدرين ما في هذه الليلة»؟ يعني ليلة النصف من شعبان، قالت: ما فيها يا رسول الله؟ فقال: «فيها أن يكتب كل مولود بني آدم في هذه السنة، وفيها أن يكتب كل هالك بني آدم في هذه السنة، وفيها تُرفع أعمالهم وفيها تنزل أرزاقهم»، فقالت: يا رسول الله ما من أحد يدخل الجنّة إلا برحمة الله تعالى؟ فقال: «ما من أحد يدخل الجنّة إلّا برحمة الله تعالى» ثلاثًا، قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ فوضع يده على هامته فقال: «ولا أنا، إلّا أن يتغمّدني الله منه برحمته» يقولها ثلاث مرات.اهـ. وقولها رضي الله تعالى عنها: (**قالت**) نُقل بالمعنى، والظاهر قلت، وقوله: («ما من أحد يدخل **الجنّة إلّا برحمة الله تعالى**») لا يعارضه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف: الآية ٧٢] لأن العمل سبب صوري، وسببه الحقيقي هو رحمة الله تعالى لا غير، على أنه من جملة الرحمة بالعبد فلم يدخل إلّا بمحض الرحمة على كل تقدير. **قوله**: (**أحست**) أي علمت. **قوله**: (**يَذْعَرْن**) أي يخوفن، في لسان العرب: ذُعر فلان ذُعْرًا فهو مذعور، أي أخيف.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ (مَالِىَ﴾ **مكي وعلي وعاصم**)، وغيرهم بسكون الياء. والتفقّد طَلَبُ ما غاب عنك ﴿لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ «أم» بمعنى بل والمعنى أنه تعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال: ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: بل هو غائب. وذكر أن سليمان عليه السلام لمّا حجّ خرج إلى اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال فنزل ليصلّي فلم يجد الماء وكان الهدهد (قُناقِنَهُ) وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتستخرج الشياطين الماء فتفقده لذلك. وذكر أنه وقعت (**نفحة**) من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال، فدعا عريف الطير ـ وهو النسر ـ فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير ـ وهو العقاب: (**عليّ به**)، فارتفع فنظر فإذا هو مُقبِل فقصده (**فناشده الله**) فتركه، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرّهما على الأرض وقال: يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو بالتفريق بينه وبين (**إلفه**)، أو بإلزامه خدمة أقرانه، أو بالحبس مع أضداده. وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد. أو بإبداعه القفص أو بطرحه بين يدي النمل ليأكله.

قوله: (﴿مَالِىَ﴾) بفتح الياء (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وعليّ**) الكسائي (**وعاصم**)، وغيرهم بسكون الياء. **قوله**: (**قُناقِنة**) في لسان العرب: القُناقِن ـ بالضم ـ البصير بالماء تحت الأرض، وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القُنى والجمع القَناقن بالفتح. اهـ. **قوله**: (**نفحة**) قطعة. **قوله**: (**عليّ به**) أي ائتني به، في منتهى الإرب في لغات العرب: يقال: عليّ بزيد، أي ائتني به. اهـ باختصار. **قوله**: (**فناشده الله**) في لسان العرب: في المحكم: نشدتك الله نَشْدة ونِشْداناً استحلفتك بالله وأنشُدُك بالله إلّا فعلتَ، أستحلفك بالله، وأنشدك الله وبالله وناشدتكَ الله وبالله أي سألتك وأقسمت عليك. اهـ.

قوله: (**إلْفه**) بالكسر أي الذي يألَفُهُ.

وحلّ له تعذيب الهدهد لما رأى فيه من المصلحة كما حلّ ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع، وإذا سخر له الطير لم يتم التسخير إلا بالتأديب والسياسة ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ بالنون الثقيلة ليُشاكِل قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ وحذف نون العماد للتخفيف. (﴿ليأتينني﴾ بنونين: **مكي**) الأول للتأكيد والثاني للعماد ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة له فيها عذر ظاهر على غيبته. والإشكال أنه حلف على أحد ثلاثة أشياء: اثنان منها فعله ولا مقال فيه، والثالث فعل الهدهد وهو مشكل لأنه من أين درى أنه يأتي بسلطان حتى قال: والله ليأتيني بسلطان؟ وجوابه أن معنى كلامه ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح، وإن لم يكن أحدهما وليس في هذا دعاء دراية.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد بعد تفقّد سليمان إياه، (**وبضم الكاف غير عاصم وسهل بن محمد ويعقوب**)، وهما لغتان ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي مُكْثًا غير طويل أو غير زمان بعيد كقوله: «عن قريب» ووصف مُكْثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفًا من سليمان. فلما رجع سأله عمّا لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾ علمت شيئًا من جميع جهاته ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ ألهم الله الهدهد (**فكافح**) سليمان بهذا الكلام مع ما أُوتي من فضل النبوّة والعلوم (**الجمة**) ابتلاء له في علمه، وفيه دليل بُطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ غير منصرف. أبو عمرو جعله اسمًا للقبيلة أو المدينة وغيره بالتنوين فجعله اسمًا للحيّ أو الأب الأكبر ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ النبأ الخبر الذي له شأن، وقوله ﴿مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ﴾ من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع لفظًا ومعنى هٰهنا ألا ترى

قوله: (**«ليأتينني» بنونين**) أولاهما نون التأكيد المشدّدة المفتوحة، وثانيتهما نون الوقاية المكسورة (**مكّي**) أي ابن كثير المكي، والباقون بنون واحدة مكسورة.

قوله: (**وبضمّ الكاف غير عاصم وسهل بن محمد ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة، وقرأ عاصم وسهل ويعقوب بفتح الكاف. **قوله**: (**أي مكثا غير طويل**) يعني أن قوله عليه الصّلاة والسلام ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ صفة مصدر محذوف. **قوله**: (**فكافح**) أي باشر. **قوله**: (**الجمّة**) الكثيرة.

أنه لو وضع مكان ﴿بِنَبَإٍ﴾ بخبر لكان المعنى صحيحًا وهو كما جاء أصحّ لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ﴾ هي بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكان هي وقومها مجوسًا يعبدون الشمس. والضمير في ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾ راجع إلى سبأ على تأويل القوم أو أهل المدينة ﴿وَأُوتِيَتۡ﴾ حال، و«قد» مقدّرة ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من أسباب الدنيا ما يليق بحالها ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ سرير عظيم ﴿عَظِيمٞ﴾ كبير. قيل: كان ثمانين ذراعًا في ثمانين ذراعًا وطوله في الهواء ثمانون ذراعًا، وكان من ذهب وفضة وكان مرصّعًا بأنواع الجواهر وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرّد، وعليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق. واستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم عرضها لذلك، وقد أخفى الله تعالى على سليمان ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي سبيل التوحيد ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ إلى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدّي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحُرمة السجود للشمس إلهامًا من الله لَهُ كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها.

﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾ بالتشديد (أي فصدّهم عن السبيل لأن لا يسجدوا) فحذف الجار مع «أن» وأُدغمت النون في اللام، ويجوز أن تكون «لا» مزيدة ويكون

قوله: (أي فصدّهم عن السبيل لأن لا يسجدوا)، أي فصدّهم عن سبيل الحقّ لأجل أن لا يسجدوا فحذفت لام الأجل وأُدغمت النون في اللام، فصار:

المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا. (وبالتخفيف): يزيد (وعلي)، وتقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا فـ «ألا» للتنبيه و«يا» حرف نداء ومُناداه محذوف، فمَن شدَّد لم يقل إلا على العرش العظيم، ومَن خفَّف وقف على ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم ابتدأ ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ أو وقف على ﴿ألا يا﴾ ثم ابتدأ ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ وسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعًا (**بخلاف ما يقوله الزجّاج أنه لا يجب السجود مع التشديد**)، لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح للآتي بها أو ذمّ لتاركها، وإحدى القراءتين أمر (والأخرى ذمَ للتّارك) ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ سمّى المخبوء بالمصدر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قتادة خبء السماء المطر وخبء الأرض النبات ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (وبالتاء فيهما: عليّ وحفص) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ وصف الهدهد عرش الله بالعظيم تعظيم به بالنسبة إلى سائر ما خلق من السمٰوات والأرض، ووصفه عرش بلقيس تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك إلى هٰهنا كلام الهدهد.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

فلما فرغ من كلامه ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ﴾ من النظر الذي هو التأمل ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرت ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وهذا أبلغ من «أم كذبت» لأنه إذا كان معروفًا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبًا لا مَحالَة، وإذا كان كاذبًا اتُّهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به، ثم كتب سليمان كتابًا صورته: مَن عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم السلام

﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾. قوله: (وبالتخفيف) أي بهمزة مفتوحة وتخفيف اللام يزيد[1] بن القعقاع المدني وليس من السبعة، (وعليّ) الكسائي، وكذا رويس عن يعقوب، والباقون بالهمزة وتشديد اللام. قوله: (بخلاف ما يقوله الزجاج أنه لا يجب السجود مع التشديد) لعدم وجود لفظ الأمر فيها. قوله: (والأخرى ذمّ للتارك) ففي قراءة التشديد وإن لم يصرّح بالأمر بها إلّا أنها تدلّ على ذمّ مَنْ تركها، فتدلّ على الوجوب أيضًا. قوله: (وبالتاء فيهما عليّ) الكسائي (وحفص)، والباقون بالياء من تحت فيهما.

(١) هو أبو جعفر. ١٢ منه رَحِمَهُ الله.

على مَن اتّبع الهدى، أما بعد فلا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين وطبعه بالمِسْك وختمه بخاتمه وقال للهدهد:

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ﴾ بسكون الهاء تخفيفًا: أبو عمرو وعاصم وحمزة، ويختلسها كسرًا لتدلّ الكسرة على الياء المحذوفة: يزيد وقالون ويعقوب، ﴿فَأَلْقِهْ﴾ بإثبات الياء: غيرهم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها لأنه ذكرهم معها في قوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم ولا يرونك ليكون ما يقولونه بمَسمَع منك ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ما الذي يردّونه من الجواب. فأخذ الهدهد الكتاب بمِنقاره ودخل عليها من **(كوّة)** فطرح الكتاب على نحرها وهي راقدة وتوارى في الكوّة فانتبهت فَزِعَة، أو أتاها والجنود حواليها **(فرفرف)** ساعة وألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة، فلما رأت الخاتم.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالَتْ﴾ لقومها خاضعة خائفة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ﴾ **(وبفتح الياء: مدني)** ﴿أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ حسن مضمونه **(وما فيه)** أو مختوم. قال عليه الصلاة والسلام: «كرم الكتاب ختمه»، وقيل: مَن كتب إلى أخيه كتابًا ولم يختمه فقد استخفَّ به،

قوله: (كَوَّة) في المصباح: الكوّة ـ تُفتح وتضمّ ـ الثقبة في الحائط، وجمع المفتوح على لفظه **كوّات** مثل حبة وحبّات، وكواء أيضًا بالكسر والمدّ مثل ظبية وظِباء وركوة وركاء، وجمع المضموم كوى ـ بالضمّ والقصر ـ مثل مدية ومُدى. اهـ. **قوله: (فرَفرَفَ)** أي حرّك جناحيه، في لسان العرب: الرفرفة تحريك الطائر بجناحَيْه وهو في الهواء، فلا يبرحُ مكانه.

قوله: (وبفتح الياء: مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بالسكون. **قوله: (وما فيه)** أي ما في مضمونه من اللفظ والمعنى.

أو مُصَدَّر ببسم الله الرحمٰن الرحيم أو لأنه من عند مَلِك كريم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ هو تبيين لما أُلقي إليها كأنها لما قالت: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ قيل لها: ممَّن هو وما هو؟ فقالت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ وإنه كيت وكيت.

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾

و«أن» في ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟﴾ لا تترفعوا ﴿عَلَيَّ﴾ ولا تتكبَّروا كما يفعل الملوك (مُفسّرة) كقوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [صٓ: الآية ٦] يعني أي امشوا ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ مؤمنين أو منقادين وكتب الأنبياء مبنية على الإيجاز والاختصار ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أشيروا عليّ في الأمر الذي نزل بي. والفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة في الفتاء في السنّ، والمراد هنا بالفتوى الإشارة عليها بما عندهم من الرأي، وقصدها بالرجوع إلى استشارتهم تطييب أنفسهم (ليمالؤها) ويقوموا معها ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ فاصلة أو ممضية حكمًا ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ بكسر النون، **(والفتح لحن)** لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع النصب، وأصله تشهدونني فحذفت النون الأولى للنصب والياء لدلالة الكسرة عليها. وبالياء في الوصل والوقف: يعقوب أي تحضروني أو تشيروني أو تشهدوا أنه صواب أي **(لا أبتّ الأمر)** إلا

قوله: (مفسّرة) بمعنى أي بناء على أن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ متعلّقة بالقول كأنه قيل: أقول بسم الله الرحمٰن الرحيم، ثم فسّر المقول بقول: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ﴾ [النمل: الآية ٣١] ولا تتكبّروا. **قوله**: **(ليمالؤها)** أي ليعاونوها، يقال: مالأته على الأمر مُمالأة، أي ساعَدْته عليه مساعدة، وتمالؤوا على الأمر أي اجتمعوا عليه وتعاونوا. **قوله**: **(والفتح لحن)** في المصباح: لَحَن في كلامه لحنًا من باب نفع أخطأ في العربية، قال أبو زيد: في كلامه لحنًا بسكون الحاء ولحونًا وحضرم فيه حضرمة إذا أخطأ الإعراب وخالف وجه الصواب. اهـ. وفي مختار الصحاح: اللَّحْن الخطأ في الإعراب وبابه قطع، ويقال: فلان لَحّان ولحّانة أيضًا، أي مخطئ والتلحين التخطئة. اهـ. **قوله**: **(لا أبتّ الأمر)** من بتّ يبتّ إذا قطع، أي لا أقطع أمرًا ولا

بمحضركم. وقيل: كان (أهل مشورتها) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا كل واحد على عشرة آلاف.

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾

﴿قَالُواْ﴾ مُجيبين لها ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ أرادوا بالقوة قوة الأجساد والآلات وبالبأس (النجدة) والبلاء في الحرب ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ أي موكول إليك ونحن مُطيعون لك فمُرينا بأمرك (نطعك) ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال، أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك. فلما (أحست) منهم الميل إلى المحاربة مالت إلى المصالحة ورتبت الجواب (فزيفت) أولًا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه حيث ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ (عنوة وقهرا) ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ خرَّبوها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ أذلُّوا أعزّتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم سوء عاقبة الحرب ثم قالت ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أرادت وهذه عادتهم المستمرة التي لا تتغيَّر لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت. ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد. وقيل: هو تصديق من الله لقولها، واحتجّ الساعي في الأرض بالفساد بهذه الآية. ومَن استباح حرامًا فقد كفر، وإذا احتجّ له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كُفرَين.

أجزم به ولا أفعله بتًّا. قوله: (أهل مشورتها) فيها لغتان: سكون الشين وفتح الواو، والثانية: ضمّ الشين وسكون الواو، وزان معونة. اهـ مصباح.

قوله: (النجدة) بكسر النون وبعدها جيم ودال مهملة بمعنى الشجاعة. قوله: (نطعك) بالجزم جواب الأمر. قوله: (أحست) بمعنى فهمت. قوله: (فزيفت) أي ردّت.

قوله: (عنوة) في المصباح: عنا يعنو عنوةً إذا أخذ الشيء قهرًا، وكذلك إذا أخذه صلحًا، فهو من الأضداد. اهـ. فقوله: (وقهرا) عطف تفسير.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أي مُرسِلَة رسلًا بهدية. ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ فمنتظرة ﴿بِمَ﴾ أي بـ «ما» لأن الألف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام ﴿يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ بقبولها أم بردّها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم، فإن كان ملكًا قبلها وانصرف، وإن كان نبيًّا ردّها ولم يرضَ منها إلا أن نتبعه على دينه. فبعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب (الجواري وحليّهنّ) راكِبي خيل مغشاة بالديباج مُحلّاة (اللجم) والسروج بالذهب المرصَّع بالجواهر، وخمسمائة جارية على (رماك) في (زيّ الغلمان)، وألف (لبنة) من ذهب وفضة وتاجًا مكلَّلًا بالدرّ والياقوت و(حقًّا) فيه (درة عذراء وجزعة معوجة الثقب)، وبعثت رسلًا وأمرت عليهم المنذر بن عمرو بدليل قوله تعالى: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾. وكتبت كتابًا فيه نسخة الهدايا وقالت فيه: إن كنت نبيًّا فميِّز بين (الوصفاء والوصائف) وأخبر بما في الحق وأثقب بالدرّة ثقبًا واسلك في (الخرزة) خيطًا. ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك

قوله: (الجواري) جمع الجارية. قوله: (وحليهنّ) في مختار الصحاح: الحَلْيُ حلى المرأة والجمع حُلِيٌّ مثل ثَدْيٍ وثُدِيّ، وقد تكسر الحاء وقد قرىء: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضم الحاء وكسرها. اهـ. قوله: (اللجم) في المصباح: اللّجام للفرس، قيل: عربي، وقيل: معرب، والجمع لجم مثل كتاب وكتب. اهـ. قوله: (رماك) في المصباح: الرمكة الأنثى من البراذين، والجمع رماك مثل رَقبة ورقاب. اهـ. قوله: (زي الغلمان) الزِّي - بالكسر - اللّباس والهيئة، والغِلْمان جمع الغلام. قوله: (لبنة) في مختار الصحاح: اللبَنَة التي يُبْنى بها، والجمع لَبِن مثل كَلِمة وكَلِم، وقال ابن السكِّيت: من العرب مَنْ تقول: لِبْنة ولِبن مثل لِبْدة ولِبْد. اهـ. قوله: (حقًّا) بضم الحاء وتشديد القاف بمعنى الحقّة، وهي معروفة. قوله: (درة عذراء) أي لم تُثقب وهو استعارة حسنة. قوله: (وجزعة) بكسر الجيم وتفتح وسكون الزاي والعين المهملة نوع من الجوهر ملوّن. قوله: (معوجة الثقب) تعويج ثقبها لئلا يمكن إدخال سلك فيها. قوله: (الوصفاء والوصائف) في المصباح: الوصيف الغلام دون المراهق، والوصيفة الجارية كذلك، والجمع وصفاء ووصائف مثل كريم وكرماء وكريمة وكرائم. اهـ. قوله: (الخرزة) في مختار الصحاح: الخَرَز - بفتحتين - الذي ينظم الواحدة خَرَزة. اهـ.

نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنَّك منظره، وإن رأيته بشَّاشًا لطيفًا فهو نبي. فأقبل الهدهد وأخبر سليمان الخبر كله فأمر سليمان الجن فضربوا لَبِنات الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطًا (**شرفه**) من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللَّبِنات، وأمر بأولاد الجنّ وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار، ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه، واصطفَّت الشياطين صفوفًا فراسخ، والإنس صفوفًا فراسخ، والوحش والسِّباع والطيور والهوام كذلك، فلما دنا القوم ورأوا الدواب تروث على اللبن رموا بما معهم من الهدايا، ولما وقفوا بين يديه نظر إليها سليمان بوجه طلق فأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال: أين الحق؟ فأمر (**الأَرَضَة فأخذت شعرة**) ونفذت في الدرّة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفِيها ونفَذَت فيها، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم ردَّ الهدية وقال للمنذر: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ رسولها المنذر بن عمرو ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ بنونين وإثبات الياء في الوصل والوقف: (**مكي وسهل**)، وافقهما (**مدني**) وأبو عمرو في الوصل.

وفي المصباح: الخرز معروف الواحدة خرزة مثل قَصَب وقصبة. اهـ. **قوله:** (**شرفه**) في مختار الصحاح: الشَّرَف العُلُوّ والمكان العالي، وشرفة القصر واحدة الشُّرَف كغرفة وغرف. اهـ.

قوله: (**الأَرَضَة**) وهي دُويبة تثقب الأشجار وتفسدها. اهـ قنوي. وفي التمجيد: الأرضة ـ بالتحريك ـ دُويبة تأكل الخشب. اهـ. **قوله:** (**فأخذت شعرة**) الفاء فصيحة أي فثقبتها، فأخذت شعرة ونفذت بالمعجمة أي خرقتها بدخولها.

قوله: (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وسهل**) بن محمد وليس من السبعة. **قوله:** (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. **قوله:**

(﴿أتمدوني﴾ **حمزة ويعقوب في الحالين**)، وغيرهم بنونين بلا ياء فيهما، والخطاب للرُّسُل ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوّة والمُلْك والنِّعمة. (**وبفتح الباء: مدني وأبو عمرو وحفص**) ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من زخارف الدنيا ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ الهدية اسم المهدي كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمُهدَى له تقول: «هذه هدية فلان» تريد هي التي أهداها أو أُهدِيَت إليه، والمعنى إن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغِنى الأوسع، وآتاني من الدنيا ما لا يُستَزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمدّ بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تُزادون ويُهدَى إليكم لأن ذلك مبلغ همّتكم، وحالي خلاف حالكم وما أرضي منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية. والفرق بين قولك: «أتمدونني بمال وأنا أغنى منكم» وبين أن تقوله بالفاء أني إذا قلته بالواو جعلت مُخاطِبي عالمًا بزيادتي في الغنى وهو مع ذلك يمدّني بمال، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممَّن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له: أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه، وعليه ورد ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ ووجه الإضراب أنه لما أنكر عليهم الإمداد وعلّل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رِضا ولا فرح إلا أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب للرسول أو الهدهد مُحَمَّلًا كتابًا آخر إليهم ائت بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها وحقيقة القِبَل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من سبأ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ الذلّ أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والمُلْك، والصغار أن يقعوا في أسْر واستعباد. فلما رجع إليها رسولها بالهدايا وقصَّ عليها القصة قالت: هو نبي وما لنا

(﴿أتمدوني﴾) بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وإثبات الياء بعدها (**حمزة ويعقوب في الحالين**) أي في الوصل والوقف. **قوله:** (**وبفتح الباء: مدني**) أي نافع المدني وأبو جعفر المدني (**وأبو عمرو وحفص**)، والباقون بحذفها وَصْلًا ووقفًا.

به طاقة ثم جعلت عرشها في آخر سبعة أبيات وغلّقت الأبواب ووكّلت به حرسًا يحفظونه، وبعثت إلى سليمان إني قادمة إليك لأنظر ما الذي تدعو إليه، و(**شخصت**) إليه في اثني عشر ألف. (قَيْل): تحت كل قيل ألوف فلما بلغت على رأس فرسخ من سليمان.

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ أراد أن يُريها بذلك بعض ما خصّه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع إطلاعها على عِظَم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوّة سليمان، أو أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحلّ له أخذ مالها وهذا بعيد عند أهل التحقيق، أو أراد أن يُؤتَى به فيُنكر ويغيّر ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارًا لعقلها ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو الخبيث المارد واسمه ذكوان ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ﴾ مجلس حكمك وقضائك ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ على حمله ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ آتي به كما هو لا آخذ منه شيئًا ولا أُبدله. فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من هذا.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي ملك بيده كتاب المقادير أرسله الله تعالى عند قول العفريت، أو جبريل عليه السلام، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ، أو الخضر أو (**آصف بن برخياء**) كاتب سليمان وهو الأصح وعليه الجمهور، وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وهو: يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال

قوله: (شخصت) أي خرجت، في المصباح: شخص يشخص ـ بفتحتين ـ شخوصًا خرج من موضع إلى غيره. اهـ. **قوله**: (قَيْل) بفتح القاف أي مَلِك.

قوله: (آصف) بالمدّ (ابن برخياء) بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة وبعده مثناة تحتية ويمدّ ويقصر.

والإكرام أو يا إلٰهنا وإلٰه كل شيء إلٰهًا «واحدًا» لا إلٰه إلا أنت. وقيل: كان له علم بمجاري الغيوب إلهامًا ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ بالعرش و﴿ءَاتِيكَ﴾ في الموضعين (يجوز أن يكون فعلًا) أو اسم فاعل. ومعنى قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن تردّه أبصرت العرش بين يديك. ويُروَى أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مدَّ عينيك حتى ينتهي طرفك فمدّ عينيه فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتدّ طرفه ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ أي العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ ثابتًا لديه غير مضطرب ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي حصول مرادي وهو حضور العرش في مدة ارتداد الطرف ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ عليّ وإحسانه إليّ بلا استحقاق مني بل هو فضل خال من العِوَض صافٍ عن الغرض ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ ليمتحنني أأشكر إنعامه ﴿أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنه يحطّ به عنها (عبء) الواجب ويصونها عن (سِمَة) الكفران ويستجلب به المزيد وترتبط به النعمة، فالشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة. وفي كلام (بعضهم): إن كفران النعمة (بَوار) وقلَّما (أقشعت) نافرة فرجعت في (نصابها)، فاستدع شاردها بالشكر، واستدم (راهنها) بكرم الجوار. واعلم أن سُبُوغ ستر الله تعالى (متقلص) عما قريب (إذا أنت لم ترجُ لله وقارًا) أي لم تشكر الله نعمة ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بترك الشكر على النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام على مَن يكفر نعمته، قال (الواسطي): ما كان منّا من الشكر فهو لنا، وما كان منه من النعمة فهو إلينا وله المِنَّة والفضل علينا.

قوله: (يجوز أن يكون فعلًا) مضارعًا على وزان أفعل وأصله: أأتيك بهمزتين، فأُبدلت الثانية ألفًا أو اسم فاعل فالألف زائدة والهمزة أصلية على عكس الأوّل. **قوله**: (عبء) العِبء كالحمل لفظًا ومعنى. **قوله**: (سِمة) السِّمة العلامة، والجمع سمات. اهـ. أختري. **قوله**: (بعضهم) أي المتقدمين. **قوله**: (بوار) في مختار الصحاح: بار فلان يبور بَوارًا ـ بالفتح ـ هلك. اهـ. **قوله**: (أقشعت) أي زالت وتفرّقت. **قوله**: (نصابها) أي مكانها. **قوله**: (راهنها) في لسان العرب: الراهن الثابت. **قوله**: (متقلّص) أي مرتفع. **قوله**: (إذا أنت لم ترجُ لله وقارًا) أي إذا لم تخف عظمة الله؛ كما في قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: الآية ١٣]. **قوله**: (الواسطي) بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين وبعدها طاء

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)﴾

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ غيّروا أي اجعلوا مقدمة مؤخره وأعلاه أسفله ﴿نَنظُرْ﴾ بالجزم على الجواب ﴿أَتَهْتَدِي﴾ إلى معرفة عرشها أو للجواب الصواب إذا سُئِلت عنه ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ بلقيس ﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ «ها» للتنبيه والكاف للتشبيه و«إذا» اسم إشارة ولم يقل: «أهذا عرشك» ولكن أمِثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينًا ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ فأجابت أحسن جواب فلم تقل: «هو هو» و«لا ليس به» وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل للأمرين، أو لما شبّهوا عليها بقولهم: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ شبّهت عليهم بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ مع أنها علمت أنه عرشها ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى وبصحة نبوّتك بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرُّسُل من قبل هذه المعجزة أي إحضار العرش أو من قبل هذه الحالة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين لك مُطيعين لأمرك، أو من كلام سليمان وملئه عطفوا على كلامها قولهم: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها، أو أُوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنّا مسلمين مُوَحِّدين خاضعين.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ متصل بكلام سليمان أي وصدّها عن العلم بما علمناه أو عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين أظهر الكفَرَة. ثم بين نشأها بين الكفرة بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أو كلام مبتدأ أي قال الله تعالى وصدّها قبل ذلك عمّا دَخَلَتْ فيه ضلالها عن سواء السبيل، أو صدها الله، أو سليمان عمّا كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل.

مهملة، أبو بكر محمد بن موسى خراساني الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنوري، عالم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة ﷺ.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ أي القصر أو صحن الدار ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماءً عظيمًا ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ (﴿سأقيها﴾) بالهمزة: (مكي). رُوِيَ أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس. وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظامًا لأمره وتحقيقًا لنبوّته. وقيل: إن الجن كرهوا أن يتزوجها فتُفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنيّة. وقيل: خافوا أن يولد له منها ولد يجمع فطنة الجنّ والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد فقالوا له: إن في عقلها شيئًا وهي شعراء الساقين ورِجلها كحافر الحمار، فاختبر عقلها بتنكير العرش، واتخذ الصَّرح ليعرف ساقها ورِجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقًا وقدمًا إلا أنها شعراء فصرف بصره ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ (مملس مستوٍ ومنه الأمرد) ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من الزجاج. وأراد سليمان تزوجها فكره شعرها فعملت لها الشياطين النورة فأزالته فنكحها سليمان وأحبّها وأقرّها على مُلكها وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال المحقّقون: لا يحتمل أن يحتال سليمان لينظر إلى ساقيها وهي أجنبية فلا يصحّ القول بمثله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿صَٰلِحًا﴾ بدل ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (بكسر النون في الوصل: عاصم وحمزة وبصري)، وبضم النون: غيرهم اتّباعًا للباء، والمعنى بأن اعبدوا الله وَحْدَه ﴿فَإِذَآ﴾ للمفاجأة ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿فَرِيقَانِ﴾ خبر

قوله: («سأقيها») بالهمزة الساكنة بعد السين (مكّي) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالألف. **قوله**: (مملس مُسْتوٍ ومنه الأمرد) لملاسة وجهه، أي نعومته لعدم الشعر به، وفي القاموس: التمريد في البناء التمليس والتسوية وبناء ممرد أي مطول، والمارد المطول.

قوله: (بكسر النون في الوصل: عاصم وحمزة وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ صفة وهي العامل في ﴿إِذَا﴾ والمعنى فإذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون فيقول كل فريق الحق معي وهو مبيَّن في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦)﴾ [الأعراف: الآيتان ٧٥، ٧٦]. وقال الفريق الكافر: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٧٧].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)﴾

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالعذاب الذي توعدون ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ تطلبون المغفرة من كفركم بالتوبة والإيمان قبل نزول العذاب بكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالإجابة ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ تشاءمنا بك لأنهم قحطوا عند مبعثه لتكذيبهم فنسبوه إلى مجيئه. والأصل ﴿تَطَيَّرْنَا﴾ وقُرِىء به فأُدغمت التاء في الطاء وزيدت الألف لسكون الطاء ﴿وَبِمَن مَّعَكَ﴾ من المؤمنين ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشرّكم عند الله وهو (قدره) وقسمته، أو عملكم مكتوب عند الله فإنما نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]، وأصله أن المسافر إذا مرَّ بطائر فيزجره فإن مرَّ (سانحًا) تيامن، وإذا مرَّ (بارحًا) تشاءم، فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته، أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون أو تعذبون بذنبكم.

قوله: (قدره) بفتحتين. **قوله**: (سانحًا) في المصباح: سنح الطائر جرى على يمينك إلى يسارك، والعرب تتيامن بذلك، قال ابن فارس: السانح ما أتاك عن يمينك من طائر وغيره. اهـ. **قوله**: (بارحًا) في لسان العرب: البارح ما مرّ من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطيّر به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف، والسانح ما مرّ بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد.

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود وهي (**الحجر**) ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ هو جمع لا واحد له ولذا جاز تمييز التسعة به فكأنه قيل تسعة أنفس، وهو من الثلاثة إلى العشرة. وعن أبي داود: رأسهم قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا أبناء أشرافهم ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يعني أن شأنهم الإفساد البحت لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين منه بعض الصلاح. وعن (**الحسن**) يظلمون الناس ولا يمنعون الظالمين من الظلم. وعن (ابن **عطاء**): يتبعون معايب الناس ولا يسترون عوراتهم.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ﴿تحالفوا﴾ خبر في محل الحال بإضمار «قد» أي قالوا متقاسمين أو (**أمر**) أي أمر بعضهم بعضًا بالقسم ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ لنقتلنّه بياتًا أي ليلًا ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ ولده وتبعه ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ لولي دمه (﴿**لتُبيتُنه**﴾ **بالتاء**) وبضم التاء الثانية ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالتاء وضم اللام: حمزة وعلي ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ ما حضرنا

قوله: (**الحجر**) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر: الآية ٨٠]. **قوله**: (**ابن دريد**) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن ختم بن حسن إمام عصره في اللغة والأدب والشعر الفائق، وله من التصانيف المشهورة كتاب الجمهرة، وهو من الكتب المعتبرة في اللغة، وله كتاب الاشتقاق، وكتاب السرج واللّجام، وكتاب الخيل الكبير، وكتاب الخيل الصغير، وكتاب الأنواء، وكتاب المقتبس، وكتاب الملاحن، وكتاب زوّار العرب، وكتاب اللّغات، وكتاب السلاح، وكتاب غريب القرآن لم يكمله، وكتاب المجتبى وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة، وكذلك الوشاح صغير مفيد. توفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله**: (**الحسن**) البصري رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**ابن عطاء**) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، مات سنة تسع وثلاثمائة.

قوله: (**أمر**) أي فعل أمر من المقاسمة. **قوله**: (﴿**لتُبيتُنه**﴾ **بالتاء**) أي بتاء الخطاب المضمومة وبضمّ التاء الثانية ثم ﴿لتقولن﴾ بالتاء أي بتاء الخطاب المفتوحة

(﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ حفص ﴿مَهلَك﴾ أبو بكر وحماد والمفضل من هلك، فالأول موضع الهلاك، والثاني المصدر ﴿مُهلَك﴾ غيرهم، من أهلك وهو الإهلاك أو مكان الإهلاك) أي لم نتعرَّض لأهله فكيف تعرَّضنا له؟ أو ما حضرنا موضع هلاكه فكيف تولَّيناه؟ ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما ذكرنا.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠﴾

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠﴾ مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله. ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون، شبّه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة. رُوِيَ أنه كان لصالح مسجد في الحجر في (شعب) يصلّي فيه فقالوا: (زعم صالح أنه يفرغ منّا إلى ثلاث) فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثالث، فخرجوا إلى الشِّعْب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم، فبعث الله صخرة من (الهضب حيالهم) فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشِّعْب فلم يدرِ قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم، وعذب الله كلّاً منهم في مكانه ونُجّي عليه السلام ومَن معه.

وضمّ اللام حمزة وعليّ الكسائي، والباقون بنون المتكلّم وفتح التاء في الفعل الأول وبنون التكلم أيضًا وفتح اللام في الثاني إخبارًا عن أنفسهم. **قوله**: (﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾) بفتح الميم وكسر اللام (حفص ﴿مَهلَك﴾) بفتح الميم واللام (أبو بكر) شعبة بن عياش (وحماد) بن زياد (والمفضل) بن محمد كلّهم عن عاصم، وكلاهما (من هلك فالأول موضع الهلاك) أو زمانه أو هلاكهم، (والثاني المصدر) لأن هلك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لا يكون إلّا مكسور اللام. **قوله**: (﴿مُهلَك﴾) بضم الميم وفتح اللام (غيرهم من أهلك وهو الإهلاك أو مكان الإهلاك) أو زمانه.

قوله: (شعب) الشعب ـ بالكسر ـ ما انفلج بين الجبلين، وقيل: الطريق في الجبل. **قوله**: (زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث) وذلك أنهم لما عقروا الناقة أخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند انتهاء ثلاثة أيام، فقالوا ذلك. **قوله**: (الهضب) في تاج العروس: (الهضبة) بفتح فسكون ومثله في التهذيب والصحاح، زاد في لسان العرب: والهضب (الجبل المنبسط)، وفي أخرى: المنبسط تنبسط (على) وجه (الأرض أو كل جبل خلق من صخرة واحدة) وقيل: كل صخرة راسية صلبة ضخمة هضبة (أو هو الطويل) من الجبال (الممتنع المنفرد ولا يكون إلّا في أمر الجبال) تقول: علوت هضبة وهضابًا. اهـ. **قوله**: (حيالهم) بكسر الحاء أي قبالتهم.

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ (**بفتح الألف: كوفي وسهل**)، وبكسرها: غيرهم على الاستئناف، ومَن فتحه رفعه على أنه بدل من العاقبة، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي تدميرهم، أو نصبه على معنى لأنّا أو على أنه خبر «كان» أي فكان عاقبة مكرهم الدمار ﴿وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ بالصيحة ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ ساقطة منهدمة من (**خوى**) النجم إذا سقط، أو خالية من (**الخواء، وهي حال عمل فيها ما دلّ عليه** ﴿تِلۡكَ﴾) ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ بظلمهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما فعل بثمود ﴿لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ قدرتنا فيتعظون ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ ترك أوامره وكانوا أربعة آلاف نجوا مع صالح من العذاب.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝٥٥﴾

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ﴾ واذكر لوطًا، و﴿إِذۡ﴾ بدل من ﴿لُوطًا﴾ أي واذكر وقت قول لوط ﴿لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي إتيان الذكور ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها من بصر القلب، أو يرى ذلك بعضهم من بعض لأنهم كانوا يرتكبونها في ناديهم مُعالِنين بها لا يتستر بعضهم من بعض (**مجانة**) و(**انهماكا**) في المعصية، أو تبصرون آثار العُصاة قبلكم وما نزل بهم. ثم صرَّح فقال: (﴿أَئِنَّكُمۡ﴾ **بهمزتين: كوفي وشامي**) ﴿لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ﴾ للشهوة ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي إن

قوله: (بفتح الألف: كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف **(وسهل)** بن محمد وليس من السبعة. **قوله: (خوى)** من باب رمى. **قوله: (الخواء)** بالفتح والمدّ. اهـ. **قوله: (وهي حال عمل فيها ما دلّ عليه** ﴿تِلۡكَ﴾**)** أي أشير بيوتهم حال كونها خالية.

قوله: (مجانة) في مختار الصحاح: المُجُون أن لا يبالي الإنسان ما صنع وقد مَجَن من باب دخل ومَجَانة أيضًا. اهـ. **قوله: (انهماكا)** في المصباح: انهمك في الأمر انهماكًا جدّ فيه ولجّ فهو منهمك. اهـ. **قوله: (**﴿أَئِنَّكُمۡ﴾ **بهمزتين: كوفي**

الله تعالى إنما خلق الأُنثى للذَّكَر ولم يخلق الذَّكر للذَّكر ولا الأُنثى للأُنثى فهي مضادَّة لله في حكمته ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فِعْل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو أُريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها. (وقد اجتمع الخطاب والغيبة) في قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ و﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى إذا الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي لوطًا ومُتَّبِعِيه فخبر «كان» ﴿جَوَابَ﴾ واسمه ﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن القاذورات ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم. وقيل: هو استهزاء كقوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: الآية ٨٧] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ فخلصناه من العذاب الواقع بالقوم ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ (بالتشديد سوى حماد وأبي بكر) أي قدّرنا كونها ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة مكتوبًا عليها اسم صاحبها ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الذين لم يقبلوا الإنذار.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أمر رسوله محمدًا ﷺ بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عبادة توطئة لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء وهو تعليم لكل متكلم في كل (أمر ذي بال) بأن يتبرَّك بهما ويستظهر

وشامي) أي ابن عامر الشامي، وعبارة الخطيب: قرأ ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة كالياء، وحقّقها الباقون وأدخل بينهما قالون وأبو عمرو ألفًا وهشام بخلاف عنه. قوله: (وقد اجتمع الخطاب والغيبة)... الخ. لأن الأسماء الظاهرة كلها غيب.

قوله: (بالتشديد سوى حماد) بن زياد (وأبي بكر) شعبة كلاهما عن عاصم بتخفيف الدال.

قوله: (أمر ذي بال) البال الحال والشأن، ذو بال أي شريف يُهتمّ له.

بمكانهما، أو هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفَّار قومه ويسلم على مَن اصطفاه الله ونجاه من (هلكتهم) وعصمه من ذنوبهم ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (**بالياء: بصري وعاصم**). ولا خير فيما أشركوه أصلًا حتى يوازن بينه وبين مَن هو خالق كل شيء، وإنما هو إلزام لهم وتهكّم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل شيئًا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة، فقيل لهم مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثًا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل (**المورط**)، وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد، (**وكان عليه الصلاة والسلام**) إذا قرأها قال: «بل الله خير وأبقى وأجلّ وأكرم». ثم عدَّد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله فقال:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ والفرق بين «أم» و«أم» في ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ و﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أن تلك متصلة إذ المعنى أيهما خير، وهذه منقطعة بمعنى «بل» والهمزة، ولما قال الله خير أم الآلهة قال: بل أمن خلق السماوات والأرض خير، (**تقريرًا لهم**) بأن مَن قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ صرف الكلام على الغيبة إلى التكلم تأكيدًا لمعنى اختصاص الفعل بذاته وإيذانًا بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والأشكال مع حُسنها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ﴿بِهِۦ﴾ بالماء ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين، والحديقة: البستان وعليه حائط (**من الإحداق وهو الإحاطة**) ﴿ذَاتَ﴾ ولم يقل «ذوات» لأن المعنى جماعة حدائق كما تقول النساء ذا ﴿بَهْجَةٍ﴾

قوله: (هَلَكتهم) في المصباح: الهَلَكة مثل قَصَبة بمعنى الهلاك. اهـ. **قوله**: (**بالياء**) أي بياء الغيب (**بصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة (**وعاصم**)، والباقون بتاء الخطاب. **قوله**: (**المورّط**) أي المهلك. **قوله**: (**وكان عليه الصلاة والسلام**)... الخ. أخرجه عبد بن حميد عن قتادة.

قوله: (تقريرًا لهم) أي لحملهم على الإقرار. **قوله**: (**من الإحداق وهو الإحاطة**) فإن الحديقة كل روضة وبستان عليه حوائط وأنشاز محدقة، أي محيطة به والنشز المكان

حسن لأن الناظر يبتهج به. ثم (**رشح**) معنى الاختصاص بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أنَّ تأتِّي ذلك مُحال من غيره ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (**أغيره يقرن به**) ويجعل شريكًا له ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾ (﴿يَعْدِلُونَ﴾ **به غيره أو يعدلون عن الحق**) الذي هو التوحيد و﴿بَلْ هُمْ﴾ بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ (**فكان حكمها حكمه**) ﴿قَرَارًا﴾ دحاها وسوّاها للاستقرار عليها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ (**ظرف**) أي وسطها وهو المفعول الثاني والأول ﴿أَنْهَٰرًا﴾ وبين البحرين مثله ﴿وَجَعَلَ لَهَا﴾ للأرض (﴿رَوَٰسِىَ﴾) جبالًا تمنعها عن الحركة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح (﴿حَاجِزًا﴾) مانعًا أن يختلطا ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد فلا يؤمنون.

المرتفع. **قوله**: (**رشح**) في لسان العرب: قال كثير:

يُرَشِّحُ نَبْتًا نـاعِمًا فـيَزِينُـه[١] نَدًى وليالٍ[٢] بعد ذلك طوالق

انتهى. **قوله**: (**أغيره يقرن به**) يعني أنه استفهام إنكار بمعنى هل معه معبودٌ سواه أعَانه على خلق أصول الكائنات وإنزال ما ينبت به أرزاق المخلوقات وليس له شريك في ذلك، وإنما جاز الابتداء بالنكرة وهو إلـه لتخصيصه بالعموم المُستفاد من همزة الإنكار الداخلة على النَّكرة. **قوله**: (﴿يَعْدِلُونَ﴾ **به غيره**) وهو الأصنام على أنه من العدل بمعنى التسوية. **قوله**: (**أو يعدلون عن الحق**) على أنه من العدول.

قوله: (**فكان حكمها حكمه**) فتكون أم فيه منقطعة، ويكون معنى الهمزة التقرير، كما في المبدل منه. **قوله**: (**ظرف**)... الخ. أي يجوز أن يكون ظرفًا لجعل، بمعنى خلق، المتعدية إلى مفعول واحد وأن يكون في محل المفعول الثاني لجعل على أن يكون بمعنى صيّر. **قوله**: (﴿رَوَٰسِىَ﴾) الرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشيء يرسو، أي ثبت. **قوله**: (﴿حَاجِزًا﴾) أي معنويًا وهو المنع الإلـهيّ؛ إذ ليس هناك حاجز حسّي كما هو مشاهد. اهـ شيخنا. اهـ جمل.

---

(١) قوله: فيزينه، في أكثر النسخ: ويزينه. ١٢ منه.

(٢) في المصباح: لَيْلة طَلْقَة إذا لم يكن فيها قرّ ولا حرّ. اهـ. وفي لسان العرب: الطوالق الطيبة التي لا حرّ فيها ولا برد. اهـ. ١٢ منه رحمه الله.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ الاضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة إلى (اللجأ). يقال: اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر، والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو (نازلة) من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرّع إلى الله، أو المذنب إذا استغفر، أو المظلوم إذا دعا، أو مَن رفع يديه ولم يرَ لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الضرّ أو الجور ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنًا بعد قرن، أو أراد بالخلافة المُلْك والتسلّط ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (وبالياء: أبو عمرو، وبالتخفيف: حمزة وعلي وحفص. و«ما» مزيدة) أي تذكرون تذكّرًا قليلًا.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم بالنجوم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ ليلًا وبعلامات في الأرض نهارًا ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ (﴿ٱلرِّيحُ﴾ مكي وحمزة وعلي ﴿بُشْرًا﴾ من البشارة وقد مرَ في «الأعراف») ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قدام المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ يُنشِىء الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وإنما قيل

قوله: (اللّجأ) الالتجاء. قوله: (نازلة) النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس. اهـ مصباح. قوله: (وبالياء) التحتية على الغيبة وتشديد الذال (أبو عمرو) البصري (وبالتخفيف) أي بالخطاب وتخفيف الذال (حمزة وعليّ) الكسائي (وحفص) وبالفوقية على الخطاب وتشديد الذال الباقون. قوله: (و﴿ما﴾ مزيدة) لتأكيد القلّة.

قوله: (﴿ٱلرِّيحُ﴾) بحذف الألف بعد الياء على التوحيد (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وحمزة وعليّ)، والباقون بإثباتها على الجمع (﴿بُشْرًا﴾ من البشارة وقد مرّ في الأعراف). قال المصنّف رحمة الله عليه في سورة الأعراف: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾) الرياح مكي وحمزة علي ﴿نشراً﴾ حمزة وعلي مصدر نشر، وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان، فكأنه قيل: نشرها نشرًا، وإمّا على الحال أي

لهم: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم منكرون للإعادة لأنه أُزيحت علّتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبقَ لهم عذر في الإنكار ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ومن الأرض النبات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم على إشراككم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم أن مع الله إلـهًا آخر.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ ﴿مَّن﴾ فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿ٱلْغَيْبَ﴾ هو ما لم يقم عليه دليل ولا أطل عليه مخلوق مفعول و﴿ٱللَّهُ ۚ﴾ بدل مِن ﴿مَن﴾ والمعنى لا يعلم أحد الغيب إلا الله. نعم إن الله تعالى يتعالى عن أن يكون ممَّن في السمٰوات والأرض ولكنه جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويُجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل ويقولون ما في الدار أحد إلا حمار. وقالت عائشة رضي الله عنها: مَن زعم أنه يعلم ما في (**غد**) فقد أعظم على الله (**الفرية**) والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾. وقيل: نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وما يعلمون ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ينشرون.

منشورات ﴿بُشْرًۢا﴾ [الأعراف: الآية ٥٧] عاصم تخفيف بشر جمع بشير؛ لأن الرياح تبشّر بالمطر «نشرًا» شامي تخفيف نشر كرُسُل ورُسْل وهو قراءة الباقين جمع نشور، أي ناشرة للمطر، انتهى بحروفه. وفي الإتحاف: في سورة الأعراف اختلف في نشرًا هنا والفرقان والنمل، فقرأ عاصم بالباء الموحدة المضمومة وإسكان الشين في الثلاثة جمع بشير كنذير ونذر، وقرأ ابن عامر بالنون مضمومة وإسكان الشين وهي مخفّفة من قراءة الضم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون المفتوحة وسكون الشين مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرة أو منشورة أو ذات نشر وافقهم الأعمش، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بضمّ النون والشين جمع ناشر كنازل ونزل وشارف وشرف ووافقهم ابن محيصين واليزيدي. اهـ.

قوله: (**غد**) في المصباح: الغد اليوم الذي يأتي بعد يومك على إثره ثم توسّعوا فيه حتى أطلق على البعيد المترقّب، وأصله غدوّ مثال فلس، لكن حُذِفت اللام وجعلت الدال حرف إعراب. اهـ. **قوله**: (**الفرية**) الكذب. اهـ لسان العرب.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾

(﴿بلْ أدْرك﴾) ﴿أدرك﴾ (مكي وبصري ويزيد والمفضل) أي انتهى وتكامل من أدركت الفاكهة تكاملت نضجًا (﴿بل ادّرك﴾ عن الأعشى) افتعل. (﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ غيرهم) استحكم وأصله تدارك فأُدغمت التاء في الدال وزِيدَ ألف الوصل ليمكن التكلّم لها ﴿عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أي في شأن الآخرة ومعناها، والمعنى أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة قد حصلت لهم ومُكِّنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم، وصفهم أولًا بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخبطون في شك ومِريَة فلا يُزيلونه والإزالةُ مُستَطاعة، ثم بما هو أسوأ حالًا وهو (العمى). وقد جعل الآخرة مبتدأ عماهم ومنشأة فلذا عدّاه بـ «من» دون «عن» لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التدبّر والتفكّر. ووجه ملاءمة مضمون هذه الآية ـ وهو وصف المشركين ـ بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكّن من المعرفة بما قبله وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب وأن العباد لا علم لهم بشيء منه، أنه لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب وكان هذا بيانًا لعجزهم ووصفًا لقصور علمهم، وصل به أن عندهم عجزًا أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بدَّ من كونه وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به. وجاز أن يكون وصفهم باستحكام العلم أو تكامله تهكّمًا بهم كما تقول لأجهل الناس: «ما أعلَمَك» على سبيل (الهزء) وذلك حيث شكوا وَعَموا عن إثباته والذي هو الطريق إلى علمه مسلوك فضلًا أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته، ويجوز أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفَنِي من قولك: «أدركت الثمرة» لأن تلك

قوله: (﴿بلْ أدْرك﴾) بإسكان لام بل، وأدرك بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال وحذف الألف بعدها (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، (ويزيد) بن القعقاع المدني وليس من السبعة، (والمفضل) بن محمد عن عاصم. **قوله**: («بل ادّرك») بتشديد ال (عن الأعشى) أي أبي يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى عن أبي بكر شعبة عن عاصم، وأصله افتعل قلبت التاء دالًا وأُدغمت. **قوله**: (﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾) بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها ألف (غيرهم). **قوله**: (العمى) في مختار الصحاح: العَمى ذهاب البصر، وقد عَمِي من باب صَدِي، فهو أعْمَى وقوم عُمْي. اهـ. **قوله**: (الهزء) بضم الهاء وسكون الزاي وضمّها.

غايتها التي عندها تعدم، وقد فسّرها الحسن (باضمحل) علمهم في الآخرة. وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ من قبورنا أحياء (**وتكرير حرف الاستفهام في** ﴿أَءِذَا﴾ و﴿أَئِنَّا﴾ **في قراءة عاصم وحمزة وخلف**)، إنكار بعد إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مُبالَغ فيه. والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دلّ عليه ﴿لَمُخْرَجُونَ﴾ وهو نخرج لأن اسم الفاعل والمفعول بعد همزة الاستفهام، أو إن «أو لام الابتداء لا يعمل فيما قبله فكيف إذا اجتمعن»؟ والضمير في «إنا» لهم ولآبائهم لأن كونهم ترابًا قد تناولهم وآباءهم لكنه غلبت الحكاية على الغائب، و﴿ءَابَآؤُنَا﴾ عطف على الضمير في ﴿كُنَّا﴾ لأن المفعول جرى مجرى التوكيد.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد ﷺ. قدّم هنا ﴿هَٰذَا﴾ على ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ وفي المؤمنون ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ على ﴿هَٰذَا﴾ [الآية ٦٨] ليدلّ على أن المقصود بالذِّكر هو البعث هنا وثمة المبعوثون ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما هذا إلا أحاديثهم وأكاذيبهم ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ أي آخر أمر الكافرين. (**وفي ذكر الإجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم**) كقوله

قوله: (باضمحلّ) بضاد معجمة وحاء مهملة ولام مشدّدة بمعنى فنى وانتفى.

قوله: (**وتكرير حرف الاستفهام في** ﴿أَءِذَا﴾ و﴿أَئِنَّا﴾ **في قراءة عاصم وحمزة وخلف**)... الخ. عبارة الخطيب: قرأ نافع بالخبر في إذا، وبالاستفهام في أئنّا، وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني، وزاد فيه نونًا ثانية، وباقي القرّاء بالاستفهام في الأول والثاني وهم على مذاهبهم من التسهيل والتحقيق والمدّ والقصر، فمذهب قالون وأبي عمرو التسهيل في الهمزة الثانية وإدخال ألف بينها وبين همزة الاستفهام، ومذهب ورش وابن كثير التسهيل وعدم الإدخال، ومذهب هشام الإدخال وعدمه مع التحقيق، ومذهب الباقين التحقق وعدم الإدخال. اهـ.

قوله: (**وفي ذكر الإجرام**) أي التعبير بالمجرمين دون أن يقول الكافرين (**لطف بالمسلمين في ترك الجرائم**) لإرشادهم إلى أن الجرم مطلقًا مبغوض لله فيجتنبوه

تعالى: (﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾) [الشمس: الآية ١٥]. وقوله: ﴿(«من ما») خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: الآية ٢٥].

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأجل أنهم لم يتبعوك ولم يُسلِموا فيسلَموا ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾ في حرج صدر ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من مكرهم وكيدهم لك فإن الله يعصمك من الناس. يقال ضاق الشيء (**ضيقًا**) بالفتح وهو قراءة غير ابن كثير (**وبالكسر**) وهو قراءته ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي وعد العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بالمكذب.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ استعجلوا العذاب الموعود، فقيل لهم: عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدَت اللام للتأكيد كالباء في ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥] أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم، وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾ (**أي إفضال**) ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بترك المعاجلة بالعذاب ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي أكثرهم (**لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه**) فيستعجلون العذاب بجهلهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تخفي ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون من القول فليس تأخير العذاب عنهم لخفاء حالهم ولكن له وقت مقدَّر، أو أنه يعلم ما

ويتعرّوا عنه، واللّطف من الله هو التقريب من الطاعة والتبعيد من المعصية. **قوله**: (﴿فَدَمْدَمَ﴾) أطبق (﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾) العذاب (﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾). **قوله**: («من ما») ما صلة للتأكيد.

قوله: (ضِيقًا) بالفتح وهو يحتمل المصدرية والوصفية. **قوله**: (وبالكسر) وهو مصدر.

قوله: (أي إفضال) وهو الإنعام. **قوله**: (لا يعرفون حقّ النعمة فيه) أي في تأخير العذاب والعقوبة على المعصية. **قوله**: (ولا يشكرونه) أي الله عليه. **قوله**:

يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه. (وقرىء ﴿تكُن﴾) يقال: كَنَنْت الشيء وأكْنَنْته إذا سترته وأخفيته.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ سُمِّي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية، والتاء فيها كالتاء في العاقبة والعافية ونظائرهما الرمية والذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات، ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالرواية كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المحفوظ. والمُبين (الظاهر البيّن) لمن ينظر فيه من الملائكة.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي يبيِّن لهم ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فإنهم اختلفوا في المسيح فتحزّبوا فيه أحزابًا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضًا، وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وسلموا (يريد بني إسرائيل اليهود والنصارى) ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمَن أنصف منهم وآمَن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ

(وقرىء ﴿تكُن﴾) من الثلاثي بفتح التاء وضمّ الكاف وهي قراءة شاذّة لابن محيصين، والجمهور من أكنّه أخفاه.

قوله: (**الظاهر البيّن**) يعني أنه من أبان اللازم.

قوله: (**يريد بني إسرائيل اليهود والنصارى**) كما هو الظاهر، لا اليهود وحدهم، والمراد بالاختلاف ما شَجَر بينهم في المسيح عليه السلام؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم: الآية ٣٧] وهم اليهود والنصارى في وجه، وفي وجهٍ آخر فرق النصارى من اليعقوبية والنسطورية والملكائية، والمقام يقتضي العموم بقرينة سباق[1]

(١) قوله: سباق الآي وسياقها، الفرق بين السباق والسياق أن السباق بالباء الموحدة يُستعمل فيما قبل الكلام، كما أن اللّحاق يُستعمل فيما بعده. والسياق بالياء المثنّاة فيما قبله وبعده معًا. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ بين مَن آمن بالقرآن ومَن كفر به ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ (بعدله) لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمَّى المحكوم به حكمًا، أو بحكمته (ويدلّ عليه قراءة مَن قرأ ﴿بِحُكَمِهِۦ﴾) جمع (حكمة) ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يُرَدّ قضاؤه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بمَن يقضي له وبمَن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المُبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقّين.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أمره بالتوكّل على الله وقلّة المُبالاة بأعداء الدين ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ وعلّل التوكّل بأنه على (الحق الأبلج) وهو الدين الواضح الذي لا يتعلق به شك، وفيه بيان أن صاحب الحق (حقيق) بالوثوق بالله وبنصرته.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ لمّا كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون، شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء صِحاح الحواسّ، وبالصّمّ الذين (ينعق) بهم فلا يسمعون، وبالعُمْي حيث يضلّون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هُداة بُصَراء إلا الله تعالى. ثم أكّد حال الصُّمّ

الآي وسياقها. **قوله**: (بعدله)... الخ. جواب عمّا يقال: القضاء والحكم شيءٌ واحد، فقوله: يقضي بحكمه بمنزلة أن يقال: يقضي بقضائه، أو يحكم بحكمه، فما معناه وفائدته؟ وتقرير الجواب: أن الحكم بمعنى العدل المحكوم به أو بمعنى الحكمة (ويدلّ عليه قراءة من قرأ ﴿بِحُكَمِهِۦ﴾) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع (حكمة) مضاف إلى ضميره تعالى، وقارئه جناح وقرأ الجمهور بضم الحاء وسكون الكاف. اهـ فتح القدير.

قوله: (الحقّ الأبلج) في مختار الصحاح: الأبلج المُضِيءُ المُشْرِق، يقال: صبحٌ أَبْلَجُ بيِّن البَلَج ـ بفتحتين ـ وكذا الحقّ إذا انفتح، يقال: **الحقّ** أبلج والباطل لجلج. اهـ. وأيضًا فيه: التَّلَجْلُج التردّد في الكلام، يقال: الحقّ أبلج والباطل لَجْلَج أي يُرَدّد من غير أن يُنفِّذه. اهـ. **قوله**: (حقيق) أي لائق.

قوله: (ينعق) في مختار الصحاح: النعيق صوت الراعي بغنمه، ونعق بها ينعِق ـ بالكسر ـ نعيقًا ونُعاقًا ـ بالضمّ ـ ونَعَقانًا ـ بفتحتين ـ أي صاح بها وزجرها. اهـ. وفي

بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبرًا كان أبعد عن إدراك صوته، (﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ **مكي وكذا «في الروم»** ﴿**وما أنت تهدي العمي**﴾ **وكذا في «الروم»: حمزة)** ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي **(ما يجدي)** إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون من قوله ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٢] يعني جعله سالمًا لله خالصًا له.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ سمى معنى القول ومؤدّاه بالقول وهو ما وُعِدوا من قيام الساعة والعذاب، ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور **(أشراطها)** وحين لا تنفع التوبة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ هي **(الجساسة)**، في الحديث: طولها ستون ذراعًا لا **(يدركها)** طالب ولا يفوتها هارب، ولها أربع قوائم و**(زغب)** وريش وجناحان. وقيل: لها رأس ثور وعين خنزير وأُذُن فيل و**(قرن أيّل)** وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرَّة وذنب كبش وخُفّ بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعًا تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ

المصباح: نعق الراعي ينعق من باب ضرب نعيقًا صاح بغنمه وزجرها والاسم النعاق بالضمّ. اهـ. **قوله**: (﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾) بالياء مفتوحة وفتح الميم ورفع ميم الصمّ **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وكذا في الروم)**، والباقون بالتاء مضمومة وكسر الميم ونصب ميم الصمّ. (**«وما أنت تهدي العمي»**) بتاء فوقية مفتوحة وإسكان الهاء من غير ألف بعد الهاء فعلًا مضارعًا للمخاطب ونصب ﴿ٱلْعُمْيِ﴾ مفعول به، **(وكذا في «الروم»: حمزة)**، والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء وألف بعدها وجر العمي. **قوله**: (ما يُجْدي) أي ما ينفع ويفيد بيان؛ لأن أن نافية وأن النفي باعتبار الانتفاع والفائدة.

قوله: **(أشراطها)** علاماتها. **قوله**: **(الجساسة)** بجيم مفتوحة وسين مهملة مشدّدة وألف بعدها سين أخرى من الجسّ وهو المسّ سمّيت بها لتجسّسها الأخبار للدجّال، كما هو معروف في حديث أشراط الساعة. **قوله**: (يدركها) بمعنى يلحقها. **قوله**: (زغب) في مختار الصحاح: الزَّغَب ـ بفتحتين ـ الشعرات الصُّفْر على ريش الفَرْخ. اهـ.

قوله: (قَرْن أيل) الأيل ـ بضمّ الهمزة وكسرها والياء فيهما مشدّدة مفتوحة ـ ذكر الأوْعال، وهو التيس الجبلي. اهـ مصباح. وأيضًا فيه: التيس الذكر من المعز إذا أتى عليه

بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول: ألا لعنة الله على الظالمين. أو تكلمهم ببُطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام، أو بأن هذا مؤمن وهذا كافر. **(وفتح ﴿أَنَّ﴾ كوفي وسهل)** على حذف الجار أي تكلمهم بأن، وغيرهم كسروا لأن الكلام بمعنى القول، أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك ويكون المعنى بآيات ربّنا أو حكاية لقول الله تعالى عند ذلك. ثم ذكر قيام الساعة فقال:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ «من» للتبعيض أي واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأُمم زمرة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ﴾ «من» للتبيين ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ المنزلة على أنبيائنا ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يُساقون إلى موضع الحساب وهذه عبارة عن كثرة العدد، وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ حضروا موقف الحساب والسؤال ﴿قَالَ﴾ لهم تعالى تهديدًا ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ المنزلة على رُسُلي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال كأنه قال: أكذبتم بآياتي بادىء الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حيث لم تتفكروا فيها فإنكم لم تخلقوا عبثًا ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي يغشاهم العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المرسلات: الآية ٣٥].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ حال، جعل الإبصار للنهار وهو لأهله والتقابل مُراعَى من حيث المعنى **(لأن معنى ﴿مُبْصِرًا﴾ ليُبصِروا فيه طرق التقلّب في المكاسب)** ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون فيعتبرون، وفيه دليل

حول وقبل الحول هو جدي. اهـ. **قوله: (وفتح ﴿أَنَّ﴾ كوفي)** أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، **(وسهل)** بن محمد البصري وليس من السبعة.

قوله: (لأن معنى ﴿مُبْصِرًا﴾ ليبصروا فيه طرق التقلّب في المكاسب) إلا أنه أسند الإبصار إلى النهار وجعل حالًا من أحواله اللازمة للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة أن

على صحة البعث لأن معناه ألم يعلموا أنّا جعلنا الليل والنهار قوامًا لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم يجعل عبثًا بل محنة وابتلاء ولا بدَّ عند ذلك من ثواب وعقاب فإذا لم يكونا في هذه الدار فلا بدَّ من دار أخرى للثواب والعقاب.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهو قرن أو جمع صورة والنافخ إسرافيل عليه السلام ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ اختير «فزع» على «يفزع» للإشعار بتحقّق الفزع وثبوته أنه كائن لا مَحالة، والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا مَن ثبَّت الله قلبه من الملائكة قالوا: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، وقيلَ: الشّهداء، وقيلَ: الحور وخَزَنة النار وحَمَلَةِ العرش. وعن **(جابر)** رضي الله عنه منهم موسى عليه السلام لأنه صعق مرة، ومثله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: الآية٦٨]، (﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ **حمزة وحفص وخلف**، ﴿آتوه﴾ **غيرهم وأصله** «آتيوه») ﴿دَٰخِرِينَ﴾ حال أي صاغرين ومعنى الإتيان حضورهم الموقف ورجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا﴾ بفتح السين: **(شامي)** وحمزة و**(يزيد)** وعاصم، وبكسرها: غيرهم حال من المخاطب ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة ممسكة عن الحركة من **(جمد)** في مكانه إذا

الإبصار لا يقوم بنفس النهار وإنما يقوم بأهله، فلما قيل: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: الآية ٦٧] تعيّن أن المراد إبصار أهله فيه، وإنما أسند إلى نفس النهار للمبالغة في كونه ظرفًا لإبصار أهله.

قوله: (﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾) بقصر الهمزة وفتح التاء فعلًا ماضيًا على حدّ فزع والهاء مفعوله **(حمزة وحفص وخلف،** ﴿آتوه﴾) بالمدّ وضم التاء اسم فاعل مضافًا للضمير حملًا على معنى كل على حد ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾ [مريَم: الآية ٩٥] **(غيرهم وأصله** «آيتوه») نقلت ضمّة الياء إلى التاء قبلها بعد تجريدها ثم حُذِفت الياء للساكنين.

قوله: **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. **(يزيد)** بن القعقاع المدني وليس من السبعة.

قوله: **(جَمَد)** بابه نصر ودخَل. **قوله:** **(جابر)** صحابي رضي الله تعالى عنه.

لم يبرح ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ حال من الضمير المنصوب في ﴿تَحْسَبُهَا﴾ ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي مثل مرّ السحاب والمعنى أنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمها وهي تسير سيرًا سريعًا كالسحاب إذا ضَرَبَتْه الريح، وهكذا الأجرام العِظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تبين حركتها كما قال **(النابغة)** في صفة جيش:

(بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج)

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر عمل فيه ما دلّ عليه ﴿تَمُرُّ﴾ لأن مرورها كمرّ السحاب من صنع الله فكأنه قيل: صنع الله ذلك صنعًا وذكر اسم الله لأنه لم يذكر قبل ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي أحكم خلقه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (﴿يَفْعَلُونَ﴾ **مكي وبصري غير سهل وأبو بكر بن يحيىٰ، وغيرهم بالتاء**) أي أنه عالم بما يفعل العباد فيكافئهم على حسب ذلك.

قوله: **(النابغة)** اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ينتهي نسبه إلى ذبيان ثم لمضر، ويكنى أبا أُمامة، وإنما سمّي النابغة لقوله: ولقد نبغت لهم منّا شؤون، وهو أحد الأشراف الذي غضّ منهم الشعر وهو من الطبقة الأُولى المقدَّمين على سائر الشعراء. عن ربعي بن خراش، قال: قال لنا عمر رضي الله تعالى عنه: يا معشر الغطفان من الذي يقول:

أتيتك عاريًا خلقًا ثيابي على خوفٍ تظنّ بي الظنون

قلنا: النابغة، قال: ذاك أشعر شعرائكم، ومات النابغة على جاهليته[1]، ولم يُدرك الإسلام. **قوله**:

(بأرعَن مثل الطَّوْد تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملِجُ)

الأرْعَن الجبل، ويريد هٰهنا الجيش، والطود الجبل، لحاج جمع حاجة، والركاب المطيّ لا واحد لها من لفظها، والهِملاج من البراذين واحد الهماليج ومشيها الهمليجة فارسي معرب، وهي مشي سهل كالرهو، يقول: حاربنا العدوّ بجيش مثل الجبل العظيم تحسب أنهم وقوف لحاجة، والحال أن الركاب تُسْرع المشي.

كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾. **قوله**: (﴿يَفْعَلُونَ﴾) بالياء **(مكّي)** أي ابن كثير المكي **(وبصري)** أي أبو عمرو البصري ويعقوب البصري وليس من السبعة، **(غير سهل)** بن محمد البصري وليس من السبعة، **(وأبو بكر)** شعبة عن عاصم **(غير يحيىٰ)** بن آدم القريشي عن أبي بكر عن عاصم **(وغيرهم بالتاء)** أي بتاء الخطاب.

---

(١) قوله: على جاهليته ولم يُدرك الإسلام يعني مات في الجاهلية في زمنه ﷺ قبل أن يُبعث، كما في الإسعاف. ١٢ منه رحمه الله.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

ثم لخّص ذلك بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي بقول لا إلـه إلّا الله عند الجمهور ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ أي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة، وعلى هذا لا يكون ﴿خَيْرٌ﴾ بمعنى أفضل ويكون ﴿مِّنْهَا﴾ في موضع رفع صلة لـ ﴿خَيْرٌ﴾ أي بسببها ﴿وَهُم (مِّن فَزَعٍ﴾ **كوفي**) أي من فزع شديد مفرط الشدة وهو خوف النار أو من فزع ما وإن قلّ، وبغير تنوين غيرهم (﴿يَوْمَئِذٍ﴾ **كوفي ومدني**)، وبكسر الميم غيرهم والمراد يوم القيامة ﴿ءَامِنُونَ﴾ («أمن» **يُعدّى بالجار**) وبنفسه كقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩]. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالشّرك ﴿فَكُبَّتْ﴾ ألقيت ﴿وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ يقال كببت الرجل ألقيته على وجهه أي ألقوا على رؤوسهم في النار، أو عبّر عن الجملة بالوجه كما يعبّر بالرأس والرقبة عنها أي ألقوا في النار ويقال لهم تبكيتًا عند الكب ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الشّرك والمعاصي.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرمًا آمنًا يأمن فيها اللاجيء إليها. ولا (**يُختلى خلاها ولا يعضد**) شوكها ولا ينفر صيدها ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ مع هذه البلدة فهو مالك الدنيا والآخرة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المُنقادين له.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ من التلاوة (**أو من التلو**) كقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن

قوله: (﴿مِّن فَزَعٍ﴾) بالتنوين (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف. **قوله:** (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) بفتح الميم (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (ومدني) أي نافع المدني وأبو جعفر المدني وليس من السبعة. **قوله:** (أمن يُعدّى بالجار) كما في هذه الآية، فإنّ من فيها صلة ﴿ءَامِنُونَ﴾.

قوله: (لا يُختلى) بصيغة المجهول أي لا يُقطع (خلاها) الخلى ـ بالقصر ـ النبات ما دام رطبًا فإذا يبس فهو حشيش. **قوله:** (لا يعضد) أي لا يقطع.

قوله: (أو من التلوَ) وهو الاتباع لأوامره ونواهيه فـ ﴿أَتْلُوَاْ﴾ من تلاه إذا تبعه، في

رَبِّكَ﴾ [الأحزاب: الآية ٢]، أمر رسوله بأن يقول: أُمِرتُ أن أخصَّ الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكًا كما فعلت قريش، وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملّة الإسلام، وأن أتلوا القرآن لأعرف الحلال والحرام وما يقتضيه الإسلام. وخصَّ مكة من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنه أحبّ بلاده إليه وأعظمها عنده وأشار إليها بقوله ﴿هَٰذِهِ﴾ إشارة تعظيم لها وتقريب دالّا على أنها موطن نبيّه ومَهبط وحيه، ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاصٌّ (**وصفها**) وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع (**لدخولها تحتهما**) ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ باتّباعه إيّاي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الشركاء عنه والدخول في الملّة الحنيفية واتّباع ما أُنزل عليَّ من الوحي ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إليّ ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي ومَن ضلَّ ولم يتبعني فلا عليَّ وما أنا إلا رسول منذر ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: الآية ١٨].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾ ثم أمره أن يحمد الله على ما (**خوّله**) من نعمة النبوّة التي (**لا توازيها**) نعمة، وأن يهدد أعداءه بما سيُريهم الله من آياته في الآخرة فيستيقنون بها. وقيل: هو انشقاق القمر والدخان وما حلَّ بهم من نقمات الله في الدنيا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (**بالتاء مدني وشامي وحفص ويعقوب**) خطاب لأهل مكة، وبالياء غيرهم أي كل عمل يعملونه فإن الله عالِم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لا يجوزان عليه.

المصباح: تلوت الرجل أتلوه تلوًّا على فعول تبعته، فأنا له تالٍ وتلوًّا أيضًا وزان جمل، وتلوت القرآن تلاوة. اهـ بحروفه. **قوله**: (**وصفها**) أي البلدة. **قوله**: (**لدخولها**) أي مكّة (**تحتهما**) أي ربوبيته وملكوته.

قوله: (**خوّله**) أي أعطاه. **قوله**: (**لا توازيها**) أي لا تقابلها. **قوله**: (**بالتاء مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحفص ويعقوب**) البصري وليس من السبعة.

تمّ ما يتعلق بسورة النمل بحمد الله ولطفه
وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمّد
وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين

(سورة القصص)

(مكية) وهي (ثمانٍ وثمانون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ يقال بان الشيء وأبان بمعنى واحد، ويقال أبنته فأبان لازم ومُتَعَدٍّ أي مبيَّن خبره وبركته أو مبيِّن للحلال والحرام والوعد والوعيد والإخلاص والتوحيد ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ نقرأ عليك أي يقرؤه جبريل بأمرنا ومفعول ﴿نَتْلُوا۟﴾ ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أي نتلو عليك بعض خبرهما ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ (حال أي مُحقِّين)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة القصص** مكّية) أي كلّها، وهو قول طاووس وعكرمة ﵄ (**ثمان وثمانون آية**) بالاتّفاق.اهـ شهاب. وفي تفسير الخطيب: وهي سبع أو **ثمان** وثمانون آية، وألف وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانمائة حرف وتسمّى سورة موسى عليه السلام.اهـ. **قوله**: (**حال أي محقّين**) بيان لحاصل المعنى، أي ملتبسين بالحقّ فهو حال من فاعل نتلو، ويجوز كونه حالًا من المفعول والحقّ بمعنى الصدق أي صادقًا.

﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (لمن سبق) في علمنا أنه مؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم.

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾ جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كأن قائلًا قال: وكيف كان نبؤهما؟ فقال: إن فرعون ﴿عَلَا﴾ طغى وجاوز الحدّ في الظلم واستكبر وافتخر بنفسه ونسي العبودية ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أرض مملكته يعني مصر ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فرقًا (يشيعونه) على ما يريد ويطيعونه. لا يملك أحد منهم أن (يلوي) عنقه أو فرقًا مختلفة يكرم طائفة ويهين أخرى فأكرم (القبطي) وأهان الإسرائيلي ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ أي يترك البنات أحياء للخدمة، وسبب ذبح الأبناء أن كاهنًا قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب مُلكَكَ على يده. وفيه دليل على حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل، وإن كذب فما معنى القتل. ويستضعف حال من الضمير في ﴿وَجَعَلَ﴾ أو صفة لـ ﴿شِيَعٗا﴾ أو كلام مستأنف و﴿يُذَبِّحُ﴾ (بدل من ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أي إن القتل ظلمًا إنما هو فعل المفسدين إذ (لا طائل) تحته صدق الكاهن أو كذب.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ نتفضل وهو دليل لنا في مسألة الأصلح، وهذه الجملة معطوفة على ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرًا لنبأ

قوله: (لمن سبق)... الخ. يعني أن اللام للتعليل.

قوله: (يشيعونه) أي يتبعون؛ لأن أصل معنى المشايعة المتابعة. اهـ شهاب. وفي تاج العروس: الشياع ـ بالكسر ـ المتابعة كالتشيّع وشيّعه على رأيه تابعه وقوّاه وشايعته تبعته وشجّعته. اهـ. **قوله**: (يلوي) أي يُميل عنقه ويُعْرض. **قوله**: (القبطيّ) في مختار الصحاح: القِبط بوزن السِّبْط أهل مصر، وهم بَنْكُها أي أصلها، ورجل قبطيّ. اهـ. **قوله**: (بدل من ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾) بدل اشتمال. **قوله**: (لا طائل) أصل الطائل النفع والفائدة. اهـ لسان العرب.

موسى وفرعون واقتصاصًا له، **(أو حال من** ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ **أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم)** وإرادة الله تعالى كائنة فجعلت كالمقارنة لاستضعافهم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة يُقتدى بهم في الخير أو قادة إلى الخير أو وُلاة وملوكًا ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَنُمَكِّنَ﴾ مكّن له إذا جعل له مكانًا يقعد عليه أو يرقد، ومعنى التمكين ﴿لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث **(لا تنبو بهم)** ويسلطهم

قوله: (أو حال من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾، **أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمنّ عليهم)** أي نُنعم عليه بخلاصهم منه، وقدر نحن لتكون جملة اسمية يعني ليصحّ دخول الواو، فإن المضارع المثبت إذا وقع حالًا لا يدخله الواو، ولمّا جوّز كونه حالًا ورد أن يقال جعله حالًا يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون إيّاهم وإرادة الله المنّة عليهم؛ لأن الله تعالى إذا أراد شيئًا كان ولم يتوقّف إلى وقتٍ آخر، فيلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له، وهما اجتماع المتنافيين؛ لأن إرادته تعالى أزليّة مستمرّة، فتكون مقارنةً لاستضعافه إيّاهم ويكون المراد حادثًا عند تعلّق الإرادة به، ولا استحالة في أن يريد الله تعالى حال استضعافه إيّاهم أن يمنّ عليهم بالخلاص في وقت قدّره وقضاه، وإنما الاستحالة في أن تتعلّق إرادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غير لازم من جعله حالًا، وهذا الجواب لا يتأتّى على مذهب المعتزلة، فإنهم قالوا: إرادة الله تعالى حادثة لا في محل قائمة بذاتها لا بذاته تعالى، فيلزم من كون قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ حالًا من فاعل ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ أن تقارن الإرادة الاستضعاف ومقارنتها له تستلزم مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة، وهي اجتماع المتنافيين، والجواب أن الله تعالى لمّا أراد أن يمنّ على بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه، وكانت تلك المنّة قريبة الوقوع جُعِلت كأنها واقعة مقارنةً لاستضعافهم.

قوله: (لا تنبو بهم) في لسان الإرب: نَبَا به منزله لم يوافقه، وكذلك فراشه، قال:

وإذا نَـبَـا بـك مـنـزل فـتـحَـوَّل

وينفذ أمرهم ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ (بضم النون ونصب ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وما بعده، وبالياء ورفع ﴿فرعونُ﴾ وما بعده: علي وحمزة) أي يرون منهم ما حذروه من ذهاب مُلْكهم وهلاكهم على يد مولود منهم، ﴿وَنُرِىَ﴾ نصب على المنصوب قبله كقراءة النون أو رفع على الاستئناف ﴿مِّنْهُم﴾ من بني إسرائيل ويتعلق بـ ﴿نُرِى﴾ دون ﴿يَحْذَرُونَ﴾ لأن الصلة لا تتقدّم على الموصول ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ الحذر: التوقي من الضرر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ بالإفهام أو بالرؤيا أو بإخبار ملك كما كان لمريم، وليس هذا وحي رسالة ولا تكون هي رسولًا ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ «أن» بمعنى أي أو مصدرية ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من القتل بأن يسمع الجيران صوته (فينموا) عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر، قيل: هو نيل مصر ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ من الغرق والضياع ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ بفراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ بِوَجهٍ لطيف (لتربِّيه) ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان، والفرق بين الخوف والحزن أن الخوف غمٌّ يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غمٌّ يلحقه لواقع وهو فراقه (والإخطار به) فنُهِيت عنهما وبشِّرت بردِّه إليها وجعله من المرسلين. ورُوِيَ أنه

ونَبَتْ بي تلك الأرض أي لم أجد بها قرارًا، انتهى. **قوله**: (بضمّ النون) وكسر الراء وفتح الياء بعدها مضارع أرى (ونصب ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وما بعده) للأكثر (وبالياء) مفتوحة وفتح الراء مع الإمالة وسكون الياء بعد الراء مضارع رأى (ورفع ﴿فرعونُ﴾وما بعده: عليّ) الكسائي (وحمزة).

قوله: (فينموا) في المصباح: نمّ الرجل الحديث نمًّا من بابي قتل وضرب سعى به ليوقع فتنة أو وحشة، فالرجل نمّ تسمية بالمصدر ونمّام مبالغة والاسم النميمة والنميم أيضًا.اهـ. **قوله**: (لتربيه) أصله تربّين سقط النون لأجل اللام. **قوله**: (والإخطار به) في المصباح: الخطر الإشراف على الهلاك وخوف التلف، والجمع أخطار مثل سبب وأسباب.اهـ. وأيضًا فيه: بادية مُخْطِرَة كأنها أخطرت المسافر فجعلته خطرًا بين السلامة والتلف، انتهى.

ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد. ورُوِيَ أنها حين (**ضربها الطَّلْق**) وكانت بعض (**القوابل**) المُوكَلات بـ (**حبالى**) بني إسرائيل (**مصافية**) لها فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالَها نور بين عينيه ودخل حُبّه قلبها فقالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك حُبًّا ما وجدت مثله فاحفظيه، فلما خرجت القابِلَة جاءت (**عيون**) فرعون فلفَّته في خرقة ووضته في تنّور مسجور لم تعلم ما تصنع لما (**طاش**) من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئًا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنّور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار بردًا وسلامًا، فلما ألحَّ فرعون في طلب الولدان أوحى إليها بإلقائه في اليمّ فألقته في (﴿ٱلْيَمِّ﴾) بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ أخذه، قال (**الزجّاج**): كان فرعون من أهل فارس من (**اصطخر**) ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي ليصير الأمر إلى ذلك لا أنهم أخذوه لهذا كقولهم للموت ما تلده الوالدة وهي لم تلد لأن يموت ولدها ولكن المصير إلى ذلك كذا قال الزجّاج. وعن هذا قال المفسِّرون: إن هذه لام العاقبة والصيرورة. وقال صاحب الكشاف: هي لام كي التي معناها التعليل كقولك: «جئتك لتكرمني» ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة

قوله: (ضربها الطّلق) بفتح فسكون وجع يعرض عند وضع الحمل وضربه قرب حصوله. **قوله**: (القوابل) في المصباح: قبلت القابلة الولد تلقّته عند خروجه قِبالة ـ بالكسر ـ والجمع قوابل. **قوله**: (حبالى) بفتح اللام جمع حبلى معروف. **قوله**: (مُصافية) أي مُحبّة. **قوله**: (عيون) أي جواسيس. **قوله**: (طاش) الطيش الخفّة، وهو مصدر من باب باع. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿ٱلْيَمِّ﴾) هو البحر.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله. **قوله**: (اصْطخْر) مدينة قديمة بأرض فارس لا يدرى مَنْ بناها كان سليمان عليه السلام يتغدّى ببعلبك ويتعشّى بها. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل.

المجيء ﴿وَحَزَنًا﴾ (﴿وَحَزَنًا﴾ علي وحمزة) وهما لغتان (كالعدم والعدم) ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ (﴿خاطين﴾ تخفيف خاطئين) : أبو جعفر أي كانوا مُذنبين فعاقبهم الله بأن ربّى عدوّهم ومَن هو سبب هلاكهم على أيديهم، أو كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم (ببدع) منهم.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ رُوِيَ أنهم حين التقطوا (التابوت) عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورًا فعالجته فَفَتَحتْهُ فإذا بصبي نوره بين عَينيه فأحبوه وكانت لفرعون بنت (برصاء) فنظرت إلى وجهه فبرئت، فقالت (الغواة) من قومه: هو الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله، فَهَمَّ بذلك فقالت آسية: قرَّة عين لي ولك. فقال فرعون: لك، لا لي. (وفي الحديث) «لو قال كما قالت لهداه الله تعالى كما هداها»، وهذا على سبيل الفرض أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها وكان أسلم كما أسلمت. و﴿قُرَّتُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو قرّة و﴿لِّى وَلَكَ﴾ صفتان لقرّة ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خاطبته خطاب الملوك أو خاطبت الغواة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإن فيه (مخايل اليمن) ودلائل النفع وذلك لما عاينت من النور

قوله : (﴿وَحَزَنًا﴾) بضم الحاء وإسكان الزاي (عليّ) الكسائي (وحمزة)، والباقون بفتح الحاء والزاي لغة قريش، وهما بمعنى. **قوله** : (كالعَدَم والعُدْم) والرَّشَد والرُّشْد والسَّقَم والسُّقْم. **قوله** : («خاطين») بياء من دون همز (تخفيف خاطئين) أبو جعفر المدني وليس من السبعة. **قوله** : (ببدع) أي بعيب ومستغرب.

قوله : (التابوت) الصندوق. **قوله** : (برصاء) في المصباح: برص الجسم برصًا من باب تعب، فالذكر أبرص والأنثى برصاء، والجمع بُرُص مثل أحمر وحمراء وحُمر. اهـ. **قوله** : (الغواة) في المصباح: غوى غيًّا من باب ضرب انهمك في الجهل، وهو خلاف الرشد، والاسم الغواية بالفتح وغوى أيضًا خاب وضلّ وهو غاوٍ والجمع غواة مثل قاضٍ وقضاة. اهـ. **قوله** : (وفي الحديث) رواه النسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله** : (مخايل اليمن) علامات البركة.

(وبرىء البرصاء) ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ (أو نتبنّاه) فإنه أهل لأن يكون ولدًا للملوك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال، وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزنًا، وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنّيه. وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم، وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَصْبَحَ﴾ وصار ﴿فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ (صفرًا من العقل) لما (دهمها) من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها. قيل: لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول: واابناه. وقيل: لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه يقتله فكادت تقول: واابناه شفقة عليه. و«إن» مخففة من الثقيلة أي إنها كادت ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ لو ربطنا على قلبها، والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بوعدنا وهو ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ وجواب «لولا» محذوف أي لأبدته أو فارغًا من الهمّ حين سمعت أن فرعون تبنّاه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحًا وسرورًا بما سمعت لولا أنّا طمأنّا قلبها وسكّنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح لتكون من

قوله: (وبرىء البرصاء) في المصباح: برىء من المرض يبرأ من بابي نفع وتعب وبرأ برءًا من باب قرب لغة. اهـ. **قوله**: (أو نتبنّاه) أي نتّخذه ابنًا، فإنه لائق لتبني الملوك لما فيه من الأبّهة، وهذا من عطف الخاص على العام.

قوله: (صفرًا[1] من العقل) أي خاليًا منه لأنه محله المضاف إليه في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحجّ: الآية ٤٦]، وإن كان مشتركًا بينه وبين الرأس. **قوله**: (دهمها) بمهملات مع فتح الهاء وكسرها بمعنى عرض لها

---

(١) بالضمّ ويثلث. اهـ قاموس. ١٢ منه رَحِمَهُ اللَّهُ.

المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبنّي فرعون. قال **(يوسف بن الحسين)**: أُمِرَت أُم موسى بشيئين ونُهِيَت عن شيئين وبُشِّرَت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله **(حياطتها)** فربط على قلبها.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ **(مريم)** ﴿قُصِّيهِۖ﴾ اتبعي **(أثره)** لتعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ **(أي أبصرته)** ﴿عَن جُنُبٍ﴾ عن بُعْد حال من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ أو من الضمير في ﴿بَصُرَتْ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أُخته ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ تحريم منع لا تحريم شرع، أي منعناه **(أن يرضع ثديًا)** غير ثدي أُمه وكان لا

بغتة. **قوله**: **(يوسف بن الحسين)** شيخ الريّ والجبال في وقته وكان نسيج وحده، أي لا نظير له في إسقاط التصنع للخلق بالطاعات والتزيّن بها عندهم، وكان عالمًا أديبًا صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي ورافق أبا سعيد الخرّاز، مات سنة أربع وثلاثمائة. **قوله**: **(حياطتها)** في لسان العرب: حاطه يَحُوطه حَوْطًا وحَيْطة وحياطة حفظه وتعهّده. اهـ.

قوله: **(مريم)** عطف بيان والإيضاح من مجموعهما لأنها غير مشتهرة بهذا الاسم كشهرة والدة عيسى عليه السلام بهذا الاسم مريم أصل معناه الخادم وزنه مفعل، فإنه مشتق من رام يروم إذا فارق وبرح. اهـ قنوي. **قوله**: **(أثره)** بفتحتين وبكسر الهمزة والسكون. **قوله**: **(أي أبصرته)** فإن بصر به وأبصره بمعنى واحد. **قوله**: **(أن يرضع ثديًا)** في المصباح: رضع الصبي رضعًا من باب تعب في لغة نجد، ورضع رضعًا من باب ضرب لغة لأهل تهامة وأهل مكّة يتكلّمون بها وبعضهم يقول: أصل المصدر من هذه اللغة كسر الضاد، وإنما السكون تخفيف مثل الحَلف والحِلف، ورضع يرضع ـ بفتحتين ـ لغة ثالثة رَضاعًا ورَضاعة ـ بفتح الراء ـ وأرضعته أُمّه فارتضع، فهي مرضع ومرضعة أيضًا، وقال الفراء وجماعة: إن قصد حقيقة الوصف بالإرضاع فمرضع بغير هاء، وإن قصد مجاز الوصف بمعنى أنها محلّ الإرضاع فيما كان أو سيكون، فبالهاء؛ وعليه قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: الآية ٢]، ونساء مراضع ومراضيع وراضعة

يقبل ثدي مُرضِع حتى أهمَّهم ذلك. والمراضع (**جمع مرضع**) وهي المرأة التي ترضع (**أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع، وهو الثدي أو الرضاع**) ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل قصّها أثره أو من قبل أن تردّه على أمه ﴿فَقَالَتْ﴾ أُخته وقد دخلت بين المراضع ورأته لا يقبل ثديًا (﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾) أرشدكم ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾ أي موسى ﴿لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ النصح لإخلاص العمل من (**شائبة الفساد**).

رُوِيَ أنها لمّا قالت: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله (**فخذوها**) حتى تخبر بقصة هذا الغلام، فقالت: (**إنما أردت**) وهم للملك ناصحون. فانطلقت إلى أُمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلّله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع، فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها فرعون: و(**مَن أنت منه**) فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أُوتى بصبي إلا (**قبلني**)، فدفعه إليها (**وأجرى عليها**) وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في

مراضعة ورضاعًا ورضاعة بالكسر. اهـ. **قوله**: (جمع مرضع) بضمّ الميم وكسر الضاد وترك التاء إمّا لاختصاصه بالنساء، أو لأنه بمعنى شخص. **قوله**: (أو جمع مرضع) بفتح الميم والضاد (وهو موضع الرضاع، وهو الثدي) فيكون اسم مكان (أو الرضاع) فيكون مصدرًا ميميًّا وجمع لتعدّد مواده. **قوله**: (﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾) معناه هل تريدون أنْ أدلّكم. **قوله**: (شائبة الفساد) في المصباح: الشائبة واحدة الشّوائب وهي الأدناس والأقذار. اهـ.

قوله: (فخذوها) أي أمسكوها وضيّقوا عليها حتى تقرّ. **قوله**: (إنما أردت)... الخ. لأن كلامها يحتمله في لغتهم، واختلاف مرجع الضمائر لا يختصّ بلغة العرب حتى يتكلّف له تأويل، وهذا وإن كان كذبًا جائز لدفع الضرر مع أنها غير مَعْصومة. اهـ شهاب.

قوله: (مَن أنت منه) بمعنى: من أنت في القرب منه نسبًا، ومن اتّصالية. **قوله**: (قبلني) من باب تَعِب. **قوله**: (وأجرى عليها) أي أمر بأن يجري عليها النفقة.

علمها أنه سيكون نبيًا وذلك قوله:

﴿فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بالمقام معه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي وليثبت علمها مشاهدة كما علمت خبرًا. وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ معطوف على ﴿تَقَرَّ﴾ وإنما حلَّ لها ما تأخذه من الدينار كل يوم ـ كما قال (السدي) ـ لأنه مال حربي لا أنه أجرة على إرضاع ولدها ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هو داخل تحت علمها أي لتعلم أن وعد الله حق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون، **(ويُشْبِهُ التعريض بما فرط)** منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ بلغ موسى نهاية القوة وتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وأنعم عند (سيبويه) ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ واعتدل وتمَّ استحكامه وهو أربعون سنة. ويُروَى أنه لم يُبعَث نبي إلا على رأس أربعين سنة ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهًا أو علمًا بمصالح الدارين ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي كما فعلنا بموسى وأمه نفعل بالمؤمنين. قال الزجَّاج: جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مُجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين، والعالم الحكيم مَن يعمل بعلمه

قوله: (السدَي) وهو الإمام إسماعيل السدّي رحمة الله عليه؛ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة، والسدّة الباب ويُنسب إليها على اللفظ، فيقال: السدّي. **قوله**: (ويشبه التعريض بما فرط منها)... الخ. هو من التعبير بالمضارع، فإنه يُفهم أنها لم تتيقّن ذلك في الماضي؛ إذ لو كان كذلك لم يعرض لها خوف وحيرة. **قوله**: (فرط) بتخفيف الراء بمعنى سبق.

قوله: (سيبويه) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبر كان أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل غير ذلك.

لأنه تعالى قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢]. فجعلهم جهّالًا إذ لم يعملوا بالعلم.

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ أي مصر ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ حال من الفاعل أي مختفيًا وهو ما بين العشاءين أو وقت القائلة يعني انتصاف النهار. وقيل: لما (**شب وعقل**) أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل المدينة إلا على تغفل ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ممَّن (**شايعه**) على دينه من بني إسرائيل. قيل: هو السامري، وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من مخالفيه من القبط وهو قانون، وقيل: فيهما هذا وهذا وإن كان غائبين على جهة الحكاية أي إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا من شيعته وهذا من عدوه ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ فاستنصره ﴿ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ ضربه (**بجمع كفه**) أو بأطراف أصابعه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (**فقتله**) ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ إشارة إلى القتل الحاصل بغير قصد ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وإنما جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسمّاه ظلمًا لنفسه واستغفر منه لأنه كان (مستأمنًا) فيهم ولا يحلّ قتل الكافر الحربي المستأمن، أو لأنه قتله قبل أن يؤذَن له في القتل،

قوله: (**شبّ**) في المصباح: شبّ الصبي يشبّ من باب ضرب شبابًا وشبيبة وهو شابّ، وذلك سنٌّ قبل الكهولة.اهـ.

قوله: (**وعقل**) في المصباح: عقلت الشيء عقلًا من باب ضرب تدبّرته. وعقل يعقل من باب تعب لغة.اهـ. **قوله**: (شايعه) بمعنى تابعه **قوله**: (**بجمع كفّه**) بضم الجيم وسكون الميم بمعنى كفّه المضمومة أصابعها. **قوله**: (**فقتله**) بيان لحاصل المعنى، فإن قضاء الشيء إتمامه والفراغ منه، وكل شيء أتْمَمْته وفرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه. **قوله**: (**مستأمنا**) بكسر الميم اسم فاعل، أي الطالب للأمان، ويصحّ بالفتح اسم مفعول والسين والتاء للصيرورة، أي من صار مؤامنًا.

وعن (ابن جريج): ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (ظاهر العداوة).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يا رب ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بفعل صار قتلًا ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ (زلّتي) ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ زلّته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ بإقالة الزَّلل ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بإزالة (الخجل) ﴿قَالَ

قوله: (ابن جريج) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج - بجيم مكرّرة الأولى مضمومة - القريشيّ الأُموي وهو من تابعي التابعين، سمع طاووسًا وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي مليكة ونافعًا مولى ابن عمر ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري والزهري والخلائق من التابعين وغيرهم، روى عنه الأنصاري وهو شيخه تابعي والأوزاعي والثوري وابن عُيينة واللّيث وابن عليّة ويحيىٰ القطّان والأُموي ووكيع وخلائق لا يحصون، قال أحمد بن حنبل: أوّل من صنّف الكتب ابن جريج، وقال عبد الرزّاق: كنت إذا رأيت ابن جريج يصلّي علمت أنه يخشى الله عزّ وجلّ، وأقوال أهل العلم من السلف والخلف في الثناء عليه وذكر مناقبه أكثر من أن تُحصر، توفي سنة خمسين ومئة هذا قول الأكثرين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: تسع وأربعين، وقيل: سنة ستّين وقد جاوز المائة. **قوله**: (ظاهر العداوة) إشارة إلى أنه من أبان اللازم ولم يقل ظاهر العداوة والإضلال، وإن لم يستلزم أحدهما الآخر، فكم من صديق مضلّ لأنه يريد الإشارة إلى أنه صفة عدوّ لا مضلّ؛ لوقوعه كذلك في غير هذه الآية، وإضلاله ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

قوله: (زلّتي) في مختار الصحاح: زَلّ يَزَل بالفتح زَلَلًا والاسم الزلَّة. اهـ. وفي المصباح: زلّ عن مكانه زلّا من باب ضرب تنحّى عنه وزلّ زَلَلًا من باب تعب لغة، والاسم الزلّة - بالكسر - والزَّلة - بالفتح - المرّة، والمزلّة المكان الدَّحض وهو بفتح الميم، وأمّا الزاي فالكسر أفصح من الفتح، يقال: أرضٌ مُزلّة تزلّ فيها الأقدام، وزلّ في منطقه أو فعله يزلّ من باب ضرب زلّة أخطأ. اهـ. **قوله**: (الخجل) في مختار الصحاح: الخَجَل التحيّر والدَّهَش من الاستحياء، وقد خَجِل من باب طرب. اهـ.

رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ مُعينًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ للكافرين و﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ على قسم جوابه محذوف (**تقديره أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة**) لأتوبنَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين، (**أو استعطاف**) كأنه قال: ربِّ اعصمني بحق ما أنعمت عليَّ من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرًا للمجرمين، وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره (سواده) حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الولد.

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا﴾ على نفسه من قتله القبطي أن يؤخذ به ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ حال أي يتوقع المكروه وهو (**الاستقادة**) منه أو الأخبار أو ما يقال

قوله: (تقديره: أقسم بإنعامك عليَّ بالمغفرة) قدّر متعلق الباء وجعل ما مصدرية وجعل إنعامه تعالى عليه بالمغفرة مقسمًا به وعيّن أن الجواب المقدّر هو قوله: لأتوبن، أي لأرجعنّ عمّا فرط مني من الزلّة، وجعل قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ معطوفًا على الجواب المقدّر، فتكون الجملة الخبرية التي أكّدت بالجملة القسمية هي المجموع من المعطوف عليه المقدّر وما عطف عليه. **قوله**: (أو استعطاف) عطف على قوله: قسم جعل الاستعطاف قسيمًا للقسم مع أن النحّاة صرَّحوا بأنّ القسم على قسمين: قسمٌ للاستعطاف، وقسم لغير الاستعطاف؛ وقالوا: القسم جملة إنشائية يؤكّد بها جملة أخرى، فإن كانت الأخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف، وإن كانت طلبية فهو للاستعطاف، ولم يَجْعله المصنف والزمخشري قسمًا لأن القائل: بالله لأفعلنّ كذا انعقدت اليمين على القائل، وأمّا لو قال: بالله أفعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلّم ولا على المخاطب، فلذلك لم يجعلاه من القسم، ومَنْ جعله قسمًا مِنَ القسم اعتبر الظاهر لأن صورته صورة القسم من حيث إنه يؤكّد الطلب على المستعطف، وليس بقسم على الحقيقة لأن شرطه أن يؤكّد به جملة خبرية موجبة أو منفية، وعلى تقدير كون قوله: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ استعطافًا مؤكّدًا لجملة طلبية مقدّرة، وهي اعصمني يكون قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ جوابًا للأمر المقدّر سببًا عنه. **قوله**: (سواده) أي جماعته.

قوله: (الاستقادة) طلب القَوَد وهو القصاص.

فيه، وقال (ابن عطاء): خائفًا على نفسه يترقَّب نصرة ربه. وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه (لا يسوغ) الخوف من دون الله ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى﴾ ﴿إِذَا﴾ للمفاجأة وما بعدها مبتدأ ﴿ٱسْتَنصَرَهُۥ﴾ أي موسى ﴿بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيثه والمعنى أن الإسرائيلي الذي خلصه موسى استغاث به ثانيًا من قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ أي للإسرائيلي ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أي ضالّ عن الرشد ظاهر الغيّ فقد قاتلت بالأمس رجلًا فقتلته بسببك، والرشد في التدبير أن لا يفعل فِعلًا يُفضي إلى البلاء على نفسه وعلى مَن يريد نصرته.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى﴾ بالقبطي الذي ﴿هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والإسرائيلي لأنه ليس على دينهما، أو لأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي لموسى عليه السلام وقد توهّم أنه أراد أخذه لا أخذ القبطي إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا﴾ يعني القبطي ﴿بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ﴾ ما تريد ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ أي قتالًا بالغضب ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ في (كظم الغيظ)، وكان قتل القبطي بالأمس قد شاع ولكن خفي قاتله، فلما أفشى على موسى عليه السلام علم القبطي أن قاتله موسى فأخبر فرعون فهمّوا بقتله.

قوله: (ابن عطاء) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي ـ بفتح الهمزة والمهملة ـ نسبة إلى بيع الأدم جمع أديم، من كبار مشائخ الصوفية وعلمائهم، مات سنة تسع وثلاثمائة رحمه الله.

قوله: (لا يسوغ) في مختار الصحاح: ساغ له ما فعل، أي جاز له وسوّغ له تسويغًا أي جوّزه. اهـ.

قوله: (كظم الغيظ) في مختار الصحاح: كظم غيظه اجترعه وبابه ضرب، فهو رجل كظيم والغيظ مكظوم. اهـ.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عمّ فرعون ﴿يَسْعَىٰ﴾ صفة لرجل أو حال من رجل لأنه وصف بقوله: ﴿من أقص المدينة﴾، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ أي يأمر بعضهم بعضًا بقتلك أو يتشاورون بسببك، والائتمار: التشاور. يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (﴿لَكَ﴾ بيان) وليس بصلة ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (**لأن الصلة لا تتقدَّم على الموصول**) كأنه قال: إني من الناصحين، ثم أراد أن يبيِّن فقال: لك كما يقال سقيًا لك ومرحبًا لك ﴿فَخَرَجَ﴾ موسى ﴿مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ التعرّض له في الطريق أو أن يلحقه مَن يقتله ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي قوم فرعون.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ نحوها، والتوجّه الإقبال على الشيء، ومدين (**قرية شعيب**) عليه السلام سُمِّيت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون، وبَيْنَها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج ولم يكن له علم بالطريق إلا حُسن الظن بربّه ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي

قوله: (﴿لَكَ﴾ بيان) فيتعلق بمحذوف، أي أقول لك. **قوله**: (**لأن الصلة لا تتقدَّم على الموصول**) عبارة البيضاوي: لأن معمول الصلة لا يتقدّم على الموصول.اهـ. أشار إلى أن اللام في الناصحين موصول لا حرف، وهو مذهب الجمهور إذا كان اسم الفاعل بمعنى الحدوث، ومعمول الصلة وهو اللام هنا لا يتقدّم.اهـ قنوي.

قوله: (**قرية شعيب**) بن نويب بن مدين بن إبراهيم على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام، وكان لإبراهيم أربعة بنين: إسمٰعيل وإسحٰق ومدين ومداين، وإليهما

وسطه ومعظم (**نهجه**) فجاءه ملك فانطلق به إلى مدين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ وصل ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ ماءهم الذي يسقون منه (**وكان بئرًا**) ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ على جانب البئر ﴿أُمَّةً﴾ (**جماعة كثيرة**) ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ من أناس مختلفين ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تطردان غنمهما عن الماء لأن على الماء مَن هو أقوى منهما فلا تتمكَّنان من السقي أو لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم، والذَّود الطرد والدفع ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ (**ما شأنكما**) وحقيقته ما مخطوبكما أي ما مطلوبكما من الذياد فسُمِّي المخطوب خطبًا ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾ غنمنا ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ مواشيهم (﴿يُصْدِرَ﴾ **شامي ويزيد وأبو عمرو أي يرجع**) والرعاء جمع راعٍ كقائم وقيام ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ﴾ لا يمكنه سقي الأغنام ﴿كَبِيرٌ﴾ في حاله أو في السن لا يقدر على رعي الغنم، أبدتا إليه عذرهما في تولِّيهما السقي بأنفسهما.

نُسبت البلدتان مدين ومداين. **قوله**: (**نهجه**) في مختار الصحاح: النَّهج بوزن الفَلْسِ والمَنْهَج بوزن المذهب والمِنهاج الطريق الواضح. **قوله**: (**وكان بئرًا**) إشارة إلى أن المراد بالماء محلّه مجازًا، أو أنه بئر لا عين. **قوله**: (**جماعة كثيرة**) من التنوين أو من لفظ أُمّة من الناس من أُناس مختلفين، الأُمة جماعة يجمعهم أمرٌ ما إمّا دين واحد أو زمان أو مكان واحد، سواء كان الأمر الجامع حاصلًا لهم اختيارًا أو تسخيرًا، وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لأنه ليس للاستغراق وهو ظاهر ولا للجنس لأن قوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ يغني عن بيان أنّ المراد بالأُمّة جنس الناس، فثبت أنه للعهد والمعهود عرفًا أن تكون الجماعة المجتمعة للاستقاء أناسًا مختلفين.

قوله: (**ما شأنكما**) يعني أن الخطب مصدر أُريد به المفعول فهو بمعنى الشأن، والشأن أيضًا مصدر أُريد به المفعول. **قوله**: (﴿يَصْدُرَ﴾) بفتح الياء وضمّ الدال (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**ويزيد**) هو أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وأبو عمرو**) البصري (**أي يرجع**) يقال: صدر يصدر إذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال من الإصدار وهو متعدٍّ، والمعنى: حتى يردّوا ويصرفوا مواشيهم.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فسقى غنمهما لأجلهما رغبة في المعروف وإغاثة (للملهوف). رُوِيَ أنه (نحا) القوم عن رأس البئر وسألهم دلوًا فأعطوه دلوهم وقالوا: استقِ بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبّها في الحوض ودعا بالبركة. وترك المفعول في ﴿يَسْقُونَ﴾ و﴿تَذُودَانِۖ﴾ و﴿لَا نَسْقِي﴾ و﴿فَسَقَىٰ﴾ لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلًا، وكذا في ﴿لَا نَسْقِي﴾ و﴿فَسَقَىٰ﴾ فالمقصود هو السقي لا المسقي. ووجه مطابقة جوابها سؤاله أنه سألهما عن سبب الذَّود فقالتا: السبب في ذلك أنّا امرأتان مستورتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرجال ونستحي من الاختلاط بهم فلا بدَّ لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا. وإنما رضي شعيب عليه السلام لابنتيه بسقي الماشية لأن هذا الأمر في نفسه ليس بمحظور والدين لا يأباه، وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل (البدو) فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصًا إذا كانت الحالة حالة ضرورة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي ظلّ (سمرة)، وفيه دليل جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض (المتقشفة) ولما طال البلاء عليه أنس (بالشكوى) إذ لا نقص في الشكوى إلى المولى ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ (لأي شيء ﴿أَنزَلْتَ﴾) إِلَيَّ مِنْ

قوله: (المَلْهوف) في مختار الصحاح: الملهوف المظلوم يستغيث.اهـ. **قوله**: (نحا) في لسان العرب: نحا الشيء ينحاه نحيًا ونحّاه فتنحّى أزاله.اهـ. **قوله**: (البدو) في المصباح: البدو مثال فلس خلاف الحضر، وأيضًا فيه: الحضر ـ بفتحتين ـ خلاف البدو.اهـ. وفي مختار الصحاح: البَدْوُ البادية.اهـ. **قوله**: (سمرة) في مختار الصحاح: السَّمُرة ـ بضم الميم ـ من شجر الطَّلْح والجمع سَمُر بوزن رَجُل.اهـ. **قوله**: (المتقشفة) المتزهّدة وهم يقولون: لا راحة للمؤمن في الدنيا. **قوله**: (بالشكوى) بالفتح. **قوله**: (لأي شيء) إشارة إلى أن ما نكرة موصوفة لا موصولة لعدم مناسبته للمقام. **قوله**: (﴿أَنزَلْتَ﴾) بمعنى قدرت وأوصلت.

خَيْرٍ﴾ (قليل أو كثير غثّ أو سمين) ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج، (وعدّى ﴿فَقِيرٌ﴾ **باللام لأنه ضمن**) معنى سائل وطالب. قيل: كان لم يذُق طعامًا سبعة أيام وقد لصق بظهره بطنه. ويحتمل أن يريد أني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إليَّ من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك و(ثروة)، قال ذلك رِضًا بالبدل (السني) وفرحًا به وشكرًا له. وقال ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سرّه من الأنوار.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ على استحياء في موضع الحال أي مستحية، وهذا دليل كمال إيمانها وشرف (**عنصرها**) لأنها كانت تدعوه إلى ضيافتها ولم تعلم أيجيبها أم لا، فأتته مستحية قد استترت بكم درعها، و«ما» في ﴿مَا سَقَيْتَ﴾ مصدرية أي جزاء سقيك. رُوِيَ أنهما لمّا رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما (**حُفَّل**) قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلًا صالحًا رحمنا فسقى لنا. فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي قصته وأحواله مع فرعون، والقصص مصدر (**كالعلل**) سُمِّي به المقصوص ﴿قَالَ﴾ له ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (**إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا**)، وفيه دليل

قوله: (قليل أو كثير) من شيوع التنكير. **قوله**: (غثّ) في مختار الصحاح: الغَثّ ـ بالفتح ـ اللّحم المهزول. اهـ. **قوله**: (أو سمين) في مختار الصحاح: السمين ضدّ المهزول. **قوله**: (وعدّى ﴿فَقِيرٌ﴾ **باللام لأنه ضمن**)... الخ. يعني أن فقير يتعدّى بإلى فتعديته باللام لأنه ضمن... الخ. **قوله**: (ثروة) الثَّرْوة كثرة العدد. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (السَّني) الرفيع.

قوله: (عنصرها) أي أصلها. **قوله**: (حُفَّل) جمع حافل أي ممتلئة الضروع. اهـ لسان العرب. **قوله**: (كالعلل) في المصباح: عللته عللًا من باب طلب سقيته السقية الثانية. اهـ. **قوله**: (إذ لا سلطان لفرعون بأرضنا) ولسنا في

جواز العمل بخبر الواحد ولو عبدًا أو أنثى والمشي مع الأجنبية مع ذلك الاحتياط والتورّع. وأما أخذ الأجْر على البرّ والمعروف فقيل: إنه لا بأس به عند الحاجة كما كان لموسى عليه السلام، على أنه رُوِيَ إنها لما قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ﴾ كره ذلك وإنما أجابها لئلا يخيب قصدها لأن للقاصد حرمة. ولما وضع شعيب الطعام بين يديه فقال شعيب: ألست جائعًا؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون عِوَضًا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا ولا نأخذ على المعروف ثمنًا. فقال شعيب عليه السلام: **(هذه عادتنا)** مع كل مَن ينزل بنا فأكل.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اتخذه أجيرًا لرعي الغنم. رُوي أن كبراهما كانت تسمى **(صفراء)** والصغرى صفيراء، وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ فقال: وما علمك بقوته وأمانته؟ فذكرت نوع الدلو وأمرها بالمشي خلفه. وورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أن أمانته وقوته أمران متحقّقان. وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلام جامع لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ **(بالك)** وتمّ مرادك، وقيل: القوي في دينه الأمين في جوارحه. وقد استغنت بهذا **(الكلام الجاري مجرى المثل)** عن أن تقول استأجره لقوته وأمانته.

مملكته، فإن قيل: إن المفسّرين قالوا: إن فرعون يوم خرج على أثر موسى ركب في ألف ألف وستّمائة ألف، والملك الذي هذا شأنه كيف يعقل أن لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية أيام من دار ملكه؟ والجواب أن هذا وإنْ كان نادرًا لكنه ليس بمُحال. **قوله:** **(هذه عادتنا)** يعني ليس ما بذلناه أجرًا، بل قرى على عادتنا فيه.

قوله: **(صفراء)** أو صفوراء. **قوله:** **(بالك)** البال القلب، يقال: ما يخطر فلان ببالي. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** **(الكلام الجاري مجرى المثل)** عبارة الكشاف: الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة.

وعن (ابن مسعود) رضي الله عنه: أفرس الناس ثلاث: بنت شعيب، وصاحب يوسف في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: الآية ٢١]، (وأبو بكرٍ في عمر).

قوله: (ابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمٰن، من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة ﷺ.

قوله: (وأبو بكر في عمر) حين استخلفه[1]، أخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال: أفْرَس الناس ثلاثة: أبو بكر حين استخلف عمر، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾، والعزيز حين تفرّس في يوسف فقال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾ [يُوسُف: الآية ٢١]. وأخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثَقُل دعا عبد الرحمٰن بن عوف، قال: أخْبِرْني عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألني عن أمرٍ إلّا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمٰن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخْبَرُنا به، فقال: على ذلك، فقال: اللّهمّ علمي به أن سَريرته خيرٌ من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، وشاوَرَ معهما سعيد بن زيد وأُسَيْد بن الحُضَيْر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أُسَيْد: اللّهمّ أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسَّخط الذي يسرُّ خيرٌ من الذي يُعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد نرى غِلْظَة؟ فقال أبو بكر: بالله تُخَوِّفني! أقول: اللّهمّ إني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من ورائك، ثم دعا عثمان فقال: اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وعند أوّل عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدُق الكاذب إني استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عَدَلَ فذلك ظنّي به وعلمي فيه، وإن بدّل فلكلّ امرء ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة

---

(١) وهو أنه جعله خليفة في حياته. ١٢ منه ﷺ.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾ أزوّجك ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ (**قوله: ﴿هَٰتَيۡنِ﴾ يدل على أنه كان له غيرهما**) وهذه مُواعدة منه ولم يكن ذلك عقد نكاح إذ لو كان عقدًا لقال: قد أنكحتك ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ تكون أجيرًا لي من أجَرْته إذا كنت له أجيرًا ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ ظرف (**والحجة السَّنَة وجمعها ﴿حِجَجٖۖ﴾**) والتزوّج على رعي الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾ أي عمل عشر حجج ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فذلك تفضّل منك ليس بواجبة عليك، أو فإتمامه من عندك (**ولا أُحتِّمه**) عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرّع ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ بإلزام أتمّ الأجلين، وحقيقة قولهم: شققت عليه وشقّ عليه الأمر أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شقَّ عليك ظنّك باثنين تقول: تارة أطيقه و(**طورًا**) لا أطيقه ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

الله وبركاته. ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختومًا فبايع الناس ورضوا به، ثم دعا أبو بكر عمر خاليًا فأوصاه بما أوصاه، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه وقال: اللّهمّ إني لم أُرِدْ بذلك إلّا صلاحهم وخفتُ عليهم الفتنة، فعمِلْتُ فيهم بما أنت أعلمُ به واجتهدت لهم رأيًا، فولّيتُ عليهم خيرَهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما أرْشَدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهمْ فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح اللّهمّ وُلَاتُهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيّته. وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة، قال: لمّا ثقل أبو بكر أشْرَف على الناس من كُوَّة فقال: أيها الناس، إني قد عهدت عهدًا فترضون به؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، فقام عليّ فقال: لا نرضى إلّا أن يكون عمر، قال: فإنه عمر.

قوله: (**قوله: ﴿هَٰتَيۡنِ﴾ يدلَ على أنه كان له غيرهما**)، وقد قال البقاعي: إن له سبع بنات كما في التوراة. **قوله**: (**والحجّة**) بالكسر (**السَّنة وجمعها ﴿حِجَجٖۖ﴾**) بوزن العِنَب. **قوله**: (**ولا أحتمه**) في مختار الصحاح: الحتم إحكام الأمر، والحَتْم أيضًا القضاء والجمع حُتُوم وحتم عليه الشيء أوجبه، وباب الكل ضرب. اهـ. **قوله**: (**طورًا**) الطَّوْر التارة. اهـ مختار الصحاح.

﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ في حُسن المعاملة والوفاء بالعهد، ويجوز أن يُراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حُسْن المعاملة. والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتّكال على توفيقه فيه ومعونته لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب والخبر ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعًا لا يخرج كِلانا عنه، لا أنا فيما شرطت عليّ ولا أنت فيما شرطت على نفسك. ثم قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ أي أيّ أجَلٍ قضيت من الأجَلين يعني العشرة أو الثمانية. و«أيَّ» نصب بـ ﴿قُضِيتِ﴾ و«ما» زائدة ومؤكدة لإبهام «أيَّ» وهي شرطية وجوابها ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ (أي لا يُعتَدى عليّ) في طلب الزيادة عليه، قال (المبرّد): قد علم أنه لا عدوان عليه في أيّهما ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتمّ في الوفاء، وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ هو مَن وُكِّلَ إليه الأمر، (وعُدِّي بـ «على» لأنه) استعمل في موضع الشاهد والرقيب.

قوله: (أي لا يعتدى عليّ) بيان لحاصل المعنى لا لأن ﴿عَلَيَّ﴾ متعلقة بـ ﴿عُدْوَٰنَ﴾. **قوله**: (المبرَد) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري النحوي، نزل بغداد وكان إمامًا في النَّحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب، منها كتاب الكامل، ومنها الروضة والمقتضب وغير ذلك، أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه نفطَوَيْه والمُبَرِّد - بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشدّدة وبعدها دال مهملة - وهو لقب عُرِف به، وكانت ولادة المبرّد يوم الاثنين في عيد الأضحى سنة عشر ومائتين، وقيل: سنة سبع ومائتين، وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجّة، وقيل: ذي القعدة سنة ستّ وثمانين، وقيل: خمس وثمانين ومائتين ببغداد، ودُفِن في مقابر باب الكوفة في دار اشْتُرِيت له وصلّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى.

قوله: (وعدي بـ «على» لأنه)... الخ. وإلّا فالأصل أن يعدّى بكلمة إلى.

رُوِيَ أن شُعيبًا كانت عنده (عصيّ الأنبياء) عليهم السلام فقال لموسى بالليل: أدخل ذلك البيت فخذ عصًا من تلك العُصِي فأخذ عصًا هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسّها (وكان مكفوفًا فضنَّ بها) فقال: خذ غيرهما فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنًا. ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت (مفرق الطريق) فلا تأخذ على يمينك فإن (الكلأ) وإن كان بها أكثر إلا أن فيها (تنّينا) أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفّها فمشى على أثرها فإذا (عشب) و(ريف) لم يرَ مثله فنام فإذا التنّين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية، فلما أبصرها (دامية) والتنّين

قوله: (عِصِي الأنبياء) بكسر العين وضمّها جمع العصا. اهـ مختار الصحاح. وأيضًا فيه: العصا مؤنّثة. اهـ. **قوله**: (وكان مكفوفًا) في مختار الصحاح: المكفوف الضّرير. اهـ. وأيضًا فيه: رجل ضرير بيّن الضّرارة - بالفتح - أي ذاهب البصر. اهـ. روى شدّاد بن أوس مرفوعًا: «بكى شعيب النبيّ صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلم حتى عَمِيَ، فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، فقال الله تعالى له: ما هذا البكاء أشوقًا إلى الجنّة أم خوفًا من النار؟ فقال: لا يا ربّ، ولكن شوقًا إلى لقائك، فأوحى الله إليه: إن يكن ذلك فهنيئًا لك لقائي يا شعيب لذلك أخدمتك كليمي موسى على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسلام». **قوله**: (فضنّ بها) في مختار الصحاح: ضَنّ بالشيء يَضَنّ - بالفتح - ضِنًّا - بالكسر - وضَنَانة - بالفتح - أي بخل، فهو ضَنِين به، قال الفرّاء: ضنّ يَضِن - بالكسر - لغة. اهـ. **قوله**: (مفرق الطريق) في مختار الصحاح: مَفْرِق الطريق ومَفْرَقه وهو الموضع الذي يتشعّب فيه طريق آخر. اهـ. **قوله**: (الكلأ) على وزن جَبَل العُشْب رطبًا كان أو يابسًا. **قوله**: (تنينًا) التنين ضرب من الحيّات. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (عشب) العُشْب الكلأ الرَّطْب. **قوله**: (ريف) الريف أرضٌ فيها زرع وخصب، والجمع أرْياف. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (دامية) أي مخضوبة بالدم، في المصباح: دمى الجرح دمى من باب تعب ودميًا أيضًا على التصحيح خرج منه الدم، فهو دم على النقص ويتعدّى بالألف والتشديد، وشجّة دامية للتي يخرج دمها ولا يسيل، فإن سال فهي الدّامية.

مقتولًا (**ارتاح**) لذلك. ولما رجع إلى شعيب مسّ الغنم فوجدها ملأى البطون (**غزيرة**) اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال له: إني وهبت لك من (**نِتاج غنمي**) هذا العام كل (**أدرع ودرعاء**) فأُوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهنّ أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ قال عليه السلام: «قضى أوفاهما وتزوج صغراهما» وهذا بخلاف الرواية التي مرَّت ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ بامرأته نحو مصر. قال ابن عطاء: لما تم أجَل المحنة ودنا أيام (**الزلفة**) وظهرت أنوار النبوَّة سار بأهله ليشتركوا معه في لطائف صنع ربه ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق لأنه قد ضلّ الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ بالنسبة إلى موسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ بتكليم الله تعالى فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ العنّاب أو (**العوسج**) ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ «أن» مفسّرة أو مخفَّفة من الثقيلة ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال (**جعفر**): أبصر نارًا دلَّته على الأنوار لأنه رأى النور في هيئة النار، فلما دنا منها

قوله: (ارتاح) الارتياح النشاط. **قوله**: (غزيرة) كثيرة. **قوله**: (نتاج غنمي) النِّتاج - بالكسر - اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها. اهـ مصباح. **قوله**: (أدرع ودرعاء) في المصباح: درع الفرس، والشاة درعًا من باب تعب، والاسم الدرعة وزان غرفة إذا اسودّ رأسه وابيضّ سائره، وبعضهم يقول: اسودّ رأسه وعنقه، فهو أدرع والأُنثى درعاء مثل أحمر وحمراء. اهـ. أي أبلق وبلقاء.

قوله: (الزُلْفة) القربة والمنزلة. **قوله**: (العوسج) بفتح العين شجرة ذات شوكة تكون في البوادي ثمره بقدر الحمص مع طول. **قوله**: (جعفر) بن محمد بن

شملته أنوار القدس وأحاطت به (جلابيب) الأنس فخوطب بألطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك مكلَّمًا شريفًا أُعطيَ ما سُئِلَ وأُمِّن مما خاف. والجذوة باللغات الثلاث وقرىء بهنَّ، فعاصم بفتح الجيم، وحمزة وخلف بضمها، وغيرهم بكسرها. العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن، و«من» الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطىء الوادي من قبل الشجرة. و﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطىء أي الجانب.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ ونودي أن ألقِ عصاك فألقاها فقلَبها الله ثُعبانًا ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حيَّة في سعيها وهي ثُعبان في جثتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع فقيل له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ أي أُمِّنتَ من أن ينالك مكروه من الحية ﴿ٱسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص.

عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي المدني الصادق، روى عن أبيه والقاسم بن محمد ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم، روى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطّان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته، قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين، قال البخاري في تاريخه: وُلد جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة رحمه الله.

قوله: (جلابيب) في المصباح: الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، وقال ابن فارس: الجلباب ما يغطّى به من ثوب وغيره، والجمع الجلابيب. اهـ.

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ (مِنَ الرَّهَبِ﴾ حجازي بفتحتين وبصري. ﴿الرَّهْبِ﴾ حفص ﴿الرُّهْب﴾ غيرهم) ومعنى الكل الخوف والمعنى: واضمم يدك إلى صدرك يذهب ما بك من (فرق) أي لأجل الحيّة. عن ابن عباس رضي الله عنهما: كل خائف إذا وضع يده على صدره زال خوفه. وقيل: معنى ضمّ الجناح أن الله تعالى لمّا قلب العصا حيَّة فزع موسى واتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له: إن اتّقاءك بيدك فيه (غضاضة) عند الأعداء (فإذا اتقيتها) فكما تنقلب حيّة فأدخِل يدك تحت عضدك مكان اتّقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى. والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضمّ جناحه إليه، أو أُريد بضمّ جناحه إليه (تجلّده) وضبطه نفسه عند انقلاب العصا حيّة حتى لا يضطرب ولا يرهَب، استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه (مشمَران). ومعنى ﴿مِنَ الرَّهَبِ﴾ من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحيّة فاضمم إليك جناحك، جعل الرهب الذي كان يصيبه سببًا وعلّة فيما أمر به من ضمّ جناحه إليه. ومعنى ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ و﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين لاختلاف الغرضين إذ الغرض في أحدهما خروج اليد البيضاء، وفي الثاني إخفاء الرّهب. ومعنى ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: الآية ٢٢] في «طه» أدخل يُمناك تحت

قوله: (﴿مِنَ الرَّهَبِ﴾ **حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكّي (**بفتحتين وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل ويعقوب وليسا من السبعة (﴿الرَّهْبِ﴾) بفتح الراء وسكون الهاء (**حفص** ﴿الرُّهْب﴾) بضمّ الراء وسكون الهاء (**غيرهم**) أي ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﷺ. **قوله**: (فرق) الفَرَق الخوف وقد فَرِقَ منه من باب طَرِبَ، ولا يقال فَرِقه. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**غضاضة**) أي ذِلّة ومنقصة. **قوله**: (**فإذا اتقيتها**) وفي النسخ الصحيحة: فإذا ألْقَيْتَها. **قوله**: (**تجلده**) التجلّد إظهار الجَلَادة. **قوله**: (**مشمران**) أي منضمّان إليه.

يُسراك ﴿فَذَانِكَ﴾ (مخففًا مثنى «ذاك» ومشددًا: مكي وأبو عمرو مثنى ذلك) فإحدى النونين عِوَض من اللام المحذوفة والمراد اليد والعصا ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ حجّتان نَيّرتان بيّنتان وسُمِّيت الحجة برهانًا لإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء (برهرهة) ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ أي أرسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ كافرين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ به بغير ياء وبالياء: يعقوب ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ (مَعِىَ﴾ حفص) ﴿رِدْءًا﴾ حال أي عونًا يقال ردأته أعنته، (وبلا همز: مدني ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ عاصم وحمزة) صفة أي ردأ مصدِّقًا لي، وغيرهما بالجزم جواب لـ ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾ ومعنى تصديقه موسى إعانته إياه بزيادة البيان في مظان الجدال إن احتاج إليه ليثبت دعواه لا أن يقول له صدقت، ألا ترى إلى قوله ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ﴾ وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت (فسحبان) و(باقل) فيه يستويان ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

قوله: (مخففًا مثنى «ذاك» ومشدّدًا: مكّي وأبو عمرو مثنى ذلك) أي شدّد ابن كثير المكّي وأبو عمرو البصري النون وخفّفها الباقون. **قوله:** (برَهْرَهَة) بتكرير العين واللام معًا، والدليل على زيادة النون قولهم: أبْرَهَ الرجل إذا جاء بالبرهان. اهـ كشاف.

قوله: (﴿مَعِىَ﴾) بفتح الياء (حفص)، والباقون بالإسكان. **قوله:** (وبلا همز مدني) أي قرأ نافع وأبو جعفر بنقل حركة الهمزة التي بعد الدال إلى الدال وحذفها، والباقون بإسكان الدال وهمزة مفتوحة منوّنة بعده. **قوله:** (﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾) بضمّ القاف (عاصم وحمزة). **قوله:** (فسَحْبان) في الصحاح: سحبان اسم رجل من وائل كان لَسِنًا بليغًا يُضرب به المثل في البيان. والفَصاحة فيقال: أفصح من سَحبانِ وائل. اهـ تاج العروس. **قوله:** (باقل) في مجمع الأمثال: (أعْيا من بَاقِل) هو رجل من إياد، قال أبو عبيدة: باقل رجل من ربيعة بلغ من عيّه أنه اشترى ظبيًا

(﴿يكذبوني﴾ في الحالين): يعقوب.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ (سنقويك به) إذ اليد تشدّ بشدة العضد لأنه قوام اليد والجملة تقوى بشدة اليد على مُزاولة الأمور ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غَلَبة وتسلّطًا وهيبة في قلوب الأعداء ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الباء تعلق بـ ﴿يَصِلُونَ﴾ أي لا يصلون إليكما بسبب آياتنا وتمّ الكلام، أو بـ ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ أي نسلّطكما بآياتنا أو بمحذوف أي اذهبا بآياتنا، (أو هو بيان لـ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾) لا صلة،

بأحد عشر درهمًا فمرّ بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؟ فمدّ يديه ودَلَع لسانه يريد أحد عشر، فشرد الظبي وكان تحت إبطه، قال حميد الأرقط في ضيف له أكثر من الطعام حتى منعه ذلك من الكلام:

إتيانا وما داناه سحبان وائل ... بيانًا وعلمًا بالذي هو قائل
فما زال منه اللّقم حتى كأنه ... من العيّ لما أنّ تكلم باقل
يقول وقد ألقى المراسي للقرى ... أبن لي ما الحجاج بالناس فاعل
يدلّن كفاه ويحدر حلقه ... إلى البطن ما ضمّت عليه الأنامل
فقلت لعمري ما لهذا طرقنا ... فكلْ ودع الإرجاف ما أنت آكل

اهـ. **قوله**: («يكذبوني») بزيادة ياء بعد النون (في الحالين) وكذا ورش وصلًا، والباقون بحذفها مطلقًا.

قوله: (سنقويك به). . . الخ. يعني أن ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ عبارة عن قوله: سنقوّيك فهو مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبّب بمرتبتين، فإن شدّة العضد سبب مستلزم لشدّة اليد، وشدّة اليد مستلزمة لقوّة الشخص؛ فشدّة العضد سبب لقوّة الشخص في المرتبة الثانية، فصحّ أن تطلق شدّة العضد ويُراد بها قوة الشخص على طريق المجاز المرسل. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (أو هو بيان لـ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾) لا صلة، كأنه قيل: بماذا تغلب؟ فأُجيب: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، فالباء متعلقة

(أو قسم جوابه ﴿لا يصلون﴾ مقدمًا عليه) ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ أي سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله، أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ حال منصوبة عن هذا أي كائنًا في زمانهم يعني ما حدّثنا بكونه فيهم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيًّا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه، ولو كان كما تزعمون ساحرًا مُفتَريًا لما أهّله لذلك لأنه غنيٌّ حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبىء الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون. وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: الآيتان ٢٢، ٢٣]. والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها أن يُختَم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقّي الملائكة بالبشرى والغفران. (﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾) بغير واو: (مكي) وهو حسن لأن الموضع موضع سؤال وبحث عمّا أجابهم موسى عند تسميتهم مِثل تلك الآيات العِظام سحرًا مُفترى، ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليُوازن الناظر بين القول والمَقول

بمحذوف قدّر بيانًا للغالبون ولا يتعلق بنفس الغالبون؛ لأن اللام فيه موصولة بمعنى الذي، ولا يتقدّم ما في حيّز الصلة عليها إلّا أن يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي، فحينئذ يجوز أن تتعلق الباء به.

قوله: (أو قسم جوابه ﴿لا يصلون﴾ مقدمًا عليه) فيه تساهل؛ لأن جواب القسم لا يتقدَّم عليه، وأيضًا لا تدخل الفاء في جواب القسم عند الجمهور، ولعلّ مراده أنه قسم حُذِف جوابه اعتمادًا على دلالة ما قبله عليه.

قوله: («قال موسى») بغير واو قبل القاف (مكّي) أي ابن كثير المكي على الاستئناف، والباقون بإثبات الواو عطفًا للجملة على ما قبلها.

ويتبصَّر فساد أحدهما وصحة الآخر. (﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾ حجازي وأبو عمرو ﴿مَن يَكُونُ﴾ حمزة وعليّ).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ قصد بنفي علمه بإلـه غيره نفي وجوده أي ما لكم من إلـه غيري أو هو على ظاهره وأن إلـهًا غيره هو معلوم عنده ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي اطبخ لي (الآجر اللبن) واتخذه. (وإنما لم يقل مكان الطين هذا) لأنه أول مَن عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة، ولأنه أفصح وأشبه بكلام الجبابرة إذ أمر هامان وهو وزيره بالإيقاد على الطين منادى باسمه بـ «يا» في وسط الكلام دليل التعظّم والتجبّر ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ﴾ أي أصعد والاطّلاع الصعود ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ حسب أنه تعالى في مكان كما كان هو في مكان ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في دعواه أن له إلـهًا وأنه أرسله إلينا رسولاً. وقد تناقض المخذول فإنه قالَ ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ثم أظهر حاجته إلى هامان، وأثبت لموسى إلـهًا وأخبر أنه غير متيقّن بكذبه وكأنه تحصَّن من عصا موسى عليه السلام فلبَّس وقال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ رُوِيَ أن هامان جمع خمسين ألف بناء وبنى صرحًا لم يبلغه بناء أحد من الخلق، فضرب الصَّرح جبريل عليه السلام بجناحه

قوله: (﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾) بفتح الياء (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وابن كثير المكّي (وأبو عمرو). **قوله:** (﴿مَن يَكُونُ﴾) بالياء من تحت على التذكير (**حمزة وعلي**) الكسائي، والباقون بالتاء الفوقية على التأنيث.

قوله: (**الآجرّ اللبن**) إذا طُبِخ بمدّ الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف، الواحدة آجرّة وهو معرّب. اهـ مصباح. **قوله:** (**وإنما لم يقل مكان الطين هذا**)... الخ. أي أمر باتّخاذه على وجه يتضمّن تعليم الصّنعة، حيث قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِى﴾ على الطين، ولم يقل: اطبخ لي الآجرّ واتّخذه، والوجد في كون التعريض بتعليم

فقطعه ثلاث قطع، وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، وقطعة في البحر، وقطعة في المغرب ولم يبقَ أحد من عمّاله إلا هلك.

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾ تعظّم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي بالباطل، فالاستكبار بالحق لله تعالى وهو المتكبِّر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن كما حكى رسولنا عن ربه: («الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمَنْ نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار»). وكل مُستكبر سواه فاستكباره بغير الحق ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (﴿يرجعون﴾ نافع وحمزة وعلي وخلف ويعقوب).

الصنعة مبنيًّا على التعظيم أنّ إيقاد النار على الشيء المسمّى بالطين أمرٌ هيّن حقير يقدر عليه العجائز والصبيان، فيكون التعبير عن الأمر بطبخ الآجر الذي يكفي لبناء الصَّرح المذكور بقوله: أوقد لي على الطين مبنيًّا على الإهانة بطبخه وعدم الاعتداد به، ولأن طبخ الآجر صنعة خسيسة لا يليق بالملوك وعظماء الناس أن يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملأ الناس، وكذلك كل واحد من نداء وزيره باسم العلم من غير تكنية وتلقيب ونداءه بحرف يا الموضوع لنداء البعيد مع كون المُنادى قريبًا وندائه في وسط الكلام مع أن العادة تقديم النداء على المُنادى له مبني على التعظم والتجبّر، ودليلٌ عليه أمّا كون الأوّلين مبنيّين على التعظم فظاهر، وأمّا كون الثالث مبنيًّا عليه؛ فلأنه لو قدّم النداء وقيل: يا هامان أوقد لي لزم أن يقدّم ذكر هامان على ذكر نفسه، ولم يرضَ به تعظّمًا وتجبّرًا.

قوله: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري) أي هما صفتان خاصّتان بي فلا يليقان إلّا بي، (فمَنْ نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار) لتشوّفه إلى ما لا يليق إلّا بالواحد القهّار، رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ورواه ابن ماجة أيضًا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (﴿يرجِعون﴾) ببنائه للفاعل بفتح الياء وكسر الجيم (نافع وحمزة وعليّ) الكسائي (وخلف ويعقوب)، والباقون بضمّ الياء وفتح الجيم مبنيًّا للمفعول.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ من الكلام المفخم الذي دلّ على عظمة شأنه شبّههم استقلالًا لعددهم وإن كانوا (**الجم الغفير**) بحصيات أخذهن آخذ بكفّه فطرحهنّ في البحر ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وحذر قومك فإنك منصور عليهم.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي عمل أهل النار. قال ابن عطاء: نزع عن أسرارهم التوفيق وأنوار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم لا يدلّون على سبيل الرشاد. وفيه دلالة خلق أفعال العباد ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ من العذاب ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ ألزمناهم طردًا وإبعادًا عن الرحمة. وقيل: هو ما يلحقهم من لعن الناس إياهم بعدهم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ المطرودين المُبعَدين أو المهلكين (**المشوّهين**) بسواد الوجوه (**وزرقة العيون**) ﴿وَيَوْمَ﴾ ظرف لـ ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ والبصيرة نور القلب الذي (**يبصر به الرشد**) والسعادة كما أن البصر نور العين الذي

قوله: (الجمّ الغفير) أي الجماعة الكثيرة.

قوله: (المشوهين) في مختار الصحاح: شاهت الوجوه قَبُحت، وبابه قال، وشوّهه الله تعالى تشويهًا فهو مُشوَّه.اهـ. **قوله**: (زرقة العيون) في المصباح: الزُّرقة من الألوان والذكر أزرق والأنثى زرقاء والجمع زُرق مثل أحمر وحمراء وحُمر.اهـ.

قوله: (يبصر به الرشد) أي يدرك.

يبصر به الأجساد. يريد آتيناه التوراة أنوارًا للقلوب لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقًّا من باطل ﴿وَهُدًى﴾ وإرشادًا لأنهم كانوا (يخبطون) في ضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمَن اتبعها لأنهم إذا عملوا بها وصلوا إلى (نيل الرحمة) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ وهو المكان الواقع في شق الغرب وهو الذي وقع فيه ميقات موسى ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي كلّمناه وقرَّبناه نجيًّا ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ من جملة الشاهدين للوحي إليه حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ بعد موسى ﴿قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي طالت أعمارهم و(فترت) النبوّة وكادت الأخبار تخفى واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها، فأرسلناك مجددًا لتلك الأخبار مبيّنًا ما وقع فيه التحريف، وأعطيناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى كأنه قال: وما كنت شاهدًا لموسى وما جرى عليه ولكنّا أوحيناه إليك، فذكر سبب الوحي هو إطالة (الفترة) ودلَّ به على المسبّب اختصارًا فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون به ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ تقرؤها عليهم تعلّمًا منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه. و﴿تَتْلُواْ﴾ في موضع نصب خبر ثانٍ أو حال من الضمير في ﴿ثَاوِيًا﴾ ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ولكنّا أرسلناك وأخبرناك بها وعلّمناكها.

قوله: (**يخبطون**) في لسان العرب: الخبط كل سَيْر على غير هدى.اهـ.
قوله: (**نيل الرحمة**) في مختار الصحاح: نال خيرًا يناله نَيْلًا أصاب، وأصله نَيِل يَنْيَل مثل فَهِم يَفْهَم والأمر منه نَلْ بفتح النون، وإذا أخبرت عن نفسك كسرت النون.اهـ.

قوله: (فترت) أي انقطعت. **قوله**: (الفترة) الانقطاع.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ أعلمناك وأرسلناك ﴿رَّحْمَةً﴾ للرحمة ﴿مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ (في زمان الفترة) بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والظلم. ولمّا كانت أكثر الأعمال تُزاوَل بالأيدي نسبت الأعمال إلى الأيدي وإن كانت من أعمال القلوب تغليبًا للأكثر على الأقل عند العذاب ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ («لو» الأولى امتناعية) وجوابها محذوف، (والثانية تحضيضية)، والفاء الأولى للعطف والثانية جواب «لولا» لكونها في حكم الأمر إذ الأمر باعث على الفعل والباعث والمُحَضّض من وادٍ واحد، والفاء تدخل في جواب الأمر والمعنى: ولولا أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدّموا من الشِّرك والمعاصي هلّا أرسلت إلينا رسولًا محتجِّين علينا بذلك لما أرسلنا إليهم يعني أن إرسال الرسول إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله: (﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾) [النساء: الآية ١٦٥]. فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول «لولا» الامتناعية عليها دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سببًا للإرسال ولكن

قوله: (في زمان الفترة)... الخ. وفي رواية أخرى عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: ستّمائة سنة. **قوله**: (لو الأُولى امتناعية) هي التي تدلّ على امتناع القضية الثانية لوجود القضيّة الأُولى، والقضية الثانية هي جوابها وهو محذوف هٰهنا، وهو لما أرسلنا إليهم، وهي هٰهنا دلّت على امتناع عدم الإرسال لوجود قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الإرسال ربّنا هلّا أرسلت إلينا رسولًا... الخ.

قوله: (والثانية تحضيضية) هي بمعنى هلّا للحثّ والحضّ على وقوع أمر. **قوله**: (﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾) أي: أرسلناهم (﴿لِئَلَّا يَكُونَ

العقوبة لما كانت سببًا للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال فأُدخلت عليها «لولا» وجيء بالقول معطوفًا عليها بالفاء **(المعطية)** معنى السببية، و**(يؤوّل)** معناه إلى قولك: ولولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ٤٨﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا﴾ أي القرآن أو الرسول المصدّق بالكتاب المُعجز ﴿قَالُواْ﴾ أي كفّار مكة ﴿لَوۡلَآ أُوتِيَ﴾ هلّا أعطي ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ من الكتاب المُنَزَّل جملة واحدة ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ﴾ يعني أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكَفَرَة في زمن موسى عليه السلام ﴿بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ من قبل القرآن ﴿قَالُواْ﴾ في موسى وهارون ﴿سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [ساحران تظاهرا] تعاونا ـ (﴿سِحۡرَانِ﴾ **كوفي**) أي ذوا سحر أو جعلوهما سحرين مبالغة في وصفها بالسحر ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ﴾ بكل واحد منهما ﴿كَٰفِرُونَ﴾ وقيل: إن أهل مكة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى والتوراة وقالوا في موسى ومحمد: ساحران تظاهرا، أو في التوراة والقرآن سحران تظاهرا، وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنه في كتابهم فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك: ساحران تظاهرا.

لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾) مقال (﴿بَعۡدَ﴾) إرسال (﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾) إليهم، فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فبعثناهم لقطع عذرهم. اهـ جلالين. **قوله**: **(المعطية)** معنى السببية أي الدالّة عليه. **قوله**: **(يؤول)** أي يرجع، في مختار الصحاح: أي رجع، وبابه قال. اهـ.

قوله: (﴿سِحۡرَانِ﴾) بكسر السين وسكون الحاء بلا ألف (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف بن هشام وليس من السبعة وله اختيار، والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ مما أنزل على موسى وما أُنزل عليّ ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ جواب ﴿فَأْتُوا﴾ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنهما سحران ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فإن لم يستجيبوا (دعاءك) إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم قد ألزموا ولم تبقَ لهم حجة إلا اتباع الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أضلّ ممَّن اتبع في الدين هواه و﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ حال أي (مخذولًا) يخلّي بينه وبين هواه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ التوصيل وتكريره يعني أن القرآن أتاهم متتابعًا متواصلًا وعدًا ووعيدًا وقصصًا و(عبرًا) ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن وخبر ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿هُم بِهِ﴾ بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾ القرآن ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ﴾ من قبل نزول القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾ كائنين على

قوله: (دعاءك)... الخ. لأن الأمر بالإتيان به دعاء أي طلب له منهم، فالدعاء بمعناه اللغوي وهو المفعول المحذوف والعلم به من الاستجابة، لأنها الدعاء. اهـ شهاب. وفي الكمالين: حذف المفعول لأن فعل الاستجابة يتعدّى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي، فإذا عدّى إليه حذف الدعاء، قال الزمخشري: لا يقال استجاب له دعاءه إلّا نادرًا. اهـ. **قوله**: (مخذولًا) في مختار الصحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضم ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ. **قوله**: (عبرًا) جمع عبرة.

دين الإسلام، مؤمنين بمحمد عليه السلام، وقوله: ﴿إِنَّهُ﴾ تعليل للإيمان به لأن كونه حقًّا من الله (حقيق) بأن يؤمن به، وقوله: ﴿إِنَّا﴾ بيان لقوله: ﴿ءَامَنَّا﴾ لأنه يحتمل أن يكون إيمانًا قريب العهد وبعيده فأخبروا بأن إيمانهم به (متقادم).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن، أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله، أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالطاعة المعصية أو بالحلم الأذى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يزكّون ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ الباطل أو الشّتم من المشركين ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ﴾ للاغين ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أمان منّا لكم بأن نقابل لغوكم بمثله ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم وصحبتهم.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل مَن أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ يخلق فعل الاهتداء فيمن يشاء ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ بمَن يختار الهداية ويقبلها ويتّعظ بالدلائل والآيات. قال الزجّاج: أجمع المفسّرون على أنها نزلت في (أبي طالب)، وذلك

قوله: (حقيق) أي لائق. **قوله**: (متقادم) في مختار الصحاح: قدُم الشيء ـ بالضمّ ـ قِدَمًا بوزن عِنَب فهو قديم وتقادم مثله، انتهى بحروفه.

قوله: (أبي طالب) كني باسم أكبر ولده، وهم: طالب، فعقيل، فجعفر، فعليّ؛ وكل أكبر ممن يليه بعشر سنين، وأختهم أُمّ هانىء، قيل: وجمانة أخت لهم ثانية، وأسلموا كلّهم إلّا طالبًا فمات كافرًا، والصحيح أن أبا طالب وأُمّه فاطمة بنت عمرو لم يسلم، وذكر جمع من الرافضة أنه مات مسلمًا وتمسّكوا بأشعار وأخبار واهية تكفّل بردّها في الإصابة، واسم أبي طالب عبد مناف.

أنه قال عند موته: يا معشر بني هاشم صدِّقوا محمدًا تفلحوا. فقال عليه السلام: يا عمّ تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك. قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: أريد منك أن تقول لا إلٰه إلّا الله أشهد لك بها عند الله، قال: يا ابن أخي أنا قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يُقال (خرع) عند الموت. وإن كانت الصيغة عامّة، والآية حجّة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فدلّ أن وراء البيان ما يسمّى هداية وهو خلق الاهتداء وإعطاء التوفيق والقدرة.

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾، قالت قريش: نحن نعلم أنك على الحق ولكنّا نخاف إن اتّبعناك وخالفنا العرب بذلك أن يتخطفونا من أرضنا، **(فألقمهم الله الحجر)** بأنه مكّن لهم في الحرم الذي أمنه بحرمة البيت وأمن (قطانه) بحرمته، والثمرات تُجبَى إليه من

فائدة:

أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم: الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطّلب وبه كان يكنى، وقُثَم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحجل ـ بحاء مهملة ثم جيم ساكنة ـ وضرار، والغَيْداق. أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًّا لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريبٌ منه في السنّ، وكان يَلِي زمزم بعد أبيه عبد المطلب، وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

قوله: (خرع) بالخاء المعجمة والراء من باب طَرِب، أي جبن وضعف، ورُوي بالجيم والزاي، قال في مختار الصحاح: خَرِعَ الرجل من باب طَرِب، أي ضَعُف فهو خَرِعٌ. اهـ. **وأيضا فيه**: الجَزَع ضد الصبر وبابه طرب. اهـ.

قوله: (فألقمهم الله الحجر) يقال: ألقمه الحجر إذا أسكته بالحجّة. **قوله**: (قطانه) في مختار الصحاح: قطن بالمكان أقام به وتوطّنه فهو قاطن، وبابه دخل

كل (أوب) وهم كَفَرَة، فأنَّى يستقيم أن يعرضهم للتخطّف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام؟ وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ (وبالتاء: مدني ويعقوب وسهل) أي تجلب وتجمع ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ معنى الكلية الكثرة كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: الآية ٢٣] ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ هو مصدر لأن معنى ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يرزق أو مفعول له أو حال من الثمرات إن كان بمعنى مرزوق لتخصّصها بالإضافة كما تنصب عن النكرة المتخصصة بالصفة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (متعلق بـ ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾) أي قليل منهم يقرّون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جَهَلَة لا يعلمون ذلك، ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطّف إذا آمنوا به.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم بإنعام الله عليهم فلم يشكروا النعمة وقابلوها بالبطر فأهلكوا. و﴿كَمْ﴾ نصب بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بحذف الجار وإيصال الفعل أي في معيشتها، والبطر سوء احتمال الغني وهو أن لا يحفظ حق الله فيه ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار كبلاد ثمود وقوم شعيب وغيرهم ﴿لَمْ تُسْكَن﴾ حال والعامل فيها الإشارة ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السكنى أي لم يسكنها إلا المسافر ومارّ الطريق يومًا أو ساعة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لتلك المساكن من ساكِنِيها أي لا يملك التصرف فيها غيرنا.

والجمع قُطّان. اهـ. **قوله**: (أوْب) أي مرجع. اهـ مصباح. أي جانب وجهة. اهـ شهاب. **قوله**: (وبالتاء) من فوق (مدني) أي نافع المدني وأبو جعفر المدني وليسا من السبعة، (**ويعقوب**) بن إسحٰق البصري (وسهل) بن محمد البصري وليسا من السبعة، والباقون بالياء من تحت ووجهها ظاهر؛ لأن التأنيث في الفاعل مجازيّ.
قوله: (متعلق ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾) أي تعلّقًا معنويًا.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ في كل وقت ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ **(وبكسر الهمزة: حمزة وعلي)** أي في القرية التي هي أمها أي أصلها ومعظمها ﴿رَسُولًا﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى ـ يعني مكة لأن الأرض دُحِيَت من تحتها ـ رسولًا، يعني محمدًا عليه السلام ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي القرآن ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ أي وما أهلكناهم للانتقام إلا وأهلها مستحقون العذاب بظلمهم وهو إصرارهم على كفرهم وعنادهم ومُكابرتهم **(بعد الإعذار)** إليهم.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ وأيّ شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتّع وزينة أيامًا قلائل وهي مدة الحياة الفانية ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه دائم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. وخيّر أبو عمرو بين الياء والتاء والباقون بالتاء لا غير. وعن ابن عباس رضي الله عنهما. إن الله تعالى خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف: المؤمن والمُنافق والكافر. فالمؤمن يتزوَّد، والمُنافق يتزين، والكافر يتمتع.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

ثم قرر هذه الآية بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي الجنة فلا شيء أحسن منها لأنها دائمة ولذا سُمِّيت الجنة بالحسنى ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي رائيه ومُدركه ومُصيبه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ من الذين

قوله: (وبكسر الهمزة) في الوصل (حمزة وعليّ)، والباقون بضمّها والجميع يبتدؤون بضمّ الهمزة. **قوله**: مكابرتهم بمعنى عنادهم. **قوله**: **(بعد الإعذار)** أي المبالغة في الموعظة. اهـ تاج العروس.

أحضروا النار ونحوه فكذبوه فإنهم لمُحضَرون. نزلت في رسول الله ﷺ (وأبي جهل) لعنه الله، أو في (عليّ) و(حمزة) وأبي جهل، أو في المؤمن والكافر، ومعنى الفاء الأولى أنه لما ذكر التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله عقبه بقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ أي أبعد هذا التفاوت الجليّ يسوِّي بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة، والفاء الثانية للتسبيب لأن لقاء الموعود مُسَبّب عن الوعد. و«ثم» لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع (﴿ثُمَّ هُوَ﴾ عليّ كما قيل: عضد في عضد شبه المنفصل بالمتصل) ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ينادي الله الكفّار نداء توبيخ وهو عطف على ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أو منصوب بـ «ذكر» ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ بناء على زعمهم ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ومفعولا ﴿تَزْعُمُونَ﴾ محذوفان تقديره: كنتم تزعمونهم شركائي، ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت (ولا يجوز الاقتصار) على أحدهما.

قوله: (أبي جهل) عمرو بن هشام بن المغيرة يكنى أبا الحكم، فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت عليه هذه الكنية قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. **قوله**: (عليّ) بن أبي طالب بن عبد المطلّب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ النبيّ ﷺ وزوج ابنته، من السابقين الأوّلين المرجح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأصحّ ﷺ. **قوله**: (حمزة) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهو عمّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرّضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، وأرضعت أبا سلمة بن عبد الأسد، وكان حمزة رضي الله تعالى عنه وأرضاه أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع سنين، والأوّل أصح، وهو سيّد الشهداء وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، أسلم في السنة الثانية من المبعث، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وشهد أُحدًا فقُتِل بها يوم السبت النصف من شوّال من سنة ثلاث، وكان قَتَل من المشركين قبل أن يُقتل أحدًا وثلاثين نفسًا منهم سباع الخزاعيّ. **قوله**: (﴿ثُمَّ هُوَ﴾) بسكون الهاء (عليّ) الكسائي (كما قيل: عَضْد في عَضْد شبه المنفصل بالمتّصل) والمنفصل هو الميم الأخيرة من ثمّ مع ما بعده لأنه بوزن عضد فجعل مثله وسكن كما يسكن للتخفيف. **قوله**: (ولا يجوز الاقتصار) على أحدهما على الأصح.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي الشياطين أو أئمة الكفر. ومعنى حقّ عليهم القول وجب عليهم مُقتضاه وثبت وهو قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة: الآية ١٣]، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ أي دعوناهم إلى الشِّرك و(سوّلنا) لهم الغيّ صفة والراجع إلى الموصول محذوف والخبر ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾ والكاف في ﴿كَمَا غَوَيۡنَاۖ﴾ صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيًّا مثل ما غوينا يعنون أنّا لم نغوِ إلا باختيارنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغوائنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلًا فلا فرق إذًا بين غيّنا وغيّهم، وإن كان تسويلنا داعيًا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب وهو كقوله: (﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾) إلى قوله: (﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾) [إبراهيم: الآية ٢٢] ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ بل يعبدون أهواءهم ويطيعون شهواتهم، وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى.

قوله: (سوّلنا) أي زيّنا. **قوله:** (﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾). . . الخ. في تفسير الجلالين في سورة إبراهيم: (﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾) إبليس (﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾) وأدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار واجتمعوا عليه (﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾) بالبعث والجزاء فصدقكم (﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾) أنه غير كائن (﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم﴾) من زائدة ﴿سُلۡطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٢] قوّة وقدرة أقهركم على متابعتي (﴿إِلَّآ﴾) لكن (﴿أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾) على إجابتي (﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾) بمغيثكم (﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾) بفتح الياء وكسرها (﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾) بإشراككم إياي مع الله (﴿مِن قَبۡلُۗ﴾) في الدنيا، قال تعالى: (﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) الكافرين (﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾) مؤلم. اهـ.

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَقِيلَ﴾ للمشركين ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي الأصنام لتخلّصكم من العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ فلم يجيبوهم ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ وجواب «لو» محذوف أي لما رأوا العذاب ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الذين أُرسِلوا إليكم. حكى أولًا ما يوبِّخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر عند توبيخهم، لأنهم إذا وبّخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم، ثم ما يشبه (**الشماتة**) بهم لاستغاثتِهم آلهتهم وعجزهم عن نصرتهم، ثم ما يُبكّتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرُّسُل وإزاحة العِلل.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ خفيت عليهم الحجج أو الأخبار. وقيل: خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون إذ لم يكن عندهم جواب ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضًا عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون في العجز عن الجواب ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشِّرك ﴿وَءَامَنَ﴾ بربه وبما جاء من عنده ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ أي فعسى أن يفلح عند الله. و«عسى» من الكرام تحقيق، وفيه بشارة للمسلمين على الإسلام وترغيب للكافرين على الإيمان. ونزل جوابًا لقول (**الوليد بن المغيرة**): ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٣١]. يعني نفسه (**أو أبا مسعود**).

قوله: (الشَّماتة) الفَرَح ببلية العدوّ، وبابه سَلِم.

قوله: (الوليد بن المغيرة) المخزومي أبو خالد. **قوله**: (أو أبا مسعود) هو عروة بن مسعود بن معتب، وهو ممّن أرسله قريش إلى النبيّ ﷺ يوم الحديبية، فعاد إلى قريش وقال لهم: قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، وقال ابن إسحٰق: إنّ رسول الله ﷺ لما انصرف عن ثقيف اتّبع أثره عروة بن مسعود بن

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وفيه دلالة خلق الأفعال، ويوقف على ﴿وَيَخْتَارُ﴾ أي وربك يخلق ما يشاء وربك يختار ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي ليس لهم أن يختاروا على الله شيئًا ما وله الخيرة عليهم. ولم يدخل العاطف في ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ لأنه بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ إذ المعنى أن الخيرة لله وهو أعلم بوجوه الحكمة في أفعاله فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. ومَن وصل على معنى ويختار الذي لهم فيه الخيرة فقد أبعد بل «ما» لنفي اختيار الخلق تقريرًا لاختيار الحق، ومَن قال: ومعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل إلى الاعتزال. والخيرة من التخيّر يستعمل بمعنى المصدر وهو التخيّر وبمعنى المتخيّر كقولهم: «محمد خيرة الله من خلقه» ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي الله بريء من إشراكهم وهو مُنَزَّه عن أن يكون لأحد عليه اختيار ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تضمر ﴿صُدُورُهُمْ﴾ من عداوة رسول الله ﷺ وحسده ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من مطاعنهم فيه وقولهم هلّا اختير عليه غيره في النبوة.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ وهو **(المستأثر بالإلـهية)** المختصّ بها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تقرير لذلك كقولك: «القبلة الكعبة لا قبلة إلا هي». ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا

معتب فأدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، وكان فيهم محبَّبًا مُطاعًا، فرجع إليهم وأظهر دينه ودعاهم إلى الإسلام فرموه بالنّبل من كل وجه، وأصابه سهم فقتله، فقيل له: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فادفنوني في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ؛ فيزعمون أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مثله في قومه كمثل صاحب ﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ [يس: الآية ١] في قومه»، وفي صحيح مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ورأيت عيسى ابن مريم فإذا قريب من رأيت به شَبَهًا عروة بن مسعود».

قوله: **(المستأثر بالإلـهية)** في تاج العروس: استأثر بالشيء استبدّ به وانفرد، واستأثر بالشيء على غيره حضّ به نفسه.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ هو قولهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فاطر: الآية ٣٤]. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ [الزمر: الآية ٧٤]، ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: الآية ٧٥]. والتحميد ثمة على وجه اللذّة (**لا الكلفة**) ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ القضاء بين عباده ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالبعث والنشور. (**وبفتح التاء وكسر الجيم: يعقوب**).

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ (**أريتم محذوف الهمزة: علي**) ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾ هو مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلَ﴾ أي دائمًا من (**السرد**) وهو المتابعة ومنه قولهم في الأشهر الحرم («**ثلاثة سرد وواحد فرد**») والميم مزيدة ووزنه فعمل ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ والمعنى أخبروني مَن يقدر

قوله: (**لا الكلفة**) أي لا بناء على الأمر بالتكليف، ومما يدلّ على أن الحمد في الآخرة على وجه اللذّة لا على وجه الكلفة ما رُوِيَ عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أهل الجنّة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء وريح كريح المسك يلهمون التسبيح والتقديس كما يُلهمون النفس». والإلهام أن يلقي الله تعالى في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوعٌ من الوحي، فإنّ قوله عليه السلام: «يلهمون» يدلّ على أنّهم لا يكلّفون بهما. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي المصباح: الكلفة ما تكلّفه على مشقة، والجمع كلف مثل غرفة وغرف، والتكاليف المشاقّ أيضًا الواحدة تكلفة وكلفت الأمر من باب تعب حملته على مشقّة ويتعدّى إلى مفعولٍ ثانٍ بالتضعيف، فيقال: كلفته الأمر فتكلّفه مثل حملته فتحمّله وزنًا ومعنى على مشقّة أيضًا. اهـ. **قوله**: (**بفتح التاء وكسر الجيم**) مبنيًا للفاعل (يعقوب) وليس من السبعة.

قوله: («**أريتم**» **محذوف الهمزة: عليَ**) الكسائي، والباقون بالتحقيق. **قوله**: (**السرد**) من باب قتل. **قوله**: (**ثلاثة سرد وواحد فرد**) أي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم متوالية، ورجب فرد.

على هذا ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال: ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ بل ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار فيكون من باب اللف والنشر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه. وقال الزجّاج: يجوز أن يكون معناه لتسكنوا فيهما ولتبتغوا من فضل الله فيهما، ويكون المعنى جعل لكم الزمان ليلًا ونهارًا لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فيه ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ليُؤذَن أن لا شيء أجلَب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء أدخَل في مرضاته من توحيده.

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني نبيهم لأن الأنبياء للأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ فيما كنتم عليه من الشِّرك ومخالفة الرُّسل ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حينئذ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ التوحيد ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من ألوهية غير الله والشفاعة لهم.

﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿إِنَّ قَٰرُونَ﴾ لا ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولًا من قرنت الشيء لانصرف ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كان إسرائيليًّا ابن عمّ لموسى فهو قارون بن

(يصهر بن قاهث) بن لاوي بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهث، وكان يسمى المنوّر لحُسْن صورته، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ﴾ من البغي وهو الظلم. قيل: ملّكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم، أو من البغي الكبر تكبّر عليهم بكثرة ماله وولده، أو زاد عليهم في الثياب شبرًا ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ «ما» بمعنى الذي في موضع نصب بـ ﴿آتينا﴾ و«إن» واسمها وخبرها صلة الذي ولهذا كسرت «إن». والمفاتح جمع مفتح **(بالكسر)** وهو ما يفتح به أو مَفتح **(بالفتح)** وهو الخزانة والأصوب أنها المقاليد ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ لتثقل العصبة فالباء للتعدية يقال: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله، والعصبة الجماعة الكثيرة وكانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلًا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على **(إصبع)** وكانت من جلود ﴿أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ الشدة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ أي المؤمنون وقيل: القائل موسى عليه السلام ومحل ﴿إِذْ﴾ نصب بـ ﴿تنوء﴾ ﴿لَا تَفْرَحْۖ﴾ **(لا تبطر)** بكثرة المال كقوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ [الحديد: الآية ٢٣] ولا يفرح بالدنيا إلا مَن رضي بها واطمأن، وأما مَن قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ البطرين بالمال.

قوله: **(يصهر)** بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة وراء **(ابن قاهث)** ـ بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة ـ ابن لاوي مقصور. **قوله**: **(بالكسر)** اسم آلة. **قوله**: **(بالفتح)** اسم مكان.

قوله: **(إصبع)** في المصباح: الإصبع مؤنثة، وكذلك سائر أسمائها مثل الخنصر والبنصر، وفي كلام ابن فارس ما يدلّ على تذكير الإصبع، فإنه قال: الأجود في إصبع الإنسان التأنيث. وقال الصغاني أيضًا: يذكّر ويؤنّث، والغالب التأنيث. قال بعضهم: وفي الإصبع عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء، والعاشرة أصبوع وزان عصفور، والمشهور من لغاتها كسر الهمزة وفتح الباء، وهي التي ارتضاها الفصحاء. اهـ. **قوله**: **(لا تبطر)** البطر فرح ينشأ من الغرور بالنعمة، بابه طرب.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى و(**الثروة**) ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تتصدق على الفقراء وتَصِل الرَّحم وتصرف إلى أبواب الخير ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو أن تأخذ ما يكفيك ويُصلحك. وقيلَ معناه واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أو أحسِن بشكرك وطاعتك لخالق (**الأنام**) كما أحسن إليك بالإنعام ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظلم والبغي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي على استحقاق لما فيَّ من العلم الذي فضّلت به الناس وهو علم التوراة (**أو علم الكيمياء**)، وكان يأخذ (**الرصاص**) والنحاس فيجعلهما ذهبًا، أو العلم بوجوه المكاسب من التجارة

قوله: (**الثَّرْوَة**) كثرة العدد. **قوله**: (**الأنام**) في المصباح: الأنام الجن والإنس، وقيل: الأنام ما على وجه الأرض من جميع الخلق.اهـ.

قوله: (**أو علم الكيمياء**) الكيمياء لفظ يوناني بمعنى الحيلة، ثم غلب على تحصيل النقدين بطريق مخصوص، وقد قيل: إنه كان تعلّمها من موسى عليه السلام، وقيل: إنه لا أصل له. وقال الطيبي: إنه من قبيل المعجزة لِمَا فيه من قلب الأعيان، فلذا أنكره بعض الحكماء وردّ بأنه لو كان معجزة لما قبل التعلم وهو ضعيف؛ لأن القائل بأنه معجزة لا يسلم التعلم وإثباته مشكل، بل يقال في الردّ إنه بمباشرة الأسباب، فقلب الأعيان إنْ كان بمباشرة الأسباب فليس بمعجزة، وإن كان بدون الأسباب كقلب عصى موسى حيّة فمعجزة، فالظاهر أنها ليست بمعجزة، بل علم من العلوم الغريبة.اهـ قنوي. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب: ذلك العلم اليقيني، وكان ذلك وسيلة لغشّ حرم.اهـ. **قوله**: (**الرَّصاص**) بالفتح.

والزراعة. و﴿عِندِيٓ﴾ صفة لـ ﴿عِلۡمٍ﴾ قال (سهل): ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح، والسعيد مَن صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية مِنَّة الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال، والشقي مَن زيّن في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولم يفتح له سبيل رؤية مِنَّة الله فافتخر بها وادّعاها لنفسه، فشؤمه يهلكه يومًا كما خسف بقارون لمّا ادّعى لنفسه فضلًا ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ﴾ هو إثبات لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله مَن هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة كأنه قيل: أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغترّ بكثرة ماله وقوته، أو نفي لعلمه بذلك لأنه لما قال: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ قيل: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادّعى. ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى (يَقي) به نفسه (مصارع الهالكين) ﴿وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ للمال أو أكثر جماعة وعددًا ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لعلمه تعالى بهم بل يدخلون النار بغير حساب، أو يعترفون بها بغير سؤال، أو يُعرَفون بسيماهم فلا يُسئلون، (**أو لا يُسألون ليُعلَم من جهتهم**) بل يُسئلون سؤال توبيخ، أو لا يُسئَل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾ في الحمرة والصفرة. وقيل: خرج يوم السبت على (**بغلة شهباء عليها**) الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة

قوله: (سهل) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، أحد أئمّة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع، وكان صاحب كرامات، لقي ذا النون المصري بمكّة سنة خروجه إلى الحجّ، توفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين. **قوله**: (يقي) بمعنى يصون من الوقاية. **قوله**: (مصارع الهالكين) مواضع الهلاك، والمراد ما يوجبه (أو لا يسألون ليُعلم من جهتهم) أي لا يُسألون ليعلم ذلك مِنْ قِبَلهم؛ لأنه تعالى عالم بكل المعلومات، فلا حاجة به إلى أن يسأل عن كيفيّة ذنوبهم وكمّيتها.

قوله: (بغلة شهباء) في المصباح: الشهب مصدر من باب تعب وهو أن يغلب البياض السواد، والاسم الشهبة، وبغل أشهب وبغلة شهباء. اهـ. **قوله**: (عليها)

آلاف على (زيّه). وقيل: عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهنّ الحليّ والديباج. و﴿فِي زِينَتِهِۦٓ﴾ حال من فاعل ﴿خرج﴾ أي متزيّنا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قيل: كانوا مسلمين وإنما تمنّوا على سبيل الرغبة في اليَسار كعادة البشر. وقيل: كانوا كفّارًا ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية، والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: الآية ٣٢]. وقيل لرسول الله ﷺ: هل تضرّ الغبطة؟ قال: **(لا إلا كما يضرّ العضاه الخبط)** ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ الحظ **(الجد)** وهو البخت والدولة.

أي على البغلة، الأُرجوان ـ بضمّ الهمزة والجيم ـ الحمرة والأحمر معرب أرغوان، أي جلّها من حرير أحمر، وفي نسخة: عليه أي على قارون، أي لباسه منه. **قوله**: (زيّه) الزيّ بالكسر اللّباس والهيئة.

قوله: **(لا إلا كما يضرَ العضاه الخبطُ)** في لسان العرب: العِضاه شجر أُمّ غيلان وكل شجر عظيم له شوك الواحد عِضَة بالتاء، وأصلها عِضْهَة.اهـ. وأيضًا فيه وفي التهذيب: الخبط ضرب ورق الشجر حتى ينحات عنه ثم يستخلف من غير أن يضرّ ذلك بأصل الشجر وأغصانها، وقال اللّيث: الخبط خبط ورق العِضاه من الطلح ونحوه يخبط بالعصا فيتناثر ثم يعلف الإبل، وفي الحديث: سُئِل: هل يضرّ الغَبْط؟ قال: «لا إلّا كما يضرّ العِضاه الخَبْط»، الغبط حسد خاص، فأراد ﷺ أن الغبط لا يضرّ ضرر الحسد، وأن ما يلحق الغابط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاه من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها، ولأنه يعود بعد الخبط ورقها، فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم، والخَبَط ما انتقص من ورقها إذا خُبِطت.اهـ. وفي المصباح: خبطت الورق من الشجر خبطًا من باب ضرب أسقطته فإذا سقط فهو خبط ـ بفتحتين ـ فعل بمعنى مفعول مسموع كثيرًا.اهـ.
قوله: **(الجدّ)** بفتح الجيم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بالثواب والعقاب وفناء الدنيا وبقاء العقبى لغابطِي قارون ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أصل ويلك الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى، (**وفي «التبيان في إعراب القرآن»**) هو مفعول فعل محذوف أي ألزمكم الله ويلكم ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي لا يُلقّن هذه الكلمة وهي ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعات وعن الشهوات وزينة الدنيا وعلى ما قسم الله من القليل (**عن الكثير**).

قوله: (**وفي التبيان في إعراب القرآن**) للعلامة أبي البقا عبد الله بن الحسين العكبري المتوفّى سنة ستّة عشرة وستّمائة مجلدًا، وله الحمد الذي وفّقنا لحفظ كتابه.. الخ.اهـ كشف الظنون. والعكبري بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء، هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ.

قوله: (**عن الكثير**) عن فيه بدلية ولها عشر معان: (المجاوزة) سافر عن البلد، (**البدل**) ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٨]، (الاستعلاء) ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محَمَّد: الآية ٣٨]، (التعليل) ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبَة: الآية ١١٤]، (مرادفة بعد) ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ٤٠]، (الظرفية) ولا تكُ عن حمل الرباعة وانيًا، بدليل ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: الآية ٤٢]، (مرادفة من) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: الآية ٢٥]، (مرادفة الباء) ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: الآية ٣]، (الاستعانة) رميت عن القوس، أي به قاله ابن مالك، (الزائدة) للتعويض عن أخرى محذوفة:

أَتَجْزَعُ أن نفسٌ أتاها حمامُها ... فهلّا التي عن بين جنبيك تَدْفَعُ

فحذف من أول الموصول وزيدت بعده.اهـ قاموس.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كان قارون يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو (**يُداريه للقرابة التي بينهما**) حتى نزلت الزكاة، (**فصالحه**) عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره (**فشحَّت**) به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال: إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا: أنت كبيرنا فمُر بما شئت قال: (**نبرطل فلانة البغي**) حتى (**ترميه بنفسها فيرفضه**) بنو إسرائيل، فجعل لها ألف دينار (**أو طستًا من ذهب أو حكمها**)، فلما كان يوم عيد قام موسى فقال: يا بني إسرائيل مَن سرق قطعناه، ومَن افترى جلدناه، ومَن زنى وهو (**غير محصن**) جلدناه، وإن أحصَن رجمناه. فقال قارون: وإن كنت

قوله: (**يداريه**) إذ المداراة من محاسن الأخلاق (**للقرابة التي بينهما**) لا لعجز المقاومة، في مختار الصحاح: مداراة الناس يهمز ويلين، وهي المداجاة والملاينة. اهـ. **قوله**: (**فصالحه**)... الخ. بوحي أو كان جائزاً في شرعه. اهـ شهاب. وفي حاشية البيضاوي للعلامة القنوي رحمه الله: الظاهر أنه لم ينزل التوراة قبل ذلك، فنزلت ونزلت الزكاة؛ لأن نزول التوراة جملة لا منجمًا، والقول بأنه بالوحي الغير المتلوّ غير بعيد، وكذا الصلح المذكور يجوز أن يكون بالوحي الغيرالمتلوّ في شأن قارون، والقول بأنه كان جائزًا في شرعه ضعيف؛ لأنها لا تكون من الأغلال التي كانت عليهم، وقد عدّ علماؤنا أن الزكاة في شرع موسى عليه السلام ربع أموالهم، وأنها من جملة الأغلال. اهـ. فافهم.

قوله: (**فشحت**) الشحّ البخل مع حرص. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**نُبَرْطِلُ**) أي نعطي البرطيل ـ بكسر الباء ـ وهو الرشوة. **قوله**: (**فلانة**) في المصباح: فلان وفلانة بغير ألف ولام كناية عن الأناسي، وبهما كناية عن البهائم، فيقال: ركبت الفلان وحلبت الفلانة. اهـ. **قوله**: (**البَغيّ**) بتشديد الياء وهو فعول في الأصل بمعنى الفاعلة من بغيت المرأة بِغاء ـ بالكسر ـ إذا زنت، والمعنى الزانية. **قوله**: (**ترميه بنفسها**) ورميها أن تقول: إنه عليه السلام زنى بها. **قوله**: (**فيرفضه**) أي يتركه. **قوله**: (**أو طستاً من ذهب**) أي مملوءة ذهباً. **قوله**: (**أو حَكَمَها**) أي جعلها حاكمة لنفسها بما شاءت من المال. **قوله**: (**غير محصن**) بفتح

أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك (فَجرْت) بفلانة، فأُحضِرَت (فناشدها) بالذي فلق البحر وأنزل التوراة (أن تصدق)، فقالت: جعل لي قارون (جُعْلاً) على أن أقذفك بنفسي فخرَّ موسى ساجِدًا يبكي وقال: يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله إليه أن مُر الأرض بما شئت فإنها مُطيعة لك. فقال: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمَن كان معه فليلزم مكانه ومَن كان معي فليعتزل. فاعتزلوا جميعًا غير رجلين، ثم قال: يا أرض خُذيهم فأخذتهم إلى الرُّكَب، ثم قال: خُذيهم، فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: خُذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه يتضرّعون إلى موسى ويُناشدونه بالله والرَّحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال: خُذيهم، فانطبقت عليهم فقال الله تعالى: استغاث بك مرارًا فلم ترحمه فوعزَّتي لو استرحمني مرة لرحمته، فقال بعض بني إسرائيل: إنما أهلكه ليَرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يمنعونه من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله. يقال: نصره من عدوه فانتصره أي منعه منه فامتنع.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَأَصْبَحَ﴾ وصار ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ منزلته في الدنيا ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ ظرف لـ ﴿تَمَنَّوْا۟﴾ ولم يرد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت القريب (استعارة) ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ و«ي» منفصلة عن

الصاد من أحصن إذا تزوّج وهي مما جاء اسم فاعل على لفظ اسم المفعول، ومنه أسهب، فهو مسهب إذا أطال في الكلام، والفج ـ بالفاء والجيم ـ فهو مفلج إذا افتقر. **قوله**: (فجرت) من باب دخل. **قوله**: (فناشدها) أي أقسم عليها. **قوله**: (أن تصدق) أي لأن تتكلّم بالصدق ما سبب ذلك. **قوله**: (جُعْلاً) بضم الجيم وسكون العين أي رشوة، وهي المرادة، وأصل الجعل الأجرة.

قوله: (استعارة) أي مجازاً.

«كأن» عند البصريين. قال (سيبويه): «وي» كلمة تنبّه على الخطأ وتندم يستعملها النادِم بإظهار ندامته يعني أن القوم قد تنبّهوا على خطئهم في تمنّيهم، وقولهم: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ وتندموا ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بصرف ما كنا نتمناه بالأمس ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ ﴿لَخَسَفَ﴾ (**وبفتحتين مبنيًا للفاعل: حفص ويعقوب وسهل**، وفيه ضمير **الله تعالى**) ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي تندموا ثم قالوا: كأنه لا يفلح الكافرون.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ (**تعظيم لها**) وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها، وقوله ﴿نَجْعَلُهَا﴾ خبر ﴿تِلْكَ﴾ و﴿ٱلدَّارُ﴾ نعتها ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بغيًا: (**ابن جبير**)، وظلمًا: (**الضحاك**) أو كبرًا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ عملًا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله. ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [هود: الآية ١١٣] فعلّق الوعيد بالركون. وعن عليّ رضي الله عنه: إن الرجل ليعجبه أن يكون شِراك نعله أجود من شِراك نعل صاحبه

قوله: (**سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبَر رحمه الله. **قوله**: (**وبفتحتين مبنيًا للفاعل: حفص ويعقوب وسهل**) وليسا من السبعة، (**وفيه ضمير الله تعالى**)، والباقون بضم الخاء وكسر السين مبنيًا للمفعول وبناء نائب الفاعل.

قوله: (**تعظيمٌ لها**) معنى التعظيم مستفاد من الإشارة بلفظ البعيد تنزيلًا لبُعْد درجة المشار إليه ورفعه محلّه منزلة بعد المسافة؛ كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢]، فإنّ الأصل في أسماء الإشارة أن يُشار بها إلى مشاهدة محسوس قريب أو بعيد، إلّا أنه قد يُشار بها إلى محسوس غير مشاهد وإلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالمشاهد المحسوس وتنزيل الإشارة العقلية منزلة الحسّية وما نحن فيه من هذا القبيل. **قوله**: (**ابن جبير**) أي سعيد بن جبير الأسدي، ثقة ثبت فقيه وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة، قُتِل بين يدي الحجّاج سنة خمس ومائة. **قوله**: (**الضحاك**) بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني، صدوق

فيدخل تحتها. وعن (**الفضيل**): إنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني هٰهنا. وعن (**عمر بن عبد العزيز**): إنه كان يردّدها حتى قبض. (**وقال بعضهم: حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثًا**) بقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

كثير الإرسال، مات بعد المائة. **قوله**: (**الفضيل**) بن عياض خراساني من ناحية مرو، وقيل: إنه وُلد بسمرقند ونشأ بأبيورد، مات بمكّة المكرمة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة. **قوله**: (**عمر بن عبد العزيز**) الخليفة الراشد والإمام العادل القرشي التابعي بإحسان رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**وقال بعضهم: حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبّثًا**)... الخ. التشبّث بالشيء التعلق به. اهـ مختار الصحاح، يعني أن المراد من عدم إرادة العلوّ عدم إرادته، كإرادة فرعون حيث استكبر عن الإيمان واستعلى على ما في الأرض من خلق الله تعالى، ولا سيما على نبيّه المؤيَّد بالمعجزات القاهرة، ومن عدم إرادة الفساد أن لا يريده كإرادة قارون؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: الآية ٤]، ولقول ناصح قارون: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: الآية ٧٧]، وليس كل مَنْ يصدق عليه أنه أراد علوًّا وفسادًا في الجملة محرومًا من سعادة دار الآخرة للنصوص الدالّة على أن كل مؤمن من أهل الجنّة، ومن جملتها قوله عليه الصّلاة والسلام: «مَنْ قال لا إلٰه إلّا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق» ثلاثًا، وقال في الثالثة: «على رغم أنف أبي ذرّ»، إلّا أن الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث لم يعلّق الوعد بترك العلوّ والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما كما علّق الوعيد بالركون إلى الظلمة دون نفس الظلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هُود: الآية ١١٣]، وأيضًا فيها دلالة على أن إرادة ما ليس له من العلوّ والرفعة مما ينقص حظّ المرء من سعادة الآخرة، لما رُوِيَ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن الرجل ليعجبه أن يكون شِراك نعله أجود من شِراك نعل صاحبه، فيدخل تحت الآية. وعن الفضيل بن عياض أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني هٰهنا، يعني أن الآية تدلّ على وجوب ترك التمنّي وإرادة ما ليس له من العلوّ والرفعة، كما تدلّ على وجوب ترك إرادة الفساد، وكرّر كلمة لا في قوله: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ ليفيد أنّ

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ﴾ (مرّ في «**النمل**») ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ معناه فلا يجزون فوضع ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكررًا، فضل (**تهجين**) لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما كانوا يعملون ومن فضله العظيم أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿لَرَآدُّكَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ (**أيّ معاد**) و﴿إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ ليس لغيرك من البشر فلذا نكره، أو المراد به مكة. والمراد ردّه إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم معادًا له شأن ومرجعًا له اعتدادًا لغلبة رسول الله وقهره لأهلها ولظهور عزّ الإسلام وأهله وذلّ الشّرك (**وحزبه**). والسورة مكية ولكن هذه الآية (**نزلت بالجحفة**) لا بمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه. ولما وعد

كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة، وإن لم تجامع الأخرى.

قوله: (مرّ في النمل) عبارة المصنف رحمه الله في سورة النمل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [النّمل: الآية ٨٩]، أي بقول: لا إلـه إلا الله عند الجمهور ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النّمل: الآية ٨٩] أي فله خيرٌ حاصل من جهتها وهو الجنّة، وعلى هذا لا يكون خير بمعنى أفضل، ويكون منها في موضع رفع صفة لخير، أي بسببها، انتهت بحروفها. **قوله**: (تهجين) أي تقبيح.

قوله: (أيّ معاد) إشارة إلى أن تنوين ﴿مَعَادٍ﴾ للتعظيم. **قوله**: (وحزبه) أي جُنْده. **قوله**: (نزلت بالجُحْفة) وهو موضع بين مكّة والمدينة، وهو ميقات أهل

رسوله الرد إلى معاده قال: ﴿قُلْ﴾ للمشركين ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ يعني نفسه وما له من الثواب في معاده ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يعني المشركين وما يستحقونه من العذاب في معادهم (﴿مَن﴾ **في محل نصب بفعل مضمر، أي يعلم**).

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ﴾ يوحى ﴿إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ﴾ (**هو محمول على المعنى، أي وما أُلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**)، أو «إلا» بمعنى «لكن» للاستدراك أي ولكن لرحمة من ربك أُلقي إليك الكتاب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ مُعينًا لهم على دينهم.

الشام، فلما نزلت الآية هناك لم تكن مكّية ولا مدنية، وكانت من جملة ما يدلّ على نبوّته ﷺ؛ لأنه أخبر عن الغيب، ووقع كما أخبر، فتكون من جملة معجزاته.

قوله: (﴿مَن﴾ **في محل نصب بفعل مضمر، أي يعلم**) لا بنفس أعلم؛ لأن اسم التفضيل لا يعمل في مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل، لأنه يدلّ على التفضيل والفعل لا يدلّ عليه فيما وقع في حيّز معموله، فإنه معمول لمضمر يدلّ عليه اسم التفضيل.

قوله: (**هو محمول على المعنى، أي وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمةً من ربّك**) فإن قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ في معنى ما ألقي إليك عبّر عنه بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟﴾ للمبالغة، فإن نفي رجاء الإلقاء أبلغ من نفي الإلقاء، فكأنه قيل: وما أُلقي إليك الكتاب إلا رحمة، أي في حال كونه رحمة أو إلا لأجل رحمة، فيكون الاستثناء متّصلًا مفرغًا، ويكون المُستثنى منه أعمّ الأحوال وأعمّ العلل، ولا يجوز أن يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لأنه إذا قيل: ما كنت ترجوه إلا رحمة، لَزِم أن يكون عليه الصلاة والسلام راجيًا أن يُلقى إليه الكتاب لأجل الرحمة، وظاهر أنه عليه الصّلاة والسلام لم يكن راجياً له أصلًا.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هو على الجمع أي ألا يمنعنك هؤلاء عن العمل بآيات الله أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ﴾ الآيات أي بعد وقت إنزاله و﴿إِذْ﴾ يضاف إليه أسماء الزمان كقولك: «حينئذ» و«يومئذ» ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾ إلى توحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد أهل دينه، ولأن العصمة لا تمنع النهي، والوقف على ﴿ءَاخَرَ ۘ﴾ لازم لأنه لو وصل لصار ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ صفة لـ ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ﴾ وفيه من الفساد ما فيه ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ أي إلا إياه (**فالوجه يعبّر به عن الذات**). وقال (**مجاهد**): يعني علم العلماء إذا أريد به وجه الله ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء في خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ (**بفتح التاء وكسر الجيم: يعقوب**)، والله أعلم.

قوله: (**فالوجه يعبّر به عن الذات**)، فالوجه أطلق عليها مجازًا لتنزّهه عن الجوارح. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبير ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون رحمه الله. **قوله**: (**بفتح التاء وكسر الجيم**) على بنائه للفاعل (**يعقوب**) بن إسحٰق وليس من السبعة رحمه الله.

تمّ بحمد الله وعونه ما يتعلّق بسورة القصص،
اللّهمّ ببركة كلامك الكريم ونبيّك الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم
الْطِفْ بنا في الدنيا والآخرة ويسّر لنا نَيل الأماني وانشراح الصدور،
إنك أنت الوهّاب الكريم الغفور،
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة العنكبوت)

(مكية وهي تسع وستون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا (وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ) ۝٢﴾) الحسبان قوة أحد النقيضين على الآخر كالظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينهما، والعلم فهو القطع على أحدهما، ولا يصحّ تعليقهما بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل. فلو قلت: «حسبت زيدًا وظننت الفرس» لم يكن شيئًا حتى تقول: «حسبت زيدًا عالمًا وظننت الفرس جوادًا» لأن قولك: «زيد عالم والفرس جواد» كلام دالٌّ على مضمون، فإذا أردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتًا عندك على وجه الظن لا اليقين أدخلت على شطري الجملة فعل الحسبان حتى يتمّ لك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة العنكبوت، مكّية، وهي تسع وستون آية**) وهو الصحيح، وألف وتسعمائة وإحدى وثمانون كلمة، وأربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفًا. اهـ خطيب.

قوله: (﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾) من تمام قوله: ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ [العَنكبوت: الآية ٢]؛ لكونه حالًا من المرفوع المستتر فيه.

غرضك والكلام الدّالّ على المضمون الذي يقتضيه الحُسبان هنا ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنّا؟ فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ هو الخبر، وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من التَّرك الذي هو بمعنى التصيير (كقول عنترة:

فتركنه جزر السِّباع ينشنه)

ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول: «تركهم غير مفتونين» لقولهم: «آمنّا» على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام وهو استفهام توبيخ. والفتنة

قوله: (كقول عَنْتَرَة) وهو ابن شدّاد، وقيل: ابن عمرو بن شداد العبسي التميمي الشاعر المشهور:

(فتركته جزر السِّباع يَنُشْنَه)

آخره:

يقضمن حسن بنانه والمعصمِ

ورُوِيَ:

ما بين قُلَّة راسية والمعصم

البيت من الكامل من معلّقة عنترة العبسيّ استشهد على أن ترك وإن كان في الأصل يتعدّى إلى مفعول واحد؛ لأنه بمعنى طرح وخلّى لكنه ضمن معنى صيّر، فأجرى مجرى أفعال القلوب فعدّى إلى مفعولين؛ لأن جزر السِّباع مَعْرفة لا يحتمل الحال والضمائر الثلاث في البيت ترجع إلى مدجج في البيت السابق، أي شاكي السلاح. ويُروى: فتركنه ـ بالنون ـ والضمير للقنا في البيت قبله وبالتاء المثنّاة من فوق على صيغة المتكلّم والضمير حينئذ للشاعر، وجَزَر السِّباع ـ بفتح الجيم والزاي ـ اللَّحم الذي تأكله السِّباع، يقال: تركوهم جزرًا ـ بالتحريك ـ إذا قتلوهم، وصيروهم طعمة للسباع والجزر فعل بمعنى مفعول؛ لأنه معدّ لأن تجزره السباع بأنيابها كما يجزر القصّاب بالحديد، والجُزُر أيضًا جمع جزرة الشاة السمينة والنوش التناول، والقضم ـ بالقاف والضاد المعجمة ـ الأكل بمقدّم الأسنان، قيل: والمراد

الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقَّة و(**هجر**) الشهوات وبالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال (**ومصابرة الكفّار**) على أذاهم وكيدهم. ورُوِيَ أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد (**خرعوا**) من أذى المشركين، أو في (**عمار**) بن ياسر وكان يُعَذَّب في الله.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ اختبرنا (**وهو موصول بـ** ﴿أَحَسِبَ﴾ أو بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾)

هنا الأكل مطلقًا أو القطع، والبنان بموحدة قبل النون رؤوس الأصابع أو الأصابع بكمالها والأنامل أطرافها، والمعصم موضع السّوار من الساعد، وما بين أي فيما بين أي موضعه نصب بينشنه، والقلة ـ بضم القاف ـ أعلى الجبل وقلّة كل شيء أعلاه ورأس كل شيء قلّة، أي بقرن حاربته فقتلته وتركته طعم السباع، كما يكون الجزر طعمة البائس، ثم قال: تتناوله السّباع وتأكل بمقدّم أسنانها بنانه الحسن ومعصمه الحسن، يريد أنه قتله فجعله عرضة للسباع.

قوله: (هَجْر) أي ترك. **قوله**: (ومصابرة الكفار) في تفسير الجلالين: ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: الآية ٢٠٠] الكفار فلا يكونوا أشدّ صبرًا منكم، أي غالبوهم في الصّبر. **قوله**: (خرعوا) بالخاء المنقوطة من فوق بمعنى ضعفوا، ويُروى: جزعوا. **قوله**: (عمّار) بن ياسر الصحابي، هو أبو اليقظان كان من السابقين إلى الإسلام وكان هو وأبوه وأمّه سُمَيّة ممّن أسلم أوّلًا، وكان إسلام عمّار وصُهيب في وقتٍ واحد حين كان النبيّ ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلم بعد بضعة وثلاثين رجلًا وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وجميع المشاهد، واختلفوا في هجرته إلى الحبشة، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنان وستّون حديثًا اتّفقا على حديثين منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث، قُتِل بصفّين مع عليّ رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأوّل، وقيل: الآخر سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة.

قوله: (وهو موصول) أي متّصل (بـ ﴿أَحَسِبَ﴾ أو بـ ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾) أي هو حال من فاعل: أحد ذينك الفعلين.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ بأنواع الفتن فمنهم مَن يوضع (**المنشار**) على رأسه فيفرق (**فرقتين**) ما يصرفه ذلك عن دينه، ومنهم مَن (**يمشط بأمشاط الحديد**) ما يصرفه ذلك عن دينه ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في الإيمان ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيه. ومعنى علمه تعالى وهو عالم بذلك فيما لم يزل أن يعلمه موجودًا عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد، والمعنى وليتميزنّ الصادق منهم من الكاذب. قال (**ابن عطاء**): يتبيَّن صدق العبد من كذبه في أوقات (**الرخاء**) والبلاء، فمَن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين، ومن (**بطر**) في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (**أي الشرك والمعاصي**) ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ أي يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة، واشتمال صلة «أن» على مسند ومسند إليه سدّ مسدّ مفعولين كقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٤] ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر (**و﴿أَمۡ﴾ منقطعة**)، ومعنى الإضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وهذا يظن أنه لا يُجازى بمساويه. وقالوا: الأول في المؤمنين وهذا في الكافرين ﴿سَآءَ

قوله: (المنشار) بالنون وهي آلة يُشَقُّ بها الخشبة. **قوله**: (فِرْقتين) بالكسر قطعتين. **قوله**: (يمشط) بصيغة المجهول مخفّفًا والمعنى يشوك (**بأمشاط الحديد**) بفتح الهمزة جمع مشط وهو ما يتمشط به الشعر. **قوله**: (**ابن عطاء**) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء من كبار مشائخ الصوفية وعُلمائهم، مات سنة تسع وثلاثمائة. ﷺ. **قوله**: (**الرخاء**) بالفتح والمد. **قوله**: (**بطر**) البَطَر الأشِر، وهو شدّة المَرَح وبابه طَرِب. اهـ. مختار الصحاح.

قوله: (**أي الشرك والمعاصي**) شامل للكفرة والعصاة. **قوله**: (**و﴿أَمۡ﴾ منقطعة**) مقدّرة ببل والهمزة والإضراب لأجل الانتقال لا لإبطال السابق؛ لأن إنكار الحسبان الأوّل ليس بباطل، إلا أن الحسبان الثاني أبطل وأولى بالإنكار، وذلك لأن صاحب الحسبان الأول يقرّر أنه لا يمتحن لإيمانه، وهذا يظنّ أنه لا يجازى بمساوئه، والثانى أبطل لأنه خلاف ما يقتضيه العقل والنقل، والأوّل إنما يخالف

﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ «ما» في موضع رفع على معنى ساء الحكم حكمهم، أو نصب على معنى ساء حكمًا يحكمون، والمخصوص بالذمّ محذوف أي بئس حَكمًا يحكمونه حكمهم.

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي يأمل ثوابه أو يخاف حسابه (**الرجاء**) يحتملهما ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ المضروب للثواب والعقاب ﴿لَءَاتٍ﴾ لا محالة فليبادر للعمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقوله عباده ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يفعلونه فلا يفوته شيء ما. وقال (**الزجّاج**): و«من» للشرط ويرتفع بالابتداء وجواب الشرط ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ كقولك: «إن كان زيد في الدار فقد صدق الوعد» ﴿وَمَن جَـٰهَدَ﴾ نفسه بالصبر على طاعة الله أو الشيطان بدفع وساوسه أو الكفّار ﴿فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ لأن منفعة ذلك ترجع إليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وعن طاعتهم ومجاهدتهم، وإنما أمر ونهى رحمة لعباده.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي الشِّرك والمعاصي بالإيمان والتوبة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (**أي أحسن جزاء أعمالهم**) في الإسلام.

النقل فقط، ولم تجعل ﴿أم﴾ هذه متّصلة معادلة لهمزة الاستفهام في قوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ لوجهين، أحدهما: أن ما بعدها ليس مفردًا ولا في قوّة المفرد، والثاني: أنه لم يكن هنا ما يجاب به عن أحد الشيئين أو الأشياء.

قوله: (**الرجاء**) بالفتح والمدّ. **قوله**: (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله.

قوله: (**أي أحسن جزاء أعمالهم**) يريد أن المضاف محذوف، أي أحسن جزاء الذي كانوا يعملونه، يعني أن للعمل جزاء حسنًا وجَزاءً أحسن، فهو تعالى يجزيهم الجزاء الأحسن.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ وصّى حُكمه حكم أمر في معناه وتصرفه. يقال: وصّيت زيدًا بأن يفعل خيرًا كما تقول: أمرته بأن يفعل. ومنه قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة: الآية ١٣٢] أي وصّاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها، وقولك: وصّيت زيدًا بعمرو معناه وصيته بتعهّد عمرو ومراعاته ونحو ذلك. وكذلك معنى قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ ووصّيناه (**بإيتاء والديه حسنًا أو بإيلاء والديه حسنًا أي فعلًا ذا حسن، أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه**) كقوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: الآية ٨٣] ويجوز أن يجعل ﴿حُسْنًا﴾ من باب قولك: «زيدًا» بإضمار «اضرب» إذا رأيته متهيّئًا للضرب فتنصبه بإضمار (**أولهما**)، أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالّة عليه (**وما بعده مطابق له**) كأنه قال: قلنا أَوْلِهما معروفًا ولا تطعهما في الشِّرك إذا حملاك عليه، وعلى هذا التفسير إن وقف على ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وابتدىء ﴿حُسْنًا﴾ حسن الوقف، وعلى التفسير الأول لا بدَّ من إضمار القول معناه وقلنا: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أيها الإنسان ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي لا علم لك بإلٰهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال: لتشرك بي شيئًا لا يصحّ أن يكون إلٰهًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجع مَن آمن منكم ومَن أشرَك ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأُجازيكم حق جزائكم، وفي ذكر المرجع والوعيد تحذير من متابعتهما على الشِّرك و(**حث**) على الثبات والاستقامة في الدين. رُوِيَ أن (**سعد بن أبي وقاص**) لما أسلم نذرت

قوله: (**بإيتاء والديه**) أي بإعطاء والديه (**حسنًا أو بإيلاء**) أي بإعطاء (**والديه حسنًا، أي فعلًا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه**) يعني أن الباء صلة ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ وحذف المضاف الذي هو المأمور به، وأُقيم المضاف إليه مقامه، وأن ﴿حُسْنًا﴾ منصوب على أنه صفة لمفعول المصدر المحذوف إمّا بتقدير ذا أو بجعل نفس ذلك الفعل حسنًا للمبالغة. **قوله**: (**أَوْلِهما**) من الإيلاء بمعنى الإعطاء، أي أول الإحسان إليهما. **قوله**: (**وما بعده مطابق له**) يعني أن النهي في قوله: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ مطابق لما مرّ؛ لأنهما من واد الإنشائيات. **قوله**: (**حثّ**) من باب ردّ. **قوله**: (**سعد بن أبي وقّاص**) أحد العشرة، هو أبو إسحٰق سعد بن مالك بن وهب

أُمه أن لا تأكل ولا تشرب حتى يرتدّ فشكا إلى النبي ﷺ **(فنزلت هذه الآية، والتي في «لقمان» والتي في «الأحقاف»)**.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ هو مبتدأ والخبر ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّٰلِحِينَ﴾ في جملتهم. والصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو مُتَمَنَى الأنبياء عليهم السلام قال سليمان عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: الآية ١٩]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٠١] أو في مدخل الصالحين وهو الجنة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾

ونزلت في المنافقين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي إذا مسّه أذًى من الكفّار ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ أي جزع من ذلك كما يجزع

القرشي الزهري المكي المدني، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة وتوفي وهو عنهم راضٍ، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أمر الخلافة إليهم، وأسلم قديمًا بعد أربعة، وقيل: بعد ستّة وهو ابن سبع عشرة سنة وهو أوّل مَنْ رمى بسهم في سبيل الله، وأوّل مَنْ أراق دمًا في سبيل الله وهو من المهاجرين الأوّلين هاجر إلى المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ إليها، شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وسائر المشاهد كلّها، وكان يقال له فارس الإسلام، توفي سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ستّ، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان وخمسين، توفي بقصره بالعقيق على عشرة أميال، وقيل: سبعة من المدينة وحُمِل على أعناق الرجال إلى المدينة وصلّى عليه في المدينة، ودُفِن بالبقيع رضي الله تعالى عنه. **قوله: (فنزلت هذه الآية، والتي في لقمان، والتي في الأحقاف)** وكون ما في الأحقاف نزل فيه رواية، فلا ينافي ما سيأتي فيها من أنها نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه مع أنهم جوّزوا تعدّد سبب النزول كما قيل.

من عذاب الله تعالى ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ﴾ أي وإذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا: إنّا كنّا معكم أي متابعين لكم في دينكم ثابتين عليه بثباتكم فأعطونا نصيبنا من (الغنم) ﴿أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي هو أعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدرهم ومن ذلك ما في صدور هؤلاء من النفاق وما في صدور المؤمنين من الإخلاص، ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين بقوله:

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ أي حالهما ظاهرة عند مَن يملك الجزاء عليهما ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أمروهم باتّباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم، وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فعطف الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وأن نحمل خطاياكم. والمعنى تعليق الحمل بالاتباع أي إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم، وهذا قول (**صناديد قريش**) كانوا يقولون لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فإن كان ذلك فإنّا نتحمل عنكم الإثم ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدّون الشيء وفي قلوبهم نيّة الخلف.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أثقال أنفسهم يعني أوزارهم بسبب كفرهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ﴾ أي أثقالاً أُخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا سببًا في ضلالهم وهو كما قال: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۙ وَمِنْ

قوله: (الغنم) بالضمّ أي الغنيمة.

قوله: (صَناديد قريش) وهم أشرافهم وعظمائهم الواحد صِنْديد وكل عظيم غالب صِنْديد. اهـ لسان العرب.

أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: الآية ٢٥] ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يختلقون من الأكاذيب والأباطيل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ كان عمره ألفًا وخمسين سنة؛ بُعِث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين. وعن (وهب) أنه عاش ألفًا وأربعمائة سنة فقال له مَلَك الموت: يا أطول الأنبياء عمرًا كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت وخرجت. ولم يقل تسعمائة وخمسين سنة لأنه لو قيل كذلك لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره وهذا التوهّم زائل هنا فكأنه قيل: تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظًا وأملًا بالفائدة، ولأن القصة سِيقَت لما ابتُلي به نوح عليه السلام من أمته وما (كابده) من طول المصابرة تسلية لنبيِّنا عليه السلام فكان ذكر الألف أفخم وأوصل إلى الغرض. (وجيء بالمميز) أولًا بالسنة ثم بالعام، لأن تكرار لفظ واحد في كلام واحد (حقيق) بالاجتناب في

قوله: (وهب) بن مُنَبِّه التابعي، أخو همام بن منبه كنية وهب أبو عبد الله، ويقال له الذِّماري ـ بكسر الذال المعجمة ـ منسوب إلى ذمار قرية على مرحلتين من صنعاء اليمن، وهو تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية، سمع جابر بن عبد الله وابن عباس وابن عمرو بن العاص وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة وأنسًا والنعمان بن بشير، روى عنه عمرو بن دينار وعوف الأعرابي والمغيرة بن حكيم وآخرون واتّفقوا على توثيقه، توفي سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، وقال ابن سعد: سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (كابده) في مختار الصحاح: كابد الأمر قاسى شدّته. اهـ. وفي المصباح: المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله. اهـ. **قوله**: (وجيء بالمميز).. الخ. ثم إنه خصّ لفظ العام بالخمسين إيذانًا بأن نبيّ الله عليه الصّلاة والسّلام لمّا استراح من قومه بالإغراق طاب زمانه وصفا عيشه،فإن العرب تعبّر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسَّنَة.
قوله: (حقيق) أي لائق.

البلاغة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ (هو ما أطاف) وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أنفسهم بالكفر.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي نوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ وكانوا ثمانية وسبعين نفسًا نصفهم ذُكُور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح (سام وحام ويافث) ونساؤهم ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي السفينة أو الحادثة أو القصة ﴿ءَايَةً﴾ عبرة وعِظَة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يتّعظون بها.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ نصب بإضمار اذكر وأبدل منه ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل اشتمال لأن الأحيان تشتمل على ما فيها، أو معطوف على ﴿نُوحٌ﴾ أي وأرسلنا إبراهيم، أو ظرف لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ يعني أرسلناه حين بلغ من السّن، أو العلم مبلغًا صَلُح فيه لأن يَعِظ قومه ويأمرهم بالعبادة والتقوى. وقرأ (إبراهيم النخعي) و(أبو حنيفة) رضي الله عنهما: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ بالرفع على معنى «ومن المرسلين إبراهيم» ﴿لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الكفر ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شرٌّ لكم.

قوله: (هو ما أطاف)... الخ. لكنه غلب في الماء، كما هو المراد هنا.

قوله: (سام وحام ويافث) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والمعجمة.

قوله: (إبراهيم النخعي) أحد الأئمّة المشاهير تابعي رأى عائشة رضي الله تعالى عنها ودخل عليها ولم يثبت له منها سماع، توفي سنة ستّ، وقيل: خمس وتسعين للهجرة وله تسع وأربعون سنة، وقيل: ثمان وخمسون سنة، والأوّل أصح ونسبته إلى النخع ـ بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة ـ وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن. **قوله**: (أبو حنيفة) هو الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلد سنة ثمانين من الهجرة وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ أصنامًا ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ وتكذبون أو تصنعون. (وقرأ أبو حنيفة والسلمي رضي الله عنهما ﴿وَتَخَلَّقُونَ﴾ من خلق بمعنى التكثير) في خلق ﴿إِفْكًا﴾ (وقرىء ﴿أفكا﴾) وهو مصدر نحو كذب ولعب. والإفك مخفَّف منه كالكذب واللعب من أصلهما واختلاقهم الإفك تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئًا من الرزق ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ كله فإنه هو الرازق

قوله: (وقرأ أبو حنيفة والسُلَمِيّ) بالضم والفتح نسبة إلى قبيلة بني سليم، وهو أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن موسى الصوفي الحافظ صاحب التصانيف (رضي الله تعالى عنهما، ﴿وَتَخَلَّقُونَ﴾) بفتح التاء والخاء واللام المشدّدة (من خلّق) بالتضعيف (بمعنى التكثير) في خَلَق، في حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشيخ زاده رحمه الله: وقرأ العامّة ﴿تخلقون﴾ بضم التاء وكسر اللام المشدّدة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير، وقرىء ﴿تخلقون﴾ بفتح التاء والخاء واللام المشدّدة مضارع تخلق للتكلف والأصل تتخلقون بتاءين فحُذِفت إحداهما، يقال: تخلّق وتكذّب إذا افتعل الكذب بالتكلّف، انتهت بحروفها. وفي تفسير فتح القدير: قرأ الجمهور ﴿تخلقون﴾ بفتح الفوقية وسكون الخاء وضمّ اللام مضارع خلق و﴿إِفْكًا﴾ بكسر الهمزة وسكون الفاء، وقرأ عليّ بن أبي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخاء واللام مشدّدة، والأصل تتخلقون، ورُوي عن يزيد بن علي أنه قرأ بضم التاء وتشديد اللام مكسورة، وقرأ ابن الزبير وفضيل بن ورقان: «أفكا» بفتح الهمزة وكسر الفاء.اهـ بحروفه. وفي الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب للعلامة أبي الفتح عثمان بن جنّي النحوي رحمه الله: ومن ذلك قراءة السُلَمِيّ وزيد بن عليّ: ﴿وتَخَلَّقُون إفكا﴾، وقرأ فضيل بن مَرْزُوق وابن الزبير: «وتخلقون أَفِكًا» بفتح الهمزة وكسر الفاء.اهـ. فافهم. **قوله**: (وقرىء «أفكا») بفتح الهمزة وكسر الفاء قارئه فضيل وابن الزبير وقراءة الجمهور بكسر الهمزة وسكون الفاء.

وحده لا يرزق غيره ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على (أنعمه)، وبفتح التاء وكسر الجيم: (يعقوب).

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾

﴿(وَإِن تُكَذِّبُواْ) فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾ أي وإن تكذِّبوني فلا تضرّوني بتكذيبكم فإن الرسل قبلي قد كذَّبتهم أُممهم وما ضرّوهم وإنما ضرّوا أنفسهم حيث حلَّ بهم العذاب بسبب تكذيبهم، وأما الرسول فقد تمّ أمره حيث بلغ البلاغ المبين الذي زالَ معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته، أو وإن كنت مكذّبًا فيما بينكم فلي في سائر الأنبياء (أُسوة) حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلّغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب. وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه السلام لقومه، والمراد بالأمم قبله قوم شيث وإدريس ونوح وغيرهم. وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها. فإن قلت: فالجُمَل الاعتراضية لا بدَّ لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه فلا تقول: «مكة وزيد قائم خير بلاد الله». قلت: نعم وبيانه أن إيراد قصة إبراهيم عليه السلام ليس إلا إرادة (للتنفيس) عن رسول الله ﷺ، وأن تكون مسلاة له بأن أباه إبراهيم عليه السلام كان مُبتَلى بنحو ما ابتُلي به من شِرك قومه وعبادتهم الأوثان، فاعترض بقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ على معنى إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدًا فقد كَذَّب إبراهيم قومه وكل أمة نبيّها لأن قوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ لا بدَّ من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض متصل، ثم سائر الآيات بعدها من توابعها لكونها ناطِقة

قوله: (أَنْعُمه) في المصباح: جمع النعمة نعم مثل سدرة وسُدر، وأنعم أيضًا مثل أفلس. اهـ. **قوله**: (يعقوب) بن إسحٰق وليس من السبعة.

قوله: (﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾) إشارة إلى أن المفعول محذوف للعلم به. **قوله**: (أُسوة) في المصباح: الإسوة ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ القدوة. اهـ. وأيضًا فيه: القدوة اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسّيًا، وفلان قدوة أي يُقتدى به، والضم أكثر من الكسر. اهـ. **قوله**: (للتنفيس) أي التفريج لسِعة الصدر.

بالتوحيد ودلائله وهدم الشِّرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجّته وبرهانه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ (وبالتاء: كوفي غير حفص) ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ أي قد رأوا ذلك وعلموه. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار (على حياله) بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٠] على البدء دون الإنشاء بل هو معطوف على جملة قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي الإعادة ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد وإن كان من كلام إبراهيم فتقديره وأوحينا إليه أن قل ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على كثرتهم واختلاف أحوالهم لتعرفوا عجائب فطرة الله بالمُشاهدة، وبدأ وأبدأ بمعنى ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي البعث. (وبالمدّ حيث كان: مكي وأبو عمرو). وهذا دليل على أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود، غير أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك، والقياس أن يقال: «كيف بدأ الله الخلق ثم يُنشيء النشأة الآخرة» لأن الكلام معهم وقع في

قوله: (وبالتاء) من فوق (كوفي غير حفص) أي أبو بكر من طريق يحيىٰ بن آدم وحمزة والكسائي وخلف على خطاب إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام لقومه، وروى العليمي عن أبي بكر بالغيب ردًّا على الأُمم المكذّبة، وبه قرأ الباقون. **قوله**: (على حياله) بكسر الحاء، أي بانفراد.اهـ مصباح.

قوله: (وبالمدّ) أي بفتح الشين فألف بعدها وبعد الألف همزة مفتوحة (حيث كان) أي هنا والنجم والواقعة (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو) البصري، والباقون بإسكان الشين وهمزة مفتوحة بعد الشين لغتان كالرأفة والرآفة والرأفة والرآفة بالمدّ مصدر كالسماحة بمعنى الرأفة، وهي الشفقة.

الإعادة، فلما قرّرهم في الإبداء بأنه من الله احتجّ عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فإذا لم يعجزه الإبداء وجب أن لا يُعجزه الإعادة فكأنه قال: ثم ذلك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي يُنشيء النشأة الآخرة، فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ (بالخذلان) ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ بالهداية أو بالحرص والقناعة، أو بسوءِ الخلق وحُسنه، أو بالإعراض عن الله وبالإقبال عليه، أو بمتابعة البدع وبملازمة السُّنَّة ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون وترجعون ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الفسيحة ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ولا ناصر يمنعكم من عذابي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ جنتي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمان ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعًا في حكم القائلين فاتفقوا على تحريقه ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ حين قذفوه فيها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما فعلوا به وفعلنا ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ رُوِيَ أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم أُلقي إبراهيم في النار وذلك لذهاب حَرّها.

قوله: (بالخذلان) في مختار الصحاح: خذله يخذله ـ بالضم ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم لقومه ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا (مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ **حمزة وحفص**)، ﴿مَّوَدَّةً بَيْنَكُمْ﴾ (**مدني وشامي وحماد ويحيىٰ وخلف** ﴿مودةُ بينكم﴾ **مكي وبصري وعلي**، ﴿مودةٌ بينَكم﴾ **الشموني والبرجمي**)، النصب **على** وجهين على التعليل، أي لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابّهم وأن يكون مفعولًا ثانيًا كقوله: ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: الآية ٢٣]، و«ما» كافّة أي اتخذتم الأوثان سبب المودّة بينكم على تقدير حذف المضاف، أو اتخذتموها مودّة بينكم أي مودّة بينكم كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٥]، وفي الرفع وجهان: أن يكون خبرًا لـ ﴿إِنَّ﴾ و«ما» موصولة، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودّة بينكم، والمعنى أن الأوثان مودّة بينكم أي مودودة أو سبب مودّة. ومَن أضاف المودّة جعل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ اسمًا لا ظرفًا كقوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦]، ومَن نوَّن ﴿مَوَدَّةٌ﴾ ونصب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فعلى الظرف ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ تتبرّأ

قوله: (﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) بنصب ﴿مَّوَدَّةَ﴾ بلا تنوين وجرّ ﴿بَيْنِكُمْ﴾ (**حمزة وحفص**) ﴿مَّوَدَّةً بَيْنِكُمْ﴾ بنصب ﴿مَّوَدَّةً﴾ وتنوينه ونصب بينكم (**مدني**) أي نافع المدني، (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحماد**) بن زيد عن عاصم (**ويحيىٰ**) بن آدم عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم (**وخلف**) بن هشام وليس من السبعة وله اختيار (﴿مودةُ بينكم﴾) برفع ﴿مودة﴾ من غير تنوين وخفض ﴿بينكم﴾ (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي، (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، (**وعلي**) الكسائي (﴿مودةٌ بينَكم﴾) برفع ﴿مودةُ﴾ من غير تنوين وفتح ﴿بينكم﴾ لكونه مبنيًا لإضافته إلى المبني الذي هو الضمير ومحله الجر، كما في قراءة مَنْ قرأ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] بالفتح مع جعل بينكم فاعلًا (**الشُّموني**) وهو محمد بن حبيب الشموني عن أبي يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمه الله، (**والبرجمي**) هو عبد الحميد بن صالح

الأصنام من عابِدِيها ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن فيلعن الأتباع (**القادة**) ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي مأوى العابد والمعبود والتابع والمتبوع ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ ثَمَّة.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ لإبراهيم عليه السلام ﴿لُوطٌ﴾ (**هو ابن أخته**) إبراهيم (**وهو أول مَن آمن له**) حين رأى النار لم تحرقه ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ (**من كوثى**) وهي (**من سواد الكوفة**) إلى (**حرَّان**) ثم منها إلى (**فلسطين**) وهي من (**برية**) الشام، ومن ثم قالوا: لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان. وكان معه هجرته لوط و(**سارة بالتخفيف**) وقد تزوَّجها إبراهيم ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما هو خير.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ﴾ ولدًا ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وَلَدُ وَلَد ولم يذكر إسماعيل لشُهرته ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ أي في ذرية إبراهيم فإنه شجرة الأنبياء ﴿وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ والمراد به الجنس يعني التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾ أي إبراهيم

البرجمي ـ بضم الباء وسكون الراء وضمّ الجيم ـ نسبة إلى البراجم وهي قبيلة من تميم عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **قوله**: (**القادة**) جمع القائد.

قوله: (**هو ابن أخته**) هذه رواية، وفي رواية أخرى أنه عمّ لوط على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسلام، وفي جامع الأصول أنه ابن أخيه هاران بن تارخ. **قوله**: (**وهو أوّل مَنْ آمن له**) أي بنبوّة إبراهيم على نبيِّنا وعليهما الصلاة والسلام، وإن كان مؤمنًا قبل ذلك. **قوله**: (**من كوثى**) بضم الكاف والثاء المثلّثة والقصر بلدة بالعراق قديمة ينسب إليها إبراهيم الخليل على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام، وبها كان مولده. **قوله**: (**من سواد الكوفة**) السواد الناحية. **قوله**: (**حرَّان**) قرية من قرى غوطة دمشق. **قوله**: (**فلسطين**) بكسر الفاء وفتح اللام. **قوله**: (**برية**) في المصباح: البرّ بالفتح خلاف البحر، والبريّة نسبة إليه وهي الصحراء. اهـ. **قوله**: (**سارة بالتخفيف**) والتشديد وهي بنت عمّه.

﴿أَجْرَهُۥ﴾ الثناء الحسن (والصلاة عليه إلى آخر الدهر) ومحبة أهل المِلَل له، أو هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فيه دليل على أنه تعالى قد يعطي الأجْر في الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي من أهل الجنة: عن (الحسن).

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلُوطًا﴾ أي واذكر لوطًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الفعلة البالغة في القبح وهي اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلًا قال: لِمَ كانت فاحشة؟ فقيل: لأن أحدًا قبلهم لم يقدم عليها، قالوا: (لم ينز) ذكر على ذكر قبل قوم لوط ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ بالقتل وأخذ المال كما هو عمل (قطاع الطريق)، وقيل: اعتراضهم (السابلة) بالفاحشة ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ مجلسكم ولا يقال للمجلس نادٍ إلا ما دام فيه أهله ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ أي المضارطة والمجامعة والسُّباب والفحش في

قوله: (والصلاة عليه إلى آخر الدهر) وهو قولنا: كما صليت على إبراهيم في الصلاة. **قوله**: (الحسن) هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري ـ بفتح الباء وكسرها ـ الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين مناقبه كثيرة مشهورة، توفي سنة عشر ومائة رحمه الله.

قوله: (لم ينز) في المصباح: نزا الفحل نزوًا من باب قتل، ونزوانًا وثب، والاسم النّزاء مثل كتاب وغراب، يقال ذلك في الحافر والظّلف والسباع. اهـ. وفي مختار الصحاح: نزوًا وثَبَ وبابه عدا ونَزَوانًا أيضًا بفتحتين ونزّ الذكر على الأنثى يَنز ونِزاء بالكسر والمدّ، يقال ذلك في الحافر والظلف والسباع. اهـ. **قوله**: (قطاع الطريق) جمع قاطع الطريق. **قوله**: (السابلة) أبناء السبيل. اهـ شهاب. وفي المصباح: السابلة الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم. اهـ. **قوله**:

المزاح (**والخذف**) بالحصى ومضغ (**العلك**) و(**الفرقعة**) والسِّواك بين الناس ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تعدنا من نزول العذاب. (﴿إِنَّكُمْ﴾ و﴿أَيِنَّكُمْ﴾ **شامي وحفص وهو الموجود في الإمام، وكل واحدة بهمزتين كوفي غير حفص** ﴿آينكم﴾، ﴿آينكم﴾ **بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة: أبو عمرو** ﴿أينكم﴾ ﴿أينكم﴾ **بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة: مكي ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد**) ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بإنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش.

(**والخَذْف**) بالخاء والذال المعجمتين رمي الحصاة بين الأصابع. **قوله**: (**العِلْك**) الذي يُمْضغ. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: العِلك مثل حمل كل صمغ يُعلك من لبان وغيره، فلا يسيل. اهـ. وأيضًا فيه: علكته علكًا من باب قتل مضغته. اهـ. **قوله**: (الفرقعة) تنقيص الأصابع. اهـ مختار الصحاح. وفي رد المحتار: هو غمزها أو مدّها حتى تصوّت. اهـ. **قوله**: (﴿إِنَّكُمْ﴾ و﴿أَيِنَّكُمْ﴾) الأُولى بهمزة واحدة والثانية بهمزتين (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحفص وهو الموجود في الإمام**) أي مصحف أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه الذي اتّخذه لنفسه يقرأ فيه، وليس هو بخطّه كما توهّمه بعضهم (**وكل واحدة بهمزتين**) الأُولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام (**كوفي غير حفص**) أي أبو بكر وحمزة وعلي الكسائي وخلف رحمهم الله. («**آينكم**»، «**آينكم**» **بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو**) عبارة **الإتحاف**: فقالون وأبو عمرو وأبو جعفر بالتسهيل والمدّ. («**أينكم**»، «**أينكم**» **بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي**) أي ابن كثير المكي (**ونافع غير قالون**) هو عيسى بن مينا المدني، يكنى أبا موسى وقالون لقب، ويُروى أن نافعًا لقبه به لجودة قراءته؛ لأن قالون بلسان الروم جيد، توفي بالمدينة قريبًا من سنة عشرين ومائة. (**وسهل**) بن محمد السجستاني البصري وليس من السبعة، (**ويعقوب**) بن إسحاق الحضرمي وليس من السبعة (**غير زيد**) بن أحمد بن إسحٰق، وعبارة **الإتحاف**: وورش وابن كثير ورُويس بالتسهيل والقصر، والباقون بالتحقيق والقصر، إلّا أن أكثر الطريق عن هشام على المدّ. اهـ. وقوله: (ورش)، هو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد وورش لقبٌ لُقِّبَ به فيما يقال لشدّة بياضه، توفي بمصر

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالبشارة لإبراهيم بالولد (والنافلة) يعني إسحٰق ويعقوب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ﴾ إضافة ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾ لم تفد تعريفًا (لأنها بمعنى الاستقبال). والقرية (سدوم التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم) وهذه القرية تُشعِر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام. قالوا: إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ أي الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة وهم عليه مُصِرّون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ﴾ أي أتهلكونهم وفيهم مَن هو بريء من الظلم وهو لوط ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الملائكة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ منك ﴿بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾

سنة سبع وتسعين ومائة وهو يروي عن نافع رضي الله تعالى عنهما؛ وقوله: (رُويس)، هو أبو بكر محمد بن المتوكّل اللؤلؤي، يروي عن يعقوب؛ وقوله: (هشام) بن عمار يروي عن ابن عامر رضي الله عنه.

قوله: (والنافلة) أي ولد الولد. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (لأنها بمعنى الاستقبال) واسم الفاعل يعمل إذا كان للاستقبال، فيكون ﴿مُهْلِكُوٓاْ﴾ مضافًا إلى معموله، فتكون إضافته لفظية. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (فيكون مجازًا) باعتبار الزمان حيث عبّر عن المستقبل بلفظ الحال. اهـ قنوي. **قوله**: (سدوم) بفتح السين ودالها معجمة ومهملة. **قوله**: (التي قيل فيها أجور من قاضي سدوم)، قيل: كانوا يجلسون على الطرق وعند كل واحد قصعة فيها حصى، فمن مرّ بهم خذفوه، فمن أصابه منهم فهو أحقّ به، فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاضٍ يقضي بينهم بذلك، ومنه قولهم: هو أجور من قاضي سدوم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

(﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ يعقوب وكوفي غير عاصم) ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. ثم أخبر عن مسير الملائكة إلى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم بقوله:

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ ساءه مجيئهم و(﴿أَن﴾ صلة) أكدت وجود الفعلين مرتبًا أحدهما على الآخر كأنهما وُجِدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل: كما أحسَّ بمجيئهم فاجأته المساءة من غير (ريث) خيفة عليهم من قومهم أن يتناولوهم بالفجور (﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ مدني) و(شامي وعلي) ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضاق (بشأنهم) وبتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته، وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن فَقْد الطاقة كما قالوا: «رحب الذراع» إذا كان مُطيقًا، والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلًا في العجز والقدرة وهو نصب على التمييز ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ (وبالتخفيف: مكي وكوفي غير حفص) ﴿وَأَهْلَكَ﴾ (الكاف في محل الجرّ) ونصب ﴿أَهْلَكَ﴾ بفعل محذوف أي وننجي أهلك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

قوله: (﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾) بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم (يعقوب وكوفي غير عاصم) .أي حمزة والكسائي وخلف، والباقون بفتحها وتشديد الجيم.

قوله: (﴿أَن﴾ صلة) أي زائدة. **قوله**: (ريث) في المصباح: راث ريثًا من باب باع أبطأ. **قوله**: (﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾) بإشمام كسرة السين الضمّ (مدني) أي نافع المدني، وأبو جعفر المدني وليس من السبعة، (شامي) أي ابن عامر الشامي، (وعليّ) الكسائي. **قوله**: (بشأنهم) . . الخ إشارة إلى أن فيه مضافًا مقدّرًا. **قوله**: (وبالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الجيم (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وكوفي غير حفص) أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بفتح النون وتشديد الجيم. **قوله**: (الكاف في محل الجرّ) على المختار بإضافة اسم الفاعل إليه، ولذا حُذِفت النون وهذا عند سيبويه رحمه الله، وذهب الأخفش رحمه الله إلى أن الكاف في موضع النصب.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ (﴿منَزّلون﴾ شامي) ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ (بفسقهم) وخروجهم عن طاعة الله ورسوله ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾ من القرية ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ هي آثار منازلهم الخربة. وقيل: الماء الأسود على وجه الأرض ﴿لِّقَوْمٍ﴾ (يتعلق بـ ﴿تَّرَكْنَا﴾ أو بـ ﴿بَيِّنَةً﴾) ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إلى مدين ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ وافعلوا ما ترجون به الثواب في العاقبة أو خافوه ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قاصدين الفساد ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة أو صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب رجفت بها ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ﴾ في بلدهم وأرضهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ (باركين) على الرُّكب ميتين.

قوله: (﴿منَزّلون﴾) بفتح النون وتشديد الزاي (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بإسكان النون وتخفيف الزاي. **قوله**: (**بفسقهم**) إشارة إلى أن ﴿ما﴾ مصدرية، والمراد فسقهم المعهود؛ لأن ما المصدرية موصولة، فتفيد العهد في الجملة، وكان لا سيما إذا دخلت على المضارع تفيد الاستمرار، وهذا من الإضافة التقديرية. اهـ شهاب. **قوله**: (**يتعلق بـ** ﴿تَرَكْنَا﴾ أو بـ ﴿بَيِّنَةً﴾)، والمراد بالتعلّق ما يعمّ النحوي والمعنوي، والأظهر تعلّقه ببيِّنة. اهـ شهاب.

قوله: (باركين) بالباء الموحدة من البروك وهو الجثو على الركب، والمراد ميّتين مجازًا. اهـ شهاب.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَعَادًا﴾ منصوب بإضمار «أهلكنا» لأن قوله ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك (﴿وَثَمُودَاْ﴾ حمزة وحفص وسهل ويعقوب) ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ذلك يعني ما وصفه من إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها، وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ السبيل الذي أمروا بسلوكه هو الإيمان بالله ورسله ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ عقلاء متمكّنين من النظر وتمييز الحق من الباطل ولكنهم لم يفعلوا ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ أي وأهلكناهم ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ فيه ردٌّ على مَن يجوّز العقوبة بغير ذنب ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ هي ريح عاصف (فيها حصباء) وهي لقوم لوط ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ هي لمَدين وثمود ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني قارون ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ ليعاقبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفر والطغيان.

قوله: (﴿وَثَمُودَاْ﴾) بحذف وتنوين الدال والألف الذي بعده وصلًا ووقفًا (حمزة وحفص وسهل ويعقوب)، وليسا من السبعة، والباقون بتنوينه وصلًا وفي الوقف بالألف.

قوله: (فيها حصباء) الحَصْباء بالمدّ الحصىٰ. اهـ مختار الصحاح.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي آلهة يعني مثل مَن أشرك بالله الأوثان في الضعف وسوء الاختيار ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ أي كمثل العنكبوت فيما تتخذه لنفسها من بيت فإن ذلك بيت لا يدفع عنها الحَرّ والبرد ولا يَقِي ما تَقِي البيوت، فكذلك الأوثان لا تنفعهم في الدنيا والآخرة، جعل **(حاتم)** ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾ حالًا ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا بيت أوهن من بيتها. **(عن عليّ رضي الله تعالى عنه: طهِّروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه يُورث الفقر)** ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. وقيل: معنى الآية مثل الشِّرك الذي يعبد الوَثَن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتًا بالإضافة إلى رجل يبني بيتًا (آجر) و(جِصّ) أو

قوله: (حاتم) اسم رجل من النحاة، قاله المحشي. **قوله**: **(عن عليّ رضي الله تعالى عنه: طهّروا بيوتكم من نسج العنكبوت، فإن تركه يورث الفقر)** رواه الثعلبي، وفي الدرّ المنثور أخرج أبو داود في مراسيله عن يزيد بن مرثد قال: قال رسول الله ﷺ: «**العنكبوت شيطان مسخها الله، فمن وجدها فليقتلها**». اهـ. أي ندبًا، قال المناوي: يعارضه خبر: «**جزى الله العنكبوت عنّا خيرًا، فإنها نسجت عليّ في الغار**».

قلت: وكذا يعارضه الخبر الذي أخرجه الخطيب عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت أنا وأبو بكر الغار، فاجتمعت العنكبوت فنسجت بالباب فلا يقتلوهن**»، قال المناوي وقد يقال هذا في عنكبوت خاصّ. **قوله**: (آجر) في المصباح: الآجرّ اللبن إذا طبخ بمدّ الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف الواحدة آجرّة، وهو معرب. اهـ. **قوله**: (جصّ) في شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس: (الجصّ) بالفتح (ويكسر) وهو الأفصح كما في شروح الفصيح. قلت: وأنكر ابن دريد الفتح، وقال ابن السكّيت: ولا يقال بالكسر (معروف) وقد خالف هُنا اصطلاحه من ذكر إشارة الميم، وقال الجوهري: هو الذي يبنى به، قال: وهو (معرب) أي لأن الجيم والصاد لا

(ينحته) من صخر، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتًا بيتًا بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينًا دينًا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون. وقال الزَّجَّاج: في جماعة تقدير الآية: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ﴾ (**بالياء التحتية: بصري وعاصم، وبالتاء: غيرهما غير الأعشى والبرجمي**). و«ما» بمعنى «الذي» وهو مفعول ﴿يَعۡلَمُ﴾ ومفعول ﴿يَدۡعُونَ﴾ مضمر أي يدعونه يعني يعبدونه ﴿مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٍ﴾ «من» في ﴿مِن شَيۡءٍ﴾ للتبيين ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا شريك له ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في ترك المُعاجلة بالعقوبة، وفيه تجهيل لهم حيث عبدوا جمادًا لا علم له ولا قدرة وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل كل شيء إلا بحكمة وتدبير. ﴿وَتِلۡكَ (ٱلۡأَمۡثَٰلُ)﴾ الأمثال نعت (**والخبر** ﴿نَضۡرِبُهَا﴾) نبيِّنها ﴿لِلنَّاسِ﴾

يجتمعان في كلمة عربية، قيل: فارسية الجصّ كج بالكاف العربية والجيم، وقيل: بالكاف الفارسية، وقال اللّيث: لغة أهل الحجاز في الجصّ القَص. اهـ باختصار. **قوله**: (ينحته) في المصباح: نحت بيتًا في الجبل نحتًا من باب ضرب ومن باب نفع، ولها قرأ الحسن: ونحت الخشبة أيضًا نحتًا نجرها، والآلة المنحات بالكسر، وهي القدوم. وفي مختار الصحاح: نَحَتَ القلم بَرَاهُ وبابه ضرب وقطع أيضًا، نقله الأزهري. اهـ.

قوله: (**بالياء التحتية: بصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة (**وعاصم، وبالتاء: غيرهما غير الأعشى**) هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم (**والبرجمي**) بضمّ الباء وسكون الراء وضم الجيم هو عبد الحميد بن صالح عن أبي بكر عن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (﴿ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾) نعت أي صفة أو بدل أو عطف بيان. **قوله**: (**والخبر** ﴿نَضۡرِبُهَا﴾) ويجوز أن يكون ﴿ٱلۡأَمۡثَٰلُ﴾ خبرًا و﴿نَضۡرِبُهَا﴾ حالًا.

كان سفهاء قريش وجَهَلَتهم يقولون: إن ربّ محمد يضرب المثل بالذُّباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك، فلذلك قال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ به وبأسمائه وصفاته (**أي لا يعقل صحتها**) وحُسنها ولا يفهم فائدتها إلا هم، لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصوّرها للأفهام كما صوَّر هذا التشبيه الفرق بين حال المُشرِك وحال المُوَحِّد. (**وعن النبي ﷺ**) أنه تلا هذه الآية فقال: «العالِم مَن (**عقل**) عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» ودلَّت الآية على فضل العلم على العقل.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ (**أي مُحِقًّا**) يعني لم يخلقهما باطلًا بل لحِكمة وهي أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمُعتَبِرين منهم ودلائل على عِظَم قدرته، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ وخصَّهم بالذِّكر لانتفاعهم بها ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ تقرّبًا إلى الله تعالى بقراءة كلامه ولتقف على ما أمر به ونهى عنه ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي دُم على إقامة الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ الفعلة القبيحة كالزّنا مثلًا ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ هو ما ينكره الشَّرع والعقل. قيل: مَن كان مُراعيًا للصلاة جرَّه ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يومًا ما فُقِد رُوِي أنه قيل يومًا لرسول الله ﷺ: إن فلانًا يصلي بالنهار

قوله: (**أي لا يعقل صحتها**) وحسنها إشارة إلى أنه على تقدير مضاف.
قوله: (**وعن النبيّ ﷺ**).. الخ. قال ابن الجوزي رحمه الله: إنه موضوع، لكن ابن حجر تعقّبه بأنه أخرجه بعض المحدثين عن جابر رضي الله تعالى عنه، ونحوه حديث: «الكيّس مَنْ دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت»، والمراد بالعالم فيه الكامل في صفة العلم والحقيق بأن يسمّى عالمًا. اهـ شهاب. **قوله**: (**عقل**) من باب ضرب.

قوله: (**أي مُحِقًّا**) فالباء للملابسة، والجار والمجرور حال.

ويسرق بالليل. فقال: «إن صلاته **(لتردعه)**». رُوِيَ أن فتًى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئًا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال: «إن صلاته ستنهاه» فلم يلبث أن تاب. **(وقال ابن عوف)**: إن الصلاة تنهى إذا كنت فيها فأنت في معروف وطاعة وقد **(حجزتك)** عن الفحشاء والمنكر. وعن الحسن: مَن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وَبالٌ عليه ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ أي والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وإنما قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ ليستَقِل بالتعليل كأنه قال: والصلاة أكبر لأنها ذِكر الله. وعن **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. وقال ابن عطاء: ذكر الله لكم أكبر من ذِكركم له الآن، لأن ذكره بلا علَّة وذكركم **(مشوب)** بالعِلَل والأماني، ولأن ذِكره لا يفنى وذِكركم لا يبقى. وقال **(سلمان)**: ذِكر الله أكبر من

قوله: (لتردعه) في مختار الصحاح: ردعه من الشيء فارتفع أي كفّه فكفّ[1]، وبابه قطع.اهـ. **قوله**: **(وقال ابن عوف)**... الخ. عبارة تفسير ابن كثير، وقال ابن عون الأنصاري: إذا كنت في صلاة فأنت في معروف، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذِكر الله أكبر.اهـ. وفي الدرّ المنثور: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عون الأنصاري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ الآية، قال: إذا كنت في صلاة كنت في معروف وقد حجزتك الصلاة عن الفحشاء والمنكر، والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر.اهـ. **قوله**: (حَجَزتك) في مختار الصحاح: حجزه منعه فانحجز، وبابه قطع.اهـ. **قوله**: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي المكي ابن عمّ رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حبر الأمّة والبحر لكثرة علمه، رُوي له عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين، توفي بالطائف سنة ثمان وستّين، ومناقبه كثيرة مشهورة. **قوله**: (مشوب) الشَّوْب الخلط، وبابه قال. **قوله**: (سلمان) الفارسي الصحابي أوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف عن مشهد بعدها، وكان من فُضلاء الصحابة

---

(١) وهو يتعدى ويلزم.اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: وهو يتعدى ولا يتعدى.اهـ. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

كل شيء وأفضل فقد قال عليه السلام: («ألا أُنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «ذِكر الله»).

وزهّادهم وعُلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتّفاق العلماء على أن سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وحي عيسى ابن مريم، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة، توفي بالمدائن في أوّل سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**ألا أُنبئكم**) أي ألا أخبركم (**بخير أعمالكم**) أي أفضلها، (**وأزكاها**) أي أنماها وأنقاها (**عند مليككم**) أي في حكم ربِّكم (**وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن تلقوا عدوّكم**) أي خيرٌ من بذل الأموال والأنفس في سبيل الله بأن تجاهدوا الكفار (**فتضربوا أعناقهم**) أي أعناق بعضهم، (**ويضربوا**) أي بعضهم (**أعناقكم**)، وهذا تصوير لا على مراتب المجاهدة (**قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله**) قال ابن الملك: المراد الذِّكر القلبي، فإنه هو الذي له المنزلة الزائدة على بذل الأموال والأنفس؛ لأنه عمل نفسيّ وفعل القلب الذي هو أشقّ من عمل الجوارح، بل هو الجهاد الأكبر لا الذِّكر باللسان المشتمل على صياح وانزعاج وشدّة تحريك العنق واعوجاج كما يفعله بعض الناس زاعمين أن ذلك جالب الحضور وموجب السرور حاشْ لله، بل سبب الغيبة والغرور، انتهى.

(ولا شكّ) أن الذِّكر يُطلق على الجناني واللّساني وأن المدار على القلب الذي ينقلب بسبب ذكر المذكور من الغيبة إلى الحضور، وإنما اللفظي وسيلة ولحصول الوصول وصيلة، واختلف المشائخ في أيّهما أفضل بالنسبة إلى المبتدي، وإن كان ينتهي المنتهى أيضًا إلى الذِّكر القلبي. وأما الأُمور البدعية والأغراض الدنيوية، فخارجة عن الأنواع الذكرية، ولا رَيْب أن الجمع بينهما أكمل وفي تحصيل المثوبة أفضل، والظاهر أنه المراد هنا لأن المجاهد المذكور والقاتل الشكور لا يخل عن الذِّكر القلبي، اللّهمّ إلّا أن يقال: المراد أن ذكره القلبي الذي هو الجهاد الباطني أفضل من مضاربته الذي هو الجهاد الظاهري، فيكون الحديث نظير قوله عليه السلام: «لو أن رجلًا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر كان ذكر

وسُئِل أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: («أن تُفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله»). أو ذِكر الله أكبر من أن (تحويه) أفهامكم وعقولكم، أو ذِكر الله أكبر من تلقى معه معصية، أو ذِكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والطاعة فيُثيبكم أحسن الثواب.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن للثواب وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب (بالكظم) كما قال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: الآية ٩٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا (النصح) ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة. وقيل: إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ، أو إلا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة، أو معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذِّمَّة المؤدِّين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذِّمَّة ومنعوا الجزية فمجادلتهم بالسيف. والآية تدل على جواز المناظرة مع الكَفَرَة في الدين، وعلى جواز تعلّم علم الكلام الذي به تتحقق المجادلة، وقوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ

الله أفضل»؛ كما رواه الطبراني عن أبي موسى ﷺ .اهـ مرقاة. **قوله:** (أن نفارق الدنيا ولسانك) الواو للحالية (رطب) أي قريب العهد أو متحرك طريّ (بذكر الله) والذِّكر يشمل الجليّ والخفيّ، واللّسان يحتمل القلبي والقالبي، ولا منع من الجمع، بل هو أدعى إلى مقام الجمع، وفيه الإشارة إلى أن أفضل الأعمال ما يُختم به الأحوال. قال الطيبي: رطوبة اللّسان عبارة عن سهولة جريانه بالمداومة، فكأنه قيل: أفضل الأعمال مداومة الذِّكر، فإنّ الذِّكر هو المقصود وسائر الأعمال وسائل إليه. **قوله:** (تحويه) في المصباح: حَوَيْت الشيء أحْويه حواية واحتويت عليه إذا ضممته واستوليت عليه فهو محويّ وأصله مفعول واحتويته كذلك.

قوله: (بالكظم) أي إخفاء الغيظ وتحمله، في مختار الصحاح: كظم غيظه اجترعه وبابه ضرب، فهو رجل كظيم، والغيظ مكظوم.اهـ. **قوله:** (النصح) بالضم.

﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ من جنس المجادلة بالأحسن. (وقال عليه السلام): «ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلًا لم تصدقوهم وإن كان حقًّا لم تكذبوهم».

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (ومثل ذلك الإنزال) ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي أنزلناه مصدقًا لسائر الكتب السماوية، أو كما أنزلنا الكتاب إلى مَن قبلك أنزلنا إليك الكتاب ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ هم (عبد الله بن سلام) ومَن معه ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي من أهل مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ﴾ أو أراد بالذين أُوتوا الكتاب الذين تقدّموا عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب ومن هؤلاء الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها وزوال الشُّبهة عنها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إلا (المتوغلون) في الكفر

قوله: (وقال عليه السلام)... الخ. هو بيان، لكن القول المذكور مجادلة؛ لأنه كناية عن أنا لا نصدّق نقلكم ما لم نعلم به، والتكذيب والتصديق ليسا بنقيضين، فيجوز ارتفاعهما كما في حال السكوت، والحديث المذكور صحيح، وأصله مرويّ في البخاري.

قوله: (ومثل ذلك الإنزال) ﴿أَنزَلۡنَآ﴾ يريد أن ذلك إشارة إلى ما بعد اسم الإشارة، وهو الإنزال الذي يدلّ عليه ﴿أَنزَلۡنَآ﴾ والمراد به إنزال قوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾، والكاف في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كلفظ المثل في قولك: مثلك لا يبخل، أي مثل ذلك الإنزال العجيب الشأن الداعي إلى الإيمان بجميع الكتب المنزلة، وإلى التوحيد أنزلناه. **قوله**: (عبد الله بن سلام) ـ بتخفيف اللام ـ ابن الحارث الإسرائيلي الأنصاري ثم الخزرجي الصحابي كنيته أبو يوسف، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بآخر، توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (المتوغّلون) بمعنى البالغين، وأصل معنى التوغّل الدخول. اهـ شهاب. وفي

(المُصَمِّمون) عليه (ككعب بن الأشرف وأضرابه) ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن ﴿مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ خصَّ اليمين لأن الكتابة غالبًا تكون باليمين أي ما كنت قرأت كتابًا من الكتب ولا كنت كاتبًا ﴿إِذًا﴾ أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة ومن الخط ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجد نعته في كتبنا أُمّيّ لا يكتب ولا يقرأ وليس به، أو لارتاب مُشرِكوا مكة وقالوا: لعله تعلَّمه أو كتبه بيده. وسمّاهم مُبطِلين لإنكارهم نبوّته. وعن (مجاهد والشعبي: ما مات النبي ﷺ حتى كتب وقرأ):

المصباح: وغل في الشيء وغلًا ووغولًا دخل. اهـ. وأيضًا فيه: توغّل أمعن وأسرع. اهـ. **قوله**: (المصمّمون) في المصباح: صَمم في الأمر بالتشديد مضى فيه. اهـ.

قوله: (ككعب بن الأشرف) من علماء اليهود. **قوله**: (وأضرابه) بمعنى أمثاله. **قوله**: (مجاهد) بن جَبْر الإمام المشهور، وهو تابعي إمام متّفقٌ على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث مناقبه كثيرة مشهورة. **قوله**: (والشعبي) أبو عمرو عامر بن شراحيل، وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، ويقال: إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، توفي بالكوفة سنة أربع، وقيل: ثلاث، وقيل: ستّ، وقيل: سبع، وقيل: خمس ومائة. وشراحيل: بفتح الشين المعجمة والراء وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها لام. والشعبي: بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة، هذه النسبة إلى شعب، وهو بطن من همدان.

قوله: (ما مات النبيّ ﷺ حتى كتب وقرأ)، قال ابن حجر في تخريج الرافعي: قال البغوي في التهذيب: هل كان النبيّ ﷺ يُحسن الخطّ ولا يكتب ويُحسن الشعر ولا يقوله؟ الأصح أنه كان لا يُحسنهما، ولكن كان يميّز بين جيّد الشعر ورديئه، وادّعى بعضهم أنه ﷺ صار يَعْلَم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها، وعدم معرفته بسبب المعجزة لهذه الآية، فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمن الارتياب تعرّف الكتابة حينئذ، وروى ابن أبي شيبة وغيره:

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي في صدور العلماء به و(**حفاظه**) وهما من خصائص القرآن كون آياته بيّنات الإعجاز وكونه محفوظًا في الصدور بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تُقرَأ إلا من المصاحف ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الواضحة ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (**أي المتوغلون**) في الظلم.

ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ، ونقل هذا للشعبي فصدّقه، وقال: سمعت أقوامًا يذكرونه وليس في الآية ما يُنافيه، وروى ابن ماجة عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أُسري بي مكتوبًا على باب الجنّة: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر»، والقدرة على القراءة فرع الكتابة. ورد باحتمال إقدار الله له عليها بكونها معجزة أو فيه مقدّر، وهو: فسألت عن المكتوب فقيل... إلى آخره، ويشهد للكتابة أحاديث في البخاري وغيره، كما ورد في صلح الحديبية أنه ﷺ كتب ولم يكن يُحسن الكتابة، وممّن ذهب إليه أبو ذرّ الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وصنّف فيه كتابًا؛ وممّن سبق إليه ابن منبه، ولمّا قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورُمِيَ بالزندقة وسُبّ على المنابر، ثم عُقِد له مجلس فأقام الحجّة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف، فأجابوا بما يوافقه، ومعرفة الكتابة بعد أُمّيّته لا تنافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم، وردّ الإمام أحمد بن منذر كتاب الباجي لِمَا في الحديث الصحيح: «إنّا أُمّة أُمّيّة لا نكتب ولا نحسب»، وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله: اكتب فمعناه أمر بالكتابة. اهـ شهاب.

قوله: (حفّاظه) الحفّاظ جمع حافظ، في المصباح: جمع الحافظ حفظة وحفاظ مثل كافر في جميعه، وحفظ القرآن إذا وعاه على ظهر قلبه. اهـ. **قوله**: (أي المتوغلون) بمعنى البالغين.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (﴿ءَايَةٌ﴾ **بغير ألف: مكّي وكوفي غير حفص**). أرادوا هلا أنزل عليه آيات مثل الناقة والعصا ومائدة عيسى عليهم السلام ونحو ذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزل أيتها شاء ولست أملك شيئًا منها ﴿وَإِنَّمَا أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ كلفت الإنذار وإبانته بما أُعطِيت من الآيات وليس لي أن أقول أُنزل عليَّ آية كذا دون آية كذا مع علمي أن المراد من الآيات ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي أو لم يكفهم آية مُغنيَة عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنِّتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول كما تزول كل آية بعد كونها، أو تكون في مكان دون مكان ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر ﴿لَرَحْمَةً﴾ (**لنعمة عظيمة**) ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ دون المتعنِّتين.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أي شاهدًا بصدق ما أدّعيه من الرسالة وأنزل القرآن عليَّ وبتكذيبكم ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو مُطَّلع على

قوله: (﴿ءَايَةٌ﴾ بغير ألف) بالتوحيد على إرادة الجنس (مكي) أي ابن كثير المكي (وكوفي غير حفص) أي أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف والباقون بالجمع.

قوله: (لنعمة) تفسير للرحمة (عظيمة) من تنوينها.

أمري وأمركم وعالِم بحقي وباطلكم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِالْبَٰطِلِ﴾ منكم وهو من يعبدون من دون الله ﴿وَكَفَرُوا۟ بِاللَّهِ﴾ وآياته ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ (هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ المغبونون في صفقتهم) حيث اشتروا الكفر بالإيمان (إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾) [سبأ: الآية ٢٤]. ورُوِيَ

قوله: (﴿هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ **المغبونون في صفقتهم**) إشارة إلى أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِالْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِاللَّهِ﴾ استعارة كناية بأن شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة. **وقوله**: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾) استعارة تخييلية قرينة للمكنية، وقوله: (**صفقتهم**) في المصباح: صفقته على رأسه صفقًا من باب ضرب ضربة باليد وصفقت له بالبيعة صفقًا أيضًا ضربت بيدي على يده، وكانت العرب إذا وجب البيع ضرب أحدهما يده على يد صاحبه ثم استعملت الصفقة على العقد، فقيل: بارك الله لك في صفقة يمينك، قال الأزهر: وتكون الصفقة للبائع والمشتري. اهـ. **قوله**: (**إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف**) لعدم التصريح بأنه على الحقّ وهم على الباطل، أي على أسلوب الاستدراج والكلام المصنّف، وذلك أن قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِالْبَٰطِلِ﴾ الآية، كلام فيه وعيد شديد وتهديد عظيم، لكن لم يكافح من خوطب بل جيء به عامًّا وعلى الغيبة، ولم يصرح بما كان منهم من الجحد والتكذيب لما جاء به ليتفكروا فيه وينظروا هل هم من الجاحدين للحقّ أو من المنصفين أو من الذين آمنوا بالله وكفروا بالطاغوت أو خلافه أو كانوا مُبطلين أو محقّين، فحينئذ ينصفون من أنفسهم فيذعنوا للحقّ. اهـ محشي. **قوله**: (كقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾) قال المصنف رحمة الله عليه في سورة سبأ: ﴿**وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾، ومعناه: وأن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من كلام المصنّف الذي كل من سمعه من مُوال أو مُناف قال لمن خُوطب به قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقدم ما قُدِّم من التقرير دلالة غير خفيّة على مَنْ هو من الفريقين على الهدى، ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض أوصل بالمجادل إلى الغرض، ونحوه قولك لكاذب: إن أَحَدَنا لكاذب. اهـ. وعبارة تفسير البيضاوي وهو بعدما تقدّم من التقرير

أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا: يا محمد مَن يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ بقولهم: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] الآية. ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (وهو) يوم القيامة أو يوم بدر أو وقت فنائهم بآجالهم، والمعنى ولولا أجل قد سمّاه الله وبيَّنه في اللوح لعذّبهم والحكمة تقتضي تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ العذاب عاجلًا أو ليأتينّهم العذاب في الأجَل المسمَّى ﴿بَغْتَةً﴾ (فجاءة) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (أي ستحيط بهم) ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لقوله تعالى: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ

البليغ الدالّ على مَنْ هو على الهدى ومَنْ هو في الضلال أبلغ من التصريح؛ لأنه في صورة الإنصاف المُسكت للخصم المشاغب. اهـ.

قوله: (وهو)، أي إيراد الكلام على وجه الإبهام مع كون الهادي والضالّ متعيّنين. وقوله: (لأنه في صورة الإنصاف الأُولى) ترك الصورة لأنه غاية الإنصاف المسكت، وفي نسخة: المبكت، بمعنى المسكت للخصم لعدم تصريح مَنْ هو ضالّ وهادٍ، فكل مَنْ سمع مثل هذا الكلام يقول: قد أنصفك صاحبك فينقطع حجّة الخصم، فلا مجال له للمنافسة والمناقشة فيسكت الخصم، ونسبة الإسكات إلى الإنصاف مجازية. اهـ قنوي. والمشاغبة بالغين المعجمة من الشغب، وهو الخصام وتهييج الشرّ، وهذا من فنون البلاغة يسمّى الكلام المنصف. اهـ شهاب.
قوله: (فُجاءة) بالضم والمدّ، وفي لغة وزان تمرة. اهـ مصباح.

قوله: (أي ستحيط بهم) يعني أن اسم الفاعل بمعنى الاستقبال، لكن جيء بالجملة الاسمية مؤكّدة بأن ولام الابتداء للإيذان بأن وعد الله ووعيده كالمتحقّق في

وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: الآية ١٦]. ولا وقف على ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ لأن ﴿يَوْمَ﴾ ظرف إحاطة النار بهم ﴿وَيَقُولُ﴾ (بالياء: كوفي ونافع)، وقوله: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي جزاء أعمالكم.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿يَا عِبَادِيَ﴾ (وبسكون الياء: بصري وكوفي غير عاصم) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ (وبفتح الياء: شامي) يعني أن المؤمن إذا لم يتسهّل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمشَ له أمر دينه فليهاجر عنه إلى بلد يقدّر أنه فيه أسلم قلبًا أَصَحُّ دينًا وأكثر عبادة، (والبقاع) تتفاوت في ذلك تفاوتًا كثيرًا. وقالوا: لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحثّ على القناعة وأطرَد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للأمر الديني من مكة حرسها الله تعالى. وعن (سهل): إذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها إلى أرض المُطيعين. (وعن رسول الله ﷺ) «مَن

الحال لتحقّق وقوعه البتّة، ويحتمل أن يكون اسم الفاعل بمعنى الحال، ويكون المعنى أن جهنم لمحيطة بهم في الدنيا باعتبار أن أسباب إحاطتها من الكفر والمعاصي محيطة بهم في الحال، فنزل المسبّب أيضًا منزلة الواقع في الحال. **قوله:** (بالياء) من تحت (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (ونافع) المدني، والباقون بالنون للعظمة.

قوله: (وبسكون الياء: بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل البصري ويعقوب البصري (وكوفي غير عاصم) أي حمزة وعليّ الكسائي وخلف، والباقون بفتح الياء. **قوله:** (وبفتح الياء: شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالإسكان. **قوله:** (والبِقاع) في المصباح: البقعة من الأرض القطعة منها وتُضمّ الباء في الأكثر، فتجمع على بقع مثل غرفة وغرف وتُفتح فتجمع على بقاع مثل كلبة وكلاب. اهـ.

قوله: (سهل) بن عبد الله التستري، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين رحمه الله. **قوله:** (وعن رسول الله ﷺ)... الخ. عبارة

(فرّ بدينه) من أرض إلى أرض وإن كان شبرًا من الأرض (استوجب الجنة») ﴿فَإِيَّىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (وبالياء: يعقوب. وتقديره) فإياي اعبدوا فاعبدوني. وجيء بالفاء في ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ لأنه جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تُخلِصوا العبادة لي في أرض فأخلِصوها في غيرها، ثم حذف الشرط وعوِّض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص، ثم (شجع) المهاجر بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ أي واجِدة مرارته وكربه كما يجد، الذائق طعم المَذوق لأنها إذا تيقَّنت بالموت سهّل عليها مَفارق وطنها ﴿ثُمَّ

الخطيب: روى الثعلبي عن الحسن البصري مرسلًا: «من فرّ بدينه من أرضٍ إلى أرض ولو كان شبرًا استوجب الجنّة، وكان رفيق إبراهيم ومحمّد صلوات الله وسلامه عليهما»، انتهت. وقوله: (فرّ بدينه) فيه مبالغة، ولذا لم يجئ من هاجر، والباء للسببية أو للملابسة وجوّز فيها أن تكون للتعدية وهو بعيد.

وقوله: (استوجب الجنة) أي استحقّ الجنّة كالواجب بمقتضى الوعد، وقوله: (وكان رفيق إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما) وهذا كناية عن علوّ درجته وليس ظاهره بمراد، وقوله: (رفيق إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما) خصّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه هاجر من كُوثىٰ إلى الشام فرارًا بدينه، حيث قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ [العَنكبوت: الآية ٢٦] ومحمد سيد المرسلين هاجر إلى المدينة حيث تعذّر عليه رعاية ما أمر به في أمر الدِّين وأمر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله، وكذلك يجب على كل مَنْ كان في بلدة تعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يمكنه أن يعبد الله فيه حقّ عبادته. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (وبالياء) في الحالين (يعقوب). **قوله:** (وتقديره) ﴿فإياي﴾ فاعبدوا ﴿فاعبدوني﴾، يريد أن إياي لا يجوز أن يكون معمولًا لهذا المذكور؛ لأنه اشتغل عنه بضمير يوجب تقدير مفسّر، وهو قوله: فاعبدوا، وهو العامل في ﴿فإياي﴾، والفاء الأُولى جواب شرط محذوف والثانية كذلك لكن أنيب مَنابه تقديم المفعول والثالثة هو الداخلة على المفسّر، المعنى: يا عبادي إن أرضي واسعة، وإذا كان كذلك فأخلصوا العبادة أينما كنتم، فإن لم يتمكّنوا على الإخلاص فأخلصوها في أرضٍ يتمكّنون فيها عليه. اهـ محشي. **قوله:** (شجع) دلير گردانيد.

﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت للثواب والعقاب (﴿يُرْجَعُونَ﴾ يحيى ﴿تَرْجِعُونَ﴾ يعقوب).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ لننزلنّهم من الجنة (علالي. ﴿لنثوينهم﴾ كوفي غير عاصم) من الثواء وهو النزول للإقامة، و(ثوى) غير مُتَعَدٍّ فإذا تعدّى بزيادة الهمزة لم يجاوز مفعولًا واحدًا. والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف، إما إجراؤه مجرى لننزلنّهم أو لنؤينّهم، أو حذف الجار وإيصال الفعل، (أو تشبيه الظرف المؤقّت بالمُبهم) ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ ويُوقَف على ﴿الْعَمِلِينَ﴾ على أن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين صبروا على مُفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المِحَن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي، والوصل أجود ليكون ﴿الَّذِينَ﴾ نعتًا لـ ﴿الْعَمِلِينَ﴾ ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ولم يتوكلوا في جميع ذلك

قوله: (﴿يُرْجَعُونَ﴾) بالياء التحتية (**يحيى**) بن آدم القريشي عن أبي بكر عن عاصم رحمه الله، والباقون بالتاء الفوقية: (﴿تُرْجَعُونَ﴾) بالبناء للفاعل (**يعقوب**).

قوله: (**عَلالي**) تفسير لغرفًا وهو جمع عِلّية بكسر العين، وقد تُضم وأصلها عليوة فأعلّت الإعلال المعروف ومعناه القصر، وعَلالي بالتشديد الياء وقد تخفّف. **قوله**: («**لنثوينهم**») بمثلثة ساكنة بعد النون الأُولى وياء مفتوحة بعد الواو المخفّفة (**كوفي غير عاصم**) أي حمزة والكسائي وخلف، والباقون بموحدة مفتوحة بعد النون الأُولى وتشديد الواو وهمزة مفتوحة بعدها. **قوله**: (**ثوى**) من باب رمى. **قوله**: (**أو تشبيه الظرف المؤقت**) أي المعيّن المحدود من المكان كالدار والغرفة (**بالمبهم**) منه والفعل لا ينصب المعيّن المحدود من المكان على الظرفية، فلا يتعلّق به إلا بواسطة الجار بخلاف المبهم، فإذا نصب المحدود وجب أن يصار إلى حذف الجار وإلى التشبيه فأجري هنا مجرى المبهم توسّعًا كما في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦] أي بإسقاط الخافض اتّساعًا أي في غرف.

إلا على الله، ولما أمر رسول الله ﷺ مَن أسلم من مكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فنزلت:

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾ (أي وكم) من دابة (﴿وكائن﴾ بالمدّ والهمزة مكي) والدابة كل نفس دبَّت على وجه الأرض (عقلت) أم لم تعقل ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي لا يرزق تلك الدّواب (الضّعاف) إلا الله، ولا يرزقكم أيضًا أيها الأقوياء إلا هو، وإن كنتم مُطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدّركم ولم يقدِّر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل. وعن الحسن: لا تحمل رزقها لا تدَّخره إنما تصبح فيرزقها الله. و(قيل): لا يدَّخر شيء من الحيوان قوتًا إلا ابن آدم و(الفأرة والنملة) ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم نخشى الفقر و(العَيْلة) ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في ضمائركم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين مَن خلق السمٰوات والأرض على (كبرهما) وسعتهما، ومَن الذي سخر الشمس والقمر ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كله! ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ أي لمن يشاء

قوله: (أي وكم) أي وكأيِّن بمعنى كم للتكثير. **قوله**: («وكائن» بالمدّ والهمزة) بوزن ماء (مكّي) أي ابن كثير المكي، والباقون بهمزة مفتوحة بعد الكاف بعدها تحتية مشدّدة. **قوله**: (عقلت) من باب ضرب. **قوله**: (الضّعاف) جمع ضعيف. **قوله**: (قيل)... الخ. قائله سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (الفأرة) تُهمز ولا تُهمز وتقع على الذّكر والأُنثى والجمع فأر مثل تمرة وتمر. اهـ مصباح. **قوله**: (والنملة) في لسان العرب وغيره: النمل معروف، الواحدة نملة. اهـ. **قوله**: (العَيْلة) الفقر.

قوله: (كبرهما) الكِبْر ـ بالكسر ـ العظمة. اهـ مختار الصحاح.

فوضع الضمير موضع ﴿مَن يَشَآءُ﴾ لأن ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مُبهم غير معين فكان الضمير مبهمًا مثله. (قدّر) الرزق و(قتره) بمعنى إذا ضيقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم. (في الحديث) «إن من عبادي مَن لا يصلح إيمانه إلا الغِنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي مَن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك».

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي هم مُقِرّون بذلك ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إنزاله الماء لإحياء الأرض أو على أنه ممَّن أقرَّ بنحو ما أقرّوا به نفعه ذلك في توحيد الله ونفى الشركاء عنه ولم يكن إقرارًا عاطلًا كإقرار المشركين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا يتدبرون بما فيهم من العقول فيما نُريهم من الآيات ونُقيم عليهم من (الدلالات)، أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ أي وما هي لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرّقون، وفيه (ازدراء) بالدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا يصغرها وهي (لا تزن) عنده جناح بعوضة! (واللهو) ما يتلذذ به

قوله: (قدر) من باب ضرب ونصر. **قوله**: (قتره) من باب ضرب ودخل. **قوله**: (في الحديث) القدسي.

قوله: (الدلالات) جمع دلالة بكسر الدال، وهو كون الشيء بحالة يلزم من العِلم به العلم بشيءٍ آخر، والشيء الأوّل هو الدال والثاني هو المدلول.

قوله: (ازدراء) أي تحقير، في مختار الصحاح: ازدراه أي حقره. اهـ. **قوله**: (لا تزن)... الخ. كناية عن حقارتها عند الله تعالى بأسرها كما ورد في الحديث: «فيعلم حقارة ما فيها من الحياة» بالطريق الأولى. **قوله**: (واللّهو)...

الإنسان فيلهيه ساعة ثم ينقضي ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي الحياة، أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حياة. والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان (فقُلِبَت الياء الثانية واوًا) ولم يقل: «لهي الحياة» لما في بناء (فعلان) من معنى الحركة والاضطراب، والحياة حركة والموت سكون، فمجيئه على بناء دالٌ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ويوقف على ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ لأن التقدير ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي، ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقًا بشرط علمهم ذلك وليس كذلك.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ هو متصل بمحذوف دلَّ عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه: هم على ما وُصِفوا به من الشِّرك والعناد فإذا ركبوا في الفُلْك ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (كائنين في صورة مَن يخلص الدين) لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون معه إلـٰهًا آخر ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ وأمنوا ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ عادوا إلى حال الشِّرك.

الخ. واللّعب هو العبث **قوله**: (فقلبت الياء الثانية واوًا) أي على خلاف القياس بناء على أن لامها ياء، وقيل: إنه واو وأدلّة الفريقين مفصّلة في الصرف. **قوله**: (فعلان) بفتح العين.

قوله: (كائنين في صورة من يخلص الدّين) فهو تهكّم بهم سواء أُريد بالدِّين الملّة أو الطاعة. أمّا الأوّل فظاهر، وأمّا الثاني فلأنهم لا يستمرون على هذه الحال، فهي قبيحة باعتبار المآل. اهـ شهاب رحمه الله. يعني أن تسميتهم مخلصين تهكّم من حيث إنهم ليسوا مخلصين حقيقةً، حيث إن الذي لجأهم إلى أن ذكروا الله تعالى خاصّة وتركوا ما سواه خوف الغرق والهلاك، وفي الآية مضمر وتقدير الكلام: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وهاجت الرياح واضطربت الأمواج وكادت تغرق بهم ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾، ودلّ على هذا المحذوف ذكر التنجية بعده. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة. (قيل: هي لام كي) وكذا في ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ﴾ فيمن قرأها بالكسر أي لكي يكفروا وكي يتمتعوا، والمعنى يعودون إلى شِركهم ليكونوا بالعَود إلى شِركِهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتّع بها والتلذّذ لا غير على خلاف عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة فإنهم يشكرون نعمة الله إذا أنجاهم، ويجعلون نعمة النجاة (ذريعة) إلى ازدياد الطاعة لا إلى التلذّذ والتمتّع، وعلى هذا لا وقف على ﴿يُشْرِكُونَ﴾. ومَن جعله لام الأمر (متثبتًا بقراءة ابن كثير وحمزة وعلي ﴿وَلْيَتَمَتَّعُواْۖ﴾ بسكون اللام) على وجه التهديد كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [الكهف: الآية ٢٩]، (وتحقيقه في أصول الفقه) يقف عليه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ سوء تدبيرهم عند (تدميرهم).

قوله: (قيل: هي لام كي)... الخ. فهي لام العاقبة في الحقيقة. اهـ شهاب. **قوله**: (ذريعة) أي وسيلة. **قوله**: (متثبتًا) أي متمسّكًا (بقراءة ابن كثير) المكّي (وحمزة وعليّ) الكسائي، وكذا قالون عن نافع وخلف (﴿وَلْيَتَمَتَّعُواْۖ﴾ بسكون اللام)، والباقون بكسرها. **قوله**: (وتحقيقه في أصول الفقه) في الحاشية على المرآة من أصول الفقه لمولانا حامد أفندي المشهور: أن صيغة الأمر استُعملت ثمانية عشر وجهًا:

١ ـ للوجوب، نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٣].

٢ ـ وللندب؛ كقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ﴾ [النُّور: الآية ٣٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النّحل: الآية ١٤].

٣ ـ وللإرشاد إلى الأوثق؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٢].

٤ ـ وللإباحة؛ كقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ٤]، وكقوله تعالى: ﴿فَٱصْطَادُواْۚ﴾ [المَائدة: الآية ٢].

٥ ـ وللإكرام؛ كقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحِجر: الآية ٤٦].

٦ ـ وللامتنان؛ كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٤٢].

....

٧ ـ وللإهانة؛ كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدّخان: الآية ٤٩].

٨ ـ وللتسوية؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [الطُّور: الآية ١٦].

٩ ـ وللتعجب؛ كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريَم: الآية ٣٨]، أي ما أسمعهم وما أبصرهم.

١٠ ـ وللتكوين وكمال القدرة؛ كقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: الآية ٧٣].

١١ ـ وللاحتقار؛ كقوله تعالى إخبارًا: ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يُونس: الآية ٨٠].

١٢ ـ وللإخبار؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ [التوبَة: الآية ٨٢].

١٣ ـ وللتهديد والتوبيخ؛ كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فُصّلَت: الآية ٤٠]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: الآية ٢٩]، ويقرب منه الإنذار، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٠]، وجعل البعض قسماً آخر.

١٤ ـ وللتعجيز والتقريع، نحو قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣].

١٥ ـ وللتسخير؛ كقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٥].

١٦ ـ وللتمني؛ كقول الشاعر:

ألا أيها اللّيل الطويل ألا انجلي

١٧ ـ وللتأديب؛ كقوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «كُلْ مما يليك»، وهو قريب من الندب؛ إذ الأدب مندوبٌ إليه.

١٨ ـ وللدعاء: اللّهمّ اغفر لي.اهـ.

قوله: (تدميرهم) أي إهلاكهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم ﴿حَرَمًا﴾ ممنوعًا مصونًا ﴿ءَامِنًا﴾ يأمن داخله ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يستلبون قتلًا وسبيًا ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي أبالشيطان والأصنام ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي بمحمد عليه السلام والإسلام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن جعل له شريكًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ بنبوّة محمد عليه السلام والكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ أي لم (يتلعثموا) في تكذيبه حين سمعوه ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ هذا تقرير (لثوائهم) في جهنم لأن همزة الإنكار إذا أُدخِلَت على النفي صار إيجابًا يعني ألا يثوون فيها وقد افتروا مثل هذا التكذيب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب؟ أو ألم يصحّ عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حين اجترؤوا مثل هذه الجراءة؟ وذكر المثوى في مقابلة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ يؤيد قراءة الثاني.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ أطلق المجاهدة ولم يقيّدها بمفعول ليتناول كل ما تَجِب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين ﴿فِينَا﴾ (في حقنا) ومن أجلنا ولوجهنا خالصًا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (﴿سُبْلَنَا﴾ أبو عمرو) أي لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقًا. وعن (الداراني): والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا فقد قيل: مَن عمل بما علم وُفّق لما لا يعلم. وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما

قوله: (يَتلَعْثَمُوا) أي يتوقّفوا. **قوله**: (لثوائهم) أي إقامتهم.

قوله: (في حقنا) ففيه مضاف مقدّر، ومعنى في حقّنا: ومن أجلنا ولوجهنا خالصًا. **قوله**: (﴿سُبْلَنَا﴾) بإسكان الباء (أبو عمرو) البصري، والباقون بالضمّ. **قوله**: (الداراني) هو أبو سليمان عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية الزاهد المشهور، أحد رجال الطريقة، كان من جلّة السادات وأرباب الجدّ في المجاهدات، وكانت وفاته سنة خمس ومائتين، وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين رضي الله تعالى عنه. والداراني بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون، هذه

لا نعلم إنما هو لتقصيرنا فيما نعلم. وعن (فضيل): والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وعن (سهل): والذين جاهدوا في إقامة السُّنَّة لنهدينهم سبل الجنة. وعن (ابن عطاء): جاهدوا في رِضانا لنهدينَّهم الوصول إلى محل الرضوان. وعن (ابن عباس): جاهدوا في طاعتنا لنهدينّهم سُبُل ثوابنا. وعن (الجنيد): جاهدوا في التوبة لنهدينَّهم سُبُل الإخلاص، أو جاهدوا في خدمتنا لنفتحنّ عليهم سُبُل المُناجاة معنا والأُنس بنا، أو جاهدوا في طلبنا (تحرّيًا) لرِضانا لنهدينَّهم سُبُل الوصول إلينا. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصرة والمعونة في الدنيا وبالثواب والمغفرة في العُقبى.

النسبة إلى داريّا وهي قرية بغوطة دمشق، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب، والياء في داريّا مشدّدة. **قوله**: (فضيل) بن عياض خراساني من ناحية مرو، وقيل: إنه وُلد بسمرقند ونشأ بأبِيْوَرْد ومات بمكّة في المحرّم سنة سبع وثمانين ومائة ﷺ. **قوله**: (سهل) بن عبد الله التستري. **قوله**: (ابن عطاء) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء. **قوله**: (ابن عباس) أي عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما الصحابي ابن الصحابي. **قوله**: (الجنيد) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج، فلذلك يقال له القواريري وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، صحب خاله السري والحٰرث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب، مات سنة سبع وتسعين ومائة. **قوله**: (تحريًا) أي قصدًا والله سبحانه وتعالىٰ أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّ ما يتعلق بسورة العنكبوت بعون الله سبحانه وتعالى وحمده وتوفيقه وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه، وهذا أوان الشروع في إيراد ما يتعلق بسورة الروم

(سورة الروم)

(مكيَّة وهي ستون أو تسع وخمسون آية
والاختلاف في ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ أي غلبت (فارس) الروم ﴿فِىٓ (أَدْنَى) ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أقرب أرض العرب (لأن الأرض) المعهودة عند العرب أرضهم، والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام، أو أراد أرضهم على إنابة اللام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الروم، مكّية وهي ستّون أو تسع وخمسون آية، والاختلاف في ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾)، وثمانمائة وتسع عشرة كلمة، وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفًا. اهـ خطيب خازن.

قوله: (فارس) اسم أعجمي على علم تلك القبيلة، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، بل والعُجمة. **قوله**: (﴿أَدْنَى﴾) أفعل التفضيل من الدنوّ أي القرب. **قوله**: (لأن الأرض)... الخ. يعني أن اللام في لفظ الأرض إن كانت

مناب المضاف إليه أي في أدنى أرضهم إلى عدوهم ﴿وَهُم﴾ أي الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ أي غلبة فارس إياهم. (وقرىء بسكون اللام) فالغلب والغلب مصدران (وقد أضيف المصدر إلى المفعول) ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ فارس، ولا وقف عليه لتعلق ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ به، وهو ما بين الثلاث إلى العشرة. قيل: احتربت فارس والروم بين (أذرعات) و(بصرى) فغلبت فارس الروم ـ والملك بفارس يومئذ (كسرى أبرويز) ـ فبلغ الخبر مكة فشقَّ على رسول الله ﷺ والمؤمنين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب، وفرح المشركون (وشمتوا) وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم (ولنظهرن) نحن

للعهد(١)، فالمراد بها أرض العرب؛ لأن أرضهم هي المعهودة عندهم، والمعنى غلبت فارس الروم في أقرب أرض العرب إلى الروم، فقوله: أرض العرب منهم أي من الروم، ومن في منهم صلة أدنى، يقال: دنا منه أي قَرُب منه. **قوله:** (وقرىء بسكون اللام) قارئه أبو حيوة الشامي وابن السميقع. اهـ فتح القدير. **قوله:** (وقد أُضيف المصدر إلى المفعول) والفاعل متروك وهم فارس أو المصدر مبني للمفعول وهو المناسب؛ لقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾. **قوله:** (أذْرعات) بكسر الراء موضع بالشام، وهي معروفة مصروفة مثل عرفات، قال سيبويه: فمن العرب من لا ينوّن أذْرِعات، فيقول: هذه أذْرِعَاتُ ورأيت أذرِعاتِ بكسر التاء بغير تنوين. اهـ مختار الصحاح باختصار. **قوله:** (بصرى) بضم الباء وسكون الصاد وبالقصر أيضًا موضع بالشام. **قوله:** (كسرى) ملك الفرس، قال أبو عمرو بن العلاء: بكسر الكاف لا غير. وقال ابن السراج كما رواه عنه الفارسي واختاره ثعلب وجماعة: الكسر أفصح. اهـ مصباح. وفي لسان العرب: كِسْرى وكَسْرى جميعًا بفتح الكاف وكسرها اسم ملك الفرس معرب هو بالفارسية خُسْرو، أي واسع الملك فعرّبته العرب، فقالت: كِسْرى. اهـ. **قوله:** (أبرويز) تعريب پرويز. **قوله:** (وشمتوا) أي فَرِحوا بانفعال المسلمين وتحزينهم، فإن الشماتة عبارة عن الفرح ببليّة العدوّ، وهي من باب علم. **قوله:** (ولنظهرن) أي لنغلبنّ.

---

(١) والمعهود قد يتقدّم ذكره ويسمّى عهدًا ذكريًا وقد لا يتقدّم كما هنا، وإليه أشار بقوله: لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم. ١٢ منه رحمه الله.

عليكم فنزلت. فقال لهم أبو بكر: والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين، فقال له (**أُبَيّ بن خلف**): كذبت (**فناحبه**) على عشر (**قلائص**) من كل واحد منهما وجعل الأَجَل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «(**زد في الخطر**) وأبعد في الأجَل» فجعلاها مائة (**قلوص**) إلى تسع سنين. ومات أُبَيّ من جرح رسول الله ﷺ وظهرت الروم على فارس (**يوم الحديبية أو يوم بدر**) فأخذ أبو بكر الخطر من ذريّة أُبَيّ فقال عليه السلام: «(**تصدَق به**)». وهذه آية بَيِّنة على صحّة نبوّته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب وكان ذلك قبل تحريم (**القمار**). عن (قتادة) ومن مذهب (**أبي حنيفة**) و(**محمد**) أن العقود الفاسدة كعقد

قوله: (**أُبيّ بن خلف**) عدوّ النبيّ ﷺ، قتله النبيّ ﷺ بيده يوم أُحُد وهو مشرك، قاله الطيبي. **قوله**: (**فناحبه**) أي عاهده وعاقده والمناحبة المراهنة. **قوله**: (**قلائص**) جمع قَلوص، وهي من النُّوق الشابة. **قوله**: (**زد في الخطر**) أي زد في الجعل وهو معنى الخطر بفتحتين. اهـ شهاب. وفي لسان العرب: الخطر ـ بالتحريك ـ في الأصل الرهن وما يخاطَر عليه. اهـ. **قوله**: (**قلوص**) بالفتح، في مختار الصحاح: القلوص من النُّوق الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعها قُلُص ـ بضمّتين ـ وقلائص مثل قدوم وقُدُم وقدائم، وجمع القُلُص قِلاصٌ. اهـ. **قوله**: (**يوم الحُدَيْبية**) هي بتخفيف الياء على الأصح اسم بئر سمّي بها مكانها، وكان ذلك في السنة السادسة أو السابعة من الهجرة في ذي القعدة، والمراد باليوم مطلق الوقت لا بياض النهار؛ لأن متعلّقه فعل غير ممتدّ، فيراد به مطلق الوقت. **قوله**: (**أو يوم بدر**) وهو ضعيف. اهـ قنوي. **قوله**: (**تصدق به**) لأنه كره له أخذه، وإن لم يحرم إمّا لأنه قبل تحريم القمار ـ كما نُقل عن الطحاوي ـ أو العقود الفاسدة تجوز في دار الحرب كما تسقط الحدود فيها عند أبي حنيفة رحمه الله. **قوله**: (**القمار**) بكسر القاف أخذ شيء على المغالبة. **قوله**: (**قتادة**) بن دعامة، كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا، توفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**أبي حنيفة**) هو الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِد سنة ثمانين من الهجرة وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة. **قوله**: (**محمّد**) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن

الرِّبا وغيره جائزة في دار الحرب بين المسلمين **(وقد احتجَّا على صحة ذلك بهذه القصة)**.

الحسن بن فرقد الشيبانيّ صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالري سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. **قوله: (وقد احتجّا على صحة ذلك بهذه القصة)** ولم يتمسّك صاحب الهداية بذلك، بل أورد في ذلك السنة والقياس حيث قال في باب الربا: «ولا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب»، خلافًا لأبي يوسف والشافعيّ رحمهما الله بهما الاعتبار بالمستأمن منهم في دارنا، ولنا قوله عليه السلام: «لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب»، ولأن مالهم مُباح في دارهم فبأي طريق أخذه المسلم أخذ مالًا مباحًا إذا لم يكن فيه غدر، بخلاف المستأمن منهم لأن ماله صار محظورًا بعقد الأمان. اهـ.

وفي فتح القدير قوله: «ولا بين المسلم والحربي في دار الحرب» خلافًا لأبي يوسف والشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله، وعلى هذا الخلاف الربا بين المسلم الأصلي الذي أسلم في دار الحرب ولم يهاجر إلينا، فلو باع مسلم دخل إليهم مستأمنًا درهمًا بدرهمين حلّ، وكذا إذا باع منهم ميتة أو خنزيرًا أو قامرهم وأخذ المال يحلّ كل ذلك عند أبي حنيفة ومحمد خلافًا لأبي يوسف، ومَنْ ذكرنا لهم إطلاق النصوص، فإنها لم تقيّد المنع بمكان دون مكان، والقياس على المستأمن منهم في دارنا، فإن الربا يجري بين المسلم وبينه، فكذا الداخل منّا إليهم بأمان، ولأبي حنيفة ومحمد ما رُوِيَ أنه ﷺ قال: «لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب»، وهذا الحديث غريب ونَقَل ما رَوَى مكحول عن النبيّ ﷺ أنّه قال ذلك، قال الشافعي رحمه الله: قال أبو يوسف: إنما قال أبو حنيفة رضي الله عنه هذا لأن بعض المشيخة حدّثنا عن مكحول عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا ربا بين أهل الحرب»، أظنّه قال: وأهل الإسلام، قال الشافعي رضي الله عنه: وهذا الحديث ليس بثابت ولا حجّة فيه أسنده عنه البيهقي، قال في المبسوط: هذا مرسل، ومكحول ثقة والمرسل من مثله مقبول، ولأن آبا بكر قبل الهجرة حين أنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الرّوم: الآيتان ١، ٢] الآية، قالت له قريش: ترون أن الروم تغلب؟ قال: نعم، قال: فهل لك أن تخاطرنا؟ فخاطرهم فأخبر النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «اذهب إليهم

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء أو حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل: من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم

فزد في الخطر»، ففعل وغلبت الروم فارسًا فأخذ أبو بكر ﷺ خَطَره، فأجازه النبيّ ﷺ، وهو القمار بعينه بين أبي بكر ومشركي مكّة، وكانت مكّة دار شرك، (ولأن مالهم مباح) وإطلاق النصوص في مال محظور وإنما يحرم على المسلم إذا كان بطريق النذر، (فإذا لم يأخذ غدرًا فبأي طريق يأخذه حلّ) بعد كونه برضى (بخلاف المستأمن منهم) عندنا (لأن ماله صار محظورًا بالأمان) فإذا أخذه بغير الطريق المشروعة يكون غدرًا بخلاف الزّنا إن قيس عليه الرّبا؛ لأن البضع لا يُستباح بالإباحة، بل بالطريق الخاص. أمّا المال، فيُباح بطيب النفس به وإباحته. اهـ. وفي البناية شرح الهداية: **م** ولنا قوله عليه السلام **ش** أي قول النبيّ ﷺ **م** «لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب» «**ش**» هذا حديث غريب ليس له أصل مسند، وقال الكاكي رحمه الله: ولنا الحديث المذكور في المتن وفي المبسوط عن مكحول رحمه الله عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «لا ربا بين المسلم» الحديث، وهذا الحديث وإنْ كان مرسلًا، فمكحول ثقة، والمرسل من مثله مقبول، وقال الأكمل ولأبي حنيفة ومحمد رحمه الله: ما روى مكحول إلى آخره، ثم قال: ذكره محمد بن الحسن رحمه الله، وذكره الأترازي رحمه الله، كذا ثم قال: كذا في شرح أبي نضر.

قلت: أسند البيهقي في المعرفة في كتاب السير عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو يوسف رحمه الله: إنما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه هذا لأن بعض المشيخة حدّثنا عن مكحول عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لا ربا بين أهل الحرب» أظنّه قال: «وأهل الإسلام»، قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: هذا ليس بثابت ولا حجّة فيه، انتهى.

قلت: لا نسلم عدم ثبوته، لأن جلالة قدر الإمام رضي الله تعالى عنه لا تقتضي أن يجعل لنفسه مذهبًا من غير دليل واضح، وأمّا قوله: ولا حجّة فيه، فبالنسبة إليه لأن مذهبه عدم العمل بالمرسلات، إلا مرسل سعيد بن المسيب، والمرسل عندنا حجّة على ما عُرف في موضعه، والله أعلم. اهـ.

مغلوبين أولًا وغالبين آخرًا ليس إلا بأمر الله وقضائه (﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾) [آل عمران: الآية ١٤٠] ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم تغلب الروم على فارس ويحلّ ما وعد الله من غلبتهم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ وتغليبه مَن له كتاب على مَن لا كتاب له وغيظ مَن شمت بهم من كفّار مكة. وقيل: نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم، والباء متصل بـ ﴿يَفْرَحُ﴾ فيوقف على ﴿ٱللَّهِ﴾ على «المؤمنين» ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ **(العاطف)** على أوليائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لأن قوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ وعد من الله للمؤمنين، فقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة وعد الله المؤمنين وعدًا ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بنصر الروم على فارس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدل من ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفيه بيان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا. وقوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يفيد أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا، فظاهرها ما يعرفه الجُهّال من التمتّع **(بزخارفها)**، وباطنها أنها **(مجاز)** إلى الآخرة يتزوّد منها إليها بالطاعة وبالأعمال الصالحة. وتنكير الظاهر يفيد أنهم لا يعلمون إلا ظاهرًا واحدًا من جملة ظواهرها ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثانية مبتدأ و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره والجملة خبر ﴿هُمْ﴾ الأولى، وفيه بيان أنهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرّها.

قوله: (﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾) نصرفها (﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾) يومًا لفرقة ويومًا لأخرى.

قوله: **(العاطف)** أي العائد بفضله.

قوله: **(بزخارفها)** الزُّخْرُف الزينة. **قوله**: **(مجاز)** أي طريق.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ يحتمل أن يكون ظرفًا كأنه قيل: أولم يثبتوا التفكير في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكّر لا يكون إلا في القلوب، ولكنه زيادة تصوير لحال المفكّرين كقوله: «اعتقده في قلبك»، وأن يكون صلة للتفكّر نحو تفكّر في الأمر وأجال فيه فكره، ومعناه على هذا: أولم يتفكَّروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات وهم أعلم بأحوالها منهم بأحوال ما عداها، فيتدبَّروا ما أودعها الله ظاهرًا وباطنًا من غرائب الحكمة الدَّالَّة على التدبير دون الإهمال، وأنه لا بدَّ لها من الانتهاء إلى وقت تُجازَى فيه على الإحسان إحسانًا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جارٍ على الحكمة في التدبير، وأنه لا بدَّ لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت؟ ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ متعلق بالقول المحذوف معناه: أولم يتفكروا فيقولون هذا القول؟ وقيل: معناه فيعلموا لأن في الكلام دليلًا عليه ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي ما خلقها باطلًا وعبثًا بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة، إنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجَلٍ مسمى لا بدَّ لها من أن تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٥] كيف سمَّى تركهم غير راجعين إليه عبثًا ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والجزاء ﴿لَكَافِرُونَ﴾ لجاحدون. وقال (الزجّاج): أي لكافرون بلقاء ربهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هو تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأُمم العاتية. ثم

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله.

وصف حالهم فقال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ وحرثوها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ أي المدمرون ﴿أَكْثَرَ﴾ صفة مصدر محذوف. و«ما» مصدرية في ﴿مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي من عمارة أهل مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وتقف عليها لحق الحذف أي فلم يؤمنوا فأُهلِكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فما كان تدميره إياهم ظلمًا لهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ﴾ (بالنصب: شامي وكوفي) ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، ومحلها رفع على أنها اسم «كان» عند مَن نصب ﴿عَٰقِبَةُ﴾ على الخبر ونصب عند مَن رفعها، والمعنى أنهم عُوقِبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى، إلا أنه وضع المظهر وهو ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي النار التي أُعِدَّت للكافرين ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ لأن كذبوا أو بأن وهو يدلّ على أن معنى أساؤوا كفروا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها.

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يحييهم بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (وبالياء: أبو عمرو وسهل) ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ﴾ ييأس ويتحيَّر. يقال: ناظرته فأبلس (إذا لم ينبس) ويئس من أن يحتج ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ من الذين عبدوهم من دون الله. (وكُتب ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في المصحف بواو قبل الألف كما كتب ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) [الشعراء: الآية ١٩٧]

قوله: (بالنصب: شامي) أي ابن عامر الشامي، (وكوفي) أي عاصم وحمزة وعلي الكسائي وخلف، والباقون بالرفع.

قوله: (وبالياء) التحتية (أبو عمرو) البصري (وسهل) بن محمد وليس من السبعة، والباقون بالتاء الفوقية. وقرأ بالبناء للفاعل يعقوب رحمه الله.

قوله: (إذا لم ينبس) أي لم يتكلّم، في لسان العرب: نَبَسَ يَنْبَسُ نَبْسًا وهو أقلّ الكلام، وما نَبَس أي ما تحرّكت شَفَتاه بشيء، وما نَبَس بكلمة أي ما تكلَّم وما نَبَّس أيضًا بالتشديد. اهـ. قوله: (وكتب ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ في المصحف) أي مصحف أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه (بواو قبل الألف، كما كتب ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ

وكذلك كتبت السوأى بالألف قبل الياء (**إثباتًا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها**) ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي يكفرون بآلهتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ الضمير في ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه حيث قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ أي بستان وهي الجنة، والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون. قال: حبره إذا سرَّه سرورًا (**تهلّل**) له وجهه وظهر فيه أثره، ثم اختلف فيه لاحتمال وجوه المَسار فقيل: يكرمون، وقيل يحلّون، وقيل: هو السماع في الجنة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي البعث ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مقيمون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [البقرة: الآية ١٦٧]. لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد فقال:

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) على لغة مَنْ يُميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتب الصلوٰة والزكوٰة والربوٰة، ثم إن الألف المكتوبة على صورة الواو إن كانت في الآخر جمع بينهما وبين الواو في الرسم، كما في الربا وعلماء، بخلاف الألف المتوسّطة كما في الصلاة والزكاة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**إثباتًا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها**) يعني لما كان همزة شفعاء هٰهنا مرفوعة كُتبت شفعواء بالواو التي من جنسها حركة الهمزة وهي الضمّ، ولمّا كانت حركة الهمزة في ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ الفتحة كتبت الهمزة على صورة الحرف الذي حركتها من جنسه وهو الألف، قال صاحب التقريب: فيه نظر؛ إذ الثانية لا يختص بالمصحف، بل هو قياس الخطّ، وذلك العذر لا يتمشّى في الأول إذ مقتضاه تأخير الواو عن ألف شفعاء. اهـ تمجيد.

قوله: (**تهلّل**) أي تلألأ ولمع.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة أو الصلاة، **(فقيل لابن عباس)**: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ فقال: نعم وتلا هذه الآية. وهو نصب على المصدر والمعنى نزّهوه عمّا لا يليق به أو صلوا لله ﴿حِينَ (تُمْسُونَ)﴾ صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ (تُصْبِحُونَ)﴾ صلاة الفجر ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل السمٰوات والأرض أن يحمدوه، و﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ حال من ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر وهو معطوف على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، وقوله: ﴿وَعَشِيًّا﴾ متصل بقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ ﴿وَحِينَ (تُظْهِرُونَ)﴾ صلاة الظهر أظهر أي دخل في وقت الظهيرة، والقول الأكثر **(إن الصلوات الخمس فرضت بمكة)**.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة أو الإنسان من النطفة أو المؤمن من الكافر ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ أي البيضة من الطائر أو النطفة من الإنسان أو الكافر من المؤمن، **(و﴿ٱلْمَيْتِ﴾ بالتخفيف فيها: مكي وشامي وأبو عمرو وأبو بكر شعبة وحماد)**، و**(عاصم، وبالتشديد)**: غيرهم ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ **(﴿تَخرجون﴾ حمزة وعلي وخلف)**، أي ومثل ذلك

قوله: (فقيل) أي قال نافع بن الأزرق (لابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (﴿تُمْسُونَ﴾) بمعنى تدخلون في المساء. **قوله**: (﴿تُصْبِحُونَ﴾) بمعنى تدخلون في الصباح. **قوله**: (﴿تُظْهِرُونَ﴾) بمعنى تدخلون في الظهيرة. **قوله**: (إن الصلوات الخمس فُرضت بمكّة) على الصحيح، ويدلّ عليه حديث المعراج الثابت في الصحيحين. اهـ شهاب، وزعم الحسن رضي الله تعالى عنه أن الصلوات الخمس فُرضت بالمدينة، وهو خلاف مذهب الجمهور.

قوله: (و﴿ٱلْمَيْتِ﴾ **بالتخفيف**) أي بسكون الياء مخفّفة (فيها مكّي) أي ابن كثير المكي (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو) البصري، (وأبو بكر شعبة) بن عباس عن **عاصم** (وحماد) بن زياد عن (عاصم، وبالتشديد) أي بكسر الياء وتشديدها غيرهم. **قوله**: (﴿تخرجون﴾) بفتح التاء وبالبناء للفاعل (حمزة وعليّ) الكسائي (وخلف)، والباقون بالبناء للمفعول.

الإخراج تخرجون من قبوركم. والكاف في محل النصب بـ ﴿تُخْرَجُونَ﴾، والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة مَن هو قادر على إخراج الميت من الحيّ وعكسه. روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَن قرأ فسبحان الله حين تُمسون إلى الثلاث، وآخر سورة والصافات دُبُر كل صلاة كُتِب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب الأرض، فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات في قبره» **(قال عليه السلام: «مَن قرأ حين يصبح** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته في يومه، ومَن قالها حين يُمسي **(أدرك ما فاته)** في ليلته».

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ومن علامات ربوبيته وقدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ أي آدم وذريته ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ تنصرفون فيما فيه معاشكم، و﴿إِذَآ﴾ للمفاجأة وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا منتشرين في الأرض ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ أي حواء **(خلقت من ضلع آدم عليه السلام)** والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال، أو من شكل أنفسكم وجنسها لا

قوله: **(قال عليه السلام: «مَنْ قرأ حين يصبح:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾). . . الخ. أخرجه أبو داود والطبراني وابن السنيّ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(أدرك ما فاته)** أي وصل إلى ثوابٍ عظيم فاته أو جبر به ما وقع من التقصير منه لأنها مكفرة له. اهـ شهاب.

قوله: **(خلقت من ضلع آدم عليه السلام)** أي من عظم جنبه، أي من ضلعه الأيسر؛ فلذا كان كل إنسان ناقصًا ضلعًا من الجانب الأيسر، فجهة اليمين أضلاعها ثمانية عشرة، وجهة اليسار أضلاعها سبعة عشر، وقصة خلقها أنّ الله تعالى ألقى النوم على آدم ثم نزع ضلعها من أضلاع جنبه الأيسر وهو الأقصر، فخلق منه حواء وخلق مكان الضلع لحمًا من غير أن يحسّ آدم بذلك ولم يجد ألمًا، ولو وجد ألمًا لما عطف رجل على امرأته قطّ. وقوله: ضلع، في المصباح: الضلع من الحيوان بكسر الضاد، وأما اللام فتفتح في لغة الحجاز وتسكن في لغة تميم، وهي أُنثى

من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من (**الإلف**) والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر. يقال: سكن إليه إذا مال إليه ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ أي جعل بينكم التوادّ والتراحم بسبب (**الزواج**). وعن (**الحسن**): المودَّة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد. وقيل: المودَّة للشابَّة والرحمة للعجوز. وقيل: الموَدّة والرحمة من الله و(**الفرك**) من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن قوام الدنيا بوجود (**التناسل**).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي اللغات أو أجناس النطق وأشكاله ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ كالسواد والبياض وغيرهما، ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو تشاكلت واتفقت لوقع التجاهل والالتباس ولتعطَّلت المصالح، وفي ذلك آية بيِّنة حيث وُلِدوا من أب واحد وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله متفاوتون. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ (**جمع «عالَم»، ويكسر اللام: حفص**) عالِم ويشهد للكسر قوله تعالى: (﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾) [العنكبوت: الآية ٤٣].

وجمعها أضلع وأضلاع وضلوع وهي عظام الجنبين. اهـ. **قوله**: (**الإلف**) في المصباح: أَلِفْته أَلفًا من باب علم أنِسْت به وأحببته، والاسم الأُلفة بالضم. اهـ. قوله: (يكن إليه الصواب) سكن إليه كما في النسخ الصحيحة. **قوله**: (**الزواج**) في المصباح: الزواج بالفتح يجعل اسمًا من زوج مثل سلم سلامًا وكلّم كلامًا، ويجوز الكسر ذهابًا إلى أنه من باب المفاعلة؛ لأنه لا يكون إلّا من اثنين كالنكاح والزّنا. اهـ. **قوله**: (**الحسن**) البصري التابعي، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين مناقبه كثيرة مشهورة، توفي سنة عشر ومائة رحمه الله. **قوله**: (**الفِرْك**) بالكسر البغضة عامّة، وقيل: الفَرْك بغضة الرجل لامرأته أو بغضة امرأته له، وهو أشهر، وقد فَرِكته تفرَكه فِرْكًا وفُرْكًا وفُرُوكًا أبغضته. اهـ لسان العرب. **قوله**: (**التناسل**) التوالد.

قوله: (**وبكسر اللام**) قبل الميم (**حفص جمع عالم**) ضدّ الجاهل؛ لأنه المنتفع بالآيات، والباقون بفتحها جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله، لأنها لا تكاد تخفى على أحد، وهو اسم جمع وإنما جمع باعتبار الأزمان والأنواع. **قوله**: (﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾) أي يفهمها (﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾) المتدبّرون.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ هذا من باب اللف، وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار إلا أنه (**فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين، أو المراد منامكم في الزمانين**) وابتغاؤكم فيهما، والجمهور على الأول لتكرّره في القرآن (**وأسد المعاني**) ما دلَّ عليه القرآن ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي يسمعون سماع تدبّر بآذان (**واعية**).

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ في ﴿يُرِيكُمُ﴾ وجهان: إضمار أن كما في (**حرف**) ابن مسعود رضي الله عنه وإنزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسّر المثل (**«تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه»**) أي أن تسمع أو سماعك.

قوله: (**فصل بين القرينين الأوَلين**) أي منامكم وابتغاؤكم (**بالقرينين الآخرين**) أي اللّيل والنهار. **قوله**: (**أو المراد منامكم في الزمانين**)... الخ. فعلى هذا لا يكون من باب اللف، بل من المقابلة فحذف في إحدى المقابلتين ما يقابل الأخرى لدلالة المقابل. اهـ محشي. **قوله**: (**وأسد المعاني**)... الخ. في لسان العرب: رجل سديد وأسَدّ من السَّداد وهو الصواب، وأمرٌ سَديد وأسَدَّ أي قاصد. اهـ. **قوله**: (**واعية**) حافظة لما تسمع.

قوله: (**حرف**) أي قراءة. **قوله**: (**تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه**) في حاشية تفسير البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمه الله: وهو مثل يُضرب للرجل له صيت في الناس، فإذا رأيته أزريته[1]. قيل: المعيدي تصغير معدّي منسوب إلى معدّ خفّفت الدال استثقالًا للجمع بين التشديد وبين ياء التصغير. اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال للعلّامة أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري رحمه الله تعالى: (تَسْمَعُ

---

(١) في القاموس: زَارَى عليه زريًا عابه وعاتَبه كأزْرى لكنه قليل، وتَزَرّى وأزْرى بأخيه أدخل عليه عيبًا أو أمرًا يريد أن يُلَبِّس عليه به، وبالأمر تهاون ورجل مِزْراءٌ يُزْري على الناس. اهـ اختصار. ١٢ منه رحمه الله.

....

بالمُعَيْدِي خيرٌ من أنْ تَرَاه) ويُروى لأنْ تسمع بالمعيديّ خير، وأن تسمع، ويروى تسمع بالمعيديّ لا أن تراه، والمختار أن تسمع. يُضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه، ودخل الباء على تقدير تحدّث به خير، قال المفضل: أوّل مَنْ قال ذلك المنذر ابن ماء السماء، وكان من حديثه أن كبيش بن جابر أخا ضمرة بن جابر من بني نهشل كان عرض لأمَة لزرارة بن عدس يقال لها رشيّة كانت سبية أصابها زُرارة من الرفيدات، وهم حيّ من العرب، فولدت له عمروًا وذؤيبًا وبرغوثًا، فمات كبيس وترعرع الغلمة، فقال لقيط بن زرارة: يا رشيّة من أبو بنيك؟ قالت: كبيش بن جابر، قال: فاذهبي بهؤلاء الغلمة فعبسي بهم وجه ضمرة وخبّريه مَنْ هم، وكان لقيط عدوًّا لضمرة، فانطلقت بهم إلى ضمرة فقال: ما هؤلاء؟ قالت: بنو أخيك، فانتزع منها الغلمة وقال: الحقي بأهلك، فرجعت فأخبرت أهلها بالخبر، فركب زُرارة وكان رجلًا حليمًا حتى أتى بني نهشل، فقال: ردّوا عليّ غلمتي، فسبَّه بنو نهشل وأهجروا له، فلمّا رأى ذلك انصرف فقال له قومه: ما صنعت؟ قال: خيرًا ما أحسن ما لَقِيَني به قومي، فمكث حولًا ثم أتاهم فأعادوا عليه أسوأ ما كانوا قالوا له، فانصرف فقال له قومه: ما صنعت؟ قال: خيرًا قد أحسن بنو عمّي وأجملوا، فمكث بذلك سبع سنين يأتيهم في كل سنة فيردّونه بأسوأ الردّ، فبينما بنو نهشل يسيرون ضحًى إذ لحق بهم لاحق فأخبرهم أن زُرارة قد مات، فقال ضمرة: يا بني نهشل إنه قد مات حليم إخوتكم اليوم، فاتّقوهم بحقِّهم، ثم قال ضمرة لنسائه: قفن أقسم بينكن الثكل، وكانت عنده هند بنت كرب بن صفوان، وامرأة يقال لها خليدة من بني عجل، وسَبية من عبد القيس، وسبية من الأزد من بني طمثان، وكان لهنّ أولاد غير خليدة فقالت لهند وكانت لها مصافية: ولي الثكل بنت غيرك! ويُروى: ولي الثكل بنت غيرك! على سبيل الدعاء، فأرسلتها مثلًا فأخذ ضمرة شقة بن ضمرة وأمّه هند، وشهاب بن ضمرة وأُمّه العبدية، وعنوة بن ضمرة وأُمّه الطمثانية؛ فأرسل بهم إلى لقيط بن زُرارة وقال: هؤلاء رهن لك بغلمتك حتى أرضيك منهم، فلما وقع بنو ضمرة في يدي لقيط أساء ولايتهم وجفاهم وأهانهم، فقال في ذلك ضمرة بن جابر:

صرمت إخاء شقة يوم غول   وإخوته فلا حلّت حلالي
كأني إذ رهنت بنيّ قومي   دفعتهم إلى الصهب السبال
ولم أرهنهم بدم ولكن   رهنتهم بصلح أو بمالِ
صرمت إخاء شقة يَوم غول   وحقّ إخاء شقّة بالوصال

فأجابه لقيط:

أبـا قـطـن إنـي أراك حـزيـنًـا وإن الـعـجـول لا يـبـالـي حـنـيـنًـا
أفي إن صبرتم نصف عام لحقنا ونحن صبرنا قبل سبع سنينا

فقال ضمرة:

لـعـمـرك إنـنـي وطـلاب حـسـبـي وترك بنيّ في الشرط[(١)] الأعادي
لـمن نوكى الشـيوخ وكـان مثلي إذا مـا ضـلّ لـم يـنـعـش بـهـادِ

ثم إن بني نهشل طلبوا إلى المنذر ابن ماء السماء أن يطلبهم من لقيط، فقال لهم المنذر: نحّوا عني وجوهكم، ثم أمر بخمرٍ وطعام ودعا لقيطًا فأكلا وشربا حتى إذا أخذت الخمر منهما، قال المنذر للقيط: يا خير الفتيان، ما تقول في رجل اختارك الليلة على ندامى مضر؟ قال: وما أقول فيه؟ أقول: إنه لا يسألني شيئًا إلّا أعطيته إيّاه غير الغلمة، قال المنذر: أمَا إذا استثنيت، فلست قابلًا منك شيئاً حتى تعطيني كل شيء سألتك، قال: فذلك لك، قال: فإني أسألك الغَلَمة أن تهبهم لي، قال: سَلني غيرهم، قال: ما أسألك غيرهم، فأرسل لقيط إليهم فدفعهم إلى المنذر، فلما أصبح لقيط لَامَه قومه فندم، فقال في المنذر:

إنـك لـو غـطـيـت[(٢)] أرجاء هـوّة مـغـمـسـة لا يـسـتـثـار تـرابـهـا
بثوبكَ في الظلماء ثم دعوتني لـجـئـت إلـيـهـا سادرًا لا أهـابـهـا
فـأصـبـحـت مـوجـودًا عـليّ ملوّمًا كأن نضيت عن حائض لي ثيابها

قال: فأرسل المنذر إلى الغلمة وقد مات ضمرة وكان صديقًا للمنذر، فلمّا دخل عليه الغلمة وكان يسمع بشقة ويعجبه ما يبلغه عنه، فلمّا رآه قال: تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه؛ فأرسلها مثلًا، قال شقة: أبَيْت اللّعن وأسعدك إلٰهك إن القوم ليسوا بجزر ـ يعني الشاء ـ إنما يعيش الرجل بأصغريه لسانه وقلبه، فأعجب المنذر كلامه وسرّه كل ما رأى منه، قال: فسمّاه ضمرة باسم أبيه، فهو

(١) قوله: الشرط هو كصرد جمع شرطة بالضم، وهو أوّل كتيبة تشهد الحرب وتتهيّأ للموت، وطائفة من أعوان الولاة، كذا في القاموس. ١٢ منه رحمه الله تعالى.
(٢) قوله: إنك... الخ. دخله الحزم كما لا يخفى. ١٢ منه رحمه الله.

﴿خَوۡفٗا﴾ من الصاعقة أو من (الإخلاف ﴿وَطَمَعٗا﴾ في الغيث أو خوفًا للمسافر وطمعًا للحاضر، وهما منصوبان على المفعول له على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي إرادة خوف وإرادة طمع، أو على الحال أي خائفين وطامعين ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (وبالتخفيف: مكي وبصري) ﴿مَآءٗ﴾ مطرًا ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يتفكرون بعقولهم.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ﴾ تثبت بلا عمد ﴿ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ أي بإقامته وتدبيره وحكمته ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ للبعث ﴿دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ من قبوركم هذا كقوله: ﴿يُرِيكُمُ﴾ في إيقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال:

ضمرة بن ضمرة، وذهب قوله: يعيش الرجل بأصغريه مثلًا، ويُنشد على هذا:

ظننت به خيرًا فقصر دونه فيا ربّ مظنون به الخير يخلف

قلت: وقريب من هذا ما يُحكى أن الحجّاج أرسل إلى عبد الملك بن مروان بكتاب مع رجل، فجعل عبد الملك يقرأ الكتاب ثم يسأل الرجل فيشفيه بجواب ما يسأله، فيرفع عبد الملك رأسه إليه فيراه أسود، فلما أعجبه ظرفه وبيانه، قال متمثّلًا:

فإن عرارًا[1] إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، هل تدري من عرارنا؟ والله عرار بن عمرو بن شاس الأسدي الشاعر. اهـ بحروفه. **قوله:** (الإخْلاف) الاستقاء. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه: استقى الرجل واستقاه طلب منه السقي. **قوله:** (وبالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي (مكّي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

---

(١) قوله: فإن عرارًا... الخ. قبله ـ كما في المصباح ـ أرادت عرارًا بالهوان، ومَنْ يُرِد عرارًا العمري بالهوان فقد ظلم، ونسب البيتين لأبيه، والجون ـ بفتح الجيم ـ يُطلق على الأسود وهو المراد هنا، وجمعه جُون بالضمّ. والعمم محركة عظم الخلق في الناس وعلامة، كما في القاموس.

ومن آياته قيام السمٰوات والأرض واستمساكها بغير عمد، ثم خروج الموتى من القبور إذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور اخرجوا، والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف. وإنما عطف هذا على قيام السمٰوات والأرض بـ «ثم» بيانًا لعِظَم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول: يا أهل القبور قوموا فلا تبقى **(نسمة)** من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٦٨] و«إذا» الأولى للشرط والثانية للمفاجأة **(وهي تنوب مَناب الفاء)** في جواب الشرط و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بالفعل **(لا بالمصدر)** وقولك: «دعوته من مكان كذا» يجوز أن يكون مكانك **(ويجوز أن يكون)** مكان صاحبك.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مُنقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه أو مقرون بالعبودية. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ للبعث ﴿وَهُوَ﴾ أي البعث ﴿أَهْوَنُ﴾ أيسر ﴿عَلَيْهِ﴾ عندكم لأن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء فلِمَ أنكرتم الإعادة، **(وأُخِّرت الصلة)** في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقدمت في قوله: و﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: الآية ٩]. لقصد الاختصاص هناك، وأما هنا فلا معنى للاختصاص. وقال **(أبو عبيدة)** و**(الزجّاج)** وغيرهما الأهون بمعنى الهيِّن فيُوصَف به الله عزَّ وجلّ وكان ذلك على الله يسيرًا كما قالوا: الله أكبر أي كبير، والإعادة في نفسها عظيمة ولكنها هوِّنت بالقياس إلى

قوله: (نَسَمة) بمعنى النفس بالسكون والجمع نسم مثل قَصَبة وقَصَب. **قوله**: (﴿فَإِذَا هُمْ﴾) أي جميع الخلائق الموتى (﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾) ينتظرون ما يُفعل بهم. **قوله**: **(وهي تنوب مناب الفاء)** لاشتراكهما في الدلالة على التعقيب. **قوله**: **(لا بالمصدر)** لأنه إنما يتعلّق بالمصدر عند عدم الفعل. **قوله**: **(يجوز أن يكون)**.. الخ. تقول: دعوت زيدًا من أعلى الجبل فنزل عليّ، ودعوته من أسفل الوادي فطلع إليّ. اهـ كشاف.

قوله: (وأخّرت الصلة) أي لفظ عليه. **قوله**: **(أبو عبيدة)** بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره، مَعْمر بن المُثنّى البصري النحوي العلّامة بخلاف القاسم بن سلام، فإنه أبو عبيد بغير هاء، وتوفي أبو عبيدة سنة تسع ومائتين بالبصرة. **قوله**: **(الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الإنشاء، أو هو أهون على الخلق من الإنشاء لأن قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم (نطفًا) ثم (علقًا) ثم (مضغًا) إلى تكميل خلقهم ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره وقد عرف به ووصف في السمٰوات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات ويدلّ عليه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي القاهر لكل مقدور ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما المثل الأعلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]. وعن (مجاهد): هو قول لا إلٰه إلا الله. ومعناه وله الوصف الأرفع الذي هو الوصف بالوحدانية (ويعضده) قوله:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ﴾ فهذا مثل ضربه الله عزَّ وجلّ لمن جعل له شريكًا من خلقه. و«من» للابتداء كأنه قال: أخذ مثلًا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ﴿هَل لَّكُم﴾ معاشر الأحرار ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ عبيدكم و«من» للتبعيض ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ «من» مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه: هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد (أن يشارككم بعضهم) ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾ معاشر الأحرار والعبيد ﴿فِيهِ﴾ في

قوله: (نُطَفًا) في المصباح: النطفة ماء الرجل والمرأة وجمعها نُطَف ونطاف مثل بُرْمة وبُرَم وبرام. اهـ **قوله**: (عُلَقًا) في المصباح: العلقة المني ينتقل بعد طوره فيصير دمًا غليظًا متجمّدًا ثم ينتقل طورًا آخر فيصير لحمًا وهو المضغة سمّيت بذلك لأنها مقدار ما يُمضغ، والجمع عُلَق. **قوله**: (مضغًا) في لسان العرب: المُضَغ جمع مضغة وهي قطعة من اللّحم قدر ما يُمضغ. اهـ. **قوله**: (مجاهد) بن جبر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ الإمام المشهور وهو تابعي إمام متّفق على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث، مناقبه كثيرة مشهورة. **قوله**: (ويعضده) أي يقوّيه.

قوله: (أن يشارككم بعضهم) مفعول ترضون.

ذلك الرزق ﴿سَوَآءٌ﴾ من غير تفصلة بين حرّ وعبد يحكم مماليككم في أموالكم كحكمكم ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ حال من ضمير الفاعل في سواء أي متساوون خائفًا بعضكم بعضًا مشاركته في المال، والمعنى: تخافون معاشرة السادة **(وعبيدكم)** فيها فلا تمضون فيها حكمًا دون إذنهم خوفًا من لائمة تلحقكم من جهتهم ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ يعني كما يخاف بعض الأحرار بعضًا فيما هو مشترك بينهم، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لربّ الأرباب ومالِك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ موضع الكاف نصب أي مثل هذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نبيّنها لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون في ضرب الأمثال فلما لم ينزجروا أضرب عنهم فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أنفسهم بما أشركوا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]. ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ أي اتبعوا أهواءهم جاهلين ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي أضلّه الله تعالى ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ من العذاب.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ فقوم وجهك له وعد له غير ملتفت عنه يمينًا ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه، فإن مَن اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدّد إليه نظره وقوّم له وجهه (﴿حَنِيفًاۚ﴾ **حال من المأمور**) أو من الدين ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقة، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: الآية ٣٠] فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام **(غير نائين عنه)** ولا مُنكرين له لكونه مُجاوِبًا للعقل مُساوِقًا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينًا آخر، ومَن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس **(ومنه قوله عليه السلام)**: «كل عبادي خلقت حنفاء **(فاجتالتهم الشياطين)** عن دينهم وأمروهم أن يُشرِكوا بي غيري».

وقوله: **(وعبيدكم)** أمثالكم حال من فاعله.

قوله: (﴿حَنِيفًاۚ﴾) أي مائلاً إليه مستقيمًا عليه. **قوله**: (حال من المأمور) وهو النبيّ ﷺ أو من الذين مجازًا. **قوله**: **(غير نائين عنه)** في مختار الصحاح: ناءَ بوزن باع لغة في نَأَى أي بَعُد، وأيضًا فيه: نَأَى عنه يَنْأَى بالفتح نَأيًا بوزن فلس أي بَعُد. **قوله**: **(ومنه قوله عليه السلام)** في الحديث القدسي. **قوله**: **(فاجتالتهم الشياطين)** في

(وقوله عليه السلام: «كل مولود) يُولَد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه». وقال الزجّاج: معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث «إن الله عزَّ وجلّ أخرج من صلب آدم كالذرّ وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم». فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] وكل مولود هو من تلك الذرِّيَّة التي شهدت بأن الله تعالى خالقها. فمعنى فِطرة الله دين الله ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي خلق ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي ما ينبغي أن تُبدَّل تلك الفطرة أو تُغيَّر. وقال الزَّجّاج: معناه لا تبديل لدين الله ويدلّ عليه ما بعده وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ذلك.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه وهو حال من الضمير في «الزموا»، وقوله: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ و﴿أَقِيمُوا﴾ و﴿لَا تَكُونُوا﴾ معطوف على هذا المُضمَر، أو من قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ لأن الأمر له عليه السلام أمر لأمته فكأنه قال: فأقيموا وجوهكم مُنيبين إليه، أو التقدير كونوا مُنيبين دليله قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي أدّوها في أوقاتها ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ممّن يُشرِك به غيره في العبادة ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ **(بدل** ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ **بإعادة الجار)** ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ جعلوه أديانًا مختلفة لاختلاف أهوائهم **(**﴿فارقوا﴾ **حمزة وعلي وهي قراءة عليّ رضي الله عنه)** أي

لسان العرب: اجتالهم الشيطان حوّلهم عن القَصْد، وفي الحديث: «إن الله تعالى قال: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشيطان» أي استخَفَّهم فجالوا معه. قال شَمِر: يقال: اجتال الرجل الشيء إذا ذهب به وطرده وساقه واجتال أموالهم أي ذهب بها. اهـ. **قوله**: (وقوله عليه السلام: «كل مولود») . . . الخ. أخرج مالك وأبو داود وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه». اهـ.

قوله: (بدل ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ **بإعادة الجار)** بدل الكلّ. **قوله**: **(«فارقوا»)** بألف بعد الفاء وتخفيف الراء **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(وهي قراءة عليّ رضي الله تعالى عنه)**، والباقون بغير الألف وتشديد الراء.

تركوا دين الإسلام ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقًا كل واحدة (تشايع) إمامها الذي أضلّها ﴿كُلُّ حِزْبِۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقًّا.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة من (هُزال) أو مرض أو قحط أو غير ذلك ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ أي خلاصًا من الشدة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في العبادة. ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ هذه لام كي. وقيل: لام الأمر للوعيد ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النِّعَم ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ بكفرهم قليلًا أمر وعيد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم. ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ وتكلمه مجاز كما تقول: «كتابه ناطق بكذا» وهذا مما نطق به القرآن، ومعناه الشهادة كأنه قال: فهو يشهد بشِركهم وبصحته ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ «ما» مصدرية أي بكونهم بالله يُشركون، أو موصولة ويرجع الضمير إليها أي فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يُشركون، أو معنى الآية أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكًا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون. ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ (بطروا) بسببها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ أي بلاء من (جدب) أو ضيق أو مرض ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب شؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من الرحمة و﴿إِذَا﴾ لمفاجأة جواب الشرط نابت عن الفاء لتآخيهما في التعقيب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

قوله: (تشايع) في المصباح: شايعته على الأمر مشايعة مثل تابعته متابعة وزنًا ومعنى. اهـ.

قوله: (هُزال) في مختار الصحاح: الهُزال ضد السِّمن. اهـ. **قوله**: (بطروا) البَطَر الأشَر وهو شدّة المَرَح، وبابه طَرِب. اهـ. **قوله**: (جدب) الجَدْب ضد الخِصْب. اهـ مختار الصحاح.

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أنكر عليهم بأنهم قد علموا بأنه القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته، وما لهم لا يرجعون إليه تائبين عن المعاصي التي عُوقِبوا بالشدة من أجلها حتى يُعيد إليهم رحمته! ولما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدَّمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك فقال: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أعطِ قريبك ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البرِّ والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ نصيبهما من الصدقة المُسَمَّاة لهما، (**وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم كما هو مذهبنا**) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيتاء حقوقهم ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي ذاته أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصًا ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ يريد وما أُعطيتم أكلة الرِّبا مِن رِبًا ليربوا في أموالهم ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلا يزكوا عند الله

قوله: (**وفيه دليل وجوب النفقة للمحارم**) من ذوي القرابة إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب، (**كما هو مذهبنا**). وعبارة تفسير البيضاوي رحمه الله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ كصلة الرحم، واحتجّ به الحنفية في وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به. اهـ. وعبارة حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: كصلة الرحم أي بأنواعها، وقوله: واحتجّ به أي بكل ذي رحم محرم ذكرًا أو أنثى إذا كان فقيرًا أو عاجزًا عن الكسب، وعند الشافعي رحمه الله: لا نفقة بالقرابة إلّا على الولد والوالدين، كما بيَّن في الفقه، ووجه الاحتجاج أن (آت) أمر للوجوب، والظاهر من الحقّ بقرينة ما قبله أنه ماليّ، ولو كان المراد الزكاة لم يقدّم حق ذوي القربى؛ إذ الظاهر من تقديمه المغايرة، فقوله: إنه غير مُشعر به دون دال عليه انتصار لمذهبه، وجوابه ما سمعت وما قيل من أنه إذا فسّر حقّ الأخيرين بنصيب الزكاة وجب تفسير الأوّل بالنفقة الواجبة، لئلا يكون لفظ الأمر للوجوب والندب معًا، ولهذا استدلّ أبو حنيفة رحمه الله، وردّ بأنه إذا فسّر حقّ الأول بالزكاة لا يلزم ما ذكر مع أن الأمر في الأخيرين ليس للوجوب؛ لأن السورة مكّية، والزكاة إنما فُرضت بالمدينة، ولذا لم تذكر هنا بقية الأصناف مع أن ما ذُكر ليس بمحذور عند المصنّف وفيه بحث؛ لأن حمله على الزكاة يأباه الإفراد وذكر حقه والعطف مع دخوله في المسكين. وأمّا كون الأمر للندب لما ذكر، فالخصم مصرّح بخلافه، لقوله: وظّف، فكان هذه الآية عنده مدنية. وأمّا كونه محذورًا، فقد

ولا يبارك فيه. (وقيل: هو من الربا الحلال أي وما تعطونه من الهدية)لتأخذوا أكثر منها فلا يربوا عند الله لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تبتغون به وجهه خالصًا لا تطلبون به مكافأة ولا رياء ولا سمعة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ (ذوو الإضعاف)من الحسنات ونظير المضعف (المقوى)والموسر لذي القوة واليسار. («أتيتم من ربًا» بلا مدّ: مكي)أي (وما غشيتموه)من إعطاء رِبًا («لتربوا» مدني) أي لتزيدوا في أموالهم. وقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل: مَن فعل هذا فسبيله سبيل المُخاطبين. والمعنى المضعفون به لأنه لا بدَّ له من ضمير يرجع إلى «ما» الموصولة. وقال الزجَّاج: في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ أي فأهلها هم المضعفون أي هم الذين يضاعف لهم الثواب يعطون بالحسنة عشر أمثالها.

ثبت عندنا كما بيّن في الأصول، فلا يفيده ما تقرّر بطلانه عندنا، فتأمّل. اهـ. **قوله:** (وقيل: هو من الربا الحلال)، قال أهل التأويل: هذا ربا حلال لا وِزْر فيه، إلّا إنما يُباح في حقّ عامة الناس. وأمّا في حقّ النبيّ عليه الصلاة والسلام، فلا يربو؛ لقوله تعالى في حقّه عليه الصّلاة والسلام: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدّثر: الآية ٦] أي لا تعط لتعطى أكثر منه ابتغاءً لثواب الدنيا، ولكن أعطِ ابتغاء لثواب الآخرة. **قوله:** (أي وما تعطونه من الهدية)... الخ. فيكون تسميتها ربا مجازًا لأنها سبب الزيادة. **قوله:** (ذوو الأضعاف) يعني أنه اسم فاعل من أضعف إذا صار ذا ضعف بكسر فسكون، بأن يُضاعف له ثواب ما أعطاه، كأقوى وأيسر إذا صار ذا قوة ويسار، فهو لصيرورة الفاعل ذا أصله، والأضعاف بفتح الهمزة جمع ضعف وجوّز بعضهم كسرها على أنه مصدر، والأوّل أوْلى.

قوله: (المقوى) اسم فاعل من أقوى لا من قوى بالتشديد من قولهم: أقوى الرجل إذا صار ذا قوّة. **قوله:** («أتيتم من ربًا») بقصر الهمزة (بلا مدّ: مكي) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالمدّ بمعنى الإعطاء. **قوله:** (وما غشيتموه) أي فعلتموه. **قوله:** («لتربوا») بالتاء من فوق وضمّها وسكون الواو على إسناده لضمير المخاطبين، وهو مضارع أربى معدّى بالهمزة فمضارعه مضموم حُذِفت منه نون الرفع لنصبه بأن مقدّرة بعد لام كي (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، وكذا يعقوب البصري، والباقون بياء الغيب وفتحها وفتح الواو لإسناد الفعل إلى ضمير يربو، وهو مضارع ربا زاد فواوه لام الكلمة وفتحت علامة للنصب لأنها حرف الإعراب، وخرج فلا يربو المتفق على غيبه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

ثم أشار إلى عجز آلهتهم فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي هو المختصّ بالخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي أصنامكم التي زعمتم أنهم شركاء الله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم﴾ أي من الخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ أي شيئًا من تلك الأفعال فلم يجيبوا عجزًا فقال استبعادًا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ و«من» الأولى والثانية والثالثة كل واحدة منهنّ مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ نحو القحط وقلة الأمطار (والريع) في الزراعات والربح في التجارات ووقوع (الموتان) في الناس والدواب وكثرة (الحرق والغرق ومحق البركات) من كل شيء ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ بسبب معاصيهم وشركهم كقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: الآية ٣٠] ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة، (وبالنون عن قنبل) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه من المعاصي. ثم أكد تسبيب المعاصي لغضب الله ونكاله بقوله:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ حيث أمرهم بأن يسيروا فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة

قوله: (والريع) ـ بالفتح ـ النّماء والزيادة. **قوله:** (والموتان) بضمّ الميم وسكون الواو موت عام. **قوله:** (الحرق والغرق) بسكون الراء فيهما أو بفتحها اسم مصدر بمعنى الإحراق والإغراق. **قوله:** (ومحق البركات) إفناؤها. **قوله:** (وبالنون) موضع بالياء الأُولى (عن قُنْبل) هو محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو ويلقّب قنبلًا، ويقال: هم أهل بيت بمكّة يُعرفون بالقنابلة، توفي بمكّة بعد سنة ثمانين ومائتين رحمه الله. والباقون بالياء.

بمعاصيهم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ هو مصدر بمعنى الرد ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يتعلق بـ ﴿يَأْتِيَ﴾ والمعنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردّه أحد كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٠] أو بمرد على معنى لا يردّه هو بعد أن يجيء به ولا ردّ له من جهته ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدّعون أي يتفرقون. ثم أشار إلى غِناه عنهم فقال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ (**أي وبال كفره**) ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي يسوون لأنفسهم ما يسوِّيه لنفسه الذي يمهِّد لنفسه فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغِّص عليه مرقده من (**نتوء**) وغيره، والمعنى أنه يمهِّد لهم الجنة بسبب أعمالهم فأُضيف إليهم. وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لايعود إلا على الكافر، ومنفعة الإيمان والعمل الصالح ترجع إلى المؤمن لا تجاوزه.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾ تعليل له وتكرير ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وترك الضمير إلى الصريح لتقريراته لا يفلح عنده إلا المؤمن ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي عطائه. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (**تقرير بعد تقرير على الطرد**) والعكس ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي ومن آيات قدرته ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ هي (**الجنوب والشمال**) و(**الصَّبا**) وهي

قوله: (**أي وبال كفره**) ففيه مضاف مقدّر. **قوله**: (**نتوء**) في مختار الصحاح: نَتَأَ فهو ناتئ ارتفع وبابه خضع وقطع. اهـ.

قوله: (**تقرير بعد تقرير على الطّرد**) والعكس عند أهل المعاني من أنواع إطناب الزيادة، وهو كون الجملتين أولاهما مقرّرة بمنطوقها لمفهوم الثانية، وبالعكس. **قوله**: (**الجَنوب**) الريح المقابلة للشمال. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الريح القبلية. **قوله**: (**والشمال**) ريح **الشمال** تجيء من ناحية القطب والجنوب تقابلها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي المصباح: الشمال الريح تقابل الجنوب، وفيها خمس لغات الأكثر بوزن سلام، وشمأل مهموز وزان جعفر، وشأمل على القلب وشمل مثل سبب وشمل فلس. اهـ. **قوله**: (**الصبا**) ريح ومَهَبُّها المستوى، أي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى اللّيل والنهار، ومقابلتها الدَّبور. اهـ مختار الصحاح.

رياح الرحمة، وأما (**الدبور**) فريح العذاب (**ومنه قوله عليه السلام**: «**اللَّهمّ اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**») وقد عدَّد الفوائد في إرسالها فقال: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أي أرسلها للبشارة بالغيث ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ولإذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول (**الخصب**) الذي يتبعه (**والروح**) الذي مع هبوب الريح (**وزكاء الأرض**) وغير ذلك. ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ معطوف على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ على المعنى كأنه قيل: ليبشركم وليذيقكم ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر عند هبوبها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ أي بتدبيره أو بتكوينه كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: الآية ٨٢] الآية. ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يريد تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولتشكروا نعمة الله فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي فآمن بهم قوم وكفر بهم قوم، ويدلّ على هذا الإضمار قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي كفروا بالإهلاك في الدنيا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وكان نصر المؤمنين حقًّا علينا بإنجائهم مع الرُسُل. (**وقد يوقف**) على ﴿حَقًّا﴾ ومعناه وكان الانتقام منهم حقًّا ثم تبدأ ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والأول أصح ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ (﴿ٱلرِّيحَ﴾ مكي) ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا

قوله: (الدبور) في المصباح: الدبور وزان رسول ريح تهبّ من جهة المغرب تقابل الصّبا، ويقال: تُقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق. اهـ. **قوله**: (**ومنه قوله عليه السلام**: «**اللّهمّ اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**») أخرجه البيهقي والطبراني وهو ضعيف، لكنه ورد من طرق تجبر ضعفه. **قوله**: (**الخصب**) بالكسر ضد الجَدْب. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (والرَّوح) بالفتح الراحة. **قوله**: (**وزكاء الأرض**) في مختار الصحاح: زكى الزرع يزكو زكاء بالفتح والمدّ أي نمى. اهـ.

قوله: (**وقد يوقف**)... الخ. أشار بقد والفعل المجهول إلى ضعفه. **قوله**: (﴿ٱلرِّيحَ﴾) بالإفراد (مكي) أي ابن كثير المكي، والباقون بالألف بعد الياء على الجمع، ولا خلاف بينهم في الأوّل وهو ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ أنه بالجمع، وفي الثالث

﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ أي السحاب ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي (**في سمت السماء وشقها كقوله**: ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾) [إبراهيم: الآية ٢٤]، ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ناحية الشمال أو الجنوب أو الدبور أو الصبا ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قطعًا (**جمع كسفة**) أي يجعله منبسطًا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعًا متفرقة غير منبسطة مرة. (﴿كِسْفًا﴾ **يزيد وابن ذكوان**) ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ﴾ في التارتين جميعًا ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالودق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ يريد إصابة بلادهم وأراضيهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

(﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ﴾) أن ﴿يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطر ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ كرر للتأكيد كقوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ [الحشر: الآية ١٧] ومعنى التوكيد فيها الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول فاستحكم بأسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ﴾ (﴿ءَاثَٰرِ﴾ **شامي وكوفي غير أبي بكر. وغيرهم** ﴿أَثَرِ﴾) ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي المطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات وأنواع الثمار ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي الله ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم، فهذا استدلال

وهو ريحًا فرأوه إنه بالإفراد. **قوله**: (**في سَمْت السماء**) أي في جهة السماء. **قوله**: (**وشقّها**) الشِّق الناحية. **قوله**: (**كقوله**) في سورة إبراهيم: (﴿وَفَرْعُهَا﴾) وأعلاها ورأسها (﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾). **قوله**: (**جمع كسفة**) كقطعة وقطع. **قوله**: (﴿كِسْفًا﴾) بإسكان السين جمع كسفة أيضًا كسدرة وسدر (**يزيد**) هو أبو جعفر المدني، (**وابن ذكوان**) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي، عن ابن عامر الشامي رحمه الله، والباقون بفتح الشين.

قوله: (﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ﴾).. الخ. إن مخفّفة من الثقيلة واللام هي الفارقة ولا ضمير شأن فيها مقدّر كما قيل، لأنه إنما يقدّر في المفتوحة، وأمّا المكسورة فيجب إهمالها كما فصّله في المغني. اهـ شهاب. **قوله**: (﴿ءَاثَٰرِ﴾) بألف بعد الهمزة والألف بعد الثاء على الجمع (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وكوفي غير أبي بكر**) شعبة بن عياش عن عاصم أي حفص وحمزة والكسائي وخلف لتعدّد أثر المطر المعبّر عنه بالرحمة وتنوّعه، (**وغيرهم** ﴿أَثَرِ﴾) على التوحيد. **قوله**: (**المَوات**) بالفتح.

بإحياء (**الموات**) على إحياء الأموات ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي وهو على كل من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أي الدبور ﴿فَرَأَوْهُ﴾ أي أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات. (**ومَن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه**) لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سُمِّي به ما ينبت ﴿مُصْفَرًّا﴾ بعد اخضراره. (**وقال**: ﴿مُصْفَرًّا﴾) لأن تلك صُفرة حادثة. وقيل: فرأوا السحاب مصفرًّا لأن السحاب الأصفر لا يُمطِر. واللام في ﴿لَئِنْ﴾ موطئة للقَسَم دخلت على حرف الشرط، وسدَّ مسدَّ جوابي القَسَم والشرط ﴿لَّظَلُّوا﴾ ومعناه ليظلن ﴿مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ أي من بعد اصفراره أو من بعد الاستبشار، ذمَّهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم المطر (**قنطوا**) من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مُبْلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا، فإذا أرسل ريحًا فضرب زروعهم (**بالصفار**) ضجُّوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا، وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا، وأن يصبروا على بلائه فكفروا.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ (﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ **مكي**) ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فإن قلت: الأصم لا يسمع مُقبِلًا أو مُدبِرًا، فما فائدة هذا التخصيص؟ قلت: هو إذا كان مقبلًا يفهم (**بالرمز**) بالإشارة فإذا ولَّى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة.

قوله: (**ومَنْ قرأ بالجمع**) قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ (**رجع الضمير**) في فرأوه (**إلى معناه**). **قوله**: (**وقال** ﴿مُصْفَرًّا﴾) ولم يقل أصفر. **قوله**: (**قنطوا**) من باب جلس ودخل وطلب وسلم. **قوله**: (**بالصفار**) الصفار ـ بالضمّ ـ صفرة يعلو اللّون. اهـ محشي.

قوله: (﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾) بفتح الياء من تحت وفتح الميم ورفع ﴿الصمّ﴾ على الفاعلية (**مكي**) أي ابن كثير المكّي، والباقون بضم التاء الفوقية مع كسر الميم ونصب ﴿الصمّ﴾ على المفعولية. **قوله**: (**بالرمز**) في المصباح: رمَزَ رَمْزًا من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب أشار بعين أو حاجب أو شفة. اهـ.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٥٣﴾

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ﴾ أي عمى القلوب، (﴿وما أنت تهدي العمي﴾ حمزة) ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ أي لا يمكنك أن تهدي الأعمى إلى طريق قد ضلّ عنه بإشارة منك له إليه ﴿إِن تُسۡمِعُ﴾ ما تسمع ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ منقادون لأوامر الله تعالى.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ۝٥٤﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ من النطف كقوله: ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [المرسلات: الآية ٢٠]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ يعني حال الشباب (وبلوغ الأشد) ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ يعني (حال الشيخوخة والهرم) ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من ضعف وقوة وشباب وشيبة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالهم ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ على تغييرهم وهذا الترديد في الأحوال أبيَن دليل على الصّانع العليم القدير. (فتح الضاد في الكل: عاصم وحمزة، وضمّ غيرهما وهو اختيار حفص)، وهما لغتان

قوله: («وما أنت تهدي العمي») بالتاء الفوقية مفتوحة وإسكان الهاء وفتح ياء ﴿العمي﴾ (حمزة)، والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء وألف بعدها وكسر ياء ﴿العمي﴾.

قوله: (وبلوغ الأشدّ) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث. قوله: (حال الشيخوخة) في المصباح: الشيخ فوق الكهل، وجمعه شيوخ وشيخان بالكسر، وربما قيل: أشياخ وشيخة مثل غلمة والشيخوخة مصدر شاخ شيخ. اهـ. وأيضًا فيه: الكهل مَنْ جاوز الثلاثين ووخطه[1] الشيب، وقيل: مَنْ بلغ الأربعين. وعن ثعلب في قوله: ﴿وَكَهۡلٗا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٦] قال: ينزل عيسى إلى الأرض كهلًا ابن ثلاثين سنة، والجمع كهول. اهـ. قوله: (والهرم) كِبَر السنّ. قوله: (فتح الضاد في الكل) أي في الثلاث (عاصم وحمزة، وضمّ غيرهما وهو اختيار حفص)؛ فالوجهان عنه صحيحان لكن الفتح رواية عن عاصم والضم اختياره لما رواه عن الفضل بن مرزوق عن عطية العوفي، قال: قرأت على ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ

---

(١) أي: خالطه، ١٢ منه رحمه الله.

(والضم أقوى) في القراءة لما رُوِيَ عن ابن عمر قال: قرأتها على رسول الله ﷺ ﴿مِّن ضَعۡفٍ﴾ فأقرأني ﴿مِّن ضُعۡفٍ﴾.

جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا﴾، فقال: أي ابن عمر ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ﴾، ثم قال: قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت عليّ وأخذ عليّ كما أخذت عليك، أي أنه قرأ عليه بفتح الضاد فأنكر عليه الفتح وأباه وأمره بالضم، وقال: فاقرأه، وعطية ضعيف، لكن قال المحقّق: رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن وقد رُوِي عن حفص من طرق أنه قال: ما خالفت عاصمًا في شيء من القرآن إلّا في هذا الحرف، قال الجعبري: فإن قلت: كيف خالف مَنْ توقفت صحة قراءته عليه؟ قلت: ما خالفه بل نقل عنه ما قرأه عليه، ونقل عن غيره ما قرأه عليه، لا أنه قرأ برأيه. اهـ. قلت: وأيضًا لم يعتمد في صحة قراءته على الحديث، وإنما تأنس به؛ لأن الحديث من طريق الآحاد وأعلى درجاته الحسن، ولا تثبت القراءة إلا بالتواتر، فعمدته ما قرأ به على غير شيخه، وثبت عنده تواترًا، وما ذكرناه من أن الضمّ اختيارًا لحفص لا رواية عن عاصم هو المصرّح به في كلام المحقّق. قال ابن مجاهد: وقرأ عاصم وحمزة ﴿مِّن ضَعۡفٍ﴾ بفتح الضاد في كلهنّ، وحفص عن نفسه لا عن عاصم ﴿من ضعف﴾ بضم الضاد. وقال المحقّق: وروى عبيد وعمرو عن حفص أنه اختار في ضعف الثلاثة الضمّ خلافًا لعاصم، ومثله للداني وسيأتي كلامه، وظاهر كلام الشاطبي حيث أطلق الخلاف لحفص يُوهم أنه عن عاصم؛ لأن قاعدته أنه مهما ذكر وجهين لراوٍ فهما مرويّان له عن إمامه وهو صريح كلام الإهوازي، والتحقيق ما تقدّم؛ فإن قلت: هل يقرأ لحفص بهذا الاختيار لأنه وإنْ لم يروه عن عاصم فقد رواه عن غيره وثبتت قراءته به، أو لا يقرأ به لأنه خالف شيخه وخرج عن طريقه وروايته؟ قلت: المشهور المعروف جواز القراءة بذلك، قال الداني: واختياري في رواية حفص من طريق عمرو وعبيد الأخذ بالوجهين بالفتح والضمّ، فأتابع بذلك على قراءته وأوافق به حفصًا على اختياره. قال المحقّق: وبالوجهين قرأت له وبهما آخذ. اهـ غيث النفع. وفي الإتحاف: واختلف في «ضعف» في الثلاثة؛ فأبو بكر وحفص بخلف عنه، وحمزة بفتح الضاد وافقهم الأعمش، والباقون بضمّها في الثلاث، وهو الذي اختاره حفص؛ لحديث ابن عمر فيه، وعن حفص أنه قال: ما خالفت عاصمًا إلّا في هذا الحرف، وقد صحّ عنه الفتح والضمّ، قال في النشر: وبالوجهين قرأت له وبهما آخذ، قيل: هما بمعنى، وقيل: الضمّ في البدن، والفتح في العقل. اهـ. **قوله**: **(والضمّ أقوى)**... الخ. قال في المعالم: الضمّ

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي القيامة سُمِّيت بذلك (لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا)، أو لأنها تقع بغتة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علمًا لها (كالنجم للثريا) ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يحلف الكافرون، ولا وقف عليه لأن ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبور أو في الدنيا ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ جواب القسم استقلوا مدة لَبْثهم في القبور أو في الدنيا لهَوْل يوم القيامة وطول مقامهم في شدائدها أو ينسون أو يكذبون ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق إلى الكذب في الدنيا ويقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ هم الأنبياء والملائكة والمؤمنون ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في علم الله المُثبَت في اللوح أو في حكم الله وقضائه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ ردّوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة، ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتّباعه. والفاء لجواب شرط يدلّ عليه الكلام تقديره: إن كنتم مُنكِرين البعث فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه

لغة قريش، والفتح لغة تميم؛ ولذا اختار النبيّ ﷺ قراءة الضم لأنها لغته لا ردًّا للقراءة الأخرى، فإنهما متواتران في السبعة، والحديث المذكور حديثٌ حسن رواه أبو داود والترمذي في السنن، ورواه في النشر، وقال: إنّ القراء لهذا اختاروا قراءة الضمّ وهي مرويّة عن عاصم، وفي رواية عنه ضمّ الأوّلين وفتح الثالثة. اهـ شهاب.

قوله: (لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا) يعني أن ساعات الدنيا أجزاء من أجزاء الزمان، وسمّى ما وقع في آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق تسمية الحال باسم المحل مجازًا، أو لأن الساعة بمعنى السرعة والبغتة، كما يقول المستعجل: أفعله في ساعة، والقيامة لمّا كانت بحيث تقع بغتة وفجأة سُمِّيت ساعة.

قوله: (كالنجم للثريا) العرب تسمّى الثريا نجمًا، وإن كانت في العدد نجومًا، يقال: إنها سبعة أنجم ستّة ظاهرة وواحدة خَفِيّة يمتحن الناس بها أبصارهم، وفي الشفاء للقاضي عياض: أن النبيّ ﷺ كان يرى في الثريّا أحد عشر نجمًا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ (بالياء: كوفي) ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يُقال لهم ارضوا ربكم بتوبة (من قولك: «استعتبني فلان) فأعتبته» أي استرضاني فأرضيته.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن (كصفة المبعوثين) يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا (بزور) وباطل.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي مثل ذلك الطبع ـ وهو الختم ـ يطبع الله على قلوب الجهلة الذين علم الله منهم اختيار الضلال حتى يسمّوا

قوله: (بالياء) على التذكير (كوفي) أي عاصم وحمزة وعليّ الكسائي وخلف، والباقون بالتاء على التأنيث. قوله: (من قولك: استعتبني فلان) الاستعتاب طلب العُتبى، وهي الاسم من الإعتاب كالعطاء والاستعطاء وتفسيره بالاسترضاء والإرضاء تفسير باللازم توضيحًا جعلهم بمنزلة مجنيّ عليه عاتب على الجاني.

قوله: (كصفة المبعوثين) كما قال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ﴾ [الرُّوم: الآية ١٠]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الرُّوم: الآيتان ١٢، ١٣]، وقال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الرُّوم: الآية ٤٤]، ويقولون حالفين: ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الرُّوم: الآية ٥٥]، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الرُّوم: الآية ٥٦] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٥٧]، فهذه هي الصفات العجيبة الثابتة لهم يوم القيامة. قوله: (بزور) الزُّور الكذب. اهـ مصباح.

المُحِقّين مُبطلين وهم (**أعرق**) خلق الله في تلك الصفة ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذاهم أو عداوتهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرتك على أعدائك وإظهار دين الإسلام على كل دين ﴿حَقٌّ﴾ لا بدّ من إنجازه والوفاء به ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي لا يحملنّك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفّة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب، أو لا يحملنّك على الخفّة والقلق جزعًا مما يقولون ويفعلون فإنهم ضُلّال شاكّون لا (**يستبدع**) منهم ذلك ﴿وَلَا يَسْتَخِفَنَّكَ﴾ (**بسكون النون عن يعقوب**)، والله الموفّق للصواب.

قوله: (**أعرق**) أي أثبت. **قوله**: (**يستبدع**) بمعنى يستغرب. **قوله**: (**بسكون النون**) أي بالنون الخفيفة (**عن يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي وليس من السبعة، توفي في ذي الحجّة سنة خمس ومائتين رحمة الله عليه.

تمّ هنا ما يتعلق بسورة الروم، بعون عناية الحيّ القيّوم، بالمسجد الحرام تحت ميزاب الرحمة على يد المؤلف الفقير إلى الباري سبحانه، المرتجي كرمه وإحسانه وامتنانه، **محمد عبد الحقّ** ابن الشيخ شاه محمد ابن يار محمد عاملهم الله بفضله العميم، ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم، ولا تضرب به وجوهنا يا إلٰه العالمين، ويا خير الناصرين، اللّهمّ أعِنّا على إكماله وإتمامه، وسهّل علينا ذلك مِنْ إنعامه، واعفُ عن زَللنا، وتقبّل منّا عملنا واجعل ذلك خالصًا لوجهك الكريم، موجبًا للفوز لديك في جَنّات النعيم، وانفع به العباد، في عامّة البلاد، واسلك بنا سبيل الرّشاد، وألهمنا الصواب والسّداد، واسْتُر عثراتنا، واسمح عن هفواتنا، اللّهمّ اجعل أمر الدين أعزّ مطلوب لنا وثبّتنا على نهج الاستقامة، وأعِذْنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدِّين والدنيا والآخرة، برَحْمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله وصحبه أجمعين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقرّبين، من أهل السمٰوات والأرضين، سبحان ربّك رّب العزّة عمّا يصفون، وسَلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

تمّ الجزء الثاني من الحاشية المسمّاة بالإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل،
للعلّامة مولانا عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين،
أبو البركات النسفي الحنفي، تغمّده الله برحمته ورضوانه،
وأسكنه أعلى جنانه ويَتْلوه الجزء السادس أوّله سورة لقمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(سورة لقمان)

(مكيَّة، وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ ذي الحكمة أو وصف بصفة الله عزَّ وجلَّ على الإسناد المجازي ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالان من الآيات **(والعامل معنى الإشارة في** ﴿تِلْكَ﴾ **حمزة بالرفع)** على أن ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ و﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبره و﴿هُدًى﴾ خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف **(أي هو)** أو هي هدًى ورحمة ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ للذين يعملون الحسنات المذكورة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة لقمان، مكيّة)** لقمان غير منصرف للعلمية والعجمة وإن كان عربيًّا فللعلمية والألف والنون المزيدتين **(وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية)** وخمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف. **قوله**: **(والعامل)** فيها **(معنى الإشارة في تلك)** لأنه عامل معنويّ إذ هو بمعنى أُشير ولولاه لم يأت الحال من الخبر على المشهور. **قوله**: **(حمزة بالرفع)** وقرأ الباقون بالنصب. **قوله**: **(أي هو)** مراعاة لظاهر الخبر.

(ونظيره قول أوس):

(الألمعيّ الذي يظن بك الـ ـظن كأن قد رأى وقد سمعا)

أو للذين يعملون جميع ما يحسن. ثم خصّ منهم القائمين بهذه الثلاثة لفضلها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ مبتدأ وخبر ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ صفة لـ ﴿هُدًى﴾ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ عطف عليه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ نزلت في (النضر بن الحارث) وكان يشتري أخبار (الأكاسرة) من فارس ويقول: إن محمدًا يقصّ (طرفًا) من قصة عاد وثمود فأنا أحدِّثكم بأحاديث الأكاسرة فيميلون إلى حديثه ويتركون استماع القرآن. واللهو كل باطل ألهى عن الخير وعمّا (يعني) ولهو الحديث نحو (السمر) بالأساطير التي لا أصل لها والغناء وكان (ابن مسعود

قوله: (ونظيره قول أوس) بن حجر بفتح الحاء المهملة والجيم قال في الأغاني كان أوس هذا من شعراء الجاهلية وفحولها:

(الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا)

أي أن الصفة كاشفة حُكِيَ عن الأصمعي أنه سُئل عن الألمعي فأنشد البيت وهذا البيت لأوس بن حجر من قصيدته المشهورة التي قالها في فضالة بن كلدة يمدحه فيها في حياته ويرثيه بعد مماته. **قوله**: (النضر بن الحارث) أُسر يوم بدر وقُتل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب أمره رسول الله ﷺ بذلك أجمع أهل المغازي والسير على أنه قتل يوم بدر كافرًا وإنما قتله لأنه كان شديدًا على رسول الله ﷺ والمسلمين. **قوله**: (الأكاسرة) جمع كسرى وهو معرب خسرو علم لملك منهم ثم كان لقبًا لملك الفرس كما كان قيصر لقبًا لملك الروم وفرعون لقبًا لمن ملك العمالقة. **قوله**: (طرفًا) طائفة. **قوله**: (يعني) يقصد. **قوله**: (السمر) السمر والمسامرة الحديث بالليل وبابه نصر. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من

وابن عباس) رضي الله عنهما يحلفان أنه الغناء. وقيل: الغناء مفسدة للقلب منفدة للمال مسخطة للربّ. وعن النبي ﷺ «ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين: أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا **(المنكب)** فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت». والاشتراء من الشراء كما رُوِيَ عن النضر، أو من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه أي يختارون حديث الباطل على حديث الحق. وإضافة اللهو إلى الحديث للتبيين بمعنى «من»، لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبيَّن بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» أو للتبعيض كأنه قيل: ومن الناس مَن يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه.

﴿لِيُضِلَّ﴾ أي ليصدّ الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن، **(﴿ليضلّ﴾ مكي وأبو عمرو)** أي ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ويزيد فيه ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دين الإسلام والقرآن ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلًا منه بما عليه من الوزر به ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي السبيل **(بالنصب كوفي غير أبي بكر)** عطفًا على ﴿لِيُضِلَّ﴾ ومن رفع عطفه على ﴿يَشْتَرِى﴾ ﴿هُزُوًا﴾ بسكون الزاي والهمزة: حمزة، **(وبضم الزاي بلا همز: حفص)**، وغيرهم بضم الزاي والهمزة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله: (وابن عباس)** هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله: (المنكب)** بفتح ميم وكسر كاف وهو ما بين الكتف والعنق. **قوله: (﴿ليَضلّ﴾)** بفتح الياء قبل الضاء من الضلالة **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وأبو عمرو)** وقر الباقون بضمها. **قوله: (بالنصب كوفيّ غير أبي بكر...)** الخ في الخطيب قرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الذال عطفًا على يضل، والباقون بالرفع على يشتري. اهـ. **قوله: (وبضم الزاي بلا همز: حفص)** أي بإبدال همزتها واوًا.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي يهينهم و«من» لإبهامه يقع على الواحد والجمع أي النضر وأمثاله.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أعرض عن تدبّرها متكبّرًا رافعًا نفسه عن (الإصغاء) إلى القرآن ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يشبّه حاله في ذلك حال مَن لم يسمعها وهو حال من ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ والأصل كأنه والضمير ضمير الشأن ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ثقلًا وهو حال من ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ (﴿أُذْنيه﴾: نافع) ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ ولا وقف عليه لأن ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكّدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره إذ لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد، و﴿حَقًّا﴾ يدل على معنى الثبات فأكّد به معنى الوعد (ومؤكدهما ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾) ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيهين أعداءه بالعذاب المهين ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بما يفعل فيثيب أولياءه بالنعيم المُقيم.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ جمع عماد ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير للسمٰوات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما تقول لصاحبك «أنا بلا سيف ولا رمح تراني»، ولا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة أو في محل الجر صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾ أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي

قوله: (الإصغاء) في المصباح أصغيت الإناء بالألف أملته وأصغيت سمعي ورأسي كذلك. اهـ. وفي مختار الصحاح أصغى إليه مال بسمعه نحوه وأصغى الإناء أماله. اهـ. **قوله**: (﴿أُذْنيه﴾) بسكون الذال (نافع) وقرأ الباقون بضمها. **قوله**: (**ومؤكدهما** ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾) أي ومؤكدهما واحد.

إمساكها بقدرته ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لئلا تضطرب بكم ﴿وَبَثَّ﴾ ونشر ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ حسن.

﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته ﴿خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي مخلوقه ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ يعني آلهتهم **(بكّتهم)** بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله، فأروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم **(بالتورّط)** في ضلال ليس بعده ضلال.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ وهو لقمان ابن **(باعوراء)** ابن أُخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام، فلما بُعِث قَطَعَ الفتوى فقيل له فقال: ألا أكتفي إذا كُفيت؟ وقيل: كان خيّاطًا. وقيل: نجّارًا، وقيل: راعيًا، وقيل: كان قاضيًا في بني إسرائيل. وقال **(عكرمة والشعبي)**: كان نبيًا. والجمهور على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًا. وقيل: خُيِّر بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة وهي الإصابة في القول والعمل. وقيل: تتلمذ لألف وتتلمذ له ألف نبي. و«أن»

قوله: (بكّتهم) التبكيت كالتقريع والتعنيف وبكته بالحجة تبكيتًا غلبه. اهـ.
قوله: (بالتورّط) في مختار الصحاح الوَرْطة الهلاك وأَوْرطه وورّطه توريطًا أي أوقعَه في الوَرْطة فَتورَّط فيها. اهـ.

قوله: (باعوراء) بعين مهملة ممدودًا. **قوله: (عكرمة)** هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثقة عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا يثبت عنه بدعة مات سنة سبع ومائة وقيل: بعد ذلك. **قوله: (والشعبي)** هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار وهو

في ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ مفسِّرة والمعنى أي اشكر الله (**لأن إيتاء الحكمة في معنى القول**)، وقد نبّه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسّر إيتاء الحكمة بالحثّ على الشكر. وقيل: لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكيمًا في قوله وفِعْله ومُعاشرته وصحبته، وقال (**السري السقطي**): الشكر أن لا تعصي الله بنِعَمه. وقال (**الجنيد**): أن لا ترى معه شريكًا في نِعَمه. وقيل: هو الإقرار بالعجز عن الشكر. والحاصل أن شكر القلب المعرفة، وشكر اللسان الحمد، وشكر الأركان الطاعة، ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل. ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن منفعته تعود إليه فهو يريد المزيد ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ غير محتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾ أي واذكر إذ ﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ (**أنعم أو أشكم**) ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ **بالإسكان مكي** ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ **حفص بفتحه في كل القرآن**) ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ

كوفيّ تابعي جليل القدر وافر العلم. تُوفي بالكوفة سنة أربع وقيل: ثلاث وقيل: ست وقيل: سبع وقيل: خمس ومائة، والشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى شعب وهو بطن من همدان. **قوله**: (**لأن إيتاء الحكمة في معنى القول**) فإنه إما بوحي إن قيل إنه نبيّ أو إلهام أو تعليم والكل متضمن القول. **قوله**: (**السريّ السقطي**) هو أبو الحسن سري بن المغلس خالُ الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد مات سنة سبع وخمسين ومائتين. **قوله**: (**الجنيد**) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة وإمامهم مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

قوله: (**أنعم أو أشكم**) بوزن أفعل ماضيًا من الرباعي علمان أعجميّان أو ماثان بالثاء المثلثة علم أعجميّ أيضًا. **قوله**: (﴿يَٰبُنَىَّ﴾ **بالإسكان مكي**) أي ابن كثير المكيّ (﴿يَٰبُنَىَّ﴾ **حفص بفتحه في كل القرآن**) عبارة الخطيب، قرأ حفص بفتح الياء

﴿ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنه تسوية بين مَن لا نعمة إلا وهي منه ومَن لا نعمة له أصلًا.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي حملته تهن وَهْنًا على وَهْن أي تضعف ضعفًا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازدادت ثقلًا وضعفًا ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ **(أي فطامه عن الرّضاع)** لتمام عامين ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ هو تفسير لـ ﴿وَصَّيْنَا﴾ أي وصّيناه بشكرنا وبشكر والديه. وقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ اعتراض بين المفسّر والمفسّر لأنه لما وصّى بالوالدين ذكر **(ما تكابده الأم)**

وسكنها ابن كثير وكسرها الباقون. اهـ. **قوله: (أي فطامه عن الرضاع)** وهو أن يفصل الولد عن الأم كيلا يرضع الجوهري فطام الصبي فصاله عن أمه، ويطلق الفطم على القطع فيقال: فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته أي قطعته ولما كان قوله: وفصاله مبتدأ وقوله: في عامين خبره كان المعنى وفصاله يقع في عامين وليس فيه تعيين مدة الرضاع فلذلك فسّره القاضي البيضاوي وفطامه في انقضاء عامين على معنى أن انقضاءهما هو الغاية التي لا يتجاوز عنها الإرضاع والأمر فيما بين العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٣]. وبه استشهد الإمام الشافعي على أن مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها من وقت الولادة. وهو مذهب أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى، وأما عند أبي حنيفة فمدّة الرضاع ثلاثون شهرًا استدلالًا بقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: الآية ١٥] حيث جعل المدة المذكورة مدة لكل واحد من الحمل والفصال، لكن قول عائشة رضي الله تعالى عنها لا يبقى الولد في رحم أمه أكثر من سنتين ولو بفلكة مغزل بين أن أكثر مدة الحمل سنتان لأن مثله لا يعرف قياسًا بل سماعًا من الشارع وبه يثبت النسخ وبقيت المدة المذكورة في حق الفصال فما كانت مدة الرضاع عنده ثلاثين شهرًا قيل: إن هذه الآية عنده لبيان الرضاع المستحق على الأم لا لبيان المدة التي ينتهي حكم الرضاع عندها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (ما تكابده الأم)** في لسان العرب مكابدة الأمر معاناة مشقته وكابدتُ الأمر إذا قاسيت

وتُعانيه من المَشاقّ في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيرًا «بحقها العظيم مفردًا». وعن **(ابن عيينة)**: مَن صلّى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومَن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي مصيرك إليّ وحسابك عليّ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ **(أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام)** ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الشِّرك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صفة مصدر محذوف أي صحابًا معروفًا حسنًا بخلق جميل وحلم واحتمال وبِرّ وصلة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سَبيلهما فيه وإن كنت مأمورًا بحُسْن مصاحبتهما في الدنيا. وقال **(ابن عطاء)**: صاحِب مَن ترى عليه أنوار خدمتي. ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي مرجعك ومرجعهما ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأُجازيك على إيمانك وأُجازيهما على كُفرهما. وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيدًا لما في وصية لقمان من النهي عن الشِّرك يعني إنّا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما في الشِّرك وإن **(جهدا)** كل الجهد لقبحه.

شدّته.اهـ. وفي المصباح المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله.اهـ. **قوله**: **(ابن عيينة)** هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكيّ ثقة حافظ فقيه إمام حجة مات في رجب سنة ثمان وتسعين وله إحدى وتسعون سنة.

قوله: **(أراد بنفي العلم به نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام)** إذ ظاهره أن المعلوم متحقق لكم العلم به منتفٍ ولدفع هذه الخدشة العظيمة حمله على ذلك كناية. **قوله**: **(ابن عطاء)** أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة. **قوله**: **(جَهَدا)** في مختار الصحاح جَهَد الرجل في كذا أي جَدّ فيه وبالغ وبابه قطع.اهـ.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ بالرفع: **(مدني)**، والضمير للقصة وأنّث المثقال لإضافته إلى الحبة **(كما قال)**:

كما شرقت صدر القناة من الدم

و«كان» تامّة والباقون بالنصب والضمير للهيئة من الإساءة والإحسان أي إن كانت مثلًا في الصغر كحبة خردل ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة، أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي والأكثر على أنها التي عليها الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الفجّار وليست من الأرض ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يوم القيامة فيحاسب بها عاملها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بتوصّل علمه إلى كل خفي ﴿خَبِيرٞ﴾ عالِم **(بكنهه)** أو لطيف باستخراجها خبير بمستقرها.

قوله: **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة.

قوله: **(كما قال)** أي الأعشى أبو بصير ميمون بن قتيل الجوع قيس بن جندل من شعراء الجاهلية وفحولهم:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

أي أنّث فعله مع أن المثقال مذكر من حيث إنه اكتسب التأنيث بإضافته إلى حبة كما أنّث الصدر لإضافته إلى القناة في قول الشاعر في حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله الشرق الشجى والغصة يقال: شرق بريقه أي غصّ به وانسدّ حلقه بحيث لا ينزل ولا يخرج وذاع الخبر يذيع ذيعًا وذيوعًا أي انتشر وأذاعه نشره عبر بذم شخص أذاع خبرًا وكان من حقه أن يخفيه.اهـ. وفي حاشية الشهاب عليه رحمة الله الوهاب وهو يهدّد بالهجاء من هجاه والشرق وقوف الماء في الحلق كالغصة وفعله كعلم وهو استعارة هنا لتضرره بما ظنّه نافعًا وتشبيه صدر القناة التي عليها الدم بمن شرق في مجرد وقوف المائع والشاهد فيه ظاهر والمثقال ما يقدر به غيره لتساوي ثقلهما.اهـ. أي وإنما أنّث شرقت لإضافة الصدر إلى القناة والقناة الرمح. **قوله**: **(بكنهه)** في المصباح كنْه الشيء حقيقته ونهايته.اهـ.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ في ذات الله تعالى إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، أو على ما أصابك من **(المحن)** فإنها تُورِث **(المنح)** ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي وصيتك به ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي مما عزمه الله من الأمور أي قطعه قطع إيجاب وإلزام أي أمر به أمرًا حتمًا، وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي مقطوعاتها ومفروضاتها، وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت مأمورًا بها في سائر الأمم.

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي ولا تُعرِض عنهم تكبّرًا. (﴿تصاعر﴾ **أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي**)، وهو بمعنى تصعّر، **(والصعر)** داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعًا ولا تُوَلِّهم شِقَّ وجهك **(وصفحته)** كما يفعله المتكبِّرون ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ أي تمرح **(مرحًا)**، أو أوقع المصدر موقع الحال أي مرحًا، أو ولا تمشِ لأجل المرح و**(الأشر)** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ متكبّر ﴿فَخُورٖ﴾ مَن يعدّد مناقبه تطاولًا.

قوله: **(المحن)** جمع المحنة التي يمتحن بها الإنسان من بليّة مثل سدرة وسدر. **قوله:** **(المِنَح)** جمع المِنْحة بمعنى العطيّة.

قوله: (تصاعر) بألف بعد الصاد وتخفيف العين **(أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي)** والباقون بتشديد العين بلا ألف. **قوله:** **(والصَّعَر)** بفتحتين. **قوله:** **(وصفحته)** أي جانبه. **قوله:** **(مرحًا)** في المصباح مرح مرحًا فهو مرِحٌ مثل فرح فهو فرحٌ وزنًا ومعنى وقيل: أشد من الفرح.اهـ. **قوله:** **(الأشر)** في المصباح أشر أشرًا فهو أشر من باب تعب بطر وكفر النعمة فلم يشكرها.اهـ.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾

﴿وَٱقۡصِدۡ﴾ القصد التوسّط بين العلو والتقصير ﴿فِي مَشۡيِكَ﴾ أي اعدل فيه حتى يكون مشيًا بين مشيين لا تدبّ (**دبيب المتماوتين ولا تثب وُثوب الشُّطّار**). قال عليه السلام: («**سرعة المشي تُذهِب بهاء المؤمن**»). وأما قول (**عائشة**) في (**عمر**) رضي الله عنه: كان إذا مشى أسرع، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت، وعن (**ابن مسعود**) رضي الله عنه: كانوا ينهون عن (**خبب اليهود**) ودبيب النصارى ولكن مشيًا بين ذلك. وقيل: معناه وانظر موضع قدميك تواضعًا ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ وانقص منه أي اخفض صوتك ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ أي أوحشها ﴿لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ (**لأن أوله زفير وآخره شهيق**) كصوت أهل النار.

قوله: (**دبيب المتماوتين**) الدبيب المشي على هينة وبطء ضد الإسراع والمتماوت هو الذي يخفي صوته ويقل حركاته ممن يتزيا بزي العباد كأنه يتكلّف في اتصافه بما يقرب من صفات الأموات كما في النهاية ليوهم أنه ضعف من كثرة العبادة. **قوله:** (**ولا تثب وثوب الشطار**) في الصحاح وثب وثبًا ووثوبًا وثبانًا ظفر. اهـ. **وقوله:** (**الشطار**) بالضم وبتشديد الطاء جمع الشاطر. **قوله:** (**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**) هيبته وجماله لأنها تتعب فتغيّر اللون والهيئة. رواه أبو نعيم عن أبي هريرة في الحلية والخطيب في الجامع والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر وابن النجار عن ابن عباس. **قوله:** (**عائشة**) بنت أبي بكر الصدّيق أم المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح. **قوله:** (**عمر**) بن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغرًا ابن عبد العزى بن رباح بتحتانية ابن عبد الله بن قرط بضم القاف ابن رزاح براء ثم زاي خفيفة ابن عدي بن كعب القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا. **قوله:** (**ابن مسعود**) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله:** (**خبب اليهود**) في المصباح خبّ في الأمر خببًا من باب طلب أسرع الأخذ فيه ومنه الخبب لضرب من العدو. اهـ. **قوله:** (**لأن أوله زفير وآخره شهيق**) قال الضحاك

(وعن الثوري): صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سمّاه الله منكرًا. وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم **(بالنّهاق)** تنبيه على أن أرفع الصوت في غاية الكراهة يؤيده ما رُوِيَ أنه عليه السلام كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت ويكره أن يكون مجهور الصوت. **(وإنما وحّد صوت الحمير ولم يجمع)** لأنه لم يرد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، بل المراد أن كل جنس من الحيوان له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني البحار والأنهار والمعادن والدواب

ومقاتل الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره إذا ردده في جوفه. **قوله: (وعن الثوري)** هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفيّ ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجّة مات سنة إحدى وستين وله أربع وستون. **قوله: (بالنهاق)** في مختار الصحاح نُهاق الحمار صوته وقد نهقَ يَنهق بالكسر نهيقًا وينهُق بالضم نُهاقًا بضم النون. اهـ.

قوله: **(وإنما وحّد صوت الحمير ولم يجمع)** يعني أن الحمير جمع حِمَارٍ فينبغي أن يعبر عن الصوت المضاف إليه بلفظ الجمع أيضًا لأن صوت الجماعة لا يكون واحدًا إلّا أنه وحّد المضاف لأنه ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على أصوات سائر الأجناس التي لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا الجنس على أصوات غيره فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده. فإن قيل: إذا كان المراد تفضيل جنس الصوت المقيّد بالإضافة إلى جنس الحمير كان ينبغي أن يوحّد المضاف إليه أيضًا. قلنا الجمع المحلى بالألف واللام يضمحل عنه معنى الجمعية ويراد به الجنس فإنه إذا قيل: العصبة كل مَن يأخذ بقية الفرائض يكون المعنى مَن يأخذ ما بقي من جنس الفريضة وهي السهم المقدّر ضرورة أن اجتماع

وغير ذلك ﴿وَأَسْبَغَ﴾ وأتمّ ﴿عَلَيْكُمْ (نِعَمَهُ)﴾ **مدني وأبو عمرو وسهل وحفص**. ﴿**نِعْمَةً**﴾ **غيرهم**) والنعمة كل نفع قصد به الإحسان ﴿ظَٰهِرَةً﴾ بالمشاهدة ﴿وَبَاطِنَةً﴾ ما لا يعلم إلا بدليل ثم قيل: الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة، والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك. ويُروَى في دعاء موسى عليه السلام: إلٰهي دُلَّني على أخفى نعمتك على عبادك، فقال: أخفى نعمتي عليهم النفس. وقيل: تخفيف الشرائع وتضعيف (**الذرائع**) والخلق ونيل العطايا وصرف البلايا وقبول الخلق ورِضا الرب. وقال (**ابن عباس**): الظاهرة ما سوّى من خلقك والباطنة ما ستر من عيوبك. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ نزلت في (**النضر بن الحارث وقد مرَّ في «الحج»**).

الفروض في المسألة ليس شرطًا في العصوبة، فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لا الآحاد.

قوله: (﴿نِعَمَهُ﴾) بفتح العين وهاء مضمومة غير منوّنة جمع نعمة كسدرة والهاء ضمير اسم الله تعالى (**مدنيّ**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة (**وأبو عمرو وسهل**) بن محمد السجستاني وليس من السبعة (**وحفص** ﴿**نِعْمَةً**﴾) بسكون العين وتاء منوّنة (**غيرهم**). **قوله**: (**الذرائع**) أي الوسائل للثواب. **قوله**: (**ابن عباس**) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**النضر بن الحارث**) أُسر يوم بدر وقتل كافرًا.

قوله: (**وقد مرّ في «الحج»**) قال المصنّف رحمة الله عليه في سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ [الحج: الآية ٣] في صفاته فيصفه بغير ما هو له نزلت في أبي جهل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٠] أي ضروري ﴿وَلَا هُدًى﴾ [الحج: الآية ٨] أي استدلالي لأنه يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: الآية ٨] أي وحي والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة. اهـ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عدّى عنا بـ «إلى»، وفي ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٢] باللام فمعناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالمًا لله أي خالصًا له، ومعناه مع «إلى» أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكّل عليه والتفويض إليه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فيما يعمل ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ تمسك وتعلق ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾ هي ما يعلق به الشيء ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تأنيث الأوثق مثل حال المتوكل بحال مَن أراد أن (**يتدلى**) من (**شاهق**) فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي هي صائرة إليه فيجازي عليها.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ولم يسلم وجهه لله ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ من حزن، (﴿**يُحزِنك**﴾ **نافع من أحزن**) أي لا يهمنّك كُفْر مَن كَفر ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ فنعاقبهم على أعمالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ إن الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ بدنياهم ﴿ثُمَّ

قوله: (**يتدلى**) في لسان العرب التدلّي النزول من العلو. اهـ. **قوله**: (**شاهق**) في مختار الصحاح الشاهق الجبل المرتفع.

قوله: (﴿**يُحزِنك**﴾) بضم الياء وكسر الزاي (**نافع من أحزن**).

نَضۡطَرُّهُمۡ﴾ نلجئهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد (**شبّه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء، والغلظ مُستعار من الأجرام الغليظة والمراد، الشدة والثقل على المعذب**).

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السمٰوات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره. ثم قال: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أن ذلك يلزمهم وإذا نبّهوا عليه لم يتنبهوا ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد وإن لم يحمدوه.

﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

قال المشركون: إن هذا ـ أي الوحي ـ كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد بقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ (**والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب**) عطفًا على اسم «أن» وهو «ما»، والرفع على محل «أن» ومعمولها (**أي ولو ثبت كون الأشجار أقلامًا**)

قوله: (**شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطرّ إلى الشيء**) الذي لا يقدر على الانفكاك منه أي ذكر لفظ المشبّه به وأريد المشبّه وهو إلزام العذاب فنضطرهم استعارة تبعية. اهـ قنوي. **قوله**: (**والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب**) أي شبه شدة العذاب بالأجرام الغليظة في الثقلة فذكر لفظ المشبّه به وأريد المشبّه، والمراد عذاب ثقيل يثقل على المعذبين أشد الثقلة.

قوله: (**والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة والباقون بالرفع. **قوله**: (**أي ولو ثبت كون الأشجار أقلامًا**) إشارة

وثبت البحر ممدودًا بسبعة أبحر، أو على الابتداء والواو للحال على معنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدودًا (**وقرىء ﴿يُمِده﴾**) وكان مقتضى الكلام أن يقال: ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد، لكن أغنى عن ذكر المداد قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ (**لأنه من قولك: «مدُ الدّواة وأمدّها»**) جعل البحر الأعظم بمنزلة الدّواة وجعل الأبحر السبعة مملوءة مدادًا فهي تصبّ فيه مدادها أبدًا (**صبًا لا ينقطع**). والمعنى: ولو أن أشجار الأرض أقلام (**والبحر ممدود بسبعة أبحر**) وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته وتفدت الأقلام والمداد كقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: الآية ١٠٩]. فإن قلت: زعمت أن قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال. قلت: هو كقولك: «جئت والجيش مصطف» وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف. وإنما ذكر شجرة على التوحيد لأنه أُريد تفصيل الشجر وتقصّيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد بريت أقلامًا، وأوثر الكلمات وهي جمع قلّة على الكَلِم وهي جمع كثرة لأن معناه أن كلمات لا تَفِي بكتبتها البحار فكيف بكَلِمَه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء فلا تنفد كلماته وحكمه ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلا كخلق نفس واحدة

إلى أن ما بعد لو واقع موقع المفرد لكونه فاعلًا لفعل مقدّر لأن لو تطلب الفعل لفظًا أو تقديرًا فقولك: لو أنك قائم تقديره لو وقع قيامك والفاعل يجب أن يكون مفردًا فلذلك فتحت كلمة أنّ الواقعة بعد لو وما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ موصولة في محل النصب على أنها اسم أن وأقلام خبرها ومن شجرة في محل النصب على أنه حال من المنويّ في قوله في الأرض. **قوله**: (**وقرىء ﴿يُمِده﴾**) بضم الياء وكسر الميم من أمدّه وقارئه الحسن والأعرج. **قوله**: (**لأنه من قولك مد الدواة وأمدّها**) أي جعلها ذات مداد وزاد في مدادها دون من مدّ الجيش وأمدّه. **قوله**: (**صبًا لا ينقطع**) للمبالغة في الكثرة وإلّا فهي منقطعة كما قال تعالى: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] الآية. **قوله**: (**والبحر ممدود بسبعة أبحر**) قوله: سبعة أبحر ليس لحصر الأبحر في سبعة، بل المراد الإشارة إلى كثرة المدد ولو كان ألف بحر.

وبعث نفس واحدة فحذف للعلم به أي سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول المشركين إنه لا بعث ﴿بَصِيرٌ﴾ بأعمالهم فيُجازيهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يُدخِل ظلمة الليل في ضوء النهار إذا أقبل الليل ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لمنافع العباد ﴿كُلٌّ﴾ أي كل واحد من الشمس والقمر ﴿يَجْرِىٓ﴾ في فلكه ويقطعه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة أو إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ **(وبالياء: عياش)**. دلَّ أيضًا بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين في فلكيهما على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عِظَم قدرته وكمال حكمته ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ **(بالياء: عراقي غير أبي بكر)** ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ أي ذلك الوصف الذي وصف به من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العامِلون، فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله! إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت الإلـٰهية وأن من دونه باطل الإلـٰهية وأنه هو العليّ الشأن الكبير السلطان. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ (وقُرِىء ﴿ٱلْفُلُكِ﴾) **وكل فُعْل يجوز فيه فُعُل كما يجوز في كل فُعُل فُعْل)** ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه ورحمته أو

قوله: **(وبالياء: عياش)** بن الفضل الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء البصري في حاشية العلّامة الشيخ زاده رحمه الله. قرأ أبو عمرو في رواية بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب. انتهت. **قوله**: **(بالياء: عراقي غير أبي بكر)** إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة، قيل: عراقي. **قوله**: **(وقرىء الفلك)** بضم اللام قارئه موسى بن الزبير. **قوله**: **(وكل فعل)** مضموم الفاء **(يجوز فيه فُعُل)** أي ضمّ عينه اتباعًا لفائه **(كما يجوز في كل فُعُل)** بضمتين **(فُعْل)** أي تسكينها تخفيفًا.

بالريح لأن الريح من نِعَم الله ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ عجائب قدرته في البحر إذا ركبتموها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، وهما صفتا المؤمن فالإيمان نصفان: نصفه شكر ونصفه صبر فكأنه قال: إن في ذلك لآيات لكل مؤمن.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي الكفّار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ الموج يرتفع فيعود مثل (**الظلل**) والظلّة كل ما أظلّك من جبل أو سحاب أو غيرهما ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ أي باقٍ على الإيمان والإخلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر، أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قطّ والمقتصد قليل نادر ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي بحقيقتها ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدّار والختر أقبح الغدر ﴿كَفُورٍ﴾ لربه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لا يقضي عنه شيئًا والمعنى لا يجزىء فيه فحذف و﴿مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لأن الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم إلى ذلك قوله: ﴿هُوَ﴾ وقوله: ﴿مَوْلُودٌ﴾ والسبب في ذلك أن الخطاب للمؤمنين و(**عليتهم**) قبض آباؤهم على الكفر فأُريد (**حسم**) أطماعهم أن ينفعوا آباءهم بالشفاعة في الآخرة. ومعنى التأكيد لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي وُلد منه لم تُقبل شفاعته فضلًا أن يشفع لأجداده إذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فإنه لمن وُلد منك كذا في الكشاف ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والحساب والجزاء ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ

قوله: (الظلل) جمع ظلة. **قوله**: (عِلِيَّتَهُم) أي أشرافهم. **قوله**: (حسم) أي قطع.

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ بزينتها فإن نعمتها دانية ولذّتها فانية ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ الشيطان أو الدنيا أو الأمل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ **(أي وقت قيامها** ﴿وَيُنَزِّلُ﴾) بالتشديد: **(شامي ومدني وعاصم)**، وهو عطف على ما يقتضيه الظرف من الفعل تقديره: إن الله يثبت عنده علم الساعة وينزل ﴿ٱلۡغَيۡثَ﴾ في **(إبّانه)** من غير تقديم ولا تأخير ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ أذكر أم أنثى وتامّ أم ناقص ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ﴾ برّة أو فاجرة ﴿مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ من خير أو شرّ وربما كانت عازمة على خير فعملت شرًّا وعازمة على شرّ فعملت خيرًا ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ أي أين تموت؟ وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت لا أبرحها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها. **(رُوِيَ)** أن مَلَك الموت مرَّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه فقال الرجل: مَن هذا؟ فقال له: مَلَك الموت. قال: كأنه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويُلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال مَلَك الموت لسليمان: كان دوام نظري إليه تعجّبًا منه لأني أُمِرْتُ أن أقبض روحه بالهند وهو عندك. وجعل العلم لله والدراية للعبيد لما في الدراية من معنى **(الختل)** والحيلة، والمعنى أنها لا تعرف وإن أعْمَلَت حيلها ما يختص بها ولا شيء أخصّ بالإنسان من كسبه وعاقبته، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتها كان معرفة ما عداهما أبعد وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث والموت فإنه يقول بالقياس والنظر في الطَّالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيبًا على أنه مجرد الظن والظن غير العلم.

قوله: (أي وقت قيامها) بتقدير مضاف. **قوله: (**﴿وَيُنَزِّلُ﴾**)** بالتشديد أي بفتح النون وتشديد الزاي **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(ومدنيّ)** أي نافع المدني **(وعاصم)** والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي. **قوله: (إبّانه)** في مختار الصحاح أبّان الشيء بالكسر والتشديد وَقْته يقال: كل الفاكهة في إبّانها أي في وقتها. اهـ. **قوله: (رُوِي. . .)** الخ. رواه أحمد وابن أبي شيبة موقوفًا. **قوله: (الختل)** في مختار الصحاح ختله من باب ضرب وخاتله خدعه والتخاتل التخادُع. اهـ.

(وعن النبي ﷺ) «مفاتح الغيب خمس» وتلا هذه الآية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مَن ادّعى علم هذه الخمسة فقد كذب. ورأى **(المنصور)** في منامه صورة مَلَك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبّرها المُعَبِّرون بخمس سنوات وبخمسة أشهر وبخمسة أيام فقال **(أبو حنيفة)** رضي الله عنه: هو إشارة إلى هذه الآية، فإن هذه العلوم الخمسة لا يعلمها إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالغيوب ﴿خَبِيرٌ﴾ بما كان ويكون. وعن **(الزهريّ)** رضي الله تعالى عنه: أكثِروا قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب والله أعلم.

قوله: **(وعن النبيّ ﷺ...)** الخ رواه البخاري. **قوله**: **(المنصور)** هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس وأمه سلامة البربرية أم ولد وُلد سنة خمس وتسعين وأدرك جده ولم يرو عنه. وروى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهدي وبويع بالخلافة بعهد من أخيه وكان فَحْلَ بني العباس هَيْبَة وشجاعة وحَزْمًا ورأيًا وجبروتًا جمّاعًا للمال تاركًا للهو واللعب كامل العقل جيّد المشاركة في العلم والأدب فقيه النفس قتل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه على القضاء ثم سَجَنه فمات بعد أيام. **قوله**: **(أبو حنيفة)** رضي الله تعالى عنه الصحيح أنه وُلد سنة ثمانين، وقيل: إحدى وستين، وقيل: ثلاث وستين وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة. **قوله**: **(الزهري)** من كبار التابعين وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه. مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين رضي الله تعالى عنه. تم ما يتعلّق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، وهذا أوان الشروع في توضيح سورة الٓمٓ السجدة.

(سورة السجدة)

(مكية، وهي ثلاثون آية مدني وكوفي، وتسع وعشرون آية بصري)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾

﴿الٓمٓ ①﴾ على أنها اسم السورة مبتدأ وخبره ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ **(وإن جعلتها تعديدًا للحرف)** ارتفع ﴿تَنزِيلُ﴾ بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة السجدة، مكيّة وهي ثلاثون آية مدني وكوفيّ، وتسع وعشرون آية بصري) لاختلافهم في قوله تعالى: ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: الآية ١٠] هل هو آية أو بعض آية، وستمائة وثمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفًا.اهـ خطيب. **قوله: (وإن جعلتها تعديدًا للحرف)** لينتبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويسمع ما يلقى إليه بقلب حاضر والسامع هٰهنا وإن كان يقظان الجنان لكنه إنسان يشغله سان عن شان فكان يحسن من الحكيم أن يقدم على الكلام المقصود حروفًا كالمنبّهات ليلتفت المخاطب بسببها إليه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود فلا يكون لتلك الحروف محل من الإعراب لعدم تركبها مع العامل فحينئذٍ يكون ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره الذي يتلى عليك منزل الكتاب أي كتاب منزل ثم حذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه ثم أضيف للبيان كما في جرد

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أو يرتفع بالابتداء وخبره ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له، (**والضمير في** ﴿فِيهِ﴾ **راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل: لا ريب في ذلك أي في كونه مُنزَلًا من ربّ العالمين**) لأنه مُعجِز للبشر ومثله أبعد شيء من الرِّيب. (**ثم أضرَب عن ذلك**) إلى قوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي اختلقه محمد لأن «أم» هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة معناه بل أيقولون افتراه إنكارًا لقولهم وتعجيبًا منهم لظهور أمره في عجز بُلَغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ثم أضرَبَ عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ولم يفتره محمد ﷺ كما قالوا تعنتًا وجهلًا ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ أي العرب ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ «ما» للنفي والجملة صفة لـ ﴿قَوْمًا﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (**على الترجّي من رسول الله ﷺ كما كان**) لعله يتذكر على الترجّي من موسى وهارون.

قطيفة ونحوه مما أضيف الصفة فيه إلى موصوفها ولا ريب فيه خبر ثانٍ أو حال من الكتاب ومن رب متعلّق بتنزيل. **قوله**: (**والضمير في** ﴿فِيهِ﴾ **راجع إلى مضمون الجملة**) يعني على تقدير كونه اعتراضًا بين المبتدأ والخبر لتأكيد مضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها (**كأنه قيل: لا ريب في ذلك أي في كونه منزَلًا من رب العالمين**). وأما على تقدير أن يكون تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه خبره فالضمير حينئذٍ يكون راجعًا إلى تنزيل الكتاب. **قوله**: (**ثم أضرب عن ذلك...**) الخ وليس الإضراب لإبطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الأول والأخذ فيما هو أهم فكأنه قيل: اترك هذا الذي ذكرنا من كونه من رب العالمين وانظر في كلمتهم الحمقاء وتعجّب منها ثم أضرب عن ذلك أيضًا فكأنه قال: بل لا تلتفت إلى قولهم وانظر إلى كونه حقًّا واستغرق أوقاتك في التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه.

قوله: (**على الترجّي من رسول الله ﷺ**) فالمعنى لتنذرهم راجيًا أنت اهتداءهم. **قوله**: (**كما كان...**) الخ أي كما كان ذلك من جهة موسى وهارون

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى عليه بإحداثه ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي **(إذا جاوزتم رضاءه)** لم تجدوا لأنفسكم وليًّا أي ناصرًا ينصركم ولا شفيعًا يشفع لكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بمواعظ الله ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي أمر الدنيا ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى أن تقوم الساعة ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ذلك الأمر كله أي يصير إليه ليحكم فيه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يوم القيامة ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيام الدنيا ولا تمسّك **(للمشبهة)** بقوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ في إثبات الجهة لأن معناه إلى حيث يرضاه أو أمره كما لا تشبث لهم بقوله: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الصافات: الآية ٩٩]، ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦]، ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية ١٠٠].

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الموصوف بما مرَّ عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب أمره ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ البالغ لطفه وتيسيره.

على نبينا وعليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: الآية ٤٤].

قوله: (إذا جاوزتم رضاءه...) الخ قيد به إذ المقام مقام التهديد فلا يبقى على إطلاقه والتعبير بإذا والماضي لتحقق وقوعه وعن هذا أورد الكلام على طريق الإطلاق والعموم والمراد التجاوز عن رضائه وفي بيانه تنبيه على أن دون بمعنى تجاوز حد إلى حد وتخطّى أمر إلى آخر ومن دونه حال من المجرور والعامل الجار والمجرور، فالمعنى ما ثبت لكم مجاوزين رضاء الله تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم فلا يلزم كونه تعالى شفيعًا ولا جواز إطلاق الشفيع عليه تعالى إذ المراد كما عرفت التجاوز عن رضائه لا التجاوز عن الشفاعة. اهـ قنوي. **قوله: (للمشبّهة)** شبهوا الله بالمخلوقات ومثلوه بالحادثات.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾

وقيل: لا وقف عليه لأن ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ صفته ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ أي حسنه لأن كل شيء مرتب على ما اقتضته الحكمة (﴿خَلَقَهُۥ﴾ **كوفي ونافع وسهل**) على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسن ﴿خَلۡقَهُۥ﴾ (**غيرهم على البدل أي أحسن خلق كل شيء**) ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ (**آدم**) ﴿مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ من نطفة ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ أي مني وهو بدل من ﴿سُلَٰلَةٖ﴾ ﴿مَّهِينٖ﴾ ضعيف حقير ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قومه كقوله: ﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: الآية ٤] ﴿وَنَفَخَ﴾ أدخل ﴿فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ الإضافة للاختصاص كأنه قال: ونفخ فيه من الشيء الذي اختصّ هو به وبعلمه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قَلِيلٗا (مَّا) تَشۡكُرُونَ﴾ أي تشكرون (**قليلا**).

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ القائل (**أُبيّ بن خلف**) ولرضاهم بقوله أسند إليهم ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ (**أي صرنا ترابا**) وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه كما يضلّ الماء في اللبن، (**أو غبنا في الأرض**) بالدفن فيها.

قوله: (﴿خَلَقَهُۥ﴾) بفتح اللام فعلًا ماضيًا (**كوفيّ**) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**ونافع**) المدنيّ (**وسهل**) بن محمد السجستاني البصري وليس من السبعة. **قوله:** (**غيرهم**) بسكون اللام (**على البدل**) من كل بدل اشتمال (**أي أحسن خلق كل شيء**) فالضمير في خلقه يعود على كل. **قوله:** (**آدم**) فاللام للعهد. **قوله:** (**قليلًا**) صفة مصدر محذوف للفعل المذكور بعده (و﴿مَّا﴾) زائدة لتأكيد القلّة.

قوله: (**أبي بن خلف**) عدوّ النبيّ ﷺ الذي قتله النبيّ ﷺ بيده يوم أحد قاله الطيبي. **قوله:** (**أي صرنا ترابًا...**) الخ فهو من ضلّ المتاع وأضلّه إذا ضاع كأنه لاضمحلاله وامتزاجه بالتراب شيء ضائع. **قوله:** (**أو غبنا في الأرض**) بوزن بعنا

(وقرأ عليّ ﴿ضلِلنا﴾ **بكسر اللام يقال: ضلّ يضِل وضل يضَل. وانتصب الظرف)** في ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ بما يدل عليه ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وهو نبعث ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ﴾ جاحدون. لما ذكر كفرهم بالبعث أضرب عنه إلى ما هو أبلغ وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالبعث وحده.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ أي يتوفاكم مَلَك الموت الذي وُكِّل بقَبْض أرواحكم ثم تُرجَعون إلى ربكم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله. والتوفِّي استيفاء النفس وهي الروح أي يقبض أرواحكم أجمعين من قولك: «توفَّيت حقي من فلان» إذا أخذته وافيًا كملًا من غير نقصان. وعن **(مجاهد)**: حويت لمَلَك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست **(يتناول منها حيث يشاء)**. وقيل: مَلَك الموت يدعو الأرواح فتُجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الآمر لذلك كله وهو الخالق لأفعال المخلوقات. وهذا وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: الآية ٦١]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: الآية ٤٢].

من الغيبة وإن لم يفن ويضمحل بالمرة وهذا إشارة إلى القول ببقاء الأجزاء الأصلية والأول إلى القول بعدمها بالكلية. **قوله**: **(وقرأ عليّ)** وابن عباس رضي الله تعالى عنهم **(**﴿ضلِلنا﴾ **بكسر اللام)** من باب علم والمشهور من باب ضرب كما في القراءة المتواترة وهذه من الشواذ **(يقال: ضلّ يضِلّ وضلّ يضلّ)** كضرب يضرب وعلم يعلم وهما بمعنى. **قوله**: **(وانتصب الظرف. . .)** الخ ولا يجوز أن يعمل فيه قوله: ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: الآية ١٠] لأن ما بعد إن وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلهما.

قوله: **(مجاهد)** بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحّدة أبو الحجاج المخزومي ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: **(يتناول منها حيث يشاء)** أي بحسب أمره تعالى.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد و«لو» امتناعية والجواب محذوف أي لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هم الذين قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و«لو» و«إذ» للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقّب من الله بمنزلة الموجود (ولا يقدر لترى) ما يتناوله كأنه قيل: ولو تكون منك الرؤية و«إذ» ظرف له ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ من الذل والحياء والندم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ عند حساب ربهم ويوقف عليه لحق الحذف إذ التقدير يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ صدق وعدك وَوعيدك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلنا أو كنّا عُميًا وصُمًّا فأبصرنا وسمعنا ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي الإيمان والطاعة ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ بالبعث والحساب الآن.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ في الدنيا أي لو شئنا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا لكن لم نعطهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر وإيثاره، وهو حجة على المعتزلة فإن عندهم شاء الله أن يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد أعطاها لكنها لم تهتدِ، (وهم أوّلوا الآية بمشيئة الجبر) وهو تأويل فاسد

قوله: (ولا يقدر لترى...) الخ فحينئذٍ ينزل منزلة اللازم.

قوله: (وهم أوّلوا الآية بمشيئة الجبر) وهو تأويل فاسد أي يقولون في الجواب عنها في توجيهها المراد بالآية ولو شئنا إيتاء كل نفس هداها على طريق القهر والجبر لفعلنا ذلك لكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا الكفر على الإيمان فحقّت كلمة العذاب على الكافرين. ونحن نقول هذا التأويل فاسد لأنهم زعموا أنه تعالى شاء من الكافر أن يهتدي وآتاه ما به يهتدي إلّا أنه لم يهتد ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر ويملك أن يشاء مشيئة تقهرهم

(لما عرف في تبصرة الأدلة). ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ولكن وجب القول مني بما علمت أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم أنهم يختارون الرد والتكذيب. وفي تخصيص الإنس والجن إشارة إلى أنه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم.

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَذُوقُوا۟﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ﴾ (بما تركتم) من عمل لقاء ﴿يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ وهو الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم في العذاب كالمنسي ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ أي العذاب الدائم الذي لا انقطاع له ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ أي وعظوا بها ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ سجدوا لله تواضعًا وخشوعًا وشكرًا على ما رزقهن من الإسلام ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ

وتجبرهم على الاهتداء. وأيضًا يقال لهم إن الإيمان والتوحيد في حال الجبر والقهر لا يكون إيمانًا لأن الإكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوّله عنه إلى المكره.اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**لما عرف في تبصرة الأدلة**) في الكلام مجلد ضخم للشيخ الإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي المتوفّى سنة ثمان وخمسمائة أوله أحمد الله تعالى على منه... الخ جمع فيه ما جلّ من الدلائل في المسائل الاعتقادية وبيّن ما كان عليه مشائخ أهل السنة وأبطل مذاهب خصومهم معرضًا عن الاشتغال بإيراد ما دقّ من الدلائل سالكًا طريقة التوسّط في العبارة بين الإطناب والإشارة فجاء كتابًا مفيدًا إلى الغاية ومن نظر فيه على أن متن العقائد لعمر النسفي كالفهرس لهذا الكتاب كذا في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

قوله: (بما تركتم...) الخ أي فالمراد بالنسيان لازمه وهو الترك.

﴿رَبِّهِمْ﴾ ونزّهوا الله عمّا لا يليق به وأثنوا عليه حامدين له ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والسجود له.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿تَتَجَافَىٰ﴾ ترتفع وتنتحي ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ عن الفُرُش ومضاجع النوم. قال سهل: وهب لقوم هبة وهو أن أذن لهم في مناجاته وجعلهم من أهل وسيلته ثم مدحهم عليه فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ ﴿يَدْعُونَ﴾ داعين ﴿رَبَّهِمْ﴾ عابدين له ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مفعول له أي لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجّدون. وعن النبي ﷺ في تفسيرها قيام العبد من الليل. وعن ابن عطاء: أبت جنوبهم أن تسكن على بساط الغفلة وطلبت بساط القربة يعني صلاة الليل. وعن أنس: كان أُناس من أصحاب النبي ﷺ يصلّون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فنزلت فيهم. وقيل: هم الذين يصلّون (**صلاة العتمة**) لا ينامون عنها. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله تعالى.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ «ما» بمعنى «الذي» (**﴿أخفي﴾**) على حكاية النفس: (**حمزة ويعقوب**) ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي لا يعلم أحد ما أعد لهؤلاء من الكرامة ﴿جَزَاءً﴾ (**مصدر**) أي جوزوا جزاء ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عن الحسن رضي الله عنه: أخفى القوم أعمالاً في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت. وفيه دليل على أن المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء (**وفاقًا**).

قوله: (**صلاة العتمة**) أي صلاة العشاء الآخرة.

قوله: (**﴿أخفي﴾**) على حكاية النفس أي بإسكان الياء فعلًا مضارعًا مسندًا لضمير المتكلم مرفوعًا تقديرًا ولذا سكنت ياؤه (**حمزة**) بن حبيب الزيّات (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليس من السبعة. والباقون بضم الهمزة وكسر الفاء وفتح الياء على أنه فعل ماضٍ مجهول. **قوله**: (**مصدر**) أي منصوب على أنه مصدر لفعله المحذوف. **قوله**: (**وفاقًا**) موافقًا لأعمالهم.

ثم بيّن أن مَن كان في نور الطاعة والإيمان لا يستوي مع مَن هو في ظلمة الكفر والعصيان بقوله:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ أي كافرًا وهما محمولان على لفظ من وقوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ على المعنى بدليل قوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ هي نوع من الجنان تأوي إليها أرواح الشهداء. وقيل: هي عن يمين العرش ﴿نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عطاء بأعمالهم **(والنزل عطاء النازل ثم صار عامًّا)**.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي ملجؤهم ومنزلهم ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي تقول لهم خزنة النار ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ وهذا دليل على أن المراد بالفاسق الكافر إذ التكذيب يقابل الإيمان.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ أي عذاب الدنيا من الأسر وما **(محنوا)** به من **(السنة)** سبع سنين ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ أي عذاب الآخرة أي نذيقهم

قوله: (والنزل عطاء النازل ثم صار عامًّا) أي النزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة ثم عمّ كل عطاء أو جمع نازل حالًا.

قوله: (محنوا) أي اختبروا وامتحنوا في المصباح محنته محنًا من باب نفع اختبرته وامتحنته كذلك والاسم المحنة والجمع مِحَن مثل سدرة وسِدَر. اهـ. **قوله: (السنة)** القحط في المغرب السنة والحول بمعنى وجمعها سِنُون وسَنَوات وقد غلبَتْ على القحط غلبة الدابة على الفرس. اهـ.

عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة. **(وعن الداراني)**: العذاب الأدنى **(الخذلان)** والعذاب الأكبر الخلود في النيران. وقيل: العذاب الأدنى عذاب القبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل المعذبين بالعذاب الأدنى ﴿يُرْجِعُونَ﴾ يتوبون عن الكفر.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ﴾ وعظ ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ أي بالقرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ أي فتولى عنها ولم يتدبر فيها. و«ثم» للاستعباد أي أن الإعراض عن مثل هذه الآيات في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها، مستبعَد في العقل كما تقول لصاحبك: «وجدت مثل تلك الفرصة ثم **(لم تنتهزها)**» استبعادًا لتركه الانتهاز ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ ولم يقل «منه» لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعَّد المجرمين عامَّة بالانتقام منهم فقد دلَّ على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام، ولو قال بالضمير لم يفد هذه الفائدة.

قوله: (وعن الدارانيّ) بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون هذه النسبة إلى داريّا وهي قرية بغوطة دمشق والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب والياء في داريّا مشدّدة وهو أبو سليمان عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية كان من جملة السادات وأرباب الجدّ في المجاهدات وكانت وفاته سنة خمس ومائتين، وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الخذلان) في المصباح خذلة وخذلت عنه من باب قتل والاسم الخذلان[1] إذا تركت نصرته وإعانته وتأخّرت عنه. اهـ. وفي لسان العرب الخاذل ضد الناصر خذله وخذل عنه يخذل خذلًا وخِذلانًا ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (لم تنتهزها) في المصباح انتهز الفرصة انتهض إليها مبادرًا. اهـ.

---

(١) قوله الخذلان بالكسر قاموس ومختار الصحاح.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ (**من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى**) ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى ربّه في الآخرة كذا عن النبي ﷺ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وجعلنا الكتاب المنزل على موسى لقومه هدى.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ (﴿أَئِمَّةً﴾ **بهمزتين: كوفي وشامي**) ﴿يَهْدُونَ﴾ بذلك الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إياهم بذلك ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ حين صبروا على الحق بطاعة الله أو عن المعاصي (﴿**لِمَا صبروا**﴾ **حمزة وعليّ**) أي لصبرهم عن الدنيا، وفيه دليل على أن الصبر ثمرته إمامة الناس ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التوراة ﴿يُوقِنُونَ﴾ يعلمون علمًا لا (**يخالجه**) شك.

قوله: (**من لقاء موسى الكتاب**) فاللقاء مصدر مضاف إلى المفعول وفاعله محذوف. **قوله**: (**أو من لقائك موسى**) فالضمير لموسى عليه السلام والفاعل محذوف أيضًا.

قوله: (﴿**أَئِمَّةً**﴾ **بهمزتين: كوفيّ وشاميّ**) وعبارة الإتحاف سهل الثانية من أئمة مع القصر قالون والأزرق وابن كثير وأبو عمرو ورويس وسهله مع المدّ الأصبهاني وأبو جعفر واختلف في كيفية التسهيل فقيل: بين بين وقيل: هو الإبدال ياء مكسورة ولا يجوز الفصل بالألف حالة الإبدال عن أحد والباقون بالتحقيق والقصر بخلف عن هشام في المدّ. اهـ.

قوله: (﴿**لِمَا صبروا**﴾) بكسر اللام وتخفيف الميم (**حمزة وعليّ**) الكسائي على أنها جارة معللة متعلقة بجعل وما مصدرية أي جعلناهم أئمة هادين لصبرهم. والباقون بفتح اللام وتشديد الميم كلمة واحدة تضمنت معنى المجازاة وهي التي تقتضي جوابًا أي لما صبروا جعلناهم... الخ أو ظرفية أي جعلناهم أئمة حين صبروا. **قوله**: (**يخالجه**) ينازعه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾ يقضي ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيظهر المُحق من المُبطل.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَوَلَمْ﴾ الواو للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف أي أو لم يدع ﴿يَهْدِ﴾ يبيّن والفاعل الله بدليل قراءة (زيد) عن (يعقوب) ﴿نهد﴾ ﴿لَهُمْ﴾ لأهل مكة ﴿كَمْ﴾ لا يجوز أن يكون «كم» فاعل ﴿يَهْدِى﴾ لأن «كم» للاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله ومحله نصب بقوله: ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ أي أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ المواعظ فيتّعظوا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ نجري المطر والأنهار ﴿إِلَى (ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أي) الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء أو لأنه رعي، ولا يقال للتي لا تنبت (كالسباخ) جرز بدليل قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من

قوله: (زيد) هو أبو أحمد زيد بن أحمد بن إسحٰق. **قوله:** (يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وليس من السبعة.

قوله: (﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أي) الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها. **قوله:** (كالسباخ) في مختار الصحاح السَبَخة بفتح الباء واحدة السباخ وأرض سَبِخة بكسر الباء ذاتِ سِباخ قلت: أرض سَبِخة أي ذات ملح ونز. اهـ. وأيضًا فيه النَّزّ بفتح النون وكسرها ما ينجلب من الأرض من الماء وقد أَنْزت الأرض صارت ذات نزّ. اهـ. وفي المصباح نزت الأرض نزًّا من باب ضرب كثر نزها تسمية بالمصدر

الزرع ﴿أَنْعَٰمُهُمْ﴾ من (عصفه) ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من حبه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ بأعينهم فيستدلّوا به على قدرته على إحياء الموتى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ النصر (**أو الفصل بالحكومة من قوله**: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾) [الأعراف: الآية ٨٩] وكان المسلمون يقولون: إن الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون ذلك قالوا: متى هذا الفتح أي في أيّ وقت يكون ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه كائن.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم أو يوم نصرهم عليهم أو يوم بدر أو يوم فتح مكة ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وهذا الكلام لم ينطبق جوابًا على سؤالهم ظاهرًا ولكن لمّا كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالًا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء أُجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلا ينفعكم الإيمان، أو استنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا، ومَن فسَّره بيوم الفتح أو بيوم بدر (**فهو يريد المقتولين منهم**) فإنهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند الغرق.

ومنهم مَن يكسر النون ويجعله اسمًا وهو النَّدَى السائل. اهـ. **قوله**: (**عصفه**) أي ورقه.

قوله: (**أو الفصل بالحكومة**) بين المحق والمبطل. **قوله**: (**من قوله**: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾) هو استشهاد على كون الفتح بمعنى الفصل بالخصومة لأن معنى الآية المستشهد بها ربنا احكم بيننا.

قوله: (**فهو يريد المقتولين منهم**...) الخ إشارة إلى دفع إشكال بأنه كيف يستقيم على تفسيره بيوم الفتح أو بيوم بدر أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع كثيرًا من الناس يوم فتح مكة وناسًا يوم بدر فأشار إلى دفعه بأن المراد بالذين كفروا

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ النصرة وهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الغلبة عليكم وهلاككم، (**وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ** ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾ **[السجدة] و**﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾). وقال: «مَن قرأ ألم تنزيل في بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام». وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سورة ألم تنزيل هي المانعة تمنع من عذاب القبر. والله أعلم.

المقتولون منهم في يوم الفتح أو في يوم بدر فإنه لا ينفعهم إيمانهم إن آمنوا حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق فمعنى لا ينفعهم إيمانهم ما مرّ من أنهم إن آمنوا حال القتل فإنه إيمان بأس كإيمان فرعون كما عرفته فالإيمان متحقق والمنفي هو نفعهم.

قوله: (وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾ [السجدة] و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والدارمي عن جابر رضي الله تعالى عنه. وفي تفسير الخطيب عن أبي بن كعب أن النبيّ ﷺ قال: من قرأ سورة ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾ [السجدة: الآيتان ١، ٢] أعطي من الأجر كمن أحيا ليلة القدر انتهى. والله سبحانه وتعالى أعلم، تمّ هنا ما يتعلق بسورة الم تنزيل السجدة والآن أوان الشروع فيما يتعلق بسورة الأحزاب.

(سورة الأحزاب)

(مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(قال أُبَيّ بن كعب) رضي الله عنه لزر: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قال: ثلاثًا وسبعين. قال: فوالذي يحلف به أُبَيّ إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم». أراد أُبَيّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأحزاب، مدنيّة، وهي ثلاث وسبعون آية) نقل عن الدّاني أنه قال متفق عليه. **قوله**: (قال أُبَيّ بن كعب) رضي الله عنه الأنصاري الخزرجي وله كنيتان أبو المنذر كنّاه بها النبيّ ﷺ وأبو الطفيل كنّاه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل وشهد العقبة وبدرًا وكان عمر يقول: أُبَيٌّ سيد المسلمين، قال أبو نعيم: اختلف في وقت وفاة أُبَيٍّ فقيل: تُوفي سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر وقيل: سنة ثلاثين قال: وهو الصحيح لأن زِرّ بن حُبَيْش لقيه في خلافة عثمان وهو زِرٌّ بن حُبَيْش بن حباشته بن أوس الأسدي من أسد بن خزيمة يكنّى أبا مريم وقيل: أبا مطرف أدرك الجاهلية ولم يرَ النبيّ ﷺ وهو من كبار التابعين. روى عن عمر وعلي وابن مسعود، روى عنه الشعبي والنخعي وكان فاضلًا عالمًا بالقرآن، تُوفي سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة.

وأما ما يُحكَى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فأكلتها (**الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض**).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ وبالهمز: نافع أي يا أيها المخبر عنّا المأمون على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحبابنا. وإنما لم يقل: «يا محمد» كما قال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ﴾ ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ تشريفًا له و(**تنويهًا**) بفضله، وتصريحه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩] ونحوه لتعليم الناس بأنه رسول الله ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ اثبت على تقوى الله ودُم عليه وازدد منه فهو باب لا يدرك (**مداه**) ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم فإنهم أعداء الله والمؤمنين. ورُوِيَ أن (**أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل**

قوله: (**الداجن**) في الصحاح شاة داجن وراجن إذا ألفت البيوت واستأنست. اهـ. **قوله**: (**فمن تأليف الملاحدة والروافض**) وقد ذهل هؤلاء الملاحدة من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩].

قوله: (**تنويهًا**) في المصباح نَوَّه به تنويهًا رفع ذكره وعظمه. اهـ. **قوله**: (**مداه**) في مختار الصحاح المَدَا الغاية. اهـ. **قوله**: (**أبا سفيان**) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما، وُلد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش وأسلم ليلة الفتح وشهد حنينًا وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية كل واحد مثله، وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ ففقئت عينه يومئذٍ وفقئت الأخرى يوم اليرموك وكان من المؤلفة وحسن إسلامه وتُوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين وقيل: ثلاث وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين وصلّى عليه عثمان، وقيل: صلّى عليه ابنه معاوية وكان عمره ثمان وثمانين سنة، وقيل: ثلاث وتسعون سنة، وقيل غير ذلك. **قوله**: (**وعكرمة بن أبي جهل**) بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وأمه أم مجالد إحدى نساء بني هلال بن عامر واسم أبي جهل عمرو وكنيته أبو الحكم وإنما رسول

وأبا الأعور السلمي) قَدِموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على (عبد الله بن أُبيّ) وأعطاهم النبي الأمان على أن يكلّموه فقالوا: (ارفض) ذكر آلهتنا وقل إنها تنفع وتشفع، (ووازرهم) المنافقون على ذلك فهمّ المسلمون بقتلهم فنزلت. أي اتقِ الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخبث أعمالهم ﴿حَكِيمًا﴾ في تأخير الأمر بقتالهم.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في الثبات على التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الذي يوحي إليك ﴿كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي لم يزل عالمًا بأعمالهم وأعمالكم. (وقيل: إنما جمع لأن المراد بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ هو وأصحابه، وبالياء: أبو عمرو) أي بما يعمل الكافرون والمنافقون من كيدهم لكم

الله ﷺ والمسلمون كنّوه أبا جهل فبقي عليه ونسي اسمه وكنيته وكنية عكرمة أبو عثمان أسلم بعد الفتح بقليل وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ في الجاهلية. **قوله:** (وأبا الأعور) عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد (السلمي) وهو مشهور بكنيته كان من أعيان أصحاب معاوية وعليه كان مدار الحرب بصفين وكان أشد مَن عنده على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان علي يدعو عليه في القنوت، قال مسلم بن الحجاج أبو الأعور السلمي اسمه عمرو بن سفيان له صحبة، وقال ابن أبي حاتم: لا صحبة له وقد أدرك الجاهلية وحديثه عن النبيّ ﷺ مرسل: «إنما أخاف على أمتي شحًّا مطاعًا وهوًى متبعًا وإمامًا ضالاً» وكان من أصحاب معاوية قال أبو عمر كذا ذكره ابن أبي حاتم وهو الصواب. **قوله:** (عبد الله بن أُبي) هو المعروف بابن سلول وكانت سلول امرأة من خزاعة وهي أم أُبي وابنه عبد الله بن أُبي هو رأس المنافقين. **قوله:** (ارفض) أمر من الرفض بمعنى الترك أي اترك ذكر آلهتنا بالسوء بل اذكر بالجميل. **قوله:** (ووازرهم) في لسان العرب وازره على الأمر أعانه وقوّاه. اهـ.

قوله: (وقيل: إنما جمع لأن المراد بقوله: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ هو وأصحابه) أو خوطب بلفظ الجمع تعظيمًا له. **قوله:** (وبالياء: أبو عمرو) أي قرأ أبو عمرو بياء

ومكرهم بكم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أسند أمرك إليه وكّله إلى تدبيره ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا موكولًا إليه كل أمر، (وقال الزجّاج) لفظه وإن كان لفظ الخبر فالمعنى اكتفِ بالله وكيلًا.

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي ما جمع الله قلبين في جوف، ولا زوجية وأُمومة في امرأة، ولا بنوة (ودِعوة) في رجل. والمعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر فعلًا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه، وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى اتّصاف الجملة بكونه مُريدًا كارهًا عالِمًا ظانًّا موقنًا شاكًّا في حالة واحدة. لم يحكم أيضًا أن تكون المرأة الواحدة أُمًّا لرجل وزوجًا له، لأن الأُم مخدومة والمرأة خادمة وبينهما مُنافاة، وأن يكون الرجل الواحد دعيًّا لرجل وابنًا له لأن البنوة أصالة في النسب والدعوة إلصاق عارِض بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلًا غير أصيل. وهذا مثل ضربه الله تعالى في (زيد بن حارثة) وهو رجل

الغيبة والباقون بتاء الخطاب. **قوله**: (وقال الزجاج) أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السريّ بن سهل كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (ودعوة) بكسر الدال يستعمل في التبني وادعاء النسب كما أن الدعوة بفتح[1] الدال في الطعام. **قوله**: (زيد بن حارثة) بن شراحيل ويكنّى أبا أسامة وهو

---

(١) مصدر يراد به الدعاء إلى الطعام، ١٢ منه.

(من كلب) سبى صغيرًا فاشتراه (حكيم بن حزام) لعمّته (خديجة)، فلما تزوجها رسول الله ﷺ (وهبته له) فطلبه أبوه وعمّه فخُيِّر فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبنّاه وكانوا يقولون: «زيد بن محمد»، فلما تزوج النبي ﷺ (زينب) وكانت

مولى رسول الله ﷺ أشهر مواليه وهو حب رسول الله ﷺ أصابه سباء في الجاهلية لأن أمه[١] خرجت به تزور قومها بني معن فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر فأخذوا زيدًا فقدموا به سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل: اشتراه من سوق حباشته وقتل زيد بن حارثة في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة. **قوله**: (من كلب) في لسان العرب كَلْب حي من قُضَاعةَ.اهـ. **قوله**: (حكيم بن حزام) بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ القرشي الأسديّ وحكيم ابن أخي خديجة بنت خويلد وابن عم الزبير بن العوّام وُلد في الكعبة وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش وهي حامل فأخذها الطلق فولدت حكيمًا بها وهو من مسلمة الفتح وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام وكان من المؤلفة قلوبهم أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة بعير ثم حسن إسلامه وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف في ذلك وعاش مائة وعشرين سنة، ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام وتُوفي سنة أربع وخمسين أيام معاوية وقيل: سنة ثمان وخمسين. **قوله**: (خديجة) بنت خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية أُم المؤمنين زوج النبيّ ﷺ أول امرأة تزوجها وأول خلق الله أسلم بإجماع[٢] المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: توفيت خديجة قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بأربع سنين، وقال عروة وقتادة: توفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وهذا هو الصواب، وقالت عائشة: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة قيل إن وفاة خديجة كانت بعد أبي طالب بثلاثة أيام وكان موتها في رمضان ودُفنت بالحجون، قيل: كان عمرها خمسًا وستين سنة. **قوله**: (ووهبته له) ﷺ بمكة قبل النبوّة وهو ابن ثماني سنين. **قوله**: (زينب) بنت

---

(١) أمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت، من بني معن من طيء، ١٢ منه.

(٢) هكذا في أسد الغابة، ١٢ منه.

تحت زيد قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فأنزل الله هذه الآية، وقيل: كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان قلب معكم وقلب مع أصحابه. وقيل: كان (**أبو معمر**) أحفَظ العرب فقيل له: «ذو القلبين» فأكذب الله قولهم وضربه مثلًا في الظّهار والتبنّي. والتنكير في ﴿رَجُلٍ﴾ وإدخال «من» الاستغراقية على ﴿قَلْبَيْنِ﴾ وذكر الجوف للتأكيد. (﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ **بياء بعد الهمزة حيث كان: كوفي وشامي**، ﴿**اللاء**﴾ **نافع ويعقوب وسهل**) وهي جمع. ﴿التي (﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ **عاصم**) مَن ظاهَرَ إذا قال لامرأته: «أنتِ عليَّ كظهر أُمي» (﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ **عليّ وحمزة وخلف**. ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾ **شامي**) من ظاهَر بمعنى تظاهَر

جحش وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات تُوفيت سنة عشرين قيل: هي أول امرأة صنع لها النعش ودُفنت بالبقيع. **قوله**: (**أبو معمر**) جميل بن أسيد الذي صححه ابن حجر في الإصابة بعد ما ذكر فيه اختلافًا أنه جميل بن أسيد مصغر الفهري وأنه يكنّى أبا معمر وضعف قول ابن دريد أنه عبد الله بن وهب وقول غيره أنه جَميل[١] بن معمر الجمحي. **قوله**: (﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ **بياء بعد الهمزة حيث كان: كوفيّ وشاميّ**) أي قرأ أهل الكوفة والشام هٰهنا[٢] وفي سورة الطلاق بياء بعد الهمزة. **قوله**: (**اللاء**) بغير ياء بعد الهمزة (**نافع**) بن أبي نعيم المدنيّ (**ويعقوب**)[٣] بن إسحٰق الحضرمي البصري، تُوفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين (**وسهل**)[٤] بن محمد بن عثمان السجستاني. **قوله**: (﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ **عاصم**) أي قرأ ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ عاصم بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء مخفّفة. **قوله**: (﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ **علي وحمزة وخلف**) أي قرأ علي الكسائي وحمزة وخلف بفتح التاء والظاء مخفّفتين وألف بعد الظاء وفتح الهاء مخففة والأصل تتظاهرون بتاءين حذفت إحداهما. **قوله**: (﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾ **شاميّ**) أي قرأ ابن عامر الشاميّ تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها مضارع تظاهر وأصله تتظاهرون بتاءين فأُدغمت الثانية. وكذا في الماضي إلّا أنه أتى بهمزة الوصل بعد الإدغام فيه ليمكن الابتداء فصارا ظاهرًا.

---

(١) أسلم عام الفتح، ١٢ منه.
(٢) أي ابن عامر، ١٢ منه.
(٣) ليس من السبعة، ١٢ منه.
(٤) ليس من السبعة، ١٢ منه.

(غيرهم ﴿تَظَّهَّرون﴾ من اظَّهَّر بمعنى ظهر. وعُدِّي بـ «من» لتضمّنه معنى البُعد) لأنه كان طلاقًا في الجاهلية ونظيره («آلى من امرأته») لما ضمن معنى التباعد عُدِّي بـ «من» وإلا فآلى في أصله الذي هو معنى حلف وأقسم ليس هذا بحكمه. والدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدّعي ولدًا، (وجمع على أفعلاء شاذًا) لأن بابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في نحو «رمي» و«سميّ» (للتشبيه اللفظي).

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي أن قولكم للزوجة هي أم وللدعي هو ابن قول تقولونه بألسنتكم (لا حقيقة له) إذ الابن يكون بالولادة وكذا الأم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي ما حق ظاهره وباطنه ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي سبيل الحق. ثم قال: ما هوالحق وهدى إلى ما هو سبيل الحق وهو قوله:

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وبيّن أن دعاءهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل. وقيل: كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه ولد

قوله: (غيرهم ﴿تَظَّهَّرون﴾ من اظَّهَّر بمعنى ظهر) أي قرأ الباقون بفتح التاء والظاء والهاء مع تشديد الظاء والهاء ولا ألف بعد الظاء وأصله تتظهرون بتاءين فأُدغمت الثانية في الظاء كما في تذكرون. **قوله**: (وعُدِّي بمن لتضمنه معنى البعد) يعني ظاهر مما يتعدى بنفسه يقال: ظاهره وإذا عدى بمن وجب الرجوع إلى معنى التضمين فالمعنى تظاهرون مجنبين عنهن أو تجانبون منهن مظاهرين فحاصل معنى تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار. **قوله**: (آلى من امرأته) أي حلف وأقسم على ترك وطء امرأته مدته وهي أربعة أشهر للحرة وشهران للأمة قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٦] الآية. **قوله**: (وجمع على أفعلاء شاذًا) لأن قياس فعيل بمعنى مفعول أن يجمع على فعلى كجريح وجرحى ومريض ومرضى. **قوله**: (للتشبيه اللفظي) وجه الشبه اتحاد وزنهما لكن هذا الشاذّ مقبول ولذا ذكر في القرآن. **قوله**: (لا حقيقة له) أي لمدلول هذا القول في الأعيان أي في نفس الأمر ولا يطابق الواقع فيكون من الأقاويل الكاذبة.

الرجل ضمّه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه. وكان ينسب إليه فيقال: فلان بن فلان. **(ثم انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجمل الطلبية ثم فصل الخبرية عنها ووصل بينها، ثم فصل الاسمية عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية)** ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي ويا أخي ويا مولاي، يريد الأخوّة في الدين والولاية فيه.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ أي لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ولكن الإثم عليكم فيما تعمدتموه بعد النهي. أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان، ولكن إذا قلتموه متعمّدين، و«ما» في موضع الجر عطف على «ما» الأولى، ويجوز أن يُراد العفو عن الخطأ دون العمد على سبيل العموم ثم تناوله لعمومه خطأ التبنّي وعمده. وإذا وجد التبنّي فإن كان المُتَبَنّى

قوله: (ثم انظر إلى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجمل الطلبية) أي اتق الله ولا تطع الكافِرين واتبع وتوكّل **(ثم فصل الخبرية)** أي ما جعل الله إلى آخره **(عنها ووصل بينها، ثم فصل الاسمية)** أي ذلكم قولكم **(عنها ووصل بينها ثم فصل بالطلبية)** أي ادعوهم إلى آخره بيانه أن الأمر والنهي في قوله: اتق الله ولا تطع واتبع وتوكّل واردان على نسق عجيب وترتيب أنيق فإن الاستهلال بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دالّ على أن الخطاب مشتمل على التنبيه على أمر معتنى بشأنه لا يخلو فيه معنى التهييج والإلهاب ومن ثم عطف عليه ولا تطع كما يعطف الخاص على العام وأردف النهي بالأمر على نحو قولك: لا تطع مَن يخذلك واتبع ناصرك ولا يبعد أن يسمى بالطرد والعكس ثم أمر بالتوكل تشجيعًا على مخالفة أعداء الدين والالتجاء إلى حريم لِجلال الله ليكفيه شرورهم، ثم عقب كلّا من تلك الأوامر على سبيل التتميم والتذييل بما يطابقه وعلّل قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ تتميمًا للارتداع أي اتقّ الله فيما تأتي وتذر من سرك وعلانيتك لأنه عليم بالأحوال كلها يحب أن تحذر منه سخطه حكيم لا يحب متابعة حبيبه أعدائه وعلّل قوله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بقوله: ﴿إِنَّ

مجهول النسب وأصغر سِنًّا منه ثبت نَسَبُه منه وعتق إن كان عبدًا له، وإن كان أكبر سِنًّا منه لم يثبت النسب (**وعتق عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه**)، وأما المعروف

ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ تتميمًا أيضًا أي اتبع الحق ولا تتبع أهواءهم الباطلة وآراءهم الزيغة لأن الله يعلم عملك وعملهم فيكافي كلًّا بما يستحقه وذيل قوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ تقريرًا وتوكيدًا على منوال فلان ينطق بالحق والحق أبلج معنى من حق يكون كافيًا لكل الأمور حسنًا جميع ما يرجع إليه أن يفوض الأمور إليه ويتوكل عليه وفصل قوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ على سبيل الاستيناف تنبيهًا على بعض من أباطيلهم وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾ فذلكة لتلك الأحوال أذنت بأنها جديرة بأن يحكم عليها بالبطلان وحقيق بأن يذم قائلها فضلًا عن أن يُطاع ثم وصل ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ على هذه الفذلكة بجامع التضاد على منوال ما سبق في المجمل في ولا تطع واتبع وفصل قوله: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، وقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: الآية ٦] وهلمّ جرًا إلى آخر السورة تفضيلًا للقول الحق والهداية إلى السبيل القويم.

قوله: (**وعتق عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه**) وعند صاحبيه لا يعتق وهو قول الإمام الشافعي رحمه الله لهم[1] إنه كلام محال بحقيقته فيردّ ويلغو كقوله: أعتقتك قبل أن أُخْلَق أو قبل أن تُخْلق ولأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنه كلام محال بحقيقته لكنه صحيح بمجازه لأنه إخبار عن حريته من حين ملكه وهذا[2] لأن البُنوّة في المملوك سبب لحريته إما إجماعًا أو صلة[3] للقرابة وإطلاق السبب وإرادة المسبب مستجاز في اللغة تجوز أو لأن الحرية لازمة[4] للبنوّة في المملوك والمشابهة في وصف لازم من طرق المجاز على ما عرف في الأصول فيحمل أي قوله: هذا ابني على المجاز وهو الحرية تحرزًا عن الإلغاء بخلاف ما استشهد به لأنه لا وجه له في المجاز فتعيّن الإلغاء.

---

(١) اي أن قوله هذا ابني للأكبر سنًّا منه. (٢) أي الإخبار عن حريته.
(٣) يعني أن البنوّة موجبة للصلة والقرابة صلة فتكون البنوّة موجبة للعتق.
(٤) فذكر الملزوم وأريد اللازم.

النسب (**فلا يثبت نسبه بالتبنّي وعتق إن كان عبدًا**) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لا يؤاخذكم بالخطأ ويقبل التوبة من المتعمّد.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ أي أحقّ بهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، فعليهم أن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه، أو هو أولى بهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]. (**وفي قراءة ابن مسعود**) ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم﴾. وقال مجاهد: كل نبي أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي ﷺ أبوهم في الدين ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ في تحريم نكاحهن ووجوب تعظيمهن وهن فيما وراء ذلك كالإرث (**ونحوه**) كالأجنبيات (**ولذا لم يتعدّ التحريم إلى بناتهن**) ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ (**وذوو القرابات**) ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التوارث وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا

قوله: (**فلا يثبت نَسَبُهُ بالتبني**) لأنه ثابت النسب من الغير. **قوله:** (**وعتق إن كان عبدًا**) إعمالًا للفظ في مجازه عند تعذّر إعماله بحقيقته.

قوله: (**وفي قراءة ابن مسعود**) وأُبي وهي من الشواذ. **قوله:** (**ونحوه**) كالنظر إليهن والخلوة بهن. **قوله:** (**ولذا لم يتعد التحريم إلى بناتهن**) ولا يقال: لبناتهن هن أخوات المؤمنين ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام زوّج بناته لعلي وذي النورين رضي الله عنهم أجمعين ولا يقال أيضًا لإخوتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوّج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أُخت أُم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها. وهذا معنى ما روى مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها: يا أمه فقالت: لست لك بأم إنما أنا أم رجالكن.

قوله: (**وذوو القرابات**) أشار به إلى أن المراد مطلق الأقرباء حتى تتناول الوالدين والأولاد لا أولو الأرحام المصطلحة المقابلين بأصحاب الفرائض

بالقرابة (ثم نسخ ذلك) وجعل التوارث بحق القرابة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في حكمه وقضائه أو في اللوح المحفوظ (أو فيما فرض الله) ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ يجوز أن يكون بيانًا لأولي الأرحام أي الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يَرِث بعضًا من الأجانب، وأن يكون لابتداء الغاية أي أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين أي الأنصار بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ (الاستثناء من خلاف الجنس) أي لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفًا جائز وهو أن توصوا لمَن أحببتم من هؤلاء بشيء فيكون ذلك بالوصية لا بالميراث. وعُدِّي ﴿تَفْعَلُوٓاْ﴾ بـ «إلى» لأنه في معنى (تسدوا) والمراد بالأولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ أي التوارث بالأرحام كان مسطورًا في اللوح.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيِّم ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصًا. وقدم رسول الله على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء

والعصبات. **قوله**: (ثم نسخ ذلك) والناسخ هذه الآية وقيل: الناسخ آخر الأنفال لتقدمها على سورة الأحزاب. **قوله**: (أو فيما فرض الله) تعالى على أن الكتاب مصدر بمعنى المكتوب وهو المفروض من كتب إذا فرض وأوجب. قال الجوهري: الكتاب الفرض والحكم والقدر. اهـ. قال تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي فرض الله عليكم فرضًا.

قوله: (الاستثناء من خلاف الجنس) يعني أن الاستثناء منقطع ومعناه كأنه قيل: لا تورثوا غير أولي الأرحام لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفًا جائز. **قوله**: (تسدوا) في المصباح أسديت إليه معروفًا اتخذته عنده. اهـ. وفي لسان العرب قد أسدى إليه سَدًا وسداه عليه إذا اصطنع معروفًا. وفي الحديث من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه أسدى وأولى وأعطى بمعنى يقال: أَسْدَيْت إليه معروفًا. اهـ باختصار.

(لأنهم أُولو العزم) وأصحاب الشرائع، فلما كان محمد ﷺ أفضل هؤلاء قدم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ وثيقًا. وأعاد ذكر الميثاق لانضمام الوصف إليه وإنما فعلنا ذلك.

قوله: (لأنهم أُولو العزم)[1] الشرائع وآدم عليه السلام وإن كان أقدم الأنبياء إلّا أن المقصود الأولى من خلقه عمارة الدنيا ببث الأولاد فيها ونبوّته كانت من قبيل إرشاد الآباء الأولاد إلى التوحيد وحسن المعاشرة ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب بخلاف الأنبياء المذكورين في الآية فإنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل وقدّم النبيّ ﷺ لقوله: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث كذا إفادة العلّامة شيخ زادة رحمه الله.

وقال المصنّف رحمه الله في تفسير سورة الأحقاف ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ [الآية ٣٥] أولو الجد والثبات والصبر من الرسل من للتبعيض والمراد بأولي العزم ما ذكر في الأحزاب ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية ٧] ويونس ليس منهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلَم: الآية ٤٨] وكذا آدم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: الآية ١١٥] أو للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم انتهى. وقال العلّامة شيخ زاده رحمة الله عليه: والصحيح أن الرسل كلهم أولو العزم ولم يبعث الله رسولًا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل ولفظة من في قوله: ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: الآية ١٩] للتبيين لا للتبعيض فكأنه قيل: اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم وبصبرهم وثباتهم، وما قيل: إن جميع الرسل أولو العزم إلّا يونس لعجلة منه كانت لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلَم: الآية ٤٨] وإلا آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: الآية ١١٥] ليس بصحيح لأن معنى قوله ولم نجد له عزمًا والله أعلم لم نجد له قصد إلى الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيًا عن نزول العذاب. اهـ بحروفه.

---

(١) أي أولو الثبات والحد والجد والصبر على أذى معانديهم ومكذبيهم وأصحابهم.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي الأنبياء ﴿عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ عمّا قالوه لقومهم أو ليسأل المصدِّقين للأنبياء عن تصديقهم لأن مَن قال للصادق صدقت كان صادقًا في قوله، أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم أُممهم وهو كقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ [المائدة: الآية ١٠٩] ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ بالرسل ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (**وهو عطف على** ﴿أَخَذْنَا﴾) لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعدَّ للكافرين عذابًا أليمًا، أو على ما دلّ عليه ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ كأنه قال: فأثاب المؤمنين وأعدَّ للكافرين.

وقال البغويّ قال ابن عباس وقتادة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد ﷺ خمسة قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] وفي قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: الآية ١٣] الآية.اهـ. وهكذا في تفسير الخازن والخطيب. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: أولو العزم من الرسل النبيّ ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.اهـ. وفي فتح القدير قال مجاهد: أولو العزم من الرسل خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أصحاب الشرائع.اهـ. وفي تفسير ابن كثير قد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ وقد نصّ الله على أسمائهم في اثنين من سورتي الأحزاب والشورى، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل ويكون من في قوله: من الرسل لبيان الجنس والله أعلم.اهـ فافهم.

قوله: (**وهو عطف على** ﴿أَخَذْنَا﴾) أي على ما دلّ عليه أخذنا فإن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة إلى الأمم ودعوتهم إلى الدين القويم إنما هو لإثابة المؤمنين فكأنه قيل: إن الله تعالى أكّد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأَعَدَّ للكافرين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي ما أنعم الله به عليكم (يوم الأحزاب) وهو يوم الخندق وكان بعد حرب أُحُد بسنة ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ أي الأحزاب وهم: (قريش وغطفان وقريظة والنضير) ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ (أي الصبا. قال عليه السلام: «نُصِرتُ بالصَّبا وأهلكت عاد بالدَّبور») ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة وكانوا ألفًا بعث الله عليهم صبًا (باردة في ليلة شاتية

قوله: (**يوم الأحزاب**) كان في شوال سنة أربع وقيل: سنة خمس. **قوله**: (**قريش**) قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة وكل مَن كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشي. **قوله**: (**وغطفان**) أبو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان وقيس أبو قبيلة من مضر وهو قيس عيلان. **قوله**: (**وقريظة والنضير**) في الصحاح قريظة والنضير قبيلتان من يهود خيبر. اهـ. وفي لسان العرب بنو قُرَيظة حيّ من يهود وهم والنضير قبيلتان من يهود خيبر وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وبنو قريظة إخوة النضير وهما حيّان من اليهود الذين كانوا بالمدينة فأما قريظة فإنهم أبيروا[1] لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على رسول الله ﷺ أمر بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم واستفاءة أموالهم. وأما بنو النضير فإنهم أجلوا إلى الشام وفيهم نزلت سورة الحشر. اهـ. قيل: والمراد بالنضير وهم قوم من اليهود بقية منهم لأن النبيّ عليه السلام أجلاهم إلى الشام قبل ذلك. **قوله**: (**أي الصَّبا**) الصبا ريح تجيء من قبل المشرق. **قوله**: (**قال عليه السلام: نصرت بالصَّبا**) بفتح الصاد مقصورًا وتسمى القبول بالفتح لأنها تقابل باب الكعبة (**وأهلكت**) بضم الهمزة وكسر اللام (**عاد**) قوم هود (**بالدبور**) بفتح الدال ريح تهب من جهة المغرب. رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. ورواه عنه أيضًا النسائي في التفسير. **قوله**: (**باردة**) صفة موضحة. **قوله**: (**في ليلة شاتية**) في المصباح شتا اليوم فهو شاتٍ من باب قال: إذا اشتدّ برده. اهـ. وفي لسان العرب وقد شتا الشتا يشتو ويوم

(١) أي أهلكوا.

فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم)، وأمر الملائكة فقلعت (**الأوتاد**) وقطعت (**الأطناب**) وأطفأت النيران و(**أكفأت القدور**) و(**ماجت الخيل**) بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب (**وكبرت الملائكة**) في جوانب عسكرهم فانهزموا من غير قتال. وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم (**ضرب الخندق على المدينة بإشارة سلمان**) ثم خرج في ثلاثة آلاف

شات مثل يوم صايف وغداة شاتية كذلك. اهـ. **قوله**: (**فأخصرتهم**) أي أبردتهم والخصر[1] بالتحريك البرد وقد خصر الرجل إذا آلمه البرد. **قوله**: (**وسفت**[2] **التراب في وجوههم**) أي رمته بالسين المهملة والفاء المخففة أصله سفيت فاعل فصارت سفت. **قوله**: (**الأوتاد**) في لسان العرب الوَتِد بالكسر والوَتَد والوَدّ ما رُزّ في الحائط والأرض من الخشب والجمع أوتاد. اهـ. **قوله**: (**الأطناب**) في المصباح الطنب بضمتين وسكون الثاني لغة الحبل تشدّ به الخيمة ونحوها والجمع أطناب مثل عنق وأعناق. اهـ. **قوله**: (**أكفأت**) في لسان العرب كَفأْتُ الإنَاءَ إذا لَبّبْته وأكْفأَ الشيء أَمَالَهُ كُفَيّه. اهـ. **قوله**: (**القدور**) في المصباح القدر آنية يطبخ فيها وهي مؤنّثة ولهذا تدخل الهاء في التصغير فيقال: قديرة وجمعها قدور مثل حمل وحمول. اهـ. **قوله**: (**ماجت الخيل**) أي اضطربت واختلط بعضها ببعض. **قوله**: (**وكبرت الملائكة**) والمراد بالجنود هؤلاء الملائكة وهم غير مرئيين للمؤمنين وإن رآهم رسول الله ﷺ. **قوله**: (**ضرب الخندق**) أي صنعه والخندق معرّب كندة وهو حفر حول المعسكر عميق وهذا من قبيل ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النّساء: الآية ٧١] فلا ينافي التوكّل. **قوله**: (**على المدينة**) أي على مكان قريب منه كقوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: الآية ١٠] أو المعنى أن أهلها مشرفون عليها. **قوله**: (**بإشارة سلمان**) الفارسي أبي عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ وسُئل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام وتُوفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان، وقيل: أول سنة ست وثلاثين، وقيل: تُوفي في خلافة عمر والأول أكثر. قال العباس بن يزيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيه. قال أبو نعيم: كان سلمان من المعمرين يقال

---

(١) بالخاء المعجمة والصاد والراء المهملتين.

(٢) سفت التراب سفيًا أي ذرته وطيرته.

من المسلمين (**فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم**)، وأمر (**بالذراري والنسوان**) فرفعوا (**في الآطام**) واشتد الخوف، وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف (**من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة**

إنه أدرك عيسى ابن مريم وقرأ الكتابين. **قوله**: (**فضرب معسكره**) في المصباح عسكرت الشيء جمعته فهو معسكر وزان دحرجته فهو مدحرجٌ ومنه معسكر القوم على صيغة المفعول لموضع اجتماع العسكر وبكسر الكاف اسم فاعل لجامع العسكر.اهـ. وأيضًا فيه العسكر الجيش قال ابن الجواليقي: فارسيّ معرّب. **قوله**: (**والخندق بينه وبين القوم**) وكان عرضه أربعين ذراعًا وعمقه عشرًا. **قوله**: (**بالذراريّ**) في المصباح الذرية فعلية من الذرّ وهم الصغار وتكون الذرية واحدًا وجمعًا وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال، وبها قرأ السبعة والثانية كسرها، ويُروى عن زيد بن ثابت. والثالثة فتح الذال مع تخفيف الزاي وزان كريمة وبها قرأ أبان بن عثمان وتجمع على ذريّات وقد تجمع على الذراري.اهـ. **قوله**: (**والنسوان**) في لسان العرب النِّسْوة والنُّسْوة بالكسر والضم والنساء والنِّسوان والنُّسوان جمع المرأة من غير لفظه.اهـ. **قوله**: (**في الآطام**) في لسان العرب الأُطم حصن مبني بحجارة والجمع القليل آطام.اهـ باختصار. وأيضًا فيه الأُطم بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام.اهـ أي الأبنية المرتفعة كالحصون. **قوله**: (**من الأحابيش**) في شرح القاموس المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس والحباشة (كثمامة الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة) واحدة كالهباشة والجمع حباشات وهباشات (كالأحبوشة) بالضم والجمع الأحابيش.اهـ. وفي لسان العرب وفي المجلس حُباشات وهُباشات من الناس أي ناس ليسوا من قبيلة واحدة وهم الحباشة الجماعة، وكذلك الأُحبوش والأَحَابِيش.اهـ. **قوله**: (**وبني كنانة**) في الصراح ولسان العرب كنانة قبيلة من مضر وهو كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر وبنو كِنانة أيضًا من تَغلب بن وائل وهو بنو عَكَب يقال لهم، قريش تَغْلِب.اهـ. **قوله**: (**وأهل تهامة**) في المصباح تهم اللبن واللحم تهمًا من باب تعب تغير وأنتن وتهم الحرّ اشتدّ مع ركود الريح، ويقال: إن تِهَامة مشتقة من الأول لأنها انخفضت عن نجد فتغيّرت ريحها، ويقال: من المعنى الثاني لشدة حرّها وهي أرض أولها ذات عرق من قبل نجد إلى مكة وما وراءها بمرحلتين أو أكثر ثم

وقائدهم) أبو سفيان، وخرج غطفان في ألف ومَن تابعهم **(من أهل نجد)** وقائدهم **(عيينة بن حصن)**، و**(عامر بن الطفيل في هوازن وضامّتهم)** اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي **(بالنبل)** والحجارة حتى أنزل الله النصر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي بعملكم أيها المؤمنون من التحصّن بالخندق والثبات على معاونة النبي ﷺ ﴿بَصِيرًا﴾ وبالياء، أبو عمرو أي بما يعمل الكفّار من البغي والسعي في إطفاء نور الله.

تتصل بالغور وتأخذ إلى البحر، ويقال: إن تهامة تتصل بأرض اليمن وأن مكة من تهامة اليمن والنسبة إليها تِهامِيّ وتَهام أيضًا بالفتح وهو من تغيرات النسب. قال الأزهري: رجل تهام وامرأة تهامية مثل رباع ورباعية. اهـ. **قوله: (وقائدهم)** في لسان العرب القَوْد نقيض السَّوْق يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها فالقود من أمام والسوق من خلف. اهـ.

قوله: (من أهل نجد) في المصباح النجد ما ارتفع من الأرض والجمع نجود مثل فلس وفلوس وبالواحد سمي بلاد معروفة من ديار العرب مما يلي العراق وليست من الحجاز وإن كانت من جزيرة العرب، قال في التهذيب: كل ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى على سواد العراق فهو نجد إلى أن تميل إلى الحرة فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز. قال الصغاني: كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد. اهـ.

قوله: (عيينة بن حصن) بن حذيفة بن بدر الفزاري يكنى أبا مالك أسلم بعد الفتح وقيل: أسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلمًا، وشهد حنينًا والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم وكان ممن ارتدّ وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأخذ أسيرًا وحمل إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكان صبيان المدينة يقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول: ما آمنت بالله طرفة عين فأسلم فأطلقه أبو بكر رضي الله تعالى عنه. **قوله: (عامر بن الطفيل)** اختلف في إسلامه. **قوله: (في هوازن)** في الصحاح هوازن قبيلة من قيس وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. اهـ. **قوله: (وضامتهم)** في لسان العرب ضَامَّ الشيء بالشيء انضَمَّ معه. اهـ. وأيضًا فيه ضَامَمْتُ الرجل إذا أقمت معه في أمر واحد منضمًّا إليه. اهـ. **قوله: (بالنبل)** النبل السهام العربية وهي مؤنّثة لا واحد لها من لفظها.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ **(بدل من** ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾**)** ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ **أي (من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان)** ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ **(من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش)** ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ **(مالت عن سُننها ومستوى نظرها حيرة)**، أو عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوّها لشدة **(الرّوع)** ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ الحنجرة رأس **(الغلصمة)** وهي منتهى الحلقوم، والحلقوم مدخل الطعام والشراب. قالوا: إذا انتفخت **(الرئة)** من شدة الفزع أو الغضب

قوله: (بدل من ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾**)** بدل الكل فائدة البدل زيادة التقرير. **قوله: (من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان)** من أعلى الوادي فالإضافة لأدنى ملابسة مع مراعاة دفع سوء الإيهام فإنه لو قيل من أعلاكم أو من أعلامكم لأوهم وصف الكفرة بالعلو قوله: **(بنو غطفان)** بدل من فاعل جاؤوا. **قوله: (من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش)** من أسفل الوادي فالإضافة لأدنى ملابسة أو هي على حالها قوله: **(قريش)** بدل من ضمير جاؤوا. **قوله: (مالت)** تفسير زاغت إذ الزيغ هو الميل.

قوله: (عن سننها) في مختار الصحاح السَّنَنُ[(١)] الطريقة يقال: استقام فلان على سَنَن واحد. ويُقال: امضِ على سننك أي على وجهك وتَنَحَّ عن سَنَن الطريق وسُنُنه وسَنَنه ثلاث لغات. اهـ. **قوله: (ومستوى نظرها)** اسم مكان أو مصدر ميمي واستواء النظر اعتداله على المعتاد فيه. **قوله: (حيرة)** مفعوله له. **قوله: (الروع)** بفتح الراء الخوف وبالضم القلب والمراد الأول. **قوله: (الغلصمة)** في لسان العرب الغَلصمة رأس الحلقوم بشواربه وحَرقَدَته وهو الموضع الناتىء في الحلق والجمع الغلاصم، وقيل: الغلصم اللحمة الذي بين الرأس والعنق، وقيل: متصل الحلقوم بالحلق إذا ازداد الأكل لقمة فَزلّت عن الحلقوم. وقيل: هي العُجرة التي على ملتقى اللهاة والمريء. اهـ. **قوله: (الرئة)** في لسان العرب الرئة السحر مهموزة ويجمع على رئين والهاء عوض من الياء المحذوفة. اهـ. وأيضًا فيه السَّحر

---

(١) فيه لغات أجودها بفتحتين وثانيها بضمتين والثالثة وزان رطب كذا في المصباح.

(ربت) وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة. وقل: هو مثل في اضطراب القلوب وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة. رُوِيَ أن المسلمين قالوا لرسول الله ﷺ: هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: «نعم قولوا (**اللَّهمَّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا**)». ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ خطاب للذين آمنوا ومنهم (**الثبت القلوب**) والأقدام (**والضعاف القلوب الذين هم على حرف**) والمنافقون، فظن الأولون بالله أنه يبتليهم (**فخافوا الزَّلل وضعف الاحتمال، وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكي**

والسُّحر ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن. ويقال للجَبان قد انتفخ سَحره. اهـ. وأيضًا فيه إنما يقال: انتفخ سحره للجَبان الذي ملأ الخوف جوفه فانتفخ السَّحْر وهو الرئة حتى رفع القلب إلى الحلقوم ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾. وكذلك قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: الآية ١٨] كل هذا يدل على أن انتفاخ السَّحْرِ مثل لشدة الخوف وتمكن الفزع. اهـ. وفي منتهى الإرب رئة بالكسر شش والهاء عوض من الياء ريأت ورئون جمع. اهـ. وأيضًا منه سَحْر بالفتح ويحرك شش سحور وأسحار جمع. اهـ. وفي غياث اللغات شش بالضم نام عضو يست درون سينه كبر بهندي بهيرا كويند. اهـ. **قوله**: (ربت) في مختار الصحاح ربا الشيء زاد وبابه عدا. اهـ. **قوله**: (**اللهم**) يا الله (**استر**) من الستر أي غطِّ عن إدراك جميع خلقك وملائكتك (**عوراتنا**) بسكون الواو جمع عورة سوءة الإنسان وكل ما يستحي منه إذا ظهر (**وآمن**) بمد الهمزة أمر من اءمن بهمزتين كقوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قُريش: الآية ٤] (**رَوْعاتنا**) بسكون الواو جمع روعة أي فزعاتنا ومخوفاتنا في جملة حالاتنا. **قوله**: (**الثبت القلوب**) بفتح فسكون أو بضم مع فتح الباء المشدّدة جمع ثابت والقلوب مجرور بالإضافة وهو الظاهر ويجوز النصب والرفع أيضًا والمراد ثبت القلوب إيمانًا وإخلاصًا فلا ينافيه قوله: (**فخافوا الزلل**) أي أن تزل أقدامهم وهو كناية عن عدم تحملهم وهو المراد بقوله: (**وضعف الاحتمال**) أي التحمل فهو كعطف تفسير لما قبله. **قوله**: (**والضعاف القلوب**) إيمانًا (**الذين هم على حرف**) أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: الآية ١١]. **قوله**: (**وأما الآخرون**) أي الضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون (**فظنوا بالله ما حكي**

عنهم. قرأ أبو عمرو وحمزة) ﴿الظنون﴾ بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس، **(وبالألف فيهما: مدني وشامي وأبو بكر إجراء للوصل مجرى الوقف، وبالألف في الوقف: مكي وعلي وحفص)**، ومثله ﴿الرسولا﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ **(زادوها في الفاصلة)** كما زادها في القافية. مَن قال:

(أقلي اللوم عاذل والعتابا وهن كلهن في الإمام) بالألف

عنهم) وهو قولهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ ودخولهم في الخطاب مع أنه للمؤمنين لأنهم آمنوا بأفواههم. **قوله: (قرأ أبو عمرو)** بن العلاء البصري **(وحمزة)** بن حبيب الزيّات الكوفي. **قوله: (وبالألف فيهما: مدنيّ وشاميّ وأبو بكر)** أي قرأ نافع المدنيّ وابن عامر الشاميّ وأبو بكر شعبة بن عياش الكوفي الظنونا بإثبات الألف في الوصل والوقف لأن هذه الألف تشبه هاء السكت في كونها مزيدة لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفًا للحاجة إليها وقد ثبتت وصلًا **(إجراء للوصل مجرى الوقف)** فكذلك هذه الألف.

قوله: (وبالألف في الوقف: مكيّ وعليّ وحفص) أي ابن كثير المكيّ وعلي الكسائي الكوفي وحفص بن سليمان الكوفي. **قوله: (زادوها في الفاصلة...)** الخ تشبيهًا لرؤوس الآيات بأواخر الأبيات من حيث إن كل واحدة منهما مقطع الكلام ولأن هذه الألف كهاء السكت وهي تثبت وقفًا وتحذف وصلًا فكذا الألف. **قوله:**

(أقلي اللوم عاذل والعتابا) وقولي إن أصبت لقد أصابا

فقوله: أقلى أمر حاضر مؤنث من الإقلال وعاذل منادى حذف منه حرف النداء أي يا عاذلة بمعنى لائمة ثم رخم فحذف التاء من آخره فبقي عاذل بفتح اللام والمعنى يا عاذلة أقلى ملامي وعتابي وقولي إن فعلت حسنًا أو صوابًا لقد أصاب فلان في قوله وفعله والبيت من قصيدة لجرير تزيد على مائة وعشرين بيتًا وبعد البيت:

إذا غضبت عليَّ بنو تميم وجدت الناس كلهم غضابًا

قوله: (وهن كلهن) أي الظنونا والرسولا والسبيلا. **قوله: (في الإمام)** أي المصحف العثماني.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ امتحنوا بالصبر على الإيمان ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ وحركوا بالخوف تحريكًا بليغًا.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ **(عطف على الأول)** ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ **(قيل: هو وصف المنافقين بالواو)** كقوله:

(إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم)

(وقيل: هم قوم لا بصيرة لهم في الدين) كان المنافقون يستميلونهم بإدخال **(الشبه)** عليهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ رُوِيَ أن **(معتب**

قوله: (عطف على الأول) أي عطف على إذ السابق وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية كما في المعطوف عليه. **قوله: (قيل: هو وصف المنافقين بالواو)** والعطف لتغاير الوصف. **قوله:**

(إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم)

البيت من قصيدة من المتقارب القرم بفتح القاف وسكون الراء الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه هذا أصله، ثم قيل للسيد المكرم بين قومه والهمام بضم الهاء عظيم الهمة من أسماء الملوك لعظم هممهم أو لأنهم يفعلون ما يهمون به وليث بمعنى أسد والكتيبة بالتاء الفوقية الجيش والمزدحم اسم مكان من الازدحام[1] أي موضع الإزحام أي معركة القتال. **قوله: (وقيل: هم قوم لا بصيرة لهم في الدين...)** الخ يعني أن الذي مرض غير المنافقين لأن المنافق كافر لا اعتقاد له بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنهم مؤمنون معتقدون إلّا أنهم ضعاف القلوب واليقين لا بصيرة لهم في الدين فالمؤمنون الذين أظهروا الإيمان ثلاثة أقسام: المخلصون الثبت القلوب وضعاف القلوب والمنافقون. **قوله: (الشُّبَه)** جمع شُبهة بالضم. **قوله: (معتب)** بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء فوقها نقطتان

---

(١) وهو التدافع لضيق المجلس لكثرة من فيه ومنه استعير ازدحام الغرماء على المال والمراد به هنا المعركة لأنها موضع المزاحمة والمدافعة.

ابن قشير) حين رأى الأحزاب (قال: يعدنا محمد فتح فارس والروم) وأحدنا لا يقدر أن (يتبرَّز فرقًا ما هذا إلا وعد غرور).

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين وهم (عبد الله بن أبيّ) وأصحابه (﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هم أهل المدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ وبضم الميم: حفص) أي لا قرار

(ابن قشير) بقاف ومعجمة مصغر ابن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ذكروه فيمن شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقًا وأنه الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هٰهنا. وقيل: إنه تاب وقد ذكره ابن إسحٰق فيمن شهد بدرًا. **قوله:** (قال: يعدنا محمد فتح فارس...) الخ فيكون من قبيل إسناد ما للبعض إلى الكل مجازًا لكونهم راضين به. **قوله:** (فارس والروم) أي بلادهم مجازًا أو بتقدير مضاف. **قوله:** (يتبرز) أي يخرج من الخندق إلى البراز بفتح الباء وهو الأرض الخالية لأجل قضاء الحاجة. **قوله:** (فرقًا) بالتحريك أي خوفًا هو مفعول له للا يقدر. **قوله:** (ما هذا إلا وعد[1] غرور) وهو الإطماع فيما لا مطمع فيه.

قوله: (عبد الله بن أبيّ) رأس المنافقين. **قوله:** (﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هم أهل المدينة) يثرب اسم المدينة فهي غير منصرف للعلمية ووزن الفعل أو التأنيث وقد نهى النبيّ ﷺ أن يسمى بها كراهة لها لكونه في الأصل من التثريب وهو اللوم والمعنى الأصلي في الإعلام منفهم وإن لم يقصد لكن النهي تنزيهي فغيّرها وسمّاها طيبة وطابة، كما ورد في الحديث أن المدينة طيبة تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد. **قوله:** (﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾) قراءة العامة بفتح الميم فهو اسم مكان أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه ويجوز[2] أن يكون مصدرًا ميميًا والمعنى لا ينبغي أو لا يمكن لكم الإقامة هٰهنا. **قوله:** (وبضم الميم: حفص) أي قرأ حفص

---

(١) أي وعد لا أصل له.

(٢) كذا في الشهاب.

لكم هٰهنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾ عن الإيمان إلى الكفر أو من عسكر رسول الله إلى المدينة ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾ **(أي بنو حارثة)** ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي ذات عورة ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ العورة الخلل والعورة ذات العورة **(وهي قراءة ابن عباس)**. يقال: عور المكان عورًا إذا بَدَا منه خلل يخاف منه العدو والسارق، **(ويجوز أن يكون عوْرة وتخفيف عورة)** اعتذروا أن بيوتهم **(عُرضة)** للعدو والسارق لأنها غير محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وإنما يريدون الفرار من القتال.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾

(﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ المدينة أو بيوتهم من قولك: («دخلت على فلان داره»)

بالضم على أنه مصدر من أقام أو مكان. **قوله**: **(أي بنو حارثة)** من الأوس وبنو سلمة من الخزرج. **قوله**: **(وهي)** أي العورة بفتح العين وكسر الواو في الموضعين **(قراءة ابن عباس)** رضي الله تعالى عنهما وقتادة فهي من الشواذ فهي صفة مشبهة. **قوله**: **(ويجوز أن يكون عورة)** بسكون الواو **(وتخفيف عورة)** بفتح العين وكسر الواو على أنه صفة فعدم قلب الواو ألفًا لعدم قلبها في فعله أي عور حملًا له على أعور المشدّدة بوزن أحمر. كذا نقل عن المعرب. **قوله**: **(عُرْضة)** أي مَعْروضة.

قوله: (﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ **المَدينة**[1] **أو بيوتهم من قولك: دخلت على فلان داره)** فالرجل مدخول عليه والدار مدخولة وهي في الحقيقة مدخول فيها لأن الدار ونحوها من الظروف المحدودة لا تقبل النصب بتقدير في بل لا بد من التصريح بكلمة في إلّا أن ما بعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعًا والمقصود أن دخلت فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول والقائم مقام الفاعل المنويّ فيه راجع إلى المدينة أو البيوت والأصل ولو دخل الأحزاب بالمدينة أو البيوت عليهم أي وهم فيها.

---

(١) يعني ضمير دخلت للمدينة أو بيوتهم.

﴿مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ (من جوانبها) أي ولو دخلت هذه العساكر المتحزّبة التي يفرّون خوفًا منها مدينتهم أو بيوتهم من نواحيها كلها (وانثالت) على (أهاليهم) وأولادِهم ناهبين سابين ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾ عند ذلك الفزع ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ (أي الرِّدَّة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين) ﴿لَآتَوۡهَا﴾ لأعطوها. (﴿لَأَتَوۡهَا﴾ لا مدّ: حجازي) أي لجاؤوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾ بإجابتها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ (ريثما يكون السؤال والجواب تفسير) من غير توقف، أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا (يسيرًا) فإن الله يهلكهم، والمعنى أنهم يتعلّلون بإعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله ﷺ والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملَؤوهم هولًا ورعبًا، وهؤلاء الأحزاب كما هم لو (كبسوا) عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر، وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا إليه وما تعلّلوا بشيء وما ذلك إلا لمقتهم الإسلام وحبهم الكفر. ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ أي بنو حارثة من قبل الخندق أو من قبل

قوله: (من جوانبها) جميعًا لا من بعضها دون بعض أقطار جمع قطر بمعنى الجانب. **قوله:** (وانثالت) أي اجتمعت وانصبّت في المصباح انثال الناس عليه من كل وجه اجتمعوا. اهـ. وفي لسان العرب وانثال عليه القوم تتابع وكثر فلم يدر بأية يَبْدأ وانثال عليه التراب أي انصَبّ. يقال: انثال عليه الناس من كل وجه أي انصبّوا، وفي حديث عبد الرحمٰن بن عوف انثال عليه الناس أي اجتمعوا وانصبّوا من كل وجه. اهـ. **قوله:** (أهاليهم) في المصباح يطلق الأهل على الزوجة والأهل أهل البيت والأصل فيه القرابة. وقد أطلق على الأتباع وأهل البلد من استوطنه وأهل العلم مَن اتصف به والجمع الأهلون وربما قيل الأهالي. اهـ. **قوله:** (أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين) أي المراد بالفتنة هنا ليست بمعنى الامتحان بل بمعنى البلية والمصيبة إذ لا مصيبة أشد من الردّة وكذا مقاتلة المسلمين. **قوله:** (﴿لَأَتَوۡهَا﴾ بلا مدّ: حجازيّ) أي قرأ لأتوها نافع بن عبد الرحمٰن المدنيّ وعبد الله بن كثير المكيّ بقصر الهمزة لجاؤوها أو فعلوها. والباقون بالمدّ أي لأعطوها إجابة لسؤال من سألهم. **قوله:** (ريثما يكون السؤال والجواب تفسيرًا يسيرا) أي مقدارًا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب وهو مصدر راث عليّ خبرك يريث ريثًا أبطأ وما مصدرية وكان تامة فالمعنى زمان حصول السؤال والجواب.
قوله: (كبسوا) أي دخلوا.

نظرهم إلى الأحزاب ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ منهزمين ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ مطلوبًا مقتضى حتى يوفَّى به.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ أي إن كان حضر أجلكم لم ينفعكم الفرار، وإن لم يحضر وفررتم لم تمتعوا في الدنيا إلا قليلًا وهو مدة أعماركم وذلك قليل. وعن بعض المروانية أنه مرَّ (بحائط مائل) فأسرع فتُليَت له هذه الآية فقال: ذلك القليل نطلب. ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي مما أراد الله إنزاله بكم ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ في أنفسكم من قتل أو غيره ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي إطالة عمر في عافية وسلامة أي مَن يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة لما في العصمة من معنى المنع ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ناصرًا.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي من يعوق عن نصرة رسول الله ﷺ أي يمنع وهم المنافقون ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الظاهر من المسلمين ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي قرِّبوا أنفسكم إلينا ودعوا محمدًا (وهي لغة أهل الحجاز) فإنهم يسوون فيه بين الواحد والجماعة، وأما تميم فيقولون: «هلمَّ يا رجل» و«هلمّوا يا رجال» (وهو صوت) سُمِّي به فعل متعدٍّ نحو: «أحضر وقرّب» ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي الحرب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا إتيانًا قليلًا أي يحضرون ساعة رياء ويقفون قليلًا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون.

قوله: (بحائط مائل) في المصباح مال الحائط زال عن استوائه. اهـ.

قوله: (وهي لغة أهل الحجاز) وبلغتهم جاء القرآن العزيز. **قوله**: (وهو صوت) أي اسم صوت.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

(﴿أَشِحَّةً﴾ **جمع شحيح**) وهو البخيل نصب على الحال من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾ أي يأتون الحرب بخلاء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بالظفر والغنيمة ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ من قبل العدو أو منه عليه السلام ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في تلك الحالة ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ يمينًا وشمالاً ﴿كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ كما ينظر المغشي عيه (**من معالجة سكرات الموت حذرًا وخوفًا ولواذًا بك**).

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ زال ذلك الخوف وأمنوا (**وحيزت الغنائم**) ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام. (**خطيب مِسْلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام**) أي يقولون: وفّروا قسمتنا فإنّا شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي خاطبوكم أشحة على المال والغنيمة و﴿أَشِحَّةً﴾ حال من فاعل ﴿سَلَقُوكُم﴾ ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ في الحقيقة بل

قوله: (﴿أَشِحَّةً﴾ **جمع شحيح**) على غير القياس لأن قياس الذي عينه ولامه من جنس واحد أن يجمع على أفعلاء نحو خليل وأخلّاء وعزيز وأعزّاء وصحيح وأصحّاء وقد سمع أشحّاء وهو القياس لكن لما كان مطابقًا للاستعمال كان فصيحًا فاستعمل في أفصح الكلام. **قوله**: (**من مُعالجة**[1] **سكرات الموت**) نبّه على تقدير المضاف إذ الغشي ليس من نفس الموت فإن وقت الموت يبطل كل شيء فالغشي من مقدمات الموت وكلمة من أجلية وابتدائيّة. **قوله**: (**حذرًا وخوفًا ولِوَاذًا بك**) تعليل لقوله: ينظرون أو تدور وقوله: لواذًا بك أي التجاء إليك وعياذًا يقال: لاذ به أي لجأ إليه وعاذ به ومنه الملاذ للملجأ. **قوله**: (**وحيزت الغنائم**) من الحوز وهو الجمع أو من الحيز وهو السوق أي جمعت الغنائم أو سيقت. **قوله**: (**خطيب مِسْلَق فصيح ورجل مِسْلاق مبالغ في الكلام**) في لسان العرب لسان مِسْلَقٌ حديد ذَلِقٌ ولسان مِسْلَق وسلَّاق حديدٌ وخطيب سلَّاقٌ يبلغ في الخطبة. وفي حديث علي رضوان الله عليه ذاك الخطيب المِسْلَقُ، يقال: مِسْلَقٌ ومِسْلَاقٌ إذا كان

---

(١) أي من مقاساة شدائده.

بالألسنة ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ﴾ أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ إحباط أعمالهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينًا.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ﴾ أي (لجبنهم) يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرّة ثانية ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ البادون (جمع البادي) أي يتمنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية حاصلون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويعتزلوا مما فيه الخوف من القتال ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ كل قادم منهم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ﴾ عن أخباركم وعمّا جرى عليكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وسمعة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (بالضم حيث كان: عاصم أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به...) كما تقول:

نهاية في الخطابة. قال الأعشى:

فيهمْ الحزم والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلّاق

ويُروى المِسْلَاق ويقال: خطيبٌ مِسْقَعٌ مِسْلَقٌ والخطيب المِسْلاق البليغ وهو من شدة صوته وكلامه.اهـ. قوله: (لجبنهم) الجبن بضم الجيم وإسكان الباء وبضمهما لكن سكون الباء أشهر صفة الجبان ضد الشجاعة وهو الخوف من العدو بحيث يمنعه عن المحاربة أو يحمله على الموافقة معه. قوله: (جمع البادي) وهو المقيم بالبادية يقال: بدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية.

قوله: (بالضم حيث كان: عاصم) أي قرأ عاصم الكوفي أسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالقدوة والقدوة لفظًا ومعنى. قوله: (أي قدوة وهو المؤتسى به أي المقتدى به...) الخ فهو على هذا تجريد

(«**في البيضة**) عشرون (**مَنًّا حديدًا**») أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد. أو فيه خصلة من حقها أن (**يؤتسى**) بها حيث قاتل بنفسه ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي يخاف الله ويخاف اليوم الآخر أو يأمل ثواب الله ونعيم اليوم الآخر. قالوا: ﴿لِّمَن﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ وفيه ضعف لأنه (**لا يجوز البدل**) من ضمير المخاطب. وقيل: ﴿لِّمَن﴾ يتعلق بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي أسوة كائنة لمن كان ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي في الخوف و(**الرجاء**) والشدة و(**الرخاء**).

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه بقوله: (﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ (**لم**) ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن

والتجريد في اصطلاح البديع أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فُصّلَت: الآية ٢٨] مع أن الجنة في نفسها دار الخلد جرّد منها أخرى مثلها في كونها دار الخلد وما نحن فيه من هذا القبيل إذ الأسوة نفس رسول الله ﷺ لكنه انتزع منه ﷺ شخص آخر مثله في حسن الاقتداء به تنبيهًا على كماله ﷺ في تلك الخصلة وهذا أجدر بفصاحة القرآن، ولهذا قدّمه المصنف رحمة الله عليه. **قوله**: (**في البيضة**) المراد بالبيضة بيضة الحديد وهي الكرة أو ما يوضع على الرأس للحفظ عن الضرر وهو المغفر بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء ما يوضع على الرأس وقت المحاربة. **قوله**: (مَنًّا) المنّ[1] بتشديد النون وزن معروف. **قوله**: (**حديدًا**) بدل منه. **قوله**: (**يؤتسى**) بمعنى يقتدى. **قوله**: (**لا يجوز البدل**) أي بدل الكل من ضمير المخاطب. قال صاحب التقريب لمن بدل من لكم بدل بعض أو اشتمال إذ المظهر لا يبدل من ضمير المخاطب بدل الكل. **قوله**: (**الرَّجاء**) أي التوقع والأمَل. **قوله**: (**الرّخاء**) أي سعة العيش.

قوله: (﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾...) الخ في تفسير الجلالين في سورة البقرة (﴿أَمْ﴾) بل (﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ (**لم**) ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾) شبه ما أتى (﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن

(١) الذي يوزن به رطلان.

﴿قَبۡلِكُمۖ﴾) إلى قوله: ﴿قَرِيبٞ﴾ [البقرة: الآية ٢١٤] فلما جاء الأحزاب واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ وعلموا أن الغلبة والنصرة قد وجبت لهم. (**وعن ابن عباس**) رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه: إن الأحزاب سائرون إليكم (**في آخر تسع ليال أو عشر**). فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك، وهذا إشارة إلى (**الخطب**) والبلاء ﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ ما رأوا من اجتماع الأحزاب عليهم ومجيئهم ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا﴾ بالله وبمواعيده ﴿وَتَسۡلِيمٗا﴾ لقضائه وقدره.

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ أي فيما عاهدوه عليه فحذف الجار كما في المثل («**صدقني سِنّ بكره**») أي صدقني في سنّ بكره بطرح الجار وإيصال الفعل. نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربًا مع رسول الله ﷺ ثبتوا

﴿قَبۡلِكُمۖ﴾) من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا (﴿مَّسَّتۡهُمُ﴾) جملة مستأنفة لما قبلها (﴿ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾) شدة الفقر (﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾) المرض (﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾) أُزعجوا بأنواع البلاء (﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾) بالنصب والرفع أي قال: (﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾) استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم (﴿مَتَىٰ﴾) يأتي (﴿نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾) الذي وعدنا فأُجيبوا من قبل الله (﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾) إتيانه. اهـ. **قوله**: (**وعن ابن عباس**) أي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبي العباس القرشي الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ كني بابنه العباس وهو أكبر ولده وكان يسمى البحر لسعة علمه ويسمى حبر الأمة. **قوله**: (**في آخر تسع ليال أو عشر**) من غرّة الشهر أو من وقت إخباره ﷺ والشك من الراوي. **قوله**: (**الخطب**) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس. اهـ.

قوله: (**صَدَقَني سِنّ بَكْره**) البكر الفتى من الإبل ويقال: صدقه الحديث. وفي الحديث يضرب مثلًا في الصدق وأصله أن رجلًا ساوم في بكر فقال: ما سنه فقال صاحبه: بازل ثم نفر البكر فقال له صاحبه: هَدع هدع وهذه لفظة يسكن بها الصغار من الإبل فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال: صدقني سِن بَكره. **قوله**:

وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم (**عثمان بن عفان وطلحة وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب**) وغيرهم (﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾) أي مات شهيدًا كحمزة ومصعب.

(**عثمان بن عفان**) بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف وهو ذو النورين وأمير المؤمنين أسلم في أول الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام وكان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية أسمر اللون كثير الشعر ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين كان يصفر لحيته ويشدّ أسنانه بالذهب.

قوله: (**وطلحة**) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. **قوله:** (**وسعيد بن زيد**) بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي القرشي العدوي أسلم قديمًا قبل عمر بن الخطاب وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. **قوله:** (**وحمزة**) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ وهو عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب وكان حمزة رضي الله عنه وأرضاه أسن من رسول الله ﷺ بسنتين وهو سيد الشهداء أسلم في السنة الثانية من المبعث وكان مقتل حمزة للنصف من شوال من سنة ثلاث وكان عمره سبعًا وخمسين سنة.

قوله: (**ومصعب**) بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ بن كلاب بن مُرة القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله كان من فضلاء الصحابة وخيارهم من السابقين إلى الإسلام وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ وشهد أُحدًا ومعه لواء رسول الله ﷺ وقُتل بأُحد شهيدًا قتله ابن قمئة الليثي قيل: كان عمره يوم قُتل أربعين سنة أو أكثر قليلًا. **قوله تعالى:** (﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾) أصل معنى النحب النذر[١] وقضاؤه الوفاء به.

---

(١) وهو أن يلتزم الإنسان شيئًا من أعماله ويوجبه على نفسه بأن قال: عليّ كذا مثلًا، فيجب الوفاء إن كان موافقًا للشرع، ١٢ منه رحمه الله.

وقضاء النَّحب صار عبارة عن الموت لأن كل حيٍّ من المُحدَثات لا بدَّ له أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ العهد ﴿تَبْدِيلًا﴾ ولا غيَّروه لا المستشهد ولا مَن ينتظر الشهادة، **(وفيه تعريض)** لمن بدلوا من أهل النِّفاق ومرضى القلوب كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾.

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ بوفائهم بالعهد ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ إذا لم يتوبوا ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ بقبول التوبة ﴿رَّحِيمًا﴾ بعفو الحوبة. جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم، لأن كِلا الفريقين مَسوق إلى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ حال أي مغيظين **(كقوله: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾)** [المؤمنون: الآية ٢٠]، ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ ظفرًا أي لم يظفروا بالمسلمين وسمّاه خيرًا

قوله: (وفيه تعريض...) الخ يعني أنه كناية تعريضية تفهم من تخصيصهم به أي ما بدلوا كغيرهم من أهل النفاق ومرض القلوب والمراد بالتبديل نقض العهد.

قوله: (كقوله: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾) قال صاحب الكشاف في تفسير المؤمنون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠] بالدهن في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن. اهـ. وعبارة أبي السعود تنبت بالدهن صفة أخرى لشجرة والباء متعلّقة بمحذوف وقع حالًا منها أي تنبت ملتبسة به. اهـ.

بزعمهم (وهو حال) أي غير ظافرين (﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾) بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ قادرًا غالبًا.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ عاونوا الأحزاب ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من بني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم الصيصية ما تحصن به. رُوِيَ أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ، صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم، على فرسه (الحيزوم) والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: من متابعة قريش. فقال: يا رسول الله إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فإن الله داقهم دقّ البيض على (الصفا) وإنهم لكم (طعمة). فأذّن في الناس أن مَن كان سامعًا مُطيعًا (فلا يصلّي العصر إلا في بني قريظة). فحاصروهم خمسًا وعشرين ليلة فقال رسول الله ﷺ: تنزلون على حكمي فأبوا، فقال: على حكم

قوله: (وهو حَال)[1] ثانية أو حال من الحال الأولى فهي متداخلة. **قوله تعالى**: (﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾) أي لم يحوجهم إلى قتال في دفع عدوّهم وكفى يتعدّى إلى مفعولين يقال: كفاه مؤنته كفاية.

قوله: (الحَيْزُوم) اسم فَرَس. **قوله**: (الصفا) في المصباح (الصفا) مقصور الحجارة ويقال: الحجارة الملس الواحدة صفاة مثل حصى وحصاة ومنه الصفا لموضع بمكة ويجوز التذكير والتأنيث باعتبار إطلاق لفظ المكان والبقعة عليه. اهـ. **قوله**: (طعمة) في المصباح الطعمة الرزق وجمعها طعم مثل غرفة وغرف. **قوله**: (فلا يصلّي العصر إلا في بني قريظة) فما صلّى كثير من الناس العصر إلّا بعد العشاء الآخرة.

---

(١) يعني أن قوله: ﴿بغيظهم﴾، وقوله: ﴿لم ينالوا خيرًا﴾ حالان فإن كان حالين في مفعول (ردّ) وهو (الذين كفروا) تكونان من الأحوال المتعاقبة، وإن كان ﴿بغيظهم﴾ حالاً من المفعول و﴿لم ينالوا﴾ عن الضمير في الحالان، الأولى لأنه في تقدير ملتبسين بغيظهم، ومآله إلى مغيظين تكونان من الأحوال المتداخلة، ١٢ منه.

(سعد بن معاذ) فرضوا به فقال سعد: حكمت فيهم **(أن تقتل مقاتلتهم)** **وتُسبَى (ذراريهم)** ونساؤهم، **(فكبَّر النبي ﷺ)** وقال: «لقد حكمت بحكم الله **(من فوق سبعة أرقعة»)**. ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقًا وقدَّمهم فضرب أعناقهم **(وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة. وقيل: كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير)** ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف **(وبضم العين: شامي وعليّ)**. ونصب ﴿فَرِيقًا﴾ بقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ وهم الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري.

قوله: (سعد بن معاذ) بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي بدري اهتزّ لموته العرش رضي الله عنه. **قوله: (أن تقتل مقاتلتهم)** أي الطوائف التي قاتلت وكانوا ستمائة وقيل: سبعمائة خازن. **قوله: (ذراريهم)** وكانوا سبعمائة وقيل: وخمسين خازن.

قوله: (فكبر النبيّ ﷺ) ثناء على الله تعالى في إلهام حكم سعدًا يوافق حكم الله ورسوله حيث قال رسول الله ﷺ: لقد حكمت بحكم الله. **قوله: (من فوق سبعة أرقعة)** يعني من فوق سبع سمٰوات كل سماء يقال لها رقيع والجمع أرقعة ويقال: الرقيع اسم لسماء الدنيا فأعطى كل سماء اسمها جاء سبعة على لفظ التذكير والرقيع مؤنّث سماعي لأنه اسم السماء ذهابًا إلى معنى السقف فكأنه قيل: سبعة أسقف وهو متعلق بحكم الله أو ظرف مستقرّ صفة أو حال منه، والمعنى أنّ هذا الحكم مكتوب في اللوح المحفوظ الذي هو فوق السمٰوات وكان السبب في رضى بني قريظة بحكم سعد بن معاذ أنه كان من الأوس وكان بنو قريظة موالي الأوس وحلفاءهم فظنّوا منه أن يسعى لهم بخير ويحكم بما لا يكرهون.

قوله: (وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل: كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير) هكذا في تفسير الخطيب وعبارة البغوي وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة إلى التسعمائة. اهـ. **قوله: (وبضم العين: شاميّ وعليّ)** أي وقرأ ابن عامر الشاميّ وعلي الكسائي رعبًا بضم العين والباقون بسكونها.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي **(المواشي)** والنقود **(والأمتعة)**. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ جعل **(عقارهم)** للمهاجرين دون الأنصار وقال لهم: **(إنكم في منازلكم)** ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بقصد القتال وهي مكة أو فارس والروم **(أو خيبر أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة)** ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ قادرًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي **(السعة)** في الدنيا وكثرة الأموال ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ أصل تعال أن يقوله مَن في المكان المرتفع لمن في المكان **(المستوطىء)**، ثم كثر حتى استوى في استعماله الأمكنة، ومعنى ﴿تعالين﴾ أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين، **(ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن)** كقوله: «قام يهددني». ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكن **(متعة الطلاق**

قوله: **(المواشي)** في مختار الصحاح الماشية معروفة والجمع المواشي. اهـ. وفي المصباح الماشية المال من الإبل والغنم قال ابن السكيت وجماعة وبعضهم يجعل البقر من الماشية. اهـ. **قوله**: **(والأمتعة)** في المصباح المتاع في اللغة كل ما ينتفع به كالطعام والبز وأثاث البيت والجمع أمتعة. اهـ باختصار. **قوله**: **(عقارهم)** في المصباح العقار مثل سلام كل ملك ثابت له أصل كالدار والنخل. اهـ. **قوله**: **(إنكم في منازلكم)** أي إنكم غير محتاجين لهذا لأنكم في دياركم وأما المهاجرون فلكونهم غرباء محتاجون. **قوله**: **(أو خيبر)** وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل. **قوله**: **(أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة)** ويدخل في ذلك أرض مكة وفارس والروم وخيبر دخولًا أوليًا فيكون الخطاب عامًّا للموجودين والمعدومين تغليبًا.

قوله: **(السعة)** بفتح السين وكسرها لغة. **قوله**: **(المستوطىء)** أي المنخفض. **قوله**: **(ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن)** أي المراد الإقبال المعنويّ وهو الإقبال بالإرادة والاختيار لا الإقبال بالأبدان وإن تحقق في صورة الإقبال بالإرادة الإقبال بالأبدان. **قوله**: **(متعة الطلاق)** وهي درع بكسر المهملة أي

وتستحب المتعة لكل مطلقة إلا المفوّضة قبل الوطء) ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ وأطلقكن ﴿(سَرَاحًا) جَمِيلًا﴾ **(لا ضرار)** فيه أردن شيئًا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير ن، فغمّ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهنّ إليه فخيَّرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرُئِي الفرح في وجه رسول الله ﷺ. ثم اختار جميعهن اختيارها. ورُوِيَ أنه قال لعائشة: إني ذاكر لك أمرًا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت: أفي هذا أستأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. **(وحكم التخيير)** في الطلاق أنه إذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أن تقطع تطليقة بائنة، وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء.

قميص وخمار وملحفة بكسر الميم ما تلتحف به المرأة من قرنها إلى قدمها لا تزيد على نصف مهر المثل ولا تنقص عن خمسة دراهم وتعتبر المتعة بحالهما كالنفقة به يفتى فإن كانا غنيين فلها الأعلى من الثياب أو فقيرين فالأدنى أو مختلفين فالوسط.

قوله: (وتستحب المتعة لكل مطلّقة إلا المفوّضة قبل الوطء) فمتعتها واجبة هكذا في الكنز والملتقى والمبسوط والمحيط وهو رواية التأويلات وصاحب التيسير والكشاف والمختلف وصرّح به أيضًا في البدائع وعَزاه في المعراج إلى زاد الفقهاء وجامع الأسبيجاني. **وقوله:** (المفوّضة) بكسر الواو من فوّضت أمرها لوليها وزوجها بلا مهر وبفتحها من فوّضها وليها إلى الزوج بلا مهر.

قوله: (﴿سَرَاحًا﴾) اسم أقيم مقام التسريح كما أقيم نباتًا موضع إنباتًا في قوله: ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٧]. **قوله:** (لا ضرار) فيه معنى جميلًا والجميل في كل شيء أحسنه فهو في الطلاق ما يكون بلا ضرر للمرأة المطلّقة والتسريح مقدم في الوجود على المتعة إذ الواو لا يقتضي الترتيب، ولعل تأخيره في الذكر للاستيناس ودفع الوحشة أول الأمر بذكر المتعة سوى المهر إذ الإنسان مجبول على حب المال. **قوله:** (وحكم التخيير...) الخ يؤيده قول عائشة رضي الله تعالى عنها خيّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يعدّه طلاقًا.

(وعن عليّ رضي الله عنه: إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية) وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ **(«من» للبيان لا للتبعيض)**. ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾ سيئة بليغة في القبح ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ **(ظاهر فحشها)**. من بيّن بمعنى تبين **(وبفتح الياء: مكي وأبو بكر)**. قيل: هي عصيانهنّ رسول الله ﷺ **(ونشوزهن. وقيل: الزنى والله عاصم رسوله من ذلك)** ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾ **(﴿يضعّف لها العذاب﴾ مكي وشامي**

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه) ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ. **قوله: (إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية)** ورُوِيَ عنه رضي الله تعالى عنه أيضًا: إن اختارت زوجها فليس بشيء.

قوله: («من» للبيان لا للتبعيض) لأن كلهن محسنات. **قوله: (ظاهر فحشها)** أي مبيّنة من بين اللازم بمعنى ظهر هذا على قراءة كسر الياء. **قوله: (وبفتح الياء: مكيّ وأبو بكر)** أي قرأ ابن كثير المكيّ وأبو بكر شعبة بن عياش الكوفيّ مبيّنة بفتح الياء التحتية أي بيّنت أي بيّنها الله أي بيّن قبحها وفحشها والباقون بكسرها أي واضحة ظاهرة في نفسها. **قوله: (ونشوزهن)** أي عصيانهن في المصباح نشزت المرأة لزوجها نشوزًا من بابي قعد وضرب عصت زوجها وامتنعت عليه. اهـ. **قوله: (وقيل: الزنى والله عاصم رسوله من ذلك)** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما بغت امرأة نبيّ قطّ وإنما خانت في الإيمان والطاعة. **قوله: (عاصم)** في المصباح عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب حفظه ووقاه. اهـ. **قوله: (﴿يضعّف لها العذاب﴾ مكيّ وشاميّ)** أي قرأ ابن كثير المكيّ وابن عامر الشاميّ بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل ونصب العذاب لأنه مفعول به.

﴿يُضَعَّف﴾ **أبو عمرو ويزيد ويعقوب)** ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن من النساء لأن ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن، فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي ﷺ ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل، لأن المعصية من العالم أقبح **(ولذا فضل حدَ الأحرار على العبيد)** ولا يرجم الكافر ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي تضعيف العذاب عليهن ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هينًا.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ القنوت الطاعة ﴿(وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا) نُّؤْتِهَآ﴾ **(وبالياء فيهما: حمزة وعليّ)** ﴿أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مثلي ثواب غيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ جليل القدر وهو الجنة ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء إذا

قوله: (﴿يُضَعَّف﴾ **أبو عمرو ويزيد ويعقوب)** أي قرأ أبو عمرو زيان بن العلاء البصريّ وأبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدنيّ وقارة موضع من المدينة ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري بالياء المضمومة وفتح الضاد والعين المشدّدة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية وألف بعد الضاد وتخفيف العين مفتوحة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل. **قوله**: **(ولذا فضل حد الأحرار على العبيد)** أي على حد العبيد إظهارًا لشرف الحرية.

قوله: (﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾) عطف على ﴿يَقْنُتْ﴾ عطف تفسير له أو المراد بالأول الطاعة له عليه السلام بتركهن زينة الدنيا واختيار الدار الآخرة. **قوله**: **(وبالياء فيهما: حمزة وعليّ)** أي قرأ حمزة بن حبيب الزيّات الكوفيّ وعلي الكسائي بالياء التحتية في يعمل ويؤتها حملًا على لفظ من وهو الأصل والباقون بالتاء الفوقية في يعمل على معنى من والنون في نؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى.

(**تقصيت**) أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل. وأحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ إن أردتن التقوى أو إن كنتن متقيات ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي إذا كلّمتن الرجال من وراء الحجاب (**فلا تجئن بقولكن خاضعًا أي ليّنًا خنثًا مثل كلام المريبات**) ﴿فَيَطْمَعَ﴾ بالنصب على جواب النهي ﴿ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ (**ريبة وفجور**) ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ حسنًا مع كونه خشنًا.

قوله: (**تقصيت**) في لسان العرب تقصَّيْتُ الأمر واقتصيته واستقصى فلان في المسألة وتقصّى بمعنى. اهـ. وفي منتهى الإرب تَقَصّي بنهايت رسيدن. اهـ. وأيضًا فيه استقصاء كوشش تمام كردن وبنهايت جيزي رسيدن، يقال: استقصى في المسألة أي بلغ الغاية. اهـ.

قوله: (**فلا تجئن بقولكن خاضعًا**) وصف قولهن بكونه خاضعًا أي ليّنًا للإشارة إلى أن الباء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ للتعدية. **قوله**: (**أي ليّنًا خنثًا**) يورث ريبة في طهارتكن (**مثل كلام المريبات**[1]) أي الموقعات الشك في طهارتهن.

قوله: (**ليّنًا**) في مختار الصحاح اللِين ضد الخشونة وقد لان الشيء يلين لِيْنًا وشيء ليِّن ولَيْن مخفف منه وليّن الشيء تَلْيِينًا وأَلْينه صَيَّرَه لَيِّنًا. اهـ. **قوله**: (**خنثًا**) في المصباح خنث خنثًا فهو خنث من باب تعب إذا كان فيه لين وتكسر ويعدى بالتضعيف فيقال: خنّثه غيره إذا جعله كذلك واسم الفاعل مخنّث بالكسر واسم المفعول بالفتح. اهـ.

قوله: (**ريبة وفجور**) أي المرض مستعار هنا للريبة والفجور أي الميل إلى الزنا لأنه يخرج النفس عن الكمالات كما أن المرض الحقيقي يخرج البدن عن الاعتدال، فالكلام من قبيل لا تشتمني فتكون مضروبًا أي لا يقع منكن القول الليّن ولا الطمع من الرجال الفجور.

---

(١) هُنّ اللاتي تُوقعن الرجال في الريبة والتهمة من جمالهن، ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

(﴿وَقَرْنَ﴾ **مدني وعاصم غير هبيرة**) وأصله «اقررن» فحذفت الراء تخفيفًا وألقيت فتحتها على ما قبلها، (**أو من قار يقار إذا اجتمع. والباقون ﴿قِرن﴾**) من (**وقر يقر وقارًا، أو من قرَّ يقرّ**)، حذفت الأولى من راءي اقررن قرارًا من التكرار (**ونقلت كسرتها إلى القاف**) ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (**بضم الباء بصري ومدني وحفص**) ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي القديمة. (**والتبرج التبختر في المشي**

قوله: (﴿وَقَرْنَ﴾ **مدنيّ وعاصم غير هبيرة**[1]) أي قرأ نافع المدنيّ وعاصم الكوفي غير هبيرة قرن بفتح القاف من باب علم يعلم. **قوله**: (**هُبَيْرة**) بن محمد التمّار. **قوله**: (**أو من قار يقار إذا اجتمع**) وهو أيضًا من باب علم إلّا أنه أجوف وأوى مثل خاف يخاف فالمعنى حينئذٍ وقرن أي اجتمعن في بيوتكن وحاصله اثبتن في بيوتكن واستقررن فيها ما لم يمسّ الحاجة إلى الخروج كما يشير إليه قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ لأن البروج الخروج بالزينة أو التبختر في المشي وعلى التقديرين يستلزم الخروج فيفهم منه إشارة جواز الخروج عند مساس الحاجة. **قوله**: (**والباقون ﴿قِرن﴾**) بكسر القاف من باب ضرب يضرب من (**وقر يقر وقارًا**) إذا سكن وثبت واستقرّ أصله أوقرنَ حذفت الواو تبعًا للمضارع فاستغنى عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن والمعنى كن أهل وقار وسكون واطمئنان (**أو من قر يقر**) من المضاعف وهو من باب ضرب. **قوله**: (**ونقلت كسرتها إلى القاف**) فاجتمع ساكنان فحذفت الأولى من رائي أقررن ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بحركة القاف المنقولة من الراء. **قوله**: (**بضم الباء بصريّ ومدنيّ وحفص**) أي قرأ أبو عمرو البصري ونافع المدنيّ برواية ورش وحفص بضم الباء والباقون بكسرها. **قوله**: (**والتبرّج التبختر في المشي**) هو منقول عن قتادة

---

(١) يروي عن حفص عن عاصم أبو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق أحمد بن علي الخزان وأبو حفص عمرو بن الصالح طريق عبد الصمد بن محمد، كذا في تفسير النيسابوري، ١٢ منه رحمه الله.

أو إظهار الزينة) والتقدير: ولا تبرجن تبرجًا مثل تبرج النساء في الجاهلية الأولى ـ وهي الزمان الذي ولد فيه إبراهيم **(أو ما بين آدم ونوح عليهما السلام)** أو زمن داود وسليمان ـ **(والجاهلية الأخرى ـ ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام)**. أو الجاهلية الأولى **(جاهلية الكفر)** قبل الإسلام، **(والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام)**.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ خصَّ الصلاة والزكاة بالأمر ثم عمَّ بجميع الطاعات تفضيلًا لهما لأن مَن واظب عليهما جرّتاه إلى ما وراءهما ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ **(نصب على النداء أو على المدح)**، وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته. وقال: ﴿عَنكُمُ﴾، لأنه أريد الرجال والنساء من آله بدلالة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من نجاسة **(الآثام)**. ثم بيَّن أنه

ومجاهد والتبختر وهو المشي المنبىء عن الغنج والدَّلَال[١]. **قوله: (أو إظهار الزينة)** وإبراز المحاسن للرجال وعن الزجاج قال: التبرّج إظهار المرأة زينتها وما تستدعي به شهوة الرجال. **قوله: (أو ما بين آدم ونوح)** على نبيّنا و**(عليهما)** الصلاة و**(السلام)** قيل: إنه ثمانمائة سنة والنساء فيه قباح والرجال حسان فلذا كانت تدعوهن لأنفسهن، كذا في حاشية العلّامة الشهاب. **قوله: (والجاهلية الأخرى)** أي التي تستفاد من قيد الأولى **(ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام)** وهي زمان الفترة وكان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة. **قوله: (جاهلية الكفر)** هي ما كان قبل ظهور الإسلام من التكبّر والتجبّر والتفاخر بالدنيا وكثرة البغايا. **قوله: (والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام)** وإطلاق الجاهلية عليها بناء على التشبيه لا على الحقيقة لأن زمن الإسلام ليس زمن الجاهلية على الحقيقة. **قوله: (نصب على النداء)** لطفًا بهم أي يا أهل بيت النبوّة وفيه حبر[٢] لكلفة العبادة بلذّة المخاطبة. اهـ قنوي. **قوله: (أو على المدح)** أي أو نصب على المدح فيقدر أمدح أو أعني أي أمدح أهل البيت أو أعني أهل البيت، قدم الأول لما عرفته. **قوله: (الآثام)** جمع الإثم في لسان العرب جمع الإثم آثام

---

(١) بالفتح وهو جرأتها في تكسر وتغنج، ١٢ منه رحمه الله.

(٢) في المصباح حبرت الشيء حبرًا من باب قتل زينته، والحبر بالعكس اسم منه فهو محبور، وحبرته بالتثقيل مبالغة، ١٢ منه.

إنما نهاهنّ وأمرهنّ ووعظهنّ لئلا (**يقارف**) أهل بيت رسول الله ﷺ (**المآثم**) وليتصوّنوا عنها بالتقوى. واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطُّهر، لأن (**عرض المقترف**) للمقبّحات يتلوث بها كما يتلوَّث بدنه بالأرجاس، وأما المحسِّنات فالعرض منها نقي كالثوب الطاهر وفيه تنفير لأُولي الألباب عن المناهي وترغيب لهم في الأوامر.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ أي السُّنَّة أو بيان معاني القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ عالمًا (**بغوامض الأشياء**) ﴿خَبِيرًا﴾ عالمًا بحقائقها أي هو عالم بأفعالكن وأقوالكن فاحذرن مخالفة أمره ونهيه ومعصية رسوله.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

ولما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ المسلم (**الداخل في السّلم**) بعد الحرب

لا يُكَسَّر على غير ذلك. اهـ. **قوله**: (**يقارف**) في لسان العرب قارف الذنب وغيره وأَتاه ولَاصَقَه. اهـ. **قوله**: (**المآثم**) جمع المأثم في لسان العرب المَآثم مفعل من الإثم وجمعه المَآثم والمآثم الآثام. اهـ. **قوله**: (**عرض المقترف**) أي نفسه في المصباح العرض بالكسر النفس والحسب. اهـ. **قوله**: (**المقترف**) في لسان العرب الاقتراف الاكتساب اقترف اكتسب واقترف ذنبًا أي أتاه وفعله. اهـ.

قوله: (**بغوامض الأشياء**) الغوامض جمع غامض وهو خلاف الواضح في لسان العرب غمض من حد نصر وكرم غموضًا فيهما أي خفي. اهـ.

قوله: (**الداخل في السّلم**) بكسر السين وفتحها الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق على الصلح والإسلام وفيه رمز إلى أن همزة الأفعال المدخول.

(**المنقاد الذي لا يعاند**)، أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ القائمين بالطاعة ﴿وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في النيّات والأقوال والأعمال ﴿وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ (**على الطاعات وعن السيئات**) ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين لله بالقلوب والجوارح أو الخائفين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ فرضًا ونفلًا ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ فرضًا ونفلًا. وقيل: مَن تصدق (**في كل أسبوع**) بدرهم فهو من المتصدقين، (**ومَن صام البيض**) من كل شهر فهو من الصائمين ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عمّا لا يحلّ ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من

قوله: (**المنقاد الذي لا يعاند**) أي المنقاد لحكم الله تعالى جملة ظاهرًا وباطنًا وأشار إلى أن المراد الإسلام الشرعي، وهو مغاير للإيمان مفهومًا وإن لم ينفك أحدهما عن الآخر وهذا مراد مَن قال: إنهما مترادفان أي أنهما كالمترادفين. **قوله**: (**على الطاعات وعن السيئات**) على الطاعات عدى بعلى حينئذٍ لتضمن الصبر معنى الإقبال والحبس وعدى بعن في السيئات لتضمنه المنع والكفّ. **قوله**: (**في كل أسبوع**) في المصباح الأسبوع من الأيام سبعة أيام وجمعه أسابيع. اهـ. وفي لسان العرب والسبوع من الأيام تمام سبعة أيام قال الليث: الأيام التي يدور عليها الزمان في كل سبعة منها جمعة تُسمى الأسبوع وتجمع أسابيع، ومن العرب مَن يقول سُبُوع في الأيام والطواف بلا ألف مأخوذة من عدد السبع والكلام الفصيح الأسبوع.

قوله: (**ومَن صام البيض**) أي أيام البيض في لسان العرب جمع الأبيض بِيض وأصله بُيْضٌ بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرة لتصحّ الياء. وأيضًا فيه البيض ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، وفي الحديث كان يأمرنا أن نصوم الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر سُميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أوّلها إلى آخرها. قال ابن بري: وأكثر ما تجيء الرواية الأيام البيض والصواب أن يقال أيام البيض بالإضافة لأن البيض من صفة الليالي. اهـ. في المصباح وقولهم: صام أيام البيض هي مخفوضة بإضافة أيام إليها وفي الكلام حذف والتقدير أيام الليالي البيض. اهـ.

الذكر **(والمعنى والحافظات فروجهن)** ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ الله فحذف لدلالة ما تقدم عليه. والفرق بين عطف الإناث على الذكور **(وعطف الزوجين)** على الزوجين لأن الأول **(نظير قوله:** ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾) [التحريم: الآية ٥] في أنهما **(جنسان)** مختلفان واشتركا في حكم واحد فلم يكن بُدٌّ من توسّط العاطف بينهما، وأما الثاني فمَن عطف

قوله: (والمعنى والحافظات فروجهن) ترك مفعول الثاني لدلالة الأول عليه، وكذا في قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضأ وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبيّ ﷺ وقال: يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فإنه مَن قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرًا، وكان أفضل مَن ذكره بالليل والنهار وكن له غرسًا في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله إليه ومَن نظر الله إليه لم يعذبه. **قوله: (وعطف الزوجين)** أراد بالزوجين مجموع كل مذكر ومؤنث كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات. **قوله: (نظير قوله:** ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾) في تفسير الجلالين في سورة التحريم (﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾) أي طلّق النبيّ أزواجه (﴿أَن يُبۡدِلَهُۥٓ﴾) بالتشديد والتخفيف (﴿أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾) خبر عسى، والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (﴿مُسۡلِمَٰتٖ﴾) مُقِرَّات بالإسلام (﴿مُّؤۡمِنَٰتٖ﴾) مخلصات (﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾) مطيعات (﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ﴾) صائمات أو مهاجرات (﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾...).اهـ. في الجلالين. قوله: خبر عسى أي قوله: أن يبدّله وفي حاشية الجمل قوله: والجملة جواب الشرط أي أن جملة عسى واسمها وخبرها جواب الشرط.اهـ. وأيضًا فيها ثيبات وأبكارًا أي بعضهن كذا وبعضهن كذا وإنما وسطت الواو بين ثيبات وأبكارًا لتنافي الوصفين فيه دون سائر الصفات.اهـ. وعبارة المصنّف رحمه الله في سورة التحريم (﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾) إنما وسط العاطف بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات. **قوله: (جنسان)** أي نوعان لما كان الذكور والإناث متخالفين حكمًا عد الشرع إياهما جنسين.

الصفة على الصفة بحرف الجمع ومعناه أن الجامعين والجامعات (**لهذه الطاعات**) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعاتهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته (**أُميمة**) على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها (**عبد الله**) فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ أي (**وما صحّ لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة** ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾) أي رسول الله ﴿أَمْرًا﴾ من الأمور ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ (مِنْ أَمْرِهِمْ)﴾ أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعًا لرأيه واختيارهم (**تِلوًا**) لاختياره فقالا: رضينا يا رسول الله، فأنكحها إيّاه وساق عنه إليها مهرها. (**وإنما جمع الضمير في** ﴿لَهُمُ﴾) وإن كان من حقه أن يوحّد لأن المذكورين وقعا تحت النفي فعَمَّا كل مؤمن ومؤمنة

قوله: (**لهذه الطاعات**) العشر.

قوله: (**أُميمة**) بنت عبد المطلب. **قوله**: (**عبد الله**) بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة أبو محمد الأسدي أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة وقُتل يوم أُحد وكان الذي قتله يوم أُحد أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي وكان عمره حين قُتل نيّفًا وأربعين سنة ودُفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**وما صحّ لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة**) وما استقام أشار إلى أن المنفيّ ليس الكون فإنه قد يقع بل المنفيّ الصحة واللياقة وهذا المبنى شائع في الاستعمال فصار حقيقة عرفية. **قوله**: (﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾) ذكر الله لتعظيم أمر رسول الله ﷺ أو للإشعار بأن قضاء رسول الله هو قضاؤه لأن قضاء الرسول بأمر الله ووحيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيتان ٣، ٤]. **قوله**: (**تِلوًا**) أي تبعًا. **قوله**: (**وإنما جمع الضمير في** ﴿لَهُمُ﴾...) الخ وأما جمع الضمير الثاني أي جمع ضمير أمرهم مع كونه راجعًا إلى الله ورسوله فلتعظيم المرجع إليه **وقوله**: (﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾) الظاهر أن من للبدل أو بمعنى عن أي متجاوزين عن أمرهم.

فرجع الضمير إلى المعنى لا إلى اللفظ. (و﴿يَكُونَ﴾ **بالياء: كوفي، والخيرة ما يتخيّر**) ودلّ ذلك على أن الأمر للوجوب ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ فإن كان العصيان عصيان ردّ وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام الذي هو أجلّ النّعم ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق والتبنّي فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب بنت جحش، (**وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها**) بعدما أنكحها إياه (**فوقعت في نفسه**) فقال: (**سبحان الله مقلّب القلوب**)، وذلك أن نفسه

قوله: (و﴿يَكُونَ﴾ **بالياء كوفيّ**) أي قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء من أسفل لكون تأنيث الخيرة غير حقيقي وللفصل أيضًا والباقون بالتاء من فوق اعتبارًا للفظ الخيرة. **قوله**: (**والخيرة ما يتخير**) الخيرة اسم من الاختيار ويدلّ عليه قوله: أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا لأن أن مع الفعل في معنى المصدر وقوله: والخيرة ما يتخيّر يدل على أن الخيرة بمعنى المختار كما في قوله: محمد خيرة الله أي مختاره، والمقصود بيان أنه قد يكون بمعنى المختار إلّا أنه في الآية بمعنى الاختيار.

قوله: (**وذلك أن رسول الله ﷺ أبصرها...**) الخ. هذا الحديث ذكره الثعلبي وهو في الطبري بمعناه عن عبد الرحمٰن بن أسلم. **قوله**: (**فوقعت في نفسه**) أي وقعت محبتها وهو كناية عن الميل الاضطراري وهذا لا يؤاخذ عليه كَهَمّ يوسف على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام. **قوله**: (**سبحان الله**) تصدير الكلام به للاعتذار عمّا وقع من تغير أحوال القلوب. **قوله**: (**مقلّب القلوب**) أي هو مقلّب قلوب بني آدم أي متغيّر أحوالها وإيراد القلوب جمعًا للتنبيه على أنه لا يخلو أحد عن ذلك حتى الأنبياء فيدخل فيها قلبه المنيف دخولًا أوليًّا وهذا أبلغ من مقلب

كانت **(تجفو)** عنها قبل ذلك لا تريدها، **(وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن)** وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله ﷺ: **(إني أريد أن أُفارق صاحبتي)**، فقال: ما لك **(أرابك)** منها شيء؟ قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيرًا ولكنها تتعظَّم عليَّ **(لشرفها وتؤذيني)** فقال له: أمسِك عليك زوجك ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فلا تطلقها. وهو نهي تنزيه إذ الأولى أن لا يطلّق أو واتقِ الله فلا تذمّها بالنسبة إلى الكبر وأذى الزوج ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ أي تُخفي في نفسك نكاحها إن طلّقها زيد وهو الذي أبداه الله تعالى. وقيل: الذي أخفى في نفسه تعلّق قلبه بها ومودَّة مفارقة زيد إياها. **(والواو في ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ﴾)** ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي **(قالت الناس)** إنه نكح امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ واو الحال أي تقول لزيد أمسِك عليك زوجك مُخفيًا في نفسك إرادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيًا قاله الناس وتخشى الناس حقيقًا في ذلك بأن

قلبي مع أنه المراد. **قوله**: **(تجفو)** أي تبعد. **قوله**: **(وسمعت زينب بالتسبيحة)** وكذا قوله: مقلّب القلوب لم يذكره اكتفاء بذكرها، والظاهر أنه عليه السلام أراد سماعها ليترتب عليه حكم شرعي يدفع به الحرج كما ستعرفه. **قوله**: **(فذكرتها لزيد)** بإلهام الله تعالى ليقع ما وقع. **قوله**: **(ففطن)** أي ففهم ذلك أي وقوع محبتها في قلبه الشريف ولو لم يكن اختياريًّا.

قوله: **(إني أريد أن أفارق صاحبتي)** هذا وعد للفراق لا إنشاء له، ولذا قال النبيّ ﷺ: مالك إلى أن قال أمسك... الخ. **قوله**: **(أرابك)** أي أوقعك في ريب وشكّ أفعال من راب. **قوله**: **(لشرفها)** أي شرف نسبها. **قوله**: **(وتؤذيني)** بلسانها. **قوله**: **(والواو في** ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ﴾...**)** الخ الأول حال من فاعل تقول وقوله: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ حال من الضمير في تخفي وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ﴾ حال من الضمير في تخشى وهذه الأحوال متداخلة إلّا أن كل واحد من تخفي وتخشى مضارع مثبت والواو في المضارع المثبت إنما تكون للحال بتقدير المبتدأ أي وأنت تخفي وأنت تخشى كما في قولك قمت وأصك وجهك والمعنى على هذا تقولي لزيد أمسك عليك زوجك مخفيًا... الخ.

قوله: **(قالت الناس)** أي قول الناس في لسان العرب القال في معنى القول وكذلك القالة، يقال: كثرت قالة الناس. اهـ باختصار.

تخشى الله. (**وعن عائشة رضي الله عنها: لو كتم**) رسول الله ﷺ شيئًا مما أُوحي إليه لكتم هذه الآية.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ الوطر الحاجة فإذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه هِمَّة. قيل: قضى منه وطره، والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها هِمَّته وطلَّقها وانقضت عدّتها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾. رُوِيَ أنها لما اعتدت قال رسول الله ﷺ لزيد: ما أجد أحدًا أوثق في نفسي منك: أخطب عليّ زينب. قال زيد: فانطلقت وقلت: يا زينب أبشري إن رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت وتزوّجها رسول الله ﷺ ودخل بها (**وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها**)، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم (**حتى امتد النهار**) ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ قيل: قضاء الوطر إدراك الحاجة وبلوغ المراد منه ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الذي يريد أن يكونه ﴿مَفْعُولًا﴾ مكوّنًا (**لا محالة**) وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله ﷺ زينب.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أحلَّ له وأمر له وهو نكاح زينب امرأة زيد أو قدر له من عدد النساء ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ اسم موضع المصدر

قوله: (**وعن عائشة رضي الله عنها: لو كتم...**) الخ أخرجه الترمذي. **وقوله:** هذه الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾. **قوله:** (**وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها**) يحتمل أن سبب ذلك الشكر لنعمة الله في أن الله تعالى زوّجه إياها بالوحي لا بولي وشهود بخلاف غيرها. **قوله:** (**حتى امتدّ النهار**) أي ارتفع. وفي شرح الإمام النووي على صحيح مسلم قوله: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار هو بفتح الهمزة من أن وقوله: حين امتدّ النهار أي ارتفع هكذا هو في النسخ حين بالنون. اهـ بحروفه. وفي صحيح مسلم قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروسًا بزينب بنت جحش قال: وكان تزوجها بالمدينة فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار. **قوله:** (**لا مَحَالَة**) أي لا بُدّ.

(كقولهم) «ترابًا وجندلًا» مؤكد لقوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ كأنه قيل: سَنَّ الله ذلك سُنَّة في الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسّع عليهم في باب النكاح وغيره، وقد كانت تحتهم (المهائر والسراري) وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سَرِيَّة ولسليمان ثلاثمائة حرَّة وسبعمائة سَرِيَّة ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ في الأنبياء الذين مضوا من قبل ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (قضاءً مقضيًا وحُكمًا مبتوتًا)، ولا وقف عليه إن جعلت:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول، (وقِفْ) إن جعلته في محل الرفع (أو النصب على المدح) أي هم الذين يبلغون أو أعني الذي يبلغون ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ وصف الأنبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض

قوله: (كقولهم) تربًا وجنده في لسان العرب يقال: تَرِبَت يداه وهو على الدعاء أي لا أصاب خيرًا وفي الدعاء تَرَبًا له وجَنْدلًا وهو من الجوامد التي أجريت مجرى المصادر المنصوبة على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره في الدعاء كان بَدَلٌ من قولهم: تربت يداه وجَنْدَلَت من العرب من يرفعه وفيه مع ذلك معنى النَّصْب كما أن في قولهم رحمة الله عليه معنى رحمه الله. اهـ.

قوله: (المهائر) في لسان العرب المَهِيْرَة الحُرّة والمَهَائِر الحَرائر وهي ضد السرائر. اهـ. **قوله:** (والسراري) في لسان العرب **السُّرِّية** الأمة التي بواتها بيتًا وهي فُعْلِيَّة منسوبة إلى السِّرّ وهو الجماع والإخفاء لأن الإنسان كثيرًا ما يَسُرّها ويسترها عن حرته وإنما ضمّت سينه لأن الأبنية قد تُغير في النسبة خاصة كما قالوا في النسبة إلى الدَّهْر دُهْرِتي وإلى الأرض السهلة سُهْليٌّ والجمع السَّرَاري. اهـ. **قوله:** (قضاءً مقضيًا وحكمًا مبتوتًا) فسر القدر بالقضاء تنبيهًا على أن كلًا منهما يستعمل بمعنى الآخر وقوله: قدرًا مقدورًا وقضاءً مقضيًا من قبيل ظل ظليل وليل أليل وسواد أسود لأجل التأكيد، ولذا قال: وحكمًا مبتوتًا أي مقطوعًا به. **قوله:** (وقِفْ) بصيغة الأمر.

قوله: (أو النصب على المدح) أي أو في محل النصب على المدح بتقدير أعني أو أمدح.

بعد التصريح في قوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ **(كافيًا للمخاوف ومحاسبًا)** على الصغيرة والكبيرة فكان جديرًا بأن تخشى منه.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ أي لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح، والمراد من رجالكم البالغين، **(والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ**

قوله: (كافيًا للمخاوف ومحاسبًا) والأول على أن يكون حسيبًا من حسب بمعنى كفى والثاني على أن يكون من حسب بمعنى حاسب.

قوله: (والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذٍ) وهما أيضًا من رجاله لا من رجالهم أي من رجال النبيّ ﷺ لا من رجال المخاطبين وشيء آخر وهو أنه إنما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله: وخاتم النبيين ألا ترى أن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما قد عاشا إلى أن نيف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين كذا في الكشاف وذكر في جامع الأصول أنه ولد الحسن بن علي سنة ثلاث من الهجرة ومات سنة خمسين وقيل: تسع وأربعين وقيل: ثمان وأربعين وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسين وفي الاستيعاب قيل: كانت سن الحسن يوم مات ستًا وأربعين سنة وقيل: سبعًا وأربعين وسن الحسين يوم قتل ابن سبع وخمسين وقيل: ثمان وخمسين، وفي التاريخ الكامل كانت الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة وفيها تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي بنت عمته فيكون عمر الحسين ستين. وفي أسد الغابة الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو محمد سبط النبيّ ﷺ وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبيّ ﷺ وشبيهه سماه النبيّ ﷺ الحسن وعقّ عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدّق بزنة شعره فضة. قال أبو أحمد العسكري سمّاه النبيّ ﷺ الحسن وكنّاه أبا محمد ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية. وروي عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سمّى بهما النبيّ ﷺ

والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم) توفوا صبيانًا ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ **(وكل رسول أبو أمته)** فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم

ابنيه الحسن والحسين قال: فقلت له: فاللذين باليمن، قال: ذاك حسن ساكن السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين. اهـ باختصار. وأيضًا فيه وُلد الحسن بن علي بن أبي طالب في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وتُوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين وقيل: وُلد للنصف من شعبان سنة ثلاث، وقيل: وُلد بعد أحد بسنة، وقيل: بسنتين وكان بين أُحد والهجرة سنتان وستة أشهر ونصف. اهـ باختصار. وأيضًا فيه الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عبد الله ريحانة النبيّ ﷺ وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه ولما وُلد أذّن النبيّ ﷺ في أذنه فهو سيّد شباب أهل الجنة أُمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء العالمين إلا مريم عليهما السلام. اهـ باختصار. وأيضًا فيه وَلدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسين بن علي في ليال خلون من شعبان سنة أربع وقال الزبير بن بكار وُلد الحسن لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وقال جعفر بن محمد: لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن إلّا طهر واحد. وقال قتادة: وُلد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر فولدته لست سنين وخمسة أشهر ونصف شهر من الهجرة. اهـ. وأيضًا فيه وقتل يوم الجمعة وقيل: يوم السبت وهو يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق وقبره مشهور يُزار. **قوله: (والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم)** توفوا صبيانًا أبناء النبيّ ﷺ على الصحيح ثلاثة: القاسم وبه يُكنى إذ هو أول أولاده عاش سنتين ومات قبل البعثة بمكة وعبد الله[١] وهو الطيب الطاهر مات في الرضاع بعد البعثة، ودُفن بمكة وهما من خديجة رضي الله تعالى عنها وإبراهيم من مارية القبطية وُلد في ذي الحجة في ثمان من الهجرة عقّ عنه عليه السلام بكبشين يوم سابع ولادته وحلق رأسه وتصّدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر شعره فدفن في الأرض ومات في الرضاع وهو ابن ثمانية عشر شهرًا ودُفن بالبقيع كذا في تفسير روح البيان. **قوله: (وكل رسول أبو أمته)** أشار به إلى أن ولكن رسول الله

---

(١) ولد في الإسلام فيسمى الطيب الطاهر، ١٢ منه رحمه الله.

ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمكم والتبنّي من باب الاختصاص والتقريب لا غير (﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ **بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع**) أي آخرهم يعني لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبي قبله، وحين ينزل ينزل عاملًا على شريعة محمد ﷺ كأنه بعض أمته. (**وغيره بكسر التاء**) بمعنى الطابع وفاعل الختم. وتقوّيه قراءة (**ابن مسعود**) ﴿ولكن نبيا ختم النبيين﴾ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثِروا ذلك ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿وَأَصِيلًا﴾ آخر النهار، وخصًّا بالذّكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما.

استدراكه مما سبق باعتبار أن معناه ولكن أبا أمته لأن كل رسول أبو أمته من الحيثية المذكورة ولو لم يلاحظ هذا المعنى لم يظهر معنى الاستدراك قيل: ظاهره أنه يصح إطلاق الأب عليه كما يطلق الأمر على زوجاته. ونقل الطيبي فيه خلافًا للشافعية وفي الروضة لا يجوز أن يُقال: هو أبو المؤمنين لظاهر هذه الآية وهذا أعجب إذ المنفى حقيقة الأبوة والمثبت من حيث التوقير والطاعة فلا وجه للإنكار ألا يرى أن المعلم أبو المتعلم من حيث يجب عليه الطاعة والاحترام فما ظنّك بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كذا في القنوي.

قوله: (﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ **بفتح التاء عاصم**) وهو اسم لما به يختم ويطبع. **قوله**: (**بمعنى الطابع**) الطابع بالفتح الخاتم والطابع بالكسر لغة فيه. **قوله**: (**وغيره**) أي وغير عاصم من القراء (**بكسر التاء...**) الخ لأنه اسم فاعل. **قوله**: (**ابن مسعود**) أي عبد الله بن مسعود كان إسلامه قديمًا أول الإسلام حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان تُوفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ولما مات ابن مسعود نعي إلى أبي الدرداء فقال: ما ترك بعده مثله.

وعن **(قتادة بن دعامة)**: قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والفعلان أي اذكروا الله وسبِّحوه مُوَجَّهان إلى البكرة والأصيل كقولك: «صم وصَلِّ يوم الجمعة». والتسبيح من جملة الذكر، وإنما اختصص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة إبانة لفضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته عمّا لا يجوز عليه من الصفات. وجاز أن يُراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فإنها من جملة الذكر، ثم خصَّ من ذلك التسبيح بكرة وهي صلاة الفجر وأصيلًا وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أو صلاة الفجر والعشاءين.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمَن ينعطف على غيره حنوًّا عليه وترؤفًا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوّها على ولدها، ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم: «صلّى الله عليك» أي ترحم عليك وترأف. والمراد بصلاة الملائكة قولهم: «اللّهمَّ صَلِّ على المؤمنين» جعلوا لكونهم مُستَجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة، والمعنى هو الذي يترحَّم عليكم ويترأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم بإكثار الذِّكر والتوفّر على الصلاة والطاعة ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ هو دليل

قوله: **(قتادة بن دِعَامَة)** بكسر الدال المهملة ابن قتادة بن عَزِيْز البصري التابعي وُلد أعمى سمع أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وأبا الطفيل وابن المسيب وأبا عثمان النَّهْدي والحسن وابن سيرين وعكرمة وزرارة بن أوفى والشعبي وخلائق غيرهم من التابعين. روى عن جماعة من التابعين منهم سليمان التيمي وحميد الطويل والأعمش وأيوب وخلائق من تابعي التابعين منهم مطر الورّاق وجرير بن حازم وشعبة والأوزاعي وغيرهم وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله. تُوفي سنة سبع عشرة وقيل: ثمان عشرة ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة وقيل: خمس وخمسين.

على أن المراد بالصلاة الرحمة. ورُوِيَ أنه لما نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ قال (**أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه**): ما خصَّك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فنزلت:

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول أي تحية الله لهم ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يرونه ﴿سَلَٰمٌۚ﴾ يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ يعني الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على مَن بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولًا قولك عند الله لهم وعليهم. كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم، وهو حال مقدَّرة كما تقول: «مررت برجل معه (**صقر**) صائدًا به» أي مقدّرًا به الصيد غدًا ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ (**بأمره أو بتيسيره**) والكل منصوب على الحال ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ جلا

قوله: (**أبو بكر الصّديق رضي الله تعالى عنه**) واسمه عبد الله بن عثمان القرشي التيمي وهو صاحب رسول الله ﷺ في الغار والهجرة والخليفة بعده تُوفي مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

قوله: (**صقر**) قال الزجاج: يقع الصقر على كل صائد من البزاة والشواهين.

قوله: (**بأمره أو بتيسيره**) أي أطلق لفظ الإذن وأريد به التيسير والتسهيل بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب فإن الدخول في حق الغير متعذر فإذا صودف الإذن تسهل وتيسّر فلما كان الإذن سببًا لتيسر ما تعذّر صح أن يراد به التيسير مجازًا وإنما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لأنه قد فهم من قوله: إنا أرسلناك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام مأذون له في الدعاء إلى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقي له فائدة.

به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسّراج المنير ويهتدي به. والجمهور (**على أنه القرآن**) فيكون التقدير وذا سراج منير أو تاليًا سراجًا منيرًا، ووصف بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قلّ (**سليطه**) ودقت فتيلته، أو شاهدًا بوحدانيتنا ومبشّرًا برحمتنا ونذيرًا بنقمتنا وداعيًا إلى عبادتنا وسراجًا وحجة ظاهرة لحضرتنا.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ ثوابًا عظيمًا ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ المراد به التهييج أو الدوام والثبات على ما كان عليه ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ هو بمعنى الإيذاء فيحتمل أن يكون مضافًا إلى الفاعل أي اجعل إيذاءهم إياك في جانب ولا تُبالِ بهم ولا تخف مِن إيذائهم، أو إلى المفعول أي دع إيذاءك إياهم مكافأة لهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإنه يكفيكهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ وكفى به مفوَّضًا إليه.

وقيل: إن الله تعالى (**وصفه بخمسة أوصاف**) وقابل كلًّا منها بخطاب مناسب له، قابل الشاهد ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنه يكون شاهدًا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير، والمبشّر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة، والنذير بـ ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر والأذى لا بدّ له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل، والداعي إلى الله بتيسيره بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فإن مَن توكّل على الله يسّر عليه كل عسير،

قوله: (على أنه) أي السراج (القرآن) المجيد.

قوله: (سليطه) في لسان العرب السَّليط عند عامة العرب الزيت وعند أهل اليمن دهن السِمْسِمْ. اهـ.

قوله: (وصفه بخمسة أوصاف) المراد بالوصف الوصف اللغوي لا النعت النحوي فإن ما ذكر حال لا وصف.

(والسراج المنير باكتفاء به وكيلًا لأن مَن أناره الله تعالى برهانًا على جميع خلقه كان جديرًا بأن يكتفي به) عن جميع خلقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أي تزوَّجتم. والنكاح هو الوطء في الأصل وتسمية العقد نكاحًا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه كتسمية الخمر إثمًا لأنه سببه، **(وكقول الراجز:**

أسنمة **الآبال)** في سحابه

سمي الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب **(سمن)** الآبال وارتفاع أسنمتها. ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسّة والقربان والتغشي والإتيان. وفي تخصيص المؤمنات مع أن الكتابيات تساوي المؤمنات في هذا الحكم إشارة إلى أن الأولى بالمؤمن أن ينكح مؤمنة ﴿ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ

قوله: **(والسراج المنير باكتفاء به وكيلًا)** يعني في قوله ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية ٨١]... الخ نبه به على أن كفى لازم هنا بمعنى اكتفى ويزاد الباء في فاعله. **قوله**: **(لأن مَن أناره الله تعالى)** وهو الرسول هنا لكنه ذكره على وجه العموم تقريرًا وتوكيدًا له **(برهانًا)** مفعول ثانٍ لأنار لتضمنه معنى الجعل وهذا أولى من كونه برهانًا حالًا **(على جميع خلقه)** أي بعد ما بعث إلى يوم القيامة **(كان)** أي الشخص المذكور **(جديرًا)** أي حقيقًا **(بأن يكتفي به)** أي بالله سبحانه وتعالى والمعنى كان الاكتفاء به تعالى عما سواه واجبًا عليه.

قوله: **(كقول الراجز)** في المصباح الرجز بفتحتين نوع من أوزان الشعر والأرجوزة القصيدة من الرجز ورجز الرجل يرجز من باب قتل قال شعر الرجز وارتجز مثله. اهـ. **قوله**: **(أسنمة)** في لسان العرب سَنام البعير والناقة أعلى ظهرها والجمع أَسْنِمَة. اهـ. **قوله**: **(الآبال)** في لسان العرب جمع الإِبِل آبال. اهـ. **قوله**: **(سمن)** في لسان العرب السِمَن نقيضُ الهُزال. اهـ.

(﴿أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ والخلوة الصحيحة كالمس) ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ فيه دليل على أن العدّة تَجب على النساء للرجال. ومعنى ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تستوفون عددها تفتعلون من العدّ ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ والمتعة تجب للتي طلقها قبل الدخول بها ولم يُسَمِّ لها مهر دون غيرها ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي لا تمسكوهن ضرارًا وأخرجوهن من منازلكم إذ لا عدّة لكم عليهن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن إذ المهر أجْر على (البضع) ولهذا قال (الكرخي): إن النكاح بلفظ الإجارة جائز. وقلنا:

قوله تعالى: (﴿أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾) قرأ حمزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم أي تماسوهن من المفاعلة والباقون بفتح التاء ولا ألف بعد الميم. **قوله:** (**والخلوة الصحيحة كالمس**) أي الخلوة الصحيحة بها تقوم مقام المساس عند الحنفية وهي أن يخلو بها من غير أن يكون في أحد الزوجين مانع شرعي كالإحرام والصوم الفرض والحيض ومانع حسي كالمرض أو مانع عقلي بأن يكون هناك شخص يستحي منه الزوج فلو خلا بها على هذا الوجه ثم طلّقها قبل الدخول بها يجب على الزوج المهر كاملًا وعليها العدّة احتياطًا وأما إذا خلا بها مع أحد الموانع المذكورة ثم طلّقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدّة احتياطًا.

قوله: (**البضع**) في المصباح البضع بالضم جمعه أبضاع مثل قفل وأقفال يطلق على الفرج والجماع ويطلق على التزويج أيضًا كالنكاح يطلق على العقد والجماع وقيل: البضع مصدر أيضًا مثل السكر والكفر. اهـ. **قوله:** (**الكرخي**) أي الإمام عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي مولده سنة ستين ومائتين وتُوفي ليلة النصف من شعبان سنة أربعين وثلاثمائة. **قوله:** (**الكرخي**) بفتح الكاف وسكون الواو وفي آخرها خاء معجمة نسبة إلى الكرخ أي كرخ

التأبيد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الإجارة وبينهما منافاة. وإيتاؤها إعطاؤها عاجلًا أو فرضها وتسميتها في العقد ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ وهي (صفية وجويرية) فأعتقهما وتزوجهما ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ومع ليس للقرآن بل لوجودها فحسب كقوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: الآية ٤٤] **(وعن أم هانىء بنت أبي طالب**

البصرة. **قوله:** (صفية) بنت حيي بن أخطب روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر وجمع السبي أتاه دحية بن خليفة فقال: أعطني جارية من السبي قال: اذهب فخذ جارية فذهب فأخذ صفية، قيل: يا رسول الله إنها سيدة قريظة والنضير ما تصلح إلا لك فقال له رسول الله ﷺ: خذ جارية من السبي غيرها وأخذها رسول الله ﷺ واصطفاها وحجبها وأعتقها وتزوّجها وقسم لها وكانت عاقلة من عقلاء النساء وتوفيت سنة ست وثلاثين وقيل: سنة خمسين. **قوله: (جويرية)** بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب الخزاعية المصطلقية سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة خمس وقيل: سنة ست عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هو إلّا أن رأيتها فكرهتها وقلت: يرى منها ما قد رأيت فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارثُ سيّد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي فقال رسول الله ﷺ أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فقالت: نعم ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوّجها فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها ولما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها وقسم لها وكان اسمها برة فسمّاها رسول الله ﷺ جويرية وتوفيت سنة خمسين. **قوله: (وعن أم هانىء بنت أبي طالب**[1]

---

(١) اسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. عنه رحمه الله تعالى.

عبد مناف: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت) فعذرني فأنزل الله هذه الآية، فلم أحلّ له لأني لم أهاجر معه ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ وأحللنا لك مَن وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذا نكرها. قال ابن عباس: هو بيان حكم في المستقبل ولم يكن عنده أحد منهن بالهبة. وقيل: الواهِبَة نفسها **(ميمونة بنت الحارث)** أو **(زينب بنت خزيمة)** أو **(أم شريك بنت جابر)** أو **(خولة بنت حكيم)**. وقرأ الحسن «أن» بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير «إن» ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ استنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه. وقيل: نكح واستنكح بمعنى، والشرط الثاني تقييد للشرط الأول شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم، وفيه دليل جواز النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله ﷺ وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصّه الدليل ﴿خَالِصَةً﴾ بلا مهر حال من الضمير في ﴿وَهَبَتۡ﴾ أو مصدر مؤكد أي خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصًا والفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافة **(والكاذبة)** ﴿لَّكَ

خطبني رسول الله ﷺ... الخ). أخرجه الترمذي ثم نسخ بشرط الهجرة في التحليل. **قوله**: **(أم هانىء بنت أبي طالب عبد مناف)** القرشية الهاشمية بنت عم النبيّ ﷺ وأُخت علي بن أبي طالب أمها فاطمة بنت أسد. واختلف في اسمها فقيل: هند وقيل: فاطمة وقيل: فاختة أسلمت عام الفتح. **قوله**: **(فاعتذرت)** بعذر صار مقبولًا عنده وقيل: أي قالت له: إني مصبية أي ذات صبية وأطفال وعدم التعيين أنسب. **قوله**: **(ميمونة بنت الحارث)** بن حزن الهلالية وكان اسمها برة فسمّاها رسول الله ﷺ ميمونة توفيت سنة إحدى وخمسين وقيل: سنة ثلاث وستين عام الحرة. **قوله**: **(زينب بنت خزيمة)** بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية يقال لها أُم المساكين لكثرة إطعامها المساكين وصدقتها عليهم ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلّا يسيرًا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته لا خلاف فيه. **قوله**: **(أم شريك بنت جابر)** الغفارية. **قوله**: **(خولة بنت حكيم)** بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرّة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية. **قوله**: **(والكاذبة)** قال

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ﴾ بل يجب المهر لغيرك وإن لم يسمه أو نفاه. عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ ثم رجع إلى الخطاب ليؤذن أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوّة وتكريره أي تكرير النبي تفخيم له.

(﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾) أي ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم أو ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق (﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾) بالشراء وغيره من وجوه الملك. وقوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ﴾ ضيق متصل بـ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ﴾ وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا

تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: الآية ٢] أي كذب. قوله: (﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾...) الخ في تفسير الجلالين (﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾) أي المؤمنين (﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾) من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر وفي و(﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾) من الإماء بشراء وغيره بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابيّة بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء.اهـ. وفي الجمالين للعلّامة علي القاري الحنفي. قوله: إلّا بولي أي فيما يحتاج إليه عندنا. قوله: ومهر ذكر المهر غير شرط عندنا بل لو نفى المهر صح ولزمه مهر المثل. قوله: وغيره من وجوه الملك كالهبة والإرث والوصية والسبي. قوله: بخلاف المجوسية والوثنية وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد في رواية، وقال أبو حنيفة: يجوز استرقاق العجم منهم دون العرب.اهـ فافهم. وفي الدرّ المختار (لا) يصح نكاح (عابدة كوكب لا كتاب لها) ولا وطؤها بملك يمين (والمجوسية والوثنية) عطف على عابدة كوكب.اهـ باختصار. وفي ردّ المحتار وعدم جواز نكاحهم ولو بملك يمين مجمع عليه عند الأئمة الأربعة.اهـ. وفي تفسير روح البيان فسر والمفروض في حق الأزواج بالمهر والولي والشهود والنفقة ووجوب القسم والاقتصار على الحرائر الأربع وفي حق المملوكات بكونهن ملكًا طيبًا بأن تكون من أهل الحرب لا ملكًا خبيثًا بأن تكون من أهل العهد وفي الحديث «الصلاة وما ملكت أيمانكم» أي احفظوا الصلوات الخمس والمماليك بحسن القيام بما يحتاجون إليه من الطعام والكسوة وغيرها وبغير تكليف ما لا يطيقون من العمل وترك التعذيب قرنه عليه السلام بأمر الصلاة إشارة إلى أن حقوق المماليك واجبة على السادات وجوب الصّلوات.اهـ.

عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ (جملة اعتراضية) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ (غَفُورًا) رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة على عباده.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾

(﴿تُرْجِي﴾ **بلا همز: مدني وحمزة وعلي وخلف وحفص، وبهمز غيرهم**): تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ تضم بمعنى تترك مضاجعة مَن تشاء منهنّ وتضاجع مَن تشاء، أو تطلق مَن تشاء وتمسك مَن تشاء، أو لا تقسم لأيتهنّ شئت وتقسم لمن شئت، أو تترك تزوّج مَن شئت من نساء أمتك وتتزوّج مَن شئت، **(وهذه قسمة جامعة)** لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك، فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم، وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها. ورُوِيَ أنه أرجى منهن **(جويرية وسودة**

قوله: (جملة اعتراضية) واقعة بين التعليل الذي هو ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ وبين المعلن الذي هو ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾. **قوله:** (﴿غَفُورًا﴾) لما يعسر التحرّز عنه سواء تاب أو لم يتب.

قوله: (﴿تُرْجِي﴾ **بلا همز: مدنيّ وحمزة وعلي وخلف وحفص**) أي قرأ نافع المدنيّ وحمزة الكوفيّ وعليّ الكسائي وخلف بن هشام البزار وليس من السبعة وحفص بن سليمان البزار ترجي بالياء الساكنة بعد الجيم على أن أرجى أفعل من الناقص. **قوله: (وبهمز غيرهم)** أي قرأ الباقون ترجيء بالهمزة مضمومة مكان الياء والمعنى واحد، قال في الصحاح: أرجيت الأمر أخّرته يهمز ولا يهمز، فيقال: أرجأت الأمر وأرجيته بمعنى أخرته. **قوله: (وهذه قسمة جامعة)** إذ لو كانت للترديد لا يكون المفهوم من الآية إلا قسمًا واحدًا ولا يكون القسمة جامعة لتلك الأقسام. **قوله: (جويرية)** بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب الخزاعية المصطلقية. **قوله: (وسودة)** بنت زمعة بن قيس القرشية العامريّة تزوجها النبيّ ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة قبل عائشة وكانت امرأة ثقيلة ثبطة وأسنت عند رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولدًا إلى أن مات. عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلّقها

وصفية وميمونة وأُم حبيبة) وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء، وكانت ممَّن أوى إليه **(عائشة وحفصة وأُم سلمة وزينب)**، أرجى خمسًا وآوى أربعًا، ورُوِيَ أنه كان يسوّي مع ما أطلق له وخيِّر فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها لعائشة وقالت: لا تطلّقني حتى أُحشر في زمرة نسائك ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي ومَن دعوت إلى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالإرجاء فلا ضيق عليك في ذلك أي ليس إذا عزلتها لم يجز لك ردّها إلى نفسك. و«من» رفع بالابتداء وخبره ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفويض إلى مشيئتك ﴿أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي أقرب إلى قرّة عيونهن وقلّة حزنهن ورِضاهن جميعًا لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنت نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرِّضا وقرَّت العيون. ﴿كُلُّهُنَّ﴾ بالرفع تأكيد لنون ﴿يرضين﴾ **(وقرىء ﴿ويرضين كلهن بما آتيتهن﴾ على التقديم،**

رسول الله ﷺ فقالت: لا تطلّقني وأمسكني واجعل يومي لعايشة ففعل، نزلت ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النّساء: الآية ١٢٨] فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. **قوله: (وصفية)** بنت حيي بن أخطب. **قوله: (وميمونة)** بنت الحارث بن حزن الهلالية. **قوله: (وأُم حبيبة)** بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس القرشيّة الأمويّة تُوفيت سنة أربع وأربعين. **قوله: (عائشة)** بنت أبي بكر الصدّيق الصديقة بنت الصدّيق وكان عمرها لما تزوّجها[(١)] رسول الله ﷺ بنت ست سنين وقيل: سبع سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة وتُوفيت سنة سبع وخمسين وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، ولما توفي النبيّ ﷺ كان عمرها ثمان عشرة سنة. **قوله: (وحفصة)** بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقيل: سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة سبع وعشرين. **قوله: (وأم سلمة)** بنت أبي أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية واسمها هند. **قوله: (وزينب)** بنت جحش كان اسمها برة فسمّاها النبيّ ﷺ زينب. **قوله: (وقرىء ﴿ويرضين كلهن بما أتيتهن﴾ على التقديم)** والقارىء عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

---

(١) تزوجها قبل الهجرة بسنتين وهي بكر.

وقرىء شاذًا «كلهن» بالنصب تأكيدًا لهن في ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ﴾ (**فيه وعيد لمَن لم ترض منهن بما دبّر الله من ذلك وفوّض إلى مشيئة رسوله** ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ **بذات الصدور** ﴿حَلِيمًا﴾ **لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يُتّقى ويُحذَر**).

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ (**بالتاء: أبو عمرو ويعقوب، وغيرهما بالتذكير**) لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل فمع الفصل أجوز ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾

قوله: (**وقرىء شاذًا** ﴿كلهن﴾ **بالنصب**) والقارىء أبو إياس جُؤَيَّةُ بن عائذ وقوله: بالنصب أي بنصب اللام. **قوله:** (**تأكيدًا لهن في** ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾) قال أبو الفتح نصبه على أنه توكيد لهن من قوله: آتيتهن وهو راجع إلى معنى قراءة العامة كُلُّهُنَّ بضم اللام وذلك أن رِضاهن كلّهنَّ بما أوتين كلُّهُنَّ على انفرادهن واجتماعهن فالمعنيان إذًا واحدٌ إلّا أن الرفع أقوى معنى وذلك أن فيه إصْراحًا من اللفظ بأن يَرْضَيْنَ كُلُّهُنَّ والإصْراح في القراءة الشاذّة أعني النصب إنما هو بإيتائهن كلهن وإن كان محصول الحال فيهما مع التأويل واحدًا. كذا في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ولغات العرب. **قوله:** (فيه وعيد) وتهديد (**لمن لم ترضَ منهن**) ووعد لمن رضي منهن (**بما** دبّر الله **من ذلك وفوّض إلى مشيئة رسوله**) ﷺ فالخطاب له عليه الصلاة والسلام ولأزواجه تغليبًا. **قوله:** (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾) جملة تذييلية مقررة لمنطوق ما قبله. **قوله:** (**بذات الصدور**) أي بالضمائر قبل أن يعبر بها سرًّا أو جهرًا خصّه لقوله ما في قلوبكم ولو عمّم لكان ما في الصدور داخلًا فيه دخولًا أوليًا. **قوله:** (﴿حَلِيمًا﴾) ختم به لأن المقام كما عرفت للتهديد والوعد الأكيد فهو أولى من كان الله عليمًا غفورًا. **قوله:** (**لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى ويحذر**) إشارة إلى أنه يعاقب مَن يستحق العقوبة لكنه لا يعاجل، ولذا قال: فهو حقيق بأن يتقى ويحذر لأن غضب الحليم أعظم فانتقامه أشد.

قوله: (**بالتاء أبو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتذكير**) أي قرأ أبو عمرو البصري ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ﴾

(من بعد التسع) لأن التسع نصاب رسول الله ﷺ من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ الطلاق. والمعنى أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجًا أُخَر بكلهنَّ أو بعضهن كرامة لهن وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله ﷺ عليهن وهن التسع التي مات عنهن: عائشة، وحفصة، وأُم حبيبة، سودة أُم سلمة، صفية، ميمونة، زينب بنت جحش، جويرية. و«من» في ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ التأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في ﴿تَبَدَّلَ﴾ أي تتبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج **(لتوغله في التنكير)**، وتقديره **(مفروضًا إعجابك بهن)**. وقيل: هي أسماء بنت عميس امرأة **(جعفر بن أبي طالب)** فإنها ممن أعجبه حُسنهنّ. وعن عائشة وأُم سلمة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له أن يتزوج من النساء ما شاء يعني أن الآية نسخت، ونسخها إما بالسُّنَّة أو بقوله: ﴿إنا أحللنا لك أزواج﴾ وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ﴾

بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية. **قوله**: **(من بعد التسع)** لما بني بعد على الضم علم أنه قطع عن الإضافة وأن المضاف إليه محذوف منوي. وذكر المصنّف رحمه الله في تعيين المضاف إليه أنه التسع اللاتي اخترن الله ورسوله. **قوله**: **(لتوغّله في التنكير)** والحال من النكرة لا يجوز تأخيرها عن ذي الحال، قيل: فيه نظر لأنه إذا كان في الحال واو جاز تأخيرها عن ذي الحال النكرة لأن الواو ترفع التباسها بالصفة بناء على أنه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف.

قوله: **(مفروضًا إعجابك بهن)** إذ الحال أصلها أن تكون مفردة فيأول ما وقع جملة بما يناسبها من المفرد وهنا لما كان الحال مقرونة بلفظ لو كان تأويله ما ذكره ولا إشكال بأن لو تقتضي امتناع مدخولها والحال تدلّ على ثبوت أمر لذي الحال لأن لو هنا منسلخة عن معنى الشرطية كما أشار إليه المصنّف رحمه الله. **قوله**: **(جعفر بن أبي طالب)** واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأخو علي بن أبي طالب لأبويه وهو جعفر الطيار وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقًا وخلقًا أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل وكان عمر جعفر لما قتل إحدى وأربعين سنة وقيل غير ذلك.

استثنى ممّن حرم عليه الإماء ومحل «ما» رفع بدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ حافظًا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ ﴿أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في موضع الحال أي لا تدخلوا إلا مأذونًا لكم، أو في معنى الظرف تقديره إلا وقت أن يؤذن لكم، و﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدْخُلُوا۟﴾ (**وقع الاستثناء على الحال والوقت معًا**) كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين أي غير منتظرين. (**وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ**) فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، ومعناه لا تدخلوا يا أيها المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، (**وأنى الطعام إدراكه يقال أنى الطعام**) إنى كقولك قلاه قلى. (**وقيل: أناه وقته**) أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله. ورُوِيَ أن النبي ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق

قوله: (**وقع الاستثناء على الحال والوقت معًا**) إن كان يؤذن مأوّلًا بالوقت أو على الحالين معًا إن كان مأوّلًا بمأذونًا لكم. **قوله**: (**وهولاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ**) أي ينتظرون وقت تناول الطعام يقال: تحيّن الوارش إذا انتظر وقت الأكل ليدخل والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يدع مثل الواغل في الشراب. **قوله**: (**وأنى الطعام إدراكه**) على أن يكون الأنى مصدرًا تقول أنى يأني أنى مثل قلى يقلي قلى. **قوله**: (**يقال أنى الطعام**) أنى بمعنى أدرك إدراكًا. **قوله**: (وقيل: **أناه وقته**) على أن يكون الأنى اسمًا بمعنى الوقت فيجتمع على آناء. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ [طه: الآية ١٣٠] أي ساعاته فحينئذٍ يحتاج إلى تقدير المضاف أي أنى أكله.

وشاة وأمر (أنسًا) أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجًا يأكل فوج ويخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال: يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدًا أدعوه فقال: «ارفعوا طعامكم»، وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا فطاف رسول الله ﷺ بالحجرات وسلَّم عليهنَّ ودعون له ورجع، (فإذا الثلاثة جلوس) يتحدثون وكان رسول الله ﷺ شديد الحياء فتولى، فلما رأوه متوليًا خرجوا فرجع ونزلت ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ فتفرقوا ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ هو مجرور معطوف على ﴿نَٰظِرِينَ﴾ أو منصوب أي ولا تدخلوها مستأنسين نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدِّث به ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ من إخراجكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه. ولما كان الحياء مما يمنع الحييّ من بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق أي لا يمتنع منه ولا يتركه (ترك الحيي) منكم، هذا أدَبٌ أدَّبَ الله به الثقلاء. وعن عائشة رضي الله عنها: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الضمير لنساء رسول الله ﷺ لدلالة بيوت النبي لأن فيها نساءه ﴿مَتَٰعًا﴾ عارية أو حاجة ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ المتاع ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من خواطر الشيطان وعوارض الفتن، وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وكان (عمر) رضي الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن ويودّ أن ينزل فيه وقال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت. وذكر أن بعضهم قال: أننهى أن نكلم بنات عمّنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوّجن (فلانة) فنزل ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟

قوله: (أنسًا) هو ابن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك وهو آخر مَن توفي بالبصرة من الصحابة. **قوله**: (فإذا الثلاثة جلوس) أي جالسون أو ذوو جلوس. **قوله**: (ترك الحيي) بكسر الياء الأولى وتشديد الياء الثانية صفة مشبّهة من الحياء. **قوله**: (عمر) بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص رضي الله تعالى عنه وهو أول مَن سمي أمير المؤمنين. **قوله**: (فلانة) في لسان

رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ أي (وما صحّ لكم) إيذاء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعد موته ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي ذنبًا عظيمًا.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ من إيذاء النبي ﷺ أو من نكاحهن ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في أنفسكم من ذلكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعاقبكم به.

ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أو نحن أيضًا نكلمهن من وراء حجاب فنزل ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ (أي نساء المؤمنات) ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾ أي لا إثم عليهن في ألا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال (**لأنهما يجريان مجرى الوالدين**) وقد جاءت تسمية العم أبًا قال الله

العرب فلانٌ وفُلانَة كناية عن أسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن غير الآدميين تقول العرب ركبت الفلانَ وحَلَبْت الفلانة. اهـ. وفي المصباح فلان وفلانة بغير ألف ولام كناية عن الأناسي وبهما كناية عن البهائم فيقال: ركبت الفلان وحلَبْت الفلانة. اهـ. **قوله**: (**وما صحّ لكم**) هذا أحد معاني **ما** كان إذ نفي الكون غير مستقيم لإمكان الكون والفعل فالمراد نفي الصحة لا نفي الإمكان.

قوله: (**أي نساء المؤمنات**) فيجوز للمسلمة النظر إلى المرأة المسلمة سوى ما بين السرّة والركبة، ولا يجوز للمسلمة أن تنكشف للكافرة لأنها ليست من النساء المؤمنات. رُوِيَ أن عمر رضي الله تعالى عنه كتب إلى أبي عُبيدة أن يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة إلا أن تكون أمة لها فإن المسلمة يجوز لها كشف بدنها عند أمتها مسلمة كانت الأمة أو كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة عند أمتها الكافرة في أحوال استخدامها من الضرورة التي لا تخفى، ففارقت الحرّة المشركة. كذا أفاده العلّامة شيخ زاده رحمه الله تعالى. **قوله**: (**لأنهما يجريان مجرى الوالدين**)

تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٣]. وإسماعيل عمّ يعقوب، وعبيدهن عند الجمهور كالأجانب. ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كأنه قيل: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ عالمًا. قال (**ابن عطاء**): الشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ أي قولوا اللّهمّ صَلِّ على محمد أو صلّى الله على محمد ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ أي قولوا اللّهمّ سلّم على محمد أو انقادوا لأمره وحكمه انقيادًا. وسُئِل عليه السلام عن هذه الآية فقال: «إن الله وكّل بي مَلَكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك، وقال الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابًا بالذينك الملكين آمين» ثم هي واجبة مرة (**عند الطحاوي**)، وكلما ذكر اسمه (**عند الكرخي**) وهو الاحتياط وعليه الجمهور. وإن صلّى على غيره على سبيل التبع كقوله: «صلّى الله على النبي وآله» فلا كلام فيه، (**وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه**) وهو من (**شعائر الروافض**).

فيكونان داخلين في آبائهن بطريق عموم المجاز. **قوله:** (**ابن عطاء**) أي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة.

قوله: (**عند الطحاوي**) أي الفقيه الإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سَلامة بن سلمة. **قوله:** (**عند الكرخي**) أي الإمام الكبير أبي الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم. **قوله:** (**وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه**) ويصير آثمًا. وهو الصحيح وأما السلام فنقل اللقاني في شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الجويني أنه في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال عليّ عليه السلام وسواء في هذا الأحياء والأموات إلّا في الحاضر فيقال: السلام أو سلام عليك أو عليكم وهذا مجمع

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ **(أي يؤذون رسول الله)**، وذكر اسم الله للتشريف أو عبّر بإيذاء الله ورسوله عن فعل ما لا يرضى به الله ورسوله كالكفرِ وإنكار النبوة مجازًا، وإنما جعل مجازًا فيهما وحقيقة الإيذاء يتصور في رسول الله لئلا يجتمع المجاز والحقيقة في لفظ واحد ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ طردهم الله عن رحمته في الدارين ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ في الآخرة.

عليه.اهـ. أقول ومن الحاضر السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، والظاهر أن العلّة في منع السلام ما قاله النووي في علّة منع الصلاة أن ذلك شعار أهل البدع ولأن ذلك مخصوص في لسان السلف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما أن قولنا عزّ وجلّ مخصوص بالله تعالى فلا يقال محمد عزّ وجلّ وإن كان عزيزًا وجليلًا ثم قال اللقاني وقال القاضي عياض الذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه يجب تخصيص النبيّ ﷺ وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم كما يختصّ الله سبحانه عند ذكره بالتقديس والتنزيه ويذكر من سواهم بالغفران والرضى كما قال الله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: الآية ١١٩]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: الآية ١٠] وأيضًا فهو أمر لم يكن معروفًا في الصدر الأول وإنما أحدثه الرافضة في بعض الأئمة والتشبّه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم.اهـ. أقول وكراهة التشبّه بأهل البدع مقررة عندنا أيضًا لكن لا مطلقًا بل في المذموم وفيما قصد به التشبّه بهم كذا في رد المحتار. **قوله: (من شعائر الروافض)** أي علاماتهم.

قوله: (أي يؤذون رسول الله) فالإيذاء حقيقة ح ككسر رَبَاعِيَة[1] في أُحُد هذا أذى متعلّق بالجسم وقولهم: شاعر ومجنون ونحو ذلك أذى روحاني فالأذى مشترك بينهما اشتراكًا معنويًّا فلا إشكال في إرادتهما معًا وذكر اسم الله للتشريف أي لتعظيم الرسول ﷺ بأن يجعل أذاه أذى الله تعالى مع أنه منزّه عن ذلك.

---

(١) بفتح الراء المهملة وتخفيف الياء سن بين الثنية والناب.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ أطلق إيذاء الله ورسوله وقيَّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات لأن ذاك يكون غير حق أبدًا، وأما هذا فمنه حق كالحدّ والتعزيز ومنه باطل. قيل: نزلت في ناس من المنافقين **(يؤذون عليًا رضي الله تعالى عنه)** ويسمّونه. وقيل: **(في زناة كانوا يتبعون)** النساء وهن كارهات. **(وعن الفضيل)**: لا يحلّ لك أن تؤذي كلبًا أو خنزيرًا بغير حق فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟﴾ تحملوا ﴿بُهْتَٰنًا﴾ كذبًا عظيمًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ظاهرًا.

قوله: **(يؤذون عليًا رضي الله تعالى عنه)** بالبهتان والفعل الطغيان. **قوله**: **(في زناة)** في المصباح زنى يزني زنى مقصورًا فهو زانٍ والجمع زناة مثل قاضٍ وقضاة. اهـ.

قوله: **(كانوا يتبعون)** بالعين المهملة لا بالمعجمة إذ الابتغاء لا يستلزم الاتباع قوله، وقيل في زناة أو ردّ عليه لكن ظاهر قوله بغير ما اكتسبوا لا يلايمه. وجوابه أن كره الاكتساب غير الاكتساب فلا إشكال.

قوله: **(وعن الفضيل)** بن عياض بن مسعود بن بشر أبي علي الإمام الرباني التميمي الزاهد المشهور أحد صلحاء الدنيا وعبادها ومناقبه كثيرة ومولده بأبيورد وقيل: بسمرقند ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث ثم انتقل إلى مكة شرّفها الله سبحانه وتعالى وجاور بها إلى أن مات في المحرّم سنة سبع وثمانين ومائة وجاوز الثمانين رضي الله تعالى عنه.

ذكر الضميري أنه أحد من أخذ الفقه عن أبي حنيفة رحمه الله وروى عنه الإمام الشافعي رضي الله عنه فأخذ عن إمام عظيم وأخذ عنه إمام عظيم وهو إمام عظيم نفعنا الله تعالى بهم آمين. وروى له إمامان عظيمان البخاري ومسلم وأصحاب السنن، وروى عنه أيضًا القطان وابن مهدي في خلق وكان يثقل عليه الحديث وكان يقول: لو طلب مني الدنانير كان أيسر عليّ من التحديث.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ الجلباب: ما يستر الكل مثل الملحفة **(عن المبرد)**. ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن **(وأعطافهن)**. يقال: إذا زلَّ الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك. و«من» للتبعيض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة، أو المراد أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب وأن لا تكون المرأة متبذِّلة في درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعدًا في بيتها، وذلك أن النساء كُنَّ في أول الإسلام **(على هجّيراهن)** في الجاهلية متبذِّلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فضل بين الحرة والأمَة، وكان **(الفتيان)** يتعرَّضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل **(والغيطان)**

قوله: **(عن المبرد)** أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري النحوي والمبرد بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة وهو لقب عرف به وكانت ولادته يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين وقيل: سنة سبع ومائتين، وتُوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجّة، وقيل: ذي القعدة سنة ست وثمانين وقيل: خمس وثمانين ومائتين ببغداد ودُفن في مقابر باب الكوفة في دار اشتريت له وصلّى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى. **قوله**: **(وأعطافهن)** في لسان العرب العِطْف المَنْكِبُ قال الأزهري: مَنْكِبُ الرجل وإبطه عِطْفه والجمع أَعْطاف. اهـ باختصار. **قوله**: **(على هجّيراهن)** أي على عادتهن في لسان العرب ما زال ذلك هِجِّيرَاهُ وإِجِّيْرَاهُ وإِهْجِيْرَاه واهجيراؤهُ بالمد والقصر وهِجِّيْره وأُهْجُورته ودأبه ودَيْدَنُه أي دأبُه وشأنه وعادته وما عنده غِناءُ ذلك ولا هجراؤه بمعنى. اهـ. وأيضًا فيه هِجّيْرَى الرجل كلامه ودأبه وشأنه. اهـ. وأيضًا فيه الهِجِّير مثال الفِسّيق الدأب والعادة وكذلك الهِجّيْرِي والإِهْجِيْرَى. اهـ. **قوله**: **(الفتيان)** جمع فتى. **قوله**: **(والغيطان)** في المصباح الغائط المطمئن الواسع من الأرض والجمع غِيْطَان[1]. اهـ.

---

(١) بالكسر قاموس.

للإماء، وربما تعرّضوا للحرّة لحسبان الأمة (**فأمرن أن يخالفن بزيّهنّ عن زيّ الإماء بلبس**) الملاحف (**وستر الرؤوس والوجوه**) فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من التفريط ﴿رَّحِيمًا﴾ بتعليمهن آداب المكارم.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فجور، وهم الزّناة من قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هم أُناس كانوا (**يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ**) فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم (**كَيْتَ وكَيْتَ**) فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين. يقال: أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبرًا متزلزلًا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة (﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ **لنأمرنك بقتالهم**) أو لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ في المدينة وهو عطف

قوله: (**فأمرن أن يخالفن بزيّهن عن زيّ الإماء بلبس**) الملاحف (**وستر الرؤوس والوجوه**) في الخازن وغيره. قال ابن عباس: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينًا واحدة ليعلم أنهن حرائر. وفي الجمالين للعلّامة علي القاريّ الحنفي قوله إلّا عينًا واحدة. كذا نقله البغويّ عن ابن عباس لكن فيه حرج مع نوع من العيب ولذا قل مَن يعمل بهذا وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن كذا خطر لي ولم أرَ مَن تعرّض لهذه المسألة. اهـ بحروفه.

قوله: (**يرجفون بأخبار السوء**) أي ينشرون أخبار السوء. **قوله**: (**عن سرايا رسول الله ﷺ**) أي عن عساكره ﷺ والسرايا جمع سرية وهي قطعة من الجيش يقال: خير السرايا أربعمائة رجل. **قوله**: (**كَيْتَ وكَيْتَ**) في لسان العرب وكان من الأمر كَيْتَ وكَيْتَ وإن شئت كَسَرْتَ التاء وهي كناية عن القصة والأحدُوْثة حكاها سيبويه. اهـ. وأيضًا فيه قال ابن الأثير هي كناية عن الأمر نحو كذا أو كذا. اهـ. **قوله**: (﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾) جواب قسم مضمر أي والله لئن لم ينته هؤلاء لنغرينك بهم. **قوله**: (**لنأمرنك بقتالهم**) أشار به إلى أن الإغراء مجاز عن الأمر إذ الأغراء وهو التحريش مستلزم للأمر والداعي إلى المجاز بيان اهتمام الأمر. **قوله**:

على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾ لأنه يجوز أن يُجاب به (القسم) لصحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك. ولما كان الجلاء عن الوطن أعظم من جميع ما أصيبوا به عطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ لبُعد حاله عن حال المعطوف عليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زمانًا قليلًا. والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم، والفَسَقَة عن فجورهم، والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء، لنأمرنّك بأن تفعل الأفعال التي تسوءهم، ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة وإلى أن لا يُساكِنوك فيها إلا زمانًا قليلًا (ريثما) يرتحلون، فسُمِّي ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز.

﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ (**نصب على الشتم**) أو الحال أي لا يجاورنك إلا ملعونين، فالاستثناء دخل على الظرف والحال معًا كما مرّ (**ولا ينتصب عن** ﴿أُخِذُواْ﴾ **لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها**) ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ وجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ

(**القسم**) المضمر. **قوله**: (**ريثما**) أي مقدارًا من الزمان وهو مصدر راث عليّ خبرك يريث ريثًا أي أبطأ وما مصدرية.

قوله: (**نصب على الشتم**) أي بفعل مقدّر كأذم ونحوه مما يدل على الشتم وهذه العبارة إنما تستعملها النحاة في النعت المقطوع أي أذم ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ فلا يكون الاستثناء شاملًا له وهذا هو الراجح ولذا قدّمه وإذا كان حالًا من فاعل ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ يكون من جملة الاستثناء هذا بناء على جواز استثناء شيئين معًا بأداة واحدة كما مرّ في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]. **قوله**: (**ولا ينتصب** عن ﴿أُخِذُواْ﴾) أي ولا يجوز أن ينتصب على أنه حال من فاعل أخذوا الذي هو جواب الشرط لأن معمول الجواب لا يتقدم على أداة الشرط فلا يقال: خيرًا أن تأتني نصب كما لا يتقدم معمول فعل الشرط على أداته فلا يقال: زيدًا إن تضرب أهنك وقول المصنّف رحمه الله: (**لأن ما بعد حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها**) يتناول فعل الشرط وجواب الشرط وأجاز الكسائي تقديم معمول لكل واحد من فعل الشرط وجوابه على أداته وأجاز الفراء تقديم معمول الجواب عليها ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط فظهر أن المسألة فيها ثلاثة مذاهب: المنع مطلقًا

تَقۡتِيلٗا﴾ (والتشديد يدل على التكثير) ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في موضع (مصدر مؤكد) أي سَنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أينما وجدوا ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ مضوا ﴿مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ أي لا يبدّل الله سُنَّته بل يُجريها مجرى واحدًا في الأمم.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالًا على سبيل الهزء، واليهود يسألونه امتحانًا لأن الله تعالى (عمّى) وقتها في التوراة وفي كل كتاب، فأمر رسوله بأن يُجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، ثم بيّن لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدًا للمُستعجلين وإسكاتًا للممتَحنين بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (شيئًا قريبا) أو لأن الساعة في معنى الزمان (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ نارًا شديدة الاتّقاد).

والتجويز مطلقًا والتفصيل. **قوله**: (والتشديد يدلّ على التكثير) في الفعل أو في نائب الفعل والتأكيد بالمصدر المبالغة في التشديد. **قوله**: (مصدر مؤكّد) إذ أصله سنّ الله سنّة فحذف الفعل وأضيف المصدر إلى الفاعل كسبحان الله.

قوله: (عمّى) في المصباح عمي الخبر خفي ويعدّى بالتضعيف فيقال: عميته.اهـ. **قوله**: (شيئًا قريبًا) يعني أن فعيلًا بمعنى الفاعل حقه أن يميّز فيه بين المذكّر والمؤنّث وقريبًا في الآية خبر تكون المسندة إلى ضمير الساعة فحقه أن يقال قريبة إلّا أنه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر كان أي لعلها تكون شيئًا قريبًا. **قوله**: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) عام للمشركين واليهود والنصارى (﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾) هذا أشد من اللعن. **قوله**: (نارًا شديدة الاتقاد) أي سعيرًا هنا ليس اسمًا للدركة المخصوصة بل هو اسم جنس شامل لأبواب جهنم كلها ولذا نكر لأنه فعيل بمعنى المفعول من سعرت النار أي ألهبتها ولذا فسّره بالنار شديدة الاتقاد أي الالتهاب والتنكير بعينه في إفادة الشدّة. وفي أعدّ تنبيه على أن النار أعدّت للكافرين بالذات وللعصاة من الموحدين بالتبع.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ هذا يردّ مذهب الجهمية لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان. ولا وقف على ﴿سَعِيرًا﴾ لأن قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۖ﴾ حال عن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾. ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ناصرًا يمنعهم. اذكر ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ تصرّف في الجهات كما ترى (**البضعة**) تدور في القدر إذا غلت، وخصصت الوجوه لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حال ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ فنتخلص من هذا العذاب فتمنّوا حين لا ينفعهم التمنّي.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا﴾ (﴿سَادَتَنَا﴾ **جمع سيد**. ﴿**ساداتنا**﴾ **شامي وسهل ويعقوب جمع الجمع**)، والمراد رؤساء الكَفَرة الذين لقّنوهم الكفر وزيّنوه لهم ﴿وَكُبَرَآءَنَا﴾ ذوي الأسنان منا أو علماءنا ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ يقال ضلّ السبيل وأضلّه إياه،

قوله: (**البضعة**) في المصباح البضعة القطعة من اللحم والجمع بضع وبضعات وبضع وبضاع مثل تمرة وتمر وسجدات وبدر وصحاف.اهـ.

قوله: (﴿سَادَتَنَا﴾ **جمع سيد**) السادة يجوز أن يكون جمع سيد على خلاف القياس لأن فعيلًا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة لأن أصله سودة ويجوز أن يكون لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة.

قوله: (﴿**ساداتنا**﴾ **شاميّ وسهل ويعقوب**) أي قرأ ابن عامر الشاميّ وسهل بن محمد ويعقوب بن إسحٰق وليسا من السبعة بألف بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع للدلالة على الكثرة، والباقون بغير ألف بعد الدال وفتح التاء على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء. **قوله**: (**جمع الجمع**) أي جمع تصحيح بالألف والتاء.

وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مُستأنف ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ للضلال والإضلال ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ بالباء عاصم ليدلّ على أشد اللعن وأعظمه، وغيره بالثاء تكثيرًا لأعداد اللعائن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾

ونزل في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قاله بعض الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ﴾ «ما» مصدرية أو موصولة، وأيّهما كان فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه وهو الأمر المُعيب. وأذى موسى عليه السلام هو حديث **(المومسة)** التي أرادها **(قارون)** على قذفه بنفسها أو اتهامهم إياه بقتل هارون فأحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام كما برّأ نبيّنا عليه السلام بقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠]، ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا جاه ومنزلة مُستجاب الدعوة. وقرأ ابن مسعود **(والأعمش)** ﴿وكان عبدًا لله وجيها﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ صدقًا وصوابًا **(أو قاصدًا إلى الحق)**. والسداد: القصد إلى الحق والقول بالعدل والمراد نهيهم عمّا خاضوا

قوله: **(المومسة)** في لسان العرب امرأة مُوْمِسٌ ومُوْمِسَة فاجرة جهارًا. اهـ.
قوله: (قارون) ابن عم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقارون اسم أعجميّ ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

قوله: **(والأعمش)** سليمان بن مِهْران الأسدي الكاهلي الكوفيّ وُلد يوم قُتل الإمام الحسين رضي الله عنه يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وعند الإمام البخاري رحمه الله سنة ستين المتوفى سنة ثمان ومائة.

قوله: **(أو قاصدًا إلى الحق)** إطلاق القاصد على القول مجاز تسمية للمقول بحال قائله.

فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسدِّدوا قولهم في كل باب، لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس كل خير. ولا تقف على ﴿سَدِيدًا﴾ لأن جواب الأمر قوله:

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يقبل طاعتكم أو يوفِّقكم لصالح العمل ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي يمحها. والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم ما هو غاية الطلبة من تقبّل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وهذه الآية مقرِّرة للتي قبلها بُنِيَت تلك على النهي عمّا يؤذي رسول الله ﷺ، وهذن على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والأمر مع اتّباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام وإتباع الأمر الوعد البليغ فيقوّي الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه. ولما علق بالطاعة الفوز العظيم بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أتبعه قوله.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ وهو يريد بالأمانة الطاعة لله وبحمل الأمانة الخيانة. يقال: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها أي لا يؤدِّيها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمّته، إذ الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها ولهذا يقال: ركبته الديون ولي عليه حق، فإذا أدّاها لم تبقَ راكبة له ولا هو حامل لها يعني أن هذهِ الأجرام العِظام من السمٰوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما يأتي من الجمادات، وأطاعت له الطاعة التي تليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته إيجادًا وتكوينًا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: الآية ١١]. وأخبر أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدّواب يسجدون لله وإن من الحجارة لما يهبط من خشية الله، وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصحّ منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لأوامر

الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع، وهذا معنى قوله: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ أي أبين الخيانة فيها وأن لا يؤدينها ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ وخفن من الخيانة فيها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ أي خان فيها وأبى أن لا يؤدّيها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لكونه تاركًا لأداء الأمانة ﴿جَهُولًا﴾ لإخطائه ما يساعده مع تمكّنه منه وهو أداؤها.

قال **(الزجّاج)**: الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خانا ولم يطيعا. ومَن أطاع من الأنبياء والمؤمنين فلا يقال كان ظلومًا جهولًا. وقيل: معنى الآية أن ما كلفه الإنسان بلغ من عظمه أنه عرض على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه فأبى حمله وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ حيث حمل الأمانة ثم لم يَفِ بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها، ونحو هذا من الكلام كثير على لسان العرب، وما جاء القرآن إلا على **(أساليبهم)** من ذلك قولهم: («**لو قيل: للشحم**) أين تذهب لقال أسوى العوج».

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾

واللام في ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ للتعليل لأن التعذيب هنا نظير التأديب في قولك: «ضربته للتأديب» فلا تقف على ﴿جَهُولًا﴾ ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ وقرأ الأعمش ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ بالرفع ليجعل

قوله: **(الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: **(أساليبهم)** أي طرقهم في المصباح الأسلوب بضم الهمزة الطريق والفن وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم. اهـ.

قوله: **(لو قيل: للشحم...)** الخ وتصوّر مقالة الشحم محال ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما يحسّن قبحه كما أن العجف مما يُقبّح حسنه فصُور أثر السمن فيه تصويرًا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقة أوقف وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل محلها والوفاء بها، كذا في الكشاف.

العلّة قاصرة على فعل الحامل ويبتدىء ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ ومعنى المشهورة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممّن لم يحملها لأنه إذا تِيبَ على الوافي **(كان)** نوعًا من عذاب الغادر، أو للعاقبة أي حملها الإنسان **(فآل)** الأمر إلى تعذيب الأشقياء وقبول توبة السعداء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للتائبين ﴿رَّحِيمًا﴾ بعباده المؤمنين والله الموفّق للصواب.

قوله: (كان) ذلك. **قوله**: (فآل) في المصباح آل الشيء يؤول أولًا ومآلًا رجع. اهـ.

الحمد لله مُلهِم الصواب
وإليه المَرجِع والمآبِ على إتمام ما يتعلق بسورة الأحزاب،
والصلاة والسلام على أفضل مَن أوتي الكتاب وفصل الخطاب،
وعلى آله وأصحابه خير الآل والأصحاب.
والآن نشرع فيما يتعلق بسورة سبأ

(سورة سبأ)

مكية وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ﴾ إن أجرى على المعهود فهو بما حمد به نفسه محمود، وإن أجرى على الاستغراق فله لكل المحامد الاستحقاق ﴿لِلَّهِ﴾ بلام التمليك لأنه خالق ناطق الحمد أصلًا فكان بملكه مالك الحمد للتحميد أهلًا ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وقهرًا فكان حقيقًا بأن يحمد سرًا وجهرًا ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كما هو له في الدنيا إذ النعم في الدارين من المولى، غير أن الحمد هنا واجب لأن الدنيا دار تكليف وثم لا، لعدم التكليف وإنما يحمد أهل الجنة سرورًا بالنعيم وتلذذًا بما نالوا من الأجر العظيم بقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: الآية ٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية ٣٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ بتدبير ما في السماء والأرض ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بضمير مَن يحمده ليوم الجزاء والعرض.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

﴿يَعْلَمُ﴾ مستأنف ﴿مَا يَلِجُ﴾ ما يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الأموات والدفائن ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وجواهر المعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار

وأنواع البركات ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد إليها من الملائكة والدعوات ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بإنزال ما يحتاجون إليه ﴿الْغَفُورُ﴾ لما يجترئون عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مُنكِروا البعث ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ أوجب ما بعد النفي بـ «بلى» على معنى أن ليس الأمر إلا إتيانها ﴿وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ثم أُعيد إيجابه مؤكدًا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عزَّ وجلَّ، ثم أمدَّ التوكيد القسمي بما اتبع المقسم به من الوصف بقوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ لأن عظمة حال المقسم به تؤذِن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المُستَشهَد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمُتَشهَد عليه أثبت وأرسخ، ولمّا كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع إلى علم الغيب أولى وأحق.

(﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ مدني وشامي أي هو عالم الغيب **﴿علام الغيب﴾ حمزة وعليّ**) على المبالغة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ **(وبكسر الزاي: عليّ. يقال: عزب يعزُب**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي. **قوله**: (﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ **مدنيّ وشاميّ**) أي قرأه نافع المدنيّ وابن عامر الشاميّ برفع الميم على هو عالم الغيب كما قال المصنّف رحمه الله **(أي هو عالم الغيب)** أو مبتدأ وخبره ما بعده وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بجرّه نعتًا لربي. **قوله**: **(علام الغيوب حمزة وعليّ)** على المبالغة أي قرأه حمزة وعليّ الكسائي بعد العين بلام ألف مشددة وخفض الميم. **قوله**: **(وبكسر الزاي: عليّ)** الكسائي والباقون بضمّها. **قوله**: **(يقال: عَزَبَ يعزُب**

ويعزب إذا غاب وبعُد) ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ مقدار أصغر نملة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ من مثقال ذرة ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ من مثقال ذرّة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ إلا في اللوح المحفوظ، ﴿ولا أصغر ولا أكبر﴾ بالرفع عطف على ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ ويكون «إلا» بمعنى لكن، أو رفعًا بالابتداء والخبر ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ واللام في ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لما قصروا فيه من مدارج الإيمان ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لما صبروا عليه من مناهج الإحسان متعلق بـ ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تعليلًا له.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ جاهدوا في ردّ القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين ظانّين أنهم يفوتوننا. (﴿مُعَجِّزِينَ﴾ مكي وأبو عمرو أي مثبطين) الناس عن اتّباعها وتأملها أو ناسبين الله إلى العجز ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ برفع ﴿أَلِيمٌ﴾ (مكي) وحفص (ويعقوب) صفة لعذاب أي عذاب أليم من سيىء العذاب. قال (قتادة): الرجز سوء العذاب، وغيرهم بالجرّ صفة لرجز.

ويعزب إذا غاب وبعُد) في المصباح عزب الشيء عزوبًا من باب قعد بعد وعزب من بابي قتل وضرب غاب وخفي.اهـ. وفي مختار الصحاح عَزَبَ بَعُد وغاب وبابه دخل وجلس.اهـ.

قوله: (﴿مُعَجِّزِينَ﴾ **مكيّ وأبو عمرو**) أي قرأه ابن كثير المكيّ وأبو عمرو البصري بغير ألف بعد العين وتشديد الجيم والباقون بألف بعد العين وتخفيف الجيم. **قوله**: (**أي مثبطين**) أي معوقين ومانعين في المصباح ثبطه تثبيطًا قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه تخذيلًا ونحوه.اهـ.

قوله: (**مكيّ**) أي قرأه ابن كثير المكيّ. **قوله**: (**ويعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**قتادة**) بن دعامة بن عزيز[1]

---

(١) قوله: عزيز بن عمرو بن ربيعة.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾

﴿وَيَرَى﴾ في موضع الرفع بالاستئناف أي ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ يعني أصحاب رسول الله ﷺ ومَن يطأ أعقابهم من أمته أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا (**كعبد الله بن سلام**) وأصحابه، والمفعول الأول لـ ﴿يَرَى﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي الصدق (**وهو فصل**) و﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول ثانٍ أو في موضع النصب معطوف على ﴿لِيَجْزِىَ﴾ وليعلم أولوا العلم عند مجيء الساعة أنه الحق علمًا لا يُزاد عليه في الإيقان ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ الله أو الذي أنزل إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وهو دين الله.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقال قريش بعضهم لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمدًا ﷺ. وإنما نكّروه مع أنه كان مشهورًا علمًا في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعًا عندهم تجاهلًا به وبأمره وباب التجاهل في البلاغة وإلى سحرها ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي يحدّثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تُبعَثون وتُنشؤون خلقًا جديدًا بعد أن تكونوا

السَدوسي البصري كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا وكانت ولادته سنة ستين للهجرة وتُوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**كعبد الله بن سلام**) بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفًا لهم من بني قينقاع وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسمّاه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله وكان إسلامه لما قدم النبيّ ﷺ المدينة مهاجرًا وتُوفي سنة ثلاث وأربعين. **قوله**: (**وهو فصل**) ويسميه الكوفيون عمادًا.

(**رفاتًا**) وترابًا ويمزِّق أجسادكم (**البلى**) كل ممزق أي يفرّقكم كل تفريق، فالممزق (**مصدر**) بمعنى التمزيق، والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دلّ عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي تُبعَثون، والجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين تقول (**جدَّ**) فهو جديد كقلَّ فهو قليل ولا يجوز ﴿إِنَّكُمْ﴾ بالفتح للام في خبره.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أهو مُفْترٍ على الله كذبًا فيما ينسب إليه من ذلك والهمزة للاستفهام وهمزة الوصل حذفت استغناء عنها ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ ثم قال سبحانه وتعالى: ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مُبرَّأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤدِّيهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك. وذلك أجنّ الجنون، (**جعل وقوعهم في العذاب رسيلًا لوقوعهم في الضلال**) كأنهما كائنان في وقت واحد، لأن الضلال لما

قوله: (رفاتًا) أي حطامًا مكسرًا مفتتًا أو غبارًا وقال الفرّاء: هو التراب وهو قول مجاهد. **قوله**: (البِلى) في المصباح بلى الثوب يبلى من باب تعب بلى بالكسر والقصر وبلاء بالفتح والمدّ خلق فهو بال وبلي الميت أفنته الأرض. اهـ. وأيضًا فيه خلق الثوب بالضم إذا بلي فهو خلق بفتحتين وأخلق الثوب **بالألف** لغة وأخلقة يكون الرباعي لازمًا ومتعديًا. اهـ. **قوله**: (مصدر[1] ميمي). **قوله**: (جدّ) بمعنى صار جديدًا أو اتخذ جديدًا وهو ضد الخلق.

قوله: (**جعل وقوعهم في العذاب رسيلًا**) أي تابعًا مقارنًا (**لوقوعهم في الضلال**) حيث أعطف أحدهما على الآخر بالواو المؤذنة بالاجتماع في الوقوع مع أن ضلالهم كائن في الدنيا والعذاب في الآخرة ومع ذلك قدّمه على الضلال في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له ورسيل الرجل الذي يراسله مراسلة في نضال أو

---

(١) وهو قياس كل ما زاد على الثلاثة أنه يجيء مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم مفعوله.

كان العذاب من لوازمه جعلا كأنهما مقترنان. ووصف الضلال بالبعيد من الإسناد المجازي لأن البعيد صفة الضالّ إذا بَعُد عن **(الجادة)**.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ﴾ **(وبالإدغام: عليّ)** للتقارب بين الفاء والباء، وضعّفه البعض لزيادة صوت الفاء على الباء ﴿ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ﴾ **(الثلاثة بالياء: كوفي غير عاصم)** لقوله: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ (﴿كِسَفًا﴾ **حفص)** ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **(أي أُعموا فلم ينظروا)** إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون **(أن ينفذوا من أقطارهما)** وأن يخرجوا عمّا هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم، أو يُسقِط عليه كسفًا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون

غيره والمراد هنا مطلق الاتصال والمقارنة. **قوله: (الجادّة)** في المصباح الجادّة وسط الطريق ومعظمه والجمع الجواد مل دابة ودواب.اهـ.

قوله: (وبالإدغام علي...) الخ أي أدغم علي الكسائي الفاء في الباء وأظهرها الباقون. **قوله: (الثلاثة بالياء: كوفي غير عاصم...)** الخ أي قرأ حمزة الكوفي وعلي الكسائي غير عاصم الكوفي ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ﴾ بالياء في الثلاثة والباقون بالنون. **قوله:** (﴿كِسَفًا﴾[1] **حفص)** أي قرأ حفص بفتح السين والباقون بسكونها ولا يذهب عليك أن كلّا من كسَف وكِسْف جمع كسفة بمعنى قطعة. **قوله: (أي أُعموا فلم ينظروا)** يريد أن الفاء في ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ للعطف على مقدر بعد الهمزة وأن قوله: أفلم يروا معطوف على ذلك المقدّر والتقدير كما ذكره فصح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام والفاء المقتضية لتقدم المعطوف عليه. **قوله: (أن ينفذوا)** أي يخرجوا **(من أقطارهما)** أي نواحي

---

(١) أي قطعًا.

(وأصحاب الأيكة) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما تدلّان عليه من قدرة الله تعالى ﴿لَآيَةً﴾ لدلالة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه مُطيع له إذ المُنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب مَن يكفر به.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ﴾ **(بدل من** ﴿فَضْلًا﴾**)** أو من ﴿ءَاتَيْنَا﴾ بتقدير قولنا: يا جبال، أو قلنا: يا جبال ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ من التأويب **(رجعي معه التسبيح)** ومعنى تسبيح الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحًا فيسمع منها كما يسمع من المُسَبِّح لداود عليه السلام (﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ **عطف على محل الجبال)** (﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ **عطف على لفظ الجبال)** وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم بالطاعة أطاعوا وإذا دعاهم أجابوا إشعارًا بأنه مامن حيوان و**(جماد)** إلا وهو منقاد لمشيئة الله تعالى، ولو قال آتينا داود منّا فضلًا تأويب الجبال معه (﴿**والطيرُ**﴾) لم يكن فيه هذه الفخامة. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾

السماء والأرض. **قوله: (وأصحاب الأيكة)** أي الغيضة أي الشجر الملتفّ بعضه على بعض قوم شعيب.

قوله: (بدل من ﴿فَضْلًا﴾**)** بدل الكل للتقرير وكمال التوضيح. **قوله: (رجعي معه التسبيح)** قرينة اعتبار التسبيح ما ذكر في صورة صٓ قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [الآيتان ١٨، ١٩]، وسورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الآية ٧٩]. **قوله:** (﴿وَٱلطَّيْرَ﴾) منصوب بإجماع القراء السبعة **(عطف على محل الجبال)** لأن كل منادى في موضع النصب. **قوله:** (﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ **عطف على لفظ الجبال)** قرأ يعقوب[1] (﴿**والطيرُ**﴾) بالرفع عطفًا على لفظها تشبيهًا للحركة البنائية العارضة[2] بحركة الإعراب. **قوله: (جماد)** في لسان العرب الجُماد الحجارة واحدها

---

(١) ليس من السبعة.

(٢) وهي الضم لعروضها وعدم أصلها.

وجعلناه له ليِّنًا كالطين المعجون يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب (**بمطرقة**). وقيل: لانَ الحديد في يده لما أُوتي من شدة القوة.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ «أن» بمعنى (**أي**) أو (**أمرناه أن اعمل** ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾) دروعًا واسعة تامّة من السبوغ وهو أول مَن اتخذها، وكان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدَّق على الفقراء. وقيل: كان يخرج متنكِّرًا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيَّض الله له ملكًا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال: نِعْمَ الرجل لولا خصلة فيه وهو أنه يطعم عياله من بيت المال فسأله عند ذلك ربه أن يسبِّب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ لا تجعل المسامير دقاقًا (**فتقلق**) ولا غلاظًا (**فتقصم**) الحلق، والسرد: نسج الدروع ﴿وَٱعْمَلُوٓا۟﴾ الضمير لداود وأهله ﴿صَٰلِحًا﴾ خالصًا يصلح للقبول ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأُجازيكم عليه.

جمد. اهـ. **قوله**: (بمطرقة) في المصباح المطرقة بالكسر ما يطرق به الحديد. اهـ.

قوله: (**أي أمرناه أن اعمل**) لما كان من شرط أن المفسّرة أن يتقدمها ما هو بمعنى القول ولَمْ يتقدم هنا إلّا قوله: ﴿وَأَلَنَّا﴾ قدّر ما هو بمعنى القول أي وأمرناه أن اعمل. **قوله**: (﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾) موصوفها محذوف وهو دروع بقرينة قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ إذ السرد نسج الدروع. **قوله**: (فتقلق) في المصباح قلق قلقًا فهو قلق من باب تعب اضطرب. اهـ.

قوله: (فتقصم) في المصباح قصمت العود قصمًا من باب ضرب كسرته فأبنته. اهـ. وعبارة الشهاب أي اجعلها على مقدار معين غلظًا وغيره مناسبة للثقب الذي هُيِّىءَ لها من ملتقى طرفي الحلقة فإنها إن كانت دقيقة اضطربت فيها فلم يمسك طرفها وإن كانت غليظة خرقت حرف الحلقة الموضوعة فيه فلا يمسكه أيضًا. اهـ.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح وهي الصبا. **(ورفع ﴿ٱلرِّيحُ﴾ أبو بكر وحماد والمفضل)** أي (﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ **مسخرة**) ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك، وكان يغدو من دمشق فيقيل **(باصطخر)** فارس وبينهما مسيرة شهر ويروح من إصطخر فيبيت **(بكابل)** وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل: كان يتغدّى بالري ويتعشى بسمرقند ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي معدن النحاس فالقطر النحاس **(وهو الصفر)** ولكنه أساله وكان يسيل **(في الشهر)** ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكان قبل سليمان لا يذوب، **(وسمّاه عين القطر باسم ما آل إليه)** ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ﴾ «من» في موضع نصب أي وسخَّرنا من الجن من يعمل ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمر ربّه ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل منهم ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرنا به من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ عذاب الآخرة. وقيل: كان معه مَلَك بيده سوط من نار فمَن زاع عن أمر سليمان عليه السلام ضرب ضربة أحرقته.

قوله: **(ورفع ﴿ٱلرِّيحُ﴾ أبو بكر وحماد والمفضل)** أي قرأ أبو بكر شعبة بن عياش وحماد بن زياد والمفضل بن محمد كلهم عن عاصم الريح بالرفع على الابتداء والخبر في الجار قبله أو محذوف والباقون بالنصب بإضمار فعل أي وسخرنا. **قوله**: (﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ **مسخرة**) فالمحذوف مسخرة على أنه خبر للريح ولسليمان مسخرة فالتقديم لاهتمام أو للحصر. **قوله**: **(باصطخر)** بكسر الهمزة وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة وسكون الخاء المعجمة وبعدها راء هي من بلاد فارس. **قوله**: **(بكابل)** مدينة مشهورة بأرض الهند. **قوله**: **(وهو الصفر)** في المصباح الصفر مثل قفل وكسر الصاد لغة النحاس.اهـ.

قوله: **(في الشهر)** أي من كل شهر. **قوله**: **(وسمّاه عين القطر باسم ما آل إليه)** أي ولما كان مآل المعدن إلى السيلان وإن كان في نفسه جامدًا قبل الإسالة سماه عينًا باعتبار ما آل إليه أمره.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ (**أي مساجد أو مساكن**) ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ أي صور السّباع والطيور. ورُوِيَ أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه و(**نسرين**) فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظلّه النسران بأجنحتهما وكان التصوير مُباحًا حينئذ (﴿وَجِفَانٍ﴾ **وصحاف جمع**) جفنة (﴿كَٱلْجَوَابِ﴾) جمع جابية وهي الحياض الكبار: قيل: كان يقعد على الجفنة ألف رجل. ﴿كالجوابي﴾ (**في الوصل والوقف: مكي ويعقوب وسهل، وافق أبو عمرو في الوصل، الباقون بغير ياء**) اكتفاء بالكسرة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات على (**الأثافي**) لا تنزل عنها لعظمها. وقيل: إنها باقية باليمن وقلنا لهم: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ أي ارحموا أهل البلاد واسألوا ربكم العافية (**عن الفضل**) و﴿شُكْرًا﴾ مفعول له أو حال أي شاكرين أو اشكروا شكرًا لأن ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ فيه معنى اشكروا من حيث إن العمل للمُنعِم شُكْر له أو مفعول به يعني إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرًا، وسُئِل (**الجنيد بن محمد**) عن الشكر فقال: بذل المجهود بين

قوله: (**أي مساجد أو مساكن**) سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها.
قوله: (**نسرين**) في المصباح النسر طائر معروف والجمع أنسر ونسور مثل فلس وأفلس وفلوس. اهـ.

قوله: (﴿وَجِفَانٍ﴾ **وصحاف جمع**) صحفة وهي الإناء من جنس القصعة.
قوله: (﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ **في الوصل والوقف: مكيّ ويعقوب وسهل**) أي قرأ ابن كثير المكيّ ويعقوب بن إسحٰق وسهل بن محمد وليسا من السبعة بإثبات الياء وقفا ووصلا. **قوله**: (**وافق أبو عمرو في الوصل**) أي قرأ أبو عمرو بإثبات الياء بعد الباء الموحدة في الوصل دون الوقف. **قوله**: (**الباقون بغير ياء**) وقفًا ووصلًا.
قوله: (**الأثافي**) جمع أثفية بضم الهمزة وتشديد الياء وهي ما يوضع عليه القدر.
قوله: (**عن الفضيل**) بن عياض مات بمكة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة.
قوله: (**الجنيد بن محمد**) مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

يدي المعبود ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ﴾ بسكون الياء: حمزة وغيره بفتحها ﴿ٱلشَّكُورُ﴾ المتوفِّر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا وكدحًا. وعن ابن عباس رضي الله عنه: مَن يشكر على أحواله كلها. وقيل: مَن يشكر على الشكر. وقيل: مَن يرى عجزه عن الشكر. وحُكِي عن داود عليه السلام أنه جزَّأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي على سليمان ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ أي الجن وآل داود ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي الأرَضة وهي دويبة يقال لها (**سُرْفَة والأرض فعلها**) فأُضيفت (**إليه**). يقال: (**أرضت الخشب**) أرضًا إذا أكلتها الأرَضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ والعصا تسمى منسأة لأنه ينسأ بها أي يطرد، و(﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ **بغير همز: مدني وأبو عمرو**) ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط سليمان ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ علمت الجن كلهم علمًا بيّنًا بعد التباس الأمر على عامّتهم وضعفتهم ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟﴾ بعد موت سليمان ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ورُوِيَ أن داود عليه السلام أسَّس بناء بيت المقدس في موضع (**فسطاط**) موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمّه فوصَّى به إلى سليمان فأمر الشياطين بإتمامه، فلما بقي من عُمرِه سنة سأل ربه أن يعمي عليهم موته حتىٰ يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وكان عمر سليمان ثلاثًا وخمسين سنة، ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت

قوله: (**سُرْفة**) هي دُوَيْبَة تأكل الخشب. **قوله**: (**والأرض فعلها**) أعني أكلها الخشبة. **قوله**: (**إليه**) أي إلى فعلها. **قوله**: (**أرضت الخشب**) بالبناء للمفعول. **قوله**: (﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ **بغير همز مدني وأبو عمرو**) أي قرأه نافع المدنيّ وأبو عمرو بألف محضة وقرأه الباقون بهمزة مفتوحة ويسكن ابن عامر الهمزة. **قوله**: (**فسطاط**) في المصباح الفسطاط بضم الفاء وكسرها بيت من الشعر والجمع فساطيط. اهـ.

المقدس لأربع مضين من ملكه. ورُوِيَ أن أفريدون جاء ليصعد كرسيّه فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها (**فلم يجسر**) أحد بعده أن يدنو منه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ (**بالصرف بتأويل الحي، وبعدمه: أبو عمرو بتأويل القبيلة**

وفي حاشية البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام الفسطاط الخيمة وبيت الشعر ونحوه. وقد استشكل هذا بأن موسى لم يدخل بيت المقدس حتى أنه عند موته سأل الله تعالى أن يدنيه منه مقدار رمية حجر فدفن عند الكثيب الأحمر وهو ضريحه المعروف الآن. وأجيب كان عندهم فسطاط له يتوارثونه ويضربونه ثمة تبركًا يتعبدون فيه فبنى البيت في ذلك الموضع لا أنه كان يضرب هناك في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ولا يخفى بعده وأن مثله لا يقال بالرأي فإن كان فأهلًا ومَرْحبًا ولو قيل: المراد مجمع العبادة على دين موسى كما وقع في الحديث فسطاط إيمان. وقال القرطبي في التذكرة: المراد به فرقة منحازة عن غيرها مجتمعة تشبيهًا بالخيمة أو المدينة كان أظهر انتهت والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (**فلم يجسر**) في مختار الصحاح جَسَر على كذا أَقْدم يَجْسُر بالضم جَسارة بالفتح. اهـ. وفي المصباح جَسَر على عدوه جسورًا من باب قعد وجسارة أيضًا هو جسور وامرأة جسور أيضًا. اهـ.

قوله: (**بالصرف بتأويل الحي، وبعدمه: أبو عمرو بتأويل القبيلة**) أي قرأ عمرو وكذا البزي بعد الموحدة بهمزة مفتوحة من غير تنوين لأنه صار اسم قبيلة وقنبل بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مكسورة منوّنة وإذا وقف حمزة وهشام أبدلا الهمزة ألفًا ولهما أيضًا الروم مع التسهيل.

فائدة: اعلم أن الروم والاختلاس يشتركان في التبعيض إلّا أن الروم أخصّ من حيث إنه لا يكون في الفتح والنصب ويكون في الوقف دون الوصل والثابت

﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ **حمزة وحفص ﴿مسكِنهم﴾ علي وخلف)** وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها باليمن أو مسكن كل واحد منهم، **(غيرهم ﴿مساكنهم﴾)** ﴿ءَايَةٌ﴾ اسم كان ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان، ومعنى كونهما آية أن أهلها لمّا أعرَضوا عن شكر الله سلبهم الله النعمة ليعتبروا ويتّعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر **(وغمط النّعَم)**، أو جعلهما آية أي علامة دالّة على قدرة الله وإحسانه ووجوب شكره ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ **(أراد جماعتين من البساتين)** جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامّها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين

من الحركة أقل من الذاهب والاختلاس أعم لكونه يتناول الحركات الثلاث كما في لا يُهدَى ونعمّا ويأمركم عند بعض القراء في الأمثلة الثلاثة ولا يخص بالآخر وهو محل الوقف والثابت من الحركة أكثر من الذاهب وذلك أن يأتي بثُلُثَيْهَا وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة.

فائدة أخرى: معنى التسهيل جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها فإن كانت مفتوحة فبين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فبين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فبين الهمزة والواو فاحفظ هذه القاعدة فإنها كثيرة الفائدة.

قوله: (﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ **حمزة وحفص**) أي قرأ حمزة وحفص بسكون السين وفتح الكاف ولا ألف بينهما إشارة إلى أنها لشدّة اتصال المنافع والمرافق كالمسكن الواحد. **قوله:** (﴿مسكِنهم﴾ **علي وخلف**) أي قرأ علي الكسائي وخلف كذلك إلّا أنه بكسر الكاف. **قوله:** (**غيرهم** ﴿مساكنهم﴾) أي قرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الكاف. **قوله:** (**وغَمْط النعم**) أي كفرانها وسترها في مختار الصحاح غَمِط النعمة من باب فهم وضرب ولم يشكرها. اهـ.

قوله: (**أراد جماعتين من البساتين...**) الخ جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتي أهل سبأ وجعلهما آية دالّة على ما ذكر مع أن المسكن المتوسط بين جنتين كثير في الدنيا وتقرير الجواب أن ما ذكرت إنما يرد أن لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم

البلاد العامرة، **(أو أراد بستاني كل رجل منهم)** عن يمين مسكنه وشماله ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، أو لما قال لهم لسان الحال، أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك. ولما أمرهم بذلك أتبعه قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم ربٌّ غفور لمن شكره. قال ابن عباس: كانت سبأ **(على ثلاث فراسخ)** من صنعاء وكانت أخصب البلاد، تخرج المرأة وعلى رأسها المِكتَل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلىء المِكتَل مما يتساقط فيه من الثمر وطيبها ليس فيها بَعُوض ولا ذُباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حيّة، ومَن يمر بها من الغرباء يموت قمله لطيب هوائها.

﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾ عن دعوة أنبيائهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ أي المطر الشديد أو العَرِم اسم الوادي **(أو هو الجرذ)**

وأخرى عن شماله سميت كل جماعة منها جنة لكونها في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة.

قوله: (أو أراد بستاني كل رجل منهم. . .) الخ أي ويجوز أن يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمهما من حيث إن مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة. **قوله: (على ثلاث فراسخ)** الفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع.

قوله: (أو هو الجرذ) بضم الجيم وفتح الراء والذال المعجمة نوع من الفار أعمى ويقال له الخلد أيضًا لإقامته عند جحره لعماه وإضافة السيل إليه من قبيل إضافة المسبب إلى سببه فإنه كان سببًا لخراب السكر وانقلاب الماء المحتبس وراء السكر عليهم وذلك أن أهل سبأ كانوا يقتتلون على واديهم عند احتياجهم إلى سقي بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخور والقير فحبست بذلك السدّ ماء العيون والأمطار وجعلت لهم أبوابًا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه

الذي نقب عليهم **(السَّكْر)** لما طغوا سلّط الله عليهم الجرذ فنقبه من أسفل فغرقهم ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ المذكورتين ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ وتسمية البدل جنتين **(للمشاكلة)** وازدواج الكلام كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ الأكل الثمر يثقل ويخفف **(وهو قراءة نافع ومكي)**، والخمط شجر الأراك، وقيل: كل شجر ذي شوك ﴿وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودًا، ووجه من نون الأكل ـ وهو غير أبي عمرو ـ أن أصله ذواتي أكل خمط فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل: ذواتي **(أكل بشع)**، ووجه أبي عمر أن أكل الخمط في معنى البرير وهو ثمر الأراك إذا كان **(غضًّا)** فكأنه قيل ذواتي **(برير)**، والأثل والسدر معطوفان على

بركة عظيمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجًا على عدد أنهارهم إلى أراضيهم وبساتينهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدّوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السدّ فاجتمع فيه إلى أن صار كالبحر فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى إلى أن يتسفل الماء عنه ثم من الباب الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء إلى أن ينقطع احتياجهم إلى سقي الأراضي ثم يجتمع فيه الماء أوان الشتاء فيصير كالبحر أيضًا فيسقون منه في السنة المقبلة كما سقوا في السنة الماضية فكانت تقسم الماء بينهم على هذا الوجه في كل سنة فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا نقب الجرذ السكر بسببه وانقلب البحر عليهم فغرق بلادهم ودفن الرمل بيوتهم ومنازلهم وتفرّقوا في البلدان أيدي سبأ. **قوله: (السَّكْر)** بفتح السين وسكون الكاف ثم راء مهملة السدّ على الماء. **قوله: (للمشاكلة)** اللفظية للتهكم بهم. **قوله: (وهو قراءة نافع ومكيّ)** أي سكن الكاف نافع المدنيّ وابن كثير المكيّ وضمها الباقون. **قوله: (أكل بشع)** في القاموس البشع ككتف من الطعام الكريه فيه مرارة.اهـ. أي مرّ بشع أي كريه الطعم يأخذ بالحلق فلا يمكن أكله فسر الخمط بثلاثة أوجه، الأول أنه شجر الأراك والأكل ثمره ويقال له البرير، والثاني كل شجر ذي شوك، والثالث ما ذكره الزجاج وهو أنه كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا يمكن أكله. **قوله: (برير)** في المصباح البرير مثال كريم ثمر الأراك إذا اشتدّ.اهـ. **قوله: (غضًّا)** في

﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾ لأن الأثل لا أكل له. وعن الحسن: قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا لأنه يكون في الجنان.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ أي جزيناهم ذلك بكفرهم فهو مفعول ثانٍ مقدّم **(﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ كوفي غير أبي بكر. ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾ غيرهم)** يعني وهل نجازي مثل هذا الجزاء إلا مَن كفر النعمة ولم يشكرها أو كفر بالله، أو هل يعاقب لأن الجزاء وإن كان عامًّا يستعمل في معنى المعاقبة وفي معنى الإثابة لكن المراد الخاص وهو العقاب. **(وعن الضحاك)**: كانوا **(في الفترة)** التي بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها في النِّعَم والمياه وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض

مختار الصحاح شيء غَضّ وغضيض أي طَرِيٌّ.اهـ. وأيضًا فيه شيء طَرِيّ بيّن الطراوة.اهـ.

قوله: **(﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ كوفي غير أبي بكر. ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾ غيرهم)** أي قرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون مضمومة وكسر الزاي الكفور بالنصب والباقون بالياء المضمومة ونصب الزاي الكفور بالرفع. **قوله**: **(وعن الضحاك)** بن مخلد قال الصّميري ومن أصحاب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه الإمام الضحّاك بن مخلد أبو عاصم والضحاك هذا هو المعروف بالنبيل، قال الذهبي: أجمعوا على توثيق أبي عاصم مات بالبصرة في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين وهو ابن تسعين سنة وأشهر وقيل: سنة ثلاث عشرة روى له الشيخان. **قوله**: **(في الفَتْرة)** أي انقطاع بعث الرسل ودروس أعلام دينهم.

لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين، أو ظاهرة **(للسابلة)** لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وهي أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم **(يقيل)** المسافر في قرية ويروح في أخرى إلى أن يبلغ الشام ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ وقلنا لهم سيروا ولا قول ثمة، ولكنهم لما مكّنوا من السير وسُوِّيَت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ أي سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أي سيروا فيها آمنين لا تخافون عدوًّا ولا جوعًا ولا عطشًا وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أيامًا وليالي.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قالوا: يا ليتها كانت بعيدة فنسير على **(نجائبنا)**، ونربح في التجارات ونفاخر في الدواب والأسباب، **(بطروا)** النعمة (وملوا) العافية فطلبوا الكدّ والتعب، (﴿بَعِّدْ﴾ **مكي وأبو عمرو)**

قوله: **(للسابلة)** في المصباح السابلة الجماعة المختلفة في الطرقات في حوائجهم. اهـ. **قوله**: **(يقيل)** في المصباح قال: يقيل قيلًا وقيلولة نام نصف النهار. اهـ.

قوله: **(نجائبنا)** في لسان العرب النجائب جمع نجيبة تأنيث النجيب. اهـ. وأيضًا فيه النجيب من الرجال الكريم الحسيب وكذلك البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين. اهـ. وأيضًا فيه النجيب من الإبل والجمع النُّجُب والنجائب. اهـ. **قوله**: **(بطر والبطر)** طغيان من كثرة النعم. **قوله**: **(وملوا)** في المصباح مللته ومللت منه مللًا من باب تعب وملالة سئمت وضجرت والفاعل ملول. اهـ.

قوله: (﴿بَعِّدْ﴾ **مكي وأبو عمرو)** أي قرأ ابن كثير المكيّ وأبو عمرو وكذلك هشام ﴿بعِّد﴾ بتشديد العَيْن[1] ولا ألف قبلها فعل طلب والباقون بألف قبل

---

(١) على لفظ الأمر من باب التفعيل وقراءة باعد من المفاعلة للمبالغة لا للمغالبة.

﴿وَظَلَمُوٓاْ﴾ بما قالوا ﴿أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ (**يتحدث الناس بهم**) ويتعجبون من أحوالهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ وفرّقناهم تفريقًا (**اتخذه الناس مثلًا مضروبًا يقولون: «ذهبوا أيدي سبأ» و«تفرقوا أيادي سبأ»**) فلحق (**غسان**) بالشام و(**أنمار**) بيثرب و(**جذام**) بتهامة و(**الأزد بعمان**) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ للنِّعَم أو لكل مؤمن لأن الإيمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر.

العين وتخفيف العين. **قوله**: (**يتحدث الناس بهم...**) الخ إشارة إلى أن الأحاديث جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به على سبيل التلهي والاستغراب لا جمع حديث على خلاف القياس.

قوله: (**اتخذه الناس مثلًا مضروبًا يقولون: «ذهبوا أيدي سبأ» و«تفرّقوا أيادي سبأ»**) أي تفرّقوا في طرق شتى واليد في كلام العرب تطلق على الطريق يقال: أخذ يد البحر أي طريقه وقيل: أيادي سبأ أولاده لأن الأولاد أعضاد الرجل لتقوّيه بهم والمعنى تفرّقوا مثل تفرّق أولاد سبأ وفي المفصل الأيادي الأنفس كناية أو مجازًا وهو أحسن من تفسيره بالطرق وبالأولاد وسبأ مهموز في الأصل غير أنه التزم التخفيف في هذا المثل ولا بد من إضمار لفظ المثل في هذا المثل لأن أيدي سبأ وقع حالًا من فاعل ذهبوا وهو معرفة لأن إضافته حقيقية ومن حق الحال أن تكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرقين.

قوله: (**غَسَّان**) اسم قبيلة. **قوله**: (**أنمار**) أبو بطن من العرب. **قوله**: (**جذام**) وزان غراب قبيلة من اليمن. **قوله**: (**الأزد بعمان**) قال الجوهري: أزد[١] أبو حَيٍّ من اليمن وهو أزد بن غوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ وهو بالسين أفصح يقال: أزد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة. اهـ.

وقوله: (**بعُمان**) بضم العين وتخفيف الميم، قال الجوهري: عمان مخففًا بلد والعمان الذي بالشام عمان بالفتح والتشديد وهو غير مراد هنا لتقدّم ذكر الشام.

---

(١) الأزد لغة في الأسد وهو أسد بالسين أفصح كذا في لسان العرب.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

(﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ **بالتشديد: كوفي**) أي حقّق عليهم ظنه (**أو وجده صادقًا**)، وبالتخفيف: غيرهم أي صدق (**في ظنه**) ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾ لأهل سبأ أو لبني آدم. وقلّل المؤمنين بقوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لقلتهم بالإضافة إلى الكفّار ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧].

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم﴾ لإبليس على الذين صار ظنه فيهم صدقًا ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ من تسليط واستيلاء بالوسوسة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ موجودًا ما علمناه معدومًا (**والتغير على المعلوم لا على العلم**).

قوله: (﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ **بالتشديد**) أي بتشديد الدال بعد الصاد (**كوفي**) أي قرأه أهل الكوفة أي حققه عليهم ظنه أو وجده صادقًا وبالتخفيف غيرهم أي صدق في ظنه. **وقوله**: (**أو وجده صادقًا**) أي بناء فعل للوجدان مثل افعل. **وقوله**: (**في ظنه**) أي نصب ظنه بنزع الخافض.

قوله: (**والتغير على المعلوم لا على العلم**) قال العلّامة الرازي رحمه الله: إن علم الله تعالى من الأزل إلى الأبد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالمًا لا يتغير ولكن يتغير تعلّق علمه فإن العلم صفة كاشفة يظهر بها كل ما في نفس الأمر فعلم الله سبحانه وتعالى في الأزل أن العالم سيوجد فإذا وجد علمه موجودًا بذلك العلم وإذا عدم علمه معدومًا بذلك مثاله أن المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد إن قابلها ثم إذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمرآة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وإنما التغير في الخارجات، فكذلك هٰهنا قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والإيمان من المؤمن وكان قبله فيه أنه سيكفر زيد ويؤمن عمرو. اهـ.

﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ (وَرَبُّكَ) عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ **(محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان)**.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لمُشركي قومك ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي زعمتموهم آلهة من دون الله، فالمفعول الأول الضمير الراجع إلى الموصول وحذف كما حذف في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: الآية ٤١] استخفافًا لطول الموصول بصلته. والمفعول الثاني آلهة وحذف لأنه موصوف صفته ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهومًا، فإذًا مفعولا زعم محذوفان بسببين مختلفين، والمعنى ادعو الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسمَّيتموهم باسمه والتجئوا إليهم **(فيما يعروكم)** كما تلتجئون إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته، ثم أجاب عنهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شرّ أو نفع أو ضرّ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ من آلهتهم ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ من **(عوين)** يعينه على

قوله: (﴿وَرَبُّكَ﴾) فيه مزيد لطف له عليه الصلاة والسلام. **قوله**: **(محافظ عليه)** فسّره بالمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الأحوال لأن الحفظ لا يتعدى بعلى فلا يقال: حفظ عليه بل حفظه ولأن معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة وفي الصحاح حفظت الشيء حفظًا أي حرسته وحفظته أيضًا استنظرته والمحافظة المراقبة والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٤]. **قوله**: **(فعيل ومفاعل متآخيان)** أي متماثلان يقعان بمعنى واحد كالرقيب والجليس بمعنى المجالس والمراقب.

قوله: **(فيما يعروكم)** في المصباح عراه أمر واعتراه أصابه. اهـ. **قوله**: **(عوين)** بمعنى معاون.

تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة من العجز فكيف يصحّ أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي أذِن له الله يعني إلا مَن وقع الإذن للشفيع لأجله وهي اللام الثانية في قولك: «أذِن لزيد لعمرو» أي لأجله، وهذا تكذيب لقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، (﴿أُذِنَ لَهُۥ﴾ **كوفي غير عاصم إلا الأعمش**) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها ربّ العزّة في إطلاق الإذْن و(﴿فَزَّعَ﴾ **شامي**) أي الله تعالى، والتفزيع إزالة الفزع و﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما فُهِم من أن ثم انتظارًا للإذن وتوقفًا وفزعًا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذَن لهم أو لا يؤذَن لهم كأنه قيل: يتربصون ويتوقعون (**مليًا**) فزعين حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴿قَالُوا۟﴾ سأل بعضهم بعضًا ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟﴾ قال: ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي القول الحق وهو الإذْن بالشفاعة (**لمَن ارتضى**).

قوله: (﴿أُذِنَ لَهُۥ﴾ **كوفيّ غير عاصم إلا الأعمش**) في إتحاف فضلاء البشر بقراءات الأربعة عشر للعلّامة الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء. واختلف في ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ فأبو عمرو وحمزة والكسَائي وخلف بضم الهمزة مبنيًا للمفعول وله نائب الفاعل وافقهم الأعمش واليزيدي والحسن والباقون بفتحها مبنيًا للفاعل وهو الله تعالى انتهى بحروفه.

قوله: (و﴿فَزَّعَ﴾ **شاميّ**) أي قرأ ابن عامر الشاميّ وكذا يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري بفتح الفاء والزاي مبنيًا للفاعل والضمير لله تعالى أي أزال الله تعالى الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن. وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الزاي مشددة مبنيًا للمفعول والنائب الظرف بعده. **قوله:** (مَليًا) أي طويلًا.
قوله: (**لمن ارتضى**) وهم المؤمنون.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ أمره بأن يقررهم بقوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: «يرزقكم الله» وذلك للإشعار بأنهم مُقِرُّون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوَّهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون مَن يرزقكم وتؤثرون عليه مَن لا يقدر على الرزق، وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ومعناه وإن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من الكلام المُنصِف الذي كل مَن سمعه من موالٍ أو مُنافٍ قال لمَن خوطب به: قد أنصفك صاحبك.

وفي درجة بعد تقدم ما قدم من التقرير دلالة غير خفية على مَن هو من الفريقين على الهدى ومَن هو في الضلال المبين ولكن التعرّض أوصل بالمجادل إلى الغرض، ونحوه قولك للكاذب: «إن أحدنا لكاذب». وخولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مُستَعْلٍ على فرس جواد **(يركضه)** حيث شاء، والضالّ كأنه **(ينغمس)** في ظلام لا يرى أين يتوجه.

قوله: **(يركضه)** في المصباح ركض الرجل ركضًا من باب قتل ضرب برجله ويتعدى إلى مفعول فيقال: ركض الفرس إذا ضربته ليعدو. اهـ.

قوله: **(ينغمس)** في مختار الصحاح غمسه في الماء مقله فيه وبابه ضرب وانغمس واغتمس بمعنى. اهـ. وأيضًا فيه مقله في الماء غمسه وبابه نصر. اهـ.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ **(هذا أدخل في الإنصاف)** من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وهو مزجور عنه محظور، والعملَ إلى المخاطبين وهو مأمور به مشكور ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ بلا جور ولا ميل ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالحكم.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم﴾ أي ألحقتموهم ﴿بِهِۦ﴾ بالله ﴿شُرَكَآءَ﴾ في العبادة معه.

ومعنى قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ **(وكان يراهم)** أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله وأن يطلعهم على حالة الإشراك به ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه أي ارتدعوا عن هذا القول وتنبّهوا عن ضلالكم ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب فلا يشاركه أحد وهو ضمير الشأن ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

قوله: (هذا أدخل في الإنصاف) فإنه تنزّل من المكافحة الصريحة ونسبة الضلال إليهم في قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ الآية إلى تردد في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ثم منه إلى نسبة الإجرام إلى نفسه والعمل إليهم ولما كان ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ الآية نازلًا بدرجتين عن أصل الكلام كان أبلغ وأدخل في الإنصاف.

قال صاحب الانتصاف: وذكر الإجرام المضاف إلى النفس بصيغة الماضي الذي معنى التحقيق وذكر العمل المنسوب إلى الخصم بما لا يعطي ذلك.

قوله: (وكان يراهم) أي وقد كان يراهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ **(إلا إرساله عامَّة لهم)** محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم. وقال الزجَّاج: معنى الكافَّة في اللغة الإحاطة، والمعنى أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والإبلاغ، فجعله حالًا من الكاف والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلَّامة ﴿بَشِيرًا﴾ بالفضل لمن أقرّ ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالعدل لمَن أصرَّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي القيامة المُشار إليها في قوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو هنا الزمان ويدل عليه قراءة **(مَن قرأ ﴿ميعادٌ يومٌ﴾)** فأبدل منه اليوم، وأما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول: **(«بعير سانية»** ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾) أي لا يمكنكم التأخر عنه بالاستمهال ولا التقدم إليه بالاستعجال، ووجه انطباق هذا الجواب على سؤالهم أنهم سألوا عن ذلك وهم منكرون له تعنتًا

قوله: **(إلا إرساله عامة لهم)** على أن كافة صفة مصدر محذوف وأن تعليل تفسيرًا لكافة بالعامة المحيطة فكأنه قيل: أريد بالكافة العامة لأن الشمول والعموم مستلزم الكف فيكون كناية أو مجازًا بمعنى عامة لهم محيطة بهم لأن الإرسالة إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم من الكف وهو المنع يقال: كف يكف أي منع.

قوله: (من قرأ ﴿ميعادٌ يومٌ﴾) منوّنين. **قوله**: (**بعير سانية**) السانية الناضجة وهي الناقة التي يستقى عليها يقال: سنت الناقة تسنو إذا سقت الأرض وفي المثل سير السواني سفر لا ينقطع. **قوله**: (﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾) لا تتأخرون (﴿عَنْهُ﴾) عن هذا الميعاد (﴿سَاعَةً﴾) ولو آنا (﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾) الواو استئنافية لا عاطفة.

لا استرشادًا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقًا للسؤال على الإنكار والتعنّت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخّرًا عنه ولا تقدمًا عليه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي (**أبو جهل وذووه**) ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي ما نزل قبل القرآن من كتب الله أو القيامة والجنة والنار حتى إنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله، (**وأن تكون**) لما دلّ عليه من الإعادة للجزاء (**حقيقة**) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ محبوسون ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ﴾ يرد ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ في الجدال أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله ﷺ أو للمخاطب: ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف (**المحاورة**) ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي (**للرؤوس**) والمقدّمين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ لولا دعاؤكم إيّانا إلى الكفر لكنّا مؤمنين بالله ورسوله.

قوله: (**أبو جهل**) اسمه عمرو وكنيته أبو الحكم وإنما رسول الله ﷺ والمسلمون كنوه أبا جهل فبقي عليه ونسي اسمه وكنيته. **قوله**: (**وذووه**) أي أصحابه. **قوله**: (**وأن تكون**) تامة. **قوله**: (**حقيقة**) اسم تكون. **قوله**: (**المحاورة**)[١] المجاوَبَةُ. **قوله**: (**للرؤوس**) في الصحاح الرأس يجمع في القلة أرؤس وفي الكثرة رُؤُوس. اهـ.

وفي شرح القاموس للعلّامة السيد محمد مرتضى رحمه الله (الرأس) أي معروف وأجمعوا على أنه مذكّر (و) الرأس (أعلى كل شيء) ومن المجاز الرأس (سيّد القوم). اهـ. فالمراد هنا الرؤساء[٢].

---

(١) في المصباح حاورته راجعته الكلام. (٢) جمع رئيس مثل شريف وشرفاء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ أولى الاسم أي نحن حرف الإنكار لأن المراد أن يكون هم الصادّين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدّوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ إنما وقعت «إذ» مضافًا إليها وإن كانت «إذ» و«إذا» من الظروف اللازمة للظرفية لأنه قد اتّسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأُضيف إليها الزمان ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين لاختياركم وإيثاركم الضلال على الهدى لا بقولنا وتسويلنا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ لم يأتِ بالعاطف في ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وأتى به في ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ لأن الذين استضعفوا مرَّ أول كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف، ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بل مكركم بنا بالليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه، أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي أي الليل والنهار مكرا بطول السلامة فيهما حتى ظننا أنكم على الحق ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أشباهًا.

والمعنى أن المستكبرين لما أنكروا بقولهم: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ﴾ أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أن ذلك بكسبهم واختيارهم، كرَّ عليهم المستضعفون بقولهم: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا

(دائبًا) ليلًا ونهارًا وحملكم إيّانا على الشِّرك واتخاذ الأنداد ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أضمروا أو أظهروا وهو من الأضداد وهم الظالمون في قوله: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ (يندم) المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المُضِلِّين ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الجحيم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي في أعناقهم فجاء بالصريح للدلالة على ما استحقوا به الأغلال ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ نبي ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعموها ورؤساؤها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ (مما مُنِي به) من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به وأنه لم يرسل قطّ إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ﷺ أهل مكة وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد كما قال:

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرًا إلى أحوالهم في الدنيا، وظنوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم، فأبطل الله ظنهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء، فربما وسّع على العاصي وضيّق على المُطيع وربما عكس، وربما وسَّع عليهما أو ضيَّق عليهما فلا ينقاس عليهما أمر الثواب وذلك قوله:

قوله: (دائبًا) أي دائمًا (يندم) في مختار الصحاح نَدِم على ما فعل من باب طرب وسلم. اهـ.

قوله: (مما مُنِي به) أي ابتلي يقال: منوته ومنيته أي ابتليته وهو بصيغة المجهول والفاعل هو الله تعالى أي مما مناه الله تعالى من أذى قومه.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ قدر الرزق تضييقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: الآية ٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ أي وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقرّبكم، وذلك أن الجمع المكسّر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث، والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب على المصدر أي تقرّبكم قربة كقوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: الآية ١٧]، ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الاستثناء من «كم» في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ يعني أن الأموال لا تقرّب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحدًا إلا من علّمهم الخير ووفقهم في الدين و(**رشحهم**) للصلاح والطاعة. وعن ابن عباس: «إلا» بمعنى «لكن» ومن شرط جوابه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يُجازوا الضعف (**ثم** ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾) ثم جزاءُ الضعف، ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرًا (**وقرأ يعقوب ﴿جزاءً الضعفُ﴾ على «فأولئك لهم الضعف جزاء»**) ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ بأعمالهم ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ أي غرف منازل الجنة (﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ **حمزة**) ﴿ءَامِنُونَ﴾ من كل هائل وشاغل.

قوله: (**رشحهم**) أي يُرَبِّيْهِم في المصباح رشح الندى النبت ترشيحًا ربّاه فترشح. اهـ.

قوله: (**ثم** ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾) بالإضافة. **قوله**: (**وقرأ يعقوب ﴿جزاءً الضعفُ﴾ على فأولئك لهم الضعف جزاء**) في تفسير العلّامة البغوي رحمه الله. قرأ يعقوب جزاء منصوبًا منوّنًا الضعف رفع تقديره فأولئك لهم الضعف جزاء وقراءة العامة بالإضافة. اهـ. **قوله**: (﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ **حمزة**) أي قرأ حمزة بسكون

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ في إبطالها ﴿مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم﴾ «ما» شرطية في موضع النصب (﴿مِن شَيْءٍ﴾ **بيانه** ﴿فَهُوَ﴾) ﴿يُخْلِفُهُ﴾ يعوضه لا مُعَوِّض سواه (**إما عاجلًا بالمال أو آجلًا بالثواب**) جواب الشرط ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المطعِمين لأن كل ما رزق غيره من سلطان أو سيد أو غيرهما فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء، وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق. وعن بعضهم: الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممّن يشتهي فكم من مُشْتَهٍ لا يجد وواجد لا يشتهي.

الراء ولا ألف بعد الفاء على التوحيد على إرادة الجنس ولعدم اللبس لأنه معلوم أن لكل أحد غرفة تخصّه. وقد اجتمع على التوحيد في قوله تعالى: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: الآية ٧٥] ولأن الواحد أخفّ فوضع موضع الجمع مع أمن اللبس والباقون بضم الراء وألف بعد الفاء على الجمع جمع سلامة، وقد أجمع على الجمع في قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: الآية ٥٨].

قوله: (﴿مِن شَيْءٍ﴾ **بيانه**) أي من شيء قليل كنصف تمرة. **قوله**: (﴿فَهُوَ﴾) أي الله سبحانه وتعالى.

قوله: (**إما عاجلًا**) أي في الدنيا (**بالمال أو آجلًا**) أي في الآخرة (**بالثواب**) فأو لمنع الخلو لأنه تعالى لكرمه يعوّض في الدنيا بإعطاء المال بدله أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وبالثواب في الآخرة وفيه إشارة إلى رد تخصيصه بالآخرة وإن نقل ذلك عن مجاهد صاحب الكشّاف لما ورد في الأحاديث الصحيحة نحو لكل منفق خلف ولكل ممسك تلف. قنوي رحمه الله.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ **(وبالياء فيهما: حفص ويعقوب)**. هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفّار وارد على المثل السائر:

(إياك أعني واسمعي يا جارة)

قوله: (وبالياء فيهما: حفص ويعقوب) أي قرأ حفص ويعقوب ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ بالياء والباقون بالنون. **قوله:**

(إياكِ أَعْنِي وَاسْمَعي يا جارة[1])

أول مَن قال ذلك سهل بن مالك الفزاريّ وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحياء طَيِء فسأل عن سيّد الحيّ فقيل له: حارثة بن لأم الطائي فأَمّ رحله فلم يصبه شاهدًا فقالت له أخته: انزل في الرحب والسعة فنزل فأكرمته ولاطفته ثم خرجت من خبائها فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم، وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها فوقع في نفسه منها شيء فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك فجلس بفناء الخباء يومًا وهي تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول:

يا أخت خير البدو والحَضاره كيف ترين في فتى فَزاره
أصبح هوى حرَّةً مِعْطاره إياك أعني واسمعي يا جاره

فلما سمعت قوله: عرفت أنه إياها يعني فقالت: ماذا يقول ذي عقل أَرِيب ولا رأي مصيب ولا أَنْفَ نجيب فأقم ما أقمت مكرمًا ثم ارتحل متى شئت مسلمًا، ويقال: أجابته نظمًا فقالت:

إني أقول يا فتى فزاره لا أبتغي الزوج ولا الدعاره[2]
ولا فراق أهل هذي الجاره فارحل إلى أهلك باستخاره

---

(١) الجائر الظالم جمع جَوَرَة وجُوَرة على غير قياس لأن فَعَلة لفاعل من الناقص كقاضٍ وقضاةٍ وجارةٍ وهو اسم جمع كرفقة أو أصله جائرة على تقدير جماعة فحذفت عينه، كذا في المحيط.

(٢) الدِّعارة والدَّعارة، الفسق والخبث والشر، ١٢ منه رحمه الله.

ونحوه قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: الآية ١١٦] الآية.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الملائكة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك أن يعبد معك غيرك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ الموالاة خلاف المعاداة وهي مفاعلة من الولي وهو القرب والولي **(يقع على الموالي والموالَى)** جميعًا، والمعنى أنت الذي تواليه ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبيَّنوا بإثبات موالاة الله ومُعاداة الكفَّار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لأن مَن كان على هذه الصفة كانت حاله مُنافية لذلك ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله، أو كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها، أو صوَّرت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر الإنس أو الكفَّار ﴿بِهِمْ﴾ بالجن ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾.

فاستحيى الفتى وقال: ما أردت منكرًا واسوأتاه قالت: صدقت فكأنها استحيت من تسرّعها إلى تهمه فارتحل فأتى النعمان فحيّاه وأكرمه فلما رجع نزل على أخيها فبينا هو مقيم عندهم تطلعت إليه نفسها وكان جميلًا فأرسلت إليه أن اخطبني إن كان لك إليّ حاجة يومًا من الدهر فإني سريعة إلى ما تريد فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه، يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئًا غيره.

كذا في كتاب مجمع الأمثال للعلّامة أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني(١) النيسابوري رحمه الله تعالى.

قوله: **(يقع على المُوالي)** بكسر اللام **(والمُوالَى)** بفتح اللام وهو هٰهنا بمعنى الموالي يعنون إنما نواليك بالعبودية لك ولا نواليهم بعبادتهم لنا.

---

(١) بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى ميدان زياد بن عبد الرحمٰن وهي محلة في نيسابور، ١٢ منه.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لأن الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منفعة ولا مَضَرَّة لأحد، لأن الدار دار ثواب وعقاب والمُثيب والمُعاقب هو الله. فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مُخَلَّى بينهم يتضارّون ويتنافعون، والمراد أنه لا ضارّ ولا نافع يومئذ إلا هو. ثم ذكر عاقبة الظالمين بقوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بوضع العبادة في غير موضعها معطوف على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي إذا قُرِىء عليهم القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي المشركون ﴿مَا هَٰذَا﴾ أي محمد ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي وقالوا، والعدول عنه دليل على إنكار عظيم وغضب شديد ﴿لِلْحَقِّ﴾ للقرآن أو لأمر النبوّة كله ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وعجزوا عن الإتيان بمثله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي الحق ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بتّوه على أنه سحر ثم بتّوه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سمّاه سحرًا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ أي ما أعطينا مشركي مكة كتبًا يدرسونها فيها برهان على صحة الشِّرك ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ ولا أرسلنا إليهم نذيرًا ينذرهم بالعقاب إن لم يُشرِكوا. ثم توعَّدهم على تكذيبهم بقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي وكذب الذين تقدموهم من الأمم الماضية والقرون الخالية

الرسل كما كذبوا ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي وما بلغ أهل مكة عشر ما أُوتي الأولون من طول الأعمارِ وقوة الأجرام وكثرة الأموال والأولاد ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله.

(**وبالياء في الوصل والوقف: يعقوب**) أي فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغنِ عنهم استظهارهم بما هم مُستَظهِرون، فما بال هؤلاء؟ وإنما قال: ﴿فَكَذَّبُوا۟﴾ وهو مستغنى عنه بقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ لأنه لما كان معنى قوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدَموا عليه جعل تكذيب الرُّسُل (**مُسَبَّبًا عنه**) وهو كقول القائل: «أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ».

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ بخصلة واحدة وقد فسَّرها بقوله: ﴿أَن تَقُومُوا۟﴾ على أنه عطف بيان لها وقيل هو بدل، وعلى هذين الوجهين هو في محل الجر. وقيل: هو في محل الرفع على تقدير وهي أن تقوموا، والنصب على تقدير أعني، وأراد بقيامهم القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرّقهم عن مجتمعهم عنده، أو قيام القصد إلى الشيء دون النهوض والانتصاب، والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلَّصتم وهي أن تقوموا ﴿لِلَّهِ﴾ أي لوجه الله خالصًا لا لحَمِيَّة ولا عصبية بل لطلب الحق ﴿مَثْنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ فردًا فردًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ في أمر محمد ﷺ وما جاء به، أما الاثنان فيتفكّران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والإنصاف حتى يؤديهما النظر الصحيح إلى الحق، وكذلك الفرد يتفكر في نفسه

قوله: (**وبالياء في الوصل والوقف: يعقوب**) في الإتحاف أثبت الياء في نكير وصلًا ورش وفي الحالين يعقوب. اهـ.

قوله: (**مسببًا عنه**) أي عن كونهم أهل التكذيب فعطف عليه عطف المسبب على السبب.

بعدل و(**نصفة**) ويعرض فكره على عقله. ومعنى تفرّقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما (**يشوش الخواطر**) ويعمي البصائر ويمنع من الرَّوِيَّة ويَقِلُّ الإنصاف فيه ويكثر (**الاعتساف ويثور عجاج**) التعصّب ولا يسمع إلا نصرة المذهب. و﴿تَتَفَكَّرُواْ﴾ معطوف على ﴿تَقُومُواْ﴾ ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون. والمعنى ثم تتفكّروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنَّة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قدام عذاب شديد وهو عذاب الآخرة وهو كقوله عليه السلام: بعثت بين يدي الساعة». ثم بيّن أنه لا يطلب أجرًا على الإنذار بقوله:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ على إنذاري وتبليغي الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جزاء الشرط تقديره أي شيء سألتكم من أجْر كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: الآية ٢] ومعناه نفي مسألة الأجر رأسًا نحو ما لي في هذا فهو لك أي ليس فيه شيء (﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ **مدني وشامي وأبو عمرو وحفص**)، وبسكون الياء: غيرهم ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ فيعلم أني لا أطلب الأجْر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه.

قوله: (**نصفة**) في المصباح أنصفت الرجل إنصافًا عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتحتين لأنك أعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك. اهـ.

قوله: (**يشوش الخواطر**) أي يفرق الأفكار. **قوله**: (**الاعتساف**) في مختار الصحاح العسف الأخذ على غير الطريق وبابه ضرب، وكذا التعسّف والاعتساف. اهـ. **قوله**: (**يثور**) في المصباح ثار الغبار يثور ثورًا وثؤورًا على فعول وثورانًا هاج. اهـ. **قوله**: (**عجاج**) في لسان العرب العَجَاج الغُبَار. اهـ.

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ **مدنيّ وشاميّ وأبو عمرو وحفص**...) الخ أي قرأ نافع المدنيّ وابن عامر الشاميّ وأبو عمرو وحفص ﴿أَجْرِىَ﴾ في الوصل بفتح الياء والباقون بالسكون.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ بالوحي. والقذف توجيه السهم ونحوهِ بدفع واعتماد ويُستعار لمعنى الإلقاء ومنه ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٦]، ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ [طه: الآية ٣٩]، ومعنى يقذف بالحق يُلقيه ويُنزله على أنبيائه **(أو يرمي به الباطل)** فيدمغه ويزهقه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ مرفوع على البدل من الضمير في ﴿يَقْذِفُ﴾ أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام والقرآن ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي زال الباطل وهلك لأن الإبداء والإعادة من صفات الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك، والمعنى جاء الحق وزهق الباطل كقوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: الآية ٨١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة أصنام فجعل يطعنها بعود معه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد». وقيل: الباطل الأصنام. وقيل: إبليس لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان مَن شاطَ إذا هلك أي لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحدًا ولا يبعثه فالمنشىء والباعث هو الله. ولما قالوا: قد ضللت بترك دين آبائك قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ إن ضللت فمني وعليّ ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ أي فبتسديده بالوحي إليّ. وكان قياس التقابل أن يقال وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كقوله: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]. **(ولكن هما متقابلان معنى)**، لأن النفس كل ما عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء، وما لها مما ينفعها فبهداية

قوله: (أو يرمي به الباطل) تصوير لإبطاله ومبالغة فيه. وكذا الكلام في فيدمغه إذ الدمغ وهو كسر الدماغ بحيث يشقّ غشاؤه المؤدّي إلى زهوق الروح وهو تصوير لإبطاله على نهج المبالغة.

قوله: (ولكن هما متقابلان معنى...) الخ فالموضعان مشتملان على بيان السبب وإن اشتمل الأول على بيان مآل الضلال أيضًا.

ربها وتوفيقه، وهذا حكم عام لكل مكلّف، وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لما أقوله لكم ﴿قَرِيبٌ﴾ مني ومنكم يجازيني ويجازيكم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف أي لرأيت أمرًا عظيمًا وحالًا هائلة ﴿إِذْ فَزِعُواْ﴾ عند البعث أو عند الموت أو يوم بدر ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا مهرب أو فلا يفوتون الله ولا يسبونه ﴿وَأُخِذُواْ﴾ عطف على ﴿فَزِعُواْ﴾ أي فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا (**أو من صحراء بدر إلى القليب**).

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ حين عاينوا العذاب ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد عليه السلام لمرور ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: الآية ٤٦] أو بالله ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ التناوش: التناول أي كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم، يريد أن التوبة كانت تقبل منهم في الدنيا وقد ذهبت الدنيا وبعدت من الآخرة. وقيل: هذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا، (**مثلت حالهم بحال مَن يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناول الآخر من قيس ذراع**. ﴿التناؤش﴾ **بالهمزة: أبو عمرو وكوفي غير حفص**)

قوله: (**أو من صحراء بدر إلى القليب**) والقليب البئر قبل أن تطوى يذكر ويؤنث والمراد بها بئر معينة ببدر، والبدر ماء بين مكة والمدينة رمي فيها القتلى من المشركين وخاطبهم رسول الله ﷺ بقوله: «فهل وجدتم ما وعد ربكم...» الخ. **قوله**: (**مثلت حالهم بحال مَن يريد أن يتناول الشيء من غَلْوة كما يتناول الآخر من قِيس ذراع**) تناولًا سهلًا لا تعب فيه. **وقوله**: (**من غلوة**) الغلوة رمية سهم. **وقوله**: (**من قِيس**) في لسان العرب القِيْس والقاس القَدْرُ يقال: قِيْس رمح وقاسه. اهـ. **قوله**: (﴿**التناؤش**﴾ **بالهمزة: أبو عمرو كوفي غير حفص**) أي قرأ أبو

همزت الواو لأن كل واو مضمومة ضمّتها لازمة إن شئت أبدلتها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك: «أدور وتقاوم»، وإن شئت قلت: «أدؤر وتقاؤم». **(وعن ثعلب)**: التناؤش بالهمز التناول من بعد، وبغير همز التناول من قرب.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ من قبل العذاب أو في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ معطوف على ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا

عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي بعد الألف بهمزة مضمومة والباقون بعد الألف بواو مضمومة.

قوله: (وعن ثعلب) هو أبو العباس أحمد بن يحيىٰ بن زيد بن سَيَّار النحويّ المعروف بثعلب كان إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار. وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر بن الأنباري وأبو عمر الزاهد وغيرهم، وكان ثقة حجة صالحًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم مقدمًا عند الشيوخ منذ هو حدث. وكان ابن الأعرابيّ إذا شكَّ في شيء قال له ما تقول يا أبا العباس في هذا ثقة بغزارة حفظه.

وقال أبو بكر بن مجاهد المقري قال لي ثعلب: يا أبا بكر اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا واشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة فانصرفت من عنده فرأيت النبيّ ﷺ تلك الليلة في المنام فقال لي: أقرىء أبا العباس عني السلام وقل له أنت صاحب العلم المستطيل قال أبو عبد الله الروزباريّ العبد الصالح: أراد أن الكلام به يكمل والخطاب به يجمل وأن جميع العلوم مفتقرة إليه. وُلد في سنة مائتين لشهرين مضيا منها وتُوفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى وقيل: لعشر خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ودُفن بمقبرة باب الشام رحمه الله تعالى.

ومن تصانيفه كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة. وكتاب المصون، وكتاب اختلاف النحويين، وكتاب معاني القرآن، وكتاب ما تلحن فيه

يتكلمون بالغيب أو بالشيء الغائب يقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن الصدق أو عن الحق والصواب، أو هو قولهم في رسول الله ﷺ شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والأمر الخفي لأنهم لم يشاهدوا منه سحرًا ولا شعرًا ولا كذبًا.

وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأنه أبعد شيء مما جاء به السحر والشعر وأبعد شيء من عاداته التي عرفت بينهم وجربت الكذب (﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ **عن أبي عمرو وَعليّ البناء للمفعول)** أي تأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم إياه وإن شئت فعلقه بقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ على أنه مثَّلهم في طلبهم تحصيل ما عطَّلوه من الإيمان في الدنيا بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ في الآخرة وذلك مطلب مُستَبعد بمَن يقذف شيئًا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبًا عنه بعيدًا.

ويجوز أن يكون الضمير في ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ للعذاب الشديد في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: الآية ٤٦].

وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين إن كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قائسين أمر الآخرة على أمر الدنيا، فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف.

العامة، وكتاب القراءات، وكتاب معاني الشعر، وكتاب التصغير، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب ما يجري وما لا يجري، وكتاب الشواذ، وكتاب الأمثال، وكتاب الأيمان، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب الألفاظ، وكتاب الهجاء، وكتاب المجالس وكتاب الأوسط، وكتاب إعراب القرآن وكتاب المسائل، وكتاب حد النحو وغير ذلك.

قوله: (﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ **عن أبي عمرو وعليّ البناء للمفعول)** وفي نسخة ويقذفون محبوب عن أبي عمرو على البناء للمفعول عبارة السمين، وقرأ أبو حيوة ومجاهد ومحبوب عن أبي عمرو ويقذفون مبنيًا للمفعول.اهـ. وعبارة الكشّاف وقرىء ﴿ويقذفون بالغيب﴾ على البناء للمفعول.اهـ.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَحِيلَ﴾ وحجز ﴿بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الرد إلى الدنيا كما حُكِي عنهم بقوله: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: الآية ١٢] والأفعال التي هي ﴿فَزِعُوا۟﴾ ﴿وَأُخِذُوا۟﴾ ﴿وَحِيلَ﴾ كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لتحقّق وقوعه ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ بأشباههم من الكفرة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ﴾ من أمر الرُّسُل والبعث ﴿مُّرِيبٍۭ﴾ موقع في الريبة من أرابه إذا أوقعه في الريبة، هذا ردٌّ على مَن زعم أن الله لا يعذب على الشك والله أعلم.

وعبارة البيضاوي وأبي السعود وقرىء ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم. اهـ.

وعبارة كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة مجاهد ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ بضم الياء وفتح الذال. اهـ. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

تمّت سورة سبأ والحمد لله على التمام،
وعلى سائر الإنعام، والصلاة والسلام على سيّد الأنام،
وعلى آله وأصحابه الكرام، ما دام تحرك الفلك في الليالي والأيام

(سورة الملائكة) فاطر

مكية وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد ذاته تعليمًا وتعظيمًا ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدئها ومبتدعها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها. أي ابتدأتها ﴿وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى عباده ﴿أُوْلِيٓ﴾ ذوي اسم جمع لذو وهو بدل من ﴿رُسُلًا﴾ أو نعت له ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ جمع جناح ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفات لأجنحة، وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أُخر كما عدل عمر عن عامر وعن تكرير إلى غير تكرير. وقيل: للعدل والوصف والتعويل عليه، والمعنى أن الملائكة طائفة أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل واحد منهم جناحان، وطائفة أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّهما بقوة، وطائفة أجنحتهم أربعة أربعة ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ أي يزيد في خلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الملائكة**) وتُسمى سورة فاطر.

الأجنحة وغيره ﴿مَا يَشَآءُ﴾ وقيل: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن والخط الحسن والملاحة في العينين، والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش و(**حصافة**) في العقل و(**جزالة**) في الرأي و(**ذلاقة**) في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ نكرت الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من آية رحمة رزق أو مطر أو صحة أو غير ذلك ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، واستعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ يمنع ويحبس ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ مطلق له ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد إمساكه. وأنت الضمير الراجع إلى الإسم المتضمن معنى الشرط على معنى الرحمة، ثم ذكره حملًا على اللفظ المرجع إليه إذ لا تأنيث فيه لأن الأول فسّر بالرحمة فحَسُن اتباع الضمير التفسير، ولم يفسّر الثاني فترك على أصل التذكير. (**وعن معاذ بن جبل**) مرفوعًا: «لا تزال يد الله مبسوطة على هذه الأمة ما لم يرفق خيارهم بشرارهم ويعظم برّهم فاجرهم تُعِنْ قراؤهم أمراءهم على معصية الله فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده عنهم». ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الإرسال والإمساك ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه.

قوله: (**حصافة**) بالحاء والصاد المهملتين والفاء في العقل أي استحكامه وقوته كما في القاموس. **قوله**: (**جَزَالة**) أي جَوْدة. **قوله**: (**ذَلَاقة**) أي فصاحة.

قوله: (**عن معاذ بن جبل**) بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي وكان يكنّى أبا عبد الرحمٰن وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة وتُوفي في طاعون عمواس(١) سنة ثمان عشرة وكان عمره ثمان وثلاثين سنة.

---

(١) قوله: عمواس بالفتح بلدة في الشام بقرب المقدس وكانت قديمًا مدينة عظيمة وطاعون عمواس كان في أيام عمر رضي الله عنه كذا في المصباح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ﴾ باللسان والقلب ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ وهي التي تقدّمت من بسط الأرض كالمِهاد، ورفع السماء بلا عماد، وإرسال الرُّسُل لبيان السبيل دعوة إليه وزلفة لديه، والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق. ثم نبّه على رأس النِّعَم وهو اتحاد المُنعِم بقوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ برفع ﴿غَيۡرِ﴾ على الوصف لأن ﴿خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي لكم. (**وبالجر: عليّ وحمزة على الوصف لفظًا**) ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ يجوز أن يكون مستأنفًا ويجوز أن يكون صفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بأنواع النبات ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مفصولة لا محل لها ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فبأيّ وجه تُصرَفون عن التوحيد إلى الشِّرك.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤﴾

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ نعى به على قريش سوء تلقّيهم لآيات الله وتكذيبهم بها، وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبلهُ أُسوة ولهذا نكر ﴿رُسُلٞ﴾ أي رسل ذوو عدد كبير وأولو آيات ونُذُر وأهل أعمال طِوال وأصحاب صبر وعزم لأنه أسلى له، وتقدير الكلام وإن يكذّبوك فتأس بتكذيب الرُّسُل من قبلك لأن الجزاء يتعقب الشرط، ولو أجري على الظاهر يكون سابقًا عليه. ووضع ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ موضع «فتأس» استغناء بالسبب عن المسبّب أي بالتكذيب عن التأسّي ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ كلام يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومُجازاة المكذِّب والمكذَّب بما يستحقانه، (﴿ترجع﴾ **بفتح التاء: شامي وحمزة وعليّ ويعقوب وخلف وسهل**).

قوله: (**وبالجر: عليّ وحمزة على الوصف لفظًا**) أي قرأ علي الكسائي وحمزة بكسر الراء نعتًا لخالق على اللفظ و﴿مِّنۡ خَٰلِقٍ﴾ [فاطر: الآية ٣] مبتدأ فزاد فيه من والباقون بالرفع.

قوله: (﴿ترجع﴾ **بفتح التاء: شاميّ وحمزة وعليّ ويعقوب وخلف وسهل**) أي قرأه ابن عامر الشامي وحمزة وعليّ الكسائي وهم من السبعة ويعقوب بن

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّۖ﴾ كائن ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنَّكم التمتّع بها والتلذّذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ (ٱلْغَرُورُ)﴾ أي الشيطان فإنه يمنّيكم الأمانيّ الكاذبة ويقول: إن الله غنيٌّ عن عبادتك وعن تكذيبك ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تعاملونه معاملة مَن لا علم له بأحواله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ في عقائدكم وأفعالكم ولا يوجَدَنَّ منكم إلا ما يدلّ على مُعاداته في سرِّكم وجهركم. ثم لخّص سرّ أمره وخطأ مَن اتبعه بأن غرضه الذي يؤمّه في دعوة شيعته هو أن يوردهم مورد الهلاك بقوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾

ثم كشف الغطاء فبنى الأمر كله على الإيمان وتركه فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ﴾ أي فمَن أجابه حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من حزبه أي أتباعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ولم يُجيبوه ولم يصيروا من حزبه بل عادوه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ لكبر جهادهم. ولما ذكر الفريقين قال

إسحٰق وخلف بن هشام وسهل بن محمد وليسوا من السبعة في الإتحاف وقرأ ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بضم التاء وفتح الجيم مبنيًا للمفعول نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر. اهـ.

وقوله: (وأبو جعفر) هو يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة.

قوله: (﴿ٱلْغَرُورُ﴾) بالفتح صيغة للمبالغة كالصبور والشكور وقرىء[1] بالضم وهو مصدر كالجلوس أو جمع غار كقاعد وقعود.

---

(١) القارىء أبو السماك وأبو حيوة.

لنبيِّه عليه السلام:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ بتزيين الشيطان كمن لم يزين له فكأن رسول الله ﷺ قال: لا، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ وذكل **(الزجّاج)** أن المعنى: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة، فحذف الجواب لدلالة ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾ عليه، أو أفمن زُيِّنَ له سوء علمه كمَن هداه الله فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ عليه. ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾: يريد أي لا تهلكها ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾ مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ صلة ﴿تَذۡهَبۡ﴾ كما تقول: هلك عليه حبًّا ومات عليه حزنًا. **(ولا يجوز أن يتعلق بـ ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾)** لأن المصدرَ لا تتقدم عليه صلته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ **(﴿ٱلرِّيحُ﴾ مكي وحمزة وعليّ)** ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ﴾ **(﴿مَّيِّتٖ﴾ بالتشديد: مدني)** وحمزة وعلي وحفص، وبالتخفيف: غيرهم. ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ﴾ بالمطر لتقدم ذكره ضمنًا ﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ يبسها. وإنما قيل: ﴿فَتُثِيرُ﴾

قوله: **(الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: **(ولا يجوز أن يتعلّق بـ ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾...)** الخ وجمع الحسرات مع كونه مصدرًا يحتمل القليل والكثير للدلالة على كثرة أفراد نفس اغتمامه أو للدلالة على كثرة أفراد ما يكون سببًا لاغتمامه من أحوالهم القبيحة فعلى الأول تكون حسرات حقيقة، وعلى الثاني تكون مجازًا مرسلًا على طريق إطلاق اللازم وإرادة الملزوم.

قوله: **(﴿ٱلرِّيحُ﴾ مكيّ وحمزة وعليّ)** أي قرأ ابن كثير المكيّ وحمزة وعليّ الكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع. **قوله**: **(﴿مَيِّتٌ﴾ بالتشديد)** أي بتشديد الياء.
قوله: **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ.

لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة الدّالّة على القدرة الربّانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، وكذلك سَوْق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها. لمّا كان من الدليل على القدرة الباهرة قيل: فسُقنا وأحيينا **(معدولًا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخَل في الاختصاص وأدلّ عليه)** ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ الكاف في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات، قيل: يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمَنِيِّ الرجال **(تنبت منه أجساد الخلق)**.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ أي العزّة كلها مختصّة، بالله عزّة الدنيا وعزّة الآخرة وكان الكافرون يتعزّزون بالأصنام كما قال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم: الآية ٨١]. والذين آمنوا بألسنتهم من غير مُواطأة قلوبهم كانوا يتعزّزون بالمشريكن كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: الآية ١٣٩]. فبيّن أن لا عزّة إلا بالله. والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه لأن الشيء لا يُطلَب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك: «مَن أراد النصيحة فهي عند الأبرار». تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدلّ عليه مقامه، وفي حديث «إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمَن أراد عزّ الدّارين فليُطِع العزيز». ثم عرّف أن ما يُطلَب به العزّة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ ومعنى قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى محل القبول والرّضا وكل ما اتّصف بالقبول وصف بالرّفعة والصعود، أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حُكمه والكَلِم الطيب كلمات التوحيد أي لا إلـه إلّا الله. وكان

قولـه: (معدولًا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه) وجه دلالة ضمير المتكلم على قوة الاختصاص وكونه أدخل فيه كونه أعرف من الغائب إذ لا التباس فيه بخلاف الغائب فإنه لا يخلو عن شوب اللبس. **قولـه: (تنبت منه)** أي بسببه **(أجساد الخلق)** من عجز الذنب على ما ورد في الآثار.

القِياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يُذَكَّر ويُؤَنَّث. والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكَلم الطيب فالرافِع الكَلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا مَن هو موحّد. وقيل: الرافع الله والمرفوع العمل، أي العمل الصالح يرفعه الله، وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكَلم الطيب يصعد بنفسه. وقيل: العمل الصالح يرفع العامِل ويُشرِّفه، أي مَن أراد العزَّة فليعمل عملًا صالحًا فإنه هو الذي يرفع العبد ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هي صفة لمصدر محذوف أي المكرات السيئات لأن مكر فعل غير متعَدٍّ، لا يُقال مكر فلان عمله. والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا **(في دار الندوة كما قال الله تعالى:** ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ﴾) [الأنفال: الآية ١٣٠] **(الآية)**، ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ في الآخرة، ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿يَبُورُ﴾ خبر أي ومكر أولئك الذين مكروا هو خاصَّة يبور أي يفسد ويبطل دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم **(في قليب بدر)** فجمع عليهم مكراتهم جمعاء حقّق بهم قوله تعالى: (﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾)

قوله: (في دار النَّدْوة) أي في الدار التي تقع فيها الندوة أي الاجتماع والتحدّث فالندوة مصدر ودار الندوة هي التي بناها قصيّ بمكة كانوا يجتمعون فيها للمشاورة لأن يتفقوا على رأي في شأن رسول الله ﷺ ويمكروا به فلما حجّ معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي.

قوله: (كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ﴾[1] **الآية)** في تفسير الجلالين واذكر يا محمد (﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة[2] (﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾) يوثقوك ويحبسوك (﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾) كلهم قتلة رجل واحد (﴿أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾) من مكة (﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾) بك (﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج (﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾) أعلمهم به. اهـ. **قوله: (في قليب بدر)** القليب البئر قبل أن تطوى يذكر ويؤنث

---

(١) الإثبات الحبس وقيل: جرح مُوهِن لا يقدر المجروح معه على الحركة.

(٢) رواه يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري ثلاثة زيد ورَوْح ورُوَيْس.

[الأنفال: الآية ٣٠]، وقوله: ﴿(وَلَا يَحِيقُ) ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: الآية ٤٣].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم﴾ (أي أباكم) ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ أنشأكم ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا أو ذكرانًا وإناثًا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ هو في موضع الحال أي إلا معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي وما يعمر من أحد. وإنما سمّاه معمرًا بما هو صائر إليه ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني اللوح أو صحيفة الإنسان (ولا ينقص زيد). فإن قلت: الإنسان إما معمّر أو طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره، فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمُحال فكيف صحّ قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾؟ قلت: هذا من الكلام المُتسامَح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتّكالًا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس يقولون: لا يُثيب الله عبدًا ولا يعاقبه إلا بحق. أو تأويل الآية أنه يُكتَب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة ثم يُكتَب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك نقصان عمره. وعن (قتادة): المعمّر مَن يبلغ ستين سنة والمنقوص مَن عمره مَن يموت قبل ستين سنة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي إحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل.

والمراد بها بئر معينة ببدر وبدرٌ ماء بين مكة والمدينة. **قوله**: (﴿وَلَا يَحِيقُ﴾) يحيط وينزل.

قوله: (أي أباكم) فيكون المضاف مقدرًا. **قوله**: (ولا ينقص زيد) أي قرأه زيد بن أحمد بن إسحٰق بفتح الياء التحتية وضم القاف مبنيًا للفاعل وهو ضمير المعمر والباقون بضم الياء وفتح القاف مبنيًا للمفعول والنائب مستتر يعود على المعمر أيضًا. وفي تفسير النيسابوري ولا ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس.اهـ. **وقوله**: رَوْح بن عبد المؤمن. **قوله**: (قتادة) بن دِعَامة بكسر الدال المهملة ابن قتادة بن عَزِيز البصري التابعي وُلد أعمى سمع أنس بن

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا﴾ أي أحدهما ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة. وقيل: (هو) الذي **(يكسر العطش** ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ **مريء)** سهل **(الانحدار)** لعذوبته **(وبه ينتفع شرابه)** ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة. وقيل: **(هو الذي يحرق بملوحته)** ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ ومن كل واحد منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كل ﴿مَوَاخِرَ﴾ شواق للماء بجريها. يقال: مَخَرَت السفينة الماء أي شقته وهي جمع ماخرة

مالك وعبد الله بن سرجس وأبا الطفيل وابن المسيّب وأبا عثمان النهدي والحسن وابن سيرين وعكرمة وزرارة بن أوفى والشعبي وخلائق غيرهم من التابعين روى عنه جماعة من التابعين منهم سليمان التيمي وحميد الطويل والأعمش وأيوب وخلائق من تابعي التابعين منهم مطر الورّاق وجرير بن حازم وشعبة والأوزاعي وغيرهم، وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله تُوفي قتادة سنة سبع عشرة وقيل: ثمان عشرة ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين.

قوله: (هو) أي الفرات **(الذي يكسر العطش)** أي يزيله والكسر مستعار للإزالة لأنه كسر معنويّ كما أن إيمان المؤمن يكسر الأهواء الرديئة ويقمع الشهوات الشهية. **قوله:** (﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾) يقال: ساغ الشراب يسوغ سوغًا أي سهل دخوله في الحلق لعذوبته لا يتنفر منه شاربه بل يجذبه طبعه لملائمته له وسغته أنا يتعدى ولا يتعدى. **قوله:** **(مريء)** بفتح الميم وبالمد وبالهمزة هو المحمود العاقبة لا وباء فيه **في لسان العرب** يقال: مَرَاءَني الطعام وأمرأني إذا لم يثقل على المعدة وانحدر عنها طيبًا. اهـ. **قوله:** **(الانحدار)** الانهباط كذا في مختار الصحاح. **قوله:** **(وبه ينتفع شرابه)** لاعتماده على المبتدأ. **قوله:** (هو) أي الأجاج **(الذي يحرق)** أي يؤذي مَن يتناوله **(بملوحته)** كما أن الكفر يحرق الفؤاد ويقطع الأكباد ويفسد الفطرة السليمة ويوصل إلى الشقاوة المؤبدة فالإحراق هنا أيضًا مستعار للأذية.

﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ﴾ من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجرِ لم يشكُل لدلالة المعنى عليه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ما أتاكم من فضله. ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر. ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علّق بهما من نعمته وعطائه، ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبّه الجنسين بالبحرين ثم يفضّل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجَرْي الفُلْك فيه. والكافر خلوّ من النفع فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ﴾ [البقرة: الآية ٧٤].

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يُدخِل من ساعات أحدهما في الآخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعًا ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي ذلّل أضواء صوره لاستواء سيره ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يوم القيامة ينقطع جريهما ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أخبار مترادفة أو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبر إن و﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها من دون الله (**يدعون قتيبة**) ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ هي القشرة الرقيقة الملتفّة على (**النواة**).

قوله: (**يدعون**) على الغيبة (**قُتَيْبة**[1]) بن مهران الأزراني. **قوله**: (**النَواة**) عجمة[2] التمر.

---

(١) لعلي الكسائي ستة رواة أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران ونُصَير بن يوسف وأبو الحارث وأبو حمدون وحمدون بن ميمون وأبو عمر.

(٢) واحدة العجم بفتحتين.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ على سبيل الفرض ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لأنهم لا يدّعون ما تدّعون لهم من الإلـهية ويتبرؤون منها ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم ويقولون ما كنتم إيّانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولا ينبئك أيها المفتون بأسباب الغرور كما ينبئك الله الخبير (**بخبايا الأمور**) وتحقيقه ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالِم به يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به، والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال (**ذو النون**): الخلق مُحتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجودهم به وبقاؤهم به! ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الأشياء أجمع ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود بكل لسان، ولم يُسَمّهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الأغنياء، وذكر الحميد ليدلّ به على أنه الغني النافع بغِناه خلقه والجَواد المُنعِم عليهم إذ ليس كل غني نافعًا بغِناه إلا إذا كان الغني جوادًا مُنعِمًا وإذا جاد وأنعَم حمده المُنعَم عليهم. قال (**سهل**): لمّا خلق الله الخَلْق حكم لنفسه بالغِنى ولهم بالفقر، فمَن ادّعى الغِنى حجب عن الله، ومَن أظهر فقره أوصله فقره إليه. فينبغي للعبد أن

قوله: (**بخبايا الأمور**) في **لسان العرب** الخبء كل شيء غائب مستور وخبأت الشيء خَبْأً إذا أَخْفَيْتُه والخَبْءُ والخَبِيء والخَبِيئَة الشيء المَخْبُوءُ.اهـ. وأيضًا فيه واحد الخبايا خَبِيْئَة مثل خطيئة وخطايا.اهـ.

قوله: (**ذو النون**) المصري اسمه ثوبان بن إبراهيم. وقيل: الفيض بن إبراهيم تُوفي سنة خمس وأربعين ومائتين كان أوحد وقته علمًا وورعًا وحالًا وأدبًا وهو معدود في جملة مَن روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، وكان رجلًا نحيفًا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية. **قوله**: (**سهل**) بن عبد الله التستري

يكون مُفتَقِرًا بالسرّ إليه ومنقطعًا عن الغير إليه حتى تكون عبوديته مَحضَة، فالعبودية هي الذلّ والخضوع وعلامته أن لا يسأل من أحد. وقال (**الواسطي**): مَن استغنى بالله لا يفتقر ومَن تعزّز بالله لا يذلّ. وقال (**الحسين**): على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غنيًا بالله وكلما ازداد افتقارًا ازداد غِنًى. وقال (**يحيى بن معاذ**): الفقر خير للعبد من الغني لأن المَذَلّة في الفقر والكِبْر في الغنى، والرجوع إلى الله بالتواضع، والذلّة خير من الرجوع إليه بتكثير الأعمال. وقيل: صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء. وقال (**الشبلي**): الفقر يجرّ (**البلاء**) وبلاؤه كله عزٌّ.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ كلكم إلى العدم فإن غِناه بذاته لا بكم في القِدَم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو بدون حمدكم حميد ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإنشاء والإفناء ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بممتنع. وعن ابن عباس: يخلق بعدكم مَن يعبده لا يُشرِك به شيئًا.

أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج، تُوفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين. **قوله**: (**الواسطي**) هو أبو بكر محمد بن موسى خراساني الأصل من فرغانة صحب الجنيد والنوري عالم كبير الشأن، أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة.

قوله: (**الحسين**) بن علي بن يزدانيار من أرمينية له طريقة يختص بها في التصوّف وكان عالمًا ورعًا وكان ينكر على بعض العارفين في إطلاقات وألفاظ لهم. **قوله**: (**يحيى بن معاذ**) الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. **قوله**: (**الشبلي**) هو أبو بكر دلف بن جحدر بغدادي المولد والمنشأ وأصله من أسروشنة صحب الجُنيد ومن في عصره وكان نسيج وحده حالًا وظرفًا وعلمًا مالكيّ المذهب عاش سبعًا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد. **قوله**: (**البلاء**) في الصحاح للجوهري البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر. اهـ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ **(ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى)**. والوِزر والوقر أخوان، ووَزر الشيء إذا حمله، والوازرة صفة للنفس، والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وِزرها الذي اقترفته لا تؤاخَذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الوليّ بالوليّ والجار بالجار. وإنما قيل: ﴿وَازِرَةٌ﴾ ولم يقل ولا تزر نفس وِزْرَ أخرى، لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهنّ واحدة إلا حاملة وِزرها لا وِزْر غيرها. وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: الآية ١٣] وارِد في الضالِّين المُضِلِّين فإنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وِزْر غيرهم، ألا ترى كيف كذَّبهم الله تعالى في قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: الآية ١٢]، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي نفس مُثقَلَة بالذنوب أحدًا ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ ثقلها أي ذنوبها ليتحمَّل عنها بعض ذلك ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ أي المَدعو وهو مفهوم من قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ﴾ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ذا قرابة قريبة كأب أو ولد أو أخ. والفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ومعنى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ أن الأول دالٌّ على عدل الله في حكمه وأن لا يؤاخذ نفسًا بغير ذنبها، والثاني في بيان أنه لا غِياث يومئذ لمن استغاث حتى إن نفسًا قد أثلتها الأوزار لو دعت إلى أن يخفّف بعض وقرها لم نُجب ولم تُغث وإن كان المدعو بعض قرابتها ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ أي إنما ينتفع بإنذارك هؤلاء ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل **(أو المفعول)** أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائبًا عنهم. وقيل: بالغيب في

قوله: **(ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى)** إشارة إلى أن وزرت الشيء وهي وازرة بمعنى حملته فهي حاملة وأن وازرة صفة محذوف للعلم به وإن الوزر بمعنى الحمل مستعار للإثم تشبيهًا له بالحمل في كونه مؤذيًا لصاحبه. **قوله**: **(أو المفعول)** المقدر لأن تقدير ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخشون عذاب ربهم فحذف المضاف.

السر حيث لا اطّلاع للغير عليه ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في مواقيتها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهّر بفِعْل الطاعات وترك المعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكّي ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع وهو وعد للمُتزكّي بالثواب.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ مثل للكافر والمؤمن أو للجاهل والعالِم ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ مثل الكفر ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ للإيمان ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ الحق والباطل أو الجنة والنار. والحرور الريح الحارّ كالسَّموم إلا أن السَّموم تكون بالنهار والحَرور بالليل والنهار. **(عن الفراء)** ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وزيادة. «لا» لتأكيد معنى النفي. والفرق بين هذه الواوات أن بعضها ضُمَّت شفعًا إلى شفع وبعضها وترًا إلى وتر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ يعني أنه قد علم مَن يدخل في الإسلام ممَّن لا يدخل فيه فيهدي مَن يشاء هدايته، وأما أنت فخَفِي عليك أمرهم فلذلك تحرص على إسلام قوم مخذولين. شبّه الكُفّار بالموتى حيث لا ينتفعون بمَسموعهم.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممَّن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المُصِرِّين فلا عليك.

قوله: (عن الفراء) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الكوفيّ كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب وكان يميل إلى الاعتزال وتُوفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة، والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وإنما قيل له: فرّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام. ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ **(حال من أحد الضميرين يعني محقًّا أو محقّين)** أو صفة للمصدر أي إرسالًا مصحوبًا بالحق ﴿بَشِيرًا﴾ بالوعد ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالوعيد ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ وما من أمة قبل أمتك. والأمة: الجماعة الكثيرة وجد عليه أُمة من الناس ولا يقال لأهل كل عصر أُمة، والمراد هنا أهل العصر وقد كانت آثار النذارة باقية فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلم تَخْلُ تلك الأُمم من نذير، وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام بعث محمد عليه السلام ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يخوِّفهم **(وخامة)** الطغيان وسوء عاقبة الكفران، واكتفى بالنذير عن البشير في آخر الآية بعدما ذكرهما لأن النذارة مشفوعة بالبشارة فدلَّ ذِكر النذارة على ذِكر البشارة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ حال و«قد» مضمرة ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وبالصُّحُف ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ أي التوراة والإنجيل والزَّبور. ولما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسنَد المجيء بها إليهم إسنادًا مطلقًا وإن كان بعضها في جميعهم ـ وهي البيِّنات ـ وبعضها في بعضهم ـ وهي الزُّبُر والكتاب ـ وفيه **(مسلاة)** لرسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ﴾ عاقبت ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنواع العقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم وتعذيبي لهم.

قوله: **(حال من أحد الضميرين يعني محقًّا أو محقّين)** يعني أن قوله بالحق يجوز أن يكون حالًا من فاعل أرسلناك أي محقين أو من مفعوله أي محقًّا. قوله: **(وخامة)** أي ثقل.

قوله: **(مسلاة)** أي تسلية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ أجناسها من الرُّمَّان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يُحصَر أو هيئاتها من الحُمرة والصُّفرة والخُضرة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ طرق مختلفة (**جمع جدة كمدة**) ومدد ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ جمع غربيب وهو تأكيد للأسود. يقال: أسود غربيب وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب. وكان من حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: «أصفر فاقع» (**إلا أنه أضمر المؤكد قبله والذي بعده تفسير للمضمر**)، وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدلّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعًا، ولا بدَّ من تقدير حذف المضاف في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ أي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه، كما قال: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ يعني ومنهم بعضٌ مختلف ألوانه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ (**أي كاختلاف الثمرات والجبال**). ولمّا قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وعدَّد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفِطَر المختلفة الأجناس وما يستدلّ به عليه وعلى صفاته، أتبَع ذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى

قوله: (**جمع جدة**) بالضم. **قوله**: (**كمدة**) في المصباح المدة البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير والجمع مدد مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: (**إلّا أنه أضمر المؤكد قبله والذي بعده تفسير للمضمر**) والتقدير وسود غرابيب سود.

قوله: (**أي كاختلاف الثمرات والجبال**) إشارة إلى أن محل الكاف في كذلك النصب على أنه صفة لمصدر محذوف والمعنى ومن الناس والدّواب والأنعام بعض أو نوع أو صنف مختلف ألوانه اختلافًا كائنًا كاختلاف الثمرات والجبال على أن قوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ صفة لموصوف محذوف وهو مبتدأ والجار والمجرور قبله

﴿ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي العلماء به الذين عَلِموه بصفاته فعظَّموه، ومَن ازداد علمًا به ازداد منه خوفًا، ومَن كان علمه به أقل كان آمَن. وفي الحديث «أعلَمُكم بالله أشدُّكم له خشية» وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يُؤذِن أن معناه أن الذين يخشون الله من عباده العلماء دون غيرهم ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٩] وبينهما تغاير، ففي الأول بيان أن الخاشعين هم العلماء، وفي الثاني بيان أن المَخشي منه هو الله تعالى. **(وقرأ أبو حنيفة وابن عبد العزيز وابن سيرين)** رضي الله عنهم (﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾

وهو من الناس خبره ولذلك عل اسم الفاعل. **قوله: (وقرأ أبو حنيفة)** هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما وُلد سنة ثمانين وقيل: إحدى وستين والأول أصح، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة **(وابن عبد العزيز)** هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح أبو حفص وُلد بحُلْوان قرية بمصر وأبوه أمير عليها سنة إحدى وقيل: ثلاث وستين وأُمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وتُوفي بدَيْر سِمْعَان بكسر السين من أعمال حمص لعشرٍ بقين وقيل: لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذٍ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر وكانت وفاته بالسم كانت بنو أمية قد تبرَّموا به فسمّوه السم **(وابن سيرين)** هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري كانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وتُوفي تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة بعد الحسن البصري بمائة يوم رضي الله تعالى عنهما (﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾) برفع الله ونصب العلماء وفي الكشّاف والقرطبي وهو أي مَن قرأ إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ عمر بن عبد العزيز وتحكى عن أبي حنيفة. اهـ. وفي التفسير الكبير وقراءة مَن قرأ بنصب العلماء ورفع الله معناها إنما يعظم ويبجّل. اهـ. وفي تفسير أبي السعود وقرىء برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيبًا. اهـ. وفي إعراب السمين قوله: إنما يخشى الله العلماء على نصب الجلالة ورفع العلماء وهي واضحة. وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة فيما نقل الزمخشري وأبو حيوة فيما نقل الهذلي في كامله بالعكس وأولت على معنى التعظيم

والخشية في هذه القراءة استعارة)، والمعنى إنما يعظِّم الله من عباده العلماء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العُصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه أن يخشى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ **(يداومون)** على تلاوة القرآن ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي مُسِرِّين النَّفل ومُعلِنين الفَرْض يعني لا يقتنعون

أي إنما يعظم الله من عباده العلماء وهذه القراءة شبيهة بقراءة ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٤] برفع إبراهيم ونصب ربه وقد تقدمت.اهـ بحروفه. وقال العلّامة الشهاب في نشر ابن الجزري القراءات المنسوبة لأبي حنيفة رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره لا أصل لها. قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاعي وضع هذا الكتاب ونسبه إلى أبي حنيفة فأخذت خطوط الدارقطني وجماعة على أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له قلت: وقد رأيت الكتاب المذكور وفيه إنما يخشى الله من عباده العلماء برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبوها إليه وتكلفوا توجيهها وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه بريء انتهى فافهم. **قوله: (والخشية في هذه القراءة استعارة)**[١] أي هذه القراءة مبنيّة على استعارة الخشية للتعظيم لتنزّه ذاته تعالى عن حقيقة الخشية بيانه أن الاستعارة مسبوقة بالتشبيه شبه حال معاملة الله مع العلماء في تعظيمه إياهم وإجلاله لهم بحال معاملة مَن يعظم السلطان ومن هو بصدد خشية سطوته وهيبته فأدخل المشبه في جنس المشبه به فهي الاستعارة التبعية الواقعة على طريق التمثيل.

قوله: (يداومون[٢]**)** معنى الدوام مستفاد من اختلاف الأفعال حيث جيء ﴿يَتْلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٣] على صيغة المضارع ﴿وَأَقَامُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٧] ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ على صيغة الماضي و﴿يَرْجُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٨] على صيغة المضارع

---

(١) فاستعير لفظ الخشية للتعظيم ثم اشتق من الخشية المستعارة لفظ يخشى.
(٢) مستفاد من صيغة المضارع.

بتلاوته عن حلاوة العمل به ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر «إنّ» ﴿تِجَـٰرَةً﴾ هي طلب الثواب بالطاعة ﴿لَّن تَبُورَ﴾ (لن تكسد) يعني تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفُق عند الله.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي ليوفّيَنَّهم (بنفاقها) عنده ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ بتفسيح القبور أو بتشفيعهم فيمن أحسن إليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه. أو ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال أي راجِين. واللام في ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ تتعلق بـ ﴿يَتْلُونَ﴾ وما بعده أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق لهذا الغرض (وخبر «إنّ ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾) لفرطاتهم (﴿شَكُورٌ﴾ أي غفورٌ لهم شكور لأعمالهم) أي يعطي (الجزيل) على العمل القليل.

﴿وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـٰبِ﴾ أي القرآن. و«من» للتبيين ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما

ليدلّ على أن المراد الاستمرار والمداومة والتحقق ويساعده مقام المدح نحو فلان يقري الضيف ويحمي الحريم. **قوله**: (لن تكسد) في المصباح كسد الشيء يكسد من باب قتلَ كسادًا لم ينفق لقلة الرغبات فهو كاسد وكسيد. اهـ.

قوله: (بنفاقها) برواجها. **قوله**: (وخبر إن ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي غفور لهم[1] شكور لأعمالهم) وعلى هذا التقدير لا بد فيهما من العائد فقدر بقوله لهم أي لفرطاتهم والشكر في حق العباد صرف كل واحد من اللسان والجنان والجوارح إلى طاعة المنعم وفي حقه تعالى المجازاة على طاعة العباد والشكور من أبنية المبالغة ووجهه أنه تعالى يقبل القليل من طاعة عباده فيضاعف لهم الجزاء. **قوله**: (الجزيل) أي العظيم.

(١) فيقدر العائد إلى لهم.

تقدّمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ فعَلمك وأبصرَ أحوالك ورآك أهلًا لأن يُوحي إليك مثل هذا الكتاب المُعجِز **(والذي هو عيار على سائر الكتب)**.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك **(أي حكمنا بتوريثه)** ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابِعِيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة **(وسطًا)** ليكونوا شهداء على الناس، واختصَّهم بكرامة **(الانتماء)** إلى أفضل رُسُله. ثم رتَّبهم على مراتب فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، **(وهو المرجأ)** لأمر الله ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ هو الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهذا التأويل يوافق التنزيل فإنه تعالى قال: (﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾) [التوبة: الآية ١٠٠] الآية، وقال بعده: (﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾) [التوبة: الآية ١٠٢] الآية، وقال بعده: (﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾) [التوبة: الآية ١٠٦] الآية. والحديث فقد

قوله: (والذي هو عيار على سائر الكتب) هذا مأخوذ من قوله: مصدقًا... الخ والعيار بكسر العين ما يعلم به صحة غيره أو فساده مصدر عايرت الموازين إذا قايستها بغيرها لتعلم صحتها وهو مجاز هنا عما يعلم به صحة غيره منها فما وافقه فهو صحيح من عند الله وما خالفه فليس منه تعالى بل هو محرّف سواء كان التحريف بالزيادة أو بالنقصان.

قوله: (أي حكمنا بتوريثه) والتوريث وإن كان مستقبلًا لكن حكمه ماضٍ فعبر بالماضي فيكون مجازًا مرسلًا لأن الحكم بالتوريث سبب للتوريث فذكر المسبب وأريد السبب. **قوله: (وسطًا)** خيارًا. **قوله: (الانتماء)** أي الانتساب. **قوله: (وهو المرجأ)** أي المؤخر. **قوله:** (﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾) الآية في تفسير الجلالين (﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾) وهم من شهد بدرًا أو جميع الصحابة (﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾) إلى يوم القيامة (﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾) في العمل (﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾) بطاعته (﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾) بثوابه (﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾) وفي قراءة بزيادة من (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾). اهـ. **قوله:** (﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾) الآية في تفسير الجلالين وقوم (﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾) من

رُوِيَ **(عن عمر)** رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد قراءة هذه الآية: قال رسول الله ﷺ: «سابِقُنا سابِق ومُقتصِدنا ناج وظالِمُنا مغفور له»، وعنه عليه السلام: «السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمُقتَصِد يُحاسَب حسابًا يسيرًا ثم يدخل الجنة، وأما الظالم لنفسه فيُحبَس حتى يظن أنه لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة» رواه **(أبو الدرداء)**.

(والأثر) فعن ابن عباس رضي الله عنهما: السابق المُخلِص، والمُقتَصِد المُرائي، والظالم الكافر بالنعمة غير الجاحِد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة. وقول السلف فقد قال الربيع بن أنس: الظالم صاحب الكبائر، والمُقتَصِد صاحب الصغائر، والسابِق المُجتَنِب لهما. وقال الحسن البصري: الظالم مَن رَجَحَت سيئاته، والسابق مَن رَجَحَت حسناته، والمُقتَصِد مَن استوت حسناته وسيئاته. وسُئِل أبو يوسف رحمه الله عن هذه الآية فقال: كلهم مؤمنون، وأما صفة الكفّار فبعد هذا وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾. وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده فإنه قال: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ ﴿وَمِنْهُم﴾ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ والكل راجع إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أهل الإيمان وعليه الجمهور. وإنما قدَّم الظالم للإيذان بكثرتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقلّ من القليل. وقال ابن عطاء: إنما قدَّم الظالم لئلا ييأس من فضله. وقيل: إنما قدّمه

التخلّف نعته والخبر (﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾) وهو جهادهم قبل ذلك واعترافهم بذنوبهم أو غيز ذلك **(وآخر سيئًا)** وهو تخلّفهم (﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾). اهـ. **قوله**: (﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾) الآية في تفسير الجلالين (﴿وَءَاخَرُونَ﴾) من المتخلّفين **(مرجون)** بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة (﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾) فيهم بما يشاء (﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾) بأن يميتهم بلا توبة (﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾) بخلقه (﴿حَكِيمٌ﴾) في صنعه بهم. اهـ. **قوله**: **(عن عمر)** بن الخطاب القرشي العدوي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(أبو الدرداء)** اسمه عويمر بن مالك وقيل: اسمه عامر بن مالك وعويمر لقب شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف في شهوده أحدًا توفي قبل أن يقتل عثمان رضي الله تعالى عنه بسنتين. **قوله**: **(والأثر)** قال السخاوي: الأثر لغة البقية واصطلاحات الأحاديث مرفوعة كانت أو موقوفة على القول المعتمد وإن قصره بعض الفقهاء على الموقوف.

ليعرِّفه أن ذنبه لا يُبعِده عن ربه. وقيل: إن أول الأحوال معصية ثم توبة ثم استقامة. وقال سهل: السابق العالِم والمقتصد المتعلِّم والظالم الجاهل. وقال أيضًا: السابق الذي اشتغل بمعاده، والمقتصد الذي اشتغل بمعاشه ومعاده، والظالم الذي اشتغل بمعاشه عن معاده. وقيل: الظالم الذي يعبده على الغفلة والعادة، والمقتصد الذي يعبده على الرغبة والرهبة، والسابق الذي يعبده على الهيبة والاستحقاق. وقيل: الظالم مَن أخذ الدنيا حلالًا كانت أو حرامًا، والمقتصد مَن يجتهد أن لا يأخذها إلا من حلال، والسابق مَن أعرض عنها جملة. وقيل: الظالم طالب الدنيا، والمقتصد طالِب العقبى، والسابق طالِب المولى ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيراث الكتاب ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾﴾

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ خبر ثانٍ لـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ أي الفِرَق الثلاثة (﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾: **أبو عمرو**) ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة جمع سِوار ﴿مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا﴾ أي من ذهب مرصَّع باللؤلؤ (﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ **بالنصب والهمزة: نافع وحفص عطفًا على محل** ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾) أي يُحلَّون أساور ولؤلؤًا ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ لما فيه من اللذة والزينة.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا (ٱلۡحَزَنَۖ)﴾ خوف النار أو خوف الموت أو هموم الدنيا ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ يغفر الجنايات وإن كثرت ﴿شَكُورٌ﴾ يقبل الطاعات وإن قلَّت.

قوله: (﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾: **أبو عمرو**) أي قرأ أبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء. **قوله**: (﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ **بالنصب والهمزة: نافع وحفص عطفًا على محل** ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾) والباقون بالخفض مع التنوين وأبدل الهمزة الأولى الساكنة حرف مد السوسي وأبو بكر هذا حالة الوصل، وأما الوقف فحمزة يبدل الأول واوًا وكذا الثانية تبدل واوًا وله أيضًا فيها الروم.

قوله: (﴿ٱلۡحُزۡنِ﴾) بفتحتين والحزن بالضم والسكون بمعنى واحد كالبخل والبخل والعامة قرأوه بفتحتين.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ (ٱلْمُقَامَةِ)﴾ أي الإقامة (**لا نبرح**) منها ولا نفارقها يقال أقمت إقامة ومقامًا ومقامة ﴿**مِن فَضْلِهِۦ**﴾ من عطائه وإفضاله لا باستحقاقنا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ومشقّة ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء من التعب وفترة. (**وقرأ أبو عبد الرحمـٰن السلمي** ﴿لَغُوبٌ﴾ **بفتح اللام**) وهو شيء يلغب منه أي لا نتكلّف عملًا يلغبنا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ جواب النفي ونصبه بإضمار «أن» أي لا يُقضَى عليهم بموت ثانٍ فيستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ﴾ من عذاب نار جهنم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء (﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾) ﴿يُجزَى كل كفور﴾: (**أبو عمرو**) ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون (**فهو يفتعلون من الصراخ**) وهو الصياح بجهد ومشقّة، واستعمل في الاستغاثة لجهر صوت المستغيث ﴿رَبَّنَا﴾ يقولون ربنا ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ أي أخرجنا من

قوله: (﴿ٱلْمُقَامَةِ﴾) مصدر ميمي بمعنى الإقامة لأن المصدر الميمي من المزيد يكون على صيغة المفعول كالمدخل والمخرج والممزق. **قوله**: (**لا نبرح**) أي نفارق. **قوله**: (وقرأ **أبو عبد الرحمـٰن السلمي** ﴿لَغُوبٌ﴾ **بفتح اللام**...) الخ في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة علي عليه السلام ﴿فِيهَا لَغُوبٌ﴾ بفتح اللام وهي قراءة السُّلمي. اهـ.

قوله: (﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ **أبو عمرو**) أي قرأ أبو عمرو بياء مضمومة وفتح الزاي ورفع كل والباقون بنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب كل. **قوله**: (**فهو يفتعلون من الصراخ**...) الخ وصيغة الافتعال تفيد أن الصُّراخ صادر منهم على وجه الجد والشدة غير ما أفاده نفس الصراخ، ولذا قال يستغيثون فهو يفتعلون.

النار رُدَّنا إلى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونُطِع بعد المعصية فيُجاوبون بعد قدر عمر الدنيا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ يجوز أن يكون «ما» نكرة موصوفة أي تعميرًا يتذكر فيه مَن تذكّر وهو مُتناوَل لكل عمر تمكّن فيه المكلَّف من إصلاح شأنه وإن قصر، إلا أن التوبيخ في المُتطاول أعظم. ثم قيل: هو ثمانِ عشرة سنة. وقيل: أربعون. وقيل: ستون سنة ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ الرسول عليه السلام أو المشيب (**وهو عطف على معنى** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾) لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه إخبار كأنه قيل: قد عمّرناكم وجاءكم النذير ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ناصر يُعينهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما عنكم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ كالتعليل لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم. وذات الصدور مضمراتها (**وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله تعالى عنه: ذو بطن بنت خارجة جارية**). أي ما في بطنها من الحبل

قوله: (**وهو عطف على معنى** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾...) الخ أي عطف وجاءكم محمول على معنى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ لا على لفظه لأن لفظه إنشاء ولفظ المعطوف خبر ولا يجوز عطف الخبر على الإنشاء بلا تأويل والتأويل هنا أن ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ وإن كان إنشاء صورة لكنه خبر في المعنى لأن الاستفهام للتقرير أي للتثبيت فالمعنى قد عمرناكم قدر ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ ولم يبق لكم عذر في ترك التذكر.

قوله: (**وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله تعالى عنه: ذو بطن بنت خارجة**) أي حبيبة بنت خارجة بن زيد صحابية بنت صحابي (**جارية**) أنثى. في صحيح الموطأ للإمام مالك رضي الله تعالى عنه (مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن خالته) عائشة (زوج النبيّ ﷺ أنها قالت أن أبا بكر الصدّيق) عبد الله بن عثمان (كان نحلها) بفتحتين (جادّ) بفتح الجيم والدال المهملة الثقيلة (عشرين

لأن الحبل يصحب البطن. وكذا المُضمرات تصحب الصدور وذو موضوع لمعنى الصحبة ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلائف، والمعنى أنه جعلكم (**خلفاء**) في أرضه قد ملّككم مقاليد التصرف فيها وسلّطكم على ما فيها وأباحَ لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم (**وغمط مثل هذه النعمة السَّنِيَّة**) ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ فوَبال كفره راجع

وسقًا) من نخلة إذا جدّ أي قطع، قاله عيسى (من ماله بالغابة) بمعجمة وموحدة موضع على بريد من المدينة في طريق الشام وهم من قال من عوالي المدينة فلما حضرته الوفاة أي أسبابها قال: والله يا بنية بتصغير الجنان والشفقة (ما من الناس أحب إليّ غنى بعدي منك) بكسر الكاف (ولا أعزّ أشق) وأصعب (عليّ فقرًا بعدي منك) وفيه أن الغنى أحب إلى الفضلاء من الفقر (وإني كنت نحلتك جادّ عشرين وسقًا فلو كنت جددتيه) بفتح الجيم والدال الأولى وإسكان الثانية قطعية (واحتزتيه) بإسكان الحاء والزاي بينهما فوقية مفتوحة أي حزتيه (كان لك) لأن الحيازة والقبض شرط في تمام الهبة فإن وهب الثمرة على الكيل فلا تكون الحيازة إلا بالكيل بعد الجدّ، ولذا قال: جددتيه واحتزتيه. قاله: الباجي (وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك) عبد الرحمٰن ومحمد (وأُختاك) يريد مَن يرثه بالبنوة لأنه ورثه معهم زوجتاه أسماء بنت عميس وحبيبة بنت خارجة وأبوه أبو قحافة وإن روي أنه ردّ سدسه على ولد أبي بكر (فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة: فقلت: يا أبة والله لو كان كذا وكذا) كناية عن شيء كثير أزيد مما وهبه لها (لتركته) اتباعًا للشرع وطلب لرضاك (إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال أبو بكر: ذو) أي صاحبة (بطن) بمعنى الكائنة في بطن حبيبة (بنت خارجة) بن زيد بن أبي زهير بن مالك الأنصاري الخزرجي صحابيّة بنت صحابي شهد بدرًا وآخى النبيّ ﷺ بينه وبين أبي بكر ويقال: إنه استشهد بأحد (أراها) بضم الهمزة أظنها (جارية) أنثى فلذا قلت: أُختاك فكان كما ظنّ رضي الله تعالى عنه سميت أم كلثوم. قال ابن حزين: قال بعض فقهائنا وذلك لرؤيا رآها أبو بكر رضي الله تعالى عنه. اهـ مع زيادة من شرحه للعلّامة الزرقاني رحمه الله. **قوله**: (**خلفاء**) جمع خليف بدون تاء. **قوله**: (**وغمط مثل هذه النعمة**) في مختار الصحاح غَمِط النعمة من باب فهم وضرب ولم يشكرها. اهـ. **قوله**: (**السَّنِيَّة**) أي الرفيعة.

عليه وهو مَقْت الله وخسار الآخرة كما قال: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ وهو أشد البغض ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ هلاكًا وخسرانًا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ آلهتكم التي أشركتموهم في العباد ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَرُونِى﴾ بدل من ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ لأن معنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني كأنه قيل: أخبروني عن هؤلاء الشركاء عمّا استحقوا به الشركة، أروني أيّ جزء من أجزاء الأرض **(استبدّوا)** بخلقه دون الله؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أم لهم مع الله شركة في خلق السمٰوات ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي معهم كتاب من عند الله ينطق أنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ علي وابن عامر ونافع وأبو بكر ﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾ ما يعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم﴾ بدل من ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهم الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ أي الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ هو قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: الآية ١٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ على سبيل الفرض ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ ما أمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ من بعد إمساكه. و«من» الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية **(للابتداء)** ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير مُعاجِل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين **(بأن تهدّا هدًّا)**

قوله: (استبدوا) أي انفردوا في لسان العرب استَبَدَّ فلان بكذا أي انفرد به. اهـ. وأيضًا فيه يقال: استبدّ بالأمر يستبد به استبدادًا إذا انفرد به دون غيره. اهـ.

قوله: (للابتداء) أي لابتداء الغاية. **قوله: (بأن تهدّا هَدًّا)** من هدّ الحائط يهدّ بالكسر أي انهدم.

لعِظَم كلمة الشِّرك كما قال: (﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾) [مريم: الآية ٩٠] الآية.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ نصب على المصدر أي إقسامًا بليغًا أو على الحال أي جاهِدِين في أيمانهم ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ بلغ قريشًا قبل مبعث النبي ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أي من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلًا لها على غيرها في الهدى والاستقامة كما يقال **(الداهية)** العظيمة هي إحدى الدواهي ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ فلما بعث رسول الله ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي ما زادهم مجيء الرسول ﷺ إلا تباعدًا عن الحق **(وهو إسناد مجازي)**.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي

قوله: (﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾) أي تنخسف بهم الآية تمام الآية ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: الآيتان ٩٠، ٩١] أي تسقط وتنطبق عليهم من أجل أن دعوا للرحمٰن ولدًا.

قوله: **(الداهية)** في المصباح الداهية النائبة والنازلة والجمع الدواهي وهي اسم فاعل من دهاه الأمر يدهاه إذا نزل به. اهـ. **قوله**

(وهو إسناد مجازي) يعني أن إسناد زادهم إلى مجيء الرسول إسناد[1] مجازي من قبيل إسناد الحكم إلى سببه لأن نفس مجيئه لا يزيدهم نفورًا وإنما ازداد نفورهم عن الحق بسبب مجيئه.

---

(١) لأن الزيادة في الحقيقة منه تعالى على قاعدة أهل الحق.

ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مفعول له وكذا (﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾) والمعنى وما زادهم إلا نفورًا للاستنكار ومكر السيء، أو حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله ﷺ. (وأصل قوله: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ **وأن مكروا السيىء، أي المكر السيىء**)، ثم ومكر السيىء ثم ومكر السيىء والدليل عليه وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط وينزل ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ ولقد حاق بهم يوم بدر وفي المثل «مَن حفر لأخيه (جبًا) وقع فيه (مكبًا) ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهو إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم، والمعنى فهل ينظرون بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم من مُكَذِّبي الرُّسُل، جعل استقبالهم لذلك انتظارًا له منهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ بيّن أن سُنَّته التي هي الانتقام من مُكَذِّبي الرُّسُل سُنَّة لا يبدلها في ذاتها ولا يحوّلها عن أوقاتها وأن ذلك مفعول لا محالة.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة ﴿قُوَّةً﴾ اقتدارًا فلم يتمكنوا من الفرار ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ (**ليسبقه ويفوته**) ﴿مِن شَىْءٍ﴾ (**أيّ شيء**) ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بهم ﴿قَدِيرًا﴾ قادرًا عليهم.

قوله: (**وأصل قوله**: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ **وأن مكروا السيِّىء**) بفتح أن (**أي المكر السيِّىء**) ثم ومكر السيِّىء فحذف الموصوف وهو المكر استغناء عنه بوصفه وهو السيِّىء فبقي وأن مكروا السيِّىء ثم بدل أن مع الفعل بالمصدر أي ثم غير أن مكروا بالمكر بأن حذف أن مع الفعل وأقيم موضعه المصدر فصار ومكرا السيِّىء ثم أضيف إلى الصفة فصار ومكر السيِّىء.

قوله: (**جبًا**) الجب البئر لم تطو. **قوله**: (**مكبًا**) أي ساقطًا على وجهه. **قوله**: (**ليسبقه ويفوته**) معنى ليعجزه بطريق اللزوم. **قوله**: (**أي شيء**) فيه رمز إلى أن من صلة في من شيء فاعل ليعجزه.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ **(بما اقترفوا من المعاصي)** ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ على ظهر الأرض لأنه جرى ذكر الأرض في قوله: ﴿لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ (وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ)﴾ [فاطر: الآية ٤٤] ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ **(من نسمة تدبّ عليها)** ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ أي لم تخفَ عليه حقيقة أمرهم وحكمة حكمهم والله الموفّق للصواب.

قوله: (﴿وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أعيد لا تنبيهًا على الاستقلال في النفي. **قوله**: **(بما اقترفوا من المعاصي)** في المصباح اقتراف الذنب فعله. اهـ. **قوله**: **(من نَسَمة)** بفتحتين أي ذي روح من التنسم وهو التنفس وهذا معنى لغوي للدابة. **قوله**: **(تدبّ عليها)** أي تتحرك عليها.

هذا آخر ما أمليته في حد ما في سورة الملائكة.
الحمد لله الموفّق لإتمامه، والله أعلم بأسرار كلامه،
فالآن أشرع بإذن الله متوكّلًا عليه في شرح ما في تفسير سورة يٰسٓ
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سورة يٓس

مكيَّة، وهي ثلاث وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١﴾

﴿يسٓ ۝١﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا إنسان **(في لغة طيىء)**، وعن **(ابن الحنفية)** يا محمد، وفي الحديث: «إن الله سمّاني في القرآن بسبعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(في لغة طيىء)** فإنهم يستعملون لفظ يَس في يا إنسان. **وقوله**: **(طيىء)** مثل سيّد أبو قبيلة من اليمن وهو طيِّىء بن آدَد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير والنسبة إليهم طائيّ على غير قياس وأصله طيئيّ مثل طيعيّ فقلبوا الياء الأولى ألفًا وحذفوا الثانية كذا في الصحاح.

قوله: **(ابن الحنفية)** هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أمه الحنفيّة خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن دلول بن حنيفة بن لجيم ويقال: بل كانت من سبي اليمامة وصارت إلى علي رضي الله تعالى عنه، وقيل: بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصالحهم على أنفسهم وذكر البغوي في كتاب شرح السنّة في باب قتال مانعي الزكاة أن طائفة ارتدّوا وأنكروا الشرائع

أسماء: محمد وأحمد وطه ويس والمزمّل والمدّثر وعبد الله». وقيل: يا سيد. (﴿يسٓ ۝١﴾ بالإمالة: عليّ وحمزة وخلف وحماد ويحيى).

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾

﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ قسم (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ **ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة**) أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ جواب القسم وهو ردٌّ على الكفّار حين قالوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: الآية ٤٣]، ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (**خبر بعد خبر أو صلة**) لـ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي الذين أرسلوا على صراط مستقيم أي طريقة مستقيمة وهو الإسلام.

وعادوا إلى ما كانوا عليه من الجاهلية. واتفقت الصحابة على قتالهم وقتلهم ورأى أبو بكر رضي الله تعالى عنه سبي ذراريهم ونسائهم وساعده على ذلك أكثر الصحابة واستولد عليّ رضي الله عنه جارية من سبي بني حنيفة فولدت له محمد بن علي الذي يدعى محمد ابن الحنفية ثم لم ينقرض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتدّ لا يسبى، وكان كثير العلم والورع وكان شديد القوة وله في ذلك أخبار عجيبة وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وتُوفي رحمه الله تعالى في أول المحرّم سنة إحدى وثمانين للهجرة بالمدينة ودُفن بالبقيع.

قوله: (﴿يسٓ ۝١﴾ **بالإمالة**) أي بإمالة الياء (**عليّ**) الكسائي (**وحمزة**) بن حبيب (**وخلف**) بن هشام البزار وليس من السبعة (**وحماد**[1]) بن زياد (**ويحيى**[2]) بن آدم والباقون بالفتح وأظهر النون من يس عند واو والقرآن قالون وابن كثير وأبو عمرو وحفص وحمزة وأدغم الباقون ووجه الإدغام ظاهر لأن النون الساكنة قبل الواو تدغم فيها نحو ﴿مِن وَالٍ﴾ [الرّعد: الآية ١١] ووجه الإظهار أن حروف الهجاء حقها أن يوقف عليها مبيّنًا لفظها لكونها ألفاظًا مقطعة غير مركبة مع العامل.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ **ذي الحكمة**) على معنى النسب. **قوله**: (**أو لأنه دليل ناطق بالحكمة**) بطريق الاستعارة والمتّصف بها على الإسناد المجازي. **قوله**: (**خبر بعد خبر**) لقوله: إنك على معنى أنه تعالى أقسم بالقرآن على أن محمدًا ﷺ جامع للوصفين كقوله: هذا حلو حامض. **قوله**: (**أو صلة**. . .) الخ يعني أن على

---

(١) من رواة عاصم.
(٢) من رواة أبي بكر شعبة بن عياش.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾

(﴿تَنزِيلَ﴾) بنصب اللام: **(شامي وكوفي غير أبي بكر)** على «اقرأ تنزيل» أو على أنه مصدر أي نزل تنزيل، **(وغيرهم بالرفع)** على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو (﴿تنزيلُ﴾ **والمصدر بمعنى المفعول**) ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوي العناد ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أُولي الرشاد. واللام في ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متصل بمعنى المرسلين أي أرسلت لتنذر قومًا ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ «ما» نافية عند الجمهور أي قومًا غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: الآية ٤٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: الآية ٤٤]. أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي أنذره آباؤهم كقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: الآية ٤٠] أو مصدرية أي لتنذر قومًا إنذار آبائهم أي مثل إنذار آبائهم ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ إن جعلت «ما» نافية فهو متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون وإلا فهو متعلق بقوله: ﴿إنك لمن المرسلين لتنذر﴾. كما تقول: «أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل».

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ يعني قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: الآية ١٣] أي تعلّق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممّن علم أنهم يموتون على الكفر. ثم مثل **(تصميمهم على الكفر)**

صراط متعلق بالمرسلين فإن فعل الإرسال يتعدى بعلى فإنه يقال: أرسلت عليه كذا قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾.

قوله: (﴿تَنزِيلَ﴾) بنصب اللام **(شاميّ)** أي قراءة ابن عامر الشاميّ **(وكوفيّ)** أي وقرأه حفص وحمزة والكسائي **(غير أبي بكر)** شعبة بن عياش. **قوله**: **(وغيرهم)** أي وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر **(بالرفع)** أي برفع (﴿تنزيلُ﴾). **قوله**: **(والمصدر)** أي تنزيل **(بمعنى المفعول)** أي منزل.

قوله: **(تصميمهم على الكفر)** في لسان العرب التصميم المضي في الأمر، أبو بكر صميم فلان على كذا أي مضى على رأيه وإرادته وصمّم في السير وغيره

وأنه لا سبيل إلى **(ارعوائهم)** بأن جعلهم كالمغلولين المُقمَحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه **(ولا يطأطئون)** رؤوسهم **(له)**، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدّامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم، ولا تبصر، وأنهم مُتعامون عن النظر في آيات الله بقوله:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ معناه **(فالأغلال واصلة إلى الأذقان)** ملزوزة إليها ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ مرفوعة رؤوسهم. يقال: قمح البعير فهو قامح إذا رُوِي فرفع رأسه وهذا لأن طوق الغلّ الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجًا من الحلقة إلى الذقن فلا يُخْليه يطأطىء رأسه فلا يزال مقحمًا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (﴿سَدًّا﴾ **بفتح السين: حمزة وعلي وحفص)**. وقيل: ما كان من عمل الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها **(غشاوة)** ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الحق والرشاد. وقيل: نزلت **(في بني مخزوم)** وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدًا يصلي **(ليرضخن)** رأسه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر

أي مضى. اهـ. **قوله:** **(ارعوائهم)** أي انزجارهم على الكفر. **قوله:** **(ولا يطأطئون)** بمعنى ولا ينكسون ويخفضون. **قوله:** **(له)** أي لأجل الحق.

قوله: **(فالأغلال واصلة إلى الأذقان)** إشارة إلى أن ضمير هي راجع إلى الأغلال.

قوله: (﴿سَدًّا﴾ **بفتح السين: حمزة وعلي وحفص)** أي قرأه حمزة وعلي الكسائي وحفص بفتح السين في الموضعين وهو لغة فيه والباقون بالضم. **قوله:** **(غشاوة)** غطاء. **قوله:** **(في بني مخزوم)** بطن من قريش ومنهم أبو جهل لعنه الله. **قوله:** **(ليرضخن)** الرضخ بالضاد المعجمة وبالحاء المهملة والمعجمة لغتان بمعنى وهو كسر الشيء بالحجر يقال: رضخت رأس الحية بالحجارة.

(**ليدمغه**) به، فلما رفع يده (**انثنت**) إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكّوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر: أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي سواء عليهم الإنذار وتركه، والمعنى مَن أضلَّه الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار. ورُوِيَ أن عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على (**غيلان**) القدري فقال: كأني لم أقرأها أُشهدك أني تائب عن قولي في القدر. فقال عمر: اللَّهمَّ إن صدق فتُب عليه وإن كذب فسلِّط عليه مَن لا يرحمه، فأخذه (**هشام بن عبد الملك**) من عنده فقطع يديه ورِجلَيه وصلبه على باب دمشق ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي إنما ينتفع بإنذارك مَن اتبع القرآن ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وخاف عقاب الله ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ وهي العفو عن ذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ أي الجنة.

قوله: (**ليدمغه**) الدمغ شجة تبلغ الدماغ. **قوله**: (**انثنت**) أي انطوت فعلى هذا القول تكون الآية الأولى في مخزومي بعينه وهو أبو جهل عليه اللعنة والآية الثانية في آخر بعينه ويكون ضمير الجمع فيهما على قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم. وقال القرطبي: إن المخزومي الثاني هو الوليد بن المغيرة وكان هناك مخزومي ثالث. قال: والله لأشدخنّ أنا رأسه بهذا الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خرّ على قفاه مغشيًا عليه فقيل له: ما شأنك؟ قال: رأيت أمرًا عظيمًا رأيت الرجل فلما دنوت منه فإذا فحل خطر بذنبه ما رأيت قط فحلًا أعظم منه حال بيني وبينه فواللّات والعزّى لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآيتين.

قوله: (**غيلان**) اسم رجل. **قوله**: (**هشام بن عبد الملك**) أبو الوليد وُلد سنة نيّف وسبعين ومات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ نبعثهم بعد مماتهم أو نخرجهم من الشِّرك إلى الإيمان ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علَّموه أو كتاب صنَّفوه **(أو حبيس حبسوه)** أو رباط أو مسجد صنعوه أو سيء كوظيفة وظَّفها بعض الظَّلَمَة، وكذلك كل سُنَّة حسنة أو سيئة **(يستن)** بها، ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: الآية ١٣] قدَّم من أعماله وأخَّر من آثاره. وقيل: هي خُطاهم إلى الجمعة أو إلى الجماعة ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ عدَّدناه وبيَّنَّاه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب ومُقتداها.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ ومثِّل لهم من قولهم: «عندي من هذا الضرب كذا» أي من هذا المثال، وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد، والمعنى واضرب لهم مثلًا مثل أصحاب القرية **(أي أنطاكية)**، أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية، والمثل الثاني بيان للأول. وانتصاب ﴿إِذْ﴾ بأنه **(بدل من** ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾) ﴿جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ رُسُل عيسى عليه السلام إلى أهلها بعثهم دُعاة إلى الحق وكانوا عَبَدَة أوثان.

قوله: **(أو حبيس[١] حبسوه)** بمعنى وقف وقفوه لأنه يحبس على ما وقف له. **قوله**: **(يستن)** أي يُقْتَدى.

قوله: **(أي أنطاكية)** بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة العواصم وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلًا والعواصم بلاد قصبتها إنطاكية وهي بأرض الروم. **قوله**: **(بدل من** ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾) بدل اشتمال.

---

(١) حبيس فعيل بمعنى مفعول والمراد به الوقف.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ أي أرسل عيسى بأمرنا ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ صادقًا وصدوقًا، فلما قربا من المدينة رأيا شيخًا يرعى غُنَيمات له ـ وهو حبيب النجار ـ فسأل عن حالهما فقالا: نحن رسولا عيسى، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمـٰن فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المريض ونُبرِىء (الأكمه) والأبرص، وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام، (فآمن حبيب) وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير، فدعاهما الملك وقال لهما: ألَنَا إلـٰه سوى آلهتنا؟ قالا: نعم (مَن أوجدك) وآلهتك. فقال: حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما. وقيل: حبسا (ثم بعث عيسى) شمعون (فدخل متنكّرًا) وعاشر (حاشية الملك) حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت قولهما؟ قال: لا. فدعاهما فقال شمعون: مَن أرسلكما؟ قالا: الله الذي (خلق كل شيء) ورزق كل حيّ وليس له شريك. (فقال: صِفاه) وأوجِزا. قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ (قالا: ما يتمنى الملك). فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فأبصر الغلام. (فقال له) شمعون: (أرأيت لو سألت إلـٰهك) حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله

قوله: (الأكمه) أي الأعمى. **قوله**: (فآمن حبيب) ظاهره أنه كان كافرًا ويحتمل أنه كان مؤمنًا ولكنه آمن بما جاءا به. **قوله**: (من أوجدك) مَن فيه يحتمل الموصوليّة والاستفهام. **قوله**: (ثم بعث عيسى) على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين سمع أن مرسليه حبسهما الملك. **قوله**: (فدخل) الفاء فصيحة أي جاء شمعون إلى القرية فدخل (متنكرًا) أي غير مظهر كونه رسولًا لما عرف من حال صاحبهما وتحرّى في التبليغ وعاشر بحسن المعاشرة مع مراعاة قواعد الشريعة. **قوله**: (حاشية الملك) أي قومه وأهله وخاصّته. **قوله**: (خلق كل شيء) ممكن مستقلًا. **قوله**: (فقال) شمعون لهما: (صِفاه. . .) الخ لعل الملك يفهم ويهتدي. **قوله**: (قالا: ما يتمنى الملك) هذا لكمال وثوقهما على الله تعالى قالا ما يتمنّى الملك من أية آية، وهذه آية أخرى تدلّ على صدقهما. **قوله**: (فقال له) أي الملك عقيب ذلك إرشاد إلى الحق. **قوله**: (أرأيت) أي أخبرت (لو سألت إلـٰهك)

الشرف. قال الملك: **(ليس)** لي عنك سر إن إلـٰهنا لا يسمع ولا يُبصِر **(ولا يضر ولا ينفع)**. ثم قال: إن قدر إلـٰهكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار لما مُتّ عليه من الشِّرك وأنا أُحذِّركم ما أنتم فيه فآمنوا. وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شابًا حَسَن الوجه **(يشفع لهؤلاء الثلاثة)**. قال الملك: ومَن هم؟ قال: شمعون وهذان، فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أن قوله قد أثّر فيه **(نصحه فآمن)** وآمن قوم، ومَن لم يؤمن صاحَ عليهم جبريل فهلكوا.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فكذب أصحاب القرية الرسولين ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فقويناهما، (﴿فعززنا﴾ **أبو بكر من عزّه يعزّه)** إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهو شمعون **(وترك ذكر المفعول به)** لأن المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عزّ الحق وذلّ الباطل، وإذا كان الكلام مُنصَبًّا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ أي قال الثلاثة لأهل القرية:

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾

﴿قَالُواْ﴾ أي أصحاب القرية ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ **(رفع ﴿بَشَرٞ﴾)** هنا ونصب في قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: الآية ٣١] لانتقاض النفي بـ «إلا» فلم يبقَ

في زعمك. **قوله:** (ليس...) الخ لا أخفي عنك ما في قلبي وضميري. **قوله:** **(ولا يضر)** مَن لا يعبده **(ولا ينفع)** مَن يعبده. **قوله:** **(يشفع لهؤلاء الثلاثة)** أي لقبول دعوتهم في إحياء الغلام فإن شمعون يدعو أيضًا سرًّا. **قوله:** **(نصحه)** أي نصح شمعون الملك. **قوله:** **(فآمن)** الملك. **قوله:** (﴿فَعَزَّزْنَا﴾ **أبو بكر)** أي قرأ أبو بكر شعبة عن عاصم بتخفيف الزاي الأولى والباقون بتشديدها والزاي الثانية ساكنة بلا خلاف. **قوله:** **(من عزّه يعزّه)** من باب قتل. **قوله:** **(وترك ذكر المفعول به)** وهو ضميرهما أي فعززناهما.

قوله: **(رفع ﴿بَشَرٞ﴾)** يعني أن ما في قوله: ما أنتم هي المشبّهة بليس وهي تعمل عمل ليس كما في قوله: ما هذا بَشَر، إلّا أنها إنما تعمل لمشابهتها بليس في النفي فإذا انتقض النفي بإلّا لم يبق لها شبه فلم تعمل.

لما شبّه بليس وهو الموجب لعمله ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ أو وحيًا ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ما أنتم إلا كذبة.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أكد الثاني باللام دون الأول لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار فيحتاج إلى زيادة تأكيد. و﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جارٍ مجرى القسم في التوحيد وكذلك قولهم: «شهد الله» و«علم الله» ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ **(تشاءمنا)** بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم، وعادة الجهّال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك. وقيل: حبس عنهم المطر فقالوا ذلك ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ عن مقالتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لنقتلنكم أو لنطردنكم أو **(لنشتمنكم)** ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾ **(أي سبب شؤمكم)** ﴿مَّعَكُمْ﴾ وهو الكفر ﴿أَئِن﴾ بهمزة الاستفهام وحرف الشرط: **(كوفي وشامي)** ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم ودعيتم إلى

قوله: (تشاءمنا) فعل ماضٍ متكلم مع الغير من باب التفعل أي حصل لنا الشؤم. **قوله: (أو لنشتمنكم)** أي لنرمينكم بالقول القبيح.

قوله: (أي سبب[1] **شؤمكم)** لأن الطائر يتشاءم به لأنه سبب له فتجوز به عن مطلق السبب. **قوله: (كوفيّ وشاميّ)** أي بهمزتين حمزة وعليّ وخلف وعاصم غير المفضل وابن عامر. وقرأ المفضّل أَيْنَ[2] على وزن كيف.

---

(١) إشارة إلى أن الطائر هنا مستعار، لما هو شر وسبب شوم في الحقيقة، ١٢ منه.

(٢) أنى هذه شرطية لا مكانية، ١٢ منه.

الإسلام، (وجواب الشرط مضمر وتقديره «تطيرتم»)، ﴿آين﴾ بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة: أبو عمرو، و﴿أَيْنَ﴾ بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة: (مكي) ونافع. (﴿ذُكِرْتُم﴾ بالتخفيف: يزيد) ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مُجاوزون الحدّ في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيركم، أو بل أنتم مُسرِفون في ضلالكم وغيّكم حيث تتشاءمون بمَن يجب التبرّك به من رُسُل الله.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرُسُل أتاهم وأظهر دينه وقال: أتسألون على ما جئتم به أجرًا؟ قالوا: لا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي الرُسُل: فقالوا: أو أنت على دين هؤلاء؟ فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإليه مرجعكم، (﴿وَمَا لِىْ﴾ حمزة).

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾

(﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ بهمزتين: كوفي) ﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني الأصنام ﴿إِن يُرِدْنِ

قوله: (وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم) فهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ. **قوله**: (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ. **قوله**: (﴿ذُكِرْتُم﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف كاف ذكرتم (**يزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة.

قوله: (﴿وَمَا لِىَ﴾) بسكون الياء (**حمزة**).

قوله: (﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ **بهمزتين: كوفيّ**) في الخطيب، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وأدخل فيهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام وورش وابن كثير بغير إدخال ألف والباقون بتحقيقهما مع عدم الإدخال وإذا

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ شرط جوابه ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ من مكروه، (﴿ولا ينقذوني﴾ ﴿فاسمعوني﴾ **في الحالين: يعقوب**).

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾

﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ أي إذا اتخذت ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ ظاهر بيِّن. ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ أي اسمعوا إيماني لتشهدوا لي به. ولما قتل ﴿قِيلَ﴾ له ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ وقبره في سوق أنطاكية. ولم يقل: «قيل له» لأن الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلومًا، وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة. وقال الحسن: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه وهو في الجنة ولا يموت إلا بفناء السمٰوات والأرض، فلما دخل الجنة ورأى نعيمها ﴿قَالَ (يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ) ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ **(أي بمغفرة ربي)** لي **(أو بالذي غفر لي)** ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ بالجنة.

وقف حمزة فله تسهيل الثانية، والتحقيق لأنه متوسط بزائد وله أيضًا إبدالها ألفًا. اهـ.

قوله: (﴿**ولا ينقذوني**﴾ ﴿**فاسمعوني**﴾ **في الحالين: يعقوب**) أي أثبت الياء فيهما في الحالين يعقوب بن إسحٰق البصري وليس من السبعة. وفي الإتحاف وأثبت الياء في ﴿يُنقِذُونِ﴾ وصلًا ورش وفي الحالين يعقوب وأثبت الياء في ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ في الحالين يعقوب.

قوله: (﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾) المنادى فيه محذوف أي يا أصحابي أو يا أحبابي أو نحوهما. **قوله**: **(أي بمغفرة ربي أو بالذي غفر لي)** يعني أن ما مصدرية أو موصولة والموصول عبارة عن المصدر أي بالغفران الذي غفر لي فيكون إشارة إلى تعظيم الغفران واشتماله على إثابة عظيمة وتعظيم بليغ والباء في بما على الوجهين متعلّقة بـ ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ والجار والمجرور في محل النصب على أنه مفعول ﴿يعلمونَ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ «ما» نافية ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قوم حبيب ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد قتله أو رفعه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لتعذيبهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ **(وما كان يصح في حكمتنا)** أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جندًا من السماء، وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (﴿إِن كَانَتْ﴾ **الأخذة أو العقوبة)** ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ميتون كما تخمد النار. **(والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندًا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق).**

قوله: (وما كان يصحّ في حكمتنا) إشارة إلى أن ما الثانية نافية كالتي قبلها فتكون الجملة جارية مجرى التأكيد للأولى. **قوله: (والمعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندًا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق)** ففيه استحقار لإهلاكهم وهو ظاهر وإيماء إلى تعظيم رسول الله ﷺ ووجهه أنه لما ظهر أن أدنى صيحة كان كافيًا في إهلاك مدائن جماعات شتى علم أن إنزال الجنود من السماء يوم بدر والخندق كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٩]، وقوله: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٩]، وقوله: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٤]، وقوله: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٥] كل ذلك لم يكن إلّا تعظيمًا لشأنه وإجلالًا لقدره لا لاحتياجه إلى الملائكة في المظاهرة والمعاونة. قوله: (يا حسرة) قرأ الجمهور يا حسرة بالنصب والتنوين على أنه منادى مشابه للمضاف من أَجْل[1] طوله فإنهم يعنون بالمشابه للمضاف اسمًا يجيء بعده شيء من تمامه، إما معمول له نحو يا طالعًا جبلًا ويا حسنًا وجهه ويا خيرًا من زيد. وإما نعت هو جملة أو ظرف نحو يا حليمًا لا يعجل ويا جوادًا لا يبخل وقوله:

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

قوله: (﴿إِن كَانَتْ﴾) أي ما كانت (الأخذة أو العقوبة) الأخذة بصيغة

---

(١) بالجار المتعلق به.

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها **(تعالي يا حسرة)** فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرُّسُل، والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسّر عليهم المتحسّرون **(ويتلهف)** على حالهم المتلهّفون، أو هم متحسّر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين **(من الثقلين)**.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ **(ألم يعلموا)** ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ «كم» نصب بـ ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ و﴿يَرَوۡاْ﴾ معلق على العمل في «كم» لأن «كم» لا يعمل فيها عامل قبلها **(كانت)** للاستفهام أو للخبر، لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة. وقوله: ﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ **(بدل من** ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ **على المعنى لا على اللفظ)** تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم.

المصدر أو اسم الفاعل وعطف المصدر عليه يرجح الأول وقدره لقوله: أخذتهم الصيحة.

قوله: **(تعالي يا حسرة)** بفتح التاء وفتح اللام وسكون الياء وهي في الأصل أمر بالصعود إلى مكان عالٍ ثم شاع في الأمر بالحضور مطلقًا.

قوله: **(ويتلهّف)** في **مختار الصحاح** لهِف من باب فَهِم أي حَزُن وتحسّر وكذا التَّلهُّف على الشيء. اهـ. **قوله**: **(من الثقلين)** أي الإنس والجن.

قوله: **(ألم يعلموا)** حمل الرؤية على الرؤية القلبية إذ مدخوله ليس من المبصرات. **قوله**: (كانت) أي سواء كانت.

قوله: **(بدل من** ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ **على المعنى لا على اللفظ)** لأن ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ لما لم يعمل في ﴿كَمۡ﴾ لفظًا لا يعمل في بدله أيضًا بل العامل في

....

﴿كَمْ﴾ لفظًا هو ﴿أَهْلَكْنَا﴾ فلو كان ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدلًا من ﴿كَمْ﴾ من حيث اللفظ لوجب أن يكون معمولًا لأهلكنا أيضًا لأن المبدل على نيّة تكرار العامل ولو سلّطت ﴿أَهْلَكْنَا﴾ على ﴿أَنَّهُمْ﴾ لاختلّ المعنى إذ لا معنى لقولنا: أهلكنا انتفاء رجوعهم وأهلكنا كونهم لا يرجعون فوجب أن يكون بدلًا من ﴿كَمْ﴾ على المعنى وأن يكون معمولًا لما عمل في ﴿كَمْ﴾ معنى وهو ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ لأن الفعل المعلّق ممنوع من العمل لفظًا وعامل معنى وتقديرًا لأن معنى قولك: علمت لزيد قائم علمت قيام زيد كما هو كذلك عند انتصاب الجزءين لفظًا فمن ثمة جاز عطف الجزئين المنصوبين على الجملة المعلّق عنها نحو علمت لزيد قائم وبكرًا قاعدًا فيكون المعنى ما ذكره من قوله: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم مع أن ﴿كَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ لفظًا ولقائل أن يقول كما لا يصح أن يكون بدلًا على اللفظ، كما ذكره لا يصحّ أيضًا أن يكون بدلًا على المعنى لأن كونهم غير راجعين إليهم ليس كثرة الإهلاك فلا يكون بدل كل من كل وليس بعض الإهلاك فلا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال إذ يصح أن يُضاف إلى ما أبدل منه وهذا لا يصح هنا فإنه لا يقال: ألم يروا انتفاء رجوع كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم وفي بدل الاشتمال لو قلت: أعجبتني الجارية ملاحتها أو سرق زيد ثوبه يصح أن يقال: أعجبتني ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد ولا يصح الإضافة هٰهنا فلا يقال: ألم يروا انتفاء رجوع كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم ويمكن أن يُقال إنه من قبيل بدل الكل من الكل لأن كونهم غير راجعين إليهم عن إهلاكهم بالكلية والمعنى ألم يروا أن خروجهم من الدنيا ليس كخروج أحدهم من منزله إلى السوق أو بلد آخر ثم يعود إلى منزله عند إتمام مصلحته هناك هو مفارقة من الدنيا أبدًا، وفي أعجبتني الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح أن يقال: أعجبتني ملاحة الجارية وسُرق ثوب زيد وقيل: هو بدل الكل من الكل لأن كونهم غير راجعين عبارة عن إهلاكهم لأنه لازم له عبر به عنه تجوزًا.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد: (شامي) وعاصم وحمزة بمعنى إلا و«إن» نافية. وغيرهم بالتخفيف على أن «ما» (صلة) للتأكيد (و«إن» مخففة من الثقيلة) وهي متلقاة باللام لا محالة. والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض من المضاف إليه، والمعنى إن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون. وإنما أخبر عن ﴿كُلٌّ﴾ بجميع لأن «كلا» يفيد معنى الإحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني أن المحشر يجمعهم.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ مبتدأ وخبر (أي وعلامة) تدل على أن الله يبعث الموتى إحياء الأرض الميتة، ويجوز أن يرتفع ﴿وَءَايَةٌ﴾ بالابتداء و﴿لَّهُمُ﴾ صفتها، وخبرها ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ اليابسة. وبالتشديد: (مدني) ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالمطر وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك ﴿نَسْلَخُ﴾ ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أُريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل بأعيانهما فعُومِلا معاملة السكرات في وصفها بالأفعال ونحوه:

(ولقد أمر على اللئيم يسبني)

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أريد به الجنس ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قدَّم الطرف ليدلّ على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قلّ جاء القحط ووقع الضرّ وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء.

قوله: (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. **قوله**: (صلة) أي مزيدة. **قوله**: (وإن مخففة من الثقيلة) واسمها مضمر وهو ضمير الشأن أو الأمر.

قوله: (أي وعلامة) عظيمة. **قوله**: (مدنيّ) هو نافع المدنيّ رحمه الله. **قوله**:

(ولقد أمرّ على اللئيم يسبني)

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ «من» زائدة (**عند الأخفش**) وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ والضمير لله تعالى أي ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر. (﴿مِن ثُمُرِهِۦ﴾ **حمزة وعليّ**) ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي (**والتلقيح**) وغير ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه،

فإن يسبني صفة اللئيم إذ لم يرد به لئيم معين بل أريد به لئيم من اللئام.

قوله: (**عند الأخفش**) الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويًا لغويًا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه سيبويه وأبو عبيدة ومَن في طبقتهما والأخفش الأصغر أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، وكان عالمًا روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة والأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة وهو صاحب سيبويه وحيث يطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور، فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيدوه. والأخفش بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وبعدها شين معجمة وهو الصغير العين مع سوء بصرها.

قوله: (﴿مِن ثُمُرِهِۦ﴾) برفع الثاء والميم (**حمزة وعليّ**) الكسائي وهي لغة فيه أو جمع ثمار والباقون بفتحهما.

قوله: (**والتلقيح**) وهو أن يشقّ الكمّ وقذّر فيه من طلع النخل ليصلح إناثها والكم بالكسر وعاء الطلع كذا في الشامي. وفي لسان العرب وتلقيح النخل معروف يقال: لَقّحوا نخلهم وألقحوها واللقاح ما يُلَقَّح به النخلة من الفُحّال، يقال: ألقح القوم النخل إلقاحًا ولقّحوها تلقيحًا وألقح النخلة بالفُحّالة ولقّحها وذلك أن يدع الكافور وهو وعاء طلع النخل ليلتين أو ثلاثًا بعد انفلاقه ثم يأخذ شمراخًا من الفُحّال.

يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كدّ بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات. ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره، ويجوز أن يُراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال (رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه) في الجلد (توليع البهق

قال الأزهري: وأجوده ما عُتِّقَ وكان من عام أول فيدسّون ذلك الشمراخ في جوف الطلعة وذلك بقدر قال: ولا يفعل ذلك إلّا رجل عالم بما يفعل منه لأنه إن كان جاهلًا فأكثر منه أحرق الكافور فأفسده وإن أقلّ منه صار الكافور كثير الصيصاء يعني بالصيصاء ما لا نوى له وإن لم يفعل ذلك بالنخلة لم ينتفع بطلعها ذلك العام. اهـ.

وفي المصباح قال أبو حاتم السجستاني في كتاب النخلة: إذا انشق الكافور قيل: شقق النخل وهو حين يؤبّر بالذكر فيؤتى بشماريخه فتنفض فيطير غبارها وهو طحين شماريخ الفحال إلى شماريخ الأنثى وذلك هو التلقيح. اهـ.

قوله: (رؤبة) بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحّدة وبعدها هاء ساكنة هو أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي السعدي تُوفي سنة خمس وأربعين ومائة وكان قد أسنّ رحمه الله تعالى.

قوله: (فيها) إلى الأفراس أو البقرة (خطوط من سواد وبلق). والبلق أصله بياض وسواد لكن المراد هنا البياض فقط بقرينة عطفه على السواد وإن عطف على الخطوط فهو على أصله فيكون إشارة إلى النوعين (كأنه) أي ما ذكر من السواد والبياض في الجلد (توليع البهق) أي تلوينه والبهق بياض يغير الجلد يخالف لونه لون البرص.

فقيل له فقال: أردت كأن ذاك). ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ (كوفي غير حفص) وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير. وقيل: «ما» نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ استبطاء وحث على شكر النعمة.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النخيل والشجر والزرع والثمر ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الأولاد ذكورًا وإناثًا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها، ففي الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ نخرج منه النهار إخراجًا لا يبقى معه شيء من ضوء النهار، أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجي أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض من الهواء الظلمة فاكتسى

قوله: (فقيل له فقال: أردت كأن ذاك) عن أبي عبيدة أنه قال: قلت لرؤبة: إن أردت بالضمير الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنهما فقال أردت كان ذاك ويلك يعني يجوز أن يكنّى باسم الإشارة عن أشياء كثيرة باعتبار كونها في تأويل ما ذكر وما تقدم وقد تقع مثله في الضمير وفي هذا الكلام نوع إشارة إلى أن اسم الإشارة أصل في هذا الباب والضمير محمول عليه وأردفه بلفظ ويلك على عادة العرب من أنهم لا يقصدون به الدعاء عليه بل يريد التلّطف على عادتهم.

قوله: (كوفيّ) أي حمزة والكسائي وشعبة[١] (غير حفص[١]) بن سليمان البزاز.

---

(١) من رواة عاصم.

بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ (**داخلون في الظلام**).

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى﴾ وآية لهم الشمس تجري ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ لحدٍّ لها موقّت مقدّر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة، شبّه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا وهو المغرب، أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكل معلوم.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ وبالرفع (**مكي**) ونافع وأبو عمرو (**وسهل**) على الابتداء والخبر قدّرناه (**أو على «وآية لهم القمر»**) ﴿مَنَازِلَ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلًا ينزل القمر كل ليلة وفي واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستوٍ يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلةً إذا نقص الشهر. ولا بدَّ في ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أي قدّرنا نوره فيزيد وينقص، أو قدّرنا مسيره منازل فيكون ظرفًا فإذا كان في آخر منازله دقَّ واستقوس ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾ (**هو عود الشمراخ**) إذا يبس واعوجَّ ووزنه (**فعلون من الانعراج**) وهو

قوله: (**داخلون في الظلام**) وهو أوّل الليل وأظلم القوم أي دخلوا في الظلام مثل أصبحوا فإذًا للمفاجأة أي ليس لهم بعد ذلك أمر سوى الدخول فيه.

قوله: (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ. **قوله**: (**وسهل**) بن محمد وليس من السبعة. **قوله**: (**أو على «وآية لهم القمر»**) أي أو بالعطف على الليل والمعنى وآية لهم القمر. **قوله**: (**هو عود الشمراخ**) بكسر الشين المعجمة وميم ساكنة بعدها راء مهملة وألف وخاء معجمة وهو ما عليه البشر من عيدان الكباسة والكباسة بالكسر عنقود النخل. **قوله**: (**فعلون**) فنونه زائدة وقيل: وزنه فعلول فنونه أصلية. **قوله**: (**من الانعراج**) وهو الاعوجاج.

الانعطاف ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ (العتيق المحول) وإذا قدم دقّ وانحنى واصفر فشبّه القمر به من ثلاثة أوجه.

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ﴾ أي لا يتسهل لها ولا يصحّ ولا يستقيم ﴿أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لأن لكل واحد من النيرين سلطانًا (على حياله)، فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ (ولا يسبق الليل النهار) أي آية الليل النهار وهما النيران، ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها ﴿وَكُلّٞ﴾ التنوين فيه عوض من المضاف إليه أي وكلهم (والضمير للشموس والأقمار) ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ يسيرون.

قوله: (العتيق المحول) عبارة البيضاوي العتيق وقيل: ما مرّ عليه حول فصاعدًا. اهـ. وقوله: العتيق إذ الجديد ليس بمعوج ولم يكن أصفر وقد يقال: هو ما مرّ عليه حول لكن لا يلزم ذلك بل المقصود كونه دقيقًا وأصفر سواء كان في سنة أو لا.

قوله: (على حياله) بكسر الحاء أي بانفراده. **قوله**: (ولا يسبق الليل النهار...) الخ فمعنى قوله: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ لا يتسهل للقمر أن يكون ذا سلطان في النهار بل تراه فيه جرمًا لا نورانيّة ولا بهاء فيه فضلًا عن أن يزيل سلطان الشمس.

قوله: (والضمير للشموس[1] والأقمار) لما كان المذكور الشمس والقمر وجيء بضمير الجمع اعتذر بأن هنا شموسًا وأقمارًا باعتبار مطالعهما ولما ذكر مطالعهما فكأنه ذكر شموس وأقمار فجيء بضمير الجمع لذلك.

---

(١) توجيه لجمعه مع أنهما اثنان بأن اختلاف أحوالهما في المطالع وغيرها نزل منزل تعداد أفرادهما ولذا يقال الشموس والأقمار.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (﴿ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ مدني وشامي) ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي المملوء. والمراد بالذرّيَّة الأولاد ومَن يهمّهم حمله وكانوا يبعثونهم إلى التجارات في برّ أو بحر، أو الآباء لأنها من الأضداد. والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام. وقيل: معنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرّياتهم. وإنما ذكر ذرياتهم دونهم **(لأنه أبلغ في الامتنان عليهم)**.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ (من مثل الفلك) ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ (من الإبل وهي سفائن البر).

قوله: (**﴿ذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ مدنيّ وشاميّ**) أي قرأ نافع المدني وابن عامر الشامي بألف بعد الياء التحتية وكسر الفوقانية على الجمع والباقون بغير ألف وفتح الفوقانية على الإفراد.

قوله: (**لأنه أبلغ في الامتنان عليهم**) بكمال النعمة فإنه لو قيل: حملناهم لكان امتنانًا بمجرد تخليصهم من الغرق فلما قيل: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أفاد الكلام أن نعمة التخليص من الغرق لم تكن مقتصرة عليكم بل هي متعدّية إلى أعقابكم إلى يوم القيامة حيث حملنا معكم أولادكم إلى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي لكم نسل ولا عقب.

قوله: (**من مثل الفلك**) من بيانية قدم على المبين وهو ما يركبون لرعاية الفاصلة. **قوله**: (**من الإبل وهي سفائن البر**) أي كالسفائن في البر لكثرة ما تحمل ولتبليغها للمقصود وهو الملايم لقوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ وخصّ الركوب بالذكر لأنه أعم المنافع، وقلما يخلو عن الحمل مع الركوب ولذا لم يجيء ما يحملون. اهـ قنوي.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ (**فلا مُغيث أو فلا إغاثة**) ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ لا ينجون ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي ولا ينقذون إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة إلى انقضاء الأجل، (**فهما منصوبان على المفعول له**).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي ما تقدم من ذنوبكم وما تأخّر مما أنتم تعملون من بعد أو من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها، وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لتكونوا على رجاء رحمة الله. وجواب «إذا» مضمر أي أعرضوا، وجاز حذفه لأن قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يدل عليه. و«من» الأولى لتأكيد النفي والثانية للتبعيض أي و(**دأبهم**) الإعراض عند كل آية وموعظة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لمشركي مكة ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي تصدقوا على الفقراء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ عن ابن عباس

قوله: (**فلا مغيث أو فلا إغاثة**) إشارة[1] إلى أن الصريخ يكون بمعنى المغيث ويكون مصدرًا بمعنى الإغاثة لأنه في الأصل بمعنى الصراخ وهو صوت مخصوص وكل منهما صحيح هنا. **قوله**: (**فهما منصوبان على المفعول له**) والاستثناء مفرغ أي ولا ينقذهم من الغرق أحد إذا أردنا إغراقهم إلا أن نفعل نحن ذلك الإنقاذ لرحمة صادرة منا ولتمتع بالحياة إلى حين قدّر لآجالهم.

قوله: (**دأبهم**) أي عادتهم.

---

(١) أي إشارة إلى أن الصريخ فعيل بمعنى مفعل أي مصرخ وهو المغيث.

رضي الله عنهما: كان بمكة (زنادقة) فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا: لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي وبعد البعث والقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون خطاب للنبي وأصحابه ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ **حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه إذا غلبه في الخصومة**)، وشدد الباقون الصاد أي ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بإدغام

قوله: (زنادقة) في المصباح الزنديق مثل قنديل، قال بعضهم: فارسي معرّب وقال ابن الجواليقي: رجل زنديقي وزنديق إذا كان شديد البخل وهو محكي عن ثعلب وعن بعضهم سألت أعرابيًا عن الزنديق فقال: هو النظار في الأمور والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبّر عن هذا بقولهم: ملحد أي طاعن في الأديان وقال في البارع: زنديق وزنادقة وزناديق وليس ذلك من كلام العرب في الأصل وفي التهذيب وزندقة الزنديق أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق، اهـ.

وفي لسان العرب قال سيبويه: الهاء في زنادقة وفرازنة عوض من الياء في زنديق وفرزين وأصله الزَنَاديق.

الجوهري الزنديق من الثنوية وهو معرّب والجمع الزنادقة، وقد تزندق والاسم الزَنْدقة. اهـ.

قوله: (﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ **حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد**) كيضربون.
قوله: (**من خصمه إذا غلبه في الخصومة**) إشارة إلى أنه متعدٍّ فالمفعول محذوف أي يخصم بعضهم بعضًا وحذف المضاف أي الفاعل فارتفع الضمير المجرور واستتر.

التاء في الصاد، **(لكنه مع فتح الخاء: مكي)** بنقل حركة التاء المدغمة إليها، **(وبسكون الخاء: مدني، وبكسر الياء والخاء)**: يحيىٰ فأتبع الياء الخاء في الكسر، **(وبفتح الياء وكسر الخاء: غيرهم)**. والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضًا في معاملاتهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ فلا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ هي النفخة الثانية والصور **(القرن أو جمع صورة)**

قوله: (لكنه مع فتح الخاء: مكيّ) أي قرأ ابن كثير المكيّ بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد المكسورة نقلت الفتحة الخالصة التي في تاء يختصمون مكانها إلى قاء فأدغمت في الصاد فصار يخصمون بإخلاص فتحة الخاء وإقفالها. **قوله: (وبسكون الخاء: مدنيّ)** أي قرأ نافع المدنيّ بفتح الياء وإسكان الخاء وتشديد الصاد فيجمع بين ساكنين وأيضًا قرأ بإخفاء فتحة الخاء واختلاسها وسرعة التلفّظ بها وعدم إكمال صوتها مع تشديد الصاد نقل شيئًا من صوت فتحة تاء يختصمون إلى الجماعة تنبيهًا على أن الخاء أصلها السكون. **قوله: (وبكسر الياء والخاء)** معًا وتشديد الصاد يحيىٰ[1] بن آدم.

قوله: (وبفتح الياء وكسر الخاء) وتشديد الصاد **(غيرهم)** أسكنت تاء يختصمون فأُدغمت في الصاد فالتقى ساكنان فكسر أولها.

قوله: (القرن) الذي ينفخ فيه إسرافيل على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام. **قوله: (أو جمع صورة)**[2] كصوف جمع صوفة ويؤيد هذا الوجه قراءة بعض القراء ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: الآية ٩٩] بفتح الواو والجمهور على إسكان واو الصور.

---

(١) من رواة أبي بكر شعبة بن عياش.

(٢) في إعراب السمين في الأعرج في الصوَر بفتح الواو وفي الإتحاف ومن ذلك قراءة قتادة ونفخ في الصُّوَر. اهـ.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أي القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ يعدون (بكسر السين وضمها).

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ۝٥٣﴾

﴿قَالُواْ﴾ أي الكفار ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا﴾ مَن أنشرنا ﴿مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ أي مضجعنا، (وقف لازم عن حفص) وعن مجاهد (للكفّار مضجعة) يجدون فيها طعم النوم فإذا صِيحَ بأهل القبور قالوا: مَن بعثنا ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسائل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضًا، و«ما» مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمٰن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق، أو موصولة وتقديره هذا الذي وعده الرحمٰن والذي صدقه المرسلون أي والذي صدق فيه المرسلون ﴿إِن كَانَتۡ﴾ النفخة الأخيرة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ للحساب.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾

ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ بضمتين:

قوله: (بكسر السين وضمّها) في إعراب السمين قرأ ابن[(١)] أبي إسحٰق وأبو عمرو في رواية ﴿يَنسِلُونَ﴾ بضم السين يقال: الثعلب ينسل وينسل أي أسرع في عدوه. اهـ.

قوله: (وقف لازم عن حفص) رُوِيَ عنه أنه وقف عليه وسكت سكتة خفيفة لئلا يتوهم أن هذا صفة لـ ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾. **قوله**: (للكفار مضجعة... الخ) يعني أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم.

---

(١) أي يعقوب بن أبي إسحٰق الحضرمي وليس من السبعة.

(كوفي وشامي)، وبضمة وسكون: **(مكي)** ونافع وأبو عمرو. والمعنى في شغل في أيّ شغل وفي شغل لا يوصف، وهو **(افتضاض الأبكار)** على **(شط الأنهار)** تحت الأشجار أو ضرب الأوتار أو ضيافة الجبار ﴿فَكِهُونَ﴾ خبر ثانٍ (﴿فَكِهُونَ﴾ **يزيد**)، والفاكه والفكه: المتنعّم المتلذّذ ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذّذ به وكذا **(الفكاهة)**.

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ عطف عليه ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ حال جمع ظل وهو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب، أو جمع ظلة **(كبرمة)** وبرام دليله قراءة حمزة وعليّ، (﴿ظُلَلٍ﴾) جمع ظلة وهي ما سترك عن الشمس ﴿عَلَى

قوله: **(كوفيّ)** أي عاصم وحمزة وعلي وخلف وليس من السبعة. **قوله**: **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ. **قوله**: **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ.

قوله: **(افتضاض الأبكار)** في المصباح فضضت البكارة إزالتها على التشبيه بالختم.اهـ. في لسان العرب يقال: افتضّ[1] فلان جارية واقتضّها[2] إذا افترعها.اهـ. وأيضًا فيه افترَعَ البكر افتضّها والفُرْعة دمها وقيل له: افتِرَاع لأنه أول جماعها وهذا أول صيد فرَعَه أي أراق دَمَه.اهـ.

قوله: **(شط الأنهار)** في المصباح الشط جانب النهر وجانب الوادي والجمع شطوط مثل فلس وفلوس.اهـ.

قوله: (﴿فَكِهُونَ﴾) بغير ألف **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة. **قوله**: **(الفكاهة)** بالضم المزاح.

قوله: **(كبرمة)** في المصباح البرمة القدر من الحجر والجمع برم مثل غرفة وغرف وبرام أيضًا.اهـ. **قوله**: (﴿ظُلَلٍ﴾) بضم الظاء ولا ألف بين اللامين.

---

(١) من الافتضاض بالفاء. (٢) من الاقتضاض بالقاف.

﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ جمع الأريكة وهي السرير (**في الحجلة أو الفراش فيها**) ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ خبر أو ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ خبر و﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ مستأنف.

﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾

﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ (**يفتعلون من الدعاء**) أي كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم (**أو يتمنون**) من قولهم: «ادع عليَّ ما شئت» أي تمنه عليَّ، (**عن الفراء**) هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون ﴿سَلَٰمٌ﴾ (**بدل من** ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾) كأنه قال لهم: سلام، (**يقال لهم**: ﴿قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيمًا لهم وذلك مُتَمَناهم ولهم ذلك لا يمنعونه. قال ابن عباس: والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من ربّ العالمين.

قوله: (**في الحجلة**) بفتحتين وقيل: بسكون الجيم مع ضم الحاء وقيل: مع كسرها والمراد بها نحو قبة تعلق على السرير وتزيّن به العروس. **قوله**: (**أو الفراش فيها**) عطف على السرير يعني أن الأريكة فيها قولان قيل: السرير الكائن في الحجلة وقيل: الفراش الكائن في الحجلة.

قوله: (**يفتعلون من الدعاء**) بمعنى الطلب أي يدعون من الافتعال أصله يدتعيون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها ثم حذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم أبدلت التاء دالًا وأُدغمت الدال في الدال فصار ﴿يَدَّعُونَ﴾ بمعنى الثلاثي مع المبالغة.

قوله: (**أو يتمنون**) إشارة إلى أن يدّعون يفتعلون من الدعاء بمعنى التمنّي أي كل ما يتمنونه فهو حاصل لهم. **قوله**: (**عن الفراء**) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الأسلمي الكوفيّ.

قوله: (**بدل من** ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾) أي بدل من ما بدل الكل من الكل إن خصّ الدعاء به وإلا فبدل البعض من الكل بحذف العائد. **قوله**: (**يقال لهم**: ﴿قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾) أشار إلى أن قولًا منصوب على المصدرية لفعله المقدّر.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حِدَة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة.

وعن (الضحاك): لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدًا ويقول لهم يوم القيامة: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ العهد الوصية وعهد إليه إذا وصّاه وعهد الله إليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع، وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزيّنه لهم ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ وحّدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمٰن ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي صراط بليغ في استقامته ولا صراط أقوم منه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ بكسر الجيم والباء (والتشديد: مدني) وعاصم (وسهل) ﴿جِبِلًّا﴾ بضم الجيم والباء والتشديد: (يعقوب ﴿جُبْلًا﴾) مخففًا: (شامي) وأبو عمرو. و﴿جِبِلًّا﴾ بضم الجيم والباء وتخفيف اللام: غيرهم، وهذه لغات (في معنى الخلق) ﴿كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله: (**الضحاك**) بن مخلد.

قوله: (**والتشديد**) أي تشديد اللام. **قوله**: (مدنيّ) أي أبو جعفر وليس من السبعة ونافع. **قوله**: (**وسهل**) بن محمد السجستاني وليس من السبعة.

قوله: (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي وليس من السبعة. **قوله**: (﴿جُبْلًا﴾) مخففًا أي بضم الجيم وسكون الموحدة (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. **قوله**: (**في معنى الخلق**) والجماعة أي خلقًا.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾ بها ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٦٤﴾ ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها.

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٦٥﴾

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي نمنعهم من الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ يُروَى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين، فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم، وفي الحديث «يقول العبد يوم القيامة إني **(لا أجيز)** عليَّ إلا شاهدًا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه: أنطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: (**«بعدًا لكن وسحقًا فعنكنّ كنت أُناضل»**)».

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ۝٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ۝٦٧﴾

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم. والطمس **(تعفية)** شق العين حتى تعود ممسوحة ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ﴾ قردة أو خنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ (**﴿على مكاناتهم﴾ أبو بكر وحماد**) والمكانة والمكان واحد **(كالمقامة)** والمقام أي لمسخناهم **(في منازلهم)** حيث **(يجترحون)** المآثم ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا

قوله: **(لا أجيز)** أي لا أقبل. **قوله:** **(بعدًا لكن وسحقًا)** بسكون الحاء وضمّها أي هلاكًا. **قوله:** **(فعنكن كنت أناضل)** أي أجادل وأخاصم.

قوله: **(تعفية)** أي محو. **قوله:** **(﴿على مكاناتهم﴾)** بألف بعد النون على الجمع **(أبو بكر)** شعبة بن عياش **(وحماد)** بن زياد والباقون بغير ألف على الإفراد. **قوله:** **(كالمقامة)** بفتح الميم وهو موضع القيام.

﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ فلم يقدروا على ذهاب (ولا مجيء) أو مضيًا أمامهم ولا يرجعون خلفهم.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ (نُنَكِّسْهُ﴾ **عاصم وحمزة**)، والتنكيس: جعل الشيء أعلاه أسفله، (**الباقون** ﴿نَنْكُسه﴾) ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ أي نقلبه فيه بمعنى مَن أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفًا وبدل الشباب (هرمًا)، وذلك أنّا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه، فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوّه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عزَّ وجلّ: (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾) [الحج: الآية ٥]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن مَن قدر على أن ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن (رجاحة)

قوله: (في منازلهم) أي فعلى بمعنى في. **قوله**: (يجترحون) أي يكتسبون. **قوله**: (ولا مجيء) أشار به إلى ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ معطوف على ﴿مُضِيًّا﴾.

قوله: (﴿نُنَكِّسْهُ﴾) قرأه (**عاصم وحمزة**) بضم النون الأولى وفتح النون الثانية وتشديد الكاف مكسورة من نكسه مبالغة. **قوله**: (**الباقون** ﴿نَنْكُسه﴾) بفتح النون الأولى وسكون الثانية وتخفيف الكاف مضمومة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها. **قوله**: (هَرِمًا) أقصى الكِبَر. **قوله**: (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾) أخسّه من الهرم والخرف، والخرف بابه طرب فعلًا ومصدرًا وهو فساد العقل من الكبير.

قوله: (﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾) متعلق بيردُّ (من ﴿بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾) أي لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئًا وشيئًا مفعول يعلم قال عكرمة: مَن قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة أي فهذا الردُّ خاص بغير قارىء القرآن والعلماء أما قارىء القرآن والعلماء فلا يردّون في آخر عمرهم إلى الأرذل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم.

العقل إلى الخرف وقلة التمييز، قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت. (**وبالتاء: مدني ويعقوب وسهل**).

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ شاعر فنزل ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أي وما علمنا النبي عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر (**فهو كلام موزون مقفًّى**) يدل على معنى، فأين الوزن وأين التقفية؟ فلا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققته ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وما يصحّ له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد (**قرض الشعر**) لم يتأتَ له ولم يتسهّل كما جعلناهُ أُمّيًا لا يهتدي إلى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة (**أدحض وأما قوله**:

أنـا الـنـبـي لا كـذب أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب

وقـوله:

قوله: (رجاحة) بالفتح. **قوله**: (وبالتاء: مدنيّ) أي «تعقلون» بتاء الخطاب أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة ونافع المدنيّ. وكذا ابن ذكوان[1] (**ويعقوب وسهل**) بن محمد وليسا من السبعة.

قوله: (فهو) أي **الشعر** (**كلام موزون مقفى**) الذي قصد إلى وزنه قصدًا أوليًا وأما مَن يقصد المعنى فيتفق أن يكون ما يدلّ عليه من اللفظ موزونًا لا يكون شاعرًا ولا ذلك اللفظ شعرًا. **قوله**: (قرض[2] **الشعر**) في المصباح قرضت الشعر فطمته. اهـ.

قوله: (**أدحض**) في المصباح دحضت الحجة دحضًا من باب نفع بطلت. اهـ. **قوله**: (**وأما قوله**:

أنـا الـنـبـيّ لا كـذب أنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب)

---

(١) من رواة ابن عامر الشامي.

(٢) القرض قول الشعر خاصة يقال: قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قروض.

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت)

فما هو إلا من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونًا كما يتفق في خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة، ولا يسمّيها أحد شعرًا لأن صاحبه لم يقصد الوزن ولا بدّ منه، **(على أنه عليه السلام قال:)** «لقيت» بالسكون، وفتح الباء في «كذب» **(وخفض الباء في المطلب)** ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي المعلم ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي ما هو إلا ذكر من الله يُوعَظ به الإنس والجن، وما هو إلا قرآن كتاب سماوي **(يُقرأ**

قاله يوم حنين وهو على بغلته الشهباء وأبو سفيان بن الحارث آخذ بزمامها كذا صحّحه أهل السِّيَر، وقول شراح الكشاف أنه قال بحنين حين نزل ودعا واستنصر مخالف للرواية. كذا أفاده العلّامة الشهاب فافهم أي أنا النبيّ صغرى وكل نبيّ ليس بكاذب كبرى أما الكبرى فظاهرة مسلمة وأما الصغرى فللمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فلست بكاذب في كل خبر لا سيما في خبر إن الله وعدني نصرتي فلا يجوز الفرار بل يجب القرار، وعن هذا ثبت في مكانه مع أن مركوبه بغل لا يقدر الكرّ والفرّ أنا ابن عبد المطلب إنما ذكره لأنه بين قريش مشتهر بأنه رأى في المنام أن ابنه يغلب على كفار قريش وذكره للتذكير. **قوله**: (وقوله:

(هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت)

قاله حين أصاب الحجر في إصبعه[1] الشريف فدميت أي ما أنت أي هل بمعنى النفي. **قوله**: **(على أنه عليه السلام قال...)** الخ فسقط الوزن لكن بعض شراح الحديث لم يرض به لمخالفة الرواية وعن هذا أخره المصنّف رحمه الله. **قوله**: **(وخفض الباء)** أي كسرها **(في المطلب)** وكسر التاء التي في دميت من غير إشباع الكسر فلا يكون شيء منهما شعرًا أصلًا.

---

(١) الأصبع مؤنثة وكذلك سائر أسمائها مثل الخنصر والبنصر وفي كلام ابن فارس ما يدل على تذكير الإصبع وقال الصنعاني أيضًا يذكّر ويؤنث.

في **المحاريب ويُتلَى في المتعبدات**) وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين، فكم بينه وبين الشعر الذي هو (**من همزات الشياطين**).

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لِّيُنذِرَ﴾ القرآن أو الرسول (﴿لِّتُنذِرَ﴾ **بالتاء مدني وشامي وسهل ويعقوب**) ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ عاقلًا متأملًا لأن الغافل كالميت أو حيًّا بالقلب، ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ (**وتجِب كلمة العذاب**) ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يتأملون وهم في حكم الأموات.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ أي مما تولّينا نحن إحداثه ولم يقدر على تولّيه غيرنا ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ أي خلقناها لأجلهم (**فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها**) تصرف الملاك مختصّون بالانتفاع بها (**أو فهم لها ضابطون قاهرون**).

قوله: (**يقرأ في المحاريب**) أي المساجد (**ويتلى في المتعبدات**) إشارة إلى أن القرآن بمعنى المقروء. **قوله**: (**من همزات الشياطين**) أي وساوسهم.

قوله: (﴿لِّتُنذِرَ﴾ **بالتاء**) خطابًا (**مدنيّ**) أي نافع المدنيّ (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ و(**سهل ويعقوب**) وليسا من السبعة والباقون بالياء التحتية على الغيبة. **قوله**: (**وتجب كلمة العذاب**) وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ [هُود: الآية ١١٩] الآية. هذا الوجوب بناء على الوعيد.

قوله: (**فملكناها إياهم فهم متصرّفون فيها**...) الخ إشارة إلى أن الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ سببية وأن الجملة معطوفة على مقدّر أي خلقنا لهم أنعامًا فملكناها إياهم فهم يتملّكونها ويتصرّفون فيها تصرّف الملاك مختصّون بالانتفاع بها لا يزاحمون ولا يمنعهم أحد من التصرّف فيها. **قوله**: (**أو فهم لها ضابطون قاهرون**) فعلى هذا يكون المالك بمعنى القادر والقاهر من ملكت العجين إذا أجدت عجنه.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ **(وصيّرناها منقادة لهم)** وإلا فمَن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها، ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبّح بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ (مُقْرِنِينَ)﴾ [الزخرف: الآية ١٣]، ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ **(وهو ما يركب** ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾) أي سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الجلود **(والأوبار)** وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن **(وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب)** ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على إنعام الأنعام.

قوله: (وصيرناها منقادة لهم) أي ذللنا من الذل بكسر الذال بمعنى الانقياد لا من الذل بضم الذال ضد العزّ. **قوله:** (﴿مُقْرِنِينَ﴾) أي مطيقين.

قوله: (وهو ما يركب) أي الركوب بفتح الراء فعول بمعنى المفعول قدم الركوب لأنه أهم من سائر المنافع، قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: الآية ٨] الآية. ونبّه بمن التبعيضية على أن بعض الأنعام لا يركب إذ المراد بالأنعام الأزواج الثمانية من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين والمركوب الإبل فقط، ومنه ينكشف وجه تقديم الركوب لأن الإبل أبدع صنعًا وأوفر نفعًا. وقرىء شاذًا ﴿رُكُوبُهُمْ﴾ بالضم فيكون مصدرًا بمعنى المفعول أو تقدير مضاف أي ذو ركوبهم. **قوله:** (﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾) البعض في الأول باعتبار الجزئيات إذ المركوب فرد من أفراده، والثاني باعتبار الأجزاء أي المأكول بعض أجزائه لا كله إذ لا يؤكل جلده ولا صوفه وغير ذلك فعلم منه أن مدلول من التبعيضية قد يكون جزء من الأجزاء وقد يكون جزئيًا من الجزئيات.

قوله: (والأوبار) جمع وبر في المصباح الوبر للبعير كالصوف للغنم والجمع أوبار مثل سبب وأسباب.اهـ. **قوله: (وهو جمع مشرب)** بالفتح مكان أو مصدر. **قوله: (وهو موضع الشرب)** فيكون مجازًا ذكر المحل وأريد الحال. **قوله: (أو الشراب)** والمصدر بمعنى المفعول.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي لعل أصنامهم تنصرهم إذا (حَزَبَهم) أمر ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي آلهتهم ﴿نَصْرَهُمْ﴾ نصر عابديهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ أي الكفّار للأصنام ﴿جُندٌ﴾ أعوان وشيعة ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ يخدمونهم (ويذبّون عنهم)، أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهّموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

(﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وبضم الياء وكسر الزاي: نافع من حزنه وأحزنه) يعني فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم. ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من عداوتهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وإنّا مُجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بها الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى (ينقشع) عنه الهمّ ولا (يرهقه) الحزن.

ومَن زعم أن مَن قرأ ﴿أنا نعلم﴾ بالفتح فسدت صلاته وإن اعتقد معناه كفر فقد أخطأ، لأنه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام، وعليه تلبية رسول الله ﷺ «أن الحمد والنعمة لك»، كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما. وكلامهما تعليل. فإن قلت:

قوله: (حزبهم) بالحاء المهملة والزاي المعجمة والباء الموحدة بمعنى أصابهم ونزل عليهم في المصباح حزبهم أمر يحزبهم من باب قتل أصابهم. اهـ. **قوله**: (ويذبون عنهم) الذب الدفع.

قوله: (﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وبضم الياء وكسر الزاي: نافع من حزنه وأحزنه) عبارة الكشاف قرىء ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ بفتح الياء وضمّها من حزنه وأحزنه. اهـ. **قوله**: (ينقشع) أي ينكشف. **قوله**: (يرهقه) أي يغشيه.

إن كان المفتوح بدلًا من ﴿قَوْلُهُمْ﴾ كأنه قيل: فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرّون وما يعلنون ففساده ظاهر.

قلت: هذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول، قد تبيّن أن تعلّق الحزن بكون الله عالمًا وعدم تعلّقه لا يدوران على كسر «إن» وفتحها، وإنما يدوران على تقديرك فتفصل إن فتحت بـ «أن» تقدّر معنى التعليل ولا تقدّر معنى البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعولية.

ثم إن قدرته كاسرًا أو فاتحًا على ما (**عظم فيه الخطب ذلك القائل**) فما فيه إلا نهي رسول الله ﷺ عن الحزن على علمه تعالى بسرّهم وعلانيتهم، والنهي عن حزنه ليس إثباتًا لحزنه بذلك كما في قوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) [القصص: الآية ٨٦]، (﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) [الأنعام: الآية ١٤]، ﴿(وَلَا تَدْعُ) مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: الآية ٨٨].

(**ونزل في أُبيّ بن خلف**) حين أخذ عظمًا (**باليًا**) وجعل (**يفتّه**) بيده ويقول: يا محمد (**أترى الله يحيي هذا بعدما رمّ**؟

قوله: (**عظّم**) من التعظيم (**فيه الخطبَ**) بالنصب (**ذلك القائل**) بالرفع.
قوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾) معينًا (﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) على دينهم الذي دعوك إليه.
قوله: (﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) بإعانتهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه.

قوله: (﴿وَلَا تَدْعُ﴾) تعبد. **قوله**: (**ونزل في أبي بن خلف**) الجمحي... الخ هذا الحديث رواه البيهقي. **قوله**: (**باليًا**) أي قانيًا. **قوله**: (**يفته**) أي يكسره أجزاء. **قوله**: (**أترى الله**) أي تعلم الله (**يحيي هذا**) مفعولي تعلم.

قوله: (**بعدما رمّ**) أي بلي أي بعد البلى على ما مصدريّة في المصباح رمّ العظم يرمّ من باب ضرب إذا بلى فهو رميم وجمعه في الأكثر أرماء مثل دليل وأدلّاء وجاء رمام مثل كريم وكرام.اهـ.

فقال رسول الله ﷺ: «نعم ويبعثك ويُدخلك جهنم».

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٧٧﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ **(مذرة)** خارجة من **(الإحليل)** الذي هو **(قناة)** النجاسة ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله

قوله: (**فقال رسول الله ﷺ: نعم**) تمّ الجواب به أي الله تعالى يحيي هذا بأن جمع الأجزاء المتفرّقة معه ونفخ الروح فيه والاستفهام في السؤال وإن كان للإنكار الوقوعي في قوة النفي لكن النظر في الظاهر وظاهره إيجاب ونعم تقرير لذلك المثبت كما قالوا في ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] النفي إذا دخل عليه الاستفهام وإن كان يقتضي تقريرًا في بعض الكلام هو معامل معاملة النفي المحض في الجواب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢].

نقله الفاضل السعدي في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: الآية ٦٣] من سورة الحج، وما نحن فيه عكس ذلك... الخ فلا إشكال بأن الظاهر في الجواب بلى لإبطال النفي المنفهم من الاستفهام الإنكاري الوقوعي.

وقوله: عليه السلام (**ويبعثك...**) الخ زيادة على الجواب وقد عرّوا من الأسلوب الحكيم كأنه قيل: لا كلام فيه بل الكلام في حالك وأمثالك فسؤاله نزل منزلة حاله وأمثاله من المصرّين على الكفر والإنكار فأجيب بذلك لكن المشهور في الأسلوب الحكيم عدم تعرّض جواب السؤال الصريح. فالأولى كونه جوابًا مع زيادة لاقتضاء المقام الإطناب للتشديد في الوعيد ولبيان أنه يموت على الكفر ومراعاة الإطناب مرغوبة لدى أولي الألباب. **قوله**: (**ويدخلك**) أي يأمر الملائكة بأن يدخلك (**جهنم**).

قوله: (**مذرة**) أي قَذِرة. **قوله**: (**الإحليل**) في لسان العرب الإحْليل مخرج البول من الإنسان.اهـ. وأيضًا فيه إحليل الذكر ثُقْبُهُ الذي يخرج منه البول والجمع الأحاليل.اهـ. وأيضًا فيه الإحليل الذكر.اهـ. **قوله**: (**قناة**) في

ودناءة أوله يتصدّى لمخاصمة ربه وينكر قدرته على إحياء الميت بعدما رُمّت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهو غاية (**المكابرة**).

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ بفتّه العظم ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ من المَنِيّ فهو أغرب من إحياء العظم، المصدر مضاف إلى المفعول أي خلقنا إياه ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ هو اسم لما بَلِيَ من العظام غير صفة (كالرمة) والرّفات ولهذا لم يؤنّث، وقد وقع خبرًا لمؤنث ومَن يثبت الحياة في العظام (ويقول: **إن عظام الميتة نجسة**) لأن الموت يؤثّر فيها (من قبل) أن الحياة تحلّها يتشبث بهذه الآية وهي (**عندنا**) طاهرة، وكذا الشعر والعصب لأن الحياة لا تحلّها فلا يؤثّر فيها الموت. والمراد بإحياء العظام في الآية ردّها إلى ما كانت عليه (**غضة**) رطبة في بدن حيّ حساس.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي ابتداء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ لا تخفى عليه أجزاؤه وإن تفرّقت في البر والبحر فيجمعه ويعيده كما كان.

لسان العرب القناة الرمح.اهـ. وأيضًا فيه القناة التي تحفر.اهـ. **قوله**: (**المكابرة**) أي المعاندة.

قوله: (كالرمة) في المصباح الرمة العظام البالية وتجمع على رمم مثل سدرة وسدر وربما جمع مثل رسول وعدو وأصدقاء.اهـ. **قوله**: (ويقول: **إن عظام الميتة نجسة**) كما هو مذهب الشافعية. **قوله**: (من قبل) أي من جهة.

قوله: (**عندنا**) أي عند الحنفية. **قوله**: (غضة) في لسان العرب الغَضُّ والغَضِيْض الطرِيّ.اهـ. وأيضًا فيه يقال: شيء غَضٌّ بَضٌّ وغاضٌّ باضٌّ والأنثى غَضّةٌ وغضيضة.اهـ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ تقدحون. ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي **(الزناد)** التي **(توري)** بها **(الأعراب)** وأكثرها من **(المرخ)** و**(العفار)**، وفي أمثالهم («**في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار**») لأن المرخ شجر سريع الوري، والعفار شجر تُقدَح منه النار، يقطع الرجل منها غصنين مثل السِّواكين وهما خضراوان يقطُر منهما الماء (**فيسحق المرخ ـ وهو ذكر ـ على العفار ـ وهي أُنثى ـ**) فتنقدح النار بإذن الله. (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من شجرة**) إلا وفيها النار إلا العنّاب

قوله: (**الزناد**) في المصباح الزند الذي يقدح به النار وهو الأعلى وهو مذكّر أيضًا والسفلى زندة بالهاء ويجمع على زناد مثل سهم وسهام. اهـ. **قوله**: (**توري**) في المصباح ورى الزند يري وريًا من باب وعد وفي لغة وري يري بكسرهما وأورى بالألف وذلك إذا أخرج ناره. اهـ.

قوله: (**الأعراب**) بالفتح أهل البدو ومن العرب الواحد أعرابي بالفتح أيضًا وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلام. وزاد الأزهري فقال: سواء كان من العرب أو من مواليهم قال: فمن نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهو أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء كذا في المصباح. **قوله**: (**المرخ**) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وبالخاء المعجمة شجر صغير الورق سريع الورى أي القدح. **قوله**: (**العفار**) بفتح العين المهملة وبالفاء وبالراء بعد الألف شجر آخر تقدح منه النار.

قوله: (**في كل شجر نار واستَمْجَد**[1] **المَرْخُ والعَفَارُ**) أي استكثرا وأخذا من النار ما هو حسبهما شبهًا بمن يكثر من العطاء طلبًا للمجد لأنهما يسرعان الورى يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض.

قوله: (**فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى**) كذا في الكشاف والخطيب. **قوله**: (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من شجرة...**) الخ

---

(١) أي اختصا بالمجد.

(**لمصلحة الدق للثياب**)، فمَن قدر على جمع الماء والنار في الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة في البشر، وإجراء أحد الضدَّين على الآخر بالتعقيب أسهل في العقل من الجمع معًا بلا ترتيب. (**والأخضر على اللفظ وقرىء الخضراء على المعنى**).

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

ثم بيَّن أن مَن قدر على خلق السمٰوات والأرض مع عِظَم شأنهما فهو على خلق (**الأناسي**) أقدر بقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ في الصغر بالإضافة إلى السمٰوات والأرض أو أن يُعيدهم (**لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به**) ﴿بَلَىٰ﴾ أي قل بل هو قادر على ذلك ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ﴾

كذا في الكشاف وعبارة الخطيب والبغوي والخازن. قال الحكماء: في كل شجر نار إلّا العناب. **قوله**: (**لمصلحة الدق للثياب**) أي ولذلك تتخذ منه مطارق القصارين.

قوله: (**والأخضر على اللفظ**) أي وتذكير الأخضر حمل على اللفظ وهذه قراءة العامة (**وقرىء الخضراء على المعنى**) فإن لفظ الشجر مذكر ومعناه مؤنث لأنه جمع شجرة كثمر وثمرة والجمع مؤنث لكونه بمعنى الجماعة ونظيره في الحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ [الواقعة: الآيات ٥١ - ٥٤] فإن ضمير منها وعليه راجعان إلى شجر من زقوم أنث الأول وذكر الثاني لذلك.

قوله: (**الأناسي**) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأُدغمت فيها الياء أو جمع أنسي. **قوله**: (**لأن المعاد**) على لفظ اسم المفعول (**مثل للمبتدأ وليس به**) أي ليس عينه فالمعاد ليس عين الهالك بل مثله في أصول الذات وصفاتها دون بعض العوارض الذي باعتباره يتحقق المماثلة المقتضية المغايرة في الجملة، ولذا ورد أهل الجنة جرد مرد وضرس الكافر كأحد.

(**كثير المخلوقات**) ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الكثير المعلومات ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ (**شأنه**) ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ (**أن يكونه كذا**) ﴿فَيَكُونُ﴾ (**فيحدث**) أي فهو كائن موجود (**لا محالة**). فالحاصل أن المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبَّر عن إيجاده بقوله: ﴿كُن﴾ من غير أن كان منه كاف ونون وإنما هو بيان لسرعة الإيجاد كأنه يقول: كما لا يثقل قول: «كن» عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق وإعادتهم، (﴿فَيَكُونَ﴾ **شامي وعلي**) عطف على ﴿يَقُولَ﴾، وأما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر لأن تقديرها «فهو يكون» معطوفة على مثلها وهي «أمره أن يقول له كن».

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَسُبْحَـٰنَ﴾ تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي مَلَكَ كل شيء. (**وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شيء**) ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُعادون بعد الموت بلا فوت، (﴿تَرْجِعُونَ﴾: **يعقوب**).

قوله: (كثير المخلوقات...) الخ من صيغتي المبالغة وإذا كان كذلك فلا شبهة في قدرته على الإعادة. قوله: (شأنه) أي الأمر واحد الأمور بمعنى الشؤون والأشياء لا واحد الأوامر أي شأنه المختصّ به. قوله: (﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾) أي إذا أراد إيجاده أو إعدامه. قوله: (أن يكونه كذا) في بعض النسخ والصحيح (أي تكوّن) أمر من تكون بمعنى أحدث وجودًا أو عدمًا. قوله: (فيحدث) إشارة إلى أنه مَن كان التامة وكذا كن منه أشار إليه بقوله: تكون بمعنى أحدث للتفنن. قوله: (لا محالة) أي لا بد في لسان العرب يقولون في موضع لا بُدّ لا مَحالة. اهـ. قوله: (﴿فَيَكُونُ﴾) بنصب النون (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (وعليّ) الكسائي والباقون بالرفع بناء على أنه في تقدير فهو فيكون على أنه يكون جملة اسمية معطوفة على اسمية مثلها وهي قوله: أمره أن يقول له كن.

قوله: (وزيادة الواو والتاء للمبالغة) كالجبروت والرغبوت فإنها مصادر دالّة على المبالغة. قوله: (﴿تَرْجِعُونَ﴾) بفتح التاء قرأه (يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي وليس من السبعة.

قال عليه الصلاة والسلام: **(إن لكل شيء قلبًا)** وإن قلب القرآن يٓس»، «مَن قرأ يٓس يريد بها وجه الله غفر الله له وأُعطي من الأجْر كأنما قرأ القرآن **(اثنتين وعشرين مرة)**، وقال عليه السلام: «مَن قرأ يٓس أمام حاجته قُضِيَت له»، وقال عليه السلام: «مَن قرأها إن كان جائعًا أشبعه الله، وإن كان ظمآن أرواه الله، وإن كان عريانًا ألبَسَه الله، وإن كان خائفًا أمّنه الله، وإن كان مستوحشًا آنسه الله، وإن كان فقيرًا أغناه الله، وإن كان في السجن أخرجه الله، وإن كان أسيرًا خلّصه الله، وإن كان ضالًّا هداه الله، وإن كان مديونًا قضى الله دَينَه من خزائنه» وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والله أعلم.

قوله: **(إن لكل شيء)** حيوانًا كان أو جمادًا **(قلبًا)** أي أمرًا شريفًا لجميع أجزائه. فالمراد به العموم المجاز يتناول القلب الحقيقي وهو ملك مطاع في البدن وأشرف أجزائه والمجاز وهو أشرف وأفضل أجزاء ما لا قلب له حقيقة ومن جملة هذه السورة الكريمة فإنه كما قال ﷺ أفضل من سائر سور القرآن. **قوله: (اثنتين وعشرين مرة)** وفي رواية الترمذي عن أنس كتبت له قراءة القرآن عشر مرات فإن قيل: يلزم تفضيل الشيء على نفسه قلنا: المراد بالقرآن ما سوى سورة يٓس كما قيل في ليلة القدر أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

نحمد الله على إتمام ما يتعلّق بهذه السورة الكريمة
اللّهمَّ إني أسألك ببركة هذه السورة الكريمة أن تجعلنا ممّن صلح قلبه وحَسُن حاله
وأن تحفظنا بحصن حصين ونصر متين وفتح مبين
وأن تصلي وتسلّم على رسولنا سيّد المُرسَلين وعلى آله وصحبه أجمعين
وعلينا معهم يا ربّ العالمين آمين

سورة الصَّافَّات

(مكيّة) وهي مائة وإحدى، أو اثنتان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة، أو بنفوسهم الصَّافَّات أقدامها في الصلاة. فالزَّاجرات السَّحاب سوقًا أو عن المعاصي بالإلهام، فالتَّاليات لكلام الله من الكتب المُنَزَّلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد؛ أو بنفوس العلماء العمال الصَّافَّات أقدامها في التهجّد وسائر الصلوات، فالزَّاجِرات بالمواعظ والنصائح، فالتاليات آيات الله والدارِسات شرائعه. أو بنفوس الغُزاة في سبيل الله التي تصفّ المصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذِّكر مع ذلك. و﴿صَفًّا﴾ مصدر مؤكد وكذلك ﴿زَجْرًا﴾ **(والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل)** فتفيد الفضل للصف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (مكيّة...) الخ لم يختلفوا في كونها مكيّة لكن في عدد آياتها خلاف فمنهم مَن قال: إحدى وثمانون ومنهم مَن قال: اثنتان وثمانون آية. كذا نقل عن الداني وأشار إليه المصنّف رحمه الله. **قوله**: **(والفاء تدلّ على ترتيب الصفات في التفاضل...)** الخ فإن حمل على أن الأول أفضل من الثاني تكون الفاء دالّة على

ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس. وجواب القَسَم ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾ قيل: هو جواب قولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [صٓ: الآية ٥]؟

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أي هو ربّ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أي مطالع الشمس وهي ثلاثمائة وستون مشرقًا، وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب منها ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين. وأما ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ١٧] فإنه أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وأما ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزّمّل: الآية ٩] فإنه أراد به الجهة، فالمشرق جهة والمغرب جهة.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ **(القربى منكم)** تأنيث الأدنى (﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ **حفص وحمزة)** على البدل من ﴿زِينَةً﴾ والمعنى إنّا زيّنّا السماء الدنيا بالكواكب، (**﴿بزينةٍ الكواكبَ﴾ أبو بكر)** على البدل من محل ﴿بِزِينَةٍ﴾ أو على إضمار أعني أو على إعمال المصدر مُنوّنًا في المفعول، (**﴿بزينة الكواكب﴾ غيرهم)** بإضافة المصدر إلى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب **(وأصله ﴿بزينةٍ الكواكبُ﴾)** أو على إضافته إلى

أن الوصف الثاني متأخر عن الأول في الفضل وإن حمل على أن الثاني أفضل من الأول تكون دالّة على أن الثاني أعلى مرتبة من الأول وأبعد منزلة منه كما يقع ذلك في ثم.

قوله: **(القربى منكم)** أشار بها إلى أن الدنيا أفعل تفضيل من الدنو بمعنى القرب لاسم العالم الذي هو ضد الآخرة والقرب بالنسبة إلى سائر السمٰوات وإن كان بيننا وبينها مسيرة خمسمائة عام. **قوله:** (﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾) تنوين زينة وجرّ الكواكب **(حفص وحمزة)**. **قوله:** (**﴿بزينةٍ الكواكبَ﴾**) بالتنوين ونصب الباء الموحدة من الكواكب **(أبو بكر)** شعبة. **قوله:** (**﴿بزينة الكواكب﴾**) بغير تنوين **(غيرهم)**. **قوله:** **(وأصله ﴿بزينةٍ[1] الكواكبُ﴾)** بتنوين زينة ورفع الكواكب.

---

(١) هذه قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم.

المفعول أي بأن زانَ الله الكواكب وحسَّنها، لأنها إنما زينت السماء لحُسنها في أنفسها (**وأصله ﴿بزينةٍ الكواكبَ﴾**) لقراءة أبي بكر.

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾

﴿وَحِفْظًا﴾ محمول على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: الآية ٥] أو الفعل المعلّل مقدّر كأنه قيل: وحفظًا من كل شيطان قد زيَّنّاها بالكواكب، (**أو معناه حفظناها حفظًا**) ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ خارج من الطاعة.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾

والضمير في ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ لكل شيطان لأنه في معنى الشياطين، (﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ **كوفي غير أبي بكر، وأصله** «**يتسمعون**») والتسمّع تطلّب السماع يقال: تسمع فسمع أو فلم يسمع. وينبغي أن يكون كلامًا منقطعًا مبتدأ (**اقتصاصًا**) لما عليه حال المسترِقة للسَّمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمّعوا. وقيل: أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في «جئتك أن تكرمني» فبقي

قوله: (وأصله ﴿بزينةٍ الكواكبَ﴾) بتنوين زينة ونصب الكواكب.

قوله: (﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾) بنجوم. **قوله**: (﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾) مراجم للشياطين إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار ليقتل الخبي أو يخبله لأن الكوكب يزول عن مكانه كذا في الجلالين. **قوله**: (**أو معناه حفظناها حفظًا**) فهو مصدر مؤكد لفعله المضمر.

قوله: (﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ **كوفيّ غير أبي بكر**) أي قرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح السين وتشديدها وتشديد الميم من التسمع وهو طلب السماع. وقرأ الباقون بسكون السين وتخفيف الميم. **قوله**: (**وأصله يتسمعون**) أُدغمت التاء في السين بعد تسكينها وقلبها سينًا. **قوله**: (**اقتصاصًا**) في لسَان العرب اقْتَصَصْتُ الحديث رَوَيْتُه على وجهه. اهـ.

أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قوله:

(ألا أيهذا الزاجري أحضر) الوغى

وفيه تعسّف يجب صَوْن القرآن عن مثله، فإن كل واحد (من الحذفين) غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما (منكر) . والفرق بين «سمعت فلانًا» يتحدث و«سمعت إليه يتحدث» و«سمعت حديثه» و«إلى حديثه»، أن المُعَدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمُعَدَّى بـ «إلى» يفيد الإصغاء مع الإدراك ﴿إِلَى (ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ)﴾ أي الملائكة لأنهم يسكنون السمٰوات، والإنس والجنّ هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يرمون بالشُّهُب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جميع جوانب السماء من أيِّ جهة صعدوا للاستراق.

﴿دُحُورًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿دُحُورًاۖ﴾ مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد، **(أو مدحورين على الحال)** ، أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل: يدحرون أو قذفًا

قوله : **(ألا أيهذا الزاجري)** مضاف إلى ياء المتكلم إضافة لفظية فلا يضره اللام **(أحضر)** برواية الرفع بعد حذف أن وإهدار عملها، ورُوِيَ بالنصب فلا شاهد منها وهذا المصراع الأول من البيت وآخره:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وإن هنا قرينة على حذف إن في أحضر الوغى والوغى بالمعجمة الحرب والقتال يخاطب الشاعر من زجره ولامه في حضور الحرب خوف الهلاك وعن التلذّذ والتهتك في الملاذ ويقول له: هل تضمن لي الخلود فإن مَن لا خلود له يغتنم الفرص ولا يخاف الذي هو لا بد ملاقيه. **قوله** : **(من الحذفين)** أي حذف اللام. **وقوله** : (منكر) من المنكرات. **قوله** : (﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) الجماعة وحّدت صفته وهي الأعلى نظرًا إلى إفراد لفظه.

قوله : **(أو مدحورين على الحال)** على أن يكون المصدر بمعنى المفعول أو على أن يكون الدحور جمع داحر كقاعد وقعود فدحورًا بمعنى داحرين أي

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم من الوصوب أي أنهم في الدنيا مرجومون بالشُّهُب وقد أعدَّ لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع. و«من» في ﴿إِلَّا مَنْ﴾ في محل الرفع بدل من الواو في ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي ﴿خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي سلب السلبة (**يعني أخذ شيئًا من كلامهم بسرعة**) ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ لحقه ﴿شِهَابٌ﴾ أي نجم رجم ﴿ثَاقِبٌ﴾ مضيء.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ (**فاستخبر كفّار مكة**) ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي أقوى خلقًا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة، أو أصعب خلقًا وأشقّه على معنى الرّدّ لإنكارهم البعث، وأن مَن هانَ عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسمٰوات والأرض وما بينهما. وجيء بـ «من» تغليبًا للعقلاء على غيرهم (**ويدل عليه قراءة مَن قرأ «أم من» عددنا**) بالتشديد والتخفيف ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (**لاصق**) أو لازم (**وقرىء به**)، وهذا شهادة عليهم بالضعف لأن ما يصنع من الطين

مدحورين. **قوله**: (**يعني أخذ شيئًا من كلامهم بسرعة**) يعني أن الخطف هو الاختلاس والاستلاب بسرعة و﴿الْخَطْفَةَ﴾ مصدر بمعنى المفعول أي لا تسمع الشياطين كلام الملائكة مصغين إليهم آذانهم إلّا الشيطان الذي استلب شيئًا من كلام الملائكة مسارقة فلحقه شهاب ثاقب أي كوكب مضيء كأنه يثقب الهواء بضوئه. وقال عطاء: سُمِيَ النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبًا لأنه يثقبهم.

قوله: (**فاستخبر كفّار مكة**) لأن الاستفتاء طلب الافتاء وهو تبيين المبهم ومآله الاستخبار. **قوله**: (**ويدّل عليه**) أي على التغليب (**قراءة مَن قرأ «أم من» عددنا...**) الخ وهذه قراءة شاذّة.

قوله: (**لاصق**) يلصق باليد. **قوله**: (**وقرىء به**) في الكشّاف وقرىء لازم ولاتب والمعنى واحد.اهـ. وفي السمين ولازب ولازم بمعنى وقد قرىء لازم.اهـ. لأنه يلزم اليد وقيل: اللازم الممازج وأكثر أهل اللغة على أن الباء في اللازب بدل من الميم.

غير موصوف بالصلابة والقوة، أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خُلِقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا: أئذا كنّا ترابًا؟ وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذِكر إنكارهم البَعْث.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من تكذيبهم إياك ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم منك ومن تعجّبك، أو عجبت من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، (﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ **حمزة وعليّ**) أي استعظمت، والعجب (**روعة تعتري**) الإنسان عند استعظام الشيء فجرّد لمعنى الاستعظام في حقه تعالى لأنه لا يجوز عليه الروعة، أو معناه قل يا محمد بل عجبتُ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتّعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾ معجزة كانشقاق القمر ونحوه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ (**يستدعي بعضهم بعضًا**) أن يسخر منها أو يبالغون في السخرية.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر ﴿أَءِذَا﴾ استفهام إنكار ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أي أنبعث إذا كنا ترابًا وعظامًا.

قوله: (﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾) بضم التاء (**حمزة وعليّ**) الكسائي. في السمين قوله: بل عجبت قرأ الأخوان بضم التاء والباقون بفتحها، فالفتح ظاهر وهو ضمير الرسول أو كل مَن يصح منه ذلك، وأما الضم فعلى صرفه للمخاطب أي قل يا محمد بل عجبت أنا أو على إسناده للباري تعالى على ما يليق به. وقد تقدم تحرير هذا في البقرة وما ورد منه في الكتاب أو السنّة، وعن ابن شريح أنه أنكرها وقال: الله لا يعجب فبلغت إبراهيم، فقال: إن شريحًا كان معجبًا برأيه قرأها من هو أعلم منه يعني عبد الله بن مسعود. اهـ... وكذا قرأها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قوله: (**روعة**) بفتح الراء الخوف. **قوله**: (**تعتري**) أي تصيب. **قوله**: (**يستدعي بعضهم بعضًا...**) الخ إشارة إلى أن سين يستخرون يجوز أن تكون للطلب وأن تكون للتأكيد والمبالغة.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ۝١٩﴾

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ معطوف على محل «إن» واسمها، أو على الضمير في ﴿مَبۡعُوثُونَ﴾ والمعنى أيبعث أيضًا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل. ﴿أَوۡ ءَابَآؤُنَا﴾ بسكون الواو: **(مدني وشامي)** أي أيبعث واحد منّا على المبالغة في الإنكار ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ الأقدمون.

﴿قُلۡ نَعَمۡ﴾ تُبعَثون (﴿نَعِمۡ﴾ **علي**) وهما لغتان ﴿وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ جواب شرط مقدَّر تقديره إذا كان كذلك فما هي إلا ﴿زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ و«هي» لا ترجع إلى شيء إنما هي مبهمة مُوَضِّحها خبرها، **(ويجوز فإنما البعثة)** زجرة واحدة وهي النفخة الثانية. والزجرة الصيحة من قولك: زجر الراعي الإبل أو الغنم إذا صاح عليها ﴿فَإِذَا هُمۡ﴾ أحياء بُصَراء ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى سوء أعمالهم **(أو ينتظرون)** ما يحلّ بهم.

﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾

﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا﴾ الويل كلمة يقولها القائل **(وقت الهلكة)** ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ أي اليوم الذي نُدان فيه أي نُجازَى بأعمالنا ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يوم القضاء والفرق بين **(فرق)** الهدى والضلال ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ثم يحتمل أن يكون ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ من كلام الكَفَرَة بعضهم مع بعض، وأن يكون من كلام

قوله: (مدنيّ) أي نافع المدني. **قوله:** (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (﴿نَعِمۡ﴾) بكسر العين (عليّ) الكسائي. **قوله:** (**ويجوز فإنما البعثة**) إشارة إلى أن هي راجعة إلى البعثة المدلول عليها بنعم لأن المعنى نعم تبعثون. **قوله:** (**أو ينتظرون**) أي ينظرون من النظر بمعنى الانتظار فيكون متعديًا بنفسه كما قال ما يحل بهم وأما في الأول فيتعدى بإلى.

قوله: (**وقت الهلكة**) في المصباح الهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

قوله: (**فرق**) جمع فِرْقة.

الملائكة لهم، وأن يكون ﴿يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ من كلام الكَفَرة و﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ من كلام الملائكة جوابًا لهم. ﴿ٱحۡشُرُواْ﴾ خطاب الله للملائكة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ أي **(وأشباههم وقرناءهم)** من الشياطين أو نساءهم الكافرات، والواو بمعنى «مع» وقيل: للعطف. **(وقرىء بالرفع)** عطفًا على الضمير في ﴿ظَلَمُواْ﴾ ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ﴾ دلوهم، عن **(الأصمعي)**: هديته في الدين هدًى وفي الطريق هداية ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ طريق النار.

﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾

﴿وَقِفُوهُمۡۖ﴾ احبسوهم ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ عن أقوالهم وأفعالهم ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ أي لا ينصر بعضكم بعضًا، وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا

قوله: (وأشباههم) من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة. **قوله**: (وقرناءهم) من الشياطين قال تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم﴾ [فُصِّلَت: الآية ٢٥] وقال: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [الزخرف: الآية ٣٦] وقال مقاتل: يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة.

قوله: (وقرىء بالرفع) قارئه عيسى بن سليمان الحجازي عطفًا على الضمير في ظلموا وهو ضعيف لعدم الفاصل كذا في السمين.

قوله: (الأصمعي) هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مُظَهِّر والأصمعي نسبة إلى جده أصمع. كان الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحو وإمامًا في الأخبار والنوادر والملح والغرائب سمع شعبة بن الحجاج والحماد بن مسعر بن كدام وغيرهم. وروى عنه عبد الرحمٰن ابن أخيه عبد الله وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وغيرهم وهو من أهل البصرة وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد. وكانت ولادة الأصمعي سنة اثنتين وقيل: ثلاث وعشرين ومائة وتُوفي في صفر سنة ست عشرة وقيل: أربع عشرة وقيل: سبع عشرة ومائتين بالبصرة وقيل: بمرو رحمه الله تعالى.

متناصرين في الدنيا. وقيل: هو جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر، **(وهو في موضع النصب على الحال)** أي ما لكم غير متناصرين.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مُنقادون **(أو قد أسلم بعضهم بعضًا وخذله)** عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي التابع على المتبوع ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يتخاصمون ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الأتباع للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ عن القوة والقهر إذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش أي أنكم كنتم تحملوننا على الضلال **(وتقسروننا عليه)**.

﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي الرؤساء ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكّنكم منه مختارين له على الكفر **(غير ملجئين)** ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ﴾ تسلّط نسلبكم به تمكّنكم واختياركم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ﴾ بل كنتم قومًا مُختارين الطغيان.

قوله: **(وهو في موضع النصب على الحال)** وما في ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهامية في موضع رفع بالابتداء وخبره لكم و﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾ في موضع النصب على أنه حال من الضمير المجرور في لكم وعامله معنى الاستقرار في لكم.

قوله: **(أو قد أسلم بعضهم بعضًا)** يقال: أسلمه أي خذله. **فقوله**: **(وخذله)** عطف تفسير.

قوله: **(وتقسروننا عليه)** في المصباح قسره على الأمر قسرًا من باب ضرب قهره. اهـ.

قوله: **(غير ملجئين)** في المصباح ألجأته إليه ولجأته بالهمزة والتضعيف اضطررته وأكرهته. اهـ.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فلزمنا جميعًا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ يعني وعيد الله بأنّا ذائقون لعذابه لا مَحالة بحالنا، ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله:

فقد (زعمت) هوازن قل ما لي

ولو حكى قولها لقال: «قل ما لك» ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغيّ ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فإن الأتباع والمتبوعين جميعًا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا مشتركين في الغواية ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي بالمشركين إنّا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الشِّرْك.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ (أَئِنَّا﴾ بهمزتين: **شامي وكوفي**) ﴿لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنون محمدًا عليه السلام ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ ردٌّ على المشركين ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ كقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: الآية ٩٧].

قوله: (زعمَتْ) أي علمت.

قوله: (﴿أَئِنَّا﴾ **بهمزتين: شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (وكوفيّ). في الإتحاف سهل الثانية من أئنا لتاركوا مع الفصل أي بالألف قالون وأبو عمرو وأبو جعفر وبلا فصل رويس وورش وابن كثير والباقون بالتحقيق بلا فصل ما عدا هشامًا من طريق الحلواني من طريق ابن عبدان فبالفصل وكذا الحكم في أئنك إلا أن ابن

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بلا زيادة ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ **(بفتح اللام: كوفي ومدني)**، وكذا ما بعده أي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ﴾ **(فسّر الرزق المعلوم بالفواكه)** وهي كل ما يتلذَّذ به ولا يتقوَّت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مُستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد فما يأكلونه للتلذّذ، ويجوز أن يُراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذّة وحُسْن منظر. وقيل: معلوم الوقت كقوله: (﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾) [مريم: الآية ٦٢] والنفس إليه أسكن ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ منعمون ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

بليمة وابن شريح في جماعة ذكروا الفصل فيهما عن هشام من طريق الحلواني بلا خلاف فيهما من السبعة. اهـ.

قوله: (**بفتح اللام: كوفيّ ومدنيّ**. . .) الخ. أي قرأ الكوفيون ونافع المدنيّ بفتح اللام بعد الخاء أي أن الله تعالى أخلصهم واصطفاهم بفضله والباقون بالكسر أي أنهم أخلصوا الطاعة لله تعالى. كذا في الخطيب وفي الإتحاف وقرأ المخلصين بفتح اللام نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف. اهـ.

قوله: (**فسّر الرزق المعلوم بالفواكه**) إشارة إلى أن قوله: فواكه عطف بيان للرزق.

قوله: (﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾) أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدًا كذا في الجلالين.

يجوز أن يكون ظرفًا وأن يكون حالًا وأن يكون خبرًا بعد خبر، وكذا ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ التقابل أتمّ للسرور وآنس.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ بغير همز: أبو عمرو وحمزة في الوقف، وغيرهما بالهمزة. يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسًا. وعن (**الأخفش**): كل كأس في القرآن فهي الخمر، وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون، وصف بما وصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: الآية ١٥] ﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس ﴿لَذَّةٍ﴾ وصفت باللذّة كأنها نفس اللذّة وعينها أو ذات لذّة ﴿لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولًا إذا أهلكه وأفسده ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يسكرون من نزف الشّارب إذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف، (﴿يُنزِفون﴾ **عليّ وحمزة**) أي لا يسكرون أو لا ينزِف شرابهم من أنزف الشّارِب إذا ذهب عقله أو شرابه.

﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفًا إلى غيرهم ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء أي (**نجلاء**) واسعة العين.

قوله: (**الأخفش**) الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد.

قوله: (﴿**يُنزِفون**﴾ **عليّ وحمزة**) بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الشارب إذا ذهب عقله من السكر أو نفد شرابه والمعنى أنهم لا تذهب عقولهم عنها أو لا تنزف خمورهم بل هي باقية أبدًا، والباقون بضم الياء وفتح الزاي من نزف الشارب ثلاثيًا مبنيًا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله.

قوله: (**نجلاء**) في المصباح النجل بفتحتين سعة العين وحسنها وهو مصدر من باب تعب وعين نجلاء مثل حمراء. اهـ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ مصون شبّههنّ ببيض **(النعام)** المكنون في الصفاء وبها تشبّه العرب النساء وتسمّيهنّ بيضات الخدور. وعطف ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ يعني أهل الجنة. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عطف على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب **(كعادة الشرب)** قال:

(وما بقيت من اللذات إلا) أحاديث الكِرام على المُدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عمّا جرى لهم وعليهم في الدنيا إلا أنه جيء به ماضيًا على ما عرف في أخباره.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ﴾ بهمزتين: شامي وكوفي ﴿لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بيوم الدين ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ لمجزيّون من الدين وهو الجزاء.

﴿قَالَ﴾ ذلك القائل ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لأُريكم ذلك القرين قيل: إن في الجنة **(كوى)** ينظر أهلها منها إلى أهل النار. أو قال الله تعالى لأهل الجنة:

قوله: (النعام) في لسان العرب النَّعَامة معروفة هذا الطائر يكون للذكر والأنثى والجمع نعامات ونعائم ونَعام وقد يقع النعام على الواحد.اهـ. وأيضًا فيه وقيل: النعام اسم جنس مثل حَمام وحَمامة وجَراد وجَرادة.اهـ. **قوله: (كعادة الشرب)** جمع شارب مثل صاحب وصحب. **قوله: (وما بقيت من اللذات إلّا...)** الخ. أشار بإيراد هذا البيت إلى أن عادة العرب الحديث على الشرب، والأحاديث جمع حديث وهو الخبر قل أو كثر على غير القياس والمدام الخمر.

قوله: (كوى) بالضم والقصر جمع كُوّة بالضم الثقبة في الحائط مثل مدية ومُدى.

هل أنتم مطَّلعون إلى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ المسلم ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي قرينهُ ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في وسطها ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ «إن» مخففة من الثقيلة وهي تدخل على «كاد» كما تدخل على «كان»، واللام هي الفارِقَة بينها وبين النافية والإرداء الإهلاك. (**وبالياء في الحالين: يعقوب**).

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ وهي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين، والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى بخلاف الكفّار فإنهم فيما يتمنّون فيه الموت كل ساعة. وقيل لحكيم: ما شرّ من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت. وهذا قول يقوله المؤمن تحدّثًا بنعمة الله يسمع من قرينه ليكون توبيخًا له وزيادة تعذيب. (و﴿مَوْتَتَنَا﴾ **نصب على المصدر**) والاستثناء متصل تقديره ولا نموت إلا مرة، أو منقطع وتقديره لكن الموتة الأولى قد كانت في الدنيا.

ثم قال لقرينه تقريعًا له ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي الأمر الذي نحن فيه ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ وقيل: هو أيضًا من كلامه.

قوله: (**وبالياء في الحالين: يعقوب**) وفي الإتحاف أثبت الياء وصلًا في ﴿لَتُرْدِينِ﴾ ورش وفي الحالين يعقوب. اهـ وهو ابن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة.

قوله: (و﴿مَوْتَتَنَا﴾ **نصب على المصدر**) أي منصوب ﴿بِمَيِّتِينَ﴾ نصب المصدر بالفعل الواقع قبله في مثل قولك: ما ضربت زيدًا إلا ضربة واحدة كأنه قيل: أفما نحن نموت موتة إلا موتتنا الأولى.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ تمييز ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ أي نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلًا أم شجرة الزقوم خير نزلًا؟ والنزل ما يُقام للنازِل بالمكان من الرزق، والزقوم: شجر مرّ يكون بتهامة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ محنة وعذابًا لهم في الآخرة أو ابتلاء لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ قيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ الطَّلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها، وشبّه برؤوس الشياطين للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طِباع الناس لاعتقادهم أنه شرٌّ مَحْض. وقيل: الشيطان حية **(عرفاء)** قبيحة المنظر هائلة جدًا.

﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ من الشجرة أي من طلعها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ على أكلها ﴿لَشَوْبًا﴾ لخلطًا ولمزاجًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال في صفة شراب أهل الجنة ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: الآية ٢٧]، والمعنى ثم أنهم يملئون البطون من شجرة

قوله: (عرفاء) أي طويلة العرف والعرف بضم العين وسكون الراء شعر على ما تحت الرأس.

الزقوم وهو حارٌّ يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يُسقَون إلا بعد (مليٍّ) تعذيبًا لهم بذلك العطش ثم يُسقَون ما هو أحرّ وهوالشراب المَشوب بالحميم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ أي أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدَّركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يمتلئوا ويُسقَون بعد ذلك ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك ظاهر.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ علّل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد بتقليد الآباء في الدين واتّباعهم إيّاهم في الضلال وترك اتباع الدليل. والإهراع: الإسراع الشديد **(كأنهم يحثون حثًّا)**.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك قريش ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أنبياء حذّروهم العواقب.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي الذين أنذروا وحذروا أي أُهلِكوا جميعًا ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي إلا الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين.

قوله: (مليٍّ) أي زمان طويل.

قوله: **(كأنهم يحثون حثًّا)** قال أبو عبيدة: يستحثون إليه كأنه يحثّ بعضهم بعضًا ويحضّه على الإسراع في المصباح حثثت الإنسان على الشيء حثًّا من باب قتل وحرّضته عليه بمعنى. اهـ.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ولما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين أتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه إياه حين أيس من قومه بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ دعانا لننجيه من الغرق. وقيل: أريد به قوله: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: الآية ١٠] ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ اللام الداخلة على «نعم» جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن، والجمع دليل العظمة والكبرياء. والمعنى إنا أجبناه أحسن الإجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بأبلغ ما يكون.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ ومن آمن به وأولاده ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وهو الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ وقد فنى غيرهم. قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد: **(سام وهو)** أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث وهو أبو الترك **(ويأجوج ومأجوج)**.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ من الأمم هذه الكلمة وهي ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ يعني يسلّمون عليه تسليمًا ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك «قرأت سورة

قوله: **(سام وهو...)** الخ الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم قبيلة.

قوله: **(ويأجوج ومأجوج)** بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا أي للعلمية والعجمة. وهم كفّار دعاهم النبيّ ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا.

أنزلناها» ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي ثبت هذه التحية فيهم جميعًا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل: ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة و(الثقلين) يسلّمون عليه عن آخرهم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ علّل مجازاته بتلك التكرمة (السنية) بأنه كان محسنًا ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ ثم علّل كونه محسنًا بأنه كان عبدًا مؤمنًا ليريك جلالة محل الإيمان (وإنه القصارى) من صفات المدح والتعظيم ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي الكافرين.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ أي من شيعة نوح أي ممن (شايعه) على أصول الدين أو شايعه على التصلّب في دين الله ومصابرة المكذبين، وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما إلا نبيّان هود وصالح.

﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ «إذ» تعلّق بما في الشيعة من معنىٰ المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك أو من آفات القلوب لإبراهيم، أو بمحذوف وهو «اذكر». ومعنىٰ المجيء بقلبه ربه أنه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلًا لذلك.

﴿إِذْ﴾ بدل من الأولى ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿أَئِفْكًا﴾ مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله إفكًا؟

قوله: (الثقلين) الإنس والجن.

قوله: (السنية) أي الرفيعة. **قوله**: (وإنه القصارى) في الصحاح قصاراك أن تفعل ذاك بالضم وقصاراك أن تفعل ذاك بالفتح أي غايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه. اهـ.

قوله: (شايعه) أي تبعه.

(وإنما قدّم المفعول به على الفعل للعناية)، وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن **(يكافحهم)** بأنهم على **(إفك)** وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون ﴿إفكًا﴾ مفعولًا به أي أتريدون إفكًا؟ ثم فسّر الإفك بقوله: ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ﴾ على أنها إفك في نفسها، **(أو حالًا)** أي أتريدون آلهة من دون الله آفكين؟

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ **(أيّ شيء ظنكم** ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) وأنتم تعبدون غيره؟ و«ما» رفع بالابتداء والخبر ﴿ظَنُّكُم﴾ أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقًا بالعبادة؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ أي نظر في النجوم راميًا ببصره إلى السماء متفكرًا في نفسه كيف يحتال، أو أراهم أنه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدلّ بأمارة على أنه يسقم.

﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ أي مشارف للسقم وهم الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون **(العدوى)** ليتفرّقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت

قوله: (وإنما قدم المفعول به على الفعل للعناية) أي للاهتمام بإنكاره لأنهم يقدمون الذي شأنه أهم والأهم ببيانه يعني الآلـهة.

قوله: (يكافحهم) يقال: كافحه إذا استقبله بوجهه. **قوله: (إفك)** الإفك أسوأ الكذب. **قوله: (أو حالًا)** من فاعل تريدون.

قوله: (أي شيء ظنكم ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) الخ يعني أنه في حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين وحقيقًا بعباده المكلفين فما الذي أفادكم ظنًّا بما فيه من أوصافه يكون ذلك الظن سببًا لإعراضكم عن عبادته إلى عبادة الأصنام فمعنى الاستفهام تجهيلهم في حقه تعالى باعتبار الوصف.

قوله: (العدوى) مجاوزة الطاعون والجرب ونحوهما من صاحبه إلى غيره.

الأصنام ليس معه أحد، ففعل بالأصنام ما فعل. وقالوا: علم النجوم كان حقًّا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته. والكذب إلا إذا عرّض، والذي قاله إبراهيم عليه السلام (**مِعراض من الكلام**) أي سأسقم، أو من الموت في عنقه سقيم (**ومنه المثل «كفى بالسلامة داء»**). ومات رجل فجأة فقالوا: مات وهو صحيح. فقال أعرابي: أصحيح مَن الموت في عنقه، أو أراد إني سقيم النفس لكفركم كما يقال أنا مريض القلب من كذا ﴿فَتَوَلَّوْا﴾ فأعرضوا ﴿عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي مولين الأدبار.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فمال إليهم سرًّا ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وكان عندها طعام ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب مَن يعقل.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا﴾ فأقبل عليهم مستخفيًا كأنه قال فضربهم ضربًا لأن ﴿راغ عليهم﴾ بمعنىٰ ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربًا أي ضاربًا ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ أي ضربًا شديدًا بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة، أو بسبب الحلف الذي سبق منه وهو قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: الآية ٥٧].

قوله: (مِعْراض من الكلام) في المصباح المعراض التورية وأصله الستر يقال: عرفته في معراض كلامه وفي لحن كلامه وفحوى كلامه بمعنى قال في البارع وعرّضت له وعرّضت به تعريضًا إذا قلت قولًا وأنت تعنيه فالتعريض خلاف التصريح من القول كما إذا سألت رجلًا هل رأيت فلانًا وقد رآه ويكره أن يكذب فيقول إن فلانًا ليرى فيجعل كلامه معرّضًا فرارًا من الكذب وهذا معنى المعاريض في الكلام. ومنه قولهم إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ويقال: عرفته في معرض كلامه بحذف الألف. **قوله: (ومنه المثل «كفى بالسلامة داء»)** هو حديث في مسند الفردوس فهو من الأمثال النبويّة ومعناه أن حياة المرء سبب لموته فهو المرض الحاضر.

﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون من الزفيف وهو الإسراع. (﴿يُزِفُّونَ﴾ **حمزة**) من أزفّ إذا دخل في الزفيف إزفافًا فكأنه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فأقبل مَن رآه مسرعًا نحوه ثم جاء مَن لم يره يكسرها فكأنه قد رآه ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٥٩]، فأجابوه على سبيل التعريض بقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٠] ثم قالوا بأجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فأجابهم بقوله:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ بأيديكم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ وخلق ما تعملونه من الأصنام أو «ما» مصدرية أي وخلق أعمالكم وهو دليلنا في خلق الأفعال أي الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره؟.

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ﴾ أي لأجله ﴿بُنْيَٰنًا﴾ من الحجر طوله ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ في النار الشديدة. وقيل: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين عند الإلقاء فخرج من النار.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ إلى موضع أمرني بالذهاب إليه ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعظمني ويوفقني. ﴿سيهديني﴾ (**فيهما**): يعقوب ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ بعض الصالحين يريد الولد (**لأن لفظة الهبة غلب في الولد**) ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ انطوت البشارة على ثلاث: على أن

قوله: (﴿يُزِفُّونَ﴾) بضم الياء على البناء للمفعول (**حمزة**) والباقون بفتحها من زفّ يَزِفّ.

قوله: (فيهما) أي في الحالين. **قوله**: (**لأن لفظ الهبة غلب في الولد**) يعني أن أغلب ما يستعمل فيه لفظ الهبة في القرآن هو الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: الآية ٥٣] قال

الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم لأن الصبي لا يوصف بالحلم، وأنه يكون حليمًا وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. ثم استسلم لذلك.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. و﴿مَعَهُ﴾ لا يتعلق بـ ﴿بَلَغَ﴾ لاقتضائه بلوغهما معًا حد السعي، ولا بـ ﴿ٱلسَّعْيَ﴾ لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقي أن يكون بيانًا كأنه لما قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل: مع مَن؟ قال: مع أبيه وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ (يَٰبُنَيَّ﴾ **حفص**) والباقون بكسر الياء.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ (**وبفتح الياء فيهما: حجازي وأبو عمرو**). قيل له في المنام: اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة. وإنما لم يقل رأيت لأنه رأى مرة بعد مرة فقد قيل: رأى ليلة التروية كأن قائلًا يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا.

فلما أصبح (روّى) في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثَمَّ سمي (**يوم التروية**). فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه

مقاتل: لما قدم إبراهيم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٠٠].

قوله: (﴿يَٰبُنَيَّ﴾) بفتح الياء (**حفص**). **قوله**: (**وبفتح الياء فيهما: حجازي**[1]) أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) والباقون بالسكون. **قوله**: (روّى) أي فكّر. **قوله**: (**يوم التروية**) ثامن ذي الحجة.

(١) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي.

من الله فمن ثَمَّ سُمِيَ (يوم عرفة). ثم رأى مثل ذلك في الليلة الثالثة فهم (بنحره) فسمى اليوم يوم النحر ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (من الرأي) على وجه المشاورة لا من رؤية العين، ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر. (﴿تُرِي﴾ عليّ وحمزة) أي ماذا تبصِرُ من رأيك وتبديه ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي ما تؤمر به وقرىء به ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الذبح. رُوِيَ أن الذبيح قال لأبيه: يا أبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لا أوذيك إذا أصابتني (الشفرة)، ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي عسىٰ أن ترحمني، واجعل وجهي إلى الأرض. ويُروىٰ اذبحني وأنا ساجد واقرأ على أُمي السلام، وإن رأيت أن ترد قميصي على أُمي فافعل فإنه عسىٰ أن يكون أسهل لها.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ انقادا لأمر الله وخضعا. وعن قتادة: أسلم هذا ابنه وهذا نفسه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه علة جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل، ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونُودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا.

قوله: (يوم عرفة) تاسع ذي الحجة. **قوله**: (بنحره) أي ذبحه. **قوله**: (من الرأي) بمعنى الاعتقاد في القلب وما يخطر به وهو يتعدى إلى مفعول واحد وهو ماذا أي فانظر أي شيء ترى لا من رؤية العين لأنه لم يأمره أن يبصر شيئًا وإنما أمره أن يَدَّبَّر في أمر عرضه عليه وهو الذبح ويقول فيه برأيه.

قوله: (﴿تُرِي﴾) بضم التاء وكسر الراء (عليّ) الكسائي (وحمزة) من الرأي المذكور أيضًا إلّا أنه نقل بالهمزة إلى باب الأفعال فيتعدى إلى مفعولين حذف في الآية ثانيهما أي فانظر ما ترى أباك من الإمضاء أو التوقف وقرأ الباقون بفتحهما.

قوله: (الشفرة) في المصباح الشفرة المدية وهي السكين العريض والجمع شفار مثل كلبة وكلاب وشفرات مثل سجدة وسجدات. اهـ.

رُوِيَ أن ذلك المكان عند الصخرة التي (**بمِنى**). وجواب «لما» محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، أو الجواب قبلنا منه و﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ معطوف عليه ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ تعليل (**لتخويل ما خوّلهما**) من الفرج بعد الشدة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ الاختبار (**البيّن**) الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم (**أو المحنة البيّنة**) ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾ (**هو ما يذبح**).

وعن ابن عباس: هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به إسماعيل. وعنه: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سُنّة وذبح الناس أبناءهم ﴿عَظِيمٖ﴾ ضخم الجثة سمين وهي السُّنّة في الأضاحي.

ورُوِيَ أنه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي. ورُوِيَ أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر. فقال الذبيح: لا إلـه إلّا الله والله أكبر. فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فبقي سنة وقد استشهد أبو حنيفة ﷺ بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة.

قوله: (بمنى) بالصرف وعدمه ويذكر ويؤنّث باعتبار المكان والبقعة. **قوله**: (**لتخويل ما خوّلهما**) أي لإعطاء ما أعطاهما.

قوله: (**البيّن**) أي المبين من أبان المتعدي. **قوله**: (**أو المحنة البيّنة**) فالمبين من أبان اللازم قدم الأول لأن الاختبار أي الامتحان أصل معنى البلاء وإطلاقه على المحنة لكونه سبب الاختبار. **قوله**: (**هو ما يذبح**) إشارة إلى أن الذبح بالكسر اسم لما يذبح كالطحن فإنه اسم للدقيق المطحون وبالفتح مصدر وكذا الذبح بالفتح.

والأظهر أن الذبيح إسماعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين ﷺ لقوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»؟ فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبد الله. وذلك أن عبد المطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقرّبًا، وكان عبد الله آخرًا ففداه بمائة من الإبل، ولأن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير.

وعن الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعيّ أين (**عزب**) عنك عقلك ومتى كان إسحٰق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنىٰ البيت مع أبيه والمنحر بمكة.

(**وعن عليّ**) وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين ﷺ أنه إسحٰق (**ويدلّ عليه كتاب يعقوب**) إلى يوسف ﷺ: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحٰق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. وإنما قيل: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ وإن كان الفادي إبراهيم ﷺ والله تعالىٰ هو المفتدي منه لأنه الآمر بالذبح، لأنه تعالىٰ وهب له الكبش ليفتدي به. وهٰهنا إشكال وهو أنه لا يخلو إما أن يكون ما أتىٰ به إبراهيم ﷺ من (**بطحه**) على شقه وإمرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا، فإن كان في حكم الذبح فما معنىٰ الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل؟ وإن لم يكن فما معنىٰ قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ﴾ وإنما كان يصدقها لو صحّ منه

قوله: (**عزب**) في المصباح عزب من بابي قتل وضرب غاب وخفي عازب. اهـ.

قوله: (**وعن علي...**) الخ قيل: إن في الدلالة على كونه إسحٰق أدلّة كثيرة وعليه حمله أهل الكتاب ولم ينقل في الحديث ما يعارضه فلعله وقع مرتين مرة بالشام لإسحٰق ومرة بمكة لإسماعيل. اهـ شهاب.

قوله: (**ويدلّ عليه كتاب يعقوب...**) الخ كتابة يعقوب إلى يوسف غير ثابتة بل قال ابن حجر: إنه موضوع. اهـ شهاب. **قوله**: (**بطحه**) في المصباح بطحته بطحًا من باب نفع بسطته وبطحته على وجهه ألقيته فانبطح أي استلقى. اهـ.

الذبح أصلًا أو بدلًا ولم يصح؟ والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح، ولكن الله تعالىٰ جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم، ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس إسماعيل بدلًا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض، بل ذلك الحكم كان ثابتًا إلا أن المحل الذي أُضيف إليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ، وكان ذلك ابتلاء ليستقرّ حكم الأمر عند المخاطب في آخر الحال، على أن المبتغى منه في حق الولد أن يصير قربانًا بنسبة الحكم إليه مكرمًا بالفداء الحاصل **(لمعرة الذبح)** مبتلى بالصبر والمجاهدة إلى حال المكاشفة، وإنما النسخ بعد استقرار المراد بالأمر لا قبله وقد سمى فداء في الكتاب لا نسخًا.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ولا وقف عليه لأن ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ مفعول ﴿وَتَرَكْنَا﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ ولم يقل «إنا كذلك» هنا كما في غيره لأنه قد سبق في هذه القصة فاستخفّ بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ حال مقدرة من ﴿إِسْحَٰقَ﴾ ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي وبشرناه بوجود إسحٰق نبيًا أي بأن يوجد مقدرة نبوّته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لأن كل نبيّ لا بد وأن يكون من الصالحين.

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا. وقيل: باركنا على إبراهيم في أولاده، وعلى إسحٰق بأن أخرجنا من صلبه ألف نبيّ، أوّلهم يعقوب وآخرهم عيسىٰ عليهم السلام ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر أو محسن إلى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن

قوله: (لمعرة الذبح) في المصباح المعرة المساءة.اهـ.

حدود الشرع، وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البرّ الفاجر والفاجر البرّ وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر، وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة، وأن المرء إنما يُعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بالنبوّة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه **(وغشْمهم)** ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ أي موسىٰ وهارون وقومهما ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على فرعون وقومه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ صراط أهل الإسلام وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ هو إلياس بن ياسين من ولد هارون أخي موسىٰ. وقيل: هو إدريس النبيّ عليه السلام. **(وقرأ ابن مسعود** رضي الله عنه **﴿وإن إدريس﴾ في موضع «إلياس»)**.

قوله: (وغشْمهم) في مختار الصحاح الغشم الظلم وبابه ضرب. اهـ.

قوله: (وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه **﴿وإن إدريس﴾ في موضع «إلياس»)** في السين قرأ عبد الله على إدْرَاسِيْن لأنه قرأ في الأول وإن إدريس. اهـ.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ألا تخافون الله ﴿أَتَدْعُونَ﴾ أتعبدون ﴿بَعْلًا﴾ هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعًا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة (**سادن**) وجعلوهم أنبياء، وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشأم. وقيل: في إلياس والخضر إنهما حيّان، وقيل إلياس وكل (**بالفيافي**) كما وكل الخضر بالبحار، والحسن يقول: قد هلك إلياس والخضر ولا يقول كما يقول الناس إنهما حيّان ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المقدرين.

﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (**بنصب الكل: عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو**) على البدل من ﴿أَحْسَنَ﴾، (**وغيرهم بالرفع على الابتداء**).

وفي الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة ابن مسعود ويحيىٰ والأعمش والمنهال بن عَمْرٍو والحَكَم بن عُتَيْبَةَ وأن إدريسَ سلام على إدْرَاسِيْنَ. اهـ

قوله: (**سادن**) في المصباح سدنت الكعبة سدنًا من باب قتل خَدَمتُها فالواحد سادن والجمع سدنة مثل كافر وكفرة والسدانة بالكسر الخدمة. اهـ. **قوله**: (**بالفَيافيّ**) هي البراري الواسعة جمع فَيْفاة[1].

قوله: (**بنصب الكل: عراقي غير أبي بكر وأبي عمرو...**) الخ أي قرأ حفص وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بنصب الياء من الاسم الكريم ونصب الباء الموحّدة من ربكم ورب، وقوله: عراقي إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي. **قوله**: (**وغيرهم بالرفع**) أي وقرأ الباقون بالرفع في الثلاثة (**على الابتداء**) أي على أن الجلالة الكريمة مبتدأ وربكم خبره ورب عطف عليه.

---

(١) هي المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ في النار ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ من قومه ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ أي إلياس وقومه المؤمنين كقولهم: الخبيبون يعني **(أبا خبيب عبد الله بن الزبير)** وقومه. (﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ **شامي ونافع)** لأن ياسين اسم أبي إلياس فأضيف إليه الآل.

قوله: **(أبا خبيب عبد الله بن الزبير)** بالخاء المعجمة المضمومة وهو اسم أكبر أولاد عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي الأسدي، وله كنية أخرى أبو بكر، وأمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، وهو أول مولود وُلد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين فحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها في فيه ثم حنكه بها فكان ريق رسول الله ﷺ أول شيء دخل جوفه.

وسمّاه عبد الله، وكنّاه أبا بكر بجدّه أبي بكر الصدّيق واسمه، وهاجرت أمه إلى المدينة وهي حامل به. وقيل: حملت به بعد ذلك وولدته بالمدينة على رأس عشرين شهرًا من الهجرة. وقيل: وُلد في السنة الأولى ولما وُلد كبّر المسلمون وفرحوا به كثيرًا لأن اليهود كانوا يقولون: قد سحرناهم فلا يُولد لهم ولد فكذبهم الله سبحانه وتعالى.

وكان صوّامًا قوّامًا طويل الصلاة عظيم الشجاعة. وأحضره أبو الزبير عند رسول الله ﷺ ليبايعه وعمره سبع سنين أو ثماني سنين، فلما رآه النبيّ ﷺ مقبلًا تبسّم ثم بايعه.

وروى عن النبيّ ﷺ أحاديث وعن أبيه وعن عمر وعثمان وغيرهما روى عنه أخوه عروة وابناه عامر وعَبَّاد وعبيدة السلماني وعطاء بن أبي رباح والشعبي وغيرهم. **قوله**: (﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ **شامي)** أي ابن عامر الشاميّ **(ونافع)** بفتح الهمزة ممدودة وكسر اللام وقطعها عن الياء كما رسمت أي أهله والمراد به إلياس

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ في الباقين.

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ والوقف عليه مطلق ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني تمرّون على منازلهم في (**متاجركم**) إلى الشأم ليلًا ونهارًا فما فيكم عقول تعتبرون بها. وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما، لأن الله تعالىٰ قد سلّم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتفي بذلك عن ذكر كل واحد منفردًا بالسلام.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ﴾ (**الأباق: الهرب**) إلى حيث لا يهتدى إليه الطلب، فسمىٰ هربه من قومه بغير إذن ربه إباقًا (**مجازًا مرسلًا**) ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء. وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب، فلما تأخّر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا: هٰهنا عبد

والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام وهي مقطوعة عن الياء قيل: هو الياء المتقدم وقيل: هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبًا.

قوله: (**متاجركم**) جمع متجر زمان التجارة أو محل التجارة والمراد طرق متاجركم.

قوله: (**الأباق: الهرب...**) الخ يعني أن الأباق حقيقة في هرب المملوك من سيده. **قوله**: (**مجازًا مرسلًا**) من قبيل إطلاق المقيد على المطلق.

آبق من سيّده. وفيما يزعم البحارون أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال: أنا الآبق، (وزجّ بنفسه) في الماء فذلك قوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ فقارعهم مرة أو ثلاثًا بالسهام. والمساهمة: إلقاء السهام على جهة القرعة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ فابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (داخلًا في الملامة).

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ من الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح. أو من القائلين ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أو من المصلّين قبل ذلك.

وعن ابن عباس ﵄: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة. ويقال: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا (عثر) ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ الظاهر لبثه حيًا إلى يوم البعث.

وعن قتادة: لكان بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة. وقد لبث في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يومًا. (وعن الشعبي): التقمه ضحوة ولفظه عشية.

قوله: (وزجّ) أي رمى (بنفسه) في لسان العرب زجّ بالشيء من يده يَزُجُّ زَجًّا رمى به. اهـ.

قوله: (داخلًا في الملامَةِ) أي همزة الأفعال المدخول مثل أصبح الرجل لكن الدخول معنوي الملامة بمعنى اللوم ودخوله في اللوم لإتيانه بما يُلام عليه.

قوله: (عثر) من باب قتل وفي لغة من باب ضرب في مختار الصحاح العَثْرة الذَّلَّة. اهـ.

قوله: (وعن الشعبي) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل وهو كوفيّ تابعيّ جليل القدر وافر العلم يقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ تُوفي

﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ فألقيناه بالمكان الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل مما ناله من التقام الحوت. ورُوِيَ أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً﴾ أي أنبتناها **(فوقه مظلّة له)** كما يطنّب البيت على الإنسان ﴿مِّن يَقْطِينٍ﴾ الجمهور على أنه **(القرع)**، وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وأنه أسرع الأشجار نباتًا وامتدادًا وارتفاعًا. وقيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس».

﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ المُراد به القوم الذين بعث إليهم قبل الالتقام فتكون «قد» مضمرة ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ **(في مرأى الناظر)** أي إذا رآها الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر.

وقال الزجّاج: قال غير واحد: معناه بل يزيدون. قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ به وبما أرسل به ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى منتهى آجالهم.

بالكوفة سنة أربع ومائة والشعبي بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشعب وهو بطن من همدان.

قوله: **(فوقه مظلة له)** بيان معنى الاستعلاء وأنه مجاز عن الفوق بدون اتصال لكونه لازمًا له كالخيمة أشار بقوله: مظلة له ضمير مظلة راجع إلى شجرة للتنبيه على أن عليه حال من شجرة لا متعلق بأنْبَتْنا. **قوله**: **(القرع)** في المصباح القرع المأكول بسكون الراء وفتحها لغتان قاله ابن السكيت والسكون هو المشهور في الكتب وهو الدُّبَّاء. اهـ.

قوله: **(في مرأى الناظر)** إشارة إلى أن كلمة أو لتشكيك المخاطبين وإبهام الأمر عليهم لا للشك من المتكلم لاستحالة الشك على الله تعالى.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩)﴾

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩)﴾ معطوف على مثله في أول السورة أي على ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ وإن تباعدت بينهما المسافة. أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولًا، ثم ساق الكلام موصولًا بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه **(القسمة الضيزى)** التي قسموها حيث جعلوا لله تعالىٰ الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن **(ووأدهم واستنكافهم)** من ذكرهن.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)﴾

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠)﴾ حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا بإخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر، أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)﴾ في قولهم.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، وهو استفهام توبيخ. وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

قوله: **(القسمة الضيزى)** الجائرة وهي فُعْلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فإن فعلى بالكسر لم يأت وصفًا. **قوله**: **(وَوَأْدهم)** في مختار الصحاح وَأَدَ ابنته دفنها حَيَّة وبابه وعد فهي مَوْؤُدَةٌ. اهـ. **قوله**: **(واستنكافهم)** في المصباح استنكفت إذا امتنعت أنفة واستكبارًا. اهـ.

﴿١٥٤﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ **(بالتخفيف: حمزة وعليّ وحفص)** ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾ بين الله ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ الملائكة لاستتارهم ﴿نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أنهم بناته أو قالوا إن الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ولقد علمت الملائكة إن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ نزّه نفسه عن الولد والصاحبة.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار و﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه، ويجوز أن يقع الاستثناء من واو ﴿يَصِفُونَ﴾ أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون **(براء)** من أن يصفوه به.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ومعبوديكم (﴿مَا أَنتُمْ﴾) وهم جميعًا ﴿عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ بمضلّين ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ بكسر اللام أي لستم تضلّون أحدًا إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلَوها. يقال: فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه. وقال الحسن: فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الأصنام، ما أنتم على عبادة الأوثان بمضلّين أحدًا إلا من قدّر عليه أن يصلَى الجحيم أي يدخل

قوله: (**بالتخفيف**) أي بتخفيف الذال (حمزة وعليّ) الكسائي (وحفص) والباقون بالتشديد.

قوله: (براء) جمع بري كظريف.

قوله: (﴿مَا أَنتُمْ﴾) وهم جميعًا غالب فيه المخاطب على الغائب وهو آلهتهم.

النار. وقيل: ما أنتم بمضلّين إلا مَن أوجبت عليه الضلال في السابقة. و«ما» في ﴿مَآ أَنتُمۡ﴾ نافية و«من» في موضع النصب بـ ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ **(وقرأ الحسن)** ﴿صَالُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ بضم اللام، ووجهه أن يكون جمعًا فحذفت النون للإضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هي واللام في الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾

﴿وَمَا مِنَّآ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ في العبادة لا يتجاوزه **(فحذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه)** ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ نصف أقدامنا في الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦﴾ المنزهون أو المصلّون. والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾ من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ﴾ كأنه قيل: ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزّة وقالوا سبحان الله، فنزّهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرّءوهم منه وقالوا للكفرة: فإذا صحّ ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدًا من خلقه وتضلّه إلا مَن كان من أهل النار، وكيف نكون مناسبين لرب العزّة وما نحن إلا عبيد أذلّاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه **(ظفرًا)** خشوعًا لعظمته، ونحن الصافون أقدامنا

قوله: **(وقرأ الحسن...)** الخ وهي قراءة شاذّة.

قوله: **(فحذف الموصوف)** وهو أحد **(وأُقيمت الصفة)** وهي منا **(مقامه)** وجملة قوله ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ خبر للمبتدأ المحذوف والتقدير ما أحد منا إلا له مقام.

قوله: **(ظفرًا)** في المصباح الظفر للإنسان مذكر وفيه لغات أفصحها بضمتين وبها قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] والثانية الإسكان للتخفيف وقرأ بها الحسن البصري والجمع أظفار وربما

لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم؟! وقيل: هو من قول رسول الله ﷺ يعني وما من المسلمين أحد إلا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه.

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ أي مشركو قريش قبل مبعثه ﷺ ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي كتابًا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ لأخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا، فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ **(مغبّة)** تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام. **(و«إن» مخففة من الثقيلة)** واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادّين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ الكلمة قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وإنما سماها كلمة وهي كلمات لأنها لما انتظمت في

جمع على أظفر مثل ركن وأركن والثالثة بكسر الظاء وزان جمل والرابعة بكسرتين للاتباع وقرىء بهما في الشاذ والخامسة أظفور والجمع أظافير مثل أسبوع وأسابيع. اهـ.

قوله: (مَغبَّة) أي عاقبة. **قوله**: **(و«إن» مخففة من الثقيلة)** واسمها مضمر وهو ضمير الشأن والأمر.

معنىٰ واحد كانت في حكم كلمة مفردة، والمراد (**الموعد**) بعلوهم على عدوهم في مقام (**الحجاج وملاحم القتال**) في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة.

وعن الحسن: ما غلب نبيّ في حرب. وعن ابن عباس ﵄: إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في العقبىٰ.

والحاصل أن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع في (**تضاعيف ذلك شوب**) من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة يسيرة وهي المدة التي أمهلوا فيها أو إلى يوم بدر أو إلى فتح مكة ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي أبصر ما ينالهم يومئذٍ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ذلك (**وهو للوعيد لا للتبعيد**)، أو انظر إليهم إذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا، أو أعلمهم فسوف يعلمون.

قوله: (**الموعد**) في المصباح الموعد يكون مصدرًا ووقتًا وموضعًا. اهـ. **قوله**: (**الحجاج**) في لسان العرب جمع الحُجَّة حُجَج وحِجَاج. اهـ.

قوله: (**وملاحم القتال**) أي مواضع القتال وملاحم جمع مَلحَمة هي موضع القتال. **قوله**: (**تضاعيف ذلك**) في لسان العرب تضاعيف الشيء ما ضُعِّف منه وليس له واحد ونظيره في أنه لا واحد له تباشير الصبح لمقدمات ضيائه وتعاشيب الأرض لما يظهر من أعشابها أولًا وتعاجيب الدهر لما يأتي من عجائبه. اهـ.

قوله: (**شوب**) في المصباح شابه شوبًا من باب قال خلطه. **قوله**: (**وهو للوعيد لا للتبعيد**) الذي هو معناه الحقيقي لأنه غير مناسب لمقام الوعيد كما تقول: اصبر سوف ترى حَالك تريد به التخويف والوعيد لا التسويف والتبعيد إذ قلته وأنت بصدد الإيذاء والعقاب. فإن قلت إن كونها للوعيد لا ينافي كونها للتبعيد مع صحة معنى التبعيد هنا أيضًا فإن ما قضى له عليه الصلاة والسلام من التأييد والنصرة وثواب الآخرة جاز استبعاده فما معنى قوله: لا للتبعيد. قلت: لما حمل سوف على معنى الوعيد بشهادة المقام تعين أن لا تكون للتبعيد لأنها لو كانت للتبعيد لما فهم منها معنى الوعيد لأنا لا نقول بعموم المشترك.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ قبل حينه ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ **(بفنائهم)** ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ صباحهم. **(واللام في** ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ **مبهم في جنس من أنذروا)**، لأن «ساء» و«بئس» يقتضيان ذلك. وقيل: هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة **(فشنّ عليهم الغارة)**، وكانت عادة **(مغاويرهم)** أن يغيروا صباحًا **(فسمِّيت الغارة صباحًا)** وإن وقعت في وقت آخر ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ وإنما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيدًا لوقوع الميعاد إلى تأكيد، وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معًا عن التقييد بالمفعول وأنه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرّة وأنواع المساءة. وقيل: أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ أُضيف الرب إلى العزّة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزّة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق، ويجوز أن يُراد أنه ما من عزّة لأحد إلا وهو ربها ومالكها كقوله، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٦] ﴿عَمَّا

قوله: (بفنائهم) بكسر الفاء والمد تفسير الساحة وهي العرصة الواسعة عند الدور. **قوله: (واللام في** ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ **مبهم في جنس من أنذروا. . .)** الخ لأن أفعال المدح والذم تقتضي الشيوع فيما بعدها ليكون التفسير بالمخصوص بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال. **قوله: (فشنّ عليهم الغارة)** في مختار الصحاح شَنَّ عليهم الغارة أي فَرَّقها عليهم من كل وجه.اهـ. **قوله: (مغاويرهم)** في الصحاح رجل مغوار ومغاور أي مقاتل وقوم مغاوير.اهـ. وفي لسان العرب رجل مِغْوَارٌ بَيِّن الغُوار مقاتل كثير الغارات على أعدائه ومُغَاوِرٌ كذلك وقوم مَغَاوِيْرُ.اهـ. **قوله: (فسمِّيت الغارة صباحًا. . .)** الخ تسمية للشيء باسم زمانه ومحله.

يَصِفُونَ﴾ من الولد والصاحبة والشريك ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ عمّ الرسل بالسلام بعدما خصّ البعض في السورة لأن في تخصيص كل بالذكر تطويلًا ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ على هلاك الأعداء وَنصرة الأنبياء. اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه إليه مما هو منزّه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب. والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلّوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد. **(وعن علي رضي الله تعالىٰ عنه)**: مَن أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

قوله: **(وعن عليّ رضي الله تعالى عنه...)** الخ. أخرجه ابن أبي حاتم وغيره.

هذا آخر ما تيسّر لي من حلّ مُعضِلات ما في تفسير سورة الصافات
الحمد لك يا مُستعان على توفيقك لي إلى ما أنا فيه من حلّ الإلغازات
الرامِزة في هذا التفسير إلى مكنونات دقائق المعاني التنزيلية
فأستعين بك إلى حلّ ما في سورة صَ لا حول إلّا بك ولا قوة إلا منك
اللّهمّ ارزقنا التوفيق للعمل بما في كتابك الكريم كما ترضاه
ووفّقنا بكرمك الجسيم إلى الاطّلاع على أسراره إنك أنت البرّ الرحيم
فأقول مستعينًا بك

(سورة صٓ)

(مكيّة) وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾

﴿صٓۚ﴾ ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب دلالة التحدّي عليه كأنه قال: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ أي ذي الشرف إنه لكلام معجز، ويجوز أن يكون ﴿صٓۚ﴾ خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال هذه صٓ أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول: هذا حاتم والله، تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله، وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ إنه لمعجز. ثم قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ﴾ تكبر عن الإذعان لذلك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة صٓ) مكيّة وهي ثمان وثمانون آية، ويقال لها سورة داود. ويجوز في صٓ هذه السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار أن هذا الاسم علم على السورة والجرّ مع التنوين نظرًا إلى كون السورة قرآنًا. **قوله**: (مكيّة) أشار به إلى رد من قال إنها مدنية.

والاعتراف بالحق ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف لله ولرسوله. والتنكير في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدلالة على شِدَّتهما (وتفاقمهما. وقرىء ﴿في غِرّة﴾) أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد لذوي العزّة والشقاق ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ من قبل قومك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ من أُمة ﴿فَنَادَوا﴾ فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب ﴿وَّلَاتَ﴾ هي «لا» المشبهة بـ«ليس» زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على «رب» و«ثم» للتوكيد، وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضييها إما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعًا وهذا مذهب (الخليل وسيبويه)، وعند

قوله: **(وتفاقمهما)** في الصحاح تَفَاقَم الأمر أي عَظُم.اهـ. **قوله**: **(وقرىء ﴿في غِرّة﴾)** بكسر الغين المعجمة والراء المهملة في السمين قرأ الكسائي في رواية سورة وحماد بن الزبرقان وأبو جعفر والجحدري بالغين المعجمة والراء. وقد نقل عن حماد الراوية قرأها كذلك تصحيفًا فلما ردّت عليه قال: ما ظننت أن الكافرين في عزّة وهو وَهْمٌ منه لأن العزّة المشار إليها حمية الجاهلية.اهـ.

قوله: **(الخليل)** هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم كان إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحدًا وسمّاه الخبب. وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويقال: إن أباه أحمد أوّل مَن سُمِيَ بأحمد بعد رسول الله ﷺ وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتُوفي سنة سبعين وقيل: خمس وسبعين ومائة. ويُحكى أنه كان ينشد كثيرًا هذا البيت وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

قوله: **(وسيبويه)** هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبَر كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد المتقدم ذكره وعن عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وغيرهم وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره تُوفي سنة ثمانين ومائة وقيل غير ذلك وسيبويه لقب فارسي

(الأخفش) أنها «لا» النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصّت بنفي الأحيان. وقوله: ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ **(منجى)** منصوب بها كأنك قلت: ولا حين مناص لهم. وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين. حين مناص أي وليس الحين حين مناص.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾ من أن جاءهم ﴿مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبيّ من البشر ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ ولم يقل «وقالوا» إظهارًا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغيّ إذ لا كفر أبلغ من أن يسمّوا مَن صدّقه الله كاذبًا ساحرًا **(ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج. ورُوِيَ)** أن عمر ﷺ لما أسلم فرح به المؤمنون وشقّ على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون نفسًا **(من صناديدهم)** ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: أنت كبيرنا وقد

معناه بالعربية رائحة التفاح. وقال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى. **قوله: (الأخفش)** الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد وكان نحويًا لغويًا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه سيبويه وأبو عبيدة ومن في طبقتهما والأخفش الأصغر هو أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل النحوي كان عالمًا، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه المرزباني وأبو الفرج المعافى الجريري وغيرهما وكان ثقة. والأخفش الأوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة وهو صاحب سيبويه وحيث يطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيدوه. **قوله: (منجى)** بالقصر كمرمى من النجاة أي موضع النجاة والقوت.

قوله: (ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج، ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج) في لسان العرب يقال: الحق أبلج والباطل لَجلجٌ أي يُردد من غير أن ينفذ واللجلج المختلط الذي ليس بمستقيم والأبلج المضيء المستقيم اهـ. **قوله: (ورُوِي)** رواه أحمد في مسنده. **قوله: (من صناديدهم)** أي أشرافهم وعظمائهم

علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ـ يريدون الذين دخلوا في الإسلام ـ وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك. فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء **(فلا تمل كل الميل على قومك)**. فقال عليه السلام: ماذا يسألونني؟ فقالوا: **(ارفضنا)** وارفض ذكر آلهتنا **(وندعك وإلـٰهك)** فقال عليه السلام: أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب **(وتدين لكم)** بها العجم؟ قالوا: نعم وعشرًا أي نعطيكها وعشر كلمات معها. **(فقال: قولوا لا إلـٰه إلا الله. فقاموا)** وقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي **(أصير)** ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ **(أي بليغ في العجب)**. وقيل: العجيب ما له مثل والعجاب ما لا مثل له.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ **(وانطلق أشراف قريش)** عن مجلس أبي طالب بعدما **(بكتهم)** رسول الله ﷺ بالجواء **(العتيد قائلين بعضهم)** لبعض ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾

الواحد صنديد بوزن القنديل. **قوله**: **(فلا تمل كل الميل على قومك)** أي لا تظلمهم يقال: مال عليه إذا أظله. **قوله**: **(ارفضنا)** أي اتركنا. **قوله**: **(وندعك)** أي نتركك **(وإلـٰهك)** الذي خصصت العبادة به فلا يلزم منه إنكارهم الإلـٰه. **قوله**: **(وتدين لكم)** أي تطيعكم الدين الطاعة ودان له أي أطاعه. **قوله**: **(فقال: قولوا لا إلـٰه إلّا الله)** كونه كلمة واحدة لأن المراد بها المعنى اللغوي وهي ما يتكلم به قليلًا كان أو كثيرًا. **قوله**: **(فقاموا)** عن المجلس. **قوله**: **(أصير)** أي صيرهم إلـٰهًا واحدًا في قوله وزعمه لأن ذلك في العقل محال إذ لا يقدر أحد أن يجعل الجماعة إنسانًا واحدًا مثلًا. **قوله**: **(أي بليغ في العجب)** فإن العجاب بمعنى العجيب وهو الأمر الذي يتعجب منه إلا أن العجاب أبلغ منه والعجّاب بالتشديد أبلغ من العجاب بالتخفيف كما أن الكرّام مشددًا أبلغ من المخفف.

قوله: **(وانطلق أشراف قريش)** إشارة إلى أن الملأ الأشراف لا مطلق الجماعة ويقال للأشراف: ملأ لأنهم إذا حضروا مجلسًا امتلأت العيون من وجاهتهم والقلوب من مهابتهم. **قوله**: **(بكتهم)** أي استقبلهم بما يكرهون. والتبكيت إسكات الخصم بالفصاحة وإلزامه بالحجة. **قوله**: **(العتيد)** في الصحاح العتيد الشيء الحاضر المهيأ. **قوله**: **(قائلين بعضهم...)** الخ بيان لحاصل المعنى

و«أن» بمعنىٰ أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا (ويتفاوضوا) فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنًا معنىٰ القول ﴿وَٱصْبِرُوا۟﴾ (﴿عَلَىٰٓ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِكُمْ﴾ إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر) ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر، أو إن هذا الأمر لشيء (من نوائب الدهر) يراد بنا فلا انفكاك لنا منه.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩﴾

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ بالتوحيد ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في ملّة عيسىٰ التي هي آخر الملل لأن النصارىٰ (مثلثة) غير موحدة، أو في ملّة قريش التي أدركنا عليها آباءنا ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ (كذب اختلقه) محمد (من تلقاء) نفسه ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدًا ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ من القرآن ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ (بل لم يذوقوا عذابي بعد)، فإذا ذاقوه (زال عنهم ما بهم من الشك والحسد) حينئذٍ أي أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب فيصدقون حينئذٍ ﴿أَمْ

على أن إن مفسرة كما سيصرح به لا أن هنا قول مقدر وهو حال لأن المفسرة لا تقع بعد صريح القول بل بعد ما يضمن معناه. **قوله:** (ويتفاوضوا...) الخ في المصباح تفاوض القوم الحديث أخذوا فيه. اهـ. **قوله:** (﴿عَلَىٰٓ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِكُمْ﴾) إشارة إلى تقدير مضاف فيه. **قوله:** (﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر) وهو الأمر بكلمة لا إلٰه إلّا الله. **قوله:** (من نوائب الدهر) أي حوادثه.

قوله: (مثلثة) أي يجعلون الآلهة ثلاثة وهذا قول بعضهم. **قوله:** (كذب اختلقه) أي افتراه من غير سبق مثل له. **قوله:** (من تِلْقاء) أي قِبَل. **قوله:** (بل لم يذوقوا عذابي بعد) نبّه به على أن لما نافية هنا مثل لم ولها معنى غيره ولذا فسّره به ولفظ بعد لإظهار ما في لما من معنى التوقّع.

قوله: (زال عنهم ما بهم من الشك) المصرّح به في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ (والحسد) المدلول عليه بقولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، وفيه إشعار

عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها مَن شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا، ويتخيّروا للنبوّة بعض صناديدهم، ويترفعوا بها عن محمد، وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته. **(ثم رشح هذا المعنىٰ)** فقال:

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ حتى يتكلموا في الأمور الربانية والتدابير الإلـٰهية التي يختص بها رب العزّة والكبرياء. ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال: فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرّف في قسمة الرحمة ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي إلى مَن يختارون. ثم وعد نبيّه ﷺ النصرة عليهم بقوله: ﴿جُندٌ﴾ مبتدأ ﴿مَّا﴾ **(صلة)** مقوية للنكرة المبتدأة ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى بدر ومصارعهم، أو **(إلى حيث وضعوا فيه)** أنفسهم **(من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم)** من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست ﴿هُنَالِكَ﴾ خبر المبتدأ ﴿مَهْزُومٌ﴾ مكسور ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ متعلّق بـ ﴿جُندٌ﴾ أو بـ ﴿مَهْزُومٌ﴾

بأن بل إضراب عن مجموع الكلامين السابقين. **قوله: (ثم رشح هذا المعنى)** أصل معنى الترشيح التربية والتأهل كما يقال: رشح المتأهل ومنه ترشيح الاستعارة والمراد به هنا التقوية والتأكيد لا المعنى المصطلح أي ربى ما أفاده قوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ نفيًا وإثباتًا بقوله: ﴿أَمْ لَهُم﴾ الآية فإن نفي ملك هذا العالم الجسماني مع أنه بعض خزائنه يربي ويقوّي انتفاء ملك جميع خزائنه عنهم بلا شبهة.

قوله: (صلة) أي مزيدة. **قوله: (إلى حيث)** أي مكان معنوي **(وضعوا فيه)** أي في ذلك المكان. **قوله: (من الانتداب)** أي من الادعاء بيان لقوله حيث وضعوا فيه أنفسهم، والانتداب مطاوع ندب لكذا فانتدب له إذا دعاه فاستجاب. **قوله: (لمثل ذلك القول العظيم)** إشارة إلى ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾.

يريد ما هم إلا جند من الكفار (**المتحزبين**) على رسول الله مهزوم (**عما قريب**)، فلا تبال بما يقولون (**ولا تكترث**) لما به يهذون.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَعَادٌ﴾ هودًا ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ موسىٰ ﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قيل: كانت له أوتاد وجبال يلعب بها بين يديه. وقيل: (**يوتد من يعذب بأربعة أوتاد**) في يديه ورجليه ﴿وَثَمُودُ﴾ وهم قوم صالح صالحًا ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا ﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ (**الغيضة**) شعيبًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أراد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم (**هم هم**) وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ ذكر تكذيبهم أولًا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام حيث لم يبيّن المكذب، ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها وبيّن المكذَّب وهم الرسل، وذكر أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأن في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم. وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولًا وبالاستثنائية ثانيًا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه، ثم قال: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم. ﴿عذابي﴾ و﴿عقابي﴾ في الحالين: (**يعقوب**).

قوله: (**المتحزبين**) أي الصايرين أحزابًا. **قوله**: (**عما قريب**) ما فيه زائدة وعن بمعنى بعد أي بعد زمن قريب. **قوله**: (**ولا تكترث**) من الاكتراث بمعنى المبالاة أي ولا تبال.

قوله: (**يوتد من يعذب بأربعة أوتاد**) أي يدقها للمعذب ويشده بها مسطوحًا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرهما. اهـ شهاب. **قوله**: (**الغيضة**) هي الشجر. **قوله**: (**هم هم**) يعني أن أولئك مبتدأ والأحزاب خبره والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هؤلاء الذين أخبر عنهم بأنه وجد منهم التكذيب بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ إلى الآخر. **قوله**: (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي وليس من السبعة.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **(وما ينتظر)** أهل مكة، ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي النفخة الأولى وهي الفزع الأكبر ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ **(وبالضم: حمزة وعلي)**، أي ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب أي إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان. وعن ابن عباس ﵄: ما لها من رجوع و**(ترداد)**، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدرّ إلى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ حظنا من الجنّة لأنه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنّة فقالوا على سبيل الهزء: عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: الآية ٤٧]. وأصل القط **(القسط)** من الشيء لأنه قطعة منه من قطهُ إذا قطعه، **(ويقال: لصحيفة الجائزة)** قط لأنها قطعة من القرطاس ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك وصن نفسك أن تزلّ فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقي من عتاب الله ما لقي ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا **(القوة في الدين)** وما يدلّ على أن الأيد القوة في

قوله: **(وما ينتظر)** إشارة إلى أن النظر هنا بمعنى الانتظار لا بمعنى الرؤية. **قوله**: **(وبالضم)** أي بضم الفاء **(حمزة وعليّ)** الكسائي والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى واحد. **قوله**: **(ترداد)** بفتح التاء بمعنى الرد والصرف أو بمعنى التكرار من قولهم: رد الفعل إذا كرره ومنه التردد على الناس.

قوله: **(القسط)** النصيب. **قوله**: **(ويقال: لصحيفة الجائزة)** أي العطية وصحيفتها ما يكتبه الكبير لبعض عماله أو أتباعه لأن ينفذه للسائل ونحوه. **قوله**: **(القوة في الدين)** لا في البدن.

الدين قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي رجاع إلى مرضاة الله تعالى، وهو تعليل لذي الأيد. رُوِيَ أنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا﴾ ذللنا ﴿ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ قيل: كان تسخيرها أنها تسير معه إذا أراد سيرها إلى حيث يريد ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في معنى مسبحات على الحال. واختار ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ على «مسبحات» ليدلّ على حدوث التسبيح من الجبال شيئًا بعد شيء وحالًا بعد حال ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ أي في طرفي النهار، والعشي وقت العصر إلى الليل، والإشراق وقت الإشراق **(وهو)** حين تشرق الشمس أي تُضيء **(وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها)** تقول: شرقت الشمس ولمّا تُشْرِق. **(وعن ابن عباس ﷺ: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية)**.

قوله: **(وهو)** أي وقت الإشراق **(وهو وقت الضحى)** أي الضحوة الصغرى **(وأما شروقها)** أي من الثلاثي **(فطلوعها)** تقول شرقت الشمس أي طلعت ولما تشرق أي لم تشرق من الإشراق أي لم تضيء ولم ترتفع ارتفاعًا تامًّا. **قوله**: **(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية)** إشارة إلى إنكار ثبوت صلاة النبيّ ﷺ لها وهو ما ذهب إليه بعض الصحابة وأقلها ركعتان وأكثرها اثني عشر وأوسطها في الفضيلة ثمانية. ووجّه فهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لها من الآية بناء على ما رُوِيَ عنه كما مرّ في سورة الصافات أن كل تسبيح ورد في القرآن فهو بمعنى الصلاة يعني ما لم يرد به التعجب والتنزيه كما رواه الطبري فحيث كانت صلاة لداود على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام قصّت على طريق المدح علم منه مشروعيتها لأن شرع من قبلنا شرع لنا إذا قصه الله تعالى ورسوله من غير نكير وهذا هو المراد بلا تكلّف وهذا بناء على أن معه متعلق بـ ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حتى يكون هو مسبحًا أي مصليًا وإلا فتسبيح الجبال لا دلالة له على الصلاة. اهـ شهاب. وفي تفسير الخازن روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ قال: كنت أمرّ بهذه الآية لا أدري ما هي حتى حدّثتني أم هانىء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلّى الضحى فقال: يا أم هانىء إن هذه صلاة الإشراق. اهـ. وكذا في تفسير

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وسخّرنا الطير مجموعة من كل ناحية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح لتسبيحه. ووضع الأواب موضع المسبح لأن الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه. وقيل: الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح **(مرجّع للتسبيح)**.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قويناه. قيل: كان يبيت **(حول محرابه)** ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه. ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ الزبور وعلم الشرائع. وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل. والفصل هو التمييز بين الشيئين. وقيل: للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير، وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه مَن يخاطب به لا يلتبس عليه، وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور. والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل، وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات.

الخطيب، وأيضًا فيه وروى طاوس عن ابن عباس قال: هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن، قالوا: لا فقرأ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ .اهـ فافهم. وفي الدرّ المختار وَندب أربع فصاعدًا في الضحى على الصحيح من بعد الطلوع إلى الزوال ووقتها المختار بعد ربع النهار. وفي المنية أقلّها ركعتان وأكثرها اثنا عشر وأوسطها ثمان وهو أفضلها كما في الذخائر الأشرفية لثبوته بفعله وقوله عليه السلام: وأما أكثرها فبقوله فقط .اهـ.

قوله: **(مرجع للتسبيح)** مكثر له لأن المرجع للشيء رجاع إليه يفعله مرة بعد أخرى ويرجع إلى فعله رجوعًا بعد رجوع.

قوله: **(حول محرابه)** المراد بالمحراب الغرفة.

وعن علي ﷺ: هو الحكم بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه، وهو من الفصل بين الحق والباطل. (**وعن الشعبي: هو**) قوله: «أما بعد» وهو أول مَن قال: «أما بعد»، فإن مَن تكلم في الأمر الذي له شأن يفتتح بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله: «أما بعد».

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ﴾ ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة. والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لأنه مصدر في الأصل تقول خصمه خصمًا. وانتصاب ﴿إِذْ﴾ بمحذوف تقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم (**لما فيه من معنىٰ الفعل**) ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ تَصعدوا سوره ونزلوا إليه، والسور الحائط المرتفع، والمحراب (**الغرفة**) أو المسجد أو صدر المسجد.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِذْ﴾ (**بدل من إذ الأولى**) ﴿دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ رُوِيَ أن الله تعالىٰ بعث إليه ملكين في صورة إنسانين، فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما (**الحرس**) فتسوّروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان، ففزع منهم لأنهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء، ولأنهم نزلوا عليه من

قوله: (**وعن الشعبي: هو**) عمر بن عامر بن شراحيل وهو كوفيّ تابعي جليل القدر وافر العلم.

قوله: (**لما فيه من معنى الفعل**) لكونه في الأصل مصدرًا كما صرّح به آنفًا. **قوله**: (**الغرفة**) وهي البيت العالي.

قوله: (**بدل من إذ الأولى**) بدل الاشتمال. **قوله**: (**الحرس**) جمع حارس في المصباح حرسه يحرسه من باب قتل حفظه والاسم الحراسة فهو حارس والجمع حرس وحراس مثل خادم وخدم وخدّام.اهـ.

فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون مَن يدخل عليه ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفۡ خَصۡمَانِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ تعدى وظلم ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ **(ولا تجر)** من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وأرشدنا إلى وسط الطريق **(ومحجته)** والمراد عين الحق ومحضه.

رُوِيَ أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضًا **(أن ينزل له عن امرأته)** فيتزوجها إذا أعجبته، وكان لهم عادة **(في المواساة)** بذلك **(وكان الأنصار)** يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فاتفق أن داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة **(أوريا)** فأحبها فسأله النزول عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أُم سليمان. فقيل له: إنك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلًا ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به. وقيل: **(خطبها)** أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلّته أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه. وما يُحكىٰ أنه بعث مرة بعد مرة أوريا **(إلى غزوة البلقاء)** وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح **(من أفناء المسلمين)** فضلًا عن بعض

قوله: **(ولا تجر)** من الجور أي دم على عدم الجور في الحكومة. **قوله**: **(ومحجته)** في المصباح المحجة بفتح الميم جادّة الطريق. اهـ. **قوله**: **(أن ينزل له عن امرأته)** أي يطلقها. **قوله**: **(في المواساة)** من قولهم واساه إذا ساعده. **قوله**: **(وكان الأنصار...)** الخ أي وقد كان ذلك في صدر الإسلام بعد الهجرة فكان الرجل من الأنصار إذا كانت له زوجتان نزل عن أحديهما أي طلق أحديهما لمن اتخذه أخًا له من المهاجرين. **قوله**: **(أوريا)** بهمزة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء تحتية بعدها ألف اسم رجل من مؤمني قومه. **قوله**: **(خطبها)** في المصباح خطب المرأة إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم واختطبها والاسم الخطبة بالكسر. اهـ. **قوله**: **(إلى غزوة البلقاء)** في لسان العرب البَلْقاء أرض بالشام وقيل: مدينة. اهـ. وفي حاشية الكشّاف للعلّامة سعد الدين رحمه الله هي مدينة بالشام وقيل: إنه بلد الزعفران. اهـ. **قوله**: **(من أفناء المسلمين)** الأفناء الجماعات.

أعلام الأنبياء. (**وقال عليّ رضي الله تعالىٰ عنه: مَن حدّثكم**) بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء.

ورُوِيَ أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكفّ الله عنها سترًا على نبيّه فما ينبغي إظهارها عليه. فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس والذي يدلّ عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب، وإنما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنًا من قلبه وأعظم أثرًا فيه مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ هو بدل من ﴿هَٰذَآ﴾ أو خبر لـ ﴿إِنَّ﴾، والمراد أخوة الدين أو إخوة الصداقة والألفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ (﴿وَلِىَ﴾ **حفص. والنعجة كناية عن المرأة**).

قوله: (وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: مَن حدّثكم... الخ) كون حد القذف مائة وستين اجتهاد من عليّ رضي الله تعالى عنه على تقدير صحة تلك الرواية. قال الزين العراقي: لم يصح عنه وجهه على فرض صحته أنه ضوعف فيه حد القذف كما ضوعف حد الأحرار على حد العبد لأن الأنبياء عليهم السلام سادات السادات. كذا قيل: وهذا قول جيد إذا ورد في الشرع ولا اعتبار للاجتهاد فيما ورد النص فيه ولعل وجهه أن هذا ليس حد القذف في الحقيقة لأن حد القذف حق العبد وحده إنما يلزم بطلب المقذوف ولا مساغ للطلب هنا فهو تأديب لإساءة أدبه فهو مفوّض إلى الإمام أو ذلك سياسة وهو الأظهر إذ في الأول نظر. اهـ قنوي.

قوله: (﴿وَلِىَ﴾ حفص) أي قرأ حفص بفتح الياء والباقون بالسكون. **قوله: (والنعجة كناية عن المرأة)** النعجة هي الأنثى من الضأن ولكن كثر في كلامهم

ولما كان هذا تصويرًا للمسألة وفرضًا لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة في أنفسهم **(كما تقول لي: أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها)** ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ **(ملكنيها)** وحقيقته **(اجعلني أكفلها)** كما أكفل ما تحت يدي. وعن ابن عباس ﵄: اجعلها كفلي أي نصيبي ﴿وَعَزَّنِي﴾ وغلبني يقال عزّه يعزّه ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾ في الخصومة أي أنه كان أقدر على الاحتجاج مني. وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل، أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني

الكناية بها عن المرأة. **قوله: (كما تقول لي: أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها)** أي لا قليل ولا كثير. وعبارة الكشاف (فإن قلت): الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت): هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوّروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي كما تقول في تصوير السائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير إليهما فخلطاها وحال عليهما الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد (محركتان أي لا قليل ولا كثير) وتقول أيضًا في تصويرها لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الأربعين أربعة ولا ربعها انتهت بزيادة يسيرة. وفي تفسير الخطيب قال الحسن بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن ثم نعاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمرًا أو اشترى أبو بكر دارًا ولا ضرب هناك ولا شراء. انتهى بحروفه. فائدة: نصاب الغنم ضأنًا أو معزًا أربعون وفيها شاة تعم الذكور والإناث وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان وما بينهما عفو فما زاد على أربعين شاة مثلًا إلى المائة والعشرين لا شيء فيه إذا اتحد المالك فلو مشتركة بين ثلاثة أثلاثًا فعلى كل شاة قال في البحر ولو كانت لرجل فليس للساعي أن يفرّقها ويجعلها أربعين أربعين فيأخذ ثلاث شياه لأنه باتحاد المالك صار الكل نصابًا ولو كان بين رجلين أربعون شاة لا تجب على واحد منهما الزكاة وليس للساعي أن يجمعها ويجعلها نصابًا ويأخذ الزكاة منها لأن ملك كل واحد منهما قاصر عن النصاب .اهـ.

قوله: (ملكنيها) بالبيع أو الهبة المراد ملك العين هنا وملك المتعة في التعريض وهذا معنى مجازي. **قوله: (اجعلني أكفلها)** أي أعولها وأنفق عليها والمعنى طلقها لأتزوجها.

خطابًا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني. ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها إليه وحاجّه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده، وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ليحكم بما حكم به من قوله:

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ حتى يكون محجوجًا بحكمه. وهذا جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول **(وقد ضمن معنىٰ الإضافة فعُدِّي تعديتها)** كأنه قيل: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال **(والطلب)**. وإنما ظلّم الآخر بعدما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم.

ويُروَى أنه قال: أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود: إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة. فقال: يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت. ثم نظر داود فلم يرَ أحدًا فعرف ما وقع فيه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء والأصحاب ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (﴿مَّا﴾ **للإبهام)** و﴿هُمْ﴾ مبتدأ و﴿وَقَلِيلٌ﴾ خبره ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ أي علم وأيقن وإنما استعير له لأن الظن الغالب يداني العلم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ﴾ ابتليناه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لزلّته ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي سقط على وجهه

قوله: (وقد ضمن معنى الإضافة فعُدي تعديتها) عبارة البيضاوي وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمينه معنى الإضافة. اهـ. وفي حاشية البيضاوي للعلّامة الشهاب قوله: وتعديته إلى مفعول... الخ وهو لا يتعدى فتضم ما يتعدى بها كالضم أو الإضافة. اهـ. **قوله: (والطلب)** فيه إشارة إلى أن السؤال سؤال الإعطاء لا سؤال الاستعلام. **قوله:** و(﴿مَّا﴾) مزيدة **(للإبهام)**.

ساجدًا لله، **(وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة إذا نوى)** لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعًا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا

قوله: (وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة إذا نوى...) الخ في التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية أطلق راكعًا على معنى ساجدًا فيكون فيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود إذا نوى لأن المراد مجرد ما يصلح تواضعًا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة فهو مستشهد أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه في هذا الباب. صرّح به صاحب الكشّاف والمدارك. وقال الغوري: فيه نظر لأنه إذا قرأ ثلاث آيات أو أكثر بعد آية السجدة لا يقوم الركوع مقام السجدة بالاتفاق والعبارة هٰهنا مطلقة ولأن النص محمول على غير حال الصلاة على ما عرف من القصة فكيف يجوز في الصلاة دون غيره وقد ذكر الإمام فخر الإسلام البزدوي وغيره هذه المسألة في بيان معارضة القياس والاستحسان حيث قال: الاستحسان يقدم على القياس في كثير من المواضع وأما القياس إنما يقدم على الاستحسان إذا ظهر فساده واستوت صحته وأثره كما في قيام الركوع مقام السجود فإن النص ورد به وهو قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [صٓ: الآية ٢٤] ففي الاستحسان لا يجوز لأن الشرع أمر بالسجود والركوع خلافه فلا يجوز كما في سجود الصلاة وهذا أثر ظاهر والقياس مجاز لكنه أولى بأثره الباطن، وذلك لأن السجود لم يجب عند التلاوة قربة مقصودة بل الغرض مجرد ما يصلح تواضعًا عند التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلافه في غير الصلاة وبخلاف سجود الصلاة فإنه مقصود بنفسه، وفيه نهاية التعظيم ولا يتأدّى بالركوع لأنه أولى منه في إظهار الخضوع هذا ما قالوا انتهت بحروفها. وفي مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (وتؤدى بركوع أو سجود) كائنتين في (الصلاة غير ركوع الصلاة) وغير (سجودها) والسجود أفضل لأنه تحصيل قربتين صورة الواجب ومعناه، وبالركوع المعنى وهو الخضوع (ويجزىء عنها) أي عن سجدة التلاوة (ركوع الصلاة إن نواها) أي نوى أداءها فيه رأي عند الركوع وإن نوى في الركوع ففيه قولان وإن نوى بعد الرفع منه لا يجوز بالإجماع، نص عليه (أي على اشتراط النيّة) محمد لأن معنى التعظيم فيهما واحد ويجزي عنها أيضًا (سجودها) أي سجود الصلاة (وإن لم ينوها) أي التلاوية (إذا لم ينقطع

العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة ﴿وَأَنَابَ﴾ ورجع إلى الله بالتوبة. وقيل: إنه بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه، ولا **(أن يرقأ)** دمعه حتى نبت **(العشب)** من دمعه ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمع ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَالِكَ﴾ أي زلّته ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لقربة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ مرجع وهو الجنة.

فور التلاوة) وانقطاعه بأن يقرأ **(أكثر من آيتين)** بعد آية سجدة التلاوة بالإجماع. وقال شمس الأئمة الحلواني لا ينقطع الفور ما لم يقرأ أكثر من ثلاث آيات. وقال الكمال: إن قول شمس الأئمة هو الرواية. اهـ باختصار وبزيادة يسيرة. وفي حاشية للعلّامة الطحطاوي قوله في الصلاة: هذا القيد بالنسبة إلى الركوع فقط فلا يجزي عنها ركوع في خارجها لأن الأثر إنما ورد فيما إذا ركع فيها فقط فيقصر على مورد الأثر لكن في البحر واختار قاضي خان أن الركوع خارج الصلاة ينوب عنها وفي النهر عن البزازية وهو ظاهر المروي. اهـ فيحمل على اختلاف الرواية انتهت بحروفها. وفي الدرّ المختار وكذا خارجها ينوب عنها الركوع في ظاهر المرويّ بزازية. اهـ.

وفي ردّ المحتار قوله: وكذا في خارجها... الخ هذا ضعيف لما قدمناه عن البدائع من أنه لا يجزي لا قياسًا ولا استحسانًا وما عزاه إلى البزازية تبع فيه صاحب النهر وهو خلل في النقل لأن الذي رأيته في نسختين من البزازية هكذا وروي في غير الظاهر أن الركوع ينوب عنها خارج الصلاة أيضًا. اهـ. فسقط من كلامه لفظ غير وما في البحر من أن قاضي خان اختار أنه ينوب عنها ففيه أن عبارة الخانية هكذا روى أنه يجوز ذلك ولا يخفى أنه مشعر بتضعيفه لا باختياره فتنبه لذلك. اهـ. يقول كاتب الحروف أصلح الله شأنه أن الذي رأيته في نسخة البزازية التي عندي مثل ما رآه صاحب رد المحتار في نسختين منها، وعبارة نسخة الخانية التي عندي هكذا رجل قرأ آية السجدة في غير الصلاة فأراد أن يركع للسجدة في رواية يجوز ذلك. اهـ فافهم.

قوله: **(أن يرقأ)** في المصباح رقأ الدم والدمع رقأ مهموز من باب نفع ورقوء على فعول انقطع بعد جريانه والرقوء مثال رسول اسم منه. اهـ. **قوله**: **(والعُشُبُ)** الكَلأُ الرَّطْب.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي استخلفناك على الملك في الأرض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ **(أي بحكم الله)** إذ كنت خليفته أو بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي هوى النفس في قضائك ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الهوى ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ أي بنسيانهم يوم الحساب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿بَٰطِلًا﴾ **(خلقًا باطلًا)** لا لحكمة بالغة، أو مبطلين عابثين كقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٦] وتقديره ذوي باطل، أو عبثًا فوضع ﴿بَٰطِلًا﴾ موضعه أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين، وهو أنا خلقنا نفوسًا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاءً على حسب أعمالهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلًا ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **(الظن)** بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا، وإنما جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة مع إقرارهم بأنه خلق السمٰوات والأرض وما بينهما لقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: الآية ٢٥] لأنه لما

قوله: **(أي بحكم الله)** يعني أن الحق اسم الله تعالى وأن فيه تقدير المضاف أي بحكم الحق أي الله.

قوله: **(خلقًا باطلًا)** إشارة إلى أن باطلًا صفة مصدر محذوف. **قوله**: **(الظن)** بمعنى المظنون ليصح الحمل ولو أريد المبالغة لا يحتاج إلى ذلك التأويل.

كان إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديًا إلى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه، لأن الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم، فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق العالم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)﴾ («أم» **منقطعة**)، ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال مَن أصلح وأفسد واتقى وفجر، ومَن سوّى بينهم كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾

﴿كِتَابٌ﴾ أي هذا كتاب ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة أخرى ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (**وأصله ليتدبروا**) قرىء به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به. وعن الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه وضيعوا حدوده (﴿**لتدبّروا**﴾ **على الخطاب بحذف إحدى التاءين: يزيد**) ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتعظ بالقرآن أولو العقول.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١)﴾

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أي سليمان. وقيل: داود، وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وعلّل كونه ممدوحًا بكونه أوّابًا أي كثير الرجوع إلى الله تعالى ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ بعد الظهر

قوله: (أم منقطعة) مقدرة ببل والهمزة وبل للإضراب الانتقالي والمعنى بل أنجعل.

قوله: (وأصله ليتدبروا) فأدغمت التاء في الدال. **قوله**: (﴿لتدبّرو﴾ **على الخطاب بحذف إحدى التاءين: يزيد**) أي قرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة بالتاء من فوق وتخفيف الدال على حذف إحدى التاءين على الخلاف فيها أهي تاء المضارعة أم التالية لها والأصل لتتدبروا والباقون بياء الغيب وتشديد الدال.

﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيول (**القائمة**) على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى (**على طرف حافر**) ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ السراع (**جمع جواد**) لأنه يجود (**بالركض**)، وصفها بالصفون لأنه لا يكون (**في الهجان**) وإنما (**في العراب**). وقيل: وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية، يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كنت سراعًا خفافًا في جريها. وقيل: الجياد الطوال الأعناق من الجيد. ورُوِيَ أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق و(**نصيبين فأصاب ألف فرس**). وقيل: (**ورثها من أبيه**) وأصابه أبوه

قوله: (**القائمة**) أي الواقفة. **قوله:** (**على طرف حافر**) أي من رجل أو يد. **قوله:** (**جمع جواد**) في لسان العرب فرس جواد بيّن الجُودة والأنثى جواد أيضًا.اهـ. وأيضًا فيه والجمع جِيَاد وكان قياسه أن يقال: جَواد فتصبح الواو في الجمع لتحركها في الواحد الذي هو جَواد كحركتها في طويل ولم يسمع مع هذا عنهم جِوَاد في التكسير البتة فأجروا واو جَوَاد لوقوعها قبل الألف مجرى الساكن الذي هو واو ثوب وسوط فقالوا: جِيَادٌ كما قالوا: حِيَاض وسياط ولم يقولوا جِوَادٌ كما قالوا: قِوَامٌ وطِوَالٌ.اهـ. في المصباح جاد الفرس جودة بالضم والفتح فهو جواد وجمعه جياد.اهـ. **قوله:** (**بالركض**) في المصباح ركض الرجل ركضًا من باب قتل ضرب برجله ويتعدى إلى مفعول فيقال: ركضت الفرس إذا ضربته ليعدو ثم كثر حتى أسند الفعل إلى الفرس واستعمل لازمًا فقيل: ركض الفرس قال أبو زيد: يستعمل لازمًا ومتعديًا فيقال: ركض الفرس وركضته ومنهم مَن منع استعماله لازمًا ولا وجه للمنع بعد نقل العدل.اهـ. **قوله:** (**في الهجان**) في المصباح الهجين من الخيل الذي ولدته بَرْذَوْنة من حصان عربي.اهـ. وقوله: برزونة في لسان العرب البرازين من الخيل ما كان من غير نِتاج العِراب.اهـ. وقوله: حصان في المصباح الحصان بالكسر الفرس العتيق.اهـ. **قوله:** (**في العراب**) في المصباح خيل عِراب خلاف البراذين الواحد عربيّ.اهـ. **قوله:** (**نَصِيبِيْنَ**) اسم بلد. **قوله:** (**فأصاب ألف فرس**) لبيت المال فلا إشكال بأن الغنائم لم تحل لغير نبيّنا عليه السلام إذ الحيوان لا يحرق فيكون لبيت المال.اهـ قنوي رحمه الله. **قوله:** (**ورثها من أبيه**) على أنها معدّة لمصالح المسلمين لا على أنها ملكًا له حتى ينافي أن الأنبياء لا يورثون ولظهور المراد عبر بالإرث مسامحة فالمراد بالإرث حيازة

(**من العمالقة**) . وقيل: خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يومًا بعدما صلّى الظهر على كرسيه (**واستعرضها**) فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس (**وغفل عن العصر**) وكانت فرضًا عليه، فاغتمّ لما فاته فاستردها (**وعقرها تقرّبًا لله**) فبقي مائة، فما في أيدي الناس من الجياد، فمن نسلها. وقيل: لما عقرها أبدله الله خيرًا منها وهي الريح تجري بأمره.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أي آثرت حب الخيل عن ذكر ربي كذا عن الزجاج. فأحببت بمعنىٰ آثرت كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصّلت: الآية ١٧] و«عن» بمعنىٰ «على»، وسمىٰ (**الخيل**) خيرًا كأنها نفس

التصرّف لا الملك وجه كون الأنبياء لا يورثون إما لبقائه على ملكهم أو لمصيره صدقة أو لعوده لبيت المال أو لكونه وقفًا على ورثته على ما فصله المحدثون والفقهاء لكن المختار كونه لبيت المال على ما أشرنا إليه. واختلف فقيل: إنه مخصوص بنبيّنا ﷺ وقيل: عام لقوله ﷺ: إنا معاشر الأنبياء لا نورث وهذا هو المختار. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (من العَمالِقَة) الجَبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد. **قوله**: (**واستعرضها**) أي طلب سليمان العرض. **قوله**: (**وغفل عن العصر**) أي عن صلاة العصر. **قوله**: (**وعقرها تقرّبًا لله**) العقر لا يقتضي الملك فلا ينافي ما سبق بل يقتضي مالكية التصرّف. قوله: مقرّبًا لله على أنه مشروع في شريعته يعني لا غضبًا فلا يكون إسرافًا مذمومًا كيف لا وقد رُوِيَ أن الله تعالى أبدله خيرًا منها وهي الريح كما في الكشاف. اهـ قنوي. وقوله: وعقرها في المصباح عقره عقرًا من باب ضرب جرحه وعقر البعير بالسيف عقرًا ضرب قوائمه به لا يطلق العقر في غير القوائم ورُبما قيل: عقره إذا نحره فهو عقير وجمال عقري. اهـ.

قوله: (﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾) أي آثروا أي اختاروا الكفر. **قوله**: (**الخيل**...) الخ حديث صحيح وفي البخاري ومسلم الخير معقود[1] في نواصي

---

(١) المراد بالخير هنا الأجر والغنيمة.

الخير لتعلق الخير بها كما قال ﷺ «الخيل معقود بنواصيها الخير **(إلى يوم القيامة)**» وقال **(أبو علي)**: أحببت بمعنىٰ جلست من إحباب البعير وهو بروكه. حب الخير أي المال مفعول له مضاف إلى المفعول ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ والذي دلّ على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمير من جري ذكر أو دليل ذكر، أو الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي قال للملائكة: ردّوا الشمس علي لأصلّي العصر فردّت الشمس له وصلّى العصر، أو ردّوا الصافنات ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾

الخيل روياه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وفيهما أيضًا البركة في نواصي الخيل أي كثرة الخيل في ذواتها والناصية الرأس ويكنّى بها عن الذات وهو المراد هنا إنما جعل البركة في الخيل لأن بها يحصل الجهاد الذي فيها خير الدنيا والآخرة. وأما الحديث الآخر وهو الشؤم يكون للفرس فمحمول على ما لم يكن معدًّا للغزو بل الكبر والافتخار ومعدًا للنهب والإغارة بالتعدي والإضرار. **قوله**: **(إلى يوم القيامة)** فيه إشارة إلى أن الجهاد باقٍ إلى يوم القيامة.

قوله: **(أبو علي)** الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحويّ كان إمام وقته في علم النحو. ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير وكتاب المقصور والممدود وكتاب الحجة في القراءات وكتاب الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني وكتاب العوامل المائة وكتاب المسائل الحلبيات وكتاب المسائل البغداديات وكتاب المسائل الشيرازيات وكتاب المسائل القصريات وكتاب المسائل العسكرية وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجلسيّات وغير ذلك، وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدّد وكان متهمًا بالاعتزال وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين وتُوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وقيل: ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى ببغداد. اهـ ابن خلكان باختصار.

(فجعل يمسح مسحًا) أي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور وأعناقها، يعني يقطعها لأنها منعته عن الصلاة. تقول: **(مسح عُلاوته)** إذا ضرب عنقه، ومسح **(المسفر)** الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه. وقيل: إنما فعل ذلك كفارة لها أو شكرًا لرد الشمس، وكانت الخيل مأكولة في شريعته فلم يكن إتلافًا. وقيل: مسحها بيده استحسانًا لها وإعجابًا بها.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه. ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ سرير ملكه ﴿جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى الله. قيل: فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة، وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين: إن عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله **(أو نخبله)**، فعلم ذلك سليمان عليه السلام **(فكان يغذوه في السحابة)** خوفًا من مضرة الشياطين، فألقىٰ ولده ميتًا على كرسيه فتنبّه على زلّته في

قوله: (فجعل) أي شرع. **قوله: (يمسح مسحًا...)** الخ أشار إلى أن مسحًا مفعول مطلق ليمسح ومفعول به محذوف وهو السيف أو يمسح محذوف مع مفعوله وجملة يمسح خبر ﴿فَطَفِقَ﴾. **قوله: (مسح علاوته)** العِلاوة بالكسر رأس الإنسان ما دام في عنقه يقال: ضرب علاوته أي قطع رأسه. **قوله: (المُسَفِّر)** المجلد.

قوله: (أو نُخَبِّله) في مختار الصحاح الخبل بسكون الباء الفساد وبفتح الباء الجِنّ يقال: به خبل أي شيء من أهل الأرض وقد خبله من باب ضرب وخَبَّله تخبيلًا واختبله إذا أفسد عقله أو عضوَه. اهـ. **قوله: (فكان يغذوه في السحابة)** فأمر السحاب حتى حملته وغذا ابنه في السحاب أي رباه فيه يقال: غذوته أغذوه أي ربيته أي فوضعه في سحاب وجعل من ظئره ومرضعه فيه بحيث لم يروه حين وضعه وهم لا يعلمون الغيب فلا وجه لما قيل ما فائدة وضعه فيه والشياطين يقدرون على الصعود للسحاب. وفيه دليل على أن التمسك بالسبب والتحصن لا ينافي التوكل لكن الأولى للمقربين التفويض إلى الله تعالى. ولذا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقال عليه الصلاة والسلام: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل فللأنبياء خواص وشؤون فتأمل فلا إشكال بأنه عليه

أن (**لم يتوكل**) فيه على ربّه. ورُوِيَ عن النبيّ ﷺ «قال سليمان: (**لأطوفن الليلة**) على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن (**فلم تحمل**) إلا امرأة واحدة (**جاءت بشقّ رجل**) فجيء به على كرسيه فوضع في حجره، (**والذي**) نفس محمد (**بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعين**» **وأما ما يُروىٰ من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان** عليه السلام **فمن أباطيل اليهود**).

الصلاة والسلام قال: «اعقلها وتوكّل» فلا ينافي التوكّل مباشرة الأسباب ما لم يعتقد التأثير فيها. **قوله**: (**لم يتوكل**) أي توكل الخواص اللائق به وهو عدم مباشرة الأسباب إذ ما فعله لا ينافي التوكل كما في «اعقلها وتوكّل». **قوله**: (**لأطوفن الليلة**) الطواف هنا كناية عن القربان والمراد بالليلة هذه الليلة الآتية بعد التكلم بلا انفصال أي والله لأجامعهن على سبعين امرأة. وفي رواية الإمام الصنعاني عن الشيخين لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فأطاف بهن ولم تلد منهم إلا امرأة نصف إنسان لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجة وهذا متحد معنى ما رواه المصنّف رحمه الله. وما رواه المصنّف من غير الشيخين لأن ألفاظهما متخالفة كما عرفته وعدم قوله: إن شاء الله لأجل النسيان فلا محذور فضلًا عن ترك الأولى في معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ وضع القابلة أو أمه له عليه ليراه ففي ألقيناه مجاز عقلي.

قوله: (**فلم تحمل**) بالتاء ورُوِيَ بالياء لتأويل بشخص وشيء ونحوه. **قوله**: (**جاءت**) وُلدت. **قوله**: (**بشق رجل**) أي بنصف ابن. **قوله**: (**والذي...**) الخ هكذا كان النبيّ ﷺ يقسم ومعنى (**بيده**) في تصرّفه إن شاء أحياها وإن شاء أماتها. **قوله**: (**لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعين**) المراد منه الحثّ على القول إن شاء الله في الأمور الحسنة فلا إشكال بأنه عليه السلام قال: لا تقل لو فإنه يفتح عمل الشيطان.

قوله: (**وأما ما يروى من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود**) عبارة الكشاف. وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن

....

سليمان بلغه خبر صَيْدون[١] وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكًا عظيم الشأن لا يُقوى عليه لتحصُّنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب[٢] بنتًا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهًا فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبّها وكانت لا يرقأ[٣] دمعها حزنًا على أبيها فأمر الشياطين فمثّلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها[٤] يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصفُ سليمانَ بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرشَ له الرماد فجلس عليه تائبًا إلى الله متضرّعًا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها. وكان[٥] مُلكه في خاتمه فوضعه عندها يومًا وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دلّ سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان، فقال: يا أمينة خاتمي فتختم وجلس على كرسيّ سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغُيّر[٦] سليمان عن هيئته فأتى أمينةَ لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفّف[٧] وإذا قال: أنا سليمان حَثوا عليه الترابَ وسبّوه ثم عمد إلى السمّاكين ينقل لهم السمك فيُعْطونه كل يوم سمكتينِ فمكث على ذلك أربعين صباحًا عدد ما عُبد الوثن في بيته فأنكر آصفُ عظماء بني إسرائيل حكم الشيطان. وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدَعُ امرأة منا في دمها ولا يغتسل مِن جنابته وقيل: بل نفذ حكمه في كل شيء إلا فيهن ثم طار[٨] الشيطان وقذف[٩] الخاتم في البحر وابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد

(١) بصاد مهملة ودال مهملة.
(٢) قوله: أصاب أي وجدها.
(٣) قوله: يرقأ مهموز بمعنى ينقطع.
(٤) قوله: ولا يئدها جمع وليدة بمعنى مولود والمراد به الجارية.
(٥) يعني كان الله قدر له ملكه ما دام الخاتم معه فإذا فارقه نزع ملكه.
(٦) قوله: غيّر سليمان عن هيئته بقدرته تعالى كما ألقى شبه عيسى عليه السلام على غيره.
(٧) قوله: يتكفف أي يسأل وقيل هذا لمن يسأل لأنه يمد كفه.
(٨) قوله: طار أي ذهب عن كرسيه في الهوى.
(٩) قوله: وقذف أي رمى بالخاتم في البحر لئلا يأخذه غيره.

....

سليمان فبقر[1] بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدًا ورجع إليه ملكه وجابَ صخرة لصخر فجعله فيها وسدّ عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر. وقيل: لما افتُتن كان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف: إنك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يقرّ في يدك فتب إلى الله ولقد أبى العلماء المُتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكّنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن يختلف فيه الشرائع. ألا ترى إلى قوله: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سَبَأ: الآية ١٣] وأما السجود للصورة فلا يظن بنبيّ الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه انتهت بحروفها. قوله: وسأل آصف نساء سليمان... الخ عبارة البيضاوي ونفّذ حكمه في كل شيء إلّا فيه وفي نسائه. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب والقنوي ولبعد هذه الرواية عن مقام العصمة لم يذكرها المصنّف بل أشار إلى ردّه بقوله: إلّا في نسائه. اهـ. وأيضًا في تفسير البيضاوي والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزًا حينئذٍ وسجود الصورة بغير علمه لا يضر. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة الشهاب قوله: والخطيئة... الخ توجيه لهذه القصة ورد على ما في الكشاف من أنها من افتراء اليهود فإنه لا يليق بمقامه ﷺ ما ذكر فإن ابن حجر قال: إن هذه القصة رواها النسائي وغيره بإسناد قويّ. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة القنوي قوله: والخطيئة... الخ جواب سؤال تقديره ظاهر وقيل: توجيه لهذه القصة وردّ على ما في الكشّاف من أنها من افتراء اليهود فإنها لا تليق بمقامه. قال ابن حجر: قال: إن هذه القصة رواها النسائي وغيره بإسناد قوي. انتهى ولعل صاحب الكشّاف لم يعمل بهذه الرواية لكونه خبر واحد لا يزاحم ما ثبت بالتواتر من عصمة الأنبياء عليهم السلام. قوله: تغافله عن حال أهله بعيد لأن المدة أربعون يومًا كما اعترف به فهذه المدة التغافل عن مثله مع أنه سخّر له الجن والإنس مستبعد جدًا فالأحوط ما اختاره الزمخشري والاكتفاء بالوجهين الأولين. اهـ.

---

(١) قوله: فبقر بمعنى شقّ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريًا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾ لا يتسهل ولا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ أي دوني. (**وبفتح الياء: مدني وأبو عمرو**)، وإنما سأل بهذه الصفة فيكون معجزة له لا حسدًا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين، فلما دعا بذلك سخرّت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ (**﴿الرياح﴾ أبو جعفر**).

﴿تَجْرِي﴾ حال من ﴿ٱلرِّيحَ﴾ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بأمر سليمان ﴿رُخَآءً﴾ لينة طيبة (**لا تزعزع**) وهو حال من ضمير ﴿تَجْرِي﴾ ﴿حَيْثُ﴾ ظرف ﴿تَجْرِي﴾ (﴿أَصَابَ﴾) قصد وأراد. والعرب تقول: أصاب الصواب فأخطأ الجواب ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾ أي سخرنا له الشياطين ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ (**بدل من ﴿الشياطين﴾**) كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ أي ويغوصون له في البحر لإخراج اللؤلؤ، وهو

قوله: (**وبفتح الياء**) أي ياء ﴿بَعْدِيٓ﴾ (**مدني**) أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وأبو عمرو**) البصريّ. **قوله**: (**الرياح**) بالجمع (**أبو جعفر**) المدنيّ وليس من السبعة. وفي التمجيد قراءة الريح هي المشهورة والرياح شاذة. اهـ. **قوله**: (**لا تزعزع**) الزعزعة تحريك الشيء يقال: زعزعته فتزعزع وريح زعزعان وزعزع أي تزعزع الأشياء ولا ينافيه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأنبياء: الآية ٨١] لأن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما جرت بأمره كانت لينة طيبة. **قوله**: (﴿أَصَابَ﴾) بمعنى أراد لأنه لو كان بمعناه المعروف لا مساغ قوله فأخطأ وكذا في النظم الكريم لا يناسب معناه المعروف وهو وقوع الصواب فلا جرم أنه مجاز عن أراد إذ الإصابة مسببة عن الإرادة والداعي إلى المجاز بيان أنه مصيب في إرادته.
قوله: (**بدل من ﴿الشياطين﴾**) بدل كل من كل إن كان تعريف الشياطين للعهد وهم المسخرون أو أريد من له قوة البناء والغوص والتمكن منهما أو بعض إن لم يقصد ذلك فيقدر ضمير أي منهم.

أول مَن استخرج اللؤلؤ من البحر. والمعنىٰ وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ داخل في حكم البدل ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكفّ عن الفساد. والصفد: القيد **(وسُمِيَ به)** العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه، ومنه قول علي ﷺ: **(مَن بَرَّك فقد أسرك)** ومَن جفاك فقد أطلقك ﴿هَٰذَا﴾ الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة ﴿عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ فأعط منه ما شئت من المنّة وهي العطاء ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن العطاء، وكان إذا أعطى أجر وإن منع لم يأتم بخلاف غيره ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ متعلق بـ ﴿عَطَآؤُنَا﴾ وقيل: هو حال أي هذا عطاؤنا **(جمًّا كثيرًا)** لا يكاد يقدر على حصره، أو هذه التسخير عطاؤنا فامنن على مَن شئت من الشياطين بالإطلاق أو أمسك مَن شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿لَزُلْفَىٰ﴾ اسم «إن» والخبر ﴿لَهُۥ﴾ والعامل في ﴿عند﴾ الخبر.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ هو بدل من ﴿عَبْدَنَا﴾ أو عطف بيان ﴿إِذْ﴾ بدل اشتمال منه ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ دعاه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ﴾ بأني مسّني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسّه لأنه غائب ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ﴿بِنُصْبٍ﴾ **قراءة العامّة، ﴿بنُصُب﴾ يزيد تثقيل نُصْب ﴿بنَصَب﴾ كرشد ورشد، يعقوب**

قوله: (وسمي به) أي بالصفد. **قوله**: (من برّك فقد أسرك) أي من أحسن إليك فقد قيّدك. **قوله**: (جمًا كثيرًا) في المصباح جمّ الشيء جمًّا من باب ضرب كثر فهو جمّ تسمية بالمصدر ومال جمّ أي كثير. اهـ.

قوله: (﴿بِنُصْبٍ﴾) بضم النون وسكون (قراءة العامة، ﴿بنُصُب﴾) بضمتين (يزيد) أي أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة (تثقيل نُصْب) بالضم والسكون (بنَصَب) بفتحتين (كرشد) بالضم والسكون (ورشد) بفتحتين (يعقوب) بن

﴿بِنصب﴾ **على أصل المصدر هبيرة)** ـ والمعنىٰ واحد وهو التعب والمشقّة ﴿وَعَذَابٍ﴾ يريد مرضه وما كان **(يقاسي)** فيه من أنواع **(الوصب)**. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء **(ويغريه)** على الكراهة **(والجزع)**، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه وردّه بالصبر الجميل. ورُوِيَ أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتدّ أحدهم فسأل عنه فقيل: ألقي إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين. وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع، أو رأى منكرًا فسكت عنه، أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلّة سبقت منه.

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له: اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض

إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة (﴿بنصب﴾) بالفتح والسكون **(على أصل المصدر هُبَيْرَة**[1]**)** التمّار في تفسير النيسابوري بنصب وَبضمتين يزيد وقرأ يعقوب بفتحتين وقرأ هبيرة بالفتح والسكون والباقون بالضم والسكون. اهـ. وفي السمين قوله: بنصب قراءة العامة بالضم والسكون وأبو جعفر وشيبة وحفص ونافع في رواية بضمتين وهو تثقيل نصب، وقرأ أبو حيوة ويعقوب وحفص في رواية بفتح وسكون. اهـ باختصار. وفي الإتحاف واختلف في بنصب فأبو جعفر بضم النون والصاد وقرأ يعقوب بفتحهما وافقه الحسن والباقون بضم النون وإسكان الصاد وكلها بمعنى واحد وهو التعب والمشقة. اهـ فافهم. **قوله**: **(يقاسي)** في لسان العرب المقاساة مكابدة الأمر الشديد وقاساه أي كابده. اهـ وفي المصباح المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله. اهـ.

قوله: **(الوصب)** في المصباح الوصب الوجع وهو مصدر من باب تعب. اهـ. **قوله**: **(ويغريه)** من الإغراء وهو الحثّ. **قوله**: **(والجزع)** الشكوى وعدم الصبر.

---

(١) لحفص أربع روايات رواية هبيرة التمار وأبي شعيب القواش وعبيد بن الصبّاح وعمرو بن الصبّاح.

(وهي أرض الجابية) فضربها فنبعت عين فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك. وقيل: نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالىٰ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قيل: أحياهم الله تعالىٰ بأعيانهم وزاده مثلهم ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الألباب، لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء ﴿وَخُذْ﴾ معطوف على ﴿ٱرْكُضْ﴾ ﴿بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ **(حزمة)** صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. وعن ابن عباس ﵄: **(قبضة)** من الشجر ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ، فحلّل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه، **(وهذه الرخصة باقية)** ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة. والسبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في

قوله: **(وهي أرض الجابية)** الجابية مدينة بالشام كذا في لسان العرب وحاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله.

قوله: (حزمة) في لسان العرب حَزَمَ الشيء يَحزِمه حزمًا شَدَّه والحُزْمة ما حُزِم. اهـ. وفي المصباح حزمت الشيء جعلته حزمة والجمع حزم مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: (قبضة) في لسان العرب القبضة ما أخذتَ بجمع كفّك كله فإذا كان بأصابعك فهي القُبْصة بالصاد. اهـ. **قوله**: **(وهذه الرخصة باقية)** في الحدود في شريعتنا وفي غيرها أيضًا لكن غير الحدود يعلم منها بالطريق الأولى وكون حكمها باقيًا هو الصحيح حتى استدلوا بهذه الآية على جواز الحيل وجعلوها أصلًا لصحتها، وقيل: حكمها منسوخ وقيل: إنه مخصوص بأيوب والصحيح الأول لكن شرطوا فيه الإيلام أما مع عدمه بالكلية فلا فلو ضرب بسوط واحد له شعبتان خمسين مرة من حلف على ضربة مائة ضربة برّ إذا تألّم فإذا لم يتألّم لا يبرّ ولو ضربه مائة لأن الضرب وضع لفعل مؤلم يتصل بالبدن بآلة التأديب وقيل: يحنث بكل حال كما فصل في شرح الهداية وغيره. اهـ شهاب.

حاجة فخرج صدره. وقيل: باعت (**ذؤابتيها برغيفين**) وكانتا متعلّق أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا قام ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ﴾ علمناه ﴿صَابِرًاۚ﴾ على البلاء نعم قد شكا إلى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى إلى الله لا تسمى جزعًا فقد قال يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ (﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) [يوسف: الآية ٨٦] على أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم أنه لو كان نبيًا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ (﴿عَبْدِنَا﴾ مكي). ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ فمن جمع فـ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ومن بعده عطف بيان على ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ ومن وحد فـ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ وحده عطف بيان له، ثم عطف ذريته على ﴿عَبْدَنَا﴾ ولما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وإن كان عملًا لا تتأتى فيه المباشرة بالأيدي، أو كان العمال (**جذمًا**) لا أيدي لهم وعلى هذا ورد قوله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي أولي الأعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا

قوله: (**ذؤابتيها**) في المصباح الذؤابة بالضم مهموز الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة فإن كانت ملوية فهي عقيصَة. اهـ. **قوله**: (**برغيفين**) في الصحاح الرغيف من الخُبْز والجمع أرْغِفَة ورُغُفٌ ورُغْفَانٌ. اهـ. وفي المصباح الرغيف جمعه رغف مثل بريد وبرد وأرغفة ورغفان بالضم ورغفت العجين رغفًا من باب نفع جمعته بيدك مستديرًا فالرغيف فعيل بمعنى مفعول. اهـ. **قوله**: (﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾...) الخ في تفسير الجلالين (﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي﴾) هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبثّ إلى الناس (﴿وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه. اهـ.

قوله: (﴿عَبْدِنَا﴾ **مكيّ**) أي قرأ ابن كثير المكيّ بفتح العين وسكون الباء الموحدة ولا ألف بعدها على التوحيد على أنه إبراهيم وحده المزيد شرفه وإبراهيم عطف بيان وإسحٰق ويعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة وألف بعدها على الجمع. **قوله**: (جُذمًا) جمع أَجْذم وهو المقطوع اليد. **قوله**:

يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات **(في حكم الزمنى)** الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم **(والمسلوبي العقول)** الذين لا استبصار لهم، **(وفيه تعريض)** بكل مَن لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ جعلناهم لنا خالصين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها. ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ ﴿ذِكۡرَى﴾ في محل النصب أو الرفع بإضمار «أعني»، أو «هي»، أو الجر على البدل من ﴿خالصة﴾ والمعنىٰ إنا أخلصناهم بذكرى الدار، والدار هنا: الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو **(ديدن)** الأنبياء عليهم السلام، أو معناه أنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع إلى الله وينسون ذكر الدنيا **(﴿بِخَالِصَةِ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ على الإضافة مدني ونافع)** وهي من إضافة الشيء إلى ما يبينه، لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى. و﴿ذِكۡرَى﴾ مصدر مُضاف إلى المفعول أي بإخلاصهم ذكرى الدار. وقيل: خالصة بمعنىٰ خلوص فهي مضافة إلى الفاعل أي بأن خلصت لهم ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر، إنما همهم ذكرى الدار لا غير. وقيل: ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا، وهذا شيء قد أخلصهم به فليس

(في حكم الزمنى) خبر كان الذين. **وقوله: (الزمنى)** جمع زمين كمريض ومرضى في المصباح زمن الشخص زمنًا وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا والقوم زمنى مثل مرضى. اهـ. **قوله: (والمسلوبي العقول)** عطف على الزمنى. **قوله: (وفيه تعريض)** يعني أن وصف هذا الجمع خصوصًا بكونهم أولى الأعمال والأفكار تعريض بأن مَن ليسوا على صفتهم من العمل الصالح والفكر الصائب في حكم مَن لا قدرة لهم على الأعمال ولا فكر لهم في الأحوال.

قوله: (ديدن) في الأختري الديدن بالفتح والكسر والديدان بالفتح دأب وعادات. اهـ. **قوله: (﴿بِخَالِصَةِ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ على الإضافة مدنيّ ونافع)** في الإتحاف واختلف في ﴿بِخَالِصَةِ ذِكۡرَى﴾ فنافع والحلواني عن هشام وأبو جعفر بغير تنوين مضافًا للبيان والباقون بالتنوين وعدم الإضافة. اهـ باختصار.

يذكر غيرهم في الدنيا بمثل ما يذكرون به يقوّيه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: الآية ٥٠].

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين من بين أبناء جنسهم ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت. ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ كأن حرف التعريف دخل على «يسع» ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ﴾ التنوين عوض عن المُضاف إليه أي وكلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ أي هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدًا، وإن لهم مع ذلك لحسن مرجع يعني يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة ربٍّ جليل.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾

ثم بيّن كيفية حسن ذلك المرجع فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿حسن مآب﴾ ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال من ﴿جَنَّٰتِ﴾ لأنها معرفة لإضافتها إلى ﴿عَدْنٍ﴾ **(وهو علم، والعامل فيها)** ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(من معنىٰ الفعل)** ﴿لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ارتفاع الأبواب بأنها فاعل ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ والعائد محذوف أي مفتحة لهم الأبواب منها فحذف كما حذف في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات: الآية ٣٩] أي لهم **(أو أبوابها)** إلا أن الأول أجود، أو هي بدل من الضمير في ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هي الأبواب وهو من بدل الاشتمال ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من المجرور في

قوله: (وهو) أي عدن **(علم)** اشتقّ من عدن إذا أقام. **قوله**: **(والعامل فيها)** أي في الحال ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ **(من معنى الفعل**[1]) وهو ﴿وإنَّ﴾ حاصل ﴿لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وذوا الحال هو الضمير المستتر في حاصل خبر إن. **قوله**: **(أو أبوابها)** على تعويض اللام من الإضافة.

---

(١) أي استقرّ وحصل لأنه ظرف مستقر وقع خبر إنَّ فذو الحال ما فيه من الضمير ومبناه على أنه لا حال من اسم أن أو ما هو تابع له.

﴿لَهُم﴾ والعامل ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ﴿فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ أي وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي **(قصرن طرفهن)** على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ **(لدات)** أسنانهن كأسنانهن لأن التحاب بين الأقران أثبت **(كأن اللدات)** سمين أترابًا لأن التراب مسّهن في وقت واحد ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ **(وبالياء: مكي وأبو عمر)** ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي ليوم تجزى كل نفس بما عملت ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الإشارة.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ خبر والمبتدأ محذوف أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ مرجع ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، فـ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿حَمِيمٌ﴾ خبر ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ **(بالتشديد: حمزة وعليّ وحفص)**. والغساق بالتشديد والتخفيف **(ما يغسق)** من

قوله: **(قصرن طرفهن)** المراد بالطرف البصر وأصله تحريك الأجفان للنظر فوضع موضع البصر والمعنى قصرن أبصارهن. **قوله**: **(لدات)** جمع لدة بوزن عدة أي مماثلة لهم في السن فإن كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن صرّح به في سورة الواقعة. **قوله**: **(كأن اللدات)**... الخ أي لأنهم لما وُلدوا معهن في وقت واحد كأنهما وقعا في التراب في وقت واحد. **قوله**: **(بالياء)** التحتية على الغيبة **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وأبو عمرو)** البصري والباقون بالفوقية على الخطاب وجه الغيبة. تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات إليهم والإقبال عليهم.

قوله: **(بالتشديد)** أي بتشديد السين **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(وحفص)** والباقون بالتخفيف. **قوله**: **(ما يغسق)** أي يسيل وبابه جلس.

صديد أهل النار، يقال: غسقت العين إذا سال دمعها. وقيل: الحميم يحرق بحرّه والغساق يحرق ببرده.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي وعذاب آخر أو مذوق آخر ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ من مثل العذاب المذكور. و﴿أخر﴾ (بصري) أي ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق في الشدة (والفظاعة) ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ صفة لـ ﴿آخر﴾ لأنه يجوز أن يكون ضروبًا ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم. والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة، و(القحمة): الشدة، وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبًا أي أتيت رحبًا من البلاد لا ضيقًا أو رحبت بلادك رحبًا ثم تدخل عليه «لا» في دعاء السوء، وبهم بيان للمدعو عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أي داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم. وقيل: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾ كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في أتباعهم، و﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ كلام الرؤساء. وقيل: هذا كله كلام الخزنة.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ أي الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به، وعلّلوا ذلك بقوله: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ والضمير للعذاب أو لصليهم

قوله: وآخر (بصريّ) أي اختلف في وآخر فأبو عمرو البصري ويعقوب بن إسحٰق البصري وليس من السبعة بضم الهمزة مقصورة جمع أخرى كالكبرى والكبر لا ينصرف للعدل عن قياسه والوصف والباقون بفتح الهمزة ممدودة على الإفراد لا ينصرف أيضًا للوزن الغالب والصفة. **قوله**: (والفظاعة) في المصباح فظع الأمر فظاعة جاوز الحد في القبح فهو فظيع. **قوله**: (القحمة) الشدة في المصباح القحمة بالضم الأمر الشاقّ لا يكاد يركبه أحد.اهـ.

أي أنكم دعوتمونا إليه فكفرنا بأتباعكم ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي النار ﴿قَالُواْ﴾ أي الأتباع ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مضاعفًا ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ و(**معناه ذا ضعف**). ونحوه قوله: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] وهو أن يزيد على عذابه مثله ﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير لرؤساء الكفرة ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ (**يعنون فقراء المسلمين**) ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ من الأرذال الذين لا خير فيهم (**ولا جدوى**).

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ (**بلفظ الإخبار: عراقي غير عاصم**) على أنه صفة لـ ﴿رِجَالًا﴾ مثل ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ وبهمزة الاستفهام: غيرهم على أنه إنكار على أنفسهم في الاستسخار منهم، (﴿سِخْرِيًّا﴾ **مدني وحمزة وعلي وخلف والمفضل**) ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هو متصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾ أي ما لنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها، قسموا أمرهم بين

قوله: (**معناه ذا ضعف**) يعني أن مضاعفًا من صيغ النسب. **قوله**: (**يعنون فقراء المسلمين**) كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان. **قوله**: (**ولا جدوى**) في لسان العرب الجَدوى العَطِيّة. اهـ.

قوله: (**بلفظ الإخبار عراقي غير عاصم...**) الخ إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل عراقي. وعبارة الإتحاف واختلف في ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ فأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بوصل الهمزة بما قبلها ويبتدأ لهم بكسر همزة على الخبر وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالًا و﴿أَمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦] منقطعة أي بل أزاغت كقولك إنها لإبل أم شاة أي بل شاة وافقهم الأعمش واليزيدي والباقون بقطع الهمزة مفتوحة وصلًا وابتداء على الاستفهام وأم متصلة لتقدم الهمزة. اهـ. **قوله**: (﴿سِخْرِيًّا﴾ **مدنيّ وحمزة وعليّ وخلف والمفضل**) أي قرأ ﴿سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: الآية ١١٠] بضم السين مدني أي نافع وأبو جعفر وحمزة وعليّ والكسائي وخلف بن هشام البزار والمفضل[١] بن محمد والباقون بكسرها.

---

(١) من رواة عاصم.

أن يكونوا من أهل الجنّة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا أنه خفي عليهم مكانهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به. ثم بيّن ما هو فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ ولما شبّه تقاولهم وما جري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين سمّاه تخاصمًا، ولأن قول الرؤساء ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ وقول أتباعهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ من باب الخصومة فسمىٰ التقاول كله تخاصمًا لاشتماله على ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالىٰ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إلـه إلا الله ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ **(بلا ندّ)** ولا شريك ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ له الملك والربوبية في العالم كله ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنوب مَن التجأ إليه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولًا منذرًا وأن الله واحد لا شريك له ﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة. ثم ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ غافلون ﴿مَا كَانَ﴾ ﴿لِىَ﴾ **حفص)** ﴿مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ احتجّ لصحة نبوّته بأن ما ينبىء به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان به بد من علم قط، ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب، فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله تعالىٰ. ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ **(أي لأنما)** أنا نذير مبين ومعناه ما

قوله: **(بلا ند)** في المصباح الند بالكسر المثل. اهـ.

قوله: (﴿لِىَ﴾) بفتح الياء **(حفص)**. **قوله:** **(أي لأنما)** إشارة إلى أن محل ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ النصب بنزع الخافض.

يوحىٰ إليّ إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه، ويجوز أن يرتفع على معنىٰ ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس لي غير ذلك. (**وبكسر** ﴿إِنَّمَآ﴾ **يزيد**) على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئًا آخر. وقيل: النبأ العظيم قصص آدم والإنباء به من غير سماع من أحد. وعن ابن عباس ﷺ: القرآن. وعن الحسن: يوم القيامة. والمراد بالملإ الأعلى أصحاب القصة: الملائكة وآدم وإبليس، لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم و﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ متعلّق بمحذوف إذ المعنىٰ ما كان لي من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي في شأن آدم حين قال تعالىٰ على لسان ملك ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ وقال: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**﴾ [البقرة: الآية ٣٠] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ فإذا أتممت خلقته وعدلته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ الذي خلقته، وأضافه إليه تخصيصًا كبيت الله وناقة الله، والمعنىٰ أحييته وجعلته حساسًا متنفسًا ﴿فَقَعُوا۟﴾ أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الأرض والمعنىٰ اسجدوا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ قيل: كان انحناء يدلّ على التواضع. وقيل: كان سجدة لله أو كان (**سجدة التحية**) ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ «كل» للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم جميعهم في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ تعظم عن السجود ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (**وصار**) من الكافرين بإباء الأمر.

قوله: (**وبكسر** ﴿إِنَّمَآ﴾ يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة والباقون بفتحها.

قوله: (**سجدة التحية**) والإكرام. **قوله**: (**وصار**) فسر كان بصار إشارة إلى أن وجود كفره إنما كان وقت إبائه واستكباره من الأزمنة الماضية لا في جميع

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ﴾ ما منعك عن السجود ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أي بلا واسطة امتثالًا لأمري وإعظامًا لخطابي، وقد مرّ أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب: هو ما عملت يداك، حتى قيل لمن لا يدين له: **(يداك أوكتا وفوك)** نفخ. وحتى لم يبق فرق بين قولك: «هذا مما عملته» و«هذا مما عملته يداك»، ومنه قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: الآية ٧١] و﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ استفهام إنكار ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ **(ممن علوت)** وفقت.

الأزمنة الماضية فإن كان ليس بموضوع لاستمرار خبره لاسمه في جميع الأزمنة الماضية بل مطلقًا في جنس الأوقات الماضية فصحّ إرادة أيّ وقت منها وصح إرادة وقت إبائه واستكباره عنه وصح أيضًا إرادة جميع الأزمنة الماضية وذلك إذا حمل على وجود كفره في علم الله تعالى.

قوله: (يَدَاكَ أوكَتَا وفُوك) نفخ قال المفضل: أصله أن رجلًا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زق قد نفخ فيه فلم يحسن إحكامه حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق فلما غشيه الموت استغاث برجل فقال له: يداك أوكتا وفوك نفخ يضرب لمن يجني على نفسه الجبن.اهـ. مجمع الأمثال للعلّامة أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري رحمه الله. وقال العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشّاف ولا يخفى أن تفريع هذا التغليب ليس بالوجه لأنه مثل ورد فيمن له يدان وفم ونفخ وإيكاء أي شد لوكاء الزق ونفخ فيه فيضرب لمن جنى على نفسه تشبّهًا له بحالة ذلك الرجل في الجناية على نفسه على ما هو طريقة الاستعارة وفي مثله لا عبرة بمفردات المشبّه به في جانب الشبه لا حقيقة ولا مجازًا ولا تغليبًا.اهـ. **قوله: (ممن علوت)** بالخطاب كذا في الكشاف مع أن الظاهر ممن علا لأن اسم الموصول غائب فاللائق كون صلته غائبًا واعتذر بأنه ميل إلى المعنى كقوله: أنا الذي سمّتني أمي حيدره، وحلّ الكلام نظرًا إلى المعنى شائع في كلامهم وأن الزمخشري إمام في هذا الباب واستفيد من كلامه أن صلة من يصح أن يكون مخاطبًا إذا كان الموصول عبارة عن المخاطب ومتكلّمًا

(وقيل: أستكبرت الآن) أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين؟

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧﴾

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾ يعني لو كان مخلوقًا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله؟ وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ مجرى المعطوف عطف البيان والإيضاح.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ من الجنّة أو من السمٰوات أو من الخلقة التي أنت فيها، لأنه كان يفتخر بخلقته فغيّر الله خلقته واسودّ بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنًا وأظلم بعدما كان نورانيًا ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ مرجوم أي مطرود. تكبّر إبليس أن يسجد لمن خلق من طين وزلّ عنه أن الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره إجلالًا لخطابه وتعظيمًا لأمره فصار مرجومًا ملعونًا بترك أمره.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ **(بفتح الياء: مدني)** أي إبعادي من كل الخير ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين ثم تنقطع، لأن معناه أن عليه اللعنة في الدنيا وحدها فإذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد، أو لما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة فأولى أن تكون عليه في غير أوانها، وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى: ﴿(فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ) لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية

إذا كان عبارة عن المتكلم كما صح أن يكون غائبًا، نظرًا إلى لفظ الموصول نظيره كون صلة من مفردًا بالنظر إلى لفظه وجمعًا نظر إلى معناه وإلّا فالفرق تحكم. اهـ قنوي. **قوله**: (وقيل: **أستكبرت الآن**...) الخ والمعنى على الأول ألاستكبارك تركت السجود أم لعلوّك، وعلى الثاني لاستكبارك الحادث تركت السجود أم لآستكبارك القديم المستمرّ.

قوله: (**بفتح الياء: مدنيّ**) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ ومن السبعة. **قوله**: (﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾) نادى منادٍ (﴿بَيۡنَهُمۡ﴾) من الفريقين أسمعهم. اهـ جلالين.

٤٤]؟ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ فأمهلني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ الوقت المعلوم الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى، ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه، ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي أقسم بعزّة الله وهي سلطانه وقهره ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ (ٱلْمُخْلَصِينَ) ﴿٨٣﴾﴾ وبكسر اللام: مكي وبصري وشامي.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾ **(بالرفع: كوفي غير عليّ)** على الابتداء أي الحق قسمي، أو على الخبر أي أنا الحق. وغيرهم بالنصب على أنه مقسم به كقولك الله لأفعلن كذا يعني حذف عنه الباء فانتصب وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ اعتراض بين المقسم والمقسم عليه وهو منصوب بـ ﴿أَقُولُ﴾ ومعناه ولا أقول إلا الحق، والمراد بالحق إما اسمه عزّ وجلّ الذي في قوله ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: الآية ٦] أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ من جنسك وهم الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أي لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدًا ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرآن أو الوحي ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذين يتصنعون **(وينتحلون)** بما ليسوا من أهله وما عرفتموني قط متصنعًا ولا مدعيًا

قوله: (﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾) بفتح اللام نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف. **قوله**: **(بالرفع: كوفيّ غير عليّ)** أي قرأه عاصم وحمزة وخلف. اهـ إتحاف. وفي تفسير النيسابوري ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة ويعقوب عن رويس. اهـ.

قوله: **(وينتحلون)** الانتحال ادعاء ما لا أصل له بوقوعه.

بما ليس عندي حتى **(انتحل النبوّة)** وأتقول القرآن ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ من الله ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ **(للثقلين)** أُوحي إليّ فأنا أبلغه. وعن رسول الله ﷺ: «للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه **(ويتعاطى)** ما لا ينال ويقول ما لا يعلم» ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ بعد الموت أو يوم بدر أو يوم القيامة، ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفّق.

قوله: **(انتحل النبوّة)** أي ادّعاها لنفسه كاذبًا يقال: انتحل شعر غيره إذا ادّعاه لنفسه. **قوله**: **(للثقلين)** أي الإنس والجن لأنهما مكلّفان بالأوامر والنواهي خصهما بالذكر لأن الملائكة ليسوا مأمورين بالعمل بالقرآن وما عداهم ليسوا بمكلفين. اهـ قنوي. **قوله**: **(يتعاطى)** أي يتناول والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا آخر ما أمليته في سورة صٓ.
الحمد لله على حُسْن توفيقه للإتمام،
وعلى سيدنا محمد وعلى آله أفضل الصلاة والسلام،
فالآن أشرع مستعينًا بالله في شرح ما في سورة الزّمر
اللَّهمَّ لا حول إلا بك، فاعتصمت بحبلك المتين وبتأييدك أقول:

(سورة الزُّمر)

(مكيّة) وهي خمس وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرآن مبتدأ خبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي نزل من الله، أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل، أو غير صلة بل هو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله عزّ وجلّ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيره ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ هذا ليس بتكرار لأن الأول كالعنوان للكتاب والثاني لبيان ما في الكتاب ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا﴾ حال ﴿لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي ممحضًا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر، فـ ﴿ٱلدِّينَ﴾ منصوب بـ ﴿مُخْلِصًا﴾ وقرىء ﴿ٱلدِّينُ﴾ بالرفع **(وحق من رفعه أن يقرأ ﴿مخلَصا﴾)**.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الزمر، مكيّة)** وهي خمس وسبعون آية، وتُسمى سورة الغرف لقوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٠]. **قوله**: **(وحق من رفعه أن يقرأ ﴿مخلَصًا﴾)** بفتح اللام وهذه القراءة قراءة ابن أبي عبلة كما صرّح به في البحر

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدرٍ لاطلاعه على الغيوب والأسرار. وعن قتادة: الدين الخالص شهادة أن لا إلـٰه إلّا الله. وعن الحسن: الإسلام. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي آلهة وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره: والذين عبدوا الأصنام يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ مصدر أي تقريبًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المسلمين والمشركين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ قيل: كان المسلمون إذا قالوا لهم مَن خلق السمٰوات والأرض؟ قالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفىٰ. والمعنىٰ أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي لا يهدي مَن هو في علمه أنه يختار الكفر يعني لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله، وكذبهم قولهم في بعض مَن اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله، ولذا عقبه محتجًّا عليهم بقوله:

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ أي لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون أنتم وتشاؤون ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزّه ذاته على أن يكون له أخذ ما نسبوا إليه من الأولياء والأولاد، ودلّ على ذلك بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يعني أنه واحد متبرىء عن انضمام الأعداد متعالٍ عن التجزؤ والولاد، قهار غلاب لكل شيء - ومن الأشياء آلهتهم - فأنىٰ يكون له أولياء وشركاء؟

وهي من الشواذ. اهـ قنوي. وفي حاشية شهاب وقرىء برفع ﴿ٱلدِّينَ﴾ في الشواذ وهي قراءة ابن أبي عبلة كما نقله الثقات فلا عبرة بإنكار الزجاج لها. اهـ.

ثم دلّ بخلق السمٰوات والأرض وتكوير كل واحد من (الملوين) على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى، وبثّ الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة، وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ والتكوير اللف واللي يقال: كار العمامة على رأسه وكورها، والمعنىٰ أن كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه، فشبّه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لفّ عليه ما غيّبه عن مطامح الأبصار، أو أن هذا يكر على هذا كرورًا متتابعًا، فشبّه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على عقاب مَن لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لمَن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي حوّاء (من قُصَيراه. قيل: **أخرج ذريّة آدم من ظهره كالذر**) ثم خلق بعد ذلك حوّاء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي جعل. عن الحسن: أو خلقها في الجنّة مع آدم عليه السلام ثم أنزلها، أو لأنها لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء

قوله: (**الملوين**) أي الليل والنهار.

قوله: (**من قصيراه**) القصيرى تصغير القصرى وهي الضلع الأسفل التي هي أقصر الضلوع. **قوله**: (**قيل: أخرج ذرية آدم من ظهره كالذرّ**) يعني أنه ليس المراد من قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ خلقهم على هيئتهم الآن حتى يرد أن خلقهم كذلك ليس مقدمًا على خلق حوّاء كما يقتضيه عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

فكأنه أنزلها ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ذكرًا وأُنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما بيّن في سورة الأنعام، والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ **(نطفة)** ثم **(علقة)** ثم **(مضغة)** ثم إلى تمام الخلق ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظلمة البطن **(والرحم والمشيمة)** أو ظلمة الصلب والبطن والرحم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه مفعولاته هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

ثم بين أنه غني عنهم بقوله ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ **(عن إيمانكم)** وأنتم محتاجون إليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالإيمان ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾

عليه بل المراد خلقهم على هيئة الذر وهو إخراجهم من ظهر آدم كالذرّ وجاز أن يكون ذلك مقدمًا على خلق حوّاء من ضلعه من حيث الزمان فحينئذٍ تكون ثم للتراخي الزماني. **قوله**: **(نطفة)** أي مني. **قوله**: **(علقة)** وهي الدم الجامد. **قوله**: **(مضغة)** وهي لحمة قدر ما يمضع. **قوله**: **(والرحم والمشيمة)** الرحم داخل البطن والمشيمة[1] داخل الرحم في المصباح الرحم موضع تكوين الولد ويخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضًا في لغة بني كلاب وفي لغة لهم تكسر الحاء اتباعًا لكسرة الراء. اهـ. وأيضًا فيه المشيمة وزان كريمة وأصلها مفعلة بسكون الفاء وكسر العين لكن ثقلت الكسرة على الياء فنقلت إلى الشين وهي غشاء ولد الإنسان وقال ابن الأعرابيّ: يقال لما يكون فيه الوليد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم بحذف الهاء ومشايم مثل معيشة ومعايش ويقال لها من غيره السلاح. اهـ.

قوله: **(عن إيمانكم)** قدر المضاف ليرتبط بالشرط أعني ﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ أحسن ارتباط.

---

(١) المشيمة بوزن تميمة مقر الولد.

لأن الكفر ليس برضا الله تعالىٰ وإن كان بإرادته ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ﴾ فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنّة (﴿يَرْضَهُ﴾ **بضم الهاء والإشباع: مكي وعليّ**): ﴿يَرْضَهُ﴾ بضم الهاء بدون الإشباع: نافع وهشام وعاصم غير يحيىٰ وحماد. **(وغيرهم)** ﴿يَرْضَهُ﴾ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ﴾ أي لا يؤاخذ أحد بذنب آخر ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ إلى جزاءِ ربكم رجوعكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ﴾ فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بخفيات القلوب.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو أبو جهل أو كل كافر ﴿ضُرٌّ﴾ بلاء وشدّة والمسّ في الأعراض مجاز ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعًا إلى الله بالدّعاء لا يدعو غيره ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ من الله ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ **(أي نسي ربه الذي)** كان يتضرّع إليه. و«ما» بمعنىٰ «من» كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الليل: الآية ٣] **(أو نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه)** ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا (﴿لِّيُضِلَّ﴾

قوله: (﴿يَرْضَهُ﴾ **بضم الهاء والإشباع)** أي يرضهوا بصلة الهاء بواو **(مكيّ)** أي قرأه ابن كثير المكيّ **(وعليّ)** الكسائي. **قوله: (وغيرهم)** ﴿يَرْضَهُ﴾ بسكون الهاء.

قوله: (أي نسي ربه الذي) على أن تكون ما بمعنى الذي مرادًا بها ربه الذي كان يتضرّع إليه فكان الظاهر حينئذٍ أن يقال ما كان يدعو له إلّا أنه ضمن يدعو معنى يتضرّع ويبتهل فلذلك عدّى بإلى. **قوله: (أو نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه)** أشار إلى أن ما موصولة بمعنى الذي أيضًا مرادًا بها الضر وأن مفعول ﴿يَدْعُوٓاْ﴾ محذوف وأن قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ على حذف المضاف. **قوله:** (﴿لِّيُضِلَّ﴾) بضم الياء أي لم يقنع بضلاله في نفسه حتى يحمل غيره عليه فمفعوله محذوف واللام يجوز أن تكون للعلّة وأن تكون لام العاقبة كقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ

(﴿لِيَضِلَّ﴾ مكي وأبو عمرو ويعقوب) ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي الإسلام ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿تَمَتَّعْ﴾ أمر تهديد ﴿بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أي في الدنيا ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ من أهلها.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

﴿أَمَّنْ﴾ قرأ (**بالتخفيف مكي ونافع وحمزة على إدخال همزة الاستفهام على** «مَن»)، وبالتشديد غيرهم (**على إدخال «أم» عليه**) و«من» مبتدأ خبره محذوف تقديره «أمن» ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ كغيره أي أمن هو مطيع كمن هو عاصٍ والقانت المطيع لله؟ وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جريُ ذكر الكافر قبله، وقوله بعده ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ حالان من الضمير في ﴿قَٰنِتٌ﴾ ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي عذاب الآخرة ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ أي الجنّة، ودلّت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء، يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره في عمله. ثم الرجاء إذا جاوز حدّه يكون أمنًا، والخوف إذا جاوز حدّه يكون إياسًا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩]، وقال ﴿إِنَّهُۥ (لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ) إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧]، فيجب أن لا يجاوز أحدهما حدّه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون ويعملون به كأنه جعل مَن لا يعمل

فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القَصَص: الآية ٨] (**لِيَضلّ**) بفتح الياء بعد اللام أي ليفعل الضلال بنفسه (**مكيّ**) أي قرأ ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) البصري (**ويعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري.

قوله: (**بالتخفيف**) أي بتخفيف الميم (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**ونافع**) المدنيّ (**وحمزة**) الكوفيّ. **قوله**: (**على إدخال همزة الاستفهام على مَن**) بمعنى الذي والاستفهام للتقرير. **قوله**: (**على إدخال «أم» عليه**) أي على من الموصولة فأدغمت الميم في الميم وفي أم حينئذٍ قولان أحدهما أنها متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير أم الذي هو قانت، والثاني أنها منقطعة فتقدر ببل والهمزة أي بل ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ كغيره. **قوله**: (﴿لَا يَا۟يْـَٔسُ﴾) لا يقنط (﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾) أي

غير عالم، وفيه **(ازدراء)** عظيم بالذين **(يقتنون)** العلومَ ثم **(لا يقتنون ويفتنون)** فيها **(ثم يفتنون)** بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء، أو أُريد به التشبيه أي كما لا يستوي العالم والجاهل كذلك لا يستوي المطيع والعاصي ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ (ٱلْأَلْبَٰبِ)﴾ جمع لبّ أي إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **(بلا ياء عند الأكثر)** ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ﴾ أي أطاعوا الله في الدنيا. و«في» يتعلّق بـ ﴿أَحْسَنُواْ﴾ لا بـ ﴿حَسَنَةٌۗ﴾، معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنّة أي حسنة لا توصف. وقد علّقه **(السدي)** بـ ﴿حَسَنَةٌۗ﴾ ففسّر الحسنة بالصحة والعافية. ومعنىٰ ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ أي لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن **(اعتلوا)** بأنهم لا يتمكنون في أوطانهم

رحمته. **قوله**: **(ازدراء)** في لسان العرب الازدراء الاحتقار والانتقاص والعيب وهو افتعال من زريت عليه زراية إذا عبته وأصل ازدريت ازتريت وهو افتعلت منه فقلبت التاء دالًا لأجل الزاي. اهـ **قوله**: **(يقتنون)** العلوم من الاقتناء بمعنى الاتخاذ. **قوله**: **(لا يقتنون)** من القنوت. **قوله**: **(ويَفْتَنُون)** من الافتنان وهو اليقين في العلوم. **قوله**: **(ثم يفتنون)** بالدنيا على لفظ المبني للمفعول من فتنتُه ففتن أي صار مفتونًا. **قوله**: (﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾) جمع لب في المصباح اللب العقل والجمع ألباب مثل قفل وأقفال. اهـ.

قوله: **(بلا ياء عند الأكثر)** في الإتحاف واتفقوا على حذف الياء من ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلّا ما انفرد به أبو العلاء عن رويس من إثباتها وقفًا فخالف سائر الناس. اهـ. **قوله**: **(السدي)** في لسان العرب سُدة المسجد الأعظم ما حوله من الرِواق وسمي إسماعيل السدي بذلك لأنه كان تاجرًا يبيع الخمر والمقانع على باب مسجد الكوفة. اهـ. وفي المصباح السدة الباب وينسب إليها على اللفظ فيقال السديّ ومنه الإمام المشهور وهو إسماعيل السدي لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة. اهـ. **قوله**: **(اعتلوا)** في المصباح اعتلّ إذا

من التوفر على الإحسان. قيل لهم: فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة، فتحوّلوا إلى بلاد أُخر. واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانًا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على مفارقة أوطانهم **(وعشائرهم)** وعلى غيرها من تجرّع **(الغصص)** واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عن ابن عباس ﷺ: لا يهتدي إليه حساب الحسّاب ولا يعرف. وهو حال من الأجر أي موفرًا.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ بأن أعبد الله ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي أمرت بإخلاص الدين.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة، والمعنىٰ أن الإخلاص له السُّبقة في الدين فمَن أخلص كان سابقًا، فالأول أمر بالعبادة مع الإخلاص، والثاني بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين، فصحّ عطف أحدهما على الآخر.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ لمَن دعاك بالرجوع إلى دين آبائك، وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام: ألا تنظر إلى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزىٰ فنزلت ردًّا عليهم:

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ وهذه الآية إخبار بأنه يخصّ الله وحده بعبادته مخلصًا له دينه دون غيره، والأولى إخبار بأنه مأمور بالعبادة والإخلاص فالكلام أولًا واقع في نفس الفعل وإثباته، وثانيًا فيما يفعل الفعل لأجله ولذلك

تمسك بحجة. اهـ. **قوله**: **(وعشائرهم)** في المصباح العشيرة القبيلة ولا واحد لها من لفظها والجمع عشيرات وعشائر. اهـ. **قوله**: **(الغصص)** في المصباح الغصة بالضم ما غصّ به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه والجمع غصص مثل غرفة وغرف. اهـ.

رتّب عليه قوله:

﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ وهذا أمر تهديد. وقيل له عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بإهلاكها في النار ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ أي وخسروا أهليهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ لأنهم أضلّوهم فصاروا إلى النار، ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين، وذلك لأنهم استبدلوا بالجنّة نارًا وبالدرجات دركات.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أطباق ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ﴾ **(أطباق من النار)** وهي ظلل لآخرين أي النار محيطة بهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وصف من العذاب أو ذلك الظلل ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ﴾ ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطي خوّفهم بالنار.

قوله: (أطباق من النار) أي قطع عظيمة منها جمع طبق يقال: طبق من الشيء أي معظم منه نحو مضى طبق من الليل وطبق من النهار أي معظم منه ونحو أتانا طبق من الناس أي جماعة عظيمة ويطلق أيضًا على ما يستر الشيء ويغطيه. ولما ورد أن يقال: الظلة ما على الإنسان فكيف حمى ما تحتهم من قطع النار ظلة أشار إلى جوابه بقوله: وهي ظلل الآخرين أي أنها ظلل بالنسبة إلى مَن تحتهم وهم المنافقون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النّساء: الآية ١٤٥] وتلك القطع فرش بالنسبة للمشركين لقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ﴾ [الأعراف: الآية ٤١] والمعنى أن النار تحيط بهم من جميع الجوانب.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

ثم حذرهم نفسه ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الشياطين (**«فعلوت» من الطغيان**) كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبًا بتقديم اللام على العين، أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرًا، وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة، فإن الرحموت الرحمة الواسعة، والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص، إذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هٰهنا الجمع (**وقرىء ﴿الطواغيت﴾**) ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل الاشتمال من الطاغوت أي عبادتها ﴿وَأَنَابُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ هم الذين (**اجتنبوا**) أنابوا، وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير أراد أن يكونوا نقادًا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل، فإذا اعترضهم أمران ـ واجب وندب ـ اختاروا الواجب، وكذا المباح والندب حراصًا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابًا، أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك، أو يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساوىء فيحدث بأحسن ما سمع ويكفّ عما سواه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي المنتفعون بعقولهم.

قوله: (**فعلوت من الطغيان**) يريد أن وزنه في الأصل ذلك لأن أصله طغيوت ولام الكلمة هي الياء لأنها من الطغيان، ثم قدمت الياء على الغين وقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار وزنه فلعوت بتقديم اللام على العين. **قوله**: (**وقرىء ﴿الطواغيت﴾**) في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب.

قرأ الحسن (**اجتنبوا**) الطواغيت. اهـ.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ أصل الكلام أمن حقّ عليه كلمة العذاب أي وجب ﴿أفأنت تنقذه﴾ جملة شرطية دخلت عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء، ثم دخلت الفاء التي في أولها للعطف على محذوف تقديره: أأنت مالك أمرهم؟ فمن حقّ عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه، والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار. ووضع ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ موضع الضمير أي تنقذه، فالآية على هذا جملة واحدة، أو معناه: أفمَن حقّ عليه كلمة العذاب ينجو منه، أفأنت تنقذه أي لا يقدر أحد أن ينقذ مَن أضلّه الله وسبق في علمه أنه من أهل النار.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي لهم منازل في الجنّة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها يعني للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف ﴿مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي من تحت منازلها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وعد الله مصدر مؤكد، لأن قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ في معنى وعدهم الله ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر. وقيل: كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ فادخله ﴿يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عيونًا ومسالك ومجاري كالعروق في الأجساد. و﴿يَنَٰبِيعَ﴾ نصب على الحال أو على الظرف و﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ صفة لـ ﴿يَنَٰبِيعَ﴾. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض أو أصنافه من بن وشعير (وسمسم) وغير ذلك ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يجفّ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد نضارته

قوله: (وسمسم) في الصحاح السمسم بالكسر حب الحَلّ.اهـ. وأيضًا فيه الحَل[1] دهن السمسم.اهـ.

(١) الحل بفتح المهملة، الشيوخ، أمته ﷺ.

وحسنه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فتاتًا متكسرًا، فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ في إنزال الماء وإخراج الزرع ﴿لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لتذكيرًاوتنبيهًا على أنه لا بد من صانع حكيم، وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن إهمال وتعطيل.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ أي وسع صدره ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتدىٰ، **(وسُئِل رسول الله ﷺ عن الشرح فقال: إذا دخل النور)** القلب انشرح وانفسح فقيل: فهل لذلك من علامة؟ قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بيان وبصيرة، والمعنىٰ: أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه؟ فحذف لأن قوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ يدلّ عليه ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي مَن ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أي إذا ذكر الله عندهم أو آيته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله: (﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾) [التوبة: الآية ١٢٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ غواية ظاهرة.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ

قوله: (وسُئل رسول الله ﷺ عن الشرح فقال: إذا دخل النور...) الخ الحديث صحيح لكن في سنده ضعف كما صرّحوا به لكن الضعف لا يضرّ في مثل هذا المطلب والمراد بالنور فيه الهداية واليقين والمراد بالانشراح فيه دوام الانشراح أو المراد زيادة الانشراح إذ مراتب المعارف غير متناهية والمراد بالإنابة هنا الركون والميل التام مجازًا لأنه لازم لأصل معناها وهو الرجوع والقرينة مقابلتها للتجافي الذي هو التباعد ودار الغرور الدنيا والتأهب إحضار الأهبة وهي ما لا بد للمسافر وفيه تنبيه على أن الإنسان كالمسافر يقطع المسافة يومًا فيومًا آنًا فآنًا والمطلب دار الخلود والوصول إليه بالموت وعن هذا قال للموت. **قوله:** (﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾) كفرًا إلى كفرهم لكفرهم بها.

فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ في إيقاع اسم ﴿ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وبناء ﴿نَزَّلَ﴾ عليه تفخيم لأحسن الحديث ﴿كِتَٰبًا﴾ بدل من ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أو حال منه ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والإعجاز وغير ذلك ﴿مَّثَانِيَ﴾ نعت ﴿كِتَٰبًا﴾ جمع مثنىٰ بمعنىٰ مردد ومكرر لما ثنىٰ من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه، فهو بيان لكونه متشابهًا لأن القصص المكررة وغيرها لا تكون إلا متشابهة. وقيل: لأنه يثنّى في التلاوة فلا يمل. وإنما جاز وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، و(**تفاصيل**) الشيء هي جملته، ألا تراك تقول: القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات؟ فكذلك تقول: أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات. أو منصوب على التمييز من ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ كما تقول: رأيت رجلًا حسنًا شمائله، (**والمعنىٰ متشابهة مثانيه**) ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ تضطرب وتتحرك ﴿مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يقال: اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضًا شديدًا. والمعنىٰ أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، وفي الحديث «إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله (**تحاتّت**) عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها» ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة. وعُدي بـ «إلى» لتضمنه معنىٰ فعل متعدٍ بـ «إلى» كأنه قيل: اطمأنت إلى ذكر الله لينة غير متقبضة. واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة، لأن رحمته سبقت غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر الله لم يخطر بالباب إلا كونه رؤوفًا رحيمًا. وذكرت الجلود وحدها أولًا ثم قرنت بها القلوب ثانيًا لأن محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكتاب وهو ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده وهو من علم

قوله: (**تفاصيل**) التفاصيل جمع تفصيل وهو جعل الشيء فصلًا فصلًا وتمييز بعضها عن بعض بجعل أبعاض الكتاب وأقسامه تفاصيل لكون كل أحد منها فصلًا متميزًا عن غيره. **قوله**: (**والمعنى متشابهة مثانيه**) لأن التميّز فاعل في المعنى. **قوله**: (**تحاتت**) أي تساقط.

منهم اختيار الاهتداء ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يخلق الضلالة فيه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ إلى الحق.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدّته، ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفًا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعزّ أعضائه عليه، والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي تقول لهم خزنة النار ﴿ذُوقُوا۟﴾ وبال ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي كسبكم.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قريش ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون إذ فوجئوا من مأمنهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذلّ **(والصغار كالمسخ والخسف)** والقتل **(والجلاء)** ونحو ذلك من عذاب الله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لآمنوا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ **(ليتعظوا)** ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة كما تقول: جاءني زيد رجلًا صالحًا وإنسانًا عاقلًا، فتذكر رجلًا أو إنسانًا توكيدًا، **(أو نصب على المدح)** ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾

قوله: (والصغار) أي الذل. **قوله:** (كالمسخ) أي مسخ صورهم قردة وخنازير الأول لشُبانهم والثاني لشيوخهم. **قوله:** (والخسف) أي خسفهم في الأرض كقارون. **قوله:** (والجلاء) أي إخراجهم من أوطانهم وهو أشد من القتل.

قوله: (ليتعظوا) فلعل بمعنى كي. **قوله:** (أو نصب على المدح) بتقدير أعني.

مستقيمًا بريئًا من التناقض والاختلاف. ولم يقل «مستقيمًا» للإشعار بأن لا يكون فيه عوج قط. وقيل: المراد بالعوج الشك ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون ومختلفون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ مصدر سلم والمعنىٰ ذا سلامة ﴿لِّرَجُلٍ﴾ أي ذا خلوص له من الشركة. (﴿سالمًا﴾ **مكي وأبو عمرو**) أي خالصًا له ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ **(صفة)** وهو تمييز، والمعنىٰ هل تستوي صفتاهما وحالاهما. وإنما اقتصر في التمييز على الواحد **(لبيان الجنس)** وقرىء ﴿مثلين﴾. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الذي لا إلـٰه إلا هو ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره. مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف، وكل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه و**(يتعاورونه)** في **(مهن شتى)** وهو متحير لا يدري أيهم يرضي بخدمته، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته، وممن يطلب رزقه، وممن يلتمس رفقه، فهمه **(شعاع وقلبه أوزاع)**، والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمُّه واحد وقلبه مجتمع.

قوله: (﴿سالمًا﴾ **مكيّ وأبو عمرو**) أي طرأ ابن كثير المكيّ وأبو عمرو البصري بألف بعد السين وكسر اللام بعدها والباقون بغير ألف وفتح اللام. **قوله**: **(صفة)** يعني أن المثل هـٰهنا بمعنى الصفة العجيبة الشأن كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الرُّوم: الآية ٢٧]. **قوله**: **(لبيان الجنس)** ورفع الإبهام وهو حاصل بالإفراد كلفظ المصدر ما لم يقصد به الأنواع وإذا قصد به الأنواع روعي المطابقة كما في قراءة مثلين. **قوله**: **(يتعاورونه)** في المصباح تعاوروا الشيء واعتوروه تداولوه. اهـ. **قوله**: **(مهن)** جمع مهنة بالفتح وهي الخدمة ويُحكى بالكسر وأنكره الأصمعي. **قوله**: **(شتى)** جمع شتيت بمعنى متفرقة فهو فعيل بمعنى فاعل حمل على فعيل بمعنى مفعول كمريض ومرضى ولذا جمع على فعلى. **قوله**: **(شعاع)** بالفتح متفرّق. **قوله**: **(وقلبه أوزاع)** قال العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشّاف وهم أوزاع أي ضروب متفرقة وعنده أوزاع من الناس أي جماعات وهو من قبيل برمة أعشار وثوب أخلاق. اهـ. وقوله: برمة أعشار في الصحاح برمة أعشار إذا

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ أي ستموت ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وبالتخفيف من حل به الموت، قال **(الخليل)** أنشد **(أبو عمرو)**:

وتسألني تفسير ميت وميّت فدونك قد فسرت إن كنت تعقلُ
فمن كان ذا روح فذلك ميت وما الميت إلا من إلى القبر يحملُ

كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته فأخبر أن الموت يعمّهم فلا معنىٰ للتربص **(وشماتة)** الفاني بالفاني.

انكسرت قطعًا قطعًا وقلب أعشار جاء على بناء الجمع. اهـ. وفي لسان العرب العِشْر قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشْر قطع والجمع أعشار وقدح أعشار وقدر أعشار وقدور أَعَاشِير مكسّرة على عَشْر قطع. اهـ.

قوله: (الخليل) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم كان إمامًا في علم النحو وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب. **قوله: (أبو عمرو)** إسحٰق بن مِرار الشيباني النحوي اللغوي كان من الأئمة الأعلام في فنونه وهي اللغة والشعر وكان كثير الحديث كثير السماع ثقة وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور وأخذ عنه جماعة كبار منهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق وقال في حقه: عاش مائة وثماني عشرة سنة وكان يكتب بيده إلى أن مات وكان ربما استعار الكتاب مني وأنا إذ ذاك صبي آخذ عنه وأكتب من كتبه وقال ابن كامل: مات إسحٰق بن مِرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد وقال غيره: بل تُوفي سنة ست ومائتين وعمره مائة وعشر سنين وهو الأصح رحمه الله تعالى وله من التصانيف كتاب الخيل وكتاب اللغات وهو المعروف بالجيم ويعرف أيضًا بكتاب الحروف وكتاب النوادر الكبير ثلاث نسخ وكتاب غريب الحديث وكتاب النحلة وكتاب الإبل وكتاب خلق الإنسان. **قوله: (وشماتة)** في المصباح شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت وبه والاسم الشماتة. اهـ. وفي لسان العرب الشَّماتة فرح العدو وقيل: الفرح ببليّة العدو وقيل: البلية تنزل بمَنْ تعادي والفعل منهما شَمِت بالكسر يَشْمَت شَمَاتة وشَماتًا. اهـ.

(**وعن قتادة: نعى**) إلى نبيّه نفسه ونعى إليكم أنفسكم أي إنك وإياهم في عداد الموتىٰ لأن ما هو كائن فكأن قد كان.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أي إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة، فلجّوا في العناد ويعتذرون (**بما لا طائل تحته**)، تقول الأتباع: أطعنا ساداتنا وكبراءنا، وتقول السادات: أغوتنا الشياطين وآباؤنا الأقدمون. قال الصحابة ﷺ أجمعين: ما خصومتنا ونحن إخوان! فلما قتل عثمان ﷺ قالوا: هذه خصومتنا. (**عن أبي العالية**): نزلت في أهل القبلة وذلك في الدماء والمظالم التي بينهم. والوجه هو الأوّل ألا ترى إلى قوله:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة. ﴿كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد ﷺ ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة

قوله: (**وعن قتادة**) بن دعامة البصري كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا تُوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**نعى**) في المصباح نعيت الميت نعيًا من باب نفع أخبرت بموته.اهـ. **قوله**: (**بما لا طائل تحته**) في لسان العرب أصل الطائل النفع والفائدة.اهـ. **قوله**: (**عن أبي العالية**) من قدماء المفسرين اسمه رُفَيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري رأى الصديق أبا بكر ورَوى عن عمر وأبيّ وعنه عاصم الأحول وغيره. قالت حفصة بنت سيرين: سمعته يقول: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات أدرك زمن[1] النبيّ ﷺ بعد سنتين من وفاته تُوفى سنة تسع.

---

(١) وفي كتاب اللباب في معرفة الأنساب لما قبض رسول الله ﷺ كان له أربع سنين منه رحمه الله تعالى.

لإعمال (روية) أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل (أهل النصفة) فيما يسمعون ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق. (واللام في ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ إشارة إليهم).

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو رسول الله ﷺ جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومَن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٤٩] فلذا قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ وقال (الزَّجَّاج): رُوِيَ عن علي ﷺ أنه قال: والذي جاء بالصدق محمد رسول الله ﷺ، والذي صدق به أبو بكر الصدّيق ﷺ. ورُوِيَ أن الذي جاء بالصدق محمد رسول الله ﷺ، والذي صدق به المؤمنون، والكل صحيح كذا قاله. قالوا: والوجه في العربية أن يكون «جاء» و«صدق» لفاعل واحد لأن التغاير يستدعي إضمار الذي، (وذا غير جائز)، أو إضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد.

قوله: (روية) في المصباح الروية الفكر والتدبّر وهي كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفًا وهي من روّأت في الأمر بالهمز إذا نظرت فيه. اهـ. وفي لسان العرب الرّوية في الأمر أن تنظر ولا تعجل وروّيت في الأمر لغة في روّأت، ورَوّى في الأمر لغة في روّأ نظر فيه وتعقّبه وتفكّر يُهْمز ولا يُهْمز والرّوية التفكر في الأمر جرت في كلامهم غير مهموزة. **قوله**: (أهل النصفة) في المصباح أنصفت الرجل إنصافًا عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتحتين. اهـ. **قوله**: (واللام في ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ إشارة إليهم) فيكون قوله: للكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على كفر مَن افترى على الله وكذب بالصدق.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه، تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. **قوله**: (وذا غير جائز) على ما اختاره الثقات من النحاة وجوّزه بعضهم

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إضافة أسوأ وأحسن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه (**من غير تفضيل**) كقولك: (**الأشج أعدل**) بني مروان ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ﴾ أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنىٰ إثبات الكفاية وتقريرها ﴿عَبْدَهُۥ﴾ أي محمدًا ﷺ. (﴿عِبَاده﴾ **حمزة وعليّ**) أي الأنبياء والمؤمنين وهو مثل ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٥] ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي بالأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه، وذلك أن قريشًا قالت لرسول الله ﷺ: إنا نخاف (**أن تخبلك**) آلهتنا وإنا نخشى عليك مضرتها

مطلقًا وفصل بعضهم فقال: إنه يجوز حذف الموصول مع بقاء صلته إن عطف على موصول آخر كما فيما نحن فيه.

قوله: (**من غير تفضيل**) ويكون أسوأ وأحسن بمعنى السَّيِّىء والحسن أي فأفعل التفضيل ليس على بابه فبهذا الاعتبار عمّ الأسوأ جميع معاصيهم والأحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التأويل لاقتضى النظم أنه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط. **قوله**: (**الأشج**) عمر بن عبد العزيز لقّب به بشجة كانت في رأسه (**أعدل**) بمعنى عادل(١). **قوله**: (﴿عِبَاده﴾) بكسر العين وفتح الباء الموحدة وألف بعدها على الجمع (**حمزة وعليّ**) الكسائي. وقرأ الباقون بفتح العين وسكون الباء على الإفراد. **قوله**: (**أن نخبلك**) من التخبيل وهو إفساد العقل بمسّ من الجن ونحوه.

---

(١) لأن المقصود أن بني مروان كلهم جائرون وأنه عادل من بينهم لا أن فيهم مَن يعدل وهو أعدلهم وقوله: إن بني مروان كلهم غير الناقص هو يزيد بن الوليد لقب به لأنه نقص ما كانوا يأخذونه من بيت المال ورد المظالم على أهلها.

لعيبك إياها ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ (بغالب منيع) ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ ينتقم من أعدائه، وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

ثم أعلَم بأنهم مع عبادتهم الأوثان مُقِرُّون بأن الله تعالىٰ خلق السمٰوات والأرض بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ﴾ (بفتح الياء سوى حمزة) ﴿بِضُرٍّ﴾ مرض أو فقر أو غير ذلك ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ دافعات شدّته عني ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ صحة أو غنى أو نحوهما ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ (﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾، و﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ **بالتنوين على الأصل: بصري**)، وفرض المسألة في نفسه دونهم لأنهم خوّفوه (**معرّة**) الأوثان وتخبيلها، فأمر بأن يقررهم أولًا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير: فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضرّ أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك؟ فلما (**أفحمهم**) قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ كافيًا لمعرّة أوثانكم ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يُروىٰ أن النبيّ ﷺ سألهم فسكتوا فنزل ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾، وإنما قال: ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ﴾ على

قوله: (بغالب منيع) قوي فلا راد لفعله ولا مُعقِّب لحكمه.

قوله: (بفتح الياء سوى حمزة) في الإتحاف وسكن ياء ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ﴾ حمزة. اهـ. **قوله: (**﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ **بالتنوين على الأصل: بصريّ)** في الإتحاف. واختلف في ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ فأبو عمرو ويعقوب بتنوين كاشفات وممسكات ونصب ﴿ضُرَّهُۥ﴾ و﴿رَحْمَتَهُۥ﴾ اسم فاعل بشرطه فيعمل عمل فعله ويتعدى بواحد بنفسه وإلى آخر بعن أي عنى وافقهم اليزيدي والحسن وابن محيصين من المفردة والباقون بغير تنوين فيهما وجرّ ﴿ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿رَحْمَتِهِۦ﴾ على الإضافة اللفظية. اهـ. **قوله: (معرّة)** مساءة. **قوله: (أفحمهم)** أي أسكتهم بالحجة.

التأنيث بعد قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ (لأنهن إناث) وهن اللات والعزى ومناة، وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها، والمكانة بمعنىٰ المكان فاستعيرت (عن العين للمعنىٰ) كما يستعار هنا وحيث للزمان (وهما) للمكان ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حالته تزداد كل يوم قوّة لأن الله تعالىٰ ناصره ومعينه، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ كيف توعدهم بكونه منصورًا عليهم غالبًا عليهم في الدنيا والآخرة، لأنهم إذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك عزّه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعزّ عزيز من أوليائه وبذلّ ذليل من أعدائه، و﴿يُخْزِيهِ﴾ صفة للعذاب كـ ﴿مُّقِيمٌ﴾ أي عذاب مخزلهُ وهو يوم بدر، وعذاب دائم وهو عذاب النار. (﴿مكاناتكم﴾ أبو بكر وحماد).

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية ﴿بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ومَن اختار الضلالة فقد ضرّها ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ.

قوله: (لأنهن إناث) يعني بحسب اللفظ وإلّا فهن جمادات.

قوله: (عن العين) أي المكان الذي هو الجسم الحاوي في ظاهر النظر وحكم العرف (للمعنى) أي الحال والصفة. **قوله:** (وهما) أي هنا وحيث. **قوله:** (﴿مكاناتكم﴾) بألف بعد النون جمعًا (أبو بكر) وهو شعبة (وحماد) والباقون بغير ألف إفرادًا.

ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (﴿ٱلْأَنفُسَ﴾ **الجمل كما هي**)، وتوفيها إماتتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيهًا للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠] ﴿فَيُمْسِكُ﴾ الأنفس ﴿ٱلَّتِى (قَضَىٰ)﴾ ﴿قُضِيَ﴾ (**حمزة وعليّ**) ﴿عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الحقيقي أي لا يردّها في وقتها حية ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ النائمة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت ضربه لموتها. وقيل: يتوفى الأنفس أي يستوفيها ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في مقامها وهي أنفس التمييز. قالوا: فالتي تتوفى في المنام هي نفس التمييز لا نفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس، ولكل إنسان نفسان: إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام. ورُويَ عن ابن عباس ﵄: في ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس، فالنفس هي التي بها العقل والتمييز، والروح هي التي بها النفس والتحرك، فإذا نام العبد قبض

قوله: (﴿ٱلْأَنفُسَ﴾ **الجُمَلُ كما هي**) يريد إجراء الكلام على ما هو اللغة والاستعمال وهو أن نفس الشيء ذاته وحقيقته فنفس الإنسان جملته من جواهر ومالها من صحة الأجزاء وسلامة الآلات وما يسمى بالروح ونحو ذلك وأما إطلاق النفس على الجوهر المجرّد المتعلق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف أو الصور الجوهرية والأعراض الحالة في المادة المسماة بالنفس الناطقة المطمئنة والأمارة واللوامة والنبَاتية والحيوانية ونحو ذلك وإن كان واردًا في الكلام لكن نسبة التوفّي والموت والمنام إلى النفس تدل على أن المراد بها الجملة. **قوله**: (﴿قَضَىٰ﴾) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء بعد الضاد ورفع التاء من الموت (**حمزة وعليّ**) الكسائي والباقون بفتح القاف والضاد ونصب الموت.

الله نفسه ولم يقبض روحه. وعن علي ﷺ قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة، وعنه ما رأت عين النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة.

(وعن سعيد بن جبير): أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء حياتها. ورُوِيَ أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء فمَن كان منهم طاهرًا أذن في السجود، ومَن لم يكن منهم طاهرًا لم يؤذن له فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إن في توفي الأنفس ميتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل ﴿لَآيَٰتٍ﴾ على قدرة الله وعلمه ﴿لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ (بل اتخذ قريش) والهمزة للإنكار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من دون إذنه ﴿شُفَعَآءَۚ﴾ حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ﴿قُل

قوله: (وعن سعيد بن جبير) الأسدي الكوفيّ أحد أعلام التابعين سمع ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأنسًا وعنه نفر قتله الحجاج ولم يسلطه الله عزّ وجلّ بعده على قتل أحد إلى أن مات.

قوله: (بل اتخذ قريش) بهمزة واحدة مفتوحة وهي همزة الاستفهام وحذف همزة افتعل للوصل يعني أن أم في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكاريّ أي دع طمع أن يتفكروا فيها فيستدلوا على كمال قدرته وحكمته فينقادوا لأمره وحكمه. وانظر إلى فرط جهالتهم حيث اتخذوا من لا يملك شيئًا شفعاء لهم عند الله وإن كان قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ الآية للاستدلال على أن الواجب على العاقل أن يعبد إلـٰهًا موصوفًا بهذه القدرة وبهذه الحكمة وأن لا يعبد الأوثان التي هي جمادات لا شعور لها فضلًا عن القدرة والحكمة يكون وجه اتصال قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ الآية بما

﴿أَوَلَوْ كَانُوا۟﴾ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ معناه (أيشفعون) ولو كانوا لا يملكون شيئًا قطّ ولا عقل لهم؟ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه وانتصب ﴿جَمِيعًا﴾ على الحال ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لقوله: ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكًا لها. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ متصل بما يليه معناه له ملك السمٰوات والأرض واليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ مدار المعنىٰ على قوله: ﴿وَحْدَهُ﴾ أي إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ أي نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لافتتانهم بها، وإذا قيل لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له

قبله أن يكون جوابًا عما أورده الكفار على الدليل السابق بقولهم: نحن لا نعبد الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضرّ وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل أشخاص كانوا عند الله من المقرّبين فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله تعالى، فأجاب الله تعالى بأن قال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا في تلك الشفاعة من عبادة هذه الأصنام أو من الأشخاص التي الأصنام تماثيل لها والأول باطل بالبداهة إذ لا يتصوّر صدور الشفاعة من الجماد الذي لا يملك شيئًا ولا يعقل، والثاني أيضًا باطل لأن يوم القيامة يوم لا يملك فيه أحد شيئًا من الأشياء فلا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾. **قوله**: (**أيشفعون** ﴿أَوَلَوْ كَانُوا۟﴾) يعني أن مدخول الهمزة محذوف وهو يشفعون وإن قوله: ولو كانوا حال من فاعل أي أيشفعون حال تقدير عدم ملكهم وعدم عقلهم.

نفروا لأن فيه نفيًا لآلهتهم، ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه، فالاستبشار أن يمتلىء قلبه سرورًا حتى تنبسط له (**بشرة**) وجهه و(**يتهلل**)، والاشمئزاز أن يمتلىء غمًّا وغيظًا حتى يظهر الانقباض في (**أديم**) وجهه، والعامل في ﴿وَإِذَا ذُكِرَ﴾ هو العامل في «إذا» المفاجأة. تقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجَؤوا وقت الاستبشار.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي يا فاطر، وليس بوصف كما يقوله (**المبرد والفراء**) ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ السر والعلانية ﴿أَنتَ تَحْكُمُ﴾ تقضي ﴿بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الهدى والضلالة، وقيل: هذه محاكمة من

قوله: (**بشرة**) في المصباح البشرة ظاهر الجلد والجمع البشر مثل قصبة وقصب.اهـ. **قوله**: (**يتهلل**) أي يشرق ويستنير في لسان العرب تَهَلَّلَ وجهه فرحًا أشرق واستهَلَّ.اهـ. وأيضًا فيه تهلل وجهه أي استنار وظهرت عليه إمارات السرور.اهـ. **قوله**: (**أديم**) في لسان العرب الأديم الجلد ما كان وقيل: الأحمر وقيل: هو المدبوغ وقيل: هو بعد الأفيق وذلك إذا تَمَّ واحمرَّ.اهـ.

قوله: (**المبرد**) بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري النحوي وكان إمامًا في النحو واللغة وله التواليف النافعة في الأدب منها كتاب الكامل ومنها الروضة والمقتضب وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني تُوفي سنة ست وثمانين وقيل: خمس وثمانين ومائتين ببغداد. **قوله**: (**والفراء**) بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد الكوفي كان أبرع الكوفيين وأعلم بالنحو واللغة وفنون الأدب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وتُوفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب وكان الفراء يميل إلى الاعتزال.

النبيّ للمشركين إلى الله. (وعن ابن المسيب): لا أعرف آية قُرئت فدعي عندها إلا أجيب سواها. (وعن الربيع بن خيثم) وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين ﷺ وقالوا: الآن يتكلم فما زاد أن قال: آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية. ورُوِيَ أنه قال على أثره: قتل مَن كان ﷺ يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ الهاء تعود إلى «ما» ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسبانهم ولا

قوله: (وعن ابن المسيب) هو سعيد بن المسيب أبو محمد المخزومي وُلد لسنتين مضتا من خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم، روى عنه الزهري وكثير من التابعين قال مكحول: طفت الأرض كلها وما لقيت أعلم من ابن المسيّب وكان رضي الله تعالى عنه يقول: ما فاتتني تكبيرة الإحرام منذ خمسين سنة وما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلّا وأنا في المسجد وصلّى رضي الله تعالى عنه الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وقال: حججت أربعين حجة ومات سنة ثلاث وتسعون. **قوله**: (وعن الرَّبيْع بن خيثم) هو من عبادة الكوفة مات سنة ثلاث وستين وكان عمله كله سرًا لا يطلع إلا أهل بيته ودخل عليه رجل وهو يقرأ في المصحف فغطاه بكمه وكان إذا وجد غفلة من الناس يخرج إلى المقابر ويقول: يا أهل المقابر كنا وكنتم ثم يحيي الليل كله فإذا أصبح كأنه نشر من قبره وأصابه الفالج، فقيل له: لو تداويت فقال: قد عرفت أن الدواء حق ولكن عن قريب لا يبقى المداوي ولا المُدَاوى وكان رضي الله تعالى عنه يأتي مسجد الجماعة يُهَادِي بين رجليه فيقول له الناس: إن الله قد رخص لك فيقول: ماذا أصنع في منادي ربي وهو يقول: حي على الصلاة وكان يكنس البيت بنفسه ولا يمكّن أهله من ذلك ويقول: إني أحب أن آخذ لنفسي من المهنة وكان رضي الله تعالى عنه يقول: لقد أدركنا أقوامًا كنا في جنبهم لصوصًا.

يحدثون به نفوسهم. وقيل: عملوا أعمالًا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات. **(وعن سفيان الثوري)** أنه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء. وجزع **(محمد بن المنكدر)** عند موته فقيل له فقال: **(أخشى آية)** من كتاب الله وتلاها، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ **(أي سيئات)** أعمالهم التي كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ ونزل بهم وأحاط ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ جزاء هزئهم.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ أي أعطيناه تفضلًا. يقال: خوّلني إذا أعطاك على غير جزاء ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ ولا تقف عليه لأن جواب «إذا» ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مني أني سأعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق، أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: الآية ٧٨] وإنما ذكر الضمير في ﴿أُوتِيتُهُ﴾ وهو للنعمة نظرًا إلى المعنى لأن قوله: ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ شيئًا من النعمة وقسمًا منها. وقيل: «ما» في «إنما» موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها أي إن الذي أوتيته على علم ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ إنكار له كأنه قال: ما خوّلناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر. ولما كان

قوله: (وعن سفيان الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي كان إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم. وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته وهو أحد الأئمة المجتهدين فولده في سنة خمس وقيل: ست وقيل: سبع وتسعين للهجرة وتُوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة والثوري بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة. **قوله: (محمد بن المنكدر)** من مشاهير التابعين وأجلّتهم جمع بين العلم والزهد والعبادة والدين والصدق والفقه مات سنة مائة وسبعون. **قوله: (أخشى آية)** بالنصب مفعول أخشى. **قوله: (أي سيئات. . .)** الخ يعني ما موصولة أو مصدرية وحين ظرف بدا.

الخبر مؤنثًا ـ أعني مؤنثًا ـ أعني فتنة ـ (ساغ) تأنيث المبتدأ لأجله، وقرىء بل هو فتنة على وفق ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها فتنة، والسبب في عطف (هذه الآية) بالفاء وعطف (مثلها) في أول السورة بالواو، أن هذه وقعت مسببة عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ على معنىٰ أنهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسّ أحدهم ضرّ دعا مَن اشمأز بذكره دون مَن استبشر بذكره (**وما بينهما من الآي اعتراض الآيات**).

فإن قلت: حق الاعتراض (**أن يؤكد المعترض**) بينه وبينه. قلت: (**ما في الاعتراض**) مَن دعاءِ رسول الله ﷺ ربه بأمر من الله وقوله ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ ثم ما عقبه من الوعيد العظيم، تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل: يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك مثل هذه الجرأة إلا أنت، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ متناول لَهم (**ولكل ظالم**) إن جعل عامًا، أو إياهم خاصة إن عنيتهم به كأنه قيل: ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء

قوله: (**ساغ**) أي جاز. **قوله**: (**هذه الآية**) هي قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾. **قوله**: (**مثلها**) في أول السورة قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ [الزُّمَر: الآية ٨] بالواو عطفًا على جملة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر: الآية ٧] أو جملة ﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ [الزمر: الآية ٧] إلى الآخر. **قوله**: (**وما بينهما من الآي اعتراض الآيات**) المعترضة بين قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٥] هي ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: الآيات ٤٦ ـ ٤٨].

قوله: (**أن يؤكد المعترض**) اسم مفعول مسند إلى الظرف على طريقة الإسناد إلى الجار والمجرور كما تقول المعترض فيما بينه وقد يجعل هذا مسندًا إلى ضمير المصدر وضميرًا بينه وبينه للموصول أعني اللام في المعترض يعني أن حق الاعتراض إذا وقع بين كلام أو كلامين متصلين معنى كما في هذه الآية أن يؤكد ما اعترض هو بينهما من طرفي الكلام أو كلامين إلّا أنه فصل الضمير إشارة إلى تفصيل ما بينه الاعتراض إلى سابق ولاحق. **قوله**: (**ما في الاعتراض**) مبتدأ خبره تأكيد لإنكار السابق الذي هو الاشمئزاز والاستبشار واللاحق الذي هو الرجوع إلى الله في الشدائد. **قوله**: (**ولكل ظالم**) حال من الضمير لهم واللام للتقوية والمعنى

العذاب، وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو «قام زيد وقعد عمرو»، وبيان وقوعها مسببة أنك تقول: زيد يؤمن بالله فإذا مسّه ضرّ التجأ إليه، فهذا تسبيب ظاهر، ثم تقول زيد كافر بالله فإذا مسّه شرّ التجأ إليه، فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان في جعله سببًا في الالتجاء.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قَدْ قَالَهَا﴾ هذه المقالة وهي قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي قارون وقومه حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓۚ﴾ [القصص: الآية ٧٨] وقومه راضون بها، **(فكأنهم قالوها)**، ويجوز أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من متاع الدنيا وما يجمعون منها.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ﴾ أي جزاء سيئات كسبهم، أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]. ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي من مشركي قومك ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك، فقتل **(صناديدهم)** ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين من عذاب الله، ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ ويضيق. وقيل: يجعله على قدر القوت ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عزّ وجلّ.

متناول إياهم ولذا عطف عليه قوله: أو إياهم خاصة وضمير عنيتهم به لما يعود إليه لهم وإياهم والمجرور لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧].

قوله: **(فكأنهم قالوها)** فيكون الإسناد إلى القوم مجازًا وإلى قارون حقيقة.

قوله: **(صناديدهم)** أي أشرافهم وعظمائهم الواحد صِنْدِيْد.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ﴾ (**وبسكون الياء: بصري وحمزة وعليّ**) ﴿أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ جنوا عليها بالإسراف في المعاصي (**والغلو**) فيها ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ لا تيأسوا، (**وبكسر النون: علي وبصري**) ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بالعفو عنها إلا الشرك، وفي قراءة النبيّ عليه السلام يغفر الذنوب جميعًا (**ولا يبالي**)، ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله: (﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾) [الشمس: الآية ١٦]. قيل: نزلت (**في وحشي**) قاتل (**حمزة**) رضي الله عنه، وعن رسول الله ﷺ:

قوله: (**وبسكون الياء**) وتسقط في الوصل (**بصري**) أي قرأه أبو عمرو. وكذا سهل ويعقوب وليسا من السبعة (**وحمزة وعليّ**) الكسائي وفتحها الباقون. **قوله**: (**والغُلُوّ**) أي مجاوزة الحدّ. **قوله**: (**وبكسر النون: علي**) الكسائي (**وبصري**) أي قرأه أبو عمرو وسهل ويعقوب وكذا خلف وقرأ الباقون بفتحها.

قوله: (**ولا يبالي**) بمغفرة الكل كما أنه لا يخاف عن عاقبة هلاك ثمود بالذنب. **قوله**: (﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾) أي عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الإبقاء أي فيترحم بعض الترحم.

قوله: (**في وحشي**) ابن حرب الحبشي أبي دسمة وهو من سودان مكة وهو مَوْلى لطعيمة بن عدي، وقيل: مولى جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم أحد وشارك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أسلم بعد الطائف ومات بحمص. روى عنه ابناه إسحٰق وحرب وغيرهما.

قوله: (**حمزة**) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ أبي يعلى وقيل: أبي عمارة كني بابنيه يعلى وعمارة وهو عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب وكان حمزة رضي الله عنه وأرضاه أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين وهو سيّد الشهداء. وكان مقتل حمزة للنصف من شوال من سنة ثلاث وكان عمره سبعًا وخمسين سنة.

(«**ما أحب أن**) لي (**الدنيا وما فيها بهذه الآية**») ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ بستر عظائم الذنوب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بكشف (**فظائع**) الكروب.

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ وتوبوا إليه ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ وأخلصوا له العمل ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾، وقوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أي يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئًا لفرط غفلتكم.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿أَن تَقُولَ﴾ لئلا تقول ﴿نَفۡسٞ﴾ (**إنما نكرت**) لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر، ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس إما بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكثير ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ (**الألف بدل من ياء المتكلم**)،

قوله: (**ما أحب**) ولا أرضى (**أن**) يكون لي أي موهوبة لي وفي ملكي (**الدنيا**) أي الدار الدنيا (**وما فيها**) من الأموال والزخارف بأسرها. **قوله**: (**بهذه الآية**) الباء للمقابلة فإنها خير من الدنيا وما فيها لأن مضمون الآية الكريمة مغفرة المذنبين ولو كبيرة ولو بلا توبة فهو باقٍ أثره والدنيا وما فيها يغني عن قريب فاختار ما هو خير وأبقى وفيه تبشير للمؤمنين وبيان أن هذه الآية فيها سرور تام للمسلمين والحمد لله ربّ العالمين. **قوله**: (**فظائع**) في المصباح فظع الأمر فَظَاعة جاوز الحدّ في القبح فهو فظيع. اهـ.

قوله: (**إنما أنكرت...**) الخ ذكر في توجيه تنكيره ثلاثة أوجه أن يكون للتبعيض لأن القائل بعض من النفوس أو يكون للتعظيم لعظم كفرها وعنادها وعذابها أو هو للتكثير. **قوله**: (**الألف بدل من ياء المتكلّم**) فإن الأصل يا حسرتي والعرب تبدّل ياء الضمير ألفًا في الاستغاثة فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا هربًا إلى خفة

(وقرىء ﴿يا حسرتي﴾ على الأصل و﴿يا حسرتاي﴾ على الجمع بين العوض والمعوض عنه) ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ قصرت و«ما» مصدرية مثلها في ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: الآية ٢٥] ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ في أمر الله أو في طاعة الله أو في ذاته، **(وفي حرف عبد الله)** في ذكر الله والجنب الجانب يقال: أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان ليّن الجانب والجنب، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه، وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه، ومنه الحديث: «من الشرك الخفي أن يصلّي الرجل لمكان الرجل»، أي لأجله، وقال **(الزّجّاج)**: معناه فرط في طريق الله وهو توحيده والإقرار بنبوّة محمد ﷺ ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ المستهزئين. **(قال قتادة)**: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها. ومحل ﴿وَإِن كُنتُ﴾ النصب على الحال كأنه قال: فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ أي أعطاني الهداية ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ من الذين يتقون الشرك، قال **(الشيخ الإمام أبو منصور)** رحمه الله تعالىٰ: هذا

الألف مع الفتحة بالنسبة إلى الياء والكسرة. **قوله**: **(وقرىء ﴿يا حسرتي﴾ على الأصل)** في الإتحاف عن الحسن يا حسرتي بكسر التاء وياء بعدها. اهـ. **قوله**: **(﴿ويا حسرتاي﴾ على الجمع بين العوض والمعوض عنه)** في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب قراءة جعفر يا حسرتاي. وروى ابن جَمَّازٍ عنه يا حسرتَايْ مجزومة الياء. اهـ.

قوله: **(وفي حرف عبد الله)** في لسان العرب كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تُسمى حرفًا تقول هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود. اهـ. **قوله**: **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن السهل النحوي. **قوله**: **(قال قتادة)** بن دعامة البصري وكان تابعيًا.

قوله: **(الشيخ الإمام أبو منصور)** هو محمد بن محمد بن محمود كان من كبار العلماء وكان يقال له إمام علم الهدى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] يقولون: لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه، ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا.

والحاصل أن عند الله لطفًا من أعطى ذلك اهتدى، وهو التوفيق والعصمة ومَن لم يعطه ضلّ وغوى، وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعدما مكن من تحصيله لذلك ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ من الموحدين.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ «بلى رد من الله عليه كأنه يقول: بلى قد جاءتك آياتي وبيَّنتُ لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل، ولكن تركت ذلك وضيّعته واستكبرت عن قبوله، وآثرت الضلالة على الهدى، واشتغلت بضد ما أُمرت به فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك، و﴿بَلَىٰ﴾ جواب لنفي تقديري **(لأن المعنى: لو أن الله هداني ما هديت)** وإنما لم يقرن الجواب به، لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب **(من بينها)** عما اقتضى الجواب.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وصفوه بما لا يجوز عليه من إضافة الشريك والولد إليه، ونفي الصفات عنه ﴿وُجُوهُهُم﴾ مبتدأ ﴿مُّسْوَدَّةٌ﴾ خبر

قوله: (لأن المعنى: لو أن الله هداني ما هديت) لأن لفظة لو إذا دخلت على المثبت تفيد معنى النفي. **قوله: (من بينها)** حال ما في عما اقتضى.

والجملة في محل النصب على الحال إن كان ترى من رؤية البصر، وإن كان من رؤية القلب فمفعول ثانٍ ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ منزل ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هو إشارة إلى قوله: ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾.

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ (﴿وَيُنَجِّى﴾) روح ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ من الشرك (﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ **بفلاحهم**) يقال: فاز بكذا إذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسيره المفازة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ النار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كأنه قيل: وما مفازتهم؟ قيل: لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم. أي لا يمسّ أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي، (**أو بسبب منجاتهم**) من قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٨]. أي بمنجاة منه؛ لأن النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح.

ولهذا فسّر ابن عباس ﷺ المفازة بالأعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنّة، ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لأنه سببها، ولا محل لـ ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾ على التفسير الأول لأنه كلام مستأنف، ومحله النصب على الحال على الثاني. (**﴿بمفازاتهم﴾ كوفي غير حفص**).

قوله: (﴿وَيُنَجِّى﴾) بتخفيف الجيم مع سكون النون رَوْح[1] وحده. **قوله**: (﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ **بفلاحهم**) الباء للملابسة أي ينجيهم متلبسين بفلاحهم الذي هو نفي السوء والحزن عنهم.

قوله: (**أو بسبب منجاتهم**) الباء للسببية على حذف المضاف أي بسبب مفازتهم الذي هو العمل الصالح.

قوله: (﴿بمفازاتهم﴾) بألف بعد الزاي جمعًا على أن كل متقٍ مفازة (**كوفيّ غير حفص**) أي قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر شعبة والباقون بغير ألف بعد الزاي إفرادًا.

---

(١) ليعقوب ثلاث روايات رواية روح وزيد ورُوَيْس.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ رد على المعتزلة و(الثنوية) ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ حافظ.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي هو مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها مقليد، وقيل: لا واحد لها من لفظها، **(والكلمة أصلها فارسية)** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ هو متصل **(بقوله**: و﴿وَيُنَجِّي**)** ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون. واعترض بينهما بأنه خالق كل شيء، فهو **(مهيمن)** عليه، فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها، **(أو بما يليه)** على أن كل شيء في السمٰوات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه،

قوله: **(الثنوية)** هؤلاء أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. **قوله**: **(والكلمة أصلها فارسية)** عبارة البيضاوي وقيل: جمع إقليد معرّب إكليد على الشذوذ كمذاكير. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة الشيخ زاده قوله: كمذاكير فإنه جمع ذكر على الشذوذ كما أن المحاسن جمع حسن على خلاف القياس.

قال الإمام النسفي الإقليد أصله بالفارسية إكليد فعرّبته العرب وتكلمت به فصار عربيًّا كما إذا قرأ الاستعمال على المهمل فإنه يخرج عن كونه مهملًا ويصير مستعملًا. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة القنوي وبالتعريب الحق بالعربي فالمعتبر في العربية كون اللفظ مستعملًا عند العرب لا الوضع العربي. اهـ.

قوله: **(مُهَيمِنٌ)** أي مراقب. **قوله**: **(أو بما يليه)** عطف على **قوله**: **(بقوله**: و﴿وَيُنَجِّي﴾**)** أي هو متصل بقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

والذين كفروا وجحدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون، **(وقيل: سأل عثمان)** رسول الله ﷺ عن تفسير قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك، تفسيرها لا إلـه إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحّد بها ويمجّد وهي مفاتيح خير السمٰوات والأرض **(من تكلّم بها من المتقين أصابه)**، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لمن دعاك إلى دين آبائك ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ (﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ **مكي**، ﴿**تأمرونني**﴾) على الأصل: (**شامي**، ﴿**تأمرونيَ**﴾ **مدني**)، وانتصب. ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ بـ ﴿أَعْبُدُ﴾ و﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ اعتراض، ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بتوحيد الله.

قوله: **(وقيل: سأل عثمان)** رضي الله تعالى عنه... الخ هو حديث ضعيف في سنده مَن لا يصح روايته، وقول ابن الجوزي: إنه موضوع غير مسلم وموضوعاته أكثرها منتقدة.اهـ شهاب.

قوله: **(مَن تكلم بها من المتقين أصابه)** ذلك الخير إشارة إلى وجه التجوّز وإطلاق المقاليد على هذه الكلمات بأنها موصلة إلى الخير كما يوصل المفتاح إلى ما في الخزائن.

قوله: (﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾) بتشديد النون وفتح الياء **(مكّي)** أي قرأه ابن كثير المكيّ. **قوله**: (﴿**تأمرونني**﴾) بنونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وسكون الياء **(شامي)** أي قرأه ابن عامر الشاميّ. **قوله**: (﴿**تأمرونيَ**﴾) بتخفيف النون وفتح الياء **(مدنيّ)** أي قرأه نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة والباقون بتشديد النون وسكون الياء.

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الأنبياء عليهم السلام ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الذي عملت قبل الشرك ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ وإنما قال: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ على التوحيد والموحى إليهم جماعة لأن معناه أوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك وإلى الذين من قبلك مثله، واللام الأولى موطئة للقسم المحذوف، والثانية لام الجواب، وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وإنما صح هذا الكلام مع علمه تعالىٰ بأن رسله لا يشركون لأن الخطاب للنبيّ عليه السلام والمراد به غيره، ولأنه على سبيل الفرض، والمحالات يصح فرضها. وقيل: لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ رد لما أمروه من عبادة آلهتهم كأنه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إن عبدت فاعبد الله؛ فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضًا عنه ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ وما عظموه حق عظمته إذ دعوك إلى عبادة غيره، ولما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تعظيمه قيل: وما قدروا الله حق قدره.

ثم نبّههم على عظمته وجلاله شأنه **(على طريقة التخييل)** فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ والمراد بهذا الكلام إذا

قوله: (على طريقة التخييل) المراد بالتخييل التصوير بأن يخيل عند ذكر هذه الأشياء في ذهنك معنى عظمة الله فيمتلىء قلبك رعبًا ومهابة ويحصل من ذلك روعة لم تحصل من مجرد قولك هو عظيم كما إذا أردت أن تقول: فلان جواد فلان كثير الرماد فأنت عند ذكرك كثير الرماد مصوّر كثرة إحراق الحطب ثم كثرة الطبخ ثم كثرة تردد الضيفان فتجد من الروعة ما لم تجده إذا قلت: فلان جواد.

أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقية أو جهة مجاز.

والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك قوله ﴿جَمِيعًا﴾، وقوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ولأن الموضع موضع تعظيم فهو مقتضٍ للمبالغة، و﴿ٱلْأَرْضُ﴾ مبتدأ و﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ الخبر و﴿جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال أي: والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة، (**والقَبضة: المرة من القبض. والقُبضة: المقدار المقبوض بالكفّ**)، ويقال: أعطني قبضة من كذا تريد معنى القُبضة تسمية بالمصدر، وكلا المعنين محتمل، والمعنى والأرضون جميعًا قبضته أي ذوات قبضته بقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول: الجزور أكلة لقمان أي لا تفي إلا بأكلة (**فذّة**) من أكلاته. وإذا أريد معنى القبضة فظاهر، لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة. والمطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال: ﴿(يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ) لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤].

وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه، وقيل: قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته. وقيل: مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء!.

قوله: (**والقبضة**) بالفتح (**المرة من القبض**) أي الأخذ (**والقبضة**) بالضم (**المقدار المقبوض بالكفّ**) أي هي اسم له وقد تطلق القبضة بالفتح على ذلك المقدار إما على طريق تسمية الشيء بالمصدر للمبالغة أو على تقدير ذو مثل رجل عدل. **قوله**: (**فذّة**) أي واحدة.

قوله: (﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾...) الخ في تفسير الجلالين يوم منصوب باذكر مقدّر قبله (﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾) اسم ملك للكتاب، صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة والسجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على، وفي قراءة الكتب. اهـ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ (مات) ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ

قوله: (مات) أي خرّ ميتًا أو مغشيًّا عليه كذا في الجمالين. وفي الفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. قوله: مات أي من كان حيًّا في ذلك الوقت من الملائكة وأهل الأرض يعني وغشي على مَن كان ميتًا من قبل لكنه حيّ في قبره كالأنبياء والشهداء فيغشى عليهم بالنفخة الأولى حتى على نبيّنا ﷺ ويستثنى من الصعق بمعنى الغشي والإغماء موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام فإنه لا يصعق من تلك النفخة أي لا يغشى عليه بل يبقى متيقظًا ثابتًا لأنه صعق في الدنيا مرة في قصة الجبل فلا يصعق أخرى، وعبارة البيضاوي ﴿فَصَعِقَ﴾ أي خرّ ميتًا أو مغشيًّا عليه انتهت. وكتب عليه الشهاب ما نصّه قوله: أو مغشيًّا عليه هٰهنا إشكال أورده بعض السلف وهو أن نصّ القرآن يدل على أن هذا الاستثناء بعد نفخة الصعق وهي النفخة الأولى التي مات منها من بقي على وجه الأرض والحديث الصحيح المروي في الصحيحين والسنن وهو أن النبيّ ﷺ تلا هذه الآية وقال: فأكون أوّل مَن يرفع رأسه فإذا موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرَفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله فإنه يدل على أنها نفخةِ البعث وما قيل إنه يحتمل أن موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ممن لم يمت من الأنبياء باطل لصحة موته.

وقال القاضي عِياض: يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشقّ السمٰوات والأرض فتتوافق الآيات والأحاديث.

قال القرطبي: ويرده ما مرّ في الحديث من أخذ موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام بقائمة العرش فإنه إنما هو عند نفخة البعث وأيضًا تكون النفخات أربعًا ولم ينقله الثقات فمن حمل قول المصنّف أو مغشيًّا عليه على غشي يكون من نفخة بعد نفخة البعث للإرهاب والإرعاب فكلامه مردود بما عرفت ومن الغريب أن بعضهم جعلها بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه خمسًا وقد سمعنا بمن زاد في الطنبور نغمة ولم تسمع بمن زاد في الصور نفخة.

ٱللَّهُ﴾ (أي جبريل وميكائيل) وإسرافيل وملك الموت، وقيل: هم حملة العرش (ورضوان) و(**الحور العين ومالك والزبانية**) ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ (**هي في محل الرفع**) لأن المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى، وإنما حذفت لدلالة ﴿أُخْرَىٰ﴾ عليها، ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ يقلبون أبصارهم في الجهات نظر (**المبهوت**) إذا فاجأه (**خطب**) أو ينظرون أمر الله فيهم، ودلّت الآية على أن النفخة اثنتان: الأولى للموت والثانية

قال القرطبي: والذي يزيح الإشكال ما قاله بعض مشائخنا أن الموت ليس بعدم محض بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء فإنهم موجودون أحياء وإن لم نرهم فإذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من في السمٰوات والأرض وصعقة غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام موت وصعقتهم غشي فإذا كانت نفخة البعث حيي من مات وأفاق من غشي عليه ولذا وقع في الصحيحين فأكون أول مَن يفيق إذا عرفت هذا فأوفى كلام المصنّف للتقسيم والمراد أن أهل السماء والأرض عند نفخة الصعق منهم مَن يخرّ ميتًا كمن على ظهر الأرض من الناس ومنهم مَن يغشى عليه كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الملائكة فتأمل. اهـ. اهـ.

قوله: (**أي جبريل وميكائيل. . .**) الخ فإنهم يموتون بعد. **قوله**: (**ورضوان**) خازن الجنة. **قوله**: (**الحور**) نساء شديدات سواد العيون وبياضها (**العين**) ضخام العيون كسرت عينه لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء. **قوله**: (**ومالك**) خازن جهنم. **قوله**: (**والزبانية**) المراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم. **قوله**: (**هي في**[1] **محل الرفع**) على إقامة المصدر مقام الفاعل لِنُفِخَ دون إقامة الظرف ويذكر الفعل للفصل أو لأنها مؤنّث غير حقيقي.

قوله: (**المبهوت**) في المصباح بهت وبهت من بابي قرب وتعب دهش وتحيّر. اهـ. **قوله**: (**خطب**) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس. اهـ.

---

(١) على أنه صفة لنائب الفاعل وهي النفخة المقدرة جعلت نائب الفاعل مجازًا وأخرى صفتها. اهـ.

للبعث، والجمهور على أنها ثلاث: الأولى للفزع، كما قال: ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ [النمل: الآية ٨٧]، والثانية للموت والثالثة للإعادة.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿(وَأَشْرَقَتِ) ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي بعدله بطريق الاستعارة. يقال للملك العادل: أشرقت الآفاق بعدلك، وأضاءت الدنيا بقسطك. كما يقال: أظلمت البلاد بجور فلان، وقال عليه الصلاة والسلام: «**(الظلم ظلمات)** يوم القيامة». وإضافة **(اسمه)** إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله، وينصب فيها موازين قسطه، ويحكم بالحق بين أهلها، ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه.

وقال الإمام أبو منصور ﷺ: يجوز أن يخلق الله نورًا فينوّر به أرض الموقف، وإضافته إليه تعالىٰ للتخصيص كبيت الله وناقة الله ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي صحائف الأعمال، ولكنه **(اكتفى باسم الجنس)** أو اللوح المحفوظ ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الحفظة. وقيل: هم الأبرار في كل زمان يشهدون على أهل ذلك الزمان ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين العباد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها بإثبات العدل.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من غير كتاب ولا شاهد، وقيل: هذه الآية تفسير قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد في شر ولا ينقص من خير.

قوله: (﴿وَأَشْرَقَتِ﴾) أضاءت لازم أي صارت الأرض ذات ضياء. **قوله**: **(الظلم)** في الدنيا **(ظلمات)** أي سبب ظلمات. **قوله**: **(اسمه)** أي اسم الرب. **قوله**: **(اكتفى باسم الجنس)** عن الجمع لإرادة الجنس المنتظم للقليل والكثير والقليل ليس بمراد فالمراد الكثير.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ سوقًا عنيفًا، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ﴿زُمَرًاۖ﴾ حال أي أفواجًا متفرقة بعضها في أثر بعض.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ﴾ **(بالتخفيف فيهما: كوفي)** ﴿أَبۡوَٰبُهَا﴾ وهي سبعة ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ أي حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ من بني آدم ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ **(أي وقتكم هذا)** وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أتونا وتلوا علينا ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا: ﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٦]، فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾

﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ حال مقدرة أي مقدرين الخلود ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ اللام فيه للجنس لأن ﴿مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ فاعل «بئس»

قوله: (بالتخفيف فيهما: كوفيّ) أي قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿فُتِحَتۡ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٦] ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣] الآتية بتخفيف التاء وافقهم الأعمش والباقون بالتشديد على التكثير.

قوله: (أي وقتكم هذا) أي اليوم هنا بمعنى الوقت لأن المنذر به في الحقيقة وقت دخولهم النار.

ولذا قال المصنّف: وهو وقت دخولهم النار. قال العلّامة الشيخ زاده قوله: وقتكم هذا إشارة إلى جواب ما يقال من أن الظاهر أن المراد باليوم في قوله: ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ يوم القيامة ولا اختصاص ليوم القيامة بهم فلو أضيف

و«بئس» فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف إلى مثله، والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ المراد سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ (**هي التي تحكى بعدها الجمل**) والجملة المحكية بعدها هي الشرطية إلا أن جزاءها محذوف، وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنّة فدلّ بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف.

وقال الزجاج: تقديره حتى إذا جاءوها ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ دخلوها فحذف دخلوها؛ لأن في الكلام دليلًا عليه. وقال قوم: حتى إذا جاءوها وجاءوها وفتحت أبوابها فعندهم جاءوها محذوف، والمعنى: حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها، وقيل: أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب (﴿ٱلْجَنَّةِ﴾) فمتقدم فتحها لقوله تعالى: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: الآية ٥٠]. فلذلك جيء بالواو كأنه قال: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصي، وطهرتم من خبث الخطايا، وقال الزجاج: أي كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين أي لم تكونوا أصحاب خبائث، وقال ابن عباس: طاب لكم المقام، وجعل دخول الجنّة وطيبها من كل قدر، فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها.

إليهم وتقريره أن المراد باليوم وقت الشدة ولا خفاء في اختصاص ذلك الوقت بهم واستعمال اليوم في وقت الشدة شائع كثير. اهـ.

قوله: (هي) أي حتى (**التي تحكى بعدها الجمل**) يعني أن حتى في الموضعين حرف استئناف وما بعدها كلام مستأنف لا يتعلق بما قبلها من حيث الإعراب. **قوله**: (﴿ٱلْجَنَّةِ﴾) هو المخصوص بالمدح المقدّر.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ أنجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الجنة وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيهم كما يشاءون وتشبيهًا بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ حال ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ أي يكون لكل واحد منهم جنّة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أي فيتخذ متبوأ ومقرًا من جنته حيث يشاء ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ في الدنيا الجنّة.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ (أي محدقين) من حوله. و«من» لابتداء الغاية أي ابتداء حفوفهم من حول العرش إلى حيث شاء الله ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿حَآفِّينَ﴾ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي يقولون: سبحان الله والحمد لله ولا إلـه إلا الله والله أكبر، أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح، (وذلك للتلذذ) دون التعبد لزوال التكليف ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين الأنبياء والأمم أو بين أهل الجنّة والنار ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي يقول أهل الجنّة شكرًا حين دخولها، وتمّ وعد الله لهم كما قال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: الآية ١٠]، (وكان رسول الله ﷺ يقرأ) كل ليلة بني إسرائيل والزمر.

[الحواميم السبع كلها مكيّة عن ابن عباس ﵄].

قوله: (أي محدقين) أي محيطين من حففت بالشيء أي أحطت به، ولهذا قيل: لا واحد لحافين لأن الإحاطة بالشيء لا تتحقق من واحد. **قوله**: (وذلك للتلذذ) كما أن تسبيح أهل الجنة وحمده في الجنة كذلك. **قوله**: (وكان رسول الله ﷺ يقرأ...) الخ. رواه الترمذي وغيره فليس بموضوع وسر تخصيص القراءة بهما علمه مفوّض إليه ﷺ.

تمّ هنا ما يتعلق بسورة الزمر، بعون خالق القوى والقدر، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده

(سورة المؤمن)

(مكيّة) وهي خمس وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾

﴿حمٓ ۝١﴾ وما بعده (**بالإمالة**): حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد، (**وبين الفتح والكسر**: مدني، **وغيرهم بالتفخيم**)، وعن ابن عباس أنه اسم الله الأعظم ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي هذا تنزيل الكتاب ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ أي المنيع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سُورَة المؤمن مكيَة) وتُسمى سورة غافر وسورة الطول. **قوله**: (**بالإمالة**) أي بإمالة الحاء محضة. **قوله**: (وبين[1] **الفتح والكسر مدنيّ**) أي أماله نافع برواية ورش بين الفتح والكسر بأن لا يفتحها فتحًا خالصًا. **قوله**: (**وغيرُهم**[2] **بالتفخيم**) أي بالفتح الخالص.

---

(١) في النيسابوري وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب. اهـ. منه رحمه الله تعالى.

(٢) في الإتحاف واختلف عن أبي عمرو فقللها عنه صاحب التيسير والشاطبيّة وسائر المغاربة وفتحها عنه صاحب المبهج والمستنير وسائر العراقين والوجهان في الطيبة. وسكت أبو جعفر على الحاء والميم في كلها. اهـ. منه رحمه الله تعالى.

بسلطانه عن أن (يتقوّل) عليه متقول ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بمَن صدق به وكذب، فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ ساتر ذنب المؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ قابل توبة الراجعين ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ على المخالفين ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ذي الفضل على العارفين أو ذي الغنى عن الكل، وعن ابن عباس: غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا إلـٰه إلا الله، شديد العقاب لمَن لا يقول لا إلـٰه إلا الله. والتوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع، والطول الغنى والفضل، (**فإن قلت: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفًا وتنكيرًا والموصوف معرفة؟ قلت:**) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون إضافتهما غير حقيقية. وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه، وأما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة، فقيل هو بدل. وقيل: لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف.

قوله: (يتقوّل) في لسان العرب تَقَوَّل قولًا ابتدعه كذبًا وتقول فلان علي باطلًا أي قال علي ما لم أكن قلت وكذب علي ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٤٤]. اهـ.

قوله: (**فإن قلت: كيف اختلف هذه الصفات تعريفًا وتنكيرًا والموصوف معرفة؟**) يعني أن الموصوف معرفة وما ذكره بعده سوى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ و﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غَافر: الآية ٣] نكرات من حيث إن الإضافة فيها لفظية تكون المضاف صفة أضيفت إلى معمولها من حيث إن غافر وقابل اسما فاعل أضيفا إلى معمولهما و﴿شديد﴾ صفة مشبّهة أضيفت إلى فاعلها وقد تقرّر أن ما أضيف إضافة لفظية لا يتعرّف بالإضافة بل يبقى نكرة على حاله فلا يوصف به المعرفة. **قوله**: (**قلت**...) الخ يعني أن اسمي الفاعل في الآية ليسا مضافين إلى معمولهما بناء على أن اسم الفاعل لكونه بمعنى الحدوث إنما يعمل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال وليس معنى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ أنه تعالى يغفر الذنوب ويقبل التوب الآن أو غدًا لأن صفاته تعالى منزّهة عن التجدد والتقيد بزمان دون زمان بل

وإدخال الواو في ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ لنكتة وهي إفادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين: بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات، وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال: جامع المغفرة والقبول، ورُوِيَ أن عمر ﷺ (افتقد) رجلًا ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: تتابع في هذا الشراب، فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان: سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو. بسم الله الرحمـٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾. وختم الكتاب قال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده (صاحيًا)، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة. فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه، فلم يبرح يرددها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته. فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلّ زلّة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشياطين عليه. ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ صفة أيضًا لـ ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ ويجوز أن يكون مستأنفًا ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ المرجع.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والإنكار لها، وقد دلّ على ذلك في قوله: (﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾) [غافر: الآية ٥] فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فأعظم جهاد في سبيل الله ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ بالتجارات

المراد ثبوتهما ودوامهما له تعالى، ولما فقد شرط عمل اسم الفاعل ولم يكن مضافًا إلى معموله كانت إضافة معنوية للتعريف فصحّ وقوعه صفة للمعرفة.

قوله: (افتقد) في المصباح فقدته فقدًا من باب ضرب فقدانًا عدمته فهو مفقود فقيد وافتقدته مثله. اهـ. **قوله**: (صاحيًا) في المصباح صحا من سكره يصحو صحوًا أو صحوًّا على فعل وفعول زال سكره. اهـ.

قوله: (﴿وَجَٰدَلُواْ﴾) أي خاصموا (﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾) بالكفر (﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾) أي ليبطلوا (﴿بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾) الذي جاءت به الرسل.

النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فإن عاقبة أمرهم إلى العذاب، ثم بين كيف ذلك فأعلم أن الأمم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحًا ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ أي الذين تحزبوا على الرسل و(ناصبوهم) وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليتمكنوا منه فيقتلوه. والأخيذ: الأسير ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالكفر ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ليبطلوا به الإيمان ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ (مظهر: مكي وحفص) يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرسل أن أخذتهم فعاقبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (وبالياء: يعقوب). أي فإنكم (تمرّون على بلادهم) فتعاينون (أثر ذلك، وهذا تقرير فيه معنى التعجيب).

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ (﴿كلمات ربك﴾ مدني وشامي) ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿كلمة ربك﴾ أي مثل ذلك

قوله: (ناصبوهم) أي عادوهم وحاربوهم. **قوله**: (مظهر: مكيّ وحفص) أي قرأ ابن كثير المكيّ وحفص بإظهار الذال والباقون بالإدغام. **قوله**: (وبالياء: يعقوب) عبارة الإتحاف وأثبت الياء في ﴿عِقَابِ﴾ في الحالين يعقوب. اهـ. **قوله**: (تمرّون على بلادهم) مصبحين وبالليل. **قوله**: (أثر ذلك) العقاب. **قوله**: (وهذا تقرير فيه معنى التعجيب) أي الاستفهام للتقرير أي لحمل هؤلاء الكفار على الإقرار بذلك العذاب وقد يجيء الاستفهام للتقرير بهذا المعنى وهو المناسب هنا قوله: فيه معنى التعجيب أي تعجيب السامعين من عدم اتعاظ هؤلاء المشركين وأضرابهم على ما يؤدي إلى هلاكهم فما أصبرهم على العقاب.

قوله: (﴿كلمات ربك﴾) على الجمع (مدنيّ) أي قرأه نافع وأبو جعفر وليس من السبعة (وشامي) أي وقرأه ابن عامر الشاميّ.

الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار، ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار في الآخرة. أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قريش، ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء؛ لأن علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار، ويلزم الوقف على النار، لأنه لو وصل لصار.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ⑦﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ يعني حاملي العرش والحافين حوله وهم **(الكروبيون سادة الملائكة)** صفة لأصحاب النار وفساده ظاهر. رُوِيَ أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وفي الحديث: «إن الله تعالىٰ أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلًا لهم على سائر الملائكة» وقيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهلّلون ويكبّرون، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو «يسبح بما لا يسبح به الآخر». ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبر المبتدأ وهو ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي مع حمده إذ الباء تدلّ على أن تسبيحهم بالحمدلة ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ وفائدته مع علمنا بأن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع بالصلاح لذلك، وكما عقب أعمال الخير بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: الآية ١٧]. فأبان بذلك فضل الإيمان، وقد رُوعي التناسب

قوله: **(الكروبيون)** جمع كروبي بفتح الكاف وضم الراء المهملة المخففة وتشديدها خطأ ثم واو بعدها باء موحدة ثم ياء مشددة من كرب بمعنى قرب.
قوله: **(سادة الملائكة)** ورئيسهم جبريل على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام لأنه صاحب الوحي وإسرافيل وميكائيل وغيرهم. اهـ قنوي.

في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كأنه قيل: ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم، وفيه دليل على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة والشفقة، وإن تباعدت الأجناس والأماكن ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون ربنا وهذا المحذوف حال ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى، إذ الأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك، ولكن أُزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ أي طريق الهدى الذي دعوت إليه ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ «من» في موضع نصب عطف على «هم» في ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ أو في ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾، والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم ﴿وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي الملك الذي لا يغلب، وأنت مع ملكك وعزّتك لا تفعل شيئًا خاليًا من الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي جزاء السيئات وهو عذاب النار ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ أي رفع العذاب ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ أي يوم القيامة إذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم، (فاستغنى بذكرها مرة)، والمقت أشد البغض، وانتصاب

قوله: (فاستغنى بذكرها مرة) يعني أنه من باب التنازع في المفعول وإعمال الثاني والحذف من الأول.

﴿(إِذْ تُدْعَوْنَ) إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ بالمقت الأول عند الزمخشري، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم، وأنتم في النار إذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن، وقيل: معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: الآية ٢٥]، و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ تعليل، وقال (في جامع العلوم) وغيره: «إذ» منصوب بفعل مضمر دلّ عليه ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ أي يمقتهم الله حين دعوا إلى الإيمان فكفروا، ولا ينتصب بالمقت الأول لأن قوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وهو مصدر وخبره ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، فلا يعمل في ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾؛ لأن المصدر إذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلّق به شيء يكون في صلته لأن الإخبار عنه يؤذن بتمامه، وما يتعلق به (يؤذن بنقصانه)، ولا بالثاني لاختلاف الزمانين، وهذا لأنهم مقتوا أنفسهم في النار وقد دعوا إلى الإيمان في الدنيا ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾ فتصرّون على الكفر.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي إماتتين وإحياءتين (أو موتتين وحياتين)، وأراد بإماتتين خلقهم أمواتًا أولًا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وصحّ أن يُسمى خلقهم أمواتًا إماتة، كما يصحّ أن يُقال: سبحان مَن صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل، وليس ثمة نقل من كبر إلى صغر، ولا من صغر إلى كبر، والسبب فيه أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، (فجعل صرفه عنه كنقله منه). وبالإحياءتين: الإحياءة الأولى في الدنيا، والإحياءة الثانية البعث، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨]. وقيل:

قوله: (﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾) تعليل لذلك لا ظرف. **قوله**: (في جامع العلوم) اسم كتاب. **قوله**: (يؤذن بنقصانه) أي بعدم تمامه بدونه.

قوله: (أو موتتين وحياتين) فيكون من قبيل أنبت نباتًا وعلى الأول من قبيل أنبت إنباتًا. **قوله**: (فجعل صرفه عنه كنقله منه) وكذا اختيار إيجاده ميتًا بدل

الموتة الأولى في الدنيا، والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال، والإحياء الأول إحياؤه في القبر بعد موته للسؤال، والثاني للبعث ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ لما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء، اعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ من النار. أي إلى نوع من الخروج سريع (أو بطيء) لنتخلص ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾ قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه، وهذا كلام من غلب عليه اليأس وإنما يقولون ذلك تحيّرًا، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله:

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب (السرمد) ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾ شأنه، فلا يرد قضاؤه ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ العظيم سلطانه، فلا يحد جزاؤه، وقيل: (كأن الحرورية) أخذوا قولهم: لا حكم إلا لله من هذا. وقال قتادة: لما خرج أهل حروراء قال علي رضي الله عنه: مَن هؤلاء؟ قيل: المحكمون. أي يقولون: لا حكم إلا لله، فقال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل.

إيجاده حيًّا بمنزلة تصيير الحيّ ميتًا. **قوله**: (أو بطيء) في المصباح بطؤ مجيئه بطأ من باب قرب وبطاءة بالفتح والمد فهو بطيء على فعيل. اهـ.

قوله: (السرمد) الدائم. **قوله**: (كأن الحرورية) هم الخوارج نسبة إلى حروراء اسم قرية بحذف الزوائد خرجوا على أمير المؤمنين علي عليه السلام لما رضي بتحكيم الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص في أمر عليّ عليه السلام ومعاوية بعدما خطب وطال الحرب بصفين، وقالوا: لا حكم إلّا إلى الله ورسوله وهذا لا ينافي تمسكهم بهذه الآية لأن حكم رسول الله ﷺ حكم الله وأما على ما ذكره المصنّف رحمه الله من أنه قوله هو أنه لا حكم إلّا لله فظاهر. والجواب أن التحكيم أيضًا من حكم الله تعالى كما في جزاء صيد المحرم يحكم به

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **(وبالتخفيف: مكي وبصري)** ﴿رِزْقًا﴾ مطرًا؛ لأنه سبب الرزق ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلا مَن يتوب من الشرك ويرجع إلى الله، فإن المعاند لا يتذكر ولا يتعظ، **(ثم قال للمنيبين)**: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وإن غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله: ﴿ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾. أو أخبار مبتدأ محذوف، ومعنى رفيع الدرجات رافع السمٰوات بعضهافوق بعض، أو رافع درجات عباده في الدنيا بالمنزلة، أو رافع منازلهم في الجنّة. وذو العرش مالك عرشه الذي فوق السمٰوات خلقه مطافًا للملائكة إظهارًا لعظمته مع استغنائه في مملكته، والروح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو الوحي الذي تحيا به القلوب ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ من أجل أمره أو بأمره ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ أي الله أو الملقى عليه وهو النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ويدل عليه قراءة يعقوب ﴿لتنذر﴾

ذوا عدل وفي منازعة الزوجين بعث حكم من أهله وحكم من أهلها كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشّاف.

قوله: (وبالتخفيف: مكيّ وبصريّ) أي قرأ ابن كثير المكيّ وأبو عمرو البصري وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله**: (ثم قال للمنيبين) ثم ربما يشعر بأنه التفات في الفاء دلالة على أن ثمر الإنابة والتذكر الإخلاص.

﴿يَوْمَ (ٱلتَّلَاقِ)﴾ يوم القيامة لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون. «التلاقي»: (**مكي ويعقوب**) ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو (**أكمة**) أو بناء ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ أي من أعمالهم وأحوالهم ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ أي يقول الله تعالىٰ ذلك حين لا أحد يجيبه، ثم يجيب نفسه بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أي الذي قهر الخلق بالموت، وينتصب ﴿ٱلْيَوْمَۖ﴾ بمدلول ﴿لِّمَنِ﴾ أي لمن ثبت الملك في هذا اليوم، وقيل: ينادي منادٍ فيقول: لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر: لله الواحد القهار.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ (**لما قرر أن المُلْك لله**) وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي أن كل نفس تجزى بما كسبت عملت في الدنيا من خير وشر، وأن الظلم مأمون منه (**لأنه ليس بظلام للعبيد**)، وأن الحساب لا يبطيء لأنه لا يشغله حساب عن حساب، فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ أي

قوله: (﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ **مكي ويعقوب**) أي أثبت الياء في الحالين ابن كثير المكيّ ويعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**أكمة**) في المصباح الأكمة تلّ وقيل: شرفة كالرابية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ وربما لم يغلظ والجمع أكم وأكمات مثل قصبة وقصب وقصبات وجمع الأكم الآكام مثل جبل وجبال وجمع الآكام أكم بضمتين مثل كتاب وكتب وجمع الأكم آكام مثل عنق وأعناق.اهـ. وقوله: تل في المصباح التل معروف والجمع تلال مثل سهم وسهام.اهـ. وفي لسان العرب التل من التراب معروف واحد التلال ولم يفسر ابن دُرَيد التل من التراب والتل من الرمل كومَة منه.

قوله: (**لما قرر أن المُلْك لله**) شروع في تفسير قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ﴾ الآية. **قوله**: (**لأنه ليس بظلام**) أي بذي ظلم (**للعبيد**) فيعذبهم بغير ذنب.

القيامة سميت بها (لأزوفها) أي لقربها، ويبدل من يوم الآزفة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ أي التراقي يعني ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها (فيتنفسوا) ويتروّحوا ﴿كَٰظِمِينَ﴾ ممسكين بحناجرهم. (من قولهم: كظم القربة) شدّ رأسها، وهو حال من القلوب محمول على أصحابها، أو إنما جمع الكاظم جمع السلامة لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ محب مشفق ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (أي يشفع) وهو مجاز عن الطاعة، لأن الطاعة حقيقة لا تكون (إلا لمن فوقك)، والمراد نفي الشفاعة والطاعة كما في قوله:

(ولا ترى الضب بها ينجحر)

يريد نفي الضب (وانجحاره)، وإن احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة، فعن الحسن: والله ما يكون لهم شفيع البتة.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر إلى ما لا يحل ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ وما تسره من أمانة وخيانة، وقيل: هو أن ينظر إلى أجنبية بشهوة مسارقة، ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم

قوله: (لأزوفها) أي لقربها بالإضافة لما مضى من مدة الدنيا أو لما بقي فإن كل آتٍ قريب وعلى هذا فهو اسم ليوم القيامة منقول من اسم الفاعل. **قوله**: (فيتنفسوا) في المصباح تنفس أدخل النفس إلى باطنه وأخرجه. اهـ. **قوله**: (من قولهم: كظم القربة) إذا ملأها ماء وشدّ رأسها. **قوله**: (أي يشفع) أي تقبل شفاعة. **قوله**: (إلّا لمن فوقك) تحقيقًا أو تقديرًا. **قوله**:

(ولا ترى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ)

الضب دُويبة لا تشرب الماء. **وقوله**: (بها) أي في هذه المفازة **وقوله**: (ينجحر) الانجحار بتقديم الجيم على الحاء المهملة الدخول في الجُحر بالضم وهو ما حفرته الهوام والسباع لأنفسها وجحر الضب كمنع دخله. **قوله**: (وانجحاره) بتقديم الجيم على الحاء المهملة.

بنظرته وفكرته من بحضرته، والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الأعين خبر من أخبارهِ وَفي قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾. مثل ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ولكن يلقي الروح قد علّل بقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (فبعد لذلك عن أخواته).

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ أي والذي هذه صفاته لا يحكم إلا بالعدل ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ وآلهتهم لا يقضون بشيء، وهذا (تهكم بهم) لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي. (﴿تدعون﴾ نافع) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ تقرير لقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾، ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وأنه يعاقبهم عليه، وتعريض بما يدعون من دونه وأنها لا تسمع ولا تبصر.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

قوله: (فبعد لذلك) أي للتعليل والاستطراد المذكور (عن أخواته) أعني قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾.

قوله: (تهكم بهم) استهزاء لعابديهم إذ أصل الكلام لا يقدرون على شيء ويدخل فيه عدم قدرتهم على القضاء دخولًا أوليًا. **قوله**: (﴿تدعون﴾ نافع) أي قرأه نافع وكذا هشام[1] بتاء الخطاب للمشركين والباقون بياء الغيبة إخبارًا عنهم بذلك وقوله: نافع هو رواية عنه.

---

(١) لعبد الله بن عامر الشامي روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمّار. منه رحمه الله تعالى.

(﴿هُمْ﴾ **فصل**)، وحقه أن يقع بين معرفتين (**إلا أن أشد منهم ضارع المعرفة**) في أنه لا تدخله الألف واللام، فأجرى مجراه. (﴿**منكم**﴾: **شامي**). ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي حصونًا وقصورًا ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ عاقبهم بسبب ذنوبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ولم يكن لهم شيء يقيهم من عذاب الله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي الأخذ بسبب أنهم ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ﴾ قادر على كل شيء ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذا عاقب. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحجة ظاهرة ﴿(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ) فَقَالُوا۟﴾ هو ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ فسمّوا السلطان المبين سحرًا وكذبًا.

قوله: (﴿هُمْ﴾ **فصل**) يعني أن ﴿هُمْ﴾ ضمير فصل قد توسّط بين اسم كان وهو معرفة وخبرها الذي هو قوله: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وهو نكرة وحقّ الفصل أن يقع بين معرفتين كما في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٩] وجوابه ظاهر وهو أن أفعل من لما شابه المعرفة في عدم دخول الألف واللام عليه حيث لا يقال: الأشد منهم كان في حكم المعرفة. **قوله**: (**إلا أن أشد منهم ضارع المعرفة**) يعني المضارعة القوية بحيث صار معنى أفضل من كذا الأفضل باعتبار أفضلية معهودة، ولا كذلك المضاف إلى النكرة مثل غلام رجل وإنما لم يجز دخول اللام عليه لأن ذلك من جهة مجرد رعاية أمر لفظي وهو أن الإضافة قد يكون للتعريف فكرهوا الجمع بينهما وبين لام التعريف. كذا قيل: ويشكل بتجويزهم الفصل فيما إذا كان الخبر فعلًا مضارعًا مثل زيد هو يقوم والأصل أن يجعل مثله مبتدأ لا فصلًا، كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشّاف. **قوله**: (﴿**منكم**﴾: **شاميّ**) أي قرأ ابن عامر الشاميّ «أشد منكم» بالكاف والباقون بهاء الغيبة.

قوله تعالى: (﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾) خصّ هؤلاء الثلاثة بالذكر مع أنه عليه الصلاة والسلام مرسل إلى القوم كلهم لأن هؤلاء الثلاثة كانوا مدبري

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ٢٥﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالنبوّة ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولًا ﴿وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ للخدمة ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ ضياع يعني أنهم باشروا قتلهم أولًا فما أغنى عنهم!، ونفذ قضاء الله بإظهار مَن خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني، وكان فرعون قد كفّ عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه السلام وأحسن بأنه قد وقع أعاده غيظًا وظنًّا منه أنه يصدّهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام، وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعًا.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ لملئه ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ كان إذا همّ بقتله كفوه بقولهم: ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك، وما هو إلا ساحر، وإذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة، والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبيّ وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر، ولكن كان فيه (**خب**) وكان قتالًا سفاكًا للدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحس بأنه هو الذي يهدم ملكه؟، ولكن كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك، وقوله: ﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه، وكان قوله: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ تمويهاً على قومه وإيهامًا أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ أن يغير ما أنتم عليه. وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ﴾ موسى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ بضم

أمورهم فكان خطابهم ودعوتهم بمنزلة خطاب القوم كلهم فإن فرعون ملكهم وهامان وزيره وقارون بمنزلة الملك من حيث كثرة أمواله وكنوزه.

قوله: (خب) في المصباح الخبّ بالكسر الخداع. اهـ.

الياء ونصب الدال. (مدني وبصري) وحفص، وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال، والأول أولى لموافقة ﴿يُبَدِّلَ﴾. والفساد في الأرض التقاتل والتهايج الذي يذهب معه الأمن، وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلًا وضياعًا كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه، وقرأ غير أهل الكوفة ﴿وَأَنْ﴾، ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معًا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه: ﴿إِنِّي (عُذْتُ) بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ وفي قوله: ﴿وَرَبِّكُم﴾ بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكّل عليه اعتصامه، وقال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ، وأراد بالتكبر الاستكبار، وأدلّ على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه، وقال: ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: لأنه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلّة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها، وعذت ولذت أخوان. «وعت» بالإدغام: أبو عمرو وحمزة وعلي.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ قيل: كان قبطيًا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرًا، و﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾، وقيل: كان

قوله: (مدنيّ) أي قرأه نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة. **قوله**: (وبصريّ) أي قرأه أبو عمرو وسهل ويعقوب وليسا من السبعة.

قوله: (﴿عُذتُ﴾) بالإدغام أي بإدغام الذال المعجمة في التاء بجعلها دالًا كما في ادّكر أبو عمرو وحمزة وعلي والباقون بالإظهار فقط.

إسرائيليًا ومن آل فرعون صلة ليكتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون واسمه (شمعان) أو حبيب (أو خربيل) أو حزبيل، (والظاهر الأول) ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ (لأن يقول) وهذا إنكار منه عظيم كأنه قيل: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علّة في ارتكابها إلا كلمة الحق؟ وهي قوله: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وهو ربكم أيضًا لا ربه وحده.

﴿وَقَدْ جَآءَكُم﴾ الجملة حال ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند مَن نسب إليه الربوبية وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ احتجّ عليهم بطريق التقسيم فإنه لا يخلو من أن يكون كاذبًا أو صادقًا، فإن يك كاذبًا فعليه وبال كذبه (ولا يتخطاه)، وإن يك صادقًا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب، ولم يقل «كل الذي يعدكم» مع أنه وعد من نبيّ صادق القول مداراة لهم وسلوكًا لطريق الإنصاف فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم له وليس فيه نفي إصابة الكل، فكأنه قال لهم: أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفي ذلك هلاككم، وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضًا، وتفسير البعض بالكل مزيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مجاوز للحد ﴿كَذَّابٌ﴾ في ادعائه، وهذا أيضًا من باب المجاملة، والمعنى أنه إن كان مسرفًا كذابًا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه، أو لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه الله بالنبوّة ولما (عضده) بالبينات، وقيل: أوْهَمَ أنه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون.

قوله: (شمعان) بفتح الشين المعجمة بوزن سلمان. **قوله**: (أو خِرْبيل) بالخاء المعجمة والراء المهملة.

قوله: (والظاهر الأول) وهو الأصح كما في مبهمات القرآن. **قوله**: (لأن يقول) فقبله حرف جرّ مقدّر وهو يطرد حذفه مع أنّ وأن. **قوله**: (ولا يتخطاه) الحصر مستفاد من تقديم الخبر على المبتدأ. **قوله**: (عضده) أعانه.

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾

﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ﴾ عالين (**وهو حال من «كم»**) في ﴿لَكُمُ﴾ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ يعني أن لكم ملك مصر، وقد علوتم الناس وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم، ولا تتعرضوا لبأس الله أي عذابه، فإنه لا طاقة لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد، وقال: ﴿يَنصُرُنَا﴾ و﴿جَآءَنَاۚ﴾ لأنه منهم في القرابة، وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو (**مساهم**) لهم فيه ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ (**أي ما أشير عليكم**) برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله، وهذا الذي تقولونه غير صواب ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ﴾ بهذا الرأي ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ طريق الصواب والصلاح، (**أو ما أعلمكم إلا ما أعلم**) من الصواب ولا أدخر منه شيئًا ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر. يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول، (**وقد كذب**) فقد كان مستشعرًا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام، ولكنه كان (**يتجلد**)، ولولا استشعاره لم يستشر أحدًا ولم يقف الأمر على الإشارة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠﴾ أي مثل أيامهم: لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوله: ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ

قوله: (**وهو حال من «كم»**) في لكم أي حال من الضمير في لكم والعامل فيها وفي قوله اليوم ما تعلّق به لكم. **قوله**: (**مساهم**) أي صاحب سهم ونصيب فيما نصحهم به قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ﴾ [الأنفال: الآية ٢٥] الآية فلا إشكال أصلًا. **قوله**: (**أي ما أشير عليكم**) يعني أن ﴿أُرِيكُمۡ﴾ وأرى من الرأي دون الرؤية يقال: استشاره فأشار عليه بالصواب أي حكم. **قوله**: (**أو ما أعلمكم**) أي الهداية الدلالة إلى ما يوصل وهي الإعلام بطريق الصواب. **قوله**: (**إلا ما أعلم**) فيه إشارة إلى أن الرؤية علمية. **قوله**: (**وقد كذب**) أي فرعون. **قوله**: (**يتجلد**) في لسان العرب التجلّد تكلّف الجلادة وتجلّد أظهر الجَلَد. اهـ. وأيضًا فيه الجَلَد الصلابة والجلادة. اهـ.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ولم يتلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع، ودأب هؤلاء ﴿دؤوبهم﴾ في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبًا دائمًا منهم لا يفترون عنه، ولا بد من حذف مضاف، أي مثل جزاء دأبهم، وانتصاب ﴿مِثۡلَ﴾ الثاني بأنه عطف بيان لـ ﴿مِثۡلَ﴾ الأول ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ أي وما يريد الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب. يعني أن تدميرهم كان عدلًا لأنهم استحقوه بأعمالهم، وهو أبلغ من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية ٤٦] حيث جعل المنفي إرادة ظلم منكر ومن بعد عن إرادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد، وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد، لأن أهل اللغة قالوا: إذا قال الرجل لآخر: «لا أريد ظلمًا لك» معناه لا أريد أن أظلمك، وهذا تخويف بعذاب الدنيا.

ثم خوّفهم من عذاب الآخرة بقوله:

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ (٣٢) يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ (٣٣)﴾

﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ﴾ أي يوم القيامة. «التنادي» **(مكي ويعقوب)** في الحالين وإثبات الياء هو الأصل وحذفها حسن لأن الكسرة تدلّ على الياء وآخر هذه الآي على الدال، وهو ما حكى الله تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الآية ٥٠]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الآية ٤٨]. وقيل: ينادي منادٍ: ألا إن فلانًا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ألا إن فلانًا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ منحرفين عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ مانع ودافع ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ مرشد.

قوله: (دؤوبهم) جمع دأب إشارة إلى الدأب في معنى الجمع بقرينة الإضافة إلى الجمع كيوم الأحزاب لظهور أن ما جاهلك فيه الأحزاب أيام لا يوم واحد.

قوله: (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ. **قوله**: (ويعقوب) بن إسحٰق وليس من السبعة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ هو يوسف بن يعقوب، وقيل: يوسف بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيًا عشرين سنة، وقيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف إلى زمنه. وقيل: هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حكمًا من عند أنفسكم من غير برهان. أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (أي مثل هذا الإضلال) يضلّ الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه.

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ **(بدل من** ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ **وجاز إبداله منه وهو جمع)** لأنه لا يريد مسرفًا واحدًا بل كل مسرف ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في دفعها وإبطالها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي عظم بغضًا، وفاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضمير

قوله: (أي مثل هذا الإضلال) إشارة إلى أن الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف لقوله: ﴿يُضِلُّ﴾ أي يضلّ الله كل مشرك شاك في الدين بعد وضوح الحجج والبراهين إضلالًا مثل إضلال الله إياكم حين لم تؤمنوا برسالة يوسف وقد جاءكم بالبينات.

قوله: (بدل من هو مسرف وجاز إبداله منه وهو جمع...) الخ يعني أن الموصول الأول وإن كان مفرد اللفظ إلّا أنه مجموع المعنى فصحّ أن يبدل منه اللفظ الموضوع للجمع بدل الكل من الكل أبدل منه تفسيرًا وبيانًا لوجه كونهم مسرفين شاكين إذ لا شك أن الجدال بغير حجة، إما بناء على التقليد المجرد أو بناء على الشبهات الحسيّة إسراف باطل وشك في غير موضعه.

﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ وهو جمع معنى وموحد لفظًا فحمل البدل على معناه (**والضمير الراجع إليه على لفظه**)، ويجوز أن يرفع ﴿الَّذِينَ﴾ على الابتداء، (**ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في** ﴿كَبُرَ﴾) تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ﴿عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾. (﴿قلبٍ﴾ **بالتنوين: أبو عمرو. وإنما وصف القلب بالتكبر**

قوله: (**والضمير الراجع إليه على لفظه**) جواب عما يقال على تقدير أن يكون كبر مسندًا إلى ضمير مَن ينبغي أن يقال: كبروا لما مرّ أنه بمعنى الجمع كأنه قيل: يضلّ الله المسرفين المرتابين. وتقرير الجواب أن من مفرد اللفظ ومجموع المعنى فأبدل ﴿الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ منه نظرًا إلى جانب المعنى، وأفرد الضمير العائد إليه في ﴿كَبُرَ﴾ نظرًا إلى جانب اللفظ. قيل عليه إنه اعتبار اللفظ بعد اعتبار جانب المعنى وأهل العربية يجتنبون عنه. وأجيب بأن هذا شيء نقله ابن الحاجب ولم يساعد غيره فهو غير مسلم ولو سلمناه فلا نسلم أن اعتبار اللفظ هنا متأخر عن اعتبار المعنى بل الأمر بالعكس فإنه روعي فيه لفظ من أوّلًا حيث قيل: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ ثم معناه ثانيًا حيث أبدل منه ﴿الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ الآية ثم عاد الأمر إلى رعاية جانب اللفظ أيضًا حيث أفرد الضمير الراجع إليه وليس هذا من قبيل ما يجتنب عنه أهل العربية. **قوله**: (**ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في** ﴿كَبُرَ﴾) ولو لم يعتبر الحذف لكان ضمير كبُر مع إفراده راجعًا إلى ﴿الَّذِينَ﴾ وهو غير صحيح لعدم المطابقة بينهما. ولقائل أن يقول: لا نسلم أنه لا بدّ من ارتكاب حذف المضاف في هذا الوجه لجواز أن يرجع ضمير ﴿كَبُرَ﴾ حينئذٍ إلى الجدال المدلول عليه بقوله: ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: الآية ٨] ويكون التقدير ﴿كَبُرَ﴾ [غافر: الآية ٣٥] جدالهم ﴿مَقْتًا﴾ أي كبر مقت جدالهم على أن مقتًا تمييز منقول من الفاعلية. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي تفسير البغويّ رحمه الله ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي كبر ذلك الجدال مقتًا. اهـ. **قوله**: (﴿قلبٍ﴾ **بالتنوين أبو عمرو**) عبارة تفسير البغويّ رحمه الله، قرأ أبو عمرو وابن عامر قلبٍ بالتنوين وقرأ الآخرون بالإضافة دليله قرأه عبد الله بن مسعود على ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: الآية ٣٥]. اهـ. **قوله**: (**وإنما وصف القلب بالتكبر**

والتجبّر) لأنهما منبعهما كما تقول: سمعت الأذن وهو كقوله: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣]، (**وإن كان الآثم هو الجملة**).

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾ (**تمويهًا**) على قومه أو جهلًا منه ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ أي قصرًا. وقيل الصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، ومنه يقال: صرح الشيء إذا ظهر ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ (**وبفتح الياء: حجازي وشامي وأبو عمرو**) ﴿أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ ثم أبدل منها تفخيمًا لشأنها وإبانة أنه يقصد أمرًا عظيمًا.

والتجبّر) مع أنهما من صفات صاحب القلب والقلب آلة له فيهما إلا أنه شاع إسناد الوصف القائم بالإنسان إلى مبدأه وآلته كقولهم: رأت عيني وسمعت أذني وإسناد التكبّر والتجبّر إلى القلب من هذا القبيل. وفي الخطيب (﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ﴾) أي متكلّف ما ليس له وليس لأحد غير الله (﴿جَبَّارٖ﴾) أي ظاهر الكبر قويه قهار. وقال مقاتل: الفرق بين المتكبّر والجبار أن المتكبّر عن قبول التوحيد والجبار في غير الحق. قال الرازي: كما أن السعادة في أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل: المتكبّر كالمضاد للتعظيم لأمر الله والجبار كالمضاد للشفقة على خلق الله. اهـ. **قوله**: (**وإن كان الآثم هو الجملة**) من الروح والبدن.

قوله: (**تمويهًا**) في لسان العرب موّه الشيء طلاه بذهب أو بفضة وما تحت ذلك شَبَهٌ أو نُحاسٌ أو حديد ومنه التمويه وهو التلبيس ومنه قيل: للمُخَادع مُمَوِّه وقد موّه فلان باطله إذا زَيّنهُ وأراه في صورة الحق. اهـ. **قوله**: صرّح الشيء فإنه بالتشديد كما يستعمل متعديًا بمعنى أظهره يستعمل أيضًا لازمًا بمعنى ظهر. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**وبفتح الياء: حجازي**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي أي قرأه نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (**وشامي**) يعني ابن عامر الشاميّ (**وأبو عمرو**) البصري وفي الخطيب قرأ الكوفيون بسكون الياء والباقون بالفتح. اهـ.

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ٣٧﴾

﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه (**كالرشاء**) ونحوه ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالنصب: حفص على جواب الترجي (**تشبيهًا للترجي**) بالتمني. وغيره بالرفع عطفًا على ﴿أَبْلُغُ﴾ ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ والمعنى فأنظر إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ في قوله له إله غيري ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (**ومثل ذلك التنزيين**) وذلك الصد ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المستقيم. (**وبفتح الصاد: غير كوفي ويعقوب**) أي غيره (وصَدّ) أو هو بنفسه صدودًا. والمزين الشيطان بوسوسته كقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ (عَنِ ٱلسَّبِيلِ)﴾ [النمل: الآية ٢٤]. أو الله تعالى، ومثله: (﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ

قوله: (**كالرشاء**) أي الحبل والجمع أرشية كذا في الصحاح مثل كساء وأكسية كذا في المصباح. **قوله**: (**تشبيهًا للترجي**) من جهة إنشاء التوقع وإن اختصّ التمني بالطلب والترجّي باشتراط إمكان الحصول. **قوله**: (**ومثل ذلك التزيين**) إشارة إلى أن الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أي زيّن له وصدّه تزيينًا وصدًّا مثل ذلك التزيين والصدّ والمعتزلة لما أبوا من إسناد التزيين والصدّ إليه قالوا: المزيّن والصادّ هو الشيطان ونحن نقول إن كان المزيّن لفرعون هو الشيطان فالمزيّن للشيطان إن كان شيطانًا آخر لا إلى نهاية لزم التسلسل في الشياطين أو الدور وهو الباطل ولما بطل ذلك وجب انتهاء الأسباب والمسببات إلى واجب الوجود وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وأن إسناده إلى الشيطان في نحو قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: الآية ٢٤] باعتبار أن له مدخلًا فيها بوسوسة. **قوله**: (**وبفتح الصاد: غير كوفي ويعقوب**) في الإتحاف قرأ ﴿وَصُدَّ﴾ بضم الصاد عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف والباقون بالفتح. اهـ. وأيضًا فيه في سورة النساء أما ﴿مَّن صَدَّ﴾ [الآية ٥٥] أعرض وتولّى فيكون لازمًا أو صدّ غيره أو نفسه فيكون متعديًا. اهـ. وفي الخطيب وقرأ غير الكوفيين (وصَدّ) بفتح الصاد أي نفسه ومنع غيره. وقرأ الكوفيّون بضمها أي منعه الله تعالى. اهـ. **قوله**: (﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾) طريق الحق. **قوله**: (﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾)

فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾) [النمل: الآية ٤] ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسران وهلاك.

﴿وَقَالَ الَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ الْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ﴾ (﴿اتبعوني﴾ في **الحالين**: مكي ويعقوب وسهل). ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ وهو نقيض الغي، وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي. أجمل أولًا، ثم فسّر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ (تمتع يسير،

القبيحة بتركيب الشهوات حتى رأوها حسنة (﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾) يتحيرون فيها لقبحها عندنا كذا في تفسير الجلالين، وفي الجمالين قوله: (بتركيب الشهوات) فيه أن تركيب الشهوات عام، فالوجه أن يقال: يجعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس. قوله: (يتحيرون فيها) أي في الآخرة والأظهر في الدنيا لاتباعهم الظن أو يعمهون عنها لا يدركون قباحتها أو ما يتبعها من خير أو نفع والعمه صفة القلب.اهـ بحروفه. وفي الجمل قوله: (بتركيب الشهوة) أي بسبب تركيبها فيهم. وفي البيضاوي (﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾) القبيحة بأن جعلناها مشتهاة بالطبع محبوبة للنفس.

قوله: (يتحيّرون فيها) أي في الاستمرار عليها وتركها لعدم إدراكهم قبحها في الواقع، ولذلك قال لقبحها عندنا أي لا عندهم لأنهم رأوها حسنة.اهـ شيخنا. لكن فيه أنهم إذا رأوها حسنة لا يتحيّرون بل يكفون ويستمرون عليها فهذا التفسير غير واضح والأولى تفسير غيره بأن يعمهون معناه يستمرون ويداومون وينهمكون فيها كما ذكره أبو السعود. وفي القرطبي وعن ابن عباس وأبي العالية يتمادون وعن قتادة يلعبون وعن الحسن يتحيّرون.اهـ.

قوله: (﴿اتبعوني﴾ **في الحالين**: مكيّ) أي ابن كثير المكيّ (**ويعقوب وسهل**) وليسا من السبعة. وعبارة الإتحاف أثبت الياء (**في** ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾) وصلا قالون والأصبهاني وأبو عمرو وأبو جعفر وفي الحالين ابن كثير ويعقوب.اهـ. **قوله**: (تمتع يسير) يعني أن المتاع اسم بمعنى المتعة وهي التمتع

فالإخلاد) إليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين أنها هي الوطن والمستقر بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ ثم ذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله:

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ (﴿يُدخلون﴾ مكي وبصري ويزيد وأبو بكر)، ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته الجنات، ودعوتهم إلى اتخاذ (الأنداد) الذي عاقبته النار بقوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ﴾ (وبفتح الياء: حجازي) وأبو عمرو ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي الجنة ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

والانتفاع لا بمعنى السلعة لأن وقوعه خبرًا عن الحياة الدنيا يمنع منه، وأن التنكير فيه للتقليل وفي الصحاح المتاع السلعة والمتاع أيضًا المتعة وهي ما تمتعت به. **قوله:** (**فالإخلاد**) في لسان العرب أخلد إلى الأمر وإلى فلان أي ركن إليه ومال إليه ورضي به. اهـ.

قوله: (﴿يُدخَلون﴾) بضم الياء وفتح الخاء (مكيّ) أي قرأه ابن كثير المكيّ (وبصريّ) أي وقرأه أبو عمرو البصري ويعقوب البصري وليس من السبعة (ويزيد) أي أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة (وأبو بكر) شعبة بن عياش. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء.

قوله: (**الأنداد**) الشركاء في العبادة. **قوله:** (**وبفتح الياء: حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازيّ أي قرأه نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ وأبو عمرو البصري. وفي الإتحاف فتح ياء (﴿مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ﴾) نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان من طريق الصوري وهشام وأبو جعفر. اهـ وقرأ الباقون بسكونها.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ **(هو بدل من ﴿تَدْعُونَنِي﴾ الأول يقال)**: دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال: وأشرك به ما ليس بإلٰه وما ليس بإلٰه كيف يصح أن يعلم إلٰهًا ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ وهو الله سبحانه وتعالىٰ، وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ **(عن سنة الغفلة)**، وفيه أنهم قومه وأنه من آل فرعون. وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني، **(لأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل)** وتفسير له بخلاف الثالث.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

(﴿لَا جَرَمَ﴾) عند البصريين لا رد لما دعاه إليه قومه، و«جرم» فعل بمعنى حق و«أن» مع ما في حيّزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ

قوله: **(هو بدل من ﴿تَدْعُونَنِي﴾ الأول)** يعني أن قوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ﴾ [غافر: الآية ٤٢] بدل من قوله: ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ وفيه تعليل لمضمون متبوعه بأن الكفر ما أدّى إلى الخلود في النار. **قوله**: **(يقال...)** الخ جواب عما يقال: ما بال فعل الدعاء حتى عدى أولًا بإلى، وثانيًا: باللام وأجاب بأن تعديته بكل واحد منهما لغة شائعة يقال: دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له. **قوله**: **(عن سنة الغفلة)** أي عن غفلة كالسنة وهي بكسر السين فتور يتقدم النوم فالإضافة فيه من قبيل إضافة المشبّه به إلى المشبّه كما في لجين الماء. **قوله**: **(لأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل...)** الخ فلم يجز عطفه عليه لأن البيان لا يعطف على المبين لكونه بمنزلة عطف الشيء على نفسه لكمال الاتصال بينهما فكذا لم يجز عطف النداء على البيان على ما دخل على المبين.

قوله: (﴿لَا جَرَمَ...﴾...) الخ وردت في القرآن في خمسة مواضع متلوّة بأن واسمها ولم يجيء بعدها فعل. وفي هذه اللفظة خلاف بين النحويين وتخلص

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ معناه أن تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته، وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو هو إلى ذلك ولا يدعي الربوبية، أو معناه ليس له **(استجابة دعوة)** في الدنيا ولا في الآخرة **(أو دعوة مستجابة)**، جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة، أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازي عليه بالجزاء في قوله: («**كما تدين تدان**») ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأن رجوعنا إليه ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وأن المشركين ﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ﴾ أي من النصيحة عند نزول العذاب ﴿وَأُفَوِّضُ﴾ وأسلم ﴿أَمْرِىٓ﴾ وبفتح الياء: **(مدني)** وأبو عمرو ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنهم توعدوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ بأعمالهم ومآلهم.

من ذلك وجوه أحدها أن لا نافية لما سبق و﴿جَرَمَ﴾ فعل بمعنى حق وثبت وأن مع ما حيزها فاعله. والثاني أن ﴿جَرَمَ﴾ فعل أيضًا لكن لا بمعنى حق وثبت بل بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دلّ عليه الكلام. والثالث أنهما مركبتان من لا النافية وجرم وبنينا على تركيبهما تركيبة خمسة عشر وصار معناهما معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية. والرابع أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبنيّ معها على الفتح وهي واسمها في محل رفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا النافية وصار معناها لا محالة. والخامس أن معناها لا حد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول: جرمت أي قطعت فيكون جرم اسم لا مبني معها على الفتح كما تقدم، وخبرها أن وما في حيّزها على حذف حرف الجر. **قوله**: **(استجابة دعوة)** بحذف المضاف أي ليس له استجابة دعاء. **قوله**: **(أو دعوة مستجابة)** بترك الصفة. **قوله**: **(كما تدين)** أي تفعل **(تدان)** أي تجازى يقال: دانه دينًا بالكسر أي جازاه وكافاه تسمية للفعل الذي يجازى عليه باسم الجزاء أعني الدين وذلك في قولهم: كما تدين وأما تدان أي تجازى وتكافأ فحقيقة.

قوله: (مدني) أي نافع وأبو جعفر وليس من السبعة.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ (شدائد مكرهم) وما همّوا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم، وقيل: إنه خرج من عندهم هاربًا إلى جبل فبعث قريبًا من ألف في طلبه فمنهم مَن أكلته (السّباع) ومَن رجع منهم صلبه فرعون ﴿وَحَاقَ﴾ ونـــــزل ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ بدل من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل: ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار، أو مبتدأ خبره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وعرضهم عليها إحراقهم بها. يقال: عرض الإمام (الأسارى) على السيف إذا قتلهم به.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ﴾ أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار، وفيما بين ذلك إما أن يعذبوا بجنس آخر أو (ينفس) عنهم، ويجوز أن يكون غدوًا وعشيًا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال لخزنة جهنم: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ من الإدخال. (مدني) وحمزة وعلي وحفص وخلف ويعقوب، (وغيرهم) ﴿ٱدْخُلُوٓاْ﴾ أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ أي عذاب جهنم، وهذه الآية دليل على عذاب القبر.

قوله: (شدائد مكرهم) فالسيئات بمعنى الشدائد لأنها تسوؤهم وما مصدرية. **قوله**: (السّباع) جمع سَبُع مثل رَجُل ورجال. اهـ.

قوله: (الأسارى) جمع الأسير في المصباح جمع الأسير أسرى وأسارى بالضم مثل سكرى وسكارى. اهـ.

قوله: (ينفس) أي يكشف. **قوله**: (مدنيّ) أي نافع وأبو جعفر. **قوله**: (وغيرهم) أدخلوا بوصل الهمزة وضم الخاء أمرًا من دخل الثلاثي والواو ضمير آل فرعون ونصب آل على النداء والابتداء بهمزة مضمومة.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ (واذكر وقت تخاصمهم) ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ يعني الرؤساء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تباعًا كخدم في جمع خادم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ التنوين عوض من المضاف إليه أي إنا كلنا فيها لا يغني أحد عن أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ قضى بينهم بأن أدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ للقُوَّام بتعذيب أهلها. وإنما لم يقل «لخزنتها» (لأن في ذكر جهنم تهويلًا) وتفظيعًا، ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار قعرًا من قولهم: «بئر (جهنّام)» بعيدة القعر (وفيها أعني الكفار) وأطغاهم، فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك (أجوب دعوة) لزيادة قربهم من الله تعالىٰ فلهذا

قوله: (واذكر وقت تخاصمهم) فعامله مقدر معطوف على ما تقدم عطف القصة على القصة.

قوله: (لأن في ذكر جهنم تهويلًا) لكونه اسمًا لمحل تلك الدار الهائلة التي تعذّب بها الكفار منع الصرف للعجمة والتعريف. **قوله**: (جهنام) بكسر الجيم والهاء وتشديد النون بعدها ألف أي بعيدة القعر.

قوله: (وفيها أعني الكفار) عطف على قوله: هي أبعد النار قعرًا. **قوله**: (أجوب دعوة) أي أشدّ وأبلغ إجابة دعوة.

تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا﴾ (**بقدر يوم من الدنيا**) ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ﴾ أي الخزنة توبيخًا لهم بعد مدة طويلة ﴿أَوَلَمۡ تَكُ﴾ أي ولم تك قصة، وقوله: ﴿تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم﴾ تفسير للقصة ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿قَالُواْ﴾ أي الكفار ﴿بَلَىٰۚ قَالُواْ﴾ أي الخزنة تهكمًا بهم ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ أنتم ولا استجابة لدعائكم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ بطلان وهو من قول الله تعالىٰ، ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾
أي في الدنيا والآخرة يعني أنه يغلبهم في الدارين جميعًا بالحجة والظفر على مخالفيهم وإن غلبوا في الدنيا في بعض (**الأحايين**) امتحانًا من الله والعاقبة لهم، (**ويتيح**) الله مَن يقتصّ من أعدائهم ولو بعد حين. و﴿يَوۡمَ﴾ نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك في (**أمس**) واليوم، والأشهاد جمع شاهد

قوله: (**بقدر يوم من الدنيا**) أي مقدار يوم من أيام الدنيا وفسّره به لأنه ليس في الآخرة ليل ولا نهار.

قوله: (**الأحايين**) في لسان العرب يجمع الحين على الأحْيان ثم تجمع الأحْيان أَحَايِيْن. اهـ. **قوله**: (**ويتيح**) في المصباح تاح الشيء تيحًا من باب سار سهل وتيسر وأتاحه الله تعالى إتاحة يسره. اهـ.

قوله: (**أمس**) في المصباح أمس اسم علم على اليوم الذي قبل يومك ويستعمل فيما قبله مجازًا وهو مبنيّ على الكسر وبنو تميم تعربه إعراب ما لا ينصرف فتقول: ذهب أمس بما فيه بالرفع. اهـ في لسان العرب أمس من ظروف الزمان مبنيّ على الكسر إلّا أن ينكر أو يعرف وربما بني على الفتح. اهـ. وأيضًا فيه قال ابن بري اعلم أن أمس مبنيّة على الكسر عند أهل الحجاز وبنو تميم يوافقونهم في بنائها على الكسر في حال النصب والجر فإذا جاءت أمس في موضع رفع أعربوها فقالوا: ذهب أمس بما فيه وأهل الحجاز يقولون: ذهب أمس بما فيه لأنها مبنيّة لتضمنها لام التعريف والكسرة فيها لالتقاء الساكنين، وأما بنو تميم فيجعلونها

كصاحب وأصحاب يريد الأنبياء والحفظة، فالأنبياء يشهدون عند ربّ العزّة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الأعمال. ﴿تَقُومُ﴾ (بالتاء: **الرازي عن هشام**).

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ هذا بدل من ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ﴾ أي لا يقبل عذرهم. (﴿لَا يَنفَعُ﴾ كوفي) ونافع ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي سوء دار الآخرة وهو عذابها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ يريد به جميع ما أتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة والإنجيل

في الرفع معدولة عن الألف واللام فلا تصرف للتعريف والعدل كما لا يصرف سحرًا إذا أردت به وقتًا بعينه للتعريف والعدل. اهـ.

قوله: (**بالتاء: الرازي عن هشام**) وعبارة السمين قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ قرأ الجمهور ﴿يَقُومُ﴾ الياء من أسفل وأبو عمرو في رواية المقدّى عنه وابن هرمز وإسماعيل[١] بالتاء من تقوم لتأنيث الجماعة. اهـ.

وقوله: (**الرازي**) نسبة إلى الري مدينة كبيرة مشهورة من بلاد الدَّيْلم. قوله: (هشام[٢]) يكنّى أبا الوليد وهو ابن عمّار بن نُصَيْر بن أبان بن ميسرة السلمي القاضي الدمشقي تُوفي بدمشق سنة خمس وأربعين ومائتين في أيام المتوكّل.

قوله: (﴿لَا يَنفَعُ﴾) بالياء التحتية (كوفيّ) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف بن هشام البزار وليس من السبعة، وقرأ الباقون بتاء الخطاب.

---

(١) قوله: إسماعيل بن الجويرسي يروي عن هشام. منه رحمه الله.

(٢) لعبد الله بن عامر الشامي روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمّار، منه رحمه الله تعالى.

لأن الكتاب جنس **(أي تركنا الكتاب من بعد هذا إلى هذا)** ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ إرشادًا وتذكرة، **(وانتصابهما على المفعول له أو على الحال)** ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقول.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ﴾ على ما يجرعك قومك من **(الغصص)** ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني إن ما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ أي لذنب أُمتك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ **(أي دُم على عبادة ربك والثناء عليه. وقيل: هما صلاتا الفجر والعصر)**. وقيل: قل سبحان الله وبحمده.

قوله: **(أي تركنا الكتاب من بعد هذا إلى هذا)** إشارة إلى أن قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ مستعار لتركنا عليهم بعده لتعذّر حمله على أصل معناه لأن الإيراث الحقيقي إنما يتعلق بالمال والنكتة في اختيار طريق التجوّز بأن ميراث الأنبياء ليس إلّا العلم والكتاب الهادي في باب الدين.

قوله: **(وانتصابهما على المفعول له أو على الحال)** يعني أن ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ يجوز أن يكونا مفعولين لهما وأن يكونا مصدرين بمعنى اسم الفاعل وقعا موقع الحال وانتصاب على الحالية.

قوله: **(الغصص)** في المصباح الغصّة بالضم ما غصّ به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه والجمع غصص مثل غرفة وغرف. اهـ.

قوله: **(أي دُم على عبادة ربك والثناء عليه)** إشارة إلى أن المقصود من ذكر العشي والإبكار الدلالة على المداومة عليها في جميع الأوقات بناء على أن الأبكار عبارة عن أول النهار إلى نصفه والعشي عبارة عن نصف النهار إلى أول النهار من اليوم الثاني فيدخل فيهما كل الأوقات.

قوله: **(وقيل: هما صلاتا الفجر والعصر)** قائله الحسن رضي الله تعالى عنه. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ لا وقف عليه لأن خبر «إن» ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ تعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم، فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوّة تحتها كل ملك ورياسة، أو إرادة أن تكون لهم النبوّة دونك حسدًا وبغيًا ويدل عليه قوله: (﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾) [الأحقاف: الآية ١١] أو إرادة دفع الآيات بالجدل ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ (**ببالغي موجب الكبر**) ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوّة أو دفع الآيات ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ (**فالتجىء إليه**) من (**كيد من يحسدك**) ويبغي عليك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما تقول ويقولون ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرّهم.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على إنكار البعث، وهو أصل المجادلة ومدارها حَجُوا بخلق السمٰوات الأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فإن مَن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع (**مهانته**) أقدر. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لأنهم لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم.

قوله: (﴿لَوۡ كَانَ﴾...) الخ في تفسير الجلالين في سورة الأحقاف (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) أي في حقهم (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) الإيمان (﴿خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾) اهـ.

قوله: (ببالغي موجب الكبر) ومقتضاه على أن يكون ضمير بالغيه راجعًا إلى الكبر بمعنى التكبّر والتعظم من الانقياد للحق بتقدير المضاف. **قوله**: (فالتجىء إليه) في السلامة من (كيد من يحسدك...) الخ.

قوله: (مهانته) المهانة الحقارة والصَّغَر.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ (**«لا» زائدة**) ﴿قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بتاءين: (**كوفي**)، وبياء وتاء: غيرهم، و﴿قَلِيلًا﴾ صفة مصدر محذوف (**أي تذكرًا قليلًا يتذكرون**) و«ما» صلة زائدة.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ اعبدوني ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ وقال عليه السلام: «الدعاء هو العبادة» وقرأ هذه الآية ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: وحدوني أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد. وقيل: سلوني أعطكم ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ (**﴿سيدخلون﴾ مكي وأبو بكر**). ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

قوله: (﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾) الغافل والمستبصر. **قوله:** (**«لا» زائدة**) للتوكيد. **قوله:** (كوفيّ) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف، **قوله:** (**أي تذكرًا قليلًا يتذكرون**) والمراد لا يتذكرونه.

قوله: (﴿سيدخلون﴾) بضم الياء وفتح الخاء (مكي) أي قرأه ابن كثير المكيّ (**وأبو بكر**) شعبة، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ هو من الإسناد المجازي أي مبصرًا فيه لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار. وقرن ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بالمفعول له و﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ بالحال **(ولم يكونا)** حالين أو مفعولًا لهما رعاية لحق المقابلة لأنهما متقابلان معنى، **(لأن كل واحد منهما)** يؤدي مؤدى الآخر، ولأنه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي، ولو قيل ساكنًا **(لم تتميز الحقيقة من المجاز إذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة)**، ألا ترى إلى قولهم ليل ساجٍ أي ساكن لا ريح فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لأن المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلًا **(لا يوازيه فضل)** وذلك إنما يكون بالإضافة ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ولم يقل «ولكن أكثرهم» حتى لا يتكرر ذكر الناس لأن في هذا التكرير تخصيصًا

قوله: (ولم يكونا) أي السكون والإبصار. **قوله: (لأن كل واحد منهما...)** الخ أي لأن مؤدّى أحدهما مؤدّى الآخر معنى وإن تغايرا من حيث اللفظ فهما متقابلان من حيث المعنى.

قوله: (لم تتميز الحقيقة من المجاز) وذلك إن ساكنًا يجوز حمله على الحقيقة كما يجوز حمله على المجاز. فلو قيل: ساكنًا لبقي اللفظ دايرًا بين المعنيين أحدهما المقصود وهو أراده المجاز إذ المراد أن يكون الناس في الليل ساكنين والآخر غير مقصود وهو إرادة الحقيقة فوجب التصريح بقوله: ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ [يونس: الآية ٦٧] لئلا يلتبس الغرض. **قوله: (إذ الليل يوصف**[1] **بالسكون على الحقيقة)** أي لأنه يوصف بالسكون وإن كان لسكون الريح فيه غالبًا لكنه شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة في وصفه به. **قوله: (لا يوازيه فضل)** بالياء التحتية أي لا يقابله ويقاومه يعني أن تنكير الفضل لتعظيمه، ولو قيل: لمفضل لدل تنكيره على تعظيم ذات المفضل ولا يعلم صريحًا أن عظمته أهي لعظم أفضاله أم لعظم غيره.

---

(١) أي في العرف بحيث لا يصح نفيه أصلًا.

لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾) [الحج: الآية ٦٦]. وقوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾) [إبراهيم: الآية ٣٤].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي خلق لكم الليل والنهار ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (أخبار مترادفة) أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الربوبية والإلـٰهية وخلق كل شيء والوحدانية ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (فكيف ومن أي وجه) تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان؟

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾) أي المشرك (﴿لَكَفُورٌ﴾) لنعم الله عليه بترك توحيده.
قوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾) الكافر (﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه.

قوله: (أخبار مترادفة) يعني أن اسم الإشارة مبتدأ وما بعده من الألفاظ الأربعة أخبار له أشار إلى المعلوم المتميّز الأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد غيره، وأخبر عنه بأنه الجامع لهذه الأوصاف من الإلـٰهيّة والربوبية وخلق كل شيء وأنه لا ثاني له وكل واحد من هذه الأوصاف يخصص سابقه ويقرره والوقف على كل شيء لازم لئلا يلتبس ما بعده بكونه صفة شيء، ولما قرّر ما يدل على وجود الموصوف بالصفات المذكورة، قال ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي إذا تقرر هذا البيان الواضح كيف صح لكم أن تصرفوا عن توحيده وعبادته إلى عبادة غيره.

قال العلّامة التفتازاني رحمه الله في حاشيته على الكشاف. قوله: أخبار مترادفة إذ لا يصح شيء منها صفة لاسم الإشارة ولا وجه لجعل البعض بدلًا أو جعل ربكم صفة لما فيه من اختلال النظام وإنما جعل اسم الله مع كونه من قبيل الإعلام دالّا على وصف الإلـٰهية بالنظر إلى الأصل. **قوله**: (فكيف ومن أي وجه) يعني أن أنى يجيء بمعنى كيف وبمعنى من أين كلاهما صحيح هنا على سبيل المناوبة وعلى كلا التقديرين الاستفهام للإنكار الوقوعي.

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق (أفك كما أفكوا).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقرًا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفًا فوقكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قيل: لم يخلق حيوانًا أحسن صورة من الإنسان. وقيل: لم يخلقهم منكوسين كالبهائم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ اللذيذات ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (أي الطاعة من الشرك) والرياء (قائلين) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مَن قال لا إلـه إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين. ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الأوثان نزل:

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ

قوله: (أفك كما أفكوا) ما مصدريّة والتعبير بالماضي للإشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضي عدل عنه لاستحضار الصورة العجيبة أو للاستمرار.

قوله: (أي الطاعة) تفسير للمراد بالدين هنا وفي أمثاله. **قوله**: (من الشرك) متعلّق بمخلصين. **قوله**: (قائلين) يعني أن قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ مقول قول مقدّر في موضع الحال من فاعل ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ فيكون داخلًا في حيّز الأمر قيدًا له ويؤيد هذا التفسير ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: مَن قال لا إلـه إلّا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي﴾ هي القرآن وقيل العقل والوحي ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ﴾ أستقيم وأنقاد ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾ أي أصلكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا﴾ اقتصر على الواحد لأن المراد بيان الجنس ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾ متعلق بمحذوف وتقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ (شُيُوخًاۚ﴾ وبكسر **الشين: مكي وحمزة وعلي وحماد ويحيىٰ والأعشىٰ**) ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ أي من قبل بلوغ الأشد أو من قبل الشيوخة ﴿وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلًا مسمىٰ وهو وقت الموت أو يوم القيامة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ما في ذلك من العبر والحجج.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ أي فإنما يكوّنه سريعًا من غير كلفة.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز أن يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو

قوله: (وبكسر الشين: مكي) أي ابن كثير المكيّ **(وحمزة)** بن حبيب الزيّات **(وعليّ)** الكسائي **(وحماد)** بن أحمد **(ويحيىٰ[1])** بن آدم **(والأعشى[2])** هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال وضمّ شين (﴿شُيُوخًاۚ﴾) نافع وأبو عمرو وهشام وحفص وأبو جعفر ويعقوب وخلف[3] عن نفسه.

---

(١) يروى عن أبي بكر بن عياش. (٢) يروى أيضًا عن أبي بكر بن عياش.
(٣) أي خلف بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيار.

للتأكيد ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الكتاب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ «إذا» ظرف زمان ماضٍ والمراد به هنا الاستقبال كقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وهذا لأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالىٰ مقطوعًا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنىٰ على الاستقبال ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ والخبر ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ والمعنى إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ يجرون في الماء الحار ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ أي تقول لهم الخزنة ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ **(غابوا عن عيوننا)** فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئًا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئًا كما تقول: حسبت أن فلانًا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرًا. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلّون عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة لم يتصادقوا، أو كما أضلّ هؤلاء المجادلين يضلّ سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو

قوله: (غابوا عن عُيوننا) وإن كانوا قائمين أي غير هالكين في أنفسهم على أن يكون قولهم: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ من قول العرب ضللت المسجد والدار إذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شيء قائم أي غيرها لك لكنك لا تهدى إليه.

الشرك وعبادة الأوثان فيقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم. قال الله تعالىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٤]. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ (**مقدرين الخلود**) ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (**عن الحق جهنم**).

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بإهلاك الكفار ﴿حَقٌّ﴾ كائن ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أصله فإن نريك و«ما» مزيدة لتوكيد معنى الشرط (**ولذلك**) ألحقت النون بالفعل، ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمني أكرمك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (**هذا الجزاء متعلق بـ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾**) وجزاء ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف وتقديره وإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل

قوله: (**مقدرين الخلود**) إشارة إلى أن ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة. **قوله**: (**عن الحق جهنم**) والتكبّر عن الحق بمعنى الإعراض عنه كفر وقوله: جهنم مخصوص بالذم.

قوله: (**ولذلك**) أي ولكون أن الشرطية مؤكدة بما المزيدة لتأكيد معنى الشرط لحقت نون التأكيد فعل الشرط فإن نون التأكيد إنما تلحقه إذا أكدت كلمة أن بما ولا تلحقه إذا لم تؤكد بها فلا يقال: إن تكرمني أكرمك، بل يقال: أما تكرمني وهذا قول الأكثرين وقد أجاز بعضهم لحوق النون مع أن وحدها (**ولم يَلْتَفِتْ**) إليه المصنّف رحمه الله لضعفه.

قوله: (**هذا الجزاء متعلّق بـ ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾**) جواب عما يقال الظاهر أن قوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ معطوف على قوله: ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ ففي الكلام شرطان اشتركا في جزاء واحد وهو قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيلزم أن يكون كل واحد من الشرطين المذكورين سببًا للجزاء المذكور بعدهما وهو انتقامه تعالى منهم في الآخرة وكون الشرط الأول سببًا غير معقول لأن تعذيبهم في الدنيا بمرأى النبيّ ﷺ كيف يكون سببًا لانتقامه تعالى منهم في الآخرة وأن جعل قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ جوابًا

يوم بدر (فذاك)، أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى أممهم ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (قيل: بعث الله ثمانية آلاف نبيّ): أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس.

(وعن عليّ رضي الله تعالىٰ عنه): إن الله تعالىٰ بعث نبيًّا أسود فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادًا يعني إنا قد أرسلنا كثيرًا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية إلا بإذن الله فمن أين لي بأن آتي بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها؟ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب

للشرط الثاني وحده بقي الشرط الأول بغير جزاء وتقرير جوابه ظاهر. **قوله**: (فذاك) الظاهر أنه مبتدأ خبره مقدّر أي فذاك جزاؤهم.

قوله: (قيل: بعث الله ثمانية آلاف نبيّ...) الخ كذا في العيون والخطيب والجلالين. وفي الحديث[1] الصحيح مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا المرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر. كذا في حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله.

قوله: (وعن عليّ رضي الله تعالى عنه...) الخ في حاشية الشهاب على البيضاوي، وفي الكشاف عن عليّ كرّم الله وجهه أن الله بعث نبيًّا أسود وهو ممن لم يقصص عليه وفي صحته نظر انتهت بحروفها.

وفي تفسير روح البيان وعن علي رضي الله تعالى عنه أن الله بعث نبيًّا أسود، وفي التكملة عبدًا حبشيًّا وهو ممن لم يقصص الله عليه. يقول الفقير: لعل معناه

---

(١) وهو مروي في كتاب أحمد بن محل، ١٢ منه.

اقتراحهم الآيات ﴿قُضِىَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادًا.

أن الله بعث نبيًّا أسود إلى السودان فلا يخالف ما ورد من الله تعالى ما بعث نبيًّا إلّا حسن الاسم حسن الصورة حسن الصوت وذلك لأن في كل جنس حسنًا بالنسبة إلى جنسه، والحاصل أن المذكور قصصهم من الأنبياء أفراد معدودة قد قيل: عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفًا.

قال في شرح المقاصد: رُوِيَ عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ كم عدد الأنبياء فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا فقلت: فكم الرسل فقال: ثلاثمائة وثلاثة[1] عشر جمًّا غفيرًا، لكن ذكر بعض العلماء أن الأولى أن لا يقتصر على عددهم لأن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلّا الظن ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقاديات، وهٰهنا حصر عددهم يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا﴾ [غافر: الآية ٧٨]. . . الخ.

ويحتمل أيضًا مخالفة الواقع وإثبات مَن ليس بنبي إن كان عددهم في الواقع أقل مما يذكر ونفي النبوّة عمّن هو نبيّ إن كان أكثر فالأولى عدم التنصيص على عدد وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون كما في شرح العقائد للتفتازاني قال ابن أبي شريف في حاشيته: لم أرَ هذه الرواية، وقال المولى محمد[2] الرومي في المجالس ومما يجب الإيمان به الرسل والمراد من الإيمان بهم العلم بكونهم صادقين فيما أخبروا به عن الله تعالى فإنه تعالى بعثهم إلى عباده ليبلغوهم أمره ونهيه ووعده ووعيده وأيّدهم بالمعجزات الدالّة على صدقهم أوّلهم آدم وآخرهم محمد ﷺ فإذا آمن بالأنبياء السابقة فالظاهر أنه يؤمن بأنهم كانوا أنبياء في الزمان

---

(١) هذا ما اختاره الفاضل الخيالي، وفي رواية عن أبي ذر ثلثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا وقال مرة خمسة عشر، ١٢ منه.

(٢) في كشف الظنون، مجالس الأبرار ومسالك الأخيار، وهو على مائة مجلس في شرح مائة حديث، من أحاديث المصابيح للشيخ أحمد الرومي أوله الحمد لله الذي دفع أقدار العلماء بمعرفة مقدار كتابه. . . الخ، ١٢ منه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبل ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي الألبان والأوبار ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون إليه من الأمور ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أي على الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ أنها من عند الله. (و﴿أي﴾ **نصب بـ** ﴿تُنكِرُونَ﴾) وقد جاءت على اللغة (**المستفيضة**). وقولك: «فأية آيات الله» قليل (**لأن التفرقة**) بين المذكر

الماضي لا في الحال إذ ليست شرائعهم بباقية، وأما الإيمان بسيّدنا محمد ﷺ فيجب بأنه رسولنا في الحال وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمنًا، ومَن قال: آمنت بجميع الأنبياء ولا أعلم آدم نبيّ أم لا فقد كفر. اهـ بحروفه.

قوله: (و﴿أي﴾ **نصب بـ** ﴿تُنكِرُونَ﴾) يعني أن قوله: ﴿تُنكِرُونَ﴾ غير مشتغل عن العمل في أيّ بأن قدر عاملًا في ضميره بل هو عامل فيه إلّا أنه وجب تقديمه على ناصبه لاقتضائه صدر الكلام ولو قدر كونه مشتغلًا عنه بضميره لكان الأولى رفعه فإن قولك: أيهم ضربته مثل قولك: زيد ضربته في أن المختار رفع الاسم فيهما لأن النصب يحتاج إلى حذف العامل وإضماره والأصل عدمهما بخلاف الرفع فإنه إنما يكون بعامل معنويّ لا يظهر قط حتى يقال: حذف وأضمر.

قوله: (**المستفيضة**) أي الشائعة. **قوله**: (**لأن التفرقة...**) الخ جواب عما يقال الظاهر أن يقال: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الله بتاء التأنيث لكون أيّ عبارة عن المؤنّث لإضافته إليه فلم عدل عن مقتضى الظاهر وتوضيح الجواب أن الفرق بين المؤنّث والمذكّر بالتاء وعدمه قياس شائع في الأنواع الأربعة من الصفات وهي اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّهة والاسم المنسوب بياء النسبة كضاربة

والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في «أي» أغرب (لإبهامه).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ بدنًا ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ قصورًا (ومصانع). ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ «ما» نافية ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا

ومضروبة وحسنة وبصرية بخلاف أفعل التفضيل وأفعل الصفة والاسم الجامدة فالفرق بالتاء فيها قليل غريب كأسامة وحمارة وأي من قبيل الأسماء الجامدة فالأصل فيه عدم الفرق لذلك مع أن الفرق فيه أغرب من الفرق في سائر الأسماء الجامدة لأنه موضوع لإبهام موضوعه ولا يقصد فيه التمييز أصلًا فتكون التفرقة فيه بعيدة كل البعد وإن جاء الفرق على قلة كقوله:

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عارًا عليّ وتحسب

والظاهر أنه أراد بأيّ في قوله: وهي في أيّ أغرب ما وقع في غير النداء فإن اللغة الفصيحة الشائعة أن تؤنّث أيّ الواقعة في نداء المؤنّث كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: الآية ٢٧] ولا يسمع أن يقال: يا أيها المرأة. **قوله**: (لإبهامه) لأنه اسم استفهام عما هو مبهم مجهول عند السائل والتفرقة مخالفة لإبهاميّته لأنها تقتضي التمييز فهو مذكّر ومؤنّث يعلم بالقرآن أي باعتبار المضاف إليه.

قوله: (ومصانع) وهي الحصون والمصنعة بفتح النون وضمّها أيضًا شيء كالحوض يجمع فيه ماء المطر. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي القنوي المصانع مجاري الماء والمراد هنا الحياض كما قيل: ولا مانع من إرادة المعنى الحقيقي. اهـ.

﴿عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: الآية ٧] فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا (والظلف) عن الملاذ والشهوات، لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجل للفوائد من علمهم ففرحوا به، أو علم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم.

(وعن سقراط) أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى مَن يهذبنا، أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال: استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين مرحين، ويدل عليه قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أو الفرح للرسل أي الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ شدة عذابنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝٨٤ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أي فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ (بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة) ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ أن الإيمان عند نزول العذاب لا ينفع وأن العذاب نازل بمكذبي

قوله: (والظلف) في لسان العرب ظلفه ظَلفًا منعه عما لا خير فيه وظلف نفسه عن الشيء منعها عن هواها. اهـ

قوله: (وعن سقراط) بن سفرنيسقوس الحكيم.

قوله: (بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة) أشار إلى أن سنّة الله مفعول مطلق وأصله سنّ الله سنة فحذف الفعل وأضيف المصدر إلى الفاعل أي

الرسل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **(هناك مكان مستعار للزمان)** والكافرون خاسرون في كل أوان، ولكن يتبين خسرانهم إذا عاينوا العذاب، وفائدة ترادف الفاءات في هذه الآيات أن ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ نتيجة قوله: ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ و﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ كالبيان والتفسير لقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ كقولك: رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء، و﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ تابع لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ كأنه قال: فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا، وكذلك ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم.

عدم نفع الإيمان حين اليأس عادة مستمرة بمقتضى حكمته. **قوله: (هناك مكان مستعار للزمان)** والجامع كونهما ظرفًا.

تمّت سورة غافر والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة فصّلت)

(مكيّة، وهي ثلاث وخمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

﴿حمٓ ۝١﴾ إن جعلته اسمًا للسورة كان مبتدأ (﴿تَنزِيلٌ﴾ **خبره، وإن جعلته تعديدًا للحروف وكان** ﴿تَنزِيلٌ﴾ **خبر مبتدأ محذوف**) و﴿كِتَٰبٌ﴾ بدل من ﴿تَنزِيلٌ﴾ أو خبر بعد خبر، (**أو خبر مبتدأ محذوف**) أو ﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأ ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفته ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ميزت وجعلت تفاصيل في معانٍ مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة فصّلت، مكيّة، وهي ثلاث وخمسون آية) وتُسمى سورة السَّجْدة[1] وسورة المصابيح. **قوله**: (﴿تَنزِيلٌ﴾ خبره) أما للمبالغة كرجل عدل أو بتأويله بالمنزل بزنة اسم المفعول. **قوله**: (**وإن جعلته تعديدًا للحروف**) لتنبيه المخاطب وإيقاظه لا يكون له محل من الإعراب (**وكان** ﴿تَنزِيلٌ﴾ **خبر مبتدأ محذوف**) أي هذا تنزيل. **قوله**: (**أو خبر مبتدأ محذوف**) أي هذا كتاب.

---

(١) من قبيل إضافة العام إلى الخاص.

الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنًا من صفته كيت وكيت، أو على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنًا عربيًّا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي. و﴿لِقَوْمٍ﴾ يتعلّق بـ ﴿تَنزِيلٌ﴾ أو بـ ﴿فُصِّلَتْ﴾ أي تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم، والأظهر أن يكون صفته مثل ما قبله وما بعده أي قرآنًا عربيًّا كائنًا لقوم عرب.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ صفتان لـ ﴿قُرْءَانًا﴾ ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون من قولك: «تشفعت إلى فلان فلم يسمع قولي» ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ (أغطية) جمع كنان وهو الغطاء ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل يمنع من استماع قولك: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ستر. **(وهذه تمثيلات)** لنبوّ قلوبهم عن تقبّل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها **(ومج أسماعهم المج)** له كأنه بها صممًا عنه، ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجابًا ساترًا وحاجزًا منيعًا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ على ديننا أو فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك. وفائدة زيادة «من» أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها، ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى أن حجابًا حاصل وسط الجهتين.

قوله: (أغطية) جمع كنان كغطاء لفظًا ومعنى. **قوله:** (وهذه تمثيلات) أي ما في مقول قولهم: من الأكِنّة وما بعده استعارات تمثيلية ثم بين ما استعير له على الترتيب بقوله: لنبوّ... الخ المراد بالنبوّ عدم القبول والبعد عنه وهذا أقرب. **قوله:** (ومج أسماعهم المج) رمى المائع من الفم ونحوه والمراد عدم القبول لما سمعوه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ هذا جواب لقولهم ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ ووجهه أنه قال لهم: إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم فصحّت نبوّتي بالوحي إليّ وأنا بشر، وإذا صحّت نبوّتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إليّ أن إلٰهكم إلٰه واحد ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فاستووا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينًا وشمالًا ولا ملتفتين إلى ما (يسوّل) لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها **(أو لا يفعلون ما يكونون به أزكياء طاهرين)** وهو الإيمان ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وإنما جعل **(منع الزكاة)** مقرونًا بالكفر بالآخرة لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيّته و**(نصوع طويته)**، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا **(بلُمظة)** من الدنيا فقرّت عصبيتهم ولانت **(شكيمتهم)**، وما ارتدت

قوله: (يسوّل) يزين. **قوله:** **(أو لا يفعلون ما يكونون به أذكياء طاهرين)** حملًا للزكاة على المعنى اللغوي دون الشرعي ليظهر وجه التخصيص ويندفع سؤال أن الزكاة إنما فُرضت بالمدينة لكنه خلاف الظاهر ولفظ الإيتاء لا يساعده بل كالتصريح في أداء الزكاة. اهـ تفتازاني.

قوله: **(منع الزكاة)** يريد ما كان وجب بمكة من إيتاء بعض من المال على ما مرّ في قوله: وآتوا حقه يوم حصاده وإلّا فالآية مكيّة وهذه الزكاة المخصوصة المشروعة إنما فرضه بالمدينة. كذا في حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله. **قوله:** (نُصوع) أي خلوص. **قوله:** (طويته) في لسان العرب الطوية الضميرة. اهـ أي خلوص اعتقاده. **قوله:** **(بلمظة)** بالضم كناية عن الشيء القليل وأصل اللمظ تتبع الإنسان بقيّة الطعام في فمه بلسنه ثم يخرج لسانه فيمسح به شفتيه. **قوله:** **(شكيمتهم)** الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس

(بنو حنيفة) إلا بمنع الزكاة، وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ مقطوع. **(قيل: نزلت في المرضى والزمنى والهرمى)** إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر **(كما صح ما كانوا يعملون)**. ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى (خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ)﴾ الأحد

التي فيها الفاس والجمع شكايم وفلان شديد الشَّكِيْمَة إذا كان شديد النفس آنِفًا أبيًّا وفلان ذو شَكِيمَة إذا كان لا ينقاد. **قوله**: **(بنو حنيفة)** وهم أهل اليمامة ورأسهم مسيلمة الكذاب.

قوله: **(قيل: نزلت في المرضى)** جمع مريض وإن كان شابًّا **(والزمنى)** في المصباح زمن الشخص زمنًا وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا والقوم زمنى مثل مرضى. اهـ.

قوله: **(والهرمى)** جمع هرم وهو الشيخ الفاني وإن كان صحيحًا فبينهما عموم وخصوص من وجه في المصباح هرم هرمًا من باب تعب فهو هرم كبر وضعف وشيوخ هرمى مثل زمن وزمنى وامرأة هرمة ونسوة هرمى وهرمات أيضًا. اهـ فالمعنى غير منقوص ولا ممنوع أجر مَن كان يعمل في حال شبابه وقوته وصحته أعمالًا ثم عجز بالمرض أو كبر حتى هرم فلا ينقص أجر الذي كان يكتب له في شبابه وقوته. كما قاله السمرقندي رُوِيَ عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طائعًا حتى أطلقه أو أقبضه إليّ. **قوله**: **(كما صحّ ما كانوا يعملون)** على حذف المضاف أي اكتب لهم الأجر كأجر أصح ما كانوا يعملونه من الأعمال حال قدرتهم عليها.

قوله: (﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾) قدّر وجودها أي حكم بأنها ستوجد (﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾) في مقدار يومين لا في نفس يومين لأن اليوم لكونه عبارة عما بين طلوع الشمس

والاثنين تعليمًا (**للأناءة**) ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ شركاء وأشباهًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي خلق ما سبق ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

(﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾) في الأرض ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ إنما اختار (**إرساءها**) فوق الأرض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها، وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقر، إلى ممسك وهو الله عز وجل ﴿وَبَٰرَكَ﴾ بالماء والزرع والشجر والثمر ﴿فِيهَا﴾ وفي الأرض. وقيل: (**وبارك**) وأكثر خيرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم، (**وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه وقسم**) ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ (**في تتمة أربعة أيام**) يريد بالتتمة اليومين تقول: (**سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر يومًا**) أي تتمة خمسة عشر (**ولا بد من هذا التقدير**)، لأنه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية

وغروبها لا يمكن حصوله قبل حدوث السمٰوات والشمس والقمر. **قوله:** (**للأناءة**) الأناءة ضد العجلة.

قوله: (﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾) المراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل. **قوله:** (**إرساءها**) في المصباح رسا الشيء يرسو رسوًا ورسوًّا فهو راس وجبال راسية وراسيات ورواس وأرسية بالألف للتعدية. اهـ. **قوله:** (**وبارك**) أي قدر بأن يكثر خير الأرض. **قوله:** (**وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقسم**) من الثلاثي. **قوله:** (**في تتمة أربعة أيام**) أي فيما يتم به اليومان الأولان أربعة أيام، فالمراد بالتتمة ما تتم به اليومان السابقان أربعة كأنه قيل: كان نصب الراسيات وتقدير الأقوات وتكثير الخيرات في يومين آخرين بعد خلق الأرض في يومين. **قوله:** (**سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر يومًا**) أي في خمسة أيام بها تمت العشرة الأولى خمسة عشر يومًا. **قوله:** (**ولا بد من هذا التقدير...**) الخ أشار بتقدير المضاف إلى دفع ما يتوهم من المنافاة بين هذه الآية وبين ما تكرر في القرآن من أن خلق السمٰوات والأرض كان في ستة أيام وذلك لأنه نصّ في هذه الآية على أنه خلق الأرض في يومين ثم أنه جعل فيها رواسي

أيام لأنه قال: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ثم قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ثم قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فيكون خلاف قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [قٓ: الآية ٣٨] في موضع آخر، وفي الحديث: «إن الله تعالىٰ خلق الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال (**يوم الثلاثاء**)، وخلق (**يوم الأربعاء**) الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة». قيل: هي الساعة التي تقوم فيها القيامة ﴿سَوَآءً﴾ ـ (﴿**سواءٍ**﴾: ـ **يعقوب صفة للأيام**) أي في أربعة أيام مستويات تامات، (﴿**سواءٌ**﴾ **بالرفع: يزيد**) أي هي سواء، (**غيرهما** ﴿**سواءً**﴾ **بالنصب على المصدر**) أي استوت سواء أي استواء (**أو على الحال**) ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ متعلق بـ «قدر» أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها والمحتاجين إليها، لأن كلًا يطلب القوت ويسأله، أو بمحذوف كأنه قيل: هذا الحصر لأجل مَن سأل في كم خلقت الأرض وما فيها.

وأكثر خيرها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام ثم صرّح بأنه قضاهن سبع سمٰوات في يومين فيكون مجموع أيام خلق العالم ثمانية أيام والمذكور في الآيات الأخر أنها ستة أيام وبينهما منافاة ظاهرة. ولما قدر المضاف اندفعت المنافاة. **قوله**: (**يوم الثلاثاء**) بفتح الثاء المثلثة وضمّها كما في القاموس. اهـ جمل. وعبارة القاموس يومِ الثلاثاء بالمد ويُضَم. اهـ. وفي المصباح يوم الثلاثاء ممدود والجمع ثلاثاوات بقلب الهمزة واوًا. هـ.

قوله: (**يوم الأربعاء**) في المصباح يوم الأربعاء ممدود وهو بكسر الباء ولا نظيرَ له في المفردات وإنما يأتي وزنه في الجمع وبعض بني أسد بفتح الباء والضم لغة قليلة فيه. اهـ. **قوله**: (﴿**سواءٍ**﴾**يعقوب صفة للأيام**) أي قرأ يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري بالجر صفة للأيام وليس من السبعة. **قوله**: (﴿**سواءٌ**﴾ **بالرفع يزيد**) أي قرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ بالرفع خبر المبتدأ وليس من السبعة.

قوله: (**غيرهما** ﴿**سواءً**﴾ **بالنصب على المصدر**) بفعل مقدّر إذ السواء اسم مصدر ولذا قال: أي استواء. **قوله**: (**أو على الحال**) من ضمير أقواتها.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ هو مجاز عن إيجاد الله تعالى السماء على ما أراد، تقول العرب: فعل فلان كذا. ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أنه أكمل الأول وابتدأ الثاني، (**ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض**) وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما، وعنه

قوله: (ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض...) الخ في تفسير روح البيان في تفسير سورة البقرة (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾) أي قدّر خلقها لأجلكم ولانتفاعكم بها في دنياكم ودينكم لأن الأشياء كلها لم تخلق في ذلك الوقت (﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي الذي فيها من الأشياء (﴿جَمِيعًا﴾) نصب على الحال من الموصول الثاني (﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾) قصد إليها أي إلى خلقها ولا تناقض بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النَّازعَات: الآية ٣٠] لأن الدحو البسط. اهـ باختصار. وأيضًا فيه في تفسير سورة حم السجدة يُروى أن أول ما خلق الله العرش على الماء، والماء ذاب من جوهرة خضراء أو بيضاء فأذابها ثم ألقى فيها نارًا فصار الماء يقذف بالغثاء فخلق الأرض من الغثاء ثم استوى إلى الدخان الذي صار من الماء فسمكه سماء ثم بسط الأرض فكان خلق الأرض قبل خلق السماء وبسط الأرض وإرساء الجبال وتقدير الأرزاق وخلق الأشجار والدواب والبحار والأنهار بعد خلق السماء، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النَّازعَات: الآية ٣٠] هذا جواب عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما لنافع بن الأزرق الحروري. اهـ. ثم قال: لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فيكون خلق الأرض وما فيها متقدّمًا على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير ويؤيّده قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٩] وقيل: إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السمٰوات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النَّازعَات: الآية ٣٠] ثم هذا على تقدير كون كلمة ﴿ثُمَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨] للتراخي الزماني. وأما على تقدير كونها للتراخي الرتبي على طريق الترقي من الأدنى إلى

أنه قال: أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت، ثم ثار منها دخان بتسليط

الأعلى يفضل خلق السمٰوات على خلق الأرض وما فيها كما جنح إليه الأكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الأول. قال الشيخ النيسابوري: خلق السماء قبل خلق الأرض ليعلم أن فعله خلاف أفعال الخلق لأنه خلق أوّلًا السقف ثم الأساس ورفعها على غير عمد دلالة على قدرته وكمال صنعه، وروي أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السمٰوات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة، وسُمِيَ الجمعة لاجتماع المخلوقات وتكاملها ولما لم يخلق الله في يوم السبت شيئًا امتنع بنو إسرائيل من الشغل فيه كما في فتح الرحمٰن. والظاهر أنه ينبغي أن يكون المراد به أنه تعالى خلق العالم في مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر لكان مبتدأ تلك المدة أول يوم الأحد وآخرها آخر يوم الجمعة كما في حواشي ابن الشيخ وبه يندفع ما قال سعدي المفتي فيه إشكال لا يخفى فإنه لا يتعين اليوم قبل خلق السمٰوات والشمس فضلًا عن تعينه وتسميته باسم الخميس والجمعة. وقال ابن عطية: والظاهر من القصص في طينة آدم أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها المخلوقات هي أول الأيام لأنه بإيجاد الأرض والسماء والشمس وجد اليوم. وأيضًا فيه في تفسير سورة النازعات (﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾) أي قبل ذلك كقوله تعالى: من بعد الذكر أي قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها. وقال بعضهم: بعد على معناه الأصلي من التأخر فإن الله خلق الأرض قبل خلق السماء من غير أن يدعوها ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سمٰوات ثم دحا الأرض بعد ذلك وقال في الإرشاد: انتصاب الأرض بمضمر يفسّره دحاها وذلك إشارة إلى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وبعدية الدحو عنها محمولة على البعدية في الذكر كما في المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود فإن اتفاق الأكثر على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الأرض لا يفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود لما عرفت من أن انتصابه بمضمَر مقدّم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك، وفائدة

النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل (**الزبد**) أرضًا والدخان سماء. ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المُطاع. وإنما ذكر الأرض مع السماء في الأمر بالإتيان ـ والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين ـ لأنه قد خلق جرم الأرض أولًا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [النازعات: الآية ٣٠] فالمعنىٰ أن ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف، ائتي يا أرض مدحوة قرارًا ومهادًا لأهلك وائتي يا سماء مقبية سقفًا لهم. ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيًا، وقوله: ﴿طوعًا﴾ و﴿كرهًا﴾ لبيان تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك. لتفعلن هذا شئت أو أبيت، ولتفعلنه طوعًا أو كرهًا. وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين. (**وإنما لم يقل طائعتين**) على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنهما سمٰوات وأرضون

تأخيره في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء، وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلّق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل.اهـ. **قوله**: (**الزبد**) في المصباح الزبد بفتحتين من البحر وغيره كالرغوة وأزبد إزبادًا قذف بزبده والزبد وزان قفل ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم وأما لبن الإبل فلا يسمى ما يستخرج منه زبدًا يقال له حباب.اهـ. وأيضًا فيه الرغوة الزبد يعلو الشيء عند غليانه بفتح الراء وضمّها وحكي الكسر وجمع المفتوح رغوات مثل شهوة وشهوات وجمع المضموم رغى مثل مدية ومدى.اهـ.

قوله: (**وإنما لم يقل طائعتين**) جواب لما يقال: السماء والأرض اسمان مفردان من قبيل المؤنثات السماعية ومدلول كل واحد منهما متعدّد سمٰوات وأرضون فكان ينبغي أن يقال: طائعتَيْن حملًا على اللفظ أو طائعات حملًا على المعنى فلم قيل: طائعين على لفظ جمع الذكور العقلاء وتقرير الجواب أنهما لما وصفا بأوصاف العقلاء من كونهما مخاطبات ومجيبات وطائعات ومكرهات عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدّد مدلولهما كقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٤].

لأنهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره. قيل: طائعين في موضع طائعات (كقوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾) [يوسف: الآية ٤].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ فأحكم خلقهن. (قال):

(وعليهما مسرودتان قضاهما)

والضمير يرجع إلى السماء لأن السماء للجنس، ويجوز أن يكون ضميرًا مبهمًا مفسرًا بقوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾.

قوله: (كقوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾) التشبيه بقوله: رأيتهم لي ساجدين في مجرد إيثار جمع العقلاء نظر إلى وصف السجود. وأما التذكير فيه فلتغليب الكواكب والقمر على الشمس ولا كذلك طائعين. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (قال) أي أبو ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد أو خالد بن خويلد بن محرّث بالتشديد وكسر الراء المهملة عند ابن دريد وفتحها غيره فمثلثة ابن ربيد براء مهملة فموحدة مصغرة بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هُزَيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار شاعر مجيد فحل فصيح متمكن من الشعر كثير الغريب مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. وفد أبو ذُؤيب على النبيّ ﷺ في مرض موته فمات النبيّ ﷺ قبل قدومه بليلة أدركه وهو مسجّى وصلّى عليه وشهد دفن النبيّ ﷺ وحسن إسلامه. اهـ إسعاف باختصار.

(وعليهما مَسْرُوْدتان قضاهما)

أي أحكمهما وقوله: مسرودتان في تاج العروس من جواهر القاموس المسرودة الدرع المثقوبة[١]. اهـ. وقال المصنّف رحمه الله في تفسير سورة طَه (﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾) فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب، قال: وعليهما مسرودتان قضاهما أي صنعهما. اهـ. وفي الصحاح وقد يكون أي القضاء بمعنى

---

(١) يثقب طرفا كل حلقة بالمسمار.

(**والفرق بين النصبين**) في ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ أو الأول على الحال والثاني على التمييز ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ في يوم الخميس والجمعة ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ القريبة من الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكب ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ (**وحفظناها من المسترقة**) بالكواكب حفظًا ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب غير المغلوب ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بمواقع الأمور.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ﴾ خوفتكم ﴿صَٰعِقَةٗ﴾ عذابًا شديد الوقع كأنه صاعقة (**وأصلها رعد معه نار**) ﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾.

الصنع والتقدير قال أبو ذؤيب: وعليهما مسرودتان قضاهما داود وصنع السوابغ تبع. يقال: قضاه أي صنعه وقدّره ومثله قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾. اهـ. وفي لسان العرب قضا الشيء قضا صنعه وقدّره ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن وأحكم خلقهن والقضاء بمعنى العمل ويكون بمعنى الصنع والتقدير وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه: الآية ٧٢] معناه فاعمل ما أنت عامل. قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبّع

قال ابن السيرافي: قضاهما فرغ من عملهما. اهـ. **قوله**: (**والفرق بين النصبين**. . .) الخ فالمعنى على الأولى قضاهن كائنة سبع سمٰوات أو معدودة على أنها سبع سمٰوات وعلى الثاني فقضى سبع سمٰوات على نحو ربه رجلًا بمعنى رب رجل على إقامة المفسّر مقام المفسّر. **قوله**: (**وحفظناها**. . .) الخ أي هو مفعول مطلق لفعل محذوف معطوف على زيّنا. **قوله**: (**من المسترقة**) وهي الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهب صادرة من نار الكواكب منفصلة عنها لا يرجمون بالكواكب أنفسها قارّة في الفلك على حالها وما ذلك إلّا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لا ينقص منها شيء والشهاب شعلة نار ساطعة والشهب جمعه.

قوله: (**وأصلها رعد معه نار**) استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيهًا له بها في الشدة والهول.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ **(أي أتوهم من كل جانب)** وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض. وعن الحسن: أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة (﴿أَن﴾ **بمعنى «أي» أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه)** ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟﴾ أي القوم (﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾) إرسال

قوله: (أي أتوهم من كل جانب) ليس المراد الجهات الحسية والأماكن الحقيقية المحيطة بهم بل ما يشبه بها من جهات الإرشاد وطرق النصيحة فتارة جاؤوا من جانب الإنذار والتخويف. وأخرج من جانب التشويق والترغيب فيما أعد لأهل الإيمان والطاعة ومرة من جانب البيّنات الدالّة على حقيّة ما دعوهم إليه من التوحيد والإذعان بجميع ما شرع لهم من وجوه الطاعة ونحو ذلك. وأعمل كل رسول في حق قومه كل حيلة حرصًا لإيمانهم. **قوله: (﴿أَن﴾ بمعنى «أي» أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه)** يعني لفظ أن في ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ [فصلت: الآية ١٤] إما مفسرة(١) لما جاءت الرسل به لأن قوله: ﴿جَآءَتْهُمُ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] يتضمن معنى القول أو مخففة(٢) من الثقيلة وضمير الشأن محذوف أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن(٣) والحديث قولنا لكم لا تعبدوا. **قوله: (﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾...)** الخ كون مفعول المشية المحذوف بعد لو الشرطية يقدر من مضمون الشرط ليس بمطرد فقد يقدر من غيره كما قدره المصنف رحمه الله، إذ لو جعل على النهج المعروف وقدر لو شاء ربنا إنزال الملائكة لأنزل ملائكة لم يكن له معنى لائق بالمقام وقيل

---

(١) لوقوعها بعد معنى القول وهو مجيء الرسل المتضمن للدعوة فكأنه قيل: إذ جاءتهم الرسل فنادوهم أن لا تعبدوا إلّا الله، ١٢ منه.

(٢) أورد عليه أنها إنما تقع بعد أفعال اليقين وأن خبر باب أن لا يكون طلبًا إلا بتأويل، وقد يدفع بأنه بتقدير للقول، وأن مجيء الرسل كالوحي معنًى، فيكون مثله في وقوع أن بعده لتضمنه ما يفيد اليقين، كما أشار إله الرضي وغيره، كذا في الشهاب، ١٢ منه.

(٣) قوله أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا، ينبغي أن يكون لا تعبدوا في موقع الخبر للمبتدأ الذي هو قولنا، كأنه قال مقولنا هذا، إذ لو كان مفعول قولنا لم يتم المقصود وهو أن يكون خبر ضمير الشأن جملة خبرية. اهـ تفتازاني، رحمه الله ١٢ منه.

الرسل (**فمفعول** ﴿شَآءَ﴾ **محذوف**) ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به، وقوله: ﴿أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ ليس بإقرار بالإرسال (**وإنما هو على كلام الرُسُل**) وفيه تهكم كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء: الآية ٢٧] وقولهم: ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾. خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان لهم. رُوِيَ أن قريشًا بعثوا (**عتبة بن ربيعة**) ـ وكان أحسنهم حديثًا ـ ليكلم رسول الله ﷺ وينظر ما يريد، فأتاه وهو في (**الحطيم**) فلم يسأل شيئًا إلا أجابه ثم قرأ عليه السلام السورة إلى قوله ﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فأخبرهم به وقال: لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا: لقد (**صبأت**) أما فهمت منه كلمة؟ فقال: لا ولم أهتد إلى جوابه. فقال (**عثمان بن مظعون**): ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين.

في توجيهه أنه جار على القاعدة، فإن مآل التقدير فيه إلى لو شاء ربنا الإرسال لأرسل ملائكة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله**: (**فمفعول** ﴿شَآءَ﴾ **محذوف**) لكن لا على طريق المعهود وهو أن يكون المحذوف مضمون جواب لو بل هذا من قبيل لو أراد الأمير أن يكرم عالمًا لأكرم زيدًا إلّا أنه حذف بقرينة المقام. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**وإنما هو على كلام الرُسُل**) أي وإنما ذكروه حكاية لكلام الرسل. **قوله**: (**عتبة بن ربيعة**) جاهلي قتله حمزة يوم بدر مشركًا. **قوله**: (**الحطيم**) أي حطيم مكة وهو ما بين الركن والباب، وقيل: هو الحِجْر المُخْرَج منها سُمِيَ به لأن البيت رفع وترك هو محطومًا، وقيل: لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فبقي حتى حُطِم لطول الزمان فيكون فعيلًا بمعنى فاعل كذا في لسان العرب. وأيضًا فيه الحطيم حِجْر مكة مما يلي الميزاب سُمي بذلك لانحطام أي لازدحام الناس عليه وقيل: لأنهم كانوا يحلفون عنده في الجاهلية فيُحْطَم الكاذب وهو ضعيف الأزهري الحطيم الذي فيه الميزاب وإنما سُمِيَ حطيمًا لأن البيت رُفع وتُرِك ذاك محطومًا. اهـ. **قوله**: (**صبأت**) في المصباح صبأ من دين إلى دين يصبأ مهموز بفتحتين خرج. اهـ. **قوله**: (**عثمان بن مظعون**) بالظاء المعجمة أبو السائب الجمحي القرشيّ أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا وهاجر الهجرتين

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام، أو استولوا على الأرض بغير استحقاق للولاية ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم، وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أولم يعلموا علمًا يقوم مقام العيان ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أوسع منهم قدرة لأنه قادر على كل شيء وهم قادرون على بعض الأشياء بإقداره ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ معطوف على ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ **(أي كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها)** كما يجحد المودع الوديعة.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها من الصرير، **(أو باردة)** تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل إنها

شهد بدرًا وكان حرم الخمر في الجاهلية وهو أول مَن مات من المهاجرين بالمدينة في الشعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة قبل النبيّ ﷺ وجهه بعد موته، ولما دُفن قال: نعم السلف هو لنا دفن بالبقيع كان عابدًا مجتهدًا من فضلائهم. روى عنه السائب وأخوه قدامة بن مظعون.

قوله: **(أي كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها)** يريد أن الجحود هو الإنكار مع العلم، وقد يستعمل لمطلق الإنكار.

قوله: **(أو باردة. . .)** الخ في الصحاح الصر بالكسر برد يضرّ بالنبات والحرث والصرصر تكرير لمبنى الصر ويقال أيضًا: صرّ القلم والباب يصرّ صريرًا أي صوّت فيكون الصرصر تكرير صر. قال العلّامة الشهاب: ويجوز كونه من الصر بالفتح بمعنى الحر لأنه روي أنهم أهلكوا أنفسهم بالسموم وهو مناسب لديار

(الدبور) ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ (مشؤومات) عليهم. (﴿نَّحِسَاتٍ﴾ مكيّ وبصريّ ونافع. **ونُحِس نحسًا نقيض سعد سعدًا)** وهو نحس، وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الأربعاء في آخر **(شوال)** إلى الأربعاء، وما عذب قوم إلا في الأربعاء ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ أضاف العذاب إلى الخزي وهو **(الذلّ على أنه وصف للعذاب كأنه قال: عذاب خزي)** كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء، ويدل عليه قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ

العرب. اهـ. وفي القنوي لا من الصر بفتح الصاد بمعنى الحر لأن رواية أنهم أهلكوا بالسموم ضعيفة. اهـ. **قوله**: **(الدبور)** في المصباح الدبور وزان رسول ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصبا، ويقال: تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق. اهـ. **قوله**: **(مشؤومات)** من الشؤم وهو ضد اليمن. **قوله**: (﴿نَّحِسَاتٍ﴾) بسكون الحاء **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وبصريّ)** أي أبو عمرو ويعقوب وسهل وليسا من السبعة **(ونافع)** المدنيّ في نحسات على أنه صفة مشبّهة من نحس على وزن علم أصله نحسات بكسر الحاء فأسكنت للتخفيف أو على أن كل واحد من نحس ونحس بكسر الحاء وسكونها لغة أصلية في صفة فعل إلّا أن علماء التصريف لم يذكروا في الصفة من باب فعل بكسر العين إلّا وزانًا محصورة ليس فيها فعل بالسكون فذكروا فرح فهو فرح وحور فهو أحور وشبع فهو شبعان وسلم فهو سليم وبلي فهو بالٍ أو على أنه مصدر وصف به كرجل عدل وفيه ضعف لأن الأصل الفصيح في المصدر الذي وصف به أن لا يجمع، وقد جمع هٰهنا ويمكن أن يعتذر عنه بأن جمع نحسات لاختلاف أنواعه في الأصل. وقرأ الكوفيّون أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف وليس من السبعة وابن عامر الشاميّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة بكسر الحاء على أنه صفة مشبّهة من نحس كفرح فهو فرح وأشر فهو أشر. **قوله**: **(ونحس نحسًا)** من باب علم. **قوله**: **(نقيض سعد سعدًا)** من باب علم أيضًا. **قوله**: **(شوال)** في المصباح شوال شهر عيد الفطر وجمعه شوالات وشواويل وقد تدخله الألف واللام. اهـ. **قوله**: **(الذلّ)** في المصباح ذلّ ذلّا من باب ضرب والاسم الذلّ بالضم والذلّة بالكسر والمذلّة إذا ضعف وهان فهو ذليل والجمع أذلّاء وأذلّة. اهـ. **قوله**: **(على أنه وصف للعذاب كأنه قال: عذاب خزي. . .)** الخ أي وصف العذاب بالخزي وكون إضافة العذاب إليه من قبيل

﴿أَخۡزَىٰ﴾ (**وهو من الإسناد المجازي**)، ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به (**فشتّان**) ما بين قوليك «هو شاعر» و«له شعر شاعر». ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ من الأصنام التي عبدوها على رجال النصر لهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨﴾

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد (**حرف الابتداء**) والخبر ﴿فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ (**وبالنصب المفضّل**) بإضمار فعل يفسره ﴿فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ أي بينا لهم الرشد ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ داهية العذاب ﴿ٱلۡهُونِ﴾ الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم، وقال (**الشيخ أبو منصور**):

إضافة الموصوف إلى الصفة كما تقول فعل السوء بالإضافة وتريد الفعل السيِّىء على الوصفية فاصل الكلام عذاب خزي أي عذاب ذليل مهان فخزي صفة مشبّهة أصله خزى فاعل كقاضٍ، ثم أضيف العذاب إلى ما قصد توصيفه به فقيل: عذاب الخزي كما قيل: رجل صدق للدلالة على اختصاصه بتلك الصفة واستدلّ على أن إضافة العذاب إلى الخزي على قصد وصفه بالخزي بقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾ أي أذلّ وأزيد خوفًا وخزيًا فإنه لولا أن المقصود توصيف العذاب بالخزي لما صح أن يجعل عذاب الآخرة مقابلًا لعذاب الدنيا لكون الأول أشد خزيًا بالنسبة إلى الثاني. **قوله**: (**وهو من الإسناد المجازي**) جعل نفس العذاب ذليلًا مهانًا وإنما الذليل المهان الكفار المعذّبون للمبالغة أنه يشعر بأنهم بلغت ذلّتهم إلى أن سرت إلى ما يلابسهم وهو العذاب الذي يلحق بهم. **قوله**: (**فشتّان**) في المصباح شتّان ما بينهما أي بعد. اهـ.

قوله: (**حرف الابتداء**) وهي أما قوله: (وله شعر شاعر) وصف للشعر بالشاعرية إشارة إلى أن شعره أيضًا شاعر. قال المتنبي:

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيك من نفسه شعر

قوله: (**وبالنصب المفضل**) بن محمد رحمه الله. **قوله**: (**الشيخ أبو منصور**) هو محمد بن محمد بن محمود كان من كبار العلماء. مات سنة ثلاث وثلاثين

يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا، ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك و(**عقروا**) الناقة، لأن الهدى المضاف إلى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء، فأما الهدى المُضاف إلى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير. وقال صاحب الكشاف فيه: فإن قلت: أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول: ردعته فارتدع، فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة؟ قلت: للدلالة على أنه مكنهم فأزاح عللهم (**ولم يبق لهم عذر**) فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وإنما (**تمحل**) بهذا لأنه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لأنه يخالف مذهبه الفاسد ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ اختيار العمى على الهدى.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي الكفار من الأولين والآخرين. (﴿**نحشر أعداء**﴾ **نافع ويعقوب**) ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم، وهي (**عبارة**) عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كفقته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ صاروا بحضرتها و«ما» مزيدة للتأكيد (**ومعنى التأكيد**) أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا

وثلاثمائة رحمه الله. **قوله**: (**عقروا**) أي قتلوا. **قوله**: (**ولم يُبْقِ لهم عذر**) أو علّة. **قوله**: (**تمحل**) أي احتال.

قوله: (﴿**نحشر أعداء**﴾ **نافع ويعقوب**) أي قرأ نافع المدنيّ ويعقوب البصري وليس من السبعة بنون العظمة المفتوحة وضم الشين مبنيًّا للفاعل وأعداء بالنصب مفعول به أي نحشر نحن، والباقون بياء الغيب مضمومة مع فتح الشين مبنيًّا للمفعول وأعداء بالرفع على النيابة. **قوله**: (**عبارة**) أي كناية. **قوله**: (**ومعنى التأكيد...**) الخ لأنها تؤكد ما زيدت بعده فهي تؤكد معنى إذا وكلمة إذا لكونها للشرط يدلّ على اتصال الجواب وهو الشهادة بالشرط وهو المجيئة لوجوب وقوعهما في زمان واحد ولو كان ممتدًا في بعض الأوقات كما فيما نحن فيه فإن

وجه لأن يخلو منها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ (سَمْعُهُمْ) وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ شهادة الجلود بملامسة الحرام (وقيل: وهي كناية عن الفروج).

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ لما تعاظمهم من شهادتها عليهم ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ (كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الحيوان) والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهو قادر على إنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجوعكم إلى جزائه ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أي أنكم كنتم تستترون (بالحيطان والحجب) عند ارتكاب الفواحش، وما كان استتاركم ذلك (خيفة ﴿أَن يَشْهَدَ﴾) عليكم جوارحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلًا ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولكنكم إنما استترتم لظنّكم أن الله لا يعلم كثيرًا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم.

المعنى حتى إذا ما جاءوها سئلوا عن معاصيهم فأنكروا فشهد عليهم بعد ختم أفواههم. **قوله**: (﴿سَمْعُهُمْ﴾) أي آذانهم وأفرد لكونه مصدرًا في الأصل. **قوله**: (**وقيل: هي كناية عن الفروج**) عطف على قوله: شهادة الجلود بملامسة الحرام.

قوله: (﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ من **الحيوان**) مبني على أن المراد بالنطق الصوت وأن كل حيوان صامت. اهـ التفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**بالحيطان**) في المصباح أحاط القوم بالبلد إحاطة استداروا بجوانبه وحاطوا به من باب قال لغة في الرباعي ومنه قيل للبناء: حائط اسم فاعل من الثلاثي والجمع حيطان والحائط البستان وجمعه حوائط. اهـ. **قوله**: (**والحجب**) جمع حجاب مثل كتاب وكتب. **قوله**: (**خيفة** ﴿أَن يَشْهَدَ﴾) خبر كان بتقدير اللام كما تقول ما كان قعودي عن حرب جبنا أي للجبن وفيه إشارة إلى أن قوله أن يشهد في موقع المفعول له بتقدير اللام.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ وذلك الظن هو الذي أهلككم، و﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ و﴿ظَنُّكُمُ﴾ خبر و﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ صفته و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبر ثانٍ أو ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل من ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ الخبر ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به **(من الثواء)** في النار ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ وإن يطلبوا الرضا فما هم من المرضيّين، أو إن يسألوا العتبى ـ وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعًا مما هم فيه ـ لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ أي قدرنا لمشركي مكة، **(يقال: هذان ثوبان قيضان)** أي مثلان والمقايضة المعاوضة، وقيل: سلّطنا عليهم ﴿قُرَنَآءَ﴾ **(أخدانًا)** من الشياطين جمع (قرين) كقوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا

قوله: (من الثواء) وهو الإقامة في المصباح ثوى بالمكان وفيه وربما تعدّى بنفسه من باب رمى يثوي ثواء بالمدّ أقام فهو ثاوٍ.

قوله: (**يقال: هذان ثوبان قيضان**) إذا كان كل واحد منهما مكافئًا للآخر في القيمة بحيث يصح أن يباع أحدهما بالآخر مقايضة أي مبادلة وهي بيع السلعة بالسلعة سُمِيَ بها لكونه معاوضة أحد المبتاعين بالآخر ولما كان عقد المقايضة مبنيًا على مناسبة أحد البدلين للآخر كان معنى الآية جعلنا وقرنا قرناء السوء لهم قيضًا أي مناسبًا لهم بحيث يليق أن يتخذوهم أخدانًا وأصدقاء ما دعوهم إليه. **قوله**: (**أخدانًا**) جمع خذن بالكسر وهو الصديق كالخدين.

قوله: (قرين) أي قرناء جمع قرين. **قوله**: (﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾) أي يتعام ويعرض عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات.

﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف: الآية ٣٦] ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها، أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾ في جملة أُمم ومحله النصب على الحال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي حق عليهم القول كائنين في جملة أُمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ قبل أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ هو تعليل لاستحقاقهم العذاب **(والضمير لهم وللأمم)**.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ إذا قرىء ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ و **(عارضوه)** بكلام غير مفهوم **(حتى تشوشوا عليه)** وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذي **(لا طائل)** تحته ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ **(يجوز أن يريد باللذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة، ولكن يذكر الذين كفروا عامة)** لينطووا تحت ذكرهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر.

قوله: (﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾) لا يفارقه. **قوله:** **(والضمير لهم وللأمم)** ويجوز كونه لهم بقرينة السياق. اهـ شهاب.

قوله: **(عارضوه)** أمر بالمعارضة والمراد بها التكلّم عند قراءته. **قوله:** **(حتى تشوشوا عليه)** التشويش على القارىء التخليط حتى يذهل عما يقرؤه وهذا تفسير لحاصل المعنى وأصل معناه ايتوا باللغو ليختلط فلا يمكنه القراءة والمراد باللغو ما لا أصل له أو ما لا معنى له. **قوله:** **(لا طائل)** في لسان العرب أصل الطائل النفع والفائدة. اهـ. **قوله:** **(يجوز أن يريد باللذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة. . .)** الخ يعني أن التعريف في قوله: الذين كفروا للعهد الخارجي والمعهود هم الذين يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون للاستغراق فيدخل فيه القائلون دخولًا أوليًا.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ ذلك إشارة إلى الأسوأ **(ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون)** حتى تستقيم هذه الإشارة ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أي النار في نفسها دار الخلد **(كما تقول: لك في هذه الدار دار السرور)** وأنت تعني الدار بعينها ﴿جَزَآءَۢ﴾ **(أي جوزوا بذلك جزاء)** ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا﴾ **(وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخِذ فَخذ: مكيّ وشاميّ وأبو بكر. وبالاختلاس: أبو عمرو)** ﴿ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا﴾ أي الشيطانين اللذين أضلانا ﴿مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ لأن الشيطان على ضربين جني

قوله: (ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون. . .) الخ ليصح الإخبار إذ الجزاء ليس هو الأسوأ الذي من جنس العمل بل من جنس الجزاء. **قوله: (كما تقول لك في هذه الدار دار السرور)** يعني أنه من التجريد المصطلح عند أرباب فن البديع وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر مماثل للأول في الاتصاف بتلك الصفة لقصد المبالغة في كمال تلك الصفة في الأمر الأول حتى كأنه بلغ في اتصافه بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينتزع منه أمر آخر موصوف بتلك كالنار مثلاً فإنها لما بلغت في كونها دار الخلد بالنسبة إليهم مرتبة عالية صحّ معها أن ينتزع منها أخرى مثلها في تلك الصفة. **قوله: (أي جوزوا بذلك جزاء)** يعني أنه منصوب بفعل مقدّر وهو مصدر مؤكّد لفعله.

قوله: (وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ: مكيّ) أي ابن كثير المكيّ **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وأبو بكر وبالاختلاس: أبو عمرو)** وعبارة تفسير النيسابوري ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا﴾ بسكون الراء ابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحماد ورويس وأبو عمرو بالاختلاس والآخرون بكسر الراء انتهت. فائدة عظيمة: اعلم أن الروم والاختلاس يشتركان في التبعيض إلّا أن الروم أخصّ من حيث إنه لا يكون في الفتح والنصب ويكون في الوقف دون الوصل والثابت من الحركة أقل

وإنسي، قال تعالى: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾) ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ في النار جزاء إضلالهم إيّانا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي نطقوا بالتوحيد ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته، وعن الصدّيق ﷺ: استقاموا فعلًا كما استقاموا قولًا: وعنه أنه تلاها ثم قال: ما تقولون فيها؟ قالوا: لم يذنبوا. قال: حملتم الأمر على أشده. قالوا: فما تقول؟ قال: لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. وعن عمر ﷺ: (**لم يروغوا روغان الثعالب**) أي لم ينافقوا. وعن عثمان ﷺ: أخلصوا العمل. وعن علي ﷺ: أدّوا الفرائض. (**وعن الفضيل**): زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية. وقيل: حقيقة الاستقامة القرار بعد الإقرار لا الفرار بعد الإقرار ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أن﴾ بمعنى «أي» أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه ﴿أَلَّا

من الذاهب والاختلاس أعم لكونه يتناول الحركات الثلاث كما في ﴿لَا يَهِدِّىٓ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٨] ﴿ونعما ﴿وَيَأْمُرُكُم﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٨] عند بعض القراء في الأمثلة الثلاثة ولا يخص بالآخر وهو محل الوقف والثابت من الحركة أكثر من الذاهب وذلك أن يأتي بثُلُثَيْها وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة. اهـ.شرح[1] الجزرية للعلّامة علي القاري رحمه الله. **قوله**: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه (﴿شَيَٰطِينَ﴾) مردة (﴿ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾).

قوله: (**لم يروغوا روغان الثعالب**) في المصباح راغ الثعلب روغًا من باب قال: روغانًا ذهب يمنة ويسرة في سرعة خديعة فهو لا يستقرّ في جهة. اهـ. وفي حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**روغان الثعالب**) مثل في عدم الثبات على حال. اهـ. **قوله**: (**وعن الفضيل**) بن عياض مات بمكة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة رحمه الله.

---

(١) المسمى بالمنح الفكرية، ١٢ منه.

تخافوا﴾ والهاء ضمير الشأن (**أي لا تخافوا ما تقدمون عليه**) ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتهم فالخوف غمّ يلحق الإنسان لتوقع المكروه، والحزن غمّ يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضارّ والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غمّ فلن تذوقوه ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا، وقال محمد بن علي (**الترمذي**): تتنزل عليهم ملائكة الرحمـٰن عند مفارقة الأرواح الأبدان أن لا تخافوا سلب الإيمان، ولا تحزنوا على ما كان من العصيان، وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في (**سالف**) الزمان.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ كما أن الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ من النعيم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تتمنون.

قوله: (**أي لا تخافوا ما تقدمون عليه**) بالتخفيف من القدوم أي ينزلون ملتبسين بهذه البشارة أن لا تخافوا من هول الموت ولا من هول القبر وأفزاع يوم القيامة فإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولون له: لا تخف اليوم ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد وإنك سترى اليوم أمورًا لم ترَ مثلها فلا تهولنك فإنما يراد بها غيرك. **قوله**: (**الترمذيّ**) قال السمعاني في نسبة الترمذي هذه النسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له: جيجون والناس يختلفون في كيفية هذه النسبة بعضهم يقول بفتح التاء ثالث الحروف وبعضهم يقول بضمها وبعضهم يقول بكسرها والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم والذي كنا نعرفه قديمًا كسر التاء والميم جميعًا والذي يقوله المتسوّقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم وكل واحد يقول معنى لما يدعيه هذا كله كلام السمعاني والله أعلم. وسألت مَن رآها هل هي في ناحية خوارزم أم في ناحية ما وراء النهر فقال: بل هي في حساب ما وراء النهر من ذلك الجانب. اهـ وفيات الأعيان. **قوله**: (**سالف**) متقدم.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿نُزُلًا﴾ هو رزق نزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال **(من الهاء المحذوفة أو من «ما»)** ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ نعت له ﴿ (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا) مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى عبادته **(هو رسول الله ﷺ)** دعا إلى التوحيد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ خالصًا ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **(تفاخرًا بالإسلام)** ومعتقدًا له، أو أصحابه عليهم السلام، **(أو المؤذنون)** أو جميع الهداة والدعاة إلى الله.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهم فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك

قوله: (من الهاء المحذوفة) أي من الضمير المحذوف أي ما تدعونه. **قوله: (أو من «ما»)** أي من الموصول بناء على جواز الحال من المبتدأ على مذهب الأخفش في أعمال الظرف من غير اعتماد. اهـ شهاب. **قوله: (﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾)** أي لا أحد أحسن منه بل هذا أحسن من كل أحد، **قوله: (هو رسول الله ﷺ)** فتكون الآية خاصة به كقوله في حق إبراهيم، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣١] والمعنى اختار النسبة إلى الإسلام دون عز الدنيا وشرفها وهو رد على قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وتعجيب منه. **قوله: (تفاخرًا بالإسلام)**[1] لنيله إلى هذا المقام، الذي يحرم عنه أكثر الأنام، فهو في الحقيقة التفاخر بالتوفيق إلى الحق والإسلام. وهو ممدوح حيث قصد به الشكر على الإنعام، والمذموم التفاخر بأمر الدنيا ترفعًا على الأقوام. **قوله: (أو المؤذنون)** لدعوتهم الناس إلى الصلاة التي هي عماد الدين فالآية مدنيّة إلّا أن يقال حكمها متأخر عن نزولها لأن السورة مكيّة والأذان شرع بالمدينة. اهـ شهاب.

---

(١) قوله: تفاخرًا بالإسلام مع قصد الثواب إذ هو لا ينافيه فيكون قال بمعنى تلفظ به لما ذكر. اهـ. شهاب.

حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمّك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فإنك إذا فعلت ذلك انقلب **(عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة)** لك.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي وما يلقي هذه الخصلة التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ إلا أهل الصبر ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ إلا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير. وإنما لم يقل «فادفع بالتي هي أحسن» لأنه على تقدير قائل قال: فكيف أصنع؟ فقيل: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وقيل: «لا» مزيدة للتأكيد والمعنى: لا تستوي الحسنة والسيئة، وكان القياس على هذا التفسير أن يقال: ادفع بالتي هي حسنة، ولكن وضع ﴿التي هي أحسن﴾ موضع «الحسنة» ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة، لأن مَن دفع بالحسنىٰ هان عليه الدفع بما دونها، وعن ابن عباس ﷺ: الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسّر الحظ بالثواب، وعن الحسن: والله ما عظم حظ دون الجنّة، **(وقيل: نزلت في أبي سفيان)** بن حرب وكان عدوًّا مؤذيًا للنبيّ ﷺ فصار وليًّا مصافيًا.

قوله: (عدوك المشاق) أي المخالف اسم فاعل وأصله مشاقق من شاقق قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: الآية ١١٥] الآية. **قوله: (مثل الولي)** وهو القريب الصديق **(الحميم)** أي المشفق. **قوله: (مصافاة)** في لسان العرب مُصَافاة المودة والإخاء. اهـ.

قوله: (وقيل: نزلت في أبي سفيان) حيث دفع النبيّ ﷺ سيئاته بحسنة العفو والإحسان إليه. **قوله: (أبي سفيان)** هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما وُلد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش أسلم ليلة الفتح وحسن إسلامه، وتُوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ودُفن بالبقيع.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي، وجع النزغ نازغًا (كما قيل: جد جده، أو أريد وإما ينزغنك نازغ) وصفًا للشيطان بالمصدر أو لتسويله، والمعنى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرّه وامض على حلمك ولا تطعه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ (لاستعاذتك) ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بنزغ الشيطان.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ الدالّة على وحدانيته ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ في اختصاصهما يسير مقدور ونور مقرر ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فإنهما مخلوقان وإن كثرت منافعهما ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ الضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر، لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأُنثى أو الإناث، تقول: الأقلام بريتها وبريتهن، ولعل ناسًا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لها السجود لله تعالىٰ، فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصًا إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين، فإن من عبد مع الله غيره لا يكون عابدًا لله ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ لا يملّون. والمعنى فإن استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصًا، فدعهم

قوله: (كما قيل: جد جده) بمعنى سعد سعده من الإسناد للمصدر مجازًا للمبالغة ومن على هذا ابتدائية أي نزغ ناشر منه. **قوله**: (أو أريد وإما ينزغنك نازغ) فالمصدر بمعنى اسم الفاعل كعدل بمعنى عادل وإليه أشار بقوله: وصفا... الخ ومن على هذا بيانية والجار والمجرور حال. **قوله**: (لاستعاذتك) فيعين لك بدفع شرّه.

وشأنهم فإن الله تعالىٰ لا يعدم عابد أو ساجد بالإخلاص وله العباد المقرّبون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد. و﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عن الزلفىٰ والمكانة والكرامة. **(وموضع السجدة عندنا ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ وعند الشافعي** رحمه الله **﴿تَعْبُدُونَ﴾ والأول أحوط)**.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ يابسة مغبرة والخشوع التذلّل فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيكون قادرًا على البعث ضرورة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ يميلون عن الحق في أدلتنا بالطعن، يقال: ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شقّ فاستعير لحال الأرض إذا كانت ملحودة، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة. **(﴿يَلْحَدُونَ﴾ حمزة)** ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ وعيد لهم على التحريف ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ (أَم مَّن يَأْتِىٓ) ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ هذا تمثيل

قوله: (وموضع السجدة عندنا ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾) وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيّب وقتادة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. **قوله**: **(وعند الشافعي رحمه الله تعالى عند ﴿تَعْبُدُونَ﴾)** وهو قول ابن مسعود والحسن رضي الله تعالى عنهما في أحد قوليه، وذكره لأنه هو الذي يظهر فيه محل الخلاف فلا ينافيه كون الأصح خلافه عندهم. قال العلّامة التفتازاني الشافعي رحمه الله في حاشيته على الكشاف، قوله: عند الشافعي ﴿تَعْبُدُونَ﴾ يعني في أحد الوجهين وفي أصحهما حين ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾ كما هو مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه. اهـ. **قوله**: **(والأول أحوط)** لأنه لا ضير في تأخير السجود بخلاف تقديمه على محله فإنه يقع غير معتد به.

قوله: (﴿يَلْحَدُونَ﴾ **حمزة**) أي قرأ حمزة ﴿يَلْحَدُونَ﴾ بفتح الياء والحاء من الحد والباقون بضم الياء وكسر الحاء من الحد. **قوله**: (﴿أَم مَّن يَأْتِىٓ﴾) أم من في

للكافر والمؤمن ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فيجازيكم عليه).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ بالقرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ حين جاءهم. وخبر «إن» محذوف أي يعذبون أو هالكون أو (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾) وما بينهم اعتراض ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ (أي منيع) محمي بحماية الله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ التبديل أو التناقض ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ (أي بوجه من الوجوه) ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ مستحق للحمد ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزّلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ ورحمة لأنبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائهم، ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والمقول هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي بلغه العجم كانوا لتعنتهم يقولون: هلّا نزل القرآن بلغة العجم؟ فقيل في جوابهم: لو كان كما

الرسم مقطوعة. **قوله:** (فيجازيكم عليه) لأن اطلاع الله على الأمور وعلمه بها كناية عن مجازاة فاعلها.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾) فلا حذف فيه. **قوله:** (أي منيع) فعيل بمعنى مفعول أي ممتنع عن قبول الإبطال والتحريف. **قوله:** (أي بوجه من الوجوه) أي من جميع الجهات فما بين يديه وما خلفه كناية عن جميع الجهات كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله.

(يقترحون) ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي بيّنات بلسان العرب حتى نفهمها تعنتًا ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ (**بهمزتين كوفي غير حفص**)، والهمزة للإنكار.

قوله: (يقترحون) في الصحاح اقترحت عليه شيئًا إذا سألته إياه من غير روية. **قوله:** (**بهمزتين كوفيّ غير حفص**. . .) الخ عبارة التفسير الكبير، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ بهمزتين على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة ومدة على أصلهم في أمثاله كقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦] ونحوها على الاستفهام. ورُوِيَ عن ابن عباس بهمزة واحدة على الخبر وأما القراءة بهمزتين فالهمزة الأولى همزة إنكار والمراد أنكروا وقالوا: قرآن أعجميّ ورسول عربي أو مرسل إليه عربي، وأما القراءة بغير همزة الاستفهام فالمراد الإخبار بأن القرآن أعجميّ والمرسل إليه عربي انتهت. وعبارة تفسير الخطيب قرأ قالون وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما ووَرْش وابن كثير وابن ذَكْوان وحفص بتسهيل الثانية ولا إدخال وأسقط هشام الأولى والباقون بتحقيقهما. اهـ. وعبارة تفسير النيسابوري قرأ بتحقيق الهمزتين حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص[1] إلا الخزاز والباقون بالمد انتهت. في الإتحاف وقرأ (أأعجمي) بهمزتين على الاستفهام مع تسهيل الثانية والفصل قالون وأبو عمرو وأبو جعفر وابن ذكوان بخلف عنه في الفصل والأكثر على عدمه. قال في النشر: وقرأت له بكل من الوجهين وأشار إليه في الطيبة بقوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ خلف (مليًا و(قرأ) ورش والبزي وحفص بتسهيل الثانية مع القصر وبه قرأ قنبل ورويس في أحد وجهيهما والأزرق وجه آخر إبدالها ألفًا مع المد على قاعدته (و)قرأ قنبل ورويس في وجههما الثاني وهشام في أحد أوجهه الثلاثة بهمزة واحدة على الخبر والثاني لهِشَام بهمزتين محققة فمسهلة مع المدّ والثالث له كذلك لكن مع القصر وبه مع التحقيق. قرأ الباقون وهم أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف وروح وتقدم تفصيل الطرق في الأصول. اهـ بحروفه. وقوله: وتقدم تفصيل الطرق في الأصول قال صاحب الإتحاف في باب الهمزتين وأما (أأعجمي) المرفوع فقرأه قنبل من رواية

---

(١) قوله: حفص روى عنه أبو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق أحمد بن علي الخراز وأبو حفص عمرو بن الصالح طريق عبد الصمد بن محمد. اهـ. تفسير النيسابوري. منه رحمه الله تعالى.

....

ابن مجاهد من طريق صالح بن محمد وغيره وهشام من طريق ابن عبدان عن الحلواني، وكذا رويس من طريق أبي الطيب بهمزة واحدة وهو طريق صاحب التجريد عن الجمال عن الحلواني، ورواه صاحب المبهج عن الداجوني عن أصحابه عن هشام وافقهم الحسن وقرأ قالون وأبو عمرو وابن ذكوان وكذا أبو جعفر بهمزتين على الاستفهام وتسهيل الثانية مع إدخال الألف لكن اختلف عن ابن ذكوان في الإدخال فنص له جمهور المغاربة وبعض العراقيين على الفصل ورده الداني ونصّ له على ترك الفصل غير واحد، قال ابن الجرزي: وقرأت له بكل من الوجهين وأشار إليهما في طيبته بقوله: (أأعجمي) خلف مليًا وقرأ ورش من طريق الأصبهاني والأزرق في أحد وجهيه والبزي وحفص بتسهيل الثانية مع عدم الإدخال وبه قرأ قنبل في وجهه الثاني وكذا رويس في ثانيه أيضًا وافقهم ابن محيصين، والثاني للأزرق إبدالها ألفًا خالصة مع المدّ للساكنين وقرأ هشام من طريق الداجوني إلّا من طريق المبهج بالتسهيل والقصر، وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وكذا خلف وروح بالتحقيق مع القصر وقرأ هشام من طريق الجمال عن الحلواني إلّا من طريق التجريد بالتسهيل والمد وتحصل لهشام ثلاثة أوجه القراءة بهمزة واحدة على الخبر وبهمزة محققة فمسهلة مع القصر والمد. اهـ. وفي تفسير الجلالين (أ) قرآن (أعجميّ و) نبيّ (عربي) استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفًا بإشباع ودونه. اهـ. في الفتوحات الإلـٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للعلّامة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله. قوله: (بتحقيق الهمزة الثانية) أي من غير إدخال ألف بينها وبين الأولى وقوله: وقلبها ألفًا أي ممدودة مدًّا لازمًا فهاتان قراءتان وقوله: بإشباع ودونه هذا سبق قلم لأنه لا يتأتى على قلب الثانية ألفًا وإنما يتأتى على قراءتين أخريين وهما تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينها وبين الأولى وهو المراد بالإشباع في كلامه ومع ترك الإدخال وهو المراد بقوله: ودونه وهاتان القراءتان سبعيتان كالأوليين وبقي خامسة وهي إسقاط الهمزة الأولى تأمل. اهـ شيخنا. اهـ. وفي الجمالين للجلالين للعلّامة علي القاري رحمه الله. قوله: (بتحقيق) حمزة وشعبة والكسائي. قوله: (وقلبها) سقط قبله من العبارة وتسهيلها ولا بد منه وقوله: (ألفًا) يعني قبل المسهلة لقالون وبصري، وقوله: (بإشباع)

وقالوا: (**أقرآن أعجميّ**) ورسول عربي أو مرسل إليه عربي. والباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة. والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم أو العرب، والعجمي منسوب إلى أمة العجم فصيحًا كان أو غير فصيح، والمعنى أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم (**وجدوا فيها متعنتًا**) لأنهم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم، (**وفيه إشارة إلى أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنًا فيكون دليلًا لأبي حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه في جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية**). ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ إرشاد إلى الحق ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما في

ضعيف، وقوله: (ودونه) ظاهر كلامه دون الإشباع وهو الصحيح لكن لا يستوعب القراءات، فالأظهر دون الألف يعني التسهيل بغير ألف المكيّ وورش في أحد وجهيه وله إبدال الثانية ألفًا وهشام إسقاط الهمزة الأولى وتحقيق الثانية. اهـ.

وقوله: (**أقرآن أعجمي...**) الخ فقوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره وكذا يقال فيما بعده فالكلام جملتان. **قوله**: (**وجدوا فيها متعنتًا**) بفتح أي موضع تعنّت. **قوله**: (**وفيه إشارة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنًا فيكون دليلًا لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه في جواز الصلاة إذا قرأ بالفارسية**). وعبارة تأويلات الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله تعالى عنه وفي الآية دلالة على أنه لو أنزله بلسان العجم لكان قرآنًا وأن اختلاف اللسان لا يغيّره ولا يحوّله عن أن يكون قرآنًا والله أعلم فيكون دليلًا لقول أبي حنيفة أنه إذا قرأ بالفارسية في صلاته يجوز صلاته والله أعلم. انتهت بحروفها. وفي مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح في فصل في كيفية تركيب أفعال الصلاة ويصحّ الشروع (**بالفارسية**) وغيرها من الألسن (إن عجز عن العربية وإن قدر لا يصح شروعه بالفارسية) ونحوها (ولا قراءته بها في الأصح) في قول الإمام الأعظم موافقة لهما لأن القرآن اسم للنظم والمعنى جميعًا. اهـ وفي حاشية للعالم العلّامة الشيخ أحمد الطحطاوي رحمه الله. قوله: (إن عجز) الصحيح أنه يصح الشروع عنده بغير العربية ولو كان قادرًا عليها مع الكراهة التحريميّة للقادر لأن الشروع يتعلق بالذكر الخالص وهو يحصل بكل لسان وفي بعض الكتب ما يفيد أن صاحبيه رجعا إلى قوله هنا كرجوعه إلى قولهما في القراءة أفاده صاحب الدرّ (قوله: في الأصح في قولي الإمام) الأولى من قولي الإمام كما هو في بعض

الصدور من الشك إذ الشك مرض ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ (**في موضع الجر لكونه معطوفًا على** ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) أي هو للذين آمنوا هدى وشفاء، وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر أي صمم (**إلا أن فيه عطفًا على عاملين وهو جائز عند الأخفش والفراء**)، أو الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر ﴿وَهُوَ﴾ أي القرآن ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ ظلمة وشبهة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ يعني أنهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كأنهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة. وقيل: ينادون في القيامة من مكان بعيد بأقبح الأسماء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فقال بعضهم: هو حق. وقال بعضهم: هو باطل كما اختلف قومك في كتابك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾

النسخ وبه عبّر في الشرح وهذا ظاهر في القراءة لا في الشروع كما علمت وعلى هذ القول الفتوى قوله: (لأن القرآن اسم للنظم والمعنى جميعًا) ومَن قرأ بغير العربية فإنما أتى بالمعنى فقط انتهت. وفي ردّ المحتار على الدرّ المختار أن الإمام رضي الله تعالى عنه رجع إلى قولهما في اشتراط القراءة بالعربية لأن المأمور به قراءة القرآن وهو اسم للمنزل باللفظ العربي المنظوم هذا النظم الخاص المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلًا متواترًا والأعجميّ إنما يسمى قرآنًا مجازًا ولذا يصح نفي اسم القرآن عنه فلقوة دليل قولهما رجع إليه أما الشروع بالفارسية فالدليل فيه للإمام أقوى وهو كون المطلوب في الشروع الذكر والتعظيم وذلك حاصل بأي لفظ كان وأي لسان كان نعم لفظ الله أكبر واجب للمواظبة عليه لا فرض.اهـ. **قوله**: (**في موضع الجرّ لكونه معطوفًا على** ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) و﴿وَقْرٌ﴾ [فصّلت: الآية ٥] عطف على ﴿هُدًى﴾ وهو مرفوع بالابتداء. **قوله**: (**إلّا أن فيه عطفًا على عاملين**) أي على معمولي عاملين مختلفين وأحد العاملين الجار والآخر العامل المعنوي أي الابتداء. **قوله**: (**وهو جائز عند الأخفش والفرّاء**) واختاره المحققون من المتأخرين في مثل هذه الصورة خاصة أعني كون الأول مجرورًا والثاني مرفوعًا أو منصوبًا.

بتأخير العذاب ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ﴾ لأهلكهم إهلاك استئصال. وقيل: الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ وإن الكفار ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ فنفسه نفع ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ﴾ فنفسه ضرّ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذب غير المسيء ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ أي علم قيامها يرد إليه أي يجب على المسؤول أن يقول الله يعلم ذلك ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ (مدني وشامي وحفص وغيرهم بغير ألف) ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها قبل أن تنشق (جمع «كِم») ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ حملها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ﴾ أي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به، يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من (**الخداج**) والتمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ أضافهم إلى نفسه على زعمهم وبيانه في قوله أين ﴿شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الكهف: الآية ٥٢] وفيه تهكم وتقريع ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ (**أعلمناك**) وقيل: أخبرناك وهو الأظهر إذ الله تعالىٰ كان عالمًا بذلك وإعلام العالم محال، أما الإخبار للعالم بالشيء فيتحقق بما علم به إلا أن يكون المعنى إنك علمت من قلوبنا الآن إنا لنشهد تلك الشهادة الباطلة، لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنه أعلموه ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي ما منا أحد اليوم (**يشهد**) بأن

قوله: (**مدنيّ وشاميّ وحفص**) أي قرأ نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن عامر الشاميّ وحفص بالألف على الجمع. **قوله**: (**وغيرهم بغير ألف**) على التوحيد.

قوله: (**جمع «كِم»**) بكسر الكاف من كممه إذا ستره وهو بالكسر في الثمار وبالضم كم القميص وقد يضم الأول أيضًا والجمع مشترك بينهما. **قوله**: (**الخداج**) أي النقصان. **قوله**: (**أعلمناك**) المراد بالإعلام الإخبار فلا يرد أنه يقتضي أخبرناك لأنه تعالى عالم فلا يصح إعلامه. **قوله**: (**يشهد**) صفة أحد يعني أن من

لك شريكًا وما منا إلا من هو موحد لك، **(أو ما منا من أحد يشاهدهم)** لأنهم ضلّوا عنهم وضلّت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ. وقيل: هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَظَنُّوا۟﴾ **(وأيقنوا)** ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب. ﴿لَّا يَسْـَٔمُ﴾ لا يمل ﴿ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ الكافر بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ مِن ﴿دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف إلى المفعول ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ من الخير ﴿قَنُوطٌ﴾ من الرحمة بولغ فيه من طريقين: **(من طريق بناء فعول، ومن طريق التكرير)**.

في ﴿مِن شَهِيدٍ﴾ مزيدة لتأكيد الاستغراق وهو فاعل للظرف المعتمد على النفي أو مبتدأ له. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: **(أو ما منا من أحد يشاهدهم)** على أن يكون الشهيد من الشهود لا من الشهادة كما في الأول وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ جملة حالية بتقدير قد من فاعل ﴿قَالُوٓا۟﴾ ويكون الضلال بمعنى الغيبة التي هي أصل معناه فإنه يجوز أن يبصروا آلهتهم في ساعة التوبيخ وإن كان قوله تعالى: ﴿ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ من كلام الشركاء على ما قيل يكون الشهيد من الشهادة لا من الشهود لأنه لما كانت الشركاء هم المجيبين عن السؤال المتعلق بالعبدة لم يكن لقولهم: ما منا مَن يشاهد العبدة المشركين معنى وحينئذٍ يكون ضلال الشركاء من العبدة بمعنى عدم نفعهم للعبدة بالشفاعة لهم لأنهم إذا لم ينفعوهم فكأنهم غابوا عنهم لا بمعنى حقيقة الغيبة لأنهم هم المجيبون لما سُئل عنهم العبدة.

قوله: **(وأيقنوا)** لأنه لا احتمال لغيره هنا وهو يكون بمعنى العلم كثيرًا. **قوله:** **(من طريق بناء فعول)** فإن بناء فعول للمبالغة. **قوله:** **(ومن طريق التكرير)** فإن قوله: ﴿قَنُوطٌ﴾ تكرير لقوله: ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ [فصلت: الآية ٤٩] من جهة المعنى وإن

والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس (فيتضاءل) وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧].

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ **(وإذا فرجنا)** عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال: (﴿هَـٰذَا لِى﴾ **أي هذا حقي**) وصل إليّ لأني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر، أو (﴿هَـٰذَا لِى﴾ **لا يزول عني**) ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي ما أظنها تكون قائمة ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ كما يقول المسلمون: ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ﴾ عند الله ﴿لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنّة أو الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسًا أمر الآخرة على أمر الدنيا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد **(لا يفتر)** عنهم.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ﴾ هذا ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسي المنعم وأعرض عن شكره ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ وتباعد عن

كان مغايرًا له من جهة اللفظ وفي القنوط معنى ليس في اليؤوس لأن القنوط أن يظهر على المرء أثر اليأس فيضأل[١] وينكس. **قوله:** (فيتضاءل) في لسان العرب تضاءل الرجل أخفى شخصه قاعدًا وتصاغر.

قوله: (وإذا فرجنا) تفسير لقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، وتفسير (﴿هَـٰذَا لِى﴾) **(أي هذا حقي)** ظاهر وأما (﴿هَـٰذَا لِى﴾ **لا يزول عني**) فمبنيّ على أن اللام للاختصاص دون الاستحقاق. **قوله:** **(لا يفتر)** يخفف.

(١) قوله: فيضأل في المصباح ضؤل الشيء بالهمز وزان قَرُبَ ضؤولة وضآلة فهو ضئيل مثل قريب أي صغير الجسم قليل اللحم وامرأة ضئيلة وتضأل مثله.

ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبّر وتعظم، وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال: ونأى بنفسه ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الضرّ والفقر ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ كثير أي أقبل على دوام الدعاء وأخذ في الابتهال والتضرّع. وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب، ولا منافاة بين قوله ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ وبين قوله: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ لأن الأول في قوم والثاني في قوم، أو قنوط في البر وذو دعاء عريض في البحر، أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان، أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالىٰ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ **(أخبروني)** ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ ثم جحدتم أنه من عند الله ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ منكم إلا أنه وضع قوله: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ موضع «منكم» **(بيانًا لحالهم وصفتهم)** ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ من فتح البلاد شرقًا وغربًا ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فتح مكة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

قوله: (أخبروني) فيه تجوّز أن الأول أنه أطلق الرؤية وأريد الإخبار لأن الرؤية سبب للإخبار والثاني أنه جعل الاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب ثم إنه تعالى لما بالغ في وعيد المشركين وبين أنهم يرجعون عن القول بالشرك والشهادة بكون ما زعموه في الدنيا أنهم شركاء لله ذكر بعده كلامًا آخر يوجب عليهم أن لا يبالغوا في الإعراض عن القرآن وقبول ما فيه من أمر التوحيد والنبوّة والحشر والجزاء فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ الآية.

قوله: (بيانًا لحالهم وصفتهم) فإن من كفر بما نزل من عند الله بأن قال: هو أساطير الأوّلين أو كذا وكذا فقد كان مشاقًا لله تعالى أي معاديًا ومخالفاً له خلافًا

﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي القرآن أو الإسلام ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ **(موضع ﴿بِرَبِّكَ﴾ الرفع على أنه فاعل)** والمفعول محذوف وقوله: ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ **(بدل منه)** تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد أي أولم تكفهم شهادة ربك على كل شيء، ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه

بعيدًا عن الوفاق ومعاداة بعيدة عن الموالاة ولا شك أن من كان كذا فهو في غاية الضلال ولما كان محصول الآية أنكم لما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه حتى قلتم قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر، ومن المعلوم بالضرورة أن العلم بكون القرآن مما يجب أن يعرض عنه ويترك ليس مما يحصل بالبديهة وذكر العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوّة ليس كذلك فمن أعرض عنه وأنكر ما فيه مما يتعلق بالاعتقاد والعمل قبل المراجعة إلى النظر والاستدلال كيف يأمن أن يكون منكرًا لما هو الحق الواجب الاتباع ومستوجبًا للعقاب الشديد فالإصرار على تكذيبه والإعراض عنه قبل المراجعة إلى النظر والاستدلال بعيد كل البعد لا يجترىء عليه عاقل وعدهم أن يريهم آيات أخر بعد الذي أراهم بنزول هذه الآية الكريمة والآفاق جمع أفق وهو الناحية من نواحي الأرض وكذا آفاق السماء نواحيها وأطرافها فلو لم يكن القرآن والرسول الذي أنزله هو عليه حقًّا لما وقعت الحوادث الآتية حسب ما أُخبر عنها وهي بالغيب ولما طابق ما فيه من الأخبار المتعلّقة بالنوازل الماضية لما هو المضبوط المقرّر عند أصحاب التواريخ والحال أن المخبر أمي لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط أصحاب التواريخ ولما نصر حملة القرآن ومن آمن به هذه النصرة الخارقة للعادة فإن خذلان معادي رسول الله ﷺ ومعادي خلفائه وناصري دينه في كل زمان خارق للعادة وخارج عن المعهود فلو لم يكن أمر الدين حقًّا لما كان لهم ذلك الثبات والاستقرار فإن للباطل ريحًا يخفق ثم يسكن ودولة تظهر ثم تضمحل.

قوله: (موضع ﴿بِرَبِّكَ﴾ **الرفع على أنه فاعل**) والباء مزيدة للتأكيد. **قوله**: (**بدل منه**) أي من ربك أي بدل اشتمال ولذا قال تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل... الخ ونبّه على أن المبدل منه في حكم الطرح كما هو المشهور وإن تخلف في بعض الصور.

ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ **(عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها)** وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم.

قوله: **(عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها)** الجمل بالجيم جمع جملة وهي خلاف التفصيل وقول القاشاني أن هذه الآية تدلّ على وحدة الوجود كما نقله الجامي رحمه الله في نفحاته عنى به أنه بطريق الإيماء والإشارة لا أنه معنى النظم حتى يرد أنه يلزم عدم مناسبته لما قبله، كما قيل.

هذا آخر ما أمليته في حلّ ما في سورة السجدة
الحمد لله على توفيق الإتمام
فالآن أشرع مُستعينًا بفضله ومُستهديًا بهديه في حلّ ما في سورة الشورى
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(سورة الشورىٰ)

(مكيّة، وهي ثلاث وخمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾

فصل ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ من ﴿عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ كتابة مخالفًا لـ ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريم: الآية ١] تلفيقًا بأخواتها ولأنها آيتان و﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ آية واحدة ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ **(أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب)** يوحي إليك ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ وإلى الرسل من قبلك ﴿ٱللَّهُ﴾ يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله وفي غيرها من السور، وأوحاه إلى مَن قبلك يعني إلى رسله. والمعنى أن الله كرّر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السمٰوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من نبيّ صاحب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الشورىٰ، مكيّة، وهي ثلاث وخمسون آية)** من غير ألف ولام وتُسمى سورة الشورى وسورة حم عسق وسورة عسق وسورة حم سق. **قوله**: **(أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب)** يعني أن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موقع المطلق أو المعمول به وقيل: بل كلاهما تقرير المفعول به وإنما الاختلاف في تعيين المشار إليه.

كتاب إلا أوحي إليه بـ ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ ۞﴾. (﴿يوحَى﴾ **بفتح الحاء: مكيّ**). ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دلّ عليه ﴿يوحَى﴾ كأن قائلًا قال: مَن الموحي؟ فقيل: الله ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب بقهره ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ المصيب في فعله وقوله:

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۞ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞﴾

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ملكًا وملكًا ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ شأنه ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ برهانه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ (**وبالياء: نافع وعلي**. ﴿(يَتَفَطَّرۡنَ) مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ يتشققن، ﴿ينفطرن﴾: (**بصري وأبو بكر**) ومعناه يكدن ينفطرن من علوّ شأن الله وعظمته يدلّ عليه مجيئه بعد قوله: ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ وقيل: من دعائهم له ولدًا كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم: الآية ٩٠] ومعنى ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي (**يبتدىء الانفطار**) من جهتهن الفوقانية. وكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها كلمة الكفر لأنها جاءت من الذين تحت السمٰوات، ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل: يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن مع الجهة التي تحتهن. وقيل: من فوقهن من فوق الأرض فالكناية راجعة (**إلى الأرض**) لأنه بمعنى الأرضين. وقيل: يتشققن لكثرة ما على السمٰوات من

قوله: (﴿يوحَى﴾ **بفتح الحاء: مكيّ**) أي قرأه ابن كثير المكيّ وقرأ الآخرون بكسر الحاء.

قوله: (**وبالياء: نافع وعلي**) الكسائي والباقون بتاء التأنيث. **قوله**: (﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾) بنون ساكنة بعد الياء وكسر الطاء مخففة مضارع انفطر انشق (**بصري**) أي أبو عمرو وسهل ويعقوب وليسا من السبعة (**وأبو بكر**) شعبة والباقون بتاء فوقية مفتوحة مكان النون وفتح التاء مشددة مضارع تفطر تشقق. **قوله**: (**يبتدىء الانفطار**) من جهتين الفوقانية نسبة للفوق على خلاف القياس كالتحتاني والألف والنون كثيرًا ما يراد في النسب. **قوله**: (**إلى الأرض**) أي جنسها فيشمل السبع ولذا جمع الضمير.

الملائكة، قال عليه السلام: («أطّت السماء) أطًا (وحقّ لها أن تئطّ)، ما فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد». ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ خضوعًا لما يرون من عظمته و﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي للمؤمنين منهم كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: الآية ٧] خوفًا عليهم من سطواته أو يوحدون الله وينزّهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من ألطافه، متعجبين مما رأوا من تعرّضهم لسخط الله تعالىٰ، ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة، أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي جعلوا له شركاء وأندادًا ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء فيجازيهم عليها ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بموكل عليهم ولا مفوّض إليك أمرهم إنما أنت منذر فحسب. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ وذلك إشارة إلى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت بل أنت منذر لأن هذا المعنى كرّره الله في كتابه أو هو مفعول به لـ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بيّن ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي مكة لأن الأرض دحيت من تحتها أو لأنها أشرف (البقاع والمراد أهل أم القرى) ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾

قوله: (أطّت السماء) الأطيط صوت الأقتاب وحنين الإبل أي كثرة ملائكتها قد أثقلتها حتى أطّت وهو مثل وإيذان بكثرتها وأريد به تقرير عظمته تعالى وإن لم يكن ثم أطيط أطَّ يَئِطّ كفرّ يفرّ. **قوله**: (وحُق) مجهول أي ينبغي (لها أن تئِطّ) أي تصح من جهة ازدحام الملائكة أو من خشية الله.

قوله: (البقاع) في المصباح البقعة من الأرض القطعة منها وتضم الباء في الأكثر فتجمع على بقع مثل غرفة وغرف وتفتح فتجمع على بقاع مثل كلبة وكلاب.اهـ. **قوله**: (والمراد أهل أُم القرى) قدر المضاف لأن نفس مكة لا يصح

(من العرب) ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ يوم القيامة لأن الخلائق تجتمع فيه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ **(اعتراض لا محل له، يقال: أنذرته كذا وأنذرته بكذا)** وقد عدي ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ إلى المفعول الأول ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ إلى المفعول الثاني ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ **(أي منهم فريق)** في الجنّة ومنهم فريق في السعير، **(والضمير)** للمجموعين لأن المعنى يوم جمع الخلائق.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي مؤمنين كلهم ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي يكرم مَن يشاء بالإسلام ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾ شافع ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ دافع.

إنذارها. **قوله: (من العرب)** تقييده بالعرب لا ينافي عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافي عموم الحكم لما عداه.

قوله: (اعتراض لا محل له) على قول مَن يجوّز الاعتراض في آخر الكلام والمشهور أنه لا يقع إلّا بين متلازمين كالمبتدأ والخبر والمعطوف والمعطوف عليه.

قوله: (يقال: أنذرته كذا وأنذرته بكذا) الإنذار يتعدّى لمفعولين ثانيهما يكون منصوبًا ومجرورًا بالباء تقول: أنذرته كذا ولتنذرنه بكذا فاقتصر في الأوّل على أوّل مفعوليه وحذف ثانيهما إذ التقدير لتنذر أهل أم القرى بعذاب يوم الجمع بقرينة ما بعده وأول مفعولي الثاني وهو أهل مكة بقرينة ما قبله وقد حذف من الأول ما أثبت في الثاني فهو من الاحتباك.

قوله: (أي منهم فريق...) الخ التقدير منهم فريق للارتباط بما قبله إذ لا ارتباط بدون الضمير. **قوله: (والضمير)** أي الضمير المجرور في منهم لما دلّ عليه يوم الجمع فإن المعنى يوم جمع الخلائق في موقف الحساب ولفظة من للتبعيض قدم الأول لشرافته وأما قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هُود: الآية ١٠٥] قدم الشقي فيه لكثرته.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾﴾

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ الفاء **(لجواب شرط مقدر)** كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه **(إن أرادوا أولياء بحق)** فالله هو الولي بالحق، وهو الذي يجب أن يتولى وحده لا ولي سواه. (﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾) فهو الحقيق بأن يتخذ وليًا دون من لا يقدر على شيء.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ **(حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أي ما خالفتكم فيه الكفار)** من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ أي حكم ذلك المختلف فيه مفوّض ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ وهو إثابة المحقّين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (﴿ذَٰلِكُمُ﴾) الحاكم بينكم ﴿(ٱللَّهُ رَبِّي) عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ فيه رد كيد أعداء الدين ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في كفاية شرّهم. وقيل: وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا: الله أعلم كمعرفة الروح وغيره.

قوله: **(لجواب شرط مقدّر)** دلّ عليه المقام. **قوله:** **(إن أرادوا أولياء بحق)** ينصرهم ويعينهم على الحق. **قوله:** (﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾) مناسب لقوله: ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾. **قوله:** (﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾) تعميم بعد التخصيص وجه التخصيص ما أشرنا من مناسبته بما قبله.

قوله: **(حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أي بما خالفكم فيه الكفار. . .)** الخ في حاشية البيضاوي للعلّامة الشيخ زاده رحمه الله غاية ما في الباب أنه لا يجوز الاجتهاد والقياس بحضرة الرسول ﷺ.اهـ وفي حاشيته للعلّامة الشهاب رحمه الله فليس في الآية دليل على منع الاجتهاد في زمنه ﷺ أو بحضرته فإن الأصح عند الأصوليين وقوعه.اهـ. **قوله:** (﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾) هذا دليل على كون قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ﴾. . . الخ حكاية قول الرسول ﷺ فإضافة الرب للاستغراق فيفيد الحصر.اهـ قونوي. وفي حاشية العلّامة شيخ زاده رحمه الله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ و﴿ٱللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ١٠] خبره وربي نعت لله و﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ خبر بعد خبر قدّم الظرف فيهما ليفيد الاختصاص.اهـ.

﴿فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

﴿فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ ارتفاعه على أنه أحد أخبار ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ **(أو خبر مبتدأ محذوف)** ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ خلق لكم **(من جنسكم)** من الناس ﴿أَزْوَٰجًا وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ أي وخلق للأنعام أيضًا من أنفسها أزواجًا (﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ **يكثركم**). يقال: ذرأ الله الخلق بثّهم وكثرهم ﴿فِيهِ﴾ **(في هذا التدبير)** وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، **(واختير** ﴿فِيهِ﴾ **علي** «به») لأنه جعل هذا التدبير **(كالمنبع)** والمعدن للبث والتكثير. **(والضمير في** ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ **يرجع إلى المخاطبين والأنعام)** مغلبًا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قيل: إن كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل وتقديره ليس مثله شيء. وقيل: المثل زيادة وتقديره ليس كهو شيء كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ١٣٧]. وهذا لأن المراد نفي المثلية، وإذا لم تجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل. **(وقيل: المراد ليس كذاته شيء)** لأنهم يقولون «مثلك لا يبخل»

قوله: **(أو خبر مبتدأ محذوف)** أي هو فاطر السمٰوات والأرض أي خالقهما. **قوله**: **(من جنسكم)** أي من أنفسكم أي استعارة للجنس يعني خلق لكم من جنسكم لا من جنس غيركم فإن التجانس شرط التضام وباعث المحبة والالتيام. **قوله**: (﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ **يكثركم**) من الذرء وهو البث وهو الانتشار فيلزمه الكثرة فتفسيره تفسير باللازم. **قوله**: **(في هذا التدبير)** أي مرجع الضمير الجعل المذكور فسّره أولًا بهذا التدبير رعاية بتذكير الضمير وإفراده فالتدبير هنا من صفات الفعل، وكذا في سائر المواضع التي يسند فيها إليه تعالى. **قوله**: **(واختير** ﴿فِيهِ﴾ **علي** «به»... **الخ**) جواب عما يقال هذا التدبير ليس ظرفًا للبث والتكثير بل هو سبب له فلم قيل: يذرؤكم في هذا التدبير ولم يقل بهذا التدبير. **قوله**: **(كالمنبع)** وهو محل نُبُوع الماء وظهوره. **قوله**: **(والضمير في** ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ **يرجع إلى المخاطبين والأنعام)** وفيه تغليبان تغليب العقلاء فإن كم ضمير العقلاء وتغليب المخاطب على الغائب فإن مقتضى الظاهر أن يقال: يذرؤكم وإياهن أورد بدل إياهن ضمير المخاطب. **قوله**: (وقيل: **المراد ليس كذاته شيء**...) الخ شروع

يريدون به نفي البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية، لأنهم إذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: «ليس كالله شيء» وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهم عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية ٦٤] فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها، لأنها وقعت عبارة عن الجود حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومَن لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع المسموعات بلا أذن ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لجميع المرئيات **(بلا حدقة)**، وكأنه ذكرهما لئلّا يتوهم أنه لا صفة له كما لا مثل له.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

(﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **مرّ في «الزمر»**) ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يضيق ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ ﴿شَرَعَ﴾ بين وأظهر ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومَن بينهما من الأنبياء عليهم السلام، ثم فسّر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ والمراد إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما

في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ على وجه لا تكون الكاف مزيدة.

قوله: **(بلا حدقة)** في المصباح حدقة العين سوادها والجمع حدق وحدقات مثل قصبة وقصب وقصبات وربما قيل: حداق مثل رقبة ورقاب. اهـ.

قوله: (﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **مرّ في «الزمر»**) قال المصنّف رحمه الله في سُورة الزمر (﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم: فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها مقليد وقيل: لا واحد

يكون المرء بإقامته مسلمًا، ولم يرد به الشرائع فإنها مختلفة قال الله تعالى: (﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾) [المائدة: الآية ٤٨] **(ومحل** ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ **نصب بدل)** من مفعول «شرع» والمعطوفين عليه، **(أو رفع على الاستئناف)** كأنه قيل وما ذلك المشروع؟ فقيل: هو إقامة الدين ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ولا تختلفوا في الدين قال علي ﷺ: لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب. ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ عظم عليهم وشق عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من إقامة دين الله والتوحيد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي﴾ **(يجتلب ويجمع)** ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الدين بالتوفيق والتسديد ﴿مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقبل على طاعته.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي أهل الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام

لها من لفظها أو الكلمة أصلها فارسية. اهـ بحروفه. **قوله**: (﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾) أيها الأمم (﴿شِرْعَةً﴾) شريعة (﴿وَمِنْهَاجًا﴾) طريقًا واضحًا في الدين يمشون عليه. اهـ جلالين. **قوله**: (**ومحل** ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ **نصب بدل**...) الخ على أن كلمة ﴿أَنْ﴾ مصدرية والمعنى شرع إقامتكم الدين لما عرفت أن ﴿أَنْ﴾ المصدرية إذا دخلت على الأمر والنهي يراد به المصدر ومعنى الأمر والنهي منسلخ عنهما نبّه أولًا على كون ﴿أَنْ﴾ مفسرة بقوله: ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ ثم جوّز كونها مصدرية. **قوله**: **(أو رفع على الاستئناف)** فتكون ﴿أَنْ﴾ مصدرية ويكون الفعل معها في تأويل المصدر كأنه قيل: وما ذلك الشروع فقيل: هو إقامة الدين والاجتماع عليها وترك التفرّق في إقامته فإن الأمر إذا انتظم على هذا الوجه زال الفساد وظهر العدل وتباعد الناس عن التظالم فيتفرّغون لعمارة دنياهم ويتوصلون بها إلى إقامة دينهم وينالون المنزلة الرفيعة عند ربهم. **قوله**: **(يجتلب ويجمع)** إشارة إلى أن يجتبي مأخوذ من الجباية[1] من جبى الخراج جمعه لأن الكلام في عدم التفرّق في الدين يناسب

---

(١) وهي طلب الخراج، ١٢ منه.

﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسدًا وطلبًا للرياسة و(**الاستطالة**) بغير حق ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهي بل الساعة موعدهم ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لأهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان ﴿مُرِيبٍ﴾ (**مدخل في الريبة**). وقيل: وما تفرّق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله ﷺ كقوله تعالىٰ: (﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾) [البينة: الآية ٤]، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾. هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرّق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر (**شعبًا**) ﴿فَٱدْعُ﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على (**الملّة**) الحنيفية القوية ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدعوة إليها ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ كما أمرك الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المختلفة الباطلة ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ بأي كتاب صح أن الله تعالىٰ أنزله يعني الإيمان بجميع الكتب المنزّلة لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله:

الجمع والانتهاء إليه وكثير من المفسرين على أنه من الاجتباء بمعنى الاصطفاء وضمير ﴿إِلَيْهِ﴾ لله وهذا هو الظاهر الشائع في الاستعمال.

قوله: (**الاستطالة**) الترفّع. **قوله**: (**مدخل في الريبة**) كأصبح بمعنى دخل في الصباح وهو أحد معاني الأفعال. **قوله**: (﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾) في الإيمان به صلّى الله عليه وسلّم (﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾) أي هو صلّى الله عليه وسلّم أو القرآن الجائي به معجزة له وقبل مجيئه صلّى الله عليه وسلّم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم. اهـ جلالين.

قوله: (**شعبًا**) في المصباح الشعبة من الشجرة الغصن المتفرّع منها والجمع شعب مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: (**الملّة**) الحنيفية ملّة الإسلام. **قوله**:

(﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾) إلى قوله: (﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾) [النساء: الآية ١٥١] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إليّ ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي كلنا (عبيده) ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ هو كقوله: (﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾) [الكافرون: الآية ٦] ويجوز أن يكون معناه إنا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي لا خصومة لأن الحق قد ظهر وصرتم مَحجوجينَ به فلا حاجة إلى المحاجة، ومعناه لا إيراد حجة بيننا لأن المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝١٦﴾

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ يخاصمون (في دينه) ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام ليردوهم إلى دين الجاهلية كقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (لَوْ يَرُدُّونَكُم) مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: الآية ١٠٩]. كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم ونبيّنا قبل نبيّكم فنحن خير منكم وأولى بالحق. وقيل: من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام

(﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾) إلى **قوله**: (﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾) في تفسير الجلالين (﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾) من الرسل (﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾) منهم (﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾) الكفر والإيمان (﴿سَبِيلًا﴾) طريقًا يذهبون إليه (﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾) مصدر مؤكد لمضمون الجملة. **قوله**: (**عبيده**) جمع عبد. **قوله**: (﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾) في تفسير الجلالين (﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾) الشرك (﴿وَلِيَ دِينِ﴾) الإسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب وحذف ياء الإضافة السبعة وقفًا ووصلًا وأثبتها يعقوب في الحالين. اهـ.

قوله: (**في دينه**) بتقدير المضاف وفيه تنبيه على أن هذا القول في معنى التعليل لقوله: ﴿لَا حُجَّةَ﴾ [الشورى: الآية ١٥] وبيان لعنادهم وصيغة المفاعلة للمبالغة والمعنى والذين من الكفار يحاجون أي يبالغون في إبراز الحجة لإبطال دين الله. **قوله**: (﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾) لو مصدريّة فإن لو تنوب عن أن في المعنى دون

دعاؤه على المشركين (يوم بدر) ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة وسمّاها حجة وإن كانت شبهة لزعمهم أنها حجة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ (أي جنس الكتاب) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصِّدق (أي ملتبسًا) به ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ والعدل والتسوية. ومعنى إنزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة. وقيل: هو عين الميزان أنزله في زمن نوح عليه السلام ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ أي لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدري (**والمراد مجيء الساعة**)، و(**الساعة في تأويل البعث**). ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع إنزال الكتب والميزان أن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ (استهزاء) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا﴾ وجلون لهولها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾

اللفظ. اهـ جمالين. **قوله**: (**يوم بدر**) يقتضي أن الآية مدنيّة لأن وقعة بدر بعد الهجرة فيعارض كون السورة مكيّة من غير استثناء من المصنّف رحمه الله كما قيل: إلا أن يكون تبشيرًا له ووعدًا جعل كالماضي لتحققه.

قوله: (**أي جنس الكتاب**) فيدخل القرآن فيه دخولًا أوليًا. **قوله**: (**أي ملتبسًا**) به أي الباء للملابسة. **قوله**: (**والمراد مجيء الساعة**) بتقدير المضاف أو (**الساعة في تأويل البعث**) تسمية للحال باسم ما حلّ فيه وهذا توجيه لتذكير قريب مع أن الساعة مؤنثة.

قوله: (**استهزاء**) فإنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما هدّدهم بيوم القيامة قالوا مستهزئين: متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر الحق أهو الذي نحن

(الكائن لا محالة) ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾ (المماراة الملاجّة) لأن كل واحد منهما (يمري) ما عند صاحبه ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالىٰ، وقد دلّ الكتاب والسنّة على وقوعها، والعقول تشهد على أنه لا بد من دار جزاء.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ في إيصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف إدراكه وهو برّ بليغ البر بهم قد توصل برّه إلى جميعهم. وقيل: هو من لطف بالغوامض علمه وعظم من الجرائم حلمه، أو مَن ينشر المناقب ويستر (المثالب)، أو يعفو عمَن (يهفو)، أو يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة. و(عن الجنيد): لطف بأوليائه فعرفوه ولو لطف بأعدائه ما جحدوه ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ أي يوسع رزق مَن يشاء إذا علم مصلحته فيه، في الحديث «إن من عبادي المؤمنين مَن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين مَن لا

عليه أم ما تدعوننا إليه فإنهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها فهم يطلبون وقوعها استبعادًا لقيامها بخلاف الذين آمنوا فإنهم مشفقون منها لعلمهم بأنهم محاسبون ومجزيون بما عملوا في الدنيا مع اعتنائها أي مع اعتنائهم بها واهتمامهم بشأنها أي يجمعون بين الخوف منها والاهتمام بشأنها لتوقعهم ما فيها من الثواب. **قوله**: (**الكائن لا محالة**) هذا مستفاد من التأكيد وإشارة إلى أن الحق بمعنى المتحقق الواجب مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الحج: الآية ٦] الآية. **قوله**: (**المماراة الملاجّة**) والمحاجة والمجادلة فيما فيه مرية وأصل ذلك من مريت الشاة مَسَحْتَ ضرعها للحلب. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي تاج العروس الملاجة التمادي في الخصومة وقيل: هو الاستمرار على المعارضة في الخصام. اهـ. **قوله**: (**يمري**) أي يحلب وينزع من مرى الناقة بيده إذا مسح.

قوله: (**المثالب**) العيوب كذا في لسان العرب. **قوله**: (**يهفو**) في الصحاح الهفوة الزلّة وقد هفا يهفو هفوة. اهـ. **قوله**: (**عن الجنيد**) بن محمد سيّد هذه الطائفة الصوفية وكان فقيهًا على مذهب أبي ثور مات سنة سبع وتسعين ومائتين رحمه الله.

يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك» ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ الباهر القدرة الغالب على كل شيء ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع الذي لا يغلب.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة حرثًا مجازًا ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ بالتوفيق في عمله أو التضعيف في إحسانه أو بأن ينال به الدنيا والآخرة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي مَن كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ **(أي شيئًا منها)** لأن «من» للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريده ويبتغيه ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب، ولم يذكر في عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من **(زكاء)** عمله وفوزه في المآب.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ قيل: هي «أَم» المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء. وقيل: هي المعادلة لألف الاستفهام. وفي الكلام إضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة ﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي لم يأمر به؟ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدَة بأن الفصل يكون يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وإن المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وإن أُخِّر عنهم في دار الدنيا.

قوله: (أي شيئًا منها) أي شيئًا كائنًا منها على أن منها متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول الثاني المحذوف لقوله: ﴿نُؤْتِهِۦ﴾. **قوله**: (زكاء) في المصباح الزكاء بالمدّ النماء والزيادة. اهـ.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين في الآخرة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ من جزاء كفرهم ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ نازل بهم **(لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا)** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ **(كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها)** ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ **(عند نصب بالظرف لا بـ «يشاؤون»)** ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ على العمل القليل.

قوله: (لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا) أي لا بد لهم منه. **قوله: (كأن روضة**[1] **جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها)** والظاهر أن الإضافة للبيان إذ جملة بقاعها أطيب وأنزه إلا أن يقال أن المراد بالمؤمنين الصديقون والسابقون بالخيرات فيكونون في أطيب بقاعها ومن دون ذلك من المؤمنين في أطيب بقاعها لكن المراد العموم ثم المؤمنون الذين لم يعملوا الصالحات فحالهم مسكوت عنها ولك أن تقول أن ما ذكر في النظم الكريم عام ومكانهم أطيب البقاع ومكان عصاة الموحّدين طيب. اهـ قنوي. وفي الخطيب وروضة الجنة أطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على أن عصاة المؤمنين من أهل الجنة لأنه خصّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة، فالبقاع التي دون تلك الروضات لا بد وأن تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا وعملوا الصالحات. اهـ.

قوله: (عند نصب بالظرف لا بـ «يشاؤون») يعني أن عند منصوب ومتعلق بالظرف وهو لهم أو بعامله لا بيشاؤون لأنه على الأول يكون قوله: ما يشاؤون باقيًا على عمومه ويكون المعنى جميع ما يشتهونه حاصل لهم منه تعالى خاصة بخلاف الثاني فإنه يدل على أن ما يشاؤون عنده حاصل لهم منه أو من غيره ولا يدل على حصول جميع مطالبهم. اهـ شيخ زاده رحمه الله وشهاب رحمه الله.

---

(١) فإن رياض الأرض متنزهاتها، فما بالك برياض الجنان، اهـ شهاب، ١٢ منه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الفضل الكبير ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ (﴿يَبْشُرُ﴾ **مكيّ وأبو عمرو وحمزة وعلي**) ﴿عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ﴾ أي به عباده الذين آمنوا (**فحذف الجار**) كقوله: (﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾) [الأعراف: الآية ١٥٥] ثم حذف الراجح إلى الموصول كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: الآية ٤١].

ولما قال المشركون: أيبتغي محمد على تبليغ الرسالة أجرًا نزل ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾ يجوز أن يكون (**استثناء متصلًا**) أي لا أسألكم عليه أجرًا إلا هذا وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ويجوز أن يكون منقطعًا أي لا أسألكم عليه أجرًا قطّ ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم

قوله: (﴿يَبْشُرُ﴾) بفتح الياء وسكون الموحّدة وضم الشين مخففة من بشر الثلاثي (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو وحمزة وعليّ**) الكسائي والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحّدة وكسر الشين مشددة وهو منقول من بشره يبشره بفتح العين في الماضي وضمّها في المضارع والتشديد فيه للتكثير لا للتعدية لأن الثلاثي متعدٍّ بنفسه ولا فرق بين القراءتين من حيث المعنى إلّا بأن إحداهما فيها معنى التكثير لا في الأخرى. **قوله:** (**فحذف الجار...**) الخ على عادتهم في التدريج في الحذف ولا مانع من حذفهما دفعة واحدة. اهـ شهاب. وفي حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**فحذف الجار**) مبناه على أنهم لا يجوزون حذف الجار والمجرور دفعة بل التدريج بخلاف مثل السمن منوان بدرهم. اهـ. **قوله:** (﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾) من قومه. **قوله:** (**استثناء متصلًا**) بجعل المودّة من قبيل الأجر نظرًا إلى كونها في مقابلة ما يتعاطاه من إرشادهم وإلى زعمهم أنه يسأل أجرًا. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي حاشية شيخ زاده رحمه الله. فإن قيل: كيف يصح أن يكون الاستثناء متصلًا والحال أنه يفيد كونه عليه الصلاة والسلام طالبًا للأجر على تبليغ الوحي وأنه لا يجوز لوجوه أولها أنه تعالى حكى عن أكثر الأنبياء تصريحهم بنفي طلب الأجر فقال في قصة نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٠٩]... الخ، وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ورسولنا ﷺ أفضل الأنبياء وسيّد المرسلين فكيف

قرابتكم ولا تؤذوهم. ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لأنهم جعلوا مكانًا للمودة ومقرًّا لها كقولك: «لي في آل فلان مودّة ولي فيهم حب شديد» تريد أحبهم

يليق بشأنه أن يطلب الأجر على تبليغ الوحي والرسالة. وثانيها أنه عليه الصلاة والسلام أيضًا صرّح بنفي طلب الأجر فقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [صَ: الآية ٨٦] وقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سَبَأ: الآية ٤٧]. وثالثها أن التبليغ كان واجبًا عليه لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: الآية ٦٧] وطلب الأجر على طلب الواجب لا يليق بأقل الناس قدرًا فضلًا عن سيّد الكائنات. ورابعها أن متاع الدنيا أقل الأشياء وأخسّها بالنسبة إلى الوحي الإلـٰهي وعلم النبوّة فكيف يصح في العقل أن يطلب أخس الأشياء بمقابلة أشرف الأشياء. وخامسها أن طلب الأجر يوهم التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوّة فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز منه عليه الصلاة والسلام أن يطلب الأجر على التبليغ البتة فكيف يصح أن يصدر منه ما يجري مجرى طلب الأجر وهو المودّة في القربى أجيب عنه بأنه من قبيل قول مَن قال:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

لأن حاصله أنا لا أطلب منكم إلا هذا وهذا في الحقيقة ليس بأجر لأن الأجر ما يجب بمقابلة العمل ومودّة أقربائه عليه الصلاة والسلام واجبة على قريش وقد روي عن الشعبي أنه قال: أكثر الناس على أن المراد بالقربى في هذه الآية عليّ وابناه وصاحبته فكتبنا إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنه نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس إلينا أن رسول الله ﷺ كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة وإن فرض أنه عليه الصلاة والسلام لم يبعث إليهم نبيًّا ولم يبلغ إليهم وحي الله تعالى لأن أقرباءه عليه الصلاة والسلام ذوو قرابتهم فكانت صلتهم والامتناع من إيذائهم واجبة بحكم المروءة الجبلية فمودّتهم في القربى لا تكون أجر التبليغ لوجوبها عليهم مع قطع النظر عن التبليغ فلا يكون عليه الصلاة والسلام طالبًا للأجر على التبليغ إلّا أنه عليه الصلاة والسلام سمّاها أجرًا واستثناها منه تشبيهًا لها به وهذا القدر كافٍ في صحة الاتصال ولأن حصول المودّة بين المسلمين أمر واجب قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبَة: الآية ٧١] وقال عليه الصلاة والسلام: المؤمنون كالبنيان يشدّ

وهم مكان حبي ومحله. وليست «في» بصلة لـ ﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾ كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى، **(إنما هي متعلقة بمحذوف)** تعلّق الظرف به في قولك: «المال في الكيس» وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها. والقربى مصدر كالزلفىٰ والبشرىٰ بمعنى القرابة، والمراد في أهل القربى. و**(رُوِيَ)** أنه لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: **(عليّ وفاطمة**

بعضه بعضًا والآيات والأخبار في هذا الباب كثيرة وإذا كان حصول المودّة بين جمهور المسلمين واجبًا فحصولها في حق أشراف المسلمين وأكابرهم أولى فكأنه قيل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، ومن المعلوم أن المودّة في القربى ليست أجرًا في الحقيقة فرجع حاصل الكلام إلى أنه لا يسأل أجرًا البتة. اهـ. **قوله**: **(إنما هي متعلّقة بمحذوف)** منصوب أنه حال من المودّة. **قوله**: **(رُوِيَ...)** الخ هذا يقتضي أن هذه الآية مدنيّة فإن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما إنما ولدا بالمدينة ولم يذكر المصنّف رحمه الله أن هذه السورة مدنيّة وقيل: إنه ليس بمرضي له لضعف الحديث المذكور في تخريج أحاديث الكشّاف لابن حجر. **وقوله**: **(عليّ)** بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيّ الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلامًا في قول الكثير من أهل العلم، وُلد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربي في حجر النبيّ ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلّا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزوجه بنته فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبيّ ﷺ بين أصحابه قال له: أنت أخي ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ رضي الله تعالى عنه وقال غيره: وكان سبب ذلك تنقيص بني أميّة له فكان كل مَن كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته وكلما أرادوا إخماده وهدّدوا من حديث بمناقبه لا يزداد إلا انتشارًا وقد ولّد له الرافضة مناقب كثيرة موضوعة هو غني عنها. اهـ. الإصابة في تمييز الصحابة. **قوله**: **(وفاطمة)** بنت إمام المتّقين رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية صلّى الله وسلّم على أبيها ورضي الله عنها كانت تكنّى أُم أبيها بكسر الموحّدة بعدها تحتانية ساكنة، ونقل ابن فتحون عن بعضهم

وابناهما). وقيل: معناه إلا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيّجوا علي إذ لم يكن **(من بطون قريش)** إلا بين رسول الله وبينهم قرابة. وقيل: القربى التقرّب إلى الله تعالىٰ أي إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقرّبكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ يكتسب طاعة. **(عن السدي)**: أنها المودة في آل رسول الله ﷺ نزلت في **(أبي بكر)** ﷺ ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها تتناول المودّة تناولًا أوليًا لذكرها عقيب ذكر المودّة في القربى.

﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي نضاعفها كقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥] **(وقرىء ﴿حسنى﴾)** وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود إلى الحسنة أو إلى الجنّة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن أذنب **(بطوله)** ﴿شَكُورٌ﴾ لمن أطاع بفضله. وقيل: قابل للتوبة حامل عليها.

بسكون الموحّدة بعدها نون وهو تصحيف وتلقب الزهراء روت عن أبيها روى عنها ابناها وأبوهما وعائشة وأُم سلمة وسلمى أم رافع وأنس وأرسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها.اهـ الإصابة. **قوله**: **(وابناهما)** أبو محمد الحسن وأبو عبد الله الحسين رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(بطن)** أي قبيلة **(من بطون قريش)** وقريش هم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده. **قوله**: **(عن السدي)** في المصباح السدة الباب وينسب إليها على اللفظ فيقال: السديّ ومنه الإمام المشهور وهو إسماعيل السديّ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة والجمع سدد مثل غرفة وغرف.اهـ. **قوله**: **(أبي بكر)** الصدّيق بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ صحب النبيّ ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمرّ معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات وكانت الراية معه يوم تبوك، وحجّ بالناس في حياة النبيّ ﷺ سنة تسع واستقرّ خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله ﷺ. **قوله**: **(وقرىء ﴿حسنى﴾)** بألف التأنيث بلا تنوين في السمين العامة على «حُسنًا» بالتنوين وهو مصدر على فعل نحو شكر وهو مفعول به وعبد الوارث عن أبي عمرو وحسنى بألف التأنيث على وزن بشرى ورجعى وهو مفعول به أيضًا ويجوز أن يكون صفة كفضلى فيكون وصفًا لمحذوف أي خصلة حسنى.اهـ. **قوله**: **(بطَوْله)** أي بإنعامه الواسع.

(وقيل: **الشكر في صفة الله**) تعالىٰ عبارة عن الاعتداد بالطاعة (**وتوفية ثوابها**) والتفضل على المثاب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ «أم» منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل: أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم (**الفرى**) وأفحشها؟ ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ قال (**مجاهد**): أي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لئلا تدخله مشقّة بتكذيبهم ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على ﴿يَخْتِمْ﴾ لأن محو الباطل غير متعلّق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالىٰ ورفع ﴿وَيُحِقُّ﴾ وإنما سقطت الواو في الخط كما سقطت في (﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾) [الإسراء: الآية ١١] و﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [الفلق: الآية ١٨] على أنها مثبتة في (**مصحف نافع**) ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ ويظهر الإسلام ويثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾

قوله: (**وقيل: الشكر في صفة الله**...) الخ يعنى أن الشكر من الله تعالى يُراد به هذا المعنى مجازًا لأن معناه الحقيقي وهو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا لا يتصوّر منه تعالى لامتناع أن ينعم عليه أحد حتى يقابله بالشكر شبّهت إثابته أهل الطاعة وتفضله عليه بالزيادة بالشكر الحقيقي من حيث إن كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير وإكرامه لأجله. **قوله**: (**وتوفية ثوابها**) أي إعطائه كاملًا مع زيادة عليه.

قوله: (**الفرى**) جمع فرية وهي الكذبة. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الباء الموحّدة من كبار التابعين كان إمامًا في القراءة والتفسير رحمه الله. **قوله**: (﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾) على نفسه وأهله إذا ضجر (﴿دُعَآءَهُۥ﴾) أي كدعائه له (﴿بِٱلْخَيْرِ﴾) حذفت الواو من يدعو لفظًا لاستقبال اللام الساكنة كما في قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: الآية ١٨] الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه وحذفت في الخط أيضًا تبعًا للفظ لكنها غير محذوفة معنى. **قوله**: (**مصحف**) ضم الميم أشهر من كسرها. **قوله**: (**نافع**) مولى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم

مما أنزل من كتابه على لسان نبيه ﷺ وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأظهر الإسلام ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي عليم بما في صدرك وصدورهم فيجزي الأمر على حسب ذلك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ يقال: قبلت منه الشيء إذا **(أخذته)** منه وجعلته مبدأ قبولي. ويقال: قبلته عنه أي عزلته عنه وأبنته عنه. والتوبة أن يرجع عن القبيح **(والإخلال بالواجب)** بالندم عليهما والعزم على أن لا يعود، وإن كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصي على طريقه. وقال علي ﷺ: **(هو اسم يقع على ستة معانٍ)**: علىٰ الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم، **(وإذابة النفس)** في الطاعة كما ربيتها في المعصية، **(وإذاقة النفس مرارة الطاعة)** كما أذقتها حلاوة المعصية، **(والبكاء بدل كل ضحك ضحكة. وعن السدي)**: هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب.

وهو من كبار التابعين، تُوفي سنة سبع عشرة وقيل: سنة عشرين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: **(أخذته)** أي الشيء وكذا عزلته وضمير منه وعنه وجعلته للرجل مثلًا. **قوله**: **(والإخلال بالواجب)** عطفه على القبيح لا يكون فعلًا والتوبة لا يخصه بل عن ترك الواجبات أيضًا. **قوله**: **(هو اسم يقع على ستة معانٍ...)** الخ وهو محتمل لأن تكون التوبة مجموع هذه الأمور. فالمراد أكمل أفرادها ويحتمل أنها اسم لكل واحد منها والأول أظهر. اهـ شهاب. **قوله**: **(وإذابة النفس)** أراد به الجسد فالمراد أنه يضعفه ويصيّره مهزولًا بعدما قوّاها وسمنها. **قوله**: **(مرارة الطاعة)** كونها صعبة شاقة كما يشق تناول المر الكريه الطعم. **قوله**: **(والبكاء بدل كل ضحك ضحكة)** أي ضحكة المعاصي وإسناده إلى المعاصي مجازي إن قيل إن ضحك بمعنى أضحك لكنه خلاف الظاهر والبكاء إما حقيقة أو التباكي وكذا المراد بالضحك أعم من الحقيقي والحكمي وهو التلذّذ أو السرور. اهـ قنوي. **قوله**: **(وعن السدّي)** هو الإمام المشهور إسماعيل السدي رحمه الله.

وعن غيره: هو أن لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره. وعن **(سهل)**: هو الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. **(وعن الجنيد)**: هو الإعراض عما دون الله ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهو ما دون الشرك، يعفو لمَن يشاء بلا توبة (﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ **بالتاء: كوفي غير أبي بكر**) أي من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوه وزادهم على مطلوبهم. واستجاب وأجاب بمعنى، والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك «تعظم»

قوله: (سهل) بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج، تُوفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين. **قوله**: **(وعن الجنيد)** بن محمد سيّد هذه الطائفة الصوفية مات سنة سبع وتسعين ومائتين. **قوله**: **(بالتاء كوفيّ غير أبي بكر)** عبارة الخطيب قرأ حمزة والكسائي وحفص بتاء الخطاب إقبالًا على الناس عامة، وهذا خطاب للمشركين وقرأ الباقون بالغيبة نظرًا إلى قوله تعالى ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، وقال تعالى بعد: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾. اهـ. وعبارة تفسير النيسابوري ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ على الخطاب حمزة وخلف وعلي وحفص. اهـ. وعبارة البغويّ (﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾) قرأ حمزة والكسائي وحفص تفعلون بالتاء وقال: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم فقال قبله: ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ وبعده ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾. اهـ. وعبارة الجمالين. **قوله**: بالتاء الفوقانية حفص وحمزة والكسائي على الالتفات. اهـ. وعبارة تفسير الكبير ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتاء على المخاطبة والباقون بالياء على المغايبة. وعبارة الإتحاف. واختلف في «ما يفعلون» فحفص وحمزة والكسائي وخلف ورويس بخلف عنه بالتاء من فوق وافقهم الحسن والأعمش والباقون بالياء من تحت وبه قرأ رويس من غير طريق إلى الطيب. اهـ. وعبارة القنوي. **قوله**: **(وقرأ الكوفيّون غير أبي بكر** ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ **بالتاء)** فيكون التفاتًا. اهـ. وعبارة الشهاب قوله: قرأ الكوفيّون... الخ بالتاء الفوقية وغيرهم بالتحتية وعلى الأول فهو التفات. اهـ. وعبارة شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: **(قرأ الكوفيّون غير أبي بكر)** أي قرأ حمزة

و«استعظم» والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا. وقيل: معناه ويستجيب للذين فحذف اللام. مَنَّ عَليهم بأن يقبل توبتهم إذا تابوا ويعفو عن سيئاتهم ويستجيب لهم إذا دعوه ويزيدهم على ما سألوه. **(وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: ما بالنا ندعوه فلا نُجاب؟ قال: لأنه دعاكم فلم تجيبوه)** ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي لو أغناهم جميعًا ﴿لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البغي وهو الظلم أي لبغي هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغنى مبطرة مأشرة،

والكسائي وحفص عن عاصم «يفعلون» بالياء من تحت نظرًا إلى قوله: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وقوله بعده: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ والباقون بتاء الخطاب التفاتًا للناس عامة أو خطابًا للمشركين. اهـ بحروفها. وعبارة السمين قوله تعالى: بما يفعلون قرأ الأخوان وحفص «يفعلون» بالياء من تحت نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ والباقون بالخطاب إقبالًا على الناس عامة. اهـ بحروفها فافهم.

قوله: (وعن إبراهيم بن أدهم بن منصور أنه قيل له: ما بالنا ندعوه فلا نجاب؟ قال: لأنه دعاكم فلم تجيبوه) يعني أنه يجوز أن يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في محل النصب على أنه مفعول به وفاعل يستجيب مضمر فيه يعود على الله ويجوز أيضًا أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في محل الرفع على أنه فاعل ﴿يَسْتَجِيبُ﴾ ويكون المفعول محذوفًا أي يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها على أن استجاب بمعنى أطاع أو أجاب ويؤيد كون الموصول فاعل يستجيب ما رُوِيَ أنه قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يجاب لنا قال: لأنه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: الآية ٢٥] أي أنه تعالى دعاهم وقرأ قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأشار بقراءة قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: الآية ٢٥] إلى أنه تعالى دعاهم وبقراءة قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشورى: الآية ٢٦] إلى أنه لم يجب إلى دعائه إلا البعض.

وكفى بحال قارون وفرعون عبرة! أو من البغي وهو الكبر أي لتكبّروا في الأرض ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ (**بالتخفيف: مكي وأبو عمرو**) ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ بتقدير يقال قدره قدْرًا وقدَرًا ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط، ولو أغناهم جميعًا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا، وما ترى من البسط على مَن يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل، ولا شك أن البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ (﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ **بالتشديد: مدني وشامي وعاصم**) ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ (**وقرىء ﴿قنِطوا﴾**) ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به (**من الخصب**). وقيل لعمر ﷺ: اشتدّ القحط وقنط الناس. فقال: مطروا إذا أراد هذه الآية. (**أو أراد رحمته في كل شيء**) ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته.

قوله: (**بالتخفيف: مكيّ وأبو عمرو**) أي قرأ ابن كثير المكيّ وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

قوله: (**بالتشديد: مدنيّ**) أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وعاصم**) عبارة تفسير النيسابوري (﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾) بالتشديد أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم. اهـ وعبارة الإتحاف وقرأ (﴿**ينزل**﴾ **الغيث**) بالتخفيف ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. اهـ بحروفها. وعبارة الخطيب قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي. اهـ فافهم. **قوله**: (**وقرىء ﴿قنِطوا﴾**) بكسر النون وهي قراءة شاذّة وفي الإتحاف وعن الأعمش ﴿قَنَطُوا۟﴾ بكسر النون لغة. اهـ. **قوله**: (**من الخصب**) في المصباح الخصب وزان حمل النّماء والبركة وهو خلاف الجدب وهو اسم من أخصب المكان بالألف فهو مخصب وفي لغة خصب يخصب من باب تعب فهو خصيب وأخصب الله الموضع إذا أنبت به العشب والكلأ. اهـ. **قوله**: (**أو أراد رحمته في كل شيء**) إشارة إلى أن ضمير رحمته لله تعالى وأن قوله تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي علامات قدرته ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مع عظمهما (﴿وَمَا بَثَّ﴾) فرق ﴿وَمَا﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا ومجرورًا حملًا على المُضاف أو المُضاف إليه ﴿فِيهِمَا﴾ من السمٰوات والأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ الدواب تكون في الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسًا ببعضه كما يقال: بنو تميم فيهم شاعر مجيد وإنما هو **(في فخذ)** من أفخاذهم ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٢٢] وإنما يخرج من الملح، ولا يبعد أن يخلق في السمٰوات حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على

﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ مع أن الغيث رحمة بالغة تعميم بعد التخصيص أي من باب عطف العام على الخاص كأنه قيل: ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر أنواع الرحمة.

قوله: (﴿وَمَا بَثَّ﴾) في محل الجر عطفًا على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أو الرفع عطفًا على ﴿خَلْقُ وَمَا﴾ موصولة لكونها مبنية بـ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشورى: الآية ٢٩]. اهـ. تفتازاني رحمه الله. وعبارة الشهاب ﴿وَمَا﴾ تحتمل الموصولية والمصدرية أي ومن آياته بثّه فيهما. اهـ. وعبارة التمجيد وقالوا: يمكن أن يقال أن ما مصدريّة والمضاف إليه محذوف والمعنى ومن آياته بثّه فيهما أقول يرد هذا الوجه من البيانية في ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾. اهـ. **قوله**: **(في فخذ)** في المصباح الفخذ بالكسر وبالسكون للتخفيف دون القبيلة وفوق البطن وقيل: دون البطن وفوق الفصيلة وهو مذكّر لأنه بمعنى النفر والفخذ بالكسر أيضًا وبالسكون للتخفيف من الأعضاء مؤنّثة والجمع فيهما أفخاد. اهـ. فائدة جليلة طبقات النسب سبع الشعب[(١)] بفتح الشين والقبيلة والعمارة بكسر العين على القليل والأفصح فتحها والبطن والفخذ والفصيلة بوزن قبيلة والعشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل[(٢)] تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والأفخاذ تحت البطون والفصائل تحت الأفخاذ

---

(١) هو أعلى طبقات النسب، ١٢ منه. (٢) هي دون الشعوب، ١٢ منه.

لأرض، أو يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسي ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ (﴿إِذَا﴾ **تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي**)، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ [الليل: الآية ١].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣١﴾

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ **(غمّ وألم)** ومكروه ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم. (﴿**بما كسبت**﴾ **بغير الفاء: مدني وشامي على أن** ﴿**ما**﴾ **مبتدأ و**﴿**بما كسبت**﴾ **خبره**) من غير تضمين معنى الشرط، ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط. وتعلّق بهذه الآية مَن يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألّموا. وقلنا: الآية مخصوصة

والعشائر تحت الفصائل مثال خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصيّ بطن وعبد مناف فخذ وبنو هاشم فصيلة والعباس عشيرة وليس بعد العشيرة حيّ يوصف وسُمِيَ الشعب شعبًا لتشعب القبائل منه. اهـ خطيب بزيادة يسيرة. **قوله**: (﴿إِذَا﴾ **تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي**) لما كان إذا للقطع والماضي هو يدل على القطع كان دخوله على الماضي أصلًا وعلى المضارع ملحقًا به.

قوله: **(غمّ)** في المصباح غمّه الشيء غمًّا من باب قتل غطاه ومنه قيل للحزن غمّ لأنه يغطي السرور والحلم. اهـ. **قوله**: **(وألم)** في لسان العرب الألم الوجع والجمع آلامٌ. اهـ. **قوله**: (﴿**بما كسبت**﴾ **بغير الفاء: مدنيّ**)[1] أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ والباقون بالفاء. **قوله**: **(على أن** ﴿**ما**﴾ **مبتدأ و**﴿**بما كسبت**﴾ **خبره)** فيكون ما موصولة.

---

(١) اعلم أن دخول الفاء في خبر المبتدأ إذا كان اسمًا موصولًا مشروط بكون مضمون الصلة سببًا للخبر وقصد السببية وأما إذا لم يكن سببًا ولم يقصد سببيته لم يصح دخول الفاء لأنه ليس بشرط حقيقة فلا يضره عدم سببيته.

بالمكلفين بالسباق والسياق وهو ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة، وقال ابن عطاء: مَن لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه. وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهّر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة، وعن علي رضي الله تعالىٰ عنه: هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيًا وإذا عفا لا يعود ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم﴾ متول بالرحمة ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حلّ بكم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ (ٱلْجَوَارِ)﴾ جمع جارية وهي السفينة ﴿الجواري﴾ **(في الحالين: مكي وسهل ويعقوب، وافقهم مدني وأبو عمرو في الوصل)** ﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبال ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ (ٱلرِّيحَ)﴾ ﴿الرياح﴾ **(مدني)** ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه

قوله: (﴿ٱلْجَوَارِ﴾) بإثبات الياء (**في الحالين: مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وسهل**) بن محمد (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة (**وافقهم مدنيّ**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وأبو عمرو**) البصري (**في الوصل**). عبارة تفسير النيسابوري ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو في الوصل.اهـ. وعبارة الخطيب قرأ نافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلًا لا وقفًا وابن كثير وهشام بإثباتها وقفًا بخلاف عن هشام والباقون بحذفها وقفًا ووصلًا وأمال الجواري محضته الدوري عن الكسائي وفتح الباقون.اهـ. **قوله**: (﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾) بألف بعد الياء جمعًا (**مدنيّ**) أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة والباقون بغير ألف إفرادًا.

﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه أي لكل مؤمن مخلص **(فالإيمان نصفان)**: نصف **(شكر)** ونصف **(وصبر)**. أو صبار على طاعته شكور لنعمته ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ **(يهلكهن)** فهو عطف على ﴿يُسْكِنِ﴾ والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها فلا يجازي عليها. وإنما أدخل العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه لأن المعنى أو إن يشأ يهلك ناسًا وينج ناسًا على طريق العفو عنهم.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنصف عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي في إبطالهما ودفعها، (﴿وَيَعْلَمُ﴾ **مدني وشامي)** على الاستئناف ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب من عذابه ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **(«ما» الأولى ضمّت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية)**. نزلت في أبي بكر

قوله: **(فالإيمان)** أي فشعبه **(نصفان)** أي يرجع إلى أمرين **(شكر وصبر)** وإضافة النصف إلى الشكر وإلى الصبر للبيان وإنما أولنا بالشعب لأن الإيمان الحقيقي وهو التصديق لا يتجزى فلا يتصوّر له النصف. **قوله**: **(يهلكهن)** أي يهلك أصحابهن بإغراق السفن بالريح العاصفة أي الشديدة، يقال: عصفت الريح إذا اشتدّت والإيباق الإهلاك.

قوله: (﴿وَيَعْلَمُ﴾) برفع الميم على القطع والاستيناف بجملة فعلية **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ. وقرأ الباقون بنصبها. **قوله**: **(«ما» الأولى)** يعني ﴿فَمَا أُوتِيتُم﴾ والثانية ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾. **قوله**: **(ضمّت معنى الشرط)** من حيث إن بناء ما أوتوا سبب للتمتع بها **(فجاءت الفاء في جوابها)** أي في خبرها سُمِيَ الخبر جوابًا نظرًا إلى تضمن المبتدأ معنى الشرط. **قوله**: **(بخلاف الثانية)** لأن كونه عنده ليس سببًا لكونه خيرًا وأبقى بل الأمر بالعكس إذ المراد العندية المكانة والكلام استعارة عبر به عما هو نفيس

الصدّيق ﷺ حين تصدّق (**بجميع ماله**) فلامه الناس ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾ عطف على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وكذا ما بعده ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ أي الكبائر من هذا الجنس، (﴿**كبِيرَ الإثم**﴾ **عليّ وحمزة**). وعن ابن عباس: كبير الإثم هو الشرك. ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ قيل: ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ من أمور دنياهم ﴿هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ أي هم (**الأخصّاء**) بالغفران في حال الغضب (**والمجيء بهم**). وإيقاعه مبتدأ وإسناد ﴿يَغۡفِرُونَ﴾ إليه لهذه الفائدة ومثله ﴿هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ (**نزلت في الأنصار**) دعاهم الله ﷻ للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وأتموا الصلوات

وشريف للتنبيه على شرافته فثبت ما قلنا من أن الخيرية سبب للتعبير بعند الله تعالى بل سبب الخيرية والبقاء الدائم خلوصه ودوامه. **قوله**: (**بجميع ماله**) هذا مشروع لمن آمن نفسه وعياله وإلا فغير مشروع.اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (﴿**كبِيرَ الإثم**﴾) بكسر الباء بلا ألف ولا همز بوزن قدير على التوحيد (**عليّ**) الكسائي (**وحمزة**) وهي للجنس فهي بمعنى قراءة الجمع، كما قرأ الباقون بفتح الباء الموحّدة وألف بعدها وبعد الألف همزة مكسورة جمع كبيرة. **قوله**: (**الأخصاء**) جمع خصيص بمعنى المختصّ يقال: اختصّ بكذا إذا انفرد به وتميّز كأحباء جمع حبيب. **قوله**: (**والمجيء بهم**) بضم الهاء على إرادة لفظه في قوله تعالى: ﴿هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾.

قوله: (**نزلت في الأنصار**) لعله أشار به إلى جواب ما يقال الاستجابة للرب تعالى أليس قد فهم من قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: الآية ٨٢] وما ذكر بعده إلى هٰهنا فما الفرق بينه وبين ما قبله حتى يعطف أحدهما على الآخر. وتقرير الجواب أنه من قبيل عطف الخاص على العام بأن يكون ما سبق عليه عبارة عن المؤمنين الذين يجمعون الصفات المذكورة ثم عطف عليه الأنصار الذين استجابوا لربهم الحسنى كمال الإجابة والانقياد للإشارة إلى أنهم لكمال استجابتهم كأنهم

الخمس ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي (ذو شورىٰ) لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وعن الحسن: ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم، والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدّقون ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ ينتقمون ممن ظلمهم أي يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالىٰ لهم ولا يعتدون، وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترىء عليهم الفساق. وإنما حمدوا على الانتصار لأن مَن انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود. ثم بيّن حد الانتصار فقال:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ فالأولى سيئة حقيقة والثانية لا. وإنما سُميت لأنها مجازاة السوء، أو لأنها تسوء مَن تنزل به، ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة لأنها إضرار، وإنما صارت حسنة لغيرها، أو في تسمية الثانية سيئة إشارة إلى أن العفو مندوب إليه. والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو و(**الإغضاء**) ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يبدءون بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار. في الحديث: «ينادي منادٍ يوم القيامة مَن كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم إلا مَن عفا».

ليسوا من عداد المؤمنين الموصوفين فيكون للتعريف في المعطوف للعهد الخارجي. **قوله**: (**ذو شورى**) يعني أن شورى مصدر بمعنى التشاور كالفتيا بمعنى الإفتاء والمعنى أن التشاور كان حالهم المستمرة ويدل عليه عطف الاسمية على الفعلية حيث قيل: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾، وبولغ فيه بجعل أمرهم نفس الشورى مدحهم بذلك تنبيهًا على أنه خصلة ممدوحة.

قوله: (**الإغضاء**) في المصباح أغضى الرجل عينه بالألف قارب بين جفنيها ثم استعمل في الحلم فقيل: أغضى على القذى إذا أمسك عفوًا عنه.اهـ. وفي لسان العرب أغضى عينًا على قذى صبر على أذى.اهـ.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي أخذ حقه بعدما ظلم (**على إضافة المصدر إلى المفعول**) ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى معنى من دون لفظه ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يبتدئونهم بالظلم ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفسّر السبيل (**بالتبعة**) والحجة ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ **أي الصبر والغفران منه**) ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي من الأمور التي ندب إليها أو مما ينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه. وحذف الراجع أي «منه» لأنه مفهوم كما حذف من قولهم: السمن منوان بدرهم، وقال أبو

قوله: (**على إضافة المصدر إلى المفعول**) كقوله تعالى: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [صۤ: الآية ٢٤] ومن دعاء الخير أي من بعد ظلم الظالم إياه. **قوله**: (**بالتبعة**) في المصباح التبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة[1] ونحوها.اهـ. وفي لسان العرب التبعة والتِباعة ما اتبعتَ به صاحبك من ظلامة ونحوها والتَّبِعة والتِّباعة فيه إثم يُتبَع به يقال: ما عليه من الله في هذا تبعة ولا تِباعة.اهـ.

قوله: (﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ **أي الصبر والغفران منه**) اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ موطئة للقسم ومن شرطية، وقوله: ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ جواب للقسم المقدّر سادّ مسدّ جواب الشرط أو لام الابتداء ومن موصولة مبتدأ ونهاية صلة وغفر وإن مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ وعلى التقديرين العائد إلى من محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه أي أن ذلك منه لمن عزم الأمور كما في قولهم: السمن منوان بدرهم أي منوان منه بدرهم والمعنى أن الصبر على الظلم والأذى والتجاوز عمن ظلمه لمن معزومات الأمور التي ندب الله إليها فينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه ويعزم عليه ولا يرخص في تركه أو من عزائم الله التي لم تنسخ ولا تنسخ أبدًا.

---

(١) بالضم اسم لما تطلبه عند الظالم.

سعيد القرشي: الصبر على **(المكاره)** من علامات الانتباه، فمَن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالىٰ حال الرضا وهو أجل الأحوال، ومَن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالىٰ إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ فما له من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إيّاه ويمنعه من عذابه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ حين يرون العذاب واختير لفظ الماضي للتحقيق ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ **(يسألون ربهم الرجوع)** إلى الدنيا ليؤمنوا به. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ على النار **(إذ العذاب يدلّ عليها)** ﴿خَٰشِعِينَ﴾ **(متضائلين)** متقاصرين **(مما يلحقهم** ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ**)** يَنظُرُونَ﴾ إلى النار ﴿مِن (طَرْفٍ) خَفِيٍّ﴾ **(ضعيف)** بمسارقة **(كما ترى المصبور ينظر إلى السيف)**.

قوله: **(المكاره)** جمع مَكْرَهة وهو ما يَكْرَهُهُ الإنسان ويشقّ عليه.

قوله: **(يسألون ربهم الرجوع)** إشارة إلى أن ﴿مَرَدٍّ﴾ مصدر ميميّ وتنكيره وتنكير السبيل للمبالغة والجملة مفعول ثانٍ أو حال. **قوله**: **(إذ العذاب)** المذكور في قوله: ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ **(يدل عليها)** أي على النار وعرضهم على النار إحراقهم بها. **قوله**: **(متضائلين)** في لسان العرب تضاءل الرجل أخفى شخصه قاعدًا أو تصاغر. اهـ. **قوله**: **(مما يلحقهم** ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾**)** إشارة إلى أن قوله: ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ متعلق بـ ﴿خَٰشِعِينَ﴾ ﴿وَمِنَ﴾ للتعليل أي من أجل الذلّ. **قوله**: (﴿طَرْفٍ﴾) مصدر طرف إذا حرك عينه ومنه طرفة العين. **قوله**: **(ضعيف)** بمعنى خفي **إذ** الخفاء يستلزم الضعف فذكر الملزوم وأريد اللازم إذ الخفاء الحقيقي وهو مقابل الجهر ليس بمراد هنا. **قوله**: **(كما ترى المَصْبور**[1] **ينظر إلى السيف)** وهو

---

(١) الذي أخذت يداه ورجلاه وأخذ حتى يقتل بالسيف.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ الْخَٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ متعلّق بـ ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ وقول المؤمنين واقع في الدنيا أو يقال **(أي يقولون)** يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة ﴿أَلَآ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ من دون عذابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ إلى النجاة ﴿اسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم﴾ أي أجيبوه إلى ما دعاكم إليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ أي يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ﴾ «من» يتصل بـ ﴿لَّا مَرَدَّ﴾ أي لا يردّه الله بعدما حكم به، أو بـ ﴿يَأْتِىَ﴾ أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده ﴿مَا لَكُم مِّن (مَّلْجَإٍ) يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئًا مما اقترفتموه ودوّن في صحائف أعمالكم، والنكير الإنكار ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبًا ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَٰغُ﴾ ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ﴾ **(المراد الجمع لا الواحد)** ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة وسعة وأمنًا وصحة ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بطر لأجلها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء كالمرض

المقتول صبرًا أي حبسًا بلا حرب فيقدم للقتل موثقًا فحينئذ ينظر إلى الجلّاد وآلة قتله كالسيف من طرف خفي أي مسارقة. **قوله: (أي يقولون)** إشعار بأن الماضي على هذا التقدير من قبيل ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨].

قوله: (﴿مَّلْجَإٍ﴾) مصدر ميميّ أو اسم مكان.

قوله: (المراد الجمع لا الواحد) عبارة الشهاب أراد بالإنسان الجنس الشامل للجميع وهو ح بمعنى الأناسي والناس، ولذا جمع ضميره في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ بعد ما أفرده رعاية للفظه في قوله: فرح بها وليس المراد بالجنس هنا الاستغراق

والفقر ونحوهما. وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ باعتبار المعنى ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب معاصيهم ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ﴾ ولم يقل فإنه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤]. والكفور البليغ الكفران. والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم و(**يغمطها**). قيل: أُريد به كفران النعمة. وقيل: أُريد به الكفر بالله تعالىٰ.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ (**أي يقرنهم**) ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها، أتبع ذلك أن له تعالىٰ الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الأولاد ما يشاء، فيخص بعضًا بالإناث، وبعضًا بالذكور، وبعضًا بالصنفين جميعًا، ويجعل البعض عقيمًا. (**والعقيم التي لا تلد وكذلك رجل عقيم وإذا كان لا يُولد له**). وقدم الإناث أولًا على الذكور لأن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاءً ذكر البلاء. ولما أخر الذكور وهم (**أحقّاء**) بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم (**لأن التعريف تنويه وتشهير له**)، ثم أعطى بعد

كما توهّم وإن كانوا يطلقون الجنس ويريدون به ذلك لأن ما ذكر ليس حال الجميع والجنسية فقط كافية في المراد هنا والجمعية لا تتوقف على الاستغراق. اهـ. **قوله**: (**يغمطها**) أي يسترها.

قوله: (**أي يقرنهم**) في المختار قرن بين الشيئين من باب ضرب ونصر وصله به. اهـ. **قوله**: (**والعقيم التي لا تلد**) والجمع عقائم وعقم. **قوله**: (**وكذلك رجل عقيم**) كأمير (**وإذا كان لا يُولد له**) والجمع عقماء وعقام. **قوله**: (**أحقاء**) جمع حقيق. **قوله**: (**لأن التعريف تنويه بالاسم وتشهير له**) ورفع لقدره بناء على أن التعريف يكون للعهد فكأنه قيل: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام الذين

ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرّف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال: ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾. (**وقيل: نزلت في الأنبياء** عليهم السلام) حيث وهب للوط وشعيب إناثًا، ولإبراهيم ذكورًا، (**ولمحمد** ﷺ **ذكورًا وإناثًا**)، وجعل يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام عقيمين ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر على كل شيء.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ (**وما صحّ لأحد من البشر**) ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ أي إلهامًا كما رُوِيَ «نفث (**في روعي**) أو رؤيا في المنام كقوله عليه السلام: «رؤيا الأنبياء وحي» وهو كأمر إبراهيم عليه السلام بذبح الولد ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ﴾ حِجَابٍ أي يسمع كلامًا من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع مَن يكلمه. وليس المراد به حجاب الله تعالىٰ لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام من الحجاب ولكن المراد به أن السامع محجوب عن الرؤية في الدنيا ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي يرسل ملكًا ﴿فَيُوحِيَ﴾ أي الملك إليه. وقيل: وحيًا كما أُوحي إلى الرسل بواسطة الملائكة

يذكرون في المجالس والمحافل بالمفاخر والمعالي لا يغيبون عن الأذهان والخواطر ولا يخفى أن مثل هذا التنويه يقاوم التنويه الحاصل بتقديمهم على الإناث. **قوله:** (**تنويه**) في المصباح ناه بالشيء نوهًا من باب قال ونوّه به تنويهًا رفع ذكره وعظمه. اهـ. **قوله:** (**وقيل: نزلت في الأنبياء عليهم السلام...**) الخ قال: أكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وإنما الحكم عام في كل الناس لأن المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الأشياء كيف شاء فلا معنى للتخصيص. **قوله:** (**ولمحمد** ﷺ **ذكورًا وإناثًا**) فإنه كان له ﷺ من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وإبراهيم ومن البنات أربع زينب ورقية وأُم كلثوم وفاطمة.

قوله: (**وما صح لأحد من البشر**) أي وما أمكن له وما كان كذا يستعمل تارة بمعنى ما لاق وما حسن وتارة بمعنى ما صح وما أمكن والمراد هنا نفي الصحة والإمكان أي وما صح لفرد من أفراد البشر وكان بمعنى التامة وفاعله أن يكلّمه الله. **قوله:** (**في روعي**) في المصباح الروع بالضم الخاطر والقلب يقال: وقع في

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي نبيًا كما كلّم أمم الأنبياء (**على ألسنتهم**). و﴿وَحْيًا﴾ و«أن الرسل» مصدران واقعان موقع الحال لأن «أن يرسل» في معنى إرسالًا و﴿مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ ظرف واقع موقع الحال كقوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٩١]. والتقدير: وما صحّ أن يكلّم أحدًا إلا موحيًا أو مسمعًا من وراء حجاب أو مرسلًا. ويجوز أن يكون المعنى: وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا بأن يوحي أو أن يسمع من وراء حجاب أو أن يرسل رسولًا وهو اختيار (**الخليل**، ﴿**أو يرسلُ رسولًا فيوحي**﴾ **بالرفع: نافع**) على تقدير أو هو يرسل ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ إذن الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ من الوحي ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ قاهر فلا يمانع ﴿حَكِيمٌ﴾ مصيب في أقواله وأفعاله فلا يعارض.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أوحينا إلى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ إيحاء كذلك ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ (**يريد ما أوحي إليه**) لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح (﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾) الجملة حال من الكاف في ﴿إِلَيْكَ﴾.

روعي كذا.اهـ. **قوله**: (**على ألسنتهم**) أي على ألسنة أنبيائهم. **قوله**: (**الخليل**) بن أحمد بن عمرو بن تميم كان إمامًا في علم النحو وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب. ويقال إن أباه أحمد أول مَن سُمّي بأحمد بعد رسول الله ﷺ وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتُوفي سنة سبعين وقيل: خمس وسبعين ومائة وقيل: عاش أربعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. **قوله**: كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾، بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي والذين يذكرون قائمين وكائنين على جنوبهم. **قوله**: (﴿**أو يرسلُ رسولًا فيوحي**﴾ **بالرفع نافع**) أي قرأ نافع برفع اللام من ﴿يُرْسِلَ﴾ وسكون الياء من «يُوحي» والباقون بنصب اللام والياء.

قوله: (**يريد ما أوحي إليه**) أي الرسول من الكتاب والشريعة تشبيهًا بالروح التي بها حياة البدن ومعنى الأمر الحكم. **قوله**: (﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾) ما نافية والجمع بين الماضي والمستقبل للتنبيه على دوام ذلك واستمراره، وما في قوله: ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ استفهامية منسلخة عن الاستفهام الحقيقي ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ولا زائدة

﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي شرائعه أو ولا الإيمان بالكتاب لأنه إذا كان لا يعلم بأن الكتاب ينزل عليه لم يكن عالمًا بذلك الكتاب. وقيل: (**الإيمان يتناول أشياء**) بعضها الطريق إليه العقل، وبعضها الطريق إليه السمع، فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك بما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ ﴿لتدعو﴾ وقرىء به ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الإسلام ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ (**بدل**) ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ ملكًا وملكًا ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ (ٱلْأُمُورُ)﴾ هو وعيد بالجحيم ووعيد بالنعيم والله أعلم بالصواب.

مؤكدة للنفي السابق. **قوله**: (**الإيمان**) اسم (**يتناول أشياء**) يريد أنه اسم للتصديق والإقرار والأعمال التي بعضها مما لا سبيل إليه سوى السمع كالتفاصيل والخصوصيات وذلك البعض لم يكن للنبيّ ﷺ فيه علم إلى وقت نزول الوحي فهو المراد بالإيمان الذي لم يدر به. **قوله**: (**بدل**) من الأول بدل الكل. **قوله**: (﴿**ٱلْأُمُورَ**﴾) أي أمور الخلائق في الآخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء.

هذا آخر ما أمليته في حلّ ما في سورة الشورى الحمد لله على توفيق الإتمام
فالآن أشرع مُستعينًا بفضله ومُستهديًا بهديته في حلّ ما في سورة الزخرف
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(سورة الزخرف)

(تسع وثمانون آية مكيّة)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن، **(وجعل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ صيرناه ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ جوابًا للقسم)** وهو من الأيمان الحسنة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الزخرف، تسع وثمانون آية مكية**) أي كلها وقيل: إلا ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرُف: الآية ٤٥] الآية، وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف. **قوله**: (**وجعل قوله**: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ **صيرناه** ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ **جوابًا للقسم**) ولا يخفى أن القرآن لكونه مفخمًا عظيم القدر يصح جعله مقسمًا به ليتقوّى به المدعي ويتأكد والمدعي هٰهنا هو أنه الذي جعل القرآن عربيًا ولا نزاع لأحد في كونه عربيًا حتى يحتاج في دفعه والرد على مَن أنكره إلى تأكيد الحكم بالقسم والجملة الاسمية وإن بل المقسم به حقيقة ما يستفاد من إسناد جعله قرآنًا عربيًا إلى ذاته العظيم الشأن فكأنه قيل: والقرآن المبين الذي أبان طريق الهدى من طرق الضلال وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة والدلائل الواضحة على أنه ليس بسحر وكلام مفترى على الله وأساطير الأولين بل هو الذي تولينا إنزاله على لغة

البديعة **(لتناسب القسم والمقسم عليه، والمبين البين)** للذين أنزل عليهم لأنه بلغتهم **(وأساليبهم)** أو الواضح للمتدبرين **(أو الذي أبان طرق الهدى)** من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة في أبواب الديانة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **(لكي تفهموا معانيه)**.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾ وإن القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ، دليله قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: الآيتان ٢١، ٢٢]. وسُمِيَ أُم الكتاب **(لأنه الأصل)** الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ. (**﴿إم الكتاب﴾**

العرب مشتملًا على كمال الفصاحة والبلاغة فرجع خلاصة الكلام إلى إثبات عظمته بعظمته، فلذلك كان من الأيمان البديعة الدالّة على شرف القرآن وعزّته بأبلغ وجه وأدقه لدلالته على أنه ليس عنده شيء أعظم قدر أو أرفع منزلة منه حتى يقسم به كما أنه لا أهم عنده من وصفه حتى يقسم عليه قصدًا للاهتمام في إثباته وتحقيقه فأقسم وجعله مقسمًا به للتنبيه على أنه لا شيء أعلى منه فيقسم به.اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: **(لتناسب القسم والمقسم عليه)** فإنهما من وادٍ واحد. **قوله**: **(والمبيّن البيّن)** إشارة إلى أن مبيّن من أبان اللازم بمعنى ظهر. **قوله**: **(وأساليبهم)** أي أساليب كلامهم في المصباح الأسلوب بضم الهمزة الطريق والفنّ وهو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم.اهـ. **قوله**: **(أو الذي أبان طرق الهدى)** إشارة إلى أن مبين يجوز أن يكون من أبان المتعدي بمعنى أظهر. **قوله**: **(لكي تفهموا معانيه)** لما كانت حقيقة الترجّي والتوقع ممتنعة في حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الأمور جعل المصنّف رحمه الله كلمة لعل مستعارة بمعنى لام كي وهو السببية الحاملة والحكمة الباعثة شبّهت الحكمة الداعية إلى الفعل بترجيه من حيث كون كل واحد منهما مؤديًا إلى وجود الفعل في الجملة. **قوله**: **(معانيه)** قدرها لأن حصول المنافع الدينية والدنيوية منوط بمعانيه.اهـ قنوي.

قوله: **(لأنه الأصل...)** الخ إشارة إلى أن أم بمعنى أصل والكتاب بمعنى الكتب وتعريفه للعهد وأصالته لأنها منقولة منه. **قوله**: (**﴿إم الكتاب﴾**

بكسر **الألف: عليّ وحمزة)** ﴿لَعَلِيٌّ﴾ خبر «إن» أي في أعلى طبقات البلاغة **(أو رفيع الشأن في الكتب)** لكونه معجزًا من بينها ﴿حَكِيمٌ﴾ **(ذو حكمة بالغة)**.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥﴾

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ **(أفننحي)** عنكم الذكر **(ونذوده)** عنكم **(على سبيل المجاز من قولهم** «**ضرب الغرائب عن الحوض**»**)**. والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارًا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب؟ وجعله قرآنًا عربيًا ليعقلوه وليعلموا بمواجبه ﴿صَفْحًا﴾ مصدر من صفح عنه إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضًا عنكم. **(ويجوز أن يكون مصدرًا على**

بكسر الألف: عليّ وحمزة) أي قرأ علي الكسائي وحمزة في الوصل بكسر الهمزة لاتباع الميم والكاف والباقون بضمها واتفقوا في الابتداء بالهمزة على الضم. **قوله: (أو رفيع الشأن في الكتب)** أي في شأن الكتب السماوية حيث كان مهيمنًا عليها يشهد لها بالصحة والثبات. **قوله: (ذو حكمة بالغة)** من صيغ النسبة فحينئذٍ لا مجاز في الإسناد وإذا أريد موصوف بالحكمة فيكون مجازًا في النسبة لأنها وصف صاحبها.

قوله: (أفننحّي) من التنحية. **قوله: (ونذوده)** أي نطرده. **قوله: (على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب[1] عن الحوض)** يعني أنه استعارة تبعية شبه إبعاد الذكر وتنحيه عنهم مع اقتضاء الحكمة إنزاله عليهم بذود الإبل وإبعادها عن الحوض فاستعمل لفظ المشبّه به وهو الضرب بمعنى الذود في المشبّه وهو إهمال الذكر وعدم إعماله ثم اشتقّ منه نضرب ويحتمل أن يريد أنه من قبيل الاستعارة التمثيلية وهي ما وجهه منتزع من متعدد بأن يشبّه حال الذكر في تنحيه مع تحقق دواعي إنزاله وإلزام الحجة به عليهم بحال النوق الغريبة التي تذاد وتدفع عن الحوض بسبب إبل صاحب الحوض فإن الإبل إذا وردت الماء فدخلت بينها ناقة غريبة تطرد وتذاد حتى تخرج من بينها. **قوله: (ويجوز أن يكون مصدرًا على**

---

(١) أي من الغرائب، ١٢ منه.

خلاف الصدر) لأنه يقال: «ضربت عنه» أي أعرضت عنه كذا قاله **(الفراء)** ﴿أَن كُنتُمْ﴾ لأن كنتم (﴿إِن كُنتُمْ﴾ **مدني وحمزة وعلي. وهو من الشرط)** الذي يصدر عن المدل بصحة الأمر **(المتحقق)** لثبوته كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقّي وهو عالم بذلك ﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة.

خلاف الصدر) فهو مفعول مطلق على نهج قعدت جلوسًا. **قوله: (الفراء)** هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفرّاء الديلمي الكوفي كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب وكان يميل إلى الاعتزال وتُوفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة. والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب. **قوله: (﴿إِن كُنتُمْ﴾ مدنيّ)** أي قرأ نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وحمزة وعلي)** الكسائي بكسر الهمزة على أنها شرطية وإن كان إسرافهم محققًا على سبيل المجاز كقول: الأجير أن كنت عملت فوفني حقي مع علمه وتحققه لعمله وجوابه مقدّر يفسره ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ أي إن أسرفتم نترككم، وقرأ الباقون بفتحها على العلّة مفعولًا لأجله أي لأن كنتم.

قوله: (وهو من باب الشرط...) الخ جواب عما يقال من أنه كيف صح استعمال أن الشرطية في المقطوع الوقوع فإنهم كانوا مسرفين على القطع بحيث لا يشك فيه عاقل وحق كلمة أن، أن تدخل على ما هو مشكوك الوقوع وتقرير الجواب أنها قد تستعمل في مقام القطع للقصد إلى تجهيل المخاطب وما نحن فيه من هذا القبيل فإنه استعمل فيه كلمة أن توبيخًا لهم بالجهل بأنهم مسرفون في الضلالة والطغيان مع وضوح كونهم كذلك بالبراهين القاطعة فإن استعمالها في هذا المقام يخيل لهم أن الإصرار على ما هم عليه فعل من له شك في كونه إسرافًا في الضلالة ونظيره قول الأجير أن كنت عملت لك فوفّني حقي وهو عالم بذلك. **قوله: (المتحقق)** صفة المُدِلّ تحققته علمًا حقًّا ثابتًا وحاصله أنه بنى الأمر على أن المخاطب كان متردد في ثبوت الشرط شاك فيه قصد إلى نسبه إلى الجهل.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾ أي كثيرًا من الرسل أرسلنا إلى مَن تقدمك ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧﴾ هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ تمييز، والضمير للمسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل، **(وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعيد لهم)**.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ (مَهْدًا﴾ **كوفي وغيره)** مهادًا أي موضع قرار ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا في أسفاركم ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يسلم معه العباد ويحتاج إليه البلاد ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ فأحيينا عدول من المغايبة إلى الإخبار لعلم المخاطب بالمراد ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ **(يزيد ﴿مَيِّتًا﴾)** ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء

قوله: (وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعيد لهم) أي وهذا وإن كان في الصورة إخبارًا فهو في المعنى وعد لرسول الله ﷺ بإعلاء لوائه وإهلاك أعدائه ووعيد للمسرفين بإهلاكهم كما هلك من أشد منهم.

قوله: (﴿مَهْدًا﴾) بفتح الميم وسكون الهاء مع القصر **(كوفيّ)** أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف وليس من السبعة وله اختيار. **قوله: (وغيره)** أي الباقون ﴿مِهادًا﴾ بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعد الهاء. **قوله: (يزيد ﴿مَيِّتًا﴾)** أي قرأ أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدني وليس من السبعة ﴿ميّتًا﴾ بتشديد الياء.

(﴿تُخۡرَجُونَ﴾ حمزة وعليّ) ولا وقف على ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ لأن ﴿ٱلَّذِي﴾ صفته، وقد وقف عليه (أبو حاتم) على تقدير «هو الذي»، لأن هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لأنهم ينكرون الإخراج من القبور فكيف يقولون ﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ بل الآية حجة عليهم في إنكار البعث.

﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ الأصنام ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ (أي تركبونه). يقال: ركبوا في الفلك وركبوا الأنعام (فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة) فقيل: تركبونه ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ

قوله: (﴿تُخۡرَجُونَ﴾ **حمزة وعليّ**) عبارة الإتحاف قرأ ﴿تخرجون﴾ بالبناء للفاعل ابن ذكوان وحمزة والكسائي وخلف.اهـ وعبارة تفسير النيسابوري تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان والآخرون من الإخراج.اهـ. وعبارة البيضاوي قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء.اهـ. وقوله: ابن ذكوان لعبد الله بن عامر الشاميّ روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمّار.اهـ.
قوله: (**أبو حاتم**) سهل بن محمد السجستاني البصري وليس من السبعة..

قوله: (**أي تركبونه**) إشارة إلى أن ما موصولة والعائد محذوف على أنه مفعول به. **قوله**: (**فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة**) يعني أن ركب بالنسبة إلى الفلك يتعدى بكلمة في كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٥] وبالنسبة إلى غيره يتعدى بنفسه كقوله تعالى: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا﴾ [النحل: الآية ٨] فغلب هٰهنا المتعدي بنفسه لقوته على المتعدي بواسطة في فقيل: تقدير قوله: ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾ ما تركبونه والمراد تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر لا تغليب أحد الفعلين على الآخر لأن الفعل المتعدّي إلى الفلك هو المتعدي إلى الأنعام إلّا أن تعديته إلى أحدهما تحتاج إلى آلة التعدية وتعديته إلى الآخر لا تحتاج إليها وذلك لا يوجب التعدد في نفس الفعل حتى يقال: غلب أحد الفعلين على الآخر.اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي حاشية الشهاب عليه رحمة الله الوهاب

(﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام (﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ﴾ **بقلوبكم**) ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ﴾ بألسنتكم ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ ذلّل لنا هذا المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين. يقال: أقرن الشيء إذا أطاقه (**وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف**).

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لراجعون في المعاد. قيل: يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو (**الجنازة**). وعن النبيّ ﷺ أنه كان (**إذا وضع رجله**) في الركاب قال: بسم الله. فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله (**على كل حال**)، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ وكبّر ثلاثًا وهلّل

الركوب قسمان: ركوب في الشيء كالسفينة والهودج وركوب عليه كالفرس والحمار فما قيل إنه ليس فيه فعلان متغايران بالذات وهم فتأمل. اهـ. **قوله**: (﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾) جمع الظهور مع إضافته لضمير مفرد باعتبار لفظ (**ما**) المتعدد معنى فلذا جمع رعاية لمعناه ولفظه معًا. **قوله**: (﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ﴾ **بقلوبكم**) فالذكر هنا بمعنى التذكر وهو ذكر قلبي من أنواع الشكر. **قوله**: (**وحقيقة أقرنه وجده قرينته**) على أن همزة الأفعال للوجدان، والقرينة بمعنى الكفو المعادل. **قوله**: (**لأن**[1] **الصعب لا يكون قرينة للضعيف**) بيان كون معنى أقرنه بمعنى أطاقه راجعًا إلى معنى وجده قرينته يعني إذا جعله قرينة لم يصعب عليه وهو معنى أطاقه.

قوله: (**الجنازة**) وهي بالفتح والكسر والكسر أفصح، وقال الأصمعي وابن الأعرابي بالكسر الميت نفسه وبالفتح السرير. وروى أبو عمر الزاهد عن ثعلب عكس هذا فقال بالكسر السرير وبالفتح الميت نفسه كذا في المصباح. **قوله**: (**إذا وضع رجله**) أي إذا أراد وضع رجله في الركاب قال: بسم الله لأنه أمر ذو بال وهو دليل على صحة جواز الاكتفاء به بلا ذكر الرحمٰن الرحيم. **قوله**: (**على كل حال**) يدخل حال الركوب في كل حال دخولًا أوليًا والمراد كل حال توافق رضاء الله تعالى فالكل في بابه غير مؤول بالأكثر.

---

(١) بيان المناسبة بين المعنى الأصلي وما أريد منه هنا، ١٢ منه.

ثلاثًا. (وقالوا: إذا ركب في السفينة قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾) [هود: الآية ٤١] وحُكِيَ أن قومًا ركبوا وقالوا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ الآية. وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك (هزالًا) فقال: إني مقرن لهذه فسقط منها (لوثبتها) واندقت عنقه. وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار، ويتأمل عنده أنه هالك لا محالة ومنقلب إلى الله غير (منفلت) من قضائه.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ متصل بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي ولئن سألتهم عن خالق السمٰوات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءًا أي قالوا: الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءًا له وبعضًا منه كما يكون الولد

قوله: (وقالوا: إذا ركب في السفينة قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: الآية ٤١]) في حاشية الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب وقع في الكشاف أن النبيّ ﷺ كان إذا ركب السفينة قال: بسم الله مجراها ومرساها، واعترض عليه ابن حجر بأنه لا يعرف هذا رواية ولا دراية لأنه لم يعهد أنه صلّى الله عليه وسلّم ركب السفينة في زمان نبوّته وذكر مثله الشارع المحقق في شرحه وأما ما وقع في النسخ المشهورة وهو ما صوّرته، وقالوا: إذا ركب السفينة قال: بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم، فلا يرد عليه شيء لأنه استطراد لبيان حال الراكب للسفينة وما يتأدّى به ومن الناس من نسبه إلى الوهم. اهـ. وعبارة العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف قوله: وقالوا إذا ركب في السفينة لا يروى ولا يدرى متى كان ركوبه عليه الصلاة في السفينة في نبوّته. اهـ بحروفها فافهم.

قوله: (هُزَالًا) في الصحاح الهُزَال ضد السِّمَن يقال: هزلت الدابة هُزالًا على ما لم يسم فاعله. اهـ. **قوله:** (لوثبتها) أي لمبادرتها ومسارعتها. **قوله:** (منفلت) في المغرب الانفلات خروج الشيء فلتةً أي بغتة، وفي المصباح انفلت خرج بسرعة. اهـ.

جزءًا لوالده (﴿جُزُؤًا﴾ أبو بكر وحماد) ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي بل أتخذ والهمزة للإنكار تجهيلًا لهم وتعجيبًا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدنى ولهم الأعلى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا﴾ بالجنس الذي جعله له مثلًا أي شبهًا لأنه إذا جعل الملائكة جزءًا لله وبعضًا منه فقد جعله من جنسه ومماثلًا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يعني أنهم نسبوا إليه هذا الجنس، ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتمّ (**وأرْبَدّ وجهه**) غيظًا وتأسفًا وهو مملوء من الكرب (**والظلول بمعنى الصيرورة**) ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ أي أو يجعل للرحمـٰن من

قوله: (﴿جُزُؤًا﴾) بضمتين (**أبو بكر**[1]) شعبة (**وحماد**[2]) بن أحمد في حاشية شيخ زاده رحمه الله، وهي إلى أي جزء بضمتين قراءة عاصم في قول أبي بكر في كل القرآن والباقون بإسكان الزاي وبالهمزة في كل القرآن وهما لغتان، وأما حمزة فإنه إذا وقف قال: ﴿جزَءًا﴾ بفتح الزاي بلا همزة. اهـ. وفي الخطيب وقرأ شعبة بضم الزاي والباقون بسكونها وهما لغتان وإذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة إلى الزاي. اهـ.

قوله: (**وأرْبَدّ وجهه**) تغيّر في لسان العرب اربَدّ وجهه وتربد احمرّ حمرة فيها سواد عند الغضب. اهـ. وأيضًا فيه وتربدَ وجهُه أي تغيّر من الغضب، وقيل: صار كلون الرماد ويقال: اربدّ لونه كما يقال احمرّ واحمارّ وإذا غضب الإنسان تربدَ وجهه كأنه يَسْوَدُّ منه مواضع واربدّ وجهه وارمدّ إذا تغيّر. **قوله**: (**والظلول بمعنى الصيرورة**) يعني أن ظل هذا بمعنى صار مطلقًا وأصل معناه دام ذلك في النهار كله.

---

(١) يروي عن عاصم، ١٢ منه. (٢) يروي عن حمزة، ١٢ منه.

الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى **(مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال)** كان غير مبين، ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان وذلك لضعف عقولهن. قال **(مقاتل)**: لا تتكلم المرأة إلا وتأتي بالحجة عليها. وفيه أنه جعل النشأة في الزينة من المعايب، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى، و﴿من﴾ منصوب المحل والمعنى أو جعلوا من ينشأ في الحلية يعني البنات لله عزّ وجلّ (﴿يُنَشّأ﴾ **حمزة وعليّ وحفص**) أي يربي قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات، وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد، ونسبوا إليه أخسّ النوعين، وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفّوا بهم.

قوله: (مجاثاة الخصوم) في لسان العرب جثى يجثو ويجثي جثوًا وجثيًا على فعول فيهما جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها ويقال: جثى فلان على ركبتيه. اهـ. وأيضًا فيه وقد تجاثوا في الخصومة مجاثاة. اهـ.

قوله: (ومجاراة الرجال) في لسان العرب جاراه مجاراة وجراء أي جرى معه وجاراه في الحديث وتجارُوا فيه وفي حديث الرياء من طلب العلم ليجاري به العلماء أي يجري معهم في المناظرة والجدال ليظهر علمه إلى الناس رياء وسمعة. اهـ.

قوله: (مقاتل) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وأبي إسحٰق السبيعي والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم، وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الأجلاء. حُكيَ عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الكلام تُوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى. اهـ وفيات الأعيان. **قوله:** (﴿يُنَشَّؤُا﴾) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مضارع نشأ معدى بالتضعيف مبنيًا للمفعول **(حمزة وعليّ وحفص)** والباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين من نشأ لازم مبني للفاعل.

﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾

﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ **(أي سمّوا)** وقالوا: إنهم إناث (﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ **مكي ومدني وشامي**)، أي عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان. والعباد جمع عبد وهو ألزم في **(الحجاج)** مع أهل العناد لتضادّ بين العبودية والولاد ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾ وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم، فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ﴿وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ عنها وهذا وعيد.

﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠﴾

﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ أي الملائكة. تعلّقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في أن الله تعالىٰ لم يشأ الكفر من الكافر وإنما شاء الإيمان، فإن الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ أي لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام لمنعنا عن عبادتها، ولكن شاء منا عبادة الأصنام، والله تعالىٰ ردّ عليهم قولهم واعتقادهم بقوله ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ أي يكذبون، ومعنى الآية عندنا أنهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا: لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا، أو لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار، وإذ لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك، فردّ الله تعالىٰ عليهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ الآية. أو قالوا ذلك استهزاءً لا جدًّا واعتقادًا، فأكذبهم الله تعالىٰ فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرًا عنهم. ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس: الآية ٤٧]. وهذا حق في الأصل،

قوله: **(أي سمّوا)** أي معنى جعلوا سمّوا لأنه لا يتصوّر منهم الجعل والتصيير إلّا بهذا المعنى. **قوله**: (﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ **مكيّ ومدنيّ وشاميّ**) أي قرأ ابن كثير المكيّ ونافع المدنيّ وابن عامر الشاميّ بكسر العين وبعدها نون ساكنة ونصب الدال، وقرأ الباقون بعد العين بباء موحدة مفتوحة وبعدها ألف ورفع الدال. **قوله**: **(الحجاج)** في لسان العرب جميع الحُجّة حُجَج وحِجاج. اهـ.

ولكن لما قالوا ذلك استهزاءً كذبهم الله بقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ٤٧] وكذلك قال الله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: الآية ١] لأنهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم، وظنّوا أن الله لا يعاقبهم على شيء فعلوه بمشيئته، وجعلوا أنفسهم معذورين في ذلك، فردّ الله تعالىٰ عليهم.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ آخذون عاملون. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابًا من قبله فيه أن الملائكة إناث ﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾ بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع إلا قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ على دين فقلّدناهم **(وهي من الأم)** وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي تقصد ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ الظرف صلة المهتدون أو هما خبران.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ نبيّ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ أي متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبّون إلا الشهوات والملاهي و**(يعافون)** مشاق الدين وتكاليفه ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ وهذه تسلية للنبيّ ﷺ وبيان أن تقليد الآباء داء قديم (﴿قَٰلَ﴾)

قوله: **(وهي من الأم)** وهو القصد في المصباح أمّه أمّا من باب قتل قصده.

قوله: **(يعافون)** أي يكرهون في لسان العرب عاف الشيء يُعافه عَيْفًا وعيافة وعيافًا وعَيْفانًا كرهه. اهـ. **قوله**: (﴿قَٰلَ﴾): بصيغة الماضي شاميّ أي ابن عامر الشاميّ وحفص.

شامي وحفص (أي النذير، ﴿قل﴾: غيرهما) أي قيل للنذير (قل): ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ أي أتتبعون آباءكم ولو جئتم بدين أهدى من دين آبائكم؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ إنا ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فعاقبناهم بما استحقوه على إصرارهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أي واذكر إذ قال: ﴿إِنَّنِى (بَرَآءٌ)﴾ أي بريء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول: رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ (استثناء منقطع) كأنه قال: لكن الذي فطرني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ (يثبتني على الهداية) ﴿وَجَعَلَهَا﴾ وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلّم بها وهي قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذرّيته فلا يزال فيهم مَن يوحد الله ويدعو إلى توحيده ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل مَن أشرك منهم يرجع بدعاء مَن وحد منهم والترجي لإبراهيم.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن

قوله: (أي النذير) أي قال النذير وهو النبيّ ﷺ. **قوله**: (﴿قل﴾: غيرهما) أي الباقون (قل) بصيغة الأمر للنبيّ ﷺ.

قوله: (﴿بَرَآءٌ﴾) بفتح الباء. **قوله**: (استثناء منقطع) لأن الفاطر تعالى غير داخل في قوله: ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٢٦] لأنهم كانوا لا يعبدون إلّا الأصنام. **قوله**: (يثبتني على الهداية) جواب عما يقال: كيف قال: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ بالتسويف مع أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهديون لا محالة.

كلمة التوحيد ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي القرآن ﴿وَرَسُولٌ﴾ أي محمد عليه السلام ﴿مُّبِينٌ﴾ واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟﴾ فيه متحكمين بالباطل ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ فيه استهانة به ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أي رجل عظيم من إحدى القريتين كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمـٰن: الآية ٢٢] أي من أحدهما، والقريتان: **(مكة والطائف)**. وعنوا بعظيم مكة **(الوليد بن المغيرة)**، وبعظيم الطائف **(عروة بن مسعود الثقفي)**، وأرادوا بالعظيم من كل ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا أن العظيم مَن كان عند الله عظيمًا.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ﴾ أي النبوّة، والهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار مَن يصلح للنبوّة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ ما يعيشون به وهو أرزاقهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ أي لم نجعل قسمة الأدون إليهم وهو

قوله: **(مكة والطائف)** إشارة إلى أن التعريف للعهد. **قوله**: **(الوليد بن المغيرة)** في أسد الغابة قال قتادة في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ قالها الوليد بن المغيرة المخزومي أبو خالد قال: لو كان ما يقول محمد حقًّا أنزل القرآن عليّ أو على عروة بن مسعود الثقفي قال: والقريتان مكة والطائف. اهـ. **قوله**: **(عروة بن مسعود الثقفي)** شهد الحديبية كافرًا وقدم على النبيّ ﷺ سنة تسع بعد عوده من الطائف فأسلم وعنده نسوة عدة فأمر النبيّ ﷺ أن يختار منهن أربعًا واستأذنه في الرجوع فرجع فدعا قومه إلى الإسلام فأبوا فلما كان عند الفجر قام على غرفة له في داره فأذّن بالصلاة وشهد فرماه رجل من ثقيف فقتله فقال رسول الله ﷺ لما بلغه خبره مثل عروة مثل صاحب يٓس دعا قومه إلى الله عزّ وجلّ فقتلوه.

الرزق فكيف النبوّة؟ أو كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا أخصّ بالنبوّة مَن أشاء ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ أي جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء و(**خدمًا**) ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ﴾ (**ليصرف**) بعضهم بعضًا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي النبوّة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مما يجمع هؤلاء من (**حطام الدنيا**).

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾

ولما قلّل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلّة الدنيا عنده فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه ﴿لَّجَعَلْنَا﴾ لحقارة الدنيا عندنا ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَزُخْرُفًاۚ﴾ أي لجعلنا للكفار سقوفًا ومصاعد وأبوابًا وسررًا كلها من فضة، وجعلنا لهم زخرفًا أي زينة من كل شيء. والزخرف الذهب والزينة، ويجوز أن يكون الأصلِ سقفًا من فضة وزخرف أي بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب

قوله: (**خدمًا**) جمع خادم. **قوله:** (**ليصرف**...) الخ لأن السخري منسوب إلى السخرة وهو التذليل والتكليف على وجه الجبر فالسخري بالضم بالنسبة إليها لا بمعنى الهزؤ، ولذا قال السمين أن تفسير بعضهم له باستهزاء الغني بالفقير غير مناسب هنا، وقرأ عمرو بن ميمون وابن محيص وأبو رجاء وغيرهم بكسر السين والمراد به ما ذكر أيضًا انتهى. فالقول بأن القراء أجمعوا على ضم السين هنا خطأ إلّا أن يريد السبعة أو العشرة وأطلقه لأنه المتبادر. اهـ شهاب.

قوله: (**حطام الدنيا**) في لسان العرب حُطام الدنيا كلها فيها من مال يفنى ولا يبقى. اهـ.

عطفًا على محل ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ (﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ **بدل اشتمال من** ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾. ﴿سَقْفًا﴾) على الجنس: (**مكيّ وأبو عمرو ويزيد. والمعارج جمع معرج**) وهي المصاعد إلى (**العلالي**) عليها يظهرون على المعارج يظهرون (**السطوح**) أي يعلونها ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿وَإِن﴾ نافية و﴿لَمَّا﴾ بمعنى إلا أي وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، (**وقد قرىء به**). وقرأ (﴿لَمَا﴾) غير عاصم وحمزة على أن اللام هي الفارقة بين «إن» المخففة والنافية (**و«ما» صلة**) أي وإن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ أي ثواب الآخرة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لمن يتقي الشرك.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَن يَعْشُ﴾ (**وقرىء** ﴿وَمَن يَعْشَ﴾) والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: (**عشى يعشى**)، وإذا نظر نظر (**العشي**) ولا آفة به

قوله: (﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ **بدل اشتمال من** ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾) فيكون كل واحد من اللامين للاختصاص. **قوله**: (﴿سَقْفًا﴾) بفتح السين وسكون القاف على إرادة الجنس (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) البصري (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة والباقون بضمها جمعًا. **قوله**: (**والمعارج جمع معرج**) بفتح الميم وكسرها السلم وكذا المعراج بمعنى وقراءة الجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد وقراءة المفرد لإرادة الجنس ومآله قراءة الجمع. **قوله**: (**العلاليّ**) في المصباح العلية الغرفة بكسر العين والضم لغة والأصل عليوة والجمع العلالي. اهـ. **قوله**: (**السطوح**) جمع سطح. **قوله**: (**وقد قرىء به**) أي بإلّا التي هي أداة الاستثناء بدل ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد. **قوله**: وقرأ (﴿لَمَا﴾) بالتخفيف. **قوله**: (**و«ما» صلة**) أي مزيدة للتأكيد.

قوله: (**وقرىء** ﴿وَمَن يَعْشَ﴾) بفتح الشين وحذف الألف للجزم لأنه شرط مجزوم لأن من متضمنة معنى الشرط ونقيض بالجزم جزاؤه، فالقراءة بالفتح من باب علم يعلم كعمي يعمى وزنًا وقريبته معنى والقراءة بالضم من باب قتل يقتل وهي قراءة العامة. **قوله**: (**عشي يعشى**) من باب علم يعلم كعمي يعمى. **قوله**: (**العُشي**)

(قيل: عشا يعشو). ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وهو القرآن كقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ ومعنى القراءة بالضم: ومَن يتعام عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهو يتجاهل كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: الآية ١٤] ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ قال ابن عباس ﷺ: نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصي. وفيه إشارة إلى أن مَن داوم عليه لم يقرنه الشيطان ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ ليمنعون العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن سبيل الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أي العاشون ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وإنما جمع ضمير ﴿مَن﴾ وضمير الشيطان لأن ﴿مَن﴾ مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فجاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ على الواحد: **(عراقي)** غير أبي بكر أي العاشي (**﴿جاآنا﴾** **غيرهم**) أي العاشي وقرينه ﴿قَالَ﴾ لشيطانه ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل: (**العُمَران**) والقمران. والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أنت.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ إذ صحّ ظلمكم أي كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين (**﴿وَإِذَا﴾ بدل من ﴿ٱلْيَوْمَ﴾**) ﴿أَنَّكُمْ فِى

جمع أعشى. **قوله**: (**قيل: عشا يعشو**) من باب نصر ينصر بمعنى تعامى يتعامى أي ينظر نظر العشي ولا آفة في بصره.

قوله: (**عراقي**) إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي. **قوله**: (**﴿جاآنا﴾**) بألف بعد الهمزة على التثنية (**غيرهم**) أي قرأه نافع وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر. **قوله**: (**العُمَران**) أبو بكر وعمر غلب عمر لأنه أخف الاسمين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (**﴿وَإِذَا﴾ بدل من ﴿ٱلْيَوْمَ﴾**) متفرع على كون قوله تعالى: ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ بمعنى إذ صح وتبين أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وإلا لما جاز كونه

ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿أَنَّكُمْ﴾ في محل الرفع على الفاعلية أي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب، أو كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول **(الخنساء)**:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

أما هؤلاء فلا يؤسّيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه. وقيل: الفاعل مضمر أي ولن ينفعكم هذا التمني أو الاعتذار لأنكم في العذاب مشتركون لاشتراككم في سببه وهو الكفر، ويؤيده قراءة مَن قرأ ﴿إِنَّكُمْ﴾ بالكسر.

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ أي من فقد سمع القبول ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ أي مَن فقد البصر ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ومَن كان في علم الله أنه يموت على الضلال.

بدلًا منه لأن المراد من اليوم يوم القيامة ووقت ظلمهم أنفسهم هو وقت كونهم في الدنيا فليس أحدهما عين الآخر ولا بعضه ولا اشتمال بينهما وبدل الغلط لا يقع في القرآن، فلما كان تقدير الكلام لن ينفعكم اليوم وقت تبين ظلمكم بحيث لم يبق لكم ولا لأحد غيركم شبهة في أنكم كنتم ظالمين صح كون الظرف الثاني بدلًا من الأول لاتحادهما بالذات وبقي هنا إشكال آخر وهو أن اليوم ظرف حالي وإذ ظرف ماضي فلا يتحدان ذاتًا إلّا أن يقال جردت كلمة إذ هنا لمطلق الزمان وأيضًا اليوم ظرف حالي و﴿يَنفَعَكُمُ﴾ للاستقبال لاقترانه بـ ﴿لَن﴾ التي لنفي المستقبل فكيف يعمل الحدث المستقبل الذي لم يقع بعد في ظرف حاضر إلا أن يقال جردت كلمة لن هنا لمجرد النفي. **قوله: (الخنساء)** هذه هي تُماضِر بضم التاء وكسر الضاد المعجمة بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عصبة بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثمة بن سليم السلميّة الصحابيّة الشاعرة المشهورة رضي الله تعالى عنها وهي أُم العباس بن مِرْداس رضي الله تعالى عنه. قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم. رُوِيَ أن النبيّ ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها ويقول: هيه يا خناس واتفق أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها. اهـ اسعاف.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فَإِمَّا﴾ دخلت «ما» على «إن» توكيدًا للشرط، وكذا النون الثقيلة في ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي نتوفينك قبل أن ننصرك عليهم ونَشفي صدور المؤمنين منهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ أشد الانتقام في الآخرة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ قبل أن نتوفاك يعني يوم بدر ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ قادرون وصفهم بشدة **(الشكيمة)** في الكفر والضلال بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الآية. ثم أودعهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ الآيتين. ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾ فتمسك ﴿بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن واعمل به ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي على الدين الذي **(لا عوج له)**.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الذي أوحي إليك ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ لشرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ ولأُمتك ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملّة من ملل الأنبياء، وكفاه نظرًا وفحصًا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه، وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانًا، وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها. وقيل: إنه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الإسراء فأمهم، وقيل له: سلهم فلم يشكك ولم يسأل. وقيل: معناه سل أُمم مَن أرسل وهم أهل الكتابين أي التوراة والإنجيل. وإنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل

قوله: (الشكيمة) في لسان العرب الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس.اهـ. **قوله: (لا عوج له)** بكسر العين أي لا إفراط ولا تفريط.

الأنبياء، ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنهم على الباطل، (﴿**وسل**﴾ **بلا همز: مكي وعلي** ﴿**رسْلنا**﴾ **أبو عمرو**).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

ثم سلى رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ما أجابوه به عند قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ محذوف دلّ عليه قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهو مطالبتهم إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرًا. و«إذا» للمفاجأة وهو جواب «فلما» لأن فعل المفاجأة معها مقدروهو عامل النصب في محل «إذا» كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا (**وقت ضحكهم**).

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ﴾ قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها في نقض العادة، وظاهر النظم يدلّ على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس. يقال: هما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ وهو ما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ (بِٱلسِّنِينَ) وَنَقْصٍ مِّنَ

قوله: (﴿**وسل**﴾ **بلا همز مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وعليّ**) الكسائي. عبارة الإتحاف وقرأ ﴿وسل﴾ بالنقل ابن كثير والكسائي وخلف عن نفسه. اهـ. **قوله**: (﴿**رسْلنا**﴾ **أبو عمرو**) أي سكن سين ﴿رسلنا﴾ أبو عمرو.

قوله: (**وقت ضحكهم**) اختيار مذهب الزجاج من أن إذا زمانية وعند المبرد مكانية فالمعنى فجاءهم مكان ضحكهم والوقت مفعول فيه لا مفعول به وإلّا لم يبق إذا ظرفية بل يصير اسمية بل المفعول به محذوف أي فجاءهم وقت ضحكهم ضحكهم.

قوله: (﴿بِٱلسِّنِينَ﴾) بالقحط.

ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٠]، (﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾) [الأعراف: الآية ١٣٣] (الآية). ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عن الكفر إلى الإيمان.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر. (﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ **بضم الهاء بلا ألف: شامي**). ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة، أو بعهده عندك وهو النبوّة، أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ مؤمنون به. ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون العهد بالإيمان ولا يفون به.

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾ (**نادى بنفسه**) عظماء القبط أو أمر مناديًا فنادى كقولك: «قطع الأمير (**اللص**) إذا أمر بقطعه ﴿فِي قَوۡمِهِۦ﴾ جعلهم محلًا لندائه وموقعًا له

قوله: (﴿**وأرسلنا عليهم الطوفان**﴾ **الآية**) في تفسير الجلالين (﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلقوم الجالسين سبعة أيام (﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾) فأكل زرعهم وثمارهم كذلك (﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾) السوس أو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد (﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾) فملأت بيوتهم وطعامهم (﴿وَٱلدَّمَ﴾) في مياههم (﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾) مبينات ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٣] عن الإيمان بها (﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾). اهـ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ **بضم الهاء بلا ألف**: **شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ.

قوله: (﴿وَنَادَىٰ﴾ **بنفسه**. . .) الخ يعني أن إسناد النداء إلى فرعون إما على حقيقة وظاهره، والمراد بندائه رفع صوته به في مجلسه فإنه معنى النداء وهو إسناد مجازي والمعنى أمر بالنداء كما بنى الأمير المدينة. **قوله**: (**اللص**) السارق بكسر

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي أنهار النيل **(ومعظمها)** أربعة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ من تحت قصري. وقيل: بين يدي في جناني. والواو عاطفة للأنهار على ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ و﴿تَجْرِى﴾ نصب على الحال منها، أو الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ، والأنهار صفة لاسم الإشارة، و﴿تَجْرِى﴾ خبر للمبتدأ، وعن الرشيد أنه لما قرأها قال: لأولينها أخسّ عبيدي فولّاها **(الخصيب)** وكان خادمه **(على وضوئه)**، وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج إليها فلما شارفها قال: أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قوّتي وضعف موسى وغناي وفقره.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ «أم» منقطعة بمعنى «بل» **(والهمزة للتقرير)** كأنه قال: أثبت عندكم واستقرّ أني أنا خير وهذه حالي؟ ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لما كان به من **(الرتة)** ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا ﴿أُلْقِىَ عَلَيْهِ

اللام وضمّها لغة حكاها الأصمعي والجمع لصوص. اهـ مصباح. **قوله: (ومعظمها)** أربعة نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط ونهر تنّيس بفتح التاء وتشديد النون. **قوله: (الخصيب)** بن حميد. **قوله: (على وضوئه)** بفتح الواو أي ما يتوضأ به:

قوله: (والهمزة للتقرير) أي للتحقيق والتّثبيت. **قوله: (الرتة)** بضم الراء وتشديد التاء العقدة الحاصلة في اللسان حيث تمنع سلاسة التكلم والجريان فإن قيل: أليس أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، سأل الله تعالى أن يزيل الرتة من لسانه بقوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: الآيتان ٢٧، ٢٨] فأعطاه الله تعالى ذلك حيث قال: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: الآية ٣٦] فكيف عابه فرعون بتلك الرتة قلنا: نعم إنها زالت فكان عليه الصلاة والسلام في غاية طلاقة اللسان وكمال البيان حال مخاطبته مع فرعون وملأه وإنما عابه فرعون بما كان عرفه به في الابتداء فإن موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام مكث عند فرعون زمانًا طويلًا وكان عليه الصلاة والسلام في لسانه حُبسته حينئذٍ فوضعه

(أَسْوِرَةٌ)﴾ حفص ويعقوب وسهل جمع سوار، (**وغيرهم** ﴿**أساورة**﴾) جمع أسورة وأساوير جمع أسوار وهو السوار، حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء ﴿مِّن ذَهَبٍ﴾ أراد بإلقاء الأسورة عليه إلقاء (**مقاليد الملك**) إليه (**لأنهم كانوا... الخ**) إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ استفزهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه. (**وقيل: طلب منهم الخفّة**) في الطاعة وهي الإسراع ﴿فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن دين الله.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ «آسف» منقول من أسف أسفًا إذا اشتدّ غضبه ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصي فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف كخادم

فرعون بما عهده عليه تمويهًا لضعفه الذي كانوا علموه منه قبل ذلك.

قوله: (﴿أَسْوِرَةٌ﴾) بسكون السين ولا ألف بعدها كالأحمرة حفص ويعقوب وسهل وليسا من السبعة جمع سوار كحمار وحمرة وهو جمع قلة. **قوله**: (**وغيرهم** ﴿**أساورة**﴾) بفتح السين وألف بعدها جمع أسوار بضم الهمزة وهو السوار بكسر السين وهو الأفصح وضمها وأصل أساورة أساوير بالياء فعوض تاء التأنيث منها بعد حذفها. **قوله**: (**مقاليد الملك**) أي مباديه وأسبابه المتقدمة عليه بحيث تكون بمنزلة المفاتيح له. **قوله**: (**لأنهم كانوا... الخ**) فافتح فرعون على عدم رسالته عليه الصلاة والسلام بانعدام هذا الأمر في حقه.

قوله: (**وقيل: طلب منهم الخفّة**) فالسين للطلب على حقيقتها ومعنى الخفة السرعة لإجابته ومتابعته.

وخدم (﴿سُلُفًا﴾ حمزة وعليّ)، جمع سليف أي فريق قد سلف ﴿وَمَثَلًا﴾ وحديثًا عجيب الشأن سائرًا مسير المثل يضرب بهم الأمثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿لِّلْآخِرِينَ﴾ لمن يجيء بعدهم، ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم ومثلًا يحدثون به.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش: (﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾) [الأنبياء: الآية ٩٨] غضبوا فقال (**ابن الزبعري**): يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﵇: هو لكم ولآلهتكم. ولجميع الأُمم. فقال: ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبيّ وتثني عليه وعلى أُمه خيرًا؟ وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزيزٌ يعبد، والملائكة يعبدون. فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا، وسكت النبيّ ﷺ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿(إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ) أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾ [الأنبياء: الآية ١٠١] ونزلت هذه الآية. والمعنى ولما ضرب ابن الزبعري عيسى بن مريم مثلًا لآلهتهم وجادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِنْهُ﴾ من هذا المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يرتفع لهم (**جلبة وضجيج**) فرحًا وضحكًا بما سمعوا منه من إسكات النبيّ ﷺ بجدله،

قوله: (﴿سُلُفًا﴾) بضم السين واللام (**حمزة وعليّ**) الكسائي جمع سَلِيْف[1] كرغيف ورغف والسليف كالفريق لفظًا ومعنى. وقرأ الباقون بفتحهما.

قوله: (﴿إِنَّكُمْ﴾) يا أهل مكة (﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) أي غيره من الأوثان (﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾) وقودها. **قوله**: (**ابن الزبعري**) هو عبد الله الصحابي المشهور والزبعرى بكسر الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين والراء المهملة والألف المقصورة معناه سيِّىء الخلق وهذه القصة قبل إسلامه. **قوله**: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾) للنزلة (﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾) وهم من ذكر. **قوله**: (**جلبة**) في لسان العرب الجَلَبَة الأصوات. اهـ. **قوله**: (**وضجيج**) في المصباح ضج يضج

---

(١) بمعنى الفرق المتقدم، ١٢ منه.

(﴿يَصِدُّونَ﴾ مدني وشامي والأعشى وعليّ، **من الصدود**) أي من أجل هذا المثل يصدّون عن الحق ويعرضون عنه. وقيل: من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى، فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينًا ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي ما ضربوا هذا المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب (**الميز**) بين الحق والباطل.

﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ (**لدّ**) شداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ لم يرد به إلا الأصنام لأن ما لغير العقلان إلا أن ابن الزبعري بخداعه لما رأى كلام الله محتملًا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به أصنامهم لا غير، وجد للحيلة مساغًا فصرف اللفظ إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله ﷺ حتى أجاب عنه ربه.

من باب ضرب ضجيجًا إذا فزع من شيء خافه فصاح وجلب.اهـ. وفي لسان العرب ضَجّ يَضِجّ ضجًّا وضجيجًا وضَجاجًا وضُجَاجًا الأخيرة عن اللحياني صاح والاسم الضجة.اهـ.

قوله: (﴿يَصُدُّونَ﴾) بضم الصاد (**مدنيّ**) أي نافع المدني وأبو جعفر المدني وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**والأعشى**) وهو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى. يروى عن أبي بكر شعبة بن عياش (**وعليّ**) الكسائي، وكذا خلف عن نفسه وافقهم الحسن والأعمش والباقون بكسرها. **قوله**: (**من الصدود**) وهو الإعراض.

قوله: (**الميز**) في المصباح مزته ميزًا من باب باع عزلته وفصلته من غيره والتثقيل مبالغة.اهـ. **قوله**: (**لدّ**) في المصباح لدّ يلدّ لددًا من باب تعب اشتدت خصومته فهو ألدّ والمرأة لداء والجمع لد.اهـ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ﴾ كسائر العبيد ﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوّة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وصيّرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بدلًا منكم كذا قاله **(الزّجاج)**. وقال جامع العلوم: لجعلنا بدلكم و«من» بمعنى البدل ﴿يَخْلُفُونَ﴾ يخلفونكم في الأرض أو يخلف الملائكة بعضهم بعضًا. وقيل: ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور لجعلنا منكم، **(لولّدنا)** منكم **(يا رجال)** ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولّدنا عيسى من أُنثى من غير فحل، لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة، ولتعلموا أن الملائكة أجساد لا تتولد إلا من أجسام والقديم متعالٍ عن ذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿(وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ) لِّلسَّاعَةِ﴾ وإن عيسى مما يعلم به مجيء الساعة. **(وقرأ ابن عباس ﴿لَعَلَم﴾** للساعة**﴾)** وهو العلّامة أي وإن نزوله علم للساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل الزجاج النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. **قوله: (لولدنا)** بتشديد اللام يعني أنه تعالى بقدرته الباهرة يجوز أن يولّد الملائكة من البشر كما وُلد عيسى من غير أب فمن على هذا تبعيضية أو ابتدائية. **قوله: (يا رجال)** تفسير للضمير المخاطب في منكم وإشارة إلى أنه الذكور من غير تغليب وأن المعنى أن في عظيم قدرته أن يخلق توليدًا من الذكور بدون الإناث كما خلق من أنثى بلا ذكر عيسى ومن غير ذكر وأنثى آدم.

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ﴾) قرأ العامة بكسر العين وسكون اللام. **قوله: (وقرأ ابن عباس ﴿لَعَلَم﴾)** بفتحات.

فلا تشكنّ فيها من المرية وهو الشك ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ (**وبالياء فيهما: سهل ويعقوب أي واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي**) أو هو أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا (**الذي أدعوكم إليه**) ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ﴾ عن الإيمان بالساعة أو عن الاتباع ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (**ظاهر العداوة**) إذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ (**بالمعجزات**) أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي الإنجيل والشرائع ﴿(وَلِأُبَيِّنَ) لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ وهو أمر الدين لا أمر الدنيا ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ هذا تمام كلام عيسى عليه السلام. ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ (**الفرق المتحزبة**) بعد عيسى

قوله: (**وبالياء فيهما**) أي في الحالين (**سهل ويعقوب**) وليسا من السبعة، وقرأ أبو عمرو بإثبات الياء في الوصل دون الوقف، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة، وقرأ الباقون بغير ياء وصلًا ووقفًا. **قوله**: (**أي واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي...**) الخ احتيج إلى تقدير ما يُضاف إلى ياء المتكلم على أن يكون قوله ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ قول الله تعالى، لأن اتباع ذات الله تعالى مما لا يتصور بخلاف ما إذا كان قول النبيّ ﷺ بأن أمر بأن يقوله: أي قل فاتبعون فلا يحتاج إلى تقدير شيء قبل المنصوب بقوله: (**اتبعون**). **قوله**: (**الذي أدعوكم إليه**) وهو الاتباع المدلول عليه بقوله: (**واتبعون**) وهذا هو المعنى سواء كان القائل هو الله تعالى أو رسوله. **قوله**: (**ظاهر العداوة**) أشار به إلى مبين من أبان اللازم بمعنى ظهر.

قوله: (**بالمعجزات**) قدمها لأنها المتبادرة من البينات. **قوله**: (﴿وَلِأُبَيِّنَ﴾) اللام فيه متعلق بمحذوف أي وجئتكم بها لأبين لكم بين أوّلًا ما جاءهم به ثم بين ما لأجله جاءهم به. **قوله**: (**الفرق المتحزبة**) بمعنى المختلفة إلى جماعة وجماعة وحزب وحزب.

وهم: (**اليعقوبية**) و(**النسطورية**) و(**الملكانية**) والمشعونية ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ من بين النصارى ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ حيث قالوا في عيسى ما كفروا به ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ الضمير لقوم عيسى أو للكفار ﴿أَن تَأۡتِيَهُم﴾ (**بدل من** ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾) أي هل ينظرون إلا إتيان الساعة ﴿بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾

قوله: (**اليعقوبية**) وهم قالوا: إن الله هو المسيح، وقال المصنّف رحمه الله في تفسير سورة مريم فقال: يعقوب هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء. اهـ.

قوله: (**النسطورية**) وهم قالوا: المسيح ابن الله، وقال المصنّف رحمه الله في تفسير سورة مريم وقال نسطور كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه. اهـ وفي كتاب الملل والنحل لأبي الفتح الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني وأطلقوا لفظ الأبوّة والبنوّة على الله عزّ وجلّ وعلى المسيح لما وجدوا في الإنجيل حيث قال: إنك أنت الابن الوحيد وحيث قال شمعون الصفا إنك ابن الله حقًا ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا أبناء الدنيا ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة. اهـ وفي تفسير روح البيان في تفسير سورة يٓس شمعون الصفا ويقال له: شمعون الصخرة أيضًا رئيس الحواريين وقد كان خليفة عيسى عليه السلام بعد رفعه إلى السماء. اهـ.

قوله: (**الملكانية**) وهم قالوا: هو عبد الله ونبيّه كما في تفسير البيضاوي في تفسير سورة مريم، وقال المصنّف رحمه الله في تفسير سورة مريم وقال ملكاء كان عبدًا مخلوقًا نبيًا. اهـ باختصار وملكانية نسبة إلى ملكاء بالمد على غير القياس كصنعاني إلى صنعاء وقالت الملكانية أيضًا إن الله ثالث ثلاثة والثلاثة الله والمسيح وأمه.

قوله: (**بدل من** ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾) بدل الاشتمال.

(أي وهم غافلون) لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله: ﴿تَأْخُذُهُمْ (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ)﴾ [يس: الآية ٤٩].

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ جمع خليل ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي المؤمنين. وانتصاب ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ بـ ﴿عَدُوٌّ﴾ أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلّة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتًا إلا خلّة المتصادقين في الله فإنها الخلّة الباقية.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

(**﴿يا عبادي﴾ بالياء في الوصل والوقف: مدني وشامي وأبو عمرو، وبفتح الياء**): أبو بكر. (**الباقون: بحذف الياء**) ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

قوله: (**أي وهم غافلون...**) الخ إشارة إلى جواب ما يقال ما فائدة قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مع أنه يؤدّي مؤدّاه ويغني عنه وتقرير الجواب أن مجيء الشيء بغتة أي فجاءة يكون على وجهين الأول أن يجيء مع شعور القوم بمجيئه والاستعداد له والتقصّي عن شدائده إلا أنهم لا يعرفون خصوص الوقت الذي يجيء فيه فهو في أي وقت أتى يأتي بغتة والثاني أنه يجيء والقوم غافلون عن أصل وقوعه مشتغلون بأفعال مَن ينكر وقوعه رأسًا غير مهيئين له بوجه ما والمراد بإتيان الساعة بغتة هٰهنا إتيانها حال غفلة القوم عنها وعدم استعدادهم لوقوعها فوجب تقييد إتيانها بغتة بمضمون الجملة الحالية احترازًا عن إتيانها بغتة على الوجه الآخر. **قوله**: (﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأُدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتباين وأكل وشرب وغير ذلك وفي قراءة (**يخصمون**) كيضربون أي يخصم بعضهم بعضًا.

قوله: (**﴿يا عبادي﴾ بالياء في الوصل والوقف: مدنيّ وشاميّ وأبو عمرو**) أي بسكون الياء نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة وابن عامر الشاميّ وأبو عمرو البصري. **قوله**: (**وبفتح الياء**) في الوصل أبو بكر شعبة. **قوله**: (**الباقون: بحذف الياء**) في الحالين.

(هو حكاية) لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ منصوب المحل على صفة لعبادي لأنه منادى مضاف ﴿ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صدقوا بآياتنا ﴿وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ لله منقادين له ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ **(المؤمنات في الدنيا)** ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تسرّون سرورًا يظهر **(حباره)** أي أثره على وجوهكم.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ **(جمع صحفة)** ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي من ذهب أيضًا **(والكوب)** الكوز **(لا عروة له)** ﴿وَفِيهَا﴾ في الجنّة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ **(مدني وشامي وحفص بإثبات الهاء العائدة إلى الموصول، وحذفها غيرهم)** لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول. و﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهيات في القلوب أو مستلذة في العيون ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا

قوله: (هو حكاية) كأنه قيل: يقال يا عبادي. **قوله: (المؤمنات في الدنيا)** احتراز عن نسائهم الكتابيّات من اليهودية والنصارى وأما حور العين فهن في الجنة فلا يصح الاحتراز عنهن. **قوله: (حباره)** بفتح الحاء وكسرها.

قوله: (جمع صحفة) الصحفة آنية الأكل قدم الصحاف لأن العادة تقديم الأكل على الشرب وجمع الكثرة في الصحاف وجمع القلة في أكواب لأن أواني الأكل تكون كثيرة بالنسبة إلى أواني الشرب. **قوله: (والكوب)** في المصباح الكوب كوز مستدير الرأس لا أذن له ويقال: قدح لا عروة له والجمع أكواب مثل قفل وأقفال. اهـ.

قوله: (لا عروة له) العروة ما يمسك منه ويسمى أذنًا والإبريق ماله عروة وقد ذكر الأباريق في سورة الواقعة. **قوله: (مدني)** أي قرأ نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وحفص)** بهاء بعد الياء **(بإثبات الهاء العائدة إلى الموصول)** كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٥] **(وحذفها غيرهم)** أي قرأ الباقون بغير هاء بعد الياء كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: الآية ٤١] وهذه القراءة مشبّهة بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: الآية ٣٥].

خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ﴿٧٢﴾ ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى الجنّة المذكورة وهي مبتدأ و﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ خبر و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ صفة الجنة، أو ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ خبر المبتدأ، أو ﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ صفة المبتدأ و﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الخبر، والباء تتعلق بمحذوف أي حاصلة أو كائنة كما في الظروف التي تقع أخبارًا، وفي الوجه الأول تتعلق بـ ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ «من» للتبعيض أي لا تأكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدًا، وفي الحديث: «لا ينزع رجل في الجنّة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاها». ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ خبر بعد خبر ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ خبر آخر أي لا يخفف ولا ينقص ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من الفرج متحيرون ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (﴿هُمْ﴾ **فصل**).

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) لا تنافي بين باء قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وباء قوله ﷺ: لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله لأن باء الآية سببية وباء الحديث باء المعاوضة. اهـ إتحاف.

قوله: (﴿هُمْ﴾ **فصل**) أي لفظ ﴿هُمْ﴾ في قوله: ﴿كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب عند البصريين وفائدته أن يفرق بين الخبر والصفة فإنك إذا قلت زيدًا لقائم ربما يتوهم السامع كون القائم صفة لزيد فينتظر الخبر فلما جئت بصيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر تعين كون ما بعدها خبرًا لا صفة لأن الضمير لا يوصف ولا يوصف به والكوفيون يسمونها عمادًا لكونها حافظة لما بعدها من أن تسقط عن الخبرية كعماد البيت فإنه يحفظ سقف البيت عن السقوط.

﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ﴾ لما آيسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار. (**وقيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ «يا مال»، فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم**) ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا من قضى عليه إذا أماته (﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ

قوله: (وقيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ «يا مال») بحذف الكاف للترخيم (**فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم**) ما للتعجب عبارة المحتسب في بيان وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك أي من شواذ القراءات قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ويحيىٰ والأعمش «يا مال». اهـ. قال أبو الفتح هذا المذهب المألوف في الترخيم إلّا أن فيه في هذا الموضع سترًا جديدًا وذلك أنهم لعظم ما هم عليه ضعفت قواهم وذلّت أنفسهم وصغر كلامهم فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه ووُقوفًا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله القادر على التصرف في منطقه. اهـ بحروفه. وفي التمجيد وفي قراءة عبد الله «ونادوا يا مال»، وقرأ أبو السراد الغنوي (**يا مال**) بالضم كما يقال: يا حار قال ابن جني: وللترخيم في هذا الموضع سرّ وذلك أنهم لعظم ما هم عليه ضعفت قواهم وذلّت أنفسهم وصغر كلامهم فكان هذا موضع الاختصار ضرورة. وقال الطيبي: هذا اعتذار منه لقراءة ابن مسعود حيث ردّها ابن عباس حين سمع أن ابن مسعود قرأ «ونادوا يا مال» فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم فإن ما للتعجب مثاله قولك لمن كان في شدة اشتغل عنها بما لا يتهمه ما أشغلك عن هذا ما يصدك عن هذا ما أنت فيه من الهول والشدة وخلاصة اعتذار ابن جني أن هذا الترخيم لم يصدر عنهم عن التكلّف بل عن العجز وضيق المجال. اهـ. وفي البيضاوي: وقرىء «يا مال» على الترخيم مكسورًا أو مضمومًا. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة شيخ زاده رحمه الله.

قوله: مكسورًا أو مضمومًا وجه الكسر جعل المحذوف لأجل الترخيم في حكم الثابت كما ذهب إليه الأكثرون ومن جعل الباقي بعد الترخيم اسمًا برأسه يقول: «يا مال» بضم اللام لكونه منادى مفردًا معرفة. اهـ. **قوله**: (﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾)

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾) [القصص: الآية ١٥] والمعنى سَل ربك أن يقضي علينا ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ لابثون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ (**كلام الله تعالىٰ**). ويجب أن يكون في ﴿قَالَ﴾ ضمير الله لما سألوا مالكًا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك. وقيل: هو متصل بكلام مالك[1] والمراد بقوله: (**جئناكم**) الملائكة إذ هم رسل الله وهو منهم ﴿(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ) لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ لا تقبلونه وتنفرون منه لأن مع الباطل (**الدعة**) ومع الحق التعب.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا﴾ أم أحكم مشركو مكة أمرًا من كيدهم ومكرهم بمحمد ﷺ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون في أمر رسول الله ﷺ في (**دار الندوة**) ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديث أنفسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعها ونطلع عليها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ أي الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ عندهم يكتبون ذلك، وعن (**يحيىٰ بن معاذ**): مَن ستر

أي ضربه بجميع كفه وكان شديد القوة والبطش (﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾) أي قتله[1] ولم يكن قصد قتله هو دفنه في الرمل. **قوله**: (**كلام الله تعالى**) بدليل قراءة مَن قرأ لقد (**جئناكم**) فإنه كالتصريح في أن المراد بضمير المتكلم هو الله تعالى بخلاف ﴿جِئْنَٰكُم﴾ فإنه يحتمل أن يكون للملائكة أو الرسل مجازًا أو الكلام لمالك وإذا كان ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ بكلام الله يجب أن يكون في ﴿قَالَ﴾ ضمير عائد إلى الله ليكون ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أيضًا كلام الله تعالى فلا يفك النظم. **قوله**: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾) أي كلكم لأن الكفرة كلهم كارهون للحق إما طبعًا أو تقليدًا. **قوله**: (**الدعة**) الراحة.

قوله: (**دار الندوة**) التي بناها قصيّ. **قوله**: (**يحيىٰ بن معاذ**) هو أبو زكريا يحيىٰ بن معاذ الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصًا وكلام في المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة

---

(١) أي أماته بالقتل.

من الناس عيوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه **(خافية)** فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من **(أمارات)** النفاق.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ **(وصحّ)** ذلك ببرهان ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ فأنا أول مَن يعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته والانقياد إليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد، وذلك أنه علّق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلّق بها محالًا مثلها، ونظيره قول **(سعيد بن جبير للحجاج)** حين قال له: والله لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظّى: لو عرفت أن ذلك إليك ما عبدت إلـٰهًا غيرك. وقيل: إن كان للرحمـٰن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين أي الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد إليه. وقيل إن كان للرحمـٰن وُلد في زعمكم فأنا أول **(الآنفين)** من أن يكون له ولد، **(من عبد يعبد إذا اشتد أنفه)** فهو عبد وعابد. **(وقُرىء ﴿عَبدين﴾)** وقيل: هي «إن»

ثمان وخمسين ومائتين رحمه الله. **قوله: (خافية)** من السرائر. **قوله: (أمارات)** علامات.

قوله: (وصحّ) إشارة إلى أن كان في النظم بمعنى صحّ كما يقال ما كان لك أن تفعل كذا وهو أحد استعمالاتها. **قوله: (سعيد بن جبير)** الأسدي الكوفي أحد أعلام التابعين قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة بواسط ومات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة المذكورة ولم يسلطه الله عزّ وجلّ بعده على قتل أحد إلى أن مات. **قوله: (للحجاج)** بن يوسف بن الحكم بن عقيل الثقفي بفتح الثاء المثلثة والقاف وبعدها الفاء هذه النسبة إلى ثقيف وهي قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف وكان للحجاج في القتل والسفك والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها. **قوله:** ﴿تَلَظَّىٰ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل أي تتوقد. **قوله: (الآنفين)** جمع آنف اسم فاعل من أنف يأنف إذا استكره. **قوله: (من عبد يعبد إذا اشتدّ أنفه)** بفتحتين وعبد يعبد كفرح يفرح والأنفة الإباء عن الشيء والإنكار لما فيه كراهة منفرة عنه. **قوله: (وقرىء ﴿عبدين﴾)** في المحتسب في بيان وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمـٰن اليماني، ﴿فَأَنَا أَوَّلُ

النافية أي ما كان للرحمٰن ولد فأنا أول مَن قال بذلك وعبد ووحد. ورُوِيَ أن النضر قال: الملائكة بنات الله فنزلت: فقال (**النضر**): ألا ترون أنه صدقني! فقال له (**الوليد**): ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمٰن وُلد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له. (﴿**وُلْد**﴾) حمزة وعلي. ثم نزّه ذاته على اتخاذ الولد فقال:

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي هو رب السمٰوات والأرض والعرش فلا يكون جسمًا إذ لو كان جسمًا لم يقدر على خلقها، وإذا لم يكن جسمًا لا يكون له ولد لأن التولد من صفة الأجسام ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي القيامة، وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ كما تقول: هو حاتم في طيّ وحاتم في تغلب. على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت: هو جواد في (طيِّىء) جواد في

ٱلْعَٰبِدِينَ﴾. اهـ. قال أبو الفتح: معناه والله أعلم أول الآنفين يقال: عبدتُ من الأمر أعْبَدُ عَبدًا أي أَنِفْتُ منه وهذا يشهد لقول مَن قال في القراءة الأخرى ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزّخرُف: الآية ٨١] أي الآنفين. **قوله**: (**النضر**) بن الحارث أسر يوم بدر وقتل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب أمره رسول الله ﷺ بذلك أجمع أهل المغازي والسير على أنه قتل يوم بدر كافرًا وإنما قتله لأنه كان شديدًا على رسول الله ﷺ والمسلمين. **قوله**: (**الوليد**) بن المغيرة. **قوله**: (﴿وَلَدٌ﴾) بضم الواو وسكون اللام حمزة وعليّ والكسائي على أنه جمع وُلد وقرأ الباقون بفتحهما.

قوله: (طيِّىء) مثل سيد أبو قبيلة من اليمن وهو طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير والنسبة إليهم طائي على غير قياس وأصله طيِّء مثل طبعي

(**تغلب**). وقرىء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ومثله قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ٣] فكأنه ضمن معنى المعبود. والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم: «ما أنا با الذي قائل لك شيئًا» والتقدير: وهو الذي هو في السماء إلـه. و﴿إِلَٰهٌ﴾ يرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ولا يرتفع ﴿إِلَٰهٌ﴾ بالابتداء وخبره ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لخلوّ الصلة حينئذٍ من عائد يعود إلى الموصول ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما كان ويكون.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾
وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي علم قيامها ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (﴿**يرجعون**﴾: **مكي وحمزة وعليّ**) ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ آلهتهم ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يدعونهم ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي ولكن مَن شهد بالحق بكلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله ربهم حقًّا ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة، وهو استثناء منقطع أو متصل لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لا الأصنام والملائكة ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف أو من أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الإقرار!

فقلبوا الياء الأولى ألفًا وحذفوا الثانية كذا في الصحاح. **قوله**: (**تغلب**) أبو قبيلة وهو تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان. وقولهم: تغلب بنت وائل إنما يذهبون بالتأنيث إلى القبيلة كما قالوا: تميم بنت مرّ والنسبة إليها تغلبي بفتح اللام استيحاشًا لتوالي الكسرتين مع ياء النسبة وربما قالوه بالكسر لأن فيه حرفين غير مكسورين. اهـ صحاح باختصار.

قوله: (﴿**يرجعون**﴾) بالياء التحتية على الغيبة (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وحمزة وعليّ**) الكسائي وقرأ الباقون بالفوقية على الالتفات للتهديد.

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالجر: عاصم وحمزة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله ﴿يَٰرَبِّ﴾ والهاء يعود إلى محمود ﷺ لتقدم ذكره في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: الآية ٨١]. وبالنصب: الباقون (**عطفًا على محل** ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾) أي يعلم الساعة ويعلم قيله أي قيل محمد يا رب. والقيل والقول والمقال واحد، ويجوز أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه. وجواب القسم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ كأنه قيل: وأقسم بقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن دعوتهم يائسًا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم و﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٌ﴾ (**أي تسلم منكم ومتاركة**) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله ﷺ (**وبالتاء: مدني وشامي**).

قوله: (**عطفًا على محل** ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾) فإنها مفعول المصدر أضيف إليه كأنه قيل: إنه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا. **قوله**: (**أي تسلم منكم ومتاركة**) يريد أنه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بأن يجيبهم ويسلّم عليهم بل إنما أمر بالمتاركة أي إذا أبيتم القبول فأمري التسليم منكم والمتاركة. **قوله**: (**وبالتاء**) أي بتاء الخطاب التفاتًا (مدنيّ) أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ والباقون بياء الغيبة نظرًا لما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم.

تمّ هنا ما يتعلق بسورة الزخرف والحمد لله ربّ العالمين
والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة الدّخان)

(تسع وخمسون آية مكية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

(في الخبر «مَن قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورًا له»).

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ أي القرآن. الواو في ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ واو القسم. إن جعلت ﴿حمٓ ۝١﴾ تعديدًا للحروف، أو اسمًا للسورة مرفوعًا على خبر الابتداء المحذوف، وواو العطف (**إن كانت** ﴿حمٓ ۝١﴾ **مقسمًا بها**) وجواب القسم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه العون وهو المستعان وعليه التكلان. **قوله**: (**سورة الدخان، تسع وخمسون آية مكيّة**) وقيل: إلّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ [الدّخان: الآية ١٥] الآية وثلاثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وواحد وثلاثون حرفًا. **قوله**: (**في الخبر من قرأها**) حم الدخان (**ليلة جمعة أصبح مغفورًا له**) رواه الترمذي ومغفورًا له في موضع الحال لأن أصبح بمعنى دخل في الصباح أو أصبح بمعنى صار ومغفورًا مفعوله وقوله: حم الدخان بالإضافة أو التوصيف لكنه يحتاج إلى تكلّف وتخصيص ليلة الجمعة توقيفي. **قوله**: (**إن كانت** ﴿حمٓ ۝١﴾ **مقسمًا بها**)

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ أي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان. (**وقيل: بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة**). والجمهور على الأول لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: الآية ١] وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥] وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان. ثم قالوا: أنزله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة إلى نبيّه محمد ﷺ. وقيل: ابتداء نزوله في ليلة القدر. والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ﴾ هما جملتان مستأنفتان (**ملفوفتان**) فسر بهما جواب القسم كأنه قيل: أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصًا، لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم. ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجيء في السنة المقبلة ﴿حَكِيمٍ﴾ ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة، وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازًا.

فيكون حَـم مجرور المحل بإضمار حرف القسم ولا يجوز أن يكون منصوب المحل بحذف الجار وإيصال الفعل إليه لأنهم قالوا في الفرق بين حذف الجار وإضماره أن المضمر لا يكون مذكورًا لفظًا ويكون أثره باقيًا في الكلام والمحذوف هو المتروك أصلًا لا بقاء له بحسب لفظه ولا بحسب أثره وهٰهنا أثر الجار قائم في حم بشهادة جر المعطوف عليه وهو الكتاب. **قوله**: (**وقيل: بينها**) أي بين ليلة النصف (**وبين ليلة القدر أربعون ليلة**) يعني أنها تكون في السابعة والعشرين من رمضان.

قوله: (**ملفوفتان**) أي مقرونتان مجموعتان مسرودتان كلتاهما لتعليل جملة واحدة.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ **(نصب)** على الاختصاص جعل كل أمر **(جزلًا فخمًا)** بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال: أعني بهذا الأمر أمرًا **(حاصلًا من عندنا)** كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ **(بدل من ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾)** ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول له على معنى أنزلنا القرآن. لأن من شأننا وعادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، **(أو تعليل)** لقوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾، و﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به. وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: الآية ٢] والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانًا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

(﴿رَبِّ﴾ **كوفي**) بدل من ﴿رَّبِّكَ﴾ وغيرهم بالرفع أي هو ربّ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ومعنى الشرط أنهم كانوا يقرّون بأن للسمٰوات والأرض ربًّا وخالقًا فقيل لهم: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل: إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرّون به ومعترفون

قوله: **(نصب)** أي منصوب على الاختصاص أي على المدح بتقدير أعني. **قوله**: **(جزلًا)** في المصباح جزل الخطب بالضم جزالة إذا عظم وإذا غلظ فهو جزل.اهـ. **قوله**: **(فخمًا)** في الصحاح فخم الرجل بالضم فخامة أي ضخم ورجل فخم أي عظيم القدر. **قوله**: **(حاصلًا من عندنا)** إشارة إلى أن من عندنا ظرف مستقر **قوله**: **(بدل من ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾)** بدل كل أو بدل اشتمال باعتبار الإرسال وما بينهما غير أجنبي فلا يضر فصله. **قوله**: **(أو تعليل)** عطف على بدل فيكون التقدير لأنا كنا مرسلين لكن معنى الإرسال ليس ما ذكر من إرسال الرسل بل معنى إرسال الرحمة.

قوله: (﴿رَبِّ﴾ **كوفيّ**) أي قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بخفض الباء الموحّدة.

بأنه رب السمٰوات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول: إن هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمْ﴾ أي هو ربكم ﴿وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عطف عليه.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾ وإن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن بل قول مخلوط بهزؤ ولعب ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾ يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس **(الحنيذ)**، ويعتري المؤمن منه **(كهيئة الزكام)** وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه **(خصاص)**. وقيل: إن قريشًا لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: («**اللَّهمَّ اشدد وطأتك على مضر واجعلها**) عليهم **(سنين كسني يوسف»)** فأصابهم **(الجهد)** حتى أكلوا **(الجيف**

قوله: **(الحنيذ)** المشويّ. **قوله**: **(كهيئة الزكام)** أي كحالة الزكام. **قوله**: **(خصاص)** بالفتح فُرَجَ في لسان العرب الخَصاص شبه كُوَّة في قبَة أو نحوها واسعًا قدر الوجه وبعضهم يجعل الخَصاص للواسع والضيّق حتى قالوا: الخروق المصّفاة والمُنْخل خَصاصٌ وخَصاص المُنْخُل والبابُ البرقع وغيره خَلَلُه واحدته خَصاصة وكذلك كل خَلَل وخَرْق يكون في السحاب ويجمع خَصَاصات والخصاص الفُرَج بين الأثافي والأصابع. اهـ باختصار.

قوله: **(اللهم اشدد وطأتك)** بهمزة وصل في اشدد وفتح الواو وسكون الطاء في قوله: وطأتك أي اشدد عقوبتك. **قوله**: **(على مضر)** أي على كفار قريش أولاد مضر. **قوله**: **(واجعلها)** أي الوطأة أو السنين أو الأيام عليهم **(سنين كسني)** بسكون الياء المخففة **(يوسف)** الصديق على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام السبع المجدبة في بلوغ غاية الشدة، وأُضيفت إليه لأنه الذي قام بأمور الناس فيها وسنين جمع سنة وفيه شذوذان تغيير مفرده من الفتح إلى الكسر وكونه جمعًا لغير العاقل وحكمه أيضًا مخالف لجموع السلامة في جواز إعرابه كمسلمين وبالحركات على النون وكونه منوّنًا وغير منوّن منصرفًا وغير منصرف. **قوله**: **(الجهد)** المشقة. **قوله**: **(الجيف)** بكسر الجيم وفتح المثناة التحتية كذا في القسطلاني وفي المصباح

والعلهز)، وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر (**صفة لـ «دخان»**) وقوله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي سنؤمن إن تكشف عنا العذاب (**منصوب المحل**) بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أي قائلين ذلك.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ أي وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الأذكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن (**عدّاسًا**) غلامًا أعجميًا لبعض (**ثقيف**) هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون.

الجيفة الميتة من الدواب والمواشي إذا أنتنت والجمع جيف مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير ما في جوفها. اهـ.

قوله: (**والعِلْهِز**) قال ابن الأثير: هو شيء يتخذونه في سني المجاعة يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه قال: وقيل كانوا يخلطون فيه القَرْدان ويقال للقُراد الضَّخم عِلْهِز. اهـ.

قوله: (**صفة لدخان**) أي هذه الجملة صفته لوقوعها بعد النكرة. **قوله:** (**منصوب المحل**) يعني أن قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في محل نصب على أنه مقول قول مقدر أي يغشاهم قائلين ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ الآية. **قوله:** (**عَدّاسًا**) بفتح العين وتشديد الدال. **قوله:** (**ثقيف**) أبو قبيلة من هوازن واسمه قسيّ والنسب إليه ثقفيّ كذا في الصحاح.

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿(إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ) قَلِيلًا﴾ (**زمانًا قليلًا**) أو كشفًا قليلًا ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى الكفر الذي كنتم فيه أو إلى العذاب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ هي يوم القيامة أو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أي ننتقم منهم في ذلك اليوم. وانتصاب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ بـ «اذكر» أو بما دلّ عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ وهو ننتقم لا بـ ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ﴾ قبل هؤلاء المشركين أي فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنًا ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (﴿عَلَى اللَّهِ﴾) وعلى عباده المؤمنين، أو كريم في نفسه حسيب نسيب لأن الله تعالىٰ لم يبعث نبيًا إلا من (**سراة**) قومه (**وكرامهم**) ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ هي «أن» المفسّرة لأن مجيء الرسول إلى مَن بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله، أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدّوا إليّ سلّموا إلي ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ هو مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول: أدوهم إلي وأرسلوهم معي

قوله: (﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾) اسم الفاعل هنا بمعنى الماضي. اهـ قنوي. **قوله**: (**زمانًا قليلًا**) أو كشفًا قليلًا يعني أن قليلًا يحتمل أن يكون صفة لزمان أو صفة لمفعول مطلق فلما حذف المفعول أقيم الصفة مقامه فيكون مفعولًا مطلقًا في الثاني ويكون منصوبًا على الظرفية وهو ما بقي من أعمارهم وهو قليل بالنسبة إلى ما مضى في الأكثرين.

قوله: (﴿عَلَى اللَّهِ﴾ . . .) الخ فكريم بمعنى مكرم أي معظم عند الله وعند المؤمنين أو هو من الكرم بمعنى الاتصاف بالخصال الحميدة حَسَبًا ونَسَبًا. **قوله**: (**سراة**) في المصباح السريّ الرئيس والجمع سراة وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير لأنه يجمع فعيل على فعلة وجمع السراة سروات. اهـ. **قوله**: (**وكرامهم**) في المصباح كرم الشيء كرمًا نفس وعزّ فهو كريم والجمع كرام وكرَماء والأنثى كريمة وجمعها كريمات وكرائم. اهـ.

كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: الآية ٤٧]. ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا إلي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي، وعلّل ذلك بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي على رسالتي غير متهم.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ «أن» هذه مثل الأولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه، أو لا تستكبروا على نبيّ الله ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة تدلّ على أني نبيّ ﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ (**مدغم: أبو عمرو وحمزة وعلي**) ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ أن تقتلوني رجمًا ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبالٍ بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ أي إن لم تؤمنوا لي (**فلا موالاة**) بيني وبين مَن لا يؤمن فتنحّوا عني، أو (**فخلّوني كفافًا لا لي ولا عليّ**) ولا تتعرّضوا لي بشرّكم وأذاكم، فليس جزاء مَن دعاكم إلى ما فيه فَلاحُكُمْ (**ذلك. ﴿ترجموني﴾، ﴿فاعتزلوني﴾ في الحالين: يعقوب**).

قوله: (**مدغم**) أي بإدغام الذال في التاء (**أبو عمرو وحمزة وعليّ**) وقرأ الباقون بالإظهار. **قوله**: (**فلا موالاة**) يريد أنه من إقامة ما هو مسبب عن الجزاء مقامه لأن طلبَ الاعتزال مسبب عن عدم الموالاة ولم يقل بيني وبينكم قصدًا إلى عموم وبيان أن السبب عدم الإيمان. **قوله**: (**فخلوني كفافًا**) في موقع الحال أن تَكفّونَ عني وأكفّ عنكم وتفسيره (**لا لي ولا علي**) وكفاف الشيء مثله وقياسه ذكره في الصحاح. **قوله**: (**ذلك**) إشارة إلى التعرض بالأذى وهو خبر ليس. **قوله**: (**﴿ترجموني﴾، ﴿فاعتزلوني﴾ في الحالين: يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة. وعبارة الإتحاف أثبت الياء في ﴿تَرْجُمُونِ﴾، ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾ وصلًا ورش[1] وفي الحالين يعقوب.اهـ.

---

(١) يروى عن نافع.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ شاكيًا قومه ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك. قيل: كان دعاؤه: اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم. وقيل: هو قوله ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **(وقرىء** ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **بالكسر)** على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء ﴿فَأَسْرِ﴾ من أسرى. (﴿**فاسر**﴾ **بالوصل: حجازي من سرى)** والقول مضمر بعد الفاء أي فقال أسر ﴿بِعِبَادِى﴾ أي بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾ ساكنًا. أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنًا على هيئته قارًا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسًا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئًا ليدخله **(القبط)**، فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم. وقيل: الرهو: **(الفجوة)** الواسعة أي اتركه مفتوحًا على حاله منفرجًا ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ بعد خروجكم من البحر، وقُرِىء بالفتح أي لأنهم.

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿كَمْ﴾ عبارة عن الكثرة منصوب بقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل: المنابر.

قوله: (وقرىء ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **بالكسر**...) الخ عبارة السمين. قوله تعالى: (أن هؤلاء) العامة على الفتح بإضمار حرف الجرّ أي دعاه بأن هؤلاء وابن أبي إسحٰق وعيسى والحسن بالكسر على إضمار القول عند البصريين وعلى إجراء دعا مجرى القول عند الكوفيين. **قوله**: (﴿**فاسر**﴾ **بالوصل**) أي بوصل الهمزة **(حجازي)** أي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي **(من سرى)** فيكون متعديًا بالباء. وعبارة الإتحاف قرأ ﴿فاسر﴾ بهمزة وصل نافع وابن كثير وأبو جعفر. اهـ.

قوله: **(القبط)** في مختار الصحاح القِبْط بوزن السبط أهل مصر وهم بَنْكُها أي أصلها. اهـ. **قوله**: **(الفجْوة)** الفرجة.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ تنعم ﴿كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ متنعمين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر كذلك فالكاف في موضع الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لأنهم ماتوا كفارًا، والمؤمن إذا مات **(تبكي عليه السماء والأرض)** فيبكي على المؤمن من الأرض مصلّاه ومن السماء مصعد عمله، وعن الحسن: **(أهل السماء والأرض)** ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ أي لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾ أي الاستخدام **(والاستعباد)** وقتل الأولاد ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ بإعادة الجار **(كأنه في نفسه** كان **عذابًا مهينًا)** لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم، أو خبر مبتدأ محذوف أي ذلك من فرعون ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ متكبرًا ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ خبر ثانٍ **(أي كان متكبرًا مسرفًا)** ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال من ضمير الفاعل أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **(على عالمي زمانهم)**.

قوله: .**(تبكي عليه السماء والأرض)** أربعين صباحًا. **قوله**: **(أهل السماء والأرض)** بتقدير المضاف.

قوله: **(والاستعباد)** أي اتخاذهم عبيدًا وخدامًا مع أنهم أولاد الملوك. **قوله**: **(كأنه في نفسه عذابًا مهينًا)** يشير إلى أنه بدل الكل على التجوّز. **قوله**: **(أي كان متكبرًا مسرفًا)** بيان لأصل المعنى وإلّا فمِنَ المسرفين أبلغ من مسرفًا كقولك زيد من العلماء أي مالهم[1] معدود معهم مسلم الوجود فيما بينهم. **قوله**: **(على عالمي زمانهم)** فإنه تعالى اختارهم على أهل ذلك الزمان بأن وفقهم للإيمان

(١) هكذا في حاشية علامة التفتازاني على الكشاف، وقوله: مُساهم لهم أي مشارك بخط العلم.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال **(المن والسلوى)** وغير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ **(نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر)** لننظر كيف يعملون ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفار قريش ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ﴾ ما الموتة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ والإشكال أن الكلام وقع في الحياة الثانية لا في الموت، فهلا قيل: إن هي إلا حياتنا الأولى؟ وما **(معنى)** ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها وأثبتوا الأولى؟ والجواب أنه قيل لهم إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨] فقالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى فلا فرق إذًا بين هذا وبين قوله: «إلا حياتنا الدنيا» في المعنى. ويحتمل أن يكون هذا إنكارًا لما في قوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: الآية ١١] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين يقال: أنشر الله الموتى. ونشرهم إذا بعثهم.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خطاب الذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء مَن

بالنبيّ المبعوث في ذلك الزمان والاهتداء بهداه وأنجاهم مما هم عليه من العذاب المهين بإهلاك أعدائهم بالإغراق.

قوله: **(المنّ والسلوى)** هما الترنجبين والطير السَّماني بتخفيف الميم والقصر. **قوله:** **(نعمة ظاهرة)** أي البلاء بمعنى النعمة وأصل البلاء الاختبار ولما كان اختبار الله تعالى بالمحنة وأخرى بالنعمة والمنحة أطلق البلاء عليهما مجاز لكونهما سببًا للاختبار والامتحان ثم شاع فيهما فصار حقيقة عرفية فيهما. اهـ قنوي. **قوله:** **(أو اختبار ظاهر)** أي يجوز أن يكون باقيًا على أصل معناه وإن كان مجازًا واستعارة في الاختبار المسند إليه تعالى. اهـ قنوي. **قوله:** **(معنى)** مبيّن على الاحتمالين وأنه من أبان اللازم.

مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلًا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ في القوة و(المنعة) ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو (تبع الحميري) كان مؤمنًا وقومه كافرين. وقيل: كان نبيًّا في الحديث: «ما أدري أكان تبع نبيًّا أو غير نبيّ» ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مرفوع بالعطف على ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ كافرين منكرين للبعث ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (أي وما بين الجنسين) ﴿لَاعِبِينَ﴾ حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبًا ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بالجد ضد اللعب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خلق لذلك.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقت موعدهم كلهم.

قوله: (المنعة) بفتح النون مصدر بمعنى العزّ الدنيوي أو جمع مانع ككتبة فهو بمعنى الأتباع والخدم. **قوله**: (تبع الحميري) حمير قبيلة من اليمن سميت باسم أبيهم وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك في الدهر الأول قيل: كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعًا لأن أهل الدنيا يتبعونه وإن تبع في الجاهلية بمنزلة الخليفة في الإسلام فالتبع على هذا بمعنى المتبوع وقيل: سموا تبعًا لأنهم يتبعون آباءهم ويقتدون بهم في سيرتهم فالتبع بمعنى التابع وهذا تبع الأكبر أبو كرب واسمه أسعد وهو ممن هداه الله إلى الإسلام في الزمن القديم وبشر ببعثته ﷺ وإليه تنسب الأنصار ولحفظهم وصيته عن آبائهم بادروا إلى الإسلام ولهذا قال ﷺ: لا أدري أكان نبيًّا لأن إخباره ببعثه ﷺ يقتضي أنه أوحى إليه وأنه أول مَن كسى البيت ولذا لم يذكر في القرآن في سياق الذم إلّا قومه لا هو. **قوله**: (أي وما بين الجنسين) توجيه للتثنية بتأويل الجنسين أي النوعين.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ أيّ ولي كان عن أي ولي كان (**شيئًا من إغناء**) أي قليلًا منه ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير للمولى لأنهم في المعنى لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ في محل الرفع على البدل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾ أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمهُ الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لأوليائه.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾ هي على صورة شجرة الدنيا لكنها في النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ هو الفاجر الكثير الآثام. وعن (**أبي الدرداء**) أنه كان يقرىء رجلًا فكان يقول: طعام اليتيم. فقال: قل طعام الفاجر يا هذا. وبهذا تستدلّ على أن إبدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها، ومنه أجاز أبو حنيفة ﷺ القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدي القارىء المعاني كلها على كمالها من غير أن (**يخرم**) منها شيئًا. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصًا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والدقائق ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها. ويُروى رجوعه إلى قولهما وعليه الاعتماد.

قوله: (**شيئًا من إغناء**) أي إغناءً قليلًا على أن يكون انتصاب شيئًا على أنه مفعول مطلق ليغني وأن تنكيره للتقليل أو التعميم فإذا لم ينفع بعض الموالي بعضًا ولم يدفع عنه شيئًا من العذاب بشفاعته له كان عدم حصوله ممن سواهم أولى.

قوله: (**أبي الدرداء**) اسمه عويمر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وقيل: اسمه عامر بن مالك وعويمر لقب والدرداء ابنته تأخر إسلامه قليلًا كان آخر أهل داره إسلامًا وحسن إسلامه وكان فقيهًا عالمًا حكيمًا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي سكن الشام مات بدمشق قبل أن يقتل عثمان بسنتين رضي الله تعالى عنهما وعن كل الصحابة أجمعين. **قوله**: (**يخرم**) أي ينقص وبابه ضرب.

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو **(دردي الزيت)**، والكاف رفع خبر بعد خبر ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ **(بالياء التحتية: مكي وحفص)** [وقرىء بالتاء] فالتاء للشجرة والياء للطعام ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ أي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه غليًا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل. ثم يقال (للزبانية) ﴿خُذُوهُ﴾ أي الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ فقودوه بعنف وغلظة، (﴿فاعتُلوه﴾ **مكي ونافع وشامي وسهل ويعقوب**) ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلى وسطها ومعظمها.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ (مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ **المصبوب هو الحميم لا عذابه)** إلا أنه إذا صبّ عليه الحميم فقد صبّ عليه عذابه وشدّته وصبّ العذاب

قوله: (**درديّ الزيت**) وهو الذي في قعر الإناء قنوي. وفي لسان العرب دُرديّ الزيت وغيره ما يبقى في أسفله.اهـ. **قوله:** (**وبالياء التحتية: مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وحفص**) وقرأ الباقون بالتاء الفوقية. **قوله:** (**للزبانية**) أي ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم. **قوله:** (﴿**فاعتُلوه**﴾) بضم التاء (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**ونافع**) المدنيّ (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وسهل**) بن محمد السجستاني (**ويعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي وليسا من السبعة والباقون بكسرها وهما لغتان.

قوله: (﴿مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾) من إضافة الصفة للموصوف أو المسبب للسبب. **قوله:** (**المصبوب هو الحميم لا عذابه...**) الخ في حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله لما ورد أن يقال: ما وجه جعل العذاب مصبوبًا وهو لا يصب لكونه من قبيل المعاني والصب إنما يتعلق بالأجسام المائعة، أشار إلى جوابه بأن أصل المعنى الأمر بصب نفس الحميم وهو الماء الذي كان في غاية الحرارة، إلّا أن الزبانية أمروا بصب عذاب وهو الحميم للمبالغة في كون الحميم سبب العذاب حيث جعل نفس العذاب مع أنه سببه.اهـ.

استعارة ويقال له ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ على سبيل الهزؤ والتهكم. (﴿أنك﴾ **أي لأنك**): عليّ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي العذاب أو هذا الأمر هو ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ تشكون.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ (**بالفتح وهو موضع القيام**) والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملًا في معنى العموم، (**وبالضم: مدني وشامي وهو**) موضع الإقامة ﴿أَمِينٍ﴾ من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن، (**فوصف به المكان استعارة**) لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾﴾ (**بدل من** ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾).

قوله: (﴿**أنك**﴾) بفتح الهمزة بعد القاف على معنى العلة (**أي لأنك**) علي الكسائي. وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف المفيد للعلّة فتتحد القراءتان معنى.

قوله: (**بالفتح وهو موضع القيام...**) الخ أي المقام بالفتح في الأصل موضع القيام خاصة ثم استعمل في مطلق الموضع والمكان حتى قيل: الموضع القعود والاضطجاع مقام وإن لم يقم فيه أصلًا فهو من الخاص الذي استعمل في معنى العموم. **قوله:** (**وبالضم**) أي بضم الميم الأولى (**مدني**) أي نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وشامي**) أي ابن عامر الشاميّ. **قوله:** (**وهو**) أي المقام بضم الميم.

قوله: (**فوصف به المكان استعارة**) يريد أنه ليس من المجاز في الإسناد كنهر جارٍ بل من الاستعارة المبنية على التشبيه كما ذكره. فإن قيل: المشبّه مذكور فلا يكون استعارة إلّا على قول مَن يجعل مثل زيد أسد استعارة. قلنا التحقيق أنها استعارة مبنيّة على تشبيه كون المكان غير مخيف بالأمانة وفي قوله: وصف به المكان استعارة إشارة إلى هذا. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** (**بدل من** ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾) بدل الكل للتقرير وزيادة التوضيح إذ الجنات اسم مكان كالمقام

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ ما رقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه وهو تعريب استبر، واللفظ إذا عرب خرج من أن يكون أعجميًا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيًّا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب فساغ أن يقع في القرآن العربي ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ في مجالسهم وهو أتمّ للأنس.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

(﴿كَذَٰلِكَ﴾) الكاف مرفوعة (أي الأمر كذلك) ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ (وقرناهم ولذا عُدّي بالباء) ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها

فيكون عينه. اهـ قنوي، وظرفية العيون للمجاورة. اهـ شهاب. وفي القنوي ظرفية العيون مجاز مثل زيد في راحة، وأما جنات فإن جعلت عبارة عن المكان فالظرفية حقيقية وإن جعلت عن المآكل والمشارب فهي مجازية أيضًا والأول هو الموثوق به. اهـ.

قوله: (أي الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾) أي (كذلك) خبر مبتدأ محذوف وهو الأمر والجملة مقررة لما قبلها ولذا ترك العطف. **قوله**: (وقرناهم) يعني أن تزويجهم بهن ليس معناه إنشاء عقد التزويج لأن التزويج بمعنى العقد لا يتعدى بالباء فلا يقال: زوجته بامرأة وتزوجت بها بل يقال: زوجته امرأة وتزوجتها. وفي التنزيل ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] ولو لم يكن المراد عقد التزويج لقيل: زوجناك بها بمعنى كنت فردًا فجعلناك شفعًا بها، قال أبو عبيدة: معنى ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ جعلناهم أزواجًا بهن كما يزوج النعل بالنعل أي يجعل كل واحد منهما شفعًا بالآخر. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (ولذا عُدّي بالباء) لأنه بمعنى قرناهم وهو متعدٍ بها أيضًا وأما زوجه المرأة بمعنى أنكحه إياها فهو متعدٍ بنفسه في القول المشهور لأهل اللغة، وقال الأخفش: يجوز فيه الباء أيضًا فيقال: زوجته بامرأة فتزوّج بها وأزد شنوءة لغتهم تعديته بالباء وقول بعض الفقهاء زوجته بها خطأ لا وجه له. كذا في المصباح المنير وإنما فسّر بقرناهم لأن الجنة ليس فيها تكليف فلا عقدَ ولا تزويج بالمعنى

(﴿عِينٍ﴾ جمع عيناء) وهي الواسعة العين ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ (يطلبون) في الجنة ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ من الزوال والانقطاع وتولّد الضرر من الإكثار ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ أي في الجنّة ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ البتة ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (**أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا. وقيل: لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا**) ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لأن قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ تفضل منه لهم لأن العبد لا يستحق على الله شيئًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي صرف العذاب ودخول الجنّة ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي الكتاب وقد جرى ذكره في أول السورة ﴿بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

المشهور. اهـ شهاب. **قوله**: (**﴿عِينٍ﴾ جمع عيناء**) أصله العين بضم العين كحمر في جمع حمراء ثم كسرت العين لأجل الياء كما في البيض.

قوله: (**يطلبون**) إشارة إلى أن يدعون من صفة المتقين وأن وزنه يفعلون من قولهم دعا بكذا إذا استحضره فعلم منه أن الوقف على عين لازم لأنه لو وصل يدعون بقوله عين لتوهم أن الدعاء فعل الحور العين وأن وزنه يفعلن فإن صيغتي جماعة الذكور والإناث يستويان في باب الناقص فيقال: الرجال يدعون والنساء يدعون والتقدير مختلف. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا**) والموتة الأولى كأنها واقعة من حيث إن أهل السعادة يشاهدونها عند الموت ويرون منازلهم فيها فكانوا إذا ماتوا في الدنيا ماتوا في الجنة لكونهم مشارفين دخولها فصحّ بذلك أن تستثنى الموتة الأولى من موتهم في الجنة.

قوله: (**وقيل: لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا**) أي وقيل: إن الاستثناء منقطع لأن الموتة الأولى ليست مما يذاق في الجنة، والمعنى لا يذوقون الموت في الجنة أبدًا لكن الموتة الأولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ منتظرون ما يحل بك (من الدوائر).

قوله: (من الدوائر) أي من دوائر الدهر كما قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: الآية ٣٠] ولن يضرك ذلك.

هذا آخر ما أمليته في تفسير سورة حم الدخان
حمدًا لك يا ذا المنّ والإحسان
فالآن أشرع باستعانتك في حل ما في سورة حم الجاثية

(سورة الجاثية)

مكيّة (وهي سبع وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ إن جعلتها اسمًا للسورة فهيَ مرفوعة بالابتداء والخبر ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلة للتنزيل، وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مبتدأ والظرف خبرًا ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في تدبيره ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ﴾ لدلالات على وحدانيته، ويجوز أن يكون المعنى إن في خلق السمٰوات والأرض لآيات ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ دليله قوله ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ ويعطف ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ على الخلق المضاف لأن المضاف إليه ضمير مجرور متصل بقبح العطف عليه ﴿ءَايَٰتٌ﴾ حمزة وعلي (**بالنصب**). وغيرهما بالرفع مثل قولك إن زيدًا في الدار وعمرًا في السوق أو وعمرو في السوق ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الجاثية**) وتُسمى سورة الشريعة وسورة الدهر لذكرهما فيها.
قوله: (**وهي سبع وثلاثون آية**) وأربعمائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة وواحد وتسعون حرفًا (**بالنصب**) أي بكسر التاء حملًا على اسم إن وغيرهما **بالرفع** حملًا

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥﴾

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ﴾ أي مطر (وسُمي به لأنه سبب الرزق) ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ (﴿الريح﴾ حمزة وعلي).

﴿ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ بالنصب: علي وحمزة، وغيرهما بالرفع، وهذا (من العطف على عاملين) سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت «إن» و«في». أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والنصب في ﴿ءَايَٰتٞ﴾. وإذا رفعت فالعاملان الابتداء و«في». عملت الواو الرفع في آيات والجر في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾ هذا مذهب الأخفش لأنه يجوز العطف على عاملين، وأما سيبويه فإنه لا يجيزه وتخريج الآية عنده، أن يكون على إضمار «في» والذي حسنه تقديم ذكر «في» في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود ﷺ ﴿وفي اختلاف الليل والنهار﴾ (ويجوز أن ينصب ﴿آيات﴾ على الاختصاص) بعد انقضاء المجرور معطوفًا على ما قبله، أو على التكرير توكيدًا لآيات الأولى كأنه قيل: آيات آيات، ورفعها بإضمار هي. والمعنى في تقديم الإيمان على الإيقان وتوسيطه وتأخير الآخر، أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السمٰوات والأرض نظرًا صحيحًا علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله، فإذا نظروا في خلق

على محل إن واسمها فإن محلها الرفع على الابتداء أو على الفاعلية على إعمال الظرف على رأي الأخفش.

قوله: (وسُمِيَ به لأنه سبب الرزق) فيكون مجازًا مرسلًا (﴿الريح﴾) بالتوحيد (حمزة وعلي) الكسائي وقرأ الباقون بالجمع. **قوله:** (من العطف) أي عطف معمولين.

قوله: (على عاملين) فيه مضاف مقدر أي على معمولي عاملين مختلفين وهذه العبارة للمتقدمين من النحاة ولذا لم يغيرها المصنّف رحمه الله.

قوله: (ويجوز أن ينصب ﴿آيات﴾ على الاختصاص. . .) الخ ليس المراد بالاختصاص مصطلح النحاة بل النصب بالمعنى مقدرًا والزمخشري يستعمله بهذا

أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وفي خلق ما ظهر على الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانًا وأيقنوا، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها، وتصريف الرياح (جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا)، عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وقوله ﴿نَتْلُوهَا﴾ في محل الحال أي متلوّة ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ والعامل ما دلّ عليه ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ (أي بعد آيات الله) كقولهم: «أعجبني زيد وكرمه» يريدون أعجبني كرم زيد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ (حجازي وأبو عمر وسهل) وحفص، (وبالتاء) فغيرهم على تقدير قل يا محمد.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ متبالغ في (اقتراف) الآثام.

المعنى كثيرًا وحينئذٍ يكون المجرور معطوفًا وحده فلا يلزم العطف المذكور.
قوله: (جنوبًا وشمالًا وقبولًا ودبورًا) فالشمال هي التي تهب من جانب القطب وفيها خمس لغات الأكثر بوزن سلام وشمأل مهموز وزان جعفر وشامل على القلب وشمل مثل سبب وشمل مثل فلس والجنوب تقابلها والقبول الصبا وهي التي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل النهار والدبور تقابلها.

قوله: (أي بعد آيات الله. . .) الخ يعني أنه مما قصد فيه المعطوف وذكر المعطوف عليه توطئة كما حقق في شرح المفتاح.

قوله: (حجازيّ) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازيّ أي قرأه نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير.

قوله: (وأبو عمرو) البصري. **قوله:** (وسهل) بن محمد السجستاني وليس من السبعة. **قوله:** (وبالتاء) أي بتاء الخطاب. **قوله:** (اقتراف) أي اكتساب.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ في موضع جر صفة ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ حال من آيات الله ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يقبل على كفره ويقيم عليه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآيات والإذعان لما تنطق به من الحق **(مزدريًا)** لها معجبًا بما عنده. قيل: نزلت في **(النضر بن الحارث)** وما كان يشتري من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن. والآية عامة في كل من كان مضارًا لدين الله. وجيء بـ «ثم» لأن الإصرار على الضلالة والاستكبار عن الإيمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ «كأن» مخففة والأصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أي يصرّ مثل غير السامع ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ **(فأخبره خبرًا يظهر أثره على البشرة)**.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ وإذا بلغه شيء من آياتنا **(وعلم أنه منها)** ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ اتخذ الآيات ﴿هُزُوًا﴾ ولم يقل اتخذه للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على

قوله: (مزدريًا) في الصحاح ازدريته أي حقرته. اهـ.

قوله: و**(النضر بن الحارث)** أسر يوم بدر وقتل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أمره رسول الله ﷺ بذلك أجمع أهل المغازي والسير على أنه قتل يوم بدر كافرًا وإنما قتله لأنه كان شديدًا على رسول الله ﷺ والمسلمين. **قوله:** **(فأخبره خبرًا يظهر أثره على البشرة)** فإن البشارة في أصل اللغة الخبر المغير للوجوه خيرًا كان أو شرًا.

وقوله: **(البشرة)** ظاهر الجلد والجمع البشر مثل قصبة وقصب ثم أطلق على الإنسان واحده وجمعه لكن العرب ثنوه ولم يجمعوه، وفي التنزيل: قالوا ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: الآية ٤٧] كذا في المصباح.

قوله: **(وعلم أنه منها)** إشعار بأن ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: الآية ١] شيئًا مفعولًا علم.

الاستهزاء بما بلغه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية (كقول أبي العتاهية:

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مخز.

قوله: (كقول أبي العَتَاهِيَة) هو أبو إسحٰق إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كيسَان العنزي مولى عنزة الكوفي العيني نزيل بغداد الشاعر المشهور لقّب بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه وقيل: لحبه للخلاعة فكنّي بأبي العتاهية لعتُوّه وقيل: لأن المهديّ قال له يومًا: أنت رجل متحذلق متعَتِّهٌ فلقب به وهو أحد مَن سار بشعره وانتشر ولم يجتمع ديوانه لكثرة شعره وأكثر شعره في الزهد والمواعظ وهو من مقدمي المولدين في طبقة بشار وأبي النواس وكان مولد أبي العتاهية بعين التمر بليدة قرب المدينة وقيل: من أعمال مَن سقي الفرات وقيل: قرب الأنبار سنة ثلاثين ومائة. **قوله**:

(نفسي بشيء من الدنيا معلَّقةٌ الله والقائمُ المهدِيُّ يكفيها

حيث أراد عتبة) استشهد به على تأنيث الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ مع رجوعه إلى شيء وهو مذكر لأن المراد بالشيء الآيات كما أَنَّث الشاعرُ ضمير يكفيها مع رجوعه إلى شيء لأنه في المعنى مؤنثٌ لأن المراد عُتْبَةُ جَارِيةُ المَهْدي كان يَهْواها أبو العَتَاهية وأكثر تشبيبه بها فلما أعياه الأمر كتب هذا البيتَ وبيتًا آخر وهو شعر:

إني لَأَيْأَسُ منها ثم يُطمِعُني فيها احتِقارُك للدنيا وما فيها

على حواشي ثوبٍ ناعم وجعله في بَرْنِيّةٍ وأهداها في النيروز إلى المهدي فهَمّ بدفع عتبة إليه فجَزعت وقالت: يا أمير المؤمنين بعد حرمتي وخدمتي تدفعني إلى رجل قبيح المنظر بايع جَرّار مكتَسِبٍ بالشعر فأعفاها وقال: املئوا له البرنية مالًا فقال للكتّاب: امر لي بدنَانير فقالوا: ما ندفع إلّا دراهم أو يُفْصِحَ عن مراده فاختلف في ذلك حولًا فقالت عتبة: لو كان عاشقًا كما يزعم لم يختلف منذ مدخول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكري صفحًا وتمام

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ من قدامهم (**الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام**) ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا﴾ من الأموال ﴿شَيْئًا﴾ من عذاب الله ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا﴾ «ما» فيهما مصدرية أو موصولة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في جهنم.

﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿هَٰذَا هُدًى﴾ إشارة إلى القرآن ويدلّ عليه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ لأن آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن (**كامل في الهداية**) كما تقول: زيد رجل أي كامل في الرجولية ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ هو أشد العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ بالرفع: (**مكي ويعقوب**) وحفص صفة لـ ﴿عَذَابٌ﴾ وغيرهم بالجر صفة لـ ﴿رِّجْزٍ﴾.

القصة في الإسعاف مَن شاء فلينظر ثمة. **وقوله**: (**يكفيها**) الضمير المرفوع عائد إلى الله تعالى أو إلى القائم بحذف الخبر من أحدهما والمنصوب إلى شيء لأن المراد به عتبة جارية المهدي كان يهواها أبو العتاهية ويعرض لطلبها منه وفيه نظر لجواز أن يكون الضمير لنفسي والمفعول الثاني محذوف أي يكفيها ذلك الشيء المعلومة من كفته مؤنته أو هو كافٍ لها في حصول ذلك المطلوب. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص**) أي يسترها (**من خلف**) كانت (**أو قدام**) وجعل الوراء في الآية بمعنى القدام لأن شخص الكافر يوارى جهنم إذا نظر إليها من خلفه لأنه متوجه إليها فيكون حائلًا بينها وبين الناظر إليها. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**كامل في الهداية**) مستفاد من التنكير مع جعله نفس الهدى. **قوله**: (**مكي**) أي ابن كثير المكيّ. **قوله**: (**ويعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج **(اللحم الطري)** ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ هو تأكيد ما في السمٰوات وهو مفعول ﴿سَخَّرَ﴾ وقيل: ﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال ﴿مِّنْهُ﴾ حال أي سخر هذه الأشياء كائنة منه حاصلة من عنده، أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه النعم كلها منه، أو صفة للمصدر أي تسخيرًا منه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ أي قل لهم اغفروا يغفروا **(فحذف المقول لأن الجواب يدلّ عليه)**. ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا. وقيل: إنه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الأمر ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب. وقيل: لا يؤملون الأوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها. قيل: نزلت في عمر ﵁ حين شتمه رجل من المشركين **(من بني غفار)** فهمَّ أن يبطش به ﴿لِيَجْزِىَ﴾ تعليل للأمر بالمغفرة أي إنما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة. وتنكير ﴿قَوْمًۢا﴾ على المدح لهم كأنه قيل: ليجزي أيما قوم و(﴿قَوْمًۢا﴾ **مخصوصين بصبرهم)** على أذى أعدائهم. (**﴿لنجزي﴾ شامي وحمزة**

قوله: **(اللحم الطري)** هو السمك.

قوله: **(فحذف المقول)** وهو اغفروا **(لأن الجواب يدل عليه)** وهو جواب الأمر أعني قل لا أغفر. **قوله**: **(من بني غفار)** ككتاب من كنانة رهط أبي ذرّ الغفاريّ. **قوله**: **(بصبرهم)** عليه المدح لهم والثناء عليهم **وقوله**: (﴿قَوْمًۢا﴾ **مخصوصين**) تقرير للمدح والثناء وأن المعنى قومًا مخصوصين بما لهم من الكمالات فهذا التنكير فيه تعريف وإبهام فيه تخصيص. **قوله**: («**لنجزي**») بنون العظمة مفتوحة مبنيًا للفاعل **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وحمزة**

وعلي. ﴿لِيُجْزَى قومًا﴾ يزيد) أي ليجزي الخير قومًا فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: الآية ٣٢] لأن قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۝٣١﴾ [ص: الآية ٣١] دليل على تواري الشمس، وليس التقدير ليجزي الجزاء قومًا لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح، أما إقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرًا ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الإحسان.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٦ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ أي لها الثواب وعليها العقاب ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي إلى جزائه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ خصّها بالذكر لكثرة الأنبياء عليهم السلام فيهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما أحلّ الله لهم وأطاب من الأرزاق ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ﴾ آيات ومعجزات ﴿مِنَ الْأَمْرِ ۖ﴾ من أمر الدين ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فما وقع الخلاف بينهم في الدين ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ أي إلا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وإنما اختلفوا لبغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ قيل: المراد اختلافهم في أوامر الله ونواهيه في التوراة حسدًا وطلبًا للرياسة لا عن جهل يكون الإنسان به معذورًا.

وعلي) الكسائي (﴿لِيُجْزَى﴾) بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنيًا للمفعول مع نصب (﴿قومًا﴾ يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة والباقون بالياء التحتية أي ليجزي الله سبحانه وتعالى.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ بعد اختلاف أهل الكتاب ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ومنهاج ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ من أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن هؤلاء الكافرين ﴿لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وهم مواله وما أبين الفضل بين الولايتين ﴿هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ جعل ما فيه من (**معالم الدين**) والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحًا وحياة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لمن آمن وأيقن بالبعث.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾ «أم» منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه (**الجوارح**) وفلان جارحة أهله أي كاسبهم ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أن نصيّرهم وهو من «جعل» المتعدي إلى مفعولين فأولهما الضمير والثاني الكاف في ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والجملة التي هي ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ (**بدل من الكاف**

قوله: (**معالم الدين**) ما يعلم به الشرائع وأحكام الدين استعير لها البصائر لأن النّاس يصلون بها ويهتدون إلى المطالب والكمالات الدينية كما أن القلوب بالبصائر تصل إلى كمالاتها ومطالبها ثم جعلها خبرًا عن القرآن مجاز عقلي جعل لاشتماله على البصائر كأنها نفسها. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (**ومنه الجوارح**) أي الأعضاء كالأيدي والأرجل التي يكتسب بها.

قوله: (**بدل من الكاف**) وهذا على قراءة الرفع والمبدل هو الجملة والظاهر أنه بدل كل من كل لأن المقصود كونهم مثلهم في استواء حالي المحيا والممات أو

لأن الجملة تقع مفعولًا ثانيًا) فكانت في حكم المفرد، (﴿سَوَآءً﴾ علي وحمزة وحفص بالنصب) على الحال من الضمير في ﴿نَّجْعَلَهُمْ﴾ ويرتفع ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بـ ﴿سَوَآءً﴾. وقرأ (الأعمش) ﴿وَمَمَاتَهُمْ﴾ بالنصب جعل ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ (ظرفين) كمقدم الحاج أي سواء في محياهم وفي مماتهم. والمعنى إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محيًا وأن يستووا مماتًا لافتراق أحوالهم أحياء، حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على اقتراف السيئات، ومماتًا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة، وقيل: معناه إنكار أن يستووا في الممات (كما استووا في الحياة في الرزق والصحة، وعن تميم الداري) ﷺ أنه كان يصلّي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه

بدل اشتمال ويجوز كونه بدل بعض وهذا أعني كون جملة ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ﴾ بدلًا من الكاف إنما هو على تقدير أن يكون ضمير محياهم ومماتهم للمجترحين. **قوله**: (**لأن الجملة تقع مفعولًا ثانيًا**) نحو حسبت زيدًا أبوه منطلق فلو قلت ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾، ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ كان سديدًا فكذا يجوز جعل الجملة بدلًا من المفعول الثاني. **قوله**: (﴿سَوَآءً﴾ **علي**) الكسائي (**وحمزة وحفص بالنصب**) وقرأه الباقون بالرفع على أنه خبر و﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف.

قوله: (**الأعمش**) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الكوفي وُلد يوم قتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وعند البخاري سنة ستين المتوفى سنة ثمان ومائة. **قوله**: (**ظرفين**) أي ظرفي زمان كمقدم الحاج بمعنى وقت قدوم الحاج. **قوله**: (**كما استووا في الحياة في الرزق والصحة**) أي بحسب الظاهر وإلا فما يعطى للمؤمن في الدنيا من ذلك خير له وما يعطى للكافر شرّ له لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٨]. **قوله**: (**وعن تميم الداري**) بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمة وقيل: سواد بن خزيمة بن ذراع بن عديّ بن الدارِ بن هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي عمرو بن سبأ كذا نسبه ابن مندة وكان أول من قصّ، استأذن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك فأذن له وهو أول من أسرج السراج في المسجد قاله أبو نعيم وأقام بفلسطين وأقطعه النبيّ ﷺ بها قرية عينون وكتب له كتابًا وهي إلى الآن قرية مشهورة عند

الآية فجعل يبكي ويردد إلى الصباح، (وعن الفضيل) أنه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول: يا فضيل (ليت شعري) من أي الفريقين أنت ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ بئس ما يقضون إذا حسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد على مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونخزي الكافرين.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ﴾ ليدلّ على قدرته ﴿وَلِتُجۡزَىٰ﴾ معطوف على هذا المعلل المحذوف ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (أي هو مطواع) لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلـهه ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ﴾ فلا يقبل وعظًا ﴿وَقَلۡبِهِۦ﴾ فلا يعتقد حقًّا ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فلا يبصر عبرة، (﴿غَشۡوَةً﴾ حمزة وعلي) ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ (من بعد إضلال الله إياه) ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتخفيف: حمزة وعلي وحفص، وغيرهم بالتشديد. فأصل الشر متابعة الهوى والخير كله

بيت المقدس. قال أبو عمر كان يسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وكان نصرانيًا فأسلم سنة تسع من الهجرة. **قوله**: (وعن الفضيل) بن عياض بن مسعود بن بشر أبي علي الإمام الرباني الزاهد أحد صلحاء الدنيا وعبادها وإنه أحد مَن أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه. وروى عنه الإمام الشافعي رضي الله عنه فأخذ عن إمام عظيم وأخذ عنه إمام عظيم وهو إمام عظيم نفعنا الله تعالى بهم آمين. مات بمكة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة. **قوله**: (ليت شعري) ليتني علمت.

قوله: (أي هو مطواع) يشير إلى أن اتخاذ الهوى إلـهًا مجاز عن إطاعته له. **قوله**: (﴿غَشۡوَةً﴾ بفتح الغين) وسكون الشين (حمزة وعلي) الكسائي والباقون بكسر الغين وفتح الشين وألف بعد الشين. **قوله**: (من بعد إضلال الله إياه) إشارة إلى أن فيه مضافًا مقدّرًا بقرينة ما قبله.

في مخالفته فنعم ما قال:

إذا طلبتك النفس يومًا بشهوة وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فإنما هواك عدو والخلاف صديق

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ﴾ أي ما الحياة لأنهم وعدوا حياة ثانية ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا، أو يموت بعض ويحيا بعض، أو نكون مواتًا نطفًا في الأصلاب ونحيا بعد ذلك، أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة. وقيل: هذا كلام مَن يقول (**بالتناسخ**) أي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلال الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بإذن الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان (ومنه) قوله ﷺ: «لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر» أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ أي القرآن يعني ما فيه من ذكر البعث ﴿بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ وسمىٰ قولهم حجة وإن لم يكن حجة لأنه في زعمهم حجة ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي أحيوهم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعوى البعث، و﴿حُجَّتَهُمْ﴾ خبر «كان» واسمها ﴿أَن قَالُوا﴾ والمعنى ما كان حجتهم إلا مقالتهم: ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾

قوله: (بالتناسخ) فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان. **قوله**: (ومنه) أي ومن قبيل إضافة الحوادث إلى الدهر.

(وقُرىء ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ **بالرفع**) على أنها اسم «كان» و﴿أَن قَالُوا﴾ الخبر. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها عند انتهاء أعماركم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يبعثكم يوم القيامة جميعًا ومَن كان قادرًا على ذلك كان قادرًا على الإتيان بآبائكم ضرورة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في الجمع ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكر في الدلائل.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ عامل النصب في ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾ ﴿يَخْسَرُ﴾ و(﴿يَوْمَئِذٍ﴾ **بدل من** ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾) ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ جالسة على الركب، يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتيه وقيل: جاثية مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرفع على الابتداء (﴿كُلَّ﴾ **بالفتح: يعقوب على الإبدال من** ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾) ﴿تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾ إلى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا﴾ أُضيف الكتاب إليهم لملابسته إياهم لأن أعمالهم مثبتة فيه وإلى الله تعالىٰ لأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾

قوله: (وقرىء ﴿حُجَّتُهُمْ﴾ **بالرفع**...) الخ عبارة السمين. قوله تعالى: ما كان حجتهم العامة على نصب الحجة وزيد بن علي وعمر بن عبيد وعبيدة بن عمرو بالرفع. اهـ. **قوله**: (﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾) ثم يحشركم من قبوركم إلى المحشر أو مفيضين إليه أو في يوم القيامة. اهـ قنوي. وفي حاشية الشهاب عليه رحمة الله الوهاب وإلى في قوله: ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بمعنى في أو الفعل مضمر بمعنى مبعوثين أو منتهيين ونحوه. اهـ.

قوله: (﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ **بدل من** ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾) بدل الكل قنوي. **قوله**: (﴿كُلَّ﴾ **بالفتح: يعقوب**) بن إسحٰق وليس من السبعة. **قوله**: (**على الإبدال من** ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾) الأولى بدل الكل وهي في قراءة غيره بالرفع مبتدأ خبره ما بعده والجملة مستأنفة لبيان جثوهم وهو استدعاء كتابها وهو صحيفة عملها.

(يشهد عليكم) بما عملتم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من غير زيادة ولا نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **(أي تستكتب الملائكة أعمالكم)**. وقيل: نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ **(فيقال لهم:)** ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالجزاء ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع عطف على محل «إن» واسمها. (﴿وَٱلسَّاعَةَ﴾ **حمزة**) عطف على ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾. ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي شيء الساعة ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ **(أصله نظن ظنًا)** ومعناه إثبات الظنّ فحسب فأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزيد نفي

قوله: **(يشهد عليكم)** مستفاد من تعدية النطق بعلى. **قوله**: **(أي نستكتب الملائكة أعمالكم)** أي نأمرهم بكتبها وإثباتها عليكم.

قوله: **(فيقال لهم)** أشار به إلى أن جواب أما محذوف وتقديره ما قدره.

قوله: (﴿وَٱلسَّاعَةَ﴾) بالنصب **(حمزة)** والباقون برفعها. **قوله**: **(أصله نظن ظنًا...)** الخ عبارة البيضاوي أصله نظن ظنًا فأدخل حرف النفي والاستثناء لإثبات الظن ونفي ما عداه وكأنه قال: ما نحن إلا نظن ظنًا. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة شيخ زاده قوله: أصله نظن ظنًا... الخ إشارة إلى أن هذه الآية لا بد فيها من تأويل لأن المصدر الذي يكون للتأكيد لا يجوز أن يكون مستثنى مفرغًا، فلا يقال ما ضربت إلّا ضربًا لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة أن يقال: ما ضربت إلا ضربت فإنه قد تقرّر في النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع معمولاته مرفوعًا

ما سوى الظن توكيدًا بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ﴾ ظهر لهؤلاء الكفار ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ: الآية ٤٠] ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ونزل بهم جزاء استهزائهم.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (أي نتركسكم في العذاب) كما تركتم (عدة لقاء يومكم) وهي الطاعة، (وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر) في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣] أي نسيم لقاء الله تعالىٰ في يومكم

كان أو غير مرفوع إلا المفعول المطلق فإنه لا يفرع له عامله فلا يقال: ما ظننت إلّا ظنًّا لأنه لا فائدة فيه لكونه بمنزلة تكرير الفعل وهو لا يجوز لاتحاد مورد النفي والاستثناء وهو الظن والحصر إنما يتصوّر حيث تغاير مورداهما، فالمصنّف ذكر في تأويل الآية أن مورد النفي محذوف وهو كون المتكلم على فعل من الأفعال ومورد الاستثناء كونه يظن ظنًّا كأنه قيل ما نحن نفعل فعلًا إلا نظن ظنًّا فكلمة الأوان كانت متأخرة لفظًا فهي متقدمة في التقدير فمدلول الحصر إثبات الظن لأنفسهم ونفي ما عداه ومن جملة ما عداه اليقين الذين هو الاعتقاد الجازم والمقصود نفي اليقين لكنه نفي ما عدا الظن مطلقًا للمبالغة في نفي اليقين، ولذلك أكد بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

قوله: (أي نتركسكم في العذاب...) الخ لما كان النسيان محالًا في حقه تعالى أوّلَهُ بلازمه إذ الترك لازم للنسيان فهو مجاز مرسل. **قوله**: (عدّة لقاء يومكم) بضم العين وتشديد الدال ما أعد له مما لا بد منه مثل كراء المسافر وراحلته وسائر مؤنته وفيه إشارة إلى أنهم كالمسافرين كقوله عليه الصلاة والسلام: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» فلا بد لهم أن يعدوا للسفر العميق عدة مما لا بد منه حتى يسهل لهم قطع المسافة والوصول إلى البغية مع الأمن والسلامة. **قوله**: (وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر) في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ

هـذا ولـقـاء جـزائـه ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي مـنـزلـكـم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِأَنَّكُمُ﴾ بسبب أنكم ﴿ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ (﴿لا يَخرُجون﴾ حمزة وعلي) ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (ولا يطلب منهم) أن يعتبوا ربهم (أي يرضوه).

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (أي فاحمدوا الله) الذي هو ربكم ورب كل شيء من السمٰوات والأرض والعالمين، فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (وكبّروه) فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السمٰوات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أحكامه.

ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣] فهو على معنى في ومفعوله مقدّر والأصل لقاءكم وجزاءه في ذلك اليوم. وقال التفتازاني رحمه الله أنه كمكر الليل والنهار فهو مجاز حكمي فلذا أُجرِي مجرى المفعول به. اهـ شهاب. **قوله:** (﴿لا يَخرُجون﴾) بفتح الياء التحتية وضم الراء من الثلاثي (حمزة وعلي) الكسائي فالمعنى حينئذٍ لا يقدرون الخروج مع أنهم يريدونه، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء. **قوله:** (ولا يطلب منهم) أي السين للطلب. **قوله:** (أي يرضوه) بأن يرجعوا عن معصية ربهم إلى طاعته بالتوبة عما سلف وبإصلاح الحال فيما بقي لأن ذلك اليوم لا يقبل فيه عذر ولا توبة والاستعتاب طلب الإعتاب وهو الإرضاء وإزالة العتب.

قوله: (أي فاحمدوا الله وكبّروه) إشارة إلى أن هذه الأخبار كناية عن الأمر أو مجاز عنه لما أنه المقصود فله الحمد والثناء والعظمة والكبرياء.

تمّ ما يتعلّق بسورة الجاثية والحمد لله وحده
والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة الأحقاف)

(مكيّة وهي خمس وثلاثون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ (ملتبسًا بالحكمة) ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ (وبتقدير أجل مسمى) ينتهي إليه وهو يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأحقاف، مكية، وهي خمس وثلاثون آية) وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمس وتسعون حرفًا. **قوله:** (ملتبسًا بالحكمة) يعني أن قوله تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلّق بمحذوف هو صفة لمصدر محذوف أي خلقًا ملتبسًا بالحق والصواب.

قوله: (وبتقدير أجل مسمى) قدّر المضاف لأن خلق ما ذكر ليس خلقًا ملتبسًا بالأجل المسمّى بل بتقديره فإنه تعالى ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدًا سرمدًا بل إنما خلقه ليكون دارًا للعمل ثم يفنيه وينشىء دارًا أخرى لتكون دار الجزاء فعلى هذا الأجل المسمى هذا الوقت الذي عيّنه الله تعالى لإفناء الدنيا وهو آخر مدة بقاء هذا العالم والأجل في اللغة مدة الشيء والمراد به هٰهنا إما آخر مدة

لا بد لكل مخلوق من انتهائه إليه ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له، (ويجوز أن تكون «ما» مصدرية) أي عن إنذارهم ذلك اليوم.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تعبدونه من الأصنام ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي شيء خلقوا مما في الأرض إن كانوا آلهة ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ شركة مع الله في خلق السمٰوات والأرض ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ (مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ)﴾ أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك، وما من كتاب أُنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فأتوا بكتاب واحد منزّل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ (أو بقية) من علم بقيت عليكم من علوم الأولين ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أن الله أمركم بعبادة الأوثان.

﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ أي أبدًا ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ أي الأصنام لعبدتها ﴿وَكَانُواْ﴾ أي الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ بعبادة عبدتهم ﴿كَٰفِرِينَ﴾ يقولون ما دعوناهم إلى عبادتنا. ومعنى الاستفهام في ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ﴾ إنكار أن يكون في

بقاء العالم ومنتهاها أو آخر مدة بقاء كل أحد. **قوله**: (**ويجوز أن تكون «ما» مصدرية**...) الخ وعن متعلقة بالإعراض.

قوله: (﴿مِن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾) صفة لكتاب أي بكتاب كائن من قبل هذا. **قوله**: (**أو بقية**) فالأثارة معناها البقية وهي مصدر بوزن فعالة بفتح الفاء والمعنى مما يؤثر. ويروى من خبر الأولين أي ائتوني بخبر واحد يشهد بصحة قولكم وهذا على سبيل التنزيل للعلم بكذب المدعي وقوله ﴿مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ صفة لأثارة.

(الضُّلَّال) كلهم أبلغ ضلالًا من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء ويدعون مَن دونه جمادًا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة، وإذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدًّا فليسوا في الدارين إلا على (نكد) ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة، وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم. ولما أسند إليهم ما يسند إلى أُولي العلم من الاستجابة والغفلة قيل: «مَن» و«هم»، ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة، طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ (وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضًا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ)﴾ [فاطر: الآية ١٤].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ جمع بينة وهي الحجة والشاهد (أو واضحات) مبينات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلوّ عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ (أي بادهوه) بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير (إجالة) فكر ولا إعادة نظر ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (ظاهر أمره في البطلان) لا شبهة فيه ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾

قوله: (الضُّلَّال) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام. **قوله**: (نكد) أي عسر. **قوله**: (﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضًا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾) ما أجابوكم (﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾) بإشراككم إياهم مع الله أي يتبرون منكم ومن عبادتكم إياهم.

قوله: (أو واضحات) أي بيّنات من بان اللازم أي واضح حقيّتها بدلالة الإعجاز مُبيِّنات للحق والصواب والأحكام والشرائع لأولي الألباب. **قوله**: (أي بادهوه) في المصباح بدهه بدهًا من باب نفع بغته وفاجأه وبادهه مبادهة كذلك ومنه بديهة الرأي لأنها تبغت وتسبق والجمع البداءة. اهـ. **قوله**: (إجالة) في الصحاح الإجالة الإدارة. اهـ. **قوله**: (إحادة) في المصباح أحددت إليه النظر بالألف نظرت متأملًا. اهـ. **قوله**: (ظاهر أمره في البطلان) هذا حاصل المعنى. **قوله**:

(إضراب) عن ذكر تسميتهم الآيات سحرًا إلى ذكر قولهم إن محمدًا ﷺ افتراه أي اختلقه وأضافه إلى الله كذبًا، والضمير للحق والمراد به الآيات ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي إن افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفّه عن معاجلتي، ولا تطيقون دفع شيء من عقابه فكيف أفتريه وأتعرّض لعقابه؟. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (أي تندفعون فيه من القدح) في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرًا تارة (وفرية) أُخرى ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والإنكار، ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ موعدة بالغفران والرحمة إن تابوا عن الكفر وآمنوا.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ (أي بديعًا) كالخفّ بمعنى الخفيف، والمعنى إني لست بأول مرسل فتنكروا نبوّتي ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ أي ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان. (وعن الكلبي) قال له أصحابه وقد

(إضراب...) الخ يعني أن أم منقطعة مقدّرة ببل الإضرابية وهمزة الاستفهام المتجوّز به عن الإنكار والتعجب.

قوله: (أي تندفعون فيه) الاندفاع الخوض والشروع بالسرعة وكذا الإفاضة يقال: اندفع الفرس أي أسرع في مشيه. **قوله:** (من القدح) أي الطعن فيها بيان لما **قوله:** (فرية) في المصباح افترى عليه كذبًا اختلقه والاسم الفرية بالكسر. اهـ.

قوله: (أي بديعًا) يعني أن البدع صفة بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف والبديع من كل شيء المبتدع الذي لا سبق له والمخترع لا على مثال سبق ويجيء بمعنى المبدع أيضًا كما في قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية ١١٧]. **قوله:** (وعن الكلبيّ) هو أبو النضر محمد بن السائب الكوفيّ صاحب التفسير وعلم النسب كان إمامًا في هذين العلمين تُوفي سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة

(ضجروا) من أذى المشركين: حتى متى نكون على هذا؟ فقال: ما أدري ما يفعل بي (﴿وَلَا بِكُمْۖ﴾)، أأترك بمكة أم أومَر بالخروج إلى أرض قد رُفِعَت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر و«ما» في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ يجوز أن يكون موصولة منصوبة، وأن تكون استفهامية مرفوعة. **(وإنما دخل «لا» في قوله: ﴿وَلَا بِكُمْۖ﴾)** مع أن ﴿يُفْعَلُ﴾ مثبت غير منفي لتناول النفي في ﴿وَمَآ أَدْرِى﴾ ﴿مَا﴾ وما في حيّزه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

رحمه الله تعالى والكلبي بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى كلب بن وبرة وهي قبيلة كبيرة من قضاعة ينسب إليها خلق كثير.

قوله: (ضجروا) في المصباح ضجر من الشيء ضجرًا فهو ضجر من باب تعب اغتمّ منه وقلق مع كلام منه. اهـ.

قوله: (وإنما دخل «لا» في قوله: ﴿وَلَا بِكُمْۖ﴾) الخ جواب عما يقال من أن قوله بكم في قوله ﴿وَلَا بِكُمْۖ﴾ معطوف على ﴿بِى﴾ وهو في حيّز الإثبات لأن العامل فيه ﴿يُفْعَلُ﴾ وهو مثبت فلم يكن ما عطف عليه من مواضع زيادة لا فكان القياس أن يقال ما يفعل بي وبكم. وتقرير الجواب أن ما يفعل وإن كان مثبتًا في نفسه إلا أن النفي المذكور في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى﴾ [الأحقاف: الآية ٩] مسلّط على ما في قوله: ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ لأنه مفعول الفعل المنفي فيكون مسلّطًا على ما في حيّزها وهو الصلة فيكون ﴿يُفْعَلُ﴾ منفيًا بهذا الاعتبار فتصح زيادة (لا) على ما هو معطوف على معموله. وفي القرطبي ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ﴾ يريد يوم القيامة ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبيًّا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وأنه لا فضل له علينا ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعله به فنزلت ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: الآية ٢] فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار وقالت الصحابة: هنيئًا لك يا رسول الله لقد بيّن الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: الآية ٥] الآية، ونزلت ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٤٧] قاله أنس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك. اهـ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ القـرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (**هو عبد الله بن سلام**) عند الجمهور ولهذا قيل: إن هذه الآية مدنية لأن إسلام ابن سلام بالمدينة. رُوِيَ أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب. قال له: إني سائلك (**عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ**): ما أول (**أشراط**) الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنّة، وما بال الولد (**ينزع**) إلى أبيه أو إلى أُمه؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار (**تحشرهم**) من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنّة (**فزيادة كبد حوت**)، وأما الولد (**فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته**). فقال: أشهد أنك رسول الله حقًّا. ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ الضمير للقرآن أي مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك، ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به. وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين، ويدلّ على هذا المحذوف. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والواو الأولى عاطفة لـ ﴿وَكَفَرْتُم﴾ على فعل الشرط، وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لـ «﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على ﴿وَشَهِدَ

قوله: (**هو عبد الله بن سلام**) بتخفيف اللام وهو من أجلّاء الصحابة الكرام ومن أولاد يوسف عليه السلام وكان أولًا من أحبار اليهود وأعلمهم بالتوراة. **قوله**: (**عن ثلاث**) أي ثلاثة أشياء (**لا يعلمهن إلّا نبيّ**) أي أو من يأخذ منه أو من كتابه لئلّا يشكل بأنه كان ممن يعلمها إما مجملًا أو مفصلًا ولهذا صارحوا بها معجزة له وعلم تعيّن نبوّته عنده. **قوله**: (**أشراط**) الساعة أي علاماتها. **قوله**: (**ينزع**) بكسر الزاي يقال: نزع الولد إلى أبيه إذا أشبهه. **قوله**: (**تحشرهم**) أي تجمعهم. **قوله**: (**فزيادة كبد حوت**) أي طرفها وهي أطيب ما يكون من الكبد. **قوله**: (**فإذا سبق ماء الرجل**) أي علا وغلب ماء المرأة (**نزعه**) أي جذب الرجل أو ماؤه الولد إلى شبهه (**وإن سبق ماء المرأة نزعته**) أي جذبت المرأة الولد يعني إذا غلب ماء الرجل أشبهه الولد وإذا غلب ماء المرأة أشبهها الولد.

شَاهِدٌ﴾، وأما الواو في ﴿وَشَهِدَ﴾ فقد عطفت جملة قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على جملة قوله: ﴿كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله، فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضلّ الناس وأظلمهم؟

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **(أي لأجلهم)** وهو كلام كفّار مكة قالوا: إن عامة مَن يتبع محمدًا **(السقاط)** يعنون الفقراء مثل **(عمار وصهيب وابن مسعود)** ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ لو كان ما جاء به محمد خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ **(العامل في ﴿إِذْ﴾ محذوف)** لدلالة الكلام عليه تقديره وإذا لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ مسبب عنه وقولهم: ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي كذب متقادم كقولهم: أساطير الأولين.

قوله: (أي لأجلهم) أي اللام ليست للخطاب بل للتعليل وحاصله في شأنهم. **قوله: (السقاط)** جمع ساقط كجهال جمع جاهل وهو الذي لا يعبأ به لعدم جاهه وماله وأشياعه. **قوله: (عمار)** بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي بالنون ساكنة ومهملة أبي اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدري قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين. اهـ تقريب التهذيب. وفي أسد الغابة وأمه سمية وهي أول مَن استشهد في سبيل الله عزّ وجلّ وهو وأبوه وأمه من السابقين. اهـ. **قوله: (وصهيب)** بن سنان أبي يحيىٰ الرومي أصله من النمر يقال: كان اسمه عبد الملك وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة علي، وقيل: قبل ذلك. اهـ تقريب. **قوله: (وابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. اهـ تقريب. **قوله: (العامل في ﴿إِذْ﴾ محذوف)** لأن إذ لازمة الإضافة وقد أضيفت إلى قوله: ﴿لَمْ

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي التوراة وهو مبتدأ و﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ ظرف واقع خبرًا مقدمًا عليه **(وهو ناصب** ﴿إِمَامًا﴾**)** على الحال نحو: في الدار زيد قائمًا. ومعنى ﴿إِمَامًا﴾ قدوة يؤتمّ به في دين الله وشرائعه كما يؤتمّ بالإمام ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمَن آمن به وعمل بما فيه ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير الكتاب في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ والعامل فيه ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ أو من كتاب **(لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة)** وجوّز أن يكون مفعولًا لـ ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ **(أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول)** ﴿لِّيُنذِرَ﴾ أي الكتاب، **(**﴿لتنذر﴾ **حجازيّ وشاميّ)**.

يَهْتَدُوا۟﴾ فلا يعمل فيها لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف وأيضًا هي للمضيّ فلا يعمل فيها قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ لكونه للاستقبال والفعل الاستقبالي لا يعمل في الظرف الذي للمضيّ فلا يقال: سأكتب أمس والفاء في قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ سببية تقتضي أن يذكر قبلها ما يكون سببًا لقولهم ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ فلذلك قدّر ما يكون عاملًا في الظرف وسببًا للقول المذكور والمعنى وإذ لم يهتدوا بالقرآن المبين والآيات البيّنات ظهر عنادهم فسيقولون كذلك هذا إفك قديم كما قالوا: إنه أساطير الأولين ومعنى السين فيه أنه يتحقق منهم هذا القول حينًا بعد حين مسببًا عن العناد والاستكبار.

قوله: (وهو ناصب) أي الخبر المقدّم ناصب. **وقوله: (**﴿إِمَامًا﴾**)** على الحالية. **قوله: (لتخصصه بالصفة)** فإن الحال من النكرة الغير المتخصصة يجب تقدمها عليها. **قوله: (ويعمل فيه معنى الإشارة)** أي أشير هذا أو أنبه. **قوله: (أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول)** ﷺ فلا بد فيه من حذف المضاف.

قوله: (﴿لتنذر﴾**)** بالتاء خطابًا أي أيها الرسول **(حجازي)** إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: **(حجازي)** أي قرأه نافع المدني. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ، وكذا قرأه سهل بن محمد السجستاني البصري ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري وليسا من

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ في محل النصب معطوف على محل ﴿لِّيُنذِرَ﴾ (لأنه مفعول له) ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ للمؤمنين المطيعين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على توحيد الله وشريعة نبيّه محمد ﷺ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عند الموت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال من ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ والعامل فيه معنى الإشارة الذي دلّ عليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ جزاء مصدر لفعل دلّ عليه الكلام **(أي جوّزوا جزاء)**.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ (﴿إِحْسَٰنًا﴾ **كوفي**) أي وصيناه بأن يحسن بوالديه إحسانًا، (﴿**حسنًا**﴾ **غيرهم**) أي وصيناه بوالديه أمرًا ذا حسن أو بأمر ذي حسن،

السبعة، وقرأ الباقون بالياء غيبة بخلاف عن البزي[١] عبارة تفسير النيسابوري لتنذر على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب والباقون على الغيبة والضمير للكتاب. اهـ. **قوله**: **(لأنه مفعول له)** للمصدق وهو من المنصوبات أي الإنذار والتبشير.

قوله: **(أي جوّزوا جزاء)** قدر الماضي لتحقق وقوعه وصيغة المفاعلة للمبالغة.

قوله: (﴿إِحْسَانًا﴾) بزيادة همزة مكسورة فحاء ساكنة وفتح السين وألف بعدها مصدرًا حذف عامله **(كوفيّ)** أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيار. **قوله**: (﴿**حُسنًا**﴾) بضم الحاء وسكون السين بلا همز ولا ألف مفعولًا به على تقدير مضاف وموصوف **(غيرهم)**. **قوله**:

---

(١) لعبد الله بن كثير المكيّ ثلاث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية أبي الحسين القوّاس.

فهو في موضع البدل من قوله: ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ وهو من بدل الاشتمال ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ (وبفتح الكافين: حجازي وأبو عمرو) وهما لغتان في معنى المشقة، وانتصابه على الحال أي (ذات كره)، أو على أنه صفة للمصدر أي حملًا ذا كُرهٍ ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ ومدة حمله وفطامه ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ وفيه دليل على أن (أقل مدة الحمل) ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله تعالى: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٣] بقيت للحمل ستة أشهر، وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله، وقال أبو حنيفة ﷺ: المراد به (الحمل بالأكف. ﴿وَفَصۡلُهُۥ﴾ يعقوب). والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ هو جمع لا واحد له من لفظه، (وكان سيبويه يقول: واحده شدّة)، وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوّته وعقله وذلك إذا (أناف) على الثلاثين و(ناطح الأربعين). و(عن قتادة): ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعون. ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ المراد به نعمة التوحيد والإسلام، وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾

(وبفتح الكافين: حجازيّ) أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وابن كثير المكيّ (وأبو عمرو) البصري وهشام[1] بخلفه والباقون بالضم. **قوله**: (ذات كره) بتقديره مضاف. **قوله**: (أقل مدة الحمل) هو الحمل بالبطن. **قوله**: (الحمل بالأكف) أي بالأيدي فيصير الثلاثون مدة الفصال والحمل بالأكف جميعًا لأن في الثلاثين وما دونه يحمل بالأكف غالبًا فهذه الآية دليل على أن مدة الرضاع ثلاثون شهرًا. **قوله**: (﴿وَفَصۡلُهُۥ﴾) بفتح الفاء وسكون الصاد بلا ألف (يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة في تفسير النيسابوري ﴿وفصله﴾ يعقوب الآخرون ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾. اهـ.

قوله: (وكان سيبويه يقول: واحده شدّة) كنِعمة وأنعُم. **قوله**: (أناف) أي زاد. **قوله**: (ناطح الأربعين) استقبلها وقرب منها. **قوله**: (عن قتادة) بن دعامة كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا.

---

(١) لعبد الله بن عامر الشامي روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمّار. رحمه الله تعالى.

قيل: هي الصلوات الخمس ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ أي اجعل ذريتي موقعًا للصلاح ومظنة له ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من كل ذنب ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من المخلصين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

(﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ **حمزة وعلي وحفص.** ﴿**يُتَقَبَّل**﴾ ﴿**ويُتجاوز**﴾ ﴿**أَحْسَنُ**﴾ **غيرهم**) ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ هو كقولك: أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم، ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنّة ومعدودين فيهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ (**مصدر مؤكد لنفسه**) لأن قوله: «يتقبل» «ويتجاوز» وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز. قيل: نزلت في (**أبي بكر الصدّيق**) ﷺ وفي أبيه (**أبي قحافة**) وأمه (**أم الخير**

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ **حمزة وعلي وحفص** ﴿**يُتَقَبَّل**﴾ ﴿**ويُتجاوز**﴾ ﴿**أَحْسَنُ**﴾ **غيرهم**﴾) أي قرأ حمزة وعلي الكسائي وحفص بنون مفتوحة قبل الفوقيّة من يتقبل ونصب أحسن على أنه مفعول به ونون مفتوحة قبل الفوقية من يتجاوز والباقون بياء مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع أحسن لقيامه مقام الفاعل والمعنى واحد لأن الفعل وإن بُني للمفعول فمعلوم أنه الله تعالى. **قوله**: (**مصدر مؤكد لنفسه**) فإنه لما أكّد مضمون جملة لا محتمل لها من معنى المصادر غير الوعد صار تأكيدًا لمعنى الوعد الذي تضمنته الجملة المتقدمة فكان تأكيدًا لنفسه كما في قولك له عليّ ألف درهم اعترافًا. **قوله**: (**أبي بكر الصدّيق**) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي صاحب رسول الله ﷺ في الغار وفي الهجرة والخليفة بعده مات في جُمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة. **قوله**: (**أبي قُحافة**) اسمه عثمان له صحبة أسلم يوم فتح مكة ومات في المحرم سنة أربع عشرة وله سبع وتسعون سنة. **قوله**: (**أُم الخير**) اسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهي

وفي أولاده) واستجابة دعائه فيهم، فإنه آمن بالنبيّ ﷺ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر ﷺ ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ والمراد بالذي قال، الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعًا. (**وعن الحسن البصريّ**): هو في الكافر العاقّ لوالديه المكذّب بالبعث. وقيل: نزلت في (**عبد الرحمـٰن بن أبي بكر**) ﷺ قبل إسلامه، ويشهد لبطلانه كتاب

ابنة عم أبي قحافة قال أبو نعيم لما تُوفي أبو بكر رضي الله عنه ورثه أبواه جميعًا أبو قحافة وأم الخير وتُوفيت أم الخير قبل أبي قحافة. **قوله**: (**وفي أولاده**) كان له رضي الله عنه من الولد ستة ثلاثة بنين وثلاث بنات، أما البنون فعبد الله وهو أكبر ولده الذكور أمه قتيلة ويقال: قتلة دون تصغير من بني عامر بن لؤي شهد فتح مكة وحنينًا والطائف مع النبيّ ﷺ مسلمًا، وعبد الرحمـٰن أمه أم الرومان وكان شقيق عائشة رضي الله تعالى عنها، ومحمد بن أبي بكر ويكنى أبا القاسم أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولد بذي الحليفة لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة، وأما البنات فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها شقيقة عبد الرحمـٰن وأسماء بنت أبي بكر شقيقة **عبد** الله وهي أكبر بناته وأم كلثوم وهي أصغر بناته أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد، تُوفي عنها وتركها حبلى فولدت بعده أم كلثوم هذه.

قوله: (**وعن الحسن البصري**) كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. **قوله**: (**عبد الرحمـٰن بن أبي بكر**) الصدّيق بن أبي قحافة القرشي التيمي يكنّى أبا عبد الله، وقيل: أبو محمد بابنه محمد الذي يقال له: أبو عتيق، وقيل: أبو عثمان وأمه أم رومان سكن المدينة وتُوفي بمكة ولا يعرف في الصحابة أربعة ولا أب وبنوه بعده كل منهم ابن الذي قبله أسلموا وصحبوا النبيّ ﷺ إلا أبو قحافة وابنه أبو بكر الصدّيق وابنه عبد الرحمـٰن ابن أبي

(**معاوية**) إلى (مروان) ليأمر الناس بالبيعة (**ليزيد**) فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر: (**لقد جئتم بها هرقلية**) أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس هذا الذي قال الله تعالىٰ فيه: ﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾. فسمعت عائشة ﷺ فغضبت وقالت: والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته، ولكن الله تعالىٰ (**لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله**) أي قطعة

بكر وابنه محمد بن عبد الرحمٰن أبو عتيق وكان عبد الرحمٰن شقيق عائشة وشهد بدرًا وأحدًا مع الكفار ودعا إلى البراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ: متعني بنفسك وكان شجاعًا راميًا حسن الرمي وأسلم في هدنة الحديبية وحسن إسلامه وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن وقيل: كان اسمه عبد العزى. اهـ أسد الغابة. **قوله: (معاوية)** بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين. اهـ تقريب. **قوله: (مروان)** بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو عبد الملك الأموي المدنيّ ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس وستين في رمضان وله ثلاث أو إحدى وستون سنة لا يثبت له صحبة من[1] الثانية. اهـ تقريب. **قوله: (ليزيد)** بن معاوية بن أبي سفيان الأموي أبو خالد ولي الخلافة سنة ستين ومات سنة أربع وستين ولم يكمل الأربعين وليس بأهل أن يُروَى عنه من الثالثة[2]. اهـ تقريب. **قوله: (لقد جئتم بها هِرَقلِيَّة)** أراد أن البيعة لأولاد الملوك سنة ملوك الروم كذا في لسان العرب وفي المصباح هرقل ملك الروم فيه لغتان أكثرهما فتح الراء وسكون القاف مثال دمشق والثانية سكون الراء وكسر القاف مثال خنصر. اهـ. **قوله: (لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فَضَضٌ من لعنة الله)** في لسان العرب كلما انقطع من شيء أو تفرّق فَضَضٌ وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لمروان إن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فَضَضٌ من لعنة الله. قال ثعلب: معناه أي خرجت من صلبه متفرّقًا يعني ما انفَضّ من نطفة الرجل وتَرَدَّدَ في صلبه

---

(١) الثانية من أكد مدحه إما بأفعل كأوثق الناس أو بتكرير الصفة لفظًا كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظًا. اهـ. تقريب منه.

(٢) الثالثة من أفرد بصفة كثقة أو من ظُنَّ أو ثبت أحواله. تقريب منه.

(﴿أُفِّ لَّكُمَا﴾ مدني وحفص، ﴿أُفَّ﴾ مكيّ وشاميّ، ﴿أُفِّ﴾ غيرهم) وهو صوت إذا صوّت به الإنسان علم أنه متضجر (كما إذا قال: «حسّ» علم أنه متوجع). واللام للبيان أي هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما.

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ ولم يبعث منهم أحد ﴿وَهُمَا﴾ أبواه ﴿يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ (يقولون الغياث بالله) منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له ﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه (بالثبور) والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك ﴿ءَامِنْ﴾ بالله وبالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ صدق ﴿فَيَقُولُ﴾ لهما ﴿مَا هَٰذَآ﴾ القول ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي لأملأن جهنم ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ في جملة أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ قد مضت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ﴾ من الجنسين المذكورين الأبرار والفجّار ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي منازل ومراتب (من جزاء ما عملوا من الخير والشر)، أو من أجل ما عملوا منهما، وإنما قال:

وقيل: في قولها وأنت فَضَضٌ منه أرادت أنك قطعة طائفة منها. اهـ. **قوله**: (﴿أُفِّ لَّكُمَآ﴾) بالكسر للفاء منونة (مدنيّ) أي قرأه نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وحفص) رحمه الله (أفَّ) بفتح الفاء بلا تنوين (مكيّ) أي قرأه ابن كثير المكيّ (وشاميّ) أي وابن عامر الشاميّ (أفِّ) بكسر الفاء بلا تنوين (غيرهم). **قوله**: (كما إذا قال: «حسّ» علم أنه متوجع) في لسان العرب حَسِ بفتح الحاء وكسر السين وترك التنوين كلمة تقال عند الألم. اهـ. **قوله**: (يقولون الغياث بالله) منصوب على المصدريّة وضمير التثنية لوالديه وأصل الغياث بالله أغوث بالله غياثًا فحذف الفعل فأقيم المصدر مقام مثل العَياذ بالله. **قوله**: (بالثبور) أي الهلاك.

قوله: (من جزاء ما عملوا من الخير والشرّ...) الخ أشار إلى أن كلمة ما في قوله: ﴿مَا عَمِلُوا۟﴾ موصولة بتقدير المضاف ومن بيانية أو بمعنى الأجل. **قوله**:

﴿دَرَجَٰتٌ﴾ وقد جاء «الجنّة درجات والنار دركات» **(على وجه التغليب)** ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ **(بالياء: مكي وبصري وعاصم)** ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدّر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات **(واللام متعلّقة بمحذوف)**.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ **(عرضهم على النار تعذيبهم بها)** من قولهم: عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به. وقيل: المراد عرض النار عليهم من قولهم: عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ أي يقال لهم أذهبتم **(وهو ناصب الظرف)** ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي

(على وجه التغليب) للدّرجات على الدركات. **قوله: (بالياء)** من تحت **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري وكذا يعقوب بن إسحٰق البصري وليس من السبعة **(وعاصم)** والباقون بنون العظمة. **قوله: (واللام متعلّقة بمحذوف)** سواء قرىء بالياء من تحت أو بالنون أي وجعل الله ذلك ليوفيهم جزاء أعمالهم فحذف المضاف أو وجعلنا ذلك لنوفيهم.

قوله: (عرضهم على النار تعذيبهم بها...) الخ العرض يتعدى باللام وبعلى يقال: عرضت له أمر كذا وعرضت عليه الشيء أي أظهرته له وأبرزته قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٠]، قال الفراء: أبرزناها حتى نظر إليها الكفار فالمعروض عليه أوله يجب أن يكون من أهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه فلا بدّ أن يحمل العرض على التعذيب مجازًا بطريق التعبير عن الشيء باسم ما يؤدّي إليه كما يقال عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به أو يجعل باقيًا على أصل معناه ويكون الكلام محمولًا على القلب والأصل يوم تعرض النار على الذين كفروا أي تظهر وتبرز عليهم بحيث ينظرون إليها ظاهرة مكشوفة ويحضرون عندها قبل أن يلقون فيها فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾... الخ أي استوفيتهم والنكتة في اعتبار القلب المبالغة بادعاء أن النار ذات تمييز وقهر وغلبة. **قوله: (وهو ناصب الظرف)** أي يقال المقدر وهو ناصب يوم في يوم يعرض الذين

ما كتب لكم حظ من الطّيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها. وعن عمر ﷺ: لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا وأحسنكم لباسًا ولكني أستبقي طيباتي ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ بالطيبات ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ (ٱلْهُونِ)﴾ أي الهوان وقُرِىء به ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ **(أي باستكباركم وفسقكم)**.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ **(أي هودًا)** ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ **(جمع حِقف)** وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء **(من احقوقف الشيء إذا اعوجّ)**. عن ابن

كفروا لا أذهبتم المذكور لأن الواقع في ذلك اليوم ليس الإذهاب بل القول. **قوله**: (﴿ٱلْهُونِ﴾) أي الهوان في لسان العرب الهُون بالضم الهَوان والهُون والهَوان نقيض العز. اهـ. **قوله**: **(أي باستكباركم وفسقكم)** إشارة إلى أن ما فيهما مصدرية.

قوله: **(أي هودًا)** على نبينا وعليه الصلاة والسلام فإنه نسيب عاد وواحد منهم. **قوله**: **(جمع حِقْفٍ)** مثل حِمْل وأحمال كذا في المصباح. **قوله**: **(من احقوقف الشيء إذا اعوَجّ)** فمن ابتدائية أي مأخوذ منه لأن دائرة الأخذ أوسع من دائرة الاشتقاق أو المراد أنه مشتق منه لأن المجرد قد يشتق من المزيد إذا كان أعرف وأشهر في معناه كما يقال الوجه من المواجهة. وقال التفتازاني: لم يرد أن الحقف مشتق من احقوقف بل الأمر بالعكس وإنما المراد أن بينهما اشتقاقًا انتهى، وقيل عليه أنه لا يفيد وجه دخول من الابتدائية على المزيد ما لم يلاحظ ما ذكرناه وفيه نظر لأنه بناء على أن الاشتقاق وإنما هو من المجرد فمن فيه اتصالية لا ابتدائية كما توهمه هذا القائل فتدبر. اهـ شهاب. وفي القونوي قيل: وجه دخول من الابتدائية على المشتقّ مع أن حقها أن تدخل على المشتقّ منه أن احقوقف لما كان أجلى معنى وأكثر استعمالًا كان له من هذه الجهة أصالة فأدخلت عليه كلمة الابتدائية للتنبيه على هذا أو هو من باب القلب انتهى ونظيره قول الفقهاء الوجه من المواجهة فحكموا أن الثلاثي مشتق من المزيد ومعنى الاشتقاق هنا الأخذ فيجري في الجوامد أيضًا وفي أخذ الثلاثي من المزيد وبالعكس فلا حاجة إلى القلب. اهـ.

عباس ﷺ: هو وادٍ بين (**عمان**) و(**مهرة**) ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ من قبل هود ومن خلف هود، وقوله ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ وقع اعتراضًا بين ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُۥ﴾ وبين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ والمعنى واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر مَن تقدمه من الرسل ومَن تأخر عنه مثل ذلك.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي قوم هود ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ لتصرفنا (**فالأفك الصرف**) يقال: أفكه عن رأيه ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ (**عن عبادتها**) ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من معاجلة العذاب على الشرك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعيدك ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بوقت مجيء العذاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ (**وبالتخفيف: أبو عمرو**) أي الذي هو شأني أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أُذن لهم فيه.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ الضمير يرجع إلى «ما تعدنا» أو هو مبهم وضح أمره بقوله: ﴿عَارِضًا﴾ إما تمييزًا أو حالًا.

قوله: (**عمان**) في المصباح عمان وزان غراب موضع باليمن وعمان فعال بالفتح والتشديد بلدة بطرف الشام من بلاد البلقاء. اهـ. **قوله**: (**مهرة**) في المصباح مهرة وزان تمرة بلدة من عمان. اهـ.

قوله: (**فالأفك الصرف...**) الخ في لسان العرب الأَفْكُ بالفتح مصدر قولك: أَفِكَه عن الشيء يأفِكه أَفْكًا صَرَفَه عنه وقَلَبَه. اهـ. **قوله**: (**عن عبادتها**) بتقدير المضاف. **قوله**: (**وبالتخفيف: أبو عمرو**) أي قرأ أبو عمرو بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام.

(والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء) ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ (هَٰذَا عَارِضٌ) مُّمْطِرُنَاۚ﴾ رُوِيَ أن المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا: هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحًا. (وإضافة ﴿مُّسْتَقْبِلَ﴾ و﴿ممطر﴾ مجازية غير معرفة) بدليل وقوعهما وهما مضافات إلى معرفتين وصفًا للنكرة ﴿بَلْ هُوَ﴾ (أي قال هود: بل هو، ويدلّ عليه قراءة مَن قرأ «قال هود بل هو» ﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ﴾) من العذاب. ثم فسّره فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله: (والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء) أي في جانب السماء يعني أن العارض السحابة التي تعرض أي تبدو وترى من ناحية من السماء ثم تطبق السماء أي تغطيها ويصب مطرها جميع الأرض. **قوله: (وإضافة ﴿مُّسْتَقْبِلَ﴾ وممطر مجازية غير معرفة...)** الخ أي الإضافة فيه لفظية[1] لكونها من قبيل إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله أي عارضًا مستقبلًا أوديتهم متوجهًا إليها وكذا إضافة ﴿مُّمْطِرُنَاۚ﴾ فإن أصله ممطر لنا أي يأتينا بالمطر فلذلك لم تفد الإضافة فيهما تعريفًا للمضاف وهما مضافان إلى معرفتين فصح كونهما صفتين للنكرة فإن ﴿مستقبل﴾ صفة لقوله: ﴿عارضًا﴾ و﴿ممطرنا﴾ صفة لقوله عارض.

قوله: (أي قال هود: بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ «قال هود بل هو») احتاج إلى إضمار القول لأن الإضراب المذكور لا يصح أن يكون مقولًا لمن قال: **(هذا عارض)** وهو ظاهر وتعين كون القائل هودًا عليه الصلاة والسلام مستفاد من قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: هود بل هو ولأن الكلام فيما سبق إنما وقع بينه وبينهم ولو قدر قال الله بل هو ما استعجلتم به لانفك النظم. وعبارة الكتاب المحتسب، في تبيين وجوه شَواذّ القراءات ولغات العرب، ومن ذلك قراءة ابن مسعود «هذا عارض مطرنا قال هودٌ بل هو» (﴿مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ﴾) قال أبو الفتح: قد كثر عنهم حذف القول لدلالة ما يليه كقول الله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرّعد: الآيتان ٢٣، ٢٤] أي سلام عليكم وكذلك هذه

---

(١) لكونها إضافة إلى معموله وليس بمعنى المضي والاستمرار بل بمعنى الحال فلا تفيد التعريف ولذا وقع صفة للنكرة وكذا الكلام في عارض ممطرنا.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٢٥﴾﴾ تهلك من نفوس عاد وأموالهم **(الجم)** الكثير **(فعبّر عن الكثرة بالكلية)** ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ رب الريح ﴿فَأَصْبَحُوا (لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ)﴾ عاصم وحمزة وخلف أي لا يرى شيء إلا مساكنهم. **(غيرهم ﴿لا ترى إلا مساكنهم﴾)** والخطاب للرائي مَن كان ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل ذلك نجزي مَن أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركي العرب. عن ابن عباس ﷺ: اعتزل هود عليه السلام ومَن معه **(في حظيرة)** ما يصيبهم من الريح إلا ما تلذه الأنفس، وإنها لتمرّ من عاد **(بالظعن)** بين السماء والأرض **(وتدمغهم بالحجارة)**.

القراءة مفسّرة لقراءة الجماعة ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ لو لم تأت قراءة عبد الله هذه لما كان المعنى إلّا عليها فكيف وقد جاءت ناصرةً لتفسيرها. اهـ بحروفها.

قوله: (الجم) في لسان العرب الجَمُّ والجَمَم الكثير من كل شيء. اهـ. **قوله: (فعبّر عن الكثرة بالكلية)** لأنه كم من شيء لم تدمره تلك الريح وكون التدمير بأمر رب الريح معناه أن الدمار ليس يقتضيه طبيعة الريح لذاتها وليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات أيضًا بل هو أمر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل تعذيبهم. **قوله:** (﴿لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾) بالياء التحتية المضمومة ورفع النون من مساكنهم لقيامه مقام الفاعل عاصم وحمزة وخلف بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيار. **قوله:** (غيرهم **﴿لا ترى إلا مساكنهم﴾**) بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيًا للفاعل ونصب مساكنهم مفعولًا به وأما لا لألف بعد الراء ورش[1] بين بين وأبو عمرو وحمزة والكسائي محضة وكذلك من القرى. **قوله: (في حظيرة)** هي مكان يجعل في أطرافه الحطب ونحوه ويدخل فيه. **قوله: (بالظعن)** في الصحاح الظعينة الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن والجمع ظُعْن وظُعُن وظعائن وأظعان. اهـ. وفي المغرب الظعينة المرأة وأصلها الهَوْدَج والجمع ظُعُن وأظعان وظَعَائِن. اهـ. **قوله: (وتدمغهم بالحجارة)** في المصباح دمغته دمغًا من باب نفع كسرت عظم دماغه. اهـ.

---

(١) لنافع بن عبد الرحمن المدني ثلاث روايات، رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون عيسى بن مينا ورواية إسماعيل بن جعفر. منه رحمه الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ «إن» نافية أي فيما ما مكناكم فيه إلا أن «إن» أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع، ألا ترى أن الأصل في «مهما» «ما ما» فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء. وقد جعلت «إن» **(صلة)** وتؤول بأنا مكنّاهم في مثل ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٦] **(والوجه هو الأول)** لقوله تعالىٰ: (﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾) [مريم: الآية ٧٤] ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً (وَءَاثَارًا)﴾ [غافر: الآية ٢١] و«ما» بمعنى الذي أو نكرة موصوفة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ أي الآيات الدرك والفهم ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ «إذ» نصب بقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ وجرى مجرة التعليل لاستواء مؤدي التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته وضربته إذ أساء، لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه **(إلا أن «إذ» و«حيث» غلبتا)** دون سائر الظروف في ذلك ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ ونزل بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدًا بقوله:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ **(نحو حجر ثمود وقرىء قوم لوط)** والمراد أهل القرى ولذلك قال: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي كرّرنا

قوله: (صلة) أي زائدة للتأكيد وهم يعبرون عن مثله بالصلة تأدبًا هربًا من إطلاق الزائد عليه لأنه ليس زائدًا مستغنى عنه بلا فائدة بل لا بد فيه ما يحسنه في الجملة. **قوله:** (والوجه هو الأول) وهو أن أن نافية. **قوله:** (﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾) مالًا ومتاعًا (﴿وَرِءْيًا﴾) منظرًا. **قوله:** (﴿وَءَاثَارًا﴾) في الأرض من مصانع وقصور. **قوله:** (إلا أن «إذ» و«حيث» غلبتا. . .) الخ في ذكر الغلبة إشارة إلى جريانه في غيرهما لكنه خلاف الكثير الأغلب ومن فهم منه الاختصاص بهما فقد أخطأ. اهـ شهاب. **قوله:** (نحو حجر ثمود) الحجر منازل ثمود في ناحية الشام وحجر بكسر فسكون. **قوله:** (وقرىء قوم لوط) في أرض سدوم بالشام.

عليهم (**الحجج**) وأنواع (**العبر**) لعلهم يرجعون عن الطغيان إلى الإيمان فلم يرجعوا.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ القربان ما تقرب به إلى الله تعالىٰ أي اتخذوهم شفعاء متقربًا بهم إلى الله تعالىٰ حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وأحد مفعولي «اتخذ» الراجع إلى «الذين» محذوف أي اتخذوهم والثاني ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ و﴿قُرْبَانًا﴾ حال ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ﴾ غابوا عن نصرتهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك (**والنفر دون العشرة**) ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (**جن نصيبين**) ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ منه عليه الصلاة والسلام ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي الرسول ﷺ أو القرآن أي كانوا منه بحيث يسمعون ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُواْۖ﴾ اسكتوا مستمعين رُوِيَ أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا لنبأ حدث. فنهض سبعة

قوله: (**الحجج**) في المصباح الحجة الدليل والبرهان والجمع حجج مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: (**العبر**) في المصباح جمع العبرة عبر مثل سدرة وسدر. اهـ. وفي لسان العرب العِبَر جمع عبرة وهي كالموعظة مما يتعِظ به الناس ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره والعبرة الاعتبار بما مضى وقيل: العبرة الاسم من الاعتبار. اهـ.

قوله: (**والنفر دون العشرة**) في المختار النفر بفتحتين عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة. اهـ. **قوله**: (**جن نصيبين**) هي قرية من اليمن وجنها أشرف الجن

نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين **(أو نينوى منهم زوبعة فضربوا)** حتى بلغوا **(تهامة ثم اندفعوا)** إلى **(وادي نخلة فوافوا)** رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلّي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته.

(وعن سعيد بن جبير): ما قرأ رسول الله ﷺ عن الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمرّوا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم. وقيل: بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم فقال: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمَن يتبعْني؟ قالها ثلاثًا. فأطرقوا إلا **(عبد الله)** بن مسعود ﷺ قال: لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في **(شعب الحجون)** فخطّ لي خطًّا وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم افتتح

وساداتهم. **قوله**: **(أو نينوى)** بنون مكسورة بعدها ياء ساكنة وبعد الياء نون مضمومة وبعدها واو بعدها ألف مقصورة وهي قرية يونس على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام قرب الموصل. **قوله**: **(منهم زَوْبَعة)** في الصحاح الزَّوْبَعة رئيس من رؤساء الجن. اهـ. **قوله**: **(فضربوا)** أي فسافروا. **قوله**: **(تهامة)** هي أرض أولها ذات عرق من قبل نجد إلى مكة وما وراءها بمرحلتين أو أكثر ثم تتصل بالغور وتأخذ إلى البحر ويقال: إن تهامة تتصل بأرض اليمن وأن مكة من تهامة اليمن كذا في المصباح. **قوله**: **(ثم اندفعوا)** أي أسرعوا في سيرهم. **قوله**: **(وادي نخلة)** معروف بين مكة والطائف ويقال له: بطن مكة وسمي بوادي النخلة لأن فيه نخلة. **قوله**: **(فوافوا)** أي صادفوا ووجَدوا.

قوله: **(وعن سعيد بن جبير)** الأسدي مولاهم الكوفيّ ثقة ثبت فقيه من الثالثة[1] وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. اهـ تقريب. وهو أحد أعلام التابعين. اهـ وفيات الأعيان. **قوله**: **(عبد الله)** بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: **(شعب الحجون)** في المصباح **(الشعب)** بالكسر الطريق وقيل: الطريق في الجبل والجمع

---

(١) الثالثة من أفرد بصيغة كثقة أو متقن أو ثبت أو عدل. اهـ. تقريب.

القرآن وسمعت **(لغطًا)** شديدًا فقال لي رسول الله ﷺ: هل رأيت شيئًا؟ قلت: نعم رجالًا **(سود)**. فقال: أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفًا، والسورة التي قرأها عليهم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١]. ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أي فرغ النبيّ ﷺ من القراءة ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ إياهم.

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ وإنما قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا على اليهودية. وعن ابن عباس ﵄ أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسىٰ ﵇ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ إلى الله تعالىٰ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ أي محمدًا ﷺ ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال

شعاب. اهـ. وأيضًا فيه الحجون وزان رسول جبل مشرف بمكة. اهـ. وفي لسان العرب الحَجُون بفتح الحاء جبل بمكة وهو مقبرة. اهـ. **قوله**: **(لغطًا)** في المغرب اللَّغَطُ أصوات مبهمة لا تفهم. اهـ. **قوله**: **(سود)** جمع أسود.

قوله: (﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾) بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فإن المظالم لا تغفر بالإيمان كذا في البيضاوي. وفي حاشيته للشيخ زاده رحمه الله قوله: فإن المظالم لا تغفر بالإيمان فإن المسلم إذا كان ذميًا ثم أسلم لا تسقط عنه حقوق العباد بإسلامه ولا يغفر عن الحربي الحق إذا كان ماليًا. اهـ. وفي حاشيته للشهاب قوله: فإن المظالم أي حقوق العباد وليس هذا على إطلاقه فإنها ساقطة أيضًا عن الحربي كالقتل والغصب وما نقله الطيبي من حديث الدال على مغفرة المظالم مطلقًا غير مسلم فإنه مُؤَوَّل عند المحدثين. اهـ. وفي تفسير الجلالين يغفر الله لكم من ذنوبكم أي بعضها لأن منها المظالم لا تغفر إلا برضى أصحابها. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة سليمان الجمل الشافعي قوله: لأن منها المظَالِم أي مظالم العباد غير الحربيين أما مظالم الحربيين فهي كحقوق الله تغفر بمجرد الإسلام من الظالم ولا تتوقف على

(أبو حنيفة) ﷺ : لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لهذه الآية. وقال **(مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد)** رحمهم الله: لهم الثواب والعقاب.

الاستحلال من المظلوم الحربي. اهـ شيخنا. اهـ. وفي حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله قوله: لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها من حقوق العباد يعني في حق الذميّ كالجن فإنهم كانوا على اليهودية بخلاف الحربي فإنه إذا أسلم لا يبقى عليه تبعة قط على ما صرّح به في قوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨]. اهـ. قال المصنّف رحمه الله في سورة نوح أن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره كذا في شرح التأويلات. اهـ فافهم في تفسير روح البيان قالوا: ظلامة الكافر وخصومة الدابة أشد لأن المسلم إما أن يحمل عليه ذنب خصمه بقدر حقه أو يأخذ من حسناته والكافر لا يأخذ من الحسنات ولا ذنب للدابة ولا يؤهل لأخذ الحسنات فتعيّن العقاب انتهى.

قوله: **(أبو حنيفة)** النعمان بن ثابت الكوفيّ رضي الله تعالى عنه وُلد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة. **قوله**: **(مالك)** بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني إمام دار الهجرة مات سنة تسع وسبعين ومائة وكان مولده سنة ثلاث وتسعين رضي الله عنه. **قوله**: **(وابن أبي ليلى)** هو أبو عيسى عبد الرحمٰن بن أبي ليلى كان من أكابر تابعي الكوفة سمع من علي بن أبي طالب وعثمانْ بن عفان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم رضي الله عنهم. ويُروَى أنه سمع من عمر رضي الله عنه والحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر وأبوه أبو ليلى له رواية عن النبيّ ﷺ. **قوله**: **(وأبو يوسف)** هو يعقوب بن إبراهيم القاضي الأنصاري أخذ الفقه عن الإمام الأعظم وهو المقدم من أصحاب الإمام. قال أحمد وابن معين وابن المديني ثقة مات ببغداد يوم الخميس وقت الظهر بخمس خلون من ربيع الآخر سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائة. **قوله**: **(ومحمد)** بن الحسن بن فرقد الشيباني الإمام صاحب الإمام صحب أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنّف الكتب ونشر علم أبي حنيفة. وروى الحديث عن مالك ودون الموطأ وحدث به عن مالك تُوفي سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة في اليوم الذي مات فيه الكسائي.

(وعن **الضحاك**): أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى: (﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾) [الرحمن: الآية ٥٦].

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي لا ينجي منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ هو كقوله: (﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾) [ق: الآية ٣٨] ويقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ محله الرفع لأنه خبر «أنّ» يدلّ عليه قراءة عبد الله قادر. (**وإنما دخلت الباء**) لاشتمال النفي في أول الآية على

قوله: (**وعن الضحاك**) بن مخلد هو أبو عاصم المعروف بالنبيل من أصحاب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه. قال الذهبي: أجمعوا على توثيق أبي عاصم وقال عمر بن شيبة: والله ما رأيت مثله قال البخاري: سمعت أبا عاصم يقول منذ عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدًا قط وقال ابن سعد: كان فقيهًا ثقة مات بالبصرة في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين وهو ابن تسعين سنة وأشهر وقيل: سنة ثلاث عشرة روى له الشيخان. **قوله**: (﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾) يفتضهن (﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾) أي قبل أزواجهن (﴿وَلَا جَآنٌّ﴾) أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد.

قوله: (**هو كقوله**: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾) في تفسير الجلالين في سورة ق (﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) أولها الأحد وآخرها الجمعة (﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾) تعب، نزل رد على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه لتنزّهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون. اهـ. **قوله**: (**وإنما دخلت الباء**...) الخ وزيدت الباء في خبر أن مع أنها لا تزاد في الكلام الخبري إلا إذا كان مشتملًا على النفي بليس أو بما نحو ليس زيد براكب أو ما زيد

«أن» وما في حيزها وقال (**الزَّجاج**): لو قلت ما ظننت أن زيدًا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر؟ ألا ترى إلى وقوع «بلى» مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ﴾ هو جواب للنفي ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ وناصب الظرف (**القول المضمر**) وهذا إشارة إلى العذاب ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (**بكفركم في الدنيا**).

براكب بناء على أن المقصود إثبات القدرة لا إثبات الرؤية، فإن الاستفهام الإنكاري في ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ متوجه إلى نفي القدرة لا إلى نفي الرؤية وأن النفي المذكور في أول الآية مشتمل على أن وما في حيزها فكأنه قيل: أليس هو بقادر إلّا أن أداة النفي أدخلت على فعل الرؤية للدلالة على أن نفي القدرة مع كون ثبوتها ظاهرًا بينًا بعيد عجيب فكأنه قيل: قدرة من هذا شأنه على البعث بينة محسوسة فكيف لا يبصرونها وينفونها ولما كان الإنكار والتعجب المطلق لنفي الرؤية ظاهرًا متعلّقًا بنفي القدرة بحسب المعنى صحّ دخول الباء في خبر أن كما صح دخولها في خبر ليس في قولنا أليس هو بقادر ويدل على أن المعنى ذلك أن بلى لإيجاب النفي بمعنى أنها تنقض النفي للتقدم سواء كان ذلك النفي مجرّدًا عن أداة الاستفهام تحويلي في جواب من قال ما قام زيد أي بلى قد قام زيد أو كان مقرونًا بالاستفهام فإنها أيضًا لنقض النفي المذكور بعد أداة الاستفهام كقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أي بلى أنت ربنا فلولا أن النفي في قوله: أولم يروا أنه بقادر متعلّق بقدرة بحسب المعنى لكان الجواب أن يقال: بلى إنهم يرون أنه قادر بأن يجعل بلى لتقرير الرؤية لأنها هي المنفي لفظًا ومعنى حينئذٍ فلما جعلت مقررة للقدرة حيث قيل: بلى إنه على كل شيء قدير علم أن النفي متعلق بها من حيث المعنى.

قوله: (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى. تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى وقد أناف على ثمانين سنة. **قوله**: (**القول المضمر**) أي يقال لهم يوم عرضهم على النار أليس هذا بالحق. **قوله**: (**بكفركم في الدنيا**) أي كلمة الباء سببية أو بدلية وما

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾ أولوا **(الجد)** والثبات **(والصبر)** ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ **(﴿مِنَ﴾ للتبعيض والمراد بأولي العزم ما ذكر في الأحزاب)**: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧]. ويونس ليس منهم لقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: الآية ٤٨] وكذا آدم لقوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: الآية ١١٥] أو للبيان فيكون ﴿أُولُوا الْعَزْمِ﴾ صفة ﴿الرُّسُلِ﴾ كلهم ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فإنه نازل بهم لا محالة وإن تأخر ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ أي أنهم يستقصرون حينئذٍ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار ﴿بَلَاغٌ﴾ **(هذا بلاغ)** أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة **(أو هذا تبليغ من الرسول)** ﴿فَهَلْ

مصدرية لكن الأولى بكونكم كافرين إذ مدخول ما المصدرية كنتم. اهـ قنوي رحمه الله فافهم.

قوله: **(الجد)** بكسر الجيم وتشديد الدال أي الاهتمام والاجتهاد. **قوله**: **(والصبر)** على أذى معانديهم ومكذبيهم. **قوله**: **(﴿مِنَ﴾ للتبعيض بأولي العزم ما ذكر في الأحزاب...)** الخ في حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده والصحيح أن الرسل كلهم أولو العزم ولم يبعث الله رسولًا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل ولفظة من في قوله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ للتبيين لا للتبعيض فكأنه قيل: اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم وبصبرهم وثباتهم، وما قيل: إن جميع الرسل أولو العزم إلا يونس لعجلة منه كانت لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: الآية ٤٨] وإلا آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: الآية ١١٥] ليس بصحيح لأن معنى قوله ولم نجد له عزمًا والله أعلم، لم نجد له قصدًا إلى الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيًا عن نزول العذاب. اهـ. **قوله**: **(هذا بلاغ)** نبّه على بلاغ خبر لمبتدأ محذوف. **قوله**: **(أو هذا تبليغ من الرسول)** أي بلاغ اسم مصدر كالسلام بمعنى التسليم وعلى الأول ليس باسم مصدر بل مصدر كالكفاية فالحل من

﴿يُهْلَكُ﴾ هلاك عذاب. والمعنى فلن يهلك بعذاب الله ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ أي المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه (قال عليه السلام: «مَن قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا»).

قبيل رجل عدل أو بمعنى اسم الفاعل أو بتقدير المضاف أي ذو كفاية. **قوله:** (قال عليه السلام مَن قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا) حديث موضوع وخصّ الرملة لأنها معنى الأحقاف كما مرّ.

هذا آخر ما يتعلق بسورة الأحقاف والله أعلم
وصلّى الله على سيّدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين

(سورة محمد ﷺ،
وقيل سورة القتال وسورة الذين كفروا)

(مدنيّة وقيل مكيّة وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **(أي أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صّدوا غيرهم عنه)**. قال الجوهري: صدّ عنه يصدّ صدودًا أعرض،

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة محمد ﷺ، وقيل: سورة القتال وسورة الذين كفروا مدنية وقيل: مكية وهي ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية) وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفًا.

قوله: (أي أعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام أو صدّوا غيرهم عنه...) الخ يعني أن صدّ يجيء لازمًا ومتعديًا وما في الآية يمكن حمله عليهما فإن حمل على المتعدي يكون عطفه على قوله: ﴿كَفَرُوا۟﴾ من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على أن منع الغير عن الدخول في الإسلام أشدّ توغّلًا في الكفر والضلال بحيث يكون مظنة لأن يتوهم أنه أمر مغاير للكفر لا يدل عليه الذين

وصدّه عن الأمر صدًّا منعه وصرفه عنه. (**وهم المطعمون يوم بدر**) أو أهل الكتاب أو عام في كل مَن كفر وصدّ ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أبطلها وأحبطها، وحقيقته جعلها ضالّة ضائعة ليس لها مَن يتقبلها ويثيب عليها كالضالّة من الإبل، وأعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الأرحام وإطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام، أو ما عملوه من الكيد لرسول الله ﷺ والصدّ عن سبيل الله.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هم ناس من قريش أو من الأنصار أو من أهل الكتاب أو عام ﴿وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وهو القرآن، وتخصيص الإيمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الإيمان به لتعظيم شأنه، وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية وهي قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي القرآن. وقيل: إن دين محمد هو الحق (**إذ لا يرد عليه النسخ**) وهو ناسخ لغيره ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ستر بإيمانهم

كفروا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: الآية ٩٨] ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨] وإن حمل على اللازم يكون عطفه للبيان والتفسير لأن الامتناع من الدخول في الإسلام هو الكفر لا غير.

قوله: (**وهم المطعمون يوم بدر**) قيل: هم ستة نفر من أغنياء قريش أطعم كل واحد منهمْ الجنود الذين اجتمعوا لحرب رسول الله ﷺ يومًا واحدًا إلى انقضاء حادثة بدر وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وبنيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو جهل والحارث ابنا هشام وقال مقاتل: كانوا اثني عشر هؤلاء الستة والباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام وزمعة بن الأسود وأبو سفيان بن حرب وصفون ابن أمية والعباس بن عبد المطلب أطعم كل واحد منهم الأحابيش(١) يومًا.

قوله: (**إذ لا يرد عليه النسخ**) فالحق على هذا مقابل الزايل وعلى الأول مقابل الباطل.

---

(١) في الصحاح الحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وكذلك الأحبوش والأحابيش.

وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني والإصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ﴾ أي يبين الله ﴿لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم، **(وقد جعل اتباع الباطل مثلًا لعمل الكافرين)**، واتباع **(الحق مثلًا لعمل المؤمنين، أو جعل الإضلال مثلًا لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلًا لفوز الأبرار)**.

قوله: **(وقد جعل اتباع الباطل مثلًا لعمل الكافرين)** أي شبيهًا شبّه به حال الكافر وعمله وكذا جعل اتباع **(الحق مثلًا لعمل المؤمنين)** أي شبيهًا شبه به حال المؤمن وعمله.

قوله: **(أو جعل الإضلال مثلًا لخيبة الكفار)** أي أو شبه خيبتهم وحرمانهم من ثواب مكارمهم بإضلالهم إياها وكونها كالبعير الضال الذي لا يهتدي إليه صاحبه إذ ليس ثمة إضلال الثواب حقيقة وإنما المتحقق هو الحرمان منه.

قوله: **(وتكفير السيئات مثلًا لفوز الأبرار)** أي وشبه فوزهم بسعادة الآخرة بتكفير السيّئات إذ ليس ثمة إلا فوز المؤمن بفضله تعالى ورحمته وعبر عنه بتكفير السيئات وإصلاح البال فظهر أنه تعالى بين من أول السورة إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ ما يشبه به أعمال الفريقين وعاقبة أمرهما من خيبة أحدهما وفوز الآخر ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أي يبيّن ما يشبه به أعمالهم وعواقبهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اللقاء وهو الحرب ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضربًا فحذف الفعل **(وقدّم المصدر)** فأُنيب منابه مضافًا إلى المفعول، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأنك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل بالنصبة التي فيه «وضرب الرقاب» عبارة عن القتل لا أن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، ولأن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به، والمعنى فشدّوا وثاق الأسارى حتى **(لا يفلتوا)** منكم ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ أي بعد أن تأسروهم ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ ﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ منصوبان بفعليهما مضمرين أي فإما تمنون منًّا أو تفدون فداء، والمعنى التخيير بن الأمرين عندنا القتل أو أن يمنّوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم، وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق، والمنّ والفداء المذكوران في الآية منسوخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: الآية ٥] لأن سورة «براءة» من آخر ما نزل. **(وعن مجاهد: ليس اليوم منّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق)**. أو المراد بالمنّ أن يمنّ عليهم بترك القتل ويسترقوا، أو يمنّ عليهم فيخلوا لقبولهم

قوله: **(وقدّم المصدر)** حيث جعل متصلًا بالفاء التي كانت في فاضربوا.

قوله: **(لا يفلتوا)** في المصباح أفلت الطائر وغيره إفلاتًا تخلص وأفلتّه إذا أطلقه خلّصته يستعمل لازمًا ومتعديًا وفلت فلتًا من باب ضرب لغة وفلتُّه أنا يستعمل أيضًا لازمًا ومتعديًا. اهـ. **قوله:** **(وعن مجاهد[1])** بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبي الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. اهـ تقريب **(ليس اليوم منّ ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق)** وهذا في مشركي العرب خاصة لأنهم لا يسترقون ولا تقبل منهم الجزية وأما في غيرهم إن شاء جعلهم

---

(١) أحد أعلام التابعين.

الجزية وبالفداء أن يفادى بأسراهم أسارى المسلمين فقد رواه (**الطحاوي**) مذهبًا (**عن أبي حنيفة النعمان**) ﷺ وهو قولهما، والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربًا علينا، (**وعند الشافعي**) رحمه الله تعالىٰ: للإمام أن يختار أحد الأمور الأربعة: القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمنّ. ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (**أثقالها وآلاتها**) التي لا تقوم إلا بها (**كالسلاح والكراع**). وقيل: أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لا يخلو من أن يتعلق بالضرب والشدّ أو بالمنّ والفداء، فالمعنى على كلا المتعلقين ـ عند الشافعي ﷺ ـ أنهم لا يزالون على ذلك أبدًا إلى أن لا يكون حرب مع المشركين، وذلك إذا لم يبق لهم شوكة. وقيل: إذا نزل عيسى ﷺ. وعند أبي حنيفة ﷺ: إذا علق بالضرب والشدّ فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار، وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين. وإذا علق بالمنّ والفداء فالمعنى أنه يمنّ عليهم ويفادون (**حتى تضع حرب بدر**)

الإمام ذمّة وإن شاء استرقهم وإن شاء قتلهم. **قوله**: (**الطحاوي**) بفتح الطاء والحاء المهملتين وبعد الألف واو، نسبة إلى طحا قرية بصعيد مصر هو الفقيه الإمام الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سَلامة الطحاوي المصري صاحب كتاب شرح الآثار كان إمامًا فقيهًا من الحنفيين وُلد سنة تسع وعشرين ومائتين ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة صحب خاله المزني وتفقّه به ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب وكان ثقة ثبتًا كذا قاله السمعاني. **قوله**: (**عن أبي حنيفة النعمان**) بن ثابت الكوفي رضي الله تعالى عنه وُلد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة. **قوله**: (**وعند الشافعي**) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب المكيّ نزيل مصر مات سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**أثقالها وآلاتها**) فإن الأوزار جمع وزر وهو الحمل والثقل فيتناول آلات الحرب كلها قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحًا طوالًا وخيلًا ذكورا

ومن فسّر الأوزار بالآثام شبّه الإثم بالحِمْل فسماه وزرًا على طريق الاستعارة. **قوله**: (**كالسلاح**) أي الأسلحة. **قوله**: (**والكُراع**) اسم للخيل. **قوله**: (**حتى تَضع حرب بدر**) فعلى هذا يكون شرعية المن والفداء في حرب بدر فقط.

أوزارها (**إلا أن يتأوّل المنّ والفداء بما ذكرنا من التأويل**) ﴿ذَٰلِكَ﴾ (**أي الأمر ذلك**) فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف (**أو الرجفة**) أو غير ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ أي المؤمنين بالكافرين (**تمحيصًا**) للمؤمنين (**وتمحيقًا**) للكافرين (﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾) بصري (**وحفص. ﴿قاتلوا﴾**) غيرهم ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾إلى طريق الجنّة أو إلى الصواب (**في جواب منكر ونكير**) ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ عن مجاهد: عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجون أن يسألوا (**أو طيبًا لهم من العرف وهو طيب الرائحة**).

قوله: (**إلّا أن يتأول المنّ والفداء بما ذكرنا من التأويل**) في قوله: أو المراد بالمنّ أن يمنّ عليهم بترك القتل... الخ فحينئذٍ يكون المعنى ما سبق لا التقييد بحرب بدر. **قوله**: (**أي الأمر ذلك**) وهو وجوب ضرب رقاب الذين كفروا على الوجه المذكور لينقطع دابر الكافرين ويكون الدين كله لله. **قوله**: (**أو الرجفة**) الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء. **قوله**: (**تمحيصًا**) أي تطهيرًا. **قوله**: (**وتمحيقًا**) أي إهلاكًا. **قوله**: (﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾) بضم القاف وكسر التاء بلا ألف مبنيًا للمفعول بصري أي أبو عمرو وسهل ويعقوب وليسا من السبعة (**وحفص. ﴿قاتلوا﴾**) بفتح القاف وتخفيف التاء وألف بينهما من المفاعلة غيرهم.

قوله: (**في جواب منكر**) مفعول من أنكر بمعنى نكر إذا لم يعرف أحد (**ونكير**) فعيل بمعنى مفعول من نكر بالكسر إذا لم يعرفه أحد فهما كلاهما ضد المعروف سميا بهما لأن الميت لم يعرفهما ولم يرَ صورة مثل صورتهما. **قوله**: (**أو طيبًا لهم من العرف**) في لسان العرب التعريف التطييب من العَرْف وقوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ أي طيّبها. اهـ. وأيضًا فيه العَرْف الريح طَيّبة كانت أو خبيثة يقال: طيبَ عَرْفه. اهـ. وأيضًا فيه قال ابن سِيده العَرف الرائحة الطيّبة والمنْتِنة. اهـ. **قوله**: (**من العرف**) بفتح العين (**وهو طيب الرائحة**) وفي الحديث أن ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ **(أي دين الله ورسوله** ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ **على عدوكم)** ويفتح لكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في موضع رفع بالابتداء **(والخبر** ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾**)** وعطف قوله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ على الفعل الذي نصف ﴿تعسًا﴾ لأن المعنى فقال تعسًا لهم والتعس **(العثور)**. وعن ابن عباس ﵄: يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة **(التردي)** في النار. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التعس والضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي القرآن ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ ۞ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني كفار أمتك ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلكهم هلاك استئصال ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ مشركي قريش ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ أمثال تلك الهلكة لأن التدمير يدلّ عليها ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وليهم وناصرهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعًا من جهة **(الاختراع)** وملك التصرّف فيهم، ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة.

قوله: **(أي دين الله ورسوله)** إشارة إلى أن إيقاع النصرة على الله تعالى مجاز عقلي وليس إشارة إلى تقدير المضاف إذ تقدير المضافين غير متعارف إلّا أن يقال إن حاصل المضافين متحد نصرة دينه العمل بمقتضاه ونصرة رسوله ظاهر فالمراد بالنصرة عموم المجاز المنتظم لنصرة الدين وهي مجازية ونصرة رسوله وهي حقيقية ولو اكتفى بنصرة رسوله لكان أقل مؤنة وفيه تشريف الرسول حيث جعل نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام كنصرته تعالى.

قوله: **(**﴿يَنصُرْكُمْ﴾ **على عدوكم)** أي يغلبكم على عدوكم ولذا عدى النصرة بعلى. **قوله**: **(والخبر** ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾**)** دخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط. **قوله**: **(العثور)** بمعنى السقوط على الوجه. **قوله**: **(التردّي)** السقوط. **قوله**: **(الاختراع)** الإنشاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا (**أيامًا قلائل**) ﴿وَيَأۡكُلُونَ﴾ غافلين غير متفكرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ في معالفها ومسارحها غافلة عما هي (**بصدده**) من (**النحر والذبح**) ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ (**منزل ومقام**).

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي وكم من قرية للتكثير (**وأراد بالقرية أهلها**) ولذلك قال: ﴿أهلكناهم﴾ ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ أي وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك (**أي كانوا سبب خروجك**) ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ أي فلم يكن لهم مَن ينصرهم ويدفع العذاب عنهم ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعني رسول الله ﷺ ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ هم أهل مكة الذين زيّن لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله. وقال سوء عمله ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ للحمل على لفظ من ومعناه.

قوله: (**أيامًا قلائل**) مستفاد من لفظ يتمتعون وقوله: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمَّد: الآية ١٢] ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرّعد: الآية ٢٦] ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: الآية ٣٩]. **قوله**: (**بصدده**) في المصباح الصدد بفتحتين القرب.اهـ. **قوله**: (**النحر والذبح**) النحر قطع العروق في أسفل العنق عند الصدر والذبح قطعها في أعلاه تحت اللحيين.اهـ زيلعي. **قوله**: (**منزل ومقام**) معنى مَثْوى إذا الثواء الإقامة.

قوله: (**وأراد بالقرية أهلها**) على المجاز بذكر المحل وإرادة الحال. **قوله**: (**أي كانوا سبب خروجك**) أي الإخراج باعتبار التسبب وإلا فالمخرج عندنا حقيقة هو الله تعالى فإسناد الإخراج إلى أهل القرية مجاز عقلي وإلى القرية مجاز عقلي كما كان مجازًا في الحذف فاجتمع فيه مجازان فلا تغفل وتسبب أهل مكة لأنهم

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ **(صفة الجنة العجيبة)** الشأن ﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ عن الشرك (﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ **داخل في حكم الصلة كالتكرير لها)** ألا ترى إلى صحة قولك التي فيها أنهار، **(أو حال)** أي مستقرة فيها أنهار ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ غير متغير اللون والريح والطعم. يقال: **(أسن الماء)** إذا تغيّر طعمه وريحه (﴿أسِن﴾ **مكيّ)** ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما تتغير ألبان الدنيا إلى **(الحموضة)** وغيرها ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ (﴿لَّذَّةٍ﴾ **تأنيث لذ وهو لذيذ)** ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي ما هو إلا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل **(ولا خمار ولا صداع)** ولا آفة من آفات الخمر ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النحل فيخالطه **(الشمع)** وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿مثل﴾ مبتدأ خبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ حارًّا في

همّوا به وبسوء القصد إليه فكانوا بذلك سببًا لخروجه حين أمره الله تعالى بالهجرة عنها إلى المدينة.

قوله: (صفة الجنة العجيبة) الشأن تفسير للمثل. **قوله:** (﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ **داخل في حكم الصلة كالتكرير لها)** يريد أنها صلة بعد صلة كالخبر والحال والصفة. **قوله:** (أو حال) من العائد المحذوف إذ التقدير وعدها المتقون أو وعد المتقون إياها. **قوله:** (أسن الماء) بالفتح من باب ضرب ونصر وبالكسر من باب علم. **قوله:** (﴿ءَاسِنٍ﴾ مكيّ) أي قرأه ابن كثير المكيّ بغير مد بعد الهمزة صفة مشبّهة من أسن الماء بالكسر كحذر يأسن فهو أسن كحذر تغيّر والباقون بالمدّ على وزن ضارب اسم فاعل من أسن الماء بالفتح يأسن بالكسر والضم. **قوله:** **(الحُموضة)** في مختار الصحاح الحُموضة طعم الحامض وقد حَمُض الشيء من باب سَهل ونصر فهو حامض.اهـ. **قوله:** ((﴿لَّذَّةٍ﴾ **تأنيث لذ وهو لذيذ)** فهو صفة مشبّهة. **قوله:** **(ولا خُمار)** بالضم صداع وقيل: الخمار بقية السكر.اهـ. **قوله:** **(ولا صداع)** في المصباح الصداع وجع الرأس.اهـ. **قوله:** **(الشمع)** في الصحاح الشمع بفتحتين الذي يستصبح به قال الفراء: هذا كلام العرب والمولدون يقولون شمع

النهاية ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ والتقدير: أمثل الجنّة كمثل جزاء مَن هو خالد في النار؟ وهو كلام في صورة الإثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار ودخوله في حيّزه وهو قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾. وفائدة حذف حرف الإنكار زيادة تصوير **(مكابرة)** من يسوي **(بين المتمسك بالبينة)** والتابع لهواه وأنه بمنزلة مَن يثبت التسوية بين الجنّة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ﴾ هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالًا تهاونًا منهم، فإذا خرجوا قالوا لأولي العلم من الصحابة: ماذا قال **(الساعة)** على جهة الاستهزاء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بالإيمان واستماع القرآن ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ أي بصيرة وعلمًا أو شرح صدورهم ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ **(أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم أو بين لهم ما يتقون)**.

بالتسكين.اهـ. **قوله**: **(مكابرة)** في المصباح كابرته مكابرة غالبته مغالبة وعاندته.اهـ. **قوله**: **(بين المتمسك بالبينة)** هذا معنى قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ والتابع لهواه معنى قوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾... الخ.

قوله: **(الساعة)** أشار إلى أن آنفًا ظرف حاليّ بمعنى الآن. **قوله**: **(أعانهم عليها)** فالإيتاء مجاز عن الإعانة والتقوى على حقيقتها وحمله على الإعانة لأن إعطاء التقوى حاصل قبل هذا. **قوله**: **(أو آتاهم جزاء تقواهم)** فآتى على حقيقته لكن المراد جزاؤها مجازًا لما عرفته من حصول التقوى فلا جرم أن المراد جزاؤها فعلم منه أنه لو فسّر بخلق التقوى بناء على المذهب الحق لكان تحصيل الحاصل إلّا أن يراد بالتقوى الزيادة على ما منحوه من التقوى. **قوله**: **(أو بين لهم ما يتقون)** حمل آتى بمعنى أعطى والتقوى بمعنى ما يتقون ليحسن التقابل بقوله:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ **(أي ينتظرون)** ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ أي إتيانها فهو بدل اشتمال من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها **(وهو مبعث محمد ﷺ وانشقاق القمر)** والدخان. وقيل: قطع الأرحام وقلّة **(الكرام)** وكثرة **(اللئام)** ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ قال الأخفش: التقدير فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ﴾ أن الشأن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ والمعنى **(فاثبت على ما أنت)** عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ كما تقابل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ فالإيتاء مجاز عن التبيين لأنه من لوازم الإعطاء والتقوى مجاز عن ما يتقون من المعاصي لكونه متعلقة.

قوله: (أي ينتظرون) أي النظر هنا بمعنى الانتظار والترقب لكونه متعديًا بنفسه. **قوله: (﴿أَشْرَاطُهَا﴾)** الأشراط جمع شرط بفتحتين وهو العلّامة مثل سبب وأسباب وجمع الشّرْط شروط مثل فلس وفلوس. **قوله: (وهو مبعث محمد ﷺ)** المبعث مصدر بمعنى البعث أو اسم زمان وهو لكونه ﷺ خاتم الرسل وشريعته آخر الشرائع كانت بعثته علامة للساعة كما ورد في الحديث. «بعثت أنا والساعة كهاتين»[1]. **قوله: (وانشقاق القمر)** من علاماتها لقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: الآية ١] وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. **قوله: (الكرام)** جمع كريم. **قوله: (اللئام)** جمع لئيم.

قوله: (فاثبت على ما أنت)... الخ أوله به لأنه عليه السلام عالم بالوحدانية فالمراد الأمر بالثبات عليه وعدم الثبات غير متوقع منه عليه الصلاة

---

(١) ويشير بإصبعيه يمدهما إلى الوسطى والتي تلي الإبهام. منه. برّد الله مضجعه ورحمه الله تعالى.

و **(هضم النفس)** باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك. **(وفي شرح التأويلات)** جاز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه، غير أن ذنب الأنبياء ترك

والسلام، فالمراد ترغيب أمته وتحريض عليه تعريضًا للمنافقين. اهـ قونوي. وجعل الأمر بالاستغفار كناية عما يلزمه من التواضع وهضم النفس والاعتراف بالتقصير لأنه معصوم أو مغفور لا مصر ذاهل عن الاستغفار والتحقيق أنه توطئة لما بعده من الاستغفار لذنوب المؤمنين فتأمل. اهـ شهاب.

وقوله: (هضم النفس) أي كسرها. **قوله: (وفي شرح التأويلات. . .)** الخ عبارته قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: الآية ٥٥] إنما هو لافتتاح الكلام وابتدائه على ما يؤمر المرء أن يبتدىء بالدعاء لنفسه عند أمره بالدعاء لغيره وكان حقيقة الأمر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه، ولكن أمر بالدعاء لنفسه استحسانًا والله أعلم. وجائز أن يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له لكن نحن لا نعلم وليس علينا أن يكلف حفظ ذنوب الأنبياء عليهم السلام وذكرها وكل موهوم فيه الذنب نحو أن يؤمر بالاستغفار لقول إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَالَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشُّعَراء: الآية ٨٢] لكن ليس ذنب الأنبياء وخطاياهم كذنب غيرهم فذنب غيرهم ارتكاب القبائح من الصغائر والكبائر وذنبهم ترك الأفضل دون مباشرة القبيح في نفسه والله الموفّق ثم أرجى آية للمؤمنين هذه الآية لأنه عزّ وجلّ أمر رسوله عليه السلام أن يستغفر لهم فلا يحتمل أن لا يستغفر وقد أمره مولاه بالاستغفار ثم لا يحتمل أيضًا أنه إذا استغفر لهم على ما أمره به فلا يجب له ولذلك دعا سائر الأنبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح عليه السلام، ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: الآية ٢٨]، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤١]. ونحو ذلك وكذا استغفار الملائكة لهم أيضًا بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: الآية ٥]، وقوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: الآية ٧] الآية.

هذه الآيات أرجى آيات للمؤمنين ودعوات الأنبياء عليهم السلام أفضل وسائل يكون إلى الله تعالى وأعظم قرب عنده والله الموفّق. اهـ بحروفه. **قوله:**

الأفضل دون مباشرة القبيح، وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر. **(وقيل: الفاءات في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال)** ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في معايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ ويعلم حيث تستقرون من منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور، أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنّة والنار، ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفره وسُئِلَ **(سفيان بن عيينة)** عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله: ﴿(فَٱعۡلَمۡ) أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم.

(وقيل: الفاءات في هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال) قال العلّامة شيخ زاده في حاشيته على البيضاوي قوله تعالى: (﴿فَٱعۡلَمۡ﴾) قال أبو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلّا الله. اهـ. وقال الطيبي رحمه الله المراد باستغفار القوم دعوتهم إلى ما يزيل أوضارهم من الكفر بالله والنفاق وسائر المعاصي والنظم يقتضي هذا لأن قوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هو مرتب بالفاء على قوله: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني إذا تيقنت أن الساعة آتية وقد جاء أشراطها فخذ بالأهم فالأهم والأولى فالأولى فتمسك بالتوحيد ونزّه الله عما لا ينبغي ثم طَهّر نفسك بالاستغفار عما لا يليق بك من ترك الأولى فإذا صرت كاملًا في نفسك فكن مكملًا لغيرك فاستغفر للمؤمنين فإذا المراد باستغفار المؤمنين والمؤمنات ما به يزول كفرهم ونفاقهم ومغاصيهم من العلم والعمل وبالمؤمنين العموم سواء كان مخلصًا أو كافرًا منافقًا تغليبًا يدلّ على الأول قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ [محمد: الآية ٢٠] الآيات فالاستغفار محمول على عموم المجاز.

قوله: (سفيان بن عيينة) بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكيّ كان إمامًا عالمًا ثبتًا زاهدًا ورعًا مجمعًا على صحة حديثه وروايته وحج سبعين حجة، وروى عن الزهري وأبي إسحٰق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقري والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء. وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن إسحٰق وابن جريج والزبير بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ في معنى الجهاد ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾ مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجهًا إلا وجوب القتال. **(وعن قتادة)**: كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال نسخ ما كان من الصفح **(والمهادنة)** وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي أمر فيها بالجهاد ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق أي رأيت المنافقين فيما بينهم **(يضجرون)** منها ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ **(أي تشخص أبصارهم جبنًا)** وجزعًا كما ينظر من أصابته الغشية عند

الصنعاني ويحيىٰ بن أكثم القاضي وخلق كثير رضي الله عنه. وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار فأوّل مَن صيّرني محدثًا أبو حنيفة فذاكرته فقال لي: يا بني ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة وتُوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة وقيل: أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكةً ودُفن بالحجون رحمه الله تعالى وعيينة بضم العين المهملة وفتح الياء الأولى وسكون الثانية المثناتين من تحتهما وفتح النون وبعدها هاء ساكنة والحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وبعد الواو الساكنة نون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها وله ذكر في الأشعار. اهـ وفيات الأعيان باختصار. وفي الجواهر المضيئة روى له الشيخان. اهـ.

قوله: **(وعن قتادة)** بن دعامة كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا وكانت ولادته سنة ستين للهجرة وتُوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(والمهادنة)** في المصباح هادنته مهادنة صالحة. اهـ. **قوله**: **(يضجرون)** في الصحاح الضجر القلق من الغمّ. اهـ. **قوله**: **(أي تشخص أبصارهم)** يقال: شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه. **قوله**: **(جبنًا)** في المصباح جبن جبنًا وزان قرب قربًا وجبانة بالفتح وفي لغة من باب قتل فهو جبان أي ضعيف القلب. اهـ.

الموت ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام مستأنف (أي ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ **خير لهم**) ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ فإذا جدّ الأمر ولزمهم فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ﴾ الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من كراهة الجهاد.

ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب بضرب من التوبيخ والإرهاب فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ أي فلعلكم إن أعرضتم عن دين رسول الله ﷺ وسنّته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض (**بالتغاور**) والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضًا (**ووأد البنات**). وخبر عسى ﴿أَن تُفْسِدُوا۟﴾ والشرط (**اعتراض**) بين الاسم والخبر والتقدير: فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم إن توليتم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الموعظة ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن إبصارهم طريق الهدى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد (**العصاة**)

قوله: (**أي** ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ **خير لهم**) فعلى هذا (**طاعة**) مبتدأ خبر محذوف وهي وإن كانت نكرة لكنها في قوة قول معروف أو في قوة طاعة عظيمة. **قوله**: (**بالتغاور**) في لسان العرب تَغاوَرَ القوم أَغارَ بعضهم على بعض. اهـ. **قوله**: (**ووأد البنات**) في المصباح وأد ابنته وأدًا من باب وعد دفنها حية فهي موؤودة. اهـ. **قوله**: (**اعتراض**) أي معترض.

قوله: (**العصاة**) جمع عاصٍ.

حتى **(لا يجسروا)** على المعاصي. و«أَمْ» في ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر. ونكرت القلوب لأن المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك، والمراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين، وأُضيفت الأقفال إلى القلوب لأن المراد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو **(الرين)** والختم والطبع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ أي المنافقون رجعوا إلى الكفر سرًّا بعد وضوح الحق لهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ زيّن ﴿لَهُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرًا لـ «إن» نحو: **(إن زيدًا عمرو مرّ به)** ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ **(ومدّ لهم في الآمال والأماني** ﴿وأُمْلِيَ﴾ **أبو عمرو)** أي امهلوا ومدّ في عمرهم

قوله: (لا يجسروا) في لسان العرب جَسَر على كذا يجسر جَسَارة وتجاسر عليه أقدم. اهـ. **قوله: (الرين)** في المصباح ران الشيء على فلان رينًا من باب باع غلبه ثم أطلق المصدر على الغطاء. اهـ. وفي مختار الصحاح الرين الطبع والدَّنس يقال: ران ذنبه على قلبه من باب باع ورُيُونًا أيضًا أي غلب، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: الآية ١٤] أي غلب، وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، وقال أبو عبيد: كل ما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك. اهـ.

قوله: (إن زيدًا عمرو مرّ به) مرّ بفتح الميم وتشديد الراء. **قوله: (ومدّ لهم في الآمال)** معنى المدّ التوسيع بأنواع الحيل والوسوسة بأن يغريهم إن عمرك طويل تنال في الدنيا كذا وكذا وإن الله غفور رحيم ولا يعاقبك بلطفه وكرمه وإسناد المدّ إليه مجاز كإسناد التزيين إليه. **قوله: (والأماني)** بالتخفيف والتشديد وهو الأفصح. **قوله: (﴿وأُمْلِيَ﴾ أبو عمرو)** أي قرأه أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء مبنيًا للمفعول ونائب الفاعل لهم وقيل: ضمير الشيطان والباقون بفتح الهمزة واللام وبالألف مبنيًا للفاعل وهو ضمير الشيطان وقيل: للباري تعالى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي المنافقون قالوا لليهود ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي عداوة محمد والقعود عن نصرته ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ على المصدر من أسر: حمزة وعلي وحفص. ﴿أسرارهم﴾ غيرهم جمع سرّ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذٍ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ عن ابن عباس ﷺ: لا يتوفى أحد على معصية إلا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التوفي الموصوف ﴿بِأَنَّهُمُ﴾ بسبب أنهم ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من معاونة الكافرين ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ من نصرة المؤمنين ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ أحقادهم. والمعنى أظن المنافقون أن الله تعالىٰ لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ لعرّفناكهم ودللناك عليهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ بعلامتهم وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها. **(وعن أنس)** ﷺ: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ في نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لأنهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما في أنفسهم. واللام في ﴿فلعرفتهم﴾ داخلة في جواب «لو» كالتي في ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ كررت في المعطوف، وأما اللام في ﴿ولتعرفنهم﴾ فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فيميّز خيرها من شرّها.

قوله: **(وعن أنس)** بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالقتال إعلامًا لا استعلامًا أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في إظهار العدل ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ على الجهاد أي نعلم كائنًا ما علمناه أنه سيكون ﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ أسراركم (﴿وليبلونكم حتى يعلم﴾، ﴿ويبلو﴾) أبو بكر. (**وعن الفضيل**) أنه كان إذا قرأها بكى وقال: اللهم لا تبلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ وعادوه يعني المطعمين يوم بدر وقد مرّ ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ من بعد ما ظهر لهم أنه الحق وعرفوا الرسول ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ التي عملوها في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾ بالنفاق أو بالرياء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤)﴾ قيل: هم أصحاب (**القليب**) والظاهر العموم ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ (**وبالكسر: حمزة وأبو بكر**) وهما المسالمة أي ولا

قوله: (﴿وليبلونكم حتى يعلم﴾ ﴿ويبلو﴾) بالياء التحتية في الثلاثة أبو بكر والباقون بنون العظمة. **قوله**: (**وعن الفضيل**) بن عياض بن مسعود التيمي أبي علي الزاهد المشهور أصله من خراسان وسكن مكة ثقة عابد مات سنة سبع وثمانين ومائة وقيل: قبلها.

قوله: (**القليب**) بفتح القاف بوزن فعيل بئر طرح فيها قتلى بدر من المشركين. **قوله**: (**وبالكسر**) أي بكسر السين (**حمزة وأبو بكر**) والباقون بفتحها

تدعوا الكفار إلى الصلح ﴿وَأَنتُمُ (ٱلْأَعْلَوْنَ)﴾ أي الأغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالنصرة **(أي ناصركم)** ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ ولن ينقصكم أجر أعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

(﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ﴾) تنقطع في أسرع مدة ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ بالله ورسوله ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الشرك ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ **(أي لا يسألكم جميعها)** بل ربع العشر، والفاعل الله أو الرسول * وقال سفيان بن عيينة: **(غيضًا من فيض)** ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ **(أي يجهدكم)** ويطلبه

وهما المسالمة وهي الصلح. **قوله**: (﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾) أصله الأعلوون بواوين الأولى لام الكلمة والثانية واو جمع المذكر السالم فيقال: تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا فالتقى ساكنان فحذفت الألف. اهـ جمل. **قوله**: **(أي ناصركم)** فإنه لا يتصوّر في حقه المعيّة الحقيقية فيحمل في كل مقام على ما يلايمه تعالى.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ﴾) أي باطل وغرور يعني كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم أن الدنيا كلها لعب ولهو إلا ما كان منها في عبادة الله عزّ وجلّ وطاعته واللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل ثم إذا استعمله الإنسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وإن أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو. اهـ خازن. **قوله**: **(أي لا يسألكم جميعها)** إشارة إلى إفادة الجمع المضاف للعموم. **قوله**: **(غيضًا[1] من فيض)** أي قليلًا من كثير كذا في الصحاح وهو ربع العشر في أموال التجارة ونصف العشر في نماء الأرض وخارجها. **قوله**: **(أي يجهدكم...)** الخ أي يشق عليكم طلبه

---

(١) يقال: غاض الكرام أي قلوا وفاض اللئام أي كثروا وقولهم: أعطاه غيضًا من فيض أي قليلًا من كثير.

كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء. يُقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئًا من الإلحاح، وأحفى (**شاربه**) إذا (**استأصله**) ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾ أي الله أو البخل ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾ عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لأنه عند مسألة المال تظهر العداوة والحقد.

﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿هَٰأَنتُمْ﴾ ها للتنبيه ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ موصول بمعنى الذي صلته ﴿تُدْعَوْنَ﴾ أي أنتم الذين تدعون ﴿لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هي النفقة في الغزو أو الزكاة كأنه قيل: الدليل على أنه لوأحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بالرفع لأن من هذه ليست للشرط أي فمنكم (**ناس يبخلون به**) ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه. وقيل: يبخل (**على نفسه يقال: بخلت عليه وعنه**) ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ أي أنه لا يأمر بذلك لحاجته إليه لأنه غني عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ وإن تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والإنفاق في سبيله. وهو معطوف على ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يخلق قومًا خيرًا منكم وأطوع وهم فارس. (**وسُئِلَ رسول الله ﷺ**) عن القوم (**وكان سلمان**) إلى جنبه فضرب على فخذه وقال: هذا

للكل. **قوله**: (**شاربه**) في المصباح الشارب الشعر الذي يسيل على الفم.اهـ. **قوله**: (**استأصله**) أخذ أصله وهو كناية عن أخذ الجميع.

قوله: (**ناس يبخلون به**) إشارة إلى من تبعيضية. **قوله**: (**على نفسه**) أي متعديًا على نفسه. **قوله**: (**يقال: بخلت عليه وعنه**) فيعدّى بعلى وعن لتضمينه معنى الإمساك والتعدي والإمساك يعدى بعن والتعدي بعلى.

قوله: (**وسُئِلَ رسول الله**) ﷺ... الخ حديث صحيح رواه الترمذي وغيره وهو على شرط مسلم. **قوله**: (**وكان سلمان**) الفارسي بكسر الراء ويسكن يكنى أبا

وقومه، والذي نفسي بيده **(لو كان الإيمان منوطًا بالثريا لتناوله رجال من فارس)** ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ أي ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم.

عبد الله مولى رسول الله ﷺ وهو أحد الذين اشتاقت إليهم الجنة وكان من المعمرين قيل: عاش مائتين وخمسين سنة وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة والأول أصح، وكان يأكل من عمل يديه ويتصدق بعطائه ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة وأثنى عليه النبيّ ﷺ ومدحه في كثير من الأحاديث ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين. روى عنه أنس وأبو هريرة وغيرهما.

قوله: (لو كان الإيمان منوطًا بالثريا) نجم معروف وفي رواية لأبي يعلى والبزار «لو كان الإيمان معلقًا بالثريا **(لتناوله رجال من فارس)**» قال ابن عربي وفي تخصيصه ذكر الثريا دون غيرها من الكواكب إشارة بديعَة لمثبتي الصفات السبعة لأنها سبعة كواكب فافهم في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان للشيخ الأجلّ أحمد بن حجر المكيّ رحمهما الله المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبيّ ﷺ بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

اعلم أن أعظم ذلك وأجلّه وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي والطبري عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه والطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس» ولفظ الشيرازي وأبي نعيم «لو كان العلم معلقًا عند الثريا» ولفظ الطبراني عن قيس «لا تناله العرب له رجال من أبناء فارس»، قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي: هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له نظير الحديث الذي في مالك رضي الله تعالى عنه وهو قوله ﷺ: «يوشك أن يضرب أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة» والحديث الذي في الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قوله ﷺ: «لا تسبّوا قريشًا فإن عالمها يملأ الأرض علمًا» وهو حديث حسن له طرق كثيرة، وزعم بعضهم وضعه وزيّفوه وشنعوا على زاعمه ومخترعه. قال العلماء عالم المدينة في الحديث الأول مالك وعالم قريش في الحديث الثاني الشافعي. قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لأنه لم يبلغ أحد في زمنه من أبناء فارس

....

في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه، وفيه معجزة ظاهرة للنبيّ ﷺ حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهو الفرس وأن جد الإمام أبي حنيفة منهم على ما عليه الأكثرون وفي خبر عن الديلمي خير العجم فارس، قال الجلال وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي حنيفة انتهت بحروفها.

هذا آخر ما يتعلق بسورة محمد ﷺ والحمد لله وحده
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة الفتح)

(مدنيّة وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الفتح الظفر بالبلد **(عنوة)** أو صلحًا بحرب أو بغير حرب، لأنه مغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به فقد فتح، ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله ﷺ مِن مكة **(عام الحديبية)** عدة له بالفتح. وجيء به

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الفتح، مدنية، وهي تسع وعشرون آية**) وخمسمائة وستون كلمة وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفًا. **قوله**: (**عنوة**) أي قهرًا. **قوله**: (**عام الحديبية**) هو العام الذي صدّ المشركون فيه رسول الله ﷺ عن العمرة وصالحوه على أن يأتوا العام القابل. رُوِيَ أنه ﷺ خرج من المدينة سنة ست من الهجرة في ذي القعدة يريد العمرة ومعه ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار وغيرهما من قبائل العرب. وقيل: ألف وستمائة وساق سبعين بدنة وأحرم من ذي الحليفة ليعلم الناس أنه ما خرج محاربًا وإنما خرج زائرًا البيت ومعظمًا له ولما نزل بوادي الحديبية والحديبية اسم بئر بذلك الوادي وسُمِيَ الوادي باسم تلك البئر بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ رسولًا وأمروهُ أن يقول له ﷺ: إنا لا نرضى أن تدخل علينا مكة عامك هذا احتراز عن أن تقول العرب أنه دخلها عليكم عنوة فإنا لا نرضى

على لفظ الماضي لأنها في تحققها بمنزلة الكائنة **(وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علوّ شأن المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى)**. وقيل: هو فتح الحديبية ولم

بهذا القول أبدًا فارجع عنا عامك هذا وإذا جاء العام القابل نخرج منها فتدخلها بأصحابك فتطوف لعمرتك معهم وتقيمون فيها ثلاثة أيام ثم ترجعون بعدها فلما انتهى الرسول إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح على أن تكون الحرب موضوعة بين الناس عشر سنين وقيل: سنتين يأمن فيهما الناس ويكفّ بعضهم عن بعض إلى انقضاء مدة الصلح فأمر ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكتب كتاب الصلح وكان سبب رضاهم بالصلح أنه ﷺ لما نزل بالحديبية بعث عثمان إلى قريش يستأذنهم في أن يدخل ﷺ مع أصحابه مكة معتمرين معظمين حرمات البيت غير محاربين فذهب عثمان إليهم فاستأذنهم في ذلك فأبوا أن يَأذنوا له وقالوا: طف أنت إن شئت فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ وحبسوه عندهم ثلاثة أيام ولم يأذنوا له أن يعود إلى رسول الله ﷺ فبقي عندهم ثلاثة أيام فبلغ رسول الله ﷺ والمؤمنين أن عثمان قد قتل فقال ﷺ حين بلغه ذلك الخبر: لا أبرح حتى نأخذ القوم ودعا الناس إلى البيعة وجلس تحت الشجرة فقال لأصحابه: بايعوني على الموت فبايعوه عليه وقال جابر: بايعناه على أن لا نفر ثم رجع عثمان رضي الله تعالى عنه فأخبر أنهم أبوا ذلك وبلغت قضية البيعة إلى قريش فكبرت عليهم وخافوا أن يحاربوا معه فقالوا لسهيل بن عمرو اذهب واردده عنا وصالحه فصالحهم رسول الله ﷺ ثم أمر الناس أن يحلّوا من إحرامهم بدنهم ويحلقوا رؤوسهم ونحر هو أيضًا البدن وحلق رأسه ثم انصرف متوجهًا إلى المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الفتح: الآيات ١ ـ ٤] يعني السكون والطمأنينة في البيعة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ﴾ [الفتح: الآية ٤] تصديقًا مع تصديقهم الذي هم عليه ثم دخلوا في العام القابل سنة سبع وقضوا عمرتهم ثم فتحت مكة سنة ثمان فحجّ أبو بكر سنة تسع ثم حجّ النبيّ ﷺ سنة عشر فلما كان نزول الآية قبل فتح مكة كانت عدة بالفتح. **قوله: (وفي ذلك)** أي وفي التعبير عما سيقع بلفظ الماضي **(من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى)** لأن هذا الأسلوب إنما يرتكب في أمر يعظم مناله ويبعد الوصول إليه ولا

يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة، فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحًا مبينًا. وقال **(الزَّجَّاج: وكان في فتح الحديبية آية)** للمسلمين **(عظيمة)**، وذلك أنه **(نزح ماؤها)** ولم يبق فيها قطرة **(فتمضمض رسول الله ﷺ ثم مجّه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس)**. وقيل: هو فتح خيبر. وقيل: معناه قضينا لك قضاء بيّنًا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من **(الفتاحة)** وهي الحكومة.

يقدر على نيله إلّا من له قهر وسلطان ومن يغلب ولا يغلب ويغالب، ولذلك نرى أكثر أحوال القيامة واردة على هذا المنهاج وفتح مكة من أمهات الفتوح وبه دخل الناس في دين الله أفواجًا. قال العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشّاف. **قوله**: **(وفي ذلك من الفخامة)** لدلالته على كمال العلم والقدرة وجلالة القدر بحيث يستوي عنه الحال والاستقبال وسَعىٰ إليه ما أراد من غير تصوّر مانع لقضائه أو تردد في إمضائه. اهـ بحروفه.

قوله: **(الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى وقد أناف على ثمانين. **قوله**: **(وكان في فتح الحديبية آية عظيمة)** وظهور آية عظيمة سبب للفتح العظيم وبهذا الاعتبار يظهر له مدخل في تسمية صلحها فتحًا. **قوله**: **(نزح ماؤها)** أي ماء بئرها بالكلية حتى لا يبقى قطرة.

قوله: **(فتمضمض رسول الله ﷺ)** الفاء للسببية أي كان ذلك سببًا للمضمضة وما يترتب عليها والظاهر أن المضمضة من الماء الذي نزح أولًا **(ثم مجّه)** أي صبّ الماء الذي في فمه والماء وإن لم يذكر لكن دلّ عليه التمضمض أي صَبَّ الماء **(في البئر)** أي في بئر الحديبية. **قوله**: **(فدرّت)** فكثرت **(بالماء حتى شرب جميع الناس)** وفي البخاري أنه نبع من بين أصابعه ﷺ في الركوة ولا منافاة بينهما لجواز وقوع كل منهما كما في شرح الكرماني رحمه الله. **قوله**: **(الفتاحة)** بالضم.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ قيل: الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: الآية ١، ٣] ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سببًا للغفران. وقيل: الفتح لم يكن ليغفر له بل لإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كأنه قيل: يسرّنا لك فتح مكة أو كذا لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يريد جميع **(ما فرط منك)** أو ما تقدم من حديث مارية **(وما تأخر من امرأة زيد)** ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإعلاء دينك وفتح البلاد على يدك ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ ويثبتك على الدين المرضي.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ قويًا منيعًا لا ذلّ بعده أبدًا. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ السكينة للسكون **(كالبهيتة للبهتان)** أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينًا إلى يقينهم. وقيل: السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لأمر الله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ

قوله: **(ما فرط منك)** يعني من ترك الأولى سمّاه ذنبًا تغليظًا. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله**: **(ما تأخر من امرأة زيد)** قيل هذا مما تقدم وحديث مارية مما تأخر فالحق العكس. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: **(كالبهيتة للبهتان)** في لسان العرب البَهِيْتَة البُهْتَان. اهـ.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أي ولله جنود السمٰوات والأض يسلّط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته، ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم، وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذّب الكافرين والمنافقين **(لما غاظهم من ذلك)** وكرهوه ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وقع السوء عبارة عن **(رداءة)** الشيء وفساده. يقال: فعل سوء أي مسخوط فاسد، والمراد ظنّهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرًا ﴿عَلَيْهِمْ (دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ)﴾ **مكيّ وأبو عمرو)** أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم، والسوء الهلاك و**(الدمار)** وغيرهما ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها. **(السوء والسوء)** كالكره والكره والضعف والضعف إلا أن المفتوح غلب في أن يُضاف إليه ما يُراد ذمّه من كل شيء، **(وأما السوء فجارٍ مجرى الشر)** الذي هو نقيض الخير ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيدفع كيد مَن عادى نبيه ﷺ والمؤمنين بما شاء منها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالبًا فلا يرد بأسه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة

قوله: **(لما غاظهم من ذلك)** أي من ازدياد الإيمان. **قوله**: **(رداءة)** في المصباح ردؤ الشيء بالهمزة رداءة فهو رديء على فعيل أي وضيع خسيس وردأ يردؤ من باب علا لغة فهو رديء بالتثقيل. اهـ. **قوله**: **(﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾)** بضم السين **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وأبو عمرو)** وخرج ظن السوء الأول والثالث المتفق على فتحهما. **قوله**: **(الدمار)** في المصباح دمر الشيء يدمر من باب قتل والاسم الدمار مثل الهلاك وزنًا ومعنى. اهـ. **قوله**: **(والسوء)** بالفتح **(والسوء)** بالضم. **قوله**: **(وأما السوء)** بالضم **(فجارٍ مجرى الشر...)** الخ يقال: أراد به السُّوء أو أراد به الخير.

﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين من النار ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ وتقووه بالنصر ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وتعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ **(من التسبيح أو من السبحة)**، والضمائر لله ﷻ والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه ورسوله، ومَن فرق الضمائر فجعل الأولين للنبيّ ﷺ فقد أبعد (﴿**ليؤمنوا**﴾ **مكي وأبو عمرو**) والضمير للناس وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء عندهما (﴿بُكْرَةً﴾) صلاة الفجر (﴿وَأَصِيلًا﴾) الصلوات الأربع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ **(أي بيعة الرضوان. ولما قال:** ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾**)** أكده تأكيدًا على طريقة التخييل فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير

قوله: **(من التسبيح)** الذي هو التنزيه عن جميع النقائص. **قوله**: **(أو من السبحة)** وهي الصلاة. **قوله**: («**ليؤمنوا**») بالياء من تحت **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وأبو عمرو)** البصري والضمير للناس، وكذا الثلاثة الأخيرة بالياء من تحت عندهما والباقون بالتاء على الخطاب. **قوله**: (﴿بُكْرَةً﴾) غدوة. **قوله**: (﴿وَأَصِيلًا﴾) عشيًا.

قوله: **(أي بيعة الرضوان)** وهو البيعة الواقعة بالحديبية سميت بيعة الرضوان لقول الله فيها ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: الآية ١٨] الآية. **قوله**: **(ولما قال**: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾**)** أكده تأكيدًا على طريقة التخييل فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾... الخ يعني أنه تعالى لما بين أنه مرسل أرسله لما ذكره من الحكم والمصالح بين أن منزلته وقدره عند الله عظيم بحيث يكون من بايعه صورة، فقد بايع الله تعالى حقيقة لأن من بايعه عليه الصلاة والسلام على أن لا يفرّ من موضِع القتال إلى أن يقتل أو يفتح الله لهم وإن كان يقصد بها رضى الرسول عليه الصلاة والسلام ظاهرًا لكن إنما يقصد بها حقيقة رضى الرحمٰن وثوابه وجنته وسميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التي هي مبادلة المال بالمال تشبيهًا لها

تفاوت بينهما كقوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية ٨٠] و﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ خبر «إن» ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقض العهد ولم يفِ بالبيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه. قال (**جابر بن عبد الله**): بايعنا رسول الله ﷺ

بالمبايعة في اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة وذلك في المبايعة ظاهرًا وكذا في المعاهدة المذكورة فإنها أيضًا مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات على محاربة المشركين وبين ضمانه عليه السلام بمرضاة الله تعالى عنهم وإثابته إياهم جنة النعيم وملكًا لا يبلى في مقابلة ذلك الثبات فأطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة ثم إنه لما كان ثواب ثباتهم على الحرب إنما يصل إليهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة معه عليه السلام المبايعة مع الله تعالى وأنه عليه الصلاة والسلام هو سفير ومعبّر عنه تعالى، وبهذا الاعتبار صار مَن بايعه عليه السلام على ذلك بمنزلة مَن بايع الله تعالى فقيل: إنما يبايعون الله كأنهم باعوا أنفسهم من الله تعالى بالجنة وإن كان العقد معه عليه السلام ولما جعلت المبايعة مع الرسول مبايعة مع الله تعالى وشبّه تعالى بالمبايع أثبت له تعالى ما هو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة[1] التخييلة فإن المبايع لا بد له عند مباشرة العقد من الصيغة عادة فلما قيل: إن تلك المبايعة إنما هي مع الله تعالى أكّد هذا المعنى بأن قيل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كأنه قيل: لا تظن أن الأمر على خلاف ذلك فإن يده يد الله تعالى فلما شبّه الله تعالى بالمبايع أثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل وإلّا فهو تعالى منزّه عن الجوارح وصفات الأجسام.

قوله: (جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام بمهملة وراء الأنصاري ثُمَّ السَّلَمي بفتحتين صحابي ابن صحابي غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين. اهـ تقريب.

---

(١) قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرّح بشيء من أركانه سوى المشبّه ويدل عليه بأن يثبت للمشبّه أمر مختص بالشبه به فيسمى التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية أو مكنيًا عنها ويسمى إثبات ذلك الأمر المختصّ بالمشبّه به للمشبّه استعارة تخييلية ففي اسم الله استعارة بالكناية تشبيهًا له بالمبايع واليد استعارة تخييلية مع أن فيها أيضًا مشاكلة لذكرها مع أيدي الناس وامتناع الاستعارة في اسم الله تعالى إنما هو في الاستعارة التصريحية دون الكنية لأنه لا يلزم إطلاق اسمه تعالى على غيره.

تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة (إلا جد بن قيس) وكان منافقًا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ﴾ يقال: وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: الآية ١]

قوله: (إلا جد بن قيس) في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * جد *) ابن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وهو ابن عم البراء بن معرور. روى عنه جابر وأبو هريرة وكان ممن يظن فيه النفاق وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة: الآية ٤٩] وذلك أن رسول الله ﷺ قال لهم في غزوة تبوك: اغزوا الروم تنالوا بنات الأصفر فقال: جد بن قيس قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالي فنزلت ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: الآية ٤٩] الآية.

وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده وجعل مكانه في النقابة عمرو بن الجموح وحضر يوم الحديبية فبايع الناس رسول الله ﷺ إلا الجد بن قيس فإنه استتر تحت بطن ناقته أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي بن علي بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحٰق قال: ولم يتخلّف عن بيعة رسول الله ﷺ أحد يعني في الحديبية من المسلمين حضرها إلّا الجد بن قيس أخو بني سلمة. قال جابر بن عبد الله: لكأني أنظر إليه لاصق بإبط ناقة رسول الله ﷺ قد صبّها إليها يستتر بها من الناس وقيل: إنه تاب وحسنت توبته وتُوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. أخرجه الثلاثة. اهـ بحروفها.

وقوله: أخرجه الثلاثة يعني ابن مندة وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البر وعلامة ابن منده صورة وعلامة أبي نعيم صورة وعلامة ابن عبد البر صورة.

وفي الإصابة في تمييز الصحابة قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٢] نزلت في نفر ممن تخلّف عن تبوك منهم أبو لبابة والجد بن قيس ثم تيب عليهم، قال أبو عمر في آخر ترجمته: يقال: إنه تاب وحسنت توبته ومات في خلافة عثمان. اهـ.

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧] (﴿عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ **حفص** ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ **وبالنون حجازي وشامي**) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنّة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ﴾ إذا رجعت من الحديبية ﴿الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ هم الذين خلّفوا عن الحديبية وهم أعراب (**غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والدئل**)، وذلك أنه عليه السلام حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا (**استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي**) ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له

قوله: (﴿عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ **حفص**) أي قرأ حفص بضم الهاء قبل الاسم الجليل ويتبعه تفخيم لام الجلالة والباقون بكسر الهاء والترقيق. وفي حاشية البيضاوي للعلّامة الشهاب قوله بضم الهاء كما تضم في نحو له وضربه ومن كسرها راعى الياء قبلها.اهـ. وفي القنوي بضم الهاء فإن هذه الياء الساكنة أصلها ألف فإن على متى أضيفت إلى الظاهر كانت بالألف فتقول: على زيد ثوب ومتى أضيفت إلى الضمير كانت بالياء فلما كان أصل هذه الياء أن تكون ألفًا ضمّها لأن الألف لو كانت موجودة لم تكن الهاء إلا مضمومة كذا في شرح العنوان مختصر.اهـ. **قوله**: (﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ **وبالنون حجازي**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي أي قرأه نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ والآخرون بالياء التحتانية.

قوله: (**غفار**) في المصباح غفار مثل كتاب حي من العرب.اهـ. **قوله**: (**ومُزَينة**) في الصحاح مزينة قبيلة من مضر وهو مزينة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر والنسبة إليهم مزني.اهـ. **قوله**: (**وجُهَينة**) قبيلة كذا في الصحاح. **قوله**: (**وأسلم**) أبو قبيلة في مُرَادٍ كذا في لسان العرب. **قوله**: (**وأشجع**) قبيلة من غطفان كذا في الصحاح. **قوله**: (**والدئل**) بضم الدال وكسر الهمزة حي من كنانة كذا في الصحاح. **قوله**: (**استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي**) أي طلب منهم أن ينفروا أي أن يخرجوا.

بحرب أو يصدوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربًا، فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا: يذهب إلى قوم غزوه (**في عقر داره بالمدينة**) وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنّوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ (**هي جمع أهل اعتلوا**) بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس مَن يقوم بأشغالهم ﴿فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ﴾ ليغفر لنا الله تخلّفنا عنك ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس ما يقولون، وإنما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضًا بصادر عن حقيقة ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا﴾ ما يضرّكم من قتل أو هزيمة (﴿ضُرًّا﴾ **حمزة وعليّ**) ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ﴾ من غنيمة وظفر ﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا﴾.

﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾﴾

﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ زيّنه الشيطان ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ من علوّ الكفر وظهور الفساد ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ جمع بائر كعائذ وعوز من بار الشيء هلك وفسد أي وكنتم قومًا فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونيّاتكم لا خير فيكم، أو هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي لهم

قوله: (**في عقر داره بالمدينة**) في المصباح عقر الدار أصلها في لغة أهل الحجاز وتضم العين وتفتح عندهم ومن هنا قال ابن فارس والعقر أصل كل شيء. اهـ يعنون أحدًا. **قوله**: (**هي جمع أهل**) جمعه جمع السلامة على خلاف القياس لأنه ليس بعلم ولا صفة من صفات من يعقل والمراد بالأهل عشيرته أو أقرباؤه. **قوله**: (**اعتلّوا**) في المصباح اعتلّ إذا تمسّك بحجة ذكر معناه الفارابي. اهـ. **قوله**: (﴿ضُرًّا﴾ **حمزة وعليّ**) أي قرأ حمزة وعلي الكسائي بضم الضاد والباقون بفتحها لغتان كالضعف والضعف.

فأقيم الظاهر مقام الضمير للإيذان بأن مَن لم يجمع بين الإيمانين: الإيمان بالله والإيمان برسوله، فهو كافر ونكّر ﴿سَعِيرًا﴾ **(لأنها نار مخصوصة)** كما نكر ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: الآية ١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يدبره تدبير قادر حكيم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سبقت رحمته غضبه.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلّفوا عن الحديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ (إِلَىٰ مَغَانِمَ)﴾ إلى غنائم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (﴿كَلِمَ الله﴾: **حمزة وعليّ**) أي يريدون أن يغيّروا موعد الله لأهل الحديبية، وذلك أنه وعدهم أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا **(قفلوا)** موادعين لا يصيبون منهم شيئًا ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر وهو إخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل انصرافهم إلى المدينة إن غنيمة خيبر لمَن شهد الحديبية دون غيرهم ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي لم يأمركم الله به بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنيمة ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من كلام الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا شيئًا قليلًا يعني مجرد القول. والقول بين الإضرابين أن الأول ردّ أن يكون حكم الله أن لا يتّبعوهم وإثبات الحسد، والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو **(أطم منه)** وهو الجهل وقلة الفقه.

قوله: **(لأنها نار مخصوصة)** فالتنوين والتنكير للتنويع.

قوله: (﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾) أي غنائم خيبر في المصباح غنمت الشيء أغنمه غنمًا أصبته غنيمة ومغنمًا والجمع الغنائم والمغانم. اهـ. **قوله:** (﴿كَلِمَ الله﴾ بكسر اللام بلا ألف جمع كلمة اسم جنس (**حمزة وعليّ**) والباقون بفتح اللام وألف بعدها على جعله اسمًا للجملة. **قوله:** (**قفلوا**) في المصباح قفل من سفره قُفُولًا من باب قعد رجع. اهـ. **قوله:** (**أطم منه**) في المصباح طم الأمر طمًّا علا وغلب. اهـ.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم الذين تخلّفوا عن الحديبية ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ (أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ)﴾ يعني **(بني حنيفة)** قوم مسيلمة وأهل الردّة الذين حاربهم أبو بكر ﷺ **(لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف)**. وقيل: هم فارس وقد دعاهم عمر ﷺ ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ (أَوْ يُسْلِمُونَ)﴾ أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام. ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لأن فارس مجوس تقبل منهم الجزية، وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ مَن دعاكم إلى قتاله ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فوجب أن يكون الداعي مفترض الطاعة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي عن الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة.

قوله: (﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾) أي أولي قوة في الحرب. **قوله**: **(بني حنيفة)** بوزن سفينة قوم مسيلمة الكذاب الذين ارتدوا بعد رسول الله ﷺ وقاتلهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه.

قوله: **(لأن مشركي العرب والمرتدّين هم الذين لا يقبل منهم إلّا الإسلام أو السيف)** عند الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية. وعند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لا تقبل الجزية إلّا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب.

قوله: (﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾) الجمهور على رفعه بثبات النون عطفًا على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ لوجوب أحد الأمرين عليهم بحيث لا يكون لهما أمر ثالث لأن أو لأحد الشيئين وينبىء عن الحصر كما في قولك العدد زوج أو فرد وقيل: إنه مرفوع على الاستئناف تقديره أو هم يسلمون وقرىء أو يسلموا بالنصب بإضمار أن بمعنى إلّا أن يسلموا أو بمعنى إلى أن يسلموا فيكون ما بعد أو في تأويل مصدر مجرور بأو التي بمعنى إلى.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نفي الحرج عن ذوي **(العاهات)** في التخلف عن الغزو ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الجهاد وغير ذلك ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعرض عن الطاعة ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (**﴿ندخله﴾** و**﴿نعذبه﴾**) مدني **(وشامي)**.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي بيعة الرضوان شميت بهذه الآية. وقصتها أن النبيّ ﷺ حين نزل **(بالحديبية)** بعث **(خراش)** بن

قوله: **(العاهات)** في المصباح العاهة الآفة وهي في تقدير فعله بفتح العين والجمع عاهات. اهـ. **قوله**: (**﴿ندخله﴾** و**﴿نعذبه﴾**) بنون العظمة مدني أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة **(وشامي)** أي وابن عامر الشامي والباقون بالياء التحتية.

قوله: **(بالحديبية)** بتخفيف الياء تصغير حدباء سمي بها المكان وفي القاموس الحديبية بالتخفيف وقد تشدد بئر قرب مكة أو شجرة انتهى. والتخفيف هو المختار عند أهل اللغة والتشديد قول ابن وهب وأكثر المحدثين كما في الأذكار. **قوله**: **(خراش)** بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وألف بعدها شين معجمة وهو صحابي معروف وهكذا في السير. وفي الاستيعاب فما وقع في بعض النسخ من أنه حواس بالحاء والواو والسين المهملتين من تحريف الناسخ. اهـ شهاب. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة في باب الخاء والراء (ب د ع * خراش *) بن أمية الكعبي الخزاعي له ذكر ولا تعرف له رواية قال ابن منده وأبو نعيم وقال أبو عمر خراش بن أمية بن الفضل الكعبي الخزاعي مدنيّ شهد مع النبيّ ﷺ الحديبية وخيبر وما بعدهما من المشاهد بعثه رسول الله ﷺ في الحديبية إلى مكة وحمله على جمل يقال له الثعلب فآذته قريش وعقرت جمله وأرادت قتله فمنعته الأحابيش فعاد إلى رسول الله ﷺ فحينئذ بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان وهو الذي حلق رأس

أُمية الخزاعي رسولًا إلى مكة (**فهمّوا به فمنعه الأحابيش**)، فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال: إني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إياهم، فبعث عثمان بن عفان فخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرًا للبيت فوقروه واحتبس عندهم (**فأرجف بأنهم قتلوه**) فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى (**نناجز**) القوم، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشًا ولا يفرّوا تحت الشجرة، وكانت (**سمرة**) وكان عدد المبايعين

رسول الله ﷺ يوم الحديبية، روى عن خراش هذا ابنه عبد الله وتُوفي خراش هذا آخر أيام معاوية أخرجه الثلاثة. (قلت): وقد نسبه هشام الكلبيّ فقال خراش بن أمية بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عنيف بن كليب ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لحي الخزاعي كان حليفًا لبني مخزوم يكنّى أبا نضلة وهو الذي حلق للنبيّ ﷺ يوم الحديبية وكان حجامًا وهو الذي رمى بنفسه على عامر بن أبي ضرار أخي الحارث يوم المريسيع مخافة أن يقتله الأنصار وكان رمى رجلًا منهم بسهم. اهـ.

قوله: (**فهموا به**) بتقدير مضاف أي بقتله. **قوله:** (**فمنعه الأحابيش**) وهو جمع أحبوشة وهو الأفراد من قبائل شتى تحبشوا أي تجمعوا يقال: حبش قومه تحبيشًا أي جمعهم والحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة والحبش والتحبيش الجمع والتجميع يقال: حبشت له حباشة إذا جمعت له شيئًا. **قوله:** (**فأرجف بأنهم قتلوه**) أي تحدث الناس به وشاع بينهم والإرجاف إشاعة أخبار لا أصل لها. **قوله:** (**نناجز**) في الصحاح المناجزة في الحرب المبارزة والمقاتلة. اهـ.

قوله: (**سمرة**) بفتح السين المهملة وضمّ الميم شجرة معروفة في ديار العرب فاللام في الشجرة للعهد لشهرتها عندهم. اهـ قنوي. وأيضًا فيه وكان الناس يأتون الشجرة تبرّكًا فيصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها وقيل: إنها عميت عليهم ما يدرون أين ذهبت وحكمته أنه خشي الفتنة لقرب الجاهلية وعبادة غير الله تعالى فيهم كما في الأمم الخالية فإنهم بطول العهد وقعوا في ما وقعوا. اهـ. وفي الصحاح السمرة بضم الميم من شجر الطلح والجمع سمر وسمرات بالضم. اهـ. وأيضًا فيه الطلح شجر عظام من شجر العِضَاهِ. اهـ. وفي مختار الصحاح الطَّلح

(ألفًا وأربعمائة) ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وصدق الضمائر فما بايعوا عليه ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الطمأنينة والأمن بسبب الصلح على قلوبهم ﴿وَأَثَابَهُمْ﴾ وجازاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر **(غب انصرافهم)** من مكة.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هي مغانم خيبر **(وكانت أرضًا ذات عقار)**. وأموال فقسمها عليهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ منيعًا فلا يغالب ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يحكم فلا يعارض ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هي ما أصابوه مع النبيّ ﷺ وبعده إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ المغانم يعني مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾

بوزن الطَّلْع شجر عظام من شجر العِضَاه الواحدة طلحة والطلح أيضًا لغة في الطلع. قلت جمهور المفسّرين على أن المراد من الطلح في القرآن المَوْز. اهـ. وفي الصحاح العِضَاه كل شجر يعظم وله شوك وهو على ضربين خالص وغير خالص فالخالص العُرْفط والطَّلْح والسَّلَم والسِّدْر والسَّيَال والسَّمُر واليَنبُوت والقَتَاد الأعظم والكَنَهبَل والغَرْب والفرقد والعَوْسج وغير الخالص الشَّوْحَطُ والنَّبع والشِّرْيان والسَّراء والنَّشَم والعُجْرُم والتَّألَب والغَرْف فهذه تُدْعى عِضَاه القِيَاسِ من القَوْس وما صغُر من شِجر الشوك فهو العِضّ وقد ذكرناه في الضاد وما ليس بِعِضّ ولا عِضَاهٍ من شجر الشوك فالشَّكَاعَى والحَلَاوَى والحاذ والكَب والسُّلح وواحدة العِضَاه عِضَاهَة وعِضْهَةٌ وعِضَةٌ بحذف الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة. اهـ.

وقوله: وقد ذكرناه في الضاد وهو قوله: والعِض أيضًا الشِرْسُ وهو ما صغر من شجر الشوك كالشُبْرم والحاج والشُّبْرق واللَّصَف والعُتْر والقَتَاد الأصغر. اهـ. **قوله:** **(ألفًا وأربعمائة)** هو الأصح عند المحدثين. **قوله:** **(غِبّ انصرافهم)** أي بعد انصرافهم.

قوله: **(وكانت أرضًا ذات عقار)**. وأموال أخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم. **وقوله:** **(عقار)** في المصباح العقار مثل سلام كل ملك ثابت له أصل كالدار والنخل قال بعضهم: وربما أطلق على المتاع والجمع عقارات. اهـ.

(يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد) و**(غطفان)** حين جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا. وقيل: أيدي أهل مكة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ **(هذه الكفة)** ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعبرة يعرفون بها أنهم **(من الله** عز وجل **بمكان)** وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم **(فعل ذلك)** ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ **(ويزيدكم بصيرة ويقينًا وثقة بفضل الله)**.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ معطوفة على ﴿هَٰذِهِۦ﴾ أي فعجل لكم هذه المغانم و«مغانم أخرى» هي مغانم **(هوازن)** في غزوة حنين ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ **(لما كان فيها من الجولة)**

قوله: (يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم) قيل: كان أهل خيبر سبعين ألفًا وأنه عليه الصلاة والسلام لما حاصر أهل خيبر هم حلفاؤهم أي أعوانهم من أسد وعطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكفّ الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل: جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا. **وقوله: (من أسد)** في الصحاح أسد أبو قبيلة من مضر وهو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وأسد أيضًا قبيلة من ربيعة وهو أسد بن ربيعة بن نزار. اهـ. **قوله: (غطفان)** في الصحاح غطفان أبو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان. اهـ. **قوله: (هذه الكفة)** تفسير للضمير المؤنّث المستتر في تكون ولو فسر بالكف وجعل تأنيثه باعتبار الخبر صح. **قوله: (من الله عزّ وجلّ بمكان)** أي لهم رفعة وشأن عند الله فالمكان بمعنى المكانة والشرف مجازًا والتعبير بالمؤمنين يقويه والتنوين للتعظيم ومن للابتداء. **قوله: (فعل ذلك)** أي ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ **(فعل ذلك)** أي ذلك الكفّ أو التعجيل أي هو علة لفعل محذوف معطوف على **(كف)** أو عجل. **قوله: (ويزيدكم بصيرة ويقينًا وثقة بفضل الله)** فسّر الصراط المستقيم بما ذكر لأن الحاصل من الكف ليس إلّا ذلك ولأن أصل الهدى حاصل قبله.

قوله: (هوازن) في الصحاح هوازن قبيلة من قيس وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عَيْلان. **قوله: (لما كان فيها من الجَوْلة)**[1] أي من

---

(١) وهي المرة من الجولان بمعنى الدور والحركة.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها، ويجوز في ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ النصب بفعل مضمر يفسره ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ تقديره: وقضى الله أخرى قد أحاط بها، وأما ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ فصفة لـ ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بـ ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ﴾، و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ خبر المبتدأ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ قادرًا.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر ﴿لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لغلبوا وانهزموا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يلي أمرهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ **(في موضع المصدر المؤكد)** أي سنّ الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله: (﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾) [المجادلة: الآية ٢١] ﴿ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ تغييرًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي أيدي أهل مكة ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعدما

تكرر الهزيمة والرجوع إلى القتال يقال: تجاولوا في الحرب أي جال بعضهم على بعض فكانت بينهم مجاولات وبالجملة الجولة كناية عن كثرة العدوّ والاحتياج إلى الجدّ القوي في محاربتهم.

قوله: (في موضع المصدر المؤكّد) لفعله المحذوف. **قوله**: (﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾) بالحجة أو السيف كذا في تفسير الجلالين وفي حاشيته للعلامة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله. قوله: (بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو فتجوز الجمع فالرسول يغلب تارة بالدليل وتارة بالسيف وتارة بهما ومن المعلوم أن الذي يستعمل الحجة والسيف هو الرسول فنسبة الغلبة إلى الله من حيث إنه المعين للرسول والمقدّر له على ذلك فكأنه قال: كتب الله لأجعلن رسولي غالبًا. اهـ.

(**خوّلكم**) الظفر عليهم والغلبة، وذلك يوم الفتح (**وبه استشهد أبو حنيفة** ﷺ **على أن مكة فتحت عنوة لا صلحًا**). وقيل: كان في غزوة الحديبية لما رُوِيَ أن (**عكرمة بن أبي جهل**) خرج في خمسمائة فبعث رسول الله ﷺ من هزمه وأدخله

قوله: (**خولكم**) أعطاكم. **قوله**: (**وبه**) أي بقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (**استشهد أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه على أن مكة فتحت عنوة**) أي قهرًا وغلبة (**لا صلحًا**). وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه إنما فتحت صلحًا لما رُوِيَ أن أبا سفيان طلب الأمان لأهل مكة فعقد النبيّ ﷺ الأمان واستثنى رجالًا مخصوصين أمر بقتلهم وأيضًا أنه عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يسب ولا قسم عَقارًا ولا منقولًا ولو فتحت عنوة لأمر بخلافه ومن قال: إنها فتحت عنوة يقول إنه عليه الصلاة السلام دخلها مستعدًا للقتال لو قوتل وبعث خالد بن الوليد والزبير بن العوّام وأمرهما أن يدخلاها من طرفيها فدخل خالد أسفلها عنوة ودخل الزبير أعلاها ولم يتفق في تلك الناحية قتل وحرب من جهة أهل مكة فامتنع الزبير عن قتلهم لذلك لا لسبق عقد المصالحة قبل ذلك ودخل رسول الله ﷺ من الجانب الذي دخل منه الزبير وسبب امتناعه عن قسمة عقار مكة أنها خلقت حرة لا لأجل أنها فتحت صلحًا فلهذا لا يجوز عند الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بيع دور مكة. اهـ شيخ زاده. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب وقد يجمع بأن بعضها بأمان وهو الطرف الذي دخل منه ﷺ وبعضها بحرب وهو ما يقابله فلا يبقى محل للخلاف فتأمل. اهـ.

وقوله: (**خالد بن الوليد**) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي سيف الله يكنّى أبا سليمان من كبار الصحابة وكان إسلامه بين الحديبية والفتح وكان أميرًا على قتال أهل الردّة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين. اهـ تقريب.

قوله: (**والزبير بن العوّام**) بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. اهـ. تقريب. **قوله**: (**عكرمة بن أبي جهل**) بن هشام المخزومي صحابي أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر على الصحيح. اهـ تقريب.

(حيطان مكة). وعن ابن عباس ﷺ: أظهر المسلمين عليهم **(بالحجارة)** حتى أدخلوهم البيوت ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ أي بمكة أو بالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي أقدركم وسلطكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (وبالياء: **أبو عمرو البصري**).

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ﴾ هو ما يهدى إلى الكعبة. ونصبه عطفًا على «كم» في ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ أي وصدوا الهدي (﴿مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ﴾) محبوسًا أن يبلغ، و﴿مَعْكُوفًا﴾ حال. وكان عليه السلام ساق سبعين **(بدنة** ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ **مكانه الذي يحلّ فيه نحره)** أي يجب، وهذا دليل على أن المحصر محل هديه الحرم والمراد المعهود وهو مِنًى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ بمكة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة للرجال والنساء جميعًا ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ **(بدل اشتمال منهم)** أو من الضمير المنصوب في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾ ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ إثم وشدّة وهي مفعلة من عره بمعنى عراه إذا **(دهاه)** ما يكرهه ويشقّ عليه وهو الكفارة إذا قتله خطأ، وسوء **(قالة المشركين)** أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز

قوله: **(حيطان مكة)** في المصباح قيل للبناء حائط اسم فاعل من الثلاثي والجمع حيطان. اهـ. **قوله:** **(بالحجارة)** في الصحاح الحجر جمعه في القلّة حجار وفي الكثرة حجار وحجارة كقولك جمل وجمالة وذكر وذِكارة وهو نادر. اهـ. **قوله:** **(وبالياء)** التحتية **(أبو عمرو البصري)** أي الكفار والباقون بالتاء الفوقية أي أنتم. **قوله:** (﴿مَعْكُوفًا﴾) حال من الهدي مؤكّدة لما فهم من الصد، (و﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾) بدل اشتمال من الهدي. **قوله:** **(بدنة)** هي الإبل وجمع البَدَنة بَدَنات مثل قَصَبة وقَصَبات وبُدُن أيضًا بضمتين وإسكان الدال تخفيف. **قوله:** **(مكانه الذي يحل فيه نحره)** على أن المحل مكان الحل لا مكان الحلول. **قوله:** **(بدل اشتمال منهم)** أي من رجال ونساء. **قوله:** (دَهَاهُ) أي أصابه. **قوله:** **(قالة المشركين)** في لسان العرب الاسم القَالَة والقال والقيل. اهـ. وأيضًا فيه **(القَالة)** القول الفاشي في

(والإثم إذا قصر). ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلّق بـ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ يعني أن تطئوهم غير عالمين بهم. والوطء عبارة عن الإيقاع و**(الإبادة)**. والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقيل: ولولا كراهة أن تهلكوا ناسًا مؤمنين **(بين ظهراني المشركين)** وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقّة **(لما كفّ أيديكم عنهم)**. وقوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ تعليل لما دلّت عليه الآية وسيقت له من كفّ الأيدي عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونًا لمَن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال: كان الكفّ ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه **(لزيادة الخير)** والطاعة **(مؤمنيهم، أو ليدخل في الإسلام مَن رغب فيه من مشركيهم)** ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تفرّقوا وتميّز المسلمون من الكافرين، وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ محذوف أغنى عنه جواب «لو»، ويجوز أن يكون لو تزيّلوا كالتكرير لـ ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ لمرجعهما إلى معنى واحد، ويكون ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هو الجواب تقديره ولولا أن تطئوا رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

الناس. اهـ. **قوله: (والإثم إذا قصر)** عبارة البيضاوي والإثم التقصير في البحث عنهم. اهـ.

قوله: (الإبادة) الإهلاك. **قوله: (بين ظهراني المشركين)** في المصباح وهو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون. قال ابن فارس: ولا تكسر، وقال جماعة الألف والنون زائدتان للتأكيد وبين ظهريهم وبين أظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة إدخاله في الكلام أن إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد إليهم، وكأن المعنى أن ظهرًا منهم قدامه وظهرًا وراءه فكأنه مكتوف من جانبيه هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم وإن كان غير مكتوف بينهم. اهـ.

قوله: (لما كفّ أيديكم عنهم) جواب لولا. **قوله: (لزيادة الخير)** لأن أصل الخير لهم والخير من جوامع الكلم. **قوله: (مؤمنيهم)** فإنهم لما رأوا لطف الله تعالى بهم حيث صانهم من وطء المسلمين إياهم مع أنه تعالى أظفرهم على أهل مكة وصان من أجلهم من عداهم ممن استوجب العذاب كان ذلك سببًا لمزيد الشكر والخير والطاعة. **قوله: (أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم)**

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

والعامل في ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي قريش لعذبنا أي لعذبناهم في ذلك الوقت أو اذكر ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بحمية الذين كفروا وهي **(الأنفة)** وسكينة المؤمنين وهي الوقار ما يُروى أن رسول الله ﷺ لما نزل بالحديبية بعث قريش **(سهيل بن عمرو وحويطب)** بن عبد العزي **(ومكرز بن حفص)** على أن يعرضوا على النبيّ ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابًا.

فإنهم لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله حيث كفّ أيدي المسلمين عنهم بعد أن غلبوا عليهم مع استحقاقهم العذاب الشديد صونًا لما بينهم من المؤمنين رغبوا في مثل هذا الدين والانخراط في زمرة المؤمنين.

قوله: **(الأنفة)** بفتحتين الاستكبار والاستنكاف. **قوله**: **(سهيل بن عمرو)** في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * سهيل * بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العامري أمّه أم جني بنت قيس بن ضبيس بن ثعلبة بن حيان بن غنم بن مليح بن عمرو الخزاعية يكنّى أبا يزيد أحد أشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم أسر يوم بدر كافرًا وكان أعلم الشفة فقال عمر: يا رسول الله أنزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيبًا أبدًا فقال: دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقامًا تحمده عليه فكان ذلك المقام أن رسول الله ﷺ لما تُوفي ارتجت مكة لما رأت قريش من ارتداد العرب واختفى عتاب بن أسيد الأموي أمير مكة للنبيّ ﷺ فقام سهيل بن عمرو خطيبًا فقال: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأوّل مَن ارتد والله إن هذا الدين ليمتدنّ امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما في كلام طويل مثل كلام أبي بكر في ذكر وفاة النبيّ ﷺ، وأحضر عتاب بن أسيد وثبتت قريش على الإسلام وكان الذي أسره يوم بدر مالك بن الدخشم وأسلم سهيل يوم الفتح روى جرير بن حازم

....

عن الحسن قال: حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وأولئك الشيوخ من مسلمة الفتح فخرج آذنه فجعله يأذن لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار وأهل بدر وكان يحبهم فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا فقال سهيل بن عمرو قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله فقال: أيها القوم إني والله قد أرى ما في وجوهكم فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه ثم قال: أيها الناس إن هؤلاء سبقوكم بما ترون فلا سبيل والله إلى ما سبقوكم إليه فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله أن يرزقكم الشهادة ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشأم قال الحسن: صدق والله لا يجعل الله عبدًا أسرع كعبد أبطأ عنه وخرج سهيل بأهل بيته إلا ابنته هند إلى الشام مجاهدًا فماتوا هناك ولم يبق إلّا ابنته هند وفاختة بنت عتبة بن سهيل فقدم بهما على عمر كان الحارث بن هشام قد خرج إلى الشام فلم يرجع من أهله إلّا عبد الرحمٰن بن الحارث فلما رجعت فاختة وعبد الرحمٰن، قال عمر: زوّجوا الشريد الشريدة ففعلوا فبشر الله منهما عددًا كثيرًا فقيل: مات سهيل في طاعون عمواس في خلافة عمر سنة ثمان عشرة وهذا سهيل هو صاحب القضية يوم الحديبية مع رسول الله ﷺ حين اصطلحوا ذكر محمد بن سعد عن الواقدي عن سعيد بن مسلم قال: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم الفتح أكثر صلاة ولا صومًا ولا صدقة ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة من سهيل بن عمرو حتى أنه كان قد شحب وتغيّر لونه وكان كثير البكاء رقيقًا عند قراءة القرآن، لقد رؤي يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن وهو يبكي حتى خرج معاذ من مكة فقال له ضرار بن الأزور: يا أبا يزيد تختلف إلى هذا الخزرجي يقرئك القرآن ألا يكون اختلافك إلى رجل من قومك فقال: يا ضرار هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل السبق لعمري اختلف لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ورفع الله أقوامًا بالإسلام كانوا في الجاهلية لا يذكرون فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا وإني لأذكر ما قسم الله لي في تقدم أهل بيتي الرجال والنساء ومولاي

....

عمير بن عوف فأسرّ به وأحمد الله عليه وأرجو أن يكون الله ينفعني بدعائهم ألا أكون هلكت على ما مات عليه نظرائي وقتلوا فقد شهدت مواطن كلها أنا فيها معاند للحق يوم بدر ويوم أحد ويوم الخندق وأنا وليت أمر الكتاب يوم الحديبية يا ضرار إني لأذكر مراجعتي رسول الله يومئذٍ وما كنت ألظّ به من الباطل (فأستحيي من رسول الله وأنا بمكة وهو يومئذٍ بالمدينة) ثم قتل ابني عبد الله يوم اليمامة شهيدًا فعَزاني به أبو بكر وقال: قال رسول الله ﷺ إن الشهيد ليشفع لسبعين من أهل بيته فأنا أرجو أن أكون أول مَن يشفع له قيل: استشهد باليرموك وهو على كردوس وقيل: بل استشهد يوم الصفر[1] وقيل: مات في طاعون عمواس[2] والله أعلم. أخرجه الثلاثة. اهـ.

قوله: (حويطب) تصغير حاطب بمهملتين في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * حويطب *) بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنّى أبا محمد. وقيل: أبا الأصبع وهو من مسلمة الفتح ومن المؤلّفة قلوبهم وشهد حنينًا مع النبيّ ﷺ فأعطاه النبيّ ﷺ مائة من الإبل يجتمع هو وسهيل بن عمرو في عبد ودّ وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتجديد أنصاب الحرم وممن دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه، روى عنه أبو نجيح والسائب بن يزيد قال يحيىٰ بن معين: لا أعلم له حديثًا ثابتًا عن النبيّ ﷺ قال مروان بن الحكم لحويطب: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث فقال حويطب: الله المستعان والله لقد هممت بالإسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاني ويقول: تدع شرفك ودين آبائك لدين محدث وتصير تابعًا فأسكت مروان وندم على ما قال له، وقال له حويطب: أما أخبرك عثمان بما كان لقي من أبيك حين أسلم وقال حويطب: شهدت بدرًا مع المشركين فرأيت عِبرًا رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء

(١) عبارة الإصابة في تمييز الصحابة ويقال: قتل باليرموك وقال خليفة بمرج الصفرا. اهـ. رحمه الله تعالى.

(٢) في المصباح عمواس بالفتح بلدة بالشام بقرب القدس وكانت قديمًا مدينة عظيمة وطاعون عمواس كان في أيام عمر رضي الله عنه. منه رحمه الله.

فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم. فقال سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة. فقالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة. فقال عليه السلام: اكتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهمّ المسلمون أن يأبوا ذلك **(ويشمئزوا منه)** فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الجمهور على أنها **(كلمة الشهادة)**. وقيل: بسم

والأرض ولم أذكر ذلك لأحد وشهد مع سهيل بن عمرو صلح الحديبية وأمّنه أبو ذر يوم الفتح ومشى معه وجمع بينه وبين عياله حتى نودي بالأمان للجميع إلّا النفر الذين أمر بقتلهم ثم أسلم يوم الفتح وشهد حنينًا والطائف مسلمًا واستقرضه رسول الله ﷺ أربعين ألف درهم فأقرضه إياها ومات حويطب بالمدينة آخر خلافة معاوية وقيل: بل مات سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة حديثه في الموطأ في صلاة القاعد. أخرجه الثلاثة. اهـ.

قوله: **(مِكْرَز بن حفص)** بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي ابن الأخيف بخاء معجمة فياء ففاء وهو من بني عامر بن لؤيّ. اهـ قسطلاني.

قوله: **(ويَشْمَئِزوا منه)** في لسان العرب الشَّمْز التقبضّ اشمَأَزّ اشمِئْزازًا انقبض واجتمع بعضه إلى بعض وقال أبو زيد: ذُعِر من الشيء وهو المذعور والشمز نُفور النفس من الشيء تكرهه. اهـ.

قوله: **(كلمة الشهادة)** وهي لا إلٰه إلّا الله وهي كلمة التقوى إذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فإن أصل التقوى الاتقاء عنهما وقد وصف الله تعالى هذه الأمة بالمتقين في مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمٰن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الأمة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بأن يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمٰن الرحيم ولا بأن يكتب محمد رسول الله فصارت هذه الكلمة مختصّة بالمؤمنين فلذلك قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي جعلها شعار المتقين.

الله الرحمٰن الرحيم. (**والإضافة إلى التقوى باعتبار أنها سبب التقوى**) وأساسها. (**وقيل: كلمة أهل التقوى**) ﴿وَكَانُوٓاْ﴾ أي المؤمنون ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾ من غيرهم ﴿وَأَهْلَهَاۚ﴾ بتأهيل الله إياهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيجري الأمور على مصالحها.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ (**أي صدقه في رؤياه**) ولم يكذبه تعالىٰ الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله: ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣].

رُوِيَ أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقصّ الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق، فلما تأخر ذلك قال (**عبد الله بن أُبيّ**) وغيره: والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلّق بـ ﴿صدق﴾ أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله

قوله: (**والإضافة إلى التقوى باعتبار أنها سبب التقوى**) فالإضافة لأدنى ملابسة. **قوله**: (**وقيل: كلمة أهل التقوى**) على تقدير المضاف فهي إضافة اختصاصية حقيقية.

قوله: (**أي صدقه في رؤياه**) يعني أن ﴿صَدَقَ﴾ يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر يقال: صدقك في كذا أي ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما في هذه الآية، وفي قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣].

قوله: (**عبد الله بن أُبيّ**) بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهو المعروف بابن سلول وكانت سلول امرأة من خزاعة وهي أم أبي وابنه عبد الله بن أبي هو رأس المنافقين. اهـ أسد الغابة.

صدقًا ملتبسًا بالحق أي بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين مَن في قلبه مرض، ويجوز أن يكون بالحق قسمًا **(إما) (بالحق الذي هو نقيض الباطل)** أو بالحق الذي هو من أسمائه، وجوابه ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ وعلى الأول هو جواب قسم محذوف ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ حكاية من الله تعالىٰ ما قال رسوله لأصحابه وقصّ عليهم، أو تعليم لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنّته ﴿ءَامِنِينَ﴾ حال والشرط معترض ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿ءَامِنِينَ﴾ ﴿رُءُوسَكُمْ﴾ أي جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ **(حال مؤكدة)** ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي من دون فتح مكة ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر **(ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود)**.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالتوحيد ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ **(ليعليه)** ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جنس الدين يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب، ولقد حقق ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينًا قط إلا وللإسلام دونه العزّة والغلبة. وقيل: هو عند نزول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين لا يبقى على

قوله: (إما بالحق الذي هو نقيض الباطل) إذ الخالق يَحْلف ببعض مخلوقاته وإن لم يَجز ذلك لنا بلا تأويل. **قوله: (حال مؤكدة)** لقوله آمنين.

قوله: (ليستروح إليه) أي ليسكن ويطمئن إلى ذلك الفتح **(قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الفتح الموعود)** وهو فتح مكة فكلمة إلى في قوله إليه صلة الاسترواح، وفي قوله: إلى أن يتيسر الفتح الموعود غاية له. قال الجوهري: استروح إليه أي استنام، ثم قال في فصل الميم استنام إليه أي سكن إليه واطمأن.

قوله: (ليعليه) أي ليجعله عاليًا أصل معناه جعله على ظهر من أظهره إذا جعله على ظهره فلزمه الإعلاء وهو المراد هنا كناية.

وجه الأرض كافر. وقيل: هو إظهاره بالحجج والآيات ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أن ما وعده كائن، وعن الحسن: شهد على نفسه أنه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدًا و﴿شَهِيدًا﴾ تمييز أو حال.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ أو مبتدأ خبره ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ وقف عليه **(نُصَير)** ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي أصحابه مبتدأ والخبر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أو ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ عطف بيان و﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ عطف على المبتدأ و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبر عن الجميع ومعناه **(غلاظ)** ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ متعاطفون وهو خبر ثانٍ وهما جمعًا شديد ورحيم ونحوه ﴿(أَذِلَّةٍ) عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (أَعِزَّةٍ) عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: الآية: ٥٤] وبلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنًا إلا صافحه وعانقه.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا﴾ راكعين ﴿سُجَّدًا﴾ ساجدين ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال كما أن ركعًا وسجدًا كذلك ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي من التأثير الذي يؤثره السجود. وعن عطاء: استنارت وجوههم من طول ما صلّوا بالليل لقوله عليه السلام: (**«مَن كثر صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار»**) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي

قوله: (نُصَير) بن يوسف النهري النحوي. **قوله**: (**غلاظ**) من غلظ القلب. **قوله**: (﴿أَذِلَّةٍ﴾) عاطفين. **قوله**: (﴿أَعِزَّةٍ﴾) أشداء.

قوله: (**مَن كثر صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار**) أي استنار وجهه وعلاه ضياء وبهاء وذلك لأن العبد إذا أكثر في ليله من مناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على أجزاء نهاره فيصير نهاره في حماية ليله وامتلأ قلبه بالأنوار فإن المشكاة تنتهر بالمصباح فإذا صار سراج اليقين يزهو في القلب بكثرة قيام الليل يزداد المصباح إشراقًا وتكتسب مشكاة القلب نورًا وضياء وقيل: أراد أن وجوه أموره

المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وعليه وقف ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ مبتدأ خبره ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ (شَطْـَٔهُۥ﴾ فراخه). يقال: أشطأ الزرع إذا فرخ (﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾) قوّاه،

التي يتوجه إليها تحسن وتدركه المعونة الإلـٰهية في تصاريفه ويكون معانًا فيحسن وجه مقاصده وأفعاله. قال العلاّمَة العزيزي في شرح الجامع الصغير وهو حديث ضعيف. اهـ.

وعبارة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة حديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار لا أصل له. وإن رُوِيَ من طرق عند ابن ماجه.

وأورد الكثير منها القضاعي وغيره ولكن قد رأيت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف بل قواه بعضهم، والمعتمد الأول وقد أطنب ابن عديّ في رده ومثلوا به في الموضوع غير المقصود لكثرة طرقه.

قال ابن ظاهر: ظنّ القضاعي أن الحديث صحيح وهو معذور لأنه لم يكن حافظًا. انتهى واتفق أئمة الحديث ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه، وقال ابن عدي سرقه جماعة عن ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي وعبد الحميد بن بحر وغيرهما، وأوردت من الكلام عليه في شرح الألفيّة والحاشية ما يستفاد. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير ابن كثير قال بعض السلف: مَن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقد أسنده ابن ماجة في سننه عن إسماعيل بن محمد الطلحي عن ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبي سفين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» والصحيح موقوف.

قوله: (﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ فراخه) الفرخ في الأصل ولد الطائر ويجمع في القلة على أفرخ وأفراخ وفي الكثرة على فراخ كرجال يقال: أفرخ الطائر إذا صار ذا فرخ بأن خرج فرخه من البيضة ويقال أيضًا: أفرخ الأمر إذا استبان بعد اشتباه ويقال: أفرخ الزرع وفرّخ إذا تشقق وخرج منه فروعه بعدما نبت أصله فإن الزرع أول ما نبت فهو نبت وما خرج بعده فهو شطؤه، فأول ما نبت بمنزلة الأم وما تفرّع وتشعّب منه بمنزلة أولاده وفراخه.

﴿فَآزَرَهُۥ﴾ (شاميّ) ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ (فصار من الرقّة إلى الغلظ) ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على (قصبه) جمع ساق ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يتعجبون من قوّته. وقيل: مكتوب في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وعن (عكرمة): أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله عليهم. وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، لأن النبيّ ﷺ قام وحده ثم قوّاه الله تعالىٰ بمَن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتفّ بها مما يتولّد منها حتى يعجب الزراع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ تعليل لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوّة.

قوله: (﴿فَآزَرَهُۥ﴾) بقصر الهمزة بعد الفاء (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ برواية ابن ذكوان والباقون بالمدّ. **قوله**: (**فصار من الرقة إلى الغلظ**) يعني أن السين في ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ للتحوّل كما في استحجر الطين، والظاهر أن ضمير استغلظ للزرع أي غلظ ذلك الزرع واستقام على قصبه. **قوله**: (**قصبه**) القَصَب جمع قصَبَة.

قوله: (**عكرمة**) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن وسمّاه بأسماء العرب حدث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عُمَرَ وعبد الله بن عَمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة رضوان الله عليهم أجمعين، وهو أَحَدُ فقهاء مكة وتابعيها وكَان ينتقل من بلد إلى بلد. ورُوِيَ أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال له: انطلق فأنت الناس وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحدًا أعلم منك قال: عكرمة. وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار والشعبي وأبو إسحٰق السبيعي وغيرهم، ومات مولاه ابن عباس وعكرمة على الرق ولم يعتقه فباعه ولده علي بن عبد الله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار فأتى عكرمة مولاه عليًا فقال له: ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله فأقاله فأعتقه وتُوفي عكرمة في سنة سبع ومائة وعكرمة بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة وهو في الأصل اسم الحمامَة الأنثى فسمي به الإنسان.

ويـجـوز أن يـعـلّل بـه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لأن الكفار إذا سمعوا بما أعدّ لهم في الآخرة مع ما يعزّهم به في الدنيا **(غاظهم ذلك. و«من» في ﴿مِنْهُم﴾ للبيان)** كما في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠] يعني فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، وقولك: «أنفق من الدراهم» أي اجعل نفقتك هذا الجنس. وهذه الآية ترد قول الروافض إنهم كفروا بعد وفاة النبيّ ﷺ إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم إنما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته.

قوله: (غاظهم ذلك) قال في المواهب أن الإمام مالك استنبط من هذه الآية تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة فإنهم يغيظونهم ومَن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه كثير من العلماء انتهى. وقد ثبت في موقعه أن أهل القبلة لا يكفرون إلّا بالأشياء المعدودة فإن رجع هذا إلى أحد الأمور المذكور يكفرون وإلّا فلا. اهـ قنوي. **قوله: (ومن في ﴿مِنْهُمْ﴾ للبيان)** لا للتبعيض فلا يكون حجة للطاعنين في الأصحاب بجعل من تبعيضية ولا نذكر الصحابة إلا بخير ونحبهم أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين على إتمام ما يتعلّق بسورة الفتح
ونسأله ببركته فتح كل خير والصلاة والسلام على مَن فتح وعمر العباد
وعلى آله وأصحابه أفضل الزُّهَّاد

(سورة الحجرات)

(مدنيّة وهي ثمان عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ قدّمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو، والهمزة (من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾) [هود: الآية ٩٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الحجرات، مدنية**) بالإجماع. اهـ قرطبي. **قوله**: (**وهي ثمان عشرة آية**) وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفًا. **قوله**: (**من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى**: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾) في لسان العرب قدم بالفتح يقدُم قُدومًا أي تَقدّم ومنه قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [هود: الآية ٩٨] أي يتقدمهم إلى النار ومصدره القَدْم يقال: قَدَم يَقْدُم وتَقَدَّم يتقدّم وأَقْدم يُقْدِم واستقدم يستقدم بمعنى واحد. وفي التنزيل العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾، وقرىء ﴿لَا تَقَدَّمُواْ﴾، قال الزجّاج: معناه إذا أمرتم بأمر فلا تفعلوه قيل: الوقت الذي أمِرْتم أن تفعلوه فيه وجاء في التفسير أن رجلًا ذبح يوم النحر قبل الصّلاة فتقدم قبل الوقت فأنزل الله الآية، واعلم أن ذلك غير جائز. اهـ. وأيضًا فيه وقدّم بين يديه أي تقدم. وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ

(وحذف المفعول) ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول أو الفعل، وجاز أن لا يقصد مفعول والنهي متوجه إلى نفس التقدمة كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [غافر: الآية ٦٨] **(أو هو مَن قدّم بمعنى تقدم)** كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة **(الجيش)** وهي الجماعة المتقدمة منه **(ويؤيده قراءة يعقوب ﴿لَا تَقَدَّمُواْ﴾)**

يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ ولا تقدِّموا فسّره ثعلب فقال: مَن قرى تُقَدّمُوا فمعناه لا تقدّموا كلامًا قبل كلامه ومن قرأ لا تَقدَّمُوا فمعناه لا تقَدموا، وقال الزجّاج: تُقدموا وتَقدّموا بمعنى.اهـ. وقوله: (يقدم قومه) أي يتقدم فرعون قومه (يوم القيامة) فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا (فأوردهم) أدخلهم (النار). **قوله: (وحذف المفعول...)** الخ يعني أن الجمهور قرأوا ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان: أحدهما: أنه متعدٍ وقصد تَعَلقه بمفعوله ومع ذلك حذف للتعميم أي ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قول أو فعل مثلًا إذا جرت مسألة في مجلسه عليه الصلاة والسلام لا يسبقونه بالجواب وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل وإذا ذهبوا معه عليه السلام إلى موضع لا يمشون أمامه إلّا لمصلحة دعت إليه ونحو ذلك مما يمكن فيه التقديم، وثانيهما: أنه وإن كان متعديًا في الأصل إلا أنه نزل هٰهنا منزلة اللازم ولم يقصد تعلّقه بمفعوله بل ترك مفعوله رأسًا فقوله تعالى: لا تقدموا بهذا المعنى لا يكون في معنى لا تتقدموا بل هو نهي عن التقديم مع قطع النظر عن أن المقدّم ما هو كما لا يكون يعطي في قولك فلان يعطي ويمنع بمعنى العطاء بل بمعنى الإعطاء مع قطع النظر عن تعلّقه بالمعطي أي يفعل فعل الإعطاء فكذا معنى الآية لا تفعلوا فعل التقديم رأسًا وبالكلية. **قوله: (أو هو من قدّم بمعنى تقدم)** أي ويحتمل أن يكون التقديم لازمًا بمعنى التقدم فإنه يقال: قدم بين يديه بمعنى تقدّم. **قوله: (الجيش)** في لسان العرب الجيش واحد الجُيوش والجيش الجُند وقيل: جماعة الناس في الحرب والجمع جيوش التهذيب الجيش جند يسيرون لحرب أو غيرها يقال: جَيَّشَ فلان أي جمع الجيوش واستجاشه أي طلب منه جيشًا، وفي حديث عامر بن فهيرة فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل أي طلب لهم الجيش وجمعه عليهم.اهـ. **قوله: (ويؤيدُه قراءة يعقوب)** بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة (﴿لَا تَقَدَّمُواْ﴾) بالفتحات الثلاث المتوالية وتشديد الدال أصله لا تتقدموا فحذف إحدى

بحذف إحدى تاءي تتقدموا ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حقيقة قولهم جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين (**المسامتتين**) ليمينه وشماله قريبًا منه، فسُميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعًا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره. (**وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يسمى تمثيلًا**)، وفيه فائدة جليلة وهي تصوير (**الهجنة**) والشناعة فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون (**الاحتذاء**) على أمثلة الكتاب والسنّة. ويجوز أن يجري مجرى قولك: «سرّني زيد وحسن حاله» أي سرّني حسن حال زيد. (**فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله ﷺ**)، وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوّة الاختصاص. ولما كان

التاءين كراهة اجتماع المثلين في أول الكلمة. **قوله**: (**المسامتين**) أي المقابلتين. **قوله**: (**وفي هذه العبارة ضرب من المجاز الذي يُسمى تمثيلًا...**) الخ يريد أنه استعارة مبنيّة على المجاز المرسل ووجه المجاز فيه أنه عبّر عن الجهتين باليدين لكونهما على سمت اليدين فإن جهة اليمين واقعة على سمت اليد اليمنى وجهة الشمال واقعة على سمت اليد اليسرى فالتعبير باليدين من قبيل تسمية الشيء باسم ما يدانيه ويحاذيه فإذا كان لفظ اليدين بمعنى الجهتين كان بين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التي بينهما هي جهة الإمام كقولك: جلست بين يديه بمعنى جلست أمامه وإذا قيل بين يدي الله امتنع أن يراد به الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه حال ما وقع من بعض الصحابة من القطع في أمر من أمور الدين قبل أن يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدم في المشي في الطريق مثلًا لوقاحته على مَن يجب أن يتأخر عنه ويقفو أثره تعظيمًا له فعبّر عن الحالة المشبهة بما يعبّر به عن المشبّه بها والمراد من الاستعارة تهجين الحالة المشبّهة فإن الحالة المشبّه بها لما كانت قبيحة مستهجنة في العادة ومنافية لمقتضى التعظيم والمتابعة كانت ما شبه بها مستهجنة أيضًا، وهذا التهجين هو النكتة في الاستعارة المذكورة فمعنى الآية لا تقطعوا أمرًا قبل أن يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزّل وإما مقتدين بالنبيّ المرسل عليه الصلاة والسلام. **وقوله**: (**الهجنة**) وهي القبح. **قوله**: (**الاحتذاء**) في الصحاح احتذى مثاله أي اقتدى به.اهـ. وفي لسان العرب يقال: فلان يحتذي على مثال فلان إذا اقتدى به في أمره.اهـ. **قوله**: (**فكذلك هنا المعنى بين يدي رسول الله ﷺ**) وذكر الله تعالى تعظيمًا له حيث جعل ذكر اسمه تعالى

رسول الله ﷺ من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به هذا المسلك، وفي هذا تمهيد لما (**نقم**) منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام، لأن مَن فضّله الله بهذه الأثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيّب والإجلال أن يخفض بين يديه الصوت. وعن الحسن أن إناسًا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فنزلت، وأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحًا آخر. وعن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في النهي عن صوم (**يوم الشك**). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فإنكم إن اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما تقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تعملون وحق مثله أن يتقي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتحريك منهم لئلّا يغفلوا عن تأملهم ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ

توطئة وتمهيدًا لذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ليدلّ على قوة اختصاصه عليه الصلاة والسلام به إذ ذكره بطريق العطف عليه يدل عليها لا محالة كما يقال: أعجبني زيد وكرمه في موضع أن يقال: أعجبني كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به. ويؤيد هذا القول أن الله تعالى ذكر في هذه الآية وفيما بعدها إرشاد الأمة وتعليمهم ما يجب عليهم من إجلال رسول الله ﷺ وتعظيمه والتهيّب منه والاحتراز عما ينافي ذلك كالقطع بالأمر قبل أن يحكم به ورفع الصوت بمحضره وندائهم إياه من وراء الحجرات ونحو ذلك وأنه تعالى أكد النهي عن التقديم بقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ فإنه تصريح بأن مَن قدّم بين يدي الرسول يستحق عقابه تعالى فلولا قوة اختصاصه عليه الصلاة والسلام بحضرته تعالى لما كان الأمر كذلك. **قوله**: (**نقم**) في المغرب يقال: نَقَم منه وعليه كذا إذا عابه وأنكره عليه ينقِم نَقْمًا ونَقِم بالكسر لغة.اهـ. وفي المصباح نقمت عليه أمره ونقمت منه نقمًا من باب ضرب ونُقومًا ونقمتُ أَنْقم من باب تعب لغة إذا عِبْتَه وكرهتَه أشد الكراهة لسوء فعله.اهـ. **قوله**: (**يوم الشك**) هو ما يلي التاسع والعشرين من شعبان لأنه لا يعلم كونه يوم الثلاثين لاحتمال كونه أول شهر رمضان.

صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ أي إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليًا لكلامكم وجهره باهرًا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليك أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول الليّن المقرّب من الهمس الذي يضاد الجهر، أو لا تقولوا: له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوّة والسكينة والتعظيم، ولما نزلت هذه الآية ما كلّم النبيّ ﷺ أبو بكر وعمر إلا كأخي السرار. وعن ابن عباس ﷺ **(أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس)** وكان في أذانه وقر **(وكان جهوري الصوت)**، وكان إذا كلّم رفع صوته وربما كان يكلّم النبيّ ﷺ فيتأذى بصوته، وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرًا مثل جهر بعضكم لبعض، وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالخافتة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو

قوله (أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس) بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك وهو الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وأُمه امرأة من طيء يكنّى أبا محمد بابنه محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن وكان ثابت خطيب الأنصار وخطيب النبيّ ﷺ كما كان حسان شاعره وشهد أحدًا وما بعدها وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر شهيدًا. **قوله: (وكان جهوري الصوت)** بفتح الجيم وسكون الهاء وفتح الواو وراء مكسورة بعدها ياء مشدّدة صيغة مبالغة من الجهر. وفي تفسير البيضاوي فلما نزلت تخلّف عن رسول الله ﷺ فتفقده ودعاه فقال: يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال ﷺ: لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة. اهـ.

قوله: (فتفقده) أي طلب سبب فقده وغيبته عن مجلسه. قوله: (قد حبط) قد كفرت واستوجبت النار بذلك، ولذا قال ﷺ: إنك من أهل الجنة تطمينًا لقلبه وإزالة لخوفه. وقوله: (لست هناك) كناية عن نزاهته عما ظنّه بنفسه لأنه نفى عنه أن يكون في مكان تحبط فيه الأعمال فيلزم من ذلك بطريق برهاني أن لا يحبط له

الخلو من مراعاة (**أبهة**) النبوّة وجلالة مقدارها. ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهي، والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ تمّ اسم «إن» عند قوله: ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى يخفضون أصواتهم في مجلسه تعظيمًا له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وتمّ صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عند قوله: ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مع خبره خبر «إن». والمعنى أخلصها للتقوى من قولهم: «امتحن الذهب وفتنهُ» إذا أذابه فخلص (**إبريزة**) من خبثه ونقاه، وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة. وعَنْ عمر ﷺ: أذهب الشهوات عنها. والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ جملة أخرى قيل: نزلت في الشيخين ﷺ لما كان منهما من غضّ الصوت، (**وهذه الآية ـ بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم ـ اسمًا لـ «إن» المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معًا**) والمبتدأ اسم الإشارة، واستئناف

عمله. **قوله**: (**أبهة**) في لسان العرب الأبّهة بالضم والتشديد للباء العَظَمة والبهاء. اهـ.

قوله: (**إبريزة**) بمعنى خالصه وخبثه ما خالطه من غيره. اهـ شهاب. وفي لسان العرب ذهبٌ إِبْرِيزٌ خالص عربي. قال ابن جني: هو إِفْعِيلٌ من بَرَزَ وفي الحديث ومنه ماء يخرج كالذهب الإِبْرِيزيّ الخالص وهو الإبريزيّ خالصًا والهمزة والياء زائدتان. ابن الأعرابي الإِبْرِيزُ الحُليّ الصافي من الذهب وقد أَبْرَزَ الرجل إذا اتخذ الإبريز وهو الإِبْرِيزيُّ. اهـ.

قوله: (**وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتهم اسمًا لإن المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معًا...**) الخ يعني هذه الآية دالّة بواسطة نظمها على غاية الاعتداد وفي تلك القيود التي ذكرها

الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم، وإيراد الجزاء نكرة مبهمًا أمره - دالّة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم، وفيها تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ نزلت في **(وفد)** بني تميم أتوا رسول الله ﷺ **(وقت الظهيرة)** وهو راقد، وفيهم **(الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن)**، ونادوا النبيّ ﷺ من وراء حجراته وقالوا: اخرج إلينا يا محمد فإن مدحنا زين وذمّنا شين، فاستيقظ وخرج.

إشارة إلى خواص تضمنها التركيبين، أما التركيب الأول وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ ففيه خواص إحداها إيقاع الغاضّين أصواتهم اسمًا لأن المؤكدة وفائدته توكيد مضمون الجملة وتقريره مع تصوير ما كان يصدر من أولئك السادة عند حضرة الرسالة من التأدّب بتأديب الله تعالى نحوه في التقرير ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، وثانيتها تصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر وفائدته المستفادة من تعريفهما نحو زيد المنطلق يعني هم الذين شرّفهم الله تعالى بإخلاص القلوب دون غيرهم تعريض بأولئك الذين لم يغضوا أصواتهم. وثالثتها إيقاع المبتدأ الثاني اسم إشارة ليؤذن بأن مَن سبق ذكرة إنما هم امتحن الله قلوبهم لأنهم اكتسبوا تلك الفضيلة بها. وأما التركيب الثاني ففيه فائدتان، إحداهما: قطعها عن الجملة الأولى وإخلاؤها عن الرابط اللفظي وهو الفاء ليحرّك أريحة السامع ويحمله على قوله: ما جزاء أولئك الأبرار في العقبى مع اختصاصهم بهذه المنقبة الأسنى فيجاب بأن لهم عند الله تعالى القربة والزلفى. وثانيتهما تنكير المغفرة ليدل على نوع عظيم في بابه لا يكتنه كنهه ولا يقدر قدره.

قوله: (وفد) الوفد جمع وافد وهو الذي أتى إلى الأمير برسالة من قومه وقيل: رهط كرامة. **قوله**: (وقت الظهيرة) في الصحاح الظهيرة الهاجرة.اهـ. وأيضًا فيه الهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر.اهـ. وفي المصباح الظهيرة الهاجرة وذلك حين نزول الشمس.اهـ.

....

قوله: **(الأقرع بن حابس)** في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * الأقرع) بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ساقوا هذا النسب، إلّا ابن مندة وأبا نعيم قالا: جندلة بدل حنظلة وهو خطأ، والصواب حنظلة. قدم على النبيّ ﷺ مع عطارد بن حاجب بن زرارة والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وغيرهم من أشراف تميم بعد فتح مكة، وقد كان الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينًا وحضرا الطائف، فلما قدم وفد تميم كان معهم، فلما قدموا المدينة قال الأقرع بن حابس حين نادى يا محمد إن حمدي زين وإن ذميّ شين، فقال رسول الله ﷺ: «ذلكم الله سبحانه». وقيل: بل الوفد كلهم نادوا بذلك، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال: «ذلكم الله فما تريدون»؟ قالوا: نحن ناس من تميم، جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك. فقال النبيّ ﷺ: «ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أُمِرنا، ولكن هاتوا». فقال الأقرع بن حابس لشاب منهم: قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك. فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه، وآتانا أموالًا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير من أهل الأرض أكثرهم عددًا وأكثرهم سلاحًا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا وبفعال هو أفضل من فعالنا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكان خطيب النبيّ ﷺ: «قم فأجبه». فقام ثابت فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأُؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوهًا وأعظم الناس أحلامًا فأجابوه والحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزًّا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلّا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله، ومن أباه قاتلناه وكان رغمه في الله تعالى علينا هينًا أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.
فقال الزبرقان بن بدر لرجل منهم: يا فلان قم فقل أبياتًا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال:

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا ... نحن الرؤوس وفينا يقسم الربع

....

ونطعم الناس عند المحل[١] كلهم — من السَّدِيف[٢] إذا لم يونس الفَزَعُ
إذا أتينا فلا يأتي لنا أحد — إنا كذلك عند الفخر نرتفعُ

فقال رسول الله ﷺ عليّ بحسّان بن ثابت فحضره وقال: قد آن لكم أن تبعثوا إلى هذا العوذ والعوذ الجمل المسن، فقال له رسول الله ﷺ قم فأجبه فقال: أسمعني ما قلت فأسمعه فقال حسان:

نصرنا رسول الله والدين عنوة على — زعم عات من معدّ وحاضرِ
بضرب كأبزاغ المخاض مشاشه — وطعن كأفواه اللقاح الصوادرِ
وسل أحدًا يوم اسْتَقَلَّتْ شعابه — بضرب لنا مثل الليوث الخوادرِ
ألسنا نخوض المَوْت في حَومة الوغى — إذا طاب ورد الموت بين العساكرِ
ونضرب هام الدارعين وننتمي — إلى حسب من جذم غسان قاهرِ
فأحياؤنا من خير من وطىء الحصى — وأمواتنا من خير أهل المقابرِ
فلولا حياء الله قلنا تكرمًا — على الناس بالخيفين هل منافرِ

فقام الأقرع بن حابس فقال إني والله يا محمد لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء قد قلت شعرًا فاسمعه قال: هات فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا — إذا خالفونا عند ذكر المكارمِ
وإنا رؤوس الناس من كل معشر — وأن ليس في أرض الحجاز كدارمِ

فقال رسول الله ﷺ: قم يا حسان فأجبه فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم — يعود وبالًا عند ذكر المكارمِ
هُبلتم[٣] علينا تفخرون وأنتم — لنا خول من بين ظئر وخادمِ

---

(١) قوله: المحل الجَدْب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلاء.اهـ. كذا في مختار الصحاح. منه رحمه الله.
(٢) قوله: السديف لحم السِنَام والقَرِع السحاب كذا في لسان العرب. منه رحمه الله تعالى.
(٣) الهُبْلة الثُكلة الهبلة القتلة. لسان العرب.

....

فقال رسول الله ﷺ: لقد كنت غنيًا يا أخا بني دارم أن يذكر منك ما كنت ترى أن الناس قد نسوه فكان قول رسول الله ﷺ أشد عليهم من قول حسان ثم رجع حسان إلى قوله:

وأفضل ما نلتم من المجد والعلى ... ردافتنا من بعد ذكر المكارمِ
فإن كنتمُ جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسمِ
فلا تجعلوا لله ندًّا وأسلموا ... ولا تفخروا عند النبيّ بدارمِ
وإلا ورب البيت مالت أكفنا ... على رؤوسكم بالمرهفات[(١)] الصوارمِ

فقام الأقرع بن حابس فقال: يا هؤلاء ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتًا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتًا وأحسن قولًا ثم دنا إلى النبيّ ﷺ فقال: أشهد أن لا إلـه إلّا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لا يضرك ما كان قبل هذا وفي وفد بني تميم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: الآية ٤] تفرد برواية هذا الحديث مطوّلًا بأشعاره المعلّى بن عبد الرحمٰن بن الحكم الواسطي. أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله بن علي وإبراهيم بن محمد بن مهران وأبو جعفر بن السمين بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة قال: حدّثنا ابن أبي عمرو سعيد بن عبد الرحمٰن قالا: أخبرنا سفيان عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: أبصر الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ وهو يقبل الحسن، وقال ابن أبي عمر أو الحسين فقال: إن لي من الولد عشرة ما قبلت واحدًا منهم فقال رسول الله ﷺ: «مَن لا يرحم لا يرحم». وأخبرنا يحيىٰ بن محمود بن سعد الأصفهاني إجازة بإسناده إلى أبي بكر بن أبي عاصم قال: حدّثنا عفان أخبرنا وهيب، أخبرنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف بن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن ذمّي شين فقال: ذلكم الله عزّ وجلّ كما حدث أبو سلمة عن النبيّ ﷺ وشهد الأقرع بن حابس مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وشهد معه فتح الأنبار وهو كان على

---

(١) سيف مُرْهَفٌ أي رَقّت حواشيه كذا في لسان العرب.

....

مقدمة خالد بن الوليد، قال ابن دريد: اسم الأقرع فراس ولقب الأقرع لقرع كان به في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفًا في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش. اهـ بحروفها.

قوله: (وعيينة بن حصن) في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع) بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو ابن جويرية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان الفزاري يكنّى أبا مالك أسلم بعد الفتح وقيل: أسلم قبل الفتح وشهد الفتح مسلمًا وشهد حنينًا والطائف أيضًا وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة. قيل إنه دخل على النبيّ ﷺ من غير إذن فقال له: أين الإذن، فقال: ما استأذنت على أحد من مضر وكان ممن ارتدّ وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأخذ أسيرًا وحمل إلى أبي بكر رضي الله عنه فكان صبيان المدينة يقولون: يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك فيقول: ما آمنت بالله طرفة عين فأسلم فأطلقه أبو بكر وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين يقود عشرة آلاف وتزوج عثمان بن عفان ابنته فدخل عليه يومًا فأغلظ له، فقال عثمان: لو كان عمر أقدمت عليه فقال: إن عمر أعطانا فأغنانا وأخشانا فأتقانا، وقال أبو وائل: سمعت عيينة بن حصن يقول لعبد الله بن مسعود: أنا ابن الأشياخ الشم[1] فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم عليهم السلام وهو عم الحر بن قيس وكان الحر رجلًا صالحًا من أهل القرآن له منزلة من عمر بن الخطاب، فقال عيينة لابن أخيه: ألا تدخلني على هذا الرجل قال: إني أخاف أن تتكلم بكلام لا ينبغي، فقال: لا أفعل فأدخله على عمر فقال: يا ابن الخطاب والله ما تقسم بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر غضبًا شديدًا حتى همّ أن يوقع به فقال ابن أخيه: يا أمير المؤمنين إن الله يقول في كتابة العزيز خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإن هذا لمن الجاهلين فَخَلَّى عنه وكان عمر رضي الله عنه وقافًا عند كتاب الله عزّ وجلّ أخرجه الثلاثة. اهـ. فائدة في شرح نخبة

---

(١) في المصباح: الشمم ارتفاع الأنف، وهو مصدر من باب تعب فالرجل أشم والمرأة شماء، والجمع شم، مثل أحمر وحمراء وحمرًا. اهـ. ١٢ منه.

والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام، و«من» لابتداء الغاية، وأن المناداة نشأت من ذلك المكان، والحجرة **(الرقعة)** من الأرض **(المحجورة)** بحائط يحوط عليها **(وهي فعلة)** بمعنى مفعولة كالقبضة وجمّها الحجرات بضمتين، **(والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد)** والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ، وكانت لكل منهن حجرة. ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرّقوا على الحجرات متطلبين له أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت إجلالًا لرسول الله ﷺ. والفعل وإن كان مسندًا إلى جميعهم فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعًا ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه، ويحتمل أن يكون المراد النفي العام إذ القلّة تقع موقع النفي.

وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفي من إجلال محل رسول الله ﷺ منها: التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل، ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه، ومنها التعريف باللام دون الإضافة، ولو تأمل متأمل من أول السورة إلى آخر هذه الآية لوجدها كذلك. فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على

الفكر للعلّامة علي القاري الحنفي رحمه الله وهو أي الصحابي مَن لقي بكسر القاف أي رأى النبيّ عليه السلام أو رآه النبيّ عليه السلام حال كونه مؤمنًا به أي بالنبيّ ﷺ وبما جاء به من عند الله تعالى ومات على الإسلام أي إجماعًا ولو تخللت وصلية ردة أي ارتداد وكفر في الأصح أي على مقتضى مذهب الشافعي ومَن تبعه من أن الارتداد لا يبطل الأعمال إلا بموته على الكفر. وأما في مذهبنا المقرر من أن الردّة تبطل ثواب جميع الأعمال ولو رجع إلى الإسلام وأنه يجب عليه إعادة الحج فإنه فرض عمري فتبطل صحبته بالردة فلا يكون صحابيًا إلا إن حصلت له رؤية ثانية وعليه الإمام مالك رضي الله تعالى عنه انتهى باختصار.
قوله: **(الرُّقْعة)** أي القِطْعة. **قوله**: **(المحجورة)** أي الممنوعة عن الدخول. **قوله**: **(وهي فعلة)** بضم الفاء وسكون العين. **قوله**: **(والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة والباقون بضمها لغتان من جمع حجرة.

الأمور كلها من غير تقييد، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الأول بساط للثاني، ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدلّ على عظيم موقعه عند الله، ثم عقبه بما هو أظم وهجنته أتم من الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرًا لينبّه على فظاعة ما جسروا عليه، لأن مَن رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغًا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ (أي ولو ثبت صبرهم)، ومحل ﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ الرفع على الفاعلية. والصبر حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها قال الله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: الآية ٢٨]. وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس. وقيل: الصبر مرّ لا يتجرعه إلا حرّ. وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ يفيد أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (﴿لَكَانَ﴾ **الصبر**) ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾، في دينهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء إن تابوا وأنابوا.

قوله: (أي ولو ثبت صبرهم) إشارة إلى أن المفتوحة المؤوّلة بالمصدر هنا فاعل فعل مقدّر وهو ثبت والقرينة عليه معنى الكلام فإن أن وإن تدل على الثبوت.اهـ شهاب رحمه الله، وفي حاشية شيخ زاده على البيضاوي.

قوله: (ولو ثبت صبرهم) لما كانت كلمة لو حرف شرط وجب أن يليها الفعل ظاهرًا أو مقدرًا فلذلك جعل قوله: ﴿صَبَرُوا﴾ في محل الرفع على أنه فاعل فعل مقدّر وأوّله بالمفرد وجعل اسم كان ضميرًا راجعًا إلى هذا المفرد وجعل دلالة كلمة أن على الثبوت دليلًا على تعيّن ثبت لكونه مقدرًا من بين الأفعال.اهـ.

قوله: (﴿لَكَانَ﴾ الصبر. . .) الخ يعني أن اسم كان ضمير مستتر يعود إلى المصدر الدالّ عليه قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ كقوله: من كذب كان شرًّا له أي الكذب.اهـ شهاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ أجمعوا أنها نزلت في (**الوليد بن عقبة**) وقد بعثه رسول الله ﷺ (**مصدقًا**) إلى (**بني المصطلق**) وكانت بينه وبينهم (**إحنة**) في الجاهلية، فلما (**شارف ديارهم**) ركبوا مستقبلين إليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة. فبعث (**خالد بن الوليد**) فوجدهم يصلّون فسلموا إليه الصدقات فرجع. (**وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأنباء**) كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي نبأ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق، لأن مَن لا يتحامى جنس

قوله: (**الوليد بن عقبة**) بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو واسم أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس أم عثمان بن عفان فالوليد أخو عثمان لأمه أسلم يوم الفتح فتح مكة هو وأخوه خالد بن عقبة يكنى الوليد أبا وهب وعاش إلى خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهم أجمعين. **قوله**: (**مصدقًا**) بتخفيف الصاد وتشديد الدال حال مقدرة أي آخذ للصدقة وهي الزكاة وحاصلة بغتة لأجل أخذ زكاة أموالهم. **قوله**: (**بني المصطلق**) بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام بعدها قاف لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي المخففة، قال في القاموس: حيّ من الأزد وسموا بذلك لأنهم تخزعوا أي تخلفوا عن قومهم وأقاموا بمكة وسُمي جذيمة بالمصطلق لحسن صوته وهو أول من غنى من خزاعة والأصل في مصطلق مصتلق بالتاء الفوقية فأبدلت طاء لأجل الصاد. **قوله**: (**إحنة**) بكسر الهمزة وسكون الحاء المهملة والنون المراد به عداوة وأصل معناها الحقد وسببه دم بينهما. **قوله**: (**شارف ديارهم**) في لسان العرب شَارَف الشيء دنا منه وقارَب أن يظفر به. اهـ. **قوله**: (**خالد بن الوليد**) بن المغيرة بن عبد الله عمرو المخزومي سيف الله يكنّى أبا سليمان من كبار الصحابة وكان إسلامه بين الحديبية والفتح وكان أميرًا على قتال أهل الردّة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين. **قوله**: (**وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والأنباء**)... الخ

الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه. وفي الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأنا لو توقفنا في خبره لسوّينا بينه وبين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة، والفسوق الخروج من الشيء. يقال: فسقت **(الرطبة)** عن **(قشرها)**، ومن مقلوبه: فقست البيضة إذا كسرتها وأخرجت ما فيها، ومن مقلوبه أيضًا: قفست الشيء إذا أخرجته من يد مالكه مغتصبًا له عليه، ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر. **(حمزة وعلي)** ﴿فتثبتوا﴾ والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا﴾ لئلّا تصيبوا ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ **(حال)** يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾ فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ الندم ضرب من الغمّ وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غمّ يصحب الإنسان صحبة لها دوام.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فلا تكذبوا فإن الله يخبره فينهتك ستر الكاذب، أو فارجعوا إليه واطلبوا رأيه. ثم قال مستأنفًا: ﴿ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ

أخرج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين أصحابه عليه الصلاة والسلام. **قوله**: (الرطبة) في المغرب الرُّطْبُ بالضم الرَّطْب مما تَرْعاه الدوابُّ والرَّطْبة بالفتح الإسْفِسْت الرّطب والجمع رِطاب ومنه حديث حُذيفة وابن حُنَيْفٍ وظّفا على كل جريب من أرض الزرع درهمًا ومن أرض الرَّطبة خمسة دراهم. وفي كتاب العشر البُقُول غير الرِطاب فإنما البقول مثل الكراث ونحو ذلك والرطاب هو القثاء والبطيخ والباذنجان وما يجري مجراه والأول هو المذكور فيما عندي من كتب اللغة فحَسْبُ والرطَب ما أدرك من ثمر النخل الواحدة رُطَبَةٌ. اهـ. **قوله**: (قشرها) بالكسر. **قوله**: (حمزة وعلي) الكسائي (﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾) بعد التاء المثناة بثاء مثلثة وبعد الباء الموحدة بثاء مثناة فوق من التثبت أي فتوقفوا إلى أن يتبين لكم الحال والباقون بعد التاء المثناة بباء موحّدة وبعدها ياء تحتية وبعدها نون من البيان. **قوله**: (حال) أي ملتبسين بجهالة.

﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لوقعتم في (**الجهد**) والهلاك، وهذا يدلّ على أن بعض المؤمنين زيّنوا لرسول الله ﷺ الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد، وأن بعضهم كانوا يتصوّنون و(**يزعهم**) جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ وقيل: هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. ولما كانت صفة الذين حبّب الله إليهم الإيمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت «لكن» في حاقّ موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيًا وإثباتًا ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ وهو الخروج عن (**محجة الإيمان**) بركوب الكبائر ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ وهو ترك الانقياد بما أمر به الشارع ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي أولئك المستثنون هم الراشدون يعني أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلّب فيه (**من الرشادة وهي الصخرة**) ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ الفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام، والانتصاب على المفعول له أي حبّب وكره للفضل والنعمة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل ﴿حَكِيمٌ﴾ حين يفضل وينعم بالتوفيق على الأفاضل.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ وقف رسول الله ﷺ على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك (**ابن أبي**) بأنفه وقال:

قوله: (**الجَهْد**) المشقة. **قوله**: (**يزعهم**) في المصباح وزعته عن الأمر أزعُه وزعًا من باب وهب منعته عنه وحبسته. اهـ. **قوله**: (**محَجَّة الإيمان**) في المصباح المحجة بفتح الميم جادّة الطريق. اهـ وفي لسان العرب المحَجَّة الطريق وقيل: جادّة الطريق وقيل: محَجة الطريق سُنَنُه. اهـ. **قوله**: (**من الرَّشادة وهي الصخرة**) في لسان العرب قال منصور: وسمعت غير واحد من العرب يقولون للحجر: الذي يملأ الكفّ الرَّشادة وجمعها الرَّشَاد قال: وهو صحيح. اهـ.

قوله: (**ابن أبي**) هو عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك أن يسلم عبد الله بن أبي. اهـ خازن.

خلّ سبيل حمارك فقد آذانا نتنه. فقال (**عبد الله بن رواحة**): والله إن بول حماره لأطيب من مسكك.

قوله: (**عبد الله بن رواحة**) في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * عبد الله) بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم من بني الحارث يكنّى أبا محمد وقيل: أبو رواحة وقيل: أبو عمرو وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة من بني الحارث بن الخزرج أيضًا. وكان ممن شهد العقبة وكان نقيب بني الحارث بن الخزرج وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده لأنه كان قد قتل قبله وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة وهو خال النعمان بن بشير. روى حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى النبيّ ﷺ وهو يخطب فسمعه وهو يقول: اجلسوا فجلس مكانه خارجًا من المسجد حتى فرغ النبيّ ﷺ من خطبته فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال له: زادك الله حرصًا على طواعية الله وطواعية رسوله وكان عبد الله أول خارج إلى الغزو وآخر قافل وكان من الشعراء الذين يناضلون عن رسول الله ﷺ، ومن شعره في النبيّ ﷺ:

إني تفرّست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبيّ ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصروا

فقال النبيّ ﷺ: وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات فقتل شهيدًا وفتحت له أبواب الجنة فدخلها شهيدًا قال أبو الدرداء: أعوذ بالله أن يأتي عليّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقيني مقبلًا ضرب بين ثديي وإذا لقيني مدبرًا ضرب بين كتفي ثم يقول: يا عويمر اجلس فلنؤمن ساعة فنجلس فنذكر الله ما شاء ثم يقول: يا عويمر هذه مجالس الإيمان أخبرنا عبد الله بن أحمد بن علي بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحٰق حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: سار عبد الله بن رواحة يعني إلى مؤتة وكان زيد بن أرقم يتيمًا في حجره فحمله على حقيبة رحله وخرج به غازيًا إلى مؤتة

....

فسمعه زيد من الليل يتمثل بأبياته التي قال[1]:

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحِسَاء
فشأنك فأنعمي وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وغادروني ... بأرض الشام مشهور الثواء
وردّك كل ذي نسب قريب ... إلى الرحمٰن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعه زيد بكى فخفقه بالدرة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل ولزيد يقول عبد الله بن رواحة:

يا زيد زيد اليعملات الذبل ... تطاول الليل هديت فانزل

يعني انزل فسق بالقوم قال: وحدّثنا ابن إسحٰق حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: أمر رسول الله ﷺ على الناس يوم مؤتة زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أصيب عبد الله فليرتض المسلمون رجلًا فليجعلوه عليهم فتجهز الناس وتهيؤوا للخروج فودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم، فلما ودّع الناس أمراء رسول الله وسلّموا عليهم وودّعوا عبد الله بن رواحة بكى قالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة، فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة إليها ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: الآية ٧١] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون: صحبكم الله وردّكم إلينا صالحين ورفع إليكم، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمٰن مغفرة ... وضربة ذات فرع يقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... مجربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

---

(١) يخاطب ما فيه حين توجه إلى مؤتة من أرض الشام. لسان العرب.

....

ثم أتى عبد الله رسول الله ﷺ فودّعه ثم خرج القوم حتى نزلوا مَعَان[1] فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة فأقاموا بمعان يومين فقالوا: نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدوّنا فإما أن يمدّنا وإما أن يأمرنا أمرًا فشجعهم عبد الله بن رواحة فساروا وهم ثلاثة آلاف حتى لحقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها شَرَاف ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة، وروى عبد السلام بن النعمان بن بشير أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر فتقدم فقاتل وقال يخاطب نفسه:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

يعني زيدًا وجعفرًا ثم قال: يا نفس إلى أيّ شيء تتوقين إلى فلانة امرأته فهي طالق وإلى فلان وفلان غلمان له فهم أحرار وإلى معجف حائط له فهو لله ولرسوله ثم قال:

يا نفس مالك تكرهين الجنة أقسم بالله لتنزلنه
طائعة أو لتكرهنه فطالما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلّا نطفة في شنه قد أجلب الناس وشدوا لرنه

وروى مصعب بن شيبة قال: لما نزل ابن رواحة للقتال طعن فاستقبل الدم بيده فدلّك به وجهه به ثم صرع بين الصفين فجعل يقول: يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم فجعل المسلمون يحمون حتى يحوزونه فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه قال يونس بن بكير: وحدّثنا ابن إسحٰق قال لما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ فيما بلغني أخذ زيد بن حارثة الراية فقاتل بها حتى قتل شهيدًا ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل شهيدًا ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيّرت وجوه الأنصار وظنّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون فقال:

(١) موضع بالشام. لسان العرب.

ومضى رسول الله ﷺ وطال الخوض بينهما حتى استبّا و(**تجالَدا**) وجاء قوماهما ـ وهما الأوس والخزرج ـ فتجالدوا (**بالعصى**). وقيل: بالأيدي والنِّعال و(**السعف**)، فرجع إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم ونزلت. وجمع ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾ حملًا على المعنى لأن الطائفتين في معنى القوم والناس، وثنى في ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ نظرًا إلى اللفظ ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ البغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ أي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لأن الظل يرجع (**بعد نسخ الشمس، والغنيمة**) ما يرجع من أموال الكفار

ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدًا ثم لقد رفعوا لي في الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارًا[١] عن سريري صاحبيه فقلت: عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى فقتل ولم يعقب وكانت مؤتة في جمادى سنة ثمان أخرجه الثلاثة. اهـ.

قوله: (**تجالَدا**) أي تضاربا. **قوله:** (**بالعصى**) في المصباح العصا مقصور مؤنثة والتثنية عصوان والجمع أعص وعصى على فعول مثل أسد وأسود والقياس أعصاء مثل سبب وأسباب لكنه لم ينقل قاله ابن السكيت. اهـ. وفي مختار الصحاح العصا مؤنثة يقال: عَصًا وعَصَوان والجمع عِصِيّ بكسر العين وضمها وأعص أيضًا مثل زَمَن وأزمن. اهـ. وفي لسان العرب العصا العُود أنثى ويقال: عَصًا وعَصَوان والجمع أعص وأعصا وعُصي وعِصِيّ وهو فعول وإنما كسرت العين لما بعدها من الكسرة وأنكر سيبويه أَعْصَاءً. اهـ باختصار. **قوله:** (**السعف**) في المصباح السعف أغصان النخل ما دامت بالخوص فإن زال الخوص عنها قيل: جريدة، الواحدة سعفة مثل قصب وقصبة. اهـ. وأيضًا فيه الخوصُ ورقُ النخل الواحدة خوصة. اهـ. **قوله:** (**بعد نسخ الشمس**) أي إزالتها إياه يقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته فإن الشمس كلما ازدادت ارتفاعًا ازدادت نسخًا وزوالًا وذلك إلى أن توازي الشمس خط نصف النهار فإذا زالت عنه وأخذت في الانحطاط أخذ الظل في الرجوع والظهور فلما كان الزوال سبب الرجوع ما انتسخ من الظل أضيف الظل إلى الزوال فقيل فيء الزوال. **قوله:** (**والغنيمة...**) الخ وإطلاق الفيء على كل واحد منهما

---

(١) الازورار عن الشيء العدول عنه كذا في الصحاح.

إلى المسلمين، وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فإذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ المذكور في كتابه من الصلح وزوال (**الشحناء**) ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ عن البغي إلى أمر الله ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به في إصلاح ذات البين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين و(**القسط: الجور، والقسط: العدل**)، والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين مَن وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين، وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الإخوة لم ينقص عنها. ثم قد جرت العادة على أنه إذا نشب مثل ذلك بين الأخوين ولادًا لزم السائر أن (**يتناهضوا**) في رفعه (**وإزاحته**) بالصلح بينهما فالإخوة في الدين أحق بذلك، (﴿**إخوتكم**﴾ **يعقوب**) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي واتقوا الله، فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوًا،

من قبيل التوصيف بالمصدر كما في رجل عدل. **قوله**: (**الشحناء**) العداوة والبغضاء. **قوله**: (**القسط**) بالفتح (**الجور، والقسط**) بالكسر (**العدل**) كذا في القاموس وغيره.

قوله: (**يتناهضوا**) في الصحاح نهض ينهض نهضًا ونهوضًا أي قام وأنهضه أنا فانتهض وأستنهضه لأمر كذا إذا أمرته بالنهوض له وناهضته أي قاومته وتناهض القوم في الحرب إذا نهض كل فريق إلى صاحبه. اهـ. **قوله**: (**وإزاحته**) في المصباح زاح الشيء عن موضعه يزوح زوحًا من باب قال: ويزيح زيحًا من باب سار تنح وقد يستعمل متعديًا بنفسه فيقال: زحته والأكثر أن يتعدى بالهمزة فيقال: أزحته إزاحة. اهـ. **قوله**: («**إخوتكم**») بكسر الهمزة وسكون الخاء وتاء مثناة من فوق مكسورة بالإضافة (**يعقوب**) بن إسحٰق الحَضْرمي البصري وليس من السبعة. والباقون بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة بعد الواو وتثنية أخ وخصّ الاثنين بالذكر لأنهما أقل مَن يقع بينهما الشقاق.

(والآية تدلّ على أن البغي لا يُزيل اسم الإيمان لأنه سمّاهم مؤمنين مع وجود البغي).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ القوم: الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى: (﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾) [النساء: الآية ٣٤] وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر. واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك (زهير

قوله: (والآية تدلّ على أن البغي لا يُزيل اسم الإيمان لأنه سمّاهم مؤمنين مع وجود البغي) مراده الرد على المعتزلة والخوارج لأن صاحب الكبيرةِ ليس بمؤمن ولا كافر لكنه مخلد في النار وعذابه دون عذاب الكفار وكافر عند الخوارج.

قوله: (﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾) مسلّطون (﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾) يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن. اهـ جلالين.

قوله: (زُهَيْر) هذا هو بحير بن أبي سُلْمى بضم السين، قال في الصحاح وليس في العرب سُلْمى بالضم غيره واسمه ربيعة بن رياح بكسر الراء ثم تحتية مثنّاة ابن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان أحد الشعراء الثلاثة الفحول المقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني وكان عمر رضي الله تعالى عنه لا يقدم على زهير أحدًا. كذا في الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف. وأيضًا فيه وكان معاوية يقول: أشعر الشعراء في الجاهلية زهير وفي الإسلام ابن كعب. اهـ. وأيضًا فيه وعن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت مَن أشعر الشعراء؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟ قال: ما سألتك إلّا عن الإسلام فإن قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها، قال زهير أشعر أهلها

في قوله:

وما أدري ولست أَخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟)

وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين، ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن.

قلت: فالإسلام؟ قال الفرزدق. اهـ. **قوله:** (في قوله:

وما أدري ولست أَخالُ أدري أَقومٌ آل حِصْن أم نساء)

هذا من قصيدته التي أولها:

عَفا من آل فاطمة الجَواء[١] فيمن فالقوادم فالحساء

وبعد البيت المذكور أعني وما أدري... الخ.

فمن في كفه منهم خضاب كمن في كفه منهم قِناء[٢]

ومنها:

أرونا خطّة لا ضيم فيها يستوي بيننا فيها السواء

فإن ترك السواء فليس مني وبينكم بني مضر بقاء

فإن الحق مقطعة ثلاث يمين أو فناء أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن له شفاء

وقوله: (ولست أَخال أدري) أَخال اعتراض بين سوف وأدري وقد حذف مفعولا أَخال والتقدير وسوف أدري أَخال أي بطن علمي بحالهم حاصلًا يعني وما أدري في الحال أن آل حصن رجال أم نساء وفي الزمن الثاني أعلم ذلك. وقد تحقق عنده أنهم رجال ولكن سلك طريق التجاهل مبالغة في الذم وكسر همزة المتكلم فيه هو الأفصح وبنو أسد تقول: أخال بالفتح وهو القياس لأنه مضارع خال والمضارع من الثلاثي كقام مفتوح. **وقوله:** (أقومٌ...) الخ مفعول أدري الأولى وقوله: وسوف... الخ معترض بينهما ولا شك أنه يعلم أن آل حصن

---

(١) جمع جوّ ويقال أراد بالجوّ موضعًا بعينه. لسان العرب.

(٢) مثل جبال جمع قَناة والقناة الرمح.

وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين: أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، وأن يقصد إفادة الشياع وأن يصير كل جماعة منهم منهيّة عن السخرية. وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد إعلامًا بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعًا للشأن الذي كانوا عليه، وقوله: ﴿عسى أن يكونوا خيرًا منهم﴾. كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علّة النهي وإلا فقد كان حقّه أن يوصل بما قبله بالفاء، والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرًا من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر، والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي أن لا يجتريء أحد على الاستهزاء بمن **(تقتحمه)** عينه إذا رآه **(رثّ الحال)** أو **(ذا عاهة)** في بدنه أو غير **(لبيق)** في محادثته، فلعله أخلص ضميرًا وأتقى قلبًا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالىٰ، وعن ابن مسعود ﷺ: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلبًا.

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ ولا تطعنوا أهل دينكم. واللمز: الطعن والضرب باللسان ﴿ولا تلمُزوا﴾ **يعقوب وسهل**. **والمؤمنون كنفس واحدة)** فإذا عاب المؤمن

رجال لكن تجاهل وأظهر أنه التبس عليه أمرهم في الحال فلم يدر هل هم رجال أو نساء ففي تجاهله المنزل منزلة جهله إظهار بأنهم يلتبسون بالنساء في قلة غنائهم وضعف فائدتهم وفي ذلك إظهار لنهاية ذمّهم وأنهم في منزلة النساء.

قوله: **(تقتحمه)** تزدريه. **قوله**: **(رثّ الحال)** في المصباح رثّ الشيء يرث من باب قرب رثوثة ورثاثة خلق فهو رثّ وأرث بالألف مثله ورثت هيئة الشخص وأرثت ضعفت وهانت وجمع الرثّ رثاث مثل سهم وسهام.اهـ. **قوله**: **(ذا عاهة)** في المصباح العاهة الآفة وهي في تقدير فعلة بفتح العين والجمع عاهات. **قوله**: **(لبيق)** حاذق. **قوله**: **(﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ﴾)** بضم الميم **(يعقوب وسهل)** وليسا من السبعة وكسرها الباقون لغتان في المضارع. **قوله**: **(والمؤمنون كنفس واحدة)** بيان لجعل الملموز نفس اللامز فإن المؤمنين إذا كانوا كنفس واحدة وكانت الأفراد المنتشرة بمنزلة أعضاء تلك النفس يكون ما يصيب واحدًا منهم كأنه يصيب الجميع كما إذ اشتكى عضوٌ واحدٌ من شخص اعترى سائر الأعضاء الحمى والسهر فإذا عاب

المؤمن فكأنما عاب نفسه. وقيل: معناه لا تفعلوا ما تلمزوه به **(لأن مَن فعل ما استحقّ به اللمز فقد لمز نفسه)** حقيقة ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ التنابز بالألقاب التداع بها، **(والنبز لقب السوء)** والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرًا به وذمًّا له، فأما ما يحبه فلا بأس به. ورُوِيَ أن قومًا من بني تميم استهزءوا بـ **(بلال وخباب وعمار وصهيب)** فنزلت.

مؤمن مؤمنًا فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٢٩]. **قوله: (لأن من فعل ما استحقّ به اللمز فقد لمز نفسه)** باعتبار كونه سببًا للمز غيره إياه فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١١] من قبيل الإسناد المجازي لأن الإسناد بمعنى التعلّق مطلقًا. **قوله: (والنبز لقب السوء)** النبز بفتح الباء اللقب مطلقًا أي حسنًا كان أو قبيحًا وخصّ في العرف بالقبيح وبسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه ويقال: تنابزوا بالألقاب إذا لقب بعضهم والتلقيب أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به مما يكره المدعوّ أن يدعى به وهذا التخصيص عرفي. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بلال) في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * بلال) بن رباح يكنّى أبا عبد الكريم وقيل: أبا عبد الله وقيل: أبا عمرو وأمه حمامة من مولدي مكة لبني جمح وقيل: من مولدي السراة وهو مولى أبي بكر الصدّيق اشتراه بخمس أواقي وقيل: بسبع أواقي وقيل: بتسع أواقي وأعتقه لله عزّ وجلّ وكان مؤذنًا لرسول الله ﷺ وخازنًا شهد بدرًا والمشاهد كلها وكان من السابقين إلى الإسلام وممن يعذب في الله عزّ وجلّ فيصبر على العذاب وكان أبو جهل يبطحه على وجهه في الشمس ويضع الرحاء عليه حتى تَصْهره الشمس ويقول: اكفر برب محمد فيقول: أحد أحد فاجتاز به ورقة بن نوفل وهو يعذب ويقول: أحد أحد فقال: يا بلال أحد أحد والله لئن مت على هذا لاتخذن قبرك حَنَانًا[1] قيل: كان

---

(١) الحَنان الرحمة والعطف والحنان الرزق والبركة أراد لأجعَلنّ قبره موضعَ حِنَان أي مَظِنّة من رحمة الله فأتَمَسَّح به تبركًا كما يتمسّح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عابرًا عليكم وسُنّة عند الناس وكان ورقة على دين عيسى عليه السلام وهلك قبل مبعث النبيّ ﷺ لأنه قال للنبيّ ﷺ إن يُدركني يومك لأنصرنّك نصرًا مؤزرًا. قال ابن الأثير في هذا نظر فإن بلالًا ما عُذّب إلا بعد أن أسلم. كذا في لسان العرب.

....

مولى لبني جمح وكان أُمية بن خلف يعذّبه ويتابع عليه العذاب فقدّر الله سبحانه وتعالى أن بلالًا قتله ببدر قال سعيد بن المسيّب: وذكر بلالًا وكان شحيحًا على دينه وكان يعذب فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال الله الله قال: فلقي النبيّ ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندنا شيء لاشترينا بلالًا. قال: فلقي أبو بكر العباس بن عبد المطلب فقال: اشتر لي بلالًا فانطلق العباس فقال لسيدته: هل لك أن تبيعيني عبدك هذا قبل أن يفوتك خيره قالت: وما تصنع به إنه خبيث وإنه ثم لقيها فقال لها مثل مقالته فاشتراه منها وبعث به إلى أبي بكر رضي الله عنه وقيل: إن أبا بكر اشتراه وهو مدفون بالحجارة يعذب تحتها وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح وكان يؤذّن لرسول الله ﷺ في حياته سفرًا وحضرًا وهو أول مَن أذّن في الإسلام. أخبرنا يعيش بن صدقة بن علي الفراتي الفقيه الشافعي بإسناده إلى أحمد بن شعيب، قال: حدّثنا محمد بن معدان بن عيسى أخبرنا الحسن بن أعين حدّثنا زهير حدّثنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن بلال قال: آخر الأذان الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلّا الله فلما توفي رسول الله ﷺ أراد أن يخرج إلى الشام فقال له أبو بكر: بل تكون عندي فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني وإن كنت أعتقتني لله عزّ وجلّ فذرني أذهب إلى الله عزّ وجلّ فقال: اذهب فذهب إلى الشام فكان به حتى مات وقيل: إنه أذّن لأبي بكر رضي الله عنه بعد النبيّ ﷺ. أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي إجازة، أخبرنا عمي أخبرنا أبو طالب بن يوسف أخبرنا أبو محمد الجوهري أخبرنا محمد بن العباس أخبرنا أحمد بن معروف أخبرنا الحسين بن الفهم أخبرنا محمد بن سعد أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس أخبرنا عبد الرحمٰن بن سعد بن عمار بن سعد المؤذّن حدّثني عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد وعمار بن حفص بن سعد وعمر بن حفص بن عمر بن سعد عن آبائهم وأجدادهم أنهم أخبروهم قالوا: لما تُوفي رسول الله ﷺ جاء بلال إلى أبي بكر رضي لله تعالى عنهما فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أفضل أعمال المؤمنين الجهاد في سبيل الله وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت فقال أبو بكر: أنشدك الله يا بلال وحرمتي وحقي فقد كبرت واقترب أجلي فأقام بلال مع أبي بكر حتى تُوفي

....

أبو بكر، فلما تُوفي جاء بلال إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال له كما قال لأبي بكر فردّ عليه كما ردّ أبو بكر فأبى، وقيل: إنه لما قال له عمر لتقم عندي فأبى عليه فقال: ما يمنعك أن تؤذّن فقال: إني أذّنت لرسول الله ﷺ حتى قبض ثم أذّنت لأبي بكر حتى قبض لأنه كان ولي نعمتي وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا بلال ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله فخرج إلى الشأم مجاهدًا وإنه أذّن لعمر بن الخطاب لما دخل الشام مرة واحدة فلم نرَ باكيًا أكثر من ذلك اليوم روى عنه أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن عمر وكعب بن عجرة وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب، وروى عنه جماعة من كبار التابعين بالمدينة والشام وروى أبو الدرداء أن عمر بن الخطاب لما دخل من فتح بيت المقدس إلى الجابية سأله بلال أن يقرّه بالشأم ففعل ذلك. قال: وأخي أبو رويحة الذي آخى رسول الله ﷺ بيني وبينه قال: وأخوك فنزلا داريا في خولان فقال لهم: قد أتيناكم خاطبين وقد كنا كافرين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله وكنا فقيرين فأغنانا الله فإن تزوّجونا فالحمد لله وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلّا بالله فزوّجوهما ثم إن بلالًا رأى النبيّ ﷺ في منامه هو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك أن تزورنا فانتبه حزينًا فركب إلى المدينة فأتى قبر النبيّ ﷺ وجعل يبكي عنده ويتمرّغ فأقبل الحسن والحسين فجعل يقبلهما ويضمهما فقالا له: نشتهي أن تؤذّن في السحر فعلا سطح المسجد فلما قال: الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال: أشهد أن لا إلـٰه إلّا الله زادت رجتها فلما قال: أشهد أن محمدًا رسول الله خرج النساء من خدورهن فما رئي يوم أكثر باكيًا وباكية من ذلك اليوم أخبرنا أبو جعفر بن أحمد بن علي وإسماعيل بن عبيد الله بن علي وإبراهيم بن محمد بن مهران، قالوا بإسنادهم عن أبي عيسى الترمذي قال: حدّثنا الحسين بن حريث أخبرنا علي بن الحسين بن واقد حدّثني أبي أخبرنا عبيد الله بن بريدة عن أبيه. قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، وأخبرنا عمر بن محمد بن المعمر وغيره قالوا: أخبرنا هبة الله بن الواحد الكاتب أخبرنا أبو طالب محمد بن غيلان أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم أخبرنا أبو منصور بن سليمان محمد بن الفضل

....

البجلي أخبرنا ابن أبي عمر أخبرنا سفيان عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أن بلالًا قال للنبيّ ﷺ: لا تسبقني بآمين فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا يعني بلالًا. وقال مجاهد: أول مَن أظهر الإسلام بمكة سبعة رسول الله وأبو بكر وخباب وصهيب وعمار وبلال وسمية أم عمار، فأما بلال فهانت عليه نفسه في الله عزّ وجلّ وهان على قومه فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا في عنقه حبلًا من ليف فدفعوه إلى صبيانهم فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة فإذا ملّوا تركوه، وأما الباقون فسترد أخبارهم في أسمائهم. وروى شبابة عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن أبي بكر الصدّيق عن بلال قال: أذّنت في غداة باردة فخرج النبيّ ﷺ فلم يرَ في المسجد أحدًا فقال: أين الناس فقلت: حبسهم القر فقال: اللهم أذهب عنهم البرد قال: فلقد رأيتهم يتروّحون في الصلاة، ورواه الحماني وغيره عن أيوب ولم يذكروا أبا بكر، قال محمد بن سعد كاتب الواقدي تُوفي بلال بدمشق ودُفن بباب الصغير سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة وقيل: مات سنة سبع أو ثمان عشرة وقال عليّ بن عبد الرحمٰن: مات بلال بحلب ودُفن على باب الأربعين وكان آدم شديد الأدمة نحيفًا طوالًا أجنى خفيف العارضين، قال أبو عمرو: له أخ اسمه خالد وأخت اسمها عقرة وهي مولاة عمر بن عبد الله مولى عفرة المحدث ولم يعقب بلال أخرجه الثلاثة. اهـ.

قوله: (وخباب) بن الأرت بتشديد المثناة في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * خباب) بن الأرت اختلف في نسبه فقيل خزاعي وقيل تميمي وهو الأكثر وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم يكنّى أبا عبد الله وقيل: أبو محمد وقيل: أبو يحيىٰ وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة وقيل: هو حليف بني زهرة وقال ابن منده وأبو نعيم قيل: هو مولى عتبة بن غزوان وقيل: مولى أُم أنمار بنت سباع الخزاعية وهي من حلفاء بني زهرة فهو تميمي النسب خزاعي الولاء زهري الحلف لأن مولاته أم أنمار كانت من حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة والد عبد الرحمٰن بن عوف وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام وممن يعذب في الله

....

تعالى كان سادس ستة في الإسلام، قال مجاهد: أول مَن أظهر إسلامه رسول الله ﷺ وأبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه قومه وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حرّ الحديد والشمس، قال الشعبي أن خبابًا صبر ولم يعط الكفار ما سألوا فجعلوا يلصقون ظَهره بالرضف[1] حتى ذهب لحم متنه. أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الفقيه بإسناده إلى أحمد بن علي الموصلي قال: حدّثنا زهير بن حرب أخبرنا جرير عن إسماعيل عن قيس عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد ببرد له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا فجلس محمرًا وجهه فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يجاء بالميشار فيجعل فوق رأسه ما يصرفه عن دينه ويمشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلّا الله عزّ وجلّ والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون. وقال أبو صالح: كان خباب قينًا يطبع السيوف وكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتيه فأخبرت مولاته بذلك فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: اللهم انصر خبابًا فاشتكت مولاته أُم أنمار رأسها فكانت تعوي مثل الكلاب فقيل لها: اكتوي فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها وشهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قال الشعبي: سأل عمر بن الخطاب خبابًا رضي الله تعالى عنهما عما لقي من المشركين فقال: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري فنظر فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل، قال خباب: لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري ولما هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين تميم مولى خراش بن الصمّة وقيل: آخى بينه وبين جبير بن عتيك، روى عنه ابنه عبد الله ومسروق وقيس بن أبي حازم وشقيق وعبد الله بن سخبرة وأبو ميسرة عمرو بن شراحيل والشعبي وحارثة بن مضرب وغيرهم. أخبرنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد الفقيه وغير واحد قالوا بإسنادهم إلى

---

(١) الحجارة المحماة. منه رحمه الله تعالى.

....

محمد بن عيسى السلمي حدّثنا محمد بن بشار، أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي قال: سمعت النعمان بن راشد عن الزهري عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه قال: صلّى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها فقالوا: يا رسول الله صلّيت صلاة لم تكن تصليها قال: أجل إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله عزّ وجلّ فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلّط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها. أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء، أخبرنا أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن أحمد بن الأخشيد، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحيم، أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الكناني، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا أبو خيثمة زهير بن حرب، أخبرنا جرير عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبي خالد شيخ من أصحاب عبد الله قال: بينما نحن في المسجد إذ جاء خباب بن الأرت فجلس فسكت فقال له القوم: إن أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدثهم أو لتأمرهم، قال: بمَ آمرهم ولعلي آمرهم بما لست فاعلًا. وروى قيس بن مسلم عن طارق قال: عاد خبابًا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: أبشر أبا عبد الله ترد على إخوانك الحوض فقال: إنكم ذكرتم لي إخوانًا مضوا ولم ينالوا من أجورهم شيئًا وإنا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما نخاف أن يكون ثوابًا لتلك الأعمال ومرض الخباب مرضًا شديدًا طويلًا.

أخبرنا يحيىٰ بن محمود بن سعد بإسناده إلى مسلم بن الحجاج، أخبرنا أبو بكر بن شيبة، أخبرنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على خباب وقد اكتوى سبع كيّات فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به ونزل الكوفة ومات بها وهو أول مَن دُفن بظهر الكوفة من الصحابة وكان موته سنة سبع وثلاثين قال زيد بن وهب: سرنا مع عليّ حين رجع من صفين حتى إذا كان عند باب الكوفة إذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا، فقال: ما هذه القبور فقالوا: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الأرت تُوفي بعد مخرجك إلى صفين فأوصى أن يُدفن في ظاهر الكوفة وكان الناس إنما يدفنون موتاهم في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم فلما رأوا خبابًا أوصى أن يُدفن بالظهر دفن

....

الناس فقال عليّ رضي الله تعالى عنه: رحم الله تعالى خبابًا أسلم راغبًا وهاجر طائعًا وعاش مجاهدًا وابتلي في جسمه ولن يضيع الله أجر مَن أحسن عملًا ثم دنا من قبورهم فقال: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف وأرضى الله عزّ وجلّ، قال أبو عمر: مات خباب سنة سبع وثلاثين بعدما شهد صفّين مع عليّ رضي الله عنه والنهروان وصلى عليه عليّ وكان عمره إذ مات ثلاثًا وسبعين سنة قال: وقيل مات سنة تسع عشرة وصلّى عليه عمر رضي الله عنه. أخرجه الثلاثة قلت الصحيح أنه مات سنة سبع وثلاثين وأنه لم يشهد صفّين فإنه كان مرضه قد طال به فمنعه من شهودها، وأما الخباب الذي مات سنة تسع عشرة هو مولى عتبة بن غزوان ذكره أبو عمر أيضًا، وقد ذكر ابن مندة وأبو نعيم أن خباب بن الأرث مولى عتبة بن غزوان وليس كذلك إنما خباب مولى عتبة بن غزوان آخر يرد ذكره وهما قد ذكرا في تسمية من شهد بدرًا خباب بن الأرت من حلفاء بني زهرة ثم ذكرا في ترجمة خباب مولى عتبة من شهد بدرًا من بني نوفل بن عبد مناف من حلفائهم عتبة بن غزوان وخباب مولى عتبة، ثم قال أبو نعيم عن مولى عتبة أنه لم يعقب ولا تعرف له رواية فكفى بهذا دليلًا على أنهما اثنان لأن ابن الأرت قد أعقب عدّة أولاد منهم عبد الله وقتلته الخوارج أيام عليّ رضي الله عنه وله رواية عن النبيّ ﷺ ثم إن بني زهرة غير بني نوفل، وقد ذكر ابن إسحٰق وغيره من أصحاب السير مَن شهد بدرًا من بني زهرة من حلفائهم خباب بن الأرت وذكروا أيضًا من حلفاء بني نوفل خبابًا مولى عتبة بن غزوان فظهر أن مولى عتبة غير خباب بن الأرت، وقال بعض العلماء أن خباب بن الأرت لم يكن قينًا وإنما القين خباب مولى عتبة بن غزوان والله أعلم. اهـ بحروفها.

قوله: (وعمار) في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * عمار *) بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب المذحجي ثم العنسي أبو اليقظان وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام

....

وهو حليف بني مخزوم وأمه سمية وهي أول مَن استشهد في سبيل الله عزّ وجلّ وهو وأبوه وأمه من السابقين وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين وهو ممن عذب في الله. وقال الواقدي وغيره من أهل العلم بالنسب والخبر أن ياسرًا والد عمار عرني قحطاني مذحجي من عنس إلّا أن ابنه عمارًا مولى لبني مخزوم لأن أباه ياسرًا تزوج أمه لبعض بني مخزوم فولدت له عمارًا وكان سبب قدوم ياسر مكة أنه قدم هو وأخوان له يقال لهما الحارث ومالك في طلب أخ لهما رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وتزوج أمة له يقال لها سمية فولدت له عمارًا فأعتقه أبو حذيفة فمن هٰهنا صار عمار مولى لبني مخزوم وأبوه عرني كما ذكرنا، وأسلم عمار ورسول الله ﷺ في دار الأرقم هو وصهيب بن سنان في وقت واحد قال عمار: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها فقلت ما تريد فقال: وما تريد أنت فقلت: أردت أن أدخل على محمد وأسمع كلامه فقال: وأنا أريد ذلك فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا. وروى يحيىٰ بن معين عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن بيان عن وبرة عن همام قال: سمعت عمارًا يقول رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلّا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وقال مجاهد: أول مَن أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وأمه سمية، واختلف في هجرته إلى الحبشة وعذّب في الله عذابًا شديدًا. أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة التكريتي بإسناده إلى أبي الحسن علي بن أحمد بن متويه في قوله عزّ وجلّ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦] نزلت في عمار بن ياسر أخذه المشركون فعذّبوه فلم يتركوه حتى سبّ النبيّ ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك قال: شرّ يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئنًا بالإيمان قال: فإن عادوا لك فعد لهم، أخبرنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحٰق قال: حدّثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذّبها هذا الحي من بني المغيرة بن

....

عبد الله بن عمر بن مخزوم على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها وكان رسول الله ﷺ مرّ بعمار وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول: صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة، قال: وحدّثنا يونس عن عبد الله بن عون بن محمد بن سيرين قال: مرّ رسول الله ﷺ بعمار بن ياسر وهو يبكي يدلّك عينيه فقال رسول الله ﷺ: ما لك أخذك الكفار فغطّوك في الماء فقلت: كذا وكذا فإن عادوا لك فقل كما قلت قال: وحدّثنا يونس عن ابن إسحٰق قال: حدّثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم فقال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالسًا من شدة الضر الذي به حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا له: اللات والعزى إلـٰهك من دون الله فيقول: نعم وحتى أن الجعل يمر بهم فيقولون له: هذا الجعل إلـٰهك من دون الله فيقول نعم اقتداء لما يبلغون من جهده وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله ﷺ، أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده عن يونس بن بكير عن ابن إسحٰق في تسمية مَن شهد بدرًا من بني مخزوم قال: وعمار بن ياسر وكلهم قالوا: إنه شهد بدرًا وأُحدًا وغيرهما، أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقي بها أنبأنا أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس أنبأنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أنبأنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الإطرابلسي، حدّثنا إبراهيم بن أبي سفيان القيسراني، حدّثنا محمد بن يوسف الغرياني، حدّثنا الثوري عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد، أنبأنا أبو ياسر بن أبي حبه بإسناده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي حدّثنا يزيد بن هارون حدّثنا العوام يعني ابن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني إلى النبيّ ﷺ فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبيّ ﷺ قال: فجعل يغلظ له ولا يزيده

....

إلا غلظة والنبيّ ﷺ ساكت لا يتكلم فبكى عمار وقال: يا رسول الله ألا تراه فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال: مَن عادى عمارًا عاداه الله ومَن أبغض عمارًا أبغضه الله قال خالد: فخرجت فما كان شيء أحبّ إليّ من رضى عمار فلقيته فرضي وأنبأنا عبد الله بن أحمد حدّثني أبي حدّثنا وكيع حدّثنا سفيان عن أبي إسحٰق عن هانيء بن هانيء عن عليّ قال: جاء عمار يستأذن على النبيّ ﷺ فقال: ائذنوا له مرحبًا بالطيب المطيب، أنبأنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم عن أبي عيسى الترمذي قال: حدّثنا القاسم بن دينار الكوفي حدّثنا عبيد الله بن موسى عن عبد العزيز بن سباه عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن يسار عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما قال: وحدّثنا الترمذي حدّثنا أبو مصعب المديني حدّثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ أبشر عمار تقتلك الفئة الباغية وقد رُوِيَ نحو هذا عن أُم سلمة وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة. وروى شعبة أن رجلًا قال لعمار: أيها العبد الأجدع قال سب خير أذني قال شعبة: وكانت أصيبت مع رسول الله ﷺ وهذا أوهم من شعبة والصواب أنها أصيبت يوم اليمامة. ومن مناقبه أنه أوّل مَن بنى مسجدًا في الإسلام. أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده إلى يونس بن بكير عن عبد الرحمٰن بن عبد الله عن الحكم بن عيينة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها ضحى فقال عمار: ما لرسول الله ﷺ بدٌّ من أن نجعل له مكانًا إذا استظلّ من قائلته يستظل فيه ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بني وعمار بناه. أنبأنا إسماعيل بن علي وغيره بإسنادهم عن محمد بن عيسى أنبأنا عمرو بن عليّ حدّثنا يزيد بن زريع حدّثنا سعيد عن قتادة عن عروة عن سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبزى عن أبيه عن عمار بن ياسر أن النبيّ ﷺ أمره بالتيمم للوجه والكفين وشهد عمار قتال مسيلمة فروى نافع عن ابن عمر قال: رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة قد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرّون إليّ إليّ أنا عمار بن ياسر هلموا إليّ قال: وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال ومناقب عمار المروية كثيرة اقتصرنا منها على هذا القدر واستعمله عمر بن

....

الخطاب على الكوفة وكتب إلى أهلها، أما بعد فإني قد بعثت إليكم عمار أميرًا وعبد الله بن مسعود وزيرًا ومعلمًا وهما من نجباء أصحاب محمد فاقتدوا بهما ولما عزله عمر قال له: أساءك العزل قال: والله لقد ساءتني الولاية وساءني العزل ثم إنه بعد ذلك صحب عليًا رضي الله عنهما وشهد معه الجمل وصفين فأبلى فيهما، قال أبو عبد الرحمٰن السلمي: شهدنا صفين مع علي فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلّا رأيت أصحاب النبيّ ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم قال: وسمعته يومئذٍ يقول لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص: يا هاشم تفر من الجنة الجنة تحت البارقة اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعاب هجر لعلمت أنا على حق وأنهم على الباطل، وقال أبو البختري قال عمار بن ياسر يوم صفين: ائتوني بشربة فأتي بشربة لبن فقال: إن رسول الله ﷺ قال آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن وشربها ثم قاتل حتى قتل وكان عمره يومئذٍ أربعًا وتسعين سنة وقيل: ثلاث وتسعون وقيل: إحدى تسعون وروى عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسلّ سيفًا وشهد صفين ولم يقاتل وقال: لا أقاتل حتى يقتل عمار فأنظر مَن يقتله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» فلما قتل عمار قال خزيمة: ظهرت لي الضلالة ثم تقدم فقاتل حتى قتل ولما قتل عمار قال: ادفنوني في ثيابي فإني مخاصم وقد اختلف في قاتله فقيل: قتله أبو الغادية المزني وقيل: الجهني طعنه فسقط فلما وقع أكبّ عليه آخر فاحتزّ[1] رأسه فأقبلا يختصمان كل منهما يقول: أنا قتلته فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وقيل: حمل عليه عقبة بن عامر الجهني وعمرو بن الحارث الخولاني وشريك بن سلمة المرادي فقتلوه وكان قتله في ربيع الأول والآخر من سنة سبع وثلاثين ودفنه علي في ثيابه ولم يغسله، وروى أهل الكوفة أنه صلّى عليه وهو مذهبهم في الشهيد أنه يصلى عليه ولا يغسل وكان عمار آدم طويلًا مضطربًا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين وكان لا يغيّر شيبه وقيل: كان أصلع في مقدم رأسه شعرات

(١) الحز القطع كالاحتزاز. اهـ. قاموس.

....

وله أحاديث روى عنه عليّ بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وجابر وأبو أمامة وأبو الطفيل وغيرهم من الصحابة، وروى عنه من التابعين ابنه محمد بن عمار وابن المسيّب وأبو بكر بن عبد الرحمٰن ومحمد بن الحنفية وأبو وائل وعلقمة وزر بن حبيش وغيرهم أخرجه الثلاثة. اهـ بحروفها.

قوله: (**وصهيب**) في أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع * صهيب) بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناه النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربعي النمري، كذا نسبه الكلبي وأبو نعيم وقال الواقدي: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن كعب بن سعد، وقال ابن إسحٰق: صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد فجعل طفيلًا بدل عقيل وجعل خزيمة بدل جذيمة وهو من النمر بن قاسط وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم كنيته أبو يحيىٰ كنّاه بها رسول الله ﷺ وإنما قيل له: الرومي لأن الروم سبوه صغيرًا وكان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأبلة وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل وقيل: كانوا على الفرات من أرض الجزيرة فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيبًا وهو صغير فنشأ في الروم فصار ألكن فابتاعته منهم كلب ثم قدموا به مكة فاشتراه عبد الله بن جُدعان التيمي منهم فأعتقه فأقام معه إلى أن هلك عبد الله بن جُدْعان وقال أهل صهيب وولده ومصعب الزبيري أنه هرب من الروم لما كبر وعقل فقدم مكة فحالف ابن جدعان وأقام معه إلى أن هلك ولما بعث رسول الله ﷺ أسلم وكان من السابقين إلى الإسلام. قال الواقدي: أسلم صهيب وعمار في يوم واحد وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلًا وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا. أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد بإسناده إلى أبي زكرياء يزيد بن أياس قال: وكان اشتراه عبد الله بن جدعان يعني صهيبًا من كلب بمكة وكانت كلب اشترته من الروم فأعتقه وأسلم صهيب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلًا وكان من المستضعفين بمكة المعذبين في الله عزّ وجلّ وقدم

....

في آخر الناس في الهجرة إلى المدينة علي بن أبي طالب وصهيب وذلك في النصف الأول من ربيع الأول ورسول الله ﷺ بقباء لم يرم بعد وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الحارث بن الصمة ولما هاجر صهيب إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فنثل وقال لهم: يا معشر قريش تعلمون أني من أرماكم ووالله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل ما معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه قالوا: فدلّنا على مالك ونخلي عنك فتعاهدوا على ذلك فدلّهم عليه ولحق برسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ربح البيع أبا يحيىٰ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧] وشهد صهيب بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأخبرنا أبو منصور بن مكارم بإسناده عن أبي زكرياء أخبرنا إسحٰق بن الحسن الحربي، حدّثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، حدّثنا عمارة بن ذادان عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: السباق أربعة أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبش قال: وأخبرنا أبو زكرياء أخبرنا أحمد بن عبد الصمد حدّثنا علي بن الحسين حدّثنا عفيف حدّثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: أول مَن أظهر إسلامه سبعة النبيّ ﷺ وأبو بكر وبلال وصهيب وخباب وعمار بن ياسر وسميّة أم عمار رضي الله عنهم أجمعين، فأمّا النبيّ ﷺ فمنعه الله وأما أبو بكر فمنعه قومه وأما الآخرون فأخذوا وألبسوا أدراع الحديد ثم أصهروا في الشمس، أخبرنا أبو جعفر بن المبارك بن أحمد بن زريق الواسطي إمام الجامع بها أخبرنا أبو السعادات المبارك بن الحسين بن عبد الوهاب أخبركم أبو الفتح منصور بن الحسن بن أبي القاسم الشاشي فاعترف به قلت له: أخبركم أبو بكر بن منصور بن خلف المقري أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن علي الحنبلي أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن إبراهيم بن بالوية حدّثنا عمران بن موسى حدّثنا هدبة بن خالد حدّثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله عزّ وجلّ موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم

....

يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى فما شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة.

وروى عنه ابن عمر أنه قال: مررت برسول الله ﷺ وهو يصلي فسلّمت عليه فردّ عليّ إشارة بأصبعه أخبرنا أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى حدّثنا محمد بن إسماعيل الواسطي حدّثنا أبو فروة يزيد بن سنان عن أبي المبارك عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ ما آمن بالقرآن مَن استحلّ محارمه وكان فيه مع فضله وعلوّ درجته مداعبة وحسن خلق رُوِيَ عنه أنه قال: جئت النبيّ ﷺ وهو نازل بقباء وبين أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد فأكلت فقال النبيّ ﷺ أتأكل التمر وأنت أرمد فقلت: إنما آكل على شق عيني الصحيحة فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وكان في لسانه عجمة شديدة.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صهيب حائطًا له بالعالية فلما رآه صهيب قال: يناس يناس فقال عمر: ما له لا أبا له يدعو بالناس فقلت: إنما يدعو غلامًا له اسمه يحنس وإنما قال ذلك لعقدة في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال لولاهن ما قدّمت عليك أحدًا أراك تنتسب عربيًا ولسانك أعجميّ وتكتني بأبي يحيىٰ اسم نبي وتبذر مالك فقال: أما تبذيري مالي فما أنفقه إلّا في حقه وأما اكتنائي بأبي يحيىٰ فإن رسول الله ﷺ كنّاني بأبي يحيىٰ فلن أتركها، وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيرًا فأخذت لسانهم وأنا رجل من النمر بن قاسط ولو انفلقت عني روثة لانتميت إليها وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محبًا لصهيب حسن الظن فيه حتى أنه لما ضرب أوصى أن يصلي عليه صهيب وأن يصلي بجماعة المسلمين ثلاثًا حتى تتفق أهل الشورى على مَن يستخلف، وتُوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال وقيل سنة تسع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وقيل: ابن سبعين سنة ودُفن بالمدينة وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير وهو إلى القصر أقرب كثير شعر الرأس. أخرجه الثلاثة. اهـ بحروفها.

وعن (**عائشة**) ﷺ أنها كانت تسخر من (**زينب بنت خزيمة**) وكانت قصيرة، وعن أنس ﷺ: عيّرت نساء النبيّ ﷺ (**أُم سلمة**) بالقصر. ورُوِيَ أنها نزلت في (**ثابت بن قيس**) وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ﷺ ليسمع، فأتى يومًا وهو يقول تفسحوا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال لرجل: تنح فلم يفعل. فقال: مَن هذا؟ فقال الرجل: أنا فلان. فقال: بل أنت ابن فلانة يريد أمًّا كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت: لا أفخر على أحد في (**الحَسَب**) بعدها أبدًا. ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ الاسم هٰهنا بمعنى الذكر من قولهم: «طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم» وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن يذكروا بالفسق. وقوله: ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ استقباح للجمع بين الإيمان

قوله: (**عائشة**) أم المؤمنين بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنهما وأمها أم رُومان وهي من أكثر الصحابة رواية رُوِيَ لها عن رسول الله ﷺ ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث. اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثًا. وأفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين روى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين وفضائلها ومناقبها مشهورة معروفة. **قوله**: (**زينب بنت خزيمة**) بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبيّ ﷺ يقال لها: أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين وصدقتها عليهم وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أُحد فتزوجها رسول الله ﷺ وتزوجها رسول الله ﷺ بعد حفصة قال أبو عمرو: لم تلبث عند رسول الله ﷺ إلّا يسيرًا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته لا خلاف فيه. **قوله**: (**أم سلمة**) بنت أبي أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية زوج النبيّ ﷺ واسمها هند وكان أبوها يعرف بزاد الراكب وكانت قبل النبيّ ﷺ عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي فولدت له سلمة وعمر ودرّة وزينب وتُوفي فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده وكانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة. **قوله**: (**ثابت بن قيس**) بن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة أنصاري خزرجي خطيب الأنصار من كبار الصحابة بشّره النبيّ ﷺ بالجنة واستشهد باليمامة. **قوله**: (**الحَسَب**) بفتحتين.

وبين الفسق الذي يحظره الإيمان وبين الفسق الذي يحظره الإيمان كما تقول: «بئس الشأن (**بعد الكبرة الصبوة**)». وقيل: كان في شتائمهم لمَن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه، وقيل لهم: بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عما نهى عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وحد وجمع للفظ من ومعناه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يقال: جنبه الشر إذا أبعده عنه. وحقيقته جعله في جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٥] ومطاوعه اجتنب الشر (**فنقص مفعولاً**) والمأمور باجتنابه بعض الظنّ وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قال (**الزَّجَاج**): هو ظنّك بأهل الخير سوأ، فأما أهل الفسق فلنا أن نظنّ فيهم مثل الذي ظهر منهم. أو معناه اجتنابًا كثيرًا أو احترزوا من الكثير ليقع التحرّز عن البعض، والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم. يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه (**تفعل من الجسّ**). وعن

قوله: (**بعد الكبرة**) في لسان العرب وقد عَلَته كبرَةٌ ومَكْبَرَةٌ ومَكبَرَّةٌ ومَكبَرٌ وعلاه الكِبَرُ إذا أسَنَّ. اهـ. **قوله**: (**الصَبْوَةُ**) أي الميل إلى الهوى.

قوله: (**فنقص مفعولاً**) عبارة الكشّاف فتنقص المطاوعة مفعولاً. اهـ. **قوله**: (**الزجاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل النحوي كان من أهل العلم والأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه. **قوله**: (**تفعل من الجس**) باعتبار ما فيه من معنى الطلب فإن جس الخبر طلبه والتفحص عنه فإذا نقل إلى باب التفعل يحدث فيه معنى التكلّف منضمًا إلى ما فيه من معنى الطلب يقال: جسست الأخبار أي تفحصت عنها وإذا

(مجاهد): خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله. وقال **(سهل)**: لا تبحثوا عن طلب **(معايب)** ما ستره الله على عباده ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ الغيبة الذكر بالعيب **(في ظهر الغيب)** وهي من الاغتياب **(كالغيلة من الاغتيال)**، وفي الحديث «هو أن تذكر أخاك بما يكره» فإن كان فيه فهو غيبة وإلا فهو بهتان. وعن ابن عباس: الغيبة **(إدام)** كلاب الناس.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (﴿ميّتا﴾ مدنيّ. وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب) على أفحش وجه، وفي مبالغات منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة

قيل: تجسسها يريد معنى التكلّف فإن تفعل من الجس وهو المس باليد ليعرف حال الشيء كالتلمس في أنه يحدث فيه معنى التكلّف والطلب مرة بعد أخرى. **قوله**: **(مجاهد)** بن جَبْر بفتح الجيم وسكون الموحّدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكيّ ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: **(سهل)** هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب الكرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج تُوفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين. **قوله**: **(معايب)** أي عيوب كذا في لسان العرب. **قوله**: **(في ظهر الغيب)** في لسان العرب الظهر ما غاب عنك يقال: تكلّمت بذلك عن ظهر غيب والظهر فيما غاب عنك. اهـ. في المصباح أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى المراد نفس الغنى ولكن أضيف للإيضاح والبيان كما قيل: ظهر الغيب وظهر القلب والمراد نفس الغيب ونفس القلب. اهـ. **قوله**: **(كالغيلة من الاغتيال)** في المصباح غاله غولًا من باب قال أهلكه واغتاله قتله على غرّة والاسم الغيلة بالكسر. **قوله**: **(إدام)** في لسان العرب الإدَام بالكسر ما يؤكل بالخُبْز أي شيء كان. اهـ.

قوله: (﴿ميّتا﴾) بتشديد الياء **(مدنيّ)** أي قرأه نافع وكذا أبو جعفر وليس من السبعة والباقون بالسكون. **قوله**: **(وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب. . .)** الخ المغتاب الأول اسم فاعل والثاني اسم مفعول والتقدير مختلف كلفظ المختار فاعلًا ومفعولًا شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول

موصولًا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخًا، ومنها أن لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعل ميتًا.

(وعن قتادة): كما تكره إن وجدت جيفة **(مدودة)** أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حيّ، وانتصب ﴿ميتًا﴾ على الحال من اللحم أو من أخيه، ولما قررهم بأن أحدًا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ التوّاب: البليغ في قبول التوبة، والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبّل الله توبتكم وأنهم عليكم بثواب المتقين التائبين. ورُوِيَ **(أن سلمان)** كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوّي لهما طعامهما فنام عن شأنه يومًا فبعثاه إلى

عرض المغتاب بأكل لحم الأخ ميتًا وعبّر بالهيئة المشبّه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك أن الهيئة المشبّه بها أفحش جنس التناول وأقبحه فيكون التمثيل لتصوير الاغتياب بأقبح الصور مع مبالغات في تقبيحه إحداها الاستفهام المقرر أي الحامل للمخاطبين على أن يقرّوا بأن أحدًا منا لا يحب ذلك الأكل الذي هو عبارة عن تناول عرض المغتاب فإن الاستفهام التقريري إنما يحسن إذا كان الحكم مسلمًا عند كل أحد فيكون مبالغة في تقبيح الأكل، وكذا تعدية فعل المحبة إلى ما هو في غاية الكراهة وكذا إسناد الفعل إلى أحد المتناول لكل أحد يحملهم على أن يقرّوا بأن أحدًا من الآحاد لا يجب أكله ففيه أيضًا مبالغة في تقبيح تناول العرض، وكذا ما ذكر بعده. وقوله: (عرض المغتاب) في المصباح العرض بالكسر النفس والحسب. اهـ.

قوله: **(وعن قتادة)** بن دعامة كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا. **قوله**: **(مدودة)** في المصباح داد الطعام يدود وداد ويداد من بابي قال وخاف دادًا وديدًا وأدادًا دادة ودوّد تدديدًا أوقع فيه الدود واسم الفاعل من كل بناء على قياس بابه. اهـ. **قوله**: **(أن سلمان)** الفارسي أبا عبد الله ويقال له سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل: من رامهرمز، أول مشاهده الخندق مات سنة أربع وثلاثين يقال إنه بلغ ثلاثمائة سنة.

رسول الله ﷺ يبغي لهما إدامًا وكان (أُسامة) على طعام رسول الله ﷺ فقال: ما عندي شيء فأخبرهما سلمان (**فقالا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها**). فلمّا جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: (**ما لي أرى خضرة اللحم**) في أفواهكما! فقالا:

قوله: (**أُسامة**) بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الأمير أبو محمد وأبو زيد صحابي مشهور مات سنة أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة. اهـ تقريب. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة أمه أم أيمن حاضنة النبيّ ﷺ فهو وأيمن أخوان لأم يكنى أسامة أبا محمد، وقيل: أبو زيد وقيل: أبو يزيد وقيل: أبو خارجة وهو مولى رسول الله ﷺ من أبويه وكان يُسمى حب رسول الله ﷺ واستعمله النبيّ ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة. اهـ باختصار. **قوله**: (**فقالا: لو بعثناه إلى بئر سُمَيْحَة**) في الكشف أنه روي بالجيم وهو مصغر اسم بئر من آبار مكة وليس بشيء إذ الصحيح كما في القاموس أنه بالحاء المهملة بوزن جهينة بئر بالمدينة لأن سلمان رضي الله عنه إنما أسلم بالمدينة ولم يكن مع النبيّ ﷺ بمكة. **وقوله**: (**لو بعثناه...**) الخ هو كما يقال لو ذهب فلان إلى البحر لم يجد فيه ماء وهو عبارة عن أمر لا خير فيه أو أنه مشؤوم ولذا عاتبهما النبيّ ﷺ وجعله غيبة لغار ماؤها في المصباح غار الماء غورًا ذهب في الأرض فهو غائر. اهـ. وعبارة معالم التنزيل قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضمّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما إلى المنزل فينهي عما يصلحهما من الطعام والشراب فضمّ سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيء لهما شيئًا فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئًا قال: لا غلبتني عيناي فنمت قالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعامًا فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعامًا فقال رسول الله ﷺ: انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام أو إدام فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما وأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى الطائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئًا فلما رجع قالا: لو بعثناه إلى بئر سُمَيْحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فلما جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا:

ما تناولنا لحمًا، قال: إنكما قد اغتبتما ومَن اغتاب مسلمًا فقد أكل لحمه. ثم قرأ الآية، وقيل: غيبة الخلق إنما تكون من الغيبة عن الحق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ من آدم وحواء أو كل واحد منكم من أب وأُم فما منكم من أحد إلا وهو **(يدلي)** بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ الشعب **(الطبقة الأولى من الطبقات الست)** التي عليها العرب وهي: **(الشعب)** والقبيلة **(والعمارة)** والبطن **(والفخذ)** والفصيلة. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل، خزيمة شعب،

لا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحمًا قال: ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ وأراد أن يظن بأهل الخير سوء.اهـ. قوله: (ما لي أرى خضرة اللحم) أراد بخضرة اللحم اللحم الأخضر وكنّى بكونه أخضر عن أنه لحم ميت لأن لحم الجيف يرى كأنه أخضر فهو زيادة تهجين له وهذا من معجزاته ﷺ الباهرة حيث شاهده محسوسًا وكونه أراد بالخضرة النضارة لا وجه له والاستفهام للتعجب كقوله: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ [النّمل: الآية ٢٠] الآية. **قوله: (الطبقة الأولى من الطبقات الست...)** الخ وزاد بعضهم سابعة. وعبارة الخطيب وطبقات النسب سبع الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة بوزن قبيلة والعشيرة وكل واحد تدخل فيما قبلها، فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والأفخاذ تحت البطون والفصائل تحت الأفخاذ والعشائر تحت الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصيّ بطن وعبد مناف فخذ وبنو هاشم فصيلة والعباس عشيرة وليس بعد العشيرة حيّ ووصف.اهـ. **قوله: (يدلي)** في المصباح أدلى إلى الميت بالبنوّة ونحوها وصل بها من إدلاء الدلو وأدلى بحجته أثبتها فوصل بها إلى دعواه.اهـ. **قوله: (الشعب)** بفتح الشين. **قوله: (والعمارة)** بفتح العين وقد تكسر. **قوله: (والفخذ)** بالكسر وبالسكون للتخفيف.

وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب **(لأن القبائل)** تشعبت منها ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي إنما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض **(فلا يعتزي)** إلى غير آبائه، **(لا أن تتفاخروا)** بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل في الأنساب. ثم بين الخصلة التي يفضل بها الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ في الحديث: «مَن سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله». وعن ابن عباس ﷺ: كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى. ورُوِيَ أنه ﷺ طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي أذهب عنكم **(عُبِّيَة الجاهلية)** وتكبرها. يا أيها الناس **(إنما الناس رجلان: مؤمن تقيّ كريم على الله وفاجر)** و**(شقي هيّن على الله)**. ثم قرأ الآية. **(وعن يزيد بن شجرة)** مرّ رسول الله ﷺ في سوق المدينة فرأى غلامًا أسود يقول: مَن اشتراني فعلى شرط أن لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ. فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله ﷺ

قوله: **(لأن القبائل)** جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر. **قوله**: **(فلا يعتزي)** في المصباح عزوته إلى أبيه أعزوه نسبته إليه وعَزيته لغة واعتزى هو انتسب وانتمى وتعزى كذلك. اهـ. **قوله**: **(لا أن تتفاخروا...)** الخ الحصر مأخوذ من التخصيص بالذكر والسكوت في معرض البيان. **قوله**: **(عُبِّيَة الجاهلية)** أي الكبر والفخر وتضم عينها وتكسر. **قوله**: **(إنما الناس)** وكذا الجن لم يذكره لكونه معلومًا من بيان أحوال الناس **(رجلان)** والمراد برجلان صنفان فيتناول النساء أيضًا **(مؤمن تقي)** ويدخل في مؤمن تقي المؤمن العاصي لأنه متق بالمرتبة الأولى لكن الملائم للسوق كون المراد المرتبة الوسطى من التقوى فحال العصاة مسكوت عنه **(كريم على الله)** في حاشية العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب معنى كريم على الله أن له مرتبة وشرفًا في الآخرة والدنيا وضده عين على الله. اهـ. **(وفاجر)** أي كافر بقرينه المقابلة **(شقي هيّن على الله)** أي حقير في حكم الله تعالى ولو كان شريفًا شهيرًا في الدنيا وعدى بعلى لأن الهين بمعنى اليسير في الأصل والمراد لازمه وهو الحقارة. **قوله**: **(وعن يزيد بن شجرة)** الرهاوي ورها قبيلة من مذحج وهو رها بن يزيد بن منبه بن حرب بن مالك بن آذر شاميّ روى عنه مجاهد بن جبر قال: قام يزيد بن شجرة في أصحابه فقال: قد أصبحت

ثم تُوفي فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيئًا فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ كرم القلوب وتقواها ﴿خَبِيرٌ﴾ بهمّ النفوس في هواها.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ أي بعض الأعراب لأن من الأعراب مَن يؤمن بالله واليوم الآخر وهم أعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة **(جدبة)** فأظهروا الشهادة **(يريدون الصدقة)** ويمنّون عليه ﴿ءَامَنَّا﴾ أي ظاهرًا وباطنًا ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ لم تصدقوا بقلوبكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فالإيمان هو التصديق، والإسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربًا للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فاعلم أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير **(مواطأة القلب)** فهو إسلام، وما واطأ فيه القلب اللسان فهو إيمان، وهذا من حيث اللغة. وأما في الشرع فالإيمان والإسلام واحد لما عرف، **(وفي ﴿لما﴾ معنى التوقع)** وهو دالّ على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد. والآية تنقض على

وأمسيت بين أخضر وأحمر وأصفر وفي البيوت ما فيها فإذا لقيتم العدوّ غدًا فقدما قدمًا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما تقدم الرجل خطوة إلا أطلع الله عزّ وجلّ عليه الحور العين فإن تأخر خطوة أستر عنه فإن استشهد كان أول نضحة من دمه كفارة خطاياه ونزل إليه اثنتان من الحور العين فتنفضان عنه التراب وتقولان مرحبًا بك فقد آن لك ويقول مرحبًا فقد آن لكما. وكان معاوية يستعمل يزيد على الجيوش في الغزاة. وقتل يزيد في غزوة غزاها سنة خمس وخمسين شهيدًا وقيل: سنة ثمان وخمسين. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: **(جدبة)** بكسر الدال المهملة أي فيها قحط. **قوله**: **(يريدون الصدقة. . .)** الخ أي يريدون يذكرهم ذلك للنبيّ ﷺ أن يعطيهم من الصدقات ويمنون على النبيّ ﷺ بما ذكر. **قوله**: **(مواطأة القلب)** في المصباح المواطأة الموافقة. اهـ. **قوله**: **(وفي ﴿لما﴾ معنى التوقع. . .)** الخ ومعنى التوقع في لما يدل على أن حصول الإيمان في قلوبهم متوقع سيحصل عند إطلاعهم على محاسن الإسلام فإنهم قد آمنوا فيما بعد فإن لما نفي لفعل قد يتوقع.

(الكرامية) مذهبهم أن الإيمان لا يكون بالقلب ولكنّ باللسان، فإن قلت: مقتضى نظم الكلام أن يقال: قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم. قلت: أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولًا فقيل: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحًا ووضع ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ الذي هو نفي ما ادعوا إثباته موضعه واستغنى بقوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ عن أن يقال: لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤدّاه النهي عن القول بالإيمان، ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجًا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك. ولو قيل ولكن أسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به. (**وليس قوله**: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ **تكريرًا لمعنى قوله**: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾) فإن فائدة قوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ تكذيب لدعواهم وقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأن قيل لهم: ولكن ﴿قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في ﴿قُولُوٓا۟﴾.

قوله: (الكرامية) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام في المصباح كرام بفتح الكاف مثقل والد أبي عبد الله محمد بن كرام المشبّه الذي أطلق اسم الجوهر على الله تعالى وأنه استقرّ على العرش ونسب إليه من أخذ بقوله فقيل كرامية نقل التشديد عن صاحب نفي الارتياب ونصّ عليه الصغاني. اهـ.

قوله: (**وليس قوله**: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ **تكريرًا لمعنى قوله**: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾) الخ إشارة إلى جواب ما يقال من أن قوله ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ معناه نفي الإيمان عنكم فهو بهذا الاعتبار تكرير لقوله لم تؤمنوا فما الفائدة في هذا التكرير. وتقرير الجواب أنه وإن كان باعتبار اشتماله على نفي الإيمان عنهم تكريرًا للأول إلا أنه قد انضم إليه باعتبار كونه حالًا من ضمير قولوا معنى آخر خرج به عن كونه تكرارًا فإن الأول تكذيب لهم في دعواهم والثاني توقيت لما أمروا به من القول أي ﴿قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ ما دمتم على هذه الصفة وهي إن لم يدخل الإيمان في قلوبكم بعد فإن الواو في ﴿وَلَمَّا﴾ واو الحال وذو الحال الضمير في ﴿قُولُوٓا۟﴾ قيد كونهم مأمورين بأن يقولوا أسلمنا دون آمنا بحال عدم دخول الإيمان في قلوبهم أي ﴿قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ ما دمتم على هذه الصفة فظهر بهذا التقرير أنه توقيت لقولوا.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في السر بترك النفاق ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ (﴿لا يألتكم﴾: **بصري**) ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيئًا. ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بستر الذنوب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهدايتهم للتوبة عن العيوب. ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ ارتاب (**مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة**)، والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لما صدقوه. ولما كان الإيقان وزوال الريب (**ملاك الإيمان**) أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيهًا على مكانه، (**وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارًا باستقراره**) في الأزمنة المتراخية المتطاولة

قوله: (﴿**لا يألتكم**﴾) بهمزة ساكنة بين الياء واللام من ألته حقه ألته من بابي ضرب ونصر (**بصري**) أي أبو عمرو البصري وسهل بن محمد البصري ويعقوب بن إسحٰق البصري وليسا من السبعة والسوسي يبدل الهمزة ألفًا على أصله والباقون ﴿يَلِتْكُم﴾ بغير همز من لاته يليته مثل باعه يبيعه وهما لغتان معناهما لا ينقصكم فالأولى لغة غطفان وأسد والثانية لغة الحجاز وقيل: من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف من ﴿يَلِتْكُم﴾ على هذا فاء الكلمة وعلى كونه من لات عينها وهما بمعنى نقصه حقه.

قوله: (**مطاوع رابه**) بكسر الواو. **قوله**: (**إذا أوقعه في الشك مع التهمة**) أي إذا أوقعه في الشك فيما صدقه وآمن به وفي الاتهام لمن صدقه على أن الشك بالنسبة إلى المخبر به والتهمة بالنسبة إلى مَن أخبر بذلك بأن ينسب تهمة الكذب إليه بعدما صدقه واعترف بأن ما قاله حق يعني أن المؤمن إنما يكون مؤمنًا بالتصديق بأن يبلغ ذلك التصديق درجة اليقين بحيث لا يطرأ عليه الشك والاتهام بتشكيك المشكك فيما يستقبل من الزمان. **قوله**: (**ملاك الإيمان**) بالكسر قوامه. **قوله**: (**وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارًا باستقراره...**) الخ جواب عما يقال من أن عدم الارتياب لا ينفك عن الإيمان لكونه داخلًا في مفهوم الإيمان لما

(غضًا) جديدًا ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون المجاهد منويًا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى، وأن يكون جاهد مبالغة في جهد، ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال **(نحو صنيع عثمان في جيش العسرة)**، وأن يتناول الزكاة وكل ما

مرّ من أن الإيمان تصديق مع ثقة وطمأنينة فكيف جعل متراخيًا عن الإيمان فإن ثم للتراخي. وتقرير الجواب أن قوله: ﴿ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩] أفاد أنهم صدقوا تصديقًا خاليًا عن الارتياب حال الإيمان من حيث إن الخلو عنه يعتبر في مفهوم الإيمان وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أفاد أنهم لم يحدث لهم الارتياب في كل زمان وإن طال كما يحدث ذلك لمن ضعف يقينه فللإشعار بهذا المعنى عطف عدم الارتياب على الإيمان بكلمة ثم فالتراخي زماني. **قوله: (غضًا)** طريًا. **قوله: (نحو صنيع عثمان في جيش العسرة)** أي في ترتيبه غزوة تبوك وسميت جيش العسرة لأنها كانت في زمان اشتداد الحر والقحط وقلة الزاد والماء والمركب بحيث تعسر عليهم الخروج من بعد ما كاد يزيغ قلوب.

أخرج الترمذي (عن عبد الرحمٰن بن خبّاب رضي الله تعالى عنه قال: شهدت النبيّ ﷺ) أي حضرته (وهو يحُثّ بضم الحاء وتشديد مثلثة أي يحرّض الناس على جيش العسرة فقام عثمان، أي بعد حثّه، فقال: يا رسول الله عليّ، أي نذر علي مائة بعير بأحلاسه أي مع جلالها) وأقتابها (أي رحالها في سبيل الله أي في طريق رضاه، ثم حضّ) بتشديد المعجمة (أي حثّ وحرّض على الجيش، أي في ذلك المقام أو في غيره من الزمان، فقام عثمان فقال: علي مائتا بعير أي غير تلك المائة، لا بانضمامها كما يتوهّم والله تعالى أعلم، بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حَضّ، أي ثالثًا، وفي رواية ثم حضّ على الجيش، فقام عثمان فقال: عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فالتزم عثمان رضي الله تعالى عنه في كل مرتبة المقام ففي الأول ضمن مائة واحدة وفي الثاني مائتين وفي الثالث ثلاثمائة فالمجموع ستمائة. قال طلحة: فأنا، أي بنفسي من غير أن أسمع من غيري: رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان، ما هذه نافية بمعنى ليس. وفي قوله: ما عمل بعد هذه، موصولة اسم ليس أي لا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيئاته الآتية كما

يتعلق بالمال من أعمال البر. وخبر المبتدأ الذي هو ﴿المؤمنون﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وحق. وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ صفة لهم.

ولما نزلت هذه الآية جاءوا وحلفوا أنهم مخلصون فنزل:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي أتخبرونه بتصديق قلوبكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ من النفاق والإخلاص وغير ذلك

ورد في ثواب صلاة الجمعة وفيه إشارة إلى بشارة له بحسن الخاتمة، ما على عثمان ما عمل بعد هذه، كورة تأكيدًا) انتهى مع زيادة من مرقاة المفاتيح وكذا رواه أحمد وقال في آخره قال: رأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها. وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب ما على عثمان ما عمل بعدها وقال أبو عمرو: جهّز عثمان جيش العُسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا وأتم الألف بخمسين فرسًا. ورُوِيَ عن قتادة أنه قال: حمل عثمان في جيش العُسرة على ألف بعير وسبعين فرسًا وعن ابن شهاب الزهري قال: حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعمائة وأربعين بعيرًا وستين فرسًا أتم بها الألف. أخرجه القزويني الحاكمي. وأخرج أحمد (عن عبد الرحمٰن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبيّ ﷺ بألف دينار في كمّه حين جهز بتشديد الهاء أي حين رتب وعاون (جيش العسرة فنثرها، أي كبها في حِجره بكسر الحاء وفتحه أي ثوبه وحضنه عليه الصلاة والسلام (فرأيت النبيّ ﷺ يقلّبها أي الدنانير بيده في حجره، ويقول: ما ضرّ عثمان ما عمل، فاعل ضر والمعنى لم يضر عثمان الذي عمل أي من الذنوب سابقًا ولاحقًا) بعد اليوم أي بعد عمله اليوم (مرتين).اهـ.

وأخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي رواية أحمد ويرددها مرارًا. وعن حذيفة قال: بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان في جيش العسرة فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصبّت بين يديه فجعل النبيّ ﷺ يقول بيده ويقلبها ظهر البطن

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَسْلَمُوا﴾ يعني بإسلامهم. والمنّ ذكر (الأيادي) تعريضًا للشكر ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ أي المنّة لله عليكم ﴿أَنْ هَدَاكُمْ﴾ بأن هداكم أو لأن ﴿لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن صحّ زعمكم وصدقت دعواهم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان بالله فلله المنّة عليكم (**وقرىء ﴿إن هداكم﴾**).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ (**وبالياء: مكيّ**). وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه تعالىٰ يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عملٍ تعملونه في سرّكم وعلانيتكم لا يخفي عليه منه شيء فكيف يخفي عليه ما في ضمائركم وهو علّام الغيوب؟!

ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها أخرجه الملا في سيرته والفضائل.

قوله: (الأيادي) في المصباح اليد مؤنثة وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع ولامها محذوفة وهي ياء والأصل يدي قيل بفتح الدال وقيل بسكونها واليد النعمة والإحسان تسميته بذلك لأنها تتناول الأمر غالبًا وجمع القلة أيد وجمع الكثرة الأيادي. اهـ. **قوله**: (وقرىء ﴿إن هداكم﴾) بكسر الهمزة.

قوله: (وبالياء مكيّ) أي قرأ ابن كثير المكيّ بالياء التحتية على الغيبة نظرًا لقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ﴾ وما بعده والباقون بالفوقية على الخطب نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾ إلى آخره.

هذا آخر ما تيسّر لي بفضل الله وسعة رحمته وإحسانه
من إيضاح خفاء ما يتعلّق بسورة الحجرات والحمد لله أولًا وآخرًا
والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمُرسلين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين
اللّهمّ بتوفيقك وعونك أشرع في حلّ ما في تفسير سورة قٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(سورة قٓ)

(مكيّة، وهي خمس وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾

(الكلام في ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ **كالكلام في** ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد.**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة قٓ، مكية)** كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة إلّا آية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [قٓ: الآية ٣٨]. **قوله:** **(وهي خمس وأربعون آية)** وثلاثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفًا. **قوله:** **(الكلام في** ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾) أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ **كالكلام في** ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد)** عبارة المصنّف رحمه الله في سورة (صٓ) بسم الله الرحمٰن الرحيم صٓ ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّي عليه

والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومَن أحاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله) وعند الناس. وقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾ أي كفار مكة ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي محمد ﷺ **(إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب)** وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته، ومَن كان كذلك لم يكن إلا ناصحًا لقومه خائفًا أن ينالهم مكروه، وإذا علم أن مخوفًا أظلّهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالىٰ على خلق السمٰوات والأرض وما بينهما، وعلى اختراع كل شيء وإقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء؟ ثم **(عوّل)** على أحد الإنكارين بقوله: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

كأنه قال: (﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾) [صٓ: الآية ١] أي ذي الشرف إنه لكلام معجز ويجوز أن يكون صٓ خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال: هذه صٓ أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول: هذا حاتم والله زيد هذا هو المشهور بالسخاء، والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بصٓ والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز.

قوله: **(والمجيد ذو المجد والشرف)** أي صيغة فعيل للنسبة مثل لابن وتامر بمعنى ذي لبن وتمر، فإنه قد يجيء للنسبة وإن لم يكن مشتهرًا والمجد وإن كان المعروف وصف الذوات به لكنه قد يوصف به المعاني بنوع من التأويل إذ المراد به الشرف كما نبّه عليه بعطف الشرف عليه وبهذا المعنى لا يحتاج إلى التأويل. **قوله**: **(على غيره من الكتب)** أي الكتب الإلٰهية لكونه معجز البلاغة بخلاف سائر الكتب ويكون حكمه باقيًا إلى يوم القيامة وإن كان الكل سواء في كونها كلام الله تعالى. **قوله**: **(ومَن أحاط علمًا بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله)** سبحانه وتعالى يعني أن توصيف القرآن بالمجيد إما على أنه من باب النسب أو من قبيل وصف الكلام بوصف من علمه وعمل به. **قوله**: **(إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب)** يعني أن بل للإضراب وهو الإعراض عن الكلام الأوّل والعدل وإلى ما هو أهم، فلما كان ما بعد بل أهم كان منكرًا بشهادة مقام التوبيخ فمعنى الإنكار مستفاد من بل بمعونة المقام كأنه قيل: انظر إلى أنهم مِمَّا يتعجبون وأنهم يتعجبون مما ليس بعجب. **قوله**: **(عوّل)** أي اعتمد.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣﴾

﴿أَءِذَا (مِتۡنَا) وَكُنَّا تُرَابٗاۖ﴾ دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار. وضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم، وهذا إشارة إلى الرجع. (و«إذا» **منصوب بمضمر**) معناه أحين نموت ونبلى نرجع. ﴿مِتۡنَا﴾) نافع وعلي وحمزة وحفص ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ مستبعد مستنكر كقولك: «هذا قول بعيد» أي بعيد من الوهم والعادة. **(ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب)**، ويكون من كلام الله تعالىٰ استبعادًا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث، والوقف على ﴿تُرَابٗاۖ﴾ على هذا حسن، وناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دلّ عليه المنذر من المنذر به **(وهو البعث)**.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾ رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرًا على رجعهم أحياء كما كانوا ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ، أو حافظ لما أودعه وكتب فيه ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوّة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب. يقال: مرج الخاتم في الإصبع

قوله: (﴿مِتۡنَا﴾) بكسر الميم نافع وحمزة وعلي الكسائي وحفص والباقون بالضم. **قوله**: (و«إذا» **منصوب بمُضمر**) وهو ترجع بدليل ما بعده وهو ﴿رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ وهو مدخول الاستفهام لأن الإنكار الواقعي متوجّه إليه لا إلى الموت. **قوله**: **(ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب)**، يُقال: هذا رجع رسالتك ومرجوعها ومرجوعيتها أي جوابها. **قوله**: **(وهو البعث)** كأنه قيل: أَنُبعَثُ إذا متنا بخلاف ما إذا كان مصدرًا بمعنى البعث فإنه حينئذٍ يصلح أن يكون دالّاً على عامل الظرف إذ كلاهما من كلام القوم.

إذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر و(**طورًا**) ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شيء واحد. وقيل: الحق القرآن. وقيل: الإخبار بالبعث.

ثم دلّهم على قدرته على البعث فقال:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ حين كفروا بالبعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ إلى آثار قدرة الله تعالىٰ في خلق العالم ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ رفعناها بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنيرات ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ من (**فتوق**) وشقوق أي أنها سليمة من العيوب لا فتق فيها (**ولا صدع**) ولا خلل ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت لولا هي لمالت ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ (**يبتهج به**) لحسنه ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ لنبصر به ونذكر ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه مفكر في بدائع خلقه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ (**كثير المنافع**) ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ

قوله: (**طورًا**) في المصباح الطور بالفتح التارة وفعل ذلك طورًا بعد طور أي مرة بعد مرة. اهـ.

قوله: (**فتوق**) جمع فتق وهو الشق. **قوله:** (**ولا صدع**) في المصباح صدعته صدعًا من باب نفع شققته فانصدع. اهـ. **قوله:** (**يبتهج به**) أي يُسرّ وأشار بهذا إلى أنه بمعنى فاعل أي يحصل به السرور.

قوله: (**كثير المنافع**) إذ المبارك من البركة وهي كثرة الخير والتوصيف به للترغيب على شكره أو لبيان أنه وإن أضرّ بعض البناء والنباتات لكنه كثير المنافع والشر الجزئي الذي يتضمن الخير الكلي ليس بشرٍ محض وأيضًا ليس بمقتضى بالذات بل بالعرض. اهـ. قنوي رحمه الله.

﴿ٱلْحَصِيدِ﴾ أي (وحبّ الزرع) الذي من شأنه أن يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما ﴿(وَٱلنَّخْلَ) بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالًا في السماء (﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾) هو كل ما يطلع من ثمر النخيل ﴿نَّضِيدٌ﴾ (**منضود بعضه فوق بعض**) لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة ما فيه (**من الثمر**) ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي أنبتناها رزقًا للعباد لأن الإنبات في معنى الرزق (**فيكون** ﴿رِّزْقًا﴾ **مصدرًا من غير لفظه**)، أو هو مفعول له أي أنبتناها لرزقهم ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾ بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ (**قد جفّ نباتها**) ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ أي كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لأن إحياء (**الموات**) كإحياء الأموات، والكاف في محل الرفع على الابتداء.

قوله: (**وحبّ**[1] **الزرع**) إشارة إلى أنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه بناء على أن الحب لا يُحصد وإنما يُحصد النبت الذي فيه الحب.

قوله: (﴿وَٱلنَّخْلَ﴾) منصوب بالعطف ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾ [قٓ: الآية ٩]، و﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ [قٓ: الآية ١٠] حال مقدّرة من ﴿وَٱلنَّخْلَ﴾) [قٓ: الآية ١٠] لأنها وقت الإنبات لم تكن طوالًا والبسوق الطول. يُقال: بسق فلان على أصحابه أي طال عليهم في الفضل.

قوله: (﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾) حال من ﴿وَٱلنَّخْلَ﴾) [قٓ: الآية ١٠] مترادفة أو من الضمير المنوي في ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ [قٓ: الآية ١٠] فيكون حالًا متداخلة وترك الواو في مثل هذه الجملة الاسمية أحسن وتقديم ﴿لَّهَا﴾ [قٓ: الآية ٦] للاهتمام لا للحصر أو للحصر بملاحظة وصف ﴿نَّضِيدٌ﴾ [قٓ: الآية ١٠]. **قوله**: (**منضود**) أي نضيد فعيل بمعنى منضود الضمير المستتر فيه راجع إلى ﴿طَلْعٌ﴾ [قٓ: الآية ١٠]. **قوله**: (**بعضه فوق بعض**) بدل منه لبيان معنى النضد. **قوله**: (**من الثمر**) أي من مادة الثمر إذ الطلع نفس الثمر. **قوله**: (**فيكون** ﴿رِّزْقًا﴾ **مصدرًا من غير لفظه**) مثل قعدت جلوسًا. **قوله**: (**قد جفّ نباتها**) في المصباح جفّ الثوب يجفّ من باب ضرب، وفي لغة لبني أسد من باب تعد جفافًا وجفوفًا يبس.اهـ. **قوله**: (**الموات**) في المصباح ماتت الأرض موتانًا بفتحتين ومواتًا بالفتح خلت من العمارة والسكان فهي موات تسمية بالمصدر. وقيل: الموات الأرض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد.اهـ.

---

(١) فالحصيد صفة لموصوف مقدر وحصيد فعيل بمعنى المفعول ١٢ منه رحمه الله.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هو بئر لم تطوَ وهم قوم **(باليمامة)** وقيل: **(أصحاب الأخدود)** ﴿وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ أراد بفرعون قومه

قوله: (باليمامة) في المصباح اليمامة بلدة من بلاد العوالي وهي بلاد بني حنيفة. قيل: من عروض اليمن. وقيل: من بادية الحجاز. اهـ. **قوله: (أصحاب الأُخدود)** هو الشق المستطيل في الأرض كالنهر وجمعه أخاديد. اختلف فيهم فعن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلامًا أعلّمه السحر، فبعث إليه غلامًا وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب فقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه، فإذا أتى أهله ضربوه فشكا إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرًا ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى تمضي الناس فرماها فقتلها. فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ فكان الغلام يُبرىء الأكمه والأبرص ويُداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: هذا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يُشفي الله فإن آمنت به دعوتُ الله تعالى فشفاك فآمنَ بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فقال له الملك: مَن ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ربك رب غيري، قال: ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بُنَي قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، قال: إني لا أُشفي أحدًا إنما يُشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الراهب فجيء بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى

كقوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس: الآية ٨٣] لأن المعطوف عليه قوم نوح

ففعل به كالراهب، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال: اذهبوا به إلى جبل كذا فاصعدوا به فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلّا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلّا فاقذفوه، فذهبوا به فانكفأت السفينة بهم فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال للملك: أنت لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خُذ سهمًا من كنانتي ثم ضَع السهم في كبد القوس وقُل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ووضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام ثلاثًا، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأُخدود بأفواه السكك فخُدّت وأضرم النيران وقال: مَن لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي: يا أُماه اصبري فإنك على الحق، فاقتحمت قال البغوي: هذا حديث صحيح. وقيل: إن الصبي قال لها: قعي ولا تقاعسي وقيل: ما هي إلا غميصة فصبرت. وذكر محمد بن إسحٰق عن وهب بن منبه أن رجلًا كان قد بقي على دين عيسى فوقع على نجران فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنود من حمير وخيّرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفًا في الأخاديد. وقيل: سبعين ألفًا ثم غلب أرباط على اليمن فخرج ذو نواس هاربًا واقتحم البحر بفرسه فغرق. قال الكلبي وذو نواس قتل عبد الله بن التامر رضي الله تعالى عنه. وقال محمد بن إسحٰق عن عبد الله بن أبي بكر أن خربة احترقت في زمن عمر فوجدوا عبد الله بن التامر واضعًا يده على ضربة في رأسه إذا أُميطت يده عنها انبعث دمًا وإذا تُركت

والمعطوفات جماعات ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ سمّاهم إخوانه لأن بينهم

ارتدّت مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه. وعن ابن عباس قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يُقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل أن يُولد النبيّ ﷺ بسبعين سنة، وكان في بلاده غُلام يُقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه سلّمه إلى معلّم يعلّمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يَجد بدًّا من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلّم وكان في طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريبًا من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول. قال: فكيف أقتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم على اسم إلٰهي ففعل الملك فقال الناس: لا إلٰه إلّا إلٰه عبد الله بن التامر لا دين إلا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وأخدّ أُخدودًا وملأه نارًا ثم عرضهم رجلًا رجلًا فمن رجع عن الإسلام تركه ومَن قال: ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الأخدود وأحرقه وكان في مملكته امرأة فأسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلّا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها: ارجعي فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهمّت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي: يا أُمّاه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك فأُلقي الصبي في النار وأُلقيت أُمه على أثره. وعن عليّ أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أُحلّت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أُخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: يا أيُها الناس إن الله تعالى حلّ لكم نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك، إن الله تعالى حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه. فقالت: ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فأمرت بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح مَن أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ [البُرُوج: الآية ٤]. وعن مُقاتل: كانت الأخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأُخرى بالشام وأُخرى بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشأم فهو أبطاموس الرومي. وأما التي بفارس فبختنصر وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس، فأما التي بفارس والشأم فلم ينزل الله تعالى

وبينه نسبًا قريبًا ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٍۚ﴾ هو ملك باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه وسُمي به لكثرة تبعه ﴿كُلّٞ﴾ أي (**كل**) واحد منهم ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لأن مَن كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميعهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحل وعيدي (**وفيه تسلية لرسول الله ﷺ**) وتهديد (**لهم**).

فيهما قرآنًا وأنزل في التي كانت بنجران وذلك أن رجلًا مُسلمًا ممن يقرأ الإنجيل أجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الإنجيل فرأت بنت المستأجر النور يُضيء من قراءة الإنجيل فذكرت ذلك لأبيها فرمقه فرآه فسأله فلم يُخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون إنسانًا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فَخَدَّ لهم في الأرض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ومَن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وأن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلّم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضُربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أُماه إني أرى أمامك نارًا لا تُطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعًا أنفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنسانًا فذلك قوله تعالى: (﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤﴾)، وقوله تعالى: (﴿ٱلنَّارِ﴾) بدل اشتمال من الأُخدود وقوله تعالى: (﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾) وصفٌ لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس واللام في الوقود للجنس قوله تعالى: (﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦﴾) ظرف لـ ﴿قُتِلَ﴾ [البُرُوج: الآية ٤] أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الأُخدود فكانوا يقعدون حولها على الكراسي (﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٞ﴾ [البُرُوج: الآية ٧] أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به أو ﴿شُهُودٞ﴾ [البُرُوج: الآية ٧] بمعنى حضور إذ رُوِيَ أن الله تعالى أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى القاعدين فأحرقتهم. اهـ. خطيب باختصار. **قوله**: (**كل**) التنوين عوض عن المضاف إليه. **قوله**: (**وفيه تسلية لرسول الله ﷺ**) بأن عاقبة كل مَن كذّب الرُّسل الهلاك. **قوله**: (**لهم**) أي للكفرة.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥﴾

﴿أَفَعَيِينَا﴾ عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله **(والهمزة للإنكار)** ﴿بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ أي أنا لم نعجز عن الخلق الأول فكيف نعجز عن الثاني والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيّرهم وذلك تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو أن مَن قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ بعد الموت. وإنما نكر الخلق الجديد ليدلّ على عظمة شأنه وأن حق مَن سمع به أن يخاف ويهتم به.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦﴾

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان و**(يهجس)** في ضميره من حديث النفس، **(والباء مثلها في قوله: «صوت بكذا»)** ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ﴾ المراد قرب علمه منه ﴿مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ هو مثل في فرط القرب، والوريد عرق في باطن العنق، والحبل العرق، والإضافة للبيان كقولهم: **(«بعير سانية»)**.

﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝١٧﴾

﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الحافظين ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ التلقي التلقن بالحفظ والكتابة و**(القعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس)**

قوله: (والهمزة للإنكار) أي لإنكار وقوع العجز.

قوله: (يهجس) في المصباح هجس الأمر بالقلب هجسًا من باب قتل وقع وخطر فهو هاجس.اهـ. **قوله: (والباء مثلها في قوله: صوت بكذا)** أي الباء في به صلة يوسوس كما يُقال ينطق به وفي الكواشي ونعلم ما تحدثه نفسه والباء زائدة. **قوله: (بعير سَانِية)** في المصباح السانية البعير يسنى عليه أي يستقي من البئر.اهـ.

قوله: (القعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس) كالرقيب بمعنى المراقب الفعيل بمعنى المفاعل كثير.

وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقين فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه كـ (**قوله**):

(**رماني بأمر كانت منه ووالدي**) بريئًا ومن أجل الطوى رماني

أي رماني بأمر كنت منه بريئًا وكان والدي منه بريئًا. و«إذ» منصوب بأقرب لما فيه من معنى يقرب، والمعنى إنه لطيف يتوصل علمه إلى خطرات النفس ولا شيء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به إيذانًا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه، وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات؟ وإنما ذلك لحكمة وهو ما في (كتبة) الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات.

قوله:

(**رماني بأمر كنت منه ووالدي**) بريئًا ومن أجل الطَّوِيّ رماني

ويُروَى ومن جُول الطوِيّ والطوى البئر والجُول بالضم جدار البئر. قال أبو عُبَيْد: وهو كل ناحية من نواحي البئر إلى أعلاها من أسفلها وأنشد:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئًا ومن جُوْل الطوى رماني

قال ابن برّي البيت لابن الأحمر قال: وقيل هو للأزرَقِ بن طرفة بن العمرد القَرَاضِي أي رماني بأمرٍ عاد عليه قبحه لأن الذي[1] يُرمى من جول البئر يعود ما رُمِيَ به عليه. ويُروَى ومن أجل الطَّوِيّ قال: وهو الصحيح لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة في بئر فقال خَصْمه: إنه لِصّ فقال هذه القصيدة وبعد البيت:

دعاني لِصًّا في لصوص وما دعاها والدي فيما مضى رَجُلان

قوله: (**كتبة**) في المصباح كتب كتبًا من باب قتل وكتبة بالكسر وكتابة والاسم الكتابة لأنها صناعة كالتجارة والعطارة. اهـ.

---

(١) وفي المثل رماني من جُوْل الطوى أي رماني بما هو راجع إليه. ١٢ منه رحمه الله.

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ ما يتكلّم به **(وما يُرمى به من فيه)** ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر. ثم قيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقيل: لا يكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر. وقيل: إن الملكين لا يجتنبانه إلا عند الغائط والجماع. لما ذكر إنكارهم البعث واحتجّ عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة، ونبّه على اقتراب ذلك بأن عبّر عنه بلفظ الماضي وهو قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ **(أي شدّته الذاهبة بالعقل)** ملتبسة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بحقيقة الأمر أو بالحكمة ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ﴾ الإشارة إلى الموت والخطاب للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ **(على طريق الالتفات)** ﴿تَحِيدُ﴾ تنفر وتهرب.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ **(أي وقت ذلك)** يوم الوعيد على حذف المضاف **(والإشارة إلى مصدر نفخ)** ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ

قوله: **(وما يُرمى به من فيه)** إشارة إلى أن معنى اللفظ الرمي من الفم كقولك: لفظت النواة إذا رميتَها من فيك ثم شاع في التلفّظ فصار حقيقة عرفية فيه. **قوله**: **(أي شدته الذاهبة بالعقل)** أي المذهبة العقل فالباء للتعدية. **قوله**: **(على طريق الالتفات)** من الغيبة إلى الخطاب.

قوله: **(أي وقت ذلك)** النفخ قدر الوقت المضاف لأن **ذلك** إشارة إلى مصدر نفخ وقد أخبر عن النفخ بأنه يوم الوعيد فلو لم يقدر الوقت كان المعنى ذلك النفخ يوم الوعيد والنفخ ليس بزمان فلا يُحكم عليه بالزمان فلذلك قدر المُضاف. **قوله**: **(والإشارة إلى مصدر نفخ)** وهو المصدر المبني للمفعول كضمير ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: الآية ٨] فإنه راجع إلى مصدر ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: الآية ٨].

﴿مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ أي ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله، ومحل ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ النصب على الحال من ﴿كُلُّ﴾ تعرفه **(بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة)** ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ أي يقال لها لقد كنت ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أي فأزلنا غفلتك بما تشاهده ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ **(جعلت الغفلة)** كأنها غطاء غطي به جسده كله أو غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئًا، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع **(بصره الكليل)** عن الإبصار لغفلته حديدًا لتيقظه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه ﴿هَٰذَا﴾ أي ديوان عمله، **(مجاهد بن جبر)**: شيطانه الذي قيض له في قوله: ﴿(نُقَيِّضْ) لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: الآية ٣٦]. هذا أي الذي وكلت به ﴿مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿مَا﴾ نكرة بمعنى شيء والظرف بعده وصف له وكذلك (﴿عَتِيدٌ﴾) و﴿مَا﴾ وصفتها خبر ﴿هَٰذَا﴾ والتقدير هذا شيء ثابت لديّ عتيد. ثم يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلْقِيَا﴾ والخطاب للسائق والشهيد أو لمالك، وكأن الأصل ألقِ ألقِ فناب ألقيا عن ألق ألق لأن الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل.

قوله: (بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة) فإن الحال من النكرة المحضة يجب تقدمها على ذي الحال وبين صاحب الكشف كون نفس في حكم المعرفة بقوله: لأن كل نفس في معنى كل النفوس. اهـ. **قوله**: **(جعلت الغفلة...)** الخ وعلى كليهما يصح ﴿فَكَشَفْنَا﴾ [قٓ: الآية ٢٢]... الخ. أما على الثاني فظاهر. وأما على الأول فلأن غطاء الجسد كله غطاء العين أيضًا. **قوله**: **(بصره الكليل)** في لسان العرب طرف كليل إذا لم يحقق المنظور. اهـ.

قوله: **(مجاهد بن جبر)** بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلث أو أربع ومائة وثلاث وثمانون. اهـ تقريب. **قوله**: (﴿نُقَيِّضْ﴾) نسبب. **قوله**: (﴿عَتِيدٌ﴾) حاضر.

وقيل: أصله ألفين **(والألف بدل من النون الخفيفة)** إجراء للوصل مجرى الوقف **(دليله قراءة الحسن ﴿ألقين﴾)** ﴿فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بالنعم والمنعم ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند مجانب للحق معاد لأهله.

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ **(كثير المنع للمال عن حقوقه)** أو مناع لجنس الخير أن يصل إلى أهله ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متخط للحق ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في الله وفي دينه ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ أو بدل من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ و﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لـ ﴿كَفَّارٍ﴾ لأن النكرة لا توصف بالموصول.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي شيطانه الذي قرن به وهو شاهد لمجاهد، وإنما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى لأن الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين

قوله: (والألف بدل من النون الخفيفة) لأن النون الخفيفة تبدل ألفًا في الوقف فأجرى الوصل مجرى الوقف كما قال: إجراء للوصل مجرى الوقف والمراد بالوصل ضد الوقف والقطع وهذا الموضع موضع وصل لا موضع وقف إذ لا وقف بين الفعل والمفعول فالمقام مقام الوصل. **قوله: (دليله قراءة الحسن أَلْقِيَنْ)** في جهنم بالنون الخفيفة.

قوله: (كثير المنع للمال) مستفاد من صيغة المبالغة وأن المبالغة بحسب الكم وفيه نوع إشارة إلى أن الكفار(١) مكلّفون بالفروع والخير يُطلق على المال الكثير. قال المصنّف: رحمه الله في سورة البقرة والخير هو المال الكثير. اهـ. **قوله: (عن حقوقه)** المفروضة والواجبة.

---

(١) في حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة من حيث إنهم يعذبون بتركها وإن لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم أهليتهم لثوابها. اهـ منه رحمه الله تعالى.

معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له، وأما هذه فهي مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون، فكأن الكافر قال: رب هو أطغاني فقال قرينه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي ما أوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾ هو استئناف مثل قوله تعالى ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ كأن قائلًا قال: فماذا قال الله؟ فقيل: قال لا تختصموا ﴿لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ أي لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة عليّ. **(والباء في ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ مزيدة)** كما في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥] **(أو معدية)** على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي بإدخال الكفار في النار ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فلا أعذب عبدًا بغير ذنب. **(وقال: ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده)** ﴿يَوْمَ﴾ نصب بـ «ظلام» أو بمضمر هو اذكر وأنذر ﴿نَقُولُ﴾ نافع وأبو بكر أي **(يقول)** الله ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ **(وهو مصدر كالمجيد)** أي أنها تقول بعد امتلائها هل من مزيد

قوله: **(والباء في ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ مزيدة)** لتقوية العمل. **قوله**: **(أو معدية)** أي الباء للتعدية إن جعل قدم بمعنى تقدم فهو لازم تعدى بالباء.

قوله: **(وقال ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾ على لفظ المبالغة لأنه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده)** يعني المبالغة فيه بحسب الكم وكثرة العبيد. **قوله**: **(«يقول»)** بالياء من تحت والضمير لله نافع وأبو بكر والباقون بنون العظمة. **قوله**: **(وهو مصدر)** ميمي. **قوله**: **(كالمجيد)** بالحاء المهملة مصدر حاد عن الطريق أي مال عنه وعدل فالمزيد بمعنى الزيادة.

أي هل بقي فيّ موضع لم يمتليء يعني قد امتلأت، أو أنها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كإنطاق الجوارح، والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالىٰ بأنها امتلأت أم لا.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٤)﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١)﴾ غير نصب على الظرف أي مكانًا غير بعيد، أو على الحال وتذكيره لأنه على زنة المصدر (**كالصليل**) والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث، أو على حذف الموصوف أي شيئًا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول: هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ وهو إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر أزلفت ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ صفته (**وبالياء: مكيّ**) ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاع إلى ذكر الله خبره ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده جاء في الحديث «مَن حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أوّابًا حفيظًا» ﴿مَّنْ﴾ مجرور المحل بدل من ﴿أَوَّابٍ﴾ أو رفع بالابتداء وخبره ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ على تقدير يقال لهم: ادخلوها بسلام لأن «من» في معنى الجمع ﴿خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة، وقرن بالخشية اسمه الدّال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاشٍ مع أن المخشي منه غائب ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المفعول أي خشيه وهو غائب، أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب. الحسن: إذا أغلق الباب وأرخى الستر ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى الله. وقيل: بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ (**أي يوم تقدير الخلود**) كقوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: الآية ٧٣] أي مقدرين الخلود.

قوله: (**كالصليل**) بالصاد الغير المعجمة بصوت المسمار. **قوله**: (**وبالياء**) على الغيبة (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ والباقون بالتاء على الخطاب. **قوله**: (**أي يوم تقدير الخلود**) فإن ذلك اليوم يوم الدخول لا يوم الخلود بل يوم تقدير الخلود نزل تقديره منزلة المحقق، فقيل: يوم الخلود.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ على ما يشتهون، **(والجمهور على أنه رؤية الله تعالىٰ بلا كيف)**. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ قبل قومك ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ من القرون الذين كذبوا رسلهم ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة و**(سطوة)** ﴿فَنَقَّبُوا﴾ **(فخرقوا)** ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ وطافوا. **(والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب)**. ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي شدّة بطشهم **(أقدرتهم)** على التنقيب وقوّتهم عليه، ويجوز أن يُراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصًا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم، ويدلّ عليه قراءة مَن قرأ (﴿فَنَقِّبُوا﴾ **على الأمر)** ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ مهرب من الله أو من الموت.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة وموعظة (﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ **واع)** لأن مَن لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أصغى إلى المواعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بفطنته لأن مَن لا يحضر ذهنه فكأنه غائب.

قوله: **(والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف)** فيرى لا في مكان ولا على جهة من مقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى. **قوله**: **(سَطْوة)** في لسان العرب السَّطْوة شدّة البطش. اهـ. **قوله**: **(فخرقوا)** الظاهر أن خرقوا مُنزّل منزلة اللازم أي فعلوا التخريق. **قوله**: **(والتنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب)** قيل: هذا باعتبار معناه العرفي والأفاصل معناه التخريق كما مرّ أي قول المصنّف فخرقوا. **قوله**: **(أقدرتهم)** أي جعلتهم قادرين. **قوله**: (﴿فَنَقِّبُوا﴾ **على الأمر)** أي بكسر القاف مشددًا على أمر المخاطبين. كقوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: الآية ٢] أي فسيروا فيها هل تجدون محيصًا من قهر الله تعالى ومن الموت. في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة ابن عباس وأبي العالية ويحيىٰ بن يَعْمر ونصر بن سيّار ﴿فَنَقِّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ بكسر القاف مشددًا. قال أبو الفتح هذا أمر للحاضرين ثم لمن بعدهم. اهـ. وفي الإتحاف وعن الحسن ﴿فَنَقِّبُوا﴾ بكسر القاف أمرًا لأهل مكة بذلك. اهـ. **قوله**: (﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ **واعٍ)** أي حافظ ما ألقى عليه حمل القلب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ **(إعياء)**، قيل: نزلت في اليهود ـ لعنت ـ تكذيبًا لقولهم خلق الله السمٰوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش **(وقالوا: إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أُخذ. وأنكر اليهود التربيع في الجلوس)** وزعموا أنه جلس تلك الجلسة يوم

المذكور في الآية وهو مطلق على القلب الواعي لتظهر فائدة التقييد بقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ فإن كل إنسان له قلب لا محالة وأيضًا لو أبقى القلب على عمومه للزم أن يكون ما ذكر في هذه السورة تذكرة لكل إنسان وليس كذلك لأنه ما يتذكر إلا أولو الألباب والقلوب الواعية ولكنه أطلق القلب في الآية للإشعار بأن مَن ليس له قلب واعٍ فكأنه لا قلب له لأن المقصود من القلب الحفظ وهو فاقد من القلب الذي ليس له حفظ لأنه المقصود منه وكل فاقد ما هو المقصود منه كالمعدوم وكذا حمل قوله ﴿شَهِيدٌ﴾ على تقدير كونه من الشهود بمعنى الحضور على الحضور بالذهن لتظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية لأن مَن ألقى السمع إلى ما تُليَ عليه يكون حاضرًا بشخصه لا محالة لاستحالة الإصغاء من القلب الغائب، فلو لم يحمل الحضور على الحضور بذهنه لما ظهر فائدة التقييد أيضًا وإطلاقه في الآية للإشعار بأن مَن لا يحضر بذهنه فكأنه غائب وكلمة أو في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ لتقسيم حال المتذكر إلى كونه تاليًا بنفسه وكونه سامعًا من غيره.

قوله: (إعياء) في المغرب الإعياء التعب. اهـ. **قوله: (وقالوا: إن الذي وقع من التشبيه في هذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أُخذ)** كذا في الكشاف وعبارة روح البيان. قال العلماء: إن الذي وقع من التشبيه لهذه الأمة إنما وقع من اليهود ومنهم أخذ. اهـ. **قوله: (وأنكر اليهود التربيع في الجلوس...)** الخ. في الدر المختار في باب ما يُفسد الصلاة وما يكره فيها وكره **(التربيع)** تنزيهًا لترك الجلسة المسنونة (بغير عذر) ولا يكره خارجها لأنه عليه الصلاة والسلام كان جلّ جلوسه مع أصحابه التربّع وكذا عمر رضي الله تعالى عنه. اهـ.

السبت ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه، أو على ما يقول المشركون في أمر البعث فإن مَن قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منه ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ حامدًا ربك، والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ الفجر ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ **(العشاءان)** أو التهجد ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء **(والأدبار جمع دبر**، «وإدبار» **حجازي وحمزة وخلف)** من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت، ومعناه وقت انقضاء السجود كقوله: **(«آتيك خفوق النجم»)**.

قوله: **(العشاءان)** يعني صلاة المغرب والعشاء. قال الأزهري: يُقال لصلاتي المغرب والعشاء العشاءآن والأصل العشاء فغلب على المغرب كما قالوا: الأبوان وهما الأب والأُم ومثله كثير كذا في لسان العرب. **قوله**: **(والأدبار)** بفتح الهمزة **(جمع دبر)** بضمتين كطنب وأطناب وبضم فسكون كقفل وأقفال. اهـ. قرطبي. وفي المصباح الطنب بضمتين وسكون الثاني لغة الحبل تشدّ به الخيمة ونحوها. والجمع أطناب مثل عنق وأعناق. اهـ.

قوله: **(«وإدبار»)** بكسر الهمزة **(حجازي)** إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي أي قرأ نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة وابن كثير المكيّ **(وحمزة وخلف)** بكسر الهمزة على أنه مصدر أدبر الشيء إذا تمّ وانقضى وانتصابه على الظرفية لأن المصدر أقيم مقام الوقت أو نحوه كما في نحو آتيك خفوق النجم أي وقت خفوقه ومعنى إدبار السجود وقت انقضاء الصلاة وتمامها وقرأ الباقون بفتح الهمزة على أنه جمع دبر بمعنى آخر ودبر الصلاة آخرها وعقبها وانتصابه أيضًا على الظرفية. **قوله**: **(آتيك خفوق النجم)**. في لسان العرب خَفَق النجم يَخْفق وأَخْفَق غاب. اهـ. وأيضًا فيه يِقال: وردتُ خَفوق النجم أي وقت خفوق الثريا يجعله ظرفًا وهو مصدر. اهـ.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾

(﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ **لما أخبرك به**) من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف (**يعقوب**) عليه. وانتصب ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ بما دلّ عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور. وقيل: تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي. (﴿**المنادي**﴾ **بالياء في الحالين**): مكيّ وسهل ويعقوب، (**وفي الوصل: مدنيّ**) وأبو عمرو، وغيرهم بغير ياء فيهما. والمنادي إسرافيل ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية (**والأوصال**) المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة (**بيت المقدس**) وهي أقرب من الأرض إلى السماء باثني عشر ميلًا وهي وسط الأرض.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾. الصيحة النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ (**متعلق بـ** ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾) والمراد به البعث والحشر للجزاء ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ﴾ الخلق ﴿وَنُمِيتُ﴾ أي نميتهم في الدنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي مصيرهم (﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾) خفيف: كوفي وأبو عمرو، وغيرهم بالتشديد ﴿ٱلْأَرْضُ

قوله: (﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ **لما أخبرك به**) يعني أن مفعول استمع محذوف أي استمع ما أقول لك من أحوال يوم القيامة. **قوله**: (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة. **قوله**: («**المنادي**» **بالياء في الحالين**) أي ابن كثير المكيّ وسهل بن محمد السجستاني ويعقوب بن إسحٰق وليسا من السبعة (**وفي الوصل: مدني**) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وأبو عمرو البصري. **قوله**: (**والأوصال**) المفاصل. **قوله**: (**بيت المقدس**) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال ويُروَى بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة.

قوله: (**متعلّق بـ** ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾) أراد به التعلّق المعنوي لأنه حال منه. **قوله**: (﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾) خفيف كوفي وأبو عمرو يعني أن الكوفيين وهم عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأبا عمرو البصري قرأوا (تشقق) بتخفيف الشين وغيرهم

عَنْهُمْ﴾ أي تتصدع الأرض فتخرج الموتى من صدوعها ﴿سِرَاعًاۚ﴾ حال من المجرور أي مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هيّن. وتقديم الظرف يدلّ على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾ كقوله: (﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾) [الغاشية: الآية ٢٢] أي ما أنت بمسلط عليهم إنما أنت داع وباعث. وقيل: هو من جبره على الأمر بمعنى أجبره أي ما أنت بوالٍ عليهم تجبرهم على الإيمان ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: (﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾) [النازعات: الآية ٤٥]. لأنه لا ينفع إلا فيه والله أعلم.

بالتشديد، وأصله عند الكل تتشقق بتاءين والأولون حذفوا إحدى التاءين للتخفيف والباقون أدغموا التاء الثانية في الشين.

قوله: (﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾) وفي قراءة بالصاد بدل السين أي بمسلط. **قوله**: (﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾) إنما منذر إنما ينفع إنذارك (﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾) يخافها.

تمّ هنا ما يتعلق بسورة قَ والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين

(سورة الذاريات)

(مكيّة وهي ستون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح لأنها **(تذرو التراب)** وغيره، **(وبإدغام التاء في الذال)**: حمزة وأبو عمرو ﴿ذَرْوًا﴾ مصدر والعامل فيه اسم الفاعل ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾ السحاب لأنها تحمل المطر (﴿وِقْرًا﴾) مفعول الحاملات ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ﴾ الفلك (﴿يُسْرًا﴾) جريًا ذا يسر أي ذا سهولة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الذاريات**، **مكية**، **وهي ستون آية**) بالاتفاق كما في كتاب العدد وثلاثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثمانون[1] حرفًا كذا في الخطيب. **قوله**: (**تذرو التراب**) من باب عدا أي تفرقه. **قوله**: (**وبإدغام التاء في الذال**) أي بإدغام الذال المنقلبة عن التاء في الذال عبر عن الذال بالتاء باعتبار الأصل. **قوله**: (﴿وِقْرًا﴾) الجمهور على كسر الواو وهو اسم لما يوقر أي يحمل وقرىء «وَقرًا» بفتح الواو وهو مصدر بمعنى الثقلة على تسمية المحمول الثقيل بالثقلة. **قوله**: (﴿يُسْرًا﴾) صفة مصدر محذوف بتقدير المضاف كما قال: جريًا ذا يسر.

---

(١) في الخازن ثلاثين بدل ثمانون ١٢ منه رحمه الله.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ الملائكة لأنها تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك، أو تتولى تقسيم أمر العباد؛ فجبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ. ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشيء السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجوّ جريًا سهلًا، وتقسم الأمطار بتصريف السحاب. ومعنى الفاء على الأول أنه أقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها، فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعها. وعلى الثاني أنها تبتدىء في الهبوب فتذرو التراب **(والحصباء فتقل)** السحاب فتجري في الجوّ باسطة له فتقسم المطر ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ جواب القسم **(و«ما» موصولة أو مصدرية)** والموعود البعث ﴿لَصَادِقٌ﴾ وعد صادق كعيشة راضية أي ذات رضا ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء على الأعمال ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ لكائن.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ هذا قسم آخر ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح، وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق. ويقال: إن خلقة السماء كذلك. **(وعن الحسن: حبكها نجومها جمع حباك)** ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ أي قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ الضمير للقرآن أو الرسول أي يصرف عنه من صرف، الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم.

قوله: (والحصباء) بالمدّ صغار الحصى كذا في المصباح. **قوله: (فتقل)** أي فتحمل. **قوله: (وما موصولة)** محذوفة العائد أي أن ما توعدون به من البعث لصادق أي لَذُو صِدْقٍ على أن بناء فاعل للنسب كتامر لأن الوعد لا يكون صادقًا بل الصادق الواعد **(أو مصدرية)** على معنى أن وعدكم لصادق أي لذو صدقٍ، كما إذا كانت موصولة والمصدرية لا تحتاج إلى العائد.

قوله: (وعن الحسن: حُبُكها نجومها جمع حِباك) كمثال ومُثل فتكون الحباك بمعنى الزينة والحسن.

أو يصرف عنه من صرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق (**لا يرعوي**). ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين، أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد، ثم قال: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو مأفوك.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢﴾

﴿قُتِلَ﴾ لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف، واللام إشارة إليهم كأنه قيل: قتل هؤلاء الخراصون ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ (**في جهل يغمرهم**) ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أُمروا به.

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ فيقولون: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي متى يوم الجزاء وتقديره: أيّان وقوع يوم الدين لأنه إنما تقع الأحيان ظروفًا للحدثان. وانتصب اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دلّ عليه السؤال أي يقع

قوله: (**لا يرعوي**) في لسان العرب يُقال: ارعوى فلان من الجهل يرعوي ارعواءً حسنًا ورعوًا حسنة وهو نزوعه وحسن رجوعه. قال ابن سيدة: الرعوى والرعيا النزوع من الجهل وحسن الرجوع عنه ورَعَا يَرعوي أي كفّ عن الأمور. وفي الحديث: شرّ الناس رجل يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه أي لا ينكف ولا ينزجر من رعا يرعوا إذا كفّ عن الأمور. ويُقال: فلان حسن الرعوة والرِّعوة والرعوَا والارعواء وقد ارعوى عن القبيح وتقديره افعوّل ووزنه افعلّل وإنما لم يدغم لسكون الياء والاسم الرعيا بالفتح مثل البَقيا والبقوى. اهـ.

قوله: (**في جهل يغمرهم**) يُقال: غمره الماء يغمره أي علاه والغمرة الشدّة حمله على شدّة الجهل بشهادة المقام والخراص في الأصل الذي لا يجزم بأمر ولا يثبت عليه بل هو شاك متحيّر لا يقول ما قاله إلا جزافًا وخرصًا أي ظنًّا وتخمينًا من غير يقين، ولما كانت اللام فيه للعهد والمعهودون أصحاب القول المختلف وكانوا كذابين فيما يقولونه كأن المعنى لعن الكذابون فيما يقولونه. ثم وصفهم بأنهم في جهالة تغمرهم ساهون لاهون.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ **(ويجوز أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة)**، ومحله نصب بالمضمر الذي هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم وإحراقكم بالنار ﴿هَـٰذَا﴾ مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِى﴾ أي هذا العذاب هو الذي ﴿كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا بقولكم فاتنا بما تعدنا. ثم ذكر حال المؤمنين فقال:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ أي وتكون العيون وهي الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ **(قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به)** وآخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبر إن ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ قبل دخول الجنّة في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾ **(قد أحسنوا أعمالهم)** وتفسير إحسانهم ما بعده.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ ينامون. و«ما» مزيدة للتوكيد و﴿يَهْجَعُونَ﴾ خبر «كان» والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل، أو مصدرية والتقدير: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم **(لكونه بدلًا من الواو وفي ﴿كَانُوا۟﴾)**

قوله: (ويجوز أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة) وإنما بُنِيَ لإضافته إلى الجملة التي لا يظهر فيها الإعراب فإن الكوفيين يجوّزون بناء الظرف وإن أُضيف إلى الفعل المضارع أو الجملة الاسمية وعند البصريين لا يُبنى إلا ما أُضيف إلى فعل ماضٍ كقوله: على حين عاتبت.

قوله: (قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به) لما كان الأخذ عبارة عن القبول عن قصد ورغبة فسره بالقبول مع الرضى. **قوله: (قد أحسنوا أعمالهم)** فمفعوله مقدّر.

قوله: (لكونه بدلًا من الواو وفي ﴿كَانُوا۟﴾) بدل الاشتمال.

لا بـ ﴿قَلِيلًا﴾ لأنه صار موصوفًا بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أي كان هجوعهم قليلًا من الليل، ولا يجوز أن تكون «ما» نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلًا ويحيونه كله لأن «ما» النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول: زيدًا ما ضربت ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾ وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين (**فإذا أسحروا**) أخذوا في الاستغفار (**كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم**)، والسحر السدس الأخير من الليل.

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾

﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ﴾ لمن يسأل لحاجته ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ أي الذي يتعرض ولا يسأل حياء.

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ تدلّ على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوّة كالبساط لما فوقها، وفيها المسالك (**والفجاج**) للمتقلبين فيها وهي مجزأة؛ فمن (**سهل**) ومن جبل وصلبة ورخوة (**وعذاة وسبخة**)، وفيها عيون متفجرة ومعادن مفننة ودواب منبثة مختلفة الصور والأشكال متباينة الهيئات والأفعال ﴿لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصّل إلى المعرفة، فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيقانًا على إيقانهم.

قوله: (**فإذا أسحروا**) أي أدخلوا في السحر على أن همزة الأفعال للدخول كأصبح الرجل. **قوله**: (**كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم**) إذ الاستغفار يشعر بالجرائم وفي نفس الأمر لا يخلو الإنسان عنها. قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ [عَبَسَ: الآية ٢٣] لكنهم في ذلك الليل لم يجرموا بل اشتغلوا بأنواع العبادات لكنهم لكمال خوفهم مع الرجاء عاملوا معاملة المجرمين واستغفروا ربهم مثل المذنبين لعدم اغترارهم بالعبادات واستقلال أعمالهم.

قوله: (**والفجاج**) المسالك. **قوله**: (**سهل**) السهل خلاف الجبل. اهـ مصباح. **قوله**: (**وعذاة**) في الصحاح العَذاة الأرض الطيبة التربة. اهـ. **قوله**: (**وسبِخة**) بكسر الباء وبفتحها أيضًا أي ملحة. اهـ. مصباح.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما (ركز) فيها من العقول (وبالألسن) والنطق ومَخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها مع الأسماء والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له، وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا (جسا) منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل، (﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾). وما قيل إن التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم ضعيف لأنه يفضي إلى تقديم ما في حيّز الاستفهام على حرف الاستفهام ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ تنظرون نظر مَن يعتبر ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي المطر لأنه سبب الأقوات، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الجنّة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش، أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبىٰ كله مقدور مكتوب في السماء.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ الضمير يعود إلى الرزق أو إلى ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ (**بالرفع: كوفي غير حفص**) صفة للحق أي حق مثل نطقكم، وغيرهم بالنصب أي إنه لحقّ حقًّا مثل نطقكم، ويجوز أن يكون فتحًا لإضافته إلى غير متمكن و«ما» مزيدة.

قوله: (ركز) أي أثبت. **قوله**: (وبالألسن) جمع لسان مثل ذراع وأذْرُع.
قوله: (جسا) في المصباح يُقال: جسا الشيء يجسو إذا يبس وصلب. اهـ.

قوله: (﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾) أي المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقا.

قوله: (**بالرفع: كوفي غير حفص**)... الخ عبارة تفسير النيسابوري «مثل ما» بالضم حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص الباقون ﴿مثل﴾ بالفتح. اهـ.

(وعن الأصمعي) أنه قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على **(قعود)** فقال: مَن الرجل؟ فقلت: من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الله، قال: اتلو عليّ فتلوت ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ فلما بلغت قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ قال: حسبك. فقام إلى ناقته فنحرها **(ووزعها)** على مَن أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّى، فلما حججت **(مع الرشيد**

قوله: (وعن الأصمعي) هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحّدة ابن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء وكسرها وبعدها راء ابن رباح. كان الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحوها ونحو وإمامًا في الأخبار والنوادر والملح والغرائب سمع شعبة بن الحجاج والحمادين ومسعر بن كدام وغيرهم. وروَى عنه عبد الرحمٰن ابن أخيه عبد الله وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وغيرهم وهو من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد وكانت ولادة الأصمعي سنة اثنتين. وقيل: ثلاث وعشرين ومائة وتُوفي في صفر سنة ست عشرة، وقيل: أربع عشرة، وقيل: سبع عشرة ومائتين بالبصرة. وقيل: بمرو رحمه الله تعالى والأصمعي نسبة إلى جده أصمع.

قوله: (قعود) بفتح قاف في مجمع بحار الأنوار القعود من الإبل ما أمكن أن يركب وأدناه أن يكون له سنتان ثم هو قعود إلى أن يثني فيدخل في السنة السادسة ثم هو جمل. اهـ. **قوله: (ووزعها)** في المصباح وزعت المال توزيعًا قسمته أقسامًا. اهـ. **قوله: (مع الرشيد)** هارون أبي جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس استُخلف بعهدٍ من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة.

قال الصولي: هذه الليلة وُلد له عبد الله المأمون، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة ووُلد خليفة إلا هذه الليلة وكان يُكنى أبا موسى فتكنّى بأبي جعفر حدّث عن أبيه وجده ومبارك بن فضالة. روى عنه ابنه المأمون وغيره وكان من أمْيَزِ الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا وكان كثير الغزو والحج. وكان

وطفقت) أطوف فإذا أنا بمن (**يهتف**) بي بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد (**نحل**) واصفرّ فسلّم عليّ واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله مَن ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثًا وخرجت معها نفسه!.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله ﷺ وإنما عرفه بالوحي (**وانتظامها بما قبلها**) باعتبار أنه قال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ﴾ وقال في آخر هذه القصة ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ ﴿حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لأنه في الأصل مصدر ضافه، وكانوا اثني عشر ملكًا. وقيل: تسعة عاشرهم جبريل. وجعلهم ضيفًا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم (**أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك**) ﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ عند الله لقوله ﴿بَلۡ

أبيض طويلًا جميلًا مليحًا فصيحًا له نظر في العلم والأدب وكان يُصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلّا لعلّة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف دينار وكان يُحب العلم وأهله ويعظّم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص. مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ودُفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس وأربعون سنة. **قوله**: (**وطفقت**) في لسان العرب طفق يفعل كذا يطفَق طَفقًا جعل يفعل وأخذ.اهـ. **قوله**: (**يَهتُف**) في المصباح هتف به هتفًا من باب ضرب صاح به ودعاه.اهـ. **قوله**: (**نحل**) في المصباح نحل الجسم ينحل بفتحتين نحولًا سقم ومن باب تعب لغة.اهـ.

قوله: (**وانتظامها بما قبلها**)... الخ أي وجه انتظام هذه الآية بما قبلها أن إيراد قصّة الخليل ولوط عليهما السلام لكونها توطئة لما ذكر في آخر القصة من قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ [الذاريات: الآية ٣٧] كأنه قيل: ومن الآيات الواقعة في الأرض ما بقي من آثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم ومخالفة نبيهم. **قوله**: (**أو لأنهم كانوا في حسبانه كذلك**) فالتسمية على اعتقاد المخاطب وحسبانه.

عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٦] وقيل: لأنه خدمهم بنفسه (**وأخدمهم امرأته**) وعجّل لهم (**القرى**).

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ نصب بـ ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ (**إذا فسّر بإكرام إبراهيم لهم**) وإلا فبإضمار اذكر ﴿فَقَالُوا سَلَٰمًا﴾ مصدر سادٌّ مسد الفعل مستغنى به عنه، وأصله تسلم عليكم سلامًا ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ (**أي عليكم سلام**) فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف، والعدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذًا بأدب الله، وهذا أيضًا من إكرامه لهم. (**حمزة وعليّ: سلم**) والسلم السلام ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ (**أي أنتم قوم**) منكرون فعرفوني مَن أنتم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به (**الضيف**) حذرًا من أن (**يكفه**)، وكان عامّة مال

قوله: (**وأخدمهم امرأته**) سارة رضي الله تعالى عنها خدمتهم مستورة أو من وراء الستر، وهذا من كمال تواضعه وفرط رغبة في إكرام الضيف. وهكذا ينبغي أن يصنع لكل مؤمن تقيّ. **قوله**: (**القِرى**) بالكسر والقصر مصدر قريت الضيف أحسنته بالضيافة.

قوله: (**إذا فسّر بإكرام إبراهيم لهم**) لأن إكرام الله لهم لا يتقيد). **قوله**: (**أي عليكم سلام**) وترك الواو في عليكم دليل على أن الإجابة حاصلة بدون الواو وقد ناقش فيه بعض العلماء والحاصل إتيان الواو أولى في شرعنا. اهـ. قنوي رحمه الله.

قوله: (**أي أنتم قوم**) أي قوم خبر المحذوف من مقوله عليه السلام ولم يعطف لكمال الانقطاع لكون الأول إنشاء والثاني خبرًا ولأن الأول تحية بخلاف الثاني. **قوله**: (**حمزة وعليّ «سلم»**) بكسر السين وسكون اللام بلا ألف والباقون سلام بفتح السين واللام وألف. **قوله**: (**والسلم**) بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام. **قوله**: (**يكفه الضيف**) أي يمنعه من المجيء بالقرى لأنه غير محتاج إليه أو لا يريده.

إبراهيم عليه السلام البقر ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ ليأكلوا منه فلم يأكلوا ﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ۝٢٩﴾

﴿فَأَوۡجَسَ﴾ فأضمر ﴿مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ خوفًا لأن مَن لم يأكل طعامك لم يحفظ **(ذمامك)**. عن ابن عباس رضي الله عنهما: وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ إنا رسل الله، وقيل: مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ أي يبلغ ويعلم والمبشر به إسحٰق عند الجمهور. ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ في صيحة من صرّ القلم والباب، قال الزجاج: الصرّة شدّة الصياح هٰهنا ومحله النصب على الحال أي فجاءت صارة. وقيل: فأخذت في صياح وصرتها قولها: **(يا ويلتا)** ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ فلطمت ببسط يديها. وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ أي أنا عجوز فكيف ألد كما قال في موضع آخر ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: الآية ٧٢].

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٠ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٣١﴾

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾ **(مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به (﴿قَالَ رَبُّكِۖ﴾ أي إنما نخبرك عن الله تعالىٰ والله قادر على ما تستبعدين)** ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في فعله

قوله: **(ذمامك)** في لسان العرب الذمام بالكسر والفتح الحق والحرمة.اهـ. **قوله**: **(يا ويلتا)** كلمة تُقال عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الإضافة. **قوله**: (﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾) لي تسع وتسعون سنة (﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾) له مائة وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من معنى الإشارة.

قوله: **(مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به** (﴿قَالَ رَبُّكِۖ﴾) يعني أن الكاف في ﴿كَذَٰلِكِ﴾ في محل النصب على أنه صفة لمصدر ﴿قَالَ رَبُّكِۖ﴾. **وقوله**: (﴿قَالَ رَبُّكِۖ﴾) ذكر الرب هنا وإضافته إلى سارة فيه لطف لا يُخفى. **قوله**: **(أي إنما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين)** فكوني على تيقّن واحذري عن هذا الاستعجاب.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه شيء. ورُوِيَ أن جبريل قال لها حين استبعدت: انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة. ولما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بأمر الله رسلًا في بعض الأمور ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي فما شأنكم و(**ما طلبتكم**) وفيم أرسلتم؟ ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أرسلتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أولهما.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ أُريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ (**الآجر اللبن**) حتى صار في صلابة الحجارة ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ (**معلَّمة**) من (**السومة**) وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في ملكه وسلطانه ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ سمّاهم مسرفين كما سمّاهم عادين لإسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما أُبيح لهم.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني لوطًا ومَن آمن به ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ أي غير أهل بيت وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد لأن الملائكة سمّوهم مؤمنين ومسلمين هنا ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ في قراهم ﴿ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم. قيل: (**هي ماء أسود منتن**).

قوله: (**ما طَلبتكم**) الطلب وزان كلمة الحاجة.

قوله: (**الآجرّ اللبن**) إذا طُبخ بمدّ الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف الواحدة آجُرَّة وهو معرّب كذا في المصباح. **قوله**: (**معَلَّمة**) في المصباح علمت له علامة بالتشديد وضعت له أمارة يعرفها. اهـ. **قوله**: (**السومة**) بالضم.

قوله: (**هي ماء أسود منتن**) بأرضهم وكأنه بحيرة طبرية. اهـ. شهاب.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ على معنى وجعلنا في موسى آية (**كقوله**:

علفتها تبنًا وماءً باردًا)

﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة ظاهرة وهي اليد والعصا ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ فأعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ بما كان يتقوّى به من جنوده وملكه، والركن ما (**يركن**) إليه الإنسان من مال وجند ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ أي هو ساحر ﴿أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ آتٍ بما يُلام عليه من كفره وعناده. وإنما وصف يونس عليه السلام به في قوله: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: الآية ١٤٢] لأن موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فراكب الكفر ملوم على مقداره، وراكب الكبيرة والصغيرة والذلّة كذلك، والجملة مع الواو حال من الضمير في ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾.

قوله: (**كقوله**) أي الفراء:

(علفتها تبنًا وماءً باردًا)

أي وسقيتها ماءً باردًا حذف المعطوف وأبقى العاطف اعتمادًا على دلالة ما يدل عليه لأن الماء لا يكون معلوفًا بل مشروب، وكذا قوله في موسى: لا يصح أن يتعلق بتركنا إذ لا يستقيم أن يُقال تركنا في موسى كما يصح أن يُقال: تركنا في قرى قوم لوط آية لأن ترك الشيء في الشيء يُنبىء عن إبقائه فيه وهو يستلزم بقاء الشيء الثاني فإذا لم يبق موسى فكيف يبقى ما ترك فيه فيجب أن يكون المعنى وجعلنا في موسى أي في قصته وإرساله إلى فرعون وإنجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية، وهذه الآية تدلّ على أن مَن خالف الرسول لا يفلح أبدًا. فكيف تجترئون على مخالفة نبيكم وتدلّ أيضًا على كمال علمه تعالى وقدرته وتدبيره في خلقه على ما تقتضيه الحكمة. فكيف لا تنظرون نظر من يعتبر فتعرفون قدرته على البعث وما فيه من الحكمة. **قوله**: (**يركن**) أي يميل.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ هي التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو (إلقاح) شجر وهي ريح الهلاك، واختلف فيها **(والأظهر أنها الدبور لقوله** ﷺ: **«نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»)** ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ هو كل ما رام أي يلي وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك، والمعنى ما تترك من شيء هبّت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم إلا أهلكته ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: (﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾) [هود: الآية ٦٥].

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ **(فاستكبروا عن امتثاله)** ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة (﴿الصَّاعِقَةُ﴾ **علي**) وهي المرة من مصدر صعقتهم

قوله: **(إلقاح)** إحْبَال. **قوله**: **(والأظهر أنها الدبور)** بفتح الدال وضم الباء، الرياح أربع الدبور والصبا والجنوب بفتح الجيم والشمال بفتح الشين، فالدبور ما تهب من جانب المغرب، والصبا ما تهب من جانب المشرق، والجنوب ما تهب عن يمين مَن يتوجّه إلى المشرق، والشمال ما تهب من جانب يساره. **قوله**: **(لقوله عليه السلام: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»)** رواه أحمد في الزهد والبخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (﴿تَمَتَّعُوا﴾) عيشوا (﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾) ثم تهلكون.

قوله: **(فاستكبروا عن امتثاله)** إشارة إلى وجه تعدية فعل العتو بكلمة ﴿عَنْ﴾ مع أنه قد عدّي بكلمة على في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦٩] وحاصله أن فيه معنى الاستكبار فعدّي تعديته. قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٦] وحيث استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبّر علينا. **قوله**: (﴿الصَّاعِقَةُ﴾) بإسكان العين والألف قبلها **(علي)** الكسائي والباقون بكسر

الصاعقة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ لأنها كانت نهارًا يعاينونها ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ أي هرب أو هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لأن معنى الانتصار المقابلة ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي وأهلكنا قوم نوح لأن ما قبله يدلّ عليه، أو واذكر قوم نوح. **(وبالجر أبو عمرو وعليّ وحمزة)** أي وفي قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله ﴿وفي قوم نوح﴾ ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ كافرين.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ نصب بفعل يفسّره ﴿بَنَيْنَٰهَا (بِأَيْيْدٍ﴾ **بقوة)** والأيد القوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون من الوسع وهي الطاقة والموسع على الإنفاق أو لموسعون ما بين السماء والأرض ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ **(بسطناها ومهدناها)** وهي منصوبة بفعل مضمر **(أي)** فرشنا الأرض فرشناها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ **(نحن)** ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الحيوان ﴿خَلَقْنَا (زَوْجَيْنِ)﴾ ذكرًا وأُنثى. وعن الحسن: السماء والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة، فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالىٰ فرد لا مثل له ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه.

العين وقبلها ألف. **قوله: (وبالجر أبو عمرو وعليّ وحمزة)** عطف على ثمود أي وفي إهلاكهم بماء السماء والأرض آية، وبالنصب وهي قراءة الباقين.

قوله: (﴿بِأَيْيْدٍ﴾) رسمت بأيد بياءين بعد الألف. **قوله:** (**بقوة**) أشار إلى أن الأيد والآد القوة يُقال: آد الرجل يئيد أيدًا أي اشتدّ وقوي فهو أيّد أي قوي وليس بجمع يد. ولو قيل إنه جمع يد يكون كناية عن القوة أو مجازًا. **قوله:** (**بسطناها ومهدناها**) أشار إلى أن الفراش مجاز عن البسط والتسوية. **قوله:** (**أي نحن**) إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. **قوله:** (﴿زَوْجَيْنِ﴾) أي صنفين ونوعين مختلفين.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أي من الشرك إلى الإيمان بالله أو من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمـٰن أو مما سواه إليه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ والتكرير للتوكيد والإطالة في الوعيد أبلغ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ **(الأمر مثل ذلك)** وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرًا أو مجنونًا. ثم فسّر ما أجمل بقوله: ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ من قبل قومك ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ رموهم بالسحر أو الجنون لجهلهم.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ الضمير للقول أي أتواصى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعًا متفقين عليه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ أي لم يتواصوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلّة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادًا ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ فلا لوم عليك في إعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ﴿وَذَكِّرۡ﴾ وعظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بأن تزيد في عملهم «وما ﴿خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ العبادة إن حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعني ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله: **(الأمر مثل ذلك)** يعني أن محل الكاف الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والمعنى أمر كل قوم بالنسبة إلى رسولهم مثل أمر كُفار مكة معك من حيث إن الرسل قبلك كذبوا كما كذبت. وقيل فيهم أقوالٌ مختلفة كما قيل فيك فلا تأسَ على تكذيب قومك إياك. ثم فسّر ما أجمله بقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾. فقال: ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين﴾ وهذا لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم، فإذا لم يؤمنوا علم أنه خلقهم لجهنّم كما قال: ﴿وَلَقَدْ (ذَرَأْنَا) لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩]. **(وقيل: إلا لآمرهم بالعبادة)** وهو منقول عن علي رضي الله عنه. **(وقيل: إلا ليكونوا عبادًا لي)**. والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل عبادة في القرآن فهي توحيد. والكل يوحدونه في الآخرة لما عرفه أن الكفار كلهم مؤمنون موحدون في الآخرة دليلة قوله: ﴿(ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ) إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ٢٣]. نعم قد أشرك البعض في الدنيا بالإضافة إلى الأبد أقل من يوم، ومَن اشترى غلامًا وقال: ما اشتريته إلا للكتابة كان صادقًا في قوله **(ما اشتريته إلا للكتابة)**، وإن استعمله في يوم من عمره لعمل آخر.

قوله: (﴿ذَرَأْنَا﴾) خلقنا. **قوله:** **(وقيل: إلا لآمرهم بالعبادة...)** الخ يعني أن لام الغاية(١) وإن دخلت على العبادة ظاهرًا إلّا أنها في الحقيقة داخلة على ما هو سبب للعبادة وهو الأمر بها فيكون من قبيل ذكر المسبب وإرادة السبب. رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال في تفسير الآية: إلا لآمرهم بالعبادة وأدعوهم إلى عبادتي. ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: الآية ٣١] وقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البيّنة: الآية ٥]. **قوله:** **(وقيل: إلّا ليكونوا عبادًا لي)** قيل عليه أن عبد بمعنى صار عبدًا ليس من اللغة في شيء إلّا أن يُقال إنه من عبد بمعنى خدم وخضع والخدمة والخضوع من لوازم العبودية فهو مجاز مرسل وفيه نظر. اهـ شهاب. **قوله:** (﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن﴾) بالتاء والياء (﴿فِتْنَتُهُمْ﴾) بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الأنعام: الآية ٢٣]: أي قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: الآية ٢٣] بالجر نعت والنصب نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٣]. **قوله:** **(ما اشتريته إلا للكتابة)** في المصباح كاتبت العبد مكاتبة

---

(١) فهي للغاية والعاقبة لا للصلة الباعثة لما هو معلوم من أن الله لا يبعثه شيء على شيء. منه ١٢ تحريره.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩﴾

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدًا من عبادي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ قال **(ثعلب)**: أن يطعموا عبادي وهي إضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرًا عن الله تعالىٰ: «من أكرم مؤمنًا فقد أكرمني ومَن آذى مؤمنًا فقد آذاني» ﴿إِنَّ

وكتابًا من باب قاتل. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [النور: الآية ٣٣] وكتبنا كتابًا في المعاملات كتابة بمعنى وقول الفقهاء باب الكتابة فيه تسامح لأن الكتابة اسم المكتوب. وقيل للمكاتبة كتابة تسمية باسم المكتوب مجازًا واتساعًا لأنه يكتب في الغالب للعبد على مولاه كتاب بالعتق عند أداء النجوم، ثم كثر الاستعمال حتى قال الفقهاء للمكاتبة كتابة وإن لم يكتب شيء. قال الأزهريّ: وسُميت المكاتبة كتابة في الإسلام وفيه دليل على أن هذا الإطلاق ليس عربيًّا وشذّ الزمخشريّ فجعل المكاتبة والكتابة بمعنى واحد ولا يكاد يوجد لغيره ذلك. ويجوز أنه أراد الكتاب فطغا القلم بزيادة الهاء. قال الأزهريّ: الكتاب والمكاتبة أن يُكاتب الرجل عبده أو أمته على مال منجم ويكتب العبد عليه أنه يعتق إذا أدّى النجوم. وقال غيره بمعناه. وتكاتبا كذلك فالعبد مكاتب بالفتح اسم مفعول وبالكسر اسم فاعل لأنه كاتب سيّده فالفعل منهما والأصل في باب المفاعلة أن يكون من اثنين فصاعدًا يفعل أحدهما بصاحبه ما يفعل هو به وحينئذٍ فكل واحد فاعل ومفعول من حيث المعنى. اهـ.

قوله: **(ثعلب)** هو أبو العباس أحمد بن يحيىٰ بن زيد بن سيار النحوي المعروف بثعلب كان إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار. ورَوَى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر بن الأنباريّ وأبو عمر الزاهد وغيرهم وكان ثقة حجة صالحًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم مقدمًا عند الشيوخ منذ هو حدث وكان ابن الأعرابيّ إذا شك في شيء قال له: ما تقول يا أبا العباس في هذا ثقة بغزارة حفظه. تُوفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادي الأولى وقيل: لعشر خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ودُفن بمقبرة باب الشام رحمه الله تعالى.

﴿اَللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ **(شديد القوة)** والمتين بالرفع صفة لذو، **(وقرأ الأعمش بالجرّ صفة للقوة)** على تأويل الاقتدار ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ رسول الله بالتكذيب من أهل مكة ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ نصيبًا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة. قال **(الزَّجَّاج)**: الذنوب في اللغة النصيب ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ نزول العذاب وهذا جواب **(النضر)** وأصحابه حين استعجلوا العذاب.

قوله: **(شديد القوّة)** معنى المتين فيكون تأسيسًا لا تأكيدًا. **قوله**: **(وقرأ الأعمش بالجر صفة للقوة. . .)** الخ وصف القوّة به مع تذكيره لتأويلها بالاقتدار والجمهور بالرفع. **وفي الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب** ومن ذلك قراءة يحيىٰ والأعمش ذو القوة المتين. قال أبو الفتح: تحتمل أمرين أحدهما أن يكون وصفًا للقوة والآخر أن يكون أراد الرفع وصفًا للرزاق إلّا أنه جاء على لفظ القوّة لجوارها إياه على قولهم هذا جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ.اهـ. باختصار. **وقوله**: **(يحيىٰ)** بن وثاب. **وقوله**: **(الأعمش)** هو أبو محمد سليمان بن مهران كان ثقة عالمًا فاضلًا وكان يُقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وكلّمه لكنه لم يرزق السماع عليه وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس. وَرَوَى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثًا واحدًا ولقي كبار التابعين. ورَوَى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جِلة[1] العلماء تُوفي سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى. **قوله**: **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السريّ بن سهل كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشر، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله**: **(النضر)** بن الحارث أُسر يوم بدر وقُتل كافرًا، قتله عليّ بن أبي طالب أمره رسول الله ﷺ بذلك. أجمع أهل المغازي والسير على أنه قُتل يوم بدر كافرًا وإنما قتله لأنه كان شديدًا على رسول الله ﷺ والمسلمين.

---

(١) بالكسر عظماء سادة ١٢ قاموس.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ أي من يوم القيامة. وقيل: من يوم بدر ﴿ليعبدوني﴾، ﴿أن يطعموني﴾. ﴿فلا يستعجلوني﴾ بالياء في الحالين: **(يعقوب)**، وافقه **(سهل)** في الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم.

قوله: (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**سهل**) بن محمد السجستاني وليس من السبعة.

الحمد لله على إتمام ما يتعلق بسورة الذاريات
والصلاة والسلام على سيّد الكائنات وعلى آله وأصحابه المقسمات

(سورة الطور)

(مكيّة، وهي تسع وأربعون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾

﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى وهو **(بمدين)** ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ هو القرآن **(نُكِّر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب)** أو اللوح المحفوظ أو التوراة (﴿فِي رَقّٖ﴾) هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه ﴿مَّنشُورٖ﴾ مفتوح لا ختم عليه أو لائح ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾ **(أي الضُراح**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الطّوْر، مكيّة)** بجميع آياتها. **قوله:** **(وهي تسع وأربعون آية)** وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف. **قوله:** **(بمدين)** هي أرض شعيب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام من الأرض المقدسة. **قوله:** و**(نكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب)** يعني نكره وهو أعرف المعارف وأشهرها ليدلّ على اختصاصه من جنس الكتب بأمر يتميّز به عن سائرها. **قوله:** (﴿فِي رَقّٖ﴾) هو بفتح الراء على الأشهر ويجوز كسرها كما قُرِىء به شاذًا. وأما الرق الذي هو ملك الأرقاء فهو بكسر الراء لا غير. **قوله:** **(أي الضُراح)** بضم الضاد المعجمة بعدها راء مهملة ثم ألف وحاء مهملة وهو البيت المعمور سُمّيَ به

وهو **بيت في السماء حيال الكعبة**) وعمرانه بكثرة (زواره) من الملائكة. رُوِيَ أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون إليه أبدًا. وقيل: الكعبة معمورة (**بالحجاج والعمار**).

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ أي السماء أو العرش ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ (**المملوء**) أو الموقد، والواو الأولى للقسم والبواقي للعطف، وجواب القسم.

لاشتقاقه من المُضارحة وهي المُقابلة. يُقال: ضارح صاحبك في الرأي أي قابله سُمِّيَ بذلك لكونه مقابلًا للكعبة وقيل: هو من الضرح وهو البعد سُمِّيَ به لارتفاعه وبُعده عن الناس. **قوله**: (**وهو بيت في السماء حيال الكعبة**) بكسر الحاء أي قبالتها.

وعبارة البيضاوي والكشاف وهو في السماء الرابعة. اهـ. **وفي حاشية البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب**.

قوله: (وهو في السماء الرابعة) وفي الكشف ما في الحديث الصحيح من أنه في السماء السابعة لا يُنافي هذا فقد ثبت أن في كل سماء بحيال الكعبة في الأرض بيتًا وأما الذي كان في زمن آدم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام فرُفع بعد موته فهو في الرابعة. كما نقله الأزرقي في تاريخ مكة فهذا هو المراد وما وقع في الحديث محمول على غيره فلا يعارضه كما توهّم لتعدد البيت المعمور بمعنى الضُراح الكائن في السماء. فالقول بأنه لا يدفع التنافي مكابرة اهـ. **قوله**: (زوّاره) **في المصباح** زاره يزوره زيارة وزورًا قصده فهو زائِر وزورٌ وزوّار مثل سافر وسفر وسفار ونسوة زَور أيضًا وزُوَّرٌ وزائرات والمزار يكون مصدرًا وموضع الزيارة والزيارة في العرف قصد المزور إكرامًا له واستئناسًا به. اهـ. **وفي الصحاح** الزور أيضًا الزائرون. يُقال رجل زائر وقوم زوْر وزُوّار مثل سافر وسفر وسُفار ونسوة زَور أيضًا وزُوَّرٌ ومثل نُوَّم ونوَّح وزائرات. **قوله**: (**بالحُجّاج**) جمع الحاج (**والعمار**) أي المعتمرين وهو بضم العين وتشديد الميم جمع عامر بمعنى المعتمر.

قوله: (**المملوء**) من قولك سجرت الإناء أي ملأته أو الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور يُقال: سجرت التنور أسجره سجرًا إذا أحميته لما رُوِيَ أن

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ أي الذي أوعد الكفار به ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ لنازل. قال **(جبير بن مطعم)**: أتيت رسول الله ﷺ أكلمه في الأسارى فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور، فلما بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ أسلمت خوفًا من أن ينزل العذاب ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾ لا يمنعه مانع والجملة صفة لـ «واقع» أي واقع غير مدفوع.

والعامل في ﴿يَوْمَ﴾ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي يقع في ذلك اليوم، أو اذكر ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ تدور **(كالرحى)** مضطربة ﴿ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ في الهواء كالسحاب لأنها تصير **(هباءً)** منثورًا.

الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارًا ويزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: الآية ٦]. وعن كعب أنه قال: هو البحر يسجر فيكون جهنم. وقيل: يحمى البحر فيكون شراب أهل النار.

قوله: **(جبير بن مطعم)** بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ القرشي النوفلي يكنّى أبا محمد، وقيل: أبا عدي وكان من حلماء قريش وساداتهم وكان يُؤخذ عنه النسب لقريش وللعرب قاطبة وكان يقول: أخذت النسب عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه وجاء إلى النبيّ ﷺ فكلّمه في أسارى بدر، فقال: لو كان الشيخ أبوكِ حيًّا فأتانا فيهم لشفعناه وكان له عند رسول الله ﷺ يد وهي أنه كان أجار رسول الله ﷺ لما قدم من الطائف حين دعا ثقيفًا إلى الإسلام وكان أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب وإياه عنى أبو طالب بقوله:

مطعم إن القوم ساموك خطة   وإني متى أوكل فلست بآكل

وكانت وفاة المطعم قبل بدر بنحو سبعة أشهر وكان إسلام ابنه جبير بعد الحديبية وقبل الفتح، وقيل: أسلم في الفتح. ورَوى عنه سليمان بن صرد وعبد الرحمٰن بن أزهر وابناه نافع ومحمد ابنا جبير وتُوفي جبير سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وخمسين. **قوله**: **(كالرحى)** مقصور الطاحون. **قوله**: **(هباءً)** غبارًا.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ غلب الخوض في **(الاندفاع)** في الباطل والكذب ومنه قوله: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: الآية ٤٥] ويبدل ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ والدع: الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ويدفعونهم إلى النار دفعًا على وجوههم و **(زخًا)** في أقفيتهم فيقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ **(﴿هَٰذَآ﴾ مبتدأ و«سحر» خبره)** يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضًا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن المخبر

قوله: (الاندفاع) المُضِيّ. **قوله: (زَخًا)** في أقفيتهم في **لسان العرب** زَخَّ في قفاه يَزُخّ زخًا دفع. وقال ابن دُرَيْد كل دفع زَخٌّ.اهـ. والأقفية جمع القفا مقصور مؤخّر العنق.

قوله: (﴿هَٰذَآ﴾ مبتدأ و«سحر» خبره) أي ﴿أَفَسِحْرٌ﴾ خبره قدم الخبر لأن الاستفهام له صدر الكلام ولأن شأن البلغاء تقديم ما لهم به مزيد العناية والاهتمام وهو في هذا المقام توبيخ المشركين بنسبته عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الآيات إلى السحر والتغطية على الأبصار ولما كانت الفاء العاطفة تقتضي معطوفًا عليه حتى يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدّره، فقال: يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر فالأحوال التي شاهدتموها اليوم مما يصدّق ذلك الوحي أسحر هو أيضًا ومصداق الشيء بكسر الميم ما يصدّقه ويظهر به صدق الشيء وأحوال الآخرة ومشاهدتها تصدّق أقوال الأنبياء في الإخبار عنهما. وأشار بقوله أهذا المصداق إلى وجه تذكير اسم الإشارة مع كونه إشارة إلى النار وهو

عنه كما كنتم عميًا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبر ﴿سَوَآءٌ﴾ محذوف أي سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأن الصبر إنما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بأن يجازي عليه الصابر جزاء الخبر، فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع.

أن تكون النار في تأويل المصداق ونظير هذا الأسلوب أن يستدل عليه المدعى على مذهبه بحجة، فيقول الخصم له ما ذكرته تمويه باطل لا يثبُت به المُدعي فيأتي المستدل بحجة أوضح من الأولى مسكتة للخصم. ويقول: أفتمويه هذا أيضًا تعبيرًا له بالالتزام وطعنًا فيه بنسبته إلى المكابرة والعناد فيما قال له أوّلًا كأنه أنكم كنتم في الدنيا منكرين للبعث وما يتفرّع عليه من الثواب والعقاب فإن كنتم صادقين في ذلك الإنكار لزم أن لا يكون ما أصابكم اليوم من عذاب النار عذابًا ولا ما شاهدتموه في صورة النار نارًا. ومن المعلوم أن مَن رأى شيئًا ولم يكن المرئي في نفس الأمر ذلك الذي رآه فخطأه يكون لأجل أحد أمرين، إما لأمر عائد إلى المرئي وإما لأمر عائد إلى الرائي فأيّ هذين الأمرين كان سبب خطأكم. فقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ أي هل في المرئي تلبيس وتمويه حتى خيّل لكم أنه نار مع كونه ليس بنار في نفس الأمر، أم هل في بصركم خلل فكلمة ﴿أَمْ﴾ متصلة والاستفهام للإنكار أي ليس شيء منهما بثابت فثبت أنكم قد بعثتم وحوسبتم وجوزيتم بأعمالكم وأن الذي ترونه حق وعذاب فهو تقريع شديد وتهكم فظيع. وبعد هذا التقريع يُقال لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي قاسوا حرّها وما فيها من العذاب الشديد أي إذا لم يمكنكم إنكارها، وتحقق عندكم أنه ليس بسحر وأنه لا خلل في أبصاركم فاصلوها.

قوله: (وقيل: على العكس) يعني أن قوله ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف دلّ عليه ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ أي الأمران سواء عليكم أي صبركم وتركه مستويان في عدم النفع فإن الصبر إنما ينفع إذا تعلّق بالشدّة الواقعة ابتداء لا جزاء فإن الصابر عليها يُثاب على صبره فينفعه الصبر لا محالة بخلاف الصبر الذي تعلّق بالشدة الواقعة جزاء فإنه لا ينفع الصابر البتّة لأن الجزاء المؤبّد واجب الوقوع بمقتضى الوعيد فيقع مؤبدًا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

(﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ **في أية جنات** ﴿وَنَعِيمٍ﴾ **أي وأيّ نعيم**) بمعنى الكمال في الصفة أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (﴿فَٰكِهِينَ﴾ **حال من الضمير في الظرف**) والظرف خبر أي متلذذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وعطف قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ أي إن المتقين استقرّوا في جنات... ووقاهم ربهم، أو على ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ على أن تجعل «ما» مصدرية والمعنى فاكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أو الواو للحال و«قد» بعدها مضمرة يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ (**أكلًا وشربًا** ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ **أو طعامًا وشرابًا** ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ **وهو الذي لا تنغيص فيه**).

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾) يجوز أن يكون كلامًا مستأنفًا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة، وأن يكون من جملة ما يُقال للكفار زيادة في غمّهم وتحسرهم. **قوله**: (**في أية جنات** ﴿وَنَعِيمٍ﴾ **أي وأيّ نعيم**...) الخ يعني أن تنكير جنات ونعيم إما للتعظيم أو للنوعية والخصوص. **قوله**: (﴿فَٰكِهِينَ﴾ **حال من الضمير**) المستتر (**في الظرف**) المستتر قيد كونهم في جنات ونعيم بحال كونهم ناعمين[١] به متلذذين للدلالة على كمال حبورهم وسرورهم، فإن الجنة مع كونها دار أهل السعادة قد يتوهم أن مَن يدخلها ربما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها كما هو شأن ناطور الكرم أي مصلحه وحافظه فلما قيل: ﴿وَنَعِيمٍ﴾ أفاد أنهم فيها متنعّمون كما هو شأن المتفرّج بالبستان لا كالناطور والعمال، ثم زاد في بيان نزهة خاطرهم وكمال حبورهم وسرورهم بقوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ فإن المتنعم قد يستغرق في النعم الظاهرة وقلبه مشغول بأمرٍ ما فلما قال: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ تبيّن أن استقرارهم في النعيم ليس إلا في حال كونهم متلذّذين لا يشوب سرورهم وحبورهم شيء من الكدر. **قوله**: (**أكلًا وشربًا** ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾) نبّه به على أن ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ صفة لمصدر محذوف أي أكلًا هنيئًا أو شربًا هنيئًا بطريق التنازع. **قوله**: (**أو طعامًا وشرابًا** ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾) إشارة إلى أن المفعول به محذوف وهنيئًا صفة لذلك المفعول تنازعًا. **قوله**: (**وهو الذي لا تنغيص فيه**)

---

(١) اسم فاعل من النعيم لا من النعومة وقوله: متلذذين تفسير له ١٢ منه رحمه الله.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ موصول بعضها ببعض ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ وقرناهم ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء ﴿عِينٍ﴾ عظام الأعين حسانها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ و﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ خبره ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ (**﴿وأتبعناهم﴾**) أبو عمرو ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ أولادهم (﴿بِإِيمَانٍ﴾) حال من الفاعل ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي نلحق الأولاد بإيمانهم وأعمالهم درجات الآباء وإن قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء. وقيل: إن الذرية وإن لم يبلغوا مبلغًا يكون منهم الإيمان استدلالًا وإنما تلقنوا منهم تقليدًا فهم يلحقون بالآباء. (**﴿ذريتهم﴾ ﴿ذرياتهم﴾ مدني ﴿ذرياتهم﴾ ﴿ذرياتهم﴾ أبو عمرو ﴿ذرياتهم﴾ ﴿ذرياتِهم﴾ شامي**) ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء. (**﴿أَلِتْنَاهُم﴾ مكيّ**)

أي لا تكدير فيه بل ساغ بلا غصّ. يُقال: نغّص الله عليه العيش تنغيصًا أي كدّره وتنغصّت عيشته أي تكدّرت.

قوله: («**وأتبعناهم**») بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون العين وبعد العين نون مفتوحة بعدها ألف (**أبو عمرو**) والباقون بهمزة وصل محذوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين وبعدها تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على آمنوا. **قوله:** (﴿بِإِيمَانٍ﴾) حال من الفاعل أي حال كون الذريّة ملتبسة بإيمان استقلالي أو تبعي. **قوله:** («**ذريتهم ذرياتهم**») الأول بالتوحيد وضم التاء رفعًا على الفاعلية والثاني بالجمع وكسر التاء نصبًا مفعولًا ثانياً (**مدني**) أي قرأه نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. **قوله:** (**ذريّاتهم ذريّاتهم**) بالجمع فيهما مع كسر التاء نصبًا على المفعولية (**أبو عمرو**) البصري.

قوله: (**ذريّاتهم ذريّاتهم كلاهما**) بالجمع مع رفع الأول على ما مرّ ونصب الثاني بالكسرة مفعولًا ثانيًا كما مرّ (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. وكذا سهل ويعقوب، وقرأ الباقون على التوحيد فيهما الأول مرفوعًا والثاني منصوبٌ. **قوله** (﴿أَلِتْنَاهُم﴾) بكسر اللام (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ والباقون بفتحها. فالأولى فمن ألت يألت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم. والثاني

ألت يألِت ألِت يألَت لغتان من الأولى متعلقة بألتناهم **(والثانية زائدة)** ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرهون فنفس المؤمن مرهونة **(بعمله)** وتجازى به.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ وزدناهم **(في وقت بعد وقت)** ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ (مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ **وإن لم يقترحوا)** ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا (كَأْسًا)﴾ خمرًا أي يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾) في شربها (﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾) أي لا يجري بينهم ما يلغي يعني لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا، لأن عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن. (﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ **مكيّ وبصريّ)**.

الثانية فيحتمل أن يكون من ألت يألت كضرب يضرب وأن يكون من ألات يليت كأمات يميت فألتناهم كأمتناهم.

قوله: **(والثانية زائدة)** أي في المفعول الثاني. **قوله**: **(بعمله)** إشارة إلى أن (ما) مصدريّة والكسب بمعنى العمل.

قوله: **(في وقت بعد وقت)** أخذه من الإمداد. **قوله**: (﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾) أي من أنواع اللحم. **قوله**: **(وإن لم يقترحوا)** أي يطلبوا بل بمجرد ما يخطر على قلوبهم يقدم إليهم. **قوله**: (﴿كَأْسًا﴾) خمرًا سمّاها باسم محلها ولذلك أنّث الضمير في قوله: (﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾). اهـ بيضاوي.

وفي حاشيته للعلّامة شيخ زاده رحمه الله الكأس قدح فيه خمر ولا يُسمى كأسًا ما لم يكن فيه شراب كما لا تُسمى مائدة ما لم يكن عليها طعام. اهـ. قوله: (يتعاورون) أي يتجاذب بعضهم الكأس من بعض ويتناول بعضهم بعضًا تلذذًا وتأنسًا. قوله: (يتحاورون) أي يتداولون. **قوله**: (﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ **مكي وبصري)** أي قرأ ابن كثير المكيّ وأبو عمرو البصري بنصب «لغو وتأثيم» من غير تنوين والباقون بالرفع فيهما مع التنوين.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ مملوكون لهم **(مخصوصون)** بهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من بياضهم وصفائهم ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الصدف لأنه رطبًا أحسن وأصفى أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة، في الحديث: «إن أدنى أهل الجنّة منزلة مَن ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك».

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله وما استحقّ به نيل ما عند الله.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي في الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ **(أرقاء)** القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الإيمان وفوت الأمان، أو من رد الحسنات والأخذ بالسيئات ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة والرحمة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنّم لأنها بهذه الصفة ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ من قبل لقاء الله تعالىٰ والمصير إليه يعنون في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سُئِلَ أجاب. **(﴿أنه﴾ بالفتح: مدني)** وعلي أي بأنه أو لأنه ﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ برحمة ربك وإنعامه عليك بالنبوّة ورجاحة العقل ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنًا ولا مجنونًا ملتبسًا بنعمة ربك.

قوله: (مخصوصون) هو معنى اللام.

قوله: (أرقّاء) جمع رقيق. **قوله: (﴿أنه﴾ بالفتح: مدنيّ)** أي نافع. وكذا أبو جعفر المدنيّ وعليّ الكسائيّ والباقون بالكسر على الاستيناف.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر أي ننتظر نوائب الزمانِ فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء (**زهير والنابغة**). و«أم» في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت (**قريش**) يدعون أهل الأحلام (**والنهي**) ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم، (**وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز**).

قوله: (**زُهَير**) هذا هو أبو بُجير بن أبي سُلمى بضم السين. قال في الصحاح: وليس في العرب سُلمى بالضم غيره واسمه ربيعة بن رياح بكسر الراء ثم تحتية مثناة ابن قرّة بن الحرث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أحد الشعراء الثلاثة الفحول المقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق، وإنما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُبياني، وكان عمر لا يقدم على زهير أحدًا، كذا في الإسعاف. **وأيضًا فيه** وكان معاوية رضي الله تعالى عنه يقول: أشعر الشعراء في الجاهلية زهير وفي الإسلام ابن كعب. اهـ. **قوله**: (**والنابغة**) هذا هو أبو أمامة زياد بن معاوية بن خباب بن يربوع بن عنيط بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن غيلان بن مضر أحد شعراء الجاهلية المشهورين وأحد فحولهم المذكورين كذا في الإسعاف. **قوله**: (﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾) ليس أمر إيجاب أو ندب أو إباحة لأن تربصهم هلاكه عليه الصلاة والسلام حرام لا محالة فهو أمر تهديد كما يقول السيد لعبد استمر وافعل ما شئت فإني غير غافل عنك. **قوله**: (**قريش**) وهم ولد النضر بن كنانة. **قوله**: (**والنّهي**) أي العقول جمع نهية كغرفة وغرف سُمِيَ به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح. **قوله**: (**وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز**) فإن عقولهم لما أذت بتصرفها في أمره ﷺ إلى القول بذلك التناقض وكانت سببًا له جعلت كأنها أمرتهم بذلك فإسناد الأمر إلى الأحلام من باب الإسناد إلى السبب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه محمد من تلقاء نفسه ﴿بَل﴾ ردّ عليهم أي ليس الأمر كما زعموا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد إلا واحد من العرب ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿مِّثْلِهِۦٓ﴾ مثل القرآن ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أن محمدًا تقوله من تلقاء نفسه لأنه بلسانهم وهم فصحاء ﴿أَمْ خُلِقُوا۟﴾ **(أم أحدثوا وقدروا)** التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ من غير مقدر ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق. (**وقيل: أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب**) أم هم الخالقون (**فلا يأتمرون**).

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فلا يعبدون خالقهما ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي لا يتدبرون في الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السمٰوات والأرض.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوّة والرزق وغيرهما فيخصّوا مَن شاءوا بما شاءوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على مشيئتهم. وبالسين: (**مكيّ وشاميّ**) ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ منصوب يرتقون به إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن مَن تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون.

قوله: (**أم أحدثوا وقدروا...**) الخ على أن كلمة ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية. **قوله**: (وقيل: **أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب**) فحينئذٍ تكون ﴿مِن﴾ للسببية بمعنى خلقوا لغير شيء أي عبثًا. **قوله**: (**فلا يأتمرون**) أي يمتثلون.

قوله: (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ. **قوله**: (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ.

قال **(الزَّجّاج)**: يستمعون فيه أي عليه ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على التبليغ والإنذار ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ المغرم أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل **(فدحهم)** فزهدهم ذلك في اتباعك ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ **(أي اللوح المحفوظ)** ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إليهم أو أريد بهم كل مَن كفر بالله تعالى ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم **(وذلك أنهم قتلوا يوم بدر، أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته)**.

قوله: **(الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السريّ بن سهل النحويّ رحمهم الله.

قوله: **(فدحهم)** أي أثقلهم **في لسان العرب** الفَدْح إثقال الأمر والحِمْل صاحبه فدحه الأمر والحِمْل والدين يفدحه فدحًا أثقله فهو فادِحٌ. اهـ.

قوله: **(أي اللوح المحفوظ)** على أن يكون بالغيب بمعنى الغائب أو يكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبًا. **قوله**: **(في دار الندوة)** أي في دار المشورة. **قوله**: **(وذلك أنهم قتلوا يوم بدر)** وقصة بدر في السنة الخامسة عشر من النبوّة ولذا وقعت كلمة أم مكررة هنا خمسة عشر مرة للإشارة إلى ما ذُكر ومثله لا يُستبعد من المعجزات القرآنية وإن كان الانتقال لمثله خفيًا ومناسبته أخفى. اهـ شهاب. **قوله**: **(أو المغلبون في الكيد من كايدته فكدته)** أي غلبته في الكيد يعني أنه من باب المغالبة وهو قصد كل غلبة على الآخر في الفعل المقصود لهما فتذكّر الثاني للدلالة على تلك الغلبة كما بيّن في الصرف.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ﴾ والكسف القطعة وهو جواب قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٢] يريد أنهم لشدّة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب ﴿مَّرْكُومٌ﴾ قدركم أي جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب. ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ (يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ **بضم الياء)**: عاصم وشاميّ. الباقون بفتح الياء، يقال: صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وإن لهؤلاء الظلمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

ثم أمره بالصبر إلى أن يقع بهم العذاب فقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بحيث نراك ونكلؤك. وجمع العين **(لأنّ الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله:** ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾)

قوله: (﴿يُصْعَقُونَ﴾ **بضم الياء)** مبنيًا للمفعول من صعقه أي الثلاثي أو من أصعقه أي الرباعي وكلاهما بمعنى أماته فيصعقون على الأول مثل يفتحون. وعلى الثاني مثل يكرمون عاصم وشاميّ أي ابن عامر الشاميّ الباقون بفتح الياء مبنيًا للفاعل أي يموتون يعني أن صعق يتعدّى ولا يتعدّى كسعد وسعدته أنا فهو مسعود.

قوله: **(لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله:** ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾) يعني روعي المناسبة بين الجمعين أعني الأعين وضمير الجماعة وحيث

[طه: الآية ٣٩] (﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ **للصلاة**) وهو ما يقال بعد التكبير

انفرد الضمير أفرد العين في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: الآية ٣٩] أي تربى على رعايتي وحفظي لك. **قوله**: (﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ **للصلاة**...) الخ لما رُوِيَ عن الضحاك والربيع أنهما قالا معناه إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إلٰه غيرك بعد تكبيرة الافتتاح. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت مثل ذلك.اهـ شيخ زاده رحمه الله. **وفي شرح السنّة للإمام البغويّ الشافعيّ رحمه الله** قد اختلف أهل العلم فيما يستفتح به الصلاة من الذكر بعد التكبير فذهب الشافعي إلى حديث عليّ رضي الله عنه. وذهب سفيان وأحمد وإسحٰق وأهل الرأي إلى حديث عائشة رضي الله عنها، ويُروَى ذلك عن عمر رضي الله عنه حين كبّر قال: سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره. وكان مالك لا يقول شيئًا من ذلك وإنما يكبر ويقرأ الحمد لله رب العالمين. وقد رُوِيَ غير هذا من الذكر في افتتاح الصلاة وهو من الاختلاف المُباح فبأيّها استفتح جاز.اهـ بحروفه. قوله: (حديث عليّ رضي الله عنه) وهو قوله عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: وجّهت وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إلٰه إلّا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلّا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشرّ ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك.اهـ. وقوله: (حديث عائشة) رضي الله عنها وهو قوله عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيّ ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إلٰه غيرك. **وفي النسائي أخبرنا** عبيد الله بن فضالة بن إبراهيم قال: حدَّثنا عبد الرزاق، قال: حدَّثنا جعفر بن سليمان عن عليّ بن عليّ عن أبي المتوكّل عن أبي سعيد أن النبيّ ﷺ كان إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك

(سبحانك اللَّهمَّ) وبحمدك، **(أو من أي مكان قمت أو من منامك)** ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ

ولا إلـه غيرك. **أخبرنا** أحمد بن سليمان قال: حدَّثنا زيد بن الحباب قال: حدّثني جعفر بن سليمان عن عليّ بن عليّ عن أبي المتوكّل عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إلـه غيرك. اهـ بحروفه. **وفي الدر المختار** في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه (وقرأ) كما كبّر **(سبحانك اللهم)** تاركًا وجلّ ثناؤك إلا في الجنازة (مقتصرًا عليه)، فلا يضم وجّهت وجهي إلا في النافلة. اهـ. **وفي حاشية المسماة ردّ المحتار**، قوله: (تاركًا...) الخ وهو ظاهر الرواية بدائع لأنه لم ينقل في المشاهير كافي فالأولى تركه في كل صلاة محافظة على المرويّ بلا زيادة وإن كان ثناء على الله تعالى بحر وحلية وفيه إشارة إلى أن قوله في الهداية: لا يأتي به في الفرائض لكن قال صاحب الهداية في كتابه مختارات النوازل. وقوله وجلّ ثناؤك لم ينقل في الفرائض في المشاهير وما رُوِيَ فيه فهو في صلاة التهجّد أيضًا. اهـ. وأيضًا فيها قوله: (إلا في النافلة) لحمل ما ورد في الأخبار عليها فيقرؤه فيها إجماعًا واختيار المتأخرين أنه يقوله قبل الافتتاح معراج وفي المنية وعندهما يقوله قبل الافتتاح يعني قبل النيّة ولا يقوله بعد النيّة بالإجماع اهـ لكن في الحلية الحق أن قراءته قبل النيّة أو بعدها قبل التكبير لم تثبت عن النبيّ ﷺ ولا عن أصحابه. اهـ. وفي الخزائن وما ورد محمول على النافلة بعد الثناء في الأصح. اهـ. وقال في هامشه صحّحه الزاهديّ وغيره. اهـ. وفي **النسائي أخبرنا** يحيىٰ بن عثمان الحمصي قال: حدَّثنا ابن حِمْيَرٍ. قال: حدَّثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر، وذكر آخر قبله عن عبد الرحمـٰن بن هرمز الأعرج عن محمد بن سلمة أن رسول الله ﷺ كان إذا يصلّي تطوّعًا قال: الله أكبر وجّهتُ وجهي للذي فطر السمٰوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين اللهم أنت الملك لا إلـه إلّا أنت سبحانك وبحمدك، ثم يقرأ. اهـ بحروفه فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله**: **(أو من أي مكان قمت)** متعلّق بقوله تعالى: ﴿تَقُومُ﴾ أي إذا قمت من مجلس أيّ مجلس كان قل: سبحان الله وبحمده أي سبّح الله ملتبسًا بحمده عن سعيد بن جبير وعطاء. أي قل حين تقوم

فَسَبِّحْهُ (وَإِدْبَٰرَ) ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار (**زيد**) أي في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت، والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات. وقيل: التسبيح الصلاة إذا قام من نومه، ومن الليل صلاة العشاءين، (**وإدبار النجوم**) صلاة الفجر، وبالله التوفيق.

من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك فإن كان ذلك المجلس خيرًا ازددت إحسانًا وإن كان غير ذلك كان كفّارة لك. وعن أبي هُريرة رضي الله عنه: مَن جلس مجلسًا يكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفّارة لما بينهما. قوله: (**أو من منامك**) لما قيل: إن المراد أن تقول عند القيام من النوم الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني وإليه البعث والنشور. فإنه رُوِيَ أنه كان عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند الانتباه. وقال الكلبيّ: هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة. **قوله:** (﴿وَأَدْبَٰرَ﴾ **زيد**) بن عليّ بفتح الهمزة على أنه جمع دبر بمعنى الآخر والجمهور على الكسر مصدر وكذا قرأه سالم بن أبي الجعد، كما في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب وكذا قرأه الأعمش يعني سليمان بن مهران من رواية الحسن بن سعيد المطوعي كما في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر وعبارته وعن المطوعي («**وأدبار النجوم**») بفتح الهمزة أي أعقابها وآثارها إذا غربت والجمهور على الكسر مصدرًا. اهـ بحروفه.

هذا آخر ما يتعلّق بسورة الطور والحمد لله وحده
والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده

(سورة النجم)

(اثنتان وستون آية) مكيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ②﴾

﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ **(أقسم بالثريا أو بجنس النجوم)** ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا غرب **(أو انتثر يوم القيامة)** وجواب القسم ﴿مَا ضَلَّ﴾ عن قصد الحق ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ أي محمد ﷺ **(والخطاب لقريش)** ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ في اتباع الباطل. وقيل: الضلال نقيض الهدى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة النجم)** وفي نسخة سورة والنجم. **قوله**: **(اثنتان وستون آية)** وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف. **قوله**: **(أقسم بالثريا)** العرب تُسمي الثريا نجمًا وإن كانت في العدد نجومًا يُقال إنها سبعة أنجم ستة ظاهرة وواحدة خفيّة يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عياض أن النبيّ ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا. **قوله**: **(أو بجنس النجوم)** أي لام والنجم للجنس والاستغراق. **قوله**: **(أو انتثر يوم القيامة)** قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ②﴾ أي تساقطت متفرّقة فحينئذٍ يكون المراد بالنجم الجنس لا الثريا فقط. **قوله**: **(والخطاب لقريش)** والتعبير بصاحبكم لكمال التوبيخ على ما ينسبون إليه بأنه عليه السلام نشأ بين أظهركم ولم تشاهدوا منه إلّا الدوام على الصراط السوي والأدب القوي والخلق العليّ حتى اشتهر بينكم أنه صادق أمين فما تنسبون إليه

والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه إنما هو وحي من عند الله يوحى إليه. ويحتجّ بهذه الآية مَن لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام، ويجاب بأن الله تعالى إذا سوّغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقًا عن الهوى. ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ علم محمدًا عليه السلام ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ **(ملك شديد قواه)** والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور، ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين.

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ **(ذو منظر حسن عن ابن عباس)** ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وكان ينزل في صورة **(دحية)** وذلك أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق. وقيل: ما رآه أحد من

ليس إلّا للتعنّت والعناد والإصرار على الإفساد والفساد فلا جرم أنكم مؤاخذون بالعذاب.

قوله: (ملك شديد قواه) أشار إلى أن ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ من إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها مثل حسن الوجه وأن موصوفها محذوف هو الملك وقيل: هو الباري تعالى كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان ١، ٢].

قوله: (ذو منظر حسن عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما عبارة الخازن ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة وشدة. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ذو منظر حسن. وقيل: ذو خلق طويل حسن. اهـ. **قوله: (دحية)** بكسر دال وسكون حاء مهملة ومثناة تحت وعند ابن ماكولا بفتح دال ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن

الأنبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد ﷺ مرتين **(مرة في الأرض ومرة في السماء)**. ﴿وَهُوَ﴾ أي جبريل عليه السلام (﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾) مطلع الشمس ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّى﴾ فزاد في القرب، والتدلّي هو النزول بقرب الشيء.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾

(﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾) مقدار **(قوسين عربيتين)**. وقد جاء التقدير بالقوس

زيد بن امرىء القيس بن الخزرج بفتح الخاء وسكون الزاي وبعدها جيم ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللّات ابن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبيّ صاحب رسول الله ﷺ شهد أُحدًا وما بعدها. **قوله**: **(مرّة في الأرض)** أي في جبل حرّاء. وقيل: بأجياد وهو جبل بمكّة المعظّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا طلع جبريل عليه السلام عليه من جانب المشرق وهو الأُفق الأعلى فملأ الأفق وسدّ الأرض وملأ الأرض فخرّ رسول الله ﷺ مغشيًّا عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدمي فضمّه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه. **قوله**: **(ومرّة في السماء)** أي ورآه أخرى بتلك الصورة وهو في السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: الآيتان ١٣، ١٤]. **قوله**: (﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾) الأُفق الناحية وجمعه آفاق والمراد الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر لا مصطلح أهل الهيئة. اهـ شهاب.

قوله: (﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾) من قِسِيّ العرب أي مقدارهما في القرب وذكر القوس لأن القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، وفي معالم التنزيل معنى قوله: كان بين جبريل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أنه كان بينهما مقدار ما بين الوتر والقوس كأنه غلب القوس على الوتر وهذا إشارة إلى تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه. وقيل: قدر ذراعين وسُمي الذراع قوسًا لأنه يُقاس به المذروع أي يقدر فلم يكن قريبًا قرب التصاق ولا بعيدًا بحيث لا يتأتى معه الإفادة والاستفدة وهو الحد المعهود في مجالسة الأحياء المتأدّبين. **قوله**: **(قوسين عربيتين) في لسان العرب**

والرمح والسوط والذراع **(والباع)** ومنه: «لا صلاة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين»، **(وفي الحديث: «لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدّه خير من الدنيا وما فيها»** . **والقِدّ)** السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين **(فحذفت)** هذه **(المضافات** ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ **أي على تقديركم)** كقوله: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٤٧] وهذا لأنهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص. وقيل: بل أدنى.

﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾

﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ **(إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله:** ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾**)** [فاطر: الآية ٤٥] ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾

القوس معروفة عجميّة وعربيّة. اهـ. **قوله: (والباع)** في المصباح قال أبو حاتم: هو مذكر يُقال هذا باع وهو مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما يمينًا وشمالًا. اهـ. وفي الصحاح الباع قدر مدّ اليدين. اهـ. **قوله: (وفي الحديث «لقاب قوس أحدكم من الجنّة وموضع قدّه خير من الدنيا وما فيها». والقِدّ)** بالكسر السوط وهو في الأصل سَيْر يُقَدّ من جلد غير مدبوغ أي قدر سوط أحدكم وقدر الموضع الذي يَسع سوطَه من الجنة خير من الدنيا وما فيها. **قوله: (فحُذفت المضافات)** محذوفة يضطرّ لتقديرها أي فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين. اهـ جمل. **قوله: (**﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ **أي على تقديركم)** يعني أن كلمة ﴿أَوۡ﴾ فيه للشك من جهة العباد كما أن كلمة لعل كذلك في مواضع من القرآن أي لو رآهما راءٍ منكم لقال: هو قدر قوسين في القرب أو أدنى لا يلتبس عليه مقدار القرب. وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧] فإنه تعالى عالم بمقادير الأشياء فخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة بيننا.

قوله: (إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه ذكر لأنه لا يلتبس كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾**)** أي إضمار ما يعود على الله لكونه معلومًا إذ العبد لا يكون الإلٰه وهذا مستغنٍ عن البيان كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾ [فاطِر: الآية ٤٥] حيث أضمر الأرض مع أنه لم يجر لها ذكر لفظًا أصلًا لكنه لكونه معلومًا بقرينة قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨] مذكور حكمًا وكذا ما نحن فيه.

(تفخيم للوحي الذي أُوحي إليه). قيل: أُوحي إليه إن الجنّة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأُمم حتى تدخلها أُمتك ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ فؤاد محمد ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رآه ببصره **(عن صورة جبريل** عليه السلام**)** أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذبًا **(لأنه عرفه)** يعني أنه رآه بعينه وعرفه **(بقلبه)** ولم يشك في أن ما رآه حق. وقيل: المرئي هو الله سبحانه، رآه بعين رأسه وقيل: بقلبه.

قوله: (تفخيم للوحي الذي أُوحي إليه) إذ الإبهام يفيد التعظيم كقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: الآية ٧٨]. **قوله: (لأنه عرفه بقلبه)** كما رآه بصره.

قوله: (عن صورة جبريل عليه السلام...) الخ عبارة الخازن واختلفوا في الذي رآه فقيل: رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل: هو الله عزّ وجلّ ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل: جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن عباس. رَوى مسلم عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾. قال: رأى ربّه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربّه عزّ وجلّ وروى عكرمة عن ابن عباس. قال: إن الله عزّ وجلّ اصطفى إبراهيم بالخلّة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدًا بالرؤية. وقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلّم موسى مرتين ورآه محمد مرتين. أخرجه الترمذّي بأطول من هذا، وكانت عائشة تقول: لم يرَ رسول الله ﷺ ربّه. وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق. قال: قلت لعائشة: يا أُمّاه هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدًا رأى ربّه فقد كذب ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]. ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: الآية ٥١]. ومَن حدّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] ومَن حدثك أنه كتم أمرًا فقد كذب ثم قرأت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. أخرجاه في الصحيحين. رَوى مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه **(من مري)** الناقة **(كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه، ﴿أفتمرونه﴾ حمزة وعلي وخلف ويعقوب)**، أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة

قال: نورٌ أنى أراه. اهـ بحروفها. وفي الخطيب وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمة وهو الذي يرجع في المعضلات وقد راجعه أبو عمرو فأخبره أنه رآه، ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لأنها لم تخبر أنها سمعت رسول الله ﷺ أنه قال: لم أرَ وإنما اعتمدت على الاستنباط مما تقدّم وجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يُحاط به. وإذا ورد النصّ بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة. وأُجيب عن احتجاجها بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٥١] الآية، بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدّم من الأدلّة.

وأما قوله صلّى الله عليه وسلّم: «نورٌ أنّى أراه»، فقال الماوردي: الضمير في أراه عائد إلى الله تعالى ومعناه أنه خالق النور المانع من رؤيته أي رؤية إحاطة كما مرّ إذ من المستحيل أن تكون ذات الله نور إذ النور من جملة الأجسام والله تعالى منزّه عن ذلك. اهـ بحروفه.

قوله: **(من مري)** الناقة إذا مسح ظهرها وضرعها ليخرج لبنها وتدرّ به. **قوله**: **(كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه)** إشارة إلى وجه الشبه. **وقوله**: **(يمري)** أي يطلب الوقوف على ما عند صاحبه ليلزمه الحجة ويغلب عليه فكأنه استخرج درّه. **قوله**: **(﴿أفتمرونه﴾)** بفتح التاء وسكون الميم بلا ألف على أنه من فعله المسند إلى الغالب في باب المغالبة أو من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه وعُدي بـ ﴿عَلَىٰ﴾ لتضمنه معنى الغلبة **(حمزة وعليّ)** الكسائي **(وخلف)** بن هشام البزار وليس من السبعة. وله اختيار **(ويعقوب)** بن إسحٰق الحضرميّ وليس من السبعة، والباقون بضمّ التاء وفتح الميم وألف بعدها من ماراه يماريه مراء جادله.

قال: ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ فعدي بـ «على» كما تقول غلبته على كذا. وقيل: أفتُمرونه أفتجحدونه يقال: مريته حقه إذا جحدته وتعديته بـ «على» لا تصحّ إلا على مذهب التضمين.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نزلة أُخرى في صورة نفسه فرآه عليها **(وذلك ليلة المعراج)** ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ **(الجمهور على أنها شجرة نبق)** في السماء السابعة عن يمين العرش. (و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ **بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء)** كأنها في منتهى الجنّة وآخرها، وقيل: لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ أي الجنّة التي يصير إليها المتقون. وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي رآه إذ يغشى السدرة ما يغشى، وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالّة على عظمة الله تعالىٰ وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف. وقد قيل: يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالىٰ عندها. وقيل: يغشاها فراش من ذهب ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ بصر رسول الله ﷺ ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر

قوله: **(وذلك ليلة المعراج)** من المعلوم أن المعراج كان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر أو بثلاث سنين على الخلاف والرؤية الأولى كانت في بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين. اهـ جمل. **قوله**: **(الجمهور على أنها شجرة نبق)** بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة، ويُقال فيه: نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الإصلاح وهي لغة البصريين والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبيّ ﷺ. **قوله**: (و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ **بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء)** فالمنتهى اسم مكان أو مصدر ميمي.

برؤيتها ومكن منها ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ وما جاوز ما أمر برؤيته ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ والله لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ (ٱلْكُبْرَىٰٓ)﴾ الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به إلى السماء فأري عجائب الملكوت.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ أي أخبرونا عن هذه الأشياء التي تعبدونها من دون الله ﷿ هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزّة؟ اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات، فاللات كانت **(لثقيف)** بالطائف. وقيل: كانت **(بنخلة)** تعبدها قريش **(وهي فعلة من لوي)** لأنهم كانوا **(يلوون)** عليها ويعكفون للعبادة، والعزى كانت **(لغطفان)** وهي **(سمرة)** وأصلها تأنيث الأعزّ وقطعها **(خالد بن الوليد)**، ومناة صخرة كانت

قوله: (﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾) فيه وجهان أحدهما وهو الظاهر أن ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ مفعول به لـ ﴿رَأَىٰ﴾ ﴿مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ﴾ حال مقدمة والتقدير، لقد رأى الآيات الكبرى حال كونها من جملة آيات ربّه. والثاني أن ﴿مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ﴾ مفعول لـ ﴿رَأَىٰ﴾ و﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ صفة لـ ﴿ءَايَـٰتِ رَبِّهِ﴾. وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونه فاصلة. اهـ سمين.

قوله: **(لثقيف)** في الصحاح ثقيف أبو قبيلة من هوازن واسمه قسيّ والنسب إليه ثقفيّ. اهـ. **قوله**: **(بنخلة)** أي ببطن نخلة. في الصحاح بطن نخلة موضع بين مكة والطائف. اهـ. **قوله**: **(وهي فعلة من لوي)** أي من لوى على الشيء يَلوي إذا عكف عليه أو من لوى الرجل رأسه إذا أماله فإنهم كانوا يعكفون عليها ويميلون أعناقهم إليها أصله لوية فخفّف بحذف الياء، وأُبدلت واوه ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار لات. **قوله**: **(يلوون)** أي يطوفون. **قوله**: **(لغَطَفان)** بالغين المعجمة بفتحات. في الصحاح أبو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان. اهـ. **قوله**: **(سمرة)** بفتح السين المهملة وضم الميم شجر معروف. **قوله**: **(خالد بن الوليد)** بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو سليمان. وقيل: أبو الوليد القرشيّ المخزوميّ أمه لبابة الصغرى وهي بنت الحارث بن حزن الهلالية وهي أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبيّ ﷺ وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكان إسلامه

(لهذيل) و**(خزاعة)**. وقيل: لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء **(النسائك)** كانت تمنى عندها أي **(تراق** ﴿ومناءة﴾ **مكيّ مفعلة من النوء)** كأنهم كانوا يستمطرون عندها **(الأنواء)** تبركًا بها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هي صفة ذم **(أي المتأخرة)** الوضيعة المقدار. كقوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم، ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله **(مع وأدهم البنات)** وكراهتهم لهن فقيل لهم.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ أي جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضميزى أي جائزة من ضازه يضيزه إذا

وهجرته بعد الحديبية وقبل خيبر وكانت الحديبية في ذي القعدة سنة ست وخيبر بعدها في المحرم سنة سبع وسمّاه رسول الله ﷺ سيف الله تُوفي سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(لهذيل)** في الصحاح هذيل حيّ من مضر وهو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. اهـ. **قوله**: **(خزاعة)** حيّ من الأزد. اهـ. **قوله**: **(النسائك)** في الصحاح النسيكة الذبيحة والجمع نسك ونسائك. اهـ. **قوله**: **(تراق)** أي تصب. **قوله**: (﴿ومَنَاءة﴾) بهمزة مفتوحة بعد الألف **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ والباقون بغير همز. **قوله**: **(مفعلة من النوء)** أصله منوأة فنقلت حركة الواو إلى النون قبلها فقلبت ألفًا ومعناه موضع الاستمطار من الأنواء، والنوء سقوط نجم من المنازل الثماني والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق بمقابلة ما سقط من ساعة وسقوطه وذلك في ثلاثة عشر يومًا ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا. وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها. وقال الأصمعيّ إلى الطالع منها فتقول: مطرنا بنوء كذا والجمع نواء فوزن الكلمة حينئذٍ مفعلة فلغها عن واو وهمزتها أصلية وميمها زائدة. **قوله**: **(الأنواء)** أي النجوم الساقطة أو الطالعة عندها. **قوله**: **(أي المتأخرة)** في الرتبة. **قوله**: **(مع وأدهم البنات)** في الصحاح وأد ابنته يئدها وأدًا فهي موؤودة أي دفنها في القبر وهي حيّة. هـ.

(ضامه. و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ **فعلى إذ لا فعلى في النعوت)** فكسرت الضاد للياء كما قيل: «بيض» وهو بوض مثل حمر وسود، (﴿ضئزى﴾ **بالهمز: مكيّ)** من ضأزه مثل ضازه.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنْ هِىَ﴾ **(ما الأصنام)** ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الإلـٰهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها يقال سميته زيدًا وسميته بزيد ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا توهم أن ما هم عليه حق ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وما تشتهيه

قوله: (ضامه) في الصحاح الضيم الظلم وقد ضامه يضيمه واستضامه فهو مضيم ومستضام أي مظلوم وقد ضمت أي ظلمت علم ما لم يسم فاعله وفيه ثلاث لغات ضيم وضيم وضوم كما قلنا في بيع. اهـ وقوله: كما قلناه في بيع قال في فَصْل الباء تقول: بيع الشيء على ما لم يسم فاعله إن شئت كسرت الباء وإن شئت ضممتها ومنهم مَن يقلب الياء واوًا فيقول: بوع الشيء وكذلك القول في كيل. وقيل: وأشباههما. اهـ بحروفه. **قوله: (و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ فعلى)** بضم الفاء **(إذ لا فعلى)** بالكسر **(في النعوت)** فإن الصفات في المؤنث لا تأتي إلّا على فعلى بضم الفاء كحبلى بفتح الفاء كسكرى وعطشى ولا تأتي على فعلى بالكسر إلّا في بناء الأسماء كالشعرى والدفلى، وفي المصدر كالذكرى فظهر أن أصل ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ بضم الضاد من ضاز في الحكم يضيز ضيزًا أي جار وضازه حقه يضيزه أي بخسه ونقصه ثم كسروا الضّاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من بيض أصله بيض جمع أبيض مثل حمر جمع أحمر وسود جمع أسود ولو أبقيت الضمّة على حالها وأبدلت الياء واوًا لزم الثقل لأن الكسرة والياء أخفّ عندهم من الضمّة والواو مع عدم اللبس إذ ليس في الصفات فعلى بالكسر. **قوله: (ضئزى بالهمز)** الساكنة **(مكي)** أي ابن كثير المكيّ والباقون بياء مكان الهمزة.

قوله: (ما الأصنام) أي ﴿إِنْ﴾ نافية.

أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ **(هي «أم» المنقطعة)** ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الأصنام أو من قوله: (﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾) [فصلت: الآية ٥٠]. وقيل: هو تمنّي بعضهم أن يكون هو النبيّ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ أي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوّة والشفاعة مَن شاء وارتضى لا مَن تمنّى.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ يعني أن أمر الشفاعة ضيق فإن الملائكة مع قربتهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم شيئًا قط، ولا تنفع إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمَن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلًا لأن يشفع له فكيف تشفع الأصنام إليه **(لعبدتهم)** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ **(أي كل واحد منهم)** ﴿تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ لأنهم إذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سمّوا كل واحد منهم بنتًا وهي تسمية الأنثى.

قوله: **(هي «أم» المنقطعة)** فهي مقدّرة ببل والهمزة. **قوله**: (﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾) أي ولئن قامت الساعة على التوهّم كان لي عند الله الحالة الحسنى.

قوله: **(لعبدتهم)** في لسان العرب عبد الله يعبده عبادة ومَعْبَدًا ومَعْبَدَةً تألّه له ورجل عابد من قوم عَبَدة وعبُد وعباد. اهـ. وفي المصباح عبدت الله أعبده عبدة وهي الانقياد والخضوع والفاعل عابد والجمع عباد وعبدة مثل كافر وكفار وكفرة. ثم استعمل فيمن اتخذ إلـهًا غير الله وتقرّب إليه، فقيل عابد الوثن والشمس وغير ذلك. اهـ. **قوله**: **(أي كل واحد منهم)** أي اللام للاستغراق بمعنى الكلّ الإفرادي لا بمعنى الكل المجموعي، ولذلك قيل: تسمية الأنثى دون الإناث وبالجملة استغرق الجمع هنا في معنى استغراق المفرد لما عرفته وهذا بناء على أن تسمية الأنثى في النظم ليس عليه التشبيه فيكون التقدير يسمون الملائكة أنثى بتسميتهم

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ **(أي بما يقولون)** وقُرىء بها أي بالملائكة أو التسمية ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ هو تقليد الآباء ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي إنما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ فأعرض عمن رأيته معرضًا عن ذكر الله أي القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي اختيارهم الدنيا والرضا بها ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ﴾ منتهى علمهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ أي هو أعلم بالضالّ والمهتدي ومجازيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ **(بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء)** ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾

بَنات الله فإن قولهم: الملائكة بنات الله قول منهم بأن كل واحد واحد بنته تعالى وهي تسمية الأنثى فإن حكم الكل المجموعي مستلزم على الحكم على كل واحد واحد في مثل هذا كقولهم كسانا الأمير حلة أي كسا كل واحد منا حلة.

قوله: **(أي بما يقولون)** وهو قولهم الملائكة بنات الله تعالى وأنهم أنثى فالتذكير باعتبار التأويل بما يقولون إن جعل المرجع التسمية والجملة حال من فاعل يسمّون أي يسمّون تسمية الأنثى حال كونهم غير عالمين بما يقولون، أي في حال يُنافي ذلك وقرىء بها أي وقرىء ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ بدل به فيكون ضمير به إما للملائكة أو للتسمية على حذف المضاف أي ما لهم بأنوثة الملائكة أو بمطابقة التسمية لهم من علم فإنهم جاهلون بكل واحد من الأمرين معتقدون اعتقادًا لا يطابق الواقع. **وعبارة الكشّاف** وفي قراءة أبيّ بها. اهـ.

قوله: **(بعقاب ما عملوا)** فالباء صلة الجزاء بتقدير مُضاف. **قوله**: **(من السوء)** بقرينة ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟﴾. **قوله**: **(أو بسبب ما عملوا من السوء)** فالباء للسببية.

(بالمثوبة الحسنى) وهي الجنّة **(أو بسبب الأعمال الحسنى، والمعنى أن الله** عز وجل **إنما خلق العالم)** وسوى هذه الملكوت ليجزي المحسن من المكلفين والمسيء منهم إذ الملك أهل لنصر الأولياء وقهر الأعداء.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل أو في موضع رفع على المدح أي هم الذين ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي الكبائر من الإثم **(لأن ﴿ٱلْإِثْمِ﴾ جنس)** يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي يكبّر عقابها، **(﴿كبير﴾ حمزة وعلي)** أي النوع الكبير منه ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ ما فحش من الكبائر كأنه قال: والفواحش منها خاصة. قيل: الكبائر ما أوعد الله عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أي الصغائر والاستثناء منقطع لأنه ليس من الكبائر والفواحش وهو **(كالنظرة والقبلة)** واللمسة **(والغمزة)** ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة ﴿هُوَ أَعْلَمُ

قوله: (بالمثوبة الحسنى) فالحسنى صفة بمعنى الحسنة وموصوفها مقدّر وهو المثوبة والباء صلة الجزاء. **قوله: (أو بسبب الأعمال الحُسنى)** فالباء سببية. **قوله: (والمعنى أن الله عزّ وجلّ إنما خلق العالم...)** الخ يعني أن قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلّق بمحذوف وهو قوله: خلق العالم دلّ عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٩] فإن اللام فيه للملك والملك إنما يكون بالخلق.

قوله: (لأن ﴿ٱلْإِثْمِ﴾ جنس...) الخ. وقد تقرّر أن المضاف إليه إذا كان جنس المضاف تكون الإضافة بمعنى من كخاتم فضة. **قوله: («كبير»)** بكسر الباء الموحّدة بلا ألف ولا همز على التوحيد **(حمزة وعليّ)** الكسائي والباقون بفتح الباء ثم ألف فهمزة على الجمع. **قوله: (كالنظرة)** في لسان العرب النظرة اللمحة بالعجلة ومنه الحديث أن النبيّ ﷺ قال لعليّ رضي الله عنه: لا تُتْبع النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة.اهـ. **قوله: (والقبلة)** في لسان العرب القبلة اللثمة معروفة والجمع القُبَل وفعله التقبيل.اهـ. **قوله: (والغمزة)** في مختار الصحاح

بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ (أَجِنَّةٌ﴾ **جمع جنين)** ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات، أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها **(واهضموها)** فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولًا وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم. وقيل: كان ناس يعملون أعمالًا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجّنا فنزلت. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فإنه جائز لأن المسرّة بالطاعة طاعة **(وذكرها شكر)** ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ قطع عطيته وأمسك، وأصله إكداء **(الحافر)** وهو أن تلقاه **(كدية)** وهي صلابة كالصخرة

غمز[1] الشيء بيده وغمزه بعينه. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٣٠] ومنه الغمزة بالناس وغمزت الدابّة من رجلها وباب الثلاثة ضرب. اهـ. **قوله**: (﴿أَجِنَّةٌ﴾ **جمع جنين)** مثل أسرّة وسرير والجنين الولد ما دام في بطن أمه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه إذا ستره وإذا خرج من بطن أمه لا يُسمى إلّا ولدًا أو سقطًا. فإن قيل: إذا كان الجنين اسمًا للولد ما دام في بطن أمه فما فائدة قوله: ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ [الزُمَر: الآية ٦]. قلنا: فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فإن بطون الأمهات في غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لا يُخفى عليه شيء من أحواله. **قوله**: **(واهضموها)** في لسان العرب الهضم التواضع. وفي حديث الحسن وذكر أبا بكر رضيّ الله تعالى عنه فقال: والله إنه لخيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه أي يضع من قدره تواضعًا. اهـ. **قوله**: **(وذكرها شكر)** لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضّحى: الآية ١١].

قوله: **(الحافر)** اسم فاعل بمعنى مَن يحفر البئر بدليل قوله: فيمسك عن الحفر. **قوله**: **(كدية)** في المصباح الكدية الأرض الصلبة والجمع كدى مثل مدية

---

(١) الغمز الأخذ باليد.

فيمسك عن الحفر. عن ابن عباس ﵄: فيمن كفر بعد الإيمان. وقيل: في **(الوليد بن المغيرة)** وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيّره بعض الكافرين وقال له: تركت **(دين الأشياخ)** وزعمت أنهم في النار. قال: إني خشيت عذاب الله. فضمن له إن هو أعطاه شيئًا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل به ومنعه ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ **(أهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق)**.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ يخبر ﴿بِمَا فِى﴾ (﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ **أي التوراة**) ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي وفي صحف إبراهيم ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي **(وفر)** وأتمّ كقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤] وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية. **(وقرىء مخففًا)** والتشديد مبالغة في الوفاء. **(وعن الحسن)**: ما أمره الله بشيء إلا وفى به، **(وعن عطاء بن السائب)**: عهد أن لا يسأل مخلوقًا فلما قذف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. وعن النبيّ ﷺ: وفّى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى، ورُوِيَ ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى (﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾) إلى (﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾) [الروم: لآية ١٨]

ومدى .اهـ. **قوله: (الوليد بن المغيرة)** بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. **قوله: (دين الأشياخ)** المراد بالأشياخ رؤساء الكفار. **قوله: (أهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق)** أي ﴿يَرَىٰٓ﴾ بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليه.

قوله: (﴿صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ **أي التوراة**) يعني أسفار التوراة وفي الكواشي عن النبيّ ﷺ أنه أنزل على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة. **قوله: (وفر)** من التوفير. **قوله: (وقُرىء مخففًا)** في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب. ومن ذلك قراءة النبيّ ﷺ «الذي وَفَى» خفيفة. واختلف عنه وهي قراءة أبي أمامة وسعيد بن جبير وابن السميقع وأبي ملك .اهـ. **قوله: (وعن الحسن)** البصري. **قوله: (وعن عطاء بن السائب)** بن يزيد الثقفي الكوفيّ مات سنة ست وثلاثين. **قوله**: (﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

وقيل: وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون: **(عشرة في «التوبة»** ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾) [التوبة: الآية ١١٢]، **(وعشرة في «الأحزاب»** ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾) [الآية: الآية ٣٥] **(وعشرة في «المؤمنين»** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾) [المؤمنون: الآية ١].

حِينَ تُمۡسُونَ﴾) إلى (﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾) **في تفسير الجلالين في سورة الروم** (﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾) أي سبّحوا الله بمعنى صلّوا (﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾) أي تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) اعتراض ومعناه يحمده أهلها (﴿وَعَشِيّٗا﴾) عطف على حين وفيه صلاة العصر (﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر.

قوله: **(عشرة في التوبة** ﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾) **في تفسير الجلالين في سورة التوبة** (﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾) وقع على المدح بتقدير مبتدأ من والنفاق (﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾) المخلصون العبادة لله (﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾) على كل حال (﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾) الصائمون (﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾) أي المصلّون (﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾) لأحكامه بالعمل بها (﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) بالجنة. اهـ.

قوله: **(وعشرة في الأحزاب** ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾) **في تفسير الجلالين في سورة الأحزاب** (﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾) المطيعات (﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ **في الإيمان** ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾) على الطاعات (﴿وَٱلۡخَٰشِعِينَ﴾) المتواضعين (﴿وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ﴾) فروجهم (﴿وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾) عن الحرام (﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾) للمعاصي (﴿وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾). اهـ.

قوله: **(وعشرة في المؤمنين** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾) **في تفسير الجلالين في سورة المؤمنين**. (﴿قَدۡ﴾) للتحقيق (﴿أَفۡلَحَ﴾) فاز (﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾) متواضعون (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ﴾) من الكلام وغيره (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾) مؤدّون (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥﴾) عن الحرام (﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾) أي من

....

زوجاتهم (﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ﴾) أي السراري (﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾) في إتيانهن (﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾) من الزوجات والسراري كالاستمناء بيده (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾) المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم (﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾) جمعًا ومفردًا (﴿وَعَهْدِهِمْ﴾) فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (﴿رَٰعُونَ﴾) حافظون (﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾) جمعًا ومفردًا (﴿يُحَافِظُونَ﴾) يقيمونها في أوقاتها (﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾) لا غيرهم (﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾) هو جنة أعلى الجنان (﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾). اهـ.

وعبارة الكشّاف وقيل: وفي سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون. اهـ بحروفها وهكذا في تفسير الخطيب في سورة النجم.

وعبارة الخازن في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [الآية ١٢٤] واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام قال ابن عباس: هي ثلاثون سهمًا هن شرائع الإسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب الله له البراءة، فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧] ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد أتى الأنبياء بجميع ما أُمروا به من الدين خصوصًا نبيّنا محمدًا ﷺ فقد أتى بجميع ما أُمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية. وعشرة في سورة الأحزاب في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية. وعشرة في سورة المؤمنون في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [الآيتان ١، ٢] الآيات. وهي مذكورة أيضًا في سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١]. اهـ بحروفها.

وعبارة مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير في سورة البقرة قال بعضهم: ابتلاه بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر منها في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ

....

﴿وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخر الآية. وعشر منها في المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وروى عشر في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤] فجعلها أربعين سهمًا عن ابن عباس. اهـ بحروفها.

وعبارة البيضاويّ في سورة البقرة والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين. وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]. اهـ بحروفها.

وعبارة حاشية العلّامة شيخ زاده على تفسير البيضاوي والظاهر أن طريق توزيع الخصال الثلاثين على السور الثلاث اشتمال كل واحد من تلك السور على عشر خصال فإن سورة براءة مشتملة عليها بأن يعد الإيمان المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية ١١٢] خصلة مستقلّة واشتمال سورة الأحزاب عليها ظاهر. وأما اشتمال سورة المؤمنون عليها فبأن يعتبر كل واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة وكون الإيمان معدودًا في السورتين المعدودتين الأخيرتين لا ينافي كون مجموع الخصال ثلاثين لأنه لما كان المذكور في كل سورة عشرًا كاملة بناء على أن شيئًا من الخصال لم يذكر مكرّرًا في شيء من السور كان المذكور في مجموع السور الثلاث ثلاثين خصلة والتكلّف اللازم لما اختاره المصنّف أهون مما لزم لما اختاره صاحب الكشّاف فلذا عدل عنه المصنّف. اهـ بحروفها.

وعبارة المصنّف رحمة الله تعالى عليه في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ الآية ١٢٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي ثلاثون سهمًا من الشرائع عشر في براءة التائبون الآية. وعشر في

الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية. وعشر في المؤمنون والمعارج إلى قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية ٩]. اهـ بحروفها.

قوله: (والمعارج) أي وسورة المعارج وتُسمى سورة سأل سائل. وعبارة الكشّاف في سورة البقرة، قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشر في براءة (التائبون العابدون) وعشر في الأحزاب (إن المسلمين والمسلمات) وعشر في المؤمنون وسأل سائل. اهـ بحروفها.

وعبارة الخطيب في سورة البقرة واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقال عكرمة: عن ابن عباس هي ثلاثون من شرائع الإسلام عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢]... الخ وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]... الخ وعشر في المؤمنون إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الآية ٩] وفي ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٣]. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير العلّامة أبي السعود رحمه الله في تفسير سورة البقرة. قال عكرمة عن ابن عباس: ولم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾... الخ وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]... الخ وعشر في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. اهـ بحروفهم.

وعبارة تفسير النيسابوري في سورة البقرة وقيل: ابتلاه الله تعالى من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] وعشر في المؤمنون ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. اهـ بحروفها.

وعبارة معالم التنزيل للعلّامة محيي السنة ناصر الحديث أبي محمد بن مسعود البغوي رحمه الله في سورة البقرة. واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها

....

إبراهيم عليه السلام. قال عكرمة عن ابن عباس هي ثلاثون سهمًا من شرائع الإسلام لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلّا إبراهيم فكتب له البراءة، فقال ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: الآية ٣٧] عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخرها. وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها. وعشر في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] و﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١]. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: الآية ٢٢] في سأل سائل. اهـ بحروفها.

وفي حاشية الكشّاف للعلّامة التفتازاني رحمه الله. قوله: عشر في براءة بأن يُضم إلى التسعة المذكورة الإيمان المشار إليه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣] أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١] وعشر في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] وعشر في المؤمنون ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] من قوله: في ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ٩] فإن قيل: المذكور في السورتين أربعة عشر ست في المؤمنون وثمانية في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] وإذا أسقط المكرر وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظون عليها والذين في أموالهم حق معلوم غير الفاعلين للزكاة لشموله ما يوصل به الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقق في كل من براءة والأحزاب عشر لتكرار المؤمنين. قلنا: يجوز أن يجعل الدائمون أيضًا غير المحافظين أو يجعل الدائمون للأمانات والعهد اثنين يتحقق في السورتين أحد عشر وفي براءة والأحزاب تسعة عشر فيصير المجموع ثلاثين لكن لا يبقى حينئذٍ في كل من براءة والأحزاب عشر. اهـ بحروفها.

وفي حاشية تفسير البيضاوي لمولانا عبد الحكيم السيلكوتي رحمه الله. قوله: بالثلاثين المحمودة المذكورة. اهـ. أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عشر منها في سورة براءة من قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ

....

﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر منها في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ إلى آخرها وعشر منها في ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]. كذا في التفسير الكبير فالعشرة المذكورة في سورة براءة التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله والإيمان المستفاد، من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٣] أو من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبَة: الآية ١١١] والعشرة المذكورة في سورة الأحزاب الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدق والصيام والحفظ للفروج والذكر، والعشرة المذكورة في المؤمنون الإيمان والخشوع والتصدّق والقيام والحفظ في الصلاة والإعراض عن اللغو والزكاة والحفظ للفروج إلا على الأزواج أو الإماء ثلاثة والرعاية للعهد والأمانة اثنين والمحافظة على الصلاة ولزوم التكرار في بعض الخصال بعد جمع العشرة المذكورة كالإيمان والحفظ للفروج لا ينافي كونها ثلاثين تعداد إنما ينافي تغايرها ذاتًا ألا يرى أنه روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها أربعون بينها بضم ما وقع في سأل سائل، كما في التفسير الكبير وأن التسمية عدت مائة وثلاث عشر آيات عند الشافعية باعتبار تكرارها في كل سورة، وأما ما وقع في الكشّاف قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين منها عشرة في براءة ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] وعشرة في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية ٣٥].اهـ. وعشرة في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعَارج: الآية ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: الآية ٩] وهو رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما في المعنى فمبني على اعتبار التغاير بالذات وإسقاط المكررات وعدة العاشرة البشارة للمؤمنين في سورة براءة وجعل الدوام على الصلاة والمحافظة عليها واحد، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم غير الفاعلين للزكاة لشموله صدقة التطوّع وصلة الأقارب. وبما ذكرنا ظهر لك اندفاع الشكوك التي عُرضت للناظرين في هذا الكتاب وتوهمهم مخالفته لما في الكشّاف.اهـ بحروفها.

....

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله: فسّرت بالخصال الثلاثين... الخ هذه الثلاثين جعلها في الكشّاف عشرًا منها في سورة براءة وعشرًا في سورة الأحزاب وعشرًا في سورتي المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: الآية ١] وآية براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١١٢] وآية المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الآيات ١ - ٩] وآية الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الآية ٣٥] وآية ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: الآية ١] ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤﴾ [المعارج: الآيات ٢٢ - ٣٤] والمذكور في السور الثلاث ست وثلاثون وهي التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلوات، وأنت إذا أسقطت المكرر حصل منه ثلاثون كما في الكشاف والمصنف رحمه الله لم ينظر إلى المكرر

....

وكأنه لاحظ فيه مغايرات اعتبارية بقيود خارجية فأسقط السورة الثالثة، وخالف ما صنعه الزمخشريّ ولا يخفى أنه إن كان هذا مأثورًا في أحدهما فلا وجه للآخر وإن لم يكن كذلك، فالأولى ترك هذه التكلّفات. اهـ بحروفها.

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة القنوي رحمه الله تعالى قوله: فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين. وقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية في سورة براءة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية في سورة الأحزاب. وقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] ولما كان الآيات متعددة هنا احتاج إلى بيان غايتها بخلاف الأوليين والمذكور في السور المذكورة ست وثلاثون خصلة وهي التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإسلام والإيمان والقنوت والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلوات، وأنت إذا أسقطت المكرّر حصل منه ثلاثون بين كلام المصنّف وبين بيان الزمخشري نوع مخالفة حيث قال الزمخشري: وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] وعشر في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤] والمصنّف لما نظر أن المذكور في السورتين الأخيرتين أربعة عشر، ست في المؤمنين وثمان في سأل سائل وإذا أسقط المكرر وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظين عليها ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ [المعارج: الآيتان ٢٤، ٢٥] غير الفاعلين للزكاة لشمولها ما يرتص ...

....

الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقق في كل من البراءة والأحزاب عشر لتكرر المؤمنين. وإن جعل الدائمون أيضًا غير المحافظين أو جعل الراعون للأمانات اثنين لتحقق في السورتين أحد عشر وفي براءة والأحزاب تسعة عشر فيصير المجموع ثلاثين لم يبق في كل من براءة والأحزاب عشر. كما هو مدعاه لم يتعرّض لسأل سائل بل أخذ الثلاثين من ثلث لكنه لم يسقط المكرر بل أخذ العشرين من الآيتين والعشر من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١] إلى آخر ما ذكر حيث اعتبر كلًّا من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة فخصلة الإيمان قد تكرّرت، كذا قيل. وفي اللباب، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم عليه السلام ابتلاه بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخرها وعشر في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها وعشر في المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وكذا في التفسير الكبير لكن لم يذكر عكرمة حيث قال: أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمصنّف اختار ذلك بناء على هذه الرواية وأما ما اختاره الزمْخشري من ضم ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١] فمقتضاه كون الخصال أربعين.

وفي اللباب ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أربعون فزادها وعشر في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤] لا كلام في أن الخصال المذكورة في سورة الأحزاب عشرة. وأما في سورة التوبة فكونها عشرة بناء على أن الإيمان المذكور في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣] معتبر فيها لكونه آخر الآية. والقول الإيمان المأخوذ من قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١] الآية ضعيف. لأنه ليس من آية التائبون وكذا القول بأن الجهاد معدود منها لأن التائبون مرفوع على المدح أي

....

هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون لأنه خارج عن آية التائبون خبرًا للمبتدأ إذ مقدرات القرآن كونها من القرآن مقالات بين الثقات على أنه يحتمل أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال. كذا قاله المصنّف هناك وأما في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: الآية ١] فبناء على أنه لم يسقط المكرّر واعتبر كل واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة وتكرّر خصلة الإيمان لكونه موقوفًا عليه على أنه في الحقيقة ليس بمتكرّر لأن المذكور الأمر بتبشير المؤمنين في البراءة وأخبار الفلاح في المؤمنون وفي الأحزاب بإعداد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا.

بهذا الاعتبار لم يتمحض في التكرار ثم المراد بالتوبة المعدودة من الخصال التوبة عن الزلّات وما ذكره المصنّف في تفسير الآية المذكورة من قوله: أي التائبون عن الكفر فهو بالنسبة إلى آحاد المؤمنين. وكذا المراد بالصلاة والصوم والزكاة ما شرع له في شرعه لا ما شرع في هذه الأمة والقول بأنه يجوز توافق الشرعين في تلك الفروع غير ظاهر إذ الظاهر أن صوم رمضان مختصّ بهذه الأمة. وإن قيل بعدم اختصاصه وصلاة العشاء الأخيرة مختصّة بهذه الأمة على ما ورد في الحديث والأسلم أن يُقال: إن الخصال التي كلّف بها إبراهيم عليه السلام نوع ما ذكرت في هذه الآيات الثلاث لا خصوصها في الجميع وإن صح الخصوص في بعضها. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير الإمام العلّامة الحافظ عماد الدين أبي الفضل إسماعيل بن عمر بن كثير البصراوي الشافعي رحمهم الله في تفسير سورة البقرة. وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلي بهذا الدين فقام به كلّه إلا إبراهيم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤].

....

قلت له: وما الكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر آيات في أول سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١] و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ [المعارج: الآية ١]، وعشر آيات في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخر آية فأتمهن كلهن فكتب له براءة. قال الله تعالى ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧] هكذا رواه الحاكم وأبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم بأسانيدهم إلى داود بن أبي هند به. وهذا اللفظ ابن أبي حاتم. اهـ بحروفها.

وعبارة تفسير الدرّ المنثور للعلّامة الجلال السيوطي رحمه الله في تفسير سورة البقرة وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس قال: ما ابتلى أحد بهذا الدين فقام به كله إلا إبراهيم، قال: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤]، قيل: ما الكلمات؟ قال: سهام الإسلام ثلاثون سهمًا عشرة في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية. وعشر في أول سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١] و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: الآية ١] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦﴾ [المعارج: الآية ٢٦] الآيات، وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخر الآية، فأتمهن كلهنْ فكتب له براءة. قال الله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧]. اهـ بحروفها.

وعبارة التفسير المذكور في سورة النجم، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧] قال: وفي سهام الإسلام كلها ولم يوفّها أحد قبله غيره، وهي ثلاثون سهمًا منها عشرة في براءة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [الآية ١١١] الآية كلها، وعشرة في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية كلها، وستة في ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١] من أوّلها الآيات كلها، وأربع في ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: الآية ١] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٢٧﴾

ثم أعلم بما في صحف موسى وإبراهيم فقال:

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ تزر من وزر يزر إذا اكتسب وزرًا وهو الإثم، و«إن» مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل «أن» وما بعدها الجر بدلًا من ﴿ما في صحف موسى﴾ أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلًا قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقيل: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ **(أي)** لا تحمل نفس ذنب نفس.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ إلا **(سعيه)** وهذه أيضًا مما في صحف إبراهيم وموسى، وأما ما صح في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل: إن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيًا على سعي نفسه **(وهو أن يكون مؤمنًا)**

[المعارج: الآيتان ٢٦، ٢٧] الآيات كلها، فذلك ثلاثون سهمًا فمن وافى الله بسهم منها فقد وافاه بسهم من سهام الإسلام ولم يوافه بسهام الإسلام كلها إلا إبراهيم عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: الآية ٣٧].اهـ بحروفها. وعبارة تيسير في علم التفسير للعلّامة نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفّى بسمرقند سنة سبع وثلاثين وخمسمائة رحمه الله في سورة البقرة. وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله الكلمات هي الخصال التي بني عليها الإسلام وهي اثنان وثلاثون سهمًا عشر منها في سورة الأحزاب ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية، وعشر في سورة الرعد ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الآية ١٩]، الآيات. وست في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] وست في أول سورة البقرة. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: الآيات ٢ ـ ٥].اهـ بحروفها. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: **(أي سعيه)** إشارة إلى أن ما مصدريّة على أن المراد بالسعي الحاصل بالمصدر وهو الذي فعله وسعى في تحسينه. **قوله**: **(وهو أن يكون مؤمنًا)** عبارة الكشّاف وهو أن يكون مؤمنًا صالحًا.اهـ.

كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعًا له وقائمًا بقيامه، ولأن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي يرى هو سعيه يوم القيامة في ميزانه ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ ثم يجزى العبد سعيه. يقال: جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء. ثم فسّره بقوله: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أو أبدله عنه ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ هذا كله في الصحف الأولى. والمنتهى **(مصدر)** بمعنى الانتهاء أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٨] ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ خلق الضحك والبكاء. وقيل: خلق الفرح والحزن. وقيل: أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا **(بالنوائب)**.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ قيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو أمات بالكفر وأحيا بالإيمان، أو أمات هنا وأحيا ثمة ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ **(إذا تدفق في الرحم)** يقال: منى وأمنى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ الإحياء بعد الموت.

قوله: **(مصدر)** ميمي. **قوله**: **(بالنوائب)** في المصباح النائبة النازلة والجمع نوائب. اهـ. وأيضًا فيه النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس. اهـ.

قوله: **(إذا تدفّق في الرحم)** يقال: منى المنيّ وأمناه أي أنزله وأراقه وصبّه.

وقوله: **(في الرحم)** في المصباح الرحم موضع تكوين الولد ويخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضًا في لغة بني كلاب وفي لغة لهم بكسر الحاء اتباعًا لكسر الراء. اهـ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨﴾ وأعطى القنية **(وهي المال)** الذي **(تأثلته)** وعزمت أن لا تخرجه من يدك ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩﴾ هو كوكب يطلع بعد **(الجوزاء)** في شدّة الحر **(وكانت خزاعة تعبدها)**، فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١﴾

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ (عَادًا ٱلۡأُولَىٰ) ۝٥٠﴾ هم قوم هود وعاد الأخرى إرم ﴿عادًا الأولى﴾ **(مدني)** وبصري غير سهل بإدغام التنوين في اللام

قوله: **(وهي المال تأثلته)** في المغرب تأثّل المال جمعه واتخذه لنفسه أَثْلَةً أي أصلًا. اهـ. وفي مختار الصحّاح التأثّل اتخاذ أصل مال. اهـ.

قوله: **(الجوزاء)** نجم. **قوله**: **(وكانت خزاعة تعبدها)** وأول مَن سنّ لهم ذَلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة وهو أحد أجداد النبيّ ﷺ من قبل أمهاته عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضًا والشعرى تقطعها طولًا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سمّوه ابن أبي كبشة تشبيهًا له به في خلافه إياهم كما خالفه أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يُضيء خلف الجوزاء ويُسمى كلب الجبار أيضًا وهما اثنتان يمانية وشامية، يُقال لإحداهما العبور بفتح العين المهملة والباء الموحّدة والراء المهملة بعد الواو، ومن العبور بمعنى الدخول والأخرى الغميصاء بغين معجّمة مضمومة وميم مفتوحة وصاد مهملة من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين فصلت المجرّة أي كهكشان بينهما لزعم العرب أن الشعريين أُختا سهيل وإن الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلًا وأقامت الغميصاء فبكت[1] لفقد سهيل فغمصت عينها أي كانت أقل نورًا من العبور وأخفى، وأراد بالشعرى في الآية الكريمة العبور.

قوله: **(﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ مدني)** أي نافع بن عبد الرحمٰن. وكذا أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة. وبصري أي أبو عمرو بن العلاء

---

(١) وهو من تخيلات العرب الكاذبة. اهـ. شهاب ١٢ منه رحمه الله.

(**وطرح**) حمزة ﴿أولى﴾ ونقل ضمتها (**إلى لام التعريف** ﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾) حمزة (**وعاصم الباقون** ﴿وَثَمُودًا﴾) وهو معطوف على ﴿عادًا﴾ ولا ينصب بـ ﴿فما أبقى﴾ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول: زيدًا فضربت، وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله، والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي أهلك قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عاد وثمود لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به (**حراك**) وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط (**يقال: أفكه فأتفك**) ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الأرض أي أسقطها و﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ منصوب بـ ﴿أَهْوَىٰ﴾ ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ ألبسها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تهويل وتعظيم لما صبّ عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر (**المنضود**).

وكذا يعقوب بن إسحٰق وليس من السبعة غير سهل بن محمد البصري السجستاني وليس من السبعة بإدغام التنوين أي بعد قلبه لامًا في اللام أي لام التعريف (**وطرح**) أي حذف همزة ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: الآية ٥٠] ونقل ضمتها (**إلى لام التعريف**) واختلف عن قالون من طريقيه في همز الواو غير أن الهمز أشهر عن الحلواني وعدمه أشهر عن أبي نشيط كما في النشر، والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فإن التنوين إذا وقع بعده ساكن يكسر لالتقاء الساكنين نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: الآية ١]. **قوله**: (﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ **وعاصم**) بغير تنوين للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف (**الباقون** ﴿وَثَمُودَا﴾) بالتنوين في الوصل والوقف على الألف.

قوله: (**حراك**) في المصباح الحراك مثل سلام الحركة. اهـ. **قوله**: (**يُقال: أفكه فائتفك**) أي قلبه فانقلب. **قوله**: (**المنضود**) المتتابع.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أيها المخاطب ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك بما أولاك من النعم أو بما كفاك من النقم، أو بأي نعم ربك الدالّة على وحدانيته وربوبيته تشكك ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ أي محمد منذر ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ من المنذرين الأولين. **(وقال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة)** أو هذا القرآن نذير من النذر الأولى **(أي إنذار من جنس الإنذارات)** الأولى التي أنذر بها من قبلكم.

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ قربت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: الآية ١] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي ليس لها نفس كاشفة أي مبينة متى تقوم كقوله: (﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾) [الأعراف: الآية ١٨٧]. **(أوليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالىٰ غير أنه لا يكشفها)** ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ **(إنكارًا)** ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خشوعًا

قوله: (وقال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة) أي تأنيث الأولى على تقدير كونه صفة للنذر بمعنى المنذرين لكون ﴿ٱلنُّذُرِ﴾ [النجم: الآية ٥٦] بمعنى الجماعة. **قوله: (أي إنذار من جنس الإنذارات)** جعل النذير مصدرًا بمعنى الإنذار على تقدير كون هذا إشارة إلى القرآن لأن القرآن إنما يتعلق به الإنذار باعتبار اشتماله على اقتصاص عاقبة المكذّبين ولا شك أن اقتصاصها ليس بمنذر بل هو إنذار وتخويف بخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه منذر ليس إلّا.

قوله: (﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾) يظهرها (﴿لِوَقْتِهَآ﴾) اللام بمعنى في (﴿إِلَّا هُوَ﴾). **قوله: (أوليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله تعالى)** أي ﴿كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: الآية ٥٨] صفة لنفس، ولذلك أنث قوله قادرة إلى المراد نفي القدرة لا نفي الكشف مع القدرة عليه. **قوله: (غير أنه لا يكشفها)** أي لا يزيلها ويعدمها بعد وقوعها لحكمة دعت إلى بقائها وهي الجزاء للمكلّفين. **قوله: (إنكارًا)** قيّده به لأنه قد يكون استحسانًا إذ التعجب حيرة تعرض للإنسان لجهله

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾ غافلون أو لاهون لاعبون، وكانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾ أي فاسجدوا لله **(واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة)** والله أعلم.

بسبب المتعجب منه فهو غالب في الاستحسان. فالمراد هنا الإنكار بقرينة ما بعده.

قوله: **(واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة)** مستفاد من لام التخصيص وأيضًا العبادة مع عبادة غيره كلا عبادة.

تمّ هنا ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة القمر)

(خمس وخمسون آية) مكيّة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ **(قربت القيامة)** ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ نصفين. **(وقرىء ﴿وقد انشق﴾)** أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشقّ كما

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة القمر)** وتُسمى اقتربت **(خمس وخمسون آية)** وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفًا **قوله**: **(قربت القيامة)** أشار به إلى أن افتعل المشتمل على الزوائد بمعنى الفعل المجرّد وأتى بالمزيد للمبالغة لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى. **قوله**: **(وقرىء ﴿وقد انشقّ﴾)** **في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب**: قرأ حذيفة اقتربت الساعة وقد انشقّ القمر. قال أبو الفتح: هذا يجري مجرى الموافقة على إسقاط العذر ورفع التشاكّ أي قد كان انشقاق القمر متوقعًا دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشقّ وانشقاقه من أشراطها وأدلّة قُربها فقد توكد الأمر في قرب وقوعها، وذلك أن قد إنما هي جواب وقوع أمر كان متوقعًا يقول القائل: انظر أقام زيد وهل قام زيد وأرجو أن لا يتأخر زيد فيقول المجيب: قد قام أي قد وقع ما كان متوقعًا. اهـ

تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه. **(قال ابن مسعود)** ﷺ: **(رأيت حراء بين فلقتي القمر)**. وقيل: معناه ينشق يوم القيامة. والجمهور على الأول **(وهو المرويّ في الصحيحين)**. ولا يقال لو انشقّ لما خفي على **(أهل الأقطار)** ولو ظهر

بحروفه. **قوله**: **(قال ابن مسعود)** أي عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: **(رأيت حراء)** بكسر المهملة وراء خفيفة مذكر مصروف على الصحيح. وحُكِيَ فتح حائه والقصر وتأنيثه على إرادة البقعة فيمنع صرفه جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى. **قوله**: **(بين فلقتي القمر)** تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزنًا ومعنى. **قوله**: **(وهو المرويّ في الصحيحين)** أي صحيح البخاري وصحيح مسلم وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود انشقّ القمر ونحن مع النبيّ ﷺ بمنى وفي رواية مسلم بينما نحن مع النبيّ ﷺ بمنى إذ انفلق القمر وهذا لا يعارض قول أنس أن ذلك كان بمكّة لأنه أي أنسًا لم يصرّح بأنه عليه السلام كان ليلتئذ بمكة فالمراد أن الانشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة أي بنحو خمس سنين، وقد وقع عند ابن مردويه بيان المراد فأخرج من وجه آخر عن ابن مسعود، قال انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن يصير إلى المدينة. فوضح أن مراده بذكر مكة الإشارة إلى أن ذلك وقع قبل الهجرة ولا يذهب عليك أن الانشقاق لم يقع إلا مرة واحدة وأن رواية مرتين مؤوّلة مصروفة عن ظاهرها أي أن رواية مرتين محمولة على رواية فرقتين. تنبيه: ما يذكره بعض القصّاص أن القمر دخل في جيب النبيّ ﷺ وخرج من كمّه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشيّ عن شيخه العماد بن كثير وسبقهما لذلك النوويّ في الفتاوى فإنه سُئل عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهده ﷺ، فقال أحدهما: انشقّ فرقتين دخلت إحداهما في كمّه وخرجت من الكمّ الآخر، وقال الآخر: بل نزل بين يديه فرقتان ولم يدخل في كمّه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشقّ وهو في موضعه من السماء وظهرت منه إحدى الشقتين فوق الجبل والأخرى دونه هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انتهى. **قوله**: **(أهل الأقطار)** في

عندهم لنقلوه متواترًا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم **(بغيم)**.

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾

﴿وَإِن يَرَوْاْ﴾ يعني أهل مكة ﴿ءَايَةً﴾ تدلّ على صدق محمد ﷺ ﴿يُعْرِضُواْ﴾ عن الإيمان به ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ محكم قوي **(من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول ولا يبقى)** ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ النبيّ ﷺ ﴿وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وما زيّن لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ وعدهم الله ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾

المصباح القطر بالضم الجانب والناحية والجمع أقطار مثل قفل وأقفال. اهـ. **قوله**: **(بغيم)** في المصباح الغيم السحاب الواحدة غيمة وهو مصدر في الأصل من غامت السماء من باب سار إذا أطبق بها السحاب.

قوله: **(من المرة)** بكسر الميم **(القوة)** والشدة فالسحر الذي يؤثر في الأجرام العلوية كما يؤثر في الأجرام السفلية يكون قويًا مستحكمًا، يقال: حبل مرير الفتال إذا اشتدّ فتله. **قوله**: **(أو دائم مطرد)** أي دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد أخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها إلى السحر فإنه عليه الصلاة والسلام كان يأتي في كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية فقالوا: هذا سحر مستمر أي دائم لا يختص تعلّقه بشيء دون شيء ولا بزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة، فإن بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الأمور في جميع الأزمان. قال المفسّرون: لما انشقّ القمر قال المشركون: سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فنستخبر السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم فأخبروهم أنهم رأوا ذلك فتعجبوا منه. **قوله**: **(أو مار)** ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القَمَر: الآية ٢] بمعنى مار إذ الاستفعال قد يجيء بمعنى الثلاثي لكنه نادر ولذا أخّره. **قوله**: **(ذاهب يزول ولا يبقى)** لازم للمرور وهذا اللازم هو المراد إذ معنى المرور هو اللصوق بشيء لا يستقيم هنا، وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلًا لها وإطماعًا في غير مطمع.

كائن في وقته. وقيل: كل ما قدر واقع. وقيل: كل أمر من أمرهم واقع مستقر أي سيثبت ويستقرّ عند ظهور العقاب والثواب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ **(ازدجار)** عن الكفر. تقول: زجرته وازدجرته أي منعته **(وأصله ازتجر)** ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالًا **(لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور)**، فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب **(سيبويه)** ﴿حِكْمَةٌۢ﴾ **(بدل)** من «ما» **(أو على هو ﴿حِكْمَةٌۢ﴾)** ﴿بَٰلِغَةٌۖ﴾

قوله: (ازدجار) أي ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: الآية ٤] مصدر ميمي. **قوله: (وأصله ازتجر)** أي ازدجر افتعل منه أصله ازتجر. **قوله: (لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور)** اعلم أن الحروف المهموسة عشرة أحرف الفاء والحاء المهملة والثاء المثلثة والهاء والشين والخاء المعجمتين والصاد والسين والكاف والتاء المثناة من فوق وأن الحروف المجهورة ثمانية عشر حرفًا الألف والباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون والواو والياء ثم الهمس في اللغة الخفا وسميت مهموسة لجريان النَّفَس معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها والجهر في اللغة الصوت القوي الشديد وسُميت مجهورة لمنع النَّفَس وحصره أن يجري معها لقوّتها وقوة الاعتماد عليها عند خروجها والتحقيق أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج ذلك بدفع الطبع يُسمى نَفَسًا بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموّج بتصادم جسمين يُسمى صوتًا وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة تسمى حروفًا وإذا عرض للصوت كيفيات أُخر عارضة بسبب آلات تسمى تلك الكيفيات صفات ثم إن النفس الخارج الذي هو صفة حرف إن تكيّف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهورًا وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان ذلك الحرف مهموسًا. **قوله: (بدل)** أي بدل الكل أو الاشتمال. **قوله: (أو على هو ﴿حِكْمَةٌۢ﴾)** أي أو خبر لمحذوف تقديره هو. **قوله: (سيبويه)** هو [illegible]

(نهاية الصواب) أو بالغة من الله إليهم ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ **(«ما» نفي)** و﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به **(أو النذر مصدر بمعنى الإنذار)**.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم. نصب ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ بـ «يخرجون» أو بإضمار اذكر. **(﴿الداعي﴾، ﴿إلى الداعي﴾ سهل ويعقوب ومكيّ فيهما، وافق مدني وأبو عمرو في الوصل)**، ومَن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها. وحذف الواو من ﴿يدعو﴾ في الكتابة لمتابعة اللفظ، **(والداعي إسرافيل** عليه السلام**)** ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ **(منكر فظيع)** تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة **(﴿نكْر﴾ بالتخفيف: مكيّ)**.

بشر عمرو بن عثمان بن قنبر بضم القاف وسكون النون وفتح الموحدة. **قوله**: **(نهاية الصوت)** مفعول لـ ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ [القَمَر: الآية ٥] مقدر. **قوله**: **(ما نفي)** أي نافية فيكون مفعول تغني[1] محذوفًا أي فما تغني النذر شيئًا. **قوله**: **(أو النذر مصدر بمعنى الإنذار)** وهو الظاهر ولعل آخره لأن المصدر لا يجمع وجوابه أن المراد أنواع الإنذار. اهـ. قنوي **وعبارة تفسير الخطيب** ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ [القَمَر: الآية ٥] أي تنفع النذر أي الإنذارات والمنذرون والأمور المنذر بها. اهـ. وأيضًا فيه والنذر جمع نذير والمراد به المصدر أو اسم فاعل. اهـ.

قوله: **(الداعي إلى الداعي)** أي ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: الآية ٦] و﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: الآية ٨] بالياء في الحالين **(سهل)** بن محمد **(ويعقوب)** بن إسحٰق وليسا من السبعة **(ومكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(فيهما وافق مدني)** أي نافع المدني وهو من السبعة. وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة **(وأبو عمرو في الوصل)** بالياء والباقون بحذفها وقفًا ووصلًا. **قوله**: **(والداعي إسرافيل عليه السلام)** ينفخ في الصور قائمًا على صخرة بيت المقدس. **قوله**: **(منكر)** يعني أن ﴿نُّكُرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٦] بمعنى المفعول. **قوله**: **(فظيع)** في المصباح فظع الأمر فظاعة جاوز الحد في القبح فهو فظيع. اهـ. **قوله**: **(نكر بالتخفيف)** أي بإسكان العين **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ والباقون بالرفع.

---

(١) أي تنفع.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ (﴿**خاشعًا**﴾) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للأبصار، (**وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعًا**) على يخشعن أبصارهم (**وهي لغة من يقول: «أكلوني البراغيث»**). ويجوز أن يكون في ﴿خُشَّعًا﴾

قوله: («**خاشعًا**» أبصارهم» بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين مخففة بالإفراد عراقي، غير عاصم إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي. **قوله**: (**وذكر كما تقول يخشع أبصارهم**) وهذه القراءة جارية على اللغة الفصحى من حيث إن الفعل وما جرى مجراه إذا قدم على فاعله الظاهر يفرد ويذكر فيقال: يخشع أبصارهم، ولا يقال: تخشعن أبصارهم فإن تأنيث الجمع غير حقيقي لكونه بمعنى الجماعة والفعل إذا أسند إلى الظاهر المؤنّث الغير الحقيقي جاز إلحاق علامة التأنيث بالفعل وتركها نحو طلع الشمس، وقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٥] فكذا أسند إلى ظاهر الجمع مطلقًا أي سواء كان جمع سلامة أو جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقي التذكير أو التأنيث كرجال ونسوة أو مجازي التأنيث كأيام ودور وكذا واحد المجموع بالألف والتاء ينقسم إلى هذه الأقسام الأربعة نحو الظلمات والزينبات والحبليات والغرفات فحكم المسند إلى ظاهر هذه المجموع حكم المسند إلى ظاهر المؤنّث الغير الحقيقي في جواز إلحاق علامة التأنيث وتركه وأما إلحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندًا إلى الظاهر فغير فصيح إلا على لغة طيّ يقولون: أكلوني البراغيث فقراءة ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القَمَر: الآية ٧] بضم الخاء ولا ألف بعدها وفتح الشين مشددة جاءت على تلك اللغة، فكذا أسماء الفاعلين إذا أُسندت إلى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعًا أبصارهم وجاز أيضًا التوحيد مع التأنيث نحو خاشعة أبصارهم وجاز الجمع أيضًا على لغة طيّ نحو خشعًا أبصارهم. **قوله**: (**غيرهم خشعًا**) بضم فتشديد جمع خاشع. **قوله**: (**وهي لغة مَن يقول: «أكلوني البراغيث»**) وهي لغة طيء وهي لغة ثابتة خرّجوا عليها. قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: الآية ٣] على أحد المذاهب ومثله يتعاقبون فيكم ملائكة. وقوله في صحيح مسلم وغيره: حتى احمرّتا عيناه وأشباهه كثيرة معروفة. وقال سيبويه: لغة أكلوني البراغيث ليست في

ضميرهم وتقع ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ بدلًا عنه، وخشوع الأبصار كناية عن الذلّة لأن ذلّة الذليل وعزّة العزيز تظهران في عيونهما ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة. والجراد مثل في الكثرة والتموّج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾. مسرعين **(مادّي أعناقهم إليه)** ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ **(صعب)** شديد.

القرآن، قال: والضمير في ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ [الأنبياء: الآية ٣] فاعل و﴿ٱلَّذِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣] بدل منه. قوله: (البراغيث) جمع البرغوث وضمّ بائه أشهر من كسرها. **فائدة جليلة** روى الإمام أحمد والبزار والبخاري في الأدب المفرد والطبراني في الدعوات عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يسبّ برغوثًا فقال: لا تسبّه فإنه أيقظ نبيًا لصلاة الفجر. وفي معجم الطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ فقال: إنها توقظ للصلاة أي لصلاة الفجر، وفيه عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: نزلنا منزلًا فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله ﷺ: لا تسبّوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله.

فائدة أخرى روى ابن أبي الدنيا في كتاب التوكّل أن عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يشكو إليه الهوامّ والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] الآية. قال زرعة بن عبد الله أحد رواته وينفع من البراغيث، وفي كتاب فردوس الحكمة آية في كتاب الله مَن قرأها يأمن من الهوامّ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: الآية ٥٦] وفي كتاب الدعوات للمستغفرين عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه وشرح المقامات للمسعوديّ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: إذا آذاك البرغوث فخذ قدحًا من ماء واقرأ عليه سبع مرات ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] الآية. ثم تقول: إن كنتم مؤمنين فكفّوا شرّكم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمنًا من شرّها. **قوله: (مادّي أعناقهم إليه)** من جملة معنى ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٣] فإن الإهطاع معناه الإسراع في المشي مع مد العنق إلى جهة الإمام. **قوله: (صعب)** في المصباح صعب الشيء صعوبة فهو

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا عليه السلام. ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب **(كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل)** فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأسًا كذبوا نوحًا لأنه من جملة الرسل ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي هو مجنون وقد ازدجرتْه الجنّ وتخبَّطتهُ وذهبت **(بلبّه)** ﴿وَازْدُجِرَ﴾ **(زجر)** عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالشتم وهدد بالقتل، أو هو من جملة بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فَانْتَصِرْ﴾ فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم.

صعب. اهـ. وفي المختار صعب الأمر من باب سَهُل صار صعبًا. اهـ. وفي المغرب الصعب خلاف السَّهْل. اهـ.

قوله: (**كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب**) فالمكذب بكسر الذال متعدد والمكذب واحد وهو نوح عليه السلام فحينئذٍ يكون من التنازع.

قوله: (**أو كذبت قوم نوح الرسل** ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾) فعلى هذا مفعول ﴿كَذَّبَتْ﴾ [القَمَر: الآية ٩] محذوف أي الرسل والمكذب بالكسر واحد والمكذَّب بالفتح متعدد.

قوله: (**زجر**) يعني أن قوله تعالى: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ [القَمَر: الآية ٩] افتعل بمعنى فعل كقوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القَمَر: الآية ٤] فيكون قوله ﴿وَازْدُجِرَ﴾ [القَمَر: الآية ٩] من كلام الله تعالى أخبر عنه عليه الصلاة والسلام بأنه انتهر وزجر بالسَّبّ وأنواع الأذيّة حيث قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١١٦] ويؤيّد هذا المعنى ترتب قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ [الدّخَان: الآية ٢٢] عليه بالفاء أي لما زجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته إليهم دعا ربه بأني غلبني قومي بالتكذيب وأنواع الأذيّة على طول الزمان فانتقم لي ممن كذبني. **قوله:** (﴿قَبْلَهُمْ﴾) أي مقولهم. **قوله:** (بلبّه) في المصباح اللب العقل والجمع اللباب مثل قفل وأقفال. اهـ.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (﴿ففتّحنا﴾ **شامي ويزيد وسهل ويعقوب**) ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك «وفجرنا عيون الأرض» ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي مياه السماء والأرض (**وقرىء ﴿الماءان﴾**) أي النوعان من الماء السمٰوي الأرضي ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء أو على أمر قد قدر في اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات (**فتنوب منابها وتؤدي مؤداها**) بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه (**«ولكنّ قميصي مسرودة من حديد»**) أراد ولكن قميصي درع، ألا ترى

قوله: (﴿فَفَتَحْنَآ﴾) بتشديد التاء بعد الفاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدني وليس من السبعة (**وسهل**) بن محمد (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة والباقون بالتخفيف. **قوله**: (**وقرىء الماءان**) بالتثنية وتحقيق الهمزة وهذه قراءة شاذّة قارئه الحسن وعاصم الجحدري ومحمد بن كعب. وتُروَى عن أمير المؤمنين أيضًا وقرأ الحسن أيضًا الماوان بقلبها واوًا. ورُوِيَ عنه أيضًا المايان بقلبها ياء وهي أشذّ مما قبلها.

قوله: (**فتنوب منابها وتؤدّي مؤدّاها**)... الخ لأن الصفات أريد بها موصوفاتها كناية كما يراد بطويل القامة عريض الأظفار بادي البشرة الإنسان كما فصّل في أواخر فن البيان ولكونها أبلغ اختيرت على قوله وحملناه على السفينة هنا. **قوله**: (**ولكن قميصي مسرودة من حديد**) أوله:

مفرشي صهوة الحصان ولكن   قميصي مسرودة من حديد

في الصحاح الصهوة موضع اللبد من ظهر الفرس. اهـ. ويُضَ فيه فرس حصان بالكسر بين التحصين والتحصّن، ويقال إنه سُمِيَ حصانًا لأنه ضنّ بمائه فلم ينز إلّا على كريمة ثم كثر ذلك حتى سمّوا كل ذكر من الخيل حصانًا. هـ.

أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح، **(وهذا من فصيح الكلام وبديعه، والدسر جمع دسار)** وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ **(بمرأى منا)** أو بحفظنا أو ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ حال من الضمير في ﴿تَجْرِي﴾ أي محفوظة بنا ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورًا لأن النبيّ نعمة من الله ورحمة قال الله تعالىٰ: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾) [الأنبياء: الآية ١٠٧] فكان نوح نعمة مكفورة ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ **(أي السفينة أو الفعلة)** أي جعلناها ﴿ءَايَةً﴾ يعتبر بها. **(وعن قتادة)**: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على **(الجودي)** دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

قوله: **(وهذا من فصيح الكلام وبديعه)** فإنه من باب الكناية التي المطلوب بها نفس الموصوف كما تقول في الكناية عن الإنسان إنه حيّ مستوي القامة عريض الأظفار وفيه حصول المطلوب مع التعريف. **قوله**: **(والدسر جمع دسار)** بكسر الدال المهملة مثل كتاب وكتب وكما أن الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فإن المسمار يدفع دفعًا شديدًا.

قوله: **(بمرأى منا)** أي بمكان يرى ويشاهد فيه عبارة تفسير البغوي رحمه الله أي بمرأى منّا. وقال مقاتل بن حيّان بحفظنا، ومن قولهم للمودِّع: عين الله عليك. وقال سفيان بأمرنا. اهـ. **قوله**: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾) يا محمد (﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾) إلا للرحمة (﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾) الإنس والجن بك. **قوله**: **(أي السفينة)** يعني الموصوفة بقوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: الآية ١٣]. **قوله**: **(أو الفعلة)** وهي إنجاء نوح ومَن آمن به من أصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب أليم. **قوله**: **(وعن قتادة)** بن دعامة بن قتادة السدوسي أبي الخطاب البصري ثقة ثبت. يُقال: ولد أكمه وهو من كبار التابعين مات سنة سبع عشرة ومائة بواسط أبقاها الله... الخ. وكذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(الجوديّ)** جبل بالموصل وقيل: بالشأم، وقيل: ببابل. اهـ بيضاوي.

متعظ يتعظ **(ويعتبر)**، وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فأُدغمت الذال في الدال.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ **(جمع نذير وهو الإنذار ﴿ونذري﴾ يعقوب فيهما، وافقه سهل في الوصل. غيرهما بغير ياء)** وعلى هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للادّكار والاتعاظ بأن **(شحناه)** بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ يتعظ. وقيل: ولقد سهلناه للحفظ وأعنّا عليه مَن أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ويُروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرًا ولا يحفظونها ظاهرًا كالقرآن.

﴿(كَذَّبَتْ عَادٌ) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ **(أي وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم)**.

قوله: (ويعتبر) بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والإنابة رزقنا الله سبحانه وتعالى.

قوله: (جمع نذير وهو الإنذار) أي جمع نذير الذي بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار ويحتمل أن يكون مصدرًا كالإنذار كما حُكِيَ عن الفرّاء أنه قال: تقول العرب أنذرت إنذارًا ونذرًا كقولهم: أنفقت إنفاقًا ونفقة وأيقنت إيقانًا ويقينًا. **قوله: («ونذري»)** بإثبات الياء بعد الراء **(يعقوب)** بن إسحٰق **(فيهما)** أي في الحالين **(وافقه سهل)** بن محمد **(في الوصل)** وليسا من السبعة **(غيرهما بغير ياء)** وقفا ووصلًا. **قوله: (شحناه)** أي ملأناه، في المختار شحن السفينة ملأها وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١١٩]. اهـ.

قوله: (﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾) أي هودًا أو كذبت جميع الأنبياء أو فعلت التكذيب على أنه نزل منزلة اللازم. **قوله: (أي وإنذاراتي لهم بالعذاب)** أشار به إلى أن النذر جمع نذير بمعنى الإنذار لا بمعنى المنذر أو المنذر به. **قوله: (قبل: نزوله)** فحينئذٍ العذاب والإنذار لعاد. **قوله: (أو وإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم)** فحينئذٍ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ **(باردة أو شديدة الصوت** ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ **(شؤم** ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾**)** دائم الشر فقد استمر عليه حتى أهلكهم **(وكان في أربعاء)** في **(آخر الشهر)**.

العذاب لهم والإنذار لمن عداهم ولم يذكره أولًا مع احتماله لأنه يفهم مما هنا جريانه فيهما فلا غبار عليه.

قوله: **(باردة)** أي صرصر من الصرّ بالكسر بمعنى البرد الشديد. **قوله**: **(أو شديدة الصوت)** في هبوبها من الصرير. **قوله**: **(شؤم)** في المصباح الشؤم الشر. اهـ.

قوله: **(وكان في أربعاء)** بتثليث الباء والمدّ كذا في التيسير وفي فيض القدير كسر الموحّدة على الأشهر في **(آخر الشهر)** وهو شوال لثمانٍ بقين منه واستمر إلى غروب شمس الأربعاء آخره، فإنه قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الآية ٧]، وقال تعالى في حَم السجدة: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان كذا في الخطيب.

وفي حاشية البيضاوي للعلّامة القنوي أي استمر ذلك اليوم بمعنى الحين والوقت المطلق لا بياض النهار ويؤيده قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] وهي سبع ليالٍ وثمانية أيام فاليوم لا جرم بمعنى مطلق الوقت الشامل لليل وبياض النهار واليوم الواحد لا استمرار له بداهة بهذا المعنى وإن كان له استمرار في الجملة، قيل: استمر شؤمه أي عليهم أوابد الدهر فإن الناس يتشاءمون بأربعًا آخر الشهر، والمراد بالناس العوام الذين كالهوام فإن المراد حينئذٍ اليوم الواحد. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] وهي أيام ثمانية مع سبع ليالٍ فأطلق في القرآن النحسات على مجموع أوقات هلاكهم فيلزم كونها نحسات، فالتخصيص بالأربعاء آخر الشهر تحكم. وما رُوِيَ في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما في الجامع الصغير آخر أربعاء في الشهر يوم نحس

....

مستمر. فقال ابن كثير في تاريخه: مَن قال إن يوم النحس يوم الأربعاء وأمثاله فقد أخطأ وخالف القرآن لما في الآية الأخرى جاء ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فُصّلت: الآية ١٦] فلو كانت نحسات في نفسها كانت جميع الأيام كذلك وهذا لم يقله أحد فالمراد أنها نحسات عليهم. انتهى.

كذا قيل والزمان من حيث إنه زمان لا نحس فيه بل النحس إنما هو بسبب ما وقع فيه من العذاب، والعذاب إنما نزل عليهم، فالنحس بالنسبة إليهم وعن هذا علماء الشريعة يتبرّكون بيوم الأربعاء ويبدؤون الدروس في ذلك اليوم فالاستمرار بحسب الزمان على هذا الوجه انتهت بحروفها.

وفي فيض القدير بشرح الجامع الصغير (آخر أربعاء في الشهر) لفظ رواية الخطيب من الشهر (﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾) بالإضافة على الأجود أي شؤم وبلاء (﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾) مطرد شؤمه أو دائم الشؤم أو مستحكمه. ورُوِيَ يوم نحس بالرفع والتنوين فيهما و﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ نعت لنحس أو ليوم أو عطف بيان أو بدل وليس قوله: نحس على جهة الطيرة وكيف يريد ذلك والأيام كلها لله. وقد جاء في تفصيل بعض الأيام على بعض أخبار كثيرة وهو من الفأل الذي كان يحبه، وأما الطيرة فيكرهها وليست من الدين بل من فعل الجاهلية، وقول الكهّان والمنجمين فإنهم يقولون: يوم الأربعاء يوم عطارد وعطارد نحس من النحوس سعد مع السعود. وقولهم: خارج عن الدين ويجوز كون ذكر الأربعاء نحس على طريق التخويف والتحذير أي احذروا ذلك اليوم لما نزل فيه من العذاب وكان فيه من الهلاك وجددوا لله توبة خوفًا أن يلحقكم فيه بؤس كما وقع لمن قبلكم وكان عليه السلام إذا رأى مخيلة فزع إلى الصلاة حتى إذا نزل المطر سري عنه. ويقول: ما يؤمنني أن يكون فيها عذاب كما وقع لبعض الأمم السابقة فكان يحذر أمنه من مثل ما قال أولئك: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤] فأتاهم بخلاف ما ظنوا. قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤] وكما قال ﷺ حين أتى إلى الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلا أن تكونوا باكين». وكما رغب في يوم عاشوراء لما جعل الله من نجاة موسى وبني إسرائيل

....

من فرعون حذرًا من يوم الأربعاء لما كان فيه انتهى. وقال السهيلي نحوسة على مَن تشام وتطير بأن كان عادته الطير وترك الاقتداء بالنبيّ ﷺ في تركه وتلك صفة مَن قلّ توكله فذلك الذي تضرّ نحوسة في تصرّفه فيه.

وقال بعضهم: التطيّر مكروه كراهة شرعية إلا أن الشرع أباح لمن أصابه في آخر الأربعاء شيء من نحو جايحة أن يدع التصرّف فيه لا على جهة الطيرة واعتقاد أنه يضر أو يصيبه فيه فقر أو موت بل على جهة اعتقاد إباحة الإمساك فيه لما كرهت النفس لا اقتضاء للتطيّر، ولكن إثباتًا للرخصة في التوقي فيه لمن شاء مع وجوب اعتقاد أن شيئًا لا يضرّ شيئًا. وقال الحليمي: علمنا ببيان الشريعة أن من الأيام نحسًا والذي يقابل النحس السعد فإذا ثبت أن بعض الأيام نحس ثبت أن بعضها سعد والأيام في هذا كالأشخاص منها مسعودة ومنها منحوسة ومن الناس شقي وسعيد، فإن أضاف أحد إلى الأيام أو الكواكب أنها تسعد باختيارها أوقاتًا أو أشخاصًا أو تنحسها فذلك باطل وإن قال: إن للكواكب طبائع وأمزجة مختلفة وتلك تتغير منها باتصال بعضها ببعض وانفصال بعضها عن بعض فطرة فطرها الله عليها تنادي بتوسّط النيرين إلى الأرض وما فيها فأي شيء منها كان هو المنادي إلى الأجسام الأرضية كانت الآثار التي تحدث فيها عنه بحسبها فقد يكون منها ما هو سببًا للاغتنام، وما يصير سبب للصحة والسلامة وما هو سبب لحسن الخلق وبذل المعروف والإنصاف والرغبة في الخير وما هو سبب للهيج والظلم والإقدام على الشر، فهذا قد يكون لكنه فعل الله وحده انتهى.

وأما حمل الحديث على الأربعاء الذي أرسل فيه الريح على عاد بخصوصه قمنا في السياق مع أنه لا يلزم من تعذيب قوم فيه كونه نحسًا على غيرهم وحمله على أنه نحس على المفسدين لا المصلحين هلهل بالمرة إذ لا اختصاص بالأربعاء. وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس وابن عدي وتمام في فوائده عن أبي سعيد مرفوعًا يوم السبت يوم مكر وخديعة يوم الأحد يوم عرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس ويوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان والجمعة يوم خطبة

....

ونكاح. قال السخاوي: وسنده ضعيف. وذكر الزمخشري أن يزيد قال لأخيه: اخرج معي في حاجة، فقال: هو يوم الأربعاء، قال: فيه وُلد يونس، قال: لا جرم قد بانت له بركة في اتساع موضعه وحسن كسوته حتى خلصه الله. قال: وفيه وُلد يوسف، قال: فما أحسن ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته، قال: وفيه نصر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب. قال: أجل بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. وفي بعض الآثار النهي عن قصّ الأظفار يوم الأربعاء وأنه يورث البرص. قال في المطامح: وأخبرني ثقة من أصحابنا عن ابن الحاج وكان من العلماء المتقين أنه همّ بقصّ أظفاره يوم الأربعاء فتذكر الحديث الوارد في كراهته فتركه ثم رأى أنها سنة حاضرة فقصّها فلحقه برص فرأى النبيّ ﷺ في نومه فقال له إنه لم يسمع نهي عن ذلك فقال: يا رسول الله لم يصح عندي الحديث عنك، قال: يكفيك أن تسمع ثم مسح بيده على بدنه فزال البرص جميعًا. قال ابن الحاج: فجددت مع الله توبة أن لا أُخالف ما سمعت عن رسوله أبدًا.

والحاصل أن توقي الأربعاء على جهة الطيرة وظنّ اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم إذ الأيام كلها لله لا تضرّ ولا تنفع بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور ومن تطير حاقت به نحوسته، ومَن أيقن بأنه لا يضر ولا ينفع إلّا الله، لم يؤثر فيه شيء من ذلك قال:

تعلم أنه لا طير إلّا على متطيّر وهو الثبور

وفي حديث رواه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعًا، وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء. **وفي منهاج الحليمي وشعب البيهقي** أن الدعاء يستجاب يوم الأربعاء بعد الزوال.

وذكر برهان الإسلام في تعليم المتعلّم عن صاحب الهداية أن ما بدئ شيء يوم الأربعاء إلّا وتمّ فلذلك كان جمع من المشائخ يتحرّون ابتداء الجلوس للتدريس فيه وذلك لأن العلم نور فبدايته يوم خلق النور فيه تناسب يعين على تمامه.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذًا بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في (**الشّعاب**) ويحفرون (**الحُفَر**) فيندسون فيها فتنزعهم وتكبّهم وتدق رقابهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أصول نخل (**منقلع**) عن مغارسه،

واستحبّ بعضهم غرس الأشجار فيه لخبر ابن حبان والديلمي عن جابر مرفوعًا من غرس يوم الأربعاء. فقال: سبحان الباعث الوارث أتته بأكلها، قالوا: ولما أرسل ملك الروم كتابه إلى المعتصم يتهدده كتب له على ظهره الجواب ما تراه لا ما تسمعه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، وقام فخرج من فوره في وقته يوم الأربعاء ولم يدخل بيته فمنعه المنجمون وقالوا: الطالع نحس فقال: عليهم لا علينا وسافر فيه فأسر ستين ألفًا وقتل ستين ألفًا وكانت وقعة أعزّ الله فيها الإسلام وأهله (وكيع) أي القاضي أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع بفتح الواو وكسر الكاف وعين مهملة (في الغرر) أي في كتاب الغرر من الأخبار وابن مردويه أبو بكر أحمد بن موسى (في التفسير) المسند من عدة طرق عن ابن عباس وعن عائشة وعن عليّ وعن أنس وغيرهم (خط) في ترجمة أبي وزير صاحب ديوان المهديّ (عن ابن عباس) وفيه مسلمة بن الصلت.

قال أبو حاتم: متروك. وجزم ابن الجوزي بوضعه وحكاه في الكبير ولم يتعقبه. وقال ابن رجب: حديث لا يصحّ ورواه الطوري من طريق آخر عن ابن عباس موقوفًا. قال السخاوي: وطرقه كلها واهية. وروى الطبراني بسند ضعيف يوم الأربعاء يوم نحس مستمر والحديث المشروح يفيده. انتهى بالتقاط.

وفي السراج المنير شرح الجامع الصغير للعلّامة العزيزي. قال العلقمي: وحاصل كلام شيخنا على الموضوعات أنه ليس بموضوع. اهـ.

قوله: (**الشعاب**) في المصباح الشعب بالكسر الطريق. وقيل: الطريق في الجبل والجمع شعاب. اهـ.

قوله: (**الحفر**) جمع حفرة مثل غرفة وغرف أصول نخل تفسير ﴿أَعْجَازُ﴾ [القَمَر: الآية ٢٠] جمع قلّة بمعنى جمع الكثرة ولذا قال: أصول نخل. **قوله**: (**منقلع**) تفسير ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٢٠] لأنه بمعنى أخرج من القعر.

وشبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادًا بلا رؤوس فيتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع، وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: الآية ٧] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ انتصب ﴿بشرًا﴾ بفعل يفسره ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ تقديره أنتبع بشرًا منّا واحدًا ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ كأن يقول إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق.

وسعر و(**نيران جمع سعير**) فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إذ كما تقول. وقيل: الضلال الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر الجنون، وقولهم: ﴿أَبَشَرًا﴾ إنكار لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا منا، لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَاحِدًا﴾ إنكارًا لأن تتبع الأمة رجلًا واحدًا، (**أو أرادوا واحدًا من أفنائهم**) ليس من أشرفهم وأفضلهم، ويدلّ عليه قوله: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا مَن هو أحقّ منه بالاختيار للنبوّة ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذبه.

قوله: (**نيران**) في المصباح النار جمعها نيران.اهـ. **قوله**: (**جمع سعير**) وهو النار.

قوله: (**أو أرادوا واحدًا من أفنائهم**) في الصحاح يُقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو.اهـ.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾

(**﴿ستعلمون﴾: شاميّ**) وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبًا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ باعثوها ومخرجوها من (**الهضبة**) كما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ (أَنَّ ٱلْمَآءَ) قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ قسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم (**وقال ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليبًا للعقلاء** ﴿(كُلُّ شِرْبٍ) مُّحْتَضَرٌ﴾ محضور يحضر القوم الشرب يومًا (**وتحضر الناقة يومًا**).

قوله: («ستعلمون») بعد السين بتاء الخطاب (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ **وحمزة**، وفيه وجهان: أحدهما أنه حكاية قول صالح لقومه، والثاني أنه خطاب الله تعالى وكلامه لهم على سبيل الالتفات من الغيبة في قوله: فقالوا: وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله: فقالوا.

قوله: (**الهضبة**) في المغرب الهضبة الجبل المُنْبَسِط على وجه الأرض وجمعها هِضاب. اهـ.

قوله: (﴿أَنَّ ٱلْمَآءَ﴾) وهو ماء بئرهم الذي كانوا يشربون منه.

قوله: (**وقال ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليبًا للعقلاء**) أي ضمير العقلاء في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [القمر: الآية ٢٨] لقوم صالح وللناقة جميعًا فجمعه جمع العقلاء مع أن ناقة صالح مما لا يعقل لتغليب العقلاء عليها.

قوله: (﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾) بكسر الشين نصيب من الماء. **قوله**: (**وتحضر الناقة يومًا**) لا تدع في البئر قطرة يأخذها أحد منهم. رُوِيَ أنهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها. اهـ خطيب.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ (قدار) بن سالف (أُحيمر ثمود) ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم (غير مكترث له) ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة (أو ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾) الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف. وإنما قال: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعراف: الآية ٧٧] في آية أخرى لرضاهم به أو لأنه عقر بمعونتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في اليوم الرابع من عقرها ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر، (والمحتظر) الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم، (وقرأ الحسن بفتح الظاء) وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قوله: (قدار) بضم القاف اسم عاقر الناقة وهو أشقى الأولين. **قوله**: (أُحيمر ثمود) تصغير أحمر صغر تحقيرًا له وكان قدار أحمر أشقر. اهـ شيخ زاده. وقوله: (أشقر) في المصباح الشقرة من الألوان حمرة تعلو بياضًا في الإنسان، وحمرة صافية في الخيل. قاله ابن فارس وشقر شقرًا من باب تعب فهو أشقر والأنثى شقراء والجمع شقر وشقران وزان عثمان من ذلك وبه سمي ومنه شقران مولى رسول الله ﷺ واسمه صالح. اهـ.

وفي حاشية الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب أحيمر ثمود تصغير أحمر لقبه والإضافة للتمييز قد ترد في الأعلام. اهـ.

قوله: (غير مكترث له) في المغرب فلان لا يكترث لهذا الأمر أي لا يَعْبأُ به ولا يُبَاليه. **قوله**: (أو ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾) أي فتناول. **قوله**: (والمحتظر) بكسر الظاء الذي يعمل الحظيرة، الحظيرة مقرّ الغَنم ونحوها وإضافة الهشيم إلى المحتظر بكسر الظاء لأدنى ملابسة.

قوله: (وقرأ الحسن بفتح الظاء) وهذه قراءة شاذّة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني على قوم لوط ﴿حَاصِبًا﴾ **(ريحًا تحصبهم)** بالحجارة أي ترميهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ ابنتيه ومَن آمن معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ **من الأسحار ولذا صرفه ـ ويقال: لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه)**.

قوله: (ريحًا تحصبهم) إشارة إلى أن الحاصب اسم فاعل بمعنى رامي الحصباء وهي الحجارة حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندًا إلى ضمير الريح وهي مؤنّث سماعي لكونها في تأويل العذاب. وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ [هُود: الآية ٨٢]. وكذا قول الملائكة: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ [الذّاريَات: الآية ٣٣] يدلّان على أن الذي أرسل عليهم نفس الحجارة لا التي تحصبها إلا أنه قيل: هٰهنا أرسلنا عليهم ريحًا حاصبًا لدلالة على أن إمطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح الحاصبة بالحجارة.

قوله: (﴿بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار ولذا صرفه ويقال: لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه) في شرح العلّامة الأشموني على ألفيّة ابن مالك والظرف غير المتصرّف منه منصرف وغير منصرف، فالمنصرف نحو سحر وليل ونهار وعشاء وعتمة ومساء وعشية غير مقصود بها كلها التعيين وغير المنصرف نحو سحر مقصودًا به التعيين ومن العرب مَن لا يصرف عشية في التعيين. اهـ بحروفه. **وفي حاشيته للعلّامة الصبان.**

قوله: (غير مقصود بها كلها التعيين)، فإن قصد بها التعيين فما وجد فيه علّة أخرى كسحر وعتمة وعشية لم يصرف وإلّا صرف، ففي مفهومه تفصيل فلا اعتراض والعلّة الأخرى في سحر العدل عن السحر وفي عتمة وعشية التأنيث لكن منع صرف عتمة وعشية حينئذٍ إحدى لغتين كما يأتي.

قوله: (وغير المنصرف نحو سحر) وعشية وعتمة وإنما لم يذكرهما لأن صرفهما مع التعيين هو الفصيح ومنعهما الصرف معه لغة قليلة كما قاله الدماميني وأشار إليه الشارح رحمه الله في عشية بقوله: ومن العرب... الخ انتهت

وقيل: هما سحران: فالسحر الأعلى قبل **(انصداع الفجر)**، والآخر عند انصداعه ﴿نِّعۡمَةٗ﴾ مفعول له **(أي إنعامًا)** ﴿مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ **(أخذتنا بالعذاب** ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾ بِٱلنُّذُرِ﴾ فكذبوا بالنذر متشاكين.

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧﴾

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ طلبوا الفاحشة من أضيافه ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ أعميناهم. وقيل: مسحناها وجلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. رُوِيَ أنهم لما

بحروفها. **وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله** ونوّن سحرًا لأن المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الأسحار ولو أريد سحر يوم بعينه لقيل: نجيناهم بالسحر. اهـ. وفي تفسير الجلالين بسحر من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل. اهـ. **وفي حاشيته للعلّامة الجمل رحمه الله**، قوله: (من الأسحار) أشار به إلى أن السحر نكرة لم يرد به سحر يوم معين فانصرف كما قرره. اهـ كرخي. قوله: (أي وقت الصبح...) الخ هذا التفسير بالنظر للمراد هنا الدالّ عليه قوله: إن موعدهم الصبح وإلا فحقيقة السحر آخر الليل. والباء بمعنى في أو هي للملابسة أي حال كونهم ملتبسين بسحر. اهـ شيخنا. اهـ.

قوله: (انصداع الفجر) في **لسان العرب** انصدع الصبح انشقّ عنه الليل. اهـ. وأيضًا فيه وقد انصدع الفجر وانفلق وانفطر إذا انشقّ. اهـ. **قوله: (أي إنعامًا)** أشار به إلى أن نعمة مصدر بمعنى الإنعام. **قوله: (أخذتنا بالعذاب)** نبّه به على أن معنى الوحدة معتبر وأنه باقٍ على معناه المصدري. وفيه تنبيه على أن الأخذ الواحد يكفيهم وأن المراد الأخذ بالعذاب وهو أخذ شديد فهذا أبلغ من، ولقد أنذرهم من عذابنا.

قوله: (﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾) تفاعلوا من المرية أي تشاركوا في الشك فيما أنذرهم به، وكذّبره وقالوا: كيف يقدر على إهلاكنا وحده وعدّى فتماروا بالباء وأصله أن يتعدّى بفي لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل: فكذّبوا بالنذر متشاكين.

(عالجوا) باب لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ليدخلوا قالت الملائكة: خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، **(فصفقهم)** جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾

(﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾) أول النهار ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وهذا حكم التكرير في قوله: (﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾) [الرحمـٰن: الآية ١٣] عند كل نعمة عدّها، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: الآية ٢٥] عند كل آية أوردها، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان.

قوله: **(عالجوا)** في الصحاح عالجت الشيء معالجة وعلاجًا إذا زاولته وعالجت الرجل فعلجته علجًا غلبة. **قوله**: **(فصفقهم)** أي ضربهم.

قوله: (﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾) أي جاءهم وقت الصبح.

قوله: (﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ﴾) نعم (﴿رَبِّكُمَا﴾) أيها الإنس والجن (﴿تُكَذِّبَانِ﴾) ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير أي تقرير النعم وتأكيدها في التذكير لما روى الحاكم عن جابر، قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمـٰن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم سكوتًا للجن كانوا أحسن منكم. ردّدوا لمّا قرأت عليهم هذه الآية ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمـٰن: الآية ١٣] إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء أو هو جمع نذير وهو الإنذار ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾ **(بالآيات التسع)** ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ **(لا يغالب** ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ **لا يعجزه شيء)**.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون **(أي هم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرًا وعنادًا)** يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أم أنزلت عليك يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن مَن كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة؟

قوله: (بالآيات التسع) في تفسير الجلالين في سورة بني إسرائيل وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص من الثمرات. اهـ. **وفي الجمالين للجلالين** قوله: والطمس أي طمس أموالهم والأظهر الفلق بدله وهذا بناء على أن المراد النذر جمع نذر بمعنى الإنذار، وأما إن أريد به المنذرون فالمراد بالآيات آيات الأنبياء كلهم. **قوله: (والسنين)** أي القحط ونقص الثمرات عدّهما واحدة لأنهما في المعنى واحد وكان حقه أن يذكرهما قبل الطوفان. اهـ.

قوله: (لا يغالب) بصيغة المجهول وهذا أبلغ من التفسير بالغالب. **قوله:** (﴿مُّقْتَدِرٍ﴾) أبلغ من القدير. **قوله: (لا يعجزه شيء)** أي من الممكنات كلما تعلق قدرته به يكون موجودًا أو معدومًا.

قوله: (أي هم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرًا وعنادًا) يعني إذ اعتبر معنى الزيادة المستفاد من كلمة خير في جانب أولئك الكفرة كان التقدير هم خير قوة وآلة، وهذا استفهام إنكار أي لستم بخير من هؤلاء الكفرة بل هم خير منكم قوة وآلة، فلم تخافوا أن يحلّ بكم مثل ما حلّ بهم من فنون العذاب مع أنكم أسوأ حالًا وأضعف قوة وآلة، وإذا اعتبر في جانب كفار مكة كان التقدير هم أقل كفرًا بل شر منهم أي لستم بخير منهم بل أنتم شرٌّ منهم حيث ظهر نحو

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ (جماعة أمرنا مجتمع) ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ (ممتنع لا نرام ولا نضام) ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ جمع أهل مكة **﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾** أي الأدبار **(كما قال:**

كلوا في بعض بطنكم تعفوا)

وبلاغة القرآن لكونكم من أهل البلاغة بحسب السليقة ثم كفرتم به فأنتم أشد كفرًا منهم فهل تطمعون أن لا يصيبكم ما أصابهم.

قوله: (جماعة أمرنا مجتمع) تفسير لقوله: ﴿جَمِيعٌ﴾ [القمر: الآية ٤٤] لأن كونهم جميعًا أمر ظاهر فلا فائدة في الخبر فتأويله ما ذكره. **قوله: (ممتنع لا نرام)** كناية عن عدم المغلوبية فيلزم الغالبية فإن من شأن المغلوب أن يرام ويطلب للأخذ. اهـ قنوي. وفي المصباح رمت الشيء أرومه رومًا ومرامًا طلبته فهو مروم. اهـ. وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (ممتنع لا نرام) أي لا نزال عن موضعنا يُقال: رامه يريمه ريمًا أي برحه وزال عنه وصار إلى البراح وهو المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر. اهـ.

قوله: (ولا نضام) في المصباح ضامه ضيمًا مثل ضَاره ضَيرًا وزنًا ومعنى. اهـ. وفي مختار الصحاح الضَّيْم الظلم وقد ضامه من باب باع فهو مَضيم واستضامه فهو مُستضام أي مظلوم، وقد ضُمْت بضم الضاد أي ظُلِمْت على ما لم يسم فاعله. اهـ. **قوله: (كما قال:**

كلوا في بعض بطنكم تعفوا)

أي كما وحد الشاعر البطن في موضع الجمع حيث قال:

كلوا في بعض بطنكمو تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

يُقال عف عن الحرام يعفّ عفًّا وعفافًا وعفة أي كَفّ عنه ولم يتعرّض لما لا يحل والمعنى اقنعوا بالقليل من الطعام تعفوا عن تناول الحرام فإن زمانكم زمن

أي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر **(وهذه من علامات النبوّة)** ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ موعد عذابهم بعد بدر ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشد من موقف بدر **(والداهية)** الأمر المنكر الذي لا يهتدى **(لدوائه** ﴿وَأَمَرُّ﴾ **مذاقًا من عذاب الدنيا)** أو أشد **(من المِرة)**.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيران في الآخرة أو في هلاك ونيران ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يجرون فيها ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ **(ويقال لهم)**

الضيق والجدب والخميص الجائع والمراد زمانكم ذو خمص كما في عيشة راضية أي ذات رضى هذا إذا أمن اللبس، وأما إذا لم يؤمن بأن يكون مدلول اللفظ أمرًا منفصلًا عن الشخص كالثوب والفرس فلا يجوز حينئذٍ إطلاق اللفظ المفرد وإرادة الجمع فلا يُقال ثوبهم وفرسهم عند إرادة الأثواب والأفراس حذرًا من اللبس فإنه يجوز اشتراك جماعة في ثوب واحد وفرس واحد.

قوله: (وهذه من علامات النبوّة) لأن الآية نزلت بمكّة المعظّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا وأخبر بها أنهم سيهزمون في الحرب فكان كما قال، ولا طريق إلى علم الغيب إلّا الوحي فعلم أن الآية وحي إلـهي ففيه رد على مَن زعم أن هذه الآية مدنية لأن غزوة بدر بعد الهجرة كما مرّ.

قوله: (والداهية) إشارة إلى أن ﴿أَدْهَىٰ﴾ [القمر: الآية ٤٦] بمعنى أعظم داهية فتعبيره بأشد بيان للمراد منه. **قوله: (لدوائه)** أي لما يزيله وينفع مَن نزل به فهو استعارة هنا ويفهم منه أن الداهية أي المصيبة العظيمة مستعارة ومشبّهة للمرض الذي لا يرجى برؤه ولا زواله استعارة مكنية. **قوله: (**﴿وَأَمَرُّ﴾ **مَذاقًا من عذاب الدنيا)** قرينة على أن ﴿وَأَمَرُّ﴾ [القمر: الآية ٤٦] تفضيل من المرارة ضد الحلاوة على أنه استعارة. **قوله: (من المِرة)** بكسر الميم.

قوله: (ويُقال لهم) قدرة إذ لا ارتباط بدونه والقائل هو الملائكة كما هو الظاهر.

﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ كقولك: «وجد مسّ الحمى وذاق طعم الضرب» لأن النار إذا أصابتهم بحرّها فكأنها تمسهم مسًّا بذلك. و﴿سَقَرَ﴾ غير منصرف للتأنيث والتعريف **(لأنها علم لجهنم من سقرته)** النار **(إذا لوحته)**.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر، **(وقُرىء بالرفع شاذًّا والنصب أولى)** لأنه لو رفع لأمكن أن يكون ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ في موضع الجبر وصفًا لـ ﴿شَيۡءٍ﴾ ويكون الخبر ﴿بِقَدَرٖ﴾ وتقديره: إنا كل شيء مخلوق لنا كائن بقدر، ويحتمل أن يكون ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ هو الخبر وتقديره: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر، فلما تردد الأمر في الرفع عدل إلى النصب وتقديره. إنا خلقنا كل شيء بقدر فيكون الخلق عامًّا لكل شيء وهو المراد بالآية. ولا يجوز في النصب أن يكون ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ صفة لـ ﴿شَيۡءٍ﴾ لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف. **(والقدَر والقدْر)** التقدير أن بتقدير سابق أو خلقنا كل شيء مقدرًا

قوله: **(لأنها)** أي ﴿سَقَرَ﴾ [القمر: الآية ٤٨] **(علم لجهنم)** أي مطلقًا كما أنها علم لطبقة مخصوصة للمجوس، وكذا جهنم علم لدار العقاب مطلقًا كما أنه علم لطبقة مخصوصة لعصاة الموحّدين وهي الطبقة الأولى. **قوله**: **(من سقرته)** النار **(إذا لوحته)** بالحاء المهملة تفعيل من التلويح وهو تغيير الجلد ولونه من ملاقاة حرّ النار أو الشمس لا بمعنى الرمز والإشارة.

قوله: **(وقرىء بالرفع شاذًّا)** قارئه أبو السمال رحمه الله. **قوله**: **(والنصب أولى...)** إلخ فإن في قراءة الرفع يحتمل أن يكون كل شيء مبتدأ و﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ [القمر: الآية ٤٩] خبره و﴿بِقَدَرٖ﴾ [القمر: الآية ٤٩] حالًا فعلى هذا يفيد المعنى المقصود ويطابق المعنى الذي أفاده القراءة بالنصب. ويحتمل أن يكون ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [القمر: الآية ٤٩] مبتدأ و﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ [القمر: الآية ٤٩] صفة و﴿بِقَدَرٖ﴾ [القمر: الآية ٤٩] خبر المبتدأ فعلى هذا لا يفيد المقصود لأن المعنى حينئذٍ أن كل شيء مخلوق لنا بقدر وهو يوهم أن ما هو مخلوق لغير الله ليس بقدر، ولما كانت القراءة بالرفع محتملًا للمقصود وغيره. والقراءة بالنصب نصًّا في المقصود كان النصب أولى من الرفع. **قوله**: **(والقدَر)** بفتح الدال **(والقدْر)** بسكونها.

محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة، أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح معلومًا قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه.

قال (**أبو هريرة**): جاء مشركو قريش إلى النبيّ ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت الآية، وكان عمر يحلف أنها نزلت في (**القدرية**).

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة أي وما أمرنا لشيء نريد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون (﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره. وقيل: المراد بأمرنا القيامة كقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النمل: الآية ٧٧].

قوله: (**أبو هريرة**) تصغير هرة، قيل: سبب تلقّبه بذلك ما رواه ابن عبد البر أنّه قال: كنت أحمل يومًا هرة في كُمّي فرأى رسول الله ﷺ فقال: ما هذه؟ فقلت: هرة، فقال لي: أنت أبو هريرة، واسمه عبد الرحمٰن بن صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولًا. أسلم عام خيبر وشهدها مع النبيّ ﷺ، ثم لزم وواظب راغبًا في العلم راضيًا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيث دار، من أحفظ الصحابة.

قال البخاري رحمه الله: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين الصحابة والتابعين؛ فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس. وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وستين.

والصحيح أنه تُوفي بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين ودُفن بالبقيع.

قوله: (**القدرية**) بفتح الدال وسكونها وهم الذين ينكرون القدر وينسبون الحوادث كلها إلى الأوضاع الفلكية واتصالات الكواكب.

قوله: (﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾) أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي أولئك الكفار أي وكل شيء مفعول لهم ثابت ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة فـ ﴿فَعَلُوهُ﴾ في موضع جرّ نعت لـ ﴿شَيْءٍ﴾ و﴿فِي الزُّبُرِ﴾ خبر لـ ﴿لكل﴾.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ **(مسطور في اللوح** ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ فِي جَنَّاتٍ (وَنَهَرٍ) ۝٥٤﴾ وأنهار **(اكتفى باسم الجنس)**. **(وقيل: هو السعة والضياء)** ومنه النهار.

قوله: (مسطور في اللوح) أي مكتوب من السطر بمعنى الكتب وأشار إلى أن الافتعال بمعنى الثلاثي.

قوله: (﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾) أي الموحّدين بقرينة مقابلة بالمجرمين أي للكافرين فالمراد أدنى المراتب من التقوى أو الوسطى منها وهو الاجتناب عن الكبائر فيبقى حال عصاة المسلمين مسكوتًا عنها كما في أكثر المواضع. **قوله:** (﴿وَنَهَرٍ﴾) أيْ أنهار من ماء وأنهار من لبن وخمر وأنهار من عسل مصفّى. **قوله: (اكتفى باسم الجنس)** لرعاية الفاصلة وهو إن كان مفرد لفظًا لكنه جمع معنى إذ المراد الماهية من حيث تحققها في ضمن أفراد كثيرة بقرينة ﴿جَنَّاتٍ﴾ [القَمَر: الآية ٥٤].

قوله: (وقيل: هو السعة والضياء) ومنه النهار يعني أن النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل أيضًا بمعنى السعة. يُقال: أنهرت الطعنة أي وسعتها واستنهر الشيء إذا اتسع ويسمى النهار نهار السعة ضيائه. وقال الضحاك: ليس المراد بالنهر هنا نهر الماء وإنما المراد سعة الأرزاق لأن المادّة تساعد هذا المعنى ويجوز أن يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على أنه من النهار.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ **(في مكان مرضي)** ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ قادر.

(وفائدة التنكير فيهما) أن يعلم أن لا شيء إلا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير.

قوله: (في مكان مرضي) إشارة إلى أن ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: الآية ٥٥] من باب رجل صدق في أنه من إضافة الموصوف إلى الصفة وأن الصدق بمعنى الجودة والخيرية. اهـ. شيخ زاده رحمه الله. وفي حاشية العلّامة القنويّ.

قوله: (في مكان مرضي) أي المقعد اسم مكان مرضي معنى ﴿صِدْقٍ﴾ مجاز لأن الصدق يلزمه الرضاء واكتفى باسم الجنس أيضًا والمعنى مقاعد صدق ويدل عليه قراءة مقاعد صدق. اهـ. **قوله: (وفائدة التنكير فيهما...)** الخ أي التنكير في قوله: ﴿مَلِيكٍ﴾. وفي قوله: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ للتعظيم.

تمّ هنا بحمد الله ورحمته ما يتعلّق بسورة القمر
والصلاة والسلام على أفضل البشر وعلى آله وأصحابه مصابيح الغرر

(سورة الرحمـٰن) جلّ وعلا

مكيّة (وهي ست وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣﴾ أي الجنس أو آدم أو محمدًا عليه السلام ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ عدّد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدمًا من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين، فقدّم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرًا، وهو **(سنام)** الكتب السمٰواية **(ومصداقها والعيار عليها)**، وأُخر ذكر خلق الإنسان عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الرحمـٰن)** وتُسمى عروس القرآن. **قوله**: **(وهي ست وسبعون آية)** وثلاثمائة وإحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفًا. **قوله**: **(سَنام)** في لسان العرب سَنام البَعير والناقة أعلى ظهرها والجمع أسنِمَة.اهـ. وأيضًا فيه سَنام كل شيء أعلاه.اهـ. **قوله**: **(ومصداقها)** أي ما يصدقها في لسان العرب هذا مصداق هذا أي ما يُصَدِّقه.اهـ. **قوله**: **(والعيار عليها)** العيار بكسر العين ما يعلَم به صحة غيره أو فساده مصدر عايرت الموازين إذا قايستها بغيرها لتعلّم

ذكره، ثم أتبعه إيّاه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علمًا بوحيه وكتبه، وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما تميّز به من سائر الحيوان من البيان **(وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير)**. و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾ مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها **(على نمط التعديد)** كما تقول: زيد أغناك بعد فقر أعزّك بعد ذلّ كثرك بعد قلّة فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه؟

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ **(بحساب معلوم)** وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾ النبات الذي **(ينجم)** من الأرض لا ساق له كالبقول ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ الذي له ساق. وقيل: النجم نجوم السماء ﴿يَسْجُدَانِ﴾ ينقادان لله تعالىٰ فيما خلقا له تشبيهًا بالساجد من المكلفين في انقياده، واتصلت هاتان الجملتان بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾﴾ بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له. ولم يذكر العاطف في الجمل

صحتها وهو مجاز هنا عما يعلم به صحة غيره منها فما وافقه فهو صحيح من عند الله وما خالفه فليس منه تعالى بل هو محرّف سواء كان التحريف بالزيادة أو بالنقصان. **قوله**: **(وهو المنطق)** أي النطق ويحتمل أن المراد المنطوق به **(الفصيح)** بمعنى الظاهر الذي لا يلتبس بعضه ببعض كما في ألحان الطيور وليس المراد بالفصيح الخالص من اللكنة لأن المراد بالبيان هنا ما يتميّز به نوع الإنسان وربما لا يكون فصيحًا بالمعنى المذكور **(المعرب عما في الضمير)**[1] من تسمية المحل باسم الحال أي المظهر له بدلالات وضعية إما من الله أو من أهل اللغة على ما بين في موضعه. **قوله**: **(على نمط التعديد)** النمط بفتحتين الطريق.

قوله: **(بحساب معلوم)** أي الحسبان مصدر بمعنى الحساب وكونه معلومًا إذ الحساب لا يكون إلا معلومًا فالصفة موضحة. **قوله**: **(ينجم)** أي يطلع. **قوله**:

---

(١) في حاشية الشهاب رحمه الله الضمير ما يضمر في القلب ويطلق عليه نفسه وكلاهما صحيح هنا. اهـ فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه رحمه الله.

الأولى ثم جيء به بعد، لأن الأولى وردت على سبيل التعديد تبكيتًا لمَن أنكر آلاءه كما يبكت منكرًا (**أيادي**) المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور، ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف. وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل. وإن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وإن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ (**خلقها مرفوعة مسموكة**) حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين (**يهبطون بالوحي**) على أنبيائه، ونبّه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان و(**قَرَسْطون ومكيال ومقياس**) أي خلقه موضوعًا على الأرض

(**أيادي**) في المصباح اليد مؤنّثة وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع ولامها محذوفة وهي ياء والأصل يدي. قيل: بفتح الدال وقيل: بسكونها واليد النعمة والإحسان تسمية بذلك لأنها تتناول الأمر غالبًا وجمع القلّة أيد وجمع الكثرة الأيادي واليديّ مثال فعول. اهـ.

قوله: (**خلقها مرفوعة**) أشار به إلى أن معنى رفعها خلقها ابتداء هكذا لا أنها خلقت مخفوضة ثم رفعت. **وقوله**: (**مرفوعة**) حال من المفعول وزمان الحال وعامل ذويها واحد ومتقدم عليها بالذات، وهذا يكفي في الحال المحققة. **قوله**: (**مسموكة**) في مختار الصّحاح سمك الله السماء رفعها وبابه نصر وسمك الشيء ارتفع وبابه دخل وسمك البيت بالفتح سقفه. اهـ. **قوله**: (**يهبطون بالوحي**) في مختار الصّحاح هَبَطَ نزل وبابه جلس وهَبَطه أنزله وبابه ضرب يتعدّى ويلزم. اهـ. **قوله**: (**قرسطون**) في محيط المحيط القارِسْطُون ميزان الدراهم أعجميّة. اهـ. **قوله**: (**ومكيال**) المكيال ما يُكال به جمع مكاييل ومكايل كذا في محيط المحيط. **قوله**: (**ومقياس**) المقياس المقدار والميل لأنه يُقاس به عمقها

حيث علّق به أحكام عباده من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ (**لئلا تطغوا أو هي «أن» المفسّرة**) ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ وقوموا وزنكم بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان، وكرّر لفظ الميزان تشديدًا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحثّ عليه.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾﴾

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ (**خفضها مدحوّة**) على الماء ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق وهو كل ما على ظهر الأرض من دابة. وعن الحسن: الإنس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ (**ضروب مما يتفكه به**) ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ هي أوعية الثمر (**الواحد «كِم»**) بكسر الكاف (**أو كل ما يكم أي يغطي**

وما يُقاس به جمع مقاييس كذا في محيط المحيط. **قوله**: (**لئلا تطغوا**) يعني أن كلمة أن هي الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب بأن ولام العلّة مقدرة قبلها متعلقة بقوله: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾. **قوله**: (**أو هي «أن» المفسّرة**) لما في وضع الميزان من معنى القول لأن الوضع بالوحي وإعلام الرسل عليه السلام فتكون لا نافية.

قوله: (**خفضها**) أي الوضع هنا ضد الرفع. **قوله**: (**مدحوّة**) أي مبسوطة ممهدة للسكنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النّازعات: الآية ٣٠] إذ الخفض لا يدل على الدحو ولم يقل أي خلقها مخفوضة مثل ما مرّ في رفعها للتفنن.

قوله: (**ضروب**) أي أنواع كثيرة (**مما يتفكّه به**) أي مما يتنعّم به غير الغداء أخذه من التنكير بمعونة مقام المدح كتمرة خير من جرادة، وأيضًا هو اسم جنس فيشعر الاقتصار عليه باختلاف الأنواع.

قوله: (**الواحد «كِم»**) بكسر الكاف في الثمار وبضمّها في القميص ونحوه وقد يُضم في الأول أيضًا. **قوله**: (**أو كل ما يكم أي يغطّي...**) الخ يقال: كمه يكمّ بالضم كنصره وهذا أظهر مما قبله فإن ثمر النخل لا كمّ له كما لا يخفى...

من ليفه وسعفه وكفراه)، وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره **(وجماره)** وجذوعه.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ **(هو ورق الزرع أو التبن)** ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه، والجامع بين التلذذ والتغذي هو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ **(بالجر: حمزة وعلي)** أي والحب ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو مطعم الأنام، والرفع على و«ذو الريحان» فحذف المُضاف وأقيم المُضاف إليه مقامه. وقيل: معناه وفيها الريحان الذي يشم **(﴿والحبَّ ذا العصف والريحانَ﴾ شاميّ)** أي وخلق الحب والريحان أو وأخصّ

أن يُراد إكمام طلعه قبل أن يصير بلحًا. **قوله: (من ليفه)** بكسر اللام في لسان العرب ليف النخل معروف القطعة منه ليفة. اهـ. **قوله: (وسعفه)** بفتحتين أغصانه إذا يبست ما دام عليها الخوص وهو ورق النخل فإذا خلا عنه فهو جريد. **قوله: (وكفراه)** بضم الكاف وفتح الفاء وفتح الراء المشدّدة والقصر وعاء طلع النخل من الكفر وهو الستر والطلع ما يطلع من النخل قبل أن ينشقّ. **قوله: (وجُمّاره)** بضم جيم وتشديد ميم. في لسان العرب الجُمّار معروف شحم النخل واحدته جُمّارة. اهـ.

قوله: (هو ورقُ الزرع أو التبن) في لسان العرب التبن عصيفة الزرع من البر ونحوه معروف واحدته تِبْنَة والتِّبْن لغة فيه. اهـ. وعبارة الخازن ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني التبن وعنه أنه ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس وقيل هو ورق كل شيء يخرج منه الحب. **قوله: (بالجر: حمزة وعليّ)** أي قرأ حمزة وعليّ الكسائيّ برفع الأولين أعني ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ و﴿ذُو﴾ وجرّ ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ عطفًا على ﴿ٱلْعَصْفِ﴾. **قوله: («والحب ذا العصف والريحان»)** أي بالنصب في الثلاثة على إضمار فعل أي خَلَقَ أو أخص **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ. **عبارة تفسير النيسابوري** ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ بالجر حمزة وعليّ وخلف الباقون برفع ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ انتهت بحروفها. **وعبارة تفسير الخطيب** وقرأ ابن عامر بنصب «الحبَّ» و«ذا الريحان» بخلق مضمر أي وخلق الحب وذا العصف

الحب والريحان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ أي النعم مما عدد من أول السورة (**جمع إلى وألى**) ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب (**للثقلين**) بدلالة الأنام عليهما.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس (**له صلصلة**) ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ أي الطين المطبوخ بالنار وهو الخذف. ولا اختلاف في هذا وفي قوله: (﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾) [الحجر: لآية ٢٦] (﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾) [الصافات: الآية ١١] ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [غافر: الآية ٦٧] لاتفاقها معنى لأنه يفيد أنه خلقه من تراب ثم جعله طينًا ثم حمأ مسنونًا ثم صلصالًا ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ (**أبا الجن قيل: هو إبليس**) ﴿مِن مَّارِجٍ﴾ هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه. وقيل: المختلط بسواد النار من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط ﴿مِّن نَّارٍ﴾ هو بيان لما رج كأنه قيل: (**من صاف من نار أو مختلط من نار، أو أراد من نار مخصوصة كقوله**: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾) [الليل: الآية ١٤].

والريحان، وقرأ حمزة والكسائيّ برفع الحب وذو عطفًا على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ وجر ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ عطفًا على العصف، والباقون برفع الثلاثة عطفًا على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ أي وفيها أيضًا هذه الأشياء.اهـ بحروفها. وهكذا في تفسير البيضاوي والبغوي والشوكاني فافهم. **قوله**: (**جمع إلى وألى**) في المصباح الألى مقصور وتفتح الهمزة وتكسر النعمة والجمع الآلاء على أفعال مثل سبب وأسباب لكن أبدلت الهمزة التي هي فاء ألفًا استثقالًا لاجتماع همزتين.اهـ. **قوله**: (**للثقلين**) الإنس والجن.

قوله: (**له صلصلة**) أي صوت يسمع إذا مسّه أدنى شيء لغاية يبسه والصلصال اسم لهذا الطين ما لم يُطبخ فإذا أُطبخ بالنار يُسمى فخارًا وخزفًا شبه الصلصال الذي خلق منه الإنسان بالفخار في غاية يبسه حتى إذا أصابه أدنى شيء صوّت. **قوله**: (**من** ﴿حَمَإٍ﴾) طين أسود (﴿مَّسْنُونٍ﴾) متغير. **قوله**: (﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾) يلصق باليد. **قوله**: (**أبا الجن قيل: هو إبليس**) وقيل: هو أبوهم وليس هو بإبليس، وقيل: هو اسم جنس كالإنسان. **قوله**: (**من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله**: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾) فسّره على ثلاثة

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ أراد مشرقي الشمس في الصيف والشتاء ومغربيهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ أي أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله تعالىٰ ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ﴾ (﴿يُخْرَجُ﴾ **مدنيّ وبصريّ)** ﴿مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ﴾ **بلا همز: أبو بكر ويزيد وهو كبار الدرّ** ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ **صغاره)**. وإنما قال: ﴿مِنْهُمَا﴾ وهما يخرجان من الملح لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول: خرجت

أوجه الوجهان الأوّلان مبنيان على تفسير المارج تارة باللهب الصافي وأُخرى بالمختلط بسواد النار والوجه الثالث مبنيّ على التصرّف في تنكير نار بأن يحمل على النوعية أي من نوع من النار معلوم في عرف الشرع ولهذا استشهد بقوله: ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: الآية ١٤]. **قوله**: ﴿تَلَظَّىٰ﴾) بحذف إحدى التاءين من الأصل وقُرىء بثبوتها أي تتوقد. اهـ جلالين.

قوله: (﴿يُخْرَجُ﴾) بضم الياء وفتح الراء مبنيًّا للمفعول (**مدنيّ**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وبصريّ**) أي أبو عمرو البصريّ. وكذا سهل ويعقوب وليسا من السبعة والباقون بفتح الياء وضم الراء مبنيًّا للفاعل. **قوله**: (﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ **بلا همز أبو بكر**) شعبة بن عياش وهو من رواة عاصم (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة. **وعبارة الخطيب رحمه الله** وقرأ السوسي وشعبة بإبدال الهمزة الساكنة واوًا وصلا ووقفا وإذا وقف حمزة أبدل الأولى والثانية. اهـ.

قوله: (**وهو كبار الدرّ** ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ **صغاره**) وقيل: بعكس ذلك وقيل: المرجان هو الخرز الأحمر.

من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَهُ﴾ ولله ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السفن جمع جارية. قال **(الزَّجاج)**: الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها، وإن وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد ولكن **(يروم الكسر في الراء)** ليدلّ على حذف الياء ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ **(المرفوعات الشرُع ﴿المنشِآت﴾ بكسر الشين، حمزة ويحيـىٰ بن آدم)** الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج يجريهن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ (﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ **جمع علم)** وهو الجبل الطويل ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿فَانٍ﴾.

قوله: **(الزجاج)** هو أبو إسحـٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل النحوي. **قوله**: **(يروم الكسر في الراء...)** الخ الرّوم وهو إتيان بعض الحركة بصوت خفيّ وكأنه يضعّف صوتها لقصر زمانها فيسمعها القريب المُصْغيّ دون البعيد لأنها غير تامة، والمراد بالبعيد أعم من أن يكون حقيقة أو حكمًا فيشمل الأصمّ والقريب إذا لم يكن مصغيًا.

فائدة: اعلم أن الرَّوم والاختلاس يشتركان في التبعيض إلا أن الرَّوم أخصّ من حيث إنه لا يكون في الفتح والنصب ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت من الحركة أقل من الذاهب، والاختلاس أعم لكونه يتناول الحركات الثلاث كما في ﴿لَّا يَهِدِّىٓ﴾ [يونس: الآية ٣٥] و﴿نِعِمَّا﴾ [النّساء: الآية ٥٨] و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [النّساء: الآية ٥٨] عند بعض القرّاء في الأمثلة الثلاثة ولا يختصّ بالآخر وهو محل الوقف، والثابت من الحركة أكثر من الذاهب وذلك أن يأتي بثلثيها وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة.

قوله: **(المرفوعات الشرع)** بضمتين ككتب جمع شراع بكسر الشين. في المغرب شِرَاع السفينة بالفارسية بادبان. اهـ. **قوله**: **(«المنشآت» بكسر الشين حمزة ويحيـىٰ بن آدم)** من رواة أبي بكر بن عيّاش. وقرأ الباقون بفتح الشين وهو اسم مفعول. **قوله**: **(﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ جمع علم)** مثل سبب وأسباب.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴿٢٧﴾﴾ ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ بالتجاوز والإحسان، وهذه الصفة من عظيم صفات الله **(وفي الحديث: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»)** ورُوِيَ أنه ﷺ مرّ برجل وهو يصلّي ويقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: قد استجيب لك.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ والنعمة في الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون إلى النعيم **(السرمد)**. وقال **(يحيىٰ بن معاذ: حبّذا الموت)** فهو الذي يقرّب الحبيب إلى الحبيب.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقف عليها نافع كل من أهل السمٰوات والأرض مفتقرون إليه فيسأله أهل السمٰوات ما يتعلّق بدينهم وأهل الأرض ما يتعلّق بدينهم ودنياهم، وينتصب ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفًا بما دلّ عليه ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي كل

قوله: (وفي الحديث: «ألظُوا بيا ذا الجلال والإكرام») أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك. وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ومعنى ألظّوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها في لسان العرب الإلْظاظ لزوم الشيء والمثابة عليه أي المواظبة. اهـ.

قوله: (السرمد) الدائم كذا في الصحاح. **قوله: (يحيىٰ بن معاذ)** الرازيّ الواعظ نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصًا وكلام في المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. **قوله: (حبذا الموت)** في لسان العرب حبذا الأمر أي هو حبيب. قال سيبويه: جعلوا حَبَّ مع ذَا بمنزلة الشيء الواحد وهو عنده اسم وما بعده مرفوع به ولزم ذا حب وجرى كالمثل والدليل على ذلك أنهم يقولون في المؤنث حبذا ولا يقولون حَبَّذه، ومنه قولهم: حبذا زيد فحب فعل ماضٍ لا يتصرّف وأصله حَبُبَ على ما قال الفرّاء وذا فاعله وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة جعلا شيئًا واحدًا فصارا بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء وزيد خبره ولا يجوز أن يكون بدلًا من ذا لأنك تقول حبّذا امرأة ولو كان بدلًا لقلت حبّذه المرأة. اهـ.

وقت وحين يحدث أمورًا ويجدد أحوالًا (**كما رُوِيَ**) أنه ﷺ تلاها فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرّج كربًا ويرفع قومًا (**ويضع آخرين. وعن ابن عيينة:**) الدهر عند الله يومان: أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب. وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شأنًا. وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله إلى الغد وذهب (**كئيبًا**) يفكر فيها فقال غلام له أسود: يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدي فأخبره فقال: أنا أفسّرها للملك فأعلمه فقال: أيها الملك شأن الله أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيمًا ويسقم سليمًا، ويبتلي معافى ويعافي مبتلى، ويعزّ ذليلًا ويذلّ عزيزًا، ويفقر غنيًّا ويغني فقيرًا. فقال الأمير: أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال: يا مولاي هذا من شأن الله. وقيل: سوق المقادير إلى المواقيت.

وقيل: إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت عليّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي: قوله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ وقد صحّ أن الندم توبة، وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صحّ (**إن القلم جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة**)، وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ فما بال الأضعاف؟ فقال

قوله: (**كما رُوِيَ...**) الخ رواه ابن ماجة وابن حبان وغيرهما عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**ويضع آخرين**) في لسان العرب الوضع ضد الرفع. اهـ. **قوله:** (**وعن ابن عيينة**) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفيّ ثم المكيّ ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلّا أنه تغيّر حفظه بآخره وكان ربما دلس لكن عن الثقات مات في رجب سنة ثمان وتسعين وله إحدى وتسعون سنة. **قوله:** (**كئيبًا**) في المصباح كئب يكأب من باب تعب كآبة بمد الهمزة وكأبًا وكآبة مثل سبب وتمرة حزن أشد الحزن فهو كئب وكئيب. اهـ.

قوله: (**إن القلم جفّ بما هو كائن إلى يوم القيامة**) جفّ القلم كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منها لأن الفروغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فأطلق اللازم على الملزوم.

الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأُمة، وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله. وكذا قيل: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى مخصوص بقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام. وأما قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يبديهما لا شؤون يبتديها. فقام عبد الله وقبّل رأسه وسوّغ خراجه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ **(مستعار من قول الرجل لِمَن يتهدده «سأفرغ لك» يريد سأتجرد)** للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه، والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه. ويجوز أن يُراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلي شأن

قوله: (مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد. . .) الخ. لما ورد أن يقال ما وجه قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مع أن عدم الفراغ عبارة عن أن يكون الفاعل في شغل لا يمكن معه فعل آخر وهذا إنما يكون في حق مَن يشغله شأن عن شأن والله تعالى منزّه عن ذلك. أشار إلى جوابه بوجهين: الأول أنه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والإنس بالمحاسبة والجزاء على الأعمال من غير أن يشغله شأن عن شأن مستعار من قول الرجل لمن يهدّده، سأفرغ لك أي سأتجرّد للإيقاع بك عن كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه يريد به التوفّر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء في مجازاته فهذه العبارة إذا صدرت عمن يشغله شأن عن شأن تكون كناية عن التوفر في النكاية، فإن مَن فرغ من كل شيء يعوقه عن النقمة والتعذيب تكون نكاية أشد وأقوى وإذا صدرت عمّن لا يشغله شأن عن شأن تعذّر حملها على أصل معناها لأن المفروغ منه يجب أن يكون مانعًا عن الملابسة للمفروغ له ولا يتصوّر المانع في حقه تعالى فتعيّن كونها مستعملة في التجرّد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ مما يمنع عنه تشبيهًا للتجرّد المذكور بالفراغ مما يشغل عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر في النكاية والانتقام فاستعير اسم الفراغ لمجرد التجرّد للجزاء ثم اشتقّ منه قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٣١] فهو استعارة تصريحية تبعية. والوجه الثاني من الجواب أنه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء

واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغًا لهم على طريق المثل. (﴿سيفرغ﴾ **حمزة وعلي**) أي الله تعالى: ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الإنس والجن (**سُميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض**) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٢﴾.

﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤﴾

﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ هو كالترجمة لقوله: ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾ أي إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السمٰوات والأرض هربًا من قضائي فاخرجوا، ثم قال: ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك؟ وقيل: دلّهم على العجز عن قوتهم للحساب غدًا بالعجز عن نفوذ الأقطار اليوم. وقيل: يقال لهم

والاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والمنع والإعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك وبقاء شأن واحد وهو مجازاة المكلّفين بالثواب والعقاب بفراغ مَن يشغله شأن عن شأن من أشغاله وتجرّده لهم واحد فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهي الفراغ في الهيئة الأولى وهي انتهاء الشؤون إلى شأن واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلّفين على انتهاء شؤون الدنيا كما يترتب تعلّق ذلك الشخص بمهمة على فراغه من سائر أشغاله وإن كان بين التَّرَتُّبَيْن فرق فحش من حيث إن الترتب في الثاني مبني على ارتفاع المانع حيث كان سائر أشغاله مانعًا عن تعلّقه بذلك المهم ولا مانع في حقه تعالى ومع ذلك أخر أمر المجازاة إلى قيام الساعة لحكمة اقتضته.

قوله: (﴿سيفرغ﴾) بالياء (**حمزة وعليّ**) الكسائي على أنه مسند إلى ضمير اسم الله تعالى المتقدم والباقون بالنون على أنه مسند للمتكلم العظيم. **قوله**: (**سُميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض**) في القنوي. قوله: (والثقلان الجن والإنس سُمّيا بذلك لثقلهما على الأرض) أي في الجملة لأنهما جسمان كثيفان بخلاف الملائكة فإنهم وإن كانوا أجسامًا لكنهم لطيفة نورانية فلا ثقل لهم أصلًا فثقلهما بالنسبة إليهم ولا يشترط الاتحاد في وجه التسمية فلا يقال إن في الأرض موجودًا أثقل من الإنس والجن فلم لم يسم بهذا الاسم. اهـ.

هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهًا إلا وجدوا الملائكة احتاطت به ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ و(**بكسر**) الشين: (**مكي**) وكلاهما اللهب الخالص (﴿وَنُحَاسٌ﴾) أي دخان ﴿وَنُحَاسٌ﴾ (**مكيّ وأبو عمرو**) فالرفع عطف على شواظ، والجرّ على نار، والمعنى إذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم إلى المحشر ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان منهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾) فصارت كلون الورد الأحمر. وقيل: أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء ﴿كَالدِّهَانِ﴾ كدهن الزيت كما قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: الآية ٨] وهو (**دردي الزيت وهو جمع دهن**) وقيل: الدهان (**الأديم**) الأحمر ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي فيوم تنشق السماء ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي ولا جن فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال: هاشم ويراد ولده والتقدير: لا يسأل إنس ولا جان عن ذنبه. والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله ﴿فَوَرَبِّكَ

قوله: (**بكسر**) الشين (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ والباقون بضمها لغتان. **قوله**: (﴿وَنُحَاسٌ﴾) بخفض السين (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) والباقون برفع السين. **قوله**: (﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾) من باب التشبيه البليغ. **قوله**: (**دردري**[1] **الزيت**) ما يبقى في أسفله. **قوله**: (**وهو جمع دهن**) كرمح ورماح. **قوله**: (**الأديم**) في المصباح الأديم الجلد المدبوغ والجمع أدم بفتحتين وبضمتين أيضًا وهو القياس مثل بريد وبرد. اهـ.

(١) أصله ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان.

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٢]، وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: الآية ٢٤] أن ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر. و(**قال قتادة**): قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وقيل: لا يُسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يُسأل للتوبيخ.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ بسواد وجوههم وزرقة عيونهم ﴿فَيُؤْخَذُ (بِٱلنَّوَٰصِى) وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أي يؤخذ تارة بالنواصي وتارة بالأقدام ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ ماء حار قد انتهى حرّه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾ والنعمة في هذا نجاة الناجي منه بفضله ورحمته وما في الإنذار به من التنبيه.

قوله: (**قال قتادة**) بن دعامة كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا تُوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط.

قوله: (﴿بِٱلنَّوَٰصِى﴾) قائم مقام الفاعل لقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ﴾ [الرحمٰن: الآية ٤١] والتقدير بالنواصي منهم أو بنواصيهم وليس في قوله: فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لأن العرب تقول: أخذت الناصية وأخذت بالناصية ولا تكاد تقول: أخذت الدابة بالناصية بأن تعدّى أخذ إلى مفعولين إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بواسطة الباء ولأنه لو كان فيه ضمير يوجب أن يقال فيؤخذون لأجل تقدم ذكرهم والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدّم الرأس أي تأخذ الملائكة بنواصيهم أي بشعور مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار.

قال الضحّاك: يحتمل أن الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالأقدام.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصي أو فأدّى الفرائض. وقيل: هو مقحم كقوله: ونفيت عنه مقام الذئب أي نفيت عنه الذئب ﴿جَنَّتَانِ﴾ جنّة الإنس وجنّة الجن لأن الخطاب للثقلين وكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنّتان: جنّة للخائف الإنسي وجنّة للخائف الجنّي ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ أغصان **(جمع فنن)** وخصّ الأفنان لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار، أو ألوان **(جمع فن أي له فيها ما تشتهي الأنفس)** وتلذّ الأعين قال:

ومن كل أفنان **(اللذاذة والصبا لهوت)** به والعيش أخضر **(ناضر)**

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا﴾ في الجنتين ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ حيث **(شاءوا)** في الأعالي والأسافل. وعن الحسن: تجريان **(بالماء الزلال)** إحداهما التسنيم

قوله: **(جمع فنن)** مثل سبب وأسباب. **قوله**: **(جمع فنّ)** وهو النوع. **قوله**: **(أي له فيها ما تشتهي الأنفس)** تلذذًا **وتلذ الأعين** نظرًا. **قوله**: **(اللذاذة)** في المصباح لذّ الشيء يلذّ من باب تعب لذاذًا ولذاذة بالفتح صار شهيًا فهو لذّ ولذيذ ولذذته ألذه وجدته كذلك يتعدّى ولا يتعدّى والتذذت به وتلذذت بمعنى واستلذذته عددته لذيذًا واللذة الاسم والجمع لذات. اهـ. **قوله**: **(والصبا)** بالكسر مقصورًا الصغر. **قوله**: **(لهوت)** من اللهو وهو ما يشغلك من طرب وهوى، يقال: يلهو لهوًا والعيش أخضر كل شيء طريّ وغضّ فهو أخضر و**(ناضر)** من نضر الورق والشجر والوجه نضرة ونضورًا ونضارة فهو ناضر أي حسن والواو في والعيش للحال.

قوله: **(حيث شاءوا)** والتعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول ﴿تَجْرِيَانِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٠]. **قوله**: **(بالماء الزلال)** في لسان العرب ماء زلال وزليل سريع

والأُخرى السلسبيل ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ صنفان: صنف معروف وصنف غريب ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ﴾ **(نصب على المدح)** للخائفين أو حال منهم **(لأن مَن خاف في معنى الجمع)** ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ جمع فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ **(جمع بطانة)** ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ديباج ثخين **(وهو معرب)**. قيل: ظهائرها **(من سندس)**. وقيل: لا يعلمها إلا الله ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكيء ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩﴾

﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين **(لاشتمالهما)** على أماكن وقصور ومجالس أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنّتين والعينين والفاكهة والفرش والجني ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ **(نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن)** لا يَنْظرْنَ إلى غيرهم (﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ **بكسر**

النزول والمرّ في الحلق. اهـ. وأيضًا فيه وماء زلال بارد، وقيل: ماءٌ زُلال وزُلازِل عذب، وقيل: صافٍ خالصٌ، وقيل: الزلال الصافي من كل شيء. اهـ.

قوله: (نصب على المدح) أي منصوب بالفعل نحو أمدح. **قوله:** (لأن «من خاف» في معنى الجمع) فإن مَن من ألفاظ العموم فهو مفرد لفظًا ولذا جاء صلته مفردًا وجمع معنى. **قوله:** (جمع بطانة) في المصباح البطانة بالكسر خلاف الظهارة. اهـ. وأيضًا فيه الظِهارة بالكسر ما يظهر للعين وهي خلاف البطانة. اهـ. وفي الخازن جمع بطانة وهي التي تلي الأرض من تحت الظهارة. اهـ. **قوله:** (وهو معرّب) أي وهو معرّب استوره. **قوله:** (من سندس) هو الديباج الرقيق الناعم.

قوله: (لاشتمالهما) أي وإنما جمع بقوله ﴿فِيهِنَّ﴾ [الرحمٰن: الآية ٥٦] لاشتمال الجنتين. **قوله:** (نساء قصرن أبصارهن) أي حور عين قصرن أي ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ [الرحمٰن: الآية ٥٦] بمعنى الماضي قوله: أبصارهن معنى الطرف مجازًا إذ الطّرف تحريك الأجفان للنظر.

قوله: (على أزواجهن) مستفاد من الفحوى أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن مدح لهن بالعفة وفرط محبتهن لأزواجهن. **قوله:** (﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ **بكسر**

الميم: الدوري وعلي بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية) ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ **(وهذا دليل على أن الجنّ يطمثون كما يطمث الإنس)** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

الميم) وهذه قراءة الجمهور. **قوله: (الدوري)** هو أبو عمرو الدوري يروي عن اليزيدي يحيىٰ بن المبارك وهو يروي عن أبي عمرو بن العلاء البصريّ **(وعليّ)** الكسائي **(بضم الميم)**. **قوله: (والطمث الجماع بالتدمية)** أي أصل الطمث الجماع المؤدّي إلى خروج دم البكر بإزالة عذرتها ثم أطلق على كل جماع طمث وإن لم يكن معه دم. **قوله: (وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس) في حاشية العلّامة شيخ زاده على تفسير البيضاوي** في قول المصنّف إشارة إلى أن مؤمني الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها بنعمها التي من جملتها الجنيّات كما يُثاب مؤمنو الإنس بالحور العين التي من جملتها الإنسيّات وتوقف أبو حنيفة رحمه الله تعالى في هذه المسألة بناء على أن الإثابة لا تجب عليه تعالى، وإنما هي تفضل إلـٰهي يتبع فيها النص، ولذا لم يرد في حق من آمن من الجن إلا سقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحاسبون ويعذب مَن كفر منهم في جهنم ويجعل مَن آمن منهم ترابًا. قال تعالى حكاية عنهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]. ومَن قال بالحسن والقبح العقليين وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فإنه يقطع بأن مؤمني الجنّ يدخلون الجنة ويثابوٰن فيها، ومَن لا يقول بهما وذهب إلى إثابتهم بالجنة والحور العين من الجنّيات إنما يذهب إليها استدلالًا بهذه الآية، فإنه تعالى لما خاطب مؤمني الجن والإنس بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾ على وجه الامتنان عليهم بحور موصوفات تارة بـ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصّافات: الآية ٤٨] وأخرى بـ ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ وبكونهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ فهم منه أن كل فريق منهم يدخلون الجنة ويُثابون بنعيمها ويطمثون ما أعدّ لهم من الحور العين. اهـ بحروفه. **وفي حاشية البيضاوي للعلّامة القنويّ رحمه الله**، قوله: (وفيه دليل على أن الجنّ يطمثون) فإن مقام الامتنان يقتضي ذلك إذ لو لم يطمثوا كمن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان وللنافي ذلك أن يقول الامتنان للإنس فقط فإنهم متنعّمون بدخول الجنة واستيفاء اللذة وأما مؤمنو الجن لا ثواب لهم وإنما جزاؤهم ترك العقوبات ثم

....

تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: الآية ٣١] ولم يجيء ويثبكم بثواب مقيم ولتعارض الأدلّة توقف أمامنا الإمام الأعظم في دخول الجنة. اهـ بحروفها. **وفي حاشية البيضاويّ للعلّامة الشهاب**، قوله: (وفيه دليل على أن الجنّ يطمثون) أي يحيضون ويدخلون الجنة ويجامعون فيها كالإنس لبقائهم فيها منعمين لبقاء المعذّبين منهم في النار وهو أصح الأقوال. قال في الانتصاف أنه ردّ على مَن زعم أن الجنّ المؤمنين لا ثواب لهم وإنما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابًا انتهى. كما قيل في سائر الحيوانات وهذا القول الثاني اهـ. بحروفها. **وفي تأويلات المنسوبات إلى الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله تعالى عنه** في تفسير سورة الرحمـٰن. واستدلّ أبو يوسف ومحمد بهذه الآية على أن للجنّ ثوابًا كما للإنس فإنه جرى الخطاب من أول السورة إلى آخرها للجن والإنس من قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الرحمـٰن: الآية ٣٣]، وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ فعلى ذلك يشترطون في الوعد والوعيد لكن أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقول: لا ثواب للجن، وذهب إلى ما ذكر من النعم إنما ذكر أكثرها للإنس لا حظ للجن في ذلك من نحو الفواكه والسفن الجواري فعلى ذلك ما ذكر من الثواب لهم بحق الثواب للجن بحق العين والله أعلم. وقد ذكرناه في غير هذا الموضع. اهـ بحروفها. **وفي منح الروض الأزهر للعلّامة علي القاريّ الحنفي رحمه الله** الكافر يُعذب بالنار اتفاقًا لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: الآية ١١٩] والمسلم منهم يُثاب بالجنة عند أبي يوسف ومحمد ووافقهما بقيّة أهل السنة والجماعة ويؤيدهم ما ورد في سورة الرحمـٰن عند تعداد نعيم الجنان ومن قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الآيتان ٤٦، ٤٧] وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه توقف في كيفية ثوابهم لقوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: الآية ٣١] من غير أن يقرن به قوله: ويثبكم بثواب مقيم فقيل: لا ثواب إلا النجاة من النار. ثم يقال لهم: كونوا ترابًا، وظاهر مذهب أبي حنيفة التوقف في كيفية ثوابهم حيث قيل: ليس لهم أكل وشرب وإنما لهم شمّ ولكنه ليس بصحيح لما ورد التصريح بخلاف ذلك في الأحاديث الكثيرة ولا توقف له في استحقاقهم الجنة كالملائكة لأن الله تعالى لم يبيّن في القرآن ثوابهم ونحن

(﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾ صفاء ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ **بياضًا فهو أبيض من اللؤلؤ**) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ في الثواب وقيل: ما جزاء مَن قال لا إلـه إلا الله إلا الجنّة. (**وعن إبراهيم الخواص**) فيه: هل جزاء الإسلام إلا دار السلام. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا﴾ (**ومن دون تينك الجنّتين**) الموعودتين للمقربين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ سوداوان من شدّة الخضرة قال (**الخليل**) الدهمة السوداء ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ فوارتان بالماء لا تنقطعان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾.

نعلم يقينًا أن الله تعالى لا يضيع أيمانهم فيعطيهم ما شاء مما يُناسب شأنهم هذا وتوقفه لعدم الدليل القطعي لا ينافي ترجيح أحد الطرفين بالدليل الظنيّ. اهـ. **قوله**: (﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ﴾ **صفاء** ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ **بياضًا فهو أبيض من اللؤلؤ**) **عبارة الخازن** أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضًا، وقيل: شبّه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لأن أحسن الألوان البياض المشوب بحمرة. والأصحّ أنه شبههنّ بالياقوت لصفائه لأنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه. اهـ.

قوله: (**وعن إبراهيم**) بن أحمد (**الخواص**) نسبة إلى نسج الخوص والخوص ورق النخل الواحدة خوصة من أقران الجنيد والنوريّ مات بالريّ سنة إحدى وتسعين ومائتين. **قوله**: (**ومن دون تينك الجنّتين**) أي دون الأوليين في الفضل والقدر على أن يكون دون بمعنى الأدنى رتبة ومنزلة لا بمعنى غير. وقيل: قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ معناه وسواهما وغيرهما فعلى هذا تكون الجنان الأربع لكل أهل الجنّة. **قوله**: (**الخليل**) بن أحمد كان إمامًا في علم النحو وهو الذي ستنبط

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾ ألوان الفواكه ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ **(والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه للعطف)**، ولأن التمر فاكهة وغذاء والرمان

علم العروض وأخرجه إلى الوجود وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب. يقال: إن أباه أحمد أول مَن سُمِّيَ بأحمد بعد رسول الله ﷺ وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتُوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة. ويُحكى أن الخليل كان ينشد كثيرًا هذا البيت وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

قوله: (والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه للعطف. . .) الخ. عبارة الخازن يعني فيهما من أنواع الفواكه كلها وإنما عطف النخل والرمان بالواو وإن كانا من جملة الفواكه تنبيهًا على فضلهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسّرين وأهل اللغة قالوا: إنما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨] خصّهما بالذكر، وإن كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما. وقال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفواكه لأن ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكّه، ولهذا قال أبو حنيفة: إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبًا أو رمانًا لم يحنث وخالفه صاحباه. وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له في الآية.اهـ.

وعبارة فتح القدير للشوكانيّ وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم ولم يخالف في ذلك إلّا أبو حنيفة وقد خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد.اهـ بحروفها. **وفي تأويلات المنسوبات إلى الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله تعالى عنه**. قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ من الناس مَن احتجّ لأبي حنيفة رحمه الله فيمن حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا لا يحنث في يمينه لأنه بهذه الآية في أن الرمان

فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه، وهما قالا: إنما عطف على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾.

والرطب ليسا من الفاكهة لأنه عطفهما والشيء لا يعطف على نفسه إنما يعطف على غيره، هذا هو ظاهر الكلام إلا أن يقوم الدلالة على انفراده بالذكر فإن كان من جنس يصرف من التعظيم غيره كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨]. اهـ بحروفها.

وفي المبسوط وإذا حلف لا يأكل فأكل عنبًا أو رطبًا أو رمانًا لم يحنث في قول أبي حنيفة ويحنث في قول أبي يوسف ومحمد لأن الفاكهة ما يؤكل على سبيل التفكّه وهو التنعّم وهذه الأشياء أكمل ما يكون من ذلك ومطلق الاسم يتناول الكامل وكذلك الفاكهة ما يقدم بين يدي الضيفان للتفكّه به لا للشبع والرمان والرطب من أنفس ذلك كالتين وأبو حنيفة يقول: هذه الأشياء غير الفاكهة. قال الله تعالى: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمـٰن: الآية ٦٨] قال: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عَبَسَ: الآيات ٢٨ - ٣١] فتارة عطف الفاكهة على هذه الأشياء وتارة عطف هذه الأشياء على الفاكهة والشيء لا يعطف على نفسه مع أنه مذكور في موضع المنّة ولا يليق بالجملة ذكر الشيء الواحد في موضع المنّة بلفظين ثم الاسم مشتقّ من التفكّه وهو التنعّم. قال الله تعالى: ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطفّفِين: الآية ٣١] أي متنعمين وذلك معنى زائد على ما يُراد به البقاء والرطب والعنب يتعلّق بهما القوام وقد يتجزّى بهما في بعض المواضع والرمان كذلك في الأدوية فلا يتناولها مطلق اسم الفاكهة ألا ترى أن يابس هذه الأشياء ليس من الفواكه فإن الزبيب والتمر قوت وحب الرمان من التوابل دون الفواكه وما يكون رطبه من الفواكه فيابسه من الفواكه أيضًا كالتين والمشمش والخوخ وما لا يكون يابسه من الفواكه لا يكون رطبه من الفواكه كالبطيخ فإنه تقدم مع الفواكه بين يدي الضيفان ولا يتناوله اسم الفاكهة. اهـ بحروفه. وفي المحيط وفي القدوري ثمرة الشجر كلها فاكهة إلّا الرمان والعنب والرطب في قول أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد: كل ذلك فاكهة فمن المشائخ مَن قال: هذا اختلاف عصر وزمان كان الناس في زمن أبي حنيفة لا يتفكّهون بهذه الأشياء ولا يعدّون هذه الأشياء من

....

الفواكه فأفتى كل واحد منهم على حسب ما شاهد في زمانه، ومنهم مَن قال اختلاف حجة فوجه قولهما أن الفاكهة اسم لما يتفكّه به أي يوكل على سبيل التلهي وذهاب الملالة وهذه الأشياء بهذه المثابة فكانت فاكهة والدليل عليه أنه إذا نوى هذه الأشياء صحت نيته بلا خلاف ويدخل هذه الأشياء تحت اليمين. ولأبي حنيفة أن الفاكهة اسم لما يُؤكل على سبيل التلهّي وذهاب الملالة ولهذا سُمِّيَ المزاح فاكهة لأنه يكون على سبيل التلهّي وذهاب الملالة وهذه الأشياء كما تؤكل على سبيل التلهّي يؤكل لغرض آخر، فالعنب والرطب يؤكَلان لشبع وقد يكتفى بهما في بعض الأماكن وفي بعض الأزمنة والرمان يؤكل للتداوي فكانت هذه الأشياء ناقصة في معنى التفكّه فلا تدخل تحت مطلق الاسم كذا هٰهنا.اهـ بحروفه.

وفي الزيلعي قال رحمه الله: والفاكهة التفاح والبطيخ والمشمش لا العنب والرمان والرطب والقثاء والخيار حتى لو حلف لا يأكل فاكهة يحنث بأكل التفاح والبطيخ والمشمش ولا يحنث بالعنب والرمان إلى آخره لأن الفاكهة اسم لما يتفكّه به بعد الطعام وقبله أي يتنعّم به وهذا المعنى ثابت في التفاح والبطيخ والمشمش والخوخ والتين والإجاص ونحوها فيحنث بأكلها وغير ثابت في القثاء والخيار لأنهما من البقول تبعًا فإنهما يباعان معها وأكلا لأنهما يوضعان على الموائد مع البقول فلا يحنث بأكلها. وأما العنب والرمان والرطب فالمذكور هنا قول أبي حنيفة وعندهما هي فاكهة حتى يحنث بأكلها في يمينه لا يأكل فاكهة فإن معنى التفكّه فيها موجود فإنها أعزّ الفواكه وأكملها ولهذا أفردت بالذكر بعد دخولها في اللفظ العام في القرآن، كما أفرد جبريل وميكائيل عليهما السلام بالذكر بعد دخولهما في لفظ الملائكة ومطلق الاسم يتناول الكامل فيكون التنعّم بها فوق التنعّم بغيرها من الفواكه. ولأبي حنيفة رحمه الله تعالى أن الفاكهة من التفكّه وهو التنعّم مما لا يتعلق به البقاء زيادة على المعتاد وذلك بما لا يصلح غذاء ولا دواء ألا يرى أنهم يقولون: النار فاكهة الشتاء والمزاح فاكهة، وهذه الأشياء تصلح لهما لأن الرطب والعنب يؤكلان غذاء ويتعلّق بها البقاء وبعض الناس يكتفون بها في بعض المواضع والرمان يؤكل للتداوي فيتحقق القصور في معنى التفكّه فلا يتناولهما اسم الفاكهة على الإطلاق ألا ترى أن يابس هذه الأشياء ليست من الفواكه فالزبيب والتمر من

....

الأقوات وحب الرمان من التوابل والفواكه لا تختلف بين رطبها ويابسها في أنها لا تصلح للغذاء وما تليناه شاهد له لا لهما، وكذا قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾ [عَبَسَ: الآيات ٢٧ - ٣١] لأن العطف يقتضي المغايرة إذ الشيء لا يعطف على نفسه وهو الأصل فلا يعدل عنه من غير ضرورة، وقيل: هذا اختلاف عصر وزمان فأفتى كل واحد منهما بما شاهد من عادة عصره وهذا الخلاف فيما إذا لم يكن له نيّة، وأما إذا نوى فعلى ما نوى بالإجماع. اهـ بحروفه.

وفي **غاية البيان على الهداية** إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل عنبًا أو رمانًا أو رطبًا لا يحنث عند أبي حنيفة خلافًا لصاحبيه والأصل أن الفاكهة اسم لما يتفكّه به أي يتنعّم بها فوق ما يتنعّم بسائر الفواكه فصارت من أعزّ الفواكه ومبنى الإيمان على العرف وفي عرف الناس تعتبر هذه الأشياء فواكه فيحنث بأكلها وجه قول أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: أن المطلق لا يتناول المقيّد بالاتفاق ثم التقييد لأحد معنيين، إما لقصور فيه أو لزيادة وهذه الأشياء الثلاثة لزيادة معنى فيها وهو أن يكون صالحًا للغذاء أو الدواء أخرجت عن إطلاق الاسم ألا ترى أن الرطب والعنب تصلحان غذاء وأن الرمان دواء صالح خصوصًا للكبد يؤيده قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾ [عَبَسَ: الآيات ٢٧ - ٣١]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ [الرَّحمـٰن: الآية ٦٨] بيانه أن الله تعالى عطف الفاكهة على العنب والنخل في الآية الأولى وعطف النخل والرمان على الفاكهة في الآية الأخرى والعطف يقتضي المغايرة.

فإن قلت: لا نسلم أن العطف يقتضي المغايرة ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأحزَاب: الآية ٧] فلو كان العطف يقتضي المغايرة لم يكن المعطوفون من جملة الأنبياء. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨] وأما العطف من الآيتين لبيان المعطوف لا المغايرة. قلت: تفضيل الأنبياء والملائكة بعضهم على بعض إنما يعرف بالخبر فاحتاج إلى التخصيص بالذكر بخلاف ما نحن فيه، فإن

....

فضل هذه الأشياء على سائر الفواكه عرف بالحس والمشاهدة ولا حاجة إلى الخبر إذ ليس الخبر كالمعاينة فتعيّن فائدة العطف بالمغايرة. اهـ بحروفها.

وفي فتح القدير على الهداية ومَن حلف لا يأكل فاكهة فأكل عنبًا أو رمانًا أو رطبًا أو قثاءً أو خيارًا لم يحنث وإن أكل تفاحًا أو بطيخًا أو مشمشًا حنث، وكذا يحنث بالخوخ والسفرجل والإجاص والكمثرى، وهذا التفصيل عند أبي حنيفة وقال أبو يوسف ومحمد: يحنث في العنب والرطب والرمان أيضًا والأصل المتفق عليه أن الفاكهة اسم لما يتفكّه به قبل الطعام أو بعده أي يتنعّم به زيادة على المعتاد من الغذاء الأصلي. ولهذا يقال: النار فاكهة الشتاء والمزاح فاكهة والرطب واليابس فيه أي في معنى التفكّه سواء بعد أن يكون التفكّه به معتادًا في الحالين فإن خصت العادة التفكّه بإحدى الحالين دون الأخرى كالبطيخ فإنها خصّت التفكّه به في حال رطوبته دون حال يبسه لم يحنث بأكله يابسًا، وهذا المعنى أي معنى التفكّه بأن يؤكل زيادة على الغذاء موجود في التفاح والبطيخ والمشمش فيحنث بها اتفاقًا وغير موجود في القثاء والخيار لأنهما من البقول تبعًا وأكلًا حتى يوضعان على المائدة كما يوضع البقل ونحوه فلا يحنث بهما اتفاقًا، وأما العنب والرطب والرمان وهي محل الخلاف فوجه قولهما أن معنى التفكّه فيها موجود فيها بل هي أعز الفواكه والتنعّم بها يفوق التنعّم بغيرها من الفواكه فيحنث بها وحينئذٍ يقول: هي مما تتغذى بها منفردة حتى يستغنى بها في الجملة في قيام البدن ومقرونة مع الخبز ويتداوى ببعضها كالرمان في بعض عوارض البدن ولا ينكر أنها يتفكّه بها ولكن لما كانت قد تستعمل أصالة لحاجة البقاء قصر معنى التفكّه فلا يحنث بأحدها إلّا أن ينويه فيحنث بالثلاثة اتفاقًا ولهذا كان اليابس منها من التوابل كحب الرمان ومن الأقوات وهي التمر والزبيب والمشائخ قالوا: هذا اختلاف زمان نفي زمانه لم يعدوها من الفواكه فأفتى على حسب ذلك، وفي زمانهما عدّت منها فأفتيا به فإن قيل: الاستدلال المذكور لأبي حنيفة يخالف هذا الجمع فإن مبنى هذا على العرف والاستدلال المذكور صريح في أن مبناه اللغة حيث قال: الفاكهة ما يتفكّه به ولا شك أن ذلك لغة والتفكّه لغة ما يتنعّم به زيادة على المحتاج إليه أصالة، وهذا معنى اللغة واستعمال العنب وأخويه ليس كذلك دائمًا فقصر إلى آخره أمكن

....

الجواب بجواز كون العرف وافق اللغة في زمنه ثم خالفها في زمانهما فإن قيل: ففيه دليل على عدم ما ذكر آنفًا من أن المعتبر اللغة إلا أن لا يمكن فيعتبر العرف، فإن هذا يدلّ على عدم اعتبارهما ذلك فالجواب أنه غير لازم لجواز أن يمنعا كون الاستقلال به أحيانًا بالنسبة إلى بعض الناس يؤثر في نقض كونه مما يتفكّه به. اهـ بحروفه.

وفي تفسير الخطيب قال القرطبي: وقيل: إنما كرّرها لأن النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البرّ عندنا لأن النخل عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليه وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكّة إلى ما والاها من أرض اليمن فأخرجهما من الذكر من الفواكه. وأفرد الفواكه على حدتها. اهـ بحروفه. **وفي لسان العرب** الفاكهة معروفة وأجناسها الفواكه وقد اختلف فيها فقال بعض العلماء: كل شيء قد سُمِيَ من الثمار في القرآن نحو العنب والرمان فإنا لا نسميه فاكهة، قال: ولو حلف أن لا يأكل فاكهة فأكل عنبًا ورمانًا لم يكن حانثًا، وقال آخرون: كل الثمار فاكهة وإنما كُرِّر في القرآن في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ ليفضل النخل والرمان على الفواكه دونهما ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] فكرّر هؤلاء للتفضيل على النبيّين ولم يخرجوا منهم، قال الأزهري: وما علمت أحدًا من العرب قال في النخيل والكروم وثمارهما أنها ليست من الفاكهة وإنما شذّ قول النعمان بن ثابت في هذه المسألة عن أقاويل جماعة الفقهاء لقلّة علمه كان بكلام العرب وعلم اللغة وتأويل القرآن العربي المبين والعرب تذكر الأشياء جملة وتخصّ منها شيئًا بالتسمية تنبيهًا على فضل منه. قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨] فمن قال إن جبريل وميكال ليسا من الملائكة لإفراد الله عزّ وجلّ إياهما بالتسمية بعد ذكر الملائكة جملة فهو كافر لأن الله تعالى نصّ على ذلك وبيّنه وكذلك مَن قال إن ثمر النخل والرمان ليس فاكهة لإفراد الله تعالى إياهما بالتسمية بعد ذكر الفاكهة جملة فهو جاهل وهو وخلاف المعقول خلاف لغة

....

العرب. اهـ بحروفه. **وفي المغرب** الفاكهة ما يتفكّه به أي يتنعّم بأكله ويتلذّذ. اهـ بحروفه. **وفي منتهى الارب في لغات العرب** فاكهة كصاحبه ميوه هرجه بأشدنه خرمًا وانكور وأنار فقط انتهى بحروفه ومعناه بالفارسية فاكهة كصاحبة ثمرًا أيًّا ما كان غير التمر والعنب والرمان فقط. **وقول الأزهريّ** أي أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الشافعي لقلّة علمه كان بكلام العرب وعلم اللغة وتأويل القرآن العربي المبين. **في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** للقاضي أحمد الشهير بابن خلكان ولم يكن يعاب أبو حنيفة بشيء سوى قلّة العربية. فمن ذلك ما رُوِيَ أن أبا عمرو بن العلاء المقريّ النحوي سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود أم لا كما هو قاعدة مذهبه خلافًا للإمام الشافعي رضي الله عنه فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعني الجبل المطلّ على مكة حرسها الله تعالى وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة مَن يقول إن الكلمات الست المعرّبة وهي: أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف وانشدوا في ذلك.

إن أبـاهـا وأبـا أبـاهـا قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه من أهل الكوفة فهي لغة والله أعلم انتهت بحروفها. **وفي الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان** للشيخ الأجلّ أحمد بن حجر المكيّ الشافعيّ رحمه الله في الفصل التاسع.

تنبيه: احذر أن تتوهم أن أبا حنيفة لم يكن له خبرة تامّة بغير الفقه حاشا لله بل كان في العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلية من العلوم الأدبية والمقايس الحكمية بحر لا يجارى وإمام لا يمارى وقول بعض أعدائه فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد ومحبة الترفّه على الأقران ورميهم بالزور والبهتان ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره ومما يكذب ذلك أن له مسائل فقهية بنى أقواله فيها على علم العربية بما أن مَن وقف عليه ومَن تأمله لقضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل وأن له من النظم البليغ ما يعجز عنه كثير من نظرائه. وقد أفرد قراءته التي انفرد بها بالتأليف الزمخشري وغيره على ما يأتي وسيأتي أنه صحّ عنه أنه كان يختم في شهر رمضان ستين ختمة وأنه كان يقرأ القرآن كله في ركعة فزعم بعض حاسديه أنه كان لا

....

يحفظ القرآن بهتٌ منه وكذب شنيع. وقال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح مني. وفي جامع الترمذيّ عنه: ما رأيت أكذب من الجعفي ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح. وروى البيهقي عنه أنه سُئل عن الأخذ عن سفيان الثوري فقال: اكتب عنه فإنه ثقة ما عدا حديث أبي إسحـٰق عن جابر وأحاديث جابر الجعفي، وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال: أول مَن أقعدني للحديث بالكوفة أبو حنيفة قال لهم: هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار وبهذا يعلم جلالة مرتبته في الحديث أيضًا كيف وهو يستأمر في الثوري ويجالس ابن عيينة. اهـ بحروفها.

وأيضًا فيها في المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبيّ ﷺ بالإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، اعلم أن أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه والطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ولفظ الشيرازي وأبي نعيم لو كان العلم معلّقًا عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لنا رجال من أبناء فارس قال الحافظ المحقّق الجلال السيوطي: هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامّة له نظير الحديث الذي في مالك رضي الله عنه وهو قوله ﷺ: «يوشك أن يضرب أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة» والحديث الذي في الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قوله ﷺ: «لا تسبّوا قريشًا فإن أعلمها يملأ الأرض علمًا» وهو حديث حسن له طرق كثيرة. وزعم بعضهم وضعه وزيّفوه وشنعوا على زاعمه ومخترعه قال العلماء: عالم المدينة في الحديث الأول مالك وعالم قريش في الحديث الثاني الشافعي. قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لأنه لم يبلغ أحد في زمنه من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبيّ ﷺ حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتي أن جدّ الإمام أبي حنيفة منهم على ما عليه الأكثرون. وفي خبر عن الديلمي خير

....

العجم فارس، قال الجلال: وبهذا الخبر المتّفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المرويّ في حق أبي حنيفة. اهـ بحروفها.

وأيضًا فيها في الفصل العاشر لما مات شيخه حمّاد بن أبي سليمان وكانت انتهت إليه رياسة الكوفة والناس به أغنياء احتاج الناس لمن يجلس لهم فجلس ابنه واختلف إليه أصحاب أبيه فلم يجدوا عنده ما يغنيهم لأن الغالب عليه النحو والكلام فجلس موسى بن أبي كثير فاحتمله الناس للقيه للأكابر وإن لم يكن فارهًا في الفقه فخرج حاجًّا فأجمع رأيهم على أبي حنيفة فأطاعهم وقال: ما أحب أن يموت العلم فاختلفوا إليه فوجدوا عنده من العلم الغزير في كل باب وحسن المواساة والصبر عليهم ما لم يجدوه عند غيره فلزموه وتركوا غيره ثم تخرّجوا به طبقة بعد طبقة حتى صاروا أئمة في العلم والدين ومن الطبقة الثانية أبو يوسف وزفر وآخرون ثم لم يزل أمره يزداد علوًّا وتكثر أصحابه حتى صارت حلقة حلقته أعظم حلقة في المسجد وانصرفَت وجوه الناس إليه وأكرمه الأمراء وذكره الخلفاء وحمده الكل وتحمّل أشياء أعجزت غيره ومع ذلك كثر حسّاده ومعادوه لأن ذلك سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنّة الله تبديلًا. **وأيضًا فيها في الفصل المذكور** أنه رأى كأنه نبش قبر النبيّ ﷺ وجمع عظامه فوضعها على صدره بعد أن استخرجها فأتى ابن سيرين فقصّها عليه فقال: إن كان ما تقول حقًّا لتعملن في إقامة السنة عملًا لم يسبقك إليه أحد ولتدخلن في العلم مدخلًا بعيدًا انتهت باختصار. **وأيضًا فيها في الفصل الثاني عشر** دخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين هذا عالم الدنيا اليوم فقال له الخليفة عمن أخذت العلم، قال عن أصحاب عمر رضي الله تعالى عنه وعن أصحاب عليّ رضي الله تعالى عنه وعن أصحاب ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فقال: بُخْ بُخْ لقد استوثقت لنفسك ما شئت. اهـ بحروفها.

وأيضًا فيها في الفصل المذكور قال رجل عند وكيع أخطأ أبو حنيفة فزجره وكيع وقال: مَن يقول هذا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلًا كيف يُخطىء وعنده أئمة الفقهاء كأبي يوسف ومحمد وزفر وأئمة الحديث وعددهم وأئمة اللغة والعربية وعددهم وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومَن كان أصحابه هؤلاء لم

....

يكن ليخطىء لأنه إن أخطأ ردوه للحق انتهت بحروفها. **وأيضًا فيها في الفصل الثالث عشر** قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: مَن أراد أن يتبحّر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة أنه ممن وقف له الفقه هذه رواية حرملة عنه ورواية الربيع عنه الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ما رأيت أي ما علمت أحدًا أفقه منه لأنه لم يدركه أحد أكثر منه وجاء عنه أيضًا مَن لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا يتفقّه، وقال ابن عيينة: ما رأت عيني مثله انتهت بحروفها.

وأيضًا فيها في الفصل المذكور قال ابن المبارك كان أفقه الناس ما رأيت أفقه منه وقال: كان آية فقيل في الخير أو الشر، فقال: اسكت يا هذا يقال غاية في الشر وآية في الخير وعنه أنه كان يحدث الناس، فقال: حدّثني النعمان بن ثابت فقيل له: مَن تعني؟ قال: أبو حنيفة مخ العلم فأمسك بعضهم عن أن يكتب ذلك الإملاء فسكت ابن المبارك هنية ثم قال: أيها الناس ما أسوأ أدبكم وأجهلكم بالأئمة وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه لأنه كان إمامًا نقيًا تقيًا ورعًا عالمًا فقيهًا كشف العلم كشفًا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى، ثم حلف أن لا يحدّثهم شهرًا وقال الثوري لمن قال له جئت من عند أبي حنيفة لقد جئت من عند أعبَد لله من أهل الأرض. وقال أيضًا: إن الذي يُخالف أبا حنيفة يحتاج أن يكون أعلى منه قدرًا وأوفر علمًا وتعبّدًا ولم يوجد ذلك ولما حجا كان يقدمه ويمشي خلفه ولا يجيب إذا سُئل حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب، وكان أبو يوسف الثوريّ أكثر متابعة لأبي حنيفة مني ووصفه يومًا لابن المبارك، فقال: إنه ليركب من العلم أَحَدّ من سنان الرمح كان والله شديد الأخذ للعلم ذابًا عن المحارم متبعًا لأهل بلده لا يستحلّ أن يأخذ إلّا ما صح عن رسول الله ﷺ شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات والآخِذُ من فعل رسول الله ﷺ وما أدرك مِن علماء أهل الكوفة في اتباع الحق إلّا أخذ به وجعله دينه قد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه، وقال الأوزاعي لابن المبارك: مَن هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنّى أبا حنيفة فأراه مسائل عويصة من مسائله فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت، قال: مَن هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق، قال: هذا نبيل من المشائخ اذهب فاستكثر

....

منه. قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة حاوره في المسائل فكشفها أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه، فلما افترقا قال الأوزاعي لابن المبارك: غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله لقد كنت في غلطٍ ظاهر إلزم الرجل وإنه بخلاف ما بلغني عنه، وقال ابن جريج: لما بلغه من علمه وشدة ورعه وصيانته لدينه وعلمه أحسبه سيكون له في العلم شأن عجيب، وذكر عنده يومًا فقال: اسكتوا إنه لفقيه إنه لفقيه إنه لفقيه، وقال أحمد بن حنبل في حقّه إنه من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد. اهـ بحروفها. **وأيضًا فيها في الفصل المذكور** قال مكيّ بن إبراهيم كان أعلم أهل زمانه. اهـ بحروفها. **وأيضًا فيها في الفصل المذكور** سُئِلَ الأعمش عن مسألة فقال: إنما يُحْسن جواب هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في العلم، وقال يحيىٰ بن آدم: ما تقول في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة؟ قال: إنه جاءهم بما يعقلون وما لا يعقلونه من العلم فحسدوه. اهـ.

وأيضًا فيها في الفصل المذكور سُئِلَ ابن معين عنه فقال: ثقة. ما سمعت أحدًا ضعفه. **وأيضًا فيها في الفصل المذكور** قال الحافظ محمد بن ميمون: لم يكن في زمن أبي حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه وتالله ما سرّني بسماعي منه مائة ألف دينار. وقال إبراهيم بن معاوية الضرير من تمام السنة حب أبي حنيفة، وقال: كان يصف العدل ويقول به وبين للناس سبل العلم وأوضح لهم مشكلاته وقال أسد بن حكيم: لا يقع فيه إلا جاهل أو مبتدع. اهـ بحروفها. **وأيضًا فيها في الفصل المذكور** قال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد ﷺ ثم منه إلى أصحابه ثم منهم إلى التابعين ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه فمن شاء فليرض ومَن شاء فليسخط اهـ بحروفها.

وأيضًا فيها في الفصل الثلاثين في سنده في الحديث أنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثم ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين ومَن زعم قلّة اعتنائه بالحديث فهو إما لتساهله أو لحسده إذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التي لا تحصى كثرة مع أنه أوّل مَن استنبط من الأدلّة على الوجه المخصوص المعروف في كتب أصحابه رضي الله

....

عنهم ولأجل اشتغاله بهذا الأهم لم يظهر حديثه في الخارج كما أن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة لم يظهر عنهما من رواية الأحاديث مثل ما ظهر عن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرّغ للرواية كأبي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على أن كثرة الرواية بدون دراية ليس فيها كثير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابًا في ذمه، ثم قال الذي عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار من الحديث بدون تفقّه ولا تدبر.اهـ.

وأيضًا فيها في الفصل المذكور ومن أعذار أبي حنيفة أيضًا ما يفيده قوله: لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث إلّا بما حفظه يوم سمعه إلى يوم يحدث به فهو لا يرى الرواية إلّا لمن حفظ. وروى الخطيب عن إسرائيل بن يونس أنه قال: نعم الرجل النعمان ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشد فحصه عنه وأعلمه بما فيه من الفقه.اهـ. **وأيضًا فيها في الفصل الثالث والثلاثين** لما بلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي موته استرجع وقال: أيّ علم ذهب ولما بلغ شُعَبَةُ استرجع وقال: طفي عن الكوفة نور العلم.اهـ.

وأيضًا فيها في الفصل الخامس والثلاثين اعلم أنه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسّلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك منهم الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لما كان ببغداد فإنه جاء أنه قال: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره فإذا عرضت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتقضى سريعًا، وذكر بعض المتكلّمين على منهاج النووي أن الشافعي رضي الله تعالى عنه صلّى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له: لِمَ؟ قال تأدبًا مع صاحب هذا القبر وذكر ذلك غيره أيضًا، وزاد أنه لم يجهر بالبسملة ولا إشكال في ذلك خلافًا لمن ظنّه لأنه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها الآن أهم منها ولا شك أن الإعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب يتأكد وأنه عند الاحتياج إليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه ولأن نفعه متعدد ونفع ذينك قاصم ولا شك أيضًا أن الإمام أبا حنيفة كان له حسّاد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم

....

وسعوا في قتلته تلك القتلة الشنيعة السابقة ولا شك أيضًا أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول لأن دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يتصوّر فيها التخلّف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية إذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله: إني كريم وإذا تمهدت هذه الدواعي اتضح أن فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر إظهار المريد التأدب مع هذا الإمام ولمزيد شرفه وعلوّه وأنه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وأنه ممن يُستحى منه ويتأدّب معه من أن يفعل بحضرته خلافَ قوله بعد وفاته فكيف في حياته وأن الحاسدين له خسروا خسرانًا مبينًا وأنهم ممن أضلّه الله على علم. اهـ بحروفها.

وأيضًا فيها في الفصل السادس والثلاثين قال أزهر بن كيسان: رأيت النبيّ ﷺ وخلفه أبو بكر وعمر فقلت لهما: أسأل رسول الله ﷺ عن شيء قالا: سَل ولا ترفع صوتك فسألته عن علم أبي حنيفة لأني كنت زاهدًا فيه فقال: هذا علم انفتح من علم الخضر. اهـ بحروفها. **وأيضًا فيها في الفصل المذكور** عن أبي معافي الفضل بن خالد قال: رأيت النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول ما تقول في علم أبي حنيفة، فقال: ذلك علم يحتاج الناس إليه. اهـ بحروفها.

قال العلّامة عبد الرزاق بن مصطفى الأنطاكي في مفتاح الأصول فلو حلف لا يأكل فاكهة ولا نيّة له لم يحنث بأكل العنب والرطب والرمان عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لأن كلًّا منها فاكهة لغة وعرفًا إلّا أن فيه زائدًا على التفكّه أي التلذّذ والتنعم وهو الغذائية وقوام البدن وبهذه الزيادة يخصّ عن مطلق الفاكهة. وقالا: وهو قول الشافعي يحنث بأكلها لأنها أعزّ الفواكه والتنعم بها فوق التنعم بغيرها فينالها اللفظ عند الإطلاق. قال صاحب القاموس: الفاكهة الثمر كله وقوله فخرج الثمر والعنب والرمان منها مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ باطل مردود انتهى ولم يرد بالمخرج أبا حنيفة رحمه الله تعالى كما توهّم لأنه قائل بأن الفاكهة الثمر كله كما عرفت آنفًا بل أراد مَن لم يجعلها من أفراد الفاكهة مستدلًّا بعطفها على الفاكهة في الآية. وهذا باطل إذ الفاكهة لغة الثمر كله انتهى بحروفه.

....

وفي التلويح في كشف حقائق التنقيح للعلّامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي المتوفى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة رحمه الله ولو حلف لا يأكل فاكهة ولا نيّة له لم يحنث بأكل العنب والرطب والرمان عند أبي حنيفة رحمه الله لأن كلّاً منها وإن كان فاكهة لغة وعرفًا إلّا أن فيه معنى زائدًا على التفكّه أي التلذّذ والتنعّم وهو الغذائية وقوام البدن فهذه الزيادة يخصّ عن مطلق الفاكهة.اهـ بحروفه.

وفي تفسير العلّامة أبي السعود رحمه الله ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ عطف الأخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانًا لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله: مَن حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا أو رطبًا لم يحنث انتهى بحروفه.

وفي التفسيرت الأحمدية في بيان الآيات الشرعية سورة الرحمـٰن وفيها آية يستدل بها على أن النخيل والرمان ليسا من الفاكهة فلا يحنث بأكلهما فيهما إذا حلف لا يأكل الفاكهة وهي قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ يعني في تينك الجنتين المذكورتين فيما قبل فاكهة ونخل ورمان أيضًا فالله تعالى قد عطف النخل والرمان على الفاكهة والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فمن حلف لا يأكل الفاكهة فأكل النخل والرمان لم يحنث عند أبي حنيفة، وأما صاحباه فقالا إنما عطفا عليهما لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨] ولهذا لا يحنث بأكلهما عندهما والسر في قول أبي حنيفة رحمه الله أن الفاكهة اسم لما يقع به التنعّم ولم يكن للغذاء ولم يصلح للدواء وهما زائدان عليه لأن بالأول يقع الغذاء وبالثاني الدواء، أيضًا هذا كله يعلم من المدارك وقريب منه ما قال صاحب الكشّاف والقاضي ولهذا أيضًا قال أهل الأصول أن من حلف لا يأكل فاكهة فأكل عنبًا لم يحنث لأن فيه زيادة على الفاكهة إذ يقع به الغذاء أيضًا، وقد قابل الله بينه مع أشياء وبين الفاكهة أيضًا في سورة عبس في قوله تعالى: ﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس: الآيات ٢٧ - ٣١] الآية فلا يحنث بأكلها وإن كانت من الفاكهة للزيادة وقد أجمعوا على أنه إذا أطلق لفظ

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ أي خيرات فخففت (وقرىء ﴿خَيِّرَٰتٌ﴾) على الأصل، والمعنى فاضلات الأخلاق حسان الخلق ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ أي مخدرات يقال: امرأة قصيرة ومقصورة (أي مخدرة). قيل: الخيام من الدرّ المجوّف ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أصحاب الجنّتين ودلّ عليهم ذكر الجنّتين ﴿وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الاختصاص ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ديباج (أو طنافس) ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ وإنما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ لأن ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ دون ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ دون ﴿تَجْرِيَانِ﴾ و﴿فَٰكِهَةٌ﴾ دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ ذي العظمة. (﴿ذو الجلال﴾ شامي صفة للاسم) ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ لأوليائه بالإنعام.

في الكلام يخرج منه من أفراده ما كان فيه معنى ذلك اللفظ ناقصًا أو موجودًا بزيادة شيء آخر غلب عليه يخرجه منها فمَن حلف لا يأكل لحمًا لا يتناول لحم السمك أو كل مملوك لي حر لا يتناول المكاتب لأن معنى اللحم والمملوك قاصر فيهما، وكذا لو حلف لا يأكل فاكهة فأكل العنب لم يحنث للزيادة والكلام فيه طويل انتهت بحروفها، فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله**: (**وقرىء ﴿خَيِّرَٰتٌ﴾**) بالتشديد قارئه ابن مقسم والنهدي وبكر بن حبيب وهي شاذّة. **قوله**: (**أي مخدّرة**) أي مستورة من الخدر وهو الستر.

قوله: (**أو طنافس**) في المصباح الطنفسة بكسرتين في اللغة العالية واقتصر عليه جماعة منهم ابن السكيت، وفي أنه بفتحتين وهي بساط له خمل رقيق والجمع طنافس. اهـ. **قوله**: (**«ذو الجلال» شامي صفة للاسم**) أي قرأ ابن عامر الشامي بالواو رفعًا صفة للاسم والباقون بالياء خفضًا صفة لرب فإنه هو الموصوف بذلك.

روى جابر أن النبيّ ﷺ قرأ سورة الرحمـٰن فقال: ما لي أراكم سكوتًا، الجنّ **(كانوا أحسن منكم ردًّا)** ما أتيت على قول الله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ **(إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك)** ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر. وكرّرت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة، ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنّتين وأهلهما على عدد أبواب الجنّة، وثمانية أُخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمَن اعتقد الثمانية الأُولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنّة وأُغلقت عنه أبواب جهنّم نعوذ بالله منها والله أعلم.

قوله: (كانوا أحسن منكم ردًّا) أي جوابًا. **قوله: (إلّا قالوا: ولا بشيء من نعمك...)** الخ هذا يقتضي أن جميع الجمل المذكورة في السورة من النعم وفيها قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾، وقوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ [الرّحمـٰن: الآية ٣٥] فكيف حسن الإتيان بعدها بلفظ النعم بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرّحمـٰن: الآية ٣٦]. وأجيب بأن من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخير العذاب وإبقاء ما هو مخلوق لوقت فنائه نعمة وتأخير العذاب عن العصاة أيضًا نعمة فلهذا امتنّ علينا بذلك وبالتسوية في الموت بين الشريف والوضيع. اهـ كرخي.

الحمد لله الحنان، على توفيق إتمام ما يتعلق بسورة الرحمـٰن،
وصلّى الله على سيّدنا محمد الذي أُنزل عليه القرآن،
وعلى آله وصحبه زبدة نوع الإنسان

(سورة الواقعة)

(ست وتسعون آية) مدنيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١)﴾ قامت القيامة. وقيل: وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة فكأنه قيل: إذا وقعت الواقعة التي لا بد من وقوعها. ووقوع الأمر نزوله يقال: وقع ما كنت أتوقعه أي نزل ما كنت أترقب نزوله. وانتصاب ﴿إذا﴾ بمضمر «اذكر» ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾ نفس كاذبة أي لا تكون **(حين تقع)** نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذٍ مؤمنة صادقة مصدقة. وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. **(واللام مثلها في قوله تعالى:** ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾) [الفجر: الآية ٢٨] ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣)﴾ **(أي هي خافضة رافعة)** ترفع أقواماً وتضع آخرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الواقعة، **ست وتسعون آية**) وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف. **قوله**: (**واللام مثلها في قوله تعالى**: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾) أي هي لام التوقيت كما في كتبته لخمس خلون ونحوه كما أشار إليه بقوله: (حين تقع). **قوله**: (أي هي خافضة رافعة) [illegible]

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ حركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء، وهو بدل من ﴿إذا وقعت﴾، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ **(وفتتت)** حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم إذا ساقها كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: الآية ٢٠] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾ غبارًا ﴿مُّنۢبَثًّا﴾ متفرقًا ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا يقال للأصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها من بعض أزواج ﴿ثَلَٰثَةً﴾ صنفان في الجنّة وصنف في النار.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

ثم فسر الأزواج فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الأول، وهو تعجيب من حالهم في السعادة وتعظيم لشأنهم كأنه قال: ما هم وأي شيء هم؟ ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو أصحاب المنزلة **(السنية)** وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك: فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال إذا وصفتهما بالرفعة عندك **(والضعة)**، وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل. وقيل: يؤخذ بأهل الجنّة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي أيُّ شيء هم؟ وهو تعجيب من حالهم **(بالشقاء)**.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣] خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة قومًا إلى النار ورافعة آخرين إلى مقر الكرامة وحذف المفعول للعلم به، ويجوز أن ينزل الفعلان منزلة اللازم والمعنى أنها ذات وضع ورفع والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى وإسنادهما إلى الواقعة من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه.

قوله: **(وفتت)** بتائين بمعنى كسرت.

قوله: **(السنية)** أي الرفيعة. **قوله**: **(والضعَة)** في المصباح وضع وضع في حسبه بالبناء المفعول فهو وضيع أي ساقط لا قدر له والاسم الضعة بفتح الضاد وكسرها. اهـ. **قوله**: **(بالشقاء)** في **الأختري** الشقاء بالفتح والكسر ضد السعادة. اهـ.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ خبره تقديره السابقون إلى الخيرات السابقون إلى الجنّات. وقيل: الثاني تأكيد للأول والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ والأول أوجه ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ أي هم في جنّات النعيم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي هم ثلّة، والثلّة الأمة من الناس الكثيرة، والمعنى أن السّابقين كثير من الأولين وهم الأمم من لدن آدم إلى نبيّنا محمد عليه السلام، وقليل من الآخرين وهم أُمة محمد ﷺ. وقيل: من الأولين من متقدمي هذه الأمة، ومن الآخرين من متأخريها. وعن النبيّ ﷺ: «الثلّتان جميعًا من أُمتي».

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمع سرير ككثيب وكثب ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ **(مرمولة)** ومنسوجة بالذهب **(مشبكة)** بالدرّ والياقوت ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَىٰ﴾ وهو العامل فيها أي استقرّوا عليها متكئين ﴿عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا ينظر بعضهم في **(أقفاء)** بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء المودّة و﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ حال أيضًا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ يخدمهم ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ غلمان جمع وليد ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مبقّون أبدًا على شكل الولدان لا يتحولون عنه. **(وقيل: مقرّطون والخلَدة القرط)**. قيل: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها، وفي الحديث: «أولاد الكفّار **(خدام أهل الجنّة)**».

قوله: (مرمولة) أي منسوجة. **قوله**: (مشبكة) أي مزينة. **قوله**: **(أقفاء)** مثل أرجاء جمع القفا متصور مؤخر العنق. **قوله**: **(وقيل: مقرطون والخلدة القرط) في لسان العرب** خلّد جاريته إذا حَلّاها بالخُلْدَة وهي القرطة وجمعها خِلَدٌ.اهـ. وأيضًا فيه القِرْط الشُّنْف، وقيل: الشُّنْف في أعلى الأذن والقرط في أسفلها، وقيل: القرط الذي يعلق في شحمة الأذن والجمع أقْراط وقِرَاط وقُروط وقِرطة.اهـ. وأيضًا فيه قَرَّطتُ الجارية فتَقَرَّطَتْ هي.اهـ. **قوله**: **(خُدّام أهل الجنة)** في المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلامًا كان أو جارية والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدام.اهـ.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ **(جمع كوب)** وهي آنية **(لا عروة لها ولا خرطوم)** ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ **(جمع إبريق)** وهو ماله خرطوم وعروة ﴿وَكَأْسٍ﴾ وقدح فيه شراب وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمر تجري من العيون ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ **(أي بسببها)** وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ ولا يسكرون. نزف الرجل ذهب عقله بالسكر. **(﴿ولا ينزفون﴾ بكسر الزاي: كوفيّ)** أي لا ينفد شرابهم. يقال: أنزف القوم إذا فني شرابهم ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ يأخذون خيره وأفضله.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ يتمنّون ﴿وَحُورٌ﴾ جمع حوراء ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء أي وفيها حور عين أو ولهم حور عين، ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ **(﴿وَحُورٌ﴾: يزيد وحمزة وعلي)** عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ كأنه قال: هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحورٍ ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ في الصفاء **(والنقاء)**

قوله: **(جمع كوب)** **في المصباح** الكوب كوز مستدير الرأس لا أذن له ويُقال: قدح لا عروة له والجمع أكواب مثل قفل وأقفال. اهـ. **قوله**: **(لا عروة لها)** العروة ما يمسك به **في المصباح** عروة الكوز أذنه والجمع عرى مثل مدية ومدى. اهـ. **قوله**: **(ولا خرطوم)** الخرطوم ما يصب. **قوله**: **(جمع إبريق)** الإبريق معرّب آب ريغ أي ما يصب به الماء. **قوله**: **(أي بسببها)** أي عن سببية بمعنى الباء. **قوله**: **(﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي كوفي)** أي قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيارٌ بضم الياء وكسر الزاي والباقون بضم الياء وفتح الزاي.

قوله: **(﴿وَحُورٌ﴾)** بالجر وكذا ﴿عِينٌ﴾ **(يزيد)** هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة **(وحمزة وعليّ)** الكسائيّ والباقون برفعهما. **قوله**: **(والنقاء)** **في المصباح** نقي الشيء ينقى من باب تعب نقاء بالفتح والمد ونقاوة بالفتح نظف فهو نقيّ على فعيل. اهـ.

﴿ٱلْمَكْنُونِ﴾ المصون. وقال **(الزّجاج)**: كأمثال الدرّ حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ جزاء مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أي يجزون جزاء.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنّة ﴿لَغْوًا﴾ باطلًا ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ **(هذيانًا)** ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ إلا قولًا ذا سلامة. **(والاستثناء منقطع)** و﴿سَلَـٰمًا﴾ بدل من ﴿قِيلًا﴾ أو مفعول به لـ ﴿قِيلًا﴾ أي لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا. والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلامًا بعد سلام ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ السدر **(شجر النبق)** والمخضود الذي لا شوك له **(كأنما خضد شوكه)** ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ الطلح **(شجر الموز**

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحويّ رحمهم الله.

قوله: (هذيانًا) **في لسان العرب** الهذيان كلام غير معقول مثل كلام المبرسم والمعتوه هذا يهذي هَذيًا وهَذيانًا تكلم بكلام غير معقول في مرض أو غيره وهذى إذ هدر بكلام لا يُفهم. **قوله**: (والاستثناء منقطع) لأن السلام لم يندلج تحت اللغو التأثيم. **قوله**: (شجر النبق) بكسر الباء ثمر السدر الواحدة نبقة ويُقال: فيه نبق بفتح النون وسكون الباء ذكرها يعقوب في الإصلاح وهي لغة البصريين والأولى أفصح. **قوله**: (كأنما خضد شوكه) أي قطع ونزع منه. **قوله**: (شجر الموز) وهو شجر معروف فيما بين العرب وموز بفتح الميم وسكون الواو ثمر يشبه التين، وهذا كثير في نواحي الشام.اهـ قنوي. وفي المغرب الموز شجر معروف قال الدينوري: ينبت الموزة نبات البَرْدِيّ وورقه طويلة عريضة يكون ثلاثة أذرع في ذراعين ويكون في القِنْو من أَقْنَائه ما بين ثلاثين مَوْزة إلى خمسمائة وإذا كان هكذا عُمِد القنو.اهـ بحروفه. **وفي لسان العرب** المَوْز معروف والواحدة مَوْزة، قال أبو حنيفة هو الدينوري: الموزة تَنْبُتُ نبات البَرْدِيّ ولها ورقة طويلة عريضة تكون ثلاثة آذرع في ذراعين ويرتفع قامة ولا تزال فراخها تنبت حولها كل واحد منها أصغر من

والمنضود الذي نضد بالحمل) من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ جار بلا حد **(ولا خد)** أي يجري على الأرض في غير أخدود ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي **(كثيرة الأجناس)** ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه. وقيل: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ **(رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت)** أو مرفوعة على الأسرّة. وقيل: هي النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك قال الله تعالىٰ: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يَس: الآية ٥٦]. **(ويدل عليه)** قوله:

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة، فإما أن يراد اللاتي ابتدىء إنشاؤهن أو اللاتي أعيد إنشاؤهن، وعلى غير هذا التأويل أُضمر لهن

صاحبه فإذا أخّرتْ قطعت الأم من أصلها وأطلع فرخها الذي كان لحق بها فتصير أُمًّا ويبقى البواقي فِراخًا فلا تزال هكذا. ولذلك قال أشعب لابنه فيما رواه الأصمعي: لم لا تكون مثلي، فقال: مثلي كمثل الموزة لا تصلح حتى تموت أمها. اهـ بحروفه. **قوله**: **(والمنضود الذي نضد بالحمل...)** الخ من قولهم: نَضَد متاعه ينضد بالكسر نضدًا أي وضع بعضهم على بعض والحمل بالكسر الثمر.

قوله: **(ولاخَدٍ)** بفتح الخاء بمعنى الأخدود أي الشقّ في الأرض وجمعه خدود والأخدود مفرد جمعه أخاديد. **قوله**: **(كثيرة الأجناس)** فما ظنّك بكثرة الأفراد. **قوله**: **(رفيعة القدر)** فالمراد رفعة معنوية. **قوله**: **(أو نضدت حتى ارتفعت)** أي بسطت بعضها فوق بعض فترتفع بذلك فالمراد رفعة حسيّة قدم الأول لأن الرفعة المعنوية هي المعتدّ بها. **قوله**: **(ويدلّ عليه)** أي على أن المراد بالفرش النساء وجه الدلالة ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٥] راجعًا إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٢٢] أو إلى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لأنها تبسط لأن يضطجع الرجل عليها مع أهله بناء

لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾ **(عذارى)** كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا ﴿عُرُبًا﴾ (﴿عرْبًا﴾ **حمزة وخلف ويحيىٰ وحماد جمع عروب**) وهي المتحببة إلى زوجها **(الحسنة التبعل)** ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك.

﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾

والـلام في ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨﴾ من صلة ﴿أنشأنا﴾ ﴿ثُلَّةٌ﴾ أي أصحاب اليمين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ فإن قلت: كيف قال قبل هذا وقيل ﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ ثم قال هنا: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾؟ قلت: ذاك في السابقين وهذا في أصحاب اليمين، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعًا. وعن الحسن: سابقوا الأمم أكثر من سابقي أُمتنا، وتابعوا الأُمم مثل تابعي هذه الأمة.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾ الشمال والمشأمة واحدة (﴿فِى سَمُومٍ﴾) في حر نار ينفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وماء حار متناهي الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣﴾ من دخان أسود ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل

على أن العرب تُسمي المرأة فراشًا ولباسًا وإزارًا. **قوله: (عذارى)** في المصباح عذرة الجارية بكارتها والجمع عذر مثل غرفة وغرف وامرأة عذراء مثل حمراء أي ذات عذرة وجمعها عذارى بفتح الراء وكسرها انتهى. **قوله:** (﴿عرْبًا﴾) بسكون الراء **(حمزة وخلف)** بن هشام البزار وليس من السبعة وله اختيار **(ويحيىٰ)** بن آدم وهو يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش، وهو يروي عن عاصم **(وحماد)** بن أحمد والباقون بضمها. **قوله: (جمع عروب)** بفتح العين كصبور وصبر والعرب بضمتين هو الأصل وسكونه للتخفيف. **قوله: (الحسنة التبعل)** في **لسان العرب** تبعّلت المرأة أطاعت بعلها وتبعّلت له تزيّنت، وامرأة حسنة التبعّل إذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له. اهـ. وأيضًا فيه التبعُّل حسن العشرة من الزوجين. اهـ.

قوله: (﴿فِى سَمُومٍ﴾) السموم في الأصل ريح حارة تدخل في مسام البدن والمراد به في الآية حر النار تشبيهًا له بالسموم في نفوذه في المسام ومسام البدن منافذه وثقبه.

ولكن لا كسائر الظلال سمّاه ظلّاً؛ ثم نفى عنه برد الظلّ (وروحه) ونفعه من يأوي إليه من أذى الحرّ وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من (الاسترواح) إليه، والمعنى أنه ظل حار ضار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ يداومون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي على الذنب العظيم أو على الشرك لأنه نقض عهد الميثاق، والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله: ﴿(وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ) لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨]، ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تقديره: أنبعث إذا متنا؟ وهو العامل في الظرف، وجاز حذفه إذ ﴿مبعوثون﴾ يدلُّ عليه، ولا يعمل فيه ﴿مبعوثون﴾ (لأن «إن» والاستفهام يمتعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما ﴿(أوَ آباؤنا) الأولون﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فيه ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ من غير توكيد بـ نحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٤٨] لفصل لا المؤكدة للنفي. (﴿أَوْ ءَابَآؤُنَا﴾ مدنيّ وشاميّ).

قوله: (وروحه) الروح بالفتح الراحة. **قوله**: (**الاسترواح**) ضب الراحة والمراد هنا الراحة.

قوله: (﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾) انتصاب قوله تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٩] على المصدر ولك أن تجعله في موضع الحال أي جهدين. وفي الصحاح قال الفراء: والجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك في هذا الأمر أي ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة أي أقسموا بإيمانهم وبالغوا في تأكيدها وأكدوها بما هو غاية وسعهم. **قوله**: (لأن إن **والاستفهام** يمنعان...) الخ أي كل منهما لاستحقاق الصدارة مانع عن عمل ما بعدها لما قبلها فما ظنك بالمجموع. **قوله**: ﴿(أوْ آباؤنا) الأولون﴾ بإسكان الواو من ﴿أَوْ﴾ [illegible] أي قرأه قالون عيسى بن مينا وإنه يروي عن نافع

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾

(﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾) إلى ما وقتت به الدنيا **(من يوم معلوم)**، والإضافة بمعنى «من» كخاتم فضة، والميقات ما وقت به الشيء **(أي حدّ. ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها مَن يريد دخول مكة)** إلا محرمًا ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث

المدنيّ، وكذا قرأه أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن عامر الشاميّ والباقون بفتحها.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾) قال الحسن: لمجموعون في القبور إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة فتكون كلمة ﴿إِلَىٰ﴾ لبيان غاية اجتماعهم فيها وقيل: قوله تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ معناه لمحشورون فكلمة ﴿إِلَىٰ﴾ على هذا بمعنى في.

قوله: **(من يوم معلوم)** بيان ما في قوله: ما وقت به أشار به إلى أن إضافة الميقات إلى اليوم بيانية بمعنى من كما في خاتم فضة أي إلى الميقات الذي هو اليوم المعلوم وهو يوم القيامة وهو ميقات منتهى الدنيا عند أول جزء منه فإن بقاء الدنيا موقوف محدّد بتحقق أول جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف إذ بيّن له وقتًا يفعل فيه وذلك الفعل موقوت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النّساء: الآية ١٠٣] أي مكتوبًا بين الوقت. **قوله**: (أي حدّ) وعين.

قوله: **(ومنه مواقيت الإحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة)** إلا محرمًا فميقات أهل المدينة ذو الحليفة بالتصغير ولأهل مصر والشام والمغرب من طريق تبوك بفتح فضم غير منصرف. وقيل: منصرف وعلى ما في القاموس أرض بين الشام والمدينة الجحفة بضم الجيم وسكون الحاء وهي بالمغرب من رابغ بكسر الموحدة واد بين الحرمين قرب البحر، فمن أحرم من رابغ فقد

وهم أهل مكة ومَن في مثل حالهم ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ﴾ («من» **لابتداء الغاية**) ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾ («من» **لبيان الشجر**) ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ (**أنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ**) في (﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾).

أحرم قبل الجحفة لأنها متأخرة عنه فيجوز التقدم عليها، وقيل: الأحوطُ أن يحرم من رابغ أو قبله لعدم التيقّن بمكان الجحفة ولأهل نجد اليمن ونجد الحجاز ونجد تهامة بكسر أولها قرن بفتح فسكون وهي قرية عند الطائف واسم الوادي كله. والباقي أهل اليمن وتهامة يلملم ويقال: الملم جبل على مرحلتين من مكة ولأهل العراق أي أهل البصرة والكوفة وسائر أهل المشرق ذات عرق بكسر فسكون والأفضل أن يحرم من العتيق وهي قبل ذات عرق بمرحلة أو مرحلتين. وهذه المواقيت لأهل الأماكن المذكورة ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، وحكمها وجوب الإحرام منها لأحد النسكين وتحريم تأخيره عنها لمن أراد دخول مكة أو الحرم وإن كان لقصد التجارة أو غيرها ولم يرد نسكًا ولزوم الدم بالتأخير وجوب أحد النسكين. وأعيان هذه المواقيت فقط ليست بشرط بل الواجب عينها أو حذوها أي محاذاتها ومقابلتها فمن سلك غير ميقات برًّا أو بحرًا اجتهد وأحرم إذا حاذى ميقاتًا منها، ومن حذو الأبعد أولى. وإن لم يعلم المحاذاة فعلى مرحلتين من مكة، ولو ترك ميقاته الذي جاوزه وأحرم من آخر سقط عنه الدم. والمدنيّ إن تجاوز عن ميقاته المعروف بذي الحُليفة غير محرم إلى الجحفة كره وفاقًا، وفي لزوم الدم خلاف وصحح سقوطه.

قوله: (**من لابتداء الغاية**) أي مبتدؤون الأكل من الشجر والمراد ثمره. **قوله**: («مِنْ» **لبيان الشجر**) إذ الشجر يحتمل الزقوم وغيره فهو أبلغ من قوله: من شجر الزقوم بالإضافة إذ الإبهام أولًا والبيان ثانيًا أوقع في النفوس. قيل: اختلف الناس في الزقوم وحاصل الأقوال يرجع إلى أن ذلك في الفم مرّ وفي اللمس حارّ وفي الرائحة منتن وفي النظر أسود لا يكاد آكله يسيغه فهو طعام ذو غصّة كريه من جميع الوجوه أعاذنا الله سبحانه وتعالى منه برحمته. **قوله**: (**أنث ضمير الشجر على المعنى**) لأنه بمعنى الشجرة (**وذكره على اللفظ**) لأنه خالٍ عن التاء (في) قوله (﴿مِنْهَا﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾) وهو لف ونشر مرتب.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ﴾ بضم الشين: (**مدني**) وعاصم وحمزة (**وسهل**)، وبفتح الشين: غيرهم وهما مصدران ﴿ٱلْهِيمِ﴾ هي إبل عطاش لا تروى (**جمع أهيم وهيماء**)، والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو (﴿كَٱلْمُهْلِ﴾)، فإذا ملئوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم. وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة، وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضًا فكانتا صفتين مختلفتين ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ هو الرزق الذي يعد للناس تكرمة له ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق فكأنهم مكذبون به، وإما بالبعث لأن من خلق أولًا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ما تمنونه أي تقذفونه في الأرحام (**من النطف**) ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرًا (**سويًا**) ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تقديرًا قسمناه عليكم قسمة الأرزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط

قوله: (**مدني**) أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة. **قوله**: (**وسهل**) بن محمد السجستاني البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**جمع أهيم**) مذكر (**وهيماء**) مؤنث فأصله هيم بضم الهاء كحمر في جمع أحمر وحمراء فأبدلت الضمة كسرة لتسلم الياء كما فعل ذلك في بيض جمع أبيض وبيضاء. **قوله**: (﴿كَٱلْمُهْلِ﴾) في الصحاح يقال: هو النحاس المذاب، قال أبو عمرو المهل درديّ الزيت، قال: والمهل أيضًا القيح والصديد. اهـ.

قوله: (**من النُّطَف**) جمع نطفة وجمع لأن ما عبارة عن النُّطَف بقرينة ﴿تُمْنُونَ﴾. **قوله**: (**سويًا**) أي تام الخلقة وحسن الصورة وانتصاب القامة. **قوله**:

(﴿قدَرنا﴾ **بالتخفيف: مكيّ**) سبقته بالشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ إنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه. (و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ **جمع مثل**) أي على أن نبدل (**منكم ومكانكم**) أشباهكم من الخلق ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وعلى أن ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني أنا نقدر على الأمرين جميعًا: على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم؟ ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمع مثل أي على أن نبدّل ونغيّر صفاتكم التي أنتم عليها (**في خلقكم**) وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (﴿النشاءة﴾ **مكيّ وأبو عمرو**) ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن مَن قدر على شيء مرة لم يمتنع عليه ثانيًا، (**وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى**). ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣﴾ ما تحرثونه من الطعام أي تثيرون الأرض وتلقون فيها البذر ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه وتردونه

(﴿قدَرنا﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف الدال (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ والباقون بالتشديد. **قوله**: (و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ **جمع مثل**) بكسر الميم وسكون الثاء بمعنى الشبه والنظير فعلى هذا التبديل محمول على تبديل الذات. **قوله**: (**منكم ومكانكم**) إشارة إلى أن أحد المفعولين محذوف. **قوله**: (**جمع مثل**) بفتحتين بمعنى الصفة فالتبديل تبديل الصفات. **قوله**: (**في خلقكم**) بكسر الخاء وفتح اللام جمع خلقة وهي ما يكون الإيجاد عليه من الهيئات والأطوار.

قوله: (**النشاءة**) بألف بعد الشين والمدّ (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) البصريّ والباقون بسكون الشين بلا ألف ولا مدّ. **قوله**: (**وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى**) بقوله: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية ٦٢] فإن معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسًا على الأولى وترك القياس إذا كان جهلًا كان القياس علمًا وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح وفي الخبر عجبًا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى

نباتًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المنبتون (**وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت»**).

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ (**هشيمًا**) متكسرًا قبل إدراكه ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم (**بذلك**) من أجلها ﴿إِنَّآ﴾ أي تقولون إنا (﴿أَءِنَّا﴾ **أبو بكر**) ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ (**لملزمون غرامة ما أنفقنا**) أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ (**محارفون محدودون لا مجدودون**) لا حظّ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا.

النشأة الأولى وعجبًا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور. **قوله**: (**وفي الحديث: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل: حرثت»**) رواه ابن جرير وابن حاتم. اهـ. **جمالين** وفي حاشية العلّامة الشهاب رواه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. اهـ.

قوله: (**هشيمًا**) الهشم كسر الشيء اليابس من النبات والهشيم من النبات اليابس المنكسر. **قوله**: (**بذلك**) الحرمان. **قوله**: (﴿أَءِنَّا﴾) بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام (**أبو بكر**) شعبة بن عياش يروي عن عاصم والباقون بهمزة واحدة على الخبر. **قوله**: (**لملزمون غرامة ما أنفقنا**) أي من البذر والمؤونة على أن المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل: المغرم المهلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٥] أي هلاكًا. **قوله**: (**محارفون**) **في لسان العرب** المُحَارف الذي لا يصيب خيرًا من أيّ وجه توجّه له والمصدر الحِرَف والحُرْف الحِرْمَان. اهـ. وأيضًا فيه وقيل: المُحَارف بفتح الراء هو المحروم المحدود الذي إذا طَلَب فلا يُرْزق أو يكون لا يسعى في الكسب. وفي الصحاح رجل مُحَارف بفتح الراء أي محدود محروم وهو خلاف قولك: مُبارَك. اهـ. **قوله**: (**محدودون**) بالمهملة من الحد بمعنى المنع أي ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع. **قوله**: (**لا مجدودون**) بالجيم من الجد بمعنى البخت والطالع متيمن.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي الماء (**العذب**) الصالح للشرب ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب الأبيض وهو أعذب ماء ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقدرتنا ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ (**ملحًا**) أو مرًّا لا يقدر على شربه ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فهلا تشكرون. (**ودخلت اللام على جواب لو**) في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ ونزعت منه هنا، لأن «لو» لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلّق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة الشرط كـ «إن» ولا عاملة مثلها وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقًا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها، أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علمًا على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علمًا على ذلك، ولما شهر موقعه لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به

قوله: (**العذب**) في لسان العرب العَذْب من الشراب والطعام كل مُسْتَساغ والعذب الماء الطَّيّب. اهـ. **قوله**: (**ملحًا**) أي شديد الملوحَة بحيث لا يقدر على شربه إذ الملح صفة مشبّهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة فهو ماء ملح ولا يقال: مالح إلا في لغة رديئة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**ودخلت اللام على جواب لو...**) الخ جواب عما يقال: قد التزمت البلغاء إدخال اللام في جواب لو للفصل بين ما يتمحّض للشرط وهو كلمة إن وبين ما لا يكون كذلك بل يكون متضمنًا لمعنى الشرْط وشبيهًا بأداة الشرط وهي كلمة لو فلذلك دخلت اللام في جواب ﴿لَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ فلم لم تدخل في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ وإنما قلنا إن ﴿لَوْ﴾ ليست متمحضة للشرط لأن الشرط عبارة عن تعليق حصول شيء على حصول غيره وذلك يستدعي أن يكون المعلّق أمرًا استقباليًا ولو للمضي فلا تكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين تعلّقت إحداهما بالأخرى بأن يكون امتناع مضمون الثانية منها منوطًا بامتناع مضمون الأولى منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة بأداة الشرط وليس لها عمل في شيء منهما حتى يكون العمل علامة لهذا التعليق فاحتيج إلى أن ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام في جوابها لتكون علامة ودليلًا على التعليق المذكور. وتقرير الجواب أنها حذفت في جواب ﴿لَوْ﴾ الثانية اعتمادًا على علم السامع بمكانها فإن السامع

وتساوي حالي حذفه وإثباته، على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغنٍ عن ذكره ثانية، ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فأُدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ **(تقدحونها)** وتستخرجونها **(من الزناد)**. والعرب تقدح بعودين تحكّ أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة **(شبهوهما بالفحل والطروقة)** ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزناد ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ الخالقون لها ابتداء ﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا﴾ أي النار ﴿تَذْكِرَةً﴾ تذكيرًا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به ﴿وَمَتَـٰعًا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين

لما علم أنها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة بالأولى وأنها لا بدّ منها في جواب لو مطلقًا واشتهر بين الناس موضعها ومكانها جاز حذفها لأن الشيء إذا علم موضعه واشتهر أنه لا بدّ منه لا يبالى بإسقاطه فيحذف للاختصار اعتمادًا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهو سبق ذكرها في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾.

قوله: (تقدحونها) القدح استخراج النار بضرب الزناد. **قوله**: (من الزناد) بكسر الزاي جمع زند يقال: ورى الزند وريًا أي خرجت ناره وأوريته أنا والزند العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الأنثى. فإذا اجتمعا قيل: زندان والجمع زناد مثل سهم وسهام. **قوله**: **(شبهوهما بالفحل والطروقة)** **في المصباح** الفحل الذكر من الحيوان جمعه فحول وفحولة وفحال. هـ. وأيضًا فيه طرق الفحل الناقة طرقًا ضربها فهي طروقة فعولة بفتح الفاء بمعنى مفعولة. اهـ. **وفي الصحاح** طروقة الفحل أنثاه يقال: ناقة طروقة الفحل التي بلغت أن يضربها الفحل وجه الشبه ما في كل من الزند والزندة من كون قدرة الله تعالى

النازلين في القواء (وهي القفر)، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم: «أقوت الدار» إذا خلت من ساكنيها. بدأ بذكر خلق الإنسان فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء، ثم بما يخبز به وهو النار، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغني عنه الجسد ما دام حيًّا ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ (فنزّه ربك) عما لا يليق به أيها المستمع المستدلّ، أو أراد بالاسم الذكر أي فسبّح بذكر ربك ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للمُضاف أو للمُضاف إليه. وقيل: قل سبحان ربي العظيم وجاء مرفوعًا أنه لما نزلت هذه الآية قال: اجعلوها في ركوعكم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي فأقسم و«لا» مزيدة مؤكدة مثلها قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحديد: الآية ٢٩] (وقرىء ﴿فلأقسم﴾) ومعناه فلأنا أقسم، اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي «أنا أُقسم»، ثم حذف المبتدأ. ولا يصحّ أن تكون اللام لام القسم لأن حقّها أن تقرن بها النون المؤكدة ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها ومغاربها (﴿بموقع﴾ حمزة وعلي)، ولعلّ الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالًا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ (وهو

كأنها طالبة من صاحبها اللقاح الذي هو الاقتداح ليؤدّي إلى النتيجة. **قوله**: (وهي القفر) وهي الأرض الخالية عن الماء والكلأ. **قوله**: (فنزّه ربك) أي لفظ باسم زائد.

قوله: (وقرىء ﴿فلأقسم﴾) في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك قراءة الحسن والثقفي ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ بغير ألف. اهـ. **قوله**: (بموقع) بإسكان الواو بلا ألف مفرد بمعنى الجمع لأنه مصدر (حمزة وعليّ) الكسائي والباقون بفتح الواو وألف بعدها على الجمع. **قوله**: (وهو

اعتراض في اعتراض آخر) لأنه اعترض به **(بين القسم والمقسم عليه)** وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ حسن مرضي أو **(نفاع جمّ)** المنافع أو كريم على الله، واعترض بـ ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿مَّكۡنُونٖ﴾ مصون عن أن يأتيه الباطل أو من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾

(﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾) من جميع الأدناس أدناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لـ ﴿كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ وهو اللوح.

اعتراض في اعتراض آخر) وهو قوله: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فإنه اعتراض بين الموصوف وهو قسم وصفة وهي ﴿عَظِيمٌ﴾ وكلمة في بمعنى مع والحاصل أنهما اعتراضان، أحدهما في ضمن الآخر الأول بين القسم وجوابه، والثاني: بين الصفة والموصوف. **قوله: (بين القسم)** وهو ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾. **قوله: (والمقسم عليه)** وهو ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة: الآية ٧٧]. **قوله: (نفّاع)** أي كثير النفع. **قوله: (جم)** أي كثير.

قوله: (﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾) في التفسيرات الأحمدية الضمير في ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ إن عاد إلى الكتاب المكنون كان المعنى لا يمسّ الكتاب المكنون في اللوح المحفوظ إلا الملائكة المطهّرون من الأدناس والكدورات وإن عاد إلى القرآن كان نهيًا، معنى أن لا يمس القرآن إلا المطهّرون من الأحداث أو نفيًا على حاله أي لا يمسّه إلا المطهّرون من الكفر. وقد وصف القرآن ح بالأوصاف الأربعة كما لا يخفى هكذا قالوا والمقصود أن قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ وإن كان يحتمل المعاني ولذا تركه صاحب الهداية، ولكن الأكثرين على أنه نفي بمعنى النهي وأن الضمير المنصوب راجع إلى القرآن وأن الطهارة هو الطهارة عن الأحداث أي لا يمسّ هذا القرآن إلا المطهرون من الأحداث فلا يمسّه المحدث ولا الجنب ولا الحائض والنفساء. وقد اشتهر في كتب أبي حنيفة أنه لا يجوز للمحدث والحائض والنفساء مَسُّ المصحف إلا بغلاف متجاف منفصل عنه. وأما قراءته فيجوز للمحدث فقط إن كان حافظًا إلّا لغيره وإن كان ناظرًا فلا يجوز

....

القراءة للمحدث إلا إذا قلبت الأوراق بقلم أو سكين مع الكراهة، هكذا في القنية. وذكر في الحُسَيْني أن الشافعي ومالك لا يجوّزان مسّه للمذكورين ولا حمله والحنابلة يجوزونهما جميعًا للمحدث والجنب دون الحائض والنفساء، وأبو حنيفة رحمه الله لا يجوز مسّه للمذكورين إلا بغلاف متجافٍ. وعن ابن عمر أنه قال: الأحبّ إليّ أن لا يقرأ القرآن إلا المطهّرون. وقد قيل: لا يمسّه أي لا يقرأه انتهت بحروفها.

وفي تفسير فتح القدير للشوكانيّ رحمه الله قال الواحدي: أكثر المفسرين على أن الضمير عائد إلى الكتاب المكنون أي لا يمسّ الكتاب المكنون إلا المطهّرون وهم الملائكة، وقيل: هم الملائكة والرسل من بني آدم ومعنى لا يمسّه المس الحقيقي، وقيل: المعنى لا ينزل به إلّا المطهّرون وقيل: المعنى لا يقرأه وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القرآن، فقيل: لا يمسّه إلّا المطهّرون من الأحداث والأنجاس. كذا قال قتادة وغيره وقال الكلبي: المطهّرون من الشرك، وقال الربيع بن أنس: المطهرون من الذنوب والخطايا. وقال محمد بن فضل وغيره: معنى لا يمسّه لا يقرأه إلّا الموحدون. وقال الفراء: لا يجد نفعه وبركته إلا المطهّرون والمؤمنون. وقال الحسين الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهّره الله من الشرك والنفاق. وقد ذهب الجمهور إلى منع المحدث من مسّ المحصف، وبه قال عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي ورُوِيَ عن ابن عباس والشعبي وجماعة منهم أبو حنيفة أنه يجوز للمحدث مسّه وقد أوضحنا ما هو الحق في هذا في شرحنا للمنتقى فليرجع إليه انتهى بحروفه. وفي تفسير ابن كثير رحمه الله قال ابن جرير: حدّثني موسى بن إسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يمسّه إلا المطهّرون. قال الكتاب الذي في السماء، وقال العوفيّ عن ابن عباس: لا يمسّه إلا المطهّرون يعني الملائكة، وكذا قال: أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحّاك وأبو الشعثاء بن برّ بن زيد وأبو نَهيك والسديّ وعبد الرحمٰن بن زيد بن زيد بن أسلم وغيرهم، وقال ابن جرير: حدَّثنا ابن عبد الأعلى حدَّثنا ابن ثور حدَّثنا معمر عن

....

قتادة قال: لا يمسّه إلا المطهّرون. قال عبد الله: لا يمسّه إلا المطهّرون، فأما في الدنيا فإنه يمسّه المجوسيّ النجس والمنافق الرجس، وهي في قراءة ابن مسعود ما يمسّه إلا المطهّرون. وقال أبو العالية لا يمسّه إلا المطهّرون ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب. وقال ابن زيد: زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: الآيات ٢١٠ - ٢١٢]، وهذا القول قول جيّد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله. وقال الفرّاء: لا يجد طعمه ونفعه إلا مَن آمن به وقال آخرون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا: والمراد بالقرآن هٰهنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر. وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: ولا يمسّ القرآن إلا طاهر. وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره. ومثل هذا لا ينبغي الأخذ به، وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاص، وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم. انتهى بحروفه.

وفي تفسير الدرّ المنثور للعلّامة جلال الدين السيوطي أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: القرآن الكريم هو القرآن والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لا يمسّه إلا المطهّرون. قال الملائكة عليهم السلام هم المطهّرون من الذنوب. أخرج آدم بن أبي أياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في المعرفة عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ قال: القرآن في كتابه والمكنون الذي لا يمسّه شيء من تراب ولا غبار ولا يمسّه إلا الملائكة المطهّرون. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾.

....

قال: التوراة والإنجيل ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال: حملة التوراة والإنجيل. أخرج ابن جرير عن قتادة قال في قراءة عبد الله بن مسعود: «ما يمسه إلا المطهرون». أخرج آدم وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في المعرفة من طرق عن ابن عباس ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال الكتاب المنزّل في السماء لا يمسّه إلا الملائكة. أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن أنس رضي الله تعالى عنه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، قال الملائكة عليهم السلام: أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. قال: ذاكم عند رب العالمين لا يمسّه إلا المطهّرون من الملائكة عليهم السلام، فأما عندكم فيمسّه المشرك النجس والمنافق الرجس. أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ ﷺ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾، قال: عند الله في صحف مطهّرة لا يمسّه إلا المطهّرون قال: المؤمنون. أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن علقمة قال: أتينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فخرج علينا من كنيف لنا فقلنا: لو توضأت يا أبا عبد الله ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا، قال: إنما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ وهو الذي في السماء لا يمسّه إلا الملائكة، ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا. أخرج عبد بن حميد وابن أبي داود في المصاحف وابن المنذر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ قال: في السماء لا يمسّه إلا المطهّرون، قال: الملائكة عليهم السلام أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ قال الملائكة عليهم السلام، ليس أنتم يا أصحاب الذنوب. أخرج ابن المنذر عن القعنبي قال: قال مالك رضي الله تعالى عنه أحسن ما سمعت في هذه الآية ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أنها بمنزلة الآية التي في عبس ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: الآيات ١٣ ـ ١٦]. أخرج ابن المنذر عن ابن عمر أنه كان لا يمسّ المصحف إلا متوضئًا. أخرج عبد الرزاق وابن أبي داود وابن المنذر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال: في كتاب النبيّ ﷺ لعمرو بن حزم: ولا تمسّ القرآن إلا على طهور. أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة في

....

المصنف وابن المنذر والحاكم وصححه عن عبد الرحمٰن بن زيد قال: كنا مع سلمان فانطلق إلى حاجة فتوارى عنا ثم خرج إلينا فقلنا: لو توضأت فسألناك عن أشياء من القرآن فقال: سلوني فإني لست أمسّه إنما يمسّه المطهّرون ثم تلا ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾. أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمس القرآن إلا طاهر». أخرج ابن مردويه عن معاذ بن جبل أن النبيّ ﷺ لما بعثه إلى اليمن كتب له في عهده أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر. أخرج ابن مردويه عن ابن حزم الأنصاري عن أبيه عن جده أن نبيّ الله ﷺ كتب إليه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. انتهى بحروفه. **وفي شرح السنّة** للإمام البغوي الشافعي رحمه الله في باب المحدث لا يمسّ المصحف قال الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ قال مالك: أحسن ما سمعت في هذه الآية أنها بمنزلة الآية التي في عبس ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣﴾ [عَبَسَ: الآيات ١١ - ١٣]. أخبرنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحٰق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن المحدث أو الجنب لا يجوز له حمل المصحف ولا مسّه. وقال مالك: لا يحمل المصحف بعلاقته ولا على وسادة إلا وهو طاهر إكرامًا للقرآن وتعظيمًا له. وقال معمر عن قتادة قال: لقد كان يستحب أن لا يقرأ الأحاديث التي عن النبيّ ﷺ إلا على الطهارة. وكان مجاهد يقرأ وهو يصلي فوجد ريحًا فأمسك عن القراءة حتى ذهبت. وقال رجل لعطاء: أقرأ القرآن فيخرج مني الريح، قال: تمسك عن القراءة حتى تنقضي الريح، وكان الشعبي لا يرى بأسًا أن يأخذ بعلاقة المصحف غير طاهر. وروي عن أبي وائل قال: كان يُقال: لا يقرأنّ في الحمّام، وكره سعيد بن المسيّب أن يكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم على رأس الشّعر، وجوّز الحكم وحماد وأبو حنيفة حمل المصحف ومسّه، وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا يمسّ المكتوب. اهـ بحروفه.

وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله قوله: أو لا يمسّ القرآن إلا المطهّرون من الأحداث، وهو قول عطاء وطاوس وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي ومالك وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل

....

المصحف ومسّه انتهت بحروفها. **وفي تفسير الإمام البغويّ رحمه الله** قال قوم معناه: لا يمسّه إلا المطهّرون من الأحداث والجنابات وظاهر الآية نفي ومعناه نهي، وقالوا: لا يجوز للجنب ولا الحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسّه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه والأول قول أكثر الفقهاء. اهـ بحروفه. **وعبارة الخازن** مثل عبارة تفسير الإمام الموصوف مع زيادة يسيرة وهي قوله بعلاقة بعد قوله: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه. **وعبارة تفسير الخطيب الشربيني الشافعي رحمه الله.**

تنبيه: اختلف العلماء في مسّ المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسّه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهريّ والنخعيّ والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي، وأما الحمل فلأنه أبلغ من المسّ سواء حمله بعلاقته أم في كمه أم على رأسه وسواء مسّ نفس الأسطر أم ما بينها أم الحواشي أم الجلد أم العلاقة أم الخريطة أم الصندوق إذا كان المصحف فيها وسواء مسّ بأعضاء الوضوء أم بغيرها، وقال جماعة بجواز مسّه وحمله واحتجّوا بأن النبيّ ﷺ كتب إلى هرقل كتابًا فيه قرآن وهرقل محدث يمسّه هو وأصحابه وبأن الصبيان يَحملون الألواح محدثين بلا إنكار وبأنه إذا لم تحرم القراءة فالحمل والمس أولى وبأنه يجوز حمله في أمتعة. وأُجيب عن الأول بأن ذلك الكتاب كان فيه آيتان ولا يسمى مصحفًا ولا ما في معناه وبأنه لو كان كتابًا قد تضمّن مع القرآن دعاء إلى الإسلام، فلم يكن القرآن بانفراده مقصودًا فجاز تغليبًا للمقصود فيه. وعن الثاني بأنه أُبيح للصبيان للضرورة لأنهم غير مكلّفين. وعن الثالث بأن القراءة أبيحت للحاجة وعسر الوضوء كل وقت وبأنا لا نسلم الأولوية المذكورة بدليل أن الكافر لا يمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف ومسّه. وعن الرابع بأن جواز حمل المصحف في الأمتعة محله إذا لم يكن المصحف مقصودًا بالحمل، وقال آخرون بحرمة المسّ دون الحمل. واحتجوا بأن المحرم يحرم عليه مسّ الطيب دون حمله، وأجيب عنه بأنه غير صحيح لأن حمل المصحف أبلغ في الاستيلاء

....

عليه من مسّه فلما حرم الأدنى كان تحريم الأعلى أولى ولأن تحريم المصحف إنما هو لحرمته فاستوى فيه مسّه وحمله بخلاف طيب المحرم فإن تحريمه مقصور على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لفّ كمه على يده وقلب به أوراق المصحف حرم عليه لأن القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك بعود. وخرج بالمصحف غيره نحو كتب الفقه والحديث، وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسّها إلا أن يكون القرآن أكثر من التفسير أو مساويًا له فيحرم الحمل والمسّ لأنه حينئذٍ في معنى المصحف، وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره. انتهى باختصار. **وفي رحمة الأمة في اختلاف الأئمة** ولا يجوز مسّ المصحف ولا حمله لمحدث بالإجماع. وحُكِيَ عن داود وغيره الجواز ويجوز حمله بغلاف وعلاقة إلّا عند الشافعي ويجوز عنده في أمتعة وفي تفسير ودنانير وقلب ورقه بعود. انتهت بحروفها. **وفي الميزان للعلّامة عبد الوهاب الشعراني رحمه الله** من ذلك قول الأئمة الأربعة بتحريم مسّ المصحف على المحدث مع قول داود وغيره بالجواز، وكذلك قول الأربعة يجوز للمحدث بغلاف أو علاقة إلا عند الشافعي كما يجوز حمله في أمتعة وتفسير ودنانير وقلب ورقه بعود. انتهى بحروفه. وفي شرح المنهاج للعلّامة الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي (ويحرم بالحدث الصلاة) إجماعًا. وفي الصحيحين حديث لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ ومنها صلاة الجنازة وفي معناها سجدة التّلاوة (والطواف) قال ﷺ: «الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحلّ فيه المنطق فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم (وحمل المصحف ومسّ ورقه). قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ هو خبر بمعنى النهي والحمل أبلغ من المسّ والمطهر بمعنى المتطهّر ذكره في شرح المهذب (وكذا جلده على الصحيح) لأنه كالجزء منه والثاني لا يحرم مسّه لأنه وعاء له ككيسه (وخريطة وصندوق فيهما مصحف وما كتب للدرس قرآن كلوح في الأصح) لشبه الأولين المعدّين للمصحف بالجلد والثالث بالمصحف والثاني لا يحرم مسّها لأن الأولين كالوعاء للمصحف والثالث ليس في معناه وحمل الثالث كمسّه مسّ الأوّلين وحملهما ولا مصحف فيهما جائز (والأصح حلّ حمله في أمتعة) تبعًا لها (وفي تفسير ودنانير) كالأحديّة لأنهما

....

المقصودان دونه والثاني يحرم لإخلاله بالتعظيم ولو كان القرآن أكثر من التفسير حرم قطعًا عند بعضهم وصوّبه في الروضة والمسّ في الأخيرين كالحمل (لا قلب ورقه بعود) فإنه لا يحلّ في الأصح لأنه في معنى الحمل لانتقال الورق بفعل القالب من جانب إلى آخر والأصحّ (أن الصبي المحدث لا يمنع) من مسّ المصحف واللوح وحملهما لحاجة تعلمه منهما ومشقة استمراره على الطهارة والثاني على الولي والمعلّم منعه من ذلك (قلت الأصح حلّ قلب ورقه بعود وبه قطع العراقيون والله أعلم) لأنه ليس بحمل ولا في معناه ولو لفّ كمّه على يده وقلب به حرم قطعًا وقيل فيه وجهان. اهـ بحروفه. **وفي فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب** للعلّامة أبي يحيىٰ زكريا الأنصاري الشافعي رحمه الله (وحرم) بها أي بالإحداث أي بكل منها حيث لا عذر صلاة إجماعًا ولخبر الصحيحين لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ وفي معناها خطبة الجمعة وسجدتا التلاوة والشكر (وطواف) لأنه ﷺ توضّأ له وقال: لتأخذوا عني مناسككم. رواه مسلم ولخبر الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحلّ فيه المنطق فمن نطق فلا ينطق إلا بخير رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم (ومسّ مصحف) بتثليث ميمه ومسّ (ورقه). قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي المتطهرون وهو خبر بمعنى النهي والحمل أبلغ من المسّ، نعم إن خاف عليه غرقًا أو حرقًا أو كافرًا أو نحوه جاز حمله بل قد يجب وخرج بالمصحف غيره كتوراة وإنجيل ومنسوخ تلاوة من القرآن فلا يحرم ذلك ومسّ (جلده) المتصلّ به لأنه كالجزء منه فإن انفصل عنه فقضية كلام البيان الحل وبه صرّح الأسنوي لكن نقل الزركشي عن عصارة المختصر للغزالي أنه يحرم أيضًا. وقال ابن العماد أنه الأصح ومسّ (ظرفه) كصندوق (وهو فيه) لشبهة بجلده وعلاقته كظرفه ومسّ (ما كتب عليه قرآن) لدراسته كلوح لشبهه بالمصحف بخلاف ما كتب لغيره ذلك كالتمايم وما على النقد (وحلّ حمله في متاع) تبعًا له بقيد زدته بقولي (إن لم يقصد) أي المصحف بأن قصد المتاع وحده أو لم يقصد شيئًا بخلاف إذا قصد ولو مع المتاع وإن اقتضى كلام الرافعي الحل فيهما إذا قصدهما وتعبيري بمتاع أولى من تعبيره بأمتعته. (وفي تفسير) لأنه المقصود دون القرآن ومحله إذا كان (أكثر) من القرآن فإن كان القرآن

....

أكثر أو تساويا حرم ذلك وحيث لم يحرم يكره. وقولي أكثر من زيادتي وبما تقرر علم أنه يحل حمله في سائر ما كتب هو عليه لا لدراسته كالدنانير الأحدية وحلّ (قلب ورقه بعود) أو نحوه لأنه ليس بحمل ولا في معناه بخلاف ما لو قلبه بيده ولو بلف نحو خرقة عليها (ولا يجب منع صبي مميّز) ولو جنبًا مما ذكر من الحمل والمسّ لحاجة تعلمه ومشقة استمراره متطهّرًا فمحل عدم الوجوب إذا كان للدراسة والتصريح بعدم الوجوب وبالمميز من زيادتي وخرج بالمميز غيره فلا يمكن من ذلك. اهـ بحروفه.

وفي **تحفة المحتاج بشرح المنهاج** للعلّامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي (ويحرم) على غير فاقد الطهورين ونحو السلس (بالحدث الصلاة) إجماعًا ومثلها صلاة الجنازة وسجدة تلاوة أو شكر وخطبة جمعة (والطواف) فرضًا ونفلًا للحديث الصحيح على نزاع في رفعه صحح المصنّف عد الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحلّ فيه المنطق (وحمل المصحف) بتثليث ميمه وخرج به ما نسخت تلاوته وبقية الكتب المنزّلة (ومسّ ورقه) ولو البياض للخبر الصحيح لا يمسّ القرآن إلا طاهر والحمل أبلغ من المسّ (وكذا جلده) المتصل به يحرم مسّه (على الصحيح) لأنه كالجزء منه وحمل ومسّ (خريطة وصندوق) بفتح أوّله وضمّه ومثله كرسي وضع عليه كما هو ظاهر (فيهما مصحف) وقد أعدا له أي وحده كما هو ظاهر لشبههما حينئذٍ بخلاف ما إذا انتفى كونه فيهما أو أعدا وحده له فيحلّ حملهما ومسّهما وحمل ومسّ (ما كتب لدرس قرآن) ولو بعض آية (كلوح في الأصح) لأنه كالمصحف وظاهر قولهم بعض آية إن نحو الحرف كاف وفيه بعد بل ينبغي في ذلك البعض كونه جملة مفيدة (والأصحّ حلّ حمله في) هي بمعنى مع (أمتعة) بل متاع وحمله ومسّه في نحو ثوب كتب عليه (وتفسير) أكثر منه مع الكراهة وحمله ومسّه في (دنانير) عليها سورة الإخلاص أو غيرها لأن القرآن لما لم يقصد هنا لما وضع له من الدراسة والحفظ لم تجر عليه أحكامه وفي بمعنى مع (لا) حلّ (قلب ورقه) أو ورقة منه (بعود) مثلًا من جانب إلى آخر ولو قائمة كما شمله إطلاقه (في الأصح) لانتقاله بفعله فصار كأنه حامله والأصح (أن الصبي) المميّز إذ لا يجوز تمكين غيره منه مطلقًا لأنه قد ينتهكه المحدث حدثًا أصغر أو

....

أكبر (لا يمنع) من مسّه وحمله عند حاجة تعلّمه ودرسه ووسيلتهما كحمله للمكتب والإتيان به للعلم ليعلمه منه فيما يظهر وذلك لمشقة دوام طهره (قلت الأصح حلّ قلب ورقه) مطلقًا (بعود) أو نحوه (وبه قطع العراقيون والله أعلم) لأنه ليس بحمل ولا في معناه انتهت باختصار. وفي شرح أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك للعلّامة الدردير المالكيّ رحمه الله (ومنع الحدث صلاة وطوافًا ومسّ مصحف أو جزئه وكتبه وحمله وإن بغلافه أو ثوب) يعني أن الحَدث وأولى الأكبر يمنع التلبّس بالصلاة والطواف إذ من شرط صحتهما الطهارة فلا ينعقدان بدونها ويمنع أيضًا مسّ المصحف الكامل أو جزء منه وإن آية ولو مسّ ذلك من فوق حائل أو بعود وكذا يحرم على المحدث كتبه فلا يجوز للمحدث أن يكتب القرآن أو آية منه ولا أن يحمله ولو مع أمتعة غير مقصودة بالحمل ولو بعلاقة أو ثوب أو وسادة (إلا المعلم والمتعلم ولو حائضًا لا جنبًا) أي يحرم على المكلّف مسّ المصحف وحمله إلا إذا كان معلمًا أو متعلمًا فيجوز لهما مسّ الجزء واللوح والمصحف الكامل وإن كان كل منهما حائضًا أو نفساء لعدم قدرتهما على إزالة المانع بخلاف الجنب لقدرته على إزالته بالغسل أو التيمم والمتعلم يشمل من ثقل عليه القراءة فصار يكرره في المصحف (وإلا حرزًا بساتر وإن لجنب كبأمتعة قصدت) هذا معطوف على الاستثناء قبله أي إلا المعلم وإلا إذا كان القرآن حرزًا بساتر يقيه من وصول قذارة إليه فإنه يجوز حمله خوفًا من ارتياع أو مرض أو رمد ولو للجنب وأولى الحائض وظاهره ولو مصحفًا كاملًا وهو كذلك على أحد القولين، ومثل ذلك حمله بأمتعة قصدت بالحمل كصندوق ونحوه فيه مصحف أو جزء وقصد حمله في سفر أو غيره فإن قصد المصحف فقط أو قصدا معًا منع إذا كان قصد المصحف ذاتيًا لا بالتبع للأمتعة وإلا جاز كما هو ظاهر، وكذا حمل التفسير ومسّه لا يحرم لأنه لا يُسمى مصحفًا عرفًا، فقوله: كبأمتعة تشبيه في الجواز المستفاد من الاستثناء ويجوز حمل الأمتعة المقصود حملها ولو لكافر. انتهى بحروفه.

وفي شرح العمدة الفاضل حاوي الفضائل والفواضل الشيخ إبراهيم الشبراخيتي على مختصر الشيخ خليل المالكي. ومنع حدث مسّ (مصحف) ولجلده حكمه وأحرى طرف المكتوب وما بين الأسطر بيد أو غيرها ولو لفّ

....

خرقة على عضوه لقوله عليه الصلاة والسلام في كتابه لعمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلّا طاهر. وخرج النظر إذا قلب أوراقه طاهر وغير القرآن من الكتب ودفاتر العلم وإن كان فيها الآيات يجوز مسّها، نصّ عليه مسّ في مختصر الواضحة وبطهارة أفضل وشمل المصحف الكامل والجزء والورقة فيها بعض سورة ومثله اللوح والكتف وكتبه كمسّه إلا الآية في الكتاب والبسملة وشيء من القرآن والمواعظ في الصحيفة وما يعلق على الصبي والحائض والحامل إذا حذر عليه أو في شمع لا دون ساتر وخوف غرقه أو حرقه أو يد كافر يبيح مسّه وكما يمنع المسّ يمنع ما في حكمه (وإن بقضيب) يفهم من حرمة مسّه من فوق حائل ولاصق له ولو كثيفًا ومنع (حمله وإن بعلاقة) يجعلها في يده مثلًا أو (وسادة) مثلثة الواو وهي متّكاه (إلا) أن يحمل (بأمتعة) أي معها في صندوق أو خرج (قصدت) بالحمل وحدها دونه لا هو ولا هما. نصّ عليه صاحب الإرشاد (ولو) حملت (على كافر) لأن المقصود حمل ما فيه المصحف لا المصحف لقوله: ولا يحمل المصحف نصرانيّ ولا غير متوضىء إلا أن يكون في خرج أو مدادة وأما على وسادة أو بعلاقة فلا (لا) يمنع الحدث مسّ (درهم) أو دينار فيه شيء من القرآن لإجازة سلف الأمة البيع والشراء بهما فهو عطف على قوله: مصحف (وتفسير) غير ذات كتب الاسم أي التي يكتب فيها الآيات خالصة من خلطها وذات كتبها ولو كتفسير ابن عطية فكتب بفتح الكاف وإسكان التاء وسواء قصد الآي أم لا خلافًا لابن عرفة (ولوح لمعلم) هو مَن يريد إصلاح اللوح سواء كان جالسًا للتعليم أم لا. (ومتعلّم) صبي أو رجل ومفهومه أن غير المعلم والمتعلّم ليس له مسّ اللوح (وأن) امرأة (حائضًا وجزء) لا مفهوم له إذ حكى ابن بشير الاتفاق على جواز مسّ المتعلّم المصحف الكامل قال في توضيحه ظاهره ولو كان بالغًا (لمتعلم) لا مفهوم له أيضًا كما يفيده كلام ابن مرزوق على ما رواه ابن القاسم عن مالك وإن كان ابن حبيب كرهه وإذا ثبت ما ذكره ابن بشير من الاتفاق على جواز مسّ الكامل دلّ ذلك على اعتماده (وإن بلغ) لاضطراره لمسّه (وحرز) فيه قرآن وذكر الله تعالى وأسماؤه وذكره (بساتر) لصحيح أو مريض (وإن الحائض) ونفساء وجنب. انتهى باختصار.

....

وفي كشف المخدّرات والرياض المزهرات شرح أخصر المختصرات في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما (وحرم على محدث) حدث أصغر أو أكبر مسّ (مصحف) أو بعضه ولو من صغير حتى جلده وحواشيه وغيرها بلا حائل لا حمله بعلاقته. انتهى بحروفه. وفي شرح معونة أولي النهى في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما (ويحرم بحدث) أكبر أو أصغر مع قدرة على طهارة (صلاة) لحديث ابن عمر مرفوعًا لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول. رواه الجماعة إلا البخاري وسواء الفرض والنفل وسجود التلاوة والشكر وصلاة الجنازة ولا يكفر مَن صلّى محدثًا ويحرم أيضًا به (طواف) فرضًا كان أو نفلًا لقوله عليه السلام: الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام. رواه الشافعي ويحرم به أيضًا مسّ مصحف وبعضه) ولو منَ صغير لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. ولحديث عبد الله بن عمرو بن حزم عن جده أن النبيّ ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا وفيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. رواه الأثرم والنسائيّ والدارقطني متصلًا. واحتجّ به أحمد ورواه مالك مرسلًا (حتى جلده) أي المصحف (وحواشيه) وما فيه من ورق أبيض لأنه يشمله اسم المصحف ويدخل في بيعه (بيد وغيرها) كصدره إذ كل شيء لاقى شيئًا فقد مسّه (بلا حائل) فإن كان بحائل لم يحرم لأن المسّ إذن للحائل ولا يحرم على محدث (حمله بعلاقة وفي كيس وكم) من غير مسّ كحمله في رحله لأن النهي ورد في المسّ والحمل ليس بمسّ ولا يحرم على محدث (تصفّحه) أي المصحف (به) أي بكمّه (أو بعود) لما تقدّم (ولا) يحرم على محدث أيضًا (مسّ تفسير) ونحوه لكتب فقه ورسائل فيها آيات من قرآن لأنه لا يُسمى مصحفًا ولا يُحرم عليه أيضًا مسّ (منسوخ تلاوته) ومأثور عن الله كالتوراة والإنجيل ولا حمل رقى وتعاويذ فيها قرآن ولا مسّ ثوب رقم بقرآن أو فضة نقشت به، (ولا) على ولي (صغير) تمكينه من أن يمسّ (لوحًا فيه قرآن) من محل خالٍ من الكتابة دون المكتوب وإن رفع الحدث عن عضو لم يجز مسّ المصحف به قبل كمال الطهارة (ويحرم مسّ مصحف بعضو متنجس) قياسًا على مسّه مع الحدث انتهى بحروفه.

....

وفي **هداية الراغب يشرح عمدة الطالب** في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه (ويحرم بحدث مسّ مصحف وبعضه) بيد وغيرها حتى جلده المتّصل به وحواشيه لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي لا يمسّ القرآن وهو خبر بمعنى النهي. ورد بأن المراد اللوح المحفوظ والمطهرون الملائكة لأن المطهر من طهره غيره ولو أريد بنو آدم لقيل المتطهّرون. والجواب أن بني آدم على قياسهم بدليل حديث ابن عمر أن النبيّ ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا وكان فيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. قال الأثرم: احتجّ به أحمد ورواه مالك مرسلًا لكن إنما يحرم المسّ إذا كان (بلا حائل) لأن النهي إنما ورد عن مسّه ومع الحائل إنما يكون المسّ له دون المصحف (وله) أي للمحدث (حمله) أي المصحف (بلا مسّ) كحمله بعلاقة وفي كيس وكم للمحدث (تصفّحه) أي تقليب أوراقه (بكمّه وبنحو عود) ولا فرق في ذلك بين الصغير والكبير، لكن لصغير مسّ لوح فيه قرآن ولا يجوز لوليه تمكينه من مسّ المحل المكتوب فيه، ويجوز لمحدث مسّ تفسير ولو قل، ورسائل فيها قرآن منسوخ تلاوته فإن رفع الحدث عن بعض أعضاء الوضوء لم يجز مسّ المصحف به قبل كمال الطهارة. ولو قلنا: يرتفع الحدث عنه ففيه وجهان: قال في الإنصاف الذي يظهر أن ذلك مراعى فإن أكمله وارتفع وإلا فلا. انتهت بحروفها.

وفي **كشف القناع عن الإقناع** في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهما (ويحرم عليه) أي المحدث (مسّ المصحف وبعضه) لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ أي لا يمسّ القرآن، وهو خبر بمعنى النهي ورد بأن المراد اللوح المحفوظ والمطهرون الملائكة لأن المطهر من طهره غيره، ولو أريد بنو آدم لقيل: المتطهرون. وجوابه أن المراد هم بنو آدم قياسًا عليهم بدليل ما روى عبد الله بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا وكان فيه: لا يمسّ القرآن إلا طاهر. رواه الأثرم والنسائي والدارقطني متصلًا. قال الأثرم، واحتجّ به أحمد ورواه مالك مرسلًا من غير حائل لأن النهي إنما ورد عن مسّه ومع الحائل إنما يكون المسّ له دون المصحف (ولو) كان المسّ بغير يده لعموم ما سبق ولا يختص المسّ باليد بل كل شيء لاقى شيئًا

....

فقد مسّه (حتى جلده) أي المصحف (وحواشيه) والورق الأبيض المتصل به لأنه داخل في مسماه بدليل شمول البيع له ولو كان الماسّ للمصحف صغيرًا فلا يجوز لوليه تمكينه منه إلا بطهارة كاملة كالمكلّف ولو كانت الطهارة تيممًا مطلقًا. وقال الموفق: إن احتاجه فإن عدم الماء لتكميل الوضوء تيمم للباقي ثم مسّه (سوى مسّ صغير لوحًا فيه قرآن) فلا يحرم مسّه للوح في المحل الحالي من الكتابة (ولا) يجوز تمكين الصغير من مسّ المحل (المكتوب فيه) القرآن من اللوح بلا طهارة لعدم الحاجة لاستغنائه عنه بمسّ الخالي (وما حرم) مما تقدم (بلا وضوء حرم بلا غسل) بطريق الأولى لا العكس فإن قراءة القرآن تحرم بلا غسل فقط، (وللمحدث حمله) أي المصحف (بعلاقته وفي غلافه) أي كيسه (وفي خرج فيه متاع وفي كمه) من غير مسّ له لأن النهي ورد عن المسّ والحمل ليس بمسّ (وله تصفحه) أي تصفّح المصحف (بكمه أو بعوده ونحوه) كخرقة وخشبة لأنه غير ماسّ له (وله مسّه) أي المصحف (من وراء حائل) لما تقدم (كحمل رقى وتعاويذ فيها قرآن) قال في الفروع: وفاقًا وهل يجوز مسّ ثوب رقم بالقرآن أو فضّة نقشت به قال في الإنصاف: فيه وجهان أو روايتان، ثم قال الزركشيّ: ظاهر كلامه الجواز. قاله في النظم عن الدرهم المنقوش هذا المنصور (وله) مسّ (تفسير ورسائل فيها قرآن) وكذا كتب حديث وفقه ونحوها فيها قرآن لأن اسم المصحف لا يتناولها فظاهره قل التفسير أو كثر (وله) مسّ (منسوخ لتلاوته) وإن بقي حكمه كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما (وله) مسّ (المأثور عن الله تعالى) كالأحاديث القدسية (وله) مسّ (التوراة والإنجيل) والزبور وصحف إبراهيم وموسى وشيث إن وجدت لأنها ليست قرآنًا (فإن رفع الحدث عن عضو من أعضاء الوضوء لم يجز مسّ المصحف به قبل كمال الطهارة) لأنه لا يُسمى متطهرًا قبل كمالها (ولو قلنا برفع الحدث عنه) أي عن العضو المغسول قبل كمال الطهارة وفيه وجهان. قال في الإنصاف: الذي يظهر أن يكون ذلك مراعى فإن أكمله ارتفع وإلّا فلا (يحرم مسّه) أي المصحف (بعضو متنجّس) لأنها أولى من الحدث. اهـ بحروفه. وأيضًا فيه (ويجوز كتابة المحدث من غير مسّ ولو لذميّ) لأن النهي كما تقدم ورد عن مسّه وهي ليست مسًّا. اهـ.

....

وفي الضياء المعنوي على مقدمة الغزنوي في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه ولا يجوز لمحدث وجنب وحائض ونفساء مسّ المصحف إلا بغلافه لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾، وهذا وإن قيل في تأويله لا ينزله إلا السفرة الكرام البررة فظاهره يفيد منع غير الطاهر من مسّه. كذا في المبسوطين، والفرق في المحدث بين اللمس والقراءة أن الحدث يحلّ اليد دون الفم ولهذا لا يفترض غسلها في الحدث غير الجنابة. وأما في الجنابة فيفترض غسل اليد والفم فافترقا. فإن قلت: فلو تمضمض الجنب فقد ارتفع حدث الفم فينبغي أن يجوز له القراءة فهل هو كذلك. قيل: قد ذكر بعضهم جواز القراءة والصحيح أنه لا يجوز كذا في الإيضاح لأنه بذلك لا ترتفع جنابته. وكذا إذا غسل المحدث يديه هل يجوز له المسّ، الصحيح أنه لا يجوز لما قلنا وإذا لم يجز للمحدث المسّ فكذا لا يجوز له وضع أصابعه على بياض الورق المكتوب عند التقليب لأنه تبع له. وكذا لا يجوز له مسّ شيء من القرآن مكتوب في غير المصحف من لوح أو درهم أو حائط إذا كان آية تامة، وكذا إذابة الدراهم إلا إذا كسرها فلا بأس به حينئذٍ ويجوز مسّ غير الكتابة بخلاف المصحف فإن الكل فيه تبع للقرآن. وكذا كتب التفسير لا يجوز مسّها وكتب الفقه إذا كان فيها شيء من القرآن لا يجوز له مسّ موضع القرآن وله أن يمسّ غيره كذا في الإيضاح. وفي الهداية يكره مسّ كتب الشريعة ويرخص في مسّها بالكم. وفي الحواشي المستحب أن لا يأخذها بالكم أيضًا بل يجدد الوضوء كلما أحدث وهذا أقرب إلى التعظيم. قال الحلواني إنما نلت هذا العلم بالتعظيم فإني ما أخذت الكاغذ إلا بطهارة والإمام السرخسي كان مبطونًا بليلة وكان يكرّر درس كتابه فتوضأ في تلك الليلة سبعة عشرة مرة (وفي النهاية قال المحجوبي:) لا يستحب مسّ كتب الفقه لا تخلو من آيات القرآن ولا بأس أن يمسّها بالكم بالاتفاق لعموم البلوى. وقوله إلا بغلافه قال في الهداية: غلافه ما يكون متجافيًا عنه أي متباعدًا بأن يكون شيئًا ثالثًا بين المساس والممسوس كالخريطة والجراب دون ما هو متصل به كالجلد المشرز هو الصحيح. وعند الإسبيجابي الغلاف هو الجلد المتصل به والصحيح هو الأول وعليه الفتوى لأن الجلد تبع للابس ولهذا لا يجوز للمصلي أن يفترش كمه على

....

موضع النجاسة ويسجد عليه. قال أبو يوسف: لا يترك الكافر لمسّ المصحف وإن اغتسل، وقال محمد: إن اغتسل فلا بأس لأن المانع الحدث فإذا اغتسل زال حدثه. **مسألة:** لا يكره للجنب والحائض النظر إلى المصحف لأن الجنابة لا تحل العين ألا ترى أنه لا يفترض إيصال الماء إليها كما في النهاية ولا بأس بدفع المصحف إلى الصبيان وإن كانوا محدثين لما في منعهم من تضييع حفظ القرآن وفي الأمر بالتطهير حرج عليهم هذا هو الصحيح. فإن قيل: نحن نعلم أن الصبيان غير مخاطبين بالشرائع والتكليفات فما الحاجة إلى ذكرها؟ قيل: إنما ذكره لشبهة ترد وهي وإن لم يكونوا مخاطبين لكن الدافع إليهم مخاطبًا إذا كان بالغًا فيجب أن لا يدفع المصحف إليهم كما أنه ليس له أن يلبس الصبي الحرير أو يسقيه الخمر أو يوجهه إلى القبلة حال البول والغائط فربما يظن ظان أن دفع المصحف إليه لا يجوز قياسًا على هذه الأشياء فأزال الظن ولأن في دفع المصحف للصبي تحريضًا له على حفظ القرآن وذلك ديني بخلاف هذه الأشياء وكذا الألواح لا بأس بأن يمسّها الصبيان لأنهم لا يخاطبون بالطهارة وإن أمروا بها للصلاة تخلّقًا لأن في مسّ الألواح للتعليم ضرورة ظاهرة انتهى بحروفه. وفي شرح منية المصلي للعلّامة محمد بن محمد بن محمد الشهير المشتهر بابن أمير الحاج الحلبي الحنفي المسمى بحلية المُحَلِّي وبغية المهتدي في شرح منية المصلي وغنية المبتدي في مذهب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه. ولا يجوز لهم أي للجنب والحائض والنفساء، مسّ المصحف إلا بغلافه ولا أخذ درهم فيه سورة من القرآن إلا بصرته وكذا لو كان عليه شيء من القرآن غير سورة لأن حرمة مسّ المصحف لما كتب فيه يَسْتوي في ذلك المصحف وغيره كالدراهم مما كتب فيه شيء من القرآن، وإنما قال سورة لأنهم كانوا كتبوا على الدراهم سورة الإخلاص وسمّوها الإخلاص الإخلاصية فكرهها الفقهاء ولم يزالوا يأمروهم حتى ترك كيلا يبتَذَل القرآن ذكره شمس الأئمة الحلواني. قلت: ومن ثمة قال الإمام رضي الدين في المحيط ويكره كتابة سورة الإخلاص على الدراهم حين ضربها حتى لا يمسّهن مَن ليس بأهل لذلك وحتى لا تنكسر فتتناثر وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسر السكة أي الدراهم المضروبة الصحاح لما عليها من القرآن وأسماء الله تعالى فتتناثر عند الكسر. انتهى.

....

ثم هذا يفيد أن لا فرق بين أن تكون الكتابة بالمداد ونحوه أو بغير ذلك، وهو حسن. وكذا للمحدث مسّ المصحف. أي وكذا لا يجوز للمحدث مسّ المصحف إلا بغلافه ولا أخذ درهم عليه شيء من القرآن إلا بصرته والأصل في الجميع قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وما في صحيحي ابن حبان والحاكم وغيرهما عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن وفيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر ويؤيّده ما عن عبد الرحمٰن بن يزيد عن سَلمان أنه قضى حاجته فخرج ثم جاء فقلت: لو توضأت لعلنا نسألك عن آيات، فقال: إني لست أَمَسَّهُ لا يمسّه إلا المطهرون، فقرأ علينا ما شئنا أخرجه الدارقطني وصححه ثم المصحف مثلث الميم والضم فيه أشهر علم على جملة الكلام اللفظي الثابت بالوحي على نبينا محمد ﷺ المتلو الدال على كلام الله تعالى النفسي القائم بذاته وإنما سُمِيَ به لأنه أُصْحِفَ أي جمع فيه الصحائف. وروى ابن وهب في الجامع أن أوّل مَن سمى المصحف مصحفًا عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود. هذا إذا كان الغلاف غير مشرز فإن كان مشرزًا لا يجوز. في المغرب مصحف مشرز أجزاؤه مشدود بعضها إلى بعض من الشيرازة. وليست بعربية أي جواز مسّ هؤلاء للمصحف بغلافه مشروط بما إذا كان الغلاف الحائل بين الماسّ وبين المصحف جلدًا كان أو غيره غير متصل بالمصحف بخياطة أو غير حائل كان شيئًا منفصلًا عن المصحف جلدًا كان أو غيره فلو كان متصلًا به قال قاضيخان اختلفوا فيه والصحيح أنه لا يحل أخذه لأنه صار شيئًا واحدًا انتهى. ويشترط في الغلاف الذي لا يكره مسّ المصحف به شيء آخر أيضًا على الصحيح عند غير واحد من مشائخ المذهب منهم صاحب الهداية وصاحب التحفة وصاحب البدائع وهو أن لا يكون الحائل تابعًا للماس كالكم من الثوب حال كونه لابسَه وهذه عبارة البدائع ثم ذكر الغلاف ولم يذكر تفسيره، واختلف المشائخ في تفسيره. قال بعضهم هو الجلد المتصل بالمصحف، وقال بعضهم هو الكم والصحيح أنه الغلاف المنفصل عن المصحف وهو الذي يجعل فيه المصحف وقد يكون هو الجلد وقد يكون من الثوب وهو الخريطة لأن المتصل به تبع له فكان مسّه مسًّا للقرآن ولهذا لو بيع المصحف دخل

....

في بيع المصحف بلا شرط وعلى هذا فقول المصنّف: والخريطة أحق من الغلاف في أن لا يكره، غير ظاهر فإن الخريطة هي الغلاف بعينه على ما هو التفسير الصحيح له كما ذكره في البدايع ويوافقه ما في القاموس الخريطة وعاء من أدَم وغيره يُشَرَّحُ على ما فيه لكن هذا الذي ذكره المصنّف هو لفظ قاضي خان في شرح الجامع الصغير عقب ما قدمناه عنه آنفًا فلعله تفريع على تفسير الغلاف بالجلد المشرز بالمصحف المستفاد في المعنى من جملة سياقه. وقد نقل الزاهدي عن المحيط أنه أصح القولين ولكن قد كان الأولى بالمصنّف عدم ذكره لعدم ذكره لما يقع تفريعًا عليه فتنبّه لذلك، فإن أخذ بكمّه لا بأس به عند محمد. كذا ذكره قاضيخان في شرح الجامع الصغير وعزاه رضي الدين في المحيط إلى النوادر فقال: وذكر في النوادر أنه لا بأس به لأن المُحَرَّم هو المسّ وأنه اسم للمباشرة باليد من غير حائل ألا ترى أن المرأة إذا وقعت في ردغة حلّ للأجنبيّ أن يأخذ يدها بحائل ثوب وكذا حرمة المصاهرة لا تثبت بالمسّ بحائل. وفي شرح الزاهدي على أنه عامة مشايخنا قالوا: لا بأس بمسّ الحائض المصحف بكمها أو ذيلها، ونقل في النهاية مثله عن المحيط وعن الجامع الصَّغير للتمرتاشي وعن محمد روايتان. وكرهه بعض مشايخنا لأن الثوب تبع له ما دام ملبوسًا ذكره قاضيخان أيضًا في شرح الجامع الصغير، ثم قال: ولهذا لو فرش كمّه على موضع النجاسة وسجد للصلاة لا يجوز وكذا لو قام متخففًا أو متنعلًا على موضع النجاسة وسجد للصلاة لا يجوز انتهى. وعزاها في الخلاصة إلى عامة مشائخنا وقد أوجدناك تصحيحه في المعنى عن صاحب الهداية وغيره من قريب ثم هنا تنبيهان أحدهما: قال بعض مشائخنا إنما يكره له مسّ موضع الكتاب دون الحواشي لأنه لم يمسّ القرآن حقيقة وفي البدائع والصحيح أنه يكره مسّ كله لأن الحواشي تابعة للمكتوب وفي محيط رضي الدين وهذا أقرب إلى التعظيم، والأول أقرب إلى القياس. ثانيهما: لا فرق بين أن يكون المسّ باليد أو غيرها من البدن حتى أنه يكره للجنب والمحدث أن يمسكا بفيهما ما عليه آية من القرآن لأنه يكون مسًّا له. وفي شرح الزاهدي: واختلفوا في مسّ المصحف بما عدا أعضاء الطهارة وبما غسل من الأعضاء قبل إكمال الطهارة والمنع أصح.

....

فرع: قالوا: لا بأس بأن يحمل خرجًا فيه مصحف، وقال بعضهم: يكره، وقال آخر: يكره أخذ زمام الإبل التي عليها المصحف. قال المحبوبي: ولكن ما قالوه بعيد وهو كما قال وفي محيط رضي الدين لو كان المصحف في صندوق فلا بأس للجنب أن يحمله انتهى. ووجهه ظاهر. وعند الشافعي إذا كان في أمتعة وقصد حمله لم يجز قطعًا وإن قصد حمل الأمتعة التي هو فيها فالأصح الحل وأما حمل الصندوق وفيه المصحف. فنقل النووي اتفاقهم على تحريمه والوجه له غير ظاهر. وذكر فيه أيضًا ولا بأس بدفع المصحف واللوح إلى الصبيان، أي وذكر في الجامع الصغير لقاضي خان وهو مصرّح به في نسخة إلا أنه كان الأولى بالمصنّف أن يقول واللوح الذي عليه شيء من القرآن كما هو مذكور فيه وفي غيره ومن مشائخنا من كره ذلك قال فخر الإسلام وعامة مشائخنا على أنه لا بأس به لأن في ذلك ضررًا فوقه لأن التعليم من غير كتابة متعذّر، وفي التأخير تضييع حفظ القرآن وفي تكليف الطهارة حرج انتهى. مع أنهم غير مخاطبين بالطهارة وإن أمروا بها تخلقًا واعتيادًا فلا جرم أن نص قاضي خان على أنه الأصح وصاحب الهداية وصاحبِ المحيط على أنه الصحيح ثم اللوح في اللغة كل صحيفة عريضة خشبًا أو عظمًا ذكره في القاموس والصبي الغلام من لدن يولد إلى أن يفطم. والظاهر أن المراد به هنا مَن لم يبلغ من المميزين كما يشير إليه وجه المسألة. والأحوط أن يأخذ بكمّه ثم يدفعه. ليس هذا مما ذكره القاضي في شرح الجامع الصغير، ثم لا يخفى أن الأحوط أن يأخذ بشيء منفصل عن الآخذ وعنه لا بكمه. قال المحبوبي: ولا يقال البالغ مخاطب بأن لا يناوله المصحف مع العلم بحاله كما يخاطب بأن لا يسقيه الخمر وأن لا يلبس الذكور من الصبيان الحرير. وهذا لأن حكم مسّ المصحف مع الحدث أخفّ من حكم شرب الخمر ولبس الحرير مع التعلّق بالأمر الديني وهو حفظ القرآن.

فرع: قال أبو يوسف: لا يترك الكافر أن يمسّ المصحف لأن الكافر نجس فيجب تنزيه المصحف عن مسّه. قال في الإيضاح: وإن اغتسل. وقال محمد لا بأس به إذا اغتسل لأن المانع هو الحدث. وقد زال بالغسل وإنما بقي نجاسة اعتقاده وذلك في قلبه لا في يده. ويكره مسّ تفسير القرآن وكتب الفقه. وفي شرح

....

الجامع الصغير لفخر الإسلام والسنن وما هو من كتب الشريعة للجنب والمحدث والنفساء والحائض لأنها لا تخلو عن آيات. قال شيخنا رحمه الله تعالى: وهذا التعليل يمنع مسّ شروح النحو أيضًا انتهى. يعني لأنها لا تخلو أيضًا من ذلك. وإن أخذه بكمّه لا بأس به لتكرر الحاجة إلى أخذه. كذا ذكروه في شرح الجامع الصغير لفخر الإسلام ومحيط رضي الدين بلا خلاف. اهـ بحروفه.

وفي شرح منية المصلّي الكبير للشيخ الإمام العالم العلامة إبراهيم الحلبي الحنفي رحمه الله (ولا يجوز لهم) أي للجنب والحائض والنفساء (مسّ المصحف إلّا بغلافه) وكذا أكل ما فيه آية تامة من لوح أو درهم أو نحو ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وهذا لأنه وإن قيل: إن المراد لا يمسّ اللوح المحفوظ إلا الملائكة لكن ظاهره منع غير الطاهرين من مسّ القرآن لأنه سبق لمدح القرآن بأنه معظم مصان عن غير المطهرين فيفهم منه وجوب تعظيمه وصيانته عن مسّ مَن ليس بمطهر وهذا على تقدير عود الضمير إلى الكتاب كما هو الظاهر، أما على تقدير عوده إلى القرآن فلا إشكال ويكون خبرًا أريد به النهي ولا يصح أن يكون نهيًا لأن الجملة وقعت صفة والجملة الواقعة صفة لا تكون طلبية وفي الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر، رواه أبو داود والترمذي عن عمار بن ياسر (ولا) يجوز لهم (أخذ درهم فيه سورة من القرآن) هذا بناء على عادتهم فإنهم كانوا يكتبون على دراهمهم سورة الإخلاص وإلّا فالحكم كذلك إن كان عليه آية تامة فلا يتناوله (إلّا بصرته وكذلك) لا يجوز مسّ المصحف إلا بغلافه والدرهم إلا بصرته (للمحدث) أيضًا لما تقدم من الدليل لا غير طاهر (هذا) يعني جواز الأخذ بالغلاف (إذا كان الغلاف غير مشرز) أي غير محبوك مشدود بعضه إلى بعض مشتقّ من الشيرازة وهي أعجمية (وإن كان) الغلاف (مشرزًا لا يجوز) الأخذ به ولا مسّه. قال في الهداية: هو الصحيح يعني أن الغلاف ما يكون متجافيًا لا ما يكون متصلًا به لأنه صار تبعًا للمصحف وفي المحيط والغلاف هو الجلد الذي عليه في أصح القولين فقد تعارض التصحيح والذي أخذناه عن المشائخ أنه إذا تعارض إمامان معتبران في التصحيح فقال أحدهما: الصحيح كذا وقال الآخر:

....

الأصح كذا فالأخذ بقول مَن قال: الصحيح أولى من الأخذ بقول من قال: الأصح لأن الصحيح مقابله الفاسد والأصح مقابله الصحيح فقد وافق مَن قال: الأصح قابل الصحيح على أنه صحيح وأما مَن قال الصحيح فعنده ذلك الحكم الآخر فاسد والأخذ بما اتفقا على أنه صحيح أولى من الأخذ بما هو عند أحدهما فاسد فعلى هذا الأخذ بقول صاحب الهداية وهو ما ذكره المصنف من أن الغلاف الذي يجوز مسّه والأخذ به من الجلد المنفصل غير المشرز أولى من الأخذ بقول صاحب المحيط أنه هو المشرز لأنه أحوط (والخريطة أحق من الغلاف في أنه لا يكره) أخذ المصحف بها لوجود حائلين (فإن أخذ) المصحف (بكمّه فلا بأس) به أي بالأخذ (عند محمد) في رواية لوجود الحائل. وفي المحيط قال بعض مشائخنا: يكره للحائض مسّ المصحف بالكم وعامتهم على أنه لا يكره انتهى.

وهذا يناسب ما اختاره من الجواز مع الحائل وإن كان متصلًا كما في الجلد المشرز (وكرهه بعض مشائخنا). قال صاحب الهداية: ويكره مسّه بالكم وهو الصحيح وهو يناسب ما اختاره من عدم الجواز مع الحائل المتصل كالجلد المشرز (لأن الثوب تبع له) وكذا لو بسط كمّه على نجاسته وسجد عليه لا يجوز. ولو حلف لا يجلس على الأرض فجلس على ثيابه وهو لابسها يحنث ولكن يظهر بين الجلد المشرز وبين المسّ بالكم فرق وهو أن المنهي عنه المسّ والأخذ بالكم لا يُسمى مسًّا عرفًا ولا لغة بخلاف الأخذ بالجلد المشرز فإنه يُسمى مسًّا للقرآن لشدة اتصاله به وبخلاف الجلوس على الأرض فإن العرف يُسمي مَن جلس على ثيابه من غير حصير ونحوه جالسًا على الأرض. (وذكر في الجامع الصغير لا بأس بدفع المصحف واللوح إلى الصبيان) لأنهم لا يخاطبون بالطهارة وإن أُمروا بها تخلقًا واعتيادًا، قال في الهداية لأنه في المنع تضييع حفظ القرآن وفي الأمر بتطهير حرج بهم هذا هو الصحيح انتهى. واحترز بالصحيح عما ذكر فخر الإسلام في الجامع الصغير من مشائخنا من كره تعليم الصبي بأن يدفع إليه مصحف أو لوح عليه كلام الله تعالى. وقول المصنف (والأحوط أن يأخذ بكمّه ويدفعه) لا تعلّق له بما قبله لأن كلام الجامع الصغير في المدفوع إليه وهو الصبيّ أنه لا يكره دفع المبلغ

....

المصحف أو اللوح إليه لا في مسّ الدافع[١] وعدمه فإن المسّ بالكم قد تقدم حكمه سواء كان لأجل الدفع إلى الصبيّ أو لغيره **ويكره** أيضًا للمحدث ونحوه (مسّ تفسير القرآن وكتب الفقه) وكذا كتب السنن لأنها لا تخلو عن آيات، وهذا التعليل يمنع مسّ شروح النحو أيضًا. وفي الخلاصة وكذا كتب الأحاديث والفقه عندهما والأصح أنه لا يكره عند أبي حنيفة انتهى. ووجه قول أبي حنيفة أنه لا يُسمى ماسًّا للقرآن لأن ما فيها منه بمنزلة التابع فكان كما لو توسد خرجًا فيه مصحف أو ركب فوقه في السفر (وإن أخذه) أي التفسير وكتب الفقه (بكمّه لا بأس به) لأن فيه ضرورة (لتكرّر الحاجة إلى أخذه) زيادة إلى الحاجة إلى أخذ المصحف لأن القرآن يقرأ حفظًا في الغالب بخلاف التفسير والفقه، وهذا الفرق إنما يحتاج إليه على قول مَن كره مسّ القرآن بالكم. اهـ بحروفه.

وعبارة المحيط البرهانيّ في مذهب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه في بيان الأحكام التي تتعلّق بالحيض ومنها أن لا يمسّ المصحف ولا الدرهم المكتوب عليه آية تامة من القرآن ولا اللوح المكتوب عليه آية تامة من القرآن لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه كتب إلى بعض القبائل لا يمسّ القرآن حائض ولا جنب وهذه يكره لها مسّ المصحف بكمّها أو ذيلها. قال بعض مشائخنا: يكره لأن الكمّ والذيل تبع لها ألا ترى لو حلف لا يجلس على الأرض فجلس عليها وبينهما ثوبه يحنث في يمينه وجعل ثوبه تبعًا لها حتى لم يعتبر حائلًا وعامّتهم على أنه لا يكره لأن المحرم هو المسّ وإنه اسم للمباشرة باليدين من غير حائل. ألا ترى أن المرأة إذا وقعت في ردعة حلّ للأجنبيّ أن يأخذ بيدها بحائل ثوب وكذا حرمة المصاهرة لا يثبت بالمسّ بحائل بخلاف مسألة اليمين لأن مبنى الأيمان على العرف والجالس على الأرض بثوبه يعد جالسًا على الأرض عرفًا وعادة ولا بأس لها أن تمسّ المصحف بغلاف والغلاف هو الجلد الذي عليه في أصح القولين،

---

(١) قال الشارح ﷺ في شرحه الصغير بعد هذه العبارة وهو يوهم جواز مس الدافع بلا طهارة لأجل الدفع إلى الصبي ولم يقل به أحد. انتهى بحروفه. منه ١٢ ﷺ تعالى.

....

وقيل: هو المنفصل كالخريطة ونحوها لأن المتصل بالمصحف من المصحف، ألا ترى أنه يدخل في بيع المصحف من غير ذكر وهو نظير الاختلاف في المسّ بالكم. ولا بأس لها بكتابة القرآن عند أبي يوسف إذا كانت الصحيفة على الأرض لأنها لا تحمل المصحف والكتابة تقع حرفًا حرفًا وليس الحرف الواحد بقرآن. وقال محمد: أحب إليّ أن لا يكتب لأنه في حكم الماسّ الحروف وهي بكليتها قرآن انتهت بحروفها.

وفي الشمني في مذهب الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه: (ولا يمسّ هؤلاء) أي الحائض والنفساء والجنب والمحدث (مصحفًا) لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. ولما روى الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد عن حكيم بن حزام، قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: لا تمسّ القرآن إلّا وأنت طاهر. وفي المحيط ولو غسل الجنب فمه ليقرأ أو غسل المحدث يديه لم يطلق لهما ذلك لأن الجنابة والحدث لا يتجزيان وجودًا وزوالًا إلا بغلاف (متجاف) أي منفصل نحو الخريطة لأن المنفصل عنه لا يكون تبعًا له. وفي البخاري عن أبي واثلة أنه كان يرسل خادمه[1] وهي حائض إلى أبي رزين لتأتيه بالمصحف فتمسكه بعلاقته (وكره) المسّ (بالكم) أو بشيء من الثوب الذي على الماس لأنه تبع له فلا يصير حائلًا بينه وبين المصحف. ولهذا لو حلف لا يجلس على الأرض فلبس ثوبًا وجلس على ذيله على الأرض يحنث. وفي النوادر أنه لا بأس به لأن المحرم المسّ وهو اسم للمباشرة من غير حائل وكره لهم أيضًا مسّ التفسير، وكتب الفقه والسنن لأنها لا تخلو عن آيات ولا بأس بمسّها بالكم بلا خلاف. وكره بعضهم دفع المصحف واللوح الذي عليه القرآن مكتوب إلى الصبي. والصحيح أنه لا بأس به لأن في تكليفهم الطهارة حرجًا. وفي فتاوى أهل سمرقند يكره لهم أن يكتبوا كتابًا فيه آية لأن الكتابة بالقلم وهو في اليد. وذكر أبو الليث أنهم لا يكتبون وإن كانت الصحيفة على الأرض والمكتوب دون آية. وذكر

---

(١) في المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلامًا كان أو جارية والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدام. اهـ. ١٢ منه رحمه الله.

....

القدوري أنه لا بأس بالكتابة إذا كان الصحيفة على الأرض وقيل: هو قول أبي يوسف. اهـ بحروفه.

وفي **كتاب مراقي الفلاح بشرح نور الإيضاح** في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه ويحرم (مسّها) أي الآية لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ سواء كتب على قرطاس أو درهم حائط (إلا بغلاف متجافٍ) عن القرآن والحائل كالخريطة في الصحيح ويكره بالكم تحريمًا لتبعيته للابس ويرخص لأهل كتب الشريعة أخذها بالكم وباليد للضرورة إلا التفسير فإنه يجب الوضوء لمسّه والمستحب أن لا يأخذها إلا بوضوء ويجوز تقليب أوراق المصحف بنحو قلم للقراءة، وأمر الصبي بحمله ورفعه له لضرورة التعلّم. اهـ بحروفه.

وفي **حاشيته للشيخ أحمد الطحطاوي** رحمه الله قوله: (ويرخّص لأهل كتب الشريعة) هو الأصح عند الإمام لأن ما فيها من القرآن بمنزلة التابع ويكره عندهما، نَهى عن الخلاصة والتقييد بالأهل، يؤذن بمنعه لغير الأهل. قوله: (للضرورة) يعني الحرج. قوله: (إلّا التفسير) في الأشباه وقد جوّز بعض أصحابنا مسّ كتب التفسير للمحدث ولم يفصلوا بين كون الأكثر تفسيرًا وقرآنًا. ولو قيل به اعتبارًا للغالب لكان حسنًا وفي الجوهرة كتب التفسير وغيرها لا يجوز مسّ مواضع القرآن منها وله أن يمسّ غيرها بخلاف المصحف. قلت: وذلك هو الموافق لكلامهم لأنهم جعلوا المحرم في غير المصحف مسّ عين القرآن انتهت بحروفها.

تنبيه: قوله في الأشباه وقد جوّز بعض أصحابنا لفظ بعض ليس في الأشباه.
وفي **الدرّ المختار في مذهب الإمام الأعظم** رحمه الله ويحرم (به) أي بالأكبر (وبالأصغر مسّ مصحف) أي ما فيه آية كدرهم وجدار إلّا (بغلاف) متجافٍ غير مشرّز أو بصرة به يفتى وحلّ قلبه بعود (ولا) يكره (مسّ صبي لمصحف ولوح) ولا بأس بدفعه إليه وطلبه منه للضرورة إذ الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر. اهـ باختصار.

....

وفي ردّ المحتار على الدرّ المختار قوله: (أي ما فيه آية...) الخ أي المراد مطلق ما كتب فيه قرآن مجازًا من إطلاق اسم الكلّ على الجزء أو من باب الإطلاق والتقييد. قال: لكن لا يحرم في غير المصحف إلا المكتوب أي موضع الكتابة كذا في باب الحيض من البحر، وقيد بالآية لأنه لو كتب ما دونها لا يكره مسّه كما في حيض القهستاني. اهـ بحروفه.

وأيضًا فيه قوله: غير مشرّز أي غير مخيط به وهو تفسير للمتجافي. قال في المغرب مصحف مشرز أجزاؤه مشدود بعضها إلى بعض من الشيرازة وليست بعربية. اهـ. فالمراد بالغلاف ما كان منفصلًا كالخريطة وهي الكيس ونحوها لأن المتصل بالمصحف منه حتى يدخل في بيعه بلا ذكر. وقيل: المراد به الجلد المشرّز وصححه في المحيط والكافي، وصحح الأول في الهداية وكثير من الكتب وزاد في السراج أن عليه الفتوى. وفي البحر أنه أقرب إلى التعظيم. قال: والخلاف فيه جاز في الكمّ أيضًا، ففي المحيط لا يكره عند الجمهور واختاره في الكافي معلّلًا بأن المسّ اسم للمباشرة باليد بلا حائل، وفي الهداية أنه يكره هو الصحيح لأنه تابع له وعزاه في الخلاصة إلى عامّة المشائخ فهو معارض لما في المحيط فكان هو أولى. اهـ. أقول بل هو ظاهر الرواية كما في الخانية والتقييد بالكم اتفاقي فإنه لا يجوز مسّه ببعض ثياب البدن غير الكمّ. كما في الفتح عن الفتاوى وفيه قال لي بعض الإخوان: يجوز بالمنديل الموضوع على العنق. قلت: لا أعلم فيه نقلًا والذي يظهر أنه إن تحرّك طرفه بحركته لا يجوز وإلّا جاز لاعتبارهم إياه تبعًا له كبدنه في الأول دون الثاني فيما لو صلّى وعليه عمامة بطرفها الملقى نجاسته مانعة وأقرّه في النهر والبحر. اهـ بحروفه.

وفي الدرّ المختار (والتفسير كمصحف لا الكتب الشرعية) فإنه رخّص مسّه باليد لا التفسير كما في الدرر عن مجمع الفتاوى. وفي السراج المستحب أن لا يأخذ الكتب الشرعية بالكمّ أيضًا تعظيمًا لكن في الأشباه من قاعدة إذا اجتمع الحلال والحرام رجح الحرام. وقد جوّز أصحابنا مسّ كتب التفسير للمحدث ولم يفصلوا بين كون الأكثر تفسيرًا أو قرآنًا، ولو قيل به اعتبارًا للغالب لكان حسنًا.

....

قلت: لكنه يخالف ما مرّ[١] فتدبر. اهـ بحروفه. وفي حاشيته للعلّامة الطحطاوي قوله: والتفسير كمصحف فيحرم مسّه مطلقًا سواء كان قليلًا أو كثيرًا أو مساويًا انتهت. **وفي ردّ المحتار** قوله: والتفسير كمصحف ظاهره حرمة المسّ كما هو مقتضى التشبيه وفيه نظر إذ لا نصّ فيه بخلاف المصحف، فالمناسب التعبير بالكراهة كما عبّر غيره. انتهى بحروفه. **وفي حاشيته للعلّامة الطحطاوي** قوله: لا الكتب الشرعية من نحو الحديث والفقه وفي النهر عن الخلاصة كراهة مسّها عند الإمام لا عندهما انتهت بحروفها. وأيضًا فيها قوله: لكن في الأشباه استدراك على المصنّف. اهـ. **وفي ردّ المحتار** قوله: لكن في الأشباه... الخ استدراك على قوله والتفسير كمصحف فإن ما في الأشباه صريح في جواز مسّ التفسير فهو كسائر كتب الشرعية بل ظاهره أنه قول أصحابنا جميعًا. وقد صرّح بجوازه أيضًا في شرح درر البحار وفي السراج عن الإيضاح إن كتب التفسير لا يجوز مسّ موضع القرآن منها وله أن يمسّ غيره، وكذا كتب الفقه إذا كان فيها شيء من القرآن بخلاف المصحف فإن الكل فيه تبع للقرآن. اهـ.

وفي حاشيته للعلّامة الطحطاوي قوله: رجح الحرام أي غلب وهي الواقعة من صاحب الأشباه. قوله: (وقد جوّز أصحابنا)... الخ الجملة مبتدأ خبره قوله في الأشباه. قوله: (للمحدث) أي مطلقًا ولو أكبر. اهـ. وأيضًا فيها قوله: (فتدبر) أي لتعلم الصواب والحاصل أن لأهل المذهب عبارتين مطلقتين بالمنع والجواز وظاهر ما في الأشباه أن الجواز قول الأشياخ والأصحاب جميعًا فيفيد أن ما في الدرر لا يعوّل عليه لشذوذ قائله عن إجماعهم والله أعلم. ونقل العلّامة نوح عن الجوهرة والسراج أن كتب التفسير لا يجوز مسّ موضع القرآن منها وله أن يمسّ غيرها بخلاف المصحف لأن جميع ذلك تبع له انتهت. بحروفها.

فائدة عظيمة في كتاب الدراية في منتخب أحاديث الهداية للعلّامة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي رحمه الله. حديث (لا يمسّ القرآن إلا طاهر) أبو

---

(١) يعني بما مرّ ما في المصنّف. اهـ. طحطاوي ١٢ منه رحمه الله.

....

داود في المراسل والنسائي من حديث عمرو بن حزم في أثناء حديثه الطويل. وأخرجه الدارقطنيّ من طريق أبي ثور عن مبشر بن إسماعيل عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن جده قال: كان فيما أخذ رسول الله ﷺ أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر. تفرّد به أبو ثور وقال: الصواب ليس فيه عن جده. ثم أخرجه من طريق إسحـٰق بن الصباغ عن مالك وكذلك. وأخرجه عبد الرزاق والدارقطني والبيهقي من طريقه عن معمر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه ليس فيه عن جده. وقد أخرجه الطيالسي من طريق أبي بكر بن محمد عن أبيه عن جده نحوه. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني والبيهقي. وعن حكيم بن حزام. أخرجه الحاكم والطبراني والدارقطني. وعن عثمان بن أبي وقّاص، أخرجه الطبراني وعن ثوبان رفعه «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» والعمرة هي الحج الأصغر. أخرجه عليّ بن عبد العزيز في منتخب المسند وإسناده ضعيف. وعن أُخت عمر أنها قالت له عند إسلامه: إنك رجس ولا يمسّه إلّا المطهّرون. أخرجه أبو يعلى والطبراني وعن عبد الرحمـٰن بن يزيد عن سلمان أنه قضى حاجته فخرج ثم جاء فقلت: لو توضأت لعلنا نسألك عن آيات، قال: إني لست أمسّه لا يمسّه إلا المطهّرون، فقرأ علينا ما شئنا انتهى بحروفه.

وفي **إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري** في كتاب الحيض في باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض (وكان أبو وائل) بالهمز شفيق بن سلمة التابعيّ المشهور المتوفى في خلافة عمر بن عبد العزيز فيما قاله الواقدي مما وصله ابن أبي شيبة بإسناد صحيح (يرسل خادمه) اسم لمن يخدم غيره أي جاريته بدليل تأنيثه في قوله: (وهي حائض إلى أبي رزين)[١] بفتح الراء وكسر الزاي مسعود بن مالك الأسدي مولى أبي وائل الكوفي التابعي (فتأتيه). وفي رواية أبوي الوقت وذرّ لتأتيه (بالمصحف فتمسكه بعلاقته[٢]) بكسر العين أي الخيط الذي يربط به كيسه

---

(١) من كبار العلماء سمع الزهري وغيره. اهـ. الكوثر الجاري. ١٢ منه رحمه الله تعالى.
(٢) العلاقة بفتح العين وكسرها فعالة بمعنى المفعول وهي ما يمسك به ويتعلق لكن الكسر أكثر وأشهر في الأمور الحسيّة كعلاقة السيف ونحوه.

....

وغرض المؤلّف رحمه الله تعالى الاستدلال على جواز حمل الحائض والجنب المصحف لكن من غير مسّه.اهـ بحروفه. **وفي فتح الباري شرح البخاري** وذلك مصير منهما إلى جواز حمل الحائض المصحف لكن من غير مسّه.اهـ. وأيضًا فيه وهو موافق لمذهب أبي حنيفة ومنع الجمهور ذلك.اهـ.

وفي الكوثر الجاري على رياض البخاري للفاضل الشيخ أحمد بن إسماعيل بن محمد الكوراني الحنفي رحمهم الله غايته أنه نقل كما هو رأيه من نقل مذاهب العلماء أن أبا وائل كان يجيز للحائض حمل المصحف بعلاقته، وهذا مذهب كثير من العلماء منهم الحسن وحماد وأبو حنيفة وأما مسّ المصحف فالجمهور على أن المحدث لا يمسّه لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾. ولما روى ابن حبان وحاكم بإسنادهما إلى عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض منها أن القرآن لا يمسّه إلا طاهر. قال الحاكم: ورجاله كلهم ثقات على شرط الصحيح والمراد منه ما كتب لدراسة القرآن كالمصاحف والألواح لا كتب الفقه والتفسير فسقط الإيراد بما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] إلى آخر الآية. انتهى بحروفه.

وفي عمدة القاري على شرح البخاري للعلّامة العيني الحنفي رحمه الله أن هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه بسند صحيح. فقال: حدّثنا جرير عن مغيرة قال: كان أبو وائل فذكره. انتهت بحروفها. وأيضًا فيها وأبو وائل اسمه شقيق بن سلمة الأسديّ. أدرك النبيّ عليه السلام ولم يره. روى عن كثيرين من الصحابة. وقال يحيىٰ بن معين ثقة لا يُسأل عن مثله. قال الواقدي: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. وأبو رزين بفتح الراء وكسر الزاي المعجّمة اسمه مسعود بن مالك الأسدي مولى أبي وائل الكوفيّ التابعيّ. روى له مسلم والأربعة انتهت بحروفها.

وأيضًا فيها في بيان استنباط الحكم منه وهو جواز حمل الحائض المصحف بعلاقته وكذلك الجنب ممن أجاز ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب وعطاء

....

والحسن البصري ومجاهد وطاوس وأبو وائل وأبو رزين وأبو حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأحمد وإسحق وأبو ثور والشعبي والقاسم بن محمد. وقال ابن بطال ورخص في حمله الحكم وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير وحماد بن أبي سليمان وأهل الظاهر ومنع الحكم مسّه بباطن الكفّ خاصة. وقال ابن حزم: وقراءة القرآن والسجود فيه ومسّ المصحف وذكر الله تعالى جائز كل ذلك بوضوء وبلا وضوء وللجنب والحائض وهو قول ربيعة وسعيد بن المسيّب وابن جبير وابن عباس وداود وجميع أصحابنا. وأما مسّ المصحف فإن الآثار التي احتجّ بها مَن لم يجز للجنب مسّه فإنه لا يصح منها شيء لأنها إما مرسلة وإما صحيفة لا تسند وإما عن مجهول وإما عن ضعيف. والصحيح عن ابن عباس عن أبي سفيان حديث هرقل الذي فيه: و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] فهذا النبيّ عليه السلام قد بعث كتابًا فيه قرآن للنصارى وقد أيقن أنهم يمسّونه فإن ذكروا حديث ابن عمر نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو. وقلنا: هذا حق يلزم اتباعه وليس فيه لا يمسّ المصحف جنب ولا كافر وإنما فيه أن لا يناله أهل الحرب القرآن فقط، فإن قالوا: إنما بعث إلى هرقل بآية واحدة قيل لهم: ولم يمنع من غيرها وأنتم أهل قياس فقيسوا فإن لم تقيسوا على الآية ما هو أكثر منها فلا تقيسوا على هذه الآية غيرها فإن ذكروا قوله جلّ وعلا: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ قلنا: لا حجة فيه لأنه ليس أمر وإنما هو خبر والرب تعالى لا يقول إلا حقًّا ولا يجوز أن يصرف لفظ الخبر إلى معنى الأمر إلا بنصّ جلي أو إجماع متيقن فلما رأينا المصحف يمسّه الطاهر وغير الطاهر علمنا أنه لم يعن المصحف وإنما عنى كتابًا آخر عنده كما جاء عن سعيد بن جبير في هذه الآية هم الملائكة الذين في السماء وكان علقمة إذا أراد أن يتخذ مصحفًا أمر نصرانيًا ينسخه له. وقال أبو حنيفة: لا بأس أن يحمل الجنب المصحف بعلاقته وغير متوضىء عنده كذلك وأبى ذلك مالك إلا إن كان في خرج أو تابوت فلا بأس أن يحمله الجنب واليهودي والنصراني، قال أبو محمد: وهذا تفريق لا دليل على صحته

....

انتهى كلامه. والجواب عما قاله فقوله بأن الآثار التي احتجّ بها مَن لم يجز للجنب مسّه إلى آخره ليس كذلك فإن أكثر الآثار في ذلك صحاح منها ما رواه الدارقطني في سننه بسند صحيح متصل عن أنس. خرج عمر بن الخطاب متقلّدًا السيف فدخل على أخته وزوجها خباب وهم يقرؤون سورة طٰه فقال: أعطوني الكتاب الذي عندكم فأقرأه، فقالت له أخته إنك رجس ولا يمسّه إلا المطهّرون فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب والعجب من ابن عمر بن عبد البر إذ ذكره في سيرة ابن إسحٰق وقال: هو معضل وتبعه على ذلك أبو الفتح القشيري وهذا عجب منه. وقال السهيلي: هو من أحاديث السير. ومنها ما رواه الدارقطني أيضًا بسند صحيح من حديث سالم يحدث عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» ولما ذكره الجوزقاني في كتابه قال: هذا حديث مشهور حسن. ومنها ما رواه الدارقطني أيضًا من حديث الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن كتابًا فيه لا يمسّ القرآن إلا طاهر. ورواه في الغرائب من حديث إسحٰق الطباع عن مالك مسندًا ومن الطريق الأولى أخرجه الطبراني في الكبير وابن عبد البر والبيهقي في الشعب. وقد وردت أحاديث كثيرة بمنع قراءة القرآن للجنب والحائض. منها حديث عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب قال أبو عمر: رويناه من وجوه صحاح. ومنها حديث عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي رضي الله تعالى عنه يرفعه لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلا الجنابة صححه جماعة منهم ابن خزيمة وابن حبان وأبو علي الطوسي والترمذي والحاكم والبغوي في شرح السنّة وفي سؤالات الميموني. قال شعبة: ليس أحد يحدث بحديث أجود من ذا، وفي كامل ابن عديّ عنه لم يروِ عمرو أحسن من هذا وكان شعبة يقول: ها الحديث رأس مالي وخرجه ابن الجارود في المنتقى زاد ابن حبان قد يتوهّم غير المتبحر في الحديث أن حديث عائشة رضي الله تعالى عنها «كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه» يعارض هذا، وليس كذلك لأنها أرادت الذكر الذي هو غير القرآن إذ القرآن يجوز أن يُسمى ذكرًا وكان لا يقرأ وهو جنب ويقرأه في سائر الأحوال. ومنها حديث جابر أن النبيّ ﷺ

....

قال: «لا يقرأ الحائض ولا الجنب ولا النفساء من القرآن شيئًا». رواه الدارقطني ثم البيهقي وقال: إسناده صحيح. ومنها حديث أبي موسى قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تقرأ القرآن وأنت جنب» رواه الدارقطني وعن الأسود أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه بسند لا بأس به وإبراهيم لا يقرأ الجنب وعن الشعبي وأبي وائل مثله بزيادة والحائض. والجواب عن الكتاب إلى هرقل فنحن نقول به لمصلحة الإبلاغ والإنذار وأنه لم يقصد به التلاوة. وأما الجواب عن الآية بأن المراد بالمطهرين الملائكة كما قاله قتادة والربيع بن أنس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبير وغيرهم. ونقله السهيلي عن مالك وأكدوا هذا بقوله: المطهّرين ولم يقل المتطهرين أن تخصيص الملائكة من بين سائر المتطهّرين على خلاف الأصل وكلهم مطهّرون والمسّ والاطلاع عليه إنما هو لبعضهم دون الجميع.اهـ بحروفه.

وفي كتاب سبل السلام الموصل إلى بلوغ المرام (عن عبد الله بن أبي بكر) هو ابن أبي بكر الصدّيق أمه «اسمها قيلة» وأُم أسماء واحدة أسلم قديمًا وشهد مع رسول الله ﷺ الطائف وأصابه سهم انتقض[1] عليه بعد سنين فمات منه في شوال سنة إحدى عشرة وصلّى عليه أبوه (أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم) هو عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي النَّجّاري يكنّى أبا الضحّاك أول مشاهده الخندق واستعمله ﷺ نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلّمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وكتب له كتابًا فيه الفرائض والسنن والصدقات والديّات، وتوفي عمرو بن حزم في خلافة عمر بالمدينة ذكر هذا ابن عبد البر في الاستيعاب أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر. رواه مالك مرسلًا ووصله النسائي وابن حبان وهو معلول حقيقة المعلول الحديث الذي يطلع على الوهم فيه بالقرائن وجمع الطرق، فيقال له: معلل ومعلول والأجود أن يُقال فيه المعلّ مَن أعلّه والعلّة عبارة عن أسباب خفيّة غامضة طرأت على الحديث فأثّرت فيه وقدحت وهو مِن أغمض أنواع علوم الحديث وأدقها ولا يقوم بذلك إلا مَن رزقَهُ الله فهمًا

---

(١) رماه أبو محجن الثقفي فجرحه فاندمل جرحه ثم انتقض به فمات منه أول خلافة أبيه أبي بكر رضي الله تعالى عنهما.اهـ. أسد الغابة ١٢ منه رحمه الله.

....

ثابتًا وحفظًا واسمًا ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتوفون، وإنما قال المصنّف أن هذا الحديث معلول لأنه من رواته سليمان بن داود وهو متفق على تركه كما قاله ابن حزم. ووهم في ذلك فإنه ظنّ أن سليمان بن داود اليماني وليس كذلك بل هو سليمان بن داود الخولاني، وهو ثقة أَثْنى عليه أبو زرعة وأبو حاتم وعثمان بن سعيد وجماعة من الحفاظ واليماني هو المتفق على ضعفه وكتاب عمرو بن حزم تلقاه الناس بالقبول. قال ابن عبد البر أنه أشبه المتواتر لتلقى الناس له بالقبول. وقال يعقوب بن سفيان: لا أعلم كتابًا أصحّ من هذا الكتاب فإن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين يرجعون إليه ويدعون رأيهم. وقال الحاكم: قد شهد عمر بن عبد العزيز وإمام عصره الزهري بالصحة لهذا الكتاب. وفي الباب من حديث حكيم بن حزام لا يمسّ القرآن إلا ظاهر، وإن كان في إسناده مقال إلا أنه ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» قال الهيثمي: رجاله موثقون وذكر له شاهدين ولكنه يبقى للنَّظرِ في المراد من الطاهر فإنه لفظ مشترك يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر. ويُطلق على المؤمن وعلى مَن ليس على بدنه نجاسَة ولا بد لحمله على معين من قرينة. وأما قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ فالأوضح أن الضمير لِلكتاب المكنون الذي سبق ذكره في صدر الآية وأن المطهّرون هم الملائكة انتهى بحروفه. وفي إفهام الأفهام في شرح بلوغ المرام قال الطيبي: هذا بيان لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ فإن الضمير إما للقرآن، والمراد نهي الناس عن مسّه إلا على طهارة، وأما اللوح المحفوظ فلا نافية ومعنى المطهّرون الملائكة وهذا الحديث كشف أن المراد الأول انتهى. ولفظ الطاهر طاهر في الطهارة من الحدث والخبث فلا احتمال في اللفظ ولا في الحديث إن كانت ناهية فيجوز في يمسّ الفتح والكسر وإن كانت نافية فالخبر بمعنى النهي انتهى من إفهام الأفهام بلفظه. وأيضًا فيه قال ابن حجر وروى الدارقطني والبيهقي وقال: صحيح الإسناد والحاكم وقال: حسن غريب لا يمسّ المصحف إلا طاهر وبه يرد ما رواه ابن وهب أن أول مَن سماه المصحف عتبة بن مسعود انتهى. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم.

وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسّه إلا مَن هو على الطهارة من الناس **(والمراد مسّ المكتوب منه)** ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن **(أي منزّل)** ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أو وصف بالمصدر لأنه نزل **(نجومًا)** من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل: جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل، أو هو تنزيل على حذف المبتدأ.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ **(متهاونون به)** كمن يدهن في بعض الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلّب فيه تهاونًا به ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

قوله: (والمراد مسّ المكتوب منه) في شرح السنّة للإمام البغوي الشافعي رحمه الله. قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يمسّ المكتوب.اهـ بحروفه. **وفي التبيين** والصحيح منع مسّ حواشي المصحف والبياض الذي لا كتابة عليه انتهى. **وفي خزانة الروايات** في الشاهان وكما لا يحل للجنب مسّ الكتابة لا يحل له مسّ البياض.اهـ.

وفي الضياء المعنوي لا يجوز له مسّ شيء من القرآن مكتوب في غير المصحف من لوح أو درهم أو حائط إذا كان آية تامة ويجوز مسّ غير الكتابة بخلاف المصحف فإن الكلّ تبع للقرآن. وكذا كتب التفسير لا يجوز مسّها وكتب الفقه إذا كان فيها شيء من القرآن لا يجوز له مسّ موضع القرآن وله أن يمسّ غيره كذا في الإيضاح.اهـ. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله: (أي منزل)** وسُمي المنزل تنزيلًا على اتساع اللغة، يُقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه ردّ على مَن قال إن القرآن شعرًا وسحرًا وكهانة فقال الله تعالى: بل القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾. **قوله: (نجومًا)** أي متفرّقًا.

قوله: (متهاونون به) أصل الادّهان جعل الأديم ونحوه مدهونًا بشيء من الدهن ولما كان ذلك مليّنًا له لينًا محسوسًا أريد به اللين المعنوي على أن تجوّز به عن مطلق اللين أو استعير له، ولذا سُميت المداراة أو الملاينة مداهنة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية، فلذا تجوز به هنا عن التهاون أيضًا لأن المتهاون بالأمر لا يتصلّب فيه.اهـ شهاب.

تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي تجعلون (**شكر رزقكم**) التكذيب أي وضعتم التكذيب موضع الشكر. (**وفي قراءة علي** رضي الله عنه **وهي قراءة رسول الله** ﷺ «**وتجعلون شكركم أنكم تكذبون**») أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل: نزلت في (**الأنواء**) ونسبتهم (**السقيا**) إليهم والرزق المطر أي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من (**الغيث**) أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس أي الروح عند الموت ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ ممر الطعام والشراب ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ إلى (**المحتضر**) ﴿مِنكُمْ وَلَٰكِن

قوله: (**شكر رزقكم**) بتقدير المضاف. **قوله**: (**وفي قراءة علي رضي الله تعالى عنه وهي قراءة رسول الله ﷺ «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»**). **في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب ومن ذلك** قراءة عليّ وابن عباس ورُويت عن النبيّ ﷺ «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون». قال أبو الفتح: هو على حذف المضاف أي تجعلون بدل شكركم التكذيب. اهـ بحروفه. **قوله**: (**الأنواء**) جمع نوء بفتح النون وسكون الواو والهمزة والنوء الكوكب، يُقال: ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب. وقيل: ناء إذا نهض وطلع ولهم ثمانية وعشرون نجمًا معروفة المطالع في السنة وهي المعروفة بمنازل القمر يسقط في كل ثلاثة عشر ليلة نجم منها في المغرب مع طلوع مقابله في المشرق وهم ينسبون المطر المغارب وقال الأصمعي: المطالع. **قوله**: (**السقيا**) بالضم الغيث. **قوله**: (**الغيث**) المطر. **قوله**: النفس أي ضمير بلغت راجع إلى النفس أي الروح وهي وإن لم يتقدم ذكرها لكن الحلقوم يدل عليها. اهـ. قنويّ **وفي حاشية الشهاب رحمه الله** أي النفس تفسير لفاعل بلغت ولذا ذكر النفس لأنها مؤنّثة وأراد بها الروح بمعنى البخار المنبعث عن القلب دون النفس الناطقة فإنها لا توصف بما ذكر. اهـ.

قوله: (**المحتضر**) وهو بالحاء المهملة وبفتح الضاد المعجمة الذي قرب من الميت كذا في البناية فمعناه الذي حضرته الوفاة أو ملائكة الموت هذا في العناية.

(لَا تُبْصِرُونَ﴾ لا تعقلون ولا تعلمون ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ (مَدِينِينَ) ﴿٨٦﴾ مربوبين مَن دان السلطان الرعيّة إذا (ساسهم) ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ تردّون النفس وهي الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم غير مربوبين مقهورين. ﴿فَلَوْلَآ﴾ في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلًا وذا قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ واكتفى بذكره مرة، وترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، و﴿فَلَوْلَآ﴾ الثانية مكرّرة للتأكيد ونحن أقرب إليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت، والمعنى أنكم في جحودكم آيات الله في كل شيء، إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولًا صادقًا قلتم ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدّي إلى الإهمال والتعطيل، فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت (**المبدىء المعيد**؟!).

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَأَمَّآ (إِن كَانَ﴾ **المتوفى**) ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (**من السابقين**) من الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة ﴿فَرَوْحٌ﴾ (**فله استراحة**) ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق ﴿(وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)

قوله: (﴿لَا تُبْصِرُونَ﴾) من البصيرة. **قوله**: (﴿مَدِينِينَ﴾) أي مملوكين، وقيل: محاسبين ومجزيين. اهـ خازن. **قوله**: (**ساسهم**) في المصباح ساس زيد الأمر يسوسه سياسة دبره وقام بأمره. اهـ. **قوله**: (**المبدىء**) بالهمزة ويجوز إبداله وقفًا وهو المظهر للكائنات من العدم إلى الوجود. من باب الكرم والجود. فهو بمعنى الخالق وهو المنشىء للأشياء ومخترعها من غير مثال سبق وهو الأنسب بمقابلته. **قوله**: (**المعيد**) الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا وبعد الممات إلى الحياة في الأخرى.

قوله: (﴿إِن كَانَ﴾ **المتوفى**) المفهوم مما مرّ. **قوله**: (**من السابقين**) تفسير لقوله ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ لقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: الآيتان ١٠، ١١] **قوله**: (**فله استراحة**) أي مبتدأ خبره مقدّر حذف لظهوره و﴿فَرَوْحٌ﴾ بمعنى استراحة. **قوله**: (﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾) ترسم جنت هنا مجرورة التاء ووقف

﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي فسلام لك **(يا صاحب اليمين)** من إخوانك أصحاب اليمين أي يسلمون عليك كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم في هذه السورة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي إدخال فيها. وفي هذه الآيات إشارة إلى أن الكفر كله ملّة واحدة، وأن أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لأنهم غير مكذبين ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ **(أي الحق الثابت من اليقين)** ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ **(رُوِيَ أن عثمان بن عفّان** رضي الله عنه **دخل على ابن مسعود** رضي الله عنه **في مرض موته)** فقال له: ما تشتكي؟ فقال: ذنوبي.

عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، فالكسائي بالإمالة في الواقف على أصله والباقون بالتاء على المرقوم. **قوله: (يا صاحب اليمين)** يعني أنه التفات بتقدير القول ومن للابتداء كما يُقال سلام من فلان على فلان، أي يقال له سلام لك من إخوانك الذين يسلّمون عليك بإرسال التحية لك.

قوله: (أي الحق الثابت من اليقين) فالإضافة بيانية والحق بمعنى الثابت. اهـ قنوي. **قوله: (رُوِيَ أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه دخل على ابن مسعود)** أي عبد الله بن مسعود بن غافل **(رضي الله تعالى عنه في مرض موته...)** الخ.

في أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام العالم الأوحد عمدة الحفّاظ فريد دهره ووحيد عصره عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه.

قال أبو طيبة مرض عبد الله فعاده عثمان بن عفّان فقال: ما تشتكي؟ قال ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون لبناتك، قال: أتخشى على بناتي الفقر إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني

فقال: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: أفلا تدعو الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. فقال: ألا نأمر بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: ندفعه إلى بناتك. قال: لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**«مَن قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»**) وليس في هذه السور الثلاث ذكر الله: اقتربت، الرحمٰن، الواقعة، والله أعلم.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا» وإنما قال له عثمان: ألا آمر لك بعطائك لأنه كان قد حبسه عنه سنتين فلما تُوفي أرسله إلى الزبير فدفعه إلى ورثته، وقيل: بل كان عبد الله ترك العطاء استغناء عنه وفعل غيره كذلك. اهـ بحروفه.

وفي الدرّ المنثور أخرج أبو عبيدة في فضائله وابن الضريس والحارث بن أبي أُسامة وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في شُعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا». أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤوها وعلّموها أولادكم». أخرج الديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «علّموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى». أخرج أبو عبيدة عن سلمان التيمي قال: قالت عائشة للنساء: لا تعجز إحداكن أن تقرأ سورة الواقعة. اهـ بحروفه.

وفي تفسير الخطيب روى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصِبْهُ فاقة أبدًا» ورواه البيهقي وغيره. وكان أبو طيبة لا يدعها أبدًا، وأخرجه ابن الأثير في جامع الأصول ولم يغيره. اهـ.

قوله: (لم تصبه فاقة) في القنويّ لم تصبه فاقة أي فقر أبدًا أي مَن قرأ قراءة معتدًا بها بمراعاة التجويد وملاحظة المعنى حسبما أمكن له فمن واظب على قراءته كل ليلة وأصابه فقر وفاقة فلأجل تقصيراته في التلاوة. اهـ بحروفه. **وفي مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح للعلّامة عليّ القاري رحمه الله (مَن قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تُصِبْهُ فاقة أبدًا)** أي لم يضرّه فقر لما يعطى من الصبر الجميل والوعد

....

الجزيل أو لم يصبه فقر قلبي لما يعطى من سعة القلب والمعرفة بالرب والتوكّل والاعتماد عليه وتسليم النفس وتفويض الأمر إليه لما يستفيد من آيات هذه السورة ويستفيض من بينات المعاني في الألفاظ التي لها كالقوالب في الصورة سيما ما يتعلق فيها بخصوص ذكر الرزق من قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٦٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٢]. اهـ بحروفها.

تمّ ما يتعلق بسورة الواقعة بحمد الملك العلّام،
والصلاة والسلام على أفضل الرسل وآله وصحبه الكرام

سورة الحديد

(مكيّة) وهي (تسع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ **(جاء في بعض الفواتح ﴿سَبَّحَ﴾ بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع)**، وفي «بني إسرائيل» بلفظ المصدر، وفي «الأعلى» بلفظ الأمر استيعابًا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع: المصدر والماضي والمضارع والأمر. وهذا الفعل قد عُدي باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: الآية ٩] وأصله التعدّي بنفسه لأن معنى سبحته بعدته من السوء **(منقول من سبح)** إذا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الحديد، مكية) أو مدنيّة وهي **(تسع وعشرون آية)** وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفًا. **قوله: (جاء في بعض الفواتح** ﴿سَبَّحَ﴾ **بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع)** إلى آخره أي بدأ الله تعالى سورة الحديد والحشر وأنصف بلفظ الماضي والجمعة والتغابن بلفظ المضارع وسورة بني إسرائيل بلفظ المصدر وسورة الأعلى بلفظ الأمر استيعابًا لجميع ضروب صيغ التسبيح في كلامه المجيد. **قوله: (منقول من سبَح)** الثلاثي وهو لازم بمعنى ذهب وبعد فعدّى بتضعيف العين فالتشديد فيه للتعدية. **قوله**:

ذهب وبعد، فاللام إما أن تكون مثل اللام في نصحته (**ونصحت له. وإما أن يراد سبّح لله اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصًا**) ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصحّ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنتقم من مكلّف لم يسبح له عنادًا ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في مجازاة مَن سبّح له انقيادًا.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا لغيره (**وموضع ﴿يُحْىِۦ﴾ رفع أي هو يحيي الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء أو نصب أي**) له ملك السمٰوات والأرض (**محييًا ومميتًا**) ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الذي يبقي بعد هلاك كل شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة الدالّة عليه (﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ **لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئيًا**). والواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين فهو مستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية.

(**ونصحت له**) أي اللام فيه مزيدة. **قوله**: (**وإما أن يُراد سبّح لله اكتسب التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصًا**) أي اللام فيه لام الأجل والاختصاص ويكون الفعل منزله منزلة اللازم ومعناه أوقع وأحدث التسبيح لا محذوف المفعول كما توهّم.

قوله: (**وموضع ﴿يُحْىِۦ﴾ رفع**) على أنه خبر مبتدأ محذوف (**أي هو يُحيي الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء**) والجملة استئناف (**أو نصب**) على أنه حال من المجرور له والعامل الاستقرار (**أي**) استقرّ له ملك السمٰوات والأرض (**محييًا ومميتًا**). **قوله**: (﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ **لكونه غير مدرك بالحواس وإن كان مرئيًا**) **عبارة الجلالين** (**والباطن**) عن إدراك الحواس. اهـ. **وعبارة الجمل** قوله: عن إدراك الحواس أي وعن إدراك حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أي لا في الدنيا ولا في الآخرة فاضمحلّ ما في الكشّاف من أن فيه حجّة على مَن جوّز إدراكه في الآخرة بالحاسة. اهـ كرخي. اهـ بحروفها. **وفي الجمالين**: والباطن عن إدراك حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول. اهـ.

وهو في جميعها ظاهر وباطن. وقيل: الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه، **(والباطن)** الذي بطن كل شيء أي علم باطنه ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله قوله: (والباطن) حقيقة ذاته) لأن حقيقة ذاته غير مدركة لا عقلًا ولا حسًّا باتفاق المحققين من أهل السنّة والمعتزلة ولما تعاضدت الأدلّة على أنه تعالى يدرك بالحاسة في الآخرة لم يفسر المصنّف كونه تعالى باطنًا بكونه غير مدرك بالحواس بل هو الظاهر وجوده لأن الموجودات بأسرها ظاهرة بظهوره والباطن بكنه حقيقته وبطونه بهذا المعنى لا ينافي كونه مرئيًا في الآخرة. وفسّره صاحب الكشّاف بأنه غير مدرك بالحواس وهو تفسير بحسب التشهي تأييدًا لما ذهب إليه من استحالة الرؤية. والحق أنه تعالى ظاهر لوجوده باطن بكنهه وأنه تعالى جامع بين الوصفين أزلًا وأبدًا والبطون بهذا المعنى لا ينافي الرؤية في الآخرة لأن الرؤية بالحاسة لا يقتضي معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٩] لئلا يتوهم أن بطونه تعالى عن الأشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما في الشاهد انتهت بحروفها.

وفي الشهاب فالباطن بمعنى الخفي والظهور باعتبار أدلّة وجوده والخفاء باعتبار الوقوف على كنهه وحقيقة ذاته فإنهم متفقون على أنه لا يعلم كنه ذاته سواه، فلا دليل في الآية على أنه لا يرى في الآخرة كما لا يرى في الدنيا كما توهّمه الزمخشري. اهـ بحروفه.

وفي التمجيد والباطن حقيقة ذاته فلا يكتنهها العقول، قال الزمخشري: وهو في جميع الأوقات الآتية والماضية ظاهر وباطن جامع للظهور بالأدلّة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوّز إدراكه في الآخرة بالحاسة. قال صاحب الانتصاب لا دليل في الآية على ما قال فيجوز أن يحمل على عدم الإدراك بالحاسة في الدنيا والآخرة للكفار. فإن قيل: التخصيص خلاف الظاهر. قلنا: المسألة قطعية فيكفينا التشكيك وأيضًا فإن الله تعالى لم يظهر بالأدلّة لكل أحد. وقد خصصنا الظاهر فجاز أن يخصص الباطن أيضًا. اهـ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ **(عن الحسن: من أيام الدنيا)** ولو أراد أن يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلًا ليكون عليها المدار ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما يدخل في الأرض من البذر والقطر والكنوز والموتى ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال والدعوات ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ **(بالعلم والقدرة عمومًا)** وبالفضل والرحمة خصوصًا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على حسب أعمالكم.

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النهار ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ يحتمل الزكاة والإنفاق في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرّف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها

قوله: (عن الحسن) بن أبي الحسن يسار البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ومولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالمدينة. وتُوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله: (من أيام الدنيا)** أولها الأحد وآخرها الجمعة. **قوله: (بالعلم والقدرة عمومًا)** فليس ينفكّ أحد من تعليق علم الله وقدرته أينما كان من أرض أو سماء برًّا وبحرًا فالمعيّة غير مكانية بل معنوية بمعنى ما ذكر.

إلا بمنزلة (**الوكلاء والنواب**)، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه، أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم وسينقله منكم إلى مَن بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسله ﴿مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (**هو حال من معنى الفعل في** ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ **كما تقول: ما لك قائمًا؟ بمعنى ما تصنع قائمًا**) أي ومالكم كافرين بالله؟ والواو في ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال (**فهما حالان متداخلتان**)، والمعنى وأي عذر لكم في

قوله: (**الوكلاء**) **في المصباح** الوكيل فعيل بمعنى مفعول لأنه موكول إليه ويكون بمعنى فاعل إذا كان بمعنى الحافظ ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل والجمع وكلاء. اهـ. **قوله**: (**والنواب**) جمع النائب مثل كافر وكُفَّار.

قوله: (**هو حال من معنى الفعل في** ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ **كما تقول: ما لك قائمًا؟ بمعنى ما تصنع قائمًا**) يعني أن قوله تعالى: ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ في موضع النصب على أنه حال من الفاعل المعنوي للفعل المستنبط من ما الاستفهامية. وقد تقرّر في النحو أن عامل الحال قد يكون معنى الفعل والمراد به ما يستنبط منه معنى الفعل كحرف التنبيه وأسماء الإشارة وحروف النداء والتمني والترجي والتشبيه وحرف الاستفهام فإن فيها معنى الفعل نحو ذا زيد قائمًا ويا زيد قائمًا وليتك عندنا قائمًا ولعله في الدار قائمًا وكأنه أسد صائدًا ومالك قائمًا فإن كلمة ما فيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ولك خبرها والاستفهام يطلب الفعل فيستنبط معنى الفعل من أداة الاستفهام وحرف الجر في ﴿لَكُمْ﴾ وإن كان يتعلّق بالفعل أو شبهه فلذلك يعمل في الحال في نحو زيد في الدار قائمًا، إلا أن المصنّف رحمه الله اختار أن الحال معمول لما الاستفهامية لا لحرف الجرّ حيث قال بمعنى تصنع قائمًا ولم يقل ما حصل لك قائمًا ولعله مجرد اعتبار. **قوله**: (**فهما حالان متداخلان**) حيث كانت الحال الأولى عاملة في الثانية. واختلف ذو الحال فيهما وفي الأحوال

ترك الإيمان والرسول يدعوكم ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر في الأدلة، فإذا لم تبق لكم علّة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون؟ (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **لموجب ما فإن هذا الموجب لا مزيد عليه** ﴿أُخِذَ مِيثَٰقُكُمْ﴾ **أبو عمرو**).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ الله تعالى أو محمد بدعوته ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ (﴿لَرَءُوفٌ﴾ **بالمد والهمزة: حجازي وشامي وحفص**)

المترادفة يتحد العامل وذو الحال. **قوله**: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) شرط حذف جوابه وهو ما أشار إليه المصنّف رحمه الله بقوله: (**فإن هذا الموجب لا مزيد عليه**) لأنه لا موجب يزيد على تظاهر الأدلّة السمعية والعقلية، وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٩١] بعد قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾. واندفع ما يتوهم بينهما من المنافاة كأنه قيل: إن كنتم مؤمنين بشيء لأجل دليل فما لكم لا تؤمنون الآن وقد تطابقت الأدلّة النقلية والعقلية وبلغت مبلغًا لا يمكن الزيادة عليها. **قوله**: (**لموجب مّا**) موجب بالكسر أو الفتح أي لدليل ما أو لمقتضى دليل ما وما مزيدة للتعميم. **قوله**: (﴿أُخِذَ مِيثَٰقُكُمْ﴾) بضم الهمزة وكسر الخاء مبنيًّا للمفعول و﴿مِيثَٰقُكُمْ﴾ بالرفع على النيابة (**أبو عمرو**) ليكون المعنى من أي أخذ كان من غير نظر إلى معين. وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء مبنيًّا للفاعل وهو الله تعالى وميثاقكم بالنصب على المفعولية، والجملة في موضع الحال من مفعول ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.

قوله: (﴿لَرَءُوفٌ﴾ **بالمدّ والهمزة**) كعطوف (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة، قيل: حجازي (**وشامي**) أي ابن عامر الشاميّ (**وحفص**) والباقون بقصر

﴿رَّحِيمٌ﴾ الرأفة أشد الرحمة ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ (**في ﴿أن لا تنفقوا﴾**) ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باقٍ لأحد من مال وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم؟ وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله. ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ أي فتح مكة قبل عزّ الإسلام وقوّة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجًا. ومَن أنفق من بعد الفتح فحذف لأن قوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ يدلّ عليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبيّ ﷺ: («**لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**»). ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا﴾ أي كل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (**أي المثوبة الحسنى**) وهي الجنة مع تفاوت الدرجات. ﴿وَكُلًّا﴾ مفعول أول لـ ﴿وَعَدَ﴾ و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مفعول ثانٍ. («**وكل**»: **شامي، أي وكل**

الهمزة من غير واو على وزن نَدُس[1]. **قوله**: (**في ﴿أن لا تنفقوا﴾**) إشارة إلى أن مصدرية لا زائدة كما ذهب إليه بعضهم وأن المصدر المؤوّل في محل نصب بتقدير حرف جر.

قوله: (**لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهبًا**) زاد البرقاني كل يوم (**ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**) أي ولا بلغ نصيفه أي من بر أو شعير اعلم أن المدّ بضم الميم ربع الصاع والنصيف بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر وعلى هذا الضمير راجع إلى المدّ. وقيل: النصيف مكيال يسع نصف مدّ فالضمير راجع إلى الأحد.

قوله: (**أي المثوبة الحسنى**) قدر الموصوف مؤنثًا لتأنيث صفته والمثوبة الثواب وصيغة التفضيل إما بمعنى أصل الفعل أو من قبيل الشتاء أحرّ من الصيف. **قوله**: («**وكل**»: **شاميّ**) أي قرأ ابن عامر الشاميّ وكل برفع اللام على أنه مبتدأ و﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ الخبر والعائد محذوف (**أي وكل**

---

(١) في لسان العرب رجل نَدُسٌ أي فهم سريع السمع فَطِن.اهـ. وأيضًا فيه النَّدَس السريع الاستماع للصوت الخفي.اهـ. وأيضًا فيه الندس الذي يخالط الناس ويخف عليهم ١٢ منه رحمه الله.

وعده الله الحسنى نزلت في أبي بكر ﷺ لأنه أول مَن أسلم) وأول مَن أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم على قدر أعمالكم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بطيب نفسه والمراد الإنفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدلّ على التزام الجزاء ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي يعطيه أجره على إنفاقه أضعافًا مضاعفة من فضله ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه ﴿فيضعّفُهُ﴾ مكي ﴿فيضعفَهُ﴾ شامي ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾:

وعده الله الحسنى) والباقون بالنصب مفعولًا أوّلَ لوعد تقدّم على فعله أي وعد الله كلهم الحسنى.

قوله: (نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه) فحينئذٍ صيغة الجمع لأن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم.اهـ قنوي. وفي حاشية الشهاب رحمه الله وخصوص السبب لا يدلّ على تخصيص الحكم، فلذا قال أولئك ليشمل غيره ممن اتصف بذلك وكونه أكمل إفراده يكفي لنزولها فيه.اهـ.

قوله: (لأنه أوّل مَن أسلم) أي من الرجال كما أن خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها أول مَن آمن من النساء وعليّ رضي الله تعالى عنه أول مَن آمن من الصبيان فالأولية إضافية.

قوله: (أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه) أي حسن يرضى في بابه وهو إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ جملة حالية من مفعول يُضاعفه، وإطلاق التضعيف يدل على أن الأضعاف المنضمة إلى الأجر زائد على ما أنفقه من المال كمية وكيفية.

قوله: (﴿فيضعّفه﴾) بغير ألف بعد الضاد وتشديد العين ورفع الفاء (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ وكذا أبو جعفر وليس من السبعة. **قوله**: (﴿فيضعّفه﴾) بغير ألف بعد الضاد وتشديد العين ونصب الفاء على إضمار أن (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ وكذا يعقوب وليس من السبعة. **قوله**: (﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾) بألف بعد الضاد

عاصم وسهل ﴿فيضاعفَه﴾ غيرهم. فالنصب على جواب الاستفهام)، والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على ﴿يُقْرِضُ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (ظرف لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾) أو منصوب بإضمار «اذكر» تعظيمًا لذلك اليوم ﴿يَسْعَىٰ﴾ يمضي ﴿نُورُهُم﴾ نور التوحيد والطاعات. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائِلهم ووراء ظهورهم، فيجعل النور في الجهتين شعارًا لهم وآية لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحفائهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومرّوا على الصراط يسعون سعي بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ (أي دخول ﴿جَنَّٰتٌ﴾) لأن البشارة تقع بالأحداث دون الجثث ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وتخفيف العين ونصب الفاء (**عاصم وسهل**) بن محمد السجستاني البصري وليس من السبعة. **قوله**: (﴿**فيضاعفُه**﴾) بألف بعد الضاد وتخفيف العين ورفع الفاء (**غيرهم**) أي قرأه نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وليس من السبعة.

قوله: (**فالنصب على جواب الاستفهام**) وجه النصب إضمار إن بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام كما في قولك هل تزورنا فنحسن إليك.

قوله: (**ظرف لقوله**: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾) أي ظرف للاستقرار الذي تعلّق به وله أي استقرّ له أجر في ذلك اليوم وإن كان معمولًا لاذْكُر يكون مفعولًا به لا ظرفًا. وقوله: ﴿يَسْعَىٰ﴾ حال من ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأن قوله ﴿تَرَى﴾ من رؤية العين و﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ظرف ليسعى ويجوز أن يكون حالًا من ﴿نُورُهُم﴾ وكذا ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ وهو بفتح الهمزة جمع يمين. **قوله**: (**أي دخول** ﴿جَنَّٰتٌ﴾) فالمضاف مقدّر.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ (**هو بدل من** ﴿يَوْمَ تَرَى﴾) ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ أي (**انتظرونا**) لأنه يسرع بهم إلى الجنّة (**كالبروق الخاطفة** ﴿**انظِرونا**﴾ **حمزة من النظرة**) وهي (**والإمهال**) جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم (**إنظارًا**) لهم ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (**نصب منه**) وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ طرد لهم وتهكم بهم أي تقول لهم الملائكة، أو المؤمنون ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه وهو الإيمان ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ بحائط حائل بين شق الجنّة وشق النار. قيل: هو الأعراف ﴿لَّهُ﴾ لذلك السور ﴿بَابٌ﴾ لأهل الجنة يدخلون منه ﴿بَاطِنُهُ﴾ باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي النور أو الجنة ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ ما ظهر لأهل النار (﴿مِن قِبَلِهِ﴾) من عنده ومن جهته ﴿الْعَذَابُ﴾ أي الظلمة أو النار.

قوله: (**هو بدل من** ﴿يَوْمَ تَرَى﴾) وكذا ترك العطف هو بدل الكل إن قطع النظر عن المضاف إليه وإن نظر إليه فهو بدل اشتمال فلا تغفل. اهـ قنوي. **قوله**: (**انتظرونا**) أي النظر المتعدي بنفسه بمعنى الانتظار. **قوله**: (**كالبروق الخاطفة**) أي اللامعة. **قوله**: (﴿**انظِرونا**﴾) بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الظاء (**حمزة**) من الأفعال (**من النظرة**) وهي المهملة (**والإمهال**) ضد التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم ﴿انظُرُونَا﴾ كناية عن طلب التؤدة في مشيهم، يقال: اتئد في مشيه إذ مشى مشيًا هوينًا على التؤدة والوقار والاتئاد افتعال من التؤدة وهي بالفارسية آهستكي. ولما ورد أن يقال الذي يطلبه المنافقون من المؤمنين أن يتئدوا في مشيهم ولا يسرعوا فيه إلا أن يمهلوا للمنافقين فما معنى قولهم أنظرونا بفتح الهمزة؟ أجاب عنه بأن أمهلونا كناية عما يستلزمه وهو اتئاد المؤمنين في مشيهم. وقرأ الباقون بوصل الهمزة وضمّ الظاء من نظر بمعنى انتظر. **قوله**: (**إنظارًا**) أي إمهالًا. **قوله**: (**نصب منه**) متكلّم مع الغير من الإصابة منه أي من النور وأصل الاقتباس أخذ قبس أو جذوة من النار وهذا لا يمكن هنا فالمراد ما ذكره المصنّف مجازًا. **قوله**: (﴿مِن قِبَلِهِ﴾) أي من قبل ذلك الظاهر.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون مرافقتهم في الظاهر ﴿قَالُواْ﴾ أي المؤمنون ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين **(الدوائر)** ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ وشككتم في التوحيد ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ (ٱلْغَرُورُ)﴾ وغرّكم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم أو بأنه لا بعث ولا حساب.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ **(وبالتاء: شامي)** ﴿مِنكُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿فِدْيَةٌ﴾ **(ما يفتدى به)** ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ مرجعكم ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ **(هي أولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم)** أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم

قوله: **(الدوائر)** أي الحوادث النوازل والمصائب. **قوله**: (﴿ٱلْغَرُورُ﴾) بفتح الغين في قراءة العامة وهو صفة على وزن فعول كصبور وفي قراءة سِماك بن حرب ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغُرُورُ﴾ بضم الغين في حاشية العلامة الشيخ زاده رحمه الله. وقرىء بضم الغين وهو مصدر بمعنى الاغترار والفعل مُسْندٌ إلى مصدره مثل جدّ جدّه. **وفي كتاب المحتسب** قال أبو الفتح: هذا كقوله: وغرّكم بالله الاغترار وتقديره على حذف المضاف أي وغرّكم بالله سلامة الاغترار ومعناه سلامتكم منه مع اغتراركم. اهـ.

قوله: **(وبالتاء)** الفوقية على التأنيث (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ. وكذا أبو جعفر ويعقوب والباقون بالتحتية على التذكير. **قوله**: (ما يُفتدى به) مطلقًا فيتناول الإيمان والتوبة والمال فبسبب ما أنتم عليه في الدنيا أيها المنافقون لا يقبل منكم يوم القيامة فداء لارتفاع وقت التكليف ومجيء يوم الجزاء. **قوله**: (هي أولى بكم) أي النار وفيه تغليب المخاطبين على الغائبين. **قوله**: (وحقيقة مولاكم محراكم)

(كما يقال: هو مئنة للكرم) أي مكان لقول القائل إنه لكريم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ **(النار)**.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ من أنى الأمر يأني إذا جاء إناه أي وقته. قيل: **(كانوا مجدبين)** بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة **(ففتروا)** عما كانوا عليه فنزلت.

في حاشية شيخ زاده فالمولى هٰهنا اسم لمكان يقال فيه هو أولى لكم، وكذا المحرى اسم لمكان يقال فيه أنه أحرى بكم وأجدر فهو مفعل من أولى كما أن مَئِنةً مفعلة من أن التي للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لأن الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إن طول الصلاة وقصر الخطبة مَئِنَّة الرجل المسلم أي أن هذا مما يعرف به فقه الرجل ومكان يقول القائل فيه أنه عالِم وأنه فقيه. اهـ.

وفي الشهاب حقيقة مولاكم هنا محراكم بالحاء والراء المهملتين أي المحل الذي يقال فيه إنه أحرى وأحق بكم من قولهم هو أحرى بكم أي خليق وحقيق وجدير به كلها بمعنى وليس المراد أنه اسم مكان من الأولى على حذف الزوائد كما توهم. اهـ. **قوله: (كما يقال: هو مئنة للكرم)** يعني أن مولاكم لا كغيره من أسماء الأمكنة فإنها مكان للحدث بقطع النظر عمن صدر عنه وهذا محل المفضل على غيره الذي هو صفة فهو ملاحظ فيه معنى أولى لا أنه مشتق منه كما أن المئنة مأخوذة من أن التحقيقية وليست مشتقّة منه إذ لم يذهب أحد من النحاة إلى الاشتقاق من اسم التفضيل كما لم يقل أحد بالاشتقاق من الحرف ومئنة الكرم وصف له به على طريق الكناية الرمزية، كقولهم: الكرم بين برديه كما في شرح الكشّاف. اهـ شهاب. **قوله: (النار)** مخصوص بالذّم.

قوله: (كانوا مجدبين) في المصباح الجدب هو المحل وزنًا ومعنى وهو انقطاع المطر ويبس الأرض. يقال: جدب البلد بالضم جدوبة فهو جدب وجديب وأرض جدبة وجدوب وأجدبت إجدابًا وجدبت تجدب من باب تعب مثله فهي مجدبة والجمع مجديب وأجدب القوم إجدابًا أصابهم الجدب. اهـ. **قوله: (ففتروا**

(وعن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه: ما كان بين إسلامنا) وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين. وعن أبي بكر ﷺ: إن هذه الآية قُرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاءً شديدًا فنظر إليهم فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ **(بالتخفيف: نافع وحفص. الباقون** ﴿نَزَّلَ﴾) و«ما» بمعنى «الذي»، **(والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن)** لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ﴾ القراءة بالياء عطف على «نخشع» **(وبالتاء: رويس على الالتفات)**، ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا، وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقّت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم **(الجفاء)** والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ الأجل أو الزمان ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ باتباع الشهوات ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين أي وقليل منهم مؤمنون.

أي كان فترة وكسل عما كانوا عليه قبل الهجرة من المجاهدة النفسية والخشوع فعلى هذا المقصود هنا الحثّ على العود إلى حالهم الأول. **قوله: (وعن ابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذليّ أبو عبد الرحمٰن من السّابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأقرّه عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة **(رضي الله تعالى عنه: ما كان بين إسلامنا...)** الخ أخرجه مسلم. **قوله: (بالتخفيف)** أي بتخفيف الزاي ثلاثيًا لازمًا مبنيًّا للفاعل وهو الضمير العائد لما الموصولة **(نافع وحفص الباقون** ﴿نَزَّلَ﴾) بالتشديد معدّى بالتضعيف مسند الضمير اسم الله تعالى. **قوله: (والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن)** فاتحدوا العطف لجعل تغاير الوصفين كتغاير الذاتين. **قوله: (وبالتاء رُوَيْس على الالتفات)** لمزيد التوبيخ، ورُوَيْس يروي عن يعقوب[1] بن إسحٰق البصري الحضرمي وليس من السبعة. **قوله: (الجفاء)** أي الغلظة.

---

(١) له ثلاث روايات رواية رَوْح وزَيْد ورُوَيْس. ١٢ منه ﷺ.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ **(قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض)**.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ **(بتشديد الدال وحده: مكي وأبو بكر)** وهو اسم فاعل **(من «صدق»)** وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين. الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل **(مَن «تصدّق»)** فأُدغمت التاء في الصاد **(وقرىء على الأصل)** ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ **(هو عطف على معنى الفعل في**

قوله: (قيل: هذا تمثيل[(١)] **لأثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض)** يعني أن قوله تعالى: ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ استعارة تمثيلية والمعنى تلين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه إحياء القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر، وتلاوة القرآن بإحياء الأرض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشيء إلى كماله المتوقع بعد خلوه عنه ثم أطلق اسم المشبّه به على المشبّه ترغيبًا في الخشوع المذكور، فإن التمثيل المذكور لتضمنه تشبيه قسوة القلب بموت الأرض وتشبيه طريان خشوعها المتفرّع على الذكر والتلاوة بحياة الأرض الميتة ترغيب لا محالة في تحصيل الخشوع وترك القسوة. فالآية تمثيل لأثر الذكر في القلوب بعد قسوتها أو بيان أنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. هـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بتشديد الدّال وحده: مكيّ) أي ابن كثير المكيّ (وأبو بكر) شعبة. **قوله:** (من صدق) من التصديق بالإيمان. **قوله:** (مَن تصدق) «أعني [illegible] من التصدّق والأصل المتصدّقين والمتصدّقات أدغم التاء في الصاد. **قوله:** (وقرىء في الشواذ (**على الأصل**) والقارىء أبيّ. **قوله:** (هو عطف على معنى الفعل في

---

(١) أي استعارة تمثيلية وذكرت استطرادًا لإرشادهم إلى إزالة ما يقسي قلوبهم [illegible] الذي أحيى موات الجمادات بالنباتات فإنه هو القادر على إحياء تلك [illegible] بذكره وتلاوة كلامه فالمستعار له ما يمن به من الخشوع وزوال القسوة. هـ [illegible] منه رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾) لأن اللام بمعنى «الذين» واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو (**اصدقوا**) كأنه قيل: إن الذين اصّدّقوا وأقرضوا، والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النيّة على المستحق للصدقة ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ (﴿**يضعّف**﴾ **مكي وشامي**) ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي الجنّة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (**يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء**) وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم، ويجوز أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾) لا على لفظ المحلى باللام لأن عطف الفعل على الاسم قبيح. **قوله**: (أصدقوا) أصله تصدّقوا هذا على القراءة بتشديد الصاد والدال أو صدقوا على قراءة تشديد الدال فقط. **قوله**: (﴿**يضعّف**﴾) بتشديد العين ولا ألف بينها وبين الضاد (**مكي**) أي ابن كثير المكيّ (**وشامي**) أي ابن عامر الشاميّ. وقرأ الباقون بتخفيف العين وبينها وبين الضاد ألف.

قوله: (**يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء**) جواب عما يقال كيف حكم على كل مَن آمن بالله ورُسله بأنه هو الصدّيق والشهيد، مع أن الظاهر أن كل واحد منهما أخصّ من المؤمن لأن الصدّيق هو السابق إلى التصديق والشهيد من استشهد في سبيل الله، أجاب عنه بأن قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ أي على سبيل التشبيه ثم بيّن تعالى وجه التشبيه بقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي لهم أجر مثل أجر الصدّيقين والشهداء ولهم نور مثل نورهم. **وعبارة تفسير البيضاوي** لهم مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت انتهت بحروفها. **وفي حاشيته للعلّامة الشهاب رحمه الله** قوله: ولكن من غير تضعيف... الخ دفع لما يقال إنه كان يتوهّم فيما ذكر مع التفاوت الكثير بأن المراد مساواة أجر هؤلاء مع إضعافه لأجر

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ كلعب الصبيان ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النسوان ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر الدهقان ﴿فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ (ٱلْكُفَّارَ) نَبَاتُهُۥ

أولئك بدون الإضعاف فيندفع المحذور، كما أشار إليه بقوله: ليحصل التفاوت انتهت بحروفها. **وفي حاشيته للعلّامة القنويّ رحمه الله** قوله: لكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت أي من غير تضعيف أجورهم لقرينة تفاوت الفريقين في الرتبة والشرف، فالتشبيه في الكيف دون الكم مع أن التشبيه يقتضي المغايَرة فلا إشكال بأنه يلزم التساوي في الأجور والنور وليس كذلك انتهت. **وفي تفسير أبي السعود** ليست المماثلة بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما للفريقين الأخيرين بل بين تمام ما للأول من الأصل والإضعاف، وبين ما للأخيرين من الأصل بدون الإضعاف. اهـ. **وفي التمجيد على تفسير البيضاوي** قوله: مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف في أجر الصدّيقين إذ لو اعتبر التضعيف في أجر الصدّيقين لا يكون أجر المؤمنين مثل أجرهم بل يكون أجرهم أنقص من أجرهم، والحاصل أن أجر المؤمنين مع التضعيف يساوي أجر الصدّيقين وحده بدون التضعيف وتمام التحقيق أن لكل مكلّف أجرًا يستحقه بسبب العمل وله زيادة عليه وفضل فإذا اعتبر جزاء المؤمنين مع تلك الزيادة يساوي أجر الصدّيقين وحده فيبقى للصدّيقين الفضل عليهم بما يزاد على الجزاء وبهذا ظهر التفاوت. قوله: (من غير تضعيف) جواب لسؤال أورده صاحب الكشّاف بقوله: فإن قلت: كيف يسوّى بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت. ثم أجاب عنه على أصل الاعتزال بقوله: قلت: المعنى أن الله تعالى يعطي المؤمنين أجرهم ويضعفه لهم بفضله حتى يُساوي أجرهم مع إضعافه أجر أولئك. قال الطيبي رحمه الله: هذا الجواب بناء على قاعدة الاعتزال. اهـ. **قوله**: (﴿ٱلْكُفَّارَ﴾) [illegible] هٰهنا إما الكفّار بالله تعالى وإما الحراث لأنهم يكفرون البذر أي يغطونه ويسترونه بتراب الأرض.

(﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ متفتتًا، شبه حال الدنيا وسرعة (**تقضيها مع قلّة جدواها**) بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوي وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه (**العاهة فهاج**) واصفرّ وصار حطامًا عقوبة لهم على جحودهم (**كما فعل بأصحاب الجنة**

قوله: (﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾) أي ييبس بعد زمان قريب، يُقال: هاج النبت هياجًا أي يبس. **قوله**: (**تقضيها**) أي فنائها. **قوله**: (**مع قلّة جدواها**) الجَدوى العَطِية كذا في مختار الصحّاح وغيره. **قوله**: (**العاهة**) هي ما يصيب الزرع. **قوله**: (**فهاج**) أي يبس. **قوله**: (**كما فعل بأصحاب الجنة**) عرف الجنة لأنها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعاء بفرسخين. يقال له: الضر وأن يطؤه أهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأ المنجل أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات شح بنوه بذلك وكانوا ثلاثة فقالوا: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذو عيال فحلفوا على أن يجذوها قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء إلا بعد فراغهم، وذلك معنى قوله تعالى في سورة نٓ (﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾) أي اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ﴾) أي حين (﴿أَقْسَمُواْ﴾) «أي حلفوا» (﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾) ليقطعن ثمرها (﴿مُصْبِحِينَ﴾) داخلين في أول وقت الصباح لئلّا تشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدّق به عليهم منها، ولا: أي والحال أنهم (﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ١٨﴾) في يمينهم أي ولا يقولون إن شاء الله (﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾) أي عذاب من ربك وهو نار أحرقتها ليلًا (﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ﴾) أي الجنة (﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾) أي كالليل الأسود المظلم. وقال ابن عباس: كالرماد وهو بلغة خزيمة (﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ٢١﴾) أي فنادى بعضهم بعضًا لما أصبحوا (﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾) تفسير للتنادي أو أن مصدرية أي بأن على (﴿حَرْثِكُمْ﴾) يعني الثمار والزروع والأعناب (﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾) أي قاطعين ثماركم، وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله أي فاغدوا (﴿فَٱنطَلَقُواْ﴾) أي مشوا إليها وهم (﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾) أي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرًّا (﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ﴾) أي في جميع النهار (﴿عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ٢٤ وَغَدَوْاْ﴾) أي ساروا إليها غدوة (﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾) منع الفقراء (﴿قَٰدِرِينَ﴾) عليه في ظنّهم (﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾) أي رأوا الجنة محترقة (﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾)

وصاحب الجنتين). وقيل: (الكفار الزراع) ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكفار ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ للمؤمنين يعني أن الدنيا وما فيها ليست إلا من محقرات

أي لمخطئون الطريق أضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾) أي قال بعضهم: قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾) أي أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم (﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾) أي هلا ولم لا تستثنون فكان استثناؤهم تسبيحًا. قال مجاهد وغيره وهذا يدل على أن هذا الأوسط كان يأمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه. قال أبو صالح: كان استثناؤهم سبحان الله، فقال لهم: هلا تسبّحون الله أي تقولون: سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم. وقيل: المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبث نيّتكم. قيل: إن القوم لما عزموا على منع الزكاة فاغترّوا بالمال والقوة، قال لهم أوسطهم: توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا العذاب ذكّرهم أوسطهم كلامه الأول وقال: ألم أقل لكم لولا تسبّحون فحينئذٍ اشتغلوا بالتوبة بأن (قالوا: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾) أي يلوم بعضهم بعضًا، (﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾) في منعنا حق الفقراء والمساكين. وقيل: معناه طغينا في نِعَم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: (﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾)، وقد قيل: إن الله تعالى قَبِل رجوعهم وأخلف عليهم فأبدلهم جنة يُقال لها الحيوان كان القطف الواحد منها يحمله وحده من كبره البغل. رواه البغوي عن ابن مسعود وقال أبو خالد اليماني: دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم. وقال الحسن قول أهل الجنة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القَلَم: الآية ٣٢] لا أدري إيمانًا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدّة فتوقف في كونهم مؤمنين. وسُئل قتادة عن أصحاب الجنة أنهم من أهل الجنة أم من أهل النار، قال: لقد كلّفتني تعبًا والأكثرون يقولون إنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري. قوله: (وصاحب الجنتين) وهو المذكور في سورة الكهف في قوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ إلى آخر القصة. قوله: (الكفار الزراع) إنما سمى الزراع كفارًا لسترهم الأرض بالبذر.

الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد. والكاف في ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ في محل رفع على أنه خبر بعد خبر أي الحياة الدنيا مثل غيث ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ لمن (**ركن إليها**) واعتمد عليها. قال (**ذو النون**): يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وإن طلبتموها فلا تحبوها فإن الزاد منها والمقيل في غيرها.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنّة بقوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ أي بالأعمال الصالحة ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقيل: سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم (**في المضمار**) ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (**قال السدي: كعرض سبع السمٰوات وسبع الأرضين**). وذكر العرض

قوله: (ركن إليها) في المغرب الرّكون الميل. يقال: ركن إليه إذا مال إليه وسكن. اهـ. **قوله**: (ذو النون) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصريّ. وقيل الفيض بن إبراهيم توفيّ سنة خمس وأربعين ومائتين.

قوله: (في المضمار) حاشية شيخ زاده رحمه الله المضمار ما يضمر فيه الخيل وتضمير الفرس بأن تعلّقه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك يكون في أربعين يومًا، وهذه المدة تُسمى مضمارًا ويُسمى به الموضع الذي يُضمر فيه الخيل أيضًا. اهـ. وفي القونوي قال الجوهري: وتضمير الفرس أن تعلّقه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يومًا، وهذه المدة تُسمى مضمارًا والموضع الذي يُضمر فيه الفرس مضمار وفي مقدمة الإرب المضمار موضع طراد الخيل. وهذا المعنى الأخير هو الأنسب للمقام لقوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾. اهـ.. **قوله**: (قال السدي) في المصباح: السدّة الباب ويُنسب إليها على اللفظ، فيقال السديّ ومنه الإمام المشهور وهو إسماعيل السديّ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة. اهـ (**كعرض سبع السمٰوات وسبع الأرضين**) يعني أن السمٰوات السبع

دون الطول لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط، **(أو أريد بالعرض البسطة)** وهذا ينفي قول من يقول: إن الجنّة في السماء الرابعة، لأن التي في إحدى السمٰوات لا تكون في عرض السمٰوات والأرض ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ **(وهذا دليل على أنها مخلوقة)** ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون، وفيه دليل على أنه لا يدخل أحد الجنّة إلا بفضل الله ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)﴾

ثم بيّن أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ **(من الجدب)** وآفات الزروع والثمار. وقوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في موضع الجرّ أي ما أصاب من مصيبة ثابتة في الأرض ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من الأمراض **(والأوصاب)** وموت الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح وهو في موضع الحال أي إلا مكتوبًا في اللوح ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ من قبل أن نخلق الأنفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وإن كان عسيرًا على العباد.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)﴾

ثم علّل ذلك وبيّن الحكمة فيه بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ تحزنوا حزنًا يطغيكم ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح

والأرضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعًا. **قوله: (أو أريد بالعرض البسطة)** أي السعة لأنه يجيء بهذا المعنى أيضًا كقوله: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصّلت: الآية ٥١]. **قوله: (وهذا دليل على أنها مخلوقة)** أي موجودة الآن لقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ بصيغة الماضي والتأويل بأنه عبر بالماضي لتحقق وقوعه خلاف الظاهر وقصة آدم عليه السلام صريحة في وجودها الآن.

قوله: (من الجدب) أي القحط. **قوله: (والأوصاب)** في لسان العرب الوصب الوجع والمرض والجمع أوصاب. اهـ.

(**المختال الفخور**) ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ أعطاكم من الإيتاء. (**أبو عمرو وأتاكم**) أي (**جاءكم**) من الإتيان يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدّر مكتوب عند الله، قل (**أساكم**) على الفائت وفرحكم على الآتي، لأن مَن علم أن ما عنده مفقود لا محالة (**لم يتفاقم**) جزعه عند فقده لأنه (**وطن نفسه**) على ذلك، وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله، وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغي أن يكون الفرح شكرًا والحزن صبرًا، وإنما يذمّ من الحزن الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الأشر المطغي الملهي عن الشكر ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن مَن فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبّر على الناس.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ (**خبر مبتدأ محذوف**) أو بدل من كل مختال فخور كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالًا وحظًّا من الدنيا، فلحبهم له وعزّته عندهم (**يزوونه**) عن حقوق الله ويبخلون به ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ﴾ ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم في الإمساك ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعرض عن الإنفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن جميع المخلوقات فكيف عنه؟ ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ في أفعاله. (**«فإن الله الغني» بترك** ﴿هُوَ﴾): مدني (**وشامي**).

قوله: (**المختال**) المتكبّر (**الفخور**) على الناس بما أوتي. **قوله:** (**أبو عمرو**) «أتاكم» بقصر الهمزة أي (**جاءكم**) من الإتيان والباقون بالمدّ من الإيتاء. **قوله:** (**أَسَاكم**) حزنكم. **قوله:** (**لم يتفاقم**) **في لسان العرب** تفَاقم الأمر أي عَظُم.اهـ. **قوله:** (**وَطّن نفسه**) **في المصباح** وَطّن نفسه على الأمر نفسه توطينًا مهّدها لفعله وذلّلها.اهـ.

قوله: (**خبر مبتدأ محذوف**) أي هم الذين. **قوله:** (**يزوونه**) أي يجمعونه. **قوله:** (**«فإن الله الغني» بترك** ﴿هُوَ﴾) على جعل الغنيّ خبر إن مدنيّ أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الوحي. (**وقيل: الرسل الأنبياء**). والأول أولىٰ لقوله: ﴿مَعَهُمُ﴾ لأن الأنبياء ينزل عليهم الكتاب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ رُوِيَ أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوحٍ وقال: مُر قومك يزنوا به ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ليتعاملوا بينهم إيفاء واستيفاء ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ولا يظلم أحد أحدًا ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قيل: نزل آدم من الجنّة ومعه خمسة أشياء من حديد: (**السندان**) و(**الكلبتان**) و(**الميقعة**) و(**المطرقة**) و(**الإبرة**). ورُوِيَ ومعه (**المرّ**) و(**المسحاة**).

وقرأ **الباقون** بإثباتها فصلًا بين الاسم والخبر كما هو الأكثر، ويسميه البصريون فصلًا أي يفصل الخبر عن الصفة والكوفيون عمادًا. وأعرب بعضهم ﴿هُوَ﴾ مبتدأ وخبره ﴿الْغَنِيُّ﴾ والجملة خبر ﴿فَإِنَّ﴾، واستحسن أبو علي كونه فصلًا فقط لا مبتدأ لأن حذف المبتدأ غير سائغ أي رجح فصليته لحذفه في القراءة الأخرى.

قوله: (**وقيل: الرسل الأنبياء**) ويكون معهم حالًا مقدّرة من الكتاب أي أنزلاه صائرًا معهم. **قوله**: السندان. **في المصباح** (**السندان**) بالفتح وزان سعدان زبرة الحدّاد.اهـ. **وأيضًا فيه** الزبرة القطعة من الحديد والجمع زبر مثل غرفة وغرف.اهـ. وفي لسان العرب السندان العلاة.اهـ. **وأيضًا فيه** العلاة الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد والعلاة السندان. وفي حديث عطاء في مهبط آدم أهبط بالعَلاة وهي السندان والجمع العلا.اهـ. **قوله**: (**الكلبتان**) آلة يؤخذ بها الحديد المحمّى. **قوله**: (**المِيْقَعة**[1]) المبرد وهو ما يحدّ به الحديد. **قوله**: (**المطرقة**) بالكسر آله يُضرب بها الحدادون الحديد المحمّى. **قوله**: (**الإبرة**) معروفة وهي المخيط والجمع إبر مثل سدرة وسدر. **قوله**: (**المرّ**) في المغرب المَرُّ بالفتح الذي يُعمل به في الطين.اهـ. **وفي لسان العرب** المرّ المِسْحاة، وقيل: مقبضها وكذلك هو من المحراث.اهـ. **قوله**: (**المِسْحاة**) وهي المِجْرفة من الحديد والميم زائدة

(١) الميم زائدة والياء بدل من الواو قلبت لكثرة الميم. ١٢ منه رحمه الله.

(**وعن الحسن**): وأنزلنا الحديد خلقناه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال السيوف و(**الرماح**) وسائر (**السلاح**) في مجاهدة أعداء الدين. (**وقال الزَّجَّاج**): ليعلم الله مَن يقاتل مع رسوله في سبيله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ غائبًا عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ يدفع بقوته بأس مَن يعرض عن ملّته ﴿عَزِيزٌ﴾ (**يربط بعزّته جأش مَن يتعرّض لنصرته**). والمناسبة (**بين هذه الأشياء الثلاثة**) أن الكتاب قانون الشريعة ودستور الأحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الأحكام والحدود، ويأمر بالعدل والإحسان وينهي عن البغي والطغيان، واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوي والتعادل وهي الميزان. ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للأوامر الإلٰهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية إنما تحضّ العامّة على اتباعهما بالسيف الذي هو حجّة الله على مَن جحد وعنَد، ونزع عن صفقة الجماعة اليد. وهو الحديد الذي وصف بالبأس الشديد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ خصّا بالذكر لأنهما أبوان للأنبياء عليهم السلام ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أولادهما ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ الوحي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

لأنه من السَّحو الكشف والإزالة كذا في لسان العرب. قوله: (وعن الحسن) البصري رضي الله تعالى عنه. قوله: (الرماح) جمع رمح وهو معروف. قوله: (السلاح) بالكسر آلات جنك. اهـ اختري. قوله: (وقال الزجاج): هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل. قوله: (يربط بعزّته جأش من يتعرّض لنصرته) **في لسان العرب** الجأش النَّفْس، وقيل: القلب، وقيل: رِباطه وشدّته عند الشيء يسمعه ما هو وفلان قوي الجأش أي القلب والجأش جأش القلب وهو رُواعه الليث جأش النفس رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع يقال إنه لواهي الجأش فإذا ثبت قيل: إنه لرابط الجأش ورجل رابط الجأش يَرْبط نفسه عن الفرار يكفّها لجرأته وشجاعته، وقيل: يَرْبط نفسه عن الفرار لشجاعته. اهـ. قوله: (بين هذه الأشياء الثلاثة) أي الكتاب والميزان والحديد.

الخط بالقلم. يقال: كتب كتابًا وكتابة ﴿فَمِنْهُم﴾ فمن الذريّة أو من المرسل إليهم وقد دلّ عليهم ذكر الإرسال والمرسلين ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ هذا تفصيل لحالهم أي فمنهم مَن اهتدى باتباع الرسل، ومنهم مَن فسق أي خرج عن الطاعة والغلبة للفساق.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي نوح وإبراهيم ومَن مضى من الأنبياء ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ مودة ولينًا ﴿وَرَحْمَةً﴾ تعطفًا على إخوانهم كما قال في صفة أصحاب النبيّ ﷺ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: الآية ٢٩] ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي ترهبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهي الفعلة المنسوبة **(إلى الرهبان)** وهو الخائف. فعلان من رهب كخشيان من خشي. وانتصابها بفعل مضمر يفسّره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ أي أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ لم نفرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحلّ **(نكثه)** ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ الكافرون.

قوله: (إلى الرهبان) بفتح الراء صفة مشبّهة كالعطشان أبلغ من الراهب بمعنى الخائف، يقال: رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة ورهبًا بالضم ورهبانًا بفتحات ثلاث أي خاف فهو راهب ورهبان والرهبانية الفعلة المنسوبة إلى الرهبان للمبالغة في العبادة. **قوله**: (نكثه) أي نقضه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الخطاب لأهل الكتاب ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النور المذكور في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ الآية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ (ليعلم) ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الذين لم يسلموا (و«لا» مزيدة) ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ «أن» مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعني أن الشأن لا يقدرون ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي لا ينالون شيئًا مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ فلم ينفعهم إيمانهم بمَن قبله ولم يكسبهم فضلًا قط ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ عطف على «أن لا يقدرون» ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ أي في ملكه وتصرفه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والله أعلم.

قوله: (ليعلم) أشار بهذا إلى أن لا زائدة. **قوله**: (و«لا» مزيدة) فإنه يجوز زيادتها مع القرينة كثيرًا للأمن من الالتباس وجه الزيادة التأكيد.

تمّ هنا ما يتعلّق بسورة الحديد والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين

(سورة المجادلة)

مدنية (وهي اثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ تحاورك وقرىء بها، **(وهي خولة بنت ثعلبة)** امرأة **(أوس بن الصامت)** أخي عبادة رآها وهي تصلّي **(وكانت حسنة الجسم)**، فلما سلمت **(راودها)** فأبت فغضب **(فظاهر منها)** فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أوسًا تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني ونشرت بطني ـ أي كثر ولدي ـ جعلني عليه كأمه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة المجادلة)** بفتح الدال وكسرها والثاني هو المعروف كما في الكشف وتُسمى سورة قد سمع. اهـ شهاب.

فائدة هذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور فهي الثامنة والخمسون منها وهي أول العشر الأخير من القرآن باعتبار عدد أجزائه وليس فيها آية إلّا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثة وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون. **قوله**: **(وهي اثنتان وعشرون آية)** وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف

....

وسبعمائة واثنان وسبعون حرفًا كذا في الخطيب. قوله: (وهي خولة بنت ثعلبة...) الخ هي صحابيّة من الأنصار. واختلف في اسمها واسم أبيها فقيل: اسمها خولة، وقيل: خُويلة بنت خُويلد، وقيل: بنت مالك بن ثعلبة، وقيل: بنت ثعلبة بن مالك كانت تحت أوس بن الصامت وكان شيخًا كبيرًا أساء خلقه فغضب يومًا، وقال لها: أنت عليّ كظهر أمي ثم عاد وراودها فأتت النبيّ ﷺ إلى آخر القصة. اهـ شهاب.

وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة (ب د ع)[1] **خولة** بنت ثعلبة، وقيل: خويلة، والأول أكثر. وقيل: خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف. رُوِيَ عن يوسف بن عبد الله بن سلام خولة. وروى عنه خويلة أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله بن أحمد حدّثني أبي أخبرنا سعد ويعقوب ابنا إبراهيم قالا: حدّثنا أبي أخبرنا محمد بن إسحٰق عن معمر بن عبد الله حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام، حدّثتني خويلة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، قالت: فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عزّ وجلّ صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد أساء خلقه وضجر. قالت: فدخل عليّ يومًا فراجعته في شيء فغضب وقال: أنت عليّ كظهر أمي ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا. قالت: فواثبني وامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني. قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ القرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشّاه ثم سري عنه، فقال: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك» ثم قرأ عليّ

(١) علامة ابن عبد البر صورة ب وعلامة ابن مندة د وعلامة أبي نعيم ع. ١٢ منه رحمه الله.

....

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآيات ١ ـ ٤] قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مُريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «فليطعم ستين مسكينًا وسقًا من تمر»، قالت: فقلت: يا رسول الله ما ذاك عنده قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بعرق من تمر»، قالت: فقلت: يا رسول الله وأنا سأعينه بعرق آخر، قال: «فقد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدّقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرًا»، قالت: ففعلت. ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحٰق بإسناده. وقال: خولة بنت ثعلبة ورواه جعفر عن عطاء بن الحارث عن ابن إسحٰق بإسناده. فقال: خولة بنت مالك. ورواه محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وذكر نحوه. ورواه أبو إسحٰق السبيعي عن يزيد بن زيد عن خولة بنت الصامت وذكر نحوه وأخرج ابن مندة حديثها وترجم عليه خولة بنت الصامت ويرد ذكره إن شاء الله تعالى. وروى محمد بن السائب الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم الأنصارية كانت تحت أوس بن الصامت وذكر نحوه. وقيل: جميلة. وقيل: خويلة بنت دليج ولا يثبت والأول أصحّ. رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه خرج ومعه الناس فمرّ بعجوز فجعل يحدّثها وتحدّثه فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، قال: ويلك تدري مَن هذه هي امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سمٰوات هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: الآية ١] والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع أخرجها الثلاثة. اهـ بحروفها. وقوله: أخرجها الثلاثة يعني أبا عمر بن عبد البر وابن مندة وأبا نعيم. قوله: (أوس بن الصامت) بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم وهو قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف الخزرجي الأنصاري الخزرجي أخو عبادة بن الصامت شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو الذي ظاهر من امرأته ووطئها قبل أن يكفر فأمره رسول الله ﷺ أن يكفر بخمسة عشر صاعًا من شعير على ستين مسكينًا.

وَرُوِيَ أنها قالت: (إن لي صبية صغار) إن ضممتهم إليه (ضاعوا) وإن ضممتهم إليّ (جاعوا). فقال ﷺ: «ما عندي في أمرك شيء». ورُوِيَ أنه قال لها:

أخبرنا عبد الوهاب بن أبي منصور الأمين بإسناده إلى أبي داود سليمان بن الأشعث، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا يحيىٰ بن آدم، أخبرنا ابن إدريس عن محمد بن إسحٰق عن معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت. وذكر الحديث قال ابن عباس أول ظهار كان في الإسلام أوس بن الصامت وكان تحته بنت عم له فظاهر منها وكان شاعرًا ومن شعره:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدّي أبوه عامر ماء السماء

وسكن هو وشداد بن أوس الأنصاريّ البيت المقدّس وتوفيّ بالرملة من أرض فلسطين سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ومات أخوه عبادة بالرملة، وقيل: بالبيت المقدس. قاله أبو أحمد العسكريّ أخرجه الثلاثة يعني أبا عمر بن عبد البر وابن مندة وأبا نعيم. اهـ أسد الغابة.

قوله: (وكانت حسنة الجسم) فرآها ساجدة في الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها. قوله: (راودها) أي طلب وقاعها. **في المصباح** راودته على الأمر مراودة ورِوادًا من باب قاتل طلبت منه فعله وكأن في المراودة معنى المخادعة لأن الطالب يتلطّف في طلبه تلطّف المخادع ويحرص حرصه. اهـ. **وفي المغرب** في حديث خَوْلَةَ وراودني عن نفسه أي خادعني عنها. اهـ. قوله: (فظاهر منها) أي قال لها أنت عليّ كظهر أمي وهذا معنى المظاهرة وحاصلها تشبيه زوجة أو عضو منها يعبّر عن جملتها كالرأس والرقبة أو جزء شائع كالنصف والربع ونحو ذلك منها بعضو يحرّم عليه النظر إليه من محارمه ولو رضاعًا ومظاهرة أوس ما ذكرنا من قوله لها: أنت عليّ كظهر أمي فشبّه زوجته بعضو يحرم النظر إليه من أمه، وهذا اللفظ المذكور ونحوه لا يحتمل غير الظهار. وكان الظهار من الطلاق في الجاهلية، وقيل: في أوّل الإسلام. **قوله**: (إن لي صبية صغار) أو كانا ولدين. **قوله**: (ضاعوا) أي من عدم المتعهد بالخدمة. **قوله**: (جاعوا) أي من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الفروع لم تكن إذ ذاك واجبة على الأصول. كما أشار له العلّامة القارىء في الجمالين حيث قال: **قوله**: (جاعوا) فكأن النفقة لم تكن واجبة. اهـ.

حرمت عليه. فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقًا وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ. فقال: حرمت عليه فقالت: أشكو إلى الله (**فاقتي ووجدي**) كلما قال رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت: ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ في شأنه ومعناه ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تظهر ما بها من المكروه ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ مراجعتكما الكلام (**من حور إذا رجع**) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع شكوى المضطرّ ﴿بَصِيرٌ﴾ بحاله.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ **عاصم** ﴿**يظَّهَرون**﴾: **حجازي وبصري غيرهم** ﴿**يظَّاهرون**﴾) وفي ﴿مِنكُم﴾ توبيخ للعرب لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾ زوجاتهم (﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ **أمهاتُهم المفضل**)، الأول حجازي والثاني تميمي ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ يريد أن الأمهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع، وكذا أزواج

قوله: (**فاقتي**) لأنها افتقرت بعد أن كانت غنية. **قوله**: (**ووَجْدي**) بفتح فسكون أي حزني. **قوله**: (**من حور إذا رجع**) في لسان العرب الحور الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حار إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحارًا ومَحارة وحُؤرًا رجع عنه وإليه.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾) بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء بعد الألف (**عاصم**) رحمة الله عليه (**يظَّهَرون**) بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء مفتوحتين بلا ألف (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازي أي نافع المدني. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (**وبصريّ**) أي أبو عمرو البصري. وكذا سهل بن محمد البصري ويعقوب بن إسحٰق البصري، وليسا من السبعة هكذا في تفسير النيسابوري. وفي تفسير البغوي والإتحاف ذكر قراءة أبي جعفر مثل قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي (**غيرهم يظاهرون**) أي قرأ ابن عامر الشامي وحمزة والكسائي بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وفتح الهاء مخفّفة. **قوله**: (﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾) بالنصب أي بكسر التاء. وهذه قراءة الجمهور (**أمهاتهم**) بالرفع (**المفضل**) بن محمد وهو يروي عن عاصم. **وعبارة البيضاوي** وعن عاصم ﴿أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ بالرفع على لغة تميم انتهت.

رسول الله ﷺ لزيادة حرمتهن، وأما الزوجات فأبعد شيء من الأُمومة فلذا قال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ تنكره الحقيقة والأحكام الشرعية ﴿وَزُورًا﴾ وكذبًا باطلًا منحرفًا عن الحق ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ بيّن في الآية الأولى أن ذلك من قائله منكر وزور، وبيّن في الثانية حكم الظهار ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالىٰ: (﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾) [يٓس: الآية ٣٩]. ومن الثاني: (﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾) [الإسراء: الآية ٨] ويعدى بنفسه كقولك: عدته إذا أتيته وصرت إليه، وبحرف الجرّ بـ «إلى» وعلى وفي واللام كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨] ومنه ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي يعودون لنقض ما قالوا أو لتداركه على حذف المضاف، وعن ثعلبة: يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف أيضًا غير أنه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلًا للقول منزلة المقول فيه كقوله: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: الآية ٨٠] أراد المقول فيه وهو المال والولد. ثم اختلفوا أن النقض بماذا يحصل؟ فعندنا بالعزم على الوطء

وفي حاشيته للعلّامة الشيخ زاده رحمه الله قوله: (وعن عاصم ﴿أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ بالرفع على لغة تميم) فإنهم لا يعملون ﴿مَّا﴾ بمعنى ليس بناء على أن أصل العوامل أن تختصّ بالقبيل الذي تعمل فيه من الاسم أو الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها وكلمة ما تدخل على القبيلين غير مختصّة بأحدهما فلا تعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم اختصاصها لقوة مشابهتها بليس وهي اللغة الفصيحة التي ورد عليها القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: الآية ٣١]، وعليها قراءة الجمهور هٰهنا حيث قرءوا ﴿أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ بالنصب أي بكسر التاء انتهت.

قوله: (﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾) أي القمر في آخر منازله في رأي العين (﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾) أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يدق ويتقوّس ويصغر. **قوله**: (﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾) الخطاب لبني إسرائيل أي وإن عدتم إلى الفساد (﴿عُدْنَا﴾) إلى العقوبة وقد عادوا بتكذيب النبيّ محمد ﷺ فسلّط عليهم بقتل بني قريظة ونفي النضير وضرب

وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة، وعند الشافعي بمجرد الإمساك وهو أن لا يطلقها عقيب الظهار ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فعليه إعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة (**ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذي أدّى شيئًا**) ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ الضمير يرجع إلى ما دلّ عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها. والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا

الجزية عليهم. **قوله**: (**ولم يجز المدبر وأُم الولد**) لاستحقاقهما الجزية بجهة فكان الرقّ فيهما ناقصًا والإعتاق عن الكفّارة يعتمد كمال الرقّ كالبيع فلذا لا يجوز بيعهما. **قوله**: (**المدبر**) التدبير على نوعين مطلق ومقيد، فالمطلق ما علق عتقه بموته من غير انضمام شيء آخر إليه، كذا في الينابيع وحكمه إذا كان حيًا لا يجوز بيعه ولا هبته ولا التزوّج عليه ولا التصدّق به ولا رهنه وله إعتاقه وكتابته. كذا في السراج الوهّاج وللمولى أن يستخدمه ويؤجره وإن كان أمة وطئها وله أن يزوّجها كذا في الكافي وأكسابه ومهر المدبرة وإرشها للمولى. كذا في الينابيع وإن مات المولى عتق المدبر من ثلث ماله حتى لو لم يكن له مال غيره سعى في ثلثيه كذا في الكافي وإذا كان على المولى دين مستغرق لرقبة المدبر يسعى في جميع قيمته لغرماء المولى. كذا في غاية البيان وولاء المدبر لمدبره ولا ينتقل عنه كذا في الإيضاح. أما المقيد فهو أن يعلّق عتق عبده بموته موصوفًا بصفة أو بموته وشرط آخر نحو أن يقول: إن متّ من مرضي هذا أو من سفري هذا فأنت حرّ، ونحو ذلك مما يحتمل أن يكون موته على تلك الصفة، ويحتمل أن لا يكون وكذا إذا ذكر مع موته شرطًا آخر يحتمل الوجود والعدم فهو مدبر مقيد كذا في البدائع وحكمه إذا مات على تلك الصفة كما في المطلق وفي الحياة للمولى أن يتصرّف فيه بجميع التصرّفات من البيع والتمليك وغيرهما كذا في السراج الوهّاج. وقوله: (وأم الولد إذا ولدت الأمة من سيّدها بإقراره ولو حاملًا أو من زوج فاشتراها الزوج فهي أُم ولد حكمها كالمدبرة إلا أنها تعتق بموته من كل ماله) والمدبرة من ثلثه (من غير سعاية) والمدبرة تسعى كذا في تنوير الأبصار بزيادة من الدرّ المختار. **قوله**: (**والمكاتب الذي أدّى شيئًا**) أي الذي أدّى بعض بدله لأنه تحرير بعوض. وقوله: والمكاتب اسم مفعول من كاتب مكاتبة والمولى مكاتِب بالكسر.

تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أُمي. وإذا وضع موضع أنت عضوًا منها يعبر به عن الجملة أو مكان الظهر عضوًا آخر يحرم النظر إليه من الأُم كالبطن والفخذ، أو مكان الأُم ذات رحم محرم منه بنسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول: أنت عليّ كظهر أُختي من الرضاع، أو عمتي من النسب، أو امرأة ابني، أو أبي أو أُم امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر، وإذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة أن ترافعه، وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه، ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار لأنه يضرّ بها في ترك التكفير. والامتناع من الاستمتاع فإن مسّ قبل أن يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر، وإن أعتق بعض الرقبة ثم مسّ (**عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة** رضي الله عنه).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ فعليه صيام شهرين ﴿مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام ﴿فَإِطْعَامُ﴾ فعليه إطعام ﴿سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل مسكين نصف صاع من برّ (**أو صاع من غيره**)، ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف إن جامع في خلال الإطعام ﴿ذَٰلِكَ﴾ البيان والتعليم للأحكام ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ لتصدقوا ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار

قوله: (عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه) للأمر به قبل التماس فالشرط للحل مطلقًا إعتاق كل الرقبة قبل التماس ولم يوجد فتقرّر الإثم بذلك الوطء ثم لم يكن اعتبار ذلك البعض من الشرط حتى يكفي معه عتق البعض الباقي لأن المجموع حينئذٍ ليس قبل التماس بل بعضه قبله وبعضه بعده فليس هو الشرط فتبقى الحرمة بعد المجموع كما كانت إلى أن يوجد الشرط وهو عتق كل الرقبة أي قبل التماس الثاني ليحلّ هو وما بعده، أما عندهما فإعتاق البعض قبل الوطء إعتاق الكل بناء على تجزي الإعتاق عنده لا عندهما.

قوله: (أو صاع من غيره) أي أو صاع من تمر أو شعير ودقيق كل كأصله وكذا السويق.

وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم ﴿وَتِلْكَ﴾ أي الأحكام التي وصفنا في الظهار والكفارة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي لا يجوز تعديها ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يتبعونها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعادون **(ويشاقون)** ﴿كُبِتُوا۟﴾ أخزوا وأهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من أعداء الرسل ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ تدلّ على صدق الرسول وصحة ما جاء به ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يذهب بعزّهم وكبرهم ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ **(منصوب بـ ﴿مُّهِينٌ﴾ أو بإضمار «اذكر»)** تعظيمًا لليوم ﴿ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ **(كلهم)** لا يترك منهم أحدًا غير مبعوث **(أو مجتمعين)** في حال واحدة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ تخجيلًا لهم وتوبيخًا وتشهيرًا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي **(على رؤوس الأشهاد)** ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أحاط به عددًا لم يفته منه شيء ﴿وَنَسُوهُ﴾ لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وإنما تحفظ معظمات الأمور ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيب عنه شيء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ﴾ من «كان» التامة أي ما يقع ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ النجوى التناجي وقد أُضيفت إلى ثلاثة أي من نجوى

قوله: **(ويشاقون)** ويخالفون. **قوله**: **(منصوب بـ ﴿مُّهِينٌ﴾)** إذ اليوم عبارة عن الزمان المتّسع، **قوله**: **(أو بإضمار اذكر)** على أن اليوم مفعول به لا ذكر لا ظرف له وفي الأول هو ظرف له. **قوله**: **(كلهم أو مجتمعين)** يعني أن قوله جميعًا منصوب إما على أنه تأكيد للضمير المنصوب في ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾ أو على أنه حال منه بمعنى مجتمعين في حال واحدة. **قوله**: **(على رؤوس الأشهاد)** جمع شاهد كناصر وأنصار.

ثلاثة نفر ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أي الله ﴿رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ ولا أقل ﴿مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوًّا كبيرًا وتخصيص الثلاثة والخمسة لأنها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلّقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين. وقيل: ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون، ولأن أهل التناجي في العادة طائفة من أهل الرأي والتجارب، وأول عددهم الاثنان فصاعدًا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال، فذكر عزّ وعلا الثلاثة والخمسة وقال: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ فدلّ على الاثنين والأربعة، وقال: ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ فدلّ على ما يقارب هذا العدد ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيجازيهم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين ويريدون أن يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا، فنهاهم رسول الله ﷺ فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته، (﴿**ويتنجون**﴾ **حمزة**) وهو بمعنى الأول ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني أنهم يقولون في تحيتك: السام عليك يا محمد. (**والسام الموت**) والله تعالى يقول: ﴿(وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ) ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: الآية ٥٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]،

قوله: (﴿**وينتجون**﴾) بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم بلا ألف على وزن ينتهون من النجوى وهو السر وأصله ينتجون بوزن يفتعلون نقلت ضمة الياء لثقلها إلى الجيم ثم حذفت لسكونها مع سكون الواو (**حمزة**) والباقون بتاء فوقية مفتوحة وبعدها نون مفتوحة وبعد النون ألف وفتح الجيم من التناجي من النجوى أيضًا. **قوله**: (**والسام الموت**) بالعبرية. **قوله**: (﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾...) الخ هو تفسير

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: الآية ١] ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ أي يقولون (**فيما بينهم**) لو كان نبيًا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى: ﴿حَسۡبُهُمۡ (جَهَنَّمُ)﴾ عذابًا ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ حال أي يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ المرجع جهنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر أنه خطاب للمؤمنين ﴿إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي إذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين في تناجيهم بالشر ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ﴾ بأداء الفرائض والطاعات ﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ وترك المعاصي ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شرّ (﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ **بالإثم والعدوان**) ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ من تزيينه (﴿لِيَحۡزُنَ﴾) أي الشيطان. (**وبضم الياء: نافع**) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ﴾ الشيطان أو الحزن ﴿بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بعلمه وقضائه وقدره ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي يكلون أمرهم إلى الله ويستعيذون به من الشيطان.

لما حياه الله به. **قوله**: (**فيما بينهم**) معنى في أنفسهم إذ ظاهره وهو كون القول في قلوبهم وفي أذهانهم لا يفيد فهو بمعنى في جنسهم كقوله تعالى: ﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤] وحاصله فيما بينهم. **قوله**: (﴿جَهَنَّمُ﴾) هو المخصوصُ بالذم المقدر.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ **بالإثم والعدوان**) يعني أن تعريف النجوى للعهد الخارجي من جهة الشيطان وتسويله لهم ذلك. **قوله**: (**وبضم الياء**) وكسر الزاي من أحزنه (**نافع**) والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن. **وفي الجمل** قوله: (﴿لِيَحۡزُنَ﴾) أي الشيطان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم والحزن هم غليظ وتوجع يدق. يقال: حزنه وأحزنه بمعنى قال في القاموس: وأحزنه جعله حزينًا. وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الأولى أشد في المعنى على ما في القاموس. اهـ خطيب. وهذا يقتضي أن الموصول مفعول به على كل من

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ [في المجلس] توسعوا فيه، (﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ **عاصم ونافع**) والمراد مجلس رسول الله ﷺ وكانوا (**يتضامون فيه تنافسًا**) على القرب منه وحرصًا على استماع كلامه. وقيل: هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله: ﴿(مَقَٰعِدَ) لِلۡقِتَالِۗ﴾ [آل عمران: الآية ١٢١]. (**مقاتل**) في صلاة الجمعة ﴿فَٱفۡسَحُواْ﴾ فوسعوا ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر غير

القراءتين وفي السمين أنه على قراءة ﴿لِيَحۡزُنَ﴾ بفتح الياء فاعل. اهـ بحروفه. قلت: عبارة القاموس حزنه الأمر حزنًا بالضم أو أحزنه جعله حزينًا. اهـ بحروفها. وعبارة السمين وقد تقدم قرآنًا ﴿لِيَحۡزُنَ﴾ بالضم والفتح في آل عمران وقرىء بفتح الياء والزاي على أنه يسند إلى الموصول بعده فيكون فاعلًا. اهـ بحروفها. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾) بفتح الجيم وألف بعدها جميعًا (**عاصم ونافع**) والباقون بسكون الجيم ولا ألف إفرادًا. **وعبارة تفسير البغويّ** وغيره قرأ الحسن وعاصم ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ لأن لكل جالس مجلسًا معناه ليفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون في المجلس على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبيّ ﷺ. اهـ. **قوله**: (**يتضامون**) بالتشديد أي يتلاصقون. **قوله**: (**فيه**) الضمير للمجلس. **قوله**: (**تنافسًا**) أي رغبة. **قوله**: (﴿مَقَٰعِدَ﴾) مراكز يقفون فيها للقتال. **قوله**: (**مقاتل**) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني المروزي كان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وأبي إسحٰق السبيعي والضحّاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم. وروى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم وكان من العلماء الأجلّاء، حُكِيَ عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. اهـ وفيات باختصار. **قوله**:

ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ (ٱنشُزُواْ)﴾ انهضوا للتوسعة على المقبلين، أو (**انهضوا**) عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم بالنهوض عنه، أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ (**بالضم فيهما: مدني وشامي وعاصم غير حماد**) ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾. بامتثال أوامره وأوامر رسوله ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ والعالمين منهم (**خاصة**) ﴿دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وفي الدرجات قولان: أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف، والآخر في الآخرة. (**وعن ابن مسعود**) ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، (**وعن النبيّ** ﷺ: «**فضل العالِم على العابِد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**»). وعنه ﷺ: «عبادة

(﴿ٱنشُزُواْ﴾) أي ارتفعوا وقوموا. **قوله**: (**انهضوا**) أي قوموا. **قوله**: (**بالضم فيهما: مدنيّ**) أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ ولس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وعاصم غير حماد**) بن زياد. **عبارة تفسير النيسابوري** ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ بضم الشين فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم غير يحيى[١] وحماد[٢] انتهت. وفي الإتحاف واختلف في انشزوا فانشزوا فنافع وابن عامر وحفص وأبو بكر فيما رواه عنه الجمهور وأبو جعفر بضم الشين فيهما، والباقون بالكسر كذلك والوجهان صحيحان عن أبي بكر وهما لغتان كيعكِف ويعكُف ويحرص ويحرص.اهـ. **قوله**: (**خاصة**) هذا العطف من قبيل عطف الخاص على العام لخصوصية العلم والعمل كأنهم غير المؤمنين وأعلى منهم رتبة وجنسًا. **قوله**: (**وعن ابن مسعود**) أي عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبي عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو التي بعدها بالمدينة. **قوله**: (**وعن النبيّ** ﷺ: «**فضل العالِم**) أي الغالب عليه العلم وهو الذي يقوم بنشر العلم بعد أدائه ما توجّه إليه من الفرائض والسنن المؤكدة (**على العابِد**) أي الغالب عليه العبادة وهو الذي يصرف أوقاته بالنوافل مع كونه عالمًا بما تصح به العبادة (**كفضل القمر ليلة البدر**) أي ليلة الرابع عشر (**على سائر الكواكب**») هذا الحديث رواه عن أبي الدرداء أصحاب السنن الأربعة. وأورده هنا بيانًا لرفعة العلماء على مَن

---

(١) يروى عن أبي بكر شعبة بن عياش وهو يروي عن عاصم ١٢ منه رحمه الله.
(٢) يروي عن عاصم، ١٢ منه.

العالم يومًا واحدًا تعدل عبادة العابد أربعين سنة». وعنه ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء». فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوّة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ! وعن ابن عباس ﵄: خير سليمان ﵇ بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه. وقال ﷺ: «أوحى الله إلى إبراهيم ﵇ يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم» وعن بعض الحكماء: (ليت شعري) أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فات مَن أدرك العلم. (وعن الزبيري): العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال، والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلومًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ إذا أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ أي قبل نجواكم **(وهي استعارة ممن له يدان)** كقول عمر ﵁: من أفضل

سواهم. **قوله**: (ليت شِعْري) أي ليتني علمت. **قوله**: **(وعن الزبيري)** هو أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام الفقيه الشافعي المعروف بالزبيري البصري كان إمام أهل البصرة في عصره ومدرسها حافظًا للمذهب مع حظ من الأدب وقدم بغداد وحدث بها عن داود بن سليمان المؤدّب ومحمد بن سنان القزاز وإبراهيم بن الوليد ونحوهم. وروى عنه النقاش صاحب التفسير وعمر بن بشران السكري وعلي بن هارون السمار ونحوهم وكان ثقة صحيح الرواية وكان أعمى وله مصنّفات كثيرة منها الكافي في الفقه وكتاب النيّة وكتاب ستر العورة وكتاب الهداية وكتاب الاستشارة والاستخارة وكتاب رياضة المتعلّم وكتاب الإمارة وغير ذلك، وله في المذهب وجوه غريبة وتوفي قبل العشرين والثلاثمائة رحمه الله تعالى. اهـ وفيات.

قوله: **(وهي استعارة ممّن له يدان)** يعني أن النجوى ليس لها يدان حتى يضاف إليها لفظ بيْن ويجعل مدلوله ظرفًا لتقديم الصدقة، فلما تعذرت الحقيقة تعيّن المصير إلى المجاز. وقد تقرر أن لفظ يدين في نحو قولك جلست بين يدي فلان مجاز أريد به الجهتان الواقعتان في سمت يديه وما بينهما هو جهة الأمام

ما أُوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ﴿ذَٰلِكَ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دينكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لأن الصدقة طهرة ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في ترخيص المناجاة من غير صدقة. قيل: كان ذلك عشر ليالٍ ثم نسخ. وقيل: ما كان إلا ساعة من نهار ثم نسخ. وقال عليّ ﷺ: هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار (فصرفته) فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابني عنها. قلت: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: التوحيد وشهادة أن لا إلـٰه إلّا الله. قلت: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله. قلت: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قلت: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. قلت: وما عليّ؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله. قلت: وكيف أدعو الله تعالى؟ قال: بالصدق واليقين. قلت: وماذا أسأل الله؟ قال: العافية. قلت: وما أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كل حلالًا وقل صدقًا، قلت: وما السرور؟ قال: الجنّة. قلت: وما الراحة؟ قال: لقاء الله. فلما فرغت منها نزل نسخها.

أطلق لفظ اليدين عليهما على طريق إطلاق اسم الشيء على ما يدانيه ويتصل به وإنما حمل على المجاز لتعذّر حمله على الحقيقة لأن ما بين اليدين حقيقة هو نفس جثة الشخص وهي ليست ظرفًا للجلوس بل ظرفه هو جهة الأمام الواقعة بين الجرمتين المسامتتين لليدين فإذا أُضيف لفظ بين يدي إلى مَن ليس له يدان فضلًا عن أن يكون ليديه جهتان كما في بين يدي الله و﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ يكون لفظ ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ مستعارًا من بين جهتي يدي مَن له يدان بأن ينزل ما بين تينك الجهتين منزلة المعنى الأصلي للفظ بين اليدين ثم يطلق لفظ بين اليدين على ما يشبه ما بين تينك الجهتين فلفظ بين يدي في قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ مستعار من بين جهتي يدي من له يدان وهو جهة الأمام شبه بها ما قبل زمان النجوى من حيث ملاحظة معنى التقديم في كل واحد منهما فهي استعارة متفرّعة على المجاز المرسل.اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: **(فصرفته)** من الصرف المعروف أي بدّله بدراهم الفضة ليتعدد إخراجه وتصدّقه منه مناقشة في مكالمته ﷺ.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾ أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذي تكرهونه ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به وشقّ عليكم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي خفّف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه ﴿فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا وعد ووعيد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٦٠] وينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا مسلمون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا من اليهود كقوله: (﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾) [النساء: الآية ١٤٣] ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي يقولون والله إنا لمسلمون لا منافقون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون منافقون.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ نوعًا من العذاب **(متفاقمًا)** ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي إنهم كانوا في الزمان الماضي مصرّين على سوء العمل أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة.

قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي أبعده عن رحمته. **قوله**: (﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾) مترددين (﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾) الكفر والإيمان (﴿لَآ﴾) منسوبين (﴿إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: الآية ١٤٣]) أي الكفار (﴿وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: الآية ١٤٣]) أي المؤمنين.

قوله: (متفاقمًا) أي عظيمًا يقال: تفاقم الأمر أي عظم والنوعية مستفادة من تنكير عذابًا والعظم من توصيفه بالشدة.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ (وقاية دون أموالهم ودمائهم) ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس في خلال أمنهم وسلامتهم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن طاعته والإيمان به ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وعدهم العذاب المخزي لكفرهم وصدّهم كقوله (﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾) [النحل: الآية ٨٨] ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ (من عذاب الله) ﴿شَيْئًا﴾ قليلاً من الإغناء ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي لله في الآخرة أنهم كانوا مخلصين في الدنيا غير منافقين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا على ذلك ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ﴾ في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من النفع أو يحسبون أنهم على شيء من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا هٰهنا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ استولى عليهم ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (قال شاه الكرماني): علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل

قوله: (وقاية دون أموالهم ودمائهم) أي جنة مجاز عن الوقاية أي الحفظ لأنها لازمها دون بمعنى عند هنا. قوله: (﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾) الناس (﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾) دينه (﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾) الذي استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال. قوله: (من عذاب الله) بتقدير المضاف.

قوله: (قال شاه الكرماني) هو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني كان من أولاد الملوك صحب أبا تراب النخشبي وأبا عبيد البسري وأولئك الطبقة وكان أحد الفتيان كبير الشأن مات قبل الثلاثمائة.

(لبّه) عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ جنده ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ في جملة مَن هو أذلّ خلق الله تعالى لا ترى أحدًا أذلّ منهم ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ﴾ بالحجة والسيف أو بأحدهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ لا يمتنع عليه ما يريد ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب غير مغلوب.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ (يُوَآدُّونَ)﴾ هو مفعول ثانٍ لـ ﴿تَجِدُ﴾ أو حال أو صفة لـ ﴿قَوْمًا﴾ وتجد بمعنى تصادف على هذا ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ خالفه وعاداه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ أي من الممتنع أن تجد قومًا مؤمنين يوالون المشركين، والمراد أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في الزجر عن مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم.

وزاد ذلك تأكيدًا وتشديدًا بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ وبقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي أثبته فيها،

قوله: (لبّه) في المصباح اللب العقل والجمع اللباب مثل قفل وأقفال. اهـ.

قوله: (﴿يُوَآدُّونَ﴾) هو مفعول ثانٍ لـ ﴿تَجِدُ﴾ أو حال أو صفة لـ ﴿قَوْمًا﴾ وتجد بمعنى تصادف على هذا) أي قوله: ﴿يُوَآدُّونَ﴾ مفعول ثان لـ ﴿تَجِدُ﴾ إن كان بمعنى تعلم وإن كان بمعنى تصادف وتلقى فالجملة حال أو صفة لـ ﴿قَوْمًا﴾.

وبمقابلة قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ﴾ أي بكتاب أنزله فيه حياة لهم، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان أي (بروح من الإيمان) على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به.

(وعن الثوري) أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان. (وعن عبد العزيز بن أبي رواد) أنه لقيه (المنصور) فلما عرفه هرب منه وتلاها. وقال

قوله: (بروح من الإيمان) على أنه في نفسه روح لحياة القلوب به كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢] فتكون كلمة ﴿مِنْ﴾ للبيان. **قوله:** (وعن الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبيّ بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الثوري الكوفي كان إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته وهو أحد الأئمة المجتهدين، ويقال: إن الشيخ أبا القاسم جنيد كان على مذهبه سمع سفيان الثوري الحديث من أبي إسحٰق السبيعيّ والأعمش ومن طبقتهما وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحٰق ومالك وتلك الطبقة، تُوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. والثوري بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.اهـ وفيات باختصار. **قوله:** (وعن عبد العزيز بن أبي روّاد) رضي الله تعالى عنه ذهب بصره عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده. وقال شعيب بن حرب: جلست إلى عبد العزيز خمسمائة مجلس ما أحسبُ أن صاحب الشمال كتب عليه شيئًا، وقال يوسف بن أسباط: مكث عبد العزيز أربعين سنة لم يرفع طرفه إلى السماء وقيل له: كيف أصبحت؟ فبكى، فقيل له في ذلك فقال: كيف حال مَن هو في غفلة عظيمة عن الموت مع ذنوب كثيرة قد أحاطت به وأجله يُسْرِع كل ساعة في عمره ولا يدري أيصير إلى جنة أم إلى نار. توفي رضي الله تعالى عنه بمكة سنة تسع وخمسين ومائة.اهـ طبقات شعراني. **قوله:** (المنصور) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأمّه سلامة البربريّة أُم ولد وُلد سنة خمس وتسعين وأدرك جده ولم يروِ عنه. وروى عن أبيه وعن عطاء بن يسار وعنه ولده المهديّ وبويع بالخلافة بعهد من أخيه وكان فَحْلَ بني

(**سهل**): مَن صحّح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة، ومَن (**داهن**) مبتدعًا سلبه الله حلاوة السنن، ومَن أجاب مبتدعًا لطلب عزّ الدنيا أو غناها أذلّه الله بذلك العزّ وأفقره بذلك الغنى، ومَن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومَن لم يصدق فليجرب. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بتوحيدهم الخالص وطاعتهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ بثوابه (**الجسيم**) في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ﴾ أنصار حقه ودعاة خلقه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الباقون في النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل (**مرهوب**).

العباس هيبة وشجاعة وحزمًا ورأيًا وجبروتًا وجمّاعًا للمال تاركًا للهو واللعب كامل العقل جيّد المشاركة في العلم والأدب فقيه النفس قتل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام وكانت وفاة المنصور بالبطن بمكة في ذي الحجّة سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن ما بين الحَجون وبئر ميمون. **قوله**: (**سهل**) بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصريّ بمكة سنة خروجه إلى الحج، توفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: ثلاث وسبعين ومائتين. **قوله**: (**داهن**) في المصباح داهن وهي المسالمة والمصالحة. اهـ.

وفي **لسان العرب** المداهنة والإدهان المصانعة واللّين، وقيل: المداهنة إظهار خلاف ما يضمر. اهـ. **قوله**: (**الجسيم**) في المصباح جسم جسمًا من باب تعب عظم فهو جسيم وجمعه جسام. اهـ. **قوله**: (مرهوب) في المصباح رهب رهبًا من باب تعب خاف. اهـ.

تمّت سورة المجادلة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده، والآن أشرع بتوضيح ما يتعلق بسورة الحشر مستعينًا بالله سبحانه وتعالى

(سورة الحشر)

مدنيّة (وهي أربع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ رُوِيَ أن هذه السورة نزلت (**بأسرها في بني النضير**)، وذلك أن النبيّ ﷺ حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله ﷺ (**على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر**) يوم بدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الحشر**) وتُسمى سورة النضير مدنية في قول الجميع (**وهي أربع وعشرون آية**) وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفًا. **قوله**: (**بأَسْرها**) أي بجميعها (**في بني النضير**) بوزن أمير قوم من يهود خيبر معروفون وكذا بنو قريظة وهم من نسل هارون عليه الصلاة والسلام، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظارًا لبعثة رسول الله ﷺ وكان كعب بن الأشرف سيدهم.

قوله: (**على أن لا يكونوا عليه ولا له**) أي على أن لا يكونوا لعدوه ناصرين وعلى أن لا يكونوا له ناصرين والصلح بالنظر إلى الشقّ الأول. **قوله**: (**فلما ظهر**) أي غلب رسول الله ﷺ على كفار قريش.

قالوا: هو النبيّ الذي نعته في التوراة، (**فلما هزم المسلمون**) يوم أُحد (**ارتابوا ونكثوا**) فخرج (**كعب بن الأشرف**) في أربعين راكبًا إلى مكة (**فحالف أبا سفيان**) عند الكعبة فأمر ﷺ (**محمد بن مسلمة**) الأنصاري فقتل كعبًا (**غيلة**)، ثم خرج ﷺ مع الجيش إليهم فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم، فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم إلّا الجلاء على أن يحمل كل ثلاث أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم، فجلوا إلى الشام إلى (**أريحاء**) و(**أذرعات**).

قوله: (فلما هزم المسلمون. . .) الخ. وفي هذا التعبير مراعاة للأدب حيث قال أولًا فلما ظهر، ثم قال: فلما هزم المسلمون والهزيمة صوري لا حقيقي. **قوله**: (ارتابوا) أي شكّوا في أنه النبيّ المنعوت في التوراة لفرط خذلانهم فإن هذا أمارة عظيمة لصدقه عليه الصلاة والسلام كما دلّ عليه قصة هرقل حيث قال: إن شأن النبيّ قد يكون غالبًا وقد يكون بحسب الظاهر خلافه.

قوله: (ونكثوا) أي نقضوا صلحه. **قوله**: (كعب بن الأشرف) رجل من بني نبهان من طي وأمه من بني النضير وكان شاعرًا أكثر في أذيّة المسلمين وهجائهم والإغراء بهم، ولذا أمر النبيّ ﷺ بقتله. **قوله**: (فحالف أبا سفيان) محالفة أبي سفيان المعاهدة على إضراره عليه السلام واتفاقهم في محاربته. وأبو سفيان صخر بن حرب كان من أشراف قريش أسلم ليلة الفتح. **قوله**: (محمد بن مسلمة) بفتح الميم الأنصاري الأوسي شهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلّا تبوك ومات بالمدينة، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض غزواته. قيل: كانت غزوة قرقرة الكدر وقيل: غزوة تبوك.

قوله: (غيلة) الغيلة بكسر الغين المعجّمة قتل الرجل بحيلة وخدعة يخفيها ويظهر أنه لا يريد قتله. **قوله**: (أريحاء) بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة قرية بالغور قريبة من بيت المقدس. **قوله**: (أذرعات) بكسر الراء موضع بالشام والقول الجيد عند جميع النحويين الصرف وهو مثل عرفات والقراء كلهم في قوله: من عرفات على الكسر والتنوين وهو اسم لمكان واحد ولفظه لفظ جمع. اهـ لسان العرب باختصار.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني يهود بني النضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ بالمدينة. واللام في ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ تتعلق بـ ﴿أَخْرَجَ﴾ وهي اللام في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: الآية ٢٤] وقولك: جئته لوقت كذا. أي أخرج الذين كفروا عند أول الحشر. ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قطّ، وهم أول مَن أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشأم، أو هذا أول حشرهم، وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام، أو آخر حشرهم حشر يوم القيامة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن شكّ أن المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية، فهم الحشر الأول وسائر الناس الحشر الثاني. وقال لهم رسول الله ﷺ: لما خرجوا «امضوا فإنكم أول الحشرِ ونحن على الأثر». قتادة: إذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس إلى أرض الشأم وبها تقوم عليهم القيامة. وقيل: معناه أخرجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لشدة بأسهم و(**منعتهم**) ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم (**وعدتهم**) ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي ظنّوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله. والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه أن في تقديم الخبر على المبتدأ دليلًا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسمًا لـ «أن» وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزّة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرّض لهم أو يطمع في مغازاتهم، وليس ذلك في قولك: «وظنّوا أن حصونهم تمنعهم». ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أمرُ الله وعقابه (**وفي الشواذ «فآتاهم الله»**) أي فآتاهم الهلاك ﴿مِنْ

قوله: (منعتهم) بفتحتين جمع مانع بمعنى الجنود. **قوله**: (وعدتهم) في المصباح العدّة بالضم الاستعداد والتأهّب والعدّة ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك والجمع عدد مثل غرفة وغرف.اهـ. **قوله**: (**وفي الشواذ «فآتاهم الله»**) أي بالمدّ.

﴿حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف (غرّة على يد أخيه رضاعًا).

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (﴿يخرّبون﴾ أبو عمرو). والتخريب والإخراب الإفساد بالنقض والهدم، والخَرُبة الفساد وكانوا يخرّبون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله (من استئصال شأفتهم) وأن لا تبقى لهم بالمدينة دار (ولا منهم ديار)، والذي دعاهم إلى التخريب حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدّوا بها أفواه (الأزقة)، وأن لا يتحسّروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين، وأن ينقلوا معهم ما كان في أبنيتهم من جيد الخشب (والساج). وأما المؤمنون فداعيهم إلى التخريب إزالة متحصنهم وأن يتسع لهم مجال الحرب. ومعنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين أنهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم إياه ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقّوا به ذلك فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم، وهذا دليل على جواز القياس.

قوله: (غرة) في المصباح الغرة بالكسر الغفلة. اهـ. **قوله:** (على يد أخيه رضاعًا) أي محمد بن مسلمة الأنصاري وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (﴿يخرّبون﴾) بفتح الخاء وتشديد الراء (أبو عمرو) والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء وهما بمعنى لأن خرب عداه أبو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة. **قوله:** (من استئصال شأفتهم) أي أصلهم. **في لسان العرب** الشأفة الأصل واستأصل الله شأفتَه أي أصله. اهـ. **قوله:** (ولا منهم ديار) أي أحدٌ يُقال: ما بالدار ديّارٌ أي ما بها أَحَدٌ. **كذا في لسان العرب. قوله:** (الأزقة) في المصباح الزقاق دون السكة نافذة كانت أو غير نافذة. قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنّثون الزقاق والطريق والسبيل والسوق والصراط وتميم تذكر والجمع أزقة مثل غراب وأغربة. اهـ. **قوله:** (والساج) **في المصباح** الساج ضرب عظيم من الشجر الواحدة ساجة وجمعها ساجات ولا ينبت إلا بالهند ويجلب منها إلى غيرها. وقال الزمخشري: الساج خشب أسود رزين يجلب من الهند ولا تكاد الأرض تبليه

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الخروج من الوطن مع الأهل والولد ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ﴾ سواء أجلوا أو قتلوا ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ الذي لا أشد منه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي إنما أصابهم ذلك بسبب أنهم ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ خالفوه ﴿وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ﴾ ورسوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ هو بيان لـ ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ ومحل «ما» نصب بـ ﴿قَطَعْتُم﴾ كأنه قيل: أي شيء قطعتم وأنث الضمير الراجع إلى ما في قوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لأنه في معنى اللينة، واللينة: النخلة **(من الألوان)** وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها. وقيل: اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها **(من اللين)** ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فقطعها وتركها بإذن الله ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وليذلّ اليهود ويغيظهم أذن في قطعها.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ جعله فيئًا له خاصة ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فلم يكن ذلك بإيجاف خيل أو ركاب منكم على ذلك والركاب الإبل، والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلًا ولا ركابًا ولا تعبتم في القتال عليه، وإنما مشيتم إليه على أرجلكم لأنه على ميلين من

والجمع سيجان مثل نار ونيران، وقال بعضهم: الساج يشبه الأبنوس وهو أقل سوادًا منه. اهـ.

قوله: (من الألوان) وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل واحدها لون ولينة أصلها لونة قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها.
قوله: (من اللين) جمعها أليان.

المدينة، وكان ﷺ على حمار (فحسب) ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ **(يعني أن ما خوّل الله ورسوله)** من أموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة، ولكن سلّطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلّط رسله على أعدائهم، فالأمر فيه مفوّض إليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها وأخذت (عنوة) وقهرًا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ إنما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها، **(بين لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسومًا على الأقسام الخمسة،**

قوله: (فحسب) أي فقط. **قوله**: **(يعني أن ما خوّل الله ورسوله)** أي أعطاه. **قوله**: (عنوة) أي قهرًا.

قوله: **(بين لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسومًا على الأقسام الخمسة)** فإن الأموال المقسومة تقسم على خمسة أسهم أربعة أخماسها للغانمين ويجعل خمسها خمسة أسهم، سهم منها لرسول الله ﷺ وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنو هاشم وبنو المطلب فإنهم لما منعوا من الزكاة لكونها غسال أموال المسلمين جعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل، فكذا الفيء فإنه أيضًا يخمس ويصرف كل خمس إلى مصارف خمس الغنيمة بناء على أن ذكر الله تعالى في قوله ﴿فَلِلَّهِ﴾ إنما هو للتبرّك بذكر اسمه ولتعظيم رسوله وقيل: إنه يسدس ويصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقي وهو خمسة أسداس الستة إلى المصارف الخمسة التي يصرف إليها خمس الغنيمة، والقول الثالث في قسمة الفيء أنه يخمس ويجعل أربعة أخماسه لرسول الله ﷺ خاصة يصرفها كما يشاء ثم

وزيّف) هذا القول بعض المفسّرين وقال: الآية الأولى نزلت في أموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة، وهذه الآية في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة، وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ (﴿تكون دولة﴾ **يزيد على «كان» التامّة. والدولة)** والدولة ما **(يدول للإنسان أي يدور من الجد)**.

بقسم الخمس الباقي أيضًا على خمسة أسهم سهم منها له عليه الصلاة والسلام وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل، فعلى هذا القول يكون جميع مال الفيء مقسومًا على خمسة وعشرين سهمًا بأن يخمس كل خمس منها رومًا للتصحيح أحد وعشرون سهمًا منها للنبيّ ﷺ وأربعة أسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل وبعد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى دار الكرامة والبقاء يصرف ما كان له من الفيء إلى الإمام في قول وإلى المهاجرين والمجاهدين والمترصدين للقتال في الثغور لأنهم القائمون مقامه عليه الصلاة والسلام في قول آخر، وإلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم في قول ثالث وهذا في أربعة أخماس الفيء، وأما القسم الذي كان له عليه الصلاة والسلام من خمس الفيء والغنيمة فهو لمَصَالح المسلمين بعد موته عليه الصلاة والسلام بلا خلاف لقوله عليه الصلاة والسلام: «ليس لي من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم» وكانت الغنائم في شرع من قبلنا لله تعالى خاصة لا يحل شيء منها لأحد وإذا غنمت الأنبياء أشياء جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخصّ نبينا ﷺ من بينهم بأن أحلّت له الغنائم، قال عليه الصلاة والسلام: «أحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي». اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (زَيّفَ)** أي ردّ. **قوله: («تكون»)** بالتاء الفوقية (﴿**دولة**﴾) بالرفع (**يزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة (**على كان التامة**). **وعبارة تفسير النيسابوري** «تكون» بالتاء الفوقية ﴿دُولَةً﴾ بالرفع على كان التامة يزيد الآخرون على التذكير والنصب. اهـ بحروفها. **قوله: (والدولة يدول للإنسان أي يدور من الجد). عبارة الكشّاف** والدولة بالفتح والضم وقد قرىء بهما ما يدول للإنسان أي يدور من الجد. اهـ. **وفي المصباح** تداول القوم الشيء تداولًا وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا تارة، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول مثل قصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ومنهم مَن

ومعنى قوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم **(بلغة)** يعيشون بها جدًا بين الأغنياء يتكاثرون به ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ أي أعطاكم من قسمة غنيمة أو فيء ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ عن أخذه منها ﴿فَانتَهُوا﴾ عنه ولا تطلبوه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمَن خالف رسول الله ﷺ. والأجود أن يكون عامًّا في كل ما آتى رسول الله ﷺ ونهى عنه وأمر الفيء داخل في عمومه.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ بدل من قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ والمعطوف عليه، والذي منع الإبدال من «لله وللرسول» وإن كان المعنى لرسول الله **(إن الله** عز وجل **أخرج رسوله من الفقراء)** في قوله ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل

يقول الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب ودالت الأيام تدول مثل دارت تدور وزنًا ومعنى. اهـ. **وفي السمين** وقرأ العامة دولة بضم الدال وعليّ بن أبي طالب والسلمي بفتحها فقيل: هما بمعنى وهو ما يدول للإنسان أي يدور من الغنى والغلبة وغير ذلك. وقال الحذاق من البصريين: الدولة بالفتح من الملك بضم الميم والدولة بالضم من الملك بكسر الميم أو بالضم في المال وبالفتح في النصرة وهذا يرده القراءة المروية عن عليّ والسلمي، فإن النصرة غير مرادة قطعًا هنا وكيلا علة لقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ أي استقراره لهؤلاء لهذه العلّة. اهـ. **قوله (من الجد)** الجد بفتح الجيم الحظ والغنى والعَظمة في الدنيا بالمال. **قوله (بُلْغَة) في المصباح** البُلْغة ما يُتبَلّغُ به من العيش ولا يفضل يقال: يتبلغ به إذا اكتفى به وتجزّأ وفي هذا بلاغ وبلغة وتبلغ أي كفاية. اهـ.

قوله (إن الله عزّ وجلّ أخرج رسوله من الفقراء...) الخ وما اشتهر من قوله ﷺ: الفقر فخري لا أصل له وكيف يتوهم مثله والدنيا كلها لا تساوي جناح بعوضة عند الله وهي أحب خلقه إليه حتى قال بعض العارفين ولا يُقال له ﷺ زاهد لأنه تارك الدنيا ولا يتوجه إليها فضلًا عن طلبها اللازم للترك فعليك بإمعان النظر

﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ بمكة، وفيه دليل على أن الكفّار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لأن الله تعالى سمّى المهاجرين فقراء مع أنه كانت لهم ديار وأموال ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي يطلبون الجنّة ورضوان الله ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي ينصرون دين الله ويعينون رسوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم وجهادهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ معطوف على المهاجرين وهم الأنصار ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ توطنوا المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ **(وأخلصوا الإيمان كقوله:**

علفتها تبنًا وماءًا باردًا)

أو وجعلوا الإيمان مستقرًّا ومتوطنًا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك، أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان **(ووضع المضاف إليه مقامه)**. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل المهاجرين لأنهم سبقوهم في تبوىء دار الهجرة والإيمان. وقيل:

في علو مقامه ﷺ وما خصّه الله به من إكرامه. اهـ شهاب رحمه الله. **وفي مقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** حديث الفقر فخري وبه افتخر، قال شيخنا: هو باطل موضوع. اهـ. **وفي موضوعات علي القاري رحمه الله تعالى حديث** الفقر فخريّ وبه افتخر. قال العسقلاني وغيره: إنه باطل موضوع. اهـ.

قوله: **(وأخلصوا الايمان)** أشار إلى أن ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ معمول لمقدر والعطف عطف جمل (كقوله:

علفتها تبنًا وماءً باردًا)

أي وسقيتها ماء فاختصر الكلام. **قوله**: **(ووضع المضاف إليه مقامه)** وأعرب بإعرابه.

من قبل هجرتهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ حتى (**شاطروهم أموالهم**) وأنزلوهم منازلهم، و(**نزل من كانت له امرأتان**) عن إحداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّآ أُوتُوا۟﴾ ولا يعلمون في أنفسهم طلب محتاج إليه مما أُوتي المهاجرون من الفيء وغيره المحتاج إليه يسمي حاجة يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه. وقيل: حاجة حسدًا مما أُعطي المهاجرون من الفيء حيث خصّهم النبيّ ﷺ به. وقيل: لا يجدون في صدورهم مسّ حاجة مَن فقد ما أوتوا فحذف المضافان ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فقر وأصلها خصاص البيت وهي فروجه، والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم. رُوِيَ أنه نزل برجل منهم ضيف فنوّم الصبية وقرّب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو.

وعن (**أنس**): أهدى لبعضهم رأس مشوي وهو مجهود فوجهه إلى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد إلى الأول. (**أبو يزيد**) قال لي شاب من أهل بلخ: ما الزهد عندكم؟ قلت: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا. فقال: هكذا عندنا كلاب بلخ بل إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بما أرادوا. و(**الشح اللؤم**) وأن تكون نفس الرجل (**كزة**)

قوله: (**شاطروهم أموالهم**) **في مختار الصحاح** شاطره ماله إذا ناصفه. اهـ. **قوله**: (**نزل من كانت له امرأتان**) عن إحداهما أي طلقها. **قوله**: (**أنس**) بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة. **قوله**: (**أبو يزيد**) طيفور بن عيسى البسطامي وكان جده مجوسيًا أسلم، وكانوا ثلاثة إخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادًا عبادًا وأبو يزيد كان أجلّهم حالًا. قيل: مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين. **قوله**: (**الشح اللؤم**) **في لسان العرب** اللؤم ضد العتق والكرم واللئيم الدني الأصل الشحيح النفس. اهـ. **وفي الصحاح** الشح البخل مع حرص. اهـ. **قوله**: (**كَزَة**) أي بخيلة في القاموس رجل كزُّ الْيَدَيْنِ ذو كزَزٍ أي بُخْلٍ.

حريصة على المنع، وأما البخل فهو المنع نفسه. وقيل: الشحّ أكل مال أخيك ظلمًا، والبخل منع مالك. (وعن كسرى: الشحّ أضرَ من الفقر) لأن الفقير يتسع إذا وجد بخلاف الشحيح.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عطف أيضًا على ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ وهم الذين هاجروا من بعده. وقيل: التابعون بإحسان. وقيل: من بعدهم إلى يوم القيامة. قال عمر ﷺ: دخل في هذا الفيء كل مَن هو مولود إلى يوم القيامة في الإسلام، فجعل الواو للعطف فيهما. وقُرِئ ﴿لِلَّذِينَ﴾ فيهما ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ قيل: هم المهاجرون والأنصار. عن عائشة ﷺ: أمروا بأن يستغفروا لهم فسبّوهم ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الصحابة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وقيل (لسعيد بن المسيّب): ما تقول في (عثمان بن عفّان

قوله: (وعن كسرى الشح أضرّ من الفقر)... الخ قال كسرى لأصحابه: أي شيء أضرّ بابن آدم؟ قالوا: الفقر. فقال كسرى: الشحّ أضرّ من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع والشحيح إذا وجد لا يشبع أبدًا. اهـ شيخ زاده وخطيب.

قوله: (لسعيد بن المسيّب) بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشيّ المخزومي.

قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين.

قوله: (عثمان بن عفّان) بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأمويّ أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة استشهد في ذي الحجّة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون، وقيل: أكثر. وقيل: أقل.

وعليّ وطلحة والزبير بن العَوّام؟) قال: أقول (ما قولنيه) الله وتلى هذه الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝١١﴾

ثم عجب نبيّه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ أي ألم ترَ يا محمد إلى (عبد الله بن أبيّ وأشياعه) ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني بني النضير والمراد إخوة الكفر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ رُوِيَ أن ابن أبيّ وأصحابه (دسوا) إلى بني النضير حين حاصرهم النبيّ ﷺ: لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم

قوله: (وعليّ) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأولين المرجّح أنه أوّل مَن أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذٍ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. **قوله**: **(وطلحة)** بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي أبو محمد المدني أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين. **قوله**: (**والزبير** بن العَوّام) بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل.

قوله: (ما قَوّلنيه الله) **في لسان العرب** تقول قَوّلني فلان حتى قلتُ أي علّمني وأمرني أن أقول. اهـ.

قوله: (**عبد الله بن أبي**) هو المعروف بابن سلول وكانت سلول امرأة من خزاعة وهي أُم أبي وابنه عبد الله بن أبي هو رأس المنافقين. اهـ أسد الغابة. **قوله**: **(وأشياعه)** في المصباح الشيعة الأتباع والأنصار والجمع شيع مثل سدرة وسدر والأشياع جمع الجمع. اهـ باختصار. **قوله**: (**دسوا**) **في المغرب** الدَّسّ الإخفاء. اهـ.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ في قتالكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في مواعيدهم لليهود، وفيه دليل على صحة النبوّة لأنه إخبار بالغيب.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ إنما قال: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: الآية ٦٥] وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم، أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي أشد مرهوبية. **(مصدر رهب المبنيّ للمفعول)**. وقوله: ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم ﴿مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حقّ خشيته ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين يعني اليهود والمنافقين ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾

قوله: (مصدر رهب المبنيّ للمفعول) لأن المؤمنين مرهوب منهم لا راهبون. اهـ شهاب رحمه الله. **وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله** ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي أشد مرهوبًا جعله مصدرًا من المبنيّ للمفعول لأن أنتم خطاب للمؤمنين والخوف ليس من حالهم بل هو حال المنافقين. فالمخاطبون مرهوبون غير راهبين فالرهبة أمر نسبيّ قائم بالفاعل متعلّق بالمفعول. فباعتبار تعلّقة بالفاعل يكون سببًا لأن يحدث فيه هيئة الراهبية وباعتبار تعلّقه بالمفعول يكون سببًا لأن

(**بالخنادق والدروب**) ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ (﴿**جدار**﴾ **مكي**) وأبو عمرو ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ﴾ يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدّة لأن الشجاع (**يجبن**) عند محاربة الله ورسوله ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ أي اليهود والمنافقين ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوي ألفة واتحاد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ﴾ متفرقة لا ألفة بينها يعني (**أن بينهم إحنًا**) وعداوات (**فلا يتعاضدون حق التعاضد**)، وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفرّق ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم.

يحدث فيه هيئة المرهوبية، فلفظ المصدر قد يستعمل في أصل معناه وهو الأمر النسبيّ وقد يستعمل في الهيئة الحاصلة للفاعل بسبب تعلّق المعنى المصدري به فيقال له حينئذٍ أنه مصدر من المبني للفاعل، وقد يستعمل في الهيئة الحاصلة للمفعول بسبب تعلّقه به فيُقال إنه مصدر من المبنيّ للمفعول كما في هذه الآية. والمعنى أنهم يظهرون لكم أنهم يخافون الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله لأنهم لا يخافون الله البتّة أو لا يظهر فيهم شيء من آثار خوف الله بخلاف ما أضمروه في صدورهم من خوف المؤمنين فإنه أشدّ وأقوى مما يظهرونه من خوف الله تعالى نفاقًا مع أن قلوبهم خلو من خوفه تعالى.اهـ.

قوله: (**بالخنادق**) جمع خندق وهو معرب ومعناه معروف. **قوله**: (**والدروب**) جمع درب بالدال المهملة وهو الباب الكبير معرب در كما قيل. **قوله**: (﴿**جدار**﴾) بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها على التوحيد[1] (**مكي**) أي ابن كثير المكيّ وأبو عمرو وأمال الألف أبو عمرو والباقون بضم الجيم والدال. **قوله**: (**يَجْبُن**) بالضم. **قوله**: (**أن بينهم إحنًا**) في المغرب الإحْنة الحقد والجمع إحَنٌ.اهـ. **قوله**: (**فلا يتعاضدون حق التعاضد**) أي فلا يتعاونون حق التعاون.

---

(١) بإقامة المفرد مقام الجمع لقصد الجنس أو لأن المراد السور الجامع للجدر والحيطان. ١٢ منه.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ ﴿قَرِيبٗاۖ﴾ أي استقرّوا من قبلهم زمنًا قريبًا ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله ﷺ من قولهم **(كلأ وبيل وخيم)** سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي ولهم مع ذلك في الآخرة عذاب النار ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ أي مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إياهم النصر، ثم متاركتهم لهم وإخلافهم كمثل الشيطان إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة. وقيل: المراد استغواؤه قريشًا يوم بدر **(وقوله لهم:** ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ **إلى قوله:** ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾) [الأنفال: الآية ٤٨].

قوله: (كلأ) **في المصباح** الكلأ مهموز العشب رطبًا كان أو يابسًا قاله ابن فارس وغيره والجمع أكلاء مثل سبب وأسباب. اهـ. **قوله:** (وبيل) في المصباح الوبيل الوخيم وزنًا ومعنى. اهـ. **وفي المختار** وَبُل المرعى بالضم يُوْبَل وَبْلًا ووَبالًا أيضًا فهو وبيل أي ثقيل وخيم. اهـ. **قوله:** (وخيم) أي ثقيل. **قوله:** (وقوله لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ **إلى قوله:** ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾) قال الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال: وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨]. في حاشية العلّامة شيخ زاده رحمه الله. وقد أغرى إبليس كفّار قريش يوم بدر وقد تمثّل لهم بصورة سراقة بن مالك الكناني وشجّعهم على حرب رسول الله ﷺ بقوله: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨] أي مجير لكم من بني كنانة وكانت قريش تخاف من بني كنانة لما بينهم من الإحنة ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨]، ورأى الشيطان جبريل ومَن معه من الملائكة خاف ونكص على عقبيه وكان يده في يد الحارث بن هشام، فقال له: إلى أين أتخذلنا في مثل هذه الحالة؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ عاقبة الإنسان الكافر والشيطان ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ خبر «كان» مقدم و«أن» مع اسمها وخبرها أي في النار في موضع الرفع على الاسم و﴿خَٰلِدَيۡنِ﴾ حال ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أوامره فلا تخالفوها ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾ نكر النفس تقليلًا للأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة ﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ يعني يوم القيامة سمّاه باليوم الذي يلي يومك تقريبًا له أو عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد. وتنكيره لتعظيم أمره أي لغد لا يعرف كنهه لعظمه. وعن **(مالك بن دينار)**: مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ كرّر الأمر بالتقوى تأكيدًا أو اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل، واتقّوا الله في ترك المعاصي لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد وهو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ وفيه تحريض على المراقبة لأن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه.

تَرَوۡنَ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨] ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قال: إنه الشيطان تمثل بصورة سراقة. اهـ بحروفها.

قوله: **(مالك بن دينار)** أبو يحيىٰ البصري مات رضي الله تعالى عنه سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة. كان رضي الله تعالى عنه يقول: لولا أخشى أن تكون بدعة لأمرت أني إذا مت أن أغلّ فأُرفع إلى ربي مغلولًا كما يدفع العبد الآبق إلى مولاه. وكان يقول: لم يبق من رَوح الدنيا إلا ثلاثة لقاء الإخوان والتهجّد بالقرآن وبيت خالي يذكر الله فيه. وكان إذا سأله سائل والسحابة مارّة يقول: اصبر حتى تمرّ هذه السحابة فإني أخشى أن يكون فيها حجارة ترمينا بها. وكان رضي الله تعالى عنه يقول: ما بقي لأحد له رفيق يساعده على عمل الآخرة إنما هم يفسدون على المرء قلبه. وكان يقول: إني أكره أن يأتيني أحد من إخواني إلى منزلي خوفًا أن لا أقوم بواجب حقه وكان إدامه في جميع سنته أن يشتري له بفلسين ملحًا، وكان لا يأكل اللحم إلّا في الأضحية لما ورد في الأكل منها. وكان رضي الله تعالى عنه يقول لأهله: مَن وافقني على التقلّل فهو معي وإلّا فالفراق. وكان

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ **(تركوا ذكر الله** ﷻ **وما أمرهم به)** ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله.

﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾ هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم وقلّة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنّة والنار، **(والبون)** العظيم بين أصحابهما وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنّة والعذاب الأليم مع أصحاب النار، فمن حقّهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه «هو أبوك» تجعله بمنزلة مَن لا يعرفه فتنبهه بذلك على حقّ الأبوّة الذي يقتضي البرّ والتعطف. **(وقد استدلّت الشافعية بهذه الآية على أن المسلم لا يُقتَل بالكافر، وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء)**، وقد أجبنا عن مثل هذا في أصول الفقه والكافي.

يتقوّت من عمل الخوص، وفي بعض الأوقات يكتب المصاحف. وكان بيته خاليًا ليس فيه غير مصحف وإبريق وحصير، ويقول: هلك أصحاب الأثقال. وكان يقول في دعائه: اللهم لا تدخل بيت مالك بن دينار من الدنيا شيئًا وكان رضي الله تعالى عنه يقول: لولا أن يقول الناس جنّ مالك بن دينار للبست المسوح ووضعت الرماد على رأسي بين الناس. وكان يقول: إذا تعلّم العبد العلم ليعمل به كثر علمه وإذا تعلّمه بغير العمل زاده فجورًا وتكبّرًا واحتقارًا للعامة. وقال له بعض الولاة: ادع لنا، فقال: كيف أدعو لكم وألف واحد يدعو عليكم.

قوله: (تركوا ذكر الله عزّ وجلّ وما أمرهم به) أشار به إلى أن النسيان كما يكون بمعنى عدم الحفظ والذكر يكون بمعنى الترك ومنه الآية. **قوله: (والبون)** أي البُعد. **قوله: (وقد استدلّت الشافعية بهذه الآية على أن المسلم لا يُقتَل بالكافر وأن الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء). في حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله.** قوله: (واحتجّ به أصحابنا) أي احتجّت الشافعية بهذه الآية على أن

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا (مُّتَصَدِّعًا) مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي من شأن القرآن وعظمته أنه لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع أي لخضع وتطأطأ وتصدّع أي تشقّق من خشية الله، **(وجائز أن يكون هذا تمثيلًا)** كما

المسلم لا يقتل بالذميّ إذ لو قتل المسلم به، والحال أن الذميّ يقتل بالمسلم للزم أن يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار في أن كل واحد منهم يقتل بالآخر وهو خلاف ما دلّ عليه ظاهر العموم المستفاد من قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ فإنه يدلّ دلالة ظاهرة على أنهما لا يستويان في شيء من الأحكام والحنفية يقولون إنه وإن كان عامًا بحسب الظاهر إلا أن سياق الكلام يخصصه بالاستواء في منازل الآخرة، ويجوز استواؤهما في الأحكام الدنيوية فيقتل كل واحد منهما بالآخر. وكذا يملك الكفار أموال المسلمين باستيلائهم عليها كما يملك المسلمون أموال الكفّار بالقهر والاستيلاء حتى إذا غلب المسلمون عليهم وقد أخذوا أموال المسلمين قهرًا ووجد أصحاب تلك الأموال أموالهم بأعيانها في جملة مال الغنيمة فعند الإمام الشافعي يرد مال المسلم إلى المسلم لعدم خروجه عن ملك المسلم وعند الحنفية لا يرد بل يقسم بين الغانمين كسائر الغنائم لتملك الكفار إياه بالاستيلاء على مذهبه. اهـ.

وفي حاشيته للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله: واحتجّ به أصحابنا... الخ لأنه نفى الاستيلاء بينهم مطلقًا فيقتضي أن لا تتساوى دماؤهم. وقد ردّ بأن المراد نفي الاستواء في أحكام الآخرة بدليل أنه قال أصحاب الجنة والنيران دون أصحاب التقوى والعصيان والقصاص مبنيّ على التساوي في العصمة وحقن الدماء وهي موجودة لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا وفيه كلام في الفروع والأصول، وهل يعمّ لا يستوي جميع الأحكام أم لا فيه كلام مفصّل في الكتب الأصولية. اهـ.

قوله: (﴿مُّتَصَدِّعًا﴾) متشقّقًا. **قوله**: **(وجائز أن يكون هذا تمثيلًا)** أراد بالتمثيل التصوير والتبيين والمعنى أن هذه الآية تصوير لعظمة قدر القرآن وقوة تأثيره

في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] ويدلّ عليه قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهي إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل، والمراد توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلّة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبّر قوارعه وزواجره.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)﴾

ثم ردّ على مَن أشرك وشبّهه بخلقه فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي السرّ والعلانية أو الدنيا والآخرة أو المعدوم والموجود ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ الذي لا يزول ملكه ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المنزّه عن القبائح وفي تسبيح الملائكة: (سبوح) قدوس رب الملائكة والروح ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الذي سلّم الخلق من ظلمه عن الزجاج ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن. (وعن الزَّجّاج): الذي أمن الخلق من ظلمه أو المؤمن من عذابه مَن

وأنه بحيث لو خوطب به جبل مع شدّته وصلابته لرأيته ذليلًا ﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ خوفًا من أن لا يؤدّي حق الله تعالى في تعظيم القرآن وإقامة ما فيه من التكاليف والأحكام والمراد منه توبيخ الإنسان بأنه مع ضعف بنيته ووهن قواه لا يتخشّع عند تلاوة القرآن بل يعرض عما فيه من عجائب الوعد وعظائم الوعيد، وما جرى على الأمم الماضية بمقابلة معاصيهم كأن لم يسمع شيئًا منها فهذه الآية مثل أي قول غريب في بيان عظمة القرآن ودناءة الإنسان وبيان لصفتها العجيبة فهي في جملة الأمثال الواقعة في مواضع من التنزيل فقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣] إشارة إلى هذا المثل وإلى غيره من الأمثال الواقعة في التنزيل، وقد مرّ مرارًا أن لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر ثم يستعار منه لكل أمر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيهًا له بالقول السائر في الغرابة لأنه لا يخلو عن غرابة.

قوله: (سُبُّوح) أي منزّه عن كل سوء وعيب. **قوله**: (وعن الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحويّ.

أطاعه ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب على كل شيء الحافظ له (مفيعل من الأمن) إلا أن همزته قلبت هاء ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب غير المغلوب ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ العالي العظيم الذي يذلّ له من دونه أو العظيم الشأن في القدرة والسلطان أو القهّار ذو (الجبروت) ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ البليغ (الكبرياء) والعظمة ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزّه ذاته عما يصفه به المشركون.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ﴾ المقدّر لما يوجده ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ في الأرحام ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الدالّة على الصفات العلا ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ختم السورة بما بدأ به. عن أبي هريرة ﷺ سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن الاسم الأعظم فقال: عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته. فأعدت عليه فأعاد عليّ فأعدت عليه فأعاد عليّ.

قوله: (مفيعل[1] من الأمن) وأصله مأأمن بهمزتين فقلبت الثانية ياء والأولى هاء وسكت المصنّف رحمه الله عن قلب الثانية ياء لظهوره كما يقال: في أرقت هرقت ولما قلبت هاء أبقيت ولم تحذف مع أن همزة الأفعال تحذف من المضارع واسم الفاعل نحو يكرم ومكرم لأن حذفها إنما كان لاجتماع الهمزتين في المضارع للمتكلم، وحمل الباقي عليه وبقلبها هاء انتفت علّة حذفها فلم تحذف فبقيت وهذا مثل قولهم يهريق بفتح الهاء في مضارع هراق، أصلها أراق يريق فلما قلبت همزة الأفعال هاء في المضارع أبقيت على حالها. **قوله**: (**الجبروت**) بفتحتين العَظَمة. **قوله**: (**الكبرياء**) بالكسر والمدّ العظمة.

تم هنا ما يتعلّق بسورة الحشر والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا
دائمًا إلى يوم الدين

---

(١) فيكون بمعنى المؤمن أصله مؤيمن قلبت الهمزة هاء.

(سورة الممتحنة)

(مدنية وهي ثلاث عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رُوِيَ أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة، أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو بتجهز للفتح فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا. قال: فما جاء بك؟ قالت: احتجت حاجة شديدة فحثّ عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردًا واستحملها كتابًا إلى أهل مكة نسخته: من **(حاطب ابن أبي بلتعة)** إلى أهل مكة اعلموا أن رسول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الممتحنة)** بفتح الحاء وقد تكسر فعلى الأول هي صفة المرأة التي نزلت فيها وعلى الثاني صفة السورة كما قيل لبراءة الفاضحة كذا في الأعلام وفي جمال[1] القرّاء أنها تسمى سورة الامتحان وسورة المودّة **(مدنية)** بالإجماع **(وهي ثلاث عشرة آية)** وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف. **قوله**: **(حاطِب)** بكسر الطاء **(ابن أبي بلتعة)** بفتح الباء الموحّدة ولام

---

(١) قوله: جمال القراء وكمال الإقراء للشيخ علم الدين أبي الحسن علي السخاوي المتوفّى سنة ثلاث وأربعين وستمائة رحمة الله عليه. ١٢ منه رحمه الله.

الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم. فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله ﷺ **(عليًا وعمّارًا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد)** ـ وكانوا فرسانًا ـ وقال: انطلقوا حتى تأتوا **(روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب)** من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها فجحدت وحلفت **(فهموا بالرجوع)** فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ **(وسلّ سيفه)** وقال: أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك، فأخرجته عن **(عقاص شعرها)**.

ساكنة بعدها مثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة من بني خالفة بطن من لخم. قال ابن ماكولا حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل بن العتيك بن سَعَّاد بن راشدة بن جزيلة بن لخم بن عديّ حليف بني أسد وكنيته أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، وقيل: إنه من مذحج وهو حليف لبني أسد بن عبد العزى ثم للزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد وقيل: بل كان مولى لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدّى كتابته يوم الفتح وشهد بدرًا. قاله موسى بن عقبة وابن إسحٰق وشهد الحديبية وشهد الله تعالى له بالإيمان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية. وتُوفي حاطب سنة ثلاثين وصلّى عليه عثمان رضي الله تعالى عنهما وكان عمره خمسًا وستين سنة. **قوله: (عليًا)** كنيته أبو الحسن أخو رسول الله ﷺ وصهره على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين وأبو السبطين وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين وأول خليفة من بني هاشم وكان علي أصغر من جعفر وعقيل وطالب وهو أوّل الناس إسلامًا في قول كثير من العلماء. وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك فإن رسول الله ﷺ خلفه على أهله. **قوله: (وعمارًا)** هو ابن ياسر صحابيّ جليل مشهور من السابقين الأولين إلى الإسلام بدريّ قتل مع عليّ بصفّين سنة سبع وثلاثين. **قوله: (وعمر)** بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنينًا وغيرها من المشاهد وكان أشد الناس على الكفّار جمّ المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.

....

قوله: (وطلحة) بن عبيد الله يكنّى أبا محمد القرشيّ أحد العشرة أسلم قديمًا وشهد المشاهد كلها غير بدر لأن النبيّ عليه السلام كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرّفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر وجرح يوم أُحد أربعة وعشرين جراحة، وقيل: كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وكان آدم كثير الشعر حسن الوجه قتل في وقعة يوم الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ودُفن بالبصرة وله أربع وستون سنة. **قوله**: (والزبير) بن العوّام أبا عبد الله القرشيّ الأسديّ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله**: (والمقداد) بن عمرو بن ثعلبة بن مالك المعروف بالمقداد بن الأسود وهذا الأسود الذي يُنسب إليه هو الأسود بن عبد يغوث الزهري، وإنما نُسب إليه لأن المقداد حالفه فتبنّاه الأسود فنسب إليه صحابي مشهور من السابقين لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره. مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. **قوله**: (وأبا مرثد) بفتح الميم وسكون الراء بعدها مثلثة اسمه كناز بتشديد النون وآخره زاي ابن الحصين بن يربوع الغنويّ صحابيّ بدريّ مشهور بكنيته مات سنة اثنتي عشرة من الهجرة. **قوله**: (روضة خاخ) بخائين معجمتين اسم مكان بين مكة والمدينة بقرب المدينة وخاخ يجُوز صرفه ومنعه كما في القاموس والصرف بتأويل المكان وعدم صرفه بتأويل البقعة والاسم مجموع روضة خاخ. **قوله**: (فإن بها ظعينة) الظعينة بالظاء المعجّمة والعين المهملة المرأة ما دامت في الهودج وإذا لم تكن فيه فهي المرأة والهودج شيء يحمل فيه النساء على ظهر البعير وتطلق على المرأة مطلقًا. **قوله**: (معها كتاب) أي مكتوب. **قوله**: (فهموا بالرجوع) كذا في تفسير الخطيب والبغويّ والخازن.

وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب قوله: فهموا بالرجوع وقع في بعض النسخ ولم يذكره المحدثون ولذا قيل: كيف يهمون وقد أمرهم ﷺ بضرب عنقها فكأنهم فهموا أن الأمر ليس للوجوب. اهـ بحروفها. **قوله**: (وسلّ سيفه) **في المغرب** السَّلّ إخراج الشيء من الشيء بجذب ونزع كسلّ السيف من الغِمْدِ. اهـ.

ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ أمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم، فاستحضر برسول الله ﷺ حاطبًا وقال: ما حملك عليه؟ فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت **(ولا غششتك منذ نصحتك)** ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكني كنت (ملصقًا) في قريش ولم أكن من أنفسها، وكل مَن معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة (يحمون) أهاليهم وأموالهم غيري، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم (يدًا) وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئًا فصدقه وقبل عذره. فقال عمر ﷺ: **(دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق)** فقال ﷺ: وما يدريك يا عمر لعلّ الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم! ففاضت عينا عمر ﷺ فنزل.

قوله: **(عقاص[١] شعرها)** وهو بكسر العين جمع عقيصة وهو الشعر المضفور.

قوله: **(ولا غششتك منذ نصحتك)** النصح الخلوص وصفاء القلب والغشّ ضده، يقال: غشّه يغشّه إذا أظهر له خلاف ما أضمره في قلبه ونصح رسول الله ﷺ عبارة عن التصديق والإذعان لنبوّته والانقياد لأوامره ونواهيه.

قوله: (ملصقًا) بصيغة المفعول أي حليفًا في قريش أي فيما بينهم ولم أكن من أنفسهم. قال النوويّ: وكان حليف الزبير بن العوّام. **قوله**: **(يحمون)** أي يحفظون ويراعون. **قوله**: **(يدًا)**[٢] أي صنيعة.

قوله: **(دعني)** أي اتركني **(يا رسول الله أضرب)** بالجزم أي أقطع **(عنق هذا المنافق)** وإنما قال ذلك مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب في معذرته لما كان عند عمر من قوة الدين ولغضب مَن ينسب إلى النفاق، وظنّ أن مَن خالف أمره عليه السلام استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقًا لكونه أبطن خلاف ما أظهره وعذر حاطب ما ذكره فإنه صنع ذلك متأوّلًا ولا ضرر فيه.

---

(١) أي ضفائر. ١٢ منه رحمه الله.

(٢) أي إنعامًا وقدرة. ١٢ منه رحمه الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ عُدِي «اتخذ» إلى مفعوليه وهما ﴿عَدُوِّي﴾ و﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ والعدوّ فعول من عدا كعفوّ من عفا ولكنه على زنة المصدر، أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد، وفيه دليل على أن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان ﴿تُلۡقُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين ﴿إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ أو مستأنف بعد وقف على التوبيخ. والإلقاء عباءة عن إيصال المودّة والإفضاء بها إليهم. والباء في ﴿بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ زائدة مؤكدة للتعدّي كقوله: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥] أو ثابتة على أن مفعول ﴿تُلۡقُونَ﴾ محذوف معناه تلقون إليهم إخبار رسول الله ﷺ بسبب المودّة التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ﴾ حال من ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ أو من ﴿تُلۡقُونَ﴾ أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم ﴿بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ دين الإسلام والقرآن ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ استئناف كالتفسير لكفرهم **(وعتوّهم)** أو حال من ﴿كَفَرُواْ﴾ ﴿أَن تُؤۡمِنُواْ﴾ تعليل لـ ﴿يُخۡرِجُونَ﴾ أي يخرجونكم من مكة لإيمانكم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ﴾ متعلّق بـ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾ أي لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي. وقول[1] النحويين في مثله **(هو شرط جوابه محذوف)** لدلالة ما قبله عليه ﴿جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي﴾ مصدر في موضع الحال أي إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي ﴿وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ﴾ ومبتغين مرضاتي ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ أي تفضون إليهم بمودتكم سرًّا أو تسرّون إليهم أسرار رسول الله ﷺ بسبب المودّة **(وهو استئناف)**

قوله: (وعتوّهم) في المصباح عتا يعتو عتوًّا من باب قعد استكبر فهو عاتٍ. اهـ. **قوله: (هو شرط جوابه محذوف)** لأن نفس لا تتخذ لا يصلح جوابًا لأن جواب الشرط لا يتقدم عليه عند البصريين بل المتقدم دليل الجواب المحذوف ويحذف الجواب اعتمادًا عليه، والكوفيون يجيزون تقدّمه عليه. **قوله: (وهو استئناف)** قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله، لم يرد بالاستئناف كونه جوابًا لسؤال مقدر بل أراد به كونه منقطع التعلّق عما قبله لفظًا. اهـ. وقال العلّامة الشهاب رحمه

﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾ والمعنى **(أي طائل)** لكم في أسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان **(سيّان)** في علمي وأنا مطلع رسولي على ما تسرّون ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ﴾ أي هذا الإسرار ﴿مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ **(فقد أخطأ)** طريق الحق والصواب.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾ إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالقتل والشتم ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فإذًا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم. والماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل: ودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردّكم كفارًا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعزّ عليكم من أرواحكم، لأنكم بذالون لها دونه، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أهم شيء عند صاحبه.

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٣﴾

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾ **(قراباتكم)** ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ﴾ الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم ثم قال: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ وبين

الله، قوله: استئناف أي بيانيّ في جواب سؤال لأن قوله: ﴿إِن كُنتُمۡ﴾... الخ يدل على معاتبة فلذا أوثر أن عليّ إذًا فكأنهم سألوا ما صدر عنا حتى عوتبنا كذا في الكشف. اهـ. **قوله**: **(أيّ طائل)** أي نَفْع. **قوله**: **(سِيّان)** أي مِثْلان كذا في المغرب. **قوله**: **(فقد أخطأ...)** الخ في تفسير الخطيب. قال القرطبي: هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله ﷺ وصدق إيمانه فإن المعاتبة لا تكون إلّا من محب لحبيب، كما قال القائل:

إذا ذهب العتاب فليس ودّ ... ويبقى الودّ ما بقي العتاب

اهـ.

قوله: **(قراباتكم)** القرابة تكون مصدرًا أو اسمًا بمعنى القريب كما تقول هو قرابتي.

أقاربكم وأولادكم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس: الآية ٣٤] الآية. فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق مَن يفرّ منكم غدًا. (﴿يَفْصِلُ﴾ عاصم. ﴿يفصّل﴾ حمزة وعلي والفاعل هو الله ﷻ ﴿يُفَصَّلُ﴾ ابن ذكوان غيرهم ﴿يُفْصَلُ﴾) ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ (قدوة) في التبرّي من الأهل ﴿حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي في أقواله ولهذا استثنى منها إلا قول إبراهيم ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين وقيل: كانوا أنبياء ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ جمع بريء كظريف وظرفاء ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ﴾ بالأفعال ﴿وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ بالقلوب ﴿أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ (وَحْدَهُۥٓ)﴾ فحينئذٍ نترك عداوتكم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ وذلك لموعدة وعدها إياه أي اقتدوا به في أقواله (ولا تأتسوا) به في الاستغفار لأبيه الكافر ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي من هداية ومغفرة

قوله: (﴿يَفْصِلُ﴾) بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخفّفة مبنيًا للفاعل وهو الله تعالى (**عاصم** ﴿يُفَصِّلُ﴾) بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد المشددة مبنيًّا للفاعل (**حمزة وعليّ**) الكسائي (والفاعل هو الله عزّ وجلّ ﴿يُفَصَّلُ﴾) بضم الياء وفتح الفاء وفتح الصاد المشدّدة (ابن ذكوان) وهو يروي عن ابن عامر الشاميّ (**غيرهم** ﴿يُفْصَلُ﴾) بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخفّفة مبنيًا للمفعول، والنائب ضمير المصدر المفهوم من يفصل أي الفصل أو ﴿بَيْنَكُمْ﴾ لكنه مبنيّ على الفتح لإضافته إلى مبنيّ نحو قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٤] عند مَن فتح.

قوله: (قدوة) القدوة والأسوة بالضم والكسر فيهما بمعنى وهما يكونان مصدرًا بمعنى الاقتداء أو اسمًا لما يقتدى به. **قوله**: تعالى (﴿وَحْدَهُۥٓ﴾) مصدرًا في موضع الحال أي واحدًا منزهًا عن الشريك. **قوله**: (ولا تأتسوا) أي تقتدوا.

وتوفيق، وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الفتح: الآية ١١] ولكن المراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له (وما بعده تابع له) كأنه قال: أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة. وقيل: معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أقبلنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي لا تسلطهم علينا (فيفتنونا) بعذاب ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي الغالب الحاكم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ ثم كرّر الحث على (الائتساء) بإبراهيم عليه السلام وقومه تقريرًا وتأكيدًا عليهم، ولذا جاء به مصدرًا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾ قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (أي ثوابه أي يخشى الله) وعقبه بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعرض عن أمرنا ويوال الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الخلق ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد فلم يترك نوعًا من التأكيد إلا جاء به ولما أنزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم

قوله: (وما بعده) مبنيّ عليه و(تابع له).

قوله: (فيفتنونا...) الخ فالفتنة مصدر بمعنى المفتون أي المعذّب من فتن الفضة إذا أذابها. **قوله**: (الائتساء) أي الاقتداء. **قوله**: (أي ثوابه أو يخشى الله) فإن الرجاء كما يكون بمعنى التوقع والأمل يكون بمعنى الخوف أيضًا، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: الآية ١٣] أي لا تخافون عظمة الله تعالى. وقال الشاعر:

إذا لسعه النحل لم يرج لسعها

أي لم يخف ولم يبال.

وجميع أقربائهم من المشركين أطمعهم في تحوّل الحال إلى خلافة فقال:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أي من أهل مكة من أقربائكم ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يوفقهم للإيمان، فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتمّ بينهم التحاب. و«عسى» وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به إطماع المؤمنين ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتحويل الأحوال وتسهيل أسباب المودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن أسلم من المشركين.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾

﴿(لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ) وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ تكرموهم وتحسنوا إليهم قولًا وفعلًا. ومحل ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ جرّ على البدل من ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ وهو بدل اشتمال والتقدير عن برّ الذين ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾

قوله: (﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾) اختلفوا في المراد من الذين لم يقاتلوكم فالأكثرون على أنهم أهل العهد الذين عاهدوا رسول الله ﷺ على ترك القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على أن لا يقاتلوه ولا يخرجوه فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالبرّ والوفاء إلى مدة أجلهم. وقال مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا، وقيل: هم النساء والصبيان عن عبد الله بن الزبير أنها نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه تزوّج أُمها قتيلة[1] ثم طلّقها في الجاهلية ثم قدمت مشركة على بنتها أسماء في المدة التي كانت فيها المصالحة بينه عليه الصلاة والسلام وبين كفار قريش... الخ.

---

(١) بالقاف والتاء بزنة المصغر. ١٢ منه رحمه الله.

(**وتقضوا إليهم بالقسط**) ولا تظلموهم، وإذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ هو بدل من ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ﴾ والمعنى لا ينهاكم عن مبرّة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولّي هؤلاء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ منكم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ حيث وضعوا التولّي غير موضعه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ سمّاهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة، أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان ﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ نصب على الحال ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فابتلوهن بالنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن. وعن ابن عباس: امتحانها أن تقول أشهد أن لا إلٰه إلّا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ منكم فإنكم وإن (رزتم) أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظنّ الغالب بظهور الأمارات، وتسمية الظن علمًا يؤذن بأن الظن الغالب وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله: ﴿(وَلَا تَقْفُ) مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٣٦] ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ أي لا حلّ بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا

قوله: (**وتقضوا إليهم بالقسط**) إنما فسّر بذلك ليصحّ تعدية تقسطوا بإلى فضمن تقسطوا معنى تفضوا فعدّى تعديته.

قوله: (رُزتم) أي جربتم. **في لسان العرب** الرَّوْز التجربة رازه يروزه روزًا جَرّب ما عنده وخبره. اهـ. **قوله**: (﴿وَلَا تَقْفُ﴾) تتبع.

إليهن من المهور. نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة مَن جاء مؤمنًا منهم، فأنزل الله هذه الآية بيانًا لأن ذلك في الرجال لا في النساء لأن المسلمة لا تحل للكافر. وقيل: نسخت هذه الآية الحكم الأول ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن لأن المهر أجر البضع **(وبه احتجّ أبو حنيفة** رضي الله عنه **على أن لا عِدّة على المهاجرة)**.

قوله: (وبه احتجّ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه على أن لا عِدّة على المهاجرة) وجه الاحتجاج أنه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهن بعد إيتاء المهور ولم يقيد بمضي العدّة فلولا أن الفرقة تقع بمجرد الوصول إلى دار الإسلام لكان الجناح ثابتًا في نكاحهن. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **وفي الدرّ المختار** (ومَن هاجرت إلينا) مسلمة أو ذمية (حائلًا بانت بلا عدّة) أي غير حبلى فيحلّ تزوجها أما حاملًا فحتى تضع على الأظهر لا للعدّة بل لشغل الرحم بحق الغير. اهـ بحروفه. وفي الهداية (وإذا خرجت المرأة إلينا مهاجرة جاز أن تتزوج ولا عدّة عليها) عند أبي حنيفة رحمه الله وقالا عليها العدّة لأن الفرقة وقعت بعد الدخول في دار الإسلام فيلزمها حكم الإسلام ولأبي حنيفة رحمه الله إنها إثر النكاح المتقدّم وجبت إظهارًا لخطره ولا خطر لملك الحربي، ولهذا لا تجب العدة على المسبيّة (وإن كانت حاملًا لم تتزوج حتى تضع حملها). اهـ بحروفها. **وفي فتح القدير** ولأبي حنيفة رحمه الله أن العدّة إنما وجبت لإظهار خطر النكاح المتقدم ولا خطر لملك الحربي بل أسقطه الشرع بالآية المتقدمة في المهاجرات وهي ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فقد رفع الجناح من نكاح المهاجرات وأمر أن لا يتمسّك بعصم الكوافر جمع كافرة فلو شرطت العدّة لزم التمسك بعقدة نكاحهن الموجودة في حال كفرهن وبهذا يبطل قولهما. اهـ. **وفي تأويلات أبي منصور رحمة الله عليه** أن المهاجرة لا عدّة عليها عند أبي حنيفة رحمه الله. وعلى قولهما عليها العدّة، وهذه الآية دليل أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه من وجوه فإنه قال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾. نهي عن الرد إلى الزوج ولو كانت عليها العدّة لكان للزوج أن يردّها إلى مسكنه ليعد ألا ترى إلى قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ [الطلاق: الآية ٦] كيف أمر الأزواج بإسكانهن في

(﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾) ﴿ولا تمَسَّكوا﴾ (**بصري**) ﴿بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ العصمة ما يعتصم به من عقد (**وسبب**). والكوافر جمع كافرة وهي التي بقيت في دار الحرب أو لحقت بدار الحرب مرتدّة أي لا يكن بينكم وبينهن عصمة (**ولا علقة**) زوجية. قال ابن عباس ﵄: مَن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّنّ بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ﴾ أي جميع ما ذكر في هذه الآية ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ﴾ (**كلام مستأنف**) أو حال من حكم الله (**على حذف الضمير**) أي يحكمه الله، (**أو جعل الحكم حاكمًا**)

عدّتهن فلما قال ههنا: ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾ دلّ على أن لا عدّة عليها. وكذا قال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ فأباح نكاحها مطلقًا من غير ذكر العدّة، وكذلك قال: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ ولو كانت العدّة واجبة لكانت العصمة باقية بقوله: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٩] ألا ترى كيف جعل العدّة في حقه وإذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمة، وقوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ يوجب قطع العصمة فلما كان في إيجاب العدّة إبقاء العصمة بينهما ونهى الله تعالى عن ذلك فقطعناها وأسقطنا العدّة عنها والله أعلم. ولأنهم أجمعوا أنها إذا سبيت وقعت الفرقة وسقطت العدّة والملك ليس بسبب لإسقاط العدّة ولكنه سبب لنقص العدّة فلما سقطت العدّة عند السبي والمهاجرة والسبي لا يوجب الإسقاط دلّ أن سقوط العدّة لاختلاف الدارين والله أعلم. انتهت بحروفها.

قوله: (﴿وَلَا تُمَسِّكُواْ﴾) بضم التاء وفتح الميم وتشديد السين من مسك رباعيًا مضعفًا (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصريّ وكذا سهل البصريّ ويعقوب البصريّ وليسا من السبعة والباقون بضم التاء وسكون الميم وتخفيف السين من أمسك كأكرم.

قوله: (**وسبب**) أي من أسباب النكاح. **قوله:** (**ولا علقة**) زوجية. **في محيط المحيط** ولي في المال عُلَقَة أي تعلّق ومنه قولهم: كل بيع أبقى عُلْقَةً فهو باطل أي شيئًا يتعلّق به البائع. اهـ. **قوله:** (**كلام مستأنف**) لا محل له كأنه قيل بين مَن يحكم الله تعالى فأجيب بأن قيل: ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ﴾. **قوله:** (**على حذف الضمير**) تربط به الجملة بذي الحال. **قوله:** (**أو جعل الحكم حاكمًا**) على المبالغة كما في جدّ جدّه.

على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ وإن انفلت أحد منهن إلى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود ﷺ أحد ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم **(عن الزّجّاج)** ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وقيل: هذا الحكم منسوخ أيضًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ حال ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ يريد **(وأد البنات)** ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك، كنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبًا، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ طاعة الله ورسوله ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ عما مضى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بتمحيق ما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بتوفيق ما ائتنف. ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن عنه بأمره ويبلغهن عنه، **(وهند بنت عتبة)** امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة

قوله: **(عن الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السريّ بن سهل.

قوله: **(وأد البنات)** في المغرب وَأَدَ بِنْتَه دفنها حيّة وأدًا من باب ضرب. اهـ.

قوله: **(هند بنت عتبة)** بضم فسكون ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّة العبشمية امرأة أبي سفيان بن حرب وهي أم مُعاوية أسلمت في الفتح بعد

خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام: أبايعكن على أن تشركن بالله شيئًا. فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيئًا فقال عليه السلام: ولا يسرقن فقالت هند: إن أبا سفيان رجل **(شحيح)** وإني أصبت من ماله **(هنات)** فقال أبو سفيان: ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك لهند. قالت: نعم فاعف عما سلف يا نبيّ الله عفا الله عنك فقال: ولا يزنين. فقالت: أو تزني الحرّة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن. فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلتهم كبارًا فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها **(حنظلة)** قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسّم رسول الله ﷺ فقال: ولا يأتين ببهتان. فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: ولا يعصينك في معروف فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء وهو يشير إلى أن طاعة الولاة لا تجب في المنكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ من ثوابها لأنهم ينكرون البعث ﴿كَمَا

إسلام زوجها أبي سفيان. وأقرّها رسول الله ﷺ على نكاحها كان بينهما في الإسلام ليلة واحدة وكانت امرأة لها نفس وأنفة ورأي وعقل وشهدت أُحدًا كافرة وهي القائلة يومئذ:

نحن بنات طارق … نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق … أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

فلما قتل حمزة مثلت به وشقّت بطنه واستخرجت كبده فلاكتها فلم تطق إساغتها فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: لو أساغتها لم تمسها النار توفيت في خلافة عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنهم. **قوله:** **(شحيح)** أي بخيل. **قوله:** **(هَنات)** جمع هَنةٍ في القاموس هنَة أصلها هَنَوَةٌ أي شيء يسير انتهى. وفي المصباح وجمعها هنوات وربما جمعت هَنات على لفظها مثل عدات. اهـ. **قوله:** **(حنظلة)** بن أبي سفيان.

يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ أي كما يئسوا إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أن يرجعوا إليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة أي هؤلاء كسلفهم. وقيل: هم اليهود أي لا تتولوا قومًا مغضوبًا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة، كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل: من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم.

تمت سورة الممتحنة
والحمد لله ربّ العالمين على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة الصّف)

مدنيّة (وهي أربع عشرة آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١﴾ رُوِيَ أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعَمِلناه فنزلت آية الجهاد، فتباطأ بعضهم فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الصّف) وتُسمى سورة الحواريين مدنية وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والجمهور (وهي أربع عشرة آية) ومائتان وإحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف. **قوله**: تعالى (﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾) ليس المراد من ما الاستفهامية حقيقة الاستفهام لأن الاستفهام من الله تعالى محال لأنه تعالى عالم بجميع الأشياء، بل المراد الإنكار والتوبيخ على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله لأنه إن أخبر أنه فعل في الماضي أو في الحال ولم يفعله كان كذبًا وإن وعد أن يفعل في المستقبل ولا يفعله كان خلفًا وكلاهما مذموم منه وفيه دلالة على أن كل مَن ألزم نفسه عملًا فيه قربة وطاعة لله تعالى يجب عليه الوفاء به نحو أن ينذر نذرًا مطلقًا كقوله لله علي صوم أو صلاة أو صدقة أو مقيّدًا بشرط

﴿لِمَ﴾) هي لام الإضافة داخلة على «ما» الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: «بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام». وإنما حذفت الألف لأن «ما» واللام أو غيرها كشيء واحد، وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلًا قال:

على ما قام يشتمني جرير

والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان، ومَن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (**قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجّب من غير لفظه كقوله:**

غلت ناب كليب بواؤها)

كقوله: إن قدم غائبي أو إن كفاني الله تعالى شرّ كذا فعليّ صدقة. **وفي الإتحاف** وقف البزي[1] ويعقوب بخلفهما على (﴿لِمَ﴾) بهاء السكت. اهـ.

قوله: (قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجّب من غير لفظه...) الخ في تفسير الخطيب، قيل: إن ﴿كَبُرَ﴾ من أمثلة التعجّب وقد عدّه ابن عصفور في التعجب المبوّب له في النحو. فقال: ما أفعله وأفعل به وفعل نحو كرم الرجل وإليه نحا الزمخشري. فقال: هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجّب من غير لفظه كقوله:

غَلت ناب كليب بواؤها

ومعنى التعجّب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجّب لا يكون إلّا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. اهـ بحروفه. **وقوله: (كقوله)** أي قول المُهَلْهِل وهو أخو كُليب. **وقوله:**

(غلت ناب كُليب بواؤها)

---

(١) لعبد الله بن كثير المكيّ ثلاث روايات رواية البزي ورواية ابن نكيح ورواية أبي الحسين القواس. ١٢ منه رحمه الله.

ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره. وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتًا على التمييز، **(وفيه دلالة على أن قولهم ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ مقت خالص لا شوب فيه)**، والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتًا عند الله. واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض. وعن بعض السلف أنه قيل له: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله.

أوله وجارة جَسَّاس أبأنا بنابها   كليب غلت ناب كليب بواؤها

وقوله: **(أبأنا بنابها كليبًا)** أي قتلنا بمقابلة نابها كليبًا وهو رئيس تغلب بن وائل، يقال: أبأت فلانًا بفلان إذا قتلته به وجعلته كفؤًا له والناب المسنة من النوق وجساس رئيس بكر بن وائل وجارته امرأة اسمها بَسُوس يقال إنها خالة جساس رأى كليب بن وائل يومًا ناقة تلك المرأة في حماه وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره فرمى ضرعها بسهم فقتلها فشكت بَسُوس إلى جساس، فقال جساس لجارته: لنقتلن غدًا فحلًا هو أعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليبًا فظنّ أنه فحله الذي يسمى عِليان، فقال كليب دون عِلّيان خَرط القتاد وكان جساس أراد بالفحل نفس كليب فقتل جساس كليبًا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر بن وائل أربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشؤم. وقيل: أشأم من بسوس وحميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل في عزة الشيء، وقيل: أعزّ مَن حمى كليب والبواء الكفؤ. واستأنف بقوله: غلت نابِ كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما أغلى نابًا بواؤنا كليب.

قوله: (وفيه دلالة على أن قولهم ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ مقت خالص لا شوب فيه) وجه الدلالة أنه لو قيل: كبر مقت أن تقولوا لم يفهم منه كون قولهم ﴿مَقْتًا﴾ محضًا وإنما يفهم كونه ذا مقت يمقته الله تعالى لأن الإضافة إنما تدلّ على نوع من الملابسة بين المضاف والمضاف إليه لا على اتحادهما بالذات بخلاف ما إذا جعل المقت تمييزًا عن ذات نشأت عن النسبة إلى الفاعل فإنه يدل على أن المنسوب إليه في الأصل هو المقت الذي عبّر عنه بقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ ثم فسّر ذلك القول بالمقت بناء على ادّعاء أن ذلك القول هو نفس المقت للمبالغة في تعلّق المقت به وفي المنع عنه كما في قولك رجل عدل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ أي صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال ﴿كَأَنَّهُم (بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ)﴾ لاصق بعضه ببعض. وقيل: أريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رصّ بعضه إلى بعض **(وهو حال أيضًا)**.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِى وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذۡ﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِى﴾ بجحود الآيات والقذف بما ليس فيّ ﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ﴾ في موضع الحال أي لم تؤذونني عالمين علمًا يقينًا ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ﴾ وقضية علمكم بذلك توقيري وتعظيمي لا أن تؤذوني ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ مالوا عن الحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ من الهداية، أو لما تركوا أوامره نزع نور الإيمان من قلوبهم، أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي لا يهدي مَن سبق في علمه أنه فاسق.

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِى مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يقل يا قوم كما قال موسى **(لأنه لا نسب له فيهم)** فيكونوا قومه ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِى مِنۢ بَعۡدِى ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ أي أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني من

قوله: (﴿بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾) البنيان واحد كالبناء ولذلك وصف بقوله: ﴿مَّرۡصُوصٌ﴾ ولم يقل مرصوصة. **قوله:** **(وهو حال أيضًا) في السمين** قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُم﴾ يجوز أن يكون حالًا ثانية من فاعل ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ أو يكون حالًا من الضمير في ﴿صَفًّا﴾ فيكون حالًا متداخلة. قال الزمخشري وأن يكون نعتًا لـ ﴿صَفًّا﴾ قاله الحوفي. اهـ بحروفه.

قوله: **(لأنه لا نسب له فيهم)** لأن النسب المعتبر ما يكون من قبل الأب.

التوراة وفي حالِ تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني أن ديني التصديق: التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعًا ممن تقدّم وتأخر (﴿بَعۡدِي﴾ **حجازي وأبو عمرو وأبو بكر**) وهو اختيار (**الخليل وسيبويه**). وانتصب ﴿مُّصَدِّقٗا﴾ و﴿وَمُبَشِّرَۢا﴾ بما في الرسول من معنى الإرسال ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ عيسى أو محمد عليهما السلام ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ (﴿**ساحر**﴾ **حمزة وعلي**).

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ وأيّ الناس أشد ظلمًا ممن يدعوه ربّه على لسان نبيّه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ هذا تهكم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر، مثلت حالهم بحال مَن ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه، والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بأفواههم أي بكلامهم (﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾

قوله: (﴿بَعۡدِي﴾) بفتح الياء (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي أي قرأه نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) البصري (**وأبو بكر**) شعبة وقرأ الباقون بالسكون. **قوله:** (**الخليل**) بن أحمد كان إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب تُوفي سنة خمس وسبعين ومائة. **قوله:** (**وسيبويه**) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ولم يوضع فيه مثل كتابه، تُوفي سنة ثمانين ومائة وقيل: سنة سبع وسبعين ومائة. **قوله:** («**ساحر**») بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء (**حمزة وعليّ**) الكسائيّ وقرأ الباقون بكسر السين وسكون الحاء.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾) بالإضافة أي ﴿مُتِمُّ﴾ بغير تنوين ﴿نُورِهِۦ﴾ بالخفض على إضافة اسم الفاعل للتخفيف فلا يعرف لأنها من إضافة الصفة إلى معمولها

مكي وحمزة وعليّ وحفص ﴿متمٌّ نورَه﴾ غيرهم) أي متم الحقّ ومبلغه غايته ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ (أي الملّة الحنيفية) ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميع الأديان المخالفة له، (ولعمري) لقد فعل فما بقي دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن (مجاهد): إذا نزل عيسىٰ لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ (﴿تُنَجِّيكُم﴾) شامي ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ استئناف كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون وهو بمعنى آمنوا

(مكي) أي ابن كثير المكيّ (وحمزة وعليّ) الكسائي (وحفص ﴿متمٌّ نورَه﴾) بتنوين ﴿مُتِمٌّ﴾ ونصب نوره على اسم الفاعل كما هو الأصل (غيرهم).

قوله: (أي الملّة الحنيفية) أي دين الإسلام. وقوله: (الحنيفية) أي المائلة عن كل دين باطل إلى دين الحق. **في المغرب** حَنِيفة تحريفٌ ومنه الحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق. اهـ.

قوله: (ولعمري) أي لواهب عمري على حذف المضاف. قال في المغرب: العمر بالضم والفتح البقاء إلا أن الفتح غلب في القسم حتى لا يجوز فيه الضم، يقال: لعمرك ولعمر الله لأفعلن وارتفاعه على الابتداء وخبره محذوف. انتهى. أي قسمي أو يميني والواو فيه للاستئناف واللام للابتداء.

قوله: (مجاهد) بن جبر بفتح الجيم وسكون الباء الموحّدة من التابعين كان إمامًا في القراءة والتفسير.

قوله: (﴿تُنَجِّيكُم﴾) بفتح النون وتشديد الجيم **شامي** أي ابن عامر الشاميّ، وقرأ الباقون بسكون النون وتخفيف الجيم.

عند سيبويه ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ويدلّ عليه قراءة ابن مسعود ﴿آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا﴾ وإنما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم كان خيرًا حينئذٍ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبّون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ أي إقامة وخلود يقال: **(عدن بالمكان)** إذا أقام به كذا قيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ﴾.

(ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أُخرى) عاجلة محبوبة إليكم. ثم فسّرها بقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ﴾ أي عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش، أو فتح فارس والروم. وفي ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ شيء من التوبيخ على محبّة العاجل. وقال صاحب الكشف: معناه هل أدلّكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أُخرى تحبونها ثم قال ﴿نَصْرٌ﴾ أي هي نصر ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لأنه في معنى الأمر كأنه قيل: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم، وبشّر يا رسول الله المؤمنين بذلك. وقيل: عطف على «قل» مرادًا قبل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾.

قوله: (عدن بالمكان) بابه ضرب كذا في مختار الصحاح. **قوله:** **(ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى)** إشارة إلى أن ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ صفة لمحذوف وهو مبتدأ محذوف الخبر وهو لكم، وقوله: ﴿تُحِبُّونَهَاۖ﴾ صفة ثانية لذلك المحذوف أيضًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي أنصار دينه (﴿**أنصار لله**﴾ **حجازيّ وأبو عمرو**) ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (**ظاهره تشبيه كونهم أنصارًا بقول عيسىٰ**) ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ولكنه محمول على المعنى أي كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسىٰ (**حين قال لهم**: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) ومعناه (**من جندي متوجهًا إلى نصرة الله**) ليطابق جواب الحواريين وهو قوله: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن الذين ينصرون الله. ومعنى ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ من الأنصار الذين يختصّون بي ويكونون معي في نصرة الله. والحواريون أصفياؤه وهم أول مَن آمن به وكانوا اثني عشر رجلًا، وحواري الرجل صفيه وخالصه (**من الحور**) وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصارين (**يحورون الثياب**) أي يبيضونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسىٰ ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ به ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ فقوينا مؤمنيهم على كفارهم ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ فغلبوا عليهم والله وليّ المؤمنين والله أعلم.

قوله: (﴿**أنصار لله**﴾) بالتنوين واللام (**حجازي**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة. قيل: حجازي أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو**) البصري، وقرأ الباقون بالإضافة. **قوله**: (**ظاهره تشبيه كونهم أنصارًا بقول عيسى حين قال لهم**: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾) لأن أداة التشبيه دخلت على ما هو بمعنى المصدر وهو القول لأن كلمة ما في قوله: ﴿كَمَا قَالَ﴾ مصدريّة. **قوله**: (**من جندي متوجهًا إلى نصرة الله**) يريد أن الجار متعلق بمتعلق محذوف منصوب على الحال. **قوله**: (من الحَوَر) بفتحتين. **قوله**: (**يحورون الثياب**) في **المختار** تحوير الثياب تبييضها.

تمّت سورة الصفّ والحمد لله على نعمائه والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وأصحابه وأحبائه

(سورة الجمعة)

(مدنيّة، وهي إحدى عشر آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ التسبيح إما أن يكون تسبيح خلقة يعني إذا نظرت إلى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الأشباه، أو تسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه في كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤] أو تسبيح ضرورة بأن يجري الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾ أرسل ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي بعث رجلًا أُميًا في قوم أميين. وقيل: ﴿مِّنْهُمْ﴾ كقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] يعلمون نسبه وأحواله. والأميّ منسوب إلى أُمة العرب لأنهم كانوا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الجمعة، مدنية) بالإجماع (وهي إحدى عشرة آية) بلا خلاف ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفًا.

لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأُمم. وقيل: بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها **(من أهل الحيرة)** وأهل الحيرة **(من أهل الأنبار)** ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنّة أو الفقه في الدين ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ من قبل محمد ﷺ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ كفر وجهالة، و«إن» مخفّفة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالًا أعظم منه.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ مجرور معطوف على ﴿ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ يعني أنه بعثه في الأُميين الذين على عهده وفي آخرين من الأُميين ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ **(أي لم يلحقوا بهم بعد)** وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة ﷺ، أو هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم الدين. وقيل: هم العجم. أو منصوب معطوف على المنصوب في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندًا إلى أوله فكأنه هو الذي تولّى كل ما وجد منه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تمكينه رجلًا أُميًا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إيّاه من بين كافة البشر.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الفضل الذي أعطاه محمدًا وهو أن يكون نبيّ أبناء عصره ونبيّ أبناء العصور **(الغوابر)** هو ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ إعطاءه وتقتضيه حكمته ﴿وَٱللَّهُ ذُو

قوله: (من أهل الحيرة) **في الصحاح** الحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة. اهـ.
قوله: (من أهل الأنبار) **في الصحاح** أنبار اسم بلد. اهـ.

قوله: **(أي لم يلحقوا بهم بعد)** أي إلى الآن.

قوله: **(الغوابر)** أي البواقي جمع غابر. **في لسان العرب** الغابر الباقي والغابر الماضي وهو من الأضداد. اهـ.

﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي كلّفوا علمها والعمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ جمع سفر وهو الكتاب الكبير و﴿يَحْمِلُ﴾ في محل النصب على الحال **(أو الجرّ على الوصف لأن الحمار كاللئيم)** في قوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

شبّه اليهود في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفّاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها، وذلك أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبًا كبارًا من كتب السلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمرّ بجنبيه وظهره من الكدّ والتعب، وكل مَن علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي بئس مثلًا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، أو بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالّة على صحة نبوّة محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي مَن سبق في علمه أنه يكون ظالمًا.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ (هَادُوٓا۟)﴾ هاد يهود إذا تهوّد ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقًّا وكنتم على ثقة فتمنّوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعًا إلى دار كرامته التي أعدّها لأوليائه، ثم قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب ما قدموا من الكفر. ولا فرق بين «لا» و«لن» في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا أن في «لن» تأكيدًا وتشديدًا ليس في «لا» فأتى مرة بلفظ التأكيد و«لن يتمنوه» ومرة بغير لفظه و«لا يتمنونه» ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وعيد لهم.

قوله: (أو الجر على الوصف) أي على أنه صفة للحمار. **قوله: (لأن الحمار كاللئيم...)** الخ أي لأن المعرّف تعريف العهد الذهني يعامل معاملة المنكر فيوصف بالجملة كما في قوله: ولقد أمرّ على اللئيم يسبني.

قوله: (﴿هَادُوٓا۟﴾) تهوّدوا أي صاروا يهودًا.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لا محالة والجملة خبر «إن» (**ودخلت الفاء لتضمن ﴿ٱلَّذِى﴾ معنى الشرط**) ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ النداء الأذان و«من» بيان لـ «إذا» وتفسير له، ويوم الجمعة سيّد الأيام (**وفي الحديث: «مَن مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر»**) ﴿فَٱسْعَوْا۟﴾ فامضوا (**وقرىء بها**)

قوله: (ودخلت الفاء لتضمّن ﴿ٱلَّذِى﴾ معنى الشرط) عبارة البيضاوي والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف انتهت أي باعتبار تضمن صفته التي هي الاسم الموصول معنى الشرط فإن الموصوف بالموصول في حكم الموصول، فكما أن المبتدأ إذا كان اسمًا موصولًا صلته فعل أو ظرف جاز دخول الفاء في خبره، فكذا إذا كان موصوفًا بالموصول المذكور جاز ذلك أيضًا لتضمنه معنى الشرط بواسطة تضمن صفته إياه كأنه قيل: إن فررتم من الموت فإنه ملاقيكم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (وفي الحديث: «مَن مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر») أخرجه حميد في ترغيبه عن أبان بن بكير، وأخرج أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلّا وقاه الله فتنة القبر». اهـ. **قوله: (فتنة القبر)** أي عذابه وسؤاله. اهـ مرقاة. **قوله: (وقرىء بها) في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب** ومن ذلك قرأه عليّ عليه السلام وعمر صلوات الله عليهم وابن مسعود وابن عباس وأُبيّ بن كعب وابن عمر وابن الزبير رضي الله

وقال (الفراء): السعي والمضي والذهاب واحد وليس المراد به السرعة في المشي ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (أي إلى الخطبة عند الجمهور وبه استدلّ أبو حنيفة ﷺ على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جاز) ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا. وإنما خصّ البيع من بينها لأن يوم الجمعة يتكاثر فيه

تعالى عنهم وأبي العالية والسلميّ ومسروق وطاوس وسالم بن عبد الله وطلحة بخلاف فامضوا إلى ذكر الله. قال أبو الفتح في هذه القراءة تفسير للقراءة العامة ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي فاقصدوا وتوجّهوا وليس فيه دليل على الإسراع وإنما الغرض المُضِيُّ إليها كقراءة من ذكرنا. اهـ بحروف.

قوله: (**الفراء**) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام. ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب، وتُوفي الفراء سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى. **قوله**: (أي إلى الخطبة عند الجمهور) **في تأويلات الإمام أبي منصور رحمه الله تعالى** ثم قال: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل إلى الجمعة ولا لها دل أن قبل الجمعة ذكر يجب الاستماع إليه والسعي له فدلّ هذا على فرضية الخطبة ولما ثبت أن المعنى من قوله: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أن المراد من الذكر الخطبة، ثم أمر بترك البيع للسعي إلى هذا الذكر والاستماع له ثبت أن الكلام في وقت الخطبة مكروه وفي وقت خروج الإمام للخطبة أيضًا لأن البيع في ذلك الوقت مكروه والكلام والبيع كلام فيدلّ على كراهية كل كلام فيدلّ على صحة مذهب أبي حنيفة في أن يلزم السكوت إذا خرج الإمام حتى يفرغ من الصلاة. وعلى ذلك ورد الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَن أتى الجمعة ثم صلّى ما شاء أن يصلّي ثم إذا خرج الإمام سكت إلى أن يفرغ من صلاته كان ذلك كفّارة له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام بعده» فلما ألزمه السكوت من حيث يخرج الإمام إلى أن يفرغ من الصلاة ثبت أن الكلام في ذلك الوقت مكروه والله أعلم بحروفها. **قوله**: (**وبه استدلّ أبو حنيفة** رضي الله **تعالى عنه على أن الخطيب إذا اقتصر على الحمد لله جاز**) **عبارة شيخ زاده رحمة الله عليه** لما أطلق الذكر على الخطبة ذهب أبو حنيفة رضي الله

البيع والشراء عند الزوال فقيل له بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح، وذروا البيع الذي نفعه يسير ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي السعي إلى ذكر الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البيع والشراء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي أديت ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أمر إباحة ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ في الله ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ واشكروه على ما وفّقكم لأداء فرضه ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ تفرّقوا عنك إليها وتقديره: وإذا رأوا تجارة انفضّوا إليها أو لهوًا انفضّوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وإنما خصّ التجارة لأنها كانت أهم عندهم. رُوِيَ أن أهل المدينة أصابهم جوع و(**غلاء، فقدم دحية بن خليفة الكلبي**) بتجارة من زيت الشأم والنبيّ ﷺ

تعالى عنه إلى أن الخطيب لو اقتصر على مقدار يسمى ذكر الله كقوله: الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه صعد المنبر، فقال: الحمد لله وأُرْتِجَ عليه فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالًا وأنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوّال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر عليه أحد وأما عند الإمام الشافعي وسائر الأئمة رحمهم الله فلا بد من خطبتين مشتملتين على خمسة أركان لفظ الحمد لله ثم الصلاة على رسول الله ﷺ للمواظبة عليهما ثم الوصيّة بتقوى الله ثم القراءة بشيء من القرآن آية أو بعضها في إحداهما ثم الدعاء للمؤمنين في الثانية. وأما الزوائد التي أحدثوها فبدعة انتهت بحروفها.

قوله: (**غلاء**) في المصباح غَلَا السِعْر يغلو والاسم الغلاء بالفتح والمد ارتفع. اهـ. **قوله**: (**فقدم دحية بن خليفة الكلبيّ**) صاحب رسول الله ﷺ شهد أحدًا وما بعدها وكان جبريل يأتي النبيّ ﷺ في صورته أحيانًا. روى عنه نفر من التابعين ومات في خلافة معاوية ودحية بكسر الدال وفتحها وسكون الحاء المهملة، قيل:

(يخطب يوم الجمعة) فقاموا إليه فما بقي معه إلا ثمانية **(أو اثنا عشر)** فقال ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعًا **(لأضرم الله)** عليهم **(الوادي)** نارًا. وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ على المنبر ﴿قَآئِمًاۚ﴾ تخطب، وفيه دليل على أن الخطيب ينبغي أن يخطب قائمًا ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي لا يفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله أعلم.

كانت هذه الواقعة قبل أن يُسلم دحية. **قوله: (يخطب يوم الجمعة)** أي بعد الصلاة كالعيدين. رُوِيَ عن مقاتل بن حيان أنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي صلاة الجمعة قبل الخطبة مثل ما في العيدين إلى أن اتفق له عليه الصلاة والسلام أنه صلّى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع في الخطبة وهو قائم إذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبيّ بتجارته من الشام وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج إليه من بر ودقيق وغيرهما، وكان دحية إذا قدم من السفر تلقّاه أهله بالطبل والدفوف فلما علم الناس قدومه خرجوا إليه ولم يظنّوا أن في ترك استماع الخطبة شيئًا فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ أي تفرّقوا عنك خارجين إليها، فقدم النبيّ ﷺ الخطبة على صلاة الجمعة بعد ذلك. **قوله: (أو اثنا عشر)** رجلًا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمٰن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود. وفي رواية عمّار بن ياسر بدل ابن مسعود وعد في مسلم منهم جابرًا. اهـ شهاب. **قوله: (لأضرم الله)** في القاموس أضرمها وضرّمها واستضرمها أوقدها. اهـ. **قوله: (الوادي)** أي المدينة.

تمّت سورة الجمعة والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة المنافقين)

(مدنيّة إحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢)﴾

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أرادوا شهادة (واطأت) فيها قلوبهم ألسنتهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ أي والله يعلم أن الأمر كما يدلّ عليه قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ادّعاء المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة، أو إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة المنافقون، مدنية) بالإجماع (إحدى عشرة آية) بلا خلاف ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله:** (واطأت) في **المصباح** المواطأة الموافقة. اهـ.

﴿فَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ عن الإسلام بالتنفير وإلقاء الشبه ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدّهم الناس عن سبيل الله. وفي «ساء» معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالًا ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل مَن يدخل في الإسلام، ثم كفروا، ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًّا فنحن حمير ونحو ذلك، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: الآية ١٤] الآية. ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فختم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبرون أو لا يعرفون صحة الإيمان.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

والخطاب في ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ﴾ لرسول الله أو لكل مَن يخاطب ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ﴾ كان ابن أبيّ رجلًا جسيمًا (**صبيحًا**) فصيحًا، وقوم من المنافقين في مثل صفته، فكانوا يحضرون مجلس النبيّ ﷺ فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، فكان النبيّ ﷺ ومَن حضر (**يعجبون بهياكلهم**) ويسمعون إلى كلامهم. وموضع ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ رفع على «هم كأنهم خشب»، (**أو هو كلام مستأنف لا محل له**) ﴿مُّسَنَّدَةٌۖ﴾ إلى الحائط، شبهوا في

قوله: (**صبيحًا**) في المصباح صبح الوجه بالضم صباحة أشرق وأنار فهو صبيح. اهـ. **قوله**: (**يعجبون بهياكلهم**) الهيكل في الأصل البناء المشرف والحكماء تستعمله للبناء المعدّ للأصنام ويراد به مجازًا الأجسام القويّة والضخم من كل شيء. **قوله**: (**أو هو كلام مستأنف لا محل له**) لم يرد بالاستيناف ما هو جواب

استنادهم ـ وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير ـ بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع، أو لأنهم أشباح بلا أرواح وأجسام **(بلا أحلام،** ﴿خُشُبٌ﴾ **أبو عمرو غير عباس وعلي جمع خشبة كبدنة وبُدْن وخشب كثمرة وثمر)** ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ مفعول أول والمفعول الثاني ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وتمّ الكلام أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارّة لهم لخيفتهم ورعبهم يعني إذا نادى منادٍ في العسكر **(أو انفلتت دابّة أو أنشدت ضالّة)** ظنّوه إيقاعًا بهم. ثم قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو **(المداجي)** الذي **(يكاشرك)** وتحت ضلوعه **(الداء الدوي)** ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تغترر بظاهرهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم وضلالتهم.

السؤال. **قوله**: **(بلا أحلام)** أي عقول واحدها حِلْم بالكسر. **قوله**: (﴿خُشُبٌ﴾) بسكون الشين **(أبو عمرو غير عباس)** به ثلاث روايات رواية العباس بن الفضل ورواية شجاع بن أبي نصير ورواية اليزيدي يحيىٰ بن المبارك **(وعليّ)** الكسائي **(جمع خشبة كبَدنة وبُدْن)** وقرأ الباقون بضمها. **قوله**: **(وخشب)** بضمتين **(كثمرة وثمر)** أي ومَن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة أيضًا نحو ثمرة وثمر. **قوله**: **(أو انفلتت دابة)** في المغرب الانفلات خروج الشيء فَلْتَةً أي بغتة. اهـ. **قوله**: **(أو أنشدت ضالة) في لسان العرب** نَشَدْتُ الضالة إذا ناديتَ وسألتَ عنها ابنَ سيده نشد الضالة ينشدها نِشْدَةً ونِشْدَانًا طلبها وعَرّفَها، وأنشدها عرّفها. ويُقال أيضًا: نشدتها إذا عرّفتَها. اهـ.

قوله: **(المداجي)** في لسان العرب **(المُداجاة)** المداراة. **قوله**: **(يكاشرك) في لسان العرب** الكشْر بُدُوّ الأسنان عند التبسّم. اهـ. وأيضًا فيه كاشره إذا ضحك في وجهه وباسطه. اهـ. **قوله**: **(الداء) في لسان العرب** الداء اسم جامع لكل مَرض وعيب ظاهر أو باطن. اهـ. **قوله**: **(الدَّوِي)** أي فيه داء وهو منسوب إلى دوٍ من دَوِي بالكسر يَدْوي أي مرض كذا في لسان العرب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا (﴿لَوَوْا﴾ **بالتخفيف: نافع**) ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار والاستغفار. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ حين لقي **(بني المصطلق)** على **(المريسيع)** - وهو ماء لهم - وهزمهم وقتلهم، ازدحم على الماء **(جهجاه)** بن سعيد - **(أجير لعمر - وسنان الجهني)** - حليف لابن أبي - واقتتلا، فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين، وسنان: يا للأنصار، فأعان جهجاهًا **(جعال)** - من

قوله: (﴿لَوَوْا﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف الواو الأولى من لوى مخففًا **(نافع)** والباقون بالتشديد على التكثير من لوّى الرباعي. **قوله**: **(بني المصطلق)** بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام بعدها قاف لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي المخففة. قال في القاموس: حيّ من الأزد وسموا بذلك لأنهم تخزعوا أي تخلفوا عن قومهم وأقاموا بمكة وسُمِيَ جذيمة بالمصطلق لحسن صوته، وهو أول مَن غنى من خزاعة والأصل في مصطلق مصتلق بالتاء الفوقية فأُبدلت طاء لأجل الصاد. **قوله**: **(المريسيع)** بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتية وكسر السين المهملة بعدها تحتية ساكنة فعين مهملة. **قوله**: **(جهجاه)** بن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري وهو أول من أهل المدينة. روَى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد مع النبيّ ﷺ بيعة الرضوان. **قوله**: **(أجير لعمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقود له فرسه. **قوله**: **(وسنان)** بن وَبَر **(الجهني)** ويُقال: وَبْرَة. **قوله**: **(جِعالٌ) في الإصابة في تمييز الصحابة** للحافظ ابن حجر العسقلانيّ شارح البخاري رحمة الله عليه قد ذكر موسى بن عقبة في المغازي في غزوة بني المصطلق وكان في أصحاب النبيّ ﷺ رجل يقال له: جعال وهو زعموا أنه أحد بني ثعلبة ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه فعلت أصواتهما فذكر قصة فيها طول. وقال ابن إسحٰق في المغازي لما غزى رسول الله ﷺ بني المصطلق سنة ست استعمل على المدينة جعالًا الضمريّ فهذا مغاير لقول موسى بن عقبة أنه كان معهم في غزاة بني المصطلق ويتعيّن في طريق الجمع بينهما أن يقال: هما اثنان انتهت بحروفها.

فقراء المهاجرين ـ و(لطم) سنانًا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال: ما صحبنا محمدًا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، عني بالأعزّ نفسه وبالأذلّ رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: والله لو أمسكتم عن جعال (وذويه) فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد. فسمع بذلك (زيد بن أرقم وهو حدث) فقال: أنت والله الذليل المبغض في قومك، ومحمد على رأسه تاج المعراج في عزّ من الرحمٰن وقوّة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت (فإنما كنت ألعب). فأخبر زيد رسول الله ﷺ فقال عمر ﷺ: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله. فقال: (إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب). قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريًا. قال: فكيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه. وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك وإن زيدًا لكاذب فهو قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ فقال الحاضرون: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسىٰ أن يكون قد وَهِم. فلما نزلت قال رسول الله ﷺ لزيد: يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين. فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوىٰ رأسه فقال: أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت وما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد، فنزل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ولم يلبث إلا أيامًا حتى اشتكى ومات.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ أي ما داموا على النفاق. والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا

قوله: (لطم) من باب ضرب أي ضرب بباطن كفّها. **قوله**: (وذويه) أي أصحابه من الفقراء. **قوله**: (زيد بن أرقم) الأنصاريّ الخزرجيّ صحابيّ مشهور. **قوله**: (وهو حَدَث) أي غلام حديث السن. **قوله**: (فإنما كنتُ ألعب) بصيغة المتكلّم. **قوله**: (إذن تُرْعَدُ أَنُفٌ كثيرة بيثرب) أُنُف بالمدّ وهو جمع أنف قيل: هو عبارة عن الاضطراب والخوف أو عن غضب الرؤساء ويثرب اسم للمدينة.

يعتدّون به لكفرهم، أو لأن الله لا يغفر لهم. (وقرىء ﴿استغفرت﴾ **على حذف حرف الاستفهام**) لأن «أم» المعادلة تدلّ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ يتفرّقوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبىٰ أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولمن أعزّه الله وأيّده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصّاء بذلك كما أن المذلّة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات وكانت في (هيئة رثة): ألست على الإسلام وهو العزّ الذي لا ذلّ معه، والغني الذي لا فقر معه! (**وعن الحسن بن علي**) ﷺ أن رجلًا قال له: إن الناس يزعمون (**إن فيك تيهًا**). قال: ليس بتيه ولكنه عزّة وتلا هذه الآية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (وقرىء ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ **على حذف حرف الاستفهام**) **في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب** ومن ذلك قراءة أبي جعفر «آستغفرت» بالمدّ. ورُوِيَ عنه «استغفرت» بالوصل، قال أبو الفتح: هاتان القراءتان كلتاهما مضعوفتان. اهـ. وقرأ الجمهور ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ بفتح الهمزة من غير مدّ وهي همزة الوصل محذوفة.

قوله: (هيئة رَثَّة) **في المغرب** رَثّ الثوبُ بَلِيَ وثوبٌ رثٌّ وهيئة رثَّة ورَثاثة الهيئة خُلُوقة الثِيَاب وسوءُ الحال. اهـ. **قوله**: (**وعن الحسن بن عليّ**) بن أبي طالب الهاشميّ سبط رسول الله ﷺ وريحانته وقد صحبه وحفظ عنه. مات شهيدًا بالسم سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها. **قوله**: (**إن فيك تيهًا**) والتِيْه بالكسر الكبر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ ۝٩﴾ لا تشغلكم ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها (**بالنماء**) وطلب (**النتاج**) ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ وسروركم بهم وشفقتكم عليهم (**والقيام بمؤنهم**) ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي عن الصلوات الخمس أو عن القرآن ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين. وقيل: من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ «من» للتبعيض والمراد بالإنفاق الواجب ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ (**أي من قبل أن يرى دلائل الموت**) ويعاين ما ييأس معه من

قوله: (**بالنماء**) **في المغرب** النَّمَاء بالمدّ الزيادة والقصر بالهمزة خطأ. اهـ. **قوله**: (**النتاج**) في المصباح النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها. اهـ. **قوله**: (**والقيام بمؤنهم**) **في المغرب** المَؤُونة الثِّقْل فَعُوْلَة من مَأَنْتُ القوم إذا احتملت مَؤُنَتَهُم، وقيل: العُدَّة من قولهم: أتاني هذا الأمر وما مأنتُ له مَأْنًا إذا لم تَسْتَعِدَّ له. وقيل: إنها من مُنْتُ الرجل أَمُؤُنُه والهمزة فيها كهي في أَدْؤُرٍ، وقيل: هي مَفْعَلَة من الأَوْنِ أو الأَيْن والأول أصح. اهـ. **وفي المصباح** المؤنة الثِّقل وفيها لغات إحداها على فعولة بفتح الفاء وبهمزة مضمومة والجمع مؤونات على لفظها ومَأَنت القوم أمأنهم مهموز بفتحتين واللغة الثانية مؤنة بهمزة ساكنة. قال الشاعر:

أميرنا مؤنة خفيفة

والجمع مؤن مثل غرفة وغرف والثالثة مونة بالواو والجمع مون مثل سورة وسور، يقال منها مانه يمونه من باب قال. اهـ بحروفه.

قوله: (**أي من قبل أن يرى دلائل الموت**) يعني أن فيه مضافًا مقدّر أو المراد بدلائله أماراته ومقدماته.

الإمهال ويتعذّر عليه الإنفاق ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ هلا أخّرت موتي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى زمان قليل (﴿فَأَصَّدَّقَ﴾) فأتصدق وهو جواب «لولا» ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من المؤمنين. والآية في المؤمنين. وقيل: في المنافقين. (﴿**وأكون**﴾ **أبو عمرو**) بالنصب عطفًا على اللفظ، والجزم على موضع ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ عن الموت ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ المكتوب في اللوح المحفوظ (﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿**يعملون**﴾ **حماد ويحيىٰ**)، والمعنى أنكم إذا

قوله: (﴿فَأَصَّدَّقَ﴾) بإدغام التاء في الأصل في الصاد مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾. **قوله**: (﴿**وأكون**﴾) بالواو بعد الكاف ونصب النون (**أبو عمرو**) عطفًا على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ والباقون بحذف الواو لالتقاء الساكنين وجزم النون.

قوله: (﴿**يعملون**﴾) بالياء التحتية على الغيبة (**حماد**) بن زياد عن عاصم ورُواته أربعة أبو عمرو وحفص بن سليمان وأبو بكر شعبة بن عياش وحماد بن زياد والمفضل بن محمد (**ويحيىٰ**) بن آدم عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم ولأبي بكر بن عياش ثلاث روايات، رواية يحيىٰ بن آدم وأبي يوسف الأعشى وأبي صالح البُرجمي. وقرأ الباقون بالفوقيّة على الخطاب.

وعبارة تفسير النيسابوريّ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ على الغيبة يحيىٰ وحماد انتهى. **وعبارة كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة مسألة**. وروى أبو بكر في غير رواية الأعشى والبُرجمي «بما يعملون» بالياء النقط من تحت الحرف والباقون بالفوقية على الخطاب.اهـ. **وعبارة كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** واختلف في (﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) فأبو بكر بالغيب والباقون بالخطاب. **وعبارة السمين** وقرأ أبو بكر «بما يعملون» بالغيب والباقون بالخطاب.اهـ. **وعبارة الخطيب** قرأ شعبة بالياء التحتية على الغيبة على الخبر عمّن مات. وقال هذه المقالة والباقون بالفوقية على الخطاب.اهـ. **وعبارة البغويّ** رحمه الله قرأ أبو بكر بالياء

علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه، وأنه (هاجم لا محالة)، وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب غيره، لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب.

وقرأ الآخرون بالتاء. اهـ. **وعبارة تفسير الكبير** وقرأ عاصم «يعملون» بالياء. **وفي فتح القدير للشوكاني** رحمه الله. قرأ الجمهور: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالفوقية على الخطاب، وقرأ أبو بكر عن عاصم والسلميّ بالتحتية على الخبر. اهـ فافهم. **قوله**: (هاجم) في المغرب الهجوم الإتيان بغتة والدخول من غير استيذان من باب طلب. اهـ. **قوله**: (لا محالة) بمعنى لا بد.

تمّت سورة المنافقين والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة التغابن)

(مُختَلَفٌ فيها، وهي ثماني عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ (قدم الظرفان) ليدلّ بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدىء كل شيء والقائم به، وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ أي فمنكم آتٍ بالكفر وفاعل له، ومنكم آتٍ بالإيمان وفاعل له، ويدلّ عليه ﴿وَٱللَّهُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة التغابن، مُختَلَفٌ فيها) في كونها مكيّة أو مدنيّة أو بعضها مكيّ وبعضها مدنيّ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ الآية. **قوله**: (وهي ثماني عشرة آية) بالاتفاق ومائتان وإحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله**: (قدم الظرفان) أراد بالظرف الجار والمجرور وهو ﴿وَلَهُ﴾ الواقع خبرًا هنا فيهما.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي عالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم. والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد من العدم، وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين، فما بالكم تفرقتم أُممًا فمنكم كافر ومنكم مؤمن؟ وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم **(وهو رد لقول مَن يقول بالمنزلة بين المنزلتين)**. وقيل: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق **(وهم الدهرية)**، ومنكم مؤمن به.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنّى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور، ومن حسن صورته أنه خلق منتصبًا غير منكب، ومَن كان **(دميمًا)** مشوّه الصورة **(سمج)** الخلقة **(فلا سماجة ثَمَّ)**، ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن، وقال الحكماء: شيئان لا غاية لهما، الجمال والبيان ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم.

قوله: (وهو ردّ لقول مَن يقول بالمنزلة بين المنزلتين) عبارة تأويلات أبي منصور رحمه الله تعالى، وفي هذه الآية دليل أنه ليس بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة كما قالت المعتزلة أن صاحب الكبيرة بين منزلتين بين الكفر والإيمان والله تعالى قسم الناس قسمين فمنهم مَن خلقه كافرًا ومنهم مؤمن ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة فلا يجب أن يجعل والله تعالى أعلم. اهـ. **قوله: (وهم الدهرية)** أصحاب الطبائع.

قوله: (دميمًا) أي قبيحًا. **قوله: (سَمِج)** أي قبيح. **قوله: (فلا سماجة ثم)** السماجة نقيض الملاحة، يُقال: سمج الشيء بالضم إذا لم يكن فيه ملاحة فهو سَمِج وزان خشن كذا في المصباح.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ نبّه بعلمه ما في السمٰوات والأرض، ثم بعلمه بما يسرّه العباد ويعلنونه، ثم بعلمه بذات الصدور أن شيئًا من الكليات والجزئيات غير خافٍ عليه فحقّه أن يتّقي ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه. وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعده قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالص ولا تشكر نعمته.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لكفّار مكة ﴿نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوم نوح وهود وصالح ولوط ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي ذاقوا وبال كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في العُقبى ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أُعد لهم من العذاب في الآخرة ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بأن الشأن والحديث ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر ﴿فَكَفَرُوا۟﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته أيمانهم وطاعتهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ على صنعه.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي أهل مكة، والزعم ادعاء العلم ويتعدّى تعدّي العلم ﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ «أن» مع ما في حيّزه قائم مقام المفعولين وتقديره أنهم لن يبعثوا ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ هو إثبات لما بعد «لن» وهو البعث ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ أكد الإخبار باليمين. فإن قلت: ما معنى اليمين على شيء أنكروه؟ قلت: هو جائز لأن التهديد به أعظم موقعًا في القلب فكأنه قيل لهم: ما تنكرونه كائن لا محالة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ﴾ البعث ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هين.

قوله: ﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ أن مخفّفة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ يعني القرآن لأنه يبين حقيقة كل شيء فيهتدي به كما بالنور ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فراقبوا أموركم ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ انتصب الظرف بقوله: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أو بإضمار «اذكر» ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ **(وهو مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضًا)** لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا

قوله: (وهو مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضًا) أي يخدع والتغابن تفاعل من الغبن وهو أخذ الشيء من صاحبه بأقل من قيمته وهو لا يكون إلا في عقد المعاوضة ولا معاوضة في الآخرة، فإطلاق التغابن على ما يكون فيها إنما يكون بطريق الاستعارة المبنية على التشبيه وهو مستعار من تغابن التجار، فإن حقيقة التغابن متفرّعة على تحقيق حقيقة التجارة ومعاملة المبادلة ليغبن أحد التاجرين الآخر بأن يوقعه في الخسران ولم يتحقق بين أهل الجنة وأهل النار في الدنيا معاملة يتفرّع عليها تغابنهما في الآخرة حقيقة فحمل الكلام على الاستعارة فشبّه ما عليه كل واحد من الفريقين بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوئها بالتغابن، وذلك لأن كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين على اختيار ما يؤدّي إلى سعادة الآخرة، فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادرًا عليه بدل ما اختاره الآخر وارتضاه فهذا الاختيار منهما شبّه بالمبادلة والتجارة وشبّه ما يتفرّع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر بالتغابن، قيل: أشد الناس غبنًا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله المخالف لعلمه، وعبد أطاع الله تعالى بعدم خيانته في مال سيّده وعصى سيّده الله فدخل العبد الجنة بعدم خيانة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله تعالى، وولد ورث مالًا من أبيه وأبوه كان بخيلًا وعصى الله فيه بعدم إنفاقه في سبيله فدخل أبوه ببخله

ينزلونها لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء، **(كما ورد في الحديث)**، ومعنى ذلك يوم التغابن. وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ صفة للمصدر أي عملًا صالحًا ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ﴾ **(وبالنون فيهما: مدني وشامي)** ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ شدّة ومرض وموت أهل أو شيء يقتضي همًّا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير، أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، **(وعن مجاهد)**: إن ابتلي صبر وإن أعطى شكر وإن ظلم غفر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

النار ودخل هو بإنفاقه في الخير الجنة. قال عليه الصلاة والسلام: «لا يلقى الله أحد إلّا نادمًا إن كان مسيئًا أن لم يحسن وإن كان محسنًا أن لم يزد» أما مشابهة نزول السعداء منازل الأشقياء من الجنة لو كانوا سعداء بالغبن فظاهرة لأن السعداء أخذوا منازل الأشقياء من الجنة من غير رضى الأشقياء ولا شعور لهم به. وأما مشابهة نزول الأشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا أشقياء بالغبن فإنها ليست بظاهرة لأن منازل السعداء من النار لا رغبة لهم فيها حتى يكون نزول الأشقياء فيها شبيهًا بغبن السعداء إياهم إلا أنه شبّه ذلك بالغبن أيضًا تهكمًا بالأشقياء واستهزاء بهم. **قوله: (كما ورد في الحديث)** رواه البخاري عن أبي هريرة في صحيحه. اهـ جمل. **قوله: (وبالنون فيهما: مدنيّ)** أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ وقرأ الآخرون بالياء.

قوله: (وعن مجاهد) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحّدة ابن الحجّاج المخزومي مولاهم المكيّ ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. اهـ تقريب.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي فعليه التبليغ وقد فعل ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ بعث لرسول الله ﷺ على التوكّل عليه حتى ينصره على مَن كذّبه وتولّى عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ أي إن من الأزواج أزواجًا يعادين (**بعولتهن**) ويخاصمنهم، ومن الأولاد أولادًا يعادون آباءهم (**ويعقّونهم**) ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ (**الضمير للعدد أو للأزواج والأولاد**) جميعًا أي لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدوّ فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا (**غوائلهم**) وشرهم ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها ﴿وَتَصْفَحُوا۟﴾ تعرضوا عن التوبيخ ﴿وَتَغْفِرُوا۟﴾ تستروا ذنوبهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويكفّر عنكم سيئاتكم. قيل: إن ناسًا أرادوا الهجرة عن مكة (**فتثبطهم**) أزواجهم وأولادهم وقالوا: تنطلقون وتضيعوننا. فرقوا لهم ووقفوا، فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزيّن لهم العفو.

قوله: (بعولتهن) أي أزواجهن. قوله: (ويعقونهم) في المصباح يقال: عقّ الولد أباه عقوقًا من باب قعد إذا عصاه وترك الإحسان إليه فهو عاق والجمع عققة. اهـ.

قوله: (الضمير للعدد أو الأزواج والأولاد) ففي ضميرهم تغليب. قوله: (غوائلهم) بالغين المعجمة جمع غائلة وهو الضرر المترتب على بعض الأمور. قوله: (فتثبطهم) في المصباح ثبطه تثبيطًا قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه تخذيلًا ونحوه. اهـ.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي في الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم. ولم يدخل فيه «من» كما في العداوة لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ جهدكم ووسعكم، **(قيل: هو تفسير لقوله:** ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾**)** [آل عمران: الآية ١٠٢] ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما توعظون به ﴿وَأَطِيعُوا۟﴾ فيما تؤمرون به وتنهون عنه ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ **(أي إنفاقًا** ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾**)**. وقال **(الكسائي: يكن الإنفاق** ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾**)** والأصح أن تقديره **(ائتوا خيرًا لأنفسكم)** وافعلوا ما هو خير لها، وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان، لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات و**(زخارف الدنيا)** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ أي البخل بالزكاة والصدقة الواجبة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله: (قيل: هو تفسير لقوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾**)**. **عبارة تفسير الجلالين** ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عِمران: الآية ١٠٢] انتهت. **وعبارة الجمالين** قوله: ناسخة أو مبينة مفسرة فإن معناه ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم انتهت.

قوله: (الكسائيّ) هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله أحد القراء السبعة، كان إمامًا في النحو واللغة والقراءات، وإنما قيل له الكسائيَ لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات وهو ملتفّ بكساء فقال حمزة: مَن يقرأ فقيل له: صاحب الكساء فبقي عليه، وقيل: بل أحرم في كساء فنسب إليه رحمه الله. **قوله:** (أي إنفاقًا ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾) يعني أن ﴿خَيْرًا﴾ صفة مصدر محذوف. **قوله:** (يكن الإنفاق ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾) فهو خبر يكن المضمرة. **قوله: (ائتوا خيرا لأنفسكم)** يعني أن خيرًا منصوب بمضمر يدلُ عليه الأوامر السابقة. **قوله:** (زخارف الدنيا) **في لسان العرب** الزخرف الزينة. اهـ.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بنية وإخلاص، وذكر القرض تلطف في الاستدعاء ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يكتب لكم بالواحدة عشرًا أو سبعمائة إلى ما شاء من الزيادة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقبل القليل ويعطي (الجزيل) ﴿حَلِيمٌ﴾ يقيل الجليل من ذنب البخيل أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي يعلم ما استتر من سرائر القلوب ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما انتشر من ظواهر (الخطوب) ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المعزّ بإظهار (السيوب) ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في الإخبار عن الغيوب والله أعلم.

قوله: (الجزيل) في **مختار الصحاح** الجزيل العظيم.اهـ. **قوله**: (الخطوب) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس.اهـ. **قوله**: (السيوب) جمع السَّيْب وهو العطاء.

تمّت سورة التغابن والحمد لله على آلائه
والصلاة والسلام على خير أنبيائه

(سورة الطلاق)

(مدنيّة، وهي اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ خصّ النبيّ ﷺ بالنداء وعمّ بالخطاب لأن النبيّ إمام أُمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا إظهارًا لتقدمه واعتبارًا لترؤسه وأنه قدوة قومه، فكان هو وحده في حكم كلهم وسادًّا مسدّ جميعهم. وقيل: التقدير يا أيها النبيّ والمؤمنون. (ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ إذا أردتم تطليقهن) وهممتم به على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الطلاق) تُسمى سورة النساء القصرى. **قوله**: (مدنية) بالاتفاق. **قوله**: (وهي اثنتا عشرة آية) ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفًا. **قوله**: (ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ إذا أردتم تطليقهن) ولو كان المعنى إذا أوقعتم التطليق كما هو الظاهر من العبارة لما كان لترتيب قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ عليه وجه والتعبير عن هو بصدد التطليق مطلقًا مجازًا باعتبار ما يؤول إليه

كقوله عليه السلام: «مَن قتل قتيلًا فله سلبه» ومنه: كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلّي. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فطلقوهن **(مستقبلات لعدّتهن، وفي قراءة رسول الله ﷺ «في قُبُل عدتهن»)** وإذا طلّقت المرأة في الطهر المتقدم **(للقرء الأول)** من أقرائها فقد طلّقت مستقبلة لعدّتها، والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتدات **(بالحيض)** في طهر لم يجامعهن فيه، ثم يخلين حتى تنقضي عدّتهن وهذا أحسن الطلاق ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن، وخوطب الأزواج لغفلة النساء.

كقوله تعالى حكاية ﴿إِنِّي أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف: الآية ٣٦] وقوله عليه الصلاة والسلام: مَن قتل قتيلًا فله سلبه. وليس المراد به المقتول حقيقة لأن قتله محال سمى مَن يريد التطليق ويقبل عليه مطلقًا لكونه مشارفًا له وجعل المشارف للشيء بمنزلة من شرع في ذلك الشيء فإن تنزيل المشارف للشيء منزلة من شرع فيه كثير ألا ترى إلى أنه عليه الصلاة والسلام جعل الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها بمنزلة من شرع فيها حيث قال: إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسرعون وائتوها تمشون وعليكم السكينة فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة. وقال عليه الصلاة والسلام: لا يزال أحدكم في الصلاة ما انتظر الصلاة. **قوله: (مستقبلات لعدّتهن)** أي متوجهات إليها. **قوله: (وفي قراءة رسول الله ﷺ «في قُبُل عدتهن»)** بضم قاف وباء وهي قراءة عثمان وابن عباس وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله ومجاهد وعليّ بن الحسين وزيد بن عليّ وجعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهم، وهي شاذة. **وفي تأويلات أبي منصور رحمه الله تعالى** وذكر في بعض القراءات فطلّقوهن لقبل عدّتهن. اهـ. **وأيضًا فيها** قوله: لقبل عدّتهن يحتمل أول عدّتهن ويحتمل ما يقابل عدتهن وهو الحيض من المقابلة، فمن يقول للاعتداد بالأطهار يجعل القبل كناية عن أول التطهير ومن يقولها بالحيض يجعل القبل ما يقابل العدة وهو الحيض. ثم هنا أن ينظر إلى التأويلين أقرب. وقد أجمعوا أن قوله: إن يطلّقها في آخر الطهر إذا لم يجامعها فيه دلّ أن تأويل القبل ما يقابل العدّة أحق وهو الحيض والاعتداد به أولى والله أعلم. اهـ بحروفها. **قوله: (للقرء الأول)** القرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض ويجمع على أقراء وقروء. **قوله: (بالحيض)** بكسر الحاء وفتح الياء جمع حيضة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ حتى تنقضي عدّتهن ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي يسكنها قبل العدّة وهي بيوت الأزواج، وأُضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى، وفيه دليل على أن السكنى واجبة، وأن الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما إذا حلف لا يدخل داره. ومعنى الإخراج أن لا يخرجهن (**البعولة**) غضبًا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن، وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذانًا بأن إذنهم لا أثر له في رفع (**الحظر**) ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بأنفسهن إن أردن ذلك ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قيل: هي الزنا أي إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن. وقيل: خروجها قبل انقضاء العدّة فاحشة في نفسه ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي﴾ أيها المخاطب ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ بأن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها، والمعنى فطلّقوهن لعدّتهن وأحصوا العدّة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ (**قاربن آخر العدّة**) ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان، وإن شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدّتها ثم يطلقها تطويلًا للعدّة عليها وتعذيبًا لها ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ يعني عند الرجعة والفرقة جميعًا، وهذا الإشهاد مندوب إليه لئلا يقع بينهما التجاحد ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين ﴿وَأَقِيمُوا

قوله: (البعولة) في المصباح البعل الزوج والجمع البعولة. اهـ باختصار.
قوله: (الحظر) المنع في المصباح حظرته حظرًا من باب قتل منعته. اهـ.

قوله: (قاربن آخر العدّة) فسّر بلوغ الأجل الذي هو آخر العدّة بمقاربة انقضائه كما فسّر قوله تعالى: ﴿طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بقوله: أردتم طلاقهن لأنه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة حتى يقال: إذا بلغت آخر عدّتهن فأنتم بالخيار إن شئتم

﴿ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ لوجهه خالصًا وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ﴾ أي إنما ينتفع به هؤلاء ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ **(هذه جملة اعتراضية)** مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنّة، والمعنى ومَن يتق الله فطلق للسنّة ولم يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد «يجعل الله له مخرجا» مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه، ويجوز أن يُجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾. أي ومَن يتق الله يجعل له مخرجًا ومخلصًا من غموم الدنيا والآخرة. وعن النبيّ ﷺ أنه قرأها فقال: مخرجًا من شبهات الدنيا ومن **(غمرات)** الموت ومن شدائد اليوم القيامة.

وقال ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومَن يتق الله». فما زال يقرؤها ويعيدها، ورُوِيَ أن **(عوف)** بن مالك **(أسر المشركون ابنًا له)** فأتى رسول الله ﷺ فقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال: ما أمسى عند آل محمد إلا مدّ فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا

الرجعة والإمساك بالمعروف وإن شئتم ترك الرجعة وإبقاء الفراق. **قوله**: **(هذه جملة اعتراضية)** بين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ﴾ [الطلاق: الآيتان ١، ٢] وبين قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ الآية.

قوله: **(غمرات)** أي سكرات. **قوله**: **(عوف)** بن مالك الأشجعي صحابي مشهور. **قوله**: **(أسر المشركون ابنًا له)** يسمى مالكًا. اهـ خازن وبغوي. وفي تفسير الخطيب والكشّاف والإصابة في تمييز الصحابة يسمى سالمًا. اهـ.

بالله العليّ العظيم، فقالت: نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يكل أمره إليه عن طمع غيره وتدبير نفسه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ كافيه في الدارين (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ **حفص**) أي منفذ أمره، (**غيره ﴿بالغٌ أمرَه﴾**) أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ تقديرًا وتوقيتًا، وهذا بيان لوجوب التوكّل على الله وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكّل.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ رُوِيَ أن ناسًا قالوا: قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدّة اللائي لم يحضن؟ فنزلت ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ أي فهذا حكمهن. وقيل: إن ارتبت في دم البالغات مبلغ اليأس، وقد قدروه بستين سنة (**أو بخمس وخمسين**) أهو دم حيض أو استحاضة فعدّتهن ثلاثة أشهر، وإذا كانت عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولىٰ بذلك ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ هن الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدّتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكورة عليها ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ عدّتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (**والنص يتناول المطلقات والمتوفىٰ عنهن أزواجهن**).

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ **حفص**) أي قرأ حفص ﴿بَٰلِغُ﴾ بغير تنوين و﴿أَمْرِهِۦ﴾ بالجر مضاف إليه على التخفيف. **قوله**: (**غيره** ﴿بَٰلِغٌ أَمْرَهُۥ﴾) أي قرأ الباقون ﴿أَمْرَهُۥ﴾ بنصب الراء وضم الهاء.

قوله: (**أو بخمس وخمسين**) هذا عند الجمهور وعليه الفتوى، وقيل: الفتوى على خمسين نهر كذا في الدرّ المختار. **قوله**: (**والنص يتناول المطلّقات والمتوفى عنهن أزواجهن**) لما رُوِيَ عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: لو وضعت ما في بطنها وزوجها المتوفى على سريره لم يدفن بعد لانقضت عدّتها

(وعن علي وابن عباس ﷺ : عدّة الحامل المتوفىٰ عنها زوجها أبعد الأجلين) ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ ييسر له من أمره ويحلّل من عقده بسبب التقوىٰ.

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ من اللوح المحفوظ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على

وحلّت للأزواج. **قوله: (وعن عليّ وابن عباس رضي الله عنهم: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين)** إما بوضع الحمل أو بانقضاء أربعة أشهر وعشر فأيهما أبعد من الآخر تعتدّ به لأنه لما وقع التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ وبين قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [الآية ٢٣٤] واقتضت الآية الأولى أن تنقضي عدّتها بوضع الحمل وإن وضعت عقيب موت زوجها بيوم أو ساعة واقتضت الآية الثانية أن لا تنقضي عدّتها إلا بمضي أربعة أشهر فجمع بينهما احتياطًا وعامة الصحابة على أن عدّتها إنما تنقضي بوضع الحمل. **في شرح السنة في باب عدّة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملًا** أخبرنا أبو الحسن الشيرازي أخنا زاهد بن أحمد أخنا أبو إسحٰق الهاشمي أخنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة نُفِست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت رسول الله ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت. هذا حديث صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبيّ عليه السلام وغيرهم، قالوا: المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملًا تنقضي عدّتها بوضع الحمل، وهو قول عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. قال عمر: لو ولدت وزوجها على سريره لم يدفن بعد لحلّت وإليه ذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي. ورُوِيَ عن عليّ وابن عباس أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشر انتهى باختصار. **وفي الميزان للعلّامة الشعراني رحمه الله تعالى** اتفق الأئمّة على أن عدّة الحامل مطلقًا بالوضع سواء المتوفى عنها زوجها والمطلّقة. اهـ. وهكذا في رحمة الأمّة في اختلاف الأئمة.

الحقوق الواجبة عليه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ ثم بين التقوىٰ في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ كأنه قيل: كيف نعمل بالتقوىٰ في شأن المعتدّات؟ فقيل:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ وكذا وكذا ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ هي «من» التبعيضية مبعضها محذوف أي أسكنوهن مكانًا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ هو عطف بيان لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ وتفسير له كأنه قيل: أسكنوهن مكانًا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد: الوسع والطاقة. **(وقرىء بالحركات الثلاث والمشهور الضمّ. والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة، وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة)** لحديث **(فاطمة بنت قيس)** أن زوجها أبت طلاقها فقال رسول الله ﷺ: لا سكنى لك ولا نفقة.

قوله: (وقرىء بالحركات الثلاث والمشهور الضم) عبارة الجمل. قوله: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ بضم الواو باتفاق القراء. اهـ شيخنا انتهت بحروفها. **وعبارة السمين** العامة ﴿وُجْدِكُمْ﴾ بضم الواو والحسن والأعرج وأبو حيوة بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وهي لغات بمعنًى والوجد بفتح الواو الحزن أيضًا والحب والغضب. اهـ بحروفها. **وعبارة تفسير النيسابوري** ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ بكسر الواو رَوح. اهـ بحروفها. **وقوله:** رَوْح بن عبد المؤمن وهو من رواة يعقوب بن إسحٰق الحضرمي. **وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة وهي قراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش** مسألة: روى روح عن يعقوب «من وِجدكم» بكسر الواو والباقون ﴿وُجْدِكُمْ﴾ بضم الواو. اهـ. **وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر.** واختلف في ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾، فروح بكسر الواو والباقون بضم الواو لغتان بمعنى الوسع. اهـ فافهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلّقة، وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة) وهي المطلّقة ثلاثًا. **في فتح القدير للشوكاني** وقد اختلف أهل العلم في

....

المطلّقة ثلاثًا هل لها سكنى ونفقة أم لا فذهب مالك والشافعي أن لها السكنى ولا نفقة. وذهب أبو حنيفة وأصحابه أن لها النفقة وذهب أحمد وإسحٰق وأبو ثور أنه لا نفقة لها ولها سكنى وهذا هو الحق انتهى بحروفه. **وفي شرح السنّة** لم يختلف أهل العلم في أن المطلّقة الرجعية تستحق النفقة والسكنى، واختلفوا في المبتوبة فقال طائفة: لا نفقة لها ولا سكنى إلا أن تكون حاملًا. رُوِيَ ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وبه قال أحمد وإسحٰق، وقال طائفة: لها السكنى والنفقة حاملًا كانت أو حايلًا. رُوِيَ ذلك عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وبه قال إبراهيم النخعي وإليه ذهب سفيان وأصحاب الرأي، وقالت طائفة لها السكنى بكل حال ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملًا وحُكِيَ ذلك عن ابن المسيّب، وبه قال الزهري وإليه ذهب مالك والليث بن سعد والأوزاعي وابن أبي ليلى والشافعي.اهـ بحروفه. **وأيضًا فيه** واحتجّ مَن لم يجعل لها السكنى بما رُوِيَ عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس أن زوجها طلّقها ثلاثًا فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة وأمرها أن تعتدّ عند عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى فاعتدّت عنده فأما مَن جعل لها السكنى وهو قول الأكثرين اختلفوا في سبب نقل فاطمة. ورُوِيَ عن عُروة أن عائشة أنكرت ذلك على فاطمة وقالت: إن فاطمة كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها فلذلك رخص ذلك لها النبيّ عليه السلام. وروَى القاسم عن عائشة أنها قالت لفاطمة ألا تتقي الله تعني في قولها لا سكنى ولا نفقة، وقال سعيد بن المسيّب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها. روى ميمون بن مهران عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال: فتنت فاطمة الناس كانت للسانها ذرابة فاستطالت على أحمائها فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتدّ في بيت ابن أُم مكتوم. ورُوِيَ هذا عن ابن عباس في معنى قول الله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطّلَاق: الآية ١]، قال ابن عباس: الفاحشة المبيّنة أن تبذو على أهل زوجها فإذا بذأت فقد حلّ إخراجها. وقيل في تفسير الفاحشة المبيّنة أنها إذا زنت تخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها. يُروَى ذلك عن ابن مسعود وإنكار عائشة وابن المسيب على فاطمة بنت قيس من حيث إنها كتمت السبب الذي أمرها رسول الله ﷺ أن تعتدّ في غير بيت زوجها وذكرت أن النبيّ عليه

....

السلام لم يجعل لها نفقة ولا سكنى فيقع به السامع في فتنة يظن للمبتوبة أن تعتدّ حيث شاءت. اهـ بحروفه.

وفي شرح الهداية لابن الهمام رحمة الله عليه قال الشافعي رحمه الله: لا نفقة للمبتوتة وهي المطلّقة ثلاثًا والمختلعة إذ لا بينونة عنده بغير ذلك إلا أن تكون حاملًا فإن في بطنها ولده، وحديث فاطمة بنت قيس. رواه في الصحيح أن أبا عمرو بن حفص طلّقها البتة وهو غايب فأرسل وكيله بشعير فسخطته فقال: والله مالك علينا من شيء فجاءت رسول الله ﷺ فقال: ليس لك نفقة وأمرها أن تعتدّ في بيت أم شريك، ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أُم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فآذنيني قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له». انكحي أسامة بن زيد فكرهته فقال: انكحي أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرًا واغتبطت.

وأخرجه مسلم أيضًا وقال فيه: لا نفقة لك ولا سكنى. ورواه أيضًا وقال فيه إن أبا حفص بن المغيرة خرج مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من تطليقها وعلى هذا فتحمل رواية الثلاث على أنه أوقع واحدة وهي تمام الثلاث وأَمَرَ لَهَا الحارث بن هشام وعياش بن أبي ربيعة بنفقة فسخطتها فقال: لا والله ليس لك نفقة إلا أن تكوني حاملًا فأتت النبيّ ﷺ فذكرت له قولهما فقال: لا نفقة لك وزاد أبو داود في هذا بإسناد مسلم عقيب قول عياش بن أبي ربيعة والحارث بن هشام ولا نفقة لك إلا أن تكوني حاملًا. وفي شرح الكنز نسبه إلى مسلم لكن الحق ما علمت فيه وفي رواية لمسلم أن أبا حفص بن المغيرة المخزومي طلّقها ثلاثًا ثم انطلق إلى اليمن فقال لها أهله: ليس لك علينا نفقة فانطلق خالد بن الوليد في نفر فأتوا رسول الله ﷺ في بيت ميمونة الحديث. والجواب أن شرط قبول خبر الواحد عدم طلب طعن السلف فيه وعدم الاضطراب وعدم معارض يجب تقديمه، والمتحقق في هذا الحديث ضد كل من هذه الأمور أما طعن السلف فقد طعن عليها فيه أكابر الصحابة ممن سنذكر مع أنه ليس من عادتهم الطعن بسبب كون الراوي امرأة ولا كون

....

الراوي أعرابيًّا فقد قبلوا حديث فُرَيْعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري في اعتداد المتوفّى عنها زوجها في بيت زوجها مع أنها لا تعرف إلا في هذا الخبر بخلاف فاطمة بنت قيس فإنها تعرف بذلك الخبر وبخبر الدجال حفظته مع طوله ووعته وأدته ثم قد ظهر لها من الفقه ما أفاد علمًا وجلالة قدر وهو ما رُوِيَ في صحيح مسلم من أن مروان أرسل إليها قبيصة بن أبي ذؤيب يسألها عن الحديث فحدّثته به فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة سنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان: بيني وبينكم القرآن، قال الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾، قالت هذا لمن كان له مراجعة فأيّ أمر يحدث بعد ذلك فكيف تقولون لا نفقة لها إذا لم تكن حاملًا فعلام تحبسونها. وقيل: عمر خبر الضحاك بن سفين الكلابيّ وحده وهو أعرابي فجزمنا أن رد عمر وغيره لخبرها ليس إلّا لما علموه عن رسول الله ﷺ مخالفًا له وقد استقرّت الحال عليه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بين السلف استمرت إلى أن روت فاطمة رضي الله تعالى عنها هذا الخبر مع أن عمر ردّه وصرّح بالرواية بخلافه في صحيح مسلم عن أبي إسحٰق قال: كنت مع الأسود بن يزيد جالسًا في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي فحدّث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة فأخذ الأسود كفًا من حصى فحصبه به وقال: ويلك تحدث بمثل هذا، قال: لا نترك كتاب ربّنا ولا سنّة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أم نسيت لها السكنى والنفقة. قال الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ فقد أخبر أن سنّة رسول الله ﷺ أن لها النَّفَقة والسكنى ولا ريب في أن قول الصَّحَابي من السنة كذا رفع فكيف إذا كان قائله عمر رضي الله تعالى عنه. وفيما رواه الطحاوي والدارقطني زيادة قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول للمطلّقة ثلاثًا النفقة والسكنى وقصارى ما هنا أن تعارض روايتها بروايته فأي الروايتين يجب تقديمها. وقال سعيد بن منصور حدَّثنا أبو منصور حدَّثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كان عمر رضي الله تعالى عنه إذا ذكر عنده حديث فاطمة قال: كنا ما كنا نغير في ديننا بشهادة امرأة فهذا شاهد على أنه

....

كان الدين المعروف المشهور وجوب النفقة والسكنى فينزل حديث فاطمة من ذلك بمنزلة الشاذّ والثقة إذا شذّ لا يقبل ما شذّ فيه ويصرّح بهذا ما في مسلم من قول مروان سنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها والناس إذ ذاك هم الصحابة فهذا في المعنى حكاية إجماع الصحابة ووصفه بالعصمة، وفي الصحيحين عن عروة أنه قال لعائشة: ألم تري إلى فلانة بنت الحكم طلّقها زوجها البتة فخرجت فقالت: بئس ما صنعت، فقلت: ألم تسمعي إلى قول فاطمة، فقالت: إما أنه لا خير لها في ذلك أو في ذكر ذلك فهذا غاية الإنكار حيث نفت الخير بالكلية عنه وكانت عائشة أعلم بأحوال النساء فقد كنّ يأتين إلى منزلها ويستفتين منه عليه الصلاة والسلام وكثر وتكرر. وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها قالت لفاطمة: ألا تتقي الله تعالى تعني في قولها: لا سكنى ولا نفقة وقال القاضي إسماعيل حدّثنا نصر بن علي حدّثني أبي عن هارون عن محمد بن إسحٰق قال أحسبه عن محمد بن إبراهيم أن عائشة قالت لفاطمة بنت قيس: إنما أخرجك هذا اللسان، تعني أنها استطالت على أحمائها وكثر الشر بينهم فأخرجها عليه الصلاة والسلام لذلك. ويفيد ثبوته عن عائشة أن سعيد بن المسيّب قد احتجّ به وهو معاصر عائشة وأعظم متتبع لأقوال مَن عاصره من الصحابة حفظًا ودراسة ولولا أنه علمه منها ما قاله وذلك ما في أبي داود من حديث ميمون بن مهران قال: قدمت المدينة فدفعت إلى سعيد بن المسيّب فقلت: فاطمة بنت قيس طلّقت فخرجت من بيتها فقال سعيد: تلك امرأة قتلت الناس كانت لسنة فوضعت على يدين أم مكتوم وهذا هو المناسب لمنصب ابن المسيّب فإنه لم يكن ينسب إلى صحابيّة ذلك من عند نفسه، وكذا هذا والله أعلم مستند سليمان بن يسار حيث قال: خروج فاطمة إنما كان من سوء الخلق. رواه داود في سننه عنه وممن ردّه زوجها أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ روى عبد الله بن صالح قال: حدّثني الليث بن سعد حدّثني جعفر عن أبي هرمز عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: كان محمد بن أسامة بن زيد يقول: كان أسامة إذا ذكرت فاطمة شيئًا من ذلك يعني من انتقالها في عدّتها رماها بما في يده فتبعي هذا مع أنه هو الذي تزوّجها بأمر رسول الله ﷺ وكان أعرف بالمكان الذي نقلها عنه إلى منزله حين بنى بها فهذا لم يكن قطعًا إلا لعلمه بأن ذلك غلط منها أو

....

لعلمه بخصوص سبب جواز انتقالها من اللسان أو ضيق المكان فقد جاء في ذلك أيضًا ولم يظفر المخرج رحمه الله بحديث أسامة فاستغربه والله الميسر. وقال الليث: حدّثني عقيل بن شهاب أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمٰن فذكر حديث فاطمة قال: فأنكر الناس عليها ما كانت تحدث من خروجها قبل أن تحلّ وفي معجم الطبراني بسنده عن إبراهيم أن ابن مسعود وعمر قالا: المطلّقة ثلاثًا لها السكنى والنفقة. وأخرج الدارقطني عن حرب بن أبي العالية عن أبي الزبير عن جابر عن النبيّ ﷺ قال: المطلّقة ثلاثًا لها السكنى والنفقة.

قال عبد الحق رحمة الله عليه: إنما يوجد من حديث أبي الزبير عن جابر ما ذكر فيه السماع أو كان عن الليث عن أبي الزبير وحرب بن أبي العالية أيضًا لا يحتجّ به ضعفه ابن معين والأشبه وقفه على جابر وهذا بتقدير تسليم ما ذكره من توهين رفعه برد قول من ذكر أن جابرًا رد على قول فاطمة وقد تم بما ذكرنا بيان المعارض والطعن. وأما بيان الاضطراب فقد سمعت في بعض الروايات أنه طلّقها وهو غائب وفي بعضها أنه طلّقها ثم سافر، وفي بعض الروايات أنها ذهبت إلى رسول الله ﷺ فسألته وفي بعضها أن خالد بن الوليد ذهب في نفر فسألوه عليه الصلاة والسلام وفي بعضها أبا حفص بن المغيرة والاضطراب موجب لضعف الحديث على ما عرف في علم الحديث. وممن ردّ الحديث زيد بن ثابت ومروان بن الحكم من التابعين مع ابن المسيّب شريح والشعبي والحسن بن حيّ والأسود بن يزيد وممن بعدهم الثوري وأحمد بن حنبل وخلق كثير ممن تبعهم.

فإن قيل: فهذا العذر بتقدير ثبوته إنما أسقط تلك السكنى والحال أنه عليه الصلاة والسلام قال لها: لا نفقة لك ولا سكنى.

قلنا: ليس علينا أولًا أن نشتغل بيان العذر عما روت بل يكفي ما ذكرنا من أنه شاذّ ومخالف لما كان الناس عليه ولمروي عمر في تركه كائنًا هو في نفسه ما كان إلا أن الاشتغال بذلك حسن حملًا لمرويها على الصحة، ونقول فيه أن عدم السكنى كان لما سمعت وأما عدم النفقة فلأن زوجها كان غايبًا ولم يترك مالًا عنده سوى الشعير الذي بعث به إليها فطالبت هي أهله على ما في مسلم من طريق أنه

(وعن عمر رضي الله تعالىٰ عنه: **لا ندع كتاب ربّنا**) وسنّة نبيّنا بقول امرأة

طلّقها ثلاثًا ثم انطلق إلى اليمن، فقال لها أهله: ليس لك علينا نفقة الحديث فلذلك قال عليه الصلاة والسلام لها: لا نفقة لك ولا سكنى على تقدير صحته لأنه لم يخلف مالًا عند أحد وليس يجب لك على أهله شيء فلا نفقة لك على أحد بالضرورة فلم تفهم هي الغرض عنه عليه الصلاة والسلام فجعلت تروي نفي النفقة مطلقًا فوقع إنكار الناس عليها ثم إن في كتاب الله تعالى من غير ما نظرت فيه فاطمة بنت قيس ما يفيد وجوب السكنى والنفقة لها وهو قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قد علم أن المراد وأنفقوا عليهن من وجدكم وبه جاءت قراءة ابن مسعود والمرويّة عن رسول الله ﷺ مفسّرة له وهذه الآية إنما هي في البواين بدليل المعطوف وهو قوله تعالى عقيبه: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ولو كانت الآية في غير المطلّقات أو في الرجعيات كان التقدير سكنوا الزوجات أو الرجعيات من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، ومعلوم أنه لا معنى حينئذٍ لجعل غاية إيجاب الإنفاق عليها إلى الوضع فإن النفقة واجبة لها مطلقًا حاملًا كانت أو لا وضعت حملها أو لا بخلاف ما إذا كانت في البواين فإن فائدة التقييد بالغاية دفع توهم عدم النفقة على المعتدّة الحامل في تمام مدة الحمل لطولها والاقتصار على قدر ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر. وكذا قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: الآية ١] فإنه عام في المطلّقات. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: الآية ٢] يرجع إلى الرجعيات منهن وذكر حكم خاص ببعض ما يتناوله الصدر لا يبطل عموم الصدر. انتهى. **قوله**: (**فاطمة بنت قيس**) صحابيّة مشهورة وكانت من المهاجرات الأول.

قوله: (**وعن عمر رضي الله تعالى عنه: لا ندع...**) الخ. رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والطحاوي والدارقطني لكن ليس فيه نقل عمر رضي الله عنه سمعت... الخ. نعم روى جابر أنه عليه السلام قال للمطلّقة ثلاثًا النفقة والسكنى. ذكره عبد الحق كذا قال العيني كذا في حاشية الهداية المطبوعة وفيه ما فيه فافهم. **قوله**: (**كتاب ربّنا**) يريد به قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن

لعلها نسيت أو شبّه لها (**سمعت النبيّ ﷺ**) يقول لها السكنى والنفقة ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرار ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ في المسكن ببعض الأسباب من إنزال مَن لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج.

﴿وَإِن كُنَّ﴾ أي المطلقات ﴿أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ﴾ ذوات أحمال ﴿فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وفائدة اشتراط الحمل أن مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة (**الحائل**) فنفي ذلك الوهم ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدًا من ظئرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فحكمهن في ذلك حكم (**الأظآر**)، ولا يجوز الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن خلافًا للشافعي ﷺ ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ أي تشاوروا على التراضي في الأجرة، أو ليأمر بعضكم بعضًا، والخطاب للآباء والأمهات ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بما يليق بالسنّة ويحسن في المروءة (**فلا يماكس**) الأب ولا تعاسر الأُم لأنه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم فلم ترض الأم بما ترضع به الأجنبية ولم يزد الأب على ذلك ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ فستوجد (**ولا تعوز**) مرضعة غير الأُم ترضعه، وفيه طرف من معاتبة الأم على المعاسرة. وقوله: ﴿لَهُۥ﴾ أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أُمه.

وُجْدِكُمْ﴾ [الطّلَاق: الآية ٦] ووجه ذلك الوجد هو السعة والغنى وذلك يرجع إلى ما يملك به، أما الإسكان فلأنه قد يملك إسكانها في غير ملكه حيث يسكن هو ولا يملك الإنفاق من غير ملكه فكان تقديره والله أعلم ما تلاه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: وأنفقوا عليهن من وجدكم. اهـ عناية. **قوله**: (**سمعت النبيّ ﷺ...**) الخ بيان السنّة. **قوله**: (**الحائل**) أي غير الحامل. **قوله**: (**الأظآر**) في المصباح الظئر بهمزة ساكنة ويجوز تخفيفها الناقة تعطف على ولد غيرها ومنه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها ظئر وللرجل الحاضن ظئرًا أيضًا والجمع الأظآر مثل حمل وأحمال. اهـ. وفي المغرب الظئر الحاضنة والحاضن أيضًا وجمعه أظآر. اهـ. **قوله**: (**فلا يماكس**) في لسان العرب المماكسة في البيع انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين. اهـ. **قوله**: (**ولا تعوز**) في المصباح عوز الشيء عوزًا من

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ أي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلّقات والمُرضعات، ومعنى ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ ضيّق أي رزقه الله على قدر قوته ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أعطاها من الرزق ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ بعد ضيق في المعيشة سعة وهذا وعد لذي العسر باليسر.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ **(من أهل قرية)** ﴿عَتَتْ﴾ أي عصت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أعرضت عنه على وجه **(العتوّ والعناد)** ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ **(بالاستقصاء)** والمناقشة ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ **(﴿نُكُرًا﴾ مدني وأبو بكر)** منكرًا عظيمًا.

باب تعب عز فلم يوجد وعزت الشيء أعوزه، من باب قال احتجت إليه فلم أجده وأعوزني المطلوب مثل أعجزني وزنًا ومعنى وأعوز الرجل إعوازًا افتقر وأعوزه الدهر أفقره. قال أبو زيد: أعوز وأحوج وأعدم وهو الفقير الذي لا شيء له.اهـ بحروفه. وفي المغرب **(العَوَزُ)** الضيق وأن يُعْوِزَك الشيء أي يَقِل عندك وأنت محتاج إليه ومنه قولهم: سِدَادٌ من عَوَزٍ. ويقال أيضًا: أعوزني المطلوب أي أعجزني واشتد عليّ وهو قريب من الأول.اهـ.

قوله: **(من أهل قرية)** إما بتقدير المضاف أو المجاز المرسل بقرينة إسناد العتو. **قوله**: **(العتو)** في المصباح عتا يعتو عتوًا من باب قعد استكبر فهو عاتٍ.اهـ. **قوله**: **(والعناد)** في المصباح قيل: عاند فلان عنادًا من باب قاتل إذا ركب الخلاف والعصيان.اهـ. **قوله**: **(بالاستقصاء)** أي طلب أقصاه وغايته والمراد التشديد والدقة فيه وهو المراد بالمناقشة وأصل المناقشة إخراج شوكة بشوكة أخرى ثم صار حقيقة فيما ذكرناه. **قوله**: **(﴿نُكُرًا﴾)** بضم الكاف **(مدني)** أي نافع المدنيّ **(وأبو بكر)** هو شعبة عبارة الخطيب قرأ نافع وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها. انتهت. قوله: ابن ذكوان لعبد الله بن عامر الشاميّ روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمّار.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ أي خسارًا وهلاكًا، والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر. وجيء به على لفظ الماضي لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبًا كأنه قال: أعد الله لهم هذا العذاب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فليكن لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفًا في تقوى الله وحذر عقابه، ويجوز أن يراد إحصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل، وأن يكون ﴿عَتَتْ﴾ وما عطف عليه صفة للقرية.

و﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ جوابًا لـ ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي القرآن.

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

وانتصب ﴿رَسُولًا﴾ بفعل مضمر تقديره أرسل رسولًا أو بدل من ﴿ذِكْرًا﴾ كأنه في نفسه ذكرًا وعلى تقدير حذف المضاف أي قد أنزل الله إليكم ذا ذكر رسولًا، أو أريد بالذكر الشرف كقوله: (﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾) [الزخرف: الآية ٤٤] أي ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل أو محمد عليهما السلام ﴿يَتْلُو﴾ أي الرسول أو الله عز وجل ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ﴾ الله. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ **(أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح)**. أو ليخرج الذين علم أنهم يؤمنون ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر أو

قوله: (﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾) لشرف (﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾) لنزوله بلغتهم. **قوله: (أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح)** لأنهم كانوا وقت الإنزال غير مؤمنين وإنما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ. اهـ كشاف.

الجهل إلى نور الإيمان أو العلم ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ (وبالنون: مدني وشامي) ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (**وحد وجمع حملًا على لفظ** ﴿مَن﴾) ومعناه ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ (**فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب**).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ أجمع المفسرون على أن السمٰوات سبع ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قيل: ما في القرآن آية تدلّ على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك، (**والأرضون مثل السمٰوات**).

قوله: (**وبالنون: مدنيّ**) أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ وقرأ الباقون بالياء التحتية. **قوله**: (**وحّد وجمع حملًا على لفظ** ﴿مَن﴾) ومعناه أي أفرد ضمير ﴿يُدْخِلْهُ﴾ حملًا على لفظ من وجمع خالدين حملًا على معناه ووحد ضمير «له» حملًا على اللفظ والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ حال من ضمير ﴿يُدْخِلْهُ﴾ على الترادف لأن ذا الحال واحد، وقد انتصب عنه حالان أو من المنوي في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على التداخل. **قوله**: (**فيه معنى التعجّب**[1] **والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب**) أي قوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ﴾ لفظه خبر ومعناه إنشاء التعجّب أي تعجبوا من حسن هذا الرزق الغير المعهود ولا يخطر ببال أحد، وهذ تعظيم له وإظهار فخامته ولو لم يحمل على ذلك لم يظهر فائدة إخباره إذ المراد م ذكر هنا وتنكير ﴿رِزْقًا﴾ للنوع أي نوع من الرزق لا يعرف كنهه، وهذا يستلزم التعظيم. اهـ قنوي.

قوله: (**والأرضون مثل السمٰوات**) سبع طبقات متميّزة متفاضلة وهو المعروف في الأحاديث الصحيحة، وهذا قول الجمهور.

---

(١) قال: الجملة الخبرية الغير الموضوعة لإنشاء التعجب قد يقصد بها التعجب ١٢.

(وقيل: الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة) ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ اللام يتعلّق بـ ﴿خَلَقَ﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ هو تمييز أو مصدر من غير لفظ الأول أي قد علم كل شيء علمًا وهو علّام الغيوب.

قوله: (وقيل: الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها سبع أرضين متفرّقة بالبحار وتظل الجميع السماء ويقرّ به ما قيل المراد الأقاليم السبعة. وقول الجمهور هو المشهور المعوّل عليه لموافقته ظاهر الآية. اهـ قنوي.

تمّت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلّاق ومنّه وكرمه

(سورة التحريم)

(مدنيّة، وهي اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ رُوِيَ أن رسول الله ﷺ خلا **(بمارية)** في يوم عائشة ﷺ وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمي عليَّ وقد حرّمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أُمتي، فأخبرت به **(عائشة)** وكانت مصادقتين. وقيل: خلابها في يوم **(حفصة)** فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة التحريم) وتُسمى سورة النبيّ **(مدنيّة)** أي في قول الجميع قرطبيّ **(وهي اثنتا عشرة آية)** ومائتان وأربعون كلمة وألف وستون حرفً. خطيب. **قوله: (بمارية)** القبطيّة مولاة رسول الله ﷺ وسريته وهي أم ولده إبراهيم بن النبيّ ﷺ أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية. **قوله: (عائشة)** بنت أبي بكر الصدّيق أُم المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح. اهـ تقريب. **قوله: (حفصة)** بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبيّ ﷺ بعد خنيس بن حذافة سنة ثلاث، وماتت سنة خمس وأربعين. اهـ تقريب.

فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعًا وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال: راجعها فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها لمن نسائك في الجنّة. رُوِيَ أنه شرب عسلًا في بيت **(زينب بنت جحش فتواطأت)** عائشة وحفصة وقالتا له: إنا نشم منك ريح **(المغافير)**، وكان يكره رسول الله ﷺ **(التفل)** فحرّم العسل، فمعناه لم تحرم ما أحلّ الله لك من ملك اليمين أو من العسل ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ **(تفسير)** لـ (﴿تُحَرِّمُ﴾) أو حال أو استئناف وكان هذا زلّة منه لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحلّ الله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ قد غفر لك ما زللت فيه ﴿رَّحِيمٌ﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به.

قوله: (زينب بنت جحش) بن رباب بن يعمر الأسديّة أُم المؤمنين أُمها أُميمة بنت عبد المطلب، يقال: ماتت سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه. اهـ تقريب.

قوله: (فتواطأت) أي فتوافقت. **قوله**: (المغافير) بغين معجمة وفاء وبعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كعصفور وهو صمغ حلو وله رائحة كريهة ميقيحة شجر يقال له: العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز. **قوله**: (التَّفَل) في المغرب التَّفَلُ أن يَتْرُك التطيُّبَ حتى توجد منه رائحة كريهة. اهـ.

قوله: (تفسير ﴿تُحَرِّمُ﴾) أي عطف بيان له فإن حقيقة الاستفهام لما لم تتصوّر منه تعالى حمل على المعاتبة في ارتكابه التحريم وعدّ ذلك منكرًا منه عليه الصلاة والسلام ولما خفي وجه كون التحريم منكرًا، فسره بما أظهر كونه منكرًا فإن ابتغاء مرضاة الأزواج من مثله عليه الصلاة والسلام بعيد لأنهن أحق بابتغاء مرضاته عليه الصلاة والسلام منه بابتغاء مرضاتهن فإنه عليه الصلاة والسلام متفضّل بذاته وفضيلتهن إنما هي بالانتساب إليه وعلى تقدير كونه حالًا من فاعل ﴿تُحَرِّمُ﴾ يكون الإنكار راجعًا إلى القيد وتقدير كونه استئنافًا ببيان الداعي إلى الإنكار أنه تعالى لما أنكر عليه التحريم اتجه له أن يسأل ويقول: لم تنكر عليّ يا رب فيما حرّمته على نفسي وقد وجد ذلك من الأنبياء قبلي كما قلت في كلامك المجيد ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [آل عمران: الآية ٩٣]، فقيل له: لأنك ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ ومثلك لا ينبغي له ذلك فهو استئناف لبيان الداعي إلى الإنكار ببيان ما دعاه إلى التحريم وأنه لا يصلح داعيًا إليه. اهـ شيخ زاده.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهي الكفارة، أو قد شرع لكم تحليلها بالكفارة، أو شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلّل فلان في يمينه إذا استثنى فيها وذلك أن يقول: «إن شاء الله» عقيبها حتى لا يحنث، **(وتحريم الحلال يمين عندنا)**. وعن **(مقاتل)** أن رسول الله ﷺ أعتق رقبة في تحريم مارية. وعن **(الحسن)** أنه لم يكفر لأنه كان مغفورًا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ سيّدكم ومتولي أموركم. وقيل: مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما أحلّ وحرّم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ يعني حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ حديث مارية **(وإمامة الشيخين)** ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أفشته إلى عائشة ﵄ ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأطلع

قوله: (وتحريم الحلال يمين عندنا) في كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، اختلفوا في الرجل إذا حرم طعامه أو شرابه أو أمته فقال أبو حنيفة وأحمد هو حالف وعليه كفارة يمين بالحنث ويحصل الحنث عندهما بأكل جزء منه ولا يحتاج إلى أكل جميعه. وقال الشافعي: إن حرم الطعام أو الشراب أو الملبوس فليس بشيء ولا كفارة عليه وإن حرم الأمة فقولان أحدهما لا شيء عليه، والثانية لا يحرم ولكن عليه كفارة يمين وهو الراجح. وقال مالك: لا يحرم عليه شيء من ذلك على الإطلاق ولا كفارة. اهـ بحروفه. وهكذا في الميزان للعلّامة الشعراني رحمه الله. **قوله**: **(مقاتل)** بن سليمان وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور تُوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله. **قوله**: **(الحسن)** البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ومولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة. وتوفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله (وإمامة الشيخين) أي أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

النبيّ ﷺ على إفشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أعلم ببعض الحديث ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾ فلم يخبر به تكرّمًا. قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام (﴿عَرَفَ﴾ **بالتخفيف: عليّ أي جازى عليه**) من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك. وقيل: المعروف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية. ورُوِيَ أنه قال لها: ألم أقل لك اكتمي عليّ؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحًا بالكرامة التي خصّ الله بها أباها ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ نبأ النبيّ حفصة بما أفشت من السر إلى عائشة ﴿قَالَتْ﴾ حفصة للنبيّ ﷺ ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بالسرائر ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بالضمائر.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما، وجواب الشرط محذوف والتقدير: إن تتوبا إلى الله فهو الواجب ودلّ على المحذوف ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ مالت ﴿قُلُوبُكُمَاۖ﴾ عن الواجب في مخالصة رسول الله ﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ **بالتخفيف: كوفي**) وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سرّه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

قوله: (﴿عَرَفَ﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف الراء على معنى المجازاة أي جازى على بعض ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾ تكرّمًا وحلمًا (**عليّ**) الكسائي. وقرأ الباقون بتشديدها فالمفعول الأول محذوف أي عرف الرسول ﷺ حفصة بعض ما فعلت. **قوله: (أي جازى عليه)** قال المفسّرون: إنه عليه الصلاة والسلام جازى حفصة بأن طلّقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه قال: لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله ﷺ طلّقك فأمر جبريل بمراجعتها وشفع فيها وهمّ بطلاقها حتى قال له جبريل: لا تطلّقها فإنها صوّامة قوّامة وإنها من نسائك في الجنة فلم يطلّقها. اهـ شيخ زاده.

قوله: (﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف الظاء على حذف إحدى التاءين (**كوفيّ**) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف وقرأ الباقون بتشديدها بإدغام التاء في الظاء.

﴿مَوْلَىٰهُ﴾ وليّه وناصره. وزيادة «هو» إيذان بأنه يتولّى ذلك بذاته ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ أيضًا وليّه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومن صلح من المؤمنين أي كل مَن آمن وعمل صالحًا. وقيل: مَن بريء من النفاق. وقيل: الصحابة. وقيل: واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس. وقيل: أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على تكاثر عددهم ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾ فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه، ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيمًا لنصرتهم ومظاهرتهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ (﴿يُبَدِّلَهُۥٓ﴾ **مدني وأبو عمرو**) فالتشديد للكثرة ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فإن قلت: كيف تكون المبدلات خيرًا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أُمهات المؤمنين؟ قلت: إذا طلقهن رسول الله ﷺ لإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة، وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف خيرًا منهن ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ (**مقرّات مخلصات**) ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مطيعات، فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب أو راجعات إلى الله وإلى أمر رسوله ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ لله ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ مهاجرات أو صائمات.

قوله: (﴿يُبَدِّلَهُۥٓ﴾) بفتح الباء وتشديد الدال (**مدني**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وأبو عمرو**) وقرأ الباقون بسكون الموحّدة وتخفيف الدال. **قوله**: (**مقرات**) هو معنى ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ مخلصات معنى ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ لأنه يعتبر فيه تصديق القلب وهو لا يكون إلا مخلصًا فلا تكرار في الجمع بينهما هنا. اهـ شهاب. وفي حاشية القنوي. **قوله**: (**مقرّات**) معنى ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ والإسلام هو الانقياد في اللغة والإقرار باللسان هو الانقياد الظاهري. **قوله**: (**مخلصات**) معنى ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ إذ ركن الإيمان الأعظم هو التصديق ولا يعتدّ به ما لم يكن بالإخلاص، وقدم الإسلام لأنه دليل على التصديق وأمارة له وإن جاز التخلّف عنه كإسلام المنافقين. اهـ.

وقيل: للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكًا إلى أن يجد ما يطعمه فشبّه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ (**إنما وسط العاطف**) بين الثيبات والأبكار دون سائر الصفات لأنهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم ﴿نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (**نوعًا من النار**) لا تتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب ﴿عَلَيۡهَا﴾ (**تلي أمرها**) وتعذيب أهلها ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يعني (**الزبانية**) التسعة عشر وأعوانهم ﴿غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ في أجرامهم غلظة وشدّة أو غلاظ الأقوال شداد الأفعال ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ﴾ في موضع الرفع على النعت ﴿مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله: ﴿أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: الآية ٩٣] أو لا يعصونه فيما أمرهم ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ وليست الجملتان في معنى واحد، إذ معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها، ومعنى الثانية أنهم يؤدّون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه (**ولا يتوانون فيه**).

قوله: (**إنما وسط العاطف...**) الخ يعني ليست هذه الواو واو الثمانية كما توهم وإنما هي كالواو في قوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] حيث ترك عطف ما سواها لأنها صفات مجتمعة في شيء واحد بينها شدّة اتصال يقتضي ترك العطف وهذه بينها تقابل بحيث لا يجتمع في ذات واحدة، فلذا خصت بالعطف للدلالة على تغايرها وعدم اجتماعها.

قوله: (**نوعًا من النار**) يعني أن تنوينه للتنويع. **قوله**: (**تلي أمرها**) أي ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليه بقوله عليها الاستعلاء الحسيّ الحقيقي، بل المراد الاستعلاء المعنوي وهو الاستعلاء والغلبة على ما فيها من الأمور. **قوله**: (**الزبانية**) سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم. **قوله**: (**ولا يتوانون فيه**) **في المصباح** ونى في الأمر ونيًا وونياً من بابي تعب ووعد ضعف وفتر فهو وَنٍ في

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ في الدنيا أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لأنه لا عذر لكم، أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ صادقة عن (**الأخفش**) رحمه الله. وقيل: خالصة. يقال: عسل ناصح إذا خلص من (**الشمع**). وقيل: نصوحًا (من نصاحة الثوب) أي توبة (ترفو) خروقك في دينك

التنزيل ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ [طه: الآية ٤٢] وتوانى في الأمر توانيًا لم يبادر إلى ضبطه ولم يهتم به فهو متوانٍ أي غير مهتم ولا محتفل. اهـ.

قوله: (الأخفش) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة أحد نحاة البصرة المعروف بالأخفش الأوسط والأخفش الأكبر أبو الخطاب وكان نحويًا أيضًا واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما. وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وله من الكتب المصنفة كتاب الأوسط في النحو وكتاب تفسير معاني القرآن وكتاب المقاييس في النحو وغير ذلك. وكان أجلع والأجلع الذي لا ينضم شفتاه على أسنانه والأخفش الصغير العينين مع سوء بصرهما، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى، وكان يقال له: الأخفش الأصغر فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضًا صار هذا وسطًا وحيث يطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيدوه. **قوله**: (الشمع) **في المصباح** الشمع الذي يستصبح به قال ثعلب: بفتح الميم وإن شئت أسكنتها، وقال ابن السكيت: الشمع بفتح الميم وبعض العرب يخفف ثانيه. وقال ابن فارس وقد يفتح الميم فافهم أن الإسكان أكثر وعن الفراء تفتح كلام العرب والمولدون يسكنونها. اهـ. **قوله**: (من نصاحة الثوب) وهي الخياطة. في المختار نصح الثوب خاطه من باب قطع. اهـ. **قوله**: (ترفو) أي

و(**ترم**) خللك، ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها، واستعماله الجدّ والعزيمة في العمل على مقتضياتها، (**وبضم النون: حماد ويحيى**) وهو مصدر أي ذات نصوح أو تنصح نصوحًا وجاء مرفوعًا «إن التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب إلى أن يعود اللبن في الضرع» وعن (**حذيفة: بحسب الرجل**) من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه.

وعن (**ابن عباس**) ﷺ : هي الاستغفار باللسان والندم (**بالجنان**) والإقلاع بالأركان. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بـ «عسى» و«لعل» ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ونصب ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ ﴿لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر ﴿نُورُهُمْ﴾ مبتدأ

تصلح. **قوله**: (**ترُمُّ**) أي تصلح. **قوله**: (**وبضم النون: حماد ويحيى**[1]) بن آدم والباقون بفتحها. **قوله**: (**حذيفة**) بن اليمان واسم اليمان حسيل مصغرًا، ويُقال: حِسْل بكسر ثم سكون العبسي بالموحّدة حليف الأنصار صحابيّ جليل من السابقين صحّ في مسلم عنه أن رسول الله ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأبوه صحابيّ أيضًا استشهد بأحد ومات حذيفة في أول خلافة عليّ سنة ست وثلاثين.اهـ تقريب. **قوله**: (**بحسب الرجل**) هو بسكون السين أي يكفيه أو كافيه والباء في بحسب زائدة وهو خبر والمصدر المسبوك من أن يتوب هو المبتدأ.

قوله: (**ابن عباس**) في تقريب التهذيب عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه. وقال عمر: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.اهـ. **قوله**: (**بالجنان**) بالفتح القلب.

---

(١) هو يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش وهو يروي عن عاصم.

﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ في موضع الخبر ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ يقولون ذلك (**إذا انطفأ نور المنافقين**) ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالقول الغليظ والوعد البليغ. وقيل: بإقامة الحدود عليهم ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ (ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ) كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ مثل الله ﷻ حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيًّا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بإفشاء أسرارهما، فلم يغن الرسولان عنهما أي عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج (**إغناء ما**) من عذاب الله. وقيل لهما عند موتهما (**أو يوم القيامة**): ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء، أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط.

قوله: (**إذا انطفأ نور المنافقين**) وهذا النور حاصل لهم أولًا بسبب إقرارهم ثم زال لعدم تصديقهم.

قوله: (حاباه) محاباةً سامحه. اهـ. **قوله**: (﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾) واسمها والهة. **قوله**: (﴿وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾) واسمها واعلة. **قوله**: (إغناء ما) فـ ﴿شَيْـًٔا﴾ [التحريم: الآية ١٠] منصوب على المصدرية ويجوز أن يكون مفعولًا به أي شيئًا من العذاب وما إشارة إلى العموم من النكرة في سياق النفي. **قوله**: (أو يوم القيامة) وعبر بالماضي لتحققه.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ هي **(آسية)** بنت مزاحم آمنت بموسى **(فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة)** ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ وهي تعذب ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكأنها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالىٰ منزّه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ أي من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصًا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **(من القبط)** كلهم، وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا﴾ فنفخ جبريل بأمرنا ﴿فِيهِ﴾ **(في الفرج)** ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ المخلوقة لنا ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾

قوله: (آسية) بالمد وكسر السين. **قوله:** **(فعذبها فرعون بالأوتاد الأربعة)** أي أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس وألقى على صدرها رحى عظيمة. **قوله:** **(من القبط) في لسان العرب** القِبْط جِيْل بمصر، وقيل: هم أهل مصر وبُنْكها[1]. اهـ.

قوله: **(في الفرج)** قال المفسرون أن المراد بالفرج هٰهنا الجيب فإن جبريل على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام قد جيب درعها بإصبعيه ثم نفخ في جيبها فحبلت يعني فعلى هذا يكون قوله تعالى ﴿فِيهِ﴾ من باب الاستخدام لأن الظاهر أن المراد بلفظ الفرج في قوله تعالى: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هو العضو وأريد بضميره معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فإن كل خرق في الثوب يُطلق عليه لفظ الفرج. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: الآية ٦].

---

(١) بالضم أصل الشيء أو خالصه. ١٢ قاموس.

(أي بصحفه التي أنزلها على إدريس وغيره ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ بصري وحفص، يعني الكتب الأربعة).

قوله: (أي بصحفه التي أنزلها على إدريس وغيره) في أخبار الدول وآثار الأول كان إدريس عليه السلام رجلًا طويلًا ضخم البطن عظيم الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس وكانت إحدى أذنيه أعظم من الأخرى وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص، وكان دقيق الصوت قريب الخُطا إذا مشى، كذا ذكره ابن قتيبة في الأنساب وكان نبيًّا وملكًا عظيمًا وُلد بمصر سمّوه هرمس الهرامسة أي أسد الأسود وهو عطارد. وفي المختصر في أخبار البشر نبأ الله تعالى إدريس عليه السلام وكشف له الأسرار السماوية وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ونزل عليه جبريل أربع مرات. كذا في الأنس الجليل ومن معجزاته أنه كان يرى الملائكة في الهواء حين يظهرون وكان كلما يدعو السحاب أجابه بلغة وسمعه الناس يتكلّم مع السحاب وفي عجائب الدنيا للمسعودي أن إدريس عليه السلام صبّ الرصاص ذهبًا بصَّاصًا وهو الذي يسمى المثلث لأنه نبيّ وملك وحكيم ودفع إليه كتاب سر الملكوت الذي علمه عزرائيل الملك لآدم عليه السلام، وكانوا يتوارثون مختومًا لا ينظرون فيه ولم يفتحه بعد شيث غير إدريس وإنما سُمي إدريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الإسلام وهو أول مَن استخرج الحكمة وعلم النجوم وعلم الرياضة والمنطق والطبيعي والإلٰهي وأسرار الفلك وهو أول من خطّ بالقلم وخاط الثياب ولبسها وكان قبله يلبسون الجلود وهو أول مَن جاهد في سبيل الله، ونهى أرباب الفساد من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث عليهما السلام فأمره الله تعالى أن يقاتلهم ويسبي نساءهم وأولادهم فأطاعه قليل وعصاه كثير وكان عدد من أطاعه ألف إنسان وهو الذي رسم بعمارة المدن وجمع طلاب العلم وقررهم قواعد السياسة وعمارة المدن فبنت كل فرقة من الأمم مدنًا في أرضها فكان عدة المدن التي بنيت في زمانه مائة وثمانين مدينة. وذكر بعض المحققين في شرح الفصوص أن آدم لما مرض مرض الموت تمنّى من ثمار الجنة فأتى جبريل عليه السلام بطبق من ثمار الجنة على رأس حوريّة فأكل منه وسأل الله تعالى أن يزوّج تلك الحوريّة من شيث عليه السلام، فأجابه الله تعالى فولدت منه إدريس عليه السلام. ولهذا السر الجليّ كان له تجرّد ملكي وسياحة فلكية عرج إلى الأفلاك وشاهد أطوارها

....

وأدوارها وصنّف الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل عليه السلام وأخذها فسقط من يده في البحر أكثرها لحكمة من الله سبحانه لما فيه من إظهار أسرار الربوبية فاقتضت الحكمة الإلـهية إخفاءها عن العامة. وذكر أنه لم ينم ستة عشرة سنة ولا يأكل حتى بقي عقلًا مجرّدًا وروحانية في فلك الشمس وهو أول مَن خالط الملائكة والأرواح المجرّدة وحصل له معراج السلاح البشرية. وذكر الشيخ محيي الدين العربي قدّس الله سرّه في الفتوحات المكيّة وفي قوت القلوب أن إدريس هو إلياس وأنه ينزل كما ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام تشريفًا لشرف نبيّنا محمد ﷺ وله جولان في الأرض وقطبية برية مع خلافة محمدية كما للخضر قطبية بحرية وبينهما اجتماع برًّا وبحرًا عند سد يأجوج ومأجوج وفي مكة وعرفات. وفي مرّات الزمان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم وهم إدريس وعيسى في السماء وإلياس والخضر في الأرض وكلهم يموتون إلا إدريس فإنه إذا مات الخلق أصابته دهشة فيبقى في عداد الموتى وهو حيّ، وقيل: هو الذي يجيب الله تعالى إذا مات الخلق. وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية ١٦] فيقول إدريس: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦]. قال وهب: كان يرفع لإدريس عليه السلام كل يوم من العبادة مثل ما يرفع أهل الأرض في زمانه حتى اشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه عزّ وجلّ في زيارته فأذن له وطلب أن يذيقه الموت فأذاقه بإذن الله تعالى ثم أحياه الله تعالى ثم سأله أن يورده النار فأورده إياها ثم سأله أن يدخله الجنة فلما دخل الجنة أبى أن يخرج منها محتجًّا بأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥] وقد ذقته، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٨] فلست بخارج فبقي بها بعناية الله تعالى فهو حيّ هناك فتارة يعبد الله تعالى في السماء الرابعة وتارة يتنعّم في الجنة. قيل: أسكنه قلب الأفلاك وهو فلك الشمس وعلم دور الأفلاك وطبايع الكواكب وخواصها. ولما رفعه الله تعالى كان عمره ثنتين وثمانين سنة، وقيل: رفع وهو ابن ثلاثمئة وخمس وستين سنة. وعاش أبوه بعد رفعه خمسمائة سنة وخمسًا وثلاثين سنة انتهت بحروفه.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين **(غلب ذكوره على إناثه)**. و«من» للتبعيض، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من أعقاب هارون أخي موسىٰ عليه السلام. ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرّهم ولا تنقص شيئًا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله، ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة، والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارًا. وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه، وإشارة إلى أن من حقهما أن يكونا في الإخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتّكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ.

وفي **مرقاة المفاتيح المشكوة المصابيح** قيل: الكتب المنزّلة مائة وأربعة كتب منها عشر صحائف نزلت على آدم عليه السلام وخمسون على شيث عليه السلام وثلاثون على إدريس عليه السلام وعشرة على إبراهيم عليه السلام والقرآن والإنجيل والتوراة والزبور وأفضلها القرآن انتهت.

قوله: (﴿وَكُتُبِهِۦ﴾) بالجمع **(بصريّ)** أي قرأه أبو عمرو بن العلاء البصري وكذا قرأه يعقوب بن إسحٰق البصري الحضرميّ وأبو حاتم سهل بن محمد البصري السجستاني وليسا من السبعة **(وحفص)** وقرأه الباقون بالتوحيد. **قوله: (يعني الكتب الأربعة)** لأن الإيمان قبل النزول صحيح والتردد في كونه واجبًا. اهـ قنوي.
قوله: (غلب **ذكوره على إناثه)** إذ لم يقل من القانتات.

تمّت سورة التحريم والحمد لله وحده
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة المُلْك)

(مكية، وهي ثلاثون آية) وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعًا مَن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعالىٰ وتعاظم (عن صفات المخلوقين) ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أي بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مال الملك يؤتيه مَن يشاء وينزعه ممَن يشاء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المقدورات أو من الإنعام والانتقام ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر على الكمال ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الذي قبله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المُلْك، مكية، وهي ثلاثون آية) وثلاثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة حرف. كذا في تفسير الخطيب وفي تفسير الخازن ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفًا. اهـ. وتُسمى أيضًا تبارك والواقية والمنجية وتدعى في التوراة المانعة لأنها تقي وتنجي من عذاب القبر، وعن ابن شهاب أنه كان يسميها المجادلة لأنها تجادل عن صاحبها في القبر. **قوله**: (عن صفات المخلوقين) أي أن يكون جسمًا أو في مكان أو غير ذلك مما يأتي إيضاحه في سورة الإخلاص إن شاء الله تعالى.

﴿وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ أي ما يصح بوجوده الإحساس والموت ضده، ومعنىٰ خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه، والمعنىٰ خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذي يعمّ الأمير والأسير والحياة التي لا تفي بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم ﴿أَيُّكُمۡ﴾ مبتدأ وخبره ﴿أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ أي أخلصه وأصوبه، فالخالص أن يكون لوجه الله، والصواب أن يكون على السنة. والمراد أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل، وسلّط عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه إلا البعث والجزاء الذي لا بد منه. وقدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيًا إلى العمل من نصب موته بين عينيه، فقدم لأنه (فيما يرجع) إلى المسوق له الآية أهم. ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف، قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي الغالب الذي لا يعجزه مَن أساء العمل ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾ الستور الذي (لا ييأس) منه أهل الإساءة (والزلل).

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ (مطابقة) بعضها فوق بعض من طابق النعل (إذا خصفها طبقًا على طبق)، وهذا وصف بالمصدر، أو على ذات طباق

قوله: (فيما يرجع) متعلّق بأهم. **قوله:** (لا ييأس) يقنط. **قوله:** (والزلل) **في المصباح** زلّ عن مكانه زلّا من باب ضرب تنحى عنه وزَلَّ زَلَلًا من باب تعب لغة والاسم الزلّة بالكسر والزلّة بالفتح المرّة.اهـ.

قوله: (مطابقة) بفتح الباء إما مصدر طابق مثل طباقًا ولشهرة المفاعلة في مصدر فاعل فسّر الطباق بها، فحينئذٍ يكون قوله: بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر تفسير لقوله: مطابقة أو بدل منها أو اسم مفعول أي طباقًا مصدر بمعنى اسم المفعول الضمير المستتر فيها نائب الفاعل على قوله: بعضها فوق بعض بدل منه. **قوله:** (إذا خصفها طبقًا على طبق) الخصف المزق في الجلد كالخياطة في الثوب لكن المزق والالتصاق ليس بصحيح هنا إذ بين كل سماء خمسمائة عام. ومذهب

(أو على طويقت طباقًا). وقيل: جمع طبق كجمل وجمال. والخطاب في ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للرسول أو لكل مخاطب ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (﴿**تفوّت**﴾ **حمزة وعلي**). ومعنىٰ البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أي من اختلاف واضطراب. **(وعن السدي)**: من عيب. وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضًا ولا يلائمه، وهذه الجملة صفة لـ ﴿طِبَاقًا﴾ وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت، فوضع ﴿خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ موضع الضمير تعظيمًا لخلقهن وتنبيهًا على سبب سلامتهن من التفاوت، وهو أنه خلق الرحمٰن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ ردّه إلى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق **(جمع فطر)** وهو الشق.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرر النظر مرتين أي كرتين مع الأولى. وقيل: سوى الأولى فتكون ثلاث مرات. وقيل: لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثر أي كرّر نظرك ودقّقه هل ترى خللًا أو عيبًا. وجواب الأمر ﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلًا أو بعيدًا مما تريد وهو حال من البصر ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليل **(معي)** ولم يرَ فيها خللًا.

الحكماء ليس بمعتبر في الشرع. قوله: (طبقًا) بفتحتين. **قوله: (أو على طويقت طباقًا)** فحينئذٍ يكون ﴿طِبَاقًا﴾ مفعولًا مطلقًا، والجملة صفة ﴿سَبْعَ﴾ والتأنيث لأنها تابع للمعدود. **قوله:** (﴿تفوّت﴾) بتشديد الواو بلا ألف (حمزة وعلي) الكسائي والباقون بتخفيفها بعد الألف.

قوله: (وعن السدي) **في المصباح** السدّة الباب وينسب إليها على اللفظ فيقال: السديّ ومنه الإمام المشهور وهو إسماعيل السديّ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة. اهـ. **قوله:** (جمع فطر) بالفتح.

قوله: (معي) من الإعياء.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى أي السماء الدنيا منكم ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح، والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح. فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأي مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات، قال **(قتادة)**: خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدي بها، فمَن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلّف ما لا علم له به. والرجوم جمع رجم وهو مصدر **(سمي به)** ما يرجم به. ومعنى كونها رجومًا للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجني **(أو يخبله)**، لأن الكواكب لا تزول عن أماكنها لأنها **(قارة)** في الفلك على حالها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ ولكل مَن كفر بالله من الشياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ليس الشياطين المرجومون مخصوصون بذلك ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع جهنم.

قوله: (قتادة) بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري ثقة ثبت. يقال: ولد أكمه وكان تابعيًا، وكان عالمًا كبيرًا توفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (سُمِّيَ به...) الخ فصار له حكم الأسماء الجامدة، ولذا جمع وإن كان الأصل في المصادر أنها لا تجمع. **قوله**: (أو يخبله[1]) بفتح الأول وسكون الثاني وكسر الثالث مخففًا. في المصباح خبلته خبلًا من باب ضرب فهو مخبول إذا أفسدت عضوًا من أعضائه وأذهبت عقله والخبال بفتح الخاء يطلق على الفساد والجنون. اهـ. **قوله**: **(قارة)** ثابتة.

(١) أي يفسد عقله. ١٢ منه رحمه الله.

﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾

﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا﴾ طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة ﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحمير شبه **(حسيسها)** المنكر **(الفظيع)** بالشهيق ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ تغلي بها غليان **(المرجل)** بما فيه ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي تتميز يعني تتقطع وتتفرق ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفار **(فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدّة غليانها بهم)**. ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ مالك وأعوانه من الزبانية توبيخًا لهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول يخوفكم من هذا العذاب.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ اعتراف منهم بعدل الله وإقرار بأنه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ أي فكذبناهم ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ أي قال الكفار للمنذرين: ما أنتم إلا في خطأ عظيم. فالنذير بمعنى الإنذار. ثم وصف به منذروهم لغلوّهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارًا، وجاز أن يكون هذا كلام

قوله: (حسيسها) صوتها. **قوله: (الفظيع) في المصباح** فظع الأمر فظاعة جاوز الحد في القبح فهو فظيع.اهـ. **قوله: (المرجل) في المصباح** المرجل بالكسر قدر من نحاس وقيل: يطلق على كل قدر يطبخ فيها.اهـ. **وفي لسان العرب** المِرْجَل القِدْر من الحجارة والنحاس مذكر. وقيل: هو قدر النحاس خاصة وقيل: هي كل ما طبخ فيها من قدر وغيرها.اهـ باختصار. **قوله: (فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدّة غليانها بهم)** جواب عما يقال ليست النار من الأحياء التي من شأنها الغيظ فكيف وصفت به فأجابه عنه يحمل الكلام على التمثيل حيث شبه اشتعالها بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليهم بامتياز المغتاظ على غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال، ويحتمل أن يكون بمعنى التخييل بأن شبّهت جهنم في النفس لشدّة غليانها بأهلها وقوة صوت أهلها بالإنسان المغتاظ على غيره. وأثبت لها لازم المشبّه به وهو ﴿ٱلْغَيْظِ﴾ دليلًا على التشبيه المضمر في النفس.

الخزنة للكفار عن إرادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك، أو سمّوا جزاء الضلال باسمه كما سمي جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان، أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ الإنذار سماع طالب الحق ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي نعقله عقل متأمل ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في جملة أهل النار، وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنهما حجتان ملزمتان ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ بكفرهم في تكذيبهم الرسل ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (**وبضم الحاء: يزيد وعلي**)، فبعدًا لهم عن رحمة الله وكرامته ـ اعترفوا أو جحدوا ـ فإن ذلك لا ينفعهم. (**وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء**).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قبل معاينة العذاب ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ للذنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي الجنة ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ ظاهره الأمر بأحد الأمرين: الإسرار والإجهار، ومعناه ليستوِ عندكم إسراركم وإجهاركم في علم الله بهما. رُويَ أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوه منه فقالوا فيما بينهم: أسروا قولكم لئلّا يسمع إله محمد فنزلت. ثم علّله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به؟

قوله: (**وبضم الحاء: يزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة (**وعليّ**) الكسائي. في تفسير النيسابوري ﴿فَسُحُقًا﴾ بالضم يزيد وعلي الآخرون بالسكون. اهـ. **قوله:** (**وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء**) يعني أن سحقًا منصوب على أنه مصدر مؤكدة لفعله المحذوف ناب المصدر مناب عامله في موضع الدعاء كما في رعيًا وسقيًا وجدعًا.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ﴿مَنْ﴾ في موضع رفع بأنه فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أنكر أن لا يحيط علمًا بالمضمر والمسرّ والمجهر من خلقها وصفته أنه اللطيف أي العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بحقائق الأشياء، وفيه إثبات خلق الأقوال فيكون دليلًا على خلق أفعال العباد. وقال (**أبو بكر بن الأصمّ وجعفر بن حرب**) : ﴿مَنْ﴾ مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالىٰ (**فاحتالا بهذا لنفي خلق الأفعال**) .

قوله : (أبو بكر بن **الأصم**) كذا في النسخ وفي تأويلات الإمام أبي منصور وغيرها أبو بكر الأصم بغير ذكر ابن وأبو بكر **الأصم** من أكابر المعتزلة. كذا في التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي في تفسير سورة الإنسان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الإنسان: الآية ٨] الآيات. **قوله** : (**وجعفر بن حرب**) الأشجّ أشجّ بفتحتين وتشديد جيم شكسته سر.

قوله : (فاحتالا بهذا النفي خلق الأفعال) في تأويلات الإمام أبي منصور رحمه الله. قوله : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ تأويله عند أهل السلام ألا يعلم مَن خلق مما أسروا أو جهروا أو من راجع إلى الله تعالى دون الخلق لأنه يقول: ألا يعلم الخالق ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. وفيه إثبات خلق الأفعال والأقوال وخلق السرّ فيكون لنا عند المعتزلة في خلق أفعال العباد. وقال جعفر بن حرب وأبو بكر الأصمّ أن حرف ﴿مَنْ﴾ لا يرجع إلى الله تعالى وإنما يرجع إلى الخلق كأنه يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ على إضمار اسم الله تعالى فاحتالا هذه الحيلة لنفي الخلق عن الأفعال لأنه حرف من يرجع إلى الأنفس دون الأفعال والأقوال وذلك فاسد لأنه لآية الوعيد ولو كان قوله: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ راجعًا إلى الأنفس لزال موضع الوعيد إذ ليس في خلق الأنفس وعلم الله بها إثبات العلم بالأفعال وجدت منهم ولا خلق الأنفس إيجاب الوعيد بالأفعال، ولأنه لم يكن الله تعالى خالقًا بما جهر به العبد وما يخفيه لم يكن يحتجّ به على علمه إذ قد يجوز جواز الجهل من غير الذي يفعله. ولا يجوز أن يحتجّ عليهم بفعل غيره ولأنه ليس في إثبات العلم بخلق الأنفس إثبات العلم بما أسروا أو جهروا كما لم يكن عند المعتزلة في إيجاب الخلق لنفس الإنسان إيجاب الخلق لأفعالهم. ومعلوم أن الآية في تحقيق العلم بما أسرّوا أو

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ لينة سهلة مذللة لا تمنع المشي فيها ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها استدلالًا واسترزاقًا أو جبالها أو طرقها ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ أي من رزق الله فيها ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي وإليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه فكأنه قال: أأمنتم خالق السماء وملكه، أو لأنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه **(فقيل لهم على حسب اعتقادهم)**: أأمنتم مَن تزعمون أنه في السماء وهو متعالٍ عن المكان ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ **(كما خسف بقارون)** ﴿فَإِذَا

جهروا لأن قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ مذكور على أثر قوله: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي عليم بما تسرّون وما تجهرون فثبت أن الخلق راجع إلى ما أسرّوا أو جهروا ثم إن الناس على اختلاف اتفقوا أن كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق لله تعالى وإنما اختلفوا في الفعل الواقع بكسب العبد فمنهم مَن أثبت فيه الخلق وهو قول أهل الهدى، ومنهم مَن أبى القول بخلقه ثم المرء لا يتهيأ له استعمال اليد إلا في العمل الذي جعل في طبع اليد احتمال ذلك المعنى ولا يتهيأ له أن يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها احتمال ذلك لأنه لو أراد أن يرى بيديه أو يسمع بهما لم يملك ذلك فثبت أنه ملك استعمالهما في القبض والبسط والأخذ والتسليم بما جعل في طبعهما احتمال ذلك وإذا كان كذلك فقد ثبت الخلق فيما يعمل بيديه، وفيما يرى بعينيه ويسمع بأذنيه والله الموفّق اهـ بحروفها.

قوله: (فقيل لهم على حسب اعتقادهم. . .) الخ كقوله لأمثالهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: الآية ٢٧]. **قوله:** (كما خسف بقارون) في الصحاح خسف المكان يخسف خسوفًا غاب وذهب في الأرض وخسف الله به الأرض خسفًا أي غيّبه فيها. اهـ.

هِيَ تَمُورُ﴾ تضطرب وتتحرك ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ حجارة (﴿أَن يُرْسِلَ﴾ بدل من بدل الاشتمال) وكذا ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي إذا رأيتم المنذر به علمتم (كيف إنذاري) حين لا ينفعكم العلم.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قومك ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري عليهم إذ أهلكتهم. ثم نبّه على قدرته على الخسف وإرسال الحاصب بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ جمع طائر ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضممنها إذا ضَربْنَ بها جنوبهن. و﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ معطوف على اسم الفاعل حملًا على المعنى أي يصففن ويقبضن، أو صافات وقابضات. واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والهواء للطائر كالماء للسابح. والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار به على التحرّك فجيء بما هو طارىء بلفظ الفعل على معنىٰ أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته وإلا فالثقيل يتسفل طبعًا ولا يعلو، وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم (لتهافتت) الأفلاك و﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ مستأنف وإن جعل حالًا من الضمير في ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يجوز ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب.

قوله: (﴿أَن يُرْسِلَ﴾ **بدل من بدل الاشتمال**) فيكون ﴿مَّن﴾ [المُلك: الآية ١٤] منصوبًا على أنه مفعول. **قوله**: (كيف إنذاري) إشارة إلى أن التنذير مصدر وأن الياء محذوفة، والقراء مختلفون فيها فمنهم مَن حذفها وصلًا وأثبتها وقفًا ومنهم مَن حذفها في الحالين اكتفاء بالكسرة وكذا الحال في ﴿نَكِيرِ﴾.

قوله: (لتهافتت) في الصحاح التهافت التساقط قطعة قطعة. اهـ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾

(﴿أَمَّنْ﴾) مبتدأ خبره ﴿هَٰذَا﴾ ويبدل من ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى (هُوَ جُندٌ) لَّكُمْ﴾ ومحل ﴿يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ رفع نعت لـ ﴿جُندٌ﴾ محمول على اللفظ والمعنىٰ من المشار إليه بالنصر غير الله تعالىٰ ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ أي ما هم إلا في غرور ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ أم مَن يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه (**وهذا على التقدير**)، ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق. فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال: ﴿بَل لَّجُّوا۟﴾ تمادوا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ استكبار عن الحق ﴿وَنُفُورٍ﴾ وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه. ثم ضرب مثلًا للكافرين والمؤمنين فقال:

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ أي ساقطًا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشي (**معتسفًا**) وخبر ﴿مَن﴾ ﴿أَهْدَىٰٓ﴾ أرشد. وأكب مطاوع كبه (**يقال: كببته فأكب**) ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ مستويًا منتصبًا سالمًا من العثور والخرور ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على

قوله: (﴿أَمَّنْ﴾) أم هنا منقطعة مقدّرة ببل وحدها لا بها وبالهمزة وإلّا لدخل الاستفهام على مثله لأن من استفهاميّة وبل للإضراب الانتقالي من توبيخهم على ترك التأمّل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن آثار قدرته العجيبة إلى التبكيت بما ذكر والالتفات عن الغيبة إلى الخطاب للتشديد في ذلك التبكيت. **قوله**: (﴿ هُوَ جُندٌ﴾) لفظه مفرد ومعناه جمع. **قوله**: (**وهذا على التقدير**) يريد بالتقدير هذا الشرط وهو قوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ وأشار بذلك إلى أن الاستفهام في قوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ للإنكار أي لا أحد ممن يشار إليه يقال: هذا الذي يرزقكم أو ينصركم.

قوله: (معتسفًا) **في مختار الصحاح** العسف الأخذ على غير الطريق وبابه ضرب وكذا التعسّف والاعتساف.اهـ. **قوله**: (**يقال: كببته فأكبّ**) أي سقط وهذا على خلاف القاعدة من أن الهمزة إذا دخلت على اللازم تصير متعديًا. وهنا قد

طريق مستوٍ. وخبر ﴿مَن﴾ محذوف لدلالة ﴿أَهْدَىٰٓ﴾ عليه، (وعن الكلبي): عني بالمكب (أبا جهل)، وبالسوي النبيّ عليه السلام.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ابتداء ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصّها لأنها آلات العلم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم لأنكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة، والمعنىٰ تشكرون شكرًا قليلًا و(«ما» زائدة). وقيل: القلّة عبارة عن العدم ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب والجزاء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الكافرون للمؤمنين استهزاء ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدوننا به يعني العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في كونه فأعلمونا زمانه ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ أي علم وقت العذاب ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ مخوّف ﴿مُّبِينٌ﴾ أبين لكم الشرائع ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي الوعد يعني العذاب الموعود (﴿زُلْفَةً﴾) قريبًا منهم

دخلت على المتعدّي فصيّرته لازمًا. **قوله**: (**وعن الكلبيّ**) هو أبو النضر محمد بن السائب صاحب التفسير وعلم النسب كان إمامًا في هذين العلمين. تُوفي سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة رحمه الله. والكلبيّ بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحّدة هذه النسبة إلى كلب بن وبرة وهي قبيلة كبيرة من قضاعة ينسب إليها خلق كثير. **قوله**: (**أبا جهل**) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي الجاهل المعروف كان يكنّى أبا الحكم فكنّاه النبيّ ﷺ أبا جهل فغلبت هذه الكنية قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

قوله: (**«ما» زائدة**) لتأكيد التقليل.

قوله: (﴿**زُلْفَةً**﴾) اسم مصدر كأزلف لأن فعله أزلف إزلافًا كأكرم إكرامًا وهذا الاسم بمعنى اسم الفاعل وهو مزلف كمكرم بمعنى قريب فلذلك قال المفسّر

(وانتصابها على الحال) ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **(أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علّتها الكآبة)** والمساءة وغشيتها **(القترة)** والسواد ﴿وَقِيلَ (هَٰذَا) ٱلَّذِي﴾ القائلون الزبانية ﴿كُنتُم (بِهِۦ) تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء أي تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا، أو هو من الدعوى أي كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون **(وقرأ يعقوب** ﴿تَدۡعُونَ﴾).

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ أي أماتني الله كقوله: (﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾) [النساء: الآية ١٧٦] ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ من أصحابي ﴿أَوۡ رَحِمَنَا﴾ أو أخر في آجالنا ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾ ينجي ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ مؤلم. كان كفار مكة يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم: نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين، إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنّة، أو نرحم بالنصرة عليكم متربصون لإحدى الحسنيين، إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنّة، أو نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ مَن مجيركم؟ وأنتم كافرون من عذاب النار، لا بد لكم منه.

رحمة الله عليه قريبًا. **قوله: (وانتصابها على الحال)** من مفعول ﴿رَأَوۡهُ﴾. **قوله: (أي ساءت رؤية الوعد وجوههم)** أي أحزنتها. **قوله: (بأن علّتها الكآبة)** أي ظهر عليها الغم والانكسار من الحزن. **قوله: (القترة)** الظلمة. **قوله:** (﴿هَٰذَا﴾) أي العذاب. **قوله:** (﴿بِهِۦ﴾) الباء صلة الفعل على الأول يقال: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه وللسببية على الثاني على تقدير مضاف أي بإنذاره أي ادّعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث بسبب إنذاركم وتخويفكم به.

قوله: (وقرأ يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة (﴿تَدۡعُونَ﴾) بسكون الدال مخففة من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون وأفقه الحسن ورُويت عن عصمة عن أبي بكر والأصمعي عن نافع والباقون بالفتح والتشديد تفتعلون من الدعاء أيضًا أو من الدعوى.

قوله: (﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ﴾) مرفوع بفعل يفسّره (﴿هَلَكَ﴾) مات.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي الذي أدعوكم إليه الرحمٰن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فوّضنا إليه أمورنا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب (وبالياء: علي) ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نحن أم أنتم ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض لا تناله (الدلاء)، وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ جارٍ يصل إليه مَن أراده. وتليت عند ملحد فقال: يأتي (بالمعول) والمعن فذهب ماء عينه في تلك الليلة وعمي. وقيل: إنه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة.

قوله: (وبالياء) من تحت (عليّ) الكسائي والباقون بالتاء من فوق. **قوله**: (الدلاء) بالمدّ جمع دلو. **قوله**: (بالمعول) أي الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر.

تمّت سورة المُلك والحمد لله ربّ العالمين
والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين

سورة القلم
(سورة نٓ)

(مكيّة، وهي اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾

﴿نٓ﴾ الظاهر أن المراد به هذا الحرف (من حروف المعجم). وأما قول الحسن: إنه الدواة، وقول ابن عباس: إنه الحوت الذي عليه الأرض واسمه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة نٓ**) وتسمى سورة القلم (**مكية**) في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة رضي الله تعالى عنهم من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ⑯﴾ مكيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: الآية ٣٣] مدنيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧] مكيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: الآية ٥٠] مدنيّ، وباقيها مكيّ قاله الماورديّ والمصنّف رحمه الله لم يلتفت إليه لعدم وثوقه بتلك الرواية (**وهي اثنتان وخمسون آية**) لا خلاف في عدد آياتها وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفًا. **قوله**: (**من حروف المعجم**) قيل: المعجم هٰهنا مصدر أي حروف الإعجام يعني حروف إزالة العجمة. يقال: أعجم الحرف أي أزال عجمته

(**يهموت**)، فمشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم، فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ أي ما كتب به اللوح، أو قلم الملائكة، أو الذي يكتب به الناس، أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب. (﴿وَمَا﴾ **موصولة**) أو مصدرية، وجواب القسم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي بإنعامه عليك بالنبوّة وغيرها فـ ﴿أَنتَ﴾ اسم «ما» وخبرها ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ و﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراض بين الاسم والخبر، والباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ تتعلّق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ وتقديره: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك. (**ولم تمنع الباء**) أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ) إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٦] ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع (**أو غير ممنون عليك به**).

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ قيل: هو ما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ (بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ) ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]. وقالت

بما يميّزه عن غيره بنقط وشكل فالهمزة للسلب. **قوله**: (**يهموت**) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء وما اشتهر من أنه بالباء الموحّدة غلط على ما ذكره الفاضل المحشي. اهـ شهاب. **قوله**: (﴿وَمَا﴾ **موصولة**) فيكون المقسم به المسطور والمكتوب وإن كانت مصدريّة يكون المقسم به نفس الكتابة.

قوله: (**ولم تمنع الباء...**) الخ لأن معمول المجرور سواء كان بالحرف أو بالإضافة لا يتقدم عليه بما ذكره النحاة لكنها لكونها زائدة هنا لم يعد مانعًا. **قوله**: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾) القرآن في زعمه قوله: (**على احتمال ذلك**) يعني احتمال أذى المشركين. **قوله**: (**أو غير ممنون عليك به**) من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط فلو كان ذلك النعمة عليه بتوسط أحد من الناس تكون بمنّة منه.

قوله: (﴿بِٱلْعُرْفِ﴾) المعروف. **قوله**: (﴿بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾) فلا تقابلهم بسفههم.

عائشة ﵂: **(كان خلقه القرآن)** أي ما فيه من مكارم الأخلاق. وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكونين وتوكّل على خالقهما.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ أي عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون، **(والباء مزيدة، أو** ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ **مصدر)** كالمعقول أي بأيكم الجنون. وقال **(الزَّجّاج)**: الباء بمعنى «في» تقول: كنت ببلد كذا أي في بلد كذا، وتقديره في أيكم المفتون أي في أي الفريقين منكم المجنون: فريق الإسلام أو فريق الكفر؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي **(هو أعلم بالمجانين)** على الحقيقة وهم الذين ضلّوا عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون.

قوله: **(كان خلقه القرآن)** يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان متحليًا بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومتخليًا عما يزجر عنه القرآن من سيئاتها.

قوله: **(والباء مزيدة)** أي في المبتدأ كما جوّزه سيبويه. **قوله**: **(أو** ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ **مصدر)** بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجيء المصدر على وزن المفعول نحو معقول ومجلود. يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود أي ما له عقل ولا جلادة: **قوله**: **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله.

قوله: **(هو أعلم بالمجانين)** على الحقيقة أي في نفس الأمر أضاعوا عقولهم وأبطلوا استعدادهم لمعرفة الحق فبقوا مجنونين على الحقيقة، فالحقيقة هنا ليست بمقابلة المجاز فإن إطلاق المجنون على هؤلاء الضالين مجاز نظرًا إلى الوضع اللغوي والشرعي. فالمراد بها ما ذكرناه. اهـ قنوي. يعني أن الظاهر أن يقال: وهو أعلم بالمجانين والعقلاء لأنه هو المناسب لقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ إلا أنه وضع الضال والمهتدي موضع المجانين والعقلاء إشعارًا بأن المجنون في الحقيقة

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ (**تهييج للتصميم على معاصاتهم**) وقد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه (**غوائلهم**) ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ لو تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فيلينون لك. ولم ينصب بإضمار «أن» وهو جواب التمني لأنه عدل به إلى طريق آخر، وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون (**أي فهم**) الآن (**يدهنون**) لطمعهم في ادهانك. ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمَن اعتاد الحلف ﴿مَّهِينٍ﴾ حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة، أو كذاب لأنه حقير عند الناس.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿هَمَّازٍ﴾ (**عياب**) طعان (**مغتاب**) ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ نقال للحديث من قوم إلى قوم (**على وجه السعاية**) والإفساد بينهم، والنميم والنميمة: السعاية ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل، والخير: المال أو مناع أهله من الخير وهو الإسلام، والمراد (**الوليد**) بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة: مَن أسلم منكم منعته (**رفدي**) ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز في الظلم حده ﴿أَثِيمٍ﴾ (**كثير الآثام**) ﴿عُتُلٍّ﴾ (**غليظ جاف**) ﴿بَعْدَ

هو من عصى ربه وضلّ عن سبيله والعاقل مَن أطاع ربه واتبع سبيله. اهـ شيخ زاده.

قوله: (**تهييج للتصميم على معاصاتهم**) إذ لا يتوقع الإطاعة لهم منه عليه الصلاة والسلام. فالمراد أمر بدوام عدم الإطاعة وتهييج أي ترغيب على معاصاتهم أي على عصيانهم ومخالفتهم فيما يخالف الحق القويم والدين المستقيم. **قوله**: (**غوائلهم**) شرورهم. **قوله**: (**أي فهم يدهنون**) فالجواب جملة اسميّة.

قوله: (**عياب**) بالعين المهملة أي كثير العيب للناس. **قوله**: (**مغتاب**) من الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره. **قوله**: (**على وجه السعاية**) أي الإفساد والضرر وأصل السعاية أن يسعى بالناس عند الحكام. **قوله**: (**الوليد**) بن المغيرة المخزومي. **قوله**: (**رفدي**) عطائي. **قوله**: (**كثير الآثام**) بالمدّ جمع إثم أي بغير ما ذكر أيضًا كأنه تعميم بعد التخصيص. **قوله**: (**غليظ**) أي في الطبع، وقيل: في الجسم. **قوله**: (**جاف**) أي قاسي القلب.

ذَٰلِكَ﴾ (بعدما عد له من المثالب) ﴿زَنِيمٍ﴾ (دعي). وكان الوليد دعيًا في قريش ليس من (سنخهم)، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده. وقيل: بغت أُمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية، والنطفة إذا خبثت خبث الناشىء منها. رُوِيَ أنه دخل على أُمّه وقال: إن محمدًا وصفني بعشر صفات، وجدت تسعًا فيّ، فأما الزنيم فلا علم لي به، فإن أخبرتني بحقيقته وإلا ضربت عنقك. فقالت: إن أباك (عِنّين) وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده فدعوت راعيًا إلى نفسي فأنت من ذلك الراعي.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ متعلّق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ أي ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا، ويجوز أن يتعلّق بما بعده أي لأن كان ذا مال ﴿وَبَنِينَ﴾ كذب بآياتنا يدلّ عليه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ولا يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله. («ءأن» **حمزة وأبو بكر أي ألأن كان ذا مال كذب؟ «ءأن» شامي ويزيد ويعقوب وسهل**). قالوا: لما عاب الوليد النبيّ ﷺ كاذبًا باسم واحد وهو المجنون سمّاه الله تعالى بعشرة أسماء صادقًا، فإن كان مَن عدّ له أن يجزي المسيء إلى رسول الله ﷺ بعشرة، كان من فضله أن مَن صلّى عليه واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾

قوله: (**بعدما عدّ له من المثالب**) بالثاء المثلثة والباء الموحّدة بمعنى القبائح والمعايب ضد المفاخر والمناقب نبّه به على أن ذلك إشارة إلى جميع ما ذكر وإفراد ذلك بتأويل ما عدا وما ذكر ولفظة بعدكم تفيد التراخي الرتبي. **قوله**: (**دعي**) الدعي مَن كان ملصقًا بالقوم وليس منهم. **قوله**: (**سنخهم**) أي أصلهم. **في المصباح** السنخ من كل شيء أصله والجمع أسناخ مثل حمل وأحمال.اهـ. **قوله**: (**عِنّين**) هو من لا يقدر على الجماع.

قوله: («ءأن») بهمزتين مفتوحتين (**حمزة وأبو بكر أي ألأنَ كان ذا مالٍ كذب. ءأن**) بقلب الثانية ألفًا (**شامي**) أي ابن عامر الشاميّ (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة (**ويعقوب**) بن إسحٰق و(**سهل**) بن محمد

سنكويه ﴿عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ على أنفه مهانة له (وعلمًا يعرف به)، وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع. وقيل: (خطم) بالسيف (يوم بدر) فبقيت سمة على خرطومه.

﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ﴾ امتحنّا أهل مكة (بالقحط) والجوع حتى أكلوا (الجيف والرمم) بدعاء النبيّ ﷺ حيث قال: («اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف»). ﴿كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ هم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية ـ يقال لها (صروان) ـ وكانت على (فرسخين) من صنعاء، وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي على الفقراء. فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل

وليسا من السبعة والباقون بهمزة واحدة مفتوحة. **قوله**: (**وعلمًا يعرف به**) في الآخرة. **قوله**: (**خطم**) بالخاء المعجمة وفي القاموس خطمه إذا أثر في أنفه جراحة، وقد جُرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره. اهـ شيخنا. اهـ جمل. **قوله**: (**يوم بدر**) قال صاحب الكشف: هذا ضعيف لأن الوليد بن المغيرة مات قبل بدر فلم يسم بذلك الوسم الذي بقي أثره مدة حياته.

قوله: (**بالقحط**) وهو احتباس المطر الذي دعا به ﷺ. **قوله**: (**الجيف**) **في المصباح** الجيفة الميتة من الدواب والمواشي إذا أنتنت والجمع جيف مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير ما في جوفها. اهـ. **قوله**: (**والرمم**) **في المصباح** الرمة العظام البالية وتجمع على رمم مثل سدرة وسدر. اهـ. **قوله**: (**اللهم اشدد**) بهمزة وصل (**وطأتك**) بفتح واو وسكون طاء وبهمزة (**على مضر**) أي خذهم أخذًا شديدًا (**واجعلها سنين كسني يوسف**) الضمير للوطأة أو للأيام المفهوم من سنين جمع سنة القحط أي سلّط عليهم قحطًا سبع سنين أو أكثر كما في زمن يوسف عليه السلام أي اشدد عقوبتك على كفّار قريش أولاد مضر. **قوله**: (**صروان**) بالصاد المهملة. **قوله**: (**فرسخين**) **في المصباح** الفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي. اهـ. وأيضًا فيه الميل بالكسر عند العرب مقدار مدى البصر من الأرض قاله الأزهري. وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع والخلاف لفظيّ لأنهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع والأصبع ست شعيرات بطن

أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال، فحلفوا ليصرمنها مصبحين **(في السدف)** خيفة من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم، فأحرق الله جنتهم. وقال الحسن: كانوا كفارًا. والجمهور على الأول ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ حلفوا (﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾) ليقطعن ثمرها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء، حال من فاعل ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)﴾ ولا يقولون إن شاء الله. وسمي استثناء وإن كان شرطًا صورة لأنه يؤدي مؤدي الاستثناء من حيث إن معنى قولك: «لأخرجن إن شاء الله» و«لا أخرج إلا أن يشاء الله» واحد ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نزل عليها بلاء. قيل: أنزل الله تعالى عليها نارًا فأحرقتها ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أي في حال نومهم ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ فصارت الجنّة ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل المظلم أي احترقت فاسودت، أو كالصبح أي صارت أرضًا بيضاء بلا شجر. وقيل: كالمصرومة أي كأنها صرمت لهلاك ثمرها.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣)﴾

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١)﴾ نادى بعضهم بعضًا عند الصباح ﴿أَنِ اغْدُوا﴾ باكروا ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ ولم يقل: «إلى حرثكم» لأن الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوًّا عليه أو ضمن الغدوّ معنى الإقبال أي فأقبلوا على حرثكم باكرين ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ مريدين صرامه ﴿فَانطَلَقُوا﴾ ذهبوا ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ يتسارّون فيما بينهم لئلا يسمعوا المساكين.

كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنين وثلاثين كان المتحصل ثلاثة آلاف ذراع. وإن قسم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع والفرسخ عند الكل ثلاثة أميال، وإذا قدر الميل بالغلوات وكان كل غلوة أربعمائة ذراع كان ثلاثين غلوة وإن كانت كل غلوة مائتي ذراع كان ستين غلوة. اهـ. **وأيضًا فيه** وإنما أضيف إلى بني هاشم فقيل: الميل الهاشمي لأن بني هاشم حددوه وأعلموه. اهـ.

قوله: (في السَّدَف) بالتحريك هي الظلمة المختلطة بالضياء. **قوله:** (﴿يَصْرِمُنَّهَا﴾) ليقطعن ثمرها الصرم والصرام قطع ثمار النخيل.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي الجنّة و«إن» مفسرة **(وقرىء بطرحها)** بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ والنهي عن دخول المساكين. نهي عن التمكين أي لا تمكنوهم من الدخول ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ **(على جد)** في المنع ﴿قَٰدِرِينَ﴾ عند أنفسكم على المنع كذا عن **(نفطويه)**، أو الحرد القصد والسرعة أي وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها **(وزيّ منفعتها)** عن منفعتها عن المساكين، **(أو هو علم للجنّة)** أي غدوا على تلك الجنّة قادرين على صرامها عند أنفسهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي جنتهم محترقة ﴿قَالُوٓا۟﴾ **(في بديهة)** وصولهم ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها، فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا:

قوله: **(وقرىء بطرحها)** عبارة الكشاف. وقرأ ابن مسعود بطرحها. اهـ. **قوله**: **(على جد)** وجهد. **قوله**: **(نفطويه)** بكسر النون وفتحها والكسر أفصح هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الواسطي له التصانيف الحسان في الآداب وكان عالمًا بارعًا وُلد سنة أربع وأربعين ومائتين، وقيل: سنة خمسين ومائتين بواسِط وسكن بغدَاد وتُوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة يوم الأربعاء لستٍّ خلون منه بعد طلوع الشمس بساعة، وقيل: تُوفي سنة أربع وعشرين هو وابن مجاهد المقري ببغداد والله أعلم. ودُفن ثاني يوم بباب الكوفة رحمه الله تعالى. قال ابن خالويه: ليس في العلماء مَن اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى نفطويه. قال أبو منصور الثعالبي في أوائل كتاب لطائف المعارف أنه لقب نفطويه لدمامته وأدمته تشبيهًا له بالنِّفْط. **قوله**: **(وزيّ منفعتها)** أي منعها **في لسان العرب** الزيُّ مصدر زَوى الشَيء يَزْوِيْهِ زَيًّا وزَوِيًا فانزَوَى نحّاه فَتَنَحَّى. اهـ. **قوله**: **(أو هو علم للجنّة)** أي لجنتهم.

قوله: **(في بديهة)** وصولهم في لسان العرب البَدْه والبُدْه والبديهة أول كل شيء وما يفجأ منه. اهـ.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حرمنا خيرها **(لجنايتنا على أنفسنا)** ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ هلا تستثنون إذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما في معنى التعظيم لله، لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له، وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم. أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم! كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيّرهم ولهذا.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ **(فتكلموا بعد خراب البصرة)** بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولًا، وأقرّوا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء ونزّهوه عن أن يكون ظالمًا ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يلوم بعضهم بعضًا بما فعلوا من الهرب من المساكين، ويحيل كل واحد منهم **(اللائمة)** على الآخر. ثم اعترفوا جميعًا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾ بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا﴾ **(وبالتشديد: مدني وأبو عمرو)** ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾ من هذه الجنة ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه. عن

قوله: (لجنايتنا على أنفسنا) بسوء نيّتنا وظلمنا على أنفسنا بمنع حق المساكين.

قوله: (فتكلّموا بعد خراب البصرة...) الخ يضرب في الأخذ في التدارك بعدما فات. **قوله: (اللائمة)** مثل الملامة. اهـ.

قوله: (وبالتشديد) أي بتشديد الدال وفتح الباء الموحّدة **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وأبو عمرو)**. وقرأ الباقون

(مجاهد): تابوا فأبدلوا خيرًا منها. وعن **(ابن مسعود)** ﷺ: بلغني أنهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه **(عنقودًا)** ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم منه ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لما فعلوا ما يفضي إلى هذا العذاب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ **(أي في الآخرة)** ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ جنات **(ليس فيها إلا التنعم الخالص)** بخلاف جنات الدنيا ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقًّا فنحن نُعطى في الآخرة خيرًا مما يُعطى هو ومَن معه كما في الدنيا. فقيل لهم: **(أنحيف)** في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين؟ ثم قيل لهم على

بسكون الموحّدة وتخفيف الدال. **قوله: (مجاهد)** بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحّدة ثقة، إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله: (ابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر رضي الله عنه على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله: (عنقودًا) في مختار الصحاح** العُنْقُود بالضم وأحد عناقيد العنب والعنقاد بالكسر لغة فيه. اهـ.

قوله: (أي في الآخرة) لما كان تعالى منزّهًا عن المكان فسرت العندية في كل مكان بما يناسبها فهي هنا عبارة عن الآخرة لاختصاصها به تعالى إذ لا يتصرف فيها غيره. **قوله: (ليس فيها إلّا التنعم الخالص)** أي لا يشوبها شيء مما يكدّر ما فيها من وجوه التنعّم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من إضافة جنات إلى النعيم فإنها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه وذلك لا يكون إلا بأن لا يكون فيها إلا النعيم الخالص، ففيه تعريض بأن جنات الدنيا مشوبة بما يكدّر العيش وينقص التنعم والاستراحة. **قوله: (الحيف)** في المصباح حاف يحيف حيفًا جار وظلم. اهـ.

طريقة الالتفات ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي، كأن أمر الجزاء مفوّض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تقرءون في ذلك الكتاب.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي إن ما تختارونه وتشتهونه لكم. **(والأصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح «أن»)** لأنه مدروس لوقوع الدرس عليه، وإنما كسرت لمجيء اللام، **(ويجوز أن يكون حكاية للمدروس)** كما هو كقوله: (﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾) [الصافات: الآيتان ٧٨، ٧٩]. وتخير الشيء واختاره **(أخذ خيره)** ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ **(عهود مؤكدة بالأيمان)** ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ نعت ﴿أَيْمَٰنٌ﴾

قوله: **(والأصل «تدرسون أنَّ لكم فيه لما تخيّرون» بفتح أن)** جواب عما يُقال إن الجمهور، قرأوا بكسر همزة أن والحال أن كلمة أن مع ما في حيّزها واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لأنفسكم وأن يكون العاصي كالمطيع بل يكون أرفع حالًا منه فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين. وتقرير الجواب نعم أن الأصل الفتح إلا أنها كسرت لدخول لام الابتداء في حيّزها فإن لام الابتداء لا تدخل على ما في حيز أن المفتوحة تقول: علمت أنك عاقل بالفتح، وتقول: علمت إنك لعاقل بالكسر وكسر ﴿إِنَّ﴾ بعد ﴿تَدْرُسُونَ﴾ لأنه علق عنه لما فيه من معنى العلم. **قوله**: **(ويجوز أن يكون حكاية للمدروس...)** الخ فيكون هذا حكاية بعينه لفظ الكتاب من غير تحويل من الفتح للكسر ولم يبيّن الضمير فيه وهو على الأول للكتاب وأعيد للتأكيد وعلى هذا يعود لأمرهم أو للحكم فيكون محصل ما خطّ فيه أن الحكم والأمر مفوّض لهم. **قوله**: (﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾) من الأمم (﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾) هذا الكلام جيء به على الحكاية، ولذا لم ينصب مع أنه مفعول ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافات: الآية ١] فهذه الجملة منصوبة محلًا أو تقديرًا والمعنى يسلمون أي الآخرون من الأمم عليه أي على نوح تسليمًا فحذف فعله وعدل عن النصب إلى الرفع ليدل على الثبوت والدوام. **قوله**: **(أخذ خيره)** هو معناه بحسب الاشتقاق ثم عمّ لأخذ ما يريده مطلقًا. **قوله**: **(عهود مؤكدة بالأيمان)** ولما كان الأيمان دالّة على العهود بمعونة

[redacted]

ويتعلّق ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ﴾ بالغة أي أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم، أو بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج من عهدتها إلا يومئذٍ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ به لأنفسكم (**وهو جواب القسم لأن** معنىٰ ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا﴾ **أم أقسمنا لكم**) بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد.

﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿سَلۡهُمۡ﴾ أي المشركين ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل بأنه يكون ذلك ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواهم يعني أن أحدًا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد به عند الله، ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ ناصب الظرف ﴿فَلۡيَأۡتُواْ﴾ أو «اذكر» مضمرًا. والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدّة الأمر (**وصعوبة الخطب**)، فمعنىٰ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق، ولكن كنىٰ به عن الشدّة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق، وهذا كما تقول: للأقطع الشحيح يده مغلولة، ولا يد ثمة ولا غلّ، وإنما هو كناية عن البخل. وأما من شبه فلضيق عطنه وقلّة نظره في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من حق الساق أن يعرف (**لأنها ساق معهودة عنده**) ﴿وَيُدۡعَوۡنَ﴾ أي الكفار ثمة ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ لا تكليف ولكن توبيخًا على تركهم

المقام، أشار المصنّف إلى أن المراد بالأيمان عهود... الخ مجازًا بذكر الجزء القوي وإرادة الكل. **قوله**: (**وهو جواب القسم لأن معنى** ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا﴾ **أم أقسمنا لكم**...) الخ لأنه بمعنى العهود الموكدة بالأيمان فباشتمالها الأيمان يجاب بما يجاب به القسم المحض.

قوله: (**وصعوبة الخطب**) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس. اهـ. **قوله**: (**لأنها ساق معهودة عنده**) وهي ساق الرحمٰن.

السجود في الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك لأن ظهورهم تصير (**كصياصي البقر لا تنثني**) عند الخفض والرفع.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة حال من الضمير في ﴿يُدْعَوْنَ﴾ ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي يدعون في حال خشوع أبصارهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم (**صغار**) ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ على (**ألسن**) الرسل ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي وهم (**أصحّاء**) فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثَمّ.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرْنِى﴾ يقال: ذرني وإياه أي كله إليّ فإني أكفيكه ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ معطوف على المفعول أو مفعول معه ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ بالقرآن، والمراد (**كل**) أره إليّ وخلّ بيني وبينه فإني عالم بما ينبغي أن يفعل به، مطيق له، فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكّل عليّ في الانتقام منه، تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سندنيهم من العذاب (**درجة درجة**). يقال: استدرجه إلى كذا أي استنزله إليه درجة فدرجة حتى (**يورطه**) فيه، واستدراج الله تعالى (**العصاة**) أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله (**ذريعة**) إلى ازدياد المعاصي ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من الجهة

قوله: (**كصياصي البقر**) أي قرونها جمع صَيْصَيَة بالتخفيف. **قوله**: (**لا تنثني**) بفتح أوله أي تعطف وتغير.

قوله: (**صَغار**) ذل. **قوله**: (ألسن) **في المصباح** اللسان العضو يذكر ويؤنث فمن ذكر جمعه على ألسنة ومَن أنث جمعه على ألسن.اهـ. **قوله**: (**أصحّاء**) **في المصباح** رجل صحيح الجسد خلاف مريض وجمع أصحّاء مثل شحيح وأشحّاء.اهـ.

قوله: (كل) أمر من وكل يكل بوزن عِدْ. **قوله**: (**درجة درجة**) أي درجة بعد درجة. **قوله**: (يورطه) **في مختار الصحّاح** الوَرْطة الهلاك وأورطه وورّطه توريطاً أي أوقعه في الوَرطة فتورّط فيها.اهـ. **قوله**: (**العصاة**) في المصباح عصى العبد مولاه عصياً من باب رمى ومعصية فهو عاص وجمعه عصاة.اهـ. **قوله**: (ذريعة) **في المصباح** الذريعة الوسيلة والجمع الذرايع.اهـ.

التي لا يشعرون أنه استدراج. قيل: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها. قال ﷺ: «إذا رأيت الله تعالىٰ ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج وتلا الآية».

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ قوي شديد فسمىٰ إحسانه وتمكينه كيدًا كما سمّاه استدراجًا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببًا للهلاك. **(والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن، ولا يجوز أن يسمى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا).**

قوله: (والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن ولا يجوز أن يُسمى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا) في تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رضي الله تعالى عنه قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٣] فالأصل أن المكر والكيد والاستدراج يقتضي معنى واحدًا وهو أن يُؤخَذَ من وجه أمنه ويراقب وجود هلاكه وهو يُستعمل في الخلق على وجه يذم أهله فهو يُضاف إلى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسمًا له إذ لا يجوز أن يُسمى ماكرًا مستدرجًا وإنما يضاف إليه في حق الجزاء، وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد ولكن قد يجوز أن يُسمى الجزاء باسم ما له الجزاء كما يُسمى الجزاء لسيئة سيئة وإن لم يكن بسيئة، وكما يُسمى جزاء الاعتداء اعتداء فلذلك سمي جزاء الكيد كيدًا على هذا المعنى لا أن يكون ذلك منه كيدًا في الحقيقة أو يقول فإن الذمّ إنما يلحق الماكر والكائد إذا استعمله في وليه وصفيه فإذًا إذا مكر بعدوه وكاذبه فذلك مما لا بأس به ولا يذم عليه فاعله وما أُضيف من الكيد إلى الله تعالى فذلك حال أعدائه ليس بأوليائه فلم يكن فيه إلحاق معنى مكروه بالله تعالى **(ثم الأصل أن ينظر)** في الفعل لما إذا أضيف إلى الله تعالى بحقيقة أم بمجاز، فإن كانت الإضافة بحكم المجاز فلا يجعل ذلك اسمًا له لأنه لا يجوز أن يقال هو كاتب نافخ روح ولا كايد ولا ماكر إذ لا يتحقق ذلك منه، وما كانت إضافته لأجل التحقيق كأنه يستقيم أن يُسمى به لأنه يستقيم أن يسميه منعمًا مفضلًا خالقًا رحمانًا إذ الإنعام والإفضال والخلق موجود منه انتهت بحروفها.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ (غرامة) ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي أي لست تطلب أجرًا على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ (أي اللوح المحفوظ عند الجمهور) ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾) منه ما يحكمون به.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم لأنهم وإن أمهلوا ولم يهملوا ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ كيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه. والوقف على الحوت لأن «إذ» ليس بظرف لما تقدمه، إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أي اذكر ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه في بطن الحوت بـ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظًا من كظم السقاء إذا ملأه.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره ﴿لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ معتب بزلّته لكنه رحم فنبذ غير مذموم ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه لدعائه وعذره ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلّة. وقيل: من الأنبياء. وقيل: من المرسلين. والوجه هو الأول لأنه كان مرسلًا ونبيًا قبله لقوله تعالى:

قوله: (غرامة) في المغرب الغَرْم والغُرْم والغَرامة أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه. اهـ.

قوله: (أي اللوح المحفوظ عند الجمهور) أطلق الغيب عليه مجازًا لأنه محل المغيبات فذكر الحال وأريد المحل والقرينة قوله: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطُور: الآية ٤١] أو المغيبات أي الأشياء الغائبة كأنها حضرت في عقولهم حتى أنهم يكتبون على الله أي يحكمون عليه بما شاءوا وأرادوا.

(﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾) [الصافات: الآيتان ١٣٩، ١٤٠] **(الآيات)**.

قوله: (﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ﴾) هرب (﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل لهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقعت في لجّة البحر، أي بحر الدجلة فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة **(الآيات)** وهي (﴿فَسَاهَمَ﴾) قارع أهل السفينة (﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾) المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر كذا في الجلالين. وفي البيضاوي وتأويلات الإمام أبي منصور أنه ألقى نفسه في الماء (﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾) ابتلعه (﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾) أي آت بما يُلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾) الذاكرين بقوله: كثيرًا في بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧]، (﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾) لصار بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة (﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾) ألقيناه من بطن الحوت (﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾) بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يومًا (﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾) عليل كالفرخ أي ولد الطير المُمَّعِط بضم الميم الأولى وتشديد الثانية وكسر العين المنتوف الشعر (﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾) وهي القرع تظله وهي بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وَعلَةٌ أي غزالة وهي بفتح الأول والثاني وبكسر الثاني وسكونه صباحًا ومساءً يشرب من لبنها حتى قوي (﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾) بعد ذلك كقبله إلى قوم نينوى من أرض الموصل.

كذا في الجلالين، وفي تفسير الإمام البغوي رحمه الله قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه. وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧] أي وقد أرسلناه وقيل: كان إرساله بعد خروجه من بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين انتهى (﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾) بل (﴿يَزِيدُونَ﴾) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا (﴿فَـَٔامَنُواْ﴾) عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ [الصّفت: الآية ١٤٨] أبقيناهم ممتعين بما لهم (﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾) تنقضي آجالهم فيه. اهـ جلالين.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ **(وبفتح الياء: مدني. ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة واللام عملها)**. زلقهُ وأزلقهُ أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدّة نظرهم إليك **(شزرًا)** بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك، أو يهلكوك لشدّة **(حنقهم)** عليك. **(وكانت العين في بني أسد)** فكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة أيام **(فلا يمرّ به شيء)** فيقول فيه: لم أرَ كاليوم مثله إلا هلك. **(فأريد بعض العيّانين)** على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال: لم أرَ كاليوم مثله رجلًا فعصمه الله من ذلك. **(وفي الحديث: «العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر»)**.

قوله: (وبفتح الياء) من زلقت الرجل وهو فعل يتعدّى مفتوح العين لا مكسورها مثل حزن وحزنته **(مدني)** أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة والباقون بضمها من أزلقه معدى بالهمزة أي أزلّ رجله. **قوله: (﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة)** أي وإنه. **قوله: (واللام عملها)** عبارة الخطيب ولما كانت ﴿إن﴾ مخففة أتى باللام التي هي عملها فقال: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾. اهـ. **قوله: (شَزْرًا)** الشَّزْر بشين وزاي معجمتين ثم راء مهملة نظر الغضبان بمؤخر عينه أو على وجه يؤذن بالغضب والعداوة. **قوله: (حنقهم) في لسان العرب** الحَنَق شدّة الاغتياظ. اهـ. **قوله: (وكانت العين في بني أسد)** من العرب. **في لسان العرب** العَيْنُ أن تصيب الإنسان بعَيْن وعان الرجل بعينه عَيْنًا فهو عائن والمُصاب مَعِين على النَّقْص ومعيون على التمام أصابه بالعين. قال الزجاج: المَعين المُصاب بالعين والمعيون الذي فيه عين. اهـ. وأيضًا فيه رجل مِعْيان وعَيُون شديد الإصابة بالعين والجمع عُيُنٌ وعِيُنٌ. اهـ.

قوله: (فلا يمرّ به شيء) من الإبل أو الغنم أو غيرهما. **قوله: (فأريد بعض العيانين)** أي الكثيرين في الإصابة بالعين يقال: عانه يعينه إذا نظر إليه فأثر نظره فيه. **قوله: (وفي الحديث...)** الخ هو حديث صحيح. ذكره السيوطي في الجامع الصغير من عدة طرق. **قوله: (العين حق)** أي الإصابة بالعين من جملة ما تحقّق كونه. **قوله: (وإن العين لتدخل الجمل القدر)** أي إذا أصابته مات أو أشرف على الموت فذبح وطبخ **(والرجل القبر)** أي تقتله فيدفن في القبر. **قوله:**

(**وعن الحسن: رقية العين هذه الآية**) ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدًا على ما أوتيت من النبوّة ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ إن محمدًا لمجنون (**حيرة في أمره وتنفيرًا عنه**).

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعظ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ للجن والإنس يعني أنهم (**جننوه**) لأجل القرآن وما القرآن إلا موعظة للعالمين، فكيف يجنن مَن جاء بمثله؟ وقيل: لما سمعوا الذكر ـ أي ذكره ﷺ ـ وما هو ـ أي محمد ﷺ ـ إلا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب إليه الجنون؟ والله أعلم.

(**لتدخل...**) الخ عبارة عن إهلاك كل ما أصابته وفي العين وكونها حقًّا وردت أحاديث كثيرة. **قوله**: (**وعن الحسن**) البصري رضي الله تعالى عنه (**رقية العين هذه الآية**) وعبارة الكشّاف، وعن الحسن رحمه الله تعالى دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية. انتهت. أي أن قراءة هذه الآية تدفع بإذن الله تعالى إصابة العين وضررها، وهذا مراد الحسن رحمه الله تعالى رحمة واسعة وإن أمكن أن يراد ظاهره وهو أن يكون دواء وشفاء بعد إصابة العين. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (**حيرة في أمره وتنفيرًا عنه**) حيث سمعوا منه كتابًا بدت بلاغته على كل بليغ واشتمل حكمًا لا تحصى، وأحاط علمًا لا يقصى مع أنه لم يمارس خطأ ولم يدارس علمًا فاستوعب الحيرة لهم، واستولى الدهشة عليهم فقالوا ذلك كأنهم لا شعور لهم. فأشار المصنّف رحمة الله عليه بقوله: حيرة... الخ إلى أنهم يعقلون ويعلمون أنه عليه الصلاة والسلام أعقل الناس فقولهم ذلك لا لجهلهم بل لكمال حيرتهم وفرط دهشتهم.

قوله: (جننوه) أي نسبوه إلى الجنون فصيغة التفعيل للنسبة. تمت سورة نٓ والحمد لله ربّ العالمين وأفضل صلاة وسلام على أفضل الأنام وعلى آله وصحبه الكرام.

(سورة الحاقة)

(إحدى وخمسون آية، مكيّة)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، (**من حق يحق بالكسر**) أي وجب ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾ مبتدأ وخبر وهما خبر ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١﴾ والأصل الحاقة ما هي أي أيّ شيء هي تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها أي حقّها أن يستفهم عنها لعظمها، فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ وأي شيء أعلمك ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ يعني أنك لا علم لك (**بكنهها ومدى عظمها**)، لأنه من العظم والشدّة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين. و«ما» رفع بالابتداء و﴿أَدۡرَىٰكَ﴾ الخبر، والجملة بعده في موضع نصب لأنها مفعول ثانٍ لـ «أدرى».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الحاقّة، إحدى وخمسون آية، مكيّة) بالإجماع ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربع وثلاثون حرفًا. اهـ خازن. **قوله:** (من حقّ يحقّ بالكسر) أي بكسر الحاء من باب ضرب. **قوله:** (بكنهها) في المصباح كنه الشيء حقيقته ونهايته. اهـ. **قوله:** (ومدى عظمها) في المصباح المدى بفتحتين الغاية. اهـ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ أي بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لأنها من أسماء القيامة، وسُميت بها لأنها **(تقرع الناس)** بالأفزاع والأهوال. ولما ذكرها وفخّمها أتبع ذلك ذكر مَن كذب بها وما حلّ بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ **(بالواقعة المجاوزة للحد)** في الشدّة. واختلف فيها فقيل: الرجفة، وقيل: الصيحة، وقيل: الطاغية مصدر كالعافية **(أي بطغيانهم، ولكن هذا لا يطابق قوله:** ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ﴾ **أي بالدبور)**

قوله: (تقرع الناس) القرع ضرب شيء بشيء.

قوله: (بالواقعة المجاوزة للحد) يعني أن الطاغية صفة لمحذوف هي الواقعة وأن الطغيان مجاوزة الحد في أي شيء كان وأن الباء فيها للاستعانة كما في كتبت بالقلم وتلك الواقعة هي الرجفة أي الزلزلة العظيمة لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: الآية ٧٨] أو ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: الآية ٧٣] المجاوزة في قوّتها وشدّتها عن حد الصيحات بحيث لم يتحملها قلب أحد منهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾ [القمر: الآية ٣١].

قوله: (أي بطغيانهم) أي بسبب طغيانهم على أن تكون الطاغية مصدرٌ بسبب الطغيان كالكاذبة والعافية وتكون الباء سببية، فإن طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فأهلكوا بسببه كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١﴾ إلى قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: الآيات ١١ ـ ١٤].

قوله: (ولكن هذا لا يطابق قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ﴾**)** أي جعل الطاغية بمعنى الطغيان وجعل الباء سببية لا يلائم قوله: ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ﴾ [الحاقة: الآية ٦] لأن الباء فيه للاستعانة لا للسببية فجعلها في الجملة الأولى للسببية لا يلائم ما بعدها. **قوله: (أي بالدبور)** بفتح الدال ريح تهب من جهة المغرب تقابل

لقوله ﷺ: («**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**). ﴿صَرْصَرٍ﴾ شديدة الصوت (**من الصرّة**) الصيحة، أو باردة (**من الصرّ**) كأنها التي كرّر فيها البرد وكثر **فهي تحرق** بشدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ (**شديد العصف أو عتت**) على خزانها فلم يضبطوها **بإذن الله** غضبًا على أعداء الله.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

﴿سَخَّرَهَا﴾ سلّطها ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ (**وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأُخرى**) ﴿حُسُومًا﴾ أي متتابعة لا تنقطع جمع حاسم (**كشهود**) تمثيلًا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيّ على الداء بعد أخرى حتى (**ينحسم**)، وجاز أن يكون مصدرًا أي تحسم حسومًا بمعنى تستأصل استئصالًا ﴿فَتَرَى﴾ أيها المخاطب ﴿ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ في مهابهاأو في الليالي والأيام ﴿صَرْعَىٰ﴾ حال (**جمع صريع**) ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال أُخرى ﴿أَعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ﴾ جمع

الصبا. **قوله**: (**نصرت**) يوم الأحزاب وكانوا زهاء اثني عشر ألفًا حين حاصروا المدينة (**بالصبا**) بفتح الصاد مقصور الريح التي تجيء من ظهرك إذا استقبلت وتسمى القبول لأنها تقابل باب الكعبة وأرسلت عليهم الصبا في ليلة شاتية، فسفّت التراب عليهم وأخمدت نارهم وقلعت خيامهم فانهزموا (**وأهلكت**) بضم الهمزة وكسر اللام (**عاد**) قوم هود (**بالدبور**). رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. ورواه عنه أيضًا النسائي في التفسير.

قوله: (**من الصرّة**) بالفتح. **قوله**: (**من الصّر**) بكسر الصاد برد يضر بالنبات والحرث. **قوله**: (**شديد العصف**) العصف شدّة هبوب الريح. **قوله**: (**أو عتت**) أي عصت وتمرّدت وغلبت.

قوله: (**وكان ابتداء العذاب يوم الأربعاء آخر الشهر إلى الأربعاء الأخرى**) أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وآخرها غروب شمس يوم الأربعاء التالي للأربعاء الأول، وكان الشهر كاملًا فكان آخرها هو اليوم الأخير منه. **قوله**: (**كشهود**) جمع شاهد. **قوله**: (**ينحسم**) أي ينقطع. **قوله**: (**جمع صريع**) بمعنى قتيل مثل قتلى جمع قتيل.

نخلة ﴿خَاوِيَةٍ﴾ ساقطة أو بالية ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ (من نفس ﴿بَاقِيَةٍ﴾ أو من بقاء) كالطاغية بمعنى الطغيان.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ومَن تقدمه من الأُمم (﴿ومن قِبَله﴾ بصري وعلي) أي ومَن عنده من أتباعه ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط فهي ائتفكت أي انقلبت بهم ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ (بالخطأ) أو بالفعلة أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم ﴿فَعَصَوْا۟﴾ أي قوم لوط ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ لوطًا ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ شديدة زائدة في الشدّة كما زادت قبائحهم في القبح ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعًا ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ (أي آباءكم) ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ في سفينة نوح عليه السلام ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ (أي الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين) ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ وتحفظها ﴿أُذُنٌ﴾ (بضم الذال: غير نافع) ﴿وَٰعِيَةٌ﴾ حافظة لما تسمع. قال (قتادة): وهي أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت.

قوله: (من نفس ﴿بَاقِيَةٍ﴾) أي أنها صفة وموصوفها نفس فالتاء للتأنيث. قوله: (أو من بقاء) أي ﴿بَاقِيَةٍ﴾ مصدر كالطاغية فالتاء للوحدة النوعية.

قوله: (﴿ومن قِبَله﴾) بكسر القاف وفتح الموحدة أي أجناده وأهل طاعته (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل البصري ويعقوب البصري وليسا من السبعة (وعلي) الكسائي. والباقون بفتح القاف وسكون الباء ظرف زمان. قوله: (بالخطأ) على أن تكون ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ مصدرًا كالعافية وما بعده على أن يكون صفة لمحذوف وهو الفعلة أو الأفعال والبناء للنسب كتامر ولابن أي بالفعلة ذات الخطأ أو الأفعال ذات الخطأ. قوله: (أي آباءكم) بتقدير المضاف. قوله: (أي الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين) مرجع الضمير منفهم مما قبله، والتاء في فعلة للوحدة النوعية فيتناول الإنجاء المفهوم من ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ والإغراق المدلول عليه لقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾. قوله: (بضم الذال: غير نافع) وبسكون الذال نافع وحده. قوله: (قتادة) بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري ثقة ثبت

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ هي النفخة الأولى ويموت عندها الناس، والثانية يبعثون عندها ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ رفعتا عن موضعهما ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ دقتا وكسرتا أي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع **(كثيبًا مهيلًا وهباء منبثًا)** ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ فحينئذٍ ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ نزلت النازلة وهي القيامة، وجواب «إذا» ﴿وَقَعَتِ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا» ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ فتّحت أبوابًا ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية ساقطة القوّة بعد ما كانت محكمة ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ جوانبها واحدها رجا مقصور لأنها إذا انشقت وهي مسكن الملائكة فليجؤون إلى أطرافها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملك الذين على أرجائها ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ منهم، واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة أُخرى يوم القيامة. **(وعن الضحاك)**: ثمانية صفوف. وقيل: ثمانية أصناف.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب، والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحواله ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا. **(وبالياء: كوفيّ غير عاصم)**.

كان تابعيًّا وكان عالمًا كبيرًا وكانت ولادته سنة ستين للهجرة. وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: **(كثيبًا)** رملًا مجتمعًا **(مهيلًا)** سائلًا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء. **قوله**: **(وهباء)** غبارًا **(منبثًا)** منتشرًا. **قوله**: **(وعن الضحاك)** بن مزاحم من قدماء المفسّرين.

قوله: **(وبالياء)** التحتية **(كوفيّ غير عاصم)** أي قرأه حمزة والكسائيّ بالياء من تحت لأن التأنيث مجازيّ، وللفصل وأمالا ألفها والباقون بالتاء للتأنيث

وفي الحديث: («**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات**): فأما (**عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف**) فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله» ﴿فَأَمَّا﴾ تفصيل للعرض ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ سرورًا به لما يرى فيه من الخيرات خطابًا لجماعته ﴿هَآؤُمُ﴾ اسم للفعل أي خذوا ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ تقديره هؤم كتابي اقرؤا كتابيه فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، والعامل في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ ﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ عند البصريين لأنهم يعملون الأقرب. (**والهاء في** ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ **و**﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ **للسكت**)، وحقّها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، (**وقد استحب إيثار الوقف**) إيثارًا لثباتها لثبوتها (**في المصحف**).

اللفظي. **قوله**: (**يعرض الناس...**) الخ. **عبارة الترمذيّ وغيره** (يعرض الناس) أي على الله (**يوم القيامة ثلاث عرضات**) بفتحتين أي ثلاث مرات فأما المرة الأولى فيدفعون عن أنفسهم ويقولون: لم يبلغنا الأنبياء ويحاجون الله تعالى، وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بأن يقول فعلته سهوًا وخطأً أو جهلًا أو رجاء ونحو ذلك، وهذا معنى قوله: (**عرضتان فجدال ومعاذير**) جمع معذرة ولا يتم قضيتهم في المرتين بالكلية. (**وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف**) كذا هو في سنن الترمذيّ وجامع الأصول وفي نسخ المصابيح تطاير أي تتطاير الصحف وهو بضمتين جمع الصحيفة وهو المكتوب. وقال شارح المصابيح: تطاير الصحف أي تفرّقها إلى كل جانب فروايته بالمصدر وأما رواية غيره فبالمضارع أي تسرع وقوعها (في الأيدي) أي أيدي المكلّفين جميعًا (فآخذ بيمينه وآخذ بشماله) الفاء تفصيلية أي فمنهم آخذ بيمينه وهو من أهل السعادة ومنهم آخذ بشماله وهو من أهل الشقاوة فيتم قضيتهم على وفق البداية وبتمييز أهل الضلالة من أهل الهداية. **قوله**: (**والهاء في** ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ **و**﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ **للسكت**) لا ضمير غيبة. **قوله**: (**وقد استحب إيثار الوقف...**) الخ. وإنما قال: وقد استحب إيثار الوقف لأنه إذا وصل بنية الوقف لم يخالف المصحف فلا يجب الوقف بل يستحب فإثباتها وصلًا بنية الوقف قراءة صحيحة وليست بلحن كما زعم بعض النحاة والوصل بنية الوقف شائع بين الأئمة القراء في مثل صّ وقّ ونّ حيث جوّزوا التقاء الساكنين في الوصل بنيّة الوقف فكذا هنا.اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (**في المصحف**) أي مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ علمت. وإنما أجرى الظن مجرىٰ العلم، لأن الظن الغالب يقوم مقام العلم في العادات والأحكام، لأن ما يدرك بالاجتهاد قلَّما يخلو عن الوسواس والخواطر وهي تفضي إلى الظنون، فجاز إطلاق لفظ الظنّ عليها لما لا يخلو عنه ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ معاين حسابي ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ **(ذات رضًا)** يرضىٰ بها صاحبها كلابن ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ **(رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور)** وهو خبر بعد خبر ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكيء **(يقال لهم:** ﴿كُلُوا﴾ وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا﴾ **(أكلًا وشربًا** ﴿هَنِيٓـًٔا﴾**)** لا مكروه فيهما ولا أذى **(أو هنئتم هنيئًا)** على المصدر ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا. وعن ابن عباس: هي في الصائمين أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ لما يرى فيها من **(الفضائح)** ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ أي يا ليتني لم أعلم ما حسابي.

قوله: **(ذات رضا)** أي ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ من صيغ النسبة. **قوله:** **(رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور)** العلوّ إن أريد به العلوّ في المكان فهو حاصل لأن الجنة فوق السمٰوات وإن أريد به العلوّ في الدرجة والشرف فالأمر كذلك، وإن أريد علو بنيتها فالأمر كذلك فهو عاليه من جميع الجهات. **قوله:** أي **(يقال لهم:** ﴿كُلُوا﴾**)** هذا أمر امتثال وإباحة لا أمر تكليف ضرورة أن الآخرة ليست بدار تكليف. **قوله:** **(أكلًا وشربًا** ﴿هَنِيٓـًٔا﴾**)** على أن يكون قوله: هنيئًا صفة مصدر محذوف. **قوله:** **(أو هنئتم هنيئًا)** على أن يكون مصدرًا مؤكّدًا للفعل المحذوف.

قوله: **(الفضائح)** في المصباح الفضيحة الغيب والجمع فضائح. اهـ.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾

﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ **(يا ليت الموتة التي متّها)** ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ أي القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾﴾ أي لم ينفعني ما جمعته في الدنيا فـ «ما» نفي والمفعول محذوف أي شيئًا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ ملكي وتسلّطي على الناس وبقيت فقيرًا ذليلًا. وعن ابن عباس ﵄: ضلّت عني حجتي أي بطلت حجتي التي كنت أحتجّ بها في الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ **(أي اجمعوا يديه إلى عنقه)** ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أي أدخلوه يعني **(ثم لا تصلوه إلا الجحيم)** وهي النار العظمىٰ، أو نصب ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾ بفعل يفسّره ﴿صَلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا﴾ طولها ﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ بذراع الملك. عن **(ابن جريج)**: وقيل لا يعرف قدرها إلا الله ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ فأدخلوه. والمعنىٰ في تقدم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية. ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعليل كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأُجيب بأنه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾.

قوله: **(يا ليت الموتة التي متّها)** الموتة وإن لم تكن مذكورة إلا أنها في حكم المذكور بدلالة المقام. **قوله**: **(أي اجمعوا يديه إلى عنقه)** في الغلّ. **قوله**: **(ثم لا تصلوه إلّا الجحيم)** إشارة إلى أن تقديم المفعول على الفعل للحصر أي لا تدخلوه إلا الجحيم أي لا تحرقوه إلا فيها. يقال: صليت الرجل نارًا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق. قلت: أصليته النار إصلاء وصليته تصلية.

قوله: **(ابن جريج)** هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج كان أحد العلماء المشهورين، ويقال: إنه أول مَن صنّف الكتب في الإسلام وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، وتُوفي سنة تسع وأربعين ومائة، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين ومائة رحمه الله تعالى وجريج بضم الجيم وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها بعدها جيم ثانية.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ **(على بذل** ﴿طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾**)**، وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وإنما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة، فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم أي أنه مع كفره لا يحرّض غيره على إطعام المحتاجين، وفيه دليل قوي على عظم جرم حرمان المسكين لأنه عطفه على الكفر وجعله دليلًا عليه وقرينة له، ولأنه ذكر الحضّ دون الفعل ليعلم أن تارك الحضّ إذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق. **(وعن أبي الدرداء)** أنه كان يحضّ امرأته على تكثير **(المرق)** لأجل المساكين ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان فلنخلع نصفها بهذا. وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعًا، والكافرين لا يرحمون لأنه قسّم الخلق نصفين فجعل صنفًا منهم أهل اليمين ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ وصنفًا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾ وجاز أن الذي يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتىٰ كتابه بيمينه.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ غسالة أهل النار، فعلين من الغسل، والنون زائدة وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من **(الصديد)** والدم.

قوله: (على بذل ﴿طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾**)** إشارة إلى أن المضاف مقدر وهو البذل إذ الحثّ إنما يكون على الفعل. **قوله: (وعن أبي الدرداء)** اسمه عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري مختلف في اسم أبيه وإنما هو مشهور بكنيته. وقيل: اسمه عامر وعويمر لقب صحابي جليل أول مشاهده أحد وكان عابدًا مات في آخر خلافة عثمان. وقيل: عاش بعد ذلك. **قوله: (المرق) في لسان العرب** المَرَقُ الذي يُؤْتَدَم به معروف واحدته مَرَقة والمرقة أخصّ منه. اهـ.

قوله: (الصديد) في المغرب صديد الجُرْح ماؤه الرقيق المختلط بالدم. وقيل: هو القَيْح المختلط بالدم. اهـ.

﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرون أصحاب الخطاب **(وخطىء الرجل إذا تعمّد الذنب)**. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ من الأجسام والأرض والسماء ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من الملائكة والأرواح فالحاصل أنه أقسم بجميع الأشياء ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إن القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي محمد ﷺ أو جبريل عليه السلام أي بقوله: ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ﴾ كما تدّعون ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ كما تقولون.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ **(وبالياء فيهما: مكي وشامي ويعقوب وسهل. وبتخفيف الذال: كوفي غير أبي بكر)**. والقلّة في معنى العدم يقال: هذه أرض قلما تنبت أي لا تنبت أصلاً، والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة.

قوله: (وخطىء الرجل إذا تعمّد الذنب) يقال: خطىء الرجل يخطأ خطيًا فهو خاطىء على وزن علم يعلم علمًا فهو عالم، إذا تعمّد الخطأ بمعنى الذنب فإن الخطأ المضاد للصواب لا يقال في الفعل منه خطىء فهو خاطىء بل يقال: أخطأ فهو مخطىء أو تخطأ فهو متخطىء أي أراد الصواب فصار إلى غيره من غير أن يتعمده ويقصده.

قوله: (وبالياء) التحتية **(فيهما)** أي في «قليلا ما يؤمنون» و«قليلا ما يذكرون» مكيّ أي ابن كثير المكيّ **(وشاميّ)** أي عبد الله بن عامر الشاميّ **(ويعقوب)** بن إسحٰق البصريّ **(وسهل)** بن محمد البصري وليسا من السبعة، والباقون بالفوقية **(وبتخفيف الذال: كوفي غير أبي بكر)** بن عياش أي خفف ذال ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ حفص وحمزة والكسائيّ وشدّدها الباقون.

﴿تَنزِيلٌ﴾ هو تنزيل بيانًا لأنه قول رسول نزل عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤)﴾ ولو ادّعىٰ علينا شيئًا لم نقله.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧)﴾

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥)﴾ (**لقتلناه صبرًا**) كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معالجة بالسخط والانتقام، فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته، وخصّ اليمين لأن (**القتَّال**) إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه (**في جيده**) وأن (**يكفحه**) بالسيف ـ وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف ـ أخذ (**بيمينه**)، ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه.

وكذا ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦)﴾ لقطعنا وتينه وهو (**نياط القلب**) إذا قطع مات صاحبه ﴿فَمَا مِنكُم﴾ الخطاب للناس أو للمسلمين ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ (﴿مِنْ﴾ **زائدة**) ﴿عَنْهُ﴾ عن قتل محمد وجمع ﴿حَٰجِزِينَ﴾ وإن كان وصف ﴿أَحَدٍ﴾ لأنه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥].

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٥٢)﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ﴾ لعظة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ به المكذبين له إذا رأوا

قوله: (**لقتلناه صَبْرًا**) في المغرب يقال للرجل إذا اشتدّت يداه ورجلاه أو أمْسَكه رجل آخر حتى يُضْرب عُنُقه قُتِلَ صَبْرًا. اهـ.

قوله: (**القتال**) بالقاف واللام أي الجلاد. **قوله**: (**في جيده**) بكسر الجيم وسكون الياء أي عنقه. **قوله**: (**يكفحه**) بالفاء والحاء المهملة يعني يواجهه. **قوله**: (**بيمينه**) أي اللام عوض عن المضاف إليه.

قوله: (**نياط القلب**) وهو عرق متصل به. **قوله**: (﴿مِنْ﴾ **زائدة**) لتأكيد النفي.

ثواب المصدقين به ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ لعين اليقين ومحض اليقين ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ (﴿فَسَبِّحْ﴾ **الله بذكر اسمه العظيم**) وهو قوله سبحان الله.

قوله: (﴿فَسَبِّحْ﴾ **الله بذكر اسمه العظيم**) على أن مفعول سبّح محذوف والباء في ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ للاستعانة كما في ضربته بالسوط فهو مفعول ثانٍ بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى نزّه ذات الله تعالى عن الرضي بالتقوّل عنه بأن تقول سبحان الله.

تمّت سورة الحاقة والحمد لله ربّ العالمين
والصلاة والسلام على سيّد الرُسُل العِظام وآله وصَحْبه الكِرام

(سورة المعارج)

(مكيّة، وهي أربع وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ **(هو النضر بن الحارث)** قال: (﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾) [الأنفال: الآية ٣٢] أو هو النبيّ ﷺ دعا بنزول العذاب عليهم. ولما ضمن سأل معنىٰ دعا عدي تعديته

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة المعارج)** وتُسمى سورة سأل سائل **(مكية)** أي بالإجماع **(وهي أربع وأربعون آية)** ومائتان وست عشرة كلمة وألف وأحد وستون حرفًا، كذا في تفسير الخطيب. وفي الخازن ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وعشرون حرفًا.اهـ. **قوله:** **(هو النضر بن الحارث)** أسِرَ يوم بدر وقُتِل كافرًا قتله عليّ بن أبي طالب. أمره رسول الله ﷺ بذلك. أجمع أهل المغازي والسير على أنه قتل يوم بدر كافرًا، وإنما قتله لأنه كان شديدًا على رسول الله ﷺ والمسلمين.اهـ أسد الغابة. **قوله:** (﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾) الذي يقرأ محمد ﷺ (﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾) المنزّل (﴿مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾) مؤلم على إنكاره. قاله استهزاء وإيهامًا أنه على بصيرة وجزم ببطلانه.

كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قولك: دعا بكذا إذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالىٰ: (﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾) [الدخان: الآية ٥٥]. (و﴿سال﴾ **بغير همز: مدني وشامي وهو من السؤال**) أيضًا إلا أنه خفّف بالتلبين و﴿سَآئِلٌ﴾ مهموز إجماعًا.

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ **صفة لـ** ﴿عَذَابٍ﴾) أي بعذاب واقع كائن للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُۥ﴾ لذلك العذاب ﴿دَافِعٌ﴾ راد ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى إذ جاء وقته ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي مصاعد السماء للملائكة (**جمع معرج وهو موضع العروج**). ثم وصف المصاعد (**وبعد مداها**) في العلو والارتفاع فقال: ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد. (**وبالياء: عليّ**) ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي

قوله: (﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ﴾) أي يطلبون في الجنة كل فاكهة. **قوله**: (و﴿سال﴾ **بغير همز**) بعد السين بوزن قال (**مدني**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشامي والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين. **قوله**: (**وهو من السؤال**) أيضًا إلا أنه ثقلت همزته فقلبت ألفًا للتخفيف على غير القياس، والقياس في مثله أن تسهل الهمزة بجعلها بين بين أي بين الهمزة والألف وهي لغة قريش. قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلّت هذيل بما سألت ولم تصب

فعلى هذا يكون سال اللينة من سأل مهموز العين وتكون بهمزة ﴿سَآئِلٌ﴾ أصلية. **قوله**: (**صفة لـ** ﴿عَذَابٍ﴾) أي صفة أخرى لعذاب وصف العذاب أولًا بأنه ﴿وَاقِعٍ﴾ أي نازل لا محالة سواء طلبه أو لم يطلبه، وثانيًا بأنه معدّ للكافرين لا يتخطاهم وإن كان متعلّقًا بقوله: واقع تكون اللام فيه بمعنى على أو على بابها أي بعذاب نازل عليهم أو لأجلهم. **قوله**: (**جمع معرج**) بفتح الميم (**وهو موضع العروج**) لا بكسرها لأنه آلة العروج وهو غير مناسب لهذا المقام. **قوله**: (**وبعد مداها**) أي غايتها. في المصباح المدى بفتحتين الغاية.اهـ. **قوله**: (**وبالياء**) من تحت (**عليّ**) الكسائي والباقون بالتاء من فوق.

جبريل عليه السلام خصّه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه، أو خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا، أو أرواح المؤمنين عند الموت ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه ومهبط أمره ﴿فِي يَوْمٍ﴾ من صلة تعرج ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك، أو «من» صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة، فإما أن يكون استطالة له لشدّته على الكفار، أو لأنه على الحقيقة كذلك فقد (**قيل: فيه خمسون موطنًا لكل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر**).

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ متعلّق بـ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما (**يضجر**) رسول

قوله: (**قيل: فيه خمسون موطنًا لكل موطن ألف سنة، وما قُدِّر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر**). **عبارة الخطيب** قيل: فيه خمسون موطنًا على الكافر كل موطن ألف سنة وما ورد ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. انتهت بحروفها. وأيضًا فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». اهـ. **وفي مرقاة المفاتيح** (يخفف) أي يوم القيامة (على المؤمن) أي الكامل أو المصلّي (حتى يكون) أي طوله عليه (كالصلاة المكتوبة) أي كمقدار أدائها أو قدر وقتها، والظاهر أنه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾. وبقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدّثّر: الآيات ٨ - ١٠] فمفهومه أنه على المؤمنين يصير يسيرًا، إما في الكمية وإما الكيفية وإما فيهما جميعًا حتى بالنسبة إلى بعضهم يكون هو كساعة وهم مَن جعلوا الدنيا وكسبوا فيها طاعة. اهـ بحروفها.

قوله: (**يضجر**) **في المغرب** الضَّجَر قَلَقٌ من غمّ وضيق نفس مع كلام وقد ضجر من كذا وتضجَّر منه وأضْجَرَهُ غَيْرُهُ. اهـ.

الله ﷺ، فأمر بالصبر عليه ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (بلا جزع ولا شكوى) ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن الكفار ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ أي العذاب أو يوم القيامة ﴿بَعِيدًا﴾ مستحيلًا ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝﴾ كائنًا لا محالة، فالمراد بالبعيد من الإمكان وبالقريب القريب منه. نصب ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾ بـ ﴿قَرِيبًا﴾ أي يمكن في ذلك اليوم أو هو بدل عن ﴿فِى يَوْمٍ﴾ فيمن علقه بـ ﴿وَاقِعٍ﴾ ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ (كدردي الزيت) أو كالفضة المذابة في تلونها.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝﴾

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا (لأن ﴿ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾)، فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝﴾ لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه. (وعن البزي والبرجمي: بضم الياء) أي ولا يسأل قريب عن قريب أي لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه.

قوله: (بلا جزع) **في مختار الصحاح** الجَزَعُ ضد الصبر وبابه طرب. اهـ. **قوله:** (ولا شكوى) **في مختار الصحاح** شَكَاه من باب عدا وشِكايةً بالكسر وشَكِيّةً وشَكَاةً بالفتح أي أخبر عنه بسوء فعله به فهو مشكو ومشكي والاسم الشَّكوى. اهـ. **وعبارة الصحاح** شكوت فلانًا أشكوه شكوى وشكاية وشكية وشكاة إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك فهو مشكوّ ومشكيّ والاسم الشكوى. اهـ. **قوله:** (كدرديّ الزيت) الدرديّ بضم الدال وتشديد الياء ما يتجمد في قعره. اهـ شهاب. وفي لسان العرب دَرْدِيّ الزيت وغيره ما يبقى في أسفله انتهى. وأيضًا فيه وأصله ما يَرْكُد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان. اهـ.

قوله: (لأن ﴿ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾) جمع جدّة بالضم طريق أي خط في الجبل وغيره (﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾) وصفر وخضر (﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾) بالشدّة والضعف (﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾) عطف على جدد أي صخور شديدة السَّواد. (وعن البَزّي) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذّن المكيّ مولى لبني مخزوم ويكنّى أبا الحسن ويُعرف بالبزي. روى القراءة عن ابن كثير بإسناد وتوفي بمكة بعد سنة أربعين ومائتين (والبُرْجمي) أي عبد الحميد بن أبي صالح البُرجمي، يروي عن أبي بكر بن عياش وهو يروى عن عاصم (بضم الياء) مبنيًا

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ صفة أي حميمًا مبصرين معرفين إياهم، أو مستأنف كأنه لما قال ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ قيل: لعله لا يبصره. فقيل: يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم. والواو ضمير الحميم الأول و«هم» ضمير الحميم الثاني أي يبصر الأحماء **(الأحِمّاء)** فلا يخفون عليهم. وإنما جمع الضميران وهما للحميمين لأن فعيلًا يقع موقع الجمع ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى المشرك وهو مستأنف، أو حال من الضمير المرفوع، أو المنصوب من ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ **(وبالفتح: مدني وعليّ على البناء للإضافة إلى غير متمكن)** ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وزوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ﴾ **(وعشيرته)** الأدنين ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ تضمه **(انتماء)** إليها. **(وبغير همز: يزيد)**.

للمفعول ونائبه حميم و﴿حَمِيمًا﴾ نصب بنزع الخافض عن والباقون بفتح الياء مبنيًا للفاعل.

قوله: **(الأحِمّاء)** جمع حميم كشديد وأشداء. **قوله**: **(وبالفتح)** أي بفتح الميم **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وعليّ)** الكسائيّ **(على البناء للإضافة إلى غير متمكن)** المبنى وحاصله أنه اكتسب البناء من المضاف إليهْ وهو كلمة إذ وتنوينه عوض عن المضاف إليه والباقون بكسرها إجراء لليوم مجرى الأسماء فأعرب وإن أضيف إلى إذ لجواز انفصاله عنها. **قوله**: **(وعشيرته)** وهي القبيلة وهم بنو أب واحد، والفصيلة في الأصل القطعة المفصولة ويُطلق على الآباء الأقربين وعلى الأم لأن الولد يكون مفصولًا من الأبوين فلما كان الولد مفصولًا منهما كانا مفصولين منه أيضًا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الأقربون لتقدم قوله: ﴿بِبَنِيهِ﴾. **قوله**: **(انتماء)** أي نسبة. **قوله**: **(وبغير همز: يزيد)** أي أبدل أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة همزة ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ واوًا ساكنة فجمع بين الواوين الأصلية والمبدلة بلا إدغام والباقون بالإظهار. ويوقف عليه لحمزة بالإبدال بلا إدغام وبالإدغام وهما في الشاطبية وغيرها.

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الناس ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الافتداء عطف على ﴿يَفْتَدِى﴾ ﴿كَلَّآ﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ﴿إِنَّهَا﴾ إن النار، ودلّ ذكر العذاب عليها، أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة ﴿لَظَىٰ﴾ علم للنار (﴿نَزَّاعَةً﴾ **حفص والمفضل على الحال المؤكدة، أو على الاختصاص**) للتهويل. وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لـ «إن» أو على «هي نزاعة» ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين، أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتفرقها ثم تعود إلى ما كانت ﴿تَدْعُواْ﴾ بأسمائهم يا كافر يا منافق إليّ إليّ، أو تهلك من قولهم دعاك الله أي أهلكك، أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ من الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ فجعله في وعاء ولم يؤد حقّ الله منه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أريد به الجنس ليصحّ استثناء المصلّين منه ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: تفسيره ما بعده ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ والهلع: سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير. وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر (**ثعلبًا**) عن الهلع فقال: قد فسّره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شرّ أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله

قوله: (﴿نَزَّاعَةً﴾ **حفص**) بن سليمان (**والمفضل**) بن محمد (**على الحال المؤكّدة**) أي من ﴿لَظَىٰ﴾ لأن لظى بمعنى جهنم لا تكون إلا نزاعة فلا معنى للحال إلا على وجه التأكيد كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٦] (**أو على الاختصاص**) أي منصوب بأعني أو أخصّ. قوله: (**لأطراف**) أي الأعضاء.

قوله: (**ثعلبًا**) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار كان إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار، وروى عنه الأخفش

خير بخل به ومنعه الناس، وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه. والشر: الضرّ والفقر. والخير: السعة والغنى أو المرض والصحة.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي صلواتهم الخمس ﴿دَآئِمُونَ﴾ أي يحافظون عليها في مواقيتها. وعن ابن مسعود ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ يعني الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ الذي يسأل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذي يتعفّف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾ أي يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خائفون. واعترض بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ بالهمز: سوى أبي عمرو أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغي أن يكون مترجحًا بين الخوف والرجاء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ نسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي إمائهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ على ترك الحفظ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ طلب منكحًا ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي غير الزوجات والمملوكات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ المتجاوزون عن الحلال

الأصغر وأبو بكر بن الأنباريّ وأبو عمر الزاهد وغيرهم وكان ثقة حجة صالحًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم مقدمًا عند الشيوخ منذ هو حدث وكان ابن الأعرابي إذا شكّ في شيء قال له: ما تقول يا أبا العباس في هذا ثقة بغزارة حفظه، توفي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادي الأولى، وقيل: لعشرٍ خلون منها سنة إحدى وتسعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب الشام رحمه الله تعالى.

والحرام. **(وهذه الآية تدلّ على حرمة المتعة)** ووطء **(الذكران والبهائم والاستمناء بالكفّ)**.

قوله: (وهذه الآية تدلّ على حرمة المتعة) معناها المشهور أن يوجد عقدًا على امرأة لا يُراد به مقاصد عقدة النكاح من القرار للولد وتربيته بل إلى مدة معينة ينتهي العقد بانتهائها أو غير معينة بمعنى بقاء العقد ما دام معها إلى أن ينصرف عنها فلا عقد فيدخل فيه بمادّة[1] المتعة والنكاح المؤقت أيضًا فيكون من إفراد المتعة وإن عقد بلفظ التزويج وأحضر الشهود وتحريم المتعة كان في حجة الوداع وكان تحريم تأبيد لا خلاف فيه بين الأئمة وعلماء الأمصار إلا طائفة من الشيعة ونسبة الجواز إلى مالك رضي الله تعالى عنه كما وقع في الهداية غلطٌ.

قوله: (الذكران) في المصباح الذكر خلاف الأنثى والجمع ذكور وذكورة وذكارة وذكران. اهـ.

قوله: (والبهائم) في المصباح البهيمة كل ذات أربع من دواب البحر والبر وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة والجمع البهائم. اهـ. **قوله: (والاستمناء بالكفّ)** في الدرّ المختار في كتاب الصوم ولو خاف الزنى يرجى أن لا وبال عليه انتهى.

وفي الطحطاوي قوله: ولو خاف الزنى مثله اللواط ولم يجد مَن يحل له وطئه. اهـ. **وفي ردّ المحتار** قوله: ولو خاف الزنى... الخ الظاهر أنه غير قيد بل لو تعيّن الخلاص من الزنى به وجب لأنه أخف، وعبارة الفتح فإن غلبته الشهوة ففعل إرادة تسكينها به فالرجاء أن لا يعاقب. اهـ. زاد في معراج الدراية وعن أحمد والشافعي في القديم الترخص فيه وفي الجديد يحرم. اهـ. وفي السراج إن أراد بذلك تسكين الشهوة المفرطة الشاغلة للقلب وكان عزبًا لا زوجة له ولا أمة أو كان إلّا أنه لا يقدر على الوصول إليها لعذر. قال أبو الليث: أرجو أن لا وبال عليه وأما إذا فعله لاستجلاب الشهوة فهو آثم. اهـ.

---

(١) أي م ت ع ١٢ منه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ (﴿لأمانتهم﴾ **مكيّ**)، وهي تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان ﴿رَٰعُونَ﴾ حافظون غير خائنين ولا ناقضين. وقيل: الأمانات ما تدلّ عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ (﴿**بشهادتهم**﴾ **سهل**). وبالألف: (**حفص ويعقوب**). ﴿قَآئِمُونَ﴾ يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف وترجيح للقوي على الضعيف إظهارًا للصلابة في الدين ورغبة في إحياء حقوق المسلمين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ كرّر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم، أو لأن إحداهما للفرائض والأخرى للنوافل. وقيل: الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها أن لا تضيع عن مواقيتها، أو الدوام عليها أداؤها في أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أصحاب هذه الصفات ﴿فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ هما خبران.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَمَالِ﴾ كتب مفصولًا اتباعًا لمصحف عثمان ﷺ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ نحوك معمول ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ عن يمين النبيّ ﷺ وعن شماله ﴿عِزِينَ﴾ حال أي فرقًا شتّى (**جمع عزة وأصلها عزوة**) كأن

قوله: (﴿**لأمانتهم**﴾) بغير ألف بعد النون على التوحيد (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ، والباقون بالألف على الجمع. **قوله**: (﴿**بشهادتهم**﴾ **حفص**) بالألف بعد الدال على الجمع اعتبارًا بتعدد الأنواع (**وسهل**) بن محمد (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة والباقون بغير الألف على التوحيد إذ المراد الجنس.

قوله: (**جمع عزة**) وهي الفرقة من الناس. **قوله**: (**وأصلها عزوة**) فلامها واو من عزوته بمعنى نسبة وأصل العزو الضم لأن المنسوب مضموم للمنسوب إليه نبّه به على أن القول بأن لامها ياء أو هاء ضعيف فحذف الواو للتخفيف فصار عزة له بتخفيف الزاء.

كل فرقة (تعتزي) إلى غير مَن تعتزىٰ إليه الأخرى فهم مفترقون. كان المشركون يحتفّون حول النبيّ ﷺ (حلقًا) حلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء: سوى (المفضل) ﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كالمؤمنين.

﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنّة ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي من النطفة (المذرة) لذلك أبهم إشعارًا بأنه (منصب) يستحيا من ذكره، فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم، ويقولون لندخلن الجنّة قبلهم؟ أو معناه: إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنّة إلا بالإيمان فلم يطمع أن يدخلها مَن لا إيمان له.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ مطالع الشمس ﴿وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ ومغاربها ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ فدع المكذبين ﴿يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب ﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَهُمُ﴾ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضمّ الراء: سوى الأعشىٰ ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع حال أي إلى الداعي

قوله: (تعتزي) أي تنسب. **قوله**: (حلقًا) قيل: إنه بفتح الحاء وكسرها، وقيل: فتحها في الدرع وكسرها في الناس. **قوله**: (المفضل) بن محمد يروي عن عاصم.

قوله: (المَذِرة) أي القَذِرة. **قوله**: (مَنْصِب) أي أصل.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال (﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾ شامي وحفص وسهل ﴿نُصْب﴾ المفضل. ﴿نَصْب﴾) غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون ﴿خَٰشِعَةً﴾ حال من ضمير ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعني لا يرفعونها لذلتهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى (كَانُوا۟ يُوعَدُونَ)﴾ في الدنيا وهم يكذبون به.

قوله: (﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾) بضمتين (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (**وحفص وسهل**) بن محمد وليس من السبعة (﴿نُصْب﴾) بالضم فالسكون (**المفضّل**) بن محمد (﴿نَصْب﴾) بالفتح فالسكون غيرهم. **عبارة تفسير النيسابوري** رحمه الله ﴿نُصُبٍ﴾ بضمتين ابن عامر وسهل وحفص ﴿نُصْبٍ﴾ بالضم فالسكون المفضّل الباقون بالفتح فالسكون. انتهت بحروفها. **قوله**: (﴿كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾) أي يوعدونه فحذف العائد من الصلة إلى الموصول.

تمّت سورة المعارج والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة نوح)

(عليه الصلاة والسلام، مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ قيل: معناه (بالسريانيّة) الساكن ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة نوح، عليه الصلاة والسلام، مكية**) بالاتفاق (**وهي ثمان وعشرون آية**) ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرف.

وقوله: (**ثمان**) بكسر النون إن أعلّ إعلال قاض فيكون منقوصًا وإعرابه على الياء المحذوفة وبرفع النون إن حذفت الياء اعتباطًا وتخفيفًا لا لعلّة تصريفية فيكون كيد ودم.

قوله: (**بالسريانية**) **في المزهر في علوم اللغة** أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس أن آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلّم بالسريانية، فلما تاب ردّ الله عليه العربية قال عبد الملك بن حبيب: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيًا إلى أن بعد العهد وطال حرّف وصار سريانيًّا وهو منسوب إلى أرض سورنه وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق، قال: وكان يشاكل اللسان العربي إلّا أنه محرّف وهو

خوّف **(أصله بأن** ﴿أَنذِرْ﴾) فحذف الجار وأوصل الفعل. ومحله عند **(الخليل)** جرّ، وعند غيره نصب، أو «أن» مفسّرة بمعنىٰ «أي» لأن في الإرسال معنىٰ القول ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذاب الآخرة أو الطوفان.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ أضافهم إلى نفسه إظهارًا للشفقة ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ مخوف ﴿مُّبِينٌ﴾ أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدوه و«أن» هذه نحو ﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ **(في الوجهين)** ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ واحذروا عصيانه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه، وإنما إضافة إلى نفسه لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالىٰ بخلاف العبادة ﴿يَغْفِرْ لَكُم﴾ جواب الأمر ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ للبيان كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: الآية ٣٠]. أو للتبعيض لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره كذا في شرح التأويلات. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت موتكم ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ أي الموت ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لو كنتم تعلمون ما يحلّ بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم. قيل: إن الله تعالى قضىٰ مثلًا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمىٰ أي تبلغوا ألف سنة، ثم أخبر أن الأجل إذا جاء لا يؤخّر كما يؤخر هذا الوقت. وقيل: إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام، فكأنه عليه السلام أمّنهم من ذلك ووعدهم أنهم

كان لسان جميع مَن في سفينة نوح إلّا رجلًا واحدًا يقال له: جرهم فكان لسانه لسان العربي الأول. اهـ. **قوله**: **(أصله بأن** ﴿أَنذِرْ﴾) ولما كان فعل الإرسال لا يتعدّى إلى مفعول ثانٍ بدون توسط حرف الجر قدر الباء الجارّة فحذف الجار وأوصل الفعل فمحل ﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ النصب على نزع الخافض أو الجر على إرادته. **قوله**: **(الخليل)** بن أحمد كان إمامًا في النحو وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب.

قوله: **(في الوجهين)** يعني المصدرية والتفسيرية لأن الإنذار يتضمن معنى القول.

بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا أي أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾ (دائبًا) بلا فتور ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾ عن طاعتك، ونسب ذلك إلى دعائه لحصوله عنده وإن لم يكن الدعاء سببًا للفرار في الحقيقة وهو كقوله: ﴿(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا) إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]. والقرآن لا يكون سببًا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقول: احذر هذا فلا يغرّنك فإن أبي قد وصّاني به ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان بك ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ سدّوا مسامعهم لئلّا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ وتغطّوا بثيابهم لئلّا يبصروني كراهة النظر إلى وجه مَن ينصحهم في دين الله ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ وأقاموا على كفرهم ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾ وتعظموا عن إجابتي، وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ مصدر في موضع الحال أي مجاهرًا، أو مصدر دعوتهم كـ «قعد (القرفصاء)» **لأن الجهار أحد نوعي الدعاء)** يعني أظهرت لهم الدعوة في المحافل ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ أي خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر، فالحاصل أنه دعاهم ليلًا ونهارًا في السر، ثم دعاهم جهارًا،

قوله: (دائبًا) أي دائمًا. **قوله**: (﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾) ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: الآية ١٢٥] أي كفرًا.

قوله: (**القرفصاء**) بضم قاف وسكون راء وضم فاء بمدّ وقصر هي جلسة المحتبي بيديه والاحتباء أن يجلس بحيث يكون ركبتاه منصوبتين وبطنا قدميه موضوعين على الأرض ويداه موضوعتين على ساقيه. **قوله**: (**لأن الجهار أحد نوعي الدعاء**) فيكون مفعولًا مطلقًا بغير لفظه نوعيًا.

ثم دعاهم في السر والعلن، وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدىء بالأهون ثم بالأشد فالأشد، فافتتح بالناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان. و«ثُم» تدلّ على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك لأن الاستغفار طلب المغفرة، فإن كان المستغفر كافرًا فهو من الكفر، وإن كان عاصيًا مؤمنًا فهو من الذنوب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ لم يزل غفارًا لذنوب مَن ينيب إليه ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ (**كثيرة الدرور**) ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنّث ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ يزدكم أموالًا وبنين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ جارية لمزارعكم وبساتينكم، وكانوا يحبون الأموال والأولاد فحرّكوا بهذا على الإيمان. وقيل: لما كذّبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله (**الخصب**) ورفع عنهم ما كانوا فيه. وعن عمر ﷺ أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد استسقيت (**بمجاديح السماء**) التي يستنزل بها المطر. شبه عمر الاستغفار (**بالأنواء**) الصادقة التي لا تخطىء وقرأ الآيات. وعن الحسن أن رجلًا شكا إليه الجدب فقال: استغفر الله. وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلّة النسل،

قوله: (**كثيرة الدرور**) أي السيلان. **قوله**: (**الخصب**) في المصباح الخصب وزان حمل النماء والبركة وهو خلاف الجدب. اهـ. **قوله**: (**بمجاديح السماء**) واحدها مجدح وهو نجم من النجوم، وقيل: هو الدَّبران، وقيل: هي ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيهًا بالمجدح الذي له شعب وهي عند العرب من الأنواء الدالّة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبّهًا بالأنواء مخاطبًا لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون أن من شأنها المطر لا أنه يقول بالأنواء. **قوله**: (**بالأنواء**) جمع نَوْءٍ بفتح نون وسكون واو فهمزة زعموا أن المطر لأجل أن الكواكب ناء أي غاب أو طلع.

وآخر قلّة (ريع أرضه)، فأمرهم كلهم بالاستغفار. فقال له (الربيع بن صبيح): أتاك رجال يشكون أبوابًا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ لا تخافون لله عظمة. (عن الأخفش) قال: والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفًا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة.

قوله: (ريع أرضه) في **المصباح** الريع الزيادة والنماء. اهـ غَلّة أرضه لأنه زيادة. **قوله:** (الربيع بن صبيح) بفتح المهملة السعدي البصري صدوق وكان عابدًا مجاهدًا. قال الرامهرمزي هو أول مَن صنّف الكتب بالبصرة مات سنة ستين رحمه الله.

قوله: (عن الأخفش) الأخافش ثلاثة أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه وهو الأخفش الأكبر والثاني أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة تلميذ سيبويه وهو الأخفش الأوسط. والثالث أبو الحسن عليّ بن سليمان تلميذ المبرِّد وهو الأخفش الأصغر وحيث يطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيدوه. وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلّا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه. وحكى أبو الغباس ثعلب عن آل سعيد بن سالم، قالوا: دخل الفرّاء على سعيد المذكور فقال لنا قد جاءكم سيّد أهل اللغة وسيّد أهل العربية. فقال الفرّاء: أما ما دام الأخفش يعيش فلا، وله من الكتب المصنفة كتاب الأوسط في النحو وكتاب تفسير معاني القرآن وكتاب المقاييس في النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافي وكتاب معاني الشعر وكتاب الملوك وكتاب الأصوات وكتاب المسائل الكبير وكتاب المسائل الصغير وغير ذلك. وكان أجلع والأجلع الذي لا ينضم شفتاه على أسنانه. والأخفش الصغير العينين مع سوء بصرهما وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى وكان يقال له الأخفش الأصغر فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضًا صار هذا وسطًا.

(أو لا تأملون له توقيرًا) أي تعظيمًا. والمعنىٰ ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ في موضع الحال أي ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم أطوارًا أي تارات وكرّاتٍ خلقكم أولًا نطفًا ثم خلقكم علقًا ثم خلقكم مضغًا ثم خلقكم عظامًا ولحمًا، نبّههم أولًا على النظر في أنفسكم لأنها أقرب، ثم على النظر في العالم وما سوّى فيه من العجائب الدالّة على الصانع بقوله:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ بعضًا على بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ أي في السمٰوات وهو في السماء الدنيا، لأن بين السمٰوات ملابسة من حيث إنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن كما يقال: في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها. وعن ابن عباس وابن عمر ﷺ: أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السمٰوات، وظهورهما مما يلي الأرض، فيكون نور القمر محيطًا بجميع السمٰوات لأنها لطيفة لا تحجب نوره ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مصباحًا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، وضوء الشمس أقوى من نور القمر، وأجمعوا على أن الشمس في السماء الرابعة ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أنشأكم **(استعير الإنبات للإنشاء)**

قوله: **(أو لا تأملون له توقيرًا)** على أن الرجاء على أصله وهو الأمل والطمع في حاشية العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب الرجاء يكون بمعنى التأميل وبمعنى الخوف وكلاهما جائز هنا.اهـ. والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم.

قوله: **(استعير الإنبات للإنشاء)** استعارة أصلية ثم اشتقّ من الإنبات المستعار لفظ ﴿أَنْبَتَكُمْ﴾ فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذّر حمله على الحقيقة لأن الإنبات إخراج فروع ما رسخ عروقه في الأرض ولا شك أن إيجاد الإنسان ليس على هذا الوجه وإنشاء بني آدم من الأرض إما بواسطة إنشاء أبيهم آدم عليه السلام منها أو من حيث إنه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولّدة من

﴿نَبَاتًا﴾ (**فنبتم** ﴿نَبَاتًا﴾) ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعد الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِخْرَاجًا﴾ أكده بالمصدر أي أيّ إخراج.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ (**مبسوطة**) ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا﴾ لتتقلبوا عليها كما يتقلّب الرجل على بساطه ﴿سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة أو مختلفة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ أي الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد (﴿وَوُلْدُهُ﴾ **مكي وعراقي غير عاصم وهو جمع ولد**) كأسد وأسد ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ في الآخرة ﴿وَمَكَرُوا﴾ معطوف على ﴿لَمْ يَزِدْهُ﴾ وجمع الضمير وهو راجع إلى «مَن» لأنه في معنى الجمع. والماكرون هم الرؤساء،

الغذاء المتولدّ من النبات المتولّد من الأرض والنكتة في العدول إلى المجاز كون الإنبات أدلّ على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتًا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات. **قوله**: (**فنبتم** ﴿نَبَاتًا﴾) يعني أن نباتًا منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة ﴿أَنبَتَكُم﴾ عليه التزامًا فإن النبات لازم للإنبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه.

قوله: (**مبسوطة**) أي لا مسنمة.

قوله: (﴿وَوُلْدُهُ﴾) بضم[(١)] الواو الثانية وإسكان اللام (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وعراقيّ غير عاصم**) إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة، قيل عراقي أي أبو عمرو (بصري) وسهل (بصري) ويعقوب (بصري) وحمزة (كوفي) وعليّ (كوفي) وخلف (كوفي). وقرأ الباقون أي نافع (مدني) وابن عامر (شامي) وعاصم وأبو جعفر (مدني) بفتح الواوين واللام. **قوله**: (**وهو جمع ولد**) بفتحهما.

---

(١) وكسر الواو شاذ ١٢ منه.

ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح **(وتحريش الناس)** على أذاه وصدّهم عن الميل إليه ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ عظيمًا **(وهو أكبر من الكبار وقرىء به وهو أكبر من الكبير)**.

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الرؤساء لسفلتهم ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ على العموم أي عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ **(بفتح الواو وضمّها وهو قراءة نافع)**، لغتان: صنم على صورة رجل ﴿وَلَا سُوَاعًا﴾ هو على صورة امرأة ﴿وَلَا يَغُوثَ﴾ هو على صورة أسد ﴿وَيَعُوقَ﴾ هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين، وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين ﴿وَنَسْرًا﴾ هو على صورة نسر أي هذه الأصنام الخمسة على الخصوص، وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصّوها بعد العموم، وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب؛ فكان ودّ **(لكلب)**، وسواع **(لهمدان)**، ويغوث **(لمذحج)**، ويعوق **(لمراد)**، ونسر

قوله: (وتحريش[1] الناس) أي حملهم.

قوله: (وهو أكبر من الكبار وقرىء به وهو أكبر من الكبير) يعني أن كبار بالضم والتشديد من أوزان المبالغة أبلغ من كبار بالضم والتخفيف كما أن المخفف أبلغ من كبير ونحوه طوال وطوال وطويل والتثقيل هي القراءة المشهورة والتخفيف شاذّ. **قوله: (وقرىء به)** قراءة عيسى وأبو السمال وابن محيصن.

قوله: (بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع) عبارة الخطيب قرأ نافع بضم الواو والباقون بفتحها. **قوله: (لكلب) في الصحاح ولسان العرب** كلب حيّ من قضاعة. اهـ. **قوله: (لهمدان)** بسكون الميم **في الصحاح ولسان العرب** هَمْدَانُ قبيلة من اليمن. اهـ. **قوله: (لمذحج)** بفتح الميم وسكون الذال المعجّمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم معجّمة على وزن مسجد وهو أبو قبيلة من اليمن وهو مَذْحِجُ بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. **قوله: (لمراد)** كغراب وهو أبو قبيلة من اليمن وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ وكان اسمه يحابر فتمرّد

---

(١) بالحاء المهملة والشين المعجمة بمعنى الإغراء والتحريض ١٢ منه..

(لحمير). وقيل: هي أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح، فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة، فلما طال الزمان قال لهم إبليس: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ أي الأصنام كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٦] ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس أو الرؤساء ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ عطف على ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد ﴿قَالَ﴾ وبعد الواو **(النائبة عنه)**، ومعناه قال رب إنهم عصوني وقال: لا تزاد الظالمين أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولًا ﴿قَالَ﴾ ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ هلاكًا كقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ (**﴿خطاياهم﴾ أبو عمرو**) أي ذنوبهم ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ عظيمة وتقديم ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ لبيان أن لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم في النيران إلا من أجل خطيئاتهم. وأكد هذا المعنى بزيادة «ما» وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا، فإن كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم، وإن كانت كبراهن والفاء في ﴿فَأُدْخِلُوا﴾ للإيذان بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلًا على إثبات عذاب القبر ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله.

فسمي مرادًا وهو فُعَال على هذا القول. **قوله**: (لِحميرٌ) بكسر فسكون وهو أبو قبيلة من اليمن وهو حِمْيَر بن سبأ بن يشجُب بن يَعربُ بن قحطانَ.

قوله: **(النائبة عنه)** أي عن لفظ قال: **قوله**: (﴿تَبَارًا﴾) هلاكًا.

قوله: (**﴿خطاياهم﴾**) بفتح الطاء وبعدها ألف وبعد الألف ياء وبعد الياء ألف وضم الهاء على وزن قضاياهم (أبو عمرو) وقرأ الباقون ﴿خَطِيئَاتِهِمْ﴾ بكسر الطاء وبعدها ياء تحتية ساكنة وبعد الياء همزة مفتوحة بعدها ألف وبعد الألف تاء

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ أي أحدًا يدور في الأرض وهو فيعال من الدور **(وهو من الأسماء المستعملة في النفي العام)** ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ ولا تهلكهم ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ يدعوهم إلى الضلال ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ إلا مَن إذا بلغ فجر وكفر وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: الآية ٣٦].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مسلمين واسم أبيه **(لمك)**، واسم أُمه **(شمخى)**، وقيل: هما آدم وحواء **(وقرىء «ولولَدَيّ» يريد سامًا وحامًا)** ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا﴾ لأنه علم أن مَن دخل بيته مؤمنًا لا يعود إلى الكفر ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة. خصّ أولًا مَن

فوقية مكسورة وكسر الهاء على وزن قضياتهم وكل واحد من لفظ الخطايا والخطيئات جمع خطيئة إلا أن الأول جمع تكسير والثاني جمع سلامة.

قوله: (وهو من الأسماء المستعملة في النفي العام) إشارة إلى الأمرين الأول أنه لا يستعمل في الإثبات، والثاني أنه لا يستعمل في النفي الخاص.

قوله: (لمك) بفتح اللام والميم وفي جامع الأصول والإتقان أنه ساكن الميم، وفيه لغة أخرى لامك كهاجر بن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقيّة وفتح الواو وسكون الشين المعجّمة وكسر اللام وبالخاء المعجّمة كما في جامع الأصول. وفي الإتقان أنه بفتح الميم وتشديد التاء المضمومة وسكون الواو وفتح الشين واللام. **قوله:** (شمخى) بالشين والخاء المعجمتين بوزن سكرى بنت أنوش بالإعجام بوزن قبول. **قوله:** (وقرىء «ولولديّ») تثنية ولد يعني ابنيه **(يريد سامًا وحامًا)**. قرأه الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي. قيل: كان لنوح عليه الصلاة والسلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فلما استوت

يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه، ثم عمَّ المؤمنين والمؤمنات ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا فأهلكوا. قال ابن عباس ﵄: دعا نوح ﵇ بدعوتين: إحداهما للمؤمنين بالمغفرة، وأخرى على الكافرين بالتبار، وقد أجيبت دعوته في حق الكفار بالتبار فاستحال أن لا تستجاب دعوته في حقّ المؤمنين. واختلف في صبيانهم حين أغرقوا فقيل: أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا. وقيل: علم الله براءتهم (**فأهلكوا بغير عذاب**) والله أعلم.

سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على الجودي وخرج من السفينة بمن معه مات مَن كان معه من الرجال والنساء إلا هذه الأولاد الثلاثة فتناسلوا وتوالدوا فالناس كلهم بعد طوفان نوح عليه السلام لم يتناسلوا إلا منهم فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب والسند والهند والنوبة والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك. **قوله**: (**فأهلكوا بغير عذاب**) كما يموتون بسائر الأسباب فكم من صبي يموت بالغرق والحرق والهدم وغيرها، وكان ذلك زيادة في تعذيب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام في مثله: يهلكون مهلكًا واحدًا ويصدرون مصادر شتى.

تمّت سورة نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام
والحمد لله ربّ العالمين

(سورة الجنّ)

(مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأمتك ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ أن الأمر والشأن. أجمعوا على فتح ﴿أَنَّهُ﴾ لأنه فاعل ﴿أُوحِيَ﴾ و﴿أن لو استقاموا﴾ و﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ للعطف على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ فـ ﴿أَن﴾ مخفّفة من الثقيلة و﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ لتعدّي «يعلم» إليها، وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لأنه مبتدأ محكي بعد القول، (**واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من** ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ **إلى** ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ **ففتحها شامي**) وكوفي (**غير أبي بكر**) عطفًا على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ أو على محل الجار والمجرور في «آمنا به» تقديره: صدقناه وصدقنا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الجنّ**) وتُسمى سورة قل أوحي إلي (**مكيّة، وهي ثمان وعشرون آية**) لا خلاف في كونها مكيّة ولا في عدد آياتها ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفًا. **قوله**: (**واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من** ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ **إلى** ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾) وجملته اثنا عشر (**ففتحها شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ وكوفيَ (**غير أبي بكر**) أي حفص وحمزة والكسائي وخلف بن هشام

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إلى آخرها، (**وكسرها غيرهم عطفًا على** ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا﴾) وهم يقفون على آخر الآيات ﴿ٱسۡتَمَعَ (نَفَرٌ﴾ **جماعة من الثلاثة إلى العشرة**) ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ (**جن نصيبين**) ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبيّ ﷺ في صلاة الفجر ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾ عجيبًا بديعًا مباينًا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه. والعجب ما يكون خارجًا عن العادة، وهو مصدر وضع موضع العجيب.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ۝٤﴾

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعوا إلى الصواب أو إلى التوحيد والإيمان ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ بالقرآن. ولما كان الإيمان به إيمانًا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا: ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ من خلقه، وجاز أن يكون الضمير في ﴿بِهِۦۖ﴾ لله تعالىٰ لأن قوله: ﴿بِرَبِّنَآ﴾ يفسره. ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته. يقال: جد فلان في عيني أي عظم، ومنه قول عمر أو أنس: كان الرجل إذ قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم في عيوننا ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدٗا﴾ كما يقول كفار الجن والإنس ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا أو إبليس إذ ليس فوقه سفيه ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا﴾ كفرًا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت، أو قولًا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه، والشطط مجاوز الحد في الظلم وغيره.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ۝٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ۝٧﴾

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥﴾ قولًا كذبًا، أو مكذوبًا فيه، أو نصب على المدر إذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا أن أحدًا لن

البزاز وليس من السبعة وله اختيار. قوله: (**وكسرها غيرهم عطفًا على** ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا﴾) فيكون الكل مقولًا للقول. قوله: (﴿نَفَرٌ﴾ جماعة من الثلاثة إلى العشرة) فإطلاقه على ما فوق العشرة يكون مجازًا كإطلاق جمع القلّة على ما فوق العشرة فإنه مجاز. اهـ قنوي. قوله: (جن نصيبين) هي قرية من اليمن وجنها أشرف الجن وساداتهم.

يكذب على الله بنسبة الصاحبة الولد إليه فكنّا نصدقهم فيما أضافوا إليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم؛ كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوف من الأرض قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ﴾ أي زاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ طغيانًا وسفهًا وكبرًا أن قالوا: سدنا الجن والإنس أو فزاد الجن الإنس رهقًا إثمًا لاستعاذتهم بهم، وأصل الرهق غشيان المحظور ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأن الجن ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت أي أن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم، ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقرّوا بالبعث فهلا أقررتم كما أقرّوا.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ **(طلبنا بلوغ السماء)** واستماع أهلها، واللمس. المسّ فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ جمعًا أقوياء من الملائكة يحرسون: جمع حارس، ونصب على التمييز. **(وقيل: الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام)** ولذا **(وصف بشديد ولو نظر إلى معناه لقيل: شدادًا)** ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب أي كواكب مضيئة.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء قبل هذا ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث ﴿فَمَن

قوله: (طلبنا بلوغ السماء) أي السماء الدنيا. **قوله: (وقيل: الحَرَس)** بفتحتين **(اسم مفرد في معنى الحراس)** أي في معنى الجمع وهو الحراس فإنه جمع حارس وهو الحافظ **(كالخدم في معنى الخدام)** أي كما أن الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم (ولذا) أي ولكونه مفرد اللفظ (وصف بشديد **ولو نظر إلى معناه** لقيل: شدادًا) ويخدشه أن اسم الجمع كالجمع يطلق على الثلاثة وما فوقها فشديد لكونه فعيلًا يستوي فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث فوصفه به لا يدلّ على كونه اسم جمع مع أن النزاع المذكور لا طائل تحته وإنما يتعيّن كونه اسم جمع لو لم يوجد هذا الوزن من أبنية الجمع، وليس كذلك كخدم جمع خادم. اهـ قنوي.

﴿يَسْتَمِعِ﴾ يرد الاستماع ﴿ٱلْآنَ﴾ بعد المبعث ﴿يَجِدْ لَهُۥ﴾ لنفسه ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ **(صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾ بمعنىٰ الراصد)** أي يجد شهابًا راصدًا له ولأجله، **(أو هو اسم جمع للراصد)** على معنىٰ ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع، والجمهور على أن ذلك لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ. وقيل: كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات فمنعوا من الاستراق أصلًا بعد مبعث النبيّ ﷺ.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ﴾ عذاب ﴿أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعدم استراق السمع ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا ورحمة ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ الأبرار المتّقون ﴿وَمِنَّا﴾ قوم ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا غير الصالحين ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة. والقدد **(جمع قدّة)** وهي القطعة **(من قددت السير)** أي قطعته ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أيقنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ لن نفوته ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حال أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء، وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم.

قوله: (صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾ بمعنى الراصد) على أن يكون الشهاب بمعنى المضيء المتولّد من نار الكوكب ويكون رصدًا مصدرًا بمعنى فاعل ومنصوبًا على أنه صفة ﴿شِهَابًا﴾ أي راصدًا له ولأجله فإن الشهاب لما كان معدًّا له صار كأنه راصد له مراقب إياه ليهلكه. **قوله: (أو هو اسم جمع للراصد)** كالحرس ويكون شهابًا بمعنى ملائكة ذوي شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدًا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوي شهاب راصدين إياه ليرجموه بما معهم من الشهب.

قوله: (جمع قدّة) بالكسر. **قوله: (من قددت السير)** في المصباح السير الذي يقدّ من الجلد جمعه سيور مثل فلس وفلوس. اهـ.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ فهو لا يخاف مبتدأ وخبر ﴿بَخْسًا﴾ نقصًا من ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي ولا ترهقه ذلّة من قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٧] وقوله: (﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾)[يونس: الآية ٢٦]. وفيه دليل على أن العمل ليس من الإيمان ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ المؤمنون ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق، (**قسط: جار وأقسط عدل**)﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ طلبوا هدى والتحرّي طلب الأحرى أي الأولى ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟﴾ في علم الله ﴿لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقودًا، وفيه دليل على أن الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة يعني وأنه وهي من جملة الموحى أي أوحى إلى أن الشأن ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أي القاسطون ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ كثيرًا، والمعنى لوسعنا عليهم الرزق، وذكر الماء الغدق لأنه سبب سعة الرزق ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما (**خوّلوا**) منه ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن أو التوحيد أو العبادة (﴿يَسْلُكْهُ﴾ **بالياء: عراقي غير أبي عمرو**)

قوله: (﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾)يغشى (﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾)سواد (﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾)كآبة.
قوله: (**قسط: جار وأقسط عدل**)فقسط الثلاثي بمعنى جار وأقسط الرباعي بمعنى عدل. رُوِيَ أن الحجّاج قال لسعيد بن جبير: ما تقول في قال إنك قاسط عادل، فقال الحاضرون: ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل. فقال الحجاج: يا جهلة جعلني جائرًا كافرًا وتلا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾، ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١].

قوله: (**خُوّلوا**)أي أعطوا. **قوله:** (﴿يَسْلُكْهُ﴾ **بالياء: عراقي غير أبي عمرو**)إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي. **وعبارة تفسير النيسابوري**

يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقًّا مصدر صعد يقال: صعد صعدًا وصعودًا، فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه، ومنه قول عمر ﷺ: **(ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح)**. أي ما شقّ عليّ.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ من جملة الموحى أي أوحي إلى أن المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله. وقيل: معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بـ «لا تدعوا» أي ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ في المساجد لأنها خالصة لله ولعبادته. وقيل: المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمد عليه السلام إلى الصلاة وتقديره وأوحي إلى أنه لما قام عبد الله ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبيّ الله أو رسول الله لأنه من أحب الأسماء إلى النبيّ ﷺ، ولأنه لما كان واقعًا في كلامه ﷺ عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع، أو لأن عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه

﴿يَسْلُكْهُ﴾ على الغيبة عاصم وحمزة وعليّ وخلف وسهل ويعقوب الباقون بالنون. انتهت بحروفها.

قوله: (ما تَصَعَّدَني شيء ما تصَعَّدتني خطبة النكاح) أي ما صَعُب عليّ من الصعود وهي العقبة كقولهم: تكأده من الكؤود ما الأولى للنفي والثانية مصدريّة أي مثل تصعد الخطبة إياي. قال الجاحظ: سُئِلَ ابن المقفّع عن قول عمر رضي الله تعالى عنه فقال: ما أعرفه إلّا أن يكون لقرب الوجوه من الوجوه ونظر الحِداق[١] في أجواف الحداق ولأنه إذا كان جالسًا معهم كانوا نظراء وأكفّاء وإذا علا المنبر كانوا سُوْقة رعيّة. كذا في الفائق في غريب الحديث للعلّامة محمود بن عمر الزمخشري.

---

(١) أي نظر بعضهم إلى بعض.

(﴿لِبَدًا﴾) ﴿كَادُوا﴾ كاد الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ **(جماعات جمع لبدة)** تعجبًا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجابًا بما تلاه من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ وحده (﴿قَالَ﴾) **غير (عاصم)** وحمزة ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون علي؟

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ مضرّة ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ نفعًا، أو أراد بالضرّ الغيّ بدليل قراءة أبي «غيا ولا رشدا» يعني لا أستطيع أن أضرّكم وأن أنفعكم لأن الضارّ والنافع هو الله. ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ لن يدفع عنى عذابه إن عصيته كقول صالح عليه السلام: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [هود: الآية ٦٣] ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء من ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ أي لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا إلا بلاغًا من الله و﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى﴾ اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان

قوله: (﴿لِبَدًا﴾) بكسر اللام وفتح الباء المخفّفة **(جماعات جمع لبدة)** بكسر اللام وسكون الموحّدة كقربة وقرب واللبدة الشيء المتلبّد أي المتراكب المتلاصق بعضه فوق بعض، والمعنى ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ﴾ جماعة متراكبة مزدحمة.

قوله: (﴿قَالَ﴾) بلفظ الماضي على الخبر عن عبد الله وهو محمد ﷺ غير (عاصم) وحمزة وقرأ عاصم وحمزة ﴿قُلْ﴾ بضم القاف وسكون اللام بلفظ الأمر التفاتًا إلى قل يا محمد.

عجزه. وقيل: ﴿بَلَٰغًا﴾ بدل من ﴿مُلۡتَحَدًا﴾ أي لن أجد من دونه منجي إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به يعني لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به فإن ذلك ينجيني.

وقال (الفراء): هذا شرط وجزاء وليس باستثناء و«إن» منفصلة من «لا» وتقديره: أن لا أبلغ بلاغًا أي إن لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرًا لي كقولك إن لا قيامًا فقعودًا، والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦٓۚ﴾ عطف على ﴿بَلَٰغًا﴾ كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات أي إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبًا لقوله إليه، وأن أبلغ رسالته التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان. و«من» ليست بصلة للتبليغ لأنه يقال: بلّغ عنه، إنما هي بمنزلة «من» في ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ١] أي بلاغًا كائنًا من الله. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ترك القبول، لما أنزل على الرسول لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وحد في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ وجمع في ﴿خَٰلِدِينَ﴾ للفظ من ومعناه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ٢٤﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ يتعلّق بمحذوف دلّت عليه الحال كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ عند حلول العذاب بهم ﴿مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ أهم أم المؤمنون؟ أي الكافر لا ناصر له يومئذٍ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه.

قوله: (الفرّاء) هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب.

تُوفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله.

والفرّاء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام. ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ﴾ ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ﴾ (وبفتح الياء: حجازي وأبو عمرو) ﴿أَمَدًا﴾ غاية بعيدة عني أنكم تعذبون قطعًا ولكن لا أدري أهو حالٌ أم مؤجل.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو خبر مبتدأ أي هو عالم الغيب ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من خلقه.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ إلا رسولًا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون إخباره عن الغيب معجزة له فإنه يطلعُ على غيبه مَن شاء. و﴿مِن رَّسُولٍ﴾ بيان لـ ﴿مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ والولي إذا أخبر بشيء فظهر فهو غير جازم عليه، ولكن أخبر بناء على رؤيا أو بالفراسة على أن كل كرامة للولي فهي معجزة للرسول.

وذكر في التأويلات قال بعضهم في هذه الآية بدلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك (فإن فيهم مَن يصدق خبره، وكذلك المتطببة) يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه

قوله: (وبفتح الياء) أي ياء الإضافة من ﴿رَبِّيٓ﴾ حجازي إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: (حجازي) أي قراءة نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ (وأبو عمرو) بن العلاء البصري والباقون بسكونها.

قوله: (فإن فيهم مَن يصدق خبره) ويعرف المطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يتولّد الخلق والتي يقع عندها التغيّر والتبدّل في ذلك لأنا لا نوقف على علمه بالتأمّل والتدبّر. اهـ تأويلات.

قوله: (وكذلك المتطببة) منهم من يعرف طبائع النبات أن هذا يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق ومعلوم أن هذا من نوع ما لا يدرك بالتأمّل والنظر. اهـ تأويلات.

في الخلق. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ﴾ (يدخل) ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ يدي رسول ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحي.

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾

﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ الله ﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾ أي الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ كاملة بلا زيادة ولا نقصان إلى المرسل إليهم أي ليعلم الله ذلك موجودًا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد، وحد الضمير في ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ للفظ «من»، وجمع في ﴿أَبۡلَغُواْ﴾ لمعناه ﴿وَأَحَاطَ﴾ الله ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ بما عند الرسل من العلم ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه؟ و﴿عَدَدَۢا﴾ حال أي وعلم كل شيء معدودًا محصورًا أو مصدر في معنى إحصاء والله أعلم.

قوله: (يدخل) من الإدخال.

تمّت سورة الجنّ والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة المُزّمّل ﷺ)

(وهي تسع عشرة أو عشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾ أي المتزمل وهو الذي تزمّل في ثيابه أي تلفف بها بإدغام التاء في الزاي. كان النبيّ ﷺ نائمًا بالليل متزملًا في ثيابه فأمر بالقيام للصلاة بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾ (**بدل من** ﴿ٱلَّيْلَ﴾) و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من قوله: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ تقديره: قُم نصف الليل إلا قليلًا من نصف الليل ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف. (**بضم الواو: غير عاصم وحمزة**) ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة المزمّل**) مكيّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إلّا آيتين منها ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي تليها ذكره الماوردي، وقال الثعلبيّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [المُزمّل: الآية ٢٠] إلى آخر السورة فإنه نزل بالمدينة (**وهي تسع عشرة أو عشرون آية**) وفي نسخة وهي تسع عشرة آية بصري وثمان عشرة شاميّ، وفي الخطيب ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفًا. اهـ. **قوله**: (**بدل من** ﴿ٱلَّيْلَ﴾) بدل البعض من الكلّ. **قوله**: (**بضم الواو: غير عاصم وحمزة**) **في الإتحاف** قرأ ﴿أَوِ ٱنقُصْ﴾ بكسر الواو

﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾

﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ على النصف إلى الثلثين، والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل (**على البت**)، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه، وإن جعلت ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدلًا من ﴿قَلِيلًا﴾ كان مخيّرًا بين ثلاثة أشياء: بين قيام نصف الليل تامًّا، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه. وإنما وصف النصف بالقلّة بالنسبة إلى الكل وإلا فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا: إذا أقرّ أن لفلان عليه ألف درهم إلا قليلًا أنه يلزمه أكثر من نصف الألف ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ بيِّن وفصِّل من (**الثغر**) المرتّل أي (**المفلج**) الأسنان، وكلام رَتَلٌ بالتحريك أي مرتّل، وثغر رتّل أيضًا إذا كان مستوي البنيان. أو اقرأ على (**تؤدة**) بتبيين الحروف وحفظ الوقوف وإشباع الحركات ﴿تَرۡتِيلًا﴾ هو تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه لا بد منه للقارىء.

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ﴾ سننزل عليك ﴿قَوۡلًا ثَقِيلًا﴾ أي القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقّة ثقيلة على المكلفين، أو ثقيلًا على المنافقين، أو كلام له وزن ورجحان (**ليس بالسفساف**) الخفيف. ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ بالهمزة: (**سوى ورش**): قيام الليل. عن ابن مسعود ﷺ. فهو مصدر من نشأ إذا قام

عاصم وحمزة وصلا. اهـ بحروفه. **وعبارة تفسير النيسابوري** ﴿أَوِ ٱنقُصۡ﴾ بكسر الواو للساكنين حمزة وعاصم وسهل الآخرون بضمها للأتباع. اهـ.

قوله: (**على البتّ**) أي القطع. **قوله**: (**الثَّغْر**) هو اسم الأسنان كلها ما دامت في منابتها أو لم تكن. وقيل: هو مقدّم الأسنان كذا في لسان العرب. **قوله**: (**المفلج**) بتشديد اللام اسم مفعول من الفلج وهو أن لا يكون الأسنان متّصلة وهو ممدوح لأنه أزين وأنقى للفم. **قوله**: (**تؤدة**) بضم المثناة وفتح الهمزة وهو التمهّل.

قوله: (**ليس بالسَّفْسَاف**) السَّفْسَاف الرديء من كل شيء. **قوله**: (**سوى ورش**) فإنه أبدل همز ﴿نَاشِئَةَ﴾ ياء مفتوحة وهو عثمان بن سعيد المصري ويُكنّى أبا

ونهض على فاعلة كالعافية، أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث، أو ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة فساعة، وكان (**زين العابدين**) ﷺ يصلّي بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ (﴿وطاءً﴾ ﴿وفاقًا﴾ **شامي وأبو عمرو**) أي يواطيء فيها قلب القائم لسانه. وعن الحسن: أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق. (**غيرهما** ﴿وطأ﴾) أي أثقل على المصلّي من صلاة النهار لطرد النوم في وقته من قوله ﷺ: «اللّهمَّ اشدد وطأتك على مضر» ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ وأشد مقالًا وأثبت قراءة (**لهدوء الأصوات**) وانقطاع الحركات.

سعيد وورش لقب لُقب به فيما يقال لشدّة بياضه. وتُوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة وهو من رواة نافع المدنيّ رحمة الله عليهما. **قوله**: (**زين العابدين**) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ويُقال له عليّ الأصغر وليس للحسين رضي الله تعالى عنه عقب إلا من ولد زين العابدين هذا وهو أحد الأئمة الاثني عشر ومن سادات التابعين وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصر وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وتُوفي سنة أربع وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين للهجرة بالمدينة ودُفن بالبقيع في قبر عمّه الحسن بن عليّ رضي الله عنه في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

قوله: (﴿وِطَاء﴾) بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها همزة بوزن قتال مصدر واطأ (﴿وفاقًا﴾ **شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وأبو عمرو**) البصريّ. **قوله**: (**غيرهما** ﴿وطأ﴾) بفتح الواو وسكون الطاء وبعدها همزة منوّنة وهو مصدر قولك وطيء الشيء إذا داسه برجله أو جعل عليه ثقله فإن النفس القائمة بالليل إلى العبادة أشد وطئًا من التي تقوم بالنهار على أن يكون الوطء عبارة عن الكلفة والثقلة كما يقال اشتدت على القوم وطأة سلطانهم إذا ثقل عليهم معاملته معهم وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر. **قوله**: (**لهدوء الأصوات**) الهدوء السكون مهموز من هدأ بمعنى سكن وأهدأه أي سكنه، يقال: أهدأت الصبي إذا جعلت تضرب عليه بكفّك وتسكنه لينام **في مختار الصحاح** هدأ سكن وبابه قطع وخضع وأهدأه سَكّنه. اهـ.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ تصرفًا وتقلبًا في مهماتك وشواغلك ففرّغ نفسك في الليل لعبادة ربك أو فراغًا طويلًا لنومك وراحتك ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ودم على ذكره في الليل والنهار، وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ انقطع إلى عبادته عن كل شيء. والتبتل: الانقطاع إلى الله تعالى بتأمل الخير منه دون غيره. وقيل: رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله ﴿تَبْتِيلًا﴾ **(في اختلاف المصدر زيادة تأكيد أي بتّلك الله)** فتبتل **(تبتيلًا أو جيء به مراعاة لحق الفواصل)**.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ **(بالرفع أي هو رب أو مبتدأ خبره** ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ **وبالجر: شامي وكوفي غير حفص بدل من** ﴿رَبِّكَ﴾) وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم بإضمار حرف القسم نحو: الله لأفعلن، وجوابه لا إلـه إلا هو كقولك: والله

قوله: (في اختلاف المصدر زيادة تأكيد أي بتلك الله تبتيلًا) في تفسير روح البيان قال بعضهم: لما لم يكن الانقطاع الكلي إلا بتجريد النبيّ عليه السلام نفسه عن العوائق الصادّة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه. قيل: ﴿تَبْتِيلًا﴾ مكان تبتلًا فيكون النظم من قبيل الاحتباك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: الآية ١٧] على وجه وهو أن التقدير أنبتكم منها إنباتًا فنبتّم نباتًا وكذا التقدير هـٰهنا أي تبتّل إليه تبتلًا يبتلك عما سواه تبتيلًا والأنسب يبتلك ربك تبتيلًا فإن التبتيل فعل الله فلا يحصل للعبد إلا بمعاونته. اهـ. **قوله: (أو جيء به مراعاة لحق الفواصل)** فإن ما تقدم من الفواصل ﴿قِيلًا﴾ و﴿طَوِيلًا﴾ وما تأخر ﴿وَكِيلًا﴾ و﴿جَمِيلًا﴾ و﴿قَلِيلًا﴾.

قوله: (بالرفع أي هو ربّ أو مبتدأ خبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ **وبالجر: شامي)** أي ابن عامر الشاميّ **(وكوفيّ غير حفص بدل من** ﴿رَبِّكَ﴾) عبارة تفسير النيسابوري ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾ بالخفض على البدل من ﴿رَبِّكَ﴾ ابن عامر ويعقوب وحمزة وعليّ وخلف وعاصم سوى حفص والمفضّل الباقون بالرفع على المدح أي هو رب. اهـ.

لا أحد في الدار إلا زيد ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ وليًّا وكفيلًا بما وعدك من النصر، أو إذا علمت أنه ملك المشرق والمغرب وأن لا إلٰه إلا هو فاتخذه كافيًا لأمورك. وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت في تفويض الأمور إلى الواحد القهّار إذ لا عذر لك في الانتظار بعد الإقرار ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيّ من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة. وقيل: هو منسوخ بآية القتال.

﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَذَرْنِى﴾ أي كِلْهم إليّ فأنا كافيهم ﴿وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على «ذرني» أي دعني وإياهم (﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ **التنعم**) وبالكسر الإنعام وبالضم المسرّة ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ إمهالًا ﴿قَلِيلًا﴾ إلى يوم بدر أو إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ للكافرين في الآخرة ﴿أَنكَالًا﴾ قيودًا ثقالًا (**جمع نِكْل**) ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أي الذي (**ينشب**) في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع والزقوم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ يخلص وجعه إلى القلب. ورُوِيَ أنه ﷺ قرأ هذه الآية فصعق. وعن الحسن أنه أمسىٰ صائمًا فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال: ارفعه. ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال: ارفعه، وكذلك الليلة الثالثة فأخبر (**ثابت البناني**) وغيره فجاءوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بما في ﴿لَدَيْنَآ﴾ من معنىٰ الفعل أي استقرّ للكفار لدينا كذا وكذا يوم ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي تتحرك حركة شديدة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملًا

قوله: (﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾) بالفتح (**التنعم**). **قوله**: (**جمع نكل**) بكسر النون. **قوله**: (**ينشب**) في المصباح نشب الشيء في الشيء من باب تعب نشوبًا علِق فهو ناشب. اهـ. **قوله**: (**ثابت**) بن أسلم (**البناني**) بضمّ الموحدة ونونين مُخَفَّفين أبو محمد البصري ثقة عابد مات سنة بضع وعشرين وله ست وثمانون.

مجتمعًا من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنىٰ مفعول ﴿مَّهِيلًا﴾ سائلًا بعد اجتماعه ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عليه السلام ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي ذلك الرسول «إذ» النكرة وإذا أُعيدت معرفة كان الثاني عين الأول ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا غليظًا. وإنما خصّ موسى وفرعون لأن خبرهما كان منتشرًا بين أهل مكة لأنهم كانوا جيران اليهود.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ هو مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾ أي كيف تتقون عذاب يوم كذا إن كفرتم؟ أو ظرف أي فكيف لكم التقوىٰ في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا؟ أو منصوب بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ على تأويل جحدتم أي كيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوىٰ الله خوف عقابه ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ﴾ صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾ والعائد محذوف أي فيه ﴿شِيبًا﴾ من هوله وشدّته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام: ثم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب. وقيل: هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ وصف لليوم بالشدة أيضًا أي السماء على عظمها وإحكامها تنفطر به أي تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق؟ والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر، وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي بيوم القيامة يعني أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم، أو إلى الفاعل وهو الله عز وجل ﴿مَفْعُولًا﴾ كائنًا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي فمَن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلًا إلى الله بالتقوى والخشية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ

﴿مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل فاستعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز، وإذا بعدت كثر ذلك ﴿مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ بضم اللام: (**سوى هشام** ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ **منصوبان عطف على** ﴿أَدْنَىٰ﴾ **مكي وكوفي**)، ومن جرّهما عطف على ﴿ثُلُثَيِ﴾ ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ عطف على الضمير في ﴿تَقُومُ﴾ وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل ﴿مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما إلا الله وحده. وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيًا عليه ﴿يُقَدِّرُ﴾ هو الدال على أنه مختصّ بالتقدير، ثم إنهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدة ومشقّة وفي ذلك حرج ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فخفّف عليكم وأسقط عنكم فرض قيام الليل (﴿فَاقْرَءُوا﴾ **في الصلاة والأمر للوجوب أو في غيرها والأمر للندب**) ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْقُرْءَانِ﴾.

قوله: (**سوى هشام**) فإنه يقرأ بسكون اللام وهو هشام بن عمّار بن نصير بن أبان بن مَيْسرة السُّلَمي القاضي الدمشقي ويكنى أبا الوليد وتُوفي بها سنة خمس وأربعين ومائتين. يروي القراءة عن ابن عامر. **قوله**: (﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ **منصوبان عطف على** ﴿أَدْنَىٰ﴾ **مكيّ وكوفيّ**) أي قرأ ابن كثير المكيّ وعاصم الكوفيّ وحمزة الكوفيّ والكسائي بنصب الفاء والثاء وضم الهائين عطفًا على أدنى المنصوب ظرفًا بـ ﴿تَقُومُ﴾ والباقون بخفض الفاء والثاء وكسر الهائين عطفًا على ﴿ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ المجرور بـ ﴿مِن﴾. **قوله**: (﴿فَاقْرَءُوا﴾ **في الصلاة والأمر للوجوب أو في غيرها والأمر للندب**) في تبيين الحقائق على كنز الدقائق فرضها القراءة لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ ولقوله عليه السلام: ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن على فرضيته انعقد الإجماع. اهـ. وأيضًا فيه وواجبها قراءة الفاتحة وضمّ السورة. وقال الشافعي: قراءة الفاتحة ركن لقوله عليه الصلاة والسلام: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ولقوله عليه السلام: مَن صلّى صلاة ولم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج. وقال مالك: قراءتهما ركن لقوله عليه السلام: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وسورة

....

منها. هكذا ذكر في الهداية خلاف مالك في السورة. وقال في الغاية: لم يقل أحد أن ضمّ السورة واجب وخطىء صاحب الهداية فيه ولنا قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ والزيادة عليه بخبر الواحد لا تجوز ولكن يوجب العمل، فقلنا بوجوبها ولقوله عليه السلام: إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبّر ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن ولو كانت الفاتحة ركنًا لعلّمه إياها لجهله بالأحكام وحاجته إليها، وقوله عليه السلام: لا صلاة محمول على نفي الفضيلة كقوله: لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد، وقوله عليه السلام: فهي خداج لا دلالة فيه على عدم الجواز بدونها بل على النقص ونحن نقول به. انتهى بحروفه.

وعبارة الهداية فقراءة الفاتحة لا تتعيّن ركنًا عندنا وكذا ضم السورة إليها خلافًا للشافعي رحمه الله في الفاتحة ولمالك فيهما له قوله عليه السلام: لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب وسورة معها. وللشافعي رحمه الله قوله عليه السلام: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ولنا قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ والزيادة عليه بخبر الواحد لا يجوز لكنه يوجب العمل فقلنا بوجوبهما. انتهت بحروفها. وفي حاشيته للمرغيناني قوله ولمالك فيهما منع بأنه لم يقل أحد. انتهت بحروفها. قلت **في عيون المذاهب** وواجبها قراءة الفاتحة وعند الثلاثة فرض وضم سورة وعند الثلاثة سنة وعن مالك فرض. اهـ. وقوله: عند الثلاثة أراد بالثلاثة الشافعي ومالكًا وأحمد فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي فتح القدير قوله: فقلنا بوجوبهما على إرادة الأعم من السورة بالسورة فإن الواجب بعد الفاتحة ثلاث آيات قصارًا وآية طويلة سواء كان ذلك سورة أو لا نظرًا إلى ما تقدم من الرواية القائلة ومعها غيرها. بقي أن يُقال ثبوت الوجوب بهذا الظني إنما هو إذا لم يعارضه معارض لكنه ثابت بقوله عليه السلام للأعرابي الذي أخفّ صلاته لما علمه فكبر ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن ومقام التعليم لا يجوز فيه تأخير البيان فلو كانتا واجبتين لنص عليهما له. **والجواب** بأن وجوبهما كان ظاهرًا ولم يظهر من حال الأعرابي حفظه لهما فقال له عليه السلام: فاقرأ ما تيسّر معك أي سواء كان ما معك الفاتحة أو غيرها، غير أنه إن كان معه الفاتحة فالمقصود ما تيسّر بعدها لظهور لزومها، وفي أبي داود في حديث المسيء صلاته

....

إذا قمت فتوجّهت إلى القبلة فكبّر ثم اقرأ بأُم القرآن وبما شاء الله أن تقرأ. وفي رواية رواها قال فيها كما أمرك الله ثم اقرأ وكبّر فإن كان معك قرآن فاقرأ به وإلا فاحمد الله وكبّره وهلّله، فالأولى في الجمع الحكم بأنه قال له ذلك كله أي فإن كان معك شيء من القرآن وإلّا فكبّره إلى آخره وإن كان معك فاقرأ بأُم القرآن وبما شاء الله ثم إن الرواة رووا بالمعنى مع اقتصار بعضهم على بعض الجمل المنقولة فتأمله وبه يندفع التعارض. انتهى بحروفه.

وفي تأويلات الإمام أبي منصور رحمه الله تعالى من أحكام الفاتحة أن قراءتها فرض على جميع البشر عينًا وإن كان قراءة مطلق القرآن فرض كفاية لأن المعاني التي تضمنها الفاتحة فرض عين على الجميع من الحمد لله تعالى والوصف له بالربوبية والرحمة والتمجيد والاستعانة وطلب الهداية منه إذ فيه معرفة الصانع على ما هو به موصوف والحمد له على ما يستحقه إذ هو المهتدي بنعمه جميع خلقه وإليه فقر كل عبد وحاجة كل محتاج فصار اعتقاد هذه المعاني والإقرار بها فرضًا لازمًا على كل العقلاء من البشر ثم قال: وعلى هذا كل سورة في معناها مثل سورة الإخلاص ونحوها.

ومن أحكامها أن الفاتحة لا يتعيّن ركنًا لجواز الصلاة عندنا خلافًا للشافعي وذلك لأن كونها فريضة من فرائض الصلاة إما لعينها أو من حيث إنها قرآن، والأول لا يصح لأنها من حيث جمعت الخصال التي بيّناها فريضة على كافة الخلق لكن لا يوجب هذا كونها فريضة في حق الصلاة كما في تسبيحات الركوع والسجدات والتكبيرات التي يتخلّل فيها لما فيها من تنزيه الله تعالى والوصف له بالعصمة والعلو فريضة لنفسها إذ فرض على كل أحد أن ينزّه ربه عما لا يليق بصفاته الحسنى وأن يصفه بالكبرياء والعظمة ثم لا يوجب ذلك كونها فريضة من فرائض الصلاة بل فيما يرجع إلى الصلاة من السنن فكذا هذا وأما من حيث إنها قراءة القرآن لا يتعيّن ركنًا لوجوه أحدها أن فريضة القراءة في الصلاة عرفناها بقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ الآية وظاهرها أنه يقتضي إذا تيسّر عليه قراءة غير الفاتحة وقرأ جازت لإتيانه بما أُمر به وهو قراءة ما تيسّر عليه. والثاني: أن الآية سيقت لبيان الامتثال بالتخفيف عليه والتيسير في قراءة القرآن ولو لم يجز

....

الصلاة بقراءة غيرها لم يتحقق الامتثال بالتخفيف. والثالث: أن في الآية تخيير للمصلي ليختار ما هو الأيسر له من القرآن والقول بالتعيين ينافي التخيير فيكون خلاف ظاهر النص ومما يدل على ذلك ما رُوِيَ في حديث الأعرابي حين علّمه الصلاة. قال له: ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، ثم قال له وقت التعليم: اقرأ ما تيسّر عليك ثبت أن المفروض مطلق القرآن. ومما يدلّ أيضًا ما رُوِيَ عن النبيّ عليه السلام أنه قال: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وفي خبر آخر عنه عليه السلام: «كل صلاة لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب فهي خداج» نقصان غير تمام والموصوف من الصلاة بالنقصان هي الجائزة منها دون الفاسدة ومتى حمل النفي هٰهنا على نفي الجواز يتناقض الحديثان ومتى حمل على نفي الكمال يندفع التناقض والنفي محتمل لها والنقصان نصّ محكم على قيام الأصل، فيجب حمل المحتمل على المحكم عملًا بالحديثين بقدر الإمكان تنزيهًا لكلام صاحب الشرع عن شبهة التناقض. انتهت بحروفها.

وفي التفسيرات الأحمديّة في بيان الآيات الشرعية وإن حمل على ما اختاره صاحب المدارك ويدل عليه كلام فقهائنا وكلام أهل الأصول أن المراد من قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ قراءة القرآن في الصلاة على سبيل الفرضية ولهذا تمسك أهل الأصول أيضًا بعموم كلمة ﴿مَا﴾ على عدم فرضية قراءة الفاتحة بعينها في الصلاة كما سيأتي فحينئذٍ لم يكن منسوخًا ويكون معناه على ما هو الظاهر فاقرءوا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم، ولكن كون هذا القرآن في الصلاة مما لا دليل عليه في النظم الآية إلّا أن يُقال: إن الآية لما أوجب قراءة القرآن على سبيل التيسر مطلقًا ولم يكن ذلك فرضًا خارج الصلاة بالإجماع يعني فرضيته في الصلاة خاصة فيدلّ على أن القراءة فرض في الصلاة أو يقال إن قيام الليل في بدء الإسلام إنما يستدعي ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه لطول القراءة فيه. كما روي أنه لم يكن حينئذٍ في الصلاة ركوع ولا سجود بل كان مجرد القيام وذكر الله فيه ويدل عليه ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ﴾ [المزمّل: الآية ٤] عطفًا على ﴿قُمِ الَّيْلَ﴾ [المُزمّل: الآية ٢] ثم نزل بعده قوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: الآية ٧٧] ففرض في الصلاة الركوع والسجود فلما كان طول القراءة مع القيام فرضًا أولًا

....

فنسخ ذلك بقوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ فارتفع العسرة في نفس القراءة فرضًا في الصلاة، أو بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في آخر السورة على ما مرّ ولا يتعين شيء من القراءة عندنا في الصلاة. وقال الشافعي: إن قراءة الفاتحة فرض في الصلاة على التعيين بقوله عليه السلام: لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب، وعند مالك ضم السورة أيضًا فرض بقوله عليه الصلاة والسلام: لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب والسورة وهما واجبان عندنا لما ذكر أهل الأصول أن قوله: ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ عام والعام قطعي عندنا فلا يعارضه قوله عليه السلام: لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب لأنه خبر الآحاد وهو ظنيّ بالاتفاق فلا يوجب علم اليقين غايته أنه يوجب العمل بدون اليقين وهو مرتبة الواجب فأوضعنا كلّا من الكتاب وخبر الواحد على مكانهما فكان نفس القراءة فرضًا والفاتحة واجبة وكذا ضم السورة. والشافعي رحمه الله لما خالفنا في قطعية العام وقال: إن كل عام ظنيّ لأنه ما من عام إلا وقد خصّ عند البعض جعل خبر الآحاد الذي هو ظنيّ بمقابلة العام الذي هو ظنيّ أيضًا فيكون مخصصًا للعام فيكون قراءة الفاتحة فرضًا عنده ففرضية الفاتحة وعدمها مبنيّ على أصل آخر مختلف فيه بيننا وبينه، ثم أقل القراءة فرضًا عندنا آية واحدة طويلة كآية الكرسي وغيرها أو ثلاث آيات قصيرة كـ ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ٦٤﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٤] وهذا هو الأصح. وقيل: إنه واحدة طويلة كانت أو قصيرة وذلك مما لا يعتد به ينادي عليه كتب الفقه وعلى كل تقدير يكون ما دون الآية مخصوصًا من هذا العام فيكون العام ظنيًّا، فينبغي أن لا يدل على فرضية القراءة وأن يعارضه الحديث حجة للشافعي إلا أن يجاب بما في البزدوي وحواشيه من أن هذه الآية قطعية والمراد بها قراءة القرآن إجماعًا وأن ما دون الآية لا يسمى قراءة القرآن عرفًا والعرف قاضٍ على الحقيقة اللغوية ولا يشكل بعدم جواز الصلاة بالتسمية لأنا نقول إنه لما اختلف في كونه من القرآن لم يحكم بجواز الصلاة بها احتياطًا، أو يقال: الشبهة إنما نشأت في العام لا في الأمر الذي للوجوب وسيعود السؤال بمعارضة الحديث وإن كان المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ﴾ هو القراءة على سبيل الندب، فاختلفوا في مقدارها فقيل في كل يوم ثلاث آيات، وقيل: مائة، وقيل: مائتان وعن أنس بن مالك عن رسول

روى أبو حنيفة عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: مَن قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب (﴿مِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾)، ومَن قرأ مائتي آية كتب من القانتين. وقيل: أراد بالقرآن الصلاة لأنه بعض أركانها أي فصلوا ما تيسّر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول، ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس، ثم بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم﴾ أي أنه مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها ﴿مَّرْضَىٰ﴾ فيشقّ عليهم قيام الليل.

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يَضْرِبُونَ﴾ ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ رزقه بالتجارة أو طلب العلم ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سوّى بين المجاهد والمكتسب لأن كسب الحلال جهاد. قال ابن مسعود ﷺ: أيما رجل جلب شيئًا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرًا محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء. وقال ابن عمر ﷺ: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رجل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كرر الأمر بالتيسير لشدّة احتياطهم ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾

الله ﷺ مَن قرأ كل يوم خمسين آية لم يكتب من الغافلين، ومَن قرأ مائة آية يكتب من المطيعين، ومَن قرأ مائتي آية لم يخاصم القرآن معه يوم القيامة، ومَن قرأ خمسمائة آية يكتب له قنطار من الأجر وعن عبد الله بن عمر أنه قال له رسول الله ﷺ: اختم في كل شهر مرة، فقال: أزداد طاقة فقال في كل عشرين مرة، فقال: أزداد طاقة، فقال: في كل عشرة مرة، فقال: أزداد طاقة، فقال: في كل سبعة أيام ولا تزد. هكذا في الحسيني وهذا الختم نوعان نوع يسمى ختم الأحزاب وهو يقضي الحاجات ويدفع البليات على ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ وابتداؤه يوم الجمعة من الفاتحة إلى الأنعام ثم منها إلى يونس ثم منها إلى طه ثم منها إلى عنكبوت ثم منها إلى زمر ثم منها إلى الواقعة ثم منها إلى الآخر. ونوع منه يسمى فمي بشوق يعني في يوم الجمعة من الفاتحة إلى المائدة ثم منها إلى يونس ثم منها إلى بني إسرائيل ثم منها إلى الشعراء ثم منها إلى والصافّات ثم منها إلى القاف ثم منها إلى الآخر فكل حروف منه إشارة إلى سورة وهذا هو المعروف بين الحفاظ في زماننا انتهت باختصار. **قوله**: (﴿مِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾) أي عن تلاوة

(المفروضة) ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **(الواجبة)** ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالنوافل. والقَرض لغة: القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره، وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالىٰ، وإنما أضافه إلى نفسه لئلّا يمنّ على الفقير فيما تصدّق به عليه وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من الحلال بالإخلاص ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه وهو جزاء الشرط ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لـ ﴿تَجِدُوهُ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ **(و﴿هُوَ﴾ فصل)**. وجاز وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه المعرفة **(لامتناعه من حرف التعريف)** ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وأجزل ثوابًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ من السيئات والتقصير في الحسنات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يستر على أهل الذنب والتقصير ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ يخفّف عن أهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله أعلم.

القرآن. **قوله**: **(المفروضة)** هذا إما بناء على أن هذه الآية مدنيّة أو من باب ما بين حكمه قبل نزوله. **قوله**: **(الواجبة)** أي المفروضة تفنن في البيان قيل: المراد زكاة الفطر إذ لم يكن في مكة زكاة ومن فسّرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيّة أو من باب ما بين حكمه قبل نزوله. **قوله**: **(و﴿هُوَ﴾ فصل)** أي ضمير فصل. **قوله**: **(لامتناعه من حرف التعريف)** أي بأل وعبارة غيره لامتناعه من التعريف بأداة التعريف ووجه امتناعه من التعريف بها أنه اسم تفضيل وهو لا يجوز دخول أل عليه إذا كان معه من لفظًا أو تقديرًا وهنا من مقدرة كما قال المصنّف رحمه الله مما خلفتم وتركتم.

تمّت السورة الكريمة والحمد لله
والصلاة والسلام على أفضل رُسُله وعلى آله وصحبه

(سورة المدّثّر)

(مكيّة، وهي ست وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

روىٰ (جابر) أن النبيّ ﷺ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المدَّثِّر، مكية) على الأصح لا بالإجماع كما قيل لأن منهم مَن استثنى منها آية ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٣١] الآية. **(وهي ست وخمسون آية)** وفي التيسير خمس وخمسون فهي على الاختلاف فيها ومائتان وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف.

قوله: (جابر) بن عبد الله بن عَمرو بن حَرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السَّلَمي يكنّى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمٰن وأبا محمد على أقوال أحد المكثرين عن النبيّ ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة كذا في الإصابة. **وفي تهذيب الأسماء** وهو أحد المكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ روى ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعين حديثًا. اتفق البخاري ومسلم منها على ستين حديثًا وانفرد البخاري بستة وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين. وروى عن أبي بكر وعمر وعليّ وأبي عبيدة ومعاذ وخالد بن الوليد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه جماعات من أئمة التابعين منهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة ومحمد الباقر وعطاء وسالم بن أبي الجعد وعمرو بن دينار ومجاهد

كنت (**على جبل حراء**: **فنوديت**) يا محمد إنك رسول الله. (**فنظرت عن يميني وعن يساري فلم أرَ شيئًا**)، فنظرت إلى فوقي (**فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض**) ـ يعني الملك الذي ناداه ـ (**فرُعِبْت**) ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني دثروني. فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ أي المتلفف بثيابه (**من الدثار**) وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار. والشعار: الثوب الذي يلي الجسد وأصله المتدثر

ومحمد بن المنكدر وأبو الزبير والشعبي وخلائق ومناقبه كثيرة انتهى. **وأيضًا فيه** توفي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل: ثمان وستين وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه وكان ذهب بصره في آخر عمره انتهى. **قوله**: (**على جبل حراء**) بكسر الحاء والمدّ جبل معروف بقرب مكّة ويجوز صرفه وعدمه ويُسمى حري كعلي في لغة غريبة. اهـ شهاب. **وفي لسان العرب** قال الخطابيّ كثير من المحدّثين يغلطون فيه فيفتحون حاءه ويقصرونه ويميلونه ولا تجوز إمالته لأن الراء قبل الألف مفتوحة كما لا يجوز إمالة راشد ورافع. اهـ. **قوله**: (**فنوديت**) والمنادي غير معلوم في ذلك الحين والفاء للسببية فإن كونه عليه الصلاة والسلام في حراء سبب النداء في الجملة. **قوله**: (**فنظرت عن يميني**) بمعنى من أي فنظرت ابتداء نظري جانب يميني فلم أرَ شيئًا (**و**) نظرت (**عن يساري فلم أرَ شيئًا**) فنظرت فوقي أي إلى فوقي وفيه تنبيه على أن البدء باليمين في مثل هذا هو الأولى ولم يذكر الأمام وضده لظهور أن النداء لم يكن منهما وفيه إشارة إلى أن النداء على وجه لم يعرف محل مناديه ومن أي جهة ناداه بل الظاهر أنه عليه السلام سمع النداء من جميع الجهات على خلاف العادات. **قوله**: (**فإذا هو**) أي المنادي (**قاعد على عرش**) أي سرير (**بين السماء والأرض**) أي هو معلق بينهما قريب من الأرض كما هو المتبادر أو بعيد منها وهو الأنسب بالمقام. **قوله**: (**فرُعِبْت**) معلوم كمنعت كما في القاموس وككرمت كما في شرح البخاري وهو لازم ومتعدٍ ولا يلزم في اللازم ضم العين كما توهّم ومجهول بضم أولّه وكسر ثانيه. كما روي في الحديث وذكره أهل اللغة ومعناه فيهما فزعت وخفت.

قوله: (**من الدثار**) بكسر الدال.

(فأدغم) ﴿قُمْ﴾ من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿فَأَنذِرْ﴾ فحذر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، (أو فافعل الإنذار) من غير تخصيص له بأحد. وقيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتمّ فتغطّى بثوبه مفكرًا كما يفعل المغموم فقيل له: يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار، قم فاشتغل بالأنذار وإن آذاك الفجار.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ (واختصّ ربك بالتكبير) وهو التعظيم أي لا يكبر في عينك غيره وقل عندما (يعروك) من غير الله: الله أكبر. (ورُوِيَ أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر») فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي، وقد يحمل على تكبير الصلاة. (ودخلت الفاء بمعنى الشرط) كأنه قيل: (وما كان فلا تدع تكبيره).

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ بالماء من النجاسة لأن الصلاة لا تصحّ إلا بها وهي الأولى في غير الصلاة، أو فقصر مخالفة للعرب في تطويلهم الثياب وجرّهم الذيول إذ لا يؤمن معه إصابة النجاسة، أو طهّر نفسك مما يستقذر من الأفعال يقال: فلان طاهر الثياب إذا وصفوه بالنقاء من المعايب، وفلان دنس الثياب للغادر ولأن مَن طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرًا.

قوله: (فأدغم) أي فأدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالًا وتسكينها. **قوله**: (أو فافعل الإنذار...) الخ يعني أنه منزّل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلّقه بالمفعول ولم يذكر لفظًا ولا تقديرًا للتعميم والاختصار.

قوله: (واختصّ ربك بالتكبير) مستفاد من تقديم المفعول. **قوله**: (يعروك) أي يعترضك. **قوله**: (رُوِيَ أنه لما نزل قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر») امتثالًا لأمره تعالى. **قوله**: (ودخلت الفاء بمعنى الشرط) فإن حق الفاء السببية أن يكون ما بعدها مسببًا لازمًا لما قبلها فلما لم يذكر قبلها شيء يترتب عليه ما بعدها علم أن ما بعدها جواب الشرط محذوف. **قوله**: (وما كان فلا تدع تكبيره) أي وأيّ شيء حدث ووقع فلا تترك تكبيره أي وصفه بالكبرياء.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

﴿وَالرُّجْزَ﴾ (**بضم الراء: يعقوب وسهل وحفص**)، وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدي إليه ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي أثبت على هجره لأنه كان بريئًا منه ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ بالرفع وهو منصوب المحل (**على الحال أي لا تعط مستكثرًا**) رائيًا لما تعطيه كثيرًا أو طالبًا أكثر مما أعطيت فإنك مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب، وهو مَن منّ عليه إذا أنعم عليه. وقرأ الحسن ﴿تَسْتَكْثِرْ﴾ (**بالسكون**) جوابًا للنهي ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ ولوجه الله (**فاستعمل الصبر**) على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ نفخ في الصور وهي النفخة الأولى (**وقيل: الثانية**) ﴿فَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ (﴿يَوْمَئِذٍ﴾ **مرفوع المحل بدل من «ذلك»**) ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير. (**والفاء في ﴿فَإِذَا﴾ للتسبيب**) وفي ﴿فَذَٰلِكَ﴾ للجزاء كأنه قيل: اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقي عاقبة صبرك عليه. والعامل في ﴿فَإِذَا﴾ ما دلّ عليه الجزاء أي

قوله: (**بضم الراء**) وهي لغة في المكسور وهما بمعنى وهو العذاب وعن مجاهد أنه بالضم بمعنى الضم وبالكسر العذاب (**يعقوب**) بن إسحٰق الحضرمي البصري (**وسهل**) بن محمد السجستاني وليسا من السبعة (**وحفص**) بن سليمان. **قوله**: (**على الحال**) من فاعل ﴿وَلَا تَمْنُن﴾ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٩١] أي لاعبين. **قوله**: (**أي لا تعط مستكثرًا**) أي لا تعط شيئًا من مالك لتأخذ أكثر منه فالمنّ بمعنى الإعطاء. **قوله**: (**بالسكون**) قراءة شاذّة. **قوله**: (**فاستعمل الصبر**) أي ﴿فَاصْبِرْ﴾ نزل منزلة اللازم لكمال تعميم الصبر أي فداوم على الصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء.

قوله: (**وقيل: الثانية**) وهو الأصح. اهـ خازن. **قوله**: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾ **مرفوع المحل بدل من ﴿ذَٰلِكَ﴾**) وبني على الفتح لإضافته إلى «إذ» وهو غير متمكن كأنه قيل: فيوم إذ نقر في الناقور ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾. **قوله**: (**والفاء في ﴿فَإِذَا﴾ للتسبيب**) يعني أنها فاء جواب الأمر كما في قوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:

فإذا نقر في الناقور عسر الأمر ﴿(عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ) غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ وأكد بقوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرًا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي كله إليّ يعني الوليد بن المغيرة وكان يلقب في قومه بالوحيد و﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ معطوف أو مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من الياء في ﴿ذَرْنِي﴾ أي ذرني وحدي معه فإني أكفيك أمره، أو من التاء في ﴿خَلَقْتُ﴾ أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، أو من الهاء المحذوفة، أو من أي خلقته منفردًا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾﴾ (**مبسوطًا كثيرًا أو ممدودًا بالنماء**) وكان له الزرع (**والضرع**) والتجارة. وعن مجاهد: كان له

الآية ٣٤]، وقولك: أكرم زيدًا فإنه فاضل فإن الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك إذا كان ما بعدها سببًا لما قبلها كما في الأمثلة المذكورة، وقد يكون ما قبلها سببًا لما بعدها فتدخل على المسبب نحو زيد فاضل فأكرمه فإنها دخلت على ما هو جزاء في المعنى لأن المعنى إذا كان كذا فأكرمه كما أن الأولى داخلة على ما هو شرط في المعنى وما بعد الفاء في الآية شرط في المعنى أي إذا كان بين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى أنت ثواب صبرك عليه فاصبر.
قوله: (﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) متعلّق بعسير لا بيسير لأنه لما لم يجز تقدّم المضاف إليه على المضاف كان عدم جواز تقدم معمول المضاف إليه عليه أولى.

قوله: (**مبسوطًا كثيرًا**) وصف بأن ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره أيضًا فإن المال الكثير إذا عدّ يمتدّ عدده والمال الذي يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عياش رضي الله عنه: كان له مال ممدود ما بين مكة إلى الطائف الإبل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والأشجار والأنهار والنقد الكثير. وقال مقاتل: كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفًا ولا شتاء فالممدود هنا كما في قوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٠] أي لا ينقطع. **قوله:** (**أو ممدودًا بالنماء**) بأن يكون نماء ماله ممدًا لأصله يقال: مددنا القوم أي صرنا مددهم وأمددناهم بغيرنا ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطُّور: الآية ٢٢]. **قوله:** (**والضرع**) أصل

مائة ألف دينار. وعنه أن له أرضًا بالطائف لا ينقطع ثمرها ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ (حضورًا) معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة (**أسلم منهم خالد وهشام وعمارة**).

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

(﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ﴿١٤﴾﴾) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ استبعاد واستنكار لِطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر. وقال الحسن: أن أزيد أن أدخله الجنة فأوتيه مالًا وولدًا كما قال لأوتين مالًا وولدًا ﴿كَلَّآۖ﴾ ردع له وقطع لرجائه أي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم، فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا﴾ للقرآن ﴿عَنِيدًا﴾ معاندًا جاحدًا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلًا قال: لم لا يزاد؟ فقيل: إنه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا

معناه الثدي والمراد به الحيوانات التي تقتنى. أما مجازًا أو بتقدير ذوات الضرع. **قوله:** (**حضورًا...**) الخ فشهود جمع شاهد بمعنى حاضر. **قوله:** (**أسلم منهم خالد وهشام وعمارة**) ومثله في تفسير الكشّاف والخطيب والخازن والبيضاوي. وقال ابن حجر في الإصابة: عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم استدركه ابن فتحون وعزاه لمقاتل فإنه قال في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾، قال: نزلت في الوليد بن المغيرة كان له من الولد سبعة وأسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة كذا قال وأورده الثعلبي في تفسيره عن مقاتل (**والصواب خالد وهشام والوليد**) وأما عمارة فإنه مات كافرًا لأن قريشًا بعثوه للنجاشي فجرت له معه قصة فأصيب بعقله وهام مع الوحش وقد ثبت أنه ممن دعا النبيّ ﷺ عليهم من قريش لما وضع عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره وهو يصلّي. انتهى بحروفه.

قوله (﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ﴿١٤﴾﴾) حذف مفعول ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ [المدّثّر: الآية ١] للتفخيم مع الاختصار.

يستحق المزيد ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ سأغشيه ﴿صَعُودًا﴾ عقبة شاقة المصعد (**وفي الحديث «الصعود**) جبل من نار (**يُصعد**) فيه (**سبعين خريفًا ثم يهوي**) فيه (**كذلك أبدًا**»).

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر والذلّ بعد الغنى والعزّ لعناده، ويعاقبه في الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته، وتسمية القرآن سحرًا يعني أنه فكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقوله وهيأه ﴿فَقُتِلَ﴾ لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ كرر للتأكيد (**و﴿ثُمَّ﴾ يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول**) ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ في وجوه الناس أو فيما قدر ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ (**قطب وجهه**) ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في التقبض (**والكلوح**) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ عنه (**أي عن مقامه وفي مقاله**). و﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾﴾ عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء اعتراض بينهما، وإيراد «ثم» في المعطوفات لبيان أن بين الأفعال المعطوفة تراخيًا.

قوله: (**وفي الحديث الصعود...**) الخ. رواه الترمذي والحاكم. **وقوله**: (**يصعد**) بصيغة المجهول من التفعيل. **وقوله**: (**سبعين خريفًا**) أي عامًا. **وقوله**: (**ثم يهوي**) من الباب الثاني أي يسقط أو ينزل. **وقوله**: (**كذلك**) أي سبعين خريفًا أي عامًا. **وقوله**: (**أبدًا**) قيد للصعود والنزول أي إلى غير المتناهي في الصعود والسقوط.

قوله: (**و﴿ثُمَّ﴾ يشعر بأن الدعاء الثاني أبلغ من الأول**) لأنها للتراخي الزماني في الأصل فاستعير هنا للتراخي الرتبي فتفيد الأبلغية. **قوله**: (**قطب[1] وجهه**) في مختار الصحاح قطّب وجهه تقطيبًا عَبَس.اهـ. **قوله**: (**والكلوح**) في مختار الصحاح الكُلوح تكسر في عُبُوس وبابه خضع.اهـ. **قوله**: (**أي عن مقامه وفي مقاله**) أي أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله.

---

(١) أي تغير واسود ١٢ قنوي رحمه الله.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يُروىٰ عن السحرة. رُوِيَ أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه **(لطلاوة)**، وإن أعلاه لمثمر، **(وإن أسفله لمغدق)**، ونه يعلو وما يعلىٰ. فقالت قريش: **(صبأ)** والله الوليد. فقال أبو جهل وهو ابن أخيه: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينًا وكلّمه بما أحماه فقام الوليد، فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل رأيتموه **(يخنق)**؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطىٰ شعرًا قط؟ وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا. ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل، **(فارتجّ)** النادي فرحًا وتفرّقوا متعجبين منه. وذكر الفاء دليل على أن هذه الكمة لما خطرت بباله نطق بها **(من غير تلبث)** ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرىٰ التوكيد للأولى.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿سَأُصْلِيهِ﴾ سأدخله بدل من ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿سَقَرَ﴾ علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ تهويل لشأنها ﴿لَا تُبْقِي﴾ أي هي لا تبقى لحمًا ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ عظمًا أو لا تبقى شيئًا يبقى فيها إلا أهلكته ولا تذره هالكًا بل يعود كما كان ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هي لواحة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ جمع بشرة

قوله: (لطلاوة) بالضم والفتح لغة أي بهجة. اهـ مصباح. **قوله:** (وإن أسفله لمغدق) الغَدَق بالغين المعجّمة وبفتح الدال المطر الكبار القطر والمُغْدِق مُفْعِلٌ منه. **قوله:** (صبأ) في المصباح صبأ من دين إلى دين يصبأ مهموز بفتحتين خرج فهو صابىء. اهـ. **قوله:** (يخنق) كانوا يعتقدون الجن يخنق المجنون ويخبطه. **قوله:** (فارتج) أي اضطرب النادي والمجلس أي أهله. **قوله:** (من غير تلبث) أي من غير توقّف.

وهي ظاهرة الجلد (أي مسوّدة) للجلود ومحرقة لها ﴿عَلَيْهَا﴾ على سقر ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي يلي أمرها تسعة عشر (ملكًا) عند الجمهور. (وقيل: صنفًا من الملائكة). وقيل: صفًا. وقيل: (نقيبًا) ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي خزنتها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ لأنهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقّة لأنهم أشد الخلق بأسًا فللواحد منهم قوة الثقلين.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ تسعة عشر ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي ابتلاء واختبار ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حتى قال أبو جهل: لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ ما يستطيع كل عشر منكم أن يأخذوا واحدًا منهم (وأنتم الدهم)، فقال (أبو الأشد) وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فنزلت ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي

قوله: (أي مُسَوِّدَة) اسم فاعل من التفعيل. **قوله**: (ملكًا) فالمعدود أفراد وهو الظاهر المتبادر ولذا قدمه ورجحه. **قوله**: **(وقيل: صنفًا من الملائكة)** فالمعدود صنف ولا يعلم عدد كل صنف إلّا الله تعالى، ولذا لم يتعرّض المصنّف رحمه الله والصنف هو النوع المقيّد بتشخصات كلية كالرومي فإنه الإنسان المقيّد بكونه أبيض فليعتبر مثل ذلك في الملك ودون تفصيلها خرط القتاد[1]. اهـ قنوي. **قوله**: (نقيبًا) وهو الضامن لتدبير أمرهم.

قوله: **(وأنتم الدَهْم)** في لسان العرب الدَهْم الجماعة الكثيرة. اهـ. **قوله**: **(أبو الأشد)** بفتح الهمزة وضمّ الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة.

---

(١) في تاج العروس شرح القاموس في فصل الخاء من باب الطاء ويضرب للأمر الشاق دون ذلك خرط القتاد. اهـ. وفيه أيضًا (خرط الشجر يخرطه ويخرُطه) خرطًا (انتزع الورق منه) واللحاء (اجتزابًا) بكفه. اهـ. وأيضًا فيه في فصل القاف من باب الدال (القتاد كسحاب شجر صلب له شوكة كالإبر) وهو قضبان مجتمعة كل قضيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكًا ١٢.

وما جعلناهم رجالًا من جنسكم يطاقون. وقالوا: في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع أنه لا يطلب في الأعداد العلل أن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم، وستة يضربونهم بمقامع الحديد، والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الأكبر. وقيل: في سقر تسعة عشر دركًا وقد سلّط على كل درك ملك. وقيل: يعذب فيها بتسعة عشر لونًا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل. وقيل: إن جهنم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال وهي تسعة عشر وإن كان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ لأن عدّتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزّل من الله ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمحمد وهو عطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ ﴿إِيمَـٰنًا﴾ لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل، أو يزدادوا يقينًا لموافقة كتابهم كتاب أولئك ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا عطف أيضًا، وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالّان على انتفاء الارتياب. ثم عطف على ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ أيضًا.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ المشركون فإن قلت: النفاق ظهر في المدينة والسورة مكيّة. قلت: معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾ وهذا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكيّة. وقيل: المراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين. و﴿مَثَلًا﴾ تمييز لهذا أو حال منه كقوله: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [هود: الآية ٦٤] ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمي مثلًا، والمعنىٰ أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأي معنىً أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين، وغرضهم إنكاره أصلًا وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ **(الكاف نصب)** و«**ذلك**» إشارة إلى ما قبله من معنىٰ الإضلال والهدى **(أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى)** يعني إضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما

قوله: (الكاف نصب) على أنه نعت لمصدر محذوف أي يضلّ إضلالًا مثل ذلك. **قوله: (أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى)** في قوله:

قالوا، وهدي المؤمنين لتصديقه، ورؤية الحكمة في ذلك يضلّ الله مَن يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء، وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال. لما قال أبو جهل لعنه الله: أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر نزل ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لفرط كثرتها ﴿إِلَّا هُوَۚ﴾ (**فلا يعز**) عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها ﴿وَمَا هِىَ﴾ متصل بوصف سقر (**وهي**) ضميرها أي وما سقر وصفتها ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي تذكرة للبشر أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ أقسم به لعظم منافعه (﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ **نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف. وغيرهم** ﴿**إذا دبر**﴾) ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب. وقيل: أدبر ولى ومضى، ودبر جاء بعد النهار ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أضاء وجواب القسم ﴿إِنَّهَا﴾ إن سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ هي جمع الكبرى أي لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر، ومعنى كونها إحداهن أنها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول: هو أحد الرجال وهي أحدى النساء.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾. وفي قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ أي كإضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم يضلّ ويخزي مَن يشاء ويهدي ويرشد مَن يشاء كإرشاد الصحابة. قوله: (فلا يَعزّ) أي يعسر. قوله: (وهي) أي لفظ هي.

قوله: (﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾) بسكون الذال المعجمة والدال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة الساكنين (نافع وحفص وحمزة ويعقوب) بن إسحٰق وليس من السبعة (وخلف) بن هشام وليس من السبعة وله اختيار. قوله: (وغيرهم ﴿إذا دبر﴾) بفتح الذال المعجمة وبعدها ألف وفتح المهملة بعد الألف.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من «إحدى» أي إنها لإحدى الدواهي **(إنذارًا)** كقولك: هي إحدى النساء عفافًا. وأبدل من ﴿لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بإعادة الجار ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عنه. وعن الزجاج: إلى ما أمر وعما نهى. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ هي ليست بتأنيث «رهين» في قوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: الآية ٢١] لتأنيث النفس، **(لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين)**، لأن فعيلًا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، والمعنى كل نفس رهن **(بكسبها)** عند الله غير مفكوك.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ أي أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها، أو إلا المسلمين فإنهم فكّوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق ﴿فِى

قوله: (إنذارًا) إشارة إلى أن ﴿نَذِيرًا﴾ على هذا بمعنى الإنذار مصدر. **قوله**: **(لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين)** لأن فعيلًا إذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكّر والمؤنّث فعلم أن التاء ليست للفرق بين المذكّر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول أي اسم لما يرهن والتاء التي فيه للدلالة على كونه منقولًا من الوصفية إلى الاسمية فإن الصفة إذا غلبت الاسمية عليها وكانت بحيث لا تحتاج إلى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلًا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصحّ أن يقال: كل امرىء رهينة كما يقال كل نفس رهينة أي محبوسة من قولهم: رَهن الشيء أي دام وثبت وأرهنته كذا، أي تركته ثابتًا مقيمًا عنده والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون ونفس المكلّف محبوسة والحابس الله تعالى بمقابلة ما أوجبه عليه من التكاليف التي هي خالص حقّه فإن أدّاها المكلّف كما وجبت عليه فكّ رقبة وخلّص نفسه وإلّا تبقى نفسه محبوسة عنده تعالى. **قوله**: (بكسبها) على أن ما مصدريّة.

﴿جَنَّٰتٍ﴾ **(أي هم في جنات لا يكتنه وصفها)** ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ **(يسأل بعضهم بعضًا عنهم أو** ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ **غيرهم عنهم)** ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ أدخلكم فيها. ولا يقال لا يطابق قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ وهو سؤال للمجرمين قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ وهو سؤال عنهم، وإنما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم، لأن ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم، لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين، إلا أنه اختصر **(كما هو نهج القرآن)**. وقيل: «عن» زائدة.

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي لم نعتقد فرضيتها ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ كما يطعم المسلمون ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الخوض: الشروع في الباطل. أي نقول الباطل والزور في آيات الله ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ الحساب والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ من الملائكة والنبيين والصالحين لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين في الحديث: **(«إن من أمتي مَن يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر»)** ﴿فَمَا

قوله: (أي هم في جنّات) يعني أن قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: الآية ٧٢] خبر مبتدأ مضمر. **قوله: (لا يكتنه وصفها)** يشير إلى أن تنوينه للتعظيم ويكتنه بمعنى يدرك كنهه. **قوله: (يسأل بعضهم بعضًا عنهم)** فالتفاعل في بابه. **قوله: (أو** ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ **غيرهم عنهم)** بمعنى يسألون غيرهم عن أحوال المجرمين فإن تفاعل قد يجيء بمعنى فعل كما يقال تداعينا أي دعونا. **قوله: (كما هو نهج القرآن)** في غرابة نظمه.

قوله: (إن من أمتي مَن يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر). أخرجه الإمام أحمد والحاكم وابن ماجة عن الحارث بن قيس ومالك وغيره.

لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ (عن التذكير) وهو العظة أي القرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾ موليين حال من الضمير نحو: مالك قائمًا.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ (أي حمر الوحش) حال من الضمير في ﴿مُعْرِضِينَ﴾ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ (شديدة النفار) كأنها تطلب النفار من نفوسها. (وبفتح الفاء: مدني وشامي) أي استنفرها غيرها ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ حال و«قد» معها مقدّرة. (والقسورة: الرماة) أو الأسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة، شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ (قراطيس تنشر وتقرأ) وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء (عنوانها): من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك. ونحوه

قوله: (عن التذكير) إشارة إلى أن ﴿ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ مصدر بمعنى التذكير.

قوله: (أي حمر الوحش) لأنها موصوفة بالنِفار وشدّة الفرار لا سيما من الأسد. **قوله:** (شديدة النفار) في المصباح نفر الوحش نفورًا والاسم النفار بالكسر. اهـ. **قوله:** (وبفتح الفاء: مدنيّ) أي قرأه نافع وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وشاميّ) أي قرأه ابن عامر في تفسير النيسابوري ﴿مُّسْتَنفَرَةٌ﴾ بفتح الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر المفضل. اهـ. وقرأ الباقون بكسرها. **قوله:** (والقسورة: الرماة) أي جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (قراطيس) أي المراد بالمصحف القراطيس جمع قرطاس وهو ورق فسّر الصحف بالقراطيس إذ الصحف هي التي يكتب فيها من ورق أو كاغذ أو غيرهما. **قوله:** (تنشر وتقرأ) أشار به إلى أن المراد بكونها منشورة أن تفتح لتقرأ. **قوله:** (عنوانها) بضم العين وقد تكسر. اهـ مصباح. وفي لسان العرب العنوان سمة الكتاب. اهـ.

قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: الآية ٩٣] وقيل: قالوا إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن تلك الإرادة وزجر عن اقتراح الآيات. ثم قال: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤)﴾ ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال: إن القرآن تذكرة بليغة كافية ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥)﴾ أي فمَن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل. فإن نفع ذلك عائد إليه ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ **(وبالتاء: نافع المدنيّ ويعقوب)** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا وقت مشيئة الله وإلا بمشيئة الله ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ في الحديث: «هو أهل أن يتقي وأهل أن يغفر لمن اتقاه» والله أعلم.

قوله: (﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾) أي لن نؤمن بك لأجل رقيك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٣] من السماء فيه تصديقك.

قوله: **(وبالتاء: نافع المدنيّ ويعقوب)** بن إسحٰق الحضرمي البصري وليس من السبعة وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب والباقون بياء الغيبة حملًا على ما تقدم من قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

تمّت السورة بحمد لله وعونه
والصلاة والسلام على أفضل مخلوقاته وآله وصحبه

(سورة القيامة)

(مكيّة، وهي أربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢)﴾

﴿(لَآ) أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١)﴾ أي أقسم. عن ابن عباس: و﴿لَآ﴾ صلة كقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: الآية ٢٩] وقوله:

(في بئر لا حور سرى وما شعر)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة القيامة، مكية، وهي أربعون آية) ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفًا. قوله: و(﴿لَآ﴾) صلة زائدة. قوله:

(في بئر لا حور سرى وما شعر)

الحور بالضم الهلكة، ويُقال: حور في محارة فلان مثل يضرب للرجل المتحيّر في أمره أي ضلّ في ضلالة. قال أبو عبيد: المعنى في بئر حور ولا زيادة. وقال في الحواشي: حور جمع حائر من حار إذا هلك والمعنى سرى في بئر الهلاك والضلال وما علم.

وكقـوله:

تذكرت ليلى (فاعترتني صبابة) وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء: «لا» رد لإنكار المشركين البعث كأنه قيل: ليس الأمر كما تزعمون ثم قيل: أقسم بيوم القيامة. وقيل: أصله لأقسم (كقراءة ابن كثير) على أن اللام للابتداء و﴿أُقۡسِمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي لأنا أقسم ويقويه أنه في «الإمام» بغير الألف ثم أشبع فظهر من الإشباع ألف، وهذا اللام يصحبه نون التأكيد في الأغلب وقد يفارقه.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ الجمهور على أنه قسم آخر. وعن الحسن: أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهي صفة ذم وعلى القسم صفة مدح أي النفس المتقية التي تلوم على التقصير في التقوىٰ وقيل: هي نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنّة، وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دليله.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨﴾

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر المنكر للبعث ﴿أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعد تفرّقها ورجوعها (رفاتًا) مختلطًا بالتراب.

﴿بَلَىٰ﴾ أوجبت ما بعد النفي أي بلى نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿نَّجۡمَعَ﴾ أي نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أصابعه كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام.

قوله: (فاعترتني) أي أصابتني. **قوله**: (صبابة) رقّة الشوق. **قوله**: (كقراءة ابن كثير) في تفسير الخطيب قرأ ابن كثير بخلاف عن البزي بغير ألف بعد اللام والهمزة مضمومة والباقون بالألف ويعبّر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقين بالمدّ ولا خلاف في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ في المد.

قوله: (رفاتًا) في مختار الصحاح الرفات الحُطام.اهـ. وأيضًا فيه الحطام ما تكسر من اليُبس.اهـ.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عطف على ﴿أَيَحْسَبُ﴾ فيجوز أن يكون مثله استفهامًا ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متىٰ ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ تحير فزعًا (**وبفتح الراء: مدني شَخَصَ**) ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ وذهب ضوؤه أو غاب من قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ [القصص: الآية ٨١] (**وقرأ أبو حيوة بضم الخاء**).

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ أي جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو جمعًا في ذهاب الضوء ويجمعان فيقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرىٰ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ هو مصدر أي الفرار من النار أو المؤمن أيضًا من الهول. (**وقرأ الحسن بكسر الفاء**) وهو يحتمل المكان والمصدر ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفرّ ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقرّ العباد أو موضع قرارهم من جنّة أو نار مفوّض ذلك لمشيئته، مَن شاء أدخله الجنّة ومَن شاء أدخله النار ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ يخبر ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من عمل عمله ﴿وَأَخَّرَ﴾ ما لم يعمله.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ شاهد. والهاء للمبالغة كعلامة أو أنثه لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه تشهد عليه، أو هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٤] وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك. و﴿بَصِيرَةٌ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ تقدم عليه والجملة

قوله: (**وبفتح الراء: مدنيّ**) أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**شخص**) ووقف لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء وأما على قراءة كسرها فالمعنى تحير ودهش مما يرى وقيل: هما لغتان في التحيّر والدهشة. **قوله**: (**وقرأ أبو حيوة بضم الخاء**) وقرأ العامّة ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ على بناء الفاعل.

قوله: (**وقرأ الحسن بكسر الفاء**) قراءة شاذّة.

خبر الإنسان كقولك: زيد على رأسه عمامة. والبصيرة على هذا يجوز أن يكون الملك الموكل عليه ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ أرخى ستوره والمعذار الستر. وقيل: ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه مَن يكذب عذره. والمعاذير ليس بجمع معذرة لأن جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن. وكان ﷺ يأخذ في القرآن قبل فراغ جبريل كراهة أن **(يتفلت)** منه فقيل له: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علّل النهي عن العجلة بقوله:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وإثبات قراءته في لسانك، والقرآن القراءة ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: الآية ١١٤] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي قراءته عليك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ إذا أشكل عليك شيء من معانيه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إنكار البعث أو ردع لرسول الله ﷺ عن العجلة وإنكار لها عليه، وأكده بقوله: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ كأنه قيل: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما **(بالتاء: مدنيّ وكوفيّ)** ﴿وُجُوهٌ﴾ هي وجوه المؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة ناعمة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة. وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه لا يصح لأنه يقال: نظرت فيه أي تفكرت، ونظرته انتظرته، ولا يعدّى بـ «إلى» إلا بمعنىٰ الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار في دار القرار ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ

قوله: **(ينفلت)** في المصباح انفلت خرج بسرعة. اهـ.

قوله: **(بالتاء: مدنيّ)** أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وكوفيّ)** أي وقرأه عاصم وحمزة وعليّ الكسائي وخلف، وقرأ الباقون

بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ (**كالحة**) شديدة العبوسة وهي وجوه الكفار ﴿تَظُنُّ﴾ تتوقع ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ فعل هو في شدّته ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية (**تقصم فقار الظهر**).

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك وتنبّهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي الروح وجاز وإن لم يجر لها ذكر لأن الآية تدلّ عليها ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ العظام (**المكتنفة لثغرة النحر**) عن يمين وشمال جمع ترقوة ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ (**يقف حفص على** ﴿مَنْۜ﴾ **وقيفة**) أي قال (**حاضر والمحتضر**) بعضهم لبعض أيّكم (**يرقيه مما به من الرقية**) من حد ضرب، أو هو من كلام الملائكة: أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (**من الرقي**) من حد علم.

بالغيب. **قوله:** (**كالحة**) الكلوح بضم الكاف ما يظهر على الوجه في حال العبوس. **قوله:** (**تقصم**) تكسر (**فقار الظهر**) بفتح الفاء جمع فقارة بفتح الفاء وهو ما يتصل من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

قوله: (**المكتنفة**) في مختار الصحاح كنفه حاطه وصانه وبابه نصر والكنف بفتحتين الجانب وتكنفوه واكتنفوه وكنّفوه تكنيفًا أحاطوا به.اهـ. **قوله:** (**لثغرة النحر**) في المصباح ثغرة النحر الهزمة في وسطه والجمع ثغر مثل غرفة وغرف.اهـ. وأيضًا فيه الهزمَة مثل تمرة النقرة في صخر وغيره ومنه قيل للثغرة من الترقوتين هزمة والجمع هزمات مثل سجدة وسجدات.اهـ. **قوله:** (**يقف حفص على** ﴿مَنْۜ﴾ **وُقَيْفة**) أي سكت حفص على نون ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ سكتة لطيفة من غير تنفس لئلا يتوهّم أنها كلمة. **قوله:** (**حاضر والمحتضر**) بالإضافة إلى مَن حضر المحتضر عند موته من الأحبّة والأقارب. **قوله:** (**يرقيه مما به**) أي ينجيه مما به أي من النوازل التي أصابت به. **قوله:** (**من الرقية**) أي راق مشتقّ من الرقية بضم الراء وكسر القاف وتشديد الياء ما يقرأ عند المريض مثلًا من آيات الشفاء ونحوها للتشفي. **قوله:** (**من الرقي**) أي راقٍ على هذا الاحتمال من الرقي بضم الراء مصدر بمعنى الصعود.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَظَنَّ﴾ أيقن المحتضر ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ التوت ساقاه عند موته. وعن سعيد بن المسيّب: هما ساقاه حين تلفان في أكفانه. وقيل: شدّة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدّة. وعن ابن عباس ﵄: هما همّان: همّ الأهل والولد وهمّ القدوم على الواحد الصمد ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ **(هو مصدر ساقه)** أي مساق العباد إلى حيث أمر الله إما إلى الجنّة أو إلى النار.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بالرسول والقرآن ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ الإنسان في قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [القيامة: الآية ٣] ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان أو فلا صدق ماله يعني فلا زكاه ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد **(لأن المتبختر يمد خطاه)** فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ بمعنىٰ ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ كرر للتأكيد كأنه قال: ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك. وقيل: ويل لك يوم الموت، وويل لك في القبر، وويل لك حين البعث، وويل لك في النار.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ أيحسب الكافر أن يترك مهملًا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى؟

قوله: (هو مصدر ساقه) يعني أن المساق مصدر ميمي بمعنى السوق.

قوله: (لأن المتبختر يمد خطاه) بيان إفادته لما ذكر[1].

---

(١) بيان المناسبة ١٢.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ (بالياء: ابن عامر وحفص أي يراق المني في الرحم، وبالتاء يعود إلى النطفة) ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي صار المني قطعة دم جامد بعد أربعين يومًا ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ فخلق الله منه بشرًا سويًا ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ من الإنسان ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ أي من المني الصنفين ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أليس الفعّال لهذه الأشياء بقادر على الإعادة؟ (وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «سبحانك بلىٰ»). والله أعلم.

قوله: (**بالياء: ابن عامر وحفص أي يراق المني في الرحم، وبالتاء يعود إلى النطفة**) عبارة تفسير النيسابوري «تمنى» على التذكير حفص والمفضل وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ورُويس الباقون بتاء التأنيث. اهـ. **قوله**: (**وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «سبحانك بلى»**) رواه أبو داود والحاكم وقوله: سبحانك صدر بالتسبيح للتنزيه عن التوهم بعدم القدرة. وقوله: بلى إبطال للنفي.

تمّت السورة بحمد الله

والصلاة على سيّدنا محمد وآله وصحبه وأهل بيته وحزبه

(سورة الإنسان)

(مكيّة، وهي إحدى وثلاثون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ
أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ قد مضىٰ ﴿عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ آدم عليه السلام ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ أربعون سنة مصورًا قبل نفخ الروح فيه ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ لم يذكر اسمه ولم يدرِ ما يراد به لأنه كان طينًا يمرّ به الزمان ولو غير موجود لم يوصف بأنه قد أتىٰ عليه حين من الدهر. ومحل ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ النصب على الحال من الإنسان أي أتىٰ عليه حين من الدهر غير مذكور ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ أي ولد آدم، وقيل الأول ولد آدم أيضًا و﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ على هذا مدة لبثه في بطن أُمه إلى أن صار شيئًا مذكورًا بين الناس ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ نعت أو بدل منها أي من نطفة قد امتزج فيها الماءان. وشجه ومزجه بمعنىٰ و﴿نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ **(كبرمة أعشار)** فهو لفظ مفرد غير

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الإنسان) وتُسمى سورة الدهر والأمشاج وهل أتى **(مكية)** أو مدنية **(وهي إحدى وثلاثون آية)** ولا خلاف في عدد آياتها ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفًا. **قوله: (كبرمة أعشار)** في أن صيغة أفعال فيها لفظ

جمع ولذا وقع صفة للمفرد ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ حال أي خلقناه مبتلين (**أي مريدين ابتلاءه**) بالأمر والنهي له ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ذا سمع وبصر.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيّنا له طريق الهدى بأدلّة العقل والسمع ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ كافرًا حالان من الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾ أي إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل في الحالين أو من السبيل أي عرّفناه السبيل إما سبيلًا شاكرًا وأما سبيلًا كفورًا. (**ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز**). ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أُعد لهما فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ جمع سلسلة بغير تنوين: حفص و(**مكيّ**) وأبو عمرو وحمزة، وبه ليناسب ﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب: غيرهم (﴿وَأَغْلَٰلًا﴾) **جمع غُلّ**) ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارًا موقدة.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع برّ أو بارّ كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وهم الصادقون في الإيمان أو الذين لا يؤذون الذرّ ولا يضمرون الشرّ ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ خمر فنفس الخمر تسمىٰ كأسًا. وقيل: الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ (**ما تمزج به**) ﴿كَافُورًا﴾ ماء كافور وهو اسم عين في الجنّة ماؤها في

مفرد، ولذلك وقعت صفة لمفرد ليدلّ على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل أشراف وأيتام. يقال: برمة أعشار إذا انكسرت قطعًا أي متكسرة كأنها صارت عشر قطع والبرمة القدر. **قوله**: (**أي مريدين ابتلاه**) ويعني أنه حال مقدّرة لا مقارنة إذ لا ابتلاء وقت خلقه.

قوله: (**ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز**) من حيث إن السبيل وصف بوصف مَن سلكه. **قوله**: (**مكيّ**) أي عبد الله بن كثير المكيّ. **قوله**: (﴿**وَأَغْلَٰلًا**﴾ **جمع غلّ**) بالضم طوق من حديد يجعل في العنق مثل قفل وأقفال.

قوله: (**ما تمزج به**) كالخرام لما يخرم به فهو اسم آلة. اهـ شهاب.

بياض الكافور ورائحته وبرده ﴿عَيْنًا﴾ (**بدل منه**) ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أي منها أو الباء زائدة أو هو محمول على المعنىٰ أي يلتذّ بها (**أو يروى**) بها. وإنما قال أولًا بحرف «من» وثانيًا بحرف الباء لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته، وأما العين فيها يمزجون شرابهم فكأنه قيل: يشرب عباد الله بها الخمر ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ (**يجرونها**) حيث شاءوا من منازلهم ﴿تَفْجِيرًا﴾ سهلًا لا يمتنع عليهم.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ بما أوجبوا على أنفسهم، وهو جواب «من» عسىٰ أن يقول: ما لهم يرزقون ذلك؟ والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن مَن وفّىٰ بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفىٰ ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ شدائده ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا (**من استطار الفجر**) ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ (عَلَىٰ حُبِّهِۦ)﴾ أي حب الطعام من الاشتهاء والحاجة إليه (**أو على حبّ الله**) ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا عاجزًا عن الاكتساب ﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ مأسورًا مملوكًا أو غيره.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

ثم علّلوا إطعامهم فقالوا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي لطلب ثوابه أو هو بيان من الله. ﷻ عما في ضمائرهم، لأن الله تعالىٰ علمه منهم فأثنىٰ عليهم وإن لم يقولوا شيئًا ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ هدية على ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ ثناء

قوله: (بدل منه) أي من الكافور على حذف مضاف أي ماء عين لأن العين التي هي منبع الماء لا تبدل من نفس الماء إلا بتقدير مضاف. **قوله**: (**أو يروى**) في لسان العرب رُوِيَ من الماء بالكسر ومن اللبن يروى ريًّا وروًّا أيضًا مثل رضي وتروى وارتوى كله بمعنى والاسم الري أيضًا. **قوله**: (**يُجْرونها**) من الإجراء.

قوله: (**من استطار الفجر**) الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الأفق. **قوله**: (﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾) مصدر مضاف للمفعول. **قوله**: (**أو على حبّ الله**) عزّ وجلّ أي لحب الله.

(وهو مصدر) كالشكر ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ أي إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة، أو إنا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (**وصف اليوم بصفة أهله**) من الأشقياء نحو: نهارك صائم. والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ صانهم من شدائده ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم بدل عبوس الفجار ﴿نَضْرَةً﴾ حسنًا في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾ فرحًا في القلوب ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم علة الإيثار. (**نزلت في علي وفاطمة**) و(فضة) جارية لهما، لما مرض الحسن والحسين ﷺ نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض علي ﷺ من

قوله: (وهو مصدر) كالقعود والدخول والخروج. **قوله**: (**وصف اليوم بصفة أهله**) فوصفه بالعبوس مجاز في الإسناد.

قوله: (**نزلت في عليّ وفاطمة...**) الخ. قال في تفسير الكبير لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة كأبي بكر الأصم وأبي عليّ الجبائي وأبي القاسم الكعبي وأبي مسلم الأصفهاني والقاضي عبد الجبار بن أحمد في تفاسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حق عليّ بن أبي طالب عليه السلام والواحدي من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنها نزلت في حق عليّ عليه السلام وصاحب الكشاف من المعتزلة ذكر هذه القصة.اهـ. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ.اهـ. وفي القنوي قيل: حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الترمذي: حديث مفتعل وآثار الوضع ظاهرة عليه لفظًا ومعنى مع أنه يقتضي كون السورة مدنيّة لأن تزوج علي بفاطمة رضي الله تعالى عنهما في المدينة كان بعد وقعة أحد. وقد قال المصنّف: إن السورة مكيّة وقد تبع المصنّف الزمخشري وغيره من قدماء المفسّرين ولعلهم اطلعوا على عدم وضعه أو لاختلاف فيه والقول بأنه يقتضي كون السورة مدنيّة مدفوع بأنه يجوز أن يكون حكاية قبل وقوعه كما قيل في نظائره. انتهى بحروفه فافهم.

وقوله: (فضّة) بلفظ أُخت الذهب اسم لجارية لهما.

يهوديّ ثلاثة **(أصوع)** من الشعير، فطحنت فاطمة ﷺ كل يوم صاعًا وخبزت فآثروا بذلك ثلاثة عشايا على أنفسهم مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ولم يذوقوا إلا الماء في وقت الإفطار. ﴿جَنَّةً﴾ بستانًا فيه مأكل هنيء ﴿وَحَرِيرًا﴾ ملبسًا بهيًّا.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من «هم» في ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرة **(جمع الأريكة)** ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ حال من الضمير المرفوع في ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ غير رائين ﴿فِيهَا﴾ في الجنّة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل، لا حر شمس يحمي ولا شدّة برد تؤذي. وفي الحديث: «هواء الجنّة **(سجسج)** لا حرّ **(ولا قرّ)**». فالزمهرير البرد الشديد. وقيل: القمر أي الجنّة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنّة أي وجنّة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ - ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٤٦] - ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ سخّرت للقائم والقاعد والمتكىء وهو حال من ﴿وَدَانِيَةً﴾ أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم، أو معطوفة عليها أي ودانية عليهم ظلالها ومذلّلة ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها **(جمع قطف)**. ﴿تَذْلِيلًا﴾.

وقوله: **(أصوع)** جمع صاع وهو معروف وهو يؤنّث ولذا قال ثلاث أصوع.

قوله: **(جمع الأريكة)** وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرة والستور والسرير لا يسمى أريكة إلا إذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء وإذا كان فارغًا لا يسمى سجلًا، وكذا الكأس لا تُسمى كأسًا إلا إذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: **(سَجْسَجٌ)** في لسان العرب السجسج الهواء المعتدل بين الحرّ والبرد. اهـ. **قوله**: **(ولا قُرّ)** القرّ بالضم البرد. **قوله**: **(جمع قطف)** بالكسر.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ أي يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب. **(والآنية جمع إناء)** وهو وعاء الماء ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي من فضة **(جمع كوب)** وهو إبريق **(لا عروة له)** ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ **(«كان» تامّة أي كونت)** فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها يرى ما فيها من الشراب من خارجها. قال ابن عباس ﵄: قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنّة فضة. **(قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما. وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما. وابن كثير بتنوين الأول)** والتنوين في الأول لتناسب الآية المتقدمة والمتأخرة، وفي الثاني لاتباعه الأول. والوقف على الأول قد قيل ولا يوثق به لأن الثاني بدل من الأول ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ صفة لـ ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ **(أي أهل الجنة قدروها)** على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم، أو السقاة جعلوها

قوله: (والآنية جمع إناء) وأصلها أأنية بهمزتين الأولى همزة أفعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها. **قوله: (جمع كوب)** مثل قفل وأقفال. **قوله: (لا عروة له)** أي لا أذن له. **قوله: («كان» تامة أي كونت)** أي حدثت فيكون قوارير الأول حالًا من فاعل كان ولعل الوجه في اختيار كونها تامّة مع جواز كونها ناقصة و قوارير الأول خبرها أنها إذا جعلت بمعنى كوّنت وحدثت ينتقل الذهن إلى المكوّن المحدث وحيث لا يكون إلّا الله كان المعنى كوّنت حال كونها قوارير بتكوين الله تعالى فتكون إشارة إلى تفخيم الآنية بكونها أثر قدرة الله تعالى. **قوله: (قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما)** والوقف عليهما بالألف. **قوله: (وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما)** وعدم الوقف عليهما بالألف لحمزة وحده والوقف عليهما بالألف لهشام (يروي عن ابن عامر) وحده والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان (يروي عن ابن عامر) وحفص. **قوله: (وابن كثير بتنوين الأول)** دون الثاني والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها. **قوله: (أي أهل الجنة قدروها. . .)** الخ والمعنى قدّر الشاربون في أنفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير وأشكال على حسب ما يريدون ويشتهون

(على قدر ريّ شاربها) فهي ألذّ لهم وأخفّ عليهم. وعن مجاهد: **(لا تفيض ولا تغيض)**.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩﴾

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي الأبرار ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾ ﴿فِيهَا﴾ في الجنّة ﴿تُسَمَّىٰ﴾ تلك العين ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ سميت العين زنجبيلًا نطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذه وتستطيبه. وسلسبيلًا لسلاسة **(انحدارها)** وسهولة **(مساغها)**. قال **(أبو عبيدة)**: ماء سلسبيل أي عذب طيب ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدمًا لأهل الجنّة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ لا يموتون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم **(وانبثاثهم)** في مجالسهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وتخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من المنظوم.

فجاءت كما قدروها، فإن منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل. أما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾. وأما النقاء فقد ذكره بقوله: ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: الآية ٣٣]. وأما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾. **قوله**: **(على قدر ريّ شاربها)** أي شهوتهم إذ لا عطش في الجنة والريّ بكسر الراء وفتحها. **قوله**: **(لا تفيض)** أي لا تزيد. **قوله**: **(ولا تغيض)** أي ولا تنقص.

قوله: **(انحدارها)** أي العين فإنه مؤنّث. **قوله**: **(مساغها)** مصدر ميمي. **قوله**: **(أبو عبيدة)** بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره معمر بن المثنى وكانت ولادته في شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة في الليلة التي تُوفي بها الحسن البصري رضي الله تعالى عنه، وتُوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة. **قوله**: **(وانبثاثهم)** أي تفرّقهم في محل الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة وطوافهم على الأبرار المخدومين مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ إذا كان متفرّقًا كان أحسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفًا للمجتمع منه في اللمعان والبريق وشبّهت الحور العين باللؤلؤ

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ (ثَمَّ)﴾ **ظرف أي في الجنّة)** وليس لـ ﴿رَأَيْتَ﴾ مفعول ظاهر ولا مقدّر ليشيع في كل مرئي تقديره وإذا اكتسبت الرؤية في الجنّة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ كثيرًا ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعًا. **(يُروى أن أدنىٰ أهل الجنّة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه)**. وقيل: **(ملك لا يعقبه هلك)**، أو لهم فيها ما يشاءون أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون في الدخول عليهم.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

﴿عَالِيَهُمْ﴾ بالنصب على أنه حال من الضمير في ﴿وَيَطُوفُ وِلْدَانٌ﴾ أي يطوف عليهم ولدان عاليًا للمطوّف عليهم ثياب. **(وبالسكون: مدنيّ وحمزة)** على أنه مبتدأ

المكنون أي المحفوظ المخزون لأنهن لا يمهنّ في الخدمة فلا ينتشرن انتشار الولدان.

قوله: **(﴿ثَمَّ﴾ ظرف أي في الجنة)** أي ظرف بمعنى هناك نصب محلًّا على الظرفية. **قوله**: **(يُروَى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه)** كذا في تفسير الكشاف والبيضاوي والخازن والخطيب والبغوي. وروى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر أن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره وأن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين.اهـ. وروى الترمذي عن ابن عمر أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جِنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله مَن ينظر إلى وجهه الكريم غدوة وعشية.اهـ. **قوله**: **(يرى أقصاه كما يرى أدناه)** أي أقربه إليه لما يعطى من حدة النظر أو وهو من خصائص الجنة.اهـ شهاب. **قوله**: **(ملك لا يعقبه هلك)** في المصباح هلك الشيء هلكًا من باب ضرب وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأما اللام فمثلثة والاسم الهلك مثل قفل والهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك.اهـ.

قوله: **(وبالسكون)** أي بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء **(مدنيّ)** أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ ولس من السبعة **(وحمزة)**. وقرأ الباقون بفتح

خبره ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج. ﴿خُضْرٌ﴾ جمع أخضر ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ غليظ يرفعهما حملًا على الثياب: نافع وحفص، وبجرهما: حمزة وعلي حملًا على ﴿سُندُسٍ﴾ **(وبرفع الأول وجرّ الثاني أو عكسه: غيرهم)** ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ **(عطف على** ﴿وَيَطُوفُ﴾) ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة «الملائكة»: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: الآية ٢٣]. قال **(ابن المسيّب)**: لا أحد من أهل الجنّة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: واحدة من فضة وأُخرى من ذهب وأُخرى من لؤلؤ. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أضيف إليه تعالىٰ للتشريف والتخصيص. وقيل: إن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون: لقد طال أخذنا من الوسائط فإذا هم بكاسات تلاقي أفواههم بغير أكف من غيب إلى عبد ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس **(برجس)** كخمر الدنيا لأن كونها رجسًا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم، أو لأنه لم يعصر فتمسّه الأيدي **(الوضرة)** وتدوسه الأقدام الدنسة يقال لأهل الجنّة.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ محمودًا مقبولًا مرضيًا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا.

الياء وضم الهاء لأن الياء لما سكنت كسرت الهاء، ولما تحرّكت ضمت الهاء. **قوله: (وبرفعِ الأول وجر الثاني أو عكسه: غيرهم)** أي قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وليسا من السبعة برفع ﴿خُضْرٌ﴾ وجرّ ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾. وقرأ ابن كثير وأبو بكر شعبة بجر ﴿خُضْرٍ﴾ ورفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾. **قوله: (عطف على** ﴿وَيَطُوفُ﴾) على طريق عطف فعلية على فعلية ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ وإن كان ماضيًا لفظًا فإنه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه و﴿أَسَاوِرَ﴾ مفعول ثانٍ لحلّوا بمعنى ويحلون. **قوله: (ابن المسيّب)** هو سعيد بن المسيّب القرشي المخزومي المدني، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. **قوله: (برِجْس)** أي بنجس. **قوله: (الوضرة)** في المصباح وضر وضرًا فهو وضر مثل وسخ وسخًا فهو وسخ وزنًا ومعنى. اهـ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لأن تأكيد على تأكيد لمعنىٰ احتصاص الله بالتنزيل ليستقرّ في نفس النبيّ ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله **(مفرقًا)** إلا حكمة وصوابًا ومن الحكمة الأمر بالمصابرة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذيّة وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ من الكفرة **(للضجر)** من تأخير الظفر ﴿ءَاثِمًا﴾ راكبًا لما هو إثم داعيًا لك إليه ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ فاعلًا لما هو كفر داعيًا لك إليه، لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر، فنهىٰ أن يساعدهم على الأولين دون الثالث. وقيل: الآثم **(عتبة)** لأنه كان ركابًا للمآثم والفسوق. والكفور: **(الوليد)** لأنه كان غالبًا في الكفر والجحود. والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما، وإذا نهىٰ عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهىٰ عن طاعتهما معًا ومتفرّقًا. ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون منهيًا عن طاعتهما معًا لا عن طاعة أحدهما، وإذا نهىٰ عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعًا أنهىٰ. وقيل: «أو» بمعنىٰ «ولا» أي ولا تطع آثمًا ولا كفورًا.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ صلّ له ﴿بُكْرَةً﴾ صلاة الفجر (﴿وَأَصِيلًا﴾ **صلاة الظهر والعصر)** ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فصّل صلاة العشاءين ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا

قوله: **(مفرقًا)** بناء على أن التنزيل للتدريج وقد يستعمل في النزول جملة كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢] الآية. **قوله**: **(للضجر)** في مختار الصحاح الضَّجَر القَلَق من الغمّ. اهـ. **قوله**: **(عتبة)** بن ربيعة. **قوله (الوليد)** بن المغيرة.

قوله: (﴿وَأَصِيلًا﴾ **صلاة الظهر والعصر)** لأن الأصيل اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال إلى الغروب.

طَوِيلًا﴾ أي تهجد له (هزيعًا) طويلًا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. ﴿إِنَّ هَٰؤُلَآءِ﴾ الكفرة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ (قدامهم أو خلف ظهورهم) ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا لا يعبئون به وهو القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ أحكمنا ﴿أَسْرَهُمْ ۖ﴾ خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة ممن يطيع ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ ۖ﴾ عظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالتقرّب إليه بالطاعة له واتباع رسوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتخاذ السبيل إلى الله. (**وبالياء: مكي وشامي وأبو عمرو. ومحل** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ **النصب**) على الظرف أي (**إلا وقت مشيئة الله**)، وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك. وقيل: هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون منهم من الأحوال ﴿حَكِيمًا﴾ مصيبًا في الأقوال والأفعال.

قوله: (هزيعًا) في المصباح الهزيع من الليل. قال ابن فارس هو الطائفة منه. اهـ. **قوله**: (قدامهم أو خلف ظهورهم) فإن الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين. وفي الصحاح وراء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدام فهي من الأضداد فهو إن كان بمعنى القدام يكون حالًا من قوله: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ وهو مفعول ﴿وَيَذَرُونَ﴾ لا ظرف له، وإن كان بمعنى خلف يكون ظرفًا لـ ﴿وَيَذَرُونَ﴾ كأنه قيل: ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذٍ يكون قوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعارة تمثيلية بأن شبّهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة وإعراضهم عنه بجعلهم إياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على الحال المشبّه بها في الحال المشبّهة.

قوله: (**وبالياء: مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وأبو عمرو**). وقرأ الباقون بالتاء من فوق. **قوله**: (**ومحل** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ **النصب**) على الظرف بتقدير المضاف وهو الوقت أي (**إلا وقت مشيئة الله**) فهو

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون ﴿فِي رَحْمَتِهِۦۚ﴾ جنّته لأنها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلّاً في رحمته لأنه شاء إيمان الكل، والله تعالى أخبر أنه يدخل مَن يشاء في رحمته وهو الذي علم منه أنه يختار الهدى ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (**نحو: أوعد وكافأ**).

استثناء مفرغ أي ما تشاؤون الطاعة والتقرّب بها وقتًا من الأوقات إلّا وقت أن يشاء الله تعالى مشيئتكم فإن جميع ما يجري على الإنسان من الطاعة والمعصية والكفر والإيمان إنما يجري عليه بخلق الله تعالى وما يخلقه إلا بمشيئته فلا يشاء أن يخلق فيكم مشيئة الطاعة إلا إذا علم منكم اختيار ذلك، **قوله: (نحو: أوعد وكافأ)** بالهمز في آخره بمعنى جازى ولم يقدر المذكور بعينه لأنه لا يتعدى بنفسه بل باللام كما يقدر في نحو: زيدًا مررت به، جاوزت زيدًا مررت به.

الحمد لله على إتمام ما يتعلّق بسورة الإنسان
والصلاة والسلام على أفضل مَن أوتي البيان من بني عدنان
وعلى آله وأصحابه ذوي العرفان والإيقان.
اللّهمّ ارزقنا جنة وحريرًا، واسقنا شرابًا طهورًا،
ونوّر قلوبنا بالإخلاص والنّيّة الصالحة تنويرًا

(سورة المرسلات)

(مكيّة، وهي خمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ (عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ) عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) ۝٦﴾ أقسم سبحانه وتعالىٰ بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتىٰ بالكفر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة المرسلات) وتُسمى سورة العرف (مكيّة) بلا خلاف إلّا أن بعضهم استثنى منها آية وهي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨﴾ [المُرسَلات: الآية ٤٨] (وهي خمسون آية) بلا خلاف ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفًا. كذا في تفسير الخازن وفي تفسير الخطيب بدل ومائة وثمانون كلمة وإحدى وثمانون كلمة. قوله: (﴿عُرْفًا﴾) أي متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضًا والعرف بالضم شعر عنق الفرس والمراد بالتلو الاتصال. قوله: (﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾) من العصف بمعنى الشدّة. قوله: (﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾) أي للإعذار والإنذار والإعذار

والجهل بما أَوحَيْنَ ففرَّقن بين الحق والباطل، فألقين ذكرًا إلى الأنبياء عليهم السلام عذرًا للمحقّين أو نذرًا للمبطلين. أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله: (﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾) [الروم: الآية ٤٨] فألقين ذكرًا إما عذرًا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما نذرًا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك **(إلى الأنواء)**، وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية. ﴿عُرْفًا﴾ حال أي متتابعة **(كعُرْف الفرس)** يتلو بعضه بعضًا، أو مفعول له أي أرسلن للإحسان والمعروف. و﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ مصدران. (﴿أَوْ نُذْرًا﴾ **أبو عمرو وكوفي غير أبي بكر وحماد)**. والعذر والنذر مصدران من عذر إذا محا الإساءة، وَن أنذر إذا خوف **(على فُعْل كالكفر والشكر. وانتصابهما على البدل من** ﴿ذِكْرًا﴾ **أو على المفعول له)**.

محو الإساءة والإنذار التخويف. **قوله**: (﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾) قطعًا جمع كسفة أي يجعله منبسطًا يأخذ وجه السماء مرة ويجعله قطعًا متفرّقة غير منبسطة مرة كذا أفاده المصنّف في سورة الروم عليه رحمة الله الحيّ القيّوم. **قوله**: **(إلى الأنْواء)** جمع نَوْء وهي منازل القمر والعرب كانت تعتقد أن الأمطار والخير كلها تجيء منها.اهـ مغرب. **قوله**: **(كعرف الفرس)** العرف بالضم شعر عنق الفرس.اهـ قاموس. **قوله**: (﴿أَوْ نُذْرًا﴾) بالسكون **(أبو عمرو وكوفيّ غير أبي بكر وحماد)** عبارة تفسير النيسابوري ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ بالسكون أبو عمرو وحمزة وعليّ وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد. انتهت. وفي الخطيب قرأ ﴿أَوْ نُذُرًا﴾ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال والباقون بسكونها.اهـ. **قوله**: **(على فُعْل كالكفر والشكر)** كون عذرًا مصدر عذر ظاهر لأن فعلًا نحو شكرًا وكفرًا من مصادر الثلاثي. وأما كون ﴿نُذْرًا﴾ مصدر أنذر فليس بظاهر فلعل المراد أنه اسم مصدر له، وفي الصحاح الإنذار الإبلاغ ولا يكون إلّا في نحو التخويف والاسم النذر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: الآية ١٦] أي إنذاري فإنه صريح في أن النذر اسم لمصدر أنذر. قوله: (**وانتصابهما على البدل من** ﴿ذِكْرًا﴾) بأن يكونا مفعولين على البدلية من قوله ﴿ذِكْرًا﴾ أي فالملقيات عذرًا أو نذرًا ثم إن كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحي يكون عذرًا أو نذرًا بدل البعض من الكل فإن ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحي وإن أريد بالذكر المبدّل منه ما

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ **(إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة)** ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لكائن نازل لا ريب فيه، **(وهو جواب القسم)** ولا وقف إلى هنا لوصل الجواب بالقسم ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ **(محيت)** أو ذهب بنورها وجواب ﴿فَإِذَا﴾ محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه، و﴿ٱلنُّجُومُ﴾ فاعل فعل يفسره ﴿طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ فتحت فكانت أبوابًا ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ قلعت من أماكنها ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ **(أي «وقتت» كقراءة أبي عمرو)**، أبدلت الهمزة من الواو، ومعنىٰ توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أُممهم.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾ أُخرت وأُمهلت، وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾ **(بيان ليوم التأجيل)**

يتعلّق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحي يكون بدل الكل.
قوله: (أو على المفعول له) أي بأن يكونا مفعولًا لهما أي ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ للإعذار والإنذار أي لمحو ذنوب المحقين المعتذرين إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين.

قوله: (إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة) يشير إلى أن «ما» موصولة في محل النصب على أنها اسم «إنَّ» و﴿تُوعَدُونَ﴾ صلتها والعائد محذوف و﴿لَوَاقِعٌ﴾ خبرها وكان من حقها أن تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وخصّ الموعود بمجيء القيامة لأن المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدلّ ذلك على أن المراد بالموعود هو القيامة فقط. **قوله: (وهو جواب القسم)** وهو قوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾. **قوله: (محيت)** ذواتها. **قوله: (أي «وقتت» كقراءة أبي عمرو)** عبارة الخطيب قرأ أبو عمرو بواو مضمومة والباقون بهمزة مضمومة وهما لغتان. اهـ.

قوله: (بيان ليوم التأجيل) ولذا ترك العطف. قوله: ونحوه سلام عليكم أصله أسلم سلامًا حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ثم عدل من النصب إلى الرفع

وهو القيّوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤﴾ تعجيب آخر وتعظيم لأمره ﴿وَيۡلٞ﴾ مبتدأ وإن كان نكرة لأنه في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنىٰ ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الرعد: الآية ٢٤] ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ ظرفه ﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بذلك اليوم خبره.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٤﴾

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ الأمم الخالية المكذبة ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾ مستأنف بعد وقف، وهو وعيد لأهل مكة أي ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بكل مَن أجرم ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ بما أوعدنا ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ حقير وهو النطفة ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ﴾ أي الماء ﴿فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل ﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢﴾ الحال أي مؤخر إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر أو ما فوقه أو ما دونها ﴿فَقَدَرۡنَا﴾ فقدرنا ذلك تقديرًا ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه (**نحن، والأول أحق لقراءة نافع وعلي بالتشديد**)، ولقوله: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾ [عبس: الآية ١٩] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ بنعمة الفطرة.

للدلالة على معنى الثبات والدوام جاز وقوعه مبتدأ لتخصصه بالمسلم والمعنى سلامي عليكم كذا هٰهنا تخصّص ويل بنسبة إلى فاعل الفعل المقدّر الذي هو ساد مسده ولا يبنى منه فعل إذ ليس في كلام العرب فعل معتلّ الفاء والعين ولكن المقدّر الناصب له هو فعل مرادف له مثل هلك وأمثاله فيكون من باب قعدت جلوسًا.

قوله: (**نحن**) هو المخصوص بالمدح. **قوله:** (**والأول أحق لقراءة نافع وعلي بالتشديد**) عبارة الخطيب قرأ نافع والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)﴾ هو كفت الشيء إذا ضمّه وجمعه **(وهو اسم ما يكفت)** كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦)﴾ كأنه قيل: كافتة أحياء وأمواتًا، أو بفعل مضمر يدلّ عليه ﴿كِفَاتًا﴾ وهو تكفت أي تكفت أحياء على ظهرها وأمواتًا في بطنها، **(والتنكير فيهما للتفخيم)** أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ **(جبالًا ثوابت)** ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ عاليات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذابًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥)﴾ بهذه النعمة.

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠) لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)﴾

﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩)﴾ أي يقال للكافرين يوم القيامة سيروا إلى النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟﴾ تكرير للتوكيد ﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ دخان جهنم ﴿ذِى

القراءة أن يكون المعنى فقدّرناه والباقون بالتخفيف. وقال عليّ كرّم الله وجهه: ولا يبعد أن يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحدًا لأن العرب تقول: قدر وقدر عليه الموت. اهـ.

قوله: (وهو اسم ما يكفت) أي يضم ويجمع والمراد بالاسم اسم الجنس أو اسم آلة لأن فعالًا كثر فيه ذلك. **قوله: (والتنكير فيهما للتفخيم)** جواب عما يقال إن النكرة للفرد المنتشر فيكون المعنى أن الأرض تكفت بعض الأحياء والأموات وليس كذلك بل هي كفات لجميع الأحياء والأموات. **وتقرير الجواب** أن التنكير فيهما للتفخيم لا للإفراد ولا للنوعية حتى يرد ما ذكر وتنكير اسم الجنس لقصد التفخيم لا ينافي كونه عامًّا مستغرقًا لجميع الأفراد لأنه في معنى تكفت أحياء لا يعدّون وأمواتًا لا يحصرون. **قوله: (جبالًا ثوابت)** على أن ﴿رَوَٰسِىَ﴾ بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فإنها ثوابت على الأرض لا تزول و﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ صفة ثانية لذلك المحذوف الشامخ العالي المرتفع.

ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرّق ثلاث فرق ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نعت ظل أي لا مظل من حرّ ذلك اليوم وحرّ النار ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ في محل الجر أي وغير مغنٍ لهم ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ من حر اللهب شيئًا ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير من النار (﴿كَٱلْقَصْرِ﴾) في العظم. وقيل: هو الغليظ من الشجر (**الواحدة قصرة**) ﴿كَأَنَّهُۥ (جِمَٰلَتٌ)﴾ كوفي (**غير أبي بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع**) ﴿صُفْرٌ﴾ جمع أصفر أي سود تضرب إلى الصفرة، وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه، وبالجمال للعظم والطول واللون ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ بأن هذه صفتها.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (**وقرىء بنصب اليوم**) أي هذا الذي قصّ عليكم واقع يومئذٍ، وسُئِلَ ابن عباس ﷺ عن هذه الآية وعن قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: الآية ٣١] فقال: في ذلك اليوم مواقف في بعضها يختصمون وفي بعضها لا ينطقون. أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في الاعتذار ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على ﴿يُؤْذَنُ﴾ منخرط في سلك النفي أي لا يكون لهم إذن واعتذار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ بهذا اليوم.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ يا مكذبي محمد ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ والمكذبين قبلكم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب ﴿فَكِيدُونِ﴾ فاحتالوا عليّ بتخليص أنفسكم من العذاب. والكيد متعدٍ تقول: كدت فلانًا إذا احتلت عليه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ بالبعث.

قوله: (﴿كَٱلْقَصْرِ﴾) يعني كالبناء. قوله: (الواحدة قصرة) بسكون الصاد كتمر وتمرة. قوله: (﴿جِمَٰلَتٌ﴾) بكسر الجيم بلا ألف بوزن رسالة كوفي (غير أبي بكر) أي قرأه حفص وحمزة والكسائي وخلف (جمع جمل) كحجر وحجارة (جمالات) بكسر الجيم مع الألف (غيرهم جمع الجمع) فيجوز أن يكون جمعًا لجمالة هذه وأن يكون جمعًا لجمال جمع جمل مثل جبال في جمع جبل.

قوله: (وقرىء بنصب اليوم) في بعض الشواذ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ من عذاب الله ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظلّ ﴿وَعُيُونٍ﴾ جارية في الجنّة ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي لذيذة مشتهاة ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ في الظرف الذي هو ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ أي هم مستقرون في ظلال مقولًا لهم ذلك ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فأحسنوا تجزوا بهذا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ بالجنّة.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: الآية ٤٠] ﴿قَلِيلًا﴾ لأن متاع الدنيا قليل ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ كافرون أي إن كل مجرم يأكل ويتمتع أيامًا قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ بالنعم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرّون على استكبارهم (**وإذا قيل لهم صلّوا لا يصلّون**) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ بالأمر والنهي. (﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾) بعد القرآن (﴿يُؤْمِنُونَ﴾) أي إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأي كتاب بعده يؤمنون؟! والله أعلم.

قوله: (وإذا قيل لهم صلّوا لا يصلّون) فعبّر عن الصلاة بلفظ الركوع لأنه ركن من أركانها. **قوله**: (﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾) بعد القرآن (﴿يُؤْمِنُونَ﴾) يستحب أن يقال في آخر هذه السورة: آمنت بالله.

تمّت السورة الحمد لله على جزيل أفضاله.
والصلاة على النبيّ وآله. اللّهمّ مُستعينًا بك أشرع وأقول:

(سورة النّبأ)

(مكيّة، وهي أربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ (١)﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله «عن ما» (وقرىء بها، ثم أُدغمت النون في الميم فصار «عما» وقرىء بها)، ثم حذفت الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال في الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير، (وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه) لأنه تعالىٰ لا تخفى عليه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة النبأ) وتُسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل (مكيَة) بالاتفاق (وهي أربعون) أو إحدى وأربعون (آية) ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبعمائة وسبعون حرفًا. كذا في الخطيب وفي الخازن وتسعمائة بدل وسبعمائة. **قوله**: (وقرىء بها) على الأصل في الشواذ. **قوله**: (ثم أُدغمت النون) بعد قلبها ميمًا (في الميم) لأن أحد المتقاربين لا يدغم في الآخر إلا بعد قلبه بالآخر تحقيقًا للمماثلة الموجبة للإدغام. **قوله**: (فصار «عما» وقرىء بها) في الشواذ وقارئه عبد الله وأبي وعكرمة وعيسى بن عمرو. **قوله**: (وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه. . .) الخ يعني أن كلمة ما سواء كانت لشرح المفهوم أو كشف الشيء المعلوم الموجود أداة للطلب والسؤال يطلب بها شرح المفهوم أو كشف الحقيقة العينية

خافية ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا (أو يسألون) غيرهم من المؤمنين، والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ أي البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره: عم يتساءلون يتساءلون عن النبإ العظيم ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ فمنهم مَن يقطع بإنكاره ومنهم مَن يشك. وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعًا يتساءلون عنه، فالمسلم يسأل ليزداد خشية، والكافر يسأل استهزاء ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزوًا ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عيانًا أن ما يتساءلون عنه حق ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ كرر الردع للتشديد **(و«ثم» يشعر بأن الثاني أبلغ من الأول وأشد).**

والمطلوب لا بد أن يكون مجهولًا عند الطالب لئلّا يلزم تحصيل الحاصل هذا أصل تلك الكلمة ثم إنها قد تطلق على الشيء العظيم الشأن المفخّم القدر وإن لم يكن مجهولًا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيهًا له بالمجهول المسؤول عنه من حيث إنه لفخامته وعظم شأنه صار كأنه عجز العقل عن أن يحيط بكنهه فيسأل عنه كالأشياء التي جهلت مفهوماتها أو حقائقها فطلبت بما ولأجل هذه المشابهة استعمل فيه كلمة ما أيضًا مجازًا حيث جرّدت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه. ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ [الحاقة: الآيتان ١، ٢]، ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: الآيتان ١، ٢]، ﴿مَا سِجِّينٌ﴾ [المطفّفين: الآية ٨]، ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ [البَلَد: الآية ١٢] ونحوها فإن كلمة ما فيها لمجرد التفخيم. قوله: **(أو يسألون)** بمعنى يجوز أن تكون صيغة التفاعل في الآية على أصلها من الدلالة على أن أصل الفعل بين اثنين فصاعدًا بأن يكون كل منهما فاعلًا له من وجه ومفعولًا من وجه كالتخاصم والتقاتل وأن يكون بمعنى الفعل الثلاثي بأن يكون المرفوع بها فاعلًا ليس إلا مثل يتداعونهم بمعنى يدعونهم.

قوله: (و«ثم» يشعر أن الثاني أبلغ من الأول وأشد) يعني أن لفظة ﴿ثُمَّ﴾ موضوعة للتراخي الزمانيّ وقد تستعمل في التراخي الرتبي أي التباعد ما بين

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ﴾ لما أنكروا البعث. قيل لهم: ألم يخلق مَن أضيف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات؟ أو قيل لهم: لم فعل هذه الأشياء والحكيم لا يفعل عبثًا وإنكار البعث يؤدّي إلى أنه عابث في كل ما فعل؟ ﴿مِهَٰدًا﴾ فراشًا فرشناها لكم حتى سكنتموها ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ للأرض لئلا **(تميد)** بكم ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ ذكر أو أُنثى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ قطعًا لأعمالكم وراحة لأبدانكم **(والسبت القطع)** ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ سترًا يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ **(وقت معاش)** تنقلبون في حوائجكم ومكاسبكم ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سمٰوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة أي محكمة قوية لا يؤثّر فيها مرور الزمان أو غلاظًا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ مضيئًا وقّادًا أي جامعًا للنور والحرارة والمراد الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ **(أي السحائب)** إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها

المعطوف والمعطوف عليه في الرتبة تشبيهًا لتباعد الرتبة بالتباعد زمانًا والمعنى المجازي هو المراد هٰهنا لأن المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد إنما تكون بالحمل على التراخي الرتبي.

قوله: (تميد) تتحرك. **قوله**: (والسبت القطع) والراحة. **قوله**: **(وقت معاش)** يعني أن قوله تعالى: ﴿مَعَاشًا﴾ اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش في عبارة المصنّف رحمه الله مصدر ميمي يقال: عاش يعيش عيشًا ومعاشًا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى واحد.

قوله: (أي السحائب) إن فسّرت المعصرات بالسحائب تكون اسم فاعل من أعصرت السحائب إذا حان لها أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعْد وهمزة

الرياح فتمطر، ومنه أعصرت **(الجارية)** إذا **(دنت)** أن تحيض، **(أو الرياح)** لأنها تنشىء السحاب **(وتدرّ أخلافه)** فيصحّ أن يجعل مبدأ للإنزال، وقد جاء أن الله تعالىٰ يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ **(منصبًا بكثرة)** ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿حَبًّا﴾ كالبر والشعير ﴿وَنَبَاتًا﴾ وكلأ ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفّة الأشجار واحدها لفّ كجذع وأجذاع، أو لفيف كشريف وأشراف، أو لا واحد له **(كأوزاع)**، أو هي جمع الجمع **(فهي جمع لفّ)** واللفّ جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة. ولا وقف من ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ﴾ إلى ﴿أَلْفَافًا﴾ والوقف الضروري على ﴿أَوْتَادًا﴾ و﴿مَعَاشًا﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بين المحسن والمُسيء والمُحق والمُبطل ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ وقتًا محدودًا ومنتهى معلومًا لوقوع الجزاء أو ميعادًا للثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أو عطف بيان ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ في القرن ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ حال أي جماعات مختلفة أو أُممًا كل أُمة مع رسولها ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾

أعصر للحينونة كما في أحصد الزرع أي حان له أن يحصد وأعصرت الجارية أي حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وإلا لكان ينبغي أن يقرأ ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ بفتح الصاد على أنه اسم مفعول لأن الرياح تعصرها وإن فسّرت ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ بالرياح يكون أيضًا اسم فاعل من أعصرت الرياح إذا حان لها أن تعصر السحاب والهمزة للحينونة أيضًا لا للتعدية لأنه يتعدى بنفسه. **قوله: (الجارية)** المراد بها مطلق الأنثى. **قوله: (دنت)** أي قربت. **قوله: (أو الرياح)** فهو صفة الرياح. **قوله: (وتدر)** بالدال المهملة أفعال من الدر وهو اللبن. **قوله: (أخلافه)** الأخلاف جمع خلف بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وهو ضرع الناقة. **قوله: (منصبًا بكثرة)** إشارة إلى أن ﴿ثَجَّاجًا﴾ صيغته مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم. **قوله: (كأوزاع)** الأوزاع الجماعات المتفرّقة. **قوله: (فهي جمع لفّ)** بالضم واللفّ جمع لفاء كحمر في جمع حمراء فيكون ألفافًا جمع الجمع كخضراء وخضر وإخضار.

(**خفيف: كوفي**) أي شقّت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن وجه الأرض ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي هباء تُخيِّل الشمسُ أنه ماء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ طريقًا عليه ممرّ الخلق فالمؤمن يمرّ عليها والكافر يدخلها. وقيل: المرصاد الحد الذي يكون فيه (**الرصد**) أي هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم، أو هي مرصاد لأهل الجنّة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ للكافرين مرجعًا ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ ماكثين حال مقدرة من الضمير في ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ (**حمزة ﴿لبثين﴾**) واللبث أقوى إذ اللابث من وجد منه اللبث وإن قل، واللبث من شأنه اللبث والمقام في المكان ﴿فِيهَآ﴾ في جهنم ﴿أَحْقَابًا﴾ ظرف (**جمع حقب**) وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الأبد كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يستعمل الحقب والحقبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها. وقيل: الحقب ثمانون سنة. وسُئِلَ بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ أي غير ذائقين حال من ضمير ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ فإذا انقضت هذه الأحقاب التي عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا بأحقاب أُخر فيها عذاب آخر وهي أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها. وقيل: هو من حقب عامنا

قوله: (**خفيف كوفيّ**) أي قرأه بتخفيف التاء بعد الفاء عاصم وحمزة والكسائي وخلف. وقرأ الباقون بتشديدها.

قوله: (**الرَّصد**) جمع راصد وهم الحراس. **قوله**: (**حمزة ﴿لبثين﴾**) بغير ألف بين اللام والباء الموحّدة. وقرأ الباقون بألف وهما لغتان والأول أبلغ. **قوله**: (**جمع حقب**) بضم أوّله وسكون ثانيه مثل قفل وأقفال.

إذا قلّ مطره وخيره، وحقب فلان **(إذا أخطأه الرزق فهو حقب)** وجمعه حقاب فينتصب حالًا عنهم أي لابثين فيها **(حقبين)** جهدين و﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ تفسيره له. وقوله: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ استثناء منقطع أي ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ في جهنم أو في الأحقاب ﴿بَرْدًا﴾ روحًا ينفس عنهم حرّ النار أو نومًا ومنه **(منع البرد البرد، من أمثال العرب)**، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميمًا ماء حارًّا يحرق ما يأتي عليه ﴿وَغَسَّاقًا﴾ ماء يسيل **(من صديدهم. وبالتشديد: كوفي غير أبي بكر)** ﴿جَزَآءً﴾ **(جوزوا جزاء)** ﴿وِفَاقًا﴾ موافقًا لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق. ثم استأنف معلّلًا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ لا يخافون محاسبة الله إيّاهم أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابًا.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ **(تكذيبًا وفعّال في باب فعّل كله فاش)** ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ نصب بمضمر يفسّره ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا﴾ مكتوبًا في اللوح حال أو مصدر

قوله: (إذا أخطأه الرزق) أي إذا حرم من الرزق. **قوله:** (فهو حقب) (كخدر) بفتح الحاء وكسر القاف وصفة مشبّهة بمعنى المحروم من الكرم والنعيم. **قوله:** (حقبين) أي مجدبين. **قوله:** (منع البرد البرد، من أمثال العرب) أي أصابني من البرد ما منعني من النوم. **قوله:** (من صديدهم) في المصباح الصديد الدم المختلط بالقَيح. وقال أبو زيد: هو القيح الذي كأنه الماء في رقته والدم في شكله.اهـ. **قوله:** (وبالتشديد) أي تشديد السين (كوفيّ غير أبي بكر) أي قرأه حفص وحمزة والكسائي وخلف. وقرأ الباقون بالتخفيف ومعناهما واحد. **قوله:** (جوزوا جزاء) إشارة إلى أنه مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر و﴿وِفَاقًا﴾ مصدر وافقه وهو صفة ﴿جَزَآءً﴾ بتأويله باسم الفاعل أو بتقدير مضاف.

قوله: (تكذيبًا) إشارة إلى أنه مصدر مثله. **قوله:** (وفعّال) بالكسر والتشديد (في باب فَعّل[1] كلّه فاشٍ) يعني أنه مطرد كثير في مصدر فعّل مثل كلم كِلّامًا

---

(١) عبارة الكشاف وفِعال في باب فعّل كله فاش في كلام الفصحاء من العرب لا يقولون غيره.اهـ ١٢ منه رحمه الله.

في موضع إحصاء، أو أحصينا في معنىٰ كتبنا لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالبًا. **(وهذه الآية اعتراض)** لأن قوله: ﴿فَذُوقُواْ﴾ سبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أي فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدّة الغضب ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ **(في الحديث «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار»)**.

وفسّر فِسَارًا. **قوله: (وهذه الآية اعتراض)** أي وهذه الجملة معترضة بين السبب ومسببه. **قوله: (في الحديث «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار»)** في حاشية العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب في ثبوته كلام لابن حجر رحمة الله عليه انتهى. وفي الدرّ المنثور أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن الحسن بن دينار قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار، فقال قول الله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾. قال: فهو مقدر ساعة بساعة ويومًا بيوم وشهرًا بشهر وسنة بسنة أشد عذابًا حتى لو أن رجلًا من أهل النار أخرج من المشرق لمات أهل المغرب ولو أخرج من المغرب لمات أهل المشرق من نتن ريحه قال أبو برزة: شهدت رسول الله ﷺ حين تلاها فقال: هلك القوم بعصيانهم ربهم وغضب عليهم فأبى إذا غضب عليهم إلّا أن ينتقم منهم. انتهى بحروفه. وفي الخطيب قال أبو برزة: سألت النبيّ ﷺ عن أشد آية في القرآن فقال ﷺ: قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ أي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زادهم سعيرًا. اهـ. في الدرّ المنثور أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو قال: ما أنزل في أهل النار آية قط أشد منها ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ فهم في مزيد من عذاب الله تعالى أبدًا. اهـ بحروفه. وفي تفسير ابن كثير رحمة الله عليه قال قتادة عن أيوب الأزديّ عن عبد الله بن عمرو قال: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدًا. اهـ. قال ابن أبي حاتم حدَّثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدَّثنا خالد بن عبد الرحمـٰن حدَّثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال: شهدت رسول الله ﷺ قرأ ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ فقال: هلك القوم معاصيهم الله عزّ وجلّ جسر بن فرقد ضعيف. انتهى بحروفه فافهم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ۝٣٢﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾ (مفعل من الفوز يصلح مصدرًا) أي نجاة من كل مكروه وظفرًا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنّة. (ثم أبدل منه بدل البعض من الكل) فقال: ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة ﴿وَأَعْنَبًا﴾ كرومًا عطف على ﴿حَدَآئِقَ﴾.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝٣٥﴾

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ (نواهد ﴿أَتْرَابًا﴾ لدات) مستويات في السن ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ (مملوءة). ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنّة حال من ضمير خبر «إن» ﴿لَغْوًا﴾ باطلًا (﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ الكسائي: خفيف) بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضًا ولا يكاذبه.

قوله: (مفْعل من الفوز يصلح مصدرًا) ميميًا فيكون ﴿حَدَآئِقَ﴾ بدل اشتمال منه فإن بين الفوز والحدائق ملابسة فإن الفوز بمعنى الظفر بالمقصود والحدائق من المقاصد المظفر بها. **قوله**: (ثم أبدل منه بدل البعض من الكل) فإن موضع الظفر يشتمل على الحدائق وغيرها فالحدائق بعض من مواضع الفوز.

قوله: (نواهد) في المصباح نهد الثدي نهودًا من باب قعد ومن باب نفع لغة كعب وأشرف وجارية ناهد وناهدة أيضًا والجمع نواهد. اهـ. أي استدارت ثديهن بضم المثلثة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية جمع ثدي مع ارتفاع يسير فصارت كالكعب وهو يكون في سن البلوغ. **قوله**: (﴿أَتْرَابًا﴾) جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء. **قوله**: (لدات) جمع لدّة بوزن عدّة والهاء فيها عوض عن الواو الذاهبة من أوله لأنها من الولادة أي مستويات في السن. **قوله**: (مملوءة) فـ ﴿دِهَاقًا﴾ مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق أي ممتلىء وصف به الكأس للمبالغة في امتلائها.

قوله: (﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ الكسائي: خفيف) أي قرأه بتخفيف الذال مصدر كاذب كقاتل قتالًا أو مصدر كذب ككتب كتابًا والباقون بتشديدها مصدر كذب تكذيبًا وكذابًا.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿جَزَآءً﴾ مصدر أي جزاهم جزاء ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ (﴿عَطَآءً﴾ مصدرًا أو بدل من ﴿جَزَآءً﴾) ﴿حِسَابًا﴾ (صفة يعني كافيا أو على حسب أعمالهم).

قوله: (﴿عَطَآءً﴾ مصدرًا) أي أعطاهم عطاء. **قوله**: (**أو بدل من** ﴿جَزَآءً﴾) بدل الكل من الكل من قوله: ﴿جَزَآءً﴾ لاتحادهما بالذات واختلافهما بحسب المفهوم وفي إبدال منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على أن بيان كونه عطاء وتفضّلًا منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة إليه.

قوله: (**صفة يعني كافيا**) يعني أن قوله تعالى: ﴿حِسَابًا﴾ صفة لقوله ﴿عَطَآءً﴾ على أنه مصدر أقيم مقام محسبًا بمعنى كافيًا من قولهم: أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني وأحسبت فلانًا إذا أعطيته ما يكفيه حتى قال: حسبي ومنه قول إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي أي كفاني من سؤالي.

قوله: (**أو على حسب أعمالهم**) حسب بفتح السين أو سكونها والمراد على قدره فيكون أيضًا صفة لعطاء أي عطاء كائنًا بحسب أعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم فـ ﴿حِسَابًا﴾ [الطّلَاق: الآية ٨] على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدّرته. وفي الصحاح حسبه يحسبه بالضم حسبًا وحسبانًا إذا عدّه وقدّره، والظاهر أن يقال على حسب ما وعد للعاملين من أصل الثواب وأضعافه في مقابلة أعمالهم فإن الجزاء وقع في القرآن على ثلاثة أوجه: الأول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، والثاني: ما دلّ عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث: ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠]. وقول المصنّف رحمة الله عليه أو على حسب أعمالهم يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك إنما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلًا لأعمالهم البتة فلا بد أن يكون مراده بقوله على حسب أعمالهم كون الأضعاف الموعودة التي هي المراد بالعطاء على حسب أعمالهم بأن يجازى كل عمل بما وعد له من الأضعاف.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧﴾

(﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾) بجرهما: ابن عامر وعاصم **(بدلًا ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ومن رفعهما)** فـ ﴿ربُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ صفته و﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ خبر، أو هما خبران والضمير في ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ لأهل السمٰوات والأرض، وفي ﴿مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ لله تعالىٰ أي لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالىٰ إلا بإذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالىٰ خوفًا.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾

﴿يَوۡمَ يَقُومُ﴾ إن جعلته ظرفًا لـ ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ لا تقف على ﴿خِطَابٗا﴾ وإن جعلته ظرفًا لـ ﴿يَتَكَلَّمُونَ﴾ تقف ﴿ٱلرُّوحُ﴾ جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقًا أعظم منه ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ **(حال أي مصطفين)** ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي الخلائق ثم خوفًا من ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في الكلام أو الشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابٗا﴾ حقًّا بأن قال المشفوع له لا إلٰه إلا الله في الدنيا أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصواب في أمر الشفاعة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ الثابت وقوعه ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ مرجعًا بالعمل الصالح ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾ أيها الكفار ﴿عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ في الآخرة لأن ما هو آتٍ قريب ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ﴾ الكافر لقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ ﴿مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ من الشر لقوله: و﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾

قوله: (بدلًا ﴿مِن رَّبِّكَ﴾) وفي إبداله تعظيم له أيضًا وإيماء إلى ما في الآثار المقدّسة لولاك لما خلقت الأفلاك. اهـ شهاب. **قوله**: **(ومن رفعهما. . .)** الخ عبارة الخطيب. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾) برفع ربّ والرحمٰن وابن عامر وعاصم بخفضهما والآخران بخفض الأول ورفع الثاني. اهـ.

قوله: **(حال أي مصطفين)** وهو مصدر ولذا أفرد.

[آل عمران: الآية ١٨٢]. وتخصيص الأيدي لأن أكثر الأعمال تقع بها وإن احتمل أن لا يكون للأيدي مدخل فيما ارتكب من الآثام ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم، أو المرء عام وخصّ منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير وشرّ، أو هو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير. و«ما» استفهامية منصوبة بـ ﴿قَدَّمَتْ﴾ أي ينظر أي شيء قدمت يداه، أو موصولة منصوبة بـ ﴿يَنظُرُ﴾ يقال: نظرته يعني نظرت إليه والراجع من الصلة محذوف أي ما قدمته ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتني كنت ترابًا في هذا اليوم فلم أبعث. وقيل: يحشر الله الحيوان غير المكلّف حتى يقتصّ **(للجماء)** من **(القرناء)** ثم يرده ترابًا، فيود الكافر حاله. وقيل: الكافر إبليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقًا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم.

قوله: (للجمّاء) في المصباح جممت الشاة جمًّا من باب تعب إذا لم يكن لها قرن فالذكر أجمّ والأنثى جمّاء والجمع جم مثل الحمر وحمراء وحمر.اهـ.
قوله: (القرناء) خلاف الجمّاء.

تمّت سورة النبأ الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده وعلى آله وصحبه وأتباعه ونوّابه
اللَّهمَّ متوكّلًا عليك ومُستفضلًا من أفضالك أشرع وأقول:

(سورة النازعات)

(مكيّة، وهي ست وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ لا وقف إلى هنا. ولزم هنا لأنه لو وصل لصار ﴿يَوْمَ﴾ ظرف «المدبرات» وقد انقضى تدبير الملائكة في ذلك اليوم. أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد غرقًا **(أي إغراقًا)** في النزع أي تنزعها من أقاصي الأجساد من **(أناملها)** ومواضع أظفارها، وبالطوائف التي تنشطها أي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة النازعات)** وتُسمى سورة الساهرة والطامة **(مكيّة)** بالاتفاق **(وهي ست وأربعون آية)** ومائة وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفًا كذا في الخطيب وفي الخازن مائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفًا.
قوله: **(أي إغراقًا)** أي مبالغة في الغرق أشار إلى أن ﴿غَرْقًا﴾ اسم مصدر بمعنى الإغراق كالسلام بمعنى التسليم وهو منصوب على أنه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها لاتفاقهما من حيث المعنى فإن النزع نوع من الغرق. **قوله**: **(أناملها)**

تخرجها (**من نشط الدلو**) من البئر إذا أخرجها، وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرًا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم. أو بخيل الغزاة التي (**تنزع في أعنتها**) نزعًا تغرق (**فيه**) الأعنّة (**لطول أعناقها**) لأنها (**عراب**)، والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر، وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه. (**أو بالنجوم التي تنزع**) من المشرق إلى المغرب، وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى (**تنحط**) في أقصىٰ الغرب، والتي تخرج من برج إلى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرًا من علم الحساب. وجواب القسم محذوف وهو «لتبعثن» لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولىٰ وصفت بما يحدث بحدوثها لأنها تضطرب بها الأرض حتى يموت كل مَن عليها ﴿تَتْبَعُهَا﴾ حال عن الراجفة ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية لأنها تردف الأولىٰ وبينهما أربعون سنة، والأولىٰ تميت الخلق والثانية تحييهم ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾ قلوب منكري

في المصباح الأنملة من الأصابع العقدة وبعضهم يقول: الأنامل رؤوس الأصابع وعليه قول الأزهري: الأنملة المفصل الذي فيه الظفر وهي بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمها وابن قتيبة يجعل الضم من لحن العوام بعض المتأخرين من النحاة حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم فيصير تسع لغات. اهـ.

قوله: (**من نشط الدلو**) من باب ضرب. **قوله**: (**تنزع**) أي تمدّ أي تفعل النزع والمدّ (**في أعنتها**) في المصباح عنان الفرس جمعه أعنة. اهـ. **قوله**: (**فيه**) أي في النزع.

قوله: (**لطول أعناقها**) وهو من محاسن الخيل. **قوله**: (**عراب**) في مختار الصحاح الخيل العِراب خلاف البَراذين. اهـ في المصباح. قال المطرزي البرذون التركيّ من الخيل وهو خلاف العراب. اهـ. **قوله**: (**أو بالنجوم التي تنزع**) أي تسير وتجري. **قوله**: (**تنحط**) أي تنزل.

البعث ﴿وَاجِفَةٌ﴾ مضطربة من (**الوجيف وهو الوجيب**). وانتصاب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بما دلّ عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب، وارتفاع ﴿قُلُوبٌ﴾ بالابتداء و﴿وَاجِفَةٌ﴾ صفتها ﴿أَبْصَـٰرُهَا﴾ (**أي أبصار أصحابها**) ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾ ذليلة لهول ما ترى، خَبرها:

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾

﴿يَقُولُونَ﴾ أي منكرو البعث في الدنيا استهزاء وإنكارًا للبعث ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ استفهام بمعنى الإنكار أي أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا؟ والحافرة الحالة الأولى يقال لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته أي إلى حالته الأولى. ويقال: النقد عند الحافرة أي عند الحالة الأولى، وهي الصفقة أنكروا البعث. ثم زادوا استبعادًا فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾ بالية («**ناخرة**»): كوفي غير حفص. وفَعِلَ أبلغ من فاعل يقال: (**نخر العظم**) فهو نخر وناخر. والمعنىٰ أنرد إلى الحياة بعد أن صرنا عظامًا بالية؟ و«إذا» منصوب بمحذوف وهو «نبعث».

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

﴿قَالُوا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿تِلْكَ﴾ رجعتنا ﴿إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ رجعة (**ذات خسران**) أو خاسر أصحابها، والمعنىٰ أنها إن صحت وبعثنا فنحن إذًا خاسرون

قوله: (**الوجيف**) وهو الاضطراب. **قوله**: (**وهو الوجيب**) في المصباح وجب القلب وجبًا ووجيبًا رجف. اهـ. وفي المختار وجب القلب وجِيْبًا اضطرب. اهـ. **قوله**: (**أي أبصار أصحابها**) بتقدير المضاف إذ من الظاهر الجليّ أن القلوب لا أبصار لها.

قوله: («**ناخرة**») كوفيّ غير حفص في الخطيب قرأ ﴿نَّخِرَةً﴾ حمزة وشعبة والكسائي بالألف بعد النون والباقون بغير ألف. اهـ. **قوله**: (**نخر العظم**) نخرًا من باب تعب بلي وتفتت.

قوله: (**ذات خسران**) أي ﴿خَاسِرَةٌ﴾ من صيغة النسب كلابن وتامر إذ الخسران لأصحابها المكذّبين. ولذا قال أو خاسر أصحابها إما بتقدير المضاف أو

لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ **(متعلق بمحذوف)** أي لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته فما هي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم: زجر البعير إذا صاح عليه ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتًا في جوفها. وقيل: الساهرة أرض بعينها بالشأم إلى جنب بيت المقدس أو أرض مكة أو جهنم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ حين ناداه ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ المبارك المطهر ﴿طُوًى﴾ اسمه ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ **(على إرادة القول)** ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر والفساد ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ **(هل لك ميل)** إلى أن تتطهّر من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان. **(وبتشديد الزاي: حجازي)** ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: الآية ٢٨] أي العلماء به. وعن بعض الحكماء: اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر أن يعصيه طرفة

الحمل على المجاز العقليّ. **قوله**: **(متعلّق بمحذوف)** يعني أن الفاء تعليلية لجملة محذوفة[1].

قوله: **(على إرادة القول)** أي فقال عطف على ناداه عطف المفصّل على المجمل. **قوله**: **(هل لك ميل)** إشارة إلى أن لك خبر مبتدأ محذوف وأن كلمة إلى متعلّقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع في الكلام يقال: هل لك في الخير والتقدير هل لك رغبة في الخير. **قوله**: **(وبتشديد الزاي: حجازي)** إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي أي قرأ نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ بتشديد الزاي والأصل تتزكى فأدغموا التاء في الزاي والباقون بتخفيفها فحذفوا التاء الأولى.

---

(١) أي فيه مقدر مرتبط به معنى أي لا تحاسبوا فالمذكور تعليل للمقدر ١٢ منه رحمه الله.

عين. فالخشية (**ملاك الأمر**) مَن خشي الله أتىٰ منه كل خير، ومَن آمن اجترأ على كل شرّ. ومنه الحديث («**مَن خاف أدلج ومَن أدلج بلغ المنزل**») بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستنزله (**بالمداراة**) عن عتوّه كما أمر بذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: الآية ٤٤].

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي فذهب (**فأرى موسى الفرعون العصا**) أو العصا (**واليد البيضاء لأنهما في حكم آية واحدة**) ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرًا وسحرًا ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالىٰ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ تولىٰ عن موسى ﴿يَسْعَىٰ﴾ يجتهد في مكايدته، أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبًا يسرع في مشيته وكان (**طيّاشًا**

قوله: (**ملاك الأمر**) الملاك ما به إحكام الشيء وتقويته وأهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها. **قوله**: (**مَن خاف أدلج**) بالتخفيف سار من أول الليل وبالتشديد من آخره (**ومن أدلج بلغ المنزل**). رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة وقال الترمذيّ: حسن غريب وقال الحاكم: صحيح. **قوله**: (**بالمداراة**) في مختار الصحاح مداراة الناس ويهمز ويلين وهي المداجاة والملاينة. اهـ. وأيضًا فيه المداجاة المداراة يقال: داجاه إذا داراه كأنه ساتره العداوة. اهـ.

قوله: (**فأرى موسى الفرعون العصا واليد البيضاء لأنهما في حكم آية واحدة**) اعلم اختلفوا في الآية الكبرى على ثلاثة أقوال: الأول أنها اليد البيضاء لقوله تعالى: في سورة طٰه ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: الآيتان ٢٢، ٢٣] قاله مقاتل والكلبي. وقال عطاء: هي قلب العصا حية. وقال مجاهد: هي مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لأن سائر الآيات دلّت على أن أوّل ما أظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم أتبعه باليد فوجب أن تكون مجموعهما. **قوله**: (**طياشًا**) في المصباح الطيش الخفة وهو مصدر من باب باع فهو طائش وطياش مبالغة. اهـ باختصار.

خفيفًا) ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه معه ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ لا رب فوقي وكانت لهم أصنام يعبدونها ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾ عاقبهُ الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنىٰ التنكيل كالسلام بمعنىٰ التسليم. ونصبه على المصدر لأن أخذ بمعنىٰ نكل كأنه قيل: (**نكل الله به** ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾) أي الإحراق ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ أي الإغراق، أو نكال كلمتِه الآخرة وهي ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ والأولىٰ وهي ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: الآية ٣٨] (**وبينهما**) أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الله.

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾

﴿أَأَنتُمْ﴾ يا منكري البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أصعب خلقًا وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي أُم السماء أشد خلقًا. ثم بين كيف خلقها فقال: ﴿بَنَاهَا﴾ أي الله. ثم بين البناء فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ (**أعلى سقفها**). وقيل: جعل مقدار ذهابها في سمت العلوّ رفيعًا مسيرة خمسمائة عام ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فعدلها مستوية بلا شقوق (**ولا فطور**) ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أبرز ضوء شمسها، وأضيف الليل والشمس إلى السماء لأن الليل ظلمتها والشمس سراجها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوّة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفي

قوله: (**خفيفًا**) في المصباح خفّ الشيء خفا من باب ضرب وخفّة ضد ثقل فهو خفيف وخففته بالتثقيل جعلته كذلك وخفّ الرجل طاش وخفّ إلى عدو وخفوفًا أسرع. اهـ. **قوله**: (**نكّل الله به** ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾) في المصباح نكّل به ينكّل من باب قتل نكلة قبيحة أصابه بنازلة ونكّل به بالتشديد مبالغة أيضًا والاسم النكال. **قوله**: (**وبينهما**) أي بين الكلمتين.

قوله: (**أعلى سقفها**) ولينظر ما المراد بسقفها ويمكن أن يقال: سقف كل سماء هو السماء التي فوقها كما أن السماء الدنيا سقف للأرض تأمل. اهـ جمل. **قوله**: (**ولا فطور**) الفطور الصدوع والشقوق جمع فطر كفلس وفلوس.

عام. ثم فسّر البسط فقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير العيون ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ **(كلأها)** ولذا لم يدخل العاطف على ﴿أَخْرَجَ﴾ أو ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد».

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ أثبتها وانتصاب الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ فعل ذلك **(تمتيعًا لكم)** ولأنعامكم ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ **(الداهية)** العظمى التي **(تطم)** على الدواهي أي تعلو وتغلب وهي النفخة الثانية، أو الساعة التي يُساق فيها أهل الجنّة إلى الجنّة وأهل النار إلى النار ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ **(بدل من ﴿إذا جاءت﴾)** أي إذا رأى أعماله **(مدوّنة)** في كتابه تذكرها وكان قد نسيها ﴿مَا سَعَىٰ﴾ مصدرية أي سعيه **(أو موصولة)**.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ وأظهرت ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ لكل راء لظهورها ظهورًا بيّنًا. ﴿فَأَمَّا﴾ جواب ﴿فَإِذَا﴾ أي إذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك ﴿مَن طَغَىٰ﴾ جاوز الحد فكفر

قوله: **(كلأها)** في المصباح الكلأ مهموز العشب رطبًا كان أو يابسًا، قاله ابن فارس وغيره والجمع أكلاء مثل سبب وأسباب. اهـ.

قوله: **(تمتيعًا لكم)** على أن المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه إما على أنه مفعول له لفعل مقدر أو على أنه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام أي متعناكم بها تمتيعًا. **قوله**: **(الداهية)** في المصباح الداهية النائبة والنازلة والجمع الدواهي وهي اسم فاعل من دهاه الأمر إذا نزل به. اهـ. **قوله**: **(تطم)** من باب رَدّ. **قوله**: **(بدل من ﴿إذا جاءت﴾)** بدل كل أو بعض وإذا كان بدل بعض كان العائد محذوفًا تقديره يتذكر فيه. **قوله**: **(مدوّنة)** التدوين الجمع. **قوله**: **(أو موصولة)** والعائد محذوف أي ما سعاه أي عمله من خير أو شر والتعبير بالسعي للتنبيه على الجد في تحصيله.

﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾﴾ على الآخرة باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ المرجع أي مأواه، والألف واللام بدل من الإضافة وهذا عند الكوفيين، وعند سيبويه وعند البصريين (﴿هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ له).

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي علم أن له مقامًا يوم القيامة لحساب ربه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ﴾ الأمّارة بالسوء ﴿عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ المؤذي أي زجرها عن اتباع الشهوات. وقيل: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها، والهوى ميل النفس إلى شهواتها ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي المرجع ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى إرساؤها أي إقامتها يعني متى يقيمها الله تعالىٰ ويثبتها ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ في شيء أنت (**من أن تذكر**) وقتها لهم وتعلمهم به أي ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء كقولك: ليس فلان من العلم في شيء. وكان رسول الله ﷺ لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت، فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها أي أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره، أو فيم إنكار لسؤالهم عنها أي فيم هذا السؤال. ثم قال: ﴿أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ أي إرسالك وأنت آخر الأنبياء علامة من علاماتها فلا معنىٰ لسؤالهم عنها، ولا يبعد أن يوقف على

قوله: (﴿هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ له) وإنما حذف لطول الكلام ولا بد من أحد هذين التأويلين في الآية لأجل العائد من الجملة الواقعة خبرًا عن المبتدأ الذي ﴿مَن طَغَىٰ﴾.

قوله: (**من أن تذكر**) وَقتًا لَهم إشارة إلى أن قوله: ﴿مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾ فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هي لهم.

هذا على ﴿فِيمَ﴾ (**وقيل**: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ **متصل بالسؤال**) أي يسألونك عن الساعة أيان مرساها ويقولون أين أنت من ذكراها. ثم استأنف فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وإنما بعثت لتنذر من أهوالها مَن يخاف شدائدها. (﴿مُنذِرُ﴾ **منون**: **يزيد وعباس**) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي الساعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم في الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [يونس: الآية ٤٥]، وقوله: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٣] وإنما صحت إضافة الضحى إلى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد، والمراد أن عدة لبثهم لم تبلغ يومًا كاملًا ولكن أحد طرفي النهار عشيته أو ضحاه والله أعلم.

قوله: (**وقيل**: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ **متصل بالسؤال**...) الخ أي وقيل: إنه ليس من كلامه تعالى بل هو من تتمة قول المشركين ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]، والمعنى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] قائلين متى إرساؤها وفي أي شيء أنت متحاشيًا من أن تذكر وقتها لنا، فقال تعالى في جوابهم: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ٨] منتهى عملها. **قوله**: (﴿مُنذِرُ﴾ **منون**: **يزيد**) هو أبو جعفر بن يزيد بن القعقاع المدنيّ، وليس من السبعة (**وعباس**) و﴿مَن﴾ مفعوله والباقون بإضافة الصفة لمعمولها تخفيفًا.

تمّت سورة والنازعات بفضل الله وكرمه وإحسانه ومَنّه ولطفه

(سورة عبس)

(مكيّة، وهي اثنتان وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾

﴿عَبَسَ﴾ (كلح) أي النبيّ ﷺ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض ﴿أَن جَآءَهُ﴾ لأن جاءه ومحله نصب لأنه مفعول له، (والعامل فيه ﴿عَبَسَ﴾ أو تولّى) على اختلاف المذهبين ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ (عبد الله ابن أُم مكتوم، وأُم مكتوم أم أبيه)، وأبوه شريح بن مالك، أتى النبيّ ﷺ وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام فقال: يار سول الله علّمني مما علّمك الله وكرّر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة عبس) وتُسمى سورة السفرة وسورة الصاخة وسورة الأعمى (مكيّة) بلا خلاف (وهي اثنتان وأربعون آية) ومائة وثلاثون كلمة وثلاثمائة وثلاثون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن خمسمائة بدل ثلاثمائة. **قوله**: (كلح) في مختار الصحاح الكلوح تكسر في عبوس وبابه خضع. اهـ. **قوله**: (والعامل فيه ﴿عَبَسَ﴾) وهو قول الكوفيين (أو تولّى) وهو قول البصريين والمختار مذهب البصريين لعدم الإضمار في الثاني. **قوله**: (عبد الله ابن أُم مكتوم، وأُم مكتوم أم أبيه) كذا في تفسير أبي السعود والتفسير الكبير والكشاف في حاشية شيخ زاده وأم مكتوم كنية

لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعدها ويقول: **(مرحبًا)** بمَن عاتبني فيه ربي **(واستخلفه على المدينة مرتين)**.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ وأي شيء يجعلك داريًا بحال هذا الأعمىٰ ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ لعل الأعمىٰ يتطهّر بما يسمع منك من دنس الجهل. وأصله يتزكىٰ فأُدغمت التاء في

أبيه وكان ابن أم مكتوم معروف بجدّته لأبيه. اهـ. وفي حاشية العلّامة الشهاب رحمة الله عليه قد اختلف في اسم ابن أم مكتوم فقيل: عبد الله، وقيل: عمرو وكذلك في اسم أبيه فقيل: قيس، وقيل: شريح وأما أم مكتوم فأمه بلا كلام واسمها عاتكة، وغلط الزمخشري في جعلها في الكشاف جدته انتهى بحروفه. وعبارة الخطيب وأُم مكتوم أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم. انتهت بحروفها. وفي الإصابة اسم أمه أُم مكتوم عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بمهملة ونون ساكنة وبعد الكاف مثلثة ابن عائذ بن مخزوم. انتهت بحروفها. وهكذا في أسد الغابة فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله: (مرحبًا)** مفعول به لمحذوف أي أتيت مرحبًا أي مكانًا واسعًا إذ الرحب الوسعة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: الآية ١١٨] أي مع سعة الأرض، بمن عاتبني فيه ربي متعلّق بمحذوف أي قلت مرحبًا لمن عاتبني وهذا لطف منه عليه السلام ونوع من الملاطفة لا غير وفيه إشعار لكمال محبته له وهذا إكرام لا فوقه إكرام. **قوله: (واستخلفه)** أي جعله خليفة **(على المدينة مرتين)** في غزوتين أي كان يصلي بالناس إذا ذهب النبيّ ﷺ للغزو. **وقوله: (واستخلفه على المدينة مرتين)** أخرجه ابن سعد وابن المنذر عن الضحّاك. وهكذا في تفسير البغوي والخطيب وتفسير الخازن المطبوع وفي تفسير الخازن غير المطبوع واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته. انتهى. وقال ابن عبد البر روى أهل العلم بالنسب والسير استخلف عليه الصلاة والسلام ابن أم مكتوم ثلاث عشرة مرة ثم استخلف أبا لبابة. وفي تهذيب الأسماء اتفقوا على أن النبيّ ﷺ استخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، قال ابن عبد البر وأما قول قتادة عن أنس استخلفه مرتين فلم يبلغه ما بلغ غيره. انتهى. والمصنّف رحمة الله عليه لم يعتمد عليه فقال مرتين.

الزاي، وكذا ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ (نصبه عاصم غير الأعشى) جوابًا لـ «لعل» وغيره رفعه عطفًا على ﴿يَذَّكَّرُ﴾ ﴿الذِّكْرَىٰ﴾ ذكراك أي موعظتك أي أنك لا تدري ما هو مترقب منه من ترك، أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك.

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾

﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥)﴾ أي مَن كان غنيًا بالمال ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦)﴾ تتعرض بالإقبال عليه حرصًا على إيمانه (﴿تَصَدَّىٰ﴾ **بإدغام التاء في الصاد: حجازي**) ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧)﴾ (**وليس عليك بأس**) في أن لا يتزكى بالإسلام (﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾) ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ (يَسْعَىٰ) (٨)﴾ يسرع في طلب الخير (﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩)﴾) الله

قوله: (**نصبه عاصم غير الأعشى**) لعاصم روايتان رواية حفص بن سليمان البزار، ورواية أبي بكر بن عياش ولأبي بكر بن عياش ثلاث روايات. رواية أبي يوسف الأعشى، وأبي صالح البُرجمي، ويحيىٰ بن آدم ولحفص أربع روايات. رواية أبي شعيب القوّاس، وهُبَيْرة التمّار، وعبيد بن الصبّاح، وعمرو بن الصباح. **وقوله**: (**الأعشى**) هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى.

قوله: (﴿تَصَدَّىٰ﴾ **بإدغام التاء في الصاد: حجازيّ**) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة، قيل: حجازيّ أي قرأ نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة وابن كثير المكيّ بتشديد الصاد أدغموا التاء الثانية في الصاد تخفيفًا والباقون بالتخفيف فحذفوا التاء الأولى. **قوله**: (**وليس عليك بأس**) إشارة إلى أن ما في ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ نافية بمعنى ليس حذف اسمها و﴿عَلَيْكَ﴾ خبرها. وقوله: ﴿أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ في موضع الجرّ بكلمة في المقدّرة المتعلّقة باسم «لا» وهو بأس المقدّر والجملة في موضع النصب على أنها حال من فاعل تصدّى مقررة لجهة الإنكار، ويجوز أن تكون كلمة ما استفهامية على معنى أيّ شيء عليك أن لا يتزكّى بالإسلام مَن تدعوه، أي لا شيء عليك فيه فيؤول المعنى إلى كونها نافية. **قوله**: (﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾) أي لا أن تزكيه وتطهره حقيقة فإنه لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه وتعالى. **وقوله**: (﴿يَسْعَىٰ﴾) حال من فاعل ﴿جَاءَكَ﴾. **وقوله**: (﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩)﴾)

أو الكفار أي أذاهم في إتيانك أو (الكبوة) كعادة (العميان) ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ تتشاغل وأصله تتلهىٰ. ورُوِيَ أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدّى لغني. ورُوِيَ أن الفقراء (في مجلس الثوري) كانوا أمراء.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع أي لا تعد إلى مثله ﴿إِنَّهَا﴾ إن السورة أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ فمَن شاء أن يذكره ذكره. وذكر الضمير لأن التذكرة في معنىٰ الذكر والوعظ، والمعنىٰ فمَن شاء الذكر ألهمه الله تعالى إياه.

﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة لـ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي أنها مثبتة (في صحف منتسخة من اللوح)، أو خبر مبتدأ محذوف أي هي في صحف ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء أو مرفوعة القدر والمنزلة ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ عن مسّ غير الملائكة أو عما ليس من كلام الله تعالى.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ كتبة (جمع سافر) أي الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح ﴿كِرَامٍۭ﴾ على الله أو عن المعاصي ﴿بَرَرَةٍ﴾ أتقياء جمع بار.

جملة حالية من فاعل ﴿يَسْعَىٰ﴾ على التداخل أي يسعى حال كونه خائفًا من الله تعالى أن يقصر في أداء شيء من تكاليفه وما أوجبه عليه. **قوله**: (الكبوة) السقوط.

قوله: (العُمْيان) جمع الأعمى. **قوله**: (في مجلس الثوري) أي سفيان الثوري وهو من تابعي التابعين وُلد سنة سبع وتسعين، وتُوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة والثوري بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة رحمه الله تعالى.

قوله: (في صحف منتسخة من اللوح) وهي الصحف التي انتسخها الملائكة من اللوح. **قوله**: (جمع سافر) وهو الكاتب من سفر إذا كتب والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح مصدر بمعنى الكتابة.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لعل الكافر أو هو (أمية أو عتبة) ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ استفهام توبيخ أي أي شيء حمله على الكفر، (أو هو تعجب) أي ما أشد كفره ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ (من أي حقير) خلقه! وهو استفهام ومعناه التقرير. ثم بيّن ذلك الشيء فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ على ما يشاء من خلقه ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ نصب السبيل بإضمار يسر أي ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أُمه أو بين له سبيل الخير والشرّ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له (قبر الميت) دفنه وأقبر الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ أحياه بعد موته ﴿كَلَّآ﴾ ردع للإنسان عن الكفر ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ (لم يفعل) هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان.

قوله: (أمية) بن خلف. **قوله**: (أو عتبة) بن أبي لهب. **قوله**: (أو هو تعجب) أي صيغة تعجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند مشاهدة ما خفي سببه فهو تعالى منزّه عن ذلك فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه أي أعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل ألوهيته ووحدانيته وكمال قدرته ونفاذ مشيئته ومن كفره بجلائل نعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه من بدء خلقه إلى أن يتوارى في قبره. **قوله**: (من أي حقير) التحقير مستفاد من شيء منكر.

قوله: (قبر الميت...) الخ. يقال: قبر الحي الميت يقبره من باب نصر إذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده، ولا يقال: أقبر الميت إلا إذا أمر غيره بأن يجعله في القبر فالمقبر هو الله تعالى لأنه هو الآمر بأن يدفن أموات بني آدم في القبور إكرامًا لهم وأنهم لو ألقوا على وجه الأرض كسائر الحيوانات لصاروا جزرًا للطير والسباع.

قوله: (لم يفعل) إشارة إلى أن في لمّا توقعا وانتظارًا ولذلك قال تعالى: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ ولم يقل لم يقض لأن قضاء المأمور به كان متوقعًا في زمن كل أحد لتعاضد دلائل وجوبه عليه وتحقيق ما هو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾

ولما عدد النعم في نفسه من ابتداء حدوثه إلى أن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج إليه فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ الذي يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (﴿أَنَّا﴾ **بالفتح: كوفي على أنه بدل اشتمال من الطعام**)، وبالكسر على الاستئناف: غيرهم ﴿صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ يعني المطر من السحاب ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ بالنبات ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به ﴿وَعِنَبًا﴾ ثمرة (**الكرم**) أي الطعام والفاكهة (﴿وَقَضْبًا﴾ **رطبة**) سمي بمصدر قضبه أي قطعه (**لأنه يقضب مرة بعد مرة**).

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿غُلْبًا﴾ غلاظ الأشجار جمع غلباء ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ لكم ﴿وَأَبًّا﴾ مرعى لدوابكم ﴿مَّتَٰعًا﴾ مصدر أي منفعة ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

قوله: (﴿أَنَّا﴾ **بالفتح: كوفي**) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف (**على أنه بدل اشتمال من الطعام**) بمعنى أن صبّ الماء سبب في إخراج الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير. **قوله:** و(**الكرم**) وزان فلس العنب. اهـ مصباح. **قوله:** (**رَطبة**) في المغرب الرطبة بالفتح الإسْفِسْت الرَّطب والجمع رطاب. اهـ. وأيضًا فيه البقول غير الرِطاب فإنما البقول مثل الكراث ونحو ذلك والرطاب هو القثاء والبطيخ والباذنجان وما يجري مجراه. اهـ. وفي القنويّ الرطبة بفتح وسكون الرطب ما دام غير جاف كما في الصحاح وجمعه رطاب وهو الكلأ الذي ترعاه الحيوانات. اهـ. وفي تفسير الخطيب (﴿وَقَضْبًا﴾) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الرطب لأنه يقتضب من النخل أي يقطع. ورجّحه بعضهم لذكره بعد العنب لأنهما يقترنان كثيرًا، وقيل: ألقت الرطب، وقيل: كل ما يقضب من البقول لبني آدم، وقيل: هو الرطبة والمقضاب أرضه سُمِّيَ بمصدر قضبه إذا قطعه لأنه يقضب مرة بعد أخرى. وقال الحسن: القضب العلف للدواب. انتهى. **قوله:** (**لأنه يقضب مرة بعد مرة**) فصارت لكثرة قضبها كأنها عين القضب فسُمِّيت قضب للمبَالغة فيه.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ صيحة القيامة لأنها تصخ الآذان أي تصمّها **(وجوابه محذوف لظهوره** ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾) مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾ **لتبعات)** بينه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وزوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أحب. قيل: **(أول مَن يفرّ من أخيه هابيل)**، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ في نفسه ﴿يُغْنِيهِ﴾ يكفيه في الاهتمام به ويشغله عن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مضيئة من قيام الليل أو من آثار الوضوء ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ أي أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ غبار ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الحالة (﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ﴾) في حقوق الله (﴿ٱلْفَجَرَةُ﴾) في حقوق العباد، ولما جمعوا الفجور إلى الكفر جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم.

قوله: (وجوابه محذوف لظهوره) والتقدير ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ اشتغل كل أحد بنفسه. **وقوله:** (﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾) بدل من «إذا» ولا يجوز أن يكون يغنيه عاملًا في «إذا» ولا في ﴿يَوْمَ﴾ لأنه صفة لـ ﴿شَأْنٌ﴾ ومعمول الصفة لا يتقدم على الموصوف. **قوله: (لتبعات)** في المصباح التبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. اهـ. وأيضًا فيه الظلم اسم من ظلمه ظلمًا من باب ضرب ومظلمة بفتح الميم وكسر اللام وتجعل المظلمة اسمًا لما تطلبه عند الظالم كالظلامة بالضم. اهـ.

قوله: (أول مَن يفرّ من أخيه هابيل) من قابيل لأنه العاصي.

قوله: (﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾) جمع كافر وفاجر.

تمّت سورة عبس بحمد الله وعونه

(سورة التكوير)

(مكيّة، وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ ذهب بضوئها من كوّرت العمامة إذا لفقتها أي يلفّ ضوءها لفًا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق. وارتفاع ﴿ٱلشَّمْسُ﴾ بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره ﴿كُوِّرَتْ﴾ لأن «إذا» يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ تساقطت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ (سُيِّرَتْ ۝٣﴾ **عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو)** تسيير السحاب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة التكوير) وهي المشهور، ويُقال: إذا الشمس كوّرت **(مكية)** بالاتفاق **(وهي تسع وعشرون آية)** ومائة وأربع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفًا. كذا في تفسير الخطيب وفي تفسير الخازن وخمسمائة وثلاثون حرفًا بدل وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفًا. **قوله: (﴿سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت)** فصارت هباء منثورًا. **قوله: (أو سيرت في الجو)** أي جوّ الهواء وهو ما بين السماء والأرض كسير السحاب لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النَّمل: الآية ٨٨].

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ **(جمع عشراء)** وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنّة ﴿عُطِّلَتْ﴾ أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزّتها عندهم ويعطلون ما دونها. **(﴿عُطِّلَتْ﴾ بالتخفيف عن البزي)** ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ جمعت من كل ناحية. قال **(قتادة)**: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضىٰ بينها ردت ترابًا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم **(كالطاوس ونحوه)**. وعن **(ابن عباس)** ﵄: حشرها موتها. يقال: **(إذا أجحفت السنَة)** بالناس وأموالهم **(حشرتهم)** السنّة.

قوله: (جمع عشراء) بضم العين وفتح الشين كالنفاس بالكسر في جمع نفساء. **قوله: (﴿عُطِّلَتْ﴾ بالتخفيف)** لم يذكر مجهولًا أو معلومًا. وظاهره أنه مجهول كالقراءة المشهورة، وكذا هو مصرّح به عن بعضهم إلّا أن المعرّب نقل عن الرازي في اللوامح أنه غلط وإنما هو عَطَلت بفتحتين بمعنى تعطّلت لأن تشديده للتعدية، يقال: عطلت الشيء أو أعطلته فعطل **(عن البزي)** هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذّن المكيّ مولى لبني مخزوم ويُكنى أبا الحسن ويعرف بالبَزّي. روى عن ابن كثير المكيّ وتُوفي بمكة بعد سنة أربعين ومائتين.

قوله: (قتادة) بن دعامة بكسر الدال المهملة كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله. تُوفي سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة رحمه الله. **قوله: (كالطاوس ونحوه)** أي كالطيور المؤنسة المألوفة. **قوله: (ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس الصحابيّ ابن الصحابيّ وكان يُقال له: حبر الأمة والبحر لكثرة علمه. رُوِيَ لابن عباس عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا. اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (إذا أجحفت السنة)** يقال: أجحف به أي أذهبه واستأصله والسنة القحط. **قوله: (حشرتهم)** أماتتهم.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ (﴿سُجِرَتْ﴾ **مكي وبصري**) من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت، وفجر بعضًا إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا. وقيل: مُلئت نيرانًا لتعذيب أهل النار ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ قرنت كل نفس **(بشكلها)** الصالح مع الصالح في الجنّة والطالح مع الطالح في النار، أو قرنت الأرواح بالأجساد، أو بكتبها وأعمالها، أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ **(المدفونة حية)**، وكانت العرب تئد البنات خشية **(الإطلاق)** وخوف الاسترقاق ﴿سُئِلَتْ﴾ سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت، أو لتدلّ على قاتلها، أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] **(الآية)** ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ وبالتشديد:

قوله: (﴿سُجِرَتْ﴾) بتخفيف الجيم **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري وسهل بن محمد البصري ويعقوب بن إسحٰق البصري وليسا من السبعة. وقرأ الباقون بتشديدها. **قوله**: **(بشكلها)** أي بمثلها. **قوله**: **(المدفونة حية)** أشار به إلى أن الدفن حيًّا معتبر في مفهوم الوأد وإن مات بعد الدفن فهو قتل. **قوله**: **(الإطلاق)** أي الفقر. **قوله**: **(كقوله**: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ **الآية)** في الجلالين **(واذكر** ﴿وَإِذْ قَالَ﴾) أي يقول: (﴿ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾) عيسى: وقد أرعد (﴿سُبْحَٰنَكَ﴾) تنزيهًا عما لا يليق بك من الشرك وغيره (﴿مَا يَكُونُ﴾) ما ينبغي (﴿لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾) خبر ليس ولي للتبيين (﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا﴾) أخفيه (﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾) أي ما تخفيه من معلوماتك (﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾) وهو (﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾) رقيبًا أمنعهم مما يقولون (﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾) قبضتني بالرفع إلى السماء (﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾) عليهم الحفيظ لأعمالهم (﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾) من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك (﴿شَهِيدٌ﴾) مطلع عالم به. اهـ. أي هذا كقوله تعالى لعيسى ابن مريم: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] فإنه عليه الصلاة والسلام لما أجاب بقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ

(يزيد). وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ «فتحت» **(وبالتخفيف: مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب)**. والمراد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب، ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ قال **(الزَّجَّاج)**: قلعت كما يقلع السقف ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا. **(بالتشديد: شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيىٰ للمبالغة)** ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ أدنيت من المتقين كقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾

لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: الآية ١١٦]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١١٧] كان ذلك أشد في تبكيت النصارى وفي توبيخهم. **قوله:** (يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة.

قوله: (وبالتخفيف) أي بتخفيف الشين (مدنيّ) أي نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ **(وعاصم وسهل ويعقوب)** وليسا من السبعة. وقرأ الباقون بتشديدها للمبالغة. **قوله:** **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه، تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. وقد أناف على ثمانين سنة. **قوله:** (وبالتشديد) أي بتشديد العين (شاميّ) أي ابن عامر غير الحلواني عن هشام[1] (ومدنيّ) أي نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وعاصم غير حماد) بن زياد. يروي عن عاصم (ويحيىٰ) بن آدم يروي عن أبي بكر وهو يروي عن عاصم **(للمبالغة)**،

---

(١) يروي عن ابن عامر رضي الله عنه ١٢ منه رحمه الله.

[ق: الآية ٣١]. فهذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا والباقية في الآخرة. ولا وقف مطلقًا من أول السورة إلى ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ لأن عامل النصب في ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ﴾ وفيما عطف عليه جوابها وهو ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ (أي كل نفس) ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ من خير شر.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ «لا» زائدة (﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾) بالرواجع (بينا) ترى النجم في آخر البرج (اذكّر راجعًا إلى أوله ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾) السيارة (﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾ الغُيب) من (كنس) الوحش (إذا دخل كناسه). قيل: هي (الدراري) الخمسة: (بهرام وزحل وعطارد والزهرة) والمشتري، تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس، فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس. وقيل: هي جميع الكواكب ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ أقبل بظلامه أو أدبر (فهو من الأضداد).

وقرأ الباقون بتخفيفها. **قوله**: (أي كل نفس) كقولهم تمرة خير من جرادة إذ النكرة قد تعمّ في الإثبات.

قوله: (﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾) الخنس جمع خانس والخنوس الرجوع إلى وراء والاستخفاء. **قوله**: (بينا) بين وبينا وبينما ثلاثتها واحد وثلاثتها ظرف. **قوله**: (اذكر راجعًا) هو العامل في بينا. **قوله**: (إلى أوله) أي البرج. **قوله**: (﴿ٱلۡجَوَارِ﴾) جمع جارية. **قوله**: (﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾) جمع كانس. **قوله**: (الغُيّب)) جمع ركع جمع غائب. **قوله**: (كنس) من باب جلس. **قوله**: (إذا دخل كناسه) بالكسر وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر. **قوله**: (الدراري) في لسان العرب كوكب دُرِّي ودِرّي ودَرِّي ثاقب مضيء وجمع الكواكب دَراري. اهـ باختصار.

قوله: (بهرام) وهي المريخ بكسر أوله وهو كوكب في السماء الخامسة. **قوله**: (وزحل) بمنع الصرف للعلمية والعدل كعمر نجم في السماء السابعة. **قوله**: (وعطارد) بفتح العين وبمنع الصرف لصيغة منتهى الجموع في الثانية. **قوله**: (والزهرة) بضم أوله وفتح ثانيه في الثالثة. **قوله**: (فهو من الأضداد) لأنه موضوع للإقبال والإدبار وهما متضادان.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ امتد ضوءه. ولما كان إقبال الصبح **(يلازمه الروح والنسيم)** جعل ذلك نفسًا له مجازًا وجواب القسم ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ أي جبريل عليه السلام. وإنما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذي نزل به ﴿كَرِيمٖ﴾ عند ربه ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ عند الله ﴿مَكِينٖ﴾ ذي جاه ومنزلة. ولما كانت على حال المكانة على حسب حال المكين قال: ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ ليدلّ على عظم منزلته ومكانته ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ أي في السمٰوات يطيعه مَن فيها أو عند ذي العرش أي عند الله يطيعه ملائكته المقرّبون يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿أَمِينٖ﴾ على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ﴾ رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته ﴿بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ **(بمطلع الشمس)** ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ وما محمد على الوحي ﴿بِضَنِينٖ﴾ ببخيل **(من الضن)** وهو البخل أي لا يبخل بالوحي كما يبخل **(الكهان)** رغبة في **(الحلوان)** بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئًا مما علم. (﴿بظنين﴾ **مكي وأبو عمرو وعلي**) أي بمتهم فينقص

قوله: **(يلازمه الروح والنسيم)** النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة.

قوله: **(بمطلع الشمس)** أفق السماء ناحيتها والآفاق النواحي إلّا أن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالأفق هٰهنا حيث تطلع الشمس استدلالًا بوصفه بالمبين فإن نفس الأفق لا مدخل له في إبانة الأشياء وإظهارها وإنما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعًا لكوكب نيّر يبين الأشياء بضيائه، وذلك الكوكب هو الشمس وأسند الإبانة إلى مطلعها مجازًا باعتبار تسببه لها في الجملة فإن الإبانة في الحقيقة لضياء الطالع منه. **قوله:** **(من الضنّ)** بالكسر والفتح. **قوله:** **(الكهان)** مثل كفّار جمع كاهن. **قوله:** **(الحلوان)** بالضم العطاء. **قوله:** (﴿بظنين﴾) بالظاء (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ **(وأبو عمرو وعليّ)** الكسائي وقرأ الباقون بالضاد.

شيئًا مما أوحي إليه أو يزيد فيه **(من الظنّة وهي التهمة)** ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ طريد وهو كقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٠]. أي ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع ويوحيهم إلى أوليائهم من **(الكهنة)**.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ **(استضلال لهم)** كما يقال لتارك **(الجادة اعتسافًا)** أو ذهابًا في **(بنيات الطريق)** أين تذهب؟ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعُدولهم عنه إلى الباطل. وقال **(الزجاج)**: معناه فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم؟ وقال **(الجنيد)**: فأين تذهبون عنا وإن من شيء إلا عندنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ما القرآن إلا عظة للخلق ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي القرآن ذكر لـمَن شاء الاستقامة يعني أن الذين شاءوا **(الاستقامة)** بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعوظين جميعًا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **(مالك الخلق أجمعين)**.

قوله: **(من الظنّة)** بالكسر. **قوله**: **(وهي التهمة)** بضم التاء وفتح الهاء ما يتوهم به وعليه وتسكين الهاء لا يجوز إلا في ضرورة شعرية. وقول الفاضل ابن كمال في شرحه لمفتاحه أنه بسكون الهاء لا بفتحها غلط منه. اهـ شهاب. **قوله**: **(الكهنة)** مثل كفرة جمع كاهن.

قوله: **(استضلال لهم)** أي الاستفهام ليس على حقيقته وهو ظاهر بل المراد التنبّه على الضلال ومعنى السين العد دون الطلب أي عدّهم من أهل الضلال. **قوله**: **(الجادّة)** الطريق المسلوكة. **قوله**: **(اعتسافًا)** الاعتساف الأخذ على غير الطريق. **قوله**: **(بُنيّات الطريق)** في الصحاح بُنَيّات الطريق هي الطرق الصغار تنشعب من الجادّة. **قوله**: **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: **(الجنيد)** هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم مات سنة سبع وتسعين ومائتين. **قوله**: **(الاستقامة)** هو مفعوله المقدّر. **قوله**: **(مالك الخلق أجمعين)** يعني أن الرب بمعنى المالك وتعريف العالمين للاستغراق.

تمّت سورة التكوير والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله اللّهمّ مستفيضًا من إفاضتك أشرع وأقول:

(سورة الانفطار)

(مكيّة، وهي تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١)﴾ انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢)﴾ تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)﴾ **(فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بحرًا واحدًا)** ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)﴾ بحثت وأخرج موتاها وجواب «إذا» ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي كل نفس برة وفاجرة ﴿مَّا قَدَّمَتْ﴾ ما عملت من طاعة ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ وتركت فلم تعمل أو ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ قيل: الخطاب لمنكري البعث ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الانفطار) وتُسمى سورة انفطرت **(مكية، وهي تسع عشرة آية)** لا خلاف في عدد آياتها وكونها مكيّة وهي ثمانون كلمة وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفًا. **قوله: (فتح بعضها إلى بعض وصارت البحار بحرًا واحدًا)** أصل معنى التفجير الفتح وشقّ الجوانب ويلزمه فتح بعضها إلى بعض ويلزمه كون جميع البحار بحرًا واحدًا مع أن الأثر دلّ على ذلك وهذا يؤيّد كون معنى سجرت مُلئت.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ (أي شيء خدعك) حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل؟ وعنه ﷺ حين تلاها غرّه جهله. (وعن عمر) ﵁: غرّه حمقه. (وعن الحسن): غرّه شيطانه. (وعن الفضيل): لو خطبت أقول غرّتني ستورك المرخاة. (وعن يحيىٰ بن معاذ) أقول: غرّني برك بي سالفًا (وآنفا) ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فجعلك مستوي الخلق سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ فصيّرك معتدلًا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائمًا لا كالبهائم. (وبالتخفيف: كوفي) وهو بمعنىٰ المشدد أي عدّل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبًا.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ «ما» مزيد للتوكيد أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر، ولم تعطف

قوله: (أي شيء خدعك) إشارة إلى أن ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وغرّك خبره وإن غرّك بمعنى خدعك والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ. **قوله**: (وعن عمر) أمير المؤمنين جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ووَلِيَ الخلافة عشر سنين ونصفًا. **قوله**: (وعن الحسن) بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة الأنصاري مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور مات سنة عشرة ومائة وقد قارب التسعين. **قوله**: (وعن الفضيل) هو أبو علي الفضيل بن عياض خراساني من ناحية المرو. وقيل: إنه ولُد بسمرقند ونشأ بأبيورد مات بمكة المعظّمة في المحرم سنة سبع وثمانين. **قوله**: (وعن يحيىٰ بن معاذ) هو أبو زكريا يحيىٰ بن معاذ الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصًا وكلام في المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين. **قوله**: (آنفًا) الساعة. **قوله**: (وبالتخفيف) أي بتخفيف الدال (كوفيّ) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف والباقون بتشديدها.

هذه الجملة كما عطف ما قبلها لأنها بيان لـ «عدلك» والجار يتعلّق بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾ على معنىٰ وضعك في بعض الصور ومكنك فيها، أو بمحذوف أي ركبك حاصلًا في بعض الصور.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغفلة عن الله تعالى ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ أصلًا وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابًا ولا عقابًا ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ أعمالكم وأقوالكم من الملائكة ﴿كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجاوزوا بها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الأمور، وفيه إنذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الغافلين! ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ إن المؤمنين لفي نعيم الجنّة.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ وإن الكفار لفي النار ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ يدخلونها يوم الجزاء ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي لا يخرجون منها كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ﴾ [البقرة: الآية ١٦٧]. ثم عظم شأن يوم القيامة فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ فكرّر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ﴾ أي لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه وإنما تملك الشفاعة بالإذن. ﴿يَوْمَ﴾ **(بالرفع: مكي وبصري)** أي هو يوم، أو بدل من ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ ومن نصب فبإضمار «اذكر» أو بإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ أي لا أمر إلا لله تعالىٰ وحده فهو القاضي فيه دون غيره.

قوله: (بالرفع: مكيّ) أي ابن كثير المكيّ (وبصري) أي أبو عمرو وسهل ويعقوب وليسا من السبعة. وقرأ الآخرون بالفتح.

تمّت سورة الانفطار بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه

(سورة المطففين)

(مُختَلَفٌ فيها) وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾

﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ للذين **(يبخسون)** حقوق الناس في الكيل والوزن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ أي إذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة. ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالًا يضرّهم **(ويتحامل)** فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك، ويجوز أن يتعلّق «على»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة المطففين، مُختَلَفٌ فيها) أي اختلف في كونها مكيّة أو مدنيّة فقيل: هي بتمامها مكيّة، وقال مقاتل: هي مدنيّة، وقيل: مكيّة إلّا ست آيات من أولها، وقيل: مكيّة إلّا ثمان آيات من آخرها فثمان آيات مدنيّة، وقيل: مدنيّة إلّا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ إلى آخر السورة فهي مكيّة ومنشأ هذا الاختلاف الرواية فكل تمسك بما ظهر عنده من الرواية وهي ست وثلاثون آية لا خلاف في عدد الآيات ومائة وتسع وتسعون وسبعمائة وثمانون حرفًا. هكذا في الخطيب وفي تفسير الخازن ومائة وتسعة وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفًا. **قوله:** (يبخسون) ينقصون. **قوله:** (ويتحامل) يُقال: تحامل عليه أي ظلمه.

بـ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص أي يستوفون على الناس خاصة. وقال الفراء: «من» و«على» يعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه، فإذا قال: اكتلت عليك فكأنه قال: أخذت ما عليك، وإذا قال: اكتلت منك فكأنه قال: استوفيت منك.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

والضمير المنصوب في ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ راجع إلى الناس أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل. وإنما لم يقل أو اتزنوا كما قيل: ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ اكتفاء، ويحتمل أن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء **(والسرقة)** لأنهم يدعون ويحتالون في الملء، وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من **(البخس)** في النوعين ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون **(يقال: خسر الميزان وأخسره)**.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ يعني يوم القيامة. أدخل همزة الاستفهام على «لا» النافية توبيخًا وليست «ألا» هذه للتنبيه، وفيه إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينًا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة، ولو ظنّوا أنهم يبعثون ما نقصوا في الكيل والوزن. **(وعن عبد الملك بن مروان)** أن **(أعرابيًا)** قال له: لقد

قوله: (والسَّرِقة) بكسر الراء. **قوله: (البخس)** النقص. **قوله: (يُقال: خسر الميزان وأخسره)** في المصباح أخسرت الميزان إخسارًا نقصت الوزن وخسرته خسرًا من باب ضرب لغة فيه. اهـ.

قوله: (وعن عبد الملك بن مروان) بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو الوليد المدنيّ ثم الدمشقي كان طالب علم قبل الخلافة ثم اشتغل بها فتغيّر حاله ملك ثلاث عشر سنة استقلالًا وقبلها منازعًا لابن الزبير تسع سنين ومات سنة ست وثمانين في شوال وقد جاوز الستين. **قوله: (أعرابيًا)** في مختار الصحاح العرب جَيْل من الناس والنسبة إليهم عربيّ وهم أهل الأمصار والأعراب منهم سُكّان البادية

سمعت ما قال الله في المطففين، أراد بذلك أن المطفف قد توجّه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب؟! ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ بمبعوثون ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأمره وجزائه. و(عن ابن عمر) ﵄ أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا (بكى نحيبًا) وامتنع من قراءة ما بعده ﴿كَلَّآ﴾ ردع وتنبيه أي ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب، ونبّههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾

ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ صحائف أعمالهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ فإن قلت: قد أخبر الله تعالىٰ عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينًا بكتاب مرقوم فكأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه؟ قلت: سجين كتاب جامع هو ديوان الشرّ دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم (مسطور بيّن الكتابة)، أو معلم يعلم مَن رآه أنه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها. والمعنىٰ أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان. وسمى سجينًا فعيلًا

خاصة والنسبة إليهم الأعرابي وليس الأعراب جمعًا لعرب بل هو اسم جنس.اهـ.
قوله: (عن ابن عمر) وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمٰن وُلد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. **قوله**: (بكى نحيبًا) في مختار الصحاح النحيب رفع الصوت بالبكاء.اهـ.

قوله: (مسطور بين الكتابة) وفي الصحاح الرقم الكتابة والختم فإن فسّر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب للدلالة على أنه بيّن الكتابة بحيث كل مَن ينظر إليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وإمعان بوجه وإن فسّر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على أن ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالّة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار لأن الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لأنه

(من السجن) وهو الحبس والتضييق (لأنه سبب الحبس) والتضييق في جهنم، (أو لأنه مطروح) تحت الأرض السابعة (في مكان وحش) مظلم وهو مسكن إبليس وذرّيته، وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية (فحسب) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم يخرج المكتوب ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾ الجزاء والحساب ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ بذلك اليوم ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ مجاوز للحد ﴿أَثِيمٍ﴾ مكتسب للإثم.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أحاديث المتقدمين. وقال الزجاج: أساطير أباطيل واحدها (أسطورة) مثل أحدوثة وأحاديث.

﴿كَلَّا﴾ ردع للمعتدي الأثيم عن هذا القول ﴿بَلْ ۜ﴾ نفي لما قالوا (ويقف حفص على ﴿بَلْ ۜ﴾ وقيفة) ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ غطّاها كسبُهم أي غلب على قلوبهم حتى (غمرها) ما كانوا يكسبون من المعاصي. (وعن الحسن): الذنب بعد الذنب حتى يسودّ القلب. (وعن الضحاك) الرين موت

مقام الذم والتهويل. **قوله**: (من السجن) بفتح السين وسكون الجيم مصدر بمعنى إدخال السجن بكسر السين موضع الحبس. **قوله**: (لأنه سبب الحبس) فهو بمعنى الفاعل مبالغة ساجن. **قوله**: (أو لأنه مطروح) أي مُلقى فيكون سجين بمعنى المفعول كأنه مسجون. **قوله**: (في مكان وحش) هو صفة لمكان أي خال عن السكان. **قوله**: (فحسب) أي فقط.

قوله: (أسطورة) بالضم. **قوله**: (ويقف حفص على ﴿بَلْ ۜ﴾ وقيفة) أي سكت حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والباقون بغير سكت. اهـ خطيب. وفي الإتحاف سكت حفص على لام ﴿بَلْ ۜ﴾ سكتة لطيفة بلا تنفس وصلًا ويبتدىء ﴿رَانَ﴾ ومَن لازمه إظهار اللام المتفق على إدغامها إلا ما حكاه في الأصل عن المبهج عن قالون من إظهار اللام عند الراء نحو ﴿بَل رَّفَعَهُ﴾ [النساء: الآية ١٥٨] وهو غير مقروء به. اهـ بحروفه. **قوله**: (غمرها) أي سترها. **قوله**: (وعن الحسن) البصريّ. **قوله**: (وعن الضحاك) بن مزاحم الهلالي أبي القاسم وأبي محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال مات بعد المائة.

القلب. (**وعن أبي سليمان**): الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما إدمان الصوم فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك (**الإدام**).

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن الكسب الرائن على القلب ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ﴾ عن رؤية ربهم ﴿يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ لممنوعون والحجب: المنع قال (**الزَّجَّاج**): في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لا يكون التخصيص مفيدًا. وقال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في العقبىٰ عن رؤيته. وقال (**مالك بن أنس**) رحمه الله: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلىٰ لأوليائه حتى رأوه. وقيل: عن كرامة ربهم لأنهم في الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا في الآخرة عن كرامته مجازاة. والأول أصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي هذا العذاب هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرون وقوعه.

قوله: (**وعن أبي سليمان**) هو عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عطية العَنْسي الداراني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة كان من جملة السادات وأرباب الجد في المجاهدات وكانت وفاته سنة خمس ومائتين، وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين رضي الله تعالى عنه والداراني نسبة إلى داريّا وهي قرية بغوطة دمشق والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب والياء في داريّا مشددة.

قوله: (**الإدام**) في المصباح الإدام ما يؤتدم به مائعًا كان أو جامدًا وجمعه أدم مثل كتاب وكتب ويسكن للتخفيف فيعامل معاملة المفرد ويجمع على آدام مثل قفل وأقفال. اهـ.

قوله: (**الزجاج**) هو أبو إسحـٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: (**مالك بن أنس**) بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدنيّ الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتّقين وكبير المثبتين وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ ما كتب من أعمالهم والأبرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لأنه ذكر في مقابلة الفجار، وبيّن الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين. وعن الحسن: البرّ الذي لا يؤذي الذر ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ هو علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين **(منقول من جمع «عليّ» وهو فعيل من العلق)** سمي به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنّة، أو لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن **(الكروبيون)** تكريمًا له ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ ما الذي أعلمك يا محمد ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ أي شيء هو ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ تحضره الملائكة. قيل: يشهد عمل الأبرار مقربو كل سماء إذا رفع.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢﴾ تنعم في الجنان ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ **(الأسرّة)** في **(الحجال)** ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يعذبون ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾ بهجة التنعم وطراوته ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ﴾ شراب **(خالص)** لا غشّ فيه ﴿مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ **(تختم أوانيه)** بمسك بدل الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا. أمر الله تعالىٰ بالختم عليه إكرامًا

قوله: **(منقول من جمع «عليّ» وهو فعيل من العلو)** للمبالغة فيه. **قوله**: **(الكروبيّون)** في لسان العرب الكروبيّون سادات الملائكة منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل هم المقرّبون. اهـ.

قوله: **(الأسرّة)** جمع سرير. **قوله**: **(الحجال)** جمع حجلة بفتحتين وهي بيت العروس يزيّن بالأسرّة والثياب والستور فإن الأسرّة لا تسمى أريكة إلّا إذا كانت في الحجال. **قوله**: **(خالص)** أي صاف مما يكدر حتى الفول. **قوله**: **(تختم أوانيه)** من الأكواب والأباريق وفيه إشارة إلى أن الختام ما يختم به.

لأصحابه (**أو** ﴿**ختامه مسك**﴾ **مقطعه**) رائحة مسك أي توجد رائحة المسك عند (**خاتمة**) شربه. ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ (**عليّ**) ﴿وَفِي ذَٰلِكَ﴾ الرحيق أو النعيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرغب الراغبون وذا إنما يكون بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاء عن السيئات.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ ومزاج الرحيق ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ (**هو علم لعين بعينها**) سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنّمه إذا رفعه لأنها أرفع شراب في الجنّة، أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب في أوانيهم ﴿عَيْنًا﴾ (**حال أو نصب على المدح**) ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي منها ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (**عن ابن عباس**).

قوله: (**أو** ﴿**ختامه مسك**﴾ **مقطعه**) بفتح الميم آخره رائحة مسك نبّه به على أن الختام بمعنى الآخر فإنه كما يجيء بمعنى ما يختم به الشيء ويوضع عليه الخاتم، جاء بمعنى ختم الشيء أي بلغ آخره. **قوله**: («**خاتمه**») بفتح الخاء وألف بعدها ثم تاء مفتوحة (**عليّ**) الكسائي جعله اسمًا لما يختم[1] به الكأس على معنى عاقبته وآخره مسك. وقرأ الباقون بكسر الخاء وبعدها تاء وبعدها ألف بوزن فعال.

قوله: (**هو علم لعين بعينها**) في قوله: بعينها لطف لا يخفى. **قوله**: (**حال**) من ﴿تَسْنِيمٍ﴾ لدلالتها على المعنى وهو الجريان ولا حاجة إلى تأويله بجاريًا فإنه وإن كان جامدًا لكنه يفهم منه معنى الجريان كما عرفته، وهذا كافٍ في صحة الحالية وذو الحال لكونه علمًا يكون معرفة ولذا تأخّر الحال عنها. وفائدة الحال تظهر بملاحظة وصفها فلا إشكال باتحاد الحال وذي الحال. **قوله**: (**أو نصب على المدح**) أي أمدح أو أعني. **قوله**: (**عن ابن عباس**) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه

---

(١) لأن فاعَل بالفتح يكون اسم آلة كالغالب لكنه سماعي.

(وابن مسعود) ﷺ: يشربها المقرّبون **(صرفًا)** وتمزج لأصحاب اليمين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كفروا ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ في الدنيا استهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يشير بعضهم إلى بعض بالعين طعنًا فيهم وعيبًا لهم. قيل: جاء **(علي)** ﷺ في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا: أترون هذا **(الأصلع)** فنزلت قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله ﷺ ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾ أي إذا رجع إلى الكفار منازلهم ﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ متلذذين بذكرهم والسخرية منهم. **(وقرأ غير حفص ﴿فاكهين﴾)** أي فرحين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ وإذا رأى الكافرون المؤمنين ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أي خدع محمد هؤلاء فضلّوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات، فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ وما أرسل الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين

مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله**: **(وابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: **(صرفًا)** في المصباح الصرف بالكسر الشراب الذي لم يمزج. اهـ.

قوله: **(عليّ)** بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين المرجح أنه أوّل مَن أسلم وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذٍ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. اهـ تقريب. **قوله**: **(الأصلع)** في المصباح صلع الرأس صلعًا من باب تعب انحسر الشعر من مقدمه وموضعه الصلعة بفتح اللام ومنهم مَن يقول: الإسكان لغة ولكن أباها الحذاق فالرجل أصلع والأنثى صلعاء. اهـ. **قوله**: **(وقرأ غير حفص ﴿فاكهين﴾)** بالألف.

﴿حَـٰفِظِينَ﴾ يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا بإصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولىٰ بهم من تتبع غيرهم (**وتسفيه أحلامهم**).

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ حال أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من (**الهوان والصغار**) بعد العزّة والاستكبار وهم على الأرائك آمنون. وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنّة فيقال لهم: هلمّوا إلى الجنّة، فإذا وصلوا إليها أغلق (**دونهم**) فيضحك المؤمنون منهم ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا إذا فعل بهم ما ذكر؟ والله أعلم.

وقرأ حفص بغير ألف بين الفاء والكاف. **قوله**: (**وتسفيه**) في المصباح سفهته تسفيهًا نسبة إلى السفه. اهـ. وأيضًا فيه السفه نقص في العقل. اهـ. **قوله**: (**أحلامهم**) عقولهم في القاموس الحلم بالكسر الإناءة والعقل والجمع أحلام وحلوم ومنه ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ﴾ [الطُّور: الآية ٣٢]. اهـ.

قوله: (**الهوان**) نقيض العزّ. **قوله**: (**والصَّغار**) وهو الذلّ والهَوان. **قوله**: (**دونهم**) دون بمعنى قريب وقدام.

تمّت سورة المطففين والحمد لله ربّ العالمين
والصلاة والسلام على رسولنا سيّد المرسلين
وآله وأصحابه أئمة المتّقين اللّهمَّ مستفيضًا من نورك أشرع وأقول:

(سورة الانشقاق)

(مكيّة، وهي خمس وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ تصدعت وتشققت ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ سمعت وأطاعت وأجابت ربها إلى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع ﴿وَحُقَّتْ﴾ وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله إذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالىٰ ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل **(أمت)** فيها ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتىٰ ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلّفت أقصىٰ **(جهدها)** في الخلو. يقال: تكرم الكريم إذا بلغ جهده في الكرم وتكلّف فوق ما في طبعه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الانشقاق)** ويُقال: سورة انشقّت **(مكية)** بالاتفاق **(وهي خمس وعشرون آية)** بالاتفاق أيضًا ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن وأربعمائة وثلاثون حرفًا. اهـ. **قوله**: **(أمت)** في مختار الصحاح الأمت المكان المرتفع، وقال أبو عمرو: هو التِلال الصغار وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: الآية ١٠٧] أي انخفاضًا وارتفاعًا. اهـ. **قوله**: **(جهدها)** الجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقّة.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها وتخليها ﴿وَحُقَّتْ﴾ وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، وحذف جواب «إذا» ليذهب المقدر كل مذهب، **(أو اكتفىٰ بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار)**، أو جوابه ما دلّ على ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي إذا السماء انشقت **(لاقىٰ الإنسان كدحه)**. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ خطاب للجنس ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ جاهد إلى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال **(الممثلة)** باللقاء ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ الضمير للكدح **(وهو جهد النفس)** في العمل **(والكد)** فيه حتى يؤثر فيها، والمراد جزاء الكدح إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ. وقيل: لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدلّ عليه قوله:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ أي كتاب عمله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ سهلًا هيّنًا وهو أن يجازي على الحسنات ويتجاوز عن السيئات. وفي الحديث «مَن يحاسب يعذب» فقيل: فأين قوله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾؟ قال: («**ذلكم العرض من نوقش)** في الحساب **(عذب»)**.

قوله: **(أو اكتفى بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار)** وهو قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: الآية ١٤] ما تسعى فيه من خير وشر. **قوله**: **(لاقى الإنسان كدحه)** أي جزاء كدحه أي علمه الذي كدح فيه وتعب وفيه إشارة إلى أن ضمير «ملاقيه» راجع إلى الكدح. **قوله**: **(الممثلة)** مثل الشيء بالشيء سواه وشبّهه به وجعله مثله وعلى أمثاله. اهـ. **قوله**: **(وهو جهد النفس)** بفتح الجيم وهو المشقّة والتعب. **قوله**: **(والكدّ)** الشدة في العمل.

قوله: **(«ذلكم العرض)** بأن تعرض عليه أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له: لِمَ فعلت هذا ولم يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فإنه متى طُولب بذلك لم يجد عذرًا ولا حجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام: «مَن نوقش في الحساب فقد هلك» والحساب اليسير هو العرض وسوف من الله تعالى واجب. **قوله**: **(ومَن نوقش)**

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ إلى **(عشيرته)** إن كانوا مؤمنين، أو إلى فريق المؤمنين، أو إلى أهل في الجنّة من الحور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ فرحًا ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ قيل: تغلّ يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتي كتابه بشماله من وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾ يقول: يا ثبوراه والثبور الهلاك (﴿وَيَصْلَىٰ﴾ **عراقي غير علي)** ﴿سَعِيرًا﴾ أي ويدخل جهنّم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ في الدنيا ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ معهم ﴿مَسْرُورًا﴾ بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث. قيل: كان لنفسه متابعًا وفي **(مراتع)** هواه راتعًا (﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾)

أي ضيق في الحساب بحيث سُئِلَ عن كل شيء واستقصى عليه فلم تترك له كبيرة ولا صغيرة (عذب») أي تكون نفس تلك المضايقة عذابًا أو سَبَبًا مفضيًا للعذاب.

قوله: (عشيرته) العشيرة القبيلة. **قوله**: (﴿وَيَصْلَىٰ﴾) بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام من صلى مخفّفًا مبنيًا للفاعل معدى لواحد وهو ﴿سَعِيرًا﴾ (عراقيّ) إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي (غير عليّ) الكسائي الكوفي، فعلي الكسائي ونافع المدنيّ وابن كثير المكيّ وابن عامر الشامي بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام مضارع صلى مبنيًا للمفعول معدى بالتضعيف إلى مفعولين الأول الضمير النائب والثاني ﴿سَعِيرًا﴾. وقرأ حمزة والكسائي بالإمالة المحضة. وقرأ وَرْش[1] بالفتح وبين اللفظين وإذا فتح ورش غلظ اللام وإذا أمال رقق والباقون بالفتح.

قوله: (مراتع) في المصباح رتعت الماشية رتعًا من باب نفع ورتوعًا رعت كيف شاءت والمرتع بالفتح موضع الرتوع والجمع المراتع. اهـ. **قوله**: (﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾) أن فيه مخفّفة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر و﴿لَّن

---

(١) هو عثمان بن سعيد المصري ويُكنى أبا سعيد وورش لقب لقّب به فيما يقال لشدة بياضه وتُوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة يروي عن نافع رضي ١٢ منه رحمه الله.

لن يرجع إلى ربّه تكذيبًا بالبعث. قال ابن عباس ﷺ: ما عرفت تفسيره حتى سمعت أعرابيّة تقول لبنتها: حوري أي ارجعي ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد النفي في ﴿لَّن يَحُورَ﴾ أي بلىٰ ليحورن ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ﴾ وبأعماله ﴿بَصِيرًا﴾ لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ **(فأقسم بالبياض بعد الحمرة، أو الحمرة)** ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ جمع وضمّ والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم، أو من عمل فيه من التهجد وغيره ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ اجتمع وتمّ بدرًا افتعل من الوسق (﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ **أيها الإنسان)** على إرادة الجنس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ **(حالًا بعد حال، كل واحدة مطابقة لأختها في الشدّة والهول)**. والطبق ما طابق غيره يقال: ما هذا بطبق لذا أي لا يطابقه، ومنه قيل للغطاء الطبق، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم: هو على طبقات، أي لتركبن أحوالًا بعد أحوال هي طبقات في الشدّة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها. ومحل ﴿عَن طَبَقٍ﴾ نصب على أنه صفة لـ ﴿طَبَقًا﴾ أي طبقًا مجاوزًا لطبق، **(بعد حال)** من

﴿يَحُورَ﴾ خبرها والجملة سدّت مسدّ مفعولي الظن والمعنى أن هذا الكافر ظن أن الأمر والشأن لن يحور إلى الله تعالى بأن يبعث بعد الموت.

قوله: **(فأقسم)** أي ﴿لَآ﴾ زائدة. **قوله**: **(بالبياض بعد الحمرة)** هذا عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه **(أو الحمرة)** التي ترى في المغرب بعد غروب الشمس وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى. ورُوِيَ أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى رجع عنه واختار أن الشفق هو الحمرة كما قال به صاحباه. **قوله**: (﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ **أيها الناس)** أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين. **قوله**: **(حالًا بعد حال، كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول)** أي المراد بطبق الحال عبرت بالطبق لمطابقة أختها في الشدة كما قال: كل واحدة مطابقة لأختها أي نظيرها فالأخت مستعارة له لمشابهتها في الشدة. **قوله**: **(بعد حال)** إشارة إلى أن ﴿عَن﴾ بمعنى بعد.

الضمير في ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أي لتركبن طبقًا مجاوزين لطبق. وقال (**مكحول**): في كل عشرين عامًا تجدون أمرًا لم تكونوا عليه. (**وبفتح الباء: مكيّ وعلي وحمزة**). والخطاب له ﷺ أي طبقًا من طباق السماء بعد طبق أي في المعراج.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فما لهم في أن لا يؤمنوا ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾﴾ لا يخضعون ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بالبعث والقرآن ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبيّ ﷺ، أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدّخرون لأنفسهم من أنواع العذاب ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ أخبرهم خبرًا يظهر أثره (**على بشرتهم**) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (**استثناء منقطع**) ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم.

قوله: (**مكحول**) هو أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشاميّ. قال الزهري: العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبيّ بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا رأي والرأي يخطىء ويصيب وسمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وأبا هند الرازي وغيرهم وكان مقامه بدمشق مات سنة بضع عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**وبفتح الباء: مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وعليّ**) الكسائي (**وحمزة**) على خطاب الواحد والباقون بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الإنسان إذ المراد به الجنس أي لتركبن أيها الإنسان.

قوله: (**على بشرتهم**) البشرة ظاهر الجلد والجمع البشر مثل قصبة وقصب. اهـ المصباح. **قوله**: (**استثناء منقطع**) أي من الضمير المنصوب في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ الراجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ولا شك أن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليس من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعًا بمعنى لكن الذين آمنوا.

تمّت سورة الانشقاق والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة البروج)

(مكيّة، وهي اثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ (هي البروج الاثنا عشر).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة البُرُوج، مكيّة، وهي اثنتان وعشرون آية) لا خلاف في كونها مكيّة ولا في عدد آياتها ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفًا. هكذا في الخطيب. وفي الخازن وأربعمائة وخمسة وستون حرفًا. **قوله**: (هي البروج الاثنا عشر) الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة. المريخ بكسر الميم وهو نجم في السماء الخامسة وله من البروج المذكورة الحمل والعقرب. والزهرة بضم أولها وفتح ثانيها في الثالثة ولها الثور والميزان. وعطارد بفتح[1] العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع في الثانية وله الجوزاء والسنبلة. والقمر في الأولى وله السرطان، والشمس في الرابعة ولها الأسد

---

(١) كذا في حاشية الجلالين للعلّامة الشيخ سليمان الجمل في سورة الحجر نقلًا عن شيخه ١٢ منه حفظه.

وقيل: النجوم **(أو عظام الكواكب)**.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه، والمراد بالشاهد مَن يشهد فيه من الخلائق كلهم، وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه. وطريق تنكيرهما إما ما ذكرته في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: الآية ١٤] **(كأنه قيل: ما أفرطت كثرته)** من شاهد ومشهود، وإما للإبهام في الوصف كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما. وقد كثرت أقاويل المفسّرين فيهما فقيل: محمد ﷺ ويوم القيامة أو عيسىٰ وأُمته لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: الآية ١١٧]. أو أُمة محمد وسائر الأُمم، أو الحجر الأسود **(والحجيج، أو الأيام والليالي)** وبنو آدم للحديث: «ما من يوم إلا وينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل فيّ شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة». أو الحفظة وبنو آدم، أو الله تعالىٰ والخلق لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: الآية ٧٩] أو الأنبياء ومحمد عليهم السلام.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾

وجواب القسم محذوف يدلّ عليه ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ أي لعن كأنه قيل: أقسم بهذه الأشياء إنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود، وهو خد أي شقّ عظيم في الأرض.

والمشتري في السماء السادسة وله القوس والحوت. وزحل في السماء السابعة وله الجدي والدلو. **قوله: (أو عظام الكواكب)** سُميت بروجًا لظهورها.

قوله: (كأنه قيل: ما أفرطت كثرته...) الخ فالتنوين للتكثير. **قوله: (والحجيج)** جمع الحاج في المصباح جمع الحاج حجاج وحجيج. اهـ. **قوله: (أو الأيام والليالي)** في تفسير الخطيب. قال القرطبي: وكذا سائر الأيام والليالي لما روى أبو نعيم الحافظ عن معاوية أن النبيّ ﷺ قال: ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل فيّ خيرًا أشهد لك به غدًا فإني إذا مضيت لم ترني أبدًا، ويقول: الليل مثل ذلك حديث غريب. اهـ.

(رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه كان لبعض الملوك) ساحر فلما (كبر) ضمّوا إليه غلامًا ليعلّمه السحر. وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم (دابة) قد حبست الناس فأخذ حجرًا فقال: «اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر (فاقتلها)» فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرىء (الأكمه) والأبرص. وعمي (جليس) للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله مَن ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. فغضب فعذّبه فدلّ على الغلام، فعذّبه فدلّ على الراهب، فلم يرجع الراهب عن دينه (فقدّ بالمنشار)، وأبى الغلام فذهب به إلى (جبل) ليطرح من (ذروته فدعا فرجف) بالقوم (فطاحوا) ونجا، فذهب به (إلى قرقور فلجّجوا به) ليغرقوه فدعا (فانكفأت) بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس

قوله: (رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه كان لبعض الملوك...) الخ. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم. **قوله**: (كبر) بكسر الباء زاد سنة وشاخ. وأما كبر بضم الباء فهو مستعمل في غير السن نحو ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [غافر: الآية ٣٥]. **قوله**: (دابّة) أي حية. **قوله**: (فاقتلها) أي بأن يخلق فيّ قوة أرمي بها هذا الحجر إليها وأضربها به فرماها به فقتلها. **قوله**: (الأكمه) الذي وُلد أعمى وقيل: هو الممسوح العين. **قوله**: (جليس) نديم ومصاحب. **قوله**: (فقدّ) القدّ الشق طولًا وبابه ردّ. **قوله**: (بالمنشار) بكسر الميم اسم الآلة. **قوله**: (جبل) بالجيم والباء التحتية. **قوله**: (ذروته) في المصباح الذروة بالكسر والضمّ من كل شيء أعلاه. اهـ. **قوله**: (فدعا) الضمير فيه للغلام أي دعا الله عليهم. **قوله**: (فرجف) ببناء المجهول أي اهتزّ ورمى مَن عليه سوى الغلام. **قوله**: (فطاحوا) في مختار الصحاح طاح هلك وسقط وبابه قال: وباع. اهـ. **قوله**: (إلى قرقور) في مختار الصحاح القُرْقور بوزن العُصْفُور السفينة الطويلة. اهـ. **قوله**: (فلججوا به) في مختار الصحاح لجّجت السفينة تلجيجًا خاضتِ اللُّجة. اهـ. وأيضًا لجّة الماء بالضم مُعْظمه وكذا اللُّج ومنه ﴿بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النور: الآية ٤٠]. اهـ. **قوله**: (فانكفأت) بالهمزة أي انقلبت على مَن فيها والغلام داخل فيه لكنه أنجاه الله تعالى بلطفه، ولذا قال: فغرقوا ونجا وهي كرامة له. ولما تفطّن أن الملك الشقي يتصدّى بإهلاكه بوجه آخر أراد بيان سبب إهلاكه إما بالإلهام أو ليترتب عليه خير كثير فقال قصرًا للمسافة لست بقاتلي... الخ لأن الشر الجزئي إذا ترتب عليه الخير الكلي يسوغ فعله وهنا كذلك فلا إشكال

(في صعيد وتصلبني على جذع) وتأخذ سهمًا من **(كنانتي)** وتقول: باسم الله ربّ الغلام ثم ترميني به، **(فرماه فوقع في صدغه)** فوضع يده عليه فمات **(فقال الناس: آمنّا برب الغلام)**. فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر. فخدّ أخدودًا وملأها نارًا فمَن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي **(فتقاعست)** أن تقع فيها **(فقال الصبي)**: يا أُمّاه اصبري فإنك على الحق فألقي الصبي وأمه فيها.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

(﴿ٱلنَّارِ﴾) بدل اشتمال من الأُخدود ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ **(وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع بها لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس)** ﴿إِذْ﴾ ظرف لقتل

بأن الإلقاء إلى الهلكة منهي عنه فكيف يجوز للمؤمن فضلًا عن الولي. اهـ قنوي. **قوله**: **(في صعيد)** أي أرض واسعة مستوية. **قوله**: **(وتصلبني)** في مختار الصحاح الصَّلْب معروف وبابه ضرب وصَلّبه أيضًا شدّد للكثرة. قال الله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: الآية ٧١]. اهـ. **قوله**: **(على جذع)** أي جذع نخل في المصباح الجِذْع بالكسر ساق النخلة والجمع جذوع وأجذاع. اهـ. **قوله**: **(كنانتي)** في المصباح الكنانة بالكسر جَعْبة السهام من أدم. اهـ. **قوله**: **(فرماه)** الفاء فصيحة أي أخذ سهمًا من كنانته فرماه بعد الطلب. **قوله**: **(في صدغه)** في مختار الصحاح الصُّدْغ ما بين العَيْن والأذن. اهـ.

قوله: **(فقال الناس)** أي الناس الحاضرون **(آمنا برب الغلام)** وهذا هو مراده ببيان سبب قتله ومعرفته بذلك، إما للفراسة أو للإلهام. **قوله**: **(فتقاعست)** أي فتأخرت عن جانب النار كأنها أراد بالرجوع ظاهرًا وقلبها مطمئن بالإيمان. اهـ قنوي. **قوله**: **(فقال الصبي)** قبل أوان تكلّمه يا أماه على طريق الندبة للمتفجع على ما قصدته.

قوله: **(وصف لها بأنها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس)** فإن الوقود بالفتح وإن شاع في الحطب إلّا أنه يطلق على مطلق ما تتقد به النار أيّ شيء كان. قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: الآية ٢٤]، فالمقصود من توصيف النار بكونها ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة ما يكون سببًا لاتقادها واستشعالها ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقي للتوصيف

أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها ﴿هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي الكفار على ما يدنو منها (من حافات) الأخدود ﴿قُعُودٌ﴾ جلوس على الكراسي ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من الإحراق ﴿شُهُودٌ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدًا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوّض إليه من التعذيب، وفيه حثّ للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا﴾ وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله:

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم)

وقوله:

(ما نقموا من بني أُمية إلّا) أنهم يحلمون إن غضبوا

فائدة فإنه من الظاهر المكشوف أن النار لا تخلو عن الوقود. **قوله**: **(من حافات** ﴿النَّارِ﴾) حافة الشيء بحاء مهملة وفاء مشددة جانبه.

قوله:

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم) بهن فُلول من قِراع الكَتائِب

الفلول جمع فلّ بفتح الفاء وهو كسور في حدّ السيف يقال: سيف أفلّ بين الفَلل وتفلّلت مضارِبُه تكسرت. والقِراع بكسر القاف والراء المهملة وبعد الألف عين مهملة الضِراب قرع الثور والفحل الناقة يقرعها قرعًا وقراعًا ضربها. والكتائب جمع كتيبة وهي الجيش. والمعنى لا عيب في هؤلاء الممدوحين إلا هذا العيب وهو الثلم في أسيافهم من المضاربة في الجيوش وهذا ليس بعيب لأنها تنبىء عن الشجاعة، وهي أخص الأوصاف فلا عيب فيهم والبيت من الطويل للنابغة الذبياني.

قوله:

(وما نقموا من بني أمية إلّا) أنهم يَحْلُمُون إنْ غَضِبُوا

(وقرىء ﴿نَقِمُوا﴾) بالكسر والفصيح هو الفتح ﴿بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ ذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به وهو كونه عزيزًا غالبًا يخشىٰ عقابه حميدًا منعمًا يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكل مَن فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرًا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود، ومعنىٰ فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ لم يرجعوا عن كفرهم ﴿فَلَهُمْ﴾ في الآخرة (﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾) بكفرهم (﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾) في الدنيا لما رُوِيَ أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم، ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم بالأذىٰ على العموم والمؤمنين المفتونين، (وإن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم).

المعنى أنهم ما أنكروا وما كرهوا من بني أمية شيئًا إلّا أنهم لهم الحلم عند الغضب وكظم الغيظ وليس ذلك مما ينكر بل هو أم المحامد ورأس المفاخر لعبيد الله بن قيس الرّقيّات من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان. **قوله:** (وقرىء ﴿نَقِمُوا﴾) بالكسر قارئه أبو حيوة.

قوله: (وإن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم) في تفسير روح البيان فلهم في الآخرة بسبب كفرهم (﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾) يعذبون به أبدًا (﴿وَلَهُمْ﴾) بسبب فتنتهم للؤمنين (﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾) أي عذاب عظيم زائد في الإحراق على عذاب سائر أهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وإن كان كل منهما حاصلًا في الآخرة، ويحتمل أن يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها وبعذاب الحريق حرّها فيردّدون بين برد وحر على أن يكون الحر لإحراقهم المؤمنين في الدنيا والبرد لغيره كما قالوا: الجزاء من جنس العمل.اهـ. وأيضًا فيه يقول الفقير: الظاهر أن الحريق هنا بمعنى المحرق كالأليم بمعنى المؤلم فيكون إضافة العذاب إلى الحريق من قبيل إضافة الموصوف إلى صفة ويستفاد زيادة الإحراق من المقابلة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ أي الذين صبروا على تعذيب الأخدد أو هو عام ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ البطش: الأخذ **(بالعنف)** فإذا وصف بالشدّة فقد تضاعف و**(تفاقم)**، والمراد أخذه الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد أن صيّرهم ترابًا، دلّ باقتداره على الابداء والإعادة على شدة بطشه، أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذّبوا بالإعادة ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الساتر للعيوب العافي عن الذنوب ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المحب لأوليائه. وقيل: الفاعل لأهل الطاعة ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ و**(بالجر: حمزة وعلي)** على أنه صفة للعرض ومجد الله عظمته ومجد العرش علوّه وعظمه ﴿فَعَّالٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿لِّمَا يُرِيدُ﴾ تكوينه فيكون فيه دلالة خلق أفعال العباد.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ أي قد أتاك خبر الجموع الطاغية في الأمم الخالية ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ **(بدل من** ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ **وأراد بـ** ﴿فِرْعَوْنَ﴾ **إياه)** وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم.

فإن العطف من باب الترقي بحسب العذاب المترتب على الترقي من حيث العمل. اهـ بحروفه.

قوله: **(بالعنف)** في مختار الصحاح العنف بالضم ضد الرفق. اهـ. **قوله:** **(تفاقم)** أي عَظُم.

قوله: **(بالجر: حمزة وعليّ)** الكسائي على أنه صفة للعرش أو لربك في ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾. والباقون برفعها خبر بعد خبر أو نعت لـ ﴿ذُو﴾. **قوله:** **(بدل من** ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ **وأراد بـ** ﴿فِرْعَوْنَ﴾ **إياه)** وآله أبدلهما من ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ بدل الكل

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من قومك ﴿فِي تَكۡذِيبٍ﴾ واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادًا ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾ أي عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه، والإحاطة بهم من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشيء المحيط به ﴿بَلۡ هُوَ﴾ بل هذا الذي كذبوا به ﴿قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ شريف **(عالي الطبقة)** في الكتب وفي نظمه وإعجازه ليس كما يزعمون أنه مفترى وأنه أساطير الأولين ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ من وصول الشياطين (﴿مَّحۡفُوظُۢ﴾): نافع صفة للقرآن أي من التغيير والتبديل. واللوح **(عند الحسن)** شيء يلوح للملائكة فيقرءونه، **(وعند ابن عباس)** ﵄ و**(هو من درّة بيضاء)** طولها ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، قلمه نور وكل شيء فيه

أما ﴿وَثَمُودَ﴾ لكونه اسم قبيلة فظاهر، وأما ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ لكونه لقباله فليس بجنود ولدفع هذا قال: أراد بفرعون إياه وآله بطريق عموم المجاز. فإن القوم سموا بفرعون لسلوكهم مسلَكهُ فإطلاق فرعون عليه حقيقة وعلى قومه مجاز فيراد به ما يطلق عليه فرعون أو يراد به صفته المشهورة وهو الجبر والتعدّي أو اكتفى بذكره عن ذكر قومه لأنه متبوعه وكثيرًا ما يذكر المتبوع ويراد التابع معه لكن الأوفق لظاهر كلامه ما ذكر أولًا فحينئذٍ يكون البدل مطابقًا للمبدل منه في الجملة. اهـ قنوي.

قوله: (عالي الطبقة) أي المنزلة والمرتبة. **قوله: (﴿مَّحۡفُوظُۢ﴾)** بالرفع نافع صفة للقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: الآية ٩]. والباقون بالجرّ على أنه نعت لـ ﴿لَوۡحٖ﴾.

قوله: (عند الحسن) البصري. **قوله: (وعند ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس ابن عمّ رسول الله ﷺ الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما وكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف.

قوله: (هو من درّة بيضاء...) الخ وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء. اهـ خطيب.

مسطور. **(مقاتل)**: هو على يمين العرش. وقيل: أعلاه معقود بالعرش وأسفله **(في حجر ملك)** كريم والله أعلم.

قوله: **(مقاتِل)** هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد بن جَبر وعطاء بن أبي رباح وأبي إسحٰق السبيعي والضحّاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم. وروَى عنه بقية بن الوليد الحمصي وعبد الرزاق بن همام الصنعاني وحرمي بن عمارة وعلي بن الجعد وغيرهم، وكان من العلماء الأجلّاء تُوفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى. **قوله**: **(في حجر ملك)** بالفتح وقد يكسر حضنه وهو ما دون إبطه إلى الكشح. اهـ مصباح. وأيضًا فيه الكشح مثال فلس ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. اهـ.

تمّت سورة البروج والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
اللّهمّ مستفيضًا من نورك أشرع وأقول:

(سورة الطارق)

(مكيّة) وهي سبع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ عظم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته، وفيها خلق الجنّة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم لها لعظم منفعتها، ثم فسّره بالنجم الثاقب أي المُضيء كأنه (**يثقب الظلام**) بضوئه فينفذ فيه، ووصف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الطارق**، مكية) أي بالاتفاق وهي سبع عشرة آية وفي التيسير ست عشرة واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وإحدى وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن وإحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفًا.

قوله: (**يثقب الظلام**) يقال: ثقبه يثقبه ثقبًا أي جعل فيه منفذًا ومسلكًا ونفذ فيه، والظلام بفتح الظاء في لسان العرب الظلماء الظلمة وربما وصف بها فيقال: ليلة ظلماء أي مظلمة والظلام اسم يجمع ذلك كالسواد ولا يجمع يجري مجرى المصدر كما لا يجمع نظائره نحو السواد والبياض ويجمع الظلمة ظُلْمًا وظلمات. وقيل: الظلام أول الليل. اهـ باختصار.

بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلًا طارق، أو لأنه يطرق الجني أي **(يصكه)**.

وجواب القسم ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ لأن ﴿لَّمَّا﴾ إن كانت مشدّدة بمعنىٰ «إلا» كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون «إن» نافية أي ما كل نفس إلا عليها حافظ، وإن كانت مخفّفة كقراءة غيرهم فتكون «إن» مخفّفة من الثقيلة أي إن كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات، أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفىٰ ذلك مات. وقيل: هو كاتب الأعمال فـ «ما» زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة، و﴿حَافِظٌ﴾ مبتدأ و﴿عَلَيْهَا﴾ الخبر، والجملة خبر ﴿كُلُّ﴾ **(وأيتهما كانت فهي مما يتلقىٰ به القسم)**.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ لما ذكر أن على كل نفس حافظًا أمره بالنظر في أول أمره ليعلم أن مَن أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء **(ولا يملي)** على حافظه إلا ما يسرّه في عاقبته. و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهام أي من أي شيء خلق جوابه.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ والدفْق: صبّ **(فيه دفع)**. والدفق في الحقيقة لصاحبه والإسناد إلى الماء مجاز. وعن بعض أهل اللغة: دفقت الماء دفقًا: صببته ودفق الماء بنفسه أي انصب. ولم يقل ما ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدىء في خلقه ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ من صلب الرجل وترائب

قوله: (يصكه) أي يضربه. **قوله: (وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم)** لأن القسم كما يتلقى بأن المؤكّدة يتلقى بأن النافية كثيرًا كما قرر في النحو.

قوله: (ولا يملي) في مختار الصحاح أمْلَى الكتاب وأملّه لغتان جيدتان جاء بهما القرآن، قلت: أراد به قوله تعالى: ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: الآية ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢]. اهـ.

قوله: (فيه دفع) أي دفع من صلب الرجل أو لتتابع قطراته. اهـ قنوي.

المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون (**القلادة. وقيل: العظم والعصب من الرجل واللّحم والدم من المرأة**) ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه إن الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ على إعادته خصوصًا ﴿لَقَادِرٌ﴾ لبيّن القدرة لا يعجز عنه كقوله: إنني لفقير أي لبيّن الفقر.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

ونصب ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ أي تكشف برجعه أو بمضمر دلّ عليه قوله: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ أي يبعثه يوم تبلىٰ ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسرّ في القلوب من العقائد والنيّات وما أخفى من الأعمال ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ فما للإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ في نفسه على دفع ما حلّ به ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يعينه ويدفع عنه. ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ أي المطر وسمىٰ به لعوده كل حين ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض (**من النبات**) ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فُرْقان ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ باللعب والباطل (**يعني أنه جِدٌّ كله**) ومن حقّه، وقد وصفه الله بذلك أن يكون

قوله: (**القلادة**) في مختار الصحاح القلادة التي في العنق. **قوله**: (**وقيل: العَظم والعَصب من الرجل واللحم والدم من المرأة**) في الدرّ المنثور أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش قال: يخلق العظام والعصب من ماء الرجل ويخلق اللحم والدم من ماء المرأة. اهـ بحروفه.

قوله: (**من النبات**) بيان ما في قوله: ما تتصدع عنه الأرض فعلى هذا يكون المراد بـ ﴿ٱلصَّدْعِ﴾ نبات الأرض سُمِّيَ به لكونه صادعًا للأرض والأرض تتصدع به ولما لم يتأت خروجه من الأرض إلا بصدعه إياها جعل كأنه نفس الصدع فسمي به فأصل فالمصدر بمعنى الفاعل وهو أحسن من كونه بمعنى المفعول. **قوله**: (**يعني أنه جدٌّ كله**) أي أنزل كله على سبيل الجد والاهتمام به، يطلب بذكره وإنزاله فائدة مضنوبة كالامتثال بأمره والاجتناب عن نهيه، وكذا وعده ووعيده والقصص والتمثيلات فإن كلها ذكر مرادًا به معناه والفائدة المطلوبة منه ولا شيء ذكر فيه غير مراد معناه وما يترتب عليه وهو المراد بالهزل والجد ضده. **قوله**: (**مهيبًا**) في

(**مهيبًا**) في الصدور معظمًا في القلوب، يرتفع به قارئه وسامعه أن (**يلم**) بهزل أو (**يتفكه**) بمزاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجي لهم من حيث لا يعلمون فسمي جزاء الكيد كيدًا كما سُمِيَ جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وإن لم يكن اعتداء وسيئة، ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالىٰ إلا على وجه الجزاء كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٢]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]، ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ أنظرهم فكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (﴿رُوَيْدًا﴾) مهلًا يسيرًا (**ولا يتكلم بها إلا مصغرة وهي من رادت الريح ترود رودًا تحركت حركة ضعيفة**).

المصباح هابه يهابه من باب تعب هيبة حذره. قال ابن فارس: الهيبة الإجلال، فالفاعل هائب والمفعول هيوب ومهيب أيضًا. اهـ. **قوله**: (يلم) أي ينزل. **قوله**: (يتفكّه) في المصباح تفكّه بالشيء تمتع به. اهـ.

قوله: (﴿رُوَيْدًا﴾) مهلًا يسيرًا في لسان العرب الرُّوَد والرُّوْد المُهْلَة في الشيء، وقالوا: رويدًا أي مهلًا. اهـ. في تفسير أبي السعود رويدًا إما مصدر مؤكد بمعنى الفاعل أو نعت لمصدره المحذوف أي أمهلهم إمهالًا رويدًا أي قريبًا، كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أو قليلًا كما قاله قتادة. اهـ. **قوله**: (ولا يتكلم بها إلا مصغرة) في تفسير أبي السعود قال أبو عبيدة هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنه ثمل[(١)] يمشي على رود: أي على مهل. وقيل: تصغير أروادًا مصدرًا لِرَوَدَ بالترخيم[(٢)]. اهـ. وفي القنوي فيكون تصغير رود بضم الراء والتصغير للتقليل وهو يستلزم اليسير. اهـ. **قوله**: (وهي من رادت الريح ترود رودًا تحركت حركة ضعيفة) في لسان العرب رادت الريح ترود رودًا ورُؤُدًا ورَوَدَانًا حالت وفي التهذيب تحركت ونسمت نسمانًا إذا تحركت تحركًا خفيفًا. اهـ.

تمّت سورة الطارق حامدًا لله ومُصليًا ومُسلِّمًا

على أفضل رسله الكرام وعلى آله وصحبه العظام على توالي الليالي والأيام

---

(١) الثمل محركة السُّكر ثمل كفَرح فهو ثَمِل. اهـ. قاموس ١٢ منه رحمه الله.

(٢) قوله: بالترخيم أي بطرح جميع الزوائد ١٢ منه رحمه الله.

(سورة الأعلىٰ)

(مكيّة) وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ نزّه ذاته عما لا يليق به، **(والاسم صلة)** وذلك بأن يفسر الأعلى بمعنى العلوّ الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلوّ في المكان. وقيل: قل سبحان ربي الأعلىٰ. **(وفي الحديث)** لما نزلت قال ﷺ: اجعلوها في سجودكم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ **(أي خلق كل شيء فسوّى خلقه)** تسوية ولم يأت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأعلى) وتسمى سورة سبّح (مكية) عند الجمهور واختارها المصنّف رحمه الله، وقيل: إنها مدنيّة وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن واحد وتسعون بدل وأربعة وثمانون. **قوله:** **(والاسم صلة)** أي زائد. **قوله:** **(وفي الحديث...)** الخ هذا حديث صحيح. أخرجه أبو داود وغيره عن عقبة بن عامر. **قوله:** **(أي خلق[1] كلّ شيء فسوّى خلقه)** إشارة إلى أن حذف مفعول كل واحد من ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ لقصد التعميم.

---

(١) قوله: خلق كل شيء... الخ العموم مستفاد من عدم ذكر المفعول ١٢ منه رحمه الله.

به متفاوتًا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم، أو سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة.

﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِىٓ أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ أي قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به، أو فهدى وأضلّ ولكن حذف وأضلّ اكتفاء كقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: الآية ٨]. (﴿قَدَّرَ﴾ **علي**) ﴿وَالَّذِىٓ أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ أنبت ما ترعاه الدواب ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ يابسًا هشيمًا ﴿أَحْوَىٰ﴾ أسود «فأحوى» صفة الغثاء ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ سنعلمك القرآن حتى تنساه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيّه أن يحفظ عليه الوحي حتى لا (**ينفلت**) منه شيء إلا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته. وسأل ابن كيسان النحوي (**جنيدًا**) عنه فقال: فلا تنسى العمل به فقال: مثلك يصدر. وقيل: قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ على النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله: ﴿السَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] أي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي إنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة (**التفلت**) والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك إلى الجهر، أو ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان، أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم.

قوله: (﴿قَدَّرَ﴾) بتخفيف الدال (**علي**) الكسائي والباقون بالتشديد. قال البغوي: وهما بمعنى واحد. **قوله:** (**ينفلت**) في لسان العرب الانفلات التخلّص من الشيء فجأة من غير تمكث.اهـ. وفي المصباح انفلت خرج بسرعة.اهـ.

قوله: (**جنيدًا**) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم مات سنة سبع وتسعين ومائتين. **قوله:** (**التفلت**) في مختار الصحاح أَفْلَتَ الشيء وتفلّت انفلت بمعنى.اهـ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ معطوف على ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني حفظ الوحي. وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنّة.

﴿فَذَكِّرْ﴾ عظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ جواب «إن» مدلول قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ قيل: **(ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرىٰ فيهم)**. وقيل: هو أمر بالتذكير على الإطلاق كقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾ [الغاشية: الآية ٢١]، غير مشروط بالنفع.

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سيتعظ ويقبل التذكرة ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله وسوء العاقبة ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتباعد عن الذكرىٰ فلا يقبلها (﴿ٱلْأَشْقَى﴾) الكافر أو الذي هو أشقى الكفرة **(لتوغله)** في عداوة رسول الله ﷺ. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾) فيستريح من العذاب (﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾) حياة يتلذذ بها. وقيل: «ثم» لأن الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلي فهو متراخٍ عنه في مراتب الشدة.

قوله: (ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم) فلا يكون معنى الشرط مرادًا بل المراد لازمه وهو عدم تأثير الذكرى. وفي الكشاف كما تقول عظ فلانًا إن تسمع منك قاصدًا بهذا الشرط استبعادًا لقبوله، فالمعنى ﴿فَذَكِّرْ﴾ الخلق طرًا ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي الذكر وتأثيره مستبعد ممن طبع على قلوبهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: الآية ١٠١].

قوله: (﴿ٱلْأَشْقَى﴾) بمعنى الشقي أي الكافر أي جنسه. **قوله: (لتوغله)** في لسان العرب توغل في الأرض ذهب فأبعد فيها. اهـ.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾) وهذا في حق الكافر وأما العاصي فيموت في النار، كذا ورد في مسلم مرفوعًا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ نال الفوز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدّى الزكاة (**تفعل من الزكاة، تصدق من الصدقة**) ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ﴾ وكبر للافتتاح ﴿فَصَلَّىٰ﴾ (**الخمس**) وبه يحتجّ على وجوب تكبيرة الافتتاح، (**وعلى أنها ليست من الصلاة**)، لأن الصلاة عطفت عليها وهو يقتضي المغايرة، وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه ﷻ. (**وعن ابن عباس**) ﵄: ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلّى له. و(**عن الضحاك**): وذكر اسم ربه في طريق المصلّى فصلّى صلاة العيد.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون. والمخاطب به الكافرون دليله (**قراءة أبي عمرو ﴿يؤثرون﴾ بالياء**) ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ أفضل من نفسها وأدوم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ هذا إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أي أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف أو إلى ما في السورة كلها، (**وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة**) لأنه جعله مذكورًا في تلك الصحف مع أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة

قوله: (تفعل من الزكاة، تصدق من الصدقة) أي ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بمعنى تصدّق وأدّى الزكاة. **قوله**: (**الخمس**) أي الصلوات الخمس هو المنقول عن عليّ وعمر بن عبد العزيز. **قوله**: (**وعلى أنها ليست من الصلاة**) أي استدلّ به على أن التحريمة شرط لا ركن في تنوير الأبصار من فرائضها التحريمية وهي شرط. اهـ. **قوله**: (**وعن ابن عباس**) هو عبد الله بن عباس كان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه. مات سنة ثمان وستين بالطائف رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**عن الضحاك**) بن مزاحم الهلالي أبي القاسم أو أبي محمد الخراساني صدوق مات بعد المائة.

قوله: (**قراءة أبي عمرو «ويؤثرون» بالياء**) الغيبة والباقون بتاء الخطاب. **قوله**: (**وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة**) في تأويلات الإمام

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ بدل من ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ **(وفي الأثر)** وفي صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه عارفًا بزمانه مقبلًا على شأنه.

أبي منصور رحمه الله. وفي قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ دلالة أن اختلاف الألسن لا يغير الأشياء عن حقائقها لأن الله تعالى شهد هذا في الصحف الأولى، فليس في الصحف الأولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية. اهـ. والأصح أنه رجع إلى قولهما في اشتراط القراءة بالعربية إلا عند العجز وعليه الفتوى.

قوله: (وفي الأثر) في مصطلحات أهل الأثر على شرح نخبة الفكر للعلّامة علي بن سلطان محمد الهروي القاري المتوفّى سنة أربع عشرة وألف رحمه الله. قال السخاوي: الأثر لغة البقية واصطلاحًا الأحاديث مرفوعة كانت أو موقوفة على القول المعتمد وإن قصره بعض الفقهاء على الموقوف انتهت.

تمّت سورة الأعلىٰ بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة الغاشية)

(مكيّة، وهي ست وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾

﴿هَلْ﴾ بمعنىٰ «قد» ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ **(الداهية التي تغشىٰ الناس)** بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة. وقيل: النار من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: الآية ٥٠] ﴿وُجُوهٌ﴾ أي وجوه الكفار، وإنما خصّ الوجه لأن الحزن والسرور إذا استحكما في المرء أثرا في وجهه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ غشيت ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة لما **(اعترىٰ)** أصحابها من الخزي **(والهوان)** ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ تعمل في النار عملًا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال **(وخوضها)** في النار كما

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الغاشية، مكية)** بالإجماع **(وهي ست وعشرون آية)** بالاتفاق واثنتان وتسعون كلمة وثلاثمائة وأحد وثمانون حرفًا. قوله: **(الداهية التي تغشى الناس...)** الخ. نبّه به على أن ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ صفة للمحذوف وذلك المحذوف، إما القيامة أو النار. وأصل معنى الداهية ما يفجأ الإنسان فيدهشه من المصائب ثم عمّت فقيل: داهية لكل مصيبة. قوله: **(اعترى)** أي غشي. قوله: **(والهوان)** نقيض العزّ. قوله: **(وخوضها)** أي دخولها.

تخوض الإبل في **(الوحل)**، وارتقاؤها **(دائبة في صعود)** من نار **(وهبوطها)** في **(حدور)** منها. وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء والتذّت بها وتنعّمت فهي في نصب منها في الآخرة. وقيل: **(هم أصحاب الصوامع)** ومعناه أنها خشعت الله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد **(الواصب)**.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ تدخل نارًا قد أحميت **(مددًا طويلة)** فلا حر يعدل حرها (﴿**تُصْلى**﴾ **أبو عمرو وأبو بكر**) ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ من عين ماء قد انتهى حرّها، والتأنيث في هذه الصفات والأفعال راجعة إلى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ وهو نبت يقال له

قوله: **(الوحل)** بفتحتين والحاء المهملة الطين المبلول بالماء، وقد تسكن حاؤه في لغة مشهورة لكن الفتح أفصح. **قوله**: **(دائبة)** في مختار الصحاح دَأَبَ في عمله جَدّ وتعِب وبابه قطع وخضع فهو دائب بالألف لا غير.اهـ. **قوله**: **(في صَعود)** في مختار الصحاح الصعود بالفتح ضد الهَبوط والصعود أيضًا العقبة الكَؤُودُ.اهـ. وأيضًا فيه الهبوط بالفتح الحَدور.اهـ. **قوله**: **(وهبوطها)** في مختار الصحاح هَبَطَ نزل وبابه جلس.اهـ. **قوله**: **(حَدور)** في مختار الصحاح الحَدور بالفتح الهَبوط وهو المكان الذي تنحدر منه. **قوله**: **(هم أصحاب الصوامع)** الصومعة بفتح مهملتين وبميم وهي نحو المنارة ينقطع فيها رهبان النصارى. **قوله**: **(الواصب)** الدائم.

قوله: **(مُددًا طويلة)** في المصباح المدة البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير والجمع مدد مثل غرفة وغرف.اهـ. قال صلّى الله عليه وسلّم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرّت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة. **قوله**: (﴿تَصْلَىٰ﴾) بضم التاء الفوقية وسكون الصاد على بناء ما لم يسم فاعله **(أبو عمرو وأبو بكر)** شعبة. وقرأ الباقون بفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى تدخل.

(الشِّبِرق) فإذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل، والعذاب (ألوان) والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة (الغسلين)، ومنهم أكلة الضريع، فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: الآية ٣٦] ﴿لَّا يُسْمِنُ﴾ مجرور المحل لأنه وصف ﴿ضَرِيعٍ﴾ ﴿وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ أي منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما (إماطة) الجوع وإفادة (السِّمَن) في البدن.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لأن الكلام الأول قد طال وانقطع ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ متنعمة في لين العيش ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أدّاهم إليه من الكرامة والثواب ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ من علوّ المكان أو المقدار ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب أو الوجوه ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ (أي لغوًا أو كلمة ذات لغو) أو نفسًا تلغو، لا يتكلم أهل الجنّة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم (﴿لا يسمع فيها) لاغيةٌ﴾: (مكي وأبو عمرو: ﴿لا تُسْمَعُ فيها لاغية﴾ نافع).

قوله: (الشبرق) بكسر الشين وسكون الباء وكسر الراء. **قوله**: (ألوان) في لسان العرب الألوان الضروب واللون النوع.اهـ. **قوله**: (الغسلين) غسالة أهل النار وصديدهم. **قوله**: (إماطة) في المصباح ماط ميطًا من باب باع تباعد ويتعدى بالهمزة والحرف فيقال: أماطه غيره إماطة ومنه إماطة الأذى عن الطريق وهي التنحية لأنها إبعاد وماط به مثل ذهب به وأذهبته وذهبت به.اهـ. **قوله**: (السِمَن) وزان عنب نقيض الْهُزَال.

قوله: (أي لغوًا) على أن اللاغية مصدر بمعنى اللغو. **قوله**: (أو كلمة ذات لغو) على أن تكون ﴿لَٰغِيَةً﴾ بمعنى النسبة مثل لابن أي ذات لبن صفة لمؤنّث هي الكلمة أو النفس واللاغية حينئذٍ للحدث لا للنسبة. **قوله**: («لا يسمع فيها») بياء من تحت مضمومة بالبناء للمفعول (﴿لَٰغِيَةٌ﴾) بالرفع لقيامها مقام الفاعل (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ (وأبو عمرو ﴿لا تُسْمَعُ فيها﴾) بالتاء من فوق مضمومة بالبناء للمفعول ﴿لاغية﴾) بالرفع على النيابة (نافع) وقرأ الباقون بالتاء الفوقية مفتوحة ﴿لَٰغِيَةً﴾ بالنصب.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ أي عيون كثيرة كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الانفطار: الآية ٥] ﴿فِيهَا سُرُرٌ﴾ جمع سرير ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ من رفعة المقدار **(أو السمك)** ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما **(خوّله)** ربه من الملك والنعيم ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ **(جمع كوب)** وهو القدح. وقيل: آنية لا عروة لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم ليتلذذوا بها بالنظر إليها أو موضوعة على حافات العيون معدّة للشرب ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى جنب بعض **(مساند)** و**(مطارح)** أينما أراد أن يجلس جلس على **(مسودة)** واستند إلى الأُخرى ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وبسط عراض فاخرة **(جمع زربية)** ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة أو مفرقة في المجالس.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾

ولما أنزل الله تعالىٰ هذه الآيات في صفة الجنّة، وفسّر النبيّ ﷺ بأن ارتفاع السرير يكون **(مائة فرسخ)**، والأكواب الموضوعة لا تدخل في حساب الخلق لكثرتها، وطول النمارق كذا وعرض الزرابي كذا، أنكر الكفار وقالوا: كيف يصعد على هذا السرير، وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة، وتطول النمارق هذا الطول، وبسط الزرابي هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك في الدنيا؟ فقال الله تعالى:

قوله: **(أو السمك)** السمك الارتفاع في جهة العلوّ. **قوله**: **(خوّله)** أعطاه. **قوله**: **(جمع كوب)** في المصباح الكوب كوز مستدير الرأس لا أذن له ويقال: قدح لا عروة له والجمع أكواب مثل قفل وأقفال. اهـ. **قوله**: **(مساند)** جمع مسند وهو المخدّة المعروفة. **قوله**: **(مطارح)** المطارح المفارش الواحد مطرح كمفرش. اهـ تاج العروس. **قوله**: **(مسودة)** المسودة الوسادة التي يجلس عليه. **قوله**: **(جمع زربية)** هي مثلثة الزاي كما صرّح به أهل اللغة.

قوله: **(مائة فرسخ)** الفرسخ وهو ثلاثة أميال بالهاشمي. اهـ مصباح. ويضبط فيه الميل بالكسر عند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع وعند المحدثين أربعة

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ طويلة ثم (تبرك) حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير (يطأطىء) للمؤمن كما يطأطىء الإبل ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ رفعًا بعيد (المدىٰ) بلا إمساك وعمد، ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل في حساب الخلق فكذا الأكواب.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ نصبًا ثابتًا فهي راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ سطحًا بتمهيد وتوطئة فهي كلها بساط واحد تنبسط من الأفق إلى الأفق فكذا الزرابي؛ ويجوز أن يكون المعنىٰ أفلا ينظرون إلى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا إنذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه، وتخصيص هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحثّ لهم على الاستدلال، والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له، والعرب تكون في البوادي ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال والإبل فهي أعزّ أموالهم وهم لها أكثر استعمالًا منهم لسائر الحيوانات. ولأنها تجمع جميع (المآرب) المطلوبة من الحيوان وهي (النسل والدر) والحمل

آلاف ذراع والخلاف لفظي لأنهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع والأصبع ست شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنين وثلاثين، كان المتحصل ثلاثة آلاف ذراع وإن قسم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع والفرسخ عند الكل ثلاثة أميال، وإذا قدر الميل بالغلوات وكانت كل غلوة أربعمائة ذراع كان ثلاثين غلوة، وإن كان كل غلوة مائتي ذراع كان ستين غلوة. اهـ. وأيضًا فيه وإنما أُضيف إلى بني هاشم فقيل: الميل الهاشمي لأن بني هاشم حددوه وأعلموه. **قوله**: (تبرك) في المصباح برك البعير بروكًا من باب قعد وقع على بركه وهو صدره. **قوله**: (يطأطىء) أي يخفض. **قوله**: (المدى) الغاية.

قوله: (المآرب) جمع المأربة بفتح الراء وضمّها وهي الحاجة. **قوله**: (النسل) الولد. **قوله**: (والدرّ) اللبن.

والركوب والأكل بخلاف غيرها، ولأن خلقها أعجب من غيرها فإنه سخرها منقادة لكل مَن اقتادها **(بأزمتها لا تعاز)** ضعيفًا ولا تمانع صغيرًا، و**(برأها)** طوال الأعناق **(لتنوء بالأوقار)**، وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت وتجرّها إلى البلاد **(الشاحطة)**، وصبرها على احتمال العطش حتى إن **(ظمأها)** ليرتفع **(إلى العشر)** فصاعدًا، وجعلها ترعىٰ كل نابت في **(البراري)** مما لا يرعاه سائر البهائم. ﴿فَذَكِّرْ﴾ فذكرهم بالأدلة ليتفكروا فيها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ليس عليك إلا التبليغ.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ بمسلط كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: الآية ٤٥]، (﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾: **مدني وبصري وعلي وعاصم**) ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ **(إلا استثناء منقطع)** أي لست بمسؤول عليهم ولكن مَن تولىٰ منهم وكفر بالله فإن لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم. وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي فذكر إلا مَن انقطع طمعك من إيمانه وتولىٰ فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض.

قوله: **(بأزمتها)** في المصباح الزمام للبعير جمعه أزمة. **قوله**: **(لا تعاز)** أي لا تغلب. **قوله**: **(برأها)** أي خلقها. **قوله**: **(لتنوء)** ناء ينوء نوءًا أي نهض بجهد ومشقّة وناء بالحمل إذا نهض به. **قوله**: **(بالأوقار)** الوقر بالكسر الحمل ويجمع على أوقار كحمل وأحمال. **قوله**: **(الشاحطة)** أي البعيدة.

قوله: **(ظمأها)** أي عطشها. **قوله**: **(إلى العشر)** وهو بكسر العين وسكون الشين ما بين الوردين وهو ثمانية أيام لأنها ترد اليوم العاشر. كذا في الصحاح. **قوله**: **(البراري)** جمع برية وهي المفاوز.

قوله: (﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾) بالصاد **(مدني)** أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ **(وبصري)** أي أبو عمرو البصري **(وعليّ وعاصم)** وخلف. وقرأ حمزة في رواية بإشمام الزاي الباقون بالسين. **قوله**: **(إلا استثناء منقطع)** لأن المقصود منه إثبات ولاية الله عزّ وجلّ واقتداره على تعذيب مَن تولّى وأعرض عن إجابة دعوته عليه الصلاة والسلام بعدما نفى تسلّطه عليه السلام وليس فيه إخراج بعض مَن

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ رجوعهم، وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وإن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ فَنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم و«على» لتأكيد الوعيد لا للوجوب إذ لا يجب على الله شيء.

دخل في المستثنى منه عن حكمه، فعلى هذا تكون كلمة ﴿مَن﴾ شرطية جزاؤها قوله: ﴿فَيُعَذِّبُهُ﴾ أي فهو يعذّبه الله إذ لو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزومًا.

تمّت سورة الغاشية والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد النبيّ الأُميّ وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة الفجر)

(مكيّة، وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله: ﴿وَالصُّبْحِ (إِذَا أَسْفَرَ) ﴿٣٤﴾﴾ [المدثر: الآية ٣٤]، أو بصلاة الفجر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ عشر ذي الحجة أو العشر الأول من المحرم، أو الآخر من رمضان. وإنما نكرت لزيادة فضيلتها ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ شفع كل الأشياء ووترها أو شفع هذه الليالي ووترها، أو شفع الصلاة ووترها، أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر ويوم عرفة لأنه اليوم التاسع، أو الخلق والخالق. (﴿وَالْوِتْرِ﴾) حمزة وعلي، وبفتح الواو غيرهما، وهما لغتان: فالفتح (حجازي) والكسر تميمي. وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ وقيل: أُريد به ليلة القدر ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي وياء ﴿يَسْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الفجر، مكية) عند الجمهور وقيل إنها مدنية (وهي تسع وعشرون آية) ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفًا. **قوله:** (﴿إِذَا أَسْفَرَ﴾) أي أضاء وتبيّن. **قوله:** (﴿وَالْوِتْرِ﴾) بكسر الواو حمزة وعلي. **قوله:** (حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازيّ.

تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة. وسئل واحد (**الأخفش**) عن سقوط الياء فقال: لا، حتى تخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال: الليل لا يسري وإنما يسري فيه، فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة. (**وقيل: معنىٰ «يسري»: يسري فيه**) كما يقال: ليل نائم أي ينام فيه.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما أقسمت به من هذه الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾ أي مقسم به ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ عقل سمي به لأنه (**يحجر**) عن (**التهافت**) فيما لا ينبغي كما سُمِيَ عقلًا (**ونهية**) لأنه يعقل وينهىٰ، يريد هل تحقق عنده أن تعظم هذه الأشياء بالإقسام بها، أو هل في إقسامي بها إقسام لذي حجر أي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه؟ أو هل في القسم بهذه الأشياء قسم مقنع لذي عقل و(**لب**)؟ والمقسم عليه محذوف وهو قوله: «ليعذبن» يدلّ عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾. ثم ذكر تعذيب الأُمم التي كذب الرسل فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ أي ألم تعلم يا محمد علمًا (**يوازي**) العيان (**في**) الإيقان؟ وهو استفهام تقرير قيل: لعقب عاد بن

قوله: (**الأخفش**) الأخافش ثلاثة أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه وهو الأخفش الأكبر والثاني أبو الحسن سعيد بن مَسعدة تلميذ سيبويه وهو الأخفش الأوسط والثالث أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المبرِّد وهو الأخفش الأصغر وحيث يطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور فإن أريد الأكبر أو الأصغر قيّدوه. **قوله**: (**وقيل: معنى «يسري»: يسري فيه**) فيكون الكلام من قبيل ما أسند فيه الفعل إلى زمانه مثل صام نهاره أي صام هو فيه، وقام ليله أي قام فيه.

قوله: (**يحجر**) أي يمنع. **قوله**: (**التهافت**) التساقط. **قوله**: (**ونهية**) بضم النون وسكون الهاء بمعنى العقل. **قوله**: (**لب**) في مختار الصحاح اللُّبّ العقل وجمعه ألباب (**يوازي في**) المصباح وازاه موازاة أي حاذاه وربما أُبدلت الواو همزة فقيل: آزاه. اهـ.

عوص بن إرم بن سام بن نوح عاد **(كما يقال لبني هاشم هاشم)**، ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى، والإرم تسمية لهم **(باسم جدهم)** ولمن بعدهم الأخيرة، فـ ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لـ ﴿عاد﴾ وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة. وقيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدلّ عليه قراءة **(ابن الزبير)** ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ على الإضافة وتقديره بعاد أهل إرم كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢] ولم تنصرف ـ قبيلة كانت أو أرضًا ـ للتعريف والتأنيث وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة، فالمعنىٰ أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة وإن كانت صفة للبلدة أنها ذات أساطين.

و**(رُوِيَ)** أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا **(ودانت)** له ملوكها فسمع بذكر الجنّة فقال: أبني مثلها فبنى إرم في بعض صحارىٰ عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار. ولما تمّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا. **(وعن عبد الله بن قلابة)** أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما

قوله: **(كما يقال لبني هاشم هاشم)** فإنه يطلق اسم الأب على نسله مجازًا شائعًا في بعضها حتى ألحق بالحقيقة. **قوله**: **(باسم جدّهم)** مجازًا وحقيقة فلا يحتاج للتقدير فيه. **قوله**: **(ابن الزبير)** هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر وأبو خبيب بالمعجمة مصغرًا. كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين.

قوله: (رُوِي) الخ كذا في تفسير الخطيب وأبي السعود والكبير. **قوله**: **(ودانت)** أي انقادت وطاعت. **قوله**: **(وعن عبد الله بن قلابة...)** الخ كذا في تفسير الخطيب والكبير وأبي السعود والخازن وفي فتح الباري. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبّه عن عبد الله بن قلابة قصة مطوّلة جدًا أنه خرج في طلب إبل له وأنه وقع في صحاري عدن وأنه وقع على مدينة في تلك الفلوات فذكر عجائب ما رأى فيها وأن معاوية لما بلغه خبره أحضره إلى دمشق وسأل كعبًا عن ذلك فأخبره بقصة المدينة ومَن بناها وكيفية ذلك مطوّلًا جدًا، وفيها ألفاظ

ثم، وبلغ خبره (**معاوية**) فاستحضره فقصّ عليه فبعث (**إلى كعب**) فسأله فقال: هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر (**أشقر**) قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب إبل له، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ أي مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم، وكان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا.

منكرة وراويها عبد الله بن قلابة لا يعرف. وفي إسناده عبد الله بن لهيعة. انتهى بحروفه. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب وما ذكر عن ابن قلابة موضوع. اهـ. وفي الكمالين وأما حكاية خبر شداد بن عاد المشهورة المذكورة في التفاسير فعند المحققين من السلف والمؤرخين أنه من مخترعات بني إسرائيل ولا اعتبار له. كذا في شرح البخاري وفي تفسير جامع البيان. اهـ فافهم. **قوله**: (**معاوية**) بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمية الأموي أبا عبد الرحمٰن الخليفة صحابيّ أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين. روي له عن النبيّ ﷺ مائة حديث وثلاثة وستون حديثًا. روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو الدرداء وجرير البجلي والنعمان بن بشير وغيرهم ومن التابعين ابن المسيّب وحميد بن عبد الرحمٰن وغيرهما، ولما بعَث أبو بكرٍ الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات يزيد استخلفه على دمشق فأقرّه عمر ثم أقرّه عثمان وجمع له الشام كله، فأقام أميرًا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة، قال كعب الأحبار: لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية، قال الذهبي: توفّي كعب قبل أن يستخلف معاوية وصدق كعب فيما نقله فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمراء في الأرض بخلاف غيره ممن بعده فإنه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك. **قوله**: (**إلى كعب**) بن نافع أبي إسحٰق المعروف بكعب الأحبار هو من حمير أدرك زمن النبيّ ﷺ ولم يره وأسلم في زمن عمر. وروى عن عمر وصهيب وعائشة مات سنة اثنان وثلاثون بحمص في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (أشقر) في المصباح الشقرة من الألوان حمرة تعلو بياضًا في الإنسان وحمرة صافية في الخيل. قاله ابن فارس وشقر شقرًا من باب تعب فهو أشقر والأنثى شقراء والجمع شقر

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتًا. قيل: أول (مَن **نحت الجبال والصخور**) ثمود، وبنوا ألفًا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ﴿بِٱلْوَادِ﴾ بوادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ أي ذي الجنود الكثيرة وكانت لهم (**مضارب**) كثيرة يضربونها إذا نزلوا. وقيل: كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل (**بآسية**) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ (**في محل النصب على الذم**)، أو الرفع على «هم الذين»، أو الجرّ على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون ﴿طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ تجاوزوا الحد ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ بالكفر والقتل والظلم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ مجاز عن إيقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه إذا الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الإيلام أي عذبوا عذابًا مؤلمًا دائمًا

وشقران وزان عثمان من ذلك وبه سُمِيَ، ومنه شقران مولى رسول الله ﷺ واسمه صالح. اهـ.

قوله: (**مَن نحت الجبال والصخور**) في المصباح نحت بيتًا في الجبال نحتًا من باب ضَرب ومن باب نفع لغة وبها قرأ الحسن ونحت الخشبة أيضًا نحتًا نجرها والآلة المِنْحات بالكسر وهي القدوم. اهـ. وقوله: والصخور في المصباح الصَّخْر معروف وجمعه صخور. اهـ. وفي مختار الصحاح الصَّخْر الحجارة العظام وهي الصُّخُور، يقال: صخر بسكون الخاء وفتحها والواحدة صخرة بسكون الخاء وفتحها أيضًا. اهـ. **قوله**: (**مضارب**) أي خيام ومَن كثرت خيامه كثرت أوتاده. **قوله**: (**بآسية**) بالمدّ وكسر السين بنت مزاحم قيل: إنها إسرائيلية وإنها عمة موسى، وقيل: إنها ابنة عم فرعون وإنها من العمالقة وكانت ذات فراسة صادقة في موسى على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى﴾ [القَصص: الآية ٩] ومن فضائلها أنها اختارت القتل على الملك وعذاب الدنيا على النعيم الذي كانت فيه. **قوله**: (**في محل النصب على الذم**) بتقدير أعني.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ وهو المكان الذي (**يترقب**) فيه (**الرصد مفعال من رصده، وهذا مثل لإرصاده العباد**) وأنهم لا يفوتونه، وأنه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي ضيق عليه وجعله بمقدار (**بلغته، ﴿فقدّر﴾ شامي ويزيد**) ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ أي الواجب لمن ربه بالمرصاد أن يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة، وهو قد عكس فإنه إذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر، قال: ربي أكرمني أي فضلني بما أعطاني فيرى الإكرام في كثرة الحظ من الدنيا، وإذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر، قال: ربي أهانني فيرى (**الهوان**) في قلّة الحظ من الدنيا لأنه لا تهمه إلا العاجلة وما يَلذه وينعمه فيها، فردّ عليه زعمه بقوله: ﴿كَلَّا﴾

قوله: (**يترقب**) أي ينتظر. **قوله**: (**الرصد**) بفتحتين جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد والمرتصد المرتقب. **قوله**: (**مفعال من رصده**) أي اسم مكان فإن مفعالًا قد يجيء للمكان كالمضمار فإنه اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل وقد يجيء للمبالغة كمطعام لمن كثر الطعام والمرصَاد هٰهنا يتعين أن يكون اسمًا للمكان الذي يترقب فيه الرصد للباء الدالّة على الظرفية. **قوله**: (**وهذا مثل لإرصاده العباد...**) الخ يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ استعارة تمثيلية شبه كونه تعالى حافظًا لأعمال العباد مترقبًا لها ومجازيًا على نقيرها وقطميرها بحيث لا ينجو منه أحد بحال مَن قعد على الطريق مترصدًا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد.

قوله: (**بلغته**) في المصباح البُلْغة ما يتبلّغ به من العيش ولا يفضل يقال: تبلغ به إذا اكتفى به وتجزأ وفي هذا إبلاغ وبلغة وتبلّغ أي كفاية. اهـ. **قوله**: (﴿**فقدّر**﴾) بتشديد الدال (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ وليس من السبعة والباقون بتخفيفها لغتان بمعنى التضييق. **قوله**: (**الهَوَان**) نقيض العزّ.

أي ليس الإكرام والإهانة في كثرة المال وقلّته بل الإكرام في توفيق الطاعة والإهانة في **(الخذلان)**، وقوله تعالىٰ: ﴿فَيَقُولُ﴾ خبر المبتدأ الذي هو الإنسان، ودخول الفاء لما في «أما» من معنىٰ الشرط، والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل: فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء، وكذا ﴿فَيَقُولُ﴾ الثاني خبر لمبتدأ تقديره: وأما هو إذا ما ابتلاه ربه. وسمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر، وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع، ونحوه قوله تعالىٰ: ﴿(وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ) فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥]. وإنما أنكر قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ مع أنه أثبته بقوله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إن الله أعطاه ما أعطاه إكرامًا له لاستحقاقه كقوله: ﴿(إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ) عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: الآية ٧٨] وإنما أعطاه الله تعالىٰ ابتلاء من غير استحقاق منه.

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ أي بل هناك شرّ من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة وحضّ أهله على طعام المسكين ﴿وَتَأْكُلُونَ (ٱلتُّرَاثَ)﴾ أي الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ **(إذا لم)** وهو الجمع بين الحلال والحرام، وكانوا لا

قوله: **(الخِذْلان)** في مختار الصحاح خذله يخذله بالضم خِذْلانًا بكسر الخاء ترك عونه ونصرته. اهـ. **قوله**: (﴿(وَنَبْلُوكُم﴾) نختبركم (﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾) كفقر وغنى وسقم وصحة **(فتنة)** مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أو لا. **قوله**: (﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾) أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: الآية ٧٨] أي في مقابلة قائله قارون وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون.

قوله: (﴿ٱلتُّرَاثَ﴾) أصله وراث فأبدلوا الواو تاء كما قالوا في تجاه. **قوله**: **(إذا لم)** بتقدير المضاف ولو لم يقدر للمبالغة جاز كرجل عدل.

يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ﴾ يقال: حبه وأحبه بمعنىٰ ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرًا شديدًا مع الحرص ومنع الحقوق، (﴿رَبِّيَ﴾ **حجازي وأبو عمرو و﴿يكرمون﴾ ﴿ولا يحضون﴾ ﴿ويأكلون﴾ ﴿ويحبون﴾ بصري)** ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم. ثم أتىٰ بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ إذا زلزلت ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ **(دكًا بعد دك)** أي كرّر عليها الدكّ حتى عادت (﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾).

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ **(تمثيل لظهور آيات اقتداره)** وتبيين آثار قهره وسلطانه، فإن واحدًا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه، وعن ابن عباس: أمره وقضاؤه ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي ينزل

قوله: (﴿رَبِّيَ﴾) بفتح ياء الإضافة **(حجازيّ)** إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي أي ابن كثير المكيّ ونافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وأبو عمرو)** البصري. **قوله:** (و«**يكرمون**»، «**ولا يحضون**»، «**ويأكلون**»، «**ويحبون**») بالياء من تحت في الأربعة **(بصريّ)** أي أبو عمرو البصريّ حملًا على معنى الإنسان المتقدّم وهو الجنس والجنس في معنى الجمع. والباقون بالتاء الفوقية في الأفعال الأربعة خطابًا للإنسان المراد به الجنس على طريق الالتفات. وقرأ الكوفيّون «تحاضون» بفتح الحاء وألف بعدها والأصل تتحاضون فحذفت إحدى التاءين أي لا يحضّ بعضكم بعضًا. **قوله:** **(دكًا بعد دك)** فليس الثاني تأكيدًا بل التكرير للدلالة على الاستيعاب كقرأت النحو بابًا بابًا وجاء القوم رجلًا رجلًا والدك قريب من الدق لفظًا ومعنى كرك ورق. **قوله:** (﴿هَبَآءً﴾) غبارًا (﴿مُّنۢبَثًّا﴾) منتشرًا.

قوله: **(تمثيل لظهور آيات اقتداره. . .)** الخ لما تعذّرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بأن مثل حاله تعالى في ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان إذا حضر بنفسه فإنه حينئذٍ يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه فاستعمل في الحال الأولى ما استعمل في الثانية.

ملائكة كل سماء فيصطفون صفًّا بعد صفّ (محدقين) بالجن والإنس ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ قيل: إنها (برزت) لأهلها كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ (لِلْغَاوِينَ) ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: الآية ٩١]. وقيل: هو مجرى على حقيقته ففي الحديث «(يؤتى بجهنم) يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (يجرونها)» ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ (أي يتعظ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾) ومن أين له (منفعة الذكرى؟).

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ (لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ هذه) وهي حياة الآخرة أي (يا) ليتني قدمت الأعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ (عَذَابَهُۥٓ) أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾

قوله: (**محدقين**) في مختار الصحاح أحدقوا به أحاطوا به.اهـ. **قوله**: (**برزت**) أي أظهرت فمجيئها متجوّز به عن إظهارها كما صرّح به في آية أخرى في حاشية شيخ زاده رحمه الله. الظاهر أنها لا تنفك عن مكانها فالمراد بقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٩١] وأظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر أن مصيره إليها. فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها انتهت. **قوله**: (﴿لِلْغَاوِينَ﴾) الكافرين. **قوله**: (**يؤتى بجهنم**...) الخ. رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود. **قوله**: (**يجرونها**) استيناف بياني أو حال أي يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيّظ(١) وزفير(٢). **قوله**: (**أي يتّعظ**) فهو من التذكّر والموعظة. **قوله**: (﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾)، ﴿وَأَنَّىٰ﴾ خبر مقدّم، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿لَهُ﴾ متعلق بما تعلق به الظرف. **قوله**: (**منفعة الذكرى**) أي هو بتقدير مضاف إليه أو المراد نفعها من اللام.

قوله: («**يا**») للتنبيه والتحسر. **قوله**: (﴿لِحَيَاتِى﴾ **هذه**) فاللام للتعليل ومفعول قدمت محذوف وهو الأعمال الصالحة فتمنى أن يكون على ما ينفعه اليوم والمراد بحياته حياته في الآخرة واللام بمعنى وقت أي وقت حياتي كما في نحو لخمس مضين ونحوه والمراد الحياة التي في الدنيا. **قوله**: (﴿عَذَابَهُۥٓ﴾)، **وقوله**:

---

(١) أي غليان ١٢ منه رحمه الله.

(٢) أي صوت شديد ١٢ منه رحمه الله.

بالسلاسل والأغلال ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قال صاحب الكشاف: لا يعذب أحد أحدًا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدًا كوثاق الله. (﴿لَّا يُعَذِّبُ﴾ ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ **علي**) وهي قراءة رسول الله ﷺ، ورجع إليها أبو عمرو في آخر عمره، والضمير يرجع إلى الإنسان الموصوف وهو الكافر. وقيل: هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه، ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾

ثم يقول الله تعالىٰ للمؤمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ إكرامًا له كما كلّم موسىٰ عليه السلام أو يكون على لسان ملك ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي (**لا يستفزها**) خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة، أو المطمئنة إلى الحق التي سكّنها (**ثلج اليقين فلا يخالجها**) شك. ويشهد للتفسير الأول قراءة (**أبيّ**) ﴿يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة﴾ وإنما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنّة ﴿ٱرْجِعِىٓ (إِلَىٰ﴾ **موعد** ﴿رَبِّكِ﴾ **أو ثواب ربك**) ﴿رَاضِيَةً﴾ من الله بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله بما عملت.

(﴿وَثَاقَهُۥٓ﴾) العذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والإيثاق كما يوضع العطاء موضع العطاء. **قوله**: (﴿لَّا يُعَذِّبُ﴾، ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾) بفتح الذال والثاء على البناء للمفعول (**عليّ**) الكسائي. وقرأ الباقون بكسرهما على البناء للفاعل.

قوله: (**لا يستفزّها**) أي لا يحركها. **قوله**: (**ثلج اليقين**) ثلجت نفسي بالأمر تثلج ثلوجًا إذا اطمأنت إليه ووثقت به. اهـ مجمع بحار الأنوار. وفي لسان العرب ثلجَت نفسي بالشيء ثَلْجًا وثلوجًا استفت به واطمأنت إليه وثلجتِ نفسي بكسر اللام لغة فيه. اهـ باختصار. **قوله**: (**فلا يخالجها**) ينازعها. **قوله**: (**أبيّ**) بن كعب الأنصاري الخزرجي كان يكتب للنبيّ ﷺ الوحي. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستون حديثًا اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بسبعة مات بالمدينة سنة تسع عشرة. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتّابعين. **قوله**: (﴿إِلَىٰ﴾ **موعد** ﴿رَبِّكِ﴾ **أو ثواب ربك**) لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ على ما زعموا في حقه تعالى بناء على أن كلمة ﴿إِلَىٰ﴾ لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآنية هو المكان ومَن تمكن فيه رد المصنّف رحمة الله عليه تمسكهم بأن معنى الآية أرجى إلى موعد ربك أو ثواب ربك.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾﴾ في جملة عبادي الصالحين فانتظمي في سلكهم ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ معهم. وقال (أبو عبيدة): أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي كما قال: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: الآية ١٩].

وقيل: النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي كقراءة عبد الله بن مسعود «في جسد عبدي» ولما مات ابن عباس بالطائف (**جاء طائر لم يرَ على خلقته**) فدخل في نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على (**شفير القبر**) ولم يدر مَن تلاها. قيل: نزلت في (**حمزة بن عبد المطلب**).

قوله: (**أبو عُبَيْدَة**) هو معمر بن المُثَنّى وهو من كبار أئمة اللغة وهو مذكور فيمن كان يعتقد مذهب الخوارج من أهل الأهواء. قال أبو منصور الأزهري في أول تهذيب اللغة ذكر أو عُبَيْد القاسم بن سَلام أن أبا عبيدة تَيميٌّ من تَيْم قريش وأنه مولى لهم. قال: وكان أبو عبيد توثقه ويكثر الرواية عنه في كتبه. قال: ولأبي عبيدة كتب كثيرة في الصفات والغرائب وكَتَبَ أيام العرب ووقائعها وكان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب وكان مخلًّا بالنحو كثير الخطأ في مقاييس الإعراب ومتهمًا في رأيه مقرًّا بنشر مثالب العرب جامعًا لكل غَثّ[1] وسمين فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به، هذا كلام الأزهري. وقال الإمام أبو جعفر النحّاس في أول كتابه صناعة الكتاب. توفّي أبو عبيدة سنة عشر ومائتين ويقال: إحدى عشرة وقد قارب المائة. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (**جاء طائر**) أبيض... الخ. هكذا رُوِيَ عن ميمون بن مهران وسعيد بن جبير وكان قد كفّ بصره في آخر عمره وكذلك العباس وجدّه عبد المطلب. **قوله**: (**لم يرَ على خلقته**) أي لم يرَ على خلقه طائر قط. **قوله**: (**شفير القبر**) أي ناحيته. **قوله**: (**حمزة بن عبد المطلب**) عمّ رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة يقال له: أَسَد الرحمٰن وأسد رسول الله كنيته أبو عمارة وأبو يعلى وكان أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين وقيل: أربع وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، أسلم حمزة في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ وهاجر إلى

---

(١) أي مهزول ١٢ منه رحمه الله.

وقيل: في (خبيب) بن عديّ الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلتك، فحوّل الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوّله. وقيل: هي عامة في المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

المدينة وشهد بدرًا وبارز وأبلى فيها بلاء عظيمًا وقاتل بسيفَيْن استشهد يوم أحد في نصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل أحدًا وثلاثين من الكفار ودُفن عند أُحد في موضعه وقبره مشهور يُزار ويتبرّك به وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (خبيب) بضم وفتح موحدة ابن عدي بن مالك الأنصاري الأوسي شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ وأُسر في غزوة الرجيع سنة ثلاث فانطلق به إلى مكة فاشتراه بنو الحارث بن عامر وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر كافرًا فاشتراه بنوه ليقتلوه فأقام عندهم أسيرًا ثم صُلب بالتنعيم وهو أول مَن صُلب في الإسلام، روى عن الحارث بن البرصا(١).

تمّت سورة الفجر بحمد الله ومَنّه
والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه

---

(١) يعني الحارث بن مالك بن قيس الليثي المعروف بابن البرصاء وهي أُمه، وقيل: أُم أبيه سكن مكة ثم المدينة روى حديثه الترمذي وابن حبان وصححاه والدارقطني من طريق الشعبي عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم الفتح يقول: لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة حديث. مات في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهما ١٢ منه رحمه الله.

(سورة البلد)

(مكيّة، وهي عشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ (أقسم سبحانه بالبلد الحرام) وبما بعده على أن الإنسان خلق (مغمورًا في مكابدة المشاق). واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ أي ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم. (عن شرحبيل): يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا ويستحلّون إخراجك وقتلك، وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة البلد، مكيّة) أي بالإجماع قرطبي (وهي عشرون آية) واثنتان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفًا. اهـ خطيب.

قوله: (أقسم سبحانه بالبلد الحرام) إشارة إلى أن ﴿لَآ﴾ صلته هنا وأن ﴿ٱلْبَلَدِ﴾ هنا مكة شرّفها الله. **قوله**: (مغمورًا) في المصباح غمرته أغمره مثل سترته أستره وزنًا ومعنى. اهـ. **قوله**: (في مكابدة المشاق) في المصباح الكبد بفتحتين المشقّة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله. اهـ. **قوله**: (عن شُرَحْبِيلٍ) في القاموس شرحبيل كخُزَعْبِيلٍ.

وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته. أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو عن مقاساة الشدائد، واعترض بأن وعده فتح مكة تتميمًا للتسلية **(والتنفيس)** عنه فقال: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾. أي وأنت حلّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلّها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له، فأحلّ ما شاء وحرّم ما شاء، قتل **(ابن خطل)** وهو متعلّق بأستار الكعبة **(ومقيس بن صبابة وغيرهما)** وحرم دار **(أبي سفيان)** ونظير قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ في الاستقبال قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: الآية ٣٠]. وكفاك دليلًا على أنه للاستقبال أن السورة مكيّة بالاتفاق، وأين الهجرة؟ مَن وقْتَ نزولها؟ فما بال الفتح؟

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ هما آدم وولده، أو كل والد وولده، أو إبراهيم وولده، و«ما» بمعنى «من» أو بمعنى «الذي» ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جواب القسم ﴿فِى كَبَدٍ﴾ مشقّة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

قوله: (والتنفيس) في المصباح نفس الله كربته تنفيسًا كشفها.اهـ. **قوله:** (ابن خطل) هو عبد الله بن خطل مشرك أمر النبيّ ﷺ بقتله يوم الفتح فقتله أبو بَرزَة خطل بفتح الخاء وفتح الطاء المهملة. **قوله:** (ومِقْيَس) بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء آخره سين مهملة (ابن صبابة) بمهملة مضمومة وموحّدتين الأولى خفيفة كان أسلم ثم أتى على أنصاري فقتله وكان الأنصاري قتل أخاه هشامًا خطأ في غزوة ذي قَرَدٍ ظنّه من العدوّ فجاء مِقيس فأخذ الديّة ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ورجع إلى قريش فأهدر دمه قتَلَهُ نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثي. **قوله:** (وغيرهما) كالحويرث بالتصغير ابن نُقَيْد بنون وقاف مصغرًا قتله عليّ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أبي سفيان) صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأمويّ صحابيّ شهير أسلم عام الفتح ومات سنة اثنين وثلاثين وقيل: بعدها.

(وعن ذي النون): لم يزل مربوطًا بحبل القضاء مدعوًا إلى **(الائتمار)** والانتهاء. والضمير في ﴿أَيَحْسَبُ (أَن لَّن يَقْدِرَ) عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ لبعض **(صناديد قريش)** الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد، ثم قيل: **(هو أبو الأشد)**، وقيل: الوليد بن المغيرة. والمعنىٰ أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتصعب للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وأنه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ أي كثيرًا **(جمع لبدة)** وهو ما تلبد أي كثر واجتمع، يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمّونها مكارم ومعالي.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَيَحْسَبُ (أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ) أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارًا يعني أن الله تعالىٰ كان يراه وكان عليه رقيبًا. ثم ذكر نعمه عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ يبصر بهما المرئيات ﴿وَلِسَانًا﴾ يعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما **(ثغره)** ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾) طريقي الخير والشرّ المفضيين إلى الجنّة والنار وقيل الثديين.

قوله: **(وعن ذي النون)** هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل: الفيض بن إبراهيم كان أوحد وقته علمًا وورعًا وحالًا وأدبًا تُوفي سنة خمس وأربعين ومائتين بمصر رحمه الله. **قوله**: **(الائتمار)** الامتثال. **قوله**: (﴿أَن لَّن يَقْدِرَ﴾) أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر أي أن الشأن لن يقدر. **قوله**: **(صَنَاديد قريش)** وهم أشرافهم وعظماؤهم الواحد صنديد وكلّ عظيم غالبٌ صنديدٌ. اهـ لسان العرب. **قوله**: **(هو أبو الأشد)** بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة واسمه أُسيد بن كلدة. **قوله**: **(جمع لُبدة)** بضم اللام كغرفة وغرف.

قوله: (﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ﴾) أي أنه. **قوله**: **(ثغره)** في مختار الصحاح الثُّغْر ما تقدم من الأسنان. اهـ. **قوله**: (﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾) طريقي الخير والشر المفضيان إلى الجنة والنار وقيل: الثديين أي ثديي الأم وأصله المكان المرتفع وسُمِّيَ طريق الخير والشر بنجدين لأنه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريقي الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للأبصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني فلم يشكر تلك **(الأيادي)** والنعم بالأعمال الصالحة من فكّ الرقاب أو إطعام اليتامىٰ والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة **(وأساس كل خير)**، بل **(غمط النعم)** وكفر بالمنعم. والمعنىٰ أن الإنفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدًا في الرياء و**(الفخار)**. وقلّما تستعمل «لا» مع الماضي إلا مكرّرة، وإنما لم تكرّر في الكلام الأفصح لأنه لما فسّر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد «لا» ثلاث مرات وتقديره: فلا فكّ رقبة ولا أطعم مسكينًا ولا آمن. والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة، و**(القُحمة)** الشدّة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحامًا لها في ذلك من **(معاناة المشقّة)** ومجاهدة النفس. **(وعن الحسن)**: عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان. والمراد بقوله: ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله. وفكّ الرقبة تخليصها من الرقّ والإعانة في مال الكتابة.

قوله: (الأيادي) في المصباح اليد النعمة والإحسان سُمّيت بذلك لأنها تتناول الأمر غالبًا وجمع القلّة أيد وجمع الكثرة الأيادي. اهـ. **قوله: (وأساس كل خير)** أي أصله. **قوله: (غمط النعم)** في مختار الصحاح غَمَطَ النعمة من باب فهم وضرب لم يشكرها. اهـ.

قوله: (الفخار) في المصباح فخرت به فخرًا من باب نفع وافتخرت مثله والاسم الفخار بالفتح وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، إما في المتكلم أو في آبائه. اهـ. **قوله: (القحمة)** الشدة في المصباح القحمة بالضم الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد والجمع قحم مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله: (معاناة المشقّة)** في لسان العرب معاناة الشيء ملابسته ومباشرته. اهـ. **قوله: (وعن الحسن)** البصريّ رحمة الله عليه.

(﴿فكَّ﴾) رقبةً (﴿أو أطعم﴾ مكيّ وأبو عمرو وعليّ) على الإبدال مَن اقتحم العقبة، وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾ اعتراض. (غيرهم ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾) على: اقتحامها فك رقبة أو إطعام. والمسغبة المجاعة، والمقربة القرابة، والمتربة الفقر، (مفعلات) من (سَغِب) إذا جاع (وقَرُب) في النسب. يقال: فلان ذو قرابتي وذو مقربتي. (ترب) إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه (المزابل) ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم (همٌّ ناصب) أي ذو نصب. ومعنىٰ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي داوم على الإيمان. وقيل: «ثم» بمعنىٰ الواو. وقيل: إنما جاء بـ «ثم» لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت، إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات (والمحن) التي يبتلى به المؤمن ﴿وَتَوَاصَوۡاْ

قوله: (﴿فكَّ﴾) بفتح الكاف فعلًا ماضيًا ﴿رقبةً﴾ بالنصب مفعوله («أو أطعم») بفتح الهمزة والميم فعلًا ماضيًا أيضًا (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ (وأبو عمرو وعليّ) الكسائي. **قوله**: (غيرهم ﴿فَكُّ﴾) برفع الكاف اسمًا (﴿رَقَبَةٍ﴾) بالجر مضافًا إليه. (﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾) بكسر الهمزة وألف بعد العين ورفع الميم منوّنة وفك خبر محذوف أي هو فك رقبة أو إطعام على معنى الإباحة. وفي الكلام حذف مضاف أي ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا﴾ [الحاقّة: الآية ٣] اقتحام ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾ عتق رقبة أو إطعام يتيم ذي قرابة ومسكين ذي فقر في يوم ذي مجاعة. **قوله**: (مفعلات) أي كل واحدة منها مصدر ميميّ على وزن مفعلة. **قوله**: (سَغِب) السغب الجوع وبابه طَرِب. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (وقَرُب) بالضم قُرْبًا بضم القاف أي دنا. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (وترب) في مختار الصحاح ترب الشيء أي أصابه تراب وبابه طَرِبَ ومنه تَرِبَ الرجل أي افتقر كأنه لصِق بالتراب. اهـ.

قوله: (المزابل) في مختار الصحاح الزِّبْل السِّرْجين وموضعه مَزْبَلة بفتح الباء وضمها. اهـ. **قوله**: (همٌّ ناصب) في مختار الصحاح نَصِب تَعِب وبابه طرب وهَمٌّ ناصب أي ذو نصب كرجل تامرٍ ولابنٍ وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول فيه لأنه يُنْصَب فيه ويُتْعَب كليل نائم أي ينام فيه ويوم عاصف أي يَعْصِف فيه الريح. اهـ. **قوله**: (والمحن) جمع المحنة.

﴿بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ بالتراحم فيما بينهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ أي الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالقرآن أو بدلائلنا ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال، أو اليمن والشؤم أي **(الميامين على أنفسهم)** و **(المشائيم عليهن)** ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ **(وبالهمز: أبو عمرو وحمزة وحفص أي مطبقة)** من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته والله أعلم.

قوله: (الميامين على أنفسهم) بطاعتهم. **قوله: (المشائيم عليهن)** بمعصيتهم. **قوله: (وبالهمز: أبو عمرو وحمزة وحفص)** والباقون بغير الهمزة أي بواو ساكنة وهما لغتان. يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته وقيل: معنى المهموز المطبقة وغير المهموز المغلقة. اهـ خطيب. **قوله: (أي مطبقة)** أي عليهم لا يخرجون منها أبدًا نعوذ بالله منها ومن موجباتها برحمة منه وفضل.

تمّت سورة البلد والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيدّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة الشمس)

(مكيّة، وهي خمس عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ **(وضوئها إذا أشرقت)** وقام سلطانها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الأول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه، لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء. وقيل: الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض وإن لم يجر لها ذكر كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: الآية ٤٥] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ يستر الشمس فتظلم الآفاق. والواو الأولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق، وكذا الثنية عند البعض. **(وعند الخليل)**: الثانية للعطف لأن إدخال القسم على القسم قبل تمام الأول لا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الشمس، مكيّة، وهي خمس عشرة آية**) أو أربع وخمسون كلمة ومئتان وسبعة وأربعون حرفًا. **قوله:** (**وضوئها إذا أشرقت**) أي ارتفعت وانبسط نورها. **قوله:** (**وعند الخليل**) هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد، كان

يجوز، ألا ترى أنك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو «ثم» لكان المعنى على حاله؟ وهما حرفا عطف فكذا الواو. ومَن قال: إنها للقسم احتجّ بأنها لو كانت للعطف (**لكان عطفًا على عاملين**)، لأن قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ مثلًا مجرور بواو القسم و«إذا يغشى» منصوب بالفعل المقدّر الذي هو أقسم فلو جعلت الواو في «والنهار إذا تجلى» للعطف لكان النهار معطوفًا على الليل جرًّا، و«إذا تجلى» معطوفًا على «إذا يغشى» نصبًا فصار كقولك: إن في الدار زيدًا أو في الحجرة عمرًا. (وأجيب) بأن واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز إبراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبًا وجرًّا، وصارت كعامل واحد له عملان، وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو: ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا، فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما، فكذا هنا.

إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض. وأخرجه إلى الوجود وأخباره كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويُقال: إن أباه أحمد أول مَن تَسَمَّى بأحمد بعد رسول الله ﷺ تُوفي سنة سبعين وقيل: خمس وسبعين ومائة.

قوله: (لكان عطفًا[1] على عاملين) أي على معمول عاملين مختلفين وهو لا يجوز. وهذا من مسامحات النحاة وهو بتقدير المضاف. **قوله:** (وأجيب. . .) الخ **عبارة تفسير الكشّاف،** فإن قلت: الأمر في نصب «إذا» معضل لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجرّ فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه. قلت: الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل إطراحًا كلها فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معًا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحُقِقْن أن يكنّ عوامل عمل الفعل والجار جميعًا كما تقول ضرب زيد عمرًا وبكر خالدًا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهت بحروفها.

---

(١) اتبع النحاة في هذه العبارة وفيها مضاف مقدر تقديره على معمولي عاملين مختلفين. هـ. شهاب رحمه الله ١٢ منه رحمه الله تعالى.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾

و«ما» مصدريّة في ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾ أي وبنائها وطحوها أي بسطها وتسوية خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ **(لما فيه من فساد النظم)**، والوجه أن تكون موصولة **(وإنما أوثرت على «من» لإرادة معنىٰ الوصفية)** كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس والحكيم **(الباهر)** الحكمة الذي سواها. وإنما نكرت النفس **(لأنه أراد نفسًا خاصة)** من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال:

قوله: (لما فيه من فساد النظم) وذلك أنه على تقدير أن تكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لأنه يكون تقدير الكلام حينئذٍ ونفس وتسويتها فألهمها ولا خفاء في ركاكة هذا النظم ويمكن أن يقال: لا بعد في أن تجعل ما مصدرية ويكون ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ عطفًا على سواها بأن يكون هو أيضًا في تأويل المصدر على معنى وتسويتها فإلهامها فجورها غاية ما في الباب أن يكون فألهمها كالأفعال السابقة وهي ﴿بَنَاهَا﴾ و﴿طَحَاهَا﴾ و﴿سَوَّاهَا﴾ في تجردها عن الفاعل ويلتزم أن يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به. فإن قيل: الفاء تدلّ على الترتيب من غير مهلة والتسوية يكون قبل نفخ الروح والإلهام يكون بعد البلوغ فيختلّ انتظام الإلهام المصدّر بالفاء بما قبله على تقدير أن تكون ما مصدريّة. قلنا: التسوية عبارة عن تعديل الأعضاء والقوى الإدراكية وذلك إنما يكون بعد البلوغ ويدلّ عليه كون الصبيّ محجورًا عليه غير مقبول الشهادة وغير مكلّف بالأحكام الشرعية وإلهام الفجور والتقوى عن إفهامهما وإعقالهما وتعريف حالهما من حيث إن أحدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهملة. اهـ شيخ زاده رحمة الله عليه. **قوله: (وإنما أوثرت على «من» لإرادة معنى الوصفية)** بما ضمنا وإن لم يوصف بلفظها إذ المراد أنها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٣]. وقدّروها بانكحوا الطيب وهذا تتفرد به ما دون من. اهـ خطيب رحمه الله. **قوله: (الباهر)** في مختار الصحاح بَهَرَه غلبه وبابه قطع. اهـ. **قوله: (لأنه أراد نفسًا خاصة...)** الخ والتنكير للتعظيم.

وواحدة من النفوس، أو أراد كل نفس، والتنكير للتكثير كما في ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [الانفطار: الآية ٥] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ فأعلمها طاعتها ومعصيتها أفهمها أن أحدهما حسن والآخر قبيح.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ جواب القسم **(والتقدير: لقد أفلح)**، قال **(الزَّجَّاج)**: صار طول الكلام عوضًا عن اللام. وقيل: الجواب محذوف وهو الأظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحًا، وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء ﴿مَن زَكَّاهَا﴾ طهّرها الله وأصلحها وجعلها زاكية.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ أغواها الله، قال **(عكرمة)**: أفلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس أغواها الله. ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد. والتدسية، النقص والإخفاء بالفجور وأصل دسّى دسس، **(والياء بدل من السين المكرّرة)**.

قوله: (والتقدير: لقد أفلح) لأن الماضي يقترن بقد واللام في الأغلب. **قوله: (الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوي توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (عكرمة) بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة ابن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا يثبت عنه بدعة، مات سنة سبع ومائة وقيل: بعد ذلك. **قوله: (والياء بدل من السين المكررة)** وفي السمين أصله دسسها بثلاث سينات فلما كثرت الأمثال أبدلوا من ثالثها حرف علّة وهو هنا الألف. اهـ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ﴿١١﴾﴾ **(بطغيانها)** إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ حين قام **(بعقر الناقة)** ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ أشقى ثمود **(قدار)** بن سالف وكان **(أشقر أزرق)** قصيرًا. و«إذ» منصوب بـ ﴿كَذَّبَتْ﴾ أو بالطغوى ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على التحذير أي احذروا **(عقرها)** ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ كقولك: الأسد.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي الناقة أسند الفعل إليهم وإن كان العاقر واحدًا لقوله: (﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾) [القمر: الآية ٢٩]. لرضاهم به (﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ **أهلكهم**

قوله: (بطغيانها) يعني أن الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان إلا أن الطغوى لما كان أشبه برؤوس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وإن كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول ﴿كَذَّبَتْ﴾ محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيّها صالحًا عليه السلام بسبب طغيانها. **قوله: (بعقر الناقة)** في المغرب عقر الناقة بالسيف ضرب قوائمها. اهـ. **قوله: (قدار)** بوزن غراب اسم من عقر الناقة ومعناه جزار وفي الكمالين قذار بالذال المعجمة أصح. **قوله: (أشقر)** في المصباح الشقرة من الألوان حمرة تعلو بياضًا في الإنسان وحمرة صافية في الخيل. قاله ابن فارس وشقر شقرًا من باب تعب فهو أشقر والأنثى شقراء والجمع شقر. اهـ. **قوله: (أزرق)** في المصباح الزُّرْقة من الألوان والذكر أزرق والأنثى زرقاء والجمع زرق مثل أحمر وحمراء وحمر. اهـ. وفي لسان العرب الزرقة خُضْرة في سواد العين. اهـ. **قوله: (عقرها)** إشارة إلى تقدير المضاف إليه أو بيان للمراد من غير تقدير فيه.

قوله: (﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾) قدار ليقتلها (﴿فَتَعَاطَىٰ﴾) تناول السيف (﴿فَعَقَرَ﴾) به الناقة أي قتلها موافقة لهم. اهـ جلالين. **قوله:** (﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ **أهلكهم**

إهلاك استئصال) ﴿بِذَنۢبِهِمۡ﴾ بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فسوى الدمدمة عليهم **(فلم يفلت)** منها صغيرهم ولا كبيرهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾ ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أي فعل ذلك غير خائف أن تلحقه **(تبعة)** من أحد كما يخاف مَن يعاقب من الملوك، لأنه فعل في ملكه وملكه ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ (وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ) ۝٢٣﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣]، (﴿**فلا يخاف**﴾ **مدني وشامي**).

إهلاك استئصال) في الخازن أي فدمّر عليهم ربهم وأهلكهم والدمدمة هلاك استئصال. **قوله**: **(فلم يفلت)** من باب ضرب أي فلم يخلص. **قوله**: **(تبعة)** التبعة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾) عن أفعالهم. **قوله**: (﴿**فلا يُخاف**﴾) بالفاء وضم الياء **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ والباقون بالواو وفتح الياء فالفاء تقتضي التعقيب والواو يجوز أن تكون للحال وأن تكون للاستئناف الإخباري.

تمّت سورة الشمس بحمد الله وعونه

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة الليل)

(مكيّة، وهي إحدى وعشرون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ المغشي، إما الشمس من قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس: الآية ٣] أو النهار من قوله: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] أو كل شيء (يواريه) بظلامه من قوله: (﴿إِذَا وَقَبَ﴾) [الفلق: الآية ٣] ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأُنثى من ماء واحد، وجواب القسم ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ (لَشَتَّىٰ) ۝٤﴾ (جمع شتيت) إن عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الليل، مكية) وهو الأشهر (وهي إحدى وعشرون آية) لا خلاف في عدد آياتها وإحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف. **قوله**: (يواريه) يستره. **قوله**: (﴿إِذَا وَقَبَ﴾) أي ومن شرّ غاسق ليل عظم ظلامه يعني أن الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل إذا وقب دخل ظلامه في كل شيء. **قوله**: (﴿لَشَتَّىٰ﴾ جمع شتيت) أي متفرّق، وإنما قيل: لمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه والشتات هو الافتراق فكأنه قيل: إن عملكم لمتباعد

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حقوق ماله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ ربه فاجتنب محارمه ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ بالملّة الحسنىٰ وهي ملّة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنىٰ وهي الجنّة، أو بالكلمة الحسنىٰ وهي لا إله إلّا الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ فسنهيئه **(للخلّة)** اليسرىٰ وهي العمل بما يرضاه ربه ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ربه فلم يتقه أو استغنىٰ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبىٰ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ بالإسلام أو الجنّة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ للخلّة المؤدية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد، أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر، وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر، أو أراد بهما طريقي الجنّة والنار.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ ولم ينفعه ماله إذا هلك، وتردىٰ تفعّل من الردىٰ وهو الهلاك، أو تردى في القبر أو في قعر جهنم أي سقط ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ إن علينا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣﴾ فلا يضرّنا ضلال مَن ضلّ ولا ينفعنا اهتداء مَن اهتدىٰ، أو أنهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تتلهب ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ **(لا يدخلها للخلود فيها)** ﴿إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ إلا

بعضه من بعض لأن بعضه ضلال يوجب النيران وبعضه هدًى يوجب الجنان. اهـ. من البحر و﴿سَعْيَكُمْ﴾ مصدر مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنى وإن كان مفردًا في اللفظ وإذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم. اهـ شهاب.

قوله: (للخلّة) بفتح الخاء وهي الخصلة.

قوله: (لا يدخلها للخلود فيها) لما دلّ ظاهر قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ على أنه لا يدخل النار إلا الكافر وهذا الحصر

الكافر الذي كذب الرسل وأعرض عن الإيمان ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ وسيبعد منها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ المؤمن ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾ للفقراء ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكيًا لا يريد به رياء ولا سمعة، أو يتفعل من الزكاة و﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ إن جعلته بدلًا من ﴿يُؤْتِى﴾ فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة، **(والصلات)** لا محل لها، وإن جعلته حالًا من الضمير في ﴿يُؤْتِى﴾ فمحله النصب.

قال **(أبو عبيدة)**: الأشقىٰ بمعنىٰ الشقي وهو الكافر، والأتقىٰ بمعنىٰ التقي وهو المؤمن لأنه لا يختصّ بالصلي أشقىٰ الأشقياء، ولا بالنجاة أتقىٰ الأتقياء، وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارًا مخصوصة بالأشقىٰ فما تصنع بقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾، لأن التقي يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة، وقيل: الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيها، فقيل ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ وجعل مختصًّا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له، وقيل الأتقى وجعل مختصًّا بالنجاة كأن الجنّة لم تخلق إلا

تردّه النصوص الدالّة على وعيد العصاة والفساق حمل صلي النار على لزومها والخلود فيها مقاسيًا شدتها وحرها لكون الصلي بهذا الوجه كمال الصلي فيحمل عليه عند الإطلاق ولا شك أن الصلي بهذا المعنى منحصر في الكافر وأمر الفاسق مفوّض إلى مشيئة الله تعالى، فأما أن لا يدخلها رأسًا أو يدخلها ولكن لا يلزم لها وجعل حمله صلى النار على لزومها وسيلة إلى دفع ما يتوهّم من أن منطوق قوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ يخالف مفهوم قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ فإنه بمفهومه يدل على أن غير الأتقى لا يتجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين يخالف الحصر السابق، فلما جعل صلى النار بمعنى لزومها كان منطوق الأول خلود الكافر فيها، ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود في الكافر لأن دخول العصاة لا يستلزم خلودهم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.
قوله: (والصلات) لا محل لها من الإعراب لأن الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل له.

قوله: (أبو عبيدة) هو معمر بن المثنى وهو من كبار أئمة اللغة توفي سنة عشر ومائتين ويقال إحدى عشرة وقد قارب المائة.

له، وقيل: هما (أبو جهل) و(أبو بكر). وفيه بطلان زعم المرجئة لأنهم يقولون لا يدخل النار إلا كافر.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

(﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ **أي وما لأحد عند الله**) نعمة يجازيه بها إلا أن يفعل فعلًا يبتغي به وجه ربه فيجازيه عليه (﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾) هو الرفيع بسلطانه (**المنيع**) في شأنه وبرهانه، ولم يرد به العلوّ من حيث المكان فذا آية (**الحدثان** ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾) موعد بالثواب الذي يرضيه ويقرّ

قوله: (أبو جهل) اسم أبي جهل عمرو بن هشام كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ. **قوله**: (أبو بكر) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي أبو بكر بن قحافة الصدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (**أي وما لأحد عند الله**) وفي تفسير الخازن وغيره، قال سعيد بن المسيّب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال له: اتبيعه. قال: نعم أبيعه بقسطاس عبد لأبي بكر وكان قسطاس صاحب عشرة آلاف درهم وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركًا حمله أبو بكر على الاسم على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية: أبيعه بغلامك قسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله عزّ وجلّ (﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾) أي عند أبي بكر (﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾) أي من يد يكافئه عليها (﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾) أي لم يفعل ذلك مجازاة لأحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب مرضاته (﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾) أي بما يعطيه الله عزّ وجلّ في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم. اهـ.

قوله: (المنيع) القوي. **قوله**: (الحَدَثان) في مختار الصحاح الحُدُوث بالضم كون الشيء لم يكن قبله وبابه دخل وأحدثه الله فحدث والحَدَث والحُدْثي بوزن الكُبْرى والحادثة والحَدَثان بفتحتين كله بمعنى. اهـ.

عينه وهو كقوله تعالىٰ لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحىٰ: الآية ٥].

قوله: (﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾) في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلًا (﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾) به فقال ﷺ: «إذًا لا أرضى وواحد من أمتي في النار». اهـ جلالين. وفي الجمالين قوله: من أمتي أي أمة الإجابة وجمع اللام مع سوف للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة، ولعل المراد بالرضى كماله الذي لا مزيد عليه فإنه راضٍ عن الله تعالى دائمًا. اهـ بحروفه.

تمّت سورة الليل والحمد لله ربّ العالمين حمدًا دائمًا
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة والضّحىٰ)

(مكيّة، وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾﴾ المراد وقت الضّحىٰ وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس. وإنما خصّ وقت الضحىٰ بالقسم لأنها الساعة التي كلّم الله فيها موسىٰ عليه السلام وألقى فيها السحرة (سُجّدًا)، أو النهار كله لمقابلته بالليل في قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾ سكن، والمراد سكون الناس والأصوات فيه، وجواب القسم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ ما تركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة في الودع، لأن مَن ودّعك مفارقًا فقد بالغ في تركك، رُوِيَ أن الوحي تأخّر عن رسول الله ﷺ أيامًا. فقال المشركون: إن محمدًا ودّعه ربه وقلاه، فنزلت. وحذف الضمير من ﴿قَلَىٰ﴾ كحذفه من الذاكرات في قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥]، يريد والذاكراته ونحوه: ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾، ﴿فَهَدَىٰ﴾، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سُورة والضّحىٰ، مكيّة، وهي إحدى عشرة آية**) لا خلاف في كونها مكيّة وكذا في عدد آياتها وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن ومائة واثنان وسبعون حرفًا. **قوله**: (سُجّدًا) أي ساجدين الله تعالى.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي ما أعدّ الله لك في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا، وقيل: وجه اتصاله بما قبله أنه لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله، ولا ترى كرامة أعظم من ذلك، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الأنبياء وشهادة أُمته على الأمم وغير ذلك.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ ولما نزلت قال ﷺ: (**«إذًا لا أرضى) قطّ (وواحد من أُمتي في النار»)** واللام الداخلة على «سوف» لام الابتداء المؤكّدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنت سوف يعطيك، ونحوه **(لأقسم فيمن قرأ كذلك)** لأن المعنىٰ لأنا أقسم، وهذا لأنها إن كانت لام قسم فلامه لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد فتعيّن أن تكون لام الابتداء، ولامه لا تدخل إلا على المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر كما ذكرنا، كذا ذكره صاحب الكشاف. **(وذكر صاحب الكشف)** هي لام القسم، واستغنىٰ عن نون التوكيد لأن النون إنما تدخل ليؤذن أن اللام لام القسم لا لام الابتداء، وقد علم أنه ليس للابتداء لدخولها على «سوف» لأن لام الابتداء لا تدخل على «سوف»، وذكر أن الجمع بين حرفي التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر.

قوله: **(إذًا لا أرضى وواحد من أمتي في النار)** أي أمة الإجابة. **قوله**: **(لأقسم فيمن قرأ كذلك)** في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب في سورة البلد، قرأ الحسن لاقْسِمُ بهذا البلد بغير ألف. اهـ. وأيضًا فيه في سورة القيامة قرأ الحسن لاقْسِمُ بغير ألف ولا أقسم بألف، ورُوِيَ بغير ألف فيهما جميعًا وبالألف فيهما جميعًا. اهـ.

قوله: **(وذكر صاحب الكشف)** والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحٰق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفَّى سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

ثم عدّد عليه نِعَمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع إلا الحسنىٰ وزيادة الخير، ولا يضيق صدره ولا يقلّ صبره فقال:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾

(﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾) وهو من الوجود الذي بمعنىٰ العلم والمنصوبان مفعولاه، والمعنىٰ ألم تكن يتيمًا حين مات أبواك ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾ أي فآواك إلى عمك أبي طالب وضمّك إليه حتى **(كفلك)** ورباك ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أي غير عالم ولا واقف على معالم النبوّة وأحكام الشريعة وما طريقة السمع ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعرفك الشرائع والقرآن. وقيل: ضلّ في طريق الشام حين خرج به أبو طالب فردّه إلى القافلة. ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع في غيّ فقد كان عليه الصلاة والسلام من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصومًا من عبادة الأوثان **(وقاذورات أهل الفسق والعصيان)**.

قوله: (﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾) أي ألم يعلمك الله يتيمًا. **قوله**: **(كفلك)** من باب قتل. وكان يتمه عليه الصلاة والسلام أن أباه عبد الله بن عبد المطلب تُوفي وأمه عليه السلام حامل به ثم وُلد عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة فماتت أمه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد أمه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما أشرف عبد المطلب على الموت أوصى عليه عليه السلام أبا طالب لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة فكان أبو طالب هو الذي يكفل رسول الله ﷺ بعد جده إلى أن بعثه الله تعالى فقام بنصره مدة مديدة ثم توفي أبو طالب بعد ذلك فلم يرَ عليه السلام من أثر اليتم شيئًا فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: **(وقاذورات أهل الفسق والعصيان)** في المصباح القاذُورة تطلق على القذر وهو ينزّه عن الأقذار والقاذورات وتطلق القاذورة فاحشة ومنه اجتنبوا القاذورات التي نهى الله عنها أي كالزّنا ونحوه. اهـ.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيرًا ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ فأغناك بمال **(خديجة)** أو بمال **(أفاء)** عليك من الغنائم ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ فلا تغلبه على ماله وحقّه لضعفه ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ فلا تزجره فابذل قليلًا أو رد جميلًا. **(وعن السدّي)**: المراد طالب العلم إذا جاءك فلا تنهره ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ أي حدث بالنبوّة التي آتاك الله وهي أجل النعم، والصحيح أنها تعمّ جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم.

قوله: (خديجة) هي أُم المؤمنين خديجة بنت خويلد أولاده ﷺ منها إلّا إبراهيم ماتت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل: بأربع وقيل: بثلاث وكان قد مضى من النبوّة عشر سنين كان لها من العمر خمس وستون سنة وكانت مدة بقائها مع رسول الله ﷺ خمس وعشرين سنة ودفنت بالحجون. **قوله: (أفاء)** ردّ. **قوله: (وعن السدّي)** في المصباح السدة الباب وينسب إليها على اللفظ فيقال: السديّ ومنه الإمام المشهور وهو إسماعيل السديّ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة.

تمّت سورة والضّحىٰ بحمد الله تعالى وعونه وحُسْن توفيقه
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

سورة الانشراح
(سورة ألم نشرح)

(مكيّة، وهي ثمان آيات)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك، ولذا عطف عليه «وضعنا» اعتبارًا للمعنىٰ أي فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوّة ودعوة الثقلين، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمىٰ والجهل، **(وعن الحسن)**: مليء حكمة وعلمًا ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢﴾ وخففنا عنك **(أعباء)** النبوّة والقيام بأمرها، وقيل: هو زلّة لا تعرف بعينها وهي ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه أن غفر له، والوزر: الحمل الثقيل.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة ألم نشرح)** وتُسمى سورة الشرح **(مكيّة)** وهو قول الجمهور: **(وهي ثمان آيات)** بالاتفاق وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف. اهـ خطيب. وفي الخازن وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف. **قوله**: **(وعن الحسن)** البصري. **قوله**: **(أعباء)** جمع العِبء مهموز مثل الثقل وزنًا ومعنى.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ أثقله حتى سمع نقيضه **(وهو صوت الانتقاض)** ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ ورفع ذكره أن قرن ذكر الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والخطب والتشهّد وفي غير موضع من القرآن: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن: الآية ١٢]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: الآية ١٣]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢]. وفي تسميته رسول الله ونبيّ الله ومنه ذكره في كتب الأولين. **(وفائدة لك ما عرف في طريقة الإبهام والإيضاح)** لأنه يفهم بقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ أن ثم مشروحًا، ثم أوضح بقوله: ﴿صَدْرَكَ﴾ ما علم مبهمًا وكذلك ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾، و﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ أي إن مع الشدّة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرًا بإظهاري إيّاك عليهم حتى تغلبهم. وقيل: كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله، فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم. ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ

قوله: (وهو) أي النقيض **(صوت الانتقاض)** والانفكاك ونقيض الرجل صوته عند تداعي أجزائه إلى الانفكاك.اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي حاشية العلّامة الشهاب رحمه الله المراد بالانتقاض بالقاف التحمّل عليه والضغط له بثقله عليه.اهـ. وفي الخازن ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ أي أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفيّ الذي يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير. **قوله: (وفائدة لك ما عرف في طريقة الإبهام والإيضاح)** جواب عما يقال ما الفائدة في زيادة قوله لك في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ﴾، وفي زيادة عنك في قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ﴾ مع أن المعنى يتم بدونهما وبعد زيادتهما فأيّ فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما. **وتقرير الجواب** أن زيادتهما مقدّمين على المفعول تفيد إبهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم تبينه وتوضحه ومن المعلوم أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الاجمال أوقع في الذهن وأبلغ في البيان وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع.

ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ كأنه قال: خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فإن مع العسر الذي أنتم فيه يسرًا، وجيء بلفظ «مع» لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب، (وإنما قال ﷺ عند نزولها: «لن يغلب عسر يسرين») لأن العسر أعيد معرفًا فكان واحدًا لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى، واليسر أعيد نكرة والنكرة إذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الأولى، فصار المعنىٰ إن مع العسر يسرين. قال أبو معاذ: يقال إن مع الأمير غلامًا إن مع الأمير غلامًا، فالأمير واحد ومعه غلامان. وإذا قال: إن مع الأمير غلامًا وإن مع الأمير الغلام، فالأمير واحد والغلام واحد. وإذا قيل: إن مع أمير غلامًا وإن مع أمير غلامًا فهما أميران وغلامان كذا في «شرح التأويلات».

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾﴾ أي فإذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء، واختلف أنه قبل السلام أو بعده، ووجه الاتصال بما قبله أنه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلي وقتًا من أوقاته منها فإذا فرغ من عبدة (ذَنَّبها) بأُخرى ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصًا ولا تسأل إلا فضله متوكلًا عليه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: الآية ١١].

قوله: (وإنما قال عليه السلام عند نزولها: «لن يغلب عسر يسرين») إشارة إلى أنه حديث مرفوع. كما رواه الحاكم والطبراني وليس من كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما وقع في كتب الأصول.

قوله: (ذَنَّبَها) أي أتبعها في لسان العرب الذانب التابع الشيء على أثره يقال: هو يَذْنُبُه أي يتبعه. اهـ.

تمّت سورة ألم نشرح والحمد لله وحده
والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده

(سورة والتّين)

(مكيّة، وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة، رُوِيَ أنه أُهدي لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنّة لقلت هذه لأن فاكهة الجنّة (**بلا عجم**)، فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من (**النقرس**)» وقال: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب (**بالحفرة**)» وقال: «هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو تينكم هذا وزيتونكم هذا، وقيل: هما جبلان بالشام منبتاهما. .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (**سورة والتين**) ويقال لها: سورة التين (**مكيّة**) عند الجمهور (**وهي ثمان آيات**) بلا خلاف وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن ومائة وخمسة أحرف. اهـ. **قوله**: (**بلا عجم**) في لسان العرب العجم بفتحتين النوى من التمر والعنب والنبق وغير ذلك، الواحدة عجمة بالهاء. اهـ. **قوله**: و(**النقرس**) بكسر النون وسكون القاف مرض يعرض الركبة. اهـ. قنوي. **قوله**: (**بالحَفْرة**) والحفرة المرة من الحَفْر والحَفَر وهي صُفْرة تعلو الأَسْنان.

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾

﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ أُضيف الطور ـ وهو الجبل ـ إلى سينين ـ وهي البقعة ـ ونحو سينون (**يبرون**) في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني مكة ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ من أمن الرجل أمانة فهو أمين، وأمانته أنه يحفظ مَن دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ومعنىٰ القسم بهذه الأشياء (**الإبانة**) عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والأولياء، فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسىٰ ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسىٰ، ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد نبيّنا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين. أو الأولان قسم (**بمهبط**) الوحي على عيسىٰ، والثالث على موسىٰ، والرابع على محمد عليهم السلام.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾

وجواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ وهو جنس ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ أي ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقًا وتركيبًا يعني أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار، أو أسفل من أهل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن

قوله: (يَبْرُوْنَ) في لسان العرب يَبْرِيْنُ اسم موضع يقال له: رَمْل يَبْرِيْنَ. وفيه لغتان: يَبْرِيْنُ في الرَّفْع وفي الجر والنصب يَبْرِيْنَ لا ينصرف للتعريف والتأنيث فجرى إعرابه كإعرابه. اهـ. وأيضًا فيه أنّ اليَاء والواو في يَبْرِيْنَ ويَبْرُون ليستا لامين وإنما هما كهيئة الجمع كفلسطين وفلسطون فإذا كانت واو جمع كانت زائدة وبعدها النون زائدة أيضًا، فحروف الاسم على ذلك ثلاثة كأنه يَبْر ويَبْرُ وإذا كانت ثلاثة فالياء فيها أصل لا زائدة. اهـ باختصار. **قوله**: (**الإبانة**) في المصباح بأن الأمر يبين فهو بين وجاء بائن على الأصل وأبان إبانة وبين وتبين واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف والاسم البيان وجميعها يستعمل لازمًا ومتعديًا إلا الثلاثي فلا يكون إلّا لازمًا. **قوله**: (**بمهبط**) وزان مسجد في المصباح هبط الماء وغيره هبطًا من باب ضرب نزل وفي لغة قليلة يهبط هبوطًا من باب قعد. اهـ.

الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوّس ظهره بعد اعتداله، وابيض شعره بعد سواده، **(وتشننّ جلده وكَلّ)** سمعه وبصره، وتغيّر كل شيء منه، فمشيه **(دليف)**، وصوته **(خفات)**، وقوته ضعف، **(وشهامته خرف)**.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين، والاستثناء على الأول متصل، وعلى الثاني منقطع أي ولكن الذين كانوا صالحين من **(الهرمى والزمنى)** فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

والخطاب في ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾ للإنسان على طريقة الالتفات أي فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان **(الساطع)** بالجزاء؟ والمعنىٰ أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرًا سويًّا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل

قوله: **(وتشنن جلده)** في لسان العرب التشنّن اليُبْس في جلد الإنسان عند الهَرَم. اهـ. **قوله**: **(وكل)** أي ضَعُفَ. **قوله**: **(دليف)** في لسان العرب الدَّليف المَشْي الرُّوَيد دلَف يدلِف دَلْفًا ودَلَفانًا ودليفًا ودُلوفًا إذا مشى وقارَبَ الْخَطْوَ. اهـ. **قوله**: **(خفات)** أي ضعيف. **قوله**: **(وشهامته)** في لسان العرب قد شَهُمَ الرجل بالضم شَهَامة وشُهُومة إذا كان ذَكِيًّا. اهـ. **قوله**: **(خَرِفَ)** في لسان العرب الخرف بالتحريك فساد العقل في الكِبَر خرف الرجل بالكسر يخرَف خَرَفًا فهو خَرِف فسد عقله من الكِبَر والأنثى خَرِفة وأخرفه الهَرَم. اهـ.

قوله: **(الهَرمى)** في المصباح هرم هرمًا من باب تعب فهو هرم كبر وضعف وشيوخ هرمى مثل زمن وزمنى وامرأة هرمة ونسوة هرمى وهرمات أيضًا. اهـ. **قوله**: **(والزمنى)** في المصباح زمن الشخص زمنًا وزمانة فهو زمن من باب تعب وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا والقوم زمنى مثل مرضى. اهـ.

قوله: **(الساطع)** المرتفع.

ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلًا أوضح منه على قدرة الخالق، وأن مَن قدر على خلق الإنسان وعلى هذا كله لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك بالجزاء؟ أو لرسول الله ﷺ أي فمن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل؟ فـ «ما» بمعنى «من» ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ وعيد للكفار **(وإنه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء)** والله أعلم.

قوله: (وإنه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء) أشار بهذا إلى أن الاستفهام للتقرير أي أن قضاءه في خلقه نافذ ولا بد بخلاف قضاء غيره من القضاة فكثير ما يخطىء أو يرد ولا ينفذ. وفي القرطبي أي أتقن الحاكمين صنعًا في كل ما خلق، وقيل: ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ قضاء بالحق وعدلًا بين الخلق. اهـ.

تمّت سورة والين والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة العلق)

(مكيّة، وهي تسع عشرة آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾

(عن ابن عباس ومجاهد): هي أول سورة نزلت. والجمهور على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ محل ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال أي اقرأ مفتتحًا باسم ربك كأنه قيل: قل باسم الله ثم اقرأ الذي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة العلق)** وتُسمى سورة اقرأ وسورة القلم **(مكية)** بالاتفاق **(وهي تسع عشرة آية)** وقيل: ثمان عشرة واختار الأول لأنه قول الأكثرين واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن ومائتان وثمانون حرفًا. اهـ. **قوله**: **(عن ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يُسمى البحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله**: **(ومجاهد)** بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحّدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكيّ إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى أو

خلق. ولم يذكر الخلق مفعولًا لأن المعنىٰ الذي حصل منه الخلق **(واستأثر به)** لا خالق سواه، أو تقديره خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولىٰ من بعض.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ولأن التنزيل إليه، ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان إلا أنه ذكر مبهمًا ثم مفسرًا تفخيمًا لخلقه ودلالة على عجيب فطرته ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ **(وإنما جمع ولم يقل من علقة)** لأن الإنسان في معنىٰ الجمع ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم، فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ الكتابة ﴿بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة، وما دوّنت العلوم ولا قيّدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة. ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به. ﴿كَلَّآ﴾ **(ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه)** ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ نزلت في أبي جهل إلى آخر السورة.

اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: **(واستأثر به)** أي وتفرّد به في مختار الصحاح استأثر بالشيء استبدّ به. اهـ.

قوله: **(وإنما جمع ولم يقل من علقة)** فإن ﴿عَلَقٍ﴾ جمع علقة كثمر وثمرة والعلقة الدم الجامد ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد فأفاد أنه تعالى خلق كل فرد من أفراد الإنسان من علقة على حدة.

قوله: **(ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه)** فإن الآية لما كانت مشتملة على أصول النعم ومباديها وهو خلق الإنسان

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَن رَّءَاهُ﴾ **(أن رأى نفسه)**. يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، ومعنىٰ الرؤية العلم ولو كانت بمعنىٰ الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين ﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ هو المفعول الثاني ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ تهديد للإنسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات. والرجعىٰ مصدر بمعنىٰ الرجوع أي إن رجوعك إلى ربك فيجازيك على طغيانك ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ أي أرأيت أبا جهل ينهىٰ محمدًا عن الصلاة ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ أي إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهىٰ عنه من عبادة الله ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ أو كان آمرًا بالمعروف والتقوىٰ فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ أرأيت إن كان ذلك الناهي مكذبًا بالحق متوليًا عنه كما نقول نحن ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله، وهذا وعيد وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ مع الجملة الشرطية مفعولًا ﴿أَرَءَيْتَ﴾ وجواب الشرط محذوف تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوىٰ ألم يعلم بأن الله يرى؟ وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط

من علق وعلى كمالها وغايتها وهو قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة المنعم وشكر نعمه، ولما كان الرسول الذي بلغ هذه الآية لا بد له من المرسل إليهم وهم جهال لا يعرفون النعمة ولا المنعم فضلًا عن القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عمّا هم عليه من الكفر والجهل، فقال: ﴿كَلَّآ﴾ وبيّن أن سبب ذلك إنما هو الطغيان. قال مقاتل: معنى طغيانه أنه إذا أصاب مالًا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك وقال الكلبي: يرتفع من منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام. **قوله: (أن رأى نفسه)** أشار به إلى أن في رأى ضميرًا عائدًا على الإنسان هو فاعله وضمير المفعول الذي هو الهاء عائدة عليه أيضًا.

الثاني وهذا كقولك: إن أكرمتك أتكرمني؟ و(﴿أَرَءَيْتَ﴾ **الثانية مكررة زائدة للتوكيد)**.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع لأبي جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الأصنام. ثم قال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو فيه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذن **(بناصيته ولنسحبنه)** بها إلى النار، والسفع: القبض على الشيء وجذبه بشدة، **(وكِتْبَتها في المصحف بالألف على حكم الوقف)**، واكتفىٰ **(بلام العهد)** عن الإضافة للعلم بأنها ناصية المذكور ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من «الناصية» لأنها **(وصف بالكذب والخطأ بقوله:** ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ **على الإسناد المجازي وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: «ناصية كاذب خاطىء»)**.

قوله: (﴿أَرَءَيْتَ﴾ **الثانية مكررة زائدة للتوكيد)** وأن مفعول ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثالثة الأول محذوف تقديره أريته وجملة الشرط الذي بعدها وجوابه، وهو جملة الاستفهام المصرّح بها سادّة مسدّ المفعول الثاني.

قوله: **(بناصيته)** أي برأسه. **قوله:** **(لنسحبنه)** في المصباح سحبته على الأرض سحبًا من باب نفع جررته فانسحب. اهـ. **قوله:** **(وكِتْبَتها)** بكسر الكاف مصدر بمعنى الكتابة **(في المصحف)** أي في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه **(بالألف على حكم الوقف)** لأنه يوقف على النون الخفيفة بالألف تشبيهًا لها بالتنوين فعلم أن ما في المصحف النون الخفيفة فإن هذا لا يجري في النون المشدّدة. والمراد بحكم الوقف الوصل على نيّة الوقف. **قوله:** **(بلام العهد)** الخارجي. **قوله:** **(وصف بالكذب والخطأ بقوله:** ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ **على الإسناد المجازي وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: «ناصية كاذب خاطىء»)** عبارة تفسير البيضاوي ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة. اهـ. وفي حاشيته للعلّامة القنوي ووصفها أي الناصية بالكذب بواسطة كاذبة والخطأ بواسطة خاطئة. قوله على الإسناد المجازي خبر لقوله ووصفها للمبالغة علّة له أو خبر له، وقوله على الإسناد المجازي ظرف لغو متعلّق بوصفها وجه المبالغة هو أن يفيد أن كذب

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم، (**والمراد أهل النادي**. **رُوِيَ أن أبا جهل**) مرّ بالنبيّ عليه السلام وهو يصلّي فقال: ألم أنهك (**فأغلظ له رسول الله ﷺ**) فقال: (**أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي**) ناديًا فنزل. والزبانية لغة (**الشرط**) الواحد (زبنية) من (**الزبن**) وهو الدفع، والمراد ملائكة العذاب (**وعنه** عليه السلام «**لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا**») ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [القلم: الآية ٧] ﴿وَٱسْجُدْ﴾ ودم على سجودك يريد الصلاة ﴿وَٱقْتَرِب﴾ وتقرّب

صاحبها وخطائها بلغ إلى النهاية بحيث سرى إلى الناصية فكانت كاذبة خاطئة انتهت.

قوله: (والمراد أهل النادي) قدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى. **قوله**: (**رُوِيَ أن أبا جهل**...) الخ. رواه النسائي والترمذي وغيره وأصله في صحيح البخاري، وقوله: ألم أنهك أي عن الصلاة عند الملأ وعند الكعبة والاستفهام للإنكار أي قد نهيتك مرارًا فلم تصلي (**فأغلظ له رسول الله ﷺ**) لقوله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٧٣] مع أنه معدن الحلم والكرم وهدده، لقوله فقال: (**أتهددني**) للإنكار والتعجّب (**وأنا أكثر**) بالثاء المثلثة (**أهل الوادي**) المراد بالوادي وادي مكة وحرمها والمراد بقوله: (**ناديًا**) القوم الذين يجتمعون في المجلس لا المجلس نفسه إلا أن يقدر المضاف. **قوله**: (**الشُّرط**) مثل رطب في المصباح الشرطة بالسكون والفتح أيضًا الجند والجمع شرط مثل رطب والشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء الواحد شرطة مثل غرف وغرفة وإذا نسب إلى هذا قيل: شرطي بالسكون ردًا إلى واحده. اهـ.

قوله: (زبنية) بكسر الزاي وسكون الباء وكسر النون وتخفيف الياء. **قوله**: (**الزبن**) بالفتح. **قوله**: (**وعنه عليه الصلاة والسلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانًا**) بكسر العين أي معاينة. أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

إلى ربك بالسجود فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد **(كذا الحديث)** والله أعلم.

قوله: (كذا الحديث) أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء. اهـ. وكلمة ما في قوله عليه السلام: أقرب ما يكون العبد من ربه مصدريّة وأقرب مبتدأ حذف خبره لسدّ الحال مسدّه ويكون من كان التامة أي أقرب وجود العبد أي الإنسان من رحمة ربه حاصل في حال كونه ساجدًا فإنه قد تقرر في علم النحو أنه يجب حذف خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ أفعل التفضيل مضافًا إلى مصدر مذكور بعده الحال أو الظرف مثل أكثر شربي السويق ملتوتًا وأخطب ما يكون الأمير قائمًا والظرف في معنى الحال.

تمّت سورة العلق بحمده وعونه
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

(سورة القدر)

(مكيّة، وقيل مدنيّة، وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①﴾

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①﴾ عظم القرآن حيث أسند إنزاله إليه دون غيره. وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه. رُوِيَ أنه أنزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله جبريل على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة. ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها.

والقدر بمعنى التقدير، أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان، كذا روى (**أبو حنيفة** رحمه الله) عن (**عاصم**) عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (**سورة القدر، مكية، وقيل: مدنية، وهي خمس آيات**) وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفًا. **قوله:** (**أبو حنيفة رحمه الله**) هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الصحيح أنه وُلد سنة ثمانين، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومئة. **قوله:** (**عاصم**) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال مهملة ابن بهدلة بفتح الباء الموحّدة وسكون الهاء وفتح

(زر) أن (**أُبَيّ بن كعب**) كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور. ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي مَن يريدها الليالي الكثيرة طلبًا لموافقتها، وهذا كإخفاء الصلاة الوسطى، واسمه الأعظم، وساعة الإجابة في الجمعة، ورضاه في الطاعات، وغضبه في المعاصي. (**وفي الحديث**: «**مَن أدركها يقول: اللَّهمَّ إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني**»).

الدال المهملة واللام بعدها هاء ساكنة، ويُقال: إنه اسم أمه كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي وزرّ بن حبيش وأبو بكر بن عياش وأبو عمر البزاز، وتوفي عاصم في سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة رحمه الله. **قوله**: (زر) بكسر الزاي وتشديد الراء ابن حبيش بن حباشة بن أوس الأسديّ من أسد بن خزيمة يكنّى أبا مريم، وقيل: أبا مطرف أدرك الجاهلية ولم يرَ النبيّ ﷺ وهو من كبار التابعين. روى عن عمر وعلي وابن مسعود، روى عنه الشعبي والنخعي وكان فاضلًا عالمًا بالقرآن تُوفي سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة. أخرجه أبو عمر وأبو موسى. **قوله**: (**أُبَيّ بن كعب**) بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو المنذر سيّد القراء ويكنى أبا الطفيل أيضًا من فضلاء الصحابة، قال أبو نعيم: اختلف في وقت وفاة أبي، فقيل: تُوفي سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر، وقيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان، قال: وهو الصحيح لأن زر بن حبيش لقيه في خلافة عثمان. **قوله**: (**وفي الحديث**: «**مَن أدركها يقول: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**) وعن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال: قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي وابن ماجة.

فائدة: في تفسير الخطيب ذكر عن أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه قال: مَن أراد أن يعرف ليلة القدر فلينظر إلى غرة رمضان أي إلى أوّله فإن كان يوم الأحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين، وإن كان يوم الاثنين فليلة القدر إحدى وعشرين، وإن كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين، وإن كان يوم الأربعاء فليلة تسعة عشر، وإن كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين، فإن كان يوم ليلة الجمعة فليلة سبعة عشر، وإن كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين. اهـ بحروفه.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها. ثم بيّن له ذلك بقوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ ليس فيها ليلة القدر. وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزّل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم. وذكر في تخصيص هذه المدة (**إن النبيّ عليه الصلاة والسلام ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح**) في سبيل الله (﴿أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾) فعجب المؤمنون من ذلك (**وتقاصرت إليهم أعمالهم**) فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي.

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى السماء الدنيا أو إلى الأرض ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة أو الرحمة ﴿فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ (**أي تنزل من أجل كل أمر**) قضاه الله لتلك السنة إلى قابل وعليه وقف.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ (**ما هي إلا سلامة**) خبر ومبتدأ أي لا يقدّر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو (**ما هي إلا سلام**) لكثرة (**ما يسلمون**) على المؤمنين. قيل: لا يلقون مؤمنًا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه في تلك الليلة

قوله: (**إن النبيّ ﷺ ذكر...**) الخ رواه ابن أبي حاتم مرسلًا. **قوله**: (**رجلًا من بني إسرائيل**) قيل: إنه حزقيل. **قوله**: (**لبس السلاح**) أي الدرع لأنه الملبوس فذكر السلاح تغليبًا. **قوله**: (﴿أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. **قوله**: (**وتقاصرت إليهم أعمالهم**) أي قصروا أعمالهم وظهرت لهم قلّة أعمالهم بالنسبة إلى ذلك الرجل الإسرائيلي فإنه أعطى عمرًا طويلًا وعملًا كثيرًا فحزنوا لذلك فأعطوا ليلة هي خير عملًا وثوابًا... الخ.

قوله: (**أي تنزل من أجل كل أمر**) أشار به إلى أن مَن بمعنى اللام متعلّق بقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. **قوله**: (**ما هي إلا سلامة**) أي أشار به إلى أن تقديم الخبر للحصر والسلام بمعنى السلامة من كل آفة. **قوله**: (**أو ما هي إلا سلام**) أي ﴿سَلَٰمٌ﴾ مصدر بمعنى التسليم. **قوله**: (**ما يسلمون**) ما مصدرية وجعلها عين السلام مبالغة أيضًا.

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ **(أي إلى وقت طلوع الفجر. بكسر اللام: علي وحمزة وخلف)**، وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم.

قوله: (أي إلى وقت طلوع الفجر) أي المطلع مصدر ميمي بمعنى الطلوع والمضاف أي الوقت مقدّر قبله ويحتمل أنه اسم زمان فلا حاجة للتقدير فيه على قراءته بفتح اللام. اهـ شهاب باختصار. وفي التمجيد ولا يجوز أن يحمل على موضع الطلوع ولا على زمان الطلوع لأن اسم الزمان منه يجيء بالكسر. قال الزجاج: فمن فتح فهو المصدر بمعنى الطلوع يقال: طلع الفجر طلوعًا ومطلعًا ومن كسر فهو اسم لوقت الطلوع. اهـ. **قوله: (بكسر اللام: علي)** الكسائي **(وحمزة وخلف)** عن نفسه على أنه مصدر ميمي على خلاف القياس فإن قياس المصدر الميمي من الثلاثي أن يجيء على مفعل بفتح العين، وكذا إذا كان اسم زمان فإن كسر عينه مخالف للقياس لأن قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين وضمها أن يكون على مفعل بفتح العين وما يكون سواه حمل على المصدر أو اسم الزمان ولا معنى لكون ﴿مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ اسم مكان وهو ظاهر. اهـ شيخ زاده. وقرأ الباقون بفتح اللام.

تمّت سورة القدر بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة البيّنة)

(مُختَلَف فيها، وهي ثمان آيات)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي اليهود والنصارى وأهل الرجل أخصّ الناس به وأهل الإسلام من يدين به ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ عبدة الأصنام ﴿مُنفَكِّينَ﴾ منفصلين عن الكفر وحذف لأن صلة «الذين» تدلّ عليه ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة والمراد محمد ﷺ يقول: لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد ﷺ، فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي محمد عليه السلام وهو بدل من ﴿ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ ﴿يَتۡلُواْ﴾ يقرأ عليهم ﴿صُحُفٗا﴾ قراطيس ﴿مُّطَهَّرَةٗ﴾ من الباطل ﴿فِيهَا﴾ في الصحف ﴿كُتُبٞ﴾ مكتوبات ﴿قَيِّمَةٞ﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة البيّنة) ويُقال: سورة القيامة وسورة المنفكين وسورة البرية وسورة لم يكن **(مُختَلَف فيها)** فقيل: مكيّة وقيل: مدنيّة **(وهي ثمان آيات)** وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفًا.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ فمنهم مَن أنكر نبوّته بغيًا وحسدًا، ومنهم مَن آمن. وإنما أفرد أهل الكتاب بعدما جمع أولًا بينهم وبين المشركين، لأنهم كانوا على علم به لِوجوده في كتبهم، فإذا وصفوا بالتفرّق عنه كان مَن لا كتاب له أدخل في هذا الوصف. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ يعني في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من غير شرك ولا نفاق ﴿حُنَفَآءَ﴾ مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الأديان الباطلة ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ (ٱلْقَيِّمَةِ)﴾ أي دين الملّة القيّمة ﴿(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ) فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ **(ونافع يهمزهما والقراء على التخفيف)**، والنبيّ والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفضِ الأصل ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بقبول أعمالهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ بثوابها ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الرضا ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ وقوله: ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ يدلّ على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة، لأن البرية الخلق، واشتقاقها من برأ الله الخلق. وقيل: اشتقاقها **(من البرَى)** وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرءوا ﴿البريئة﴾ بالهمز كذا قاله **(الزّجّاج)** والله أعلم.

قوله: (﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾) بمعنى المستقيمة. **قوله:** (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾) الشرك يطلق على مطلق الكفر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النّساء: الآية ٤٨]... الخ ولذا استدلّ بهذه الآية على خلود الكفار مطلقًا ولا حاجة إليه فإن هذه الآية صريحة في العموم ويكون الشرك أخص من الكفر وهو المراد هنا.اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (ونافع بهمزهما والقراء على التخفيف)** أي قرأ نافع وكذا ابن ذكوان عن ابن عامر «البريئة» بالهمزة على الأصل في الموضعين لأنها فعيلة من برأ الله الخلق أي ابتدأه واخترعه. وقرأ الباقون بياء مشددة بدون همزة كالنبيّ والذريّة فإن أصلهما الهمز. **قوله: (من البرَى)** المقصور في مختار الصحاح البرى التراب.اهـ **قوله: (الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله.

تمّت سورة البيّنة بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله الأكرم
وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة الزلزلة)

(مُختَلَفٌ فيها مكيّة، وهي ثمان آيات)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ أي إذا حرّكت زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال. وقرىء بفتح الزاء فالمسكور مصدر (والمفتوح اسم) ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ (أي كنوزها وموتاها جمع ثقل) وهو متاع البيت، جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالًا لها ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ زلزلت هذه الزلزلة الشديدة (ولفظت) ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك (لما يبهرهم من الأمر الفظيع) كما يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الزلزلة، مُختَلَفٌ فيها) قيل: وهي مدنيّة، وقيل: (مكية، وهي ثمان آيات) وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفًا. **قوله**: (والمفتوح اسم) بمعنى المصدر. **قوله**: (أي كنوزها) عند النفخة الأولى (وموتاها) عند النفخة الثانية. **قوله**: (جمع ثقل) مثل سبب وأسباب. **قوله**: (ولفظت) من باب ضرب إلى ألقت وقذفت. **قوله**: (لما يبهرهم من الأمر الفظيع) أي لما يبلغهم من الأمر الهائل أشار به إلى أن الاستفهام في قوله: ﴿مَا لَهَا﴾ للتفظيع والتهويل فإن كل

[يس: الآية ٥٢] وقيل: هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية ٥٢].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا» وناصبها ﴿تُحَدِّثُ﴾ **(أي ﴿تُحَدِّثُ﴾ الخلق)** ﴿أَخْبَارَهَا﴾ فحذف أول المفعولين لأن المقصود ذكر تحديثها الإخبار لا ذكر الخلق. قيل: ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشرّ. **(وفي الحديث: «تشهد)** على كل واحد بما عمل على ظهرها» ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها أي إليها وأمره إياها بالتحديث.

مَن رأى تلك الزلزلة بغتة سواء كان ممن آمن بالبعث أو كفر به يجوز أن يقول هذا القول لما يغلبه من الهول وفرط التحير إلّا أن المؤمن يقول بعدما تدارك الأمر ورجع إليه عقله وفكره ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: الآية ٥٢]، وأما الكافر فإنه يحشر أعمى كما عاش أعمى فيستمر على السكرة والحيرة، وقوله: ﴿مَا لَهَا﴾ [إبراهيم: الآية ٢٦] جملة اسمية معناها التعجّب أي أيّ شيء حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت هذه الزلزلة الشديدة فإن التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للإنسان عند إدراك ما خفي سببه، صح أن يكون السؤال عن السبب طريقًا لإنشاء التعجب وإظهاره وكلمة إذا في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ شرطية وجوابها ﴿تُحَدِّثُ﴾ وهو الناصب لها عند الجمهور ويومئذٍ أي يومئذٍ زلزلت بدل من إذا.

قوله: (أي ﴿تُحَدِّثُ﴾ الخلق) أشار إلى أن المفعول الأول لتحدث محذوف وهو الخلق و﴿أَخْبَارَهَا﴾ مفعوله الثاني حذف أولهما لأن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق بناء على أن السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى: ﴿تُحَدِّثُ﴾ في حق تعلّقه بمفعوله الأول منزلة اللازم ولم يقصد إلا إتيان تعلّقه بمفعوله الثاني فإنه لا مدخل لذكر الخلق بيان هوله وإنما يستحق التهويل بذكر ما تحدث به. **قوله: (وفي الحديث: «تشهد. . .)** الخ. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ (**يصدرون**) عن مخارجهم من القبور إلى الموقف (﴿أَشْتَاتًا﴾ **بيض**) الوجوه آمنين و(**سود**) الوجوه فزعين، أو يصدرون عن الموقف أشتاتًا يتفرّق بهم طريقا الجنّة والنار ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ نملة صغيرة ﴿خَيْرًا﴾ تمييز ﴿يَرَهُ﴾ أي ير جزاءه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ قيل: هذا في الكفار والأول في المؤمنين. ويروى أن أعرابيًا أخر خيرًا يره فقيل له: قدمت وأخرت فقال:

(**خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه**) كلا جانبي هرشى لهن طريق

قوله: (**يصدرون**) في مختار الصحاح الصدَر بفتح الدال الاسم من قولك صدر عن الماء وعن البلاد من باب نصر ودخل وأصدره فصدر أي أرجعه فرجع.اهـ. **قوله**: (﴿أَشْتَاتًا﴾) جمع شتيت أي متفرقين. **قوله**: (**بِيْض**) جمع أبيض والأصل بضم الباء لكن كسرت لمجانسة الياء.اهـ مصباح. **قوله**: (**سود**) جمع أسود. **قوله**:

(**خُذا بطن هرشى أو قَفَاها فإنه**) كلا جانبي هَرشى لَهُنَّ طريق

أنشده عند قوله تعالى جلّ شأنه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ إلى آخره في ضمن حكاية حكاها عن أعرابي وهو عَقِيل بن عُلَّفة المرّي أنه أخر خيرًا يره وقدم عليه شرًّا يره، فقيل له في ذلك فأنشد البيت وأصل الحكاية على ما في الأغاني أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه عاتب رجلًا من قريش أُمّه أخت عقيل المذكور، فقال له: قبّحك الله أشبهت خالَك في الجَفاء فبلغت عقيلًا وكان من أجلاف العرب فجاء حتى دخل على عمر فقال: أما وجدتَ لابن عمك شيئًا تُعَيّره به إلّا خؤولَتِي بل قبّح الله شركما خالًا، فغَضِب عمر فقال له صخير بن أبي الجهم العدوي وأمّه قرشيّة أيضًا أمين يا أب المؤمنين فقبّح الله شركما خالًا وأنا معكما أيضًا فقال له عمر: إنك لأعرابي جلف جاف لو تقدمتُ إليك لأدينك وإنه لا أراك تقرأ شيئًا من كتاب الله. قال: بلى والله إني لأقرأه، قال: اقرأ فقرأ إذا زلزلت الأرض حتى بلغ آخرها فقدّم ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره على ومن يعمل

ورُوِيَ أن (**جد الفرزدق**) أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال: حسبي حسبي، وهي أحكم آية وسُميت الجامعة والله أعلم.

مثقالَ ذرة خيرًا يره، فقال له عمر: ألم أقل لك أنك لا تُحْسِن أن تقرأ القرآن، قال: أولم أقرأ قال إن الله عزّ وجل قدم الخير وأنت قدمتَ الشرّ فأنشد البيت. ورُوِيَ غير هذا الوجه أنه كان بين عمر بن عبد العزيز وبين يعقوب بن سلمة وأخيه عبد الله كلامًا فأغلظ لعمر في الكلام فقال له: اسكُتْ فإنك ابن أعرابية جافية، فقال عقيل لعمر: لعن الله تعالى شرّ الثلاثة مني ومنك ومنه فغضب عمر فقال صخير: آمين فهو والله يا أمير المؤمنين شرُّ الثلاثة، فقال: والله إني لأراك لو سألته آية من كتاب الله ما قرأها، فقال: بلى والله إني لقارىء الآية والآيات فأمره أن يقرأ فقرأ إنا بعثنا نوحًا إلى قومه، فقال له عمر: قد أعلمتك أنك لا تُحْسِنُ ما هكذا قال الله تعالى قال: فكيف قال؟ قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: الآية ١]، قال: فما الفرق بين أرسلنا وبعثنا.

هذا أَنْفُ هرشى أو قَفاها فإنه ... كِلا جانبي هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفَتِهُ[1] وخطاب خُذا لصاحبيه وهرشى ثنية في طريق مكة حرسها الله تعالى من الآفات قريبة من الجحفة يرى منها البحر وهذا مثل في التخيير ولهرشى طريقان من سلك أيهما شاء أصاب وضمير لهن للإبل والمعنى يا صاحبيّ سيرا في بطن هذه الثنية أو قَفاها أي أمامها وخَلفها فإن كلا جانبيه طريق للإبل كأنه ظنّ أن التقديم والتأخير في هذا المقام لا يضرّ وهو خطأ وغفلة عن اللطائف الفراسة، وأعجب منه إيراد مِثْله في هذا المقام مع قبح الإيهام. اهـ الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف. **قوله**: (**جد الفرزدق**) في الإسعاف الفرزدق أبو فراس همام وقيل: هميم بالتصغير ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن مجاشع بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ التميمي البصري الشاعر المشهور. اهـ باختصار. وفي تقريب التهذيب للعلامة ابن حجر

ناجية بن عقال التميمي المجاشعي عمّ الفرزدق صحابي له
اهـ باختصار. وفي

البصري الشاعر المشهور. اهـ باختصار. وفي تقريب التهذيب للعلامة ابن حجر العسقلاني صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي المجاشعي عمّ الفرزدق صحابي له أحاديث. اهـ بحروفه. وفي الإصابة في تمييز الصحابة للعلامة الموصوف

---

(١) العجرفة جفوة في الكلام.

....

صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق الشاعر له صحبة. روى عنه ابنه عقال والطفيل بن عمرو والحسن واختلف عليه فقيل عنه عن صعصعة عم الأحنف ورجحه العسكري، وقيل عنه عن صعصعة عمّ الفرزدق وبه جزم أبو عمر لكن ليس للفرزدق عمّ اسمه صعصعة وإنما صعصعة جده. اهـ باختصار. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم جدّ الفرزدق الشاعر واسم الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة هو ابن عم الأقرع بن حابس بن عقال، روى عنه ابنه عقال بن صعصعة والطفيل بن عمرو، روى عنه الحسن البصري إلّا أنه قال: عمّ الفرزدق والصحيح أنه جدّه. اهـ بحروفه والله سبحانه وتعالى أعلم.

تمّت سورة الزلزلة والحمد لله وحده
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم

(سورة العاديات)

(مُختَلَفٌ فيها، وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾

﴿(وَٱلْعَٰدِيَٰتِ) ضَبْحًا ۝١﴾ أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح، والضبح: صوت أنفاسها إذا عدون. وعن ابن عباس ﷺ أنه حكاه فقال: أح أح. **(وانتصاب** ﴿ضَبْحًا﴾ **على يضبحن)** ضبحًا ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ تورى **(نار الحباحب)** وهي ما ينقدح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة العاديات، مُختَلَفٌ فيها) فقيل: إنها مكيّة ونسب إلى ابن مسعود وجابر والحسن وعطاء وعكرمة، وقيل: إنها مدنيّة ونسب إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما **(وهي إحدى عشرة آية)** وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفًا. **قوله: (**﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾**)** جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء التي فيها منقلبة عن الواو لكسر ما قبلها لأنها من العدو كالغازيات من الغزو. **قوله: (وانتصاب** ﴿ضَبْحًا﴾ **على يضبحن)** أي على تقدير فعل من لفظه وهو مفعوله المطلق. **قوله: (نار الحباحب)** في لسان العرب قال الكلبي: كان الحُباحِبُ رجلًا من أحياء العرب وكان من أبخل الناس فبخل حتى بلغ به البخل أنه كان لا يوقد نارًا بليل فإن أوقد وانتبه متنبّه ليقتبس منها أطفأها

من حوافرها ﴿قَدْحًا﴾ قادحات صاكات بحوافرها الحجارة، والقدح: (**الصك**)، والإيراء: إخراج النار، تقول: قدح فأورى وقدح (**فأصلد**). وانتصب ﴿قَدْحًا﴾ بما انتصب به ﴿ضَبْحًا﴾.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تغير على العدو ﴿صُبْحًا﴾ في وقت الصبح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ فهيجن بذلك الوقت غبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ بذلك الوقت ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء ووسطه بمعنىٰ توسطه. وقيل: الضمير لمكان الغارة أو للعدو الذي دلّ عليه. ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ وعطف ﴿فَأَثَرْنَ﴾ على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنىٰ واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن. وجواب القسم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ لكفور أي إنه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ (**يشهد على نفسه**)، أو وإن الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ وإنه لأجل حب المال (**لبخيل ممسك**)، أو إنه لحب المال (**لقوي**) وهو لحب عبادة الله ضعيف.

فكذلك ما أورت الخيل بحوافرها لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحُباحِب. اهـ. **قوله**: (**الصك**) في مختار الصحاح صكّه ضربه وبابه رد. اهـ. **قوله**: (**فأصلد**) في مختار الصحاح صَلَدَ الزند من باب جلس إذا صوّت ولم يخرج نارًا وأصلد الرجل إذا صلد زنده. اهـ. وأيضًا فيه الزند العود الذي تقدح به النار وهو الأعلى والزَّندة السفلى فيها ثقب وهي الأنثى فإذا اجتمعا قيل: زندان ولم يقل زندتان. اهـ.

قوله: (**يشهد على نفسه**) ليس المراد بشهادة الإنسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فإن آثار الكنود تظهر عليه بحيث لا يمكنه أن يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه شهد بذلك على نفسه.

قوله: (**لبخيل ممسك**) تفسير ﴿لَشَدِيدٌ﴾ مجازًا إذ البخل وهو إمساك المال فيما يجب بذله ويحسن بذله مروءة من لوازم شدة الخلق المذموم. **قوله**: (**لقوي**)

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾ الإنسان ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾ بعث ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ من الموتى و«ما» بمعنى «من» ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠﴾ ميّز ما فيها من الخير والشر (﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر، وخصّ ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الأزمان لأن الجزاء يقع يومئذٍ والله أعلم.

تفسير ﴿لَشَدِيدٌ﴾ حقيقة. **قوله**: (﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾) كسر إن مع أنه في حيز مفعول يعلم لوجود اللام في خبرها كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: الآية ١].

تمّت سورة العاديات والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة القارعة)

(مكيّة، وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤﴾

﴿الْقَارِعَةُ ۝١﴾ مبتدأ ﴿مَا﴾ مبتدأ ثانٍ ﴿الْقَارِعَةُ ۝١﴾ خبره والجملة خبر المبتدأ الأول، وكان حقه ما هي وإنما كرر تفخيمًا لشأنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ (أي أيّ شيء أعلمك ما هي) ومن أين علمت ذلك؟ ﴿يَوْمَ﴾ نصب بمضمر دلّت عليه القارعة أي (تقرع) يوم ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ (كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ) ۝٤﴾ شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلّة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار، وسُمي فراشًا لتفرشه وانتشاره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (**سورة القارعة، مكيّة**) لا خلاف في مكيّتها (**وهي ثمان آيات**) وقيل: عشرة آيات، وقيل: إحدى عشرة وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفًا. **قوله**: (**أي أيّ شيء أعلمك ما هي**...) الخ يعني أنك لا علم لك بكنهها لأنها من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وهمه. **قوله**: (تقرع) أي تقرع القلوب. **قوله**: (﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾) الفراش جمع فراشة وهو ما يتهافت في النار ليلًا والمبثوث المفرّق يقال: بثّه إذا فرّقه.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ (ٱلْمَنفُوشِ) ۝٥﴾ وشبّه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانها لأنها ألوان (﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾) [فاطر: الآية ٢٧] وبالمنفوش منه لتفرّق أجزائها ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن و(**خطر**) عند الله، أو جمع ميزان وثقلها رجحانها ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ (**ذات رضًا**) أو مرضية.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ باتباعهم الباطل ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ فمسكنه ومأواه النار. وقيل: للمأوى أمٌّ على التشبيه لأن الأم مأوى الولد (**ومفزعه**) ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ الضمير يعود إلى ﴿هَاوِيَةٌ﴾ (**والهاء للسكت**) ثم فسّرها فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ بلغت النهاية في الحرارة والله أعلم.

قوله: (﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾) المندوف. **قوله**: (﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾) جمع جدة بضم أوله كمدة ومدد هو طريق في الجبل وغيره (﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾) وصفر (﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على ﴿جُدَدٌۢ﴾ [فاطر: الآية ٢٧] أي صخور شديدة السواد يقال: كثيرًا أسود غربيب وقليلًا غربيب أسود. **قوله**: (**خطر**) في لسان العرب الخطر ارتفاع القدر والشرف والمنزلة. اهـ. **قوله**: (**ذات رضا**) بأن يرضاها صاحبها أو مرضية الأول على أن البناء للنسب، والثاني على أن يكون الإسناد مجازيًا فإن حق الرضى أن يسند إلى صاحب العيشة وقد أسند إلى نفس العيشة المرضية.

قوله: (**مفزعه**) أي ملجأه. **قوله**: (**والهاء للسكت**) وهي اللاحقة لبيان حركة أو حرف نحو ﴿مَا هِيَهْ﴾ ونحوها هَنَاهُ ووازيداه وأصلها أن يوقف عليها وربما وصلت بنية الوقف. وقرأ حمزة في الوصل بغيرها بعد الياء التحتية ووقف بها والباقون بإثباتها وصلًا ووقفًا.

تمّت سورة القارعة والحمد لله وحده وصلّى الله وسلّم على مَن لا نبيّ بعده

(سورة التكاثر)

(مكيّة، وهي ثمان آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ شغلكم **(التباري)** في الكثرة والتباهي بها في الأموال والأولاد عن طاعة الله ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ حتى أدرككم الموت على تلك الحال، أو حتى زرتم المقابر وعددتم مَن في المقابر من موتاكم ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه ﴿سَوْفَ (تَعْلَمُونَ)﴾ عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ في القبور.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة التكاثر، مكيّة، وهي ثمان آيات)** وثمانية وعشرون كلمة ومئة وعشرون حرفًا. **قوله**: **(التباري)** باريته عارضته فأتيت بمثل فعله. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿تَعْلَمُونَ﴾) في المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون أشار إليه المصنف رحمة الله عليه بأن قدر له مفعولًا واحدًا وهو قوله: سوء عاقبة ما كنتم عليه وقوله: ما بين أيديكم.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾

﴿كَلَّا﴾ تكرير الردع للإنذار والتخويف ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ جواب «لو» محذوف أي لو تعلمون ما بين أيديكم ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ **(علم الأمر اليقين)** أي **(كعلمكم)** ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر، أو لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد (﴿**لتُرونّ**﴾)، بضم التاء: **(شامي وعلي)** ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ كرره معطوف بـ «ثم» تغليظًا في التهديد وزيادة في التهويل، أو الأول بالقلب والثاني بالعين ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ **(أي الرؤية التي هي نفس اليقين)** وخالصته.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ عن الأمن والصحة فيم أفنيتموهما؟ عن ابن مسعود ﷺ. وقيل: عن التنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه.

قوله: (علم الأمر اليقين) يعني أن علم منصوب بنزع الخافض وأن اليقين بمعنى الأمر المتيقن به وصف الأمر المذكور بأنه اليقين للمبالغة في كونه متيقنًا به. **قوله: (كعلمكم...)** الخ بيان لعلم الأمر المتيقن. **قوله**: ولا يكتنه. **قوله**: (﴿**لتُرونّ**﴾) بضم التاء مبنيًا للمفعول مضارع أرى معدى رأى البصرية بالهمزة لاثنين رفع الأول على النيابة وبقي الثاني وهو ﴿ٱلْجَحِيمَ﴾ منصوبًا وأصله لترئيون كتكرمون نقلت حركة الهمزة إلى الراء فانقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت للساكنين ودخلت النون الثقيلة وحذفت نون الرفع وحرّكت الواو للساكنين ولم تحذف لأنها علامة جمع وقبلها فتحة ولو كانت ضمة لحذفت نحو ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [القَصَص: الآية ٨٧] **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(وعلي)** الكسائي، والباقون بفتح التاء مبنيًا للفاعل مضارع رأى. **قوله: (أي الرؤية التي هي نفس اليقين)** إشارة إلى أن انتصاب ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ على أنه صفة مصدر لترونه أي ﴿لَتَرَوُنَّهَا﴾ رؤية هي عين اليقين وصفت الرؤية التي هي سبب اليقين بكونه نفس اليقين مبالغة.

وعن الحسن ما سوى (كنّ) يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه (وقد رُوِيَ مرفوعًا) والله أعلم.

قوله: (كن) في مختار الصحاح الكِنُّ السُّترة والجمع أكنان.اهـ. **قوله**: (وقد رُوِيَ مرفوعًا) أخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي عسيب رضي الله تعالى عنه بفتح العين وكسر السين المهملتين مولى رسول الله ﷺ واسمه أحمد، وروى عنه مسلم بن عبيد قال: (خرج رسول الله ﷺ ليلًا فمرّ بي فدعاني فخرجت إليه ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطًا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط: أطعمنا بسرًا فجاء بعذق فوضعه) بين يديه (فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب هو) وأصحابه فقال: (لتسألن) بصيغة المخاطب تغليبًا ومراعاة للفظ الآية وإشعارًا بأن الأنبياء غير مسؤولين عن النعماء عن هذا النعيم أي وعن أمثاله (يوم القيامة قال: فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ) بكسر القاف وفتح الموحّدة أي جانبه، وهذا وقع له من كمال الخوف والهيبة الإلـٰهية في السؤال عن الأمور الجزئية والكلية (ثم قال) أي بعد إفاقته من حال غيبته لأجل جذبته (قال: يا رسول الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة). قال الطيبي: يجوز أن يكون المشار إليه المذكور قبله وأن يكون المشار إليه العذق المتناثر تحقيرًا لشأنه، قلت: الظاهر هو الأول فإن محلّ السؤال هو النعيم المأكول كما يدل عليه الجواب أيضًا. (قال: نعم) أي أنتم مسؤولون عن كل نعيم تتنعمون وتنفعون (به إلّا من ثلاث) أي من نعم ثلاث والمعنى من إحدى ثلاث (خرقة) بالجر على البدلية (لفّ) بفتح اللام وتشديد الفاء أي سترها الرجل عورته وفي نسخة كفّ بالكاف أي منعها عن الكشف (أو كِسرة سدّ بها جوعته) بفتح الجحيم وهي مصدر مرة (وحجر) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم فراء أي مكان محجر ومنه الحجرة مأخوذ من الحجر مثلثة المنع فإنه يمنع دخول غيره عليه إلا بإذنه أو يدفع وصول الشمس وحصول الهواء المخالف إليه وإليه أشار بقوله: (يتدخل فيه) أي يتكلّف في دخوله لكونه ضيقًا أو حبسًا (من الحر والقر) أي أجلهما والقر بالضم البَرد أو يخص بالشتاء.اهـ بزيادة من المرقاة والسؤال إنما هو في موقف الحساب و﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الإخباري لا المعنوي لأن السؤال قبل رؤية الجحيم.اهـ رازي.

تمّت سورة التكاثر بحمده وعونه

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه

(سورة العصر)

(مُختَلَفٌ فيها، وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ①﴾

﴿وَٱلْعَصْرِ ①﴾ أُقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨] صلاة العصر في مصحف **(حفصة)**، ولأن التكليف في أدائها أشقّ **(لتهافت الناس)** في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم، أو أقسم بـ **(العشي)** كما أُقسم بالضحى لما فيها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة العصر، مُختَلَفٌ فيها، وهي ثلاث آيات)** وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفًا. **قوله**: **(حفصة)** بنت عمر بن الخطاب أُم المؤمنين رضي الله عنهم تزوجها النبيّ ﷺ بعد خنيس بن حذافة سنة ثلاث وماتت سنة خمس وأربعين. **قوله**: **(لتهافت الناس)** في المصباح هفت الشيء يهفت من باب ضرب خف وتطاير وتهافت الفراش في النار من ذلك إذا تطاير إليها وتهافت الناس على الماء ازدحموا، قال ابن فارس: التهافت التساقط شيئًا بعد شيء. وقال الجوهري: التهافت التساقط قطعة قطعة. اهـ. **قوله**: **(العشي)** في المصباح العشيّ قيل: ما بين الزوال إلى الغروب ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشي وقيل: هو آخر النهار

من دلائل القدرة، **(أو)** أقسم **(بالزمان)** لما في مروره من أصناف العجائب، وجواب القسم.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ **(أي جنس الإنسان)** لفي خسران من تجاراتهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده، ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ في الموضعين **(فعل ماضٍ معطوف على ماضٍ قبله)** والله أعلم.

وقيل: العشي من الزوال إلى الصبح، وقيل: العشي والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة، وعليه قول ابن فارس: العشاءان المغرب والعتمة. اهـ.

قوله: **(أو بالزمان)** إطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر كثير شائع ويجوز أن يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على أنواع العجائب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختصّ به مما يتعلق به انتظام أحوال المخلوقات ومن جملة ما فيه من العجائب أن بقية عمر المرء لا قيمة له فإنه لو ضيع ألف سنة ثم تاب وأناب إليه، ثم تُوفي في اللمحة الأخيرة من العمر بقي في الجنة أبد الآباد فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللمحة بالنسبة إلى كل أحد من أشرف الأشياء وأجل النعم فجاز أن يقسم به لشرفه.

قوله: **(أي جنس الإنسان)** أي التعريف في الإنسان للجنس بشهادة الاستثناء فإنه قد تقرر أن صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق. **قوله**: **(فعل ماضٍ معطوف على ماضٍ قبله)** لا أمر.

تمّت سورة العصر والحمد لله ربّ العالمين

(سورة الهُمَزة)

(مكيّة، وهي تسع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾

(﴿وَيْلٌ﴾) مبتدأ خبره ﴿لِّكُلِّ (هُمَزَةٍ)﴾ أي الذي يعيب الناس من خلفهم (﴿لُّمَزَةٍ﴾) أي من يعيبهم مواجهة. وبناء «فعلة» يدل على أن ذلك عادة منه. قيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الهُمَزة، مكية) بالاتفاق (وهي تسع آيات) بلا خلاف وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفًا. **قوله**: (﴿وَيْلٌ﴾) هي كلمة تهديد ووعيد وقيل: هو اسم وادٍ في جهنم. **قوله**: (﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾) التاء فيهما للمبالغة في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال: رجل همزة لمزة كما يقال: امرأة همزة لمزة وقد اطرد أن بناء فُعَلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أي للمكثر المتعوّد لمأخذ الاشتقاق وإن أسكنت العين يكون لمبالغة المفعول، يقال: رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين إذا كان ملعونًا للناس يكثرون لعنه. ويُقال: ضحكة بالسكون إذا كان الناس يضحكون منه بأن يكون مسخرة لهم فمفتوح العين هو الذي يفعل بغيره وساكن العين هو الذي يفعل به غيره. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

نزلت في (**الأخنس بن شريق**) وكانت عادته الغيبة (**والوقيعة**). وقيل: في (**أُمية بن خلف**). وقيل: في (**الوليد**). ويجوز أن يكون السبب خاصًا والوعيد عامًّا ليتناول كل مَن باشر ذلك القبيح.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِى﴾ (**بدل من كل أو نصب على الذم**) ﴿جَمَعَ مَالًا﴾ (﴿جَمَّعَ﴾ **شامي وحمزة وعلي مبالغة جمع وهو مطابق لقوله**: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾) أي جعله (**عدة لحوادث الدهر** ﴿يَحْسَبُ﴾) أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ أي تركه خالدًا في الدنيا لا يموت (**أو هو تعريض بالعمل الصالح**) وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحدًا فيه.

قوله: (**الأخنس بن شريق**) بفتح الشين بزنة فعيل اسمه أُبي بن عمرو الثقفي حليف بني زهرة ولقبه به أبو سفيان لما رجع ببني زهرة عن بدر ثم أسلم وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم وتوفي في أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**والوقيعة**) في المصباح وقع فلان في فلان وقوعًا ووقيعة سبّه وثلبه.اهـ. وأيضًا فيه ثلبه ثلبًا من باب ضرب عابه وتنقصه.اهـ. **قوله**: (**أمية بن خلف**) الجمحي. **قوله**: (**الوليد**) بن المغيرة.

قوله: (**بدل من كل**) بدل كل من كل وقيل: بدل بعض من كل. **قوله**: (**أو نصب على الذم**) بتقدير أذم أو بإضمار أعني أو مرفوع بتقدير هو الذي جمع. **قوله**: (﴿جَمَّعَ﴾) بتشديد الميم على المبالغة والتكثير (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعليّ**) الكسائي (**مبالغة جمع وهو مطابق لقوله**: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾) والباقون بتخفيفها وهي محتملة للتكثير وعدمه.اهـ خطيب. **قوله**: (**عدة**) بضم العين وهو الذخيرة المعدّة (**لحوادث الدهر**) كالمال والسلاح ويقال: أعددت الشيء لكذا وعدّدته إذا جعلته عدة وذخيرة. **قوله**: (﴿يَحْسَبُ﴾) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها. **قوله**: (**أو هو تعريض بالعمل الصالح**) المراد بالتعريض هنا أن يذكر شيء يدلّ به على شيء آخر. وقال ابن الأثير في المثل السائر والتعريض هو اللفظ الدالّ على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي بل من جهة التلويح والإشارة كذا في المطول فالمراد الدلالة العقلية.

﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾

(﴿كَلَّا﴾ **ردع له عن حسبانه**) ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ أي الذي جمع ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ في النار (**التي شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها**) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾﴾ تعجيب وتعظيم ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هي نار الله ﴿الْمُوقَدَةُ﴾ نعتها ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾ يعني أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتضع على أفئدتهم (**وهي أوساط القلوب**)، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألمًا منه بأدنى أذى يمسّه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنّم واستولت عليه؟! وقيل: خصّ الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة، ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾ أي النار أو الحطمة ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة (﴿فِي عُمُدٍ﴾ **بضمتين كوفي غير حفص، الباقون** ﴿فِي عَمَدٍ﴾) وهما لغتان في جمع عماد

قوله: (﴿كَلَّا﴾ **ردع له عن حسبانه**) وقيل: معناه حقًّا. **قوله**: (**التي شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها**) أي تكسره وتأكله ويقال للرجل الأكول إنه لحطمة. وفي الحديث شر الرعاء الحطمة وهو الذي من عادته أن يضرب ويكسر. وقد مرّ أن صيغة فعلة بفتح العين لمبالغة الفاعل جوزيّ الهمزة اللمزة بأن يلقى في الحطمة جزاء وفاقًا فكما أنّ من شأن المطروح وعادته الطعن في الأعراض فكذا من شأن المطروح فيه أن يحطم ويكسر كل ما يطرح فيه. اهـ. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي القنوي اختير هنا ﴿الْحُطَمَةِ﴾ من بين أسامي جهنم لأنها مماثلة لعمله لفظًا وهو ظاهر ومعنى لأن الهمز واللمز كسر أعراض الناس معنى، وإنما قال شأنها من تحطم إذ الحطم بالفعل ليس بلازم. اهـ. **قوله**: (**وهي أوساط القلوب**) معنى الفؤاد وسط القلب ويستعمل بمعنى القلب.

قوله: (﴿فِي عُمُدٍ﴾ **بضمتين**) أي ضمّ العين والميم (**كوفيّ غير حفص**) أي قرأه أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي وخلف (**الباقون** ﴿فِي عَمَدٍ﴾) بفتحتين. **قوله**:

(كإهاب وأهب وحمار وحمر) ﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾ أي تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقًا في استيثاق. في الحديث: «المؤمن **(كيّس فَطِن وقاف)** متثبت لا يعجل عالم ورع، والمنافق همزة لمزة **(حطمة كحاطب الليل)** لا يبالي من أين اكتسب وفيم أنفق» والله أعلم.

(كإهاب وأهب) بضمتين على القياس مثل كتاب وكتب وبفتحتين على غير قياس. قال بعضهم: وليس في كلام العرب فعال يجمع على فعل بفتحتين إلا إهاب وأُهب وعماد وعمد. اهـ مصباح. وأيضًا فيه الإهاب الجلد قبل أن يدبغ، وبعضهم يقول: الإهاب الجلد وهو الإطلاق محمول على ما قيّده الأكثر فإن قوله عليه الصلاة والسلام: أيما إهاب دبغ يدلّ عليه. اهـ. **قوله**: **(وحمار وحمر)** بضمتين في المصباح الحمار الذكر والأنثى أتان وحمارة بالهاء نادر والجمع حمير وحمر بضمتين وأحمرة. اهـ. **قوله**: **(كيّس)** أي عاقل والكَيْس العقل. **قوله**: **(فَطِن)** حاذق. **قوله**: **(وقّاف)** مُتَأَنٍّ غر عجل. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه. وفي حديث الحسن رضي الله تعالى عنه أن المؤمن وقّاف متأنٍّ وليس كحاطب الليل الوقّاف الذي لا يستعجل في الأمور وهو فعّال من الوقوف. اهـ. **قوله**: **(حطمة)** في لسان العرب رجل حُطَمة كثير الأكل. اهـ. وأيضًا فيه رجل حُطَمٌ وحُطمَةٌ إذا كان قليل الرحمة للماشية. **قوله**: **(كحاطب الليل)** أي كالحاطب بالليل الذي يحْطِب كل رَدِيّ وجيّد لأنه لا يبصر ما يجمع في حبله.

تمّت سورة الهمزة والحمد لله وحده
والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه

(سورة الفيل)

(مكيّة، وهي خمس آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ (﴿كَيْفَ﴾ **في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ﴾**) لا بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لما في ﴿كَيْفَ﴾ من معنىٰ الاستفهام، والجملة سدت مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾ وفي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب أي عجّب الله نبيّه من كفر العرب وقد شاهدت هذه الآية العظيمة من آيات الله، (**والمعنىٰ أنك رأيت**) آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الإخبار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الفيل، مكيّة، وهي خمس آيات**) لا خلاف في كونها مكيّة ولا في كون آياتها خمسًا وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفًا. **قوله**: (﴿كَيْفَ﴾ **في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ﴾**...) الخ ونصبه على المصدريّة أو الحالية واختار الأول ابن هشام في اللغة والمعنى أي فعل فعل... الخ. وأما الحالية من الفاعل فممتنعة لأن فيه وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز فهو حال من أصحاب الفيل أي مكيفين بكيفية عجيبة. وأما نصبه بتر لانسلاخ معنى الاستفهام عنه كما في شرح المفتاح الشريفي، فقد صرّح أبو حيّان بامتناعه لأنه يراعي صدارته إبقاء لحكم أصله وهو الظاهر كما أشار إليه المصنّف رحمة الله عليه. **قوله**: (**المعنى أنك رأيت**...)

به متواترًا فقامت لك مقام المشاهدة ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ رُوِيَ أن **(أبرهة)** ابن **(الصباح ملك اليمن)** من **(قبل أصحمة النجاشي)**، بنى **(كنيسة بصنعاء)** وسمّاها **(القليس)**، وأراد أن يصرف إليها **(الحاج)** فخرج رجل من **(كنانة فقعد فيها ليلًا فأغضبه)** ذلك. وقيل: **(أجَّجت)** رفقة من العرب نارًا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة، فخرج **(بالحبشة)** ومعه فيل اسمه محمود وكان قويًّا عظيمًا واثنا عشر فيلًا غيره، فلما بلغ **(المغمس)** خرج إليه **(عبد المطلب)** وعرض عليه ثلث أموال **(تهامة)**

الخ. أشار به إلى أن الاستفهام لإنكار النفي وإثبات المنفي وحمل الرؤية على الرؤية البصرية. **قوله**: **(أبرهة)** بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة والراء المهملة وهاءين. قال السهيلي: معناه بالحبشة الأبيض الوجه. **قوله**: **(الصباح)** بفتح الصاد المهملة وتشديد الباء الموحدة والحاء المهملة. **قوله**: **(ملك اليمن)** ماضٍ أو اسم بكسر اللام مضاف إلى اليمن. **قوله**: **(قبل)** بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بمعنى الجانب. **قوله**: **(أصحمة)** بالصاد والحاء المهملتين. **قوله**: **(النجاشي)** لقب لكل ملك من الحبشة كما أن كسرى لقب لمن ملك الفرس وقيصر لقب لملك الروم. **قوله**: **(كنيسة)** في المصباح الكنيسة متعبّد اليهود وتطلق أيضًا على متعبّد النصارى. اهـ. **قوله**: **(بصنعاء)** في المصباح صنعاء بلدة من قواعد اليمن والأكثر فيها المدّ. **قوله**: **(القليس)** قال مغلطاي: هو بقاف مضمومة ولام مشدّدة مفتوحة وبعدها ياء مثناة سفلية ساكنة ثم سين مهملة كما في ديوان الأدب. ونقل عن القسطلي أنه بضم القاف وفتح اللام المخفّفة. **قوله**: **(الحاج)** أي حاج العرب. **قوله**: **(كِنَانة)** في لسان العرب كنانة قبيلة من مضر وهو كِنَانَة بن خزيمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر. اهـ. **قوله**: **(فقعد فيها ليلًا)** أي تغوّط إلى أن قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة، فقال: مَن اجترأ على هذا فقيل: لعل ذلك فعل رجل من أهل مكة سمع بالذي قلت في حق البيت يعظمونه. **قوله**: **(فأغضبه)** ذلك غضبًا شديدًا. **قوله**: **(أَجَّجَتْ)** أي أشعلت. **قوله**: **(بالحبشة)** في مختار الصحاح الحَبَش والحبشة بفتحتين فيهما جنس من السودان. اهـ. **قوله**: **(المُغَمَّس)** كَمُعَظَّم ومُحَدِّث موضع بقرب مكة بينه وبين مكة ميل. **قوله**: **(عبد المطلب)** بن هاشم. **قوله**: **(تهامة)** في المصباح تهم اللبن واللحم تهما من باب تعب تغير وأنتن وتهم الحر اشتدّ مع ركود الريح، ويقال: إن

ليرجع فأبى، **(وعبّأ)** جيشه وقدم الفيل، وكان كلّما وجهوه إلى الحرم **(برك ولم يبرح)**، وإذا وجهوه إلى اليمن **(هرول)**، وأرسل الله **(طيرًا)** مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من **(الحمصة)**، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم مَن يقع عليه ففرّوا وهلكوا، وما مات أبرهة حتى **(انصدع صدره عن قلبه وانفلت)** وزيره **(أبو يكسوم)**

تهامة مشتقّة من الأول لأنها انخفضت عن نجد فتغيّرت ريحها، ويقال: من المعنى الثاني لشدة حرّها وهي أرض أولها ذات عرق من قبل نجد إلى مكة وما وراءها بمرحلتين أو أكثر ثم تتصل بالغور وتأخذ إلى البحر ويقال إن تهامة تتصل بأرض اليمن وأن مكة من تهامة اليمن والنسبة إليها تهامي وتهام أيضًا بالفتح وهو من تغييرات النسب. اهـ. **قوله**: **(وعبّأ)** أي هيّأ في مختار الصحاح عَبَأ الطيب والمتاع هيّأه وبابه قطع وعبّأه تعبئة مثله. اهـ. **قوله**: **(برك)** كذا رُوِيَ لكن قال السهيلي: الفيل لا يبرك فبروكه إما سقوطه على الأرض بأمر الله أو المراد لزم مكانه كما يفعله البارك، وقيل: من الفِيَلة[1] صنف يبرك كما تبرك الجمال انتهى. وفي مختار الصحاح برك البعير من باب دخل أي استناخ وأبركه صاحبه فبرك وهو قليل والأكثر أناخه فاستناخ. اهـ. **قوله**: **(ولم يبرح)** في المصباح برح الشيء يبرح من باب تعب بَراحًا زال من مكانه. اهـ. **قوله**: **(هرول)** أي أسرع في المشي. **قوله**: **(طيرًا)** في المصباح جمع الطائر طير مثل صاحب وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور وأطيار، قال أبو عبيدة وقطرب ويقع الطير على الواحد والجمع. وقال ابن الأنباريّ: الطير جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير ولا يُقال للواحد طير بل طائر وقل ما يقال للأنثى طائرة. اهـ. **قوله**: **(الحمصة)** هي حبة معروفة وهو بكسر الحاء وتشديد الميم لكنها مكسورة أيضًا عند البصريين ومفتوحة عند الكوفيين. **قوله**: **(انصدع صدره عن قلبه)** أي انشقّ صدره وخرج قلبه منه. **قوله**: **(وانفلت)** خرج بسرعة. **قوله**: **(أبو يَكْسُوْم)** في لسان العرب روضة أَكْسُوْم ويَكْسُومْ أي ندية كثيرة وأبو يَكْسُوْم من ذلك صاحب الفيل اهـ. وفي القاموس روضة كَيسُوْمٌ ويَكْسُوْمٌ وأَكْسُوْمٌ ندية أو متراكبة النبت جمع أكاسيم وأبو يكسوم صاحب الفيل المذكور في التنزيل. اهـ.

---

(١) بكسر الفاء وفتح الياء بزنة قردة جمع فيل ١٢ منه رحمه الله.

وطائر يحلّق فوقه حتى بلغ النجاشي فقصّ عليه القصة، فلما أتمّها وقع عليه الحجر **(فخرّ ميتًا بين يديه)**.

ورُوِيَ أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فعظم في عينه وكان رجلًا **(جسيمًا وسيمًا)**. وقيل: هذا سيّد قريش وصاحب **(عير)** مكة الذي يطعم الناس في **(السهل)** والوحوش في رؤوس الجبال، فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وشرفكم في قديم الدهر، فألهاك عنه (ذود) أخذلك فقال: أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ في تضييع وإبطال. يقال: ضلّل كيده إذا جعله ضالًّا ضائعًا. **(وقيل لامرىء القيس: الملك الضليل)** لأنه ضّل ملك أبيه أي

قوله: (فخرّ ميتًا بين يديه) أرى الله تعالى النَّجاشي كيف كان هلاك قومه عيانًا كما سمع أخبارًا. **قوله: (جسيمًا)** جسم الشيء جسامة وزان ضخم ضخامة وجسم جسمًا من باب تعب عظم فهو جسيم وجمعه جسام.اهـ. **قوله: (وسيمًا)** في لسان العرب فلان وسيم أي حسن الوجه.اهـ. وفي المصباح وسم بالضم وسامة حسن وجهه فهو وسيم.اهـ. **قوله: (عير)** في المصباح العير بالكسر الإبل تحمل المسيرة ثم غلب على كل قافلة. **قوله: (السهل)** قال الجوهري: السهل خلاف الجبل. **قوله: (ذود)** الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها.اهـ مختار الصحاح فكأنه قلّله. **قوله: (سيحميه)** أي سَيَمْنَعُه.

قوله: (وقيل لامرىء القيس) بن حُجْر بتقديم الحاء المهملة المضمومة على الجيم الساكنة ويجوز ضمّها **(الملك الضلّيل)** هو أبو يزيد، ويقال: أبو وهب، ويقال: أبو الحرث، ويقال: أبو كبشة، ويقال: أبو القروح مليكة، ويقال: حُنْدُج بضم الحاء والدال المهملتين وسكون النون بينهما وآخره جيم. حكاه يسعون الكندي الشاعر المغلق الفائق في الألفاظ والمعاني. قال الكلبي: أتى قوم إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن أشعر الناس، قال: ائتوا حسّانًا فأتوه فسألوه فقال: ذو القروح يعني امرىء القيس فرجعوا وأخبروا رسول الله ﷺ فقال: صدق رفيع في

ضيّعه **(يعني أنهم كادوا البيت)** أوّلًا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج إليه فضلّل كيدهم بإيقاع الحريق فيه، وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه فضلّل كيدهم بإرسال الطير عليهم.

الدنيا خامل في الآخرة شريف في الدنيا وضيع في الآخرة هو قائد الشعراء إلى النار وربما يُروَى هذا من طرق مختلفة بألفاظ شتى والمراد شعراء الجاهلية بدليل الاستثناء الواقع في كتاب الله وذو القروح هو بالقاف والحاء المهملة. وكان حجر أبو امرىء القيس ينهى امرىء القيس عن قول الشعر ويرفع نفسه وولده عن ذلك لأنه ملك وبني أسد من بيت ملك مضى من آبائه نحو الثلاثين جد كلهم ملوك ما منهم إلّا مَن يقعد التاج فوق مفرقه. فلما قال الشعر وشبّب بزوجة أبيه هرّ وهي أُمّ الحُويرث طرده أبوه فكان ينتقل في أحياء العرب ويستتبع صعاليكهم ولصوصهم وكان يُعيّر بذلك وبقي مطرودًا حتى قتلت بنو أسد أباه حجرًا في خبر يطول ويختلف ولما بلغ امرىء القيس قتل أبيه وهو يومئذٍ بجبل دمّون في أرض اليمن شقّ ثيابه وحزن عليه وحلف أنه لا يشرب خمرًا ولا يغسل رأسه حتى يدرك بثأره. ثم إنه استنجد ببكر وتغلب على بني أسد فأنجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب وطلبه المنذر بن ماء السماء فتفرّقت جموع امرىء القيس خوفًا من المنذر. ولما رأى ضعف أمره وطلب القوم له ذهب يستنصر قبائل العرب قبيلة قبيلة فلم ينصروه ولم يزل أمره جاريًا على مثل هذه الحالة حتى مات بأنقرة من بلاد الروم منصرفًا عن قيصر، وكان قد خرج إليه يستنصره وكان ذلك قبل ظهور نبيّنا محمد ﷺ بثمانين سنة تقريبًا. **قوله**: **(يعني أنهم كادوا البيت...)** الخ الكيد إرادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فإنهم كادوا البيت أولًا ببناء القليس وإرادة صرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه وكادوا ثانيًا بإرادة هدمه فضلله بإرسال الطير عليهم. فإن قيل: إنما سمّاه كيدًا وهو كان لا يخفي ما أراده من المضرة بالبيت بل كان يصرّح بأنه إنما يريد هدم البيت وتخريبه. فالجواب أنه وإن كان يظهر أن مقصوده هدم البيت وإضراره انتقامًا ممن قعد في كنيسة إلّا أن الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فإن أصل مقصوده من هدم البيت أن يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة إلى نفسه وإلى كنيسته وبلدته، فكان هدمه كيدًا في حق العرب. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ (حزائق الواحدة إبالة). قال (الزَّجَّاج): جماعات من هٰهنا وجماعات من هٰهنا.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

﴿تَرْمِيهِم﴾ (وقرأ أبو حنيفة ﷺ «يرميهم») أي الله أو الطير لأنه اسم جمع مذكّر وإنما يؤنّث على المعنىٰ ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ (هو معرّب) من (سنك كل وعليه الجمهور أي الآجر) ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ زرع أكله الدود.

قوله: (حزائق) بالزاي جمع الحزيقة بمعنى الجماعة. **قوله**: (الواحدة إبالة) بكسر الهمزة وتشديد الموحدة. **قوله**: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر وقيل: سنة إحدى عشرة وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه «يرميهم» . . .) الخ لكن قد مرّ قول صاحب النشر أن أبا حنيفة لا قراءة له وأن القراءات المنسوبة له موضوعة. وقد أثبت العلماء وضعها. **قوله**: (﴿بِحِجَارَةٍ﴾) الحجارة جمع حجر كجمل وجمالة. **قوله**: (هو معرّب من سنك كل) أي سجيل كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة فالسنك الحجر وكل الطين فعربت أي عربته العرب وصارت عربية فالسجيل على هذا فارسي معرّب وكأنه شيء مركب من الحجر والطين بشرط أن يكون في غاية الصلابة وحاصلُه أن أصله طين وانقلب حجرًا (وعليه الجمهور أي الآجر) في المصباح الآجر اللبن إذا طبخ بمدّ الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف الواحدة آجرة وهو معرّب. اهـ. وأيضًا فيه اللبن بكسر الباء ما يعمل من الطين ويبنى به الواحدة لبنة ويجوز التخفيف فيصير مثل حمل. اهـ. وقيل: إنه من السجل بكسر السين وسكون الجيم وهو الدلو الكبير الذي فيه ماء يقال: سجلت الماء سجلًا فانسجل أي صببته بالدلو فانصبّ.

....

وقوله تعالى: ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي حجارة كائنة مما صبّه الله تعالى من خزائن قهره. وقيل: إنه من الإسجال أي الإرسال يقال: أسجلت البهيمة مع أمها إذا أرسلتها معها وهذا جمل مسجل أي مطلق مرسل، والمعنى أن تلك الحجارة مما أرسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالإرسال كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٣]. وقيل: إنه مأخوذ من السجل بكسرتين وتشديد اللام الذي هو الكتاب أخذ منه لفظ سجيل وجعل علمًا للديوان الذي كتب فيه أعمالهم فكأنه قيل: بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب في الكتاب المسمّى سجل.

تمّت سورة الفيل والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

(سورة قريش)

(مكيّة، وهي أربع آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾ متعلّق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين. **(ودخلت الفاء لما في الكلام من معنىٰ الشرط)** أي إن نعم الله عليهم لا تحصىٰ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة، أو بما قبله أي ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾ يعني أن ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف **(وهذا كالتضمين في الشعر، وهو أن يتعلّق**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة قريش) ويُقال: سورة لإيلاف قريش **(مكية)** وهو قول الجمهور **(وهي أربع آيات)** بلا خلاف وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفًا.

قوله: (ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط) جواب عما يقال: كون اللام متعلّقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ يستلزم أن يتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له. وتقرير الجواب أن قوله: فليعبدوا مع ما في حيّزه جواب شرط محذوف غاية ما في الباب أنه قدم عليه معموله لإفادة الحصر ولزم منه توسّط الفاء بينهما صورة ولفظًا. **قوله: (وهذا كالتضمين في الشعر وهو أن يتعلّق**

معنىٰ البيت بالذي قبله تعلقًا لا يصح المعنىٰ إلا به)، وهما في مصحف (أُبيّ) سورة واحدة بلا فصل. ويُروىٰ عن **(الكسائي)** ترك التسمية بينهما، والمعنىٰ أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى

معنى البيت بالذي قبله تعلّقًا لا يصح المعنى إلا به) وكون هذه اللام متعلّقة بما قبلها كذلك لأن المعمول يتوقف في تمام معناه على عامله وعلى تعلّقه به. فإن قيل: تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فإن حق كل سورة أن تكون مستقلّة بنفسها ولا يتعلق ما في إحدى السورتين بما في الأخرى فكيف جاز أن تتعلق هذه اللام بما في السورة المتقدمة. قلنا: السؤال ساقط على مذهب مَن يقول إنهما سورة واحدة احتجاجًا بما رُوِيَ أن أُبي بن كعب جعلهما سورة واحدة في مصحفه وبما رُوِيَ أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ في الركعة الأولى من صلاة المغرب بسورة والتين، وفي الثانية ألم ترَ ولإيلاف قريش من غير أن يفصل بينهما بقوله: بسم الله الرحمـٰن الرحيم، وأما على ما ذهب إليه الأكثرون وهو أن تكون كل واحدة منهما سورة منفصلة عن الأخرى فوجه سقوطه على مذهبهم أن تعلّق أول هذه السورة بما قبلها لا ينافي استقلالها عن الأولى لأن القرآن كله كالسورة الواحدة أو كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضًا ويبين بعضها بعضًا، وقولهم: إن أبيا رضي الله تعالى عنه لم يفصل بينهما معارض بإطباق الكل على الفصل بينهما. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (أُبيّ) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر سيد القراء. ويكنّى أبا الطفيل أيضًا من فضلاء الصحابة. اختلف في سنة موته اختلافًا كثيرًا، قيل: سنة تسع عشرة. وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك.

قوله: (الكسائيّ) هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عبد الله المعروف بالكسائي أحد القرّاء السبعة كان إمامًا في النحو واللغة والقراءات. روى الكسائي عن أبي بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم، وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما وتُوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد وفي ذلك اليوم تُوفي محمد بن الحسن بالري أيضًا ويقال: إن الرشيد كان يقول دفنت الفقه والعربية بالريّ والكسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له: الكسائي لأنه دخل الكوفة

ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم فلا يجترىء أحد عليهم. (**وقيل: المعنىٰ أعجبوا** ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾ ﴿**لإلاف قريش**﴾ **شامي**) أي لمؤالفة قريش. وقيل: يقال ألفته ألفًا وإلافًا. (**وقريش ولد النضر بن كنانة**) سمّوه بتصغير (**القرش**) وهو دابة عظيمة في البحر (**تعبث بالسفن**) ولا تُطاق إلا بالنار، والتصغير للتعظيم فسمّوه

وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيّات وهو ملتفّ بكساء، فقال حمزة: مَن يقرأ فقيل له: صاحب الكساء فبقي عليه، وقيل: بل أحْرم في كساء فنسب إليه رحمه الله تعالى. **قوله**: (**وقيل: المعنى أعجبوا** ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١﴾) فيه إشارة إلى ما رُوِيَ عن الكسائي والأخفش أن اللام في ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ للتعجيب. **قوله**: (﴿**لإلاف**﴾) بغير ياء بعد الهمزة (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ. والباقون ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بياء بعدها وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ بالياء بعد الهمزة. قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطأ. واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منها خطأ وهذا أدلّ دليل على أن القراء متبعون الأثر والرواية لا مجرد الخط والرسم، أما قراءة ابن عامر ففيها وجهان: الأول أنه مصدر ألف الثلاثي، يقال: ألفته إلافًا نحو كتبته كتابًا، ويقال: ألفت الشيء إلافًا وألفًا، وقد جمع الشاعر بينهما في قوله:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم آلاف

والثاني أنه مصدر آلف رباعيًا نحو قاتل قتالًا فمعنى إلاف قريش إلفة قريش رحلة الشتاء. وأما على قراءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعي ثم قيل: الإيلاف هو آلاف بناء على أن أهل اللغة قالوا: ألفت الشيء وآلفته ألفًا وإيلافًا بمعنى واحد أي لزمته ودمت عليه. فمعنى الآية لإلف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم إياهما وثباتهم عليهما بحيث إذا فرغوا من إحداهما أخذوا في الأخرى وبالعكس. **قوله**: (**وقريش ولد النضر بن كِنانة**) وهذا هو الصحيح ولذا اختاره المصنّف رحمة الله عليه. وقيل: قريش النضر بن كنانة. **قوله**: (**القرش**) بفتح القاف وكسرها ليس بفصيح وهو سمكة عظيمة وهذا مراد المصنّف بقوله: وهو دابة عظيمة... الخ أو المراد غير ذلك. **قوله**: (**تعبث بالسفن**) أي تتعرض لها وتريد إغراقها لتأكل من فيها ولا تطاق إلّا بالنار يعني يشعل النيران فتذهب للخوف منها كما أن الأسد يخاف النار

بذلك لشدّتهم **(ومنعتهم)** تشبيهًا بها. وقيل: من القرش وهو الجمع والكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم **(وضربهم)** في البلاد.

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ أطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيمًا لأمر الإيلاف وتذكيرًا لعظيم النعمة فيه. ونصب الرحلة بـ ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ مفعولًا به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس. وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، **(فيمتارون)** ويتجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله فلا يتعرّض لهم وغيرهم **(يغار عليهم)** ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ والتنكير في ﴿جُوعٍ﴾ و﴿خَوْفٍۭ﴾ لشدّتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما، وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل. أو خوف **(التخطف)** في بلدهم ومسايرهم. وقيل: كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا **(الجيف)** والعظام المحرقة، وآمنهم من خوف **(الجذام)** لا يصيبهم ببلدهم. وقيل: ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه السلام.

ويهرب منها. **قوله:** **(وَمَنَعتهم)** بفتح النون وقد يسكّن النون أي قوتهم. **قوله:** **(وضربهم)** أي سفرهم.

قوله: **(فيمتارون)** أي يحملون الميرة وهي الطعام. **قوله:** **(يغار عليهم)** في المصباح أغار على العدوّ هجم عليهم ديارهم وأوقع بهم. اهـ. **قوله:** **(التخطّف)** في مختار الصحاح الخطف الاستلاب وقد خطفه من باب فهم وهي اللغة الجيدة. وفيه لغة أخرى من باب ضرب وهي ردية لا تكاد تعرف واختطفه وتخطّفه بمعنى. اهـ. **قوله:** **(الجِيَف)** في المصباح الجيفة الميتة من الدواب والمواشي إذ أنتنت والجمع جِيَف مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير ما في جوفها. هـ. **قوله:** **(الجذام)** في لسان العرب الجُذَام من الدواء معروف لتجذّم الأصابع وتقطعها. اهـ.

تمّت سورة قريش والحمد لله وحده

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

(سورة الماعون)

(مُختَلَفٌ فيها، وهي سبع آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾

﴿(أَرَءَيْتَ) ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ أي هل عرفت الذي يكذب **(بالجزاء)** مَن هو **(إن لم تعرفه** ﴿فَذَٰلِكَ﴾ **)** ﴿ٱلَّذِى﴾ يكذب بالجزاء هو الذي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الماعون) وتُسمى سورة أرأيت والدين والتكذيب **(مُختَلَفٌ فيها)** وفي البحر مكيّة في قول الجمهور ومدنيّة في قول ابن عباس وقتادة وقيل: نصفها مكيّة ونصفها الآخر مدنيّة فقوله: مختلف فيها منتظم للأقاويل الثلاثة وإن كان المتبادرين الأولين **(وهي سبع آيات)** وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن ومائة وخمسة وعشرون حرفًا. **قوله:** (﴿أَرَءَيْتَ﴾) استفهام معناه التعجّب. اهـ بيضاوي. يعني أنه وإن كان في صورة الاستفهام إلّا أنه يقصد به المبالغة في التعجُب، يقال: أرأيت فلانًا ماذا قال ولماذا عرض نفسه. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (بالجزاء)** لأنه أحد معاني الدين ومنه كما تدين تدان. **قوله: (إن لم تعرفه)** شرط مقدّر. **قوله:** (﴿فَذَٰلِكَ﴾) إيفاء جزئية.

﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾ أي يدفعه دفعًا (عنيفًا بجفوة) وأذىٰ ويردّه ردًّا قبيحًا بزجر وخشونة.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾﴾ ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب الجزاء منع المعروف والإقدم على إيذاء الضعيف أي لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه دلّ أنه مكذب بالجزاء. ثم وصل به قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ يعني بهذا المنافقين لا يصلونها سرًّا لأنهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء. وقيل: فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلّين صورة وهم غافلون عن صلاتهم، وأنهم لا يريدون بها قربة إلى ربهم ولا تأدية للفرض فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون، ويظهرون للناس أنهم يؤدّون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة. وعن (أنس والحسن) قالا: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ﴾ ولم يقل: «في صلاتهم» لأن معنىٰ «عن» أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلّة التفات إليها ذلك فعل المنافقين، ومعنىٰ «في» أن السهو (يعتريهم) فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم، وكان رسول الله ﷺ

قوله: (عنيفًا) في المصباح عنف به وعليه عنف من باب قرب إذا لم يرفق به فهو عنيف. اهـ. **قوله**: (بجفوة) في القاموس الجَفا نقيض الصلة ويُقْصَرُ جَفَاه جَفْوًا وجَفَاءً وفيه جَفْوَةٌ ويكسر أي جَفَاءٌ. اهـ.

قوله: (أنس) بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة. **قوله**: (الحسن) بن أبي الحسن يسار البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالمدينة، وتُوفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (يعتريهم) أي يصيبهم. **قوله**:

يقع له السهو في صلاته **(فضلًا)** عن غيره. والمراءاة مفاعلة من الإراءة لأن المرائي يرائي الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار الفرائض فمن حقّها الاعلان بها لقوله ﷺ: «**(ولا غمّة في فرائض الله)**» والإخفاء في التطوّع أولىٰ فإن أظهره قاصدًا للاقتداء به كان جميلًا، والماعون: الزكاة. وعن **(ابن مسعود)** ﷺ: **(ما يتعاور في العادة)** من الفأس و**(القدر)** والدلو والمقدحة ونحوها، **(وعن عائشة)** ﷺ: الماء والنار والملح والله أعلم.

(فضلًا) مصدر فعل محذوف. **قوله: (ولا غُمَّة في فرائض الله)** في لسان العرب في حديث وائل بن حجر ولا غمّة في فرائض الله أي لا تُسْتَر ولا تخفى فرائضه وإنما تظهر وتُعْلن ويُجْهر بها. اهـ. **قوله: (ابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كباء العلماء من الصحابة مناقبه جمّة مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ما يتعاور في العادة)** أي ما اعتاد الناس تداوله بينهم وأخذه بطريق الاشتراك فيه. **قوله: (القدر)** في المصباح القدر آنية يطبخ فيها وهي مؤنثة ولهذا تدخل الهاء في التصغير فيقال: قديرة وجمعها قدور مثل حمل وحمول. اهـ. **قوله: (وعن عائشة)** بنت أبي بكر الصدّيق أُم المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف شهير ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح رضي الله تعالى عنهما وعن كل الصحابة أجمعين.

تمّت سورة الماعون بحمد الله وعونه

والصلاة والسلام على سيدنا ومحمد وعلى آله وصحبه الكرام

(سورة الكوثر)

(مكيّة، وهي ثلاثة آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة، وقيل: **(هو نهر في الجنّة)** أحلى من العسل، وأشد بياضًا من اللبن، أو برد من الثلج، وألين من **(الزبد حافتاه الزبرجد)**، وأوانيه من فضة، **(وعن ابن**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الكوثر)** وتُسمى سورة النحر (مكيّة، **وهي ثلاث آيات)** وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفًا. **قوله:** (هو **نهر في الجنة**. . .) الخ هو حديث صحيح وأوله في مسلم وبقيته في الحاكم. **قوله:** **(الزبد)** في المصباح الزبد وزان قفل ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم. اهـ. وأيضًا فيه مخضت اللبن مخضًا من باب قتل، وفي لغة من بابي ضرب ونفع إذا استخرجت زبده بوضع الماء فيه وتحريكه فهو مخيض فعيل بمعنى مفعول والممخضة بكسر الميم الوعاء الذي يمخض فيه. اهـ. **قوله:** **(حافتاه)** بخفة فاء جانباه وأمّا حافّة الشيء بمعنى جانبه وطرفه فمولدة أو تصحيف حافة بتخفيف الفاء. **قوله:** **(الزبرْجد)** في لسان العرب الزَّبَرْجَد في لسان العرب الزَّبَرْجَد والزبردَج الزُّمُرُّد. اهـ. **قوله:** **(وعن ابن**

عباس) ﷺ: هو الخير الكثير فقيل له: إن ناسًا يقولون هو نهر في الجنّة فقال: هو من الخير الكثير.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فاعبد ربك الذي أعزّك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق **(مراغمًا)** لقومك الذين يعبدون غير الله ﴿وَٱنْحَرْ﴾ لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفًا لعبدة الأوثان في النحر لها.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ **(أي من أبغضك)** من قومك بمخالفتك لهم ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير لا أنت، لأن كل مَن يُولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر إنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة. قيل: نزلت في **(العاص بن وائل)** سمّاه الأبتر، والأبتر **(الذي لا عقب له)** وهو خبر «إن» **(و«هو» فصل)**.

عباس) رضي الله تعالى عنهما هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يُسمى البحر والحَبر لسعة علمه، مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.

قوله: (مراغمًا) المراغمة المغاضبة. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (أي من أبغضك) يعني أن الشانىء بمعنى المبغض الذي هو ضد المحب، يقال: شنأته شنأ وشنآنًا بفتح النون وسكونها أي أبغضته. **قوله: (العاص بن وائل)** السهمي. **قوله: (الذي لا عَقِب له)** في المصباح العقب بكسر القاف وبسكونها للتخفيف الولد وولد الولد وليس له عقب ليس له نسل. اهـ. **قوله: (و«هو» فصل)** ويجوز أن يكون هو مبتدأ و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾ خبره والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾.

تمّت سورة الكوثر والحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مَن لا نبيّ بعده وعلى آله القادة ومَن تبعهم من السادة

(سورة الكافرون)

(مكيّة، وهي ست آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون. رُوِيَ أن (رهطًا) من قريش قالوا: يا محمد (هلمّ) فاتبع ديننا ونتبع دينك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الكافرون)** وتُسمى سورة المعابدة والإخلاص والمقشقشة من قشقش المريض إذا صحّ أي المبرئة من الشرك والنفاق **(مكيّة)** وقيل: مدنيّة **(وهي ست آيات)** بلا خلاف وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفًا. **قوله**: **(رهطًا)** الرهط جماعة من الرجال وقد يخص بعدد كما دون العشرة أو غيره على ما في كتب اللغة.

قوله: **(هلمّ)** في المصباح هلم كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال: تعال، قال الخليل: أصله لمّ من الضم والجمع ومنه لمّ الله شعثه وكأن المنادي أراد لمّ نفسك إلينا وها للتنبيه وحذفت الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال وجعلا اسمًا واحدًا، وقيل: أصلها هل أمّ أي قصد فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت ثم جعلا كلمة واحدة للدعاء وأهل الحجاز ينادون بها بلفظ واحد

تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلـٰهك سنة، فقال: معاذ الله أن أُشرك بالله غيره، قالوا: **(فاستلم)** بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلـٰهك فنزلت، **(فغدا)** إلى المسجد الحرام وفيه **(الملأ)** من قريش فقرأها عليهم **(فأيسوا)**.

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ أي لست في حالي هذه عابدًا ما تعبدون ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ الساعة ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ **(يعني الله)**.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ ولا أعبد فيما أستقبل من الزمان ما عبدتم.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ﴾ فيما تستقبلون ﴿عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ وذكر بلفظ ما لأن المراد به الصفة أي لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، أو ذكر بلفظ «ما» ليتقابل اللفظان ولم يصح في الأول «من» وصحّ في الثاني «ما» بمعنىٰ «الذي».

للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾ [الأحزاب: الآية ١٨] وفي لغة نجد تلحقها الضمائر وتطابق فيقال: هلمي وهلما وهلموا وهلممن لأنهم يجعلونها فعيلًا فيلحقونها الضمائر كما يلحقونها قم وقوما وقوموا وقمن وقال أبو زيد استعمالها بلفظ واحد المجمع من لغة عقيل وعليه قيس بعد وإلحاق الضمائر من لغة بني تميم وعليه أكثر العرب وتستعمل لازمة نحو هلم إلينا أي أقبل ومتعدية نحو ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٠] أي أحضروهم. اهـ.

قوله: **(فاستلم)** في مختار الصحاح استلم الحجر لمسه إما بالقبلة أو باليد. اهـ.
قوله: **(فغدا)** في المصباح غدا غدوًّا من باب قعد ذهب غدوة وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق أي وقت كان، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام واغد يا أنيس أي وانطلق. اهـ.

قوله: **(الملأ)** الجماعة. **قوله**: **(فأيسوا)** في مختار الصحاح أيس لغة في يئس بابها فهم. اهـ.

قوله: **(يعني الله)** وإطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ لكم شرككم ولي توحيدي، **(وبفتح الياء: نافع وحفص)**، ورُوِيَ أن ابن مسعود ﷺ دخل المسجد والنبيّ ﷺ جالس فقال له: **(نابذ)** يا ابن مسعود فقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ثم قال له في الركعة الثانية: أخلص. فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلما سلم، قال يا ابن مسعود سل تجب والله أعلم.

قوله: (وبفتح الياء: نافع وحفص) وفي الخطيب قرأ نافع وهشام[١] وحفص والبزي[٢] بخلاف عنه بفتح الياء والباقون بإسكانها. اهـ. **قوله: (نابذ)** في المصباح نابذتهم خالفتهم. اهـ.

تمّت سورة الكافرون والحمد لله ربّ العالمين
والصلاة والسلام على أشرف المُرسَلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) يروي عن ابن عامر، ١٢ منه.
(٢) يروي عن عبد الله بن كثير، ١٢ منه.

(سورة النصر)

(مدنيّة، وهي ثلاث آيات)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾

﴿إِذَا﴾ منصوب بـ «سبح» وهو لما يستقبل، والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوّة. ورُوِيَ أنها نزلت في **(أيام التشريق بمِنى في حجة الوداع)** ﴿جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ النصر الإغاثة والإظهار على العدو، والفتح فتح البلاد، والمعنىٰ نصر الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة، أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة النصر) وتُسمى سورة التوديع وسورة إذا جاء **(مدنية)** بالإجماع. اهـ. خطيب **(وهي ثلاث آيات)** بلا خلاف وستة عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. وفي الخازن وسبع عشرة كلمة وسبع وسبعون حرفًا. اهـ. **قوله: (أيام التشريق)** في المصباح ثلاثة وهي بعد يوم النحر قيل: سُميت بذلك لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها أي تقدّد في الشرقة وهي الشمس. اهـ. **(بمِنى)** في المصباح منى اسم موضع بمكة والغالب عليه التذكير فيصرف، وقال ابن السراج ومنى ذكر والشام ذكر وهجر ذكر والعراق ذكر وإذا أنث منع. اهـ فافهم. **(في حجة الوداع)** في المصباح ودعته توديعًا والاسم الوداع بالفتح

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ هو حال من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ على أن ﴿وَرَأَيْتَ﴾ بمعنىٰ أبصرت أو عرفت، أو مفعول ثانٍ على أنه بمعنىٰ علمت ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ هو حال من فاعل يدخلون، وجواب «إذا».

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾ أي إذا جاء نصر الله إياك على مَن **(ناوأك)** وفتح البلاد، ورأيت أهل اليمن يدخلون في ملّة الإسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون فيه واحدًا واحدًا واثنين اثنين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقل: سبحان الله حامدًا له أو فصل له ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ **(تواضعًا وهضمًا للنفس)** أو دم على الاستغفار ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ ولم يزل ﴿تَوَّابًا﴾ التوّاب الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة. ويُروَىٰ أن **(عمر)** ﷺ

مثل سلم سلامًا وهو أن تشيعه عند سفره. اهـ. أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع إذا جاء نصر الله. اهـ.

قوله: **(ناوأك)** عاداك. **قوله**: **(تواضعًا وهضمًا)** أي كسرًا **(للنفس)** إشارة إلى أن الحكمة الداعية إلى أمر النبيّ المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بأن يعدّها قاصرة عن البلوغ إلى درجة الكمال في المعرفة والعبادة، ويقول: ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ولما كانت مراتب السير إلى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب أُخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت العبادة المتفرّعة على معرفة عظمة المعبود فإذا وصل العبد إلى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنها فبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرًا فيستغفر الله تعالى عنه، وهذا القدر إنما يحتاج إليه على تقدير أن يكون معنى قوله: واستغفر الله لذنبك أما إذا كان معناه واستغفره لذنب أمتك فالأمر ظاهر. **قوله**: **(عمر)** رضي الله تعالى عنه ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغرًا ابن عبد العزى بن رباح بتحتانية ابن عبد الله بن قرط بضم القاف ابن

لما سمعها بكى وقال: الكمال دليل الزوال، **(وعاش رسول الله ﷺ بعدها سنتين)** والله أعلم.

رزاح براء ثم زاي خفيفة ابن عديّ بن كعب القرشي العدويّ أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.

قوله: (وعاش رسول الله ﷺ بعدها سنتين) في الدرّ المنثور قال قتادة: والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلًا سنتين ثم تُوفى انتهى.

تمّت سورة النصر الحمد لله على الافتتاح والاختتام
وعلى رسوله أفضل التحية والسلام،
اللّهمَّ بحبل توفيقك أعتصم ومن فيض نورك أستفيض

سورة المسد
(سورة أبي لهب)

(مكيّة، وهي خمس آيات)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾ التباب: الهلاك ومنهم قولهم (أشابة أم تابّة أي هالكة من الهرم؟) والمعنىٰ هلكت يداه لأنه فيما يروى أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله ﷺ ﴿وَتَبَّ﴾ وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: الآية ١٠] ومعنىٰ ﴿وَتَبَّ﴾ وكان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة أبي لهب**) وتُسمى سورة تبّت وسورة المسد (**مكية**) بالاتفاق (**وهي خمس آيات**) بلا خلاف وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب.

(**أشابّة أم تابّة أي هالكة من الهرم؟**) في المصباح هرم هرمًا من باب تعب فهو هرم كبر وضعُف. اهـ.

ذلك وحصل، كقوله:

(جزائي جزاء الله شرّ جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل)

وقد دلّت عليه قراءة (**ابن مسعود**): «وقد تب»، رُوِيَ أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين (**رقي**) الصفا وقال: (**يا صباحاه**) فاستجمع إليه الناس (**من كل أوب**). فقال عليه الصلاة والسلام: يا بني عبد المطلب (**يا بني فهر**) إن أخبرتكم أن (**بسفح هذا الجبل خيلًا**) أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم. قال: (**فإني نذير لكم**

قوله:

(جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل)

البيت للنابغة[1] وقوله: جزاه الله شر جزائه دعاء عليه. **قوله**: (**العاويات**) بالواو من عوى الكلب إذا صاح وروي العاديات بالدال المهملة من عدا عليه بمعنى بغى أو من عدى بمعنى أسرع فلعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها شبه الجنون يسري مرضها إلى مَن تعضه. **قوله**: (**وقد فعل**) أي كان ذلك وقد حصل. **قوله**: (**ابن مسعود**) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة مات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: (**رقي**) بالكسر أي طلع. **قوله**: (**يا صباحاه**) هذه كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح فكأنّ قائلَ يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو وقيل: إن المقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عادوا فكأنه يريد قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال وهي كلمة جامعة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم ليجتمعوا ويتأهبوا له. **قوله**: (**من كل أوْب**) أي من كل مرجع أي من كل فجّ. **قوله**: (**يا بني فهر**) بكسر فسكون. **قوله**: (**بِسَفْح هذا الجبل**) في مختار الصحاح سَفْح الجبل بوزن فَلْس أسفله. اهـ. **قوله**: (**خيلًا**) يعني فرسانًا. **قوله**: (**فإني نذير لكم**) أي منذر

---

(١) هو أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب أحد شعراء الجاهلية المشهورين وأحد فحولهم المذكورين. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

بين يدي الساعة). فقال أبو لهب: (تبًا) لك (**ألهذا)** دعوتنا فنزلت. وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم، أو لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى. أو لأن مآله إلى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته، (﴿أَبِي لَهَبٍ﴾ **مكي)**.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ «ما» للنفي ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ مرفوع و«ما» موصولة أو مصدرية أي ومكسوبه أو وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه، أو الذي كسبه بنفسه، (**أو ماله التالد والطارف)**، وعن (**ابن عباس)** ﷺ : ما كسب (**ولده)**. ورُوِيَ أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي.

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ سيدخل (﴿سَيَصْلَىٰ﴾ **البرجمي)** عن (**أبي بكر)**، والسين للوعيد أي هو كائن لا محالة وإن تراخى وقته.

ومخوف (**بين يدي الساعة)** أي قدامها. **قوله**: (تبًا) بتشديد الموحّدة أي خسرانًا وهلاكًا لك وهو منصوب بفعل مضمر. **قوله**: (**ألهذا)** أي لهذا الأمر الذي ذكرته. **قوله**: (﴿أَبِي لَهَبٍ﴾) بإسكان الهاء (**مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ والباقون بفتحها لغتان كالنهر والنهر.

قوله: (**أو ماله التالد والطارف)** في المصباح التالد والتليد والتلاد وكل مال قديم وخلافه الطارف والطريف.اهـ. يعني المال المستحدث. **قوله**: (**ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله**: (**ولده)** وهو عتيبة بالتصغير وأما عتبة فقد أسلم.

قوله: (﴿سَيَصْلَىٰ﴾) بضم الياء (**البرجمي)** هو عبد الحميد بن صالح البُرجمي عن (**أبي بكر)** شعبة بن عياش عن عاصم رحمه الله في التفسير الكبير

(﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾) توقد.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤﴾

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ هي **(أم جميل)** بنت حرب أُخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ كانت تحمل **(حزمة)** من الشوك **(والحسك)** فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. وقيل: كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس. **(ونصب عاصم ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ على الشتم)** وأنا أُحب هذه القراءة، وقد توسل إلى رسول الله ﷺ بجميل مَن أحب شتم أُم جميل. وعلى هذا يسوغ الوقف على «امرأته» لأنها عطفت على الضمير في ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ أي سيصلى هو وامرأته والتقدير: أعني حمالة الحطب، وغيره رفع ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ على أنها خبر وامرأته أو هي حمالة.

﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ قرىء بفتح الياء وبضمها مخففًا ومشددًا. اهـ. وفي تفسير العلّامة أبي السعود ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد. اهـ. في السمين قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ العامة على فتح الياء وإسكان الصاد وتخفيف اللام أي يصلى هو نفسه وأبو حيوة وابن مقسم وعياش في اختياره بالضم والفتح والتشديد والحسن وابن أبي إسحٰق بالضم والسكون. وفي فتح القدير قرأ الجمهور ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ بفتح الياء وإسكان الصاد وتخفيف اللام أي سيصلى هو نفسه، وقرأ أبو رحى وأبو حيوة وابن مقسم والأشهب العقيلي وأبو السماك والأعمش ومحمد بن السُّمَيْفع بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، ورُوِيَت هذه القراءة عن ابن كثير والمعنى سيصليه الله. اهـ بحروفه.

قوله: (﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾) بفتح الهاء بالاتفاق.

قوله: **(أُم جَميل...)** الخ وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها. **قوله:** **(حزمة)** بضم وسكون ما يجمع ويربط. **قوله:** **(والحسك)** بحاء وسين مهملتين مفتوحتين وكاف شوك كبير. **قوله:** **(ونصب عاصم ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ على الشتم)** والذم فهو منصوب بمقدر كأذم ونحوه.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

﴿(فِي جِيدِهَا) حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ **(حال أو خبر آخر)**. والمسد الذي **(فتل)** من الحبال فتلًا شديدًا من **(ليف)** كان أو جلد أو غيرهما، والمعنىٰ في جيدها حبل مما (﴿مَّسَدٍۭ﴾) من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطّابون تحقيرًا لها وتصويرًا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها، وهما في بيت العزّ والشرف وفي منصب **(الثروة والجدة)** والله أعلم.

قوله: (﴿فِي جِيدِهَا﴾) عنقها. **قوله**: **(حال)** من قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وقد مرّ أنه مستكن في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ فيكون في معنى الفاعل و﴿حَبْلٌ﴾ فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال. **قوله**: **(أو خبر آخر)** لقوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ على أن يكون مرفوعًا بالابتداء وحبل فاعل بالظرف أيضًا لاعتماده على المبتدأ. **قوله**: **(فتل)** من باب ضرب. **قوله**: **(ليف)** في مختار الصحاح الليف للنخل الواحدة لِيْفة.اهـ. **قوله**: (﴿مَّسَدٍۭ﴾) أي فتل في مختار الصحاح مَسَد الحبلَ أجاد فَتْله مِن باب نصر.اهـ. **قوله**: **(الثروة)** كثرة المال.... الخ مصباح. **قوله**: **(الجدة)** الغنى.

تمّت سورة أبي لهب والحمد لله ربّ العالمين
والصلاة والسلام على أشرف المُرسَلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(سورة الإخلاص)

أربع آيات (مكيّة) عند الجمهور
(وقيل: مدنية، وهي أربع آيات) عند أهل البصرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ هو ضمير الشأن و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن كقولك: هو زيد منطلق كأنه قيل: الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له، ومحل ﴿هُوَ﴾ الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة، ولا يحتاج إلى الراجع لأنه في حكم المفرد في قولك: زيد غلامك في أنه هو المبتدأ في المعنىٰ، وذلك أن قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن الذي عبارة عنه وليس: كذلك زيد أبوه منطلق، فإن زيدًا أو الجملة يدلّان على معنيين مختلفين فلا بد ما يصل بينهما.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الإخلاص) سميت بها لما فيها من التوحيد، وتسمى قل هو الله أحد وسورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين وتسمى هي الكافرون المقشقشان بالكسر أي المبرئتان من الشرك لأنهما بمنزلة كلمة التوحيد في النفي والإثبات (مكيّة، وقيل: مدنية، **وهي أربع آيات**) وقيل: خمس والاختلاف في ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفًا.

(وعن ابن عباس) ﷺ: قالت قريش: يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت. يعني الذي سألتموني وصفه هو الله تعالىٰ.

وعلى هذا ﴿أَحَدٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو أحد وهو بمعنىٰ واحد. وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفًا.

والدليل على أنه واحد من جهة العقل أن الواحد إما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيًا أولًا، فإن كان كافيًا الآخر ضائعًا غير محتاج إليه وذلك نقص والناقص لا يكون إلـٰهًا، وإن لم يكن كافيًا فهو ناقص. ولأن العقل يقتضي احتياج المفعول إلى فاعل والفاعل الواحد كافٍ وما وراء الواحد فليس عدد أولي من عدد فيفضي ذلك إلى وجود أعداد لا نهاية لها وذا محال. فالقول بوجود إلـٰهين محال، ولأن أحدهما إما أن يقدر على أن يستر شيئًا من أفعاله عن الآخر أو لا يقدر، فإن قدر لزم كون المستور عنه جاهلًا، وإن لم يقدر لزم كونه عاجزًا.

ولأنا لو فرضنا معدومًا ممكن الوجود فإن لم يقدر واحد منهما على إيجاده كان كل واحد منهما عاجزًا والعاجز لا يكون إلـٰهًا، وإن قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون إلـٰهًا، وإن قدرا جميعًا فإما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجًا إلى إعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزًا، وإن قدر كل واحد منهما على إيجاده بالاستقلال فإذا أوجده أحدهما فإما أن يبقى الثاني قادرًا عليه وهو محال، لأن إيجاد الموجود محال، وإن لم يبق فحينئذٍ يكون الأول مزيلًا قدرة الثاني فيكون عاجزًا ومقهورًا تحت تصرفه فلا يكون إلـٰهًا.

فإن قلت: الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزًا.

قلنا: الواحد إذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته، ومَن نفذت قدرته لا يكون عاجزًا، وأما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزًا.

قوله: **(عن ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ هو فعل بمعنىٰ مفعول **(من صمد إليه)** إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج. والمعنىٰ هو الله الذي تعرفونه وتقرّون بأنه خالق السمٰوات والأرض وخالقكم، وهو واحد لا شريك له، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا، وقد دلّ على هذا المعنىٰ بقوله: (﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾) [الأنعام: الآية ١٠١]، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده إذ لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا لعدم الواسطة بينهما، ولو كان حادثًا لافتقر إلى محدث، وكذا الثاني والثالث فيؤدي إلى **(التسلسل)** وهو باطل. وليس بجسم لأنه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذٍ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء إلـٰهًا فيفسد القول به كما فسد بإلـٰهين، أو غير متصف بها بل بأضدادها من **(سمات)** الحدوث وهو محال.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ ولم يكافئه أحد أي لم يماثله. سألوه أن يصفه لهم فأوحىٰ إليه ما **(يحتوي)** على صفاته تعالىٰ، فقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها، وفي طيّ ذلك وصفه بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعًا على غاية إحكام واتساق وانتظام، وفي ذلك

قوله: (من صَمَد إليه) من باب نصر.

قوله: (﴿أَنَّىٰ﴾) كيف (﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾) زوجة يكون منها الولد. **قوله**: **(التسلسل)** هو ترتيب أمور غير متناهية. **قوله**: **(سِمَات)** علامات.

قوله: **(يحتوي)** في لسان العرب احتواه واحتوى عليه جمعه وأحرزه واحتوى على الشيء ألمّ عليه.اهـ.

وصفه بأنه حيّ لأن المتصف بالقدرة والعلم لا بد وأن يكون حيًا، وفي ذلك وصفه بأنه سميع بصير مريد متكلم إلى غير ذلك من صفات الكمال، إذ لو لم يكن موصوفًا بها لكان موصوفًا بأضدادها وهي نقائص وذا من (أمارات) الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها، وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ وصف بالوحدانية ونفي الشريك. وبأنه المتفرد بإيجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات، وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ وصف بأنه ليس إلا محتاجًا إليه وإذا لم يكن إلا محتاجًا إليه فهو غني لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفي للشبه والمجانسة، وقوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ نفي للحدوث ووصف بالقدم والأولية.

وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ نفي أن يماثله شيء. ومَن زعم أن نفي الكفء وهو المثل في الماضي لا يدلّ على نفيه للحال والكفار يدعونه في الحال فقد (تاه) في غيّه، لأنه إذا لم يكن فيما مضى لم يكن في الحال ضرورة إذ الحادث لا يكون كفؤًا للقديم، وحاصل كلام الكفرة يؤول إلى الإشراك والتشبيه والتعطيل، والسورة تدفع الكل كما قررنا، واستحسن (سيبويه) تقديم الظرف إذ كان مستقرًا أي خبرًا لأنه لما كان محتاجًا إليه قدم ليعلم من أول الأمر أنه خبر لا فضلة، وتأخيره إذا كان لغوًا أي فضلة لأن التأخير مستحق للفضلات. وإنما قدم في الكلام الأفصح لأن الكلام سيق لنفي المكافأة عن ذات الباريء سبحانه، وهذا المعنىٰ مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الأهم تقديمه. وكان (أبو عمرو) يستحب الوقف على ﴿أَحَدٌ﴾ ولا يستحب الوصل، قال عبد الوارث: على هذا

قوله: (أمارات[1]) علامات. **قوله**: (تاه) تحيّر. **قوله**: (سيبويه) هو أبو البشر عمرو بن عثمان موته في أيام الرشيد سنة ثمانين ومائة بالبيضاء من قرى شيراز ومعنى سيبويه رائحة التفاح كان في غاية الجمال وجنتاه كأنهما تفاحتان. **قوله**: (أبو عمرو) بن العلاء أحد القراء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وهو في النحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكانت ولادته سنة سبعين، وقيل: ثمان وستين، وقيل: خمس وستين للهجرة بمكّة وتوفي سنة أربع وخمسين، وقيل: تسع وخمسين، وقيل: سبع

---

(١) بالفتح.

أدركنا القرّاء، **(وإذا وصل نوّن وكسر أو حذف التنوين كقراءة** ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾**)** [التوبة: الآية ٣٠]، ﴿كفؤًا﴾ بسكون الفاء والهمزة: حمزة وخلف. ﴿كُفُوًا﴾ **(مثقلة)** غير مهموزة: حفص. الباقون **(مثقلة)** مهموزة.

وفي الحديث: «مَن قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن» لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الأوامر والنواهي وعلى القصص والمواعظ، وهذه السورة قد تجرّدت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن، وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم **(ويتضع بضعته)**، ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته، وما يجوز عليه ما لا يجوز

وخمسين، وقيل: ست وخمسين ومائة بالكوفة. **قوله: (وإذا وصل نوّن وكسر أو حذف التنوين كقراءته** (﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾) في تفسير النيسابوري كان أبو عمرو، ويستحب الوقف على قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ وإذا وصل كان له وجهان من القراءة أحدهما التنوين وكسره والثاني حذف التنوين كقراءته «عزير بن الله» لاجتماع الساكنين. اهـ. وأيضًا فيه في تفسير سورة التوبة ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣٠] بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب والباقون بغير تنوين. وفي التفسير الكبير، اختلف القراء في قوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ فقراءة العامّة بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا «أحدن الله» وهو القياس الذي لا إشكال فيه. وذلك لأن التنوين من أحد ساكن ولام المعرفة من الله ساكنة ولما التقى ساكنان حرّك الأول منهما بالكسر وعن أبي عمرو «أحد الله» بغير تنوين وذلك أن النون شابهت حروف اللين في أنها تزاد كما يزدن فلما شابهتها أجريت مجراها في أن حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذفت الألف والواو والياء، لذلك نحو غزا القوم ويغزو القوم ويرمي القوم ولهذا حذفت النون الساكنة في الفعل نحو لم يكُ و﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ [هود: الآية ١٧] فكذا هٰهنا حذفت في «أحد الله» لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف، ورُوِيَ أيضًا عن أبي عمرو «أحد الله» وقال: أدركت القراء يقرؤونها كذلك وصلًا على السكون. اهـ. وأيضًا فيه في سورة التوبة قرأ عاصم والكسائي وعبد الوارث عن أبي عمرو عزير بالتنوين والباقون بغير التنوين. اهـ. **قوله: (مثقلة)** أي بضم الفاء. **قوله: (ويتضع بضَعته)** في المصباح وضع في حسبه بالبناء للمفعول فهو وضيع أي ساقط لا قدر له والاسم الضعة بفتح

عليه، فما ظنّك بشرف منزلته وجلالة محله! اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك، الراجين لثوابك، الخائفين من عقابك، المكرمين بلقائك، **(وسمع رسول الله ﷺ رجلًا... الخ)** يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقال: وجبت. فقيل: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: وجبت له الجنّة.

الضاد وكسرها.اهـ. وفي مختار الصحاح الوضيع الدَّني من الناس وقد وَضُع الرَّجُل بالضم يَوْضُع ضعة بفتح الضاد وكسرها أي صار وضيعًا ويقال في حَسَبه ضَعة بفتح الضاد وكسرها.اهـ. وفي لسان العرب الضَّعة خلاف الرفعة في القدر.اهـ. وأيضًا فيه رجل وضيع وضُع يَوضُع وضاعة وضَعة وضِعَة صار وضيعًا فهو وضيع وهو ضد الشريف واتَّضع ووضَعَه ووضَّعه.اهـ. **قوله: (وسمع رسول الله ﷺ رجلًا... الخ)** عن أبي هريرة قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وجبت»، قلت: وما وجبت؟ قال: «الجنة». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح.

تمّت سورة الإخلاص بحمد الله وعونه
والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه

(سورة الفلق)

(مُختَلَفٌ فيها) وهي خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أي الصبح أو الخلق أو هو وادٍ في جهنم أو جبٌّ فيها ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي النار أو الشيطان. و«ما» موصولة والعائد محذوف، أو مصدرية ويكون الخلق بمعنىٰ المخلوق. **(وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه)** ﴿من شرٍّ﴾ بالتنوين و«ما» على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجرّ بدل من ﴿شَرِّ﴾ أي شر خلقه أي من خلق شر، أو زائدة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ الغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه، ووقوبه دخول ظلامه في كل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الفلق، مُختَلَفٌ فيها) في الخازن وهي مدنيّة وقيل: مكيّة والأول أصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفًا.
قوله: (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه. . .) الخ. وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر «من شر» بالتنوين «ما خلق» على النفي وهي قراءة مردودة مبنيّة على مذهب باطل الله خالق كل شيء.اهـ. روح البيان وهكذا في السمين نقلًا عن ابن عطيّة.

شيء، وعن **(عائشة)** رضي الله عنها: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأشار إلى القمر فقال: تعوّذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب، ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ النفاثات: النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها ويرقين، والنفث: النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقق السحر وظهور أثره.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ أي إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه لأنه إذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره، وهو **(الأسف)** على الخير عند الغير. والاستعاذة من شر هذه الأشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق إشعار بأن شر هؤلاء أشد، وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من إبليس، وفي الأرض من قابيل. وإنما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه، لأن كل نفاثة شريرة فلذا عرفت ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ ونكر ﴿غَاسِقٍ﴾ لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضرّ، **(ورُبَّ حسدٍ يكون محمودًا كالحسد في الخيرات)** والله أعلم.

قوله: (عائشة) بنت أبي بكر الصدّيق أم المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ إلّا خديجة ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح.

قوله: (الأَسَف) الحزن. **قوله: (ورُبَّ حسد يكون محمودًا كالحسد في الخيرات)** ومنه قوله ﷺ لا حسد إلا في اثنتين. الحديث.

تمّت سورة الفلق بحمد الله وعونه

والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه

(سورة الناس)

(مختلف فيها وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ أي مربيهم ومصلحهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ مالكهم ومدبر أمورهم ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ معبودهم. ولم يكتف بإظهار المضاف إليه مرة واحدة لأن قوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾ **(عطف بيان)** لـ «رب الناس» لأنه يقال لغيره رب الناس وملك الناس، وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه. وعطف البيان للبيان فكأنه مظنّة للإظهار دون الإضمار. وإنما أضيف الرب إلى الناس خاصة وإن كان رب كل مخلوق تشريفًا لهم، ولأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: **(سورة الناس مختلف فيها)** في الخازن وهي مدنيّة وقيل: مَكيّة والأول أصح. **(وهي ست آيات)** وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفًا.اهـ خازن. وفي الخطيب وتسعة وتسعون حرفًا.اهـ. **قوله**: **(عطف بيان)** عطف البيان هو التابع الذي يجيء لإيضاح نفس سابقة باعتبار الدلالة على معنى فيه كما في الصفة وقيل: عطف البيان هو اسم غير صفة يجري مجرى التفسير.اهـ تعريفات. **قوله**:

الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلـٰههم ومعبودهم. وقيل: أراد بالأول الأطفال. ومعنىٰ الربوبية يدلّ عليه، وبالثاني **(الشَّبَاب)** ولفظ الملك المنبىء عن السياسة يدلّ عليه، وبالثالث الشيوخ ولفظ الإلـٰه المنبىء عن العبادة يدل عليه، وبالرابع الصالحين إذ الشيطان **(مولع)** بإغوائهم، وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو اسم بمعنىٰ الوسوسة كالزلزال بمعنىٰ الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لأنها شغله الذي هو **(عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس)** و**(الوسوسة)** الصوت الخفي ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما رُوِيَ عن **(سعيد)** بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، وإذا غفل رجع ووسوس إليه.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾ في محل الجر على الصفة، **(أو الرفع)**، أو النصب على الشتم، وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس.

(الشَّبَاب) جمع شابّ المُنبِىء أي المخبر. **قوله**: **(مولع)** في المصباح أولع بالشيء بالبناء للمفعول يولع ولوعًا بفتح الواو علق به.اهـ. وفي لسان العرب أولع به ولوعًا وإيلاعًا إذا لجّ وأَوْلعه به أغراه.اهـ.

قوله: بمعنى **(الوسوسة)** وهو المصدر. **قوله**: **(عاكف عليه)** في المصباح عكف على الشيء عكوفًا وعكفًا من بابي قعد وضرب لازمه وواظبه.اهـ. **قوله**: **(أو أريد ذو الوسواس)** أي يجوز أن يحمل الكلام على تقدير المضاف. **قوله**: **(سعيد)** بن جبير الأسديّ مولاهم الكوفيّ ثقة ثبت فقيه وروايته عن عائشة وأبي موسى وغيرهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين.

قوله: **(أو الرفع)** على أن خبر مبتدأ محذوف أو النصب على الشتم والضم بتقدير الفعل مثل أذمّ.

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان: جني وإنسي كما قال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: الآية ١١٢]. وعن **(أبي ذرّ الغفاري)** ﷺ أنه قال لرجل: هل تعوّذت بالله من شيطان الإنس؟ رُوِي أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه: ما باله. فقال: **(طُبَّ)**. قال: ومَنْ طبه؟ قال: **(لبيد)** ابن أعصم اليهودي. قال: وبم طبه؟ قال: **(بمشط ومشاطة)** في **(جف طلعة تحت راعوثة في بئر ذي أروان)**. فانتبه ﷺ فبعث **(زبيرًا وعليًا وعمارًا)** ﷺ فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجفّ، فإذا فيه مشاطة رأسه

قوله: **(أبي ذرّ الغفاري)** الصحابي اسمه جندب بن جنادة على الأصح تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرًا ومناقبه كثيرة جدًا مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(طب)** أي سحر. **قوله**: **(لبيد)** بفتح اللام وكسر الموحّدة ابن أعصم بمهملتين بوزن أحمر اليهودي من بني زريق بضم الزاي وفتح الراء وقاف. **قوله**: **(بمشط)** بضم الميم وفي القاموس المَشط مثلثة وككتف وعُنُق وعُتُلّ آلة يمتشط بها. **قوله**: **(ومشاطة)** بضم الميم ما سقط من شعر الرأس أو اللحية عند تسريحه بالمشط. **قوله**: **(جفّ طلعة)** بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء طلع النخل أي ظرفه الذي يتخلّق فيه. **قوله**: **(تحت راعوثة)** بالثاء المثلثة. قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية والمشهور بالفاء وهي هي. وفي لسان العرب راعوفة البئر صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتفرت تكون ناتئة هناك فإذا أراد تنقية البئر جلس المنقِي عليها.اهـ. **قوله**: **(في بئر ذي أروان)** بفتح الهمزة وسكون الراء وفي رواية في بئر ذروان بفتح المعجمة وسكون الراء وكلاهما صحيح مشهور والأول أصح وأجود وهي بئر في المدينة في بستان بني زريق. **قوله**: **(زبيرًا)** هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشيّ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله**: **(وعليًا)** هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأولين، المرجّح أنه أوّل مَن أسلم وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذٍ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. **قوله**: **(وعمارًا)** هو ابن

وأسنان من مشطه، وإذا فيه **(وتر معقد)** فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة **(بالإبر)**، فنزلت هاتان السورتان، فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام ﷺ عند انحلال العقدة الأخيرة **(كأنما نشط من عقال)** وجعل جبريل يقول: **(بسم الله أرقيك والله يشفيك)** من كل داء يؤذيك. ولهذا جوّز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان **(بالسريانية والعبرانية والهندية)**، فإنه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه، **(ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)** وأقوالنا

ياسر بن عامر بن مالك العنسي بالنون ساكنة ومهملة أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدريّ قتل مع عليّ بصِفِّين سنة سبع وثلاثين. **قوله:** **(وتر)** بفتحتين أي وتر القوس. **قوله:** **(معقد)** في مختار الصحاح عقد الحبل والبيع والعهد فانعقد وعقد الرُّبُّ[1] وغيره فهو عقيد وبابهما ضرب وأعقده غيره وعقّده تعقيدًا والعقدة بالضم موضع العقد وهو ما عقد عليه. اهـ. **قوله:** **(بالإبر)** في المصباح الإبرة معروفة وهي المخيط والخياط أيضًا والجمع إبر مثل سدرة وسدر. اهـ. **قوله:** **(كأنما نشط من عقال)** أي كأنما حلّ وأطلق من عقال في مختار الصحاح العقال بالكسر الحبل الذي يربط فيه البعير. اهـ. **قوله:** **(بسم الله أرقيك)** بفتح الهمزة من رقى يرقي كرمى يرمي. **قوله:** **(والله يشفيك)** بفتح أوّله يعافيك. **قوله:** **(بالسريانية)** أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس أن آدم عليه السلام كان لغته في الجنة العربية فلما عصى سلبه الله العربية فتكلّم بالسريانية فلما تاب ردّ الله عليه العربية. قال عبد الملك بن حبيب: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيًّا إلى أن بعد العهد وطال حرّف وصار سريانيًّا وهو منسوب إلى أرض سورنة وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق قال: وكان يُشاكل اللسان العربي إلّا أنه محرّف وهو كان لسان جميع مَن في سفينة نوح إلا رجلًا واحدًا يقال له جرهم فكان لسانه لسان العربيّ الأول. **قوله:** **(والعبرانية)** في لسان العرب العبرانية لغة اليهود. اهـ. **قوله:** **(والهندية)** بلاد واسعة كبيرة والهند والسند كانا أخوين من ولد نوقير بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام. اهـ. أخبار الدول. **قوله:** **(ونعوذ بالله)** أي نلتجىء ونعتصم بعونه وحفظه **(من شرور أنفسنا)** أي من ظهور السيئات الباطنة التي جبلت الأنفس عليها **(ومن سيئات أعمالنا)** أي

---

(١) وهو الطلاء الخاثر. اهـ لسان العرب.

ومن شر ما عملنا وما لم نعمل، **(ونشهد)** أن **(لا إلـه إلا الله)** وحده لا شريك له **(وأن محمدًا هو عبده ورسوله)** ونبيّه وصفيّه، أرسله ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾، **وصلّى الله على محمد وعلى آله)**

من مباشرة الأعمال السيئة التي تنشأ عنها وفيه اعتراف بأن البواطن والظواهر مملوءة من العيوب، ومحشوة من الذنوب. ولذا قيل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب. قيل: منها التصنيف بلا إخلاص، وعدم رؤية التوفيق والاختصاص، ولولا حفظه تعالى مع توفيقه، لما استقام أحد على طريقه، لولا الله ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا. **قوله**: **(ونشهد)** أي نعلم ونبين أن مخففة من الثقيلة أي أنه وضمير الشأن **(لا إلـه)** أي لا معبود ولا مقصود، أو لا موجود في نظر أرباب الشهود، **(إلا الله)** أي الذات الواجب الوجود صاحب الكرم والجود وحده لا شريك له **(وأن محمدًا هو)** في الأصل اسم مفعول من حمّد مبالغة حَمِدَ نقل من الوصفية إلى الاسمية سميت به والأسماء تنزل من السماء لوصوله إلى المقام المحمود الذي يحمده الأولون والآخرون **(عبده)** إضافة تشريف وتخصيص إشارة إلى كمال مرتبته في مقام العبودية بالقيام في أداء حق الربوبية وقدمه لأنه أشرف أوصافه وأعلاها وأفضلها ولذا ذكره الله تعالى بهذا الوصف في كثير من المواضع في القرآن، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: الآية ١]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: الآية ١٠]، **(ورسوله)** إشارة إلى أعلى مراتب القرب وأولى منازل الحب وهو الفرد الأكمل، والواصل إلى المقام الأفضل، وفي الجمع بين الوصفين تعريض للنصارى حيث غلوا في دينهم وأضروا في مدح نبيّهم ونبيّه. قيل: النبيّ والرسول مترادفان والأصح أن النبيّ إنسان ذكر حرّ من بني آدم أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه وإن أمر به فرسول أيضًا فالأول أعمّ من الثاني فكل رسول نبيّ ولا عكس. **قوله**: (﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾) يغلبه (﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) جميع الأديان المخالفة له (﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾) ذلك. **قوله**: **(وصلّى الله على محمد وعلى آله)** بإعادة كلمة ردّ على الشيعة في قولهم: إن جمع الآل مع النبيّ ﷺ في الصلاة بكلمة على لا يجوز ويجب ترك الفصل بينه وبين آله[1] وينقلون في ذلك حديثًا لا يصح مصابيح الأنام في المصباح الأنام الجن والإنس، وقيل:

---

(١) واستدلّوا بحديث موضوع لا تفصلوا بيني وبين آلي بعلى. ١٢ منه رحمه الله.

مصابيح الأنام **(وأصحابه مفاتيح دار السلام)** صلاة دائمة ما دامت الليالي والأيام.

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله هداة الأنام وأصحابه نجوم الإسلام (وبعد) فقد تمّ طبع هذا التفسير الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ﷺ وجعل الجنة متقلبه ومثواه.

الأنام ما على وجه الأرض من جميع الخلق. اهـ. **(وأصحابه مفاتيح دار السلام)** في الأنموذج أن أصحاب النبيّ عليه الصلاة والسلام يقاربون عدة الأنبياء. وفي الألفية أنه ﷺ مات عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفًا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وعلينا معهم أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين تمّت.

قال المؤلّف شكر الله سَعْيه وأتمّ عليه نعمته قد وقع الفراغ من تسويدها وكتابتها وتأليفها بعون الله وتأييده ثالث عشر ذي القعدة يوم الأربعاء سنة ست وتسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيّد الثقلين عليه وعلى آله أكمل التحيّات وأفضل الصلوات بمكة المكرمة في الحطيم الشريف تحت ميزاب الرحمة على يد مؤلفها المفتقر إلى رحمة ربه الحق محمد عبد الحق ابن الشيخ شاه محمد ابن الشيخ يار محمد تغمّدهم الله برحمته ورضوانه وأسكنهم أعلى الغرف العالية في الجنان، في القصور الحسان، إنه كريم حنّان، رحيم رحمٰن، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين، نسأله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، بحرمة الرؤوف الرحيم، وأن ينتفع به كما نفع بأصله، بجاه خير أنبيائه ورسله، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم، ويديمنا على الحق القويم، ويمتّعنا بالنظر إلى وجهه الكريم، في جوار نبيّه الكريم، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، غفرانك ربنا وإليك المصير، سُبْحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين، آمين.

بحمد الله تعالى قد حصل الفراغ من طبع هذا الكتاب المستطاب في آخر ذي الحجة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة النبيّ المختار صلّى الله تعالى عليه وعلى آله الكبار بمطبع إكليل المطابع في بلدة بهرائج.

والحمد لله ربّ العالمين

الإكليل
على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام النسفي

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي

المتوفى ١٣٣٣ هـ

صححه وضبطه

الشيخ محيي الدين أسامة البرقدار

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان